كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

13

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[230] ـ أخبار أبي الطَّمَحان القَيْنيّ[1]

[نسبه]

أبو الطَّمحان اسمه حنظلة بن الشَّرْقيّ ، أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قُضاعة . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم .

[أدرك الجاهلية والإسلام]

وكان أبو الطّمحان شاعراً فارساً خارباً[2] صُعلوكاً ، وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فكان خبيث الدِّين فيهما كما يُذكر . وكان تِرْباً للزُّبير بن عبد المطّلب في الجاهلية ونديماً له . أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة .

[حمل خبر أسر قيسبة السكوني إلى قومه]

وممّا يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبيّ عن أبيه قال : خرج قَيْسَبة بن كلثوم السَّكونيّ ، وكان ملِكاً ، يريد الحجّ ، وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض ، فمرّ ببني عامر بن عُقَيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، وألقوه في القِدّ ، فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن أن الجنّ استطارته . فبينا هو في يوم شديد البرد في بيتِ عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق[3] عليها فقد أَضَرّ بي القُرّ ؟! فقالت له نعم . وكانت عليه جُبة له حِبَرة[4] لم يُترك عليه غيرها ، فتمشّى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمةَ ، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن ، وتَغشاه عَبرةٌ فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ساكن السماء فرِّج لي مما أصبحتُ فيه . فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير ، فأشار إليه أن أَقْبِلْ ، فأقبل الراكب ، فلمّا وقف عليه قال له : ما حاجتك يا هذا ؟ قال : أين تريد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو الطَّمَحان القَيني ، فاستعبرَ باكياً . فقال له أبو الطَّمحان : مَن أنت ؟ فإنّي أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك . قال : أنا قَيْسبة بن كلثوم السَّكوني ، خرجتُ عام كذا وكذا أريد الحجّ ، فوثب عليَّ

---

1 لأبي الطمحان ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 304 والمؤتلف والمختلف : 149 والسمط 332 والإصابة 2 : 66 والخزانة 8 : 94–96 والمحاسن والأضداد والاشتقاق : 542 وذكر الآمدي : وجدت نسبه في ديوانه المفرد : أبو الطمحان ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر . وانظر شرح الحماسة للمرزوقي : 1266 .

2 الخارب : سارق الإبل خاصة ثم أصبح يطلق على اللص .

3 تشرق : جلس في موضع تشرق عليه الشمس .

4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

هذا الحيُّ فصنعوا بي ما ترى ، وكشف عن أغلاله وقيوده ؛ فاستعبرَ أبو الطمحان ، فقال له قَيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك ! قال : فأنِخْ ، فأناخ . ثم قال له : أمعك سِكِّينٌ ؟ قال نعم . قال : ارفع لي عن رحلك ، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخِره ، فكتب عليها قَيسبة بالمُسند ، وليس يكتب به غير أهلِ اليمن : [من الخفيف]

بَلِّغـا كِنْـدَةَ الملـوكَ جميعـاً ... حيثُ سارت بالأكرمِينَ الجِمالُ
أنْ رِدُوا العَيْنَ بالخميسِ عِجالاً ... واصدُروا عنـه والرَّوايـا ثِقالُ[1]
هَزِئَـتْ جارتـي وقالت عجيباً ... إذ رأتْنـي في جِيدِيَ الأغلالُ
إن تَرَيْنـي عـارِي العِظامِ أسيراً ... قـد بَـراني تَضَعْضُعٌ واختلالُ
فلقد أقْـدُم الكَتِيبـةَ بالسيـ ... ـفِ عـليَّ السلاحُ والسرْبالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطَّمحان مائة ناقةٍ . ثم قال له : أقْرِئ هذا قومي ؛ فإنّهم سيعطونك مائةَ ناقةٍ حمراء . فخرج تسير به ناقته ، حتى أتى حضرمَوت ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قَيسبة حتى فرغ من حوائجه . ثم سمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرون قَيسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجَوْن بن كلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمّه ، فقال له : يا هذا ، إنّي أدلُّك على قَيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل . قال له : فهي لك . فكشف عن الرحل ، فلمّا قرأه الجَون أمر له بمائة ناقةٍ ، ثم أتى قيس بن معديكرب الكِنديّ أبا الأشعث بن قيس ، فقال له : يا هذا ، إن أخي في بني عُقَيل أسير ، فسر معي بقومك . فقال له : أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك ، وإلاّ فامض راشداً . فقال له الجَون : مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهون عليَّ ممّا خيَّرتُه . وضجّت السَّكونُ[2] ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك من هذا ! هو ابن عمّك ويطلب لك بثأرك ! فأنعَمَ له بذلك . وسار قيس وسار الجَون معه تحت لوائه ، وكِندة والسَّكون معه ؛ فهو أوّل يومٍ اجتمعت فيه السَّكون وكِندة لقَيس ، وبه أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقَيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذ قَيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صُبَيح الكِنديّ : [من الخفيف]

لا تَشْتُمونا إذ جَلبنـا لكـم ... ألْفَـيْ كُمَيتٍ كلُّهـا سَلْهَبَهْ[3]
نحـن أبْلْنا الخيلَ في أرضِكم ... حتـى ثَـأَرْنا منكـمُ قَيْسَبَهْ

1 الروايا : جمع راوية وهي مزادة الماء .
2 السكون : بطن من كندة .
3 السلهب والسلهبة : الطويل من الخيل والناس .

واعترضتْ من دُونِهم مَذْحِجٌ فصادَفُوا مِن خيلِنا مَشْغَبَهْ

[أدنى ذنوب أبي الطمحان]

حدّثنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال : بلغني أنّ أبا الطَّمحان القينيّ قيل له ، وكان فاسقاً خارباً ، ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيْرانيّةٍ فأكلتُ عندها طَفَيْشَلاً بلحم خنزير ، وشربتُ من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ثم انصرفتُ عنها .

[لجوءه إلى فزارة]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : جنى أبو الطمحان القَينيّ جنايةً وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة ، فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بني شَمْخٍ ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه . فأقام مدة ، ثم تشوّق يوماً إلى أهله وقد شرب شراباً ثمِل منه ، فقال لمالك : لولا أنّ يدي تقصرُ عن دية جنايتي لعُدْت إلى أهلي . فقال له : هذه إبلي فخذ منها دِية جنايتك واردد[1] ما شئت . فلمّا أصبح ندِم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالِكاً فأنشده : [من الوافر]

سأمدح مالِكاً في كلِّ ركبٍ لَقِيتُهمُ وأترُكُ كل رَذْلِ
فما أنا والبِكارةُ أو مخاضٌ عِظامٌ جِلَّة سُدُسٌ وبُزْلُ[2]
وقد عرفتْ كلابُكُم ثيابي كأنّي منكمُ ونَسيتُ أهلي
نَمَتْ بكَ مِن بَنِي شَمْخٍ زِنادٌ لها ما شئتَ من فَرْعٍ وأصلِ

قال فقال مالك : مرحباً ! فإنّك حبيب ازداد حبّاً ، إنّما اشتقتَ إلى أهلك وذكرتَ أنه يحبِسك عنهم ما تُطالَب به من عقلٍ أو ديةٍ ، فبذلتُ ما بذلتُ ، وهو لك على كل حال ، فأقِم في الرُّحب والسعة . فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم .

[اعتذر لامرأته لركوبه الأهوال]

قال أبو عمرو في هذه الرواية : وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النَّحويّ صِهرُ المبرّد ، قال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال : عاتبتْ أبا الطمحان القينيّ امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه ، وكان لصّاً خارباً خبيثاً ، واكثرتْ لومه على ركوب الأهوالِ ومخاطرته بنفسه في مذاهبه ، فقال لها : [من الطويل]

---

1 لعلّها «وازدد» .

2 البكارة : جمع بكر وهو الفتي من الإبل والأنثى بكرة . المخاض : النوق الحوامل . وجلة الإبل : مسانها . والسدس : جمع سديس وهي ما دخل في السنة الثامنة . والبزل : من الإبل ما دخل في سنته التاسعة .

لـو كنتُ في رَيْمانَ تحرُس بابَه أراجيـلُ أُحْبوشٌ وأَغْضَفُ آلِفُ[1]
إذاً لأَتَتْنـي حيـثُ كنتُ مَنِيَّتي يَخُـبُّ بهـا هـادٍ بأمرِيَ قائفُ
فمِنْ رَهْبـَةٍ آتِي المَتالِفَ سادِراً وأيَّةُ أرض ليس فيهـا مَتـالِفُ[2]

[مدح بجير بن أوس الطائي لاطلاقه إياه من الأسر]

فأمّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أنّ فيه لعريب صنعةً وهو :

أضاءتْ لهـم أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ

فإنّه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأمٍ الطائي ، وكان أسيراً في يده . فلمّا مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته ، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد . وأوّل هذه الأبيات : [من الطويل]

إذا قيـل أيُّ النّـاس خَيرٌ قَبيلةً وأصبَرُ يومـاً لا تَوارى كَواكِبُهْ
فإنَّ بني لأم بن عَمْـرٍو أُرُومةٌ عَلَتْ فوقَ صَعْب لا تُنالُ مَراقِبُهْ[3]
أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجوهُهمْ دُجى الليلِ حتى نَظَّم الجَزْعَ ثاقبُهْ[4]
لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَرون عن النَّدى إذا مَرْكبُ المعروف أجْـدَبَ راكبُهْ[5]

[حرب جديلة والغوث الطائيين]

وأمّا خبر أسره والوقعة التي أُسِر فيها فإن عليَّ بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : كان أبو الطمحان القينيّ مجاوراً في جَديلة من طيىء ، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفساد»[6] وتحزَّبت حزبين : حزب جديلة وحزب الغوث ، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة . فأمّا اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصِفة» . وأمّا الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حُوق[7] و«يوم البَيْضة»[8] و«يوم عِرْنان»[9] وهو آخرها وأشدُّها وكان للغوث ، فانهزمت جديلة هزيمةً قبيحة ، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة .

---

1 ريمان : حصن باليمن . الأغضف : المسترخي الأذن من الكلاب ، والآلف : المستأنس بمَن يحرسهم .
2 السادر : الذي لا يبالي .
3 المراقب : جمع مرقبة وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن .
4 الجزع : الخرز اليماني .
5 أي لا يبخلون .
6 سمّيت كذلك لما ارتكب فيها من الفظائع والأهوال .
7 حوق : موضع ويعرف هذا اليوم أيضاً بيوم اليحاميم .
8 البيضة : ماء لبني دارم .
9 عرنان : جبل .

[شعر أبي الطمحان في الأسر]

وأسِر بو الطمحان في هذه الحرب : أسره رجلان من طيِّىء واشتركا فيه ، فاشتراه منهما بُجير بـن أوس بن حارثة لمّا بلغه قوله : [من الطويل]

أرِقـتُ وآبَتْني الهمـومُ الطَّوارِقُ ... ولم يلـقَ مـا لاقَيتُ قبليَ عاشقُ
إليكم بني لأمٍ تَخُـبُّ هِجانُها ... بكلِّ طريـق صادَفَتْـه شَبارِقُ[1]
لكم نائـلٌ غَمْـرٌ وأحلامُ سادةٍ ... وألسِنةٌ يـومَ الخِطـاب مَسالقُ
ولم يَـدْعُ داعٍ مثلَكـم لعَظِيمةٍ ... إذا وَزَمتْ بالساعدَيْن السَّوارقُ[2]

السوارق[3] : الجوامع ، واحدتها سارقة .

قال فابتاعه بُجير من الطائيّين بحكمهما ، فجزّ ناصيته واعتقه .

[تيسه يقتل غلاماً]

أخبرني الحسن بن عليٌّ قال : حدّثنا أبو أيوّب المديني قال : حدّثني مصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : كان أبو الطمحان القينيُّ مجاوراً لبطن من طيِّىء يقال لهم بنو جديلة ، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله ، فتعلّقـوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدَّى ديتَه مائـةً من الإبل . وجاءهم نزيلُه ، وكان يدعى هشاماً ، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله ؛ فقال له أبو الطمحان : [من الطويل]

أتـاني هِشامٌ يَدفَعُ الضَّيمَ جاهِداً ... يقـول ألا مـاذا تَـرى وتَقـولُ
فقلت لـه قُمْ يا لَكَ الخَيرُ أدِّها ... مُذلَّلـةً إنّ العَزيـزَ ذَليـلُ
فإن يـكُ دُونَ القَيْن أغبرُ شامخٌ ... فليس إلى القَيْـن الغَـداةَ سبيلُ

[انتعاش المأمون ببيتين لأبي الطمحان في ساعة اكتئابه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، عن إسحاق قال : دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط ، فأخذت أحدّثه بمُلَح الأحاديث وطُرَفها ، أسْتمِيله لأن يضحك أو يَنْشط ، فلم يفعل . وخطر ببالي بيتان فأنشدته إيّاهما . وهما : [من الطويل]

ألا عَلِّلاني قبـلَ نَـوْح النَّوائحِ ... وقبـلَ نُشوز النفس بين الجَوانحِ[4]
وقبل غدٍ ، يا لَهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا راح أصحابـي ولستُ برائحِ

فتنبّه كالمتفزِّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القينيّ يا أمير المؤمنين .

1 الشبارق : جمع شِبرق وهو نبات شوكي الثمر أحمره .
2 وزمت : عضت .
3 السوارق : الجوامع وهي القيود .
4 أي قبل الموت .

قال : صدق والله ، أعِدهما عليّ . فأعدتهما عليه حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب . وأمر لي بعشرين ألف درهم .

[استشهاد خالد بن يزيد يعتذر بشعره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : [حدّثني] المدائنيّ قال : عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك ، فجعل يعتذر إليه ويحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألا تقبل عذر ابن عمّك وتُزيلَ عن قلبك ما قد أُشربتَه إيّاه ؟ أمَا سمعتَ قول أبي الطمحان القينيّ : [من الطويل]

إذا كان في صدرِ ابنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ فـلا تَسْتَثِرْها سوف يَبْدو دَفينُها
وإنْ حَمْأَةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها فخُـذْ عَفْوَه لا يَلْتبِسْ بك طِينُها

[عند الزُّبير بن عبد المطّلب]

قال المدائنيّ : ونزل أبو الطمحان على الزُّبير بن عبد المطّلب بن هاشم ، وكانت العرب تنزل عليه ، فطال مقامه لديه ، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم ، فلم يأذن له . وسأله المُقام ، فأقام عنده مدّة ، ثم أتاه فقال له : [من الطويل]

ألا حَنَّتِ المِرْقـالُ وائْتَبَّ ربُّهـا تَذَكَّـرُ أوطاناً وأَذْكرُ مَعْشَري[1]
ولـو عَرَفتْ صَرْفَ البُيوع لَسَرَّها بمكـةَ أن تَبْتاعَ حَمْضا بإذْخرِ[2]
أَسَرَّكِ لـو أنـا بجَنْبَيْ عُنَيزةٍ وحَمْضٍ وضُمران الجنابِ وصَعْتَرَ[3]
إذا شاء راعيهـا استقَى من وَقِيعةٍ كعَـينِ الغُرابِ صَفْوُها لم يُكدَّرِ[4]

فلمّا أنشده إيّاها أذِن له فانصرف ، وكان نديماً له .

صوت

[من المنسرح]

لا يَعْتَرِي شَرْبَنا اللّحاءُ وقَدْ تُوهَـبُ فينـا القِيانُ والحَلَلُ
وفِتيـةٍ كالسّيوفِ نادَمْتُهـمْ لا حَصَرٌ فيهـمُ ولا بَخَلُ

الشعر للأَسود بن يَعفُر ، والغِناء لسُلَيم ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبِنصر .

1 ائتب : تجهز للمسير . ويروى «تذكر أرماماً» ، وهو موضع له يوم .
2 الحمض : كل نبات حامض أو مالح . والإذخر : نبات طيب الرائحة .
3 هذه أسماء مواضع .
4 الوقيعة : مكان يمسك الماء .

[231] ـ أخبار الأسود بن يعفر ونسبه[1]

[نسبه]

الأسود بن يعفر ـ ويقال يُعفر بضم الياء ـ ابن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمُّ الأسود بن يعفر رُهم بنت العَبّاب ، من بني سهم بن عجل . شاعر متقدّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير ، والمخبَّل السعديّ . والنَّمِر بن تولب العُكْليّ . وهو من العُشْي ـ ويقال العُشْوُ بالواو ـ المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة[2] : [من الكامل]

نــامَ الخَليُّ وما أُحِسُّ رُقادي　　　والهمُّ مُحتَضِرٌ لـدَيَّ وسادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مفضَّلية مأثورةٌ .

[دارمي لا يعرف شعر الأسود بن يعفر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسديُّ قالا : حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوّار بن عبد الله ليُقيم عنده شهادةً ، فصادفه يتمثَّل قول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

ولقــد علمتُ لَوَ آنّ عِلميَ نافِعِي　　　أنّ السَّبِيلَ سَبيــلُ ذي الأعْوادِ[3]

إنَّ المَنِيَّــةَ والحُتُــوفَ كلاهمــا　　　يُوفي المَخــارِمَ يَرْمِيــانِ سَوادي[4]

مــاذا أُؤَمِّــلُ بعــد آلِ مُحَـرِّقٍ　　　تَركــوا مَنازِلَهُــمْ وبعدَ إيادِ[5]

أهــلِ الخَوَرْنَق والسَّديرِ وبــارِقٍ　　　والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِندادِ[6]

---

1 للأسود ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 176 وطبقات ابن سلام : 123 وشرح المفضليات : 445 وهو المعروف بأعشى نهشل . وقد جمع غويار شعره في ديوان الأعشين 293–310 وإليه نشير . وتختلف رواية بعض الأبيات في المفضليات والديوان عما هنا .

2 هي المفضلية 44 وانظر ديوانه القطعة 17 .

3 ذو الأعواد : من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم كان له سرير يحمل عليه لمّا أسنّ .

4 يوفي : يعلو . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل . سواد المرء : شخصه .

5 آل محرق : ملوك الحيرة ، ويطلق أيضاً على ملوك الغساسنة . وإياد : هي من معد بن عدنان .

6 الخورنق والسدير : القصران المشهوران بالحيرة . بارق : ماء أو نهر بالعراق من أعمال الكوفة . سنداد : منزل لأياد ، وهو سواد الكوفة .

نزلوا بأنْقُرةٍ يَفيض عليهمُ ماءُ الفُرات يَفيض من أُطْوادِ
جَرَتِ الرياحُ على محلِّ ديارهم فكأنّما كانوا على مِيعادِ

ثم أقبل على الدارميّ فقال له : أتروي هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرِفُ مَن يقوله ؟ قال : لا . قال : رجلٌ من قومك له هذه النباهةُ وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه ! يا مزاحم ، أثبِت شهادته عندك ، فإنّي متوقِّفٌ عن قبوله حتى أسأل عنه ، فإنّي أظنّه ضعيفاً .

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن الرياشيّ عن أبي عبيدة بمثله .

[الرشيد يعرض جائزة لمن يروي دالية الأسود]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحَكَم بن موسى السَّلوليّ قال حدّثني أبي قال : بينا نحن بالرافقة[1] على باب الرشيد وقوفٌ ، وما أَفقِدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق ، إذ خرج وصيفٌ كأنّه درّةٌ فقال : يا معشر الصحابة ، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر : [من الكامل]

نام الخَليُّ وما أحسُّ رُقادي والهمُّ مُحْتَضِرٌ لَديَّ وِسادِي

فليدخل فيُنشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهمٍ . فنظر بعضنا إلى بعضٍ ، ولم يكن فينا أحدٌ يرويها . قال : فكأنّما سقطتْ والله البَدرة عن قربوسي . قال الحكم : فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدّثني أبي قال : حدّثني عبدُ الله بن عبد الرحمن المدائنيّ قال : حدّثنا [أبو] أميّة بن عمرو بن هشام الحرانيّ قال : حدّثنا محمد بن يزيد بن سنان قال : حدّثني جدِّي سِنان بن يزيد قال : كنت مع مولاي جرير بن سهمٍ التميميّ وهو يسير أمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول : [من الرجز]

يا فَرَسي سِيري وأُمِّي الشاما وخَلِّفي الأخوالَ والأعماما
وقطِّعي الأجْوازَ والأعلاما وقاتِلي مَن خالفَ الإماما
إنّي لأرجو إن لَقِينا العاما جَمْعَ بني أُمَيَّةَ الطَّغاما
أن نَقتُلَ العاصيَ والهُماما وأن نُزيلَ من رِجالٍ هاما

فلمّا انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا ، فتمثَّل مولاي قول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

---

1 الرافقة : مدينة على الفرات غلب عليها اسم الرقة .

جَرَتِ الرِّياحُ على مَكانِ دِيارِهِمْ فكأنَّمـا كانـوا عـلى مِيعـادِ

فقال له عليٌّ عليه السلام : فلِمَ لَم تقل كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُون . وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ . ونَعْمةٍ كانوا فِيها فاكِهِين . كذلك وأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِين﴾ . ثم قال : يا ابن أخي ، إن هؤلاء كفروا النعمة ، فحلّت بهم النِّقْمةُ ، فإيّاكم وكُفر النعمة فتَحِلَّ بكم النقمة .

[عند قصر لآل جفنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : مرَّ عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفنة ، وقد خَرِب ، فتمثَّل مزاحمٌ بقول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِم فكأنّمـا كانـوا على ميعادِ
ولقد غَنُوا فيهـا بأَنْعَمِ عِيشةٍ في ظِـلِّ مُلْكٍ ثابـتِ الأَوْتادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ مـا يُلهى به يومـاً يَصِيرُ إلى بِلًـى ونَفادِ

فقال له عمر : هلاّ قرأتَ : ﴿كَمْ تَركُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُونٍ﴾ ، إلى قوله جلّ وعزّ : ﴿كذلكَ وأَوْرَثْناها قَوماً آخَرين﴾ .

[يقامر بإبله ويخسر]

نسختُ من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيِّ عن المُفَضَّل قال : كان الأسود بن يعفر مجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرّة بن عباد بالقاعة[1] ، فقامرهم فقمروه ، حتى حصل عليه تسعة عشر بكراً ، فقالت لهم أمّه وهي رُهم بنت العبّاب : يا قوم ، أتسلبون ابن أخيكم مالَه ؟ قالوا : فماذا نصنع ؟ قالت : احبسوا قِداحه .

فلمّا راح القوم قالوا له : أمْسِك . فدخل ليُقامِرهم فردّوا قِداحه . فقال : لا أقيم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح ؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحُرُم ، فأُخذت إبله طائفةٌ من بكر بن وائل ؛ فاستسعى الأسود بني مرّة بن عباد وذكّرهم الجِوار وقال لهم[2] : [من الطويل]

يالَ عُبادٍ دَعـوةً بعـد هَجْمةٍ فهل فيكُم من قـوّةٍ وزماعِ[3]
فتَسْعَوْا لجارٍ حلَّ وَسْطَ بُيوتكم غريبٍ وجاراتٍ تُركـنَ جِياعِ

1 القاعة : موضع .
2 ديوانه : 37 .
3 الزماع : العزم على الأمر والمضاء فيه .

وهي قصيدةٌ طويلةٌ ، فلم يصنعوا شيئاً . فادَّعى جِوارَ بني مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان ، فقال[1] : [من الرجز]

قُـلْ لبني مُحَلِّمٍ يَسيروا   بذِمَّـةٍ يَسْعى بهـا خَفيرُ
لا قَدْحَ بعد اليوم حتى تُورُوا

ويروى «إن لم تُورُوا» . فسعَوا معه حتى استنقذوا إبلَه ، فمدحهم بقصيدته التي أوّلها[2] : [من الطويل]

أجارَتَنا غُضّي مـن السَّيْر أو قفي   وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ بالبَيْن فاصْرِفي[3]
أُسائِلْكِ أو أُخبِرْكِ عن ذي لُبانةٍ   سَقِيمِ الفُـؤادِ بالحِسانِ مُكَلَّفِ[4]

يقول فيها :

تَدارَكنـي أسبابُ آلِ مُحَلَّـمٍ   وقد كِدْتُ أَهْوي بين نِيقَيْنِ نَفْنَفِ[5]
همُ القومُ يُمسي جارُهم في غَضارةٍ   سَوِيّـاً سَليمَ اللَّحم لم يُتحوَّفِ[6]

فلمّا بلغتهم أبياتُه ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم .

[طلب منه شخص أن يسعى له في إبله]

قال المفضَّل : كان رجلٌ من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة ، جاراً لبني ربيعة بن عِجل بن لُجيم ، فأكلوا[7] إبله ، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفُر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله . فقال له الأسود : لستُ جامِعَهما لك ، ولكن اخترْ أيَّهما شئتَ . قال : أختار أن تسعى لي بإبلي . فقال الأسود لأخواله من بني عِجلٍ[8] : [من الكامل]

يـا جارَ طلْحَة هلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ   فتكونَ أدْنـى للوَفـاء وأَكرَما
تاللهِ لـو جاوَرْتُموه بـأرْضِهِ   حتّى يُفارِقَكم إذاً مـا أَحْرَما

وهي قصيدة طويلة . فبعث أخواله من بني عِجلٍ بإبل طلحة إلى الأسود بن يعفر فقالوا :

1 ديوانه : 26 .
2 ديوانه : 39 .
3 اصرفي : اعدلي .
4 مكلف : مولع .
5 النيق : حرف الجبل . والنفنف : المهواة بين جبلين .
6 الغضارة : سعة العيش . لم يتحوف : لم ينتقص .
7 أكلوا إبله : أخذوها .
8 ديوانه : 53 .

أمّا إذ كنتَ شفيعَه فخُذها ، وتولَّ ردّها لتُحرِزَ المَكرمة عنده دون غيرك .

[النعمان يحرض على طلب الثأر فيتولاه الأسود]

وقال ابن الأعرابيّ : قتل رجلان من بني سعد بن عِجلٍ يُقال لهما وائلٌ وسَلِيطٌ ابنا عبد الله ، عمّاً لخالد بن مالك بن رِبعيٍّ النهشليّ يقال له عامر بن رِبعيّ ، وكان خالد بن مالكٍ عند النعمان حينئذٍ ومعه الأسود بن يعفُر . فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالكٍ فقال له : أيَّ فارسين في العرب تعرفُ هما أثقل على الأقران وأخفّ على مُتون الخيل ؟ فقال له : أَبَيْتَ اللعنَ ! أنت أعلم . فقال : خالا ابن عمِّك الأسود بن يعفر وقاتِلا عمِّك عامر بن رِبعيّ (يعني العِجْلِيَين وائلاً وسليطاً) . فتغيَّر لون خالد بن مالك . وإنّما أراد النعمان أن يحثّه على الطلب بثأر عمِّه . فوثب الأسود فقال : أَبيتَ اللعن ! عضَّ بهن أمّه مَن رأى حقَّ أخواله فوق حقِّ أعمامه . ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال : يا ابن عمٍّ ، الخمر عليَّ حرامٌ حتى أثأر لك بعمّك . قال : وعليّ مثل ذلك . ونهضا يطلبان القوم ، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارمٍ يقال له عبيد يتجسَّس لهم الخبر ، فرجع إليهم فقال : جوفُ كاظمة ملآن من حجّاج وتجار ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ متساندان في الجيش . فركبتْ بنو نهشلٍ حتى أتَوهم ، فنادوا : مَن كان حاجّاً فليَمْضِ لحجّه ، ومَنْ كان تاجراً فليمض لتجارته . فلمّا خَلَصَ لهم وائلٌ وسليط في جيشهما اقتتلوا ، فقُتِل وائل وسليطٌ ، قتلهما هِزّان بن زهير بن جندل بن نهشل ، عادى[1] بينهما . وادّعى الأسود بن يعفُر أنّه قتل وائلاً .

[مرضه عند النعمان]

ثم عاد إلى النعمان فلمّا رآه تبسّم وقال : وفي نَذْرُكَ يا أسود ؟ قال : نعم أبيتَ اللعن ! ثم أقام عنده مدّةً ينادمه ويؤاكله ، ثم مرض مرضاً شديداً ، فبعث النعمان إليه رسولاً يسأله عن خبره وهول ما به ؛ فقال[2] : [من البسيط]

نَفْعٌ قليل إذا نادى الصَّدى أُصُلاً ... وحـانَ منـه لبردِ المـاء تَغْرِيدُ
ووَدَّعوني فقالـوا ساعةَ انطلقوا ... أَوْدى فأودى النَّدى والحزمُ والجُودُ
فما أُبالي إذا مـا مِتُّ ما صَنَعُوا ... كلُّ امرىء بسبيل الموتِ مَرْصودُ

[ابنه يأخذ فرساً ثم يضطر إلى ردّها فيهجو الذي أعان عليه]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثره عن أبيه ، قال : وكان أبو جُعَلٍ

1 عادى بينهما : طعنهما طعنتين متواليتين .
2 ديوانه : 10 .

أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شُذّاذ أسدٍ وتميم وغيرهم ، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة ، فنَذِروا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمعهم . فلحِق رجلٌ من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بني نهشلٍ فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر . والحُرُّ بن شَمِر بن هِزّان بن زهير بن جندلٍ ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جندل ، وعمرٌو والحارث ابنا حُرَير بن سلمى بن جندل ، فقال لهم الحارثيّ : هلُمَّ إليَّ طُلَقاء ؛ فقد أعجبني قِتالُكم سائر اليوم ، وأنا خيرٌ لكم من العطش . قالوا نعم . فنزل ليُجزَّ نواصيهم . فنظر الجرّاح بن الأسود إلى فرسٍ من خيلهم فإذا هي أجود فرسٍ في الأرض ، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها . فقال الحارثيّ للذين بقوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم نحن لك عليه خُفَراءُ . فلمّا أتى جرّاحٌ أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن ، وكان يقال لها : العَصماء . فلمّا رجع النَّفَر النَّهْشَليُّون إلى قومهم قالوا إنّا خُفَراء فارس العصماء ، فوالله لنأخذنّها ، فأوعدوه . وقال حُرَير ورافع : نحن الخفِيران بها . وكان بنو جَرْوَلٍ حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل ، فأعانه على ذلك التَّيْحان بن بلج بن جرول بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه[1] : [من الطويل]

أتــاني ولم أُخشَ الذي ابتُعِثا به ... خَفِيرا بنــي سَلْمى حُرَيْر ورافعُ
هــمُ خَيَّبوني يــومَ كلٌّ غَنيمةٍ ... وأهلكتُهـم لَــوْ أنَّ ذلــك نافعُ
فــلا أنــا مُعْطِيهم عليَّ ظُلامةً ... ولا الحقُّ مَعْروفاً لهــم أنا مانِعُ
وإنّي لأَقري الضيفَ وَصَّى به أبي ... وجارُ أبي التَّيْحانِ ظمـآنُ جائعُ
فقُولا لتَيْحانَ ابنِ عاقِرةٍ استِها ... أَمُجْرٍ فَلاقي الغَيِّ أمْ أنتَ نازِعُ[2]
ولَــوْ أنَّ تَيْحانَ بنَ بَلْجٍ أطاعني ... لأرشدتُــه وللأمــــور مَطالعُ
وإنْ يَــكُ مَدلـولاً عَليَّ فإنّني ... أخو الحَرْبِ لا قَحْمٌ ولا متَجاذِعُ[3]
ولكنَّ تَيْحانَ ابنَ عاقِــرةِ استِها ... لـــه ذَنَــبٌ مــن أمْرِه وتَوابعُ[4]

قال : فلمّا رأى الأسود أنهم لا يُقلِعون عن الفَرَس أو يردّوها ، أحلفَهم عليها فحلفوا أنهم خُفَراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها ، فردّوا الفرس إلى صاحبها . ثم أظهر

1 ديوانه : 35 .
2 مجر : قاصد الشر . نازع : كافٌّ منتهٍ .
3 مدلول علي : أي مجترىء علي . القحم : الكبير السن . والمتجاذع : الصغير السن .
4 له ذنب من أمره : عواقب .

الأمهار بعد ذلك ، فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسود[1] : [من الطويل]

أحقّاً بني أبناء سَلْمى بنِ جَنْدَلٍ وَعيدُكُمُ إيايَ وَسْطَ المجالسِ
فهلاّ جَعلتُمْ نحوَهُ من وَعيدِكم على رَهْطِ قَعْقاعٍ ورهطِ ابنِ حابسِ
هُمُ مَنعوا منكم تُراثَ أبيكُمُ فصار التُّراثُ للكرام الأكايسِ
هُمُ أوْردوكم ضَفَّةَ البحرِ طامِياً وهُمْ تركوكم بين خازٍ وناكسِ[2]

[رثاؤه مسروق بن المنذر النهشليّ]

وقال أبو عمرو : كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيِّداً جواداً ، وكان مؤثِراً للأسود بن يعفر ، كثير الرِّفد له والبرِّ به . فمات مسروق واقتسم أهله مالَه ، وبان فقدُه على الأسود بن يعفُر فقال يرثيه[3] : [من البسيط]

أقولَ لمّا أتاني هُلْكُ سيِّدِنا لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ الناسِ مَسْروقا
مَن لا يشيِّعُه عجزٌ ولا بَخَلٌ ولا يَبيتُ لديه اللّحمُ مَوْشُوقا[4]
مِرْدى حُروبٍ إذا ما الخيلُ ضَرَّجَها نَضْخُ الدماءِ وقد كانتْ أفاريقا
والطاعنُ الطَعنةَ النَّجْلاءَ تحسَبُها شَنّاً هَزيماً يَمُجُّ الماءَ مَخْروقا
وجَفْنةٍ كنَضيحِ البِئْرِ مُتْأَقةٍ تَرى جَوانبَها باللحمِ مفتوقا
يَسَّرْتَها ليتامى أو لأرْمَلةٍ وكنتَ بالبائسِ المتروكِ مَحْقوقا
يا لَهْفَ أُمِّيَ إذْ أوْدى وفارَقني أودى ابنُ سَلْمى نقيُّ العِرْض مَرْمُوقا

[عتاب ابنته له على جوده]

وقال أبو عمرو : عاتبتْ سلمى بنت الأسود بن يعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة وما يمنحه فقراءهم ويُعين به مُستمنحهم ، فقال لها[5] : [من الوافر]

وقالت لا أَراك تُليقُ شيئاً أتُهْلِكُ ما جَمعْتَ وتستفيدُ[6]
فقلتُ بِحَسْبِها يَسَرٌ وعارٍ ومُرْتَحِلٌ إذا رَحَلَ الوفودُ[7]

1 ديوانه : 31 .
2 الخازي : من الخزي إذا ذل وهان . والناكس : المطأطىء الرأس .
3 ديوانه : 41 .
4 يشيعه : يتبعه أو يصحبه . الموشوق : المقدد .
5 ديوانه : 11 .
6 لا تليق شيئاً : لا تمسك شيئاً .
7 اليسر : القوم المجتمعون على الميسر . والعاري : الذي يعرض للقوم ملتمساً المعروف . والمرتحل : الذي يركب البعير بالقتب .

فلُومِي إنْ بدا لك أو أفِيقي ... فقَبْلَكِ فاتَنِي وهو الحَمِيدُ
أبو العَوْراءِ لمْ أكْمَدْ عليه ... وقيسٌ فاتَني وأخِي يزيدُ
مَضَوْا لسبيلهم وبَقِيتُ وَحدِي ... وقَدْ يُغْنِي رِباعته الوَحِيدُ[1]
فلوْلا الشامِتونَ أخذْتُ حَقِّي ... وإنْ كانتْ بمَطلبه كَؤُودُ

ويُروى : وإنْ كانت لـه عِنْدي كَؤُودُ

[ما قاله في ابنه جراح]

قال أبو عمرو : وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً ضعيفاً ، فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبيّاً من الحيّ ، وقد صرعه الصبيُّ ، والصبيان يهزؤون منه ، فقال[2] : [من الطويل]

سيَجْرَحُ جرّاحٌ وأعْقِلُ ضَيْمَه ... إذا كان مَخْشِيّاً من الضَّلَعِ المُبْدِي[3]
فآباءُ جرّاحٍ ذُؤابة دارِمٍ ... وأخوالُ جرّاحٍ سَراةُ بني نَهْدِ

قال : وكانت أُمّ الجرّاح أَخِيذةً ، أخذها الأسود من بني نَهد في غارةٍ أغارها عليهم .

[أسن وكف بصره]

وقال أبو عمرو : لمّا أسنّ الأسود بن يعفر كُفَّ بصره . فكان يُقاد إذا أراد مذهباً . وقال في ذلك[4] : [من البسيط]

قد كنتُ أُهْدِي ولا أُهْدى فعلَّمني ... حُسْنُ المَقادةِ أنّي أفقِدُ البَصَرا
أمْشي وأتبَعُ جَنّاباً ليَهْدِيَني ... إنّ الجَنِيبة ممّا تَجْشَمُ الغدَرا

الجُنّاب : الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجَنيبة . الجشم : المشي ببطء . والغدر : مكان ليس مستوياً .

[شعر لأخيه حطائط]

وذكر محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المفضَّل : أن الأسود كان له أخٌ يقال له حُطائط بن يعفر شاعر ، وأن ابنه الجرّاح كان شاعراً أيضاً . قال : وأخوه حطائط الذي قال لأُمّهما رُهم بنت العبّاب ، وعاتبته على جوده فقال : [من الطويل]

1 الرباعة : الشأن والأمر وتعني أيضاً القبيلة .
2 ديوانه : 13 .
3 أعقل : أتحمل . والضلع : الاعوجاج .
4 ديوانه : 20 .

تقول ابنةُ العبّاب رُهْـمٌ حَرَبْتَني   حُطائـطُ لم تَتْرُكْ لنفسك مَقْعَدا[1]
إذا مـا جمعنا صِرمة بعد هَجْمةٍ   تكون علينا كابـن أُمِّك أسودا
فقلتُ ولم أُعْيَ الجـوابَ : تأمَّلي   أكان هُـزالاً حَتْفُ زيـدٍ وأَرْبَدا
أَريني جَواداً مـات هُزْلاً لعلَّني   أرى مـا تَرَيْـن أو بخيلا مُخلَّدا
ذَريني أكنْ للمال ربّـاً ولا يكن   لي المالُ ربّـاً تَحمَدي غِبَّـه غدا
ذرِيني فـلا أعيا بما حَلَّ ساحَتي   أسُودُ فأُكْفـى أو أطِيعُ المُسَوَّدا
ذريني يكنْ مالي لعِرْضي وِقايةً   يَقِي المـالُ عِرْضي قَبل أن يتبدَّدا
أجارةَ أهـلي بالقَصيمةِ لا يكن   عـليَّ ، ولم أُظلِمْ ، لسانُكِ مِبْرَدا

صوت

[من الوافر]

أَعاذِلَتــي ألا لا تَعذُلينــا   أَقِلّـى اللـومَ إنْ لم تَنْفَعينا
فقــد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئاً   ولستُ بقابـلٍ ما تأمُرينا

الشعر لأَرطاةَ بن سُهَيَّة ، والغناء لمحمد بن الأشعث ، خفيف رملٍ بالبِنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

1 في الحماسة 1732 : ابنة العتاب . حربتني : أُخذت مالي .

[232] ـ أخبار أرطاة بن سهية ونسبه[1]

[نسبه]

هو أرطاة بن زُفر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفان بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غَيْظ بن مُرّة [بن عوف] بن سعد بن ذبيان . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب . وسُهيّة أُمُّه ؛ وهي بنتُ زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حُديج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف ، سَبِيَّةٌ من كلب ، وكانت لضرار بن الأزْوَر ثم صارت إلى زُفَرَ وهي حاملٌ فجاءت بأرطاة من ضرارٍ على فراش زُفَر ؛ فلمّا ترعرع أرطاة جاء ضرارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له : [من الرجز]

يـــا حارِثُ افْكُكْ لي بُنَيَّ من زُفَرْ

ويروى : «يا حارِ أَطْلِقْ لي» :

في بعضِ مَنْ تُطلِقُ مِن أَسْرى مُضَرْ ... إنّ أبـــاه امـــرُؤٌ سَوْءٍ إن كُفــرْ[2]

فأعطاه الحارث إيّاه وقال : انطلق بابنِك ، فأدركه نهشل بن حرِّي بن غَطَفان فانتزعه منه وردَّه إلى زُفَرَ . وفي تَصْداق ذلك يقول أرطاةُ لبعض أولاد زُفَرَ : [من الكامل]

فإذا خَمَصْتم قلتــم يا عمَّنا ... وإذا بَطِنتم قلتُم ابنَ الأَزْوَرِ

قال : ولهذا غلبتْ أمّه سُهَيّة على نَسبه فنُسب إليها . وضرار بن الأزوَر هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه مُتمِّم : [من الكامل]

نِعْمَ القتيــلُ إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ ... تحت البيوت ، قَتلتَ يا ابنَ الأَزْوَرِ

[منزلته في الشعر]

وأرطاة شاعرٌ فصيح ، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أميّة لم يسبقها ولم يتأخر عنها . وكان أمرأ صِدْقٍ شريفاً في قومه جَواداً .

[مناقضته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان رُفَيع بن سلمة الملقّب بدَماذ ، قال :

1 ترجمة أرطاة بن سهية في الشعر والشعراء 1 : 427 والإصابة 1 : 104 والسمط : 299 ، 630 وألقاب الشعراء : 308 ، 359 .

2 كفر : جحد حقّه .

حدّثنا أبو عبيدة قال : دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشده شيئاً ممّا كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، فأنشده : [من الطويل]

أبي كان خيراً من أبيكَ ولم يَزَل جَنيباً لآبائي وأنت جنيبُ[1]

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبتَ ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً . ثم أنشده : [من الطويل]

وما زلتُ خيراً منك مذ عَضَّ كارِهاً برأسك عاديُّ النِّجاد رَسوبُ[2]

[معرفة عبد الملك مقادير الناس]

فقال له عبد الملك : صدقت ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب . فعجب من عبد الملك مَن حضر ومن معرفته مقادير الناس على بُعدهم منه في بواديهم ، وكان الأمر على ما قال : كان شبيب أشرفَ أباً من أرطاة ، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونَفْساً من شبيب .

[وصفه حاله عندما أسنّ وضعف]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عمرو بن بحرٍ الجاحظ ودَماذ أبو غسان ، قالا جميعاً ، قال أبو عبيدة : دخل أرطاة بن سُهيّة على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ ، وقد كان أسنّ ، فقال : ضعُفتْ أوصالي ، وضاع مالي ، وقلَّ منّي ما كنت أُحِبُّ كثرته ، وكثُر منّي ما كنت أُحِبّ قِلّته . قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهبُ ، وما يكون الشعر إلاّ من نتائج هذه الأربع ، وعلى أنّي القائل : [من الوافر]

رأيتُ المرءَ تأكُلُه اللّيالي كأكْلِ الأرضِ ساقِطةَ الحديدِ
وما تَبْغي المَنيَّةُ حينَ تأتي على نَفْسِ ابن آدمَ من مَزيدِ
وأعْلمُ أنّها ستكُرُّ حتّى تُوَفّي نَذْرَها بأبي الوَليدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : بَلْ تُوفّي نذرها بك ويلك ! ما لي ولك ؟ فقال : لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين ، فإنّما عَنَيْتُ نفسي ، وكان أرطاة يُكنى أبا الوليد فسَكَن عبد الملك ، ثم استعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لتلُمّنّ بي .

أخبرني به حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحِيل[3] معنًى .

---

1 جنيب : طائع منقاد .

2 رسوب في ل : ركوب . عادي النجاد : قديم يرجع إلى زمن عاد .

3 يحيل : يغير ويفسد .

[تهنئته مروان لمّا ولي الخلافة]

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشيّ الهشاميّ بأُنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لمّا اجتمع له أمر الخلافة ، وفرغ من أمر الحروب التي كان بها متشاغلاً ، وصمد[1] لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزُّبير لمحاربته ، فهنّأه وكان خاصّاً به وبأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده : [من المتقارب]

تَشَكّى قَلُوصِي إليَّ الوَجى ... تَجُرُّ السَّرِيحَ وتُبْلِي الخِداما[2]
تَزُورُ كريماً لـه عندها ... يدٌ لا تُعَدُّ وتُهْدِي السَّلاما
وقَلَّ ثواباً لـه أنَّها ... تُجِيدُ القَوافيَ عاماً فعاما
وسادَتْ مَعَدّاً على رَغْمِها ... قُرَيشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلاما
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغاً ... فما زال غَمْزُكَ حتى استقاما[3]
لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلتَها ... فجرَّدتَ فِيهنَّ عَضْباً حُساما
تَشُقُّ القَوانسَ حتى تَنا ... لَ ما تحتَها ثم تَبري العِظاما[4]
نَزَعْتَ على مَهَلٍ سابقاً ... فما زادَكَ النَّزْعُ إلاّ تَماما[5]
فزاد لَكَ اللهُ سُلطانَهُ ... وزاد لك الخيرَ منه فَداما

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرّاً وزَبيباً وشعيراً .

[هجاؤه شبيب بن البرصاء]

قال : وكان أرطاة يُهاجي شبيب بن البرصاء ، ولكلٍّ واحد منهما في صاحبه هجاءٌ كثير ، وكان كلٌّ واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ، وكانت بنو مرّة تألفُه وتنتجعه لصهره فيهم . فلمّا افترقا سَبَعه[6] شبيبٌ عند يحيى بن الحكم ؛ فقال أرطاة له : [من الطويل]

1 صمد : قصد .
2 الوجى : الحفاء . السريح : القيد الذي تشدّ به الخَدَمَة فوق الرسغ . الخدام : جمع خَدَمة وهي السير من الجلد .
3 صغا : ميل .
4 القوانس : جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد .
5 نزعت : جريت .
6 سبعه : شتمه وقال فيه قولاً قبيحاً .

رَمتْكَ فلـم تُشْو الفؤادَ جَنوبُ وما كلُّ مَن يَرْمي الفؤادَ يُصيبُ[1]
ومـا زَوَّدَتْنا غيرَ أن خَلَطتْ لنا أحاديثَ منهـا صادقٌ وكَذوبُ
ألا مُبْلِـغٌ فِتيانَ قَوْمِـيَ أنَّني هَجاني ابنُ بَرْصاء اليَدَينِ شَبيبُ
وفي آل عَـوْفٍ من يَهودَ قَبيلةٌ تَشابَـهَ منهـا ناشِئون وشِيبُ
أبِي كان خَيراً من أبيكَ ولم يَزَلْ جَنيباً لآبائـي وأنـت جَنِيبُ
وما زلتُ خيراً منكَ مذ عضَّ كارهاً برأسك عادِيُّ النِّجاد رَسوبُ[2]
فمـا ذَنْبُنا إن أُمُّ حمـزةَ جاورتْ بيَثْـرِبَ أتياساً لهـنَّ نَبِيبُ[3]
وإنَّ رجـالاً بـين سَلْعٍ وواقِمٍ لأيْـرِ أبيهم في أبيكَ نَصيبُ[4]
فلو كنتَ عَوْفيّاً عَميتَ وأُسْهلتْ كُداكَ ولكـنَّ المُريـب مُريبُ[5]

فأخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال : لمّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عوفٍ يتمنَّى أن يَعمى ، وكان العَمى شائعاً في بني عوف كلّما أسنّ منهم رجل عمِي ، فعُمِّر أرطاة ولم يَعْمَ ، فكان شبيبٌ يعيِّره بذلك . ثم مات أرطاة وعَمِي شبيب ، فكان يقول بعد ذلك : ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلَمَ أنّي عَوفيّ .

[ردّه على شبيب حين تمنى لقاؤه في قتال]

ونسخت من كتاب ابن الأعرابيّ في شعر أرطاة قال : كان شبيب بن البرصاء يقول : وددت أنّي جمعني وابن الأَمَة أرطاة بن سُهيّة يوم قتال فأشفي منه غيظي . فبلغ ذلك أرطاة فقال له : [من البسيط]

إنْ تَلْقَني لا تَـرى غيري بناظِرةٍ تنسَ السلاحَ وتَعرِفْ جبهةَ الأَسدِ
مـا ذا تظنُّكَ تُغني في أخي رَصَد من أُسْد خفّان جابِي العَين ذي لبدِ

جابي العين وجائب العين : شديد النظر .

1 فلم تشو في ل : فلن تشفِ . ولم تشو : لم تصب مقتلاً .
2 رسوب في ل : ركوب .
3 النبيب : صياح التيوس عند هياجها .
4 سلع : جبل متصل بالمدينة ، وواقم أطم من آطامها .
5 كدى : جمع كدية وهي الأرض الغليظة .

أبــي ضَراغِمَــةٍ غُبْــرٍ يُعَوِّدُهــا أكلَ الرجــال متى يَبْدأ لهـا يَعُدِ
يـا أيّها المتمنّــي أن يُلاقِيَنــي إن تَنـأَ آتِكَ أو إن تَبْغنــي تَجِدِ
تَقض اللُبانــةَ مــن مُـرٍّ شَرائعُـه صَعبِ المَقادة تَخشاه فـلا تَعُدِ[1]
متــى تَــرِدْني لا تَصْدُر لَمصْدرة فيها نجـاةٌ وإن أُصْدِرْكَ لا تَرِدِ
لا تحسبَنّي كفقْع القــاع يَنقُره جــانٍ بإصبعَـــه أو بَيْضةِ البَلدِ
أنـا ابن عُقْفان معروفٌ له نَسبي إلاّ بمـــا شاركت أمٌّ على وَلدِ
لاقى الملوكَ فأَثْــأَى في دمائهمُ ثم استقرَّ بــلا عَقْــل ولا قَوَدِ[2]
مِن عُصْبة يَطعنُون الخيلَ ضاحِيةً حتى تَبَــدَّدَ كالمَزْؤودة الشُرُدِ[3]
ويَمنعون نساءَ الحَــيّ إن عَلِمت ويَكشفون قَتــامَ الغــارة العمدِ
أنا ابنُ صِرْمة إن تسأل خِيارَهُم أضربْ برِجليَ في ساداتهم ويَدي
وفي بنــي مالـــك أمٌّ وزافِــرةٌ لا يدفع المجد من قَيْس إلى أحدِ[4]
ضربتَ فيهم بأَعْراقي كما ضَربت عُروقُ ناعمـــةٍ في أَبطَح ثَئِدِ[5]
جَدّي قُضاعة معـروف ويعرفني جَبا رفيدة أهـل السَّرو والعَددِ[6]

[حبه لوجزة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : كان أرطاة بن سُهَيَّة يتحدّث إلى امرأة من غَنيّ يقال لها وجْزَة ، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة ، ثم اجتمعت غَنيّ وبنو مُرّة في دار ، فمرّ أرطاة بوَجزة وقد هرِمت وتغيَّرت محاسنها وافتقرت ، فجلس إليها وتحدّث معها وهي تشكو إليه أمرها ، فلمّا أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال : [من الطويل]

1 الشرائع : جمع شريعة وهي مورد الماء .
2 أثأى : طعن وجرح .
3 الضاحية : البارزة . المزءودة : المذعورة . والشرد : النافرة .
4 زافرة : عشير وأنصار .
5 الأبطح : المسيل الواسع . والثئد : الندي .
6 الجبا : الحوض وما حول البئر ، يعني به جمع القبيلة . ورفيده : الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أمه .

مررتُ على حِدثي برَمّان بعدما تَقطَّعَ أقرانُ الصِّبا والوَسائلُ[1]
فكنتُ كظبْيٍ مفلِتٍ ثمَّ لم يزل به الحَيْن حتى أُعلِقته الحبائلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وقد ذكر أرطاة بن سهية وجزةَ هذه ، ونسب بها في مواضع من شعره ، فقال في قصيدة : [من الطويل]

وداوية نازعتُها الليلَ زائرا لِوجزةَ تَهْديني النجومُ الطوامسُ[2]
أعُوجُ بأصحابي عن القصد تعتلي بنا عُرض كِسْريها المطِيُّ العَرامِسُ[3]
فقد تَركتني لا أعيجُ بمشرب فأروى ولا ألهو إلى مَن أُجالسُ[4]
ومن عجبِ الأيام أنْ كلّ منزل لوجزةَ من أكناف رَمّان دارسُ[5]
وقد جاورت قصرَ العُذَيْب فما يُرى برمّانَ إلا ساخِطُ العيش بائسُ
طِلابٌ بعيدٌ واختِلافٌ من النوى إذا ما أتى مِن دون وجزةَ قادسُ[6]
لَئِنْ أنجحَ الواشون بيني وبينها وطال التنائي والنفوسُ النوافسُ[7]
لَقَدْ طالما عِشْنا جَميعاً وودُّنا جميعٌ إذا ما يبتغي الأُنسَ آنِسُ
كذلك صَرْفُ الدّهر ليس بتارِكٍ حبيبا ويبقى عمرُه المتقاعِسُ

[مهاجاته حباشة الأسدي]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت بين أرطاة بن سهيّة وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيان مهاجاة ، فاعترض بينهما حُباشة الأسديّ فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة : [من البسيط]

أبلِغْ حُباشةَ أنّي غيرُ تاركِه حتى أُذَلِّلَهُ إذ كان ما كانا
الباعثَ القولِ يُسدِيه ويلْحمه كالمُجْتَدِي الثُّكلَ إذ حاورتُ حيانا
إنْ تدعُ خندِفَ بغياً أو مكاثَرَةً أدعُ القبائل من قيسِ بنِ عَيْلانا
قَد نَحْبِس الحقَّ حتى ما يجاوِزنا والحقُّ يحبسنا في حيثُ يلقانا

1 الحدث : المحدث والمسامر . ورمان : جبل في بلاد طيء .
2 الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . النجوم الطوامس : التي خبا نورها .
3 كسريها : جانبيها . العرامس : جمع عِرمس وهي الناقة الصلبة القوية .
4 لا أعيج : لا أكترث .
5 منزل في ل : مجلس .
6 قادس : القادسية .
7 النوافس : جمع نافس وهو الحاسد .

نبنـي لآخِرِنـا مَجْـداً نُشَيِّدُه ... إنّـا كـذاك ورِثْنا المجـدَ أُولانا

[أعداؤه يرجفون بموته]

وقال ابن الأعرابيّ : وفَدَ أرطاةُ بن سُهَيَّةَ إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة ، وقد هنّـأه بالظَّفَر ، ومدحه فأطال المُقام عنده ، وأرجفَ أعداؤه بموته ، فلمّا قدم ، وقدْ ملأ يديه ، بَلَغَه ما كان منهم ، فقال فيهم : [من الطويل]

إذا مـا طَلَعْنا مـن ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ ... فخبِّرْ رجـالاً يَكرهُون إيابي
وخبِّرْهُمُ أنّـي رجعـتُ بغبطة ... أُحَدِّدُ أظفاري ويَصْرُفُ نابي
وإنّي ابنُ حرب لا تزالُ تَهِرُّني ... كلابُ عدوِّي أو تهِـرُّ كلابي

[تلاحيه مع زميل قاتل ابن دارة]

وقال أبو عمرو الشيباني : وقع بين زُمَيلٍ قاتل ابن دارة وبين أرطاة بن سُهيّة لِحاءٌ ؛ فتوعده زُمَيل ، فقال : إنّي لأحسبك ستَجرعُ مثل كأس ابن دارة . فقال له أرطاة : [من الكامل]

يا زِملُ إنّي إنْ أكُنْ لك سائقا ... تَرْكُضْ بِرِجْلَيْك النجاة وأَلْحَقِ
لا تحسَبَنّي كامـرىءٍ صادفتَه ... بمَضيعَـة فخدشتَـهُ بـالمِرْفَقِ
إنّي امـرؤٌ أُوفي إذا قارعتكُمْ ... قَصَبَ الرِّهانِ وما أشأُ أتعرَّقِ[1]

فقال له زميل : [من الكامل]

يـا أرطَ إن تكُ فاعلاً ما قلتَهُ ... والمـرء يَسْتَحيي إذا لم يَصْدُقِ
فافعل كما فعـل ابنُ دارةَ سالمٌ ... ثـم امش هَوْنَك سادراً لا تَتَّقِ
وإذا جعلتُكَ بين لَحْيَيْ شابكِ الـ ... ـأنياب فارْعُد ما بدا لك وابرُقِ

[عبثه بالربيع بن قعنب]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدّثنا الرياشيّ ، قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة للربيع بن قَعَنبٍ : [من البسيط]

لقـد رأيتُك عُرْيانا ومؤْتَزِراً ... فما عرفتُ أأُنْثى أنتَ أمْ ذَكَرُ ؟

فقال له الربيع : لكنْ سُهَيَّةُ قد عرفَتْني . فغلبه وانقطع أرطاة .

[عبد الرحمن بن سهيل وأم هشام وعمر بن عبد العزيز]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العنزي قـال : حدّثنا قَعنبُ بن المحرّز عن

---

1 أتعرق : أذهب .

الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلةَ الباهليّ قال : تزوّج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أمّ هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يجد بها وَجْداً شديداً ، فمرِض مرضَته التي هلك فيها ، فجعل يُديم النظر إليها وهي عند رأسه ، فقالت له : إنّك لتنظر إليّ نظر رجلٍ له حاجة . قال : إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرتُ بها لهان عليّ ما أنا فيه . قالت : وما هي ؟ قال : أخاف أن تتزوّجي بعدي . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثّقي لي بالأيمان المغلّظَة . فحلفتْ له بكلّ يمينٍ سكَنَتْ إليها نفسه ثم هَلَك . فلمّا قضت عِدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فأرسلت إليه : ما أراكَ إلاّ وقد بلغتْك يميني . فأرسل إليها : لك مكان كُلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان ، ومكان كلِّ عِلق عِلقان ، ومكان كلّ شيءٍ ضِعفُه . فتزوَّجته ، فدخل عليها بطالٌ بالمدينة ، وقيل : بل كان رجلاً من مشيخةٍ قريشٍ مغفَّلاً ، فلمّا رآها مع عمر جالسة قال : [من الطويل]

تبدلتِ بعد الخيْزرانِ جريدةً … وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلام نائِمِ

فقال له عمر : جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم ! فقالت أمّ هشام : ليس كما قلت ، ولكن كما قال أرطاة بن سهية : [من الطويل]

وكائنْ تَرى من ذاتِ بثٍّ وعَوْلَةٍ … بكت شجوها بعد الحنين المُرجَّعِ[1]
فكانت كَذاتِ البَو لّما تعطفتْ … على قطع من شِلْوِهِ المُتمزَّعِ
مَتى لا تَجِدْه تَنْصرفْ لِطياتها … مِنَ الأرض أو تَعمِد لإلف فتَرْبَعِ[2]
عَن الدهرِ فاصفح إنه غيرُ مُعْتِبٍ … وفي غيرِ مَن قد وارَتِ الأرضُ فاطمَعِ

وهذه الأبيات من قصيدةٍ يرثي بها أرطاة ابنه عمراً .

[أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولا]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ ، قال : حدّثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة ، قال : كان لأرطاة بن سهيّة ابن يُقال له : عمرو ، فمات فجزع عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً . ثم إن الحيَّ أراد الرحيل بعد حولٍ لنُجعةٍ بَغوها ، فغدا على قبره ، فجلس عنده حتى إذا حان الرواحُ ناداه : رُحْ يا ابن سلمى معنا ! فقال له قومه : ننشدك الله في نفسك وعقلك ، ودينك ، كيف يروح معك من مات مُذْ حولٍ ؟ فقال : أنظِروني الليلة إلى الغد . فأقاموا عليه ، فلمّا أصبح ناداه : اغدُ يا ابن

1 بث في ل : شجو .
2 طياتها : مخففة الياء ضرورة . والطية : الوجهة المقصودة .

سلمى معنا ، فلم يزلْ الناس يُذكِّرونه الله ويناشدونه ، فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره ، وقال : واللهِ لا أُتبعُكُم فامضوا إن شئتم أو أقيموا . فرقُّوا له ورحموه ، فأقاموا عامهم ذلك ، وصبروا على منزلهم . وقال أرطاة يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه : [من الطويل]

وقفتُ على قبرِ ابن سلمى فلم يَكُنْ وقوفي عليــه غير مَبْكى ومَجْزَعِ
هل أنتَ ابنَ سلمى إن نظرتُكَ رائحٌ مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ معي
أأنسى ابنَ سَلْمى وهو لم يأتِ دونه من الدهر إلاّ بعضُ صيف ومَرْبَعِ
وقفتُ على جُثمان عمرٍو فلم أجد سوى جَـدَثٍ عـافٍ ببيداء بلقعِ
ضربتُ عمودَي بانــة سَمَوا معاً فخرَّت ولم أُتبع قَلُوصي بدَعْدَعِ[1]
ولو أنّـها حادت عن الرمسِ نلتُها ببادرةٍ مــن سيفِ أشهب مُوقَعِ[2]
تركتكِ إن تَحْيَيْ تَكُوسي وإن تَنُؤْ على الجُهْد تَخذُلْها توالٍ فَتُصْرَعِ[3]
فدع ذكرَ مَنْ قد حالت الأرضُ دونه وفي غيرِ من قد وارت الأرضُ فاطمَعِ

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، فذكر أنّ أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عَشِيّاً فيقول : هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى ؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً ، ثم تَمثَّلَ قول لبيد : [من الطويل]

إلى الحـول ثمَّ اسمُ السلام عليكُما ومن يبكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذَرْ

[مهاجاته الربيع بن قعنب]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به : [من البسيط]

لقــد رأيتك عُرْيانــاً ومُؤْتزِراً فما دريتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيع : [من البسيط]

لكن سُهَيَّةُ تـدري إذ أتيتكم على عُرَيجاءَ لما احتَلَّت الأُزُرُ[4]

فغلبه الربيع ، ولَجَّ الهجاءُ بينهما ، فقال الربيع بن قعنب يهجو أرطاة : [من الوافر]

ومــا عاشت بَنُــو عُقْفان إلاّ بأحــلامٍ كأحــلامِ الجوَاري

---

1 شبّه ناقته في ارتفاعها بشجرة البان . دعدع : كلمة تقال للعاثر .

2 موقع : الوقيع ، وهو من السيوف الذي شحذ بالحجر .

3 تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .

4 عريجاء : موضع .

وما عُقْفانُ من غَطَفان إلاّ ... تَلَمُّس مُظْلم بالليل ساري
إذا نَحَرَتْ بنو غيظ جَزُوراً ... دَعَوْهُمْ بالمراجل والشِّفارِ
طُهاة اللحم حتى يُنْضِجُوه ... وطاهي اللحم في شُغْلٍ وعارِ

فقال أرطاة يُجيبه ويعيِّره بأن أمَّه من عبد القيس : [من الوافر]

وهذا الفَسْوُ قد شاركتَ فيه ... فمَن شاركتَ في أيرِ الحمارِ
وأيُّ الناس أخبثُ مِنْ هِبَلٍّ ... فزاريٍّ وأخبثُ ريحَ دارِ[1]

[هجاؤه مسرف بن عقبة]

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ ، قال : قدم مُسرفُ[2] بن عقبة المريّ المدينة ، وأوقع بأهل الحرة ، فأتاه قومه من بني مرّة وفيهم أرطاة فهنّئوه بالظفر واستَرْفَدوه فطردهم ونَهَرَهم ، وقام أرطاة بن سهيّة ليمدحه فتجهَّمه بأقبح قولٍ وطرده . وكان في جيش مسرفٍ رجلٌ من أهل الشام من عذرة ، يقال له عمارة ، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان ، وسمع شعره ، وعرف إقبال معاوية عليه ، ورفده له ، فأومأ إلى أرطاة فأتاه ، فقال له : لا يغرُرْك ما بدا لك من الأمير ، فإنّه عليلٌ ضجرٌ ، ولو قد صَحَّ واستقامت الأمور لزال عمّا رأيتَ من قوله وفعله ، وأنا بك عارفٌ ، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين ، يعني معاوية ، ولن تعدم منّي ما تُحِبُّ . ووصَلَه وكساه وحمله على ناقةٍ ، فقال أرطاة يمدحه ويهجو مُسرِفاً : [من الطويل]

لَحا الله فَوْدَي مُسْرف وابنِ عمّه ... وآثارَ نَعْلَيْ مسرف حيث أثَّرا
مررتُ على رَبْعَيْهما فكأنَّني ... مررتُ بجبّارَيْن من سَرْو حِمْيرا[3]

ويروى : «تَضَيَّفْتُ جَبَّارَيْن» .

على أن ذا العَلْيا عُمارةَ لم أجِدْ ... على البُعْد حُسْنَ العهد منه تَغَيَّرا
حباني ببُرْدَيْه وعَنْسٍ كأنّما ... بنى فوق متْنَيْها الوليدان قَهْقَرا[4]

[أرطاة يسب ويضرب امرأة تطاولت على أمه]

وقال أبو عمرٍو الشيبانيّ : خاصمت امرأةٌ من بني مُرّة سهيّة أم أرطاة بن سهيّة ، وكانت

1 الهبلّ : الثقيل المسن من الناس والإبل .
2 اسمه مسلم ولقّب مسرفاً لإسرافه في القتل يوم الحرة .
3 سرو حمير : محلتهم .
4 القهقر : بناء طويل من الحجارة يقيمه الصبيان .

من غيرهم أُخيذة أخذها أبوه ، فاستطالت عليها المرأة وسبّتها ، فخرج أرطاة إليها فسبّها وضربها ، فجاء قومه ، ولاموه ، وقالوا له : ما لَكَ تُدْخِل نفسك في خصومات النساء ! فقال لهم : [من الطويل]

يُعَيِّرُني قَومي المَجاهلَ والخَنا ... عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حليمِ
هل الجهلُ فيكم أن أُعاقِبَ بعدما ... تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حريمي
إذا أنا لم أَمْنع عَجُوزِيَ منكُمُ ... فكانت كأُخْرى في النساء عقيمِ
وقد عَلِمَتْ أفناءُ مُرَّة أننا ... إذا ما اجتدانا الشرَّ كلٌّ حميمِ[1]
حماةٌ لأحسابِ العشيرة كلِّها ... إذا ذُمَّ يومَ الرَّوعِ كلٌّ مُليمِ[2]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء ، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهيّة ، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتِلوا يوم بناتِ قينٍ[3] ، هو : [من الوافر]

فَلا وأبيكَ لا تَنفَكُّ نَبْكِي ... على قتْلى هُنالكَ ، ما بَقِينا
على قَتْلى هنالك أو جَعَتْنا ... وأَنْسَتْنا رِجالاً آخرينا
سَنَبْكِي بالرِّماحِ إذا التقينا ... على إخواننا وعلى بنينا
بطعنٍ تَرْعُد الأحشاءُ منه ... يردُّ البِيضَ والأبدانَ جُونا[4]
كأنّ الخيلَ إذْ آنسن كَلْباً ... يَرَيْنَ وراءهمْ ما يبتغينا

صوت

[من الطويل]

عجبتُ لِمَسْراها وأنَّى تَخَلَّصت ... إليَّ وبابُ السجنِ بالقفل مُغْلَقُ[5]
أَلَمَّتْ فحيَّتْ ثم قامت فَوَدَّعتْ ... فلمّا تولّت كادت النفسُ تَزْهَقُ

الشعر لجعفر بن علبة الحارثيّ ، والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بنُ بانة أنّ فيه خفيفاً ثقيلاً أوّل بالوسطى لابن سريج . وذكر حمّاد بن إسحاق أنّ فيه خفيف الثقيل للهُذليّ .

1 اجتدانا الشر : طلب إلينا الشر ، أي طلب معونتنا لدفع الشر .
2 المليم : الذي يأتي ذنباً يلام عليه .
3 بنات القين : آكام في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب .
4 الأبدان : الدروع القصيرة . الجون هنا : الحمر من الدم .
5 مغلق في ل : دوني .

[233] ـ أخبار جعفر بن عُلبة الحارثيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو جعفر بن عُلبة بن ربيعة ، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكُلاب ، بن معاوية بن صلاءة بن المُعَقَّل بن كعبِ بن الحارث بن كعبٍ . ويكنى أبا عارِم ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكره في شعره . وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعرٌ مقلٌّ غَزِلٌ فارسٌ مذكورٌ في قومه . وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً . وكان جعفرٌ قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنّه قتله في شأن أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل في غارةٍ أغارها عليهم . وقيل : بل كان يُحَدّث نساءهم فنهَوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقَتَلَ منهم رجلاً فاستعدَوا عليه السلطان فأقاد منه . وأخباره في هذه الجهات كلّها تُذْكر وتُنسب إلى مَن رواها .

[سكر فحبس]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني الحسن بن عبد الرحمن الربعيّ ، قال : حدّثنا أبو مالكٍ اليمانيّ ، قال : شرب جعفر بن علبة الحارثيّ حتى سَكِر فأخذه السلطان فحبسه ، فأنشأ يقول في حبسه : [من الطويل]

لقد زَعَمُوا أنّي سكرتُ وربَّما ... يكونُ الفتى سَكرانَ وهْوَ حَليمُ
لعمرُك ما بالسّكرِ عارٌ على الفتى ... ولَكِنَّ عاراً أن يُقالُ لئيمُ
وإن فَتًى دامت مواثيقُ عهده ... على دونِ ما لاقيتُه لكريمُ[2]

قال : ثم حُبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعبٍ في ذلك الحبس ، وكان يقال له دوران ، فقال جعفر : [من الطويل]

إذا بابُ دورانٍ ترنّم في الدُّجى ... وشُدَّ بأغْلاقٍ علينا وأقفالِ
وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بِجُلْجُلٍ ... يدورُ به حتّى الصباحِ بإعمالِ[3]
وحراسُ سَوْءٍ ما ينامون حَوْلَهُ ... فكيفَ لمظلومٍ بحيلةِ مُحْتالِ

---

1 ترجمة جعفر بن علبة الحارثي في الخزانة 10 : 310–312 ، وحماسة التبريزي 1 : 28 ومعاهد التنصيص 1 : 120 وفي التذكرة الحمدونية بعض أخباره .

2 فتى في ل : امرأ . دون في ل : مثل .

3 العلج هنا : الرجل الشديد الغليظ . الجلجل : الجرس الصغير .

ويصبرُ فيـه ذُو الشجاعةِ والنّدى   على الذّلّ للمأمورِ والعِلْجِ والوالي

[إغارة جعفر على بني عقيل]

فأمّا ما ذكر أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتلِهِ في غارةٍ أغارها على بني عقيل ، فإنّي نسختُ خبرَه في ذلك من كتاب عمروٍ بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثره عن أبيه ، قال : خرج جعفر بن علبة وعليٌّ بن جُعدَبٍ الحارثيّ القنانيّ والنضر بن مُضارب المُعاويّ ، فأغاروا على بني عُقيل ، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق ، فكانوا كلّما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهدٍ ، فرجعتْ عنهم بنو عُقيل ، وقد كانوا قَتلوا فيهم ، ففي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

ألا لا أُبـالي بعـدَ يـومٍ بسَحْبَلٍ   إذا لم أُعَذَّبْ أن يجيء حِمامِيا[1]

تركـت بأعـلى سَحْبلٍ ومَضيقهِ   مُراقَ دَمٍ لا يبرح الدَّهـرَ ثاويا

شَفَيْتُ بِـهِ غيظي وجُرِّب موطني   وكان سناءٌ آخـرَ الدَّهـر باقيا[2]

أرادوا لِيَثْنوني فقلـت تجنّبـوا   طريقي فمـا لي حاجةٌ من ورائيا

فِدًى لبني عـمٍّ أجابوا لدعوتي   شَفَوا من بني القَرعاء عمّي وخاليا

كأنّ بنـي القرعـاء يـوم لقيتُهم   فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْـراً يمانيا

تركْناهم صَرْعى كأنَّ ضَجيجَهُم   ضجيجُ دَبارى النِّيب لاقت مُداوِيا[3]

أقولُ وقد أَجْلَت من اليومِ عركة   ليبكِ العُقَيْلِيِّين مَـن كان باكيا

فـإنّ بُقـرّى سَحْبَـل لأمارةً   ونَضْحَ دمـاء منهـم ومَحابيا

المَحابي : آثارهم ، حَبَوا من الضعف للجراح التي بهم .

ولم أتَّرِك لي ريبةً غير أنّني   وددتُ مُعاذاً كان فيمن أتانيا

أراد : وددت أنّ مُعاذاً كان أتاني معهم فأَقْتُلَه .

شفيتُ غليـلي من خُشَينة بعدما   كسوتُ الهُذَيْـل المَشْرِفيّ اليمانيا

أحقّـاً عبادَ الله أن لست رائيا   صحاريّ نجـدٍ والرّياحَ الذواريا

ولا زائـراً شُمَّ العرانـين أنتمي   إلى عامـرٍ يحلُلْنَ رَمْـلاً مُعاليا

1 سحبل : موضع .

2 موطني : موقفي .

3 دبارى النيب : النوق المسنّة التي أصابها الدبر .

إذا مــا أتيتَ الحارثياتِ فانْعَنِي لهــن وخبِّرْهُــنَّ أن لا تَلاقيـا
وقــوِّد قَلوصي بينهــن فإنّها سَتُبْرِد أكبــاداً وتُبْكِـي بواكيا
أوصِّيكُمُ إن مــتُّ يومــاً بعارم لِيُغْنِيَ شيئاً أو يكــونَ مكانِيا[1]

ويروى :

وعطِّل قلوصي في الرّكابِ فإنّها ستبرد أكبــاداً وتبكـي بـواكيا

وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الرَّيْب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه . وقال في ذلك جعفرٌ أيضاً : [من الطويل]

وسائلــةٍ عنّــا بغَيْب وسائــلٍ بمَصْدَقِنا في الحربِ كيف نُحاولُ
عشيّة قُـرّى سَحبل إذ تعطَّفت علينــا السرايا والعــدوُّ المُباسِلُ[2]
ففــرّج عنّــا اللهُ مَرْحى عدوِّنا وضربٌ ببِيضِ المَشْرفِيّــةِ خابلُ[3]
إذا ما قرى هامَ الرؤوس اعتِرامُها تعاوَرَهــا منهــم أكفٌّ وكاهلُ[4]
إذا ما رُصِدنا مرصداً فرجت لنا بأيماننــا بِيضٌ جلتهــا الصياقلُ
ولمّا أبــوا إلاّ المُضيَّ وقــد رأوا بأن ليس منّــا خشيةَ الموت ناكلُ
حلفتُ يميناً بَــرّةً لم أُرِدْ بهــا مقالَــة تسميع ولا قول باطِلِ[5]
لِيَخْتَضِمَــنَّ الهُنْـدُوانيّ منهــم مَعاقِـدَ يخشاها الطبيبُ المزاولُ[6]
وقالــوا لنا ثِنتان لا بــدّ منهما صدور رماح أُشْرِعت أو سلاسلُ
فقلنا لهــم تلكم إذاً بعــد كرةٍ تُغادِرُ صرعــى نَهْضُها مُتَخاذلُ
وقتــلى نفوسٍ في الحيــاةِ زهيدةٍ إذا اشتجر الخَطِّيُّ والموت نازلُ
نُراجِعُهُــمْ في قالــة بدأوا بِها كما راجع الخصمَ البذيَّ المُناقِلُ[7]
لهم صدرُ سيفي يوم بَطْحاءِ سحبلٍ ولي منه مــا ضمَّت عليه الأناملُ

1 أو يكون مكانيا في ل : أو يقوم مقاميا . وعارم : ابنه .
2 المباسل : المصاول .
3 المرحى : الموضع الذي تدور عليه رحى الحرب .
4 قرى هام المؤوس اعترامها : أكثر فيها الضرب الشديد .
5 تسميع : تشهير وتشنيع . وفي البيت إقواء .
6 يختضم : يقطع .
7 المناقل : الذي يتحدث مع غيره ويراجعه .

[مقتل جعفر بن علبة بحق بني عقيل]

قال : فاستَعدَت عليهم بنو عُقيل السَّريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل مكّة لأبي جعفر ؛ فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهم وسائر مَن كان معهم إليه ، فأمّا النضر فاستُقِيدَ منه بجراحة[1] ، وأمّا عليٌّ بن جُعْدُبٍ فأفلت من الحبس ، وأمّا جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة[2] أنّه قَتَلَ صاحبهم فقُتِل به . هذه رواية أبي عمرو .

وذكر ابنُ الكلبيّ أنّ الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثيّ وإسماعيل بن أحمر العقيليّ اجتمعا عند أَمَة لشعيب بن صامتٍ الحارثيّ ، وهي في إبلٍ لمولاها في موضع يقال له صَمعَر من بلاد بَلْحارث ، فتحدّثا عندها فمالت إلى العقيليّ ، فدخلتْهما مؤاسفةٌ[3] حتى تخانقا بالعمائم . فانقطعت عمامةُ الحارثيّ وخنقه العقيليّ حتى صرعه ، ثم تفرّقا . وجاء العُقيليُّون إلى الحارثيّين فحكَّموهم فوهبوا لهم . ثم بلغهم بيتٌ قيل ، وهو : [من الطويل]

ألم تسأل العبدَ الزياديّ ما رأى ... بصمعر والعبــدُ الزياديُّ قائمُ

فغضب إيّاسٌ من ذلك فَلَقِيَ هو وابن عمّه النضر بن مضارب ذلك العقيليّ ، وهو إسماعيل بن أحمر ، فشجّه شجّتين وخنقه ؛ فصار الحارثيّون إلى العُقيليّين فحكموهم فوهبوا لهم . ثم لَقي العُقيليُّون جعفر بن علبة الحارثيّ فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه . وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجّع لجعفر : [من الطويل]

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن ... تُغَـرُّ إذا مـــا كانَ أمـرٌ تحاذرُهْ

فلا صلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خَفْقَةً ... بكفٌ فَتًى جُـرَّتْ عليــه جرائرُهْ

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جُعْدب ، والنضر بن مضاربٍ ، وإياس بن يزيد ، فلقوا المهديَّ بن عاصم وكعب بن محمدٍ بِحبرٍّ ، وهو موضع بالقاعة ، فضربوهما ضرباً مُبرِّحاً ، ثم انصرفوا فضَلُّوا عن الطريق . فوجدوا العقيليّين وهم تسعةٌ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلّى لهم العُقيليُّون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيلٍ جمعاً آخر بسحبل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقَتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خشينة ، فاستعدى العُقيليُّون إبراهيم بن هشامٍ المخزوميّ عامل مكّة ، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكّة ؛ ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً ، فأحضرت عقيلٌ قَسامةً حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم . فأقاده إبراهيم بن هشام .

قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يُقتَل وهو محبوس : [من الطويل]

---

1 أي أُقتص منه بضربة أو طعنة .

2 القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون .

3 مؤاسفة : مغاضبة . رفيعهم : أرسلهم إلى الوالي .

عجِبتُ لمسراهـا وأنّي تخلّصت إليّ وبابُ السجن بالقفل مغلقُ[1]
أَلَمّتْ فحيّت ثم قامت فودّعت فلمّا تولّـت كادت النفسُ تزهَقُ
فـلا تحسبي أنّي تخشّعتُ بعدَكم لشيء ولا أنّي من الموتِ أفرَقُ
وكيف وفي كفّي حسامٌ مُذَلَّقٌ يَعضُّ بهاماتِ الرجـال ويعلَقُ[2]
ولا أن قلبـي يَزْدهيه وعيدُهم ولا أنّني بالمشي في القَيدِ أخرقُ[3]
ولكـنْ عرتنـي من هواكِ صبابةٌ كما كنتُ ألقى منك إذا أنا مُطْلَقُ
فأمّا الهـوى والـودُّ منّي فطامحٌ إليـكِ وجُثْمـاني بمكّـة مُوثَقُ

وقال جعفر بن علبة لأخيه [ماعز] يحرّضه : [من الطويل]

وقـل لأبـي عـون إذا ما لقيتَه ومـن دونـه عرْضُ الفلاة يَحُولُ

في نسخة ابن الأعرابيّ :

. . . . إذا مـا لقيته ودونه مـن عـرض الفلاة مُحولُ

بالميم ، وبشمٍّ الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها ، وهي لغتهم خاصة .

تَعَلَّمْ وَعَـدٌ الشّكَّ أنّي يَشُفُّني ثلاثـةُ أحـراسٍ معـاً وكُبولُ[4]
إذا رُمتُ مشياً او تبوّأتُ مَضْجعاً يبيتُ لهـا فوق الكِعابِ صَليلُ[5]
وَلَوْ بِكَ كانت لابتعثتُ مطيَّتي يَعُـودُ الحَفـا أخفافَها وتجُولُ
إلى العدل حتى يَصْدُرَ الأمر مَصْدَرا وتبرأَ منكـم قالـةٌ وعُـدُولُ

ونسختُ أيضاً خبرَه من كتاب للنضر بن حديدٍ ، فخالف هاتين الروايتين ، وقال فيه : كان جعفر بت علبة يزور نساءً من عقيل بن كعب ، وكانوا متجاوِرين هم وبنو الحارث بن كعب ، فأخذته عقيلٌ ، فكشفوا دُبرُ قميصه ، وربطوه إلى جُمَّته ، وضربوه بالسياط ، وكتّفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ليغيظوهنّ ، ويفضحوه عندهنّ ؛ فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مُثلَةٌ ، وأنا أحلفُ لكم بما يُثْلِجُ صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ، ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا منه . فقال لهم : فإن لم تفعلوا ذلك فحسبُكُم ما قد مضى ، ومُنّوا عليّ بالكفِّ عنّي فإنّي أُعدُّه نعمةً لكم ويداً لا أكفُرُها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ،

---

1 بالقفل في ل : دوني وكذلك في الحماسة .
2 مذلق : محدد .
3 أخرق هنا : الدهش فزعاً .
4 يشفه : يهزله ويذهب بعقله . والكبول : القيود واحدها كبل .
5 ل : منزلاً .

فأكون آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ، ويضربونه ، ويُغْرون به سفهاءهم حتى شَفَوا أنفسهم منه ، ثم خلّوا سبيله . فلم تمض إلاّ أيّام قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى . فلمّا كان في نُقْرةٍ من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيلٌ أَقْفى خلقِ الله لأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، والعُقيليُّون مُغترّون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عُقَيل السريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل المنصور على مكّة ، فأحضرهم وحبسهم ، فأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر بن علبة ، وكان يُحبُّ أن يدرأَ عنه الحدَّ لخؤولة أبي العباس السفّاح في بني الحارث ، ولأن أخت جعفرٍ كانت تحت السريّ بن عبد الله ، وكانت حظيةً عنده ، إلى أن أقاموا عليه قسامةً ، أنّه قتل صاحبهم . وتوعّدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلّم إليه . فحينئذٍ دعا بجعفرٍ فأقاد منه ، وأفلت عليُّ بن جُعدُبٍ من السجن فهرب . قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة . فلمّا أُخرِج جعفرٌ للقَود قال له غلامٌ من قومه : أسقيك شربةً من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت لا أُمَّ لك ، إنّي إذاً لمهيافٌ[1] . وانقطع شِسْعُ نعله[2] فوقف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال : [من الوافر]

أشدّ قِبالَ نعلي أن يراني ... عدوّي للحوادث مُسْتكينا[3]

قال : وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نخبةُ بن كليبٍ أخو المجنون ، وهو أحدُ بني عامر بن عقيلٍ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

شفى النفس ما قال ابن عُلبةَ جعفر ... وقَوْلِي له اصْبر ليس ينفعَكَ الصبرُ
هَوى رأسُه من حيث كان كما هو ... عُقابٌ تدلّى طالباً جانبَ الوكرِ[4]
أبا عارم ، فينا عُرامٌ وشدّة ... وبَسْطَةُ أيمانٍ سواعدها شُعْرُ[5]
همُ ضربُوا بالسيف هامةَ جعفر ... ولم يُنْجِهِ بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ
وقُدْناهُ قَوْدَ البَكْرِ قسراً وعَنْوَةً ... إلى القبرِ حتى ضمّ أثوابَه القبرُ

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً : [من الطويل]

1 المهياف : الذي لا يصبر على العطش .
2 شسع النعل : أحد سيورها ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين .
3 قبال النعل : شسعها .
4 في البيت إقواء .
5 عرام : شدة وقوة وشراسة .

لعمركَ إنّي يوم أسلمتُ جعفراً وأصحابَه للموت لما أُقاتِلِ
لمجتنبٌ حبّ المَنايا وإنّما يهيج المنايا كلُّ حقٌ وباطِلِ
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم مُغَلَّلَةٌ أيديهُم في السلاسلِ
ورب أخٍ لي غاب لو كان شاهداً رآه التباليّون لي غيرَ خاذلِ[1]

وقال علبةُ أيضاً لامرأته أُمّ جعفرَ قبل أن يُقتَل جعفر : [من الطويل]

لعمرِك إنّ الليلَ يا أُمّ جعفرٍ عليّ وإنْ عَلَّلتني لطويلُ
أُحاذِرُ أخباراً من القوم قد دنت ورجعةَ أنقاضٍ لهنّ دليلُ

فأجابته فقالت : [من الطويل]

أبا جعفرٍ أسلمتَ للقومِ جعفراً فَمُتْ كَمَداً أو عش وأنتَ ذليلُ

[بنت يحيى بن زياد تبكيه وترثيه بأبياته]

قال أبو عمرو في روايته : وذكر شداد بن إبراهيم أنّ بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثيّ حضرت الموسم في ذلك العام لمّا قُتل فكفّنته واستجادت له الكفن ، وبكته وجميع مَن كان معها من جواريها ، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله : [من الطويل]

أحقّاً عبادَ الله أن لستُ رائِياً صَحاريَّ نجدٍ والرياحَ الذّوارِيا

وقد تقدّمت في صدر أخباره . وفي هذه القصيدة يقولُ جعفرُ :

وددت مُعاذا كان فيمن أتانيا

فقال معاذٌ يُجيبه عنها بعد قتله ، ويخاطب أباه ، ويُعرِّض له أنّه قُتل ظُلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلاّ أن غيظهم على جعفرٍ حملَهم على أن ادّعوا القتل عليه : [من الطويل]

أبا جعفر سَلِّبْ بنَجْرانَ واحتسب أبا عارمٍ والمُسْمَناتِ العواليا[2]
وقوِّد قَلُوصاً أتلفَ السَّيفُ ربها بغير دمٍ في القوم إلاّ تَماريا[3]
إذا ذكرتْهُ مُعصِر حارثيَّةَ جرى دمعُ عَيْنَيْها على الخدّ صافيا[4]

---

1 التباليون : المنسوبون إلى تبالة ، بلد باليمن .
2 سلب : ألبس ثياب الحداد السود . المسمنات : السمينات .
3 قوّد : اجعلها تقاد ولا تركب . تماريا : تكذيبا .
4 المعصر : التي بلغت عصر شبابها وأدركت .

فلا تحسَبَنَّ الدَّيْنَ يا عُلبَ مُنْسأً ... ولا الثائرَ الحرّانَ يَنْسى التقاضيا
سنقتُلُ منكم بالقتيل ثلاثةً ... ونُغْلي وإن كانت دماءٍ غواليا
تمنّيتَ أن تَلقى مُعاذاً سفاهَةً ... ستلقى مُعاذاً والقضيبَ اليمانيا

وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيّة التي فيها الغناءُ في نسخة النّضرِ بن حديدٍ أتمَّ ممّا ذكره أبو عمرو الشيبانيّ . وأوّلها : [من الطويل]

ألا هَلْ إلى فتيانِ لهوٍ ولذّةٍ ... سبيلٌ وتَهْتافِ الحمامِ المطوقِ
وشربةِ ماءٍ من خَدُوراء باردٍ ... جرى تحتَ أظلالِ الأراكِ المُسَوِّقِ[1]
وسيري مع الفتيان كلَّ عشيّةٍ ... أُبَارِي نداماهم بصهباءَ سَيْلَقِ
إذا كَلَحَتْ عن نابها مَجَّ شِدْقُها ... لُغاماً كَمُحِّ البيضةِ المُتَرَقْرِقِ[2]
وأصهبَ جَوْنِيٍّ كأن بُغامَه ... تَبَغُّمُ مطرودٍ من الوحشِ مُرْهَقِ
بَرى لحمَ دَفَّيْهِ وأدمى أَظَله اجـ ... ـتيابي الفيافي سَمْلَقاً بعدَ سَمْلقِ[3]

وذكر بعده الأبيات الماضية . وهذا وهمٌ من النضر ، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضةٌ . فأتيت بكلّ واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك .

[علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصيح مع النسوة بكاءً على جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيُّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لمّا قُتل جعفر بن علبة قام نساء الحيّ يبكين عليه ، وقامَ أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادها ، وألقاها بين أيديها وقال : ابكينَ معنا على جعفر ! فما زالت النوقُ ترغو والشاءُ تثغو والنساءُ يصِحن ويبكين وهو يبكي معهنّ ؛ فما رُئي يومٌ كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ .

صوت

[من الرمل]

عَلِّلاني إنّما الدنيا عَلَلْ ... واسقياني عَلَلاً بعد نَهَلْ
أَصْحبُ الصاحب ما صاحبني ... وأكُفُّ اللومَ عنه والعذلْ

الشعر للعُجير السلولي . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبيشٍ . وذكر الهشاميُّ أنّه من منحول يحيى المكّيّ .

1 خدوراء : موضع .
2 كلحت : كشرت في عبوس . اللغام : زبد أفواه الإبل .
3 دفا البعير : جنباه . السملق : الأرض المستوية الجرداء .

[234] ـ أخبار العُجَير السلوليّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر محمد بن سلاّم ، العجيرُ بنُ عبد الله بن عبيدةَ بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبَيْط بن جابر بن عبد الله بن سلول . ونسختُ نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيبٍ قال : هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول[2] بن مرّة بن صعصعة ، أخي عامر بن صعصعة . شاعرٌ مقلٌّ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . وجعله محمد بن سلامٍ في طبقة أبي زبيدٍ الطائيّ ؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام .

[ماء مطلوب]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلاّمٍ الجُمحيُّ ، قال : حدّثنا أبو الغرّاف قال : كان العجير السَّلوليّ دلَّ عبد الملك بن مروان على ماءٍ يقال له مطلوبٌ ، وكان لناسٍ من خثعم ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

لا نــومَ إلاّ غِرارُ العينِ ساهِرةً إن لم أُرَوِّعْ بغيظٍ أهلَ مَطْلوبِ
إن تَشْتُمُوني فقد بدّلْتَ أيكتَكُم ذَرْقَ الدَّجاجِ بحَفَّــان اليعاقيبِ[3]
وكنتُ أُخبِرُكُم أن سوف يعمُرها بَنُــو أميّــة وعداً غيرَ مكذُوبِ

قال : فركب رجلٌ من خثعم يقال له أميّة إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما أراد العجير أن يصلَ إليك وهو شويعر سأّل . وحَرَّبه[4] عليه . فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد . فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا عندك فاحتبِسني وابعث مَن يبصر الأرضين والضياع ، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ وبِلٌّ[5] ، فبعث فاتّخذ ذلك الماء ، فهو اليوم من خيار ضياع بني أميّة .

[هجا بني حنيفة فأباح الوالي حدّه]

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : هجا

1 ترجمة العجير السلولي في طبقات الشعراء : 615–625 والسمط : 92 وحماسة التبريزي : 2 : 193 و79–80 والمؤتلف والمختلف : 166 . والخزانة : 5 : 35–36 .

2 في الخزانة والآمدي ومعارف ابن قتيبة أنّ سلول أسهم .

3 حفان اليعاقيب : فراخ الحجل .

4 حرّبه : حرّضه .

5 حلّ : حلال ، وبلّ : صباح .

العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم ، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكنانيّ ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحدَّ ، وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدّعي عليكم تجاوز الحقّ . فهرب العجيرُ منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ، ثم تعلّق بثوبه وقال : [من الطويل]

إليك سبقنا السوطَ والسجنَ ، تحتنا حيالٌ يُسامين الظلالَ ولُقَّحُ
إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا تحومُ علينا السانحاتَ وتبرحُ
فإن أكُ مجلوداً فكن أنت جالدي وإن أكُ مذبوحاً فكن أنت تَذبحُ

فسأله عن المطر وكيف كان أثره ، فقال له : [من الرجز]

يا نافعٌ يا أكرم البريه والله لا أكذبك العشيّهْ
إنّا لقينا سنةً قَسِيه ثم مُطِرْنا مَطرةً رويّهْ[1]
فنبت البقل ولا رعيّهْ[2]

يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل . فقال له : انجُ بنفسك فإنّي سأُرضي خصومك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم .

[شعره في ابن عمّه]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمر بن إبراهيم السعديّ عن عبّاس بن عبد الصمد السعديّ قال : قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوليّ : أصدقت فيما قلته لابن عمّك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إلاّ أنّي قلت : [من الطويل]

فتًى قُدَّ قَدّ السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لبَّاتُه وبآدلُهْ[3]

هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطّثريّة ترثيه به . [من الطويل]

جميلٌ إذا استقبلتَه من أمامه وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافلُهْ[4]
طويلٌ سطيُّ الساعدين عَذَوَّرٌ على الحيّ حتى تستقلّ مراجلُهْ[5]

1 سنة قسية : سنة قاسية .
2 رعية : الماشية الراعية .
3 الرهل : المسترخي لحمه من غير داء . البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة .
4 جافل هنا : كثير الشعر .
5 سطي الساعدين : ذو بطش . العذوّر : السيىء الخلق والمعنى أنه يشتدّ على الحي إلى أن تغضب المراجل ويطمئن على قرى الأضياف .

تـرى جازِرَيْــه يُرعَـدَان ونارُه ... عليها عداميــلُ الهشيم وصاملُهْ[1]
يجران ثنِيّاً خيرُهــا عظمُ جاره ... على عينه لم تعــدُ عَنها مشاغلُهْ[2]
تركنا أبا الأضيافِ في كلّ شتوةْ ... بمَرٍّ ومِـردى كلٍّ خصمٍ يجادلُهْ[3]
مقيمــاً سلبناه دريسيْ مُفاضة ... وأبيضَ هندِيّـاً طــوالا حمـائلُهْ[4]

فقال هشام : هلك والله الرجل .

[شعره حين منعه العامري العطاء]

ونسختُ من كتاب ابن حبيبٍ قال ابن الأعرابيّ : اصطحب العجير وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيّ الحسن بنَ الحسن بن عليّ عليهم السلام ، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعيّ وكساه ولم يعط العامريُّ العجير شيئاً ، فقال العجير : [من البسيط]

يا ليتني يـوم حزَّمتُ القَلُوصَ لَه ... يَمَّمتُهــا هاشميّــاً غيرَ ممذوقِ[5]
محضَ النِّجار من البيت الذي جُعلت ... فيــه النبوَّةُ يَجْري غير مَسبوقِ
لا يُمْسك الخيرَ إلاّ ريثَ يُسْأَلُه ... ولا يلاطم عند اللّحم في السوقِ[6]

فبلغت أبياته الحسن ، فبعث إليه بصلة إلى محلّة قومه وقال له : قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدَّ له .

[سكر العجير فأمر بنحر جمله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قـال : حدّثنا محمـد بن الحسن بن دينار الأحولُ قـال : حدّثني بعض الرواة أنّ العجير بن عبد الله السلوليّ مـرّ بقـوم يشربون فسَقَوه . فلمّا انتشى قال : انحروا جملي وأطعِمونا منه . فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنّونه بشعر قاله يومئذٍ ، وهو : [من الرمل]

علِّلاني إنّمــا الدنيــا عَلَـلْ ... واسقيــاني عاــلا بعــد نَهَلْ
وانشُلا مــا اغبرّ من قدريكما ... وأصبحاني أبعــد اللهُ الجملْ

1 عداميل : جمع عدمل وهو الضخم القديم من الشجر ، وفي ل : عدولي : نسبة إلى موضع . والصامل : اليابس .
2 الثني : الناقة التي ولدت بطنين ، وابنها الثاني يسمى ثنياً . لم تعد عنها : لم تنصرف .
3 في كل شتوة في ل والحماسة : في ليلة الصبا .
4 الدريس : الخلق من الثياب . وهنا يعني الدرع القديمة . المفاضة : الواسعة .
5 المذق : الخلط ، أي أنه خالص النسب .
6 يعني أنه لا يشتري اللحم من السوق وإنّما يذبح لأضيافه .

أُصحبُ الصاحب ما صاحبني — وأكفُّ النّـوم عنـه والعذلْ
وإذا أتلـف شيئـاً لم أقـلْ — أبداً يـا صاحِ مـا كان فعلْ

قال : فلمّا صحا سأل عن جمله فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم وهبوا له بعيراً فارتحله وانصرف إلى أهله .

[حجّ بامرأته فنظرت إلى غيره]

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : حجَّ العجيرُ السلوليّ فنظر إلى امرأته وكان قد حجَّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعدٍ وتكلّمه فقال فيها : [من الطويل]

أيـا ربّ لا تغفـر لعَثْمة ذنبَها — وإن لم يعاقبهـا العجير فعاقبِ
أشارت وعَقدُ الله بينـي وبينها — إلى راكب من دونه ألفُ راكبِ
حـرامٌ عليك الحـجُّ لا تقرَبنّه — إذا حان حَجُّ المسلمات التوائبِ[1]

[فسخ زواج ابنته من مولى بني هلال]

وقال ابن الأعرابيّ : غاب العجير غيبةً إلى الشام ، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها ، وأمره أن يزوّجها بكفء . فخطبها مولًى لبني هلال كان ذا مال ، فرغبت أمُّها فيه وأمرت خال الصبيّة الموصى إليه بأمرها أن يزوّجها منه ففعل . فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير ، وبرجالٍ من قومها ، وبابن عمٍّ لها يقال له قَيْل ، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمّها القيل فإنّه ساعد أُمّها على ما أرادت ، ومنع منها الفرزدق . فلمّا قدِم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال : [من الطويل]

ألا هـل لبَعجان الهـلاليّ زاجرٌ — وبعجـانُ مـأْدومُ الطعـام سمينُ
أليس أميرُ المؤمنـين ابـنَ عمّها — وبالحِنـو آسادٌ لهـا وعرينُ[2]
وعاذت بِحَقْوَيْ عامر وابن عامر — ولله قـد بتـت عـليٍّ يمـينُ
تنالونها أو يخضِبَ الأرضَ منكم — دم خرّ عنـه حاجب وجبينُ[3]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

إذا مـا أتيتَ الخاضبات أكُفَّها — عليهـنّ مقصورُ الحجال المروّقُ[4]

---

1 المسلمات في ل : المحصنات .
2 الحنو : حنو ذي قار قرب الكوفة .
3 تنالونها : لا تنالونها .
4 المروّق : ذو الستور . والرواق : ستر دون السقف .

فلا تدعــونَّ القَيل إلاّ لمشربٍ   رَواء ولكــنّ الشجاع الفرزدقُ
هــو ابنٌ لِبَيْضاء الجبين نَجيبةٍ   تَلَقَّت بطُهر لم يجيء وَهْو أحمقُ[1]
تداعى إليــه أكرمُ الحــيِّ نسوةً   أطفن بِكسرى بيتهــا حِين تُطْلَقُ
فجاءت بعُريــانِ اليديــنِ كأنّه   مــن الطير بازٍ ينفُض الطّلّ أزرقُ

[قول العجير في رفيقه أصبح]

وقال ابن الأعرابيّ : كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبحُ ، وكانا يصيبان الطريق ، وفيه يقول العجير : [من الطويل]

ومنخـرِقٍ عــن مَنْكِبيــه قميصُه   وعن ساعِديــه ، للأخلاّء واصلِ
إذا طــال بالقوم المطــا في تَنُوفَةٍ   وطولُ السُّرى ألفيتَه غير ناكلِ[2]
دعوتُ وقد دبّ الكَرى في عِظامه   وفي رأسه حتّى جرى في المفاصلِ
كما دبّ صافي الخمر في مخّ شاربٍ   يميلُ بِعطْفَيْه ، عــن اللّبِّ ذاهلِ
فلبّــى لِيَثْنيني بِثِنْيَــيْ لسانــه   ثقيلين مــن نوم غَلّوب الغياطِلِ[3]
فقلتُ له قم فارتحل ليس هاهنا   سِوى وقفةِ السّاري مُناخٌ لنازلِ
فقــام اهتزازَ الرمح يسرُو قميصَه   ويحسِر عن عاري الذّراعين ناحلِ[4]

[امرأة العجير تمنعه من مالها]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت للعجير امرأة يقال لها أمّ خالد ، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً ، ثم جعل يدّان حتى أُثقِل بالدَّين ومدّ يده إلى مالها ، فمنعته منه وعاتبته على فعله ، فقال في ذلك : [من الطويل]

تقــولُ وقــد غالبتُها أمُّ خالــد   على مالهــا أُغرقتَ دَيْنــاً فأقْصرِ
أبى القَصْرَ مَن يأوي إذا الليل جَنّني   إلى ضوء ناري مِــنْ فقير ومُقْترِ
أيا موقدَيْ نــاري ارْفَعاها لعلّها   تُشَبُّ لِمُقْوٍ آخــرَ الليــلِ مقفِرِ[5]

1 تلقت : علقت به .
2 المطا : التمطي وهو السير الممتد . الناكل : الضعيف الجبان .
3 الغياطل : جمع غيطلة وهي هنا غلبة النعاس .
4 يسرو قميصه : يلقيه عنه .
5 المقوي : الذي لا زاد معه .

أمِن راكـبٍ أمسى بظهـر تَنُوفةٍ　　أُواريكِ أم مـن جـارى المُتَنَظِّرِ
ولا قِـدرَ دون الجار إلاّ ذميمةٌ　　وهذا المُقاسي ليلـةً ذاتَ منكرِ
تكاد الصَّبـا تبتَزُّه مِـنْ ثيابـه　　على الرَّحْلِ إلاّ من قميص ومئزرِ
وماذا علينـا أن يخالِس ضوءَها　　كريـمٌ نشاه شاحبُ المُتَحَسِّرِ

المتحسّر : ما انكشف وتجرّد من جسمه[1] .

فيخبِرنـا عمّـا قليـل ولو خلت　　لـه القِـدر لم نعجب ولم نتخبَّرِ

صوت

[من الطويل]

سلي الطارقِ المعتَرَّ يـا أُمَّ مالكٍ　　إذا ما أتاني بين قِدري ومَجْزِري[2]
أأبسُط وجهـي أنّه أوّل القِرى　　وأبذلُ معروفي لـه دون مُنْكَري
فلا قصر حتى يَفرِج الغيثُ من أوى　　إلى جنب رَحْلي كلّ أشعث أغبرِ
أقِي العِرضَ بالمال التِّلادِ وما عسى　　أخوك إذا ما ضيّع العرض يشتري
يُـؤدِّي إليَّ النَّيـل قُنْيانَ ماجدٍ　　كريـم ومالي سارحاً مـال مقترِ

القِنْيان : ما اقتنى من المال . يقول : إنّه لبَذْله القِرى كأنّه موسر ، وإذا سرح ماله علم أنّه مُقتر .

إذا مُتُّ يوماً فاحضُري أمَّ خالد　　تُراثَكِ من طِرف وسيف وأقدرِ[3]

قال ابن حبيب : من الناس مَن يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أوّلها :

سلي الطارقَ المعترّ يا أمَّ مالك

لعروة بن الورد ، وهي للعُجَير .

[العجير يقيم شهراً بباب عبد الملك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا علي بن الصبّاح عن هشام بن محمدٍ قال : وفد العجير السَّلوليّ ، وسلول بنو مرّة بن صعصعة ، على عبد الملك بن مروان ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عَرَضَ لعبد الملك ، ثم وصل إليه

1 ل : جلده .
2 المعتر : قاصد المعروف سأل أو لم يسأل .
3 الأقدر : من الخيل هو الذي يجاوز حافرا رجليه مواقع حافري قدميه .

فلمّا مثَلَ بين يديه أنشد : [من الطويل]

ألا تلــك أمُّ الهِبْــرِزِيّ تَبَيَّنَتْ عِظامي ومنهـا ناحِـل وكسيرُ[1]
وقالتْ تضاءلتَ الغداةَ ومَنْ يكُنْ فتًى قبلَ عــامِ الماء فَهْـو كبيرُ[2]
فقلــتُ لهـا إنّ العُجيرَ تقلّبــتْ بــه أبطـــنٌ أبليْنَــه وظهــورُ
فمنهنّ إدلاجي على كُلِّ كوكبٍ لــه مـــن عُمــانيٍّ النجومِ نظيرُ
وقَرْعي بكفّي بابَ مَلْك كأنّما بــه القومُ يرجون الأَذِينَ نُسُورُ[3]
ويــومٍ تبارى أَلْسُنُ القوم فيهم وللموت ارحــاءٌ بهـــنّ تدورُ
لو انّ الجبالَ الصُّمَّ يسْمعْن وَقْعَها لَعُــدْن وقـد بانـت بهنّ فُطورُ
فرحتُ جَــواداً والجــوادُ مثابرٌ على جَرْيــه ، ذو علّــة ويسيرُ

فقال له : يا عجير ما مدحتَ إلاّ نفسك ، ولكنّا نعطيك لطول مُقامَك . وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر ، فكتب له بها .

[المروءة خير لباس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدّثنا محمد بن سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدّثنا العُمَريُّ عن العُتبيٍّ قال : نظر أبي إلى فتًى من بني العبّاس يسحب مُطْرف خزٍّ عليه وهو سكران ، وكان فتًى مُتَهَتِّكاً ، فحرّك راسه مليّاً ثم قال : لله درُّ العُجَير السَّلُوليّ حيث يقول : [من المتقارب]

ومــا لبس الناسُ مــن حُلّــة جدِيــدٍ ولا خَلَقــاً يُرْتَدَى
كمثــل المُــــرُوءةِ للاّبسين فدَعني من المُطْرَفِ المُسْتدى[4]
فليسَ يُغَيِّــر فضــلَ الكريــمِ خُلُوقـــةُ أثوابـــه والبــلى
وليس يُغيِّــر طبـــعَ اللّئيــم مطارِف خـــز رِقــاقُ السَّدى
يجود الكريــمُ على كلّ حالٍ ويكبو اللئيمُ إذا مـــا جرى

[قوله لابنه الفرزدق]

أخبرني عمّي قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أبو القاسم اللِّهبيّ عن أبي عبيدة قال : كان العُجيرُ السلوليّ له ابن يقال له الفرزدق ، وفيه يقول العجير : [من الكامل]

1 أم الهبرزي : الحمّى .
2 عام الماء : العام الخصيب .
3 الأذين : الحاجب .
4 المستدى : المنسوج .

ولقــد وضعتُــك غيرَ مُتَّرِكٍ من جابــر في بيتها الضّخمِ
واخترتُ أمّكَ مــن نسائهم وأبــوك كلٌّ عَــذَوّرٍ شهمِ[1]
فلئن كذبتَ المنحَ مــن مائةٍ فلتقبلــن بسائــغ وَخمِ
إنّ النــدى والفضل غايتُنــا ونجاتُنا وطرِيـقُ مَـن يحمي

[يستنجد بأمير لوفاء دَينه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ قال : قال الحرمازيّ : وقف العجير السلوليّ لبعض الأمراء ، وقد علق به غريمٌ له من باهلة فقال له : [من الطويل]

أتيتــك إنّ الباهــليّ يسوقني بدين ومطلوبُ الدُّيـون رقيقُ
ثلاثتُنــا إن يسَّر اللهُ : فائــزٌ بأجرٍ ، ومُعْطًى حقّــه ، وعتيقُ

فأمر بقضاء دينه .

[خطب بنت عمّه ففضلت عليه العامريّ ليساره]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت للعجير بنت عمٍّ وكان يهواها وتهواه ، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربَه . ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسر ، فخيّرها أبوها بينه وبين العجير ، فاختارت العامريّ ليساره ، فقال العجير في ذلك : [من الطويل]

ألِمَّا على دارٍ لزينبَ قــد أتــى لها بِلِوى ذي المَرْخ صيفٌ ومَرْبَعُ[2]
وقُولا لهــا قــد طالما لم تَكَلَّمي وراعاك بالعــين الفُــؤادُ المُرَوَّعُ
وقولا لهــا قال العجير وخَصَّني إليــك ، وإرسال الخليلَيْن ينفعُ
أأنت التي استودعتُك السِّرَّ فانتحى لي الخَوْنَ مَرَّاحٌ من القوم أفرعُ[3]
إذا متُّ كان الناس نِصفين : شامتٌ ومثنٍ بما قد كنت أُسْدِي وأصنعُ[4]
ولكن ستبكيني خطوب ومجلسٌ وشعث أُهينوا في المجالس جوّعُ
ومستلحَم قــد صَكَّه القومُ صكّةً بعيدِ الموالي نِيـلَ مـا كان يمنعُ[5]
رددتُ له ما أفرط القتل بالضُّحى وبالأمسِ حتى اقتالــه فهو أصلعُ[6]

1 العذوّر : السيىء الخلق ، القليل الصبر .
2 اللوى : منقطع الرمل . ذو المرخ : دار كثير الشجر قريب من فدك .
3 انتحى : قصد : الخون : الخيانة . أفرع : شخص له جمة .
4 الناس في ل : القوم .
5 المستلحم : الذي أرهق في القتال . صكة القوم : ضربوه ضرباً شديداً .
6 اقتاله في ل : اقتاده .

ولست بمولاه ولا بابـن عمّـه ولكن متى مـا أملك النفعَ أنفعُ

[علق امرأة من عامر فانتهبوا ماله]

وقال ابن الأعرابيّ : كان العجير يتحدّث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلٌ فألفها وعَلِقَها . ثم انتجعَ أهلُها نواحي نصيبين ، فتتبَّعَتْها نفسه . فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه منازلاً مُلازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعتَ عنها أو ارتحلتَ عنّا ، أو فأذنْ بحرب . فقال : ما بيني وبينها ما يُنكَر ، وإنّما كنتُ أتحدّث إليها كما يتحدّثُ الرجل الكريم إلى المرأة الحرّة الكريمة ، فأمّا الريبة فحاش لله منها . ثم عاود محادثتها ؛ فانتهبوا ماله وطردوه . فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذٍ يتولّى الجزيرةَ لأخيه عبد الملك بن مروان ، فأتاه مُستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام ، وأنشده قوله : [من الطويل]

عفـا يافِـعٌ مـن أهله فطَلوبُ وأقفَـرَ لـو كان الفؤادُ يثوبُ[1]
وقفتُ بها مِن بعدِ مـا حلّ أهلها نَصيبين والرّاقـي الدموعَ طبيبُ
وقد لاح معروفُ القتِير وقد بدت بك اليومَ من ريب الزمان نُدوبُ[2]
وسالمتُ روحاتِ المطيّ وأحمدت مناسمُ منهـا تشتكي وصُلوبُ
وما القلب أم ما ذكـره أمّ صِبْيةٍ أُرَيْكَةُ منهـا مسكن فهَروبُ[3]
حَصان الحُمَيّا حرّة حال دونَها حليلٌ لها شاكي السلاح غضوبُ
شَموسٌ ، دُنوُّ الفَرْقدين اقترابُها ، لغَيٍّ مقاريـف الرجـال سَبوبُ
أحقّاً عبـادَ الله أن لستُ ناظراً إلى وجههـا إلاّ عـليّ رقيبُ
عدَتني العِدا عنهـا بُعَيْدَ تساعفٍ وما أرتجـي منهـا إليّ قريبُ
لقد أحسنت جُملٌ لـو انّ تبيعها إذا مـا أرادت أن تُثِيب يثيبُ[4]
تَصُدّين حتّى يذهبَ اليأسُ بالمنى وحتّى تكادَ النفسُ عنكِ تطِيبُ

هذا البيت يروى لابن الدُّمَينة ، وهو بشعره أشبه ، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه ؛ لأنّه تشكّى في سائر الشعر قومها دونها ، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها ، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابيّ : [من الطويل]

---

1 يافع : موضع . طلوب : ماء .
2 معروف القتير : الشيب .
3 أريكة : جبل بالبادية . هروب : من قرى صنعاء باليمن .
4 التبيع : المولى والناصر .

وأنتِ المُنى لو كنتِ تستأنفيننا بخير ولكِنْ مُعْتفاك جديبُ[1]
أيؤكلُ مالي وابنُ مروانَ شاهدٌ ولم يقضِ لي وابن الحُسام قريبُ
فتًى مَحْضُ أطرافِ العروق مساورٌ جبالَ العلا طلقُ اليدين وهوبُ[2]

فأمر محمدُ بنُ مروان بإحضار ابنِ الحسام الكلابيّ فأُحْضِر ، فحبسه حتى ردّ مال العجير كلّه ، وأمر العجير بالانصراف إلى حيِّه وتَرْك النزول على المرأة أو في قومها . قال : وقال العجير فيها أيضاً ، ويصفُ بعيراً : [من البسيط]

هاتيك جُمْلٌ بأرض لا يُقَرِّبُها إلاّ هِبَلٌّ من العِيدِي مُعْتَقِدُ[3]
ودونَها مَعشر خزرٌ عيونُهم لو تُخمدُ النار من حَرٍّ لما خمدوا[4]
عدُّوا علينا ذنوباً في زيارتها ليحجبوها وفي أخلاقهم نَكَدُ
وحالَ مِن دونها شَكسٌ خلائقُه كأنّه نِمرٌ في جِلده الرُّبَدُ[5]
فليس إلاّ عويلٌ كلّما ذُكِرَتْ أو زفرةٌ طالما أَنَّتْ بها الكبدُ
وتيّمتْنيَ جُمْل فاستمرّ بها شَحطٌ من الدار لا أَمٌّ ولا صَدَدُ
قالوا غداة استقلّت : ما لمقلته أمن قذى هملَتْ أم عارها رمدُ[6]
فقلت لا بل غدت سلمى لِطِيَّتِها فليتهم مثل وجدي بُكرةً وَجَدوا
إن كان وصلُك أبلى الدَّهرُ جِدّته وكلُّ شيءٍ جديدٍ هالكٌ نَفَدُ
فقد أُراني ووجْدِي إذْ تفارقني يوماً كوجدِ عجوز درعُها قددُ
تبكي على بطل حُمَّتْ منيّته وكان واترَ أعداءٍ به ابتَرَدوا[7]
وقد خلا زمنٌ لو تَصرِمين له وَصْلي لأيقنتُ أنّي ميّتٌ كَمِدُ
أزمانَ تعجبُني جملٌ وأكتمُه جُملاً حياءً ، وما وجدٌ كما أجدُ

---

1 تستأنفيننا : تعودين إلينا .
2 محض أطراف العروق : خالص الأصول طاهرها . المساور : المواثب .
3 يقرّبها في ل : يبلغها . الهبّل : الضخم الطويل . العيدي : المنسوب إلى فحل معروف . المعتقد : الصبور الشديد الصلب .
4 خزر العين : ضيقها ، كناية عن العداوة .
5 الشكس : الصعب . الربد : جمع ربدة ، وهو السواد المتقطع فيه احمرار ، أو الغبرة .
6 عارها : أصابها .
7 ابتردوا : أثلجت صدورهم لموته .

فقــد برئتُ على أنّي إذا ذُكِرَتْ ينهلُّ دمعــي وتَحيــا غُصَّةٌ تَلَدُ[1]
من عهد سَلمى التي هام الفؤادُ بها أزمانَ أزمانَ سلمى طِفلةٌ رُؤُدُ[2]
قد قلــت للكاشِحِ المبدِي عداوتَه قد طالما كان منك الغِشُّ والحسدُ
ألا تُبيِّنُ لي لا زِلــت تُبغِضني حتّامَ أنت إذا مــا ساعفَت ضمِدُ[3]
وقد تــرى غيرِ ذي شك ومعلمه أن ليس لي إن نأت صبر ولا جلدُ

[عبد الملك يوصي مؤدّب ولده أن يرويهم مثل قول العجير]

وقال ابن حبيب : قال عبد الملك لمؤدّب ولده : إذا روَّيتَهم شعراً فلا تروِّهم إلاّ مثلَ قول العُجير السلوليّ : [من الوافر]

يَبِين الجــارُ حِــين يبِين عنّي ولم تأنسْ إليّ كِلابُ جاري
وتظعنُ جارتي من جَنب بيتي ولم تُستّر بستر مــن جِداري
وتأمـــن أن أُطالع حــين آتي عليها وهـــي واضعةُ الخِمارِ
كذلك هَــدْيُ آبائي قديماً تَوارثــه النِّجــارُ على النِّجارِ
فهديــي هديُهم وهُــمُ افْتَلَوْني كما افْتُلِيَ العتيقُ مــن المِهارِ[4]

[رواية أخرى عن نحره جمله]

وقال ابنُ حبيب أيضاً : نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقَوه ، فلمّا سكر قام إلى جمله فعقره ، وأخرج كبده وجبَّ سَنامه ، فجعل يشوي ويأكل ويُطعِم ويغنّي : [من الطويل]

علّــلاني إنّمـــا الدنيا عَلل واسقياني عَلَــلا بعـــد نَهَلْ
وانشُلا لي اللحم من قِدْريكما واصبحاني أبعـــد اللهُ الجملْ

فلمّا أفاق سأل عن جمله فأُخبر ما صنع به ، فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم أعطوه جملاً وزوّدوه ، فانصرف حتى لحق بقومه .

أخبرني عمّي بهذا الخبر قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال : حدّثني أبي عن عمّه فقال فيه : مرّ العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم ، وذكر باقي القصّة نحواً ممّا ذكر ابن حبيب ، ولم يقل فيها : فلمّا أصبح جعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! ــ ولكنه قال : فلمّا أصبح ساق قومه إليه ألفَ بعير مكان بعيره .

1 تلد : لغة في التلاد ، وهو القديم .
2 رؤد : شابة حسنة .
3 ضمد : حاقد .
4 افتلاه : فطمه . وهنا فطموني عن جهل الصبا .

[سليمان بن عبد الله يعجب بشعر العجير]

أخبرني عمّي وحبيب بن نصرٍ المهلّبيُّ قالا : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني الحكم بن موسى بن الحسين السلوليّ قال : حدّثني أبي عن عمّه قال : عرض العجير لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف ، وعلى العجير بُردان يساويان مائةً وخمسين ديناراً ، فانقطع شِسعُ نعله فأخذها بيده ، ثم هتف بسليمان فقال : [من الطويل]

ودَلَّيتُ دلوي في دِلاءٍ كثيرة إليك فكان الماءُ ريّــان مُعلما

فوقف سليمان ثم قال : لله درُّه ما أفصحه ، والله ما رضي أن قال ريّان حتى قال معلما ، والله إنّه لَيُخَيَّلُ إليّ أنه العجير ، وما رأيته قطّ إلاّ عند عبد الملك . فقيل له : هو العجير . فأرسل إليه : أن صِر إلينا إذا حللنا . فصار إليه ، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه ، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم .

[رثاء العجير لابن عمّه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني هارون بن موسى الفروي قال : كان ابن عمّ للعجير السلوليّ إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء ، فيطعن في لَبَّتها عند بيته ، فيبيتون في شواء وقدير[1] ، ثم يصبحون على ذلك ، فلما مات ، قال العجير يرثيه : [من الطويل]

تركنا أبا الأضيافِ في ليلة الصَّبا بمَـرٍّ ومِردى كلّ خصم يجادلُهْ[2]
وأُرعيـه سمعــي كلّما ذُكِر الأسى وفي الصّدرِ منّي لوعــةٌ ما تزايلُهْ
وكنت أعِيرُ الدّمعَ قبلك مَن بكى فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُهْ

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر ، والبيت الثالث من هذه الأبيات للشّمردلِ بنِ شَرِيك لا يُشَكُّ فيه ، من قصيدة له طويلة . فيه غناء قد ذكرته في أخباره .

صوت

[من المتقارب]

فتــاةٌ كأن رضابَ العبِيرِ بفيها يُعَلُّ بــه الزنجبيلُ[3]
قتلتُ أباهـــا على حبِّهـا فتبخلُ إن بخِلَت أو تُنيلُ

الشعر لخُزيمة بن نهدٍ ، والغناء لطويس ، خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيى المكّيّ .

---

1 قدير : ما يطبخ في القدر .

2 مر : ماء لبني أسد . مردى الخصم : الصبور على الخصم .

3 يعل هنا : يخلط .

[235] ـ أخبار خزيمة بن نهد ونسبه

[نسبه]

هو خُزَيمةُ بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر مقلّ من قدماء الشعراء في الجاهلية . وفاطمة التي عناها في شعره هذا : فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إيّاها ، فقتله غيلة . وإيّاها عنى بقوله : [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أُردفَت الثُّريّا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

أخبرني بخبره محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا عبيد الله بن سعد الزُّبيريّ قال : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي ، أظنّه عن الزهريّ ، قال : كان بدءُ تفرّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق ، وخروج مَن خرج منهم عن نسبه ، أنّه كان أوّل مَن ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معدّ . وكان سبب خروجهم أنّ خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً ، متعرِّضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، واسم يذكر عامر ، فشبّب بها وقال فيها : [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أردفت الثُّريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك مِن همومي همومٌ تُخْرِج الشجن الدّفينا
أرى ابنة يذكرٍ ظعنت ، فحلَّت جَنوبَ الحَزْن يا شَحَطاً مبينا

[مقتل يذكر بن عنزة]

قال : فمكث كذلك زماناً ، ثم إنّ خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة : أحبّ أن تخرج معي حتى نأتي بِقَرَظ . فخرجا جميعاً ، فلمّا خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتله ، فلمّا رجع ، وليس هو معه ، سأله عنه أهله ، فقال : لست أدري ، فارقني وما أدري أين سلك . فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعة ونزار ابنَي معد ، وتكلّموا فيه فأكثروا ، ولم يصحّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به ، حتى قال خزيمة بن نهد : [من المتقارب]

فتاة كأنَّ رضابَ العبير بفيها يُعَلّ به الزنجبيلُ
قتلت أباها على حبِّها فتبخلُ إنْ بخِلت أو تنيلُ

فلمّا قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نزار بن معد وكندة

وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد . وحاءٌ وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاءُ بن عمرٍو بن أدّ بن أُدَد . وكانت قضاعة تنتسب إلى معد ، وعكٌ يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول : عكُ عدنان بن أدّ ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد . وكانوا يتبدَّون[1] من تهامة إلى الشام ، وكانت منازلهم بالصُّفّاح ، وكان مَرّ وعُسْفان لربيعة بن نزار ، وكانت قضاعة بين مكّة والطائف ، وكانت كندة تسكن من الغَمر إلى ذات عِرق ، فهو إلى اليوم يسمّى غمر كندة . وإيّاه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله[2] : [من المتقارب]

إذا سلكت غمر ذي كنــدة   مع الصبح قصدٌ لها الفرقَدُ
هنا لك إمّا تُعَـزّى الفؤاد   وإمّــا على إثرهم تكْمَدُ

وكانت منازل حاءِ بن عمرٍو بن أُدَد ، والأشعر بن أددٍ ، وعكٌّ بن عدنان بن أدد ، فيما بين جُدّة إلى البحر .

[القارظان]

قال : فيذكر بن عنزة أحد القارظَيْن[3] اللذين قال فيهما الهذليّ : [من الطويل]

وحتّى يؤوب القارظان كلاهما   ويُنْشَرَ في القتـلى كليبٌ لوائلِ

والآخر من عنزة ، يقال له أبو رُهْم ، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعْرف له خبر .

[انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد]

قال : فلمّا ظهرت نزارٌ على أنّ خزيمة بن نهد قَتَلَ يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشدّ قتالٍ ، فهزمت قضاعة وقُتِل خزيمة بن نهدٍ وخرجت قضاعة متفرّقين ، فسارت تيم اللاّت بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حِلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة ، وفرقة من بني رُفيـدةَ بن ثور بن كلب بن وبرة ، وفرقة من الأشعريين ، نحو البحرين حتى وردوا هجر ، وبها يومئذٍ قوم من النبط ، فنزلت عليهم هذه البطون فأجْلَتْهم ، فقال في ذلك مالك بن زهير : [من الوافر]

نَزَعنا مِن تهامـةَ أيَّ حيٍّ   فلم تحفِــل بذاك بنو نزارِ
ولم أكُ مـن أنيسكُم ولكنْ   شرينــا دارَ آنسةٍ بــدارِ

[كهانة الزرقاء بنت زهير]

فلمّا نزلوا هَجَرَ قالوا للزرقاء بنت زهيرٍ ، وكانت كاهنة ، ما تقولين يا زرقاء ؟ قالت :

---

1 يتبدون : ينزلون البادية .
2 ديوان عمر : 90 .
3 القرظ : ورق السلم أو ثمر السنط . والقارظ : مجتنيه .

«سَعَفٌ وإهان[1] ، وتمر وألبان ، خيرٌ من الهوان» . ثم أنشأت تقول : [من الكامل]

ودّع تهامةَ لا وَداعَ مُخالِقٍ بذِمامه لكن قِلًى وملامِ
لا تُنْكِري هَجْراً مُقامَ غريبةٍ لن تَعدَمي من ظاعنين تَهامِ

فقالوا لها : فما ترين يا زرقاء ؟ فقالت : «مُقامٌ وتُنوخ ، ما وُلِد مولودٌ وأَنْقفَتْ فروخ[2] إلى أن يجيءَ غراب أبقع ، أصمع أنزع[3] ، عليه خلخالا ذهب ، فطار فألهب[4] ، ونَعَق فنَعَب ، يقع على النخلة السَّحُوق[5] ، بين الدُّور والطريق ، فسيروا على وَتيرة ، ثم الحِيرة الحيرة !» . فسُمِّيت تلك القبائل تَنوخَ لقول الزرقاء : «مقام وتُنوخ» . ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ ، ولحق سائرَ قضاعة وبهْرة موتٌ ذريع ؛ وخرجت فرقة من بني حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة يقال لهم : بنو تَزيد ، فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة ، فنَسَج نساؤهم الصُّوف وعمِلوا منه الزرابي ؛ فهي التي يقال لها العبقرية ، وعمِلوا البرود التي يقال لها التزيدية . وأغارت عليهم الترك ، فأصابتهم ، وسَبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك : [من الوافر]

ألا لله ليلٌ لَمْ نَنْمهُ على ذات الخِضاب مُجَنِّبينا[6]
وليلتُنا بآمِدَ لَم نَنمْها كليلتنا بميّافارقينا

[بهراء تلحق بالترك وتهزمهم]

وأقبل الحارثُ بن قُرادٍ البهرانيُّ ليعيث في بني حُلْوان ، فعرض له أُباغُ بن سُلَيحٍ صاحبُ العين ، فاقتتلا ، فقُتِل أباغ ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك ، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تزيد . فقال الحارث بن قُراد في ذلك : [من الوافر]

كأنَّ الدهر جُمِّع في ليالٍ ثَلاثٍ بِتُّهن بشَهْرزُورِ
صَفَفْنا للأعاجمِ من مَعَدٍّ صفوفاً بالجزيرة كالسّعيرِ

[سليح بن عمرو نزلت ناحية فلسطين]

وسارتْ سليحُ بنُ عمرو الحاف بن قُضَاعة يَقُودها الحدرجانُ بنُ سَلَمةَ حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أُذيْنة بن السَّمَيْدَع من عاملة . وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذرة ونَهدٌ

1 إهان : عرجون .
2 أنقفت فروخ : ثقبت البيض وخرجت .
3 الأصمع : صغير الأذن . الأنزع : منحسر الشعر من جانبي الجبهة .
4 ألهب : اشتدّ في طيرانه .
5 السحوق : الطويلة .
6 المجنب : الذي انقطعت ألبان إبله .

وحَوْتَكة وجُهينة والحارث بن سعد ، حتى نزلوا من الحِجر إلى وادي القُرى ، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين . ثم أقبل غرابٌ في رجليه حَلْقَتا ذهبٍ وهم في مجلسهم ، فسقط على نخلةٍ في الطريق ، فنَعَقَ نَعقات ثم طار ؛ فذكروا قول الزرقاء ، فارتحلوا حتى نزلوا الحِيرة . فهُم أوّل مَن اختطَّها : منهم مالك بن زهير . واجتمع إليهم لمّا ابْتَنوا بها المنازل ناسٌ كثير من سقَّاط القرى ، فأقاموا بها زماناً ؛ ثم أغار عليهم سابور الأكبر ، فقاتلوه ، فكان شعارهم يومئذٍ : يا آل عباد الله ! فسُمّوا العباد ، وهزمهم سابور ، فصار معظمهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَن بن معاوية التنوخي ، فمضى حتى نزل الحَضْر ، وهو بناء بناه الساطرون الجُرمُقاني ، فأقاموا به ، وأغارت حِميرُ على بقيّة قضاعة ، فخيّروهم بين أن يُقيموا على خراجٍ يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجوا ، وهم كلبٌ ، وجَرْمٌ والعلاف ، وهم بنو زبّان بن تغلب بن حلوان ، وهو أوّل مَن عمل الرحال العلافية ، وعلافٌ لقب زبّان ، فلحقوا بالشام ، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانهزموا فلحقوا بالسماوة ، فهي منازلهم إلى اليوم .

صوت

[من البسيط]

إنّي امرؤ كفَّني ربّي ونزَّهني عن الأمور التي في غبِّها وخمُ
وإنّما أنا إنسانٌ أعيش كما عاش الرجالُ وعاشت قبْليَ الأممُ

الشعر للمغيرة بن حبناء ، من قصيدةٍ مدح بها المهلّب بن أبي صفرة ، والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وهو من مشهور أغانيه وجيِّدها .

[236] ـ نسب المغيرة بن حَبْناء وأخباره[1]

[نسبه]

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وحبناء لقبٌ غلب على أبيه واسمه جُبير بن عمرو ، ولُقِّب بذلك لِحَبن[2] كان أصابه . وهو شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، وأبوه حبناء بن عمرو شاعرٌ ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر ، وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ ، سأذكر منها طرفاً . وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه ، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصف كلّ واحدٍ منهما من صاحبه .

[مديحه لطلحة الطلحات]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثني الحسن بن جَهْوَرٍ عن الحرمازيّ قال : قدِم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخزاعيّ ثم المُلَيْحِيِّ ، أحد بني مُليح ، فأنشده قوله فيه[3] : [من الطويل]

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي ... رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا
وأبذلُ نفسي في مواطِــن غيرُها ... أَحَبُّ ، وأعصِي في هواكَ الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا ... لِتَجْزِيَني مـا لا إخالُكَ جازيا[4]
رأيتُك مـا تنفكُّ منك رَغيبةٌ ... تقصِّر دوني أو تحُــلُّ ورائيا
أُراني إذا استمطرتُ منك رَغيبةً ... لِتُمْطِرَني عادتْ عَجاجا وسافِيا[5]
وأَدْليتُ دلـوِي في دِلاء كثيرة ... فأُبنْ مِـلاءً غيرَ دلـوي كما هيا

1 ترجمة المغيرة بن حبناء في الشعر والشعراء : 319 والمؤتلف : 105 . ومعجم المرزباني : 369 والسمط : 715 . وقد جمع شعره نوري القيسي في «شعراء أمويون» .
2 الحبن : ورم في البطن .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 107–108 .
4 التمسيك : الصيانة .
5 رغيبة في ل : سحابة .

ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدةٍ   من القوم حُرّاً بالخسيسة راضيا
فإن تدن منّي تدنُ منكَ مودّتي   وإن تنأ عنّي تُلْفِني عنكَ نائيا

قال : فلمّا أنشده هذا الشعر ، قال له : أما كُنّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . فأمر طلحة خازِنَه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت ، فقال له : اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهمٍ ! فأمر له بالمال . فلمّا قبضه سأله حجراً منها ، فوهبه له ، فباعه بعشرين ألف درهم . ثم مدحه ، فقال[1] : [من الطويل]

أرى الناس قد مَلُّوا الفَعال ولا أرى   بني خلف إلاّ رِواء المواردِ
إذا نفعوا عادوا لِمَن ينفعونه   وكائن ترى مِن نافع غيرِ عائدِ
إذا ما انجلت عنهم غمامةُ غمرةٍ   من الموت أجلت عن كرامٍ مَذَاوِدِ
تسود غطاريفَ الملوك ملوكهُم   وماجِدهم يعلو على كلّ ماجِدِ

[مديحه للمهلّب بن أبي صفرة]

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرة بن محمد المهلّبي عن رواة باهلة ، أن المهلّب بن أبي صفرة لمّا هَزَم قطريَّ بن الفجاءة بسابور[2] جلس للناس ، فدخل إليه وجوههم يهنّئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده[3] : [من البسيط]

حال الشّجا دونَ طَعِمْ العيش والسهرُ   واعتاد عينَك مِن إدمانها الدِّررُ
واستَحقَبتكَ أمورٌ كنتَ تكرهها   لو كان ينفعُ منها النّأيُ والحذرُ[4]
وفي الموارد للأقوام تَهْلُكةٌ   إذا المواردُ لم يُعْلم لها صَدَرُ[5]
ليس العزيزُ بمَن تُغْشى محارمُه   ولا الكريمُ بمَن يُجْفى ويُحْتَقَرُ

حتى انتهى إلى قوله :

أمسى العِبادُ بشرٍّ لا غِياثَ لهم   إلاّ المهلّبُ بعد الله والمطرُ

1 شعر المغيرة بن حبناء : 85–86 .
2 سابور : كورة ببلاد فارس .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 86–88 .
4 النأي في ل : الرأي . استحقبتك : ادخرتك .
5 تهلكة في ل : مصلحة .

كلاهمـا طيّبٌ تُرْجـى نوافلـه   مبـاركٌ سَيْبُـهُ يرجـى ويُنْتظرُ
لا يجْمُدان عليهم عنـد جَهدِهم   كِلاهما نافعٌ فيهـم إذا افتقروا[1]
هذا يذود ويحمي عـن ذِمارِهم   وذا يعِيش بـه الأَنعام والشَّجرُ[2]
واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوّ بهم   فلا ربيعتُهم تُرجـى ولا مضرُ[3]
وأنت رأسٌ لأهل الدِّين منتخَبٌ   والرأسُ فيه يكون السمع والبصرُ
إن المهلَّـب في الأيّـام فضَّله   على منـازلِ أقـوام إذا ذُكروا
حـزمٌ وجـود وأيّامٌ له سلفتْ   فيها يُعَـدُّ جسيمُ الأمـر والخطرُ
ماضٍ على الهولِ مـا ينفكُّ مرتحِلاً   أسبابَ معضلةٍ يعيـا بهـا البشرُ
سهلُ الخلائقِ يعفو عِنـد قدرتِه   منه الحياء ومـن أخلاقه الخفَرُ
شهابُ حربٍ إذا حلّت بساحته   يُخزِي بـه الله أقوامـاً إذا غدروا
تزيدُهُ الحربُ والأهوالُ إن حضرت   حزماً وعزماً ويجلو وجهَه السفرُ
مـا إن يزالُ على أرجاء مُظْلِمةٍ   لولا يكفكفُها عن مِصرهم دَمَروا[4]
سهلٌ إليهـم حليم عن مجاهلهم   كأنّما بينهـم عثمـانُ أو عمرُ
كهفٌ يلوذون من ذُلّ الحياةِ به   إذا تكنَّفهـم مِـن هولها ضررُ
أمـنٌ لخائفهـم فيضٌ لسائلهم   ينتاب نائِلَـه البـادون والحَضَرُ

فلمّا أتى على آخرها قال المهلّب : هذا والله الشِّعرُ ، لا ما نُعَلَّلُ به ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ ، وزاده في عطائه خمسمائة درهمٍ .

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغِناء المذكور بذكره أخبارُ المغيرة ، من قصيدة له مدح بها المهلّب بن أبي صفرة أيضاً . وأوّلها[5] : [من البسيط]

أمِن رسومِ ديارٍ هاجـك القِدم   أَقْوَتْ وأقفر منها الطَّفُّ والعلمُ[6]

1 لا يجمدان : لا يبخلان .
2 يذود في ل : يجود .
3 العدوّ في ل : البلاء .
4 يكفكفها : يمنعها . دمروا : هلكوا .
5 شعر المغيرة بن حبناء : 99–102 .
6 الطف والعلم : موضعان .

وما يَهيجُك مــن أطـلالِ منزلة عفَّى معالِمَهــا الأرواح والدِّيَمُ
نِعم الخليفةُ مــن جـارٍ تضنُّ به إذا طربتَ أثـافي القـدر والحُمَمُ
دارُ التي كاد قلبــي أن يُجَنَّ بها إذا ألم بــه مِن ذِكرهــا لَممُ[1]
إذا تذكرهــا قلبــي تضيّفه همٌّ تضيق بـه الأحشاء والكَظَمُ[2]
والبينُ حـين يروعُ القلبَ طائِفُه يبدي ويظهرِ منهم بعضَ ما كتموا
إنّي امــرؤ كفّني ربّي وأكرمني عن الأمور التي في غبِّهـا وخمُ
وإنّمـا أنــا إنسان أعيش كما عاش الرجال وعاشت قبليَ الأممُ

[سبب قوله القصيدة]

وهي قصيدة طويلة ، وكان سبب قوله إيّاها أنّ المهلّب كان أنفذ بعض بنيه في جيشٍ لقتال الأزارقة ، وقد شدّت منهم طائفةٌ تُغير على نواحي الأهواز ، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور ، وكان فيهم المغيرة بن حبناء ، فلمّا طال مُقامه واستقرّ الجيش لحق بأهله ، فألَمّ بهم وأقام عندهم شهراً ، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلّب فقيل له : إنّ الكتّاب خطُّوا على اسمه ، وكُتِبَ إلى المهلّب أنّه عصى وفارق مكتبه بغير إذن ، فمضى إلى المهلّب ، فلمّا لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره ، وأمر بإطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه ، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن : [من البسيط]

ما عاقني عن قُفُولِ الجندِ إذ قفلوا عِيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
ولــو أردتُ قفولاً مـا تجهَّمَني إذنُ الأمير ولا الكتابُ إذ رقموا
إنّي ليعرفنــي راعــي سريرِهــم والمُحْدِجُون إذا مـا ابتلّت الحُزُمُ
والطالبون إلى السلطان حاجتَهم إذا جفا عنهم السلطان أو كَزَموا[3]
فسوف تُبْلِغُك الأنباءَ إن سلمت لك الشواحِج والأنفاسُ والأُدُمُ[4]
إنّ المهلّــب إنْ أشتق لرؤيتــه أو امتدِحه فإن الناس قـد عِلموا
إنّ الكريــم من الأقوامِ قد علموا أبو سعيدٍ إذا مـا عُـدّت النِّعمُ

---

1 اللمم : الجنون .
2 الكظم : مخرج النفس .
3 كزموا : هابوا .
4 الشواحج : البغال . الأدماء : الناقة التي أشرب لونها سواداً أو بياضاً .

والقائـلُ الفاعـلُ الميمونُ طائره — أبو سعيدٍ وإن أعـداؤه رَغموا
كم قد شهدتُ كراماً من مواطنه — ليست بغيب ولا تقوالِهِم زعموا
أيّامَ أيّامَ إذ عضّ الزمـان بهـم — وإذ تمنّى رجـال أنّهم هُزِموا
وإذا يقولـون : ليتَ الله يُهْلكهم — والله يعلـم لـو زلّت بهم قدمُ
أيّامَ سابور إذ ضاعـت رَباعَتهم — لولاه ما أُوطَنوا داراً ولا انتقموا[1]
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به — إلاّ المغافِـر والأبـدان واللجمُ
وعاترات مـن الخَطِّيِّ مُحصَدة — نفضي بهـن إليهم ثـم نَدَّعمُ[2]

[مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء]

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ في خبر هذه القصيدة ، ونسخت من كتابه . وذكر أيضاً في هذا الكتاب أنّ سبب التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بن حبناء ، أنّ زياداً الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقريّ ، اجتمعوا عند المهلّب وقد مدحوه ، فأمر لهم بجوائز وفضَّل زياداً عليهم ، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شِعره ، لأنّ زياداً كان ألكن لا يُفْصح ، فكان راويته يُنْشد عنه ما يقوله ، فيتكلّف له مؤونة ويجعل له سهماً في صِلاته ، فسأل المهلّب يومئذٍ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب ، فوهبه له ، فنفِسوا عليه ما فُضِّل به ؛ فانتدب له المغيرة من بينهم ، فقال للمهلّب : أصلح الله الأمير ، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا ؟ فوالله ما يُغني غَناءنا في الحرب ، ولا هو بأفضلنا شعراً ، ولا أصدقِنا ودّاً ، ولا أشرفِنا أباً ، ولا أفصحنا لساناً ! فقال له المهلّب : أما إنّي والله ما جهلتُ شيئاً مما قلت ، وإنّ الأمرَ فيكم عندي لمتساوٍ ، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لِسِنِّه وشِعره وموضعه من قومه ، وكلُّكم كذلك عندي ، وما فضلته بما يُنْفَسُ به[3] ، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضّلته به . فانصرف ، وبلغ زياداً ما كان منه ، فقال يهجوه[4] : [من الطويل]

أرى كلَّ قومٍ ينسل اللؤمُ عندهم — ولـؤمُ بنـي حبناءَ ليس بناسِلِ[5]
يَشبُّ مـع المولودِ مثـلَ شبابـه — ويَلقـاه مولوداً بأيـدي القوابلِ

1 رباعتهم : الأمر الذي كانوا عليه .
2 العاترة : المضطربة . ندّعم : نتكىء .
3 ينفس به : يحسد عليه .
4 شعر زياد الأعجم : 52 .
5 ينسل : يسقط كما يسقط ريش الطائر .

ويُرْضَعُـه مـن ثـدي أُمٍّ لئيمةٍ ... ويُخْلَقُ من ماء امرِىء غير طائلِ
تعالَوا فعدّوا في الزمانِ الذي مضى ، ... وكلّ أنـاسٍ مجدُهـم بالأوائلِ
لكم بفعالٍ يعرف الناسَ فضله ... إذا ذُكِـر الأمـلاء عِند الفضائلِ[1]
فغازيكم في الجيش ألأمُ مَـن غزا ... وقافِلكـم في النـاس ألأم قافلِ
ومـا أنتُم مِـنْ مالكٍ غيرَ أنّكم ... كمغرورةٍ بالبوِّ في ظِـلّ باطلِ
بنو مالك زُهـرُ الوجـوه وأنتمُ ... تَبيَّنَ ضاحى لؤمِكم في الجحافلِ[2]

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء .

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازيّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدّثني المدائنيّ قال : عَيَّر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلّب بالبرص ، فقال له المغيرة : إنّ عِتاق الخيل لا تشينها الأوضاح[3] ، ولا تعير بالغررِ والحجُولِ ، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عَيَّره بالبرصِ : «إنّما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه» فهل تُغني يا ابن العجماء غنائي ، أو تقوم مقامي ؟ ثم نشِب الهِجاء بينهما .

نسختُ من نسخة ابن الأعرابيّ ، قال : كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المُفَضّل بن المهلّب ، فقال له المفضل : [من الطويل]

فلـم أرَ مِثلَ الحنظليّ ولونِهِ ... أكِيلَ كـرامٍ أو جليس أميرِ

فرفع المغيرة يده وقام مغضبا ، ثم قال له[4] : [من البسيط]

إنّي امرؤٌ حنظلِيٌّ حين تنسبُني ... لامِ العتِيك ولا أخوالي العَوَقُ[5]

العَوَق من يشكر ، وكانوا أخوال المفضل .

لا تحسبَنَّ بياضاً فِيّ منقصةً ... إنّ اللّهاميـم في ألوانهـا بلقُ

وبلغ المهلّب ما جرى ، فتناول المفضل بلسانه وشتمه ، وقال : أردتَ أن يتمضَّغ هذا أعراضَنا ، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إيّاه ؟ أمّا إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تُـؤْذِه . ثم بعث إليـه بعشرة آلاف درهم ، واستصفحه عن المفضل ، واعتذر إليه عنه ، فقبِل

1 الأملاء : جمع ملأ .
2 الجحافل : الشفاه .
3 الأوضاح : جمع وضح ، وهو التحجيل في القوائم .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 96 .
5 لامِ العتيك : لا من العتيك . والعتيك والعوق : قبيلتان .

رِفده وعذره ، وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحدٍ منهم .

رجع الخبرِ إلى سياقته مع زياد والمغيرة ، فقال المغيرة يجيب زياداً[1] : [من الكامل]

أزيادُ إنّك والذي أنا عبدُه ما دون آدمَ من أبٍ لك يُعلمُ
فالْحَق بأرضِك يا زيادُ ولا تَرُمْ ما لا تطيق وأنت عِلج أعجمُ
أظننتَ لؤمَكَ يا زياد يسدُّه قوس سترتَ بها قفاك وأسهمُ
علج تعصَّبَ ثم راق بقوسه والعلج تعرفه إذا يَتعمَّمُ
ألقِ العصابة يا زيادُ فإنّما أخزاك ربِّي إذ غدوتَ تَرَنَّمُ
واعلم بأنّك لست منّي ناجيا إلاّ وأنت ببَظْرِ أمّك ملجَمُ
تهجو الكرام وأنت ألأمُ من مشى حسباً وأنتَ العلجُ حين تَكَلَّمُ
ولقد سألت بني نزارٍ كلّهم والعالمين من الكهول فأقسموا
بالله مالَكَ في معدٍّ كلِّها حسبٌ وإنّك يا زياد موَذَّمُ

الموذم مثل توذمة الدلو ، فأجابه زياد فقال : [من الوافر]

ألم تَرَ أنَّني وتَّرت قوسي لأبقعَ من كلابِ بني تميمِ
عوى فرميته بسهامِ موتٍ كذاك يُرَدُّ ذو الحمقِ اللئيمُ
وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كسرتُ كعوبها أو تستقيمُ
هم الحشْوُ القليلُ لكلِّ حيٍّ وهمْ تَبَعٌ كزائدة الظليمِ
فلستَ بِسابقي هَرِما ولما يمرَّ على نواجذك القَدومُ
فحاوِلْ كيف تَنجُو مِن وِقاعِي فإنّك بعد ثالثةٍ رميمُ
سَراتُكم الكلابُ البُقْعُ فيكم للؤمِكم وليس لكم كريمُ
فقد قَدُمَتْ عُبودتُكم ودُمتم على الفَحْشاءِ والطبعِ اللئيمِ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا المدائنيّ قال :
قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء[2] : [من الوافر]

عجبتُ لأبْيضِ الخُصيينِ عبدٍ كأنّ عِجانه الشِّعرى العبورُ

1 شعر المغيرة بن حبناء : 102 .
2 شعر زياد الأعجم : 22 .

فقيل له : يا أبا أمامة ، لقد شرفته إذ قلت فيه :

كأنّ عجانــه الشعرى العبورُ

ورفعَت منه . فقال : سأزيده رفعةً وشرفاً ، ثم قال[1] : [من البسيط]

لا يبرحُ الدّهرَ منهم خارىءٌ أبداً إلاّ حسبتَ على بابِ استِه القمرا

قال ، وتَقاوَلا في مجلس المهلّب يوماً ، فقال المغيرة لزياد[2] : [من الوافر]

أقول لــه وأنكَــرَ بعضَ شأني ألم تعــرف رقاب بنــي تميمِ

فقال له زياد[3] : [من الوافر]

بلَــى فعرفتُهــنّ مقصّــراتٍ جِبــاهَ مذلَّــةٍ وسِبــالَ لومِ

[المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة]

نسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ ، قال : كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم : يا زياد ، أنت لساننا ، فاذبب عن أعراضِنا بشعرك ، فإنّ سيوفنا معك . فقال المغيرة بن حبناء فيه ، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له : [من الطويل]

يقولون ذبِّبْ يــا زياد ولم يكن لِيوقِــظَ في الحــربِ الملمَّةِ نائما
ولــو أنّهم جاءوا بــه ذا حفيظةٍ فيمنعَهُــم أو ماجــداً أو مراغما
ولكنّهم جاءوا بأقلَفَ قد مضت لــه حِججٌ سبعون يُصبح رازما[4]
لئيمــاً ذميمــاً أعجميّــاً لسانُــهُ إذا نــال دَنّــاً لم يبال المكارما
ومــا خلــتُ عبد القيس إلاّ نُفايةً إذا ذَكَــرَ الناس العُلا والعظائما
إذا كنتَ للعبدِيّ جــاراً فلا تَزلْ على حــذرٍ منه إذا كان طاعما
أناساً يُعــدُّون الفساء لجارهـــم إذا شَبعوا عنــد الجُبــاةِ الدراهما
من الفسوِ يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهــم إذا كان غارما
لهم زجَــلٌ فيه إذا ما تجاوَبُوا سمعــتَ زفيراً فيهــم وهَماهِما
لعمرك ما نجّى ابنَ زروان إذ عَوى ربيعــةُ مــنٌ يــوم ذلك سالما

---

1 شعر زياد الأعجم : 70 .

2 شعر المغيرة بن حبناء : 104 .

3 شعر المغيرة بن حبناء : 103–104 .

4 الرازم : الذي لا يقدر على النهوض من الهزال .

أظَنّ الخبيث ابنُ الخبيثَين أنَّني أسلِّم عرضي أو أهابُ المقاوِما
لعمركَ لا تَهدِي ربيعةُ للحجا إذا جعلوا يستنصِرون الأعاجما

[عبد القيس تعتذر إلى المغيرة]

قال : فجاءت عبد القيس إلى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، ما لنا ولك ، تعمُّنا بالهجاء لأنْ نَبَحك منّا كلب ، فقال وقلت ، قد تبرأنا إليك منه ، فإن هجاك فاهجُه ، وخلِّ عنّا ودَعْنا ، وأنت وصاحبُك أعلَم ، فليس منّا له عليك ناصر . فقال[1] : [من الطويل]

لعمرُك إنّي لابنِ زروان إذ عوى لمحتقِرٌ في دعوة الودِّ زاهدُ
وما لك أصلٌ يا زياد تعدُّه وما لك في الأرضِ العريضة والدُ
ألم تَرَ عبد القيس منك تبرّأتْ فلاقيتَ ما لم يلقَ في الناسِ واحدُ
وما طاش سهمي عنك يوم تبرّأتْ لُكَيز بنُ أفصى منك والجند حاشدُ
ولا غابَ قرنُ الشَّمسِ حتى تحدَّثت بنفيِك سُكانُ القُرى والمساجدُ

رفع «المساجد» ، لأنّه جعل الفِعل لها ، كأنّه قال : وأهل المسجد ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿واسأل القَرْيَة﴾ . وتحدَّثت المساجد ، وإنّما يريد من يصلّي فيها : [من الطويل]

فأصبحتَ عِلجاً من يَزُرْك ومن يزر بناتِك يعلمْ أنَّهنّ ولائدُ[2]
وأصبحن قُلفاً يعترِلْن بأُجرة حوالَيكَ لم تَجْرَحْ بهن الحدائدُ[3]
نَفَرنَ من الموسى وأقررنَ بالتي يقِرّ عليها المقرِفاتُ الكواسدُ[4]
بإصطخرَ لم يَلبَسْنَ من طُولِ فاقةٍ جديداً ولا تُلقى لهن الوسائدُ
وما أنتَ بالمنسوب في آلِ عامرٍ ولا ولدَتْكَ المحصَناتُ المواجدُ
ولا ربَّتك الحنظليّةُ إذْ غذت بنيها ولا جِيبت عليك القلائدُ[5]
ولكن غذاكَ المشركون وزاحمت قَفاكَ وخدَّيك البُظور العواردُ
ولم أرَ مِثلي يا زياد بِعِرضِه وعِرضِك يستبّانِ والسيف شاهدُ

1 شعر المغيرة بن حبناء : 84-85 .
2 ولائد : من الجواري .
3 قلفاً : أي لم يختن .
4 المقرفات : الهجينات .
5 ولا جيبت : ولا وضعت .

ولو أنّني غشّيتك السيفَ لم يقل إذا متّ إلاّ مات عِلجٌ معاهِدُ[1]

[تلاحي المغيرة مع أخيه صخر]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو بن أبي عمرٍو أيضاً ، قال : رجع المغيرة بن حبناء إلى أهلِهِ وقد ملأ كفَّيه بجوائزِ المهلّبِ وصِلاتِهِ والفوائد منه ، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغرَ منه ، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكَر مِثلُه ، ولا يزال يتعتّب عليه في الشيء بعد الشيء مِمّا ينكِره عليه ، فقال فيه صخر بن حبناء : [من الطويل]

رأيتُك لما نِلت مالاً وعَضَّنا زمانٌ نرى في حدِّ أنيابِه شغْبا
تجنَّى عليّ الدّهرُ أنّك موسرٌ فأمسكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه[2] : [من الطويل]

لحا الله أنآنا عن الضّيفِ بالقِرى وأقصَرَنا عن عِرضٍ والده ذَبّا
وأجدَرَنا أن يدخُلَ البيتَ باِستهِ إذا القفّ دلّى من مخارِمِه رَكبا[3]
أأنبأك الأفّاك عنّيَ أنّني أحرِّك عرضي إن لعبتَ به لعِبا

[أخت المغيرة تشكو إليه صخراً]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو ، قال : جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً ، وتذكر أنّه أسرع في مالِها وأتلفه ، وإنّها منعته شيئاً يسيراً بقي لها ، فمدّ يده إليها وضربها ، فقال له المغيرة معنّفاً[4] : [من الوافر]

ألا من مبلغٌ صخرَ بن ليلى فإنّي قد أتاني مِن نثاكا[5]
رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ إذا لم تَرْعَ حرمتَه رعاكا
وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ تُباع ، بمالِه يوماً فَداكا
يرى خيراً إذا ما نلتَ خيراً ويَشْجَى في الأمورِ بما شجاكا
فإنّك لا ترى أسماء أختاً ولا تَريَنَّني أبداً أخاكا

1 غشيتك في ل : قنعتك .
2 شعر المغيرة بن حبناء : 80 .
3 القف : الأرض الغليظة المرتفعة . المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الجبل .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 97 .
5 نثاك : أخبارك .

فإن تعنُفْ بهـا أو لا تصِلْها فإنّ لأمِّهـا ولـداً سِواكا
يَبَرٌّ ويستجيـبُ إذا دعتـه وإنْ عاصيتَـه فيهـا عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً على بَعضِ الرِّجال وفوق ذاكا
جزاني اللّهُ منك وقد جزاني ومِنِّـي في مَعاتبنـا جَزاكا
وأعقَبَ أصدَقَ الخَصْمينِ قولاً وولّـى اللـؤمَ أولانا بذاكا
فلا واللهِ لـو لم تَعصِ أمري لكنتَ بمعـزِلٍ عمّا هُناكا

قال : فأجابه أخوه صخر بن حَبناء فقال : [من الوافر]

أتاني عـن مُغِيرةَ ذَرْوُ قـولٍ تَعمَّـدَه فقلـت لـه كذاكا[1]
يعـمُّ بـه بني ليلى جميعاً فولٌ هجاءهم رجـلاً سِواكا
فإنْ تَكُ قد قطعت الوصلَ منّي فهـذا حـينَ أخلفَنـي مُناكا
تُمنِّيني إذا مـا غبتَ عنـى وتُخلِفنـي منـايَ إذا أراكا
وتُولِيني مَلامـةَ أهـلِ بيتي ولا تعطِي الأقاربَ غيرَ ذاكا
فإن تـكُ أختُنا عتبَتْ علينا فـلا تَصْرِم لِظِنّتهـا أخاكا
فإنَّ لهـا إذا عتبَـتْ علينـا رِضاهـا صابِرينَ لها بذاكا
وإن تكُ قد عتبتَ عليَّ جهلاً فـلا واللهِ لا أبغـي رضاكا
فقـد أعلنتُ قولَك إذ أتاني فأعلِـنْ مِـن مقالي ما أتاكا
سيُغْني عنك صخراً ربُّ صخرٍ كما أغناك عـن صخرٍ غِناكا
ويغنينـي الذي أغنـاكَ عنّي ويكفِينـي الإلـهُ كما كفاكا
ألَم تَرَني أجودُ لكـم بمالي وأرمِـي بالنَّواقِرِ من رماكا[2]
وأنّي لا أقـودُ إليك حرباً ولا أعصيك إن رجلٌ عصاكا
ولكنّـي وراءك شِمَّـريٌّ أحامي ، قد علِمتَ ، على حِماكا[3]
وأدفعُ ألسنَ الأعـداء عنكم ويَعنينـي العـدوُّ إذا عناكا

1 ذرو قول : طرف قول .
2 النواقر : جمع ناقرة ، وهي الداهية .
3 الشمّري : الماضي في الأمور .

وقـد كانت قُريبةُ ذات حقّ ... عليـكَ فلَـمْ تطالعْهـا بذاكا
رأيتُ الخيرَ يُقصَر منك دوني ... وتبلُغنـي القـوارصُ مِن أذاكا

[انتقال حبناء بن عمرو إلى نجران]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو أيضاً قال : كان حبناءُ بن عمرٍو قد غضِبَ على قومه في بعض الأمر ، فانتقل إلى نَجران ، وحمل معه أهلَه وولدَه ، فنظرت امرأتهُ سلمى إلى غلامٍ من أهل نَجران يضرب ابنه المغيرة ، وهو يومئذٍ غلام ، فقالت لحبناء : قد كنتَ غنياً عن هذا الذّلّ ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزَّ لك ! فقال حبناء في ذلك : [من الطويل]

تقـول سُليمـى الحنظليّـةُ لابنها ... غـلامٌ بنجـرانَ الغـداةَ غريبُ
رأتْ غِلمـة ثـاروا إليه بأرضهم ... كما هَـرَّ كلبُ الدّار بـين كَليبِ[1]
فقالت لقد أجْرى أبوك لِما ترى ... وأنت عزيـزٌ بـالعراق مَهيبُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمركَ مـا تدرِي أشيءٌ تريـده ... يلِيـك أمِ الشيءُ الذي لا تحاولُهْ
متى مـا يَشَأْ مستقبِسُ الشرِّ يَلقَه ... سريعـاً وتجْمعـه إليـه أناملُهْ

[هجاء زياد الأعجم أسرة المغيرة]

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق ، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل النَّضْرِي ، قال : كان المغيرة بن حبناء أبرص ، وأخوه صخرٌ أعور ، وأخوه الآخر مجذوماً ، وكان بأبيهم جِبْن ، فلقِّب حبناء ، واسمه جبير بن عمرٍو ، فقال زيادٌ الأعجم يهجوهم[2] : [من الخفيف]

إنّ حبناءَ كان يدعـى جُبيراً ... فدعَـوه مـن لؤمـه حبناءَ
ولَدَ العُورَ منه والبُرْصَ والجَذ ... مـى ، وذو الداءِ يُنتَج الأدواءَ

فيقال : إنّ هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به ؛ لأنّ المغيرة قال ، وقد بلغه هذا الشعر : ما ذنْبُنا فيما ذكره ، هذه أدواءٌ ابتلانا الله عزّ وجلّ بها ، وإنما يُعير المرء بما كسب وإنّي لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواءَ كلَّها ! فبلغ ذلك زياداً من قوله ، وإنّه لم يهجِه بعقب

1 كليب : جماعة الكلاب . في هذا البيت إقواء .
2 شعر زياد الأعجم : 43 .

هذه الأبيات ، ولا أجابه بشيءٍ ، فأمسك عنه ، وتكافآ .

[تفاضل الأخوين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبيه عن الأصمعي ، قال : لم يقل أحد في تفضيل أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمٍّ ، مثلَ قولِ المغيرةِ بن حبناء لأخيه صخر[1] : [من الوافر]

أبوك أبي وأنت أخـي ولكِنْ تفاضلتِ الطّبائعُ والظُّروفُ[2]
وأُمُّكَ حين تُنسَب أُمُّ صدقٍ ولكـنّ ابنهـا طَبِع سخيفُ[3]

قال : وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية ، وكان ضعيفاً ، يتمثّل بهذين البيتين .

[الحجّاج يتمثّل بشعر المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني أحمد بن محمد بن جُدّان ، قال : حدّثني أحمد بن محمد بن مخلدٍ المهلّبيّ ، قال : نظر الحجّاج إلى يزيد بن المهلّب يخطِر في مشيته ، فقال : لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول[4] : [من الطويل]

جَميـلُ المحيّـا بَخترِيٌّ إذا مشى وفي الدِّرعِ ضخمُ المَنكبين شِناقُ[5]

فالتفت إليه يزيد ، فقال : إنّه يقول فيها : [من الطويل]

شديدُ القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى مـن الدّيـن فتـقٌ حُمِّلوا فأطاقوا
مَراجيحُ في اللّأْواء إن نزلتْ بهم ميامينُ قد قادُوا الجيوش وساقوا[6]

[مصرع المغيرة]

أخبرني محمد بن مزيدٍ ، قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدّثني مَن حضر ابن حبناء لمّا قُتِل ، وهو يجود بنفسه ، فأخذ بيده من دمه ، وكتب بيده على صدره : «أنا المغيرة بن حبناء» . ثم مات .

1 شعر المغيرة بن حبناء : 94 .
2 تفاضلت في ل : تباينت .
3 الطّبع : دنيء الخلق لئيمه .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 95 .
5 بختري : حسن المشي . الشناق : الطويل .
6 مراجيح : ذوو أحلام وبصر بالأمور .

صوت

[من الرمل]

بسطَـتْ رابعـةُ الحبـلَ لنا فوصَلْنا الحبل منها مـا اتسعْ[1]
كيف تَرجُون سِقاطي بَعْدَما جَلَّـلَ الرأسَ بياضٌ وصلعْ[2]
رُبَّ مَن أنضجتُ غيظاً صدرَه قـد تمنَّى لِـيَ موتـاً لم يُطَعْ
ويحيِّينـي إذا لاقيتُـه وإذا أمكن مـن لحمـي رَتعْ
ويَـراني كالشَّجا في حَلقِـهِ عَسِراً مخرجُـه مـا ينتزعْ
وأبيتُ الليـلَ مـا أهجَعُه وبعينـيَّ إذا النّجْـم طَلَـعْ

الحبل هاهنا : الوصل ؛ والحبل أيضاً : السبب يتعلّق به الرجل من صاحبه ، يقال : عَلقتُ من فلانٍ بحبل ؛ والحبل : العهد ، والميثاق ، والعقد يكون بين القوم ؛ وهذه المعاني كلّها تتعاقب ويقوم بعضُها مقام بعض . والشّجا : كلُّ ما اغتُصَّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما .

الشعر لسويد بن أبي كاهلٍ اليشكريّ[3] ، والغناء لعَلُّويه ، ثاني ثقيل بالبِنصر ، عن عمرِو بن بانة في الأوّلِ والثاني من الأبيات ، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ماخوري بالوسطى ، عن علي بن يحيى ، والهشاميّ . ولمالكٍ فيها ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ أيضاً ، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ ، عن علي بن يحيى .

1 اتسع في ل : انقطع .
2 بياض في ل : مشيب .
3 انظر المفضلية الأربعين .

[237] ـ أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه[1]

[نسبه]

سُوَيد بن أبي كاهل بن حارثة بن حِسلِ بنِ مالك بن عبد سعدِ بن جُشَم بن ذُبيان بن كنانة بن يشكر . وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبي كاهل شبيب ، ويكنى سويد أبا سعدٍ .

أنشدني وكيعٌ عن حمادٍ ، عن أبيه ، لسويد بن أبي كاهلٍ شاهداً بذلك : [من الرجز]

أنـا أبو سعدٍ إذا اللَّيلُ دجـا   دخلْتُ في سرباله ثُـمّ النّجا

[طبقته بين الشعراء]

وجعله محمد بن سلامٍ في الطبقة السادسة ، وقرَنَه بعنترة العبسيّ وطبقته .

وسويد شاعر متقدّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، كذلك ذكر ابن حبيبٍ . وكان أبوه أبو كاهل شاعراً ، وهو الذي يقول : [من البسيط]

كأنّ رحلي على صَقعاءَ حادرةٍ   طَيًّا قد ابتلَّ من طَلٍّ خَوافيها[2]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق البغَويّ ، قال : حدّثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعرَ سويد بن أبي كاهلٍ على الأصمعيّ ، فلمّا قرأ قصيدته : [من الرمل]

بَسطـتْ رابعـةُ الحبـلَ لنـا   فوصَلْنا الحبلَ منهـا مـا اتّسعْ

فضّلها الأصمعيّ ، وقال : كانت العرب تفضّلها وتقدّمها وتعدُّها من حِكمها . ثم قال الأصمعيّ : حدّثني عيسى بن عُمَر أنّها كانت في الجاهلية تسمَّى : «اليتيمة» .

[بين سويد وزياد الأعجم]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع ، قال : حدّثني محمد بن الهيثم بن عديّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن عبّاس ، قال : قال زيادٌ الأعجم يهجو بني يشكرٍ[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة سويد بن أبي كاهل في طبقات ابن سلام : 152–153 والشعر والشعراء : 334–335 والسمط 313 والإصابة 3 : 173 والخزانة 6 : 125–127 . وانظر شرح المفضليات .

2 الصقعاء : التي لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطير . طيا : جائعة .

3 شعر زياد الأعجم : 69 .

إذا يشكُريٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه فلا تذكرنّ اللهَ حتّى تَطهَّرا
فلو أنَّ مِن لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ إذاً لأماتَ اللؤمُ لا شَكَّ يشكُرا

قال : فأتت بنو يشكُرَ سويد بن أبي كاهلٍ ليهجو زياداً ، فأبى عليهم ، فقال زياد[1] : [من الطويل]

وأُنبِئتُهم يَستصرِخون ابنَ كاهلٍ وللؤم فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإنْ يأتِنا يرجعْ سويدٌ ووجهُه عليه الخَزايا غُبرةٌ وقتامُ
دعيٌّ إلى ذُبيانَ طوراً ، وتارة إلى يشكرٍ ما في الجميعِ كِرامُ

فقال لهم سويد : هذا ما طلبتم لِي ! وكان سويد مغلّبا . وأمّا قوله :

دَعيٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً إلى يشكر . . . .

[خبر أمّ سويد]

فإنّ أُمّ سويد بن أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر ، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بن قيس بن عيلان ، فمات عنها ، فتزوّجها أبو كاهلٍ ، وكانت فيما يقال حاملاً ، فاستلاط[2] أبو كاهل ابنَها لّما ولدته ، وسَمّاه سويداً ، واستلحقه ، فكان إذا غضب على بني يشكر ادَّعى إلى بني ذبيان ، وإذا رضِي عنهم أقام على نسبه فيهم .

وذكر عَلاّن الشُّعوبي ، أنّه ولِد في بني ذبيان ، وتزوّجت أُمُّه أبا كاهل ، وهو غلام يَفَعة ، فاستلحقه أبو كاهل وادَّعاه ، فلحق به .

[سويد ينتمي إلى قيس]

ولسويد بن أبي كاهلٍ قصيدةٌ ينتمِي فيها إلى قيس ، ويفتخر بذلك ، وهي التي أوّلها : [من الطويل]

أَبى قلبُه إلاّ عميرةَ إن دنت وإن حضَرت دارَ العِدا فهو حاضرُ
شَموسٌ حَصانُ السِّرِّ ريّا كأنّها مُربَّبةٌ مِمّا تضمَّن حائِرُ[3]

ويقول فيها أيضاً : [من الطويل]

أنا الغطفانِي زينُ ذُبيانَ فابعدوا فَللزّنجُ أدنى منكم ويُحابِرُ

1 شعر زياد : 96 .
2 استلاطه : ادعاه .
3 مربية : درة يعملها الصدف في الماء . والحائر : مجتمع ماء البحر .

أبـت لِيَ عبسٌ أن أسامَ دَنيّـةً ... وسعدٌ وذبيـانُ الهِجـانُ وعامِـرُ
وحـيٌّ كـرامٌ سادةٌ من هَوازِنٍ ... لهم في المِلمّاتِ الأنُوفُ الفواخرُ

[هجاؤه بني شيبان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثنا أحمد بن معتّبٍ الأَوْدي عن الحِرمازِي ، أنّ سويدَ بن أبي كاهلٍ جاور في بني شيبان ، فأساءوا جِواره ، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً ، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر ، وكان الذي ظلمه وأخذ مالَه أحدَ بني محلِّم ، فقال يهجوهم وإخوتَهم بني أبي ربيعة : [من الكامل]

حَشَرَ الإلـه مع القُرودِ محلِّما ... وأبـا ربيعـة ألأمَ الأقوامِ
فلأُهدِينَّ مع الرِّيـاحِ قصيدة ... منّـي مُغلغَلـة إلى هَمّـامِ[1]
الظاعنين على العمـى قُدّامهم ... والنازلـين بِشرِّ دار مُقـامِ
والواردين إذا الميـاه تُقُسِّمت ... نُزُحَ الرَّكِيِّ وعاتِـمَ الأسدامِ[2]

وقال يهجو بني شيبان : [من الطويل]

لعمرِي لبئس الحيُّ شيبانُ إنْ علا ... عُنيزةَ يـومٌ ذو أهابِـيَّ أغبرُ[3]
فلمّـا التقَوا بالمشرفيةِ ذَبذبت ... مولِّيـةً أستاهُ شيبانَ تقطُـرُ

يعني يوم عنيزة ، وكان لبني تغلب على بني شيبان ، وفيه يقول مهلهِل : [من الوافر]

كأنّـا غُـدوةً وبني أبينا ... بجنـب عُنيزةٍ رَحَيـا مُديـرِ

وقال أيضاً : [من الطويل]

فـأدُّوا إلى بهراءَ فيكـم بناتِهِ ... وأبنـاءه إنّ القضاعـيَّ أحمـرُ

[يعيّر بني شيبان بأنّ نساءهم ردّت من الأسر حبالى]

كانت بهراء أغارات على بني شيبان ، فأخذوا منهم نساء ، واستاقوا نَعَما ، ثمّ إنّهم اشتروا منهم النِّساء ، وردُّوهنّ ، فعيّرهم سويد بأنّهم رُددنَ حبالى ، فقال : [من الطويل]

ظَللن يُنازِعنَ العضاريطَ أُزْرَها ... وشيبانُ وسطَ القطقطانةِ حُضّرُ[4]

---

1 مغلغلة : سائرة في البلاد .

2 نزح : آبار نفد ماؤها . الركي : جمع ركية ، وهي البئر . العاتم : المحتبس . الأسدام : جمع سدم ، وهو الماء المندفن .

3 ذو إهابي : ذو تراب مثار .

4 العضاريط : الأتباع والأجداء . القطقطانة : موضع كان سجن النعمان بن المنذر .

فمنّا يزيدُ إذ تحدَّى جُموعَكم فلم تُفرِحوه ، المرزُبان المسوَّرُ[1]

يزيد : رجل من يشكر ، برز يوم ذي قارٍ إلى أسوارٍ ، وحمل على بني شيبان ، فانكشفوا من بين يديه .

فاعترضه اليشكريُّ دونهم ، فقتله ، وعادت شيبان إلى موقِفها ، ففخر بذلك عليهم ، فقال : [من الطويل]

وأَحجمتمُ حتّى علاهُ بصارمٍ حسامٍ إذا مَسَّ الضَّريبةَ يبترُ[2]
ومنّا الذي أوصى بثُلثِ تُراثِه على كلّ ذي باع يقِلُّ ويكثرُ
ليالي قُلتم يا ابن حِلِّزةَ ارتحِلْ فزابِن لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصرِ[3]
فأدَّى إليكم رهنَكم وسطَ وائل حباه بها ذُو الباع عمرُو بنُ منذرِ

يعني الحارث بن حلّزة ، لمّا خطبه دون بكرِ بن وائلٍ حتى ارتجع رهائنهم . وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه .

[بنو شيبان تستعدي عليه والي الكوفة]

قال : فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعودٍ الجمحِي ، وكان والي الكوفة ، فدعا به ، فتوعَّده ، وأمره بالكفِّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه ، فتعصَّبت له قيس ، وقامت بأمره حتى تخلّصَتْه ، فقال في ذلك : [من الطويل]

يكفُّ لساني عامرٌ وكأنّما يكفّ لساناً فيه صابٌ وعلقمُ
أتتركُ أولادَ البغايا وغِيبتي وتحبسُني عنهم ولا أتكلّمُ
ألم تعلموا أنّي سويدٌ وأنّني إذا لم أجد مُستأخَراً أتقدَّمُ
حسِبتُمْ هِجائي إذ بَطِنتم غنيمةً عليَّ دماءُ البُدْنِ إن لم تَندَّموا

[بين سويد وابن الغبري]

قال الحرمازيّ في خبره هذا : وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبرِي ، فطلبهما عبدُ الله بن عامرِ بن كريزٍ ، فهربا من البصرة ، ثم هاجى الأعرج أخا بني حَمّالِ بن يشكر ، فأخذهما صاحبُ الصدقة ، وذلك في أيّام ولايةِ عامر بن مسعودِ الجمحيّ الكوفةَ ، فحبسهما ، وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤدّيا مائةً من الإبل ، فخاف بنو حَمّالٍ على

1 تفرحوه في ل : يقربوه . وتفرحوه : تغلبوه . المرزبان : الفارس الشجاع . المسور : المرتفع .
2 الضريبة : المضروب بالسيف .
3 زابن : دافع .

صاحبهم ففكّوه ، وبقي سويد ، فخذله بنو عبد سعد ، وهم قومه ، فسأل بني غُبَر ، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعِرهم ، فقال : [من الرجز]

مَن سَرَّه النَّيكُ بغير مـال فالغُبَرِيّـاتُ على طِحـالِ[1]
شواغـر يُلْمِعن للقُفّالِ[2]

[استوهبته عبس وذبيان]

فلمّا سأل بني غُبَر ، قالوا له : يا سويد «ضيعت البِكار بطِحال»[3] فأرسلوها مثلاً . أي أنّك عَمَمت جماعَتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة ، فضاع منك ما قدّرت أنّا نفديك به من الإبل . فلم يزل محبوساً حتى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، فأطلقوه بغير فداء ، وتركوه ولم يأخذوا منه شيئاً .

صوت

[من الطويل]

أَخِضْني المُقامَ الغَمْر إنْ كان غَرَّني سَنا خُلّـبٍ أو زلّـتِ القدمـانِ[4]
أتتركُنـي جَـدْبَ المعيشةِ مقفِرا وكفّاك مِن مـاء النّدى تكِفَانِ[5]

الشعر للعتّابيّ ، والغناء لمخارق ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وقيل : إن فيه للواثق ثانيَ ثقيلٍ آخر .

1 طحال : موضع .
2 شواغر : رافعات أرجلهن للنكاح . يلمعن : يشرن . القفال : العائدون .
3 مستقصى الزمخشري 2 : 149 .
4 الغمر : الغزير .
5 تكفان : تقطران .

[238] ـ أخبار العتابيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كلثوم بن عمرٍو بن أيّوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مالكٍ عتاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلبٍ . شاعر مترسِّل بليغ مطبوع ، متصرِّف في فنون الشِّعر ومقدَّم . من شعراء الدولة العباسية ، ومنصور النَّمَريّ تلميذه وراويته ، وكان منقطِعاً إلى البرامكة ، فوصَفُوه للرّشيد ، ووصلوه به ، فبلغ عنده كلَّ مَبْلغ ، وعظُمت فوائده منه ، ثم فسدت الحال بينه وبين منصورٍ وتباعدت . وأخبار ذلك تُذكَر في مواضعها .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني جعفر بن المفضَّل ، عن رجل من ولد إبراهيم الحرّانيّ ، قال : كثُر الشّعراء بباب المأمون ، فأوذِن بهم ، فقال لعليٍّ بن صالح صاحب المصلَّى : اعرِضْهم ، فمَن كان منهم مُجيداً فأوصِله إليّ ، ومَن كان غير مجيدٍ فاصرفه . وصادف ذلك شُغْلاً من عليٍّ بن صالحٍ كان يريد أن يتشاغل به من أمرِ نفسِه ، فقام مُغضباً ، وقال : واللهِ لأعمَّنَّهم بالحِرمان ، ثم جلس لهم ، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القُرب منه ، فقال لهم : على رِسلِكم فإنَّ المدى أقرب من ذلك ، هل فيكم مَن يُحسِن أن يقول كما قال أخوكم العتابيّ : [من البسيط]

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ... ناداك في الوحـي تقديسٌ وتطهيرُ
فُـتَّ المَمَـادحَ إلاّ أنَّ ألسننا ... مُستنطَقاتٌ بمـا تحوي الضَّمائرُ

قالوا : لا واللهِ ما منا أحدٌ يُحسِن أن يقول مثل هذا ، قال : فانصرفوا جميعاً .

[التكلّف في شعر العتابيّ]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهلٍ ، قال : تذاكرنا شعر العتّابيّ ، فقال بعضُنا : فيه تكلُّف ، ونصَره بعضُنا ، فقال شيخٌ حاضر : ويحكم أيقال إن في شعره تكلّفاً وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

---

1 ترجمة العتابي في تاريخ بغداد 12 : 488 وطبقات ابن المعتزّ : 261 والشعر والشعراء : 740 وكتاب بغداد لابن طيفور 69 ، 87–88 ومعجم الأدباء 2243–2246 ومعجم المرزباني : 244 والوزراء والكتّاب للجهشياري : 181 والموشح : 449 والبيان والتبيين 1 : 51 والفهرست : 134–135 وابن خلكان 4 : 122 والوافي للصفدي وفوات الوفيات 3 : 219 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ومروج الذهب 4 : 216 وانظر بروكلمان 2 : 36–37 والتذكرة الحمدونية في مواضع عديدة .

رُسُل الضّمير إليك تَتْرى بالشّوقِ ظالعة وحَسْرى[1]
متزجِّياتٍ ما يَنيـنَ على الوَجى من بُعدِ مَسْرى[2]
ما جَفّ للعينين بَعْـدك يا قريرَ العينِ مَجْرى
فاسلَمْ سَلِمت مبرّأً مِن صَبوتي أبداً مُعرَّى
إنّ الصَّبابة لم تَدَعْ منّي سِوى عظمٍ مُبَرَّى
ومدامعٍ عَبْرى على كَبِدٍ عليك الدَّهرَ حَرَّى

في هذين البيتين غناء ، أو يقال : إنّه متكلّف ؟ وهو الذي يقول : [من المتقارب]

فلو كان للشكرِ شخصٌ يَبِينُ إذا ما تأمّلَه النّاظرُ
لمثّلتُه لك حتّى تراه لِتعلم أنّي امرؤٌ شاكرُ

الغناء في هذين البيتين لأبي العَنْبَس ، ثقيل أوّل ، ولِرذاذٍ خفيف ثقيل . فحدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختيّ عن أبي الحسن عليّ بن العبّاس وغيره من أهله قالوا : لمّا صنع رَذاذ لحنَه في هذا الشعر : [من المتقارب]

فلو كان للشُّكر شخصٌ يبين

فُتِن به الناس ، وكان هِجّيراهم[3] زماناً ، حتى صنع أبو العَنْبَس فيه الثقيل الأوّل ، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه .

[المأمون يطلب إشخاصه]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد ، قالوا جميعاً : كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرٍو العتابي ، فلمّا دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغتني وفاتُك فساءتني ، ثم بلغتني وِفادتُك فسرّتْني . فقال له العتابيّ : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسِعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خَصَصتني منهما بما لا يتّسِع له أُمنية ، ولا يبسط لسواه أمَل ، لأنّه لا دِين إلاّ بِك ، ولا دنيا إلاّ معك . فقال له : سلني . فقال : يدك بالعطاء أطلَقُ من لساني بالسؤال . فوصله صلاتٍ سنيّة ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى مَحَلّ .

1 ظالعة : ظلع البعير أي غمز في مشيته . والحسرى : المتعبة .
2 متزجية : منساقة . الوجى : الحفا .
3 هجيراهم : دأبهم .

[مداعبة المأمون للعتابيّ]

وذكر أحمد بن أبي طاهرٍ عن عبد الله بن أبي سعدٍ الكُرانيّ ، أنّ عبد الله بن سعيد بن زرارة ، حدّثه عن محمد بن إبراهيم اليساريّ ، قال : لمّا قدِم العتابيّ مدينة السلام على المأمون ، أذِن له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وكان العتابيّ شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلَّم فردَّ عليه وأدناه ، وقرّبه حتى قرب منه ، فقبّل يده : ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن حاله ، وهو يجيبه بلسان ذَلْق طَلْق . فاستظرف المأمون ذلك ، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظنّ الشيخ أنّه استخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين : الإيناس قبل الإبساس[1] . فاشتبه على المأمون قولُه ، فنظر إلى إسحاق مستفهماً ، فأومأ إليه ، وغمزه على معناه حتّى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينارٍ ! فأُتِي بذاك ، فوضعه بين يدي العتابيّ ، وأخذوا في الحديث ، وغمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه ، فجعل العتابيّ لا يأخذ في شيء إلاّ عارضه فيه إسحاق ، فبقي العتابيّ متعجّباً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم ، سل . فقال لإسحاق : يا شيخ مَن أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمي كلْ بَصَلْ . فتبسّم العتابيّ وقال : أمّا أنت فمعروف ، وأمّا الاسم فمنكر . فقال إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمي كُلْ بصل ؟ واسمك كُلْ ثوم ، وكُلْ ثُومْ من الأسماء ، أوليس البصل أطيب من الثُّوم ؟ فقال له العتابيّ : لله درُّك ، فما أحجَّك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصِله بما وصلتني به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفَّر عليك ونأمر له بمثله . فقال له إسحاق : أمّا إذا أقررت بهذا ، فتوهَّمْني تجِدْني ، فقال : ما أظنُّك إلاّ إسحاق الموصليّ ، الذي تناهى إلينا خيرُه ، قال : أنا حيث ظننت . وأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون ، وقد طال الحديث بينهما : أمّا إذ قد اتّفقتُما على المودّة فانصرفا متنادِمين . فانصرف العتّابيّ إلى منزل إسحاق فاقام عنده .

[عبد الله بن طاهر يعجب بشعر العتابيّ]

وذكر أحمد بن طاهرٍ أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبديّ ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميميّ ، قال : وفد إلى عبد الله بن طاهرٍ جمعٌ[2] من الشعراء ، فعَلِم أنّهم على بابه ، فقال لخادمٍ له أديبٍ : اخرج إلى القوم ، وقل لهم : مَن كان منكم يقول كما قال العتابيّ للرشيد : [من البسيط]

1 المثل «الايناس قبل الابساس» . انظر الميداني 1 : 59 وجمهرة العسكري 1 : 196 ومستقصى الزمخشري 1 : 303 .

2 جمع في ل : عدة .

مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... مـا بينهنّ وبـين اللهِ معمورُ

فليدخل ، وليعلم أنّي إن وجدته مقصِّراً عن ذلك حَرَمتُه ، فمَن وثِقَ من نفسه أنّه يقول مثل هذا فليقم . قال : فدخلوا جميعاً إلاّ أربعة نفر .

[الرشيد يرضى عنه ويجيزه]

أخبرني الحسن بن علي قال ، حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بن الحدين ، قال : وَجِد[1] الرشيد على العتابيّ ، فدخل سرّاً مع المتظلّمين بغير إذن ، فمَثَل بين يدَي الرشيد ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك ، وردّني ابتلاؤهُم إلى شكرك ، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك ، ولنعم الصَّائن لنفسي كنتُ ، لو أعانني عليك الصبر . وفي ذلك أقول : [من الطويل]

أخِضْنِي المَقامَ الغَمرَ إن كان غرّني ... سنا خُـلّـبٍ أو زلّـتِ القدمانِ

أتتركُني جَـدبَ المعيشةِ مُقتِراً ... وكفّاك مـن مـاء الندى تكِفانِ

وتجعلُني سَهْـمَ المَطامعِ بعد ما ... بَلَلـت يمينـي بالنّـدى ولساني

قال : فأعجَب الرشيدَ قوله ، وخرج وعليه الخِلَعُ ، وقد أمر له بجائزةٍ ، فما رأيتُ العتابيّ قطُّ أبسط منه يومئذٍ .

[بشار ينفس على العتابي إجادته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا أحمد بن خلادٍ ، قال : حدّثني أبي ، قال : جاء العتابيّ وهو حَدَثٌ إلى بشّار ، فأنشده : [من الوافر]

أيَصدِف عن أمامـةَ أم يُقِيم ... وعهـدُك بالصِّبا عهـدٌ قديمُ

أقـول لُمستَعارِ القَلـبِ عَفّى ... على عَزَماتِـه السّيرُ العـديمُ

أمـا يكفيكَ أنّ دموعَ عيني ... شآبيـبٌ يفيض بهـا الهمومُ

أشِيمُ فـلا أردُّ الطرف إلاّ ... على أرجائِـه مـاءٌ سَجُومُ[2]

قال : فمدّ بشارٌ يده إليه : ثم قال له : أنت بصير ؟ قال : نعم . قال : عجباً لبصيرٍ ابن زانيةٍ ، أن يقول هذا الشعر ، فخجِل العتابي وقام عنه .

[العتابيّ ويحيى بن خالد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب ، قال : حدّثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن

1 وجد : غضب .

2 أشيم : أنظر . سجوم : كثير .

إسحاق ، قال : كلّم العتّابيُّ يحيى بن خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ ، فقال له يحيى : لقد نَدَر كلامُكَ اليومَ وقلّ . فقال له : وكيف لا يَقلُّ وقد تكنّفَني ذُلُّ المسالة ، وحَيرة الطَّلَب ، وخوفُ الردّ ؟! فقال : والله لئن قلّ كلامُكَ لقد كثرت فوائدُه . وقضى حاجته .

[طالب حاجة لم تقض حاجته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن الحسين الزاهد قال : سأل رجل العتابي حاجة لم يقض إياها فلقيه العتابي يوماً فقال له : ألا تريد الحاجة التي سألتني ، قال : بلى ، قال : فلم لا تنقضني إياها ؟ أما سمعت قول الشاعر : [من الوافر]

وإذا لم تنجــزني عداتــي فأنت وشكرها أعيا جوابا

[يتغوط على الطريق]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أحمد بن خالد البرمكي قال : حدّثني الصقر بن مجاهد قال : رايت العتابي وقد خرجنا من سفينة وقد جلس يتغوط على الطريق فقلت له في ذلك ، فقال : ما لهؤلاء السفل حرمة ولا منك يا أخي حشمه فلم أتكلف ما يثقل عليك .

[الناس في نظر العتابي بقر]

وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عثمان الورّاق ، قال : رأيتُ العتابيّ يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيتَ لو كنا في دار فيها بقَر ، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبِرْ حتى أُعلمك أنّهم بقر . فقام فوعظ وقصَّ ودعا ، حتى كثُر الزِّحام عليه ، ثم قال لهم : رَوى لنا غيرُ واحدٍ ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبة أنفِهِ لم يدخل النار . فما بقي واحدٌ إلاّ وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفِهِ ، ويقدِّره هل يبلغها أم لا ؟ فلمّا تفرقوا ، قال لي العتابيّ : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

[إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي]

أخبرني الحسن حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو عصامٍ محمد بن العبّاس ، قال : قال يحيى بن خالد البرمكيّ لولده : إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرٍو العتابي ، فضلاً عن رسائله وشعره ، فلن ترَوا أبداً مثله .

[كتاب العتابي إلى صديق له]

أخبرني أبي ، قال : أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا الخرّاز عن ابن الأعرابيّ ، قال : أنكر العتابيّ على صديقٍ له شيئاً ، فكتب إليه : «إمّا أن

تقرّ بذنبك فيكون إقرارُك حجّةً علينا في العفو عنك ، وإلاّ فطِب نفساً بالانتصاف منك ، فإنّ الشاعر يقول : [من البسيط]

أقرِرْ بذَنبك ثـمّ اطلبْ تجاوُزَنا عنـه فـإن جحودَ الذّنب ذنبان

[جعل يحيى بن أكثم يستأذن له على المأمون]

أخبرنا الحسن بن عليّ ، أخبرنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الواحد بن محمدٍ ، قال : وقف العتابيّ بباب المأمون يلتمس الوصول إليه ، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن ، فقال له : إن رأيتَ ، أعزّك الله ، أن تذكُرَ أمري لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل . قال له : لستُ ، أعزّك الله ، بحاجبِه . قال : فإن لم تكنْ حاجباً فقد يفعل مثلُك ما سألت ، واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، جعل في كلّ شيءٍ زكاة ، وجعل زكاةَ المال رَفد المستعين ، وزكاة الجاه إغاثةَ الملهوف . واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، مقبل عليك بالزيادة إن شكرت ، أو التغيير إن كفَرت ، وإنّي لك اليوم أصلَحُ منك لنفسك ، لأنّي أدعوك إلى ازدياد نعمتِك ، وأنت تأتي . فقال له يحيى : أفعَلُ وكرامةً . وخرج الإذن ليحيى ، فلمّا دخل ، لم يبدأ بشيءٍ بعد السلام إلاّ أن أستأذن المأمون للعتابيّ ، فأذِن له .

[العتابيّ وقبول العذر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل ، قال : قال العتابيّ لرجلٍ اعتذر إليه : إنّي إن لم أقبل عُذرَك لكنتُ ألأم مِنك ، وقد قبلتُ عذرك ، فدُمْ على لَومِ نفسك في جنايتك ، نزد في قبول عُذرك ، والتَّجافِي عن هفوتك .

[العتابيّ والزواج]

قال : وقيل له لو تزوّجت ! فقال : إنّي وجدتُ مكابدة العِفّة أيسَرَ عليَّ من الاحتيال لمصلحة العِيال .

[تقدير المأمون للعتابيّ في شيخوخته]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : قال جعفر بن المفضل ؛ قال لي أبي : رأيت العتّابيَّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنَّ ، فلمّا أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال يُنهضه رويداً رويداً حتّى أقلّه فنهض ، فعجبت من ذلك ، وقلتُ لبعض الخدم : ما أسوأ أدب هذا الشيخ ، فمَن هو ؟ قال : العتّابيّ .

[حسد دعبل وابن مهرويه للعتابي على شعره]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني محمد بن الأشعث ، قال : قال دعبل : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعرٍ كما حسدت العتّابيّ على قوله : [من المديد]

هَيْبة الإخـــوان قاطِعـةٌ　　لأخي الحاجاتِ عن طَلَبِهْ
فإذا مـــا هِبــتُ ذا أَمَلٍ　　مات ما أمّلت مــن سببِهْ

قال ابن مهرويه : هذا سرقه العتابيّ من قول عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : «الهيبة مقرونة بالخيبة ، والحياء مقرونٌ بالحِرمان ، والفُرصة تمرُّ مَرَّ السحاب» .

حدّثني محمد بن داود ، عن أبي الأزهرِ ، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفريّ عن أخيه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بذلك .

[ثلاث جوائز من عبد الله بن طاهر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن أبي الشِّبل . قال : دخل العتابيّ على عبد الله بن طاهر ، فمثل بين يديه ، وأنشده : [من الخفيف]

حُسن ظنّي وحسنُ مـا عوّدَ اللـ　　ـهُ سِواي منك الغـداةَ أتى بي
أيُّ شيءٍ يكون أحسن من حُسـ　　ـنِ يقــينٍ حــدا إليـك رِكابي

قال : فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل عليه من الغد ، فأنشده : [من السريع]

ودُّكَ يكفينيـــكَ في حاجتــــي　　ورؤيتــي كافيـــةٌ عـــن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عِشتَ لي　　وإنّمــا كفّــاك لي بيـت مالْ

فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل في اليوم الثالث ، فأنشده : [من الخفيف]

بَهجات الثِّيابِ يُخلِقها الدّهـ　　ـرُ وثوبُ الثّناء غضٌّ جديدُ
فاكسُني مـا يَبِيد أصلحَكَ اللـ　　ـهُ فالله يكسُوك ما لا يبِيدُ

فأمر له بجائزةٍ ، وأنعم عليه بخِلعةٍ سنِيّةٍ .

[العتابي وطوق بن مالك]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبو دِعامة ، قال : قال طوق بن مالكٍ للعتابيّ : أما تَرى عشيرتك ؟ ، يعني بني تغلب ، كيف تُدِلُّ عليّ ، وتتمرّغ وتستطيل ، وأنا أصبِر عليهم ؟ فقال العتابيّ : أيُّها الأمير إنّ عشيرَكَ مَن أحسَنَ عِشرتَك ، وإنّ عمَّك من عمَّك خيرُه ، وإنّ قريبَك من قرُب منك نفعُه ، وإنّ أخفَّ الناسِ عندك أخفُّهم ثِقْلاً عليك[1] ، وأنا الذي أقول : [من الكامل]

إنّي بلـوتُ النّـاسَ في حالاتهم　　وخَبَرتُ مـا وصلوا من الأسبابِ

1 هذه أمثال .

فــإذا القرابــةُ لا تقــرِّب قاطعاً وإذا المــودّةُ أقــربُ الأنسابِ

[طاهر بن الحسين يصلح بينه وبين النمريّ]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال حدّثنا الرياشيّ ، قال : شكا منصور النمريّ العتّابيَّ إلى طاهر بن الحسين ، فوجّه طاهر إلى العتّابيّ ، فأحضره ، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما ، وسأل طاهرٌ العتّابيّ أن يصالحه ، فشكا سوءَ فِعله فسأله أن يصفح عنه ؛ فقال : لا يستحقُّ ذلك . فأمر منصوراً بالخروج ، فخرج وقال للعتابيّ ، لِم لا أستحقُّ هذا منك ؟ فأنشأ العتابيُّ يقول : [من البسيط]

أَصْحَبْتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرِفُه حقّاً ولا لك في استِصحابه أرَبُ
لم تَرتَبِطْـك على وصلي محافظَة ولا أعاذَكَ ممّــا اغتالك الأدَبُ
ما مِن جَميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به إلاّ إليّ وإن أنكــرتَ ينتسِبُ

قال : فأصلح طاهرٌ بينهما ، وكان منصور من تعليم العتابيّ وتخريجه ، وأمر طاهر للعتابيّ بثلاثين ألف دِرهم .

أخبرني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفِهريّ عن العبّاس بن أبي ربيعة السلميّ ، قال : شكا منصور النمريّ كلثوم بن عمرٍو العتّابيّ إلى طاهرٍ . ثم ذكر مِثله .

[العلم والأدب أفضل من المال]

أخبرني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب ، قال : حدّثني أبو هفان ، قال : كان العتابيّ جالساً ذات يوم ينظر في كتابٍ ، فمرَّ به بعض جيرانه ، فقال : أيش ينفع العِلم والأدب مَن لا مال له ؟ فأنشد العتابيّ يقول : [من البسيط]

يــا قاتــل اللهُ أقواماً إذا ثَقِفُوا ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحَكَمِ
قالــوا وليس بِهِــم ألاّ نفاستُــه أنافــعٌ ذا مــن الإقتــار والعَدَمِ[1]
وليس يَدْرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا لحاهم الله ، مِــنْ عِلمٍ ومِن فَهَمِ

[قوله في عزل طاهر بن علي]

أخبرني علي بن صالح وعمّي ، قالا : حدّثنا أحمد بن طاهرٍ ، قال : حدّثنا أبو حيدرة الأسديّ ، قال : قال العتابيّ في عزل طاهر بن علي ، وكان عدوَّه : [من مجزوء الكامل]

1 النفاسة : الحسد . الإقتار : القلة والفاقة .

يــا صاحبــاً متلوِّنــاً ... متباينــاً فِعــلي وفِعلُه
مــا إنْ أُحِبُّ له الرّدى ... ويَسُرُّني واللهِ عزلُـــه
لم تَعْـدُ فيما قلتَ لي ... وفعلتَ بي ما أنتَ أهلُه
كَم شاغلٍ بك عَدْوتَيه ... وفارِغٌ مَنْ أنت شُغْلُه[1]

[وشاية النمريّ بالعتابيّ عند الرشيد]

أخبرني أحمد بن الفرج ، قال : حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاءٍ الحرانيّ عن عبيد الله بن عمارٍ ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج ، قال : لمّا سعى منصورٌ النمريُّ بالعتابيّ إلى الرشيد اغتاظ عليه ، فطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة ، وجعل يستطعفُه عليه ، حتّى استلَّ ما في نفسه ، وأمّنه ، فقال يمدح جعفر بن يحيى : [من البسيط]

مــا زلـتُ في غَمَرات الموتِ مُطَّرَحا ... قد ضاق عنّي فسيحُ الأرض ِمِن حِيَلي
ولم تَــزلْ دائبــاً تَسعى بلُطْفك لي ... حتّى اختلست حياتي من يدَيْ أجلي

[عاده عبد الله بن طاهر في مرضه]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن خلادٍ عن أبيه ، قال : عاد عبد الله بن طاهرٍ وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، كلثوم بن عمرو العتابيَّ ، في عِلّةٍ اعتلّها ، فقال الناس : هذه خَطرةٌ خطرت ؛ فبلغ ذلك العتابيَّ ، فكتب إلى عبد الله بن طاهر : [من الكامل]

قالوا الزِّيارةُ خَطـرةٌ خطرَتْ ... ونِجــارُ بِــرِّك ليس بالخَطَرِ[2]
أبطِـــلْ مقالتَهـــم بثانيـــةٍ ... تستنفد المعروفَ من شُكري

فلمّا بلغت أبياتُه عبد الله بن طاهر ضحِكَ من قوله ، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم ، فعاداه مرة ثانية .

[عتاب عبد الله بن هشام له وجوابه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبيّ ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : حدّثني أبو العلاء المنقريّ ، قال : عتب عبد الله بن هشام بن بِسطامٍ التغلبيّ على كلثوم بن عمرٍو التغلبيّ في شيءٍ بلغه عنه ، فكتب إليه : [من الطويل]

---

1 العدوة : جانب الوادي . وقصده أن من يشغل نفسه بك لا ينال شيئاً .
2 النجار : الأصل .

صوت

لَقَدْ سُمْتَني الهِجـرانَ حتى أذقتَني عقوبـاتِ زلاّتي وسُوءِ مناقبي
فهـا أنـا ساعٍ في هواكَ وصابرٌ على حدِّ مصقولِ الغِرارينِ قاضبِ[1]
ومنصرف عمـا كرهـتَ وجاعلٌ رِضاك مِثالاً بين عيني وحاجِبي

قال : فرضي عنه ، ووصله صلةً سنيّة .

الغناء في هذه الأبيات لسعيدٍ مولى فائدٍ ، ثاني ثقيلٍ بالبنصر ، عن يحيى المكّيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول يحيى ، وذكر أحمد بن المكّيّ في كتابه ، أنّه لأبي سعيد ، وجعله في باب الثقيل الأوّل بالبِنصر ، ولعلّه على مذهب إبراهيم بن المهديّ ومن قال بقوله .

[بين ربيعة وقيس]

أخبرني الحسين بن القاسم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج ، قال : أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه ، قال : كان أخوان من فزارة يخفُران قريةً بين آمد وسُميساط ، يقال لها تلّ حُوم ، فطال مقامهما بها حتّى أثريا ، فحسدهما قومٌ من ربيعة ، وقالوا : يخفران هذان الضياع في بلدنا ؛ فجمعوا لهما جمعاً ، وساروا إليهما ، فقاتلوهما ، فقُتِل أحدهما ، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشميّ ، فشكا القيسيُّ أمرَه إلى وجوه قيس ، وعرَّفهم قتل ربيعة أخاه ، وأخذهم مالَه . فقالوا له : إذا جلس الأمير فادخـل إليـه . ففعل ذلك ، ودخل على عبد الملك ، وشكا ما لحِقه ، ثم قال لـه : وحسبُ الأمير أنّهم لمّا قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم : [من الخفيف]

اشربا ما شربتُما إنّ قيساً مِن قتيلٍ وهالكٍ وأسيرِ
لا يحـوزَنَّ أمرَنا مُضرِيٌّ بخفيـرٍ ولا بغيـرِ خفيرِ[2]

فقال عبد الملك : أتندبني إلى العصبية ؟ وزبره ، فخرج الرجل مغموماً ، فشكا ذلك إلى وجوه قيس ، فقالوا : لا تُرَع ، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه ، فعاوِده . فعاودَه في المجلس الآخر ، فزبَرَه ، وقال له قوله الأوّل ، فقال له : إنّي لم آتك أندُبك للعصبيّة ، وإنّما جئتُك مستعدياً[3] ، فقال له : حدّثني كيف فعَل القوم ؟ فحدّثه وأنشده ، فغضب فقال : كذَب لعمري ، ليحوزنَّها . ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده ، فقال : اخرجْ فجرِّد السيف

1 الغراران : الحدان .
2 أمرنا في ل : أرضنا .
3 مستعدياً : مستغيثاً .

في ربيعة ، فخرج وقتل منها مقتلةً عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتابيّ قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

ماذا شجاكِ بحُوّارينَ من طَللٍ ودمنةٍ كشفَتْ عنها الأعاصيرُ[1]

يقول فيها :

هذي يمينُك في قرباك صائلةٌ وصارمٌ من سيوف الهندِ مشهورُ
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ وعصبةٌ دِينُها العُدوان والزُّورُ[2]
فإنَّ منّا الذي لا يُستَحثُّ إذا حُثَّ الجيادُ وضمتْها المضاميرُ
مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ما بينهنَّ وبين الله معمورُ

يعني عبد الله بن هشام بن بسطامٍ التغلبيّ ، وكان قد أخذ قوّادهم .

فبلغت القصيدة عبد الملك ، فأمر أبا عصمة بالكفِّ عنهم . فلمّا قدِم الرشيد الرافقة أنشده عبد الملك القصيدة فقال : لمن هذه ؟ فقال : لرجل من بني عتابٍ يقال له كلثوم بن عمروٍ ، فقال : وما يمنعه أن يكون ببابنا . فأمر بإشخاصه من رأس عينٍ ، فوافى الرشيد وعليه قميصٌ غليظ ، وفَروة وخُفّ ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل ، فلمّا رُفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حُجرة ، وتقام له وظيفة ، ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قدِّمت إليه أخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقتُ النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه ، ويتعجّبون من فِعله ، وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقَيلي وهو في منزله ، فسلَّم عليه ، وانتسب له ، فرحّب به ، وقال له : ارتفع . فقال : لم آتِك للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال : دابّة أبلُغ عليها إلى راس عين ، فقال : يا غلام أعطِه الفرس الفلانيّ . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلّغ عليها . فقال لغلامه : امض معه فابتعْ له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتابيّ إلى سوق الحمير ، فقال له : إنّما أمرني أن أبتاع لك دابة . فقال له : إنّه أرسلك معي ، ولم يرسِلني معك ، فإن عملت ما أريد وإلاّ انصرف . فمضى معه فاشترى حماراً بمائةٍ وخمسين درهماً ، وقال : ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، فركب الحمار عُرياً بمرشحةٍ عليه وبرذعةٍ ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيدٍ : فضحتَني ، أمثلي يحمل مثلَك على هذا ؟ فضحِك ، وقال : ما رأيتُ قدرَك يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين .

1 كشفت في ل : حسرت . حوارين : قرية من قرى حلب .

2 عصبة في ل : بدعة .

[زوجته تلومه على عدم الأثراء]

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصورٌ النمريُّ قد أخذ الأموال فحلّى نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول : [من الطويل]

تلـوم على تَـركِ الغِنـى باهليّةٌ ... زَوى الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
رأَتْ حَوْلها النّسوانَ يرفُلْنَ في الثَّرا ... مقلـدةً أعناقُهـا بالقلائدِ
أسَرَّكِ إنّي نلت مـا نـال جعفرٌ ... من العيشِ أو ما نال يَحيى بنُ خالدِ
وإنَّ أمير المؤمنـين أغَصَّنـي ... مُغَصَّهمـا بالمشرقـاتِ البواردِ[1]
رأيت رفيعـاتِ الأمـور مشوبةً ... بِمستودَعاتٍ في بُطون الأساودِ[2]
دعينـي تَجِئْنـيَ مِيتَتـي مطمئِنّةً ... ولم أتجشم هـولَ تلك المواردِ

وهذا الخبر عندي فيه اضطراب ؛ لأن القصيدة المذكورة التي أوّلها :

مـاذا شجـاكَ بِحُوَّارين من طلل

للعتابيّ في الرشيد ، لا في عبد الملك ، ولم يكن كما ذكره في أيّام الرشيد متنقّصاً[3] منه . وله أخبار معه طويلةٌ ، وقد حدّثني خبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعةٌ على غير هذه الرواية .

[عتب الرشيد على العتابي]

أخبرني عمّي قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني مسعود بن إسماعيل العدويُّ عن موسى بن عبد الله التميميّ قال : عتب الرشيد على العتابيّ أيّام الوليد بن طريفٍ ، فقطع عنه أشياء كان عوّده أياها ، فأتاه متنصّلاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

ماذا شجاك بحُوَّاريـن مـن طللٍ ... ودمنـةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ
شجاك حتّى ضميرُ القلب مشترَكٌ ... والعـين إنسانهـا بالمـاء مغمورُ
في ناظرِيّ انقباضٌ عن جفونهما ... وفي الجفون عن الآماق تقصيرُ
لو كنتِ تدرين ما شوقي إذا جَعَلَتْ ... تنأى بنا وبـك الأوطانُ والدورُ
علمتِ أنّ سُرى ليـلي ومُطلعي ... من بيت نجران والغَوْرَيْنْ تغويرُ

---

1 بالمشرقات ويروى : بالمرهنات وكلتاهما بمعنى السيوف القاطعة .
2 الأساود : جمع أسود وهو الحية .
3 ل : متقبضاً .

إذِ الركائبُ مَخْسوفٌ نواظرها كما تضمّنتِ الدُّهنَ القواريرُ
نادتك أرحامُنا اللاتي نَمُتُّ بها كما تنادى جِلادَ الجِلّة الخورُ[1]
مُستنبط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ما بينهنَّ وبينَ الله معمورُ
فُتَّ المدائحَ إلاّ أنّ أنفسنا مستنطقاتٌ بما تحوي الضمائيرُ
ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ وعصبةٌ دينُها العُدوانُ والزُّورُ
فإنّ منّا الذي لا يستحَثُّ إذا حُثَّ الجياد وحازتها المضاميرُ
ومن عرائقه السّفّاح عندكم مجرّبٌ من بَلاء الصِّدق مخبورُ
الآن قد بعُدت في خطوِ طاعتكم خُطاهم حيثُ يحتلّ الغشاميرُ[2]

يعني يزيد بن مزيدٍ ، وهشام بن عمرٍو التغلبيَّ ، وهو من ولد سُفَيْحِ بن السفاحِ ، قال : فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله .

صوت

[من الطويل]

تطاول ليلي لم أنمه تقلُّبا كأنّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
فإن تكن الأيّامُ فرّقْنَ بيننا فقد بانَ منّي في تذكُّره العذرُ

الشعر للأُبيردِ الرياحيّ ، والغناء لبابَوَيْه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه رملٌ نسبه يحيى المكّي إلى ابن سريج . وقيل إنّه منحول .

1 الجلاد : النوق الصلبة . الجلة : المسان من الإبل . الخور : النوق الغزيرة اللبن .
2 الغشامير : من الغشمرة ، وهي الظلم .

[239] ـ أخبار الأبيرد ونسبه[1]

[نسبه]

الأبيرد بن المعذَّرِ بن قيس بن عتّاب بن هرميّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ ، من شعراء الإسلام وأوّل دولة بني أمية . وليس بمكثرٍ ، ولا ممّن وفد إلى الخلفاء فمدحهم .

وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بُرَيداً أخاه ، وهي معدودة من مختار المراثي .

[هوي الأبيرد امرأة فزوّجت غيره]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الرياحيُّ يهوى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتى شُهِرَ ما بينهما ، فحجبت عنه ، وخطبها فأبوا أن يزوّجوها إيّاه ، ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زرارة ، فزوَّجته ، فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التي ... تَبغَّى لقيط قومَه وتَخَيّرا
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرُّ فوقه ... لبانَ مكانُ الذّرِّ فيه فأثَّرا
لعمري لقد أمكنتِ منّا عدوَّنا ... وأقررتِ للعادي فأخْنى وأهجرا[2]

[لم يرض كسوة حارثة بن بدر]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحيّ قال : قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدرٍ فقال : اكسُني بُردَين أُدخل بهما على الأمير ، يعني عبيد الله بن زيادٍ ، وكساه ثوبين فلم يرضَهما ، فقال فيه : [من الطويل]

أحارث أمسِك فَضْلَ برديك إنّما ... أجاعَ وأعرى اللهُ من كنتَ كاسيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابةً ... لِتُمْطِرني عادت عَجاجاً وسافيا[3]
أحارثُ عاود شُرْبَكَ الخمرَ إنّني ... أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال : قبحه الله : لقد شَهِد بما لم يعلم . وإنّما أدعُ جوابه لما لا يعلم . هكذا ذكر محمد بن سلام .

1 للأبيرد ترجمة في المؤتلف والمختلف : 26 والسمط : 494 وأعلام الزركلي .
2 للعادي في ل : للمواشي .
3 السافي : الريح تحمل تراباً .

أخبرني حبيب بن نُصرٍ المهلّبيّ قال : حدّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا الأصمعيُّ قال : هجا الأبيرد الرياحيّ حارثة بن بدر فقال : [من الطويل]

أحارثُ راجع شُرْبَكَ الخمرَ إنّني   أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا
أرى فيك رأيـاً مـن أبيه وعمّه   وكان زيـادٌ ماقِتـاً لـك قالِيا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام ، وقال في خبره هذا : فكان حارثة يكسوه في كلّ سنة بردين ، فحبسهما عنه في تلك السنة ، فقال حارثة بن بدر يجيبه : [من الطويل]

فإن كنتَ عن برديَّ مستغنياً لقد   أراك بأسمـالِ المـلابس كاسيا
وعشتَ زماناً أن أعينكَ كُسوتي   قنعـت بأخلاق وأمسيت عاريا
وبردين من حوك العراق كسوتَها   على حاجـة منهـا لأمِّك باديا

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر : [من الكامل]

زعمتْ غُدانـةُ أن فيهـا سيداً   ضخمـاً يواريـه جَناحُ الجندبِ
يُرْويه مـا يُروي الذّبابَ وينتشي   لؤمـاً ويشبِعـه ذراعُ الأرنبِ

وقال أيضاً لحارثة بن بدر : [من الطويل]

ألا ليـت حَظِّي من غُدانة أنّها   تكـون كَفافـاً لا علـيَّ ولا لِيا
أبى الله أن يهـدي غدانةَ للهدى   وأن لا تكونَ الدهـرَ إلاّ مَوالِيا
فلو أنّني ألقـى ابنَ بـدرٍ بموطن   نَعُـدُّ بـه مـن أوَّلينا المساعيا[1]
تقاصر حتـى يستقيـدَ وبـذّه   قُروم تَسامى من رياح تَسامِيا[2]
أيا فارطَ الحيّ الذي قد حشا لكم   من المجـد أنهاءً ملاء الخوابيا[3]
وعَمِّي الذي فكَّ السّميدعَ عنوةً   فلستَ بِنُعمى يا ابن عقربَ جازيا
كلانـا غنيٌّ عـن أخيه حياتَـه   ونحـنُ إذا مِتنـا أشدُّ تغـانيا[4]

1 المساعي : مآثر أهل الشرف والفضل .
2 يستقيد : يذل ويخضع . رياح : قبيلة .
3 الفارط : السابق إلى إصلاح الحوض والدلاء . الأنهاء : الغدران . الخوابي : جمع خابية وهو الحوض .
4 يروى هذا البيت لغيره .

أَلم ترنا إذ سقتَ قومك سائلا ذَوِي عددٍ للسائلين مَعاطيا
بنى الردفِ حمالِين كلَّ عظيمةٍ إذا طلعت والمترعين الجوابيا
وإنّا لنعطي النَّصفَ من لو نَضيمه أقر ولكنّا نحبّ العوافيا

الردفُ الذي عناه هاهنا : جدُّه عتاب بن هَرمي بن رياح ، كان رِدفَ بن المنذر ، إذا ركب ركب وراءه ، وإذا جلس جلس عن يمينه ، وإذا غزا كان له المِرباع ؛ وإذا شرب الملك سُقِي بكأسه بعده ، وكان بعده ابنه قيس بن عتّابٍ يردف النعمان . وهو جدُّ الأبيرد أيضاً .

[الأبيرد وسعد العجليّ]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال : كانت بنو عجلٍ قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عِجلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعدٍ هذا . فمالت إليه فومِقته ، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمّاً ، فذهب بها كلَّ مذهب حتى ظهر أمرُهما وتُحُدّث بهما ، واتُّهم الأبيرد بها . فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه[1] ، فقالوا له : ما لك تتحدّث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك ! وهل خلا عربي منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، وإيّاك أن تعاودها . فقال الأبيرد : إنّ سعداً لا خير فيه لزوجته . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّي رأيته يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهي تبغضه لفعله ، وهو يتّهمها لعجزه عنها : فضحكوا من قوله ، وقالوا له : وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاوِدْها ولا تجلس إليها . فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

ألم تر أنَّ ابن المعذَّر قد صحا ووَدّعَ ما يَلْحى عليه عواذلُهْ
غدا ذو خلاخيلٍ عليّ يلومُني وما لومُ عَذّالٍ عليه خلاخلُهْ
فدع عنك هذا الحَلْي إن كنتَ لائمي فإنّي امرؤٌ لا تزدهيني صَلاصلُهْ[2]
إذا خطرت عنس به شدنية بمطَّردِ الأرواح ناءٍ مناهلُهْ[3]
تبيَّنَ أقوامٌ سفاهةَ رأيهم ترحَّلَ عنهم وهو عفٌّ منازلُهْ
لهم مجلسٌ كالرُّدْن يجمع مجلساً لئاماً مساعيه كثيراً هتاملُهْ[4]

1 استعذرهم منه : استعداهم عليه .
2 الصلاصل : الرنين .
3 العنس : الناقة الصلبة . شدنية : منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن .
4 كالردن : جعلهم كالردن في الضيق وقلة العدد . الهتامل : الذين يتكلمون كلاماً خفيّاً .

تبرأتُ مـن سعد وخُلَّة بيننا ... فلا هـو معطيني ولا أنا سائلُه
متى تُنتَجُ البلقاءُ يا سعد أم متى ... تُلَقَّحُ من ذات الرِّباطِ حوائلُه
يحـدِّث سعد أنَّ زوجته زنت ... ويـا سعدُ أنت المرء تزني حلائلُه
فإن تَسمُ عيناها إليّ فقد رأت ... فتًـى كحسام أخلصَتْه صياقلُه
فتى قُـدَّ قـدَّ السَّيف لا متضائلٌ ... ولا رِهـلٌ لَبَّاتـه وأباجلُه[1]

وهذا البيت الأخير يروى للعجير السَّلوليّ ، ولأخت يزيد بن الطثرية ، فاعترضه سَلمان العجليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال : [من الوافر]

لعمـرك إنّنـي وبنـي رياحٍ ... لكالعاوي فصادف سَهم رامِ
يسوقون ابنَ وجـرةَ مزمئراً ... ليحميَهم وليس لهـم بحامِ[2]
وكم مـن شاعرٍ لبني تميم ... قصيرِ البـاع مـن نفرٍ لئامِ
كسونا ، إذ تخرَّقُ ملبَساه ، ... دواهيَ يترينَ مـن العظامِ
وإن يُذكـر طعامُهـم بشَرٍّ ... فـإنَّ طعامهـم شرُّ الطعامِ
شَريجٌ من مَنيٍّ أبـي سُواج ... وآخر خالص مـن حيض آمِ[3]
وسوداء المغابـن مـن رياحٍ ... على الكردوس كالفأس الكَهامِ[4]
إذا مـا مـرّ بالقعقاع ركب ... دعتهم مَن ينيكُ على الطَّعامِ[5]
تداوَلَها غـواةُ الناس حتـى ... تؤوبَ وقد مضى ليل التِّمامِ[6]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له : [من الوافر]

عَوى سَلمانُ من جَـوٍّ فلاقى ... أخو أهـلِ اليمامةِ سهمَ رامي
عوى مِـن جُبْنه وشقيٌّ عجلٍ ... عُـواءَ الذئب مُختلَطَ الظلامِ

---

1 الأبجل : عرق غليظ في اليد أو الرجل . وقد مرّ هذا البيت منسوباً للعجير السلولي سوى أن الكلمة الأخيرة فيه «وبآدله» ، ص 40 من هذا المجلد .
2 المزمئر : الغاضب .
3 شريج : ذو لونين مختلفين . آم : جمع أمة ، المرأة غير الحرة .
4 المغابن : جمع مغبن ، وهو الابط . الكردوس : العظم الكثير اللحم . كهام : كليل .
5 القعقاع : موضع .
6 ليل التمام : أطول ليالي الشتاء .

بنو عِجلٍ أذلُّ من المطايا ... ومن لحم الجَزورِ على الثُّمامِ
تَحَيَّا المسلمون إذا تلاقَوا ... وعجلٌ ما تُحَيَّا بالسَّلامِ
إذا عجليةٌ ولدت غلاماً ... لعجليٍّ فَقُبِّحَ من غلامِ
يَمَصُّ بثديها فرخٌ لئيم ... سُلالةُ أعبدٍ ورضيعُ آمِ
خبيث الريح ينشأ بالمخازي ... لئيمٌ بين آباء لئامِ
أنا ابن الأكرمين بني تميم ... ذوي الآكال والهمم العظامِ
وكائن من رئيس قَطَّرته ... عواملُنا ومن ملك هُمامِ[1]
وجيشٍ قد ربَعناه وقومٍ ... صبَحْناه بذي لَجبٍ لُهامِ[2]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له : [من الطويل]

أخذنا بآفاق السماء فلم ندَعْ ... لسلمانَ سلمانِ اليمامة مَنْظرا
من القُلْح فسَّاءٌ ضروطٌ يُهِرُّه ... إذا الطير مرّاتٍ على الدوح صرصرا[3]
وأقلح عجلي كأنّ بخطمِه ... نواجذَ خنزير إذا ما تكشرا
يزِلُّ النوى عن ضِرسه فيردُّه ... إلى عارضٍ فيه القوادح أبخرا
إذا شرب العِجْليُّ نَجَّس كأسَه ... وظلّت بكَفّي جَأْنبٍ غيرِ أزهرا[4]
شديد سوادِ الوجه تحسب وجهَه ... من اللؤم بين الشاربين مَقيَّرا
إذا ما حساها لم تزِده سماحة ... ولكن أرته أنْ يصرَّ ويَحْصَرا[5]
فلا يَشْرَبَنْ في الحيِّ عجلٌ فإنّه ... إذا شرب العِجْليُّ أخنى وأهجرا
يقاسي نداماهم وتَلقى أُنوفهم ... من الجدْع عند الكأس أمراً مذكرا[6]
ولم تك في الإشراك عِجل تذوقها ... ليالي يَسبِيها مقاولُ حميرا[7]

---

1 قطرته : صرعته .
2 لهام : الجيش العظيم .
3 القلح : جمع أقلح وهو الفاسد الأسنان . يهره : يجعله يهر كالكلاب من الفزع .
4 الجأنب : القميء .
5 يحصر : يبخل .
6 مذكر : شديد .
7 يسبيها : يشتريها . مقاول : جمع مقول ، وهو الملك في حمير .

ويُنفق فيهــا الحنظليــون مالَهم إذا مـا سعـى منهم سفيهٌ تجبَّرا
ولكنهــا هانــت وحُـرّم شربها فمالت بنو عجلٍ لِما كان أكفَرا
لعمري لئــن أُزْنِنْتُم أو صحوتم لبئسَ النّدامــى كنتم آلَ أبجرا[1]

[التفاخر بالنحر]

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيُّ قال : كان مجائلُ بن مرة بن مَحكان السعديّ وابن عمّ له يقال له : عَرادة ، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأنهبها ، وكانت مائة شاة ، فاشترى مُرّة بن محكان مائةً من الإبل فنحر بعضها وأنهب باقيها ، وقال أبو عبيدة : إنّهما تفاخرا ، فغلبه مرّة ، فقال الأبيرد لعرادة : [من الوافر]

شرى مائــةً فأنهبهـا جميعاً وبتَّ تقسَّم الحـذف النقادا[2]

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرّة بن محكان فحبسه وقيّده ، ووقع بعد ذلك من قومه لِحاء ، فكانت بينهم شجاجٌ[3] ، ثم تكافؤوا وتوافقوا على الديات فأُنبىء مرة بن محكان وهو محبوسٌ ، فعرف ذلك فتحمَّل جميعها في ماله ، فقال فيه الأبيرد : [من الطويل]

لله عينــا مــن رأى مـن مكبَّـل كمُـرَّةَ إذ شُدَّت عليــه الأداهمُ[4]
فأبلـــغ عبيد الله عنّـــي رسالةً فإنّـــك قـــاضٍ بالحكومــةِ عـالِمُ
فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في الندى فعاقــب هـــداك الله أعظـَمَ حاتمِ
تعاقــب خِرقـــاً أن يجـود بمالــه سعى في ثأىً من قومــــه متفاقمِ[5]
كأن دمــاء القـــوم إذ علقت بــه على مكفهــرٍّ مـــن ثنايـا المخارمِ[6]

[استفزاز سحيم بن وثيل الرياحي]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال : حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، قال : حدّثنا عمّي قال : أتى رجل الأبيرد الرياحيّ وابن عمّه الأحوص ، وهما من رهطِ ردف الملك من بني رياح ، يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له : إن أنت بلّغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر

1 أزننتم : اتهمتم .
2 الحذف : الغنم السود . النقاد : جمع نقد ، وهو جنس من الغنم .
3 شجاج : جراح .
4 الأداهم : جمع أدهم وهو القيد .
5 الثأى : الافساد .
6 المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأواخر الليل . وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة إقواء .

أعطيناك قطرانا . فقال : قولا . فقالا : اذهب فقل له : [من الوافر]

فإن بُداهتي وجِـراءَ حـولي لذو شِقٍّ على الحُطَـم الحرونِ[1]

قال : فلمّا أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه ، وانحدر في الوادي ، وجعل يُقبل فيه ويدبِر ، ويُهَمْهِمُ بالشعر . ثم قال : اذهب فقل لهما[2] : [من الوافر]

فإنّ عُلالتـي وجـراء حَولي لذو شِقٍّ على الضَّرَع الظَّنونِ[3]
أنا ابن الغُـرِّ من سَلَفَيْ رياح كنصل السيف وضاحُ الجبينِ
أنا ابنُ جـلا وطـلاعُ الثنايا متـى أضع العمامـة تعرفوني[4]
وإنّ مكاننـا مِـن حميـريّ مكانُ الليث من وسط العَرينِ
وإنّ قناتنـا مَشِظٌ شظاهـا شديد مدُّهـا عُنُـقَ القرينِ

قال الأصمعيّ : إذا مسسْت شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل : مشظت يدي والشظا : ما تشظّى منها :

وإنّـي لا يعـود إليّ قِرني غـداةَ الغِـبِّ إلاّ في قـرينِ
بذي لِبَدٍ يصدُّ الركب عنـه ولا تُؤتَـى فريستـه لحينِ
عذرتُ البُزْل إذ هي صاوَلتني فمـا بالي وبـالُ ابنَيْ لَبونِ[5]
وماذا تبتغـي الشعراءُ منّـي وقد جـاوزتُ راسَ الأربعينِ[6]
أخو الخمسين مُجْتَمعٌ أشُدّي ونجّـذني مـداورةُ الشؤونِ[7]
سأحيا مـا حييتُ وإنّ ظهري لـذو سنَـدٍ إلى نَضَدٍ أمينِ[8]

قـال : فأتيـاه فاعتـذرا إليـه . فقـال : إنّ أحدكم لا يَرى أن يصنع شيئاً حتّى يقيس شعره بشعرنا ، حسبه بحسبنا ، ويستطيفَ بنا استطافة المهر الأرِن . فقالا له : فهل إلى

1 شق : مشقة . الحطم : العسوف العنيف . الحرون : الصعب القياد .
2 الأصمعيات : 73 .
3 الضرِع : الصغير . الظنون : الذي لا يوثق به .
4 ابن جلا : كناية على العلو . طلاع الثنايا : كناية عن الارتقاء إلى قمة المجد . متى أضع العمامة تعرفوني : قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم .
5 البزل : جمع بازل ، وهو البعير دخل سنته التاسعة . وابن اللبون : ما كان في عامه الثاني .
6 تبتغي في ل : يدّري .
7 نجذني : جعلني مجرباً .
8 نضد : الوسائد ، وهو أيضاً الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف .

النّزع[1] من سبيلٍ . فقال : إنّنا لم نبلغ من أنسابنا .

قال اليزيديّ : أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعيّ .

[رثاؤه بريداً]

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أوّلها الغناء المذكور ، من جيد الشعر ، ومختار المراثي ، المختار منها قوله : [من الطويل]

تطاوَلَ ليلي لم أنمه تقلُّباً ... كأنَّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
أُراقِب من ليل التّمام نجومَه ... لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجرُ
تذكّرتُ قَرْماً بانَ منّا بنَصرِهِ ... ونائِلِه يا حبّذا ذلك الذُّكرُ[2]
فإن تكن الأيّامُ فرّقن بيننا ... فقد عذرتنا في صحابتنا العُذرُ[3]
وكنت أرى هَجْرا فراقَكَ ساعةً ... ألا لا بل الموتُ التفرُّق والهجرُ
أحقّاً عباد الله أن لستُ لاقيا ... بُريداً طَوالَ الدَّهرِ ما لألأ العُفْرُ[4]
فتًى إن هو استغنى تخرَّق في الغنى ... فإن قلَّ مالاً لم يَؤُدْ متنَه الفقرُ
وسامى جسيماتِ الأمورِ فنالها ... على العسر حتى أدرك العُسُرَ اليسرُ
ترى القومَ في العَزَّاء ينتظرونه ... إذا ضلّ رأيُ القوم أو حَزَب الأمرُ
فليتك كنتَ الحيّ في الناس باقياً ... وكنتُ أنا الميتَ الذي غَيب القبرُ[5]
فتًى يشتري حُسنَ الثناء بماله ... إذا السّنةُ الشهباءُ قلَّ بها القطرُ[6]
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ... ولم يأتِنا يوماً بأخباره السَّفْرُ[7]
لعمري لنعمَ المرءُ غالي نَعِيَّه ... لنا ابنُ عزيز بعد ما قَصرَ العصرُ
تمضَّت به الأخبارُ حتى تغلغلت ... ولم تثنِه الأطباع دوني ولا الجُدرُ[8]

1 النزع : الكف .
2 الذُّكر : التذكر .
3 العذر : جمع عذير ، وهو العاذر .
4 لألأ العفر : حركت الظباء أذنابها .
5 باقياً في ل : ثاوياً .
6 السنة الشهباء : السنة الشديدة .
7 السفر في ل : البشر .
8 الأطباع : جمع طبع ، وهو النهر .

ولّما نعى الناعي بُريداً تغوَّلَتْ … بي الأرض فرطَ الحزن وانقطع الظهرُ[1]
عساكر تغشى النفسَ حتى كأنّني … أخو سكرةٍ طارت بهامَتِه الخمرُ[2]
إلى اللهِ أشكو في بُرَيدٍ مصيبتي … وبَثّي وأحزاناً تضمَّنها الصدرُ
وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا … من الأجر لي فيه وإنْ سَرّني الأجرُ
وما زال في عينيَّ بَعْدُ غِشاوةٌ … وسَمعِيَ عَمَّا كنت أسمعه وقرُ[3]
على أنّني أقْنى الحياءَ واتّقي … شماتة أعداءٍ عيونهم خُزر[4]
فحيّاكَ عنّي الليل والصبحُ إذْ بدا … وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شهرُ
سَقى جدثا لو أستطيع سقيته … بِأُوْدٍ فروّاه الروافد والقطرُ[5]
ولا زال يرعى منْ بلادٍ ثوى بها … نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نضرُ
حلفتُ بربّ الرافعينَ أكُفَّهم … وربِّ الهدايا حيث حلَّ بها النحرُ
ومُجْتمعِ الحجّاج حيثُ توافقت … رِفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأرُ
يمينَ امرىءٍ آلى وليس بكاذب … وما في يمينٍ قالها صادقٌ وِزرُ
لئن كان أمسى ابنُ المعذَّر قد ثوى … بريدٌ لنعم المرءُ غَيَّبه القبرُ
هو الخلَفُ المعروفُ والدِّين والتّقى … ومسعرُ حربٍ لا كَهامٌ ولا غُمْرُ
أقام فنادى أهلُه فتحمَّلوا … وصُرِّمت الأسبابُ واختلط النَّجرُ[6]
فتى كان يُغْلي اللحمَ نِيئاً ولحمُه … رخيصٌ لجاديه إذا تُنزَلُ القِدرُ
فتى الحيِّ والأضيافِ إن روّحتهم … بليلٌ وزادُ السفر إن أرمل السَّفرُ[7]
إذا جارةٌ حلّتْ لديه وفَى بها … فآبت ولم يُهْتَك لجارته سترُ[8]
عفيف عن السوآت ما التبست به … صليبٌ فما يُلْقى لعود به كسرُ

---

1 الظهر في ل : الصبر .
2 طارت في ل : مالت .
3 وقر : صمم .
4 خزر : ضيقة .
5 الروافد في ل : الرواعد .
6 النجر : الأصل .
7 روحتهم : هبّت عليهم . أرمل السفر : نفذ زاد المسافرين .
8 فآبت في ل : فباتت .

سلكت سبيلَ العالمين فما لهـمُ ... وراء الذي لاقيت مَعْدًى ولا قصرُ
وكلّ امرىء يومـاً سيلقى حمامَـه ... وإن نأت الدعوى وطال بـه العمرُ
وأبليتَ خيراً في الحيـاة وإنّمـا ... ثوابُك عندي اليومَ أن ينطِق الشعرُ

وقال يرثيه أيضاً ، وهي قصيدةٌ طويلة : [من الطويل]

إذا ذكرَتْ نفسي بُريـداً تحاملَتْ ... إليّ ولم أملـك لعينـي مـدمعا
وذكّرنيـكَ النـاسُ حـين تحامَلُوا ... عليّ وأضحَوْا جلدَ أجـربَ مُـولعا
فلا يُبعدنْكَ الله خيرَ أخـي امرىءٍ ... فقد كنتَ طلاّع النِّجـادِ سَميدَعا[1]
وَصُولاً لذى القربى بعيداً عن الخنا ... إذا ارتادك الجادي مـن الناس أمرعا[2]
أخو ثقـة لا ينتحِـي القـومُ دونـه ... إذا القوم خالوا أو رجا الناسُ مَطعما
ولا يركـب الوجناءَ دون رفيقِـه ... إذا القـومُ أزجَوهنّ حَسرى وظُلّعا[3]

صوت

[من مخلع البسيط]

يـا زائرينـا مـن الخيامِ ... حيّـاكما الله بالسلامِ
يحزنُنِـي أن أطفتُما بـي ... ولم تنـالا سِوى الكلامِ
بُـورك هارون من إمامٍ ... بطاعـة الله ذي اعتصامِ
له إلى ذي الجلالِ قُربى ... ليست لِعَـدْلٍ ولا إمامِ

الشعر لمنصورٍ النمريّ ، والغناء لعبد الله بن طاهرٍ ، رمل ، ذكر ذلك عبيد الله ابنه ، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها ، وفيه للرفّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر مجهول الأصابع . ذكر حبشٌ أنّه للرف أيضاً .

1 السميدع : الكريم .
2 الجادي : طالب العطاء .
3 الوجناء : الناقة السريعة . حسرى : كليلة . ظلع : جمع ظالع ، وهي الناقة التي تغمز في مشيها من عرج .

[240] ـ أخبار منصور النمريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو منصور بن الزبرقان بن سلمة ، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان ، بن شريك بن مُطعم الكبش الرّخَمَ ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هِنب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وإنّما سمّي عامرٌ الضحيان لأنه كان سيِّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، فسمِّي الضحيان . وسمّي جدُّ منصور «مطعِمَ الكبشِ الرخم» ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم ، ثم رفع راسه فإذا رَخِمٌ يَحُمْن حول أضيافه ، فأمر بأن يُذبَح لهم كبشٌ ويُرمى به بين أيديهم ، ففُعِل ذلك ، فنزلن عليه ، فمزقنه ؛ فسمّي مطعمَ الكبش الرخم . وفي ذلك يقول أبو نُعيجة النمريّ يمدح رجلاً منهم : [من المتقارب]

أبــوك زعيـــمُ بنــي قاسط وخالك ذو الكبش يَقْرِي الرخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابيّ وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبَّه . والعتابيّ وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرَّضه[2] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد . وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابـيّ وحشةٌ حتـى تهاجـرا وتناقضا ، وسعى كلٌّ واحد منهما على هلاك صاحبه ، وأخبار ذلك تُذْكرُ في مواضعها من أخبارهما[3] ، إن شاء الله تعالى ، وكان النمريّ قد مدح الفضلَ بن يحيى بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العتابيّ إليه ، واسترفده له ، وسأله استصحابه ، فأذِن له في القدوم ، فحظي عنده ، وعرف مذهبَ الرشيد في الشعر ، وإرادته أن يصِل مدحه إيّاه بنفي الإمامة عن آل علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، والطعن عليهم ، وعلم مغزاه في ذلك ممّا كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة ، وتفضيله إيّاه على الشعراء في الجوائز . فسلك مذهب مروان في ذلك ، ونحا نحوه ،

---

1 لمنصور النمري ترجمة في الشعر والشعراء : 736–739 وتاريخ بغداد 13 : 65 وطبقات ابن المعتزّ : 242–248 وابن خلكان 6 : 336 وفوات الوفيات 4 : 164–168 وقد جمع شعره الطيب العشاش (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) .

2 قرضه : مدحه ، وهو من الأضداد .

3 تقدم ذكر ذلك في ترجمة العتابيّ ص 74–86 .

ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان ، ولكنّه حام ولم يقع ، وأومأ ولم يُحقّق ، لأنه كان يتشيّع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب ، وكان ينطِق عن نيّةٍ قويّة يقصِد بها[1] طلب الدنيا ، فلا يُبْقي ولا يذر .

[طلب أن يذكر عند الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرّد قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد الكُرانيّ ، وأخبرني به عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، وحديث محمد بن جعفر النحويّ أتم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدي قال : حدّثنا ثابت بن الحارث الجُشَميُّ قال : كان منصورٌ النمريّ مُصافياً للبرامكة ، وكان مسكنه بالشام ، فكتب يسالهم أن يذكروه للرشيد ، فذكروه ووصفوه ، فأحبَّ أن يسمع كلامه ، فأمرهم بإقدامه ، فقدِم ونزل عليهم ، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره ، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان ، على ما سمعه من بيانه ، وكان مروانُ يقول قبل قدومه : هذا شاميٌّ وأنا حجازي ، أفتراه يكون أشعر منّي ، ودخله من ذلك ما يدخل مثلَه من الغمّ والحسد ، واستنشد الرشيدُ منصوراً ، فأنشده[2] : [من الوافر]

أميرَ المؤمنين إليك خُضْنا غِمارَ الهَول من بلد شَطيرِ[3]
بخُوصٍ كالأهلة خافقاتٍ بلينَ على السُّرى وعلى الهجيرِ[4]
حملنَ إليك أحمالاً ثِقالا ومثل الصخر والدرّ النثيرِ
فقد وَقف المديحُ بمنتهاه وغايتِهِ وصار إلى المصيرِ
إلى مَن لا يشير إلى سِواه إذا ذُكِر النَّدى كفُّ المشيرِ

فقال مروان : ودِدتُ والله أنّه أخذ جائزتي وسكت .

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال : [من الوافر]

يذلِّل من رقابِ بني علي ومَنّ ليس بالمنِّ الصغيرِ
مَنَنْتَ على ابن عبد الله يحيى وكانَ من الحُتوف على شفيرِ[5]

1 يقصد بها في ل : يعضدها .
2 شعر منصور النمري : 85–88 .
3 الهول في ل : الموت . شطير : بعيد .
4 خوص : جمع خوصاء ، الناقة الغائرة العين صغيرتها .
5 الحتوف في ل : الهلاك .

[مروان ينشد الرشيد]

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشِده ، وكان يتبسّم في وقت ما كان ينشده النمريّ ، ويأخذ على بطنه ، وينظر إلى ما قال ، فأنشدته : [من الرجز]

موسى وهارون هما اللذانِ ... في كتب الأخبارِ يوجدانِ
من وَلَد المهديّ مَهديّان ... قُدّاً عنانين على عنانِ
قد أطلق المهديُّ لي لساني ... وشدّ أزري ما به حباني
من اللُّجَين ومن العِقيان ... عِيديَّة شاحِطةَ الأثمانِ[1]
لو خايلت دجلَة بالألبان ... إذاً لقيل اشتبه النهرانِ[2]

قال : فوالله ما عاج النمريّ بذلك ولا أحتفل به ، فأومأ إليّ هارون أن زده ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها : [من الكامل]

خلُّوا الطريقَ لمعشر عاداتهمْ ... حَطمُ المناكبِ كلّ يوم زحامِ
ارضَوْا بما قسم الإلهُ لكم به ... ودَعُوا وراثةَ كلّ أصيد حامِ[3]
أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثةُ الأعمامِ

قال : فوالله ما عاج بشيء منها وغلب على هارون ، وخرجت الجائزتان ، فأعطى مروان مائة ألف . وأعطى النمريّ سبعين ألفاً ، وقال : أنت مَزِيدٌ في ولد علي .

قال : ولقد تخلّص النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو قوله : [من الوافر]

فإن شكروا فقد أنعمتْ فيهم ... وإلاّ فالنَّدامة للكفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقّ ... ورُدُّوا ما يناسب للذُّكورِ

قال : فكان مروان يتأسّف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه ، وإلى قوله : [من الوافر]

وما لبني بناتٍ من تراثٍ ... مع الأعمامِ في ورق الزَّبورِ

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفيّ ، قال : حدّثني الغنويّ عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشرٍ العبديّ ، فذكر القصة قريباً ممّا ذكره محمد بن جعفر النحويّ يزيد وينقص ، والمعنى متقارب .

---

1 عيدية : ضرب من نجائب الإبل . شاحطة الأثمان : عالية الأثمان .

2 خايلت : فاخرت .

3 حام في ل : سام .

[الرشيد يغضب لمَن قال كأنه رسول]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طُهمان السّلميّ قال : حدّثني أحمد بن سيّار الشيبانيّ الشاعرُ قال : كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يُمدَح بما تمدح به الأنبياء فلا يُنكِر ذلك ولا يردّه ، حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى ، فأفرط في مدحه حتى قال فيه :

فكأنّه بعـد الرسول رَسولُ

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ ، وحَرَم ذلك الشاعر فلم يُعطِه شيئاً ، وأنشد منصورٌ النمريّ قصيدةً مدحه بها وهجا آل علي وثَلَبهم ، فضجِر هارون وقال له : يا ابن اللّخناء ، أتظنّ أنّك تتقرّب إليّ بهجاء قومٍ أبوهم أبي ، ونسبُهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي ؟! فقال : وما شهدنا إلاّ بما علمنا . فازداد غضبه ، وأمر مسروراً فوجأ[1] في عنقه وأُخرِج ، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده : [من الوافر]

بني حسنٍ ورهطَ بني حُسينٍ … عليكم بالسَّداد مـن الأمورِ
فقـد ذقتـم قِراعَ بني أبيكم … غـداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكورِ
أحـينَ شَفَوْكُمُ من كلِّ وِترٍ … وضمُّـوكم إلى كَنَـف وَثيرِ[2]
وجادتكم على ظمـإٍ شديد … سمـاءٌ مـن نوالهـم الغـزيرِ
فما كان العقوقُ لهـم جـزاءً … بفعلهـم وآدى للثـؤورِ
وإنّـك حِـين تُبلغهـم أذاةً … وإن ظلمـوا لمحـزون الضميرِ

فقال له : صدقت ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[الرشيد يميز شاعره الخاص]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال : حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : دخل مروان بن أبي حفصة وسَلْم الخاسر ، ومنصور النمري على الرشيد ، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

أنَّى يكون وليس ذاك بكائن … لبنـي البناتِ وراثـةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال :

حَضَر الرّحيل وشُدَّت الأحـداجُ[3]

1 وجأ في عنقه : ضربه .
2 الكنف الوثير : الجناب اللين .
3 الأحداج : جمع حِدج ، يحفه كالهودج .

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

إن المكارمَ والمعروف أوديــةٌ أحَلَّك الله منهــا حيثُ تجتمعُ

فأمر لكلٍّ واحد منهم بمائة ألف درهم ، فقال له يحيى بن خالدٍ : يا أمير المؤمنين ، مروان شاعرك خاصة قد ألحقتهم به . قال : فَلْيُزَد مروان عشرة آلاف .

[إعجاب الرشيد بشعر منصور]

أخبرني عمّي قال : أخبرنا ابن أبي سعدٍ قال : حدّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال : أخبرني أبو خاتمٍ الطائي ، عن يحيى بن ضبيئة الطائي ، عن المفضل قال : حضرتُ الرشيد وقد دخل منصور النمريُّ عليه فأنشده[1] : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ منّــي ولا جزعُ إذا ذكــرتُ شباباً ليس يُرتَجعُ
بــانَ الشّبابُ وفاتتنــي بلذّتــه صروفُ دهــرٍ وأيّامٌ لهـا خُدَعُ
مــا كنت أوفي شبابــي كُنهَ غِرَّته حتى انقضى فإذا الدنيا لــه تَبعُ

قال : فتحرّك الرشيد لذلك ثم قال : أحسَنَ والله ، لا يَتَهنَّأ أحدٌ بعيش حتى يخطِر في رِداء الشباب .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبديّ عن مروان بن أبي حفصة ، قال : خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم ، فظفر الرشيد ، وقد كاد أن يعطب ، لولا الله عزّ وجلّ ثم يزيد بن مزيد . فقال لي وللنمريّ : أنشدا . فأنشدته قولي : [من الكامل]

طرقَتْك زائرةً فحــيِّ خيالها غــراءُ تخلِط بالحياءِ دلالها

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذي رُزِقه ، فقال : عُدّوا قصيدته ؛ فكانت مائة بيتٍ ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، ثم قال للنمريّ : كيف رأيت فرسي فإنّي أنكرته ؟ فقال النمريّ[2] : [من الطويل]

مُضِزٌّ على فــأسِ اللجـامِ كأنّه إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطيرُ[3]
فظلَّ على الصفصاف يومٌ تباشرت ضِبــاعٌ وذُؤبــان بـــه ونسورُ

---

1 شعر منصور النمري : 95–103 .

2 شعر منصور النمري : 82 .

3 مضز : يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه .

فأقسِم لا يَنْسى لك الله أجرها إذا قُسِّمت بين العباد أجورُ

قال النمريّ : ثم قلت في نفسي : ما يمنعني من إذكاره بالجائزة ؟ فقلت : [من الطويل]

إذا الغيث أكْدى واقشعرّت نجومُه فغيث أميرِ المؤمنين مَطِيرُ
وما حلَّ هارون الخليفةُ بلدةً فأخلفَها غيثٌ وكاد يضيرُ

فقال : أذكرتَني . ورأيته مُتَهَلِّلاً لذلك . قال : فألحقَني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم .

[البيدق ينشد قصيدة النمري]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طَهمان ، قال حدّثني محمد الراوية المعروف بالبيدق ، وكان قصيراً ، فلقّب بالبيدق لقصره ، وكان يُنشد هارون أشعار المحدثين ، وكان أحسن خلق الله إنشاداً ، قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد ، وبين يديه خوان لطيف عليه جَدياَنِ ورُغفان سميد ودجاجاتان ، فقال لي : أنشدني ، فأنشدته قصيدة النمريّ العينية ، فلمّا بلغت إلى قوله : [من البسيط]

أيُّ امرىءٍ بات من هارونَ في سَخَط فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ
إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلَّك الله منها حيث تتسعُ
إذا رفعت امرءاً فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام مُتضِعُ
نفسي فداؤك والأبطال مُعْلِمَة يوم الوغى والمنايا بيْنَها قُرَعُ

قال : فرمى بالخِوان بين يديه وصاح ، وقال : هذا والله أطيبُ من كل طعامٍ وكلّ شيء ، وبعث إليه بسبعة آلاف دينارٍ ، فلم يعطني منها ما يرضيني ، وشخص إلى رأس العين ، فأغضبني وأحفظني ، فأنشدت هارون قوله[1] : [من المنسرح]

شاءٌ من الناسِ راتِعٌ هاملْ يعللون النفوس بالباطلْ

فلمّا بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلْ

قال : أراه يحرّض عليّ ، ابعثوا إليه مَن يجيءُ برأسه . فكلّمه فيه الفضلُ بن الربيع فلم يغنِ كلامه شيئاً ، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفِن . قال : وكان إنشادُ محمدِ البيدق يُطرِب كما يطرب الغناء .

---

1 شعر منصور النمري : 121 .

[سبب غضب الرشيد على النمريّ]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثنا عليّ بن الحسين الشيبانيّ ، قال : أخبرني منصور بن جهور ، قال : سألت العتابيّ عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال لي : استقبلت منصوراً النمريّ يوماً من الأيّام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً ، فقلت له : ما خَبَرُك ؟ فقال : تركت امرأتي تُطْلَقُ ، وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي ، والقيِّمة بأمري وأمر منزلي . فقلت له : لِم لا تكتب على فَرجِها «هارون الرشيد» ؟ قال : ليكون ماذا ؟ قال : لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك : [من البسيط]

إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ

فقال لي : يا كشخان ، والله لئن تخلّصتِ امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلمّا ولدتِ امرأته خبّر الرشيد بما كان بيني وبينه ، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي ، فاستترت عند الفضل بن الربيع ، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أذِن لي في الظهور ؛ فلمّا دخلتُ عليه ، قال لي : قد بلغني ما قلته للنمريّ ، فاعتذرت إليه حتى قبل ، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذّب عليّ إلاّ وقوفي على مَيله إلى العَلَويّة ، فإن أراد أمير المؤمنين أن أُنشده شعره في مديحهم فعلتُ . فقال : أنشدني . فأنشدته قوله : [من المنسرح]

شاءٌ من الناس راتعٌ هاملْ يعلّلون النفوس بالباطلْ

حتى بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلْ

[طلب الرشيد نبش جثة النمري ليحرقها]

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفّي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطُف له حتى كفّ عنه .

[الفضل بن الربيع يحمي النمري]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال : حدّثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدّثني بعض الزينبيين ، قال : حبس الرشيد منصور النمريّ بسبب الرفض ، فتخلّصه الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستَره الفضل عنده ، وجعل الرشيد يلحُّ في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : ويحك يا فضل تُفَوِّتُني النمريّ ؟ قال : يا سيدي ، هو عندي قد حصّلته . قال : فجئني . وكان الفضل قد أمره أن يُطوِّل شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحُب وتسوء حالته ، ففعل ، فلمّا أراد إدخاله عليه أُلبسه فَروة مقلوبة ،

وأدخله عليه ، وقد عفا[1] شعره ، وساءت حالته ، فلمّا رآه ، قال : السيف ؛ فقال الفضل : يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل : [من المنسرح]

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسَلَّة البيضِ والقنا الذابلْ

فقال منصور : لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا ، ولقد كُذِب عليّ ، ولكنّي القائل[2] : [من مخلع البسيط]

يا منزل الحي ذا المغاني انعِم صباحاً على بِلاكا
هارون يا خير من يُرَجَّى لم يُطِعِ اللهَ مَنْ عَصاكا
في خير دينٍ وخير دنيا مَن اتَّقى اللهَ واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله ، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع : [من الهزج]

رأيت المُلْك مُذْ آزرتَ قد قامت مَحانيهِ
هو الأوحد في الفضل فما يعرف ثانيهِ

[تعفف النمري]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عليّ بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتبيل ، قال : اجتمع عند المأمون قبل خلافته ، وذلك في أيّام الرشيد ، منصورٌ النمريّ والخرَيْمِيُّ والعباس بن زُفر ، وعنده جعفر بن يحيى ، فحضر الغداء ، فأُتِيَ المأمون بلونٍ من الطعام ، فأكل منه فاستطابه ، فأمر به فوُضِع بين يدي جعفر بن يحيى ، فأصاب منه ، ثم أمر به فوضِع بين يديْ العباس فأكل منه ، ثم نحّاه ، فأكل منه بعده الخريمي وغيره ، ولم يأكل منه النَّمَريّ ، وذلك بعين المأمون ، فقال له : لِم لم تأكل ؟ فقال : لئن أكلتُ ما أبقى هؤلاء إنّي لنهمٌ . قال : فهل قلتَ في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت : [من البسيط]

لَهْفِي أتطعِمها قيساً وآكلها إنّي إذاً لدنيءُ النفسِ والخطرِ
ما كان جدّي ولا كان الهمام أبي ليأكلا سؤرَ عباس ولا زُفَرِ[3]
شتانَ من سؤر عباسٍ وفضلتهِ وسؤر كلبٍ مُغطَّى العين بالوبرِ
ما زال يلقَمُ والطّباخُ يلحظُه وقد رأى لُقَماً في الحلق كالعُجَرِ

[نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعمّي ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليلٍ العنزيّ ، قال :

---

1 عفا شعره : طال وكثر .
2 شعر منصور النمري : 113 .
3 السؤر : البقية والفضلة .

أخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمريّ ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : إن منصور بن بُجرة بن منصور بن صليلِ بن أُشَيْمَ بن الحجاز بن قيس بن قطن بن سعد بن عامرٍ الضَّحيانِ بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسطٍ ، قال هذه القصيدة : [من البسيط]

ما تنقضي حسرة منّي ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجعُ
بـــان الشباب وفاتتني بشِرَّتــهِ صروفُ دهـــرٍ وأيّام لها خُدَعُ[1]
مـــا كنــت أولَ مسلوبٍ شبيبَته مكسوِّ شيبٍ فلا يذهبْ بك الجزعُ

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها ، فاستوهبها منه فوهبها له ، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدّى لمدح ولا يفِد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر ، وكان هارون الرشيد قد جرّد السيف في ربيعة ، فوجّه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد ، وكان رجلاً تقتحمه[2] العين جدّاً ، ويزدريه مَن رآه لدمامة خَلقِه ، فأمر الرشيد لمّا عُرضت عليه بإحضار قائلها . قال منصور : فلمّا وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لما عُرضت عليه قرأها واختارها على جميع شِعر الشعراء جميعاً ، وأمره بإدخالي ، فلمّا قرُبت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي ، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش نحيفاً . قال : فردَّني ، وأمر بإخراجي فأُخرِجت ، فمرَّ بي ذات يوم يزيد بن مُزيدٍ الشيبانيّ ، فصحت به : يا أبا خالد ، أنا رجلٌ من عشيرتك ، وقد لحقني ضيم ، وعذت بك . فوقف ، فعرّفته خبري ، وسألته : أن يذكرني إذا مرّت به رقعتي ، ويتلطّف في إيصالي ، ففعل ذلك ، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة :

أتسلو وقد بـانَ الشبابُ المزايلُ

فقال لي : غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة ـ فقلت له يا أمير المؤمنين إن يوم الشر طويل ، فقال : صدقت . وخرج يزيد يركض ، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها ، وأنشدته القصيدة ، فلمّا صرت إلى هذا الموضع[3] : [من الطويل]

يُجرِّد فينا السيفَ من بين مارقٍ وعـــانٍ بُجُـــودٌ كلّهم متحامل[4]

قالوا : فلمّا سمع الجلساء هذا البيت ، قالوا : ذهب الأعرابيّ وافتضح ، فلمّا

1 الشرة : النشاط .
2 تقتحمه العين : تتخطّاه لضعف شأنه .
3 شعر منصور النمري : 113 .
4 العاني : الأسير . بجود : جمع بجد ، الجماعة من الناس .

قلت : [من الطويل]

وقد علم العُدوانُ والجورُ والخنا بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايِلُ[1]
ولو علِموا فينا بأمرك لم يكن ينال بريّاً بالأذى متناولُ
لنا منكَ أرحام ونعتدُّ طاعةً وبأساً إذا اصطكَّ القنا والقنابلُ[2]
وما يَحفظ الأنسابَ مثلَك حافظٌ ولا يصِلُ الأرحامَ مثلَك واصلُ
جعلناك ، فامنعنا ، مَعاذاً ومفزَعاً لنا حين عضتنا الخطوبُ الجلائلُ
وأنت إذا عاذت بوجهك عُوَّذ تَطامنَ خوفٌ واستقرّت بَلابِلُ

فقال الجلساء : أحسَنَ والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : يُرفَع السيف عن ربيعة ويُحسن إليهم .

[النمريّ ينشد الرشيد وعنده الكسائي]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عليُّ بن الحسن بن عبيدٍ البكريُّ ، قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ عن المفضل قال : كنّا عند الرشيد وعنده الكسائيّ ، فدخل إليه منصورٌ النمريّ ، فقال له الرشيد : أنشِدني . فأنشده قوله : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ منّي ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجَع

فتحرّك الرشيد ، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

ما كنت أوفي شبابي كُنهَ عِزّته حتى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبعُ

فطرب الرشيد ، وقال : أحسنتَ والله ، وصدقتَ ، لا والله لا يتهنّأُ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب ؛ وأمر له بجائزة سنيّة .

[تهكم الشعراء بالنمريّ لامتناعه عن الشرب]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طَهمان السلميّ ، قال : حدّثني أحمد بن سنان البيسانيّ ، وأخبرني عمّي قال : أخبرنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثنا مسعود بن عيسى ، عن موسى بن عبد الله التميمي : أنّ جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمريّ ، وكانوا على نبيذٍ ، فأبى منصور أن يشرب معهم ؛ فقالوا له : إنّما تعاف الشربَ لأنّك رافضي ، وتسمع وتُصْغي إلى الغناء ، وليس تركك النبيذ من ورعٍ . فقال منصور : [من الطويل]

---

1 عياف : شديد الكراهية . مزايل : مفارق .

2 القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الناس والخيل .

صوت[1]

خَلا بـين نَدمانيَّ موضعُ مجلِسِي ولم يَبقَ عنـدي للوِصال نصيبُ
وَرُدَّت على الساقي تفيض وربَّما رَددتُ عليه الكاسَ وهـي سليبُ
وأيُّ امرىء لا يستَهِشُّ إذا جرت عليـه بَنـانٌ كفُّهـنّ خضيبُ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيلٍ ، مطلق في مجرى البنصر . ومن الناس من ينسبه إلى مخارق ، هكذا في الخبر .

[قصيدة للعتابيّ يشكو إلى النمري تغيّر حاله]

وقد حدّثني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرِّد ، قال : كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمريّ قوله : [من الطويل]

تَقَضّتْ لُبانـاتٌ ولاح مشيبَ وأشفى على شمسِ النّهار غروبُ
وودَّعت إخوانَ الصِّبا وتصرّمت غَواية قلـبٍ كانَ وهـو طروبُ
[خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبـق عندي للمزاح نصيبُ]
ورُدّت على الساقـي تفيض وربَّما رددتُ عليه الكأس وهي سليبُ[2]
وممّـا يَهِيـج الشّوق لي فيَرُدّه خفيفٌ على أيدي القِيان صَخوبُ
عَطَوْنَ بـهِ حتّى جرى في أديمه أصابيـغ في لبّاتهـنّ وطيبُ

[جواب النمري]

فأجابه النمري وقال[3] : [من الطويل]

أوحشَة نَدَمانيك تبكـي فربَّمـا تلاقيهما والحِلم عنـك عَزُوبُ
ترى خَلَفاً مـن كلِّ نَيْلٍ وثروةٍ سمـاعَ قيـان عودهـنّ قريبُ
يغنيك يـا بنتي فتستصحب النُّهى وتحتـازك الآفـاتُ حِين أغيبُ
وإنّ امـرءاً أودى السماعُ بلُبِّـه لعُريانُ مـن ثَوب الفلاح سليبُ

[مديحه يزيد بن مزيد]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن

1 شعر منصور النمري : 69 .
2 سليب : فارغة .
3 شعر منصور النمري : 68 .

جشم العبديّ أبو مسعر ، قال : أتى النمريّ يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة ، فقال : اسمع منّي جُعِلت فِداك . فأنشده قصيدةً له ، يقول فيها[1] : [من البسيط]

لو لم يكن لبني شيبانَ من حَسَبٍ ... سوى يزيدَ لفاتوا الناس في الحسبِ
تأوي المكارم من بكر إلى مَلِكٍ ... من آل شيبانَ يَحويهنّ من كَثَبِ
أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم ... في منبت النَّبع لا في منبت الغَرَبِ[2]
إنّ أبا خالد لما جرى وجرت ... خيلُ الندى أحرزَ الأُولى من القَصَبِ
لما تلغَّبهنَّ الجريُ قدَّمَه ... عِتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشَبِ[3]
إنّ الذين اغتزَوا بالحُرّ غرّته ... كمغتزي الليث في عِرِّيسِهِ الأشبِ[4]
ضرباً دِراكاً وشَدّاتٍ على عَنَقٍ ... كأنّ إيقاعها النِّيرانُ في الحطبِ[5]
لا تقرَبنّ يزيداً عند صولته ... لكِنْ إذا ما احتبى للجُود فاقتربِ

فقال يزيد : والله ما أصبح في بيت مالي شيء أعرفه ، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته . فجاءه بمائة دينارٍ وحلفَ أنّه لا يملك يومئذٍ غيرها .

[تحسر منصور على شبابه]

وقد أخبرني عمّي بهذا الخبر ، قال : حدّثني محمد بن علي بن حمزة العلوي ، قال : حدّثني عمّي عن جدي ، قال : قال لي منصور النمريّ : كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرٍو التغلبي ، وقد وَخَطني الشيب يومئذٍ ، وعبيد الله شابٌّ حديث السن ، فإذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت ، وقلت فيها : [من البسيط]

لّما رأيتِ سَوامَ الشيبِ منتشِرا ... في لِمَّتي وعبيدَ الله لم يشبِ
سَللتِ سهمينِ من عينيكِ فانتضلا ... على سبيبة ذي الأذيال والطربِ[6]
كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... إلى الفروع معرّاة عن الخشبِ

---

1 شعر منصور النمري : 72–74 .
2 الغرَب : نوع من الشجر .
3 تلغبهن : أصابهن اللغوب ، التعب . العتق : الكرم غير مؤتشب : غير مختلط .
4 المغتزي : القاصد . العريس : مأوى الأسد . الأشب : الشجر الملتفّ .
5 دراك : متلاحق . العنق : سير السريع .
6 سبيبة : خصلة من الشعر .

لا أنتِ أصبحت تعتدِّيننا أربـاً ولا وعيشِك ما أصبحتِ من أربي
إحدى وخمسين قد أنضيت جِدّتها تحول بيني وبين اللهــو واللعبِ[1]
لا تَحسِبنّي وإن أغضيتُ عن بصري غفَلتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيد بن مزيد فقلت : [من البسيط]

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسبِ سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسَبِ
لا تحسب الناسَ قد حابَوْا بني مطرٍ إذا أسلِمَ الجودُ فيهم عاقد الطنبِ
الجود أخشَنُ لمساً يا بنـي مطر من أن تَبُزَّكُموهُ كـفٌ مستلِبِ
ما أعرفَ الناسَ أنّ الجُود مَدفَعةٌ للذمِّ لكنّه يأتــي على النشبِ[2]

قال : فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم .

حدّثني عمّي ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله التميميّ الحزنبل ، قال : حدّثني عمرو بن عثمان الموصلي ، قال حدّثني ابن أبي رَوْق الهمدانيّ ، قال : قال لي منصور النمريّ : دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحاً ، فوجدته نشيطاً طيّب النفس ، فرمتُ شيئاً فما جاءني ، ونظر إليّ مستنطقاً ، فقلت[3] : [من الوافر]

إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدَحْ أميرَ المؤمنــين تَجِـدْ مقالا
وعُــذْ بفِنائــه واجنَـحْ إليه تَنَلْ عُرْفــاً ولم تُذْلِلْ سؤالا
فِنـاءٌ لا تـزال بــــه رِكابٌ وضَعن مدائحـاً وحَمَلن مالا

فقال : والله لئن قصّرت القول لقد أطلتَ المعنى . وأمر لي بصلةٍ سنيّة .

صوت

[من الطويل]

طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمّلوا ببُرقةِ أحـواذ وأنت طروبُ[4]
فبِتُّ أُسَقَّاها سُلافـاً مُدامةً لهــا في عظامِ الشّاربين دبيبُ

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي ، والغناء لعلُّويه ، رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وفيه لسليم خفيف رملٍ ، مطلقٌ في مجرى الوسطى .

1 أنضيت : أخلقت .
2 النشب : المال .
3 شعر منصور النمري : 117 .
4 برقة أحواذ : موضع .

[241] ـ نسب عبد الله بن الحجّاج وأخباره[1]

[نسبه]

هو عبد الله بن الحجّاج بن مِحصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكنى أبا الأقرع . شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مُضر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان ، فلمّا قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزُّبير ، فكان معه إلى أن قُتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكّراً ، واحتال عليه حتى أمّنه .

وأخباره تُذكر في ذلك وغيره هاهنا .

أخبرني بخبره في تنقّله من عسكرٍ إلى عسكر ، ثم استئمانه ، جماعةٌ من شيوخنا ، فذكروه متفرّقاً فابتدأتُ بأسانيدهم ، وجمعتُ خبره من روايتهم .

[الصعلوك المسرع إلى الفتن]

فأخبرنا الحِرْميّ ابن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبير بن بكارٍ ، قال : حدّثني اليزيديّ أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه ، قال : حدّثني سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيدٍ الأموي ؛ وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدّثنا الحسن بن عليلٍ العنزيُّ ، قال : حدّثنا محمد بن معاوية الأسدي ، قال : حدّثنا محمد بن كُناسة ؛ وأخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتَبيل ؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلبٍ ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ ، قالوا : كان عبد الله بن الحجّاج الثعلبيّ شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب ، وكان متسرّعاً إلى الفتن ، فكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص ، فلمّا ظفر به عبدُ الملك هرب إلى ابن الزُّبير ، فكان معه حتى قُتل ، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكُلّم فيه فأمّنه .

[تحايله في الدخول على عبد الملك]

هذه رواية ثعلب ، وقال العنزيُّ وابن أبي سعد في روايتهما : لمّا قُتل عبد الله بن الزُّبير ، وكان عبد الله بن الحجّاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو

1 لعبد الله بن الحجاج الثعلبيّ أبو الأقرع ترجمة في تهذيب ابن عساكر 7 : 348 والمحبر : 213 وأعلام الزركلي . وهو غير عبد الله بن الحجاج بن عبد الله بن كلثوم الباهليّ الأصم الذي هاجى الفرزدق .

يطعم الناس ، فدخل حجرةً ، فقال له : ما لكَ يا هذا لا تأكل ؟ قال : لا أستحِلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إنّي فيه أذنتُ للناس جميعاً . قال : لم أعلم فآكل بأمرك . قال : كلْ . فأكل ، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله ، فلمّا أكل الناس وجلس عبدُ الملك في مجلسه ، وجلس خواصُّه بين يديه ، وتفرّق الناس ، جاء عبد الله بن الحجّاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له ، فأنشده : [من الكامل]

أبلِغْ أميرَ المؤمنين فإنّني ... ممّا لقيتُ مِن الحوادثِ موجَعُ
مُنِعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هارباً ... جيشٌ يَجُرُّ ومِقْنَبٌ يتلمّعُ[1]

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أُمَّ لك ، لولا أنّك مُريبٌ ! فقال عبد الله :

إنّ البلادَ علي وهْي عريضةٌ ... وعُرَت مذاهبُها وسُدّ المطلعُ

فقال له عبد الملك : ذلك بما كَسَبَتْ يداك . وما الله بظلاّمٍ للعبيد . فقال عبدالله : [من الكامل]

كنّا تَنَحّلْنا البصائرَ مَرّةً ... وإليك إذ عمي البصائرُ نرجعُ
إنّ الذي يَعْصِيك منّا بعدها ... مِن دينه وحياته متودِّعُ
آتي رِضاك ولا أعودُ لمثلها ... وأطيعُ أمرَك ما أمرتَ وأسمعُ
أعطي نصيحتي الخليفة ناخِعاً ... وخِزامةَ الأنف المقودِ فأتبعُ[2]

فقال له عبد الملك : هذا لا نقبلُه منك إلاّ بعد المعرفة بك وبذنبك ، فإذا عُرِفَت الحَوبة قبلنا التوبة . فقال عبد الله :

ولقد وطئتَ بني سعيد وطأةً ... وابنَ الزُّبير فعرشه متضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : لله الحمد والمِنّة على ذلك . فقال عبد الله : [من الكامل]

ما زلتَ تضربُ مَنكباً عن منكبٍ ... تعلو ويسفل غيركم ما يُرفعُ
ووَطِئتم في الحرب حتى أصبحوا ... حدثاً يكُوس وغابراً يتجعجعُ[3]
فحوى خلافَتَهم ولم يظلم بها ... القرمُ قرمُ بني قصيٍّ الأنزعُ[4]

---

1 المقنب : فرقة من الخيل ما بين ثلاثين إلى أربعين أو ثلاثمائة .

2 ناخعاً : مخلصاً . الخزامة : حلقة توضع في أنف البعير .

3 يكوس : من كاس البعير إذا مشى على ثلاث بعدما ضرب عرقوبه . يتجعجع : يضرب بنفسه الأرض من الوجع .

4 الأنزع : الذي انحسر شعر رأسه من أعلى الجبين .

لا يستوي خــاوي نجـوم أُفَّلٍ والبـدرُ منبلجـاً إذا مـا يطلعُ[1]
وُضعَتْ أميّــةُ واسطـين لقومهم ووُضِعتَ وسطَهُم فنعـم الموضعُ
بيتٌ أبـو العاصي بنـاه بربـوةٍ عالي المشارف عـزُّه مـا يُدفعُ

فقال له عبد الملك : إنّ توريتك عن نفسك لتُريبني ، فأيُّ الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال : [من الكامل]

حَرَبَــتْ أُصَيْبِيَتي يــدٌ أرسلتها وإليك بعد مَعادِهــا ما ترجعُ
وأرى الذي يرجـو تُــراثَ محمدٍ أَفَلَـتْ نجومهــم ونجمُك يسطعُ

فقال عبد الملك : ذلك جزاءُ أعداءِ الله . فقال عبد الله بن الحجّاج : [من الكامل]

فــانعش أُصَيْبِيَتــي الألاءِ كأنّهم حَجَــلٌ تــدرَّجُ بالشربّـة جُوَّعُ

فقال عبد الملك : لا أنعَشَهُمُ اللهُ ، وأجاع أكبادهم ، ولا أبقى وليداً من نسلهم ، فإنّهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع . فقال عبد الله : [من الكامل]

مــالٌ لهـم ممّـا يُضَنُّ جمعتُــه يـومَ القليب فَحيزَ عنهــم أجمعُ

فقال له عبد الملك : لعلّك أخذتَه من غير حِلّه ، وأنفقته في غير حقّه ، وأرصدت به لُمشاقة[2] أولياء الله ، وأعددته لمعاونة أعدائه ، فنزعه منك إذ استظهرتَ به على معصية الله . فقال عبد الله : [من الكامل]

أدنــو لِتَرْحَمنـي وتجبرَ فاقتـي فــأراك تدفَعُنـي فأيــن المدفعُ

فتبسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار ، فمَن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بنُ الحجاج الثعلبيّ ، وقد وطئتُ دارَكَ وأكلتُ طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنتَ بما عليك في هذا عارف . ثم عاد إلى إنشاده ، فقال : [من الكامل]

ضاقت ثيــابُ المُلبِسين وفضلُهم عنّــي فألبِسْنـي فثوبُـك أوسعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبستَ ! فالتحف به ، ثم قال له عبد الملك : أَوْلى لك والله ، لقد طاولتُك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلدٍ ، وانصرف آمناً ، قُم حيث شئت .

قال اليزيدي في خبره : قال عبد الله بن الحجّاج : ما زلتُ أتعرّف منه كلّ ما أكره حتى

---

1 الخاوي من النجوم : الذي لا مطر معه .

2 المشاقة : المعاداة والمحاربة .

أنشدته قولي : [من الكامل]

ضاقت ثيابُ الملبِسين وفضلُهم عنّي فألبِسني فثوبُك أوسعُ

فرمى عبد الملك مُطرفه ، وقال : البسه ، فلبستُه .

ثم قال : آكل يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل . فأكل حتى شبع ، ثم قال : أمِنتُ وربِّ الكعبة ؟ فقال : كن من شئتَ إلاّ عبد الله بن الحجّاج . قال : فأنا والله هو ، وقد أكلتُ طعامك ، ولبست ثيابك ، فأيُّ خوفٍ عليَّ بعد ذلك ، فأمضى له الأمان .

[لجأ إلى أحيح بن خالد ثم هجاه]

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان عبد الله بن الحجّاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ الشاري ، فلمّا انقضى أمرُهُ هرب ، وضاقت عليه الأرض من شدّة الطلب ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأيت بـلادَ اللهِ وهْيَ عريضةٌ على الخائفِ المطرودِ كِفّةَ حابِلِ[1]

تـؤدِّي إليـه أن كلّ ثَنيَّـةٍ تيمَّمَهـا ترمـي إليـه بقاتلِ

قال : ثم لجأ إلى أُحَيْح بن خالد بن عُقبة بن أبي مُعيطٍ ، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه بالشُّرَط ، فأُخِذ من دار أحيح ، فأُتِي به الوليد فحبسه ، فقال وهو في الحبس : [من الوافر]

أقـول وذاك فرطُ الشوقِ منّي لعينـي إذ نأت ظمياءُ فِيضي[2]

فمـا للقلـب صبرٌ يوم بانت ومـا للدمع يُسفَح مـن مَغيضِ

كـأن مُعَتَّقـاً مـن أذرِعات بمـاء سحابة خَصِرٍ فضيضِ[3]

بِفيهـا ، إذ تخافِتُني حياءً بسرٍّ لا تبـوح بـه خفيضِ

يقول فيها :

فـإن يُعْرِضْ أبو العبّاسِ عنّـي ويركبْ بي عَروضاً عن عَروضِ

ويجعـلْ عُرْفَـه يومـاً لِغيري ويُبْغضني فإنّـي مِـن بغِيضِ

فإنّي ذو غِنًـى وكريـمُ قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريضِ

---

1 كفة حابل : مصيدة صائد .

2 ظمياء هنا : اسم امرأة .

3 معتق : صفة الشراب . أذرعات : بلدة بالشام مشهورة بالخمر . فضيض : متفرق .

غلبتَ بني أبي العاصي سَماحاً   وفي الحرب المذكَّرة العضوضِ[1]
خرجتَ عليهمُ في كلّ يومٍ   خروجَ القِدْح من كفٍّ المُفِيضِ[2]
فِدًى لك مَنْ إذا ما جئتُ يوما   تلقّاني بجامعة رَبُوضِ[3]
على جنب الخُوان وذاك لؤمٌ   وبئست تُحفَة الشيخ المريضِ
كأنّي إذْ فزِعتُ إلى أُحَيْحٍ   فزعتُ إلى مُقَوْقِيةٍ بَيُوضِ
إوزةِ غَيضةٍ لقِحت كِشافاً   لِقُحْقُحِها إذا درجت نقيضُ[4]

قال : فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين : إنّ عبد الله بن الحجّاج قد هجاك . قال : بماذا ؟ فأنشده قوله : [من الوافر]

فإن يُعرضْ أبو العباس عنّي   ويركبْ بي عَروضاً عن عروضِ
ويجعلْ عُرْفَه يوماً لغيري   ويُبْغضْني فإنّي من بغيضِ

فقال الوليد : وأيُّ هجاءٍ هذا ؟ هو من بغيض إن أعرضتُ عنه ، أو أقبلت عليه ، أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده :

كأنّي إذ فزعتُ إلى أُحيحٍ   فَزِعت إلى مُقوقيةٍ بيوضِ

فضحك الوليد ، ثم قال : ما أراهُ هجا غيرك . فلمّا خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجّاج ، فأُطلِق . وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه .

[هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين]

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة . وحدّثني يعقوب بن القاسم الطلحي ، قال : حدّثني غير واحد ، منهم عبد الرحمن بن محمد الطَّلحي ، قال : حدّثني أحمد بن معاوية ، قال : سمعت أبا علقمة الثقفيَّ يحدث . قال أبو زيدٍ[5] : وفي حديث بعضِهم ما ليس في حديث الآخر ، وقد ألَّفتُ ذلك ، قال : كان كَثِيرُ بن شهاب بن الحصين بن ذي الغُصّة بن يزيد بن شدّاد بن قَنان بن سلمة بن

1 المذكرة العضوض : الشديدة .
2 المفيض : الضارب بقداح الميسر .
3 الجامعة : الغل . والربوض : الثقيلة .
4 الكشاف : أن تلقح حين تبيض . القحقح : العظم المحيط بالدبر . نقيض : صوت . وفي البيت إقواء .
5 أبو زيد : عمر بن شبة .

وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب ، على ثغر الرَّيّ ، ولاّه إيّاه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبدُ الله بنُ الحجّاج معه ، فأغار الناس على الدّيلم ، فأصاب عبدُ الله بن الحجّاج رجلاً منهم ، فأخذ سَلَبَهُ ، فانتزعه منه كَثير ، وأمر بضربه ، فضُرب مائة سوطٍ ، وحُبس ، فقال عبد الله في ذلك ، وهو محبوس : [من الطويل]

تسائِلُ سلمى عن أبيها صِحابَه ... وقد علِقَتْه من كَثيرٍ حبائلُ
فلا تسألي عنّي الرفاقَ فإنّه ... بأبهَرَ لا غازٍ ولا هو قافِلُ[1]
ألستُ ضربت الدَّيلميَّ أمامَهم ... فجدَّلتُه فيه سِنانٌ وعاملُ[2]

فمكث في الحبس مدّةً ، ثم أُخْلِيَ سبيلُه ، فقال : [من الطويل]

سأترك ثغر الريّ ما كنت واليا ... عليهِ لأمرٍ غالني وشجاني
فإن أنا لم أُدْرِك بثأري وأُتَّئِرْ ... فلا تدعني للصِّيدِ من غطفانِ
تمنّيتَني يا ابنَ الحصينِ سَفاهةً ... وما لك بي يا ابن الحصينِ يدانِ
فإنّي زعيمٌ أنْ أجَلِّلَ عاجلاً ... بسيفي كِفاحاً هامةَ ابنِ قَنانِ

[انتقامه من كثير]

قال : فلمّا عُزِل كثيرٌ وقدم الكوفة كَمِنَ له عبد الله بن الحجّاج في سوق التَّمّارين ، وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وكان كَثير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّث المغيرة ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال ، وخرج من عنده مُمْسِياً يريد داره ، فضربه عبد الله بعمود حديدٍ على وجهه فهتّم مقاديم أسنانه كلَّها ، وقال في ذلك : [من الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ قَيْساً وخندفَ أنّني ... ضربتُ كثيراً مضرِب الظَّربانِ[3]
فأُقسِمُ لا تَنْفَكُّ ضربةُ وجهِه ... تُذِل وتُخْزِي الدَّهرَ كلَّ يَمانِ
فإن تَلقني تلق امرءاً قد لقيته ... سريعاً إلى الهيجاء غير جبانِ
وتلق امرءاً لم تلق أمُّك برَّه ... على سابح غَوْجِ اللَّبانِ حِصانِ[4]

1 أبهر : بلدة في فارس .
2 جدّله : صرعه . العامل : صدر الرمح .
3 الظربان : حيوان صغير كريه الرائحة . وقوله «مضرب الظربان» يعني أنه ضربه في وجهه فخطّه مثلما للظربان خط (اللسان) .
4 غوج البنان : واسع الصدر .

وحوليَ من قيسٍ وخندِفَ عصبةٌ كـرامٌ عـلى البأساء والحدثانِ
وإن تك للسِّنْخ الذي غَصَّ بالحصى فإنِّي لِقَـرمٍ يـا كثيرُ هِجانِ[1]
أنا ابن بنـي قيس عليّ تعطفت بغيضُ بن ريثٍ بعـدَ آل دجانِ

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجّاج : [من الكامل]

مـن مبلغ قيساً وخنـدف أنّني أدركت مَظلِمَتي من ابن شهابِ
أدركتُـه أجـري على مَحْبُـوكةٍ سُرُح الجـراء طويلةِ الأقرابِ[2]
جـرداءَ سُرحـوبٍ كأنّ هُويَّهـا تعلُـو بجُؤْجُئِهـا هُـوِيُّ عُقابِ[3]
خُضتُ الظلام وقد بدت لي عورةٌ منـه فأضربـه عـلى الأنيـابِ
فتركتُـه يكبـو لِفيـهِ وأنفِـهِ ذَهِـلَ الجَنان مضرَّجَ الأثوابِ
هـلا خشِيتَ وأنت عـادٍ ظالمٌ بقصور أبْهَـرَ نُصرتـي وعقابي
إذ تستحِلُّ ، وكان ذاك مُحَرَّمـاً جَلـدي وتَنزعُ ظالمـا أثوابي
مـا ضرّه والحُـرُّ يطلـب وتره بـأشمَّ لا رعشٍ ولا قبقـابِ[4]

[انتصار معاوية لعبد الله بن الحجّاج]

قال : فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية : إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيتَ أن تُقيدنا من أسماء بن خارجة . فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيتُ كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء . وحبس عبد الله بن الحجّاج ، وكتب إليهم : «إنّ القودَ ممن لم يجنِ محظورٌ ، والجاني محبوسٌ ، حبسته فليقتصَّ منه المجنيُّ عليه» . فقال كثير بن شهابٍ : لا أستقيدها إلاّ من سيد مضر . فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيّد مضر فليستقدها منّي ، وأمَّن عبد الله بن الحجّاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصّ ولا أخذ له عقلاً .

[عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج]

قال أبو زيد : وقال خـلاّدٌ الأرقط في حديثه : إن عبد الله بن الحجاج لمّا ضربه بالعمود ، قال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالريّ ، وقد قابلتُك بما فعلتَ بي ،

---

1 السنخ : الأصل . القرم : السيد الشجاع . الهجان : الرجل الحسيب .
2 محبوكة : فرس قوية . سرح الجراء : سريعة في جريها . الأقراب : جمع قرب ، الخاصرة .
3 السرحوب : الفرس الطويلة . هوي عقاب : في سرعة العقاب في انقضاضه .
4 الرعش : المضطرب . القبقاب : الكذاب أو المهذار ، وفي ل : هياب .

ولم أكن لأكتمك نفسي ، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقودٍ لأقتلنّك . فقال له : أنا أقتصُّ من مثلك ! والله لا أرضى بالقِصاص إلاّ من أسماء بن خارجة ؛ وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة ، فكتب معاوية إلى المغيرة : أن أحضِر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتصّ كثير أو يعفو . فأحضرهما المغيرة ، فقال : قد عفوت ؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . قال : وقال لي : يا أبا الأقيرع ، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان ، وقد عفوتُ عنك .

[حراث ينبش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي ، قال : كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما : عُوَين ، والثاني جُندَب ، فمات جندب وعبدُ الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة ، فمرّ أخوه عوير بحرّاثٍ إلى جانب قبر جندب ، فنهاه أن يقربه بفدّانه ، وحذّره ذلك ، فلمّا كان الغد وجده قد حرث جانبه ، وقد نبشه وأضرّ به ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه . وقال : [من الطويل]

أقــول لحرّاثــي حريمـي جنّبا فَدانَيْكما لا تُحرثا قبر جندبِ
فإنّكمــا إن تحرثــاه تُشرّدا ويذهبْ فَدانٌ منكما كلَّ مذهبِ

[عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه]

قال : فأخذ عوين ، فاعتقله السجّان ، فضربه حتى شغله بنفسه ، ثم هرب ، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه ، وأمر بألاّ يتعقَّب ، فقال عبد الله بن الحجاج ، يذكر ما كان من ابنه عوين : [من الوافر]

لَمثلُكَ يا عوينُ فدتك نفسي نجا مــن كُرْبــةٍ إن كان ناجي
عَرَفتك من مُصاصِ السِّنْخِ لما تركت ابن العُكامِسِ في العجاجِ

[يستعطف عبد الملك]

قال : ولمّا وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثَل بين يديه ، فأنشده : [من الرجز]

يا ابن أبي العاصي ويا خير فَتى أنت النجيبُ والخِيــارُ المصطفى
أنت الذي لم تــدَعِ الأمرَ سُدى حــين كشفتَ الظّلماتِ بالهدى
مــا زلتَ إن نازٍ على الأمر انتزى قَضَيتــه إن القضاء قــد مضى
كما أذقتَ ابــن سعيــدٍ إذ عصى وابــنَ الزُّبير إذ تسمَّــى وطغى

وأنتَ إن عُـدَّ قديـم وبِنـى … من عبد شمس في الشَّماريخ العُلى
جِيبت قريشٌ عنكمُ جَوبَ الرَّحى … هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى[1]
أهْـوى على مَهْـواةِ بِئرٍ فهَوى … رَمـى بـه جُولٌ إلى جُول الرجا[2]
فتجبرَ اليومَ بـه شيخـاً ذَوى … يعوِي مع الذئب إذا الذئبُ عوى
وإن أراد النـومَ لم يَقضِ الكرى … من هَولِ مـا لاقى وأهوال الردى
يشكرُ ذاك مـا نفَت عينٌ قذى … نفسي وآبائـي لـك اليـوم الفِدا

فأمر عبد الملك بتحمُّل ما يلزم ابنه من غُرم وعَقل ، وأمّنه .

[عند عبد العزيز بن مروان]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ ، قال : وفد عبد الله بن الحجّاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه ، فأجزل صلته ، وأمره بأن يقيم عنده ففعل ، فلمّا طال مقامُه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ، فخرج من عنده غاضباً ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ، ورجع عبدُ الله لما أضرَّ به ذلك إلى عبد العزيز ، وقال يمدحه : [من الطويل]

تركـت ابن ليلى ضَلَّـةً وحَرِيمَه … وعند ابـنِ ليـلى معقِـل ومُعَوَّلُ
ألم يَهـدِني أنَّ المُراغَـم واسعٌ … وأنّ الديـار بالمقيـمِ تَنَقَّـلُ[3]
سأحكم أمري إن بدا لي رشدُه … وأختار أهلَ الخيرِ إن كنتُ أعقلُ
وأترك أوطاري وألحـقُ بامرىء … تَحَلَّبُ كفاه النَّدى حـين يسألُ
أبت لك يـا عبدَ العزيزِ مآثرٌ … وجَريٌ شأى جـرْيَ الجياد وأوّلُ
أبى لك إذْ أكدَوْا وقلَّ عطاؤُهم … مواهـبُ فَيّـاض ومجـدٌ مؤثَّلُ
أبوك الذي يَنْميك مـروانُ للعلى … وسعدُ الفتى بالخال لا من يُخوَّلُ

فقال له عبد العزيز : أمّا إذْ عرفت موضع خطئك ، واعترفتَ به فقد صفحتُ عنك . وأمر بإطلاق عطائه ، ووَصَلَه ، وقال له : أقِم ما شئت عندنا ، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت .

1 جوى الرحى : أي خرقت كالرحى ، فهم قطبها وغيرهم يدور حولها .
2 الجول : جدار البئر . والرجا : ناحية البئر .
3 المراغم : المهرب .

[ظلمه عمر بن هبيرة فاستعان بقومه]

ونسخت من كتابه أيضاً : كان عمر بن هبيرة بن معيَّة بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجّاج حقّاً له ، واستعان عليه بقومه ، فلَقُوه في بعلبك ، فعاونوا عبد الله بن الحجّاج عليه ، وفرّقوه[1] بالسياط حتى انتزعوا حقَّه منه ، فقال عبد الله في ذلك : [من الوافر]

ألا أبلِغْ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بُسَيْطةُ فالمعاطُ[2]
أميطُوا عنكم ضرطَ ابن ضرطٍ فإنّ الخبثَ مِثلهم يُماطُ
ولي حقٌّ فَراطةُ أوّلينا قديما والحقوق لها افتراطُ[3]
فما زالت مباسطتي ومَجدي وما زال التهايطُ والمِياطُ[4]
وجدِّي بالسياط عليك حتى تُركتَ وفي ذُنابَاكَ انبساطُ
متى ما تعترِضْ يوماً لحقِّي تلاقِك دونَه سُعْر سباطُ[5]
من الحيَّينِ ثعلبةَ بن سعدٍ ومرّةَ أُخذُ جمعِهِم اعتباطُ[6]
تراهم في البيوت وهُم كسالى وفي الهيجا إذا هِيجوا نِشاطُ

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجّاج أوّلها : [من الطويل]

نَأَتْكَ ولم تَخشَ الفِراقَ جَنوبُ وشطَّت نَوًى بالظاعنين شَعوبُ[7]
طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمَّلوا بِبُرقَةِ أحوازٍ وأنتَ طروبُ
فظَلْتُ كأنّي ساورتني مُدامةٌ تمنّى بها شَكْسُ الطِّباعِ أريبُ
تُمِرُّ وتستحلي على ذاك شَرْبُها لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيبُ
تذكرت ذكرى من جنوبَ مصيبة وما لك من ذكرى جنوب نصيبُ
وأنّى ترجِّي الوصلَ منها وقد نأت وتَبخلُ بالموجودِ وَهْيَ قريبُ
فما فوقَ وجدي إذ نأتْ وَجْدُ واجدٍ من الناس لو كانت بذاك تثيبُ

1 في ل : وقنّعوه .
2 البسيطة ومعاط : موضعان .
3 الفراطة : السابقة . افتراط : يخاف فوتها .
4 التهابط والمياط : الدنو والتباعد .
5 سعر في ل : سمر . والسعر : القليلة اللحم . سباط : طوال .
6 الاعتباط : القاء الرجل نفسه في الحرب غير مكره .
7 شعوب : مفرقة .

بَرهرهةٌ خَود كأنَّ ثيابها ... على الشَّمس تبدو تارةً وتغيبُ[1]

وهي قصيدةٌ طويلة .

[الحجاج يطلب إيفاد عبد الله بن الحجاج إليه لقتله]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ ، قال : كتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفُه آثار عبد الله بن الحجّاج ، وبلاءه من محاربته ، وأنّه بلغه أنّه أمَّنه ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولّى قتله ، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجّاج ، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ، ثم أنشده : [من الطويل]

أعوذُ بثوبَيْك اللذَيْنِ ارتداهما ... كريمُ الثَّنا مِن جَيبه المسكُ ينفحُ

فإن كنتُ مأكولاً فكن أنتَ آكلي ... وإن كنتُ مذبوحاً فكن أنتَ تذبحُ

فقال عبد الملك : ما صنعْتَ شيئاً . فقال عبدُ الله : [من الطويل]

لأنتَ وخيرُ الظّافرين كرامُهمْ ... عن المذنب الخاشي العقابَ صَفُوحُ

ولو زَلِقَتْ من قبلِ عفوك نعلُه ... ترامى به دَحْض المَقام بريحُ[2]

نمى بك إن خانت رجالاً عُرُوقهم ... أُرُومٌ ودِينٌ لم يَخُنْكَ صحيحُ

وَعَرْفٌ سَرى لم يَسرِ في الناس مثلُه ... وشأوٌ على شأو الرجال مَتوحُ[3]

تدارَكَني عفُو ابن مروانَ بعدما ... جَرى لي من بعد الحياة سنيحُ

رفعتُ مرِيحاً ناظريَّ ولم أكد ... من الهمِّ والكرب الشديد أريحُ

[عبد الملك يمنع الحجّاج من التعرّض له]

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج : إنّي قد عرفت من خُبثِ عبد الله وفسقه ما لا يزيدني عِلماً به ، إلاّ أنّه اغتفلني متنكّراً ، فدخل دارِي ، وتحرّم بطعامي ، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي ، وأعاذني فأعذته ، وفي دون هذا ما حَظَر عليَّ دَمَه ، وعبد الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقِعَ أمراً ، أو ينكث عهداً في قتله خوفاً من شرّه ، فإنْ شَكَرَ النعمة واقام على الطاعة فلا سبيلَ عليه ، وإن كفر ما أُوتِي[4] وشاقَّ اللهَ ورسوله وأولياءه فاللهُ قاتِلُه بسيف البغي الذي قتل به نظراؤهُ ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه ، من الملحدين ، فلا تعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيتِه إلاّ بخيرٍ ، والسلام .

---

1 برهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة . الخود : الحسنة الشابة .
2 الدحض : الزلق . البريح : المتعب .
3 الشأو : السبق والغاية . متوح : بعيد .
4 ل : أولي .

[الوليد يأمر عبد الله بمنازلة رجل في بركة ماء]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ، قال: كانت في القريتين بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دَعْكَنة، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلاّ غطّه حتى يغلبه، فغطّ يوماً فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ: اللهم اصببْ علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجّاج. فكان أوّل رجلٍ انحدرت به راحلته، فأناخها ونزل. فقال ابن هبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيّهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرّضٌ للناس وقد صدّوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إنّي أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلاّ بقتله، أو أقتله فلا يرضى قومه إلاّ بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال. فقال دعكنة: يا أمير المؤمنين هو في حِلٍّ وأنا في حلّ. فقال له الوليد: دونك. فتكأكأ[1] ساعةً كالكارِه حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبيَّ وهوى به إلى قعرها، ولزمه حتى وجد الموت، ثم خلّى عنه، فلمّا علا غطّه غطّةً ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تَرَوَّح، ثم أعاده وأمسكه حتى مات، وخرج ابنُ الحجّاج وبقي الكلبيُّ، فغضب الوليد وهمَّ به، فكلّمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يُمكِّنُ الكلبيَّ من نفسه حتى يقتله؟ فكفّ عنه. فقال عبد الله بن الحجّاج في ذلك: [من البسيط]

نجّاني اللهُ فرداً لا شريك له ... بالقريتين ونفسٌ صُلبةُ العودِ
وذِمَّة مِن يزيدٍ حالَ جانِبُها ... دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهودِ
لولا الإلهُ وصبري في مغاطستي ... كان السليمَ وكنت الهالكَ المودي

صوت

[من البسيط]

يا حَبَّذا عملُ الشيطان من عمل ... إنْ كان من عمل الشيطان حُبِّيها
لَنظرةٌ من سليمى اليومَ واحدةٌ ... أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها

الشعر لناهض بن ثُومة الكلابيٌّ، أنشدنيه هاشم بن محمدٍ الخزاعيُّ، قال: أنشدنا الرياشيُّ قال: أنشدنا ناهضُ بن ثومة أبو العطاف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه. وأخبرني بمثل ذلك عمّي عن الكُرانيِّ عن الرياشي. والغناءُ لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثقيلٌ أوّل يُنشد بالوسطى.

1 تكأكأ: تراجع وجبن.

[242] ـ أخبار ناهض بن ثومة ونسبه[1]

[نسبه]

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نَهيكِ بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أُنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر بدويٌّ فارس فصيح ، من الشعراء في الدولة العباسية ، وكان يقدم البصرة فيُكتَبُ عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشي ، وأبو سراقة ، ودَماذ وغيرهم من رواة البصرة . وكان يهجوه[2] رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ ، يقال له : نافع بن أشعر الحارثيُّ ، فأبرَّ عليه ناهض . فممّا قاله في جواب قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ ، قصيدة ناهضٍ التي أوّلها : [من الطويل]

ألا يـا أسلما يـا أيُّها الطللانِ وهـلْ سالمٌ بـاقٍ عـلى الحدَثانِ
أبينا لنـا ، حُيِّيتُما اليـومَ ، إنّنا مبينان عـن مَيْـلٍ بمـا تَسَلانِ
متى العهدُ مِنْ سلمى التي بتَّت القُوى وأسمـاءَ إن العهـد منـذ زمانِ
ولا زال ينهـلُّ الغمـامُ عليكما سبيلَ الرّبى مـن وابلٍ ودِجانِ
فـإن أنتمـا بيَّنتمـا أو أجبتما فـلا زلتمـا بالنبتِ ترتديانِ
وجُـرَّ الحريـرُ والفِرندُ عليكما بأذيالِ رَخْصاتِ الأكُفِّ هِجانِ[3]
نظرت ودوني قِيـدُ رمحين نظرةً بعينـين إنساناهمـا غِرقـانِ
إلى ظُعُـنٍ بالعاقِرَيـن كأنّها قرائنُ مـن دوحِ الكثيبِ ثمانِ[4]
لسلمى وأسمـاءَ اللتـين أُكنّتا بقلبي كنينَـيْ لوعـةٍ وضمانِ[5]
عسى يُعقِبُ الهجرُ الطويل تدانياً ويـا ربَّ هجـرٍ معقب بتداني
خليليَّ قـد أكثرتما اللومَ فاربَعا كَفانيَ ما بي لـو تُركتُ كفاني[6]

1 لناهض بن تومة ترجمة في أعلام الزركلي ، وانظر كتاب الحيوان 7 : 112 وتاج العروس 5 : 96 .
2 ل : يهاجيه .
3 الفرند : ضرب من الثياب . الهجان : البيض أو النساء الكريمات الحسب .
4 العاقران : أرضان في وادي العقيق . قرائن : متماثلات .
5 كنيني : مثنى كنين ، أي مكنون .
6 اربعا : أمسكا .

إذا لم تصلْ سَلمى وأسماءُ في الصِّبا بحبليهما حَبْلي فمن تصلانِ
فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ومَعواه من نَجرانَ حيث عواني
عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه مقيماً بِلوذيْ يَذْبُلٍ وذقانِ[1]
لعمري لقد قال ابنُ أشعَرَ نافعٌ مقالةَ موطوء الحريم مهانِ[2]
أيزعم أنّ العامريّ لفعله بعاقِبةٍ يُرمى به الرجوانِ[3]
ويذكر إن لاقاه زلّةَ نعلهِ فجيءْ الذي لم يستبن ببيانِ
كذبت ولكِن بابن علبة جعفرٍ فدَع ما تمنّى زلّتِ القدمانِ
أصيب فلم يُعقَل وطُلّ فلم يُقَد فذاك الذي يَخزى به الأبوانِ[4]
وحُقَّ لِمَن كان ابنُ أشعر ثائراً به الطَّلُّ حتّى يحشر الثّقلانِ
ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمى يسومُه بنو عامر ضَيْماً بكل مكانِ
فلم يبق إلاّ قوله بلسانه وما ضَرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانِ
هجا نافعٌ كعباً ليدرك وِتره ولم يهجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ
ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوانِ[5]
وقد خضَّبوا وجهَ ابن علبةَ جعفرٍ خضابَ نجيع لا خضابَ دهانِ
فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ بسيف ولم يطعنْهمُ بِسِنانِ
فما لك مَهْجًى يا ابن أشعر فاكتعِم على حجر واصبر لكلّ هوانِ
إذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمِّه فليس يُجَلَّى العارُ بالهذيانِ
أبي قيسُ عيلانٍ وعمِّيَ خندفٌ ذَوا البذخِ عند الفخر والخطرانِ
إذا ما تجمَّعْنا وسارت حِذاءنا ربيعة لم يُعدل بنا أخوانِ
أليس نبيُّ الله منّا محمد وحمزةُ والعباسُ والعمرانِ

1 اللوذ : الجانب . يذبل وذقان : جبلان .
2 نافع في ل : أضرع . وكذلك حيثما وردت في القصيدة .
3 المثل : حتى متى يرمى بي الرجوان : (الميداني 1 : 213) ويضرب في الجفوة والاقصاء . والرجوان : جانبا البئر .
4 لم يعقل : لم تؤد ديته . طل : هدر دمه . لم يقد : لم يقتل قاتله به .
5 القوارع : الإصابات . الوضح : جمع واضحة ، وهي الشجة التي تكشف العظم . القواني : جمع قانية ، شديدة الحمرة .

ومنّا ابنُ عباسٍ ومنّـا ابن عمِّه ... عـليٌّ إمـامُ الحـقّ والحسنانِ
وعثمان والصِّدِّيـقُ منّـا وإنّنـا ... لنعلـم أن الحـقَّ مـا يَعـدانِ
ومنـا بنو العباس فضلا فمن لكم ... هَلُمُّـوه أو لا ينطِقَـنَّ يمـانِ

[ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه]

قال : فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار ، فلمّا خَتَمها بهذا البيت قال الأنصاري : أخرسنا أخرسه الله !

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

ألا مَن لقلبٍ في الحِجاز قسيمُه ... ومنـه بأكنـافِ الحجـازِ قسيمُ
معاودِ شكوى أن نأت أمُّ سالِمٍ ... كما يشتكِي جُنحَ الظـلامِ سليمُ[1]
سلِيـمٌ لصـلٌّ أسلمته لمـا بـهِ ... رُقًـى قـلّ عنـه دفعُها وتميمُ[2]
فلـم تَـرِم الدارَ البريصاءَ فالصفا ... صَفاهـا فخَلاَّهـا فأيـن تريمُ[3]
وقفـت عليهـا بـازلاً ناهِجِيَّـةً ... إذا لم أُزعهـا بالزمـامِ تَعُـومُ[4]
كِنازاً مـن اللاتـي كأنَّ عِظامها ... جُبِرْنَ على كسر فهـنَّ عشـوم[5]

[بداوة ناهض]

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم ، قال : حدّثني الفضل بن العباس الهاشميّ من ولد قُثَم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال : كان ناهض بن ثومة الكلابيّ يفِد على جدّي قُثَم فيمدحه ، ويصِلهُ جدّي وغيره[6] ، وكان بدويّاً جافياً كأنّه من الوحش ، وكان طيِّب الحديث ، فحدّثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقاً لـه مـن ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فإذا نزل نواحيَها أتاه فمدحه ، وكان برّاً به .

[ناهض يصف وليمة]

قال : فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن بن عبد الله الهلاليّ ، فرأيت دوراً متباينة وخِصاصاً قد ضمّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثيابٌ

---

1 السليم : الملدوغ .
2 تميم : جمع تميمة .
3 الخل : الطريق النافذ في الرمل .
4 ل : أذدها .
5 العثوم : المنجبرة على غير استواء .
6 ل : ويميره .

تَحكي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر . ثم ثاب ما عزَب عن عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى ؟ فبينا أنا واقفٌ متعجِّب أتاني رجل فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قَوْراء[1] ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّد في وجهه فُرُش ومُهِّدت ، وعليها شابٌّ ينال فروع شعره منكبيه ، والناس حوله سِماطان . فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِي لنا جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجُلٌ يدي ، وقال : اجلس فإن هذا ليس بأمير . قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثكل أمّاه ، لربّ عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هَنٍ أمّه . فلم أنشَب أن دخل رجالٌ يحملون هَناتٍ[2] مدوّراتٍ ، أمّا ما خفَّ منها فيُحمل حملاً ، وأمّا ما كبر وثقُل فيدحرج . فوضِع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ، ثم أُتينا بخِرقٍ بيضٍ فأُلْقِيَتْ بين أيدينا ، فظننتُها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منها خِرقاً أقطّعها قميصاً ، وذلك أنّي رأيتُ نسجاً مُتلاحِماً لا يبين له سَدًى ولا لحمة ، فلمّا بسطَهُ القوم بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً ، وإذا هو ، فيما زعموا ، صِنفٌ من الخُبز لا أعرفه ؛ ثم أُتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ ، وحار وباردٍ ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبه من التَّخَم والبَشَم ؛ ثم أُتينا بشرابٍ أحمر في عِساس[3] ، فقلت : لا حاجة لي فيه ، فإنّي أخاف أن يقتلني . وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه ، فإنّه كان ينصح لي من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابي إنّك قد أكثرتَ من الطعام ، وإن شربت الماء هَمى بطنُك . فلمّا ذكر البطن تذكّرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي ، قالوا : لا تزال حيّاً ما كان بطنُك شديداً فإذا اختلف فأوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت أُكثِر منه فلا أَمَلُّ شربَه ، فتداخلني من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسي ، وبكاءٌ لا أعرِف سببه ولا عهد لي بمثله ، واقتدارٌ على أمري أظنُّ معه أنّي لو أردتُ نيل السَّقف لبلغته ، ولو ساورت الأسد لقتلته . وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتُحدِّثني نفسي بهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه ، وأَهُمُّ أحياناً أن أقول له : يا ابن الزانية ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة ، أحدهم قد عَلَّق في عنقه جَعبة فارسيّة مشنّجة[4] الطرفين دقيقة الوسط ، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً ؛ ثم بدر الثاني

1 قوراء : واسعة .
2 هنات : أشياء .
3 العساس : القداح الكبيرة .
4 مشنجة : متقبضة .

فاستخرج من كمِّه هَنَةً سوداء كفيشلة الحمار ، فوضعها في فيه ، وضرط ضُراطاً لم أسمع ، وبيت الله ، أعجَبَ منه ، فاستتمّ بها أمرهم ، ثم حرّك أصابعه على أجْحِرةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ، ولكنّه أتى منها لمّا حرّك أصابعه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكلٍ بعضُه لبعض ، كأنّه ، علم الله ، ينطِق . ثم بدا ثالث كزٌّ[1] مقيت عليه قميص وسخ ، معه مِرآتان ، فجعل يصفّق بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحدٍ منهما ، فجعل يقفِز كأنّه يثب على ظهور العقارب ، ثم التبط[2] به على الأرض ، فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القومِ عندي . ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً . ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتِعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهنّ[3] من بعدٍ ، وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها ، فيها خيوطٌ أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت ، وربِّ الكعبة ، وإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قطّ ، وغنّى عليها ، فأطربني حتى استخفّني من مجلسي . فوثبتُ فجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمّي ، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلِقَتْ إلاّ قريباً . فقال : هذا البربط[4] ؟ فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المَثْنى . قلت : فالثالث ؟ قال : المَثْلث . قلت : فالأعلى ؟ قال : البمُّ . قلت : آمنت بالله أوّلاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقط ، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه .

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدّثنا عليٌّ بن محمد النوفليٌّ ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب ، فأتاه أعرابيٌّ ، فقال له : حدّث أبا عبد الله ، يعني الهيثم بن يزيد النخعيّ ، بما رأيت في حاضر المسلمين . فحدّثه بنحوٍ من هذا الحديث ، ولم يُسَمِّ الأعرابيَّ باسمه ، وما أجدَرَه بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفْهُ الذي حدّث به النوفليّ عنه .

---

1 كز : متجهم .

2 التبط به : صرع .

3 ل : أصواتهم .

4 البربط : العود .

[طرحت إبل الكعبيّ رجلاً فعقر بعضها فقامت الحرب]

نسخت من كتاب لعليّ بن محمد الكوفيّ فيه شعر ناهض بن ثومة قال : كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّج امرأةً من بني كلاب ، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلّقها ، وأقام بموضعه في بني كلاب ، وكانوا لا يزالون يستخفُّون به ويظلمونه ، وإن رجلاً منهم أوردَ إبله الماء فوردت إبلُ الكعبيَّ عليها ، فزاحمته ، لكنها ألقته على ظهره فتكشَّف ، فقام مُغضَباً بسيفه إلى إبل الكعبيّ ، فعقر منها عدّة ، وجَلاها عن الحوض ، ومضى الكعبيُّ مستصرخاً بني كلاب على الرجل ، فلم يُصرخوه فساق باقي إبله واحتمل بأهله[1] حتى رجع إلى عشيرته ، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم ، فغضبوا له ، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب ، فاستاقوا إبل الرجل الذي عَقَرَ لصاحبهم ، ومضى الرجل فجمع عشيرته ، وتداعت هي وكعبٌ للقتال ، فتحاربوا في ذلك حرباً شديدة ، وتمادى الشرُّ بينهم . حتى تساعى حلماؤهم في القضية ، فأصلحوها على أن يُعقَل القتلى والجرحى ، وتُردَّ الإبل ، وتُرسَل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبيّ ، فتراضوا بذلك واصطلحوا ، وعادوا إلى الألفة ، فقال في ذلك ناهض بن ثومة : [من الوافر]

أمِـن طلـل بأخطـبَ أبَّدَتـه ... نِجاءُ الويـل والدِّيَمُ النُّضاحُ[2]
ومَرُّ الدهـر يومـاً بعد يـوم ... فما أبقـى المساءُ ولا الصباحُ
فكـلّ محَلّـة غنيت بسلمى ... لرَيدات الريـاح بهـا نُواحُ[3]
تَظُلُّ على الجفون الحزنَ حتّى ... دمـوعُ العـين ناكزةٌ نزاحُ[4]

وهي طويلةٌ يقول فيها :

هنيئـاً للعدى سَخَـطٌ ورَغْمٌ ... وللفرْعَـين بينهمـا اصطلاحُ
وللعـين الرقـادُ فقـد أطالت ... مساهـرةً وللقلـب انتجاحُ
وقـد قـال العُداةُ نرى كلاباً ... وكعبـاً بـين صلحهما افتتاحُ
تداعَـوْا للسَّلام وأمر نُجْـحٍ ... وخيرُ الأمـرِ ما فيـه النجاحُ

---

1 ل : بماله .
2 أخطب : جبل بنجد . أبدته : أوحشته . النجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذي نزل ماؤه .
3 ريدات الرياح : الرياح الكثيرة الهبوب .
4 العين الناكزة النزاح : التي فني ماؤها .

ومـــدُّوا بينهم بحبـال مَجْدٍ وثــدي لا أَجَـدُّ ولا ضَياحُ[1]
ألم تَـرَ أنَّ جمع القوم يُخْشى وأن حَريـم واحدِهـم مباحُ
وأنْ القِدْح حـين يكون فرداً فيُهْصر لا يكـون لـه اقتداحُ[2]
وإنّك إن قبضت بها جميعـاً أبت ما سُمْت واحدَها القداحُ
كـذاك تَفرّقُ الإخوان ممّـا يُذلّهـمُ وفي الـذلّ افتضاحُ
أنـا الخطّارُ دون بنـي كلاب وكعـبٍ أن أتيح لهـم مُتاحُ[3]
أنا الحامـي لهـم ولكلّ قَـرْمٍ أخٌ حامٍ إذا جَـد النِّضاحُ[4]
أنـــا الليثُ الذي لا يزدهيه عُـواءُ العاويـات ولا النُّباحُ
سل الشعراءَ عنّي هـل أقرت بقلبي أو عفـت لهـم الجراحُ
فمـا لكواهـل الشُّعَراء بـدٌّ مـن القَتَب الذي فيه لَحاحُ[5]
ومـن توريك راكبه عليهم وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا[6]

[الحرب بين كلاب ونمير]

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره ، أنّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر ، وكانت لكلابٍ على بني نمير ؛ وأنّ نميراً استغاثت ببني تميم ، ولجأت إلى مالك بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر ، فمنع تميماً من إنجادهم ، وقال : ما كنّا لنُلقي بين قيس وخندف دماءً نحن عنها أغنياء ، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة ، فإن سعيتم في صلح عاونّا ، وإن كانت حمالة[7] أعنّا ، فأمّا الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها . فقال ناهض بن ثومة في ذلك : [من الوافر]

سلام الله يـا مـالِ بـنَ زيد عليك وخير مـا أُهْدي السلاما
تعلـم أننـا لكم صديـق فـلا تستعجلوا فينـا الملاما

1 الأجد : المقطوع . الضياح : اللبن الرقيق الممزوج .
2 القدح : العود . يهصر : يكسر .
3 الخطار : الذي يخطر بالسيف ويهزه معجباً .
4 النضاح : الدفاع والذب .
5 القتب : رحل البعير . واللحاح : العقر والكسر .
6 التوريك : الركوب على ورك البعير . ألاحوا : أعرضوا .
7 الحمالة : الدية .

ولكنّـا وحـيٌّ بنـي تميم عـداةٌ لا نرى أبـداً سلاما
وإن كنّـا تَكافَفْنا قليـلا كحرف السِّيفِ ينهار انهداما
وهَيْضُ العظم يُصبح ذا انصداع وقد ظَـنَّ الجـول بـهِ التئاما
فلن ننسى الشبابَ المُرْدَ مِنّـا ولا الشِّيب الجحاجحَ والكِراما
ونـوحَ نوائح منّا ومنهـم مآتِم ما تجِفّ لهـم سجاما
فكيف يكون صلحٌ بعد هذا يرجِّـي الجاهلـون لـه تِماما
ألا قـل للقبائـلِ مـن تميمٍ وخُصَّ لمالِـكٍ فيهـا الكلاما
فزِيدُوا يـا بني زيـدٍ نُميراً هَوانـاً إنّـه يـدنِي الفِطاما
ولا تُبقـوا على الأعداء شيئاً أعـزَّ الله نصـرَكم ودامـا
وجدت المجد في حَيَّيْ تميم ورَهْطِ الهَذْلق الموفى الذماما
نجوم القـوم مـا زالوا هُداةً ومـا زالُـوا لآبيهـم زماما[1]
هـم الرأس المقدم مـن تميم وغاربُهـا وأوفاهـا سَناما[2]
إذا مـا غـاب نجْمٌ آب نجمٌ أغـرُّ نـرى لطلعتِـه ابتساما
فهـذي لابن ثُومَـةَ فانسبُوها إليـه لا اختفـاءَ ولا اكتتاما
وإن رغمـت لذاك بنو نُمَيرٍ فـلا زالـت أُنُوفُهم رَغاما[3]

قال : يعنى بالهذلق الهذلَق بن بشير ، أخا[4] بني عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وابنَيه علقمة وصباحاً .

قال : وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نميراً ، فلمّا ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض : [من الطويل]

ألا هل أتى كعباً على نأي دارهم وخذلانهم أنا سَرَرنا بنـي كعبِ
بما لقيت منّـا نميـرٌ وجمعُها غَـداةَ أتينـا في كتائبنا الغُلْبِ
فيالك يومـاً بالحمى لا نرى له شبيهاً وما في يوم شيبان من عَتْبِ[5]

1 الآبي : الكاره .
2 الغارب : ما بين السنام والعنق .
3 رغام : ذليلة .
4 أخا في ل : أحد .
5 شيبان في ل : ذبيان .

أقامــت نميرٌ بالحمى غير رغبــة فكانَ الذي نالت نميرٌ من النهبِ
رؤوسٌ وأوصــالٌ يزايــل بينها سباعٌ تدلَّت من أبانَيْن والهضْبِ[1]
لنــا وقَعــاتٌ في نميرٍ تتابعت بضيمٍ على ضيمٍ ونكبٍ على نكبِ
وقد علمت قيسُ بن عيلان كلُّها وللحرب أبناءٌ بأنــا بنو الحربِ
ألم ترهــم طُــرّاً علينا تحزبوا وليس لنا إلا الرُّدَيْنيَّ من حزبِ
وإنا لنقتادُ الجيــادَ على الوجى لأعدائنا مَن لا مُدانٍ ولا صَقْبِ
ففي أي فجٍّ مــا ركزنا رماحنا مخوفٍ بنصب للعِدا حين لا نصبِ

أخبرنا جعفرُ بن قدامة بن زيادٍ الكاتبُ ، قال : حدّثني ابو هفّان ، قال : حدّثني غُريرُ بن ناهض بن ثومة الكلابي ، قال : كان شاعر من نمير يقال له : رأسُ الكبش ، قد هاجى عُمارة بنَ عقيل بن بلال بن جرير زماناً ، وتناقضا الشعر بينهما مدة ، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرّض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم ، فقال : [من الطويل]

رأيتكمــا يــا بَنَيْ ربيعة خُرْتُما وعَوّلتُمــا والحــرب ذات هريرِ
وصدقتما قــول الفرزدق فيكما وكذبتمــا بالأمس قــول جــريرِ
فإنْ أنتما لم تقذعــا الخيل بالقنا فصيرا مــع الأنباط حيث تصيرُ[2]
تسومكمــا بغيــاً نميرٌ هضيمــةً ستُنجــد أخبــارٌ بهــم وتغــورُ

قال : فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر . حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهنّ واردات . فقتلوا واجتاحوا ، وفضحوا نميراً ، ثم انصرفوا ، فقال ناهض بن ثومة يجيب عُمارة عن قوله : [من الوافر]

يحضِّضنــا عمــارةُ في نمير لِيَشْغَلَهــم بنــا وبــه أرابوا
ويزعــم أنّنــا خُرْنــا وأنــا لهــم جــارُ المقربة المصابُ
سلوا عنّــا نميراً هــل وقعنا بنزوتهــا التي كانــت تُهابُ
ألم تخضع لهــم أسَدٌ ودانت لهــم سعدٌ وضبــةُ والربابُ
ونحــن نُكرُّها شُعْثــاً عليهم عليهــا الشِّيبُ منّــا والشبابُ

---

1 الأبانان : جبلان .

2 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

رغبنا عن دمــاء بني قُرَيع إلى القَلْعـين إنّهمـا اللبابُ
صَبَحْناهم بأرعــنَ مكفهرٍّ يــدفّ كأن رايتَـه العُقابُ[1]
أجشَّ من الصواهل ذي دويٍّ تلـوح البيضُ فيـه والحرابُ
فأشْعلَ حـين حـلّ بواردات وثـار لنقعــه ثَـمَّ انصبابُ
صبحناهم بها شُعْثَ النواصي ولم يُفتَق من الصبح الحجابُ
فلم تُغمَد سيوف الهنـد حتى تعيّلـت الحليلةُ والكَعابُ[2]

صوت

[من الكامل]

أعرفت من سلمى رسومَ ديار بالشطّ بـين مُخَفّقٍ وصحارِ[3]
وكأنّما أثـرُ النعـاج بجَوِّها بمَدافع الرَّكَبَيْنِ ودعُ جواري[4]
وسألتها عن أهلهـا فوجدتها عمياءَ جاهلــةً عـن الأخبارِ
فكأنَّ عيني غَربُ أدهمَ داجنٍ متعـوِّدِ الإقبـالِ والإدبارِ[5]

الشعر للمخبّل السعديّ ، والغناء لإبراهيم ، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال الهشاميّ : فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل ، ولِعنانَ بنت خوطٍ خفيفُ رمل .

1 الأرعن : الجيش له فضول يشبه رعن الجبل ، أي أنفه . يدف : يسير في لين .
2 تعيلت : أهملت لموت عائلها .
3 الشط : موضع باليمامة . مخفق : رمل في أسفل الدهناء .
4 الجو : ما اتسع من الأرض . المركبان : موضع . ودع : خرز أبيض يخرج من البحر .
5 الغرب : الدلو العظيمة . الأدهم الداجن : البعير الأسود الذي يستقى عليه .

[243] ـ أخبار المخبل ونسبه[1]

[نسبه]

قال ابنُ الكلبيّ : اسمه الربيع بن ربيعة ، وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وأبو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، ويكنى أبا يزيد . وإيّاه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]

وهب القصائد لي النوابغُ إذ مضَوْا وأبو يزيـــد وذو القروح وجَرْوَل

ذو القروح : امرؤ القيس . وجرول : الحطيئة . وأبو يزيد : المخبل . وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مقبل . وهو من المقلين[2] ، وعمّر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً[3] ، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير . وكان له ابن ، فهاجر إلى الكوفة في أيّام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً ، حتى بلغ خبره عمر ، فردّه عليه .

[جزعه على ابنه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد . قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبي غسان دماذ ، عن ابن الأعرابيّ قال : هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً ، وكان قد أسنَّ وضعُف ، فافتقَرَ إلى ابنه فافتقده . فلم يملك الصبرَ عنه ، فكاد أن يُغْلَبَ على عقله ، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرَضَه ليبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنيناً ، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك ، وأعطاه مالاً وفرساً ، وقال : أنا أُكلِّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك ، فإن فعل غَنِمتَ مالك ، وأقمتَ في قومك ، وإن أبى استنفقتَ ما أعطيتُك ولحقتَ

1 ترجمة المخبّل السعدي في الشعر والشعراء : 333 وابن سلام : 149–150 والخزانة 8 : 97–100 والإصابة 2 : 218 والمؤتلف والمختلف : 177 والسمط : 857 وانظر التذكرة الحمدونية . وقد وردت ترجمته في الخزانة والإصابة تحت اسم الربيع بن ربيعة كما ذكره ابن الكلبي . وقد جمع الدكتور حاتم الضامن شعره في «عشرة شعراء مقلّون» .

2 ل : المغلبين .

3 ل : طويلاً .

به ، وخلّفتَ إبلَكَ لعيالك . ثم مضى إلى عمر ، رضوان الله عليه ، فأخبره خبر المخبَّل ، وجَزَعَه على ابنه ، وأنشده قوله : [من الطويل]

أيُهلكنـي شيبـانُ في كلِّ ليلـة ... لقلبيَ مـن خـوفِ الفِراق وجيبُ
اشيبانُ مـا أدراك أَنْ كلُّ ليلـة ... غبقتُـك فيهـا والغَبُـوقُ حبيبُ
غبَقتُك عُظْماهـا سَناماً أو انبـرى ... برزقـك بـرَّاقُ المُتُـون أريبُ[1]
أشيبان إن تأبـى الجيـوش بحدّهم ... يقاسون أيّامـاً لهـن خطوبُ
ولا هَـمَّ إلاّ البـزُّ أو كلُّ سابـح ... عليـه فتًى شاكـي السلاحِ نجيبُ[2]
يـذودون جُنـد الهُرْمُـزانِ كأنّما ... يـذودون أوراد الكـلاب تلوبُ[3]
فإن يكُ غصني أصبحَ اليوم ذاوياً ... وغصنُك مـن ماء الشباب رطيبُ[4]
فإنّي حَنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت ... فَمشْيـي ضعيفٌ في الرجـال دبيبُ
إذا قال صحبي يـا ربيعُ ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريبُ
ويخبرني شيبـانُ أن لـن يعقّنـي ... تَعُـقُّ إذا فارقتَنـي وتحـوبُ[5]
فـلا تُدْخِلنَّ الدَّهـرَ قبرَكَ حوبةً ... يقـوم بهـا يومـاً عليـك حسيبُ

يعني بقوله «حسيب» الله عزّ ذكره .

قال : فلمّا أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورقّ له ، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفل شيبان بن المخبل ويردَّه على أبيه ، فلمّا ورد الكتاب عليه أعلم شيبان وردّه فسأله الإعفاء عنه ، وقال : لا تَحرِمنّي الجهاد . فقال له : إنّها عزمةٌ من عمر ، ولا خيرَ لك في عصيانه وعقوقِ شيخك . فانصرف إليه ، ولم يزل عنده حتى مات .

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهريّ ، قالا : حدّثنا عمر بن شبّة أنّ شيبان بن المخبّل كان يرعى إبل أبيه ، فلا يزال أبوه يقول : أحسِن رعية إبلك يا بنيّ ، فيقول : أراحني الله من رِعْية إبلك . ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى ، وانحدر إلى البصرة ، وشهد فتح تُسْتَر ، فقال : فذكر أبوه الأبيات ، وزاد فيها قوله : [من الطويل]

1 براق المتون : السيف . الأريب : المغتال .
2 البز : السلاح .
3 تلوب : تحوم .
4 ذاوياً في ل : بالياً .
5 تحوب : تأثم .

إذا قلتُ تَرعى قال سوف تريحني   من الرَّعي مِذْعانُ العشيّ خَبُوبُ[1]

قال : أبو يزيد وحدّثناه عتاب بن زيادٍ ، قال : حدّثنا ابن المبارك ، قال حدّثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه ، ولم يقل : شيبان بن المخبَّل ، ولكنه قال : «انطلق رجُلٌ إلى الشام» ، وذكر القصّة والشعر .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثني عمِّي عبيد الله ، عن ابن حبيب ، قال : خطب المخبّلُ السعديُّ إلى الزِّبرقان بن بدرٍ أخته خليدة ، فمنعه إيّاها ، وردّه لشيء كان في عقله ، وزوّجها رجلاً من بني جُشَم بن عوفٍ ، يقال له : مالكُ بن أميّة بن عبد القيس ، من بني محارب ، فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجُلاس بن مخرَبَة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالاً ، ولم يعلم به أحدٌ ، ففقد ولم يعلم له خبر . فبينما جارُ الزبرقان الذي من عبد القيس قاتلُ الجُلاس ليلةً يتحدّث إذ غلط ، فحدّث هَزَّالا بقتله الرجل ، وذلك قبل أن يتزوّج هزَّالٌ إلى الزِّبرقان ، فأتى هَزّال عبد عمرٍو بن ضَمْرة بن جابر نهشلٍ فأخبره . فدعا هزّالٌ قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت ، ثم اعتوره هو وعبدُ عمرو فضرباه حتى قتلاه ، ورجع هزالٌ إلى الحيِّ وهرب عبدَ عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عُطارد بن عوفٍ ، فقالت امرأة مالك بن أميّة المقتول : [من الوافر]

أجيرانَ ابـنِ ميـة خبِّروني   أعينٌ لابن مَيّـةَ أم ضِمارُ[2]

تجلّل خزيَها عوفُ بنُ كعب   فليس لنسلِهـم منهـا اعتذارُ

قال : فلمّا زوّج الزِّبرقان أخته خليدةَ هزّالا بعد قتله جاره عيبَ عليه ، وعُيِّر به ، وهجاه المخبل ، فقال : [من الطويل]

لعمـرك إن الزِّبرقـانَ لدائـم   على الناس تعدو نوكُه ومجاهلُهْ[3]

أأنكحت هـزالاً خليـدة بَعدما   زعمت بظهـر الغيب أنّك قاتلُهْ

فأنكحتَـه رَهـواً كأنّ عِجانهـا   مَشَقُّ إهابٍ أوسع السَّلْخ ناجلُهْ[4]

يلاعبهـا فـوق الفراش وجارُكم   بذي شُبْرُمـانٍ لم تَزَيَّلْ مفاصلُهْ[5]

قال : ولجّ الهجاء بين المخبّل والزِّبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا

1 مذعان : ناقة سلسة القياد . خبوب : من الخبب ، ضرب من العدو .

2 الضمار : ما لا يرجى رجوعه من المال .

3 النوك : الحمق .

4 الناجل : الذي يشق الجلد .

5 شبرمان : موضع . لم تزيل : لم تفرق .

لذلك ذاتَ يوم ، وكان الزِّبرقان أسودَهما ، فابتدأ المخبّل فأنشده قصيدته : [من الكامل]

أنبئـتُ أنّ الزِّبرقـانَ يسُبُّنـي سفهاً ويَكْرَهُ ذو الخِرَيْن خصالي

قال : وإنّما سمّاه ذا الحرين لأنه كان مُبَدَّناً ، فكان له ثديان عظيمان ، فسبَّه بهما وشبَّههما بالخِرَين . ويقال : إنّه إنّما عيّره بأخته وابنته ، ولم يكن للمخبَّل ابن في الجاهلية قال : [من الكامل]

أفـلا يفاخـرني ليعلـم أيُّنـا أدنـى لأكـرمِ سُؤدَدٍ وفِعالِ

فلمّا بلغ إلى قوله :

وأبوك بدرٌ كان مشتَرِط الخصى وأبي الجـوادُ ربيعةُ بـنُ قِتالِ[1]

فلمّا أنشده هذا البيت ، قال :

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخُصى وأبي . . . .

ثم انقطع عليه كلامه ، إمّا بشَرَق أو انقطاع نَفَسٍ ، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله : «وأبي» . فسبقه الزِّبرقان قبل أن يتمّ ويبين ، فقال : صدقت ، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ . فغلبه الزِّبرقان ، وضحكوا من قوله وتفرّقوا ، وقد انقطع بالمخبّل قوله .

[زرارة بن المخبّل يضرب علباوياً بحجر]

أخبرنا اليزيديُّ ، قال : حدّثني عمّي عن عبيد الله عن ابن حبيب ، قال : كان زرارة بن المخبَّل يَلِيط[2] حوضه ، فأتاه رجلٌ من بني عِلباء بن عوف ، فقال له : صارعْني . فقال له زرارة : إنّي عن صراعك لمشغولٌ . فجذب بحُجْزته[3] وهو فاعلٌ فسقط ، فصاح به فتيانُ الحيّ : صُرِع زرارة وغُلِبَ . فأخذ زرارة حجراً ، فشدخ به رأس العلباويّ ، فسأل المخبّل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمّل عن ابنه الدية ، فتحمّلها وتخلّصه ، وكسا المخبّل حلّةً حسنةً ، وأعطاه ناقة نجيبةً ، فقال المخبّل يمدحه : [من الوافر]

لعمـرُ أبيـك لا ألقى ابن عَمٍّ على الحدثـان خيراً مـن بَغيضِ
أقـلَّ ملامـةً وأعـزَّ نصراً إذا مـا جئـتُ بالأمـر المريضِ

1 مشترط : قاطع .
2 يليط : يطين .
3 الحجزة : معقد الإزار .

كساني حُلّـةً وحبـا بعَنْس ... أَبُسُّ بها إذا اضطربت غُروضي[1]
غـداةَ جنـى بُنَـيٌّ علي جرماً ... وكيف يداي بالحرب العضوضِ[2]
فقـد سدّ السبيل أبـو حميـد ... كما سدّ المخاطبَـةَ ابـنُ بيضِ

أبو حميد : بغيض بن عامرٍ . وأمّا قوله : «كما سدّ المخاطبة ابن بيض» ، فإنّ ابن بِيض : رجل من بقايا قوم عاد ، كان تاجراً ، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كلّ سنة بأجرٍ معلوم . فأجازه سنة وسنتين ، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ ، فأتى قومه فنزل فيهم ، ولقمان في سفره ، ثم حضرت التاجرَ الوفاة فخاف لقمان على بنيه ومالِه فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم ، وإنّي أخشاه إذا علم بموتي على مالي ، فاجعلوا ما له قبلي في ثوبه ، وضعوه في طريقه إليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقُّه ، فادفعوه إليه واتّقوه به ، وإن تعدّاه رجوت أن يكفيكم الله إيّاه . ومات الرجل ، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقّه على طريقه ، فقال : «سدَّ ابنُ بِيضٍ الطريق[3]» ، فأرسلها مثلاً ، وانصرف وأخذ حقّه . وقد ذكرت ذلك الشعراء ، فقال بشامة بن عمرٍو : [من المتقارب]

كثوبِ ابنِ بِيضٍ وقاهم به ... فسدّ على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب : ولّما حَشَدت بنو علباء للمطالبة بدم صاحبهم ، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبَّل ، ومشت المشيخة في الأمر ، وقالوا : هذا قُتِل خطأً ، فلا تُواقعوا[4] الفتنة ، واقبَلوا الدية . فقبِلوها وانصرفوا ، فقال زرارة بن المخبَّل يفخر بذلك : [من البسيط]

فـاز المخالِسُ لما أن جرى طَلَقاً ... أمّا حُطَيْمُ بن عِلبـاء فقد غُلبا
إنّي رميـت بجُلمود على حَنَق ... منّي إليـه فكانت رميـةً غَربا[5]
ليثاً إليّ يَشُقُّ الناسَ منفرِجـاً ... لَحَياهُ عنّانـةٌ لا يَتّقـي الخَشبا[6]
فأورَثْتني قتيـلاً إن لقيتُ وإن ... أفلتُّ كانت سماع السَّوء والحَرَبا[7]

1 بس الإبل : ساقها سوقاً ليناً وزجرها . غروض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل .
2 جرماً في ل : حرباً . الحرب العضوض : الشديدة .
3 المثل «سد ابن بيض الطريق (السبيل)» في الميداني 1 : 329 وفصل المقال : 279 وجمهرة العسكري 1 : 519 ومستقصى الزمخشري 2 : 117 .
4 ل : توقعوا .
5 الرمية الغرب : التي لا يعرف راميها .
6 اللحي : عظم الحنك . عنانة لا يتقي الخشبا : سباقة ، لا يصده خشب الحظيرة .
7 الحرب : الهلاك .

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قُشير ، فأغار عليه المُنتَشِر بن وهب الباهِلِيّ ، فأخذ إبله ، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبّل . فلمّا سأله قال له : إن شئتَ فاعترِض إبلي فخذ خيرها ناقةً ، وإن شئت سعيتُ لك في إبلك . فقال : بل إبلي . فقال المخبّل : [من الطويل]

إنّ قشيراً من لِقاح ابن حازِمِ كراحِضة حيضا وليست بطاهرِ
فـلا يأكلنها الباهِلِيّ وتَقعدوا لدى غرضٍ أرميكُمُ بالنواقِرِ[1]
أغرّك أنْ قالوا لعــزّة شاعر فناك أبـــاه من خفيرٍ وشاعرِ

فلمّا بلغهم قول المخبّل سعَوا بإبله ، فردّها عليهم حزنُ بن معاوية بن خفاجة بن عقيل ، فقال المخبّل في ذلك : [من الطويل]

تدارك حـزنٌ بالقنـا آلَ عامــر قَفا حَضَنٍ والكرُّ بالخيل أعسرُ[2]
فإنّي بــذا الجار الخفاجيُّ واثقٌ وقلبي من الجارِ العِباديّ أوجرُ[3]
إذا مــا عقيـليٌّ أقـــامَ بِذِمّة شريكين فيها فالعِبادِي أوجرُ[4]
لعمري لقد خارَت خفاجة عامِراً كما خيرَ بيتٌ بالعــراق المشقَّرُ[5]
وإنّك لو تعطي العِبادي مِشقصا لراشى كما راشى على الطبعِ أبخرُ

راشى من الرشوة .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا الرياشي ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : مرّ المخبّل السعديّ بخليدة بنت بدرٍ ، أخت الزِّبرقان بن بدرٍ ، بعد ما أسنّ وضعف بصره ، فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة ، وقالت له إنّي آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها . فقال : ومَن أنتِ حتى أعرفك وأشكرك ؟ قالت : لا عليك ، قال : بلى والله أسألك . قالت : أنا بعض من هتكتَ بشِعرك ظالماً ، أنا خليدة بنت بدرٍ . فقال : واسوأتاه منك ؛ فإنّي أستغفر الله عزّ وجلّ ، وأستقيلك وأعتذر إليك . ثم قال : [من الطويل]

لقد ضلَّ حِلمِي في خليدةَ إنّني سأُعتب نفسي بعدها وأموتُ

---

1 النواقر : الدواهي .
2 قفا حضن : خلف حضن ، وهو جبل بأعلى نجد .
3 أوجر : خائف .
4 أوجر هنا : كاره .
5 المشقر : حصن قديم بالبحرين .

فأقسمُ بالرحمـنِ إنّي ظلمتُها وجُرتُ عليها والهِجاءُ كَذوبُ

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبّل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله ، ويقول : [من الكامل]

فجزى الإلهُ سَراةَ قومي نَضْرةً وسقاهُـمُ بمشارب الأبـرارِ
قـومٌ إذا خافـوا عِثارَ أخيهمُ لا يُسْلمـونَ أخاهـمُ لعِثارِ
أمثالُ عَلقمةَ بنِ هَوذةَ إذْ سعى يخشى عَليَّ متالـفَ الأبصارِ
أثنَوْا عـليَّ وأحسنوا وترافَدُوا لي بالمَخاض البُـزْل والأبكارِ
والشَّولِ يتبعُها بنـاتُ لَبُونها شَرِقاً حناجِرُها من الجَرْجارِ[1]

[شعر المخبّل والزبرقان وعبدة وعمرو بن الأهتم]

أخبرنا أبو زيد ، عن عبد الرحمن ، عن عمّه ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثني عمّي عبيد الله ، عن ابن حبيب . وأخبرني عمّي ، قال : حدّثنا الكُرانيّ ، قال : حدّثنا العمريّ ، عن لقيطٍ قالوا : اجتمع الزِّبرقان بن بدر والمخبّل السعديّ وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلِموا ، وبعد مبعث النبيّ ﷺ ، فَنَحروا جَزُوراً ، واشتروا خمراً ببعير ، وجلسوا يشوون ويأكلون . فقال بعضهم : لو أنّ قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطِرنا . فتحاكموا إلى أوّل مَن يطلع عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدي ، وقال اليزيدي فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم ، فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون . فلمّا رأوه سرّهم ، وقالوا له : أخبرنا أيُّنا أشعرُ ؟ قال : أخاف أن تغضبوا ، فآمنوه من ذلك ، فقال : أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى ، وأمّا أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جَزوراً قد نُحِرت[2] ، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك .

وقال لقيط في خبره ، قال له ربيعة بن حُذار : وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ، ولم يُترك نِيئاً فيُنتفع به . وأمّا أنت يا مخبّل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على مَن يشاء . وأمّا أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ أُحْكِم خرزها فليس يقطر منها شيء .

أخبرنا اليزيديّ ، عن عمّه ، عن ابن حبيب ، قال : كان رجل من بني امرىء القيس ، يقال لـه رَوقٌ ، مُجـاوراً في بكر بن وائل باليمامة ، فأغاروا على إبله وغدروا به ، فأتى المخبّل يستمنحه ، فقال له : إن شئتَ فاختر خير ناقة في إبلي فخُذها ، وإن شئتَ سعيتُ لك . فقال : أن

1 الجرجار : عشبة لها زهرة صفراء .
2 ل : ذبحت .

تسعى بي[1] أحبُّ إليّ . فخرج المخبّل فوقف على نادي قومه ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

أدُّوا إلى رَوْح بن حَسّـ ـانَ بنِ حارثةَ بن منذرْ
كومـاءَ مدفـأةً كـأ نّ ضروعَها حَمَّاء أجفرْ[2]
تأبـى إلى بصص تَسُـ ـحُّ المحضَ باللبن الفضنفرْ

فقالوا : نعم ونُعمة . فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدّة إبله .
وقال ابن حُبيب في هذه الرواية : «كان رجل من بني ضبة» .

صوت

[من المديد]

اسلُ عـن ليلى علاك المشيبُ وتصابى الشيخ شيءٌ عجيبُ
وإذا كان النسيبُ بِسلمـى لـذَّ في سلمى وطابَ النسيبُ
إنّمـا شبَّهتُها إذ تـراءت وعليها مـن عيـون رقيبُ
بطلوع الشَّمس في يومِ دَجْنٍ بُكْرةً أو حـان منهـا غروبُ
إنّني فاعلم وإنْ عـزَّ أهلي بالسُّويـداء الغـداةَ غريبُ

الشعر لغيلان بن سلمة الثَّقفيٍّ ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخطّ أبي سعيد السكري ، والغناء لابن زرزورٍ الطائفيّ ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى ، عن يحيى المكّي ، وفيه ليونس الكاتب لحنٌ ذكره في كتابه ، ولم يُجنّسه .

1 ل : بل تسعى لي .
2 حماء في ل : جماة . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . المدفأة : الكثيرة الوبر والشحم . الأجفر : ولد الشاة إذا عظم واستكرش .

[244] ـ أخبار غيلان بن سلمة ونسبه[1]

[نسبه]

غيلان بن سلمة بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيّ ، وهو ثقيف . وأمّه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أخت أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف .

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيٌّ .

وغيلان شاعرٌ مقلّ ، ليس بمعروف في الفحول .

[هيت المخنث يصف ابنته]

وبنتُه بادية بنت غيلان التي قال هِيتٌ المخنّث لعمر بن أم سلمة أمّ المؤمنين ، أو لأخيه سلمة : «إن فتح الله عليكم الطائف فسَلْ رسول الله ﷺ أن يهَبَ لك بادية بنت غيلان ، فإنّها كحلاءُ ، شموعٌ نجلاء[2] ، خمصانة هيفاء ، إن مشت تثنَّت ، وإن جلست تبنّت[3] ، وإن تكلّمت تغنّت ، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ ، وبين فخذيها كالإناء المُكْفأ» .

وغيلان فيما يقال أحد مَن قال من قريش للنبي ﷺ وآله : ﴿لولا أنزِلَ هذا القُرآن على رَجُلٍ من القَرْيَتَين عظيم﴾ .

[اتهام ولده عمار بسرقته]

قال ابن الكلبيّ : حدّثني أبي ، قال : تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص ، فولدت له عمّاراً وعامراً ، فهاجر عمّار إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان إلى مالٍ له فسرقَه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلان أنّ ابنه عمّاراً سرق ماله وهرب به ، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس ، وبلغ خبره عمّاراً فلم يعتذر إلى أبيه ، ولم يذكر له براءته ممّا قيل له . فلمّا شاع ذلك جاءت أَمَةٌ لبعض ثقيفٍ إلى غيلان ، فقالت له : أيُّ شيءٍ لي

---

1 لغيلان بن سلمة ترجمة في ابن سلام : 269–270 وطبقات ابن سعد 5 : 505–506 والمحبر : 357 واليعقوبي : 214 وأعلام الزركلي ، وانظر المثل «إن العصا قرعت لذي الحلم» في مجمع الميداني ، وورد بعض أخباره في التذكرة الحمدونية .

2 الشموع : المزاحة اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

3 تبنت : صارت كالمبناة ، وهي القبة من الأدم .

عليك إن دللتُك على مالك ؟ قال : ما شئتِ . قالت : تبتاعني وتعتقني . قال : ذلك لك . قالت : فاخرج معي . فخرج معها ، فقالت : إنّي رأيت عبدك فلاناً قد احتفر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً ، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه ، ويتفقّده في اليوم مراتٍ ، وما أراه إلاّ المال . فاحتفر الموضع فإذا هو بماله ، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها . وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً ، فقال : والله لا يراني غيلان أبداً ، ولا ينظر في وجهي . وقال : [من الطويل]

حلفتُ لهم بما يقولُ محمدٌ ... وبالله إنَّ اللهَ ليس بغافلِ
برئتُ من المالِ الذي يَدفنونه ... أبرِّئ نفسي أنْ أُلطَّ بباطِلِ[1]
ولو غيرُ شيخي من معدٍّ يقولُه ... تيممْتُه بالسيفِ غير مُواكِلِ
وكيف انطِلاقي بالسِّلاح إلى امرئ ... تُبَشِّره بي يبتدِرن قوابلي

فلمّا أسلم غيلان ، خرج عامرٌ وعمّارٌ مغاضِبَين له مع خالد بن الوليد ، فتوفّي عامر بعمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذٍ ، وهو صاحب شَنوءةَ يوم تثليث[2] ، وهو قتل سيِّدهم جابر بن سنانٍ أخا دِهنة ، فقال غيلان يرثي عامراً : [من الكامل]

عيني تجودُ بدمعها الهتّانِ ... سحّاً وتبكي فارِسَ الفُرسانِ
يا عامِ مَن للخيل لّما أُجحمَتْ ... عن شَدّة مرهوبة وطِعانِ
لو أستطيعُ جعلت منّي عامراً ... بين الضُّلوع وكلُّ حيٍّ فانِ
يا عين بَكِّي ذا الحزامة عامراً ... للخيل يومَ تواقُف وطِعانِ
وله بتثليثاتِ شدَّةُ مُعْلَم ... منه وطعنةُ جابر بن سنانِ[3]
فكأنَّه صافي الحديدة مِخْذَمٌ ... ممّا يُحِير الفُرْس للباذانِ[4]

[دفاعه عن جاره الباهلي]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكّري ، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة ، وكانت له إبل يرعاها راعيهِ في الإبل مع إبل غيلان ، فتخطّى بعضها إلى أرضٍ لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتِّب ، فضرب أبو عقيل الراعي واستخفّ به ، فشكا الباهليُّ ذلك إلى غيلان ، فقال لأبي عقيل : [من الطويل]

1 ألط : ألصق .
2 شنوءة : قبيلة .
3 يوم تثليث : من أيام العرب بين سليم ومراد .
4 المخذم : القاطع . يحير : يرد ويرجع . الباذان : اسم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام .

ألا مَن يرى رأي امرىءٍ ذي قرابة أبى صدره بالضغن إلاّ تطلّعا
فَسلمَكَ أرجو لا العداوةَ إنّما أبوك أبي وإنّما صفقُنا معا
وإنّ ابنَ عمّ المرء مثل سلاحِه يقيه إذا لاقى الكميُّ المقنَّعا
فإن يكثر المولى فإنك حاسدٌ وإن يفتقر لا يُلفِ عندك مَطمَعا
فهذا وعيدٌ وادّخارٌ فإن تعُدْ وجَدّك أعلمْ ما تسلَّفتَ أجمعا

[تهديده لامرأته حين ملته]

ونسخت من كتابه ، قال : لمّا أسنّ غيلان وكثرت أسفاره وملّته زوجته ، وتجنّت عليه ، وأنكر أخلاقَها ، فقال فيها : [من الكامل]

يا ربَّ مثلكِ في النِّساء غريرةٍ بيضاءَ قد صبَّحتُها بطَلاقِ
لم تدرِ ما تحتَ الضُّلوع وغرَّها منّي تحمُّل عِشرتي وخَلاقي

[الحرب بين بني عامر وثقيف]

ونسخت من كتابه : إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرة من أنفسهم وأحلافهم ، ثم ساروا إلى ثقيفٍ بالطائف ، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف ، فلمّا بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر ، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غيلان بن سلمة بن معتِّب ، فلَقُوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومَن كان معهم ، وظهرت عليهم ثقيفٌ ، فأكثروا فيهم القتل ، فقال غيلان في ذلك ، ويذكر تخلف بني نصر عنهم : [من البسيط]

ودِّع بِذمٍّ إذا ما حانَ رِحلتُنا أهلَ الحظائر من عوفٍ ودهْمانا
القائلين وقد حلَّت بساحتهم جَسْرٌ تحسحس عن أولاد هِصَّانا[1]
والقائلين وقد رابَتْ وطابُهم أسيفَ عوفٍ ترى أم سَيف غيلانا[2]
أغنُوا المواليَ عنّا لا أبالَكمُ إنّا سنُغني صريعَ القوم مَن كانا
لا يمنع الخطرَ المظلومُ قُحْمَته حتّى يمحق بالكفين مَن كانا

[الحرب بين خثعم وثقيف]

ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعم جموعاً من اليمن ، وغزت ثقيفاً بالطائف ؛

---

1 الجسر : الرجل الجسيم الشجاع والجمل الضخم ويطلق أيضاً على بعض أحياء العرب . تحسحس : تتلمس . هصان : قبيلة .

2 راب : خثر وفسد . الوطاب : سقاء اللبن .

فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فهزمهم وقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر عدّةً منهم ، ثم منَّ عليهم وقال في ذلك : [من الوافر]

ألا يـا أُختَ خَثعـمَ خبِّرينا ... بـأيٍّ بـلاء قـومٍ تفخرينا
جَلَبْنا الخيـلَ من أكنافِ وَجٍّ ... وليـثٍ نحـوكم بالدَّارِعِينا[1]
رايناهـنَّ مُعلمـةً رواحـا ... يُقيتـانِ الصبـاحَ ومعتدينا[2]
فأمست مُسْيَ خامسةٍ جميعاً ... تُضابعُ في القيادِ وقد وجينا[3]
وقـد نظـرت طوالعكم إلينا ... بأعينهـم وحققنـا الظنونا
إلى رجراجـةٍ في الدار تُعْشي ... إذا استنَّتْ عيـون الناظرينا[4]
تركن نساءَكم في الدارِ نَوحا ... يبكُّـون البُعولـة والبنينـا
جَمعتم جَمعكـم فطلبتُمونا ... فهـل أُنبِئـتَ شأنَ الطَّالبينا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ ، قال : أخبرني محمد بن سعد الشاميّ ، قال : حدّثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره ، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره ، حتى صدَرنا عن الأُبُـلّة ، ثم مرَّ بالطَّف وهو يريد الطابق[5] ، فأنشدني له : [من المنسرح]

وليلـة أرَّقَتْ صِحابَكَ بالطَّـ ... ـفِّ وأُخرى بجنب ذي حُسُمِ[6]
فالجسرُ فالقصرانِ فالنَّهَر المُرْبَـ ... ـدُّ بـين النَّخيـل والأجمِ[7]
معانـق الواسطِ المُقَـدَّم أو ... أدنو من الأرض غيرَ مقتحمِ[8]
أستعملُ العنسَ بالقيادِ إلى الـ ... ـآفاق أرجـو نوافـلَ الطُّعمِ

[وصية غيلان بن سلمة لبنيه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن عمر بن

1 وج : دار بالطائف . ليث : واد بأسفل السراة .
2 المعلمة : المميزة . يقيت الشيء : يقدر عليه . الصباح : الغارة صباحاً .
3 مسي خامسة : مساء الليلة الخامسة . تضابع : تمد ضبعيها (عضديها) في الجري . وجين : حفين .
4 الرجراجة : الكتيبة العظيمة . استنت : أسرعت .
5 الطابق : نهر ببغداد ، وفي ل : الطائف .
6 الطف : الموضع الذي قتل فيه الحسين . ذو حسم : موضع .
7 الجسر : مكان الوقعة بين المسلمين والفرس . والقصران : ناحيتان بالريّ .
8 الواسط : المقدم وأوّل الشيء ، ويقصد مقدم الرحل .

عبدالرحمن بن عوف قال : حدّثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، قال : لمّا حضرت غيلان بن سلمة الوفاة ، وكان قد أحصنَ عشراً من نساء العرب في الجاهلية ، قال : «يا بَنيَّ ، قد أحسنتُ خدمة أموالكم ، وأمجدْتُ أمّهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببُيوتات العرب ، فإنّها معارج[1] الكرم ، وعليكم بكلِّ رمكاء[2] مكينةٍ ركينةٍ ، أو بيضاء رزينة ، في خِدر بيت يُتّبَع ، أو جدٍّ يُرتجى ، وإيّاكم والقصيرة الرَّطلة[3] ، فإنّ أبغض الرجال إليَّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي ، القصير الرَّطل[4] . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وحُرّةِ قومٍ قـــد تَنَوَّق فِعلها وزيَّنَهـــا أقوامُهـــا فتزيّنـــتْ[5]
رَحلت إليها لا تُـرَدُّ وسيلتي وحَمّلتُها من قومها فتحمَّلَتْ

[وفود غيلان على كسرى]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرانيّ ، قال : كان غيلان بن سلمة الثّقفيّ قد وَفَد إلى كسرى فقال له ذات يوم : يا غيلان ، أيُّ ولدك أحبُّ إليك ؟ قال : «الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم» . قال له : ما غذاؤك ؟ قال : خبزُ البرّ . قال : قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغِذاؤك غِذاءُ العرب ، إنّما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكراني ، قال العُمريّ : روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أَتَمَّ من هذه الرواية ، ولم أسمعه منه . قال الهيثم : حدّثني أبي ، قال : خرج أبو سفيان بنُ حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فلمّا ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلي خطر ، ما قدومنا على ملك جبّارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمَتْجَر ؟! ولكن أيُّكم يذهب بالعِير ، فإن أُصيب فنحن برآء من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة : دعوني إذاً فأنا لها . فدخل الوادي ، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول : [من البسيط]

ولـو رآني أبو غيلانَ إذْ حَسَرت عنّي الأمـورُ إلى أمـرٍ لـه طَبَقُ[6]
لقـال رُغبٌ ورُهب يُجمعان معاً حبُّ الحياة وهَول النَّفس والشفقُ

1 ل : مدارج .
2 الرمكاء : التي في لونها حمرة مختلطة بسواد .
3 الرَّطلة : الحمقاء الضعيفة .
4 انظر وصية مماثلة في البيان والتبيين 2 : 67 .
5 تنوّق فِعلها في ل : توسق فضلها .
6 له طبق : له خطره .

إمّا بقيـــتَ على مجـــدٍ ومَكرمة   أو أسوة لك فيمن يَهْلِك الوَرِقُ

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً[1] ، فلمّا قدِم بلاد كسرى تخلّق[2] ولبِس ثوبينَ أصفرين ، وشهر أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أذن له . فدخل عليه وبينهما شبّاكٌ من ذهب ، فخرج إليه الترجمان ؛ وقال له : يقول لك الملك : ما أدخلك بـلادي بغير إذني ؟ فقال : قل له : لستُ من أهل عداوةٍ لك ، ولا أتيتُك جاسوساً لِضِدٍّ من أضدادك ، وإنّما جئتُ بتجارةٍ تستمتع بها ، فإن أردتَها فهي لك ، وإن لم تُرِدها وأذِنت في بيعها لرعيّتك بعتُها ، وإن لم تأذن في ذلك رددتُها . قال : فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد ، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ فقال : سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً للملك ، فعلمت أنه لم يُقدِم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدتُ إعظاماً له . قـال : فاستحسن كسرى مـا فعـل ، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَع تحتـه . فلمّا أُتِـي بها رأى عليها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى واستحمَقَه ، وقال للترجمان : قل له : إنّما بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها . قال : قد علمتُ ، ولكنّـي لـمّـا أتِيتُ بهـا رأيتُ عليها صورة الملك ، فلم يكن حقٌّ صورته على مثلي أن يجلس عليهـا ، ولكـن كان حقُّهـا التعظيم ، فوضعتها على رأسي ، لأنّه أشرفُ أعضائـي وأكرمهـا علـيّ . فاستحسن فِعلَه جدّاً ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قـال : نعم . قـال : فأيُّـهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يؤوب . فقال كسرى : زِه ، ما أدخلك عليّ ودلّك على هذا القول والفِعل إلاّ حظُّك ، فهذا فِعلُ الحكماء وكلامُهم ، وأنت من قوم جُفاةٍ لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ قال : خبز البُرّ . قال : هذا العقل من البُرّ ، لا من اللبن والتمر . ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكَساه وبعث معه من الفُرس مَن بَنى له أُطماً بالطائف ، فكان أوّل أُطُم بنى بها .

[رثاؤه لأخيه نافع]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمر بن أبـي بكر الموصليّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : استُشهد نافع بن غيلان بن سلمة الثَّقفيّ مع خالد بن الوليد بدُومة الجندل ، فجزِع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه : [من الكامل]

ما بالُ عيني لا تُغمِّضُ ساعـةً   إلاّ اعترتنـــي عَبْـرةٌ تغشاني

1 ل : فحماً .

2 تخلق : تطيب بالخلوق .

أرعى نجوم الليل عندَ طُلوعِها وَهْناً وهُنَّ من الغُروب دوانِ
يا نافعاً مَن للفوارس أحجمت عَن فارس يعلــو ذُرى الأقرانِ
فلـو استطعتُ جعلتُ منّي نافعاً بين اللَّهاةِ وبين عَكْدِ لساني[1]

قال : وكثر بكاؤه عليه ، فعُوتِب في ذلك ، فقال : والله لا تسمحُ عيني بمائها فأُضنٌّ به على نافع . فلمّا تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : «بلي نافع ، وبلي الجزع ، وفني وفنيتِ الدموع ، واللّحاق به قريب» .

صوت

[من الطويل]

ألا علِّلاني قبـل نوح النَّوادبِ وقبل بُكـاء المُعْوِلاتِ القرائبِ
وقبلَ ثَوائي في تُـرابٍ وجندلِ وقبلَ نشوزِ النفس فوق الترائبِ[2]
فإنْ تأتني الدُّنيا بيومي فجاءة تجدْني وقد قضَّيتُ منها مآربي

الشعر لحاجز الأزديّ ، والغناء لنبيه هزج ، بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 عكد الشيء : وسطه .

2 نشوز النفس : ارتفاعها ، كناية عن الاحتضار .

[245] ـ أخبار حاجز ونسبه[1]

[نسبه]

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذُهل بن مالك بن سَلامان بن مفرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيدَعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي ، وفي ذلك يقول : [من البسيط]

قومي سلامــان إما كنتِ سائلةً ... وفي قريش كريمُ الحِلفِ والحسَبِ
إنّي متــى أدعُ مخزوماً تريْ عُنُقاً ... لا يَرعَشون لضربِ القوم من كَثَبِ[2]
يُدعــى المغيرةُ في أولى عديدِهم ... أولادُ مَرْأَسةٍ ليسوا من الذنبِ[3]

وهو شاعر جاهليّ مقلّ ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب ، وممّن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثني العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوف بن الحارث الأزديّ ، أنه قال لابنه حاجز بن عوف : «أخبِرْني يا بُنَيَّ بأشدّ عدْوِك . قال : نعم ، أفزَعتني خثعم فنزوتُ نزواتٍ ، ثم استفزَّتني الخيل واصطفَّ لي ظبيانِ ، فجعلت أنهنهما[4] بيديَّ عن الطريق ، ومنعاني أن أتجاوزَها في العَدْو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا ، فسبقتهما . فقال له : فهل جاراك أحدٌ في العَدْو ؟ قال : ما رأيت أحداً جاراني إلاّ أطَيلِس أغيبرُ من النُّقوم[5] ، فإنا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه .

قال : النُّقوم بطن من الأزد من ولد ناقِم ، واسمه عامر بن حوالة بن الهِنْو بن الأزد .

نسخت أخبار حاجز من روايـة أبي عمرو الشيباني من كتاب بخطّ المرهِبـيّ الكوكبيّ ، قال : أغار عوفُ بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرماً[6] من بني هلال ، وقد عصب

---

1 ترجمة حاجز الأزدي في أعلام الزركلي .
2 العنق : الجماعة الكثيرة من الناس .
3 مرأسه : رئاسة .
4 أنهنهما : أردهما .
5 ل : البقوم .
6 الصرم : الجماعة .

على يد فرسه عصاباً ليظلع فيطمعوا فيه . فلمّا أشرف عليهم استرابوا به ، فركِبوا في طلبه ، وانهزم من بين أيديهم ، وطمِعوا فيه ، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان ، فأصيب يومئذٍ بنو هلال ، وملأ القوم أيديهم من الغنائم . ففي ذلك يقول حاجز بن عوف : [من الوافر]

صباحكِ واسلمي عنّا أُماما ... تحيّـة وامـقٍ وعِمِـي ظلاما
بَرَهْرَهَةٌ يحـار الطرف فيها ... كحُقّـةِ تاجر شُدّت ختاما[1]
فإن تمسِ ابنـةُ السهميّ منّا ... بعيـداً لا تكلّمنـا كـلاما
فإنّـكِ لا محالـةَ أن تريني ... ولـو أمست حبالكـم رماما
بناجِيـة القوائـم عَيْسَجُورٍ ... تَدارَكَ نِيُّهـا عامـاً فعاما[2]
سلي عنّي إذا اغبرَّتْ جمادى ... وكان طعـام ضيفِهم الثماما[3]
ألسنا عِصمةَ الأضياف حتى ... يُضَحَّى مالُهـم نَفَـلاً تواما[4]
أبي ربَع الفوارِس يـومَ داجٍ ... وعمّي مالـكٌ وضع السّهاما[5]
فلـو صاحبتِنا لرضيت منا ... إذا لم تغبَـق المائـة الغلاما[6]

يعني بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشّر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنِموا الربع ، لأنّ الرياسة في الأزد كانـت لقومـه . وكان يقال لهم : «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسد بلد السراة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم دِيتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم . فغزتهم بنو فُقَيْم بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم ، حتى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالـك بن سلامـان ، وهو عمّ أبي حاجز ، وقال : «هيهات ، ترك الرُّبع غدوة»[7] فأرسلها مثلاً ، فقال له الحارث : أتراك يا مالك تقدِر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذاك . فقال : أعطني ولو جَعْباً ، والجَعْب :

1 شُدَّت في ل : سُدَّت . برهرهة : غضة بضة . حقة : وعاء من خشب أو عاج .
2 الناجية : السريعة . عيسجور : ناقة صلبة سريعة . تدارك فيها : تلاحق شحمها .
3 اغبرت جمادى : قل الخير في الشتاء . الثمام : نبت ضعيف .
4 ضحى إبله : رعاها وقت الضحى . توام : مخفف توأم .
5 ربع : أخذ المرباع ، وهو ربع الغنيمة .
6 تغبق : تسقي الغبوق ، وهو شرب العشي .
7 لم نجده في كتب الأمثال .

البعر في لغتهم ، لئلا تسمع العرب أنّك منعتني . فقال مالك : «فمن سماعها أفرّ» ، ومنعه الربع ، فقال حاجز في ذلك : [من الطويل]

ألا زعمــت أبنــاءُ يشكرَ أننا بربعِهم بــاءوا هنالــك ناضِلُ[1]
ستمنعنا منكم ومن سوءِ صُنعِكم صفائحُ بيضٌ أخلصتها الصياقلُ
وأسمــرُ خطِّــيٌّ إذا هُزّ عاسلٌ بأيــدي كُمــاةٍ جرّبتها القبائلُ

وقال أبو عمرو : جمع حاجزٌ ناساً من فَهم وعَدوان ، فدلّهم على خثعم ، فأصابوا منهم غرّة وغنِموا ما شاءوا ، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعّدونه ويرصدونه ، فقال : [من الطويل]

وإنّــيَ مــن إرعادِكم وبروقِكــم وإبعــادكم بالقتــل صُــمٌّ مسامِعي
وإنّــي دَليــلٌ غيرُ مخفٍ دَلالتي على ألفِ بيتٍ جَدُّهــم غيرُ خاشعِ
تَرى البيض يركُضْنَ المجاسِدَ بالضّحى كذا كلُّ مشبوحِ الذراعيــن نازِعِ[2]
عــلى أيِّ شيءٍ لا أبــا لأبِيكــم تشيرون نحــوي نحــوكم بالأصابعِ

[عمرو بن معديكرب يطعن حاجزاً]

وقال أبو عمرو : أغارت خثعم على بني سَلامان وفيهم عمرو بن معديكرب ، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان ، فالتَقَوْا واقتتلوا ، فطعن عمرو بن معديكرب حاجزاً فأنفذ فخذه ، فصاح حاجز : يا آل الأزد ! فندِم عمرو وقال : خرجت غازياً وفجعت أهلي . وانصرف ، فقال عُزَيِّل الخثعميّ يذكر طعنةَ عمرٍو حاجزاً ، فقال : [من الوافر]

أعجــزَ حاجِــزٌ مِنّــا وفيــهِ مشلشِلَــةٌ كحاشِيَــةِ الإزارِ[3]
فعــزّ عليّ مــا أعجزت منّي وقد أقسمت لا يضربْك ضارِ

فأجابه حاجز فقال : [من الطويل]

إنْ تذكــروا يــومَ القــرِيّ فإنّه بَــواءٌ بأيّــامٍ كثيــرٍ عديدها[4]
فنحــن أبحنــا بالشخيصةِ واهِناً جهــاراً فجئنا بالنساءِ نَقودُها
ويومِ كَراءٍ قــد تداركَ ركضُنا بني مالكٍ والخيلُ صُعرٌ خدودها[5]

---

1 باءوا : فخروا . ناضل : غالب .
2 المجاسد : الثياب المعصفرة بالزعفران .
3 مشلشلة : ضربة تفيض دماً .
4 القري : واد . بواء : نظير .
5 كراء : ثنية بالطائف .

ويوم الأراكاتِ اللواتــي تأخّرت سراةُ بني لهبان يدعو شريدها[1]
ونحــن صبَحْنا الحيَّ يوم تَنومةٍ بملمومة يُهوى الشجاع وئيدُها[2]
ويوم شَروم قــد تركنـا عِصابة لدى جانب الطرفاء حُمراً جلودها
فمــا رغمت خلفاً لأمرٍ يصيبها من الذلّ إلاّ نحنُ رغمـا نزيدها

[سحرت عجوز سلاحه]

وقال أبو عمرو : بينما حاجز في بعض غزواته إذا أحاطت به خثعم ، وكان معه بشير ابن أخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ قال : دعهم حتى يشربوا ويَقفلوا ويَمضُوا ونمضي معهم فيظنّونا بعضهم . ففعلا ، وكانت في ساق حاجز شامةٌ ، فنظرت إليها امرأةُ من خثعم ، فصاحت : يا آل خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : أكفيكم سلاحَه أو عَدْوه . فقالوا : لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثلَه ، ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوفُ بن الأغر[3] بن همام بن الأسرّ بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي ، حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوف ارم حاجزاً . فلم يُقدم عليه ، وجبُن ، فغضبوا وصاحوا : يا حاجز ، لك الذمام ، فاقتل عوفاً فإنّه قد فضحنا . فنزع في قوسه ليرميه ، فانقطع وترُهُ ، لأنّ المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه ، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت ، وهربا من القوم ففاتاهم . ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركِبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم ، فنزل حاجز عنه ، فمرّ فنجا وقال في ذلك : [من الطويل]

فِدى لكمــا رجْليَّ أمّي وخالتي بسعيِكما بين الصفـا والأثائبِ[4]
أوانَ سمعتُ القــوم خلفي كأنّهم حريق أباءٍ في الريّــاح الثواقبِ
سيوفهم تغشى الجبــان ونَبلُهم يُضيء لدى الأقوامِ نار الحُباحِبِ[5]

1 الأراكات : أودية بالقرب من مكة .
2 ملمومة : كتيبة مجتمعة .
3 ل : الأعسر .
4 الأثائب : شجر ينبت في بطون الأودية .
5 المثل «أخلف من نار الحباحب» في مجمع الميداني 1 : 253 وجمهرة العسكري 1 : 434 ومستقصى الزمخشري 1 : 108 . والحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه . وقيل هو رجل كان بخيلاً فلا يوقد إلاّ ناراً ضعيفة مخافة الضيفان .

فغير قتـالي في المَضيقِ أغاثنـي ولكن صَريخ العَدْو غير الأكاذِبِ
نجوت نجـاءَ لا أبيك تبشـه وينجو بشير نَجوَ أزعرَ خاضِبِ[1]
وجـدتُ بعيراً هامِـلاً فركِبته فكادت تكون شرَّ رِكبةِ راكبِ

[إغارته على بني هلال]

وقال أبو عمرو : اجتاز قوم حُجّاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة ، فعرَفهم ضَمرة بن ماعز سيد بني هلال ، فقتلهم هو وقومه ، وبلغ ذلك حاجزاً ، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم ، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز : [من الكامل]

يا ضمرُ هـل نِلناكم بدمائنا أم هـل حذونا نَعْلكم بمثالِ
تبكـي لِقَتْلى مـن فُقَيْم قُتّلوا فاليوم تبْكـي صادقـاً لهلالِ
ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يبكين مردفـة عـلى الأكفالِ
يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا لقِحت على الدكّاء بعد حِيالِ[2]

[أخت حاجز ترثيه]

قال أبو عمرو : خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعُدْ ، ولا عُرِف له خبر ، فكانوا يَرون أنّه مات عطشاً أو ضلّ ، فقالت أخته ترثيه : [من الوافر]

أحيٌّ حاجـزٌ أم ليس حيّاً فيسلك بين جَندَف والبهيمِ[3]
ويشربَ شربةً مـن ماء ترج فيصدرَ مِشيـة السبع الكليمِ

[حاجز فرّار]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة ، قال : كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفِرار ، لقي عامراً[4] فهرب منهم فنجا ، وقال : [من الطويل]

ألا هل أتـى ذاتَ القلائد فَرَّتي عشيةَ بين الجُرفِ والبحر من بعرِ[5]

1 لا أبيك : لا وأبيك . الأزعر : القليل الشعر . الخاضب : الظليم إذا أكل الربيع فاحمر ساقاه .
2 الدكاء : رابية . بعد حيال : بعد أن كانت عقيمة .
3 جندف والبهيم : جبلان .
4 عامراً في ل : غامداً .
5 الجرف والبعر : موضعان .

عشيةَ كادت عامـر يقتلونـنـي — لدى طَرفِ السَّلماء راغيـة البكرِ[1]
فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجلَه — وقد كاد يلقى الموتَ في خلفة الصقرِ[2]
بمِثـلي غـداةَ القـومُ بـين مُقَنَّع — وآخـرَ كالسكرانِ مرتكِـزٍ يفري[3]

وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعميّ ثم الأكلبيُّ ، ففاته حاجز ، وقال في ذلك : [من الكامل]

وكأنّما تبـع الفوارسُ أرنبا — أو ظبـيَ رابيةٍ خُفافاً أشعبا[4]
وكأنّما طردوا بـذي نمراته — صَدَعاً من الأروى أحَسَّ مكلِّبا[5]
أعجَزْتُ منهم والأكفُّ تنالني — ومضت حياضهم وآبـوا خُيَّبا
أدعـو شَنوءةَ غثَّهـا وسمِينَها — ودعا المرقَّع يـوم ذلك أكلُبا

وقال يخاطب عوض أمسى : [من الكامل]

أبلِغ أميمة عـوض أمسى بزَّنا — سلبـاً وما إن سَرَّها أن نُنْكبا[6]
لـولا تقـارب رأفـة وعيونها — يخمشْنَ خمشاً مصعداً ومصوِّبا

صوت

[من الكامل]

يا دارُ مـن ماوِيَّ بالسَّهب — بنيت على خطب من الخطبِ
إذ لا تـرى إلاّ مُقاتلـة — وعَجانساً يُرقِلـن بالرَّكْبِ[7]
ومُدَجَّجـاً يسعـى بشِكّتِه — مُحْمَـرَّةً عينـاهُ كالكلبِ
ومعاشراً صدأُ الحديـدِ بهـم — عَبَـقَ الهِناء مَخاطِـمَ الجربِ[8]

الشعر للحارث بن الطفيل الدَّوْسيّ ، والغناء لمعبد ، رمل بالبنصر ، من رواية يحيى المكّي ، وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله أعلم .

---

1 عامر في ل : غامد . المثل «أصابتهم راغية البكر» في أمثال أبي فيد : 44 . وانظر فصل المقال : 458 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وجمهرة العسكري 2 : 156 .
2 خلفة الصقر : اختلافه مرة بعد مرة .
3 يفري : يبالغ في النكاية والقتل .
4 الظبي الأشعب : البعيد ما بين القرنين .
5 الصدع : الوعل الشاب القوي ، الأروى : أنثى الوعل .
6 نُنْكبا في ل : تسلبا .
7 العجانس : جمع عنجس ، الشديد الضخم من الإبل .
8 الهناء : ما تطلى به الإبل كالقطران . المخاطم : جمع مخطم : مقدم أنف الناقة وفمها .

[246] ـ أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[نسبه]

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عبد الله بن عُدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، شاعرٌ فارسٌ ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطفيل بن عمرٍو شاعر أيضاً ، وهو أوّل مَن وفد من دوس على النبي ﷺ ، فأسلم وعاد إلى قومه ، فدعاهم إلى الإسلام .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الحَزَنْبَلُ بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، واللفظ في الخبر له ، والله أعلم .

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه : أنّ الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسيّ خرج حتى أتى مكّة حاجّاً ، وقد بُعِث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلاً يعصو ، والعاصي البصير بالجِراح ، ولذلك يقال لولده : بنو العاصي ، فأرسلته قريشٌ إلى النبيّ ﷺ وقالوا : انظر لنا ما هذا الرجل ، وما عنده ؟ فأتى النبيّ ﷺ فعرض عليه الإسلام ، فقال له : إنّي رجلٌ شاعر ، فاسمع ما أقول . فقال له النبيّ ﷺ : هات . فقال : [من الطويل]

لا وإلــه الناس تألَــمُ حربَهم ... ولــو حاربَتْنا مُنهِبٌ وبنو فهمِ[1]
ولمّا يكن يــومٌ تــزول نجومُه ... تطير بهِ الرُّكبانُ ذو نبإٍ ضخمِ
أسلماً على خَسفٍ ولستُ بِخالِدٍ ... وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمِي
فلا سلمَ حتى تحفِزَ الناسَ خِيفةٌ ... ويصبحَ طيرٌ كانِساتٍ على لحمِ

فقال له رسول الله ﷺ : وأنا أقول فاستمع ، ثم قال : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» . ثم قرأ : «قل أعوذ بربّ الفلق» ، ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد إلى قومه ، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماء ، حتى نزل بَرُوق ، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها مِنبر ، فلم يبصِر أين

1 ترجمة الحارث بن الطفيل في الوافي بالوفيات 11 : 258 وأعلام الزركلي وكتب الصحابة مثل أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . حاربتنا في ل : صالحتهم .

يسلك ، فأضاء له نور في طرفِ سوطه ، فبهر الناس ذلك النور ، وقالوا : نار أحدِثت على القَدومِ ثم على بَرُوق لا تطفأ . فعلِقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه ، ودعا قومه فلم يجبه إلاّ أبو هريرة ، وكان ينزل هو وأهله في جبل يقال له ذو رِمَع [1] ، فلقيه بطَريق يزحزح [2] ، وبلغنا أنه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول : [من الكامل]

يــا طولهـا مــن ليلةٍ وعنائها ... على أنّها من بلدةِ الكفرِ نَجَّتِ

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبيّ ﷺ ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلادٌ حصينة وكفرٌ شديد . فتوضأ النبي ﷺ ثم قال : «اللهمّ اهد دوساً» ثلاث مراتٍ . قال أبو هريرة : فلمّا صلّى النبي ﷺ خِفت أن يدعو على قومي فيهلِكوا ، فصحت : واقوماه ! فلمّا دعا لهم سُرِّيَ عنّي ، ولم يحبّ الطفيل أحد أن يدعو لهم لخلافِهم عليه . فقال له : لم أحِبَّ هذا منك يا رسول الله . فقال لـه : إن فيهم مثلك كثيراً . وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غويَّة بن سعد بن الحارث من ذبيان بن عوف بن مُنهِب بن دوس يقول في الجاهلية : إنّ للخلق خالِقاً لا أعلم ما هو . فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبيّ ﷺ ، فأسلم وأسلموا . قال أبو هريرة : ما زلت ألوي الآجرة بيدي ، ثم لويت على وسطي حتى كأنّي بِجادٌ [3] أسود ، وكان جندب يقرّبهم إلى النبيّ ﷺ رجلاً رجلاً ، فيسلمون .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارث بن الطفيل ، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهمان بن نصر بن زهران .

وكان سبب ذلك فيما ذكِر عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ ضِماد بن مُسَرّح بن النعمان بن الجبّار بن سعدِ بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر ، سيّد آل الحارث ، كان يقول لقومه : أحذّركم جرائر أحمقَين من آل الحارث يبطلانِ رياستكم . وكان ضِمادٌ يتعيّف ، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلَّها ، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم ، وكان القتيلُ من آلِ الحارثِ تؤخذ له دِيتانِ ، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيلٍ من دوس ديةً واحدة ، فقال غلامان من بني الحارث يوماً : ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم [4] الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله . فأتياه ،

1 ذو رِمَع في ل : ذو منعا .

2 بطريق يزحزح في ل : بطرف برحرح .

3 بجاد : كساء مخطّط .

4 وزعيمهم في ل : ونهيهم .

فقالا : يا عمّ ، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه . فأخرجاه من منزله ، فلمّا تنحّيا به قال له أحدهما : يا عمّ ، إن رِجلي قد دخلت فيها شوكة ، فأخرِجها لي . فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله ، فعمَدت دوس إلى سيِّد بني الحارث ، وكان نازلاً بقَنَوْنى[1] فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي ، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضةَ وعقَلوها ، فجلعت الناقة ترغو وتحِنّ إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرفَ شأنَ الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتَوا أهله ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لِدَوس وغَزَوهم فنَذِروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا ، وظفِرت بنو الحارث بِغِلمةٍ من دوس فقتلوهم ، ثم إنّ دوساً اجتمع منهم تسعةٌ وسبعون رجلاً ، فقالوا : من يكملنا ثمانين حتى نغزو أهل ضِماد ؟ فكان ضِماد قد أتى عُكاظ ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله ، فمرّوا برجل من دوسٍ وهو يتغنّى : [من الوافر]

فإنَّ السلمَ رائـدة نواهـا وإنّ نـوى المحارب لا ترود

فقالوا : هذا لا يتبعكم ، ولا ينفعكم إن تبِعكم ، أما تسمعون غناءه في السَّلم . فأتوا حُمَمَة بن عمرو ، فقالوا : أرسِل إلينا بعض ولدك . فقال : وأنا إن شئتم . وهو عاصب حاجبَيه من الكِبر . فأخرج معهم ولده جميعاً ، وخرج معهم ، ثم قال لهم : تفرّقوا فرقتين ، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا ، وإيّاكم والغرةَ حتى تتفارقوا لا يقتلْ بعضكم بعضاً . ففعلوا ، فلم يلتفِتوا حتى قتلوا ذلك الحيِّ من آل الحارثِ ، وقتلوا ابناً لضمادِ ، فلمّا قدِم قطع أذنَـي ناقته وذنبها ، وصرخ في آل الحارث ، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بإزائه ، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرّفُ بعضهم[2] بعضاً ، وكان ضماد قد قال لابن أخٍ له يكنى أبا سفيان لمّا أراد أن يأتي عكاظ : إنْ كنتَ تحرز[3] أهلي ، وإلاّ أقمتُ عليهم . فقال له : أنا أحرِزهم من مائة ؛ فإنْ زادوا فلا . وكانت تحت ضِمادٍ امرأةٌ من دوس ، وهي أخت مربان بن سعدِ الدوسيّ الشاعر ، فلمّا أغارت دوسٌ على بني الحارث قصدها أخوها ، فلاذت به ، وضمّت فخذِها على ابنها من ضِمادٍ ، وقالت : يا أخي اصرِف عنّي القوم ، فإنّي حائض لا يكشفوني . فنكز سِية القوس في دِرعِها ، وقال : لست بحائض ، ولكن في دِرعِك سَخْلَةٌ بكذا من آل الحارث ، ثم أخرج الصبيَّ فقتله . وقال في ذلك : [من الطويل]

ألا هل أتى أمَّ الحُصَيْن ولو نأت خِلافتُنـا في أهلِـه ابنُ مُسَرَّحِ

---

1 قنونى : اسم واد .

2 يتطرف : يغير .

3 تحرز : تصون .

ونضرةُ تدعـو بالفِناء وطَلَقُها ترائِبه ينفحن مـن كلّ مَنْفَحِ[1]
وفـرّ أبو سفيانَ لمّـا بـدا لنا فِرارَ جبانٍ لامَّهِ الذلُّ مُقْرحِ[2]

[يوم حضرة الوادي]

قال : فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي ، فتحاشد الحيان ، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالِهم ، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأس الجبل ، وأتتهم دوس . وأنزل خالد بن ذي السبلة بناتِه هنداً وجندلةَ وفطيمة ونضرة ، فبنين بيتاً ، وجعلن يَستقِين الماء ، ويحضِّضْن . وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطينه مُكحُلة ومِجْمرا ، وقلن : أهلاً معنا فانزل ، أي إنّك من النساء ، وجعلت هندٌ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول : [من الرجز]

مَـنْ رجـلٌ ينازِل الكتيبَهْ فذلِكـم تَزني بـه الحبيبَهْ

فلمّا التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث ، فقال : خُذْها وأنا أبو الزبن[3] ، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي : يا قوم زُبِنتم فارجعوا . ثم رجل آخر من دوس ، فقال : خذها وأنا أبو ذِكر[4] . فقال ضِماد : ذهب القوم بذكرها ، فاقبلوا رأيي وانصرفوا . فقال : قد جبُنت يا ضِماد . ثم التقوا ، فأُبيرت بنو الحارث . هذه رواية أبي عمرو .

وأمّا الكلبيّ فإنّه قال : كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغِطريف ويقال لبنيه الغطاريف ، وكان لهم دِيتان ، ولسائر قومه دية ، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كلَّ سنة ، حتى إنْ كان الرجل منهم ليأتي بيت الدّوْسيّ فيضع سَهمه أو نعلَه على الباب ، ثم يدخل ، فيجيء الدوسي ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حُمَمَة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطوّل الذي يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرِض عن ذكره . فأعرضَ عن هذا الأمر ، وإنّ رجلاً من دوس عرَّس بابنةِ عمّ له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكريّ ، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك . فجمع دوساً وقام فيهم ، فحرّضهم وقال : إلى كم تصبرون لهذا الذلّ ، هذه بنو الحارث ، تأتيكم الآن تقاتلكم ، فاصبروا تعيشوا كِراماً أو تموتوا كِراماً . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا ، واقتتلوا ، فظفِرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذٍ : [من الرجز]

1 الطلق : أصلاً الظبي . ينفخن بالدم : ينضحن دماً .
2 مقرح : مجروح .
3 الزبن : الدفع .
4 أبو ذكر : أبو الصيت والثناء .

قد علمت صفراءُ حرشاءُ الذيلْ شرّابةُ المحض تروكٌ للقيلْ[1]
ترخي فروعاً مِثلَ أذنابِ الخيلْ أنّ بَرُوقاً دونها كالويلْ
ودونها خرطُ القتادِ بالليلْ[2]

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسيّ في هذا اليوم ، عن أبي عمرو : [من الكامل]

يا دارُ مِن ماوِيّ بالسَّهبِ بُنِيت على خَطْبٍ من الخطْبِ
إذ لا ترى إلاّ مقاتلةً وعَجانِسا يُرْقِلْن بالركبِ
ومُدَجّجاً يسعى بِشِكِتِه محمرّةً عيناه كالكلبِ
ومَعاشرا صدأ الحديدِ بهم عبق الهِنْاء مخاطِم الجُربِ
لّما سمعت نَزالِ قد دُعِيت أيقنت أنّهمُ بنو كعبِ
كعبِ بنِ عمرو لا لِكعب بني الـ ـعنقاء والتِّبْيانِ في النسبِ
فرميتُ كبشَ القوم مُعْتَمِداً فمضى وراشوه بذي كعبِ[3]
شكّوا بحَقْوَيْه القداحَ كما ناط المُعَرِّضُ أقدحَ القضْبِ[4]
فكأنّ مُهري ظلّ مُنْغَمِسا بشبا الأسِنة مَغْرَةُ الجأبِ[5]
يا ربّ موضوعٍ رفعتُ ومر فوع وضعتُ بمنزل اللِّصبِ[6]
وحَلِيل غانِية هتكتُ قرارها تحت الوغى بِشديدةِ العضبِ[7]
كانت على حُبّ الحياة فقد أحللتها في منزلٍ غربِ[8]
«جانِيك مَنْ يَجْني عليكِ وقد تُعْدي الصِّحاحَ مبارِكُ الجربِ»[9]

---

1 حرشاء : خشنة . القيل : اللبن يشرب نصف النهار .

2 المثل «دونه خرط القتاد» في مجمع الميداني 1 : 265 ومستقصى الزمخشري 2 : 82 .

3 الكبش : الرئيس . راشوه : من الرشوة . ذو كعب : الرمح .

4 الحقو : الخصر . القداح : السهام . ناط : علق . المعرض : الرامي الذي يعرض القوس عرضاً ثم يرمي . أقدح : جمع قِدح ، وهو السهم . القضب : جمع قضيب ، ويعني القوس .

5 المغرة : لون مائل إلى الحمرة . الجأب : موضع .

6 اللصب : مضيق الوادي .

7 العضب : الطعن .

8 غرب : بعيد .

9 المثل «جانيك من يجني عليك» في مجمع الميداني 1 : 169 وجمهرة العسكري 1 : 306 ومستقصى الزمخشري 2 : 48 .

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سُريج ؛ وليس هو في هذه القصيدة ، ولا وُجِد في الرواية ، وإنّما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تُضِيف المغنون شعراً إلى شعر ، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الرويّ والقافية .

صوت[1]

[من الهزج]

صرفتُ هواكَ فانصرفا ... ولم تَـرْعَ الذي سلفا
وبِنتَ فلـم أمتْ كلفا ... عليك ولم تَمُـتْ أسفا
كلانـا واجـد في النا ... س مِمّن ملَّـــه خلفا

الشعر لعبد الصمد بن المعذّل ، والغناء للقاسم بن زُرْزُور ، رملٌ بالوسطى ، وفيه لعمر الميداني هزجٌ .

1 ديوان عبد الصمد بن المعذل (صادر) : 142 .

[247] ـ أخبار عبد الصمد بن المعذّل ونسبه[1]

[نسبه]

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البَختريّ بن المختار بن ذَرِيح بن أوس بن همّام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن حِدرِجان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ . وقيل : ربيعة بن ليث بن حمران .

وجدت في كتابٍ بخطّ أحمد بن أبي كامل : حدّثني غيلان بن المعذّل أخو عبد الصمد ، قال : كان أبي يقول : أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد ، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعْميّ . والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دُعْميّ . ويكنى عبد الصمد أبا القاسم ، وأمّه أمّ ولد يقال لها : الزَّرقاء . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصرِيّ المولد والمنشأ . وكان هجاء خبيث اللسان ، شديد العارضة . وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً ، إلاّ أنّه كان عفيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة ، وله جاه واسع في بلدِه وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما . وكان أبو عبد الصمد المعذّل وجدّه غيلان شاعرين ، وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير . والمعذَّل بن غيلان هو الذي يقول : [من الطويل]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني ... أرى صالح الأعمال لا أستطِيعها
أرى خلّةً في إخوة وقرابةٍ ... وذي رَحِمٍ ما كان مِثلي يُضِيعها
فلو ساعَدَتني في المكارم قدرةٌ ... لفاض عليهم بالنوالِ ربيعها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش ، عن المبرِّد ، وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزُبان عن الربعيّ أيضاً . قالا : وهو القائل : [من الطويل]

ولستُ بميّالٍ إلى جانبِ الغِنى ... إذا كانت العلياءُ في جانِبِ الفقرِ
وإنّي لصبّار على ما ينوبُني ... وحسبُكَ أنّ الله أثنى على الصبرِ

[تهاجى المعذّل وأبان اللاحقي]

أخبرني محمد بن خلفٍ ، قال : حدّثنا النَّخَعيّ وإسحاق حدّثنا الجماز قال : هجا أبان اللاحقيّ المعذَّل بن غيلان ، فقال : [من الخفيف]

---

1 ترجمة عبد الصمد بن المعذل في طبقات ابن المعتز 367–369 والسمط : 325 والموشح : 528 وفوات الوفيات 2 : 330 وأعلام الزركلي والتذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره الدكتور زهير زاهد (صادر) .

كنتُ أمشي مـع المعذَّلِ يوماً ففسا فَسوةً فكـدتُ أطيرُ
فتلفتُّ هـل أرى ظَربانـا من ورائي والأرضُ بي تستديرُ
فـإذا ليس غيرُه وإذا إعـ ـصارُ ذاك الفُساء منـه يفورُ
فتعجَّبت ثم قلـتُ لقد أعـ ـرِفُ ، هذا فيما أرى خنزيرُ

فأجابه المعذَّل فقال : [من مجزوء الرمل]

صَحَّفتْ أُمُّك إذْ سمَّـ ـتك بالمهـدِ أبانـا
قـد عَلِمنـا مـا أرادت لم تُـردْ إلاّ أتانـا
صَيَّرتْ بـاءً مكان الـ ـتـاء واللهِ عِيانـا[1]
قَطَـع الله وشيكـا مِـن مُسمِّيـك اللسانا

[المعذل وعبد الله بن سوار]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا المبرد قال : مرَّ المعذّل بن غيلان بعبد الله بن سوّار العنبريّ القاضي ، فاستنزلَه عبد الله ، وكان من عادة المعذَّل أن ينزل عنده ، فأبى ، وأنشده : [من الوافر]

أمِن حـقّ المـودّةِ أن نُقضّي ذِمامَكـمُ ولا تَقْضُـوا ذماما
وقد قال الأديبُ مقالَ صِدقٍ رآه الآخَـرُون لهـم إمـاما
إذا أكرمتُكـم وأهنتمـوني ولم أغْضَب لذلكـم فـذا ما

قال : وانصرف ، فبَكَّر إليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أبا عمرو مُغضباً . فقال : أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك . قال : ذَنْبُك أشدّ من عذرك ، وما لي أنا أعرف خبَر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبرَ حقوقي ؟ ! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رَضيَ عنه .

[يهجو شروين المغني]

حدّثني الحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن الحمدونيّ ، قال : كان شروين حسنَ الغناء والضّرب ، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه ، وتُلوّح له بخرقة حمراء ، ليظنَّها امرأةً تطالعه ، فكان حينئذٍ يغنّي أحسَنَ ما يقدر عليه تصنُّعاً لذلك ، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور ، فقال يهجوه[2] : [من السريع]

1 والله عيانا في ل : فالله أعانا .
2 ديوانه : 198 .

مَن حلّ شروينُ له منزلاً فلتنههُ الأولى عن الثانيهْ
فليسَ يدعوه إلى بيته إلاّ فتًى في بيته زانيهْ

[زانٍ متزوّج زانية]

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه، قال: حدّثني أبو عمرو البصريّ، قال: قال عبدالصمد بن المعذَّل في رجلٍ زانٍ من أهلِ البصرة كانت له امرأةٌ تزني، فقال[1]: [من السريع]

إن كنتِ قد صفرتِ أذْنَ الفتى فطالما صَفَّرَ آذانا
لا تعجِبي إن كنتِ كَشْخَنْتِه فإنَّما كشخنتِ كشخانا[2]

[عاشق جارية ابن الجوهريّ]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: حدّثنا سوّار بن أبي شُراعة، قال: كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهريّ، وكانت له جاريةٌ مغنّيةٌ حسنة الغناء، وكان ابنُ الجوهريّ شيخاً هِمّاً قبيح الوجه، فتعشَّقَتْ فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه. وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مِراراً في منزله، وكان عبد الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتمه أمرَه، ويحلِف له أنّه لا يهواها، فدخلتُ عليهما ذات يومٍ بغتةً، فبقيَ الفتى باهتاً لا يتكلّم، وتغيّر لونه وتخلّج في كلامه، فقال عبد الصمد[3]: [من المتقارب]

صوت

لسانُ الهوى ينطقْ وَمَشْهَدُه يَصدقْ
لقد نَمَّ هذا الهوى عليك وما يُشْفِقْ
إذا لم تكن عاشقاً فقلبُك لِمْ يخفقْ
وما لَكَ إمَّا بدَتْ تَحارُ فلا تنطِقْ
أشمسٌ تجلّت لنا أم القمرُ المشرقْ

الغناء في هذه الأبيات لرذاذٍ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ.

قال: ثم طال الأمر بينهما، فهربتْ إليه جملةً، فقال عبد الصمد في ذلك[4]: [من المديد]

إلى امرىءٍ حازم ركِبَتْ أيَّ امرىء عاجزٍ تركَتْ

1 ديوانه: 182.
2 كشخان: لا يغار على نسائه.
3 ديوانه: 144.
4 ديوانه: 88–89 عن الأغاني.

فتنةُ ابن الجوهريِّ لقد | أظهرَتْ نُصحاً وقد أفِكتْ
أكذبَتْها عزمةٌ ظهرت | لا تبالي نفسَ مَن سفكتْ
ظفِرتْ فيها بما هَوِيَتْ | ونَجَت من قُرب من فرِكَتْ
ثمّ خدود بعدها لُطِمَتْ | وجيوب بعدها هُتِكَتْ[1]
وعيون لا يُرقّأن على | حُسْنِ وجه فاتَهُنَّ بكَتْ[2]
خرجَتْ والليل مُعْتكِرٌ | لم يَهُلْها أيَّةً سلكتْ
وعيونُ النّاس قد هجعت | ودُجى الظّلماء قد حَلَكتْ[3]
لم تَخَفْ وجداً بعاشقها | حُرمةَ الشَّهرِ الذي انتهكَتْ
ورأتْ لمّا سَقَتْ كَمداً | أنَّها في دينها نَسَكَتْ
مُلِّكَت كفٌّ بها ظَفِرت | دونَ هذا الخلق ما مَلكتْ
أيُّ ملك إذ خلا وخلَتْ | فشكا أشجانَه وشَكَتْ
تَجتلي من وجهِهِ ذهباً | وهو يَجلُو فضّةً سُبِكَتْ
هكذا فعلُ الفتاة إذا | هي في عشّاقها محكَتْ[4]

[هجاؤه جاراً له]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه، قال: حدّثني بعض أصحابنا قال: نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى جارٍ له يخطِر في مِشيته خطرةَ منكرة، وكان فقيراً رثَّ الحال، فقال فيه[5]: [من الخفيف]

يتمشَّى في ثَوب عَصْبٍ من العُرْ | ي على عظْم ساقِهِ مسدولِ[6]
دبَّ في رأسه خُمارٌ من الجو | عِ سُرى خَمرةِ الرحيقِ الشمولِ
فبكى شَجْوَه وحنَّ إلى الخُـ | ـبز ونادى بزفرةٍ وعويلِ
مَن لقلبٍ متيَّم برغيفيـ | ـن ونفسٍ تاقت إلى طِفْشيلِ

1 ثم في الديوان: كم (وبها يستقيم الوزن).
2 يرقّأن في الديوان: ما رقأن (ليستقيم الوزن).
3 قد هجعت في ل والديوان: هاجعة.
4 محكت: لجت وتمادت.
5 ديوانه: 158 عن الأغاني.
6 العصب: ضرب من القماش تصنع منه البرود.

ليس تسمُــو إلى الولائــم نفسي جلَّ قــدرُ الأعــراس عن تأميلي
هــاتِ لونــاً وقُــلْ لتلكَ تغنّي «لستُ أبكي لدراسات الطُّلولِ»

[رثاؤه لطفيلي]

أخبرنا سَوّارُ بن أبي شُراعة ، قال : كان بالبصرة طُفَيليٌّ يُكَنَّى أبا سلمة ، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لِبْسَ القضاة ، وأخذ ابنَيْهِ معه وعليهما القلانِس الطوال ، والطّيالسة الرقاق[1] ، فيقدّم ابنيه ، فيدقُّ الباب أحدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة . ثم لا يُلبِث البوابَ حتى يتقدّم الآخر ، فيقول : افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم ، فيدقُّون جميعاً الباب ، ويقولون : بادِرْ ويلك ، فإنَّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عَرَفهم فتح لهم ، وهابَ منظرهم ، وإن كانت معرفتُه إيّاهم قد سبَقتْ لم يلتفت إليهم ، ومع كلٍّ واحد منهم فِهْرٌ[2] مدوَّر يسمونه «كَيسان» ، فينتظرون حتّى يجيءَ بعض من دُعِيَ ، فيفتح له الباب ، فإذا فتح طرحوا الفِهرَ في العتبة حيث يدور الباب ، فلا يقدر البواب على غلقه ، ويهجمون عليه فيدخلون . فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لُقمةً حارّة من فالوذج ، وبَلَعهـا لشدّة حرارتها ، فجمِعت أحشاؤه فمات على المائدة ، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه[3] : [من البسيط]

أحزان نفسي عليها غيرُ مُنْصَرِمهْ وأدمُعي من جفوني الدَّهرَ منسجمَهْ
على صديقٍ ومولًى لي فُجِعْتُ بهِ ما إنْ لهُ في جميع الصالحين لُمَهْ[4]
كم جفنةٍ مِثلِ جَوفِ الحوض مُتْرَعَةٍ كوماءَ جاء بهــا طباخُها رذِمَهْ[5]
قــد كلَّلتهــا شحومٌ مِن قَليَّتها ومــن سَنامِ جــزورٍ عَبْطةٍ سنِمَهْ
غُيِّبْتَ عنها فلم تَعرِف لها خبراً لهفي عليكَ وعــولي يا أبا سلمَهْ
ولو تكون لها حيّـاً لمـا بَعُدت يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطَمَهْ[6]
قــد كنت أعلم أنَّ الأكل يقتله لكنَّني كنت أخشى ذاك من تُخَمَهْ
إذا تعمَّم في شبليــهِ ثــم غــدا فإنّ حوزةَ مــن يأتيه مصطلَمَهْ[7]

1 الرقاق في ل : الزرق .
2 الفهر : الحجر .
3 ديوانه : 172–173 .
4 اللمة : المثل والنظير .
5 الرذمة : التي تسيل دسماً .
6 الجاحم الحطمة : النار الشديدة .
7 مصطلمة : مستأصلة .

[أبياته في فتى كان يتعشّقه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان ، قال : حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه ، قال : كان عبد الصمد بن المعذّل يتعشّق فتًى من المغنّين ، يقال له : أحمد ، فغاضبه الفتى وهَجَره ، فكتب إليه[1] : [من المنسرح]

صوت

سَلْ جَزَعي مُذْ صددت عن حالي هــل خَطَــر الصبرُ عـلى بـالي

لا غيَّرَ اللهُ سوءَ فعلــك بــي إن كنــتُ أعتبتُ فيــك عُذّالي

ولا ذممتُ البكا لي عليـك ولا حَمِدتُ حُسنَ السلُوِّ مــن سالِ

لــو كنتُ أبغي سِواكَ ما جهِلَتْ نفسيَ أنَّ الصُّـدود أعفــى لي[2]

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق .

[هجاؤه قينة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عليُّ بن محمدٍ النّوفليّ ، فقال : هجا عبد الصمد بن المعذَّل قينةً بالبصرة قال فيها : [من البسيط]

تفترُّ عن مَضحَكِ السِّدْرِيِّ إن ضحكت كَـرْفَ الأُتـــان رأت إدلاءَ أعيارِ[3]

يَفُــوحُ ريحُ كنيــفٍ مـــن ترائبهــا سوداءُ حالكــةٌ دهمـــاءُ كالقــارِ

قال : فكَسَدت والله تلك القينة بالبصرة ، فلم تُدْعَ ولم تُسْتَتبع حتى أُخرِجَت عنها .

[عتابه لأحد الأمراء]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا المبرد ، قال : كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعةً فلم يجبه عنها ، لشيء كان بلغه عنه ، فكتب إليه[4] : [من الخفيف]

قد كتبتُ الكتاب ثم مَضى اليو م ولم أدرِ مـا جوابُ الكتابِ

ليتَ شِعري عـن الأمير لماذا لا يراني أهـلاً لردِّ الجوابِ

لا تَدَعْني وأنت رفَّعْتَ حالي ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي

---

1 ديوانه : 107–108 عن الأغاني .

2 أعفى لي : أطيب وأحسن .

3 مضحك السدري : يقصد أبا نبقة الذي هجاه (سيأتي في هذه الترجمة) . كرف الأتان : يقال كرف الحمار إذا شمّ بول الأتان . الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

4 ديوانه : 79 عن الأُغاني .

إن أكنْ مذنباً فعندي رجوعٌ وبــلاءٌ بالعــذر والإعتابِ
وأنا الصادقُ الوفاء وذو العهـ ــدِ الوثيقِ المؤكَّـدِ الأسبابِ

[هجاؤه رجلاً من ولد المهلّب]

أخبرني الحِرْميّ بن عليّ ، قال : حدّثني أبو الشبل ، قال : كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلّب بن أبي صُفْرة يقال له : صبيانة . وكان له بستان سِريٌّ في منزله . فكان يدعو الفتياتِ إليه ، فلا يعطيهنَّ شيئاً من الدراهم ، ويُقْصِرُ بهنّ على ما يحمِلنه من البستان معهنَّ ، مثلَ الرُّطب والبقول والرياحين . فقال فيه عبد الصمد قوله[1] : [من الرجز]

قــومٌ زنــاةٌ مالهـم دارهـمُ جذرهـم النَّمَّـامُ والحَماحِمُ[2]
أنذلُ مــن تجمَعُــه المواسم خَسُّوا وخسَّتْ منهـم المطاعِمُ
فعدلُهــم إن قِسْتَه المظـالمُ

[جزعه من هجاء الجماز]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني سوّار بن أبي شُراعة ، وأخبرنا به سوار أجازة ، قال : حدّثني أبي ، قال : لمّا هجا الجماز عبد الصمد بن المعذَّل جاءني فقال لي : أنقِذني منه . فقلت له : أمثلك يَفْرَقُ من الجماز ؟ فقال : نعم ، لأنّه لا يبالي بالهجاء ولا يَفْرَقُ منه ، ولا عِرض لـه ، وشعـره ينفُق على مَن لا يدري . فلم أزل حتّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه : [من المجتث]

ابن المعذّل مَــنْ هُــو وَمَــنْ أبــوه المعذَّلْ
سألت وَهبــانَ عنــه فقــال بَيضٌ مُحَوَّلْ[3]

قال : وكان وَهبان هذا رجلاً يبيع الحمام ، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه ، وجعل يغشى المجالس ، ويَحلِف لهم أنّه ما قال : إنّ عبد الصمد بيضٌ مُحوَّل ، ويسألهم أن يعتذروا إليه ؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة . فجاءني عبد الصمد يستغيث منه ، ويقول لي : ألم أقُلْ لك أنّ آفتي منه عظيمةٌ ، والله لدَوَرانُ وهبانَ على الناس يحلف لهم : إنّه ما قال إنّي بيضٌ مُحوَّل ، أشدُّ عليّ من هجائه لي . فبعثتُ إلى وهبانَ فأحضرته ، وقلت له : يا هذا ، قد عَلِمنا أنّ الجمازَ قد كَذَب عليك ، وعَذَرناك فنحبُّ أن لا تَتكلَّفَ العذرَ إلى الناس في أمرنا ، فإنّا قد عذرناك . فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء .

1 ديوانه : 170 .
2 جذرهم : أصلهم . النمام : نبت طيب كالنعنع . الحماحم : الريحان العريض الورق وفي الديوان : الثمام والخماخم .
3 محول : حضنه غير أبويه .

[بين عبد الصمد ومضرطان]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ صِهر المبرد ، قال : حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : قال لي أبو شراعة القيسيٌّ : بَلَغ أبا جعفر مضرطان أنّ عبد الصمد بن المعذَّل هجاه ، واجتمعا عند أبي واثِلة السَّدوسيٍّ ، فقال له مضرطان : بلغني أنّك هَجَوتني . فقال له عبد الصمد : مَن أنت حتى أهجوك ؟ قال : هذا شرٌّ من الهجاء . فوثب إلى عبد الصَّمدِ فجعل يضربه . فقال الحَمدَويّ ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حَمدَوَيه ، وحَمدوَيه جدُّه ، وهو الذي كان يقتل الزنادقة : [من مخلع البسيط]

ألــذُّ مِــن صُحبة القَناني أو اقتــراحٍ عــلى قِيــانِ
لَكْــزُ فتًى من بنـي لُكَيْزٍ يُهْـدى لـه أهـون الهوانِ
أهـوى لـه بــازلٌ خِدَبٌّ يطحَــنُ قرنيْـه بـالجرانِ[1]
فنال منــه ثُؤُورَ قـــوم باليـــد طـوراً وباللِّسانِ[2]
وكان يفسُو فصار حَقّــاً يضرِطُ من خوفِ مَضْرَطانِ

قال : وبلغ عبدَ الصَّمد شعر الحمدويّ ، فقال : أنا له . ففزع الحمدويُّ منه ، فقال : [من الطويل]

تَرَحْ طُعِنــتُ بــه وهــمٌّ واردُ إذْ قِيــل إنّ ابنَ المعــذّلِ واجدُ
هيهاتَ أن أجدَ السَّبيلَ إلى الكَرى وابنُ المعذَّلِ مــن مِزاحي حارِدُ

فرضي عنه عبد الصمد .

[بين الجماز وعبد الصمد]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال : حدّثنا العنزيّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن عُقبةَ اليشكريُّ ، قال : قال لي عبد الصمد بن المعذّل ، هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس ، حتى لم يبقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إلاّ رواهما ، وهما : [من المجتث]

ابنُ المعــذّل مَــنْ هو ومَـــن أبــوه المعــذَّلْ
سألتُ وهبــانَ عنــه فقــال بيــضٌ مُحَــوَّلْ

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كلُّ أحدٍ ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه ، وذلك لضعتِه ، وهو قولي[3] : [من مجزوء الرمل]

1 خدب : جمل شديد صلب . قرناه : جانباه ، وفي ل : قطريه . الجران : مقدّم عنق البعير .
2 ثؤور : جمع ثأر .
3 ديوانه : 194 .

نسبُ الجمّـاز مقصو ر إليـــه مُنْتَهـــاهُ
يتـراءى نسبُ النـــا س فمـا يخفـى سِواهُ
يتحاجـى في أبي الجـ ـمَّاز مـن هُـو كاتباهُ
ليس يَدْري مَن أبو الجـ ـمَّاز إلاّ مَـن يراهُ

[ينادم بستانه]

أخبرني الأخفش قال حدّثنا المبرد قال : كان لعبدِ الصمدِ بستانٌ نظيف عامر ، فأنشدنا لنفسه فيه[1] : [من المتقارب]

إذا لم يـــزرني نَدْمانيَــهْ خلـوتُ فنادمـتُ بستانيَهْ
فنادمتُــه خَضِـراً مُؤنقــاً يُهَيِّجُ لي ذكـــرَ أشجانيَهْ
يقــرِّب مَفْرَحَـــةَ المُسْتَلِـذِّ ويُبعِـد همِّـــي وأحـــزانيَهْ
أرى فيه مثلَ مدارِي الظِّباءِ تظــلُّ لأطلائهـــا حانيَهْ
ونَـــوْرَ أقاح شتيتِ النباتِ كما ابتسمَــتْ عجبــاً غانِيَهْ
ونرجسُه مثــلُ عـين الفتاة إلى وجـهِ عاشقهـا رانِيَهْ

[يزيد المسمعي وعليم]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال : كان يزيد بن عبد الملك المسمعيُّ يهوى جاريةً من جواري القِيان ، يقال لها : عُلَيْم ، وكان يعاشر عبد الصمد ، ويزيد يومئذٍ شابٌّ حديث السنّ ، وكان عبد الصمد يسمِّيه ابني ، ويسمِّي الجارية ابنتي ، فباع الفتى بستاناً له في نهر معقِل ، وضيعةً بالقِندَل[2] . فاشترى الجارية بثمنهما ، فقال عبد الصمد[3] : [من مخلع البسيط]

بُنيَّتي أصبحَتْ عَـرُوساً تُهدى من ابني إلى عروسِ
زُفَّتْ إليــه لخيرِ وقــتٍ فاجتمعا ليلــةَ الخميسِ
يــا معشرَ العاشِقين أنتم بالمنزل الأرذلِ الخسيسِ
يزيدُ أضحى لكم رئيساً فاتَّبعوا مَنْهــج الرئيسِ
مَن رام بَــلاًّ لرأسِ أيْر ذلَّل نفساً بِحَـلٍّ كِيسِ

1 ديوانه : 183 .
2 القندل : محلة بالبصرة .
3 ديوانه : 125 عن الأغاني .

[الجماز وابن قلابة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني يزيد بن محمدٍ المهلبيّ ، قال : بلغ عبد الصمد بن المعذل أنّ أبا قِلابة الجَرميّ تدسَّس إلى الجماز لمّا بلغه تعرّضه له ، وهجاؤه إيّاه ، فحمله على الزيادة في ذلك ، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضده ، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قِلابة حتّى أفحمَه ، فقال عبد الصمد فيهما[1] : [من مجزوء الكامل]

يـا مَن تركتُ بصخرة ... صَمّاءَ هامتَـه أُمِيمَـهْ[2]
إن الـذي عاضدتَـه ... أشبهتَـه خُلُقـاً وشيمَهْ
وكفِعل جدّتـك الحديـ ... ـثة فعلُ جدّتـه القديمَهْ
فتناصرا ، فابـنُ اللئيـ ... ـمة ناصرٌ لابْنِ اللئيمَهْ

[عتاب صديق]

حدّثني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : كان لعبد الصمد بن المعذّل صديقٌ يعاشره ويأنس به . فتزوّج إليه أمير البصرة ، وكان من ولد سليمان بن عليّ ، فنَبُلَ الرجلُ وعلا قدرُه ، وولاّه المتزوِّج إليه عملاً ، فكتب إليه عبد الصمد[3] : [من المنسرح]

أَحُلْتَ عمّـا عهـدتُ من أدبكْ ... أم نلـتَ مُلْكاً فتِهتَ في كُتبِكْ
أم هل ترى أنَّ في مناصفة الإخـ ... ـوان نقصاً عليـك في حَسَبِكْ
أم كان ما كان منك عن غضبٍ ... فأيُّ شيء أدنـاك من غضبِكْ
إنَّ جفـاءَ كتـاب ذي ثقـة ... يكون في صدره «وأمتعَ بِكْ»
كيـفَ بإنصافنا لديـكَ وقـد ... شاركتَ آلَ النبـيِّ في نسبِكْ
قـلْ للوفـاء الذي تقـدِّره ... نفسك عنـدي مَلِلت من طلبِكْ
أتعبْـتَ كفَّيْـك في مواصلتي ... حسبُك ماذا لقيـتَ من تعبِكْ[4]

فأجابه صديقه : [من المنسرح]

كيف يَحُـول الإخاءُ يـا أملي ... وكلُّ خيرٍ أنـال مـن نسبِكْ
إن يـكُ جهلٌ أتـاك مِن قِبَلي ... فامنُنْ بفضلٍ علـيَّ مـن أدبِكْ

1 ديوانه : 173–174 عن الأغاني .
2 أُميمة : مشجوجة .
3 ديوانه : 80 .
4 الديوان : مواصلتي .

أنكرتَ شيئاً فلستُ فاعِلَه ولا تَراه يُخَطُّ في كتبِكْ

[الصديق الكذوب]

حدّثني الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال: كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومَطَله به مَطْلاً طويلاً، فقال عبد الصمد[1]: [من المنسرح]

لي صاحبٌ في حديثه البركَهْ يزيدُ عند السُّكون والحركَهْ
لو قال «لا» في قليلِ أحرفِها لردَّها بالحُروفِ مشتبِكَهْ

[هجاء بني المنجاب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني سوّار بن أبي شُراعة، قال: كان يحيى بن عبد السميع الهاشميّ يعاشر عبد الصمد بن المعذَّل، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مُغَنّيةٌ، وكان ينزل رحبةَ المنجاب بالبصرة، ثم استبدّ بها الهاشميّ دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد[2]: [من الخفيف]

قل ليحيى مللتُ من أحبابي فلينكْهُمْ ما شاء من أصحابي
قد تركنا تَعَشُّقَ المُرْدِ لمّا أنْ بلَونا تنعُّم العزّابِ
وشنِئنا المؤاجرين فملْنا بعد خُبْرٍ إلى وصالِ القِحابِ
حبّذا قينةٌ لأهل بني المِنـ ـجابِ حلّتْ في رحبة المِنجابِ
صدَّقْتَ إذ يقول لي خُلقَ الأحـ ـراح ليس الفِقاح للأزبابِ
حبّذا تلك إذ تُغَنِّيك يا يحـ ـيى وتَسْقيك من ثنايا عذابِ
«ذكَرَ القلب ذِكْرَةً أُمَّ زيدٍ والمطايا بالسَّهْب سهب الركاب»[3]
حبّذا إذ ركبْتَها فتجافت تتشكّى إليكَ عند الضِّرابِ
وتَغَنَّتْ وأنت تدفَعُ فيها غيرَ ذي خِيفة لهم وارتقابِ
«إن جَنْبي عَنِ الفراش لنابٍ كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّرابِ[4]

1 ديوانه: 151.
2 ديوانه: 81–82 عن الأغاني.
3 البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه: 25 والسهب: موضع.
4 تقدم في الجزء السابق أن هذا البيت لمعديكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل 12: 152. وانظر بعده شرح أبي الفرج.

ليت شعري هل أسمعنّ إذا ما زاحَ عنّي وساوسُ الكتّابِ
مِنْ فتاةٍ كأنّها خُوطُ بانٍ مَجَّ فيها النعيمُ ماءَ الشبابِ[1]
إذْ تُغَنِّيك خلف سَجفٍ رقيق نَغَماتٍ تحبُّها بصوابِ
شفّ عنها محقّق جَنَدِيٌّ فهي كالشّمس من خلال سَحابِ[2]
ربَّ شِعرٍ قد قلتُه بتباهٍ ويُغَرَّى به ذوو الألبابِ
قد تركتُ الملحّنين إذا ما ذكروه قاموا على الأذنابِ[3]

قال : وشاعت الأبيات بالبصرة ، فامتنع مولى الجارية مِنْ معاشرة الهاشميّ ، وقطعه بعد ذلك .

[بينه وبين ابنَي هشام الكرنباني]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ وأحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العَنَزيُّ ، قال : حدّثني أحمد بن صالح الهاشميّ ، قال : كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعذَّل ، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني ، فجرى بين ابنَي هشام الكرنباني ، وهما أبو واثلة وإبراهيم ، وبين الحرّ بن عبد الله ، لحاءٌ في أمر عبد الصمد ، لأنّهما ذكراه وسبّاه . فامتعض له الحسين وسبّهما عنه ، فرمَيا الحسين بابن المعذّل ، ونسباه إلى أنّ عبد الصمد يرتكب القبيح ، وبلغ الحسين ذلك ، فلقيهما في سكّة المِربَد ، فشدَّ عليهما بسوطه وهو راكب ، فضربهما ضرباً مُبرِّحاً . وأفلت أبو واثلة ، ووقّع سبيب السَّوط في عين إبراهيم ، فأثر فيها أثراً قبيحاً ، فاستعان بمشيخةٍ من آل سليمان بن عليّ . وهرب أبو واثلة إلى الأمير عليّ بن عيسى وهو والي البصرة ، فوجَّه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله ، فطلبه وهرب حسين إلى المحدثة[4] ، فلمّا كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح بن إسحاق بن سليمان ، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان ، ومشيخةٍ من آل سليمان ، فصاروا معه إلى عليّ بن عيسى في أمره . وأقبل عبد الصمد بن المعذَّل لمّا رآهم ، فدخل معهم لنُصرة حسين . فكلّموا عليَّ بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد ، فقال : أصلح الله الأمير ، هؤلاء أهلُكَ ، وجِلّةُ أهل مِصرك ، تصدّوا إليك في ابنهم وابن أخيهم ، وهو وإن كان حدثاً لا ينبسط للحجّة بحداثته ، فإن هاهنا من يُعبِّر عنه ، وقد قلت أبياتاً ، فإن رأى الأمير أن يأذن في

1 الخوط : الغصن الناعم .
2 المحقق : ثوب محكم النسيج . جندي : نسبة إلى الجند من بلاد اليمن .
3 الملحنين في ل : المكشحين .
4 المحدثة : ماء ونخل في بلاد العرب .

إنشادها فعل . قال : قل . فأنشده عبد الصمد قوله[1] : [من الكامل]

يا ابنَ الخلائف وابنَ كلِّ مُبارَكٍ رأسَ الدعائم سامق الأغصانِ
إنّ العلوج على ابنِ عمّك أصفَقُوا فأتوْك عنه بأعظم البهتانِ[2]
قَرفُوه عندَك بالتعدّي ظالماً وهم ابتدَوْه بأعظمِ العدوانِ
شَتَموا له عِرضاً أغَرَّ مُهَذَّباً أعراضُهم أولى بكلِّ هوانِ
وسَمَوْا بأجسامٍ إليه مَهينةٍ وُصِلت بألأمِ أذرع وبنانِ
خُلِقت لمدِّ القَلْس لا لتناوُلِ عِرضَ الشّريف ولا لمدِّ عنانِ[3]
لم يَحفَظُوا قرباه منك فينتهوا إذْ لم يَهابُوا حرمةَ السُّلطانِ
أيُذَلُّ مظلوماً وجدُّك جَده كيما يعزَّ بِذُلِّهِ عِلجانِ
وينال أقلفُ كَربلاءَ بلادُه ذلَّ ابنِ عمٍّ خليفةِ الرحمنِ
إنّي أُعيذُك أن تَنالَ بك التي تطغى العلوجُ بها على عَدنانِ

فدعا عليُّ بن عيسى حسيناً ، فضمَّه إليه ، فقال : انصرف مع مشايخك . ودعا بهشام الكرنباني وابنَيه ، فعَذَلَهُمْ في أمره ، ثمَّ أصلح بينهم بعد ذلك .

[عتابه لعبد الله بن المسيّب]

أخبرني عليُّ بن سليمان ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد ، قال : كان عبد الصمد بن المعذَّل يعاشر عبد الله بن المسيّب ويألفه ، فبلغه أنّه اغتابه يوماً وهو سكران ، وعاب شيئاً أنشده من شعره ، فقال فيه وكتب بها إليه[4] : [من الكامل]

عَتْبي عليك مُقارِنُ العُذرِ قد زال عند حفيظتي صبري
لك شافعٌ منّي إليّ فما يَقْضي عليك بهفوةٍ فكري
لمّا أتاني ما نطقتَ به في السُّكرِ قلتُ جنايةُ السكرِ
حاشا لعبدِ الله يذكُرني مُسْتعْذِباً بنقيصتي ذكري
إنْ عابَ شعري أوْ تَحَيَّفَهُ فَلْيَهْنِه ما عاب مِن شعري

1 ديوانه : 184 عن الأغاني .
2 أصفقوا : أجمعوا .
3 القلس : حبل السفينة الغليظ .
4 ديوانه : 105–106 .

يا ابـنَ المسيّب قد سبقتَ بما أصبحـتَ مرتهنـاً بـه شكري
فمتى خُمِرتَ فأنـتَ في سَعةٍ ومتـى هَفـوت فأنـت في عذرِ
تَـرْكُ العتـاب إذا استحَـقَّ أخٌ منـك العتـابَ ذريعـةُ الهجرِ

أخبرني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرِّد ، قال : دعا عبد الصمد بن المعذَّل شرْوينَ المغنّيَ ، وكان مُحسِناً متقدِّماً في صناعته ، فتعالَلَ عليه ومضى إلى غيره ، فقال عبد الصمد : والله لأَسِمَنَّه مِيسَماً لا يدعوه بعدَه أحدٌ بالبصرة إلاّ بعد أن يبذل عِرضَه وحريمَه . فقال فيه : [من السريع]

مَـنْ حَلَّ شروينُ له منزِلا فلتنهَـهُ الأولى عـن الثانيهْ
فليس يدعـوه إلى بيتـه إلاّ فتًـى في بيتـه زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَن رأى .

[هجاء أبي رهم]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ وأحمد بن العباس العسكريُّ ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، قال : حدّثنا الفضل بن أبي جرزة ، قال : كان أبو قلابة الجَرْميُّ وعبد الصمد بن المعذَّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلّبيّ أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراويّ ، وكانت له جاريةٌ مغنّية ، يقال لها : جبلةُ ، وكان أبو رِهْم إليها مائلاً يتعشَّقها ، ثم اشتراها بعد ذلك . فلمّا أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رِهْم ، فأدخلوه وحدَه وحجبوهم ، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة ، فقال أبو قِلابة : لا بدّ أن نهجوَ أبا رِهْم . فقالوا : قل . فقال : [من الهزج]

ألا قـل لأبـي رهـمٍ سيهوى نعتَـك الوصفُ
كما حالفَـك الغـيُّ كـذا جانَبَـك الظَّرفُ
أتانـا أنّـه أهـدى إلى بحـرٍ مـن الشَّغْفِ[1]
خُزَيمـات مـن الصِّير فهـلاًّ معـهُ رُغْفُ[2]
فنـادَوْا اقسمي فينـا فقـد جـاءكم اللُّطْـفُ

فقال له عبد الصمد : سخنت عينُك أيْشٍ هذا الشعرُ ، بمثل هذا يُهْجى مَن يُراد به الفضيحة . فقال أبو قلابة : هذا الذي حضرني ، فقل أنت ما يحضرك . فقال : أفعله وأجوِّد . فكان هذا سببَ هجاءِ عبد الصمدِ أبا رِهم . وأوّل قصيـدةٍ هجاهُ بها قوله[3] : [من الوافر]

1 الشغف : مصدر شغف . وفي هذا البيت إقواء .
2 الصير : السمك المملوح .
3 ديوانه : 127 .

دعُوا الإسلامَ وانْتَحِلُوا المجوسا وأَلْقُوا الرَّيْطَ واشتَمِلُوا القُلوسا[1]
بنـي العبـدِ المُقيم بنهر تِيَرى لقـد أنهضتُ طيرَكم نحوسا
حـرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ فـلا يُمسِي بأُمِّكـم عَروسا
إذا ركَـدَ الظلامُ رأت عُسَيْلاً يَحُثُّ على نَدامـاهُ الكؤسا[2]
ويُذْكِرُهـم أبـو رِهْـم بهجْوٍ فيستدعي إلى الحُـرَم النُّفوسا
ويُخْلِيهـم هِشامٌ بالغـواني ويُحمي الفضلُ بينهم الوطيسا
فتسمع في البيوت لهـمْ هبيباً كما أهملتَ في الزَّربِ التيوسا[3]
لقـد كان الزناةُ بـلا رئيس فقد وجـد الزناةُ بهـم رئيسا
هـم قَبَلُوا الزّنـاء وأنشؤوه وهم وسمـوا بجبهته حبيسا[4]
لئن لم تنف دعوتَهم سَدُوسٌ لقد أخزى الإلهَ بهم سَدوسا

وقال فيه[5] : [من السريع]

لـو جـادَ بالمـال أبو رِهم كجُـودِهِ بالأخـت والأمِّ
أضحى ومـا يُعرفُ مِثْلٌ لَه وقيل أسخى العُربِ والعُجمِ
من بَـرَّ بالحرمـة إخوانَه أحَـقُّ أن يُشْكَـر بالشتمِ

وله فيه من قصيدة طويلة[6] : [من مجزوء الخفيف]

هـو واللهِ مُنْصِـفٌ زوجُـه زوجُ زوجتِهْ
يقسِم الأَيـرَ عـادلاً بين حِرْهـا وفقحتِهْ

[في نزهة]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ ، قال : حدّثنا العَنَزيّ ، قال : حدّثني أبو الفضل بن عبدان ، قال : خرج عبد الصمد بن المعذَّل مع أهله إلى نزهة وقال[7] : [من الخفيف]

---

1 الريط : جمع ريطة ، ملاءة غير ذات لفقين أي كلها نسج واحد وقطعةٌ واحدة . القلوس : جمع قلس . وهو حبل السفينة الغليظ .
2 عسيل : اسم شخص .
3 الهبيب : صوت التيس عند السفاد . الزرب : موضع الغنم .
4 قبلوا : كانوا كالقابلة . الحبيس : الموقوف .
5 ديوانه : 175 عن الأغاني .
6 ديوانه : 89 عن الأغاني .
7 ديوانه : 96 .

قـــد نزلنـــا بِروضةٍ وغديـــرٍ وهجرنا القصر المنيف المشيدا
بعريشٍ تـــرى مـــن الزاد فيه زُكرتَيْ خَمرةٍ وصقراً صَيودا[1]
وغريرين يطربـــان الندامى كلّمـا قلـتُ أبديـا وأعيدا
غنّيـــاني ، فغنّيـــاني بلحـــن سلِس الرّجْع يصدع الجلمودا
«لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فلق الـ ـصُّبح مغيراً ولا دُعيتُ يزيدا»
حيٍّ ذا الزورَ وانهَهُ أن يعودا إنّ بالبـــاب حارسِينَ قعودا[2]
مـــن يزُرْنا يجدْ شِواءَ حُبارى وقديـــراً رخصاً وخمراً عَتيدا
وكرامـــاً معذَّلـــين وبيضاً خلعوا العُذْر يسحبون البُرودا
لستُ عن ذا بمُقْصِرٍ ما جزائي قرَّبـــت لي كريمـــةٌ عنقودا

[يتغزّل بالأفشين]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى الأفشين بِسُرَّ من رأى وهو غلامٌ أمرد ، وكان من أحسنِ الناس ، وهو واقفٌ على بابِ الخليفة مع أولادِ القوّاد ، فأنشدنا لنفسِه فيه ، قال[3] : [من الخفيف]

أيّها اللاحِظِي بطرفٍ كليلِ هل إلى الوصل بيننا مِن سبيلِ
عِلـــم الله أنّنـــي أتمنّـــى زورةً منـك عنـد وقتِ المَقِيلِ
بعد ما قد غدوتَ في القُرْطُق الجَو نِ تَهادى وفي الحسام الصقِيلِ[4]
وتكفَّيتَ في المواكـب، تختـا ل عليهـا تميـل كلَّ مَميلِ[5]
وأطلـــتَ الوقوف منـــك بِبـا بِ القصر تلهو بكلٍّ قال وقيلِ
وتحدّثـــتَ في مطـــاردة الصَّيــ ــد بخُبـــرٍ بِـــهِ ورأي أصيلِ
ثمَّ نازعتَ في السنان وفي الرمـ ـح وعلم بمرهَفات النصولِ[6]

1 زكرة : زق الشراب .
2 الزور : الزائر .
3 ديوانه : 159–160 .
4 القرطق : ضرب من الثياب . الجون : الأسود والأبيض ، من الأضداد .
5 تكفيت : تمايلت مزهواً .
6 الرمح في ل والديوان : الدرع .

وتكلّمتَ في الطِّراد وفي الطَّعـ ـن ووثبٍ على صِعابِ الخيولِ
فإذا ما تفــرّقَ القــومُ أقبلـ ـتَ كريحانــةٍ دنَــتْ لذبولِ
قــد كساك الغبــارُ منــه رِداءً فوقَ صُدغ وجَفنِ طرفٍ كحِيلِ
وبدتْ وردةُ القَسامة من خَـ ـدِّكَ في مُشرقٍ نقــيّ أسيلِ
ترشَح المسكَ منــه سالفةُ الظبْـ ـي وجيدُ الأُدمانــة العطبولِ[1]
فأسوف الغبار ساعــة ألقــا ك برشفِ الخدّبــن والتقبيلِ[2]
وأحُلُّ القَباء والسَّيفَ من خَصـ ـرِكَ رِفقا باللُّطــف والتعليلِ
ثم يُؤتى بمــا هويتَ من التَّشـ ـريفِ عنــدي والبرّ والتبجيلِ
ثم أجلوكَ كالعروسِ على الشَّر بِ تَهادى في مُجْسَد مصقولِ[3]
ثم أُسقيك بعــد شربيَ مِنْ ريـ ـقِك كأساً من الرحيق الشمولِ
وأغنّيــك إن هَوِيــتَ غِنــاءً غيرَ مستكــرَهٍ ولا مملــولِ
لا يزال الخَلخال فوق الحشايا مثــل أُثنــاء حيّــةٍ مقْتولِ
فإذا ارتاحــت النفوسُ اشتياقاً وتمنّــى الخَليلُ قــربَ الخليلِ
كان مـــا كان بيننا ، لا أسمِّيـ ـــهِ ولكنّــه شفــاءُ الغليلِ

[متيم أقعدت يحيى بن أكثم على طريق القافية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ والمبرّد وغيرهما ، قالوا : كانت متيَّم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة ، فعلِقها عبد الصمد بن المعذَّل ، وكانت لا تخرج إلاّ مُنتقبة ، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ ، وقدِمت متيَّم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي ، فاحتاج إلى أن يُشهد عليها ، فأمرها بأن تُسفِر ، فلمّا قدِم عبد الصمد قيل له : لو رأيت متيَّم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُرَ مثله . فقال عبد الصمد قوله[4] : [من الطويل]

ولمّــا سَرَت عنهــا القنــاعَ متيّمٌ تَــرَوَّحَ منهـــا العنبــريُّ متيّما

1 السالفة : صفحة العنق . الأدمانة : السوداء . العطبول : المرأة الطويلة العنق .
2 أسوف : أشم .
3 المجسد : الثوب المعصفر .
4 ديوانه : 174–175 .

رأى ابنُ عبيدِ الله وهـو مُحَكَّمٌ عليها لهـا طَرفـاً عليـه محكَّما
وكان قديماً كالحَ الوجـهِ عابساً فلمّا رأى منهـا السفورَ تبسَّما
فإنْ يَصْبُ قلـبُ العنبريِّ فقبلَه صبا باليتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما

فبلغ قوله يحيى بن أكثم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أيَّ شيء أردت مِنِّي حتى أتاني شرُّكَ من البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيَّمٌ أقعدَتْكَ على طريق القافية !

[من هجائه لأخيه أحمد]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : حدّثني عبد الله بن أحمد العبديّ ، قال : حدّثني الأنيسيّ ، قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذَّل ، وكان خرج من البصرة على أن يغزو ، فلمّا دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده : [من البسيط]

أفضلتَ نُعْمى على قومٍ رعيت لهم حقّاً قديماً مـن الودّ الذي دَرَسا
وحرمةَ القصدِ بالأمـال إنّهـمُ أتَوْا سواكَ فمـا لاقَـوْا بـه أَنَسا
لأنت أكـرمُ منـه عنـد رفعته قـولاً وفعـلاً وأخلاقـاً ومُغْتَرسا

فأمر له بخمسمائة دينارٍ ، فقبضها ورجع إلى البصرة ، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغر ، وبلغ عبد الصمد خبرُه ، فقال فيه[1] : [من البسيط]

يُـرِي الغـزاةَ بـأنّ الله هِمّتُه وإنّمـا كان يَغـزو كيسَ إسحاقِ
فباع زُهـداً ثواباً لا نَفادَ لـه وابتاعَ عاجل رِفـدِ القوم بالباقي

فبلغ إسحاق بن براهيم قوله ، فقال : قد مسَّنا أبو السمّ عبد الصمد بشيءٍ من هجائه . وبعث إليه بمائة دينار ، فقال له موسى بن صالح : أبى الأميرُ إلاّ كرماً وظَرْفاً .

[هجاؤه لأبي نبقة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل ، قال : حدّثني الحسن الأسديّ ، قال : قدِم أبو نبقةَ من البحرين وقد أُهدى إلى قوم من أهلِ البصرة هداياه ، ولم يُهدِ إلى عبد الصَّمد شيئاً فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أما كان في قَسْب اليمامةِ والتمرِ وفي أَدَمِ البحرين والنَّبِق الصُّفرِ
ولا في مناديـل قسَمْتَ طريفَها وأهديتَهـا حَظٌّ لنا يـا أبا بكرِ

1 ديوانه : 145 عن الأغاني .
2 ديوانه : 106 عن الأغاني .

سَرَتْ نحـو أقوامٍ فـلا هَنَـأْتهُمُ ... ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثري
أأنتَ إلى طالوتَ ذِي الوفرِ والغِنى ... وآلِ أبي حرب ذوي النَّشَب الدثرِ[1]
ولم تأتِنــي ولا الرياشيُّ تمرةٌ ... غَصِصتَ بباقي ما ادَّخرتَ من التمرِ
ولم يُعـطَ منهــا النهشليُّ إداوةً ... تكون له في القَيظِ ذُخراً مَدى الدهرِ[2]
أقـول لفتيانٍ طويــتُ لطيِّهــم ... عُرى البيد ، منشورَ المخافةِ والذعرِ
لئن حُكّــم السدريُّ بالعدل فيكم ... لَمّا أنصف السدريُّ في ثَمَر السدرِ
لئن لم تكنْ عيناك عـذرَك لم تكن ... لدينا بمحمودٍ ولا ظاهـرِ العذرِ

[هجاؤه يزيد المهلبي]

أخبرنا الحسن بن عُليلٍ ، قال : حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبيّ ، قال : وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذّل تباعُدٌ ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم ، وكان يقال ذلك في عبد الصمد ، فقال فيه[3] : [من الوافر]

يقـول ذوو التَّشوُّمِ ما لقينا ... كما لقي ابن سهــلٍ مِن يَزيدِ
أتتـــه منيَّــــةُ المأمـــونِ لَمَّا ... أتــاه يزيــدُ مــن بلــدٍ بعيدِ
فصيّر منـــه عسكَره خــلاءً ... وفَـرَّق عنـــه أفواجَ الجنودِ
فقلت لهم وكم مشؤومِ قـومٍ ... أبادَ لهــم عَديـداً من عِديدِ
رأيتَ ابنَ المعذّل يالَ عمرو ... بشُؤم كان أسرعَ في سعيدِ
فمنه مـوتُ جِلَّـةِ آل سَلم ... ومنـــه قض آجــام البريدِ[4]
ولم ينزل بـدارٍ ثـــم يمسي ... ولّمـا يستمعْ لَطْـمَ الخدودِ
وكلُّ مديح قومٍ قـــال فيهم ... فإنّ بعَقْبه «يا عينُ جودي»
إذا رجلٌ تسمَّع منـه مدحاً ... تنسَّمَ منـه رائحـةَ الصعيدِ[5]
فلو حصف الذين يُبيح فيهم ... أثاروا منـــه رائحــة الطريدِ

1 النشب الدثر : المال الكثير .
2 مدى الدهر في ل : من الذخر . والاداوة : وعاء من جلد يوضع فيه الماء .
3 لم يدرجها جامع شعره في ديوانه .
4 قض : هدم . الآجام : الحصون .
5 الصعيد : القبر .

فليس العزُّ يمنع منــه شؤماً ولا عتبــاً بأبــواب الحديدِ

[من هجائه لأخيه]

حدّثني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرّد ، قال : مرّ أحمد بن المعذّل بأخيه عبد الصمد وهو يَخطِر ، فأنشأ يقول[1] : [من مجزوء الخفيف]

إن هذا يَـرى أُرى أنّــه ابـنُ المهلَّبِ
أنــت والله مُعْجِبٌ ولنــا غير مُعْجِبِ

[في غلام يُدعى المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا أبي وغيره ، وحدّثني به بعض آل المعذّل ، قال : مرّ عبد الصمد بن المعذّل بغلام يقال له : المغيرة ، حسنِ الصوتِ حسن الوجه ، وهو يقرأ ويقـول القصائـد ، فأعجب بـه ، وقال فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

أيّها الرافع في المسـ ـجد بالصَّوتِ العَقِيرَهْ
قتلَتني عينُـك النَّجـ ـلاءُ ، والقتلُ كبيرَهْ
أيُّهــا الحكــام أنتمْ فاصِلُو حُكمِ العشيرَهْ
أحَــلاَلاً مــا بقلبي صنعت عينــا مُغِيرَهْ

[شعره في الحمّى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا زكريا بن مهران بن يحيى ، قال : جاءنا عبد الصمد بن المعذّل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي ، فأنشدنا قصيدةً له في صفة الحُمَّى ، فقال لي محمد بن عمر : امض إلى منزلِ عبدِ الصمد حتى تكتبها . فمضيت إليه حتى كتبتها ، وهي[3] : [من المتقارب]

هجــرتُ الصِّبا أيَّما هَجْره وعِفــت الغَــوانيَ والخمرَهْ
طوتْني عــن وصلهــا سكره بكــأس الضنّا أيَّمــا سَكرَهْ[4]

[بين عبد الصمد وأبي تمام]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الله بن يزيد

---

1 ديوانه : 83 عن الأغاني .
2 ديوانه : 107 عن الأغاني .
3 من قصيدة طويلة في ديوانه 110–111 .
4 الديوان : لوتني .

الكاتب ، قال : جَمَعَ بين أبي تمّامٍ الطائيِّ وبين عبد الصمد بن المعذّل مجلسٌ ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر ، وكان في أبي تمام إبطاء ، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه[1] : [من الخفيف]

أنــت بــين اثنتين تبرزُ للنا س ، وكلتاهما بوجهٍ مذالِ[2]
لست تنفَــكُّ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالبــاً لنوالِ
أي ماء لِحُــرِّ وجهك يبقى بين ذُلِّ الهــوى وذلّ السؤالِ

قال : فأخذ أبو تمامٍ القرطاس وخلا طويلاً . وجاء به وقد كتب فيه[3] : [من البسيط]

أفيّ تنظِمُ قــولَ الزُّور والفَنَــدِ وأنت أنْزَرُ من لا شَيء في العددِ[4]
أشرَجْتَ قلبك مِن بُغضي على حُرَقٍ كأنّها حركاتُ الرُّوح في الجسدِ[5]

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بَظْرِ أُمّه ، يا غثّ ، أخبرني عن قولك «أنزر من لا شيء» ، وأخبرني عن قولك «اسرجتَ قلبك» ، قلبي مِفرشٌ أو عيبة[6] أو خُرجٌ فأُشرِجَه ، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك . فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجَعَه بحرف .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضرُّ أبا تمامٍ هذا منه ، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام .

[يستثقل الفراش وابنه]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي ، قال : حدّثني العنَزيّ ، قال : كان عبد الصمد بن المعذّل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن عليّ يعرف بالفَرّاش ، وكان له ابنٌ أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو ، وكان يخلُف بعض أمراء البصرة ، وكان الفرّاش هذا يصلّي به ، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده ، فلمّا مضى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد بن المعذّل[7] : [من الكامل]

1 ديوانه : 161–162 .
2 مذال : مهان .
3 لم ترِد في ديوانه .
4 الفند : الكذب .
5 أشرجت : شددت .
6 العيبة : الحقيبة .
7 ديوانه : 107–108 عن الأغاني .

غَدَرَ الزمانُ وليتَه لم يَغْدر … وحَدا بشهر الصوم فِطرُ المفطرِ
وثَوتْ بقلبك يا محمدُ لوعةٌ … تَمْري بوادرَ دمعِك المتحدّرِ[1]
وتقسمتك صبابتان لِبينِه … أسفُ المَشُوق وخَلَّة المتفكّرِ
فاستبق عينك واحشُ قلبَكَ يأسه … واقْرَ السلامَ على خِوان المنْذرِ
سَقياً لدهرك إذ تَرَوَّحَ يومُه … والشّمسُ في عَليـاءَ لم تتهوّرِ[2]
حتى تُنِيخَ بكلكل متزاورٍ … وتَمد بُلعومـا قَمُوصَ الحنجرِ[3]
وتَرُود منك على الخوان أناملٌ … تَدَع الخوانَ سرابَ قاعٍ مقفرِ
وَيْح الصِّحافِ من ابن فَرَّاش إذا … أنْحى عليها كالهِزَبْرِ الهَيْصَرِ
ذو دُرْبةٍ طَبٌّ إذا لمعَتْ له … بُشُرُ الخوان بَدا بحَلِّ المئزرِ
ودَّ ابنُ فَرّاش وفرّاشٌ معا … لو أنَّ شهرَ الصوم مدّةُ أشهرِ
يُزري على الإسلام قلّةَ صبره … وتراه يَحمَد عِدّة المُتَنصِّرِ
لا تَهلِكنَّ على الصِّيام صبابةً … سيعود شهرُك قابلاً فاستبشرِ
لا درّ دَرُّك يا محمّدُ من فتى … شَينِ المغيبِ وغيرِ زَينِ المَحْضَرِ

[هجاؤه ليزيد المهلبيّ]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني أبو محمد البصريّ وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذّل ، قال : كان يزيد بن محمدٍ المهلبيّ يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابُّه ، ويرمي كلّ واحد منهما صاحبه بالشؤم ، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تِيرى ونواحِيها ، فقال عبد الصمد يهجوه[4] : [من الوافر]

أبوك أميرُ قريةِ نهر تِيرى … ولستَ على نسائك بالأميرِ
وأرزاقُ العباد على إله … لهمْ وعليك أرزاقُ الأيورِ
فكم في رزق ربّك من فقيرٍ … وما في أهل رزقك من فقيرِ

[مدح أمير البصرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدّثني

---

1 تمري : تستدر .
2 تروَّح يومه : انقضى . لم تتهور : لم تسقط .
3 متزاور : منحرف . القموص : السريع .
4 ديوانه : 109 عن الأغاني .

أحمد بن منصور ، قال : شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُّهن ، فدخل إليه عبد الصمد بن المعذّل بعد خروجه عنه ، فأنشده قوله[1] : [من الوافر]

بأيمنِ طائرٍ وأسرِّ فالِ ... وأعلى رُتبةٍ وأجَلِّ حالِ
شربتَ الدهنَ ثم خرجتَ عنه ... خروجَ المشرفيِّ من الصقالِ
تكشفَ عنك ما عانَيْتَ عنه ... كما انكشف الغمامُ عن الهلالِ
وقد أهديتُ ريحاناً طريفاً ... به حاجيتُ مستمِعاً سؤالي
وما هو غيرَ ياءٍ بعد حاء ... وقد سبقا بميم قبل دالِ[2]
وريحانُ الشباب يعيش يوماً ... وليس يموت ريحانُ المقالِ
ولم تك مؤْثراً تُفّاح شمٍّ ... على تفّاحِ أسماع الرجالِ[3]

[اعتذاره عن الإسكافيّ]

أخبرني جحظة ، قال : حدّثني ميمون بن مِهران[4] ، قال : حدّثني أحمد بن المغيرة العجليُّ ، قال : كنت عند أبي سهل الإسكافيّ وعنده عبد الصمد بن المعذّل ، فرفع إليه رجلٌ رقعة ، فقرأها فإذا فيها : [من البسيط]

هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نظرُ ... أو لا فأعْلَمَ ما آتي وما أذَرُ

فدفعها إلى عبد الصمد ، وقال : الجواب عليك . فكتب فيها : [من البسيط]

النفس تسخو ولكن يمنع العُسُرُ ... والحرُّ يعذِر من بالعسر يعتذرُ[5]

ثم قال عبد الصمد لعليّ بن سهل : هذا الجواب قولاً ، وعليك أعزّك الله الجواب فِعلا ، ونُجْحُ سَعْيِ الآمِلِ حقٌّ واجبٌ على مثلك ، فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

[يستثقل ابن أخيه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعلي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ ، قال : كان لأحمد بن المعذّل ابنٌ ثقيلٌ تيّاهٌ شديد الذهاب بنفسه ، وكان مُبَغَّضاً عند أهل البصرة ، فمرّ يوماً بعمِّه عبد الصمد ، فلمّا رآه قال لَمن معه[6] : [من مجزوء الخفيف]

1 ديوانه : 163–164 .
2 أي مدحي .
3 الديوان : ريحان في الحالين .
4 ل : هارون .
5 بالعسر في ل : بالصدق .
6 تقدم أن هذا الهجاء كان لأخيه أحمد ، ص 178 .

إنّ هـذا يَرى أُرى أنّـهُ ابـنُ المهلَّبِ
أنـت واللهِ مُعْجبٌ ولنـا غير معجِـبِ

قال : وقال فيه أيضاً[1] : [من البسيط]

لو كان يُعطى المُنى الأعمامُ في ابن أخٍ أصبحتَ في جوف قُرقورٍ إلى الصينِ[2]
قـد كان همّاً طويلاً لا يقامُ له لـو كان رؤيتُنا إيّـاك في الحينِ
فكيفَ بالصَّبرِ إذا أصبحتَ أكثَرَ في مجال أعيننـا مـن رمـلِ يَبرينِ
يـا أبغَضَ الناسِ في عُسْر ومَيْسَرةٍ وأقـذَرَ الناس في دُنْيـا وفي دِينِ
لو شاء ربِّي لأضحى واهباً لأخي بمُـرٍّ ثُكلِـكَ أجـراً غيرَ ممنونِ
وكان خيراً لـه لـو كان مؤتـزراً في السّالِفـات على غُرْمول عِنّينِ
وقائلٍ ليَ مـا أضناكَ قلـتُ لـه شخصٌ ترى وجهَه عيني فيُضنيني
إنّ القلوبَ لتُطوى منك يا ابن أخي إذا رأتـك على مثـل السّكاكينِ

صوت

[من الوافر]

أتتك العيسُ تنفُـخ في بُراهـا تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ[3]
بأبيضَ مِـن أميـة مَضرِحِيٍّ كأن جَبينَـهُ سيـفٌ صَنيعُ[4]

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، والغناء لابن المهربد ، رمل بالبنصر عن الهشاميّ . والله أعلم .

1 ديوانه : 186-187 .
2 قرقور : ضرب من السفن .
3 البرى : حلقات توضع في أنوف الإبل ، واحدتها بُرة . القطوع : جمع قِطع ، وهو طنفسة توضع تحت الرحل .
4 المضرحي : السيد الكريم . الصنيع : السيف المجرب المجلوّ .

[248] ـ أخبار عبد الرحمن بن الحكم ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ . وأمّه أمّ أخيه مروان ، آمنة بنت صفوان بن أميّة بن محرِّث بن شِق بن رقبة بن مخدج من بني كِنانة ، ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف . شاعر إسلاميّ متوسِّط الحال[2] في شعراء زمانه ، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كلّ واحد منهما من صاحبه .

أخبرني محمد بن العباس العسكريُّ قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، عن العمريّ ، عن العتبيِّ والهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسان .

[خبره مع معاوية عند عزله مروان بن الحكم]

وأخبرني به عمّي عن الكراني ، عن العمريّ ، عن الهيثم ، عن صالح بن حسانٍ قال : قدِم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان ، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص ، وكان مروان وجَّه به وقال له : القَه أمامي فعاتبْه لي واستصلِحْه . وقال عمّي في خبره : كان عبد الرحمن بدمشق ، فلمّا بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقّاه ، وقال له : أقِمْ حتى أدخل إلى الرجل ، فإن كان عَزلَك عن موجدة دخلتُ إليه منفرداً . وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس . قال : فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامَه ، فلما قدِم عليه دخل إليه وهو يعشّي الناس ، فأنشأ يقول : [من الوافر]

أتتك العِيسُ تنفُخ في بُراها تَكشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ
بأبيضَ من أمَيَّة مضرحيٍّ كأنَّ جبينه سَيفٌ صنيعُ

فقال معاوية : أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال : أيّ ذلك شئت . فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له ، فقال : على أيِّ الظهر أتيتنا ؟ قال : على فرسي . قال : وما صفته ؟ قال : «أجشُّ هزِيم» ، يعرِّض بقول

---

1 ترجمة عبد الرحمن بن الحكم في الوافي 18 : 138–140 وفوات الوفيات 2 : 276–279 وانظر وفيات الأعيان 6 : 359 والتذكرة الحمدونية في مواطن متفرقة .

2 ل : المحل .

النجاشيّ له : [من الطويل]

ونجّى ابن حربٍ سابحٌ ذو عُلالة أجَشُّ هزيـــم والرمـاحُ دواني[1]
إذا خلْتَ أطرافَ الرِّمـاح تنالُه مَرَتْــه بــه السَّاقانِ والقدمانِ[2]

فغضب معاوية ، وقال : أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرِّيَب ، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يُتَّهَم بذلك في امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حَمَلَك على عزل ابن عمّك ، ألِجِنايةٍ أوجَبَتْ سُخطاً ، أم لرأيٍ رأيته ، وتدبيرٍ استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحتُه . قال : فلا بأس بذلك . وخرج من عنده فلقي أخاه مروان . فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ، ما أضعفك ، أعَرَّضْتَ للرجل بما أغضبَه حتى إذا انتصف منك أحجمتَ عنه ؟ ثم لبس حُلّته ، وركب فرسَه ، وتقلّد سيفَه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبيَّن الغضب في وجهه : مرحباً بأبي عبد الملك ، لقد زُرتَنا عند اشتياقٍ منّا إليك . قال : لا ها[3] اللهِ ما زرتُك لذلك ، ولا قدِمتُ عليك فألفيتك إلاّ عاقّاً قاطعاً ، واللّه ما أنصفتَنا ولا جَزيتنا جزاءنا . لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآلِ أبي العاص ، والصِّهر برسول الله ﷺ لهم ، والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بني حرب وشَرَّفوكم ، وولَّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وُلِّيتم وأفضى الأمر إليكم ، أبيتم إلاّ أثَرَة وسوءَ صنيعة ، وقُبْحَ قطيعة ، فرويداً رُويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيِّفاً وعشرين ، وإنّما هي أيّامٌ قلائل حتى يُكمِلوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد .

قال عمّي في خبره : فقال له معاوية : عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلاّ واحدةٌ لأوجبْت عزلَك : إحداهنّ أنّي أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تشتفيَ منه ؛ والثانية كراهتك لأمر زياد ؛ والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدِها . فقال له مروان : أما ابنُ عامرٍ فإنّي لا أنتصر في سلطاني ، ولكن إذا تساوت الأقدامُ علم أين موقعه . وأمّا كراهتي أمر زياد فإنّ سائر بني أميّة كرهوه ، ثم جعل الله لنا في ذلك الكُره خيراً كثيراً . وأمّا استعداء رملَة على عمرو فوالله إنّي لتأتي عليَّ سنةٌ أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً ، يعرِّض بأن رملة إنّما تستعدي عليه طلباً للنكاح ،

---

1 العلالة : البقية من السير . الهزيم : الفرس الشديد الصوت .

2 مرته : حثته على السير .

3 ها للتنبيه قبل القسم .

فقال له معاوية : يا ابن الوزغ[1] ، لستَ هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنّي لأبو عَشَرة وأخو عشرة وعمٌّ عشرة ، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدّة ، يعني أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمتَ أين تقع منّي ! فانخزل معاوية ثم قال : [من الوافر]

فإن أكُ في شرارِكُم قليلاً ... فإنّي في خيارِكُم كثيرُ
بُغاثُ الطَّير أكثرُها فِراخاً ... وأمُّ الصَّقرِ مِقْلاتٌ نزورُ[2]

قال : فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له ، وقال : لك العتبى[3] ، وأنا رادُّك إلى عملك . فوثب مروان وقال له : كلاَّ والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبداً ، وخرج . فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك قطّ سقطةً مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأيُّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأيَّ شيءٍ تخشاه منهم ؟ فقال له : ادن منّي أخبرك بذلك . فدنا منه ، فقال له : إنّ الحكم بن أبي العاص كان أحدَ مَن وفد مع أختي أمّ حبيبة لمّا زُفّت إلى النبيّ ﷺ ، وهو الذي تولّى نقلها إليه ؛ فجعل رسول الله ﷺ يُحِدّ النظرَ إليه ، فلمّا خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد أحدَدْتَ النظرَ إلى الحكم ؛ فقال : «ابن المخزومية ؛ ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين ، أو قال أربعين ، ملكوا الأمر بعدِي» . فوالله لقد تلقّاها مروان من عينٍ صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعنَّ هذا أحدٌ منك ، فإنّك تضع من قدرك وقدرِ ولدِك بعدَك ، وإنْ يَقضِ الله عزّ وجلّ أمراً يكن . فقال له معاوية : فاكتُمْها عليّ يا أبا بحر إذاً ، فقد لعمري صدَقْتَ ونصحت .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال ، حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني يعقوب بن القاسم الطَّلحيّ قال : حدّثني ثِمالٌ عن أيّوب بن دِرباسِ بن دَجاجة قال : شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن ، إلى معاوية . ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل ، ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف ، وزاد فيه : فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أتَقطُر آفاقُ السماءِ له دماً ... إذا قيل هذا الطِّرْفُ أجردُ سابحُ
فحتّى متى لا نَرفع الطَّرْفَ ذِلّةً ... وحتّى متى تعيا عليك المنادِحُ

1 الوزغ : سام أبرص .
2 بغاث الطير : ضعافها . والمقلات : الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل ، والمرأة التي لا يعيش لها ولد . والنزور : القليلة النسل .
3 العتبى : الرضا .

[بكاء عبد الرحمن لمرأى رأس الحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال : كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيدُ الله بن زياد برأس الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فلمّا وضع بين يدي يزيد في الطَّشت بكى عبد الرحمن ثم قال : [من الطويل]

أبلــغْ أميرَ المؤمنـين فــلا تكُنْ كمُوتِرِ قوسٍ ثـم ليس لهـا نَبْلُ
لَهامٌ بجنب الطّفّ أدنــى قرابــةً مِن ابن زيادِ الوغدِ ذي الحسب الرذلُ
سُمَيّةُ أمسى نسلُها عَـدَدَ الحصى وبنتُ رسولِ الله ليس لهـا نسلُ

فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا ؟!

[بكاء ابن عباس حين نفى ابن الزُّبير الأمويين]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني هارون بن معروف قال : حدّثنا بشر بن السريّ قال : حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال : رأيتهـم ، يعنـي بني أميَّـةَ ، يتتايعون[1] نحو ابن عبّاسٍ حين نفى ابنُ الزُّبير بني أمية عن الحجاز ، فذهبتُ معهم وأنا غلامٌ ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه ، فقال له عبيد بن عُمير ، مالي أراك تـذرِف عينـاك ؟ فقـال لـه : إن هذا ، يعني عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتاً أبكاني ، وهو : [من الطويل]

وما كنت أخشى أن تَرى الذلَّ نِسوتي وعبــد منــافٍ لم تَغُلْهـــا الغوائلُ

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمّنا بني أميّة ، وإنّا إنّما كنّا أهلَ بيتٍ واحد في الجاهلية ، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيّما دخل .

[ولع عبد الرحمن بجارية مروان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ قال : حدّثنا العمريّ عن الهيثم قال : حدّثني أخي عبّاسٌ : أنّ عبد الرحمن بن الحكم كان يُولَع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها «شنْباء» ويهيم بمحبّتها ، فبلغ ذلك مروان ، فشتَمَه وتوعّده وتحفّظ منه في أمر الجارية ، وحَجَبها ، فقال فيها عبد الرحمن : [من الطويل]

لعَمْـرُ أبي شنباء إنّي بذِكرهـــا وإن شَحَطَتْ دارٌ بهـــا لحقيــقُ

1 يتتايع : يتهافت ويسرع في اللجاجة .

وإنّي لهـا ، لا ينزِع الله ما لها عـليّ وإن لم ترعـه ، لصدِيقُ
ولّما ذكَرتُ الوصلَ قالت وأعرَضَتْ متى أنت عن هذا الحديث مُفِيقُ

[رحم الفيل من ولد الأتان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ قال : حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ ، ولم أسمعه من العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ قال : لّما ادّعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك ، والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه آل زياد ، وذلك غلط ، قال[1] : [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويـةَ بنَ حـربٍ مُغَلْغَلـةً مـن الرجُل الهجانِ[2]
أتغضبُ أن يقـالَ أبوك عفٌّ وتَرضى أن يقـالَ أبوك زانِ
فأشهَدُ إن رِحْمَكَ من زِيادٍ كرحْمِ الفيلِ من وَلَـدِ الأتانِ
وأشهدُ أنّـها ولـدَتْ زِيـاداً وصخرٌ مـن سُميَّةَ غيرُ داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب ، فحلف ألاّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج عبد الرحمن إلى زياد ، فلمّا دخل عليه قال له : إيه يا عبد الرحمن ، أنت القائل :

ألا أبلِغْ معاويـةَ بن حـربٍ مُغلغَلَـةً مـن الرجُـلِ الهجانِ

قال : لا أيّها الأمير ، ما هكذا قلت ، ولكنّي قلت :

ألا مـن مبلغٌ عنّـي زِياداً مغلغلـةً مـن الرّجُلِ الهجانِ[3]
مِـن ابن القَرم قرم بني قُصَيّ أبي العاصي بنِ آمنةَ الحصانِ
حلفتُ بـربٍّ مكّـةَ والمصلّى وبالتـوراة أحلـفُ والقُرآنِ
لأنت زيـادةٌ في آلِ حـربٍ أحبُّ إليّ مـن وُسْطى بناني
سُرِرتُ بقُربـه وفرِحْتُ لّما أتـاني الله منـهُ بالبيانِ
وقلتُ لـه أخـو ثقةٍ وعمٌّ بعـون الله في هـذا الزمانِ
كذاك أراكَ والأهـواءُ شتّـى فمـا أدري بغَيبٍ مـا تراني

فرضيَ عنه زيادٌ ، وكتب له بذلك إلى معاوية ؛ فلمّا دخل عليه بالكتاب قال : أنشِدْني ما قلتَ لزياد . فأنشده ، فتبسّم ثم قال : قَبَح الله زياداً ما أجْهَلَه ، واللهِ لَما قلتَ له أخيراً حيث تقول : [من الوافر]

---

1 سترد هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة يزيد بن المفرغ منسوبة إليه 18 : 194 .
2 المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . الرجل الهجان : الحسيب ، والرجُل في ل : القرم .
3 الرجل في ل : القرم .

لأنت زيـادةٌ في آل حـربٍ

شرٌّ من القول الأوّل ، ولكنّك خدعتَه فجازت خديعتُك عليه .

[يهجو أخاه الحارث]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غَزاة البحر ، فنكَص واستعفى ، فوجَّه مكانه ابن أخيه عبدَ الملك بن مروان وهو يومئذٍ شاب فمضى وأبلى وحسُن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث : [من الوافر]

شَنِئتُك إذ رأيتـك حَوْتَكِيّـا قريبَ الخُصيتَين من التراب[1]

كأنّكَ قملـةٌ لَقِحَتِ كِشافاً لبُرغوثٍ ببعـرةٍ أو صُؤَابِ[2]

كفاكَ الغزو إذ أحجَمْتَ عنه حديثُ السنّ مُقتَبَلُ الشَّبابِ

فليتك حيضةٌ ذهبَتْ ضلالاً وليتَكَ عند مُنقَطَع السَّحابِ

[يهجو أخاه مروان]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة قال : لَطَمَ عبدُ الرحمن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حَنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذٍ والٍ لأهل المدينة . فاستعداه الحناط عليه ، فأجلسه مروان بين يديه وقال له : الطِمه ، وهو أخو مروان لأبيه وأمّه ، فقال الحنّاط : والله ما أردتُ هذا ، وإنّما أردت أن أُعْلِمه أنّ فوقَه سلطاناً ينصرني عليه ، وقد وهبتُها لك . قال : لست أقبلها منك فخُذْ حقَّك . فقال : والله لا ألطمه ، ولكنّي أهبها لك . فقال له مروان : إن كنتَ ترى أنّ ذلك يُسخِطني فوالله لا أسخَط . فخذْ حقَّك . فقال : قد وهبتها لك ، ولست والله لاطمه . قال : لستُ والله قابِلَها ، فإن وهبتَها فهَبْها لمن لطمك ، أو لله عزّ وعلا . فقال : قد وهبتُها لله تعالى . فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان : [من الطويل]

كلُّ ابنِ أمٍّ زائـدٌ غير ناقـصٍ وأنت ابنُ أمٍّ ناقـصٌ غير زائدِ

وهبتُ نصيبي منك يا مَرْوَ كلَّه لعَمْرٍو وعثمانَ الطّويل وخالدِ

[يرثي قتلى قريش يوم الجمل]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلفٍ الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة

---

1 الحوتكي : القصير الضاوي أو الكثير الأكل .

2 صؤاب وصئبان : بيض القمل .

قال : نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى ، وأنشأ يقول : [من المتقارب]

أيا عـينُ جُودِي بدَمْع سَرَبْ على فِتيةٍ مـن خِيار العربْ[1]
وما ضَرَّهم ، غيرَ حَيْنِ النّفوس أيُّ أميــرَيْ قـريش غَلَبْ

[رواية أخرى لتعريضه بمعاوية]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدّثني عمر بن شبّة قال : حدّثني المدائنيّ عن شيخ من أهل مكّة قال : عرَضَ معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيلَه ، فمرَّ به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟ فقال : هذا سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالةٍ . ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ هزيم . فقال له معاوية : قد علمتُ ما أردتَ ، إنّما عرّضتَ بقول النجاشيّ فيَّ : [من الطويل]

ونجَّى ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالةٍ أجشُّ هَزيــمٌ والرمــاحُ دوانِ
سَليمُ الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا كسِيدِ الغَضى باقٍ على النَّسلانِ[2]

أخرجْ عنِّي فلا تساكنِّي في بلد . فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية ، وقال له عبد الرحمن : وحتى متى نُستذلُّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك . فأنشأ يقول : [من الطويل]

أتَقطُـر آفــاقُ السَّماءِ لنا دمــاً إذا قُلت هذا الطِّرفُ أجردُ سابحُ
فحتّى متــى لا نَرفــع الطّرفَ ذِلّةً وحَتّى متى تَعيــا عليك المنادحُ

فدخل مروان على معاوية ، فقال له مروان : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي ؟ أما والله إنّك لتعلمُ قولَ النبي ﷺ وآله فينا ، ولقَلَّ ما بقي من الأجل . فضحِك معاوية وقال : لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك . والله أعلم بالصواب .

صوت

[من البسيط]

قولا لنائِلَ مــا تَقضِينَ في رُجلٍ يَهـوى هواكِ ومــا جَنّبتِه اجتَنَبا
يُمسِي معي جَسدِي والقلبُ عندكمُ فمــا يعيش إذا مــا قلبُــه ذَهَبا

الشعر لمسعدة بن البختريّ ، والغناء لعَبادل ، ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لعريب ثقيل أوّل آخر عن ابن المعتزّ ، ولها فيه أيضاً خفيف رملٍ عنه .

---

1 الدمع السرب : السائل المنسرب .

2 الشظى : عظم لاصق بالركبة أو الذراع أو هو عصب صغار فيه . العبل : الغليظ . والشوى : الأطراف . شنج النسا : شديد غير مسترخ . والسيد : الذئب .

[249] ـ أخبار مسعدة بن البختري ونسبه

هو مسعدة بن البختريّ بن المغيرة بن أبي صفرة ، بن أخي المهلّب بن أبي صفرة ، وقد مضى نسبه متقدّماً في نسب يزيد بن محمدٍ المهلّبيّ وابن أبي عيينة وغيرهما .

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأَسَيْديّ وكان يهواها .

[التشبيب بنائلة وأمّها وجدتها]

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثني عيسى بن إسماعيل تِينة ، عن القحذميّ قال : كان مسعدة بن البختريّ بن المغيرة بن أبي صُفرة ، يشبِّب بنائلة بنت عُمَر بن يزيد الأَسَيْدي أحد بني أُسَيْدِ بن عمرٍو بن تميم ، وكان أبوها سيّداً شريفاً ، وكان على شُرَطِ العراقِ من قِبَل الحجّاج ، وفيها يقول : [من مجزوء الوافر]

أنائِـــلَ إنَّنـــي سَلَمٌ لأهلِكِ فاقبلي سَلْمِي

قال القحذميّ : وأُمُّ نائلة هذه عاتكةُ بنت الفرات بن معاوية البَكّائيّ ، وأمّها المُلاءة بنت زُرارة بن أوفى الجُرَشيّة ، وكان أبوها فقيهاً محدِّثاً من التابعين . وقد شبّب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها .

قال عيسى : فحدّثني محمد بن سلامٍ قال : لا أعلم أنّ امرأةً شُبِّب بها وبأمِّها وجدّتها غير نائلة . فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة ، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد بن المهلّب تزوّجها ، فقُتِل عنها يوم العَقر ، وفيها يقول الفرزدق : [من الطويل]

إذا ما المَزُونيات أصبَحنَ حُسَّرا وبَكّـينَ أشلاءً على غير نائلِ
فكم طالبٍ بنـتَ المُلاءةِ إنّها تذكّـر رَيعـانَ الشّبابِ المزايِلِ

وفي الملاءة أمِّها يقول الفرزدق : [من البسيط]

كم للمُلاءةِ مـن طيفٍ يؤرّقني إذا تَجرثَمَ هادي الليل واعتكرا

[قصة يا لَثارات ذات النحيين]

أخبرني الحِرْميّ بن العلاء قال : حدّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال : خرجت عاتكة بنت الملاءة إلى بعض بَوادي البصرة فلقيت بدوياً معه نحيا سمن فقالت له :

يا بدويّ أتبيعُ هذا السمن ؟ فقال : نعم . قالت : أرِناه . ففتح نِحياً[1] فنظرَتْ إلى ما فيه ، ثم ناولَته إيّاه وقالت : افتح آخر . ففتح آخرَ فنظرتْ إلى ما فيه ثم ناولته إيّاه ، فلمّا شَغَلَتْ يديه أمرَت جواريها فجعلْن يركُلن في استه وجعلت تنادي : يا لَثارات ذات النِّحيين !

قال الزُّبير : تَعني ما صُنِع بذات النِّحيين في الجاهلية ؛ فإنّ رجلاً يقال له خَوَّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحيا سمنٍ فقال : أريني هذا . ففتحت له أحد النِّحيين ، فنظر إليه ثم قال : أريني الآخر . ففتحَتْه ، ثم دفعه إليها ، فلمّا شَغَل يديها وقع عليها ، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن ، فضربت العربُ المثل بها ، وقالت : «أشغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحيَين»[2] . فأرادت عاتكة بنت الملاءة أنّ هذا لم يفعله أحدٌ من النساء برجلٍ كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها ، وأنّها أدركت للنساء ثأرهنّ من الرجال بما فعلَتْه .

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنا أبو هفان عن إسحاق الموصليّ عن الزُّبير والمسيَّبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله : أنّ المُلاءة بنت زرارة لقِيت عمر بن أبي ربيعة بمكّة وحوله جماعةٌ ينشدهم . فقالت لجاريةٍ : مَن هذا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة ، المنتقل بغزله من ذات وِدادٍ إلى أُخرى ، الذي لم يدُمْ على وصلٍ ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل ، أما والله لو كنتُ كبعض مَن يواصل لما رضيتُ منه بما يرضين ، وما رأيت أدنأً من نساء أهل الحجاز ولا أقرَّ منهنَّ بخَسفٍ ، والله لأَمةٌ من إمائنا آنفُ منهنّ ؛ فبلغ ذلك عمر عنها ، فراسَلَها فراسلَته ، فقال[3] : [من الكامل]

حَيِّ المنازل قد عَمِرن خَرابا ... بين الجُرَين وبين رُكنِ كُسابا[4]
بالثِّني من مَلِكانَ غَيّر رَسَمها ... مَرُّ السحابِ المُعقِباتِ سحابا[5]
وذيولُ مُعصِفةِ الرياح تجرّها ... دُقَقاً فأصبحت العِراصُ يبابا[6]
ولقد أُراها مَرّةً مأهولةً ... حَسَناً جَنابُ مَحلِّها مِعشابا
دارُ التي قالتْ غداةَ لقيتُها ... عِند الجِمار فما عييتُ جوابا

---

1 النحي : الزق .

2 المثل «أشغل من ذات النحيين» في مجمع الميداني 1 : 376 وجمهرة العسكري 1 : 564 ومستقصى الزمخشري 1 : 196 وفصل المقال : 503 .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 46–47 .

4 عمرن : يقين ، وفي الديوان : تركن . الجرين وكساب : موضعان . وفي الديوان : الجرير .

5 الثني : المنعطف من الوادي أو الجبل . وملكان : اسم وادٍ .

6 دقق التراب : دقاقه ، واحدها دقة . والعراص : جمع عرصة ، وهي البقعة الخالية بين الدور .

هذا الذي بـاعَ الصَّديقَ بغيره ويريـد أن أرضى بـذاك ثوابا
قلت اسمعي منّي المَقالَ ومَن يُطِعْ بصديقـه المتملّـقَ الكَـذّابا
وتكـنْ لديـه حبالُـه أنشوطةً في غير شيءٍ يقطِـع الأسبـابا
إن كنت حاولتِ العتاب لتعلمي مـا عندنـا فقـد أطلتِ عتابا
أو كان ذلـك للبِعـاد فإنّـه يكفيكِ ضربُكِ دونـك الجِلبابا
وأرى بوجهـك شَرق نُورٍ بيّنٍ وبوجـهِ غيرِك طَخْيـةً وضبابا[1]

صوت

[من الخفيف]

أسعِداني يـا نَخْلَتَيْ حُلـوانِ وارثِيا لي من ريبِ هذا الزمانِ
واعلمـا أنَّ ريبَهُ لم يـزل يَفـ ـرُقُ بـين الأُلاَّفِ والجيرانِ
أسعِداني وأيقِنـا أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ
ولَعمري لـو ذُقتما ألَمَ الفُـرْ قَـةِ أبكـاكما كما أبكاني
كم رمَتْنيَ بـه صروفُ الليالي من فـراق الأحبابِ والخُلاَّنِ

الشعر لمطيع بن إياس ، والغناء لحكمٍ الواديّ ، هزج بالوسطى عن عمرٍو والهشاميّ .

1 الطخية : الظلام .

[250] ـ أخبار مطيع بن إياس ونسبه[1]

[نسبه]

هو مطيع بن غياث الكناني . ذكر الزُّبير بن بكارٍ أنه من بني الدِّيلِ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وذكر إسحاق الموصليٌّ عن سعيد بن سَلْمٍ أنه من بني ليث بن بكرٍ . والدِّيل وليث أخوان لأبٍ وأمٍّ ، أمُّهما أمّ خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمارِ بنِ أراشِ بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهي التي يضرب بها المثل فيقال : «أسرع من نكاحِ أم خارجة»[2] . وقد ولدت عدّة بطونٍ من العرب حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارِباً . فممَّن ولدت الدِّيل وليث والحارث وبنو بكر بن عبدِ مناة بن كنانة ، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، والعنبر وأُسيِّد والهُجيم ، بنو عمرٍو بن تميم ، وخارجة بن يشكر ، وبه كانت تكنى ، ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا ، وهو أبو المصطلق .

قال النسابون : بلغ من سرعة نكاحِها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها : خطْبٌ ، فتقول له : نِكْح . وزعموا أنّ بعض أزواجها طلَّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حَيِّهِ إلى حيِّها ، فلقيها راكبٌ فلمّا تبيَّنَتْه قالت لابنها : هذا خاطبٌ لي لا شكَّ فيه ، أفتراه يُعجِلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبُّها .

ولا أعلم أنِّي وجدتُ نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحدٍ إلاّ في حديثٍ أنا ذاكره ؛ فإن راويَه ذكر أن أبا قُرعة الكنانيّ جدّ مطيع ، فلا أعلم أهو جدُّه الأدنى فأصِلَ نسبَه به . أم هو بعيدٌ منه ، فذكرتُ الخبر على حاله .

[تلاحي ابن الزُّبير وجدّ مطيع]

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدّثني العمريّ وأبو فراس عمّي جميعاً ، عن شُراحِيل بن فراس ، أنّ أبا قرعة الكنانيّ ، واسمه

1 ترجمة مطيع بن إياس في طبقات ابن المعتز : 93–95 وتاريخ بغداد 13 : 226 وفوات الوفيات 4 : 145–150 وفي التذكرة الحمدونية كثير من أخباره وشعره وقد جمع غرونباوم شعره في «شعراء عباسيون» 1 : 30–76 .

2 المثل «أسرع من نكاح أم خارجة» في مجمع الميداني 1 : 348 وجمهرة العسكري 1 : 529 ومستقصى الزمخشري 1 : 166 وفصل المقال : 500 .

سلمى بن نوفلٍ ، قال : وهو جدُّ مطيع بن إياس الشاعر ، كانت بينه وبين ابن الزُّبير قبل أن يلي مقارضة[1] ، فدخل سلمى وابن الزُّبير يخطُب الناس ، وكان منه وجِلاً ، فرماه ابن الزُّبير ببصره حتى جلس ، فلمّا انصرف من المجلس دعا حَرَسيّاً فقال : امضِ إلى موضع كذا وكذا من المسجد ، فادْعُ لي سلمى بن نوفلٍ . فمضى فأتاه به ، فقال له الزبير : إيهاً أيّها الضبّ . فقال : إنّي لست بالضبِّ ولكنّ الضبَّ بالضَّمر[2] من صخر . قال : إيهاً أيّها الذِّيخ[3] . قال : إن أحداً لم يبلغ سنّي وسنَّك إلاّ سمِّي ذيخاً . قال : إنّك لهاهنا يا عاضّ بظر أمِّه . قال : أعيذك بالله أن يتحدّث العرب أنّ الشيطان نَطَقَ على فيك بما تنطق به الأَمَة الفَسْلة ، وايمُ الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحدٌ[4] إلاّ قد كانت أمُّه كذلك .

[والد مطيع بن إياس]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا علي بن محمد بن سليمان النوفليّ عن أبيه قال : كان إياسُ بن مسلم ، أبو مطيع بن إياسٍ شاعراً ، وكان قد وفد إلى نصر بن سيّار بخراسان فقال فيه : [من الطويل]

إذا مـا نِعالي من خُراسانَ أقبلت ... وجاوزتُ منها مَخرما ثم مَخْرما[5]

ذكـرتُ الذي أوليتَنـي ونشَرْتُه ... فإن شئتُ فاجعلني لشُكرِكَ سُلَّما

فأمّا نسب أبي قُرعة هذا فإنّه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة . ذكر ذلك المدائنيّ . قال المدائنيّ : وكان سلمى بن نوفل جواداً . وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

يسوَّدُ أقـــــوامٌ وليسوا بسادةٍ ... بل السيِّد الميمونُ سلمى بن نوفلِ

[رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره]

وهو شاعرٌ من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعباسية ، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العِشرة ، مليح النادرة ، ماجِناً متَّهماً في دينه بالزندقة ، ويكنى أبا سُلمى . ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أَمَدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزُّبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوَّج بها ،

1 المقارضة : تبادل الذم أو المدح .

2 الضمر : رملة بعينها .

3 الذيخ : ذكر الضباع .

4 هكذا وردت هذه العبارة .

5 عنى بالنعال ذوات النعال ، وهي الإبل ، أو لعلّها «بغالي» . مخرم : الجبل أنفه .

فوُلد له مُطيع .

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى ، عن حمّادٍ عن أبيه ، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومتصرِّفاً بعده في دولتهم ، ومع أوليائهم وعُمّالهم وأقاربهم لا يَكسُد عند أحدٍ منهم ، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلاّ حكايةً بوفوده على سليمان بن علي ، وأنّه ولاّه عملاً . وأحسبه مات في تلك الأيّام .

[ظريف لا تحمد صحبته]

حدّثني عمّي الحسن بن محمد ، قال : حدّثني محمد بن سعد الكرانيُّ عن العمري عن العُتبيّ عن أبيه قال : قدِم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أرَ قطُّ أظرفَ لساناً ولا أحلى حديثاً منه ، وكان يحدِّثني عن مُطيعِ بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وحمادٍ الراوية ، وظرفاء الكوفة ، بأشياء من أعاجيبهم وطُرَفهم ، فلم يكن يحدِّث عن أحد بأحسن ممّا كان يحدّثني عن مطيع بن إياس ، فقلت له : كنت والله أشتهي أن أرى مُطيعاً ، فقال : والله لو رأيته للقِيتَ منه بلاءً عظيماً . قال : قلت : وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه . قال : كنتَ ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه ، ولا يصحبه أحدٌ إلاّ افتضح به .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب قال : سألتُ رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيعَ بن إياسٍ عنه فقال : لا تُرِدْ أن تسألني عنه . قلت : ولِم ذاك ؟ قال : وما سؤالك إيّايَ عن رجلٍ كان إذا حضَر مَلَكك ، وإذا غاب عنك شاقك ، وإذا عُرفتَ بصحبته فَضَحك .

[إعجاب الوليد بن يزيد به]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن عمرو قال : حدّثني أبو توبة صالح بن محمدٍ عن محمد جبير ، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال : قال لي جعفر بن يحيى : ذكر حكمٌ الواديّ ، أنّه غنّى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلامٌ حديث السنّ ، فقال : [من الرجز]

إكليلُها ألوانُ ووجهُها فَتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس لها جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّت كأنّها ثعبانُ
قد جُدلت فجاءت كأنّها عنانُ

فطرِب حتى زحف عن مجلسه إليّ ، وقال : أعِد فدَيتك بحياتي . فأعدته حتى صَحِل

صوتي[1] ، فقال لي : ويحك ، مَن يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانيّ . فقال : وأين محله ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحمل إليه على البريد ، فحُمِل إليه . فما أشعر يوماً إلاّ برسوله قد جاءني ، فدخلتُ إليه ومطيع بن إياسٍ واقفٌ بين يديه ، وفي يد الوليد طاسٌ من ذهب يشربُ به . فقال له : غنّ هذا الصوت يا واديّ . فغنّيته إيّاه ، فشرِبَ عليه ، ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : ادن منّي . فدنا منه ، فضمَّه الوليد وقبَّل فاه وبين عينيه ، وقبَّل مطيعٌ رجلَه والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقربَ المجالسِ إليه ، ثم تمَّ يومه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيّام على هذا الصوت .

لحن هذا الصوت هزجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، والصنعة لحكمٍ . وقد حدّثني بخبره هذا مع الوليد جماعةٌ على غير هذه الرواية ، ولم يذكروا فيها حضور مطيع .

حدّثني به أحمد بن عبيد الله بن عمّارٍ قال : حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : بلغني عن حكمٍ الواديِّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ عن أمِّه عن حكم الواديّ قال : وفدتُ على الوليد بن يزيد مع المغنّين ، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ ، وعليه دُرّاعة وشي ، وبيده عقد جوهرٍ ، وبين يديه كيسٌ فيه ألف دينارٍ ، فقال : مَن غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي . فغنّوه فلم يطرب ، فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرهم سنّاً فغنّيته : [من الرجز]

إكليلهـــا ألــوانُ ووجهُهـا فتّـانُ
وخالُهـــا فريــدٌ ليس لـــه جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّتْ كأنَّهـــا ثعبـانُ

فرمى إليّ بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليَّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته .

[صحبته لزنادقة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ عن ابن توبة قال : كان مطيع بن إياسٍ ، ويحيى بن زيادٍ الحارثيُّ ، وابن المقفَّع ووالبةُ بن الحُباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا مِلكٍ ، وكانوا جميعاً يُرمَون بالزَّندقة .

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدّثني عليٌّ بن محمدٍ النوفليّ عن أبيه وعمومته ، أنّ مطيعَ بن إياسٍ وعُمارة بن حمزة مولى بني هاشم ، وكانا مرميّين بالزندقة ، نزعا إلى عبد الله بن

1 صحل صوتي : بح .

معاوية بن جعفر بن أبي طالبٍ لمّا خرج في آخر دولة بني أميّة ، وأوّل ظهورِ الدعوة العباسية بخراسان ، وكان ظَهَرَ على نواحٍ من الجبل : منها أصفهان وقُمّ ونَهاوَند ، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانه ولا يفارقانه .

قال النوفليّ : فحدّثني إبراهيم بن يزيد بن الخشكِ قال : دخل مطيع بن إياس على عبدالله بن معاوية يوماً وغلامٌ واقف على رأسه يذبُّ عنه بمنديل ، ولم يكن في ذلك الوقت مَذابٌّ ، إنّما المذابُّ عباسية ، قال : وكان الغلام الذي يذُبُّ أمردَ حسن الصورة ، يروقُ عين الناظر ، فلمّا نظرَ مطيعٌ إلى الغلام كاد عقله يذهب ، وجعل يكلّم ابن معاوية ويُلجلِج ، فقال ابن معاوية : [من المنسرح]

إنّي ومـا أعْمَـل الحجيجُ له ... أخشى مُطيع الهوى على فرجِ
أخشـى عليـه مغامساً مَرِسا ... ليس بذي رِقْبـةٍ ولا حَرَجِ[1]

[ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال : حدّثنا عليُّ بن محمد النوفليّ قال : حدّثني أبي عن عمّه عيسى قال : كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسيّ النوفليّ وعيلان اسم أبيه ، وكان شيخاً كبيراً دُهريّاً لا يؤمن بالله ، وكان إذا عَسَّ لم يبقَ أحدٌ إلاّ قتله ، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس ، قال : [من الخفيف]

إنّ قيساً وإنْ تَقَنَّـع شيباً ... لخبيثُ الهَوى على شَمَطِهْ[2]

أَجِزْ يا عُمارة . فقال : [من الخفيف]

ابنُ سبعـينَ منظراً ومَشِيبا ... وابنُ عَشرٍ يُعَـدُّ في سقطِهْ[3]

فأقبل على مطيع فقال : أجزْ . فقال : [من الخفيف]

وله شُرطـةٌ إذا جَنّـه الليـ ... ـلُ فعُوذوا بالله من شُرَطِهْ

[فعل قبيح وعذر أقبح]

قال النوفليّ : وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً ، فدخل عليه قومه فلاموه على فِعله ، وقالوا له : أنت في أدبك وشرفك وسُؤددِك وشعرك تُرمى بهذه الفاحشة القذِرة ؟ فلو أقصرتَ عنها ! فقال : جَرِّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين . فانصرفوا عنه ، وقالوا : قَبح الله فعلَك وعُذْرَك ، وما استقبلتنا به .

---

1 المغامس» الشديد الشجاع . وكذلك المرس . الرقبة : التحفظ والخشية .
2 الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد .
3 السقط : الفضيحة .

[يفسد على حماد صاحبته]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدّثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديد قال : أخبرني أبو عبد الملك المروانيّ قال : حدّثني مطيع بن إياس قال : قال لي حماد عجردٍ : هل لك في أن أُريكَ خُشَّةَ صديقي[1] ، وهي المعروفة بظَبْية الوادي ؟ قلت : نعم . قال : إنّك إن قعدتَ عنها وخبُثت عينُك في النظر أفسدْتَها عليّ . فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمةٍ تسوءك ، ولأسُرَّنّك . فمضى وقال : والله لا أتكلّم ، لئن خالفتَ ما قلتُ لأخرجنّك . قال : قلت : إنْ خالفتُ إلى ما تكْرهُ فاصنَعْ بي ما أحببت . قال : امضِ بنا . فأدخلني على أظرفِ خَلْق الله وأحسنهم وجهاً ، فلمّا رأيتها أخذَني الزَّمَع[2] وفطِن لي : فقال : اسكنْ يا ابن الزانية . فسكنتُ قليلاً ، فلحظتني ولحظتُها أخرى ، فغضِبَ ووضع قُلَنسِيَتَه عن رأسه ، وكانت صَلَعَته حمراء كأنها استُ قردٍ ، فلمّا وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت : [من الهزج]

وَارِ السَّـواةَ السوآ ءَ يا حَمَّاد عن خُشَّهْ
عـن الأترجَّـةِ الغَضّـ ـةِ والتفاحـةِ الهشَّهْ

فالتفت إليَّ ، وقال : فعلتَها يا ابن الزانية ؟ فقالت له : أحسن والله ، ما بلغ صفتَكَ بعد ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ! فقالت له : الزانية أمُّك ! وثاورته وثاوَرَها ، فشقّت قميصه ، وبصَقَت في وجهه ، وقالت له : ما تصادِقُك وتدعُ مثل هذا إلاّ زانية ! وخرجنا وقد لقي كلَّ بلاء ، وقال لي : ألم أقلْ لك يا ابن الزانية : إنّك ستفسدُ عليَّ مجلسي . فأمسكتُ عن جوابه ، وجعل يهجوني ويسبُّني ، ويشكوني إلى أصحابنا . فقالوا لي : اهجُه ودعنا وإيّاه . فقلت فيه : [من الهزج]

ألا يـا ظبيـةَ الوادي وذاتَ الجسدِ الرادِ[3]
وزيـنَ المِصر والـدّارِ وزيـنَ الحيِّ والنادي
وذاتَ المَبسمِ العذبِ وذات المِيسَم البادي
أمَـا بـاللهِ تستحْيِـ ـنَ مـن خُلَّـة حَمّادِ[4]
فحمَّادٌ فتًـى ليس بـذي عِـزٍّ فتَنقادي
ولا مـالٍ ولا عـزٍّ ولا حَـظٍّ لمرتـادِ

1 يقال هذه صديقي وصديقتي . وخشة : اسم المرأة .
2 الزمع : شبه الرعدة .
3 الراد : الرخص اللين .
4 الخلة : الصداقة .

فتُوبـي واتّقـي اللهَ وَبُتِّـي حَبْـلَ عجرادِ
فقـد مُيِّزتِ بالحسنِ عـن الخَلْقِ بإفرادِ
وهـذا البينُ قـد حُمَّ فجُـودي منكِ بالزّادِ

في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكمٍ الواديِّ رمَلٌ . قال : فأخذ أصحابنا رِقاعاً فكتبوا الأبيات فيها ، وألقوها في الطريق . وخرجتُ أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم . فلمّا رآها وقرأها قال لهم : يا أولادَ الزّنا ، فعلّها ابن الزانية ، وساعدتموه عليّ !

قال : وأخذها حكمٌ الواديُّ فغنّى فيها ، فلم يبقَ بالكوفة سَقّاءٌ ولا طَحّان ولا مُكارٍ إلاّ غنّى فيها ، ثم غَنِيتُ مدّةً وقدِمتُ ، فأتاني فما سلّم عليّ حتى قال لي : يا ابن الزانية ، ويلكَ أما رحِمتني من قولك لها : [من الهزج]

أمـا بـالله تستحْيِـ ـنَ مـن خُلّة حمّادِ

بالله قتلتني قَتَلك الله ! والله ما كلّمتني حتى الساعة . قال : قلت : اللهمّ أدِمْ هجرَها له وسوءَ آرائها فيه ، وآسِفْه[1] عليها ، وأغرِه بها ؛ فشتمني ساعةً . قال مطيع : ثم قلت له : قُم بنا حتى أمضيَ بك فأريك أختي ، وكانت لمطيع صديقة مغنّية يسمّيها «أختي» وتسمّيه أخي ، قال مطيع ، فمضينا فلمّا خرجتْ إلينا دعوت قيِّمةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً ، وعرّفتُها أنّ الذي معي حمّاد . فضحِكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء . وقد علمتْ بموضعه وعرَفَته ، فكان أوّل صوت غنّت : [من الهزج]

أمـا بـالله تستحْيِـ ـنَ مـن خُلّة حمّادِ

فقال لها : يا زانية ! وأقبل عليَّ فقال لي : وأنت يا زاني يا ابن الزانية أسررت هذا إلى قيمتها ؟ فقلت لا والله ، فقالت : كذبت والله يا ابن الزانية وشاتَمته صاحبتي ساعةً ، ثم قامت فدخلت . وجعل يتغيَّظ عليّ فقلت : أنتَ ترى أنّي أمرتُها أن تغنّيَ بما غنّت ؟ قال : أرى ذلك وأظنُّه ظنّاً ، لا والله ، ولكنّي أتيقّنه ! فحلفتُ له بالطلاق على بُطلان ظنّه ، فقال : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يفسد هذا المجلس مَن أفسد ذلك المجلس . فقال : قد والله فَعَلَ . وانصرفنا .

[يفسد صديقة يحيى الحارثي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال : قال يحيى بن زيادٍ الحارثيُّ لمطيع بن إيـاس : انطلِقْ بنا إلى فلانـة صديقتي ، فإنّ بيني وبينها مغاضبة ، لتُصلِح بيننا ، وبئس المصلح

1 آسفه : أغضبه .

أنت . فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيعٌ ساكت ، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع : ما يُسكتك ، أسكتَ الله نأمَتك [1] ؟ فقال لها مطيع : [من الخفيف]

أنتِ مُعتلّة عليه وما زا ل مُهيناً لنفسه في رضاكِ

فأعجبَ يحيى ما سمع ، وهَشَّ له فقال له مطيع :

فدَعِيه وواصلي ابنَ إياسٍ جُعِلَتْ نفسُه الغداةَ فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت ، فما زال يَجلِد بها رأسه ويقول : ألهذا جئتُ بك يا ابن الزانية ؟ ومطيع يُغوِّث [2] حتى ملَّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه وقد سَدِر [3] .

حدّثني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : مرض حمّاد عجردٍ ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلاّ مطيع بن إياس ، وكان خاصةً به ، فكتب إليه حمّاد : [من الوافر]

كفاكَ عيادتي مَن كان يرجو ثَوابَ الله في صِلة المريضِ
فإن تُحدِثْ لك الأيّامُ سُقماً يحول جريضُه دونَ القريضِ [4]
يكنْ طولُ التأوُّهِ منك عندي بمنزلة الطَّنينِ من البعوضِ

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمّادٍ عن أبيه قال : قدِم مطيع بن إياسٍ من سفر فقدِم بالرغائب ، فاجتمع هو وحمّاد عجردٍ بصديقته ظَبية الوادي ، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة ، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبته من طرائفِ ما أفاد ، فلمّا جلسوا يشربون غَنَّتْ ظبيةُ الوادي فقالت : [من الطويل]

أظنُّ خليلي غُدوةً سيسير وربِّي على أن لا يسير قديرُ

فما فَرَغت من الصوتِ حتّى غنَّت صاحبةُ مطيع : [من الخفيف]

ما أُبالي إذا النَّوى قرَّبتهم ودنونا من حَلَّ منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحمّاد يشتمها .

---

1 النأمة : الصوت .

2 يغوث : يقول «واغوثاه» .

3 سدر : تحير .

4 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 444 .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أظُنُّ خليلي غدوةً سيسير ... وربِّي على أن لا يسيرَ قديرُ
عجبتُ لَمن أمسى محبّاً ولم يكن ... له كفَنٌ في بيته وسريرُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيم الموصليٌّ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيف رملٍ بالوسطى .

[لا يفيق من هوى مكنونة]

حدّثني الحسن قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجانيّ قال : كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له : عُمَر بن سعيد ، فعاتبه في أمر قينةٍ يقال لها «مكنونة» كان مطيع يهواها حتى اشتُهِر بها ، وقال له : إنّ قومك يشكونك ويقولون : إنّك تفضحهم بشُهرتك نفسَك بهذه المرأة ، وقد لحقَهم العيبُ والعارُ بك من أجلها ؛ فأنشأ مطيع يقول : [من المنسرح]

قد لامَني في حبيبتي عُمَرُ ... واللَّومُ في غيرِ كُنهِهِ ضجَرُ
قال أفِقْ ، قلتُ لا ، فقال بلى ... قد شاعَ في الناس عنكما الخبرُ
قلتُ قد شاع فاعتذارِيَ ممّا ... ليس لي فيه عندهم عُذُرُ
عَجزٌ لعمرِي وليس ينفعُني ... فكُفَّ عنّي العتابَ يا عمرُ
وارجعْ إليهم وقُل لهُمْ قد أبى ... وقال لي لا أُفيقُ فانتحروا
أعشق وحدي فيُؤخَذون به ... كالتُّرك تَغزُو فيُقتل الخَزَرُ

[أين المحصنات]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني ابن أبي أحمد عن أبي العِبَر الهاشميّ قال : حدّثني أبي أنّ مطيع بن إياس مرّ بيحيى بن زيادٍ ، وحماد الراوية وهما يتحدّثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : في قَذْف المحصَنات . قال : أو في الأرض محصَنة فتقذِفانِها ؟!

[يضع حديثاً لتولية المهدي]

حدّثني عيسى بن الحسن الورّاق قال : حدّثني عُمَر بن محمد بن عبد الملك الزياتِ . وحدّثنيه الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدّثني محمد بن هارون قال : أخبرني الفضل بن إياس الهذليُّ الكوفيّ أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهديّ ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك . فأمَرَ بإحضار الناس فحضَروا ، وقامت الخطباء فتكلّموا ، وقالت الشعراء فأكثَرُوا في وصف المهديّ وفضائله ، وفيهم مطيع بن إياسٍ . فلمّا فرَغَ من كلامه

في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين . حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبيّ ﷺ قال : «المهديُّ منّا محمد بن عبد الله وأمّه من غيرنا . يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً» ، وهذا العباس بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العباس ، فقال له : أُنشُدُك اللهَ هل سمعتَ هذا ؟ فقال : نعم ، مخافةً من المنصور . فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهديّ .

قال : ولّما انقضى المجلسُ ، وكان العباس بن محمد لم يأنس به ، قال : أرأيتم هذا الزنديق إذ كَذَبَ على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كِذبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهِد كلُّ مَن حضر عليَّ بأنّي كاذب ؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفرٍ ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدمه . فجفاه وطرده عن خدمته . قال : وكان جعفرٌ ماجناً ، فلمّا بلغه قول مطيع هذا غاظه ، وشَقّتْ عليه البيعة لمحمدٍ ، فأخرج أيره ثم قال : إن كان أخي محمدٌ هو المهديّ فهذا القائم من آل محمدٍ .

[أبو جعفر يتهمه بإفساد ابنه]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان مطيعُ بن إياسٍ يخدُم جعفرَ بن أبي جعفر المنصور وينادمه ، فكره أبو جعفرٍ ذلك ، لما شُهر به مطيعٌ في الناس وخَشِيَ أن يُفسده ، فدعا بمطيع وقال له : عزمت على أن تفسِد ابني عليّ وتعلِّمَه زندقتك ؟ فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنَّ بي هذا ، والله ما يسمع مني إلاّ ما إذا وعاه جَمَّله وزيَّنه ونبَّله ! فقال : ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلاّ ما يضُرُّه ويغرُّه . فلمّا رأى مطيعٌ لجاجه في أمره قال له : أتؤمِنُني يا أميرَ المؤمنين عن غضبك حتى أصدُقَك ؟ قال : أنت آمن . قال : وأيُّ مُستصلَحٍ فيه ؟ وأيُّ نهايةٍ لم يبلُغْها في الفساد والضَّلال ؟ قال : ويلك ، بأيّ شيء ؟ قال : يزعم أنّه يتعشّق امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خِطبتها ، وجمعِ أصحاب العزائم عليها ، وهم يغُرونه ويَعِدونه بها ويمنّونه ، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدٍّ ولا هزل ولا كفرٍ ولا إيمان . فقال له المنصور : ويلك ، أتدري ما تقول ؟ قال : الحقّ والله أقول ، فسل عن ذلك . فقال له : عُد إلى صحبته واجتهد أن تُزيلَه عن هذا الأمر ، ولا تعلمه أنّي علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه .

أخبرني عمّي قال : حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياسٍ منقطعاً إلى جعفرِ بن أبي جعفر المنصور ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً ، فقال لمطيع : قد أفسدتَ ابني يا مطيع . فقال له مطيع : إنّما نحن رعيّتُك فإذا أمرتَنا بشيءٍ فَعَلْنا .

[جعفر يتعشّق امرأة من الجن]

قال : وخرج جعفرٌ من دار حرمه فقال لأبيه : ما حَملك على أن دخلتَ داري بغير إذن ؟ فقال له أبو جعفر : لعن الله من أشبهَك ، ولعنك ؛ فقال : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، قال : وكان خليعاً ، فقال : أريد أن أتزوَّج امرأةً من الجنّ ! فأصابه لمم ، فكان يُصرَع بين يَدَيْ أبيه والربيع واقف ، فيقول له : يا ربيع ، هذه قدرةُ الله .

وقال المدائنيُّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه : فأصاب جعفراً من كثرة وَلعِهِ بالمرأة التي ذكر أنّه يتعشّقها من الجنّ صَرْعٌ ، فكان يصرع في اليوم مرّات حتى مات ، فحزن عليه المنصور حزناً شديداً ، ومشى في جنازته ، فلمّا دُفِن وسوِّي عليه قبره قال للربيع : أنشِدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد . فأنشده : [من المنسرح]

يا أهـلِيَ ابكُوا لقلبيَ القرِحِ ... وللدُّمـوع الـذّوارفِ السُّفُحِ
راحُوا بيحيى ولو تطاوِعُني الـ ... ـأقـدارُ لم يَبتكِرِ ولم يَـرُحِ
يا خيرَ من يَحْسُن البكاءُ له الـ ... ـيومَ ومَـن كان أمس لِلمَدحِ

قال : فبكى المنصور ، وقال : صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .

أخبرني به عمِّي أيضاً عن الخزاز عن المدائنيّ ، فذكر مثله .

[شعره في جارية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال ، حدّثني المغيرة بن هشامٍ الرَّبَعيّ قال : سمعت ابن عائشة يقول : مرّ مطيع بن إياسٍ بالرُّصافة ، فنظَرَ إلى جاريةٍ قد خرجَت من قصر الرُّصافة كأنّها الشمس حسناً ، وحواليها وصائفُ يرفَعنَ أذيالها ، فوقف ينظر إليها إلى أن غابتْ عنه ، ثم التفتَ إلى رجلٍ كان معه وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

لَمَّا خَرجْـنَ من الرُّصا ... فـة كالتَّماثيـل الحسانِ
يَحففْـنَ أحـورَ كالغزا ... لِ يميسُ في جُدُل العِنانِ[1]
قطّعْـنَ قلبـي حسرةً ... وتقسُّمـاً بـين الأمـاني
ويـلي عـلى تلـك الشما ... ئِـلِ واللطيفِ مـن المعاني
يـا طُـولَ حَـزّ صبابتي ... بـينَ الغـواني والقيـانِ

[جزع ابنته من رحيله]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعيد ، عن ابن توبة صالح بن محمد ، قال : حدّثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال : قال محمد بن الفضلِ بن السكونيّ : رَحَل مطيعُ بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له ، فلمّا رأته بنتُه قد صَحَّح العزم على الرّحيل بَكت ، فقال لها : [من الخفيف]

اسكُتي قد حَزَزْتِ بالدَّمع قلبي ... طالمـا حَـزَّ دمعُكُنَّ القُلوبا
وَدَعي أن تقطِّعـي الآنَ قلبي ... وتُريـنـي في رِحلتـي تعذيبا

1 الجدل : جمع جديل ، وهو الزمام المجدول . يعني أنها مجدولة القوام .

فعسى اللهُ أن يُدافِعُ عنّي ريبَ ما تحذرين حتّى أءُوبا
ليس شيءٌ يشاؤه ذو المعالي بِعزيزٍ عليه فادعي المُجيبا
أنا في قبضةِ الإلهِ إذا ما كنت بعيداً أو كنت منك قريبا

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية ، فكانَ أوّلها : [من الخفيف]

ولقد قلتُ لا بنتي وهي تَكوي بانسِكابِ الدُّموعِ قلباً كئيبا

وبعده بقية الأبيات .

[أومأ لقينة بقبلة فصدته]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ ، عن صالح الأصمّ قال : كان مطيعُ بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ ، وعندهم قينةٌ تغنيهم ، فأومأ إليها مُطيعٌ بقُبلةٍ ، فقالت له : تُراب ؛ فقال مطيع : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنَّ قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا
ورَماه الحبُّ منه بسهامٍ فأصابا
قد دَهاه شادِن يَلـ ـبَس في الجيد سِخابا[1]
فهو بدرٌ في نِقابٍ فإذا ألقى النقابا
قلتَ شمسٌ يوم دَجْنٍ حَسَرت عنها السَّحابا
ليتني منه على كَشْـ ـحَين قد لانا وطابا
أحضَرُ النّاس بما أكـ ـرَهُه منهُ جوابا
فإذا قُلْتُ أنِلْني قبلةً قال تُرابا

لحكم الواديّ في هذه الأبيات هزجٌ بالبِنصر ، من رواية الهشاميّ .

[سرعة بديهته]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال : ذكر موسى بن صالح بن سنحٍ بن عميرة أنّ مطيعَ بنَ إياسٍ كان أحضَرَ الناس جوابا ونادرة ، وأنّه ذاتَ يوم كان جالساً يعدِّد بطونَ قريشٍ ويذكر مآثِرَها ومَفاخرَها ، فقيل له : فأين بنو كنانة ؟ قال : [من الخفيف]

بِفَلَسْطِين يُسرِعون الرُّكوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات : [من الخفيف]

1 الشادن : الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه . السخاب : القلادة من الزهر .

حَلَقٌ من بنـي كنانةَ حولي بفِلَسطين يُسرعون الرُّكوبا

[فضح أبا دهمان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العتبيّ قال : كان أبو دهمان صديقاً لمطيع ، وكان يظهر للناس تألُّهاً[1] ومروءةً وسمتاً حسناً ، وكان ربما دعا مُطيعاً ليلة من الليالي أن يصير إليه ، ثم قطَعه عنه شُغل ، فاشتغَلَ به وجاء مطيعٌ فلم يجِده ، فلمّا كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه ، فأنشدهم فيه : [من المجتث]

ويـلِي مِمَّـنْ جفـاني وحُبُّـه قـد بـراني
وطَيفُـه يلقـاني وشخصُـه غير دانِ
أغَـرّ كالبدرِ يُعْشي بحسنـه العينـانِ
جـارَيَّ لا تَعذلاني في حبِّـه ودعـاني
فـربّ يـومٍ قصيرٍ في جَوْسق وجِنانِ
بالـرّاح فيـه يُحَيَّا والقصفِ والريحـانِ
وعندنـا قينتـانِ وجهاهمـا حَسَنانِ
عُوداهُمـا غَـرِدانِ كأنّمـا ينطقـانِ
وعندَنـا صاحبـانِ للدَّهـر لا يَخضَعانِ
وربّ يـوم طعانٍ شهدتـه أرونانِ[2]
فكنـتُ أوّل حـامٍ وأوّلَ السَّرَعـانِ[3]
في فتيـةٍ غيرِ مِيـلٍ عند اختلافِ الطِّعانِ
من كلِّ خَرْق نجيبٍ في السرِّ والإعـلانِ
حَمّـالِ كلِّ عظيـم تضيق عنـه اليدانِ
وإنْ ألَحَّ زمـانٌ لم يستكِـنْ للـزمانِ
فـزالَ ذاك جميعاً وكلُّ شيء فـانِ
مَن عاذري مِن خليلٍ موافـقٍ مِلْـدانِ[4]
مُداهـنٍ متـوانٍ يكنـى أبـا دهمانِ

1 التألّه : التنسك والتعبّد .
2 أرونان : متلهب كالنار .
3 السرعان : المتسابقون .
4 ملدان : لين ناعم .

متــى يَعِــدْك لقاءٌ فالنّجـمُ والفرقدانِ
وليس يُعتِــمُ إلاَّ سكرانَ مَـعْ سكرانِ
يسقيه كلُّ غـــلامٍ كأنّه غُصنُ بــانِ
مِـن خَندريسٍ عُقارٍ كحُمْـرة الأرجُوانِ[1]

قال : فلقيه بعد ذلك أبو دهمان ، فقال : عليك لعنة الله فضحتني وهَتفْتَ بي ، وأذَعْتَ سرِّي ، لا أُكلِّمُك أبداً . ولا أُعاشرك ما بقيت ، فما تفرُّق بين صديقك وعدوِّك .

[إنكاره للزندقة]

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجليّ العطّار بالكوفة ، قال : حدّثني عليُّ بن عُمْروسٍ عن عمِّه عليِّ بن القاسم قال : كنتُ آلَفُ مطيع بن إياس ، وكان جاري ، وعنَّفني في عشرته جماعةٌ ، وقالوا لي : إنّه زنديق . فأخبرته بذلك . فقال : وهل سمعتَ منِّي أو رأيتَ شيئاً يدلُّ على ذلك ، أو هل وجدتَني أُخِلُّ بالفرائض في صلاةٍ أو صومٍ ؟ فقلت له : والله ما اتَّهمتُك ولكنِّي خبَّرتك بما قالوا . واستحيَيْتُ منه . فعجل عليٌّ السكر ذاتَ يوم في منزِله . فنمت عنده ، ومُطِرنا في جوف الليل وهو معي ، فصاح بي مرّتين أو ثلاثاً ، فعلمتُ أنّه يريد أن يصطبح ، فكَسِلت أن أجيبَه ، فلمّا تيقَّن أنّي نائمٌ جعل يردِّد على نفسه بيتاً قاله ، وهو قوله : [من الكامل]

أصبَحتُ جمَّ بلابلِ الصَّدرِ عَصراً أكاتمُـه إلى عَصرِ[2]

فقلت في نفسي : هذا يَعمل شعراً في فنّ من الفنون . فأضاف إليه بيتاً ثانياً ، وهو قوله : [من الكامل]

إن بُحْتُ طُلَّ دمي وإن تُرِكَتْ وَقَـدَتْ عـليَّ توقُّـدَ الجمرِ[3]

فقلت في نفسي : ظفِرت بمطيع . فتنحنحتُ ، فقال لي : أما ترى هذا المطر وطيبه ، اقعدْ بنا حتى نشرب أقداحاً . فاغتنمتُ ذلك ، فلمّا شربنا أقداحاً قلت له : زعمتُ أنّك لستَ بزنديق . قال : وما الذي صَحَّح عندك أنّي زنديق ؟ قلت : قولك : «إن بُحتُ طلَّ دمي» ، وأنشدته البيتين ، فقال لي : كيف حفظتَ البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ فقلت : والله ما سمعتُ منك ثالثاً . فقال : بلى قد قلتُ ثالثاً . قلت : فما هو ؟ قال : [من الكامل]

ممّـــا جنَاه على أبي حسنٍ عُمـرٌ وصاحبُه أبــو بكرِ

وحدّثني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني إبراهيم بن

---

1 الخندريس : الخمرة المعتقة . والعقار : التي تذهب الوعي .
2 جم بلابل الصدر : كثير الوساوس والهموم .
3 طل دمه : أبيح .

المدبّر قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : جاء مطيع بن إياسٍ إلى إخوانٍ له وكانوا على شراب ، فدخل الغلام يستأذن له ، فلمّا سمع صاحب البيت بذِكره خرج مبادراً ، فسمعه يقول : [من الكامل]

أمسيتُ جمَّ بلابِلِ الصدرِ دهراً أزجِّيه إلى دهرِ
إن فُهْتُ طُلَّ دمي وإن كُتِمَتْ وقَدَت عليَّ توقُّدَ الجمرِ

فلمّا أحسَّ مطيعٌ بأنَّ صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال :

ممّا جناه على أبي حسن عمرٌ وصاحبُه أبو بكرِ

وكان صاحب البيت يتشيّع ، فأكبَّ على رأسه يُقبِّله ويقول : جَزاك الله يا أبا مسلم خيراً !

[رميت ابنته بالزندقة]

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب : أنَّ الرشيد أُتِيَ ببنت مطيع بن إياس في الزنادقة ، فقرأت كتابهم واعترفَت به ، وقالت : هذا دِينٌ علَّمَنيه أبي ، وتُبتُ منه . فقبِل توبتها وردّها إلى أهلها .

قال أحمد : ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها : «الفراشيَّة» قد رأيتُهم ، ولا عقِب لمطيع إلاّ منهم .

[دعوة ليحيى بن زياد]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد ، وكان بها رجلٌ يقال له : الفهميّ ، مغنٍّ مُحسن ، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات . قال : [من مجزوء الرمل]

عندنا الفهميُّ مَسرُو رٌ وزَمّارٌ مُجيدُ
ومُعاذٌ وعِياذٌ وعُمَيرٌ وسعيدُ
ونَدامى يُعْمِلون الـ ـقَلْزَ والقَلْزُ شديدُ
بعضُهم ريحانُ بعض فهم مِسكٌ وعُودُ

قال : فأتاه يحيى ، فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهديّ ، فضحك منها ، وقال : تنايَكَ القومُ وربِّ الكعبة .

قال الكرانيّ : القَلْز : المبادلة[1] .

وجدتُ هذا الخبر بخطِّ ابن مَهْرُوَيْه ، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني .

1 القلز في المعجم : ضرب من الشرب أو الوثب .

فذكر أنَّ مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته ، واصطبح يوم الأضحى . وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات : [من مجزوء الرمل]

قـد شربنا ليلةَ الأضـ ـحـى وساقينا يزيدُ
عندنا الفهميُّ مسرو رٌ وزَمَّـار مُجيـدُ
وسليمـانُ فَتانـا فهـو يُبدي ويُعيدُ
ومُعـاذٌ وعِيـاذٌ وعُمَيـر وسَعيـدُ
وندامـى كلُّهـم يَقْـ ـلِـزُ والقَلْـزُ شديدُ
بعضهم ريحانُ بعض فهـمُ مسك وعودُ
غابت الأنحُسُ عنهم وتلقَّتهـم سُعـودُ
فترى القـوم جُلوساً والخَنـا عنهـم بعيدُ
ومطيعٌ بنُ إيـاس فهـو بالقَصْف ولِيدُ
وعـلى كرِّ الجديديْـ ـنِ ومـا حَلَّ جليدُ

[دعوة أخرى إلى الشرب واللهو]

ووجدت في كتاب بِعقبِ هذا : وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيعٍ : «أنا اليومَ نشيطٌ للشُّربِ ، فإن كنتَ فارغاً فَصِرْ إليّ ، وإن كان عندك نبيذٌ طيِّب ، وغناءٌ جيّد جِئْتُك» . فجاءته رقعته وعنده حمادٌ الراوية وحكم الوادي ، وقد دَعَوا غلاماً أمرد ، فكتب إليه مطيع : [من مجزوء الرجز]

نَعَـمْ لنـا نبيذٌ وعندَنـا حَمّـادُ
وخيرُنـا كثيـرٌ والخيـر مُستزادُ
وكُلّنا من طَرَب يطيـرُ أو يكادُ
وعندنـا واديُّنا وهـو لنا عمادُ
ولهوُنـا لذيـذٌ لم يَلْهُـهُ العِبادُ
إنْ تشتـه فساداً فعندَنـا فسادُ
أو تشتـهِ غلامـاً فعندنـا زيـادُ
مـا إنْ بـه التواءٌ عنـا ولا بِعـادُ

قال : فلمّا قرأ الرقعة صار إليهم ، فأتمّ يومه معهم .

[مدح الغمر بن يزيد]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيُّ الكُرَيـزيّ عـن أبيه قـال : مـدح مطيـع بـن إيـاس الغمرَ بن يزيـدَ بقصيدتـه التي يقـول

فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تَلْحَ قلبك في شَقائِـه ... ودَعِ المتيَّـم في بلائِـهْ[1]
داوِ الفؤاد من السقام ... فقد بدا لك عظم دائِـهْ
كفكِفْ دموعَك أنْ تفيضَ ... بناظرٍ غرقٍ بمائِـهْ
ودَعِ النسيبَ وذكـرَه ... فبحَسبِ مَثلك من عنائِهْ
كم لـذّةٍ قد نلتَها ... ونعيم عيشٍ في بهائِـهْ
بنواعِمٍ شبْهِ الدُّمى ... والليلُ في ثِنْيَيْ عمائِـهْ[2]
واذكر فتًى بيمينه ... حَتْفُ الزمان لدى التوائِـهْ
وإذا أُمَيَّةُ حُصِّلَتْ ... كان المهذَّبَ في انتمائِهْ
وإذا الأمورُ تفاقَمَتْ ... عِظَماً فمصدَرُها برائِـهْ[3]
وإذا أردتَ مديحه ... لم يُكْدِ قولُك في ثنائِـهْ[4]
في وجهه عَلَمُ الهدى ... والمجدُ في عِطْفَيْ ردائِهْ
وكأنّما البدر المنـ ... ـير مُشبَّه به في ضيائِـهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل قصيدة أخذ بها جائزة سنيّة ، وحرّكته ورفعَت من ذكره ، ثم وصلهُ بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه .

[علاقته بيحيى بن زياد]

أنشدني محمد بن العباس اليزيديُّ عن عمِّه ، لمطيع بن إياسٍ يستعطف يحيى بن زياد في هِجْرةٍ[5] كانت بينهما وتباعُد : [من الخفيف]

يا سميَّ النبيِّ الذي خَـ ... ـصَّ به الله عبدَه زكريا
فدعاه الإلهُ يحيى ولم يَجْ ... ـعَلْ له الله قبلَ ذاك سَمِيّا
كنْ بصبٍّ أمسى بحبّكَ برّاً ... إنّ يحيى قد كان بَرّاً تقيّا

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته : [من المديد]

قد مضى يَحْيى وغودِرْتُ فردا ... نُصْبَ ما سَرَّ عيونَ الأعادي

---

1 لا تلح : لا تلم .
2 ثنيي عمائه : كناية عن شدة الظلام .
3 رائه : رأيه .
4 لم يكد : لم يخب .
5 هجرة : جفوة .

وأرى عَيْنيَ مُذْ غابَ يحيى بُدِّلت من نَومها بالسُّهادِ
وسَّدتْهُ الكفُّ منِّي تراباً ولقد أرثي له من وِسادِ
بين جِيرانٍ أقاموا صُموتاً لا يُحِيرونَ جواب المنادِي
أيُّها المزن الذي جاد حَتَّى أعشبَتْ منه متونُ البوادي
اسقِ قبراً فيه يحيى فإنِّي لك بالشكرِ مُوافٍ مُغادِ

[أسفه على جوهر حين بيعت]

نسختُ من نسخةٍ بخطِّ هارون بن محمد بن عبد الملك قال: لمّا بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها، وفيه غناء من خفيفِ الرملِ أظنّه لحكَم: [من السريع]

صاح غرابُ البينِ بالبينِ فكدتُ أنقدُّ بنصفينِ
قد صار لي خِدنانِ مِن بَعدهم همٌّ وغمٌّ شرُّ خِدنَينِ
أفدِي التي لم ألْقَ مِن بعدها أُنْساً وكانت قُرَّةَ العينِ
أصبحتُ أشكو فرقةَ البين لمّا رأت فُرقَتَهم عيني

[حج لم يتم]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال: حدّثنا العباس بن ميمون بن طائع قال: حدّثني ابن خرداذبه قال: خرج مطيع بن إياس، ويحيى بن زيادٍ حاجّين، فقدَّما أثقالَهما وقال أحدهما للآخر: هل لك في أن نمضي إلى زُرارة فنقصفَ ليلتنا عنده، ثم نَلحَقَ أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبَهم حتى انصرف الناس من مكّة. قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين. وقال مطيعٌ في ذلك: [من الوافر]

ألم ترني ويحيى قد حجَجْنا وكان الحجُّ من خيرِ التجارَهْ
خرجنا طالِبَيْ خيرٍ وبِرٍّ فمال بنا الطريقُ إلى زُرارَهْ
فعادَ الناس قد غنموا وحَجُّوا وأُبْنا موقَرين من الخسارَهْ

وقد رُوِي هذا الخبر لبشّارٍ وغيره[1].

[شعره في ريم الجارية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا الفضل بن محمدٍ اليزيديُّ عن إبراهيم الموصليٌّ عن محمد بن الفضل قال: خرج جماعةٌ من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته، فمضى إلى البصرة، وخرج

1 انظر ترجمة بشار 3 : 128 . والأبيات فيها منسوبة إلى سعد بن القعقاع رفيق بشار.

حمّاد عجردٍ إليها معه ، وعاد حمّادٌ الراوية إلى الكوفة ، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوى جاريةً يقال لها : «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها : [من الكامل]

لــولا مكانُــكِ في مدينتهـمْ ... لظعنتُ في صَحبي الألى ظَعَنُوا
أُوطنــتُ بَغْــداداً بحُبِّكُــم ... وبغيرهــا لولاكُــم الوطَــنُ[1]

قال : وقال مطيعٌ في صبوح اصطبَحَه معها : [من الطويل]

ويــومٍ ببغداد نعِمْنــا صباحَــه ... على وجـه حوراء المدامع تُطْرِبُ
ببَيت تــرى فيــه الزُّجاجَ كأنّه ... نجومُ الدُّجى بين النَّدامى تَغَلَّبُ
يُصَرِّف ساقينـــا ويقطب تــارةً ... فيا طيبَها مقطوبــةً حين يَقْطِبُ[2]
علينا سحيــقُ الزعفــران وفَوقَنــا ... أكاليلُ فيهـــا الياسَمين المُذَهَّبُ
فما زلتُ أُسقى بين صَنْجٍ ومِزهَرٍ ... من الرّاحِ حتّى كادت الشمس تغرُبُ

وفيها يقول : [من مجزوء الرجز]

أمسى مطيــع كلِفــا ... صبّاً حزينــا دَنِفــا
حُـــرٌّ لِمَن يعشَقُـه ... برِقِّـــه معترفـــا
يــا ريمُ فاشفي كَبِداً ... حَـرَّى وقلبــا شُغِفا
ونوِّلينـــــي قبلـــةً ... واحــدةً ثــمَّ كفى

قال وفيها يقول : [من السريع]

يا ريمُ قـد أتلفتِ رُوحي فما ... منها معــي إلاَّ القليلُ الحقيرْ
فأذنِبــي إن كنــتِ لم تُذْنِبــي ... فيّ ذُنوبــاً إنَّ ربِّــي غفــورْ
ماذا على أهلِكِ لو جُدتِ لي ... وزُرْتني يــا ريــمُ فيمن يزورْ
هل لكِ في أجـرٍ تُجازَيْ به ... في عاشقٍ يرضيه منكِ اليسيرْ
يَقبَل مـــا جدتِ بــه طائعــاً ... وهــو وإن قــلَّ لديــه الكثيرْ
لعمريَ مَــن أنتِ له صاحبٌ ... مــا غاب عنه في الحياة السُّرورْ

قال وفيها يقول : [من مجزوء الرجز]

يا ريــمُ يا قاتلتي ... إن لم تجودِي فَعِدي

---

1 أوطن المكان : اتخذه وطناً .
2 يقطب : يمزج .

بَيَّضْتِ بالمطل وإخلا فِكِ وعـدي كَبِدي
حالَفَ عيني سُهُدي ومـا بهـا من رَمَدِ
يا ليتَنـي في الأحد أبليتِ منّي جسدي
لَمن بـه من شِقْوتي أخذتُ حتفي بيَدي

[من غزله بجوهر]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس ، يقوله في جوهر جارية بربر : [من السريع]

يا بأبي وجهُكِ من بينهمْ فإنّـه أحسنُ مـا أبصِرُ
يا بأبي وجهك من رائع يشبهه البدرُ إذا يَزْهَـرُ
جاريةٌ أحسَنُ من حَلْيها والحلْيُ فيـه الدرُّ والجوهرُ
وجِرمُها أطيبُ من طيبها والطِّيب فيه المسكُ والعنبرُ[1]
جاءت بها بربـرُ مكنونةً يـا حبّذا مـا جَلبتْ بَربرُ
كأنّمـا رِيقَتُهـا قهـوةٌ صُبَّ عليهـا بـاردٌ أسمرُ[2]

[عبث بأبي العمير]

أخبرني الحسين بن القاسم قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا قال : حدّثني منصور بن بشر العُمركي عن محمد بن الزِّبرقان قال : كان مطيع بن إياسٍ كثير العبثِ ، فوقف على أبي العمير : رجلٍ من أصحاب المُعَلّى الخادم ، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال : [من الوافر]

ألا أبلِغْ لديـك أبـا العُمير أراني الله في استِكَ نصفَ أيرِ

فقال له أبو العمير : يا أبا سلمى ، لَوْ جُدْتَ لأحدٍ بالأيرِ كلّه لجدتَ به إلى ما بيننا من الصداقة ، ولكنك بِحُبّك له لا نريده كلّه إلاّ لك . فأفحمه ، ولم يعاود العبث به .

قال : وكان مطيع يُرمى بالأُبنة .

[لا يحمد الله على السلامة]

قال : وسقط لمطيع حائط ، فقال له بعض أصدقائه : احمَد الله على السلامة ! قال : احمد الله أنت الذي لم تَرُعك هدَّته ، ولم يُصِبْك غباره ، ولم تغرم أجرةَ بنائه .

[مدح جرير بن يزيد فأجازه سرّاً]

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليَسَع الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : وفد مطيع بن

1 الجرم : الجسم .
2 يعني العسل .

إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ وقد مدحه بقصيدته : [من المتقارب]

أمِـن آل ليلى عَزمـتَ البُكورا ولم تَلْقَ ليلى فَتَشْفي الضَّميرا
وقـد كنتَ دهـرك فيما خلا لليـلى وجاراتِ ليـلى زَءُورا
ليـالي أنـت بهـا معجَـبٌ تَهيم إليهـا وتَعصِي الأميرا
وإذْ هـي حـوراءُ شِبهُ الغزا لِ تُبصِرُ في الطَّرف منها فُتُورا
تقول ابنتـي إذْ رأت حالتـي وقرَّبـتُ للبين عَنْساً وكُورا[1]
إلى مَـن أراكَ ، وقتـك الحتُـو فَ نفسي ، تجشَّمتَ هذا المَسيرا
فقلـتُ : إلى البَجَـليِّ الذي يفُـكُّ العُنـاةَ ويُغنـي الفقيرا[2]
أخِي العُرف أشْبَه عنـد النـدى وحَمْـلِ المِئِـينَ أبـاهُ جديرا
عَشيرِ الندى ليس يرضى النَّدى يـدَ الدَّهرِ بعد جَريـرٍ عشيرا
إذا استكثر المجتـدون القليـ ـلَ للمُعْتَفِينَ استقلَّ الكثيرا
إذا عَسُر الخيـر في المجتَديـ ـن كان لديـه عَتيـداً يسيرا
وليس بمانـع ذي حاجـةٍ ولا خـاذلٍ مَن أتـى مُستجيرا
فنَفسي وَقَـتْك أبـا خالـدٍ إذا ما الكُماةُ أغاروا النُّمورا[3]
إلى ابن يزيـدَ أبـي خالـدٍ أخي العرفِ أعملتُها عيسجورا[4]
لِنَلْقـى فواضلَ مـن كفِّـه فصادفت منـه نـوالاً غزيرا
فإن يكـنِ الشُّكرُ حُسْنَ الثنا ء بالعرفِ مِنّي تجدْني شكورا
بصيراً بمـا يستلـذُّ الـرّوا ةُ من مُحْكَم الشّعر حتّى يسيرا

فلمّا بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً ، ولم يعلمْ أحد بحضوره ، ثم قال له : قد عرفت خبرَك ، وإنّي متعجّل لك جائزتَك ساعتي هذه ، فإذا حضرتَ غداً فإنّي سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء ، وأزوِّدُك نفقة طريقِك وأصرفُك ، لئلاّ يبلغَ أبا جعفرٍ خبري فيُهلكني . فأمر له بمائتيْ دينار ، فلمّا أصبحَ أتاه ، فاستأذنه في الإنشاد ، فقال له : يا هذا لقد رميتَ بآمالك غير مرمًى ، وفي أيِّ شيءٍ أنا حتّى ينتجِعَني الشعراء ؟ لقد أسأتَ إليَّ لأنّي لا أستطيع تبليغك

1 الكور : الرحل .
2 العناة : جمع عان ، وهو الأسير .
3 الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المدجج بالسلاح .
4 العيسجور : الناقة الصلبة السريعة .

مَحابِّك[1] ، ولا آمَن سُخطك وذمَّك . فقال له : تسمع ما قلتُ فإنّي أقبل ميسورَك ، وأبسُط عُذْرَك . فاستَمَع منه كالمتكلِّف المتكرّه ، فلمّا فَرَغ قال لغلامه : يا غلام كم مبلغُ ما بقي من نفقتنا ؟ قال : ثلاثمائة درهم . قال : أعطه مائة درهمٍ لنفقة طريقه ، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله ، واحتبِس لنفقتنا مائة درهم . ففعل الغلام ذلك ، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً ، ولم يعرف أبو جعفرٍ خبره .

[بعض ما غنّي فيه من شعره]

أنشدني وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أمِّه ، لمطيع بن إياسٍ ، وفيه غناء : [من المنسرح]

واهاً لشخص رجوتُ نائلَه ... حتّى انثنى لي بِودِّهِ صَلَفا
لانَتْ حواشيهِ لي وأطمَعَني ... حتّى إذا قلت نلتُه انصرفا

قال : وأنشدني حمّاد أيضاً عن أبيه ، لمطيع بن إياسٍ ، وفيه غناءٌ أيضاً : [من مجزوء الوافر]

خليـلي مخلفٌ أبـدا ... يمنِّينـي غـداً فغَـدا
وبعـد غـدٍ وبعـد غدٍ ... كـذا لا ينقضِي أبَدا
لـه جمرٌ على كبِـدي ... إذا حَرَّكتُـه وَقَـدا
وليس بلابثٍ جَمْرُ الـ ... ـغَضى أن يُحرِق الكَبِدا

وفي هذه الأبيات لعَريب هزج .

[أطيب الأشياء]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال : حدّثنا العنزيّ عن مسعود بن بشرٍ قال : قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياسٍ : أيُّ الأشياء أطيبُ عندك ؟ قال : «صهباء صافية ، تمزجها غانية ، بماء غادية» .

قال : صدقت .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو عبد الله التميمي قال : حدّثنا أحمد بن عبيدٍ . وأخبرني عمِّي قال : حدّثنا الكُرّانيّ عن العمَريّ عن العُتْبيّ قال : سكر مطيع بن إياسٍ ليلةً ، فعربد على يحيى بن زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلَف بالطلاق : [من مجزوء الكامل]

لا تحلِفَـا بطلاقِ مَنْ ... أمسَتْ حوافرها رقيقَهْ
مهلاً فقـد علـم الأنا ... مُ بأنّها كانت صديقَهْ

---

1 محابك : ما تحب .

فهجره يحيى وحَلَف ألاّ يكلّمه أبداً ، فكتب إليه مطيع : [من الخفيف]

إنْ تصِلْني فمثلُك اليوم يُرْجى عفوُه الذَّنبَ عن أخيه ووَصْلُهْ
ولئن كنت قد هممتَ بهجري لِلذي قــد فعلتُ إنّي لأَهلُهْ
وأحَقُّ الرِّجال أن يَغفِر الذّنـ ـبَ لإخوانــه الموفَّــرُ عقلُهْ
الكريمُ الذي لــه الحسَبُ الثّا قبُ في قومه ومن طاب أصلُهْ
ولئــن كنتَ لا تصاحِب إلاَّ صاحباً لا تَزِلّ مـا عاشَ نعلُهْ
لا تجدْه وإن جهِدْتَ ، وأنَّى بـالذي لا يكـاد يُوجَد مثلُهْ
إنَّما صاحبي الذي يغفــر الذنـ ـبَ ويكفيــه مــن أخيه أقلُّهْ
الذي يَحفظُ القديمَ من العهـ ـد وإنْ زَلَّ صاحبٌ قلَّ عذلُهْ
ورعى مـا مضى مِن العهد مِنه حين يؤذِي من الجهالة جهلُهْ
ليس مَــن يُظهِــرُ المودّةَ إفْكاً وإذا قــال خالَف القولَ فِعلُهْ
وَصْلُه للصَّديق يــومٌ فإنْ طا لَ فيومــانِ ثــم ينبــتُّ حبلُهْ

قال : فصالحه يحيى وعاوَدَ عشرته .

[الجليس الثقيل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال : حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال : حدّثني أبي عن رجلٍ من أهل الشام قال : كنتُ يوماً نازلاً بدَير كعب ، قد قدمتُ من سفرٍ ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير معه ثَقَلٌ وآلةٌ وعَيبة ، فكان قريباً من موضعي ، فدعا بطعام فأكل ، ودعا الراهبَ فوهَبَ له دينارين ، وإذا بينه وبينه صداقةٌ ، فأخرج له شراباً فجلس يشربُ ويحدِّث الراهب ، وأنا أراهما ، إذْ دخل الدَّير رجل فجلس معهما ، فقطع حديثهما وثقُل في مجلسه ، وكان غثَّ الحديث ، فأطال . فجاءني بعض غِلمان الرجل النازل فسألته عنه ، فقال : هذا مطيع بن إياس . فلمّا قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً ، وجعل يشرب حتى سكر ، فلمّا كان من غدٍ رَحَلَ ، فجئت موضعَه فإذا فيه مكتوب : [من الخفيف]

طَرْبَةً مــا طرِبْتُ في دَيْــر كعبِ كدتُ أقضي من طَرْبتي فيه نَحْبي
وتذكّــرتُ إخوتــي ونَدامــا يَ فهــاج البكاءَ تَذْكارُ صحبي
حينَ غابوا شَتَّى وأصبحتُ فرداً ونــأَوْا بــينَ شرقِ أرضٍ وغَربِ

وهمُ ما هُم ، فحسبيَ لا أبْـ ـغي بدِيلاً بِهِم لعمرُكَ حسبي
طلحة الخيرِ منهمُ وأبو المُنْـ ـذِرِ خِلِّي ومالكٌ ذاكَ ترْبي
أيُّها الداخِلُ الثقيلُ علينا حينَ طاب الحديثُ لي ولِصَحْبي
خِفَّ عنّا فأنتَ أثقَلُ واللـ ـهِ علينا من فَرسَخَيْ دَيْر كعبِ
ومِن النّاس مَن يَخِفُّ ومِنهم كَرحى البَزرِ رُكِّبت فوقَ قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عمر بن محمد قال : حدّثنا الحسين بن جهور قال : تكايد مطيع بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وزادا [في العربدة] حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كلّمه به ممّا دار بينهما ، فقال مطيع : [من مجزوء الكامل]

لا تحلفَنْ بطلاقِ مَنْ أمستْ حوافِرُها رقيقَهْ
هيهاتَ قد علِمَ الأميـ ـرُ بأنَّها كانت صدِيقَهْ

فغضِب يحيى وحَلَفَ ألاَّ يكلِّم مطيعاً أبداً ، وكانا لا يكادان يفترقان في فَرَجٍ ولا حُزنٍ ، ولا شدّةٍ ولا رخاء ، فتباعد ما بين يحيى وبينه ، وتجافَيا مدّة ، فقال مطيعٌ في ذلك ، وندم على ما فَرَط منه إلى يحيى ؛ فكتب إليه بهذا الشِّعر ، قال : [من السريع]

كنت ويحيى كيد واحدةٍ نَرمِي جميعاً وترانا معا
إن عضَّني الدَّهرُ فقد عَضَّه يُوجِعُنا ما بعضَنا أوجعا
أو نامَ نامتْ أعين أربعٌ منّا وإن أسهرْ فلن يَهْجَعا
يسرُّني الدَّهرُ إذا سَرَّه وإنْ رماه فَلَنا فَجَّعا
حَتَّى إذا ما الشَّيب في مَفرِقي لاحَ وفي عارضه أسْرَعا
سَعى وُشاةٌ فمشَوْا بيننا وكاد حبلُ الودِّ أن يُقطَعا
فلم أُلُمْ يحيى على فِعْلِه ولم أُقُلْ مَلَّ ولا ضَيَّعا
لكنَّ أعداءً لنا لم يكن شيطانُهم يرى بنا مَطمَعا
بينا كذا غاص على غرة فأوقَدَ النِّيرانَ مستجمِعا
فلم يزل يُوقِدُها دائباً حَتَّى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسيّ ، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني . وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمِّه . قال إسحاق في خبره : «دخل رجلٌ على إخوانٍ يشربون» ، وقال الأصمعيّ : دخل سُراعة بن الزندبود على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد ، وعندهما قينةٌ تغنِّيهما ، فسقَوه أقداحاً وكان على الريق ، فاشتدَّ ذلك عليه ، فقال مطيعٌ للقينة : غنِّي سراعةَ . فقالت له : أيّ

شيء تختار ؟ فقال : غنّي : [من المتقارب]

طبيبـيّ داويتُما ظاهـراً فمن ذا يـداوي جَوًى باطنا

ففطِن مطيعٌ لمعناه ، فقال : أبِك أكل ؟ قال : نعم . فقدَّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم .

[شعره في محمد بن سالم]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن هارون الأزرَقيّ مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال : حدّثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشميّ عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يهوى ابنَ مولًى لنا يقال له محمد بن سالم ، فأخرجتُ أباه إلى ضيعةٍ لي بالريّ لينظر فيها ، فأخرجه أبوه معه ، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

أيا ويحَه لا الصبّر يملك قلبه فيصبرَ لَمّا قِيل سار محمدُ
فلا الحزنُ يُفنيه ففي الموت راحةٌ فحتّى متى في جهده يتجلَّدُ
قد اضحى صريعاً بادياتٍ عظامُه سِوى أنَّ روحاً بينها تتردّدُ
كئيباً يمنّي نفسَه بلقائه على نأيه واللهُ بالحزن يشهدُ
يقول لها صبراً عَسى اليوم آئبٌ بإلفك أو جاء بطلعته الغَدُ
وكنتَ يداً كانت بها الدهر قُوّتي فأصبحت ما لي منذ فارقني يدُ

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلتُ عن نِسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه : [من المتقارب]

صوت

طبيبيَّ داويتُما ظاهرا فمن ذا يداوي جوًى باطنا
فقوما اكوياني ولا تَرحَما من الكيِّ مستحصِفا راصِنا[1]
ومُرّا على منزل بالغُمَيم فإنّي عهدتُ به شادنا
فَتورَ القيام رخيمَ الكلا مِ كانَ فؤادي به راهنا

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزُّبير بن بكارٍ ، لعمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيلٍ القرشيّ العدويّ ، والغناء لمعبدٍ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمرٍو ، وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تَشبَّه فيه بالأوائل . ولو قال قائل : إنّه أحسَنُ صنعةٍ له صَدَق .

1 المستصحف : الشديد .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، أنّ غيلان بن خرشةَ الضَّبِّيَّ دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة ، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هُمْ ، حتّى غنّت القينة : [من المتقارب]

طبيبـيَّ داويتُما ظاهـراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا

وكان أعرابيّاً جافياً به لوثة[1] ، فغضِب ووثَب وهو يقول : السوط وربِّ غيلانَ يُداوِي ذلك الجوى ! وخرج من عندهم .

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيره ، ولكنّ ذكرَه هاهنا حسن فذكرته .

وممّا فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

[من الكامل]

أمسيتُ جَمَّ بلابـلِ الصدرِ ... دهـرا أزجيّـهِ إلى دهـرِ

إن فُهت طُلّ دمي وإن كُتِمتْ ... وقَـدَت عليّ توقّـدَ الجمرِ

الغناء لحكم الوادي ، هزج بالبنصر عن حبشٍ والهشاميّ .

[مطيع وجوهر]

أخبرني ابن الحسين قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال : دخلت علينا جوهر المغنّية جارية بربر[2] ، وكانت محسنةً جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بنُ إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل عليها بنظره وحديثه ، ثم قال : [من مجزوء الخفيف]

ولقد قلـتُ مُعلناً ... لسعيـدٍ وجعفـرِ

إن أتتنـي مَنيّتـي ... فدمي عنـد بربـرِ

قتلتْنـي بمنعهـا ... ليَ من وصْل جوهرِ

قال : وجوهر تضحك منه .

[هجاء حماد عجرد]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال : بلغ مُطيعَ بن إياسٍ أن حماد عجردٍ عابَ شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في مُنقذ بن بدرٍ الهلاليّ ، فأجابه مُنقِذٌ عنه بجوابٍ ، فاستخفّهما حمّاد عجرد ، وطعن عليهما ، فقال فيه مطيع : [من مجزوء الخفيف]

1 لوثة : مس من الجنون .

2 ل : يزيد .

أيّها الشاعِرُ الذي عـاب يحيـى ومُنقِذا
أنتَ لـو كنتَ شاعرا لم تقـل فيهمـا كذا
لستَ والله فاعلمـنّ لـدى النقدِ جِهبذا[1]
تعـدِلِ الصبرَ بالرضا ء وصفواً إلى القذى

[مطيع ومكنونة]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال : كنت جالساً مع مطيع بن إياس ، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانية ، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها ، فلم تسلّم ، وعبِث بها مطيعُ بنُ إياسٍ فشتمته ، فالتفت إليّ وأنشأ يقول : [من المجتث]

فديـتُ مـن مـرّ بنا يومـاً ولم يتكلّـمْ
وكان فيما خلا منـ ـه كلّمـا مـرّ سلّمْ
وإنْ رآنِـيَ حيًّـا بطرفـه وتبسّمْ
لقـد تبـدّل ، فيما أظـنّ ، والله أعلمْ
فليت شِعريَ مـاذا علـيّ في الودّ يَنْقَمْ
يـا ربِّ إنّك تعلمْ أنّي بمكنـونَ مغرَمْ
وأنّنـي في هواهـا ألقـى الهوان وأعظَمْ
يـا لائِمي في هواها احفظْ لسانك تَسْلَمْ
واعلم بأنّك مهمـا أكرمت نفسَك تُكرَمْ
إنّ الملولَ إذا مـا مـلّ الوصالَ تجرّمْ[2]
أو لا فما ليَ أُجفى من غير ذنب وأُحرَمْ[3]

[تشبيب بجوهر ثم هجر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر ، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر . وفيها يقول ؛ ولحكم فيه غناء : [من الهزج]

خـافي اللهَ يـا بربـرْ لقـد أفسدتِ ذا العسكرْ
إذا مـا أقبلـت جوهـرْ يفـوح المسكُ والعنبـرْ

1 الجهبذ : النقاد الخبير .
2 تجرم عليه : ادعى عليه لم يفعله .
3 وأحرم في ل : وأصرم .

وجوهـرُ دُرّة الغـوّا ص مـن يمْلكُها يُحبَرْ[1]
لهـا ثغْـرٌ حكـى الدرّ وعَيْنـا رَشإٍ أحـورْ

في هذه الأبيات هزج لحكمٍ الواديّ . قال وفيها يقول : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرهْ في قيـاس الـدرر المشْتَهِرَهْ
أو كشمسٍ أشرقت في بيتها قذفـتْ في كلّ قلب شرَرَهْ
وكأنّي ذائـقٌ مـن فمهـا كلّمـا قبّلـتُ فاهـا سُكّرَهْ
وكأنّي حـين أخلـو معهـا فائـز بالجنّـة المُخْتَضِرَهْ

قال : فجاءها يوماً ، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها ، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصَّحَّاف يهواها متخلٌّ معها ، فقال مطيع يهجوها : [من الخفيف]

نـاك والله جوهـرَ الصَّحَافُ وعليها قميصُهـا الأفوافُ[2]
شامَ فيها أيراً لـه ذا ضُلوع لم يشِنهُ ضعفٌ ولا إخطافُ[3]
جَـدَّ دفْعاً فيهـا فقالت ترفّقْ مـا كذا يـا فتى تُناك الظّرافُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال ، قال محمد بن صالح بن النطاح : أُنشِد المهديُّ قول مطيع بن إياسٍ : [من الهزج]

خـافي اللهَ يـا بربـرْ لقد أفتنتِ ذا العسكرْ
بـريح المسك والعنبر وظبـي شادنٍ أحـورْ
وجوهـر درّة الغـوّا ص مـن يَملكُها يُحْبَرْ
أمـا والله يـا جوهر لقد فُقتِ على الجوهرْ
فـلا والله مـا المهديُّ أولى منـك بـالمِنبرْ
فإن شئتِ ففـي كفيْـ ـكِ خلعُ ابنِ أبي جعفرْ

فقال المهديّ : اللهمّ العنهما جميعاً ، ويلكم ! اجمَعوا بين هذين قبل أن تخلعَنا هذه القحبة . وجعل يضحك من قول مطيع . ووجدتُ أبياتَ مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن عليّ أتمّ من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأوّلين : [من الخفيف]

زعموها قالت وقد غاب فيها قائمـاً في قيامـه استحصافُ

---

1 يحبر : يُسَرُّ .
2 الأفواف : الرقيق .
3 إخطاف : ضمور .

وهو في جـــارة استِها يتلظَّى   يـا فتـى هكذا تُناك الظِّرافُ
ناكهـــا ضيفُهـــا وقبَّل فاهـــا   يا لقَومي لقد طغـى الأضيافُ
لم يــزَل يرهَــزُ الشهيَّةَ حتى   زال عنها قميصُها والعِطافُ[1]

وقال هارون بن محمدٍ في خبره : بيعت جوهرُ جارية بربر ، فاشترتها امرأة هاشمية من ولدِ سليمان بن علي كانت تغنّي[2] بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تبعـدي يــا جوهــرُ   عنّـــا وإن شطَّ المزارُ
ويْلِي لقـــد بعُـدت ديا   رُكِ سُلِّمت تلـك الديارُ
يُشفى بريقتهـــا السَّقا   مُ كأنَّ ريقتَهـــا العُقارُ
بيضاءُ واضحـــة الجبيـ   ـنِ كأن غُرّتهـــا نهارُ
القلب قلبـي وهْـو عنـ   ـد الهاشميّـــةِ مستعارُ

[هجاء كلواذى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال : حدّثنا علي بن منصورٍ المؤدّب أنّ صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بِكَلواذى ، فمضى إليها ، فلم يستطبها ، فقال يهجوها : [من الخفيف]

بلــدة تُمطِر الترابَ على النـا   س كما يُمطر السماءُ الرذاذا[3]
وإذا مـــا أعـــاذ ربّـي بلاداً   من خراب كبعضِ ما قد أعاذا
خرِبت عاجلاً ولا أُمهِلَتْ يو   مـاً ولا كان أهلُهـــا كَلْواذى

[عبث مطيع وأصحابه بالتاجر الكوفيّ]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحيّ قال حدّثني عافية بن شبيب بن خاقان التميميّ أبو معْمَر قال : كان لمطيع بن إياسٍ مُعامِل من تجـار الكوفة ، فطالت صحبته إيّاه وعشرته له حتى شرب النبيذ ، وعاشر تلك الطبقة ، وأفسدوا دينه . فكان إذا شرب يعمل كما يعملون ، وقال كما يقولون ؛ وإذا صحا تهيّب ذلك وخافـه . فمرّ يوماً بمطيع بن إياسٍ وهـو جالس على باب داره ، فقال له : مِن أين أقبلت ؟ قـال : شيَّعتُ صديقاً لي حجّ ، ورجعتُ كما ترى ميّتاً من ألمِ الحرِّ والجوعِ والعطشِ . فدعا مطيع بغلامه وقال له : أيّ شيء عندك ؟ فقال له : عندي من الفاكهة كذا ، ومن البوارِدِ

1 العطاف : الرداء .
2 ل : تفتن .
3 التراب في ل : السحاب .

والحارّ كذا ، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا ، وقد رُشّ الخيشُ وفُرِغَ من الطعام . فقال له : كيف ترى هذا ؟ فقال : هذا والله العيش وشِبْه الجنّة . قال : أنتَ الشريك فيه على شريطةٍ إن وفَيتَ بها وإلاّ انصرفتَ . قال : وما هي ؟ قال : تشتِمُ الملائكة وتنزل . فنفَر التاجر وقال : قَبحَ الله عِشرَتَكم قد فضحتموني وهتكتموني . ومضى فلم يبعدْ حتى لقيه حمّاد عجردٍ فقال له : ما لي أراك نافراً جزِعاً ؟ فحدّثه حديثَه . فقال : أساء مطيعٌ ، قَبَحه الله ، وأخطأ ، وعندي والله ضِعف ما وَصفَ لك ؛ فهل لك فيه ؟ فقال : أشدّ الهلّ ، بي والله إليه أعظم فاقة . قال : أنت الشريك فيه على أن تشتمَ الأنبياء فإنّهم تعبَّدونا بكلّ أمرٍ مُعنِتٍ متعِبٍ ، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم . فنفر التاجر وقال : أنت أيضاً فقبحَك الله ، لا أدخلُ ؛ ومضى فاجتاز بيحيى بن زيادٍ الحارثيّ فقال له : ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعاً ؟ فحدّثه بقصّته . فقال : قَبحَهما الله ! لقد كلّفاك شَطَطاً ، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما ، وعندي والله أضعاف ما عندهما ، وأنت الشريك فيه على خصلةٍ تنفعك ولا تضرُّك ، وهي خلاف ما كلفاك إيّاه من الكفر . قال : وما هي ؟ قال : تصلي ركعتين تُطِيل ركوعهما وسجودهما ، وتصليهما وتجلس ، فنأخذ في شأننا . فضجر التاجرُ وتأفّف وقال : هذا شرٌّ من ذاك ، أنا تعِبٌ ميّت ، تُكلّفني صلاةً طويلةً في غير برٍّ ولا لإطاعة يكون ثمنها أكل سُحتٍ[1] وشرب خمر وعِشرة فَجَرةٍ وسماع مغنياتٍ قِحابٍ . وسبّه وسبّهما ومضى مغضَباً . فبعث خلفه غلاماً وأمره بردّه ، فردّه كَرهاً ، وقال : انزِل الآن على ألاّ تُصلّيَ اليوم بتةً . فشتمه أيضاً وقال : ولا هذا . فقال : انزل الآن كيف شئتَ وأنت ثقيل غير مساعدٍ . فنزل عنده . ودعا يحيى مطيعاً وحماداً ، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه ، ثم قُدّم الطعام ، فأكلوا وشربوا وصلّى التاجر الظهر والعصر ، فلمّا دبّت الكاس فيه قال له مطيع : أيُّما أحبّ إليك : تشتمُ الملائكة أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له حماد : أيما أحبّ إليك : تشتمُ الأنبياء أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له يحيى : أيما أحبّ إليك : تصلّي ركعتين أو تنصرف ؟ فقام فصلّى الركعتين ، ثم جلس فقالوا له : أيما أحبّ إليك : تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف ؟ قال : بل أتركها يا بَني الزانية ولا أنصرف . فعمل كلَّ ما أرادوه منه .

[المهديّ يهدده ثم يجيزه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكوني قال : رفع صاحب الخبر إلى المنصور أنّ مطيع بن إياسٍ زِنديقٌ ، وأنّه يعاشر ابنه جعفراً وجماعةً من أهلِ بيته ، ويوشك أن يفسدوا أديانهم ويُنسَبوا إلى مذهبه . فقال له المهديّ : أنا به عارف ، أمّا الزندقة

1 السحت : ما خبث من الكسب وحرم .

فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحِلّ للمحارم . قال : فأحضره وانهَهُ عن صحبةِ جعفر وسائر أهله . فأحضره المهديّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي ، والله لقد بلغني أنهم يتقادَعون[1] عليك ، ولا يتمّ لهم سرورٌ إلاّ بك ، فقد غرّرتَهم وشهّرتهم في الناس ، ولولا أنّي شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة ممّا نُسبتَ إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك . وقال للربيع : اضربه مائتي سوطٍ واحبسه . قال : ولِمَ يا سيدي ؟ قال : لأنك سِكّيرٍ خمّير قد أفسدت أهلي كلّهم بصحبتك . فقال له : إن أذِنتَ وسمعتَ احتججتُ . قال : قل . قال : أنا امرؤ شاعر ، وسُوقي إنمّا تنفُق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا في أيّامكم مُطرَّحٌ ، وقد رضيتُ فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك عشيرة غيري ، وأصفيتُه على ذلك شكري وشِعري ، فإن كان ذلك عائباً عندك تبتُ منه . فأطرق ، ثم قال : قد رفع إليّ صاحب الخبر أنّك تتماجَن على السُّؤّال وتضحك منهم . قال : لا والله ، ما ذلك من فعلي ولا شأني ، ولا جرى منّي قطّ إلاّ مرّة ؛ فإنّ سائلاً أعمى اعترضني ، وقد عبَرتُ الجسرَ على بغلتي ، وظنّني من الجند ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهمّ سخر الخليفة لأن يُعطيَ الجندَ أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة ، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم ، فتجبَ فيها الزكاة عليهم ، فيصدّقوا عليّ منها . فنفرت بغلتي من صياحه ورفعِه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء ، فقلت : يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك ، سلِ الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يُحتاج إليها ، فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ، ورُفع عليّ في الخبر قولي له هذا . فضحك المهدي وقال : خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبس . فقال له : أدخل عليك لِمَوجِدة وأخرج عن رضًى وتبرأ ساحتي من عَضِيهة[2] وأنصرف بلا جائزة ؟ قال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير ، فيتجدّد عنده ذنوبه . قال : وكان المهديّ يشكر له قيامه في الخطباء ووضعَه الحديث لأبيه في أنه المهديُّ . فقال له : اخرج عن بغداد ودَعْ صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين ثم عد إليّ . فقال له : فأين أقصد ؟ قال : أكتب لك إلى سليمان بن عليّ فيُولّيك عملاً ويُحسِن إليك . قال : قد رضيتُ فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي ، فولاّه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هندٍ ، فعزله به .

حدّثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أنّ مطيع بن إياسٍ قدِم على سليمان بن علي بالبصرة ، وواليها على الصدقة داود بن أبي هند ، فعزله وولّى عليها مطيعاً .

---

1 يتقادعون : يتهافتون .

2 العضيهة : الإفك والبهتان .

[هجاء مالك بن أبي سعدة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال : كان مالك بن أبي سَعدة عمّ جابرٍ الشطرنجيّ جميل الوجه حسن الجسم ، وكان يعاشر حمّاد عجردٍ ومطيع بن إياس ويشرب معهما ثمّ فسَد ما بينهما وبينه وتباعد . فقال حماد عجردٍ يهجوه : [من المتقارب]

أتـوبُ إلى الله مـن مالكٍ   صديقاً ومن صُحبتي مالكا
فـإن كنـتُ صاحبتُهُ مـرّةً   فقد تبتُ يا ربِّ من ذلكا

قال : وأنشدها مطيعاً ، فقال له مطيع ، سخِنت عينُك ! هكذا تهجو الناس ؟ قال : فكيف كنت أقول ؟ قال : كنتَ تقول : [من مجزوء الخفيف]

نظرةً مـا نظرتُهـا   يـوم أبصرتُ مالِكا
في ثياب مُعَصْفَـرا   تِ على الوجه بارِكا
تركتْنـي ألُـوط مـن   بعد مـا كنتُ ناسكا
نظرة مـا نظرتُهـا   أو ردّتْنـي المهالكا

[حبذا أيام بني أمية]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور ، فطالت صحبتُه له بغير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحماد عجرد ويحيى بن زياد ، فتذاكروا أيّام بني أمية وسَعتَها ونَضرتَها وكثرة ما أفادوا فيها ، وحسْنَ مملكتهم وطيبَ ذَراهم بالشام ، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيّام المنصور ، وشدّة الحرّ ، وخشونة العيش ، وشكوا الفقرَ فأكثروا ، فقال مطيع بن إياس : قد قلتُ في ذلك شعراً فاسمعوا . قالوا : هات . فأنشدهم : [من الخفيف]

حبّذا عيشُنا الذي زال عنّـا   حبّذا ذاك حـين لا حَبَّذا ذا
أين هذا مـن ذاك سَقياً لهذا   ك ولسنا نقـول سَقيـا لهـذا
زاد هـذا الزمانُ عُسراً وشرّاً   عندنـا إذ أحلّنـا بغْـداذا
بلدة تُمطر التُرابَ عـلى النا   س كما يمطـر السماءُ الرّذاذا
خَرِبت عاجلاً وأُخرب ذو العر   ش بأعمـالِ أهلِهـا كَلْواذى

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال : لمّا خرج حمّاد مع محمد بن العبّاس إلى البصرة ، عاشر جماعةً من أهلها وأربابها وشعرائها ، فلم يجدْهم كما يريد ، ولم يستطِبْ عِشرتهم واستغلظ طبعَهم ، وكان هو ومطيع بن إياسٍ وحمادٌ الراوية ويحيى بن زيادٍ كأنّهم نفس واحدة ، وكان أشدَّهم أُنْساً به مطيع بن إياس ، فقال حمادٌ يتشوّقه : [من مجزوء الرمل]

لستُ واللهِ بناسٍ ... لِمطيع بن إياسِ
ذاك إنسانٌ له فضْـ ... ـلٌ على كلِّ أُناسِ
غـرَسَ الله له في ... كبدي أحلى غِراسِ
فإذا ما الكاسُ دارتْ ... واحتساها مَن أُحاسي
كان ذِكرانا مُطيعا ... عندها رَيحانَ كاسي

[تشوّقه إلى يحيى بن زياد]

حدّثنا عيسى بن الحسين عن حمّادٍ عن أبيه قال: دعا مطيع بن إياسٍ صديقاً له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ، يقال له بستان صَبّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهل الكرخِ مُردٍ وشبّان، ومغنين ومغنّيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زيادٍ الحارثيّ يخبره بأمره ويتشوّقه، قال: [من السريع]

كم ليلةٍ بالكرخ قد بِتُّها ... جـذلانَ في بستانِ صَبّاحِ
في مجلس تنفَحُ أرواحُـه ... يـا طِيبَها مِـن ريح أرْواحِ
يُدِيـر كأساً فـإذا مـا دَنَت ... حُفَّت بأكـوابٍ وأقـداحِ
في فِتيـةٍ بيض بهاليلَ مـا ... إن لَهـمُ في النـاس من لاحِ
لم يَهْنني ذاك لفقْد امـرىء ... أبيضَ مثـلِ البـدرِ وضّاحِ
كأنّمـا يُشرق مـن وجهه ... إذا بـدا لي ضـوءُ مِصْباحِ

قال: فلمّا قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يُصلحهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أيّاماً على قصْفهم حتى ملّوا، ثم انصرفوا.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إياس: جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبْوةِ[1] ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفِها البيدَ وما أشبه ذلك، فقال: [من الطويل]

لأَحسَن مـن بِيدٍ يحارَ بِها القَطا ... ومِـن جَبَلَيْ طَيٍّ ووصفِكما سَلْعا
تَلاحُظُ عَيْنَـيْ عاشِقَين كلاهما ... له مُقلةٌ في وجـه صاحبِه ترعى

[عتاب المهدي له]

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو المَضاء قال: عاتب المهديّ مطيع بن إياسٍ في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن

1 الصبوة: جهلة الفتوة.

كان ما بلغك عنّي حقّاً فما تُغني المعاذير ، وإن كان باطلاً فما تضرّ الأباطيل . فقبِل عذرَه وقال : فإنّا ندعُك على جملتِك ولا نكشفك .

[مع جوهر المغنية]

حدّثني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : اجتمع حمّاد الراوية ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ وحكَمٌ الوادي يوماً على شراب لهم في بستانٍ بالكوفة ، وذلك في زمن الربيع ، ودعَوْا جوهرَ المغنّية ، وهي التي يقول فيها مطيع : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عنـدي جوهره ... في قيـاسِ الـدّررِ المشتهرَه

فشربوا تحت كرمٍ معروشٍ حتى سكِروا ، فقال مطيع في ذلك : [من مجزوء الوافر]

صوت

خرجنـا نمتطِي الزهرا ... ونجعـلُ سقفَنا الشجرا
ونشربُهـا مُعتَّقَـةً ... تَخـالُ بكأسِها شَرَرا
وجوهرُ عندنـا تحكي ... بِـدارةِ وجهِها القمرا
يزيدك وجهُهـا حُسْنا ... إذا مـا زدتَـه نظـرا
وجوهـرُ قـد رأيناها ... فلـم نَـرَ مثلَها بَشَرا

غنّى فيه حكم الوادي غناءً خفيفاً ، فلم يزالوا يشربون عليه بقيّة يومهم . وقد رُوي أنّ بعض هذا الشعر للمهديّ وأنّه قال منه واحداً ، وأجازه بالباقي بعض الشعراء . وهذا أصحّ . لحن حكمٍ في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى .

[عقوقه لأبيه]

حدّثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثني حمّاد عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس عاقّاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه ، فأقبل يوماً من بُعْد ، ومطيع يشرب مع إخوان له ، فلمّا رآه أقبل على أصحابه فقال : [من مجزوء الكامل]

هـذا إيـاسٌ مُقبـلاً ... جاءت به إحدى الهَناتِ[1]
هـوْزٌ فُـوه وأنفُـه ... كَلَمُنٌ في إحدى الصّفاتِ
وكأنّ سعْفَصَ بطنُـه ... والثغـرَ شـين قُرَيِّشاتِ
لّمـا رأيتـك آتيـاً ... أيقنـتُ أنّـكَ شرٌّ آتِ

1 الهنات : الشرور .

[مدح معن بن زائدة]

حدّثني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكونيّ قال : مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوّلها : [من المنسرح]

أهْـلاً وسهـلاً بسيّد العـربِ … ذِي الغُرَرِ الواضحاتِ والنُّجبِ
فتى نـزارٍ وكهْلِها وأخي الـ … ـجودِ حَوى غايَتَيْهِ من كَثَبِ
قيـل أتـاكم أبـو الوَليـد فقا … ل الناس طُرّاً في السهلِ والرَّحَبِ
أبـو العُفاةِ الذي يلـوذُ بـه … من كانَ ذا رغبةٍ وذا رهَبِ
جاء الذي تُفـرَجُ الهمومُ بـه … حين يُلَـزُّ الوَضين بالحَقَبِ[1]
جاء وجـاء المضاءُ يقدُمُه … رأيٌ إذا هـمّ غيرُ مؤتَشِبِ[2]
شهْمٌ إذا الحربُ شبّ دائرُها … أعادهـا عَـوْدةً على القُطُبِ
يطفىء نيرانَهـا ويوقدُهـا … إذا خبَت نارُها بـلا حطبِ
إلاّ بوقـعِ المُذكَّراتِ يُشَبِّهْـ … ـنَ إذا مـا انتَضِينَ بالشُّهُبِ[3]
لم أرَ قِرْنـاً لـه يُبـارزُه … إلاّ أراه كالصقْـر والخَرَبِ[4]
ليْثٌ بخَفَّانَ قـد حَمى أُجَماً … فصار منهـا في منزل أشِبِ[5]
شبْلاه قـد أُدّبـا بـه فهُمـا … شِبْهاهُ في جِـدِّه وفي لعِبِ
قـد ومِقـا شكلَه وسيرتَـه … وأحكما منـه أكرمَ الأدبِ[6]
نعـم الفتى تُقرنَ الصّعابُ به … عنـد تَجاثي الخصومِ للرُّكَبِ
ونعـم مـا ليلة الشتاء إذا اسـ … ـتُنْبِحَ كلبُ القِرى فلم يُجِبِ
لا ونَعَـمْ عنـده مخالفـة … مثل اختلاف الصَعود والصَّببِ
يَحْصَر مِن لا فـلا يهمُّ بها … ومنه تُضحي نَعَـمْ على أُرَبِ
ترى لـه الحِلْمَ والنُّهى خُلُقا … في صولة مثل جاحِمِ اللَّهَبِ
سيف الإمامَـين ذا وذاك إذا … قـلّ بنـاةُ الوفـاء والحسبِ

1 يلز : يقرن . الوضين : بطان عريض منسوج من شعر أو سيور . الحقب : الحزام .
2 مؤتشب : مختلط ، أي أنه غير متردد .
3 المذكرات : جمع مذكر ، وهو السيف .
4 الخرب : ذكر الحبارى .
5 خفان : موضع كان مأسدة ، ومنه المثل : ليث بخفان خادر . الأشب : الكثير الشجر .
6 ومقا : أحبا .

ذا هَـوْدَةٍ لا يُخـاف نبوتُها ودينُـه لا يُشابُ بـالريبِ[1]

فلمّا سمعها معن قال له : إن شئتَ مدحناك كما مدَحتنا وإن شئت أثبناك . فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب ، فأنشأ يقول لمعنٍ : [من الوافر]

ثناءٌ مـن أميرٍ خيرُ كسْبٍ لصاحبِ مغنمٍ وأخي ثراء
ولكنّ الزمانَ بَرى عِظامي وما مِثلُ الدراهمِ من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال : لقد لَطَفتَ حتى تخلّصتَ منها ، صدقت ، لعَمري ما مثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ ، وخلع عليه وحمَله .

[ضرطة صديقه الأعرابيّ]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني المهلّبيّ عن أبيه عن إسحاق قال : كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه ، فضرط ذات يومٍ وهو عنده ، فاستحيا وغاب عن المجلس . فتفقّده مطيع وعرف سبب انقطاعه ، فكتب إليه وقال : [من البسيط]

أظهرت منك لنـا هجراً ومقلِيةً وغبتَ عنّا ثلاثـاً لست تغشانا[2]
هَوِّن عليك فما في الناس ذو إبلٍ إلاّ وأينقُـه يَشْردن أحيـانا

[مجون مطيع وأصحابه في الصلاة]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس ، فحدّثنا عنه قال : اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم ، فشربوا أيّاماً تباعاً ، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكارى : ويْحكم ! ما صلينا منذ ثلاثة أيّامٍ فقوموا بنا حتى نصلّي . فقالوا : نعم . فقام مطيع فأذّن وأقام ، ثم قالوا : من يتقدّم ؟ فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنّية : تقدّمي فصلّي بنا . فتقدّمت تصلّي بهم عليها غلالةٌ رقيقة مطيَّبة بلا سراويل ، فلمّا سجدت بان فرجها ، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبّله وقطع صلاته ، ثم قال : [من المتقارب]

ولّمـا بـدا فرجها جاثماً كرأس حلِيـقٍ ولم يَعتمِدْ
سَجدتُ إليـه وقبَّلتُـهُ كما يفعل الساجدُ المجتهدْ

فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا وعادوا إلى شربهم .

[تهنئته المهديّ]

حدّثني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن

1 الهودة : التوبة والرجوع إلى الحق .
2 مقلية : بغضاً .

القاسم مولى الهادي قال : كتب المهديّ إلى أبي جعفر يسأله أن يُوجّه إليه بابنه موسى ، فحمله إليه ، فلمّا قدم عليه قامتِ الخطباء تهنئه ، والشعراء تمدحه ، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه ، فقام مطيع بن إياس فقال : [من مجزوء الرمل]

أحمَــدُ اللهَ إلهَ الــ ـــخلق ربَّ العالمينا
الذي جــاء بموسى سالمـــاً في سالمينـا
الأميرِ ابن الأمير ابـــ ـــن أميـرِ المؤمنينا

فقال المهديّ : لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع . فأمسك الناس ، وأمر له بصلة .

[نصيحته يحيى بن زياد]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب لأبي سعيدٍ السكّرى بخطّه . قال : حدّثني ابن أبي فنن ، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائنيّ عن ابن أبي الدواهي ، وخبر السكري أتمّ واللفظ له ، قال : كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قِيان ، وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ ، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه ، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمّاد عجردٍ وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويُطرِفونه[1] ، وكلّهم كان يعشق ابنه أصبغ ، حتى كان يوم نَوْروز وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبحَ مع يحيى بن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً ؛ فقال أبو الأصبغ لجواريه : إنّ يحيى بن زيادٍ يزورنا اليوم ، فأعدِدْن له كلَّ ما يصلح لمثله . ووجّه بغلمانٍ له ثلاثةٍ في حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل ، فلمّا جاءه استأذن له الغلام ، فقال له يحيى : قل له يدخل ، وتنحّ أنت واغلقْ الباب ولا تَدَعِ الأصبغ يخرج إلاّ بإذني . ففعل الغلام ودخل الأصبغ ، فأدّى إليه رسالة أبيه ، فلمّا فرغ راوده يحيى عن نفسه . فامتنع ، فثاوره[2] يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حَلّ تِكّته ، فلم يقدر عليها ، فقطعها وناكه . فلمّا فرغ أخرج من تحت مُصلاّه أربعين ديناراً ، فأعطاه إيّاها ، فأخذها ، وقال له يحيى : امض فإنّي بالأثر . فخرج أصبغُ من عنده ، فوافاه مطيعُ بن إياس ، فرآه يتبخَّر ويتطيّب ويتزيّن ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ، وشمَخَ بأنفه ، وقطّب حاجبيه ، وتفخّم ؛ فقال له : ويحك ما لك ؟ نزل عليك الوحي ؟ كلمتك الملائكة ؟ بويع لك بالخلافة ؟ وهو يوميء برأسه : لا لا ، في كلّ كلامه . فقال له : كأنّك قد نكتَ أصبغ بن أبي الأصبغ قال : إي والله الساعة نكته . وأنا اليوم في دعوة أبيه . فقال مطيع : فامرأته طالق إن فارقتك أو نقبّل

1 يطرفونه : يهدون إليه الطريف .

2 ثاوره : واثبه .

متاعَك . فأبداه له يحيى حتى قبّله ثم قال له : كيف قدَرتَ عليه ؟ فقال يحيى ما جرى وحدّثه بالحديث ، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ . فتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنعُ معي والرجل لم يدْعُك ؟ وإنّما يريد الخَلوة . فقال : أشَيّعُك إلى بابه ونتحدّث . فمضى معه ، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع ، فصبَر ساعة ، ثم دقّ الباب فاستأذن ، فخرج إليه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغُل لا أتفرّغ معه لك . فتعذّر . قال : فابعث إليّ بدواةٍ وقرطاس ، فكتب إليه مطيع : [من الرمل]

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على ... كلّ حال ناعماً مُتَّبَعا
لا تصيِّرنيَ في الودّ كمن ... قَطعَ التِّكّة قطْعاً شَنِعا
وأتى ما يشتهي لم يَثْنِه ... خيفةٌ أو حفظُ حقّ ضَيّعا
لو ترى الأصبَغَ مُلقًى تحتَه ... مستكينا خَجلا قد خَضَعا
ولَهُ دفْعٌ عليه عَجِل ... شَبِقٌ ساءَكَ ما قد صنَعا
فادعُ بالأصبغِ واعلم حالَه ... ستَرى أمراً قبيحاً شنِعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتَها يا ابن الزانية ؟ قال : لا والله . فضرب بيده إلى تِكّة ابنه ، فرآها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة ، فتلكّأ الغلام ، فقال له يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى بي إليك مطيعٌ ابن الزانية ، وهذا ابني وهو والله أفْره من ابنك ، وأنا عربيّ ابن عربيّة وأنتَ نَبَطيّ ابن نَبَطيّة ، فنِك ابني عشر مرّات مكان المرّة التي نكتُ ابنك ، فتكون قد ربحتَ الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحك وضحك الجواري ، وسكن غضب أبي الأصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة . فرمى بها إليه ، وقام خجِلاً ، وقال يحيى : والله لا أُدخِل مطيعٌ الساعي ابن الزانية . فقال أبو الأصبغ وجواريه : والله ليدخلنّ ، فقد نصحنا وغشَشْتَنا . فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكلّ لسان ، وهو يضحك .

[مكايدون في مجلس الأمير]

أخبرني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا الكرانيّ عن العُمريّ عن العتبيّ قال : حضر مطيع بن إياس وشُراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحُباب وعبد الله بن العيّاش المنتوف وحمّاد عجرد ، مجلساً لأميرٍ من أمراءِ الكوفة ، فتكايدوا جميعاً عنده ، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ، ويهجونه فغلبهم جميعاً ، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما : [من البسيط]

وخَمسةٍ قد أبانوا لي كِيادَهُمُ ... وقد تلظّى لهم مِقْلًى وطِنْجيرُ[1]

---

1 طنجير : وعاء تعمل فيه الحلوى .

لو يقدرون على لحمي لمزّقه قردٌ وكلبٌ وجِرْواهُ وخِنزيرُ

[اللذة المضاعفة]

أخبرني وكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنّه في تَخت[1]، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

[تعريض حمّادٍ بمطيع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: كان حمّادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حَلَقيّاً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: مَن يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حمّاد: نعم هذا شعر الحطيئة لّما حضر الكوفة وصار بها حَلَقياً. يعرّض حمّاد بأنّه كذاب، وأنّه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

[خاطب لمودته]

حدّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني محمد بن إسحاق البغويّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن الفضل قال: جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لَمن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألاّ تقبلَ فيّ قولَ قائلٍ. ويقال إنّ الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذِكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم. فذكر الجاحظ أنّ مطيعاً حلف أنّها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتِفاها ومأكمتاها، فتدحرج تحتها الرمانَ فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنّه قالها في امرأة من أبناء الدّهاقين كان يهواها، وشعره يدلّ على صحة هذا القول، والقول الأوّل غلط.

[شوقه إلى جودانة]

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالمٍ قال: أخبرني مطيع بن إياس الليثيّ، وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجّاج بن يوسف، أنّه كان مع سَلْم بن قتيبة، فلمّا خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصتّه على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبّها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتُها وندمتُ على ذلك بعد خروجي وتمنّيت أن أكون أقمتُ؛ وتتبَّعْتها نفسي، ونزلنا حلوان،

1 التخت: وعاء من خشب أو نسيج لصيانة الثياب.

فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلي وعنان دابّتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت الجارية واشتقتُها وقلت : [من الخفيف]

أسعِداني يــا نخلتَيْ حُلْوانِ ... وابكيا لي من ريْبِ هذا الزمانِ
واعلما أنّ ريْبَه لم يـزل يفْـ ... ـرُق بـين الأُلاّف والجيرانِ
ولَعمري لو ذقتمـا أَلَمَ الفُر ... قــة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعــداني وأيْقنــا أن نحساً ... سوف يلقــاكما فتفترقــانِ
كم رمتني صروفُ هذِي الليالي ... بفـــراق الأحبــابِ والخُلاَّنِ
غير أنّي لم تلـق نفسي كما لا ... قيت من فُرقــة ابنة الدُّهقانِ
جارة لي بالرّيّ تُذهبُ همّي ... ويُسَلِّــي دنوُّهــــا أحــزاني
فجعتني الأيّامُ أغبطَ ما كنـ ... ـت بصدعٍ للبيْن غير مُدانِ
وبرغمي أن أصبحَتْ لا تراها الـ ... ـعينُ منّي وأصبحَتْ لا تَراني
إنْ تكنْ ودّعتْ فقد تركتْ بي ... لَهبــاً في الضمير ليس بوانِ
كحريق الضّرام في قصب الغا ... ب زَفَتْــهُ رِيحــانِ تختلفانِ[1]
فعليكِ السلام مِنّيَ مــا سا ... غَ سلاماً عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديُّ في هذا الخبر وهو غلط .

نسخت خبر هذا من خطّ أبي أيّوب المدائنيّ عن حمّاد ، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال : كانت لي بالرّيّ جارية أيّام مُقامي بها مع سَلْم بن قتيبة ، فكنتُ أتستَّر بها ، وكنتُ أتعشّق امرأةً من بنات الدَّهاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها . فلمّا خرجنا بعتُ الجارية وبقيَتْ في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها ، فلمّا نزلنا عَقَبة حُلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت : [من الخفيف]

أسعـداني يــا نخلتي حُلـوان ... وارْثيا لي من ريب هذا الزمانِ

وذكر الأبيات ، فقال لي سَلْم : ويلك فيمن هذه الأبيات ؟ أفي جاريتك ؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت : نعم . فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي . فلم يلبث أن ورد كتابه : إنّي وجدتُها قد تداولها الرجال وقد بلغت خمسة آلاف درهم ، فإن أمرت أن أشتريها فعلت . فأخبرني بذلك وقال : أيهما أحبّ إليك ؟ هي أو خمسة آلاف درهم ؟ فقلت : إما إذ كانت قد تداولها الرجال فقد عزفت نفسي عنها . فأمر لي بخمسة آلاف درهم ، ولا والله ما كان في

1 زفته : ساقته .

نفسي منها شيء ، ولو كنت أحبّها لم أبالِ إذا رجعتْ إليّ بمَن تداولها . ولم أُبالِ لو ناكها أهلُ مِنى كلُّهم .

[الشعر في نخلتَي حلوان]

أخبرني عمّي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشميّ عن سلام الأبرش قال : لمّا خرج الرشيد إلى طُوس هاج به الدم بحُلوان ، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمّاراً ، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جمّاراً ، فأعلمه أنّ بلده ليس بها نخل . ولكن على العقبة نخلتان ، فَمُر بقطع إحداهما . فقطعت ، فأُتِي الرشيد بجمارتها ، فأكل منها وراح[1] . فلمّا انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب : [من الخفيف]

أسعداني يــا نخلتــي حلوانِ وابكيا لي من رَيْب هذا الزمانِ
أسعداني وأيقنـــا أنّ نحساً سوف يلقـــاكما فتفتــرقانِ

فاغتمّ الرشيد ، وقال : يعزُّ عليّ أن أكون نحسَكُما ، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الحارثيّ بن أبي أسامة قال حدّثني محمد بن أبي محمد القيسيّ عن أبي سمير عبد الله بن أيّوب قال : لمّا خرج المهديّ فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضع فتغدّى ودعا بحسنةَ فقال لها : أما ترين طيبَ هذا الموضع ؟ غنّيني بحياتي حتى أشرب هاهنا أقداحاً ، فأخذت مِحكّة كانت في يده وأوقعت على مِخَدّة وغنّته : [من الطويل]

أيــا نخلتَيْ وادي بُوانَة حبَّذا إذا نام حرّاسُ النخيلِ جَناكُما

فقال : أحسنت . ولقد همَمْت بقطع هاتين النخلتين ، يعني نخلتَي حلوان ، فمنعني منهما هذا الصوت . وقالت له حسنة : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المفرق بينهما . فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه . فلمّا بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

أسعـداني وأيقنـــا أن نحساً سوف يلقـــاكما فتفترقـــانِ

قال : أحسنت والله فيما قلتِ ، إذ نبّهتني على هذا ، والله لا أقطعهما أبداً ، ولأوكلَنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييتُ . ثم أمر بأن يُفعَلَ ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات .

1 راح : ارتاح .

نسبة هذا الصوت الذي غنّته -حسنة

[من الطويل]

أيا نخلتي وادي بُوانـة حبّذا إذا نـام حُرّاسُ النخيلِ جَناكما

فطِيبُكما أربى على النخل بهجةً وزاد على طُـولِ الفَتـاء فَتاكما

يقال إنّ الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة[1] . والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشاميّ .

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن الخرّاز عن المدائنيّ أنّ المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق ، فكانت تُضيِّقه وتزحم الأثقال عليه ، فأمر بقطعهما ، فأُنشد قول مطيع : [من الخفيف]

واعلمـا مـا بقيتما أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفترقـانِ

قال : لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، وتركهما .

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه إسماعيل بن داود أنّ المهديّ قال : قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان ولهممْت أن آمر بقطعهما . فبلغ قوله المنصور ، فكتب إليه : «بلغني أنّك هممت بقطع نخلتي حلوان . ولا فائدة لك في قطعهما ، ولا ضرر عليك في بقائهما ، فأنا أعيذك بالله أن تكون النّحْسَ الذي يلقاهما ، فتفرق بينهما» . يريد قول مطيع .

وممّا قالت الشعراء في نخلتَي حلوان قول حمّاد عجرد ، وفيه غناء قد ذكرتُه في أخبار حمّاد : [من الخفيف]

جعلَ اللهُ سِدرتَيْ قصر شِيريـ ـن فـداءً لنخلتـي حلوانِ[2]

جئت مستعداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكـت لـه النخلتانِ

وأنشدني جحظة ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسَمّه : [من الخفيف]

أيُّها العاذلانِ لا تعـذلاني ودعـاني من المـلام دَعاني

وابكيـا لي فإنّنـي مستحـق منْكُمـا بالبكـاء أن تسعداني

إنّنـي منكمـا بذلـك أُولى من مطيـع بنخلتَـيْ حُلوانِ

فهما تجهلان مـا كان يشكو مـن هَـواه وأنتما تعلمانِ

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة : [من الخفيف]

1 ديوانه : 392 .

2 سدرتي، في ل : نخلتي .

وكذاك الزمانُ ليس وإنْ ألّـ ـف يبقى عليـه مُؤْتلفانِ
سلبت كفّـه الغَـريَّ أخـاه ثـم ثَنّـى بنخلتَيْ حُلوانِ[1]
فكأنّ الغريَّ قـد كان فرداً وكأنْ لم تُجـاور النخلتانِ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزّبيريّ عن أبيه قال : جلس مطيع بن إياس في العلّة التي مات فيها في قبّة خضراء وهو على فُرش خضر ، فقال له الطبيب : أي شيء تشتهي اليوم ؟ قال : أشتهي ألاّ أموت . قال : ومات في علّته هذه ، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي .

قال أبو الفرج : ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع ، قال : [من مجزوء الوافر]

صوت

أمَـرّ مدامـةً صِرْفاً كأنّ صبيبهـا وَدَجُ[2]
كأنّ المِسك نفحتُها إذا بزلـت لهـا أرَجُ
فظـلّ تخالُـهُ ملكـاً يصرفهـا ويمتزجُ[3]

الغناء لإبراهيم ، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكّي . وفيه لحن آخر لابن جامع . وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

صوت

[من مجزوء الكامل]

جُدِلَت كجدْل الخيزرا ن وثُنِّيـت فتثنّـتِ
وَتيقّنـتْ أن الفـؤا د يحبهـا فأدلّـتِ

الغناء لعبد الله بن عبّاس الربيعيّ خفيف رمل ، وذكر حبش أنّه لمقامة .

صوت

[من الخفيف]

أيّها المبتغـي بِلَـوْيِ رشادِي الـهُ عنّي فمـا عليك فسادي
أنتَ خِلْو من الذي بي وما يعـ ـلم مـا بي إلاّ القريحُ الفؤادِ

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشاميّ .

---

1 الغري : أحد الغريين ، بناءان كانا بالكوفة .
2 الودج : عرق في العنق كناية عن الحمرة .
3 يصرفها ويمتزج : يجعلها صرفاً وممزوجة .

صوت

[من الطويل]

ألاّ إنّ أهلَ الدارِ قد ودَّعوا الدارا وقد كان أهلُ الدار في الدارِ أُجْوارا[1]
يبكّي على إثرِ الجَميعِ فلا يـرى سوى نفسه فيهـا من القومِ دَيارا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر ابن المكّي أن فيه لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر .

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد .

صوت

[من المنسرح]

فيّ انقبـاضٌ وحشمةٌ فـإذا صادفتُ أهلَ الوَفـاء والكرمِ
أرْسلتُ نفسي على سجيّتهـا وقلتُ مـا قلـتُ غيرَ محتشِمِ

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسديّ ، والغناء لقلم الصالحية ، ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن خرداذبه أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً .

1 أجوار : من جموع جار .

[251] ـ أخبار محمد بن كناسة ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن كُناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أُنَيف بن مازن بن صهبان ، واسم صهبان كعب ، بن ذويبة بن أُسامة بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ؛ ويكنى أبا يحيى . شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية ، كوفيّ المولد والمنشأ ، قد حُمل عنه شيء من الحديث ؛ وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خالَه ، وكان امرءاً صالحاً لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء ؛ وكانت له جارية شاعرة مغنّية يقال لها دنانير ؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ قال : قلت لمحمد بن كناسة الأسديّ ونحن بباب أمير المؤمنين : أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد : [من الطويل]

رأيتُك ما يُغنيك مـا دونه الغِنى وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيـا صغيراً عظيمها وكان لِحَـقِّ الله فيهـا معظِّما
وأكثر مـا تلقاه في القوم صامتا فإن قـال بـذّ القائلينَ وأحكما

فقـال محمـد بن كناسة : أنـا قلتهـا وقـد تركـتَ أجودهـا . فقلت : وما أجودها ؟ فقـال : [من الطويل]

أهـان الهـوى حتى تجنّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدّمَ الطالبَ الدّما

[حديث ابن كناسة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان إجازة قال حدّثني عليّ بن مسرور العَتَكيّ[1] قال حدّثني أبي قال قال ابن كناسة : لقد كنت أتحدّث بالحديث فلو لم يجد سامِعُه إلاّ القُطنَ الذي على وجه أمّه في القبر لتعلّل إليه حتى يستخرجه ويهديه إليّ ، وأنا اليوم أتحدّث بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أهيِّىءَ له عذراً .

[مداعبة جاريته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازةً قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عبيد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول : كنتُ في طريق الكوفة ، فإذا أنا بجويْرية تلعب بالكِعاب كأنّها قضيب بانٍ ، فقلت لها : أنتِ أيضاً لو ضِعتِ لقالوا ضاعت الجارية ،

1 العتكي في ل : العسكري .

ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق . فقالت : ويلي عليك يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلّم بهذا الكلام ؟ فكُسفتُ والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت : [من الطويل]

وإنّـــي لحُلوٌ مخبَري إن خبرتني ولكنْ يُغَطِّيني ولا ريبَ بي شَيَخْ[1]

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت : فما أصنعُ بك أنا إذاً ؟ فقلت : لا شيء . وانصرفت .

[تفسير بيت]

أخبرنا ابن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر : [من الوافر]

إذا الجـــوزاءُ أردفت الثريّا ظننتُ بـآل فاطمـةَ الظنونا

فقال : يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثريا خِفْت تفرّق الحيّ من مجمعهم ؛ والثريا تطلعُ بالغداة في الصيف ، والجوزاء تطلع بعد ذلك في أوّل القيظ .

[تعريضه بامرأته]

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني صالح بن أحمد بن عباد قال : مرّ محمد بن كناسة في طريق بغداد ، فنظر إلى مصلوب على جذعٍ ، وكانت عنده امرأة يبغضُها ، وقد ثقل عليه مكانُها ، فقال يَعْنيها : [من الطويل]

أيا جِذعَ مَصْلُوبٍ أتى دونَ صَلْبه ثلاثون حــولا كامِلاً هـل تُبادِلُ
فمـا أنت بالحِمْل الذي قد حمَلتَه بأضجرَ منّــي بالذي أنـا حاملُ

[خدمة العيال لا تنقص الكمال]

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد . وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال : رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة ، فقال : هاته أحمِله عنك . فقال : لا . ثم قال : [من الرجز]

لا يَنقُصُ الكامِـــلَ مـن كمالِهِ مـا جــرَّ مـــن نفعٍ إلى عيالِهِ

[ذكاء دنانير]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان عن أبيه قال : كنت يوماً عند ابن كناسة ، فقال لنا : أعرّفكم شيئاً من فهم دنانير ؟ يعني جاريته . قلنا : نعم . فكتب إليها : «إنّك أَمَةٌ ضعيفةٌ لكعاءُ ، فإذا جاءكِ كتابي هذا فعجِّلي بجوابي . والسلام» . فكتبت إليه : «ساءني تَهْجِينُك إيّاي عند أبي الحسين[2] ، وإنّ من أعيا العيّ الجوابَ عما لا

1 الشيخ : الشيخوخة .
2 أبو الحسين : كنية علي بن عثمان راوي الخبر .

جواب له . والسلام» .

[دنانير ترثي صديق علي بن عثمان]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إليّ الزُّبير بن بكّار أخبرني عليّ بن عثمان الكِلابيُّ قال : جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ، ووجدتُ جاريته دنانير جالسة ، فقالت لي : ما لك محزوناً يا أبا الحسين ؟ فقلت : رجعتُ من دفنِ أخٍ لي من قريش . فسكتتْ ساعة ثم قالت : [من الوافر]

بكيتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ ... فأبكانا بكاؤُك يا عليُّ
فماتَ وما خَبَرْناهُ ولكنْ ... طهارةُ صَحْبِه الخبرُ الجَليُّ

[يحفظ كرامته مع فقره]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عِمران الضبيّ قال : أَمْلقَ محمد بن كناسة فلامه قومُه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره ، فقال لهم مجيباً عن ذلك : [من الطويل]

تُؤنِّبني أَنْ صُنتُ عِرْضي عِصابةٌ ... لها بين أطنابِ اللئام بَصِيصُ
يقولون لو غَمّضتَ لازددْتَ رِفعةً ... فقلتُ لهم إنّي إذنْ لَحريصُ[1]
أتكْلِمُ وجْهي لا أبا لأبيكُمُ ... مطامعُ عنها للكرامِ محيصُ
مَعاشي دُوينَ القوت والعِرْض وافرٌ ... وبطْنِيَ عن جدوى اللئام خَمِيصُ[2]
سألقى المنايا لم أخالط دَنِيّةً ... ولم تَسْرِ بي في المخزياتِ قَلُوصُ

[لا حشمة عند الكرام]

حدّثنا الحسن بن علي قال حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال : [من المنسرح]

فِيّ انقباضٌ وحِشْمةٌ فإذا ... صادفتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرْسلتُ نفسي على سَجِيّتها ... وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتَشِمِ

قال إسحاق فقلت لابن كناسة : وددت أنّه نقصَ من عمري سنتان وأنّي كنت سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتُهما .

1 حريص : جشع .
2 جدوى : عطية . خميص : ضامر .

[رثاء إبراهيم بن أدهم]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبّيّ قال حدّثني محمد بن المِقدام العِجليّ قال : كانت أمّ محمد بن كناسة امرأةً من بني عجل ، وكان إبراهيم بن أدهَم خالَه أو ابن خالِه ، فحدّثني ابن كناسة أنّ إبراهيم بن أدهم قدِم الكوفة فوجّهت أمُّه إليه بهديّة معه ، فقبِلها ووهب له ثوباً ، ثم مات إبراهيم ، فرثاه ابن كناسة فقال : [من الطويل]

رأيتك ما يكفيك مـا دونه الغنى ... وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما
وكان يـرى الدنيا قليلاً كثيرُها ... فكـان لأمرِ الله فيهـا مُعظِّما
أمات الهـوى حتـى تجنَّبه الهوى ... كما اجتنب الجاني الدّم الطالبَ الدّما
وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده ... فما يستطيع الجهـلُ أن يَتَرَمْرَما[1]
وأكْثَرُ مـا تلقاه في القوم صامتاً ... وإن قـال بَـذَّ القائلين وأحْكما
يُـرى مسْتَكِيناً خاضِعاً متواضِعاً ... وليْثاً إذا لاقـى الكَتيبةَ ضيغما
على الجَدث الغربيّ من آل وائلٍ ... سلامٌ وبِـرٌّ مـا أبـرّ وأكـرما

[ضعفه عن وصل إخوانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني زكريّا بن مهران قال : عاتب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابن كناسة يزوره ، ويألفه على تأخّره عنه ، فقال ابن كناسة : [من الطويل]

ضعُفتُ عن الإخوانِ حتى جفوْتُهم ... على غير زهـدٍ في الوفاء ولا الودِّ
ولكِـنّ أيّامي تخرَّمْـنَ مُنَّتـي ... فما أبلُغُ الحاجاتِ إلاّ على جَهْدِ[2]

[الدنيا في نظره]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبِّيُّ قال أنشدني ابن كناسة . قال الضَّبِّيُّ : وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها : [من الطويل]

ومِنْ عجَبِ الدنيـا تَبَقِّيك للبِـلى ... وأنّـك فيهـا للبقـاء مريـدُ
وأيّ بنـي الأيـامِ إلاّ وعندَه ... مـن الدهرِ ذنبٌ طارِفٌ وتَلِيدُ
ومنْ يأمـن الأيّـامَ أما انبياعُها ... فخطْـر وأمـا فَجْعُها فعتيدُ[3]

---

1 رمرم : حرك فاه للكلام ولم يتكلم .

2 المنة : القوة .

3 انبياعها في ل : اتساعها . والانبياع : الوثوب من سكون . والخطر : خطر البعير بذنبه : ضرب به يميناً وشمالاً . والعتيد : الحاضر المهيأ .

إذا اعتادت النفس الرَّضاع من الهوى فإنّ فِطام النفسِ عنه شديدُ

[صفة الحيرة]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضبيّ قال قال لي عُبيد بن الحسن : قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع : اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنّها حسنة في هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق ، فلم يزل ينظر إلى البرّ وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

الآن حين تزيّن الظَّهْر مَيْثاؤهُ وبِراقُه العُفْرُ[1]
بسط الربيع بها الرياضَ كما بُسطتْ قُطُوع اليَمْنةِ الحمرُ[2]
بَرِّيَّةٌ في البحرِ نابتة يُجْبى إليها البرّ والبحرُ
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أَيْمانِها الزهرُ
وبدا الخورنق في مطالِعها فرداً يلوح كأنّه الفجرُ
كانت منازلَ للملوك ولم يُعْلَمْ بها لمَلَّك قبرُ

قال : ثم قال يصف تلك البلاد : [من مجزوء الرمل]

سَفُلتْ عَنْ بَرْد أرضٍ زادَها البردُ عذابا
وعَلَتْ عن حرٍّ أُخرى تُلهب النارَ التهابا
مُزِجَت حينا ببرْدٍ فصفا العيْشُ وطابا

[اختيار الصديق]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني إسحاق بن محمد الأسديّ قال حدّثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال : رآني أبي مع أحداثٍ لم يرضَهُم ، فقال لي : [من مجزوء الكامل]

يُنْبِيكَ عن عيب الفتى تركُ الصلاة أو الخَدينُ
فإذا تهاون بالصّلا ةِ فما لهُ في الناس دينُ
ويُزَنُّ ذو الحدثِ المريـ ـبِ بما يُزَنُّ به القرينُ[3]

1 الميثاء : الأرض السهلة . والبراقة : جمع برقة ، وهي أرض غليظة يختلط فيها الحجارة والرمل .
2 قطوع اليمنة : بسط اليمن .
3 يزن : يتهم .

إن العفيـــفَ إذا تكنَّـــ ـفه المريبُ هـــو الظنِينُ[1]

[مخالفة القول للعمل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة ، قال : كان محمد بن كناسة عمّ أبيه ، قـال : كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه ، وكان يكتب الحديث ويتفقّه ويظهر أدباً ونُسكاً ؛ وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهرَه ، فلمّا جاءه قال له : [من الكامل]

مـا مَن روى أدباً فلم يعملْ بـه ويكفّ عـن دفع الهوى بأديبِ[2]
حتى يكـون بمـا تعلّم عامـلا مـن صالح فيكـونَ غيرَ معِيبِ
ولقلّما يُغنـي إصابــةُ قائـل أفعالُـه أفعـالُ غيـرِ مُصيبِ

[طبيب بني أود]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جدّه قال : أتيتُ امرأةً من بني أَوْدٍ تكحلُني من رمدٍ كان أصابني ، فكحلتني ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك . فاضطجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر : [من الطويل]

أمُخْتَرِمي ريـبُ المنـونِ ولم أزُرْ طبيبَ بني أَوْدٍ على النَّـأْي زينَبا

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا والله . فقالت : فيَّ والله قِيلَ ، وأنا زينبُ التي عناها ، وأنا طبيب أَوْد ، أفتدري من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمّك أبو سماك الأسديّ .

[شعر دنانير في أبي الشعثاء]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني عليّ بن عَثَّام الكلابيُّ قال : كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنّية ، يقال لها دنانير ، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعْثاء ، وكان عفيفاً مزّاحاً . فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرّض لها بأنّه يهواها ، فقالت فيه : [من الرمل]

لأبـي الشعثاء حبٌّ باطنٌ ليس فيـــه نَهْضَةٌ للمتّهمْ
يا فؤادي فازدَجِر عنه ويا عبَث الحبّ به فاقعُد وقمْ
زارني منـــه كـلامٌ صائبٌ وَوسيلاتُ المحبّـين الكَلِمْ

---

1 الظنين : المتهم .

2 دفع في ل : وقع .

صائـدٌ تأمنـهُ غِزْلانُـــه   مثلَ ما تأمنُ غِزْلانُ الحَرَمْ
صلِّ إن أحببتَ أن تُعطى المنى   يا ابا الشَّعْثاء لله وصُمْ
ثُمَّ مِيعادُك يـوم الحشْرِ في   جَنّـةِ الخلدِ إنِ اللهُ رَحِمْ
حيثُ ألقـاك غلاماً ناشئاً   يافعاً قد كُملت فيه النِّعمْ

[رثاؤه دنانير]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّبُ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن محمد الأسديّ قال حدّثني موسى بن صالح قال : ماتت دنانير جارية ابن كناسة ، وكانت أديبةً شاعرة ، فقال يرثيها : [من المنسرح]

الحمــدُ لله لا شَريـــكَ لــه   يا ليتَ ما كان منكِ لم يكنِ
إن يكن القولُ قلّ فيكِ فما   أفحمنـــي غيـــرُ شِدّة الحزَنِ

[رواية ابن كناسة للحديث]

قال أبو الفرج : وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً ، وروى عنه الثقاتُ من المحدثين ؛ فمن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مُهران الأعمش ، وإسماعيلُ بن أبي خالد ، وهشام آبن عُروة بن الزُّبير ، ومِسْعَر بن كِدام ، وعبد العزيز أبي داود ، وعُمَر بن ذر الهمْدانيّ ، وجعفر بن بُرْقان ، وسفيان الثَّوريّ ، وفِطْر بن خليفة ونظراؤهم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن سعد العوفيّ قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا الأعمش عن شقيق بن سلَمة عن أبي موسى الأشعريّ قال : قلت : يا رسول الله إنّ الرجل يحبّ القوم ولم يَلحَق بهم . قال : «المرء مع من أحبّ» .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «خير نسائها مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نسائنا خديجةُ» . والله أعلم .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا ابن كناسة قال حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زِرّ بن حُبَيْش قال : كانت في أُبيّ بن كعب شراسةٌ ، فقلت له : يا أبا المنذر ، اخفض جناحك يرحمك الله ، وأخبرنا عن ليلة القدر . فقال : هي ليلة سبع وعشرين . وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط ، ليعلم صحّة ما حكيته عنه ، وليس استيعاب هذا الجنس ممّا يصلُح هاهنا .

[252] ـ أخبار قلم الصَّالحيّة

كانتْ قلمُ الصالحيّة جاريةً مولَّدة صفراءَ حُلوةً حسنةَ الغناء والضرب حاذقةً ، قد أخذت عن إبراهيمَ وابنهِ إسحاق ، ويحيى المكّي ، وزُبيْر بن دحْمان . وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد ، وقيل : بل كانت لأبيه . وكانت لها صنْعَةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً ، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار .

[إعجاب الواثق بها]

فأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذُ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله ، قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام ، قال : كانت قلمُ الصالحية جاريةٌ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسِنات المتقدمات ، فغُنيَ بين يدي الواثق لَحْنٌ لها في شعر محمد بن كناسة ، قال : [من المنسرح]

فيَّ انقباضٌ وَحِشْمةٌ فإذا صادفْتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرسلْتُ نفسي على سجيَّتِها وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فسأل : لمن الصنعة فيه ؟ فقيل : لقلم الصالحية جاريةِ صالح بن عبد الوهاب . فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فأحضره . فقال : ويلك ! من صالحُ بن عبدُ الوهاب هذا ؟ فأخبره . قال : أين هو ؟ قال : ببغداد ، قال : ابعث فأشخِصْه وأشخِص معه جاريتَه المسمّاة بقلم الصالحية . فَقَدِما على الواثِق ، فدخلت عليه قلم ، فأمرها بالجلوس والغناء ، فغنّت ، فاستحسنَ غِناءها وأمرَ بابتياعها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر . فغضِب الواثـق من ذلك ، وردّ عليه . ثم غنى بعد ذلك زرْزورٌ الكبيرُ في مجلس الواثق صوتاً ، الشعر فيه لأحمدَ بن عبد الوهاب أخي صالح ، والغناء لقَلَم ، وهو : [من الوافر]

صوت

أبتْ دار الأحبَّةِ أنْ تبينا أجدَّك ما رأيتَ لها مُعينا
تَقَطّعُ نفسُه من حبِّ ليلى نفوساً ما أُثِبْنَ ولا جُزينا

فسأل : لَمن الغناء ؟ فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث إلى ابن الزيّات : أشخِصْ صالحاً ومعه قلم . فلمّا أشخصهما دخلت على الواثق . فأمر أن تغنّيه هذا الصوت ، فغنّته . فقال لها : الصنعة فيه لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بارك الله عليك . وبعث إلى صالح فأحضِر ، فقال

لـه : إنّي قد رغبت في هذه الجارية فاستمْ في ثمنها سوماً يجوز أن تعطاه فقال : أما إذ وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملِك شيئاً فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإنّ من حقّها عليّ إذا تناهيتُ في قضائه أن أصَيِّرَها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال له الواثق : قد قبِلتها . وأمر ابن الزيّات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها احتياطاً . فلم يعطه ابن الزيات المال ومطَلَه به ، فوجّه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك ، فغنّت الواثق وقد اصطبح صوتاً ، فقال لها : بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيّدي وما نفع مَن ربّاني منّي إلاّ التعبُ والغرم عليّ والخروج منّي صِفْرا ؟ قال : أوَلَم آمرْ له بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ؛ ولكنّ ابن الزيّات لم يعطه شيئاً . فدعا بخادم من خاصّة الخدم ووقّع إلى ابن الزيّات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه ، وخمسة آلاف دينار أخرى معها . قال صالح : فصِرتُ مع الخادم إليه بالكتاب ، فقرّبني وقال : أمّا الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت ، والخمسة الآلاف الأُخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة . فقمت ، ثم تَناساني كأنّه لم يعرفني ، وكتبت أَقْتضيه ، فبعث إليّ : اكتُبْ لي قَبْضاً بها وخذها بعد جمعة . فكرهْت أن أكتب قبضاً بها فلا يَحصُل لي شيء ، فاستترتُ في منزل صديق لي ؛ فلمّا بلغه استتاري خاف أن أشكوَه إلى الواثق ، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادمُ بعد ذلك فقال لي : أمرني أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك ، هل قبضت المال ؟ قلت : نعم قد قبضته . قال صالح : وابتعت بالمال ضيعة وتعلّقت بها وجعلتها مَعاشي ، وقعدت عن عمل السلطانِ فما تعرضت منه لشيء بعدها .

[علي بن الجهم يمدح الواثق]

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني أحمد بن إسحاق الخراسانيّ . قال : وحدّثني محمد بن مخارق قال : لمّا بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله[1] : [من السريع]

قد فازَ ذو الدّنيا وذو الدّين ... بدولةِ الواثِقِ هارونِ
وعمّ بالإحسان من فضله ... فالناسُ في خفْضٍ وفي لِينِ
ما أكثرَ الدّاعي له بالبَقا ... وأكثرَ التّالي بآمينِ

وأنشده أيضاً قوله فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

وَثِقَت بالملكِ الوا ... ثِقِ باللهِ النّفوسُ
مَلِكٌ يشقى به الما ... لُ ولا يشقى الجَلِيسُ

1 ديوان علي بن الجهم : 231 .
2 ديوانه : 150-151 .

أُسد تضْحَك عن شَـ ـدّ اتِـه الحرْبُ العبوسُ
أُنِس السيفُ بـه واسـ ـتوْحَش العِلقُ النفيسُ
يا بَني العبّاس يأبى اللّـ ـه إلاّ أنْ تَسُوسُوا

قال : فوصَله الواثق صلة سنيّة .

وتغنّت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين ، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها ، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

[من الطويل]

وكنت أُعيرُ الدمعَ قبلك من بكى فأنت على مَن مات قبلك شاغِلُهْ
سقى جدَثاً أعرافُ غَمْرة دونه ببيشةَ دِيمـاتُ الربيـعِ ووابِلُهْ[1]
وما بِيَ حبُّ الأرضِ إلاّ جوارُها صَداهُ وقـولٌ ظَـنّ أنّيَ قائلُهْ

الشعر للشمردل بن شَريك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أوّل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد ، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي ، وذكر حبش أنّ خفيف الرمل لخزرج .

1 الأعراف : ما ارتفع من الرمل ، الواحدة عرفة .

[253] ـ أخبار الشمردل ونسبه[1]

[نسبه]

الشَّمَرْدَل بن شَريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان في أيّام جرير والفرزدق .

[هجا وكيع لتفريقه إخوته]

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق ، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سُود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان . فقال له الشمردل : إن رأيت أيّها الأمير أن تنفِذَنا معاً في وجه واحد ، فإنّا إذا اجتمعنا تعاونّا وتناصرنا وتناسبنا . فلم يفعل ما سأله ، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها . فقال الشمردل يهجوه ، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم[2] بن أُدّ بن طابخة : [من الكامل]

إنّي إليك إذا كتبتُ قصيدة ... لم يأتني لجوابها مَرجوعُ
أيُضيعُها الجُشَمِيّ فيما بيننا ... أم هل إذا وصلتْ إليكَ تَضيعُ
ولقد علمتُ وأنت عنّي نازحٌ ... فيما أتى كِبْدُ الحمار وكيعُ
وبنو غُدانـةَ كان معروفاً لهم ... أن يُهضَموا ويَضيمَهم يَربوعُ
وعُمارة العبد المبَيَّن إنّه ... واللؤم في بدن القميص جميعُ

[رثاؤه لأخويه]

قال أبو عبيدة : ولم ينشَب[3] أن جاءه نعيُ أخيه قدامة من فارس ؛ قتله جيش لقُوهم بها ، ثم تلاه نَعْيُ أخيه وائل بعده بثلاثة أيّام ، فقال يرثيهما : [من الطويل]

أعاذلُ كم روعةٍ قد شهدتها ... وغُصّةِ حزن في فِراق أخٍ جزْلِ[4]

---

1 للشمردل ترجمة في الشعر والشعراء : 593 والمؤتلف : 139 والسمط : 544 وقد نقل صاحب التذكرة الحمدونية بعض أخباره وشعره .

2 ل : حميس .

3 لم ينشب : لم يلبث .

4 الجزل : الكريم والعاقل .

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... عليّ الضحى حتى تنسّيني أهلي[1]
وما أنا إلاّ مثلُ من ضُرِبتْ له ... أُسى الدّهر عن ابْنَيْ أبٍ فارقا مثلي[2]
أقول إذا عزّيتُ نفسي بإخوة ... مضوا لا ضِعافٍ في الحياة ولا عُزْلِ
أبى الموتُ إلاّ أنَّ كلَّ بني أبٍ ... سيُمسون شتّى غيرَ مجتمعي الشَّمْلِ
سبيل حبيبيَّ اللذيْن تبرّضا ... دُموعيَ حتى أسرعَ الحُزْنُ في عقلي[3]
كأن لم نسِرْ يوماً ونحنُ بغبطةٍ ... جميعاً وينزلْ عند رحليْهما رحْلي
فعينَيّ إنْ أَفضَلتُما بعد وائلٍ ... وصاحبه دمعاً فعُودَا على الفضلِ
خليليَّ من دون الأخِلاّء أصبحا ... رهينَيْ وفاءٍ من وفاةٍ ومن قتْلِ
فلا يبعدا لِلدَّاعِيَيْن إليهما ... إذا اغبرّ آفاقُ السماء من المَحْلِ
فقد عَدِم الأضيافُ بعدهما القِرى ... وأخمد نارَ الليل كلُّ فتًى وغْلِ[4]
وكانا إذا أيدِي الغضابِ تحطّمت ... لواغِرِ صدر أو ضغائنَ من تبلِ[5]
تَحاجزُ أيدي جُهَّل القومِ عنهما ... إذا أتعب الحلمَ التترّعُ بالجهلِ[6]
كمستأسِدَي عرِّيسةٍ لهما بها ... حِمًى هابه من بالحُزُونةِ والسَّهْلِ

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره .

[رثاؤه أخاه وائلاً]

قال أبو عبيدة : وقال يرثي أخاه وائلاً ، وهي من مختار المراثي وجيد شعره : [من الطويل]

لعمري لئن غالت أخي دارُ فُرقةٍ ... وآب إلينا سيفُه ورواحلُهْ
وحلّت به أثقالَها الأرضُ وانتهى ... بمثواه منها وهْو عفٌّ مآكلُهْ
لقد ضُمِّنت جَلْدَ القُوى كان يُتّقى ... به جانبُ الثغر المخوفِ زلازلُهْ
وَصُولٌ إذا استغنى وإن كان مقْتراً ... من المال لم يُحْفِ الصديقَ مسائلُهْ
محلٌّ لأضياف الشّتاء كأنّما ... هُمُ عنده أيتامه وأراملُهْ

---

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت .
2 أسى : جمع أسوة ، ما يتأسى به الحزين .
3 تبرضا دموعي : استنزفا الدموع ببطء .
4 الوغل : النذل الساقط .
5 الواغر : المتقد من الغيظ . والتبل : العداوة .
6 التترع : التسرع .

رخِيصُ نضيــجِ اللحــم مُغْـلٍ بِنِيئِه ... إذا بــردت عنــد الصِّـلاء أناملُهْ
أقولُ وقــد رَجّمتُ عنه فأسرعت ... إليّ بأخبــــارِ اليقــين محاصلُهْ[1]
إلى الله أشكــو لا إلى النــاس فقدَه ... ولوعةَ حــزن أوجعَ القلبَ داخلُهْ
وتحقيــق رؤيــا في المنــام رأيتُها ... فكان أخــي رُمْحــاً ترفَّضَ عاملُهْ[2]
سقى جدثــاً أعرافُ غمرة دونه ... ببيشةَ دِيمــاتُ الربيــع ووابــلُهْ
بمثوى غريــبٍ ليس منّا مــزارُه ... بــدانٍ ولا ذُو الودّ مِنّــا مواصلُهْ
إذا مــا أتى يــومٌ من الدهرِ دونه ... فحيّــاك عنّــا شرقُــه وأصائلُهْ
سَنا صبحِ إشراقٍ أضــاء ومَغربٌ ... من الشمس وافى جنحَ ليــلٍ أوائلُهْ
تحيــةَ مــن أدّى الرسالــةَ حُبِّبت ... إليــه ولم ترجِــع بشيءٍ رسائلُهْ
أبى الصبرَ أن العين بعــدَك لم يزَلْ ... يخالــط جَفْنيها قــذًى لا يزايلُهْ
وكنتُ أعير الدّمع قبلَكَ مَن بكى ... فأنت على مــن مــات بعدك شاغلُهْ
يذكرني هَيْــفُ الجنــوب ومُنتهى ... مسيرِ الصَّبا رَمْساً عليــه جنادلُهْ[3]
وهتّافــةٌ فــوق الغصــونِ تفجّعت ... لفقــدِ حمــام أفردتهــا حبائلُهْ
من الوُرْق بالأَصْياف نواحة الضحى ... إذا الغرقد التفّــت عليــه غياطلُهْ[4]
وسَوْرةُ أيدِي القوم إذ حُلَّت الحُبا ... حُبا الشَّيبِ واستعْوى أخا الحلمِ جاهلُهْ[5]
فعينــيّ إذ أبكاكما الدهــرُ فابكيــا ... لِمَن نصرُه قــد بــان منّــا ونائلُهْ
إذا استعبرت عُــوذُ النساء وشمّرت ... مآزر يــوم مــا تَــوارى خلاخلُهْ[6]
وأصبح بيت الهجرِ قــد حال دونه ... وغال امرءاً مــا كان يُخْشى غوائلُهْ
وثِقْن بــه عنــد الحفيظةِ فارعوى ... إلى صوتـــه جاراتـــه وحـلائلُهْ
إلى ذائــدٍ في الحرب لم يــك خاملاً ... إذا عــاذ بالسيف المجــرَّد حاملُهْ
كما ذاد عــن عِرِّيسة الغِيل مُخْــدِر ... يخـــافُ الــردى ركبانُــه ورواحِلُهْ

---

1 رجم بالغيب : تكلم بما لم يعلم .
2 ترفض : تكسر . وعامل الرمح : صدره .
3 هيف الجنوب : ريح حارة تأتي من الجنوب .
4 الغرقد : شجر . والغياطل : ما التفّ واجتمع .
5 الحبا : جمع حبوة ، وهو الثوب . وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب . واستعوى : صاح إلى الفتنة .
6 عوذ النساء : جمع عائذ ، وهي التي مضى أسبوع على وضعها لأن ولدها يعوذ بها .

فمـا كنت أُلفي لامرىءٍ عِند مَوطنٍ ... أخاً بأخـي ، لو كان حيّـاً أبادلُهْ
وكنت بِـه أغشى القتـال فعزَّني ... عليـه مـن المقـدارِ مـن لا أُقاتلُهْ[1]
لعمركَ إنّ المـوتَ منّـا لمولَـعٌ ... بمَـن كان يُرجـى نفعُـه ونوافلُهْ
فما البعـد إلاّ أننّا بعـد صحبـة ... كأنْ لم نُبايـت وائـلاً ونقـايلُهْ[2]
سقى الضَّفِراتِ الغيثُ ما دام ثاوياً ... بهنّ وجادت أهـلَ شُوكٍ مَخايلُهْ[3]
ومـا بـي حبُّ الأرض إلاّ جوارَها ... صـداه وقـول ظُـنَّ إنّـي قائلُهْ

[رثاؤه أخاه حكم]

قال أبو عبيدة : ثم قُتِل أخوه حكم أيضاً في وجهه ، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله ، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيُه فقال يرثيه : [من الوافر]

يقولون احتسِب حَكماً وراحوا ... بـأبيضَ لا أراهُ ولا يـراني
وقبْـلَ فراقِـه أيقنتُ أنّي ... وكلّ ابنـي أبٍ متفارِقانِ
أخٌ ليَ لوْ دعوتُ أجابَ صوتي ... وكنتُ مجيبَه أنّـى دعاني
فقد أفنـى البكاءُ عليه دمعي ... ولوْ أنّـي الفقيدُ إذاً بكاني
مضى لسبيله لم يُعْـطَ ضَيْما ... ولم تَرهـبْ غَوائلَـه الأداني
قَتلْنـا عنـه قاتلَـه وكنّـا ... نصُولُ به لدى الحرْبِ العَوانِ
قتيلاً ليس مثل أخـي إذا مـا ... بدا الخَفِرات مِنْ هول الجَنانِ
وكنتَ سِنانَ رمحي من قناتي ... وليس الـرّمحُ إلاّ بالسّنانِ
وكنت بَنانَ كَفّي من يميني ... وكيف صلاحُها بعـد البَنانِ
وكان يهابُـك الأعداءُ فينـا ... ولا أخشى وراءك من رَماني
فقد أبدَوا ضغائنَهـم وشدُّوا ... إليّ الطَّـرفَ واغتمزوا لَياني
فِـداكَ أخٌ نبـا عنـه غَناه ... وموَلّـى لا تصولُ لـه يدانِ

[ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا : وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمرّ فيها هذا البيت : [من الطويل]

1 عزني : غلبني .
2 نبايت : نبيتُ معه . ونقايله : ننام معه القيلولة .
3 الضفرات : جمع ضفرة ، وهي أرض سهلة مستطيلة . شوك : موضع .

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبـين تميم غير حـزّ الحلاقمِ

فقال له الفرزدق : والله يا شمردل لتتركنّ لي هذا البيت ، أو للتركن لي عِرضَك . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها : [من الطويل]

تحِـنُّ بزوراء المدينـــة ناقتي حنِينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ[1]

[تأويل رؤيا الشمردل]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا غسان عن أبي عبيدة قال : رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سِنان رمحه سقط ، فعبَره على بعض من يعبُر الرؤيا ، فأتـاه نعي أخيه وائلٍ ، فذلك قوله : [من الطويل]

وتَحقيقُ رؤيــا في المنام رأيتُها فكانَ أخي رُمحاً ترفَّضَ عاملُهْ

[نديمه ينسى فعله من السكر]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل مغرماً بالشراب ، وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان ، أحدهما يقال له دَيْكَل من قومه ، والآخر من بني شيبان يقال له قَبيصة . فاجتمعوا يوماً على جَزورٍ ونحروه وشرِبُوا حتّى سَكِروا ، وانصرف قبيصةُ حافياً وترك نعلَه عندهم ، وأنْسِيَها من السُّكر ، فقال الشمردل : [من الطويل]

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد على الكأس نَدمانا لها مثلَ دَيكلِ
أَقَلّ مِكاساً في جَزور وإن غلت وأسرعَ إنضاجـاً وإنـزالَ مِرْجَلِ
ترى البازلَ الكَوْماءَ فوق خُوانه مفصَّلــةً أعضاؤهـــا لم تُفَصَّـلِ
سَقَيناه بعــد الرَّي حتــى كأنّما يرى حين أمسى أبرقى ذاتِ مأسَلِ[2]
عشيّـــة أنسيْنــا قَبِيصةَ نعلَـــه فَراحَ الفتى البكــريُّ غيرَ مُنعَّلِ

[هلال لم يرفده فهجاه]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَماذُ عـن أبـي عبيدة قال : مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازنيّ واستماحه ، فوعده الرفد ، ثم ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر ، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفعها إليه وكيلُه غلَّة فردّها ، وقال يهجوه : [من الطويل]

يقــول هــلالٌ كُلَّما جئت زائراً ولا خيرَ عنــد المــازنيّ أعاودُهْ
ألا ليتنــي أُمسي وبينــي وبينه بَعيــدُ مناطِ المــاء غُبْرٌ فدافدُهْ[3]

1 العجول : الناقة الحزينة لفقد ولدها . البو : جلد ولد الناقة يحشى تبناً ويقرب منها لتدر . رائم : عطوف .

2 الشطر الثاني في ل : يرى حرشاً في أبرقي أم مرسل .

3 الفدفد : الفلاة .

غداً نصفُ حول منه إن قال لي غدا ... وبعد غد منه كحول أراصدُهْ
ولو أنّني خُيِّرت بين غَداته ... وبين بِرازي ديْلميّاً أجالدُهْ
تعوّضت من ساقَيّ عشرين درهماً ... أتاني بها من غَلَّة السُّوق ناقِدُهْ
ولو قِيلَ مِثلا كنزِ قارونَ عنده ... وقيل التمسْ موعودَه لا أعاودُهْ
ومثلك منقوص اليدين رددتُه ... إلى مجتدٍ قد كان حينا يُجاحِدُهْ

[هجاؤه رجلاً من ضبة شمت بمقتل إخوته]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أنّ رجلاً من بني ضبّة كان عدوّاً للشمردل ، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك ، ثم خرج في البعث الذي بُعث مع وكيع ، فلمّا قُتِل إخوة الشمردل وماتوا ، بلغه عن الضبيّ سرورٌ بذلك ، وشماتةٌ بمصيبته فقال : [من البسيط]

يا أيُّها المبتغي شَتمي لأشتُمه ... إن كنت أعمى فأنّي عنك غيرُ عَمِ
ما أرضعَتْ مرضعٌ سخْلا أعقَّ بها ... في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمِ
من ابن حنكلةٍ كانت وإن عَرِبَت ... مُذالة لقُدور الناس والحُرَمِ[1]
عَوى ليَكسِبَها شرّاً فقلت له ... منْ يُكسِبِ الشرّ ثديَيْ أمِّه يُلَمِ
ومن تعرّض شتمي يلْقَ معطِسُهُ ... من النَّشُوق الذي يشفي من اللَّممِ[2]
متى أجبك وتسمعْ ما عُنيتَ به ... تُطْرِق على قَذَع أو ترضَ بالسَّلَمِ[3]
أوْلا فحسبُك رهطاً أن يفيدهم ... لا يغدِرون ولا يوفون بالذممِ
ليسوا كثعلبةَ المغبوطِ جارُهُم ... كأنّه في ذُرى ثهلانَ أو خِيَمِ[4]
يُشَبِّهون قريشاً من تكلّمهم ... وطولِ أنْضِيَةِ الأعناقِ والأُمَمِ[5]
إذا غدا المسْك يجرِي في مفارقهم ... راحوا كأنّهم مَرضى من الكرمِ
جزُّوا النواصيَ من عجْلٍ وقد وطِئوا ... بالخيل رهط أبي الصهْباء والحُطَمِ
ويوم أفلتهن الحَوْفَزانُ وقد ... شالت عليه أكفُّ القوم بالجِذَمِ[6]

---

1 الحنكلة : الدميمة السوداء . عربت : توددت إلى زوجها أو حرصت على اللهو . المذالة : المهانة .
2 اللمم : الجنون .
3 القذع : الخنا والفحش . والسلم : الاستسلام .
4 ثهلان وخيم : جبلان .
5 تكلمهم في ل : تكرمهم . الأنضية : عظام العنق . الأمم : القامات .
6 الجذم : السياط .

إنّي وإن كنتُ لا أنسى مُصابَهُم — لم أدفعِ الموت عن زِيقٍ ولا حكمِ
لا يَبْعَـدا فتيا جـودٍ ومكرمة — لدفعِ ضيمٍ وقتل الجوعِ والقَرَمِ[1]
والبعـد غالهمـا عنّـي بمنزلةٍ — فيها تفـرّقُ أحيـاءٍ ومُخْترمِ
ومـا بنـاءٌ وإن شُدَّت دعائمُه — إلاّ سيصبح يومـاً خاوِيَ الدِّعَمِ
لئن نجوتَ من الأحداث أو سلمت — منهنّ نفسك لم تسلمْ مـن الهَرَمِ

[رثاء عمر بن يزيد الأسيدي]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقاً للشمردل بن شريك ، ومحسناً إليه كثير البرّ به والرفد له ، فأتاه نعيه وهو بخراسان ، فقال يرثيه : [من الكامل]

لبِس الصّبـاحَ وأسلمتـه ليلـة — طالـت كأنّ نجومهـا لا تبرحُ[2]
من صولـة يجتاح أخـرى مثلها — حتى ترى السّدفَ القيامُ النُّوحُ[3]
عطّلـن أيديَهـنّ ثم تفجعت — ليـلَ التّمام بهـنّ عبْرى تَصدَحُ
وحليلـةٍ رزئت وأُخـتٌ وابنةٌ — كالبـدر تنظـره عيـونٌ لُمَّحُ
لا يبعَـدِ ابنُ يزيـدَ سيِّدُ قومه — عنـد الحفاظِ وحاجـةٍ تُستنجَحُ
حامي الحقيقةِ لا تـزال جيـادُه — تغْـدو مسوَّمـة بـه وتُروّحُ
للحربِ محتسب القتـال مشمِّرٌ — بالدرع مضطمرُ الحوامـل سُرّحُ[4]
ساد العـراق وكان أوّل وافد — تأتي الملوكَ بـه المهارى الطُّلَّحُ[5]
يُعْطي الغِلاء بكلّ مجـدٍ يُشترى — إن المُغـاليَ بالمكـارمِ أربـحُ

[وصف الصقر والقنص]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح ، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة ، وأنشدنا له قوله : [من الرجز]

قد أغتدي والصبحُ في حجابه — والليـلُ لم يـاوِ إلى مآبِهِ

1 القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .
2 لبس في ل : لبث .
3 السدف : الضوء .
4 مضطمر : ضامر . الحوامل : الأرجل .
5 المهارى : نوع من الإبل . الطلح : المتعبة .

وقــد بــدا أَبْلقَ من مُنْجابِهِ ... بتَوَّجِــيٍّ صــادَ في شبابِهِ[1]
مُعاودٍ قــد ذلّ في إصعابه ... قــد خَرَّق الضُّفارَ من جِذابِهِ
وعَرَفَ الصوتَ الذي يُدعى به ... ولَمعــةَ المُلْمِــعِ في أثوابِهِ[2]
فقلــتُ للقانِص إذ أتــى بــه ... قبل طُلــوعِ الآل أو سَرابِهِ
ويحك ما أبصر إذ رأى بــه ... من بَطنِ مَلحوبٍ إلى لُبابِهِ[3]
قَشْعاً تــرى التّبت من جنابِهِ ... فانقضَّ كالجلمودِ إذ عــلا بهِ
غضبان يــوم قِنْيةٍ رمى بــه ... فهنّ يلقــين مــن اغتصابِهِ
تحت جديد الأرض أو ترابــه ... من كلِّ شَحَّاجِ الضُّحى ضَغابِهِ[4]
إذ لا يــزال حربه يشقى بــه ... منتزع الفــؤاد مــن حجابِهِ
جاد وقــد أنشب في إهابــه ... مخالبــاً ينشبــن في إنشابِهِ
مثل مُــدى الجزار أو حِرابــه ... كأنّما بالحلــق مــن خضابِهِ
عصفرة الفــؤاد أو قضابــه ... حوى ثمانــين على حسابِهِ[5]
من خَــرَبٍ وخُزَزٍ يعلى بــه ... لفتيَةٍ صيدهم يدعــى بِهِ[6]
واعَدَهــم لمنزل بِتْنا بــه ... يطهى به الخِربان أو يشوى بِهِ
فقــام للطبــخ ولاحتطابــه ... أروع يهتــاج إذا هجنا بِهِ

[قتل الذئب الذي فتك بغنمه]

أخبرنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة ، فرصده ليلة حتى جاء لعادته ، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه : [من الوافر]

هل خبَّر السِّرحان إذ يستخبِرُ ... عنّي وقد نام الصِّحاب السُّمَّرُ
لمّــا رأيت الضَّــأنَ منه تنفِر ... نهضت وسْنانَ وطــارَ المِئزرُ

1 الأبلق : الذي فيه سواد وبياض . التوجّي : الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس .
2 الملمع : الذي يشير بالثوب ونحوه .
3 ملحوب : موضع .
4 الشحاج : الغليظ الصوت . والضغاب : المفزع بصوته .
5 الفؤاد في ل : الفصاد .
6 الخرب : ذكر الحبارى . والخزز : ذكور الأرانب .

وراع منهـا مـرح مستيْهِر كأنّـه إعصـار ريح أغبرُ[1]
فلـم أزل أطـردُه ويعكر حتى إذا استيقنتُ ألا أعذرُ[2]
وأنّ عَقْـرى غنمِـي ستكثر طار بكفّـي وفؤادي أوجرُ[3]
ثُـمَّتَ أهويتُ لـه لا أُزجَر سهماً فولّى عنـه وهْـوَ يعثرُ
وبـتُّ ليـلي آمـناً أُكبِّرُ

[الأصمعيّ يستجيد شعر الشمردل]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال الشمردل بن شريك ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ، ويقول : إنّها لمن ظريف الكلام : [من الكامل]

ثـم استقـلّ منعَّمـاتٌ كالدُّمى شُمُسُ العتـاب قليلـة الأحقادِ
كُذُب المواعدِ ما يزال أخو الهوى منهـنّ بـين مـودّة وبعـادِ
حتـى ينـال حِبالَهـنّ معلقاً عقلَ الشّريد وهـنّ غيرُ شَرادِ
والحبّ يصلح بعـد هجـرٍ بيننا ويهيـجُ معتبـةً بغيـر بعـادِ

صوت

[من الطويل]

خليـليّ لا تستعجلا أن تَزَوّدا وأن تَجمعا شملي وتنتظرا غدا
وإن تَنظُراني اليـوم أقْضِ لُبانةً وتَسْتوجبا منّـاً علـيّ وتُحمَدا

الشعر للحصين بن الحمام المري ، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر ، من روايتها ومن رواية الهشاميّ .

* * * *

1 وراع في ل : وراح . المستيهر : الذاهب العقل .
2 يعكر : يكر وينصرف .
3 الأوجر : الخائف .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

14

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ۱۰ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[254] ـ أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب بن حَرام[2] بن وائلة بن سهْم بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

[مكانته في قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان الحصين بن الحمام سيِّد بني سَهم بن مُرّة . وكان خُصَيْلةُ بن مُرّة وصِرْمةُ بن مرّة وسهم بن مرّة أُمّهم جميعاً حَرْقَفةُ بنت مَعْنم بن عَوف بن بَلِيّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضاعة ، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدَهم ورائدَهم . قال أبو حاتم ، قال أبو عبيدة ، قال أبو عمرو : كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرّة وكان يقال له : مانع الضَّيم .

[وفود ابنه على معاوية]

وحدّثني جماعة من أهل العِلم أنّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبي سفيان فقال لآذِنِه : استأذِنْ لي على أمير المؤمنين وقل : ابن مانع الضيم ، فاستأذَنَ له ؛ فقال له معاوية : وَيْحَك ؛ لا يكون هذا إلاّ ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ ، أو الحصين بن الحُمام المُرِّيّ ، أدخِلْه . فلمّا دخل إليه قال له : ابنُ مَن أنت ؟ قال : أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام ؛ فقال : صدقتَ ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

[الحرب بين بني سهم بن مرّة وبني صرمة بن مرّة]

أخبرني ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم : بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحافِ بن قضاعة . وبنو سَلامان بن سعد إخوة عُذْرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة بن مُرّة ونزولاً فيهم . وكان الحُرْقة وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَينة حلفاء لبني سهم بن مرّة ، وكانوا قوماً يرمون بالنَّبل رمياً سديداً ، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم . وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مُرّة . وكان في بني صِرْمة يهوديٌّ من أهل تَيْماء يقال له جُهَينة بن أبي حَمَل . وكان في بني سهم يهوديّ من أهل وادي القُرى يقال له غُصَين بن

1 ترجمة الحصين بن الحمام المري في كتب الصحابة والشعر والشعراء : 542 والمؤتلف : 91 والسمط 177 والخزانة 3 : 326–327 و ماسة المرزوقي : رقم 41 والمفضلية رقم 12 .

2 ل : حزام .

حَيّ[1] ، وكانا تاجرين في الخمر . وكان بنو جَوْشَن ، أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان ، جيراناً لبني صِرمة ، وكان يُتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة كان يقطع الطريق وحده . وكانت أُخته وإخوته يسألون الناس عنه ، ويَنْشُدونه في كلّ مجلس وموسِم . فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشنيّ في بيت غُصَيْن بن حَيٍّ[1] جار بني سهم يبتاع خمراً ، فبينما هو يشتري إذ مَرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة ، فقال غُصَين : [من الوافر]

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ ... وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ[2]

فأرسلها مثلاً ، يعني بجهينة نفسه . فحفِظ الجوشنيّ هذا البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نَشَدْتُك اللهَ ودينَك هل تعلم لأخي عِلْماً ؟ فقال له : لا وديني لا أعلم . فلمّا مضى أخو المفقود تمثّل : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما ضَلَّتْ ضلالَ ابن جَوْشن ... حَصاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

أراد أنّ تلك الحصاة يجوز أن توجد ، وأنّ هذا لا يوجد أبداً ، فلمّا سمع الجوشنيّ ذلك تركه ، حتى إذا أمسى أتاه فقتله . وقال الجوشنيّ : [من الطويل]

طَعَنتُ وقد كاد الظلامُ يُجِنّني ... غُصَيْنَ بن حَيٍّ في جِوار بني سهمِ

فأُتِيَ حصين بن الحُمام فقيل له : إنّ جارك غُصَيْناً اليهوديّ قد قتله ابن جوشن جار بني صِرْمة . فقال حصين : فاقتلوا اليهوديّ الذي في جوار بني صرمة ، فأَتَوْا جهينة بن أبي حَمَل فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيس بن عامر جيرانِ بني سهم فقتلوهم . فقال حصين : اقتلوا من جيرانهم بني سَلامان ثلاثة نَفَرٍ ، ففعلوا . فاستَعَر الشرُّ بينهم . قال : وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهْطِ الحصين بكثير . فقال لهم الحصين : يا بني صرمة ، قتلتم جارنا اليهوديّ فقتلنا به جاركم اليهوديّ ، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سَلامان ثلاثة نَفَر ، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبة ، فمُرُوا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيرانَنا من قُضاعة فيرتحلون عنّا جميعاً ، ثم هم أعلم . فأبى ذلك بنو صرْمة ، وقالوا : قد قتلتم جارَنا ابن جوشن ، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم ؛ فإنّك تعلم أنّكم أقلُّ منّا عدداً وأذلّ ، وإنّما بنا تُعَزّون وتُمْنعون . فناشدهم اللهَ والرّحمَ فأَبَوْا . وأقبلت الخُضْرُ من مُحارب ، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد ، فقالوا : نشهد نَهْبَ بني سهم إذا

1 ل : حيي .

2 المثل : عند جهينة الخبر اليقين : في مجمع الميدانيّ 2 : 3 وجمهرة العسكريّ 2 : 44 وفصل المقال 295–296 ومستقصى الزمخشري 2 : 169 .

انتُهِبوا فنُصيب منهم . وخَذَلَتْ غَطَفان كُلُّها حصيناً ، وكرِهوا ما كان من مَنْعِهِ جيرانَه من قضاعة . وصافَّهم حصينٌ الحربَ وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألاّ يَزيدوهم على النَّبْل ، وهزمهم الحصين ، وكفَّ يدَه بعد ما أكثر فيهم القتل . وأبى ذلك البطنُ من قضاعة أن يَكُفُّوا عن القوم حتى أُثْخِنوا فيهم . وكان سِنان بن أبي حارثة خذَّل الناسَ عنه لعداوته قضاعةَ ، وأحبّ سنان أن يَهُبّ[1] الحيّان من قضاعة ، وكان عُيَينة بن حِصن وزَبّان بن سَيّار بن عمرو بن جابر ممّن خَذَّل عنه أيضاً . فأجلبَتْ بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة ، وأجلبَتْ مُحارب بن خَصَفة معهم . فقال الحصين بن الحُمام في ذلك من أبيات : [من الطويل]

أَلا تقبَلُون النِّصْفَ منّا وأنتُمُ ... بنو عمّنا ؟ لا بَلَّ هامَكُم القَطْرُ[2]
سنأبى كما تأبَوْن حتى تُلينكم ... صفائحُ بُصْرى والأسِنّةُ والأُصْرُ[3]
أيُؤكَلُ مولانا ومولى ابنِ عمّنا ... مُقيمٌ ومنصورٌ كما نُصِرت جَسْرُ
فتلك التي لم يعلمِ الناسُ أنّني ... خَنَعتُ لها حتى يُغيِّبَني القبرُ
فليتَكُم قد حال دون لِقائكم ... سِنُونَ ثمانٍ بعدها حِجَجٌ عَشْرُ
أَجَدِّيَ لا أَلقاكُمُ الدهرَ مَرّةً ... على مَوْطِنٍ إلاّ خدودُكُمُ صُعْرُ[4]
إذا ما دُعُوا للبغي قاموا وأشرقَتْ ... وجوهُهمُ ، والرُّشْدُ وِرْدٌ له نَفْرُ[5]
فواعَجَبا حتّى خُصَيلةُ أصبحتْ ... مَوالِيَ عِزٍّ لا تَحِلُّ لها الخمرُ !

قوله : موالي عِزٍّ ، يهزأ بهم . ولا تحلّ لهم الخمر ، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز ، وليسوا هناك : [من الطويل]

أَلَمّا كَشَفنا لأُمَةَ الذُّلِّ عنكُمُ ... تجرّدتَ لا بِرٌّ جميلٌ ولا شكرُ[6]
فإنْ يَكُ ظَنّي صادقاً تَجْزِ منكُمُ ... جَوازِي الإلهِ والخيانةُ والغدرُ

قال : فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم ، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفة . وكان رئيس محارب حُمَيْضة بن حَرْمَلة . ونكَصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه ،

---

1 ل : يهلك .
2 النّصف : الأنصاف .
3 الأصر : الكسر والحبس .
4 صعر : مائلة عن الناس تهاوناً واستعلاءً .
5 نفر : جماعة .
6 جميل في ل : خصيل .

وهما عَدْوان وعبد عمرو ابنا سهم ، فسار حصين ، وليس معه من بني سهم إلاّ بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرْقة ، وكان فيهم العدد ، فالتَقَوْا بدارة موضوع ، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك[1] : [من الطويل]

جَــزى الله أفنــاءَ العشيرةِ كلَّها بِــدارةِ موضوعٍ عُقوقــاً ومأْثَما
بنــي عمِّنا الأدنَيْنَ منهــم ورَهْطنا فَــزارةَ إذ رامت بنا الحربَ مُعْظَما
ولّمــا رأيــت الودّ ليس بنافعي وإن كان يوماً ذا كَواكِبَ مُظلما
صَبَرنا وكان الصبرُ منّــا سَجيَّــةً بأسيافنا يَقْطَعْنَ كَفــا ومِعْصَما
نُفَلِّــق هامــاً مــن رجــالٍ أَعِزَّةٍ علينــا وهــم كانوا أَعَقَّ وأظلَما[2]
نُطاردهــم نستنقِذُ الجُـرْدَ بالقَنا ويستنقذون السَّمْهَــرِيَّ المُقــوَّما[3]

نستنقذ الجرد ، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهريَّ وهو القنا الصلب ، أي نطعنهم فتجرُّهم الرماح . [من الطويل]

لَدُنْ غُدْوةٍ حتى أتى الليلُ ما ترى من الخيــل إلاّ خارِجيّاً مُسَوَّما[4]
وأَجْرَد كالسِّرْحان يَضربُــه النَّدى ومحبوكةً كالسِّيدِ شَقّاءَ صِلْدما[5]
يَطَأْن مــن القَتْلى ومن قِصَدِ القنا خَبــاراً فما يجرِيــن إلاّ تَقَحُّما[6]
عليهنّ فتيــانٌ كساهــم مُحَرِّقٌ وكان إذا يكسو أجــاد وأكرما[7]
صفائحَ بُصْــرى أخلَصَتْها قُيُونُها ومُطَّرِداً مــن نَسج داودَ مُبْهَما[8]
جزى الله عنّا عبــدَ عمــرٍو ملامةً وعَدْوانَ سَهْمٍ مــا أَذَلَّ وأَلأَما[9]

---

1 هذه الأبيات من المفضلية رقم 12 (شرح ابن الأنباري) .
2 نفلق في المفضليات : يفلقن .
3 يعني أنّهم كانوا يقتلون الفارس فيستنقذون فرسه ويطعنونهم بالرماح فتبقى غارزة فيهم .
4 الخارجي المسوم : الفائق لأقرانه والموسوم بسمة يعرف بها .
5 المحبوك : الفرس الشديد الخلق القوي . وشقاء : تذهب يميناً وشمالاً في جريها . والصلدم : الشديد الحافر . والسرحان والسيد : الذئب .
6 الخبار : الأرض اللينة الرخوة ، وفي ل : شريحاً . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه ، وفي المفضليات «تجشماً» .
7 محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الغساسنة سمّي به لأنّه أحرق العرب في ديارهم ، وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه أحرق مائة من بني تميم .
8 مبهم : لا ثلم فيه .
9 المفضليات : أدق .

فلستُ بمبتـاعِ الحيـاةِ بسُبَّـةٍ ولا مُرْتقٍ من خشية الموت سُلَّما

[رثاؤه نعيم بن الحارث]

وقال أبو عبيدة : وقتل في تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُباد بن حبيب بن وائلة بن سهل ، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع ، وكان وادّاً للحصين فقال يرثيه : [من الوافر]

قتَلْنـا خمسةً ورَمَـوْا نُعيمـاً وكان القتـلُ للفتيـان زَيْنـا

لعمـرُ الباكيـات على نعيم لقـد جلَّـتْ رَزِيَّتُـه علينـا[1]

فـلا تَبْعَـدْ نُعَيمُ فكـلُّ حَـيٍّ سيَلْقى من صروف الدَّهرِ حَيْنا

[لومه بني حميس حين فارقوا قومه]

قال أبو عبيدة : ثم إنّ بني حميس كرِهوا مجاورة بن سهم ففارقوهم ومضَوْا ، فلحِق بهم الحصين بن الحُمام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتالِه عشيرتَه عنهم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

إنَّ امـرءاً بعـدي تَبـدَّلَ نصرَكم بنصر بني ذُبْيان حقّاً لخاسرُ

أولئك قـومٌ لا يُهانُ ثَوِيُّهُـمُ إذا صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّ الصَّنابرُ[2]

وقال لهم أيضاً : [من الوافر]

ألا أبلِـغْ لديـك أبا حُمَيْسٍ وعاقبـةُ الملامـة للمُلِيـمِ

فهـل لكُمُ إلى مَوْلًـى نَصُورٍ وخَطْبُكُـم مـن الله العظيمِ

فـإنّ ديـاركم بجَنُوب بُسٍّ إلى ثَقْـفٍ إلى ذات العُظومِ

ـ بُسّ : بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة ، وكانوا يَحُجّونه ، ويعظّمونه ويسمّونه حَرَماً ، فغزاهم زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ فهدمه : [من الوافر]

غَذَتكم في غَـداةِ الناس حُجّاً غِذاءَ الجائـع الجَـدِعِ اللئيمِ[3]

فسِيرُوا في البـلاد ودِّعونا بقَحْطِ الغيـث والكَلإِ الوَخِيمِ

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو : زعموا أنّ المثلَّم بن رَباح قتل رجلاً يقال له حُباشة في جِوار الحارث بن ظالم المُرِّي ، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام ، فأجاره . فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فطلب الحصينَ بدم حُباشة ، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانِه فقالوا : إنّا لا نَعقِل[4]

1 جلّت في ل : عزّت .

2 كحل : السنة المجدبة . الصنابر : الرياح الباردة .

3 الجدع : السيء الغذاء .

4 نعقل : نؤدي الدية .

بالإبل ، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم . فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته : [من الطويل]

خليـــليّ لا تستعجِـــلا أن تَزَوَّدا ... وأن تجمعا شَمْلي وتنتظـرا غدا

فمــا لَبَثٌ يومـــاً بسائقِ مَغْنَم ... ولا سرعـــةٌ يومـــاً بسابِقةٍ غدا

وإن تُنْظِراني اليـــومَ أقض لُبانةً ... وتستوجِبا مَنّـــاً عـــليَّ وتُحْمَدا

لعمرُك إنّي يوم أغدو بصِرْمتي ... تناهـى حُمَيْسٌ بادئـــين وعُوَّدا

وقد ظهرتْ منهـــم بوائقُ جَمَّةٌ ... وأَفْرَعَ مولاهـــم بنـا ثم أصْعَدا[1]

وما كان ذنبـــي فيهمُ غيرَ أنَّني ... بسطْتُ يـــداً فيهم وأتبعْتُها يدا

وأنّي أُحامي مِـن وراء حَرِيمهم ... إذا مـــا المُنـــادي بالمُغِيرة نَدّدا

إذا الفَوْجُ لا يحميــه إلاّ مُحافِظٌ ... كريمُ المُحَيّا ماجِــدٌ غيرُ أجردا

فإن صَرَّحَت كَحْلٌ وهَبَّت عَرِيَّةٌ ... من الرِّيح لم تترك لِذِي العَرْضِ مَرْفَدا[2]

صبَرتُ على وَطْءِ الموالي وخَطْبِهم ... إذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأَجْمَدا[3]

[بين الحصين والبرج ابن الجلاس]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان البُرْج بن الجُلاس الطائيّ خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب ، وفيه يقول البرج بن الجُلاس : [من الوافر]

ونَدْمـانٍ يَزيـد الكأسَ طِيباً ... سَقَيتُ وقـد تغوَّرَتِ النجومُ

رفعتُ برأسه فكشفْتُ عنـــه ... بمُعْرَقَةٍ ملامــةَ مَـن يلـومُ[4]

ونشْرَب ما شرِبْنا ثم نصحو ... وليس بجانبَيْ خَـدّي كُلـومُ

ونجعل عِبْأها لبنـي جُعَيْلٍ ... وليس إذا انتَشَوْا فيهـم حليمُ

كانت للبرج أخت يقال لها العُفاطة ، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أُخته فافتضّها ، وندِم على ما صنع لّما أفاق ، وقال لقومه : أيُّ رجلٍ أنا فيكم ؟ قالوا : فارسُنا وأفضلنا وسيِّدنا . قال : فإنّه إن علِم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسي فلم تَرَوْني أبداً ، فلم يسمع بذلك أحد منهم . ثم إنّ أَمَةً لبعض طيىء

1 البوائق : الدواهي . وأفرع : نزل .

2 العرية : الريح الباردة . العرض : السعة .

3 أجمد : بخل .

4 أعرق الشراب : جعل فيه قليلاً من الماء .

وقعت إلى الحصين بن الحُمام ، فرأت عنده البرجَ الطائيّ يوماً وهما يشربان . فلمّا خرج من عنده قالت للحصين : إنّ نديمك هذا سكِر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت ، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكِر عندك . فزجرها الحصين وسَبّها ، فأمسكَتْ . ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحُمام من الحرْقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصَّريخ الحصين بن الحمام ، فتبع القوم ، فأدركهم ، فقال للبرج : ما صَبَّك على جيراني يا برج ؟ فقال له : وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا . وأنشأ يقول : [من الكامل]

أَنَّى لك الحُرُقاتُ فيما بيننا ! عَنَنٌ بعيدٌ منك يا ابنَ حُمامِ[1]
أقبلتَ تُزْجِي ناقة متباطئاً عُلْطاً تزجِّيها بغيرِ خِطامِ

تزجي : تسوق . علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي أتيت هكذا من العجلة . فأجابه الحصين بن الحمام : [من الكامل]

بُرجٌ يُؤَثّمني ويَكفُر نعمتي صَمِّي لِما قال الكفيلُ صَمامِ[2]
مَهْلاً أبا زيدٍ فإنّك إنْ تَشأْ أُورِدْك عُرْضَ مَناهِلٍ أسْدامِ[3]
أُورِدْك أَقْلِبَةً إذا حافلْتَها خَوْضَ القَعودِ خَبيثَةَ الأخصامِ[4]
أقبلتُ من أرض الحجاز بذَمَّةٍ عُطُلاً أُسوِّقها بغيرِ خِطامِ[5]
في إثْرِ إخوانٍ لنا من طيىء ليسوا بأكفاء ولا بكرامِ
لا تحسَبَنَّ أخا العفاطة أنّني رَجُلٌ بخُبْرِك ليس بالعَلّامِ
فاستنزلوك وقد بَلَلْتَ نِطاقِها عن بنتِ أُمِّك والذيولُ دوامي

ثم ناصب الحصينُ بن الحُمام البرج الحربَ ، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم سائرهم ، واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حقّ نِدامه وعشرته إيّاه فمنَّ عليه . وجَزَّ ناصيته وخلّى سبيله . فلمّا عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأُخته لامهم وقال : أشَعْتم ما فعلتُ بأُختي وفضحتموني ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهُرهم فلحِق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر إلى الآن .

---

1 أنى لك الحرقات : من أين لك قرابتهم .

2 المثل : صمي صمام في مجمع الميداني 1 : 320 ومستقصى الزمخشري 2 : 143 وفصل المقال : 474 ، 478 وجمهرة العسكري 1 : 576 ، 578 . ويضرب للداهية والحرب .

3 مياه أسدام : متغيرة .

4 أقلبة : جمع قليب وهي البئر . خبيثة الأخصام : خبيثة المشرب .

5 ذَمة : ناقة مذمومة لهزالها .

وقال ابن الكلبيّ : بل شرب الخمر صِرفاً حتى قتلته .

[يغير على بني عقيل وبني كعب]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عَدِيٍّ ثم أغار على بني عُقَيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَماً كثيراً ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيِّد بني كعب فأطلقها ومَنّ عليها ، وقال في ذلك : [من الوافر]

فِدًى لبني عديٍّ رَكْضُ ساقي ... وما جَمَّعتُ من نَعَمٍ مُراحِ
تَركْنا من نساء بني عُقَيْلٍ ... أيامى تبتغي عَقْدَ النّكاحِ
أَرُعْيانَ الشَّوِيِّ وجدتمونا ... أمَ اَصحابَ الكريهة والنِّطاحِ[1]
لقد علمتْ هَوازنُ أنَّ خيلي ... غَداةَ النَّعْفِ صادقةُ الصَّباحِ[2]
عليها كلُّ أَرْوَعَ هِبْرِزِيٍّ ... شديدٍ حَدُّه شاكي السِّلاحِ[3]
فكَرَّ عليهمُ حتَّى التقينا ... بمصقولٍ عوارضُها صِباحِ[4]
فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا ... وبالبِيضِ الخرائدِ واللِّقاحِ
وأعتقنا ابنةَ العَمْريِّ عمرٍو ... وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ

[أدرك الإسلام]

أخبرنا ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام . قال : ويدلّ على ذلك قوله : [من المتقارب]

وقافيةٍ غيرِ إنسيَّةٍ ... قَرَضْتُ من الشِّعرِ أمثالَها
شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقَيْنِ ... إذا أُنْشِدَتْ قيل مَن قالها
وحَيرانَ لا يهتدي بالنهار ... من الظَّلْعِ يَتْبَعُ ضُلاَّلَها
وداعٍ دعا دعوةَ المستغيثِ ... وكنتُ كمَن كان لَبَّى لها
إذا الموتُ كان شَجاً بالحُلُوق ... وبادَرتِ النفسُ أشغالَها
صبَرتُ ولم أَكُ رِعدِيدَةً ... ولَلْصَّبْرُ في الرَّوع أنجى لَها
ويومٍ تَسَعَّرُ فيه الحروبُ ... لَبِستُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالَها

---

1 الشوي : جمع شاة .
2 الصباح : الغارة عند الصباح .
3 هبرزي : شجاع .
4 إشارة إلى النساء .

مُضعَّفــةَ السَّرْدِ عاديَّـــةً وعَضْبَ المَضارِبِ مِفْصالَها
ومُطَّـــرِداً مـــن رُدَيْنِيَّـــة أذودُ عـــن الـــوِرْدِ أبطالَها
فلــم يبـق من ذاك إلاّ التُّقَى ونفسُ تُعالـــج آجـــالَها
أُمــورٌ من الله فــوق السماء مقاديـــرُ تنـــزلُ أنـــزالَها
أعــوذ بربِّــي مــن المُخْزِيا تِ يـوم ترى النفسُ أعمالَها
وخَــفّ المـوازينُ بالكافريـن وزُلزِلـــتِ الأرضُ زِلـــزالَها
ونـــادى مُنـــادٍ بأهـل القبور فهبّـــوا لتُبْـــرِزَ أثقـــالَها
وسُعِّرَت النارُ فيهـــا العـذابُ وكان السلاسلُ أغـــــلالَها

[رثاه أخوه عند وفاته]

حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : مات حُصَيْن بن الحُمام في بعض أسفاره ، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرّة : [من الطويل]

ألا هَلَـك الحُلْـو الحَلالُ الحُلاحِلُ ومَــن عَقْـدُه حــزمٌ وعَزْمٌ ونائلُ

الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والحلاحل : الشريف العاقل .

ومَن خَطبُه فَصْلٌ إذا القوم أُفحِموا يُصيب مَرادِي قوله مَن يُحاوِلُ

المَرادي : جمع مرداة ، وهي صخرة تُردى بها الصخور ، أي تكسر ، قال : فلمّا سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال : هَلَك والله الحصين ، ثم قال يرثيه : [من الوافر]

إذا لاقيــتُ جمعــاً أو فِئاماً فإنّـــي لا أرى كأبــي يَزِيدا[1]
أشدَّ مهابـــةً وأعـــزَّ ركنـــاً وأصلبَ ساعـــةَ الضَّرَّاء عُودا
صَفِيِّـي وابنُ أُمِّـــي والمُواسي إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا
كأنَّ مُصَدَّراً يحبـــو ورائـــي إلى أشبالـــه يبغِـــي الأسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

صوت

[من البسيط]

لا أَرَّق الله عَيْنَيْ مَـــن أرِقْتُ لــه ولا مَـــلا مِثلَ قلبي قلبَـه تَرَحا
يَسُرُّني سوءُ حـــالي في مسرَّتــه فكلَّما ازددت سُقْماً زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صَدَقة ، رَمَلٌ بالوسطى .

1 الفئام : الجماعة من الناس .

[255] ـ أخبار محمد بن يسير ونسبه[1]

[نسبه]

محمد بن يسير الرِّياشيّ ، يقال إنّه مولًى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشيّ الأخباريّ الأديب ، ويقال إنّه منهم صُلْبِيَة[2] . وبنو رِياش يذكرون أنّهم من خَثْعَم . ولهم بالبصرةِ خِطّة وهم معروفون بها . وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدّثين . متقلّل ، لم يفارق البَصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنْتَجِعاً ، ولا تجاوز بلده ، وصُحْبَته طبقَتُه ، وكان ماجِناً هَجّاءً خبيثاً .

[دعوة والي البصرة له للاصطباح]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة قال : بعث إليّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان ، وهو يتولّى البصرة حينئذٍ ، في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر . فقلت له : أنِمتَ وانتبهتَ أم لم تَنَم بعدُ ؟ فقال : قد قضيتُ حاجتي من النوم ، وأريد أن أصطبح وأبتدىء الساعةَ بالشرب ، وأصِلَ ليلتي بيومي محتجباً عن الناس ، وعندي محمد بن رَباح ، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش ، وحضرتَ أنت ، فمَن ترى أن يكون خامسَنا ؟ قلت : محمد بن يسير . فقال : والله ما عَدَوتَ ما في نفسي . فقال لي ابن رباح : اكْتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت ، وكان يوم غَيم ، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع ؛ فكتب إليه ابن رَباح : [من الخفيف]

صوت

يــومُ سَبتٍ وشَنْبَــذٍ ورَذاذٍ فعلامَ الجُلُوسُ يـا ابن يسيرٍ ؟
قم بنا نأخــذ المُدامةَ من كَـ ـفٍّ غَـزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبِيرِ

في هذين البيتين لعبّاس أخي بحرٍ ثقيل أوّل بالبِنصر ، وبعث إليه بالرُّقعة ، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب . فقال لهم : بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة ! فقالوا : لم نَلْقَه ، وإنّما كتب جوابَها في منزله ، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم . فقرأها فإذا فيها : [من الطويل]

---

1 ترجمة محمد بن يسير في الشعر والشعراء 756–757 وطبقات ابن المعتزّ : 280 والورقة : 112 ويتصحف إلى «بشير» . انظر الحماسة والأمالي .

2 ل : صليبة .

أجيءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلاً وإلاّ فإنِّي راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجْ لِيَ البِرْذَوْنُ في حالِ دُلْجتي وأنت بدُلْجاتي مع الصبح خابِرُ
لأقضِيَ حاجاتي إليه وأنثني إليك ، وحَجَّامٌ إذا جئتُ حاضرُ
فيأخذ من شَعري ويُصلِحُ لِحْيَتي ومن بعدُ حَمَّامٌ وطِيبٌ وجامِرُ[1]
ودَسْتِيجَةٌ من طيِّب الرّاح ضخمةٌ يُرَوِّدنيها طائعاً لا يُعاسِرُ[2]

فقال محمد بن أيّوب : ما تقول ؟ فقلت : إنّك لا تقوى على مطاولته ، ولكن اضْمَنْ له ما طلب . فكتب إليه : قد أُعِدَّ لك ، وحَياتِك ، كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِيء ؛ فإذا به قد طلع علينا . فأمر محمد بن أيّوب بإحضار المائدة . فلمّا أُحضرت أمَر بمحمد بن يسير فشُدَّ بحبل إلى أُسطوانة من أساطين المجلس ، وجلسنا نأكل بحذائه ، فقال لنا : أيُّ شيء يخلّصني ؟ قلنا : تُجيب نفسك عمّا كتبت به أقبح جواب . فقال : كُفّوا عن الأكلِ إذاً ولا تستبِقوني به فَتَشْغَلوا خاطري ، ففعلنا ذلك وتوقفنا ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

أيا عَجَباً مِنْ ذا اليسيري إنّه لــه نَخوةٌ في نفسه وتَكابُرُ
يُشارِط لَمّا زار حتَّى كأنّه مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلام مُؤاجَرُ
فلولا ذِمامٌ كان بيني وبينه للَطَّمَ بَشَّارٌ قَفاه وياسِرُ

فقال محمد : حسبُك ، لم نُرِدْ هذا كلّه ، ثم حلَّه وجلس يأكل معنا ، وتممنا يومنا .

[هجاؤه شاة جاره منيع]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلِيّ قال : كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم ، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس ، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق قَلَعها من داره ، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسيلةً لطيفة ، وزرَعَ حَوالَيه بَقْلاً ، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له : مَنِيع ، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص ، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلاّ القراطيسَ فيها شِعرهُ وأشياءُ من سَماعاته ، فأكلَتْها وخرجَتْ ، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه ، وعاد فزرع البستان ، وقال يهجو شاة منيع : [من الرمل]

لِيَ بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ناضِرُ الخُضْرة رَيَّان تَرِفْ[3]

1 الجامر : الذي يبخر بالطيب .
2 دستيجة : إناء ، فارسي معرّب .
3 ترف : مرتوٍ بالماء .

رَاسخُ الأَعْراقِ رَيَّانُ الثَّرى غَـدِقٌ تُرْبَتُـه ليست تجِفّ[1]
لِمجـارِي المـاء فيـه سُنَنٌ كيفما صَرَّفتَه فيـه انصرفْ
مُشرِق الأنوار ميّـاد النّدى مُنْثَـنٍ في كلِّ ريح مُنعَطِـفْ[2]
تملِـكُ الريحُ عليـه أمرَه فـإذا لم يُؤْنِسِ الريحَ وقفْ
يكتسي في الشرق ثوبَيْ يُمْنَةٍ ومـع الليل عليهـا يَلتَحِفْ[3]
ينطوِي الليـلُ عليـه فإذا واجَهَ الشرقَ تجلَّى وانكَشَفْ
صابِرٌ ليس يُبـالي كَثرةً جُـزَّ بالمِنْجَلِ أو منـه نُتِفْ
كلّما أُلحِفَ منـه جانـبٌ لم يُلَبِّثْ منـه تعجيلُ الخَلَفْ[4]
لا تـرى للكفِّ فيـه أَثَـراً فيه بل يَنْمِي على مسِّ الأَكُفّ
فترى الأطبـاقَ لا تُمْهِلـه صـادراتٍ وارداتٍ تختلِفْ
فيـه للخـارِفِ مـن جيرانه كلَّما احتـاج إليـه مُخْتَرَفْ[5]
أُقْحُـوانٌ وبَهـارٌ مُونِـقٌ وسوى ذلك من كلِّ الطُّرَفْ
وهو زَهْـرٌ للنّدامـى أصُلاً برِضا قاطِفِهم ممّـا قَطَفْ
وهـو في الأيدي يُحَيُّون به وعلى الآنافِ طَوْراً يُستَشَفّ
أَعْفِهِ يـا ربِّ مِـن واحدةٍ ثـم لا أُحْفِـلُ أنـواعَ التَّلَفْ
اكْفِـهِ شاةَ مَنيعٍ وَحْدَهـا يوم لا يُصْبِحُ في البيت عَلَفْ
اكْفِـهِ ذاتَ سُعـالٍ شَهْلةً مُتِّعتْ في شرِّ عيش بالخَرَفْ[6]
اكْفِهِ يا رَبِّ وَقْصاءَ الطُّلى أَلْحِمِ الكِتْفينِ منهـا بالكَتِفْ[7]
وكَلُـوحٌ أبـداً مُفْتَـرَّةٌ لك عن هُتْمٍ كَلِيلاتٍ رُجُفْ[8]

1 غدقة : ندية مبتلة .
2 الأنوار : جمع نَور وهو الزهر .
3 يمنة : ثوب يمني موشى .
4 ألحف : استؤصل .
5 الخارف : هنا قاطف الأزهار .
6 الشهلة : العجوز .
7 وقصاء الطلى : قصيرة العنق .
8 الكالح : الذي تقلصت شفتاه من أسنانه . والهتم الرجف : الأسنان المكسرة المخلخلة .

وَنُئُــوسُ الأنفِ لا يَرْقــا ولا　　أبــداً تُبْصــرُه إلاّ يَكِفْ[1]
لَــم تَــزَلْ أظلافُهــا عافِيَةً　　لم يُظَلِّفْ أهلُهــا منها ظِلَفْ[2]
فتــرى في كلِّ رِجْــلٍ ويــدٍ　　من بقاياهنّ فوق الأرض خُفّ
تَنسِف الأرضَ إذا مرّت بــه　　فلهــا إعْصارُ تُــرْبٍ مُنتسِفْ
تُرْهِجُ الطُّــرْقَ على مُجْتازِها　　بِتَدانِي المشي والخَطْوِ القَطِفْ[3]
في يَدَيها طَــرَقٌ ، مِشْيَتُها　　حَلْقةُ القوس ، وفي الرجل حَنَفْ[4]
فإذا مــا سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ　　جاوبَ البَعْرُ عليها فخُصِفْ[5]
وأُحِصَّ الشعرُ منهــا ، جِلدُها　　شَنَّةٌ في جوف غارٍ مُنْخسِفْ[6]
ذات قَرْنٍ وهي جَمَّاءُ ، ألا　　إنّ ذا الوصفَ كوصفٍ مُخْتلِفْ
وإذا تدنــو إلى مُسْتَعْسِبٍ　　عافَها نَتْناً إذا مــا هُو كَرَفْ[7]
لا ترى تَيْساً عليهــا مُقْدماً　　رُمِيَتْ من كلّ تَيْسٍ بالصَّلَفْ
شُوهة الخِلْقــة ، مــا أبصرَها　　مِن جميع النــاس إلاّ وحَلَفْ
مــا رأى شاةً ولا يعلمُهـــا　　خُلِقَتْ خِلْقَتَها فيمـــا سَلَفْ
عَجَبــاً منهــا ومـــن تأليفها　　عجباً مِن خَلْقها كيف ائتلَفْ !
لـــو يُنـادُون عليهـــا عَجَباً　　كَسَبوا منهــا فُلُوساً ورُغُفْ
ليتَها قــد أفلتــتْ في جَفْنــةٍ　　مِن عجينٍ أو دقيــق مُجْتَرَفْ
فتلقَّــتْ شَفْــرةً مِـــن أهله　　قَــدَرَ الإصبع شيئاً أو أشَفّ
أحكَمَتْ كَفّاً حكيمٍ صُنْعَها　　فأتت مجدولــةً فيها رَهَفْ
أُدْمِجَتْ من كلّ وجه غيرَ ما　　ألّلَ الأقْيانُ مــن حَدّ الطَّرَفْ[8]

---

1 نئوس الأنف : سيالته .
2 عافية : طويلة . لم يظلف : لم يقلّم .
3 ترهج الطرق : تثير فيها الغبار .
4 طرق : ضعف واعوجاج . مشيتها حلقة القوس : معوجة غير مستقيمة . الحنف : اعوجاج في الرجل إلى الداخل .
5 خصف : التصق بها .
6 أحصى الشعر : انجرد وتناثر .
7 المستعبسب : الفحل الهائج المغتلم . ويكرف : يرفع رأسه إلى السماء عندما يشم طروقته .
8 ألّل الشيء : حدّد طرفه . والأقيان : جمع قين وهو الحداد .

قابِضُ الرَّونــقِ فيهــا ماتِعٌ يَخطَفُ الأبصارَ منها يُستَشَفّ
لَمَحْتِهــا فاسْتَخفَّتْ نحوَهــا [عَجَلاً] ثم أحالت تنتسِفْ
فتناهَتْ بــين أضعاف المِعَى وتَبوَّتْ بــين أثناء الشَّغَفْ[1]
أو رَمَتْها قَرْحَـةٌ زادت لهــا ذَوبانــاً كلَّ يــومٍ ونَحَفْ
كلّ يوم فيــه يدنــو يومُها أو تُرى واردةً حَوضَ الدَّنَفْ
بينما ذاك بهــا إذ أصبحَتْ كَحَميتٍ مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ[2]
شاغِراً عُرْقوبُهــا قد أُعقِبَتْ بِطْنَةً من بعــد إدمان الهَيَفْ[3]
وغَــدا الصِّبيةُ مــن جيرانها ليجرُّوها إلى مــأوى الجيَفْ
فتراهــا بينهـــم مسحوبةً تَجرُفُ التُّرْب بجَنْبٍ منحرِفْ
فإذا صاروا إلى المأوى بهــا أعمَلُوا الآجُرَّ فيهــا والخزَفْ
ثــم قالــوا : ذا جَزاءٌ للتي تأكلُ البستانَ منّــا والصُّحُفْ
لا تلوموني ، فلــو أبصرتُ ذا كلَّــه فيهــا إذن لم أنتصفْ

[ردّه على عتاب امرأته]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن يسير ، وحدّثني سوار بن أبي شُراعة قال حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : هَوِيَ أبي قَيْنةً من قِيان أبي هاشم بالبصرة ، فكتبتْ إليه أمّي تعاتبه ، فكتب إليها : [من البسيط]

لا تَذْكُرِي لَوْعةً إثْرِي ولا جَزَعا ولا تُقاسِنَّ بعــدي الهــمَّ والهَلَعا
بَلِ ائْتسي تجدي إن ائْتسيتِ أُساً بمثل ما قد فُجِعْتِ اليوم قد فُجِعا
ما تصنَعين بعَينٍ عنك قد طمَحَتْ إلى سواكِ وقلبٍ عنكِ قــد نَزَعا
إن قُلْتِ قد كنتُ في خَفْضٍ وتكرِمَةٍ فقد صدَقتِ ، ولكنْ ذاكِ قد نُزِعا
وايُّ شيءٍ مــن الدُّنيا سمعت بــه إلاّ إذا صار في غاياتــه انقطعا
ومَن يُطيقُ خَليعــاً عنــد صَبْوته أم مَــن يقــوم لِمستورٍ إذا خَلُعا

---

1 تناهت : بلغت . أضعاف المعي : أثناؤها . والشغف : غلاف القلب .

2 الحميت : الزق . وجف : الشن البالي .

3 شاغراً عرقوبها : أي مرفوعاً . البطنة : عظم البطن . والهيف : ضخور البطن .

[هجاء أبي النجم المغني]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن يسير أنّ أباه دُعِي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النَّجم ، فعبِثَ بأبي وباغضه وأساء أدبه ، فقال يهجوه : [من الطويل]

نَشَتْ بأبـي النَّجم المغنِّي سحابةٌ عليه مـن الأيدي شآبيبُها القَفْدُ[1]
نَشا نَوءها بالنَّحْس حتى تصرَّمتْ وغابت فلم يَطلُع لها كَوكبٌ سَعْدُ
سَقَتْه فجادتْ فارتَوى من سِجالِها ذُرا رأسه والوجهُ والجِيدُ والخدُّ[2]
فـلا زال يَسْقِيه بهـا كلُّ مجلس بـهِ فِتيـةٌ أمثالَها الهَزْلُ والجِدُّ

أراد به يسقيانه .

[ردّه على جارية عاتبت صديقه داود]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال وحدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلِّهم أدباً ، إلاّ أنّه كان وافر المتاع ، فكان القِيان يواصلنه ويكثُرن عنده ، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب ، فيدعو بأبي فيعاشره . فهَوِيته قينةٌ من قِيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجهاً ، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدّاً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره . فسأل أبي أن يُجيبها عنه ، فقال أبي : اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أُجيب عنها : [من الخفيف]

وابلائي مِن طول هذا الكتاب أَسْعِدُوني عليـه يـا أَصحابي
أَسْعِدُوني على قِـراةِ كتـابٍ طولُهُ مثل طولِ يوم الحسابِ
أنا فيـه مـن البَلاءِ مُلَقًّى ولغيري فيـه الهوى والتَّصابي
ولـه الودُّ والهوى ، وعلينا فيـه للكاتبـين رَدُّ الجوابِ
ثم ممّن يا سيِّدي ؟ وإلى مَن ؟ مِن هَضِيم الحَشا لَعُوبٍ كَعابِ
وإلى مَنْ إنْ قلتُ فيه بِعَيْب لم أُحِطْ في مقالتي بالصوابِ
لا يُساوي على التأمُّل والتفـ ـتيش يوماً في الناس كفَّ ترابِ

[رثاؤه داود]

فقال عبد الله : وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه ، فيمشي قُدّامه .

1 نشت : عاودته مرّة بعد أخرى . القفد : الصَّفْع بباطن الكف .

2 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .

فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِي داود شرَّه وحَذِره أبي . فمات داود . وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران ، فعثَر بدُكَّان[1] وتلوَّث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً ، فقال يرثي داود : [من البسيط]

أقول والأرضُ قد غَشَّى وجَلَّلَها ثوبُ الدُّجى فَهْو فوق الأرض ممدودُ
وسَدَّ كلَّ فُروج الجوِّ مُنْطَبِقاً وكلُّ فَرْجٍ به في الجوِّ مسدودُ
وفي الوَداع وفي الإبداء لي عَنَتٌ دون المسير وبابُ الدارِ مشدودُ
مَن لي بداودَ في ذي الحال يُرْشِدني ؟ مَن لي بداود ؟ لَهْفي ! أين داودُ ؟
لَهْفي على رِجْلِه ألاّ أقدِّمَها قُدَّامَ رِجلي فتَلْقاها الجَلاميدُ
إذ لا أزال إذا أقبلتُ ينكبُنِي حَرْفٌ وجُرْفٌ ودُكَّانٌ وأُخدودُ
فإن تكن شوكةٌ كانت تحُلّ به أو نكتةٌ في سواد الليلِ أو عُودُ[2]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشميّ قال : هجمتْ شاة منيع البَقَّال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلّها ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

قُلْ لبُغاة الآداب ما صَنَعَتْ منها إليكم فلا تُضيعُوها
فإن دعتكم إلى القراطيـ ـس والانقاس سرّاً فلا تطيعوها
وضمِّنوها صُحْفَ الدَّفاترِ بالـ ـحِبر وحُسْنَ الخُطوطِ أوعُوها
فإن عجزتم ولم يكن عَلَفٌ تُسيغُه عندكم فبيعُوها

[عربدة يوسف بن جعفر عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني ابن شِبْل البُرْجُميّ قال : كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشدَّ خلق الله عربدةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاءٍ ، فعربد يوسف عليه وشَجَّه ، فقال ابن يسير يهجوه : [من الكامل]

لا تجلسَنْ مع يوسفٍ في مجلسٍ أبداً ولم تَحمِلْ دَمَ الأَخَوَيْنِ[3]

1 دكان : مصطبة .
2 نكتة : ألقاه على رأسه .
3 دم الأخوين : نبات ذو صبغ أحمر ، العندم .

رَيْحانُه بـدمِ الشبابِ مُلَطَّخٌ　　　وتحيَّـةُ النَّدْمانِ لَطْـمُ العَينِ

[الغلام الذي نبتت لحيته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني الحسين بن يحيى المنجّم قال حدَّثني أبو عليّ بن الخُراسانيّ قال : كان لمحمّد بن يسير البصريّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر ، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر ، ومَنْ يَسْتَشْرِط[1] من المُرْدِ . فجاءَ يوماً غلامٌ قد خرجتْ لحيته ، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر ، فمنع من ذلك فجعل يُخاصم لدالّته ، وبلغ ابنَ يسير فكتب إليه : [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَـنْ رامَ بجَهْلٍ　　　مَدْخَـلَ الظَّبْـي الغريرِ
بعـد أن عَلَّق في خَـ　　　ـدّيه مِخـلاةَ الشَّعيرِ
لَيتَـه يدخـل إنْ جا　　　ءَ مـن البـابِ الكبيرِ

[شعره في رجل يصيب بالعين]

وأخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : كنّا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصافيّ ، وعندنا مغنِّية حسنة الوجه شَهْلة[2] تغنّي غناءً حسناً ، فكنّا معها في أحسن يوم ، وكان القِصافيّ يَعين[3] في كلِّ شيء يستحسنه ويحبّه ، فما برِحْنا من المجلس حتى عانها ، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين . فقال ابن يسير : [من الخفيف]

إنّ عمـراً جَنى بعينيه ذنباً　　　قَلَّ منِّـي فيـه عليه الدُّعاءُ
عانَ عَيْنـا ، فعينُـه للتي عـا　　　ن فِدًى ، وقَـلَّ منـه الفِداءُ
شرُّ عينٍ تَعِـينُ أحسَنَ عـينٍ　　　تَحمِلُ الأرضُ أو تُظِلُّ السماءُ

[شعره في جار منعه حماراً]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه ، فمضى إليها ماشياً ، وكتب إلى عمرو القِصافيّ ، وكان جاراً للهاشميّ وصديقاً ، يشكوه إليه ويُخبره بخبره : [من البسيط]

---

1 استشرط : فسد بعد صلاح .
2 شهلة : نصَف عاقلة .
3 يعين : يصيب بالعين .

إنْ كنتُ لا عَيْرَ لِي يوماً يُبلِّغني ... حاجِي وأقضي عليه حقَّ إخواني
وضَنَّ أهلُ العَوارِي حين أسأَلُهم ... من أهلِ ودِّي وخُلْصاني وجيراني
فإنَّ رِجْلَيَّ عندي ، لا عَدِمْتُهما ، ... رِجْلا أخي ثِقةٍ مُذْ كان جَوْلاني
تُبَلِّغانِيَ حاجاتي وإن بَعُدَتْ ... وتُدْنِيانِيَ مِمّا ليس بالدّاني
كأنَّ خَلْفِي إذا ما جَدَّ جِدُّهما ... إعصارَ عاصفةٍ مِمّا تُثِيرانِ
رِجلايَ لَم تألَما نَكْباً كأنّهما ... قَطّاً وقَدّاً وإدماجاً مَداكانِ[1]
كأن ما بهما أخطو إذا ارتميا ... في سِكّةٍ من أي رالِ سماكانِ[2]
إن يُبْعَثا في دَهاسٍ تَبْعَثا رَهَجاً ... أو في حُزُونٍ ذَكا فيها شِهابانِ[3]
فالحمدُ لله يا عمرُو الذي بهما ... عن العواري ومَنٍّ الناسِ أغناني

[جلة التمر والشكوى إلى والي البصرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال : كنّا في حَلْقة التَّوَّزِيّ ، فلمّا تقوّضتْ أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قولَه : [من البسيط]

جُهْدُ المُقِلِّ إذا أعطاه مصطبراً ... ومُكْثِرٌ من غِنًى سِيّانِ في الجودِ
لا يَعْدَمُ السائلون الخيرَ أفْعَلُهُ ... إمّا نَوالي وإمّا حُسْنَ مردودِ

فقلنا له : ما هذا التكارُم ! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلّة[4] تَمْرٍ كانت عنده أكثَرَها وحَمَلْنا بقيَّتها . فكتب إلى والي البصرة عُمَر بن حَفْص : [من المديد]

يا أبا حَفْصٍ بِحُرْمتنا ... غبتَ عنّا حين نُنْتَهكُ
خُذْ لنا ثأراً بجُلَّتنا ... فبِكَ الأوتارُ تُدرَكُ
لهفَ كفِّي حين تَطْرَحُها ... بين أيدي القوم تَبْتَرِكُ[5]
زارنا زَوْرٌ فلا سَلِموا ... وأصِيبوا أيَّةً سَلَكوا[6]

1 المداك : مدق الطيب .
2 الرأل : ولد النعام .
3 الدهاس : المكان السهل . والرهج : الغبار . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .
4 الجلة : وعاء من خوص .
5 يقال ابتركت السحابة ، إذا اشتدّ مطرها .
6 الزور : الزائرون .

أَكَلــوا حتَّــى إذا شبِعوا ... أَخذوا الفضلَ الذي تَرَكوا

قال : فبعث إلينا فأحضرَنا فأغرَمَنا مائة درهم ، وأَخذ من كلٍّ واحدٍ منّا جُلَّة تمرٍ ، ودفع ذلك إليه .

[بينه وبين أحمد بن يوسف]

أَخبرني الأَخفش قال حدَّثنا أَبو العَيْناء قال : كان بين محمّد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ ، فزحمه أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرِّه وعَبَثاً به ، فأخذ ابن يسير بأُذن الحِمار وقال له : قُلْ لهذا الحِمار الراكب فوقك لا يُؤذي الناس ، فضحك أَحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

[يستهدي المدينيّ حماماً]

أَخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمّد بن عليٍّ الشاميّ قال : طلب محمّد بن يسير من ابن أَبي عمرو المدينيّ فِراخاً من الحمام الهُدَّاء[1] ، فوعده أن يأخذها له من المُثنّى بن زُهَيْر ، ثم نَوَّر عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دَلَّسها عليه وأَخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير : [من الكامل]

يــا ربِّ رَبَّ الرائحــينَ عشيَّةً ... بالقومِ بــين مِنًــى وبــين ثَبِيرِ
والواقفين على الجبــالِ عشيّــةً ... والشمسُ جانحــةٌ إلى التغويرِ[2]
حتى إذا طَفَــلَ العَشيُّ ووجَّهَتْ ... شمسُ النَّهــارِ وآذَنــتْ بغُؤورِ[3]
رحلوا إلى خَيْفٍ نَواحِــلَ ضَمَّها ... طُــولُ السِّفارِ وبُعْــدُ كلِّ مَسِيرِ[4]
ابْعَــثْ على طير المَدِينــيِّ الــذي ... قــال المُحــال وجــاءَني بِغُرُورِ
ابعث على عَجَــلٍ إليها بعدما ... يأخُــذْنَ زينَتَهــنَّ في التحسيرِ[5]
في كلِّ ما وَصَفُوا المراحِلَ وابتَدَوْا ... في المُبْتَدِيــن بهــنّ والتكسيرِ
ومَضَيْنَ عــن دُور الخُرَيْبَةِ زُلْفَةً ... دونَ القصورِ وحَجْــرَةِ الماخُورِ[6]

---

1 الهداء : ضرب من الحمام يعرف بالزاجل .
2 التغوير : الغروب .
3 طفلت الشمس : مالت إلى الغروب . غئور : غياب .
4 خيف : خيف منى . ورحل البعير : وضع عليه الرحل .
5 التحسير : سقوط ريش الطائر .
6 الخريبة : موضع بالبصرة .

مـع كلِّ ريح تَغتـــدِي بهُبوبِها ... في الجـــوِّ بـين شَواهِنٍ وصُقورِ
من كلِّ أكلَفَ بـاتَ يَدْجُنُ ليلُهُ ... فغدا بغُـدْوةٍ ساغِـبٍ ممطورِ
ضَرِمٍ يقلِّـب طَرْفَـه مُتأنِّساً ... شيئاً فكُـنّ لـه مـن التقديرِ[1]
يأتـي لهـنّ مَيامِناً ومَياسِراً ... صَكّاً بكـلِّ مُذلَّـقٍ مَمْكُورِ[2]
مِن طائـرٍ مُتَحيِّرٍ عـن قصدِهِ ... أو ساقِـطٍ خَلِجِ الجَناحِ كَسِيرِ
لم ينجُ منـه شَرِيدُهنّ فإن نجا ... شيءٌ فصار بِجانبـاتِ الدُّورِ
لُمشَمِّرين عـن السواعِدِ حُسَّرٍ ... عنها بكـلِّ رَشِيقـةِ التَّوتيرِ[3]
سُدُدِ الأكُفِّ إلى المَقاتِلِ صُيَّبٍ ... سَمْتَ الحُتوفِ بجُؤْجُؤٍ ونُحورِ[4]
ليس الذي تُخطـي يـداه رَمِيَّةً ... منهـم بمعـدودٍ ولا معذورِ
يَتَبوَّعُـون وتمتطـي أيدِيهـمُ ... في كلِّ مُعْطِيَة الجِـذابِ نَتُورِ[5]
عُطُفَ السِّياتِ دوائراً في عِطْفِها ... تُعْزى صِناعتُهـا إلى عُصفورِ[6]
يَنفُشْن عـن جَذْب الأكُفِّ ثواقباً ... مُتَشابهـاتِ القَـدِّ والتَّدويرِ[7]
تجري بهـا مُهَجُ النفوس وإنّها ... لَنواصِلٌ سُلْتٌ مـن التَّحبيرِ[8]
مـا إن تُقَصِّرُ عن مَدى مُتَباعِدٍ ... في الجوِّ يَحْسُرُ طَرْفَ كلِّ بصيرِ
حتَّى تـراه مُرَمَّـلاً بدِمائِـهِ ... فكأنَّـه مُتَضَمِّـخٌ بِعَبيرِ
فَيَظَـلُّ يومُهُـم بعيشٍ ناصبٍ ... نُصُبَ المَراجِـلِ مُعْجَـلِي التنويرِ
ويَئُـوب ناجِيهنّ بـين مُضَرَّجٍ ... بـدَمٍ ومخلـوبٍ إلى مَنْسُورِ[9]

---

1 الضرم : الذي اشتدّ جوعه . والمتأنس : البازيّ الذي يرفع رأسه وينظر .

2 صكّه صكّاً : ضربه ضرباً شديداً . ومذلق : محدّد .

3 لمشمّرين : أي أنّ هذه الصقور والشواهين لصيادين مشمرين . الرشيق من الغلمان والجواري : الخفيف الحسن القدّ .

4 السمت : الطريق والقصد . الجؤجؤ : الصدر .

5 يتبّوع : يمد باعه . ومعطية الجذاب : قوس لينة الجذب . والنتور : الشديدة الجذب . مُعطية الجذاب نَتُورٍ في ل : طائفة الجدار بتور .

6 سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعصفور القواس : إليه تضاف القسي العصفورية .

7 ثواقب : أي تثقب الهدف وتخترقه .

8 نواصل : سقطت نصالها . سلت من التحبير : أجيد بريها ولم يبق فيها نتوء .

9 مخلوب : مجروح بمخلب . ومنسور : منتوف .

عارِي الجَناح من القَوادِمِ ، والقَرا ... كاسٍ ، عليــه مائــرُ التَّامُورِ[1]
فيَئُــودُه مُتَبَهْنسٌ في مشيــهِ ... خَطِفُ المؤخَّرِ مُشْبَعُ التَّصديرِ[2]
ذو حُلْكة مثــلِ الدُّجى أو غُبْثَةٍ ... شَغِبٌ شديدُ الجِــدِّ والتشميرِ[3]
فيمرُّ منهــا في البَرارِي والقُــرى ... مــن كلِّ أَعْصَلَ كالسِّنانِ هَصُورِ[4]
في حيَنٍ تُؤذيهــا المَبايِتُ مَوْهِناً ... أو بعــد ذلــك آخِــرَ التسحيرِ
يختصّ كلَّ سليــلِ سابقٍ غايــةٍ ... مَحْضِ النِّجــار مُجــرَّبٍ مخبُورِ
عَجِّلْ عليــه بما دعوتُ له به ... أَرِه بـــذاك عقوبـــة التَّنويرِ
حتى يقولَ جميعُ مَنْ هو شامِتٌ ... هــذي إجابــةُ دعــوة ابنِ يسيرِ
فَلأُلْفِيَنَّك عنـــد حالَـــيْ حَسْرةٍ ... وتــأسُّفٍ وتَلَهُّـــفٍ وزَفيـــرِ
ولَتُلْفَيَــنَّ إذا رَمَتْــك بسهمهــا ... أيدي المصائب منك غيرَ صبورِ

[قصر النوشجاني]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : خرجنا مع بعض ولد النُّوشجانيّ إلى قصرٍ له في بستانهم بالجَعْفَرِيّة ، ومعنا محمّد بن يسير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فإذا هو قد خَرِب واختلّ ، فقال فيه محمد بن يسير : [من الوافر]

أَلا يــا قصرُ قَصرَ النُّوشَجاني ... أرى بك بعد أَهْلِكَ ما شجاني
فلَوْ أُعفــى البــلاءُ ديارَ قــومٍ ... لفضلٍ منهـــمُ ولعُظْــمِ شانِ
لَما كانت تُرى بِــك بَيِّناتٍ ... تلــوح عليك آثــارُ الزَّمانِ

[يرثي نفسه]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمّد بن أَبي حرب قـال أَنشدنا يوماً محمّد ابن يسير في مجلس أَبي محمد الزاهـد صاحب الفُضَيْل بن عِياض لنفسه قال : [من السريع]

وَيْلٌ لِمَــنْ لَم يرحمِ اللهُ ... ومَــن تكــونُ النارُ مَثواهُ

---

1 القرا : الظهر . التامور : الدم . ومار الدم : إذا جرى .

2 متبهنس في ل : متعضن . يدعو على الحمام الباقي أن يقع بين مخالب السنانير الشبيهة بالأسود .

3 الغبثة : لون إلى الغبرة . وشغب : متهيج بالشر .

4 أعصل : ناب شديد معوجّ .

واغفَلَتا في كلّ يومٍ مضى ... يُذْكِـرُني المـوتَ وأنساهُ
مَن طال في الدُّنيا به عمْرُه ... وعاش فالمـوتُ قُصاراهُ
كأنّه قـد قيل في مجلسٍ ... قـد كنـتُ آتِيهِ وأغْشاهُ
محمّـدٌ صارَ إلى ربِّـه ... يَرْحَمُنـا الله وإيّـاهُ

قال : فأبكى والله جميع مَن حضر .

[داود بن أحمد بن أبي دواد يدلّ عليه أهله]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمّي قالا حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبو الشِّبْل قال : كان محمّد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي دُواد كثيرَ الغِشْيان لـه ففقده أهلُه أيّاماً وطلبوه فلم يجـدوه ، وكان مـع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنـه ، فقال لهم : اطلبوه في منزل «حُسْن» المغنّية فإن وجدتموه وإلاّ فهو في حبس أبي شُجاع صاحب شُرْطة «خُمار» التركيّ . فلمّا كان بعد أيّامٍ جاءه ابن يسير فقال له : إيهٍ أيّها القاضي ، كيف دَلَلتَ عليَّ أهلي ؟ قال : كما بَلَغك ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . قال : أوَ فعلتَ ذلك أيضاً ؟ زِدْني من برّك ، هات ، أيْش قلتَ ؟ فأنشده : [من الوافر]

ومُرسِلةٍ تُوجِّـهُ كلَّ يـومٍ ... إليَّ ومـا دعـا للصبحِ داعِي
تُسائلني وقـد فَقَـدوه حتّى ... أرادوا بعـده قَسْمَ المَتـاعِ
إذا لم تَلْقَـه في بيت «حُسْنٍ» ... مقيمـاً للشَّرابِ وللسَّماعِ
ولم يُـرَ في طريق بني سَدُوسٍ ... يَخُطُّ الأرضَ منـه بالكُراعِ[1]
يَدُقُّ حُزُونَهـا بالوجه طَوْراً ... وطَـوْراً باليديـن وبالذِّراعِ
فقد أعيـاك مَطْلَبُـه وأمسى ... (فلا تَغْلَط) حَبِيسَ أبي شُجاعِ

قال : فجعل ابن يسير يضحك ويقول : أيّها القاضي لو غيرُك يقول لي هذا لعرفَ خبرَه . ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلَع عليه خِلْعةً من ثيابه .

[شعره في الحكم]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال : كنت مع المعتصم لّما غزا الروم ، فجاء بعض سَرايَاه بخبر عمّه[2] ، فركِب من فَوْرِه وسار أَجَدَّ سيرٍ وأنا أُسايره ، فسمع مُنْشداً يتمثّل في عسكره : [من البسيط]

---

1 الكراع : ما دون الركبة إلى الكعب .
2 ل : غمّه .

إنّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها فالصبرُ يَفْتَح منها كلَّ ما ارتَتَجا[1]
لا تيأَسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالبَةٌ إذا استعنتَ بصبر أن ترى فَرَجا

فسُرَّ بذلك وطابت نفسه ، ثم التفت إليّ وقال لي : يا عليُّ أتَروي هذا الشعر ؟ قلت نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا الأمرَ . ثم قال : أنْشِدْني الأبيات ، فأنشدتُه قوله : [من البسيط]

ماذا يكلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجا البَرَّ طوراً وطوراً تركَبُ اللُّجَجا
كَمْ مِن فتًى قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أُلفيتَه بِسهام الرزق قد فَلَجا[2]
لا تَيْأَسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالبَةٌ إذا استعنَت بصبر أن ترى فَرَجا
إنّ الأمور إذا انْسَدَّت مَسالِكُها فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارتَتَجا
أَخْلِقْ بذي الصبرِ أن يَحْظى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْعِ للأَبوابِ أن يَلِجا
فاطْلُبْ لرجلك قبل الخَطْوِ مَوْضِعَها لِمَنْ عَلا زَلَقاً عن غِرَّة زَلَجا
ولا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أنت شارِبُه فربّما كان بالتكدير مُمتَزِجا
لا يُنتَجُ النّاسُ إلاّ من لِقاحِهِمُ يبدو لِقاحُ الفتى يوماً إذا نُتِجا

[خشي أن يفرد بالصفح]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليٍّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشِّبْل قال : كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان ذاتَ يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ ، فأمر أن نُبخَّر ونُطَيَّب ، فأقبلتْ وَصيفةٌ له حسنةُ الوجه ، فجعلتْ تبخِّرنا وتُغلِّفنا بغاليةٍ كانت معه . فلمّا غلَّفت ابنَ يسير وبخَّرته التفتَ إليّ ، وكان إلى جنبي ، فأنشدني : [من البسيط]

يا باسطاً كفَّه نَحْوي يُطيِّبني كفَّاكَ أُطيبُ يا حِبِّي من الطِّيبِ
كفّاكَ يجري مكانَ الطيبِ طِيبهما فلا تَزِدْني عليها عند تطييبي
يا لائمي في هواها أنتَ لم ترها فأنت مُغْرًى بتأنيبي وتعذيبي
انْظُرْ إلى وجهها ، هل مِثلُ صورتها في الناس وجهٌ مُجَلًّى غيرُ محجوب ؟

---

1 ارتتج : استغلق .

2 فلج : فاز .

فقلت له : اسكت ويلَك ! لا ، تُصْفَعُ والله وتُخْرَجُ . فقال : والله لو وثقتُ بأن نُصْفَع جميعاً لأنشدتُه الأبيات ، ولكنّي أخشى أن أُفرَدَ بالصَّفْع دونك .

[وصف أهل الجدل]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيّ قال : كان محمد بن يسير جالساً في حَلْقتنا في مسجد البَصْرة ، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجَدَل يتصايحون في المقالات والحجج فيها ، فقال ابن يسير : اسمعوا ما قلت في هؤلاء ، فأنشدَنا قوله : [من السريع]

يـا سائلي عـن مقالـة الشِّيَعِ وعن صنوف الأهواء والبِدَعِ
دَعْ عنك ذِكْرَ الأهواء ناحيةً فليس مِمَّن شَهِدتُ ذو وَرَعِ
كلُّ أنـاسٍ بَدِيُّهـم حَسَنٌ ثـم يصيرون بعـدُ للسُّمَعِ
أكثرُ مـا فيه أن يقالَ لهم : لم يَـكُ في قولـه بمُنْقَطِعِ

[يستغني عن التدوين]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمد بن عليٍّ الشاميُّ قال : كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ؛ من ذلك قوله : [من الطويل]

إذا ما غدا الطُّلاَّبُ للعلم مـا لهم من الحظّ إلاّ ما يُدَوَّن في الكُتْبِ
غَـدَوْتُ بتشمير وجِـدٍّ عليهـمُ فَمِحْبَرتـي أُذْني ودَفْتَرُهـا قلبـي

[من حِكَمِه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبِّر قال : كان إبراهيم بن رِياح إذا حَزَبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير : [من مجزوء الكامل]

تُخْطِي النفوسُ مـع العِيا ن وقد تُصيب مع المَظِنَّهْ
كم مـن مَضِيقٍ في الفضا ومَخْرَجٍ بـين الأسِنَّهْ

[النعل الخلق]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السَّريِّ قال : مرَّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيّ فجلس إليه ساعة ، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجّبون من نعل كانت في رِجله خَلَقٍ وَسِخةٍ مقطَّعة ، فأخذ ورقةً وكتب فيها : [من الخفيف]

كم أرى ذا تعجُّبٍ مـن نِعالي ورضائي منهـا بلُبْسِ البَوالي

كلّ جَرْداء قد تكنَّفها الخصفُ ... مـــن اقطارِهــا بسود النِّقالِ
لا تُدانَى ، وليس تشبه في الخِلْـ ... ـقةِ إن أُبرِزَتْ ، نِعالَ المَوالي
مَن يُغالِ مـــن الرجال بنَعْلٍ ... فسِوايَ إذاً بهـــنّ يُغـالي
لـــو حَذاهـــنّ للجَمالِ فإنّي ... في سواهـــنّ زينتي وجَمالي
في إخائي وفي وفائـــي ورأيي ... ولسانـــي ومَنطِقـــي وفَعـالي
ما وقاني الحَفـــا وبلّغني الحا ... جـــةَ منهـــا فإنّنـــي لا أُبالي

[بكاؤه على ألواح آبِنُوس سرقت منه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده ، فلمّا سَكِر سَرَق منه ألواح آبِنُوس كانت تكون في كمّه ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

عَيْـنُ بَكّـــي بعَبْرةٍ تَسْفَـــاحِ ... وأقيمـــي مآتِـــمَ الأَنْـــواحِ[1]
فـإذا مـــا بكـــى أنيس لأنْسٍ ... قـــد تـــولى فابكي على الألواحِ
أَوْحشَتْ حُجْزَتي ورُدْنايَ منها ... في بُكُوري وعنـــد كلِّ رَواحِ[2]
واذكُرِيها إذا ذَكَرْتِ بما قـــد ... كان فيهـــا مـــن مَرْفِقٍ وصلاحِ
آبِنُوسٌ دَهْمـــاءُ حالِكـــةُ اللَّـــوْ ... ن لُبـــابٌ مـــن اللِّطاف المِلاحِ
ذاتُ نفـــع خفيفةُ القَـــدْرِ والمَحْـ ... ـمِلِ حُلْكُوكَـــةُ الذُّرا والنواحي
وسريـــعٌ جُفُوفُهـــا إنْ محاهـــا ... عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القوم ماحي
هي كانـــت على عُلومـــيَ والآ ... دابِ والفقـــهِ عُدَّتـــي وسِلاحِي
كنت أغدو بهـــا على طلب العلـ ... ـمِ إذا مـــا غَدوتُ كلَّ صباحِ
هي كانت غِـــذاءَ زَوْرِي إذا زا ... رَ ، وَرِيَّ النديمِ يومَ اصطباحي

يعني أنّه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب .

آبَ عُسرِي وغاب يُسْرِي وجُودي ... حين غابتْ وغاب عنّي سَماحي

[يهجو أحمد بن يوسف]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن أحمد قال : كان

---

1 ويروى : الألواح .
2 الحجزة : معقد الإزار .

محمّد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف ، فبلغه أنّه يتعشّق جارية سوداء مغنّية ، فقال ابن يسير يهجوه : [من السريع]

أقولُ لمّا رأيتُه كَلِفاً بكلِّ سوداءَ نَزْرةٍ قَذِرَهْ[1]
أهلٌ لعمري لِما كَلِفْتَ به عند الخنازيرِ تَنْفُقُ العَذِرَهْ

أخبرني وكيع قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أبو العواذل قال : عُوتِبَ محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرةٍ ، وأنّه لا يكتب ما يسمعه ، فقال : [من السريع]

ما دخلَ الحَمَّامَ من عِلْمِي فَذاكَ ما فازَ به سَهْمِي
والعِلْمُ لا ينفعُني جَمْعُه إذا جَرى الوهمُ على فهمي

[ألواح الآبنوس مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُلَيمان ، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبنوس كان يكتب فيها بالليل[2] ؛ فقال ابن يسير في ذلك : [من المديد]

أبقتِ الألواحُ إذْ أُخِذَتْ حُرْقةً في القلبِ تَضْطَرِمُ
زانَها فَصّانِ من صَدَفٍ واحْمِرارُ السَّيْرِ والقلمُ
وتولَّى أخذَها قُثَمٌ لا تولَّى نفعَها قُثَمُ

[بينه وبين هاشمي]

أخبرني الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشميّ لِمَلالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله : [من الكامل]

قد كنتُ مُنْقَبِضاً وأنتَ بَسَطْتَني حتى انبسطتُ إليك ثم قَبَضْتَني
أَذْكَرْتَني خُلُقَ النِّفاق وكان لي خُلُقاً فقد أحسنتَ إذ أذْكَرْتَني
لو دامَ ودّك وانبسطتُ إلى امرىءٍ في الودّ بعدك كنتَ أنت غَرَرْتَني
فهلُمَّ نَجْتَذِب التَّذاكُرَ بيننا ونعود بعدُ كأنّنا لم نَفْطَنِ

[شعره بعد السكر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال : حدَّثنا مسعود بن يسير قال : شَرِب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه ، حتى خرَج من عندهم وهو

---

1 النزرة : القليلة الولد أو اللبن .
2 ل : بالميل .

لا يعقِل فأخذ رِداءه وعثَر في طريقه وأصاب وجهَه آثار ؛ فلمّا أفاق أنشأ يقول : [من السريع]

شاربتُ قوماً لم أُطِقْ شُرْبَهمْ   يَغْــرَقُ في بَحْرِهــمُ بَحْري
لّمــا تَجارَيْنــا إلى غايــةٍ   قصَّر عــن صَبْرِهــم صبري
خرجتُ مــن عندهمُ مُثْخَناً   تَدْفَعُنــي الجُــدْرُ إلى الجُدْرِ
مُقَبَّحَ المَشي كَسيرَ الخُطــا   تَقْصُر عنــد الجِدِّ عن سَيْري
فلستُ أنسى ما تجشَّمت مِنْ   كَدْحٍ ومــن جُرْحٍ ومن أثْرِ
وشَقِّ ثــوبٍ وتَــوى آخَرٍ   وسَقْطَــةٍ بــانَ بها ظُفْري[1]

حدّثني عمِّي وجحظة عن أحمد بن الطبيب قال : حدَّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير ، ثم ساق الخبر مثلَه سواءً .

[مع جعيفران الموسوس في بستان]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرزُبان قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : اجتمع جُعَيْفِرانُ المَوَسْوِسِ ومحمد بن يسير في بُستان ، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط ، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه ، فقال جعيفران : [من المجتث]

قــد قلتُ لابنِ يَسِيرٍ   لّما رَمــى من عِجانِهْ
في الأرض تَلَّ سَمادٍ   عَــلا عــلى كُثْبــانهْ
طُوبى لصاحب أرضٍ   خَرِئْــتَ في بُستانهْ

قال : فجعل ابن يسير يشتُم جعيفران ويقول : أيَّ شيء أردتَ منّي يا مجنونُ يا ابن الزانية حتى صيَّرتني شُهرةً بشعرك !!

[يستسقي والي البصرة نبيذاً]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني سوار بن أبي شُراعة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشُّرْب ، وما بات قطُّ إلاّ وهو سكران ، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذاً ، وإنّما كان يَشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطرٍ هادٍّ[2] ، ولم تُمْكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يُجَنُّ لّما فقد النبيذَ . فكتب إلى والي[3] البَصْرةِ وكان هاشميّاً ، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سليمان قال : [من البسيط]

1 توى : هلك .
2 المطر الهاد : الذي له صوت .
3 ل : أمير .

كَمْ في عِلاجِ نَبيذِ التمرِ لي تَعَبٌ الطبخُ والدَّلْكُ والمِعصارُ والعَكَرُ
وإنْ عَدَلْتُ إلى المطبوخ مُعْتَمِداً رأيتُني منــه عنــد الناسِ أشتهرُ
نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجيران يَفْضَحُني والقِـدْرُ تتركني في القـوم أعتذرُ
فصِرْتُ في البيت أستسقي وأطلبه من الصَّدِيقِ ورُسْلِي فيــه تَبْتدِرُ
فمنهُـم بــاذِلٌ سَمْــحٌ بحاجتنا ومنهــمُ كاذبٌ بــالزُّور يَعْتذِرُ
فَسقِّنــي رِيَّ أيَّــــامٍ لتَمنَعنــي عمَّنْ سِواكَ وتُغْنيني فقد خَسِروا
إن كان زِقٌّ فَـزِقٌّ أو فوافِـرَةٌ من الدَّساتِيج لا يُزْرِي بها الصِّغَرُ
وإنْ تَكُنْ حاجتي ليستْ بحاضرةٍ وليس في البَيْتِ مِــن آثارها أَثَرُ
فاسْتَسْقِ غيرَك أو فاذْكُرْ له خَبَري إنِ اعْتَراك حَياءٌ منـــه أو حَصَرُ
مــا كان من ذلكم فليأتني عَجِلاً فإنَّنـــي واقــفٌ بالبـــابِ أنتظرُ
لا لي نبيذٌ ولا حُــرٌّ فيدعــوَني وقــد حَمانيَ مــن تَطْفيـليَ المَطَرُ

قال : فضحك لمّا قرأها ، وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم ، وكتب إليه : اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمْسِك المطر ويتَّسع لك التطفيل ، ومتى أعوزك مكان فاجْعَلْني فَيْئةً[1] لك ، والسلام .

صوت

[من المنسرح]

أنت حَدِيثي في النومِ واليَقَظَهْ أتْعَبْتُ ممّا أَهْذِي بِـك الحَفَظَهْ
كم واعظٍ فيــك لي وواعظةٍ لــو كنتُ ممّن تنهاه عنك عِظَهْ

الشعر لديك الجنِّ الحِمْصيّ . والغناء لِعَريب ، هَزَج ، ذكر ذلك ذُكاء وَجْهُ الرُّزَّة وقُمْرِيٌّ جميعاً .

1 فيئة : مرجع .

[256] ـ أخبار ديك الجنّ ونسبه[1]

[نسبه]

دِيكُ الجِنّ[2] لَقَبٌ غَلَب عليه ، واسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حَبيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم . وكان جَدّه تميم ممّن أنعم الله ، عزّ وجلّ ، عليه بالإسلام منْ أهل مُؤْتَةَ على يَديْ حَبيبِ بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ ، وكان شديد التشعُّب[3] والعصبيّة على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا وإيّاهم ولادةُ إبراهيم ﷺ ، وأسلمنا كما أسلموا ، ومَنْ قَتَل منهم رجلاً منّا قُتِل به ، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضَّلهم علينا ، إذ جَمَعَنا الدِّين .

[شعره]

وهو شاعرٌ مُجيدٌ يذهب مذهبَ أبي تمّام والشاميِّين في شعره . من شعراء الدَّوْلة العبّاسيّة . وكان من ساكني حِمْص ، ولم يبرح نواحيَ الشام ، ولا وَفَد إلى العِراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد . وكان يتشيّع تشيُّعاً حسناً ، وله مَراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليٍّ ، عليهما السلام ، منها قوله[4] : [من المنسرح]

يــا عــينُ لا لِلقَضا ولا الكُتُبِ   بُكا الرَّزايا سِوى بُكا الطَّرَبِ[5]

وهي مشهورة عند الخاص والعام ، ويناح بها . وله عدّة أشعار في هذا المعنى . وكانت له جاريةٌ يهواها ، فاتّهمها بغلامٍ له فَقَتَلها ، واستنفد شعره بعد ذلك في مَراثيها .

[يهجو ابن عمه]

قال أبو الفرج : ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر ، أخبره بما فيه ابن أخ لديكِ الجنّ يقال له أبو وَهْب الحِمصي ، قال : كان عمّي خليعاً ماجناً معتكفاً على القَصْف واللهو ، مِتْلافاً لِما وَرِثَ عن آبائه ، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابنَيْ عليٍّ الهاشميَّين ، وكان له ابنُ عمّ يُكنى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عمّا يفعله ، ويحول بينه وبين ما يؤثِره ويركبه من لذّاته وربّما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجّان وأهلِ الخَلاعة ، فيستخفّ بهم

1 لديك الجن ترجمة في وفيات الأعيان 3 : 184–187 والدميري 1 : 488 وثمار القلوب : 27 ، 470 وله أخبار في مصارع العشاق وتزيين الأسواق ، وانظر مقدّمة ديوانه تحقيق د . أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري (بيروت) .

2 ديك الجن دويبة توجد في البساتين .

3 التشعب : من الشعوبية وهي الطعن في العرب .

4 ديوانه : 31 .

5 للقضا في الديوان : للغضا .

وبه . فلمّا كَثُر ذلك على عبد السلام قال فيه[1] : [من المنسرح]

مَولاتُنـا يـا غـلامُ مُبْتَكِـرَهْ فباكِـرِ الكأسَ لي بـلا نَظِرَهْ[2]
غَدَتْ على اللهو والمُجونِ ، على أن الفتـاةَ الحَيِّـةُ الخَفِـرَهْ
لِحُبِّها ، لا عَدِمْتُهـا ، حُـرَقٌ مطويَّـةٌ في الحَشا ومُنْتَشِرَهْ[3]
مـا ذُقْـتُ منهـا سوى مُقَبَّلِها وضَمِّ تلك الفُـروعِ مَنْحَدِرَهْ
وانْتَهرَتْني فَمِـتُّ مـن فَـرَقٍ يـا حُسْنَها في الرِّضا ومُنْتَهِرَهْ !
ثـم انثنتْ سَوْرةُ الخُمـارِ بنا خِـلالَ تلك الغَدائِـرِ الخَمِرَهْ[4]
وليلـةٍ أشرفـتْ بِكَلْكَلِهـا عَلَـيَّ كالطَّيْلَسانِ مُعْتَجِـرَهْ[5]
فَتَقْتُ دَيْجُورَهـا إلى قَمَـرٍ أثوابُـهُ بالعَفـافِ مُسْتَتِرَهْ
عُـجْ عَبَراتِ المُدامِ نحوِيَ مِن عَشْرٍ وعِشْرِيـن واثْنَتَيْ عَشَرَهْ[6]
قـد ذُكِـرَ الناسُ عن قِيامِهِمُ ذِكْرى بعَقْلي ما أصبحَتْ نَكِرَهْ[7]
مَعْرفتـي بالصوابِ مَعْرِفَـةٌ غَـرّاءُ إمّـا عَرَفْتُـمُ النَّكِرَهْ
يا عجباً مـن أَبي الخبيثِ ومِنْ سُرُوجِـه في البَقائـرِ الدَّثِرَهْ[8]
يَحْمِـلُ رأساً تنبو المَعـاوِلُ عن صَفْحَتِـه والجلامِـدُ الوَعِرَهْ
لَوِ البِغالُ الكُمْـتُ ارتقتْ سَنَداً فِيـهِ لَمَـدَّتْ قَوائِمـاً خَدِرَهْ[9]
ولا المَجانِيـقُ فِيـهِ مُغْنِيـةٌ أَلفٌ تَسامـى وأَلفُ مُنْكَدِرَهْ[10]

---

1 ديوانه : 78–84 .
2 نظرة : التأخير في الأمر .
3 صدر البيت في الديوان : «لحبها لاعج وبي حرق» .
4 الخمرة : التي تواري .
5 معتجرة : ملتفة بالكساء .
6 عبرات المدام : ما يصب منها في الكأس .
7 نكره في ل : ظفره .
8 البقائر الدثرة : الأبراد الوسخة .
9 الكمت : جمع كميت ، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة ، وفي الديوان : الصلب . السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح .
10 منكدرة : منصبة .

أنظر إلى موضع المِقَصِّ من الـ ـــهامَةِ تلك الصَّفيحةُ العَجِرَهْ[1]
فَلَوْ أخذتمْ لهـا المَطارِقَ حَـ ـرّانِيَّـةً صَنْعـةَ اليَـدِ الخَبِرَهْ
إذاً لراحـتْ أكُـفُّ جِلَّتِهِـمْ كَليلـةً والأداةُ مُنْـكَسِرَهْ
كَـمْ طَرَباتٍ أفْسَدْتَهُنَّ وكَـمْ صَفْـوةِ عَيْشٍ غادرتَهـا كَدِرَهْ
وكَمْ إذا مـا رأَوْكَ يا مَلَكَ الـ ـمَوْتِ لهم مِـنْ أنامِلٍ خَصِرَهْ[2]
وكَمْ لهـم دَعْـوة عليكَ وكَمْ قَذْفـةِ أُمٍّ شَنْعـاءَ مُشْتَهِرَهْ
كريمــةٍ لؤمُــك استخَفَّ بها وناهــا بالمَثالِــبِ الأشِرَهْ
قِفُـوا على رَحْلِـه تَـرَوْا عَجَباً في الجَهْلِ يَحكِي طَرائِفَ البَصِرَهْ
يـا كُلَّ مَنْـيٍ وكلَّ طالعـةٍ نَحْسٍ ويـا كُلَّ ساعةٍ عَسِرَهْ[3]
سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الـ ـأرض وفيهـا أخلاقُـك القَذِرَهْ[4]

[قصته مع ورد وأشعاره فيها]

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نَصرانيّةٍ من أهل حِمص هَوِيها وتمادى به الأمر حتى غلبتْ عليه وذهبتْ به . فلمّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمتْ على يده ، فتزوَّجها ، وكان اسمها وَرْداً ؛ ففي ذلك يقول[5] : [من الكامل]

انظـر إلى شمسِ القُصورِ وبَدْرِها وإلى خُزاماهـا وبَهْجـةِ زَهْـرِها
لم تَبْـلُ عينُك أبيضاً في أسوَدٍ جَمَع الجمالَ كوَجْهِها في شَعْرِها
وَرْدِيَّةُ الوَجَنـاتِ يَخْتَبِر اسْمَها مِن رِيقِها مَنْ لا يُحيط بخُبْرِها[6]
وتمايلتْ فضَحِكتُ مـن أردافِها عَجَبـاً ولكنّي بَكَيْـتُ لخَصْرِها
تَسْقيك كأْسَ مُدامـةٍ مـن كَفِّها وَرْدِيَّـةٍ ومُدامـةً مـن ثَغْرِها

قال : وكان قد أعسر واختلّت حالُه ، فرَحَل إلى سَلَمْيَةَ قاصداً الأحمد بن عليٍّ الهاشميّ ، فأقام عنده مدّة طويلة ، وحَمَل ابن عمِّه بُغْضُه إيّاه بعد مودّته له وإشفاقِه عليه بسبب هجائه

1 الصفيحة العجرة : الحجر العريض الصلب .
2 خصرة : باردة . وتبرد الأطراف عند الموت .
3 مني في ل : بغي .
4 أخلاقك في ل : طباعك .
5 ديوانه : 168–169 .
6 ريقها في ل : نعتها .

له على أنْ أذاع على تلك المرأة التي تزوَّجها عبدُ السلام أنّها تهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبد السلام ، فكتب إلى أحمد بن عليٍّ شعراً يستأذنه[1] في الرجوع إلى حِمص ويُعلِمه ما بلّغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها[2] : [من الخفيف]

إنَّ رَيْبَ الزمان طال انتكاثُه كَمْ رَمَتْني بحادثٍ أحداثُهْ

يقول فيها :

ظَبْيُ إنسٍ قلبي مَقِيلُ ضُحاهُ وفُؤادي بَرِيرُهُ وكَباثُهْ[3]

وفيها يقول :

خِيفَةً أن يخونَ عَهْدِي وأن يُضْـ ـحِي لغيري حُجُولُه ورِعاثُهْ[4]

وفيها مديح لأحمد بعد هذا ؛ وهي طويلة . فأذن له فعاد إلى حمص ؛ وقدّر ابن عمِّه وقت قدومه ، فأرصد له قوماً يُعْلِمونه بمُوافاته بابَ حِمص . فلمّا وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنِّفاً على تمسُّكه بهذه المرأة مع ما قد شاع من ذكرها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنّها قد أحدثتْ في مَغِيبه حادثةً لا يجملُ به معها المُقامُ عليها ، ودسَّ الرجل الذي رماها به ، وقال له : إذا قدِم عبدُ السلام ودخل منزله فقِفْ على بابه كأنّك لم تعلَم بقدومه ، ونادِ باسمِ وَرْد ؛ فإذا قالت : مَنْ أنت ؟ فقل : أنا فلان . فلمّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابه ، سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جوابَ مَن لم يعرف من القصّة[5] شيئاً . فبينما هو في ذلك إذ قَرَع الرجلُ البابَ فقالت : مَنْ هذا فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمت أنّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قَتَلها ، وقال في ذلك[6] : [من الخفيف]

ليتَني لم أكُنْ لِعَطْفِك نِلْتُ وإلى ذلك الوِصالِ وصلتُ
فالذي مِنِّيَ اشتملت عليه ألِعارٍ ما قَدْ عليهِ اشتملتُ
قال ذو الجهل قد حَلُمْتَ ولا أعْـ ـلَمُ أنّي حَلُمْتُ حتى جَهِلتُ

---

1 يستأذنه في ل : يسأله .
2 ديوانه : 85–86 .
3 البرير : الأوّل من ثمر الأراك . والكباث : النضيج منه .
4 رعاث : جمع رعثة وهي القرط .
5 القصّة في ل : الأمر .
6 ديوانه : 87–88 .

لائـمٌ لي بجهلـه ولمـاذا أنا وَحْدِي أحببتُ ثـم قتلتُ !
سوف آسى طول الحياة وأبكيـ ـكِ على ما فعلتِ لا مـا فعلتُ

وقال فيها أيضاً[1] : [من مجزوء الخفيف]

لَـكِ نفسٌ مُواتِيـهْ والمَنايـا مُعادِيَـهْ[2]
أيّها القلب لا تَعُـدْ لِهَـوى البِيـضِ ثانيهْ
ليس بَـرْقٌ يكون أخـ ـلَب مـن بَرْقِ غانيهْ
خُنْتِ سِرِّي ولم أَخُنْـ ـكِ فمُوتِـي عَلانِيَهْ[3]

قال : وبلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه ، فخرج إلى دمشق فأقام بها أيّاماً . وكتب أحمد بن عليّ الهاشميّ إلى أمير دمشق[4] أن يُؤمّنه ، وتحمَّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته . فقَدِم حِمص وبلغه الخبرُ على حقيقته وصِحّتِه ، واستيقنه فندِم ، ومكث شهراً[5] لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلاّ ما يُقيم رَمَقه من بلغة يسيرة . وقال في نَدَمه على قتلها[6] : [من الكامل]

يـا طلعـةً طَلَع الحِمـامُ عَلَيْها وجَنـى لهـا ثَمَرَ الرَّدى بِيَدَيْها
رَوَّيْتُ مـن دَمِها الثَّرى ولَطالَما رَوَّى الهـوى شَفَتَـيَّ من شَفَتَيْها
قد بات سَيْفي في مَجال وِشاحِها ومَدامِعـي تجـري على خَدَّيْها
فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وطىء الحَصى شيءٌ أَعَـزُّ عَلَـيَّ مـن نَعْلَيْها
مـا كان قَتْلِيها لأنِّيَ لم أَكُـنْ أبكِـي إذا سَقَط الذُّبـابُ عليها[7]
لكـنْ ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنها وأَنِفْتُ مـن نَظَـر الحسودِ إليها

وهذه الأبيات تروى لغيرِ دِيك الجنّ .

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحّاف قال : حدّثنا عبد الله بن أُبي سعد قال : حدَّثني محمد بن منصور قال : كان فتًى مـن غَطَفان يقال له السُّلَيْك بن مُجَمِّع ، وكان من الفُرْسان ،

1 ديوانه : 89 .
2 مُعاديه في الديوان : خنت سري مواتية .
3 سرّي ولم أخنك في ل : خنت سراً من لم يخنك .
4 ل : حمص .
5 ل : شهوراً .
6 ديوانه : 90–91 وفيه روايات كثيرة للأبيات في المصادر العديدة التي أوردتها .
7 الذباب في الديوان : الغبار .

وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قومٍ قتلهم ، وكان يهوى ابنة عمٍّ له ، وكان خطبها مُدّةً فمنعها[1] أبوها ثم زوّجه إيّاها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أُسبوع إلى عشيرته ، فلقيه من بني فَزارَة ثلاثون فارساً كلُّهم يطلبُه بذَحْلٍ[2] ، فحلَّقوا عليه ، وقاتلهم وقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجِراح آخرين ، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت . فعاد إليها فقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإنّي أُحِبّ أن أُقَدِّمك قبلي . قالت : افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدَك . فعاد فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

يــا طلعةً طَلَــعَ الحِمامُ عَليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجنّ ، ثم نزل[3] إليها فتمرَّغ في دمِها وتخضَّب به ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتِل ، وبلغ قومه خبرُه ، فحملوه وابنة عمِّه فدفنوهما . قال : وحفِظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغني أنَّ قومَه أدركوه وبه رمق ، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ثم مات .

وقال ديك الجنّ في هذه المقتولة[4] : [من الكامل]

أشفقتُ أن يَـرِدَ الزَّمـانُ بغَدْرِهِ أو أُبْتَـلى بعــد الوِصالِ بهَجْرِهِ
قَمَــرٌ أنا استخرجْتُه مــن دَجْنِهِ لِبَلِيَّتــي وجَلَوتُــه مــن خـدْرِهِ
فقتلتـــه ولــه عــليّ كرامـــةٌ مِلْءَ الحشا ولــه الفؤادُ بِأَسْرِهِ
عَهْـدِي بـــه مَيْتاً كأَحسنِ نائمٍ والحُزْن يَسْفَحُ عَبْرتــي في نَحْرِهِ
لــو كان يَدْرِي المَيتُ ماذا بعدَه بالحيّ حلَّ بكـى لــه في قَبْرِهِ[5]
غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منهـــا نَفْسُهُ وتكاد تُخْرِج قَلْبَــه مِنْ صَدْرِهِ[6]

وقال فيها أيضاً : [من الوافر]

أساكِــنَ حُفْـرةٍ وقَـرارِ لَحْــدِ مُفـارِقَ خُلَّــةٍ مِــن بعـد عهدِ

---

1 ل : يخطبها مدة فيمنعها .
2 ذحل : ثأر .
3 ل : عمد .
4 ديوانه : 92–93 .
5 حلَّ بكى له في ل : منه رثى له .
6 تفيظ نفسه : تخرج روحه .

أجِبْني إن قَـدَرْتَ على جوابـي بحـقّ الوُدِّ كيـف ظَلِلْتَ بَعْدِي
وأين حَلَلْـتَ بعـدَ حلول قلبي وأحشائي وأضلاعـي وكِبْدِي ؟
أمَـا واللهِ لـو عاينـتَ وَجْدِي إذا استعبرتُ في الظُّلُمات وحدِي
وجَـدَّ تَنَفُّسي وعـلا زَفِيـري وفاضتْ عَبْرَتي في صَحْنِ خَدِّي
إذاً لعلِمْتَ أنّـي عـن قريبٍ ستُحْفَرُ حُفْرَتـي ويُشَقُّ لَحْدِي
ويَعْذُلنـي السفيـهُ على بُكائـي كأنّي مبتلًـى بالحـزن وحدِي
يقـول قتلتَهـا سَفَهـاً وجهلاً وتَبكيهـا بكـاءً ليس يُجدِي
كصيَّاد الطُّيورِ لـه انتحـابٌ عليهـا وَهْـوَ يذبحُهـا بِحدٍّ

وقال فيها أيضاً[1] : [من البسيط]

ما لامرىء بِيَدِ الدَّهْرِ الخئونِ يَدُ ولا على جَلَـدِ الدُّنْيا لـه جَلَدُ
طُوبى لأحبـابِ أقـوامٍ أصابَهُمُ من قَبْلِ أن عَشِقوا موتٌ لقد سَعِدوا
وحَقِّهـم إنَّـه حـقٌّ أُضِنُّ بـه لأُنفِـدَنَّ لهم دمعـي كما نَفِدوا
يـا دهـرُ إنَّك مَسْقِيٌّ بكأسِهِمُ ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وَرَدُوا
الخَلْـق ماضُونَ والأيّامُ تَتْبَعُهُمْ نَفْنى جميعاً ويبقى الواحدُ الصَّمَدُ[2]

وقال فيها[3] : [من المتقارب]

أمـا آن للطَّيْـفِ أن ياتِيـا وأن يَطْـرُقَ الوَطَـنَ الدَّانيا
وإنّي لأَحْسَبُ ريـبَ الزَّمـا نِ يتركُنـي جَسَداً بـاليا
سأشكـر ذلِـكَ لا ناسيـا جميـلَ الصَّفـاءِ ولا قاليا
وقـد كنتُ أنشُره ضاحِكاً فقـد صِرْتُ أنشره بـاكِيا

وقال فيها أيضاً[4] : [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ كان وجهُه كضياء الشَّـ ـمْسِ في حُسْنِـهِ وبَـدْرٍ مُنيرِ
كنت زَيْنَ الأَحياء إذ كنتَ فيهمْ ثم قَدْ صِرْتَ زَيْـنَ أهلِ القُبورِ

---

1 ديوانه : 96–97 .
2 نفنى جميعاً ويبقى في الديوان : نفنى ويبقى الاله . . .
3 ديوانه : 98 .
4 ديوانه : 99 .

بأبـي أنـت في الحيـاة وفي المَوْ ... تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشورِ
خُنْتَني في المَغيب والخَـوْنُ نُكْرٌ ... وذمِيـمٌ في سالفـاتِ الدُّهورِ
فشفاني سَيْفِـي وأَسرَعَ في حَـ ... ـزِّ التَّراقي قَطْعاً وحَـزٌّ النُّحورِ

[شعره في غلامه بكر]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان ديكُ الجنّ يهوى غلاماً من أهل حِمص يقال له بكر ، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدّثان إلى أن غاب القمر ، فقال له بكر : أريد أن أمضي قد غاب القمر فقال له[1] : [من الطويل]

دَعِ البَدْرَ فَلْيَغْرُبْ فأنتَ لنا بَدْرُ ... إذا ما تَجَلَّى منْ مَحاسِنِكَ الفجرُ
إذا مـا انقضى سِحْرُ الذين ببابلٍ ... فطرْفُكَ لي سِحرٌ ورِيقُك لي خمرُ
ولو قيل لي قُمْ فادْعُ أحسنَ مَن ترى ... لصِحتُ بأعلى الصوت يا بَكْرُ يا بَكْرُ

قال : وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمَرْد . قال : وكان شديد التمنُّع والتصوُّن ، فاحتال قومٌ من أهلِ حِمْصَ فأخرجوه إلى مُتنزَّهٍ لهم يعرف بميماس ، فأسكروه وفَسَقوا به جميعاً ، وبلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه[2] : [من السريع]

قـلْ لِهضيم الكَشْحِ مَيَّاسِ ... انْتَقَضَ العهـدُ مـن النَّاسِ
يـا طاقـة الآسِ التي لم تمِدْ ... إلاَّ أذلَّـتْ قُضُـبَ الآسِ
وَثِقْـتَ بالكـأسِ وشُرَّابها ... وحَتْـفُ أمثالِـك في الكاسِ
وحـال مِيماسُ ويـا بعدمـا ... بـين مغيثيـك وميماسِ[3]
تَقْطِيعُ أَنْفاسِك في أسرهـم ... ومَلْكِهِـمْ قَطَّـعَ أَنفاسي
لا بـأسَ مـولايَ ، على أنّها ... نِهايـةُ المكـروهِ والبـاسِ
هـي اللَّيالِـي ولهـا دولةٌ ... ووحشة مـن بعـد إيناسِ
بَيْنـا أنافتْ وعَلَـتْ بالفَتى ... إذْ قيـل حَطَّتْـه على الرَّاسِ
فالـهُ ودَعْ عنـكَ أحاديثَهم ... سَيُصْبِـحُ الذَّاكِـرُ كالنَّاسي

وقال فيه أيضاً[4] : [من الكامل]

1 ديوانه : 100 .
2 ديوانه : 101–102 .
3 حال ميماس في الديوان : ودير ميماس .
4 ديوانه : 103–104 .

يا بكرُ ما فعلتْ بك الأرطالُ — يــا دارُ مــا فعلتْ بكَ الأيّامُ
في الدّارِ بَعْـدُ بَقِيَّـةٌ نستامُها — إذ ليس فيـك بَقِيَّـةٌ تُستامُ[1]
عَرِمَ الزّمانُ على الذين عهدتهم — وعليـكَ أيضاً للزّمـانِ عُرامُ[2]
شَغَلَ الزّمـانَ كَراكَ في ديوانه — فتَفَرَّغـتْ لِدَواتِـكَ الأقلامُ[3]

وقال فيه أيضاً[4] : [من البسيط]

قُولا لِبَكر بن دهْمرْدٍ إذا اعتكرتْ — عَساكِرُ اللّيْلِ بـين الطّاسِ والجامِ
ألـم أقُـلْ لك إنّ البغي مَهْلَكَةٌ — والبغيُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقوامِ[5]
قـد كنتَ تَفْرَقُ مِـن سَهْمٍ تعاينه — فصِـرْتَ غيرَ ذميمٍ رُقْعـةَ الرّامي
وكنت تَفزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ — فقـد ذَلَلْـتَ لإسراجٍ وإلجـامِ
إن تَدْمَ فَخْذاكَ من رَكْضٍ فرُبَّتَما — أُمْسي وقلبي عليك المُوجَعُ الدّامي

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكِيَةَ ، وبها أنْشدني[6] قصيدة البُحْتُرِيّ : [من الوافر]

مَلامَـكَ إنّه عهـدٌ قريـبُ — ورُزْءٌ ما انقضتْ منه النُّدوبُ[7]

[تعزية جعفر بن علي]

وأنشدني لدِيك الجِنّ يُعزّي جعفر بن عليٍّ الهاشميّ[8] : [من السريع]

نَغْفُـلُ والأيّـامُ لا تَغْفُـلُ — ولا لَنـا مـن زَمَـنٍ مَـوْئِلُ
والدّهْـرُ لا يَسْلَمُ من صَرْفِهِ — أعصمُ في القُنّـةِ مُسْتَوْعِلُ[9]

1 السوم : عرض السلعة للبيع . واستامه إيّاها : غالى فيها .
2 عرم : اشتدّ .
3 الزمان في ل : الظلام .
4 ديوانه : 105–106 .
5 البغي في ل : الكبر .
6 ل : وقد أنشدته .
7 انقضت في ل وديوان البحتري 2 : 95 (طبعة صادر) : عفت .
8 ديوانه : 65–71 .
9 الأعصم من الوعول : الذي في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . القنة : أعلى الجبل . واستوعل الوعل : إذا ذهب إلى قنة الجبل .

يَتَّخِــذُ الشِّعْرى شِعاراً لَــه ... كأنَّمــا الأُفْــقُ لَــه مَنْزِلُ
كأنّــه بــين شَناظِيرِهــا ... بارقَــةٌ تكْمُـــنُ أو تَمْثُلُ[1]
ولا حَبــابٌ صَلَتــانُ السُّرى ... أرقمُ لا يعرِف مــا يَجْهَلُ[2]
نَضْناضُ فَيْفــاءَ يــرى أنّه ... بالرَّمْــلِ غــانٍ وهُوَ المُرْمِلُ[3]
بالمزمــنِ الأبــرق إمّــا عفَــا ... يسترُ فِيــه القــرمُ المــرقلُ
يَطْلُــبُ مــن فاجِئَــةٍ مَعْقِلاً ... وَهْــوَ لمــا يطلُــب لا يَعْقِلُ
والدَّهــرُ لا يَسلَمُ من صَرْفِهِ ... مُسَرْبَــلٌ بالسَّرْدِ مستبسِلُ
ولا عَقَنْباةُ السُّلامــى لهــا ... في كُلِّ أُفْقٍ عَلَــقٌ مُهْمَلُ[4]
فَتْخاءُ في الجَــوِّ خُدارِيّــةٌ ... كالغَيْــمِ والغَيْمُ لهــا مُثْقِلُ[5]
آمَنُ مَنْ كان لِصَرْفِ الرَّدى ... أنزلَهــا مِــن جَوِّهــا مُنْزِلُ
والدَّهْــرُ لا يَحْجُبُــه مانِــعٌ ... يحجُبُــه العامِــلُ والمُنْصُلُ[6]
يُصْغِي جَدِيــداهُ إلى حُكْمِهِ ... ويَفْعَــلِ الدَّهــرُ بمــا يَفْعَلُ
كأنَّه مِــنْ فَــرْطِ عِــزٍّ بــه ... أشْوَسُ إذ أقبــلَ أو أقْبَلُ

الأقبل : الذي في عينه قَبَلٌ ، وهو دون الحَوَلِ .

في حَسَبٍ أُوْفَــى ، له جَحْفَلٌ ... يَقْدُمُــه مِــن رأْيــه جحفلُ[7]
بينا عــلى ذلك إذ عَرَّشتْ ... في عَرْشِهِ داهِيَــةٌ ضِئْبلُ[8]
إنْ يَكُ في العِزِّ لــه مِشْقَصٌ ... ماضٍ فقــدْ تــاحَ لــه مَقْتَلُ
جــادَ على قَبْرِك مِــنْ مَيِّتٍ ... بالرَّوْحِ ربٌّ لــكَ لا يَبْخَلُ[9]

---

1 شناظير الجبل : أطرافه وحروفه .
2 الحباب : الحية . الصلتان : النشيط الحديد الفؤاد . والأرقم : أخبث الحيات .
3 حية نضناض : لا تستقرّ في مكان . والفيفاء : المفازة . والمرمل : مَن نفد زاده .
4 العقنباة : العقاب ذات المخالب الحداد . السلامى : عظام الأصابع . وفي معجم البلدان اسم موضع .
5 الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح . وخدارية : سوداء .
6 مانع في ل : شامخ .
7 في حسب أوفى له في ل : في حيث أوفى فله . . .
8 عرشت : بنت عريشاً . والضئبل : الداهية .
9 الروح : الرحمة .

وحَنَّت المُــزْنُ على قبــرِهِ بِعــارِضٍ نَجْوَتُــــه مَحْفِلُ[1]
غيثٌ تَـرى الأَرضَ على وَبْلِهِ تضحَــكُ إلاّ أنَّه يَهْمُلُ[2]
يَصِــلُّ والأرضُ تُصَلِّي لـــه مِــن صَلَواتٍ مَعَـه تَسْأَلُ[3]
أنتَ أبـــا العَبّـــاسِ عَبّاسُها إذا استطار الحَـــدَثُ المُعْضِلُ
وأنـــتَ يَنْبُـــوع أَفانِينِها إذا هُــمُ في سَنَــةٍ أَمحلـوا
وأنتَ عَــلاَّمُ غُيـوبِ النَّشـا يومـــاً إذا نَسْأَلُ أَو نُسْأَلُ
نحـن نُعَزِّيــكَ ومنك الهُدى مُسْتَخرَجٌ والنُّــورُ مُسْتَقْبلُ
نقـول بالعقـلِ وأَنـتَ الذي نـأوي إليــه وبِـــهِ نَعْقِلُ
نحـــن فِـداءٌ لـك مِــنْ أُمَّةٍ والأَرضُ والآخِـــرُ والأَوّلُ
إذا غفـا عنـكَ وأَوْدى بهـا ذا الدَّهرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ

[رثاؤه جعفر بن علي الهاشميّ]

قال أبو المعتصم : ثم مات جعفر بن عليٍّ الهاشميّ ، فرثاه دِيكُ الجِنّ فقال[4] : [من الطويل]

على هـــذه كانتْ تـدور النوائبُ وفي كلِّ جمع للذهابِ مَذاهبُ
نزلْنـا على حُكْـمِ الزَّمانِ وأَمْرِهِ وهل يَقْبَلُ النِّصْفَ الأَلَدُّ المُشاغِبُ ؟
وتَضْحَكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ويرضى الفَتى عن دَهْره وهو عاتِبُ
أَلا أَيُّها الرُّكبانُ والرَّدُّ واجبٌ قِفُوا حَدِّثُونا مـا تقولُ النَّوادِبُ[5]
إلى أيِّ فِتْيانِ النَّدى قَصَد الرَّدى وأَيُّهُـمُ نابتْ حَمـاهُ النَّوائبُ ؟
فَيـا لأَبي العَبَّاسِ كَمْ رُدّ راغِبٌ لِفَقْدِكَ ملهوفاً وكَمْ جُبَّ غارِبُ[6]
وَيـا لأَبـي العَبَّاسِ إنّ مَناكِبـاً تَنُـوء بِمـا حَمَّلْتَهـا لَنَواكِبُ

1 العارض : السحاب الذي يعترض في أفق السماء . والنجوة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل . المحفل : مجتمع الماء .
2 على في ل : إلى . تضحك الأرض : يتفتح فيها الزهر .
3 يصل في ل : يسيل . تسأل في ل : يسبل .
4 ديوانه : 72–77 .
5 حدِّثونا في ل : أخبرونا .
6 جب غارب : قطع كاهل .

فيا قبرَه جُـدْ كلَّ قبرٍ بِجَوْدِهِ ففيـك سمـاءٌ ثَـرَّةٌ وسَحائبُ
فإنّك لو تَدْرِي بِما فِيك مِن عُلاً عَلَوْتَ وباتَتْ في ذَراكَ الكَواكِبُ
أخـاً كنتُ أبكِيهِ دماً وهو نائمٌ حِذاراً وتَعْمى مُقْلتي وهو غائبُ
فماتَ ولا صَبْرِي على الأجرِ واقفٌ ولا أنـا في عُمْـرٍ إلى الله راغِبُ
أأسعى لأحظى فيـك بالأَجْرِ إنَّهُ لَسَعْيٌ إذن مِنّي لـدى الله خائبُ
وما الإثْمُ إلاّ الصَّبْرُ عنـكَ وإنّما عواقبُ حَمْـدٍ أن تُـذَمَّ العواقبُ
يقولون : مِقْدارٌ على المرءِ واجبٌ فقلتُ : وإعوالٌ على المرءِ واجبُ
هو القلبُ لَمّا حُمَّ يـومُ ابنِ أُمِّه وَهى جانِـبٌ منـه وأُسْقِمَ جانِبُ
تَرَشَّفْتُ أيّامِي وهُنَّ كوالِحٌ عليك ، وغالبتُ الرَّدى وهو غالِبُ
ودافعتُ في صدر الزَّمانِ ونَحْرِهِ وأيُّ يَـدٍ لي والزَّمانُ مُحارِبُ ؟
وقلت لـه : خَلِّ الجَوادَ لِقَوْمِهِ وهأنـذا فـازْدد فإنّـا عَصائبُ
فوالله إخلاصاً من القـول صادقاً وإلاّ فحُبِّـي آلَ أحمـدَ كاذِبُ
لَوَ انَّ يَدِي كانت شِفاءَكَ أو دَمِي دَمَ القَلْبِ حتّى يَقْضِبَ القلبَ قاضبُ[1]
لَسلَّمتُ تسليمَ الرِّضـا وتَخِذْتُها يداً للرَّدى مـا حَجَّ لله راكِبُ
فتًى كان مثلَ السيفِ مِن حيثُ جِئْتَه لِنائبـةٍ نابَتْـكَ فَهْـوَ مُضارِبُ
فتًى هَمُّه حمدٌ على الدَّهرِ رابحٌ وإن غـاب عنه مالُه فهو عازِبُ[2]
شمائلُ إن يَشْهَدْ فهُـنَّ مَشاهِدٌ عِظامٌ وإن يَرْحَـلْ فهُـنَّ كتائبُ
بكـاكَ أخٌ لم تَحْـوِه بِقَرابـةٍ بَـلى إنَّ إخـوانَ الصَّفاءِ أقارِبُ
وأظلمتِ الدُّنْيا التي كنتَ جارَها كأنَّـكَ للدُّنيـا أخٌ ومُناسِبُ
يُبَـرِّدُ نيـرانَ المصائـبِ أنّنـي أرى زمنـاً لم تَبقَ فيـه مَصائبُ

[أهل حمص يعزلون إمام مسجدهم]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر : إنّ خطيب أهل حِمْص كان يصلّي على النبيّ ﷺ على المِنبر ثلاث مرّات في خطبته ، وكان أهل حمص كلُّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضَر إلاّ ثلاثةُ أبيات ، فتعصَّبوا على الإمام وعزلوه ؛

1 قضب : قطع .
2 غاب في ل : ناب .

فقال دِيك الجِنّ[1] : [من الكامل]

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النَّبِيِّ تَوالى فتَفَرَّقُوا شِيَعاً وقالوا : لا لا
ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم فتحزَّبوا ورَمى الرِّجالُ رِجالا
يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عارِها خِزياً يَحِلُّ عليكُمُ ووَبالا[2]
شاهتْ وجوهُكُمُ وجوهاً طالَما رَغِمَتْ مَعاطِسُها وساءتْ حالا

صوت

[من الطويل]

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالِكٍ ويا ابْنَةَ ذي البُرْدَينِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمِسي له أَكِيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وَحْدِي

عَروضه من الطويل . الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِيِّ ، والغناء لعَلُّويَه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

1 ديوانه : 110–111 .
2 يا آل في ل : يا أهل .

[257] ـ أخبار قيس بن عاصم ونسبه[1]

[نسبه]

هو قيس بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنقَر بن عُبَيد بن مُقاعس . واسم مقاعِس الحارثُ بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناةَ بن تميم . ويُكْنى أبا عليٍّ . وأُمُّه أُمّ أصْعَر بنتُ خَلِيفَة بن جَرْوَل بن مِنقَر .

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات ، مُظفَّرٌ في غَزَواته . أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما . وهو أحدُ مَنْ وَأَد بناتِه في الجاهليّة ، وأسلم وحسُن إسلامه ، وأتى النبيّ ﷺ ، وصَحبه في حياته ، وعُمِّر بعده زماناً ، ورَوى عنه عِدّة أحاديث .

[وأد بناته]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمّد قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : وفَدَ قَيْسُ بن عاصمٍ على رسول الله ﷺ ، فسأله بعضُ الأنصار عمّا يُتَحَدَّثُ به عنه من الموءودات التي وَأدهنّ من بناته ، فأخبر أنّه ما وُلدتْ له بنتٌ قَطُّ إلاّ وأدَها . ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدّثه فقال له : كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحةَ في البنات ، فما وُلدت لي بنتٌ قطُّ إلاّ وَأَدْتُها ، وما رَحِمتُ منهنّ موءودةً قطُّ إلاّ بُنَيَّةً كانت لي ولدتْها أُمُّها وأنا في سَفَر ، فدفعْتها أُمُّها إلى أخوالها فكانت فيهم ؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْل ، فأخبرتني المرأة أنّها ولدتْ ولداً مَيِّتاً . ومضت على ذلك سِنون حتى كَبِرت الصبيّة ويَفَعَتْ ، فزارت أُمَّها ذاتَ يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفرتْ شعرها وجعلتْ في قُرونها شيئاً من خَلُوق ونظمتْ عليها وَدَعاً ، وألبسْتها قِلادة جَزْعٍ[2] ، وجعلتْ في عُنُقها مخْنَقةً[3] بلح : فقلتُ ، من هذه الصبيّة فقد أعجبني جمالُها وكَيْسُها ؟ فبكتْ ثم قالت : هذه ابنتك ، كنتُ خبّرتك أنّي ولدتُ ولداً ميِّتاً ، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتغلَتْ أمّها عنها ، ثم أخرجتها يوماً فحَفَرتُ لها حَفِيرةً فجعلتُها فيها وهي تقول :

---

1 لقيس بن عاصم ترجمة في الإصابة 7188 وحماسة المرزوقي : 1584 والنقائض : 1023 وسمط اللآلي 487 والمحبر 238 ، 248 وانظر أعلام الزركلي ومواضيع متفرقة من التذكرة الحمدونية ، والمثل «أغدر من قيس بن عاصم» في مجمع الميدانيّ 2 : 429 .

2 الجزع : الخرز اليماني .

3 المخنقة : القلادة .

يا أبتِ ما تصنع بي ؟! وجعلتُ أقذِف عليها التُّرابَ وهي تقول : يا أبتِ أمُغَطِّيَّ أنتَ بالتُّراب ؟! أتارِكي أنت وحدي ومنصرفٌ عنِّي ؟! وجعلتُ أقذِف عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها ، فما رَحِمتُ أحداً ممن واريتُه غيرَها . فدمعتْ عَيْنا النبيّ ﷺ ثم قال : «إنّ هذه لَقَسْوةٌ ، وإنّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم» أو كما قال ﷺ .

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال : حدَّثني عمِّي أبو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبي بَكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هُرَيْرَة : أنّ قَيْسَ بن عاصمٍ دخل على رسول الله ﷺ وفي حِجْره بعضُ بَناته يَشَمُّها ، فقال له : ما هذه السَّخْلة تَشَمُّها ؟ فقال : هذه ابنتي . فقال : والله لقد وُلِدَ لي ثمانون ووأَدْتُ ثماني بُنَيَّات ما شَمِمْتُ منهنّ أُنْثى ولا ذَكَراً قَطُّ . فقال رسول الله ﷺ : «فَهَلْ إلاّ أن يَنْزِعَ الله الرحمةَ من قَلْبك» !

قال أحمد بن الهيثم قال عمِّي فحدّثني عبد الله بن الأَهْتَم : أنّ سَبَبَ وأْدِ قيسٍ بَناتِه أنّ المُشَمْرَجَ اليَشْكُريَّ أغار على بني سَعْدِ بن زيد مناة في بني يشكر فسَبى منهم نساءً واستاق أموالاً ، وكان في النساء امرأةٌ ، خالُها قيس بن عاصم ، وهي رَمِيمُ بنتُ أَحْمَر بن جَنْدَلٍ السّعْدِيِّ ، وأُمُّها أخت قيس . فرحل قيسٌ إليهم يسألُهم أن يَهَبُوها له أو يَفْدُوها ، فوجد عمرو بن المُشَمْرَج قد اصطفاها لنفسه . فسأله فيها ، فقال : قد جعلتُ أمْرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخُيِّرتْ ، فاختارت عمرو بن المُشَمْرَج . فانصرف قيس فوَأَد كلَّ بنت له ، وجعل ذلك سُنَّةً في كلِّ بنتٍ تُولَد له ، واقتدت به العرب في ذلك ؛ فكان كلُّ سيِّد يُولَد له بنتٌ يَئِدُها خوفاً من الفضيحة .

[يطلب من يؤاكله]

أخبرني محمد بن الحسن بن درَيْد قال حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هِشام عن أبيه عن جَدِّه قال : تزوّج قيس بن عاصِم المِنْقريّ مَنْفوسةَ بنتَ زيد الفَوارِسِ الضَّبِّي ، وأتته في الليلة الثانية من بِنائه بها بطعام ، فقال : فأين أَكِيلي ؟ فلم تعلم ما يريد ؛ فأنشأ يقول[1] :

أيا ابْنةَ عبدِ الله وابنةَ مالِكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صَنَعتِ الزادَ فالتمِسي له ... أَكِيلاً فإنّي لستُ آكلَهُ وَحْدِي

1 الأبيات الأربعة الأولى في الحماسة بشرح المرزوقيّ (رقم 733) دون نسبة : «وقال آخر» ، وذكر المحقق في الحاشية أنّها لحاتم الطائيّ كما ذكر التبريزي . وفي التذكرة الحمدونية 2 : 280 لقيس بن عاصم مع بعض اختلاف .

أخاً طارِقـاً أو جـارَ بيتٍ فإنَّني ... أخافُ مَلاماتِ الأحاديثِ مِن بَعْدِي
وإنّي لعبدُ الضَّيْفِ مـن غيرِ ذِلّـةٍ ... وما بِـيَ إلاّ تلك من شِيَم العَبْدِ

قال : فأرسلَتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً ، وأنشأت تقول له : [من الطويل]

أبى المَرْءُ قيسٌ أن يذوقَ طَعامَهُ ... بغيـرِ أكيـلٍ إنّـه لَكَريـمُ
فبُورِكْتَ حَيّاً يا أخا الجُودِ والنَّدى ... وبُورِكْتَ مَيْتاً قـد حَوَتْك رُجومُ

[مدحه العباس بن مرداس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعِيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة قال : جاورَ رجلٌ من بني القَيْنِ من قُضاعَةَ قيسَ بن عاصم ، فأحسن جِوارَه ولم يَرَ منه إلاّ خيراً حتى فارقه ، ثم نزل على جُوَيْن الطائيّ أبي عامر بن جُوَيْن ، فوثب عليه نفر من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله ، فقال العبّاس بن مِرْداس يهجوهم ويمدَح قيساً : [من الطويل]

لَعَمرِي لقد أوفى الجوادُ ابنُ عاصم ... وأَحْصَنَ جاراً يومَ يَحْدِجُ بَكْرَهْ[1]
أقامَ عزيـزاً مُنْتَدى القـومِ عندَه ... فلم يَرَ سَوْءاتٍ ولم يَخْشَ غَدرَهْ
أقام بِسَعْـدٍ يشرَب المـاءَ آمنـاً ... ويأكل وُسْطاهـا ويَرْبِضُ حَجْرَهْ[2]
فإنّك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصمٍ ... جُوَيْنـاً لَمُخْتـارُ المنازلِ شَرَّهْ
فأصبَح يحـدو رَحْلَـهُ بمَفازةٍ ... ومـاذا عَـدا جاراً كريماً وأُسْرَهْ
يَظَـلُّ بأرض الغَـدْرِ يأكُلُ عَهْدَه ... جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خاربَيْـنِ بوَجْرَهْ[3]
يُذِمّـان بالأزواد والـزادُ مَحْرَمٌ ... سَرُوقان من عِرق شروراً وفَجْرَهْ[4]

[حلمه]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدَّثني دَماذ عن أبي عبيدة قال : قال الأحنف : ما تعلّمت الحلمَ إلاّ من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ ، فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر ؟ فقال : قتل ابن أخ له ابناً له فأتي بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه ، فقال :

1 وأحصنَ جاراً في ل : وأحسن جداً . أحدج بكره : شدّ عليه الحمل .
2 المثل : «يأكل وسطاً ويربض حجرة» في مجمع الميداني 2 : 150 وجمهرة العسكري 2 : 430 ومستقصى الزمخشري 2 : 411 ومعناه أنّه يأكل وسط المرعى وهو خياره ما دام القوم في خير فإذا أصابهم شرٌّ اعتزلهم وربض ناحية .
3 يأكل عهده : ينكث . وشمخ : اسم رجل . وخاربين : لِصَّيْن . وجرة : اسم موضع .
4 يذم : يتهاون . الأزواد : جمع زاد .

ذَعَرتم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يا بُنيّ ، نَقَصتَ عددك ، وأوهيت[1] ركنك ، وفَتَتَّ في عضدك ، وأشمتَّ عدوَّك ، وأسأت بقومك . خَلُّوا سبيله ، واحملوا إلى أمّ المقتول ديته ، قال : فانصرف القاتل وما حلّ قيس حَبوته ، ولا تغيّر وجهه[2] .

[وفوده على الرسول]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ عن أبي جُعْدُبَة وأبي اليقظان قالا : وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ ، فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : «هذا سيِّد أهلِ الوَبَر» .

[تطاوله على تاجر شرب خمره]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال : جاور داريٌّ كان يَتَّجِر في أرض العرب قيس بن عاصم ، فشرِب قيسٌ ليلةً حتى سَكر ، فربَط الداريَّ وأخذ ماله ومتاعه . وشرِب من شرابه فازداد سُكْراً ، وجعل من السكر يتطاول ويُثاوِرَ[3] النجوم لِيَبْلُغَها وليتناوَلَ القمر ، وقال : [من البسيط]

وتاجرٍ فاجـــرٍ جـاء الإلهُ به ... كأن عُثْنونَـــه أذنابُ أجمالِ

ثم قَسَمَ صَدَقَة النبيّ ﷺ في قومه وقال : [من الطويل]

ألا أَبْلِغــا عنِّــي قُرَيشاً رسالةً ... إذا مــا أتتهمْ مُهْدَيــاتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صدَّقتُ في العامِ مِنْقَراً ... وأَيأستُ منهــا كلَّ أطلسَ طامعِ[4]

قال : فلمّا فَعل بالداريّ ما فعل وسكر ، جعل مالَه نُهْبى ، فلم تزل امرأته تُسَكِّنه حتّى نام . فلمّا أصبح أُخبر بما كان منه ، فآلى ألاّ يُدْخل الخمرَ بين أضلاعه أبداً .

[خديعة الزِّبرقان له في الصدقات]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني الحارث بن محمد قال حدَّثنا المدائنيّ قال : وَلي قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله ﷺ صَدَقات بني مُقاعِس والبُطونِ كلِّها ، وكان الزِّبرِقان بن بَدْرٍ قد وَلِي صَدَقات عوف والأبناء[5] . فلمّا تُوُفِّي رسول الله ﷺ وقد جَمع كلٌّ واحد من قيسٍ والزِّبْرِقان صَدَقاتِ مَن وَلي صدقَته دسَّ إليه الزبرِقان مَن زَيّن له المَنْعِ لِما في يده وخدعه بذلك ، وقال له :

---

1 وأوهيت في ل : وأوهنت .

2 انظر رواية الخبر في العقد الفريد 2 : 277 .

3 يثاوره : يواثب .

4 المصدق : آخذ الصدقات . والأطلس هنا : اللص الخبيث .

5 الأبناء : أولاد سعد بن زيد مناة بن تميم .

إنّ النبيّ ﷺ قد توفّي ، فهَلُمَّ نجمَع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا ؛ فإن استقام الأمرُ لأبي بكر وأدَّتِ العربُ إليه الزّكاة جمعناها له الثانية . ففرّق قيس الإبلَ في قَومه ؛ فانطلق الزّبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة[1] بعير فأدّاها إليه ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وَفَيْتُ بأذوادِ النبيِّ محمدٍ وكنتُ امرءاً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ

فلمّا عرف قيسٌ ما كادَه به الزِّبرِقان قال : لو عاهد الزِّبرِقان أُمَّه لَغَدَر بها .

[أسباب سيادته]

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازيّ قال حدَّثنا الحارث بن أُسامة قال حدَّثنا المدائنيّ ، رأخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا ثعلبٌ عن ابن الأعرابيّ قال : قيل لقيس بن عاصم : بماذا سُدْتَ ؟ قال : بِبَذْلِ النّدى ، وكَفِّ الأذى ، ونَصْر المولى .

[نصيحته لبنيه]

أخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال : كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه : إيّاكم والبَغْيَ ؛ فما بَغى قومٌ قطُّ إلاّ قَلُّوا وذَلُّوا . فكان بعضُ بَنِيهِ يَلطِمُهُ قومُه أو غيرُهم فينهى إخوتَه عن أن ينصروه .

[إمساك المال]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبة : أنّ قيس بن عاصم قال : أتيتُ رسول الله ﷺ ، فرحَّب بي وأدناني ؛ فقلت : يا رسول الله ، المالُ الذي لا يكون عليَّ فيه تَبِعةٌ ما ترى في إمساكِه لِضَيْفٍ إن طَرَقني ، وعِيال إنْ كَثُروا عليَّ ؟ فقال : «نِعْمَ المالُ الأربعون ، والأكثر الستّون ، وويلٌ لأصحاب المِئِين ، ثلاثاً ، إلاّ مَن أعطى من رِسْلها وأطرق[2] فَحْلَها ، وأفقر ظَهْرَها[3] ، ومَنَح غَزيرَتها ، وأطعم القانعَ والمُعْتَرَّ[4]» . فقلت له : يا رسولَ الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاق وأحسنها إنّه لا يُحَلُّ بالوادي الذي فيه إبلي من كَثْرتها . قال : «فكيف تصنع في الإطراق ؟» قلت : يغدو الناس ، فمَنْ شاء أن يأخذ برأس بَعِير ذهب به ، قال : «فكيف تصنع في الإفقار ؟» فقلت إنّي لأُفْقِرُ النابَ المُدبرةَ والضَّرَع[5] الصغيرة . قال : «فكيف تَصْنَع في المَنيحة ؟» قلت : إنّي لأمنح في السَّنة المائة . قال :

1 ل : بتسعمائة .

2 رسلها : لبنها . وأطرق فحلها : أعاره للضراب .

3 أفقر ظهرها : أعارها للركوب .

4 القانع : السائل . والمعتر : المتعرض للمعروف دون سؤال .

5 الناب المدبرة : الناقة الهرمة . والضرع : الصغيرة .

«إنّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أو تَصَدَّقْت فأمضيت» .

[يوم جدود[1]]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ حدَّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : قيسُ بن عاصم هو الذي حَفَز الحَوْفَزانَ بن شَريكٍ الشَّيْبانيّ ، طعَنه في استِه في يوم جَدُود .

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شَريك بن عمرو بن الصَّلْب بن قَيْس بن شَراحِيل بن مُرَّةَ بن هَمَّام كانت بينه وبين بني يَرْبُوع مُوادعةٌ ، ثم هَمَّ بالغدر بهم ، فجمع بني شَيْبان وبني ذُهْلٍ واللَّهازِمَ : قَيْسَ بن ثعلبةَ وتَيْمَ الله بن ثَعْلبة وغيرهم ، ثم غزا بني يربوع ، فنَذِرَ به عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهاب بن شَرِيك ، فنادى في قومه بني جعفر بن ثَعْلبة فخالفوا بين الحارث بن شريك وبين المال فقال لعتيبة : يا أبا جوزة : قد عرفت الموادعة بيني وبين بني سليط ، فهل لكم في مثلها فلا تروع بني يربوع فوادَعَه . وأغار الحارث بن شريكٍ على بني مُقاعِس وإخوتهم بني رُبَيْع فاستغاثوا ببني ربيع فلم يُجيبوهم ، فاستصرخوا بني مِنْقَرٍ فركِبوا حتى لَحِقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يومٍ شديد الحَرِّ . فما شَعَر الحَوْفَزانُ إلاّ بالأهتم بن سُمَيٍّ بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ ، واسم الأهتم سنان ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركِبه وقال للأهتم : مَنْ أنت ؟ فانتسب له ، وقال : هذه مِنقر قد أتتك . فقال له الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك ! فنادى الأهتم : يا آل سعد ! ونادى الحوفزان : يا آل وائل ؛ وحمل كلٌّ واحد منهما على صاحِبه ، ولحِقت بنو مِنْقَرٍ ، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه ، ونادت نساء بني رُبَيع : يا آل سعد ؛ فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن ، فهُزِمتْ بكرُ بن وائل ، وخَلَّوْا مَن كان في أيديهم من بني مُقاعِس ، وما كان في أيديهم من أموالهم ، وتَبِعتهم بنو مِنْقَرٍ بين قَتْلٍ وأَسْرٍ ؛ فأَسَر الأهتمُ حُمْران بن عَبْدِ عمرو ، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزان ، ولم يكن له هِمّة غيره ، والحارث على فرس له قارحٍ يُدعى الزَّبِد ، وقيس على مُهْر فخاف قيس أن يسبِقه الحارث ، فحفزه بالرُّمح في استه ، فتحَفَّز به الفرس فنجا ، فسُمِّي الحَوْفَزان . وأطلق قيس أموالَ بني مُقاعس وبني رُبَيع وسَباياهم ، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأساراهم . وانتقضت طعنة قيس على الحَوْفزان بعد سنةٍ فمات . وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم : [من الطويل]

جَــزَى الله يَرْبوعــاً بأسوأ فِعْلِها إذا ذُكِرتْ في النائبــاتِ أمورُها
ويومَ جَدُودٍ قــد فضحتم ذِمارَكم وسالَمْتُمُ والخيلُ تَدْمــى نُحورُها
سَتَخطِمُ سعــدٌ والرِّبــابُ أُنوفَكم كما حَزَّ في أَنف القَضيبِ جَريرُها

---

1 يوم جدود : يوم لبني منقر (من تميم) على بكر (بن ربيعة) . انظر أيّام العرب في الجاهلية : 178–181 .

وقال سَوّار بن حَيَّانِ المِنْقَرِيّ : [من الطويل]

ونحـن حَفَزنـا الحوفزانَ بطَعْنةٍ سَقَته نَجيعاً من دَمِ الجَوْفِ أَشْكَلا[1]

وحُمْرانُ قَسْراً أنزلتْـه رِماحُنـا فعالَـجَ غُـلاًّ في ذِراعَيْـهِ مُقْفَلا

[يوم النباج وثيتل[2]]

قال : وأغار قيس بن عاصم بعد ذلك على اللهازم ، فتَبِعه بنو كَعب بن سعد بالنِّباج وثُيْتَل ، فتخوَّف أن يَكْرَه أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل ، وقد كانوا يَتناجَوْن في ذلك ، فقام ليلاً فشقّ مَزادَهم ، لئلاّ يَجِدُوا بُدّاً من لِقاء العدوّ[3] ، فلمّا فَعَل ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَروا له ، فأغار عليهم ، فكان أَشهَرَ يوم يومَ ثُيْتَلٍ لبني سعد ، وظَفِر قيسٌ بما شاء ، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم . وفي ذلك يقول ابنه عليّ بن قيس بن عاصم : [من الطويل]

أنـا ابنُ الذي شقّ المَزادَ وقد رأى بثُيْتَـلَ أحيـاءَ اللَّهـازم حُضَّرا

فصَبَّحَهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ وكان إذا مـا أورد الأمـرَ أَصْدَرا

[قتاله عبد القيس]

قال : وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القَيْس ، وكان رئيس بني سَعْدٍ يومئذٍ سِنان بن خالد ، وذلك بأرض البَحْرَيْن ، فأصابوا ما أرادوا ، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فُعِل بهم بالمُشَقَّر حين أُغلق عليهم بابه فامتنعوا ، فقال في ذلك سوّار بن حيّان : [من الطويل]

فيا لَكَ مِـن أيّامِ صِدْقٍ أَعُدُّها كيَـومِ جُؤاثَى والنِّباجِ وَثُيْتَلا

[يوم الكلاب الثاني]

قال : وكان قيسُ بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكُلابِ الثاني[4] ، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يَغُوثَ بن وَقّاص بن صَلاءَةَ الحارثيّ حين أَسَرَه عِصْمةُ بن أُبَيْر التَّيْمِيّ ودَفَعه إلى الأهتم ، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرَب فَمَ الأهتم بها فهَتَم أسنانه ؛ فيومئذٍ سُمِّي الأهتم ، والله أعلم .

1 النجيع : الدم المائل إلى السواد أو دم الجوف . والأشكل : ما يخالط سواده حمرة .
2 يوم النباج وثيتل : لتميم على بكر (بن ربيعة) . انظر أيّام العرب في الجاهلية : 175–177 .
3 ل : القوم .
4 في يوم الكلاب الثاني انظر أيّام العرب في الجاهلية : 124–131 .

[نصيحته لأولاده حين حضرته الوفاة]

أخبرنا هشام بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة ، وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن عديٍّ قال : جمع قيسُ بن عاصمٍ ولَدَه حين حضرتْه الوفاة وقال : يا بَنيَّ ، إذا مُتُّ فسوِّدُوا كِبارَكم ، ولا تُسَوِّدُوا صِغارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكم . وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه مَنْبَهةٌ للكريم ، ويُسْتَغْنى به عن اللئيم . وإذا مُتُّ فادْفِنوني في ثيابي التي كنت أُصلّي فيها وأَصوم . وإيّاكم والمسألة فإنّها آخِرُ مكاسبِ العبد ؛ وإنّ امرءاً لم يسأل إلاّ ترك مكسبه . وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحيِّ من بكرِ بن وائل ؛ فقد كان بيننا خُماشاتٌ[1] في الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوَترٍ ، ثم قال : اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرِّقوا . ففرَّقوا ، فقال : اكسِروها سهماً سهماً ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة . ثم قال : [من الخفيف]

إنّما المجدُ ما بَنى والدُ الصِّدْ ... قِ وأحيا فَعالَه المولودُ
وتَمامُ الفضلِ الشجاعةُ والحِلْـ ... ـمُ إذا زانَه عَفافٌ وجُودُ
وثلاثون يا بَنِيَّ إذا ما ... جَمَعَتْهم في النائبات العُهودُ
كثلاثين من قِداحٍ إذا ما ... شَدَّها للزمان قِدْحٌ شديدُ
لم تَكَسَّرْ وإن تَفرّقتِ الأسْـ ... ـهُمُ أَوْدى بجمعِها التبديدُ
وذوو الحِلْمِ والأكابرُ أولى ... أن يُرى منكُمُ لهم تسويدُ
وعليكُمْ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى ... يَبْلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهودُ

[رثاء عبدة بن الطبيب له]

ثم مات ؛ فقال عَبْدَةُ بن الطَّبيبِ يَرثيه : [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّما
تحيَّةَ من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّما
فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

أخبرني عُبيد الله بن محمد الرازيّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : لمّا مات عبد الملك بن مَروان اجتمع وَلَدُه حولَه ، فبكى هشامٌ حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : رَحِمكَ الله يا أميرَ المؤمنين ؛ فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطّبيب : [من الطويل]

1 خماشات : جراحات وجنايات .

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنّــه بُنيــانُ قــوم تهدَّما

فقال له الوليد : كذبتَ يا أحولُ يا مشؤوم ، لسنا كذلك ، ولكنّا كما قال الآخر : [من الطويل]

إذا مُقْرَمٌ مِنّـا ذَرا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّط فينا نـابُ آخَرَ مُقْرَمِ

[علاقته بعبدة بن الطبيب]

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان بين قيس بن عاصم وعَبْدَة بن الطَّبيب لِحاءٌ ، فهجره قيسُ بن عاصم ، ثم حَمَلَ عَبْدةُ دماً في قومه ، فخرج يسأل فيما تَحَمَّله ، فجمَع إبلاً ، ومرَّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدِّية ، فقال : فيمَ يسأل عَبدة ؟ فأُخبر ؛ فساق إليه الدية كاملةً من ماله ، وقال : قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ بما صار إليه ، وَلْيَسُقْ هذه إلى القوم . فقال عَبْدة : أما والله لولا أنْ يكون صُلْحِي إيَّاه بعَقِب هذا الفِعْل عاراً عليّ لصالحتُه ، ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأُصالحه . ومضى بالإبل ثم عاد ، فوجد قيساً قد مات ، فوقف على قبره وأنشأ يقول : [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ ورحمتُــه مــا شاءَ أنْ يترحَّمــا

الأبيات .

[تحريمه الخمر على نفسه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزْهَر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبيّ عن أشياخهما : أنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ سَكِر من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلم ، فغمَز عُكْنة ابنتِه ، أو قال أُخته ، فهربتْ منه . فلمّا صحا منها ، فقيل له : أوما علمتَ ما صنعتَ البارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنْعه ، فحرَّم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

وجدتُ الخمرَ جامحــةً وفيها خِصالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكريما

فَلا واللهِ أشْرَبُهــا حَياتــي ولا أدعــو لهــا أبـداً نَدِيما

ولا أُعْطِي بهـــا ثَمَناً حياتي ولا أُشْفــي بهـا أبــداً سقِيما

فإنَّ الخمــرَ تَفْضَحُ شارِبِيهــا وتُجْشِمُهُمْ بهـا أمراً عظِيما

إذا دارتْ حُمَيّاهــا تعَلَّــتْ طَوالِعُ تُسْفِهُ الرَّجُــلَ الحليما

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال الزِّبْرِقان : إنّ تاجراً دِيافِيّاً[1] مرَّ بِحمْل خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس :

---

1 ديافي : منسوب إلى دياف ، قرية بالشام تنسب إليها الإبل والسيوف .

أصبَحْني قَدَحاً ؛ ففعل . ثم قال له : زِدني (ثلاثاً) فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالب رِبح وخير ، ولا أستطيع أن أُسْقِيكَ بغير ثمن . فقام إليه قيس فَرَبطه إلى دَوْحةٍ في داره حتى أصبح ، فكلَّمته أُختـه في أمره ، فلَطَمها وخَمَش وَجْهَها ، وزعموا أنّه أرادها[1] على نفسها ، وجعل يقول : [من البسيط]

وتاجرٍ فاجـرٍ جـاء الإلهُ به كأَنَّ لِحْيَتَـه أذنـابُ أجمـالِ

فلمّا أصبح قال : مَن فَعَل هذا بضَيْفِي ؟ قالت له أُخته : الذي صنع هذا بوجهي ، أنت والله صنعتَه ، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهداً ألاّ يشربَ الخمر أبداً . فهو أوّل عربيٍّ حَرَّمها على نفسه في الجاهليّة ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

فواللهِ لا أحسو يَـدَ الدَّهْـرِ خمـرةً ولا شَرْبَةً تُزْرِي بِذِي اللُّبِّ والفخرِ
فكيف أذوق الخمر والخمرُ لم تَزَلْ بصاحبِها حتـى تَكَسَّعَ في الغَدْرِ[2]
وصارت بـه الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما يكونُ عميدَ القومِ في السِّرِّ والجَهْرِ
ويَبْدُرُهـمْ في كلّ أمـرٍ يَنُوبُهـم ويَعْصِمُهم مـا نابَهم حادثُ الدَّهرِ
فيا شارِب الصَّهْباء دَعْها لأهلها الـ ـغُواةِ وسَلِّـمْ للجسيم مـن الأمرِ
فإنَّـك لا تَـدْرِي إذا مـا شَرِبْتَها وأكثرتَ منها مـا تَرِيشُ وما تَبْرِي[3]

[فارقته امرأته بعد إسلامه]

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المُباركيّ قال أخبرني المدائنيّ عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : قال الأحنف بن قيس : ذكرتُ بلاغةَ النساء عند زِيادٍ ، فحدّثته أنّ قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنِيفَة ، فأبى أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامَهـا ، فاجتمعوا إليهـا وأقسموا إنّهـا إن أسلمتْ لم يكونوا معها في شيء ما بقيت . فطالبتْ قيساً بالفُرْقة ، ففارقها ، فلمّا احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ : أما والله لقد صَحِبْتِني سارَّة ، ولقد فارقْتِني غيرَ عارَّة ، لا صُحْبَتُك مملولة ، ولا أخلاقك مذمومة ، ولولا ما اخترتِ ما فرَّق بيننا إلاّ الموتُ ، ولكـنّ أمر الله ورسوله ﷺ أحقُّ أن يُطاع . فقالت له : أُنبئتُ بحَسَبِك وفَضْلِك ، وأنت والله إن كنتَ للدَّائِمَ المحبّة ، الكثيرَ المودّة[4] ، القليلَ اللائمة ، المُعْجِبَ الخلوة ، البعيدَ النبوّة . ولَتعلمنَّ أنّي لا أسكن بعدك

1 ل : راودها عن .
2 تكسّع : تمادى .
3 معنى المثل ما يريش وما يبري أي لا يضر ولا ينفع .
4 ل : العفة .

إلى زوج . فقال قيس : ما فارقتْ نفسي شيئاً قطُّ فتَبِعْته كما تبعتْها .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثني أبو فِراس قال : كان قيس بن عاصم يُكنى أبا عليٍّ ، وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال : بَخْ ! من مثل أبي عليٍّ ! [من الطويل]

تُطِيفُ به كَعْبُ بن سعد كأنّما يُطِيفون عُمَّاراً ببيتٍ مُحَرَّمِ

[بنو منقر]

وقال عَلاّن بن الحسن الشُّعوبيّ : بنو مِنْقَرٍ قوم غدر ، يقال لهم الكَوادِن ، ويلقَّبون أيضاً أعرافَ البِغال ، وهم أسوأ خلق الله جِواراً ، يسمُّون الغدر كَيْسان ، وفيهم بخلٌ شديد .

وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثرَ وصيَّته إيَّاهم أن يحفظوا المالَ ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب : [من البسيط]

يا منْقَرُ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤمَكُمُ مُذْ عَهْدِ آدَمَ في الدِّيوانِ مكتوبُ
للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كان ذا كرمٍ والضَّيْفُ في مِنْقَرٍ عُرْيانُ مسلوبُ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ في قصيدة هجاهم بها : [من الطويل]

إذا ما دَعَوْا كَيْسانَ كانتْ كُهُولُهمْ إلى الغَدْرِ أدْنى من شَبابِهِمُ المُرْدِ

قال : وهذا شائع في جميع بني سَعْد ، إلاّ أنّهم يتدافعونه إلى بني مِنْقَر ، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سِنانِ خالد بن مِنْقَر ، وهو جَدُّ قيس بن عاصم .

[تهاتره مع عمرو بن الأهتم عند النبيّ]

وحكي عن ابن الكلبيّ أنّ النبيّ ﷺ لمّا افتتح مكّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب ، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عَمِّه ، فلمّا صارا عند النبيّ ﷺ تَسابَّا وتَهاتَرا ؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم : والله يا رسول الله ما هُمْ منّا ، وإنّهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأهتم : بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منّا . ثم قال له : [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتِمُني عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الهَلْباء يعني استه ، يعيره بذلك ، وبأن عانته وافية .

إن تُبْغِضُونا فإنّ الرُّوم أصلُكُمُ والرُّوم لا تملِك البغضاءَ للعَرَبِ
سُدْنا فسُؤْدَدُنا عَوْدٌ وسُؤْدَدُكُمْ مُؤَخَّرٌ عند أَصل العَجْبِ والذَّنَبِ[1]

---

1 العجب : أصل الذنب .

قال : وإنّما نسبه إلى الرُّوم لأنّه كان أحمرَ . فيقال : إنّ النبيّ ﷺ نهاه عن هذا القول في قَيْس ، وقال : إن إسماعيل بن إبراهيم ، صلّى الله عليهما وسلّم ، كان أحمر . فأجابه قيس بن عاصم فقال : [من السريع]

مـا في بَني الأهْتَمِ من طائلٍ ... يُرْجى ولا خَيْرٍ لَـهُ يَصْلُحونْ
قُـلْ لبني الحِيريِّ مَخْصوصةً ... تُظْهِرُ منهم بعضَ مـا يَكْتُمونْ
لـولا دِفاعـي كنتُـم أعْبُدًا ... مَسْكَنُهـا الحِيرةُ فالسَّيْلَحون[1]
جاءت بكم عَفْرةُ من أرْضِها ... حِيرِيَّـةً ليست كما تزعُمونْ
في ظاهـر الكَـفِّ وفي بَطنها ... وَسْمٌ من الدَّاء الذي تَكْتُمونْ

[ردته عن الإسلام]

وذكر عَلاّن أنَّ قَيْساً ارتدَّ بعد النبيِّ ﷺ عن الإسلام ، وآمن بسَجاحِ ، وكان مُؤَذِّنَها ، وقال في ذلك[2] : [من البسيط]

أضحتْ نَبيَّتُنا أنْثى نُطِيفُ بها ... وأصبحتْ أنبيـاءُ الله ذُكْرانا

قال : ثم لمّا تزوّجت سَجاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذّاب الحَنفيِّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها . فلمّا غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمةَ أخَذ قَيْسَ بن عاصمٍ أسيراً ، فادّعى عنده أنّ مُسَيْلِمَة أخذ ابناً له ، فجاء يطلبُه . فأحلفه خالد على ذلك ، فحلف فخلّى سبيله ، ونجا منه بذلك .

[أسره عبادة بن مرثد]

قال : وممّا يُعَيَّرون به أنّ عُبادة بن مَرْثَدِ بن عمرو بن مَرْثَد أسَرَ قَيْسَ بن عاصمٍ وسَبى أمَّه وأختَيه يوم أُبْرَقِ الكِبِريت ، ثم مَنَّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء ، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْله بقَوْلٍ يبلُغه . فقال عبادة في ذلك : [من الطويل]

على أُبْرَقِ الكِبْريتِ قيس بن عاصمٍ ... أَسَرْتُ وأطرافُ القَنا قِصَدٌ حُمْرُ
مَتـى يَعْلَـقِ السَّعْدِيُّ منكَ بذِمَّةٍ ... تَجِـدْهُ إذا يَـلْقى وشِيمَتُه الغَدْرُ

قال : وكان قيسُ بن عاصم يسمَّى في الجاهلية الكَوْدَنَ[3] .

1 السيلحون : بلد قرب الحيرة .

2 البيت في الطبري لعطارد بن حاجب .

3 الكودن : البغل أو البرذون .

[زيد الخيل يرميه بالكذب]

وكان زيدُ الخيل الطائيّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بني مِنْقَر ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم ، فأعانهم وقاتل بني عِجْل قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً ، حتى انهزمتْ عجل ؛ فكفر قيس فِعْلَه وقال : ما هزمهم غيري . فقال زيد الخيل يعيِّره بالكذب في قصيدة طويلة : [من الطويل]

ولستُ بوَقَّافٍ إذا الخيلُ أَحْجمتْ ولستُ بكذَّابٍ كقَيْس بن عاصمِ

[وأده بناته]

قال[1] : وكان سبب وأد قيس بن عاصم بناته أن عمرو بن المشمرج اليشكريّ سبى رَميم بنت مزيد بن يزيد بن عبادة بن نزال ، وأمها أخت قيس بن عاصم ، فلما دخلت الأشهر الحرم وفد إليهم قيس بن عاصم ليستردّها ، فقالت للذي سباها لا تردني إليهم فاستحيا منهم وتذمم فقال لخالها قيس إنّها قد رضيت مكانها وأنا أكره أن أردها وأتذمم منها ، وأنا راغب في فدائها فخيّرها إن اختارتك ذهب عنّي ذمامها ، وإن اختارتني عهدتني ، فقال قيس : ما أظنّها تختار على أهلها أحداً قال : فدونكها ، فخيّرها قيس فاختارت عمرو بن المشمرج ، فعاهد الله قيس أن لا يستحيي له بنتاً أبداً ، وكان يئد بناته بعد ذلك . فقال . . . الفرزدق : لقد جاء الإسلام وإنّ عندنا بنتاً لقيس بن عاصم أراد أن يئدها فاشتراها صعصعة بن ناجية .

[إسلامه]

وممّا روى قيس بن عاصم عن النبيّ ﷺ : حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخِيّ قال : حدّثنا أبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حرْب قال : حدّثنا وكيع قال : حدّثنا سُفْيان الثَّوْرِيّ عن الأغرّ المِنْقَرِيّ عن خليفة بن حُصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جَدِّه أنّه أُسلم على عهد النبيّ ﷺ ، فأمره النبيّ عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

وحدَّثنا حامد قال حدَّثنا أبو خيثمة قال حدَّثنا جريرٌ عن المُغيرة عن أبيه شُعْبَةَ عن التَّوْءَم قال : سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله ﷺ عن الحلف ، فقال : «لا حِلْفَ في الإسلام ، ولكن تَمَسَّكوا بحِلْفِ الجاهلية[2] .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثني رجلٌ من الرِّباب قال : ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصمٍ عند النبيّ ﷺ فقال : لقد هممتُ أنْ آتِيَه فأفعلَ به وأَصْنَعَ به ، كأنّه تَوَعَّده . فقال له النبيّ ﷺ «إذاً تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَراكِرِها[3]» .

1 زيادة لم ترد في نسختين .

2 يقصد أحلاف المناصرة على الخير والحق .

3 الكراكر : جمع كركرة وهي الجماعة من الناس .

قال : ولمّا مات قيسٌ رثاه مِرْداس بن عَبْدَة بن مُنَبِّه فقال[1] : [من الطويل]

وما كان قَيْسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

صوت

[من مجزوء الخفيف]

خُذْ مِن العَيْشِ ما كَفى ومِنَ الدَّهْرِ ما صَفا
حَسُنَ الغَدْرُ في الأَنا مِ كما اسْتُقْبِحَ الوَفا
صِلْ أَخا الوَصْلِ إنَّه ليس بالهَجْرِ مِنْ خَفا
عَيْنُ مَنْ لا يُرِيدُ وَصْـ ـلَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفا

الشعر لمحمد بن حازم الباهليّ ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورِيّ ، رَمَلٌ بالبِنصر . أُخبرني بذلك جحظة .

1 تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطيب ، ص 53 .

[258] ـ أخبار محمد بن حازم ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ . ويكنى أبا جعفر . وهو من ساكِني بَغداد مولدُه ومَنْشَؤُه البَصرة . أخبرني بذلك ابن عَمّار أبو العبّاس عن محمد بن داوُد بن الجرّاح عن حسين بن فَهْم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسية ، شاعر مطبوع ، إلاّ أنّه كان كثير الهجاء للناس ، فاطُّرِح ، ولم يمدح من الخلفاء إلاّ المأمون ، ولا اتصل بواحد منهم ، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته . وكان ساقط الهمّة ، مُتقلّلاً جدّاً ، يُرْضيه اليسير ، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب .

[مع الطاهريّ]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول : بعث إليّ فلانٌ الطَّاهريّ ، وكنت قد هجوته فأفرطتُ ، بألفي درهم وثياب في تخت ، وقال : أمّا ما قد مضى فلا سبيل إلى رَدِّه ، ولكن أُحِبُّ ألاّ تزيدَ عليه شيئاً . فبعثت إليه بالدراهم والثياب ، وكتبتُ : [من الكامل]

لا أَلبَسُ النعمـاءَ مِـن رجلٍ ... أَلبستُه عـاراً عـلى الدَّهْـرِ

[هجاء أحمد بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا أبو علي ، وسقط اسمه من كتابي ، قال قرأتُ في كتاب عَمِّي : قال لي محمد بن حازم الباهليّ : مرَّ بِي أحمد بن سَعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلِّم عليَّ سلاماً أَرضاه ، فكتبتُ رُقْعَةً وأَتبعته بها ، وهي : [من السريع]

وباهـليٌّ مـن بنـي وائـلٍ ... أفـادَ مـالاً بعـد إفـلاسِ
قَطَّبَ في وجْهيَ خَوْفَ القِرى ... تَقْطِيبَ ضِرْغـامٍ لَدى الباسِ
وأظهـرَ التِّيـهَ فتايَهْتُـهُ ... تِيـهَ امرىءٍ لم يَشْقَ بالنّاسِ
أعَرتُـه إعْـراضَ مُسْتَكبِرٍ ... في مَوْكِـب مـرَّ بـكَنّاسِ

1 ترجمة محمد بن حازم الباهليّ في طبقات ابن المعتزّ : 311 ومعجم المرزباني : 429 وتاريخ بغداد 2 : 429 وديارات الشابشتي : 177 والورقة : 109 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[مع سعد بن مسعود]

أُخبرني ابن عمّار قال حدَّثني أُبو عليّ قال : لقيت محمّد بن حازم في الطريق فقلتُ له : يا أَبا جعفر ، كيف ما بينَك وبين صديقِك سعد بن مَسْعود اليومَ ، وهو أَبو إسحاق بن سعد ، وكان يكتب للنُّوشَجانيّ ، فأنشدني : [من السريع]

راجَـــع بالعُتْبـــى فأعتَبْتُـــه ... وربّمـــا أعْتَبَـــك المُذْنِـــبُ
وإن في الدَّهْـــر ، على صَرْفـه ... بـين الصَّدِيقَيْـــن ، لُمسْتَعْتَــبُ

[في الشباب والشيب]

أُخبرني محمّد بن القاسم الأنباريّ وابن الوَشَّاء جميعاً قالا حدَّثنا أُحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال : قال ابن الأعرابيّ : أُحسنُ ما قال المُحْدَثُون من شُعَراء هذا الزَّمان في مديح الشَّباب وذَمِّ الشَّيْب قول محمد بن حازم الباهليّ : [من البسيط]

لا حِينَ صَبْرٍ فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ ... فَقْدُ الشَّبابِ بيوم المـرءِ مُتَّصِلُ
سَقْياً ورَعْيـاً لأيَّام الشَّبابِ وإنْ ... لم يَبْـقَ منـه لـه رسمٌ ولا طَلَلُ
جـرّ الزَّمـانُ ذُيـولاً في مَفارِقِه ... ولِلزَّمـانِ على إحسانـه عِلَلُ
وربَّما جَــرَّ أذيـالَ الصِّبا مَرَحاً ... وبين بُرْدَيْــهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
يُصبي الغَــواني ويَزْهــاه بِشِرَّتِهِ ... شَرْخُ الشَّبابِ وثوبٌ حالِكٌ رَجَلُ
لا تكْذِبَنَّ فمـا الدُّنْيـا بأَجمعِها ... مـن الشَّبابِ بيَوْمٍ واحـدٍ بَدَلُ
كَفاكَ بالشَّيْب عيباً عنــد غانيةٍ ... وبالشَّباب شَفِيعـاً أيُّها الرَّجُلُ
بانَ الشَّبابُ وولَّى عنـكَ باطِلُهُ ... فليس يَحْسُنُ منك اللَّهْو والغَزَلُ
أَمَّا الغَواني فقد أَعرَضْنَ عنك قِلًى ... وكان إعراضَهُــنَّ الدَّلُّ والخَجَلُ
أَعرَنْكَ الهَجْرَ مـا لاحتْ مُطَوَّقَةٌ ... فَلا وِصالٌ ولا عَهْــدٌ ولا رُسُلُ
ليـتَ المَنايـا أُصابَتْني بأَسْهُمها ... فكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدِي قبـلَ أَكْتهِلُ
عهْدَ الشَّبابِ لقد أُبقيتَ لي حَزَناً ... مـا جَدَّ ذكرُك إلاّ جَـدَّ لي ثَكَلُ
إنّ الشبابَ إذا مـا حـلَّ رائدُه ... في مَنْهـلٍ رادَ يقفـو إثْـرَهُ أَجَلُ

قـال ابـن الوَشَّاء خاصَّةً : ومـا أساء ولا قَصَّر عن الأُولى ، حيـث يقـول في هـذا المعنـى : [من البسيط]

أُبكِـي الشَّبابَ لِنَدْمــانٍ وغانيةٍ ... وللمَغـــاني وللأَطـلال والكُتُبِ

وللصَّريــخ وللآجــام في غَلَسٍ ... وللقَنــا السُّمْرِ والهِنْدِيّــة القُضُبِ
وللخَيــالِ الذي قــد كان يَطْرُقُني ... وللنَّدامــى ولِلَّــذاتِ والطَّــرَبِ
يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْدِي له جَلَداً ... أُضِعتُ بَعدك إنَّ الدَّهرَ ذُو عُقَبِ[1]
وقـد أكونُ ، وشَعْبانا معاً ، رَجُلاً ... يـومَ الكريهةِ فَرّاجاً عَنِ الكُرَبِ

[مع ابن حميد]

أخبرني ابن عمّار عن العَنَزيّ قال : كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْه ، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشيءَ بعد الشيء ، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً ، منه قوله : [من الوافر]

عَدُوَّاكَ المَكــارِمُ والكِــرامُ ... وخِلُّــكَ دونَ خُلَّتِــك اللِّئامُ
ونَفْسُك نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ ... وعُقْبى زائــرِ الكلــبِ التِدامُ[2]
تَهِــرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ ... لِتَحْشِمَــه إذا حَضَرَ الطَّعامُ[3]
إذا مــا كانــت الهِمَمُ المَعالي ... فهَمُّك مــا يكون بــه المَلامُ
قَبُحْــتَ ولا سَقاك الله غيثاً ... وجانَبَــك التحيّـــةُ والسلامُ

قال : فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ ، فلم يفعل ، وردَّ المال عليه ، وقال فيه : [من مخلّع البسيط]

موضعُ أسرارِك المُريبُ ... وحَشْوُ أثوابِـك العُيوبُ
وتمنَع الضيفَ فضلَ زادٍ ... ورَحْلُك الواسعُ الخَصيبُ
يــا جامِعاً مانِعــاً بَخيلاً ... ليس لــه في العُلا نَصيبُ
أبِالرُّشا يُسْتَمالُ مِثْــلي ؟ ... كَلاّ ؛ ومَنْ عنده الغُيوبُ
لا أرتــدي حُلَّــةً لُمْثنٍ ... بوجهه مــن يَدِي نُدوبُ
وبــين جنبيه لي كُلــومٌ ... دامِيــةٌ مــا لَهــا طَبيبُ
ما كنتُ في موضِع الهَدايا ... منــكَ ، ولا شَعْبُنا قَرِيبُ
أنّى وقد نَشَّتِ المَكاوِي ... عن سِمَةٍ شأنُها عَجِيبُ

---

1 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .
2 الزور : الزائر . الالتدام : النياحة .
3 يحشمه : يسمعه ما يكره .

وسار بالذَّمِّ فيك شِعْري　　وقيل لي مُحسِنٌ مُصيبُ
مالُكَ مـالُ اليتيمِ عندي　　ولا أرى أكْلَـه يَطِيبُ
حَسْبُكَ مـن مُوجزٍ بليغ　　يَبْلُغُ مـا يبلُغُ الخَطِيبُ

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال : بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد في وِجْهةٍ ، وأمره بجبايةِ مالٍ ، وبحَرْبِ قوم من الشُّراة ، فخان في المال وهرَب من الحرب ، فقال فيه محمد بن حازم الباهليّ : [من المتقارب]

تَشَبَّـه بـالأَسَد الثعلـبُ　　فغـادَرَه مُعْنَقـاً يُجْنَـبُ[1]
وحـاولَ مـا ليس في طَبْعِه　　فأسْلَمـه النـابُ والمِخْلَبُ
فلـم تُغْـنِ عنـه أباطيلُـه　　وحـاصَ فأحْـرَزَه المَهْرَبُ[2]
وكان مَضِيّـاً على غَـدْره　　فعُيِّـبَ ، والغـادرُ الأَخْيَبُ
أيا ابْنَ حُمَيْدٍ كفـرتَ النَّعِيـ　　ـمَ جهلاً ووَسْوَسَكَ المَذْهَبُ[3]
ومَنَّتْك نفسُك مـا لا يَكُونُ　　وبعضُ المُنى خُلَّـبٌ يَكْذِبُ
ومـا زلْتَ تسعـى على مُنْعِمٍ　　بِبَغْـيٍ وتُنْهـى فـلا تُعْتِبُ
فأصبحتَ بالبَغْـي مستبدلاً　　رَشاداً وقـد فـات مُسْتَعْتَبُ

قال : وقال فيه لمّا شخص إلى حيثُ وجَّهه الحسن بن سَهْلٍ : [من مخلّع البسيط]

إذا استقلَّتْ بـك الرِّكابُ　　فحيـثُ لا دَرّتِ السحابُ
زالتْ سِراعـاً وزُلْتَ يَجْـرِي　　ببَينِك الظَّبْـيُ والغُـرابُ
بحيـثُ لا يُرْتَجـى إيـابٌ　　وحيـثُ لا يبلـغُ الكتابُ
فَقَبْـلَ معروفِـك امتنـانٌ　　ودُونَ معروفِـك العـذابُ
وخيرُ أخلاقِـك اللَّواتـي　　تعـاف أمثالَهـا الكـلابُ

[قصر شعره]

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أبي قال : قال يحيى بن أكْثَم لمحمد بن حازم الباهليّ : ما نَعِيبُ شَعرَك إلاّ أنّك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول : [من الوافر]

1 معنق : في عنقه قلادة .
2 حاص : حاد وعدل .
3 وسوسه : ناجاه رسول له .

أَبى ليَ أَنْ أُطيل الشعرَ قَصْدِي إلى المَعْنى وعِلْمِي بالصَّوابِ
وإيجازي بمُخْتَصَرٍ قريب حذفتُ به الفضولَ من الجوابِ
فأبْعَثُهُنّ أربعةً وخَمْساً مُثَقّفةً بألفاظٍ عِذابِ
خَوالِدَ ما حَدا ليلٌ نهاراً وما حَسُن الصِّبا بأخي الشَّبابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنّ قوماً كأطواقِ الحمائم في الرِّقابِ
وهُنّ إذا أقمْتُ مُسافراتٌ تَهادتْها الرُّواةُ مع الرِّكابِ

[مع أبي ذؤيب]

حدَّثني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النَّوْفَليّ قال : كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي ذُؤَيب من التّتار ؛ وكان مَقْصِدَ الشعراء وأَهل الأدب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذَّة[1] ، وهيئة رَثَّة ، ولم يعرّفه نَفْسَه ، وصادفهم يتكلّمون في شيء من معاني الشعر ، وأَبو ذؤيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك ، فسأله محمد بن حازم ، وقد دخل عليه يوماً ، عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِله ، فرَدَّ عليه جواباً مُحالاً كالمستصغر له وازدراه ، فوثب عن مجلسه مُغْضَباً . فلمّا خرج قيل له : ماذا صنعتَ بنَفْسك وفتحتَ عليها من الشرّ ؟ أتدري لِمَن تعرَّضتَ ؟ قال : ومَنْ ذاك ؟ قال : هو الذي احتقرته أفما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا محمد بن حازم الباهليّ ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم . فوثب إليه حافياً حتى لَحِقه ، فحلف له أنّه لم يَعْرِفه ، واستقاله فأقاله ، وحلف أنّه لا يقبَل له رِفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا : [من الكامل]

أخْطا ورَدَّ عليَّ غيرَ جَوابي وزَرى عليّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادني فيما كَرِهتُ بِظَنّه المُرتابِ
وقضى عليَّ بظاهرٍ من كُسْوَةٍ لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثِيابي
مِنْ عِفَّةٍ وتكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ وتَجَلّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ
وإذا الزمان جنى عليَّ وجدتَني عُوداً لبعض صفائح الأقتابِ
ولئن سألت لَيُخْبِرَنَّك عالِمٌ أنّي بحيثُ أحبّ من آدابِ
وإذا نَبا بِيَ منزلٌ خَلّيْتُه قَفْراً مجالَ ثَعالب وذِئابِ
وأَكون مُشْتَرَكَ الغِنى مُتَبَذِّلاً فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أَصحابي

1 عليه ثياب بذة : رث اللباس .

لكنّـه رجعـتْ عليـه ندامةٌ لَمَّا نُسِيْتُ وخاف مَضَّ عِتابي
فأقَلْتُـه لَمّـا أقـرَّ بذنبـه ليس الكريمُ على الكريمِ بنابِ

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا النوفليّ قال : كان سعد بن مسعود القُطْرُبُّلِيُّ : أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمّد بن حازم الباهليّ ، فسأله حاجةً فردَّه عنها ، فغضب محمد وانقطع عنه ، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه ، فردّها وكتب إليه : [من السريع]

مُتَّسِعُ الصدرِ مُطِيـقٌ لِمـا يَحـارُ فيـه الحُـوَّلُ القُلَّبُ
راجَـعَ بالعُتْبـى فـأعتبتُه وربَّمـا أعتَبَـك المُـذْنِبُ
أجَلْ وفي الدَّهـرِ ، على أنّه مـوكَّل بالبَـين ، مُسْتَعْتَبُ
سَقْياً ورَعْيـاً لزمـانٍ مَضى عَنّي ، وسَهْمُ الشّامِتِ الأخيبُ
قـد جاءَني منكَ مُوَيْلٌ فلم أعْرِضْ لـه والحُرُّ لا يَكذبُ[1]
أخْذِيَ مـالاً منكَ بعد الذي أوْدَعْتَنِيـهِ مَرْكَـبٌ يَصْعُبُ
أبَيْتُ أن أشربَ عند الرّضا والسُّخْطِ إلاَّ مَشْرَبـاً يَعْذُبُ
أعـزَّني اليـأس وأغْنى فمـا أرجـو سِوى اللهِ ولا أرهبُ
قارونُ عندي في الغِنى مُعْدِمٌ وهمَّتي مـا فوقَهـا مَذْهَبُ
فـأيّ هاتَيْنِ تَـراني بهـا أصبو إلى مالِـك أو أرغَبُ ؟

[مع أحمد بن يحيى]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليزيدي وعيسى بن الحسين الورّاق ، واللفظ له ، قالا : حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ النُّوشَجانيّ قال ، حدَّثنا حَمّاد بن يحيى قال : حدَّثنا أحمد بن يحيى قال : آخِر ما فارقتُ عليـه محمّدَ بن حازم أنّه قال : لم يبْقَ عليَّ شيءٌ من اللّذّات إلاّ بَيْعُ السَّنانير . فقلت لـه : سَخِنتْ عينُك ! أيْش لكَ في بيعِ السنانير من اللذّات ؟ قال : يُعجِبني أن تَجيئني العجـوزُ الرَّعْنـاء تُخاصِمني وتقول : هـذا سِنَّوري سُرِق منّـي ، وأُخاصمها وأشتُمُها وتشتمني ، وأغيظها وأباغضها ؛ ثم أنشدني : [من المجتث]

صِـلْ خمرةً بخُمارٍ وصِـلْ خُماراً بخمرِ

1 مويل : تصغير مال .

وخُـذْ بِحَظِّكَ منهـا زاداً إلى حيث تدري

قال : قلتُ : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

[مع أحمد بن أبي نهيان]

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال : كان إسحاق بن أحمد بن أبي نَهِيك آنِساً بمحمد بن حازم الباهليّ يدعوه ويُعاشره مدّة . فكتب إليه يَسْتَزِيرُه ويُعاتبه عتاباً أغضبه ؛ وبلغه أنّه غضب ، فكتب إليه : [من البسيط]

مـا مُسْتَزِيرُكَ في وُدٍّ رأى خَلَـلاً في موضع الأُنْسِ أهلاً منك للغَضَبِ
قـد كنتَ تُوجِبُ لي حَقّاً وتَعْرِف لي قَدْرِي وتَحْفَظ منّي حُرمـةَ الأَدَبِ
ثم انحرفتَ إلى الأُخْرى فأَحْشَمَني مـا كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ[1]
وإنّ أدنـى الذي عنـدِي مُسامحـةٌ في حاجتي بعد أن أعذرتُ في الطلبِ[2]
فاخْتَرْ فعنـديَ مـن ثِنْتَيْن واحـدةٌ عُـذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ
فـإن تُجَـدِّد كما قـد كنتَ تفعلُه وإن أخب فَبِما قـد خطَّ في الكتبِ

[مع الحسن بن سهل]

حدَّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : قال محمد بن حازم الباهليّ : عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سَهْلٍ ، فأتيتُه ، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً ، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له ، فعَرفني ، فقال : ما قلت في الأمير ، فقلت ما قلت فيه شيئاً ؟ فقال له رجل كان معي : بلى ، قد قال أبياتاً وهو في السفينة ؛ فسألني أن أُنْشِدَه ، فأنشدته قولي : [من الوافر]

وقالوا لـو مدحتَ فَتًى كريماً فقلتُ وكيف لي بفَتًى كريمِ ؟
بَلَوْتُ الناسَ مُذْ خمسون عاماً وحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ مـن عليمِ
فمـا أحـدٌ يُعَـدُّ ليومِ خيرٍ ولا أحـدٌ يعـود على حميمِ
ويعجبني الفتـى وأظـنّ خيراً فأكشف منـه عن رجل لئيمِ
تَقَبَّـلَ بعضُهم بعضاً فأضْحَوْا بنـي أَبَوَيْنِ قُـدّا مـن أديمِ

---

1 أحشمتني : ساءني وأغضبني .
2 أعذر : أبدى عذراً .

فطاف الناسُ بالحَسَن بن سَهْلٍ طَوافَهُـــمُ بزَمْــزَمَ والحَطِيمِ
وقالــوا سَيِّــدٌ يُعْطِي جزيلاً ويَكْشِف كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ[1]
فقلتُ مضى بذَمِّ القوم شِعْري وقد يُؤْتى البَرِيءُ من السَّقيمِ
ومــا خَبَــرٌ تُرَجِّمُـه ظُنوني بأشفى مــن مُعاينــةِ الحَلِيمِ[2]
فجئــتُ وللأُمــورِ مُبَشِّراتٌ ولن يخفى الأَغَرُّ مــن البَهِيمِ
فإنْ يَــكُ مــا تَنَشَّر عنه حَقّاً رجعــت بأُهْبَةِ الرجــلِ المُقيمِ
وإن يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِدتُ ربِّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمِ
ومــا الآمــال تَعْطِفُنِي عليــه ولكنَّ الكريــمَ أخــو الكريمِ

قال : فلمّا أنشدتُه هذا الشعر ، قال لي : بمثل هذا الشعر تلقى الأمير ؟ والله لو كان نَظِيرَكَ لَما جاز أن تُخاطبه بمثل هذا ؛ فقلت : صدقت ، فكذلك قلت ، إنّني لم أمدحه بعدُ ، ولكنّني سأمدحه مدحاً يُشْبِه مثله . قال : فافعل ، وأُنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعَجَبَه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح ، فأُدخلت إليه . فأمرني أن أنشد هذا الشعر ، فاستعفيته فلم يُعْفِني ، وقال : قد قَنِعْنا منك بهذا القدر إذ لم تُدْخِلْنا في جملة من ذممت ، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة . فأنشدته إيّاه ؛ فضحك وقال : ويحك ؛ مالَكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء ؟ حَسْبُك الآن من هذا النَمَط وأَبْقِ عليهم . فقلت : وقد وهبتهم للأمير . قال : قد قَبِلْتُ ، وأنا أُطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديتْ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها . ثم وصلني فأجزل وكساني . فقلت في ذلك وأنشدته : [من الوافر]

وهبتُ القومَ للحَسَن بن سَهْلٍ فعوَّضَني الجزيلَ مــن الثَّوابِ
وقــال دَعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً فإنّ القصدَ أقــربُ للثوابِ
فقلت لــه : برئتُ إليكَ منهمْ فليتَهُــمُ بمُنْقَطَــعِ التُّرابِ
ولولا نعمــةُ الحَسَنِ بن سهلٍ عــليّ لَسُمْتُهُــمْ سُوءَ العذابِ
بشِعْرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منــه يُشَبَّــه بالهجــاء وبــالعِتابِ
أَكِيدُهُــمُ مُكايَــدةَ الأعادِي وأَخْتِلُهُــمْ مُخاتلــةَ الذِّئابِ[3]

---

1 الكظيم : المكروب .
2 الكلام المرجم : عن غير يقين .
3 ختله : خدعه .

بَلَوْتُ خيارَهـــم فَبَلَوْتُ قوماً كُهولُهُمُ أَخَسُّ مـــن الشَّبابِ
وما مُسخُوا كِلابـــاً غيرَ أنّي رأَيتُ القـــومَ أَشباهَ الكلابِ

قال : فضحِكَ وقال : ويحك ! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أُفلتوا منك بعدُ . فقلت : هذه بقيةٌ طَفَحتْ على قلبي ، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير .

[في صديق تغيّر]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ قال : كان لمحمّد بن حازمٍ الباهليّ صديقٌ على طول الأيّام ، فنال مرتبةً من السُّلْطان وعَلا قَدْرُه ، فجفا محمداً وتغيَّر له ؛ فقال في ذلك محمد بن حازم : [من مجزوء الكامل]

وَصْـلُ المُلـوكِ إلى التَّقـالي ووَفـا المُلـوكِ مـن المُحالِ
مـا لي رأيتُـــكَ لا تَـدُو مُ عـلى المـوَدَّةِ للـرجالِ
إنْ كان ذا أَدَبٍ وظَـــــر فٍ قلـتَ ذاك أخـو ضَلالِ
أو كان ذا نُسُكٍ ودِيــــ ـــنٍ قلـتَ ذاك مـن الثِّقالِ
أو كان في وَسَطٍ مـــن الـ ـأمْرَيْنِ قلـتَ يُريـغُ مالي[1]
فبِمِثْـلِ ذا ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، تبتغـــي رُتَـــبَ المعـــالي ؟

[مع إبراهيم بن المهدي]

حدَّثني الحسن قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن علي الشيبانيّ قال : كان محمد بن حازمٍ الباهليّ قد نَسَك وترك شُرْبَ النبيذ[2] ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهديّ ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام ، ثم جلسوا للشَّراب ؛ فسأله إبراهيم أن يشرب ، فأبى وأنشأ يقول : [من المجتث]

أَبعد خمسين أُصبو ؟ والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ ! أمـرٌ لَعَمْـرُكَ صَعْبُ
يـا ابـن الإمـامِ فهَلاَّ أيَّامَ عُـودِيَ رَطْبُ !
وشَيْبُ رأسي قليـلٌ ومَنْهَلُ الحُـبِّ عَذْبُ

1 يريغ : يريد ويطلب .
2 ل : الخمر .

وإذْ سِهامي صِيابٌ ونَصْلُ سَيْفِي عَضْبُ[1]
وإذْ شِفاءُ الغَواني مِنِّي حديثٌ وقُرْبُ
فالآن لمّا رأى بي الـ ـعُذَّالُ لي ما أَحَبُّوا
وأقْصَرَ الجهلُ مِنِّي وساعدَ الشَّيْبَ لُبُّ
وآنسَ الرُّشْدَ مِنِّي قومٌ أعابُ وأصبو
آليتُ أشربُ كأساً ما حَجَّ للهِ رَكْبُ

[مع النُّوشجاني]

حدَّثني الحسن قال: حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني الحسن بن أَبي السَّري قال: وعد النُّوشَجانيّ محمّد بن حازمٍ شيئاً سأله إيّاه ثم مطله له، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه، فأقام على مَطْله؛ فكتب إليه: [من الوافر]

أَبا بِشْرٍ تَطاوَلَ بي العِتابُ وطال بِيَ التَّرَدُّدُ والطِّلابُ
ولم أتركْ من الأعذارِ شيئاً أُلام به وإن كَثُرَ الخِطابُ
سألتُكَ حاجةً فطويتَ كَشْحاً على رَغْمٍ، وللدهر انقلابُ[2]
وسُمْتَنيَ الدَّنِيَّةَ مُسْتَخِفّاً كما خُزِمتْ بآنُفِها الصِّعابُ
كأنَّك كنتَ تطلُبني بثأرٍ وفي هذا لك العَجَبُ العُجابُ
فإن تَكُ حاجتي غَلَبَتْ وأعيتْ فمعذورٌ، وقد وَجَب الثوابُ
وإن يك وَقْتُها شَيْبَ الغُراب فلا قُضِيتْ ولا شابَ الغُرابُ
رجوتُك حين قِيل لي ابنُ كِسْرى وإنَّك سِرُّ مُلْكِهِمُ اللُّبابُ
فقد عَجَّلْتَ لي من ذاك وَعْداً وأقربُ من تَناوِلِهِ السَّحابُ
وكلٌّ سوف يُنْشَرُ غيرَ شَكٍّ ويَحْمِلُه لِطِيَّتِهِ الكتابُ[3]

[مع ولد سعيد بن سالم]

أخبرني الحسن قال: حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني الحسن بن أَبي السَّرِيّ قال: قصد محمد بن حازمٍ بعضَ وَلَدِ سَعِيدِ بن سالمٍ وقد وَلِي عملاً، واسترفده؛ فأطال مُدَّته ولم يُعْطِه شيئاً؛ وانصرف عنه وقال: [من الوافر]

1 صياب: صائبة.
2 طوى كشحه: أعرض.
3 الطية: الوجهة.

أَلِلدُّنيا أُعِـدُّكَ يـا ابنَ عَمِّي ... فأُعْلِـمَ أم أُعِـدُّك للحسابِ
إلى كَمْ لا أَراكَ تُنِيـلَ حتّـى ... أُهُـزَّك ! قد بَرِمتُ من العتابِ
وما تنفكُّ مـن جَمْعٍ ووضعٍ ... كأنَّك لستَ تُوقِـنُ بالإيابِ
فشَرُّكَ عن صديقك غيرُ ناءٍ ... وخَيْرُك عنـد مُنْقَطَعِ الترابِ
أتيتُـك زائـراً فأتيـتُ كلباً ... فحَظِّي مـن إخائك لِلْكِلابِ
فبئس أخو العشيرةِ مـا عَلِمْنا ... وأخبثُ صاحبٍ لأخي اغترابِ
أيَرْحَلُ عنك ضَيْفُك غيرَ راضٍ ... ورَحْلُك واسعٌ خِصْبُ الجنابِ
فقد أصبحتَ مـن كرمٍ بعيداً ... ومـن ضِدّ المكارم في اللُّبابِ
وما بِيَ حاجـةٌ لجَداك لكن ... أرُدُّك عـن قَبيحِك للصَّوابِ

[المتوكّل يتمثّل بشعره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال : كنّا عند المتوكّل يوماً وقد غاضبته قَبيحةُ ، فخرج إلينا فقال : مَن يُنشِدُني منكم شعراً في معنى غَضَب قبيحةٍ عليّ ، وحاجتي أن أخضَعَ لها حتى ترضى ؟ فقلت له : لقد أحسنَ محمد بن حازمٍ الباهليُّ يا أمير المؤمنين حيث يقول : [من الطويل]

صوت

صفحتُ برَغمي عنك صَفْحَ ضرورةٍ ... إليك وفي قلبي نُدوبٌ مـن العَتْبِ
خضعتُ ومـا ذَنْبِي إنِ الحُبَّ عَزَّني ... فأغضيتُ صفحاً عن معالجَة الحبِّ[1]
ومـا زال بـي فقرٌ إليك مُنازِعٌ ... يُذَلِّـل منِّـي كلَّ مُمْتَنِـع صَعْبِ
إلى الله أشكـو أنّ وُدِّي مُحَصَّلٌ ... وقلبـي جميعاً عنـد مُقْتسِمِ القَلْبِ

الغناء لعُبيدة الطُّنبوريّة رملٌ بالوسطى . قال : أحسنت وحياتي يا يزيد ! وأمر بأن يُغَنَّى فيه ، وأمر لي بألف دينار .

[هجاء بني نمير]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليُّ بن خالد البرمكيّ قال : سافر محمد بن حازم الباهليُّ سفراً ، فمرَّ بقومٍ من بني نُمَيْرٍ ، فسلُّوا منه بعيراً له عليه ثَقَلُه[2] ؛

---

1 عزني : غلبني .

2 ثقله : متاعه .

فقال يهجوهم : [من الطويل]

نُمَيْرٌ : أَجُبْناً حين يختلف القَنا ... ولُؤماً وبُخْلاً عند زادٍ ومِزْوَدِ ؟
ومَنْعَ قِرى الأضيافِ من غيرِ عِلَّةٍ ... ولا عَدَمٍ ، إلاّ حِذارَ التَّعوُّدِ
وبَغْياً على الجارِ الغريبِ إذا طَرا ... إليكم وخَتْلَ الرَّاكِبِ المُتفرِّدِ
على أنَّكم تَرْضَوْنَ بالذُّلِّ صاحباً ... وتُعْطُون مَنْ لاحاكُمُ الضَّيمَ عن يَدِ
أما وأَبي إنّا لَنَعْفُو وإنّنا ... على ذاك أحياناً نجُورُ ونعتدي
نَكِيدُ العِدا بالحِلْمِ من غير ذِلّةٍ ... ونَغْشى الوَغى بالصِّدْقِ لا بالتَّوَعُّدِ
نَفى الضَّيْمَ عنّا أَنفسٌ مُضَرِيَّةٌ ... صِراحٌ وطَعْنُ الباسلِ المُتَمَرِّدِ
وإنّا لَمِن قَيْسِ بن عَيْلانَ في التي ... هي الغايةُ القُصْوى بعِزٍّ وسُودَدِ
وإنَّ لنا بالتُّرْكِ قَبْراً مُبارَكاً ... وبالصِّين قبراً عِزَّ كلِّ مُوَحِّدِ
وما نابَنا صَرْفُ الزمان بِسَيِّدٍ ... بَكَيْنا عليه أو يُوافي بسَيِّدِ
ولو أَنَّ قوماً يَسْلَمُونَ من الرَّدى ... سَلِمْنا ولكنّ المنايا بِمَرْصَدِ
أَبى الله أن يَهْدِي نُمَيْراً لِرُشْدِها ... ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلاّ بِمُرْشِدِ

[مع عامل محمد بن حامد]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتَكان[1] من الأهوازيّين . أنّ محمد بن حامد ولي بعضَ كُوَر الأهواز في أيّام المأمون ، وأنّ محمد بن حازمٍ الباهليَّ قَدِم عليه زائراً ومَدَحه ، فوَصَله وأحسن إليه ، وكتب له إلى تُسْتَرَ[2] بحِنْطة وشعير ، فمضى بكتابه ، وأخذ ما كُتِب له به ، وتزوّج هناك امرأةً من الدَّهاقين[3] ، فزَرَع الحِنطة والشعير في ضَيْعَتها ؛ وولّى محمد بن حامدٍ رجلاً من أهل الكوفة الخَراج بتُستَرَ ، فوكل بغَلّةِ محمد بن حازمٍ ، وطالبه بالخراج فأدّاه ، فقال يهجوه : [من الطويل]

زَرَعنا فلمّا سلّم الله زَرْعَنا ... وأَوفى عليه مِنْجَلٌ بحَصادِ
بُلينا بكُوفيٍّ حَلِيف مجاعةٍ ... أَضَرَّ علينا من دَباً وجَرادِ[4]

---

1 البختكان : والد بزرجمهر .
2 تستر : مدينة بالأهواز .
3 الدهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الفلاحين .
4 الدبا : الجراد .

أتى مُسْتَعِداً ما يُكَذِّبُ دونه ... ولَـجَّ بإرغـامٍ لـه وبِعادِ
فَطوراً بإلحـاحٍ علـيَّ وغِلْظَةٍ ... وطَـوْراً بخَبْطٍ دائم وفسادِ
ولولا أبو العبّاس أعني ابنَ حامِدٍ ... لرَحَّلْتُـه عـن تُسْتَرٍ بسَوادِ
فكُفُّوا الأذى عن جارِكم وتَعَلَّموا ... بأنِّي لكم في العالمـين مُنادِي

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية ، وقال له : عَرَّضْتني لِما أكْرَه ، واحتمل خراج محمد بن حازم .

[أحسن قوله في الشيب]

أخبرني محمد بن الحسين بنِ الكِنْدِيّ المؤدِّب قال : حدَّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : قال هذا الباهليُّ محمّد بن حازمٍ في وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً ، فقال له أبو محمّد الباهليّ : لعلّك تعني قولَه : [من البسيط]

كفاك بالشيب ذنباً عنـد غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال : إيّاه عنَيتُ . فقال له الباهليّ : ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثين أحسنَ منه .

[مع الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا حسين بن فَهْم قال : حدَّثني أبي قال : دخل محمد بن حازم على محمـد بن زبـيدة وهو أمير ، فدعاه إلى أن يشرَب معه ، فامتنع وقال[1] : [من المجتث]

أبعـد خمسين أصبو ... والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ! ... أمـرٌ لَعَمْـرُك صَعْبُ
يـا ابـنَ الإمامِ فهَلاَّ ... أيَّامَ عُـودِيَ رَطْبُ !
وشيبُ رأسي قليلٌ ... ومَنْهَلُ الحُـبِّ عَذْبُ
وإذْ شفـاءُ الغَـواني ... منِّـي حديثٌ وشُرْبُ
الآن حـين رأى بـي ... عَواذِلي مـا أَحَبُّوا !
آليـتُ أشْرَبُ كأساً ... مـا حـجَّ للهِ رَكْبُ

قال : فأعفاه محمد بن زبيدة ووَصَله .

1 تقدّم أنّ هذه الأبيات مع إبراهيم بن المهديّ ، ص 68 .

[259] ـ أخبار ابن القَصّار ونسبه

[نسبه]

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرْد الخِيار ، سليمان بن عليٍّ . وذكره جحظة في كتاب الطُّنْبُورِيِّين ، فثلبه في نفسه وأخلاقه ومَدَح صَنْعَتَه ، وقال : ممّا أحْسَنَ فيه قوله : [من الطويل]

أرِقْتُ لِبَرْقٍ لاحَ في فَحْمةِ الدُّجى فأذكَرَني الأحبابَ والمنزلَ الرَّحْبا

قال : وهذا خفيف رمل مطلق . وممّا أحسن فيه أيضاً : [من المتقارب]

تعالَيْ نُجَـدِّدُ عهـدَ الصِّبا ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضى

[موضع للثلب والتندر]

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً . وذكر أنّه كان مع أبيه قَصّاراً ، ثم تعلّم الغِناء فبَرَع فيه . ومن طَيِّب ما ثَلَبه به جَحْظَة وتنادَرَ عليه به ، وأراها مصنوعةً ، أنّه مرّ يوماً على أبيه ، ومعه غلامٌ يحمِل قاطرميز نبيذ ، وجوامرجة[1] مذبوحة مسموطة ، فقال : الحمد لله الذي أراني ابني قبلَ موتي يأكُلُ لَحم الجواميرات ، ويَشْرَب نبيذ القاطرميزات .

وحدَّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القَصَّار غنَّى له يوماً بحبلٍ ودَلْوٍ ، وأنّ إسماعيل بن المتوكّل وَهَب له مائتي أُتْرُجّة كانت بين يديه ، فباعها بثلاثة دنانير ، وأنّه يَحْمل بلبكيذه إلى دار السلطان ، وله فيه خُبْزٌ وجبنٌ فيأكله ، ويحمل في البلبكيذ ما يُوضَع بين يديه في دار السلطان ، فيدعو إخوانه عليه . وأكثرَ من ثَلْبِ الرجل ممّا لا فائدة فيه . ولو أراد قائلٌ أنْ يقول فيه ما لا يَبْعُد من هذه الأخلاق لَوَجَد مقالاً واسعاً ، ولكنّه ممّا يَقْبُح ذكره ، سيَّما وقد لَقِيناه وعاشرناه . عفا الله عنّا وعنه .

[من أفضل الطنبوريين]

أخبرنا ذُكاء وجه الزُّرَّة قال : كنّا نجتمع مع جماعةٍ في الطُّنْبُوريِّين ، ونشاهدهم في دُور الملوك وبحضرة السلطان ، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسدود وعمر المَيْدانيّ وابن القَصَّار .

وحدَّثتني قُمْرِيّة البَكْتَمُريّة قالت : كنت لرجلٍ من الكُتّاب يُعْرَفُ بالبَلُّوريّ ، وكان شيخاً ، وكانت سِتِّي التي ربّتني مولاته ، وكانت مُغَنِّيةً شَجِيَّةَ الصَّوتِ حسَنة الغِناء ،

1 لعلّها دجاجة .

وكانت تَعْشَق ابن القَصَّار ، وكان علامةُ مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلةَ وهو يُغَنِّي ، فإنْ قَدَرتُ على لِقائه أوصلتُه إليها ، وإلاّ مضى . فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقْمِرةٍ وهو يُغَنِّي خفيفَ رَمَلٍ قال : [من مجزوء الرمل]

أنـا في يُمْنى يَدَيْهـا وهي في يُسْرى يَدَيَّهْ
إنَّ هـذا لَقَضـاءٌ فيـه جَـوْرٌ يـا أُخَيَّهْ

ويُغَنَّى في آخِرِه رَدّه :

وَيْل وَيْلي يـا أُبَيَّهْ

وكانت سِتٌّي واقفةً بين يَدَي مولاها ، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنت والله يا رجُل ! فتفَضَّلْ وأَعِد ، ففعل وشَرِب رطلاً وانصرف ، وعَلِم أنّه لا يَقْدِر على الوصول إليها . وكان مولاها يعرف الخبر . فتغافلَ عنها لَمَوْضِعها من قلبه ؛ فلا أذكُر أنّي سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه .

صوت

[من الخفيف]

باح بالوجـدِ قلبُك المُسْتَهامُ وجـرتْ في عِظامك الأسقامُ
يوم لا يملك البكاءَ أخو الشَّوْ قِ فيشْفـى ولا يُـرَدُّ سلامُ

لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعر . والغناء لمعبد اليَقْطِيني ثاني ثقيل بالبِنْصَر عن أحمد بن المكّيّ .

[260] ـ أخبار معبد اليقطيني

[نسبه]

كان مَعبدٌ اليَقْطِينيّ غلاماً مُوَلَّداً خَلاسيّاً[1] من موَلَّدي المدينة ، اشتراه بعض وَلَد عليّ بن يَقْطِين . وقد شَدا بالمدينة ، وأخذ الغِناء عن جماعةٍ من أهلها ، وعن جماعة أُخرى من عِلْيَةِ المُغَنِّين بالعراق في ذلك الوقت ، مثل إسحاق وابن جامع وطَبَقتهما ، ولم يكن فيما ذُكِر بطيّب المسموع ، ولا خَدَم أحداً من الخُلفاء إلاّ الرشيدَ ، ومات في أيّامه ، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة .

[قصة المدني العاشق]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حدَّثني مَعْبَدٌ الصغير المُغَنّي مولى عليٍّ بن يقطين قال : كنت منقطعاً إلى البرامكة ، أخدمهم وأُلازمهم . فبينا أنا ذاتَ يومٍ في منزلي إذا بابي يُدَقُّ ، فخرج غلامي ثم رجع إليَّ فقال : على البابِ فتًى ظاهرُ المُروءة يستأذن عليك ؛ فأذِنتُ له . فدخل عليّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منه ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجملَ زِيّاً منه ، من رجلٍ دَنِفٍ عليه آثارُ السَّقَمِ ظاهرة ، فقال لي : إنّي أرجو لُقاكَ منذ مُدّةٍ فلا أجدُ إليه سبيلاً ، وإنّ لي حاجة . قلت : ما هي ؟ فأخرجَ ثلثمائة دينار فوَضعها بين يَدَيَّ ، ثم قال : أسألك أن تَقْبَلها وتَصنَع في بيتين قلتُهما لحناً تُغنّيني به . فقلت : هاتهما ، فأنشدهما ، وقال : [من البسيط]

صوت

والله يا طَرْفِي الجاني على بَدَني ... لَتُطْفِئَنَّ بدَمْعي لوعةَ الحَزَنِ
أو لأبُوحَنَّ حتَّى يَحْجُبُوا سَكَني ... فلا أراه ولو أُدْرِجْتُ في كَفَني[2]

الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطى ، قال : فصنعت فيهما لحناً ثم غَنَّيته إيّاه ؛ فأُغمي عليه حتى ظننته قد مات . ثم أفاق فقال : أعِدْ فديتك ! فناشدته اللّهَ في نفسه وقلت : أخشى أن تموت . فقال : هيهات ! أنا أشْقى من ذاك . وما زال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدتُه ، فصَعق صعقةً أشدَّ من الأولى ، حتى ظننت أنّ نفسَه قد فاظت . فلمّا أفاق رددت الدنانير

1 الخلاسي : المولود من أبوين أبيض وأسود .
2 السكن : المحبوب الذي يسكن إليه .

عليه ووضعتُها بين يديه ، وقلت : يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي ؛ فقد قضيتَ حاجتك ، وبلغتَ وطَراً ممّا أردته ، ولستُ أُحِبُّ أن أُشْرَكَ في دَمِك . فقال : يا هذا ؛ لا حاجةَ لي في الدنانير وهذا مثلها لك ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي . وقال : أعد عليَّ الصوت مرّة أُخرى ، وحلال لك دمي ، فشرهت نفسي إلى الدنانير ، فقلت : لا والله ولا بعشرةَ أُضعافها إلاّ على ثلاث شرائط . قال : وما هنّ ؟ قلت : أوّلها أن تُقيم عندي وتتحرّم بطعامي ، والثانية أن تَشرب أقداحاً من النَّبيذ تَشُدُّ قلبَك وتُسَكِّن ما بك ، والثالثة أن تُحدّثني بقصَّتك . فقال : أفعل ما تريد . فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِر ، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحاً ، وغنَّيته بشعرٍ غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي . ثم قال : الشرط أعزّك الله ، فغنَّيته ، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ويَنْشِج أشدّ نَشيج وينتحب . فلمّا رأيت ما به قد خفَّ عمّا كان يَلْحَقه ، ورأيتُ النّبيذ قد شدّ من قلبه ، كررت عليه صَوتَه مِراراً ، ثم قلتُ : حدِّثني حديثَك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ مُتَنَزِّهاً في ظاهرها وقد سال العقيقُ ، في فتية من أقراني وأخداني ، فبصُرْنا بقَيْناتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حَجْرَةً منّاً ، وبَصُرْتُ فيهنّ بفتاةٍ كأنّها قضيبٌ قد طلَّه الندى ، تنظر بعينين ما ارتدّ طرْفُهما إلاّ بنَفْسِ مَن يُلاحِظهما . فأطلنا وأطَلْن ، حتى تفرّق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقتْ بقلبي جُرْحاً بطيئاً اندِمالُه . فعُدْتُ إلى منزلي وأنا وَقيذٌ[1] . وخرجتُ من الغدِ إلى العقيق ، وليس به أحدٌ ، فلم أرَ لها ولا لصواحباتها أثراً . ثم جعلتُ أتتبَّعها في طُرُق المدينة وأسواقها ، فكأنّ الأرض أضمرتْها ، فلم أُحِسّ لها بعين ولا أثر ، وسَقِمْتُ حتى أيِسَ منّي أهلي . ودخلتْ ظِئري فاستعلمتْني حالي ، وضَمِنَتْ لي كتمانها والسعي فيما أُحِبُّه منها ؛ فأخبرتُها بقصَّتي ، فقالت : لا بأسَ عليك ؛ هذه أيّام الربيع ، وهي سَنَة خِصْبٍ وأنواء ، وليس يَبْعُدُ عنك المَطَر ، وهذا العقيق ، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معك ؛ فإنّ النسوة سيجئن . فإذا فعلن ورأيتَها تَبعْتُها حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك في تزويجها . فكأنّ نفسي اطمأنّت إلى ذلك ، ووثِقتْ به وسَكَنَتْ إليه ؛ فقَويتُ وطَمِعْتُ وتراجعَتْ نفسي ، وجاء مطر بعَقب ذلك ، فأسالَ الواديَ ، وخرج الناسُ وخرجتُ مع إخواني إليه ، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنه ، فما كنّا والنسوة إلاّ كفَرَسَيْ رِهانٍ . وأومأتُ إلى ظئري فجلستْ حَجْرةً منّا ومنهنّ ، وأقبلتُ على إخواني فقلت : لقد أحسن القائلُ حيث قال : [من الطويل]

رَمَتْني بسهم أَقْصَدَ القلبَ وانْثَنَتْ ... وقد غادرتْ جُرْحاً به ونُدُوبا

فأقبلتْ على صواحباتِها فقالت : أحسنَ والله القائل ، وأحسَنَ مَن أجابه حيث

1 وقيذ : صريع .

يقول : [من الطويل]

بِنـا مثلُ مـا تَشْكُو ، فصَبْراً لعلَّنا نرى فَرَجـاً يَشْفي السَّقامَ قَريبا

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر منّي ما يَفْضَحُني وإيّاها ، وعرفتُ ما أرادتْ . ثم تفرّق الناس وانصرفنا ، وتَبِعَتْها ظِئْري حتّى عرفتْ منزلَها ، وصارت إليَّ فأخذتْ بيدي ومَضَيْنا إليها . فلم تَزَلْ تتلطَّف حتّى وصلتْ إليها . فتَلاقَيْنا وتزاوَرنا على حالِ مُخالسةٍ ومُراقَبَة حتى شاع حديثي وحديثُها ، وظَهَر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلُها ، وتشدّد عليها أبوها . فما زِلْتُ أجتهد في لِقائِها فلا أَقدر عليه . وشكوتُ إلى أبي ، لشدّة ما نالني ، حالي ، وسألته خِطْبَتها لي . فمضى أبي ومَشْيَخةُ أَهلي إلى أَبيها فخطبوها . فقال : لو كان بَدَأَ بهذا قبل أن يَفْضَحَها ويشهَرَها لأسعفتُه بما التمس ، ولكنّه قد فَضَحها ، فلم أَكُنْ لأُحَقِّقَ قولَ الناس فيها بتزويجه إيّاها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نَفْسي . قال معبد : فسألته أن ينزلَ ، فجَبَرني وصارت بيننا عِشْرةٌ . ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْب فأتيتُه ؛ فكان أَوَّلَ صوتٍ غنَّيته صوتي في شعر الفتى ، فطرِب عليه طَرَباً شديداً ، وقال : ويحك ؛ إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فما هو ؟ فحدّثته ، فأَمر بإحضار الفتى ، فأُحضر من وقته ، واستعاده الحديثَ ، فأعاده عليه . فقال : هي في ذِمَّتي حتى أُزَوِّجك إيَّاها ، فطابت نفسه ، وأَقام معنا ليلَتنا حتى أَصبح . وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديث ، فعجب منه ، وأَمر بإحضارنا جميعاً ، فأُحضِرنا ، وأَمر بأن أُغَنِّيه الصوتَ فغَنَّيْته ، وشرب عليه ، وسَمِع حديثَ الفتى ، فأَمَر مِن وقته بالكِتاب إلى عامل الحِجاز بإشخاص الرَّجل وابنته وجميع أَهله إلى حَضرته ، فلم يمضِ إلاّ مسافة الطريق حتى أُحضر . فأَمر الرشيد بإيصاله إليه فأُوصِل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، وأَقسم عليه ألاّ يُخالف أَمرَه ، فأَجابه وزوّجه إيّاها ، وحَمَل إليـه الرشيد ألـفَ دينار لِجهازها ، وألف دينارٍ لنفقة طريقه ، وأمـر للفتى بألـفِ دينار ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار . وكان المدنيّ بعد ذلك في جملة نُدَماء جعفر بن يحيى .

صوت

[من المنسرح]

هل نَفْسُك المستهامة السَّدِمَهْ[1] سَالِيـةٌ مَـرَّةً ومُعْتَزِمَـهْ

عن ذكر خَوْدٍ قَضى لها المَلِكُ الْـ ـخالِـقُ ألاَّ تُكِنَّهـا ظُلْمَـهْ

الشعر لابن أَبي الزوائد ، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطى عن الهِشاميّ .

1 السدمة : المهمومة .

[261] ـ أخبار ابن أَبي الزوائد ونسبه

[نسبه]

اسمه سُلَيْمان[1] بن يحيى بن زَيْدِ بن مَعْبَدِ بن أَيُّوب بن هِلال بن عَوْفِ بن نضلة بن عُصَيَّةَ بن نَصْرِ بن سَعْدِ بن بَكْر بن هوازن بن منصور . ويقال له ابن أَبي الزوائد أَيضاً . شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مُخَضْرَمي الدّولتَين ، وكان يَـؤُمُّ الناس في مسجد رسول الله ﷺ .

[عشقه جارية الصهيبين كان يتعشّقها]

أَخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثنا ابن أَبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأَصمعيّ ، وأَخبرني وكيعٌ قال : حدَّثني طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحِيّ قال : أَخبرني أَحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن أَبي الزوائد يَتَعَشَّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهيبيّين ، وكان يختلف إليها وهي في النَّخْل بحاجزة . فلمّا حان الجَدادُ قال : [من المنسرح]

حُجَيْجُ أمسى جَدادُ حاجزةٍ ... فليتَ أَنَّ الجَداد لم يَحِنِ[2]
وشَتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لي سَكَناً ... فيما مَضى كان ليس بالسَّكَنِ
قد كان لي مِنْكِ ما أُسَرُّ به ... وليتَ ما كان مِنْكِ لم يَكُنِ
نَعِفُّ في لَهْوِنا ويَجْمَعُنا الـ ... ـمَجْلِسُ بين العريش والجُرُنِ
يُعْجِبُنا اللَّهْوُ والحديثُ ولا ... نَخْلِط في لَهْونا هَناً بهَنِ
لَوْ قَدْ رحلتُ الحمارَ منكشفاً ... لم أَرَها بَعْدَها ولم تَرَني

فقال له أَبو محمد الجُمَحِيُّ : إنَّ الشعراء يذكرون في شِعْرِهم أنَّهم رَحَلوا الإبل والنَّجائب ، وأَنتَ تذكر أَنَّك رَحَلْت حِماراً . فقال : ما قلتُ إلاّ حقّاً ، والله ما كان لي شيء أَرْحَلُه غيره .

قال : وقال فيها أَيضاً : [من السريع]

يا ليتَ أنَّ العَرَبَ اسْتَلْحَقُوا ... رِيمَ الصُّهَيْبِيِّينَ ذاكَ الأَجَمّ
وكانَ منهم فتزوّجتُه ... أو كنتُ من بعض رجال العَجَمْ

---

1 ل : سلمة .

2 حجيج : اسم الجارية . وحاجزة : البقعة التي فيها النخل الذي حان جداده .

[تنافره مع صديق له]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني طلحة بن عبد الله بن الزّبير بن بكّار عن عَمِّه قال : كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عُبَيدةَ عنه ، فهجره من أجله ، فهجاه ؛ فقال : [من مجزوء الكامل]

قطـعَ الصفاءَ ، ولم أكـن ... أهـلاً لـذاك ، أبـو عُبَيْدَهْ
لا تَحْسَبَنَّـك عاقِـلاً ... فَلأَنْتَ أحمقُ من حُمَيْدَهْ[1]

حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضْرَب بها المَثَلُ في الحمق .

[قيان حماد بن عمران]

حدَّثني عَمِّي ووكيع قالا : حدَّثنا الكُرانيّ عن أبي غسَّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : دخل ابن أبي الزوائد إلى حمّاد بن عِمران الطَّلْحِي ، وكان يُلَقَّبُ بعُطْعُط ، وكان له قِيانٌ يسمعهنَّ الناسُ عنده ، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فِيهنّ : [من المتقارب]

أقول وقد صُفَّتِ البُظْرُ لي : ... أَلِلْبُظْـرِ أدخلنـي عُطْعُطُ ؟
فإنّـي امـرؤٌ لا أُحِـبُّ الزنا ... ولا يَسْتَفِزّنـيَ البَرْبَـطُ
ولو بَعْضُهنّ ابتغـى صَبْوتي ... لَخالَـطَ هامَتَهـا المِخْبَطُ[2]
لبئس فِعـالُ امـرىءٍ قد قَرا ... وهَمَّـتْ عَوارِضُـه تَشْمَطُ[3]
ومـا كنـتُ مفترشاً جارتـي ... وسَيِّدُهـا نائـمٌ يَضْرِطُ
أأُفْـرِغُ في جارتـي نُطْفَةً ... حَرامـاً كما يُفْـرَغُ المُسْعُطُ

[هجاؤه لامرأته]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني أبو هَفَّان قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حدَّثني المُسَيَّبيّ : أنّ ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريّة ، فطال لُبْثُها عنده حتى مَلَّها وأبغضها ، فقال يهجوها : [من الكامل]

يا رَمْـلُ أنتِ الغُولُ بين رِمالِ ... لم تَظْفَري بتُقًـى ولا بجَمالِ

1 لم نعثر على المثل «أحمق من حميدة» في كتب الأمثال . والأمثال بلفظ «أحمق من . . .» كثيرة .
2 المخبط : العصا .
3 الشطر الأول في ل : لبئس إذن فعل مَن قد قرا . العارضة : صفحة الخد . والشمط : اختلاط السواد والبياض في الرأس .

يا رَمْلُ لو حُدِّثْتُ أنَّكِ سَلْفَعٌ شَوْهاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعالي[1]
ما جاء يطلُبُك الرسولُ بخِطْبَةٍ مِنّي ولا ضُمَّت عليكِ حبَالِي
ولقد نَهى عنكِ النَّصيحُ وقال لي : لا تَقْرِنَنَّ بَذِيَّةً بِعِيالِ
لّما هَزَزْتُ مُهَنَّدِي وقذفتُه فيها وقد أرهفتُه بصِقالِ
رَجَع المُهَنَّدُ ما لَه من حِيلةٍ وهناك تَصْعُبُ حيلةُ المحتالِ
وكأنَّما أولجتُه في قُلَّةٍ قد بُرِّدتْ للصوم أو بوقالِ[2]
ورأيتُ وجهاً كاسفاً مُتَغَيِّراً وحِراً أشَقَّ كمِرْكَنِ الغَسَّالِ
ما كان أيْرُ الفيل بالِغَ قَعْرِهِ بتحامُلٍ عَنْهُ ولا إدخالِ
ولقد طعنت مَبالَها بسُلاحِها فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبالِ

قال : وقال لها وقد فخرَتْ : [من الكامل]

هلاَّ سألتِ مَنازلاً بِغُرارِ عَمَّنْ عَهِدْتُ به من الأحرارِ[3]
أين انْتَأَوْا ونحاهُمُ صَرْفُ النوى عنّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ مِغْيارِ
كَرِهَ المُقامَ وظَنَّ بي وبأهلِها ظَنّاً فكان بنا على إصْرارِ
عُدِّي رِجالَكِ واسْمَعِي يا هَذِهِ عَنِّي مَقالَةَ عالمٍ مِفْخارِ
سأعُدُّ ساداتٍ لنا ومَكارِماً وأُبُوَّةً ليستْ علَيَّ بعارِ
قَيْسٌ وخِنْدِفُ والديَّ كِلاهُما والعَمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نِزارِ
مَنْ مثْلُ فارِسنا دُرَيْدٍ فارساً في كلِّ يومِ تَعانُقٍ وكِرارِ
وبنو زِيادٍ مَنْ لِقَوْمِكِ مِثْلُهُمْ أو مِثْلُ عنترَةَ الهِزَبْرِ الضّاري
والحيُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِم والفَخْرُ منهم والسَّنامُ الواري[4]
والمانِعُونَ من العَدُوِّ ذِمارَهُمْ والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثّارِ
والناكحون بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ يومَ الوَغى غَصْباً بلا إمهارِ
وبنو سُلَيْم ثُكْلُ مَنْ عاداهُمُ وحَيا العُفاةِ ومَعْقِلُ الفُرَّارِ[5]

1 السلفع : الصخابة البذيئة . والسعلاة : الغول .
2 بوقال : كوز بلا عروة .
3 غرار : جبل بتهامة .
4 قومهم في ل : بيتهم . الواري : الشحم السمين .
5 الحيا : الخصب . والعفاة : طلاب الرزق .

ليسوا بأنكـــاسٍ إذا حاسبتهـــم   للمَــوْتِ ثُمَّتَ صَمَّمُوا لِمُغارِ[1]

[تشوّقه إلى المدينة]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عَمِّه قال : كان ابن أُبي الزوائد وفَدَ إلى بغداد في أيّام المهديّ ، فاستوخمها ، فقال يتشوّق إلى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً : [من الخفيف]

يا ابنَ يحيى ماذا بَدا لك ماذا   أمُقامٌ أم قــد عَزَمْتَ الخياذا[2]
فالبراغيثُ قــد تَثَــوَّرَ منهــا   سامرٌ مــا نَلُــوذَ منهــا مَلاذا
فَنَحُكُّ الجُلُودَ طــوراً فتَدْمى   ونَحُــكُّ الصّدُورَ والأفخاذا
فسَقى اللهُ طَيْبَةَ الوَبْــلَ سَحّاً   وسقى الكَرْخَ والصَّراةَ الرَّذاذا[3]
بلدةٌ لا تــرى بهــا العَيْنُ يوماً   شاربــاً للنّبيــــذِ أو نَبّاذا[4]
أو فتًى ماجناً يرى اللَّهْوَ والبا   طِلَ مجــداً أو صاحباً لَوّاذا[5]
هـــذه الذال فاسمعوها وهاتُوا   شاعِراً قــال في الرَّويِّ على ذا
قالها شاعــرٌ لَــوَ انّ القــوافي   كُنّ صخراً أطارَهُــن جُذاذا[6]

[شرب خمراً دون أن يعرف]

قال الزُّبَير : وأنشدني له أُبو غسّان محمد بن يحيى ، وكان قد دخل إلى رجلين من أُهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجَوَّاب ، والآخر أبو أيُّوب ، فسقياه نبيذاً على أنّه طَرِيّ لا يُسْكِر ، فأسكره ؛ فقال : [من الوافر]

سَقاني شربــةً فسَكِرْتُ منهــا   أبو الجَوَّابِ صاحِبِيَ الخبيثُ
وعاونَـــه أُبــو أيُّوبَ فيهــا   ومِنْ عاداتــه الخُلُــقُ الخَبيثُ
فلمّـــا أن تَمَشَّتْ في عِظامي   وهَمّتْ وَثْبَتِــي منها تَرِيثُ[7]

1 أنكاس : جمع نكس وهو الضعيف المقصر عن النجدة . والمغار : الإغارة .
2 الخياذا في ل : الحياذا . والخواذ : الفراق ، والحياذ : البعد .
3 طيبة : المدينة المنورة . الوبل : المطر الشديد . والصراة : نهر كان ببغداد .
4 النباذ : بائع النبيذ .
5 ماجناً في ل : مترفاً .
6 الجذاذ : القطع .
7 راث : أبطأ .

علمتُ بأنّني قـد جئتُ أمراً ... تسوءُ بـه المقالـةُ والحديثُ
فدَعهمْ ، لا أبالك ، واجْتَنِبْهُمْ ... فإنَّ خَلِيطَهُمْ لَهُـوَ اللّوِيثُ[1]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين : [من المنسرح]

كالشمس في شَرْقِها إذا سَفَرتْ ... عنهـا ومِثْـلُ المَهـاةِ مُلْتَثِمَهْ
مـا صَوّرَ اللهُ حـين صَوّرها ... في سائـرِ الناسِ مثلَها نَسَمَهْ
كلَّ بـلادِ الإلهِ جئـتُ فما ... أبصرتُ شِبْهاً لها ، وقد عَلِمَهْ ،
أنْثـى مـن العالمـين تُشْبِهُها ... عابسةً هكَـذا ومُبْتَسِمَـهْ
فَتّانـةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَـةُ الـ ... أحشاءِ منها البَنـانُ كالعَنَمَهْ[2]
إذا تعاطـتْ شيئـاً لتأخـذَه ... قلـتَ غَـزالٌ يَعْطُو إلى بَرَمَهْ[3]
يا طِيبَ فِيهـا وطِيبَ قُبْلتها ... والقُرْبِ مِنْها في اللَّيلة الشَّبِمَهْ[4]
إنّ مـن اللـذّةِ التي بَقِيَتْ ... غِشْيانَكَ الخَوْدَ من بني سَلَمَهْ
لا تَهْجُـرِ الخَوْدَ أن يقالِ صبا ... بعـد سُلُوٍّ ، وقبـلَ ذاك فَمَهْ[5]
آتي مُعِـدّاً لهـا الكلامَ فما ... أنْطِقُ مـن هيبـةٍ ولا كَلِمَهْ
أُحِـبُّ واللهِ أن أزورَكُـمُ ... وَحْدِي كـذا أو أَزورَكم بِلُمَهْ[6]
هذا الجمالُ الذي سمعتَ بـه ... سبحانَ ذي الكِبْرِياء والعَظَمَهْ
مَـنْ أبصرتْ عَيْنُه لهـا شَبَهاً ... حَلّ عليـه العـذابُ والنَّقِمَهْ

صوت

[من المنسرح]

يـا هِنْدُ يـا هِنْدُ نَوِّلي رَجُلاً ... وكيف تنويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ
أو تُدْرِكي نَفْسه فقد هَلَكتْ ... أو تَرْحَمِيـهِ فمِثْلُكم رَحِمـهْ

---

1 اللويث : الألوث هو الأحمق أي الذي فيه لوثة .
2 مخطفة الحشا : ضامرة . والعنم : شجر له ثمر أحمر .
3 يعطو : يتناول برفع الرأس واليدين . والبرم : ثمر الأراك .
4 الشبمة : الباردة .
5 مه : كفّ .
6 اللمة : الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة .

[المنافيات للمنافيين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن جعفر بن قادمٍ مولى بني هاشم قال : حدَّثني عمِّي أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأْب قال : خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السِّعْلاء ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوْفليُّ وثابتٌ والزُّبَير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير وابنُ أبي الزوائد السعديّ وابنُ أبي ذِئب مُتنزِّهين إلى العَقيق . وقد سأل يومئذٍ ، إذ أتانا آتٍ ونحن جُلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ؟ فقال : وَرَدَ كتابٌ من أمير المؤمنين المنصور يأمر أن لا تتزوّج مَنافِيَّةٌ إلاّ مَنافِياً . قال ابن أبي ذِئْب : إذن والله لا يَخْطُب قرشيٌّ إلاّ من لا يُحبُّها ، ولا يَرغب فيمن لا يرغب فيها ممّن لا فضلَ له عليها ، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم . وتكلّم ابنا خُبَيْبٍ بمثل ذلك ، وقال أحدُهما : إنّ نَسَبَنا من بني عبد مناف قد طال ، فأدالنا[1] الله منهم . قال : فغَضِب مُصْعَبٌ النَّوْفَليُّ وكان أَحْوَلَ فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال : أمّا أنت يا ابن أبي ذِئْب فوالله ما شرَّفَتْك جاهليَّة ولا رَفَعك إسلام . فيقَع في بال أحد أنّك عُنِيتَ بما جَرى ؛ وأمّا أنتما يا بَني خُبَيْبٍ فبُغْضُكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث ، ولا يزال يتجدَّد كلَّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبَير ، وإنّكم لمن طِينتين مختلفتين : أما إحداهما فمِن صَفِيّة ، وهي الطِّينة الأَبطحيّة السَّنِيَّة ، تَنْزِعانِ إليها إذا نافرتما ، وتَفخَران بها إذا افتخرتما ، والأُخرى الطِّينة العَوَّاميّة التي تَعْرِفانها ، ولو شئتُ أن أقول لقلتُ ، ولكنّ صفِيَّةَ تَحْجُزُني ، فأَحْسِنا الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعكما ، ولا تَمِيلا عليه بمَن وضعكما . فقالا له : مَهْلاً ، فوالله لقدِيمُنا في الإسلام أفضلُ من قدِيمك ، ولَحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضلُ من حَظِّك . فقال مُصْعَبٌ : والله ما تفْخَرانِ في نسَبِكما إلاّ بعَمّتي ، ولا تفْضُلان في دِينكما إلاّ بابن عمِّي ﷺ ؛ فمُفاخِرُه لي دونكما . ثم تفرّقوا ؛ فقال ابن أبي الزوائد : [من الطويل]

لَعَمْرُكُما يابْنَيْ خُبَيْبِ بن ثابتٍ ... تجاوزتما في الفَخْرِ جَهْلاً مَداكُما
وأنكرتُما فضلَ الذيـن بِفَضْلِهم ... سَمَتْ بين أيدي الأكْرَمينَ يَداكُما
فإنّكمـا لم تَعْرِفـا إذ سَمَوْتُما ... إلى العِزِّ مِنْ آل النبيِّ أباكُما
ولَمْ تَعْرِفا الفضلَ الذي قد فَخَرْتُما ... فليس مـن العَوّامِ حَقّاً أتاكُما
فلولا الكِرامُ الغُرُّ من آل هاشمٍ ... ـ فلا تجهلا ـ لم تَدفَعا مَنْ رَماكُما

1 أُدال الله من عدوّه : نصره عليه .

صوت

[من مجزوء الوافر]

مُحِبٌّ صَدَّ آلِفُهُ فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
يُقلِّبُه على مَضَضٍ مَواعِدُ مالَها نُجْحُ
له في عَيْنِه غَرْبٌ وفي أحشائه جُرْحُ[1]
صَحا عنه الذي يرجو زِيارَتَه وما يَصْحُو

الشعر لأبي الأسد ، والغناء لِعَلُّويَه ، هَزَجٌ بالوُسْطى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

1 الغرب هنا : الدمع .

[262] ـ أخبار أبي الأسد ونسبه

[نسبه]

اسمه ، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تينَة عن القَحْذَميّ ، نُباتةُ بن عبد الله الحمّانيّ[1] . وذكر أبو هَفَّانَ المهْزَميُّ أنّه من بني شَيْبان . وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْر ، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينَوَرِ . وكان طيّباً مليحَ النَّوادِرِ مَزّاحاً خبيث الهجاء ، وكان صديقاً لعَلُّويَه المُغَنِّي الأعسر ، يُنادمه ويُواصل عِشْرَته ويَصِلُه عَلُّويَه بالأكابر ، ويُعَرِّضُه للمنافع ، وله صنعةٌ في كثير من شعره .

[في جارية أخلفت ميعادها]

فأخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الأبزاري قال : كان أبو الأسَد الشاعر صديقاً لعلُّويَه ، وكان كثيراً ما يغنّي في شعره . فدعانا عَلُّويَه ليلةً ، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعاذ ، وكانت تأخذ عنه الغناء ، أن تزورَه تلك الليلة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً ، وكان عَلُّويَه يَهيمُ بها ، فانتظرناها حتى أيِسْنا منها احتباساً . فقال علُّويَه لأبي الأسَد : قُلْ في هذا شعراً ؛ فقال : [من مجزوء الوافر]

محـــبٌّ صدَّ آلِفُـــه فليس لِلَيْلِـه صُبْحُ
صحا عنه الذي يرجو زيارتَه وما يصْحُو

قال : فصَنَع علُّويَه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس ، وغنّانا فيه ؛ فلم نَزَل نشرب عليه حتى أصبحنا . وضع في تلك الليلة بحَضْرَتنا لحنه من الرَّمَل في شعر أبي وَجْزَة السَّعْدِيّ : [من الخفيف]

قَتَلَتْني بغير ذنـــبٍ قَتُـــولُ وحَلالٌ لهـــا دَمي المطلولُ
ما على قاتـــلٍ أصابَ قَتِيلاً بـــدَلالٍ ومُقْلَتَيْـــنِ سَبِيـلُ

[طلب من موسى بن الضحاك يقاسمه غلمانه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني أبو هَفّان قال : كتب أبو الأسَد وهو من بني حِمّان إلى موسى بن الضحّاك : [من الوافر]

1 الحماني : بكسر الحاء نسبة إلى حمان وهم حي من تميم .

لِموسى أَعْبُـدٌ وأَنـا أخـوهُ ... وصاحِبُـه ، وما لي غيرُ عَبْدِ
فلـو شاءَ الإلهُ وشاء موسى ... لآنسَ جانِبـي فَـرَجٌ بِسَعْـدِ

قال : و«فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأَسَد ، و«سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد ، وقاسمه بعدَه بقيَّةِ غِلْمانه ، فأخذ شَطْرَهم وأَعطاه شَطْرَهم .

[هجاؤه أحمد بن أبي دواد]

أَخبرني محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني العبّاس بن ميمون طائع قال : هجا أَبو الأَسد أَحمد بن أَبي دوادٍ فقال : [من الكامل]

أنتَ امـرؤٌ غَـثٌ الصَّنيعَةِ رَثُّها ... لا تُحْسِنُ النُّعْمـى إلى أمثـالي
نُعْماك لا تَعْـدُوكَ إلاّ في امرىءٍ ... في مَسْكِ مِثْلِك من ذَوي الأَشْكالِ[1]
وإذا نظرتَ إلى صَنِيعِك لم تَجِـد ... أَحَـداً سَمَوْتَ بـه إلى الإفْضالِ
فاسْلَمْ بغير سَلامـةٍ تُرْجى لهـا ... إلاَّ لِسَدِّكَ خَلَّـةَ الأَنـذالِ[2]

قال : فأدَّى إليه سَلامةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبياتَ عن أَبي الأَسَد ، فبعث إليه ببُرْد واسْتَكَفَّه ، وبعث بابن عائشة على مَظالِـمِ ماسَبَذان[3] ، وقال له : قد شَرِكْتَه في التَّوبيخ لنا فشَرِكْناك في الصَّفْقَةِ[4] ، فإنْ كنتما صادِقَيْنِ في دَعْواكما[5] كنتما من الأَنذال ، وإن كنتما كاذبين فقد جزيتكما بالقبيح حَسَناً .

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : كان سَبَبُ هجاء أَبي الأَسَدِ أَحمدَ بن أَبي دُوادٍ أَنّه مَدَحه فلم يُثِبْه ، ووعَده بالثواب ومَطَلَه ؛ فكتب إليه[6] : [من المنسرح]

ليتَـك أدبتنـي بواحـدةٍ ... تُقْنِعُنـي منـك آخِـرَ الأَبَدِ
تَحْلِـفُ ألاّ تَبَـرَّني أبـداً ... فإنَّ فيهـا بَرْداً على كَبِدِي

1 مسك : جلد .
2 الخلة هنا : الحاجة .
3 ماسبذان : كورة من فارس .
4 ل : الصنيعة .
5 في دعواكما في ل : فيّ .
6 أورد ابن المعتزّ في طبقاته بعض هذه الأبيات في ترجمة منصور الأصبهاني (344–348) وأضاف «وقد رويت هذه الأبيات لأبي الأسد وهي لمنصور أثبت» . غير أنّ البيت الأخير يرجّح نسبتها إلى أبي الأسد .

اشْفِ فُؤادِي مِنِّـــي فإنَّ بــه ... مِنِّيَ جُرْحــاً نَكَــأْتُه بِيَدِي
إنْ كان رِزْقي إليكَ فارْمِ به ... في ناظِـرَيْ حَيَّـةٍ على رَصَدِ
قد عشْتُ دهراً وما أقدِّر أنْ ... أرضى بما قد رَضِيتُ من أحدِ
فكيف أخطأتُ ؟ لا أصبتُ ولا ... نَهَضْتُ مـن عَثْرةٍ إلى سَدَدِ
لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد ... كَدّرتنـي بـالمِطالِ لم أعُدِ
صَبَرْتُ لَمَّا أسأتَ بـي ، فإذا ... عُـدْتُ إلى مِثْلِها فعُـدْ وعُدِ
فإنّني أهــلُ ذاكَ في طَمَعِـي ... وفي خَطائي سبيــلَ مُعْتَمِدِ
أبْعَــدَني اللهُ حــين يَحمِلُني ... حِرْصِي على مِثْلِ ذا من الأَوَدِ[1]
الآنَ أيقنتُ بعــد فِعْلِكَ بي ... أنّــيَ عَبْـدٌ لأَعْبُــدٍ قُفُــدِ[2]
فصِرْتُ من سُوء ما رُمِيتُ به ... أُكْنَى أبا الكَلْبِ لا أبا الأَسَدِ

[مديح الفيض بن صالح]

أخبرني عليّ بن الحسين بن عبد السميع المَرْوَزِيّ الوَرَّاق قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل تينةُ عن القَحْذَميّ قال : كان أبو الأسد الشاعر ، واسمه نُباتة بن عبد الله الحِمَّانيّ ، منقطعاً إلى الفَيضِ بن صالح وزير المَهْدِيّ ، وفيه يقول[3] : [من الطويل]

ولائمةٍ لامَتْكَ يـا فَيْضُ في النَّدى ... فقلتُ لهـا لن يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البَحْرِ
أرادتْ لِتَنهى الفَيْضَ عن عادةِ النَّدى ... ومَنْ ذا الذي يَثْني السَّحابَ عن القَطْرِ ؟
مَواقِعُ جُــودِ الفَيْضِ في كلِّ بلــدةٍ ... مَواقِــعُ مــاءِ المُزْنِ في البَلَــدِ القَفْرِ
كأنّ وُفــودَ الفَيْضِ لمــا تَحمَّلُوا ... إلى الفيض لاقَــوْا عندَه ليلــةَ القَدْرِ

وكان أبو الأسد قَبْلَه منقطعاً إلى أبي دُلَف مُدّة ، فلمّا قَدِم عليه عليُّ بن جَبَلةَ العَكَوَّكُ غَلَب عليه ، وسقطتْ منزلةُ أبي الأسَدِ عنده ، فانقطع إلى الفيض بعد عَزْلِه عن الوزارة ولزومِه منزلَه ، وذلك في أيّام الرشيد . وفيه يقول : [من الوافر]

أتيــتُ الفَيْضَ مُشْتَكِياً زَماني ... فأَعْـداني عليـهِ جُـودُ فَيْضِ[4]
وفاضــتْ كَـفُّه بالبَذْلِ منــه ... كما كَفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْضِ

---

1 الأود : الاعوجاج .
2 القفد : جمع أقفد وهو المسترخي العنق أو الغليظه .
3 أورد ابن قتيبة هذه الأبيات في مقدّمة الشعر والشعراء (18) .
4 أعداني : نصرني .

[يمدح ويهجو]

أخبرني عيسى بن الحُسَين قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بن الحسن بن الأَعرابيّ قال : سأل أبو الأَسَد بعضَ الكُتَّاب ، وهو عليُّ بن يحيى المنجِّم ، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء ، فلم يفعل . وبلغ حَمْدُونَ بن إسماعيل الخبرُ ، فسأل له فيها مبتدئاً ونَجَزها وأنفذها إليه . فقال أبو الأسَد يهجو الرجلَ الذي كان سأله الحاجةَ ، ويمدَح حمدونَ بن إسماعيل : [من البسيط]

صُنْعٌ من اللهِ ! أنِّي كنتُ أَعْرِفكم ... قبلَ اليَسارِ وأنتمْ في التَّبابينِ
فما مضتْ سَنَةٌ حتَّى رأيتُكُم ... تَمْشُونَ في القَزِّ والقُوهيّ واللِّينِ[1]
وفي المَشاريق ما زالتْ نساؤكُم ... يَصِحْن تحت الدَّوالِي بالوَراشِينِ[2]
فصرْنَ يَرْفُلْنَ في وَشْي العِراقِ وفي ... طَرائِف الخزِّ من دُكْنٍ وطارُوني[3]
أُنْسِينَ قَطْعَ الحُلاوى من مَعادِنها ... وحَمْلَهُنَّ كَشُوثاً في الشَّقابينِ[4]
حتى إذا أيسروا قالوا ، وقد كذبوا : ... نحن الشَّهاريجُ أولادُ الدَّهاقِين[5]
في است امِّ ساسانَ أَيْري إنْ أقرّ بكم ... وأَيْرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ في اسْتِ شِيرين[6]
لو سِيلَ أَوْضَعُهُم قَدْراً وأَنْذَلُهم ... لقال من فَخْرِه إنِّي ابنُ شُوبِين[7]
وقال أقطَعني كِسْرى ووَرَّثني ... فمَنْ يُفاخِرُني أم مَن يُناويني[8]
من ذا يُخَبِّر كسْرى وهو في سَقَر ... دعوى النَّبيط وهم بَيْضُ الشياطين[9]
وأنّهم زعموا أنْ قد ولدتَهُمُ ... كما ادّعى الضبّ إنّي نُطْفةُ النُّونِ[10]

---

1 اللين : خفض العيش . والدوالي : النواعير .
2 الورشان : طائر كالحمامة . وفي المثل : «بعلة الورشان يأكل رطب المشان» والورشان أطيب التمر .
3 الطارون : نوع من الخز .
4 الحلاوي : نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير . والكشوث : نبات أصفر يتعلّق بأغصان الشجر . الشقبان : وعاء يجمع فيه الحشيش .
5 الشهاريج : الوجوه .
6 ساسان : أبو ملوك الفرس . ومشظ : منعظ . وشيرين : زوجة أبرويز ملك الفرس .
7 شوبين : صاحب الجيش لدى هرمز بن أنو شروان .
8 يناويني في ل : يساويني .
9 بيض الشياطين : أولادهم .
10 النون : الحوت .

فكان يَنْحَزُ جَوْفَ النار واحدةً ... تَفْرِي وتَصْدَعُ خوفاً قلبَ قارونِ
أمـا تراهـم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُمْ ... عـن أُتْنهـمْ واستبدُّوا بالبَراذِينِ
وأفرجوا عن مَشارات البُقول إلى ... دُورِ المُلـوكِ وأبـوابِ السَّلاطِينِ[1]
تَغْلي على العُرْبِ من غَيْظٍ مَراجِلُهُمْ ... عـداوةً لِرسول الله في الدِّيـنِ
فقـل لهـم وهُـمُ أهـلٌ لتَزْنِيَةٍ ... شَرَّ الخَلِيقَـةِ يـا بُخْـرَ العَثانِينِ
مـا النَّاسُ إلاّ نِـزارٌ في أَرومَتِها ... وهاشمٌ سُرْجُهـا الشُّمُّ العَـرانِينِ
والحَـيُّ مـن سَلَفَيْ قَحْطانَ إنَّهمُ ... يُـزْرُونَ بالنَّبَـطِ اللُّكْـنِ المَلاعِينِ
فمـا على ظهرهـا خَلْقٌ له حَسَبٌ ... ممّـا يُناسب كِسْرى غيرُ حَمْدونِ
قَـرْمٌ عليـه شَهَنْشاهِيَّةٌ ونَبـاً ... يُنْبيكَ عن كسرويّ الجَدِّ مَيْمُونِ[2]
وإنْ شَكَكْتَ ففي الإيوانِ صُورتُه ... فانْظُـرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزونِ

أخبرني عمّي قال : أخبرنا ميمون بن هارون قال : مدح أبو الأسد الفيض بن صالح وهو يومئذٍ ملازم بيته غير والٍ على شيء فأثابه ثواباً جزيلاً فقال يمدحه :

ولائمةٍ لامَتكَ يـا فيضُ في النَّدى ... فقلتُ لهـا لن يقدحَ اللومُ في البَحْرِ

الأبيات . . . وقد مرّت .

[عتاب أبي دلف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر . أنّ أبا الأسدَ زار أبا دُلف في الكَرَج[3] ، فحُجِب عنه أيّاماً ، فقال يعاتبه وكتب بها إليه : [من الخفيف]

ليت شعري أضاقتِ الأرضُ عَنِّي ... أم بِفَـجٍّ أنـا الغداةَ طَرِيـدُ ؟[4]
أم أنـا قانـعٌ بأدنـى مَعاشٍ ... هِمَّتِي القُوتُ والقليـلُ الزَّهِيدُ[5]
مِقْوَلـي قاطِـعٌ وسيفي حُسامٌ ... ويَـدِي حُـرَّةٌ وقلبي شَديدُ
رُبَّ بـابٍ أعزَّ من بابك اليَوْ ... مَ عليـه عَساكِـرٌ وجُنـودُ

1 المشارات : مجاري الماء والمساقي .
2 شهنشاه : ملك الملوك .
3 الكرج : مدينة بفارس .
4 الفج : الطريق الواسع .
5 همتي في ل : همّني .

قد ولَجْناهُ داخلــينَ غُدُوّاً ورَواحــاً وأنت عنــه مَذُودُ
فاكْفُفِ اليومَ من حِجابِكَ إذ لسـ ـتَ أميراً ولا خَميساً تَقُـودُ
واعترف من فراقي الصدِّ إذ لسـ ـتُ أسيراً ولا عـليّ قُيُـودُ
لا يُقيـمُ العزيــزُ في بلـد الهو ن ولا يُكْبَـتُ الأَريـبُ الجَلِيدُ

[صديقه بسطام]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : أنشدني أبو هفّان لأبي الأَسَد في صديق له يقال له بِسْطام كان برًّا به . قال : وهذا من جَيِّد شعره ، وقد سرق البُحْترِيُّ معناه منه في شعر مدح به عليَّ بن يحيى المنجِّم : [من البسيط]

أَعْـدُو على مـال بِسْطامٍ فأَنْهبُهُ كما أَشاءُ فـلا تُثْنـى إليَّ يَدِي
حتى كأَنّيَ بِسْطامٌ بما احتكمتْ فيــه يَـدايَ وبِسْطامٌ أبو الأَسَدِ

[رثاء إبراهيم الموصليّ]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الكاتب الأنباري قال : حدَّثني أبو هفّان ، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال : حدَّثنا أبو هفّان قال : حدَّثني أبو دِعامَة قال : لمّا مات إبراهيم المَوْصِلِيُّ قِيل لأبي الأسَدِ ، وكان صديقه ، ألاّ تَرثِيه ؟ فقال يرثيه[1] : [من الوافر]

تَوَلَّى المَوْصِلِيُّ فقــد تَوَلَّتْ بَشاشاتُ المَزاهِــرِ والقِيانِ
وأَيُّ مَلاحــةٍ بَقِيَتْ فتَبْقى حياةُ المَوْصِلِيِّ على الزَّمانِ
ستَبْكِيهِ المَزاهِــرُ والمَلاهِي ويُسْعِدُهُنَّ عاتقــةُ الدِّنانِ
وتَبْكِيــهِ الغَوِيَّــةُ إذ تَوَلَّى ولا تَبْكِيــهِ تاليـــة القُرانِ

فقيل له : وَيْحَكَ فضحته وقد كان صديقك . فقال : هذه فضيحة عند من لا يعقل ، أما من يعقل فلا . وبأيِّ شيء كنت أذكره وأرثِيه به ؟ أبِالْفِقْه أم بالزُّهْد أم بالقِراءة ؟ وهل يُرثى مغنٍّ إلاّ بهذا وشبْهه !

[شاهين بن أخي أبي دلف]

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال : كنت مقيماً بالجبل فمرَّ بي أبو

1 تقدّم في ترجمة إبراهيم الموصليّ أنّ هذه الأبيات لابن سيابة وتنسب لأبي الأسد ، وتراجع بقية الخبر 5 : 102 .

الأَسَد الشاعر الشَّيبانيّ ، فأنزلته عندي أيّاماً ، وسألته عن خبره فقال : قصدت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دُلف ، فما احتبسني ولا برَّني ولا عرض عليَّ المُقام عنده ، وقد حضرني فيه أبيات فاكْتُبْها ، ثم أُنشدني : [من البسيط]

إنِّي مررتُ بِشاهينٍ وقد نَفَحتْ ... رِيحُ العَشيِّ وبَرْدُ الثَّلجِ يُؤذِيني
فما وَقى عِرْضَهُ مِنِّي بِكُسْوَتِهِ ... لا على حَسَبٍ حامى ولا دِينِ
إن لَم يكن لَبَنُ الدَّاياتِ غَيَّرَه ... عن طبع آبائـه الشُّمِّ العَرانِينِ
فرُبَّما غابَ بعـلٌ عن حَلِيلَته ... فناكهـا بعضُ سُوَّاسِ البَراذِينِ
ومـا تحرَّك أيـرٌ فامتلا شَبَقاً ... إلاّ تَحرَّك عِرْقٌ في اسْت شاهينِ

ثم قال : والله لأُمَزِّقَنَّه كلَّ مُمَزَّقٍ ، ولأصيرَنَّ إلى أبي دُلَفَ فَلأُنشدَنَّه . ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَفَ ، فلم يصل إليه ، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ ، فشقّ عليه وغَمَّه . وأتاه أبو الأسَد فدخل عليه ، فسأله عن قِصَّته مع شاهين ، فأخبره بها ؛ فقال : هَبْه لي . قال : والله لا وهبته لك وقد حرمني واستخفّ بي ولكن اشْتَرِ مني عرضه . قال : بكم ، قال : بديته عشرة آلاف درهم ، فأمسك عنه .

قال أبو الفرج : هذا البيت الأخير لبَشّار ، وكان عَرَض له فقال :

ومـا تحرَّك أيرٌ فامتلا شَبَقاً ... إلاّ تحرَّك عِرْقٌ في است . . . . . .

ثم قال : في است مَن ؟ ومرَّ به تسنيم بن الحوارى[1] فسلَّم عليه ، فقال : في است تسنيم والله . فقال له : أيُّ شيء ويلك ؟ فقال : لا تَسَلْ . فقال : قد سمعتُ ما أُكره ، فاذكر لي سَبَبه . فأنشده البيت ، فقال : ويلك ! أيُّ شيء حَمَلك على هذا ؟ قال : سَلامُك عليّ . قال : لا سَلَّم الله عليك ولا عليّ إن سلَّمت عليك بعدها ، وبَشَّار يضحك . وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أُخبار بشّار .

صوت

وقد جُمِع معه كلّ ما يُغنَّى في هذه القصيدة : [من الطويل]

أَجِدَّكَ إنْ نُعْمٌ نـأتْ أنت جازعُ ... قَـدِ اقْتربـتْ لَـوْ أنَّ ذلك نافعُ
وحَسْبُكَ مِـن نأي ثلاثـةُ أَشْهُر ... ومِـن حَزَنٍ أنْ شاقَ قَلبَك رابعُ

1 يضبط الحَواريّ أو الحُوّارى .

بكتْ عَيْنُ مَنْ أَبكاكَ ليس لك البُكى ... ولا تَتَخالجْـك الأُمـورُ النَّوازعُ
فلا يَسْمَعَنْ سِرِّي وسِرَّك ثالثٌ ... ألا كلُّ سِرٍّ جاوزَ اثْنَيْن شائعُ[1]
وكيف يَشِيعُ السِّرُّ مِنِّي ودُونَه ... حجابٌ ومن فوق الحِجابِ الأَضالِعُ
كأنَّ فُؤادي بين شِقَّين من عَصاً ... حِذارَ وُقوع البَيْنِ والبَيْنُ واقعُ
وقالت وعيناها تَفيضانِ عَبْرةً ... بأَهليَ ، بَيِّنْ لي مَتى أنتَ راجعُ ؟
فقلتُ لها باللهِ يَدْرِي مُسافِرٌ ... إذا أضمرته الأرضُ ما اللهُ صانعُ ؟
فشَدَّت على فِيها اللِّثام وأَعرضتْ ... وأقبلنَ بالكُحْل السَّحِيقِ المَدامعُ

عَروضه من الطويل . الشعر لِقَيْسِ بن الحُدادِيّة ، والغناء لإسحاق في الأوّل والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوُسْطى ، وفي الثالث وما بعده أربعة أبيات ليحيى المكّي رمل بالوسطى من كتابه .

1 مثل .

[263] ـ أخبار قيس بن الحُداديّة ونسبه[1]

[نسبه]

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقِياء بن عامر وهو ماءُ السماء بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البِطْريق بنِ ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وهو «رداء[2] ، ويقال : رديني»[3] ، وقد مضى نسبه متقدّماً ؛ والحُدادية أمّه ، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلانَ بنِ مُضَر ، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حِداد . شاعر من شعراء الجاهليّة ، وكان فاتكاً شجاعاً صُعْلوكاً خليعاً ، خلعتْه خُزاعةُ بسُوق عكاظ ، وأشهدتْ على أنفُسها بخَلْعها إيّاه ، فلا تَحتمِل جريرةً له ، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه .

[غاراته]

قال أبو الفرج : نسختُ خبَره من كتاب أبي عمرو الشَّيْبانيّ : لمّا خلَعتْ خُزاعةُ بن عمرو ، وهو مُزَيْقِياء بن عامر ، وهو ماء السماء بن الحارث ، قيسَ بن الحِداديّة ، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعياً قوم منهم يقال لهم : بنو قُمَير بن حبشيّة بن سَلُول ، فجَمَعَ لهم قيسٌ شُذّاذاً من العَرَب وفُتّاكاً من قومه ، وأغار عليهم بهم ، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش ، واستاق أموالَهم ، فلحقه رجل من قومه كان سيِّداً ، وكان ضَلْعه[4] مع قيس فيما جَرى عليه من الخلع ، يقال له ابن محرِّق ، فأقسم عليه أن يردّ ما استاقَه ، فقال : أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قسَمَك فيه ، وأمّا ما اعتوَرته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلةَ لي فيه ، فردّ سهمَه وسهمَ عشيرته ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فأقسم لولا أَسْهَم ابنُ محرِّقٍ ... مع الله ما أكثرتُ عَدَّ الأقاربِ
تركت ابن عُشٍّ يرفَعون برأسه ... يَنوءُ بساقٍ كعبُها غيرُ راتبِ[5]
وأنهاهُـم خلعي على غير مِيرةٍ ... من اللحم حتى غُيِّبوا في الغوائبِ

وقال أبو عمرو : أغار أبو بردة بنُ هلال بنِ عُوَيْمِر ، أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن

---

1 لقيس بن الحدادية ترجمة في معجم المرزباني : 202 والزهرة : 189 وأمالي اليزيدي : 153 .
2 ل : داری .
3 ل : درا .
4 ضلعه : ميله وهواه .
5 غير راتب : غير مستقيم .

عمرو بن عامر بن امرىء القيس على هَوازِنَ في بلادها ، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقْتَتَلوا قتالاً شديداً ، فانهزمتْ بنو عامر وبنو نصر ، وقَتَل أبو بردة قيسَ بنَ زهير أخا خِداش بن زهير الشاعر ، وسَبى نسوةً من بني عامر : منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّريبة النَّصريّ ، وامرأتين منهم يقال لهما : بَيْقر وَريّا ، ثم انصرفوا راجعين ، فلمّا انتَهوا إلى هَرْشى خَنَقتْ صخرة نفسَها فماتت ، وقَسَم أبو بُرْدة السبيَ والنَّعَم والأموال في كلّ مَن كان معه ، وجعل فيه نصيباً لَمن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم .

ثم أغارت هوازنُ على بني ليث ، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم : بنو الملوح بن يَعْمَر بن عوف ، ورِعاءً لبني ضاطر بن حبشية ، فقتلوا منهم رَجْلاً وسَبَوْا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالَهم ، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصْريّ : [من الطويل]

نحن جلبْنا الخيلَ من بطن لِيّةٍ وجِلدانَ جُرْداً مُنْعَلاتٍ ووُقَّحا[1]
فأصبحنَ قد جاوزن مَرّاً وجُحْفَةً وجاوزن من أكناف نخلةَ أبطَحا
تلقَّطن ضَيطارِي خُزاعة بعدما أبَرْنَ بصحراء الغميم الملَوَّحا[2]
قتلناهُم حتى تركنا شريدهمْ نساء وأيتاماً ورَجْلاً مُسَدَّحا
فإنّك لو طالعتهم لحِسبتهم بمنعرَج الصَّفراء عِتْراً مُذَبَّحا[3]

فلمّا صنعتْ هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتْ ، جَمع قيس بنُ الحِداديّة قومَه ، فأغار على جُموع[4] هوازن ، فأصاب سَبْياً ومالاً ، وقتل يومئذٍ من بني قشير : أبا زيد وعُروة وعامراً ومُروّحاً ، وأصاب أبياتاً من كلاب خُلوفاً[5] ، واستاق أموالَهم وسبى نساءهم ، ثم انصرف وهو يقول : [من الطويل]

نحن جَلَبْنا الخيلَ قُبّاً بطونُها تَراها إلى الدّاعي المُثوِّب جُنَّحا[6]
بكلّ خُزاعيٍّ إذا الحربُ شمَّرتْ تسربَلَ فيها بُردهُ وتَوشَّحا
قرعْنا قُشَيراً في المحلّ عشيَّةً فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا

---

1 وقح : صلاب الحوافر .
2 الضيطار : الضخم اللئيم . وأبار : أهلك . والغميم : موضع .
3 العتر : الرجيبة ، وهي شاة كانت تذبح في رجب تقرباً إلى الآلهة .
4 ل : مصنوع .
5 خلوف : نساء لا رجال عندهن .
6 قب البطون : ضامرتها .

قتلْنا أبا زيـد وزيـداً وعامراً   وعـروةَ أقصَدْنـا بهـا ومُرَوّحا[1]
وأُبْنا بإبْلِ القوم تُحدى ، ونسوةٍ   يبكِّـين شِلْواً أو أَسيراً مُجرَّحا
غداةَ سَقَينا أَرضَهم من دمائهم   وأُبْنـا بأُدْمٍ كنّ بالأَمس وُضَّحا[2]
ورُعْنـا كلابـاً قبـل ذاك بِغارة   فسُقْنا جِـلاداً في المبارِكِ قُرَّحا[3]
لقـد علمتْ أَفناءُ بكر بنِ عامرٍ   بأنَّا نَـذودُ الكاشحَ المتزحزِحا
وأَنا بلا مَهـرٍ سوى البِيض والقَنا   نُصيب بأَفنـاء القبائـلِ مَنكَحا

[قيس بن عيلان وخزاعة]

وقال أَبو عمرو : وزعموا أَنَّ قيسَ بن عيلانَ رغِبتْ في البيت ، وخُزاعة يومئذٍ تليه ، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم ، فساروا ومعهم قبائلُ من العَرَب ورأَّسوا عليهم عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانيّ ، فساروا إلى مكّة في جمعٍ لُهام[4] ، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ قيس ، ونجا عامرٌ على فرس له جواد . فقال قيس بن الحُداديّة في ذلك : [من المتقارب]

لقد سُمْتَ نفسَك يا ابنَ الظَّرِبْ   وجشَّمتهمْ منزلاً قد صَعُبْ[5]
وحمَّلتهـمْ مركبـاً باهِظـاً   من العِبء إذ سُقتَهم للشَّغَبْ[6]
بحـربِ خُزاعـة أَهـلِ العُلا   وأَهـلِ الثّناء وأَهـلِ الحسبْ
هـم المانعو البيت والذائدون   عـن الحُرُمات جميعَ العربْ
نَفَـوا جُرْهُمـاً ونَفَوا بعدهم   كِنانـةَ غَصْباً بِبِيض القُضُبْ
وسُمْرِ الرِّمـاح وجُرْدِ الجياد   عليهـا فـوارسُ صدق نُجُبْ
وهـمْ أَلحقـوا أَسَداً عَنوةً   بأَحياء طيٍّ وحازُوا السَلَبْ[7]
خُزاعةُ قومـي فـإن أفتخِر   بهـمْ يَزْكُ مُعتَصَري والنَّسبْ
هم الرأس والناس من بعدِهم   ذُنابى ، وما الرأس مِثلُ الذَّنَبْ[8]

1 أقصده : طعنه فلم يخطئه .
2 أي سبايا أدم اكتسبن السمرة بعد أن كنّ بيضاً .
3 الجلاد : الإبل الغزيرة اللبن .
4 لهام : كثير عظيم .
5 منزلاً في ل : مركباً .
6 مركباً في ل : مثقلاً .
7 بأحياء في ل : بأجبال .
8 مثل .

يُواسى لدى المَحْلِ مولاهمُ وتُكشَف عنه غُموم الكُرَبْ
فجارهُمُ آمنٌ دهرَه بهمْ أن يُضامَ وأن يُغتصَبْ
يلبُّون في الحرب خوف الهجاء ويَبْرُون أعداءهم بالحَرَبْ[1]
ولو لم ينجِّك من كيدهم أمينُ الفُصوص شديدُ العَصَبْ[2]
لزرتَ المنايا ، فلا تكفُرَنْ جوادَك نُعْماه يا ابن الظَّرِبْ
فإنْ يلتقوك يزُرْك الحِمام أو تنجُ ثانيةً بالهربْ

قال أبو الفرج : هذه القصيدة مصنوعة ، والشعر بيّن التوليد .

[غارة هوازن على خزاعة]

وقال أبو عمرو : أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصَّب من مِنى ، فأوقعوا ببطن مِنهم يقال لهم بنو العَنْقاء ، وبقوم من بني ضاطر ، فقتَلوا منهم عَبْداً وعوفاً وأقرم وغبشان ، فقال ابن الأحبّ العَدْوانيّ يفخر بذلك : [من الطويل]

فلو شهدت أم الصبيَّين حملنا على ضاطر بالمقربات السواهمِ
غداةَ التقينا بالمحصَّب من مِنًى فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائمِ
تَرَكْنا بها عَوْفاً وعَبداً وأقرَماً وغبشانَ سُؤراً للنُّسور القشاعمِ[3]

فأجابه قيس بن الحدادية ، فقال يعيّره أن فخر بيوم لي لقومه : [من الطويل]

فخرْتَ بيوم لم يكن لك فخرُه أحاديثُ طَسْمٍ إنّما أنتَ حالمُ[4]
تفاخِر قوماً أطرَدتْك رماحُهمْ أكعبُ بنَ عمرو : هل يُجاب البهائمُ
فلو شهدت أمُّ الصبيَّين حَملَنا وركْضَهمُ لابيضَّ منها المَقادمُ
غداةَ تولَّيتمْ وأدبَر جمعُكمْ وأُبنا بأسْراكم كأنّا ضَراغِمُ

[حماه أسد بن كرز فمدحه]

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته ، فهربوا فنزلوا في فِراسِ بن غَنَم ، ثم لَم يَلبَثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً ، فهربوا فنزلوا في بَجيلةَ على أسَد بم كُرز ، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا في خُزاعة وفي

1 خوف الهجاء في ل : حوز الهجان .
2 أمين الفصوص : قوي المفاصل .
3 السؤر : البقية والفضلة .
4 المثل «أحاديث طسم وأحلامها» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فِراس ، فقال قيس بن الحدادية يمدح أُسد بن كرز : [من البسيط]

لا تعذليني سلمى اليومَ وانتظري ... أن يجمع الله شَملاً طالما افترَقا
إن شتّت الدّهر شَملاً بين جيرتكم ... فطال في نعمةٍ يا سَلْم ما اتفقا
وقد حللنا بِقَسْرِيٍّ أخي ثقةٍ ... كالبدرِ يجلو دُجى الظلماء والأُفقا
لا يَجبرُ الناسُ شيئاً هاضَه أُسدٌ ... يوماً ولا يَرتَقُون الدَّهرَ ما فَتَقا
كَم من ثناءٍ عظيم قد تَدارَكَه ... وقد تفاقَمَ فيه الأَمرُ وانخرقا

قال أبو عمرو : وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيّين ، وغيرُهم يزعم أنّها مصنوعة ، صنعها حمّاد الرّاوية لخالد القَسريّ في أيّام ولايته ، وأنشده إيّاها فوَصَله ، والتوليد بيّن فيها جدّاً .

[غارة ضريس على بني ضاطر]

وقال أبو عمرو : غزا الضَّريس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه ، فثبتوا له وقاتَلوه حتى هزموه ، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم ، فقال قيس بن الحِدادية في ذلك : [من الطويل]

فِدًى لبني قيس وأفناء مالكٍ ... لدى الشِّسْعِ من رجلي إلى الفَرْق صاعدا
غداةَ أتى قوم الضَّريس كأنّهم ... قَطا الكُدْرِ من ودّان أُصبحَ واردا[1]
فلم أرَ جمعاً كان أكرمَ غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا
رميناهُم بالحُوِّ والكُمْتِ والقَنا ... وبِيضٍ خِفافٍ يختلِين السواعدا[2]

[آواه بنو عديّ فمدحهم]

قال أبو عمرو : ولمّا خلعتْ خُزاعةُ قيساً ، تحوَّلَ عن قومه ، ونزل عند بطنٍ من خزاعة ، يقال لهم بنو عدِيّ بن عمرو بن خالد ، فآوَوه وأحسنوا إليه ، وقال يمدحهم : [من الطويل]

جزى الله خيراً عن خليع مطَرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْه آل عَمْرو بن خالدِ
فليس كمَن يغزو الصديق بنَوْكِه ... وهمتُه في الغزو كسبُ المَزاودِ[3]
عليكم بعرْصات الديار فإنّني ... سواكم عديدٌ حين تُبلى مَشاهِدي
ألاوَذْتُمُ حتى إذا ما أمِنتُم ... تَعاوَرْتُمُ سَجْعاً كسجع الهداهدِ
تجنَّى عليَّ المازنان كلاهما ... فلا أنا بالمغضي ولا بالمساعدِ[4]

---

1 الكدر وودان : موضعان . والقطا الكدري : الأغبر اللون المرقّش .

2 يختلين : يقطعن .

3 النوك : الحمق .

4 بالمساعد في ل : بالمباعد .

وقـد حدبـت عمرو عليَّ بعزّها ... وأبنائهـا مـن كلّ أروَعَ ماجدِ
مَصاليتُ يومَ الرَّوع كَسْبُهم العُلا ... عِظامُ مَقِيل الهـام شُعْرُ السواعدِ
أولئك إخـواني وجُـلُّ عشيرتي ... وثروتُهـم والنصرُ غيرُ المُحاردِ[1]

[أعتقه عديّ بن نوفل فمدحه]

أخبرني أحمد بن سليمان الطّوسيّ ، والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : أخبرني عمِّي أنَّ خُزاعةَ أغارت على اليمامة ، فلم يَظفروا منها بشيء ، فهزموا وأسر منهم أسرى ، فلمّا كان أوان الحجّ ، أخرجَهم من أسرهم إلى مكّة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم ، فغَدوا جميعاً إلى الخَلْصاء[2] ، وفيهم قيس بن الحداديّة ، فأخرجوهم وحملوهم ، وجعلوهم في حَظيرة ليحرقوهم ، فمرّ بهم عديّ بن نوفل ، فاستجاروا به ، فابتاعهم وأعتَقَهم ، فقال قيس يمدحه : [من الطويل]

دعوتُ عديّـاً والكُبـولُ تَكبُني ... ألا يـا عديُّ يـا عديّ بن نوفلِ
دعوت عديّـاً والمنايـا شوارِعٌ ... ألا يـا عـدِيّ للأسير المكبّلِ
فما البحر يجري بالسَّفين إذا غدا ... بأجودَ سَيْباً منـه في كلّ مَحفِلِ
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما ... أصابهـمُ منّـا حريـقُ المحلّلِ[3]
وأتبعـت بـين المَشْعَرينِ سِقايةً ... لحجّـاج بيت الله أكـرم مَنهلِ[4]

[هجرة خزاعة بسبب الجدب]

قال أبو عمرو : وكان قيس بنُ الحداديّة يَهوى أُمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالِين إلى مصر والشام لأنّهم أجدَبوا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، رأوا البوارق خلفَهم ، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارتَـه ، فرجـع عمـرو بن عبادة بن عبد مَناة في ناس كثير إلى أوطانهم ، وتقدّم قَبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أُمّ مالك ، واسمها نُعم بنت ذؤيب ، فمضى ، فقال قيس بن الحداديّة هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور : [من الطويل]

أجِـدَّك إنْ نُعْمٌ نـأت أنت جازِعُ ... قـد اقتربَـتْ لـو أنّ ذلـك نافِعُ

---

1 غير المحارد : غير المنقطع .
2 الخلصاء : بلد بالدهناء .
3 المحلل : الذي حلل إحراقنا في الأشهر الحرم .
4 أكرم في ل : أفضل .

قــد اقتربت لو أنّ في قُرب دارها نـــوالاً ، ولكــن كلُّ من ضَنَّ مانعُ
وقـد جاورَتْنـا في شهـور كثيرة فمـا نوَّلَـتْ ، واللهُ راءٍ وسامعُ
فإنْ تَلقَيْن نعمـى هُدِيـتَ فحيِّها وسل كيـف تُرعى بالمَغِيبِ الودائعُ
وظنّي بهـا حفـظٌ لِغَيبي ، ورِعيةٌ لِما استُرعِيَتْ ، والظَّن بالغيب واسعُ
وقلـت لهـا في السرّ بيني وبينها على عجـلٍ : أيّان مَن سار راجعُ ؟
فقالت : لقاءٌ بعـد حَـول وحِجّـةٍ وشَحطُ النوى إلاّ لذي العهدِ قاطعُ
وقد يلتقي بعـد الشَّتات أولو النَّوى ويسترجع الحـيَّ السحابُ اللوامعُ
ومـا إنْ خَذولٌ نازعَتْ حبلَ حابلٍ لتنجوَ إلاّ استسلَمتْ وهـي ظالِعُ[1]
بأحسنَ منهـا ذاتَ يـوم لقَيتُهـا لها نظـرٌ نحـوي كذي البَثِّ خاشعُ
رأيت لهـا ناراً تُشَب ، ودونهـا طويلُ القَرا مـن رأس ذَروةَ فارعُ[2]
فقلت لأصحابي : اصطَلُوا النار إنّها قريبٌ ، فقالـوا : بل مكانك نافعُ
فيا لـك مـن حادٍ حَبوت مقيَّداً وأنحـى على عِرنـينِ أنفِـك جادِعُ
أغيظاً أرادَتْ أن تُخـبَّ جمالُهـا لتفجَـعَ بالإظعانِ مَـن أنـتَ فاجعُ
فمـا نُطقـة بالطَّـود أو بضَرِيَّـة بقيّـة سيـلٍ أحرزَتْهـا الوقائعُ[3]
يطيف بهـا حَرّانُ صادٍ ولا يـرى إليهـا سبيـلاً غيـرَ أنْ سيطالعُ
بأطيبَ مِـن فِيهـا إذا جئت طارقاً من الليـل واخضلّت عليك المَضاجعُ
وحَسْبُك مـن نـأيٍ ثلاثـةُ أشهر ومِن حَـزَنٍ أن زادَ شوقَك رابعُ
سعى بينهـم واشٍ بأفـلاق بِرْمَـةٍ ليفجَع بالأظعان مَـن هـو جازِعُ[4]
بكت مـن حديث بَثَّـه وأشاعـه ورصَّعـه واشٍ مـن القـوم راصِعُ
بكت عينُ من أبكاكِ ليس لك البكا ولا تتخالجـك الأمـور النوازعُ
فـلا يسْمَعْن سرّي وسرّك ثالـثٌ ألا كلُّ سرّ جـاوز اثنـين شائعُ[5]

---

1 الخذول من الظباء والبقر : التي تتخلّف عن القطيع . وظلع : غمز في مشيه .
2 القرا : الظهر . وذروة : اسم جبل . والفارع : العالي .
3 الطود : الجبل . وضرية : بئر . الوقائع : جمع وقيعة ، وهي النقرة في الجبل يتجمّع فيها الماء .
4 أفلاق : جمع فلق ، وهو المطمئنّ من الأرض بين ربوتين .
5 مثل .

وكيف يَشيع السرُّ منّي ودُونَه حجاب ومِن دون الحجاب الأَضالعُ !
وحِبٌّ لهذا الرَّبع يمضي أَمامه قليلُ القِلى منه جليلٌ ورادعُ
لهوتُ به حتى إذا خِفتُ أَهلَه وبيّنَ منه للحبيبِ المخادعُ
نزعتُ فما سِرّي لأوّل سائل وذو السرّ ما لم يَحفظ السرَّ ماذعُ[1]
وقد يَحمد الله العزاءَ من الفتى وقد يجمع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ
أَلا قد يُسلّى ذو الهوى عن حبيبه فيَسْلى ، وقد تُردِي المطيَّ المطامعُ
وما راعَني إلاّ المنادي ألاَ أظعَنوا وإلاّ الرواغِي غُدوةً والقعاقعُ[2]
فجئت كأنّي مستضيفٌ وسائل لأُخبرها كلَّ الذي أُنا صانِعُ
فقالت : تزحْزح ما بنا كُبْرُ حاجةٍ إليك ولا منّا لفقرك راقِعُ
فما زلتُ تحت السِّتر حتى كأنّني من الحُر ذو طِمْرَيْن في البحر كارِعُ
فهزَّت إليّ الرأس منّي تعجُّباً وعُضّض ممّا قد فعلتُ الأصابعُ
وإنّي لأنهى النفس عنها تجهّلاً وقلبي إليها الدهر عطشان جائعُ
أيثبت بأهوار الجميع فساكن ومنتجع فخراً فما أنت صانعُ
فأَيَّهما ما أُتبعَنّ فإنّني حزين على إثر الذي أَنا وادِعُ
وأنشر ثوبي نحو داخن نارها وما بيننا من شقة الأرض واسعُ
بكى من فراق الحيّ قيسُ بنُ مُنقِذ وإذراءُ عيني مثلَه الدمعَ شائعُ
بأربعة تنهلُّ لمّا تفرقت بهم طُرُق شتّى وهنّ جوامعُ
وما خِلْتُ بينَ الحيّ حتى رأيتهم ببَينونَةَ السفلى وهبَّت سَوافعُ[3]
كأن فؤادي بين شِقّين من عَصاً حِذار وقوعِ البين والبينُ واقِعُ
يحُثُّ بهم حادٍ سريعٌ نَجاؤه مُعْرّى عن الساقين والثوب واسِعُ
فقلت لها يا نُعم حُلّي محلّنا فإن الهوى يا نُعم والعيش جامعُ
فقالت وعيناها تَفيضان عَبرةً بأهلي بَيِّنْ لي متى أَنت راجعُ ؟

---

1 ماذع في ل : وادع .
2 ألا اظعنوا في ل : أن أظعنوا .
3 بينونة : موضع . والسوافع : لوافح السموم .

فقلــت لهــا تالله يــدري مسافر إذا أضمرتْه الأرضُ مــا الله صانِعُ
فشدَّت على فِيهــا اللثامَ وأعرضتْ وأمعــن بالكُحــلِ السَّحيقِ المدامِعُ
وإنّي لِعهــد الودّ راعٍ ، وإنّنــي بوصلك مــا لم يطوني الموتُ طامِعُ

قال أبو عمرو : فأنشدت عائشةَ بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة ، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء . فقالت : من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويَدخل في معناها فله حُلّتي هذه ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك .

[شعره في معشوقته نعم]

قال أبو عمرو : وقال قيس أيضاً يذكرَ الحيّ وتفرّقهم ويُنسبُ بنعم ويذكرها : [من الطويل]

سقى الله أطلالاً بنعــمٍ ترادفت بهــن النّوى حتــى حَلَلْن المَطاليا[1]
فإن كانــت الأيام يــا أُمَّ مالك تسلّيكُم عنــي وتُرضي الأعاديا
فلا يأمَنَنْ بعدي امرؤ فجَع لذَّةٍ من العيش أو فجعَ الخطوبِ العَوافِيا
وبُدِّلت مِــن جَدواكِ يا أُمَّ مالكٍ طــوارقَ هــمٍّ يحتضِرْن وِسادِيا
وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُنَّةٍ أُساقي الكماةَ الدارعين العَواليا
فيَوْمايَ يــومٌ في الحديد مُسربَلا ويوم مــع البِيضِ الأوانِس لاهيا
فــلا مدركاً حظّاً لدى أُمِّ مالك ولا مستريحــاً في الحياة فقاضيا
خليليّ إن دارت عــلى أُمّ مالكٍ صُروفُ الليالي فابعثــا ليَ ناعِيا
ولا تتــركاني لا لخيرٍ معجَّــلٍ ولا لبقــاءٍ تنظــران بقائيا
وإنّ الذي أَمَّلْتُ مــن أُمّ مالكٍ أشابَ قَــذالي واستهــامَ فؤادِيا
فليــت المنايــا صبَّحتنــي غُدَيَّــةً بذَبــحٍ ولم أُسمــع لبَيْــنٍ منادِيا
نظــرتُ ودوني يذبُــلٌ وعَمايــةٌ إلى آل نُعــمٍ مَنظــراً مُتنائيا
شكوت إلى الرحمن بُعْدَ مَزارِها وما حمَّلتنــي وانقطــاعَ رجائيا
وقلتُ ولم أملكْ أعمرو بن عامرٍ لِحتفٍ بــذات الرَّقْمتين بدا لِيا
وقــد أيقنتْ نفسي عشيّة فارَقوا بأسفل وادي الدَّوحِ أن لا تلاقِيا
إذا مــا طواكِ الدَّهرُ يا أُمَّ مالكٍ فشأنُ المَنايــا القاضياتِ وشانِيا

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون .

1 المطالي : الأرض السهلة اللينة .

[مقتله]

قال أبو عمرو : وكان من خبرَ مقتَل قيس بن الحداديّة أنّه لقِيَ جَمْعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض مَن يجدون منه غِرّة ، فقالوا له : استأسِر ، فقال : وما ينفعكم منّي إذا استأسرتُ وأنا خليع ؟ والله لو أسرتموني ثم طَلَبْتم بي من قومي عنزاً جَرْباء جَدْماء ما أُعطِيتموها ، فقالوا له : استأسر لا أُمَّ لك ! فقال : نفسي عليَّ أكرم من ذاك وأشدّ من ذلك وقاتَلَهم حتى قُتِل . وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

هل هـــو إلاّ الموت يعني غاليهْ
أنـــا الذي تَخلَعـــــه مــواليهْ
وكلُّهـــم بعــد الصَّفـــاء قاليهْ
وكلّهـــم يُقْسم لا يباليـــــهْ
أَنــا إذا المــوت ينــوب غاليهْ
مختلــطٌ أسفلــهُ بعاليـــــهْ
قـــد يعلم الفتيـــان أنّـــي صاليهْ
إذا الحديـــد رفعـــتْ عَواليـــهْ

قال أبو عمرو : وقد قيل في مقتله غير هذا ، فذكر إنّه كان يتحدّث إلى امرأة من بني سُلَيم يقال لها أمّ كاهل فأغاروا عليه وفيهم زوجُها فجعل ينشد عليهم ويقول : [من الرجز]

خلِّي الطريق فعل أم كاهل خلِّ طريــق البطل المنازلْ

فأفلت قيس من الوقعة ثم أَتى ظلاً وقد تعب ، فنام فيه وهو لا يَخشى أن يطلبه القوم ، فاتّبعوه فوجدوه ، فقاتلهم ، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل .

صوت

[من البسيط]

صَرَمْتِني ثـــم لا كلَّمتِنـــي أبـــداً إن كنت خنتُكِ في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتُكم ولا جَرَتْ خَطرةٌ منــه على بالي
فسوِّغيني المُنـــى كيما أعيشَ بها وأَمسكي البذلَ مـــا أُطلعتِ آمالي
أو عجِّلي تَلَفـــي إن كنـــتِ قاتلتي أو نوِّلينـــي بـــإحسان وإجمالِ

الشعر لابن قُنْبُر ، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وذكر إسحاق أنّه لسليم ولم يذكر طريقته .

[264] ـ أخبار ابن قُنْبُر ونسبه

[نسبه]

هو الحكم بن محمد بن قُنْبُر المازنيّ مازن بني عمرو بن تميم ، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان يهاجي مسلمَ بنَ الوليد الأنصاري مدّة ، ثم غلبه مسلم .

[مهاجاته مسلم بن الوليد]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصور بن جهْوَر قال : لمّا تَهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر ، أُمسكَ عنه مُسلم بعد أن بسط عليه لسانه ، فجاء مسلماً ابن عم له فقال : أيها الرجل ، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قاذعتَه ، وإمّا أن سالمتَه ؛ فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه ، وبين ذلك دعواتٌ يدعو بها ، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إيّاه ، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال : [من الكامل]

غَلَبَ ابن قُنْبر واللئيم مغلّب ... لمـا اتَّقَيْتَ هجـاءه بـدعاء

ما زال يقذف بالهجاء ولذعِهِ ... حتـى اتّقـوه بدعـوة الآباء

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر لِيبلغَ منّي هذا ، فأمسِك عنّي لسانك وتعرّف خبره بعد ، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلمٍ ما أُسكتَه .

أُخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبديّ القَسْريّ قال : رأيت مسلم بنَ الوليد والحَكَم بنَ قنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جمعة ، وكلّ واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدتَه : [من الطويل]

أنا النار في أحجارها مستكِنّة ... فإن كنتَ ممّن يقدِح النار فاقدِحِ

وتلاه ابن قنبُر فأنشد قوله : [من البسيط]

قد كدتَ تهوِي وما قوسي بموتَرةٍ ... فكيف ظنُّك بي والقوسُ في الوَتَرِ

فوثب مسلم وتواخزا وتَواثَبا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرّقا ، فقال رجل مسلم ، وكان يتعصّب له : وَيْحك ! أعَجزتَ عن الرجل حتى واثبته ؟ قال : أنا وإيّاه لكما قال الشاعر :

هنيئـاً مريئـاً أنت بالفُحْش أبصرُ

وكان ابن قُنبر مستعلياً عليه مدّة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مُناقَضتهما قولُ ابنِ قُنبر فيه : [من الطويل]

ومِـن عَجَـب الأشيـاء أنّ لمسلم إليّ نِزاعـاً في الهجـاء ومـا يدري
ووالله مـا قِيستْ عـليّ جُـدودُه لدى مَفخَر في الناس قوساً ولا شعري[1]

ولابن قُنبُر قولُه : [من الخفيف]

كيـف أهجـوكَ يـا لئيم بِشعْري أنـت عنـدي فاعلمْ هِجاءُ هجائي
يا دعـيَّ الأنصارِ بـل عبدَهـا النذ لَ تعرّضـتَ لي لـدَرْك الشقـاء

[إعجاب المأمون ببيتين له]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو توبة ، عن محمد بن جُبَير عن الحسين بن محرز المغنّي المَديني قال : دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد : [من الطويل]

صوت

فما أقصرَ اسمَ الحبّ يا وَيْحَ ذي الحبّ وأَعظـمَ بلواه على العاشق الصبِّ
يمـرّ بـه لفـظُ اللّسان مشمِّراً ويغرق من ساقاه في لُجَج الكربِ

فلمّا بصُر بي قال : تعال يا حسين ، فجئت ، فأنشدني البيتين ، ثم أعادهما عليّ حتى حفِظتُهما ، ثم قال : اصنَع فيهما لحْناً ، فإن أجدتَ سررتُك ، فخلوت وصنعتُ فيهما لحني المشهور ، وعُدتُ فغنّيته إيّاه ، فقال : أحسنت ، وشرِب عليه بقيّة يومه ، وأمر لي بألف دينار ، والشعر لحكم بن قُنبر .

[نسيبه]

أخبرني محمد بن الأزهر قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلاّم قال : أنشدني ابن قُنبر لنفسه : [من البسيط]

وَيْلِـي على مـن أطارَ النومَ وامتَنعا وزاد قلبـي على أوجاعِـهِ وَجَعا
ظبيٌ أغـرُّ تـرى في وجهه سُرُجاً تُعشي العيـونَ إذ مـا نورهُ سطعا

---

1 قوساً ولا شعري في ل : يوماً ولا الشعر .

كأنّما الشمس في أثوابه بزَغَتْ حُسنا ، أو البدرُ في أردانِه طلعا
فقد نسيتُ الكرى من طُول ما عطِلتْ منه الجفونُ وطارت مهجتي قِطَعا

[قيان يعرينه في الطريق]

قال ابن سلاّم : ثم قال ابن قُنبُر : لقيتني جوارٍ من جواري سليمانَ بن عليّ في الطريق الذي بين بين المِربَد وقَصْر أوس ، فقلن لي : أنت الذي تقول :

ويلي على مَن أطار النومَ وامتنعا

فقلتُ : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا ؟ ثم جعلن يجذبنني ويَلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي ، فرجعتُ عارياً إلى منزلي . قال : وكان حسنَ اللباس .

[تحفيظ شعره الصبيان]

أُخبرني محمد بن الحسين الكِنْدِيّ مؤدّبي قال : حدّثني علي بن محمد النُّوفلي قال : حدّثني عمِّي قال : دخل الحكم بن قُنبُر على عمِّي ، وكان صديقاً له ، فبَشّ به ورفع مجلسه ، وأظهر له الأنس والسرور ، ثم قال : أنشِدني أبياتَك التي أقسمتَ فيها بما في قلبك . فأنشده : [من الطويل]

وحقٌّ الذي في القلب منك فإنّه عظيم لقد حصّنت سرّك في صدري
ولكنّما أفشاه دمعي ، وربّما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهبْ لي ذنوب الدمع ، إنّي أظنّه بما منه يبدو إنّما يَبتغي ضرّي
ولو يَبتَغي نفعي لخلّى ضمائري يردّ على أسرار مكنونها ستري

فقال لي : يا بنيّ اكتبها واحفظْها ، وسأله أن يكتبنيها ففعل ، فحفظتُها يومئذٍ وأنا غلام .

[مبالغة في اليمين]

أُخبرني اليزيديّ قال : أخبرني عمِّي عن ابن سلاّم ، وأُخبرني به أحمد بن العبّاس العسكري عن العنبري عن محمد بن سلام قال : أُنشدني ابن قُنبُر لنفسه قوله : [من البسيط]

صرمْتِني ثم لا كلّمتِني أبداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرتْ خَطرة منه على بالي

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

قال اليزيدي : قال عمّي وهو الذي يقول (وفيه غناء) : [من المديد]

صوت

ليس فيهما ما يقال له ... كملتْ لو أنّ ذا كَمَلا
كلّ جزء من محاسنها ... كائنٌ في فضله مَثَلا
لو تمنّت في مَلاحتِها ... لم تجد من نفسها بَدَلا

فيه لحنٌ لابن القصّار رَمَل .

[أبيات تنسب له وللعتابيّ]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرُويَه قال : قال لي إبراهيم بن المدبِّر : أتعرف الذي يقول : [من السريع]

إن كنتَ لا تَرهبُ ذَمّي لما ... تَعرف من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتي فَطِنا مُنصِتا ... فيك لتحسين خنا القائلِ
مقالةُ السّوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ... ذمُّوه بالحَقّ وبالباطلِ

فقلت : هذه للعتّابيّ ، فقال : ما أنشدتُها إلاّ لابن قُنبُر ، فقلت له : من شاء منهما فليقُلْها ، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة : [من الطويل]

وإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ... سكتّ له حتى يلجَّ ويستشري

[أخلاق قريش]

أُخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مهرويَه قال : حدَّثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال : أطعَمَ رجل من وَلَد عبد الله بن كُرَيز صديقاً له ضيعة ، فمكثتْ في يده مدّة ، ثم مات الكُرَيزيّ ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إيّاها ، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن ، فقيل له : ألا تستحي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت ، وإن كنت صادقاً فإنّما تريد أن تنقض مكرُمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزي ، وكان ساقطاً : الشحيح أعظم من الظالم أعزّك الله ، فقال له عبيد الله بن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهمّارددْ على قريش أخطارَها ، ثم أقبَلَ علينا فقال : لله دَرّ الحكم بن قُنبُر حيث يقول : [من الوافر]

إذا القُرَشيّ لم يُشبِه قريشاً ... بفعلهم الذي بَذَّ الفعالا
فجَرْميٌّ له خُلقٌ جميل ... لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

[تمثل الرشيد بشعره]

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزِيّ قال : حدَّثنا مسعود بن بشر قال : شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أنّ ربيعة الرَّقِّيّ هجاه فقال له : قد سمعتُ ما كان مَدَحك به ، وعرفتُ ثوابَك إيّاه ، وما قال في ذمّك بعد ذلك ، فما وجدتُه ظلمك به ، ولله درّ ابن قنبر حيث قال : [من السريع]

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

وبعد ، فقد اشتريتُ عِرضَك منه ، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً .

[مرض موته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : مرض ابن قُنبر فأتَوه بخصيب الطبيب يعالجه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتَوْني بخَصيبِ
ليس والله خصيبٌ لِلّذي بي بطبيبِ
إنّما يَعرِف دائي من به مِثل الذي بي

قال : وكان خصيب عالِماً بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالِينوس أنّ صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعِشْ ، فقيل له : إنّ جالِينوس ربّما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خطئه أحوَج منّي إليه في هذا الوقت . قال : ومات من علّته .

صوت

[من الطويل]

خليليَّ من سعد أَلِمّا فسلِّما على مريمٍ ، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلما[1]

الشعر للأسود بن عمارة النوفليّ ، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى .

1 فنعلما في ل : فيعلما .

[265] ـ أخبار الأسود ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ ، عن الزُّبير بن بكّار ، عن عمّه ، الأسود بن عمارة بن الوليد بن عديّ بن الخِيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان الأسود شاعراً أيضاً ، من مخضرمي الدولتين .

[شعر عمارة أبي الأسود]

قال الزُّبير ، فيما حدَّثنا به شيخانا المذكوران عنه : وحدَّثني عمِّي قال : كان عمارة بن الوليد النَّوفليّ أبو الأسود بن عمارة شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الخفيف]

صوت

تلك هنــدٌ تُصدُّ للبَيْن صدّاً   أدلالاً أم هنــدُ تهجُـرُ جدّا
أَم لِتَنْكا بــه قُروحَ فؤادي   أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا
قد براني وشفَّني الوجدُ حتى   صرتُ ممّا أُلقى عظاماً وجِلدا
أيّها الناصح الأمـين رسولاً   قل لهندٍ عنّي إذا جئتَ هندا
عَلِم الله أن قــد آوتيتِ منّي   غيرَ مَـنٍّ بذاك نصحاً وودّا
مــا تقرّبــتُ بالصفاء لأدنو   منكِ إلاّ نأيتِ وازددتِ بعدا

الغناء لعَبادِل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفي كتاب حَكَمَ : الغناء له خفيف رمل ، وفي كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنّس ، وفيه ليحيى المكّي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل .

[ولايته بيت المال]

قال الزُّبير : قال عمِّي : من لا يعلم يروي هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفليّ ، قال : وكان الأسود يتولّى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل : [من الطويل]

خليليَّ مــن سعدٍ أَلِمَّا فسلِّما   على مريم ، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

[شعره في محمد بن عبد الله بن كثير]

قال : وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَير بن الصَّلْت : [من الطويل]

ذكرناك شُرْطيّاً فأصبحت قاضياً وصرت أميراً ، أبشري يا لقحطانُ
أرى نَزَواتٍ بينهنّ تفاوتٌ وللدَّهر أحداث وذا حَدَثانُ
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعي لكلّ أُناس دولة وزمانُ[1]

قال : وإنّما خاطب بني عمرو بن عوف هاهنا لأن الكثيريّ كان تزوّج إليهم ، وإنّما قال : «أبشري قحطان» لأنّ كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

[عشقه مريم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني علي بن سليمان النوفليّ أحد بني نوفل بن عبد مناف قال : كان أبي يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة ، ويقال للجارية مريم ، فغاب غَيبة إلى الشام ، ثم قدِم فنزل في طرف المدينة ، وحمل متاعه على حمّالين ، وأقبل يريد منزلَه ، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم ، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قابضة على ذراعها ، وعيناها تدمَعان ، فساءلها وساءلَتْه ، فقال للعجوز : ما هذه المصيبة التي أُصبتِ بها ؟ قالت : لم أُصِب بشيء إلاّ مَبيعي مريم ، قال : وممّن بعتها ؟ قالت : من رجل من أهل العراق ، وهو على الخروج ، وإنّما ذهبتُ بها حتى ودَّعَتْ أهلَها ، فهي تبكي من أجل ذلك ، وأنا أبكي من أجل فراقها ، قال : الساعةَ تخرج ؟ قالت : نعم الساعة تخرج ، فبقي متبلِّداً حائراً ، ثم أرسَل عينيه يبكي ، وودَّع مريمَ وانصرف ، وقال قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

خليليّ من سعد أَلِمّا فسلِّما على مريمٍ ، لا يُبعِد الله مريَما
وقُولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلَما[2]

قال : وهي طويلة ؛ وقد غنّى بعضُ أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زَيانبيّا[3] . هكذا قال ابن عمّار في خبره .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويَه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو العبّاس أحمد بن مالك اليماميّ ، عن عبد الله بن محمد

1 اربعي : انتظري .
2 فنعلما في ل : فيعلما .
3 الزيانب : أصوات يونس الكاتب السبعة في شعر ابن رهيمة في زينب بنت عكرمة .

البواب قال : سألَت الخيزرانُ موسى الهادي أن يولي خاله الغِطريف اليَمَن ، فوعدها بذلك ودافعَها به ، ثم كتبتْ إليه يوماً رُقعةً تتنجّزه فيها أمرَه ، فوجّه إليها برسولها يقول : خيِّريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامي عليها ولا أولِّيه اليمن ، فأيَّهما اختار فعلته ، فدخل الرسول إليها ، ولم يكن فهم عنه ما قال ، فأخبرها بغيره ، ثم خرج إليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلّق ابنته وولاّه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصياح من داره ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك ، قال : أو لم تخترْ ذلك ! قالوا : لا ، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدَّى غيرَه ، وعجلت بطلاقها ، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال له : أقمْ على رأس كل رجل بحضرتي من النُّدماء رجلاً بسيف ، فمن لم يطلّق امرأته منهم فليضرب عنقه ، ففعل ذلك ، ولم يبرح من حضرته أحد إلاّ وقد طلّق امرأته ، قال ابن البواب : وخرج الخدم إليّ فأخبَروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفِّع بطَيْلَسانه يراوح بين رجليه ، فخطر ببالي : [من الطويل]

خليليَّ مـن سعد ألِمّا فسلّما   على مريم ، لا يُبعِد اللهُ مَريما
وقُولا لهـا : هذا الفراق عزمتِه   فهل مـن نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء ، فقال لي : فنعلما بالنون ، فقلت له : فما الفرق بينهما ؟ فقال : إنّ المعاني تُحسِّن الشعر وتفسده ، وإنّما قال : «فنعلما» ليعلم هو القصّة ، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سرّه ، فقلت : أنا أُعلم بالشعر منك ، قال : فلمن هو ؟ قلت : للأسود بن عمارة النوفليّ . قال : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : فأنا هو ، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إيّاه ، ثم عرّفته خبرَ الخليفة فيما فعله ، فقال : أحسن الله عزاءك ، وانصرف وهو يقول : «هذا أحقّ منزل بتَرْكٍ»[1] .

[شرطي صار قاضياً وأميراً]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرْطة المدينة ، ثم ولِي القضاء ، ثم ولاّه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصَّمد بن علي ، فقال الأسود بن عمارة : [من الطويل]

ذكرتك شُرْطيّاً فأصبحت قاضياً   فصرتَ أميراً ، أبشِري يا لقَحْطانُ[2]
أرى نَـزَواتٍ بينهـنّ تفـاوُتٌ   وللدهـر أحـداث وذا حَـدَثانُ

---

1 المثل : «هذا أحقّ منزل بترك» في مجمع الميدانيّ 2 : 387 ومستقصى الزمخشري 2 : 384 .

2 ذكرتك في ل : حضرتك .

أَرى حَدَثـاً مِيطـانُ منقطِعٌ له ومنقطـع مِـن بعـده وَرِقانُ[1]
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعِي لكـلّ أُنـاس دولـةٌ وزمـانُ

صوت

[من الخفيف]

هل لدهر قـد مضى من مَعادِ أو لهـمٍّ داخـلٍ مـن نَفادِ
أذكرتْـني عِيشةً قـد تولَّت هاتفاتٌ نُحْـنَ في بطن وادي
هِجْنَ لي شوقـاً وألهبْنَ ناراً للهـوى في مستَقَـرِّ الفؤادِ
بـان أحبابي وغُودرتُ فَرداً نُصْبَ مـا سَرَّ عيونَ الأَعادي

الشعر لعلي بن الخليل ، والغناء لمحمد الرف ، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة .

1 ميطان وورقان : جبلان .

[266] ـ أخبار عليّ بن الخليل

[نسبه]

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيبانيّ ، ويكنى أبا الحسن ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه ، فاتُّهم بالزّندقة ، وأُخِذ مع صالح ثم أُطلِق لمّا انكشف أمره .

[الرشيد يؤمنه ويجيزه]

قال محمد بن داود بن الجراح : حدَّثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطّاب عن الرشيد ، أنّه جلس بالرافِقة للمظالم ، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكىء على عصا ، وعليه ثياب نظاف ، وهو جميل الوجه حسن الثياب ، في يده قصّة ، فلمّا رآه أمر بأخذ[1] قصّته ، فقال له يا أمير المؤمنين : أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت . قال : اقرأها ، فاندفع ينشده فيها قصيدته : [من الكامل]

يا خير مــن وَخَدَت بأَرْحُلِه ... نُجُبُ الرِّكاب بمَهْمَهٍ جَلْسِ[2]

حتى أتى عليها ، فاستحسنها الرشيد وقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا عليّ بن الخليل الذي يقال فيه أنّه زنديق ، فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخُصّ به بعد ذلك وأكثر مدحه .

أُخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال[3] : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ، وكان علي بن الخليل أستاذ أبي نواس في الشعر ، فأنشده علي بن الخليل : [من الكامل]

يــا خير من وخدَتْ بأَرحُلِه ... نُجُبٌ تخُــبُّ بمَهْمَهٍ جَلْسِ

تَطوي السباسِبَ في أزمَّتهـا ... طَـيَّ التِّجـار عمائمَ البُرْسِ

لمـا رأتك الشمسُ إذ طلعتْ ... كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمسِ

خير البريّـة أنـت كلِّهــمُ ... في يومـك الغادي وفي أمسِ

1 بأخذ في ل : بإحضاره وأخذ .

2 وخد : أسرع في السير . والمهمه الجلس : المفازة الغليظة الأرض .

3 قارن بأمالي المرتضى 1 : 146–147 .

وكذاك لـــن تنفكَّ خيرَهُــمُ تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي
لله مـــا هـــارون من مَلِك بَـــرٍّ السريرة طاهِـــر النفس
ملـــك عليـــه لربِّـــه نِعَـــمٌ تـــزداد جِدَّتُهـــا على اللُّبس
تَحكـــي خلافتُـــه ببهجتها أَنَـــقَ السرور صبيحَـــةَ العُرْس
مـــن عِترةٍ طابـــت أُرومتُهُم أَهلِ العفاف ومنتهى القُدس[1]
نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم وعن السفاهـــة والخنا خُرُس
إنّي إليك لجأتُ مـــن هربٍ قـــد كان شرَّدني ومن لَبس[2]
واخترتُ حكمَك لا أجاوزُه حتى أوسَّدَ في ثَـــرى رَمْسي
لمـــا استخرتُ الله في مَهَـــلٍ يَمَّمتُ نحـــوَك رحلـــةَ العَنْس
كم قـــد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً ليـــلاً بَهيمَ اللَّـــونِ كالنِّقس[3]
إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ كان التوكّل عنـــده تُرسي
مـــا ذاك إلاّ أنّني رجـــلٌ أصبـــو إلى بَقَـــر مـــن الإنس
بقـــر أوانسَ لا قُـــرونَ لها نُجْـــلِ العيـــون نواعـــمٍ لُعْس
رَدْعُ العَبير عـــلى ترائبهـــا يُقبلْـــن بالترحيبِ والخلْس[4]
وأُشاهـــد الفتيـــان بينهـــمُ صفراءُ عنـــد المَزْج كالوَرْس
للمـــاء في حافاتهـــا حَبَـــبٌ نُظُم كرَقْم صحائف الفُرس
والله يعلـــــم في بقيتـــــه ما إن أضعْتُ إقامةَ الخَمْس[5]

فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس[6] ، واحتج عليه في أنّه لا يقبل له توبة بقوله : [من السريع]

والشيخ لا يتـــرك أخلاقـــه حتى يُـــوارى في ثـــرى رَمْسِه

وقال : إنّما زعمت أنّك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً .

1 أهل في ل : أصل .
2 هرب في ل : ريب .
3 النقس : المداد .
4 ردع العبير : أثره . والخلس : النظر خلسة .
5 بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه .
6 قتل صالح بن عبد القدوس على يد المهديّ سنة 167هـ ، فيبدو أن الأمر اختلط على أبي الفرج .

[شعره في يعقوب بن داود وابن علاثة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أحمد بن زهير بن حرب ، قال : كان عافيةُ بن يزيد يصحب ابنَ عُلاثة[1] ، فأدخله على المهديّ ، فاستقضاه معه بعسكر المهديّ وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله[2] كذلك ، أدخله إلى المهديّ ليعرض عليه ، فغلب عليه ، فقال علي بن الخليل في ذلك : [من مجزوء الكامل]

عجباً لتصريف الأمو ر مسرّةً وكراهيَهْ
رَثَّتْ ليعقوبَ بن دا ودِ حبالُ معاويَهْ
وعدت على ابن عُلاثة الـ ـقاضي بوائقُ عافيَهْ
أدخلتَه فَعلا عليـ ـك كذاك شؤمُ الناصيَهْ
وأخذتَ حتفكَ جاهداً بيمينك المتراخيَهْ
يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظرُ ناحيَهْ

[محمد بن الجهم ينشد المأمون أبياتاً فيُوَلّيه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عمرو بن فراس الذُّهْليّ عن أبيه قال : قال لي محمد بن الجَهْم البرمكيّ : قال لي المأمون يوماً : يا محمد ، أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاخراً عربيّاً لمحدَث حتى أولّيَكَ كُورةً تختارها . قال قلت : قول علي بن الخليل : [من الكامل]

فمع السماء فروعُ نَبْعتهم ومع الحضيض مَنابِتُ الغَرْسِ
متهلّلين على أسِرَّتهم ولدى الهِياج مَصاعب شُمْسِ[3]

فقال : أحسنت ، وقد ولّيتك الدِّينَوَر ، فأنشِدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الكامل]

قَبُحتْ مناظِرُهم فحين خَبَرتهم حسُنت مناظرُهم لقُبح المَخبَرِ[4]

1 عافية بن يزيد الأودي ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابيّ استقضاهما المهديّ سنة 161هـ ، فكانا يقضيان في عسكره .

2 يعقوب بن داود : وزير المهديّ بعد أن عزل أبا عبيد الله معاوية بن يسار ، ومن بعد ما عزل المهديّ يعقوب ونكبه .

3 المصعب : الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يركب .

4 هذا البيت والذي يليه لمسلم بن الوليد .

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك هَمَذان[1] ، فأنشِدني مَرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أُخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الطويل]

أرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه فطِيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك نَهاوَند ، فأنشِدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أُخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الطويل]

تعالَيْ نجدِّد دارس العِلم بيننا كلانا على طـول البعاد مَلُومُ

فقال : قد أحسنت ، قد جعلت الخيار إليك فاختر ، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز ، فولاّني ذلك أجمع ، ووجّهت إلى السوس بعض أهلي .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن التَّوَّزيّ قال : نزل أبو دُلامة بدِهقان يُكنى أبا بِشْر ، فسقاه شراباً أعجبه ، فقال في ذلك : [من الطويل]

سقاني أبو بشر من الراح شَربةً لهـا لـذَّةٌ مـا ذُقتها لشرابِ

ومـا طبخوها غير أنّ غلامهمْ سعى في نواحي كرمها بشِهابِ

قال : فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال : أحرقه العبد أحرقه الله .

[تهنئته بمولود]

أخبرني الحسن بن عليّ ، وعمّي الحسن بن محمد ، قالا : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثني محمد بن عمران الضَّبِّيّ عن عليّ بن يزيد قال ، ولد ليزيد بن مَزْيَد ابنٌ ، فأتاه عليّ بن الخليل فقال : اسمع أيّها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد ، فتبسّم وقال : هاتِ ، فأنشده : [من السريع]

يزيدُ يـا ابن الصِّيد من وائلٍ أهـلِ الرياسات وأهـلِ المعالْ

يـا خير مـن أنجبَـه والد لِيَهنِـك الفارسُ ليـث النزالْ

جاءت بـه غَـرّاءُ ميمونـة والسعد يبدو في طلوع الهلالْ[2]

عليه مـن مَعْنٍ ومـن وائلٍ سِيما تباشيرٍ وسيمـا جَلالْ

والله يُبقيـه لنـا سيّـداً مدافِعـاً عنّـا صُروفَ الليـالْ

حتـى نـراه قـد عـلا مِنبراً وفـاض في سؤّالـه بالنوالْ

وسَدَّ ثَغْـراً فكفـى شرّه وقـارَعَ الأبطالَ تحـت العَوالْ

1 ل : نهاوند .

2 ل : قد أوفى طلوع .

كما كفانـــا ذاك آبـــاؤه فَيحتذِي أفعالَهـــمْ عـن مِثالْ

فأمر له عن كل بيت بألف دينار[1] .

[توبته عن شرب الخمر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني ابن الأعرابيّ المنجِّم الشيبانيّ ، عن عليّ بن عمرو الأنصاريّ ، قال : دخل علي بن الخليل على المهديّ فقال له : يا عليّ ، أنت على معاقَرتك الخمر وشربِك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : تبت منها . قال : فأين قولك ؟ : [من المديد]

أُولِعـــتْ نفسي بلذّتهـا مـا ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك ؟ : [من الوافر]

إذا مـــا كنتَ شارِبَها فسِرّاً ودع قولَ العواذل واللَّواحِي[2]

قال : هذا شيء قلتُه في شبابي ، وأنا القائل بعد ذلك : [من الوافر]

على اللــذات والراحِ السلامُ تقضَّى العهـدُ وانقطـع الذِّمامُ
مضى عهد الصِّبا وخرجتُ منه كما مِـن غِمده خـرج الحسامُ
وقُرتُ على المَشيبِ فليس منّي وصالُ الغانيــات ولا المُـدامُ
ووَلّى اللهــوُ والقَيْناتُ عنّي كما ولّـى عـن الصبح الظلامُ
حلبْتُ الدهـرَ أَشطُرَه فعندي لصَرف الدهـرِ محمودٌ وذامُ[3]

[عند معن بن زائدة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرون ، عن عليّ بن عبيدة الشيبانيّ ، دخل عليّ بن الخليل ذاتَ يوم إلى معن بن زائدة فحادَثه وناشَده ، ثم قال له معن : هل لك في الطعام ؟ قال : إذا نشِط الأمير ، فأُتيا بالطعام ، فأَكلا ، ثم قال : هل لك في الشراب ؟ قال : إن سقيتَني ما أريد شربتُ ، وإن سَقَيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه ، فضحِك ثم قال : قد عرفت الذي تريد ، وأنا أسقيك منه ثم أَمر فأُتي بشراب عتيق ، فلمّا شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول : [من الكامل]

---

1 ل : درهم .

2 اللواحي : جمع لاحية ، وهي اللائمة .

3 المثل «حلب الدهر أشطره» في مجمع الميداني 1 : 195 ومستقصى الزمخشري 2 : 640 وجمهرة العسكري 1 : 346 ، ومعناه أنّه اختبر حالات الدهر : خيره وشرّه . الذام : الذم .

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحي ... ببارد السِّلسال والراحِ
قد دارت الكأسُ برَقْراقةٍ ... حياةِ أبدانٍ وأرواحِ
تجري على أغيَدَ ذي رَونقٍ ... مهذَّب الأخلاقِ جَحْجاحِ[1]
ليس بفحّاش على صاحب ... ولا على الرّاح بفضّاحِ
تسرّه الكأسُ إذا أقبلت ... بريح أُترُجٍّ وتُفّاحِ
يَسعى بها أزهَرُ في قُرْطَق ... مقلَّد الجيد بأوضاحِ[2]
كأنّها الزّهرة في كفّه ... أو شُعلة من ضوء مصباحِ

[هجاء الدهقان الدعي]

حدَّثنا عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان لعليّ بن الخليل الكوفيّ صديق من الدَّهاقين يعاشره ويبَرّه ، فغاب عنه غيبة طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعة ، وقويتْ حالُه ، فادعى أنّه من بني تميم ، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذَن له ، ولقيه فلم يسلِّم عليه ، فقال يهجوه : [من الهزج]

يَروح بِنِسبة المَوْلى ... ويصبح يَدَّعي العَرَبا
فلا هذا ولا هذا ... ك يدركُه إذا طَلَبا
أتيناه بشَبُّوطٍ ... ترى في ظهره حَدَبا[3]
فقال : أمَا لبخلك من ... طعامٍ يُذهب السَّغَبا[4]
فصد لأخيك يَرْبوعاً ... وضَبّاً واترك اللعبا
فَرشتُ له قَريح المسـ ... ـك والنِّسرينَ والغَرَبا[5]
فأمسَكَ أنفَه عنها ... وقام مولِّياً هَربا
يشمُّ الشِّيحَ والقَيْصو ... مَ كي يستوجبَ النسبا
وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تَنظِم الحبَبا
معتَّقةٍ مروَّقةٍ ... تسلّي همَّ مَن شَرِبا

1 الجحجاح : السيد .
2 القرطق : لباس يشبه القباء . والأوضاح : حلي من الفضة .
3 الشبوط : ضرب من السمك .
4 السغب : الجوع .
5 قريح المسك : خالصه . والنسرين : زهر . والغرب : نوع من الشجر .

فـــآلى لا يُسَلْسلهـــا وقال اصبُبْ لنـا حَلَبا[1]
وقـــد أبصرتُه دهـــراً طويـلاً يشتهـــي الأدبا
فصار تشبُّهـــاً بالقـــو م جِلفـــاً جافِيـاً جَشِبا[2]
إذا ذُكِـر البَريـــرُ بكى وأبـدى الشوقَ والطَّربا[3]
وليس ضميرُه في القـو م إلاّ التِّـــينَ والعنبا
جحدتَ أبـــاك نسبتَه وأرجـــو أن تفيـــد أبا
أراك رغبت عـن كسرى ومـــا عـن مثلهـــم رُغبا

قال عليّ بن سليمان : وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعليّ بن الخليل في هذا الذكر ، وذكر ثعلب أنّ إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعليّ ، قال : [من السريع]

يـا أيّها الرّاغب عن أصله مـا كنتَ في موضعِ تهجينِ[4]
متـى تعرَّبـــتَ وكنـت امرءاً مـــن المـوالي صالحَ الدِّينِ
لـو كنتَ إذ صرتَ إلى دِعوة فزتَ مـــن القـوم بتمكينِ[5]
لكَفَّ من وجدي ، ولكنّني أراك بـــين الضَّبِّ والنُّـونِ
فلـــو تـــراه صارفـــاً أنفَـه مـــن ريح خِيريٍّ ونسرينِ[6]
لقلتَ : جِلفٌ من بنـي دارمٍ حَـــنَّ إلى الشِّيـحِ بِيَبْرِينِ
دُعْموصُ رمل زَلَّ عن صخرةٍ يعـــاف أرواحَ البساتـينِ[7]
تنبـو عـــن الفاقـم أعطافُـه والخَـــزِّ والسِّنجابِ واللِّينِ[8]

[النظر الجميل والنظر الملح]

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً ، قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

1 الحلب : اللبن المحلوب .
2 الجشب : الخشن الغليظ .
3 البرير : ثمر الأراك .
4 تهجين : تقبيح .
5 دِعوة : ادّعاء النسب .
6 الخيري : المنثور الأصفر .
7 دعموص : دويبة صغيرة .
8 السنجاب : فرو السنجاب .

كان عليّ بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور ، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَولاة المهديّ ، فمرّت به عُتبة في موكِبها والجارية معها ، فوقفتْ عليه وسلّمتْ ، وسألت عن خبره ، فلم يوفِّها حقَّ الجواب ، لشغل قلبه بالجارية ، فلمّا انصرفتْ أقبل عليه عليّ بن الخليل ، فقال له : [من مجزوء الكامل]

راقِب بطَرْفك مَن تخا ... ف إذا نظرت إلى الخليلِ
فـإذا أمِنـتَ لِحاظَهمْ ... فعليـك بالنظـر الجميلِ
إنّ العيـون تَـدُلّ بالـ ... ـنظر الملـحّ على الدَّخيلِ
إمّـا عـلى حـبٍّ شديـ ... ـدٍ أو على بُغض أصيلِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة قال : كان عليّ بن الخليل يَصحَب بعض ولد جعفر بن المنصور ، فكتب إليه والبةُ بنُ الحُباب يدعوه ، ويسأله ألاّ يشتغل بالهاشميّ يومَه ذلك عنه ، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءٍ حصّله وغلاماً دعاه ، فكتب إليه عليّ بن الخليل : [من مجزوء الوافر]

أمـا ولحـاظِ جاريـة ... تُذيـب حُشاشة المُهَـجِ
وسحر جفونهـا المُضْنيـ ... ـك بين الفَقْر والدَّعَجِ[1]
مليحـةُ كلِّ شيء مـا ... خلا مـن خُلْقها السَّمِجِ
وحُرْمـةِ دَنِّـك المبزو ... لِ والصهباءِ منـه تَجي[2]
كأنّ مجيئهـا في الكأ ... س حين تُصَبُّ من وَدَجِ[3]
لـو انعـرج الأنـام إلى ... بشاشة مجلسٍ بَهِـجِ
وكنـت بجانب جـدْبٍ ... لكان إليـك مُنعَرجي

وصار إليه في إثر الرقعة .

1 الدعج : سواد العين مع سعتها .
2 المبزول : المثقوب .
3 الودج : وريد في العنق .

[267] ـ أخبار محمد الزَّفّ

[نسبه وبعض صنعاته]

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم ، كوفيّ الأصل والمولد والمنشأ ؛ والزّف : لقب غلب عليه ، وكان مغنّياً ضارباً طيّب المسموع ، صالح[1] الصنعة ، مليح النادرة ، أسرع خلق الله أخذاً للغناء ، وأصحّهم أداء له ، وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرّتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين مَن أخذه عنه فرق ، وكان يتعصّب على ابن جامع ، ويميل إلى إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، فكانا يرفعان منه يقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء ، وكانت فيه عربدة إذا سكر ، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه ، ومنعه من الوصول إليه ، وجفاه وتناساه ، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين .

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّي المرتجِل .

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد : [من الطويل]

صوت

جَسورٌ على هجري ، جبانٌ عن الوصل — كَذوب غـدا يستتبع الوعد بالمطلِ
مقـدِّم رِجـل في الوصال مؤخِّـر — لأخرى ، يشوب الجِدّ في ذاك بالهزلِ
يهمّ بنـا حتـى إذا قلتُ قـد دنـا — وجاد ثَنـى عِطفاً ومـال إلى البخلِ
يزيد امتناعـاً كلّما زِدتُ صبـوةً — وأزداد حرصـاً كلّمـا ضنّ بالبذلِ

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمداً الزَّفّ ، وفطن لما أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرّتين أو ثلاثاً ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزفّ وجاءني ، وأومأت إلى مخارِق وعلّويَه وعقيد فجاءوني ، فأمرته بإعادة الصوت ، فأعاده وأدّاه كأنّه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرّره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت إلى المجلس ، فلمّا انتهى الدَّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته ، فنظر إليّ ابن جامع محدِّداً نظره ، وأقبل عليّ

1 صالح في ل : صحيح .

الرشيد فقال : أكنت تروي هذا الصوت ؟ فقلت : نعم يا سيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ، ما أخذه إلاّ منّي الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديماً ، وما فيمن حضر أحد إلاّ وقد أخذه منّي ، وأقبلت عليه ، فغنّاه علّويه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أنه لحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل عليّ فقال : بحياتي اصدقني عن القصة ، فصدَقتُه ، فجعل يضحك ويصفّق ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامعٍ الزّفّ .

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ وغيره .

[قوة حفظه وبراعته]

قال أبو الفرج : وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه : كان محمد الزّفّ أروى خلق الله للغناء ، وأسرعَهم أخذاً لما سمعته منه ، ليست عليه في ذلك كلفة ، وإنّما يسمع الصوت مرّة واحدة وقد أخذه ، وكنّا معه في بلاء إذا حضر ، فكان من غنّى منّا صوتاً فسأله عدوٌّ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إيّاه ، سأل محمداً الزّفّ أن يأخذه ، فما هو إلاّ أن يسمعه مرّة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبي يَبرّه ويصله ويُجدِيه[1] من كل جائزة وفائدة تصل إليه ، فكان جانبنا عنده حِمى مصونا لا يقربه ، ولم يكن طيّب المسموع ، ولكنّه كان أطيب الناس نادرةً ، وأملَحهم مجلساً ، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلاّ وضع عينه عليه ، وأصغى سمعَه إليه ، حتى يحكيه ، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد ، فغنّى يوماً بحضرة الرشيد : [من الخفيف]

صوت

أرسلت تُقرىء السلامَ الرَّبابُ ... في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيه : لو زُرتَنا لزرناك ليلاً ... بمِنًى حيث تستقلّ الركابُ
فأجبتُ الرَّباب : قد زرت لكن ... ليَ منكم دون الحجاب حجابُ
إنّما دهرك العتاب وذمّي ... ليس يُبقي على المحبّ عتابُ

ولحنه من الثقيل الأوّل : فأحسن فيه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزّفّ فغمزتُه وقمت إلى الخلاء ، فإذا هو قد جاءني ، فقلت له : أي شيء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منه ، قلت : هاته ، فردّه

1 يجديه : يعطيه .

عليّ ثلاثَ مرّات ، وأخذتُه وعدت إلى مجلسي ، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً ، فقاما ، وتَبِعَهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلمّا عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه ، فعرّفاني أنّهما قد أخذاه ، فلمّا بلغ الدَّور إليّ كان الصوت أوّل شيء غنّيته ، فحدّد الرشيد نظره إليّ ، ومات ابن جامع وسُقِط في يده ، فقال لي الرشيد : من أين لك هذا ؟ قلت : أنا أرويه قديماً ، وقد أخذه عنّي مخارق وعقيد ، فقال : غنّياه . فغنّياه ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية ، ما سبق إليه ابن جامع أحد ، فنظر الرشيد إليّ ، فغمزْته بعيني أنّه صدق ، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه ، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر ، فصدّقته عنه وعن الزّفّ ، فجعل يضحك ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامع الزّفّ ، قال حمّاد ، وللزّفّ صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني : [من الكامل]

صوت

لَمن الظعائن سيرُهنّ تزحُّفُ ... عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مجذَفُ
مرّت بذي خُسُمٍ كأنّ حُمولَها ... نخل بيثربَ طلعها مُضَعَّفُ
فلئن أصابتْني الحروب لربّما ... أُدعى إذا مُنع الرِّدافُ فأردفُ
فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهَداً ... قلبُ الجبان به يَطيش فيرجُفُ

قال : ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة : [من الطويل]

صوت

إذا شئت غنّتني بأجراع بِيشةٍ ... أو النخل من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَما
مطوَّقةٌ طَوْقاً وليس بِحلْيةٍ ... ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه دِرهما
تُبكّي على فرخٍ لها ثم تَغتدِي ... مدلَّهةً تَبغي له الدهرَ مَطعَما
تؤمِّل منه مؤنساً لانفرادها ... وتبكي عليه إن زَقا أو ترنَّما[1]

ومن صنعته في هذه الطريقة : [من مخلع البسيط]

صوت

يا زائرَيْنا من الخيامِ ... حيّاكما الله بالسلامِ
يَحزُنني أن أطعَماني ... ولَم تَنالا سوى الكلامِ

---

1 زقا : صاح .

بُورِكَ هـــارونُ من إمامٍ بطاعة الله ذي اعتصامِ
له إلى ذي الجلال قُربى ليست لعـدل ولا إمامِ

وله في هذه الطريقة : [من البسيط]

صوت

بان الحبيبُ فلاحَ الشَّيبُ في رأسي وبتُّ منفرداً وحـدي بِوَسْواسِ
ماذا لقيتُ فدتـكِ النفسُ بعدَكم مـن التبـرّم بالدُّنيـا وبالناسِ
لو كان شيء يسلي النفسَ عن شَجَن سلّت فؤاديَ عنكم لذّةُ الكاسِ

[شعر لأبي الشبل البرجميّ]

صوت

[من مجزوء الرمل]

بأبي رِيـمٌ رَمـى قلـ ـبـي بألحـاظٍ مِراضِ
وحَمَى عينِيَ أن تلـ ـتذَّ طِيبَ الإغتماضِ
كلَّما رُمْـت انبساطا كـفَّ بَسْطي بانقباضِ
أو تعـالى أمـلي فيـ ـه رَمَـاهُ بانخفاضِ
فمتى ينتصفُ المظلـ ـلُوم والظالمُ قاضي

الشعر لأبي الشِّبْل البُرْجُميّ ، والغناء لعَثعث الأسودَ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ؛ ولِبُنان خفيف رمل .

[268] ـ أخبار أبي الشِّبل ونسبه[1]

[نسبه]

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدّب بالبصرة .

[مجونه واتصاله بالمتوكّل]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن الحسين الأعرابيّ .

وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى في أيّام المتوكّل ومدحه ، وكان طبّاً نادراً ، كثير الغزل ماجناً ، فنفَق عند المتوكّل بإيثاره العَبَث ، وخدمه ، وخُصَّ به ، فأثرى وأفاد ، فذكر لي عمِّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لمّا مدحه بقوله : [من مجزوء الرمل]

أقبِــلي فالخيرُ مقبِــلْ واتركـي قـولَ المعلِّلْ
وثِقــي بالنُّجح إذ أبـ ـصرت وجـه المتوكِّلْ
ملِكٌ يُنصِف يـا ظـا لمتـي فيــكِ ويَعْدلْ
فهُــو الغايــةُ والمــأ مـول يرجـوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكلّ بيت ، وكانت ثلاثين بيتاً ، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم .

[الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكّي رمل بالبنصر]

أخبرني يحيى بن علي ، عن أبي أيّوب المديني ، عن أحمد بن المكّي قال : غنّيتُ المتوكّل صوتاً شعرُه لأبي الشبل البُرْجُميّ وهو : [من مجزوء الرمل]

أقبِـلي فالخير مقبِـلْ ودعـي قـول المعلِّلْ

فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فقلت : يا سيّدي أسأل الله أن يبلّغك الهُنَيدة ، فسأل عنها الفتح فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أُخرى .

وحدَّثَنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن المكّي مثله .

[دعوة سكّر]

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشّبل عاصم بن وهب

1 ترجمة أبي الشبل في طبقات ابن المعتزّ : 379–380 ، ومعجم المرزباني ، واسمه فيه عُصْم بن وهب وسيرد هكذا في أبيات أحمد بن أبي النجم .

الشاعر ، وهو القائل :

أَقبِــلي فالخير مقبلْ ودعِي قــولَ المعلِّلْ

قال : كانت لي جارية اسمها سُكَّر ، فدخلتُ يوماً منزلي ولبستُ ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها ، فقالت : أَقِم اليومَ في دعوتي أَنا ، فأقمتُ وقلت : [من مجزوء الرمل]

أنــا في دعــوةِ سُكَّرْ والهــوى ليس بمنكَرْ
كيف صبري عن غزالٍ وجهُــه دلــو مُقَيَّرْ

فلمّا سَمِعَت الأوّل ضحكتْ وسُرّت ، فلمّا أنشدتُها البيتَ الثانيَ قامت إليّ تضربني وتقول لي : هذا البيت الأخير الذي فيه «دلوٌ» لِمالِكٍ ، لولا الفضول ؛ فما زالت ، يعلم الله ، تضربني حتى غُشي عليّ .

[يمدح ويذم مالك بن طوق]

وذكر ابن المعتزّ أنّ أبا الأغرّ الأسَدِيّ حدَّثه قال : مدح أبو الشبل مالكَ بن طَوْق بمدح عجيب ، وقدَّرَ منه أَلفَ درهم ، فبعث إليه صُرَّةً مختومة فيها مائة دينار ، فظنَّها دراهم ، فردّها وكتب معها قوله في رقعة : [من الطويل]

فليت الذي جادت به كفُّ مالكٍ ومالك مَدسوسان في اسْت أمِّ مالِكِ
فكان إلى يــوم القيامــة في استها فأيسَرُ مفقــودٍ وأيسَرُ هــالكِ

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز ، فلمّا قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : يا هذا ظلمتَنا واعتديتَ علينا ، فقال : قد قدَّرتُ عندَك أَلفَ درهم فوصلَتني بمائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أقلْني أيّها الأمير . قال : قد أَقلتُك ، ولك عندي كلّ ما تحبّ أبداً ما بقيتُ وقصدتني .

[الطبيب الأحمق]

حدَّثنا الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : قال لي أبو الشبل البُرْجُمِيّ : كان في جيراني طبيب أحمقُ ، فمات فرثيتُه فقلت : [من الخفيف]

قــد بكــاه بَولُ المريضِ بدمعٍ واكِفٍ فــوق مُقلتيــه ذَرُوفِ
ثــم شقَّت جيوبَهـن القواريــ ــرُ عليه ونُحْنَ نوحَ اللَّهيفِ[1]
يا كسادَ الخِيـار شَنْبَرَ والأقـ ـراصِ طرّاً ويا كسادَ السَّفوفِ

---

1 اللهيف : الملهوف .

كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا ء ضعيفٌ لم تَكترثْ بالضّعيفِ
لهفَ نفسي على صُنوفِ رَقاعا تِ تولّت منه وعقلٍ سخيفِ

[عبثه بخالد بن يزيد]

حدَّثنا الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أبو الشبل قال : إن خالد بن يزيد بن هُبَيرة كان جاراً لنجاح وكان يشرب النبيذ ، فكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لَهَب ، تغشانا معه ، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتُماني ، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يَستقي نبيذاً ، فإذا قميصه قد انشقّ ، فقلت فيه : [من البسيط]

قالت له لهبٌ يوماً وجادَلَها بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولِ
أمّا القميص فقد أودى الزمان به فليت شعري ما حال السراويلِ ؟

فبلغ الشعرُ أبا الجَهْم أحمد بن يوسف فقال : [من البسيط]

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة تَحكي طرائقُه نَسجَ الغرابيلِ
وتحته حفرة قَوْراء واسعة تسيل فيها مَيازيبُ الأحاليلِ

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة ، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع ، فقلت فيه : [من المنسرح]

في الحيّ مَن لا عدِمتُ خُلَّتَه فتًى إذا ما قطعتُه وَصَلا
له عجوز بالحَبْق أبصرُ مَنْ أبصرتَه ضارباً ومرتجِلا[1]
نادمتُها مرّةً وكنت فتًى ما زلتُ أهوى وأشتهي الغَزَلا
حتى إذا ما أمالَها سَكَرٌ يَبْعث في قلبها لها مَثَلا
اتّكأتْ يَسرةً وقد حَرَقتْ أشراجَها كي تقوِّم الرَّملا
فلَمْ تزلْ باستها تُطارِحني اسْمَعْ إلى مَن يَسومُني العِللا

[المازنيّ يذم شعره]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل قال : لما عَرَض لي الشعرُ أتيتُ جاراً لي نحوياً ، وأنا يومئذٍ حديث السنّ ، أظنّه قال إنّه المازنيّ ، فقلت له : إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاشَ صدرُه بشيء من الشعر ، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمعَه . قال : هاتِه ، وكنتُ قد قلت شعراً ليس بجيّد ، إنّما هو قول مبتدىء ، فأنشدته

1 الحبق : الضراط .

إيّاه ، فقال : مَن العاضُّ بَظْرَ أُمِّه القائلُ لهذا ؟ فقمت خجِلاً ، فقلت لأبي الشبل : فأي شيء قلت له أنت ؟ قال : قلت في نفسي : أعضَّك الله بَظْر أُمِّك ونهضت .

[بعض نوادره]

أخبرني عمِّي عن محمد بن المَرْزُبان بن الفيرزان قال : كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي ، وكان إذا حضر أضحك الثَّكلى بنوادره ، فقال له أبي يوماً : حدِّثنا ببعضِ نوادرِك وطرائفِك ؛ قال : نعم ، من طرائف أموري أنّ ابني زَنى بجارية سِنْدية لبعض جيراني ، فحبِلتْ وولدتْ ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين ديناراً ، فقال : يا أبتِ ، الصبيُّ واللهِ ابني ، فساومتُ به ، فقيل لي : خمسون ديناراً ، فقلت له : ويلَك ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ، ونربح الفضل بين الثَّمَنَين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريتُه من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانياً فولدتْ له ابناً آخر ، فجاءني يسألني أن أبتاعه ، فقلت له : عليك لعنة الله ، أيش يحملك على أن تُحبِل هذه ؟ فقال : يا أبتِ لا أستحبّ العَزْل ، وأقبل على جماعة عندي يعجِّبهم منِّي ، ويقول : شيخ كبير يأمرني بالعَزْل ويستحلّه ! فقلت له : يا ابن الزانية ، تستحلّ الزّنا وتتحرّج من العَزْل ! فضحكنا منه .

[مع خمار يهودي]

وقلت له : وأيّ شيء أيضاً ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهوديّ خمّار ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً ، فظنناه خمراً بنتَ عشر ، قد أنضجَها الهَجير ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا ، فقلت له : اشرب معنا ، قال : لا أستحلّ شُربَ الخمر ، فقال لي محمود : وَيْحك ! رأيت أعجب ممّا نحن فيه . يهوديّ يتحرّج من شرب الخمر ، ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت له : أجَلْ ، والله لا نُفلِح أبداً ، ولا يَعبأ الله بنا ، ثم شربْنا حتى سَكِرنا ، وقمنا في الليل فنكنا بنتَه وامرأتَه وأختَه ، وسرقْنا ثيابَه ، وخَرِينا في نقِيرات نبيذِ له وانصرفْنا .

[هجاء هبة الله بن إبراهيم]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : أخبرنا عون بن محمد الكِنْدِيّ ، قال : وقعتْ لأبي الشبل البُرْجُميّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يَقْضِها فهجاه ، فقال : [من الرمل]

صَلَـفٌ تندقُّ منـه الرقبهْ ومَساوٍ لم تُطِقْهـا الكَتَبَهْ
كلَّما بادَرَه بـدرٌ بمـا يشتهيه منه نادى يـا أَبَهْ
ليتـه كان التوى الفَرْجُ به لم يزد في هاشمٍ هذي هِبَهْ

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدراً ، وكان غالباً على أمره .

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال : قال رأى أبو الشبل إبراهيمَ بن

العبّاس يكتب ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

ينظِّــم اللؤلــؤ المنثــورَ مَنطقُه ... وينظِم الدرَّ بالأقلام في الكُتُبِ

[عبيد الله بن يحيى بن خاقان]

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل البرجميّ قال : حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان إليّ محسناً ، وعليّ مُفضِلاً ، فجرى ذكرُ البرامكة ، فوصَفَهم الناس بالجود ، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثَروا ، فقمتُ في وسط المجلس ، فقلت لعبيد الله : أيّها الوزير ، إنّي قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتَيْ شعر لا يقدر أحد أن يردّه عليّ ، وإنّما جعلته شعراً ليدور ويَبقى ، فيأذن الوزير في إنشادهما قال : قل ، فرُبَّ صوابٍ قد قلتَه ، فقلت : [من الطويل]

رأيــتُ عبيدَ الله أفضــلَ سُؤدَداً ... وأكرمَ مِن فضلٍ ويحيى بنِ خالدِ

أولئــك جادوا والزّمــانُ مُساعِدٌ ... وقد جــاد ذا والدَّهرُ غيرُ مُساعدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظَهر السرور فيه ، وقال : أفرطـتَ أبا الشِّبْل ، ولا كلّ هذا ، فقلت : والله ما حابيْتُك أيّها الوزير ، ولا قلت إلاّ حقّاً ، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه ، فما خرجت من مجلسه إلاّ وعليّ الخِلَع ، وتحتي دابّة بسَرْجِه ولجامه ، وبين يديّ خمسةُ آلافِ درهم .

[الجاريتان الشاعرتان]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني علي بن الحسن الشيبانيّ قال : حدَّثني أبو الشِّبْل الشاعر قال : كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخّاسين كانتا تقولان الشعر ، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها ، ثم أنشدتُها بيتاً لأبي المستهلّ شاعر منصور بن المهديّ في المعتصم : [من المتقارب]

أقام الإمــامُ مَنــارَ الهُدى ... وأخرَسَ ناقــوسَ عَمُّورِيَهْ

ثم قلت لها : أجيزي ؛ فقالت : [من المتقارب]

كساني المليــكُ جلابيبَه ... ثيــابٌ عَلاهــا بسَمُّورِيَهْ

ثم دَعَتْ بطعام فأكلْنا ، وخرجتُ من عندها ، فمضيت إلى الأُخرى ، فقالت : من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : مِن عندِ فلانة ، قالت : قد علمتُ أنّك تبدأ بها ، وصدقتْ ، كانت أجملهما فكنتُ أبدأ بها ، ثم قالت : أمّا الطعام فاعلم أنّه لا حيلة لي في أن تأكله ، لعلمي بأنّ تلك لا تَدَعُك تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك في الشراب ؟ قلت : نعم ، فأحضرْته

وأخذْنا في الحديث ، ثم قالت : فأَخبِرني ما دار بينكما ؟ فأخبرتُها ، فقالت : هذه المسكينة كانت تجد البرد ، وبيتُها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية ، أفلا قالت : [من المتقارب]

فأضحى بـه الدِّين مستبشراً وأضحت زِنادُهمـا وارِيَهْ

فقلت : أنت والله أشعَرُ منها في شِعرِها ، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك . والله أعلم .

[شعره في الشيب]

أُخبرنا الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : أنشدني أبو الشبل لنفسه : [من الهزج]

عَذِيري مِن جَواري الحـ ـيّ إذ يَرغبن عن وصلي
رأيـن الشيبَ قـد ألبـ ـسني أُبَّهـةَ الكَهْـلِ
فأعرضْنَ وقـد كـنّ إذا قيـل أبـو الشبـلِ
تَساعَيْـن فرقَّعْـن الـ ـكُوى بـالأَعيُن النُّجلِ

قال : وهذا سرقه من قول العُتْبيّ : [من الطويل]

رأين الغواني الشيب لاح بمَفرِقي فأعرضْن عنّي بالخدودِ النواضِرِ
وكـنّ إذا أبصرنني أو سمعنني سعَيْن فرقَّعن الكُوى بالمَحاجِرِ

[بخل حاتم بن الفرج]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني ، وكان أهتم ، قال أبو الشبل : وأنا أهتم ، وهكذا كان أبي وأهل بيتي ، لا تكاد تَبقى في أفواههم حاكّة ، فقال أبو عمرو أحمد بن أبي النجم : [من السريع]

لِحاتـمٍ في بُخلـه فِطنةٌ أدقُّ حِسّاً من خُطا النملِ
قـد جعل الهُتمانَ ضيفانَه فصار في أمنٍ مـن الأكلِ
ليس على خبز امرىء ضَيعةٌ أكيلُه عُصْمٌ أبـو الشبلِ[1]
مـا قدرُ مـا يحملـه كفُّه إلى فـمٍ مـن سِنّه عُطْلِ
فحاتمُ الجُود أخـو طيء مضى وهـذا حاتمُ البخلِ

[الجارية السوداء]

أُخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : كانت لأبي الشبل

1 هكذا ورد اسمه في معجم المرزباني كما تقدّم .

البُرجُمِيّ جارية سوداء ، وكان يحبّها حبّاً شديداً ، فعوتب فيها ، فقال : [من المنسرح]

غــدتْ بطــولِ المــلام عاذلةٌ تلومُنــي في السواد والدَّعَــجِ
ويحكِ كيف السلوّ عن غُــرَرٍ مفترِقات الأرجـاء ، كالسَّبَجِ[1]
يحملــن بــين الأفخاذ أسْنِمَةً تحـرق أوبارهـا مـن الوَهْجِ
لا عــذّب الله مسلِمــاً بهــمُ غيري ولا حــان منهمُ فَرَجِي
فإنّنــي بــالسوادِ مبتهِــجٌ وكنــتُ بــالبيض غيرَ مبتهجِ

[هجا جارية هاشم النحويّ]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيِّب قال : حدَّثني أبو هريرة البصريّ النحويّ الضرير قال : كان أبو الشبل الشاعر البرجميّ يعابث قَينة لهاشم النحوي يقال له خَنْساء ، وكانت تقول الشعر ، فعبِث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها ، فقالت له : ليت شعري ، بأيّ شيء تُدِلّ ؟ أنا والله أشعَرُ منك ، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحَك ، فأقبل عليها وقال : [من مخلع البسيط]

حسناءُ قــد أفرطتْ علينا فليس منهــا لنــا مجيرُ
تاهــت بأشعارهــا علينا كأنّمــا ناكَهــا جــريرُ

قال : فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه .

[ذم المطر]

قال عمِّي : قال أحمد بن الطيّب : حدَّثني أبو هريرة هذا قال : حدَّثني أبو الشبل أنّها وعدتْه أن تزورَه في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه ، فلمّا حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منَعها من الوفاء بالموعد ، قال : فقلتُ أذمّ المطر : [من البسيط]

دَع المواعيــدَ لا تَعرِض لوِجْهتها إنّ المواعيــد مقــرونٌ بهــا المطرُ
إنّ المواعيــد والأعيادَ قــد مُنِيَتْ منــه بأنكدِ مــا يُمْنى بـــه بَشَرُ
أمّا الثياب فــلا يغررْك إن غسِلتْ صَحوٌ شديد ولا شمس ولا قمرُ
وفي الشخوص لـــه نــوءٌ وبارقةٌ وإن تبيّت فذاك الفالــجُ الذكرُ[2]
وإن هممتَ بأن تدعــو مغنّيــةً فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السَّحَرُ

---

1 مفترقات الأرجاء : مختلفات نواحي الحسن . والسبج : خرز أسود .

2 الشخوص : الخروج . تبيّت : تحبس . الفالج الذكر : الشلل الشديد .

[نسيم من كلب وخنزيره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم ، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُميّ سأله إيّاها ، فأخرّها نسيم ، فشكاه إلى عبيد الله ، فأمر عبيد الله غلاماً له آخرَ فقضاها بين يديه ، فقال أبو الشِّبل يهجو نسيماً : [من السريع]

قــل لنسيمٍ أنت في صوره ... خُلِقَتْ مـن كلـبٍ وخِنزيرَه
رَعَيت دهــراً بعـد أعفاجها ... في سَلْح مخمورٍ ومخمورَه[1]
حتى بدا رأسك مِن صَدْعِها ... زانيــة بالفسق مشهـــورَه
لا تقـرب المــاء إذا أجنَبَتْ ... ولا تَـرى أن تقــربَ النُّورَه
ترى نباتَ الشَّعر حَولَ استها ... دَرابِزينــاً حــول مَقْصُــورَه

[يهجو محمد بن حماد]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قـال : كان أبـو الشبل يعاشر محمد بن حمّاد بن دلقيش ، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه : [من مجزوء الرمل]

لابــن حمّــاد أيادٍ ... عندنــا ليست بدونِ
عنــده جاريــة تشـ ... ـفي مــن الداء الدفينِ
ولهــا في رأس مـولا ... هــا أكاليــلُ قُـرونِ
ذات صَدْعٍ حاتميّ الـ ... ـفعل في كِــن مَكينِ
لا يَرى مَنْعَ الذي يحـ ... ـوي ولــو أمَّ البنينِ

[رثاء السراج]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيب قال : حدَّثني أبو هريرة النحويّ قال : كان أبو الشبل البرجميّ قد اشترى كبشاً للأضحى ، فجعل يعلفه ويسمّنه ، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبِه وفِراشه ، فلمّا عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى ، وقال يرثي سراجَه : [من المنسرح]

يــا عـين بكّي لفقد مسْرَجةٍ ... كانــت عمود الضياء والنورِ

1 الأعفاج : الأمعاء .

كانت إذا مـا الظلام ألبسني ... من حِندِسِ الليل ثوبَ دَيْجورِ[1]
شقّـت بنبراسهـا غياطِلَـه ... شقّاً دَعـا الليـلَ بالدَّياجيرِ[2]
صِينية الصين حـين أبدعها ... مصـوِّر الحسن بـالتصاوير
وقبـل ذا بدعـةٌ أتيـح لهـا ... مِن عُقَب الدهر قرنُ يَعْفورِ[3]
وصَكّها صكّـةً فمـا لبثت ... أنْ وَرَدت عسكـر المكاسيرِ
وإن تولَّت فقـدْ لهـا تركَتْ ... ذِكـراً سيبقى على الأعاصيرِ
مَـن ذا رأيتَ الزمـانَ ياسَرَه ... فلـم يَشُـب يُسرَه بتعسيرِ
ومن أبـاح الزمـانُ صفوتَه ... فلـم يشب صفـوَه بتكديرِ
مسْرجتي لو فديتِ ما بَخِلَتْ ... عنك يـدُ الجـود بالدَّنانيرِ
ليس لنـا فيـكِ ما نقدِّره ... لكنّمـا الأمـر بـالمقاديرِ
مسرجتي كم كشفتِ من ظُلَمٍ ... جلَّيـتِ ظلماءهـا بتنويرِ
وكم غـزال على يديـك نجا ... مـن دقّ خُصييه بالطواميرِ[4]
مَن لي إذا ما النديمُ دبَّ إلى النّـ ... ـدمان في ظُلمـة الدَّياجيرِ
وقام هـذا يَبُوس ذاك ، وذا ... يُعْنِـق هـذا بغير تقديرِ[5]
وازدَوَج القومُ في الظلام فما ... تسمـعُ إلاّ الرِّشاءَ في البِيرِ
فما يُصلُّون عنـد خَلوتهـمْ ... إلاّ صـلاةً بغيـر تطهـيرِ
أوحشَتِ الدارُ من ضيائك والـ ... ـبيت إلى مطبـخ وتَنّـورِ
إلى الرواقـين فالمجالسُ فالـ ... ـمِربَدُ مـذ غبتِ غيرُ معمورِ[6]
قلبـي حزين عليك إذ بخلتْ ... عليك بالدَّمـع عـينُ تنميرِ
إن كان أودى بكِ الزمان فقد ... أبقيتِ منك الحديثَ في الدُّورِ
دَع ذكرَها واهجُ قَرْنَ ناطِحِها ... واسرُد أحاديثَـه بتفسيرِ[7]

---

1 الحندس والديجور : الظلمة .
2 غياطل الليل : اشتداد سواده .
3 اليعفور : ظبي بلون التراب ، ويعني هنا أن قرن الكبش كان كقرن اليعفور .
4 الطوامير : جمع طومار أو طامور ، وهو الصحيفة .
5 يعنق : يعانق على غير قياس .
6 المربد : محبس الإبل .
7 أسرد في ل : وانشر .

كان حديثي أنّي اشتريتُ فما اشـ ـــتريت كَبْشاً سليـلَ خِنزيرِ
فلـم أَزَل بالنَّـوى أسمِّنـه والتبـن والقَـتِّ والأثاجيرِ[1]
أبـرِّد المـاء في القِلال لـه وأتَّقـي فيـه كلَّ محـذورِ
تخدِمُـه طـولَ كلِّ ليلتهـا خِدمَـة عبـدٍ بالذل مأسورِ
وهي من التِّيه ما تكلّمني الـ ـفصيح إلاّ مـن بعد تفكيرِ
شمس كـأنّ الظـلام ألبَسها ثوباً من الزِّفت أو مـن القِيرِ
من جلدهـا خفُّهـا وبرقعها حَـوراءُ في غير خِلقـة الحُورِ
فلم يزل يغتذي السرورَ ، وما الـ ـمحزونُ في عيشةٍ كمسرورِ
حتى عدا طَـورَه ، وحُقَّ لَمن يكفـرُ نُعمـى بقُرْبِ تغييرِ
فمـدَّ قرنيـه نحـو مسرجـةٍ تُعَـدُّ في صون كلِّ مذخورِ
شدَّ عليهـا بقَرْن ذي خَنَـقٍ معـوَّدٍ للنِّطـاح مشهورِ
وليس يَقـوى برَوْقِه جَبَلٌ صَلْدٌ مـن الشُّمَّخ المَذاكِيرِ[2]
فكيف تَقوى عليـه مِسرجَةٌ أَرقُّ مـن جَوهَـر القَواريرِ
تكسَّرتْ كسرةً لهـا ألمٌ وما صحيحُ الهوى كمكسورِ[3]
فأدركتْه شَعـوبُ فانشعبتْ بـالرُّوعِ والشِّلْوُ غير مقتورِ[4]
أُديـلَ منـه فأدركتْـه يـدٌ مـن المنايـا بحَـدٍّ مطرورِ[5]
يَلتهب المـوتُ في ظُباه كما تلتهـب النـارُ في المساعيرِ[6]
ومزّقْته المُدى فمـا تركـت كفُّ القِرا منـه غيرَ تعسيرِ[7]
واغتاله بعـد كسرها قَـدَرٌ صيره نُهْـزَة السَّنـانيرِ
فمزّقَـتْ لحمَـه بَراثِنُهـا وبذَّرتْـه أشدَّ تبـذيرِ

1 الثجير : ثفل كل شيء يعصر .
2 الروق : القرن . والشمخ المذاكير : الشاهقة القوية .
3 تكسرت في ل : فانكسرت .
4 الشعوب : المنية . والروع : القلب . والشلو : الجسد .
5 حد مطرور : حد سكين محدّد .
6 المساعير : ما تسعر به النار .
7 تعسير : التضييق ويعني به القليل .

واختلستْه الحِداءُ خَلْساً مع الـ ـغِرْبـــان لم تزدجـرْ لتكبيرِ
وصار حـــظَّ الكلاب أعظُمُه تهشـــم أنحاءَهـــا بتكسيرِ
كم كاسرٍ نحـــوَه وكاسرةٍ سلاحُهـــا في شغـــا المناقيرِ
وخامـــعٍ نحـــوَه وخامعـــةٍ سلاحُهـــا في شَبا الأظافيرِ[1]
قـد جعلتْ حول شِلْوِه عُرُساً بـــلا افتقـــار إلى مزاميرِ
ولا مغَـــنٍّ سوى هَماهِمهـــا إذا تمطّـــت لـــوارِدِ العِيرِ[2]
يا كبشُ ذق إذ كسرتَ مسرجتي لمديـة المـــوت كأس تنحيرِ
بغيتَ ظُلماً والبغيُ مصرعُ مَن بَغـــى عـــلى أهلـــه بتغييرِ
أُضحيَّة مـــا أظـــنّ صاحبها في قَسْمه لحمَهـــا بمأجورِ

[رثاء قرطاس سرق]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني الحسن بن عليّ الشَّيبانيّ قال : دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ تحت مخدّته ثُلثَ قرطاس ، فسرقتُه منه ولم يَعلَم بي ، فلمّا كان بعد أيّام جاءني فأنشدني لنفسه يَرثي ذلك الثلثَ القرطاس : [من الخفيف]

فِكَـــر تَعتري وحزنٌ طويلُ وسقيمٌ أنْحـى عليـه النُّحُولُ
ليس يبكي رَسْماً ولا طَلَلا مَـ ـحَّ كما تُندَب الرُّبا والطُّلولُ
إنّما حزنُه على ثُلْثِ قرطاسٍ لحاجاتـــه فغالتْـــه غُـــولُ
كان للسر والأمانـــة والكتـ ـمان إن باح بالحديث الرسولُ
كان مثلَ الوكيل في كلّ سوق إنْ تلكَّا أو مـلَّ يوماً وكيلُ
كان للهمِّ إن تراكَمَ في الصد ر فلم يُشْفَ من عليلٍ غليلُ
لم يكن يبتغي الحِجابَ من الحُجّا ب إن قيل ليس فيهـا دخولُ
إنْ شكا حاجباً تَشدَّد في الإذ ن فللحاجب الشقـيِّ العويلُ
يُرفَع الخيرُ عنه والرزق والكسـ ـوةُ فهو المطرود وهو الذليلُ
كان يُثْنى في جَيب كلِّ فتـاةٍ دونَها خَنـدقٌ وسُورٌ طويلُ

1 الخامع : الذي يعرج في مشيه ، ويعني بها الضواري .
2 الهماهم : جمع همهمة . والعير : الإبل .

يقف الناس وهو أوّل مـن يد ... خلـه القصرَ غـادةٌ عُطْبولُ[1]
فإذا أبرزَتْه بـاح بــه في الـ ... ـقصر مسكٌ وعنبر مَعْلـولُ[2]
ولـه الحـبّ والكرامـة ممّن ... بـات صَبّاً والشمّ والتقبيلُ
ليس كالكاتب الذي بأبي الخـ ... ـطّاب يُكْنى قـد شابه التطفيلُ
ذا كريـمٌ يُدْعى ، وهذا طفيلـ ... ـيٌّ وهــذا وذا جميعاً دليلُ
ذاك بالبشر والكرامـة يُلقـى ... ولهـذا الحجـاب والتنكيلُ
لم يفِد وفدُه الزمانَ على الألـ ... ـسن منـه عطفٌ ولا تنويلُ
كان مع ذا عدل الشهادة مقبو ... لاً إذا عَـزَّ شاهـداً تعديلُ
وإذا مـا التوى الهوى بالأليفَيـ ... ـن فلم يَرْعَ واصلاً مَوْصولُ
فهـو الحـاكمُ الذي قولُه بيـ ... ـن الأليفَـين جائـزٌ مقبولُ
فلئن شَتَّت الزمانُ بـه شَمـ ... ـلَ دَواتي وحانَ منـه رحيلُ
لَقديماً مـا شَتَّت البينُ والألـ ... ـفَةُ من صاحبٍ ، فصبر جميلُ
لا تَلُمْني عـلى البكاء عليـه ... إنَّ فقـدَ الخليل خطبٌ جليلُ

قال : فرددتُه عليه ، وكان اتَّهم به أبا الخطّاب الذي هجاه في هذه القصيدة ، فقال لي : ويلك ، جنيتَ ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنّك صاحبها لكان هذا لك ، ولكنّك قد سلمتَ .

1 العطبول : المرأة الفتية الجميلة الطويلة العنق .

2 معلول : مضاعف .

[269] ـ أخبار عَثْعَث

[نسبه]

كان عَثْعَث أسودَ مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء ، فعلّمه الغناء ، وخرّجه وأدّبه ، فبرع في صناعته ، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبوناً ؛ والله أعلم .

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ميمون بن هارون قال : حدَّثني عثعث الأسود ، قال : مُخارق كنّاني بأبي دُلَيْجة ، وكان السبب في ذلك أنّ أوّل صوت سمعني أغنّيه : [من البسيط]

أبا دُلَيجةَ مَـنْ توصِـي بأَرمَلـةٍ ... أم من لأشعثَ ذي طِمْرَين مِمحالِ[1]

فقال لي : أحسنت يا أبا دُليجَة ، فقبلتُها وقبّلت يده ، وقلتُ : أنا يا سيّدي أبا المُهنّا ؛ أتشرّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلة منك . قال ميمون : وكان مخارق يشتهي غناءه ويَحزنه إذا سمعه .

[ما وقع له في مجلس غناء]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب عليّ بن محمد بن نصر بخطّه ، حدَّثني يعني بن حمدون قال : كنّا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكّل ، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون ، وسليمان بنُ وهب ، وإبراهيم بن المدبِّر ، وحضرتْ عَريب وشارية وجواريهما ، ونحن في أتمّ سرور ، فغنَّت بدعة جارية عريب : [من الطويل]

أعاذلتـي أكثرتِ جَهْلا مـن العَذْلِ ... على غير شيءٍ من مَلامي وفي عَذْلِي[2]

والصنعة لعَرِيب ؛ وغنّت عِرفان : [من الطويل]

إذا رام قلبي هجرَهـا حالَ دونَه ... شَفيعان مِـنْ قلبـي لها جَدِلانِ

والغناء لشارية ، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين : عريبيّة وشارية ، فمال كلّ حزب إلى من يتعصّب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان ، وكلّ واحدة من جواريهما تغنّي صنعةَ سِتّها لا تتجاوزها ، حتى

1 البيت لأوس بن حجر ورواية الديوان ص 103 : من يُوصى . . . طملالِ ، وهو الفقير .

2 البيت لجميل بن معمر كما سيأتي .

غنّت عرفان : [من الخفيف]

بأبـي مَن زارني في منامي فدنـا منّـي وفيـهِ نِفارُ

فأحسنتْ ما شاءت ، وشربْنا جميعاً ، فلمّا أمسكتْ قالت عريبِ لشارية : يا أختي لَمن هذا اللحن ؟ قالت : لي ، كنت صنعتُه في حياة سيّدي ، تعني إبراهيم بنَ المهديّ ، وغنّيتُه إيّاه فاستحسنه ، وعَرَضَه على إسحاق وغيرِهِ فاستحسنوه ، فأسكتتْ عَريب ، ثم قالت لأبي عيسى : أحبّ يا بنيّ ، فديتك ، أن تَبعث إلى عَثعَث الأسود فتجيئني به ، فوجَّه إليه ، فحضر وجلس ، فلمّا اطمأنّ وشرِب وغنّى ، قالت له : يا أبا دليجة أو تذكر صوتَ زبير بن دَحْمان عندي وأنت حاضر ، فسألته أن يَطرحَه عليك ؟ قال : وهل تَنسى العَذْراء أبا عُذْرِها ، نعم ، والله إنّي لذاكرُه حتّى كأنّنا أمس افترقْنا عنه . قالت : فغَنّه ، فاندفع فغنّى الصوتَ الذي ادّعتْه شارية حتى استوفاه وتضاحكتْ عَريب ، ثم قالت لجواريها : خذوا في الحقّ ، ودَعونا من الباطل ، وغنّوا الغناء القديم . فغنّت بدعة وسائر جواري عَريب ، وخجلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيها ، ولم تنتفع هي يومئذٍ بنفسها ، ولا أحدٌ من جواريها ولا متعصّبيها أيضاً بأنفسهم .

[في مجلس المتوكّل]

قال : وحدَّثني يحيى بنُ حَمدون قال : قال لي عَثعَث الأسود : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو مصطبح وابن المارقيّ يغنّيه قوله : [من الطويل]

أقاتلتي بالجِيـد والقـدِّ والخدّ وباللون في وجهٍ أرقَّ من الوردِ

وهو على البِركة جالس ، وقد طرِب واستعاده الصوتَ مراراً وأقبل عليه ، فجلست ساعةً ثم قمت لأبولَ ، فصنعت هزَجاً في شعر البحتريّ الذي يصف فيه البِركة : [من البسيط]

صوت

إذا النجومُ تـراءت في جوانبهـا ليلاً حسبتَ سمـاءً ركِّبـت فيها
وإن عَلَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً مثلَ الجَواشن مصقولاً حواشيها[1]
وزادهـا زينـةً مـن بعـد زينتها أن اسمه يـومَ يُدْعى مـن أساميها

فما سكت ابنُ المارقي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعتُ أغنّي هذا الصوت ، فأقبل عليّ وقال لي : أحسنتَ وحياتي ، أعِدْ ؛ فأعدتُ ، فشرب قدحاً ، ولم يزل يستعيدُنيه ويشرب

1 الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع .

حتى اتّكأ ، ثم قال للفتح : بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخِلْعة تامّة واحمله على شِهْرِي[1] فارِهِ بسَرْجِهِ ولجامه ، فانصرفتُ بذلك أجمَعَ .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

أعاذِلتـــي أكثرتِ جهلاً مِن العَذْلِ   على غير شيءٍ من ملامي ولا عذلي
نأيتِ فلم يُحدِث لي النأي سَلوةً   ولم أُلفِ طول النأي عن خُلة يُسْلِي

عَروضُه من الطويل ، الشعر لجَميل ، والغناء لعَريب ، ثقيل أوّل بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

إذا رامَ قلبي هجرَهــا حالَ دونَه   شفيعان مـــن قلبي لهــا جَدِلانِ
إذ قلتُ لا ، قالا بــلى ، ثم أصبَحا   جميعــاً على الرأي الذيــن يَريانِ

عروضه من الطويل ، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام ، وليس له .

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاريّ ، رجل من أهل الأدب والرواية ، كان بسُرَّ مَن رأى كالمنقطع إلى إبراهيمَ بنِ المهدي ، والغناء لشارية ، ثقيل أوّل بالوسطى ، وقيل إنّه من صنعة إبراهيم ، ونَحَلها إيّاه ، وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصِر .

صوت

[من الخفيف]

بأَبـــي مـــن زارني في منامي   فدنـــا منّـــي وفيـــه نِفـــارُ
ليلـــةً بعـــدَ طُلـــوعِ الثُّريّا   وليـــالي الصّيـــف بُتْر قِصارُ
قلت هُلكي أم صلاحي فعَطْفاً   دون هـــذا منك فيـــه الدَّمارُ
فدنـــا منِّـــي وأَعطى وأَرضى   وشفـــى سُقْمي ولـــذَّ المَزارُ

لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ ، والغناء لزُبَير بن دَحمان ، ثقيل أوّل بالوسطى ، وهو من جيّد صنعتِهِ وصدورِ أغانيهِ .

---

1 الشهريّ : ضرب من البراذين .

أَخبرني ابن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أَحمد بن طَيْفور قال : كتب صديق لأَحمدَ بن يوسف الكاتب إليه في يوم دَجْن : «يومُنا يومٌ ظريفُ النواحي ، رقيقُ الحواشي ، قد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقتْ ، وحنّت وارجحنّت[1] ، وأنت قطبُ السرور ، ونِظامُ الأمور ، فلا تُفْرِدنا منك فنَقِلّ ، ولا تنفردْ عنّا فنَذِلّ ، فإنّ المرءَ بأَخيه كثير ، وبمساعدته جدير» . قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل ، وحضرهم عَثعَث الأسود ، فقال أحمد : [من الوافر]

صوت

أَرى غَيْماً يؤلِّفه جَنُوبُ ... وأحسَبه سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرأيِ أن تدعو برِطْلٍ ... فتشربَه وتدعو لي برِطلِ
وتسقيه نَدامانا جميعاً ... فينصرفون عنه بغير عَقْلِ
فيوم الغَيْم يومُ الغَمّ إن لم ... تبادر بالمُدامة كلَّ شغلِ
ولا تُكْرِه محرِّمَها عليها ... فإنّي لا أَراه لها بأَهلِ

قال : وغَنَّى فيه عَثعَث اللحنَ المشهور الذي يغنَّى به اليوم .

صوت

[من الطويل]

ترى الجُندَ والأعرابَ يغشَون بابَه ... كما وردت ماءَ الكُلاب هَوامِلُهْ
إذا ما أَتَوا أَبوابه قال : مرحباً ... لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ

عَروضُه من الطويل . الهوامل : التي لا رِعاء لها ، ولِجوا : ادخلوا ، يقال : ولج يَلِج وَلْجاً . وقوله : «حتى يقتل الجوع قاتله» : أي يطعمكم فيذهب جوعكم ، جعل الشِّبَع قاتلاً للجوع .

الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي ، والغناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ارجحن السحاب : مال من ثقله .

[270] ـ أخبار عبد الله بن الزَّبِير ونسبه[1]

[نسبه]

عبد الله بن الزَّبير بن الأشْيَم بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان بن أسَد بن خزيمة .

أخبرني بذلك أحمد[2] عن الخرّاز عن ابن الأعرابيّ وعن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي مسلم عن ابن الأعرابيّ ، وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان من شيعة بني أميّة وذوي الهَوى فيهم والتعصّب لهم والنُّصْرة على عدوّهم ، فلمّا غلب مصعب بن الزّبير على الكوفة أُتِيَ به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قُتِل مصعب ، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزَّبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويُكنى عبد الله أبا كثير ، وهو القائل يعني نفسَه : [من الوافر]

فقالت : ما فعلتَ أبا كثير   أصحّ الودّ أم أخلفتَ بَعدِي[3] ؟

وهو أحد الهَجائين للناس ، المرهوبِ شرّهم .

[خلافه مع عبد الرحمن بن أم الحكم]

قال ابن الأعرابيّ : كان عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أبي سفيان ، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشْيَم ، من رهط عبد الله بن الزَّبير دِنيةً[4] ، فخرج عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم وافداً إلى معاوية ، ومعه ابنُ الزَّبير ورفيقان له من بني أسَد ، يقال لأحدهما أكل[5] بن ربيعة من بني جذِيمة بن مالك بن نصر بن قُعَين ، وعديّ بن الحرث أحد بني العِدان من بني نصر ، فقال عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم لابن الزَّبير : خذْ من بني عمِّك دِيَتَين لقتيلك ، فأبى

1 ترجمة عبد الله بن الزَّبير الأسدي في خزانة البغدادي 2 : 264–266 وشرح الحماسة للمرزوقي : 941–942 . وقد جمع د . يحيى الجبوري شعره ، فانظر مقدمته وأعلام الزركلي .

2 ل : عمي .

3 سيرد البيت بلفظ «أم أخلفت عهدي» .

4 دنية : لحّاً .

5 لعلّه أُكَيل أو أكتل .

ابن الزَّبير ، وكان ابن أمّ الحكم يميل إلى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فيّاض ، فخالف ابن الزَّبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية ، فعاذ به ، فأعاذه وقام بأمره ، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أُمِّ الحَكَم ، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه ، فقال فيه ابن الزَّبير قصيدةً أوّلها قولُه[1] : [من الطويل]

أبى الليـــلُ بالمَـرَّان أن يتصرّمـــا ... كأنّي أُسومُ العَينَ نومـاً مُحرَّما[2]
ورُدَّ بثنيَيْــه كأن نجومــــــه ... صُوارٌ تناهى مـــن إرانٍ فقَوَّما[3]
إلى الله أَشكو لا إلى الناس أنّنـــي ... أُمُصّ بنـات الدرِّ ثديـا مُصرَّما[4]
وسَوقَ نساء يسلبـــون ثيابهـــا ... يُهادُونها هَمْدانَ رِقّـــاً وخَثْعَما[5]
على أيّ شيء يا لؤيُّ بن غالب ... تُجيبونَ مَـن أُجرى عليَّ وأُلجما[6]
وهاتـــوا فقُصُّوا آيـــة تقرؤونها ... أحلَّتْ بـلادِي أن تباح وتُظلَما
وإلاّ فأقصى الله بينـــي وبينكـــم ... وولَّـى كثيرَ اللؤمَ مَـــن كان ألأما
وقـــد شهدَتْنا من ثقيفٍ رَضاعـــةٌ ... وغيَّب عنها الحَـوْمَ قُوَّامُ زمزما[7]
بنـــو هاشم لو صادفوك تجُدُّهـــا ... مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما[8]
ستعلم إن زلَّتْ بك النعلُ زَلّـــةً ... وكلّ امرىء لاقي الذي كان قدَّما
بأنّك قد ماطَلْتَ أنيـــابَ حيّـــةٍ ... تزجّـــي بعينيها شُجاعـــاً وأرقَما
وكم من عدوّ قـــد أراد مساءتي ... بغَيـــب ولـــو لاقيتُـــه لتندَّما
وأنتم بني حامٍ بنِ نُوح أرى لكم ... شِفاهاً كأذناب المشاجـــر وُرَّما[9]
فإن قلتَ خالي من قريش فلم أجِد ... مـــن الناس شرّاً من أبيك وألأما

---

1 شعره : 126–129 عن الأغاني .
2 المران : موضع .
3 ثنيا الجبل : طرفاه . الصوار : القطيع من البقر . الأران : النشاط . وقومت الدابة : إذا أكلت وأعيت فوقفت ولم تسر .
4 الدر : اللبن . المصرم : المقطوع .
5 يهادونها في ل : يقيدونها .
6 أجرى : أي أجرى الخيل للغارة .
7 قوام زمزم : القائمون بسقاية الحاج .
8 تجدها : تقطعها . والحيزوم : وسط الصدر .
9 المشاجر : جمع مشجر وهو عود الهودج .

صغيراً ضغـــا في خرقة فأمضَّه ... مُرَبِّيه حتـى إذ أهـــمّ وأفطما[1]
رأى جلدةً مـــن آل حـــام متينـةً ... ورأساً كأمثـــال الجَرِيب مُؤَوّما[2]
وكنتم سقِيطاً في ثقيفٍ ، مكانكم ... بني العبد ، لا تُوفي دماؤكمو دما[3]

قال ابن الأعرابيّ : ثم عُزل ابنُ أمّ الحكم عن الكوفة ، ووليها عبيد الله بن زُياد ، فقال ابن الزَّبير[4] : [من الطويل]

أبلِغ عبيـــدَ الله عنّـــي فإنّنـــي ... رميتُ ابن عَوذ إذ بدَتْ لي مقاتِلُهْ
على قفرةٍ إذ هابَـه الوفـدُ كلُّهم ... ولم أَكُ أُشوِي القِرنَ حين أُناضِلُهْ[5]
وكان يُماري مِـــن يزِيـدَ بوقعةٍ ... فما زال حتـــى استدرجَتْه حَبائلُهْ
فتُقصيه من ميراث حربٍ ورَهْطِه ... وآلَ إلى مـــا ورثَتْـــه أوائِـــلُهْ
وأَصبحَ لَمّـــا أسلمتْـــه حِبالُهـم ... ككلب القطار حُلَّ عنه جَلاجِلُهْ[6]

ونسخت من كتاب جدّي لأُمّي يحيى بن محمد بن ثوابة ، قال يحيى بن حازم وحدَّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلَّى عن القاسم بن مَعْدان : أنّ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم غضب على عبد الله بن الزَّبِير الأسديّ لّما بلغه أنّه هجاه ، فهَدَم داره وأخرجه ، فأتى معاوية فشكاه إليه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك ؟ فاستشهد أسماءَ بن خارجة ، وقال له : سَلْه عنها ؛ فسأله ؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ، ولكني رأيته بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج[7] ، فأمر له معاوية بألفِ[8] درهم ، قال : وإنّما شهد له أسماء كذلك ليُرفده عند معاوية ، ولم تكن داره إلاّ خِصاص قَصَب .

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم لّما وَلِي الكوفةَ أساء بها السيرة ، فقدم قادمٌ من الكوفة إلى المدينة ، فسألتْه امرأة عبد الرحمن عنه ، فقال لها : تركتُه يسأل إلحافاً ، وينفِق إسرافاً ، وكان محمَّقاً ، ولاّه معاويةُ خالُه عدّة أعمال ، فذمَّه أهلُها وتظلّموا منه ؛ فعزله وأطرحه ، وقال له : يا

1 ضغا : ضج وصاح . أمضه : آلمه . أهم : جعل آله وذويه يهتمون به .
2 الجريب : مكيال . المؤوم : العظيم الرأس أو المشوه .
3 السقيط : الأحمق الناقص العقل ، واللئيم في حسبه ونفسه .
4 شعره : 118 عن الأغاني .
5 أشوي : أصيب ما ليس مقتلاً .
6 الجلاجل : السيور .
7 الساج : خشب أسود رزين .
8 سترد بهذه الحكاية مرّة أخرى ولكن رقمي ثمن الساج والعطية سيصبحان عشرين ألفاً ومائة ألف .

بُنَيّ ، قد جَهَدتُ أن أنفّقك وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أُمُّ الحَكَم بنت أبي سُفْيان بنِ حرب : يا أُخي ، زَوِّج ابني بعضَ بناتِك ؛ فقال : ليس لهنّ بكفء ؛ فقالت له : زوّجني أبو سفيان أباه ، وأبو سفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ؛ فقال لها : يا أُخيَّة : إنّما فعل ذلك أبو سفيان لأنّه كان حينئذٍ يشتهي الزَّبيب ، وقد كثر الآن الزبيبُ عندنا ، فلن نزوّج إلاّ الأكفاء .

[مدح عمرو بن عثمان بن عفّان]

حدَّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخي الشجاعيّ قال : حدَّثني أبو غسّان قال : بلغني أنّ أوّل من أخَذ بعِينةٍ[1] في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان ، أتاه عبد الله بن الزَّبير الأسديّ ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رَثّاً ، فدعا وكيلَه وقال : اقترِض لنا مالاً ؛ فقال : هيهات ! ما يعطينا التجار شيئاً . قال : فأَربِحْهم ما شاءوا ، فاقترض له ثمانية آلافِ درهم ، باثني عشرة ألف ، فوجّه إليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله بن الزّبير في ذلك[2] : [من الطويل]

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتي ... أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلّتِ
فتًى غير محجوبِ الغِنى عن صديقِهِ ... ولا مُظهِرِ الشكوى إذا النعلُ زَلّتِ
رأى خَلّتي من حيثُ يَخفى مكانُها ... فكانت قَذى عينيه حتى تجلّتِ[3]

[مدحه أسماء بن خارجة]

أُخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيّ إجازةً قال : حدَّثني أحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال : أُخبرني أبو المصبِّح عادية بن المصبِّح السَّلوليّ قال : أُخبرني أبي قال : كان عبد الله بن الزَّبير الأسديّ قد مدح أسماء بنَ خارجة الفَزاريَّ فقال : [من الطويل]

صوت

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً ... كأنّك تعطيه الذي أنتَ نائلُهْ
ولو لَم يكن في كفّه غيرُ رُوحه ... لجاد بها فليتّقِ اللهَ سائلُهْ

[غنّى في هذين البيتين هزجاً بالبنصر]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه ، فغضب وقال يهجوه[4] : [من الطويل]

---

1 العينة : الربا .

2 شعره : 142 . وقد جعلها جامعه في ما ينسب إلى ابن الزّبير وغيره . وفي وفيات الأعيان (3 : 478 ، 6 : 232) أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي في عمرو بن مسعدة .

3 الخلة : الحاجة والفقر .

4 شعره : 93 .

بَنَت لكــمُ هنــدٌ بتلذيع بَظْرها ... دكاكينَ من جِصٍّ عليها المَجالسُ
فوالله لــولا رَهْـزُ هند ببظرها ... لَعُـدَّ أَبوهــا في اللئام العوابسِ[1]

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه ، فاعتذَرَ من فعله بضِيقةٍ شكاها ، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفةً في كلّ سنة ، واقتطعه جَنّتَيْهِ ، فكان بعد ذلك يمدحُه ويفضّله . وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قطّ جصّاً في بناءٍ ولا غيره إلاّ ذكرتُ بَظْر أُمِّكم هند فخجلتُ .

[ابن أمّ الحكم يحبسه]

أخبرني عمّي عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن أبي مسلم ، عن ابن الأعرابيّ قال : حبس ابن أُمّ الحَكَم عبد الله بن الزَّبير وهو أمير في جناية وضَعَها عليه ، وضربه ضرباً مبرِّحاً لهجائه إيّاه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يَلطُف في أمره ، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحَكَم في أمره حتى يخلِّصه ، فأطلق[2] شفاعته ، وكساه أسماءُ ووصله ! وجعل له ولعياله جرايةً دائمة من ماله ، فقال فيه هذه القصيدة التي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزَّبير ، يقول فيها[3] : [من الطويل]

ألم تَــرَ أنّ الجُــودَ أرسَلَ فانتقى ... حَليــفَ صفاءٍ وأُتَــلى لا يُزايلُهْ
تخيَّر أسماءَ بــنَ حِصنٍ فبُطّنتْ ... بفعــل العُــلا أيمانُه وشمائلُهْ
ولا مجــدَ إلاّ مجدُ أسماءَ فوقه ... ولا جريَ إلاّ جريُ أسماءَ فاضِلُهْ
ومحتملٍ ضِغناً لأسماءَ لــو جرى ... بسَجْلَيْنِ من أسماءَ فارت أَباجِلُهْ[4]
عَوى يستجيشُ النابحـاتِ وإنّما ... بأنيابه صُــمُّ الصَّفَــا وجَنادِلُهْ[5]
وأقصَرَ عن مجــراةِ أسمـاء سعيُه ... حَسِيراً كما يلقى من التُّرب ناخلُهْ[6]
وفضَّل أسمــاءَ بــنَ حِصنٍ عليهمُ ... سماحةُ أسمــاء بــن حصن ونائلُهْ
فمَن مثل أسماءَ بن حصن إذا غَدَت ... شآبيبُــــه أم أيُّ شيء يعــادِلُهْ

---

1 في البيت إقواء .
2 أطلق شفاعته : أي قبل شفاعته دون شرط أو استثناء .
3 شعره : 120–123 .
4 السجل : الشوط . الأباجل : جمع أبجل وهو العرق الأكحل في الذراع .
5 يستجيش النابحات : يستثير الكلاب النابحة . والصفا : الحجر الصلد . أي أنّه لا ينال منه إلاّ ما يناله العاض على الحجارة الصلدة .
6 حسير : كليل .

وكنت إذا لاقيت منهم حَطيطةً لقيتُ أبا حسّانَ تَنْدى أصائلُهْ[1]
تَضَيَّفُــه غسّانُ يَرجــون سَيْبَه وذو يَمَـــنٍ أُحبُــوشُه ومَقاوِلُهْ[2]
فتًى لا يزال الدَّهر ما عاش مُخْصِباً ولو كان بالمَوْماة تَخْدِي رَواحِلُهْ[3]
فأصبح : ما في الأرض خَلقٌ علمتُه من النــاس إلاّ باعُ أسماءَ طائلُهْ
تــراه إذا مــا جئتَــه متهلِّـلاً كأنّك تعطيه الذي أنت سائلُهْ[4]
ترى الجندَ والأعرابَ يغشَون بابه كما وردت مــاءَ الكُلاب نواهلُهْ
إذا مــا أَتَوا أَبوابه قــال : مرحباً لِجُوا الباب حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ
تــرى البازلَ البُخْتيَّ فوق خِوانه مقطَّعـــةً أعضـــاؤه ومفاصلُهْ
إذا مــا أَتوا أسماءَ كان هو الذي تحلَّــب كفّـــاه النـدى وأناملُهْ
تراهــمْ كثيراً حــين يغشَون بابَه فتسترهـــم جُدْرانُـــه ومنازِلُهْ

قال : فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم .

[عند عبيد الله بن زياد]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال : حدَّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، وقال ابن الأعرابيّ أيضاً : دخل عبد الله بن الزّبير يوماً على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدِم ابن الزَّبير من الشام ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول[5] : [من البسيط]

حنَّت قَلوصيَ وَهْناً بعــد هَدْأتها فهيّجتْ مغرَمــا صَبّاً على الطَّرَبِ
حنّت إلى خيرِ مَن حُثَّ المطيُّ له كالبدرِ بــين أبي سفيان والعُتَبُ
تذكَّرَتْ بِقُــرى البَلقـــاء نائلَه لقد تذكرتُــه مِــن نازحٍ عَزَبِ[6]
والله مــا كان بــي لــولا زيارته وأن أُلاقــي أبا حسان من أَرَبِ
حنّت لتَرجِعني خلفي فقلت لهــا هذا أَمامــك فالقَيْه فتــى العربِ

1 الحطيطة : النقص والبخس . وأبو حسان : كنية أسماء بن خارجة .
2 أحبوش : جماعة الحبش . والمقاول : جمع مقول والقيل ، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
3 الموماة : المفازة .
4 هذا البيت لزهير في ديوانه : 124 .
5 شعره : 60–61 .
6 العزب : البعيد .

لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه ... ولا يعاقِب عند الحِلم بالغضبِ
مِن خير بيت عَلِمناه وأكرَمِهِ ... كانت دماؤهم تُشفي من الكَلَبِ

قال ابن الأعرابيّ : كانت العربُ تقول : مَن أصابه الكَلَب والجنونُ لا يَبرأ منه إلى أن يُسقى من دم مَلِك ، فيقول : إنّه من أولاد الملوك .

بقية أخبار عبد الله بن الزَّبير

[من الذي هدم دار أسماء]

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ بالكوفة قال : حدَّثنا سليمان بن الربيع البرجميّ قال : حدَّثنا مُضَرُ بن مُزاحم ، عن عمرو بن سعد ، عن أبي مِخنَف ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكَنُود ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الحارث بن محمد قال : حدَّثنا ابن سعد عن الواقديّ ، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابيّ في روايته عن المفضَّل ، وقد دخل بعضهم في حديث الآخرين ، أنّ المختار بن أبي عبيد خطب الناسَ يوماً على المِنبر فقال : «لتَنزلنّ نار من السماء ، تسوقها ريح حالكة دَهْماء ، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» . وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة ، يعدّونه في قَتَلَة الحسين عليه السلام ، لِما كان من معاونته عبيدَ الله بنَ زياد على هانىء بن عُروة المُراديّ حتى قتل ، وحركتِه في نُصْرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال[1] : [من الطويل]

أيركب أسماءُ الهماليجَ آمِنا ... وقد طلبْته مَذْحِجٌ بقتيلِ ![2]

يعني بالقتيل هانىءَ بنَ عروة المُراديّ ، وكان المختار يحتال ويدبِّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره ، فبلغ أسماء قول المختار فيه ، فقال : أوقَد سَجَع بي أبو إسحاق ؟ لا قَرارَ على زأرٍ من الأسد[3] ، وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ، ففاته ، فأمر بهدم داره ، فما تقدّم عليها مضريّ بتّةً لموضع أسماء وجلالةِ قدرهِ في قيس ، فتولَّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها ، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزَّبير[4] : [من الطويل]

1 هذا البيت ينسب لابن الزَّبير ولغيره . انظر مجموع شعره : 115-117 .
2 في مجموع شعره : «بذحول» بدلاً من «بقتيل» .
3 المثل «لا قرار على زأر الأسد» في مجمع الميداني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 380 ، وهو عجز بيت للنابغة :
أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ... ولا قرار على زأر من الأسدِ
4 شعره : 74-78 .

نأوَّبَ عـينَ ابنِ الزّبيرِ سُهودُها ... ووَلّى على ما قد عراها هُجودُها
كأنّ سواد العـين أبطَـنَ نخلـةً ... وعاوَدَهـا ممّـا تَذكَّـرُ عِيدُها[1]
مخضَّرةً من نخـل جَيْحانَ صعبةً ... لَـوى بجناحيها وليدٌ يَصيدُها[2]
من الليل وَهْنـاً ، أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ ... أذاعت به الأرواحُ يُذرى حَصيدُها[3]
إذا طُرِفـت أذرَتْ دموعـاً كأنّها ... نَثِيرُ جُمانٍ بـانَ عنهـا فَرِيدُها[4]
وبـتُّ كأنّ الصدرَ فيـه ذُبالـةٌ ... شَبا حرَّها القِنديـل ، ذاكِ وَقُودُها
فقلتُ أُناجي النفسَ بينـي وبينها ... كذاك الليـالي نحسُهـا وسُعودُها
فـلا تجزعـي ممّـا ألمّ فإنّني ... أَرى سَنَةً لَم يَبـقَ إلاّ شَرِيدُها[5]
أتـاني وعُرْضُ الشامِ بينـي وبينها ... أَحاديثُ والأنبـاءُ يَنمِـي بعيدُها
بـأنّ أَبـا حَسّانَ تهـدِم دارَه ... لُكَيزٌ سَعـت فُسَّاقُهـا وعَبِيدُها[6]
جزَتْ مُضَراً عنّي الجوازِي بفعلها ... ولا أُصبحـتْ إلاّ بشرٍّ جُدودُها
فمـا خيرُكم ؟ لا سيِّـداً تنصرونه ... ولا خائفاً إن جـاء يوماً طريدُها
أخذلانَـه في كلّ يـومِ كَريهـةٍ ... ومسألـة مـا إن ينادى وليدُها[7]
لأمّكـم الوَيْـلاتُ أنَّى أُتيتُـمُ ... جماعات أَقـوامٍ كثيرٍ عديدُها
فيا لَيتَكم مِـن بعد خذلانِكُمْ له ... جـوارٍ على الأَعناق منهـا عُقودُها
أَلم تغضبوا تَبّاً لكم إذ سَطَتْ بكم ... مَجُوسُ القُرى في داركم ويَهودُها !
تركتـمْ أَبـا حسّان تُهـدَم دارُه ... مشيَّـدةً أَبوابهـا وحديـدُها
يهدِّمهـا العِجلـيّ فيكـمْ بشُرْطة ... كما نَبَّ في شِبْل التُّيـوس عَتُودُها[8]
لعمري لقد لـفَّ اليهوديُّ ثوبَه ... على غَـدرة شنعاءَ بـاق نَشِيدُها

1 عيدها : العيد هو ما اعتاده المرء من هم أو حزن أو مرض .
2 جيحان : نهر بالشام .
3 أذاعت به : ذهبت به . والأرواح : جمع ريح .
4 فريدها : نفيسها .
5 السنة : القحط .
6 لكيز : قبيلة .
7 من المثل : «هم في أمر لا ينادى وليده» ، أي في شدّة تنسى الأم وليدها فلا تناديه .
8 نب التيس : صاح عند الهياج . العتود من ولد الماعز : ما رعى وقوي حتى أتى عليه الحول .

فلو كان من قحطانَ أسماء شمَّرت   كتائبُ من قحطانَ صُعْرٌ خدودُها
ففي رجب أو غُرَّةِ الشهر بعده   تزوركُم حُمْرُ المنايا وسُودها
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دينُهم   كتائبُ فيها جَبْرَئيل يقودُها
فمَن عاش منكم عاش عبداً ومَن يمت   ففي النارِ سُقياه هناك صَدِيدُها

وقال ابن مَهْرُوَيْه : أخبرني به الحسن بن علي عنه ، حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبيّ : أنّ مصعب بن الزّبير لمّا وليَ العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام ، وبها يومئذٍ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة ، وقتل عمرو بن سعيد ، وكان أسماء أُمَويّ الهوى ، فهدم مصعب بن الزّبير داره وحرقها ، فقال عبد الله بن الزَّبير في ذلك : [من الطويل]

تـأوّب عين ابن الزَّبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها ، وهذا الخبر أصحّ عندي من الأوّل ، لأنّ الحسن بن علي حدَّثني قال : حدَّثنا أُحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مصعب قال : لمّا ولي مصعب بن الزّبير العراق ، دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسديّ ، فقال له : إيهٍ يا ابن الزّبير ، أنت القائل : [من الطويل]

إلى رَجَب السبعينَ أو ذاك قبلَه   تصبِّحكمْ حُمر المنايا وسُودُها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينُهم   كتائبُ فيها جَبْرَئيلُ يَقودُها

فقال : نعم أنا القائل لذلك ، وإنّ الحقِين ليأبى العِذْرة[1] ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقال : أما إنّي ما أصنع بك إلاّ خيراً ، أحسن إليك قوم فأحببتَهم وواليتَهم ومدحتَهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منزله مكرَّماً ، فكان ابنُ الزَّبير بعد ذلك يمدحه ويَشِيد بذكره ، فلمّا قتل مصعب بن الزّبير اجتمع ابن الزَّبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيانَ في مجلس ، فعرف ابنُ الزَّبير خَبره ، وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزّبير ، فاستقبَلَه بوجهه وقال له : [من الطويل]

أَبا مطر شَلّت يمينٌ تفرَّعتْ   بسيفك رأسَ ابنِ الحَوارِيِّ مصعبِ

فقال له ابنُ ظَبْيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاة ، هيهات ! «سَبَق السيفُ

1 المثل «أبى الحقين العذرة» في مجمع الميداني 1 : 42 وجمهرة العسكري 1 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 31 ، ومعناه أن اللبن المحقون يكذب الاعتذار بعدم وجود اللبن ، يُضرب للرّجل يعتذرُ ولا عُذْرَ له .

العَذَلَ[1]» ، قال : فكان ابن ظبيانَ بعد قتلِه مصعباً لا يَنتفع بنفسِه في نوم ولا يَقَظة ، كان يهوَّل عليه في منامه فلا ينام ، حتى كَلَّ جسمُه ونُهِك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

[عبيد الله بن زياد يجيزه]

وقال ابن الأعرابيّ : لمّا قدِم ابنُ الزَّبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه ، فأوصله إليه ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها[2] : [من الطويل]

صوت

أصَرْمٌ بليلى حادِثٌ أم تجنُّبُ ... أم الحبل منها واهِنٌ متقضِّبُ
أم الودّ من ليلي كعهدي مكانه ... ولكنّ ليلى تستزيد وتَعتبُ

غَنّى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشاميّ . [من الطويل]

ألم تعلمي يا لَيْلَ أنّيَ لَيِّنٌ ... هَضومٌ وأنّي عَنْبَسٌ حين أُغضبُ[3]
وأنّي متى أُنفقْ من المال طارفاً ... فإنّيَ أرجو أن يَثُوبَ المثوّبُ
أأنْ تَلِفَ المالُ التِّلادُ بحقّه ... تَشَمَّسُ ليلى عن كلامي وتَقْطِبُ
عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ ... بأكوارِها مشدودةً : أين تذهبُ ؟
أفي كلّ مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ ... كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبُ
فوالله ما زالت تُلبِّثُ ناقتي ... وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ
دعينيَ ما للموت عنّيَ دافعٌ ... ولا للذي ولّى من العيش مَطْلَبُ
إليكَ عبيدَ الله تَهوِي ركابُنا ... تَعسَّفُ مجهولَ الفلاة وتدأبُ
وقد ضمرت حتّى كأنّ عيونَها ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها متصبِّبُ
فقلت لها : لا تشتكي الأَيْنَ إنّه ... أمامَكِ قَرْمٌ من أُميّة مُصْعَبُ[4]
إذا ذَكروا فضلَ امرىء كان قبلَه ... ففضلُ عبيدِ الله أَثرى وأطيَبُ

1 المثل «سبق السيف العذل» في مجمع الميداني 1 : 73 وفصل المقال 67 ومستقصى الزمخشري 2 : 115 وجمهرة العسكري 1 : 377 .
2 شعره : 49-51 .
3 الهضوم : المنفق لماله . والعنبس : الأسد .
4 الأين : الاعياء . ومصعب : مسوّد .

وأنّك لو يُشفِي بك القَرْحُ لم يُعد — وأنت على الأعداء نابٌ ومِخلبُ
تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الـ — ـحليفين مـا أرسى ثَبِيرٌ ويَثْرِبُ
وأنــت إلى الخيرات أوّل سابق — فأبشِر ، فقد أدركتَ ما كنتَ تطلبُ
أعِنّي بسَجْل مــن سِجالك نافع — ففي كلّ يوم قد سَرى لك مِحلبُ[1]
فإنّك لــو إيّـاي تطلب حاجةً — جرى لك أهلٌ في المقال ومَرْحَبُ

قال : فقال له عُبيد الله ، وقد ضحك من هذا البيت الأخير : فإنّي لا أطلب إليك حاجة ، كم السَّجل الذي يُرويك ؟ قال : نوالُك أيّها الأمير يكفيني ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[الصديق المتغيّر]

قال ابن الأعرابيّ : كان نُعَيم بنُ دُجانة بنِ شَدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس بن مُنقِذ بن طَريف صديقاً لعبد الله بن الزّبير ، ثم تغيَّر عليه ، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك[2] : [من الوافر]

ألا طرقــتْ رُوَيمةُ بعــد هَدْءٍ — تَخَطّى هــولَ أنمــارٍ وأُسْدِ[3]
تجُــوس رحالنـــا حتى أتتنا — طُروقاً بــين أعــرابٍ وجُنْدِ
فقالت : مــا فعلتَ أبا كثيرٍ — أصحَّ الودُّ أم أخلفتَ عهدي ؟
كأنّ المسك ضمّ على الخُزامى — إلى أحشائها وقضيــبَ رَنْــدِ
ألا مَــن مُبْلِــغ عنّــي نُعيْما — فسوف يجرِّبُ الإخوانَ بعدِي
رأيتك كالشموس تُرى قريباً — وتمنـــع مسحَ ناصيـــةٍ وخَدٍّ
فإنّي إن أَقَــعْ بــك لا أُهَلِّلْ — كوقع السيف ذي الأَثْر الفِرِندِ[4]
فــأَوْلى ثــم أَوْلى ثــــم أَوْلى — فهــل للدَّرِّ يُحْلَب من مَرَدِّ ؟

[قسوة عبد الله بن الزّبير على أخيه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني عيسى بنُ إسماعيل تِينة ، وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ عن خالد بنِ سعيد عن أبيه قال : كان عبد الله بن الزّبير صديقاً لعمرو بن الزّبير بن العوّام ، فلمّا أقامه أخوه[5] ليُقتصّ منه بالغ كلّ ذي

1 السجل : الدلو العظيمة مملوءة .
2 شعره : 71–72 عن الأغاني .
3 أنمار وأسد : رجال شجعان كالنمور والأسود .
4 هلل عن الأمر : جبن وفزع .
5 أي عبد الله بن الزّبير .

حِقدٍ عليه في ذلك ، وتدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادّعى عليه شيئاً بيّنةً ، ولا يطالبه بحجّة ، وإنّما يقبل قوله ثم يُدخله إليه السجنَ ليقتصّ منه ، فكانوا يضربونه والقيْحُ ينتضِح من ظهره وأكتافِه على الأرض لشدّة ما يمرّ به ، ثم يُضرَب وهو على تلك الحال ، ثم أُمِر بأن يُرسَل عليه الجِعْلان ، فكانت تدِبّ عليه فتثقُب لحمه ، وهو مقيّد مغلول ، يستغيث فلا يغاث ، حتى مات على تلك الحال ، فدخل الموكَّل به على أخيه عبد الله بن الزّبير وفي يده قدحُ لبن يريد أن يتسحَّر به وهو يبكي فقال له : ما لك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبْعده الله ، وشرب اللبن ، ثم قال : لا تُغسِّلوه ولا تكفِّنوه ، وادفنوه في مقابر المشركين ، فدُفِن فيها ، فقال ابن الزَّبير الأسديّ يرثيه ويؤنِّب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخِلاًّ ونديماً[1] : [من الطويل]

أيــا راكِبــاً إمَّــا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... كبيرَ بني العوّام إن قيـل مَن تَعنِي
ستعلم ، إن جالت بك الحربُ جولةً ... إذا فَوّق الرامون ، أسهم مَن تُغْنِي
فأصبحتِ الأرحامُ حــين وَليتها ... بكفَّيــك أكراشاً تُجـرُّ على دِمْنِ
عقدتــمْ لعمــرو عُقـدةً وغَدرتُمُ ... بأبيضَ كالمصباح في ليلة الدَّجْنِ
وكبَّلتــه حَـوْلاً يجــود بنفسه ... تَنوء بـــه في ساقـه حَلَقُ اللَّبْنِ[2]
فما قــال عمرو إذ يجود بنفسه ... لضاربه ، حتى قضى نَحبَه : دَعْنِي
تحــدِّثُ مَــن لاقيتَ أنّك عائـذٌ ... وصرَّعتَ قَتلى بين زمزمَ والرُّكنِ[3]
جعلتم لضرب الظَّهرِ منه عِصِيَّكم ... تُراوِحُـــه ، والأَصْبَحِيَّـةُ للبطنِ[4]
تُعــذِّر منـه الآن لَمّــا قتلتَـــه ... تَفاوُتَ أرجاءِ القلِيبِ مـن الشَّطْنِ[5]
فلَم أَرَ وَفْــداً كان للغــدرِ عاقِـداً ... كوفدِكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِي[6]
وكنتَ كذاتِ الفِسقِ لم تدرِ ما حَوَتْ ... تَخَيَّرُ حالَيْهــا أتسرق أم تــزنِي
جزى الله عنِّي خالداً شرَّ مـا جَزى ... وعُروةَ شرّاً ، مِن خليلٍ ، ومن خِدنِ[7]

---

1 شعره : 133–136 .
2 اللبن : الضرب الشديد .
3 كان عبد الله بن الزّبير يدعى العائذ لأنه عاذ بالبيت الحرام .
4 الأصبحية : السياط .
5 تعذر : تتكلّف العذر . والقليب : البئر . والشَطَن : الحبل الطويل .
6 أسناه : رفعه .
7 خالد وعروة أخوا عبد الله بن الزّبير .

قتلتم أخـاكم بالسِّياطِ سفاهـةً ... فيا لَكَ لِلـرأي المضلَّـل والأَفْنِ[1]
فلـو أنّكـمْ أُجهَزتُـم إذ قتلتُـم ... ولكـنْ قَتلتمْ بالسِّياطِ وبالسِّجْنِ
وإنّي لأَرجو أن أرى فيك ما ترى ... به من عِقاب الله ما دونه يُغنِي
قطعتَ مـن الأَرحام ما كان واشِجاً ... على الشَّيبِ ، وابتعتَ المخافةَ بالأَمنِ
وأَصبحت تَسعى قاسِطاً بكتيبةٍ ... تهدِّمُ ما حول الحَطِيم ولا تبني[2]
فـلا تَجْزَعَـنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها ... فما للدماء الدهرَ تُهْرَق مِن حَقْنِ[3]

[رثاء يعقوب بن طلحة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الخرّاز عن المدائنيّ قال : قتل يعقوب بن طلحة بن عبيد الله يوم الحَرَّة ، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد : يا عجباً قاتلني كلّ أحد حتى ابن خالتي ! قال : وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس ، فقال ابن الزَّبير الأَسَديّ يرثيه[4] : [من الطويل]

لعمرك مـا هـذا بعيش فيُبْتَغى ... هنيء ولا مـوتٍ يُريحُ سريعِ
لعمري لقد جـاء الكَرَوَّسُ كاظماً ... على أَمـرِ سَوْءٍ حين شاع فظيعِ
نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفرتْ ... منازلُهـم مـن رُومـةٍ فبَقِيعِ[5]
وكلّهمُ غيـثٌ إذا قُحِـط الورى ... ويعقـوبُ منهـم للأنـامِ ربيعُ[6]

وقال ابن الأعرابيّ : كان على ابن الزَّبير دَين لجماعة ، فلازَموه ومنعوه التصرّف في حوائجه ، وألحّ عليه غريم له من بني نَهْشَل يقال له : ذئب ، فقال ابن الزَّبير[7] : [من الطويل]

أَحابِسَ كيدِ الفيل عن بطن مكّةٍ ... وأنتَ على ما شئتَ جمُّ الفواضلِ[8]
أَرِحْني من اللائي إذا حَلّ دَينُهم ... يمشُّون في الدارات مشيَ الأَراملِ[9]

---

1 الأفن : ضعف العقل والرأي .
2 قاسط : ظالم جائر .
3 تهرق في ل : ما عشت .
4 شعره : 96–97 .
5 رومة : أرض بالمدينة . والبقيع : مقبرة أهل المدينة .
6 في البيت إقواء .
7 شعره : 113–114 عن الأغاني .
8 حابس كيد أصحاب الفيل عن مكّة هو الله . فهذا دعاء .
9 هذا البيت شاهد على استعمال «اللائي» بمعنى الذين .

إذا دخلوا قالوا : السلام عليكم وغير السلام بـالسلام يُحـاوِلُ[1]
أَلِـينُ إذا اشتدّ الغريـم وألتوِي إذا استدّ حتى يُدركَ الدينَ قابلُ[2]
عرضت على «زَيْد» ليأخذ بعض ما يحاولـه قبـل اشتغال الشواغلِ[3]
تثاءب حتـى قلتُ : داسِع نفسِه وأخـرجَ أنيابـاً لـه كالمَعاوِلِ[4]

[دخوله المدينة مع مروان بن الحكم]

وقال ابن الأعرابيّ : استجار ابن الزَّبير بمروانَ بنِ الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال في ذلك[5] : [من الطويل]

أجِدِّي إلى مَـرْوانَ عَدْواً فَقَلِّصي وإلاّ فرُوحي واغتـدِي لابن عامرِ
إلى نفـرٍ حَـول النبـيِّ بيوتُهـم مكاريمُ للعـافي رِقـاقُ المآزِرِ[6]
لهمْ سورة في المجد قد عُلِمتْ لهم تُذَبذِبُ بـاعَ المتعَـب المتقاصِرِ
لهم عامـر البَطْحاء من بطن مكّة ورُومـة تسقى بالجمال القياسِرِ[7]

[حبسه زفر لأمويته]

وقال ابن الأعرابيّ : عرض قوم من أهل المَدْراء[8] لابن الزَّبير الأسديّ في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسِياء[9] ، فاستعدَوا عليه زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ وقالوا : إنّه أُمويّ الهوى ، وكانت قيس يومئذ زُبَيْرية ، وقَرقيسِياء وما والاها في يد ابن الزَّبير ، فحبسه زفر أيّاماً وقيّده ، وكان معه رفيق من بني أميّة يقال له : أبو الحَدْراء ، فرحل وتركه في حبسه أيّاماً ، ثم تكلّمتْ فيه جماعة من مُضَر ، فأُطلق ، فقال في ذلك[10] : [من الطويل]

---

1 في البيت هذا والذي بعده إقواء .
2 في مجموع الشعر : «إذا لان حتى يدرك الدين قابلي» وهي رواية التاج .
3 في مجموع الشعر : «عرضت على ذئب» وهو أقرب إلى الصواب .
4 داسع : فاعل من الدسع وهو الدفع ، ودسعه كدفعه وزناً ومعنى .
5 شعره : 90 عن الأغاني .
6 رقاق المآزر : كناية عن النعيم والترف .
7 القياسر : الإبل الضخمة القوية .
8 أهل المدراء : الحضر .
9 قرقيسياء : بلد على الفرات .
10 شعره : 67–68 عن الأغاني .

أغـادٍ أبــو الحَـدْراء أم متروِّحُ ؟ كذاك النَّـوى ممّـا تُجِدّ وتَمزحُ
لعمري لقد كانـت بلادٌ عريضةٌ لي الرَّوْحُ فيهـا عنك والمتسرَّحُ[1]
ولكنّه يدنــو البغيضُ ويبعد الــ ـحبيبُ وينأى في المَـزارِ وينزَحُ
ألا ليت شعري هل أتى أُمَّ واصلٍ كُبُولٌ أعَضُّوها بساقَـيَّ تَجْرَحُ
إذا ما صرفتُ الكعبَ صاحت كأنّها صريفُ خَطاطيفٍ بدَلوين تَمتَحُ[2]
تُبَغّـي أباهـا في الرفـاق وتنثني وألـوى به في لُجَّةِ البحر تِمْسَحُ[3]
أمرتحِلٌ وفـدُ العـراق وغُودِرت تحِـنُّ بأبـواب المدينـة صَيْدَحُ[4]
فإنّـكِ لا تدريـن فيمـا أصابني أريثُكِ أم تعجيـلُ سَيرِكِ أنجَحُ
أظَنَّ أبــو الحدراء سَجني تجارةً ترجِّى ومـا كلّ التجارة تَربحُ !

[القتل أو اللحاق بالمهلّب]

أخبرني محمد بن عمرانَ الصَّيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال : لما قدم الحجّاج الكوفة والياً عليها صعِد المِنبرَ ، فخطَبَهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إنّ الشيطان قد باض وفرّخ في صدوركم ، ودبَّ ودَرج في حُجوركم ، فأنتم له دِين ، وهو لكم قرِين ، ﴿وَمَنْ يَكُن الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً﴾ . ثم حثّهم على اللَّحاق بالمهلَّب بن أبي صُفرة ، وأقسم ألاّ يجدَ منهم أحداً اسمُه في جريدة المهلّب بعد ثالثة بالكوفة إلاّ قتله ، فجاء عُمَير بن ضابىء البُرْجُميّ فقال : أيّها الأمير ، إنّي شيخ لا فضل فيَّ ، ولي ابنٌ شابٌّ جَلْد ، فاقبله بدلاً منّي ؛ فقال له عَنبسة بن سعيد بن العاص : أيّها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول ، فرفَسَه وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

أين تركتَ ضابئاً يـا نَعْثَلُ

فقال له الحجّاج : فهلاّ يومئذ بعثتَ بديلاً ، يا حَرَسيّ ! اضربْ عنقه ، وسمع الحجّاج ضَوءضاء ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هذه البراجم جاءَت لِتنصُر عميراً فيما ذكرَت ، فقال :

---

1 الروح : الراحة . والمتسرح : انفراج الضيق .
2 صرفت : حركت . والخطاطيف : جمع خطاف وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة . والصريف : صوت البكرة عند الاستسقاء .
3 تمسح : تمساح .
4 صيدح : اسم ناقة ذي الرمة ، ويبدو أنه اسم ناقة ابن الزّبير أيضاً .

أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولّوا هاربين ، فازدحم الناسُ على الجِسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرق بعضُهم ، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ[1] : [من الطويل]

أقــول لإبراهيــمَ لمّــا لقيتُــه أرى الأَمر أَمسى واهيــاً متشعبا[2]
تخيرْ فإمّا أن تزور ابن ضابىءٍ عميراً وإمّا أن تـــزور المهلَّبــا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجاؤك منهما ركوبُك حَوْليّاً من الثلج أشهبا[3]
فأَضحى ولو كانت خُراسانُ دونَه رآها مكان السَّوقِ أَو هــي أَقربا

[مصعب لا يقبل مديحه]

أَخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني علي بن عَثّام الكلابيّ قال : دخل عبد الله بن الزَّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لّما وَلِيَها وقد مدحه ، فاستأذنه الإنشاد ، فلمْ يأذن له ، وقال له : أَلَم تُسقِط السماء علينا وتمنعْنا قَطْرها في مديحك لأسماءَ بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر : أنشِدْها ، فأنشَدَه[4] : [من الوافر]

إذا مات ابنُ خارجةَ بن حِصنٍ فلا مَطَرتْ على الأرض السماءُ
ولا رجعَ الوُفود بغُنم جيشٍ ولا حَملتْ على الطُّهر النساءُ
ليَــومٌ منــك خيرٌ مــن أُناسٍ كثيرٍ حَولَهــم نَعَــمٌ وشاءُ
فبُــورِك في بنيــك وفي أَبيهمْ إذا ذُكروا ونحــن لك الفداءُ

فالتفت إليه مصعب وقال له : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف ، وبلغ ذلك أسماء ، فعوّضه حتى أرضاه ، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك ، وخُصّ به ، وسمع مديحَه ، وأَحسن عليه ثوابَه .

[مع بشر بن مروان]

قال ابن الأعرابيّ : لِما ولِي بشر بن مروانَ الكوفةَ أَدنى عبدَ الله بنَ الزَّبير الأسديّ وبرَّه وخصَّه بأنسه ، لعلمه بهواه في بني أميّة ، فقال يمدحه[5] : [من الطويل]

---

1 شعره : 54–56 .
2 في رواية :
أقــول لعبد الله يـــوم لقيتــه أرى الأمر أمسى منصباً متشعبا
3 أي هناك أمران فيهما الهوان والهلاك ، ولا ينجي منهما إلاّ اللجوء إلى جبل يغطيه الثلج طوال العام .
4 شعره : 47–48 .
5 شعره : 80 عن الأغاني .

أَلَمْ تَـرَنِي والحمـد لله أنّنـي برئـت وداواني بمعْروفِـه بِشرُ
رعـى مـا رعى مروانُ مِنِّيَ قَبلَه فصحَّت له منّي النصيحة والشكرُ[1]
ففي كلّ عام عاشَه الدهرَ صالحاً عليّ لـربّ العالَمـين لـه نَذْرُ
إذا مـا أبو مـروان خَلَّى مكانَه فلا تَهنـأ الدنيا ولا يُرسَل القطرُ
ولا يَهنِيء النـاسَ الولادةُ بينهم ولا يَبقَ فوق الأرض من أهلها شَفْرُ[2]
فليس البحـور بالتـي تخبرونني ولكن أبو مروان بشرٌ هـو البحرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنّة[3] : [من الكامل]

جاءَت بـه عُجُـزٌ مقابَلـةٌ مـا هن مِن جَرْم ومن عُكْلِ[4]
يا بشرُ يـا ابن الجعفريّة ما خَلَـق الإلـهُ يديْك للبُخلِ
أنتَ ابـن سادات لأجمَعِهم في بطـن مكَّـةَ عـزَّةُ الأصلِ
بحـر مـن الأعياص جُدْن به في مغـرِسٍ للجُـودِ والفضلِ
متهلّـلٌ تَنْـدى يَـداه إذا ضنَّ السحاب بوابـلٍ سَجْلِ

[خبره مع الحجاج]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش قال : أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أن ابن الزَّبير الأسديَّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صُوِّب[5] بعثٌ إلى الرَّيّ ، قال : فكنتُ فيه ، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعني قنطرةَ الكوفة التي بزُبارَةَ لِيَعرِض الجيشَ ، فعرضهم ، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو ؟ فمرّ به ابنُ الزّبير ، فسأله من هو ؟ فأخبره ، فقال أنت الذي تقول : [من الطويل]

تَخيَّرْ فإمّا أن تزور ابنَ ضابىءٍ عُمَيراً ، وإمّـا أن تزور المهلَّبا

قال ، بلى ، أنا الذي أقول[6] : [من الطويل]

1 النصيحة في ل : الصنيعة .
2 شفر : أحد ، وفي رواية «سفر» .
3 شعره : 107–108 .
4 عجز : جمع عجوز . مقابلة : كريمة النسب من الأب والأم وجرم وعكل : بطنان من عرب اليمن . وعكل ترمى بالغباوة وقلّة الفهم .
5 صوب : أرسل .
6 شعره : 69–70 .

أَلَم تَـرَ أنّي قـد أَخـذتُ جَعِيلةً وكنتُ كمَن قاد الجَنيبَ فأَسمَحا[1]

فقال له الحجّاج : ذلك خير لك ، فقال : [من الطويل]

وأَوقَدَتِ الأَعداء يـا مَـيَّ فاعلَمي بكلّ شَرًى نـاراً فلَمْ أَرَ مَجْمَعا[2]

فقال له الحجّاج : قد كان بعض ذلك ، فقال : [من الطويل]

ولا يَعدَم الدّاعي إلى الخير تابعـاً ولا يَعدَم الدّاعي إلى الشرّ مَجْدَحا[3]

فقال له الحجّاج : إن ذلك كذلك ، فامض إلى بَعْثِك ، فمضى إلى بعثه فمات بالرّيّ .

[سبب هجائه ابن أمّ الحكم الأسديّ]

أُخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قـال : حدَّثنـي عمّي قال : لما وليَ عبدُ الرحمن ابن أمّ الحكم الكوفة ، مدحه عبد الله بن الزَّبير الأسدي فلم يُثِبه ، وكان قدِم في هيئة رثّة ، فلمّا اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر ، فقال ابن الزَّبير فيه[4] : [من الطويل]

تبقَّلْت لمـا أن أُتيتَ بلادكمْ وفي مصرنا أنت الهمام القَلَمَّسُ[5]
ألستَ ببغـــل أمّـــه عربيّـة أَبـوك حمار أدبرُ الظهرِ يُنخَسُ

قال : وكان بنو أميّة إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً ، يظنّه يعرّض به .

[تشفيه بقتل عبد الله بن الزّبير]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ عن العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا قُتِل عبد الله بن الزُّبير صلب الحَجّاج جسدَه ، وبعث برأسه إلى عبد الملك ، فجلس على سريره وأُذِن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبدُ الله بن الزبير الأسديّ فاستأذنه في الكلام ، فقال له : تكلّم ولا تقل إلاّ خيراً ، وتوخَّ الحقَّ فيما تقولُه ، فأنشأ يقول[6] : [من الطويل]

مشى ابن الزُّبَير القَهْقَرى فتقدّمت أميّـــة حتّـــى أحرزوا القَصَباتِ

---

1 الجعيلة : ما يجعل للمرء على عمله . الجنيب : الذي يقاد إلى الجنب . وأَسمحَ : لان وانقاد .
2 الشرى : الطريق والناحية . ومجمح : مفر ومهرب .
3 جدح السويق : لته . ومجدع : خشبة يحرك بها .
4 شعره : 94 . وفيه «تثعلبت» بدلاً من «تبتلت» .
5 تبقّلت في مجموع شعره : بثعلبت . القلمس : البحر ، والرجل الخير المعطاء والسيد العظيم .
6 شعره : 64 .

وجئتَ المجلّي يا ابنَ مروان سابقاً أمــامَ قريش تنفُـض العُـذُراتِ[1]
فـلا زلـتَ سبّاقاً إلى كلّ غايــة مــن المجــد نجّاءً من الغَمَراتِ[2]

[في المُحِلّ الحجّاج]

قال : فقال له : أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أُعلى عيناً بها وأرحَبُ صَدْراً يا أُمير المؤمنين ؛ فأُمر له بعشرين أَلف درهم وكسوة ، ثم قال لـه : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال : لا ، ولكن أُبياتك في المُحِلّ[3] فيّ وفي الحجّاج التي قلتَها : فأنشده[4] : [من الطويل]

كأنّـي بعبد الله يركب رَدْعَــه وفيــه سنان زاعِبــيٌّ مُحَرَّبُ[5]
وقد فرّ عنه الملحِدون وحلَّقتْ به وبمن آساه عَنقاءُ مُغْرِبُ[6]
تولَّـــوا فخلَّـــوه فشالَ بشِلوه طويل من الأجذاع عارٍ مُشذَّبُ
بكفَّيْ غلام من ثقيفٍ نَمَت به قريش وذو المجــد التليدُ مُعتَّبُ

فقال له عبدُ الملك : لا تقل غلام ، ولكن هُمام ، وكتب له إلى الحجّاج بعشرة آلاف درهم أُخرى ؛ والله أُعلم .

أُخبرني أُبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أُبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد قال : قَتَل ابنُ الزُّبير من شيعة بني أُميّة قوماً بلغه أنّهم يتجسّسون لعبد الملك ، فقال فيه عبد الله بنُ الزَّبير في ذلك يهجوه ويعيِّره بفعله[7] : [من الرمل]

أيّها العائـــذ في مكّــة كَمْ من دمٍ أُهرَقْتَه في غير دمْ[8]
أيَـــدٌ عائـذةٌ معصمـــةٌ ويد تقتل مَن حلَّ الحَرَمْ ![9]

1 العذرة : الناصية .
2 الغمرة : الشدّة .
3 كان عبد الله بن الزُّبير يدعى «المحل» لاحلاله القتل في الحرم .
4 شعره : 52 .
5 يقال للقتيل «ركب ردعه» إذا خر لوجهه على دمه . والسنان المحرب : المحدد . والزاعبي : المنسوب إلى زاعب ، ولعلّه اسم رجل أو بلد ، وهو الرمح الذي إذا هز تدافع كلّه (اللسان ـ زعب) .
6 عنقاء مغرب : أي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحس ولم ترَ .
7 شعره : 132 .
8 أهرقته في شعره : أجريته .
9 حلّ في شعره : جاء .

[مدائحه في بشر بن مروان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه ، والكتاب بخطّ النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزّبير وشعرِه ، قال : دخل عبد الله بن الزّبير على بشر بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرٌ خلَعَها عليه ، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه ، فجفاه ، فلمّا وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمّل مَن حَوالَيه من بني أميّة ، ويجيل بصرَه فيهم كالمتعجّب من جمالهم وهيئتهم ، فقال له بشر ، إن نظرك يا ابن الزّبير ليدلّ أنّ وراءه قولاً ؛ فقال : نعم ، قال : قل ؛ فقال[1] : [من الوافر]

كأنّ بنـي أُميّـة حـول بشر | نجومٌ وَسْطَهـا قمـر منيرُ
هـو الفرع المقدَّم مـن قريش | إذا أخذتْ مآخِذَهـا الأمورُ
لقـد عمت نوافلُـه فأضحى | غنيّـاً مِـن نوافلـه الفقيرُ
جبَرْتَ مَهِيضَنا وعَدَلْتَ فينـا | فعـاش البائس الكَلُّ الكَسِيرُ[2]
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش | لنـا ، والواكِفُ الجَوْنُ المَطِيرُ[3]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه ، فقال ابن الزّبير[4] : [من الطويل]

لِبشرِ بنِ مـروانٍ على الناس نعمة | تـروح وتغـدو لا يطـاقُ ثوابُها
بـه أمّن الله النفوسَ مـن الرّدى | وكانـت بحـال لا يَقَـرُّ ذُبابُها[5]
دمغْتَ ذوي الأضغان يا بشر عَنوةً | بسيفك حتى ذَلَّ منهـا صِعابُها
وكنت لنا كهفاً وحِصناً ومَعقِلاً | إذا الفِتنة الصّمّاء طارت عُقابُها[6]
وكم لك يا بشر بنَ مروانَ من يدٍ | مهذَّبـةٍ بيضـاءَ راسٍ ظِرابُها[7]
وَطَدْتَ لنـا ديـنَ النبيّ محمـدٍ | بحلمك إذ هرَّت سَفاهاً كِلابُها
وسُدتَ ابنَ مروانٍ قريشاً وغيرَها | إذا السنةُ الشهباءُ قـلَّ سَحابُها[8]

1 شعره : 82–83 .
2 هاض العظم : كسره بعد أن جبر أوكاد .
3 الجون هنا : السحاب الأسود .
4 شعره : 62–63 .
5 الذباب : الشر .
6 الكهف : الملجأ . والفتنة الصماء : التي لا سبيل إلى تسكينها .
7 الظراب : الجبل المنبسط .
8 السنة الشهباء : المجدبة .

رَأَبْتَ ثَأْنــا واصطنعــتَ أياديــاً إلينا ونــارُ الحــربِ ذاكٍ شِهابُها[1]

قال النضر بن حديد في كتابه هذا : ودخل عبد الله بنُ الزَّبير إلى بشر بنِ مروان متعرّضاً له ويُسمِعَه بيتاً من شعره فيه ، فقال له بشر : أراك متعرّضاً لأن أسمع منك ، وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئاً ؟ لقد نزحتَ فيه بحرَك يا ابنَ الزَّبير ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً ، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة ، وكنتُ لمعروفه شاكراً ، وأيادي الأمير عندي أجلّ ، وأمَلِي فيه أعظم ، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبِل به ميسورهم ، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أُوفَّق للصواب . فقال : هات ، فقال[2] : [من الطويل]

تداركنــي بشرُ بنُ مــروانَ بعدما تعاوَتْ إلى شِلوِي الذئابُ العواسِلُ[3]
غِياث الضعاف المُرمِلِين وعصمةُ الـ ـيتامى ومَــنْ تأوي إليهِ العباهلُ[4]
قَريعُ قريشٍ والهمــامُ الذي لــه أقرَّت بنــو قحطان طُرّاً ووائلُ[5]
وقيسُ بن عَيــلانٍ وخِنْدِفُ كلُّها أقرّت وجِنُّ الأرض طُرّاً وخابِلُ[6]
يداك ابنَ مروان يــدٌ تقتل العدا وفي يدك الأُخرى غياثٌ ونائلُ[7]
إذا أمطرَتْنا منك يومــاً سحابةٌ رَوِينا بمــا جادت علينا الأناملُ
فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيّداً يُهــلّ علينــا منـك طَلٌّ ووابلُ
فأنت المصفَّى يا ابن مروانَ والذي توافــت إليــه بالعطــاء القبائلُ
يرجُّون فضلَ اللهِ عنـــد دعائكمْ إذا جمَعتكــمْ والحجيجَ المنازلُ
ولولا بنــو مروان طاشت حُلومنا وكنّــا فَراشاً أحرقتْهــا الشعائلُ

[ثناء وتعرّض]

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة ، وقال له : إنّي أُريد أن أُوفِدَكَ على أمير المؤمنين ، فتهيَّأ لذلك يا ابنَ الزَّبير ، قال : أنا فاعل أيّها الأمير ، قال : فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيته إن

1 الثأى : الإفساد .
2 شعره : 101–102 .
3 الذئب العاسل : المضطرب في عدوه .
4 المرمل : الفقير أو الذي نفد زاده . والعباهلة : الذين أُقروا على ملكهم لا يُزالون عنه .
5 القريع : السيد .
6 الخابل : الجن .
7 غياث في ل : عقاب .

شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال[1] : [من الطويل]

أقــول : أميرَ المؤمنــين عَصَمتَنا ببشر من الدَّهــر الكثير الزَّلازلِ[2]
وأطفـأتَ عنّــا نــارَ كلّ منافق بأبيضَ بُهلــولٍ طويـل الحمائلِ[3]
نَمَتْــهُ قُــرومٌ مــن أُميّــة للعلا إذا افتخـر الأقـوام وَسْط المحافلِ
هــو القائد الميمونُ والعِصمة التي أتى حقُّهـا فينـا على كلّ باطلِ
أقـام لنـا الديـنَ القويـمَ بحلمِه ورأي لــه فضــلٌ على كلّ قائـلِ
أخـوك أمير المؤمنــين ومن بـه نُجادُ ونُسقى صَوْبَ أسحَم هاطِلِ
إذا مــا سألنا رِفــده هَطَلَت لنا سحابــة كفَّيــه َبجَــوْدٍ ووابِلِ
حليمٌ على الجُهّــال منّــا ورحمــةٌ على كلِّ حــافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ

[شعر الفرزدق في بشر بن مروان]

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر ، وهذه القدرة عليه ! فقال له حَجَّار بن أبجر العجليّ ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة عند بشر : هذا أصلَح الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولاً إذا أراد ، فقال محمد بن عمير بن عطارِد ، وكان عدوّاً لحجّار ، أيّها الأمير ، إنّه لشاعر ، وأشعَرُ منه الذي يقول[4] : [من الطويل]

لبشرِ بــنِ مــروانٍ على كلّ حالةٍ من الدَّهرِ فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ
قرِيــع قريش والذي بــاع مالــه ليَكسِب حَمْداً حين لا أحدٌ يُجْدِي[5]
ينافس بشر في السماحة والنّدى ليُحرز غايــاتِ المَكــارمِ بالحمدِ
فكم جبرتْ كفّاك يا بِشرُ من فتًى ضَريكٍ ، وكم عيَّلت قوماً على عَمَدِ[6]
وصيّرتَ ذا فقــرٍ غنيّاً ، ومثريــاً فقيراً ، وكلاًّ قد حذوتَ بلا وعدِ

فقال بشر : من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مُغضَباً عليه ، فقال : ابعثْ إليه

---

1 شعره : 111–112 .
2 الزلازل : البلايا والشدائد .
3 أبيض : نقي العرض من الدنس والعيوب ، ولا يراد به اللون . والبهلول : السيد الجامع لكلّ خير . الحمائل : جمع حمالة ، وهي علاقة السيف . وطول الحمالة كناية عن طول القامة .
4 ديوان الفرزدق 1 : 179 .
5 يجدي : يعطي .
6 الضريك : الفقير .

فأحضِرْه ، فقال له : هو غائب بالبصرة ، وإنّما قال هذه الأبيات وبعث بها لأُنشِدَكَها ولتَرضى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضياً عنه حتى يأتيَني ، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق ، فتهيأً للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البَصْرة قد جُمِعتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومَه ، فقال عبد الله بن الزَّبير لمحمّد بن عُمَير في مجلسه ذلك بحضرة بِشر : [من الطويل]

بني دارمٍ هـل تعرفـون محمـداً بِدعوَتـه فيكم إذا الأمـر حُقِّقا[1]
وساميتُم قومـاً كرامـاً بمجدكم وجاء سُكَيْتاً آخـر القـوم مخفِقا
فأصلُك دُهْمان بنُ نصرٍ فردُّهم ولا تـك وَغْـداً في تميم معلَّقا
فإن تميماً لستَ منهم ولا لهمْ أخاً يا ابن دُهمانٍ فلا تك أحمقا
ولـولا أبو مـروان لاقَيْتَ وابِلاً من السوط يُنسيك الرَّحيق المعتَّقا
أحينَ عَلاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهراً وقلت اسقني الصَّهباء صِرفا مروَّقا
تركـت شرابَ المسلمين ودينَهم وصاحبتَ وَغْداً من فَزارة أزرقا[2]
تبيتان من شُرب المدامـةِ كالذي أُتيح لـه حبـلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر : أقسمتُ عليك إلاّ كففتَ ، فقال : أفعلُ أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِضْنَيْه[3] بالحقّ ، وكفّ ابن الزَّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمِت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير ، وكان عدوَّه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزَّبير فقالوا : عليك غضب الله ، أشمتَّ حجّاراً بمحمد ، والله لا نرضى عنك حتى تهجوَه هجاءً يَرضى به محمد بن عمير عنك ، أو لست تعلم أنّ الفرزدق أشعَرُ العرب ؟

قال : بلى ، ولكن محمداً ظلمني وتعرّض لي ، ولم أكن لأحلُمَ عنه إذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّاراً ، فقال[4] : [من الطويل]

سليلَ النّصارى سُدّتَ عِجلاً ولم تكن لذلـك أهْلاً أن تسود بنـي عِجْلِ
ولكنّهـم كانـوا لئامـاً فَسُدْتَهمْ ومثلُك مـن ساد اللئـامَ بـلا عَقْلِ
وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ عليك بَنُـو عجـل ومِرجَلُكم يَغْلي

---

1 دِعوة : ادّعاء النسب إلى غير الأب أو العشيرة .
2 أزرق : أي أزرق العينين ، وكانت الزرقة مكروهة عند العرب لأنها من صفات الروم .
3 الحضن : الجنب .
4 شعره : 109 عن الأغاني .

وعندك قِسّيس النصارى وصُلْبُها وعانيّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنى النحلِ[1]

قال : فلمّا بلغ حجّاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان ، فقال له بشر : هجوت حجّاراً ؟ فقال : لا والله أعزّ الله الأمير ، ما هجوتُه ، لكنّه كذب عليّ ، فأتاه ناس من بني عجل وتهدّدوه بالقتل ، فقال فيهم[2] : [من الطويل]

تُهدِّدني عجلٌ ، وما خِلتُ أنّني خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ
وما خِلتُني والدَّهرُ فيه عجائبٌ أُعمَّر حتى قد تهدّدني عِجلُ
وتُوعِدُنِي بالقتل منهم عصابةٌ وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أُصلُ
وعجلٌ أُسود في الرخاء ، ثعالبٌ إذا التقت الأبطال واختلف النَّبلُ
فإن تَلْقَنا عِجلٌ هناك فمالنا ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعْلُ[3]

[لجوؤه إلى سويد بن منجوف]

وقال النضر في كتابه : لمّا منع عبد الرحمن بن أُمّ الحَكَم عبد الله بن الزَّبير الخروجَ إلى الشام ، وأراد حبسه ، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف ، واستجار به ، فأخرجه مع بني شيبانَ في بلادهم ، وأجازه[4] عَمل ابن أُمّ الحكم ، فقال يمدحه[5] : [من الطويل]

أليس ورائي إن بلادٌ تجهَّمتْ سويدُ بنُ مَنْجُوفٍ وبكر بن وائلِ
حصونٌ بَراها الله لم يُرَ مِثلُها طِوالٌ أعاليها شِدادُ الأسافلِ
هُم أصبَحوا كَنزي الذي لَسْتُ تاركاً ونَبْلي التي أعددتُها للمُناضِلِ

[منعه حاجب بشر]

وقال أيضاً في هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزَّبير يوماً إلى بشر بنِ مروان ، فحجبه حاجبُه ، وجاء حجّار بن أبجرَ فأذِن له ، وانصرف ابن الزَّبير يومئذٍ ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً ، فدخل إليه ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول[6] : [من الطويل]

أَلم تَرَ أنّ الله أعطى فَخَصَّنا بأبيضَ قَرمٍ من أميّةَ أزهرا

1 العانية : الخمر المنسوبة إلى عانة بلدة بالعراق .
2 شعره : 103 عن الأغاني .
3 الوعل : الملجأ .
4 أجازه : سهل له اجتياز حدود ولايته .
5 شعره : 110 عن الأغاني .
6 شعره : 85–86 .

طَلوع ثنايا المجـد ، سامٍ بطَرفـه ... إذا سُئـل المعـروفَ ليس بأَوْعرا
فلولا أَبو مروان بِشْرٌ لقـد غَـدت ... ركابيَ في فَيْف مـن الأَرْض أَغبرا[1]
سِراعـاً إلى عبـد العزيـز دوائبـاً ... تَخلَّـلُ زَيتونـا بمصر وعَـرْعَرا
وحاربتُ في الإسلام بكـرَ بنَ وائل ... كحـربِ كليـب أو أمـرَّ وأمْقَرا[2]
إذا قـادتِ الإسلامَ بَكر بـن وائلٍ ... فهَـبْ ذاك دِينـا قـد تغيَّر مُهتَرا[3]
بـأيّ بـلاءٍ أم بـأيّ نصيحـةٍ ... تُقـدِّم حَجّاراً أَمامـي ابنَ أَبجَرا
وما زلتُ مـذ فارقتُ عثمان صادِياً ... ومـروانَ مُلتاحـاً عن المـاء أزورا[4]
أَلا ليتنـي قُدِّمـتُ واللهِ قَبْلَهُـمْ ... وأن أَخـي مَـرْوان كان المؤخّرا
بهم جُمِعَ الشمل الشَّتيتُ ، وأُصْلَح الـ ... ـإله ، وداوى الصَّدْعَ حتّـى تَجَبَّرا
قضـى اللهُ : لا ينفـكّ منهـم خليفةٌ ... كريـم يسوس الناسَ يركـبُ مِنبرا

فاعتذر إليه بشرٌ ووصلَه وحمله ، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه ، وأَمر أن يأذن له عند إذنه لأخصِّ أَهله وأوليائه .

[الزَّبير بن الأشيم شاعر]

وقال النضر في كتابه هذا : كان الزَّبير بن الأَشْيَم ، أَبو عبد الله بن الزَّبير شاعراً ، وكان لعبد الله بنِ الزَّبير ابن يقال له الزَّبير شاعر ، فأمّا أَبوه الزّبير بن الأشيم فهو الذي يقول : [من الطويل]

أَلا يـا لقَومـي للرّقـاد المؤرِّقِ ... وللرَّبْع ، بعد الغبْطة ، المتفرِّقِ
وهمٍّ الفتى بالأَمْرِ من دون نَيْله ... مراتبُ صعباتٌ على كُلّ مُرْتَقي
ويوم بصحراء البَدِيدَيْـنِ قِلته ... بمنزلـة النُّعمـان وابـن محرِّقِ
وذلك عيش قد مَضَى كان بَعْدَه ... أمورٌ أشابَـتْ كلَّ شأن ومَفرَقِ
وغيَّر ما استنكرتِ يا أمّ واصلٍ ... حوادثُ إلاّ تَكْسر العظم تَعرقِ
فـراقُ حبيبٍ أَو تغيُّر حالـةٍ ... من الدَّهرِ أَورامٍ لشخصي مُفوِّقِ

---

1 الفيف : المفازة .
2 أمقر : أمرّ .
3 أُهتر الرجل : ذهب عقله فهو مهتر .
4 الملتاح : المتغير .

على أنّني جَلْــدٌ صبورٌ مرزَّأ ... وهل تتركُ الأيّــامُ شيئاً لمشفِقِ ؟

[شعر لابن عبد الله]

وأمّا ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير ، فهو القائل يمدح محمد بنَ عيينة بنِ أسماء بن خارجةَ الفَزاريّ : [من مجزوء الكامل]

قالــت عبيدَةُ مَوْهِنــاً ... أيـــن اعْتَراكَ الهــمُّ أينَهْ
هــل تبلغنَّ بــك المُنى ... مــا كنت تأمُل في عُيينهْ
بــدرٌ لــه الشِّيَم الكرا ... ئــم كامــلاتٌ فاعتَلَيْنَهْ
والجــوعُ يَقْتُله النّــدى ... منــه إذا قَحْــطٌ ترَيْنَهْ
فهنـــاك يَحْمَـدُه الورى ... أخـلاق غيركم اشتكينهْ

قال : وهو القائل في بعض بني عمّه : [من الطويل]

ومولى كَداءِ البَطْنِ أو فـوق دائه ... يزيدُ موالي الصدّقِ خيراً وينقصُ
تلوّمتُ أرجـو أن يَثُوب فيرْعَوِي ... بـه الحلمُ حتّى استيأسَ المتربِّصُ

[هرب إلى معاوية]

وقـال النضر في كتابه هذا : لمّا هرب ابن الزّبير من عبد الرحمن بن أم الحَكَم إلى معاوية ، أحرق عبدُ الرحمن داره[1] ، فتظلّم منه وقال : أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أُنفق عليها هذا القدر ، فمَن يعرف صحّة ما ادّعيت ؟ قال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية للمنذر : ما عندك في هذا ؟ قال : إنّي لم آبَهْ لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنّي ما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها ، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إنّ داراً اشتُري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ! وأمر له بها ، فلمّا خرجا أقبل معاوية على جلسائه ، ثم قال لهم : أيّ الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنّي لأعرف داره ، وما هي إلاّ خِصاص قصب ، ولكنّهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

[مدح إبراهيم بن الأشتر فأجازه]

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغِلابيّ عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عديّ قال : أتى عبدُ الله بن الزّبير إبراهيم بن الأشتر النّخَعيّ فقال له : إنّي قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ ، فقال : إنّي لست أُعطي الشعراء ، فقال : اسمَعْها منّي وترى

1 تقدّمت هذه الحكاية بشكل مختلف .

رأيك ، فقال : هات إذاً ، فأنشده قوله[1] : [من الكامل]

اللهُ أَعْطاكَ المهابَةَ والتُّقى ... وأَحَلَّ بيتَكَ في العَديدِ الأَكثرِ
وأقرّ عينَك يوم وقْعَةِ خازِرٍ ... والخيلُ تعثُر بالقَنا المتكسِّرِ[2]
إنِّي مدحتُك إذ نَبا بيَ منزلي ... وذممتُ إخوانَ الغِنى مِنْ مَعْشَرِ
وعرفتُ أنّك لا تخيّب مِدْحتي ... ومتى أُكن بسبيل خيرٍ أَشكرِ
فهلمّ نحوي من يمينك نَفحةً ... إنّ الزمان ألحّ يا ابنَ الأَشْتَرِ

فقال : كم ترجو أن أُعطيكَ ؟ فقال : ألف درهم أُصلِح بها أَمرَ نفسي وعيالي ، فأمر له بعشرين ألف درهم .

صوت

[من الكامل]

ما هاج شوقَك من بُكاء حَمامَةٍ ... تَدْعُو إلى فَنَنِ الأَراكِ حَماما
تَدعو أَخا فَرْخين صادَفَ ضارياً ... ذا مِخلبين من الصُّقُورِ قَطاما
إلاّ تَذَكُّرُكَ الأَوانسَ بَعْدَما ... قطع المطيُّ سَباسباً وهُياما

الشعر لثابت قُطْنة ؛ وقيل إنّه لكعب الأشقريّ ، والصحيح أنّه لثابت ، والغناء ليحيى المكّيّ ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، من رواية ابنه والهشاميّ أيضاً .

1 شعره : 91 عن الأغاني .
2 خازر : نهر بين اربيل والموصل كانت عنده معركة قتل فيها عبيد الله بن زياد . وكان إبراهيم بن الأشتر قد خرج مع المختار الثقفيّ .

[271] ـ أخبار ثابت قطنة[1]

[نسبه]

هو ثابت بن كعب ، وقيل ابن عبد الرحمن بنِ كعب ، ويكنى أبا العَلاء ، أخو بني أسد بن الحارث بن العَتِيك ؛ وقيل : بل هو مولى لهم ، ولقّب قطنةَ لأنّ سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة . وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان في صحابة يزيد بن المهلّب ، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمد فيها مَكانُه لكفايته وشجاعته .

فأخبرني إبراهيم بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيبة ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان ، فلمّا صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام ، فتعذَّر عليه وحَصِر ، فقال : ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ ، وبعد عِيٍّ بَياناً ، وأنتم إلى أمير فعّال ، أحوجَ منكم إلى أمير قوّال : [من الطويل]

وإلاّ أكُـن فيكـمْ خطيباً فإنّني ... بسَيْفِي إذا جـدّ الوغى لخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفْوان ، ويقال الأحنفَ بن قيس ، فقال : والله ما علا ذلك المِنبَر أخطبُ منه في كلماته هذه ، ولو أنّ كلاماً استخفّني ، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له ، لأخرجتْني هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبهُ منه بالأحنف .

[هجاء حاجب الفيل له]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثني أحمد بن زهير بن حرب ، عن دعبل بن علي ، قال : كان يزيد بن المهلّب تقدّم إلى ثابت قطنة في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة ، فلمّا صعد المِنبر ولم يُطِق الكلام ، قال حاجبُ الفيل يهجوه : [من البسيط]

أبـا العَـلاء لقد لُقِّيتَ معضلةً ... يومَ العَروبة مـن كربٍ وتخنيقِ
أمّا القُران فلـم تخلَـق لمحكَمه ... ولم تسدَّد مـن الدنيـا لتوفيقِ
لمّـا رمتْكَ عيـونُ الناس هيبَتهمُ ... فكـدتَ تَشرَق لمّـا قمتَ بالرِّيقِ

---

1 لثابت قطنة ترجمة في الشعر والشعراء : 526 وفي وفيات الأعيان 6 : 307 وخزانة البغدادي 9 : 582 . وقد جمع شعره ماجد أحمد السامرائي ولكن لم تتيسر لنا نسخة منه .

تلوِي اللسان وقد رُمْتَ الكلام به ... كما هَوى زَلِقٌ مِن شاهقِ النِّيقِ[1]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الصباح قال : كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازنيّ ، وهو حاجب الفيل ، والفيل لقب لقّبه به ثابت قطنة وكعب الأشقريّ ، أنّ حاجباً دخل على يزيد بن المهلّب ، فلمّا مثل بين يديه أنشده : [من الطويل]

إليك امتطيتُ العِيسَ تسعين ليلة ... أرجِّي نـدى كفَّيكَ يا ابن المهلّبِ

وأنتَ امـرؤٌ جـادَتْ سماءُ يمينِهِ ... على كلِّ حـيٍّ بين شَرْق ومَغْرب

فَجُـدْ لي بطِرْف أعوَجِيٍّ مشهَّرٍ ... سَليم الشَّظا عَبْلِ القوائم سَلْهَبِ[2]

سبوحٍ طموح الطَّرف يَسْتَنُّ مِرْجَمٍ ... أُمِـرَّ كإمـرار الرِّشاء المشذَّبِ[3]

طوى الضُّمرُ منه البطنَ حتى كأنّه ... عقاب تدلَّت من شماريخ كَبكَبِ[4]

تُبادر جُنْـحَ الليلِ فَرْخـين أقْوَيا ... من الزادِ في قَفْرٍ من الأرض مجدِبِ[5]

فلمّـا رأت صَيْداً تدلّتْ كأنها ... دَلاةٌ تَهاوى مَرْقَبـاً بعد مَرقَبِ[6]

فشكّت سوادَ القلب من ذئبِ قَفرةٍ ... طويلِ القَرا عارِي العظامِ معصَّبِ[7]

وسابغةٍ قد أتْقَن القَـينُ صنعَها ... وأسمـرَ خَطِّـيٍّ طويـلٍ مُحَرَّبِ[8]

وأبيضَ مِـن مـاء الحديدِ كأنّه ... شِهابٌ متى يَلْقَ الضَّريبةَ يَقْضِبِ[9]

وقل لي إذا ما شئت في حَوْمة الوغى ... تقدَّمْ أو اركبْ حومةَ الموت أركبِ

فإنّـي امـرؤٌ مِـن عُصْبَةٍ مازِنيّةٍ ... نَماني أبٌ ضخمٌ كريـمُ المركَّبِ

1 النيق : أرفع موضع في الجبل .

2 أعوجي : نسبة إلى أعوج وهو فحل تنسب إليه الخيل العتاق . والشظا : عظم لاصق بالركبة . والعبل : الضخم . والسلهب : ما عظم وطالت عظامه .

3 سبوح : يسبح في سيره . يستن : يقمص ويعدو من النشاط . مرجم : يرجم الأرض بحوافره . أمر الحبل : أحكم فتله .

4 كبكب : جبل بعرفات . والشماريخ : رؤوس الجبال .

5 أقوى : افتقر .

6 الدلاة : الدلو . والمرقب : الموضع المشرف .

7 القرا : الظهر . والمعصب : الجائع .

8 وسابغة : معطوف على «طرف» .

9 يقضب : يقطع .

قال : فأمر له يزيدُ بدِرع وسيف ورُمح وفرس ، وقال له : قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حجّتي بيّنة ، وهي قول الله عزّ وجلّ : ﴿ والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ . وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ . فقال له ثابت قطنة : ما أَعجَبَ ما وَفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة ! مدحتَ الأَمير ببيتين ، وسألتَه حوائجك في عشرة أَبيات ، وختمتَ شِعرَك ببيت تفخَر عليه فيه ، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأَكذَبْتَها كأنّك كنت تخدعه . فقال له يزيد : مَهْ يا ثابت ، فإنّا لا نُخدَع ، ولكنّا نتخادع ، وسوّغه ما أَعطاه ، وأَمر له بأَلفي دِرهم . ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه : [من البسيط]

لا يعـرفُ الناسُ مِنْـه غيرَ قُطنَتِه ... ومـا سِواها من الأَنسابِ مَجهُولُ

[تهاجي ثابت وحاجب]

قال : ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب ، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ ، وكانا لا يفارقان مجلسَه ، فوقف بين يديه فقال له : تكلّم يا حاجب ، فقال : يأذن لي الأمير أن أُنشِده أَبياتاً ، قال : لا حتى تبدأ فتسأَل حاجتك ؛ قال : أيّها الأَمير ، إنّه ليس أَحد ولو أُطنب في وصفِك موفِّيك حقّك ، ولكنّ المجتهد محسن ، فلا تهجني بمنعي الإنشادَ ، وأذِن لي فيه ، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسأَلتي . فقال له يزيد : هات ، فما زلتَ مُجيداً محسِناً مجمِلاً . فأَنشده : [من الكامل]

كم مـن كِميٍّ في الهِيـاجِ تركتَه ... يَهـوِي لِفيـه مُجـدَّلاً مقتولا
جلّلتَ مفـرِقَ رأسِه ذا رَونـق ... عضْبَ المهزّة صارِمـاً مصقولا
قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِـرٌّ يافـعٌ ... حتـى اكتهلتَ ولم تـزل مأمولا
كم قد حَرَبْت وقد جَبَرت مَعاشراً ... وكم امتننـت وكم شفَيْـتَ غليلا

فقال له يزيد : سَلْ حاجتَك ، فقال : ما على الأَمير بها خفاء ، فقال : قل ، قال : إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأَمير أعزّه الله مع عظم قدره ؛ قال : أَجل ، فقل يُفعَل ، فلستَ بما تصير إليه أَغبَطَ منّا ؛ قال : تحمِلني وتُخدِمُني وتجزِل جائزتي ، فأَمر له بخمسة تخوتِ ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم ، فقال حاجب : [من الطويل]

شِمِ الغَيْثَ وانظُرْ وَيْك أَين تبعَّجتْ ... كُلاه تَجِدْها في يَـدِ ابن المهلّبِ
يداه يدٌ يُخْزي بها الله مَن عصى ... وفي يَدِهِ الأُخرى حيـاةُ المعصَّبِ

قال : فحسده ثابتُ قُطْنة وقال : واللهِ لو على قدر شِعرك أعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوًى ، ولكنّه أعطاك على قدره ، وقام مغضَباً ؛ وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلّب : إنّما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا ، وإلاّ فلو أنّا اجتهدنا في مديحه ما زادَنا على هذا ، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذٍ : [من الطويل]

أحاجبُ لولا أنّ أصْلَكَ زَيِّفٌ وأنّك مطبوعٌ على اللؤمِ والكفرِ
وأنّيَ لو أكثرتُ فيك مقصِّرٌ رميتُك رمياً لا يَبيد يَدَ الدّهرِ
فقل لي ولا تكذِبْ فإنّيَ عالِمٌ بمِثْلِكَ هل في مازنٍ لك من ظَهرِ ؟
فإنّك مِنْهمْ غيرَ شكٍ ولم يَكُنْ أبوكَ من الغُرِّ الجحاجحَة الزُّهرِ
أبوكَ دِيافيٌّ وأُمُّكَ حُرَّةٌ ولكنَّها لا شَكّ وافيةُ البَظْرِ[1]
فلست بهاجٍ ابنَ ذُبيان إنّني سأُكْرِمُ نفسي عن سِبابِ ذوي الهُجْرِ

فقال حاجب : واللهِ لا أرضى بهجاء ثابتٍ وحدَه ، ولا بهجاء الأزدِ كلِّها ، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُرّا ؛ فقال يهجوهم : [من الطويل]

دعُوني وقحطاناً وقولوا لثابتٍ تنحَّ ولا تقرَبْ مُصاوَلة البُزْلِ
فلِلزنّج خيرٌ حين تُنْسَب والداً من ابناء قحطانَ العفاشلةِ الغُرْلِ[2]
أُناسٌ إذا الهيجاء شَبّتْ رأيتَهمْ أذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
نساؤُهم فوضى لِمَن كان عاهِراً وجِيرانهمْ نَهبُ الفَوارِسِ والرَّجْلِ

[ثابت يهجو نفسه]

أخبرني وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : وحدَّثني دِعبِل قال : بلغني أنّ ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال : [من البسيط]

لا يَعْرِف الناسُ منه غيرَ قطنته وما سِواها من الأنْسابِ مجهولُ

وقال : هذا بيت سوف أُهجى به أو بمعناه ، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أنّي قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت إلاّ أن تهجو نفسك به ، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا . فقال : لا بدّ من أن يقع على خاطر غيري ، فأكون قد سبقته إليه ، فقالوا له : أما هذا فشرٌ قد تعجّلته ، ولعلّه لا يقع لغيرك ، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدَهم

---

1 ديافي : نسبة إلى قرية دياف ، وكان أهلها من النبط .

2 العفاشلة في ل : التنابلة. الغرل : غير المختونين .

على أنّه هو قائله ، فشهدوا على ذلك ، فقال يردّ على حاجب : [من البسيط]

هَيْهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبقت به ... فاطلبْ له ثانياً يا حاجبَ الفيلِ

[قوله بالإرجاء]

أخبرني أحمد بن عثمان العسكريّ المؤدّب قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه ، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها في الإرجاء : [من البسيط]

يا هِندُ إنّي أظنُّ العيشَ قد نفِدا ... ولا أرى الأمرَ إلاّ مُدْبِرا نَكِدا

إنّي رَهينَةُ يومٍ لستُ سابقه ... إلاّ يكن يومُنا هذا فقد أفِدا[1]

بايعتُ ربّيَ بيعاً إن وفيتُ به ... جاورتُ قتلى كراماً جاوَروا أُحُدا

يا هندُ فاستمعي لي إنّ سيرتَنا ... أن نَعْبُد اللهَ لَمْ نشركْ به أحَدا

نُرجِي الأُمورَ إذا كانتْ مشبَّهة ... ونَصدُق القولَ فيمن جارَ أو عندا[2]

المسلمون على الإسلام كلّهم ... والمشركونَ أشَتُّوا دِينهم قِدَدا[3]

ولا أرى أنّ ذنباً بالغٌ أحَداً ... مِ الناسِ شِركاً إذا ما وحَّدوا الصمَدا

لا نَسفِك الدمَ إلاّ أن يراد بنا ... سَفْكُ الدماء طريقاً واحداً جدَدا[4]

مَن يتّقِ اللهَ في الدُّنيا فإنّ له ... أجرَ التقيِّ إذا وَفَّى الحسابَ غدا

وما قَضى اللهُ من أمرٍ فليسَ له ... رَدٌّ ، وما يَقض من شيء يكن رَشَدا

كلّ الخَوارجِ مُخْطٍ في مَقالَتِه ... ولو تَعَبَّد فيما قالَ واجْتَهَدا

أما عليٌّ وعثمانٌ فإنّهما ... عَبْدان لَم يُشرِكا باللهِ مذ عَبَدا

وكان بينهما شَغْب وقد شهِدا ... شقَّ العصا ، وبعيْن اللهِ ما شَهِدا

يُجزى عليٌّ وعثمانٌ بسَعْيِهما ... ولستُ أدري بحقٍّ أيّةً وَرَدا

اللهُ يعلم ماذا يَحضُرانِ به ... وكلُّ عبد سيلقى اللهَ منفردا

---

1 أفدا : دنا .

2 عند عن الطريق : مال .

3 أشتوا : فرقوا .

4 الطريق الجدد : المستوي .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخطّ المُرهبيّ الكوفيّ في شعر ثابت قطنة ، قال : لمّا وليَ سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعَيم ، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسي وعُبادة المحاربيّ ؛ فلمّا دُعِيَ بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامَّ السلاح ، جَوادَ الفرس ، فارساً من الفرسان ؛ فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابتُ قطنة ، وهو أحد فُرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ؛ فلمّا انصرف قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذي يقول : [من الكامل]

إنا لضرّابون في حَمَس الوَغـى ... رأْسَ الخليفـة إن أَراد صدودا[1]

فقال سعيد : عليّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلمّا أتاه قال له : أنت القائل :

إنّا لضرّابـون في حَمَس الوغى

قال : نعم ، أنا القائل : [من الكامل]

إنّا لضرّابون في حَمَس الوغى ... رأسَ المتـوَّجِ إنْ أَراد صُدُودا
عـن طاعـة الرحمن أو خُلَفائه ... إن رام إفساداً وكـرَّ عُنُودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنّك خرجتَ منها لضربتُ عنقكَ ، قال : وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعُبادة ، فأتاه عبادة معتذراً ، فقال له : قد قبلت عذرك ، ولم يأته حميد ، فقال ثابت يهجوه : [من الوافر]

ومـا كان الجُنَيد ولا أخـوه ... حميـدٌ مـن رؤوسٍ في المعالي
فإن يكُ دَغْفَلٌ أمسى رهيناً ... وزيـدٌ والمقيـم إلى زوالِ
فعندكُمُ ابـن بشرٍ فاسْألوه ... بمـرِو الرُّوذِ يَصدُق في المقالِ
ويخبـر أنّـه عبـدٌ زَنيـمٌ ... لئيـم الجدّ مـن عَـمٍّ وخالِ

قال : واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينةٍ كان أميرُها محمد بن مالك بن بدر[2] الهَمدانيّ ثم الخيوانيّ ، وكان يُغمَز في نسبه ، وخطب إلى قوم من كِنْدة فردّوه ، فعرف خبر ثابت في نزوله ، فلم يُكرمه ، ولا أمَر له بِقرًى ، ولا تفقّده بنزلٍ ولا غيره ، فلمّا رحل عنه قال يهجوه ويعيِّره بردّ من خطب إليه : [من المتقارب]

لـو انّ بَكيـلاً هـمُ قومُـه ... وكان أبـوه أبـا العاقِبِ[3]

1 حمس الوغى : شدّة الحرب .
2 ل : يزيد .
3 بكيل : حي من همدان . العاقب : الذي يخلف السيد .

لأكرمَنا إذ مَرَرْنا بهِ ... كرامةَ ذي الحَسبِ الثاقبِ
ولكنّ خيوانَ همْ قومُه ... فبئسٍ هم القومُ للصَّاحِبِ[1]
وأنتَ سَنِيدٌ بِهم مُلصَقٌ ... كما ألصِقتْ رُقعةُ الشاعبِ[2]
وحَسْبُك حَسْبُك عند الثَّنا ... بأفعالِ كِندةَ من عائبِ
خَطبتَ فجازَوْك لما خطبتَ ... جزاء يَسارٍ من الكاعِبِ[3]
كذبتَ فزيّفْتَ عقدَ النكاحِ ... لِمَتِّكَ بالنَّسَبِ الكاذبِ
فلا تخطبنْ بعدها حُرَّةً ... فتُثنى بوَسْمٍ على الشاربِ

[يهجو قتيبة بن مسلم وقومه]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راويةٌ يقال له النضر ، فهجا ثابتُ قطنةُ قتيبةَ بنَ مسلم وقومَه ، وعيّرهم بهزيمةٍ انهزموها عن التُّرْك ، فقال : [من الطويل]

توافتْ تميمٌ في الطِّعان وعرّدتْ ... بُهَيْلةُ لمّا عاينتْ معشراً غُلْبا[4]
كُماة كُفاة يرهَب الناسُ حدَّهم ... إذا ما مشَوْا في الحربِ تَحْسَبهم نُكْبا[5]
تُسامون كعباً في العُلا وكِلابَها ... وهيهاتَ أن تلقَوْا كِلاباً ولا كَعْبا

قال : فأفشى عليه راويتُه ما قاله ، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات : [من البسيط]

يا ليت لي بأخي نضرٍ أخا ثقةٍ ... لا أرهب الشرَّ منه غابَ أم شهدا
أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكةٍ ... وزَلّةٍ خائفاً منك الرّدى أبدا[6]
ما كنتَ إلاّ كذئب السُّوءِ عارضَهُ ... أخوه يَدْمَى فَفَرّى جِلْدَه قِددا
أو كابن آدم خَلّى عن أخيه وقد ... أدمى حَشاهُ ولم يبسط إليْهِ يدا[7]

---

1 هم القوم للصاحب في ل : أخو القوم والصاحب .

2 سنيد : دعيّ . الشاعب : من يصلح الإناء المصدوع .

3 المثل : «لقي ما لاقى يسار الكواعب» في مجمع الميداني 2 : 412 وجمهرة العسكري 1 : 446 . ويسار عبد أسود دميم الخلقة ظن أن زوجة مولاه (أو ابنته) تريده ، فأوهمته أنها تريد أن تبخّره ، وقطعت مذاكيره ، فقال : صبراً على مجامر الكرام .

4 عردت : هربت . بهيلة : تصغير باهلة ، قوم قتيبة .

5 نكب : جمع نكباء ، وهي كل ريح انحرفت عن إحدى الجهات الأربع .

6 منك الرّدى في ل : من شرها .

7 إشارة إلى قصة قابيل وهابيل .

أهـم بالصَّرْفِ أحيانـاً فيمنعني ... حيّـاً ربيعةَ والعَقْـد الذي عَقدا

[رثاء المفضل بن المهلّب]

ونسخت منه أيضاً قال : لمّا قتل المفضل بن المهلّب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلّب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها : [من البسيط]

يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكيني ... وعائرٍ في سَواد الليـل يؤذيني[1]
كأنّ لَيْلِـيَ والأصداءُ هاجـدةٌ ... ليـلُ السَّليم ، وأَعيا من يُداويني[2]
لمّا حنى الدَّهرُ من قَوْسي وعذّرني ... شيبي وقاسيت أمرَ الغلْظ واللِّين[3]
إذا ذكـرتُ أبـا غسّانَ أرَّقَني ... همٌّ إذا عَرَّس السَّارُونَ يُشجيني[4]
كان المفضّل عِزّاً في ذوي يَمنٍ ... وعِصمـةً وثِمـالاً للمساكينِ[5]
مـا زلتُ بعدَك في همٍّ تجيش به ... نَفْسي وفي نَصَب قـد كادَ يُبليني
إنّي تذكّرتُ قتـلى لـو شهدتُهُمُ ... في حَوْمَةِ الموت لم يَصلَوْا بها دُوني
لا خَيرَ في العَيْشِ إن لم أَجْنِ بعدَهم ... حرباً تُبِيءُ بهـم قتلى فيشفوني

فقالت له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيتَ الحقّ ، وما من المرثية بُدٌّ ، وكم من مِيتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حَيّ ، وليست المصيبة في قتل من قتل واستشهد ذاباً عن دينه ، مطيعاً لربّه ، وإنّما المصيبة فيمن قلّت بصيرته ، وخَمل ذكرُه بعد موته ، وأَرجو ألاّ يكون المفضَّل عند الله خاملاً ، يقال : إنّه ما عُزّي يومئذٍ بأحسن من كلامها .

[ردّه على ابن الكواء]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتابه أيضاً قال : كان ابن الكَوّاء اليشكريّ مع الشُّراة والمهلّب يحاربهم ، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلّب وعمَّ الأَزْد بالهجاء ، فقال لثابت : أجِبه فقال له ثابت : [من البسيط]

كلُّ القبائـلِ مـن بكـرٍ نعدُّهُم ... واليشكُريّـون منهـم أَلأمُ العَرَبِ
أثْرَى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدتْ ... بيشكـرٍ أمُّـه المَعـرورة النَّسبِ

---

1 النصب : الداء والبلاء . والعائر : ما أعل العين والرمد والقذى .
2 السليم : الملدوغ .
3 عذرني : هدني .
4 عرّس السارون : نزل المسافرون في الليل للاستراحة .
5 ثمال : غياث .

نَحّاكُمُ عن حياضِ المجدِ والدُكَمْ ... فما لكم في بني البَرْشاء من نسبِ
أنتم تَحلُّون مـن بكـرٍ إذا نُسبوا ... مثل القُراد حَوالَيْ عُكْوَة الذَّنبِ[1]
نُبِّئت أن بنـي الكوّاء قد نبحوا ... فِعلَ الكلاب تتلّى اللَّيث في الأشبِ[2]
يَكـوِي الأُبَيْجر عبد الله شيخكم ... ونحن نُبري الذي يكوى من الكَلَبِ[3]

[يحرض يزيد بن المهلّب]

ونسختُ من كتابه أيضاً قال : كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلّب يحرّضه : [من الكامل]

إن امـرءاً حدبـت ربيعةُ حولَـه ... والحيُّ مـن يَمَنٍ وهابَ كؤودا[4]
لَضعيفُ ما ضمّت جوانحُ صدرِه ... إن لم يَلُـفَّ إلى الجُنودِ جنودا
أيزيـد كُنْ في الحَرْبِ إذ هيّجتَها ... كأَبيـك لا رَعِشاً ولا رِعْديدا
شاوَرْتَ أَكْـرَم من تناول ماجدٍ ... فرأَيتُ هَمَّـك في الهموم بعيدا
مـا كان في أُبويك قادحُ هُجْنة ... فيكون زنـدُك في الزناد صَلودا[5]
إنّا لضرّابونَ في حَمَس الوَغـى ... رأس المتـوَّج إنْ أَراد صُدودا
وقُـرٌّ إذا كَفَـر العَجاج تَرى لنا ... في كلّ معركـة فـوارسَ صِيدا
يـا ليـت أُسْرتك الذين تَغيَّبوا ... كانـوا ليومك بالعِـراق شُهودا
وتـرى مواطنهم إذا اختلف القنا ... والمشرفيَّـة يلتظـين وقـودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه : إنّ ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه ، ولعمري لأطيعنّه ، وسَيَرى ما يكون ، فاكتبوا إليه بذلك .

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : أُنشِدَ مَسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلَّب قولَ ثابت قطنة : [من الكامل]

يـا ليت أُسْرتك الذين تَغيَّبوا ... كانوا ليومك يـا يزيد شُهودا

فقالَ مَسلمة : وأنا والله لودِدت أنّهم كانوا شهوداً يومئذٍ ، فسقيتُهم بكأسه ، قال : فكان مَسلمةُ أحَد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلَبَه .

---

1 عكوة الذنب : أصله .
2 الأشب : شدّة التفاف الشجر .
3 الأبيجر : تصغير الأبجر ، وهو العظيم البطن .
4 الكؤود : المرتقى الصعب .
5 الزناد الصلود : الذي لا يورى .

[سفيره يخطب لنفسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفيّ قال : حدَّثني محمد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الأسديّ قال : خطب ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها ، فجعل السفير بينه وبينها جُوَيْبِر بن سعيد المحدِّث ، فاندسّ فخطبها لنفسه ، فتزوّجها ودفع عنها ثابتاً ، فقال ثابت حين بان له الأمر : [من الكامل]

أفْشى عليّ مقالـــةً ما قلتها وسعـــى بأمرٍ كان غيرَ سديدِ
إنّي دعوت الله حين ظلمتَني ربِّـي وليس لِمَـن دعـا ببعيدِ
أن لا تـــزال متيَّمــاً بخريدةٍ تَسبي الرجال بمقلتين وجِيدِ
حتى إذا وجب الصّداق تلبّستْ لك جلدَ أُغْضَفَ بارزٍ بصعيدِ[1]
تدعـــو عليـك الحاريات مُبِرّة فتَرى الطلاق وأنت غيرُ حميدِ[2]

قال : فلقِيَ جُوَيْبِرُ كلَّ ما دعا عليه ثابت به ، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه .

[رثاء يزيد بن المهلّب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب في يوم العُقْر[3] ، فلمّا خذله أهل العراق وفرّوا عنه فقتل ، قال ثابتُ قطنةَ يرثيه : [من الكامل]

كلّ القبائل بايَعوك على الذي تدعـــو إليـه وتابَعوك وساروا
حتى إذا حَمِس الوَغى وجعلتهم نصبَ الأسِنَّة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإنّ قتلَك لم يكـن عاراً عليك ، وبعضُ قتـلٍ عارُ

[هجاؤه ربيعة]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب المرهِبيّ قال : كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلّب تنزل حواليه هي والأزد ، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر ، فشغِبت عليه حتى أرضاها فيه ، فقال ثابت قطنة يهجوهم : [من الطويل]

---

1 أغضف : كلب .

2 الحاريات : جمع حارية ، وهي الأفعى التي كبرت ونقص جسمها فصارت من أخبث الأفاعي ؛ ويقال : رماه الله بالحارية . ومبرة : غالبة قاهرة .

3 العقر : موضع قرب كربلاء كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلّب .

عصافير تَنْزُو في الفساد ، وفي الوغى إذا راعَها رَوْعٌ جماميحُ بَرْوَقِ

الجماميح : ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً ، وواحده جماح ، فإذا دُقّ تَطاير . وبَرْوَق : نبت ضعيف . [من الطويل]

أَأحلمُ عن ذِبّان بكر بن وائلٍ ويعلق من نفسي الأذى كلّ مَعلِقِ
ألم أَكُ قد قلّدتكم طوقَ خِزْيَةٍ وأنكلتُ عنكمْ فيكمُ كلَّ مُلصَقِ[1]
لعمركَ ما استخلفتُ بكراً ليَشغَبوا عليّ ، وما في حِلْفكم من مُعلّقِ[2]
ضممتكُم ضمّاً إليّ وأنتمُ شَتاتٌ كفَقْع القاعة المتفرّقِ[3]
فأنتم على الأدنى أسودُ خفيّةٍ وأنتم على الأعداءِ خِزّانُ سَمْلَقِ

[سخاء يزيد بن المهلّب]

أُخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني أَبو بكر العامريّ قال : قال القَحْذميّ : دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ، أظنّه قتيبة بن مسلم ، فمدحه وسأله حاجة ، فلم يقضها له ، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه : لكن يزيد بن المهلّب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردّني عنه ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أَبا خالدٍ لم يَبْقَ بعدك سُوقةٌ ولا مَلك ممّن يُعين على الرِّفْدِ[4]
ولا فاعلٌ يرجو المقلّون فضله ولا قائلٌ يَنْكا العدوَّ على حقدِ[5]
لو انّ المَنايا سامحتْ ذا حَفيظة لأكرمنه أو عُجْن عَنه على عمدِ

[عتابه قومه]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا أَبو حاتم عن أَبي عبيدة قال : عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استَنصرَ عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك : [من الطويل]

تعفّفتُ عن شَتم العشيرة إنّني وجدتُ أُبي قد عَفَّ عن شَتمها قَبْلِي[6]
حليمٌ إذا ما الحلمُ كان مروءةً وأجهَلُ أحياناً إذا التمسوا جهلي

1 أنكلت : دفعت .
2 من معلق : أي ما يتعلّق به ويعتمد عليه .
3 المثل «أذل من فقع بقاع» في مستقصى الزمخشري 1 : 134 والدرة الفاخرة 1 : 203 .
4 أبو خالد : يزيد بن المهلّب .
5 فضله في ل : رفده .
6 عَفَّ في ل : كف .

[حمق أمية بن عبد الله بن خالد]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني العَنزيّ عن مسعود بن بشر قال : كان ثابت قطنة بخراسان ، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أُسيد لعبد الملك بن مروان ، فأقام بها مدّة ، ثم كتب إلى عبد الملك : «إن خراجَ خُراسان لا يفي بمطبخي» ، وكان أميّة يحمَّق ، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد رقعة وقال : أُوصِل هذه معك ، فلمّا أتى عبد الملك أُوصل إليه كتابَ أمية ، ثم نَثَل[1] كنانَتَه بين يديه فقرأ ما فيها ، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة ، فقرأها ثم عزله عن خُراسان .

صوت

[من الوافر]

طَرِبتُ وهاجَ لي ذاك اذكارا … بكَشٍّ وقد أطلْت به الحِصارا[2]
وكنتُ الَذّ بعضَ العيش حتى … كبِرتُ وصار لي همِّي شِعارا
رأيتُ الغانيات كرِهن وصلي … وأبديــن الصَّريمة لي جِهارا

الشعر لكعب الأشقريّ ، ويقال إنّه لثابت قطنة ، والصحيح أنّه لكعب ، والغناء للهُذليّ ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة ، وذكر في نسخته الثانية أنّ هذا اللحن لقَفا النجّار .

---

1 نثل كنانته : نثر ما فيها .

2 كش : قرية من قرى أصبهان .

[272] ـ أخبار كعب الأشقريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كعب بن مَعْدان الأشقريّ ، والأشاقر : قبيلة من الأَزْد ، وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلّب والمذكورين في حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج ، وأوفده الحجّاج إلى عبد الملك .

[شعراء الإسلام الأربعة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا أبي قال حدَّثنا وهب بن جرير قال : حدَّثنا أبي عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقريّ .

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا أبي قال : حدَّثنا وهب بن جرير قال : حدَّثنا أبي عن المتلمِّس قال : قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرتَ أنّه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب» ؟ فقال الفرزدق : «إي والذي خلَق الشِّعر» .

[وقعة المهلّب مع الأزارقة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، وأخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ ، واللفظ له وخبره أتمّ ، قال : أوفد المهلَّب بن أبي صُفرة كعباً الأشقريَّ ومعه مُرّة بنُ التلِيد الأزدي إلى الحجّاج بخبر وقعةٍ كانت له مع الأزارقة ، فلمّا قدِما عليه ودخَلا دارَه بَدَرَ كعب بن مَعدانَ فأنشد الحجّاج قولَه : [من البسيط]

يـا حفْصَ إنّي عَداني عنكُم السَّفَرُ ... وقـد سهِـرتُ فـآذَى عينيَ السَّهَرُ
عُلِّقتَ يا كعـبُ بعد الشَّيب غانيةً ... والشيب فيـه عـن الأهـواء مزدجرُ
أممسِكٌ أنـتَ منهـا بالذي عهدتْ ... أم حبلُهـا إذ نَأَتْكَ اليـومَ منبترُ
ذكـرتُ خَوْداً بأعلى الطَّفِّ منزلُها ... في غُرفـةٍ دونَهـا الأبوابُ والحجرُ
وقـد تركـتُ بشطِّ الزَّابِيَيْنِ لهـا ... داراً بهـا يَسعَد البـادُونَ والحَضَرُ[2]
واخترتُ داراً بهـا قـوم أُسَرُّ بِهِمْ ... مـا زال فيهم لَمَن تَختارهـم خِيَرُ

---

1 لكعب الأشقريّ ترجمة في أمالي القالي 1 : 265 ومعجم المرزباني : 236 وتاريخ الطبري وسمط اللآلي : 588 وانظر أعلام الزركلي .

2 الزابياذ : نهران بالعراق .

أَبـا سعيـدٍ فإنّـي سرتُ منتجِعـاً وطالـبُ الخَيْـر مُرْتـاد ومنتظِرُ[1]
لـولا المهلَّـب مـا زُرْنـا بلادَهمُ مـا دامتِ الأرضُ فيها الماء والشجرُ
وما مـن الناس مـن حـيٍّ علمتُهمُ إلاّ يُـرى فيهُـم مـن سَيْبِكـم أثرُ

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة في الخبر ، فتركتُ ذكرَها لطولها[2] ، يقول فيها : [من البسيط]

فمـا يجاوز بـابَ الجسْر مـن أَحدٍ قد عضَّتِ الحربُ أَهلَ المصر فانْجَحَروا
كنّا نهـوِّن قبـل اليـوم شأنهمُ حتـى تفاقَـم أُمـرٌ كان يُحتَقـرُ[3]
لّما وَهَنّـا وقـد حلُّـوا بساحتنا واستنفرَ النـاسُ تاراتٍ فمـا نَفَروا
نادى امـرؤٌ لا خـلافٌ في عشيرته عنـه وليس بـه عـن مثلهـا قِصَرُ

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلَّب في بلدٍ بلد ، فقال : [من البسيط]

خبُّـوا كمينَهمُ بـالسَّفْح إذ نزلـوا بكـازَرُونَ فمـا عَزّوا وما نَصَروا[4]
باتـتْ كتائبُنـا تَـردِي مسوَّمـةً حـولَ المهلَّـب حتـى نـوّر القمرُ[5]
هناك ولَّوا خَزايا بعـد مـا هُزِموا وحـال دُونَهُـمُ الأنهـارُ والجُدُرُ
تأبـى علينـا حـزازاتُ النفوس فما نُبقـي عليهـمْ ولا يُبقون إن قَدروا

فضحك الحجّاج وقال له : إنّك لمنصف يا كعب[6] ، ثم قال الحجّاج : أخطيب أنت أم شاعر ؟ فقال : شاعر وخطيب . فقال له : كيف كانت حالُكم مع عدوّكم ؟ قال : كنّا إذا لقِيناهم بعفونا وعفوهم ، أُنسنا منهم ، فإذا لقِيناهم بجهدنا وجهدِهم طمعنا فيهم ؛ قال : فكيف كان بنو المهلّب ؟ قال : حماة للحريم نهاراً ، وفرسانٌ بالليل أيقاظاً ، قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العِيان ؛ قال : صفهم رجلاً رجلاً ، قال : المغيرة فارسُهم وسيّدهم ، نار ذاكية ، وصَعْدة[7] عالية ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، ليثُ

1 أبو سعيد : المهلّب بن أبي صفرة .
2 انظر القصيدة في تاريخ الطبري 6 : 304 .
3 اليوم في ل : الموت .
4 كازرون : مدينة بفارس .
5 تردي : تضرب الأرض بحوافرها .
6 ل : كعيب .
7 الصعدة : القناة المستوية .

غاب ، وبحرٌ جمٌّ العُباب ، وجَوادُهم قَبيصة ، ليث المَغار ، وحامي الذِّمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرِك ، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ، وحبيب الموتُ الذُّعاف ، إنّما هو طَوْد شامخ ، وفخر باذخ ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام ، وكفاك بالمفضّل نجدة ، ليثٌ هدّار ، وبحْرَ موّار ، ومحمد ليث غاب ، وحسامُ ضِراب ، قال : فأيّهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها ؛ قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركُوا ما رجَوْا ، وأَمِنوا ممّا خافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النّفل[1] ، قال : فكيف رضاهم عن المهلّب ؟ قال : أحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم برَّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قَطَريّ ؟ قال : كدناه فتحوّل عن منزله وظنّ أنّه قد كادنا ؛ قال : فهلاّ تبعتموه ! قال : حالَ الليلُ بيننا وبينه ، فكان التحرّز ، إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤٌ ما يصنع ، أحزم ، وكان الحدّ عندنا آثَر من الفَلّ ، فقال له : المهلّب كان أَعلَم بك حيث بعثك وأَمَر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأُمر له بعشرة آلاف أُخرى .

[شعره في المهلّب وولده]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أَبو عمرو بُنْدار الكرجيّ قال : حدَّثنا أَبو غسّان التميميّ عن أَبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبِّهونني مرّة بالأسد ، ومرّة بالبازيّ ، ومرّة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلّب وولده : [من الوافر]

بَـراكَ اللهُ حِـينَ بَـراكَ بحْراً وفَجَّـر مِنْـكَ أنهـاراً غِزارا
بنوك السابقـون إلى المعـالي إذا مـا أُعظَم الناسُ الخِطارا[2]
كأَنَّهُمُ نجـومٌ حـولَ بَـدْر دَرارِيٌّ تَكمَّـل فـاسْتَدارا
ملـوك ينزلـون بكلّ ثَغْـرٍ إذا مـا الهامُ يـومَ الرَّوْع طارا
رِزانٌ في الأمـور تَـرى عليهم مِن الشَّيخ الشمائلَ والنجارا[3]
نجومٌ يُهتَدى بهـمُ إذا مـا أَخو الظَّلْماء في الغَمَرات حارا

1 النفل : الغنيمة .
2 الخطار : المرهنة .
3 النجار : الأصل والحسب .

وهذه الأبيات من القصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهـاج لي ذاك ادّكارا

التي فيها الغناء .

[تهاجيه مع زياد الأعجم]

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ قال : حدّثنا غسّان بنُ ذَكْوانَ الأهوازيّ قال : ذكر العُتْبيّ أنّ زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقريّ ، واتّصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أنّ شرّاً وقع بين الأزد وبين عبد القيس ، وحرْباً سكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم ، وتحمّل ما أحدثه كلُّ فريق على الآخر ، وأدّى دِياته ، فقال كعب يهجو عبد القيس : [من البسيط]

إنّي وإن كنتُ فرعَ الأزْد قد عَلموا ... أخزى إذا قيل عبدُ القيس أخْوالي

فَهْـمٌ أبو مالكٍ بالمجد شرّفني ... ودنّس العبدُ عبدُ القيس سِرْبالي

قال : فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال : يا عجباً للعبد بن العبد بنِ الحِيتان والسَّرطان ، يقول هذا في عبد القيس ، وهو يعلم موضعي فيهم ! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضاً لكل لسان ، ثم قال يهجوه : [من البسيط]

نبِّئت أشقرَ تَهجُونـا فقلتُ لهـمْ ... ما كنتُ أحسبهمْ كانوا ولا خُلِقوا

لا يَكثرون وإن طالـت حياتُهـمُ ... ولو يبـول عليهمْ ثعلبٌ غَرِقوا

قـومٌ من الحَسَب الأدنى بمنزلةٍ ... كالفَقْع بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَقُ

إنّ الأشاقرَ قـد أضحَـوْا بمنزلة ... لو يُرهَنـون بنَعلَيْ عبدِنـا غَلِقوا[1]

قال : وقال فيه أيضاً : [من المنسرح]

هل تَسمع الأزْد مـا يقال لها ... في ساحة الدّار أم بها صَمَمُ ؟

اختتَن القومُ بعـد مـا هَرِموا ... واستَعربوا ضَلّـةً وهـمْ عَجَمُ

قال : فشكاه كعبٌ إلى المهلّب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عَنى بهما غيرَك ، ولقد عمَّ بالهجاء قومَك ، فقال المهلَّب : أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به ، وقد كنتَ غنيّاً عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثلُ زياد ، فاكفف عن ذكره ، فإنّك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيّها الأمير ، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنتُ ظلمته فانتصِر ، وإلاّ

1 غلق الرهن : استحقّ الوفاء .

فالحجة عليه ، ولا حُجّة على امرىء انتَصَر لنفسه وحسَبِه وعشيرتِه ، وأنشده قولَ كعب فيهم : [من الطويل]

لعـلّ عُبيـدَ القيس تَحسَب أنّها كتغلبَ في يـوم الحفيظـة أو بكـرِ
يُضَعضِع عبدَ القيس في النّاس مَنصِبٌ دنيءٌ وأحسابٌ جُبِـرن على كَسرِ
إذا شاع أمـرُ الناس وانشقّت العصا فـإنّ لُكَيـزاً لا تَريشُ ولا تَبـري[1]

فقال المهلّب : قد قلتَ له أيضاً ، قال : لا والله ما انتصَرْتُ ، ولولاك ، ما قصَّرت وأيّ انتصار في قولي له : [من البسيط]

يـا أيّها الجاهلُ الجاري ليُدركَني أقصِرْ فإنّـكَ إن أدركتَ مصروعُ
يـا كعبُ لا تَكُ كالعَنْز التي بَحثتْ عن حَتْفها وجَنابُ الأرض مَرْبوع

وقولي : [من البسيط]

لئن نَصبتَ لي الرَّوْقـين مُعْترِضاً لأرمينَّـكَ رمْيـاً غيرَ ترفيـعِ
إنّ المآثـرُ والأحسابَ أورَثنـي منها المَجاجيعُ ذِكراً غيرَ مَوْضوعِ

يعني مَجاعة بن مرّة الحنفيّ ، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلَّب أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافّا ، وممّا هجا كعبٌ الأشقريُّ عبد القيس به قوله : [من الوافر]

ثَوى عامين في الجيَف اللواتي مطرَّحـة على بـاب الفصيلِ
أحَـبُّ إليّ من ظِـلٍّ وكِنٍّ لعبد القيس في أصل الفَسِيلِ[2]
إذا ثـارَ الفُساءُ بهـمْ تَغَنَّوْا أَلَم تَربَـعْ على الدِّمَن المُثولِ
تَظَلّ لهـا ضَبابـاتٌ علينـا موانعُ مـن مَبيتٍ أو مَقيلِ

[هجاء ربيعة واليمن]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد : كانت ربيعةُ واليمنُ متحالِفةً ، فكان المهلّب وابنه يزيدُ يُنزلان هاتين القبيلتين في محلتهما ، فقال كعبٌ الأشقريّ ليزيد : [من البسيط]

لا ترجَـونَّ هِنائيّـا لصالحـةٍ واجعلهـمُ وهَـداداً أسوةَ الحمُرِ[3]

---

1 من المثل «كالباحثة عن حتفها بظلفها» .

2 الكن : الستر . الفسيل : النخلة الصغيرة .

3 هنائي : من بني هناء . وهداد : حي من اليمن .

حَيّانِ ماهما في الأَزْد مأثُرةٌ غيرُ النَّواكة والإفراطِ في الهَذرِ[1]
واجعل لُكَيزاً وراءَ الناس كلِّهم أهلَ الفُساء وأهلَ النَّتْن والقَذَرِ
قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ حتى تَرانا له مِيداً من السُّكُرِ[2]
أَبلغ يزيدَ بأنا ليس يَنْفَعُنا عيشٌ رَغِيدٌ ولا شيءٌ من العِطرِ
حتى تُحِلَّ لُكَيْزا فوق مَدْرَجةٍ من الرّياح على الأَحياء مِنْ مُضَرِ
ليأْخُذوا لنِزار حَظَّ سُبّتها كما أخذنا بحظّ الحِلْف والصِّهرِ

[شعره في المهلّب أمام رسول الحجّاج]

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثنا أبي قال : كتب الحجّاج بن يوسف إلى المهلَّب يأمره بمناجزَة الأزارقة ويستبطئه ويضعِّفه ، ويعجِّزه في تأخيره أمرَهم ومطاولَتهم ، فقال المهلّب لرسوله : قل له : إنّما البلاء أنّ الأمر إلى مَن يَملِكه لا إلى من يعرفه ، فإن كنتَ نصبتَني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى ، فإن أمكنتْني الفرصة انتهزتُها ، وإن لم تُمْكِنِّي توقّفت ، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه ، وإن أردتَ منّي أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك ، وإن كان خطأً فعليّ ، فابعث من رأيتَ مكاني ، وكتب من فَوْره بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : لا تُعارض المهلَّب فيما يراه ولا تُعجِلْه ، ودَعْه يدبّر أمره ، وقام الأشقريّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجّاج : [من الكامل]

إن ابنَ يوسف غرّه من غزوِكُمْ خفضُ المُقام بجانب الأَمصارِ
لو شاهَدَ الصَّفّين حين تَلاقَيا ضاقت عليه رَحِيبةُ الأقطارِ
من أرض سابُورِ الجُنودِ ، وخَيْلُنا مِثْلُ القِداح بَرَيْتَها بشِفارِ
من كلّ خنذيذ يُرى بلَبانِه وَقْعُ الظُّباة مع القنا الخَطّارِ[3]
ورأى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً أزمانَ كان محالفَ الإقتارِ
فدع الحروبَ لشِيبِها وشَبابها وعليك كلّ خريدةٍ مِعطارِ

فبلغت أبياتُه الحجّاج ، فكتب إلى المهلّب يأمره بإشخاص كعب الأشقريّ إليه ، فأعلَم المهلّبُ كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته ، وكتب إليه يستوهبه منه ،

---

1 النواكة : الحماقة .
2 ميد : ما يصيب الإنسان من الدوار .
3 الخنذيذ : الفرس الطويل الصلب .

فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشدَه فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه ويُعرِض عمّا بلغه من شعره ، فلمّا وصل إليه ودخل عليه قال : وإيه يا كعب .

ورأى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً

فقال له : أيّها الأمير ، والله لقد ودِدتُ في بعض ما شاهدتُه في تلك الحروب وأزماتها ، وما يُورِدُناه المهلّب من خطرها ، أن أنجوَ منها وأكونَ حجّاماً أو حائكاً ، فقال له الحجّاج : أُولى لك ، لولا قَسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أَسمعَ ، فالحقْ بصاحبك ، ورَدَّه من وقته .

[هروبه إلى عُمان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر بن حديد : لمّا عُزِل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيَها قتيبةُ بن مسلم ، مدحه كعب الأشقريّ ، ونال من يزيد وثَلَبه ، ثم بلغتْه وِلايةُ يزيدَ على خراسان ، فهربَ إلى عُمانَ على طريق الطَّبَسَيْن وقال : [من الوافر]

وإنّي تـارِكٌ مَرْواً ورائي ... إلى الطَّبَسَيْن معتامٌ عُمانا
لآوِي معقِلاً فيها وحِرْزاً ... فكنّا أهلَ ثروَتها زمانا[1]

فأقام بعُمانَ مدّة ثم اجتواها[2] ، وساءت حالُه بها ، فكتب إلى المهلّب معتذراً : [من البسيط]

بئس التبدُّل من مَرْوٍ وساكِنِها ... أرضُ عُمانَ وسُكنى تحت أطوادِ
يُضحِي السحابُ مَطيراً دونَ مُنصِفِها ... كأنّ أجبالَها عُلّت بفِرصادِ[3]
يا لهف نفسي على أمرٍ خطِلت به ... وما شَفَيتُ به غِمْري وأحقادي[4]
أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكمُ ... ثم اغتررتُ بقول الظالم العادي
أبلغ يزيدَ قرينَ الجُود مألُكةً ... بأنّ كعباً أسيرٌ بين أصفادِ
فإن عفوتَ فبيتُ الجود بيتُكُم ... والدَّهرُ طَوْران من غَيٍّ وإرشادِ
وإن مننتَ بصفحٍ أو سمحتَ به ... نزعتُ نحوَك أطنابي وأوتادي

وذكر المدائنيّ أنّ يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ إليه ابن أخ له فقتله .

---

1 الثروة : الكثرة من المال والناس .
2 اجتواها : كرهها .
3 المنصف من كل شيء : وسطه . علت : سقيت . والفرصاد : صبغ أحمر .
4 الغمر : الحقد .

[مقتل بني الأهتم]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النَّضر أيضاً أنّ الحجّاج كتب إلى يزيد بن المهلّب يأمره بقتل بني الأهتم ، فكتب إليه يزيد : إنّ بني الأهتم أصحابُ مَقال وليسوا بأصحاب فَعال ، فلا تُقدِّرْ أن نُحدِث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عار وسُبّة ؛ واستوهَبَهم منه ، فتغافَلَ عنهم ، ثم انضمّوا إلى المفضل بنِ المهلّب ، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم ، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم ، ثم ولي قتيبةُ بن مسلم ، فخرجوا إليه والتَقوا معه ، وذكروا بني المهلّب فعابوهم ، فقبلهم قتيبةُ واحتوى عليهم ، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويَحمِلونهم على سُوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعاً ، فقال كعب الأشقريّ في ذلك : [من الكامل]

قــل للأهاتم من يَعُود بفَضْله بعـد المفضَّل والأَغَـرُّ يزيــدِ
رَدّا صحائفَ حَتْفِكم بمَعاذرٍ رجعتْ أشائمَ طيرِكم بسعودِ
رَدّا على الحجّـاج فيكمْ أمرَه فجَزيتـمُ إحسانَـه بجحـودِ
فاليوم فاعتبِروا فَعـالَ أخيكمُ إنّ القياس لِجاهــل ورشيدِ

[هجاء عمرو بن عمير]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتابه أيضاً قال : وَلّى يزيدُ بنُ المهلَّب رجلاً من اليَحْمَد يقال له عمرو بنُ عُمَير الزَّمَّ ، فلقيه كعب الأشقريّ فقال له : أنت شيخ من الأزد يولِّيك الزَّمَّ . ويولِّي ربيعةَ الأعمالَ السنيّة ، وأنشده : [من الوافر]

لقــد فــازَتْ ربيعةُ بالمَعــالي وفــازَ اليَحْمديُّ بعهْــدِ زَمِّ[1]
فإن تَــكُ راضياً منهمْ بهـذا فـزادَك ربُّنـا غمّــاً بغَــمٍّ
إذا الأزْدِيُّ وَضَّــح عارِضاه وكانت أُمُّه مِـنْ حيٍّ جَرْمِ[2]
فثَـمَّ حماقــةٌ لا شكَّ فيهــا مُقابلــةٌ فمــن خــالٍ وعَمِّ[3]

فردَّ اليَحمديّ عهد يزيد عليه ، فحلف لا يستعمله سنة ، فلمّا أجحفتْ به المؤونة قال لكعب : [من البسيط]

1 زم : بلد على نهر جيحون .
2 وضّح : ابيضّ شعره . والعارضان : جانبا الوجه .
3 مقابلة : أي من طرف الأب والأم .

لـو كنتَ خلّيتَني يا كعبُ متّكئاً   في دُور زَمَّ لما أَقفرتُ مِن عَلفِ
ومن نبيذٍ ومـن لحـمٍ أُعَلُّ بـه   لكنّ شِعرَك أمـرٌ كان من حِرَفي
إنّ الشقيّ بمروٍ مَـن أقـام بهـا   يُقارع السُّوقَ من بَيْع ومن حَلفِ

أَخبرني أَبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثني الرِّياشيّ عن الأَصمعيّ قال : قال كعب الأشقريّ يهجو زياداً الأعجم : [من الطويل]

وأقلفَ صلَّى بعـد مـا ناكَ أُمَّه   يَرى ذاك في دِين المَجوسِ حَلالا

فقال له زياد : يا ابن النّمامة أهي أخبرتْك أنّي أقلف ؟ فغلبه زياد . والقصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهـاج لي ذاك ادّكارا

[قصيدته في المهلّب]

وفيه الغناء المذكور بذكرِه خبرُ كعب الأشقريّ ، يمدح بها المهلَّب بن أَبي صُفرة ويذكر قتالَه الأزارقة ، وفيها يقـول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء : [من الوافر]

غَرِضْن بمجلِسي وكرهْنَ وَصلِي   أوانَ كُسِيتُ مـن شَمَطٍ عِذارا[1]
زَرَيْـن عـليَّ حـين بَدا مَشِيبِي   وصارت ساحَتـي للهـمّ دارا[2]
أَتـاني والحديـثُ لـه نَمـاءٌ   مقالـةُ جائـر أحفـى وجارا
سلـوا أَهـلَ الأَباطِحِ من قريشٍ   عـن العـزّ المؤبَّـدِ أَيـن صارا
ومَـن يَحمي الثغورَ إذا استحرّت   حـروبٌ لا يَنـون لهـا غِرارا[3]
لقومي الأزد في الغَمَرَات أمضى   وأَوفـى ذِمّـةً وأعـزُّ جـارا
هـمُ قادوا الجيـادَ على وَجاهـا   مـن الأَمْصار يقذِفْـن المِهـارا[4]
بكـلّ مَفـازة وبكـلّ سَهْـبٍ   بَسابِسَ لا يَـروْنَ لهـا مَنارا[5]
إلى كِرمـانَ يحملـن المنايـا   بكـلّ ثنيّـة يوقِـدن نـارا
شَوازب لم يصِبن الثـار حتـى   رددناهـا مكلَّمـةً مِـرارا[6]

1 غرضن : مللن .
2 زرين : عبن .
3 لا ينون : لا يفترون . غرار : غافلون .
4 الوجى : الحفا .
5 المفازة والسهب : الفلاة ، وكذلك البسبس . والمنار : العلم .
6 الشوازب : الخيل الضامرة . ومكلمة : مجرحة .

ويشجرن العــوالي السُّمْر حتــى تَــرى فيهــا على الأَسَل ازوِرارا[1]
غــداةَ تَرَكن مصرعَ عَبْــدَ ربٍّ يُثرن عليــه مــن رَهَجٍ عِصارا[2]
ويوم الزحــف بالأهــواز ظِلْنــا نــروِّي منهــمُ الأَسَل الحِــرارا[3]
فقــرّت أعيُــنٌ كانــت حديثــاً ولم يــك نومهـــا إلاّ غِــرارا
صنائعنـــا السَّوابــغ والمَذاكـــي ومَــن بـالمِصر يحتلــب العِشارا[4]
فهــنّ يبحــن كلَّ حِمًى عزيزٍ ويَحمــين الحقائــقَ والذِّمـــارا
طُــوالاتُ المُتــون يُصَــنَّ إلاَّ إذا سار المهلَّــب حيــث سارا
فلــولا الشَّيخ بالمِصْرَيــن يَنفِي عدوَّهمُ لقــد تَركــوا الديــارا[5]
ولكنْ قــارعَ الأبطــالَ حتــى أصابوا الأَمــنَ واجتنبوا الفــرارا
إذا وَهَنــوا وحَــلَّ بهــمْ عظيمٌ يَــدُقّ العظــمَ كان لهــمْ جبارا
ومُبْهَمــةٍ يَحيــد النــاسُ عنهــا تَشُبُّ المــوتَ شَدَّ لهــا الإزارا
شِهــابٌ تَنجلِــي الظَّلمــاء عنــه يَــرى في كلّ مبهمــةَ مَنارا
بــل الرحمــنُ جــارُك إذ وَهنَّا بِدفعِــك عــن مَحارِمنا اختْيارا
بَــراك اللهُ حــين بَــراك بَحْــراً وفجّــر منــك أنهــاراً غِزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدِّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعرِه .

[مزيد من شعره في المهلّب وولده]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قال عبد الملك بن مُروان : يا معشر الشعْراء ، تشبِّهوننا بالأَسد الأبخر ، والجَبَل الوَعْر ، والمِلْح الأُجاج ؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقريّ في المهلب وولدِه : [من الوافر]

براك الله حين براك بحــراً وفجــر منــك أنهاراً غزارا

1 السمر والأسل : الرماح . والعوالي : الرماح المستقيمة .
2 عبد ربّه : قائد الخوارج بعد قطري بن الفجاءة . الرهج : الغبار . والعصار : الغبار الشديد .
3 الحرار : العطشى .
4 السوابغ : الدروع . والمذاكي : الخيل التي مضى على قروحها سنة أو سنتان . والعشار : التي مضى لحملها عشرة أشهر .
5 المصران : البصرة والكوفة .

شهاب تنجلي الظلماء عنه　　　يـرى في كلّ مبهمة منارا

قال النضر : وكان لكعب الأشقريّ ابن أخ شاعر فمدح رجلاً من بني عجل كان مع يزيد بن المهلّب يقال له عمرو . فأمر له بشعير فقال ابن أخي كعب يهجوه : [من الطويل]

لقد خــاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجى　　　يَؤُمّــون عَمــراً ذا الشعيرِ وذا البُرِّ
يؤمُّون مَــن نــال الغِنــى بعد شَيْبِه　　　وقاسى وَليـداً مـا يقاسي ذوو الفقرِ
فقل للُجَيْــمٍ يــا لَبكر بــن وائـل　　　مقالَةَ مَــن يَلحى أخـاه ومن يُزْري
فلــو كنتــمُ حيّــاً صميمــاً نَفَيْتــمُ　　　بخيلكُــم بالرَّغــم منـــه وبالصُّغرِ[1]
ولكنّكم يــا آلَ بكـر بــنِ وائـلٍ　　　يسودُكُمُ مَــن كان في المـال ذا وَفْرِ
هــو المانــع الكلــبَ النُّباحَ وضَيْفُه　　　خَميصُ الحَشا يَرعى النجومَ التي تَسرِي

[هجاؤه لابن أخيه]

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة ، وكانت أمّه سوداءَ فقال يهجوه : [من البسيط]

إنّ السواد الذي سُرْبلتَ تَعرفــه　　　ميراث جَــدِّك عن آبائــه النُّوبِ
أشبهتَ خالَكَ خالَ اللؤمِ مؤتَسِياً　　　بهَدْيِـه سالكــاً في شرّ أُسْلوبِ

[مقتله]

قال المَدائنـيّ في خبره : وكان ابن أخـي كعب هـذا عدوّاً له يسعى عليه ، فلمّا سأل مَجزأةُ بنُ زياد بن المهلّب أباه في كعب فخلاّه ، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلّب ابنَ أخيه الشاعر ، وجعل له مالاً على قتله ، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة ، فضرب رأسه بفاس فقتله ، وذلك في فتنة يزيدَ بن المهلّب وهو بعمان يومئذٍ . وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الذي قتله ابنه ، فلمّا قُتِل يزيد بنُ المهلّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على عمّالٍ شتّى فولّى البصرةَ وعُمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبيّ ، فاستخلف عبدُ الرحمن على عُمانَ محمدَ بنَ جابر الراسِبِيّ ، فأخذ أخو كعبٍ الباقي ابنَ أخيه الذي قَتَل كعباً ، فقدّمه إلى محمد بن جابر ، وطلب القَوَد منه بكعب ؛ فقيل له : قُتِل أخوك بالأمس ، وتَقتلَ قاتلَه وهو ابن أخيك اليوم ؟ وقد مضى أخوك وانقضى ، فتَبقى فرداً كقَرْن الأعضب[2] ! فقال : نعم إنّ أخي كعباً كان سيّدَنا وعظيمَنا ووَجْهَنا ، فقتله هـذا ، وليس فيـه خير ، ولا في بقائِه عزّ ، ولا هو خَلَفٌ من

1 الصغر : الصغار ، الذل .
2 الأعضب : الذي كسر أحد قرنيه .

كَعب فأنا أقتلُه به ، فلا خير في بقائه بعد كعب ، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقَه والله أعلم .

[مدح قتيبة بن مسلم]

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بنِ عديّ ولَقيط وغيرهما ، قالوا : حاصر يزيد بنُ المهلَّب مدينةَ خُوارَزمَ في أيّام ولايته ، فلم يَقدِر على فتحها ، واستصعَب عليه ، ثم عُزِل ووُلّي قتيبةُ بنُ مسلم ، فزحف إليها ، فحاصرها ففتحها ، فقال كعب الأشقريّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلَّب بقوله : [من البسيط]

رمتكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمتْ ... من بعد ما رامها الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ
صريح قيس وبعضُ الناس يجمعهمْ ... قُرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومُقترِفُ[1]
منهم شُناسٌ ومَرداذاءُ نَعرفُه ... وفَسْخَراء ، قُبورٌ حَشْوُها القلُفُ
لم يَركَبوا الخيلَ إلاّ بعدما هَرِموا ... فهمْ ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

قال : الفيل الذي ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكُهُنْدَر ، والكُهُنْدَر : الحصن العتيق ، والفَجْفاجة : الكثير الكلام . وشُناس : اسم أبي صُفرة ، فغيّره ، وتَسمَّى ظالماً ، ومَرْداذاء : أبو أبي صُفْرة ، وسمَّوْه بسراق لمّا تَعرَّبوا ، وفَسْخَراء : جدّه ، وهم قوم من الخُوز[2] من أهل عُمان ، نزلوا الأزْد ، ثم ادّعَوا أنّهم صَلِيبةٌ صُرَحاءُ منهم .

صوت

[من الطويل]

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا ... وقفتُ به يوماً إلى الليلِ حابِسا
فجئنا بهيتٍ لا نَرى غيرَ منزِلٍ ... قليل به الآثارُ إلاّ الروامِسا[3]
يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ ... فينسُونني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُّلَميّ ، وبيت العبّاس مصراعُه الثاني : [من الطويل]

---

1 قرفه : رماه بسوء .

2 الخوز : جيل من الناس ، فارسي معرب .

3 هيت : بلدة على الفرات . الروامس : الرياح التي تثير التراب .

توهّمتُ منــه رَحْرَحانَ فراكِسا

وغيّره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع : [من الطويل]

وقفتُ بــه يوماً إلى الليل حابِسا

والبيت الثاني للعبّاس بن مِرْداس ، والثالث ليزيدَ بن معاوية ، ذكر بعضُ الرُّواة أنّه قاله على هذا الترتيب وأَمَر بُدَيحاً أن يغنّيَ فيه ، ففعل ؛ ولم يأتِ ذلك من جهة يوثَق بها ، والصحيح أنّ الغناء لمالك ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وهذا صوت زعموا أنّ مالِكاً صنعه على لحن سمِعَه من الرُّهبان .

أخبرني الحسن بنُ يحيى ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أحمد بن المكّيّ ، عن أبيه ، عن سِياط ، أنّ مالِكاً دخل مع الوليد بن يزيد دَيْراً ، فسمع لَحْناً من بعض الرُّهبان فاستحسنه ، فصنع عليه .

ليس رَسمٌ على الدَّفِين ببــالي

فلمّا غنّاه الوليدَ قال له : الأوّل أحسن فعد إليه . اللحن الثاني الذي لمالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو ، وأوّله[1] : [من الخفيف]

دَرَّ دَرُّ الشَّباب والشعرِ الأسـ ـوَدِ والضامراتِ تحت الرحالِ
والخناذيذ كالقداح مــن الشو حط يحملــنَ ـشِكّــة الأبطالِ

1 البيتان لعبيد بن الأبرص في ديوانه (دار صادر) : 115 . وفيه «والراتكات» بدل «والضامرات» «والعناجيج» بدل «والخناذيذ» . والراتكات : التي تعدو في خطو متقارب . والعناجيج كالخناذيذ : الخيل الطويلة الصلبة . والشوحط : شجر تتّخذ منه القسي . والشكة : السلاح .

[273] ـ أخبار العباس بن مرداس ونسبه[1]

[نسبه]

العبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بنِ مضَر بن نزار ، ويكنى أبا الهيثم ، وإيّاه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه : [من المتقارب]

أعَيْن ألا أبكـي أبا الهَيْثَمَ وأَذرِي الدموعَ ولا تسأمي

وهي أبيات تُذكر في أخباره ، وأمّه الخَنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد ، وكان العبّاس فارساً شاعراً شديد العارضة والبيان ، سيّداً في قومه من كلا طرفَيه ، وهو مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا أُعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم فَضّل عليه عيينةَ بنَ حِصن والأقرعَ بنَ حابس ، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك ، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي ، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع .

[إسلامه]

أخبرني محمد بنُ جرير الطبريّ قال : حدَّثنا محمد بن حُميد قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمِر ، عن قَبيصة ، عن عمرو والخُزاعيّ عن العبّاس بن مِرداس بن أبي عامر أنّه قال : كان لأبي صنم اسمه ضِمار ، فلمّا حضره الموتُ أوصاني به وبعبادته والقيام عليه ، فعمَدتُ إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت ، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة ، فلمّا ظهر أمرُ رسول الله ﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعَني ، فوثبتُ إلى ضِمار ، فإذا الصوت في جوفه يقول : [من الكامل]

قل للقبائل مـن سُليـمٍ كلِّهـا هَلَكَ الأَنيسُ وعاشَ أَهلُ المسجدِ
إن الذي وَرِث النبوّة والهدى بعد ابن مريمَ من قريشٍ مهتدي
أُودى الضِّمارُ وكان يُعبَدُ مَرّةً قبـل الكتابِ إلى النبـيّ محمدِ

قال : فكتمتُ الناسَ ذلك ، فلم أُحدِّث به أحداً حتى انقضت غَزوة الأحزاب ، فبينا أنا

1 للعبّاس بن مرداس ترجمتان في الشعر والشعراء : 218 ، 632 وفي الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وكتب السيرة ومعجم المرزباني : 262 والسمط : 32 والطبري 3 : 172 والخزانة 1 : 152–153 وانظر مقدمة ديوانه ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري .

في إبلي في طرف العَقيق وأنا نائم ، إذ سمعتُ صوتاً شديداً ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا برجل على حِيالي بعمامة يقول : إنّ النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء[1] ، في ديار بني أُخي العَنْقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أُبصره فقال : بَشّر الجنَّ وأجناسَها ، أن وضعت المَطِيّ أحلاسَها ، وكفّت السماء أحراسَها ، وأن يُغِصَّ السَّوْقُ أنفاسَها ، قال : فوثبتُ مذعوراً وعرفتُ أنّ محمداً رسول الله ﷺ مصطفى ، فركبتُ فرسي وسرتُ حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلَمْت ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقتُه بالنار .

وقال أبو عبيدة : كانت تحت العبّاس بنِ مِرداس حبيبة بنتُ الضحّاك بن سُفيان السُّلَميّ أحد بني رِعْل بن مالك ، فخرج عبّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبيّ ﷺ ، فبات بها ، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله ، وقال له : من سألك عنّي فحدِّثْه أنّي لحقتُ بيثربَ ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلاّ آتياً محمداً وكائناً معه ، فإنّي أرجو أن يكون رحمة من الله ونوراً ، فإن كان خيراً لم أُسبَق إليه ، وإن كان شرّاً نصرتُه لخئُولته ، على أنّي قد رأيت الفضلَ البيِّن وكرامةَ الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته ، واتّباعه ومبايعته ، وإيثارِ أمرِه على جميع الأمور ، فإنّ مناهج سبيله واضحة ، وأعلامَ ما يجيء به من الحقّ نيرة ، ولا أرى أحداً من العرب يَنصِب[2] له إلاّ أُعطِيَ عليه الظفَر والعلوّ ، وأراني قد أُلقِيتْ عليَّ محبّةٌ له ، وأنا باذلٌ نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض ؛ قال : ثم سار نحو النبيّ ﷺ ، وانتهى الرّاعي نحو إبله ، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبيّ ﷺ ، فقامت فقوّضتْ بيتَها ، ولحقتْ بأهلها ، فذلك حيث يقول عبّاس بن مُرداس ، حين أحرق ضِماراً ولحق بالنبيّ ﷺ[3] : [من الطويل]

لَعَمري إنّي يـوم أَجعَل جاهداً   ضِماراً لـربّ العالمين مُشارِكا
وتركي رسول الله والأَوسُ حوله   أولئك أنصار لـه ، مـا أولئكا ؟
كتارك سهلِ الأرضِ ، والحَزَن يبتغي   ليَسلُك في غيب الأمور المسالكا
فآمنـتُ بـالله الذي أنـا عبـدُه   وخالفتُ من أَمسى يريد الممالكا
وَوجّهتُ وجهي نحو مكّة قاصداً   وتابعت بـين الأخشبين المبارِكا[4]

1 العضباء : اسم ناقة النبي ﷺ .
2 ينصب له : يعاديه .
3 ديوانه : 93–94 عن الأغاني .
4 الأخشبان : جبلان مطيفان بمكّة وهما أبو قبيس والأحمر .

نبيٌّ أتانا بعدَ عيسى بناطقٍ ... من الحقّ فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أوّل شافعٍ ... وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تَلافى عُرى الإسلام بعد انفصامها ... فأحكَمَها حتّى أقام المَناسِكا
رأيتك يا خير البريّة كلّها ... توسّطتَ في القربى من المجد مالِكا
سبقتَهمُ بالمجدِ والجُودِ والعُلا ... وبالغاية القصوى تَفوت السَّنابكا
فأنتَ المصفّى من قريش إذا سمتْ ... غَلاصِمُها تَبغِي القُروم الفوارِكا[1]

قال : فقدِم عبّاس على رسول الله ﷺ المدينة حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفَتْح ، فواعَدَ رسول الله ﷺ قُدَيدا[2] ، وقال : القَني أنت وقومك بقديد ، فلمّا نزل رسول الله ﷺ قُديداً وهو ذاهب ، لقيه عبّاس في ألف من بني سُليم ، ففي ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس[3] : [من الطويل]

بلِّغْ عباد الله أنّ محمداً ... رسولَ الإله راشدٌ أين يمّما
دعا قومَه واستنصر اللهَ ربَّه ... فأصبح قد وافى الإله وأنعما[4]
عشية واعدنا قُدَيداً محمّداً ... يؤُمّ بنا أمراً من الله مُحكَما
حلفت يميناً بَرّةً لمحمّد ... فأوفيته ألفاً من الخيل مُعلَما
سرايا يراها الله وهو أميرُها ... يؤمّ بها في الدِّين من كان أظلَما[5]
على الخيل مشدوداً علينا دُروعُنا ... وخيلاً كدُفّاع الأَتيِّ عرمرما[6]
أطعناك حتى أسلم الناس كلّهم ... وحتّى صبَحْنا الخيلَ أهل يَلَمْلَما

وهي قصيدة طويلة .

[موقف زوجته من إسلامه]

قال : ولّما عرّف راعي العبّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامَه

1 الغلاصم هنا : السادة . والقرم : السيد . والفوارك : جمع فارك وهو المبغض لزوجته أو المبغضة لزوجها . أي الذين لا تلهيهم النساء عن عظائم الأمور .
2 قديد : موضع قرب مكّة .
3 ديوانه : 101–103 وفيه اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .
4 وافى الله حقّه : أدّاه . وأنعم : زاد .
5 أظلم : ظالم .
6 الدفاع : كثرة الماء وشدّة جريانة . والأتي : السيل . والجيش العرمرم : الكثير .

قوّضتْ بيتها ، وارتحلتْ إلى قومها ، وقالت تؤنّبه : [من الطويل]

ألم ينـــه عبّاس بن مِرْداسَ أنّني رأيت الورى مخصوصةً بالفجائعِ
أتاهمْ مــن الأنصار كلُّ سَمَيْذَعٍ من القوم يَحمِي قومَه في الوقائعِ
بكلّ شديد الوَقْع عَضْب ، يقودُه إلى الموت هامُ المُقربات البرائعِ[1]
لَعَمري لئن تابعــت دينَ محمد وفارقت إخــوانَ الصّفا والصنائعِ
لبدّلت تلــك النفسَ ذلاًّ بعِــزّة غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطعِ
وقوم هم الرأس المقدَّم في الوغى وأهــلُ الحِجا فينا وأهلُ الدَّسائعِ[2]
سيوفُهُم عــزُّ الذّليــل وخيلُهــمْ سِهام الأعادي في الأمور الفظائعِ[3]

[احتجاجه على قسمة الغنائم]

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال : حدَّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عقبة ، عن ابن شِهاب ، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقفيّ قال : حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبيّ قال : حدَّثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق ، وحدَّثنيه محمد بنُ جرير قال : حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال : حدَّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض ، أنّ رسول الله ﷺ قسّم غنائمَ هَوازنَ ، فأكثر العطايا لأهل مكّة ، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين ، حتى إنّه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة ، والآخر ألف شاة ، وزَوى كثيراً من القَسْم عن أصحابه ، فأعطى الأقرعَ بنَ حابس وعيينةَ بن حصن والعبّاسَ بنَ مرداس عطايا فضّل فيها عيينةَ والأقرعَ على العبّاس ، فجاءه العبّاس فأنشَدَه[4] : [من المتقارب]

وكانـت نِهابـاً تلافيتُهـــا بِكَرِّي على المُهْر في الأجرَعِ
وإيقاظِيَ الحـــيَّ أن يرقُدوا إذا هجع القـومُ لم أهجَعِ
فأصبحَ نَهبِـي ونَهبُ العُبيـ ــدِ بين عُيينةَ والأقرعِ[5]

---

1 المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس التي تقرب وتكرم ، أو التي ضمرت للركوب . والبرائع : جمع بريعة ، وهي المرأة الجميلة العاقلة ، وقد جعلت هنا وصفاً للفرس .
2 الدسائع : جمع دسيعة وهي العطية الجزلة .
3 سهام في ل : سمام .
4 ديوانه : 83–85 .
5 العبيد : فرس العباس بن مرداس .

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرإٍ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمنَعِ[1]
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمعِ
وما كنت دون امرىءٍ منهما ومن تصنع اليومَ لا يُرفعِ

فبلغ قومه رسولَ الله ﷺ ، فدعاه فقال له : أنت القائل : «أَصْبَحَ نَهبِي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة ؟» فقال أبو بكر : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، ولا ينبغي لك الشعرُ ، وما أنت براوية ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : هما سواء ، لا يضرّك بأيّهما بدأت : بالأقرع أمّ بعيينة ، فقال رسول الله ﷺ : اقطعوا عنّي لسانَه ، وأمر بأن يُعطوه من الشّاء والنَّعَم ما يرضيه ليُمسِك ، فأُعطِيَ ، قال : فوجَدَتِ الأنصارُ في أنفسها ، وقالوا : نحن أصحاب مَوْطِنٍ[2] وشدّة ، فآثر قومه علينا ، وقسم قَسْماً لم يقسمه لنا ، وما نراه فعل هذا إلاّ وهو يريد الإقامة بين أظهرهم ، فلمّا بلغ قولُهم رسولَ الله ﷺ أتاهم في منزلهم فجمعهم ، وقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها ، وموجِدة وجَدْتموها في أنفسكم ، أَلَم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : أَلَـم آتكم قليلاً فكثّركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : أَلَم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن إسحاق : وحدَّثني يعقوب بن عيينة أنّه قال : أَلَم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات ، فأخرَجَنا اللهُ بك إلى النور ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفْرة من النار ، فأنقذنا الله ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله ربّاً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمد رسولاً . فقال ﷺ : أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا ، فقلتم : جئتَنا طريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فأَغْنيناك ، ومكذَّباً فصدّقناك ، وقبِلْنا منك ما ردّه عليك الناسُ ، لقد صدقتم . فقال الأنصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، وبكى رسول الله ﷺ ، وقال : يا معشر الأنصار وَجَدْتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناساً أتألّفهم على الإسلام ليُسلِموا ، ووكَلْتكم إلى الإسلام ، أو لا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفس محمد بيده

1 ذو تدرأ : ذو دفع من قومي .
2 موطن : مشهد في الحرب .

لو سلك الناسُ شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكتُ شِعب[1] الأنصار ، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضَلوا لِحاهُم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حَظّاً وقَسْماً ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله ﷺ أشدَّ اغتباطاً من المال .

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر : أَعطى رسولُ الله ﷺ جماعةً من أشراف العرب عطايا يتألّف بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام ، فأعطى كلَّ رجلٍ من هؤلاء النّفر ، وهم : أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن هشام ، وسُهَيل بن عمرو ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، وصفوان بن أميّة ، والعلاء بن حارثة الثَّقَفيّ حليفُ بن زُهرة ، وعيينة بن حِصْن ، والأقرع بن حابس ، مائةً من الإبل ، وأَعطى كلَّ واحد من مَخْرَمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤيّ وسعيد بن يربوع ، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ ، وأعطى العبّاس بنَ مرداس أباعر ، فتسخَّطَها وقال الأبيات المذكورة ، فأعطاه حتى رضي .

[بين عبد الملك وعبد الله بن الزُّبير]

حدَّثنا وكيع قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا عطاء بنُ مصعب ، عن عاصم بنِ الحَدَثان قال : كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزُّبير كتاباً يتوعّده فيه وكتب فيه : [من الطويل]

إنّي لَعِندَ الحرب تحمل شِكّتي إلى الرَّوْعِ جَرْداء السَّيالة ضامرُ

والشعر للعبّاس بن مرداس . فقال ابن الزُّبير : أبالشعر يقوى عليّ ؟ والله لا أجيبه إلاّ بشعر هذا الرجل ؛ فكتب إليه[2] : [من الوافر]

إذا فُـرِس العَـوالي لم يخالجْ هُمومي غير نصرٍ واقترابِ[3]
وإنّا والسَّوابح يـومَ جُمْـعٍ وما يتلو الرسول من الكتابِ[4]
هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قِسِيٍّ وحكّت بَرْكَهـا ببني رِئابِ[5]

هـذه الأبـيات مـن قصيـدة يفخـر بهـا العبّاس برسول الله ﷺ ونصرِه لـه ، وفيهـا يقـول : [من الوافر]

---

1 ل : مسلك .
2 ديوانه : 33–34 وفيه اختلاف .
3 فُرس : دقّ وكسر .
4 جمع في ل : بدر .
5 البرك : كلكل البعير . ويقال في شدّة الحرب «حكت بركها بهم» .

بذي لَجَبٍ رسولُ الله فيه   كتيبتُه تَعرَّضُ للضِّرابِ[1]
ولو أدركن صِرمَ بني هلالٍ   لآمَ نساؤهمْ والنَّقْعُ كابي[2]
ركضن الخيل فيهم يوم لبنى :   إلى الأرواد تنحط بالنهابِ

[مقتل أخيه هريم]

قال أبو عبيدة : وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاوراً في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر ، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد ، وبلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس ، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره ، فقال : [من الطويل]

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً   فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ
ونبّئت أن قد عوّضوك أباعراً   وذلك للجيران غزل بمغزلِ
فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ   وفيها متاعٌ لامرىء متذلّلِ

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لمّا دعاه عليّ عليه السلام إلى البيعة ، وتحدّث الناسُ أنّه وعده أن يولّيه الشام إذا بايعه .

قال : فلمّا بلغتْه هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُرَيم ، ثم إنّ أبا حُلَيْس النَّصْرِيَّ لقِي خويلداً قاتِلَ هُرَيم فقتَله ، فقال بنو نصر : بُؤْ بدم فلان النصريّ ، رجل كانت خزاعة قتلتْه ، فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس ، وبلغ ذلك العبّاس ، فقال يمدحه بقوله[3] : [من الطويل]

أتاني من الأنباء أنّ ابنَ مالكٍ   كفى ثائراً من قومه مَن تغبّبا
ويَلقاك ما بين الخَميس خُويلدٌ   أرى عَجَباً بل قتله كان أعجبا
فِدًى لك أُمّي إذ ظَفِرتَ بقتلِهِ   وأقسم أبغي عنك أمّا ولا أبا[4]
فمثلُكَ أدّى نُصرةَ القوم عَنوةً   ومثلُك أعيا ذا السّلاح المجرّبا

[حرب بني نصر]

قال أبو عبيدة : أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سُلَيم ، فبلغ ذلك العبّاس بنَ مرداس ، فخرج إليهم في جمع من قومه ، فقاتلهم حتى أكثَر فيهم القتل ، وظهرت عليهم بنو سُلَيم ، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم ، وأخذتْ بنو نصر فرساً للعبّاس

1 الشطر الثاني في ل : كعارضة . . . للضراب .
2 كابي : مرتفع .
3 ديوانه : 113 عن الأغاني .
4 أقسم أبغي : أقسم لا أبغي .

عائرةً يقال لها زِرّة[1] ، فانطلق بها عطيّة[2] بنُ سُفْيان النَّصْرِيّ ، وهو يومئذٍ رئيس القوم ، فقال في ذلك العبّاس[3] : [من الطويل]

أبى قومنا إلاّ الفرارَ ومن تكن هوازنُ مولاه من الناس يُظلمِ
أغار علينا جمعُهمْ بين ظالمٍ وبين ابنِ عمٍّ كاذبِ الودِّ أَيْهَمِ[4]
كلاب وما تفعل كلابٌ فإنّها وكعب سراة البيت ما لم تهدَّمِ
فإن كان هذا صُنْعُكم فتجرَّدوا لألفين منّا حاسر ومُلأَّمِ[5]
وحربٍ إذا المرء السَّمين تمرّستْ بأعطافه بالسيف لم يترمرمِ[6]
ولم أحتَسِبْ سُفيانَ حتى لقيتُه على مأقط إذ بيننا عِطر مَنْشمِ[7]
فقلت وقد صاح النساء خلالَهم لخيليَ شُدّي إنّهم قومُ لَهذَمِ[8]
فما كان تهليلٌ لُدنْ أن رميتُهمْ بزِرّةَ رَكْضاً حاسِراً غيرَ مُلجَمِ
إذا هي صدّت نحرَها عن رماحِهم أقدّمها حتى تَنعَّل بالدمِ
وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها وآخَرُ يَهوِي لليدين وللفمِ
لَدُن غُدوةً حتى استُبيحوا عشيّةً وذَلّوا فكانوا لَحْمَة المتلحِّمِ[9]
فآبوا بها عُرْفاً وألقيتُ كَلْكَلي على بَطَل شاكي السِّلاح مكلَّمِ[10]
ولن يمنع الأقوام إلاّ مُشايحٌ يُطارد في الأرض الفضاء ويرتمي[11]

قال : ثم إنّ العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر ، وكانوا ثلاثين رجلاً ،

---

1 ل : زورة .
2 ل : غبطة .
3 ديوانه : 145–146 عن الأغاني .
4 أيهم : لا عقل له ولا فهم .
5 حاسر : بلا درع أو بيضة . والملأم : اللابس عدّة الحرب .
6 السمين في ل : السليم . ترمرم : حرّك فاه بالكلام .
7 المثل : «أشام من عطر منشم» أو «دقوا بينهم عطر منشم» في معظم كتب الأمثال . والمأقط : الضيق الذي يتقاتلون فيه .
8 لخيلي شدي في ل : لقومي شدوا . اللهذم : القاطع من الأسنة .
9 المتلحّم : طالب اللحم .
10 عرفاً : معترفين بالهزيمة .
11 مشايح : مقاتل .

فأطلقهم ، وظنّ أنَّهم سيثيبونه بفعله ، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرّةَ ، فلم يفعلوا ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أزِرّة خيرٌ أم ثلاثــون منكــمُ طليقــاً رددناه إليكُــمْ مسلّما

قال : وجعل العباسُ يهجو بني نصر ، فبلغه أنّ سفيانَ بن عبد يغوثَ يتوعّده في ذلك ، فلقِيَه عبّاس في المواسم ، فقال له ألا توفيني ما زعمت ؟ فقال له سفيان : والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك ، فقال عباس : [من الطويل]

أتوعدني بالصَّرْم إن قلـت أوفني فاوفِ وزِدْ في الصَّرم لِهزِمَةَ النتنِ

وقال العباس أيضاً فيه[1] : [من الوافر]

ألا مَـن مُبلـغ سُفيانَ عنّـي وظنّـي أن سيبلغــه الرسولُ
ومــولاه عطيّــة أنّ قِيــلا خلا منّي وأن قد بات قِيلُ[2]
سئمتمْ ربَّكــمْ وكفرتمــوه وذلكـــمُ بأرضكــمُ جميلُ
ألا تُــوفي كما أُوفى شبيبٌ فحلّ لــه الولايــةُ والشُّمولُ
أبــوه كان خيــركم وفــاءً وخيــركم إذا حُمِـد الجميلُ
ألام على الهجـاء وكلّ يــوم تلاقيني مــن الجيران غولُ[3]
سأجعلها لأجمَعِكــم شِعـاراً وقــد يَمضي اللسان بما يقولُ

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخبارَه بذكرها ، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غَزاةٍ غزاها بني زُبيد باليمن .

[حربه مع بني زبيد]

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة : جمع العبّاس بن مرداس بن أبي عامر ، وكان يقال للعبّاس : مقطِّع الأوتاد ، جمعاً من بني سُلَيم فيه من جميع بطونها ، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ؛ فقتل فيها عدداً كثيراً ، وغنم حتّى ملأ يديه ، فقال في ذلك[4] : [من الطويل]

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليــومَ دارسا وقفتُ بــه يوماً إلى الليل حابِسا

1 ديوانه : 125 عن الأغاني .
2 القيل : القول . خلا : مضى .
3 الغول : الداهية .
4 ديوانه : 68–71 وفيه اختلاف .

يقول فيها : [من الطويل]

فدع ذا ولكنْ هل أتاكَ مَقادنا لأعدائنا نزجِي الثقالَ الكَوادِسا[1]
سموْنا لهم تسعاً وعشرين ليلةً نُجيزُ من الأعراض وَحشاً بَسابِسا[2]
فلم أرَ مِثلَ الحيِّ حيّاً مصبَّحا ولا مِثلَنا يوم التقَينا فوارِسا
إذا ما شددْنا شَدَّةً نصَبوا لنا صدورَ المَذاكي والرماحَ المَداعِسا[3]
وأحصَنَنا منهمْ فما يبلغوننا فوارسُ منّا يحبسون المَحابسا
وجُرْدٌ كأنّ الأُسد فوق مُتونها من القوم مرؤوساً كَميّا ورائسا
وكنتُ أمامَ القوم أوّلَ ضاربٍ وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا[4]
ولو مات منهمْ من جرحْنا لأصبحتْ ضِباعٌ بأكنافِ الأراكِ عرائسا

فأجابه عَمرو بنُ معديكَرِبَ عن هذه القصيدة بقصيدة أوّلها : [من الطويل]

لِمن طللٌ بالخَيْفِ أصبَحَ دارسا تبدَّل آراما وعِيناً كوانِسا

وهي طويلة ، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنّما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أوّلها !

[بكاؤه على جلاء بني النضير]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا أبو غَزيّة عن فُليح بن سليمان قال : قال العبّاس يذكر جَلاء بني النَّضير ويبكيهم بقوله[5] : [من الطويل]

لو آن قَطِينَ الدّار لم يتحمّلوا وجدت خلال الدار مَلْهى ومَلعَبا
فإنّك عَمري هل رأيتَ ظعائنا سَلَكن على رُكن الشظاة فمِيثَبا[6]
عليهنّ عِينٌ من ظِباءِ تَبالةٍ أوانس يُصبين الحليمَ المجرّبا
إذا جاء باغي الخيرِ قلن بشاشةً له بوجوهٍ كالدّنانير : مَرحَبا

1 الكوادس : المسرعة .
2 الأعراض : قرى بين الحجاز واليمن . البسابس : القفار .
3 المداعس : جمع مدعس وهو الرمح الغليظ الشديد .
4 مُخالسا في ل : تخالسا .
5 ديوانه : 38–39 وفيه اختلاف .
6 الشظاة وميثب : موضعان .

وأهــلاً فــلا ممنــوع خيرٍ طلبتَه ولا أنتَ تَخشى عندنــا أن تُؤنَّبا
فلا تَحسَبَنّي كنتُ مولى ابن مِشْكمٍ سلامٍ ولا مــولى حُيَيّ بن أخطبا[1]

فقال خوّات بنُ جُبير يجيب العبّاس : [من الطويل]

أتبكي على قتــلي يهودَ وقد تَرى من الشَّجْو لــو تَبكي أحقَّ وأَقرَبا
فهــلاّ على قتــلى ببطــنِ أُوارةٍ بكيتَ وما تبكي من الشجو مغضبا
إذا السِّلم دارت في الصديق رددتَها وفي الدِّين صَدّادا وفي الحرب ثعلبا
وإنّــك لمــا أن كلِفت بِمدحــةٍ لِمــن كان مَيْنــا مدحُــه وتَكذُّبا
وجئــتَ بأَمــر كنت أهلاً لمثله ولم تُلفِ فيهم قائــلاً لكَ مرحبا
فهــلاَّ إلى قــوم ملوكٍ مدحتَهمْ بَنوا مــن ذُرا المجد المقدَّم مَنصِبا
إلى معشر سادوا الملوكَ وكُرِّمــوا ولَم يُلَف فيهم طالبُ الحقِّ مُجدِبا
أولئك أُولى مــن يهــودَ بمِدحةٍ تراهمْ وفيهم عــزّةُ المجدِ تُرْتَبا[2]

فقال عبّاس بن مرداس يجيبه : [من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهنَين وفيكمُ لهم نِعَم كانت من الدَّهــرِ تُرْتَبا[3]
أولئك أَحــرى إن بكيتَ عليهمُ وقومُك لو أدَّوا مــن الحقِّ موجَبا
من الشكرِ إنّ الشكر خيرُ مَغَبّةٍ وأَوفَقُ فِعــلاً للذي كان أصوَبا[4]
فصرتَ كمَن أمسى يقطِّع رأسَه ليبلغَ عــزّاً كان فيــــه مركَّبا
فبَكِّ بني هارونَ واذكــر فَعالَهمْ وقتلهمُ للجــوع إذ كُنْتَ مُسغبا

قال الزُّبير : فحدَّثني محمد بن الحسن عن مُحرِز بن جعفر قال : التقى عبّاس بنُ مرداس وخوّات بنُ جبير يوماً عند عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال خوّات : يا عبّاس آأنت الذي رثيتَ اليهود ، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان ! فقال عباس : إنّهم كانوا أخلاّئي في الجاهلية ، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني ، ومثلي يشكر ما صُنِع إليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا . فقال له خوّات : أما والله لئن استقبلت غَرْب[5]

---

1 مشكم في ل : سالم . حيي بن أخطب : سيد بني النضير .
2 عزة المجد ترتبا في ل : طابع اللؤم يرتبا .
3 الترتب : المقيم الثابت .
4 فعلاً في ل : قدماً .
5 غرب الشباب : شدته .

شبابي ، وشَبا أنيابي ، وخَشِن جوابي ، لتكرهنّ عتابي . فقال عبّاس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عَنّي وفَنّي[1] وذكاءَ سِنّي ، لَتفرّنّ منّي ، إيّاي تتوعّد يا خوّات ، يا عاني[2] السوآت ! والله لقد استقبلك اللؤمُ فرَدَعَك[3] ، واستدْبَرك فكسَعَك ، وعَلاك فوَضَعك ، فما أنت بمهجوم عليك من ناحية إلاّ عن فضل لؤم ؛ إيّاي ، ثكِلتْك أُمُّك ، تروم ؟ وعليّ تقوم ؟ والله ما نُصِيبتْ سُوقُك ، ولأظهرنّ عليك بعدُ ؛ فقال عمر لهما : إمّا أن تسكتا وإمّا أن أوجِعَكما ضرباً ، فصَمَتا وكَفّا .

أُخبرني بذلك علي بن نصر قال : حدَّثني الحسن بن محمد بن جرير ، وحدَّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك .

وللعبّاس مع خَوّات مناقضات أُخَرُ في هذا المعنى ، كرهتُ الإطالةَ بذكرها .

[رثاء أخيه له]

قال أبو عبيدة : وكان العبّاس وسراقة وخَزن وعمرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلّهم كان شاعراً ، وعبّاس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم ، ومات في الإسلام ، فقال أخوه سراقة يرثيه : [من المتقارب]

أعينِ ألا أبكي أبا الهيثم ... وأذرِي الدموعَ ولا تسأمِي
وأثْني عليه بآلائه ... بقول امرىء موجَع مؤلَمِ
فما كنتُ بائعه بامرىء ... أراهُ ببَدْوٍ ولا مَوْسمِ
أشدّ على رجل ظالم ... وأدهى لداهية مِيثمِ[4]

وقالت أخته عمرة ترثيه : [من الطويل]

لِتَبكِ ابنَ مرداسٍ على ما عَراهُمُ ... عشيرتُه إذ حُمَّ أَمسِ زَوالُها
لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهُمُ ... فكان إليه فصلُها وجِدالُها
ومُعضِلة للحاملين كفيتها ... إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُها[5]

---

1 العن : الاعتراض . والفن : الأمر العجب . يقال رجل معن مفن .
2 ل : مآوي .
3 ردعه بالشيء : لطخه به . وكسعه : ضرب دبره .
4 الميثم : الشديد الوطء .
5 طلال : جمع طل ، وهو المطر الخفيف .

[دعاء النبيّ لأمّته يوم عرفة]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ ﷺ ، ونقل عنه الحديث .

حدَّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعيّ البَلْخيّ بالكوفة قال : حدَّثنا أيّوب بن محمد الطّلحيّ قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السريّ السُّلَميّ قال : حدَّثنا عبد الله بن كِنانة بن عباس بن مرداس السلميّ أن أباه حدّثه عن جدّه عبّاس بن مرداس أنّ النبيّ ﷺ دعا لأمّته عشيّةَ عَرَفة قال : فأُجيبَ لهم بالمغفرة إلاّ ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، قال : فإنّي آخذ للمظلوم من الظالم ، قال : أيْ ربٍّ إن شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنّة ، وغفرتَ للظالم ، فلم يجب في حينه ، فلمّا أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء ، فأجيب لهم بما سأل ؛ فضحك النبي ﷺ أو تبسّم ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : بأبي أنت وأمّي ! إنّ هذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيها أو تَبسَّم ، فقال : إنّ إبليس لمّا علِم أنّ الله غفر لأمّتي جعل يَحثُو الترابَ على رأسه ، ويدعو بالوَيْل والثُّبور ، فضحكتُ مِن جزَعه . تمّت أخبارُ العبّاس .

صوت

[من البسيط]

أرجوكَ بعد أبي العبّاس إذ بانا ... يا أكرم الناسِ أعراقاً وعِيدانا
أُرجوك من بعدِه إذ بان سيِّدنا ... عنّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا
فأنت أكرمُ من يَمشي على قدم ... وأنضرُ الناس عند المَحَلْ أغصانا
لو مَجَّ عُودٌ على قوم ٍ عُصارَتَه ... لمجّ عودُك فينا المِسكَ والبانا

الشعر لحمّاد عَجْرد ، والغناء لحَكَم الواديّ ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبِنصر في مجراها .

[274] ـ أخبار حمّاد عَجْرد ونسبه[1]

[نسبه]

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر بن كُلَيب ، ويُكنى أبا عُمَر ، مولى بني عامر بن صعصعة ، وذكر ابن النطّاح أنّه مولى بني سَرَاةَ ، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنّه مولى بني عُقيل ، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة ، وكان يَبرِي النَّبل ، وقيل : بل أبوه كان نَبّالاً ، ولم يتكسّب هو بصناعة غير الشعر .

وقال صالح بن سليمان : كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب ، وكانت له هيئة ، وابن عمّه عُمارة بن حمزةَ بن كليب ، انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً ، فكانوا بها ، وحمّاد من مخضرَمي الدولتين الأمويّة والعباسيّة ، إلاّ أنّه لم يشتهر في أيّام بني أميّة شهرتَه في أيّام بني العبّاس ، وكان خليعاً ماجِناً ، متَّهماً في دِينه ، مرمّياً بالزندَقة .

[هجاء بشّار له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر قال : قال أبو دعامة : حدَّثني عاصمُ بن أفلَحَ بن مالك بن أسماء قال : كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولًى لهندٍ بنت أسماءَ بن خارجة ، وكان وكيلاً لها في ضَيْعتها بالسَّواد ، فولدتْ هندٌ من بِشرِ بنِ مروان عبدَ الملك بن بِشر ، فجرّ عبد الملك ولاء مَوالي أمّه فصاروا مَواليه . قال : ولمّا كان والدُ حمّاد عَجْرد بالسواد في ضَيْعتها نَبَّطه[2] بشّارٌ لمّا هَجاه بقوله : [من البسيط]

واشدُدْ يديك بحمّاد أبي عُمرٍ فإنّــه نَبَطِـيٌّ مِــن زَنابِيــرِ[3]

[تلقيبه عجرد]

قال : وإنّما لقّبه بعجرد عمرو بن سِنْدِيّ مولى ثقيف لقوله فيه : [من الخفيف]

---

1 لحماد عجرد ترجمة في الشعر والشعراء : 663–665 وطبقات ابن المعتزّ : 67–72 ومعجم الأدباء : 1196–1198 ووفيات الأعيان 2 : 210–214 وأنساب الأشراف 3 : 180 . وتاريخ بغداد 8 : 148 وسير الذهبي 7 : 159 وأمالي المرتضى 1 : 133 . والوافي 13 : 142 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 نبّطه : نسبه إلى النبط .

3 زنابير : أرض باليمن ، وفي ل : دنانير .

سَبَحَتْ بغلــةٌ ركبتَ عليهــا عجبــاً منــك خَيبةٌ للمَسيرِ
زعمــتْ أنّهــا تَــراه كبيراً حَملَها عَجردَ الزِّنــا والفُجورِ
إن دهراً ركبتَ فيــه على بَغْــ ــلٍ وأوقَفْتَــه بباب الأميرِ
لَجديرٌ ألاَّ نَــرى فيــه خيراً لصغيــــر منّــــا ولا لِكبيرِ
ما امرؤ ينْتَقيك يا عُقْدة الكَلْــ ــب لأسراره بجِــدٌ بَصيرِ[1]
لا ولا مجلسٌ أُجَنَّــك للّــ ــذّ ات يــا عَجْرَدَ الخَنا بسَتيرِ[2]

يعني بهذا القول محمد بنَ أبي العبّاس السفّاح ، وكان عَجْرَد في نُدَمائه ، فبلغ هذا الشعرُ أبا جعفر ، فقال لمحمد : ما لي ولعجرد يَدخُل عليك ؟ لا يَبلغُني أنّك أذنتَ له ، قال : وعَجرد مأخوذٌ من المعجرِد ، والعُريان في اللغة ، يقال : يتعجرد الرجلُ إذا تَعرَّى فهو يتعجرد تعجرداً : وعجردتُ الرجلَ أُعجردُه عَجردةً إذا عرّيته .

[الحمادون الثلاثة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، ونسختُ من كتاب عبد الله بن المعتزّ ، حدَّثني الثقفيُّ عن إبراهيم بن عمر العامريّ قال : كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد وحَمّاد الراوية ، وحمّاد بن الزِّبرِقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة ، وكانوا كأنّهم نفس واحدة ، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّادُ عَجرد .

أخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحيّ أبو خليفة إجازةً عن التوّزيّ : أنّ حمّاداً لقِّب بعجرد لأنّ أعرابيّاً مرَّ به في يوم شديدِ البَرْد وهو عُريان يلعب مع الصِّبيان فقال له : تعجردتَ يا غلام ؛ فسمِّيَ عجرداً .

قال أبو خليفة : المتعجرِد : المتعرِّي ؛ والعَجْرد أيضاً : الذهب .

[تهاجيه مع بشار]

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، عن عليّ بن مهديّ ، عن عبد الله بن عطيّة ، عن عبّاد بن الممزّق ، وأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : كان السبب في مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّاراً أنّ حمّاداً كان نديماً لنافع بن عُقبة ، فسأله بشّار تنجُّز حاجة له مِن نافع ، فأبطأ عنها ، فقال بشّارٌ فيه : [من الطويل]

---

1 عقدة الكلب : قضيبه .
2 أجنّك : سترك . ستير : مستور .

مواعيــدُ حمّـادٍ سمـــاءٌ مُخيلــةٌ تَكشّفُ عن رعد ولكن ستَبرُقُ[1]
إذا جئتَــه يومـــاً أحالَ على غــدٍ كما وعد الكَمُّون ما ليس يَصدقُ[2]
وفي نافــع عنّــي جَفــاءٌ ، وإنّني لأُطرق أحياناً ، وذو اللُّبّ يُطرِقُ
وللنَّقَرى قــومٌ فلــو كنتُ منهمُ دُعيتُ ولكن دونِيَ البابُ مغلقُ[3]
أبا عُمَرٍ خَلّفْتَ خلفَــك حاجتــي وحاجةُ غيري بــين عينيك تَبرُقُ
وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتَني بوعدٍ كجاري الآلِ يَخفى ويخفقِ[4]

قال : فغضب حمّاد وأنشَد نافعاً الشِّعرَ ، فمَنَعه من صلة بشّار ، فقال بشّار : [من الطويل]

أبا عُمرٍ مـــا في طِلابِيكَ حاجةٌ ولا في الذي منّيتنا ثــمّ أصحرا
وعَدْتَ فلم تَصدُق وقلتَ غَداً غَداً كما وُعِــدَ الكَمُّون شِرْبــاً مؤخَّرا

قال : فكان ذلك السبب في التّهاجي بين بشّار وحمّاد .

[من كبار الزنادقة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال : حدَّثني أبو سُهيل قال : حدَّثني أبو نواس قال : كنت أتوهّم أنّ حمّاد عجرد إنّما رُمِيَ بالزندقة لُمجونه في شعره ، حتى حُبِستُ في حبس الزّنادقة ، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرؤون به في صلاتهم ، قال : وكان له صاحب يقال له حريث على مذهبه ، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزية له : [من البسيط]

بَكــى حُريثٌ فوقّــره بتعزيـــةٍ مات ابن نِهْيا وقد كانا شريكَيْنِ
تَفاوَضا حين شابــا في نسائهما وحَلّــلا كلَّ شيء بــين رِجلَيْنِ[5]
أمسى حُريثٌ بما سَدَّى لــه غَيَراً كراكب اثنين يرجــو قــوّةَ اثنينِ
حتى إذا أخَــذا في غير وجههِما تفرَّقـــا وهــوى بــين الطّريقَينِ

يَعنِي أنّه كان يقول بقول الثَّنويَّة في عبادة اثنين ، فتفرَّقا وبقِيَ بينهما حائراً ، قال : وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسبُه إلى أنّه ابن نِهْيا : [من الخفيف]

---

1 السحابة المخيلة : التي يقدر فيها المطر ولا تمطر .
2 المثل «مواعيد الكمّون» في مجمع الميداني 1 : 254 والدرة الفاخرة 1 : 178 ويقال أيضاً «أخلف من شرب الكمون» .
3 يدعو النقرى : يدعو بعضاً دون بعض ، وخلافه الجفلى .
4 استأنى : تمهّل .
5 تفاوضا : تشاركا .

يا ابن نِهْيا رأسٌ عليّ ثقيلُ واحتمالُ الرؤوس خَطْبٌ جليلُ
ادْعُ غيري إلى عبادة الاثنيْـ ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ
يابن نِهْيا برئتُ منك إلى اللـ ـه جهاراً ، وذاك منّي قليلُ

قال : فأشاعَ حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس ، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول» : «فإنّي عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى ، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار ، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال : أشاطَ ابنُ الزانية بِدَمِي [1] ، والله ما قلت إلاّ «فإنّي بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شَهَرني في الناس بما يهلكني .

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني صالح بنُ سليمانَ الخَثْعَميّ قال : قيل لعبد الله بن ياسين : إنّ بشاراً المرعَّثَ [2] هجا حمّاداً فنبَّطه ، فقال عبد الله : قد رأيتُ جدّ حمّاد ، وكان يسمَّى كُليباً ، وكانت صناعتُه صناعة لا يكون فيها نَبَطِيّ ، كان يَبرِي النِّبالَ ويَريشُها ، وكان يقال له : كُلَيب النّبّال ، مولى بني عامر بن صعصعة .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيُّ قال : حدَّثني أحمد بنُ خَلاّد قال : كان بشّارٌ صديقاً لسُلَيم بن سالمٍ مولى بني سعد ، وكان المنصورُ أيّامَ استتَر بالبَصرة نزل على سلَيْم بن سالم ، فولاّه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور ، فانضَمَّ إليه حَمّاد عجرد ، فأفسده على بشّار ، وكان له صديقاً ، فقال بشّار يهجوهما : [من البسيط]

أمسى سُلَيم بأرض السُّوسِ مُرتَفِقاً في خَزّهـا بعدَ غِرْبالٍ وأمدادِ [3]
ليس النعيم وإنْ كُنّا نُزَنّ به إلاّ نعيم سُلَيم ثمّ حمّادِ [4]
نِيكا وناكا ولَم يَشعُر بذا أحدٌ في غفلةٍ مِن نبيّ الرحمة الهادي

فَنشِب الشرُّ بين حمّاد وبشّار .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمّد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه ، عن عمرَ بنِ شبّة ، عن أبي أيّوب

---

1 أشاط بدمي : عمل على هلاكي .
2 لقّب بشار بالمرعث لرعثة كانت له وهو صغير في أذنه . والرعثة كل ما يعلق بالأذن من قرط ونحوه .
3 أمداد : جمع مُدّ .
4 يزن : يتّهم .

الزباليّ[1] ، قال : كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتّفاق منهما ورِضاً بأن يَنقُلَ إلى كلّ واحدٍ منهما وعنه الشّعر الذي مرَّ ، فدخل يوماً إلى بشّار فقال له : إيهٍ يا فلان ، ما قال ابن الزانية فيّ ؟ فأنشده : [من السريع]

إنْ تـاهَ بَشّارٌ عليكمْ فقد أُمكنتُ بشّاراً مـن التِّيـهِ

فقال بشّار : بايّ شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سَمّيتُـه باسمـه ولم يكـن حُـرٌّ يسمّيـهِ

فقال : سَخِنتْ عينُه ، فبأيّ شيء كنت أُعرَف ؟ إيهٍ ، فقال :

فصار إنساناً بذكـري لـه ما يَبتغي مِن بعد ذكرِيه ؟

فقال : ما صنع شيئاً ، إيهٍ ويحك ؟ فقال :

لم أهـجُ بشّاراً ولكنّني هجـوتُ نفسي بِهجائيـهِ

فقال : على هذا المعنى دارَ ، وحولَه حام ، إيهٍ أيضاً ، وأيّ شيء قال ؟ فأنشده : [من مجزوء الكامل]

أَنتَ ابن بـرد مِثـلُ بُـرْ دٍ في النّذالـة والرَّذالـهْ
مـن كان مثـلَ أبيك يـا أَعمى أَبوه فـلا أَبـا لَـهْ

فقال : جَوَّدَ ابنُ الزانية ، وتمام الأبيات الأُوَل : [من السريع]

لَم آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى ولست فيما عشتُ آتيـهِ
أسوأ لي في الناسِ أحدوثةً مـن خطـإٍ أخطأتُه فيهِ
فأصبح اليـوم بِسبيٍّ لـه أعظـمَ شأنـاً مـن مَواليهِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة ، عن خلاّد الأَرْقَط قال : أنشَدَ بشّاراً روايتُه قولَ عجرد فيه : [من الطويل]

دعيـتَ إلى بُـرْدٍ وأنـت لغيرهِ فَهبْكَ ابن بُرْدٍ نكتَ أُمَّك مَنْ بُرْدُ ؟

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ما شاء ابن الزانية .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزيُّ قال : حدَّثني محمد بن يزيد المهلّبي قال : محمد بنُ عبد الله بنِ أَبي عُيَينة قال : قال حمّادُ عجرد لّما أُنشِد قولَ بشّار فيه : [من الخفيف]

1 ل : الريادي .

يا ابنَ نِهيا رأسٌ عليّ ثقيل واحتمالُ الرأسين أمرٌ جليلُ
فادعُ غيري إلى عبادة ربّيـ ـنِ فإنّي بواحد مشغولُ

والله ما أُبالي بهذا من قوله ، وإنما يغيظني منه تجاهلُه بالزندقة ، يوهم الناس أنّه يظنّ أنّ الزنادقة تعبد رأساً ليظنّ الجهّال أنه لا يعرفها ، لأن هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو والله أعلمُ بالزَّندقَة من ماني .

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلّبيّ ، قالوا : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثنا أبو أيوب الزبالي[1] قال : قال بشّار لراويةِ حمّاد : ما هجاني به اليومَ حمّاد ؟ فأنشدَه : [من الهزج]

ألا مَن مُبلغٌ عنّي الذ ي والـدُه بُــرْدُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا مـا نُسب الناسُ فـلا قَبْـلٌ ولا بَعْـدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات من عُقَيل ؟ فما يكون ؟ فقال ·

وأعمى قَلْطَبانٌ مـا على قاذِفِــه حَـدّ[2]

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جَلْدَةً ، هِيه ، فقال : [من الهزج]

وأعمى يشبه القِـرْدَ إذا مـا عَمِـيَ القِرْدُ

فقـال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقِرد ، حسبُك حسبُك ، ثم صفّق بيديه ، وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبّهُني ولا أُراه فأشبِّهه .

وقال : أخبرني بهذا الخبر هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أُبو غسّان دَماذ فذَكَر مثلَه ، وقال فيه : لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار :

شبيهُ الوجـه بالقردِ إذا ما عَمِـيَ القِردُ

بكى بشّار ، فقال له قائل : أتبكي من هجاء حمّاد ؟ فقال : والله ما أُبكي من هجائه ولكن أبكي لأنّه يراني ولا أُراه ، فيصفُني ولا أصفُه ، قال : وتمامُ هذه الأبيات : [من الهزج]

ولــو يَنْكَـهُ في صَلْدِ صَفاً لانصدع الصَّلْدُ[3]

---

1 ل : الريالي .
2 القلطبان : القرطبان وهو الديوث أو القوّاد .
3 ينكه : يتنفس .

دنيٌّ لم يَـــرُح يومـاً إلى مجــدٍ ولم يَغْـدُ
ولم يحضرْ مـع الحُضّا ر في خيرٍ ولَـم يَبْدُ
ولَـم يُخْشَ لـه ذمٌّ ولم يُـرجَ لـه حَمدُ
جَرى بالنَّحْسِ مذ كان ولَم يجـرِ لـه سعدُ
هـو الكلب إذا ما ما تَ لم يوجَد لـه فَقدُ

أَخبرني . بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدَّثني خلاَّد الأَرْقَط قال : أشاعَ بشّار في الناس ،ن حمّاد عجردٍ كان يُنشِد شعراً ورَجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حمّاد : عَلامَ اجتمعوا ؟ فوالله لَما أقولُ أحسنُ ممّا يقول .

قال : وكان بشّار يقول : لَمّا سمعت هذا من حمّاد مَقتُّه عليه .

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : أَخبرني أَبو إسحاق الطَّلْحيّ قال : حدَّثني أَبو سُهَيل عبدُ الله بن ياسين أن بشّاراً قال في حمّاد عجرد وسهيلِ بنِ سالم ، وكان سهيلٌ من أشراف أَهل البصرة ، وكان من عمّال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب ، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمَينِ : [من البسيط]

ليس النعيــمُ وإن كنّا نُـزَنّ بـه إلاّ نعيــم سُهَيْـلٍ ثـمّ حمّـادِ
ناكَـا ونيكا إلى أن لاح شَيْبُهما في غفلةٍ عن نبيّ الرحمـة الهادي
فَهْدَيْن طـوراً وفَهّاديــن آونـةً مــا كان قبلَهمـا فَهْـدٌ بفَهّادِ[1]
سبحانك اللهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما قِردَيــن فاعْتَلَجـا في بيت قَرّادِ[2]

قال : يعني بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أي لم يكن الفَهد فَهّادا ، كما تقول : لم يكن زيد بظريف ، ولم يكن زيدٌ ظريفاً ، قال ابن ياسين : وفيه يقول بشّار أيضاً : [من السريع]

مــا لُمتُ حمّاداً على فِسقِه يلومــه الجاهـل والمائقُ[3]
وما هَما من أَيْرِه واستِه ؟ مَلَّكـــه إيّاهمــا الخـالقُ
مـا بـات إلاّ فوقـه فاسقٌ يَنيكـــهُ أَو تحتَـه فاسقُ

أَخبرني أَحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : أنشِدني ابنُ أَبي سعد لحمّاد عجرد في بشّار .

1 الفهاد : صاحب الفهود الذي يعلمها الصيد .
2 اعتلجا : تصارعا .
3 المائق : الأحمق .

قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه : [من السريع]

نهـــارُه أخبثُ مـــن ليلِهِ ويومُـــه أخبثُ مـــن أمسِهِ
وليس بالُمقلِـعِ عـن غيِّـــه حتى يُوارى في ثَرى رَمْسِه

قال : وكان أغلَظَ على بشّار من ذلك كلّه وأوجعَه له قولُه فيه : [من السريع]

لـــو طُليتْ جلدتُـــه عنبراً لأفسدتْ جلدتُـــه العنبر
أو طُلِيتْ مِسكاً ذكيّاً إذاً تحـوَّلَ المسكُ عليــه خَرا

قال ابن أبي سعد : وقد بالغ بشّارٌ في هجاء حمّاد ، ولكن حكم الناسُ عليه لحمّاد بهذه الأبيات .

[اتّصاله بالربيع]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني أحمد بن إسحاق قال : حدَّثني عثمان بن سُفيانَ العطّار قال : اتّصل حمّاد عجرد بالربيع يؤدِّب ولدَه ، فكتب إليه بشّارٌ رقعةً ، فأُوصِلَتْ إلى الربيع ، فطرده لّما قرأها ، وفيها مكتوب : [من مجزوء الخفيف]

يا أبـــا الفضل لا تَنَمْ وقـعَ الذئبُ في الغَنَمْ
إنّ حمّـــادَ عَجْـــردٍ إنْ رأى غفلـةً هَجَمْ
بـــين فَخْذَيـــه حَرْبـةٌ في غِلافٍ مـن الأَدَمْ[1]
إنْ خلا البيتُ ساعـةً مَجمَـــجَ الميـمَ بالقَلَمْ

فلمّا قرأها الربيع قال : صيّرني حمّاد دريئةَ الشعراء ، أخرِجوا عنّي حمّاداً ، فأُخرِج .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، عن علي بن مهدي ، عن عبد الله بن عطيّة ، عن عبّاد بن الممزّق أنّ حمّاد عجردٍ كان يؤدّب ولدَ العبّاس بن محمد الهاشميّ ، فكتب إليه بشّارٌ بهذه الأبيات المذكورة ، فقال العبّاس : ما لي ولبشّار ؟ أخرجوا عنّي حمّاداً فأُخرِج .

[هجاؤه لبشّار]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم قال : حدَّثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبَيريّ قال : لما أخرج العبّاس بن محمد حمّاداً عن خدمته ، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه ، أوجعه ذلك ، فقال يهجو بشّاراً : [من الطويل]

---

1 غلاف في ل : إهاب .

لقد صار بشّار بصيراً بدُبْره ... وناظِره بين الأَنام ضَرِيرُ
لـه مُقلةٌ عمياءُ واستٌ بصيرةٌ ... إلى الأَيْرِ من تحت الثياب تشيرُ
على وُدِّه أن الحمير تَنِيكُه ... وأنّ جميعَ العالَمين حَميرُ

قال أبو الفرج الأَصفهانيّ : وقد فعل مِثلَ هذا بعينه حمّاد عجردٍ بقُطْرُب .

[شعره في قطرب]

أَخبرني عمّي عن عبد الله بن المعتزّ قال : حدَّثني أَبو حفص الأعمى المؤدِّب ، عن الزُّباليّ[1] قال : اتّخذ قطرب النحويُّ مؤدِّباً لبعض ولد المهديّ ، وكان حمّاد عجرد يطمع في أن يُجعَل هو مؤدِّبه ، فلم يتمّ له ذلك ، لتهتّكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشّار ؛ فلمّا تمكن قطرب في موضعه صار حمّاد عجرد كالمُلقى على الرَّضَف[2] ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها : [من البسيط]

قل للإمام جـزاكَ الله صالحـةً ... لا تَجمع الدَّهر بين السَّخْل والذيبِ
السَّخلُ غِـرٌّ وَهـمُّ الذئبِ فُرصَتُه ... والذئب يَعلَم ما في السَّخْل من طِيبِ

فلمّا قرأ هذين البيتين قال : انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطيّاً ؛ ثم قال : انفُوهُ عن الدار ، فأُخرِج عنها ، وجيء بمؤدِّب غيره ، ووُكِّل به تسعون خادماً يتناوبون ، يحفظون الصبيّ . فخرج قطرب هارباً ممّا شهِر به إلى عيسى بن إدريسَ العِجْليّ بن أَبي دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أَحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : لمّا قال حمّادٍ عجردٍ في بشّار : [من الهزج]

ويا أَقبحَ مـن قِردٍ ... إذا مـا عَمِيَ القردُ

قال بشّار : لا إله إلاّ الله ، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به ، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة ، فما نطقتُ به خوفاً من أن يُسمَع فأُهجى به ، حتى وقع عليه النَّبَطيُّ ابنُ الزانية .

[بينه وبين أَبي حنيفة صديقه]

قال أَبو الفرج : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ ، حدَّثني العِجْليّ قال : حدَّثني أَبو دُهْمان قال : كان أَبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمّاد عجرد ، فنَسَكَ أَبو حنيفة وطلبَ الفقه ،

1 ل : الريالي .
2 الرضف : الحجارة المحمّاة بالشمس أَو النار .

فبَلَغ فيه ما بلغ ، ورَفَض حمّاداً وبَسَط لسانَه فيه ، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفَّ عن ذِكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حمّادٌ بهذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

إن كان نسكُكَ لا يتـ ـمّ بغير شَتمي وانتقاصي
أو لم تكـن إلاّ بـه ترجـو النجاة من القصاصِ
فاقعـد وقم بي كيف شئـ ـتَ مع الأداني والأقاصي
فلطالمـا زكّيْتَنـي وأنـا المقيـم على المعاصي
أيّـام تَـأخذهـا وتُعـ ـطِي في أباريـقِ الرَّصاصِ

قال : فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن النّضر بن حديد قال : كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد ، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يَجتمع عليه مِثلُهما ، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورُّعاً وقراءةً ونزوعاً عمّا كان عليه ، وهجرَ حمّاداً وأشباهَه ، فكان إذا ذُكر عنده ثَلَبه وذكر تهتُّكه ومُجونَه ، فبلغ ذلك حمّاداً ، فكتب إليه : [من مجزوء الكامل]

هـل تذكرنْ دَلَجـي إليـ ـكَ على المضمَّرة القِلاصِ[1]
أيّـامَ تعطينـي وتـأ خُذُ مـن أباريقِ الرَّصاصِ
إن كان نُسكُكَ لا يتـ ـمّ بغير شَتْمِي وانتقاصي
أو كنـتَ لستَ بغيـر ذا كَ تنالُ منزلـةَ الخَلاصِ
فعليـك فاشتـمْ آمِنـاً كلَّ الأمان مـن القِصاصِ
واقعد وقمْ بـي مـا بـدا لـك في الأداني والأقاصي
فلَطالَمـا زكّيتَنـي وأنـا المقيـمُ على المعاصي
أيّـام أنـتَ إذا ذُكِـرْ تُ مناضِلٌ عنّـي مُناصي[2]
وأنـا وأنـت على ارتكا بِ المُوبقات مـن الحِراصِ

1 الدلج : السير من أول الليل . القلاص : الإبل الشابة ، واحدتها قلوص .

2 مناصي : يجاذب بالنواصي .

وبِنَـا مواطـنُ مـا يُنـا في البرِّ آهلـةُ العِراصِ[1]

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنَسب حمّاداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمّاد فيه : [من السريع]

لا مؤمنٌ يُعرَف إيمانُـه وليس يَحيى بالفتى الكافرِ
منافـقٌ ظاهـرُه نـاسِكٌ مُخالِـف الباطن للظاهرِ

[صديق انقطع عن مجلسه]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدّثنا ابن أبي سعد ، عن النضر بن عمرو قال : كان لحمّادِ عجردٍ إخوانٌ ينادمونه ، فانقطع عنه الشراب ، فقطعوه ، فقال لبعضهم : [من السريع]

لستَ بغَضْبـان ولكنّنـي أعرِف ما شأنك يا صاحِ
أأن فَقدتُ الرّاحَ جانبتَني ما كان حبِّيك على الراحِ
قد كنتَ من قبل وأنت الذي يعنيكَ إمسائي وإصباحي
وما أرى فِعلَك إلاّ وقـد أفسدني من بعد إصلاحي
أنتَ مِن الناس وإن عبتَهم دُونَكَهـا منّـي بإفصاحِ

[ينادم الوليد بن يزيد]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثني ميمون بن هارون عن أبي محلّم أن الوليد بنَ يزيد أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمّي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسَمّى له مطيعَ بنَ إيّاس وحمّادَ عجردٍ والمُطيعيَّ المغنّي ، فكتب في إشخاصهم إليه ، فأُشخصوا ، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتِل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

[زواجه]

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال : حدّثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال : تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأة ، فدخلْنا إليه صبيحةَ بِنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره ، فقال لنا : كنت البارحةَ جالساً مع أصحابي أشرب ، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتى بها ، حتى قيل لي : قد دخلتْ ، فقمتُ إليها فوالله ما لبّثتُها حتى افتضضتُها ، وكتبت من وقتي إلى أصحابي : [من المديد]

قد فتحتُ الحِصنَ بعد امتناعٍ بمُشيحٍ فاتـحٍ للقِـلاعِ

1 العراص : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة الخالية من البناء .

ظَفِرتْ كفّي بتفريقِ شَملٍ   جاءنا تفريقُه باجتماعِ
فإذا شَعبي وشَعْب حَبِيبي   إنّما يَلتامُ بعدَ انصداعِ

[مع وجوه البصرة]

أُخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ عن أبيه ، وأُخبرني الحسن بن عليّ عن القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم ، عن إبراهيمَ بنِ محمّد بن عبد الحميد ، قال : اجتَمع عمِّي سهم بنُ عبد الحميد وجماعةٌ من وجوه أهلُ البَصرة عند يحيى بن حُميد الطويل ، ومعهم حمّاد عجرد ، وهو يومئذٍ هاربٌ من محمد بن سليمان ، ونازلٌ على عُقبةَ بن سَلْم وقد أُمِن ، وحضر الغَداء ، فقيل له : سهمُ بنُ عبد الحميد يصلّي الضحى ، فانتظر ، وأُطالَ سَهمٌ الصلاةَ ، فقال حمّاد : [من الطويل]

أَلا أيُّهذا القانِتُ المتهجِّدُ   صلاتُك للرّحمن أَم ليَ تَسجُدُ ؟
أَما والذي نادى من الطُّور عبدَه   لِمَنْ غيرِ ما بِرٌّ تقوم وتَقعدُ
فهلاّ اتّقيتَ اللهَ إذ كنتَ والياً   بصنعاء تَبْرِي من وَليتَ وتَجردُ
ويَشهد لي أنّي بذلك صادقٌ   حُرَيثٌ ويَحيى لي بذلك يَشهدُ
وعند أَبي صَفوانَ فيك شهادةٌ   وبكْرٍ ، وبكرٌ مُسلِمٌ متهجِّدُ
فإن قلتَ زِدْني في الشهودِ فإنّه   سيشهد لي أيضاً بذاك محمّدُ

قال : فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً ، فقال له : قبّحك الله يا زِنديق ، فعلتَ بي هذا كلّه لشرَهك في تقديم أكلٍ وتأخيرِه ! هاتوا طعامَكم فأطعِموه لا أَطعَمَه الله تعالى ، فقدِّمت المائدة .

[اعتذار ابن السكوني]

أُخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أَبيه ، عن إسحاق الموصليّ ، عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال : لقيت حمّادَ عجردٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب ، فقلت له : انطلِق بنا إلى المنزل ، فإنّي الساعةَ فارغ لنتحدّث ، وحبستُ عليه الدّابة ، فقطعني شُغْلٌ عَرَض لي لم أَقدرْ على تَركه ، فمضيتُ وأُنسيتُه ، فلمّا بلغتُ المنزلَ خفتُ شرَّه ، فكتبت إليه : [من الطويل]

أَبا عُمرٍ اغفِرْ هُديتَ فإنّني   قد آذنبتُ ذنباً مخطئاً غيرَ عامدِ
فلا تَجِدْن فيه عليَّ فإنّني   أُقِرُّ بإجرامي ولستُ بعائدِ
وهبْه لنا تفديك نفسي فإنّني   أَرى نعمةً إن كنتَ لستَ بواجِدِ

وعُدْ منك بالفضل الذي أنتَ أهلُه فإنّـكَ ذو فضل طريـفٍ وتالدِ

فكتب إليّ مع رسولي : [من الطويل]

محمدُ يـا ابن الفَضْل ياذا المَحامدِ ويا بهجةَ النادي وزينَ المَشاهدِ
وحقِّكَ ما أذنبت منـذ عرفتَني على خطأ يومـاً ولا عَمْد عامِدِ
ولـو كان ، مـا أُلفيتَني متسرِّعاً إليـكَ بـه يومـاً تسرُّعَ واجِدِ

أي لو كان لكَ ذنب ما صادَفْتَني مسرِعاً إليك بالمكافأة : [من الطويل]

ولـو كان ذُو فضل يسمَّى لفضلِهِ بغير اسمـه سُميت أُمَّ القـلائدِ

قال : فبينا رقعتُه في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسولُه برقعة فيها : [من مجزوء الرمل]

قد غَفرْنا الذنب يا ابن الـ ـفضلِ والذنـبُ عظيمُ
ومسيءٌ أنتَ يا ابنَ الـ ـفضـل في ذاك مُليـمُ
حـينَ تخشاني على الذنـ ـبِ كما يُخشى اللّئيـمُ
ليس لي إن كان ما خِفـ ـتَ مـن الأمـر حريـمُ
أنـا واللهِ ، ولا أفـ ـخَرُ ، للغيـظِ كَظومُ
ولأصحابـي وَلاءٌ رَبُّـه بَـرٌّ رحيـمُ
وبما يُرضيهمُ عنّي ويُرضيني عليمُ

[يوم بفَساء]

أخبرني يحيى بن عليّ ، عن أبيه عن إسحاق قال : خرج حمّادُ عجردٍ مع بعض الأمراء إلى فارسَ ، وبها جِلّةٌ من أبناء الملوك ، فعاشر قوماً من رؤسائها ، فأحمد معاشرتَهم ، وسُرَّ بمعرفتهم ، فقال فيهم : [من مجزوء الرمل]

ربّ يـوم بفَساءٍ ليس عنـدي بذميـمِ[1]
قـد قرعتُ العيشَ فيـه مَـعَ نَدْمـانٍ كريـمِ
مِن بنـي صَيْهون في البيـ ـت المعلَّـى والصَّميمِ
في جِنـانٍ بـين أنْهـا رٍ وتعـريشِ كُـرومِ
نَتعاطـى قهـوةً تُشـ ـخِص يَقظـانَ الهُمومِ

1 فسا : مدينة بفارس .

بنتَ عشرٍ تترك المُكْـــ ـــثِرَ منهـــا كالأَمِيـــمِ[1]
فيهـــا دَأْبـــاً أُحيِّـــي ويحيِّينـــي نديمـــي
في إنـــــاءٍ كِسْرَويٍّ مستخِـــفٌّ للحليـــمِ
شَرْبـــةٌ تَعـدِلُ منــه شربتـــي أمّ حَكيـــمِ
عندنـا دِهْقانَـــةٌ حُسـ ـسانـــةٌ ذاتُ هَميـــمِ[2]
جَمعتْ ما شئتَ من حُسـ ـسنٍ ومـــن دَلٍّ رَخيـــمِ
في اعتدال مـــن قَــوامٍ وصفـــاءٍ مِـــن أديـــمِ
وبَنـــانٍ كالمَـــداري وثَنايـــا كالنجـــومِ[3]
لم أَنَلْ منهـا سوى غَمْـ ـزَةِ كـــفٍّ أو شَمِيمِ
غيــرَ أنْ أَقْرُصَ منهـــا عُكْنـــةَ الكَشْحِ الهَضيمِ
وبَـــلى أَلْطِـــم منهـــا خدَّهـــا لطـــمَ رَحيـــمِ
وبنفسي ذاكَ يـــا أَسْـ ـوَدُ مـــن خـــدٌّ لَطِيمِ

يعني الأسود بنَ خلف كاتب عيسى بن موسى .

[يعيب حريثاً بالبخل]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه عن أبي النضر قال : كان حريث بن أبي الصلت الحنفيُّ صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان يعابِثه بالشِّعر ، ويَعيبُه بالبخل ، وفيه يقول : [من المتقارب]

حُريثٌ أبو الفضل ذو خِبْرةٍ بمـا يُصلِح المِعَد الفاسدهْ
تخـــوَّف تُخْمـةَ أضيافه فعوَّدَهـم أكلـةً واحـدهْ

أخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تينَة ، عن ابن عائشة قال : ضَرَط رجل في مَجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إيّاس ، فتجلّد ، ثم ضرط أخرى متعمّداً ، ثم ثَلّث ، ليظنّوا أن ذلك كلّه تعمُّد ، فقال له حمّاد : حَسبُك يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعُلم بأنّ المُخلِف[4] الأوّل مُفلِت .

1 يقال رجل أميم ، أي يهذي من أم رأسه .
2 الهميم : الدبيب .
3 المداري : جمع مدرى ، وهو المشط .
4 المخلف : الكريه الرائحة .

[قوله في قريش]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شَيْخ قال : حدَّثني مُعاذ بنُ عيسى مولى بني تميم قال : كان سليمانُ بنُ الفُرات على كَسْكَر ، ولاّه أَبو جعفر المنصور ، وكان قُرَيْشٌ مولى صاحبِ المصلَّى بواسِط في ضِياعِ صالح ، وهو سِنْدِيّ ، فحدّثني مُعاذ بنُ عيسى قال : كنّا في دار قريشٍ ، فحضرت الصلاةُ ، فتقدَّم قريشٌ فصلَّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبي ، فقال لي حَمّاد حين سلّم : اسْمَع ما قلتُ ، وأنشَدَني : [من مجزوء الرمل]

قد لقيتُ العامَ جَهْداً ... مِن هَناتٍ وهَناتِ
مِن همومٍ تعتريني ... وبلايا مطبِقاتِ
وجَوًى شيّب رأسي ... وحَنى منّي قَناتي
وغُدُوِّي ورَواحي ... نحوَ سَلْم بن الفراتِ
وائتمامي بالقَماري ... يِّ قريشٍ في صَلاتي[1]

[الغلام الأمرد]

أَخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدَّثنا أَبو أَيّوبَ المدينيُّ عن مصعبِ الزُّبيريّ قال : حدَّثني أَبو يعقوبَ الخرَيميّ قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد ، ومعنا غلام أمرَد ، فوضع حمّاد عَيْنَه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه ، فلمّا كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا ، فقمتُ فنِمتُ في موضع الغلام ، قال : ودَبَّ حمّاد إليّ يظنُّني الغلامَ ، فلمّا أحسستُ به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عيني العَوْراء ، لأعلمه أنّي أَبو يعقوب ، قال : فنتر يَده ومضى في شأنه وهو يقول : ﴿وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

[جوهر]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثني مصعب قال : كان حمّاد عجردٍ ومُطيعُ بن إيّاس يختلفان إلى جوهر جاريةِ أَبي عَوْن نافع بنِ عَوْن بن المُقْعَد ، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

إنّي لأَهوى جوهراً ... ويُحِبّ قلبي قلبَها
وأُحِبُّ من حبّي لها ... مَن وَدَّها وأَحَبَّها
وأَحبُّ جاريةً لها ... تُخفي وتَكتمُ ذنبَها
وأحبُّ جيراناً لها ... وابنَ الخبيثة ربَّها

---

1 القماري : نسبة إلى قمار ، موضع ببلاد الهند ينسب إليها العود .

[رثاء الأسود بن خلف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني أبيَضُ بن عمرو قال : كان حمّاد عجردٍ يعاشر الأسوَدَ بن خلَف ولا يكادان يفترقان ، فمات الأسود قبله ، فقال يرثيه . وفي هذا الشعر غناء : [من مخلّع البسيط]

صوت

قلتُ لحنّانةٍ دَلُوحٍ تَسُحُّ من وابِلٍ سَفوحِ[1]
جادَت علينا لها رَبابٌ بواكفٍ هاطلٍ نَضوحِ[2]
أُمّي الضَّريحَ الذي أسمّي ثم استهلّي على الضَّريحِ[3]
على صَدى أسودَ المُوارَى في اللّحد والتُّرب والصَّفيحِ
فَاسقِيه رِيّاً وأَوطِنِيهِ ثم اغتدي نحوَه ورُوحي
اغدِي بسُقيَايَ فاصبحيه ثم اغبِقِيه مع الصَّبوحِ
ليس من العدل أن تَشِحّي على امرىء ليس بالشحيحِ

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنّسْه .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عمّي قال : أنشَدَنا الكُرانيّ قال : أُنشَد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهر ، وكان يُقيِّنُ عليها ، وكان حمّاد عجردٍ يميل إليها ، فإذا جاءَهم ثقل ، ولم يمكّنْ أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضرّ ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبها عنه ، فقال فيه : [من السريع]

إنّ أبا عون ولن يرعَوِي ما رقَّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُبا
ليس يَرى كَسْباً إذا لم يكن من كسبِ شُفْرَيْ جوهرٍ طيّبا
فسلّط الله على ما حَوى مئزرُها الأفعى أُو العقربا
يُنْسَب بالكَشْخ ولا يَشتَهي بغيرِ ذاكَ الإسمِ أن يُنسَبا

---

1 سحابة حنانة : أي لها صوت يشبه حنين الإبل . ودلوح : كثيرة الماء .
2 الرباب : السحب المتراكبة .
3 أمي : اقصدي . استهلي : ارفعي الصوت بالبكاء .

وقال فيه أيضاً : [من المديد]

إن تكـن أغلقتَ دونيَ بابـاً فلقـد فتّحـتَ للكَشْخِ بـابا

وقال فيه أيضاً :

قـد تخرطمـتَ علينـا لأنّا لم نكن نأتيك نبغـي الصّوابا
إنّمـا تُكـرِمَ مَـن كان منّا لسنانِ الحَقْـو منهـا قِرابا[1]

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرجز]

يا نافعُ ابـنَ الفاجـرَهْ يـا سيِّـدَ المؤاجِرَهْ
يا حِلْـفَ كلِّ داعِـرٍ وزوجَ كلِّ عاهـرَهْ
مـا أمَـةٌ تملِكهـا أو حُـرَّة بطاهـرَهْ
تجـارةٌ أحدثْتَهـا في الكشخِ غيرُ بـائرَهْ
لـو دخلـتْ عفيفةٌ بيتَك صارت فاجرَهْ
حتّى متى تَرتَع في الـ ـخُسْران يا ابن الخاسرَهْ
تَجمَع في بيتـك بيـ ـن العِـرْس والبَرابِرهْ

وقال يهجوه : [من مجزوء الرمل]

أنـتَ إنسانٌ تُسمَّـى دارُه دارَ الـزّواني
قـد جرى ذلك بالكَرْ خ علـى كلّ لسـانِ
لك في دارِ حِـرٌ يَـزْ نِـي وفي دارٍ حِـرانِ

وقال فيه : [من السريع]

تفرحُ إن نيكَتْ ، وإنْ لم تُنَكْ بـتَّ حزيـنَ القلب مستعبرا
أسكَـرَكَ القـومُ فساهَلْتَهمْ وكنتَ سهلا قبل أن تَسكَرا

وقال فيه : [من الكامل]

قـل للشقيّ الجَدِّ غير الأسعَدِ أتحِبُّ أنّكَ فقْحةُ ابنِ المُقْعَدِ ؟
لو لَم يجِد شيئاً يسكّنها بـه يوماً لسكَّنها بـزُبِّ المَسجِدِ

1 الحقو : الخصر .

وقال فيه : [من الهزج]

أبـا عـون لقد صَفَّـ ـرَ زُوّارُك أُذْنَيْكـا ؟
وعينـاكَ تَـرى ذاكَ فأعمـى اللّهُ عينيكـا

[بيت في بشار]

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار : [من الطويل]

نُسِبْتَ إلى بُـرْدٍ وأنـتَ لغَيْره وَهَبْكَ لبُردٍ نِكْتَ أُمَّك مَن بُرْدُ ؟

قال بشّار : تهيّأ له عليّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء ، قوله «نسِبتَ إلى بُرد» معنًى ؛ ثم قوله : «وأنت لغيره» معنًى آخر ، ثم قوله : «فهبك لبرد» معنًى ثالث ، وقوله : «نكت أُمَّك» شتمٌ مفرَد ، واستخفافٌ مجدَّد ، وهو معنًى رابع ، ثم ختمها بقوله : «مَنْ بُرْدُ ؟» ولقد طَلَب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني ، ونحا هذا النحوَ ، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت ، وهو قوله : [من الكامل]

لمّا وَضعتُ على الفـرزدقِ مِيسَمِي وضَغا البَعيثُ جَدَعتُ أنفَ الأخطلِ

فلم يُدرِك أكثَر من هذا .

أخبرني حبيب بنُ نصر قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشّارٌ يهجو حمّاداً ولا يَرْفِثُ في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد : [من مجزوء الكامل]

مَـن كان مِثلَ أبيك يا أعمى أبـوه فـلا أبا لَهْ
أنت ابنُ بُـرْد مَثلُ بُـرْ دِ في النَّذالـة والرذالَهْ
زَحَرَتْك مِن جُحْر استِها في الحُشِّ خارئـةٌ غَزالَهْ[1]
من حيث يَخرج جَعْرُ مُنـ ـتِنـة مدنَّسة مُـذالَهْ[2]
أعمى كستْ عينيه مِـن وَذَح استِها وكَسَت قَذالَهْ
خِنزيـرةٌ بَظْـراءُ منـ ـتنةُ البُداهَـة والعُلالَهْ
رَسْحاء خضراءُ المَغـا بِـنِ ريحُهـا ريحُ الإهالَهْ
عَـذْراءُ حُبـلى يـا لَقَوْ مـي لِلمَجانة والضَّلالَهْ

1 زحرتك : ولدتك .

2 الجعر : ما يبس من العذرة في الدبر . مذالة : أمة .

مَرَقَتْ فصارت قَحبةً بجعالةٍ وبلا جِعالَهْ[1]
ولقد أقلتُك يا ابنَ بُرْ دٍ فاجترأتَ فلا إقالَهْ

فلمّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشّاراً أطرق طويلاً ، ثم قال : جزى الله ابنَ نِهْيا خيراً ، فقيل له : علامَ تَجزِيه الخيرَ ؟ أعلى ما تَسمع ؟ فقال : نعم ، والله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياءَ من هجائه إبقاءً على المودّة ، ولقد أُطلَق من لساني ما كان مقيَّداً عنه ، وأهدَفني عورةً ممكِنةً منه ، فلم يزل بعد ذلك يذكرُ أُمَّ حمّاد في هجائه إيّاه ، ويذكرُ أَباه أقبحَ ذِكر ، حتى ماتت أُمُّ حمّاد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحمّاد : [من الطويل]

أَبا حامدٍ إن كنتَ تَزني فأَسْعِدِ وبَكِّ حِراً ولَّتْ به أُمُّ عَجرَدِ
حِراً كان للعُزّاب سَهْلاً ولم يكن أَبِيّاً على ذي الزوجة المتودِّدِ
أُصيب زُناةُ القومِ لَمّا توجّهتْ بـه أُمُّ حمّادٍ إلى المضجَع الرَّدي
لقد كان للأدنى وللجارِ والعِدا وللقاعد المعترِّ والمتزيِّدِ[2]

أَخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدَّثنا أَبو حاتم قال : قال يحيى بن الجَوْن العبدِيّ راويةُ بشّار : أَنشدتُ بشّاراً يوماً قولَ حمّاد : [من الطويل]

أَلا قل لعبد الله إنّك واحدُ ومِثلُك في هذا الزمان كثيرُ[3]
قَطعتَ إخائي ظالماً وهجرتَني وليس أَخي مَن في الإخاء يَجورُ
أُدِيمُ لأَهل الوُدِّ ودِّي ، وإنّني لِمَن رام هجري ظالِماً لَهَجورُ
ولو أنّ بَعضي رابَني لقطعْته وإنّي بقطع الرائبين جديرُ
فلا تحسبنْ مَنْحِي لك الودَّ خالصاً لعِزٍّ ولا أَنّي إليك فقِيرُ
ودونَك حظّي منكَ لستُ أُريدُه طَوالَ الليالي ما أَقامَ ثَبيرُ

فقال لي بشّار : ما قال حمّادٌ شعراً قطُّ هو أشدّ عليّ من هذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يَهْجُك فيه ؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع . قال : لأنّ هذا شعر جيّد ومِثلُه يُروى ، وأنا أنفَس عليه أن يقول شعراً جيّداً .

[الخرس أستر من شعره]

أُخبرني عليّ بنُ سليمان الأَخفشُ قال : حدَّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال :

1 أي بأجر أو دون أجر .
2 المتزيد في ل : والمتردد .
3 الزمان في ل : الأنام .

حدَّثني عليّ بن مهديّ قال : حدَّثني محمد بن النطّاح قال : كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّاد عجرد ، فأنشدتُ يوماً أخي بكرَ بنَ النطّاح قولَه في بشّار : [من السريع]

أسأتُ في رَدّي على ابن استِها إساءةً لَم تُبقِ إحسانا
فصار إنساناً بذكري له ولم يكن من قبلُ إنسانا
قرَعْتُ سِنّي نَدماً سادِماً لو كان يغني ندمي الآنا[1]
يا ضيعةَ الشعر ويا سَوْءتا لي ولأزماني أزمانا
من بعد شتمي القِردَ لا والذي أنزلَ توراةً وقرآنا
ما أَحدٌ مِن بعد شَتْمي له أنذَلُ مِنّي ، كانَ مَن كانا

قال : فقال لي : لَمن هذا الشعر ؟ فقلت : لحمّاد عجردٍ في بشّار ، فأنشأ يتمثّل بقول الشاعر : [من الرمل]

ما يَضُرّ البحرَ أمسى زاخراً أنْ رَمى فيه غلامٌ بحَجَرْ

ثم قال : يا أُخي ، إنْسَ[2] هذا الشعر فنسيانه أزيَن بك ، والخَرَسُ كان أستَر على قائله .

[تفوّق بشار عليه في الهجاء]

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال : حدَّثني هارون بن يحيى قال : حدَّثني عليّ بن مهديّ قال : أجمَعَ العلماءُ بالبصرة أنّه ليس في هجاء حمّاد عجردٍ لبشّارٍ شيءٌ جيّد إلاّ أربعين بيتاً معدودةً ، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيّد ، قال : وكلّ واحد منهما هو الذي هَتَك صاحبَه بالزّندَقة وأظهَرَها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّاد عجردٍ وتهتّك بفضل بلاغةِ بشّار وجَوْدة معانيه ، وبقِيَ بشّارٌ على حاله لم يَسقط ، وعُرِف مذهبُه في الزندقة فقُتِل به .

[مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً ليرتفع]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدَّثني عمّي الفضلُ عن إسحاق الموصليّ أنّ مُجاشِعَ بنَ مَسعدة أخا عَمرِو بنِ مَسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيّ حينئذٍ ليرتفع بهجائه حمّاداً ، فتركه حمّاد وشَبَّب بأمّه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

راعتْكَ أُمُّ مُجاشع بالصدّ بعد وِصالِها
واستَبدَلتْ بِكَ والبلا ءَ عليك في استبدالها

---

1 ندماً في ل : نادماً . السادم : المهموم النادم .

2 ل : أيش .

جِنِّيَّةٌ مِنْ بَرْبَرٍ مشهورةٌ بجَمالها
فحرامُها أشهى لنا ولَها من استحلالها

فبلغ الشعرُ عَمرو بنَ مَسعدة ، فبعث إلى حمّاد بصلة ، وسأله الصفحَ عن أخيه ، ونال أخاه بكلّ مكروه ، وقال له : ثكلتْك أمُّك ، أتتعرّض لحمّاد وهو يُناقِف بشّاراً ويقاومُه ، والله لو قاومتَه لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرّضت له ليهتِكَنّك وسائر أهلك ، وليَفضَحَنّا فضيحةً لا نغسلها أبداً عنّا .

[الجارية العابثة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني أبو عليّ بنُ عمّار قال : كان حمّاد عجردٍ عند أبي عمرو بن العلاء ، وكانت لأبي عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنِيعة ، وكانت رسحاء[1] عظيمةَ البَطْن ، وكانت تَسخر[2] بحمّاد ، فقال حمّاد لأبي عمرو : أغن عنّي[3] جاريتَك فإنّها حَمْقاء ، وقد استغلقتْ لي ، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حمّاد عجرد : [من الخفيف]

لو تأتّى لك التحوُّلُ حتّى تجعلي خَلفَكِ اللطيفَ أماما
ويكونُ القُدّامُ ذو الخِلْقة الجَزْ لَة خَلْقاً مؤثَّلا مستكاما
لإذاً كنتِ يا مَنيعةُ خيرَ النّا سِ خَلْفاً وخيرَهم قُدّاما

[حرص محمد بن طلحة على الضيف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ قال : حدَّثني الحسن بن عُمارة قال : نزل حمّاد عجرد على محمد بنِ طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه ، فقال فيه حمّاد : [من السريع]

زرتُ امرءاً في بيته مرّةً له حَياءٌ وله خِيرٌ[4]
يَكرَه أن يُتخِم أضيافَه إنّ أذى التُّخْمة محذورُ
ويَشتهي أن يؤجَرُوا عندَه بالصَّوْم والصالحُ مأجورُ

قال : فلمّا سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك على هجائي ، وإنّما انتظرتُ أن يُفرَغ لك من الطعام ؟ قال : الجوعُ وحياتِك حملَني عليه ، وإن زدتَ في الإبطاء زدتُ في القول ، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .

1 رسحاء . ضئيلة العجز والفخذين .
2 ل : تعبث .
3 أغنها عني : كفّها .
4 خير : كرم وشرف .

[وجه مبني على اللحن]

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حفص بن أبي وزّة صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان حفص مرمياً بالزَّندقة ، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[1] مقبَّح الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شراب ، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبي وَزّةَ يطعن على مرقّش ويعيب شعرَه ويلحِّنُه ، فقال له حمّاد : [من الطويل]

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ ... وأنــفٌ كَثِيــلِ العَوْدِ عمّا تَتَّبعُ[2]
تَتَبّــعُ لَحْنــاً في كــلامِ مرقّشٍ ... ووجهُكَ مبنيٌّ على اللَّحـنِ أجمعُ
فأُذْناك إقــواءٌ وأنفُـك مُكْفَـأٌ ... وعينــاك إيطــاءٌ فأنـت المرقعُ

[عاشق جبة أحد الكتاب]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أبو دِعامَةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح ، قال : رأى حمّاد عجردٍ على بعض الكتّاب جُبّة خَزٍّ دَكْناء فكتب إليه : [من الخفيف]

إنّنــي عاشق لجبّتك الدكـ ... ـناء عشقاً قد هاج لي أطرابي
فبحــقّ الأميــرِ إلاّ أتتنــي ... في سَراحٍ مقرونــةً بالجَوابِ
ولك اللهُ والأمانـــةُ أن أجــ ... ـعَلها أشهُـــراً أميرَ ثيابي

فوجّه إليه بها ، وقال للرسول : قل له وأيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعَلها أمير ثيابك ؟ وأيّ شيء عليّ من الضرر في غير ذلك مِن فِعْلِك ، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحاً لكان أحسن ، ولكنّك رَذَّلْت لنا شعرك فاحتملناك .

[عتبه على مطيع بن إياس]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ والحسن بن عليّ الخَفّاف ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عليل العَنَزيّ عن عليّ بن منصور قال : مرِض حمّاد عجردٍ فلم يَعُدْه مُطيع بن إيّاس ، فكتب إليه : [من الوافر]

كفاكَ عيادتي من كان يرجو ... ثــوابَ الله في صلـةِ المريضِ

1 الأغضف : المتدلي الأذنين .
2 ثيل العود : قضيب الجمل المسن .

فإنْ تُحدثْ لك الأيّام سُقْماً يَحولُ جَريضُه دونَ القَريضِ[1]
يكنْ طُول التأوُّه منكَ عندي بمنزلة الطَّنــينِ مِن البَعوضِ

[قضاء حاجة والبة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا ابن أبي سعد قال : زعم أبو دِعامَة أنّ التَّيَّحان بن أبي التّيّحان قال : كنت عند حمّاد عجردٍ فأتاه والِبة بن الحباب ، فقال له : ما صنعت في حاجتي ؟ فقال : ما صنعت شيئاً ، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ : [من مجزوء الكامل]

عثمانُ مــا كانت عِــدا تُــكَ بــالعِداتِ الكاذبَهْ
فعَــلامَ يــا ذا المَكرُما تِ وذا الغُيوثِ الصائبَهْ[2]
أخَّـرْتَ وهــيَ يسيرةٌ في الرُّزْءِ حاجـةَ والبَهْ ؟
فأبُــو أُسامــةَ حَقُّــه أحــدُ الحقــوق الواجبَهْ
فاستحِي مِــن تَـرْدادِه في حاجــةٍ متقــارِبَهْ
ليست بكاذبـةٍ ، ولـو والله كانــت كاذبَــهْ
فقضَيتَها أحْمَـدْتَ غِــ ــبَّ قضائهــا في العاقبَهْ
إنّي ومــا رأيــي بعــا دمِ عاتــبٍ أو عاتِبَــهْ
لأرى لِمِثلــكَ كلَّمــا نابــت عليــه نائبَــهْ
ألاّ يَــرُدّ يَــدَ امـرىءٍ بُسطـت إليــه خائبَــهْ

قال : فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له : ما صنعتَ ؟ فقال : قَضى حاجتي وزاد .

[المفضّل بن بلال يقدم بشاراً]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالي قال : بلغ حمّاد عجردٍ أنّ المفضّل بنَ بلالٍ أعانَ بشّاراً عليه وقدَّمه وقرَّظه ، فقال فيه : [من الخفيف]

عَجباً للمفضَّل بنِ بلالِ ما له يا أبا الزُّبيرِ وما لِي
عربيٌّ لا شكّ فيه ولا مِرْ يــةَ بالُــه وبــالُ الموالِي

قال : وأبو الزُّبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بنُ الزُّبير ، وكان قُبَيْس ويونُس بنُ أبي فَروة

1 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني 1 : 191 وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 44 ومعناه أن الغصة حالت دون قول الشعر .
2 الصائبة : المنصبة .

كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له ، وكانوا جميعاً زنادقة ، وفي يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غيبة كان غابها : [من مجزوء الرمل]

كيف بَعدِي كنتَ يا يو نُسُ لا زلتَ بخيـرِ
وبغيـرِ الخيـرِ لا زا لَ قُبيسُ بـنُ الزُّبَيرِ
أنـتَ مطبوعٌ على مـا شئتَ مـن خَيْرٍ ومَيْرٍ[1]
وهـو إنسانٌ شبيـهٌ بكُسَيْـرٍ وعُوَيـرِ[2]
رَغْمُه أهـوَنُ عند النـ ـاس مِـن ضَرْطةِ عيرِ

[بينه وبين مطيع وسعاد الجارية]

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفش ووَكيع قالا : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ قال : حدَّثني إسحاق المَوْصِلِيّ عن السَّكونيّ قال : ذَكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عجردٍ حضر جاريةً مغنّية يقال لها سُعاد ، وكان مولاها ظريفاً ، ومعه مطيع بنُ إياس ، فقال مطيع : [من الخفيف]

قبِّليني سعادُ بـالله قُبلَـهْ واسأليني لهـا فديتكِ نِحلهْ[3]
فوربِّ السماءِ لو قلتِ لي صَـ ـلِّ لوجهي جعلتُهُ الدهرَ قِبلهْ

فقالت لحمّاد : اكفِنِيهِ يا عمّ ، فقال حمّاد : [من الخفيف]

إنّ لي صاحبـاً سواكَ وَفِيّـاً لا مَلـولاً لنـا كما أنتَ مَلّهْ[4]
لا يُباع التقبيل بَيْعاً ولا يُشـ ـرى فـلا تَجعل التعشُّقَ عِلّهْ

فقال مطيع : يا حمّاد ، هذا هجاء : وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ ، ولَم تأمرْك بهذا ؛ فقالت الجارية ــ وكانت بارعة ظريفة ــ أجَل ؛ ما أردنا هذا كلَّه ، فقال حمّاد : [من الخفيف]

أنـا واللهِ أشتهِـي مِثلَهـا منـ ـكِ بنُحْل ، والنُّحْل في ذاكَ حِلّهْ[5]
فأجيبي وأنعِمـي وخُـذي البَذ لَ وأطفِـي بقُبلـةٍ منكِ غُلّـهْ

فرضيَ مطيع ، وخجلتْ الجارية ، وقالت : اكفِياني شرَّكما اليوم ، وخُذا فيما جئتُما له .

1 المير : جلب الميرة ، أي الطعام .
2 المثل «كسير وعوير وكل غير خير» في مجمع الميداني 2 : 147 ومستقصى الزمخشري 2 : 172 ويضرب في الشيء يكره ويذم من وجهين لا خير فيه .
3 نحلة : عطية .
4 مله : سريع الملل لإخوانه .
5 النحل : الهبة . وحلة : حلال .

[غلام مطيع]

أَخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدَّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ ، عن مصعب الزُّبَيريّ عن أَبي يعقوب الخُرَيميّ قال : أَهدى مطيعُ بنُ إيّاس إلى حمّاد عجرد غلاماً وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بغلامٍ تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ .

[بنت الدهقان]

أَخبرني وكيع قال : حدَّثنا أَبو أَيّوب المدينيّ قال : ذكر محمدُ بنِ سِنانٍ أَنّ مطيع بنَ إيّاس خرج هو وحمّاد عجردٍ ويحيى بن زياد في سفر ، فلمّا نزلوا في بعض القرى عُرِفوا ، ففرِّغ لهم منزل ، وأُتوا بطعامٍ وشراب وغناء ، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار ، إذ أَشرفتْ بنتُ دِهْقان من سطح لها بوجه مشرِق رائق ، فقال مطيع لحمّاد : ما عِندَك ؟ فقال حمّاد : «خذ فيما شئت[1]» فقال مطيع : [من الهزج]

أَلا يـا بأَبـي الناظـ ـر مـن بينهـمُ نحوِي

فقال حمّاد عجردٍ : [من الهزج]

أَلا يا ليتَ فوقَ الحَقْـ ـوِ منها لاصِقاً حَقْوِي

فقال مطيع : [من الهزج]

وأنّ البُضْعَ يـا حمّـا دُ منها شَوْبُك المُرْوي[2]

فقال يحيى بن زياد : [من الهزج]

ويـا سَقْياً لسَطْح أشـ ـرقتْ من بينهمْ حَذْوِي[3]

أَخبرني عيسى بنِ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أَبيه : أَنّ حمّادَ عجردٍ قال في جوهر جارية أَبي عَوْن : قال : وفيه غناء : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّـي أُحبُّـك فاعلمي إن لم تكـوني تعلمينا
حبّـاً أقـلُّ قليلـهِ كجَميعِ حُبِّ العالَمينا

1 ل : شبب بها .

2 الشوب : العسل ، واللبن .

3 حذوي : إزائي أو مقابلي .

[وداع أبي خالد الأحول]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال: حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حمّاد عَجْرِدٍ صديقاً لأبي خالد الأحولَ أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسِط، وأرادَ وَداعَ أبي خالد، فلمّا جاءه لذلك حَجَبه الغلام وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه يقول: [من المتقارب]

عليك السلامُ أبا خالدٍ ... وما لِلوَداعِ ذكرتُ السَّلاما
ولكنْ تحيّةَ مستطرِبٍ ... يُحِبُّك حبَّ الغَوِيِّ المداما
أردت الشُّخُوصَ إلى واسطٍ ... ولستُ أطيل هناك المُقاما
فإن كنتَ مكتفياً بالكِتا ... ب دون اللِّمام تركتُ اللِّماما[1]
وإلاّ فأوصِ هَداك المَليـ ... ـكُ بوّابكم بي وأوصِ الغلاما
فإن جئتُ أُدخلت في الداخلِيـ ... ـن إمّا قعوداً وإمّا قياما
فإنْ لم أكن منكَ أهلاً لذاكَ ... فلا لومَ لستُ أُحِبُّ المَلاما
لأنّي أذُمّ إليك الأنا ... مَ أخزاهمُ اللهُ طرّاً أناما
فإنّي وجدتُهمُ كلَّهمُ ... يُميتون حمداً ويُحيُون ذاما[2]
سوى عُصبةٍ لستُ أعنِيهمُ ... كرامٍ فإنّي أُحبّ الكراما
وأقلِلْ عَديدَهم إنْ عددتَ ... فما أكثرَ الأرذَلين اللِّئاما

[ممازحة شاعرين ابن إياس]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال: قال ابن عبد الأعلى الشيبانيّ: حضر حمّاد عجردٍ ومطيعُ بنُ إيّاس مجلسَ محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العبّاس، فتَمازَحا، فقال حمّاد: [من مجزوء الرمل]

يا مُطيعٌ يا مُطيعُ ... أنتَ إنسانٌ رَقِيعُ
وعن الخير بطيءٌ ... وإلى الشرّ سريعُ

فقال مطيع: [من مجزوء الرمل]

إنّ حمّاداً لئيمُ ... سِفْلةُ الأصل عديمُ

1 اللمام: الزيارات القليلة.

2 الذام: العيب.

لا تَـراه الدهـرَ إلاّ بِـهَـنِ العَيْرِ يَهيـمُ

فقـال لـه حمّـاد : ويلـك ، أترمينـي بدائـك ، والله لـولا كراهتـي لِتَمـادي الشرّ ولجـاجَ الهجـاء لقلـتُ لـك قولاً يَبقى ، ولكنّـي لا أُفسد مودّتـك ، ولا أُكافئك إلاّ بالمديح ، ثم قال : [من مجزوء الرمل]

كلّ شيء لي فـداءٌ لمطيـعِ بـنِ إيـاسِ
رجــلٌ مستملَحٌ في كلّ لــينٍ وشِماسِ[1]
عِدْلُ رُوحي بين جَنْـ ـبَيّ وعينــيّ بــراسي
غَـــرس اللهُ لـــه في كبِـدي أحــلى غِراسِ
لستُ دهري لمطيع بـ ـنِ إيــاسٍ ذا تناسِ
ذاكَ إنسانٌ لـه فضـ ـلٌ عـلى كلّ أُناسِ
فإذا مـا الكأس دارتْ واحتساها مَن أُحاسي[2]
كان ذِكرانـا مُطيعاً عندهـا رَيْحان كاسي

[هجائه عيسى بن عمرو]

أَخبرني أَحمد بن العبّاس العسكريّ ومحمد بن عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنزيّ قال : حدَّثنا التّوزِيّ قال : كان عيسى بنُ عمرو بن يزيدَ صديقاً لحمّاد عَجْرد ، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع ، فلمّا طرده الربيع واختلّت حالُه جفاه عيسى ، وإنّما كان يصله لحوائجَ يسأل له الرَّبيع فيها ، فقال حمّاد عجرد فيه : [من الرمل]

أوصلُ النـاس إذا كانـت لـه حاجةٌ عيسى وأقضاهمْ لِحَقْ
ولِعيسى إنْ أَتى في حاجــة مَلَــقٌ يُنسى بـــه كلَّ مَلَـقْ
فــإن استغنــى فمــا يَعدِلُـه نخوةً كِسرى على بَعْضِ السُّوَقْ
إن تكن كنتَ بعيسى واثقــاً فبهذا الخُلْق مــن عيسى فثِقْ

قال العَنَزيّ : وأنشدني بعضُ أصحابنا لحمّاد في عيسى بنِ عمر أيضاً : [من الكامل]

كَم من أَخٍ لكَ لستَ تنكِرُهُ مـا دمــتَ من دنياكَ في يُسْرِ

1 الشماس : النفور والاباء .
2 أحاسي : أساقي .

متصنّـع لـــك في مودّتِـــه يلقــاك بالتّرحيــب والبِشرِ
يُطري الوفاءَ وذا الوفاء ويَلـ ـحى الغدرَ مجتهداً وذا الغَدْرِ
فإذا عَـدا والدَّهـــرُ ذو غِيَرٍ دهرٌ عليـك عَـدا مع الدَّهرِ
فارفض بإجمـالٍ مـودّة مَـن يَقـلي المُقِـلَّ ويَعشَق المُثري
وعليك مـن حـالاه واحـدةٌ في العُسْر إمّـا كنتَ راليسرِ
لا تخلطنّهـــم بغيرهـــمُ من يَخلط العِقْيـان بالصُّفْرِ[1]

[حشيش الكوفي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال : حدَّثني ابن أبي فَنَن قال : حدَّثني العتّابيّ ، وأخبرني عمّي عن أحمدَ بن أبي طاهر قال : قال العتابيّ : وحديث ابن أبي طاهر أتمّ ، قال : كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعِثةَ يقال له حُشَيش وكانت أُمّه حارثيّة ، فمدحه حمّاد عجردٍ فلم يُثِبه ، وتهاوَنَ به ، فقال يهجوه : [من مجزوء الرمل]

يـا لقَومــي للبـــلاء ومَعاريـضِ الشَّقـــاء
قسَمَـتْ ألوِيــةٌ بيـــ ـــنَ رجـــالٍ ونِساء
ظفرتْ أخْت بني الحا رث منهـا بِلِـــواء
حادثٌ في الأرضِ يرتا عُ لــه أهـلُ السماء

قال : فعُرضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش ، فقال : أهو الذي يقول فيه الشاعر : [من مجزوء الرمل]

يـا لَقومـــي للبـــلاء ومَعاريـــضِ الشقاء ؟

قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فقال : لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر ، ولم يستعمله ، قال : وقال حمّاد فيه أيضاً يخاطب سعيدَ بنَ الأسود ويعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرتِه : [من مجزوء الرمل]

صرتَ بعدي يا سعيد مِـن أخِـــلاّء حُشَيْشِ
أتلوّطْـــتَ أم استُخـــ ـلِفتَ بعدي أم لأيشِ
حَلَقِـــيٌّ استُـــه أو سعُ مـن استِ بُحَيْشِ

1 العقيان : الذهب .

ثـم بَغّـاءٌ عـلى ذا ... أَبلَـغُ النـاسِ لفَيْشِ
يا بَني الأَشْعَث ما عَيْـ ... ـشُكُمُ عنـدي بعَيْشِ
حـين لا يُوجد منكمْ ... غَيرَه قائــدُ جَيْشِ

قال : وكان بُحَيْش هذا رجلاً من أهلِ البَصْرة لم يكن بينه وبين حمّاد شيء ، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصداً ، وقال له : يا هذا ، ما لي ولك ، وما ذنبي إليك ؟ قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا بُحَيْش ، أما وجدتَ أحداً أَوسعَ دُبُراً منّي يُتمثَّل به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّة صبّتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله فودعه وانصرف وقال : الله بيني وبينك فقد أبقيت عليَّ سبة لا أعرف لها سبباً .

[هجاء أبي عون]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بنُ الحسن بن الحَرون . قال : كان حمّاد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدّ ابن أَبي عون العابد ، وكان ينزل الكرخ ، وكان عجرد إذا قدِم بغداد زاره ، فبلغ أبا عون أنّه يحدِّث الناسَ أنّه يهوى جاريةً له يقال لها جوهر ، فحجبه وجفاه واطَّرحه ، فقال يهجو أَبا عون : [من الهزج]

أَبـا عَـوْنٍ لَحاك اللّـ ... ـهُ ، يا عُرّةُ ، إنسانا[1]
فقد أُصبحتَ في الناس ... إذا سُمِّيت كَشْخانا[2]
بَنَيْت اليومَ في الكَشْخِ ... لأَهـلِ الكَـرْخ بنيانا[3]
وشرَّفتَ لهـم في ذا ... كَ أَبوابـاً وحِيطانا
وأَلفَيْـتَ عـلى ذاكَ ... مـن الفُسّاقِ أَعوانا
ومُجّانـا ولَـنْ تَعـدَ ... مَ مَـنْ يَمْجُن مُجّانا
فأَخزى الله مـن كنتَ ... أَخـاه كان مَـن كانا
ولا زلـت ولا زال ... بأَخلاقـك خَـزْيانا
وعُرْيانـا كما أصبحـ ... ـتَ من دِينك عُرْيانا

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرجز]

إنّ أَبـا عَـوْن ولا ... أَقـولُ فيـه كَذبـا

1 العرة : الجرب .
2 كشخان : ديوث .
3 بنياناً في ل : ميدانا .

غـاوٍ أتـى مدينَـةً   فسَنَّ فيهـا عَجَبا
إخوانُـه قـد جَعلوا   أُمَّ بَنِيـه مَركَبـا
واتَّخَـذوا جوهـرةً   مِبْولَـةً ومَلْعَبـا
إن نِكتَهـا أرضيتَـه   أَو لم تَنِكْهـا غضِبـا
أحبهـمْ إليـه مَـن   أَدخَـلَ فيهـا ذَنَبا
ومَن إذا مـا لَمْ يَنِك   جَـرَّ إليهـا جَلَبـا

[غيلان جمع الدمامة والخيانة]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ عن مهديّ بن سابق قال : استعمل محمد بنُ أَبي العبّاس وهو يَلي البَصرة غَيلانَ جدَّ عبد الصَّمد بنِ المَعَذَّل على بعض أعشار البصرة ، وظهرَ منه على خيانة ، فعزَله ، وأَخَذ ما خانه فيه ، فقال حمّاد عجردٍ يهجوه : [من الكامل]

ظَهَـرَ الأَميرُ عليـكَ يا غَيْلانُ   إذ خُنتَـه إنّ الأَميرَ مُعـانُ
أَمَع الدمامة قد جَمعتَ خِيانةً !   قبحَ الدَّميمُ الفاجِـرُ الخَوّانُ

[شعره في أبي بشر]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي طاهر عن أَبي دِعامة قال : أُنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أَبو بِشر : [من الطويل]

صوت

أخي كُفَّ عن لومي فإنّك لا تدري   بمـا فعـل الحبُّ المبرِّح في صدري
أَخي أنـتَ تَلحـاني وقلبُـك فارغٌ   وقلبـيَ مشغـولُ الجـوانح بالفِكرِ
أَخي إنّ دائـي ليس عنـدي دواؤه   ولكن دوائـي عنـد قلبِ أَبِي بشرِ
دوائي ودائي عنـد مَـن لـو رأيتَه   يقلِّب عينيه لأقصرتَ عـن زَجري
فأُقسم لو أُصبحت في لوعـة الهوى   لأقصرتَ عن لومي وأُطنبتَ في عذري
ولكن بلائـي منـك أنّك ناصحٌ   وأنّك لا تـدري بأنّـك لا تدري

فطرب بشّار ثم قال : وَيْلَكم ، أَحسنَ والله ؛ مَن هذا ؟ قالوا : حمّاد عجرد ؛ قال : أَوَّه ، وكَلْتُموني والله بقيّةَ يومي بهَمٍّ طويل ، والله لا أُطعَم بقيّةَ يومي طعاماً ولأصوم غَمّاً بما يقول النَّبَطيّ ابنُ الزانية مِثل هذا .

في الأوّل والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ذَكر الهشاميُّ أنّه لعَطرَّد .

أنشَدَني جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه لحمّاد عجردٍ : [من مجزوء الوافر]

خليـلي لا يَفِـي أبَداً ... يمنّيني غـداً فغَـدا
وبعدَ غــدٍ وبعدَ غدٍ ... كذا لا ينقضي أبـدا
له جَمْرٌ على كَبِدي ... إذا حَرّكتَـه اتّقـدا

[مدحه يحيى بن زياد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدَّثنا الزّبالِيّ قال : كان المهديّ سأل أباه أن يولّي يحيى بن زياد عملاً ، فلم يجبه ، وقال : هو خليعٌ متخرّق في النفقة ماجِن ، فقال : إنّه قد تاب وأناب ، وتَضَمَّنَ عنه ما يُحبّ ، فولاّه بعض أعمال الأهواز ، فقَصَدَه حماد عجردٍ إليها ، وقال فيه : [من المتقارب]

فمَـــن كان يسأل أينَ الفَعالُ ... فعنـدي شفاءٌ لِـذا الباحثِ
مَحَـلُّ النّدى وفَعـالُ النُّهى ... وبيتُ العُلا في بنـي الحارثِ
حَلَلْـن بِيَحيـى فحالفنَــه ... حَيَـاءٌ مـن الباعث الوارثِ
فـــلا تعدِلـــنّ إلى غيـــره ... لعاجِـلِ أمــرٍ ولا رائِـثِ[1]
فـإنّ لديــه بــلا مِنّـةٍ ... عطــاءَ المرحّـلِ والماكِثِ

قال : وقال فيه أيضاً : [من السريع]

يحيــى امــرؤٌ زيّنَـه ربُّـه ... بفعلـه الأقــدَمِ والأحـدَثِ
إن قال لم يَكذِب ، وإن وَدَّ لم ... يَقطَع ، وإن عاهَــد لم يَنكُثِ
أصبحَ في أخلاقــه كلِّهـا ... موكَّــلاً بالأسهــلِ الأدمَثِ
طبيعـــةٌ منــه عليهـا جَرى ... في خُلُـــقٍ ليس بمستحدَثِ
ورَّثَـه ذاكَ أبــوه فيـا ... طِيبَ نَثـا الوارث والمُورِثِ[2]

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحَمَله وكساه ، وأقام عنده مدّةً ثم انصرف .

[تحريضه عيسى بن عمرو على بشار]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ عن النضر بن عمرو قال : وليَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة مِن قِبَل محمد بن أبي العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلاً ، فقال له حمّاد

1 الرائث : البطيء .
2 النثا : الذكر .

عجرد : [من الخفيف]

قُل لعيسى الأُمير عيسى بنِ عَمرٍو ذي المساعي العِظام في قَحْطانِ
والبناءِ العالي الذي طال حتّى قَصُرَتْ دونَه يَدا كلِّ بانِ
يابن عمرٍو عمرِو المكارم والتقـ ـوى وعَمرو النَّدى وعمرو الطِّعانِ
لك جارٌ بالمِصر لَم يجعل اللـ ـه له منكَ حُرمَةَ الجيرانِ
لا يصلّي ولا يصومُ ولا يَقـ ـرأ حرفاً من مُحكَم القرآنِ
إنّما مَعدِن الزُّناة من السِّفـ ـلةِ في بَيتِه ومأوى الزَّواني
وهو خِدنُ الصِّبيانِ وهو ابن سبعيـ ـنَ ، فماذا يهوى من الصِّبيانِ ؟
طَهِّرِ المصر منه يا أيّها المو لى المسمَّى بالعدلِ والإحسانِ
وتقرَّبْ بذاك فيه إلى اللـ ـه تَفُزْ منه فوزَ أهلِ الجِنانِ
يا ابن بُرْد إخسأْ إليكَ فمِثلُ الـ ـكلبِ في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ
ولَعمري لأنت شرٌّ من الكَلْـ ـب وأَولى منه بكلِّ هَوانِ

[هجاء يقطين]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدَّثني محمد بنُ صالح الجَبَلِيّ قال : كان حمّاد عجردٍ قد مدح يَقْطِيناً فلم يُثبه ، فقال يهجوه : [من السريع]

متى أُرى فيما أَرى دولةً يَعِزّ فيها ناصرُ الدِّينِ
ميمونةً مجدّها ربُّها بصادق النيّة ميمونِ[1]
ترُدُّ يقطيناً وأشياعه منها إلى أبزار يقطينِ

قال : وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخُراسانَ حائكاً .

قال : ومرَّ يوماً بيونسَ بن فَروةَ الذي كان الرَّبيع يزعم أنّه ابنُه ، فلَم يَهَشَّ له كما عوّده ، فقال يَهجوه : [من الكامل]

أمّا ابنُ فروةَ يونسٌ فكأنّه من كِبْره أيرُ الإمام القائمِ

وقال فيه : [من الكامل]

ولقد رضيتَ بعُصبة آخيتَهمْ وإخاؤهم لكَ بالمعَرّة لازمُ

1 مجّدها في ل : أيدها .

فعلمتُ حين جعلتَهم لك دِخْلةً إنّــي لِعرضي في إخائك ظالِمُ

[شعره في ولد بشّار]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني المغيرة بنُ محمد المهلّبيّ قال : حدَّثني أَبو مُعاذ النُّميريُّ أنّ بشّاراً وُلد له ابنٌ ، فلمّا وُلد قال فيه حمّاد عجرد : [من مجزوء الرمل]

سائـلْ أُمامـة يـا ابن بُر دِ من أَبو هـذا الغلامِ ؟
أمِـن الحـلالِ أتتْ بـه أم مِـن مقارَفَـة الحـرامِ
فلتُخبِرنّـــك أنّـــه بـينَ العراقـي والشآمِي
والآخَـــرِ الرومـيِّ والنَّـ ـبطيِّ أيضاً وابـن حامِ
أَجَعلـتَ عِرسَكَ شِقْوةً غرضاً لأسْهُـمِ كلِّ رامِ

أَخبرني أَحمد بنُ العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني مسعود بنُ بشر قال : مرّ حمّاد عجردٍ بقصرِ شِيرينَ ، فاستظَلّ من الحرّ بين سِدْرَتَين كانتا بإزاء القصر ، وسمع إنساناً يغنّي في شعر مطيع بنِ إياس : [من الخفيف]

أسعِـداني يا نَخْلتيْ ، حُلْوانِ وارثيا لي مِن رَيْب هذا الزمانِ
أسعِـداني وأيقِنـا أنّ نَحساً سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ

فقال حمّاد عجرد :

جعل الله سِدرتيْ قصرِ شِيريـ ـنَ فـداءً لنخلتـيْ حُلوانِ
جئتُ مستسعِداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكـت لـه النَّخْلتانِ

[استنجاز وعد محمد بن أبي العباس]

أَخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن أَبيه ، عن إسحاق ، عن محمد بن الفضل السَّكونيّ ، قال : كان محمد بن أَبي العبّاس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل ، ثم تشاغل عنه ، فكتب إليه حمّاد : [من الهزج]

طلبـتُ البَـذْلَ ممّـن خُـ ـلقـتْ كفّـاه للبـذلِ
ومَن يَنفي عـن الُمحِـ ـلِ بالجُودِ أَذى المَحْلِ
ألا يـا ابـن أَبـي العبّا س يـا ذا النائـل الجَزلِ
أمـا تَذكـر يـا مـولا يَ ميعادَك في البغـلِ ؟
وذاك الرِّجْس في الـدار جليسٌ لأَبـــي سَهْـلِ

يريك الحزمَ في الإخـلا ف للميعـادِ والمَطْـلِ

[شعره في عثمان بن شيبة]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال : حدَّثنا سليمانُ المَدِينيّ قال : كان عثمان بنُ شيبة مبخَّلا ، وكان حمّاد عجردٍ يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعرَ إلى حمّاد فقال له : [من الوافر]

أَعِنّي مِـنْ غِناكَ ببيتِ شِعْرٍ على فقرِي لعثمانَ بـنِ شَيْبَهْ

فقال له حمّاد : [من الوافر]

فإنّك إنْ رَضِيتَ بـه خليلاً ملأتَ يديـك من فقرٍ وخَيبهْ

فقال له الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه ، فصنتُ وجهي عنه .

[هجاؤه مطيع بعد الصداقة]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : كان حمّاد عجردٍ يهوى غلاماً من أهل البَصْرة من موالي العَتِيك يقال له : أبو بشر الحلو بن الحلال ، أحسبه من موالي المهلَّب ، وكان موصوفاً بالجمال ، فاندسّ له مطيع بنُ إيّاس ، ولم يزل يحتالُ عليه حتى وطِئَه ، فغضب حمّاد عجرد من ذلك ، ونَشِب بينهما بسببه هجاء ، فقال فيه حمّاد : [من مجزوء الرمل]

يـا مطيعُ النَّذْلُ أنتَ الـ ـيومَ مخـذولٌ جَهـولُ
لا يغرَّنْـك غَـرورٌ ذو أفانـينَ مَلُـولُ
ليس يحلـو الفعـلُ منـه وهـو يحلـو مـا يقولُ
مَلْـذانيٌّ مـع الرِّيـ ـحِ إذا مالـت يميـلُ[1]
وجَـوادٌ بالمواعيـ ـدِ وبالبَـذْلِ بخيـلُ
ليس يُرضِيه مـن الجُعْـ ـلِ كثيـرٌ أو قليـلُ
ذاكَ مـا اخترت خليلاً بئس واللهِ الخليـلُ
إنّمـا يكفِيـك أن يـأ تيـك في السرِّ رسولُ
ساخـراً منـكَ يمنِّيـ ـك أمـانيَّ تطـولُ

---

1 ملذاني : كذوب .

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما : [من البسيط]

عجبتُ للمدَّعي في الناس منزلةً ... وليس يَصلح للدّنيا وللدِّينِ
لو أبصَروا فيك وجهَ الرأي ما تركوا ... حتى يَشُدُّوكَ كَرْهاً شَدَّ مجنونِ
ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ مَنزلةٍ ... إلاّ بأن صرتُ أُهجوه ويهجوني
ولو تركتُ مطيعاً لا أُجاوبُهُ ... لكان ما فيه م الآفات يكفيني
يختار قربَ الفُحول المُرْد معتمِداً ... جَهْلاً ويترُك قُربَ الخرَّدِ العِينِ

[يمدح ويعزّي داود بن إسماعيل]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال : قال حمّاد عجرد في داود بنِ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس يمدحه ويعزّيه عن ابن مات له ويستجيزه : [من الخفيف]

إنّ أَرجى الأَنامِ عندي وأَوْلا ... هُمْ بمَدْحِي ونصرتي داودُ
إن يعشْ لي أبو سليمان لا أحْـ ... ـفِلُ ما كادَني به من يكيدُ
هدّ رُكني فَقدِي أباكَ فقد شـ ... ـدّ بك اليومَ ركنيَ المهدودُ
قائلٌ فاعلٌ أبيٌّ وفيٌّ ... مُتلِفٌ مخلِفٌ مُفيدٌ مُبيدُ
وَفَتى السِّنِّ في كَمالِ ابنِ خمسيـ ... ـنَ دَهاءً وإِرْبَةً بل يزيدُ[1]
مِخلَطٌ مِزْيَلٌ أَريبٌ أَديبٌ ... راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيدُ[2]
وهو الذائد المدافِع عنّي ... وعزيزٌ ممنَّعٌ مَن يَذودُ

[ولاية محمد بن أبي العبّاس على البصرة]

أخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : حدَّثني عبد الملك بنُ شيبان قال : ولَّى أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ أبي العبّاس السفّاح البَصرة ، فقدِمها ومعه جماعة[3] من الشعراء والمغنِّين منهم حمّاد عجرد ، وحَكَم الوادي ودَحْمان ، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه ، وشَرِب الشرابَ وعاث ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله ، قال : وكان ابن أبي العبّاس كثيرَ الطيِّب ، يملأ لحيتَه بالغالية حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ ، فلقَّبوه أبا الدِّبس ، وقال فيه بعض شعراء أهلِ البَصرة : [من السريع]

1 الأربة : العقل .
2 مزيل : كيّس لطيف .
3 ل : عدة .

صِرْنا مـن الرِّبح إلى الوَكْس إذْ وَلِـي المصرَ أبـو الدِّبسِ[1]
ما شئتَ مِن لُـؤمٍ على نفسِه وجنسُه مـن أكـرم الجِنسِ

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثنا عليّ بنُ محمد النَّوْفليّ قال : حدَّثني أبي قال : كان أبو جعفر المنصور يُبغِضُ محمدَ بنَ أبي العبّاس ويُحبّ عيبَه ، فولاّه البصرة بعقِب مَقتَل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقدِمَها ، وأصحبَه المنصورُ قوماً يعاب بصُحبتهم مُجّاناً زنادِقة : منهم حمّاد عجرد ، وحمّاد بن يُحيى ، ونُظَراء لهم ، ليَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهديّ عند الناس ، وكان محمد بنُ أبي العبّاس محمَّقاً ، فكان يغلّف لحيتَه إذا ركِب بأواقٍ من الغالية ، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة ، فلقّبه أهلُ البَصرة أبا الدِّبس ؛ قال ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه : قد عزمتُ على أن أعترض أهلَ البصرة بالسيف في يوم الجمعة ، فأقتلَ كلّ مَن وجدتُ ، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن . فقالوا له : نعم ، نحن نفعل ذلك ، لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا إلى أمّه سَلمَة بنت أيّوب بنِ سلمةَ المخزوميّة فأعلَموها بذلك ، وقالوا : والله لئن هَمّ بها ليُقْتلنّ ولنُقْتلنّ معه ، فإنّما نحن في أهل البصرة أكلةُ رأس ، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه .

[غزل بزينب بنت سليمان بن علي]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال : حدَّثني أبي عن إسحاق الموصليّ قال : كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العبّاس السفّاح ، وهو الذي أدّبه . وكان محمد يَهوى زينبَ بنتَ سليمان بن علي ، وكان قد قدِم البصرة أميراً عليها مِن قِبَل عمّه أبي جعفر ، فخطبها ، فلم يزوِّجوه لشيء كان في عَقْله ، وكان حمّاد وحَكَم الوادي ينادمانه ، فقال محمد لحمّاد : قل فيها شعراً ، فقال حمّاد فيها على لسان محمد بن أبي العبّاس ، وغنّى فيه حَكَم الوادي : [من السريع]

صوت

زينبُ مـا ذنبي وماذا الذي غضِبتمُ منـه ولَـم تُغضَبوا[2]
واللهِ مـا أعـرِف لي عندكمْ ذنباً ففيمَ الهجرُ يـا زينبُ ؟
إن كنتُ قد أغضبتكُمْ ضَلّةً فاستعتِبـوني إنّنـي أُعتبُ[3]
عُودُوا عـلى جَهلي بأحلامكم إنّي ، وإن لم أُذنِب ، المذنبُ

---

1 الوكس : النقص .
2 لم تغضبوا : على البناء للمجهول ، أي لم آت ما يغضبكم .
3 استعتب : طلب العتبى أي الرضا .

الغناء لحَكَم ، في هذه الأبيات خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وفيه هَزَج يقال : إنّه لخليد بن عبيد الواديّ ، ويقال لعَريب .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال : حدَّثني عمرو بن بانة قال : كان لمحمّد بن أبي العبّاس السّفّاح شعر في زينبَ ، وغنّى فيه حَكَم الوادي : [من مجزوء الكامل]

صوت

قُولا لزينبَ لو رأيتِ تشوُّقي لكِ واشترافي
وتلفتّي كيما أراكِ وكان شخصُك غيرَ خافِ
وشَمِمْتُ رِيحَكِ ساطعاً كالبيت جُمِّر للطَّوافِ
فتركتِني وكأنّما قلبي يغرَّز بالأشافي[1]

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال : حدَّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال : خطب محمد بنُ أبي العبّاس زينبَ بنتَ سليمان ، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء ، إلاّ أنّه قال فيه : فقال محمد بن أبي العبّاس فيها ، وذَكر الأبيات كلَّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّاداً .

قال أبو الفرج مؤلِّف هذا الكتاب : هذا فيما أراه غَلطٌ مِن رواته ، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَم ، نسبوه إلى محمد بن أبي العبّاس ، وقد ذَكَرَ هذا الشعرَ بعينه إسحاقُ المَوْصليّ في كتابه ، ونسبه إلى ابن رُهَيْمة وهو من زَيانب يونسَ الكاتب المشهورة ، معروفٌ ومنها فيه يقول : [من مجزوء الكامل]

فذكَرتُ ذاكَ ليونسٍ فذكرتُه لأخٍ مُصافِ

وذكر إسحاقُ أنّ لحن يونسَ فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخِنصر ، وأنّ لحن حَكَم من الثقيل الأوّلِ بالبنصر ، قال محمد بن يحيى : ولمحمد بن أبي العبّاس في زينبَ أشعارٌ كثيرة ممّا غنّى فيها المغنّون ، منها : [من السريع]

صوت

زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ
وجهُكِ واللهِ وإن شَفَّني أحسنُ من شمسٍ ومِن بدرِ

---

1 الأشافي : جمع إشفى ، وهو المثقب .

لو أبصَرَ العاذلُ منك الذي أبصرتُـه أسرع بالعذرِ

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم خفيف رمل بالوسطى .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بنُ الضحّاك عن هشام بن محمد قال : دخل دَحْمانُ المغنّي مولى بني مخزوم ، وهو المعروف بدَحمانَ الأشقر ، على محمد بن أبي العبّاس وعنده حَكَم الوادي ، فأحضر محمدٌ عشرةَ آلاف دِرهم وقال : من سَبَق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له ؛ فابتدأ دَحمانُ يغنّي في شعر قيس بن الخَطيم : [من المنسرح]

حَـوْراءُ ممكـورةٌ منعَّمـةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها تَرَفُ

فلم يهشّ له ، فغنّى حَكَم في شعر محمّدٍ في زينب : [من السريع]

زينبُ ما لي عنـكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ

قال : فطرِب وضرب برِجله وقال له : خُذْها ، وأَمَر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم ، قال : ومن شعره فيها الذي غنّى فيه حَكَم أيضاً : [من مجزوء الكامل]

صوت

أحببتُ مـن لا يُنصفُ ورجوتُ من لا يُسعِفُ
نسبٌ تليـدٌ بيننـا ووِدادُنـا مستطرَفُ
بـالله أحلِـفُ جاهداً ومصدَّقٌ مَـن يَحلِفُ
إنّـي لأكتـمُ حبَّهـا جَهْـدِي لِما أتخوّفُ
والحبّ يَنطِق إن سَكـ ـتُّ بما أُجِنّ ويُعرَفُ

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم الواديّ ، ولحنه ثقيل أوّل . قال : ومن شعر محمد فيها الذي غنّى فيه حَكَم .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أسعِد الصبَّ يا حَكَمْ وأعِنْـهُ عـلى الألَمْ
وأدِرْ في غنائِـهِ نَغَمـا تشبـه النِّعَمْ
أجميـلٌ بـأن يُرى نائمـاً وهـو لم يَنَمْ
لائمي في هوايَ زيـ ـنَب أنصِفْ ولا تَلُمْ

لَبِس الجسمُ حُلّــــةً   في هواهــا من السَّقَمْ

غنّاه حَكَم ، ولحنُه هَزَج .

[سكر حمّاد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العبّاس فناموا دونه]

وقد أُخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أبو أيّوبَ المَدِينيّ قال : قال بُرَيْه الهاشميّ حدَّثني من حضر محمد بن أبي العبّاس وبين يديه حمّاد وحَكَمٌ الواديُّ يَغنّيه ، وندماؤه حضور ، وهم يشربون حتى سَكِرَ وسَكِروا ، فكان محمّد أوّل مَن أفاق منهم ، فقام إلى جماعتهم ينبِّههم رجلاً رجلاً ، فلم يجد فيهم فَضْلاً سوى حمّاد عجرد وحَكَم الواديّ ، فانتَبَها ، وابتدؤوا يشربون ، فقالَ عجردٌ على لسانه ، وغَنّى فيه حَكَم : [من مجزوء الخفيف]

أسعِد الصبَّ يا حَكَم   وأَعِنْــه عـلى الأَلَمْ
أجميلٌ بـأن يُـرى   نائمــاً وهوَ لم يَنَـمْ

هكذا ذَكر هذا الخبرَ الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً .

أُخبرني محمد بن يحيى قال : أنشدني أبو خليفة وأبو ذَكْوانَ والغلاّبيّ لمحمّد بن أبي العبّاس في زينب بنتِ سليمان بن عليّ : [من السريع]

يا قمرَ المِرْبَد قد هِجتِ لي   شوقـاً فمـا أنفَكّ بالمِرْبَدِ
أُراقبُ الفرقَد مـن حبِّكمْ   كأنّنـي وُكِّلـتُ بالفَرْقَدِ
أهيم ليـلي ونهـارِي بكمْ   كأنّني منكمْ على مَوعدِ
عُلِّقتُها ريّـا الشَّوى طَفْلَةٌ   قريبةَ المولِدِ مـن مَولِدِي
جَدِّي إذا ما نُسبتْ جدّها   في الحَسَبِ الثاقبِ والمحتَدِ
والله مـا أنساكِ في خَلوتي   يا نـورَ عينيّ ولا مَشهَدِي

[شدّة محمد]

أُخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني الحارث بن أبي أُسامة قال : حدَّثني المدائنيّ قال : كان محمدُ بنُ أبي العبّاس نهايةً في الشدّة ، فعاتَبَه يوماً المهديُّ ، فغَمَزَ محمدٌ ركابَه حتى انضغطتْ رِجلُ المهديّ في الركاب ، ثم لم تخرج حتى ردّ محمّد الركابَ بيَده ، فأخرَجَها المهديّ حينئذٍ .

[حمّاد يمدح محمّد بن أبي العبّاس]

أُخبرني محمد قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : حدَّثنا العُتْبِيّ قال : كان محمد بن أبي العبّاس شديداً قويّاً جَواداً ممدَّحاً ، وكان يلوي العمودَ ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَة فتردّه ، وفيه

يقول حمّاد عجرد : [من البسيط]

أرجوك بعدَ أبي العبّاس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقاً وعِيدانا
فأنت أكرمُ من يمشِي على قَدَمٍ ... وأنضرُ الناس عند المَحْل أغصانا
لو مَجَّ عُودٌ على قوم عُصارتَه ... لَمَجَّ عُودُك فينا المِسْكَ والبانا

[عزل محمد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغلابيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الرحمن قال : لما أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البَصرة لمّا عزله المنصورُ عنها قال : [من المتقارب]

أيا وقفةَ البينِ ماذا شَبَبْتِ ... من النّار في كَبِدِ المُغرمِ !
رَميتِ جوانحَه إذ رَميتِ ... بقوسٍ مُسدَّدةِ الأسهُمِ
وقفنا لزينبَ يومَ الوَداعِ ... على مِثْلِ جَمر الغَضى المُضرَمِ
فمِنْ صَرْف دمع جرى للفراقِ ... لممتزجٍ بعدَه بالدَّمِ

أخبرني محمد قال : حدَّثنا الفضل بنُ الحُباب قال : حدَّثنا أبو عثمانَ المازنيّ قال : قال حمّاد عجردٍ يشبِّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس : [من الطويل]

ألا مَن لقلبٍ مستهامٍ معذَّبِ ... بحبٍّ غزالٍ في الحِجالِ مُربَّبِ
يراه فلا يسطيع رَدّاً لطَرْفِه ... إليه حِذارَ الكاشحِ المترقِّبِ
ولولا مليكٌ نافذٌ فيه حُكمُه ... لأدْنى وصالاً ذاهباً كلَّ مَذهبِ
تَغَبّرتُ خِلْفَ اللّهو بعد صِراوةٍ ... فبحتُ بما ألقاه من حبّ زينبِ[1]

قال : فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان ، فنذَرَ دمَه ، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد .

[رثاء محمد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني الغلاّبيّ عن محمد بن عبد الرحمن قال : مات محمّد بن أبي العبّاس في أوّل سنة خمسين ومائة ، فقال حمّاد يرثيه بقوله : [من الخفيف]

صرتُ للدّهر خاشعاً مستكيناً ... بعد ما كنت قد قهرتُ الدّهورا
حين أودى الأمير ذاك الذي كنـ ... ـتُ به حيث كنتُ أُدعى أميرا
كنتُ إذ كان لي أجير به الدَّهـ ... ـر فقد صرتُ بعدَه مستجيرا

1 تغبر الناقة : احتلب غبرها ، وهو بقية اللبن في الضرع . والصراوة : الانقطاع والاحتباس .

يا سميّ النبيّ يا ابن أبي العبـ ـاس حقّقتَ عنديَ المحذورا
سلبتْني الهمومُ إذ سلبتنيـ ـك سروري فلست أرجو سرورا
ليتني متّ حين موتك لا بل ليتني كنت قبلَك المقبورا
أنتَ ظلّلتني الغَمامَ بنُعما ك ووطّأتَ لي وِطاءً وَثيرا
لَم تَدَعْ إذ مضيتَ فينا نظيراً مِثل ما لَم يدَع أبوكَ نظيرا

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم الجُمَحيّ قال : كان خَصيب الطبيب نصرانيّاً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العبّاس شربةَ دَواءٍ وهو على البصرة ، فمرِض منها ، وحُمِل إلى بغداد فمات بها ، واتُّهم خصيب . فحُبس حتى مات . وسُئل عمّا به فنظر في علّته إلى مائه فقال : قال جالينوس : إنّ مثل هذا لا يعيش صاحبه ؛ فقيل : له إنّ جالينوس ربّما أخطأ ؛ فقال : ما كنت قطّ إلى خطئه أحوَج منّي اليوم ، وفي خصيب يقول ابن قنبر : [من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتوْني بخَصيبِ
ليس والله خصيبٌ لِلّذي بي بطبيبِ
إنّما يَعرِف ما بِي مَن به مِثلُ الذي بِي

[استجار بقبر سليمان بن علي]

أخبرني حبيبُ بن نصر وأحمدُ بنُ عبد العزيز وإسماعيل بنُ يونسَ ، قالوا : حدَّثنا عمر بنُ شبّة قال : حدَّثني عبد الله بن شيبان وابن داحة ، وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدَّثني أبي عن إسحاق قال : لمّا مات محمد بن أبي العبّاس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّاد عجردٍ لما كان يقوله في أخته زينبَ من الشعر ، فعلِم أنّه لا مُقام له معه بالبصرة ، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمانَ بن عليّ ، وقال فيه : [من الخفيف]

مِن مقرّ بالذنب لم يوجب اللـ ـه عليه بسيِّء إقرارا
ليس إلاّ بفضل حِلمِك يَعتـ ـدّ بلاءً ، وما يُعدّ اعتذارا
يا ابن بنت النّبيّ أحمدَ لا أجـ ـعَلُ إلاّ إليكَ منك الفرارا
غير أنّي جعلتُ قبرَ أبي أيّو بَ لي من حوادث الدَّهرِ جارا
وحَرِيٌّ مَن استجار بذاكَ الـ ـقبرِ أن يأمَنَ الردى والعِثارا
لم أجِد لي من العباد مجيراً فاستجرتُ الترابَ والأحجارا

لستُ أعتاضُ منك في بغيةِ العِـ ـزّة قحطانَ كلّها ونزارا
فأنا اليوم جارُ من ليس في الأر ض مجيرٌ أعزُّ منه جِوارا
يا ابن بيتِ النبيِّ يا خير من حَطّـ ـت إليه الغَواربُ الأكوارا[1]
إن أكن مُذنباً فأنتَ ابنُ مَن كا ن لِمَن كان مُذنباً غَفّارا
فاعفُ عنّي فقد قَدرتَ وخيرُ الـ ـعفوِ ما قلتَ كن فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمارَ جارٌ لِعِزٍّ كان جاري يطوّل الأعمارا

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا : حدَّثنا الحسنُ بنْ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني عليّ بنُ الصبّاح قال : كان محمد بن سليمانَ قد طلب حمّاد عجردٍ بسبب نَسبه بأخته زينب ، ولم يكن يَقدِر عليه لمكانه من محمد بن أبي العبّاس ، فلمّا هلك محمّد جَدَّ ابنُ سليمانَ في طلبه ، وخافَه حمّاد خوفاً شديداً ، فكتب إليه : [من الخفيف]

يا ابن عمِّ النبيِّ وابنِ النبيِّ لعليٌّ إذا انتَمى وعليِّ
أنتَ بدرُ الدّجى المُضيءِ إذا أظـ ـلَمَ واسودّ كلُّ بدرٍ مُضِيِّ
وحَيا الناسِ في المُحول إذا لم يُجْدِ غيثُ الربيعِ والوَسْمِيِّ
إنّ مولاكَ قد أساءَ ومن أعـ ـتب من ذنبه فغير مُسيِّ
ثم قد جاء تائباً فاقبل التو بة منه يا ابنَ الوَصيِّ الرضيِّ

قال : ومضى إلى قبر أبيه سليمانَ بن عليّ فاستجار به ، فبلغه ذلك ، فقال : والله لأبلّنّ قبرَ أبي من دمه ، فهرب حمّاد إلى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور ، فأجاره ، فقال : لا أَرْضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان ، فقال يهجوه : [من الخفيف]

قل لوجه الخَصيِّ ذي العار إنّي سوف أُهدي لزينبَ الأشعارا
قد لعمري فررتُ مِن شدّة الخو ف وأنكرتُ صاحبيَّ نهارا
وظننتُ القبورَ تَمنَع جاراً فاستجرت الترابَ والأحجارا
كنتُ عند استجارتي بأبي أيّـ ـوبَ أبغي ضلالةً وخَسارا
لم يُجِرني ولم أجِد فيه حظّاً أضرم اللهُ ذلك القبرَ نارا

قال : وقال فيه : [من الطويل]

---

1 الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى الظهر . والأكوار : الرحال .

لـه حَزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتبٍ   وغُلْمَـةُ سِنَّوْرٍ بلَيْـلٍ تَوَلـوِلُ

وقال فيه يهجوه : [من المنسرح]

يا ابـنَ سليمانَ يـا محمّدُ يا   من يشتري المكرُمات بالسَّمَنِ
إنْ فخرتْ هاشمٌ بمَكرُمـةٍ   فخَرتَ بالشَّحمِ منكَ والعُكَنِ
لُؤْمـكَ بـادٍ لمَن يراك إذا   أقبلـتَ في العارِضَـينِ والذَّقَنِ
ليتَك إذ كنـتَ ضيِّقاً نكِراً   لم تُدْعَ مـن هاشمٍ ولم تَكُنِ
جَدَّاك جَدّان لَم تُعَـب بهما   لكنّما العيبُ منك في البدنِ

قال : فبلغ هجاؤه محمدَ بنَ سليمان فقال : واللهِ لا يُفلِتني أبداً ، وإنّما يزداد حتْفاً بلسانه ، ولا واللهِ لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً .

وقد اختُلِف في وفاة حمّاد .

[مقتله]

فأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو داحة وعبد الملك بنُ شيبان أن حمّاداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتِراً ، وبلغ محمداً خبرُه ، فأرسل مولًى له إلى الأهواز ، فلم يزل يَطلبُه حتى ظفر به فقتله غِيلة .

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عِمران قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ عن أحمد بن خَلاّد أنّ حمّاداً نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدّة مستتراً من محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البَصرة ، فمرّ بشِيْرزاذانَ في طريقه ، فمَرِض بها ، فاضطرّ إلى المُقام بها بسبب علّته ، فاشتدّ مرضُه ، فمات هناك ودُفِن على تَلْعة ، وكان بشّار بلغه أنّ حمّاداً عليل لِما به ، ثم نُعِي إليه قبل موته ، فقال بشّار : [من السريع]

لـو عـاش حمّاد لهونـا بـه   لكنّـه صـار إلى النـارِ

[شعر له وهو يحتضر]

فبلغ هذا البيتُ حمّاداً قبل أن يموت وهو في السِّياق[1] ، فقال يردّ عليه : [من السريع]

نُبِّئـتُ بشّاراً نَعـاني وللـ   ـموت بَراني الخالـقُ البارِي
يـا ليتني مِـتّ ولم أهْجُه   نعـمْ ولـو صرتُ إلى النارِ
وأيُّ خِزيٍ هو أخزى مِن انْ   يقـالَ لي يـا سِبَّ بَشّارِ

1 السياق : نزع الروح .

قال : فلمّا قَتل المهديُّ بشّاراً بالبَطيحة اتّفق أن حُمل إلى منزله ميتاً ، فدُفن مع حمّاد على تلك التّلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهليُّ الشاعر البَصْريّ الذي كان يُهاجِي بشّاراً ، فوقف على قبريهما وقال : [من السريع]

قـد تَبِـع الأعمى قَفا عَجردٍ فأصبَحـا جارَيـــن في دارِ
قالت بِقاع الأرض لا مَرْحَبا بقُـــرب حمّـــاد وبَشّارِ
تجـــاوَرا بعـــد تَنائيهمـا مـــا أبغَضَ الجـارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يديْ مالِكٍ في النّار والكافــرُ في النارِ

صوت

[من البسيط]

هل قلبُكَ اليومَ عن شَنْباء منصرِفُ وأنتَ ما عشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ
ما تُذْكَرُ الدَّهرَ إلاّ صدّعت كبِداً حَرَّى عليكَ وأذْرت دمعةً تَكِفُ

ذَكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّ الشِّعر لحُرَيث بن عتّاب الطائيّ ، وذكر عمرُو بنُ بانة أنّه لإسماعيل بن يسار النّساء ، والصّحيح أنّه لحُرَيث ، والغناء لغَريض ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكَر الهشاميُّ انّه لمالِك .

[275] ـ أخبار حُرَيث ونسبه[1]

[نسبه]

حُرَيث بنُ عَنّابُ (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنَين بن نائل بن أَسوَدان ، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيِّء ، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، وليس بمذكور من الشعراء ، لأنّه كان بدويّاً مُقِلاً غيرَ متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ، ولا يَعْدو شعره أمرَ ما يخصّه .

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمّي عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ ، عن أبيه ، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله : [من البسيط]

يـدومُ وُدّي لِمَن دامـت مودَّتُه وأصرف النفسَ أحياناً فتنصرفُ
يا وَيْـح كلّ محبٍّ كيـف أرحمُه لأنّني عارف صدقَ الذي يصفُ
لا تأمننْ بعـد حُبّـي خُلّـة أبداً على الخيانة إنَّ الخائـن الطَّرِفُ
كأنّهـا رِيشةٌ في أرض بَلقَعـة من حيثما واجهتْها الريحُ تنصرفُ
يُنسي الخليلين طُولُ النأي بينهما وتَلتقي طُـرُقٌ شتّـى فتأتلِفُ

قال أبو عمرو ، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود من بني بُحْتُر بن عَتُود ، وكان يهواها ويتحدّث إليها ، ثم خطبها ، فوعَدَه أهلُها أن يزوِّجوه ووعدتْه ألاَّ تجيب إلى تزويج إلاّ به . فخطبها رجلٌ من بني ثُعَل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيثاً ، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَليَّ ، فتزوّجها ، فطَفِق حريث يهجو قومَها وقوم المتزوّج بها من بني بُحْتُر وبني ثُعَل ، فقال يهجو بني ثُعَل : [من الطويل]

بني ثُعَلٍ أهلَ الخنا ما حديثُكمْ لكم منطق غـاوٍ وللنّاس مَنطِقُ
كأنّكُم مِعـزىً قَواصعُ جِرّةٍ من العِيّ أو طيرٌ بخفّانَ يَنعِقُ
ديافيّـة قُلْـفٌ كأنّ خطيبَهم سَراةَ الضُّحى في سَلْحه يتمطّقُ

قال أبو عمرو : ولم يزل حريثٌ يهجو بني بُحْتُر وبني ثُعَلٍ من أَجل حُبَّى ؛ فبينا هو ذات

---

1 لحريث بن عناب ترجمة في خزانة البغدادي 11 : 449 وسمط اللآلي : 83 .

يوم بخيبَر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفِنائه ينشِد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثُعَل وبني بُحْتر ابنَي عَتود ، وبخيبرَ يومئذٍ رجل من بني جُشَم بن أبي حارثة بن جُدَيّ بن تَدُولَ بن بُحْتُر يقال له أوْفى بنُ حُجْر بن أسيد بن حُيَيّ بن ثُرْمُلة بن ثرغل بن خثيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمرّ أوفى هذا بحريث بن عَنّاب وهو يُنشِد شعراً هجا به بني بحتر ، فسمعه أوفى وهو ينشد قولَه : [من الطويل]

وإنَّ أحــقَّ الناسِ طُـرّاً إهانةً عَتودٌ يُباريهِ فَريــرٌ وثَعلبُ[1]

العَتود : التيس الهَرِم . والفَرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعلَه . فدنا منه أوفى وقال : إنّي رجل أصمُّ لا أكاد أسمع ، فتقرّب إليّ ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجِي هذا الحَيّ من بني ثُعَلٍ وبني بُحتُر ، وأحبّ أن أرويَ ما قيل فيهم من الهجاء ، فأدنَوْه منه ، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها ، فلمّا تمكّن من ابن عَنّابٍ جمعٍ يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفَه فحطَمه ، وسقّط على وجهه ووثب القرشيّ على أوفى فأخذه ، فوَثَبَ بنو أخته فانتَزعوه من القرشيّ ، وكاد أن يقع بينهم شرّ ، وأفلتَ أوفى ودُورِي ابنُ عنّاب حتى صَلَح واستوى أنفُه ، فقال أوفى في ذلك : [من الكامل]

لاقى ابنُ عَنّاب بخيبرَ ماجداً يَـزَعُ اللئـامَ وينصرُ الأحسابا
فضربتــهُ بهِراوتــي فتركتــهُ كالحِلْس منعفرَ الجبيـنِ مصابا

قال : ثم لحِق أوفى بقومه . فلمّا كان بعد ذلك بمدّة اتّهمه رجلٌ من قريش بأنّه سرق عبداً له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشيُّ يطلبُه حتى أخذه وأقام عليه البيّنة ، فحُبس في سجن المدينة ، وجُعلتْ للقرشيّ يدُه فبعَث ابنُ عنّاب إلى عشيرته بني نَبْهان ، فأبوا أن يعاونوه . وأقبلَ عُرفاء بني بُحْتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقاتِ قومِهم فيهم حصنٍ وسلامة ابنا معرِّض ، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم ، ومنصور بنُ الوليد بن حارثة ، وجبّار بن أُنَيف ، فَلقُوا القرشيَّ وانتَسبوا له ، وقالوا : نحن نعطيك العِوَض مِن عَبْدِك ونرضيك ، ولم يزالوا به حتى قَبِل وخلّى سبيلَه . فقال حُرَيثٌ يمدحُهم ويهجو قومَه الأدنَيْن مِن بني نَبْهان : [من الطويل]

لما رأيتُ العبدَ نَبْهـانَ تارِكِي بلمّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخطُرُ[2]
نُصِرتُ بمنصورٍ وبابنيْ معرِّضٍ وسعدٍ وجَبّارٍ بـل اللهُ يَنصرُ

---

1 طُرّاً إهانةً في ل : ألا أهابه .

2 اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

وذو العرش أعطاني المودّة منهمُ   وثبّتَ ساقي بعدما كدتُ أَعثُرُ
إذا رَكب الناسُ الطريقَ رأيتهم   لهم خابِطٌ أعمى وآخَر مُبصرُ
لكلّ بني عمرو بن غَوْثٍ رِباعةٌ   وخيرُهمُ في الشرّ والخيرِ بُحْتُرُ[1]

وقال أبو عمرو : مرّ ابن عنّاب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بني قُلَيع وهو يتوكّأ على عَصاً فضحكن منه ، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول : [من الكامل]

هزئتْ نساءُ بني قُلَيع أن رأتْ   خَلَقَ القميصِ على العصا يترَكَّعُ
وجعلْنني هُزُؤاً ولو يعرفْنني   لعلمن أنّي عند ضَيْمي أَرْوَعُ

[إغارته على بني أسد]

قال أبو عمرو : وكان حريثُ بنُ عنّاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم ، فطلَبه السلطان ، فهرب من نواحي المدينة وخيبَرَ إلى جبَلين في بلاد طيىء يقال لهما : مُرَّى والشَّمُوس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب ، ثم عاوَدَ وقال في ذلك : [من الطويل]

إذا الدِّين أُودى بالفساد فقل له   يدَعْنا ورُكْناً من مَعَدٍّ نصادمُهْ
ببيضٍ خِفافٍ مرهَفلتٍ قواطع   لداودَ فيها أَثْرُه وخَواتِمُهْ[2]
وزُرْقٍ كستْها ريشَها مَضْرَحيّةٌ   أَثِيثٌ خَوافِي رِيشها وقوادِمُهْ[3]
إذا ما خرجْنا خرّت الأُكْم سُجَّداً   لعزٍّ عَلا حَيْزُومُه وعَلاجِمُهْ[4]
إذا نحن سِرْنا بين شرقٍ ومَغربٍ   تحرَّكَ يقظانُ التّراب ونائمُهْ
وتفزَع منّا الإنْسُ والجِنُّ كلُّها   ويُشرب مهجورُ المِياه وعائمُهْ
ستَمنَع مُرَّى والشَّمُوس أخاهما   إذا حكم السلطان حُكْماً يُضاجِمُهْ

يميل فيه . ويروى : يصاحمه ، وقال أبو عمرو : يصاحمه : يزاحمه . والأصحم منه مأخوذ .

* * * *

1 رباعة : سيادة .
2 أثر السيف : جوهره ووشيه .
3 الزرق : النصال . والمضرحي : النسر أو السيد . والأثيث : الكثير .
4 الحيزوم هنا : الغليظ أو المرتفع من الأرض . العلاجم : جمع علجم ، وهو الطويل من الإبل .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

15

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعةالثانية

1426هـ - 2005م

الطبعةالثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت

وقال : [من المنسرح]

هَلْ في ادِّكار الحبيبِ من حَرَجِ أَمْ هَـلْ لهـمٍّ الفؤادِ مِن فَرَجِ
أَم كيفَ أَنْسى رحيلَنا حُرُماً يـومَ حَلَلنا بالنَّخلِ من أَمِجِ[1]
يومَ يقولُ الرسولُ قـد أَذِنَتْ فائـتِ على غير رِقْبَـةٍ فَلِجِ
أَقبلْتُ أَسعـى إلى رِحالِهـمُ في نَفحةٍ مـن نسيمِها الأَرِجِ

الشعر لجعفر بن الزُّبير[2] ، والغناء للغَرِيض ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، عن إسحاق ، وذكر عَمرو بن بانةَ أنّه لدَحْمانَ في هذه الطريقة والمجرى . وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال : فيه لحنان : لابن سُريج والغَرِيض . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابنُ سُريج رملٌ بالوُسطى .

1 أمج : موضع بين مكّة والمدينة .
2 تنسب هذه الأبيات إلى ابن قيس الرقيات (انظر ديوانه : 78) .

[276] ـ أخبار جعفر بن الزُّبير ونسبه

[نسبه]

جعفر بن الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلِد بنِ أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمّ جعفر بن الزُّبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو ، من بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل .

[سليمان بن عبد الملك وفروض الأعطيات]

أُخبرني الطُّوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني مصعب بن عثمان قال : أُخبرني جدّك عبد الله بن مُصعب عن أَبي عثمان بن مصعب ، عن شعيب بن جعفر بن الزُّبير قال : فرضَ سليمانُ بن عبد الملك للناس في خلافته ، وعُرِض الفرضُ[1] . قال : وكان ابن حزمٍ في ذلك محسناً ، يَعْلَم الله إنّه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفَعَهم بذلك .

قال شُعيب بن جعفر بن الزُّبير : فقال لي سليمان بن عبد الملك : مَن أنتَ ؟ قلت : شعيب بن جعفر بن الزُّبير . فقال : ما فَعَل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين على الكبَر والعيال . فقال : قُلْ له يحضُر الباب . فقال لجعفر ، احضُر الباب . فدعا المنذر بن عبيدة بن الزُّبير ، فرفع معه رقعةً وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز ، فيها قوله : [من الرجز]

يا عُمَرَ بن عمر بن الخطّابْ إنّ وقوفي من وراء الأَبوابْ
يَعدِلُ عندي حَطْمَ بعضِ الأنيابْ[2]

قال : فلمّا قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان ، فأمَر له سليمانُ بألفِ دينارٍ في دَينه ، وأَلفِ دينارٍ معونةً على عيالِه ، وبرقيقٍ من البِيض والسُّودان ، وكثيرٍ من طعام الجاري ، وأن يُدان من الصَّدقة بأَلفَي دينار . قال : فلمّا جاء ذلك إلى أَبي قال : أُعطِيتُه من غير مسألة ؟ فقيل : نعم . قال : الحمد لله ، ما أسخى هذا الفتى ! ما كان أبوه سخيّاً ولا ابن سخيٍّ . ولكنّ هذا كأنّه من آل حرب . ثم قال : [من الطويل]

فما كنت دياناً فقد دِنت إذ بَدَتْ صُكوكَ أميرِ المؤمنين تدورُ
بِوَصْلِ أولي الأَرحامِ قَبْلَ سؤالِهم وذلك أَمرٌ في الكرامِ كثيرُ

قال بعض مَن روى هذا الخبر عن الزبير : الناس لا ينظرون في عَيب أنفسهم ، وما كان

1 أي الجند المفروض لهم .
2 يَعدِلُ في ل : بعدك .

لجعفرٍ أن يعيبَ أحداً بالبخل ؛ وما رئي في الناس أحدٌ أبخل منهم أهلِ البيتِ ولا من عبد الله بن الزُّبير خاصة ، وما كان فيهم جوادٌ غيرَ مصعب .

قال الزُّبير : حدَّثني عمّي ، قال : كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أُدانَ مَن أراد من قريش منه ، وكتب بذلك صَكّاً عليه ، فيستعبِدُهم به ، ويختلفون إليه ، ويديرونه ، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرَج ذلك منه ، حتى كان هارونُ الرشيدُ ، فكلَّمه عبدُ الله بن مصعب في صُكوكٍ بقيت من ذلك على غيرِ واحدٍ من قريش ؛ فأمر بها فخُرِّقت عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزُّبير : [من الطويل]

فما كنتُ ديّاناً فقد دِنتُ إذ بَدَتْ ... صكوكُ أمير المؤمنين تدورُ

قال الزُّبير : وحدّثني عمِّي مُصعبٌ قال : شهد جعفرُ بنِ الزُّبير مع أخيه عبدِ الله حربَه ، واستعمله عبد الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتِل عبد الله بن الزُّبير ، حتى جَمَد الدمُ على يده ؛ وفي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

لعمْرُكَ إنِّي يوم أُجْلَتْ ركائبي ... لأَطْيَبُ نفساً بالجِلادِ لدى الرُّكْنِ
ضنينٌ بِمَن خَلْفِي شحيحٌ بطاعتي ... طِراد رجال لا مُطاردة الحُصْنِ[1]

الحصن : جمع حِصان ، يقول : هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل في الميادين .

غداةَ تحامَتْنا تُجيبُ وغافِقٌ ... وهَمْدانُ تبكي من مُطاردةِ الضُّبْنِ[2]

[عتابه أخاه عروة]

قال الزُّبير : وحدّثني عمّي مصعبُ بن عثمان ؛ أنَّ جعفر بن الزُّبير كانت بينه وبين أخيه عروةَ معاتبةٌ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

لا تَلحينِّي يا ابْنَ أُمِّي فإنّني ... عدُوٌّ لِمَن عاديتَ يا عُروَ جاهدُ
وفارقتُ إخواني الذين تَتابَعوا ... وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عاندُ[3]
ولولا يمينٌ لا أزالُ أُبِرُّها ... لقد جمعَتْنا بالفِناء المقاعدُ

[رثاء ولده]

قال الزُّبير : أَنشدتني عَمّتي أسماءُ بنت مصعبِ بن ثابتٍ ، لجعفرِ بن الزُّبير ، وأَنشدنيه غيرُها يرثي ابناً له : [من الطويل]

---

1 طِراد في ل : طريد . وهذا مثل .

2 تجيب : بطن من كندة . وغافق وهمدان : قبيلتان .

3 العاند : العاتي الشديد .

صوت

أَهاجَكَ بينٌ من حبيبٍ قد احتمَلْ   نَعَمْ ففؤادي هائــمُ العقلِ مُخْتَبَلْ
وقالــوا صُخَيْرات اليمــام وقدَّموا   أَوائِلَهم مــن آخرِ الليــل في الثَّقَلْ[1]
مررنَ على مـــاءِ العُشَيرَةِ والهوى   على مَلِلٍ يــا لَهفَ نفسي على مَلَلْ
فَتى السنِّ كهلُ الحِلــمِ يهتزُّ للندى   أَمرُّ من الدِّفْلى وأَحلى مــن العَسَلْ

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر ، نسبه يحيى المكّي إلى ابن سريج ، ونسبه الهشاميّ إلى الأبجر ، قال : ويقال إنه لابن سهيل .

[الشيخ الطروب]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ وحدّثنيه محمد بن جعفر النحوي قال : حدّثنا محمد بن موسى قال : حدّثنا الخرّاز ، وخبره أتمّ ، قال[2] : اصطحب قوم في سفر ، ومعهم رجلٌ يغنّي ، وشيخٌ عليه أثر النُّسك والعبادة ، فكانوا يَشتَهونَ أن يغنِّيهم الفتى ويَسْتَحْيُون من الشّيخ ، إلى أَن بلغوا إلى صُخَيرات اليمام ، فقال له المغنِّي : أيّها الشيخ إنّ عليّ يميناً أن أُنشدَ شعراً إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، وإنّي أهابُكَ وأستحي منك ؛ فإن رأَيت أَن تأذَنَ لِي في إنشادِهِ أَو تتقدَّم حتّى أُوفِيَ بيميني ثم نلحقَ بك فافْعَلْ . قال : وما عليّ من إنشادك ؟ أَنشِدْ ما بدا لك . فاندفع يغنّي : [من الطويل]

وقالوا صُخَيْرات اليمام وقدَّموا   أَوائِلَهم من آخرِ الليلِ في الثَّقَلْ
وردنَ على ماءِ العُشَيْرَةِ والهوى   على مَلَلٍ يا لهف نفسي على مَلَلْ

فجعل الشيخُ يبكي أَحَرَّ بكاءٍ وأَشجاه ، فقالوا له : ما لكَ يا عمِّ تبكي ؟ فقال : لا جُزِيتُمْ خيراً ؛ هذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تبخَلُونَ عليّ به أتفرّج به ويقطع عنّي طريقي ؛ وأَتذكَّر أيّامَ شبابي . فقالوا : لا والله ما كانَ يمنعُنا منه غيرُ هيبتك . قال : فأنتم إذاً معذورون . ثم أقبل عليه ؛ فقال : عُدْ فَدَيْتُك إلى ما كنتَ عليه . فلم يَزَلْ يغنِّيهم طُولَ سفرِهم حتّى افترقوا .

قال الزُّبير : وأخبرني مصعب بن عثمان أنّ أُمّ عروة بنت جعفرِ بن الزُّبير أَنشدته لأَبيها جعفرٍ وكان يرقّصها بذلك : [من الرجز]

يــا حبّذا عُروةُ في الدَّمالِج   أَحَبُّ كلِّ داخــلٍ وخارجِ

1 صخيرات اليمام والعشيرة وملل : مواضع بين مكة والمدينة .
2 اقتبس صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 40) .

[قوله في غزو ابنه صالح أرض الروم]

قال : وأخبرتني أنّ أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غزا أرضَ الرّوم ، فقال فيه جعفر : [من الرجز]

قد راحَ يوم السبتِ حِينَ راحُوا مــع الجَمال والتُّقــى صَلاحُ
مِــنْ كلِّ حــيٍّ نَفَــرٌ سمــاحُ بيضُ الوجــوهِ عَرَبٌ صِحاحُ
وفزِعـــوا وأخـــذ السلاح وهـم إذا مــا كُـرِه الشِّياحُ[1]
مصاعبٌ يكرهها الجراحُ

قال الزُّبير : ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبي ربيعة ودَخَلَ في شعره . فأمّا الأبياتُ التي ذَكرتُ فيها الغِناءَ فمن الناس مَن يرويها لعمر بن أبي ربيعة ، ومنهم مَنْ يرويها للأحوص وللعَرْجيّ ؛ وقد أنشَدنيها جماعةٌ من أصحابنا لجعفر بن الزُّبير . وأخبرني بذلك الحِرْمِيُّ ، والطوسيُّ ، وحبيب بن نَصر المهلَّبيّ ، وذكر الأبيات . وأخبرنيه عمِّي عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أمّ عروة بنت جعفر مثله . قال ابن أبي سعد : قال الحزاميّ : الناس يَروُونها للعَرْجيّ ، وأُمُّ عروةَ أَصْدَقُ .

أخبرني الطوسيّ قال حدّثنا الزُّبير قال : حدَّثني سعيد بن عمرو الزُّبيريّ قال : تزوّج جعفر بن الزُّبير امرأة من خُزاعة وفيها يقول :

هل في ادّكارِ الحبيبِ من حَرَج

الأبيات . وزاد فيها بيتين وهما : [من المنسرح]

تُسفِرُ عن واضح إذا سَفَرتْ ليس بذي آمَـةٍ ولا سَمِجِ[2]

وسقط البيت الآخر من الأصل .

[وفاته]

قال الزُّبير في رواية الطُّوسيّ : حدّثني مصعب بن عثمان وعمّي مصعب قالا : كان جماعةٌ من قريش مُنتَحِينَ عن المدينة ، فصدر عن المدينة بَدَويّ فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم مات أبو الناس . قالوا : وأنّـى ذلك ؟ قال : شهده أهل المدينة جميعاً ؛ وبُكِـيَ عليه من كلِّ دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزُّبير ، فجاءهم الخبر بَعْدُ أنَّ جعفرَ بن الزُّبير مات .

[زواج الحجّاج ببنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني عمِّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني إبراهيم بن معاوية عن

1 الشياح : المقاتلة .
2 الآمة : العيب .

أبي محمد الأنصاريّ ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه ؛ قال : لمّا تزوّج الحجّاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالب ، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيِّب فذكر له ذلك ، فقال : إنّي لأرجو أن لا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل ، وعسى الله ، فإن أباها لم يزوِّج إلاّ الدراهم . فلمّا بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أَبرَدَ البريدَ إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُغْلِظ له ويقصِّر به ، ويذكُر تجاوُزَه قدْرَه ، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مَسَّها ليقطعن أحبَّ أعضائِهِ إليه ، ويأمُره بتسويغِ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها . ففَعَلَ ، فما بقي أحد فيه خير إلاّ سَرَّه ذلك .

وقال جعفر بن الزُّبير وكان شاعراً في هذه القصّة : [من الطويل]

وجدتُ أميرَ المؤمنينَ ابنَ يوسُفٍ حَمِيّاً من الأَمر الذي جئتَ تَنْكَفُ[1]
ونبِّئتُ أَنْ قــد قـالَ لمّا نكحتَها وجاءت بـه رسْلٌ تُخِبُّ وتُوجِفُ[2]
ستَعلَمُ أنّي قد أَنِفتُ لمـا جَـرى ومثلُكَ منـه عَمْـرَكَ اللّهَ يُؤنفُ
ولولا انتكاسُ الدّهرِ ما نـالَ مثلها رجاؤُك إذ لم يـرجُ ذلك يُوسَفُ
أبِنتَ المصفَّى ذِي الجناحَين تبتَغِي لقد رُمْتَ خَطْباً قدرهُ ليس يُوصَفُ[3]

صوت

[من الطويل]

كأنْ لَم يكُنْ بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا أنيس ولم يسمُرْ بمكـّةَ سامـــرُ
بَــلى نحـــنُ كنّا أَهلهــا فأَبادنا صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ[4]

عروضه من الطويل . الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازي لُمضاض بن عمرو الجرهميّ . وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض .

أخبرنا بذلك الجوهريُّ عن عُمَر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبد العزيز بن عمران : هو عمرو بن الحارث بن مضاض . والغناء ليحيى المكّي ، رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالبنصر . وفيه لأهل مكّة لحنٌ قديم ذَكَرَه إبراهيمُ ولم يجنِّسْه .

1 ابن يوسف : منادى ، أي يا ابن يوسف . الحمي : الذي تأخذه الحمية . ونكف عن الشيء : عدل .
2 الخبب والايجاف : ضربان من السير .
3 ذو الجناحين : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .
4 الجدود : الحظوظ .

[277] ـ ذكر خبر مُضاض بن عمرو[1]

[إسماعيل تزوج ابنته]

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ . وكان جدُّه مضاضٌ قد تزوّج ابنتَه رَعْلة ، إسماعيل بنَ إبراهيم خليلِ الرحمن ، فولدت له اثني عَشَر رجلاً أكبرُهم قَيذارُ ونابت . وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمرهُ بذلك لأنّه لما بنى مكّة وأنزلها ابنَه قدِم عليه قَدمةً من قَدَماتِهِ ، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجَبَتْه لغتُهم واستحسَنَها ، فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوَّجَ إليهم ، فتزوّجَ بنتَ مضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم .

[حرب جرهم وقطوراء]

فأخبرنا محمد بن جرير ، قال : حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق . وأخبرني محمد بن جعفرٍ النحويّ قال : حدّثنا إسحاق بن أحمد الخزاعيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله الأزرقيّ قال : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساجٍ عن محمد ابن إسحاق . ورواية إسحاق بن أحمد أتمُّ . وقد جمعتها : أن نابتَ بن إسماعيلَ ولِيَ البيتَ بعد أبيه ثم تُوُفِّيَ ، فولِيَ مكانه جدُّه لأُمّه مُضاضُ بن عمرو الجرهميّ ، فضمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلت جُرهمٌ مع مَلِكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكّة ، ونزلَتْ قَطُوراء مع ملكهم السَّمَيْدع أجيادَ ، أسفلَ مكّة . وكان هذان البطنانِ خرجا سَيّارةً من اليمن ، وكذلك كانوا لا يَخرُجون إلاّ مع ملكٍ يُملِّكونه عليهم . فلمّا رأوا مَكّةَ رأَوْا بلداً طيِّباً ، وماءً وشجراً ، فنزلا ورضي كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازعه . فكان مُضاض يَعْشِرُ[2] من جاء مكّةَ من أعلاها ، وكان السَّميدع يَعشِرَ مَن جاءها مِن أسفلها ومن كَداء ، لا يدخُل أحدُهما على صاحبه في أمره . ثم إن جرهماً وقَطُوراءَ بَغى كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فتنافَسوا في المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم ؛ وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدع . فخرجَ مضاضٌ من بطنِ قُعَيقِعان مع كتيبتِهِ في سلاحٍ شاك يتقعقع . فيقال : ما سميت قعَيْقِعان إلاّ بذلك ، وخرج السّميدع من شِعب أجيادَ ، في الخيل الجيادِ والرجال . ويقال : ما سميت أجياداً إلاّ بذلك ، حتى التَقوا بفاضح ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السّميدع وفُضِحت قَطُوراء ، ويقال : ما سمِّي فاضحاً إلاّ

---

1 أخبار مضاض بن عمرو وجرهم في كتاب التيجان لوهب بن منبه ، وأخبار ابن عبيد ، وانظر مروج الذهب للمسعودي 2 : 50–55 وأعلام الزركلي .

2 يعشر : يأخذ عشر الأموال .

بذلك ، ثم تداعى القومُ إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعباً بأعلى مكّة ، وهو الذي يقال له الآن شِعب ابنِ عامر فاصطلحوا هناك ، وسلّموا الأمر إلى مضاض ؛ فلمّا اجتمع له أمرُ مكّة ، وصار مَلِكَها دونَ السَّميدع نَحَرَ للناس فطَبَخُوا هناك الجُزُر ، فأكلوا ، وسمّي ذلك الموضع المطابخ . فيقال : إنّ هذا أوّلُ بَغْيٍ بمكّة . فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب : [من الطويل]

نحــنُ قتلنــا سيِّدَ الحــيِّ عَنــوةً فأصبحَ منهـا وهـو حيرانُ مُوجَعُ

يعني أنّ الحيَّ أصبح حَيرانَ موجَعاً .

ومــا كان يَبغي أن يكونَ سَواؤنا بهــا مَلِكاً حتّــى أتانا السَّميدعُ[1]
فذاق وبــالاً حــين حاوَلَ مُلْكَنا وحــاول مِنّــا غُصَّــة تُتجرَّعُ[2]
ونحــنُ عمَرنــا البيتَ كُنّا وُلاتَه نُضارِب عنــه مَــنْ أتانا وندفعُ
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرُنا ولم يَــكُ حــيٌّ قبلنا ثَــمَّ يمنعُ
وكُنّا ملوكاً في الدهورِ التي مَضَتْ ورِثْنا مُلــوكاً لا تُــرام فتُوضَعُ

[استخفاف جرهم بالبيت]

قال عثمان بن ساج في خبره : وحدّثني بعضُ أهلِ العِلم أنّ سيلاً جاءَ فدخل للبيتَ فانهدم ، فأعادته جرهم على بناءِ إبراهيم ، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له أبو الجدرة واسمه عمر الجارود ، وسمّي بنوه الجَدَرة . قال : ثم استخفّتْ جرهمٌ بحقِّ البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً ، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ؛ وكان للبيت خِزانة ، وهي بئرٌ في بطنه ، يُلقى فيها الحَلْيُ والمتاع الذي يهدى له ، وهو يومئذٍ لا سَقْفَ عليه ؛ فتواعَدَ عليه خمسةٌ من جرهم أن يَسرِقُوا كلَّ ما فيه ، فقام على كلِّ زاوية من البيت رجلٌ منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفلَه ، وسقط منكّساً فهَلِكَ ، وفرّ الأربعة الآخرون .

قالوا : ودخل إسافٌ ونائلةُ البيتَ ففجَرا فيه ، فمسَخَهما الله حَجَرين ، فأُخرِجا من البيت . وقيل أنّه لم يَفْجُر بها في البيت . ولكنّه قبّلها في البيت .

وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزّناد ، أنّه إساف بن سهَيل ، وأنّها نائلة بنت عمرو بن ذئب . وقال غيره : إنّها نائلة بنت ذئب . فأُخرجا من الكعبة ، ونُصِبا ليعتَبِر بهما مَن رآهما ، ويزدجرَ النّاسُ عن مِثْلِ ما ارتكَبا ، فلمّا غَلَبَتْ خُزاعةُ على مكّة ونُسِيَ حديثُهما ، حوَّلهما عَمرُو بن لحي بن كلابٍ بعد ذلك ؛ فجعلهما تجاهَ الكعبة يُذبَحُ عندَهما عند موضعِ زمزم .

1 سواؤنا : سوانا .
2 وحاول في ل : وعالج .

قالوا : فلمّا كثر بغيُ جرهمٍ بمكّة قام فيهم مُضاض بن عمرٍو بنِ الحارث بن مضاض فقال : يا قوم احذَرُوا البغيَ ، فإنّه لا بقاء لأهله ، وقَدْ رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحَرَمِ ولَم يعظِّموه وتنازعوا بينَهم واختلفوا ، حتّى سلّطكم الله عليهم فاجتحتموهم[1] فتفرّقوا في البلاد ، فلا تستخفُّوا بحقِّ الحرمِ وحُرمةِ بيت الله ، ولا تظلموا مَنْ دخَله وجاءه معظِّماً لحُرماته ، أو خائفاً ، أو رغب في جواره ، فإنّكم إنْ فعلتم ذلكم تخوّفْتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍّ وصَغار ، حتّى لا يقدرَ أحدٌ منكم أن يصلَ إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حِرزٌ وأمْن ، والطَّيرُ تأمَن فيه .

فقال قائل منهم يقال له مجدع : ومن الذي يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العربِ وأكثَرَهم مالاً وسلاحاً ؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمرُ بَطَلَ ما تذكرون ؛ فقد رأيتم ما صَنَعَ الله بالعماليق ! قالوا : وقد كانت العماليق بَغَتْ في الحرم ، فسلَّطَ الله عَزَّ وجلّ عليهم الذَرّ فأخرجهم منه ، ثم رموا بالجَدْبِ ، وبعث الغيث أمامهم فجعلوا يطلبونه فلا يجدونه ويكون أمامهم أبداً فيطلبونه ويساقون من خلفِهم حتّى ردَّهم الله إلى مساقط رؤوسهم ، ثم أرسَل عليهم الطوفان ـ قال : والطوفان : الموت ـ قال : فلمّا رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهم عليه ، عَمَد إلى كنوز الكعبة ، وهي غَزالانِ من ذهبٍ ، وأسيافٌ قَلَعية[2] ، فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ، ودفنها . فبيناهمْ على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مأرِب ، ومعهم طريفة الكاهنة ، حين خافوا سَيلَ العِرم ، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان . فقالت لهم طرَيفة لّما قاربوا مكّة : «وحَقٌّ ما أقول ، وما علَّمني ما أقولُ إلاّ الحكيمُ المحكَّم ، ربُّ جميعِ الامَم من عَرَب وعَجَم» . قالوا لها : ما شأنُك يا طريفة ؟ قالت : «خُذُوا البعيرَ الشدقم[3] ، فخضبُوه بالدّم ، تكنْ لكم أرْضُ جُرهم ، جيرانِ بيتِه المحرَّم» . فلمّا انتهَوْا إلى مكّة وأهلِها أرسلَ إليهم عمرٌو ابنهُ ثعلبة ، فقال لهم : يا قوم ، إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزِلْ بلدةً إلاّ أفسحَ أهلُها لنا ، وتزحزحوا عَنّا ، فنقيم معهم حتّى نُرسِلَ رُوّاداً فيرتادوا لنا بلداً يَحمِلنا ، فافسَحُوا لنا في بلادكم حتّى نقيمَ قَدْرَ ما نستريح ، ونرسل رُوّادنا إلى الشّام وإلى الشرق ، فحيثُما بَلَغَنا أنّه أمْثَلُ لحِقنا به ، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيراً . فأبت ذلك جرهمٌ إباءً شديداً ، واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ؛ ما

---

1 ل : فأخرجتموهم .

2 القلعيّة : نسبة إلى مرج القَلَعة وهو موضع بالبادية ، وقيل بل هو بلد بالهند تنسب إليه السيوف الجياد .

3 الشدقم : الواسع الشدق .

نحبُّ أن تنزلوا معنا فتضيِّقوا علينا مَرابعنا[1] ومَواردنا ، فارحَلوا عنّا حيثُ أحببتم ، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم . فأرسلَ إليهم : إنّه لا بدّ من المقامِ بهذا البلدِ حولاً ، حتى ترجع إليَّ رسلي التي أرسلتُ ، فإن أنزلتموني طَوعاً نزلتُ وحمِدتُكم وآسَيتُكم[2] في الرِّعي والماء ، وإنْ أبيتم أقمتُ على كَرْهكم ثم لم تَرتَعوا معي إلاّ فَضْلاً ، ولم تشربوا إلاّ رَنْقاً[3] ، وإنْ قاتلتموني قاتلتكم ، ثمّ إنْ ظَهَرتُ عليكم سَبَيْتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك منكم أحداً يَنزل الحرمَ أبداً ؛ فأبَتْ جرهمٌ أن تُنزِلَه طَوعاً وتَعبَّتْ لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيّامٍ أُفرِغَ عليهم فيها الصبرُ ، ومُنِعوا النصر[4] ، ثم انهزمَتْ جُرهمٌ فلم يُفلِتْ منهم إلاّ الشَّريد . وكان مُضاض بن عمرو قد اعتزلَ حربَهم ولم يُعِنْهم في ذلك ، وقال : قد كنتُ أُحذِّركم هذا . ثم رَحَلَ هو وولدُه وأهلُ بيته حتّى نزلوا قَنَوْنى[5] وما حولَه ، فبقايا جُرهم به إلى اليوم ، وفَنِيَ الباقون ؛ أفناهم السيفُ في تلك الحروب .

قالوا : فلمّا حازت خزاعةُ أَمرَ مكّةَ وصاروا أهلَها ، جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جرهم وخُزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك . فسألوهم السُّكنى معهم وحَولَهم فأذِنُوا لهم ؛ فلمّا رأى ذلك مضاضُ بن عمرٍو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم ، أرسل إلى خزاعةَ يستأذنها ، ومَتَّ[6] إليهم برأيه وتوريعه[7] قومه عن القتال ، وسوء العشْرة في الحرم ، واعتزالِه الحرب ، فأبَتْ خزاعةُ أن يُقرُّوهم وَنَفَوْهم عن الحرم كلِّه ، وقال عمرو بن لحي لقومه : من وجدَ منكم جرهميّاً قد قاربَ الحَرَمَ فدمُه هَدَر ! فنزعَتْ إبلٌ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو ، مِنْ قَنَوْنى تريد مكّة ، فخرجَ في طلبها حتّى وجدَ أثرها قد دخلَتْ مكّة ، فمضى على الجبال نحوَ أجياد ، حتّى ظهَرَ على أبي قُبَيس[8] يتبصّر الإبل في بطن وادي مكّة ، فأبصر الإبلَ تُنحَرُ وتؤكل ولا سبيلَ له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يُقْتَل ، فولّى منصرِفاً إلى أهلِه وأنشأ يقول : [من الطويل]

كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمُرْ بمَكّـةَ سامـرُ

1 المرابع : جمع مربع ، وهو مكان الإقامة في الربيع .
2 آساه : ساواه .
3 رنق : كدر .
4 منعوا النصر : لم ينتصر أحد الطرفين على الآخر .
5 قنونى : من أودية السراة .
6 مت : توسل .
7 ورّعه : كفّه .
8 ظهر على أبي قبيس : علاه . وأبو قبيس : جبل بمكّة .

ولم يَتربَّعْ واسِطاً فَجُنوبَه … إلى المنحَنى من ذي الأَراكة حاضرُ[1]
بَلى نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا … صروفُ اللّيالي والجدود العواثرُ
وأبدَلَنا ربّي بها دارَ غُربةٍ … بها الذئبُ يعوي والعدوُّ المخامرُ[2]
أقولُ إذا نام الخلي ولم أَنم … أذا العرشِ لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامرُ
قدْ ابدِلتُ منهم أوجُهاً لا أريدُها … وحِمْيَرُ قد بُدّلتُها واليُحابِرُ[3]
فإن تَمِلِ الدُّنيا علينا بكلّها … ويُصبِحُ شرٌّ بيننا وتشاجُرُ[4]
فنحنُ ولاةُ البيتِ مِن بَعد نابتٍ … نُمشّي بِهِ والخيرُ إذْ ذاكَ ظاهِرُ
وأَنكحَ جدّي خَيْرَ شخصٍ علمتَهُ … فأبناؤه مِنّا ونحنُ الأصاهرُ[5]
وأخرجَنا منها المليكُ بقدرةٍ … كذلك ياللنّاسِ تجري المقادِرُ
فصرنا أحاديثاً وكُنّا بغبطةٍ … كذلك عَضَّتنا السّنونَ الغوابرُ
وَسَحّتْ دموعُ العين تَبكِي لبلدةٍ … بِها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المشاعِرُ
ويا ليتَ شعري مَنْ بأجيادَ بعدَنا … أَقامَ بمُفْضى سَيلِه والظّواهِرُ
فبطنُ مِنًى أمسى كأنْ لم يكنْ بِهِ … مُضاضٌ ومن حَيَّيْ عديٍّ عمائِرُ[6]
فهل فَرَجٌ آتٍ بشَيْءٍ نُحِبُّه … وهل جَزَعٌ مُنْجيكَ مِمّا تحاذِرُ

قالوا : وقال أيضاً : [من البسيط]

يا أيُّها الحيُّ سِيرُوا إنّ قَصْرَكُم … أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا[7]
إنّا كما أنتمُ كُنّا فغَيَّرَنا … دهرٌ بصَرفٍ كما صِرنا تصيرونا[8]
أزجُوا المطيَّ وأرخُوا من أزِمَّتها … قَبْلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقضُّونا
قد مال دهرٌ علينا ثمَّ أهلَكَنا … بالبَغْي فيه فقد صِرنا أفانينا

1 واسط وذو الأراكة : موضعان .
2 المخامر في ل : المحاصر . والمخامر : المستتر .
3 اليحابر : أبو قبيلة .
4 كلّها : ثقلها ، وفي رواية : بكلكل .
5 الأصاهر في ل : الأياصر .
6 العمائر : جمع عمارة ، وهي أصغر من القبيلة وأكبر من البطن .
7 قصركم : قصاراكم ، أي نهايتكم .
8 الصرف : واحد صروف الدهر ، وهي نوائبه .

كنّا زماناً ملـوكَ الناسِ قَبلكُـم نأوي بلاداً حرامـاً كان مسكونا

قال الأرزقيّ : فحدّثني محمد بن يحيى قال : حدّثني عبد العزيز بن عمران قال : وخرج أبو سلمة بن عبد الأسدِ المخزوميّ قُبيل الإسلام في نفرٍ من قريش يريدون اليمنَ ، فأصابهم عطشٌ شديد ببعضِ الطريق ، وأمسَوْا على غيرِ الطريق ، فتشاوروا جميعاً ، فقال لهم أبو سلمة : إنّي أرى ناقتي تُنازعني شِقّاً[1] ؛ أفلا أرسِلُها وأتبعها ؟ قالوا : فافعَلْ . فأرسل ناقته وتبعها فأضحَوْا على ماءٍ وحاضِرٍ[2] ، فاستقوا وسَقَوا ؛ فإنّهم لَعَلى ذلك إذْ أقبلَ إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : من قريش . فرجَع إلى شجرةٍ أمام الماء فتكلَّمَ عندها بشيء ثم رجع إلينا ، فقال : أينطلق معي أحدُكم إلى رجل نَدْعوه . قال أبو سلمة : فانطلقتُ معه فوقَفَ بي تحتَ شجرةٍ ، فإذا وكر معلّقٌ فصوَّتَ : يا أبتِ ! فزعزع[3] شَيخٌ رأسَه ، فأجابه فقال : هذا الرجل . فقال لي : مِمّن الرجل ؟ قلت : من قريش . قال : من أيّها ؟ قلت : من بني مخزومٍ بن يَقَظة . قال : مِن أيِّهم ؟ قلت : أنا أبو سلمة بن عبدِ الأسد بنِ عبدِ الله بنِ عمرو بن مخزومٍ بن يقظة . قال : أيهات منك ! أنا ويَقَظةُ سِنٌّ[4] ، أتدري من يقول : [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يسمُـر بمكّـةَ سامـرُ
بَـلى نحـنُ كنّـا أهلَهـا فأبادَنـا صُروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

قلت : لا . قال : أنا قائلها ، أنا عمرو بن الحارث بنِ مضاض الجرهميّ . أتدرِي لِمَ سُمِّي أجيادُ أجياداً ؟ قلت : لا . قال : جادت بالدِّماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء ؛ أتدري لِمَ سُمِّي قُعَيْقِعانُ ؟ قلت : لا . قال : لتقعقُع السلاحِ على ظهورِنا لّما طلعنا عليهم منه .

وأخبرني بهذا الخبر الحِرْميُّ بن أبي العلاء ؛ قال حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدّثني إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ ؛ قال : حدَّثنا عبد العزيز بن عمران ؛ قال حدَّثني راشد بن حفصِ بنِ عمر بنِ عبدِ عوف ، قال : قال أبو سلمة بن عوف : وخرجت في نفرٍ من قريشٍ يُريدون اليمن . وذكر الخبرَ مثلَ حديثِ الأزرقيّ . والله أعلم .

[تغريب ربيعة بن أميّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا غسان بن عبد العزيزِ بن عبد الحميد أنّ ربيعة بن أُميّة بنِ خَلَفٍ كان قد أدْمَنَ الشرابَ ،

1 شق : جانب .
2 الحاضر : القوم المقيمون على الماء .
3 زعزع : حرّك .
4 أي في سن واحدة .

وشرب في شهر رمضان ، فضربَه عمرُ رضي الله عنه وغَرَّبه إلى ذِي المروةِ ، فلم يزل بها حتّى تُوُفِّي واستخلِف عثمانُ رضي الله عنه ؛ فقيل له : قد توفّي عمرُ واستخلِف عثمانُ فلو دَخلتَ المدينة ما ردَّك أحد . قال : لا والله لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غَرَّبه رجلٌ من بني عديّ بنِ كعبٍ . فلحِق بالرُّوم وتنصَّرَ ، فكان قيصرُ يَحْبُوه ويُكرِمه ، فأُعقَبَ بها .

قال غسان : حدَّثني أبي قال : قدِم رسولُ يزيد بن معاوية على معاوية من بلادِ الرّومِ ؛ فقال له معاوية : هل كان للناسِ خبر ؟ قال : بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سمِعنا رجلاً فصيحَ اللسانِ مُشرِفاً من بين شُرفتينِ من شُرَفِ الحِصن ، وهو يُنشد : [من الطويل]

كأنْ لَم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَم يسمُر بمكّـةَ سامِـرُ

فقال معاوية : ويحكَ ، ذاك الربيعُ بن أُميّة يتغنّى بشعرِ عمرِو بن الحارث بن مُضاضٍ الجرهميّ .

[ابن جامع يغني بشعر مضاض]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال ؛ حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : قال لي أبي : مُرْ بالدوابِّ تُسرَجْ سحراً حتّى نَغْدو إلى ابن جامعٍ نستقبلُه بالياسِريةِ[1] بِسُحرةٍ لا تأخذْنا الشَّمس . قال : فأمرت بذلك . وركبنا في السحَر فأصبَحْنا دون الياسرية ، وقد طلعَتْ علينا الشَّمس . قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضِبٌ وعلى رأسِه ولحيته خِرَقُ الخضابِ ، وإذا بِقدْرٍ تُطبخ في الشَّمس ؛ فلمّا نظَرَ إلينا رحَّبَ بنا ، وقام إلينا فسلَّم علينا ، ثم دعا بالماء فَغسَل رأسه ولحيتَه ، ثم دعا بالغَداء فأُتِـيَ بَغدائه ، فغَرفَ لنا من تلك القِدْرِ التي في الشمس ؛ فتقزَّزْت وبَشِعتُ[2] من ذلك الطعامِ الذي طُبخ ، فأشار إليَّ أبي : بأنْ كُلْ . فأكلْنا حتّى فَرَغْنا من غَدائنا ، فلمّا غَسلْنا أيديَنا نادى ابنُ جامع : يا غلام هاتِ شرابنا ! فأُتي بنبيذٍ في زُكْرةٍ[3] قد كانت الزُّكرة في الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إليّ أبي ، أنْ لا تمتنعْ ؛ ثم أَتَوا بقَدَح جَيشانيٍّ[4] مِلءِ الكفِّ ، فصُبَّ النبيذُ فيه وهو يُشبه ماءً قد أُغلِيَ بالنار ، ثم غَنَّى ابنُ جامع فقال : [من الطويل]

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَمْ يسمُرْ بمكّـة سامِـرُ

1 الياسرية : قرية على نهر عيسى قريبة من بغداد . والسحرة : وقت السحر .

2 ل : فتقدمت وكشفت .

3 الزكرة : زق صغير للخمر .

4 جيشاني : نسبة إلى جيشان ، وهو مخلاف باليمن .

بَــلى نحــنُ كنّا أَهلَهــا فأزالَنــا صُروفُ الليــالي والجُدودُ العواثرُ

ثم غنّى ، للعرجيّ : [من البسيط]

صوت

لــو أنَّ سلمى رأتْنا لا يَـراعَ لنا لَما هَبَطْنا جميعاً أَبْطُـن السوقِ[1]

وكَشْرَنا وكُبــولُ القَــينِ تنكؤنا كالأُسدِ تَكشِرُ عن أنيابِها الرُّوقِ[2]

ثم تغنّى : [من الوافر]

صوت

أجــرَّرُ في الجوامع كُلَّ يــومٍ فيــا للهِ مَظْلِمَتــي وصَبْرِي

ثم أمر بالرَّحيل . وقد غنّى هذه الثلاثة الأصوات . فقال لي أبي : يا بنيّ بشِعتَ لِما رأيتَ من طعامِ ابنِ جامع وشرابِه ، فعليَّ عِتقُ ما أَملِك إنْ لَم يكن شُربُ الدَمِ مع هذا طيِّباً . ثم قال : أسمِعتَ بنيَّ غِناءً قطُّ أَحسَن من هذا ؟ فقلت : لا واللهِ ما سمعتُ . قال : ثمّ خرج ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرشيدِ ليلاً ، واجتمع المغنّون على الباب ، وخرجَ الرسولُ إليهم فأذِنَ لهم ؛ والرشيدُ خلف السِّتارةِ ، فَغَنَّوْا إلى السَّحَر ؛ فأعطاهم ألفَ دينارٍ إلاّ ابنَ جامع فلم يعطِهِ شيئاً ، وانصرفوا متوجعين له ، وعَرَضُوا عليه جميعاً فلم يقبل ؛ وانصرفوا ، فلمّا كان في الليلة الثانية دُعُوا فغَنَّوا ساعةً ، ثم كُشِفت الستارة ، وغنّى ابن جامعٌ صوتاً عَرَّض فيه بحالِهِ وهو : [من الطويل]

صوت

تقولُ أَقِــمْ فينا فقيراً ومــا الذي تَـرى فيــه ليــلى أن أُقيمَ فقيرا

ذَرِيني أمُتْ يا ليل أو أكسِبَ الغنى فإنّــي أُرى غَيرَ الغنــيِّ حقيرا

يُدَفَّــع في النادي ويُرفَض قولــه وإن كان بــالرأي السَّديدِ جديرا

ويُلزَمُ مــا يَجني سواه وإن يُطِفْ بذنبٍ يكــن منــه الصغيرُ كبيرا

قالوا : فأعجَبَ الرّشيدَ ذلك الشعرُ واللحنُ فيه ، وأمال رأسَه نحوه كالمستدعي له . وغنّاه أيضاً : [من الطويل]

---

1 اليراع : الضعاف من الغنم وغيرها .

2 الكشر : بدو الأسنان في الفحل وغيره ، وكشر السبع عن نابه إذا هرّ الحراش وكشر فلان لفلان إذا تنمّر له وأوعده . والكبول : القيود . والقين : الحداد . وتنكؤنا : تجرحنا . والروق : جمع أروق وهو الذي طالت أسنانه العليا على السفلى .

صوت[1]

لئن مِصرُ فاتَتْني بما كنتُ أرتجي وأخلَفَني منهـا الذي كنتُ آمُلُ[2]
فما كلُّ مـا يَخشى الفتى نازِلٌ بِهِ ولا كُلُّ مـا يرجو الفتى هو نائلُ
ووالله مـا فرّطت في وجـهِ حِيلةٍ ولكنَّ مـا قـد قَـدَّر اللهُ نازلُ
وقد يَسْلَم الإنسانُ من حيث يتَّقي ويُؤتى الفتى مِن أمنِـهِ وهو غافِلُ

ثم أُمروا بالانصراف فانصرفوا ، فلمّا بلغوا السِّتْرَ صاح به الخادم : يا قرشيُّ مكانَك . فوقَف مكانَه فخرج إليه بخِلَع وسبعةِ آلاف دينار ، وأُمِرَ إنْ شاء أن يقيم ، وإنْ شاء أن ينصرف .

[جرهمية تغنّي بشعر مضاض]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال : ذكر الكلبيّ عن أبيه : أنّ الناس بينا همُ في ليلةٍ مُقْمِرَةٍ في المسجد الحرام ، إذْ بصرُوا بشخصٍ قد أقبلَ كأنَّ قامتَه رُمح ؛ فهَرَبوا من بين يديه وهابوه ؛ فأقبل حتى طاف بالبيت الحرامِ سبعاً ثم وقف فتمثَّل : [من الطويل]

كأنْ لَم يكُنْ بين الحَجون إلى الصَّفا أنيسٌ ولَـم يسمُرْ بمكَّـةَ سامِـرُ

قال : فأتاه رجلٌ من أهل مكّة ؛ فوقف بعيداً منه ثم قال : سألتُك بالذي خَلقكَ أجِنّيٌّ أنتَ أم إنسيّ ؟ فقال : بل إنسيّ ، أنا امرأةٌ من جُرهمٍ ، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها ، فأزالَنا عنها هـذا الزّمـانُ الذي يُبلِي كُلَّ جديد ويغيِّره ! ثم انصرفَتْ خارجةً عن المسجدِ حتّى غابت عنهـم ، ورَجعوا إلى مواضعهم .

أَخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أَبي عن جدّي قال : قال لي يحيى بن خالدٍ يوماً : أُخبِرك برؤيا رأيتها ؟ قلت : خيراً رأيتَ . قال : رأيتُ كأنّي خرجتُ من داري راكِباً ، ثم التفتُّ يميناً وشِمالاً فلَم أرَ معي أحداً ، حتّى صرت إلى الجسر ، فإذا بصائح يَصيح من ذلك الجانب : [من الطويل]

كأنْ لَم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا أَنيسٌ ولَـم يسمُرْ بمَكَّـةَ سامِـرُ

فأجبتُه بقوله : [من الطويل]

بـلى نحـنُ كنّا أهلَهـا فأبادَنا صُروفُ اللَّيـالي والجدودُ العواثرُ

فانصرفتُ إلى الرشيد فغنَّيتُه الصوتَ ، وخبّرتُه الخبر ، فعجِبَ منه . وما مضَت الأيّام حتّى أوقعَ بهم .

1 الأبيات لأبي دهمان الغلابي كما جاء في البيان والتبيين 2 : 291 .

2 فاتتني في ل : عنتني .

صوت[1]

[من الخفيف]

شاقَنــي الزائراتُ قَصْرَ نُفَيْسٍ مُثْقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ
يتربَّعْنَــــه الربيــعَ ويَنْزِلْـــ ـنَ إذا صِفْنَ منزلَ الماجِشونِ

يتربَّعْنَـه : يَنْزِلْنَـه في أيّـام الربيع . يقال لمنزِل القومِ في أيّام الرّبيع : مُتَربَّعهم . قال الشاعر : [من الطويل]

أَمِن آلِ ليلى بالمَــلا متربَّــعُ كما لاحَ وشمٌ في الذِّراعِ مُرجَّعُ[2]

[ألقاب سُكينة]

والماجِشونُ : رجلٌ من أَهل المدينة يُروى عنه الحديث . والماجِشونُ لَقَبٌ لقَّبته به سُكينةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وهو اسمُ لونٍ من الصِّبغ أصفَرَ تخالطُه حمرة ؛ وكذلك كان لونَه . ويقال : إنّها ما لَقَّبَتْ أحداً قطُّ بلقبٍ إلاّ لُصِقَ به .

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أَحمد بن زهير قال : حدَّثنا مصعبٌ الزُّبيريُّ ، قال : حدَّثني ابن الماجشون ، قال : نظَرْت سُكينَةُ إلى أبي ، فقالت : كأَنَّ هذا الرجلُ الماجشونُ ، وهو صِبغٌ أصفرُ تخالطه حُمرة ، فلُقِّب بذلك .

قال عبد العزيز : ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه وكانت فيه غِلْظة ، فقالت : هذا الرجل في قريشٍ كالشِّيرَجِ في الأدهان ! فكان ذلك الرجلُ يسمَّى : فلانُ شِيرَجٍ حتّى مات .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لإبراهيم الموصِليّ . خفيف رمل مطلق في مجرى البِنصر ، وفيه لبصبص جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ التي قِيل هذا الشعر فيها : رمل . وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيلَ أوّل بالوسطى .

---

1 لم نعثر على البيتين في ديوانه .

2 مرجع : وشم مرة بعد مرة .

[278] ـ ذكر أخبار بَصْبَص جاريةِ ابن نُفَيسٍ[1] وأخبارها

كانت بصبصُ هذه جاريةً مولَّدة من مولَّدات المدينة ، حُلوَة الوجهِ ، حَسَنة الغِناء ، قد أَخذَتْ عن الطبقةِ الأولى من المغنِّين ، وكان يحيى بن نُفَيْسٍ مولاها ، وقيل نفيس بن محمدٍ ، والأوّل أصحّ ، صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأشراف ، ويسمعون غناءَ جواريهِ ، وله في ذلك قصصٌ نذكرها بعد ، وكانت بصبصُ هذه أَنفَسَهنَّ وأشدَّهنّ تقدّماً .

[والدة علية بنت المهدي]

وذكر ابن خُرداذبه : أنَّ المهديَّ اشتراها وهو وليُّ العهد سِرّاً من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار ، فولدت منه عُلَيّةَ بنتَ المهديّ .

وذكر غيرُه أنّ ابن خُرداذبه غَلِط في هذا ، وأنّ الذي صَحَّ أنّ المهديَّ اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرَها ، وولدت عُلَيّة .

وذكر هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ : أن ابن القداح حدّثه قال : كانت مكنونة جاريةُ المروانيّةِ ، وليست من آل مروان بن الحكم ؛ وهي زوجةُ الحسين بن عبد الله بن العبّاس ، أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسحاء[2] ، وكان بعضُ مَن يُمازِحها يعبَثُ بها ، ويصيح : طَسْت طست ! وكانت حسنةَ الصَّدرِ والبطنِ ، وكانت تُوضِح بهما[3] ، وتقول : ولكن هذا ! فاشتريت للمهديّ في حياة أبيه بمائة ألفِ درهمٍ فغلبَتْ عليه ، حتّى كانت الخيزرانُ تقول : ما ملك أَمَةً أغلَظ عليّ منها . واستتر أمرُها على المنصور حتّى مات . وولدت من المهديّ عُلَيَّةَ بنت المهديّ .

والذي قال ابنُ خُرْداذبه غير مردودٍ إذا كان هذا صحيحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بنِ إسحاق عن أبيه عن غُرَيرِ بنِ طلحة قال : اتَّعَدَ[4] محمد بن يحيى بن زيدِ بن عليّ بنِ الحسين ، وعبد الله بن يحيى بنِ عَبّادِ بن عبدِ الله بن الزُّبير ،

---

1 ضبط في معجم البلدان «نفيس» بفتح فكسر ، 5 : 297 .

2 رسحاء : ضئيلة العجز والفخذين .

3 توضح : تتباهى .

4 اتعد : تواعد .

وعبد الله بن مصعب الزُّبيريّ ، وأبو بكر بن محمدِ بنِ عثمان الربعيّ ، ويحيى[1] بن عقبة ، أن يأتوا بَصْبَص جاريةَ ابنِ نُفَيس ، فعجِلَ محمد بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليَخرُجَ إلى الكوفةِ ، فقال عبد الله بن مصعب : [من السريع]

أرائــحٌ أنــتَ أبــا جَعفَــرٍ ... من قبلِ أن تَسمع مِنْ بَصْبَصا
هيهــاتَ أن تَسمع منهــا إذا ... جاوَزَت العِيسُ بِكَ الأعوصا[2]
فخُــذْ عليهــا مجلسَيْ لــذّةٍ ... ومجلساً مِنْ قَبــلِ أن تَشْخَصا
أحلِــفُ بالله يمينــاً ومَــنْ ... يحلــفُ بالله فقــد أخْلَصا
لــو أنَّها تدعُــو إلى بَيْعَــة ... بايعتُهــا ثــمّ شققــتُ العصا

قال : وفيها غِناء لبصبص . قال : فاشتراها سابق أبو غسّان مولى منيرة للمهديٍّ بسبعة عشر ألفَ دينار .

قال حمّاد : وحدَّثني أبي عن الزُّبير أنّ عبد الله بن مصعبٍ خاطب بهذا الشعرِ أبا جعفرٍ المنصورَ لّما حجّ فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحجّ ، لا أبا جعفر محمد بن يحيى بنِ زيد .

أخبرني إسماعيل بن يونُس الشِّيعيّ إجازة قال : حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدَّثني محمد بن سلامٍ قال : حدَّثني موسى بن مِهْران قال : كانت بالمدينة قَينةٌ لآلِ نُفَيسِ بن محمدٍ يقال لها بَصْبَص ، وكان مولاها صاحبَ قصرِ نُفَيسٍ الذي يقول فيه الشاعر : [من الخفيف]

شاقَني الزائــراتُ قَصْرَ نُفيسٍ ... مُثقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ

قال : وكان عبد اللهِ بنِ مصعَب بن ثابت بنِ عبد الله بن الزُّبير يأتيها ، فيسمعُ منها ، وكان يأتيها فِتْيانٌ من قريشٍ فيسْمَعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قدِم المنصور منصرفاً من الحجّ ومرَّ بالمدينةِ يذكر بصبص : [من السريع]

أراحِــلٌ أنــتَ أبــا جعفــرٍ ... مِن قبلِ أن تَسمع مِن بصبصا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفرٍ ، فغضب فدعا بهِ ؛ فقال : أما إنّكم يا آلَ الزُّبيرِ قديماً ما قادتكم النساء ، وشَقَقتم مَعَهنَّ العصا ، حتّى صرتَ أنتَ آخرَ الحمقى تُبايع المغنِّياتِ ، فدونَكم يا آل الزُّبيرِ هذا المرتَعَ الوخيم .

قال : ثمّ بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنَّ عبد الله بن مصعبٍ قد اصطَبح مع بصبصَ وهي تغنّيه بشعره : [من السريع]

1 ل : يعلى .
2 الأعوص : موضع قرب المدينة .

صوت

إذا تمـــزَّزتُ صُراحِيّـــةً كمثلِ ريح المسكِ أو أطيبُ[1]
ثـــم تَغَنَّـــى لِـــي بأهزاجِهِ زيـدٌ أخو الأنصار أو أشعَبُ
حسِبتُ أنِّـــي مالـكٌ جالسٌ حَفَّتْ بـهِ الأملاك والموكِبُ
فـــلا أُبالِـــي وإلـــهِ الـــوَرى أشرَّقَ العالَـــمُ أم غَرَّبـــوا

الغناء لزيدٍ الأنصاريّ ، هزجٌ مطلقٌ في مَجرى الوسطى عن الهشاميّ وغيره ، وذكر غيرُه أنّه لأشعَبَ . فقال أبو جعفر : العالَمُ لا يبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت .

[المنصور يجيز الحادي درهماً]

ثم قال أبو جعفرٍ : ولكنّ الذي يعجبني أن يَحدُوَ بي الحادِي الليلةَ بشعرِ طريفٍ العنبريِّ ، فهو آلَفُ في سمعي من غناء بَصبصَ ، وأحرى أن يختاره أهلُ العقلِ . قال : فدعا فلاناً الحادِيَ ، قد ذكره وسقط اسمه ، وكان إذا حدا وضَعت الإبل رؤوسها[2] لصوتِه وإنقادَت انقياداً عجيباً ، فسأله المنصورُ : ما بلغَ من حُسن حُدائه ؟ قال : تُعطَّش الإبلُ ثلاثاً أو قال خمساً وتُدنى من الماء ، ثمّ أحدو فتتبْع كلُّها صوتي ، ولا تقرَب الماء . فحُفِظَ الشعرُ ، وكان : [من الكامل]

إنّي وإن كان ابن عمّي كاشحاً لَمُزاحِـمٌ مِن دُونِـهِ ووَرائِهِ[3]
ومُمِدُّهُ نصري وإنْ كان امـرءاً متزحزِحـاً في أرضِهِ وسمائِهِ[4]
وأكونُ مـأوى سِرّه وأصونُه حتّى يَحِـقَّ عليّ يـومُ أدائِهِ
وإذا أتى مـن غَيبِـهِ بطَريفةٍ لَم أُطَّلِـعْ مـاذا وراءَ خِبائِهِ
وإذا تَحيَّفتِ الحـوادثُ مالَـه قُرِنَتْ صحيحتُنـا إلى جَربائِهِ
وإذا تَرَيَّشَ في غِنـاه وفَرتُـه وإذا تَصعلَكَ كنتُ من قرنائِهِ
وإذا غدا يومـاً ليركب مَركَباً صَعباً قعدتُ له على سِيسائِهِ[5]

فلمّا كان الليلُ حدا به الحادِي بهذه الأبيات ، فقال : هذا واللهِ أحَثُّ على المروءة وأشبه بأهلِ الأدَبِ من غِناءِ بَصبص . قال : فحدا به ليلته أجمع ، فلمّا أصبح قال : يا ربيعُ أعطِه

---

1 الصراحية : الخمر الخالصة .
2 وضعت رؤوسها : خفضتها .
3 كاشح : مضمر العداوة .
4 متزحزح : بعيد .
5 السيساء : الظهر .

درهماً . فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ حدوتُ بهشامِ بنِ عبدِ الملك ، فأمَرَ لِي بعشرين ألف درهمٍ وتأمر أنت بدرهمٍ ! قال : إنّا لله ! ذكرتَ ما لم يجب أن تذكره ؛ ووصفتَ أنّ رجلاً ظالماً أخذ مالَ اللهِ من غير حِلّه ؛ وأنفقَهُ في غير حقّهِ ؛ يا ربيع اشدُد يديكَ به حتّى يردّ المال . فبكى الحادي ، وقال : يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السِّنون ، وقُضِيت به الديون ، وتمزّقته النَّفقاتُ ؛ ولا والذي أكرمَكَ بالخلافةِ ما بَقِيَ عندي منه شيء . فلَم يزلْ أهله وخاصّته يسألونه حتّى كفَّ عنه ، وشرَطَ عليه أن يحدوَ به ذاهِباً وراجعاً ، ولا يأخُذَ منه شيئاً .

[رهان بصبص على مزبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : حدَّثني القاسم بن زيدٍ المدينيّ قال : اجتمع ذاتَ يوم عند بصبصَ جارية ابنِ نُفَيسٍ عبد الله بن مصعب الزُّبيريّ ومحمد بن عيسى الجَعفريّ ، في أشراف من أهل المدينة ، فتذاكَروا مُزَبِّداً المدينيَّ صاحبَ النوادر وبُخْلَه ، فقالت بصبصُ : أنا آخذُ لكم منه درهماً . فقال لها مولاها : أنت حُرّةٌ لئن فعلتِ إنْ لم أشترِ لك مخنقة[1] بمائة دينارٍ وإنْ لَم أشترِ لك ثوبَ وشيٍ بما شئتِ ؛ وأجعَلْ لكِ مجلِساً بالعقيقِ أنْحَرُ لك فيهِ بَدَنة[2] لم تُقْتَبْ[3] ولَم تُركَب . فقالت : جِيءْ به وارفَعْ عنّي الغَيرة . فقال : أنتِ حُرّة أنْ لو رَفَع برجلَيْكِ لأعنتُهُ على ذلك . فقال عبد الله بن مصعبٍ : فصلَّيت الغداةَ في مَسجدِ المدينةِ ، فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاقَ ، أما تحبُّ أن ترى بَصبصَ جارية ابنِ نُفَيس ؟ فقال : امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليَّ فيها ، وإن لَم أكُنْ أسألُه أن يُرِينِيها منذُ سنة فما يَفعل . فقلت له : اليومَ إذا صلّيتَ العصر فَوافِنِي ههنا . قال : امرأته طالقٌ إن بَرِحْت من ههنا حتّى تجيءَ صلاةُ العصر . قال : فتصرَّفتُ في حوائجي حتّى كانت العصر ، ودخلْتُ المسجد فوجدتُه فيه ، فأخذتُ بيده وأتيتُهم به ، فأكلوا وشرِبوا ، وتساكَرَ القومُ وتناوَموا ، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبِّدٍ ، فقالت : أبا إسحاق ، كأنَّ في نفسك تشتهي أن أغنّيكَ الساعة : [من مجزوء الوافر]

لقـد حَثُّوا الجِمال لِيَهْـ ـرَبُوا منّـا فلَم يَئِلوا

فقال : زوجتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في اللَّوح المحفوظ ! قال : فغنّتْه ساعةً ثم مكَثَتْ ساعةً فقالت : أبا إسحاق كأنَّ في نفسِكِ تَشتَهِي أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبي فتقرُصَني قَرَصاتٍ ، وأُغنّيك : [من البسيط]

---

1 مخنقة : قلادة .

2 البدنة : الواحدة من الإبل والبقر .

3 الأقتاب : وضع القتب على البعير ، وهو الرحل .

قالتْ وأبثثتها وجدي فبُحْتُ بِهِ   قد كنتَ قِدَماً تحبُّ السَّترَ فاستترِ
ألستَ تُبصِرُ مَن حَولي فقلتُ لها   غَطِّى هواكِ وما أُلقى على بصري

فقال : امرأته طالق إن لَم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسِب الأَنفُس غداً ، وبأيِّ أرضٍ تموت ! فغنَّته ثم قالت : بَرِحَ الخفاءُ[1] ، أنا أعلم أنَّك تشتهي أن تقبِّلني شَقَّ التِّين وأغنِّيَكَ هَزَجاً : [من الهزج]

أنــا أبصرتُ بالليــلِ   غُلامــاً حَسَنَ الدَّلِّ
كغصن البان قد أصـ   ـبَحَ مسقِيّاً من الطلِّ

لم يُذكَر صانعُه ، وهو هَزَجٌ على ما ذكر .

فقال : أنتِ نبيّةٌ مُرسَلة ! فقبّلها فغنّته ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيتَ أَسْقَطَ مِن هؤلاء ! يَدْعُونَكَ ويُخرِجونني إليك ولا يشترون رَيحاناً بدرهم ، أي أبا إسحاق ؛ هلُمَّ درهماً نشتري به ريحاناً ! فوثَبَ وصاح : واحَرَباه ، أيْ زانيةُ ، أخطأتِ استُكِ الحُفرة[2] ، انقَطَعَ والله عنك الوحي الذي كان يُوحى إليك ! وعَطعط القوم بها ، وعَلِموا أنَّ حيلتها لم تَنفُذْ عليه ، ثمّ خَرَجوا فلَم يَعُدْ إليها ، وعاودَ القومُ مجلسَهم ، فكان أكثرَ شغلِهم فيه حديثُ مزبِّدٍ معها والضَّحِكِ منه .

[غزل ابن أبي الزوائد في بصبص]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملكِ الزيّات : أنشدني الزُّبير بن بكّار ، قال : أنشدني غُرَير بن طَلحة لابن أبي الزوائد ، وهو ابن ذي الزوائد ، في بصبص : [من السريع]

بَصْبَصُ أنتِ الشمسُ مُزدانــةً   فــإنْ تبذَّلــتِ فأنــتِ الهلالْ
سُبحانَكَ اللَّهــمَّ مــا هكــذا   فيما مضى كان يكونُ الجَمالْ
إذا دَعَــتْ بالعُــود في مَشهدٍ   وعاونَتْ يُمنى يَدَيهــا الشِّمالْ
غنَّــتْ غنــاءً يستفزُّ الفَتــى   حِذقاً وزان الحِذقَ منها الدَّلالْ

قال هارون : قال الزُّبير : وأنشدَني غُرَير أيضاً لنفسه يهجو مولاها : [من البسيط]

يا ويحَ بصبصَ من يَحيى لقد رُزِقَتْ   وجهاً قبيحاً وأنفاً من جَعاميسِ[3]

---

1 المثل «برح الخفاء» في مجمع الميداني 1 : 95 وجمهرة العسكري 1 : 27 و205 ومستقصى الزمخشري 2 : 7 وفصل المقال : 61 .

2 المثل «أخطأت استه الحفرة» في مجمع الميداني 1 : 245 .

3 الجعاميس : جمع جعموس ، وهو الرجيع .

يمُجُّ من فيهِ في فيها إذا هجعَت ريقـاً خبيثاً كأرواح الكرابيسِ[1]

[هوى محمد بن عيسى بها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني عمِّي قال : هَوِيَ محمدُ بن عيسى الجعفريُّ بصبصَ جارية ابنِ نُفَيس ، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شَغَلَتْني هذه عن صَنعتي وكلِّ أمري ، وقد وجدتُ مَسَّ السُلُوِّ فاذهبْ بنا حتّى أُكاشفَها بذلك فأستريح . فأتياها فلمّا غنَّتْ لهما قال لها محمد بن عيسى : أتغنِّين : [من الوافر]

وكنتُ أُحِبُّكم فسلوتُ عنكم عليكُــمُ في دیارِكُـم السَّلامُ

فقالت : لا ولكنّي أُغنِّي : [من الوافر]

تحمَّـلَ أهلُهـا عنهـا فبانـوا عَلى آثارِ مَـن ذهَـبَ العفاءُ[2]

فاستحيا وازدادَ بها كلَفاً ، ولها عِشْقاً ، فأطرَقَ ساعةً ثم قال : أتغنِّين : [من الطويل]

وأخضَعُ بالعُتبى إذا كنتُ مذْنِباً وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

قالت : نعم وأُغنِّي أحسَنَ منه : [من الطويل]

فإن تُقْبِلوا بـالوُدِّ نقبلْ بمثلِهِ ونُنْزِلْكـم منّـا بأقـربِ مَنزِلِ

قال : فتقاطَعا في بيتين ، وتواصَلا في بيتين . وفي هذه الأبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمد قريضٍ ، وذُكاءُ ، وغيرهما ممّن شاهدنا من الحُذَّاق يغنُّونَه في الابتداءين لحنينِ من الثقيل الأوّل ، وفي الجوابَينِ لحنَين من خفيف الثقيل ، ولا أُعرف صانِعَهما .

[طرب أبي السائب لغنائها]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني هارون بن محمد بنِ عبدِ الملك قال : حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ عن مُصعبٍ قال[3] : حضَر أبو السائبِ المخزوميّ مجلساً فيه بصبصُ جاريةُ يحيى بنِ نُفَيس ، فغنّت : [من المنسرح]

قلبـي حبيسٌ عليـكِ موقـوفُ والعينُ عَبرى والدَّمعُ مذروفُ
والنَّفْسُ في حسرةٍ بغُصَّتهـا قـد شَفَّ أرجاءها التَّساويفُ
إن كُنتِ بالحسنِ قد وُصِفْتِ لنا فإنَّنـي بالهـوى لَموصُوفُ

---

1 أرواح : جمع ريح . والكرابيس : جمع كرباس ، وهو الكنيف .
2 البيت لزهير .
3 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 41) .

يا حسرتا حسرةً أموتُ بِهـا   إن لَم يكنْ لِي لديك معروفُ

قال : فطرِب أبو السائبِ ونَعَر ، وقال : لا عَرَفَ الله قدْرَه إن لَم أعْرِفْ لَكَ معروفَكِ . ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها وجعَلَه على رأسِهِ ، وجعل يَلطِمُ ويبكي ، ويقول لها : بأبي واللهِ أنتِ ، إنِّي لأرجو أن تكوني عندَ الله أفضلَ من الشُّهداء ، لِما تُولِيناهُ من السّرورِ ، وجعل يَصيح ، واغوثاه ! يا للهِ لِما يَلقى العاشقون .

[فتى ينسى أن يلبس نعله]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثني أبو بكر العامريّ قال حدَّثني عمرو بن عبد الله البصريّ قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى عن عثمانَ بنِ محمد الليثيّ قال : كنت يوماً في مجلسِ ابن نُفَيسٍ ، فخرجَتْ إلينا جاريتُه بَصبص ، وكان في القوم فتًى يحبُّها ، فسألتْهُ حاجة ، فقامَ ليأتيها بها ، فنسِيَ أن يَلبَس نَعلَه ، ومَشى حافياً ؛ فقالت : يا فلان ، نسيتَ نَعلك . فرجع فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأوّل : [من الطويل]

وحُبُّكِ يُنسِيني عن الشَّيء في يدي   ويَشْغَلُنـي عـن كلِّ شيءٍ أُحاولُهْ

فأجابته فقالت : [من الطويل]

وبِي مثلُ مـا تشكوه منِّي وإنَّنِي   لأُشفِق من حُـبٍّ أَراكَ تزاولُـهْ

صوت

[من المنسرح]

يَشتاقُ قلبي إلى مليكـة لـو   أمسَتْ قريبـاً مِمّـن يطالبُها
ما أَحسَنَ الجِيدَ من مُلَيكة والـ   ـلَّبَّاتِ إذ زانهـا تـرائبُها
يـا لَيْتَني ليلـةً إذا هجع الـ   ـنَّاسُ ونـامَ الكلابُ صاحبُها
في ليلـةٍ لا يُرى بهـا أَحـدٌ   يَسعـى علينـا إلاّ كـواكبها

الشعر لأحيحة بن الجلاحِ ، والغناء لابن سريج . رملٌ بالخِنْصر في مجرى البِنصِر . وفيه لحنٌ لمالكٍ من رواية يونس .

[279] ـ ذكر أحيحة بن الجُلاح ونسبه وخبره[1] والسبب الذي من أجله قال الشعر

[نسبه]

هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبى بنِ كُلْفَة بن عوفِ بنِ عمرو بن عوفِ بنِ مالك بن الأوسِ . ويكنى أُحيحةُ أبا عمرو .

أُخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدِ العزيزِ قال : ركِب الوليد بن عبدِ الملكِ إلى المساجد ، فأَبى مَسجِدَ العُصْبَة[2] ، فلمّا صلَّى قال للأحوصِ : يا أحوَصُ أينَ الزَّوراء التي قال فيها صاحبُكم : [من البسيط]

إنِّي أُقِيـمُ على الزَّوراءِ أعْمرُهـا ... إنَّ الكريمَ على الإخوانِ ذُو المالِ
لهـا ثـلاثُ بِئـارٍ في جَوانِبِهـا ... في كلِّهـا عُقَـبٌ تسقى بأقبالِ[3]
استغْنِ أَو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نشبٍ ... مـن ابنِ عَمٍّ ولا عَـمٍّ ولا خالِ

قال الزُّبير : العُقَب الذي في أوّل المالِ عند مَدخَلِ الماء ، والطلب الذي في آخره . قال : فأشار له الأحوص إليها وقال : ها هي تلك ، لو طَوَّلتَ لأشقَرِك هذا لجالَ عليها ، فقال الوليد : إنّ أبا عمرٍو كان يراه غنيّاً بها . فعَجب الناسُ يومئذٍ لعنايةِ الوليدِ بالعِلْم ، حتَّى علمَ أنّ كنية أحيحة أبو عمرٍو .

وفي بعض هذا الشعرِ غناء ، وهو : [من البسيط]

صوت

استَغْنِ أَو مُتْ ولا يغررك ذُو نَشَبٍ ... مـن ابن عَـمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ
يَلْوُونَ ما لهم عـن حـقِّ أقربِهـمْ ... وعَنْ عشيرتِهـم ؛ والحـقُّ للوالي[4]

غَنَّاه الهُذَلي رَملاً بالوسطى من روايةِ الهشاميّ وعَمرِو بن بانة .

---

1 لأحيحة بن الجلاح ترجمة في خزانة البغدادي 3 : 357–359 وأنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 9 : 721–723 وأعلام الزركلي . وهو قائل المثل : «إنّ البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني .

2 العصبة : دار بني جحجبى .

3 بئار : جمع بئر . وأقبال الجداول : رؤوسها وأوائلها .

4 يلوون : يجحدون .

[سبب قول أحيحة هذا الشعر]

وأمّا السَّببُ في قول أحيحةَ هذا الشعرَ فإنّ أحمد بن عبيدٍ المكتِّب ذكر أنّ محمد بن يزيدَ الكلبيّ حدّثه ، وحدّثه أيضاً هشامُ بن محمد عن الشَّرقيّ بن القَطاميّ قال هشام : وحدَّثني به أبي أيضاً .

قال : وحدَّثني رجلٌ من قريش عن أبي عبيدةَ بن عمَّارِ بن ياسرٍ ، قال : وحدَّثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاريّ ، قالوا جميعاً : أَقبَلَ تبّعٌ الأخير وهو أبو كَرِبِ بن حسّان بن أسعد الحميريِّ ، من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التَّبابعة تفعل ، فمرّ بالمدينةِ فخلَّفَ بها ابناً له ، ومضى حتّى قدم الشّامَ ، ثم سار من الشام حتّى قدِم العراقَ فنزل بالمشقّرِ[1] ، فقُتِل ابنه غِيلةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمشقَّر مقتلُ ابنِهِ ، فكرَّ راجعاً إلى المدينة وهو يقول : [من الكامل]

يـا ذا مُعاهِرَ مـا تَزالُ تَرُودُ ... رَمَـدٌ بعينكَ عادهـا أم عُودُ[2]
منعَ الرُّقادَ فما أغمِّضُ ساعةً ... نَبَـطٌ بيثربَ آمنـون قُعودُ
لا تَستقي بيدَيْكَ إنْ لم تلقها ... حَرْبـاً كأنَّ أشاءهـا مجرودُ[3]

ثم أقبلَ حتّى دخل المدينةَ وهو مُجمِعٌ على إخرابها وقطعِ نخلِها ، واستئصالِ أهلِها ، وسبي الذرِّية ؛ فنزل بسفح أُحُدٍ فاحتفر بها بئراً ، فهي البئرُ التي يقال لها إلى اليوم بئر المِلِك ، ثم أرسل إلى أشرافِ أهلِ المدينةِ ليأتوه فكان فيمن أرسَلَ إليـه زيـدٌ بن ضُبيعة بن زيد بن عمرو بنِ عوف ، وابن عمّه زيد بن أميّة بنِ زيدٍ ، وابن عمِّه زيد بن عبيدِ بنِ زيدٍ ، وكانوا يسمَّوْن الأزيادَ ، وأحيحةٌ بن الجلاحِ ؛ فلمّا جاء رسولُه قـال الأزيـاد : إنّما أرسَلَ إلينا ليملِّكنـا على أهلِ يثرب . فقال أحيحة : واللهِ ما دعاكم لخيرٍ ! وقال : [من الرمل]

ليتَ حَظِّي مـن أبي كربٍ ... أنْ يَـرُدَّ خَيْـرُهُ خَبَلَهْ

فذهبَتْ مثلاً[4] . وكان يقال : إنّ مع أحيحة تابعاً من الجِنّ يُعلِمه الخَبَر لكثرةِ صوابِهِ ؛ لأنَّه كان لا يظُنُّ شيئاً فيخبر به قومَه إلاّ كان كما يقول . فخرجوا إليه ، وخرج أحيحةُ ومعه قَينةٌ له ، وخِباء وخمر ، فضَرب الخباءَ وجَعَل فيه القينةَ والخمر ، ثم خرج حتّى استأذن على تُبَّع ، فأذِن له ، وأجلسَه معه على زِرْبِيّةٍ[5] تحته ، وتحدَّث معه وسأله عن أموالِهِ بالمدينة ؛ فجعل

1 المشقر : حصن بالبحرين .
2 ذو معاهر : من أقيال اليمن .
3 الأشاء : صغار النخل . ومجرود : جرد عنه الخوص .
4 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 192 وفصل المقال : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 302 وجمهرة العسكري 1 : 484 .
5 الزربيّة : واحدة الزرابي ، وهي ما يتّكأ عليه .

يُخْبره عنها ، وجعل تُبَّع كلَّما أَخبره عن شيءٍ منها يقول : كلُّ ذلك على هذه الزربيّة . يريد بذلك تُبَّعٌ قتلَ أحيحة ، ففَطِنَ أحيحة أنّه يريد قتله ، فخرج من عندِه فدخَل خِباءَه ، فشرِب الخمرَ ، وقَرَضَ أبياتاً ، وأَمر القينةَ أن تغنّيه بها ، وجَعل تُبَّعٌ عليه حَرَساً ، وكانت قينته تُدعى مُليكةَ فقال : [من المنسرح]

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيكة لـو ... أمسَتْ قريباً مِمّن يطالبُها

الأبيات . وزاد فيها ممّا ليس فيه غناء :

لِتبكِنـــي قَينـــةٌ ومِزهرُهـــا ... ولتبكِنـي قهـوةٌ وشاربُهـا

ولْتبكِنـــي ناقـــةٌ إذا رُحِلَتْ ... وغابَ في سَرْدحٍ مَناكِبُها[1]

ولْتبْكِني عُصبةٌ إذا جُمِعَتْ ... لَم يعلم الناسُ ما عواقِبُها

فلَم تزل القينة تُغَنِّيه بذلك يومه وعامّةَ ليلتِه ؛ فلمّا نامَ الحرّاس قال لها : إنِّي ذاهب إلى أَهلي فشُدِّي عليك الخباءَ ، فإذا جاء رسولُ الملكِ فقولي له : هو نائم ؛ فإذا أَبوْا إلاّ أن يُوقظوني فقولي : قد رَجع إلى أهلِهِ وأَرسَلَني إلى الملك برسالةٍ ؛ فإن ذهبوا بِك إليه فقولي له : يقول لَكَ أُحيحة : «أغدِر بقينةٍ أَو دَعْ»[2] . ثم انطلَقَ فتحصَّنَ في أُطُمِهِ الضَّحْيانِ ، وأرسل تُبَّعٌ من جَوفِ الليلِ إلى الأزيادِ فقَتَلَهم على فَقارةٍ من فَقار تلك الحَرَّة . وأرسل إلى أُحيحة ليقتله ، فخرجتْ إليهم القينة ، فقالت : هو راقد . فانصرَفُوا وتردَّدُوا عليها مراراً ؛ كلَّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا فقالوا : لِتوقِظنَّه أو لندخُلَنَّ عليك . قالت : فإنّه قد رجع إلى أَهلِهِ ، وأرسلني إلى الملك برسالـةٍ . فذهبوا بها إلى الملكِ ، فلمّا دخلَتْ عليه سأَلها عنه ، فأَخبرته خَبَرَه ، وقالت : يقول لك : «اغدِر بقَينةٍ أو دَعْ» . فذهبتْ كلمةُ أُحيحة هذه مَثلاً ؛ فجرّدَ له كتيبةً من خيلِهِ ، ثم أرسلَهم في طلبِهِ فوجَدُوه قد تحصَّنَ في أُطُمِه ، فحاصروه ثلاثاً ؛ يقاتلُهم بالنّهار ويرميهم بالنبل والحجارة ، ويرمي إليهم بالليلِ بالتمر ، فلمّا مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبَّعٍ فقالوا : بَعَثْتَنا إلى رجـلٍ يقاتلنا بالنهارِ ، ويضيفنا بالليل ؟ فتركه ؛ وأَمرهم أَن يُحرِّقوا نخلَه . وشَبّت الحربُ بين أَهلِ المدينة : أَوْسِها وخَزْرَجِها ويهودِها ، وبين تُبَّع ، وتحصَّنوا في الآطام . فخرج رجلٌ من أَصحابِ تُبَّع حتى جاء بني عديّ بن النجّار ؛ وهم متحصِّنون في أطمِهم ، الذي كان في قِبلةِ مسجِدهـم ، فدخـل حديقةً من حدائِقِهم ، فرقِيَ عِذْقاً منها يجدُّها ، فاطَّلَع إليهِ رجلٌ من بني عديّ بن النجارِ من الأطمِ يقال له أَحمر أَو صخر بن سليمان

---

1 السردح : الأرض اللينة المستوية .

2 هذا مثل .

من بني سَلِمة ، فنزل إليهِ فضرَبه بِمنجل حتّى قتله ثم أَلقاه في بئر ! وقال : جاءَنا يجدُّ نخلنا ، «إنّما النخل لِمَنْ أَبرَه»[1] ، فأرسَلها مثلاً . فلمّا انتهى ذلك إلى تُبَّع زاده حَنَقاً وجرَّدَ إلى بني النجّار جريدةً من خيلِهِ ، فقاتلهم بنو النجّار ، ورئيسُهم عمرو بن طَلّة[2] أخو بني معاوية بنِ مالكِ بنِ النجّارِ ؛ وجاء بعضُ تلك الخيول إلى بني عَديّ وهم متحصِّنون في أُطمِهم الذي في قِبلةِ مسجِدهم ، فرامَوْا بني عديٍّ بالنَّبل ، فجعلت نَبلُهم تقع في جدار الأُطمِ ، فكان على أُطمِهم مثل الشَّعَرِ من النبلِ ، فسمِّي ذلك الأُطم الأشعر ، ولم تَزلْ بقايا النّبل فيه حتّى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام ، وجاء بعضُ جنودِهِ إلى بني الحارثِ بنِ الخزرج ، فجذَمُوا نخلَهم من أنصافِها ، فسمِّيت تلك النخلُ جُذْمان . وجدَعُوا هم فرساً لتبّع ، فكان تُبَّع يقول : لقد صَنَع بي أهلُ يثربَ شيئاً ما صَنَعه بي أَحد ؛ قتلوا ابني وصاحبي ، وجَدَعوا فرسي ! قالوا : فبينا تُبَّعُ يريد إخرابَ المدينةِ ، وقَتل المقاتِلة ، وَسبْيَ الذرِّيّة ، وقَطْعَ الأموالِ أتاه حَبرانِ من اليهودِ فقالا ، أيّها الملك انصرفْ عن هذهِ البلدةِ فإنّها محفوظة ، وإنّا نجد اسمها كثيراً في كتابنا ، وأنّها مُهاجرَ نبيٍّ من بني إسماعيل اسمهُ أَحمد ، يخرج من هذا الحرم من نحو البيتِ الذي بمكّة ، تكون دارَه وقَرارَه ، ويَتْبعه أكثرُ أهلِها . فأعجبَه ما سمِع منهما ، وكفَّ عن الذي أراد بالمدينةِ وأهلِها ، وصَدَّق الحَبْرَينِ بما حدّثاه ، وانصرف تُبَّعٌ عمّا كان أراد بها ، وكفَّ عن حربهم ، وآمنهم حتّى دخلوا عسكره ، ودخَل جنْدُه المدينة ؛ فقال عمرو بن مالكِ بنِ النجّار ، يذكر شأن تُبّع ، ويمدح عمرو بن طَلَّة : [من المديد]

أصحا أَمْ انتحى ذِكَرَهْ	أم قضى من لذّةٍ وَطَرَهْ
بعد ما وَلّى الشباب وما	ذِكْرُهُ الشَّبابَ أَو عُصُرَهْ[3]
إنّها حَربٌ يمانيّةٌ	مِثلها آتى الفتى عِبَرَهْ
سائِلي عِمْرانَ أَو أَسَداً	إذْ أَتَتْ تعدُو مع الزُّهَرَهْ
فَيْلَقٌ فيه أَبو كَرِبٍ	سَبُعٌ أَبدانُه ذَفِرَهْ
ثم قالوا مَنْ يؤُمُّ بنا	أَبنو عوفٍ أَم النَّجرَهْ[4]
يا بَنِي النّجارِ إنّ لنا	فِيكُمُ ذَحْلاً وإنَّ تِرَهْ

1 هذا مثل .

2 ل : طلحة .

3 في رواية : ذكرت شبانه عصره .

4 النجرة : يعني بني النجار .

فتلقَّتْهـــم مُسايِفـــةٌ   مَدُّهـــا كالغَبْيـةِ النَّثِرَهْ[1]

الغَبْية : السحابة التي فيها مطر وبرق برعد .

فيهمُ عَمرو بـن طَلَّةَ لا   هُمَّ فامنَحْ قومَـه عُمُرَهْ
سَيِّدٌ سامى الملوكَ ومَنْ   يَدْ عُ عَمراً لا تَجِدْ قَدَرَهْ[2]

وقال في ذلك رجلٌ من اليهود : [من المتقارب]

تكلِّفنـــي مِـــن تكاليفهـــا   نَخِيـلَ الأساويـفِ والمَصْنَعَهْ[3]
نخيـلاً حَمَتْها بنـو مالـكٍ   جُنودَ أبـي كَرِبَ المُفْظِعَهْ

وقال أُحيحة يرثي الأزياد الذين قَتَلَهم تُبّع : [من الوافر]

ألا يـا لهفَ نفسي أيَّ لهفٍ   على أهلِ الفقـارةِ أيَّ لهفِ
مَضَوا قَصْدَ السَّبيلِ وخَلّفوني   إلى خَلَفٍ مـن الأبرام خَلْفِ[4]
سُدًى لا يكتَفـون ولا أراهم   يُطيعُونَ امرءاً إن كان يكفي[5]

قالوا : فلمّا كَفَّ تُبّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوه وخالطوهم . ثم إنَّ تبّعاً استَوبأ[6] بئرَه التي حَفَرَها ، وشكا بَطْنَه عن مائها ؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بني زُرَيقٍ يقال لها فَكِهةُ بنت زيدِ بنِ كلدة بن عامرِ بن زريقٍ ، وكانت ذاتَ جَلَدٍ وشرف في قومِها ، فشكا إليها وبأ بئرِه ، فانطلقتْ فأخذَتْ قِرَباً وحمارين حتّى استَقَتْ له من ماء رُومة ، فشربَه فأعجبَه ، وقال : زيديني من هذا الماء . فكانت تختلفُ إليهِ في كلِّ يوم بماء رُومة ، فلمّا حان رحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فكهة ، إنّه ليس مَعَنا من الصفراء والبيضاء[7] شيء ، ولكنْ لكِ ما تركْنا من أزوادنا ومتاعِنا . فلمّا خرجَ تبّعٌ نقلت ما تركوه من أزوادِهِم ومتاعِهِم ؛ فيقال إنّه لم تزل فكهةُ أكثرَ بني زُرَيقٍ مالاً حتّى جاء الإسلام .

قال : وخرج تبّعٌ يريد اليمن ومعه الحبرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة ، فقال حين شَخِصَ من منزلِهِ : هذه قُباء الأرضِ . فسمِّيت قُباء . ومرّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُف الأرضِ . فسمِّي

1 المسايف : الضارب بالسيف .
2 قدره : مثله وكفأه .
3 الأساويف والمصنعة : موضعان .
4 الأبرام : جمع برم ، وهو الجبان أو الذي لا يشارك في الميسر . والخلف : الأشرار .
5 سدى : همل .
6 استوبأ البئر : وجدها وخيمة .
7 أي الدنانير والدراهم .

الجُرُف ؛ وهو أرفعها . ومرّ بالعَرْصةِ وتسمَّى السليل فقال : هذه عَرْصة الأرض . ثم انحدر في العقيقِ فقال : هذا عقيقُ الأرض . فسمِّي العقيق . ثم خرجَ يسير حتّى نزل البَقِيع ، فنزلَ على غديرِ ماءٍ يقال له بَراجمُ ، فشرِبَ منه شربة فدخلت في حَلْقِه عَلَقَةٌ فاشتكى منها . فقال فيما ذكر أبو مسكينٍ قوله : [من الكامل]

ولقد شربتُ على براجِمَ شَربةً ... كادت بباقيــةِ الحيـاة تُذِيعُ[1]

ثم مضى حتى إذا كان بحمدان جاءه نفرٌ من هُذَيل فقالوا له : اجعَلْ لنا جُعْلاً وندلَّك على بيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفِضّة ، ليست لأهلِهِ مَنَعةٌ ولا شَرَف . فجعل لهم على ذلك جُعْلاً ؛ فقالوا له : هو البيت الذي تحجُّه العربُ بمكّة . وأرادوا بذلك هَلاكَه . فتوجَّه نحوَه فأخذَتْه ظُلمةٌ منعَتْه من السَّير ، فدعا الحَبرينِ فسألهما ، فقالا : هذا لِما أجمعْتَ عليه في هذا البيت ؛ واللهُ مانِعُه منك ، ولن تصل إليه ، فاحذَرْ أن يصيبك ما أصابَ مَن انتهك حُرماتِ الله ؛ وإنّما أراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك ؛ لأنّه لم يَرُمْهُ أحدٌ قطُّ بشرٌّ إلاّ أهلكَه الله ، فأكرِمْه وطُفْ بِهِ ، واحلِقْ رأسَك عنده . فترَكَ الذي كان أجمعَ عليه ، وأمر بالهذليِّين فقطّع أيديَهم وأرجلَهم ، ثم خرجَ يسير حتّى أتى مكّة فنزل بالشِّعب من الأبطح ، وطاف بالبيت ، وحَلَقَ رأسه ، وكساه الخَصَف[2] .

قال هشامٌ : وحدَّثني ابنٌ لجرير بن يزيدَ البجَلي عن جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيهِ . قال هشام : وحدَّثني أبي عن صالح عن ابنِ عبّاس قال : لمّا أقبلَ تبّعٌ يريد هدْمَ البيتِ وصَرْفَ وجوهِ العربِ إلى اليمن ، بات صحيحاً فأصبح وقد سالَتْ عيناه على خدَّيه ، فبعَثَ إلى السَّحَرة[3] والكُهّان والمنجِّمين ، فقال : مالي ، فواللهِ لقد بتُّ ليلتي ما أجد شيئاً ، وقد صرت إلى ما تَرَون . فقالوا : حدّثْ نفسَك بخيرٍ . فَفَعَلَ فارتدَّ بصيراً ، وكسا البيت الخَصَف .

هذه رواية جعفرِ بن محمدٍ عن أبيه . وفي رواية ابنِ عبّاسٍ : فأُتي في المنامِ فقيل له : اكسُه أحسَنَ من هذا . فكساه الوصائلَ ، قال : وهي بُرود العَصْب ، سمِّيت الوصائل لأنّها كانت يُوصل بعضُها ببعضٍ ، قال : فأقام بمكّةَ ستّة أيّامٍ يُطعم الطعام ، وينحر في كلِّ يوم ألفَ بعيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول : [من الخفيف]

ونَحَرنــا بالشِّعبِ ستَّة آلا ... فٍ تَرى الناس نَحوهنّ وُرودا

---

1 تذيع : تذهب .

2 الخصف : ثياب غلاظ جداً .

3 ل : الحزاة .

وكسَونا البيتَ الذي حَرَّمَ اللَّـ ـهُ مُـلاءً معضَّدًا وبُرودا
وأقمنا بِـهِ مـن الشَّهرِ سِتّاً وجعلنـا لـه بـهِ إقليـدا
ثـم أُبْنا منـه نـؤمُّ سُهَيْـلاً قـد رفَعنـا لواءنـا المعقودا[1]

قال : وتهوّد تبّع وأهلُ اليمن بذينِك الحبرين .

[خلاف أُحيحة مع بني النجار]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدَّثني أبو البَخْتريّ عن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أيّوب بن عبد الرحمن : أنّ رجلاً من بني مازن بنِ النجار يقال له كعب بن عمرٍو ، تزوّج امرأةً من بني سالم بنِ عوفٍ فكان يختلف إليها . فقعَدَ له رهطٌ من بني جَحْجَبى بمرصَدٍ ، فضربوه حتّى قتلوه أو كادوا ، فأدركه القوافل فاستَنقذوه ، فلمّا بلغ ذلك أخاه عاصمَ بن عمرٍو خرج وخرج معه بنو النجار ، وخرج أُحيحة بن الجُلاح ببني عمرِو بنِ عوفٍ ، فالتقَوا بالرُّحابة[2] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتَل أخا عاصم يومئذٍ أُحيحة بن الجُلاح ، وكان يكنى أبا وحوحة ، فأصابَه في أصحابه حين انهزموا ، وطلبَ عاصمٌ أُحيحة حتّى انتهى إلى البيوتِ ، فأدركه عاصمٌ عند بابِ دارِهِ فزجَّه بالرّمح ، ودخلَ أُحيحة البابَ ، ووقع الرُّمح في الباب ، ورجع عاصمٌ وأصحابه فمكث أيّاماً . ثم إنّ عاصِماً طلبَ أُحيحة ليلاً ليقتله في داره ، فبلغ ذلك أُحيحة ، وقيل له إنّ عاصماً قد رئي البارحَة عند الضَّحيان والغابة[3] ـ وهي أرضٌ لأُحيحة ، والضَّحيان : أُطُم له ـ وكان أُحيحة إذ ذاك سيِّدَ قومِهِ من الأوسِ ، وكان رجلاً صَنَعاً للمال[4] ، شحيحاً عليه ، يبيع بَيْعَ الربا بالمدينة ، حتّى كاد يُحِيط بأموالهم ، وكان له تسعٌ وتسعون بعيراً كلُّها ينضَحُ عليها ، وكان له بالجُرُفِ أصوار[5] من نخلٍ قلَّ يومٌ يمرُّ به إلاّ يطَّلع فيه ؛ وكان لـه أُطُمانِ : أُطمٌ في قومه يقال له المستظلّ ، وهو الذي تحصَّن فيه حين قاتل تبّعاً أسعدَ أبا كربٍ الحميريّ ، وأُطُمه الضَّحيان بالعُصْبَةِ في أرضِهِ التي يقال لها الغابة[6] بَناه بحجارة سُودٍ وبَنى عليه نَبْرةً[7] بيضاءَ مثلَ الفِضّة ، ثم جعل عليها مِثلَها ، يراها الراكبُ من مسيرة يومٍ أو نحوه . وكانت الآطام هي عِزّهم ومنعتهم

1 نؤم سهيلاً : نقصد اليمن .
2 الرحابة : موضع بالمدينة .
3 ل : العباية .
4 الصنع : الحاذق الماهر .
5 الأصوار : النخل الصغار ، جمع صور .
6 ل : العباية .
7 النبرة : كل شيء مرتفع فوق شيء .

وحُصونَهم التي يتحَرّزون فيها من عدوِّهم . ويزعمون أنَّه لَمّا بَناه أشرف هو وغلامٌ له ، ثم قال : لقد بنيتُ حِصناً حصيناً ما بنى مثله رجلٌ من العرب أمنعُ ولا أكرمُ ، ولقد عَرَفتُ موضعَ حجرٍ منه لو نُزِع لوقع جميعاً ! فقال غلامُه : أنا أعرفه . فقال : فأرِنيه يا بُنيّ . قال : هو هذا ، وصرفَ إليه رأسه . فلمّا رأى أُحيحة أنّه قد عَرَفَه دفعَه من رأسِ الأُطُم فوقع على رأسِهِ فمات ، وإنّما قَتَله إرادةَ ألاّ يعرِف ذلك الحجرَ أحَدٌ . ولّما بناه قال : [من الرجز]

بنيتُ بعد مُستظَلٍّ ضاحيا بنيته بعُصْبةٍ من ماليا
والسرُّ مِمّا يتبع القواصيا أَخشى رُكَيباً أو رُجَيلاً عاديا[1]

وكان أُحيحة إذا أمسى جلسَ بحذاء حِصنِهِ الضَّحيانِ ، ثم أرسل كِلاباً له تنبح دُونَه على مَن يأتيه مِمَّن لا يعرف ، حذراً أن يأتيه عدوٌّ يصيب مِنه غِرّة . فأقبل عاصم بن عمرٍو يريده في مجلِسِهِ ذلك ليقتلَه بأخيه ، وقد أخذ معه تمراً ، فلمّا نبحته الكلابُ حين دنا منه ألقى لها التَّمر فوقفَتْ ، فلمّا رآها أُحيحة قد سكَنَت حذِر فقامَ فدخلَ حِصنَه . ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزه منه الباب ، فوقع السَّهمُ بالباب ؛ فلمّا سمع أُحيحة وقْعَ السَّهم صرخَ في قومِه ، فخرج عاصم بن عمرو ، فأعجزَهم حتّى أتى قومَه . ثمّ إنّ أُحيحة جمع لبني النجّارِ ، فأراد أن يغترَّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك ، وكانت عند أُحيحة سَلْمى بنت عمرِو بن زيدِ بن لَبيد بن خِداشٍ إحدى نساءِ بني عديٍّ بن النجّارِ ، له منها عمرو بن أُحيحة ؛ وهي أُمُّ عبد المطّلب بن هاشم ، خلَفَ عليها هاشمٌ بعد أُحيحة ؛ وكانت امرأةً شريفة لا تَنكِح الرجالَ إلاّ وأمرُها بيدِها ، إذا كرِهتْ من رجلٍ شيئاً تركته .

فزعم ابنُ إسحاقَ أنّه حدَّثه أيّوبُ بن عبدِ الرحمنِ ، وهو أحد رهطِها ، قال : حدَّثني شيخٌ منّا أنَّ أُحيحة لّما أجمعَ بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عَمرو بن أُحيحة ، وهو يومئذٍ فَطيمٌ أو دونَ الفطيم ، وهو مع أُحيحة في حِصْنِهِ عَمَدت إلى ابنها فرَبَطَتْه بخيطٍ ، حتّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْهُ فبات يبكي ، وهي تَحمِله ؛ وبات أُحيحة معها ساهِراً ، يقول : ويحك ما لابني ؟ فتقول : والله ما أدرِي مالَه . حتّى إذا ذهبَ اللّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام . وذكروا أنّها ربطت رأسَ ذكره ، فلمّا هدأ الصبيُّ قالت : وارأساه ! فقال : أُحيحة : هذا واللهِ ما لَقِيت من سهر هذه الليلة . فبات يعصِبُ لها رأسها ويقول : ليس بك بأس . حتّى إذا لم يبقَ من الليل إلاّ أقلّه قالت له : قُم فنَمْ ، فإنِّي أجدُنِي صالحةً قد ذهب عنِّي ما كنتُ أجده . وإنّما فعلَتْ به ذلك ليثقُلَ راسُه ، وليشتدَّ نومُه على طولِ السَّهَر . فلمّا نام قامت وأخذَتْ حبلاً

1 الركيب : مصغّر الراكب ، وهم الجماعة الراكبون . والرجيل : مصغّر الرَّجل ، وهم الجماعة الراجلون .

شديداً وأوثقته برأسِ الحِصنِ ، ثم تدلَّت منه وانطلقت إلى قومِها ، فأَنذَرَتْهم وأخبرَتْهم بالذي أجمعَ هو وقومه من ذلك ، فحذِر القومُ وأعدُّوا واجتمعوا . فأقبلَ أُحيحة في قومِهِ فوجد القومَ على حذرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ؛ ثم رجَع أُحيحة فرجَعوا عنه ، وقد فقَدَها أُحيحة حين أصبحَ ؛ فلمّا رأى القومَ على حذَرٍ قال : هذا عملُ سَلْمى ! خدعَتْني حتّى بلغَتْ ما أرادت . وسمّاها قومُها المتدلِّية ؛ لتدلِّيها من رأسِ الحصن . فقال في ذلك أُحيحة وذكَر ما صنعت به سَلْمى : [من الوافر]

تفهَّـمْ أيُّها الرَّجُـل الجهولُ ... ولا يَذْهَبْ بِـك الرأيُ الوبيلُ
فإنَّ الجهـلَ مَحمَلُـه خفيـفٌ ... وإنَّ الحِلْـمَ مَحمَلُـه ثقيلُ

وفيها يقول :

لَعَمْـرُ أبيـكَ مـا يُغني مَقامِي ... مـن الفتيانِ رائحـةٌ جَهولُ
نَؤُوم مـا يقلِّـصُ مستقِـلاً ... على الغايـات مَضجعُه ثقيلُ
إذا باتـت أعصِّبُها فنامـت ... عَليَّ مكانَهـا الحُمَّى الشَّمولُ[1]
لعـلَّ عِصابَهـا يَبغِيك حَربـاً ... ويأتيهـم بعوْرَتِـكَ الدَّليلُ
وقد أعددتُ للحَدَثان عَقْـلاً ... لَـو آنَّ المـرء تنفعه العُقولُ[2]

وقال فيها وفيما صَنَعَتْ به : [من الخفيف]

أَخلَق الرَّبعُ من سُعادَ فأمسى ... رَبعُـه مُخلِقـاً كدَرْسِ المُلاةِ[3]
بالِيـاً بعـد حاضرٍ ذي أَنيسٍ ... مِن سليمى إذْ تغتـدِي كالمَهاةِ

وهي قصيدةٌ طويلة ، يقال إنّ في هذين البيتين منها غناء .

[مساومة في درعه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين : أنَّ قيسَ بن زهير بن جَذِيمة أَتى أُحيحة بن الجُلاح لَمّا وقَع الشرُّ بينه وبين بني عامر ؛ وخرج إلى المدينة ليتجهَّز ، بعثَ إليهم حين قتل خالدُ بن جعفرٍ زُهيرَ بن جَذيمة ، فقال قيس لأُحيحة : يـا أبا عمرو ، نُبِّئت أنّ عندك دِرعاً ليس بيثرب درعٌ مثلها ؛ فإن كنت فُضُلاً فبِعْنيها ، أو فَهَبْها لِي . فقال : يا أخا بني عَبْس ، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يَفضُل عنه ، ولولا أنّي أكره أن

---

1 الحمى الشمول : الحمى الباردة التي تسبب القشعريرة .
2 العقول : جمع عقل ، وهو الحصن .
3 الملاة : مخفف الملاءة .

أستليم[1] إلى بني عامر لوهبتُها لك ، ولحملتك على سوابِقِ خيلي ، ولكن اشترِها يا أبا أيّوب ، فإنّ البَيع مُرتَخَصٌ وغالٍ[2] فأرسلها مثلاً . فقال له قيس : فما تكرهُ من استِلامتك إلى بني عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذي يقول : [من الطويل]

إذا ما أردْتَ العزَّ في آل يثربٍ ... فنادِ بصوت يا أُحيحة تُمنَعِ
رأيت أبا عمرٍو أُحيحة جارُه ... يبيت قَريرَ العين غيرَ مروَّعِ
ومَن يأتِهِ مِن خائفٍ يَنْسَ خوفَه ... ومَن يأتِهِ من جائعِ الجَوْفِ يشبعِ
فضائلُ كانت للجلاحِ قديمةً ... وأكرِمْ بفخرٍ من خصالكَ الأربعِ

فقال قيس : وما عليكَ بعد ذلك من لَوم . فلَها عنه ثمّ عاودَه فساومه ، فغضب أُحيحة وقال له : بِتْ عندي . فباتَ عنده ، فلمّا شرب تغنّى أُحيحة وقيسٌ يسمع : [من الوافر]

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنَّ دِرعِي ... فما مثلي يُساوَم بالدُّروعِ
فلولا خَلَّةٌ لأبي جُوَيٍّ ... وأنّي لستُ عنها بالنَّزوعِ
لأُبتَ بمثلها عَشْرٍ وطِرفٍ ... لَحُوق الإطْلِ جَيّاشٍ تَليعِ[3]
ولكنْ سَمٌّ ما أُحببت فيها ... فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البيوعِ
فما هِبة الدُّروع أخا بغيضٍ ... ولا الخيلِ السَّوابِقِ بالبديعِ[4]

وقال : فأمسك بعد ذلك عن مُساومَته .

[إسحاق الموصليّ يسأل حفيد معبد]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافية بن شبيب ، قال : حدَّثني أبو جعفرٍ الأسديّ ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعيّ إجازة ، عن عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق قال : دعاني الفضلُ بن الرَّبيع يوماً فأتيتُه ، فإذا عنده شيخٌ حجازيٌّ حسَنُ الوجه والهيئة ، فقال لي : أتعرف هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أُنيسَة بنت مَعْبد ، فسَلْه عمّا أحببتَ من غناء جدِّه . فقلت : يا أخا أهل الحجاز ، كم غِناءُ جدِّك ؟ قال ستّون صوتاً . ثم غنّاني : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكة والـ ... ـلَّبّاتِ إذ زانَها ترائبُها

---

1 أستليم : آتي ما أُلام عليه .

2 المثل «إن البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني 1 : 19 والدرة الفاخرة : 162 .

3 اللحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .

4 بغيض : قبيلة قيس بن زهير . والبديع : المبتدع .

قال : فغنّاه أحسن غِناءٍ في الأرض ، ولم آخُذْه منه اتّكالاً على قدرتي عليه . واضطرب الأمر على الفَضْل وصار إلى التغيُّب ، وشخَص الشيخُ إلى المدينة ، فبقِيتُ أنشُد الشِّعر وأسأل عنه مَشايخ المغنّين ، وعجائز المغنّيات ، فلا اجد أحداً يَعرفه ، حتّى قدِمتُ البصرةَ ، وكنتُ آتي جزيرَتها في القيظ فأبيتُ بها ثم أبْكُر بالغداة إلى منزلي . فإنّي لَداخِلٌ يوماً إذا بامرأتين نبيلتين ، قد قامتا فأخذَتا بلجام حماري ، فقلت لهما : مَه ! قال أبو زيد في خبره : فقالت إحداهما : كيف عشقُك اليوم لـ «ما أحسَنَ الجِيد من مُليكةَ» وشَغفُك به ، فقد بلَغني أنّك كنت تطلبه من كلِّ أحد ؟ وقد كنتُ رأيتك في مَجلس الفضل وقد استخفَّك الطَّربُ لهذا الصوت حتّى صفَّقت . قال : فقلت لها : أشدُّ والله ما كنت عشقاً له ، وقد ألهبتِ بذكركِ إيّاه في قلبي جَمْراً ، ولقد طلبتُه ببغداد كلِّها فلَم أجدْ أحداً يُسْمِعُنيه . قالت : أفتحبُّ أن أُغنِّيك إيّاه . قلت : نعم . فغنَّته والله أحسَنَ مِمَّا سمِعتُه قديماً بصوتٍ خافض . فنزلتُ إليها فقبَّلْتُ يديها ورجليها وقلتُ : جَعَلني الله فِداكِ ، لو شئتِ لِصرتِ معي إلى منزلي . قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أغنّيكِ وتغنّيني يومَنا إلى الليل . قالت : أنت والله أطْفَسُ[1] من أن تفعل ذاك ، وإنّما هو عَرْضٌ ، ولكنّي أُغنيك حتّى تأخُذه . فقلت : بأبي أنتِ وأُمّي ، وجعلني الله فداكِ مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا وهبة جارية محمّد بن عمران القَرَويّ ، التي يقول فيها فَرُّوج الرّفاء الطّلْحي : [من البسيط]

صوت

يا وَهبُ لم يَبْقَ لِي شيء أُسَرُّ بِهِ ... إلاّ الجلوسُ فتَسقِيني وأُسقيكِ
وتُمزجينَ بريقٍ منــكِ لِي قَدَحاً ... كأنّ فيه رضابَ المِسْكِ من فِيكِ
يا أطيبَ النّاسِ ريقــاً غيرَ مُختبَرٍ ... إلاّ شهادةَ أطـرافِ المَساويكِ[2]
قد زُرتنا زورةً في الدَّهـرِ واحدةً ... ثنِّي ولا تجعليهــا بيضةَ الدِّيكِ[3]
ما نلتُ منك سِوى شيءٍ أُسَرُّ بِهِ ... ولستُ أبصر شيئاً مـن مَساويكِ
قالت مُلِكتَ ولم تَمْلِكْ فقُلت لها ... مــا كلُّ مالكةٍ تُـزري بمملوكِ

قال أبو زيد خاصّةً : قال إسحاق : وأنْشدتْنِيه وغنّتْني فيه بصوتٍ مليح قد صنعَتْه فيه ، ثم

1 ل : أنفس . وأطفس : أقذر .

2 هذا البيت ينسب أيضاً إلى بشار .

3 المثل «كانت بيضة الديك» في مجمع الميداني 2 : 131 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وفصل المقال : 437 ، ويضرب للندرة .

صارت إليَّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناس غِناء ، وأحسنهم روايةً . فما كانت تفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناسَ صوتُها ، وهو : [من المنسرح]

صوت

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طربِ لعلَّ رَوْحاً يُدالُ من كَرَبِ[1]
فَعاطِنِيها صفراءَ صافيـةً تَضحكُ من لؤلؤ على ذَهَبِ

قال : ولها فيه عملٌ فاضل . ومن صنعتها قوله : [من مجزوء الكامل]

صوت

الكأسُ بعـد الكأس قـد تُصبي لَـكَ الرجـلَ الحليما
وتُقَـرِّب النسَبَ البعيـ ـدَ وتبسُط الوجـهَ الشَّتيما[2]

قال : ومِمّا برَّزَت فيه من صنعتها : [من الخفيف]

صوت

هاتَهـا سُكَّريَّـةً كشُعاعِ الـ ـشَّمْسِ لا قَرقَفاً ولا خَنْدَريسا[3]
في رُبـى يخلَع الوليُّ عليها ما يحيِّي بِهِ الجليسُ الجَليسا[4]
فَلِنُوَّارِهـا نسيـمٌ إذا مـا حَرَّكته الرِّيـاح ردّ النُّفوسا

صوت

[من البسيط]

أَمْسى لسَلاَّمَةَ الزَّرقـاءِ في كَبِـدِي صَدْعٌ مقيـمٌ طَـوالَ الدَّهْـرِ والأَبَدِ
لا يستطيعُ صَنـاعُ القـوم يَشْعَبَـه وكيف يُشعَب صَدعُ الحبِّ في الكبِدِ
إلاّ بوَصْلِ التي مـن حبِّها انصدعَتْ تلك الصُّدوعُ مـن الأسقامِ والكَمَدِ

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفيّ ، أحد بني زُهْرة من قريش . ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالبنصر .

وسَلاّمة الزرقاء هذه جارية ابنِ رامِين ، وكانت إحدى القينات المُحْسِنات .

1 الروح : الراحة . ويدال : يبذل .
2 الشتيم : القبيح .
3 القرقف : التي ترعد شاربها . والخندريس : المعتقة .
4 الولي : المطر المتوالي . ما يحيي به الجليسُ الجليسَ : الزهر .

[280] ـ ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، ذكر أنَّ أبا أيّوب المدينيّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهريّ كاتباً ، وكان من فتيان أهل الكوفة وظُرفائهم وأدبائهم ، وكان يقول الشعرَ ويتغنّى فيه . فمن ذلك قولُه في زرقاءَ جارية بن رامينَ ، وكان يألفها : [من البسيط]

أمسى لسَلاّمة الزَّرقاء في كبِدِي

وذكر الأبيات .

قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حَجّ وأخرج معه جواريَه كلَّهنّ ، هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم . وهذا الشعر الثاني لإسماعيلَ بن عَمّارٍ الأسديّ ، وقد ذكرت أخبارَه في موضع آخر .

صوت

[من مجزوء الرجز]

أيَّةُ حالٍ يا ابنَ رامِيْن حالُ المحبِّينَ المساكينْ
تركتَهمْ موتى ولَم يَتْلَفوا قد جُرِّعوا منك الأَمَرِّينْ

ويروى : «تركْتَهُمْ مَوْتى وما مَوَّتوا» ، وجدتُه بخطِّ حَمّادٍ .

وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيّةٍ ركبٍ تَهامٍ ويَمانِينْ
يا راعيَ الذَّودِ لقد رُعْتَهم ويلَكَ من رَوْع المحبِّينْ
فرَّقتَ جمعاً لا يُرى مثلُهم بين دُروب الرُّوم والصِّينْ

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها ، عن ابن المكّي وغيره .

قال : ودخل ابنُ الأشعث يوماً على ابن رامينَ فخرجت إليه الزَّرقاء ، فبينما هو يُلقِي عليها إذْ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعراً في وقتِهِ ، وتغنّى فيه ، فأخذته منه الزرقاء ، وهو قوله : [من الخفيف]

صوت

قل لأختي التي أُحبُّ رضاها أنتِ لِي فاعلميه رُكنٌ شديدُ

إنَّ لِي حاجــةً إليكِ فقولِي : بين أُذْنِــي وعاتِقي مــا تريدُ

يعني قولي : ما تريد في عنقي حتّى أفعَلَه . ففطِنت الزّرقاء للذي أراد ، فوهَبتْ له الوصيفَة ، فخرج بها .

الغناء فيه رمل بالوسطى . ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابنُ سريج ، وقد وَهِمَ في ذلك ، بل الغناء لمحمّد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

قال هارون : وحدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : وحدَّثني أبو عبد الله الأسَكّ أمير المغنِّين أن محمد بن الأشعث الزهري ، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السُّلَميّ اجتمَعا عند ابن رامين ، وكان هشامٌ قد أنفق في منزله مالاً عظيماً ، وكان يقال لأبيه بِسِيارْدِرَمْ ، وتفسيره بالعربية : الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام قُلْ ما تشاء . قال : [من الخفيف]

قل لأختي التي أُحبُّ رِضاها أنتِ لِي فاعلميهِ ركنٌ شديدُ

وأشار بذلك إلى سَلاّمة الزّرقاء . قالت وقد سمِعَتْ : فقل . فقال : [من الخفيف]

إنّ لِـي حاجةً إليكِ فقولي بين أُذْني وعاتِقِي مـا تريدُ

ففطنت الزّرقاء للذي أراد ، فقالت : بين أذْنِي وعاتِقِي ما تريد ، فما هو ؟ قال : وصيفتك هذه ، فإنّها قد أعجبتني . قالت : هي لك . فأخذها فما ردَّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تكلَّمَ فيه .

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمّد بن الأشعث .

[قاطع ابن رامين ومال إلى سحيقة]

قال هارون : وحدَّثني أبو أيّوب عن أحمد بن إبراهيم قال : ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميميّ ، أنّ محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامينَ ولجاريته سَلاَّمة الزّرقاء ، فشُهِر بذلك ، وكان رجلاً قَصّافا[1] فلامَه قومُه في فعله فلم يحفِلْ بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم ، حتّى رأى بعضَ ما كرِه في منزل ابن رامين ، فمال إلى سَحِيقة جارية زُريق بن منيح ، مولى عيسى بن موسى . وكان زُريقٌ شيخاً سخيّاً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشْرافُ الكوفة من كلِّ حيّ ، وكان الغالبُ على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفّار العجليّ ، كغَلبة محمد بن الأشعث على منزل ابنِ رامين ، فتواصَلا على ملازمة بيت زُرَيق . ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث : [من الخفيف]

يـا ابن رامينَ بُحْتَ بالتَّصريح في هَـوايَ سَحِيقـةَ ابنِ منيحِ
قَينــةٌ عَفَّــةٌ ومولًـى كريـمٌ ونديــمٌ مـن اللُّبابِ الصَّرِيحِ

1 قصاف : كثير اللهو واللعب على الطعام .

رَبَعِــــيٌّ مهـــذَّبٌ أَرْيَحِـــيٌّ يَشتري الحمدَ بالفَعالِ الرَّبيحِ[1]
نحنُ منه في كلِّ ما تشتهي الأنـ ـفُسُ مـن لـذّةٍ وعيشٍ نجيحِ
عندَ قَرْمٍ من هاشم في ذُراها وغنــاءٍ مــن الغـزالِ المليحِ
في سُرورٍ وفي نعيم مُقيـــم قــد أمِنّـا من كلِّ أمرٍ قبيحِ
فاسلُ عنّـــا كما سلونـــاكَ إنّي غيرُ سالٍ عن ذاتِ نَفْسي ورُوحي
حافِظٌ منك كلَّ ما كنت قد ضـ ـيَّعْتَ مِمّا عصيتُ فيه نصيحي
فالقِلى ما حييتَ منّي لكَ الدَّهـ ـرَ بــوُدٍّ لمُنْيتِـي ممنــوحِ
يا ابنَ رامينَ فالزمَنْ مسجدَ الحـ ـيِّ وطُولَ الصَّلاة والتَّسبيحِ

قال عمرو بن نوفل : فلم يَدعِ ابنُ رامين شريفاً بالكوفة إلاَّ تحمَّلَ به على ابن الأشعث وأن يَرضى عنه ، ويعاودَ زيارتَه ، فلم يَفْعَل ، حتّى تحمَّلَ عليه بالجَحْوانيّ ، وهو محمد بن بشر بن جَحْوان الأسديّ ، وكان يومئذٍ على الكوفة ، فكلّمهُ فرضيَ عنه ورجع إلى زيارتِهِ ، ولم يقطع منزلَ زُرَيق ، وقال في سحيقة : [من الوافر]

سحيقة أنــتِ واحـــدة القيانِ فما لــكِ مُشْبِهٌ فيهـنّ ثانِ
فَضَلتِ على القيانِ بِفَضلِ حِذقٍ فحُزتِ على المدى قَصَبَ الرِّهانِ
سجدنَ لــكِ القيـانُ مكفِّراتٍ كما سجَــدَ المجـوسُ لمرزُبانِ
ولا سِيَمـــا إذا غنِّيتِ صوتــاً وحرّكْــتِ المَثالــث والمثاني
شرِبتُ الخمرَ حتّى خلتُ أنّي أبـــو قابـوسَ أو عَبْــدُ المَدانِ
فإعمالُ اليَسارِ على المَـــلاوِي ومِـــن يُمنـاكِ ترجمةُ البيانِ[2]

[حيلة سلامة على روح بن حاتم]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان ، عن حمّاد عن أبيه قال : كان روح بن حاتم المهلبيّ كثير الغِشْيان لمنزل ابن رامِينَ ، وكان يختلف إلى الزَّرْقاء جاريةِ ابن رامين ، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتهواه ، فقال لها : إنَّ رَوح بن حاتم قد ثَقُلَ علينا . قالت : فما أصنع ، قد غَمَرَ مولاي بِبِرِّه ! فقال : احتالي له . فبات عندهم رَوحٌ ليلةً ، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغسلَتْه ، فلمّا أصبحَ سأل عنه فقالت : غَسَلْناه . ففطِنَ أنّه أحدَثَ فيه فاحتِيجَ إلى غَسْلِهِ ، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها ، وخلا وجهُها لابن جميل .

1 ربعي : نسبة إلى ربيعة .
2 الملاوي : ملاوي العود التي تشد بها الأوتار .

[جواري ابن رامين]

قال هارون : وأخبرني حمّاد عن أبيه قال : ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين ، مولى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان . وجواريه سَعْدة ، ورُبَيْحة ، وسَلاّمة الزرقاء . وفيهن يقول إسماعيل بن عمّار الأسديّ وأنشدناه الحِرْميّ عن الزُّبير عن عمِّهِ ، وروايته أتمُّ[1] : [من البسيط]

هَل مِن شفاءٍ لقلبٍ لَجَّ مَحزونِ صَبا ، وصبٌّ إلى رِيم ابن رامينِ
إلى رُبَيحـــة إنَّ اللّهَ فضَّلَهـــا بحُسنِهـــا وسَمـــاعٍ ذي أفـــانينِ[2]
نَعَمْ شفاؤكِ منهـــا أن تقولَ لَها قَتلتِنِي يـــومَ دَير اللُّجِّ فاحيِيني[3]
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قـــد تَلبَّسَ بِي من الجَوى فانفُثي في فِيَّ وارقيني
نفسي تأبَّى لكـــمْ إلاّ طَواعِيـــة وأنْـتِ تَحمَيْنَ أنفـــاً أن تُطيعيني[4]
فتلك قسمةُ ضِيزى قد سمعتُ بها وأنتِ تتلينها مـــا ذاكِ في الدينِ[5]
مـــا عائِذُ الله لي إلفٌ ولا وطنٌ ولا ابنُ رامينَ ، لولا ما يمنّيني[6]
يا ربٍّ ما لابن رامينٍ ، لـــه بقَرٌ عِـينٌ وليس لنـــا غيرُ البـــراذينِ
لـــو شئتَ أعطيتَه مـــالاً على قدَرٍ يرضى بِهِ منكَ غيرَ الخُرَّدِ العِينِ
لِعائِـــذِ الله بيتٌ مـــا مررتُ بِـــهِ إلاَّ وُجِئْـتُ على قلبـــي بِسِكِّينِ[7]
يا سَعدةُ القينةُ البيضاءُ ، أنتِ لَنا أُنسٌ لأنَّكِ في دارِ ابـــن رامينِ
لا تَحْسَبِنَّ بياضَ الجِصِّ يؤنسني وأنتِ كنتِ كمثلِ الخَزِّ في اللينِ
لولا رُبَيحة ما استأنستُ ما عَمَدت نفسي إليكِ ولَوْ مُثِّلتِ في طِينِ
لَم أنْسَ سَعْدَة والزّرقـــاءَ يومَهما باللُّجّ شرقيَّـــهُ فـــوقَ الدَّكاكينِ
تُغنِّيـــانِ ابـــنَ رامـــينٍ ضَحاءَهمـــا بالمسجحـــيِّ وتشبيـــبِ المحبِّينِ[8]

1 سبق أن وردت هذه القصيدة في ترجمة إسماعيل بن عمار في الجزء الحادي عشر ، ص 245 .
2 أفانين : ضروب .
3 دير اللج : بالحيرة .
4 تحمين أنفاً : تأنفين .
5 القسمة الضيزى : الجائرة .
6 عائذ الله : حي من العرب .
7 وجأه : ضربه .
8 المسجحي : الغناء المنسوب إلى ابن مسجح .

فما دَعوتُ بِـهِ من عيش مَمْلكةٍ ولَم نَعِشْ يومَنـا عيشَ المساكِينِ
أذاكَ أَنْعَـمُ أَم يـومٌ ظَلِلتُ بِـهِ منعَّـمَ العيشِ في بُستـانِ شُورينِ
يشوي لنا الشَّيخ شُورِينٌ دواجنَه بالجَرْدَنـاجِ وسحـاج الشقابينِ[1]
نُسْقـى شرابـاً لعمـرانٍ يعتّقه يُمسي الأَصحّـاءُ منـه كالمجانينِ

يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله .

إذا ذكرنا صلاةً بَعدما فَرَطَتْ قُمْنا إليها بِـلا عقـلٍ ولا دينِ[2]
نمشي إليها بِطـاءً لا حَـراكَ بِنا كأَنَّ أَرجلَنا تُقْلَعـنَ مـن طينِ
نمشي وأَرجلُنا عوجٌ مطارِحُها مَشيَ الإِوَزِّ التي تأتي من الصينِ
أَو مَشْيَ عُميانِ دَيرٍ لا دليـلَ لهم إلاّ العصيُّ ، إلى عِيـدِ السَّعانينِ

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

لابن رامينَ خُـرَّدٌ كمها الرَّمْـ ـلِ حِسانٌ وليس لِي غير بَغْلِ
ربِّ فَضَّلتَـه عليَّ ولَـوْ شئـ ـتَ لفضَّلتني عليـه بفَضْلِ

قال حمّاد : وأَخبرني أبي قال : حدَّثني السَّكونيّ ، أنَّ جعفر بن سليمان اشترى رُبيحة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ بن عليٍّ سَعْدة بتسعين أَلف درهم ، واشترى مَعْن بن زائدة الزرقاء .

قال مؤلّف هذا الكتاب : هذا خطأ ، الزّرقاء اشتراها جعفر بن سليمان ، ولعلَّ مَعْناً اشترى غيرَها .

أَخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ ، عن عبد الملك بن ثوبان قال : قال إسماعيل بن عمّار : كنت أَختلف إلى منزل ابن رامينَ فأسمع جاريتيه : الزرقاء وسَعْدة ، وكانت سَعدة أظرَفَ من الزَّرقاء ، فأُعجِبْتُ بِها وعَلمتْ ذلك منِّي ؛ وكانت سَعدة كاتبةً ، فكتبتُ إليها أشكو ما أَلقى بها ، فوعدتني فكتبتُ إليها رقعةً مع بعض خَدَمِهم : [من البسيط]

يا ربِّ إنّ ابن رامينٍ له بَقَرٌ عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ

---

1 بالجردناج : أي مُتَبَّلاً بالأفاويه . والشقابين : جمع شقبان وهو نوع من الطير .
2 فرطت : سبقت .

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءني الخادم وقال : ما زالت تقرأ رُقعتك وتضحك من قولك . [من البسيط]

فإن تجودِي بذاكِ الشيءِ أحْيَ بِهِ وإنْ بخلتِ بِهِ عنّي فزنّيني

وكتبت إليّ : «حاشاك من أن أزنّيك ، ولكنّي أسير إليك فأُغنّيك وأُلهّيك وأُرضيك» . وصارت إليّ فأرضتني بعدَ ذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، عن الحسين بن محمد الحرّانيّ ، وأخبرني الجوهريّ عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه : أنّ جعفر بن سليمان اشترى الزّرقاءَ صاحبة ابن رامينَ بثمانين ألف درهم ، وستَرها عن أبيه ، وأبوه يومئذٍ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرّك في تلك الأيّام عبدُ الله بن علي ، فهَجَمَ عليهما يوماً سليمان بن عليّ فأخفيا العُودَ تحتَ السَّرير ودخَل ، فقال له : ويحكَ نحن على هذه الحالِ نتوقّع الصيلم[1] وأنتَ تشتري جاريةً بثمانين ألفَ درهم !؟ وأظهرَ له غضباً عليه وتسخُّطاً لما فَعَل ؛ فغمز خادماً كان على رأسِه فأخرجها إلى سليمان ، فأكبَّتْ على رأسه فقبّلته ، ودعَتْ له ، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلّمة ، فأعجبه ما رأى منها ، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك .

قال : ولمّا مضت لها مُدّةٌ عند جعفرٍ سألها يوماً : هل ظفِرَ منك أحدٌ مِمّن كان يهواكِ بخلوةٍ أو قُبْلَة ؟ فخشيت أن يبلُغه شيءٌ كانت فعلَتْه بحضرةِ جماعةٍ أو يكونُ قد بلغه ، فقالت : لا والله إلاّ يزيد بن عون العِباديُّ الصَّيرفيّ ؛ فإنّه قبّلني قُبلةً وقذف في فِيّ لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتال له ويطلبه حتّى وقع في يده ، فضرَبهُ بالسِّياط حتّى مات .

[استقبال سلامة الزّرقاء ليزيد بن عون]

قال هارون : وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال . حدَّثني أبو عوف الدّوسيّ ، عن عبد الرحمن بن مُقَرِّنٍ قال : كتبتُ إلى ابن رامينَ أستأذِنه في إتيانه ، فكتب إليّ : «قد سبقَكَ رَوحُ بن حاتم ، فإن كنتَ لا تحتشِمُ منه فَرُحْ . فَرُحْتُ ، فكنّا كأنّنا فرسا رِهان ، والتقينا فعانقني وقال لي : أنّى تريد ؟ قلت : حيثُ أردتَ . قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجَت الزّرقاءُ في إزارٍ ورداءٍ قُوهِيَّيْنِ[2] مورَّدين ، كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها وكتِفيها ، فغنّتنا ساعةً ثم جاء الخادم الذي يأذَن لها ، وكان الإذْن عليها دونَ مولاها ،

1 الصيلم : الداهية .

2 القوهي : ضرب من الثياب ، منسوبة إلى قوهستان .

فقام دونَ الباب وهي تغنّي ، حتّى إذا قطَعَتْ نظرَتْ إليه فقالت : مَن ؟ فقال : يزيد بن عَون العباديُّ الصَّيرفيّ ، الملقّب بالماجن ، عَلى الباب . فقالت : أدخِلْه . فلمّا استقبَلَها كفَّرَ[1] ثم أقعى بين يديها . قال : فوجَدَتْ[2] والله له ورأيتُ أثَرَ ذلك ، وتنوَّقَتْ تنوُّقاً[3] خلافَ ما كانتِ تَفعلُ بنا . فأدخلَ يَده في ثوبِه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظري يا زَرقاء جُعِلت فداكِ ! ثم حَلَف أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردت أن تعلمي . فغنَّتْ صوتاً ثم قالت : يا ماجِنُ هَبْهما لِي ويحك . قال : إن شئتِ واللهِ فعلتُ . قالت : قد شئتُ . قال : واليمينُ التي حلفتُ بها لازمةٌ لِي إنْ أخذتهما إلاّ بشفتيك من شَفَتيَّ . قال : فذهب رَوْحٌ يتسرَّع إليه ، فقالت له : أَلَكَ في بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . فقلت : إنّما يتكسَّبون مِمّا ترى . وقام ابن رامينَ فقال : ضَعْ لِي يا غلامُ ماء . ثم خَرج عنا فقالت : هاتهما . فمشى على ركبتيه وكفَّيه وهما بين شفتَيه . فقال : هاكِ . فلمّا ذهبَتْ بشفتيها جعل يصدُّ عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها ، فغمزَتْ جاريةً على رأسها فخرجتْ كأنَّها تريد حاجة ، ثم عطفَتْ عليه ، فلمّا دنا منها وذهب ليزُوغَ دفَعْت مَنكِبيه وأمسكَتْهما حتّى أخذت الزَّرقاءُ اللؤلؤتين بشفتَيها من فمه ، ورَشَح جَبينُها حياءً منّا . ثم تجلَّدَتْ علينا فأقبلَتْ عليه فقالت له : «المغبونُ في استِهِ عُوْد» فقال : أمّا أنا فما أُبالِي ، لا يزال طِيبُ هذه الرائحةِ في أنفِي وفَمِي أبداً ما حَيِيت .

[سعدة تعبث بثياب الزائرين]

قال هارون : وحدّثني ابن النطّاح عن المدائنيّ ، عن علي بن أبي سليمان ، عن أبي عبد الله القرشيّ ، عن أبي زاهر بن أبي الصباح ، قال : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش ، فأخرج الزّرقاءَ ، وسَعْدَة ، فقام القرشيُّ ليبول وترك مُطرَفه[4] ، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ ، فرجعَ القرشيُّ وعليها المُطْرف قد خاطته فصار دِرعاً[5] ، فقالت : أرأيتم أسرعَ مِن هذا ؟ صار المُطرف درعاً ! فقال القرشيُّ : هو لكِ . قال : وعليَّ طيلسانٌ مثنيّ ، فأردت أن أبول فلففته وقُمت ، فقالت سَعدة : دَع طَيلسانك . فقلت : لا أَدَعهُ ، أخافُ أن يتحوّل مطرَفاً .

---

1 كفّر : قام بأحد تعابير التعظيم كالإنحناء أو الركوع . . . إلخ .

2 وجدت : لحقها الوجد .

3 تنوقت : تأنقت .

4 المطرف : ثوب من خزّ مخطّط .

5 الدرع : القميص .

[دراج ابن المقفّع]

وحدَّثني قبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : شرِبتْ زرقاءُ ابن رامينَ دواءً فأهدى لها ابن المقفّع ألف دُرّاجة على جمل قُراسيّ[1] .

[أب يتخوّف على ابنه من عشقه الزّرقاء]

قال هارون : وحدَّثني حماد عن أبيه : أنّ محمدَ بن جميلٍ كان يتعشّق الزّرقاءَ ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَم عن ابنه محمّد ، إلى أنْ مرَّ بهِ صديقٌ له يكنى أبا ياسرٍ ، فسأله عنه فقال له أبو ياسر : تركتُه أعظَمَ النّاس قَدْراً ، يعامل الخليفةَ كلَّ يوم في خَراجه ، فيحتاج إليه ولدُه ، وصاحبُ شرطته ، وصاحبُ حرسه ، وخَدَمُهُ . فقال له : يا أخي : فكيف بهذه الجارية التي قد شُهِر بها ؟ فقال له الرجل : لا تهتمَّ بها ، قد مازحَهُ أمير المؤمنين فيها ، وخاطَبَه بشعرٍ قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال : [من السريع]

وابنُ جميـلٍ فاعلموا عاجـلاً لا بـدّ موقوف على مَسْطَبَهْ
يُوقَـف في زرقـاءَ مشهـورةٍ تُجيد ضَرب العُود والعَرطَبَهْ[2]

فقال جميل : والله ما بي من هذا الأمر إلاّ أنّي أتخوَّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولَم يَنِكها .

قال هارون : وأُحسب هذه القصّة لزرقاءِ الزّرادِ ، لا زرقاءِ ابن رامين .

[منافسة في تقديم الألطاف للزّرقاء]

قال هارون : وحدّثني أبو أيوب قال : حدّثني محمد بن سلام ، قال : اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة ، ورَوْح بن حاتم ، وابن المقفَّع ، فلمّا تغنَّت الزّرقاءُ وسَعدة ، بعثَ معنٌ إليها بَدْرةً فصُبَّت بين يديها ، فبعثَ روح إليها أخرى فصُبَّت بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفَّع دراهم فبعثَ فجاء بصَكٍّ ضيعته وقال : هذه عُهدةُ ضَيعتي خُذِيها ، فأمّا الدَّراهم فما عندي منها شيء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا فضلٌ اليزيديُّ قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال سليمان الخشَّاب : دخلتُ منزلَ ابن رامينَ فرأيتُ الزّرقاءَ جاريتَه وهي وصيفةٌ ، حين شالَ نهودُها ثوبَها عن صدرها ، لها شاربٌ كأنَّه خُطَّ بمسك ، يلحَظُه الطّرف ، ويقصرُ عنه الوصف ، وابن الأشعثِ الكوفيُّ يلْقِي عليها ، والغناء له : [من مجزوء الرجز]

1 جمل قراسي : ضخم شديد .

2 العرطبة : العود أو الطنبور .

أيّـةُ حــالٍ يا ابنَ رامِينَ حــال المحبِّـين المساكِينْ
تركتَهم موتـى وما موَّتوا قــد جُرِّعوا منكَ الأَمَرِّينْ
وسِرتَ في رَكَبٍ على طِيَّةٍ ركــبِ تَهـامٍ ويَمانِــينْ
يا راعِيَ الذَّود لقد رُعْتنا ويلَــكَ مـن رَوعِ المحِبِّينْ
فرّقتَ جمعاً لا يُرى مثلُهم فَجَّعتهــم بالرَّبــربِ العِينْ

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني هارون بن محمد الزيّات قال : قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل : كان ابن رامِينَ مولى الزّرقاء أجلَّ مُقَيِّنٍ بالكوفة وأكبَرَهم ، ورامين أبوه مولى بِشر بن مروان .

[ابن الأشعث يعلّم الغناء]

قال هارون : فحدّثني سليمان المدينيّ قال : قال حمّاد بن إسحاق قال أبي : قال مُعاذ بن الطَّبيب : أتيتُ ابن رامينَ وعنده جواريه : الزَّرقاء وصواحباتها ، وعندهنّ فتى حسنُ الوجهِ نظيفُ الثِّياب ، عَطِر الرّيح ، يُلقِي عليهنّ ، فسألتُ عنه فقيل لي : هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزُّهريّ . فمضيتُ به إلى منزلي وسألته المقام ففعلَ ، وأتيتُه بطعام وشَراب وغنَّيتُه أصواتاً من غِناء أهل الحجاز ، فسألني أن ألقيَها عليه ، فقلتُ : نَعَم وكرامةً وحبّاً ، على أن تلقِيَ عليَّ أصواتاً من صنعتك ألتذّ بها ، وأقطعُ طريقي بروايتها ، وأطرِف أهلَ بلدي بها . ففعلتُ وفعلَ ، فكان مِمّا أخذْته عنه من صنعته : [من الرمل]

صوت

صاحِ إنِّي عــادَ لي مــا ذَهَبا مِن هـوًى هاجَ لقلبي طَرَبا
أذكَرَتْنــي الشَّوق سَلاّمةُ أن لَم أكُــنْ قضَّيت منهـا أرَبا
وإذا مــا لامَ فيهــا لائـمٌ زاد في قلبـي لحبِّـي عجبـا
مِن ذَواتِ الدَّلِّ لو دَبَّ على جِلدهــا الذَّرُّ لأبــدى نَدَبا

الغناء لمحمد بن الأشعث ، ثقيلٌ عن الهِشاميّ . وفيه ليونس خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة ، في مَجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر أحمد بن عبيد أنَّ فيه لحناً من الثقيل الثاني لا يدرى لَمن هو ؟

قال : ومنها : [من الطويل]

صوت

لِذِكْــرِ الحبيبِ النَّازحِ المتغتِّــبِ طرِبتُ ومَن يَعْرِضْ له الشّوق يطربِ

لحنه رمل . وقال منها : [من الطويل]

صوت

خليليَّ عُوجـا ساعةً ثم سلّما على زَينبٍ سَقْياً ورَعياً لزينبِ

لحنه رمل . وقال منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

رَحُبَــت بلادُكِ يــا أُمامةْ وسَلِمتِ ما سَجَعَت حَمامَةْ
وسقـى ديــارَكِ كلّمــا حنَّـت إلى السُّقيا غَمامَةْ
إنِّــــي وإن أقصَيتِنِـــي سَفَهاً أُحبُّ لكِ الكرامَةْ
وأرى أُمـــورَكِ طاعـــةً مفروضـــةً حتّى القيامَةْ

لحنه خفيفُ رملٍ . قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

ما بالمَغاني مِــن أَحَدْ إلاّ حمامــاتٌ فُــرُدْ[1]
أضحت خَــلاءً دُرَّساً للرِّيح فيهــا مُطَّــرِدْ
عهدِي بِها فيما مَضى يتنابهــا بيضٌ خُــرُدْ[2]
فاستبدلَت وَحشاً بهم والوُرق تدعو والصُّرَدْ[3]

لحنه هزج . قال : ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

ليتَ مــن طَيَّرَ نومي ردَّ في عينـــي المناما
أو شَفى جسماً سقيماً زاده الهجـــرُ سَقاما
نظرَتْ عينـــي إليهـا نَظــرةً هاجــت غَراما
تركَتْ قلبـــي حزينـاً بهواهـــا مُستَهاما

لحنه رمل .

قال ابن الطبيب : وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة ، ورأيتُ النّاسَ بعد ذلك ينسبونها إلى قُدماءِ المغنّين .

---

1 فرد : فريدات .
2 خرد : جمع خريدة وهي البكر أو الحيية .
3 الصرد : طائر أبقع يصطاد صغار العصافير .

قال هارون : وحدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدَّثني إسماعيل بن جَعفر بن سليمان : أنَّ الزَّرقاء صاحبة ابن رامينَ صارت إلى أبيه ، وكان يقال لها أُمّ عثمان . وأنّ رُبَيحة جاريةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيَّةً عنده . قال إسماعيل : فأتى سليمانُ بن عليّ ابنَه جعفراً فأخرج إليه الزَّرقاءَ ، فقال لها سليمان : غَنِّيني . قالت : أيَّ شيءٍ تحبُّ ؟ قال : غنِّيني : [من الهزج]

إذا مـا أُمُّ عبدِ اللَّـ ـهِ لَم تَحْلُل بِواديهِ
ولَم تَشفِ سقيماً هَيَّـ ـجَ الحُـزن دواعيـهِ

فقالت : فَدَيتك ، قد ترك الناسُ هذا منذ زمان . ثم غنَّته إيّاه .

قال إسماعيل : قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة ، وينبغي أن يكون رأي الزّرقاءَ قبل موته بسنتين أو ثلاثٍ . قال : وقالت هي : قد تَركَ الناس هذا منذُ زمانٍ . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

[شعر في جواري ابن رامين]

قال هارون : وقال شُراعة بن الزَّندَبُوذ : [من البسيط]

قالوا شُراعَةُ عِنِّـينٌ فقلتُ لهـم اللهُ يعلـمُ أنِّـي غير عِنِّـينِ
فإنْ أبيتم وقلتـم مثـلَ قولِهِـم فأقْحِمونـيَ في دارِ ابـنِ رامـينِ
ثم انظروا كيفَ طعني عند مُعتَرَكِي في حِرِ مَنْ كنتُ أرميها وتَرميني

قال هارون : وحدَّثني أبو أيّوب المدينيّ ، عن أحمد بن إبراهيم قال : قال بعض المدنيِّين : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ ، فوجدتُه عندهُ جاريةً قد رفع ثديُها قميصاً ، لها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفتيها امتدادَ الطِّراز ، كأنّما خُطَّت طُرَّتُها وحاجباها بقَلَم ، لا يلحقُها في ضربٍ من ضُروبِ حُسنها وصفُ واصف ، فسألتُ عن اسمها فقيل : هذه الزَّرقاء .

نسبة الصوت الذي في الخبر

صوت[1]

[من الهزج]

إذا مـا أُمُّ عبد اللَّـ ـهِ لم تَحْلُلْ بواديهِ
ولَمْ تَشفِ سقيماً هـ ـيَّجَ الحـزنُ دواعيهِ

1 انظر شعر النعمان بن بشر (د . يحيى الجبوري ـ بغداد) : 162-164 .

غَـزالٌ راعَــه القنَّـا ... صُ تحميــه صياصيهِ[1]
عرفتُ الرَّبع بالإكليـ ... ـلِ عَفَّتـه سوافيهِ[2]
بجـوٍّ ناعِــمِ الحَـوذا ... نِ مُلتــفٍّ رَوابيهِ[3]
ومـا ذِكري حبيباً و ... قليــلاً مــا أُواتيــهِ
كذِي الخمرِ تَمنَّاهـا ... وقَــد أَسْرفَ ساقِيهِ

ذكر الزُّبير بن بَكّارٍ أنّ الشِّعرَ لعديّ بن نوفل ، وقيل إنّه للنُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريّ وذاك أصحُّ .

وقد أخرجتُ أخبارَ النُّعمان فيه مفردةً في موضع آخر ، وذكرتُ القصيدة بأسرها . ورواها ابنُ الأعرابيّ وأبو عمرو الشيبانيّ للنُّعمان ، ولم يذكر أنّها لعديٍّ غير الزُّبير بن بكّار .

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمعْبدٍ ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى . وذكر إسحاقُ أنّ فيه خفيفَ رملٍ بالسبّابة في مَجرى البِنصر ، يمانٍ . وفيه للغريض ثَقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ ، في الأوّل والثاني والرابع والخامس .

---

1 الصياصي : الحصون .
2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تسفي التراب .
3 الجو : المنخفض من الأرض . الحوذان : نبت نوره أصفر .

[281] ـ نسب عديّ بن نَوْفل وخبره

[نسبه]

هو عدِيُّ بن نوفلٍ بن أُسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ . وأُمّه آمنةُ بنت جابر بن سفيان ، أختُ تأبَّطَ شرّاً .

وكان عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه استعمَلَه ، أو عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فيما أُخبرنا به الطُّوسيُّ عن الزُّبير بن بكّار ، على حَضرَمَوْت .

قال الزُّبير : ودارُ عديٍّ بن نوفلٍ بين المسجد والسُّوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النِّسائيّ : [من الخفيف]

إنَّ مَمْشاكِ نحـوَ دارِ عـديٍّ   كان للقلب شِقـوةً وفُتونـا
إذْ تراءت على البـلاطِ فلمَّـا   واجَهْتها كالشَّمْسِ تُعشِي العُيونا
قال هارونُ قِفْ فيـا ليتَ أنّي   كنتُ طاوعـتُ ساعـةً هارونا

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة[1] .

[نشوز امرأته]

قال الزُّبير : كان تحتَ عدِيّ بن نوفلٍ أُمُّ عبد الله بنت أبي البَخْترِيّ بن هاشم بن الحارث بن أسدِ بن عبد العُزّى ، فغاب مدّةً وكتب إليها أن تَشخَص إليه ، فلَم تَفعلْ ، فكتبَ إليها قولَه : [من الهزج]

إذا مـا أُمُّ عبد اللّـ   ـهِ لَم تَحلل بواديه

وذكر البيتين فقط ، فقال لها أخوها الأسودُ بن أبي البَخْتريّ ، وهما لأبٍ وأمّ ، أمُّهما عاتكة بنت أُميّة بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزّى : قد بلغ الأمرُ هذا من ابن عَمّك . فاشخَصي إليه .

1 الأبيات في ديوان عمر (صادر) : 431 .

صوت

[من المتقارب]

أعينيَّ جُــودا ولا تَجمُدا ألا تبكيــانِ لصَخْرِ النَّدى
ألا تبكِيانِ الجرِيَّ الجميلَ ألا تبكيانِ الفَتى السيِّدا

الشعر للخنساء بنت عمرٍو بن الشَّريد ، ترثي أُخاها صخراً ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ثقيلٌ أوّل مطلق في مَجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لابن سُريج خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن عمرو ، والهشاميّ ، وحَبَش .

[282] ـ نسب الخنساء وخبرها[1] وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

[نسب الخنساء]

هي الخنساء بنت عَمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر. واسمُها تماضر.

[شعر دريد بن الصمة فيها]

والخنساء لقبٌ غَلَبَ عليها، وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة، وكان خَطَبَها فردّته، وكان رآها تَهْنأ بعيراً[2]: [من الكامل]

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبِي ... وقِفُوا فإنَّ وقوفَكم حسبي
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم ... وأَصابَه تَبْلٌ من الحُبِّ[3]
ما إن رأَيتُ ولا سمِعتُ بهِ ... كاليومِ طالي أيْنُقٍ جُربِ
متبذِّلاً تبدو محاسنُه ... يضع الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمّد بن سلاّم: لمّا خطبها دُريدٌ بعثت خادماً لها وقالتْ: انظري إليه إذا بالَ، فإن كان بولُه يَخرِق الأرض ويخدُّ فيها ففيه بقيّة، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيّةَ فيه. فرجعَتْ إليها وأخبرَتْها، فقالت: لا بَقِيّة في هذا. فأرسلَتْ إليه: ما كنتُ لأَدَعَ بني عمِّي وهم مثلُ عوالِي الرّماح، وأتزوَّجَ شيخاً! فقال[4]: [من الوافر]

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آلِ عمرو ... مِن الفتيانِ أشباهِي ونَفْسي
وقالت إنّني شيخٌ كبيرٌ ... وما نَبّأتها أنّي ابنُ أَمْسِ

1 ترجمة الخنساء في الشعر والشعراء: 260–264 وشرح شواهد المغني: 89 وخزانة البغدادي 1: 433–438 وكتب الصحابة وراجع بروكلمان 1: 164–165 وقد طبع ديوانها مرات عديدة وآخرها بشرح ثعلب تحقيق د. أنور أبو سويلم (ط. دار عمار) وفيه تخريج كثير واستقصاء للروايات.

2 ديوان دريد: 34.

3 التبل: السقام.

4 ديوان دريد: 82.

فـلا تلِدِي ولا يَنكحْكِ مثلي   إذا مـا ليلـة طَرَقَتْ بِنَحْسِ
تريـدُ شَرَنْبَثَ القدمـينِ شَثْناً   يُباشِر بـالعَشيَّة كلَّ كِرسِ[1]

فقالت الخنساء تُجيبه[2] : [من الوافر]

مَعـاذ اللهِ ينكِحُني حَبَرْكـى   يُقال أبـوه من جُشَمَ بنِ بَكرِ[3]
ولَو أصبحتُ في جُشَم هَدِيّاً   إذاً أصبحتُ في دَنَس وفقـرِ

وهذا الشعر[4] ترثي به أخاها صخراً وقتله زيدُ بن ثَورٍ الأسديّ يوم ذي الأثْل .

[مقتل صخر]

أخبرنا بالسببِ في ذلك محمد بن الحسن بن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وأضفتُ إليه روايةَ الأثرم عن أبي عبيدة قال[5] : غزا صَخْر بن عمرو ، وأنس بن عَبّاسٍ الرِّعْلِيُّ في بني سُلَيم ، بني أسد بن خزيمة ، قال أبو عبيدة : وزعم السُّلَميّ أنّ هذا اليوم يقال له يوم الكُلاب ويومُ ذي الأثْل ، في بني عوفٍ وبني خُفاف . وكانا متساندِين ، وعلى بني خُفافٍ صخرُ بن عمرٍو الشَّريديّ ، وعلى بني عوفٍ أنسُ بن عبّاس . قال : فأصابوا في بني أسدِ بن خزيمة غنائِمَ وسَبْياً ، وأخذ صخرٌ يومئذٍ بُدَيلَة امرأةٌ . قال : وأصابت صخراً يومئذٍ طعنةٌ ، طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثَور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفَه حَلَقاً من الدِّرع فاندملَ عليه حتّى شُقَّ عنه بعد سنين ، وكان سبب موته .

قال أبو عبيدة : وقال غيره : بل وردَ هو وبلعاءُ بن قيسٍ الكنانيّ . قال : وكانا أجملَ رجلين في العرب . قال : فشربا عند يهوديٍّ خمّارٍ كان بالمدينة . قال : فحسدَهما لِما رأى من جمالهما وهيأتهما ، وقال : إنّي لأحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاهما شَربةً جَوِيا منها[6] . قال : فمرَّ بصخرٍ طبيبٌ بعد ما طال مرضُه ، فأراه ما به ، فقال : أشُقُّ عنك فتُفيق . قال : فعمَد إلى شِفارٍ فجعل يَحميها ثم يشقُّ بها عنه ، فلَم يَنْشَبْ أن مات .

قال أبو عبيدة : وأمّا أبو بلال بن سهم فإنّه قال : اكتَسح صخرٌ أموال بني أسدٍ وسَبى

1 شرَنْبث القدمين : غليظهما . والشثن : الغليظ . والكرس : أبوال الغنم وأبعارها .
2 ديوانها : 372 وفيه : .
معـاذ الله يرضعنـي حبركـى   قصير الشبر من جسم بن بكر
3 الحبركى : الطويل الظهر القصير الرجلين .
4 يعني الشعر الذي فيه الغناء .
5 انظر أيام العرب في الجاهلية : 399 .
6 جوي : أصابه الجوى ، وهو السل وتطاول المرض ودار في الصدر .

نساءهم ، فأتاهم الصَّريخُ فتبِعوه فتلاحَقُوا بذات الأثْل ، فاقتتلوا قتالاً شدِيداً ، فطعن ربيعةُ بن ثورٍ الأسديُّ صخراً في جَنْبه ؛ وفات القومَ فلَم يُقْعَص[1] وجَوِي منها ، ومرِض قريباً من حولٍ ، حتّى ملَّه أهله . قال : فسمع صخرٌ امرأةً وهي تسأل سَلمى امرأةَ صخر : كيف بَعلُك ؟ فقالت سلمى : لا حيٌّ فيُرجى ، ولا مَيْت فيُنعى[2] ، لقِينا منه الأَمَرَّين !

قال : وزعم آخر أنّ التي قالت هذه المقالةَ بُديلةُ الأسديّة التي كان سباها من بني أسد فاتَّخذَها لنفسه . فأنشَدَ هذا البيت[3] : [من الطويل]

ألا تلكُمُ عِرسي بُدَيلةُ أوجَسَتْ فِراقي ومَلَّت مَضجَعِي ومكانِي

وأمّا أبو بلال بن سهم فزعم أنّ صخراً حين سمع مقالَةَ سَلْمى امرأته قال : [من الطويل]

أرى أُمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضجعِي ومَكانِي
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً عليكِ ومَن يغترُّ بالحَدَثانِ
أهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه وقد حِيلَ بين العَيرِ والنّزَوانِ[4]
لَعَمري لقد نَبَّهتِ مَن كان نائماً وأسمعتِ مَن كانت لهُ أُذُنانِ
ولَلموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنَّها مَحَلَّةُ يعسوبٍ برأسِ سنانِ
وأيُّ امرىءٍ ساوى بأُمٍّ حليلةً فلا عاشَ إلاّ في شَقاً وهَوانِ

فلمّا طال عليه البلاءُ وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْد في جنبه في موضع الطَّعنة ، قالوا له : لو قطعتَها لرَجونا أن تبرأ . فقال : شأنَكم . فأشفقَ عليه بعضُهم فنهاهم ، فأبى وقال : الموتُ أهونُ عليَّ مِمّا أنا فيه ! فأحمَوْا له شَفرةً ثم قطعوها فيَئِسَ من نفسه .

قال : وسمع صخرٌ أختَه الخنساءَ تقول : كيف كان صبرُه ؟ فقال صخرٌ في ذلك : [من الطويل]

أجارَتنا إنّ الخطوبَ تنُوب على النّاس ، كلَّ المخطئين تُصيبُ
فإن تسأليني هَلْ صبرتَ فإنّني صَبورٌ على رَيْبِ الزّمانِ صَليبُ
كأنّي وقد أدنَوْا إليَّ شِفارَهم من الصَّبرِ دامِي الصَّفْحتينِ رَكوبُ

1 لم يقعص : لم يمت مكانه .
2 المثل «لاحي فيرجى ولا ميت فينسى» في مجمع الميداني 2 : 241 .
3 انظر ديوان الخنساء : 362 .
4 المثل «قد حيل بين العير والنزوان» في مجمع الميداني 2 : 96 وجمهرة العسكري 1 : 371 والدرة الفاخرة 2 : 20 .

أجارَتنـا لستُ الغـداةَ بظاعـنٍ ولكنْ مقيـمٌ مـا أقـامَ عسيبُ

عن أبي عبيدة : عَسيبٌ : جبلٌ بأرض بني سُلَيم إلى جنب المدينة ، فقبرُه هناك مَعْلَم .

وقال أبو عبيدة : فمات فدُفِنَ هناك ، فقبره قريبٌ من عَسيب .

[مراثي الخنساء في صخر]

فقالت الخنساء ترثيه[1] : [من المتقارب]

ألا مـا لعينِكَ أم مالَهـا لقـد أخضَل الدَّمعُ سِرْبالَها
ابعدَ ابنِ عمرٍو من آل الشَّريـ ـدِ حَلَّتْ بِهِ الأرض أثقالَها
فإن تَـكُ مُـرَّةُ أودَتْ بِهِ فقـد كان يُكثِـر تَقتـالَها
سأحملُ نفسي على خُطَّـةٍ فإمّـا عليهـا وإمّـا لها
فإنْ تصبر النّفسُ تلقَ السُّرورَ وإنْ تجزع النفسُ أشقى لها

غنّى فيه ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصِر .

قال السُّلميّ : ليست هذه في صخر ، هذه إنّما رثت بها معاويةَ أخاها ، وبنو مُرّة قتلَتْه .

ولكنّها قالت في صخر[2] : [من البسيط]

قَـذًى بعَينِـكَ أم بالعَيْنِ عُـوّارُ أم أقفَرَتْ إذْ خلَتْ من أهلِها الدّارُ
تبكي لصخرٍ ، هي العَبْرى وقد ثَكِلَتْ ودونَه مـن جَديـد التُّرب أستارُ
لا بُـدَّ مـن مِيتةٍ في صَرفِها غِيَرٌ والدَّهْـرُ في صَرفِـهِ حَولٌ وأطوارُ
يـا صخرُ وَرّادَ ماءٍ قـد تناذَرَه أهـلُ المـوارِدِ ما في وِرده عارُ
مَشْيَ السبنتى إلى هيجاءَ مُعضِلَةٍ لـه سلاحـانِ أنيـابٌ وأظفارُ[3]
فمـا عَجُـولٌ على بَـوٍّ تُطيفُ بِهِ لهـا حنينـانِ إصغـارٌ وإكْبارُ[4]
ترتَعُ مـا رتَعتْ حتّى إذا ادَّكَرَتْ فإنّمـا هِـيَ إقبـالٌ وإدبارُ
لا تَسمَنُ الدَّهرُ في أرضٍ وإنْ رتَعَت فإنّمـا هِـي تَحنـانٌ وتَسجارُ[5]

---

1 ديوانها : 78 .

2 ديوانها : 378 ورواية المطلع فيه :

ما هـاج حزنك أم بالعين عـوار أم ذرّفت أم خلت من أهلها الدار

3 السبنتى : النمر والجرىء .

4 أي بصوت خفيف ومرتفع .

5 التسجار : مد الناقة صوتها في الحنين .

يومـاً بأوجَدَ منّـي يومَ فارقَني صخـرٌ وللدَّهـرِ إحـلاءٌ وإمرارُ
فـإنّ صخـراً لوالينـا وسيِّدُنـا وإنّ صخـراً إذا نَشتُو لنحَّـارُ
وإنْ صخـراً لتأتـمُّ الهـداةُ بِـهِ كأنّـه عَلَـمٌ في رأسِهِ نـارُ

غنّى في هذين البيتين الأوّلين ابنُ سُريج ، من رواية يونس : [من البسيط]

لَم تَرْأهُ جارةٌ يمشي بساحَتِها لِريبةٍ حـين يُخلِي بيتَه الجارُ
ولا تـراهُ وما في البيت يأكلُه لكنّـه بـارزٌ بالصَّحْنِ مِهمارُ[1]
مثـلُ الرُّدَينـيِّ لَم تنفَدْ شبيبتُهُ كأنّـه تحتَ طَيِّ البُرد أُسوارُ
في جوفِ رمسٍ مُقيم قد تضمَّنَه في رِمسِهِ مُقْمَطِرَّاتٌ وأحجارُ
طَلْق اليدين بِفعلِ الخير ذو فَجَرٍ ضَخْم الدَّسيعة بالخيراتِ أمّارُ
ورُفقـةٍ حـارَ هاديهم بمهلِكةٍ كأنَّ ظلمتَهـا في الطَّخْيـةِ القارُ

عروضه ثانٍ من البسيط .

العُوّار والعائر : وجَع ، وهو مثل الرمد . وذَرَّفَتْ : قطرَت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سَيلاً . والعَبْرى ، يقال امرأة عَبْرى وعابِرٌ . والعَبرة : سُخنة العين . والولَه : ما يصيب الرجلَ والمرأة من شدّة الجزَع على الولد . حَوْل وأطوار ، أي تحوُّلٌ وتقلُّبٌ وتصرُّفٌ . قد تناذَرَه ، أي أنذر بعضُهم بعضاً هَوْلَه وصعوبته . ويروى : «تبادره» . وقولها «ما في وِرده عار» أرادت ما في ترك وِرده عار ، أي لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عجز عنه من صعوبةِ وِرده . العَجُول : الثّكول . والبَوُّ : أن يُنحَر ولدُ الناقة ويؤخَذ جلدُه فيُحشى ويُدنـى من أُمِّه فترأمَه . إحلاءٌ وإمرار ، يقال : ما أحلى ولا أمَرَّ ، أي ما أتى بحلوةٍ ولا مُرّةٍ . والمعنى أنّ الدَّهرَ يأتي بالمشقّة والمحنة . «كأنّه علَمٌ في رأسِهِ نار» أي إنّه مشهور . والعَلَم : الجبل ، وجمعه أعلام . «كأنّه تحتَ طيِّ البُرد أُسوار» ، أي من لطافـة بَطنِهِ وَهَيفِهِ شبيـه أُسوارٍ من ذهب . والرديني : الرمح منسوب إلى رُدَينة : امرأةٍ كانت تقوِّم الرماح . أي هو معصوب البدَن ليس بمهبَّج منحَلٍّ . وهذا كلّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء . وقال أبو عمرو : مُقْمطِرّات : صخورٌ عظام . والأحجار صِغار . ذو فَجَرٍ : يتفجّر بالمعروف . والدَّسيعة : العطاء . الطخية ، من الطخّاء ، وهو الغيم الرقيق الذي يُواري النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادي .

وقالت الخنساء أيضاً ترثي صخراً[2] : [من الوافر]

1 مهمار : يكثر لأضيافه .

2 ديوانها : 278 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

بكت عيني وعاودَها قَذاها ... بعُوّارٍ فَما تَقضِي كَراها
على صَخْرٍ وأيُّ فتًى كصخرٍ ... إذا ما النابُ لَم تَرأَمْ طَلاها[1]

الطلا : الولد ، أي لم تعطف عليه من الجدب .

فتى الفتيانِ ما بلغوا مَداها ... ولا يُكدِي إذا بلغت كُداها[2]
لئن جزِعت بنو عمرٍو عليه ... لقد رُزِئت بنو عمرٍو فتاها
حلفت بربّ صهب معملات ... إلى البيت المحرم فنهاها[3]

غنّى في هذه الأبيات ابنُ جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر حبشٌ أنّ له أيضاً فيه خفيف رمل بالبنصر .

له كفّ يشقّ بها بخلب ... وأخرى ما يجف ثرى نداها[4]
ترى الشمّ الجَحاجحَ من سُليم ... وقد بَلَّتْ مدامِعُها لِحاها

إذا وُصِف السيد بالشمم فإنّه لا يدنو لدناءة ، ولا يضع لها أنفَه .

وخَيلٍ قد كففتَ بجَوْل خيلٍ ... فدارَتْ بين كبشَيها رحاها[5]

وجَول خيلٍ : جَوَلان . ويقال : قطعةُ خيلٍ تجول ، أي تذهب وتجيء .

ترفّع فَضلَ سابغةٍ دِلاصٍ ... على خَيفانةٍ خِفقٍ حَشاها[6]
وتسعى حينَ تشتجرُ العوالِي ... بكأسِ الموتِ ساعةَ مُصطلاها
محافَظَةً ومَحمِيَةً إذا ما ... نَبا بالقومِ من جَزعٍ لَظاها[7]
فتتركُها قد اشتجرتْ بطعنٍ ... تضمَّنه ، إذا اختلفت ، كُلاها
هُنالك لو نزلتَ بآل صخرٍ ... قَرى الأَضيافَ سُخناً من ذُراها[8]

---

1 الناب : الناقة المسنة .

2 يكدي : يبخل عند السؤال . والكدية : الأرض الصلبة . أي إذا أجدبوا وأعسروا .

3 الصهب : الإبل في ألوانها صهبة ، أي بياض مختلط بحمرة . والمعملات : التي تعمل في السير .

4 رواية الديوان :

له كف يشدّ بها وكفّ ... تجود فما يجف ثرى نداها

5 الكبش : الرئيس .

6 الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة .

7 المحمية : الحمية والأنفة .

8 الذرى : أسنمة النوق . وفي الديوان «شحماً من ذراها» .

فمن للضَّيفِ إن هبّت شَمالٌ مُزعزِعــةٌ يجاوبُهــا صَداها
وألجأ بردُهــا الأشْوالَ حُدْباً إلى الحَجَرات بــارزةً كُلاها[1]
أمطعِمَكم وحامِلَكـــم تَركْتـمْ لــدى غَبراءَ منهــدمٍ رَجاها
لَيَبكِ عليــك قومُك للمعالي وللهيجاء إنّــك مــا فتاها[2]
وقد فَوَّزْتَ طَلْعَةَ فاستراحَتْ فليــت الخيــلَ فارِسُها يراها[3]

وقال خُفافَ بن عُميرٍ يرثي صخراً ومعاوية ابنَيْ عمرو، ورجالاً منهم أُصيبوا[4] : [من الوافر]

تطــاول همُّــه بِبِراقِ سُعـرٍ لذِكراهُــمْ وأيُّ أوانِ ذِكرٍ[5]
كأنّ النــارَ تُخرِجهــا ثيابــي وتَدخلُ بعد نومِ الناسِ صدرِي
لَباتت تضربُ الأمثالَ عندي على نابٍ شَرِبْتُ بها وبَكْرٍ[6]
وتَنْسى من أُفارقُ غيرَ قــالٍ وأُصبر عنهمُ مــنْ آل عمرو
وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خرقٍ رُزِئــتُ مبــرّأ بقِصاصٍ وترٍ[7]
أخِي ثقــة إذا الضَّرَّاءُ نابت وأهــلِ حِبــاء أضيافٍ ونحرِ
كصخرٍ للسَّرِيّـــةِ غـــادروه بذِروة أو معاويــةَ بن عمرو[8]
ومَيْتٍ بالجَنابِ أثَلَّ عرشي كصخرٍ أو كعمرٍو أو كبشرٍ[9]
وآخـــر بالنواصِفِ من هدامٍ فقد أودى وربٌّ أبيك صَبري[10]
فلــم أرَ مثلَهــم حَيّــاً لَقاحاً أقامــوا بــين قاصيَةٍ وحَجْرِ[11]

1 الأشوال : النوق التي خفّ لبنها . حدب : مقوسات الظهر من الهزال . والحجرات : خطائر الإبل .
2 ما فتاها : ما زائدة .
3 طلعة : اسم فرسه . وفوزت : أهلكتها حزناً .
4 ديوان خفاف بن ندبة رقم 5 ص 49 .
5 سعر : جبل . والبراق : الحجارة والرمل .
6 شربت بها : بعتها وشربت بثمنها .
7 الخرق : الفتى الكريم السخي .
8 ذروة : موضع .
9 الجناب : موضع .
10 النواصف : موضع .
11 الحي اللقاح : الذين لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

أشدَّ على صُروف الدَّهرِ إدّاً وآمَرَ منهم فيها بِصَبْرِ[1]
وأكرَم ، حين ضَنَّ الناسُ ، خِيَما وأحمد شيمةً ونَشِيلَ قِدرِ[2]
إذا الحسناء لم ترحَضْ يَدَيْها ولم يُقصَر لها بَصَرٌ بستْرِ
قَرَوْا أضيافَهم رُبَحاً بُبُحٍّ تجيءُ بعبقريٍّ الوَدقِ سُمرِ[3]
رماح مثقّفٍ حَملتْ نِصالاً يُلُحْنَ كأنّهُنّ نجومُ فجرِ
جَلاها الصَّيقَلون فأخلَصُوها مواضِيَ كلُّها يَفْرى ببترِ
همُ الأيسارُ إن قَحَطت جُمادى بكلِّ صَبير سارِيةٍ وقَطرِ[4]
يَصُدّونَ المغيرةَ عن هَواها بطعنٍ يَفلِقُ الهاماتِ شَزَرِ[5]
تعلَّمَ أنّ خيرَ الناسِ طُرّاً لوِلدانٍ ، غداةَ الريح ، غُبرِ
وأرملةٍ ومُعترٍّ مُسيفٍ عديم المال ، عِجزةُ أمِّ صخرِ[6]

ومِمّا رثت به الخنساء صخراً وغُنِّيَ فيه[7] : [من المتقارب]

صوت

أعَينيَّ جُودا ولا تَجمُدا ألا تبكيانِ لصخرِ النَّدى
ألا تَبكيانِ الجريءَ الجميلَ ألا تبكيان الفتى السيِّدا
طويلُ النِّجادِ رفيعُ العِما دِ ساد عشيرتَه أمْرَدا
إذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ إلى المجدِ مَدَّ إليهِ يدا
فنال الذي فوقَ أيديهمُ من المجدِ ثمَّ مضى مُصْعِدا
يحمِّلُه القومُ ما عالَهم وإن كان أصغَرَهمْ مَولِدا

1 الإد : الداهية .
2 الخيم : الطبع .
3 الربح : الفصيل أو الشحم . والبح : قداح الميسر . ولعلّه يقصد ما يربحونه بالميسر .
4 الأيسار : جمع يَسَر وهم الذين يقتمسون بالميسر . والصبير : السحاب .
5 المغيرة : الخيل المغيرة . والطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .
6 المعتر : المعترض للمعروف . والمسيف : الفقير المعدم . والعجزة : آخر الأولاد .
7 ديوانها : 142 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

تــرى المجــدَ يهوِي إلى بيته يرى أفضلَ المجدَ أن يُحمدا[1]
وإن ذُكِــرَ المجــدُ ألفيتَــه تــأزَّرَ بالمجــدِ ثــمَّ ارتــدى

[خبر مقتل معاوية بن عمرو]

ونذكر الآنَ هاهنا خبرَ مقتل معاوية بن عمرو أخيهما ، إذْ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضُها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو بلال بن سهم بن عبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قال : غزا معاوية بن عمرو ، أخو خنساء ، بني مرّة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ، ومعه خُفاف بن عمير بن الحارث ، وأمّه «نُدبة» سوداء ، وإليها ينسب ، فاعتَوره هاشمٌ ودريد ابنا حَرملة المرِّيَّان . قال ابن الكلبيّ : وحرملة هو حرملة بن الأسعر بن إياس بن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان . قال أبو عبيدة : فاستطردَ له أحدُهما ثم وقف ، وشدَّ عليه الآخرُ فقتلَه ، فلمّا تنادَوْا : قُتِلَ معاوية ! قال خُفاف : قتلني الله إنْ رِمتُ حتّى أثأرَ بِهِ ! فشدَّ على مالك بن حِمارٍ الشمخيّ ، وكان سيّد بني شَمْخ بن فزارة ، فقتله . قال : وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فزارة . فقال خفاف في ذلك : [من الطويل]

فإنْ تَكُ خيلي قد أُصيبَ صميمُها فعَمْـداً على عَـينٍ تيمّمتُ مالِكا

يعني مالك بن حمار الشَّمْخِيّ .

قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بِلالٍ الحديث . قال : وأمّا غيره فذكر أنّ معاوية وافى عكاظَ في موسمٍ من مواسم العرب ، فبينا هو يمشي بسُوق عُكاظ ، إذ لقيَ أسماءَ المرّيّة ، وكانت جَميلةً ، وزعم أنّها كانت بغيّاً ؛ فدعاها إلى نفسه فامتنعَتْ عليه وقالت : أمَا علمتَ أنّي عند سيِّد العرب هاشم بن حَرمَلَة ؟! فقال : أَما والله لأقارعنَّه عَنْكِ . قالت : شأنَكَ وشأنَه . فرجعَتْ إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له ، فقال هاشم : فلَعمرِي لا يَريم أبياتَنا حتّى ننظر ما يكون من جَهده . قال : فلمّا خرجَ الشهرُ الحرام وتراجَعَ النّاس عن عكاظ ، خرج معاويةُ بن عمرٍو غازياً يريد بني مُرّة وبني فزارة ، في فرسانِ أصحابِهِ من بني سُلَيم ، حتى إذا كان بمكانٍ يُدعى الحَوْزة أو الجَوْزة ، والشكّ من أبي عبيدة ، دَوَّمَتْ[2] عليه طيرٌ وسَنَح له ظبيٌ ، فتطيَّر منهما ورجَعَ في أصحابِهِ . وبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة فقال : ما مَنَعه

1 هذا البيت والذي بعده لم يردا في متن الديوان .

2 دوّمت : حلقت .

من الإقدام إلاّ الجُبن ! قال : فلمّا كانت السنة المقبلة غزاهم ، حتّى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه وتخلّف في تسعةَ عشر فارساً منهم لا يُريدون قِتالاً ، إنّما تخلَّفَ عن عُظْم الجيش راجعاً إلى بلادِهِ . فوردوا ماء وإذا عليه بيتُ شعر ، فصاحوا بأهله فخرجَتْ إليهم امرأةٌ فقالوا : ما أنتِ ؟ مِمّن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ من جُهينة ، أحلاف لبني سهم بن مُرّة بن غطفان . فوردوا الماءَ يَسقُون ، فانسلَّتْ فأتت هاشِمَ بن حَرملَة ، فأخبرته أنّهم غير بعيد ، وعَرَّفته عِدَّتَهم وقالت : لا أرى إلاّ معاوية في القوم . فقال : يا لَكاع ، أمعاويةَ في تسعةَ عشر رجلاً ، شبَّهتِ أو أبطَلتِ . قالت : بل قلتُ الحقَّ ، ولئن شئتَ لأُصِفَنَّهمُ لكَ رجلاً رجلاً . قال : هاتِي .

قالت : رأيت فيهم شابّاً عظيم الجُمَّة ، جبهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغفره ، صبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرسٍ غرَّاء . قال : نعم هذه صفتُه . يعني معاويةَ وفرسَه الشَّمَّاء .

قالت : ورأيتُ رجلاً شديد الأُدْمة شاعراً يُنشِدهم . قال : ذلِكِ خُفاف بن عمير .

قالت : ورأيتُ رجلاً ليس يبرح وَسْطَهم ، إذا نادَوْه رفَعوا أصواتهم . قال : ذاكِ عبّاسٌ الأصمّ .

قالت : ورأيتُ رجلاً طويلاً يكنّونه أبا حبيب ، ورأيتُهم أشدَّ شيءٍ له توقيراً . قال : ذاكِ نُبَيشة بن حبيب .

قالت : ورأيت شابّاً جميلاً له وَفرةٌ حسنَة . قال : ذاكِ العبّاس بن مِرداس السُّلَميّ .

قالت : ورأيتُ شيخاً له ضَفِيرتان ، فسمعته يقولُ لمعاوية : بأبي أنتَ أطلتَ الوقوف ! قال : ذاكِ عبد العُزَّى زوج الخنساءِ أُختِ معاوية .

قال : فنادى هاشمٌ في قومه وخرج ، وزعم المريُّ أنّه لم يخرج إليهم إلاّ في مثل عِدّتهم من بني مرّة . قال : فلم يشعر السُّلميّون حتّى طلعوا عليهم ؛ فثاروا إليهم فلقُوهم فقال لهم خُفاف : لا تنازلُوهم رجلاً رجلاً ؛ فإنَّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح ، وخيلَكم قد أَمَنَّها[1] الغزوُ وأصابها الحَفا .

قال : فاقتتلوا ساعةً وانفرد هاشم ودريدٌ ابنا حرملة المريان لمعاوية ، فاستطرد له أحدُهما فشدَّ عليه معاويةُ وشَغَله ، واغترَّهُ الآخَرُ فطعنه فقتَله . واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيّهما قتله ، وكانت بالذي استطرد له طعنةٌ طعنَهُ إيّاها معاوية . ويقال : هو هاشم . وقال آخرون : بل دريد أخو هاشم .

1 أمنّها : ذهب بمنّتها ، أي أضعفها وأعياها .

قال : وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد على مالك بن حمار سيِّدِ بني شَمْخ بن فَزارة فقتله . وقال خفاف في ذلك وهو ابن نُدبة ، وهي أَمَةٌ سوداء كانت سباها الحارث بن الشريد حين أُغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافاً . ويقال في نُدبة إنّها ابنة الشيطان بن بنان ، من بني الحارث بن كعب . فقال[1] : [من الطويل]

أَقــولُ لـــه والرّمحُ يأطِــرُ مَتْنَهُ ... تأمَّــلْ خُفافــاً إنّني أَنا ذلكا[2]
وقفتُ له جَلْوى وقد خامَ صُحبتي ... لأبنِــيَ مجــداً أو لأثأر هالكا[3]
لدُن ذرّ قرنُ الشّمس حين رأيتُهم ... سراعــاً على خيلٍ تــؤمُّ المسالِكا
فلمّـــا رأيتُ القــوم لا وُدَّ بينهمْ ... شَريجَين شتّى طالِبــاً ومُواشِكا[4]
تيمّمتُ كبشَ القــومِ حتّى عرفتُه ... وجانَبتُ شُبّانَ الرِّجالِ الصَّعالِكا
فجادت لــهُ يُمنى يَـدَيَّ بطعنةٍ ... كسَتْ متنَهُ من أسودِ اللّونِ حالِكا
أَنا الفارسُ الحامِي الحقيقةِ والذي ... بـــهِ أُدْرِكُ الأَبطال قِدمــاً كذلكا
فــإنْ يَنــجُ منهــا هاشمٌ فبطعنةٍ ... كَستْه نجيعاً من دمِ الجوفِ صائِكا[5]

[مراثي الخنساء في معاوية]

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية[6] : [من الطويل]

أَلا لا أرى في الناس مثلَ معاويهْ ... إذا طَرَقَتْ إحــدى الليالي بداهيَهْ
بداهيةٍ يُصغِي الكلابَ حسيسُها ... وتُخرِج مــن سِرِّ النجــيِّ عَلانيَهْ[7]
أَلا لا أرى كفارسِ الوَرْدِ فارساً ... إذا مــا عَلَتْــهُ جُــرْأةٌ وغَلابِيَهْ[8]
وكان لِزازَ الحربِ عنــد شُبوبها ... إذا شَمَّرت عن ساقها وهي ذاكيَهْ
وقَوّادَ خيــلٍ نحــوَ أُخرى كأنّها ... سَعـــالٍ وعِقبـــانٌ عليها زَبانِيَهْ[9]

1 ديوان خفاف : 64–69 .
2 يأطره : يعطفه ويثنيه .
3 جلوى : اسم فرسه ، وفي رواية : علوى . وخام : جبن ونكص .
4 شريجان : قسمان . المواشك : المسرع .
5 الدم الصائك : الجامد واللازق .
6 ديوانها : 58 مع اختلاف كبير في الرواية والترتيب .
7 يصغي : يجعلها تنتبه وتصغي . والنجي : المتناجون .
8 الورد : فرسه . وفي الديوان : الجون . والغلابية : القهر والغلبة .
9 السعالي : جمع سعلاة ، وهي الغول .

بلينا وما تبلى تَعارُ وما تُرى ... على حدث الأيّام إلاّ كما هيَهْ[1]
فأقْسمْتُ لا ينفكُّ دمعي وعَولتي ... عليكَ بحزنٍ ما دَعا اللهَ داعيَهْ

وقالت الخنساء في كلمة أخرى ترثيه أيضاً : [من المتقارب]

ألا ما لعينيكِ أمْ ما لَها ... لقد أخضَلَ الدّمعُ سربالَها
أبعد ابنِ عمرٍو منَ آل الشريـ ... ـدِ حَلَّت به الأرضُ أثقالها
وأقسمتُ آسى على هالك ... وأسأَلُ نائحةً مالَها
لتأتِ المنيّة ــ بعد الفتى ... المغادَر بالمحو ــ أذلالها
سأحملُ نفسي على آلة ... فإمّا عليها وإمّا لها
هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها
وخيل تكدّس مشي الوعو ... لِ نازلتَ يوم الكريهة أبطالها
نُهينُ النفوسَ وهُون النّفو ... س يوم الكريهة أبقى لها
ورجراجةٍ فوقَها بيضُها ... عليها المضاعَفُ زِفْنا لها[2]
ككِرفئةِ الغَيثِ ذات الصَّبيـ ... ـرِ تَرمِي السحابَ ويَرمِي لها
وقافيةٍ مثل حدِّ السِّنا ... ن تبقى ويَهلِكُ مَن قالها
نطقتَ ابن عَمرو فسهَّلتَها ... ولَم يَنطِق الناسُ أمثالَها
فإن تكُ مُرَّةُ أودَتْ بهِ ... فقد كان يُكثِر تَقتالها
فزالَ الكواكِبُ مِن فَقدِهِ ... وجُلِّلت الشمسُ أجلالَها
وداهيةٍ جَرَّها جارمٌ ... تُبيل الحَواصنَ أحبالها[3]
كفاها ابنُ عمرٍو ولَم يَستَعِنْ ... ولَوْ كان غيرُكَ أدنى لَها
وليس بأولى ولكنّه ... سيَكفِي العشيرةَ ما عالَها
بمعتَركٍ ضَيِّقٍ بينَه ... تجُرُّ المنيّةُ أذيالَها
وبيضٍ مَنعتَ غداةَ الصّبا ... حِ تكشف للرَّوع أذيالها

---

1 تعار : اسم جبال .
2 الرجراجة : الكتيبة . زفنا : أسرعنا .
3 الحواصن من النساء : الحبالى . والأحبال : حمل النساء . أي أنّ الداهية تجعل الحبالى يسقطن حملهنّ من الفزع .

ومُعمَلَــةٍ سُقتَهــا قاعــداً فأعلمــت بـالسيف أغفـالَها
وناجيـــةٍ كأتـــانِ الثَّميـــلِ غادرت بـالخَلِّ أوصالَها
إلى مَلِــكٍ لا إلى سُوقــة وذلــك مـــا كان إعمــالَها
وتمنح خيلَــكَ أرضَ العدوِّ وتَنبِــذُ بالغَــزْوِ أطفالَهــا
ونَــوحٍ بعثــتَ كمثـل الإرا خِ آنسَتِ العِــينُ أسبالَهــا[1]

التفسير عن أبي عبيدة : قوله حلَّت به الأرض ، قال بعضهم : حلّت من الحلية أي زيَّنت بهِ الأرضُ موتاها ، حين دفن بها . وقال بعضهم : حَلَّت من حللت الشيء . والمعنى ألقت مَراسِيها ، كأنّه كان ثِقْلاً عليها . قال : اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر ، كما قال جرير : [من الوافر]

ألستم خيرَ مَــن ركِب المطايا وأندى العالَمِين بطــونَ راحِ

قال : جوابُ «أبْعَد» في «آسى» أي أبعد ابنِ عمرو آسى وأسأل نائحةً مالها . وقال أبو عبيدة : هذا البيت لميّة ضِرار بن عَمرٍو الضَّبّيّة ترثي أخاها . قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرو الشيبانيّ يقول : أمور الناس جاريةٌ على أذلالها ، أي على مسالكها ، واحدهـا ذِلّ . آلـة : حالة . تقول : فإمّا أنّ أموت وإمّا أن أنجو . ولَو قالت على آلّةٍ لَم تنج ؛ لأنّ الألّة هي الحَرْبَة .

هممت بنفسي ، قال أبو عبيدة : هذا توعد . قال الأصمعيّ : «كلّ الهموم» . قال الأثرم : كأنَّها أرادت أن تقتل نفسَها .

أبو عبيدة ؛ التكدّس : التتابع ، يتبع بعضها بعضاً ، أي يغزو ويجاهد في الغزو ، كما تتوقّل الوعولُ في الجبال ؛ عن أبي عبيدة . قال الأصمعيّ : التكدُّس : أن تحرّك مناكبَها إذا مشَتْ وكأنّها تنصبُّ إلى بين يديها ، وإنّما وصفَتْها بهذا . تقول : لا تسرع إلى الحرب ، ولكنْ تمشي إليها رويداً . وهذا أثبتُ له من أن يلقاها وهو يركض . ويقال : جاء فلان يتكدَّس ، وهي مشيةٌ من مَشي الغِلاظ القِصار . وقال أبو زياد الكلابيّ : الكُداس : عُطاس الضأن . قال السُّلَميّ : التكدُّس : تكدّس الأوعال ، وهو التقحُّم . والتكدّس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه . نُهِين النّفوس ، تريد غداةَ الكريهة . وقولها : «أبقى لها» لأنّها إذا تذامرت[2]

---

1 النوح : جماعة النائحات . والإراخ : البقر . وآنست : أبصرت . العين : الواسعة العيون . والأسبال : جمع سَبَل ، وهو المطر .

2 تذامر القوم : تحاضوا وحثّ بعضهم بعضاً على القتال .

وغشيت القِتال كان أسلَم لها من الانهزام . كقول بِشر بنِ أبي خازم : [من الوافر]

ولا يُنجي مـن الغَمَـرات إلاَّ بَـراكاءُ القِتـال أو الفِـرارُ[1]

قال بعضهم : أبقى لَها في الذِّكر وحُسن القول . والرجراجة : التي تتمخَّض من كثرتها . وقال الأصمعيّ : الكِرفِئة ، وجمعها كِرفِىءٌ : قِطعٌ من السحاب بعضها فوقَ بعض . وقوله : «ترمي السحاب» أي تنضمُّ إليه وتتَّصل به . ويرمي لها ، أي ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يستوِي . مثل حدِّ السنان ، لأنـها ماضية . سَهَّلتَها : جئتَ بها سهلة . وجُلِّلت الشمس ، أي كُسِفَت الشمسُ وصار عليها مثل الجُلّ . تُبيل الحواصن ، وهي الحوامِلُ من النِّساء ، أولادَها من شدّة الفزع . أي ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها ، ولكنّه يكفِي القريب والبعيد . ما عالها ، قال أبو عمرو : عالَها : غلبها . وقـال أبـو عبيدة : يقال إنَّه ليعولني ما عالَكَ ، أي يغمُّني ما غمّك . ويقال : افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتِيَ غيرَه ، أي لا يُعْجِزْك . ويقال : قد يعولك أن تفعَل كذا ، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك . وأنشد : [من الرجز]

ضرباً كما تَكَدَّسُ الوُعولُ يَعُـول أن أنبطَهـا يَعُولُ

أي قد دنا ذلك . ويقال : عال كذا وكذا منك ، أي دنا منك . ويروى : «وليس بأدنى ولكنّه» . وقولها معملة : إبل . وقولها : قاعداً ، أي على فرسك . قال النابغة[2] : [من الطويل]

قُعوداً على آل الوجيهِ ولاحقٍ

والأغفال : ما لا سِمةَ عليها ، واحدها غُفل . والأتان : الصخرة . والثمِيل : بقيّة الماء في الصخرة . والخَلُّ : الطريق في الرمل . يقول : أعيَتْ فتركتَها هنالك . ويروى :

غادرتَ بالنَّخْل أوصالهـا

قال الأصمعيّ : ناجية : سريعة . ويروى : «إلى ملك وإلى شانىء» . تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدوّ . ويروى : «ما كان إكلالها» ما صلة . الإراخ : بقر الوحش . تقول : خَرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقرُ من كُنُسها فرَحاً بالمطر . ومثله في الفرح بالمطر لابنِ الأحمرِ قولُه : [من البسيط]

ماريّـةٌ لُؤلُؤانُ اللـونِ أورَدَها طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فَرقَـدٌ خَصِرُ[3]

1 براكاء القتال : مداومة القتال على الركب .

2 صدر بيت عجزه : يقيمون حولياتها بالمقارع

3 المارية : البقرة الوحشية . ولؤلؤان اللون : براقة اللون . وبنّس : تأخّر . وفرقد : ابنها . والخصر : الذي لحقه البرد .

أي قَوَّى أُنفسَها المطرُ ، لمّا رأته . ومثله[1] : [من الوافر]

أَلا هَلَكَ امــرؤٌ قامَــتْ عليه ... بجَنْب عُنيزَةَ البقَــرُ الهجودُ

أي لَم يَقَرْنَ في البيوت فتستُرَهنَّ البيوت ، بَل هُنَّ ظَواهرُ . وإنّما شبه اجتماعَ هؤلاء النّساء باجتماع العِين وخُروجِهنّ للمطر . قال : وبَقَر الوحش تفرح بالمطر .

[رثاء دريد لمعاوية]

وقال دُريدٌ يرثي معاوية أخا الخنساء ، لمّا قتلتْه بنو مرّة[2] : [من الوافر]

أَلا بَكرتْ تلومُ بغيرِ قَــدْرٍ ... فقد أَحْفَيتني ودخلتِ سِترِي[3]

فإنْ لَم تَترُكِي عَذَلِي سَفاهاً ... تَلُمْــكِ عليَّ نفسُكِ أيَّ عَصرِ

أَسَرَّكِ أن يكونَ الدَّهــرَ هذا ... عليَّ بشَرِّهِ يغــدو ويسري

وأَلاّ تُرزَئـــي نفساً ومــالاً ... يضرُّك هُلكُه في طُولِ عمري

فقد كذَبَتْكِ نفسُك فاكذبيها ... فإنْ جزَعٌ وإن إجمالُ صبرِ

وإنَّ الرزء يــومَ وقفتُ أَدعو ... فلَم أُسمِع معاويــةَ بنَ عمرِو

رأيت مكانَــه فعَرضتُ بَدْءاً ... وأيُّ مَقيــلِ رُزْءٍ يا ابنَ بكرِ

إلى إرَمٍ وأَحجــارٍ وصيــرٍ ... وأغصانٍ من السَّلَماتِ سُمرِ

صِيَر ، الواحدة صيرة ، وهي حظيرة الغنم . وقوله : وأغصان من السلمات ، أي أُلقِيتْ على قبرِهِ .

وبُنيــان القبــور أتــى عليهــا ... طَوالُ الدَّهر مــن سنة وشهرِ

ولَــوْ أَسمعتِــه لَسَرى حثيثاً ... سَريعَ السَّعي أَو لأتاكِ يجري

بِشكّةِ حــازمٍ لا عيــبَ فيــه ... إذا لبِسَ الكُماةُ جلــودَ نُمْرِ

أي كأنَّ أَلوانَهم أَلوانُ النمور ، سوادٌ وبياض من السلاح . عن أَبي عبيدة .

فإمّا تمسِ في جَــدَثٍ مقيماً ... بمَسْهَكةٍ مــن الأَرواحِ قفرِ[4]

فعَــزَّ عليَّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرٍو ... وما لي عنكَ مــن عَزْمٍ وصبرِ

---

1 البيت لامرأة من بني حنيفة (المفضلية رقم 69) .

2 ديوان ابن دريد : 68–70 وانظر ترجمة دريد .

3 أحفاه : ألحّ عليه في المسألة .

4 المسهكة : ممر الريح . ويقال مسهكت الريح ، أي مرّت مرّاً شديداً .

قال أبو الحسن الأثرم : فلمّا دخل الشهر الحرام ـ فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بِلال بن سَهم ـ من السَّنة المقبلة ، خرجَ صخرُ بن عمرو حتّى أتى بني مرّة بن عوف بن ذبيان ، فوقف على ابنَيْ حرملة ، فإذا أحدُهما به طعنةٌ في عَضُده ـ قال : لم يسمِّه أبو بلال بن سهم . فأمّا خُفاف بن عُمير فزعم في كلمته تلك أنَّ المطعون هاشم ـ فقال : أيُّكما قَتل أخي معاويةَ ؟ فسكتا فلَم يُحيرا إليه شيئاً ، فقال الصَّحيح للجريح : ما لكَ لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعَنني هذه الطعنة في عضدي ، وشدَّ أخي عليه فقتلَه ، فأيَّنا قَتلتَ أدركتَ ثارَك ، إلاَّ أنا لم نَسْلُبْ أخاك . قال : فما فعلَتْ فرسُه الشَّمَّاء ؟ قال : ها هي تلك خُذْها . فردّها عليه فأخذَها ورجع ، فلمّا أتى صخرٌ قومه قالوا له : اهجُهُم . قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع ، ولَو لَم أكفُفْ نفسي إلاّ رغبةً عن الخَنا لفعلت .

وقال صخرٌ في ذلك : [من الطويل]

وعاذلــة هَبَّــتْ بليــل تلومنــي ... ألا لا تلوميني كَفــى اللومَ ما بِيا

قال : أراد تباكره باللّوم ، ولَم يرِد الليلَ نفسه ، إنّما أراد عَجَلَتَها عليه باللّوم ، كما قال النمر بن تَولب العُكْليّ :

بَكَــرتْ باللَّــوم تلحانا

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفِعل المكارم ، والأضياف ، والنظرِ في الحَمالات وأُمورِ قومه ، لأنّه قِوامهم : [من الطويل]

تقــولُ ألا تهجــو فَوارسَ هاشم ... وما لِــيَ إذْ أهجوهُمُ ثــمّ ماليا

أبى الشتمَ أنّي قد أصابوا كريمتي ... وأنْ ليس إهداءُ الخَنا من شماليا

[أي من شمائلي . ويروى : «من فِعاليا»] .

إذا ذُكِــر الإخــوانُ رقرقتُ عبرةً ... وحيَّيــتُ رمساً عنــد لِيَّــة ثاويا[1]

إذا مــا امــرؤٌ أهدى لميتٍ تحيّةً ... فحيّــاكَ ربُّ النّــاس عنّــي معاوِيا

وهــوّنَ وجدِي أنّني لَــم أقلْ لَهُ ... كذبــتَ ولَــم أبخلْ عليــهِ بماليا

فنعمَ الفتى أدَّى ابن صِرمةَ بــزّه ... إذا الفحلُ أضحى أحدبَ الظَّهرِ عارِيا

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتا بعد أن أوقَعَ بهم ، فقال :

وذي إخــوة قطّعتُ أقرانَ بينِهم ... كما تَركوني واحــداً لا أخا لِيا[2]

1 لِيّة : موضع بالطائف .

2 أقران بينهم : الحبال التي تصل بينهم .

[غزو صخر لبني مرّة]

قال أبو عبيدة : فلمّا كان في العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشّمّاء ، فقال : إنّي أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غُرَّةَ الشّمّاء ، فيتأهّبوا . قال : فحمَّمَ[1] غُرَّتها . قال : فلمّا أشرفَتْ على أدنى الحيِّ رأوها . فقالت فتاةٌ منهم : هذه واللهِ الشّمّاء ! فنظروا فقالوا : الشّمّاء غَرّاءُ وهذه بَهيم ! فلَم يشعروا إلاّ والخيل دوائسُ ، فاقتتلوا فقَتل صخر دريداً ، وأصاب بني مرّةَ فقال : [من الكامل]

ولقـد قتلتُكُمُ ثُنـاءَ ومَوحَداً ... وتركتَ مُرّةَ مثـلَ أمسِ المُدْبِرِ

قال الأثرم : مثنى وثناء لا ينوّنان . قال ابن عَنَمة الضَّبّيّ : [من الكامل]

يُباعُونَ بالنُّغْرانِ مَثنى ومَوحَدا

لا ينوّنان لأنّهما مِمّا صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين . وكذلك ثُلاث ورُباع . قال صخر الغيّ : [من الوافر]

مَنَتْ لَكَ أنْ تلاقيَنِـي المَنايـا ... أُحادَ أُحـادَ في الشهر الحلالِ

قال : ولا تجاوز العرب الرُّباع ، غير أنَّ الكميت قال : [من المتقارب]

فلـم يستريثوكَ حتّـى رميـ ... ـتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشارا[2]

* * *

ولقد دفعتُ إلى دُريدَ بطعنـةٍ ... نجلاءَ تُزعِل مثلَ عَـطِّ المنحَرِ[3]

تُزغِل : تخرج الدم قِطَعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدم والبول . قال :

فأزغلَتْ في الحلْـقِ إزْغالةً[4]

وقال صخر أيضاً فيمن قتل من بني مُرّة : [من الوافر]

قتلـتُ الخالِدَينِ بِـهِ وبشراً ... وعمراً يـوم حَوْزةَ وابنَ بشرِ
ومِن شَمْخ قتلتُ رجالَ صِدقٍ ... ومن بدر فقد أوفيت نذري[5]
ومُـرّةُ قـد صبَحناهـا المنايا ... فروَّيْنـا الأسنّـةَ ، غيرَ فخـرِ
ومِـن أفناء ثعلبةَ بـنِ سعـدٍ ... قَتلـت ومـا أبيئهـمُ بوِترِ

---

1 حمم : سوّد .
2 يستريثوك : لم يجدوك رائثاً ، أي بطيئاً . ورميت : زدت .
3 العط : الشق .
4 البيت لابن أحمر ، وعجزه : لم تخطىء الجيد ولم تشفتر
5 شمخ وبدر : قبيلتان .

ولكنّـا نُريـد هـلاكَ قـومٍ فنقتلُهـم ونشرِيهـمْ بكَسرِ[1]

وقال صخر أيضاً : [من الطويل]

ألا لا أُرى مستعتِبَ الدَّهر مُعْتِبا ولا آخِـذٌ منـه الرِّضا إنْ تَغَضَّبا
وذي إخوةٍ قطَّعتُ أَقـرانَ بينِهم إذا ما النُّفوسُ صِرنَ حَسرى ولُغَّبا[2]
أَقول لرمسٍ بـين أَجـراعِ بيشةٍ سقاكَ الغـوادِي الوابـلَ المتحلِّبا
لَنِعمَ الفتـى أَدّى ابنُ صِرمَـةَ بَزَّه إذا الفحلُ أَمسى عاريَ الظهرِ أَحدبا

[لقاء قيس بن الأصور لهاشم بن حرملة]

قال أبو عبيدة : ثم إنّ هاشم بن حرملة خرجَ غازياً ، فلمّا كان ببلاد جُشَم بن بكر بن هَوازن نزل منزلاً وأخذ صُفناً[3] وخلا لحاجته بين شَجَر ، ورأى غَفلتَه قيسُ بن الأَصْوَر الجَشْميّ فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ! لا وأَلَتْ نفسي إن وأل[4] ! فلمّا قعَد على حاجته تقتَّرَ[5] له بين الشَّجر ، حتّى إذا كان خلفَه أرسل إليه مِعبَلةً[6] فقتله .

[ثناء الخنساء على قاتل أخيها]

فقالت الخنساء في ذلك ، قال ابن الكلبيّ : وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شَريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصيَّةَ بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُليم : [من الوافر]

فِدًى للفارسِ الجشَميِّ نفسي وأُفديهِ بمَن لِـي مِـن حَميمِ
أفدِّيـهِ بجُـلِّ بنـي سُلَيـم بظاعِنِهـم وبـالأَنَس المُقيمِ
كما مـن هاشمٍ أقـررتُ عيني وكانت لا تَنـام ولا تُنيـمُ[7]

[صفة هاشم بن حرملة]

قال أبو عبيدة : وكان هاشمُ بن حرملة بن صِرمة بن مُرّة أسود[8] العرب وأشدَّهم ، وله يقول الشاعر : [من الرجز]

1 نشريهم بكسر : نبيعهم بأرخص الأثمان .
2 حسرى : معيية . واللغب : جمع لاغب ، وهو المتعب .
3 الصفن : مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه .
4 وأل : نجا .
5 تقتر : تهيأ للقتال .
6 المعبلة : نصل طويل عريض .
7 المثل «السليم لا ينام ولا ينيم» في مجمع الميداني 1 : 339 . وفي البيت إقواء .
8 أسود : من السيادة .

أحيا أباه هاشمُ بن حَرمَلَه يوم الهَباتَين ويوم اليَعْمَلَهْ[1]
يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له إذِ الملوكُ حولَه مُغربَلَهْ[2]
وسيفُه للوالدات مثكلَهْ

حدَّثني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : حدَّثنا الكسروي عن الأصمعيّ قال : مررت بأعرابيٍّ وهو يَخْضِد شجرةً وقد أعجبته سماحتُها ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

لو كنتِ إنساناً لكنتِ حاتماً أو الغلامَ الجُشَمِيَّ هاشما

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أوَلا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هو الذي يقول : [من الطويل]

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تلومُني كأنّي إذا أنفقتُ مالي أضيمها
دعِيني فإنّ الجود لن يتلِفَ الفتى ولن يُخْلدَ النَّفسَ اللئيمةَ لُومُها
وتُذكَر أخلاقُ الفتى ، وعظامُهُ مفرَّقَةٌ في القبر بادٍ رميمُها
سَلِي كلّ قيسٍ هل أُبارِي خيارَها ويُعرِض عنِّي وغْدُها ولئيمُها
وتذكرُ فِتيانِيَّتي وتكرمي إذا ذُمَّ فِتيانيُّها وكريمُها[3]

قلت : لا أعرفه . قال : لا عرفت ، هو الذي يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرملَه يقتُل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ لَهْ
تَرى الملوكَ حولَهُ مُغربَلَهْ

مضى الحديث .

1 الهباتان واليعملة : موضعان . وكان في كل منهما يوم من أيام العرب .
2 مغربلة : مقتولون .
3 فتيانيتي : من الفتوة ، وهي السخاء والكرم .

283 ـ [خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم]

صوت[1]

[من البسيط]

تأبّد الرّبعُ من سَلْمى بأحفار   وأقفرتْ من سُلَيمى دِمنةُ الدّارِ
وقـد تحُلُّ بهـا سَلمى تحدّثني   تَساقُطَ الحَلي حاجاتي وأسراري

الشعر للأخطل ، والغناء لعمرَ الواديّ ، هزج بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنّه لابن جامع ويقال إنّه لغيره ، وفيهما خفيف رمل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لحكم . وذكر حبش أنّ فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . ومِمّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من البسيط]

وشاربٍ مُرْبـحٍ بـالكأس نادَمَنـي   لا بـالحَصُور ولا فيهـا بَسآرِ[2]
نازعتُه طيِّـبَ الراحِ الشَّمولِ وقـد   صاح الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ الساري[3]
لمـا أتَوهـا بمصبـاحٍ ومِبزلهـمْ   سَمَتْ إليهم سموَّ الأبجـلِ الضاري[4]

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رملٍ بالبِنصر عن الهشاميّ . وذكر غيره أنّها للدَّلال . ومنها : [من البسيط]

فـردٌ تغنّيـه ذِبّـانُ الرِّيـاضِ كما   غَنّى الغُواةُ بصَنْجٍ عنـد أُسوارِ[5]

1 ديوان الأخطل (الصالحاني) : 112–120 .
2 المربح : الذي يربح صاحب الخمر . والحصور : البخيل . والسآر : الذي يترك فضلة في القدح . ويروى «بسوار» ، وهو المعربد .
3 وقعة الساري : وقت غروب النجوم .
4 بمصباح : يريد أنهم بذلوها ليلاً . والمبزل : الحديدة التي يفتح بها الدن . الأبجل : عرق . والضاري : الذي يتدفق منه الدم .
5 فرد : منفرد ، وهو الثور في أبيات سابقة . والأسوار : قائد الفرس .

كأنّــه مـن نَدى القُرَّاص مُغتمرٌ   بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عَطَّارِ[1]

غنّاه ابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر الهشاميّ أنّ لمالِكٍ فيه ثقيلاً أوّلاً . ووافقه يونُس في نسبته إلى مالك ، والحكم في قوله :

فـردٌ تغنّيـهِ ذِبّانُ الرّياضِ كما

وبعده قوله : [من البسيط]

صَهباءِ قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِست   في مُخدَعٍ بـين جنّـاتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها :

لسَكَّنتنـي قـريشٌ في ظِلالهـمُ   ومَوّلتنـي قـريشٌ بعـد إقتـارِ
قـومٌ إذا حاربـوا شَدُّوا مآزِرَهم   عن النِّساء ولـو باتَـتْ بأطهارِ

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنّسه .

وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيدَ بن معاوية لمّا مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار ، وكان يزيدُ هو الذي أمَرَه بهجائهم . فقيل : إنّ السبب في ذلك كان تشبُّب عبدِ الرحمن بن حسّان برملةَ بنتِ معاوية ، وقيل بل حَمِيَ لعبد الرحمن بن الحكم .

[تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة]

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال : حدَّثني ابن أبي زريق قال : شَبَّبَ عبدُ الرّحمن بن حسّانَ برملةَ بنت معاويةَ فقال[2] : [من الخفيف]

رَمْلَ هـل تذكرين يومَ غزالٍ   إذْ قطعنا مَسيرنـا بالتّمنّي
إذْ تقولين عمرَكَ اللهَ هل شَيءٌ   وإنْ جَلَّ سوف يُسليكَ عنّي
أَمْ هَلُ اطمِعتُ منكمُ بابن حَسّا   ن كما قـد أراكَ أُطعِمتَ منّي

قال : فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضِب ، فدخلَ على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى إلى هذا العِلجِ من أهل يثرب ، يتهكّم بأعراضنا ويشبِّب بنسائنا ؟ قال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال ؛ فقال : يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة ، ولكن أمهِلْ حتّى يَقدَمَ وفدُ الأنصار ثمّ ذكِّرني . قال : فلمّا قدِموا أذكره به ، فلمّا دخلوا عليه قال : يا عبدَ الرّحمن ، ألَم يبلغني أنّك تشبّب برملةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو

1 القراص : نبت . والورس : نبت أصفر . ومغتمر : مطلي .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 59 .

علمتُ أنّ أحداً أشرَّف به شعري أشرفَ منها لذكرتُه . قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإنَّ لها لأختاً ؟ قال : نعم . قال : وإنّما أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعاً فيُكذِبَ نفسَه . قال : فلَم يَرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك : أن يشبِّب بهما جميعاً ؛ فأرسل إلى كعب بن جُعَيل فقال : اهج الأنصار . فقال : أُفرَق من أمير المؤمنين ؛ ولكنْ أدلّك على الشاعر الكافر الماهر .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال : ومن هو ؟ الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهجُ الأنصار . قال : أفْرَقُ من أمير المؤمنين ! فقال : لا تخَفْ شيئاً ؛ أنا لَكَ بذلك . قال : فهجاهم فقال : [من الكامل]

وإذا نسَبْتَ ابنَ الفُريعةِ خِلتَه ... كالجحش بين حِمارةٍ وحمارِ

لَعَنَ الإلهُ مـن اليهودِ عِصابةً ... بالجِزْع بين صُليصِلٍ وصِرارِ[1]

قومٌ إذا هَـدَرَ العصيرُ رأيتَهم ... حُمراً عيونهـمُ من المُصطارِ[2]

خلُّوا المكارمَ لستمُ مِن أهلها ... وخُذوا مساحِيَكم بني النجّارِ[3]

إنّ الفوارس يَعلمون ظهورَكم ... أولادَ كلِّ مقبَّـح أكّـارِ[4]

ذَهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللؤمُ تحـتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بَشيرٍ فدخلَ على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه ، وقال : يا أمير المؤمنين : أتَرى لؤماً ؟ قال : لا بلْ أرى كرَماً وخيراً ، ما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أنّ اللؤمَ تحت عمائمنا . قال : أوَفَعَل ؟ قال : نعم . قال : لك لسانُه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلمّا أتى به سأل الرسولَ ليدخلَ إلى يزيد أوّلاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنتُ أخاف . قال : لا تخَفْ شيئاً . ودخل على معاوية فقال : علامَ أُرسِلَ إلى هذا الرجلِ وهو يَرمِي من وراء جمرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا تقبلْ قوله عليه وهو يدَّعي لنفسه ، ولكن تَدْعوه بالبيِّنة ، فإن ثَبَّتَ شيئاً أخذتَه به له . فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها ، فخلَّى سبيلَه . فقال الأخطل[5] : [من الطويل]

وإنّـي غـداةَ استعبَرَتْ أُمُّ مالـكٍ ... لَـراضٍ مـن السُّلطـان أن يتهـدّدا

1 صليصل وصرار : يشير إلى موضعين بالمدينة .
2 المصطار : الخمر الحامضة .
3 المساحي : جمع مسحاة ، وهي المجرفة من الحديد . أي أنهم أهل زراعة .
4 أكار : حراث .
5 ديوان الأخطل : 90–96 .

ولَـوْلا يزيــدُ ابنُ الملـوك وسعيُـه تجلَّلتُ حِدبــاراً مــن الشّرّ أنكدا[1]
فكــم أنقذَتْنِي مِـن خُطـوبٍ حبالُهُ وخرساءَ لَـو يرمى بهـا الفيل بَلَّدا[2]
ودافع عنّــي يــومَ جِلِّـقَ غَمـرةً وهَمّــاً يُنسِّينــي السُّلافَ المبـرّدا
وبــاتَ نجيّــاً في دمشق لحيّــةٍ إذا هـمّ لم يُنــمِ السليمَ فأقصدا[3]
يُخافِتــه طــوراً وطـوراً إذا رأى مــن الوجــه إقبــالاً ألحَّ وأجهدا
وأطفأتَ عنّــي نــارَ نُعمانَ بعدما أعــدَّ لأمــرٍ فاجــرٍ وتجـرّدا
ولمّــا رأى النُّعمانُ دوني ابنَ حُـرّةٍ طَوى الكشحَ إذْ لَم يستطعني وعَرّدا[4]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال : شبَّب عبد الرحمن بن حسّان بأخت معاوية ، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اقتلْ عبدَ الرّحمن بن حسّان . قال : ولِمَ ؟ قال : شبَّب بعمَّتي . قال : وما قال ؟ قال قال[5] : [من الخفيف]

طال ليــلي وبــتُّ كالمحزونِ وملِلــت الثَّــواءَ في جَيرونِ

قال معاوية : يا بُنيَّ وما علينا من طُولِ ليلِهِ وحزنِهِ أبعده الله ؟ قال : إنّه يقول :

فلذاكَ اغتربتُ بــالشام حتّى ظَنَّ أهلِـي مرجَّماتِ الظنونِ

قال : يا بنيّ ، وما علينا من ظَنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هــي زهراءُ مثــلُ لؤلؤةِ الغـ ـوّاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ

قال : صدق يا بنيّ . قال : إنّه يقول :

وإذا مـا نسبتَهـا لَم تجِدْهـا في سناءٍ مــن المكـارمِ دُونِ

قال : صَدَقَ يا بنيّ ، هي هكذا . قال : إنّه يقول :

ثم خاصرتُها إلى القُبَّة الخضـ ـراء تمشي في مَرمرٍ مَسنونِ[6]

---

1 الحدبار : الناقة العجفاء الهزيلة .
2 الخرساء : الداهية . وبلّد : لصق بالأرض ممّا دهاه .
3 السليم : الملدوغ . لم ينم : لم ينج . أقصدت الحية : لدغت فقتلت .
4 طوى الكشح : أضمر العداوة ولم ينطق . وعرد : هرب .
5 تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دهبل منسوبة إليه في المجلد السابع ، ص 93 . وانظر شعر عبد الرحمن : 59–60 .
6 المسنون : المملس .

خاصرتُها : أخذتُ بخَصْرها وأخذَتْ بخصري . قال : ولا كلُّ هذا يا بني ! ثم ضحك وقال : أنشدني ما قال أيضاً . فأنشده قوله : [من الخفيف]

قُبّة من مَراجلٍ نَصَبوها عند خدِّ الشتاء في قَيطونِ
عَن يساري إذا دخلتُ من البا بِ وإن كنتُ خارجاً فيميني
تجعل النَّدَّ والأُلُوَّةَ والعُو دَ صِلاءً لَها على الكانونِ[1]
وقِبابٌ قد أُشْرِجَتْ وبيوتٌ نُطِّقت بالريحانِ والزَّرَجُونِ[2]

قال : يا بني ، ليس يجبُ القتل في هذا ، والعقوبةُ دون القتل ، ولكِنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز .

نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء

صوت

[من الخفيف]

هِي زهراءُ مثل لؤلؤة الغـ ـوّاص مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسبتَها لَم تجدْها في سناءٍ من المَكارمِ دُونِ

نسخت من كتاب ابن النطاح : وذكر الهيثم بن عديّ عن ابن دأب قال : حدَّثنا شُعيب بن صفوان أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبِّب بابنة معاوية ، ويذكُرها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلْتَه نكالاً ؟ فقال : لا ، ولكن أُداويهِ بغير ذلك . فأُذِن له وكان يدخل عليه في أُخريات النّاس ، ثمّ أُجلسه على سريره معه ، وأُقبلَ عليه بوجهه وحديثه ثم قال : ابنتي الأُخرى عاتبةٌ عليك . قال : في أيِّ شيء ؟ قال : في مِدحتك أُختَها وتركِكَ إيّاها . قال : فلها العُتْبى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدِحُها . فلمّا فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا : قد كنّا نرى أنّ نسيب بن حسّان بابنةِ معاويةَ لشيء ، فإذا هو عَنْ رأيِ معاويةَ وأمره . وعلم مَن كان يعرف أنّه ليس له بِنْتٌ أُخرى ، إنّه إنّما خَدَعه ليشبِّب بها ، ولا أُصل لها فيعلم الناس أنّه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

وقد قيل في حمل يزيدَ بن معاوية الأخطلَ على هجاء الأنصار : إنّه فعلَ ذلك تعصُّباً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أُميّة ، أخي مروانَ بن الحَكَم في مهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضباً له ، لَمّا استعلاه ابن حسّان في الهجاء .

---

1 الألوة : ضرب من البخور .

2 أشرجت : شدّت أجزاؤها بالعرى والحبال . ونطقت : جعل لها نطاق . والزرجون : الكرم أو أعواده .

ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيد السكري . قال : حدَّثنا أبو غَسّانَ دماذ ، عن أبي عبيدة قال : أخبرني أبو الخطّاب الأنصاريّ قال : كان عبد الرحمن بن حسّان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطاً له ، فقيل له : إن ابنَ حسانَ يَخلُفُك في أهلك . فراسَلَ امرأةَ ابن حسّان فأخبرتْ بذلك زوجَها وقالت : أرسَلَ إليّ : إنّي أحبُّك حبّاً أُراه قاتلي ؛ فأرسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصلُه وقال للرسول : إذهب إليها وقُل لها : إنّ امرأتي تزورُ أهلَها اليومَ فزُوريني حتّى نخلوَ . فزارتْه فقعَدَ معها ساعةً ثم قال لها : قد واللهِ جاءت امرأتي . فأدخلها بيتاً إلى جَنْبِهِ وأَمَرَ امرأتَه فأرسلت إلى عبد الرّحمنِ بن الحَكَم : إنّكَ ذكرتَ حبَّكَ إيّايَ وقد وقعَ ذلك في قلبي ، وإنّ ابن حسّان قد خرجَ اليوم إلى ضَيعته فهلمَّ فتهيَّأ ثمَّ أقبِلْ . فإنّه لقاعِدٌ معها إذْ قالت له : قد جاء ابنُ حسّان فادخُلْ هذا البيت فإنّه لا يشعر بك . فأدخلته البيتَ الذي فيه امرأتُه ، فلمّا رآها أيقنَ بالسَّوأة ووقَعَ الشرُّ بينهما ، وهجا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبي الخطّاب الأنصاريّ ، وأمّا قريش فإنّهم يزعُمون أنّ امرأة ابن حسّان كانت تحبُّ عبدَ الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك ، حفظاً لِما بينه وبين زوجها ، وبَلَغَ ذلك ابنَ حسّانَ فراسلَ امرأة ابن الحَكَم حتّى فضحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكم وقيل له . إنّكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ إلى ابن حسّانَ فكان معها . فأمر ابنُ الحَكَم أهلَه فقال : عالجوا سُفرةً حتّى أُطالِعَ مالِي بمكان كذا وكذا . فخرج وبعثت امرأتُه إلى ابن حسّانَ فجاء كما كان يفعل ، ورجع ابنُ الحَكَم حين ظَنَّ أنّ ابن حسّانَ قد صار عندها ، فاستفتح فقالت : ابنُ الحَكَم والله ! وخبّأته خلفها في بيت ، ودخل عبدُ الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسّان : إنّه قد وقَعَتْ لك في قلبي مِقَة[1] ، فأقبلي إليّ الساعةَ . فتهيّأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت عليه ، فوضعت ثيابَها وزوجُها ينظر فقال لها : قد كنتِ أكثرتِ الإرسال إليَّ فما شأنُك ؟ قالت : إنّي والله هالكةٌ من حبِّك . قال : وزوجها يسمع ، وإنّما أراد أن يُعلِمه أنّها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها . وزعم أنّها هي التي قالت لابن الحكم إنّ ابن حسّان يخلفُكَ في أهلك . فلمّا فرغَ من كلامه وأسمعه زوجَها قال لها : قد جاءت امرأتي . وأدخلها البيتَ الذي فيه ابن حسّان ، فلمّا جمعهما في مكانٍ واحد خرجَ عنهما ، فخرجا وطلّقَ امرأته .

---

1 مقة : حب .

أُخبرني ابن دريد قال : أُخبرني الرياشيّ قال : حدَّثنا ابن بكير عن هشامِ بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : رأيت مروانَ بن الحَكَم يطوف بالبيت ويقول : اللهمّ أذهِبْ عنّي الشِّعر ! وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهمّ إنّي أسألك ما استعاذَ منه ! فذهب الشعر عن مروان ، وقاله عبد الرحمن .

وأمّا هشام بن الكلبيّ فإنّه حدَّث عن خالدٍ وإسحاقَ ابني سعيد بن العاصي ، أنّ سبب التهاجي بينهما أنّهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما في إمارة مَرْوان ، فقال ابن الحَكَم لابن حسّان : [من الكامل]

ازجُر كلابكَ إنّها قَلَطيّةٌ بُقْعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطدِ[1]

فردّ عليه ابنُ حسّان[2] : [من الكامل]

مَن كان يأكلُ من فَريسةِ صيدِهِ فالتَّمْرُ يُغنينا عن المتصيَّدِ[3]
إنّا أناس رَيِّقون وإنّكم ككلابكم في الوَلْغ والمتَرَدَّدِ[4]
حُزْناكُمُ للضَّبِّ تحترشُونه والريفِ ، نمنعُكم بكلِّ مهنَّدِ[5]

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان ، فقال عبد الرحمن بن الحَكَم في قصيدة : [من البسيط]

ومثلُ أمِّك أمُّ العبدِ قد ضُرِبت عندي ولي بفِنائي مِزهرٌ جَرِمُ[6]
وأنتَ عند ذُناباها تُعاوِنها على القُدورِ تَحَسَّى خاثر البُرَمِ[7]

فنقضها عبد الرحمن بن حسّان عليه بقصيدته التي يقول فيها[8] : [من البسيط]

يا أيُّها الرّاكِبُ المُزْجِي مَطيَّته إذا عرَضْت فسائِل عن بني الحَكَمِ
القائلين إذا لاقَوْا عدوَّهمُ فِرُّوا فكُرُّوا على النِّسوانِ والنَّعَمِ
كَم من أمينٍ نَصيح الجيب قال لكمْ ألاَّ نهيتمْ أخاكم يا بني الحَكَمِ

1 الكلاب القلطية : القصيرة المجتمعة . والبقع : التي يتراوح فيها السواد والبياض .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 22 .
3 المتصيد : ما يصاد .
4 الريق : الذي على الريق لم يفطر .
5 احتراش الضب : صيده .
6 الجرم : الصافي الصوت .
7 الخاثر : الغليظ .
8 شعر عبد الرحمن بن حسان : 53 عن الأغاني .

عَن رجــلٍ لا بَغيضٍ في عشيرتِهِ ولا ذليــلٍ قصيرِ البــاعِ مُعتصِمِ

وقال ابن حسّان[1] : [من البسيط]

صار الذليــل عزيــزاً والعزيزُ بِهِ ذُلٌّ وصارَ فُــروع النــاس أذنابا

إنّــي لملتمسٌ حتّــى يبِـينَ لكــمْ فيكمْ متــى كنتــمُ للنّاسِ أربابا

فارْقَوْا على ظلعكم ثم انظروا وسلُوا عَنّــا وعنكمْ قديــمَ العلم نَسّابا[2]

فسوفَ يضحكُ أو تعتاده ذِكَــرٌ يا بــؤسَ للدَّهــرِ للإنسان رَيّابا

ولهما نقائضُ كثيرة لا معنى لذكر جميعِها هاهنا .

[عقاب معاوية لهما]

قال دماذ : وحدَّثني أبو عبيدة عن أبي الخطّاب قال : لمّا كثُر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذٍ وهو الخليفة ، إلى سعيد بنُ العاص وهو عاملُه على المدينة ، أن يجْلِد كلَّ واحدٍ منهما مائة سوط . قال : وكان ابنُ حسّانَ صديقاً لسعيد ، وما مَدَحَ أحداً قطّ غيرَه ، فكرِه أن يضربَه أو يضرب ابن عمِّه ، فأمسكَ عنهما ؛ ولِيَ مروانُ فلمّا قـدِم أخـذَ ابن حسّان فضربَه مائةَ سوط ولَم يَضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسّان إلى النّعمان بن بَشيرٍ وهو بالشام ، وكان كبيراً مكيناً عند معاوية[3] : [من الخفيف]

ليتَ شِعري أغائبٌ أنتَ بالشا مِ خليــلي أم راقِــدٌ نَعْمانُ

أيّةً مــا يكنْ فقد يرجع الغا ئب يومــاً ويُوقَــظ الوسنانُ

إنّ عَمــراً وعامــراً أبوَينــا وحراماً قِدماً على العهدَ كانوا

أفَهُمْ مانِعُوك أمْ قِلّــة الكُــ ـتّابِ أم أنتَ عاتِبٌ غضبانُ

أم جفاءٌ أم أعوَزَتكَ القراطيـ ـسُ أم أمرِي بــه عليكَ هوانُ

يومَ أنبئتَ أنَّ ساقَــيَّ رُضَّتْ وأتاكُــمْ بذلــك الرُّكبانُ

ثمَّ قالوا إنّ ابنَ عمِّك في بَلْـ ــوى أُمورٍ أتى بِهــا الحَدَثانُ

فتَئِطُّ الأَرحامُ والودُّ والصُّحـ ـبةُ فيمــا أُتــى بِهِ الحدثانُ[4]

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 15 .

2 المثل «أرق على ظلعك» في مجمع الميداني 1 : 293 وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 ومعناه أن يتكلف المرء ما لا يطيق .

3 شعر عبد الرحمن بن حسان : 56–58 .

4 تئط : تحنّ .

إنّمـا الرّمح فاعلمـنَّ قَنـاةٌ ‏ أو كبعض العيدانِ لولا السِّنانُ

وهي قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّك أمرتَ سعيداً أن يضرب ابنَ حسّان وابن الحكَم مائةً مائة فلم يفعَلْ ، ثم وَلَّيتَ مَروانَ فضربَ ابنَ حسّانَ ولَم يَضرب أخاه . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتبَ إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد . فكتب معاوية يعزم عليه أن يضربَ أخاه مائة ، وبعثَ إلى ابن حسّانَ بحُلّة . فلمّا قدِم الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابن حسان : إنّي مُخرِجك ، وإنّما أنا مثلُ والدك ، وما كان ما كان منّي إليك إلاّ على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه ، فقال ابن حسّان : ما بدا له في هذا إلاّ لشيءٍ قد جاءه . وأبى أن يَقبلَ منه ، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجَّهه إليه بالحُلَّة فرمى بها في الحُشّ . فقيل له : حُلّة أميرِ المؤمنين وترمي بِها في الحُشّ ؟ قال : نعم وما أصنعُ بِها ! وجاءه قومُه فأخبروه الخبر ، فقال : قد علمت أنّه لَم يفعل ما فعل إلاّ لأمرٍ قد حَدَث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ، قد أبى أن يعفوَ فهلُمَّ أخاك . فبعث مَروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يضربَه خمسين فإنّه ضعيف . فطلبوا إليه فأجابَهم ، فأخرجه فضربَه خمسين . فلقِيَ ابنَ حسّان بعضُ مَن كان لا يهوى ما تَرَكَ من ذلك ، فقال له : أضَرَبَكَ مائةً ويضربُه خمسين ، بئس ما صنعتَ إذْ وهبتَها له . قال : إنّه عبدٌ وإنّما ضربه ما يُضرَب العبدُ نِصفَ ما يُضرَب الحُرّ ! فحُمِل هذا الكلام حتّى شاع بالمدينة وبلغ ابنَ الحكَم فشقَّ عليه . فأتى أخاه مروان فخبَّره الخبر وقال : فضحتني ، لا حاجةَ لِي فيما تركت فهلمَّ فاقتصَّ . فضربَ ابنَ الحكَم خمسين أخرى ، فقال عبد الرّحمن يهجو ابن الحكَم[1] : [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعرِك في امرئٍ ‏ يَهـذِي ويُنشِد شعـرَه كالفاخِرِ
عُثمـانُ عمُّكـمُ ولستـمْ مِثلَه ‏ وبنـو أُميّـةَ منكـم كالآمِـرِ
وبنـو أبيـهِ سَخيفـةٌ أحلامُهُمْ ‏ فُحُشُ النّفوسِ لدى الجليسِ الزّائرِ
أحياؤهم عـارٌ عـلى أمواتهـم ‏ والمَيِّتـونَ مَسَبَّـةٌ للغـابِرِ
هـمْ ينظرونَ إذا مَددتَ إليهمُ ‏ نظـرَ التّيوس إلى شِفـارِ الجازرِ
خُـزْرَ العيـونِ منكّسي أذقانِهم ‏ نظـرَ الذّليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

فقال ابن الحكَم : [من الوافر]

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 24–26 عن الأغاني .

لقد أَبقى بنو مروانَ خزياً ... مُبيناً عارُه لبني سَوادِ
أطافَ بِهِ صَبيحٌ في مشيدٍ ... ونادى دَعوة : يا ابْنَيْ سُعادِ
«لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولكن لا حياة لِمَن تنادِي»

[أبو واسع ينتصر لابن الحَكَم]

قال أبو عبيدة : فاعتَنَّ[1] أبو واسع أحدُ بني الأسعر من بني أَسَد بن خُزَيمة ، لابن حَسّان دون ابنِ الحَكَم ، فهجاه وعيَّره بضرب ابن المعطلِ أباه حسّانَ على رأسِهِ ، وعيَّرهم بأكل الخُصى ، فقال : [من الوافر]

إنَّ ابنَ المعطَّل من سُلَيم ... أَذَلَّ قِيادَ رأسِكَ بالخِطامِ
عَمِدتَ إلى الخُصى فأكلتَ منها ... لقد أخطأتَ فاكهةَ الطّعامِ
وما للجارِ حينَ يَحلُّ فيكمْ ... لديكم يا بني النجّارِ حامِ
يَظلُّ الجار مفترشاً يديهِ ... مخافَتكم لدى مَلَثِ الظَّلامِ[2]
وينظُر نظرةً في مِذرَويهِ ... وأُخرى في استِهِ والطَّرفُ سامِ[3]

[مصرع أبو واسع]

قال : فلمّا عَمَّ بني النجّار بالهِجاء ولا ذنبَ لهم دَعَوُا الله عزّ وجلّ عليه ، فخرجَ من المدينة يريد أهلَه فعرَضَ له الأسدُ فقَضْقَضه[4] ، فقال ابنُ حسّان في ذلك[5] : [من السريع]

أبلغْ بني الأسعر إن جئتَهم ... ما بالُ أَبناء بني واسعِ
والليث يعلوهُ بأنيابه ... معتفِراً في دمه الناقعِ
إذ تركوهُ وهو يَدعوهمُ ... بالنَّسب الدّاني وبالشاسعِ
لا يرفَع الرحمنُ مصروعَكم ... ولا يُوهِّي قوّةَ الصّارِعِ

فقالت له امرأته : ما دعا أحدٌ قبلك للأُسدِ بخيرٍ قطّ . قال : ولا نَصَرَ أحداً كما نصرني .

[دعوة مسكين الدارمي]

وقال ابن الكلبيّ : كان الأخطلُ ومسكينٌ الدارميُّ صديقين لابن الحَكَم ، فاستعان بهما

1 اعتن : اعترض .
2 ملث الظلام : اختلاطه .
3 المذروان : فرعا الأليتين .
4 قضقضه : كسره وحطّمه .
5 شعر عبد الرحمن بن حسان : 20–21 . وفيه «أبلغ بني الأشتر» .

على ابن حسّان ، فهجاه الأخطل ، وقال له مسكين : ما كنتُ لأَهجوَ أحداً أو أُعذِرَ إليه[1] .
فكتب إليه مِسكينٌ بقصيدته اللاميّة يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة ، فقال في أوّلها : [من الوافر]

ألا إنَّ الشّبابَ ثيــابُ لُبسٍ ... ومــا الأَمــوالُ إلاّ كالظِّــلالِ

فإن يبـلَ الشّابُ فكلُّ شيء ... سمعتَ بِــهِ سوى الرّحمنِ بالِ

وهي طويلةٌ جدّاً ، يفخرَ فيها بمآثر بني تميم . فأَجابه ابن حسّان فقال[2] : [من الوافر]

أتاني عنك يــا مسكينُ قــولٌ ... بذلتُ النِّصفَ فيــه غيرَ آلِ[3]

دعــوت إلى التناضُل غيرَ قَحْمٍ ... ولا غُمــرٍ يَطير لدى النضالِ[4]

وهي أطول من قصيدة مسكين . ثم انقطع التناضُل بينهما .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال دماذ : فحدَّثني أَبو عبيدة قال : حدَّثني أَبو حيّة النميريّ قال : حدَّثني الفرزدق قال : كُنّا في ضيافةِ معاوية ، ومعنا كعبُ بن جُعَيل التَّغلبيّ ، فحدَّثني أنّ يزيد بن معاوية قال له : إنّ ابن حسّان فضحَ عبدَ الرّحمن بن الحَكَم وغلَبه ، وفضحنا ، فاهجُ الأنصار . قال : فقلت له : أرادِّي أنت في الشرك ؟ أأهجو قوماً نصروا رسولَ الله ﷺ وآله وآوَوْه ؟ ولكنّي أَدلُّكَ على غلامٍ منّا نصرانيٌّ لا يبالي أَن يهجوَهم ، كأنّ لسانَه لسانُ ثور . قال : مَن هو ؟ قلت : الأخطل . فدعاه وأمره بهجائهم ، فقال : على أن تمنعَني ؟ قال : نعم .

قال أبو عبيدة : إنّ معاويَة دسَّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم ، فدلَّه على الأَخطل ، فقال الأخطل قصيدتَه التي هجا فيها الأنصار ، وقد مضت ومضى خبرُها وخبر النعمان بن بشير .

وزاد أبـو عبيـدة عمّـن روينـا ذلـكَ عنه : أنّ النّعمـان بـن بشيرٍ ردَّ على الأخطـل فقـال : [من الكامل]

أَبلِغ قبائــل تغلــبَ ابنةِ وائلٍ ... مَن بالفرات وجانِبِ الثَّرثارِ[5]

فاللؤمُ بين أنوفِ تغلــبَ بَيِّنٌ ... كالرَّقْمِ فــوقَ ذراعِ كلِّ حمارِ

1 أعذر إليه : أجعله موضع عذر .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 35 .
3 النصف : الأنصاف . غير آل : غير مقصر أو تارك .
4 القحم : الهرم المهزول . والغمر : الجاهل الغرّ .
5 شعر النُعمان بن بشير : 148 .

قال : فخافه الأخطلُ أن يهجوَه ، فقال فيه[1] : [من الوافر]

عذرت بني الفُرَيعة أن هَجَوني فمـا بـالي وبـالُ بني بشيرِ
أُفيحِجُ من بنـي النجّارِ شَثْنٌ شديدُ القُصْرَيَيْنِ من السُّحورِ[2]

ولم يرد على هذين البيتين شيئاً في ذِكرِهِ .

قال أبو عبيدة في خبره أيضاً : إنّ الأنصار لمّا استعدَوْا عليه معاوية قال لهم : لكم لسانُه إلاّ أن يكون ابني يزيدُ قد أُجاره . ودسَّ إلى يزيد من وقته : إنّي قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأَجِرْه . فأَجاره ، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إيّاه : [من الطويل]

دعا الأخطلُ الملهوف بالشَّرِّ دعوةً فأيَّ مجيـبٍ كنـتُ لمّـا دعانِيا
ففرّجَ عنه مَشهدَ القـوم مشهدي وألسِنَـةَ الواشين عنـه لسانيا

صوت[3]

[من الخفيف]

كان لِي يا شُقير حبُّـكِ حَيْنا كاد يقضي عـليَّ لمّـا التقينا
يعلـمُ الله أنّكم لـو نأيتُـمْ أو قَرُبْتـم أحـبُّ شيء إلينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى ، وجعلت مكان «يا شقير» : «يا يزيد» . وفي هذا الشعر للهذلي خفيف ثقيل أوّل مطلق بالوسطى . وزعم عمرو بن بانة أنّه للأبجر . وقال الهشاميّ : لحن الأبجر ثقيل أوّلٍ بالبنصر . وفيه للدارميّ وابن فروخ خفيف ثقيل ، ولحن الدارميّ فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ديوان الأخطل رقم 98 ، ص 151–152 ، (طبعة دار صادر) .
2 الأُفيحج : تصغير أفحج ، وهو الذي تتدانى قدماه ويتباعد عقباه . والشثن : الغليظ . والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين . والسحور : جمع سَحَر ، وهي الرئة .
3 ديوان عمر : 436 .

[284] ـ أخبار حَبابة

كانت حَبابة مولَّدة من مولدات المدينة ، لرجل من أهلها يعرف بابن رُمّانة ، وقيل ابن مِينا . وهو خَرَّجها وأدَّبها . وقيل : بل كانت لآل لاحق المكّيّين . وكانت حلوة جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء ، طيِّبة الصوت ، ضاربةً بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج ، وابن مُحرز ، ومالك ، ومعبد ، وعن جميلةَ وعزَّةَ الميلاء . وكانت تسمَّى العالية ، فسمّاها يزيد لّما اشتراها حَبابَة . وقيل : إنّها كانت لرجل يعرف بابن مينا .

[يزيد يشتري حبابة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حدَّثني حاتم بن قبيصة قال : وكانت حبابة لرجلٍ يدْعى ابنَ مينا ، فأُدخِلت على يزيد بن عبدِ الملك في إزارٍ له ذَنَبانِ ، وبيدها دفّ تَرمي به وتتلقّاه ، وتتغنَّى : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجِيد من مُلَيكةَ واللبّـ ـــاتِ إذْ زانَهـــا تــرائبُها
يــا ليتني ليلــة إذا هجع النّـ ـــاسُ ونام الكـلاب صاحبُها
في ليلـــةٍ لا يُــرى بهــا أحدٌ يسعــى علينــا إلاّ كــواكبها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية ، فلمّا كان بعد ما ولِيَ يزيدُ اشتراها .

وروى حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جرير المدينـيّ ، ورواه الزُّبير بن بكّـار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال : قال لي يزيد بن عبد الملك : ما تقرُّ عيني بِما أوتيتُ من الخلافـة حتّى أشتريَ سَلاّمـة جارية مُصعب بن سهيل الزّهريّ ، وحَبابةَ جاريةَ لاحقٍ المكّيّة . فأرسلَ فاشتُرِيتا له ، فلمّا اجتمَعَتا عندَه قال : أنا الآنَ كما قال القائل[1] : [من الطويل]

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النّوى كما قَــرَّ عينــاً بالإيـاب المسافرُ

قال إسحاق : وحدَّثني أبو أيّوب عن عَباية قال : كانت حبابة لآل رمّانة ، ومنهم ابتيعت ليزيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافِنّةَ عن شيخ من أهل ذي خُشُب[2] قال :

---

1 هو معقر بن حمار البارقي .

2 ذو خشب : واد قرب المدينة .

خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مُشاةٌ ، فإذا قبّةٌ فيها جارية ، وإذا هي تغنّي : [من مجزوء الرمل]

سلكوا بطـنَ مَحِيصٍ ثم ولَّـوْا راجعينا[1]
أورثـوني حِـينَ ولَّـوْا طُـولَ حُـزنٍ وأنينـا

قال : فسرنا معها حتّى أتينا ذا خُشب ، فخرج رجل معها ، فسألناه ، وإذا هي حَبابةُ جارية يزيد ، فلمّا صارت إلى يزيد أخبَرَتْهُ بنا ، فكتبَ إلى والي المدينة يعطي كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق عن المدائنيّ . وروى هذا الخبر حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وخبرهُ أتمّ : أنّ حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فقدّم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوّج سَعْدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، على عشرين ألف دينار ، وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرنَّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان فاستقال مولى حبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية ، فلمّا وليَ يزيدُ اشترتها سَعدة امرأتُه وعلمتْ أنّه لا بدّ طالبها ومشتريها ؛ فلمّا حصلت عندها قالت له : هل بقي عليك من الدُّنيا شيء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية . فقالت : هذه هي ، وهي لك . فسمَّاها حبابة ، وعظم قدر سَعدة عنده . ويقال إنّها أخذَتْ عليها قبل أن تهبها لـه أن تـوطِّىء لابنها عنده في ولاية العهد وتحضِرها ما تحبّ إذا حضرت .

وقيل إنّ أمّ الحجّاج أمّ الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له ، وأخذت عليها ذلك ، فوفَتْ لها بذلك . هكذا ذكر الزّبير فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد ، عنه عن عمّه . قال : ومَن زعم أنّ سعدة اشترتها فقد أخطأ .

قال المدائنيّ : ثم خطب يزيدُ إلى أخيها خالدٍ بنتَ أخ له ، فقال : أما يكفيه أنّ سَعدة عنده حتّى يخطب إلى بناتِ أخي ؟ وبلغ يزيدَ فغضب ، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه ، فبينا هو في فُسطاطه إذ أتتْه جاريةٌ لحبابة في خَدَمِها فقالت له : أمُّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضِـيَ عنـك . فالتفتَ فقال : مَن أمّ داود ؟ فأخبره مَن معه أنّها حبابـة ، وذكر له قدرَها ومكانها من يزيد . فرفع رأسَه إلى الجارية فقال : قُولي لها : إنَّ الرّضا عنّي بسبب لستِ بِهِ . فشكت ذاك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فُسطاطَه وقَلَعوا أطنابه ، حتى سقَط عليهِ

1 محيص : موضع بالمدينة .

وعلى أصحابه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟

قالوا : رُسُل حبابة ، هذا ما صنعتَ بنفسك . فقال : ما لها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها !

[شعر الحارث بن خالد في حبابة]

قال إسحاق : وحدَّثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب ، أنّ يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة ، وكان اسمها العالية ، بأربعة آلاف دينار ، فلمّا خرج بها قال الحارث بن خالد فيها[1] : [من الكامل]

ظَعَـن الأميرُ بأحسنِ الخلـقِ وغـدَوْا بلُبِّك مطلِـعَ الشرقِ
مَـرَّت على قَـرَن يُقاد بهـا تعـدو أمـامَ بَـراذنٍ زُرقِ
فظِلِلتُ كالمقمـور مُهْجَتَـه هـذا الجنونُ وليس بالعشقِ[2]
يـا ظبيـةً عبِـقَ العبيرُ بهـا عَبَـقَ الدِّهانِ بجانـب الحُقِّ

وغنّته حبابة في الشعر ، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته ، فقال لها : غنِّيني به . فغنّته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : ولعمري إنّه من جيد غنائها .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا غلط مِمّن رواه في أبيات الحارث بن خالد ؛ لأنّه قالها في عائشة بنت طلحة ، لّما تزوّجها مصعب بن الزّبير وخرج بها . وفي أبياته يقول : [من الكامل]

في البيت ذي الحَسَب الرفيع ومِن أهـل التُّقـى والبِرِّ والصِّـدقِ

وقد شُرِحَ ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرني الزُّبيريّ أنّ يزيد اشتراها وهو أمير ، فلمّا أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها[3] : [من البسيط]

قد سُلَّ جسمي وقد أُودى بهِ سَقَمٌ من أجل حَيٍّ جلَوْا عن بلدةِ الحَرَمِ
يحـنُّ قلبـي إليها حـين أذكُرها وما تذكَّرَتِ شوقاً آب من أمَمِ[4]
إلاّ حنينـاً إليهـا إنّهـا رشَأٌ كالشَّمس رُودٌ ثَقالٌ سهلة الشِيَمِ[5]

1 شعر الحارث بن خالد : 75–76 .
2 المقمور : المغلوب في القمار .
3 شعر الحارث بن خالد : 98–99 .
4 أمم : قرب .
5 الرود : الشابة الحسنة .

فضَّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلِقت   على النساء منَ اهل الحزم والكرمِ

وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وغنّى في أشعارهم المغنّون من أهل مكّة والمدينة ، وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعه ، فقال : هذا قَبلَ رحلتِنا وقد همَمنا ، فكيف لو ارتحلنا ؟ ! وتذكر القومُ شدّة الفراق ، وبلغه أيضاً أن سليمانَ قد تكلَّم في ذلك ، فردّها ، ولَمْ تزلْ في قلبه حتّى مَلَكَ ، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية ، ووهبتها له .

[منزلتها عند يزيد]

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق قال : حدَّثني أبو ذُفافة المنهال بن عبد الملك ، عن مروان بن بشر بن أبي سارَةَ مولى الوليد بن يزيد ، قال : أوّل ما ارتفعت به منزلةُ حبابة عند يزيد أنّه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه ، فقام من وراء الستر فسمعها تترنّم وتغنّي وتقول : [من الخفيف]

كان لِي يـا يزيدُ حبُّكَ حَينا   كاد يقضي عـلَيَّ لمـا التقينا

والشعر كان «يا شُقير» ، فرفع الستر فوجدَها مضطجعةً مُقْبِلة على الجدار ، فعلِم أنّها لَم تَعلمْ به ولَم يكـن ذاكَ لمكانـه ، فـألقى نفسَه عليها وحَرَّكت منه .

قال المدائنيّ : غلبت حبابة على يزيد ، وتَبَنَّى بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته ، حتى كان يدخُل على يزيـد في أيِّ وقـت شاء . وحسَد ناسٌ مـن بني أُميّة مَسلمة بن عبد الملك على ولايته ، وقدَحوا فيه عند يزيد ، وقالوا : إنّ مسلمة إنّ اقتطِع الخراج لم يحسُن يا أمير المؤمنين أن تَفْتِشه أو تكشفه عن شيء ، لسِنِّهِ وحَقِّه ، وقد علمتُ أنّ أمير المؤمنين لم يُدخل أحداً من أهل بيته في الخراج . فوَقَر ذلك في قلب يزيد ، وعزَم على عزله ، وعمل ابنُ هبيرة في ولاية العراق من قبل حَبابـة ، فعمِلت لـه في ذلك . وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوةٌ ، وكانا يتنازعان ويتحاسدان . فقيل للقعقاع لقد : نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنـين منزلةً ، إنّه لصاحِب العراقِ غداً . ومن يطيق ابن هبيرة ! حبابة بالليل ، وهداياه بالنهار ، مع أنّه وإن بَلَغَ فإنّه رجلٌ من بني سُكين . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها .

حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث ، فحفِظته ولَم أحفظ إسناده . وحدَّثنا محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثني أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مصعب الزُّبيريّ ، عن مصعب بن عثمان ، وقد جمعت روايتيهما قالا : أراد يزيدُ بن عبد الملك أن يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أَرْجى [1] لربّه جلّ وعزّ منّي ؟ فشقَّ ذلك على حبابة ؟ فأرسلت إلى الأحوص .

---

1 أرجى : أخوف .

[مسلمة ويزيد]

هكذا في رواية وكيع ، وأمّا عمر بن شبة فإنّه ذكر أنّ مسلمة أقبلَ على يزيد يلُومه في الإلحاح على الغناء والشُّرب ، وقال له : إنّك وَلِيت بعقب عمر بن عبد العزيز وعَدلِهِ ، وقد تشاغَلَت بهذه الأمّة عن النظر في الأمور ، والوفود ببابك ، وأصحابُ الظُّلامات يصيحون[1] ، وأنت غافل عنهم . فقال : صدقتَ والله ، وأعتَبَه وهمَّ بتركِ الشُّرب ، ولم يدخل على حبابة أيّاماً ، فدَسَّت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك وقالت له : إن رددته عن رأيه فلك ألفُ دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد ، فاستأذَنَ في الإنشاد ، فأذِن له .

قال إسحاق في خبره : فقال الأحوص[2] : [من الطويل]

صوت

أَلا لا تلُمْـه اليــومَ أن يتبلَّــدا ... فقــد غُلِــب المحــزونُ أن يتجلَّدا
بكيتُ الصِّبا جَهدي فمَن شاء لامني ... ومَن شاء آسى في البكاء وأَسْعَدا
وإنّي وإنْ فُنِّدتُ في طلب الغنى ... لأَعلَمُ أنّي لستُ في الحبِّ أَوحدا[3]
إذا أَنْتَ لم تعشِق ولَم تَدْرِ ما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصخرِ جلمدا
فما العيشُ إلاّ مـا تَـلَـذُّ وتشتهي ... وإنْ لامَ فيــه ذو الشَّنانِ وفَنّدا[4]

الغناء لمعبد ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر ، وفيه رمل للغريض . ويقال إنّه لحبابة .

قال : ومكث جُمعةً لا يرى حَبابة ولا يدعو بها . فلمّا كان يومُ الجمعة قالت لبعض جواريها : إذا خرج أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلِميني . فلمّا أراد الخروجَ أعلَمَتْها ، فتلقّته والعودُ في يدها ، فغنّت البيت الأوّل ، فغطّى وجهه وقال : مَهْ لا تفعلي . ثم غنّت : [من الطويل]

وما العيشُ إلاّ ما تَلَذُّ وتشتهي

فعدل إليها وقال : صدقتِ والله ، فقَبَح الله مَن لامني فيكِ ، يا غلام مُرْ مسلمةَ أن يصلّيَ بالناس . وأقام معها يشربُ وتغنّيه ، وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبّة في حديثه : فقال يزيد : صدقتِ والله ، فعلى مسلمةَ لعنةُ الله ! وعاودَ

1 ل : يضجون .
2 ديوان الأحوص : 56–58 .
3 التفنيد : التكذيب وتخطئة الرأي .
4 الشنان : الشنآن ، العداوة والبغضاء .

ما كان فيه ، ثم قال لها : مَن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها ، وأوّلها قوله[1] : [من البسيط]

يا مُوقِــد النّــار بالعَلياء من إضم أوقِدْ فقد هجتَ شوقاً غير منصرمِ[2]

وهي طويلة . فقال له يزيد : ارفع حوائجك . فكتب إليه في نحوٍ من أربعين ألفَ درهم من دَينٍ وغيره ، فأمر له بها .

وقال مصعب في خبره : بل استأذن الأحوص على يزيد ، فأذِن له ، فاستأذن في الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذِن له . فأنشده هذه الأبيات ، فلمّا سمعها وثَبَ حتّى دخل على حَبابة وهو يتمثّل : [من الطويل]

وما العيش إلاّ ما تلَذُّ وتشتهي وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ وفَنّدا

فقالت له : ما ردّكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشَدنيها الأحوص ، فسلي ما شئت . قالت : ألف دينار تُعطيها الأحوص . فأعطاه ألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يا مُوقِدَ النّار بالعَلْياء مــن إضَم أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ منْصرمِ

يا مُوقِدَ النّار أوقِدهــا فــإن لهــا سَناً يَهيج فــؤادَ العاشِقِ السّدمِ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن يونس وإسحاق وعمرو . وذكر حَبش أن فيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جامع .

[مولى خراسانيّ يعظ يزيد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني علي بن القاسم بن بشير قال : لمّا غلبَ يزيدُ بن عبد الملك أهلَه وأبى أن يسمعَ منهم كلّموا مولًى له خراسانيّاً ذا قَدْر عندهم ، وكانت فيه لُكنة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عمّا قد ألحَّ عليه من السّماع للغِناء والشراب . فقال له يزيد : فإنّي أُحضِرك هذا الأمرَ الذي تنهى عنه ، فإن نهيتَني عنه بعد ما تَبلوه وتحضُره انتهيتُ ، وإنّي مخبر جوارِيَّ أنّك عمٌّ من عُمومتي ، فإيّاك أن تتكلّم فيعلمْنَ

1 ديوان الأحوص : 202 .

2 إضم : واد في الحجاز .

أنّي كاذب ، وأنّك لست بعمّي . ثم أدخله عليهنّ فغنّين ، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئاً ، حتّى غنّين : [من الطويل]

وقــد كنتُ آتيكم بعِلّةِ غيركم   فأفنيتُ عِلاتــي فكيف أقــولُ

فطرِب الشيخ وقال : لا فَيف ، جعلني الله فِداكنّ ! يريد : لا كيف . فعلمن أنّه ليس عمَّه ، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضْرِبْنه بها ، حتّى حجزهنّ يزيدُ عنه . ثم قال له بعدما انقضى أمرُهنّ : ما تقول الآنَ ، أدعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه !

[حبابة تعزل وتستعمل]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعيّ الأسلميّ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن أبيه عن حمادِ الراوية قال : كانت حَبابة فائقةً في الجمالِ والحسن ، وكان يزيدُ لها عاشقاً ، فقال لها يوماً : قد استخلفتُك على ما وردَ عليّ ، ونصبتُ لذلك مولايَ فلاناً فاستخلِفيهِ لأقيم معكِ أيّاماً وأستمتِع بك . قالت : فإنّي قد عزلتُه . فغضب عليها وقال : قد استعملتُه وتعزلينه . وخرجَ من عندها مغضَباً ، فلمّا ارتفع النّهار وطال عليه هَجرُها دعا خَصيّاً له وقال : انطلقْ فانظر أيَّ شيء تصنع حَبابة ؟ فانطلق الخادم ثم أتاه ، فقال : رأيتها مؤتزرة بإزار خَلوقيّ قد جعلَتْ له ذَنَبين وهي تلعبُ بلُعَبِها . فقال : ويحكَ احتلْ لها حتّى تمرّ بها عليّ . فانطلق الخادِمُ إليها فلاعبَها ساعة ، ثم استلبَ لُعبة من لعبها وخرجَ ، فجعلت تُحضِر في أثره ، فمرّت بيزيدَ فوثب وهو يقول : قد عزلتُه ! وهي تقول : قد استعملته ! فعزل مولاه وولاّه وهو لا يدري . فمكث معها خالياً أيّاماً حتّى دخل عليه أخوه مَسلمة فلامه ، وقال : ضيعتَ حوائج النّاس واحتجبتَ عنهم ، أترى هذا مستقيماً لك ؟! وهي تسمعُ مقالته ، فغنّت لما خرج : [من الطويل]

ألا لا تلمْهُ اليومَ أن يتبلّدا

فذكرت الأبيات . فطربَ وقال : قاتلَكَ الله أبيتِ إلاّ أن ترديني إليكِ . وعاد إلى ما كان عليه .

أخبرني إسماعيل قال : حدَّثني عمّي قال : حدّثني إسحاق قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسّان قال : قال مسلمة ليزيد : تركتَ الظُّهور وشهودَ الجمعة الجامعة ، وقعدتَ في منزلك مع هذهِ الإماء ! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص : قل في ذلك شعراً . فقال : [من الطويل]

وما العيشُ إلاّ مــا تَلــذُّ وتَشتهي   وإنْ لامَ فيــه ذو الشَّنــانِ وفنّدا
بكيتُ الصِّبا جَهدِي فمَن شاء لامَني   ومَن شاء آسى في البكـاءِ وأسعدا

وإنّي وإن أُغرقتُ في طَلَـب الصِّبا ... لأَعلمُ أنّي لستُ في الحبِّ أوحدا
إذا كنتَ عِزْهـاةً عن اللَّهو والصِّبا ... فكُن حجراً من يابس الصّخرِ جَلمدا[1]

قال : فغنتا يزيد فيه ، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به . قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا . فغنّتاه من هذه القصيدة : [من الطويل]

وعَهدِي بِها صفراءَ رُودًا كأنّـما ... نضا عَرَقٌ منها على اللون مُجسَدا[2]
مهفهفة الأعـلى وأسفـل خلقِهـا ... جرى لحمُه مـا دونَ أن يتخددا[3]
من المدمَجات اللحمِ جَدلاً كأنّها ... عِنانُ صَناعٍ مدمجُ الفتـل محصَدا[4]
كأنّ ذكيَّ المسك بادٍ وقد بـدت ... وريحَ خُزامى طَلّةٍ تنفح النّدى[5]

فطرِب يزيدُ وأخذ فيه من الشراب قدرَه الذي كان يطرب منه ويسرُّه ، ولم تَرَه أظهر شيئاً ممّا كان يفعله عند طربه ، فغنّته : [من الطويل]

أَلا لا تَلمْـــه اليـــومَ أن يتبلَّـدا ... فقـد غُلِـب المحـزونُ أن يتجلّدا
نظـرتُ رجـاء بالموقَّـر أَن أَرى ... أَكارِيس يحتلُّون خاخاً فمنشدا[6]
فأوفيتُ في نَشْزٍ مـن الأرض يافع ... وقد تُسعِف الأيفاعُ مَن كان مُقصَدا[7]

فلمّا غنّته بهذا طرب طرَبه الذي تعهّده ، وجعل يدور ويَصيح : الدُّخن بالنّوى ، والسمَك في بيطار جنان[8] . وشقّ حلّته وقال لها : أتأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى مَن تَدَع النّاس ؟ قال : إليك .

قال : وغنّته سَلاّمةُ من هذه القصيدة : [من الطويل]

فقلتُ أَلا يا ليت أسماءَ أصقَبتْ ... وهل قـولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا[9]
وإنّي لأهواهــا وأَهـوى لِقاءها ... كما يشتهي الصادِي الشرابَ المبرَّدا

---

1 العزهاة : المنقبض المعرض عن اللهو والغناء .
2 مجسد : مصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .
3 مهفهفة : ضامرة .
4 محصد : مفتول . والعنان : الحبل .
5 طلة : التي أصابها الطلّ ، وهو الندى .
6 الموقر : وخاخ ومنشد : مواضع . والأكاريس : جمع كِرس ، وهو الجماعة من الناس .
7 والمقصد : الذي رمي فأصيب .
8 كلام لا معنى له .
9 أصقبت : دنت .

علاقَـــة حبٍّ لَجَّ في سَنَن الصِّبا ... فأبـــلى ومـــا يـــزداد إلاّ تجدُّدا
سُهــوبٌ وأعلام تخـــال سرابَها ... إذا استَنّ في القَيْظِ المُلاءَ المعضَّدا[1]

قال : وغنّته حَبابة منها أيضاً :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذي ... أَقَـــرّت لـــه بالملك كَهلاً وأَمردا
وليس عطاءٌ كان منـــه بمانـــع ... وإن جَلّ من أضعاف أضعافه غدا
أهانَ تِـــلاد المـــالِ في الحمد إنّه ... إمامُ هدًى يجري على مـــا تعوَّدا
تـــردَّى بمجـــدٍ مـــن أبيهِ وأمِّهِ ... وقـــد أورثـــا بنيانَ مجد مشيَّدا

فقال لها يزيد : ويحكِ يا حبابة ، ومن مِن قريش هذا ؟ قالت : أنت . قال : ومَن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين . وقالت سلامة : فليسمع أميرُ المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها . ثم اندفعت فغنّته : [من الطويل]

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدا ... مـــن النّاس إنساناً لكنتَ المخلَّدا
فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشتُ شاكِراً ... لنعماكَ مـــا طـــارَ الحمامُ وغَرّدا

[قضاء معبد بتفضيل حبابة]

أخبرني إسماعيل قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : علي بن الجعد قال : حدَّثني أبو يعقوب الخُرَيمي ، عن أبي بكر بن عَيّاش : أنّ حَبابة وسَلاّمة اختلفا في صوت معبد : [من الوافر]

أَلا حـــيِّ الدّيـــار بسَعد إنّي ... أُحِبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

فبعثَ يزيد إلى معبد فأتي به ، فسأل : لِمَ بَعَثَ إليه ؟ فأُخبر ، فقال : لأيَّتهما المنزِلة عند أمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة . فلمّا عَرَضَنا عليه الصوت قضى لحبابة ، فقالت سلامة : والله ما قَضى إلاّ للمنزلة ، وإنّه ليعلم أنّ الصوابَ ما غنّيت ، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صِلته لأنّ له عليَّ حقّاً . قال : قد أذنت . فكان ما وصلَتْه به أكثر من حبابة .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

أَلا حَـــيِّ الديـــارَ بسَعدَ إنّي ... أحـــبُّ لحـــبِّ فاطمـــةَ الديارا
إذا مـــا حَلّ أهلكِ يـــا سليمى ... بدارة صُلصلٍ شَحَطوا مَزارا[2]

الشعر لجرير ، والغناء لابن مُحرِز ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

1 واستن : أسرع . المعضدا في ل : المعمدا .
2 دارة صلصل : موضع . وشحطوا : بعدوا .

[بين الفرزدق والأحوص]

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينة فقال له الأحوص : ما تشتهي ؟ قال : شِواءٌ وطِلاء[1] وغِناء . قال : ذلكَ لك . ومضى به إلى قَينةٍ بالمدينة فغنّته : [من الوافر]

أَلا حَـيٌّ الدّيـار بسعدَ إنّـي أُحبُّ لحـبِّ فاطمـةَ الديارا
أَرادَ الظاعنـون ليحزنُونـي فهاجُوا صَدعَ قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق : ما أَرقَّ أَشعاركم يا أَهلَ الحجاز وأَملَحها ! قال : أَو ما تدري لِمَن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله . قال : هو لجرير ، يَهجوك به . فقال : ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجَه مع عفافِهِ إلى صلابةِ شعرِي ، وأحوجَني مع شهواتِي إلى رقّة شعره .

وقد روى صالح بن حسّان أنّ الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو : [من الكامل]

وترى لها دَلاًّ إذا نطقَتْ بِـهِ تركَتْ بنـاتِ فُـؤادِهِ صُعْرا[2]

ذكر ذلك حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ : أنّهما اختلفتا في هذا الصوت بين يَدَيْ يزيد ، فقال لهما : من أينَ جاء اختلافُكما ، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذته ، وقالت الأخرى ، هكذا أخذته . فقال يزيد : قد اختلفتما ومعبدٌ حيٌّ بعد ؟ فكتَب إلى عاملِهِ بالمدينة يأمره بحمله إليه .

ثم ذكر باقِيَ الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عيّاش .

قال صالح بن حَسّان : فلمّا دخل مَعبَدٌ إليه لَم يسأله عن الصوت ، ولكنّه أَمَره أن يغنّي ، فغنّاه فقال : [من الطويل]

فيا عَـزّ إنْ واشٍ وَشى بِيَ عندَكم فلا تكرمِيــه أن تقولِي لـه أهلا

فاستحسنه وطرب ثم قال : إنّ هاتين اختلفَتا في صوتٍ لك فاقضِ بينهما . فقال لحبابة : غَنّي . فغنَّت ، وقال لسلامة : غنّي . فغنَّت ، وقال : الصواب ما قالت حبابة . فقالت سلاّمة : والله يا ابنَ الفاعلة إنّك لتعلمُ أنّ الصواب ما قلت ، ولكنّك سألت أيّتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة ، فاتّبعتَ هواه ورِضاهَ ! فضحِكَ يزيدُ وطرب ، وأخذ وِسادةً فصيَّرها على رأسه ، وقام يَدُور في الدار ويرقص ويصيح : «السمك الطرنة أربعة أرطال ، عند بيطار من خيان» حتى دار الدارَ كلَّها ثم رجع فجلس مجلسه وقال

1 الطلاء : الخمر .

2 صعر : مائلات .

شعراً ، وأمر معبداً أن يغنّي فيه ، فغنّى فيه وهو : [من البسيط]

أبلغَ حَبابة أسْقى ربعَهـا المطرُ ما للفؤادِ سِوى ذكراكُم وطرُ
إنْ سار صحبِيَ لَم أَمْلِكْ تذكُّرَكم أو عَرَّسوا فهمومُ النّفسِ والسَّهرُ

فاستحسنه وطرب . هكذا ذكر إسحاق في الخبر . وغيره يذكر أنّ الصنعة فيه لحبابة ، ويزعم ابنُ خُرداذبه أنّ الصنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر ، وإنّما أراد أن يوالِي بين الخلفاء في الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح أنّه لمعبد .

قال معبد : فسُرَّ يزيدُ لّما غنّيته في هذين البيتين ، وكساني ووصلني ، ثم لما انصرَمَ مجلسه انصرفتُ إلى منزلي الذي أُنزِلتُه ، فإذا ألطاف من سَلاّمة قد سبقت ألطافَ حَبابة ، وبعثت إليّ : إنّي قد عذرتُك فيما فعلتَ ، ولكنْ كان الحقُّ أولى بك . فلم أزَلْ في ألطافهما جميعاً حتى أذِن لِي يزيد ، فرجعتُ إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه معبد الذي أوّله

فيا عَزَّ إنْ واشٍ وشَى بِي عندَكم

صوت[1]

[من الطويل]

أَلَمْ يأنِ لِي يا قلبُ أن أتركَ الجهلا وأنْ يُحدث الشيبُ الملِمُّ لِيَ العقلا
على حين صار الرأسُ منّي كأنّما عَلَت فوقَـه نَدّافةُ العُطُبِ الغزلا[2]
فيا عـزَّ إن واشٍ وشَى بِيَ عندَكم فـلا تُكرمِيهِ أنْ تقولِـي لـه أهلا
كما لـو وَشى واشٍ بودِّك عندنا لقلْنا تزحزَحْ لا قَرِيباً ولا سَهلا
فأهلاً وسهلاً بالذي شَدَّ وصلنا ولا مرحباً بالقائلِ اصرِم لها حبلا

الشعر لكثيِّر ، والغناء لحنين ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر ابن المكّيّ وعمرو والهشاميّ أنّه لمعبد . وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج ، وليس بصحيح ، ويقال إنّه لمعبد .

أَخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثتني ظبيةُ قالت : أنشَدَتْ حبابةُ يوماً يزيدَ بن عبد الملك : [من الوافر]

---

1 ديوان كثيّر : 383 .

2 العطب : القطن .

لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلْعاً لرؤيتها ومَنْ بجَنوب سَلَعِ

ثم تنفَّستْ تنفّساً شديداً فقال لها : ما لكِ ، أنتِ في ذمّة أبي ، لئن شئتِ لأنقلنّه إليكِ حجراً حجراً . قالت : وما أصنع به : ليس إيّاه أردتُ ، إنّما أردت صاحبَه . وربّما قالت : ساكِنَه ، والله أعلم .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلعا لرؤيتها ومَن بجنوبِ سَلْعِ
تقَرُّ بقُربها عيني وإنّي لأخشى أن تكونَ تريدُ فجعي
حلفتُ بربٍّ مكّةَ والهدايا وايدي السّابِحاتِ غداةَ جَمعِ[1]
لأنتِ على التنائي فاعلميهِ أُحبُّ إليَّ مِن بصرِي وسمعِي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى ، ممّا لا شكّ فيه من غنائه .

قال الزُّبير : وحدَّثتني ظَبيةُ أنّ يزيد قال لحبابة وسَلاّمة : أيّتُكما غَنَّتْني ما في نفسي فلَها حُكمها . فغنَّت سلاّمة فلم تُصِب ما في نفسه ، وغنَّته حبابة : [من الخفيف]

حِلَقٌ من بني كِنانةَ حَوْلي بِفِلَسطِين يُسرِعونَ الرّكوبا

فأصابت ما في نفسه فقال : احتكمي . فقالت : سلامةُ ، تهبُها لِي ومالَها . قال : اطلبي غيرَها . فأبَتْ ، فقال : أنتِ أولى بها ومالِها . فلقيت سَلاّمة من ذلك أمراً عظيماً ، فقالت لها حبابة : لا ترين إلاّ خيراً ! فجاء يزيدُ فسألها أن تبيعَه إيّاها بحكمها ، فقالت : أُشهِدَكَ أنّها حرّة ، واخطُبْها إليَّ الآنَ حتّى أزوّجكَ مولاتِي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق عن المدائنيّ بنحوِ هذه القصّة . وقال فيها : فجزعت سَلاّمة ، فقالت لها : لا تجزعي فإنّما ألاعِبه .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

حِلقٌ من بني كِنانة حَولي بفلسطين يُسرِعون الرّكوبا
هَزِئتْ أن رأت مشيبِيَ عِرْسي لا تلُومي ذوائبي أن تَشيبا

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن سريج ، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 جمع : المزدلفة .

[اعتراف حبابة بفضل سلاّمة]

قال حمّاد بن إسحاق : حدَّثني أبي عن المدائنيّ ، وأيّوب بن عباية قالا : كانت سَلاّمة المتقدّمة منهما في الغناء ، وكانت حبابة تنظرُ إليها بتلك العين ، فلمّا حَظِيت عند يزيد ترفَّعت عليها فقالت لها سلاّمة : ويحكِ أينَ تأديب الغناء وحقُّ التعليم ؟ أنسيتِ قولَ جميلة لك : خذي أحكامَ ما أُطارِحكِ إيّاه من سلاّمة ؟ ! فلن تزالي بخيرٍ ما بقيتُ لكِ وكان أمركما مؤتلفاً . قالت : صدقتِ يا خليلتي ، والله لا عدتُ إلى شيءٍ تكرهينه . فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً .

قال المدائنيّ : فرأى يزيدُ يوماً حَبابةَ جالسةً فقال : ما لكِ ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : تحبِّين أن أَهبَها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أحبّ أن تهب لِي أُختي .

قال المدائنيّ : وكانت حبابة إذا غنّت وطرِب يزيدُ قال لها : أَطير ؟ فتقول له : فإلى مَن تَدعُ الناس ؟ فيقول : إليك : والله تعالى أَعلم .

[وساطة حبابة للبيذق الأنصاري]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أيّوب بن عَباية ، أنّ البيذق الأنصاريّ القارىء كان يَعرف حبابة ويدخُل عليها بالحجاز ، فلمّا صارت إلى يزيد بنِ عبد الملك وارتفعَ أمرُها عنده ، خرجَ إليها يتعرّضُ لمعروفها ويستميحها ، فذكرته ليزيدَ وأخبرتْه بحسن صوته . قال : فدعاني يزيدُ ليلةً فدخلتُ عليه وهو على فُرُش مُشرفة قد ذَهَبَ فيها إلى قريبٍ من ثدييه ، وإذا حَبابة على فُرش أُخَر مرتفعة ، وهي دونَه ، فسلّمتْ فردّ السلام ، وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبي ، وأشارت إليَّ بالجلوس ، فجلست وقالت لِي حَبابةُ : اقرأ يا أبتِ . فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تَنْحدِر ، ثم قالت : إيهِ يا أَبَتِ حدِّثْ أمير المؤمنين ، وأشارتْ إليَّ أن غنِّهِ . فاندفعتُ في صوت ابن سُرَيج : [من مجزوء الخفيف]

من لصبّ مفنَّـــدِ هائم القلب مُقْصَدِ

فطَرِب والله يزيدُ فحذَفني بمُدهُنٍ فيه فصوصٌ من ياقوتٍ وزبرجد ، فضربَ صَدرِي ، فأشارت إليّ حَبابة : أن خُذْه . فأخذتُه فأدخلته كمي ، فقال : يا حَبابةُ ألا ترين ما صنعَ بنا أبوك ، أخذ مُدهُننا فأدخلَه في كُمّه ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجَه واللهِ إليه ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لِي بمائةِ[1] دينارٍ .

1 ل : بمائتي .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

مــن لصــبٍّ مُفَنَّدِ   هائم القلــبِ مُقصَدِ
أنتِ زوَّدتــه الضَّنى   بِئسَ زادُ المــــزوَّدِ
ولَو انّــي لا أرتجيـ   ـيك لقد خَفَّ عوَّدِي
ثاويــاً تحتَ تُربةٍ   رهــنَ رمسٍ بفَدفدِ
غيرَ أنّــي أعلِّــل النـ   ـفسَ باليــومِ أو غدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . وذكر الزُّبير بن بكّار أنّه لجعفر بن الزُّبير ، والغناء لابن سريج ، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[أطرب من يزيد]

وقال حمّاد : حدَّثني أبي عن مخلد بن خِداش وغيرِه ، أنّ حبابة غنّت يزيد صوتاً لابن سريج ، وهو قوله : [من المنسرح]

ما أَحسنَ الجِيدَ من مُليكةَ والـ   ـلَّبَّـاتِ إذْ زانَهـــا ترائبُهـا

فطرب يزيد وقال : هل رأيتِ أحداً أطرب منّي ؟ قلت : نعم ، ابن الطَّيّار معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحّاك فحمِل إليه ، فلمّا قدِم أرسلَتْ إليه حبابةُ : إنّما بعثَ إليكَ لكذا وكذا ، وأخبرَتْه ، فإذا دخلتَ عليه فلا تظهرنّ طرباً حتّى أُغنِّيه الصوت الذي غنَّيته . فقال : سوأةٌ على كبر سنّي ؟ فدعا به يزيدُ وهو على طِنفسة خزّ ، ووُضِع لمعاويةَ مثلُها ، فجاءوا بجامَين فيهما مسكٌ فوضعت إحداهما بين يَديْ يزيد والأُخرى بين يَدَيْ معاوية ، فقال : فلم أدرِ كيف أصنع . فقلت : انظر كيف يصنعُ فاصنعْ مثلَه . فكان يقلِّبه فيفوحُ ريحه وأفعلُ مثل ذلك ، فدعا بحبابة فغنَّتْ ، فلمّا غنّت ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادةَ فوضَعها على رأسه وقام يدورُ وينادي : «الدُّخْن بالنوى» يعني اللُّوبيا . قال : فأَمر له بِصِلاتٍ عدّةَ دَفعات إلى أن خرج ، فكان مبلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار .

[اختبار طرب مولى حبابة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : أخبرني الزُّبير بن أَبي بكر ، عن ظَبية : أنّ حَبابة غنَّتْ يوماً بين يدي يزيدَ فطرِب ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منّي ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني . فغاظه ذلك فكتبَ في حَملِهِ مقيَّداً ، فلمّا عرف خبره أمر بإدخالِهِ إليه ، فأُدخِل يرسُف في قَيدِه ، وأمرها فغنّتْ بَغتةً : [من المتقارب]

تُشِطُّ غـداً دارُ جيراننا ولَلدّارُ بعـد غـدٍ أبعدُ

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرقَ لحيتَه ، وجعَل يصيح : الحريقُ يا أولاد الزّنا ! فضحِكَ يزيد وقال : لعمري إنَّ هذا لأطربُ الناسِ ! فأمر بحلِّ قيودِه ، وَوَصَلَه بألفِ دينار ، ووصلته حبابةُ ، وردّه إلى المدينة .

[يزيد وأم عوف]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال إسحاق : كان يزيدُ بن عبد الملك قبلَ أن تُفضيَ إليه الخلافةُ ، تختلف إليه مغنّيةٌ طاعِنةٌ في السِّنِّ تدعى أُمَّ عَوف ، وكانت مُحسنة ، فكانَ يختار عليها : [من البسيط]

متـى أُجِرْ خائفاً تَسرحْ مطِيّتُه وإن أُخِف آمِناً تنبو بـه الدّارُ[1]

سِيروا إليَّ وأرخوا من أعنَّتِكم إنِّي لكلِّ امرىءٍ من وِترِهِ جارُ

فذكرها يزيدُ يوماً لحبابة ، وقد كانت أخذَتْ عنها فلم تقدر أن تَطعن عليها إلاّ بالسنّ ، فغنّت : [من الطويل]

أبى القلـبُ إلاّ أُمَّ عوفٍ وحبَّها عجوزاً ومن يُحبِب عجوزاً يفنَّدِ[2]

فضحِك وقال : لَمن هذا الغناء ؟ فقالت : لمالك . فكان إذا جلسَ معها للشُّرب يقول : غنّيني صوتَ مالكٍ في أُمّ عوف .

[شرقت بحبة رمّان فماتت]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدَّثني عمر بن شبّة قـال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العَدويّ قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال : حدَّثني أبو غانم الأزديّ قال : نزل يزيدُ بن عبد الملك ببيتِ رأسٍ بالشام ، ومعه حَبابة فقال : زعموا أنّه لا تصفو لأحـدٍ عِيشةٌ يوماً إلى الليلِ إلاّ يكدرها شيءٌ عليه ، وسأجرِّب ذلك . ثم قال لَمن معه : إذا كان غداً فلا تُخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب . وخلا هو وحَبابة فأُتيا بما يأكلان ، فأكلَتْ رُمّانةً فشرِقت بحبّةٍ منها فماتت ، فأقام لا يَدفنها ثلاثاً حتّى تغيّرت وأنتنت ، وهـو يَشمُّها ويرشُفها ، فعاتبه على ذلك ذَوُو قرابته وصديقه ، وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يديك ! حتّى أذِن لهم في غسلها ودَفْنها ، وأَمَرَ فأُخرِجَتْ في نِطع ، وخرج معها لا يتكلّم حتّى جلس على قَبرِها ، فلمّا دُفِنت قال : أصبحتُ والله كما قال كُثَيِّر[3] : [من الطويل]

---

1 تنبو في ل : تُغلَقْ .

2 من الحماسة 543 وذكر التبريزي أنها لأبي الأسود الدؤلي . وفيها «أم عمرو» .

3 ديوان كثير : 435 .

فإن يسلُ عنكِ القلبُ أو يدعِ الصِّبا فباليأس يَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ مِنَ اجلك : هذا هامة اليومِ أو غدِ[1]

فما أَقام إلاّ خمسَ عشرةَ ليلةً حتّى دُفِن إلى جنبها .

أُخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : حدَّثني الفضل بن الرَّبيع عن أُبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة عن أبيه أنّ مسلمةَ بن عبدِ الملك قال : ماتت حَبابة فجزِع عليها يزيد ، فجعلْتُ أؤسِّيه وأُعزِّيه ، وهو ضاربٌ بذَقَنِهِ على صدره ما يكلِّمني حتّى دفَنَها ورَجع ، فلمّا بلغ إلى بابه التفتَ إليَّ وقال : [من الطويل]

فإنْ تسلُ عنكِ النَّفسُ أو تدعِ الصِّبا فباليأس تَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ

ثم دخل بيتَه فمكثَ أربعين يوماً ثم هلك .

قال : وجزِع عليها في بعض أيّامه فقال : أنبِشُوها حتّى أنظرَ إليها . فقيل : تصير حديثاً !! فرجع فلم ينبشها .

وقد روى المدائنيّ أنّه اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيّام من دفنه إيّاها ، فقال : لا بدّ من أن تُنبَش . فنُبِشت وكُشِف له عن وجهِها وقد تغيَّر تغيُّراً قبيحاً فقيل له : يا أُمير المؤمنين ، اتّقِ الله ، أَلا ترى كيفَ قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ ! أحسَن منها اليومَ ، أخرِجوها . فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أهله ، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودَفنوها ، وانصرف فكمِد كمداً شديداً حتّى مات ، فدُفِن إلى جانبها .

[صلاة الجنازة]

قال إسحاق : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العبّاس بن محمد ، أنّ يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حبابة ، فكلَّمه مَسلمةُ في أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ عليها . فتخلَّفَ يزيدُ ومضى مَسلَمة ، حتّى إذا مضى الناسُ انصرفَ مسلمةُ وأُمر مَن صلّى عليها .

وروى الزُّبير ، عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزُّبير قال : خرجت مع أبي إلى الشام في زمن يزيدَ بن عبد الملك ، فلمّا ماتت حَبابةُ وأخرِجت لَم يستطع يزيدُ الركوب من الجزع ولا المشي ، فحُمِل على مِنبرٍ على رقاب الرجال . فلمّا دُفِنت قال : لم أُصلِّ عليها ، انبِشوا عنها . فقال له مسلمة : نَشَدتك اللهَ يا أُمير المؤمنين ، إنّما هي أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثَّرى ! فلَم يأذن للناس بعدَ حبابةَ إلاّ مرّةً واحدة . قال : فواللهِ ما

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .

استتمّ دخولُ الناسِ حتى قال الحاجب : أَجِيزُوا رحمكم الله . ولَم ينشَب يزيدُ أن مات كمدا .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق قال حدَّثني ابن أبي الحويرث الثقفيّ ، قال : لَمّا ماتت حَبابةُ جزع عليها يزيدُ جزعاً شديداً ، فضمَّ جُويريّة لها كانت تخدُمها إليه ، فكانت تحدِّثه وتُؤنسه ، فبينا هو يوماً يدور في قصره إذْ قال لها : هذا الموضع الذي كنّا فيه . فتمثَّلَتْ : [من الطويل]

كَفى حَزَناً للهائم الصبِّ أن يَرى مَنـازِلَ مَـن يهوى معطَّلـةً قَفرا

فبكى حتّى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكّر بها حبابة حتّى مات .

صوت

[من الطويل]

أيدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً وهنّ من الأزواجِ نحـوي نوازِعُ
وما شابَ رأسي من سِنِينَ تَتابَعَتْ عـليَّ ولكـنْ شيّبَتْـه الوقائِـعُ

الشعر لأبي الطّفيلِ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن عمرو وغيره .

[285] ـ أخبار أبي الطفيل ونسبه[1]

[نسبه]

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حُمَيس بن جُدَيٍّ بر سعد بن لَيث بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

[صحبته وتشيّعه]

وله صحبةٌ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ورواية عنه . وعُمِّر بعده عُمراً طويلاً ؛ وكان مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ورَوى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه مَحَلٌّ خاصّ يستغنى بشهرته عن ذكره . ثم خرج طالباً بدمِ الحسين بن عليّ عليهما السلام ، مع المختارِ بن أبي عُبيد ، وكان معه حتّى قتِل وأفلتَ هو ، وعمِّر أيضاً بعد ذلك .

[رأى الرسول في حجّة الوداع]

حدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحيّ بمكّة ، قال : حدَّثنا يزيد بن أبي حَكيم قال : حدَّثني يزيد بن مُلَيل ، عن أبي الطُّفيل أنّه رأى النبيَّ ﷺ في حَجّة الوداع يَطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحجنِه .

أخبرناه محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثنا أبو عاصم عن معروف بن خرّبوذ عن أبي الطُّفيل بمثله ، وزاد فيه : «ثم يقبل المحجن» .

[علي يجيب أسئلة]

حدَّثني أبو عبيد الله الصيرفيّ قال : حدَّثنا الفضل بن الحسن المصري قال : حدَّثنا أبو نعيم عن بَسّامِ الصَّيرفيّ عن أبي الطُّفيل قال : سمعتُ عليّاً عليه السلامُ يخطب فقال : سَلُوني قبل أن تفقِدوني . فقام إليه ابن الكَوّاء ، فقال : ما ﴿الذّاريات ذروًا﴾ ؟ قال : الرياح . قال : فـ﴿ـالجاريات يُسْرا﴾ ؟ قال : السُّفن . قال : فـ﴿ـالحاملات وِقْراً﴾ ؟ قال : السحاب . قال : فـ﴿ـالمقسِّمات أمرًا﴾ ؟ قال : الملائكة . قال : فمن ﴿الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفْراً﴾ ؟ قال : الأفجرانِ من قريشٍ : بنو أُميَّة وبنو مخزوم . قال : فما كان ذُو القرنين ، أنبياً أم ملكاً ؟ قال : كان

1 لأبي الطفيل ترجمة في خزانة البغدادي 4 : 40–44 وتهذيب ابن عساكر 7 : 200 والإصابة ، وانظر أعلام الزركلي .

عبداً مؤمناً ، أو قال صالحاً ، أُحبَّ اللّهَ وأَحبَّه ، ضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيمنِ فمات ، ثم بُعِث وضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيسرِ فمات . وفيكم مثله .

وكتب إليّ إسماعيل بن محمد المريّ الكوفيّ يذكر أنّ أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسامٍ . وذكر مثله .

[تقديم شعره]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : بلَغني أنّ بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم : أنشِدْني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة . فأنشده قصيدةَ أبي الطُّفيل : [من الطويل]

أَيَدْعُونني شيخاً وقد عِشتُ برهةً وهنَّ من الأزواجِ نَحــوِي نوازِعُ

فقال له بشر : صدقتَ هذا أشعر شعرائكم . قال : وقال له الحجّاج أيضاً : أنشدني قولَ شاعركم : «أيدعونني شيخاً» ، فأنشده إيّاه فقال : قاتله الله مُنافِقاً ، ما أشعره !

[محاورة معاوية له]

حدَّثني أحمد بن عيسى العجليّ الكوفي ، المعروف بابن أبي موسى ، قال : حدَّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال : حدَّثني أبي قال حدَّثني عمرو بن شمر عن جابرٍ الجُعفي قال : سمعت ابن حِذْيمٍ الناجيّ يقول : لمّا استقامَ لمعاوية أمرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، فلم يزل يكاتبُه ويَلطُف له حتّى أتاه ، فلمّا قدِم عليه جعلَ يسائله عن أمر الجاهلية ، ودخل عليه عَمرو بن العاص ونفرٌ معه ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبي الحَسَن . ثم قال : يا أبا الطُّفيل ما بَلَغَ من حبِّك لعليّ ؟ قال حبُّ أُمِّ موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثَّكلى والشَّيخِ الرقوب[1] ، وإلى الله أَشكو التقصير . قال معاوية : إنّ أصحابي هؤلاءِ لو سُئِلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك . قالوا : إذاً والله ما نقولُ الباطل . قال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون . ثم قال معاوية : وهو الذي يقول : [من الطويل]

إلى رجَــبِ السَّبعِــينَ تعتَرِفونَنــي مع السيف في حَوّاءَ جَــمٍّ عديدُها[2]
رَجوفٍ كمتنِ الطَّــود فيهــا معاشرٌ كغُلْــبِ السِّباعِ نُمرُهــا وأسودُها[3]
كُهــولٌ وشبّــان وساداتُ معشرٍ على الخيــلِ فُرسانٌ قليــلٌ صدودها

1 الرقوب : الذي مات ولده .
2 حواء : سوداء ، وهو يصف كتيبة .
3 رجوف : تضطرب لكثرتها . الغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

كأنَّ شعاعَ الشَّمس تحتَ لوائِها إذا طَلعت أَعشى العيونَ حديدُها
يَمُورون مَوْرَ الرِّيحِ إمّا ذُهِلتُم وزَلّت بأَكفالِ الرِّجالِ لبودُها[1]
شِعارهُم سيما النبيِّ ، ورايةٌ بها انتقمَ الرحمنُ مِمّن يَكيدُها
تَخطُّفُهم إيّاكُم عندَ ذكرِهِم كخَطف ضوارِي الطَّير طيراً تصيدُها[2]

فقال معاويةُ لجلسائه : أعَرَفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأم جليس . فقال معاوية : يا أَبا الطُّفيل أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرِفُهم بخيرٍ ، ولا أبعدهم من شرّ . قال : وقام خُزيمة الأسديُّ فأجابه فقال : [من الطويل]

إلى رجبٍ أو غُرّةِ الشهرِ بعده تصبِّحكم حُمرُ المنايا وسودُها
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دينُهم كتائبُ فيها جبرَئيلُ يقودُها
فمَن عاشَ منكم عاش عبداً ومَن يمت ففي النارِ سُقياهُ هناكَ صديدُها

[يخرج ابن الحنفية من الحبس]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائنيّ عن أبي مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق ، قال : لمّا رجعَ محمد بن الحنفية من الشام حبسَه ابن الزُّبير في سِجنِ عارم ، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، حتى أتوا سجنَ عارمٍ فكسروه وأخرجُوه ، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب : أن يسيِّرَ نساءَ كلِّ مَن خرج لذلك . فأخرج مصعبٌ نساءهم وأخرج فيهن أُمَّ الطُّفيل امرأةَ أبي الطُّفيل ، وابناً له صغيراً يقال له يحيى ، فقال أبو الطُّفيل في ذلك : [من المتقارب]

إن يَكُ سيَّرها مصعبُ فإنّي إلى مصعبٍ مذنِبُ
أقودُ الكتيبةَ مستلئماً كأنّي أخو عُرّةٍ أجربُ[3]
علَيَّ دِلاصٌ تخيّرتُها وفي الكفِّ ذو رونقٍ مقضبُ
سعرت عليهم مع الساعرين ناراً إذا خمدت تنقبُ
فلو أن يحْيى به قوة فيغدو مع القوم أو يركبُ
ولكن يحيى كفرخ العقاب والوكر مستضعف أزغبُ

1 زل لبودها : كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها .
2 طيراً في ل : صيداً .
3 العرة : الجرب .

[تشيّع أبي الطُّفيل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازي قال : حدَّثنا سَلَمة بن الفضل عن فِطر بن خليفة قال : سمعت أبا الطُّفيل يقول : لم يبق من الشِّيعة غيري . ثم تمثّل : [من الطويل]

وخُلّفتُ سهماً في الكنانة واحداً سيُرمى بِهِ أو يكسِر السهمَ كاسرهُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو عاصم قال : حدَّثني شيخٌ من بني تيم اللات قال : كان أبو الطُّفيل مع المختار في القصر ، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤخَذ وقال : [من الطويل]

ولمّا رأيت البابَ قـد حِيلَ دونه تكسَّرت باسمِ الله فيمـن تكسَّرا

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن شداد النُّشابيّ قال : حدَّثني المفضّل بن غسّان قال : حدَّثني عيسى بن واضح ، عن سليم بن مسلم المكيّ ، عن ابن جُريج عن عطاء قال : دخل عبد الله بن صفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير ، وهو يومئذٍ بمكّة ، فقال : أصبحتُ كما قال الشاعر[1] : [من البسيط]

فإنْ تصبكَ مـن الأيّامِ جائحةٌ لا أبكِ منكَ على دُنيا ولا دِينِ

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عبّاس يفقِّه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم النّاس ، فما بَقّيا لك ؟ فأحفَظَه ذلك فأرسَلَ صاحبَ شُرطته عبد الله بن مطيع فقال له : انطلِق إلى ابنَيْ عبّاسٍ فقل لهما : أعمَدْتُما إلى رايةٍ تُرابيّة[2] قد وضَعَها الله فنصبتماها ، بدِّدا عنّي جَمْعَكما ومن ضَوى[3] إليكما مِن ضُلاّل أهل العراق ، وإلاّ فعلتُ وفعلت ! فقال ابن عبّاس : قل لابن الزُّبير : يقول لك ابن عبّاس : ثكِلَتْك أُمُّك ، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رجلين : طالبِ فقهٍ أو طالِبِ فَضل ، فأيَّ هذين تمنَع ؟ فأنشأ أبو الطُّفيلْ عامرُ بن واثلة يقول : [من البسيط]

لا دَرّ درُّ الليـالي كيف تُضحِكنا منهـا خطـوب أعاجيبٌ وتبكينا
ومثلُ مـا تحدِث الأيّامُ مـن غِيَرٍ يـا ابنَ الزُّبير عـن الدُّنيا يُسلّينا
كنّا نجـيءُ ابنَ عبّاسٍ فيُقبِسنا عِلمـاً ويُكسِبنا أجـراً ويَهدينا

1 ذو الاصبع العدواني (المفضليات) .
2 نسبة إلى أبي تراب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
3 ضوى : انضم .

ولا يــزالُ عبيــدُ اللهُ مترعَـــةً جفانُه مُطعِمــاً ضَيفــاً ومسكينا
فالبرُّ والدِّيــنُ والدُّنيـا بدارِهـا ننال منهـا الذي نبغـي إذا شِينا
إنّ النبيّ هـو النّور الذي كُشِفَت بــهِ عَمايـاتُ باقينــا وماضينا
ورهطُـه عِصمـةٌ في ديننا ولهمْ فضلٌ علينــا وحـقٌّ واجبٌ فينا
ولستَ فاعلمْهُ أولى منهمُ رحِماً يـا ابنَ الزُّبير ولا أُولى بِـهِ دِينا
ففيـمَ تَمنعُهــمْ عَنَّـا وتمنعنـا منهــم ، وتؤذيهـمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتي الله مَـنْ أخزى ببغضهم في الدِّين عِزّاً ولا في الأرضِ تمكينا

[بكاؤه على ابنه]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني بعض أصحابنا : أنّ أبا الطُّفيل عامر بن واثلة دُعِي في مأدُبةٍ ، فغنَّت فيها قينةٌ قولَه يرثي ابنه : [من البسيط]

خَلَّـى طفيــلٌ عليَّ الهـمَّ وانشعبا وهــدَّ ذلك ركنــي هَــدَّةً عجبا

فبَكى حتّى كاد يموت .

وقد أُخبرني بهذا الخبر عمِّي عن طلحة بن عبد الله الطلحيّ ، عن أحمد بن إبراهيم : أنَّ أبا الطُّفيل دُعِي إلى وليمةٍ فغنّت قينة عندهم : [من البسيط]

خَلَّى عــليَّ طُفيــلُ الهمَّ وانشعبا وهــدَّ ذلك ركنــي هدَّةً عَجبا
وابنَــيْ سُميّــةَ لا أنساهما أبداً فيمن نَسيت وكلٌّ كان لِي وصَبا

فجعل يَنْشِج ويقول : هاه هاه طُفيل ! ويبكي حتّى سقط على وجهه ميتا .

وأُخبرني محمد بن مزيد قال : حدّثنا حمّاد عن أبيه بخبر أبي الطُّفيل هذا ، فذكر مثل ما مضى ، وزاد في الأبيات : [من البسيط]

فاملِكْ عــزاءَكَ إنْ رزءٌ بليتَ بِهِ فلنْ يــردَّ بكاءُ المـرء مـا ذهبا
وليس يَشفِي حزيناً مِـنَ تذكُّره إلاّ البكاءُ إذا مــا ناحَ وانتحبا
فإذْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ولا تَحالـةَ أن يأتــي الذي كُتِبا
فمـا لبطنك مـن ريٍّ ولا شِبَـع ولا ظَلِلْـتَ بباقــي العيش مُرْتغِبا

[غناء طويس بشعره]

وقال حمّاد بن إسحاق حدَّثني أبي قال : حدَّثني أبو عبد الله الجمحيّ عن أبيه قال : بينا فتيةٌ من قريش ببطنِ محسِّر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار ، إذْ أقبلَ طُويسٌ وعليه قميص

قُوهيٌّ وحِبرَة قد ارتَدى بِها ، وهو يَخطِر في مِشيتِه ، فسلَّم ثم جلس ، فقال له القومُ : يا أبا عبدِ المنعم ، لو غنّيتنا ؟ قال : نَعَمْ وكرامةً أغنّيكم بشعرِ شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ ، من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحِبِ رايته ، أدركَ الجاهلية والإسلام ، وكان سيّدَ قومه وشاعرَهم . قالوا : ومَن ذاك يا أبا عبد المنعم فَدَتك أنفُسنا ؟ قال : ذلك أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، ثمَّ اندفع فغنّى : [من الطويل]

أيَدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً وهُنَّ من الأَزواجِ نَحوِي نوازِعُ

فطرِب القومُ وقالوا : ما سمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا .

وهذا الخبر يدلُّ على أنّ فيه لحناً ولكنّه ليس يُعرف .

صوت[1]

[من الخفيف]

لِمَـن الدّارُ أقفـرت بِمَعـانِ بين شاطى اليَرموك فالصَّمّانِ
فالقُرَيّات مـن بلاس فـدارَ يّـا فسَكّاءَ فالقُصورِ الدوانِي[2]
ذاك مغنًى لآل جفنةَ في الدَّهـ ـرِ وحـقٌّ تصرُّفُ الأَزمانِ
صلوات المسيحِ في ذلك الديـ ـرِ دعاءُ القِسِّيس والرُّهبانِ

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لحُنَين بن بَلوعٍ ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

وهذا الصوت من صُدور الأغاني ومختارها ، وكان إسحاق يقدِّمه ويفضِّله . ووجدتُ في بعض كتبه بخطّه قال : الصَّيحة التي في لحن حنين : [من الخفيف]

لِمَـن الدّارُ أقفـرت بِمَعانِ

أُخرجَت من الصّدر ، ثم من الحلق ، ثم من الأنف ، ثم من الجبهة ، ثم نُبِرَت فأُخرِجت من القِحف ، ثم نُوّنت مردودةً إلى الأنف ، ثم قُطِعَت .

وفي هذه الأبيات وأبياتٍ غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعةٍ اشتركوا فيها ، واختلف أيضاً مؤلّفو الأغاني في ترتيبها ونسبةِ بعضِها مع بعضٍ إلى صاحبها الذي صنعها ، فذكِرتْ هاهنا على ذلك وشَرِح ما قالوه فيها . فمنها : [من الخفيف]

1 ديوان حسان : 255 وفيه «فالخمان» .

2 جميع ما ذكر أسماء مواضع أو بلاد .

صوت

قــد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ فالحوانِــي فجانِــبُ الجَولانِ
فحِمــى جاسم فأبنيــةُ الصُّفّـ ـرِ مغنــى قنابــلٍ وهجانِ[1]
فالقُريات مــن بَلاسَ فـدارَ يّـا فسَكّاء فالقصور الدَّواني
قد دنا الفِصح فالولائدُ يَنظِمـ ـن سِراعــاً أكِلَّـةَ المَرْجانِ
يتبارَيــنَ في الدّعــاء إلى اللّـ ـهِ وكلٌّ الدّعــاء للشيطانِ
ذاك مغنًى لآل جفنةَ في الدَّهـ ـرِ وحَـقٌّ تصــرُّف الأزمانِ
صلواتُ المسيحِ في ذلك الدَّيـ ـرِ دعاءِ القسِّيس والرُّهبانِ
قـــد أراني هُناك حقَّ مَكينٍ عند ذي التاج مَقعدِي ومكاني

ذكر عمرو بن بانة أنّ لابن محرز في الأوّل من هذه الأبيات والرّابع خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

وذكر عليّ بن يحيى أنّ لابن سريج في الرابع والخامس رملاً بالوسطى ، وأنّ لمعبدٍ فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيفَ ثقيل ، ولمحمد بن إسحاق بنُ برثع[2] ثقيلَ أوّل في الرابع والثامن .

وذكر الهشاميّ أنَّ في الأوّل لمالك خفيفَ ثقيل ، ووافقه حبش . وذكر حبشٌ أنّ لمعبد في الأوّل والثاني والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر .

---

1 القنابل : جماعات الخيل والناس ، واحدتها قَنبل وقَنبلة .

2 ل : بزبع .

[286] ـ أخبار حسّان وجَبَلة بن الأيْهَم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني هارون بن عبد الله الزُّهري قال : حدَّثني يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال : قال حسّان بن ثابت : أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغَسّانيّ وقد مدحتُه ، فأذِن لِي فجلستُ بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتانِ ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأمّا هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبَدة ، فإن شئتَ استنشدتَهما وسمعتَ منهما ، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِد بعدهما أنشدتَ ، وإن شئتَ أن تسكتَ سكتَّ . قلت : فذاك . قال : فأنشده النابغة : [من الطويل]

كِلِيني لهـمٍّ يـا أميمـةَ ناصبِ وليـلٍ أُقاسيـهِ بطـيءِ الكواكِبِ

قال : فذهبَ نِصفي . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشَدَ : [من الطويل]

طَحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ[1]

فذهب نصفي الآخر فقال لي : أنت أعلم ، الآنَ إن شئت أن تنشِدَ بعدهما أنشدتَ ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ . فتشدّدتُ ثم قلت : لا بل ، أُنشِد . قال : هات . فأنشدتُه[2] : [من الكامل]

للهِ دَرُّ عصابَـةٍ نادمتُهـا يوماً بجِلّق في الزَّمـانِ الأوّلِ
أَولادِ جَفنة عنـدَ قبر أبيهم قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ[3]
يَسقُون مَن وَرَد البرِيصَ عليهم كأساً تُصفَّق بالرحيق السلسلِ[4]
يُغشَونَ حتّى مـا تهرُّ كلابُهم لا يسألون عـن السَّوادِ المقبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم شمُّ الأنوفِ من الطّرازِ الأوّلِ

فقال لي : ادنُهْ ادنهْ ، لعمري ما أنتَ بدونهما . ثم أمر لِي بثلثمائة دينار ، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا في كلِّ عام .

---

1 طحا : ألقى .

2 ديوان حسان : 74–75 .

3 أولاد في ل : أبناء . الكريم في ل : الجواد .

4 البريص : نهر بدمشق .

وقد ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ هذه القصة لحسّانَ ووصفها وقال : إنّما فضَّله عمرو بن الحارث الأعرج ، ومدحه بالقصيدة اللامية . وأتى بالقصّة أتمَّ من هذه الرواية .

قال أبو عمرو : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرٍو بن الحارث فاعتاصَ عليَّ الوصولُ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إنْ أذنتَ لي عليه وإلاّ هجوتُ اليمنُ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذِن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه ، وعلقمةَ بن عَبَدة وهو جالسٌ عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفُرَيعة ، قد عرَفتُ عِيصَك[1] ونَسَبك في غَسّان فارجعْ فإنِّي باعثٌ إليك بِصِلة سَنيّة ، ولا أحتاجُ إلى الشعر ، فإنِّي أخاف عليك هذين السَّبُعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتي ، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول : [من الطويل]

رِقـاق النِّعال طيِّبٌ حجزاتهمْ يُحَيَّون بالريحانِ يوم السَّباسِبِ

فأَبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك إلى عَمَّيك . فقلت لهما : بحقِّ الملكِ إلاّ قدّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفُريعة . فأنشأت : [من الكامل]

أسأَلْتَ رسمَ الدَّارِ أم لَم تسألِ بَيْنَ الحوانِي فالبُضَيع فحَوملِ[2]

فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحل[3] عن موضعه سُروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشِّعرُ ، لا ما تُعلِّلاني به منذُ اليوم ! هذه والله البتّارة[4] التي قد بَتَرت المدائح ، أحسنتَ يا ابن الفريعة ، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة وهي التي في كلِّ دينار عشرةُ دنانير . فأُعطِيتُ ذلك ثم قال : لك عليَّ في كلّ سنةٍ مثلُها .

ثم أقبلَ على النابغة فقال : قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءَ المسجوع . فقام النابغة فقال : أَلا أنعم صباحاً أيُّها الملِك المبارَك ، السَّماء غِطاؤك ، والأرض وِطاؤك ، ووالديّ فداؤك ، والعربُ وِقاؤك ، والعجم حِماؤك ، والحكماء جُلساؤك ، والمَداره سُمّارك ، والمقاول إخوانك[5] ، والعقل شِعارُك ، والحلم دِثارك ، والسكينة مِهادُك ، والوَقار غِشاؤك ، والبرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك ، واليُمْن حِذاؤك ، والسَّخاء ظِهارتك ، والحَمِيّة بِطانتُك ، والعَلا عَلايتك[6] ، وأَكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرفُ الأجدادِ أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ،

1 العيص : الأصل .
2 فالبضيع في ل : فالنصيع .
3 زحل : تنحى وتباعد .
4 ل : البتاتة .
5 المقاول : جمع مقول وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
6 العلاية : الموضع المرتفع .

وأَسْرى الأخوالِ أخوالك ، وأعفُّ النساء حلائلك ، وأفخر الشبّان أبناؤك ، وأطهر الأمّهات أمّهاتك ، وأعلى البنيانُ بُنيانك ، وأعذَبُ المياه أمواهُك ، وأفْيَح الداراتِ داراتك[1] ، وأنزه الحدائقِ حدائقُك ، وأرفع اللباس لباسُك ، قد حالفَ الإضريجُ[2] عاتقَيك ، ولاءم المِسكُ مَسْكك[3] ، وجاوَرَ العنبر ترائبك ، وصاحَبَ النعيمُ جسدَك . العسجدُ آنيتك ، واللُّجَين صِحافُك ، والعَصْب مَناديلك ، والحُوَّارى[4] طعامُك ، والشُّهد إدامُك ، واللذات غذاؤك ، والخُرطوم[5] شَرابك ، والأبكار مُستراحك ، والأشراف مَناصفك[6] ، والخير بفنائك ، والشرُّ بساحة أعدائك ، والنّصر مَنُوطٌ بلوائك ، والخِذلان مع ألوية حُسّادك ، والبِرّ فِعلُك ، قد طحطح[7] عدوَّك غضبك ، وهزم مقانبهم مشهدُك ؛ وسارَ في الناس عدلُك ، وشَسَع[8] بالنصر ذكرك ، وسكَّن قوارعَ الأعداء ظفرك . الذّهبُ عطاؤك ، والدّواة رمزك ، والأوراق لحظُك وإطراقك ، وألف دينارٍ مرجوحةٍ إنماؤك . أيفاخرك المنذرُ اللخميّ ، فوالله لَقفاكَ خيرٌ من وجهه ، ولشمالك خيرٌ من يمينه ، ولأخمَصُك خيرٌ من رأسه ، ولخطَاؤك خير من صوابه ، ولصمتُك خيرٌ من كلامه ، ولأمّك خير من أبيه ، ولخدَمك خيرٌ من قومِه . فهبْ لِي أسارى قومي ، واسْتَرهن بذلك شكري ؛ فإنّك من أشراف قحطان ، وأنا من سَرَوات عدنان .

فرفع عمرٌو رأسَه إلى جاريةٍ كانت قائمةً على رأسه وقال : بمِثل هذا فلْيُثْنَ على الملوك ، ومِثلُ ابن الفُريعة فليمدحْهم ! وأطلق له أسرى قومه .

وذكر ابن الكلبيّ هذه القصّة نحوَ هذا وقال : فقال له عمرو : اجعَل المفاضلةَ بيني وبين المنذر شعراً فإنّه أَسْيَر[9] . فقال : [من المتقارب]

ونُبِّئْتُ أن أَبا منذرٍ ... يُساميك للحدَث الأكبرِ
قَذَالك أحسنُ من وجهِهِ ... وأُمُّكَ خيرٌ من المنذرِ

1 أفيح : أوسَع .
2 الإضريج : ضرب من الأكسية أصفر ، أو هو الخزّ الأحمر .
3 المَسك : الجلد .
4 الحوارى : الدقيق الأبيض .
5 الخرطوم : الخمر القوية .
6 المناصف : جمع منصف ، وهو الخادم .
7 طحطح : بدّد وفرّق .
8 شسع : ذاع .
9 أسير : أكثر سيراً بين الناس .

ويُسراك أَجْوَدُ من كفّه الـ ـيمينِ فقُولا لـه أخرِ

وقد ذكر المدائنيّ أنّ هذه الأبيات والسجعَ الذي قبلها لحسان ، وهذا أصحّ .

[قدوم جبلة بن الأيهم على عمر]

قال أبو عمرو الشيباني : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جَفنة ، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القُدوم عليه ، فأَذِنَ له عمر . فخرج إليه في خَمسمائة من أهل بيته ، من عَكٍّ وغسّان ، حتّى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عُمر يُعْلمه بقدومه ، فسُرّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبعث إليه بأنزال[1] ، وأمر جبلةُ مائتي رجلٍ من أصحابه فلبِسوا الدِّيباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضّة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قُرطا ماريةَ ، وهي جدّته ، ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانِسٌ إلاّ تبرّجت وخرجَتْ تنظر إليه وإلى زِيّه ، فلمّا انتهى إلى عُمر رحَّبَ به وألطفه وأدنى مجلسَه ؛ ثم أراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جبلةُ ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فزارة فانحلَّ ، فرفع جبلةُ يَدَه فهشم أنفَ الفزاريّ ، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه ، فبعثَ إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ، إنّه تعمّدَ حلَّ إزاري ، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسَّيف ! فقال له عمر : قد أقررت فإمّا أنْ رضيَ الرجلُ وإمّا أن أقيدَه منك . قال جبلة : ماذا تصنع بِي ؟ قال : آمُر بهشْم أنفك كما فعلتَ . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنّ الإسلام جَمَعك وإيّاه ، فلستَ تفضُله بشيءٍ إلاّ بالتُّقى والعافية !! قال جبلة : قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّي أكون في الإسلام أعزَّ منّي في الجاهلية . قال عمر : دَعْ عنك فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتهُ منك . قال : إذاً أتنصَّر . قال : إنْ تنصّرتَ ضربتُ عنقك ، لأنّك قد أسلمت ، فإن ارتددتَ قتلتُك . فلمّا رأى جبلةُ الصِّدقَ من عمر قال : أنا ناظرٌ في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلقٌ كثير ، حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلمّا أمسَوْا أذِن له عمر في الانصراف ، حتّى إذا نام الناس وهدأوا تحمل جبلةُ بخيله ورَواحله إلى الشام ، فأصبحتْ مكّةُ وهي منهم بَلاقع ، فلمّا انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائةِ رجل من قومه حتّى أتى القُسطنطينية ، فدخل إلى هِرَقل ، فتنصّر هو وقومه ؛ فسُرَّ هرَقلُ بذلك جدّاً وظنّ أنّه فتحٌ من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيثُ شاء ، وأجرى عليه من النُّزل ما شاء ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . هكذا ذكر أبو عمرو الشيبانيّ .

وذكر ابن الكلبيّ أنّ الفزاريَّ لمّا وطىء إزارَ جبلة لطم جبلةَ كما لطمه ، فوثبت غَسّان

---

1 أنزال : جمع نُزُل ، وهو ما يهيأ للضيف .

فهشموا أنفَه وأتَوا به عمر ، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزُّبير بن بكّار فيما أخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدّثه عن أبيه : أنّ جبلةَ قدم على عمر رضي الله عنه في ألفٍ من أهل بيته فأسلم . قال : وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة يوماً كلامٌ ، فسبَّ المديني فردّ عليه ؛ فلطمه جبلة فلطمه المديني ، فوثَب عليه أصحابُه فقال : دَعُوه حتّى أسألَ صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره فقال : إنّك فعلتَ بهِ فِعلاً ففعَل بك مثلَه . قال : أوَ ليس عندك من الأمر إلاّ ما أرى . قال : لا فما الأمر عندكَ يا جبلة ؟ قال : من سَبَّنا ضربناه ، ومَن ضَرَبَنا قتلناه . قال : إنّما أُنزِل القرآن بالقصاص . فغضِب وخرج بمَن معه ودخلَ أرض الرّوم فتنصَّر ، ثم ندم وقال :

تنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ

وذكر الأبيات ، وزاد فيها بعد : [من الطويل]

ويا ليــتَ لي بالشام أدنى معيشة أُجالسُ قومِي ذاهبَ السمعِ والبصَرْ
أدين بما دانوا بـــه مـــن شريعةٍ وقد يحبس العَود الضَّجور على الدَّبرْ[1]

[دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم للرجوع إلى الإسلام]

وذكر باقي خبره فيما وجّه به إلى حسّان مثله ، وزاد فيه : أنّ معاوية لمّا وليَ بعثَ إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها ، فأبى ولم يقبل . ثم إنّ عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتبَ إلى هرقل يدعوه إلى الله جلّ وعزّ وإلى الإسلام ، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه ، وهو جَثّامة بنُ مساحِق الكنانيّ ، فلمّا انتهى إليه الرجُل بكتاب عمرَ أجاب إلى كلّ شيءٍ سوى الإسلام ، فلمّا أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابن عمِّك هذا الذي جاءَنا راغباً في ديننا ؟ قال : لا . قال : فالقَه . قال الرجل : فتوجهتُ إليه فلمّا انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ مثله ببابِ هرقل ؛ فلمّا أدخِلت عليه إذا هو في بهوٍ عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أحسِن وصفَه ، وإذا هو جالس على سريرٍ من قَوارير ، قوائمه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب وإذا هو رجلٌ أصهب ذو سبالٍ وعُثنون ؛ وقد أُمر بمجلِسِه فاستُقبِل به وجه الشمس ، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح ، فما رأيتُ أحسنَ منه . فلمّا سلمتُ ردَّ السلام ورحّب بي ، وألطَفني ولامني على تركي النزول عنده ، ثم أقعدني على شيءٍ لم أثبته ، فإذا هو كرسيٌّ من ذَهب ، فانحدرت عنه فقال : ما لكَ ؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نَهى عن هذا . فقال جبلة أيضاً مثلَ قولِي في النبيّ ﷺ حين ذكرته ، وصلّى عليه . ثم قال : يا هذا إنّك إذا

---

1 العود : المسن من الإبل .

طهَّرتَ قلبك لم يَضِركَ ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألني عن الناس وألحفَ في السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكّر حتى رأيت الحزنَ في وجهه ؛ فقلتُ : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ قال : أبعدَ الذي قد كان ؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بن قيس ومنعَهُم الزكاةَ وضربهم بالسّيف ثم رجع إلى الإسلام . فتحدّثْنا مليّاً ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسِهِ فولّى يُحْضِر ، فما كان إلاّ هنيهةً حتى أقبلت الأخْونةُ يحملها الرجالُ فوضِعت ، وجيء بخوان من ذهبٍ فوضِع أمامي فاستعفيتُ منه ، فوضع أمامي خُوانُ خَلَنج[1] وجاماتُ قوارير[2] ، وأديرت الخمر فاستعفَيت منها ، فلمّا فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به خَمساً عدداً . ثم أومأ إلى غلامٍ فولّى يُحضر ، فما شعرتُ إلاّ بعشْر جَوارٍ يتكسَّرن في الحَلْي ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن شِمالِه ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائي ، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأوّلِ عليهن الوشيُ والحَلْي ؛ فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله ؛ وأقبلت جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنّه لؤلؤة ، مؤدَّب ، وفي يدها اليمنى جامٌ فيه مِسك وعنبر قد خُلِطا وأُنعِم سحقُهما ، وفي اليسرى جامٌ فيه ماء ورد ، فألقت الطائر في ماء الورد ، فتمعَّك بَين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجْته فألقته في جام المسكِ والعنبر ، فتمعَّك فيها حتى لم يدَعْ فيها شيئاً ، ثم نَفَّرته فسقط على تاج جَبَلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بَقِي عليه شيء إلاّ سَقط على رأس جبلة ، ثم قال للجواري : أطرِبْنني . فخفَقْن بعيدانهنّ يغنين : [من الكامل]

لله درُّ عصابــةٍ نادمتُهـــم يومـاً بجلِّق في الزمان الأوّلِ
بِيض الوجوه كريمةٍ أحسابُهم شُمِّ الأُنوف من الطِّرازِ الأوّلِ
يُغشَونَ حتّى مـا تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السَّواد المقبل

فاستهلَّ واشتبشر وطرِب ثم قال : زِدنني . فاندفَعن يغنين : [من الخفيف]

لِمَـــن الدارُ أقفـــرَتْ بمَعانِ بين شاطِي اليرموك فالصَّمَّانِ
فحِمـى جاسم فأبنيــة الصُّفّـ ـــرِ مَغنـــى قنابـلٍ وهجانِ
فالقُرياتِ مــن بَـلاس فدارَ يّـا فَسَكّاءَ فالقصورِ الدواني
ذاكَ مغنّى لآل جفنــة في الدّ ارِ وحــقٌّ تعاقُــب الأزمانِ
قد دنا الفِصح فالولائد يَنظِمـ ـــنَ سِراعـــاً أكِلّـــةَ المَرْجانِ

1 الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأواني .
2 قوارير : من الزجاج .

لم يُعلَّلْـــنَ بـــالمغافير والصَّمـ ـــغ ولا نَقْفِ حَنظل الشَّريانِ
قـــد أُراني هناكَ حقّــاً مكينا عند ذي التاج مَقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلُنا في مُلكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّانَ بن ثابت ، شاعِرِ رسول الله ﷺ . قلت : أما إنّه مضرورُ البصرِ كبير السنّ . قـال : يا جاريةُ هاتي . فأتته بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج ، فقال : ادفعْ هذا إلى حسانَ وأقرئه منّي السلام . ثم أرادني على مثلها ، فأبيتُ فبكى ، ثم قال لجواريه : إبكينني . فوضعن عِيدانَهنَّ وأنشأن يقلن : [من الطويل]

تنصَّرَتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كان فيها لو صَبرتُ لها ضَرَرْ
تكنَّفني فيهـــا لَجـاجٌ ونَخوةٌ وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوَرْ
فيــا ليـــتَ أُمِّـــي لم تلِدْني وليتني رجعتُ إلى القول الذي قال لِي عمرْ
ويا ليتنـــي أرعـــى المخاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعــةَ أو مُضرْ
ويــا ليت لي بالشأم أدنى معيشةٍ أُجالسُ قومي ذاهبَ السَّمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيتُ معه حتّى رأيت دموعَه تجول على لحيته كأنَّها اللؤلؤ ، ثمّ سلّمت عليه وانصرفت ، فلمّا قدِمتُ على عمرَ سألني عن هِرَقْل وجَبَلة ، فقصصتُ عليه القصّة من أوّلها إلى آخرها ، فقال : أوَ رأيتَ جبلة يشرب الخمر ؟ قلت : نعم . قال : أبعده الله ، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فما رَبِحتْ تجارته ، فهل سَرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سَرَّح إلى حسان خَمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعثَ إلى حسانَ فأقبل يقودُه قائده حتّى دنا فسلّم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأجد أرواحَ آلِ جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رَغْم أنفه ، وأتاك بمعونة . فانصرفَ عنه وهو يقول[1] : [من الكامل]

إنَّ ابنَ جفنةَ من بقيّة مَعشرٍ لَـــم يَغذُهـــم آباؤهـــم باللُّومِ
لم يَنسني بالشّأم إذ هـــو ربُّها كَـــلاَّ ولا متنصِّـــراً بالرّومِ
يُعطِي الجزيلَ ولا يَراه عنده إلاَّ كبعض عطيّـــــةِ المـــذمومِ
وأتيتُـــه يومـــاً فقرَّب مجلسي وسقى فروَّاني مـــن الخُرطومِ

فقال له رجلٌ في مجلس عمر : أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم ؟ ! فقال : ممّن الرّجل ؟ قال : مُزَنيٌّ . قال : أما والله لولا سوابقُ قومِك مع رسول الله ﷺ لطوّقتُك طَوقَ الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليُخِلّ بِي ، فما قال لك ؟ قال : قال إنْ وجدتَه حيّاً فادفعها

1 ديوان حسان : 439 .

إليه ، وإن وجدتَه ميّتاً فاطرح الثيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتَك وجدتني ميّتاً ففعلتَ ذلك بِي ؟

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال : قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزُّبيريّ : قال الرسولُ الذي بعثَ به إلى جبلة . ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامَين والطائر الذي تمعَّك فيهما ، وذكر قولَ حسان : [من الكامل]

إن ابـنَ جفنةَ من بقية معشرٍ

ولم يذكر غير ذلك . هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر .

[رسول معاوية وجبلة]

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال عبد الله بن مَسعدة الفزاريّ : وجَّهني معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه ، فكلَّمني بالعربية فقلت : مَن أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غلَب عليه الشَّقاء ، أنا جبلة بن الأيْهَم ، إذا صرتُ إلى منزلي فألقَني . فلمّا انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه في داره فألفيته على شرابه ، وعنده قَينتانِ تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت : [من الخفيف]

قـد عَفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ فالجوابـي فجانب الجَوْلانِ

وذكر الأبيات . فلمّا فرَغَتا من غنائِهما أقبل عليّ ثم قال : ما فعل حسّانُ بن ثابت ؟ قلت : شيخٌ كبير قد عَمِي . فدعا بألف دينار فدفَعها إليَّ ، وأمرني أن أدفعَها إليه ثم قال : أترى صاحبك يَفِي لي إن خرجتُ إليه ؟ قال : قلت قل ما شئت أعرضْه عليه . قال : يُعطيني الثنيّة فإنّها كانت منازلَنا ، وعشرين قريةً من الغُوطة منها داريّا وسَكّاء ، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزَنا . قال : قلت أُبلغهُ . فلمّا قدِمتُ على معاوية قال : ودِدتُ أنّك أجبتَه إلى ما سألَ فأجزته له . وكتب إليه معاوية يُعطيه ذلك ، فوجَده قد مات .

قال : وقدِمتُ المدينةَ فدخلت مسجد رسول الله ﷺ ، فلقيتُ حسانَ فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جَبَلة يقرأ عليك السلام . فقال : هات ما معك . قلت : وما عِلمُك أنَّ معي شيئاً ، قال : ما أرسل إليَّ بالسَّلام قطّ إلاّ ومعَه شيء . قال : فدفعت إليه المال .

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مُسلم قال : حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، عن أهل المدينة قالوا : بعث جبلةُ إلى حسّانَ بخمسمائة دينارٍ وكُسًى وقال للرسول : إنْ وجدتَه قد مات فابسُط هذه الثيابَ على قبره . فجاء فوجدهُ حيّاً ، فأخبره فقال : لوددت أنّكَ وجدتَني ميتاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الطويل]

تنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

الأبيات الخمسة .

الشعر لجبلة بن الأيهم ، والغناء لعريب نصب خفيف ، وبسيط رملٍ بالوسطى ، ومنها :

صوت

[من الكامل]

إنّ ابن جفنةَ من بقيةِ معشرٍ لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ

الأبيات الأربعة . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لعريب ، هزج بالبنصر .

[حديث حسان مع الحارث بن أبي شمر]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا عمّي يوسف بن محمد قال : حدَّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال : قال الواقديّ : حدَّثني محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يَغدُو[1] على جبلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله ، فقال : لو وفدتُ على الحارث بن أبي شمر الغَسّانيّ ، فإنّ له قرابةً ورحِماً بصاحبي ، وهو أبذلُ الناس للمعروف ، وقد يَئس منّي أن أفِدَ عليه ، لما يَعرِف من انقطاعي إلى جَبَلة .

قال : فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة ، حتى قدمت على الحارث وقد هيّأتُ له مديحاً ، فقال لي حاجبُه ، وكان لي ناصحاً : إنّ الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعُك حتّى تذكر جبلة ، فإيّاك أن تقعَ فيه فإنّه إنّما يختبرك ، وإن رآك قد وقعتَ فيه زهِدَ فيك ؛ وإن رآكَ تذكر محاسنَه ثَقُل عليه فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألَكَ عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسحْ ذكره مَسْحاً ، وجاوزْه إلى غيره ، فإنّ صاحبك ، يعني جبلةَ ، أشدُّ إغضاءً عن هذا مِن هذا ، أي أشدُّ تغافلاً وأقلُّ حَفْلاً به ، وذلك أنّ صاحبك أعقلُ مِن هذا وأبين ، وليس لهذا بيان ، فإذا دخلتَ عليه فسوف يدُعوك إلى الطعام ، وهو رجلٌ يثقُل عليه أن يؤكل طعامُه ولا يبالي الدرهمَ والدينار ، ويثقل عليه أن يشرب شرابُه أيضاً ؛ فإذا وُضِع طعامُه فلا تضَعْ يدك حتّى يدعوَك ، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامِهِ بعضَ الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرني به .

قال : ثم دخلتُ عليه فسألني عن البلاد وعن الناس ، وعن عَيشنا بالحجاز ، وعن رجالِ يهودَ ، وكيف ما بَيْننا من تلك الحروب . فكلَّ ذلك أُخبره حتّى انتهى إلى ذكر جبلة ، فقال :

---

1 ل : يفد .

كيف تجدُ جبلة ، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتَنا ؟ فقلت : إنّما جبلة منك وأنت منه . فلم أجْر إلى مدح ولا عيب ، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال : الغَداء . فأُتِي بالغَداء ، ووُضِع الطعام ، فوضعَ يدَه فأكلَ أكلاً شديداً ، وإذا رجلٌ جبّار ، فقال بعد ساعة : ادنُ فأصِبْ مِن هذا . فدنوتُ فخطّطتُ تخطيطاً ، فأُتيَ بطعام كثير ، ثم رُفع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم ، معهم الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة . ومعهم مناديلُ اللّين فقاموا على رؤوسنا ، ودعا أصحابَ برابِطَ من الرّوم فأجلسَهم وشرِب فألَهَوْه ، وقام الساقي على رأسي فقال : اشربْ . فأبيتُ حتى قال هو : اشربْ . فشربت ، فلمّا أخَذَ فينا الشرابُ أنشدتُه شعراً فأعجبه ولذَّ به ، فأقمتُ عنده أيّاماً فقال لي حاجبه : إنّ له صديقاً هو أخفُّ الناس عليه ، وهُو جاءٍ ، فإذا هو جاءَ جفاكَ وخلص به ، وقد ذُكِر قدومه ؛ فاستأذِنْه قبل أن يقدم عليه ، فإنّه قبيحٌ أن يجفوكَ بعد الإكرام ، والإذنُ اليوم أحسن . قلت : ومن هو ؟ قال : نابغة بني ذبيان . فقلت للحارث : إنْ رأى الملكُ أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فَعل . قال : قد أذنتُ لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلان . فقبضتُها وقدم النابغةُ وخرجتُ إلى أهلي .

صوت[1]

[من الطويل]

ألا إنّ ليلى العامريّـة أصبحَتْ ... على النأي منّي ذنـبَ غيريَ تنقِمُ
وما ذاك من شيءٍ أكونُ اجترمتُه ... إليها فتجزيني بــه حيـثُ أعلمُ
ولكنّ إنساناً إذا مــلَّ صاحبـاً ... وحاول صَرماً لم يـزل يتجرّم[2]
وما زال بي ما يُحدِث النأيُ والذي ... أُعالـج حتّى كدت بالعيش أبْرَمُ
وما زال بِي الكتمانُ حتّى كأنّني ... برجعِ جَوابِ السائلي عنك أُعجمُ
لأسلمَ من قـول الوُشاة وتسلمي ... سَلِمْتِ وهل حيّ من الناس يسلمُ

عروضه من الطويل . الشعر لنُصَيب ، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبياتِ الأوّل للمجنون . والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله .

وفي الأبيات الأوّل منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش . وذكره حمّاد بن إسحاقَ ولم يجنّسه . وفيه لابن سُريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين . وفيه لمعبد في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 الأبيات في ديوان نصيب : 123 والثلاثة الأولى منها في ديوان مجنون ليلى أيضاً .

2 يتجرم عليه : يدّعي عليه ذنباً لم يفعله .

[287] ـ خبر بُديح في هذا الصوت وغيره

[صنعة بديح]

بُديح مولى عبد الله بن جعفر ، وكان يقال له بديح المليح . وله صنعة يسيرة وإنّما كان يغنّي أغاني غيره مثل سائب خاثر ، ونَشِيط ، وطُوَيس ، وهذه الطبقة . وقد روى بُديح الحديثَ عن عبد الله بن جعفر .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا العبّاس بن محمد الدُّوري قال : حدَّثنا أبو عاصم النَّبيل عن جُويرية بنِ أسماء ، عن عيسى بن عمر بن موسى ، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال : لما قدِم يحيى بن الحكم المدينةَ دخل إليه عبدُ الله بن جعفر في جماعةٍ فقال له يحيى : جئتني بأوباشٍ من أوباش خِبثة ؟ فقال عبد الله : سمّاها رسول الله ﷺ طِيبةَ وتسمِّيها أنت خِبثة ؟!

[رقية بديح لعبد الملك بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : قال داود بن جميل حدَّثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبيّ يذكره عن أبيه قال : دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلتَ عليك من يُؤْنسك بأحاديث العرب وفُنون الأسمار ؟ قال : لستُ صاحبَ هزل ، والجِدّ مع عِلَّتي أحْجى بي . قال : وما علّتكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : هاجَ بي عِرق النَّسا في ليلتي هذه ، فبلغَ مني . قال : فإنّ بُديحاً مولاي أرقى الناسِ منه . فوجَّه إليه عبد الملك فلمّا مضى الرسول سُقِط في يَدَيْ ابن جعفر وقال : كِذبةٌ قبيحة عندَ خليفة . فما كان بأسرعَ من أن طلع بديح فقال : كيف رُقيتك من عِرق النَّسا . قال : أرقى الخلقِ يا أمير المؤمنين . قال : فسُرِّي عن عبد الله لأنّ بُديحاً كان صاحبَ فكاهةٍ يُعرف بها ؛ فمدَّ رجلَه فتَفَل عليها ورقاها مِراراً ، فقال عبد الملك : الله أكبر ، وجدتُ والله خِفّاً ، يا غلامُ ادعُ فلانة حتّى تكتبَ الرُّقية ، فإنّا لا نأمَنُ هَيْجَها بالليل فلا نَدْعر بُديحاً . فلمّا جاءت الجاريةُ قال بديح : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاقُ إن كتَبَتْها حتى تعجِّل حِبائي . فأمَر بأربعة آلاف درهم فلمّا صار المالُ بين يديه قال : وامرأته الطلاقُ إن كتَبَتْها أو يصير المال إلى منزلي . فأمر به فحُمِل إلى منزله ، فلمّا أحرزه قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاق إن كنتُ قرأت على رجلك إلاّ أبياتَ نصيب : [من الطويل]

أَلا إنَّ لَيْلى العامريّةَ أصبَحَتْ على النأي منّي ذنبَ غيري تَنقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها :

وما زلتُ أستصفي لكِ الودَّ أبتغي مُحاسَنةً حتَّى كأنِّيَ مُجرِمُ

قال : ويلكَ ما تقول ؟ قال امرأتُه الطلاق إنْ كان رقاك إلاّ بما قال . قال : فاكتمْها عليّ . قال : وكيف ذاكَ وقد سارت بها البُردُ إلى أخيك بمصر ؟ ! فطفق عبد الملك ضاحِكاً يفحَص برجليه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني الأصمعيّ عن المنتجعِ النَّبهانيّ ، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله . وزاد في الشعر : [من الطويل]

فلا تصرِميني حينَ لا لِيَ مرجعٌ ورائي ولا لي عنكمُ متقدّم

وقال فيه : فسكَن ما كان يجدُه عبد الملك ، وأمر لبُديح بأربعة آلاف درهم ، فقال ابن جعفر لبديح : ما سمعتُ هذا الغناءَ منكَ مذْ ملكتُك ! فقال : هذا من نُتَف سائب خاثر .

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر قال حدَّثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزناد عن نافع ، أراه نافع الخير مولى ابن جعفر ، بهذا الخبر مثلَه ، وزاد فيه أنّ بُديحاً رفع صوتَه يغنّيه به لمّا قال له أن يكتبَ الرقية . وزاد فيه : فجعل عبدُ الملك يقول : مهلاً يا بُديح . فقال : إنّما رقيتك كما عُلِّمتُ يا أمير المؤمنين .

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو سَلمة الغِفاريّ عن عبد الله بن عِمران بن أبي فَروة قال : كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمعَ عبدَ الملك غناء بُديح ، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبدُ الملك رُكبته فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي مولًى كانت أمّه بربريّة ، وكانت تَرقي من هذه العلّة ، وقد أخذَ ذلك عنها . قال : فادعُ به . فدُعِي بُديح ، فجعل يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهمهِم ، ثم قال : قُم يا أمير المؤمنين جعلني الله فِداك . فقام عبد الملك لا يجدُ شيئاً . فقال عبد الله : يا أميرَ المؤمنين مولاك لا بدَّ له من صلة . قال : حتّى تكتب رُقيتَه . ثم أمر جاريةً له فكتبَتْ :

بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلكَ رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذاك . قال : فاكتبيها على ما فيها . فأملى عليها : [من الطويل]

ديارَ سُليمى بين عَيقة فالمُهدِي سُقيتِ ، وإن لَم تَنطقي ، سَبَل الرعدِ

ثم قال له ابن جعفر : لو سمعتَه منه . قال : أوَيُجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتّى أفرغَها في مسامعه .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال حدَّثني عمِّي عبيد الله قال : حدَّثني سليمان بن أبي شَيخ قال : كنّا عند أبي نعيم الفَضل بن دُكَين فجاءه رجل فقال : يا أبا نُعيم ، إنّ الناس

يزعمُون أنّك رافضيّ . قال : فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وهو يبكي وقال : يا هذا أصبحتُ فيكم كما قال نُصيب : [من الطويل]

وما زال بي الكِتمان حتّى كأنني برَجعِ جوابِ السَّائلي عنكِ أعجمُ
لأسلمَ من قول الوشاةِ وتَسلمي سَلمتِ وهل حيٌّ من الناس يسلمُ

صوت[1]

[من الرمل]

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ
إنَّ للخيرِ وللشرّ مَدًى لِكلا ذَينِكَ وقتٌ وأَجَلْ[2]
كلُّ بؤسٍ ونعيم زائلٌ وبنات الدهرِ يَلعبنَ بكلّ
والعطِيّاتُ خِساسٌ بينهم وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومقِلّ

الشعر لعبد الله بن الزِّبَعرى السهميّ ، يقوله في غَزاة أحد ، وهو يومئذٍ مشرك . والغناء لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبِنصر ، عن عمرو على مذهب إسحاق . وفيه لحنٌ لابن مُسْجع من رواية حماد عن أبيه في كتاب ابن مسجح .

1 شعر ابن الزبعرى : 41–43 .
2 مجموع شعره : «وجه وقبل» .

[288] ـ نسب ابن الزِّبعرى وأَخبارُه وقصّة غَزْوة أُحُد[1]

[نسبه]

هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

[يهجو المسلمين ويمدحهم]

وهو أَحدُ شعراء قريشٍ المعدودين . وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفارَ قريش في شعره ، ثم أسلَم بعد ذلك فقبِل النبيُّ ﷺ إسلامَه وأَمَّنه يومَ الفتح .

وهذه الأبياتُ يقولُها ابنُ الزِّبعرى في غزوة أُحُد .

[غزوة أُحُد]

حدَّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثنا ابن حميد قال : حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال حدَّثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقت من الحديث عن يوم أُحُد . قالوا : لمّا أُصيبت قريشٌ ، أو مَن قاله منهم يومَ بدرٍ من كفّار قريش ، من أصحاب القَليب ، فرجعَ فَلُّهم[2] إلى مكّة ، ورجع أَبو سفيانَ بن حرب بعِيرِه ، مشى عبد الله بن أَبي ربيعة ، وعكرُمة بن أبي جَهلٍ ، وصَفْوان بن أُميّة ، في رجالٍ من قريش ، مِمّن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له في تلك العير من قريش تجارة ؛ فقال أبو سفيان : يا معشَر قريش ، إنَّ محمداً قد وَتَركم وقتلَ خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حَربه ، لعلَّنا أن ندرك ثأراً مِمّن أُصيبَ منّا . ففعلوا ، فاجتمعتْ قريش لحرب رسول الله ﷺ ، حينَ فعل ذلك أبو سفيانَ وأصحاب العير بأحابيشها[3] ومَن أطاعها من قبائل

1 لعبد الله بن الزبعرى ترجمة في طبقات ابن سلام : 435–444 والمؤتلف والمختلف : 194 وسمط اللآلي : 387 ، 833 وشرح شواهد المغني 1 : 391 وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري ، بيروت .

2 الفلّ : الجماعة المنهزمة .

3 أحابيش قريش : قوم من قريش وكنانة وخزيمة وخزاعة اجتمعوا في الحبشي ، وهو جبل بأسفل مكّة وتحالفوا بالله أنهم يد واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا الحبشي .

كِنانة وأَهل تهامة ، وكلُّ أولئك قد استغوَوْا[1] على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد منَّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بدر ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إنّي فقيرٌ ذو عيال وحاجةٍ قد عرفْتَها ، فامنُنْ عليّ صلّى الله عليك . فمنّ عليه رسول الله ﷺ ؛ فقال صفوان بن أُميّة : يا أبا عزّة ، إنّك امرؤٌ شاعر فاخرجْ معنا فأعِنّا بنفسك . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أظاهِرَ عليه . فقال : بلى فأعِنّا بنفسك ، ولك الله إن رجعتَ أن أعينَك ، وإن أصِبتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر أو يسر . فخرج أبو عزّة يسير في تِهامة ويدعو بني كنانة ، وخرج مُسافع بن عَبْدة بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة يحرِّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، ودعا جُبير بن مُطعِم غلاماً يقال له وحشيّ ، وكان حبشيّاً يَقذِف بحربةٍ له قَذْفَ الحبشة ، قلّما يخطىء بها فقال : اخرجْ مع الناس ، فإن أنت قَتلتَ عمَّ محمدٍ بعمي طُعَيمة بن عديّ فأنت عتيق . وخرجت قريشٌ بحدِّها وأحابيشها ومَن معها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا بالظُّعُن التماسَ الحفيظة ، ولئلاّ يفرّوا . وخرج أبو سفيانَ بن حربٍ وهو قائد الناس ، معه هندُ بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عِكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة ، بأم حكيم وخرج صَفْوان بن أميّة بن خَلَف ببرزةَ ، وقيل ببَرَّةَ من قول أبي جعفر ، بنت مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية ، وهي أمّ عبد الله بن صَفْوان . وخرج عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافة بنت سعدِ بن سُهيل ، وهي أمّ بني طَلْحة : مُسافع ، والجُلاس ، وكلاب ، قُتلوا يومئذٍ وأَبوهم . وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسل مع ابنها أبي عَزّة بن عمير ، وهي أُمّ مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت عَلقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

وكانت هندُ بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّتْ بوحشيّ أو مرّ بها قالت : إيه أبا دَسمة اشتَفِ . فنزلوا ببطن السَّبخة من قَناةٍ على شفير الوادي ممّا يلي المدينة . فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : «إنّي قد رأيتُ بقراً تُذبَح فأوّلتها خَيْراً ، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْماً ، ورأيت أنّي أَدخلتُ يدي في دِرعٍ حصينة ، وهي المدينة ؛ فإنْ رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وَتَدعوهم حيث نزلوا فإنْ أقاموا أقاموا بشرٍّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا فيها قاتلناهم» .

ونزلت قريشٌ منزلَها من أُحد يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم

1 يستغوي : يستغيث .

الجمعة ، وراح رسولُ الله ﷺ حينَ صلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أحد ، فالتَقوا يومَ السبت للنصف من شوال . وكان رأيُ عبدِ الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يَرى رأيَه في ذلك : أن لا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله ﷺ يكره الخروجَ من المدينة . فقال رجالٌ من المسلمين ، مِمّن أكرم الله جلَّ ثناؤه بالشهادةَ يوم أُحد وغيرُهم ممّن فاته بدر وحضوره : يا رسولَ الله صلّى الله عليك اخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرون أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول : يا رسولَ الله أقمْ بالمدينة ، ولا تخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قطّ إلاّ أصابَ منّا ، ولا يدخلُها علينا إلاّ أصبنا منهم ، فدَعْهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مجلِس ، وإن دخلُوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساءُ والصِّبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم ، وإن رجعوا رجَعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء العدوّ ، حتّى دخل رسول الله ﷺ فلبِس لأمتَه ، وذلك يومَ الجمعة ، حين فرغَ رسول الله ﷺ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجّار فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناسُ : وقالوا استكرَهْنا رسولَ الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا ! فخرجَ رسول الله ﷺ عليهم فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا ، فإن شئتَ فاقعدْ صلّى الله عليك . فقال عليه السلام : «ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتّى يقاتل» قال : فخرج رسول الله ﷺ في ألفِ رجلٍ من أصحابه ، حتّى إذا كانوا بالشوط ، بين أحد والمدينة ، انخزلَ عنه عبد الله بن أبيّ بن سَلول بثلث الناس ، وقال : أطاعَهم فخرجَ وعصاني ، والله ما ندري علامَ نقتلُ أنفسَنا هاهنا أيُّها الناس . فرجع بمِن اتّبعه من الناس مِن قومه ، من أهل النِّفاق والرَّيب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرامَ أحد بني سلمة يقول : يا قوم أذكّركم اللّهَ أن تخذلُوا نبيَّكم وقومَكم عندما حضر من عدوّهم . فقالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال . فلمّا استَعْصوا عليه وأَبوا إلاّ الانصراف قال : أبعدَكم الله أعداءَ الله ، فسيُغْنِي الله عزّ وجلّ عنكم .

وقال محمد بن عمر الواقديّ : انخزل عبد الله بن أبيّ عن رسول الله ﷺ من الشَّيخين[1] بثلثمائة ، فبقي رسولُ الله ﷺ في سبعمائة ، وكان المشركون في ثلاثة آلاف ، والخيل مائتا فارس ، والظُّعن خَمسَ عشرةَ امرأة . قال : وكان في المشركين سبعُمائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرَسانِ : فرسٌ لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بُردة بن نيار الحارثي . فادّلج[2] رسول الله ﷺ من الشَّيخين حتّى طلع الحمراء ، وهما أُطُمانِ كان يهوديٌّ ويهودية أعميان يقومان

1 الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر الرسول .

2 ادّلج : سار في آخر الليل .

عليهما فيتحدّثان ، فلذلك سمّيا الشيخين ، وهما في طرف المدينة .

قال : وعرضَ رسول الله ﷺ المقاتلةَ بعد المغرب ، فأجاز مَن أجاز ، وردَّ مَن ردَّ . قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت ، وأبو عمرو أُسيد بن ظهير ، والبَراء بن عازب ، وعَرابة بن أوس . قال : وهو عَرابة الذي قال فيه الشمّاخ : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجدٍ تَلقَّاها عَرابةُ باليمين

قال : وردَّ أبا سعيدٍ الخدريَّ ، وأجاز سَمُرة بن جُندب ، ورافعَ بن خَدِيج . وكان رسول الله ﷺ قد استصْغَر رافعاً ، فقام على خفّين له فيهما رِقاع ، وتطاوَلَ على أطراف أصابعه ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ أجازَه .

قال محمد بن جرير : فحدّثني الحارث قال : حدَّثنا ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : كانت أمّ سمرة تحتَ مُرَيّ بن سِنان بن ثعلبة ، عمِّ أبي سعيد الخدري ، وكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ إلى أُحدٍ وعَرض أصحابَه فردَّ مَن استصغر ، ردَّ سمرة بن جندب ، وأجاز رافعَ بن خديج ، فقال سَمُرة لربيبه مُريٍّ بن سِنان . أجاز رافعاً وردّني وأنا أصرعُه ! فقال يا رسول الله : رددتَ ابني وأجزتَ رافع بن خَدِيج وابني يصرعُه ؟ فقال النبيّ ﷺ لرافع وسَمُرة : اصطرِعا . فصرعَ سمرةُ رافعاً ، فأجازه رسول الله ﷺ ، فشهدها مع المسلمين ، وكان دليلَ النبيّ ﷺ أبو خَيْثَمة الحارثيّ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حَرّة بني حارثة ، فذبَّ فرس بذَنبه فأصاب كُلاّبَ سيفٍ فاستلّه ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحبُّ الفأل ولا يعتاف ، لصاحبِ السيف : «شِمْ سيفَك فإنّي أرى السيوفَ سَتُستَلُّ اليوم» ! ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : «مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كَثَبٍ مِن طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم ؟» ، فقال أبو خيثمة ، أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فقدّمَه فنفذ به في حَرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتّى سلك به في مال المِرْبع بن قَيظيّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلمّا سمِع حِسَّ رسولِ الله ﷺ ومَن معه من المسلمين قام يَحثي التراب في وجوههم ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحِلّ لك أن تَدخُل حائطي . قال : وقد ذُكِر لِي أنّه أخذَ حَفنةً من ترابٍ في يده ثم قال : لو أنّي أعلم أنّي لا أُصيبُ بها غيرَك لضربتُ بها وجهَك ! فابتدره القومُ ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تفعلوا فهذا الأعمى البصرِ الأعمى القلب !» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نَهى رسول الله ﷺ عنه ، فضربَه بالقوس في رأسه فشجَّه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على وجهه حتّى نزل الشعب من أُحدٍ في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد ،

وقال : لا يُقاتلن أَحدٌ أحداً حتى نأمرَه بالقتال . وقد سرَّحت قريشٌ الظَّهر والكراع[1] في زُروع كانت بالصَّمْغة من قناةٍ للمسلمين ، فقال رجلٌ من المسلمين حينَ نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروعُ بني قَيلة ولمّا نضارب ! وتعبَّى رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجلٍ ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولهم ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكرمَة بن أبي جهل . وأمَّر رسول الله ﷺ على الرماة عبدَ الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذٍ مُعلِمٌ بثياب بيض ، والرّماة خمسون رجلاً . وقال : انضَحْ عنّا الخيلَ بالنَّبل لا يأتونا مِن خلفنا إنْ كانت لنا أو علينا ، فاثبتْ بمكانك لا نُؤتيَنَّ من قِبلك . وظاهَر رسول الله ﷺ بين دِرعين .

قال محمد بن جرير : فحدَّثنا هارون بن إسحاق قال : حدَّثنا مُصعب بن المقدام قال : حدَّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : لمّا كان يومَ أُحُد ولقِيَ رسولُ الله ﷺ المشركين أجلَسَ رسولُ الله ﷺ رجالاً بإزاء الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير وقال لهم : «لا تَبرحوا مكانكم وإنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تعينونا» . فلمّا لقِيَ القومَ هزمَ المشرِكين ، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهنّ وبدت خَلاخيلهنَّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمةَ الغنيمة !! فقال عبد الله : مهلاً أَمَا علمتم ما عَهِدَ إليكم رسول الله ﷺ . فأبوا فانطلقوا ، فلمّا أتَوهم صُرِفَتْ وُجوههم فأُصيب من المسلمين سبعون رجلاً .

قال محمد بن جرير : حدَّثني محمد بن سعد قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبي عن أبيه عن ابن عبّاس قال : أقبلَ أبو سفيانَ في ثلاثِ ليالٍ خَلَون من شوّال حتّى نزل أُحداً ، وخرج رسولُ الله ﷺ فأذَّنَ في الناس فاجتَمعوا ، وأمَّر الزّبيرَ على الخيل ، ومعه يومئذٍ المِقداد الكِنديّ ، وأعطى رسولُ الله ﷺ الرايةَ رجلاً من قُريش يقال له مصعب بن عمير . وخرجَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضي الله عنه بالجيش ، وبُعِثَ حمزةُ بين يديه . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ، ومعه عِكرمة بن أبي جهل ، فبعثَ رسول الله ﷺ الزّبير ، وقال استقبلْ خالد بنَ الوليد فكُنْ بإزائِهِ حتّى أوذِنَك . وأمَر بخيلٍ أُخرى فكانوا من جانبٍ آخر ، فقال : لا تبرحُنَّ حتى أوذِنَكم . وأقبل أبو سفيانَ يحمل اللات والعزى ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى الزُّبير أن يَحمِل . فحملَ على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومَن معه ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ولقد صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه﴾ إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ بَعدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّون﴾ وإنّ الله تعالى وعَدَ المؤمنين النَّصرَ وأنّه معهم . وإنّ رسول الله ﷺ بعثَ ناساً من

1 الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

النّاس فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله ﷺ : كونوا هاهنا ، فردُّوا وجهَ مَن فَرَّ مِنَّا وكونوا حرساً مِن قِبَلِ ظهورنا . وإنّه عليه السلام لمّا هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضُهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعِداتٍ في الجبل ، ورأوا الغنائم : انطلِقوا إلى رسول الله ﷺ وأدرِكوا الغنائم قبل أن تُسبَقوا إليها . وقالت طائفةٌ أُخرى : بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبتُ مكاننا . فقال ابن مسعود : ما شعرتُ أنّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعَرَضَها حتّى كان يومئذٍ .

قال محمد بن جرير : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثنا أحمد بن الفضل قال حدَّثنا أسباط عن السُّدّي قال : لمّا برزَ رسول الله ﷺ بأُحُدٍ إلى المشركين أمَر الرّماة فقاموا بأصل الجَبل في وُجوه خيل المشركين وقال لهم : لا تَبرحوا مكانكم إنْ رأيتم قد هَزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتُّم مكانَكم . وأمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير أخا خَوَّات بن جُبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال : يا معاشرَ أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله عزّ وجلّ تَعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، وتعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة ، فهلْ منكم أُحدٌ يعجّله الله بسيفي إلى الجنّة ، أو يعجّلني بسيفِهِ إلى النار ؟ فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : والذي نفسي بيدِهِ لا أُفارقُك حتّى يعجّلك الله عزَّ وجلّ بسيفي إلى النار ، أو يعجّلني بسيفك إلى الجنّة ! فضربه عليٌّ فقطع رِجلَه فبدت عورتُه فقال : أنشُدكَ اللهَ والرحمَ يا ابنَ عمّ . فتَركه فكبّر رسول الله ﷺ ، وقال لعليّ وأصحابه : ما منعَكَ أن تُجهِزَ عليه ؟ قال : إنَّ ابن عمّي ناشَدني حين انكشفت عورتُه ، فاستحييتُ منه . ثم شدَّ الزُّبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحَمل النبيُّ ﷺ وأصحابُه فهزموا أبا سفيان ، فلمّا رأى ذلك خالدُ بن الوليد وهو على خَيل المشركين حَمَل فرمته الرماة فانقمعَ[1] ، فلمّا نظر الرّماةُ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عَسكر المشركين يَنتهبونه بادَرُوا الغنيمةَ فقال بعضهم : لا نترك أُمرَ رسول الله ﷺ . وانطلق عامّتُهم فلحِقوا بالعسكر ، فلمّا رأى خالدْ قِلّة الرّماة صاحَ في خيله ، ثم حَمل فقتل الرّماة ، وحَمل على أصحاب رسول الله ﷺ ، فلمّا رأى المشركون أنّ خيلَهم تُقاتِل تبادَروا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم .

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله ﷺ : مَن يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه بينَهم ، حتّى قام إليه أبو دُجانة ، سِماكُ بن خرَشة أخو بني ساعدةَ ، فقال : ما حقُّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن

---

1 انقمع : اختفى .

تضربَ به في العدوّ حتى ينحنيَ . فقال : أنا آخُذه بحقِّه يا رسول الله . فأعطاه إيّاه . وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلَمَ على رأسه بعصابةٍ له حمراءَ علِم النّاس أنّه سيقاتل ، فلمّا أخَذَ السيفَ من يدِ رسول الله ﷺ وآله أخذَ عِصابته تلك فعصَب بها رأسه ، ثم جعلَ يَتبختر بين الصَّفّين .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سَلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلاّ في هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال : يا معشرَ الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا وبين ابن عمّنا نَنصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم . فرَدُّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قَتادة أنّ أبا عامر عمرو بن صيفيّ بن النُّعمان بن مالك بن أُميّة ، أحد بني ضُبيعَة وقد خرج إلى مكّة مباعِداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، منهم عثمان بن حُنَيف ، وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر ، فكانَ يعِدُ قريشاً أنْ لو قد لقِيَ محمّداً لم يختلف عليه منهم رجلان . فلمّا التقى الناس كان أوّلَ مَن لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكّة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعَمَ الله بك عيناً يا فاسق . وكان أبو عامرٍ يسمَّى في الجاهلية الراهب ، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق . فلمّا سمِعَ ردَّهم عليه قال : لقد أصابَ قومِي بعدي شَرٌّ ! ثم قاتَلهم قتالاً شديداً ثم راضَخَهم[1] بالحجارة . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بني عبدِ الدار ، إنّكم ولِيتم لواءنا يومَ بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤتى الناس مِن قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإمّا أن تكفُونا لواءَنا ، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكُموه . فهمُّوا به وتوعّدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءَنا ؟ ! ستعلمُ غداً إذا التقينا كيفَ نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلمّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النِّسوة اللواتي معها ، وأخذن الدُّفوف يَضرِبن خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هندٌ فيما تقول : [من مجزوء الرجز]

إنْ تُقبلـوا نُعانـقْ ونَفرش النمـارقْ
أو تدبـروا نفـارقْ فِـراقَ غيرِ وامـقْ

وتقول : [من مجزوء الرجز]

---

1 راضخهم : راماهم .

إيهاً بني عبـد الدّارْ إيهـاً حُماةَ الأدبار
ضرباً بكلِّ بتَّارْ

واقتتل الناسُ حتّى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتّى أُمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطّلب وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام في رجالٍ من المسلمين ، فأنزل الله نَصره ، وصَدَقهم وعده ، فحسُّوهم[1] بالسَّيف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكَّ فيها وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن جدّه قال قال الزُّبير : والله لقد رأيتُني أنظُر إلى هندٍ بنت عُتبةَ وصواحبها مشمِّرات هواربَ ، ما دون أخْذهنّ قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرُّماة إلى الكَرّ حتّى كشفنا القومَ عنه يُريدون النّهب ، وخلَّوا ظهورَنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا وصَرخ صارخٌ : أَلا إنَّ محمداً قد قُتِل ! فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء ، حتّى ما يدنو إليه أحدٌ من القوم .

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العِلم أنّ اللواءَ لم يزل صريعاً حتّى أخذته عَمرة بنت علقمةَ الحارثيّة ، فرفعَتْه لقريشٍ فلاذُوا بها ، وكان اللواء مع صَؤابٍ غلام لبني أبي طلحة حَبَشيّ ، فكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتَلَ حتّى قُطعت يداه ، فبرك عليه وأخذَ اللواءَ بصدره وعُنقه حتّى قُتل عليه وهو يقول : اللهمّ قد أعذَرْت ! فقال حسّان بن ثابت في قَطع يد صوابٍ حِينَ تقاذفوا بالشعر[2] : [من الوافر]

فَخرتم باللـــواءِ وشرُّ فخـــرٍ لـــواءٌ حـــينَ ردّ إلى صُؤابِ
جَعلتم فخـــرَكم فيهـــا لعبـــدٍ مِنَ الأَمِ من وَطي عَفَرَ الترابِ
ظننتـــم والسَّفيه لـــه ظُنـــونٌ ومـــا إن ذاكَ من أَمر الصَّوابِ
بـــأنَّ جلادَنـــا يـــوم التقينا بمكّةَ بيعُكـــم حُمرَ العِيابِ[3]
أَقَـــرَّ العـــينَ أن عُصبَت يـــداه ومـــا إن يُعصَبانِ على خِضابِ

قال محمد بن جرير : وحدَّثنا أبو كُريب قال : حدَّثنا عثمان بن سعيد قال حدَّثنا حِبّان بن عليّ عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه عن جدّه قال : لمّا قُتِل أصحابُ الألويةِ يوم أحد ، قَتَلَهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبصَرَ رسولُ الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احمل عليهم . فحملَ عليٌّ ففرَّقَ جَمعَهم ، وقَتل عَمرَو بنَ عبد الله بن الجمحيّ ،

---

1 حسّوهم : استأصلوهم .
2 ديوان حسان : 367 .
3 أي حسبتم لقاءنا هيناً كما تبيعون الثياب في الحقائب .

ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احملْ . فحمَل عليٌّ ففرّق جمعهم ، وقَتل شَيبةَ بن مالك أُحد بني عامر بن لؤي . فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله إنَّ هذه للمواساة . فقال رسول الله ﷺ : «هو منّي وأنا منه» ، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ! قال : فسمعوا صوتاً : [من الرجز]

لا سيفَ إلاّ ذو الفَقا رِ ولا فتًى إلاّ عَلي

فلمّا أُتِيَ المسلمون مِن خَلفهم انكشفوا ، وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلث منهزمٌ وقد جهدَتْه الحربُ حتّى ما يدري ما يصنع . وأصيبت رَباعِيّة[1] رسول الله ﷺ السُّفلى ، وشُقّت شَفته ، وكُلِم في وجنته وجَبْهته في أُصول شعره ، وعلاه ابن قمئة بالسَّيف على شِقّه الأيمنِ ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

قال محمد بن جرير : وحدَّثنا ابن يسار قال حدَّثنا ابن أبي عديّ عن حميد عن أنس بن مالك قال : لمّا كان يوم أُحُد كسرت رباعِية رسول الله ﷺ وشُجَّ ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، وجَعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : «كيف يُفلح قومٌ خَضَبوا وجهَ نبيِّهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى !» . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم﴾ الآية . وقد قال رسول الله ﷺ حين غشيَه القومُ : «مَن رجلٌ يَشرِي لي نفسه ؟!» .

[دفاع الصحابة عن الرسول]

قال محمد : فحدَّثني ابن حميد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن قال : فقام زياد بن السّكن في نفرٍ خمسةٍ من الأنصار ، وبعضُ الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد بن السكن ، فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً ، يُقتَلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عُمارة بن زياد بن السّكن ، فقاتَلَ حتّى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت من المسلمين فِئةٌ حتّى أَجهضُوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : أَدنُوه منّي . فأَدنَوْه منه فوسَّده قدمَه ، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ . وتَرَّسَ من دون النبيّ ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يَقعُ النَّبل في ظهره وهو منحنٍ عليه حتّى كثرت فيه النَّبْل . ورَمى سعدُ بن أبي وقاص دونَ رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يُناوِلني ويقول : فداكَ أبي وأُمّي ، حتّى إنّه لَيناوِلُني السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : ارمِ به !

1 الرباعية : السن بين الثنية والناب .

وعن محمد بن إسحاق قال حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ رسول الله ﷺ رَمى عن قوسه حتّى اندقّت سِيَتُها ، فأخذَها قَتادةُ بن النعمان فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذٍ عين قَتادة حتى وقعَتْ على وَجنته .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله ﷺ ردَّها بيدِهِ فكانت أحسنَ عينيهِ وأحَدَّهما . وقاتل مُصعبُ بن عُمير دونَ رسول الله ﷺ ومعه لِواؤُهُ حتّى قُتل ، وكان الذي أصابه ابن قمئة اللَّيثيّ وهو يظنُّ أنّه رسول الله ﷺ ، فرجعَ إلى قريش فقال : قد قتلتُ محمداً ؛ فلمّا قُتِل مُصعب بن عمير أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن طالب عليه السلام . وقاتَلَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضي الله عنه حتّى قتل أرطأةَ بن شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ ، وكان أحدَ النَّفَر الذين يحملون اللواء ؛ ثم مَرَّ بهِ سِباعُ بن عبد العُزَّى الغَبْشانيّ ، وكان يُكنى أبا نِيار ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مقطِّعة البظور ، وكانت أمُّه خَتّانة بمكّة مولاةَ شَريقِ بن عمرو بن وهب الثقفيّ ، فلمّا التَقيا ضربَه حمزةُ عليه السلام فقتله ؛ فقال وحشيٌّ غلامُ جُبير بن مُطعِم : إنِّي لأنظرُ إلى حمزةَ يهذّ[1] الناس بسيفه ما يُليقُ[2] شيئاً يمرّ به ، مثلَ الجملِ الأورَق ، إذْ تقدَّمَني إليه سِباع بن عبد العُزّى فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابن مقطِّعة البظور . فضربَه فما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حربتي حتّى إذا ما رضيتُ دفعتُها عليه فوقَعتْ عليه في لَبَّته حتّى خرجَتْ من بين رجليه ، وأقبَلَ نحوي فغُلِب فوقَع ، فأمهلْتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتي ثم تنحَّيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجة غيره . وقد قَتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلَح ، أحدُ بني عمرو بن عَوف ، مُسافِعَ بنَ طلحة وأخاه كلابَ بن طلحة ، كلاهما يُشعِره سهماً[3] فيأتي أُمَّهُ فيضعُ رأسَه في حجرها فتقول : يا بُنيَّ مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً يقول حينَ رماني : خُذْها إليكَ وأنا ابن أبي الأقلح ! فتقول : أَقْلَحيٌّ ؟ ! فنذرَتْ لله إنِ اللهُ أمكنَها من رأس عاصِمٍ أن تشربَ فيه الخمر . وكان عاصِمٌ قد عاهَدَ الله عزّ وجلّ أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسَّه .

[أنس بن النضر]

عن ابن إسحاقَ قال حدَّثني القاسم بن عبد الرّحمن بن رافع ، أخو بني عديّ بن النجّار قال : انتهى أنسُ بن النضر ، عمُّ أنس بن مالكٍ ، إلى عمرَ بن الخطّاب وطلحةَ بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ههنا ؟ فقالوا :

---

1 يهذّ : يقطّع .

2 ما يليق : ما يترك .

3 أشعره السهم : خالطه به .

قُتِـل رسول الله ﷺ ! قال : فما تَصنعون بالحيـاة بعـدَه ؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه . ثم استقبل القومَ فقاتَلَ حتّى قُتِل . وبِه سُمّي أُنس بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدَّثني حُميد الطَّويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعينَ ضربةً وطعنة ، فما عرفَته إلاّ أختُه ، عَرَفَتْه بحُسْن بَنانه .

عن ابن إسحاق قال : كان أوّل مَن عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وقولِ الناس : قُتل رسول الله ﷺ ، كما حدَّثني ابن شهاب الزُّهريّ ، كعبُ بن مالكٍ أخو بنـي سَلِمة . قـال : عرفتُ عينيهِ تَزهَران تحت المِغفر ، فناديتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشِروا ، هـذا رسولُ الله ﷺ ! فأشار إليَّ عليـه السلام : أنْ أنصِتْ . فلمّـا عَرَف المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضوا به ، ونهض نحوَ الشعب معه أبو بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطّاب ، وعليٌّ بن أبي طالب ، وطلْحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، والحارث بن الصِّمّة ، في رهطٍ من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

[الرسول يقتل أبيّ بن خلف]

فلمّا أُسند رسولُ الله ﷺ في الشِّعب ، أُدركه أُبيّ بن خَلَف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال : دَعُوه . فلمّا دنا تناولَ رسول الله ﷺ الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة . قال : يقول بعض الناس فيما ذُكِر لي : فلمّا أخذَها رسولُ الله ﷺ انتفضَ بها انتفاضةً تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشَّعْراء[1] عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبلَه فطعنَه في عُنقه طعنةً تَدأْدأَ[2] بها عن فرسه مِراراً . وكان أُبيُّ بن خلـف ، كما حدَّثنـا ابن حميد قـال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول : يا محمد ، إنّ عندي العَوْدَ أُعلِفُه كلَّ يوم فَرْقاً[3] من ذُرَة أَقتُلك عليه ! فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى . فلمّا رجعَ إلى قريش وقد خَدَشه في حَلْقـه خدشاً غيرَ كبير ، فاحتَقَن الدّم قال : قتلَني واللهِ محمّد ! قالوا : ذَهَب والله فؤادُك ، والله ما بِكَ بأس . قال : إنّه كانَ بمكّة قال لِي : أنا أقتلُك ، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلَني . فماتَ عدوُّ الله بسَرِف[4] وهم قافلون به إلى مكّة . فلمّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشِّعب خرج عليٌّ بن أبي

1 الشعراء : ذباب يقع في الإبل فيؤذيها .
2 تدأدأ : تدحرج .
3 الفرق : مكيال مقداره ثلاثة أصوع
4 سرف : موضع قريب من مكة .

طالب حتى مَلأ دَرَقَتَه من المِهراس[1] ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فشرِبَ منه وغَسَل عن وجهه الدّم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : «اشتدَّ غضبُ الله عزّ وجلّ على من دَمَّى وجهَ نبيه» .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني صالح بن كيسان عمّن حدَّثه عن سعد بن أبي وقاص أنّه كان يقول : والله ما حَرَصت على قَتل رجلٍ قطُّ ما حَرَصت على قتلِ عتبة بن أبي وقّاص ، وإنْ كان ما علمت لسَيِّيءَ الخلق مبغَضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسولُ الله ﷺ : «اشتدّ غضَبُ الله على مَن دَمَّى وجه رسول الله» .

[التمثيل بقتلى المسلمين]

قال حدَّثنا محمد بن إسحاق قال : حدَّثني صالح بن كيسان قال : خرجَتْ هندٌ والنسوة اللواتي معها يمثُلن بالقتلى من أَصحاب رسول الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذانَ والآنُفَ ، حتَّى اتّخذت هندٌ من آذان الرجال وآنفهم خَدَماً[2] وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدَها وقُرطَها وحشيّاً غلامَ جُبير بن مُطعِم ، وبَقَرت عن كبد حمزَة عليه السلام ، فأخرجَتْ كبده فلاكَتْها ، فلم تستطع أن تُسيغَها فلفظتها ، ثم علَتْ على صخرةٍ مشرفةٍ فصاحَتْ بأعلى صوتها بما قالتْ من الشعرِ ؛ حين ظفروا بما أصابوا من أَصحاب رسول الله ﷺ .

[حسان يهجو هنداً]

قال : حدَّثني صالح بن كيسان أنّه حُدِّث أنّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابنَ الفُريعة ، لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أشَرها[3] قائمةً على صَخرةٍ ترتجز بنا وتذكر ما صنعَتْ بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنّي لأنظرُ إلى الحربة تَهوِي وإنّي على رأس فارع ، يعني أطُمَه ، فقلت : والله ، إنّ هذه لسلاحٌ ما هي بسلاحِ العرب ، وكأنّها إنّما تَهوِي إلى حمزة ولا أدري ، أسمِعْني بعضَ قولها أكفِكُموها . قال : فأنشده عمرُ بعضَ ما قالتْ ، فقال حسّان يهجو هنداً[4] : [من الكامل]

أشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أشِرت من الكُفْرِ[5]
لعنَ الإلـهُ وزوجَها معهـا ... هِنـدَ الهنود طويلـةَ البَظْرِ

---

1 المهراس : ماء بأحد

2 الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال .

3 الأشر : المرح والبطر .

4 ديوان حسان 1 : 384 .

5 لكاعِ : كقطامِ ، لئيمة . وفي الديوان مع الكفر .

أخَرجتِ مرقصةً إلى أحـدٍ ... في القومِ مُقتِبـةً على بَكرِ[1]
[بَكرٍ ثَقال لا حَـراكَ بِهِ ... لا عن مُعاتبةٍ ولا زجرِ][2]
وعصاكِ استُكِ تتَّقين بها ... دُقِّي العُجايَةَ منك بالفهرِ[3]
قَرِحت عجيزتُها ومَشرجُها ... مِن دَأْبِها نصّاً على القَتْرِ[4]
ظلَّـتْ تُداويهـا زميلتُها ... بالمـاء تَنضَحـه وبالسِّدرِ
أخَرجتِ ثائـرةً مبـادِرةً ... بأبيك فاتِكِ يوم ذي بدرِ
وبعمِّكِ المستُوهِ في رَدَع ... وأخيكِ مُنْعفِرينِ في الجَفْرِ[5]
ونَسيتِ فاحشةً أتيتِ بهـا ... يا هندُ ويحكِ سَيْئَةَ الذكرِ[6]
فرجَعتِ صاغرةً بـلا تِرةٍ ... منّـا ظَفرتِ بهـا ولا نَصرِ
زعمَ الولائـدُ أنَّها ولدت ... وَلداً صغيراً كان مـن عَهْرِ

[تعقّب أبي سفيان للمسلمين ووعيده لهم]

قال محمد بن جرير: ثـم إنّ أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدَّثنا هارون بن إسحاق قال: حدَّثنا مصعب بن المقدام قال حدَّثنا إسرائيل، وحدَّثنا ابن وكيع قال: حدَّثنا أبي عن إسرائيل قال حدَّثنا ابن إسحاق عن البراء قال: ثم إنّ أبا سفيان أشرفَ علينا فقال: أفِي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تُجيبوه! مرَّتين، ثم قال: أفِي القوم ابنُ أبي قحافة؟ ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه! ثم قال أفِي القوم ابن الخطّاب ثلاثاً، فقال رسول الله: لا تجيبوه. ثم التفت إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا! فلم يملك عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبتَ يا عدوَّ الله، قد أبقى الله لك ما يُخْزيك. فقال: أعلُ هُبَل، أعلِ هُبل! فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا «الله أعلى وأجلّ». قال أبو سفيان: «لَنا العُزَّى ولا عُزّى لكم». فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: «يومٌ بيوم

1 المرقصة: التي تحمل البعير على الخبب. والمقتبة: الراكبة على القتب، وفي الديوان: معنقة.
2 الثقال: البطيء من الإبل.
3 عصاه استه: لم يكن معه ما يحفز الدابة فيحرك استه على الدابة ليحثّها على السير. والعجاية: عصبة في باطن الفرس، وأضاف في اللسان: إذا جاع أحدهم دقّها بين فهرين (حجرين) وأكلها. وفي الديوان: عاري الفهر.
4 النصّ: ضرب من السير السريع. والقتر: الناحية والجانب. وفي الديوان «من نصّها نصّاً على القهر».
5 المستوه: المضروب في استه. والردع: الدم. والجفر: البئر.
6 الديوان: سبة الدهر.

بدر ، والحربُ سِجالٌ» ، أما إنّكم ستَجدون في القوم مُثَلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤني .

قال ابن إسحاقَ في حديثه : لمّا أُجابَ عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ : ايتِهِ فانظرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشُدكَ الله يا عمر أقتَلْنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهمَّ لا ، وإنّه ليسمعُ كلامَكَ الآن . قال : أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرّ ؛ لقول ابن قمئة لهم : إنّي قتلتُ محمداً . ثم نادى أبو سفيان فقال : إنّه قد كان مُثَلٌ[1] والله ما رضِيتُ ولا سَخِطت ، ولا أمرتُ ولا نهيت ، وقد كان الحُلَيس بن زبّان ، أخو بني الحارث بن عَبد مَناة ، وهو يومئذٍ سيِّد الأحابيش ، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب وهو يَضرِب في شِدق حمزَةَ عليه السلام وهو يقول : ذُقْ عُقَق[2] ! فقال الحُلَيس : يا بني كنانة ، هذا سيِّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترَوْن لحَماً ! فقال : اكتمْها عليّ فإنّها كانت زَلَّةً . قال : فلمّا انصرفَ أبو سفيان ومَن معه نادى : إنّ موعدُكم بدرٌ ، العامَ المقبل . فقال رسول الله ﷺ وآله لرجلٍ من أصحابه : «قل : نعم ، هي بيننا وبينك مَوعد» .

[خروج علي في أثر المشركين]

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : اخرجْ في آثار القوم فانظرْ ماذا يصنعون ، فإنْ كانوا قد جَنَبوا وامتَطوا الإبلَ فإنّهم يريدون مكّة ، وإنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيدِهِ لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزنّهم . قال عليّ : فخرجتُ في آثارهم أنظرُ ما يصنعون ، فلمّا جَنَبوا الخيل وامتَطوا الإبل توجَّهوا إلى مكّة . وكان رسول الله ﷺ قال لي : أيَّ ذلك كان فأخفِهِ حتّى يأتيني . قال عليّ : فلمّا رأيتُهم قد توجَّهوا إلى مكّة أقبلْتُ أصيح ، ما أستطيع أنْ أكتم الذي أمَرَني به رسولُ الله ﷺ ، لما بِي من الفرح ، إذْ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة ، وفَرِغ الناس لقتلاهم . فقال رسول الله ﷺ ، كما حدَّثنا ابن حُميد قال : حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي صعصعة المازنيّ أخي بني النجار ، أنّ رسول الله ﷺ قال : «مَنْ رجلٌ ينظُر لي ما فعلَ سعد بن الرّبيع ، وسعدٌ أخو بني الحارث بن الخزرج ، أفي الأحياءِ هو أم في الأموات ؟» . فقال رجلٌ من الأنصار : أنا أنظرُ لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجَده جريحاً في القتلى به رَمَق . قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظر له في الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : فأنّا في الأموات . أبلغْ رسولَ الله ﷺ وقلْ له : إنّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاكَ الله خيرَ ما جَزى نبيّاً عن أمّته ، وأبلغْ قومَك عنّي السلام وقُل لهم : إنّ سعد بن الربيع يقول : لا عُذَر لكم عند الله

1 مثل : جماعة .

2 أي ذق جزاء فعلك يا عاق .

جلّ وعزّ إنْ خُلِصَ إلى نبيّكم وفيكم عينٌ تَطرِف . ثم لَم أبرحْ حتّى مات رحمه الله ، فجئتُ رسول الله ﷺ وأخبرته الخبر .

[بحث الرسول عن حمزة]

وخرج رسولُ الله ﷺ ، فما بلغني ، يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام ، فوجَده ببطن الوادي قد بُقِر بطنُه عن كبده ، ومُثِّل به فجُدِع أنفُه وأُذناه .

وعن ابن إسحاق قال : فحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رأى بحمزة ما رأى : «لولا أنْ تَحزَن صفيةُ أو تكونَ سنةً من بعدي لتركتُه حتّى يكون في أجواف السباع وحَواصل الطير ، ولئنْ أنا أظهرني اللهُ على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأُمثِّلنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم» . فلمّا رأى المسلمون حُزنَ رسول الله ﷺ وغيظَه على ما فُعِل بعمِّه قالوا : والله لئن أظهَرَنا الله عليهم يوماً من الدَّهر لنَمْثُلنَّ بهم مُثْلة لم يُمثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطّ .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني بُريدة بن سفيان بن فَروة الأسلميّ عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن ابن عبّاس . قال ابن حميد قال سلمة ، وحدَّثني محمد بن إسحاق قال : فحدّثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقْسم عن ابن عبّاس : أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ : ﴿وإنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثل ما عُوقِبتم به ولئن صَبرتم لهو خيرٌ للصَّابرين﴾ إلى آخر السورة . فعفا رسولُ الله ﷺ وصبر ، ونَهى عن المُثلة .

[نظر صفية بنت عبد المطلب إلى حمزة]

قال ابن إسحاق فيما بلغني : أن صفيّة بنت عبد المطلب أتت لتنظرَ إلى حمزة وكان أخاها لأمّها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزّبير : القها فأَرجِعْها لا تَرى ما بأخيها . فلقيَها الزّبير فقال : يا أُمَّه ، إنّ رسول الله ﷺ يأمُرك أن تَرجِعي . فقالت : ولِمَ ، فقد بلغني أنّه مُثِّل بأخي ، وذلك في الله جلّ وعزّ قليلٌ ، فما أرضانا بما كان مِن ذلك ، لأحتسبنَّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى ! فلمّا جاء الزّبير رسولَ الله ﷺ فأخبره بذلك قال : خلِّ سبيلها . فأتته فنظرَتْ إليه وصلَّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له ، ثم أَمَر رسول الله ﷺ به فدُفِن .

[شهداء آخرون]

قال : حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : لَمّا خرجَ رسول الله ﷺ إلى أُحُد ، رجع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمانِ أبو حَذيفة بن اليمان ، وثابت بن وَقْش بن زعُورا في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبا لك ما تنتظر ، فوالله إنْ بقِي لواحدٍ منّا من عُمره إلاّ ظِمء حمار[1] ، إنّما نحن

1 ظمء الحمار : ما بين شربين .

هامةُ اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافَنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلَّ الله يرزقنا شهادةً معه . فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتّى دخلا في الناس ، ولم يعلم أحدٌ بهما . فأمّا ثابت بن وقش فقتلَه المشركون ، وأمّا حُسَيل بن جابرٍ اليمانِ فاختلفَتْ عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه ، فقال حذيفة : أبي ! قالوا : والله إنْ عَرفناه . وصَدَقوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين . فأراد رسول الله ﷺ أنْ يَدِيَه ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً .

[مصرع قزمان]

قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أتيٌّ[1] لا ندري مِن أين هو ، يقال له قُزمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكَره : «إنّه لَمِن أهلِ النار» فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالاً شديداً فقَتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تسعة ، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ، فأثبتَتْه الجراحة فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبلَيتَ اليوم يا قُزْمان ، فأَبشِرْ . قال : بِم أُبْشِر ؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلاّ على أحسابِ قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلمّا اشتدّت عليه جِراحتُه أخذ سهماً من كِنانته فقطع رواهِشَه فنزَفه الدمُ فمات ؛ فأُخبِر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال : إنّي رسولُ الله حقّاً .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني حسين بن عبد الله عن عِكرمة قال : كان يومُ أُحُد يوم السبت للنصف من شوّال ، فلمّا كان الغد من يوم أحد ، وذلك يومَ الأحد لستَّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال ، أذَّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بِطلبِ العدوّ ؛ وأذّن مؤذّنه أن لا يخرجنَّ معنا إلاّ من حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرامٍ الأنصاريّ فقال : يا رسول الله ، إنّ أبي كان خَلَّفني على أخَواتٍ لي سبع وقال لي : يا بنيّ ، إنّه لا ينبغي لِي ولا لك أن نتركَ هؤلاء النسوةَ بلا رجلٍ فيهن ، ولستُ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّفْ على أخواتك . فتخلَّفت عليهنّ . فأذِن له رسول الله ﷺ فخرج معه ؛ وإنّما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهِباً للعدو ، وأنّهم خرجوا في طلبهم فيظنّون أنّ بهم قوّة ، وأنّ الذي أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

[بعض الجرحى يعاودون القتال]

عن محمد بن إسحاق : قال فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفّان ، أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهِد أُحُداً . قال : فشهدتُ رسولَ الله ﷺ أنا وأخٌ لِي ، فرجَعنا جريحين ،

1 الأتي : الغريب .

فلمّا أذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ قلتُ لأخي وقال لي : أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ، والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منّا إلاّ جريحٌ ثقيل . فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنتُ أيسرَ جُرحاً منه فكنتُ إذا غُلِب عليه حَملتُه عُقبة[1] حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج إليه رسول الله ﷺ حتّى انتهينا إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجعَ إلى المدينة .

[تخذيل معبد الخزاعيّ وهو مشرك لأبي سفيان]

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، أنّه مرَّ برسول الله ﷺ معبدٌ الخزاعيّ ، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركهم عَيَبة[2] رسولِ الله ﷺ صفقتهم معه ، لا يُخفون عليه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ يومئذٍ مشرك ، فقال : أما والله يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابَكَ في أصحابك ، ولودِدتُ أنَّ الله قد أعفاك منهم . ثم خرج مِن عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتّى لقِيَ أبا سفيان بن حربٍ بالرَّوحاء ومَن معه ، وقد أجمعوا الرَّجعةَ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : أصبنا حدّ أصحابِهِ وقادتِهم وأشرافهم ؛ ثم رَجعْنا قبل أن نستأصلَهم ، لَنكُرَّنَّ على بقيّتهم فلنفرُغنّ منهم ! فلمّا رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه يَطلبكم في جمعٍ لَم أرَ مثلَه قطّ يتحرّقون عليكم تحرُّقاً ، قد اجتمعَ معه مَن كان تخلّف عنه في يومكم ، وندِموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم ، شيء لم أرَ مثلَه قطّ . قال : ويلَكَ ما تقول ! قال : والله ما أراكَ ترتحل حتّى ترى نواصيَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرَةَ لنستأصلَ شأفتهم . قال : فإنّي أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حَمَلني ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعر . قال : وماذا قلت ؟ قال قلت : [من البسيط]

كادت تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتي ... إذْ سالت الأرضُ بالجُردِ الأبابيلِ[3]
فظِلْتُ عـدْواً أظنُّ الأرضَ مائلـة ... لمّـا سَمـوْا برئيسٍ غيرِ مخذولِ
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم ... إذا تَغَطمطتِ البطحاءُ بالجِيلِ[4]
إنّي نذيـرٌ لأهـلِ السَّيلِ ضاحيـةً ... لكلِّ ذي إربـةٍ منهـم ومعقولِ[5]

---

1 العقبة : النوبة .
2 العيبة : موضع السر .
3 تهدّ : تكسر . الأبابيل : الجماعات .
4 تغطمطت : اضطربت . الجيل : الأمة .
5 السيل : من أسماء مكّة . ضاحية : علانية .

من جيشِ أحمــدَ لا وَخشٍ تنابلةٍ وليس يوصَف مــا أنذرت بالقِيلِ[1]

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه ، ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فلِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنّي مَحمداً رسالةً أرسلُكم بها إليه ، وأُحمِّل لكم إبلَكم هذه غداً زبيباً بعكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السَّير إليه وإلى أصحابه ، لنستأصلَ شأفتهم . فمرَّ الراكب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه : «حَسبنا الله ونعم الوكيل» .

صوت[2]

[من الوافر]

أمِن ريحانــةَ الدّاعِي السَّميعُ يؤرِّقُنِــي وأصحابــي هُجوعُ
براني حـــبُّ مَــن لا أستطيعُ ومن هــو للذي أهوى مَنوعُ
إذا لم تستطعْ شيئــاً فدَعْـه وجـــاوِزهُ إلى مـــا تستطيعُ

الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والغناء للهذليّ ، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، من رواية إسحاق . وفيه ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى من رواية حمّاد عن أبيه .

---

1 الوخش : أرذال الناس . والتنبل : القصير .

2 ديوان عمرو بن معديكرب : 136–143 ، وليس فيه البيت الثاني لا في متن القصيدة ولا في الأبيات المضافة .

[289] ـ ذكر عمرو بن معديكرب وبعض أخباره[1]

[نسبه]

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيد ، وهو منبِّه . هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه .

وذكر عمر بن شَبّة عن أبي عبيدة أنّه عمرو بن معديكرب بن ربيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن زبيد بن منبِّه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبّه بن صَعب بن سَعد العشيرة بن مَذْحِج بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا ثور ، وأُمُّه وأمّ أخيه عبدِ الله امرأةٌ من جرم فيما ذُكِر ، وهي معدودة من المُنْجِبات .

أخبرنا محمد بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عمرو بن معديكرب فارس اليمن ، وهو مقدَّم على زيد الخيل في الشدّة والبأس .

[استعداده لقتال خثعم]

وروى علي بن محمد المدائنيّ عن زيد بن قُحَيف الكلابيّ قال : سمعتُ أشياخنا يزعمون أنَّ عمرو بن معديكربَ كان يقال له «مائق بني زبيد» ، وكان لا يدعى في الخفه . فبلغهم أنّ خثعم تريدُهم ، فتأهَّبوا لهم ، وجمع معديكربُ بني زُبيد ، فدخل عمرٌو على أخته فقال : أشبِعِيني إنِّيَ غداً لِكتيبةِ خثعم . قال : فجاء معديكرب فأخبرته ابنتُه فقال : هذا المائق يقول ذاك ؟ قالت : نعم . قال فسَليه ما يُشبعه . فسألته فقال : فَرقٌ من ذرة ، وعَنزٌ رَباعيّة . قال : وكان الفَرق يومئذٍ ثلاثةَ أصْوُع . فصَنَعَ له ذلك ، وذبحَ العنزَ وهيّأ له الطعام . قال : فجلسَ عليه فَسَلَتَه[2] جميعاً . وأتتهم خثعمٌ الصباحَ فلقُوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفَعَ رأسَه فإذا لواءُ أبيه قائم ، فوضع رأسَه فإذا لواء أبيهِ قد زالَ ، فقام كأنّه سرحةٌ مُحرقة ، فتلقّى أباه وقد انهزموا فقال : انزلْ عنها ، فاليومُ ظَلَم[3] . فقال له : إليكَ يا مائق ! فقال له بنو زبيد :

1 ترجمة عمرو بن معديكرب في الشعر والشعراء : 289–291 والمؤتلف : 233 ومعجم المرزباني : 15 وخزانة البغدادي 2 : 444–446 وكتب الصحابة وأخباره في الفتوح في كتب التاريخ . وقد جمع هاشم الطعان ديوانه (سلسلة كتب التراث ـ بغداد) وفيه تخريج كثير . وانظر مواضع متفرقة في التذكرة الحمدونية .

2 سلته : مسحه .

3 المثل «اليوم ظلم» في مجمع الميداني 2 : 416 وجمهرة العسكري 2 : 433 . وفصل المقال : 373 ومستقصى الزمخشري 1 : 358 .

خلّه أيّها الرجل وما يريد ، فإن قُتِل كفيتَ مؤنته ، وإن ظهر فهو لك . فألقى إليه سلاحَه فركِب ، ثم رَمى خثعَم بنفسه حتى خَرَجَ من بين أظهُرهم ، ثم كرّ عليهم وفعلَ ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خثعم وقُهِروا ، فقيل له يومئذٍ : فارسُ زبيد .

[وفوده على الرسول]

قال ابو عمرو الشيبانيّ : كان من حديث عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زبيد بن منبه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سَعد العشيرة بن مالك ، وهو مذحج ، بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان ، أنّه قال لقيس بن مكشوحٍ المراديّ ، وهو ابن أُخت عمرو ، حينَ انتهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ : يا قيسُ ، إنّك سيِّدُ قومِك ، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمدٌ قد خَرَجَ بالحجاز ، يقال له نبيٌّ ، فانطلِقْ بنا حتّى نعلمَ عِلمَه ، وبادِرْ فروة لا يغلبْك على الأمر . فأبى قيسٌ ذلك وسَفَّه رأيه وعَصاه ، فركب عمرٌو متوجّهاً إلى النبيّ ﷺ وقال : خالفتَني يا قيس ! وقال عمرو في ذلك[1] : [من الهزج]

أمرتُـك يومَ ذي صَنعا ء أمـراً بيِّنـاً رشَدُهْ
امرتُـك باتِّقـاء اللـ ـهِ تأتيـه وتّتعـدُه
فكنتَ كذي الحُميِّر غـر رَّهُ مـن أيـرِهِ وَتِـدُهْ

قال أبو عبيدة : حدَّثنا غير واحدٍ من مَذحج قالوا : قدِم علينا عمرو في وفد مذحج ، مع فَرَوة بن مُسيكٍ المراديّ ، على النبيّ ﷺ ، فأسلَموا وبعثَ فروةُ على صدقاتٍ من أسلَمَ منهم وقال له : ادعُ الناس وتألَّفْهم ، فإذا وجدتَ الغفلةَ فاهتبلْها واغزُ .

قال أبو عمرو الشيبانيّ : وإنّما رحلَ فروةُ مفارقاً لملوك كِندة مباعِداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ ؛ وقد كانت قبل الإسلام بين مُراد وهَمدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثخنوهم ، في يوم يقال له يوم الرَّزْم ، وكان الذي قاد هَمْدانَ إلى مراد الأجدعَ بن مالكَ بنَ حريم الشاعر الهمْدانيّ بن مسروق بن الأجدَع ، ففضحَهم يومئذٍ ، وفي ذلك يقول فَروة بنُ مسيك المراديّ : [من الوافر]

فـإن نَغلِبْ فغلاّبون قِدماً وإن نُهْـزَم فغير مهزَّمينـا

فلمّا توجَّه فروةُ إلى النبيّ ﷺ أنشأ يقول : [من الكامل]

لمّا رأيتُ ملوكَ كندةَ أعرضَتْ كالرِّجل خانَ الرجلَ عِرقُ نَساها

---

1 ديوانه : 83 وفيه في البيت الثالث «غره من عيره» .

يَمَّمْــتُ راحلتــي أَمـامَ محمدٍ ... أَرجــو فواضلَهــا وحسنُ ثَراها

فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له فيما بلغنا : هل ساءَكَ ما أُصاب قومَك يوم الرزْم ؟ قال : يا رسول الله ، مَن ذا الذي يصيب قومَه مثلُ الذي أَصابَ قومِي ولا يسوءه . فقال له : أما إنّ ذلك لم يَزِد قومَك في الإسلام إلاّ خيراً ! واستعملَه على مرادٍ وزبيد ومَذحج كلّها .

[ارتداد عن الإسلام]

قال أبو عبيدة : فلم يلبثْ عمرو أن ارتدَّ عن الإسلام ، فقال حين ارتدّ[1] : [من الوافر]

وجدنا مُلك فــروةَ شرَّ ملك ... حِمارٌ سافَ منخــرَه بقَذْرِ[2]

وإنَّــكَ لــو رأيتَ أَبــا عميرٍ ... ملأتَ يديك مــن غَدرٍ وختَرِ

قال أبو عبيدة : فلمّا ارتدَّ عمرو مع مَن ارتدَّ عن الإسلام من مذحج ، استجاش فروةُ النبيّ ﷺ ، فوجَّه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعليٌّ بن أبي طالب أميركم وهو على الناس . ووجَّه عليّاً عليه السلام فاجتمعوا بكَسْرِ[3] من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم ونجا بعض ، فلم يزل جعفرٌ وزُبيدٌ وأَودٌ بنو سعد العشيرة بعدَها قليلة . وفي هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنت معديكرب سُبِيت يومئذٍ ، ففداها خالد ، وأثابَه عمرٌو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد ، فوُجِد سعيدٌ جريحاً يوم عثمان بن عفّان رضي الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمد ، ثم وُجِد الغمد ، فلمّا قام معاويةُ جاءَه أعرابيٌّ بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر ، فقال سعيد : هذا سيفي ! فجحَد الأعرابيُّ مقالَته ، فقال سعيد : الدليلُ على أنّه سيفي أنْ تبعث إلى غِمدِه فتُغمِده فيكون كِفافَه . فبعث معاويةُ إلى الغِمد فأُتي به من منزل سعيد فإذا هو عليه ، فأَقرَّ الأعرابيُّ أنّه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه . فلم يزلْ عندَه حتّى أصعد المهديُّ من البصرة ، فلمّا كان بواسطٍ بعث إلى سعيدٍ فيه ، فقال : إنّه للسبيل . فقال : خمسون سيفاً قاطعاً أغْنى من سيفٍ واحد . فأعطاهم خمسينَ ألفَ درهم وأخذه .

[إسلام عمرو]

وذكر ابن النطّاح أنّ المدائنيّ حكى عن أبي اليقظان عن جُويرية بن أسماء قال : أقبلَ النبيُّ ﷺ من غزاةِ تَبوك يريد المدينة ، فأدركه عَمرو بن معديكربَ الزُّبيديّ في رجالٍ من زبيد ، فتقدّم عمرٌو ليلحق برسول الله ﷺ ، فأُمسِك حتى أُوذِنَ به . فلمّا تقدّم رسول اللهُ ﷺ يسير

---

1 ديوانه : 105 .

2 ساف : شم .

3 الكسر : قرى كثيرة بحضرموت .

قال : حَيّاك الله إلَهك ، أبيتَ اللعن ! فقال رسول الله ﷺ : «إنَّ لعنةَ الله وملائكتِه والنّاس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . فآمِن بالله يؤمِنْك يومَ الفَزَع الأكبر» . فقال عمرو بن معديكرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله ﷺ : «إنّه فزعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ ، إنّه يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى حيٌّ إلاّ مات ، إلاّ ما شاء الله من ذلك ، ثم يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى ميّتٌ إلاّ نُشِر ، ثم تلجُّ تلك الأرضُ بدويٍّ تنهدّ منه الأرض ، وتخرُّ منه الجِبال ، وتنشقّ السماءُ انشقاقَ القَبْطيّة الجديد[1] ما شاء الله في ذلك ، ثم تَبرز النارُ فيُنظر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ في السماء ، تَرمِي بمثل رؤوس الجبال من شَرَر النار ، فلا يبقى ذو رُوح إلاّ انخلعَ قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنتَ يا عمرو !» . قال : إنّي أسمع أمراً عظيماً ! فقال رسول الله ﷺ : «يا عمرو أسلِمْ تَسلم» . فأسلَمَ وبايَع لقومه على الإسلام ، وذلك مُنصرفَ رسول الله ﷺ من غزاة تبوك ، وكانت في رجب من سنة تسع .

[ضخامة جسده]

وقال أبو هارون السَّكسكيّ البصريّ : حدَّثني أبو عمرٍو المدينيّ أنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان إذا نظرَ إلى عمرو قال : «الحمد لله الذي خَلَقَنا وخلق عمراً !» تعجُّباً من عِظم خَلقه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة عن خالد بن خِداش عن أبي نُميلة قال : أخبرني رُمَيح عن أبيه قال : رأيت عمرو بن معديكرب في خلافة معاوية شيخاً أعظمَ ما يكون من الرجال ، أجشَّ الصوت ، إذا التفتَ التفتَ بجميع جسده .

[موته وقبره]

وهذا خطأ من الرواية ، والصحيح أنّه مات في آخر خلافةِ عمر رضي الله عنه ، ودُفن بِرُوذة بين قُمّ والريّ . ومن الناس من يقول إنّه قتل في وقعة نَهاوَند ، وأنّ قبرُه في ظاهرها موضعٌ يعرف بقبديشجان ، وأنّه دُفِن هناك يومئذٍ هو والنعمان بن مقرِّن .

وروي أيضاً من وجهٍ ليس بالموثوق به ، أنّه أدرك خلافةَ عثمان رضي الله عنه ، روى ذلك ابن النطّاح عن مَروان بن ضِرار عن أبي إياسٍ البصريّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جُويريّة الهذَليّ في حديثٍ طويل قال :

رأيت عمرو بن معديكربَ وأنا في مسجدِ الكوفة في خلافة عثمان ، حين وجّهه إلى الريّ ، كأنّه بعيرٌ مهنوء .

وقال ابن الكلبيّ : حدَّثني أسعر ، عن عمرو بن جرير الجُعفيّ قال : سمعت خالد بن قطن

1 القبطية : ثياب رقيقة بيضاء . والجديد : المقطوعة .

يقول : خرج عمرو بن معديكرب في خلافةِ عثمان رضي الله عنه إلى الريّ ودَستبى ، فضربه الفالجُ في طريقه فمات برُوذة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : أخبرني خالد بن خداش قال حدَّثنا حمّاد بن زيد عن مجالد عن الشعبيّ : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فَرَضَ لعمرو بن معديكرب في ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألفٌ ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيمن ، وألف ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيسر ، فما يكون هاهنا ؟ وأومأ إلى وسطه بطنه . فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة .

[مَن يخاف على الظعينة ؟]

قال علي بن محمد : قال أبو اليقظان : قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظعينةٍ وحدي على مياهِ معدٍّ كلِّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها ، ما لم يَلقَني حُرَّاها أو عبداها . فأمّا الحُرّان فعامر بن الطُّفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأمّا العبدان فأسودُ بني عبس ، يعني عنترةَ والسُّليك بن السُّلَكة ، وكلُّهم قد لقيت . فأمّا عامر بن الطُّفيل فسريع الطَّعن على الصوت ، وأمّا عتيبة فأوّل الخيل إذا غارت ، وآخرها إذا آبت . وأمّا عنترة فقليل الكَبوة ، شديدُ الكَلَب[1] . وأمّا السُّليك فبعيد الغارة ، كالليث الضاري . قالوا : فما تقول في العبّاس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فيّ : [من الطويل]

إذا مات عمرٌو قلتُ للخيل أوطئوا زُبيداً فقد أُودى بنجدتِها عَمرُو

وقام مُغضَباً وعلِم أنَّهم أرادوا توبيخَه بالعبّاس .

قال علي : وقال أبو يقظان : أحسب في اللفظ غَلطاً وأنّه إنّما قال : «هَجينا مُضَر ؛ لأنّ عنترة استرِقّ ، والعبّاس لم يسترقّ قطّ .

[رجل بألف]

أخبرني أبو خليفة قال حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أحمد بن جَناب عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس : أنّ عمر رضي الله عنه كتبَ إلى سعد بن أبي وقّاص : إنّي قد أمددتُك بألفَيْ رجل عمرو بن معديكرب ، وطليحة بن خويلد ، وهو طليحة الأسديّ ، فشاوِرْهما في الحرب ولا تولِّهما شيئاً .

[شجاعة عمرو]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أحمد بن جناب قال حدَّثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : شهدتُ القادسيةَ وكان سعدٌ على الناس ، فجاء

1 الكلب : الغضب والإلحاح في القتال .

رُستم فجعل يمرُّ بنا وعمرو بن معديكرب الزبيديّ يمرُّ على الصفوف يحضُّ الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً أغنى[1] شأنه ، فإنّما الفارسيُّ تيسٌ بعد أن يُلقي نيزَكَه[2] .

قال : وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقُط له نُشَّابة . فقال له : يا أبا ثور ، اتَّق ذاك ! فإنّا لنقولُ له ذلك إذْ رماه رميةً فأصاب فرسَه ، وحمل عليه عمرٌو فاعتنقه ثم ذبَحَه ، وسلبه سوارَيْ ذهبٍ كانا عليه ، وقَباءَ ديباج .

قال أبو زيد[3] : فذكر أبو عبيدة أنّ عمراً حمَلَ يومئذٍ على رجلٍ فقتلَه ثم صاح : يا معشرَ بني زبيد ، دونَكم فإنَّ القوم يموتون !

وقال علي بن محمد المدائنيّ : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّه بنُ نافع ، عن إسماعيلِ عن قيس بن أبي حازم قال : حضر عمرٌو الناسَ وهم يقاتِلون ، فرماه رجلٌ من العجم بنُشّابةٍ فوقعت في كَتفه ، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفُذ ، وحَملَ على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرٌو وسلبهُ ، ورجع بسلبِهِ وهو يقول : [من الرجز]

أنا أبو ثَور وسيفي ذو النُّونْ أضربهُم ضربَ غـلامٍ مجنونْ
يـالَ زُبـيـد إنَّهـم يموتـون

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عمرو بن معديكرب[4] : [من السريع]

صوت

أَلِم بسلمى قبـلَ أن تظَعنا إنَّ لنا مـن حبِّهـا ديدنا
قـد علمتْ سَلمى وجاراتُها مـا قطَّـرَ الفارسَ إلاّ أنا
شككـتُ بـالرمح حيازيمَه والخيـلُ تعـدو زِيَماً بيننا[5]

غنّى فيه الغريضُ ثانِيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصرِ . وفيه رَملٌ بالبنصر يقال إنّه لمعبَد . ويقال إنّه من منحول يحيى المكّيّ .

قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بنِ شبّة : شهِد عمرو بن معديكرب القادسية وهو ابن مائةٍ وستٍّ سنين . وقال بعضهم : بل ابن مائة وعشر . قال : ولّما قَتَلَ العلجَ عبَر نهر

1 أغنى شأنه : كفى نفسه .
2 النيزك : الرمح القصير .
3 أبو زيد : عمر بن شبّة .
4 ديوانه : 176 .
5 زيم : متفرقة .

القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادي ، ومالك بن الحارث الأشتر .

قال : فحدَّثني يونس أنّ عمرو بن معديكرب كان آخرَهم ، وكانت فرسُه ضعيفةً فطلبَ غيرَها ، فأُتِيَ بفرسٍ فأخَذ بعُكْوةِ[1] ذنبه وأخلدَ إلى الأرض ، فأقعى الفَرس فردَّه ، وأُتِيَ بآخرَ ففعل به مثلَ ذلك فتحلحلَ ولم يقعِ فقال : هذا على كلِّ حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحابه : إنِّي حاملٌ وعابِرٌ الجِسر ، فإنْ أسرعتم بمقدار جَزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أُقاتِلُ به تلقاءَ وجهي ، وقد عَفَر بي القومُ وأنا قائمٌ بينهم وقد قتَلتُ وجَرَّدت . وإنْ أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قُتِلتُ وجُرِّدت . ثم انغمَسَ فحملَ في القوم فقال بعضُهم : يا بني زُبيد ، على مَ تدَعون صاحبَكم والله ما نرى أن تُدرِكوه حيّاً . فحملوا فانتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فرسه ، وقد أخذ برِجْلِ فرسِ رَجُلٍ من العجم فأمسَكها ، وإنّ الفارس ليضربُ الفرسَ فما تقدر أن تتحرّك من يده . فلمّا غَشيناه رمى الأعجميُّ بنَفْسِهِ وخلَّى فرسَه ، فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كِدتم والله تفقدونني ! قالوا : أين فرسُك ؟ قال رُمِي بنُشَّابةٍ فشَبَّ فصرعَنِي وعار .

ورَوى هذا الخبر محمد بن عمر الواقديّ عن ابن أبي سَبْرة عن أبي عيسى الخياط . ورواه عليٌّ بن محمد أيضاً عن مُرّة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طَلحة بن مصرِّف . فذكرا مثل هذا .

[مصرع رستم]

قال الواقديّ : وحدَّثني أُسامة بن زيد ، عن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية : ألزِمُوا خراطيمَ الفيلة السُّيوف ، فإنّه ليس لها مقتلٌ إلاّ خراطيمها . ثم شدّ على رُستمَ وهو على الفيل فضربَ فيلَه فجذَمَ عُرقوبيه فسقط ، وحُمل رستم على فرسٍ وسَقَط من تحته خُرجٌ فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون ، وسقط رُستم بعد ذلك عن فرسه فقتله .

قال علي بن محمد المدائنيّ : حدَّثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال : لمّا ضرب عَمرٌو الفيل وسَقَط رستم ، سقط على رستم خُرجٌ كان على ظهر الفيلِ فيه أربعون ألف دينار ، فمات رستمُ من ذلك ، وانهزم المشركون .

وقال الواقديّ : حدَّثني ابن أبي سَبْرة ، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزُّبير قال : حدَّثنا نِيار بن مُكرم الأسلميّ ، قال : شهدت القادسيةَ فرأيتُ يوماً اشتدَّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس ، ورأيت رجلاً يفعل يومئذٍ بالعدوّ أَفاعيل ، يُقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقودَه في حَقْوِه فيقاتل ، فقلت : مَن هذا جزاهُ الله خيراً ؟ قالوا : هذا عمرو بن معديكرب .

1 عكوة الذنب : أصله .

[تحليله الخمر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبي محمد المرهبيّ قال : كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمير ، فسمعته يحدِّث قال : قدِم عيينةُ بن حصنٍ الكوفةَ فأقام بها أيّاماً ثم قال : والله ما لي بأبي ثَور عهدٌ منذُ قدِمنا هذا الغائط ، يعني عمرو بن معديكرب ، أسرِجْ لي يا غلامُ . فأسرج له فرساً أنثى من خَيله ، فلمّا قرَّبها إليه قال له : ويحكَ أرأيتني ركبتُ أنثى في الجاهلية فأركَبها في الإسلام ؟ فأسرجَ له حِصاناً فركبه ، وأقبل إلى مَحَلّة بني زبيد فسأل عن محلّة عمرو فأرشِدَ إليها ، فوقف ببابه ونادى : أي أبا ثور ، اخرجْ إلينا . فخرج إليه مؤتزراً كأنّما كُسِر وجبر ، فقال : انعِمْ صباحاً أبا مالك . فقال : أو ليس قد أبدلَنا الله تعالى بهذا : السَّلامُ عليكم ؟ قال : دَعْنا ممّا لا نعرف ، انزلْ فإنّ عندي كبشاً ساحّاً[1] . فنزل فعمَد إلى الكبش فذَبحه ثم كشط عنه وعَضّاه[2] ، وألقاه في قِدر جِماع[3] ، وطبخَه حتّى إذا أُدرك جاء بجَفْنةٍ عظيمة فثَرد فيها فأكفأ القِدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أيُّ الشراب أحبّ إليك : آللبن أم ما كنّا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حَرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سنّاً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدمُ إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فإنّي قد قرأت ما بين دَفّتي المصحف فوالله ما وجَدتُ لها تحريماً إلاّ أنّه قال : ﴿فهل أنتم منتَهون﴾ فقلنا : لا . فسكتَ وسكتْنا ! فقال له : أنت أكبرُ سِنّاً وأقدم إسلاماً . فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ، ويذكران أيّام الجاهلية ، حتى أمسيا ، فلمّا أراد عيينة الانصراف . قال عمرو : لئن انصرفَ أبو مالك بغيرِ حباءٍ إنّه لوصمةٌ عليَّ . فأمر بناقةٍ له أرحَبيّةٍ[4] كأنّها جَبيرة لُجَين[5] ، فارتحلَها وحمَله عليها ، ثم قال : يا غلامُ هاتِ المِزْود . فجاء بمزودٍ فيه أربعةُ آلافِ درهم ، فوضَعَها بين يديه ، فقال : أمّا المال فوالله لا قَبِلتُه . قال : والله إنّه لَمِن حِباء عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . فلم يَقبلْه عيينة وانصرفَ وهو يقول : [من الطويل]

جُزِيتَ أبـا ثَـورٍ جـزاءَ كرامةٍ ... فنعـم الفتـى المـزدارُ والمتضيَّفُ
قريـتَ فأكرمت القِرى وأفَدتنا ... نَخِيلَةَ عِلـم لم يكن قـطُّ يعرفُ

1 الساح : السمين جدّاً .
2 عضاه : قطّعه أجزاء .
3 القدر الجماع : العظيمة .
4 أرحب : قبيلة من بني رحب أو فحل أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .
5 جبيرة لجين : أسورة من الفضة .

وقلــت : حَلالٌ أن تُديـرَ مُدامةً كلونِ انعقاق البرقِ والليلُ مسدِفُ
وقدّمـــتَ فيهــا حُجَّــةً عربيــة تَردُّ إلى الإنصاف مَن ليس ينصِفُ
وأنت لنا واللهِ ذي العرش قُدوةٌ إذا صَدَّنــا عن شربهــا المتكلِّفُ
نَقــول : أبو ثــورٍ أحــلَّ حرامَها وقــولُ أَبــي ثــور أسدُّ وأَعرفُ

[غداؤه عند عمر]

وقال علي بن محمد : حدَّثني عبد الله بن محمد الثقفيّ عن أَبيه ، والهذليّ عن الشَّعبيّ قال : جاءت زيادةٌ من عندِ عمر بعد القادسية فقال عَمرو بن معديكرب لطُليحة : أَما تَرى أنّ هذه الزعانفَ تُزاد ولا نزاد ، انطلقْ بنا إلى هذا الرجل حتّى نكلّمه . فقال : هيهاتَ ، كلا والله لا ألقاه في هذا المعنى أبداً ، فلقد لقيَني في بعض فجاج مكّة فقال : يا طليحة ، أَقَتَلتَ عكاشة ؟! فتوعَّدَني وعيداً ظننتُ أنَّه قاتلي ، ولا آمنه . قال عمرو : لكنّي أَلقاه . قال : أنتَ وذاك . فخرج إلى المدينة فقدِم على عُمر رَضِي الله عنه وهو يغدِّي الناس وقد جَفَّن لعَشرةٍ عشرة ، فأقعده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونَهَضوا ، ولم يَقُم عمرو ، فأقعد معه تكملةَ عشرةٍ فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو ، فأقعده مع عشرة حتّى أكل مع ثلاثين ثم قام . فقال : يا أمير المؤمنين إنّه كانت لي مآكلُ في الجاهلية منعني منها الإسلام ، وقد صررتُ في بطني صرّتين وتركت بينهما هواءً فسُدَّه . قال : عليك حجارةً من حجارةِ الحَرّة فسُدّه به يا عمرو ، إنّه بلَغني أنّك تقول إنّ لي سيفاً يقال له الصمصامة ، وعندي سيفٌ أسمِّيهِ المصمِّم ، وإنّي إنْ وضعتُه بين أُذُنيك لم أرْفعه حتّى يخالطَ أضراسك .

[من الذي أذرى عمراً عن فرسه]

وذكر ابن الكلبيّ ومحمد بن كناسة أنّ جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب ، لقِيَ عَمرو بن معديكرب وهو يسوقُ ظُعناً له . فقال عمرو لأصحابه : قِفُوا حتّى آتيَكم بهذه الظعن . فقرَّبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال : خلِّ سبيلَ الظُّعن . قال : فلِمَ إذاً ولَدْتني ؟ ثم شدَّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسِهِ وأخذَ فرسَه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كأنّي رأيت منيَّتي في سنانه .

وبنو كنانة يذكُرون أنَّ ربيعةَ بن مكدِّم الفِراسيّ ، طعن عمرو بن معديكرب فأذراه عن فَرسه وأَخذ فرسَه . وأنّه لقيه مرّةً أُخرى فضربه فوقعت الضربةُ في قَرَبوس السَّرج فقطعه حتّى عضّ السيفُ بكائبة[1] الفرس فسالمه عمرٌو وانصرف .

---

1 كائبة الفرس : مجتمع كتفيه ؟

[صفة بني مجاشع]

قال المدائنيّ : حدَّثني مسلمةُ بن محارب ، عن داود بن أبي هند قال : حمل عمرو بن معديكرب حَمالة ، فأتى مجاشعَ بن مسعود يسأله فيها .

وقال خالد بن خداش : حدَّثني أبو عَوانة عن حُصين بن عبد الرحمن قال : بلغني أنَّ عَمراً أتى مجاشعَ بن مسعود فقال له : أسألكَ حُملانَ مِثلي ، وسلاحَ مثلي . قال : إنْ شئتَ أعطيتُك ذاك من مالي . ثم أعطاه حُكْمه . وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم ، وفرسٍ جَواد عتيق ، وسيف صارم ، وجارية نفيسة . فمرَّ ببني حنظلةَ فقالوا له : يا أبا ثَور ، كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : لله بنو مجاشع ما أشدَّ في الحرب لقاءها ، وأجزلَ في اللَّزْبات[1] عطاءها ، وأحسن في المكرُمات ثناءها ، لقد قاتلتُها فما أقللتُها[2] ، وسألتُها فما أبخلتُها ، وهاجيتُها فما أفحمتها !!

[ما بقي من قوّته]

وقال أبو المِنهالُ عُيينة بن المنهال : سمعت أبي يحدّث قال : جاء رجلٌ وعمرو بن معديكرب واقفٌ بالكُناسة[3] على فرسٍ له ، فقال : لأنظرنَّ ما بَقِيَ من قُوّة أبي ثور . فأدخل يدَه بين ساقيه وبين السَّرج ، وفطِن عمرٌو فضمَّها عليه وحرّك فرسَه ، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يدَه ، حتّى إذا بَلَغ منه قال : يا ابن أخي ، ما لَكَ ؟ قال : يدي تحتَ ساقِكَ ! فخلَّ عنه ، وقال : يا ابنَ أخي ، إنّ في عمّك لَبقيّة ! .

[كذب عمرو]

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلّه مشهوراً بالكذب : أُخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ المبرّد ولم يتجاوزه . وذكر ابن النطّاح هذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سلام ، وخبر المبرّد أتمُّ قال : كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهِرها يتناشدون الأشعار ، ويتحدّثون ويتذاكرون أيّامَ الناس . فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّقعب النهديّ ، فأقبلَ عليه يحدِّثه ويقول : أغَرتُ على بني نهدٍ فخرجوا إليَّ مسترعِفين[4] بخالد بن الصَّقعب يقْدُمهم ، فطعنتُه طعنةً فوقع ، وضربتُه بالصمصمامة حتّى فاضت نفسه ! فقال له الرجل : يا أبا ثور إنّ مقتولك الذي تحدِّثه . فقال : اللهمّ غَفراً إنّما أَنتَ محدَّثٌ فاسمع ، إنّما نتحدَّث بمثل هذا وأشباهه لنُرهِب هذه المعدِّيّة .

---

1 اللزبات : الشدّة والقحط .

2 ما أقللتها : لم أجدها قليلة .

3 الكناسة : محلّة بالكوفة .

4 الاسترعاف : السبق والتقدّم .

قال محمد بن سلام : وقال يونس : أَبَتْ العربُ إلاّ أنّ عمراً كان يكذب . قال : وقلتُ لخلفٍ الأحمر وكان مولى الأشعريين ، وكان يتعصَّب لليمانية : أكان عمرٌو يَكذب ؟ قال : كان يكذب باللِّسان ، ويصدُق بالفعال .

[تقارضه الثناء مع سعد]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة : أنّ سعداً كَتَب إلى عُمَر رضي الله عنه يثني على عمرو بن معديكرب ، فسأله عمرُ عن سعد فقال : «هو لنا كالأب أعرابيٌّ في نَمْرته[1] ، أسدٌ في تامورته[2] ، يَقسِم بالسويّة ، ويَعدِل في القضيّة ، ويَنفِر في السرِيّة ، وينقُل إلينا حقّنا كما تنقُل الذرة» فقال عمر رضوان الله عليه : لَشدَّ ما تقارضتُما الثناء[3] .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقديّ عن بُكير بن مِسمار عن زيادٍ مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول ، وبلغَه أنَّ عمرو بن معديكرب وقَع في الخمر ، وأنّه قد دُلِّهَ . فقال : لقد كان له موطنٌ يوم القادسية ، عظيم الغَناء ، شديد النِّكاية للعدوّ . فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذلُ لنفسه من قَيس ، وإنّ قيساً لَشُجاع .

[وفاته]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمّر بن شبّة وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة . ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبيّ خاصة : حدَّثني أسعر بن عمرو بن جرير ، عن خالد بن قَطَن قال : حدَّثني من شهد موتَ عمرو بن معديكرب ، والرواية قريبة ، وحكايتا عُمَر بن شبّة وابنِ قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها ، قالا : كانت مَغازِي العرب إذ ذاك الريّ ودستَبى ، فخرج عمرٌو مع شباب من مَذحِج حتّى نزل الخان الذي دُون روذَة ، فتغدَّى القومُ ثم ناموا ، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته . وكان عمرٌو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحدٌ أن يدعوَه وإن أبطأ ، فقام الناسُ للرحيل وترحَّلوا إلاّ مَن كان في الخان الذي فيه عمرو ، فلمّا أبطأ صِحْنا به : يا أَبا ثور . فلم يُجبنا وسمعنا عَلَزاً شديداً[4] ، ومِراساً في الموضع الذي دخلَه ، وقَصَدناه فإذا به محمرةٌ عيناه ، مائلاً شِدقُه مفلوجاً ، فحملناه على فرسٍ وأَمَرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفَه ليعدِلَ ميله ، فمات بِرُوذة ودُفِن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه : [من الطويل]

---

1 النمرة : الشملة فيها خطوط بِيض وسُود .

2 التامورة : عرين الأسد .

3 ل : الشهادة .

4 العلز : الكرب والقلق عند الموت .

لقد غـادَرَ الركبُ الذين تحمَّلُوا بُرُوذَة شخصاً لا ضعيفا ولا غُمْرا
فقـل لزُبيـدٍ بـل لمذحِـجَ كلِّها فَقدتـم أَبا ثـورٍ سِنانَكم عَمْرا
فإن تجزعوا لا يُغـنِ ذلك عنكمُ ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقِبكُم صبرا

[ريحانة التي ذكرها في شعره]

والأبيات العينية التي فيها الغناء ، وبها افتُتِحَ ذكرُ عمرو ، يقولها في أخته ريحانة بنت معديكرب لمّا سباها الصِّمة بن بكر ، وكان أغار على بني زُبيد في قيس فاستاقَ أموالَهم وسَبى رَيحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجع عبد الله واتّبعه عمرو .

فأَخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أنّ عمراً اتّبعه يناشِدُه أن يخلِّيَ عنها ، فلم يفعل ، فلمّا يئس منها ولَّى وهي تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدِرْ على انتزاعها ، وقال : [من الوافر]

أَمِنْ ريحانَـةَ الدَّاعي السَّميعُ يؤرِّقنـي وأَصحابـي هُجوعُ
سَباها الصِّمَّةُ الجشميُّ غَصْباً كأنّ بيـاضَ غرَّتهـا صَدِيعُ[1]
وحالت دونَهـا فُرسانُ قيسٍ تكشَّفُ عن سواعدها الدُّروعُ
إذا لم تستطِع شيئاً فدعْـهُ وجـاوِزْه إلى مـا تستطيعُ

وزاد الناس في هذا الشعر وغنّي فيه : [من الوافر]

وكيف أحبُّ مَن لا أَستطيع ومن هـو للذي أَهوى مَنوعُ
ومَن قد لامَني فيـه صديقي وأَهـلي ثـمَّ كُلاًّ لا أُطيعُ
ومَن لـو أَظهرَ البغضاءَ نحوي أَتاني قابضُ المـوتِ السريعُ
فِدًى لهمُ معـاً عمِّي وخالي وشَرخ شبابِهِـم إن لَم يُطيعوا

وقد أُخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي : وأمّا قصّة ريحانة فإن عمرو بن معديكرب تزوَّجَ امرأةً من مُراد ، وذهب مُغيراً قبل أن يدخُل بها ، فلمّا قدِم أُخبِر أنّه قد ظهر بها وضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأنّ الذي قيل فيها باطلٌ ، فأخذ يشبِّب بها ، فقال قصيدتَه وهي طويلة : [من الوافر]

أَمِن ريحانةَ الدّاعي السميعُ يؤرِّقني وأَصحابـي هجوعُ

1 الصديع : الفجر .

[توليه رئاسة بني زبيد]

وكان عبد الله بن معديكرب ، أخو عمرو ، رئيسَ بني زبيد ، فجلس مع بني مازن في شَرب منهم . فتغنّى عنده حبشيٌّ عبدٌ للمخزّم ، أحد بني مازن ، في امرأةٍ من بني زُبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال له : أمَا كفاكَ أن تشربَ معنا حتى تشبب بالنساء ؟ فنادى الحبشيُّ : يا آل بني مازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتَلوه ، وكان الحبشيُّ عبداً للمخزم ، فرئِسَ عمرٌو مكانَ أُخيه ، وكان عمرٌو غزا هو وأُبيٌّ المراديّ فأصابوا غنائم ، فادّعى أُبيٌّ أنّه قد كان مسانِداً ، فأبى عمرٌ أن يعطيَه شيئاً ، وكَرِه أبيٌّ أن يكون بينهما شَرّ ، لحداثةِ قتل أبيه ، فأمسَكَ عنه . وبلغ عمراً أنّه توعّده ، فقال عمرو في ذلك قصيدةً له أوّلها[1] : [من الوافر]

صوت

أعاذلَ شِكّتي بدَني ورُمحِي ... وكلُّ مقلِّص سَلِس القِيادِ[2]
أعاذل إنّما أفنى شبابي ... وأقْرحَ عاتقي ثِقَل النِّجادِ
تَمنَّاني ليلقاني أبيٌّ ... ودِدتُ وأينَما منِّي ودادي[3]
ولو لاقيتَني ومعي سِلاحي ... تكشَّف شحمُ قلبك عن سوادِ
أُريد حِباءَه ويريدُ قتلي ... عذيرَكَ مِن خليلكَ من مرادِ[4]

وتمام هذه الأبيات : [من الوافر]

تمنّاني وسابغتي دِلاصٌ ... كأنَّ قتيرَها حدَقُ الجرادِ[5]
وسيفي كان من عهدِ ابن صدٍّ ... تخيَّره الفتى من قَوم عادِ
ورمحي العنبريُّ تخال فيه ... سِناناً مثلَ مِقباس الزِّنادِ
وعِجلِزة يزلُّ اللِّبْدُ عنها ... أَمَرَّ سَراتَها حَلقُ الجيادِ[6]
إذا ضُرِبَتْ سمعتَ لها أزيزاً ... كوقع القَطْرِ في الأدمِ الجِلادِ
إذاً لوجدتَ خالكَ غيرَ نِكسٍ ... ولا متعلّماً قتلَ الوحادِ[7]

---

1 ديوانه : 60-65 مع بعض اختلاف .
2 البدن : الدرع . والمقلص : الفرس .
3 أُبي في الديوان : قيس .
4 الديوان : أريد حياته .
5 القتير : رؤوس مسامير الدرع . وحدق الجراد : عيون الجراد .
6 العجلزة : الفرس الشديدة .
7 هذا يجعل المخاطب ابن أخته قيس بن مكشوح المرادي .

يقلّب للأمور شَرنبثاتٍ   بأظفارٍ مَغارِزُها حدادِ[1]

لابن سُريج في الأوّل والثاني ثاني ثقيل بالبنصر ، ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفي الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهذليّ من رواية يونس .

وهذا البيت الخامس كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلجَم تمثّل به .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا حَيَّان بن بشر قال حدَّثنا جرير عن حمزة الزيّات قال : كان عليٌّ عليه السلام إذا أعطى الناس فنظر إلى ابنِ مُلجَم قال : [من الوافر]

أريد حِباءه ويريدُ قتلي   عَذيرَكَ من خليلك من مرادِ

حدَّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس ، ومحمد بن خلفٍ وكيع قالا : حدَّثنا أحمد بن منصور الرماديّ قال : حدَّثنا عبد الرزّاق قال : أخبرنا مَعمر ، عن أيّوب ، عن ابن سيرين ، عن عَبِيدة السَّلْمانيّ قال : كان عليٌّ بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابنَ ملجَم قال : [من الوافر]

أريد حِباءه ويريد قتلي   عذيرَكَ من خليلكِ من مُرادِ

حدَّثني محمد بن الحسن الأُشناني قال : حدَّثنا عليّ بن المنذر الطَّريفيّ قال : حدَّثنا محمد بن فُضَيل قال : حدَّثنا قطن بن خليفة عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، والأصبغ بن نباتة قال : قال علي عليه السلام : ما يحبس أشقاها ؟ والذي نفسي بيده لتُخضبنَّ هذه من هذا .

قال أبو الطُّفيل : وجمع عليٌّ الناس للبَيعة فجاء عبد الرحمن بن مُلجَم المراديّ ، فردّه مرّتين أو ثلاثاً ثم بايعه ، ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذي نفسي بيده لتُخضبَنَّ هذه من هذا . ثم تمثّل بهذين البيتين : [من مجزوء الوافر]

اشددْ حيازيمَكَ للموتِ   فإنَّ الموتَ يأتيكَ[2]
ولا تجزعْ من القتلِ   إذا حلَّ بواديكَ

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

[أخته تعيّره بقبوله الدية]

قال : وجاءت بنو مازنٍ إلى عمرو فقالوا : إنّ أخاك قتَلَه رجلٌ منّا سفيه وهو سكرانُ ، ونحن يدُك وعَضُدك ، فنسألك الرحِمَ وإلاّ أخذت الديةَ ما أحببت ! فهمَّ عمرو

1 الشرنبث : الغليظ الكفّين .
2 يأتيك في ل : لاقيك .

بذلك . وقال[1] :

إحدى يـديَّ أصابتني ولم ترد

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كَبْشة ، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب ، فغضِبت ، فلمّا وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تعيِّر عمراً : [من الطويل]

أأرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه ... إلى قومـه لا تَعقِلوا لهـمُ دمِي
ولا تأخذوا مِنهـم إفالاً وأبكُراً ... وأُتـركَ في بيتٍ بصَعدةَ مظلمِ[2]
ودَعْ عنك عَمراً إنّ عمراً مسالمٌ ... وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمطعمِ
فـإن أنتـمُ لم تقبلوا واتَّديتُمُ ... فمشُّوا بـآذان النَّعـامِ المصلَّمِ[3]
أيقتُـلُ عبدَ الله سيِّدَ قومِـهِ ... بنو مازن أن سُبَّ راعِي المخزَّمِ

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها[4] : [من المتقارب]

صوت

أرِقتُ وأُمسيتُ لا أرقُدُ ... وساوَرَني الموجعُ الأسودُ
وبتُّ لذِكرى بني مازنٍ ... كأنّـيَ مرتفِقٌ أرمـدُ[5]

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، نسبه يحيى المكّيّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول .

ثم أكبَّ على بني مازنٍ وهم غارُّونَ[6] فقتلهم ، وقال في ذلك شعراً : [من الوافر]

خُـذُوا حُقُقـاً مخطَّمة صفايا ... وكَيدِي يـا مخزَّم أن أكيدا[7]
قتلتـمْ سادتــي وتركتمـوني ... عـلى أكتافكـم عبئـاً جديدا
فمن يأبى مــن الأقوام نصراً ... ويتركنـا فإنّـــا لـن نريدا

1 هذا عجز بيت في الحماسة قاله أعرابيّ قتل أخوه ابنه :

أقـول للنفس تأساء وتعزيـة ... إحـدى يـدي أصابتني ولم تردِ
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

2 الأفال : صغار الإبل . وفي ذكر الأفال والأبكر تصغير لشأن الدية . وصعدة : مدينة باليمن .

3 الآذان المصلمة : المقطوعة .

4 ديوانه : 89—90 .

5 مرتفق : مستند على مرفقه .

6 غارون : أي وهم في غارة .

7 الحقق : الإبل التي أتمّت سنتها الثالثة ودخلت في الرابعة .

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الديّة لمّا آذنهم بحرب ، فأبى عمرو ، وكانت بنو مازن من أعداء ، مذحج . وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأُمِّها دون عمرو ، وكان عمرو قد هَمَّ بالكفّ عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم ، فركبت كبشةُ في نساءٍ من قومها ورثت أخاها عبد الله وتركت عمراً أخاها وعيَّرته فأحمته . فأكبّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلمّا أكثر فيهم القتلَ تفرَّقوا ، فلحقت بنو مازنٍ بصاحبهم بتميم ، ولحقت ناشرة ببني أسد ، وهم رهطُ الصقعب بن الصحصح ، ولحقت فالج بسليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن صعب بن سعد العشيرة ، وأمُّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . فقال كابية بن حرقوص بن مازن : [من مجزوء الكامل]

يـا ليلتي مـا ليلتي بالبلدةِ رُدّتْ عليَّ نجومُهـا فارتدتِ
مَن كان أسرعَ في تفرُّق فالج فلبُونه جربِـتْ معـاً وأغدّتِ
هَـلاّ كناشرة الذي ضيّعتُمُ كالغصن في غلوائـه المتنبتِ

وقال عمرو في ذلك[1] : [من الوافر]

تمنَّت مـازِنٌ جهلاً خِلاطي فذاقتْ مـازن طَعم الخِلاطِ
أطَلْـتُ فِراطَكم عامـاً فعاماً وديـن المَذحِجيِّ إلى فِراطِ[2]
أُطلتُ فراطكـم حتَّى إذا ما قتلتُ سراتكم كانـت قَطاطِ[3]
غدرتمْ غدرة وغدرتُ أُخرى فمـا إنْ بيننا أبـداً يَعاطِ[4]

أُخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي قال المدائنيّ : حدَّثني رجلٌ من قريش قال : كنّا عند فلانٍ القرشيّ فجاءه رجلٌ بجاريةٍ فغنّته : [من السريع]

بالله يا ظبـي بنـي الحارث هل مَن وفى بالعهدِ كالناكثِ

وغنّته أيضاً بغناء ابن سُريج : [من المنسرح]

يـا طـولَ ليلي وبتُّ لَم أنِم وساديَ الهـمُّ مُبطَنٌ سَقَمي

فأعجبته واستام مولاها ، فاشتطَّ عليه فأبى شراءها ، وأُعجبت الجارية بالفتى ، فلمّا امتنع مولاها من البيع إلاّ بشططٍ قال القرشيّ : فلا حاجة لنا في جاريتك . فلمّا قامت الجارية

---

1 ديوانه : 127 .
2 أطلت فراطكم : أمهلتكم طويلاً .
3 قطاط : حسبي .
4 يعاط : كلمة للإنذار .

للانصراف، رفعَتْ صوتها تغنّي وتقول : [من الوافر]

إذا لم تستطـعْ شيئاً فدعْه وجـاوزْه إلى مـا تستطيعُ

قال : فقال الفتى القرشيّ : أفأنا لا أستطيع شراءكِ ، والله لأشترينَّك بما بلغت . قالت الجارية : فذاكَ أردتُ . قال القرشيُّ : إذا لا أخيّبك . وابتاعها من ساعتِهِ . والله أعلم .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من السريع]

بالله يـا ظَبيَ بنـي الحارثِ هل مَن وفى بالعهدِ كالناكِثِ
لا تخدَعَنّـي بالمنى باطـلاً وأنـت بِـي تلعبُ كالعابثِ

عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالبِنصِر ، وفيه لسِياطٍ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ، وفيه لإبراهيم الموصليٍّ لحنٌ من رواية بَذْل . ومنها : [من المنسرح]

صوت

يـا طـولَ ليلي وبتُّ لـم أَنَم وِسادِيَ الهـمُّ مبْطَـنٌ سَقَمِـي
إذْ قمتُ ليـلاً على البلاطِ فأبـ ـصرتُ ربيبـاً فليـتَ لَـم أَقُمِ
فقلـتُ عُوجِـي تُخبِّري خَبراً وأنـتِ منـه كصاحـب الحُلُمِ
قالتْ بل اخشى العيونَ إذْ حضرت حَولِـي وقلبـي مُباشِرُ الألَمِ

عروضه من المنسرح . والشعر والغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[مناظرة في حضرة المأمون]

وذكر محمد بن الفضل الهاشميّ قال حدَّثنا أبي قال[1] : كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمناظرةَ في مجلسه ، فناظَرَ بين يديه محمّدُ بن العبّاس الصوليُّ عليَّ بنَ الهيثم جُونَقاً في الإمامة ، فتقلّدهـا أحدُهما ودفَعها الآخر ، فلجَّت المناظَرةُ بينهما إلى أن نبَّط محمدٌ علياً فقال له عليّ : إنّما تكلّمتَ بلسان غيرك ، ولو كنتَ في غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر ممّا قلت ! فغضِب المأمونُ وأنكر على محمدٍ ما قاله وما كان منه من سُوء الأدَب بحضرته ، ونَهَض عن فَرشِهِ ونهض

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر بكامله (9 : 172–176) .

الجلساءِ فخرجوا . وأراد محمدٌ الانصرافَ فمنعه علي بن صالح صاحبُ المصلّى ، وهو إذْ ذاك يحجُب المأمون ، وقال : أفعلتَ ما فعلتَ بحضرة أمير المؤمنين ونَهَضَ على الحال التي رأيتَ ، ثم تنصرفُ بغير إذن ، اجلسْ حتّى نعرفَ رأيه فيك . وأمر بأن يَجلِس .

قال : ومكث المأمونُ ساعةً فجلسَ على سريره ، وأَمَر بالجلَساء فرُدُّوا إليه . فدخل إليه عليٌّ بن صالح فعرّفه ما كان من قَول محمد في الانصراف ، وما كانَ مِن مَنْعه إيّاه . فقال : دَعْه ينصرف إلى لعنةِ الله . فانصرف . وقال المأمون لجلسائه : أتدرونَ لِمَ دخَلتُ إلى النساء في هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : إنّه لمّا كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمَنْ فلتاتِ الغضَب ، وله بنا حُرمة ، فدخلتُ إلى النساء فعابَثْتُهُنّ حتّى سكن غضبي .

قال : وما مضى محمدٌ عن وجهه إلاّ إلى طاهر ، فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبَه جُرْمه ، فقال طاهر : ليس هذا من أُوقاتي ، وقد كتب إليّ خليفتي في الدّار أنّه قد دعا بالجلساء . فقال : أكرهُ أن أبيتَ ليلةً وأميرُ المؤمنين عليّ ساخط . فلم يَزَلْ بِهِ حتّى ركب طاهرٌ معه ، فأَذِن له فدخل ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون . فلمّا بَصُرَ المأمون بطاهر أخَذَ منديلاً فمسح به عينَيْه مرَّتين أو ثلاثاً ، إلى أنْ وصل إليه وحرَّك شفتَيه بشيءٍ أنكره طاهر ، ثم دنا فسلَّم ، فردّ السلامَ وأَمَرَه بالجلوس فجلسَ في موضعه . فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرّفه الخبرَ واستوهبه ذنبَ محمد ، فوهبه له وانصرف ؛ وعرَّف محمداً ذلك . ثم دعا بهارون بن خنعويه ، وكان شيخاً خراسانيّـاً داهيـةً ثقةً عنده ، فذكر له فعلَ المأمون وقال له : القَ كاتب مُجيرٍ والطُفْ له ، واضمنْ له عَشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون . ففعل ذلك ولطَف له ، فعرّفه أنّه لمّا رأى طاهراً دمَعت عيناه وترحَّم على محمدٍ الأمين ، ومسح دمعَه بالمنديل . فلمّا عرَف ذلك طاهرٌ ركِب من وقته إلى أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحول ، وكان طاهرٌ لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلُّهم يَركب إليـه ، فقـال له : جئتكَ لتولِّينيَ خراسان وتحتالَ لِي فيها . وكان أحمد يتولّى فضَّ الخرائط بين يدَيّ المأمون ، وغسّان بن عَبّاد يتولّى إذْ ذاك خراسان ، فقال له أحمد : هلاّ أَقمتَ بمنزلك وبعثت إليَّ حتّى أصيرَ إليك ولا يُشهَر الخبرُ فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحدٍ من أصحابه ، وسيبلُغه هذا فينكره ، فانصرِف وأغضِ عن هذا الأمر وأمهِلْني مدّةً حتّى أحتال لك . ولبث مدّةً ، وزوّر ابن أبي خالد كتاباً عن غسّان بن عباد إلى المأمون ، يذكر فيه أنّه عليل وأنّه لا يأمن على نفسه ، ويسأل أن يستخلف غيرَه على خراسان ، وجعلَه في خريطةٍ وفَضَّها بين يدي المأمون ، في خَرائط وردَتْ عليه . فلمّا قرأ على المأمون الكتابَ اغتمَّ بِهِ وقال له : ما ترى ؟ فقال : لعلَّ هذه عِلّةٌ عارضة تزول ، وسَيَرِدُ بعد هذا غيره فيرى حينئذٍ أمير المؤمنين رأيَه . ثم أمسَكَ أيّاماً وكتب كتاباً آخرَ ودسَّه في الخرائط ، يذكُر

فيه أنّه تناهى في العِلّة إلى ما لا يرجو معه نفْسَه . فلمّا قرأه المأمونُ قلِق وقال : يا أحمد ، إنّه لا مَدفعَ لأمر خراسان فما ترى ؟ فقال : هذا رأيي[1] إن أشرت فيه بما أرى فلم أصِب لم أستقبله ، وأمير المؤمنين أعلَمُ بخدَمِه ومن يصلحُ بخراسان منهم . قال : فجعلَ المأمونُ يسمّي رجالاً ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم ، إلى أن قال : فما ترى في الأعور ؟ قال : إن كان عندَ أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده . فدعا به المأمون فعقَد له على خراسان ، وأمره أن يُعسكر ، فعسكرِ بباب خراسان . ثم تعقَّب الرأيَ فعلِم أنّه قد أخطأ ، فتوقَّف عن إمضائِهِ وخشِي أن يُوحِش طاهراً بنقْضه ، فمضى شهرٌ تامٌّ وطاهر مقيم بمعسكره . ثم إنّ المأمون في السَّحر من ليلة أحدٍ وثلاثين يوماً من عَقْدِهِ له ، عقد اللواءَ لطاهرٍ ظاهراً ، وأمر بإحضار مُخارقٍ المغنّي ، فأُحضِر وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر ، فقال : يا مخارق ، أتغنّي : [من الوافر]

إذا لم تستطِــع شيئاً فدعْــهُ ... وجــاوزْهُ إلى مــــا تستطيعُ
وكيف تريدُ أن تُدعى حكيماً ... وأنــتَ لكلِّ ما تهوى تَبوعُ

قال : نعم . قال : هاته . فغنّاه فقال : ما صنعتَ شيئاً ، فهل تعرفُ مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله ؟ قال : نعم ، علويه الأعسر . فأمر بإحضاره فكأنَّـه كان وراء السِّتر ، فأمره أن يغنّيَه ، فغنّاه واحتفلَ فقال : ما صنعتَ شيئاً أتعرف مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله ؟ قال : نعم عَمرو بن بانة شيخُنا . فأمر بإحضارِهِ فدَخَلَ في مقدار دُخول علويه ، فأمر بأن يغنّيه الصوتَ ، فغنّاه فأحسن فقال : أَحسنتَ ما شئت ، هكذا ينبغي أن يُقال ، ثم قال : يا غلام اسقِني رِطلاً واسقِ صاحبيهِ رِطلاً رطلاً . ثم دعا له بعشرة آلافِ درهم ، وخِلعةِ ثلاثة أثواب ، ثم أمره بإعادته ، فأعاده فردّ القولَ الذي قاله ، وأمر له بمثلِ ما أمر ، حتّى فعل ذلك عشراً ، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً . ودخَلَ المؤذّنون فأذَّنوه بالظهر ، فعقد إصبعَه الوسطى بإبهامِهِ وقال : «برقٌ يَمانٍ ، برقٌ يمانٍ» . وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرفَ مَن بحضرته من الجلساء . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، قد أنعمتَ عليَّ وأحسنتَ إليّ ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي في مقاسمة أخويَّ ما وصل إليَّ فقد حَضَراه ؟ فقال : ما أُحسنَ ما استَمحْتَ لهما ، بل نُعطيهما نحنُ ولا نُلحقهما بك . وأمَرَ لكلِّ واحدٍ بمثلِ نصف جائزة عمرو ، وبَكَر إلى طاهر فرحَّله ، فلمّا ثنى عِنانَ دابتِهِ منصرفاً دنا منه حُميدٌ الطوسيُّ فقال : اطرح على ذَنَبه تراباً . فقال : اخسَأْ يا كلب ! ونَفذ طاهرٌ لوجهه . وقدِم غسّان بن عبّاد فسأله عن علّته وسببها ، فحلف له أنّه لم يكن عليلاً ، ولا كتَبَ بشيء في هذا . فعلِم المأمون أنَّ طاهراً احتال عليه بابن

1 ل : أمر .

أبي خالد ، وأمسكَ على ذلك . فلمّا كان بعد مدّةٍ من مقدمِ طاهرٍ إلى خراسان قَطَعَ الدّعاءَ للمأمون على المِنبرِ يوم الجمعة ، فقال له عونُ بن مجاشعٍ بن مَسعدة صاحب البريد : لم تَدْعُ في هذه الجمعة لأمير المؤمنين ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتبْ به . وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية ، وقال لعون : لا تكتب به ، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له عون : إنّ كتب التجّارِ لا تنقطع من بغداد ، وإن اتَّصَلَ هذا الخبر بأمير المؤمنين مِن غيرنا لم آمَنْ أن يكون سببَ زوالِ نعمتي . فقال : اكتبْ بِما أحببت . فكتب إلى المأمون بالخبر ، فلمّا وصل كتابُه دعا بأحمدَ بن أبي خالد وقال : إنّه لم يذهب عليَّ احتيالك عليّ في أمر طاهر ، وتمويهُك له ، وأنا أُعطي اللّهَ عهداً لئن لم تَشخصْ حتّى تُوافيني بهِ كما أخرجتَه من قَبْضَتي وتُصلِحْ ما أفسدته عليَّ من أمر مُلكي لأبِيدَنَّ غَضْراءك[1] ! فشخَص أحمدُ وجعل يتلوَّم[2] في الطريق ، ويقول لأصحاب البُرُد : اكتبوا بخبر علّةٍ أجدُها . فلمّا وصل الريَّ لقيته الأخبارُ ووافاه رسلُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر . فأغذَّ السّير حتّى قدِم خراسانَ ، فلقيه طلحةُ على حَدِّ غَفلة فقال له أحمد : لا تكلِّمْني ولا تُرِني وجهَك فإنّ أباك عرَّضني للعطَبِ وزوال النعمة ، مع احتيالي له وسعيي كان في محبّته . فقال له : أبي قد مضى لسبيله ولو أدركتَه لما خَرَجَ عن طاعتك ، وأمّا أنا فأحلف لك بكلِّ ما تسكن به نفسُك وأبذل كلَّ ما عندي من مال وغيرِهِ ، فاضمنْ له عنّي حسنَ الطّاعة ، وضبط الناحية ، والإخلاصَ في النصيحة . فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون ، وأشار بتقليده ، فأنفذ المأمونُ إليه اللواءَ والخلعَ والعهد ، وانصرفَ أحمد إلى مدينة السّلام .

[ابن هرمة والقرشيّ]

أخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : مدح ابنُ هَرْمةَ رجلاً من قريش فلم يثُبه ، فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تفعل ، فإنّه شاعرٌ مفوَّه . فلم يقبلْ منه ، فقال فيه ابن هَرْمة : [من الوافر]

فهلاَّ إذْ عجزتَ عن المعالي ... وعمّا يفعل الرجلُ القريعُ[3]
أخذتَ برأي عمرٍو حين ذَكّى ... وشُبَّ لناره الشرفُ الرفيعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

---

1 الغضراء : النعمة وسعة العيش .

2 يتلوم : يتلبث .

3 القريع : السيد والرئيس .

[مما قاله في أخته ريحانة مما يتغنى به]

وممّا قاله عمرو بن معديكرب في ريحانة أخته ، وغُنِّيَ فيه ، قوله[1] : [من البسيط]

هاج لكَ الشوقُ من ريحانةَ الطربا إذْ فارقتكَ وأمست دارها غُرُبا[2]
ما زلتُ أُحبِس يومَ البينِ راحلتي حتّى استمرّوا وأذرتْ دَمعَها سَرَبا
حتّى ترفَّعَ بالحُزّان يركُضها مثلَ المهاةِ مَرَتْه الريحُ فاضطربا[3]
والغانياتُ يقتّلنّ الرجال إذا ضَرَّجن بالزعفرانِ الرِّيطَ والنّقَبا[4]
من كلِّ آنسةٍ لم يَغذُها عُدُمٌ ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صَخَبا
إنّ الغوانِيَ قد أُهلكنني وأرى حِبالهنَّ ضعيفات القُوى كُذُبا

غنَّى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيلٍ من رواية حمّاد ، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً .

وقال الأصمعيّ : هذا الشعر لسهلِ بن الحنظليّة الغَنَوِيّ ثم الضُّبينيّ ثم الجابريّ ، وهو جابر بن ضبينة .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وسَهل بن الحنظلية أحدُ أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى عنه حديثاً كثيراً .

فذكر الأصمعيُّ أنّ السببَ في قولِهِ هذا الشعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العربِ بعُكاظ ، منهم قُرّة بن هُبيرة القشَيريّ ، في سنينَ تتابَعَتْ على النّاس ، فتواعَدُوا وتواقفوا أن لا يتغاوروا حتّى يُخصِب النّاس ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهبٍ الباهليّ ثم الوائليّ فليشهدْ أمرنا ، ولنُدخلْه معنا . فأتاهم فأعلموه ما صنعوه ، قال : فما يأكل قومي إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارمٍ الضبّيّ : إنّك لهناك يا أخا باهلة ؟ قال : أمَّا أنا فالغسل والنساءُ عليَّ حرامٌ حتّى آكلَ من قَمَع إبلك . فتفرّقوا ولم يكن إلاّ ذلك . وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله : استُك أضيَقُ من ذاك ! فأغارَ المنتشرُ على ابن جارم ، فلمّا رآه ابن جارمٍ رمى بنفسه في وِجارِ ضَبَع ، وأطرد المنتشرُ إبلَه ورعاءها ، فقال سهلٌ في ذلك : [من البسيط]

هاج لك الشّوقُ من ريحانةَ الطّربا

---

1 ديوانه : 27–28 .
2 غُرُب : غريب .
3 الحزان : الغليظ من الأرض .
4 الريط : جمع ريطة وهي ملاءة بلفقين . والنقب : جمع نقبة وهي ثوب كالإزار تجعل له حجزة مطينة ويشد كما تشد السراويل .

في قصيدةٍ طويلة له حسنة . وقال في ذلك أعشى باهلة : [من الطويل]

فدًى لك نفسي إذْ تركتَ ابنَ جارمٍ أجبَّ السَّنام بعدَ ما كانَ مُصعبا[1]

وقال المخبل في ذلك : [من الطويل]

إنَّ قشيراً من لقاحِ ابن جارم كغاسلةٍ حَيضاً وليست بطاهرِ
وأنبأتماني أنَّ قُرَّةَ آمنٌ قتالاً أباه من مجيرٍ وخافرِ
فلا تُوكلوها الباهليَّ وتقعُدوا لَدى غرضٍ أُرميكمُ بالنواقِرِ[2]
إذا هي حلّتْ بالذِّهابِ وذي حُسًى وراحتِ خِفافَ الوطء حُوسَ الخواطرِ[3]

[بين الأشعث وعمرو]

أخبرنا أحمد بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل ، قال حدَّثني قعنب بن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن محمد بن المنتشر قال :

أخبرني مَن شهد الأشعثَ بن قيسٍ وعمرو بن معديكرب وقد تنازعا في شيءٍ ، فقال عمرٌو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمَّك ! فقال سعد : قُوما أُفٍّ لكما ! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرِّطنَّك . فقال : كلاّ إنّها عَزوزٌ موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجليّ : فأخذتُ بيد الأشعث فنترته فوقَعَ على وجهه ، ثم أخذتُ بيد عمرٍو فجذبته فما تحلحَلَ والله ، لكأنّما حركت أسطوانة القصر .

[بين عمرو والأجلح الفهميّ]

وقال أبو عبيدة : قدِم عمرو بن معديكرب والأجلحُ بن وقّاصٍ الفهميّ على عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فأتَياه وبين يديه مالٌ يوزَن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : فما حبَسَكما ؟ قالا : شُغِلنا بالمنزل يوم قدِمنا ، ثم كانت الجمعة ، ثم غدونا عليكَ اليوم . فلمّا فَرَغَ من وزن المالِ نحّاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هِيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، هذا الأجلح بن وقّاص ، شديد المِرّة ، بعيد الفرّة ، وشيكُ الكرة ، والله ما رأيت مثلَه من الرّجالِ صارعاً ومصروعاً ، والله لكأنّه لا يموت ؛ فقال عُمر للأجلح بن وقّاص ، وأقبلَ عليه : هيه . قال : وأنا أعرف الغضبَ في وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ الناسُ صالحون كثير نسلُهم ، دارّة أرزاقُهم ، خصبٌ نباتُهم ، أجْرِياءُ على عدوّهم ، جبان هدوُّهم عنهم ، صالحون بصلاحِ

---

1 الأجب : المقطوع السنام . والمصعب : الفحل المكرم .
2 النواقر : السهام الصائبة .
3 الذهاب وذو حسى : موضعان . حوس : جمع أحوس ، هو البطيء الحركة .

إمامهم ؛ والله ما رأينا مثلَكَ إلاّ مَن تقدّمك ، فنستمتع اللهَ بك . فقال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثلَ الذي قال فيك ؟ قال : منعَني ما رأيتُ في وجهك . قال : قد أصبتَ ، أما لو قلت له مثلَ الذي قال لك لأوجعتكُما عقوبة ، فإن تركتُك لنفْسك فسوف أتركه لك ، والله لوددتُ لو سلمتْ لكم حالُكم هذه أبداً ، أما إنّه سيأتي عليك يومٌ تعضُّه وينهشك ، وتهرُّه وينبحك ، ولستَ له يومئذٍ وليس لك ، فإنْ لَم يكن بعهدكم فما أقربهُ منكم .

[توزيع غنائم القادسية]

قال أبو عبيدة : حدَّثنا يونس وأبو الخطّاب قالا : لمّا كان يوم القادسية أُصاب المسلمون أسلحةً وتيجاناً ومناطق ورِقاباً فبلغت مالاً عظيماً ، فعزل سعدٌ الخُمْس ثم فضَّ البقية ، فأَصاب الفارسَ ستّة آلاف ، والراجلَ ألفان ، فبقي مالٌ دَثْرٌ[1] . فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل ، فكتب إليه أنْ ردَّ على المسلمين الخُمس ، وأعطِ من لَحِقَ بك ممّن لَم يشهَد الوقعة . ففعل فأَجراهم مَجرى مَن شَهِد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه أنْ فُضَّ ما بَقِيَ على حَمَلة القرآن . فأتاه عمرو بن معديكربَ فقال : ما معك مِن كتاب الله تعالى ؟ فقال : إنّي أَسلمتُ باليمن ، ثم غزوتُ فشُغِلت عن حفظ القرآن . قال : ما لك في هذا المال نصيب .

قال : وأتاه بشر بن ربيعة الخَثعَميّ ، صاحبُ جبّانة بِشر فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضَحِكَ القوم منه ولم يُعطِهِ شيئاً ، فقال عمرو في ذلك : [من البسيط]

إذا قُتِلنا ولا يبكي لنا أحـدٌ ... قالـت قريشٌ أَلا تلك المقاديرُ
نُعطى السويّةَ من طَعنٍ له نَفَذٌ ... ولا سوِيّةَ إذ تُعطى الدّنانيرُ[2]

وقال بشر بن ربيعة : [من الطويل]

أَنختُ بباب القادسيّةِ ناقتي ... وسعدُ بــن وقّاصٍ عـليَّ أَميرُ
وسعـدٌ أَمير شرُّه دونَ خيره ... وخيرُ أَميـرٍ بالعـراقِ جريرُ
وعنـد أَمير المؤمنـين نوافلٌ ... وعنـد المثنَّى فِضّـة وحريرُ
تذكَّرْ هداكَ الله وَقْعَ سيوفِنا ... ببـاب قُدَيس والمكَـرُّ عسيرُ[3]
عشيّةَ ودَّ القومُ لو أنَّ بعضَهم ... يُعـار جَناحَـيْ طائـرٍ فيَطِيرُ
إذا مـا فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ ... دَلَفنا لأُخرى كالجِبالِ تسيرُ

---

1 دثر : كثير .

2 السوية : المساواة .

3 قديس : موضع قرب القادسية .

ترى القومَ فيها واجمين كأنَّهم جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردَّا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتبَ أنْ أعطِهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَيْ درهم .

قال : وحدَّثني أبو حفص السلميّ قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهليّ : إنّ في جندك عَمرو بن معديكرب ، وطلحةَ بن خُويلد الأسديّ ، فإذا حضر الناسُ فأدِنهما وشاورْهما وابعثْهما في الطَّلائع ، وإذا وضعت الحربُ أوزارها فضعْهما حيثُ وضَعا أنفسَهما . يعني بذلك ارتدادهما ، وكان عمرٌو ارتدَّ وطليحةُ تنبَّأ .

[بين سلمان بن ربيعة وعمرو]

قال : وحدَّثنا أبو حفص السلميّ قال : عرضَ سَلمان بن ربيعة جُندَه بأرمينية ، فجعلَ لا يقبل إلاّ عتيقاً . فمرّ به عمرو بن معديكرب بفرسٍ غليظ ، فقال سلمان : هذا هَجين . فقال عمرو : والهجينُ يعرف الهجين ! فبلغ عمرَ رضي الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه : «أمّا بعد فإنّك القائلُ لأميرك ما قلتَ ، وإنّه بلغني أنّ عندك سيفاً تسمِّيه الصمصامة ، وعندي سيفٌ أُسمِّيه مصمِّماً ، وأقسم لئنْ وضعتُه بين أُذنيك لا أُقلِع حتى يبلغ قِحفَك» . وكتب إلى سَلمانَ يلُومه في حلمه عنه .

[تقدير عمر له]

قال : وزعموا أنّ عَمراً شهد فتح اليرموك ، وفَتْحَ القادسية ، وفتح نهاوند مع النُّعمان بن مقرِّن المزنيّ ، وكتب عُمر إلى النُّعمان : إنّ في جندك رجُلين : عمرو بن معديكرب ، وطُليحة ابن خويلد الأسديّ من بني قُعَين ، فأحضِرْهما الحربَ وشاوِرْهما في الأمر ، ولا تولِّهما عملاً . والسلام .

صوت

[من الطويل]

خليلَيَّ هُبّا طالما قد رقدتُما أَجِدَّكُما لا تَقضِيان كَراكما
سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي يردُّ على ذي لَوعةٍ إن بكاكما

ويروى : «ذي عولة» .

الشعر لقُس بن ساعِدَة الإيادي ، فيما أُخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ في خبرٍ أنا ذاكرُه هاهنا .

وذكر يعقوبُ بن السكِّيت أنّه لعيسى بن قُدامة الأَسَديّ .

وذكر العتبيّ أنّه لرجل من بني عامر بن صعصعة ، يقال له الحسن بن الحارث .

والغناء لهاشم بن سليمان ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

[290] ـ ذكر خبر قُسّ بن ساعدةَ ونسبه وقصّته في هذا الشعر[1]

[نسبه]

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو ، وقيل مكان عمروٍ شِمْر ، بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن النَّمر بن واثلة بن الطَّمَثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعميّ بن إياد . خطيبُ العرب وشاعرها ، وحليمها وحكيمها في عصره . يقال : إنّه أوّلُ مَن عَلا على شَرَفٍ وخطب عليه . وأوّل مَن قال في كلامه : أمّا بعد ، وأوّل مَن اتّكأ عند خطبته على سَيفٍ أو عصا .

وأدركه رسولُ الله ﷺ قبل النبوّة ، ورآه بعكاظ فكان يأثُر عنه كلاماً سمِعه منه ، وسئل عنه فقال : «يُحشر أُمَّةً وحدَه» .

وقد سمعت خبرَه من جهاتٍ عِدّة ، إلاّ أنّه لَم يَحضُرني وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره ، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً ، فهو من أتمّها .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال : حدَّثني عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائيّ قال : حدَّثني عبد الله بن محمد قال : حدَّثني الحسن بن عبد الله قال : حدَّثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : لّما قدِم وفدُ إيادٍ على النبيّ ﷺ قال : ما فَعَلَ قُسّ بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رسول الله . قال : «كأنّي أنظرُ إليه بسوقِ عُكاظَ على جملٍ له أورق[2] ، وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ما أجِدُني أحفظه» . فقال رجلٌ من القوم : أنا أحفظُه يا رسولَ الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟

[خطبته]

قال سمعتُه يقول : أيُّها النّاس اسْمَعُوا وعُوا ، مَن عاشَ مات ، ومَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ليلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، بحارٌ تزخَر ، ونجومٌ تزهر[3] ، وضوءٌ وظَلام ، وبِرٌّ وآثام ، ومَطعَمٌ ومشرَب ، وملبَس ومركب . ما لي أرى النّاسَ يذهبونَ ولا

---

1 لقس بن ساعدة الإيادي ترجمة في البيان والتبيين 1 : 27 والشريشي 2 : 251 ومعجم المرزباني : 222 وخزانة البغدادي 2 : 88–91 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 الأورق : الذي بلون الرماد .

3 تزهر : تتلألأ .

يرجعون ، أرَضُوا بالُمقام فأقاموا ، أم تُركوا فناموا . وإلهِ قُسٍّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دِينٌ أفضلُ من دِينٍ قد أظلَّكم زمانُه ، وأدرَكَكم أوانه ، فطُوبى لِمَن أدرَكه ، فاتّبعه ، وويلٌ لَمن خالفه . ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

في الذّاهبـــين الأوَّليـــــ ـــنَ من القُرونِ لنا بصائرْ
لّمــا رأيـــتُ مـــوارِداً للمـوت ليس لها مَصادرْ
ورأيـتُ قومـي نحوهـا يَمضي الأصاغـرُ والأكابرْ
أيقنـــتُ أنّـــي لا مَحا لةَ حيثُ صار القومُ صائرْ

فقال النبيّ ﷺ : «يرحم الله قُسّاً ، إنّي لأرجو أن يُبعَثَ يوم القيامة أُمّةً وحده» .

[مناسبة الشعر المنسوب إليه]

فقال رجلٌ يا رسول الله : لقد رأيتُ من قسٍّ عجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له سِمعان في يومٍ شديد الحرّ ، إذْ أنا بقُسٍّ بن ساعدةَ تحت ظلِّ شجرة عند عينِ ماء ، وعنده سباعٌ ، كلّما زأر سَبْعٌ منها على صاحبه ضربَه بيده وقال : كُفَّ حتى يشرَب الذي وَرَد قبلَك . قال : ففرِقْت ، فقال : لا تَخَفْ . وإذا أنا بقبرين بينهما مسجدٌ ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا ، فاتَّخذْتُ بينهما مسجداً أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتّى ألحقَ بهما . ثم ذكر أيّامهما فبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

خليـلي هبّا طالما قد رقدتما أجِـدَّكما لا تَقضيان كراكما
ألَم تعلما أنّي بسِمعانَ مفرَدٌ وما لِيَ فيه من حبيبٍ سِواكما
أُقيمُ على قبرَيْكما لستُ بارِحاً طَوالَ الليالي أو يجيبَ صَداكما
كأنّكما والمـوتُ أقربُ غايةٍ بجسمِيَ في قبْرَيكما قد أتاكما
فلو جُعِلت نفسٌ لنفسٍ وقاية لجُدتُ بنفسي أن تكـون فِداكما

فقال النبيّ ﷺ : «يرحم الله قُسّاً» .

وأمّا الحكاية عن يعقوب بن السِّكّيت أنّ الشعر لعيسى بن قُدامة الأسديّ فأخبرني بها عليّ بن سليمان الأخفش ، عن السكونيّ قال : قال يعقوب بن السِّكِّيت : قال عيسى بن قُدامة الأسديُّ ، وكان قدِم قاسان ، وكان له نديمان فماتا ، وكان يجيء فيجلس عند القبرين ، وهما براوَند ، في موضعٍ يقال له خُزاق ، فيشرب ويصبُّ على القبرين حتّى يقضيَ وطرَه ، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب : [من الطويل]

خليليَّ هُبَّا طالما قد رقدتُما أجَدَّكما لا تقضيان كَراكما
ألَم تعلما ما لي براوَند هذهِ ولا بخُزاقٍ من نديمٍ سواكما
مقيمٌ على قبرَيكما لستُ بارِحاً طَوالَ الليالي أو يجيبَ صداكما
جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما كأنّ الذي يَسقِي العُقارَ سَقاكما
تحمَّلَ مَنْ يَهوى القُفولَ وغادَروا أخاً لكما أشجاه ما قد شجاكما
فأيُّ أخٍ يجفو أخاً بعد موتِهِ فلستُ الذي من بعدِ موتٍ جفاكما
أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فإلاّ تذوقا أُروِ منها ثَراكما
أناديكما كيما تجيبا وتَنطقا وليس مجاباً صوتُهُ مَن دعاكما
أمِن طوالِ نومٍ لا تُجيبانِ داعياً خليليَّ ما هذا الذي قد دهاكما
قضَيتُ بأنّي لا محالةَ هالِكٌ وأنّي سيعروني الذي قد عراكما
سأبكيكما طولَ الحياةِ وما الذي يردُّ على ذي عَولةٍ إنْ بكاكما

وأخبرني ابن عمّار أبو العبّاس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد بن يحيى البَلاذُريّ قال: حدَّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العجليّ قال: بلغني أنَّ ثلاثةَ نفرٍ من أهلِ الكوفة كانوا في الجيش الذي وجَّهه الحجّاج إلى الدَّيلم، وكانوا يتنادمون لا يُخالِطون غيرَهم. فإنّهم لعَلى ذلك إذْ ماتَ أحدُهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغَه الكأسُ هَراقاها على قبره وبكيا. ثم إنّ الثانيَ مات فدفنه الباقي إلى جَنْب صاحبه، وكان يجلُس عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذي يليه ثم على الآخر ويبكي، وقال فيهما:

نديمي هُبّا طالما قد رقدتما

وذكر بعضَ الأبيات التي تقدّم ذكرها. وقال مكان «براوند» هذه: «بقزوين»، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمّار: فقبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء.

وذكر العُتبيّ عن أبيه أنّ الشِّعر للحزين بن الحارث، أحد بني عامر بن صعصعة، وكان أحدُ نديميه من بني أسد والآخرين من بني حَنيفة، فلمّا مات أحدُهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول: [من الرمل]

لا تصردْ هامةً من كأسها[1] واسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبِرْ

1 صرد: قطع الشراب أو قلّله.

كان حُرّاً فهــوى فيمن هوى   كلُّ عودٍ ذي شُعوب ينكسرْ

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد : [من الطويل]

خليليَّ هبّا طالما قــد رقدتما   . . . .

الأبيات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنَّك لا تموت حتّى تنهشَك حيّةٌ في شجرةٍ بوادِي كذا وكذا . فورد ذلك الوادِيَ في سفر له وسأل عنه فعرَفَه ، وقد كان خَطَّ[1] في أصل شجرة ، ومدّ رجلَه عليها ، فنهشتْه حيّة فأنشأ يقول : [من الطويل]

خليــليَّ هذا حيثُ رمسِي فعرِّجا   عــليَّ فإنِّــي نــــازلٌ فمعرِّسُ
لبستُ رداءَ العيش أحْوى أجرُّه الـ   ـعَشيّاتِ حتّى لَم يكنْ فيه مَلبِسُ[2]
تركتُ خِبائي حيثُ أُرسى عمادَه   عليَّ ، وهذا مَرمَسي حيث أُرمَسُ
أَحَتْفِي الذي لا بـدَّ أنَّكَ قاتِلِي   هَلمَّ فمــا في غابر العيش مَنْفَسُ
أَبعــدَ نديمــيَّ اللذَّيْــنِ بعاقــلٍ   بكيتُهمــا حــولاً مَدًى أَتوجَّسُ

1 أي خطّ لنفسه قبراً .

2 أحوى : أسود الشعر .

[291] ـ ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

[نسبه]

هو هاشم بن سليمان مولى بني أميّة ، ويكنى أبا العبّاس ، وكان موسى الهادي يسمّيه أبا الغَريض . وهو حَسَن الصنعة عزيزها ، وفيه يقول الشاعر : [من السريع]

يـا وَحشتي بعدك يا هاشمُ غِبتَ فشجوي بِك لِي دائمُ
اللهـوُ واللـذّةُ يـا هاشمُ ما لَـم تكـن حاضرَه مأتَمُ

أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدَّثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه قال : كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحُه ، ويلقّبه أبا الغريض .

[غناؤه لموسى الهادي]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال : بلغني أنّ هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغنّاه : [من مجزوء الكامل]

صوت

لـو يُرسِل الأَزْلُ الظِّبا ء تَـرودُ ليس لهـنّ قائدْ[1]
لتَيَمَّمَتْـك تدُلُّهـا رَيّـاكَ للسُّبُـل المـواردْ
وإذا الرّيـاحُ تنكّـرتْ نُكْباً هواجرهـا صَوارِدْ[2]
فالنّـاس سائلـةٌ إليـ ـكَ فصادِراً تُغني ووارِدْ[3]

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفيّ ، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سليمان ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

فطرب موسى ، وكان بين يديه كانونٌ ضخمٌ عليه فحم ، فقال له : سَلْني ما شئت . قال : تملأ لِي هذا الكانونَ . فأمَر له بذلك ، وفرِّغ الكانونُ فوسِعَ ستَّ بُدور ، فدفعها إليه .

وقد أَخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن أبي تَوبة ، عن محمد بن جَبْر ، عن هاشم بن سليمان قال : أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعةٌ منّا ، فقال : يا هاشم غنِّني : [من الكامل]

أَبَهارُ قـد هَيَّجتِ لِي أوجاعا

---

1 الأزل : الشدّة والضيق .

2 النكب : جمع نكباء وهي الريح المائلة عن أي الجهات الأربع . والصوارد : البوارد .

3 سائلة : كثيرة الورود .

فإن أصبتَ مُرادِي فيه فلك حاجةٌ مقضيّة . فغنّيته فقال : قد أُصبتَ وأُحسنت سَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين تأمُر أن يُملأ هذا الكانون دراهمَ . قال : وبين يديه كانونٌ عظيم ، فأمر به فملىء فوسع ثلاثين ألف درهم ، فلمّا حَصَّلتها قال : يا ناقصَ الهمَّة ، والله لو سألتَني أن أملأه دنانيرَ لفعلت . فقلت : أقِلْنِي يا أمير المؤمنين . فقال : لا سبيل إلى ذلك فلم يُسْعِدك الجَدُّ بِهِ .

نسبة هذا الصوت[1]

[من الكامل]

أبهارُ قـد هيَّجـتِ لِي أُوجاعا وتركتِنـي عبـداً لكـم مِطواعا
بحديثك الحسنِ الذي لـو كُلِّمتْ وَحشُ الفـلاةِ بِـهِ لَجئْنَ سِراعا
وإذا مـررتُ على البَهارِ منضَّدا في السُّوق هَيَّجَ لِـي إليكِ نزاعا
والله لَـو عَلِـم البَهـارُ بأنَّها أضحَـتْ سميَّتَـه لصـار ذِراعا

الغناء لهاشم ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى يحيى المكّيّ ، وإلى إسحاق .

[مجلس غناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنّا في منزل محمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، وكان عالِماً بالغناء والفِقه جميعاً ، وقد كان يحيى بن أكثم وصَفَه للمأمون بالفقه ، ووصَفَه أحمد بن يوسف بالعِلم بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجَبَ ما اجتمع فيه : العِلم بالفقه والغناء ! فكتبتُ إلى إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ أن يتحوّلَ إلينا وكان في جوارِنا ، وعندنا يومئذٍ محمد بن أيّوب بنُ جعفر بن سليمان ، وذُكاءٌ وصغيرٌ غلاما أحمد بن يوسف الكاتب . فكتب إلينا إسحاق : جُعِلتُ فداءكم ، قد أخذت دواءً ، فإذا خرجتُ منه حَملتُ قِدري وصرتُ إليكم . وكتب في أسفل كتابِهِ : [من الرجز]

أنا شماطيط الذي حُدِّثتَ بِهِ مَتـى أُنبَّـه للغَـداءِ أنتبـهْ
ثـم أُدور حولَـه وأحتبِـهْ حتّى يقـال شَرِهٌ ولستُ بِـهْ

ثم جاءنا ومعه بُدَيح غلامه ، فتغدَّينا وشربنا ، فغنّى ذكاء غلام أحمد بن يوسف : [من الكامل]

أبهارُ قـد هيّجتِ لِي أُوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيدَه فأعاده مِراراً ، ثم قال له : مِمَّن أخذت هذا ؟ فقال : من مُعاذ بن

1 الشعر للمؤمل بن أميل المحاربي (معجم المرزباني : 298–299) .

الطَّبيب . قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أُحبُّ أن تُلقيَه على بُديح . ففعل . فلمّا صُلِّيَت العِشاءُ انصرفَ ذكاء ، وقعد أبو جعفرٍ يشرب ، يعني مولاه ، وعنده قومٌ ، وتخلّف صَغِير فغنّانا ، فقال له إسحاق : أنت والله يا غُلام ماخوريٌّ . وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النَّهار فغنّانا : [من المتقارب]

هبوني أغُضُّ إذا ما بدت وأملِكُ طرفي فلا أنظرُ

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : آجَرَكَ الله في ابن عَمِّك ! أي قد سَكِرَ فأقدَمَ على الغناء بحضرتي .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من المتقارب]

هَبُونِي أغُضُّ إذا ما بَدَتْ وأملِكُ طَرفي فلا أَنظُرُ
فكيف احتيالي إذا ما الدّموعُ نَطقنَ فبُحنَ بما أضمِرُ
أيا مَن سروري بهِ شقوةٌ ومَن صفوُ عيشي بهِ أكدرُ
أمنّي تخاف انتشارَ الحديثِ وحظِّيَ في سَترِهِ أوفَرُ
ولو لم أصُنْه لِبُقْيا عليك نظرتُ لنفسي كما تنظرُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزُّبير بن دُحمان ، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأوّل . وفيها لعمرو بن بانة ماخوريّ . وفي : [من المتقارب]

أيا مَن سُروري بهِ شِقوةٌ

لسُلَيم هَزَج . وفيه ثاني ثقيل ينسَب إلى حُسَين بن محرز ، وإلى عبّاس مِنقار .

صوت

[من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعِي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجَزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ

عروضه من الرجز . الشعر لرُشَيد بن رُمَيض العَنَزيّ يقوله في الحُطَم ، وهو شُرَيح بن ضُبيعة ، وأُمّه هندُ بنت حسّان بن عمرو بن مَرثد ، والغناء ليزيد حوراء ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنّه لأحمد المكّيّ .

---

1 ديوان العباس بن الأحنف : 170-171 .

292 ـ [الحطم والعلاء الحضرمي]

[الحطم ونجاته]

قال أبو عبيدة : كان شُريح بن ضُبيعة غزا اليمنَ في جموعٍ جَمَعها من ربيعة ، فغنَم وسبَى بعد حرب كانت بينه وبين كِندة ، أسر فيها فُرعان بن مهديّ بن معديكرب عمّ الأشعث بن قيس ، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضلَّ بهم دليلُهم ثمّ هرب منهم وماتَ فُرعان في أيديهم عطَشاً ، وهلكَ منهم ناسٌ كثير بالعطش . وجعل الحُطَمُ يسوق بأصحابه سَوقاً عنيفاً . حتى نَجَوْا ووردُوا الماء . فقال فيه رُشَيد : [من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ   ليسَ براعـــي إبلٍ ولا غَنَمْ[1]
ولا بجـــزّارٍ على ظهـرِ وضَمْ   نامَ الحداةُ وابن هنـدٍ لم يَنَمْ[2]
باتتْ يقاسِيها غـلامٌ كالزَّلَم   خَدلَّج السَّاقين خَفّاقُ القدَمْ[3]
قد لَفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ

فلُقِّب يومئذٍ «الحُطَم» لقول رُشيدٍ هذا فيه .

وأدرك الحطمُ الإسلام فأسلم ، ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ .

[إسلام الجارود بن المعلّى]

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثنا عبد الله بن سعد الزهريّ قال أخبرنا عمِّي يعقوب قال : أخبرني سيف قال : خرج العلاء بن الحضرميّ نحو البحرين ، وكان من حديث البحرين أنَّ رسول الله ﷺ لمّا ماتَ ارتدّوا ففاءت عبدُ القيس منهم ، وأمّا بكر فتمَّت على رِدّتها . وكان الذي ثَنى عبدَ القيسِ الجارودَ بن المعلَّى .

فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبي الحسن قال[4] : قدم الجارود بن المعلّى على النبيّ ﷺ مُرتاداً ، وقال : أسلِمْ يا جارود . فقال : إنَّ لي دِيناً . فقال له النبيّ ﷺ : إنّ دِينك يا جارود ليسَ بشيء ، وليسَ بدِين . فقال له جارود : فإن أنا أسلمْتُ فما كان مِن تبعةٍ في

1 زيم : قيل إنه اسم فرس وقيل إنه الغارة . وقد جرى هذا الشطر مجرى المثل . انظر مجمع الميداني 2 : 391 وفصل المقال : 404 وجمهرة العسكري 2 : 352 ومستقصى الزمخشري 2 : 385 .

2 الوضم : كل ما يوضع عليه اللحم .

3 الزلم : السهم . وخدلج الساقين : عظيمهما .

4 انظر تاريخ الطبري : حوادث سنة 11 .

الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم وأقام بالمدينة حتّى فَقُه .

[المنذر الغرور]

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال : اجتمعت ربيعةُ بالبحرين ، فقالوا : رُدُّوا الملكَ في آل المنذر ، فملَّكوا المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، وكان يسمَّى الغَرُور ، ثم أسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغَرور ولكنّي المغرور .

[ارتداد الحُطم]

حدَّثنا محمد بن جرير قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد قال : أخبرني عمِّي قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَير بن فلان العبديّ قال : لمّا ماتَ رسول الله ﷺ خرج الحُطَم من ضُبَيعة ، في بني قيس بن ثعلبة ومن اتّبعه من بكر بن وائلٍ على الردّة ، ومَن تأشَّبَ إليه[1] من غير المرتدِّين ممّن لَم يزَلْ كافراً ، حتّى نزل القطيف وهَجَر ، واستغوى الخَطَّ ومَن كان بهما من الزُّطِّ والسيابجة ، وبعثَ بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعلَ عبد القَيس بينهم وبينه ، وكانوا مخالِفين له يُمدّون المنذر والمسلمين . وأرسل إلى الغَرور بن سويد بن المنذر بن أخي النُّعمان بن المنذر ، فقال له : اثبت فإنّي إنْ ظفرتُ ملّكتك البحرين ، حتّى تكون كالنُّعمان بالحِيرة . وبعث إلى رواثا وقيل إلى جُوُاثا ، فحاصرهم وألَحّ عليهم ، فاشتدَّ الحِصار على المحصورين من المسلمين ، وفيهم رجلٌ من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف ، أحد بني أبي بكر بن كِلاب ، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتّى كادوا يَهلِكون ، فقال عبد الله بن حَذَف : [من الوافر]

ألا أبلـغْ أبـا بكـرٍ رسولاً وفتيـانَ المدينـةِ أجمعينـا
فهـلْ لكُـم إلى قـومٍ كرامٍ قُعـودٍ في جُوُاثـا مُحصَرينا
كأنَّ دماءهـمْ في كلِّ فـجّ شُعاعُ الشَّمسِ يُعشي النّاظرينا
توكَّلْنـا عـلى الرَّحمـن إنّا وجَدنـا النَّصـرَ للمتوكّلينا

[قتال المرتدّين بالبحرين]

حدَّثني محمد بن جرير قال كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن الصقعب بن عطيّة بن بلال ، عن سهم بن مِنجاب ، عن منجاب بن راشد قال[2] : بعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرميّ على قِتال أهل الردّة بالبحرين ، فتلاحَقَ بِهِ مَن لَم يرتدّ من

1 تأشّب : تجمّع .
2 تاريخ الطبري 3 : 306 . وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر نقلاً عن تاريخ الطبري والأغاني (9 : 178–181) .

المسلمين ، وسلك بنا الدَّهناء حتّى إذا كنّا في بُحبوحتها أراد الله عزّ وجلّ أن يُرِيَنا آية ، فنزل العلاءُ وأمرَ النّاسَ بالنّزولِ ، فنفرت الإبلُ في جوف الليل ، فما بقي بعيرٌ ولا زادٌ ولا مَزاد ولا بِناءٌ ، يعني الخيم قبل أن يحطُّوا ، فما علمت جمعاً هجم عليه من الغمِّ ما هَجَمَ علينا ، وأوصى بعضُنا إلى بعض ، ونادى منادي العلاء : اجتمِعُوا . فاجتمعنا إليه فقال : ما هذا الذي ظَهَرَ فيكم وغلبَ عليكم ؟ فقال النّاس : وكيفَ نلام ونحنُ إن بَلَغْنا غداً لم تحمَ شمسُه حتّى نصيرَ حديثاً . فقال : أيُّها النّاس ، لا تُراعوا ، ألستم مسلمين ؟ ألستم في سبيل الله ؟ ألستم أنصارَ الله ؟ قالوا : بلى . قال : فأبشِروا ، فوالله لا يخذُل الله تبارك وتعالى مَن كان في مثلِ حالكم . ونادى المنادِي بصلاة الصُّبح حينَ طلع الفجر ، فصلَّى بنا ، ومنّا المتيمّم ومنّا مَن لم يزلْ على طَهوره ، فلمّا قضى صلاتَه جثا لركبتيه ، وجثا الناس معه ، فنُصِبَ[1] في الدّعاء ونَصِبوا فلمع لهم سرابٌ فأقبلَ على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد : ماء . فقام وقام النّاسُ فمشينا حتّى نزلنا عليه فشربنا واغتسَلنا ، فما تعالى النّهارُ حتّى أقبلت الإبل من كلِّ وجه وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظهره فأخذَه ، فما فقدنا سِلكاً ، فأرويناها العَلَلَ بعد النَّهل وتروّينا ثم تروَّحنا .

وكان أبو هريرةَ رفيقي ، فلمّا غِبْنا عن ذلك المكانِ قال لِي : كيف عِلمُكَ بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا أهدى النّاس بهذه البلاد . قال : فكُرَّ معي حتى تُقيمَنِي عليه . فكررتُ بِهِ فأنخت على ذلك المكان بعينه ، فإذا هو لا غديرَ بِهِ ، ولا أَثَرَ للماء . فقلت له : والله لولا أنّي لا أرى الغديرَ لأخبرتك أنَّ هذا هو المكان ، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك . فنظر أبو هريرة فإذا إداوةٌ مملوءَة فقال : يا سهمُ ، هذا والله المكانُ ولهذا رجعتُ ورجعت بِك . وملأتُ إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادِي فقلت : إن كان مَنّاً من المنّ وكانت آيةً عرفتها ، وإن كان غِياثاً عرفته . فإذا مَنٌّ من المنّ وحمِدت الله جلّ وعزّ . ثمّ سرنا حتّى نزلنا هجر فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورجلٍ آخر : أن انضمّا في عبد القيس حتّى تنزلا على الحُطَم ممّا يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن قدِم عليه حتى ينزل ممّا يَلِي هجر . وتجمّعَ المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرميّ ، ثم خندقَ المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويَرجِعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً . فبينا النّاسُ ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاءً شديدة ، فكأنّها ضوضاءُ هزيمة . فقال العلاء : مَن يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذَف : أنا آتيكم بخبر القوم ، وكانت أمُّه عِجْليّة ، فخرج حتّى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه ! فجاء أبجر بن

---

1 نصب في الدعاء : تعب واجتهد .

بُجَير فعرفه فقال : ما شأنك ؟ فقال لا أُضيعنَّ الليلةَ بين اللَّهازِم ، علامَ أُقتَل وحولي عساكِرُ من عجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس ؟ أيتلاعبُ بِي الحُطَم ونُزّاعُ القبائل وأنتم شهود ؟ فتخلَّصه وقال : والله إنّي لأظنّك بئسَ ابن الأخت لأخوالك الليلةَ . دعني من هذا وأطعمني ، فقد مِتُّ جوعاً . فقرب إليه طعاماً فأكل . ثم قال : زوِّدني واحمِلني وجوِّزْني انطلق إلى طِيَّتي . ويقول ذلك لرجلٍ قد غلبَ عليه الشراب ، ففعل وحمَله على بعير وزوّده وجَوَّزه . وخرج عبدُ الله حتّى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم أنّ القومَ سُكارى ، فخرج القومُ عليهم حتى اقتحموا عَسكَرهم فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا ، واقتحموا الخندقَ هُرّاباً ، فمُتَرَدٍّ وناجٍ ، ودَهِشٌ ومقتولٌ ، ومأسور . واستولى المسلمون على ما في العسكر ، ولم يُفلت رجلٌ إلاّ بما عليه . فأمّا أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحُطَم فإنّه بَعِل[1] ودُهِش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسِه والمسلمون خِلالهم يَجُوسونهم ليَركبه ، فلمّا وضع رِجلَه في الرّكاب انقطع ، فمرّ به عفيف بن المنذر أحَد بني عمرو بن تميم ، والحطم يستغيث ويقول : ألا رجلَ من بني قيس بن ثعلبة يَعقِلني ؟ فرفع صوتَه فعرفه عفيفٌ فقال : أبو ضبيعة ؟ قال : نعم . قال : أعطِني رجلَكَ أعقلْك . فأعطاه رجلَه يعقلُها فنفحَها فأطنَّها[2] من الفخذ وتركه ، فقال : أجهزْ عليّ . فقال : إنّي لأُحبُّ أن لا تموتَ حتى أمِضَّك . وكان مع عفيف عِدّةٌ من ولدِ أبيه فأُصيبوا ليلتئذٍ ، وجعل الحطم يطلب مَن يقتله ، يقول ذلك لِمَن لا يعرفه ، حتّى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفَه ، فمالَ عليه فقتله . فلمّا رأى فخذَه نادرة[3] قال : واسوأتاه ! لو عرفتُ الذي به لم أُحرِّكْه . وخرج المسلمون ، بعد ما أحرزُوا الخندق ، على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم فلحق قيسُ بن عاصم أبجرَ ، وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس ، فلمّا خَشِي أن يفوتَه طعنَه في العرقوب فقَطَع العصبَ وسَلِم النَّسا . فقال عفيفُ بن المنذر في ذلك : [من الطويل]

فإن يرقأ العرقوبُ لا يرقأ النَّسا ... وما كلُّ مَن تلقى بذلك عالمُ[4]
ألم تَرَ أنّا قد فللنا حُماتَهم ... بأسرةِ عمرٍو والرِّباب الأكارمُ[5]

وأسر عفيف بن المنذر ، الغرورَ بن أخي النُّعمان بن المنذر ، فكلّمته الرِّباب فيه وكان ابنَ أختهم وسألوه أن يُجيره ، فجاء به إلى العلاء قال : إنّي أجرته . قال : ومَن هو ؟ قال :

1 بعل : دهش وفرق .
2 نفحه بالسيف : تناوله من بعيد أو ضربه بطائفة منه . وأطنها : قطعها .
3 نادرة : ساقطة .
4 رقأ : انقطع .
5 فللنا في ل : قتلنا .

الغرور . قال العلاء : أنتَ غررتَ هؤلاء ؟ قال : أيُّها الملك إنّي لست بالغَرور ، ولكنّي المغرور . قال : أسلِمْ . فأَسْلَمَ وبقِيَ بهجَر . وكان الغَرور اسمَه ، ليس بلقبٍ . وقتل العفيف أيضاً المنـذرَ بن سويد أخا الغرور لأمّه ، وكان له يومئذٍ بلاءٌ عظيم فأَصبح العلاء يقسِّم الأنفال ، ونفَّل رجالاً من أهلِ البلاء ثياباً فكان فيمن نَفَّل عفيفُ بن المنذر ، وقيسُ بن عاصم ، وثُمامة بن أُثال . فأمّا ثُمامة فنفّل ثياباً فيها خَميصة[1] ذات أعلام ، وكان الحُطَم يُباهِي فيها . وباع الباقي ، وهرَبَ الفَلّ إلى دارِينَ فركبوا إليها السُّفن ، فجمعَهم الله عزّ وجلّ بها . وندبَ العلاءُ النّاسَ إلى دارِينَ ، وخطبهم فقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جمعَ لكم أحزابَ الشيطان ، وشُذّاذ الحرب في هذا اليوم ، وقد أَراكم من آياتِهِ في البرِّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضُوا إلى عدوّكم ثم استعرِضوا البحرَ إليهم ، فإنَّ الله جلّ وعزّ قد جمعهم بِهِ . فقالوا : نفعلُ ولا نَهاب واللهِ بعدَ الدّهناء هَولاً ما بقينا ! فارتحلَ وارتحلوا حتّى أَتى ساحلَ البحر فاقتحموا على الخيلِ ، هم والحَمولة والإبلُ والبِغال ، الراكب والرّاجِل ، ودعا ودعَوا . وكانَ دعاؤه دعاؤهم : يا أَرحَمَ الراحمين ، يا كريمُ يا حليم ، يا صمدُ يا حيُّ يا محيي الموتى ، يا حيُّ يا قيّوم ، لا إِلاه إلاّ أنتَ يا ربّنا . فأَجازوا ذلك الخليجَ بإذن الله ، يمشُون على مثل رملةٍ مَيثاء[2] فوقها ماءٌ يغمرُ أخفافَ الإبل ، وبين الساحل ودارينَ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ لسُفُنِ البحرِ . ووصلَ المسلمون إليها فما تَركوا من المشركين بها مُخبِراً ، وسَبَوا الذّراري ، واستاقُوا الأموالَ . فبلغ من ذلك نَفَل الفارسِ من المسلمين ستّة آلاف ، والرّاجِل ألفين . فلمّا فرغُوا رَجعوا عَودَهم على بَدئِهم ، وفي ذلك يقول عَفيف : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ ذلَّـلَ بحـرَه ... وأَنزلَ بالكُفَّارِ إحدى الجلائلِ
دعَونا الذي شَقَّ البحارَ فجاءَنا ... بأَعجَبَ مِن شقِّ البحارِ الأوائلِ

وأقفَلَ العلاءُ النّاسَ إلاّ من أَحبَّ المُقام . فاختار ثُمامة بن أثال الذي نفّله العلاء خميصةَ الحُطَم حين نزل على ماءٍ لبني قيس بن ثعلبة ، فلمّا رأوه عَرَفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلاً فسأَلوه : أَهو الذي قتل الحُطَم ؟ قال : لا ، ولودِدتُ أنّي قتلته . قال : فأنّى لك حُلّته ؟ قال : نُفّلتها . قالوا : وهل يُنفَّل إلاّ القاتل . قال : إنّها لم تَكُن عليه إنّما كانت في رَحلِه . قالوا : كذبت . فقَتَلوه . وكان بهجرٍ راهبٌ فأسلَمَ فقيل له : ما دَعاكَ إلى الإسلامِ فقال : ثلاثة أشياءَ خشيتُ أن يمسخني الله بعدها إن أنا لَم أفعلْ : فَيْضٌ في الرِّمال ، وتمهيدُ أثباج البحور ،

1 الخميصة : كساء مربّع له علمان أو ملاءة من صوف أو خزّ معلّمة .

2 ميثاء : أرض سهلة .

ودعاءٌ سمعته في عسكرهم في الهواء من السَّحر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهمَّ إنّك أنتَ الرحمن الرحيم ، لا إله غيرَك ، والبديع ليس قبلَكَ شيء ، والدّائم غيرُ الغافل ، والحيُّ الذي لا يموت ، وخالِقُ ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ أنتَ في شأن ، وعَلِمْتَ اللهمّ كلَّ شيء بغيرِ تعليم» . فعلمتُ أنَّ القومَ لم يُعاوَنوا بالملائكة إلاّ وهم على أمرِ الله جلّ وعزّ .

فلقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسمعون هذا من ذلك الهجريّ بعد .

صوت[1]

[من الخفيف]

يـا خليليَّ مـن مَلامٍ دعانِي ... وأَلِمـَّا الغـداةَ بـالأَظعانِ
لا تَلوما في آلِ زينبَ إنّ الـ ... ـقلبَ رهـنٌ بآلِ زينبَ عانِ
لَم تَدعْ للنِّساءِ عندي نَصِيباً ... غيرَ مـا قلتُ مازِحـاً بلساني

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ، خفيف رمل بالبنصر . وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى ، أخت قُدامة بن موسى الجمحيّ .

1 ديوان عمر : 416 .

293 ـ [عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، قال : حدَّثني قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأُختي زينبَ بنت موسى إلى العُمرة ، فلمّا كنتُ بسَرِف لقيَني عمرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فسلَّم عليَّ ، فقلت : إنِّي أراك متوجِّهاً يا أبا الخطّاب ؟ قال : ذُكرت لي امرأةٌ من قومي بَرْزَة الجمال ، فأردت الحديث معها . قلت : أما علمتَ أنّها أُختي ؟ قال : لا والله . واستحيا وثَنى عنقَ فرسِهِ راجعاً إلى مكّة .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبير : قال حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ قال : نسَبَ[1] ابن أبي ربيعة بزينبَ بنت موسى الجمحيّ ، أُخت قُدامة بن موسى ، فقال :

يـــا خليليَّ مـــن ملامٍ دَعانِي

وذكر البيتين وبعدهما : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنِّساء عندي نصيباً غيرَ مـــا قلتُ مازِحاً بلسانِي

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبك فمغيَّب عنّا ، وأمّا لسانُكَ فشاهِدٌ عليك .

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ : لمّا نسَب عمر بن أبي ربيعة بزينب قال : [من الخفيف]

لَم تَدَعْ للنِّساءِ عندِي نصِيباً غيرَ مـا قلتُ مازِحاً بلسانِي

قال له ابن أبي عتيق : رضِيت لها بالمودَّة ، وللنساءِ بالدَّهفشَة .

قال : والدهفشة : التجميش والخديعة بالشيء اليسير .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال : أخبرني مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجِشون قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السهميّ فأنكره ، فقيل لابنِ أبي عتيق : أبو وداعة قد اعترضَ لعمر بن أبي ربيعة دونَ زينبَ بنت موسى الجمحيّ وقال : لا أُقِرُّ له أن يذكرَ في الشعر امرأةً من بني هُصَيص . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهلِ عدن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضاً عمر[2] : [من الخفيف]

طـــالَ عن آلِ زينبَ الإعراضُ للتعـــزِّي ومـــا بِنـــا الإبغاضُ

---

1 ل : تشبب .

2 ديوان عمر : 226 .

ووليداً قــد كان عُلِّقها القلـ ـبُ إلى أنْ عَلا الرؤوسَ البياضُ[1]
حبلُها عندنــا مَتـينٌ وحَبلِي عندَها واهنُ القــوى أنقاضُ

غنّاه ابن محرز خفيف رمل بالبنصر عن حبش . وفيها يقول أيضاً : [من الخفيف]

صوت[2]

أيّهــا الكاشِح المعيِّــر بــالصُّـ ـمِ ترحْـزَحْ فمـا بِهـا الهِجرانُ
لا مطـاعٌ في آلِ زينبَ فارجِـعْ أو تكلَّــمْ حتّـى يمــلَّ اللِّسانُ
فاجعلِ اللّيلَ مَوعِــداً حِينَ يمسي ويُعفِّــي حديثَنــا الكتمــانُ
كيف صبرِي عن بَعْضِ نفسي وهل يَصـ ـبِر عــن بعـضِ نفسِهِ إنسانُ
ولقد أشهدُ المحـدّث عنـد الـ ـقَصرِ فيــهِ تعفّـف وبَيـانُ
في زمــانٍ مــن المعيشة لَــذٍّ قــد مَضـى عصرُه وهــذا زمانُ

عروضه من الخفيف ، غنّاه ابن سريج ، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقته دنانير . وذكر يونس أنَّ فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين ، ولم يجنِّسهما . وأوّل لَحن عباد : «لا مطاع في آل زينب» ، وأوّل لحنِ ابن محرز : «ولقد أشهد المحدّث» .

قال : وفيها يقول أيضاً[3] : [من الطويل]

صوت

أحــدّث نفسي والأَحاديثُ جمّةٌ وأَكبر همِّــي والأَحاديــثِ زينبُ
إذا طلعَتْ شمسُ النّهارِ ذكرتُها وأحدِث ذكراها إذا الشمسُ تَغرِبُ

ذكر حمَّادٌ عن أبيه أن فيه للهذليّ لحناً لم ينسبه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يــا نُصــبَ عينـيَ لا أُرى حيـثُ التفــتُّ سواكِ شَيّــا
إنِّــي لَمَيْــتٌ إنْ صَـدَد تِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعليّ بن أديم الجعفيّ الكوفيّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

1 ووليداً في الديوان : ووليدين .
2 ديوان عمر : 420-421 مع اختلاف في الترتيب .
3 ديوان عمر : 19 .

[294] ـ ذكر علي بن أُديم وخبره

هو رجلٌ من تجّار أهل الكوفة كان يبيع البزّ ، وكان متأدِّباً صالحَ الشِّعر ، يهوى جاريةً يقال لها منهلة ، واستُهيم بها مدّة ثم بيعت فمات أسفاً عليها . وله حديثٌ طويل معها في كتابٍ مفرد مشهور ، صنعهُ أهلُ الكوفة لهما ، فيه ذكر قِصصهما وقتاً وقتاً ، وما قال فيها من الأشعار . وأمرُهما متعالَم عند العامّة ، وليس مّما يصلح الإطالة به .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : قال دعبل بن عليّ : كان بالكوفة رجلٌ يقال له عليّ بن أُديم ، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها ، فتعاظَمَ أمرُه وبيعت الجاريةُ فمات جزعاً عليها ، وبلغها خبرُه فماتت . قال : وحدَّثني بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهي صبيّةٌ تختلف إلى الكتّاب ، فكان يجيء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها ، فلمّا أن بلغَتْ باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعاً عليها . قال : وأنشدني له أيضاً : [من الكامل]

صوت

صاحُوا الرَّحيلُ وحثَّني صحبي ... قالــوا الرواحُ فطيَّروا لبِّـي
واشتقتُ شوقــاً كاد يقتلني ... والنفسُ مشرِفـة عـلى نَحْبِ
لَم يَلــقَ عند البينِ ذو كلفٍ ... يوماً كما لاقيتُ من كَـــربِ
لا صبرَ لِي عند الفراق على ... فَقْــدِ الحبيبِ ولوعـــةِ الحبِّ

الشعر لعليّ بن أُديم الكوفيّ الجعفيّ ، والغناء لحكم الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً ، والله أعلم .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني أبو بكر العمريّ قال : حدَّثني دِعبل بن عليّ قال : كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يقال له عليّ بن أُديم ، فهوِيَ جارية لبعض نساء بني عبس ، فباعَتْها لرجل من بني هاشمٍ ، فخرج بها عن الكوفة ، فمات عليّ بن أُديم جزعاً عليها بعد ثلاثةِ أيّام من خروجِها ؛ وبلغها خبرُه فماتت بعده ، فعمِل أهلُ الكوفة لهما أخباراً هي مشهورةٌ عندهم .

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثنا أَبو بكر العمريّ قال حدَّثنا أَبو صالح الأزديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسين الكوفيّ قال : حدَّثنا محمد بن سَماعة قال : آخر مَن مات من العشق عليُّ بن أُديم الجُعْفيّ ، مرَّ بمكتبٍ في بني عبس بالكوفة ، فرأى فيه جارية تسمَّى مَنهلةَ ، عليها ثيابُ سوادٍ ، فاستُهيم بها وأعجبتْه ، وكلِف بها وقال فيها[1] : [من مجزوء الكامل]

إنِّي لَمَا يعتادني ... من حبِّ لابسة السوادِ
في فتنةٍ وبليّةٍ ... ما إنْ يطيقهما فُؤادِي
فبقِيتُ لا دنيا أصبـ ... ـتُ وفاتني طلبُ المَعادِ

وسأل عنها فإذا لها مالكةٌ عبسيّة . وكان ابن أديم خَزّازاً[2] ، فتحمّل أبوه بجماعةٍ من التجّار على مولاتها لتَبيعها فأبت ، وخرج إلى أُمِّ جعفر ورفع إليها قصّتَه يسألها فيها المعونةَ على الجارية ، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ ، وأقام يَتَنَجّز تمامَ أمره . فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أمّ جعفر إذْ خرجت امرأة من دارها فقالت : أينَ العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت : أنت عاشقٌ وبينك وبين مَن تحبّ القناطرُ والجسور ، والمياه والأنهار ، مع ما لا يُؤمَنَ من حدوث الحوادث ، فكيف تصبر على هذا ، إنّك لَجَسُورٌ صَبور ؛ فخامر قلبَه هذا القولُ وجزع ، فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة ، على الدّخول ، فماتَ يوم دخول الكوفة .

1 الخبر في مصارع العشاق 1 : 205–206 .
2 الخزاز : بائع الخز .

[295] ـ ذكر عمرو بن بانة

[نسبه]

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهاً من وجوه الكتّاب ؛ وينسَب إلى أُمّه بانة ، بنت رَوح القَحطَبيّة . وكان مغنّياً محسناً ، وشاعِراً صالح الشعر ، وصنعته صنعةٌ متوسِّطة ، النادِر منها ليس بالكثير . وكان يُقعده عن اللّحاق بالمتقدِّم في الصنعة أنّه كان مرتجلاً ، والمرتجل من المحدَثين لا يلحق الضُّرّابَ . وعلى ذلك فما فيه مَطعن ، ولا يقصِّر جيّد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة ، وروايته أحسنُ رواية . وكتابه في الأغاني أَصلٌ من الأصول ، وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهديّ في الغناء وتجنيسه ، ويخالف إسحاقَ ويتعصَّب عليه تعصُّباً شديداً ، ويواجهُه بذلك وينصرُ إبراهيم بن المهديّ عليه . وكان تَيّاهاً معجباً شديدَ الذهاب بنفسه ، وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومغنّيهم ، على ما كان به من الوضَح . وفيه يقول الشاعر : [من المتقارب]

أقولُ لعمرٍو وقد مرَّ بِي ... فسلَّم تسليمةً جافيه
لئن فضَّلوك بفَضْل الغناء ... لقد فضَّل الله بالعافيه

وقال ابن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لَمَن أُخذ الغناءَ عنه ، حتّى كان مَن يسمعُه لَو توارى عن عينه عمرو ثم غنّى لم يشكُك في أنّه هو الذي أُخذ عنه ، لحسْن حكايته ، وكان محظوظاً ممّن يعلِّمه ، ما علّم أحداً قطُّ إلاّ خَرج نادراً مبرِّزاً .

فأَخبرَني جَحظة قال حدَّثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال : قال لي عمرو بن بانة : علّمتُ عشرةَ غلمان كلُّهم تبيَّنت فيهم الثقافة والحِذق ، وعلمتُ أنّه يتقدّم ، أُحدهم أنت ، وتمرة ، وما تبيّنت قطُّ من أحدٍ خلافَ ذلك فعلّمتُه .

[بينه وبين إسحاق]

وقال محمد بن الحسن الكاتب : حدَّثني أبو حارثةَ الباهليّ عن أُخيه أبي معاوية قال : سمعتُ عمرو بن بانةَ يقول لإسحاقَ في كلام جرى بينهما : ليس مثلي يقاس بمثلك ، لأنَّكَ تعلَّمت الغناء تَكسُّباً ، وتعلّمتُه تطرّباً ، وكنت أُضرَب لئلاّ أتعلّمه ، وكنتَ تضرب حتّى تتعلّمه .

[اتهامه بخادم يقال له مفحم]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحّاك في منزل ابن شَعوف ، وكان له خادمٌ يقال له مُفحم ، وكان عمرو يتَّهم به . فلمّا أخذ فيه الشراب سأل عمرٌو الحسينَ بن الضحّاك أن يقول في مُفْحَم شعراً لِيغني فيه ، فقال الحسين : [من المنسرح]

وا بأبـــي مُفحم لِغرّتــه قلتُ له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله من يخصُّك بالحـ ـبِّ فمـا قال لا ولا نعما

الشعر للحسين بن الضحاك ، والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقيل بالبنصر .

قال : فغنّى فيه عمرو . ولم يزل هذا الشعرُ غِناءهم ، وفيه طربُهم ، إلى أن تفرَّقوا . وأتاهم في عشيَّتهم إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فسألوا ابن شَعوف أن لا يأذن له ، فحجبَه ، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى منزله ، فلمّا تفرَّقوا مرَّ به الحسينُ بن الضحّاك وهو سكران ، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما في مجلسهم ، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف : [من المنسرح]

يا ابن شعوفٍ أما سمعتَ بما قـد صار في الناس كلِّهم عَلَما
أتـــاكَ عمـــرٌو فبـات ليلَته في كلِّ مـا يُشتَهى كما زَعَما
حتّى إذا مـــا الظلامُ خالطَـه سرى دبيباً فجامع الخدَما
ثُمّـــتَ لم يـرضَ أن يفوز بذا سِرّاً ولكن أبدى الذي كتَما
حتّى تَغنَّـى لفـرط صَبوتـه صوتاً شفَى من فؤادِهِ السَّقَما
«وا بأبـــي مفحَـــم لِغرّتــه قلتُ لـــه إذ خلوت مكتتما
تحبُّ بالله مَـن يخصّك بالـ ـودّ فمـا قـال لا ولا نعما»

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ بهذا الخبر قال : حدَّثني ميمون بن الأزرق[1] قال : كان لمحمد بن شعوف الهاشميِّ ثلاثةُ غلمانٍ مغنِّين ، ومنهم اثنان صَقْلبيان مجبوبان : خاقانُ وحسين ، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناء ، وكان حسين يغنّي غناءً متوسطاً ، وهو مع ذلك أَضْرَبُ النّاس ، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق ، أحسنَ النّاس وجهاً وجسماً ، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجّاج ، حسن الوجه روميٌّ حسن الغناء ، فتعشَّق عمرُو بن بانة

1 ل : هارون .

منهم المعروفَ بحسين وقال فيه : [من المنسرح]

وا بأبـــي مفحـــم لغِرّتـــه قلتُ لـــه إذ خلـوت مكتتما
تحـبُّ بالله مَـن يخصُّك بالـ ـودِّ فمـا قـال لا ولا نعما

ولم يذكر غير هذا .

وقال محمد بن الحسن : حدَّثني أَبو الحسين العاصميّ قال : دخلت أَنا وصديقٌ لِي على عمرو بن بانة في يومٍ صائف ، فصادفْناه جالساً في ظِلٍّ طويلٍ مُمْتع ، فدعاني إلى مشاركته فيه ، وجعل يغنِّينا يومَه كلَّه لحنَه : [من الوافر]

صوت

نِقابُــكِ فاتــنٌ لا تفتنينا ونشرُكِ طيّــبٌ لا تحرِمينا
وخاتَمك اليماني غيرَ شَكٍّ خَتمتِ بــه رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة ، هزج خفيف بالبنصر .

قال : فما طربت لغناءٍ قطُّ طربي له ، ولا سمعت أَشجى ولا أَكثر نَغَماً ، ولا أحسنَ من غنائه .

[عمرو وجعفر الطبّال]

أُخبرني جحظة قال : حدَّثني أَبو حشيشة قال : كنت يوماً عند عمرو بن بانة ، فزاره خادمٌ كان يحبُّه فأقام عنده فطلب عمرٌو في الدنيا كلِّها مَنْ يضرِب عليه فلم يجد أحداً ، فقال له جعفرٌ الطبّال : إنْ أنا غنّيتُكَ اليوم على عُودٍ يُضرَب به عليك ، أيُّ شيءٍ لِي عندك ؟ قال : مائة درهم ودَستيجة نبيذ . وكان جعفرٌ حاذِقاً متقدّماً نادراً طيّباً ، وكان نذلَ الهمّة ، فقال : أَسمِعني مخرج صوتك . ففعلَ فسوَّى عليه طبلَه كما يسوّي الوَتر ، واتّكأ عليه بركبته فأوقَعَ عليه . ولم يزل عمرٌ يغنِّي بقيّة يومِه على إيقاعه لا ينكِر منه شيئاً حتّى انقضى يومُنا ودفع إليه مائةَ درهم ، وأحضر الدستيجة فلم يكن له مَن يحملها ، فحملها جعفرٌ على عنقه ، وغطّاها بطيلسانه وانصرفْنا .

[جعفر الطبّال يقاضي إبراهيم بن المهديّ]

قال أَبو حشيشة : فحدَّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بَزيع ، وكان صديقَ إبراهيم بن المهديّ ، فحدّثني أنّ إبراهيم بن المهديّ قال له : يا جعفر حَذِّقْ فلانةَ جاريتي ضربَ الطبل ، ولك مائةُ دينار أعجِّل لك منها خمسين . قال : نعم . فعجِّلت له الخمسون وعلَّمها ، فلمّا حَذِقَت طالبَ إبراهيمَ بتتمَّة المائة فلم يعطِه ، فاستعدى عليه أحمد بن أبي دُوادٍ الحسني خليفتَه فأعداه ، ووكّل إبراهيم وكيلاً ، فلمّا تقدّم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيلُ

أن يكسِر حجّة جعفر فقال : أصلحَ الله القاضي ، سَلْه من أين له هذا الذي يدّعِي ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضي أنا رجلٌ طبّالٌ ، وشارطني إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أحذّق جاريتَه فلانة ، وعجّل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقيَ بعد أن رَضِي حِذْقها ، فيُحضِر القاضي الجارية وطبلَها ، وأُحضِر أنا طبلي ، ويسمعنا القاضي ، فإن كانت مثلي قضى لِي عليه ، وإلاّ حذّقتها فيه حتى يرضى القاضي . فقال له القاضي : قُمْ عليك وعليها لعنة الله ، وعلى مَن يرضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

[رزقٌ غلام علويه]

وقال عليّ بن محمد الهشاميّ[1] : حدَّثني جدّي ابن حمدون قال : كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح بابَ داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخَلَ يقود بغلاً له عليه مَزادة ، فلمّا رآه عمرٌو صرخ : لا إله إلاّ الله ، ما أعجب أمرك يا دنيا ! فقلت له : ما لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، هذا الخادم رِزقٌ غلام علُّويه المغنّي ، الذي يقول فيه الحسين بن الضحّاك الشاعر : [من الكامل]

يا ليت رزقاً كان من رزقي يا ليتَه حظِّي من الخَلْقِ

قد صار إلى ما تَرى . ثم غنّاني لحناً له في هذا الشعر ، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من الكامل]

يا ليت رزقاً كان من رِزقي يا لَيتَه حظِّي من الخلقِ
يا شادناً ملَكتُه رقِّي فلستُ أَرجُو راحةَ العتقِ

الشعر للحسين بن الضحّاك ، والغناء لعمرو بن بانة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

[يطلب من المتوكّل بيتاً]

وقال عليّ بن محمد الهشاميّ[2] : حدَّثني جدّي ، يعني ابن حمدون ، قال : كنّا عند المتوكّل ومعنا عمرو بن بانة ، في آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، تأمرُ لِي بمنزلٍ فإنّه لا منزل لي يَسَعُنِي . فأمر المتوكّل عبيدَ الله بن يحيى بأن يبتاع له منزلاً يختاره . قال : وهجم الصوم وشُغِل عبيد الله ، وانقطع عمرٌو عنّا ، فلمّا أهلَّ شوّالٌ دعا

1 ل : البسامي .
2 ل : البسامي .

بنا المتوكّل فكان أوّلَ صوتٍ غنّاه عمرٌو في شعرٍ هذا : [من المنسرح]

صوت

مــــلاَّك ربّي الأَعيــادَ تُخلِقها   في طولُ عمرٍ يــا سيدَ النّاسِ[1]
دُفِعــتُ عــن منزلٍ أمرتَ بِهِ   فإنَّنـــي عنــه مباعــدٌ خاسِ[2]
فمــرْ بتسليمِـــهِ إليّ عــلى   رَغْــم عــدوِّي بحرمة الكاسِ
أعــوذ بــالله والخليفـــة أن   يرجــع مـــا قلته على راسي

لحن عمرٍو في هذا الموضع هزج بالبنصر .

فدعا المتوكّل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لِمَ دافعتَ عمراً بابتياع المنزل الذي كنت أمرتُك بابتياعه ؟ فاعتلّ بدخول الصّوم وتشعُّب الأشغال . فتقدَّم إليه أن لا يؤخِّر ابتياعَ ذلك إليه ، فابتاعَ له الدور في دورِ سُرَّ مَن رأى ، بحضرة المعلّى بن أيّوب . وفيها توفّي عمرو .

[عبد الله بن طاهر يمتحن المغنّين]

أخبرني محمد بن إبراهيم قِريص قال : سمعت أحمد بن أبي العلاء ، يحدّث أستاذي ، يعني محمد بن داود بن الجرّاح قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنّين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بَدرةَ دراهمَ سَبَقاً[3] لمَن تقدَّم منهم وأحسن ، فحضره مُخارق ، وعلّويه ، وعمرو بن بانة ، ومحمد بن الحارث بن بسخُنَّر ، فغنّى فلم يصنَعْ شيئاً ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيلَه ، وامتدّت الأعينُ إلى مخارقٍ وعمرو ، فبدأ مخارقٌ فغنّى : [من مجزوء الكامل]

إنِّـــي امـــرؤٌ مـــن خيرهم   عمِّي وخـــالي مـــن جذامْ

فما نهنهةُ عمرٌو مع انقطاع نَفَسه حتّى غنّى : [من السريع]

يـــا ربعَ سلاّمــة بالمنحنى   بخَيف سَلْع جــادَكَ الوابلُ

وكان إبراهيم بن المهديّ حاضراً فبكى طرباً وقال : أحسنتَ والله واستحققت ، فإن أعطيتَه وإلاّ فخُذه من مالي ، يا حبيبي عنّي أخذتَ هذا الصوت ، وقد والله زدتَ عليّ فيه وأحسنتَ غاية الإحسان ، ولا يزال صوتي عليك أبداً . فقال له عبد الله : مَن حكَمت له بالسَّبق فقد حصَل . وأمر له بالبَدرة فحُمِلت إلى عمرو .

1 ملاك الأعياد : متعك بها وأطال عمرك . تخلقها : تبليها .
2 خاسىء : مبعد .
3 السبق : ما يجعل رهناً على المسابقة .

ثمّ حدَّثنا بعد ذلك أن إسحاق لقِي عمرو بن راشد الخناق فقال له : قد بلغني خبرُ المجلس الذي جمع عبدُ الله فيه المغنِّين يمتحنهم ، ولو شاء لكان في راحةٍ من ذلك . قلت : وكيف ؟ قال : أمّا مخارق فأحسنُ القوم غناء إذا اتَّفق له أن يحسن ، وقلّما يتّفق له ذلك . وأمّا محمد بن الحارث فأحسنهم شمائلَ ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه في الغناء ، وليس له غير ذلك . وأمّا عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم . وأمّا علّويه فمَن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء ؟

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من مجزوء الكامل]

إنِّي أمرؤ مـــن خيرهمْ عمِّي وخالي من جُذامْ
خَودٌ كضوء البـدر أو أضوْا لَدى الليـلِ التمامْ
يجرِي وشاحاهـا عـلى نحـرٍ نقـــيٍّ كالرُّخامْ

والغناء لابن جامع ، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الخفيف]

يــا خليـــليَّ مـــن بني شيبانِ أنـــا لا شكَّ ميّتٌ فابكياني
إنّ روحِي لم يَبقَ منها سِوى شي ء يسير مُعَلّـــقٍ بلسانِـــي

الشعر لأبي العتاهية[1] ، والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم .

1 ديوان أبي العتاهية : 658 .

296 ـ [أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة]

[يزيد بن معن غضب عليه]

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله وزائدة بن معن بن زائدة الشيبانيّ ، وكان صديقاً وخاصّاً بهما . ثم إنّ يزيد بن معن غضِب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية يشبِّب بها ، فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ، ثم أصلحَ بينهم مندلُ بن عليّ العبديّ ، وهو مولى أبي العتاهية ؛ فعادَ إلى ما كان عليه لهم .

فأخبرني وكيع قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني علي بن محمد النوفليّ عن أبيه قالا : قولُ أبي العتاهية : [من الخفيف]

يـا خَليليَّ مـن بني شيبان

يخاطب به عبدَ الله ويزيد ابنَي مَعن بن زائدة ، أو قال عبد الله وزائدة .

[شعره في سعدى]

أخبرني ابن عمّار قال : حدَّثني زيد[1] بن موسى بن حمّاد . وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني محمد بن سعيد . قال حدَّثني أبو سويد عبد القوي عن محمد بن أبي العتاهية قال : كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحة ، لها حُسنٌ وجمال ودَماثة ، وكان ممّن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ؛ وكانت مولاةٌ لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها[2] : [من الطويل]

ألا يا ذَواتِ السحق في الغرب والشرق ... أفقنَ فإنّ النيكَ أشهى مـن السحقِ
أفقـن فـإنَّ الخبز بالأدم يشتَهى ... وليس يسوغ الخبزُ بالخبزِ في الحلقِ
أراكـنَّ تَرقعـن الخـروقَ بمثلِها ... وأيُّ لبيب يرقـع الخرق بالخرقِ
وهل يَصلُح المِهـراسُ إلاّ بعـودِهِ ... إذا احتيج منـه ذاتَ يوم إلى الدقِّ

قال وقال فيه أيضاً[3] : [من الخفيف]

قلتُ للقلب إذْ طوى وَصْلَ سُعدى ... لهـواهُ البعيـدة الأنسابِ

1 ل : محمد .
2 ديوانه : 588 .
3 ديوانه : 490 .

أنتُ مثلُ الذي يفرُّ من القَطـ ـرِ حِذارَ النّدى إلى الميزابِ

قال محمد بن محمد في خبره : فغضبَ عبد الله بن معنٍ لسُعدى ، فضرب أبا العتاهيةِ مائةً فقال[1] : [من مجزوء الخفيف]

جلدَتْني بكفِّها بنتُ معن بن زائدهْ
جلدَتني بكفِّها بأبي أنتِ جالدهْ
جلدَتني وبالغَتْ مائةً غيرَ واحدهْ
اجلدي اجلدي اجلدي إنّما أنتِ والدهْ

[بينه وبين عبد الله بن معن]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ قال : احتال عبد الله بن معن فضربَ أبا العتاهية ضرباً غير مبرِّح ، إشفاقاً ممّا يغنّى به ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

اجلدي اجلدي اجلدي إنّما أنت والدهْ

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغلابيّ قال : حدَّثني مهدي قال : تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوَّفَه ونَهاه أن يعرِض لمولاته سُعدى ، فقال أبو العتاهية قوله[2] : [من الهزج]

ألا قل لابن معن والذ ي في الودِّ قد حالا
لقد بلِّغتُ ما قال فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأسدِ لَمّا راعَ ولا هالا
فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ بهِ سيفَكَ خلخالا
فما تصنع بالسيفِ إذا لَم تكُ قتّالا
ولَوْ مَدَّ إلى أذنيـ ـهِ كفّيهِ لَما نالا
قصير الطُّولِ والطَّوْلِ فلا شبَّ ولا طالا
أرى قومَكَ أبطالا وقد أصبحتَ بطّالا

[فزع من الهجاء]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني الحسن بن عليّ الرّازيّ قال حدَّثني أحمد بن أبي فَنَن قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ فذكرَ قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي : [من الطويل]

إذا كلّمَتْهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمَّ بأن يقضي تنحنحَ أو سعَلْ

1 ديوانه : 523–524 .
2 ديوانه : 609 .

وأنّ عبد الملك بن سليمان بن عمير قال : تركَني والله وإنّ السَّعلة لتَعرِض لِي في الخلاء فاذكر قولَه فأتركها . قال : فقلت له : هذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية : [من الهزج]

فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ ... بِــهِ سيفـك خلخالا
ومــا تصنعُ بالسيفِ ... إذا لم تَــكُ قتّــالا

قال : فقال عبد الله : ما لبست السيفَ قطُّ فلمحني إنسانٌ إلاّ قلت إنّه يحفظ شعر أبي العتاهية فيَّ ، فينظر إليّ بسببه . فقال ابن الأعرابيّ : اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه ! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان .

[هجاؤه عبد الله بن معن]

وقال محمد بن موسى في خبره : وقال أبو العتاهية يهجو عبدَ الله بن مَعن[1] : [من السريع]

لا تُكثرا يــا صاحبَيْ رحلي ... في شتم مَــن أكثَرَ من عذلِي
سبحانَ مَن خصَّ ابنَ معنٍ بما ... أُرى بِــهِ مــن قلّــة العقلِ
قــال ابن معــن وجـلا نفسَه ... على مَــن الجِلوةُ يــا أَهْلي
أَنا فتــاةُ الحــيِّ مــن وائلٍ ... في الشَّرَفِ البــاذخ والنُّبلِ
مــا في بني شيبان أَهلِ الحِجى ... جاريــةٌ واحــدةٌ مثــلِي
يــا ليتَنِي أبصرتُ دلاّلــة ... تدلُّنِــي اليــوم على فحلِ
والهفتــا اليــومَ عــلى أَمردٍ ... يُلصِق منِّــي القُـرط بالحجْلِ
أتيتُــه يومــاً فصافحتُه ... فقال دَعْ كفِّي وخُــذْ رِجلِي
يُكنى أَبا الفضل فيا مَن رأى ... جاريــةً تكنــى أَبــا الفضلِ
قــد نقّطتْ في خدِّها نقطةً ... مخافــةَ العــين مــن الكُحْلِ
إنْ زُرتموهــا قــال حُجّابُها ... نحــنُ عــن الزوّارِ في شغلِ
مولاتُنــا خاليــةٌ عندَهــا ... بعــلٌ ولا إذنَ عــلى البعلِ
قــولا لعبــد الله لا تجهلَنْ ... وأنــتَ رأس النُّوك والجهْلِ
أتجلِــد النّاسَ وأنــتَ امرؤٌ ... تُجلــدَ في الدُّبْـرِ وفي القُبْلِ
تبذلُ مــا يمنع أَهلُ النّدى ... هــذا لعمــري مُنتهى البذلِ
مــا ينبغِــي للنّاس أن يَنسُبوا ... مَــن كان ذا جودٍ إلى البخلِ

---

1 ديوانه : 620–622 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

وقال في ضربِهِ إيّاه[1] : [من الخفيف]

ضربَتْني بكفِّها بنت معنٍ أوجَعَتْ كفَّها وما أوجعتْني
ولعمري لولا أذى كفِّها إذ ضربَتْني بالسَّوْط ما تركتَني

[هجاؤه يزيد بن معن]

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني محمد بن موسى . وأخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني جبلة بن محمد قالا : لمّا اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غَضِبَ من ذلك أخوه يزيدُ بن معن ، فهجاه أبو العتاهية فقال[2] : [من الوافر]

بَنى معنٌ ويهدِمُه يزيدُ كذاك الله يفعلُ ما يريدُ
فمعنٌ كان للحسّادِ غَمّاً وهذا قد يُسرُّ به الحسودُ
يزيدُ يزيد في مَنع وبُخل وينقُصُ في النّوالِ ولا يزيدُ

أخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدَّثني أبي قال : لمّا هجا أبو العتاهية بني معن فمَضَوا إلى مندلٍ وحيانَ ابنَيْ عليٍّ العَنَزيَّين الفقيهَيْن ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، وهما من بني عمرو بن عمرو ، بطن مَن يقدم بن عنزة ، فقالوا لهما : نحن بيتُ واحد وأهلٌ ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاء لوجَبَ أن تردَعاه . فأحضَرا أبا العتاهية ولَم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيدَ ابنَيْ معن ، وضَمِنا عنه خُلوصَ النيّة ، وعنهما ألاّ يتتبَّعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يمكن خلافُهما ، فرجعت الحال إلى المودَّة والصفاء ، وجعل الناسُ يعذِلون أبا العتاهية فيما فرطَ منه ، ولامه آخرون على صُلحه لهم ، فقال[3] : [من مجزوء الرمل]

ما لعذّالي وما لِي أَمَروني بالضلالِ
عَذَلُوني في اغتفاري لابن معن واحتمالي
أَنا منه كنت أكْبى زَندةً في كلّ حالِ
كلُّ ما قد كان منه فلقُبح من فِعالي
إنّما كانت يميني صَرَمتْ جهلاً شمالِي
مالهُ بل نفسُه لِي وله نفسي ومالِي

1 ديوانه : 655 .
2 ديوانه : 520 .
3 ديوانه : 622–624 .

قُل لَمن يعجَب من حسـ ـن رُجوعِي وانتقالِي
قـد رأينـا ذا كثيراً جارِيـاً بين الرِّجالِ
رُبَّ وصلٍ بعد صَدٍّ وقِلًى بعد وصالِ

[يرثي زائدة بن معن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان أبو العبّاس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية ، ولم يُعِنْ أُخَوَيه عليه ، فماتَ فرثاه فقال[1] : [من الوافر]

حزِنتُ لَمَوْتِ زائـدةَ بنِ معن حقيقٌ أن يطولَ عليه حزني
فَتــى الفتيانِ زائـدةُ المصفَّى أبـو العبّاس كان أخِي وخِدني
فَتى قَوْمِي وأيُّ فَتًى توارت بِهِ الأكفانُ تحت ثـرًى ولِبْنِ
ألا يـا قبرَ زائـدةَ بنِ معـن دعوتُكَ كي تجيبَ فلَم تجِبْنِي
سَلِ الأيّـامَ عن أركان قَوْمِي أصِبت بهنّ ركناً بعـد رُكْنِ

صوت

[من الطويل]

فمـا روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثَّرى يمجُّ النَّـدى جَثجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ مـن أردانِ عَـزّة موهِناً وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطبِ نارُها
فإنْ خفيتْ كانت لعينيك قُرَّةً وإن تبدُ يومـاً لَم يعمّك عارُها
من الخَفِراتِ البِّيضِ لم تَـرَ شِقوةً وفي الحسب المكنون صافٍ نِجارُها

الشعر لكثيّر[2] ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن سُريج . وللغريض في الرابع والثالث ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو وحبش .

وذكر الهشاميّ أنّ في الأوّل والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى .

وذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملاً لابن جامع بالبنصر .

وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنّه لمعبد ، ويقال إنّه للغريض ، وأحسبه للغريض .

---

1 ديوانه : 656 .

2 ديوان كثير : 429–430 .

297 ـ [كثيِّر وقطام]

[لقاء كثير لقطام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة هكذا موقوفاً لم يتجاوزه وأخبرني أنّ كثيِّر بن عبد الرحمن كان غالياً في التشيُّع . وأخبر عن قَطامِ صاحبةِ ابن مُلجَم في قَدمةٍ قدِمَها الكوفة فأرادَ الدّخول عليها ليوبِّخها ، فقيل له : لا تزرها فإن لها جواباً . فأبى وأتاها فوقَف على بابها فقرعَه فقالت : مَن هذا ؟ فقال : كثيِّر بن عبد الرحمن الشاعر . فقالت لبناتِ عمٍّ لها : تَنَحَّيْنَ حتى يدخل الرجل . فولجنَ البيتَ وأُذِنَتْ له ، فدخلَ وتنحَّت من بين يديه ، فرآها وقد ولّت فقال لها : أنتِ قطامِ ؟ قالت : نعم . قال : صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم . قال : أليس فيك قُتِل علي بن أبي طالب ؟ قالت : بل مات بأجَلِهِ . قال : أمَا والله لقد كنتُ أُحبُّ أن أراكِ ، فلمّا رأيتك نبَتْ عيني عنك ، فما احلوليتِ في خَلَدِي . قالت : والله إنّك لقصير القامة ، عظيم الهامة ، قبيحُ المنظر ، وإنّك لكما قال الأوّل : «تسمع بالمَعِيدِيّ خير من أن تراه»[1] . فقال : [من الطويل]

رأَتْ رجلاً أُودى السِّفارُ بوجهه ... فلَـم يبــقَ إلاّ منظرٌ وجَنـاجنُ[2]
فإنْ أَكُ معــروقَ العِظـامِ فإنّني ... إذا وُزِنَ الأقوامُ بـالقومِ وازنُ[3]
وإنّي لمـا استودعتنـي مــن أمانةٍ ... إذا ضاعــت الأسرار للسرّ دافنُ

فقالت : أنت لله أبوكَ كثيِّر عزّة ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذي قصَّر بِك فصرتَ لا تُعرَف إلاّ بامرأة ! فقال : الأمر كذلكِ ، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذِكري ، وقَرُبَ من الخليفة مجلسي ، وأنا لكما قلتُ : [من الطويل]

فإن خفيتْ كانت لعينك قُـــرّةً ... وإن تبــدُ يومـــاً يعمَّك عارُها

---

1 المثل «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» في مجمع الميداني 1 : 129 وجمهرة العسكري 1 : 266 ومستقصى الزمخشري 1 : 370 وفصل المقال : 135 .

2 السفار : السفر . والجناجن : جمع جنجن ، وهي عظام الصدر .

3 معروق العظام : انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . وازن : راجح .

فمـــا روضةٌ بالحزنِ طيبة الثّرى يمـجُّ النّدى جَثجاثَهـا وعَرارُها
بأطيبَ مـــن أردانِ عـــزّة مَوهِناً وقـد أُوقِدتْ بالمندلِ اللّدنِ نارُها

فقالت : بالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقصَ عقلاً منك ، ولا أَضعفَ وصفاً ، أين أنت من سيّدك امرىء القيس حيث يقول : [من الطويل]

أَلَـم تَرَيانِـــي كلّما جئتُ طارِقاً وجدت بِها طيباً وإن لَم تَطَيَّبِ

فخرج وهو يقول[1] : [من مجزوء الرمل]

الحقُّ أبلج لا يُخيــل سبيلُه والحقُّ يعرفه ذوو الألبابِ[2]

صوت

[من مجزوء الرمل]

هـــاكَ فاشربْهـا خليلي في مَـدى الليـلِ الطويلِ
قهـــوةً في ظـــلِّ كـرم سُبِيتْ مـــن نهـر بِيلِ
في لسانِ المـــرء منهـا مثـلُ طعـــمِ الزنجبيلِ
قـــل لِمَـــن يلحاكَ فيها مِـــن فقيـــهٍ أو نبيـــلِ
أنتَ دعْها وارجُ أُخرى مِـــن رحيـــقِ السلسبيلِ
تعطش اليـــومَ وتُسقـى في غَـــدٍ نعـتَ الطُّلولِ[3]

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، هزج بالبنصر عن حبش . ولإبراهيم بن المهديّ في الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ . ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر ، وقيل لعبد الرحيم .

1 ديوان كثير : 501 وانظر أيضاً 509 حيث أبدلت «ذوو الألباب» إلى «ذوو الأحلام» وربّما كان ممّا تمثل به كثير وليس من نظمه .
2 لا يخيل : لا يشتبه ولا يلتبس .
3 الشطر الأول في ل : تنعم اليوم وتلقى .

[298] ـ ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

[نسبه]

آدم بن عبد العزيز عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّه أمّ عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً . وهو أَحَد مَن مَنَّ عليه أبو العبّاس السفّاحُ من بني أُميّة لمّا قتلَ مَن وَجَدَ منهم .

[كان خليعاً ثم نسك]

وكان آدم في أوّل أمره خليعاً ماجناً منهمِكاً في الشراب ، ثم نسكَ بعد ما عُمِّر ، ومات على طريقة محمودة .

[عتاب المهديّ له]

وأخبرني الحسين بن عليّ عن أحمد بن سعيدٍ الدمشقيّ ، عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه : أنّ المهديَّ أُنشِدَ هذه الأبياتَ وغُنِّي فيها بحضرته : [من مجزوء الرمل]

أنتَ دَعْها وارجُ أُخرى ... مِــن رحيــق السلسبيلِ

فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال له : ويلَكَ تزندقتَ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق ؟ والمِحنة في هذا إليك[1] ، ولكنّه طَرَبٌ غلَبَني ، وشِعرٌ طَفح على قلبي في حال الحَداثة فنطقتُ به . فخلّى سبيله .

قال : وكان المهديُّ يحبّه ويُكرمه ، لظَرَفِه وطِيب نفسه .

ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزُّبيريّ وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان آدمُ بن عبد العزيز يَشرب الخمر ويُفرِط في المجون ، وكان شاعراً ، فأخذه المهديُّ فضربه ثلثمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة ، فقال : والله ما أشركتُ بالله طَرفَة عين ، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق ؟ قال : فأين قولك : [من مجزوء الرمل]

اسقِني واسقِ غُصَينــا ... لا تَبِــعْ بالنقــدِ دَينا
اسقنيهــا مُــزّة الطعــ ... ــم تُرِيـك الشَّينَ زَينا

في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم هزج بالبنصر .

---

1 المحنة : الامتحان .

قال : فقال لئن كنتَ قلت ذاك فما هو مّما يشهدُ على قائله بالزندقة . قال : فأينَ قولك : [من مجزوء الرمل]

اسقِنِي واسقِ خليلي في مَدى الليلِ الطويلِ
قهوةً صهباءَ صِرفاً سُبِيت من نهر بِيلِ
لونُها أصفرُ صافٍ وهْيَ كالمِسكِ الفتيلِ
في لسانِ المرءِ منها مثلُ طعم الزّنجبيلِ
ريحُها يَنفَح منها ساطِعاً من رأسِ ميلِ
مَن يَنَلْ منها ثلاثاً يَنْسَ منهاجَ السبيلِ
فمتى ما نال خمساً تركَتْه كالقَتِيلِ
ليس يَدري حينَ ذاكُمْ ما دَبِيرٌ من قَبِيلِ[1]
إنَّ سمعي عن كلام الـ ـلائِمي فيها الثقيلِ
لشَدِيدُ الوَقْرِ ، إنّي غير مطواعٍ ذليلِ
قُلْ لِمَن يلحاكَ فيها مِن فقيهٍ أو نبيلِ
أنتَ دعها وارجُ أُخرى من رحيقِ السلسبيلِ
نعطش اليومَ ونُسقى في غدٍ نعتَ الطلولِ

فقال : كنت فتًى من فتيان قريش ، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون ، والله ما كفرتُ بالله قطُّ ، ولا شككتُ فيه . فخلَّى سبيلَه ورقَّ له .

قال مصعب : وهو الذي يقول : [من مجزوء الخفيف]

صوت

اسقِنِي يا معاويه سبعةً أو ثمانيَهْ
اسقنيها وغنِّني قبلَ أخذِ الزَّبانيَهْ
اسقنِيها مُدامةً مُزّةَ الطَّعمِ صافِيَهْ
ثمَّ مَن لامَنا عليـ ـها فذاك ابنُ زانيَهْ

فيه خفيف رملٍ بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكّيّ ، وإلى حكم الواديّ .

قال : وآدم الذي يقول : [من الوافر]

1 لا يدري ما دبير من قبيل : لا يعرف شيئاً .

أقولُ وراعَنِي إيوانُ كسرى ... بـرأسِ مَعـانَ أو أدرُوسفانِ
وأبصرتُ البِغـالَ مربّطـاتٍ ... بِـهِ مـن بعـد أزمِنةٍ حسانِ
يعـزُّ على أبي ساسان كسرى ... بموقِفِكـنَّ في هـذا المكانِ
شربتُ على تذكُّرِ عيشِ كسرى ... شرابـاً لونُـه كالزعفرانِ
ورحتُ كأنّني كسرى إذا ما ... عَـلاهُ التّاجُ يـوم المِهرجانِ

قال وهو الذي يقول : [من المتقارب]

أُحبُّـكِ حُبَّـينِ لِـي واحدٌ ... وآخـر أنّـكِ أهـلٌ لذاكِ
فأمّـا الذي هو حـبُّ الطباعِ ... فشيءٌ خُصِصتِ بِهِ عن سواكِ
وأمّا الذي هو حـبُّ الجمال ... فلستُ أُرى ذاكِ حتّـى أراكِ
ولستُ أمِـنُّ بهـذا عليكِ ... لكِ المـنُّ في ذا وهذا وذاكِ

[عتاب صديقه فليح له بعد لقائِهِ خالصة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي عن فليح بن سليمان قال : مررنا يوماً مع خالصة[1] في موكبها ، فوقفَتْ على آدم بن عبد العزيز فقالت : يا أخي طلبتَ منّا حاجةً فرفعناها لك إلى السيِّدة وأَمَرَتْ بها وهي في الديوان ، فساء ظنُّك بها فقعدْتَ عن تنجُّزها . قال : فموّه لها عذراً اعتذرَ به فوقفت عن الموكب حتّى مضت ، ثم قلت له : أخملْتَ نفسَك ، والله ما أحسبُ أنّه حبسك عنها إلاّ الشراب ، أنت ترى النّاسَ يركُضون خلفها وهي تَرِفُّ[2] عليك لحاجتك . فقال : والله هو ذاكَ ، إذا أصبحْتَ فكُلْ كسرةً ولو بملحٍ ، وافتحْ دَنَّكَ فإن كان حامِضاً دبغَ معدتك ، وإن كان حُلواً خَرطك[3] ، وإن كان مدرِكاً فهو الذي أردت . قلت : لا أبارك الله عليك . ومضيت ، ثم أقلع بعد ذلك وتاب . فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب : ارفعوا الشراب فإنَّ هذا قد تاب وأحسَبُه يكره أن يراه . فرُفع وأُذِن له ، فلمّا دَخَلَ قال : ﴿إنِّي لأَجِد ريحَ يوسفَ لَوْلا أنْ تفنِّدون﴾ . قال يعقوب : هو الذي وجدتَ ، ولكنّنا ظنَنّا أن يثقل عليك لتركِكَ الشراب . قال : إي والله ، إنّه ليثقُل عليّ ذاك . قال : فهل قلتَ في ذلك شيئاً منذُ تركتَه ؟ قال قلت : [من الطويل]

ألا هل فتًى عن شُربها اليومَ صابر ... لِيَجزيَـهِ يومـاً بذلـك قـادرُ

1 خالصة : إحدى جواري الخيزران .
2 ترف : تعطف وتشفق .
3 خرط : أسهل .

شربتُ فلمّا قيل ليس بنازِعٍ نزَعتُ وثوبي من أذى اللُّومِ طاهِرُ

[هجاء لطول اللحية]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال : كان مع المهديّ رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحيةٌ عظيمة ، فذهب يوماً ليركبَ فوقعت لحيتُه تحت قدمِه في الرّكاب فذهَبَ عامّتُها ، فقال آدمُ بن عبد العزيز قولَه : [من الهزج]

قد استوجَبَ في الحُكمِ سليمانُ بنُ مختارِ
بما طَوَّل من لحيـ ـتِهِ جَزّاً بمنشارِ
أو السيفِ أو الحَلْقِ أو التحريقِ بالنّارِ
فقد صار بها أشهـ ـرَ من رايةِ بَيطارِ

فقال : ثم أنشدها عُمر بن بَزِيغ المهديَّ فضحك ، وسارت الأبياتُ ، فقال أسيد بن أسيد ، وكان وافر اللحية : ينبغي لأمير المؤمنين أن يكفَّ هذا الماجِنَ عن النّاس . فبلغت آدَمَ بنَ عبد العزيز فقال : [من مجزوء الرمل]

لحيةٌ تمَّتْ وطالت لأسِيد بن أسِيدِ
كشِراعٍ من عَباءٍ قطعت حَبْلَ الوريدِ
يَعجب الناظرُ منها مِن قريبٍ وبَعِيدِ
هي إنْ زادَت قليلاً قطعَتْ حبلَ الوريدِ

وقال : وكان المهديُّ يُدْنِي آدَمَ ويحبّه ويقرّبه ، وهو الذي قال لعبدِ الله بن عليّ لمّا أمَرَ بقتلِهِ في بني أُميّة بنهر أبي فُطراس[1] : إنَّ أبي لَم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ مذهبَه فيكم . فقال : صدقتَ ، وأطلقَه . وكان طيِّب النَّفس متصوّفاً ، ومات على توبةٍ ومذهب جميل .

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يا صاحِ للعَجبِ دعَوتُكَ ثم لَم تُجِبِ
إلى القَيناتِ واللذّا تِ والصَّهباء والطَّرَبِ
ومنهنَّ التي تَبَلَتْ فؤادَك ثمّ لَم تتُبِ

الشعر ليزيد بن معاوية ، يقوله للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . والغناء لسائب خاثر ، خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

1 أبو فُطرُس موضع قرب الرملة كانت به وقعة بين العباسيين والأمويين .

299 ـ [يزيد والحسين]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني المدائنيّ قال : قَدِمَ سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلةً : ألا أولِّيك خُراسان ؟ قال : بلى وسجِستان . فعَقَد له في ليلتِهِ فقال : [من الخفيف]

اسقِنِي شربةً فـروِّ عظامِـي ثمّ عُدْ واسقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضع السرِّ والأمانـةِ منِّي وعلى ثغر مَغْنَمِي وجِهادِي

[لوم الحسين ليزيد]

قال : ولمّا رجع في خلافة أبيه جَلس بالمدينة على شراب ، فاستأذن عليه عبدُ الله بن العبّاس ، والحسينُ بن علي ، فأمَر بشَرابه فرفع وقيل له : إنَّ ابن عبّاسٍ إن وَجَدَ ريح شرابَك عرَفـه . فحجَبـه وأُذِن للحسين ، فلمّا دخَلَ وجَدَ رائحة الشراب مع الطِّيب فقال : لله درُّ طِيبك هذا ما أطيبه ، وما كنتُ أحسبُ أحداً يتقدّمنا في صنعة الـطِّيب ، فما هذا يا ابنَ معاوية ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، هذا طِيبٌ يُصنع لنا بالشام . ثم دَعا بقَدح فشربه ، ثم دعا بقدح آخر فقال : اسقِ أبا عبد الله يا غلام . فقال الحسين : عليك شرابَكَ أيـّها المرء ، لا عينَ عليك منِّي . فشرب وقال : [من مجزوء الوافر]

ألا يـا صاحِ للعجبِ دعوتُكَ ثمّ لَم تُجِبِ
إلى القينـاتِ واللـذّا تِ والصَّهباء والطَّرَبِ
وباطيـــةٍ مُكلّلَـــة عليهـــا سادةُ العَرَبِ
وفيهـنّ التـي تَبَلَتْ فـؤادَكَ ثـم لَم تتُبِ

فوثب الحسين عليه السلام وقال : بل فؤادَكَ يا ابن معاوية !

صوت

[من الوافر]

أأن نـادى هدِيلاً يـومَ فَلْج مـع الإشراق في فَنَـنٍ حمامُ

ظلِلتَ كأنّ دمعَكَ دُرُّ سِلكٍ وَهـى خيطــاً وأسلمَه النِّظامُ
تموتُ تشوُّقـاً طـوراً وتحيا وأنـتَ جديـرُ أنّكَ مُستهامُ
كأنّكَ مـن تذكُّرِ أمِّ عمرٍو وحبـلُ وصالِها خَلَـقٌ رِمامُ[1]
سلامُ الله يـا مطـر عليها وليس عليكَ يا مطـرُ السّلامُ
فإنْ يكُن النِّكاحُ أَحَلَّ أنثى فـإنَّ نِكاحهـا مطـراً حرامُ
ولا غَفَـرَ الإلـه لمُنكحِيها ذُنوبهـمُ وإنْ صلُّوا وصاموا
فطلِّقْها فلستَ لهـا بكُفء وإلاّ عـضَّ مَفرِقَـكَ الحُسامُ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم الموصليّ في الأربعة الأبيات الأوّل ثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

1 الخلق : البالي ومثله الرمام .

300 ـ [الأحوص ومطر]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خَلاَّد الأنصاريّ قال : حدَّثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاريّ قال : قدِم الأحوص البصرةَ فخطب إلى رجل من تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هاتِ لي شاهداً واحِداً يشهد أنّكَ ابن حميّ الدَّبر[1] وأُزوِّجك . فجاءه بمَن شهد له على ذلك ، فزوَّجه إيّاها ، وشرطت عليه ألاّ يمنعها من أحَد من أهلها ، فخرج بها إلى المدينة وكانت أُختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِل بي إلى أُختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ، وكانت من أحسن النّاس ، وكان زوجُها في إبلِه . فقالت زوجة الأحوص له : أَقِمْ حتّى يأتي . فلمّا أُمسَوْا راح مع إبلِهِ ورِعائه ، وراحت غنمُه فراح من ذلك أمرٌ كثير . وكان يُسمَّى مَطَراً ، فلمّا رآه الأحوصُ ازدراه واقتحمتْه عينُه ، وكان قبيحاً دميماً . فقالت له زوجتُه : قُمْ إلى سِلْفِك وسلِّم عليه . فقال وأشار إلى أُخت زوجته : بإصبعه : [من الوافر]

سلامُ اللهِ يـا مطـرٌ عليهـا ... وليس عليكَ يـا مطرُ السلامُ

وذكر الأبيات وأَشار إلى مطرٍ بإصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأَمر يتفاقم حتى حُجِز بينهم .

قال الزُّبير : قال محمد بن ثابت : أَبو عبد الله بن سعد الذي حدَّث بهذا الحديث ، أُمّه بنت الأحوص ، وأُمّها التميميّة أُخت زوجة مطر .

وأَخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد عن أَبيه ، أنّ امرأة الأَحوص التي تزوّجها ، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تميم . وذكر باقي القصيدة ، وهو قوله : [من الوافر]

كأَنَّكَ مِـن تذكُّـرِ أُمِّ عمرٍو ... وحبـلُ وِصالهـا خَلَـقٌ رِمامُ
صَريع مُدامــةٍ غَلَبَـتْ عليـهِ ... تموتُ لَهـا المفاصِلُ والعِظامُ
وأنَّى مِن بـِلادِك أُمَّ عمرٍو ... سقَى داراً تَحُـلُّ بِهـا الغمامُ
تَحلُّ النَّعفَ مـن أُحُدٍ وأَدنى ... مَساكنها الشُّبيكـة أَو سَنامُ[2]
فلــو لَم ينكِحـوا إلاّ كفِيّـاً ... لَكـانَ كفيَّهـا الملكُ الهمامُ

أُخبرني الحسين قال : قال حمّاد : قرأت على أبي : حدَّثنا ابن كناسة قال : مَرَّ بنا أَشعبُ

1 الدبر : النحل . ابن حمي الدبر هو عاصم بن ثابت جدّ أبي الأحوص .

2 الشبيكة في ل : السكينة . وسنام : جبل بالحجاز .

ونحن جماعةٌ في المجلس ، فأتى جارٌ لنا صاحب جَوارٍ يقال له أبان بن سُليمان ، وعليه رداء خَلَق ، قد بدا منه ظهرُه وبهِ آثار ، فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلامَ ، فلمّا مضى قال بعضُ القوم : مَدَنيٌّ مجلود ! فأراه سمعَها أو سمعها رجلٌ يمشي معه فأخبره ، فلمّا انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال : [من الوافر]

سلامُ الله يا مطرٌ عليها … وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

فقلت للقوم : أنتم والله مَطَر .

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة ، خبرٌ له آخر شبيه به مع ابن حزم .

[لومه معمر بن عبد الله على تزويجه أخته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا محمد بن فضالة ، عن جميع بن يعقوب قال : خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، إلى أخيها مَعْمَر بن عبد الله ، فزوَّجَه إيّاها ، فقال الأحوص أبياتاً وقال لفتًى من بني عمرو بن عوف : أنْشِدْها مَعْمَر بنَ عبدِ الله في مجلسِه ولك هذه الجُبّة . فقال الفتى : نَعم . فجاءه وهو في مجلسه فقال : [من البسيط]

يا معمر يا ابن زيدٍ حين تَنكحها … وتستبدُّ بأمر الغيِّ والرشَدِ

فقال : كان ذلك الرّجل غائباً . فقال الفتى : [من البسيط]

أما تذكّرتَ صيفيّاً فتحفظه … أو عاصِماً أو قتيلَ الشِّعبِ من أُحُدِ

قال : ما فعلتُ ولا تذكّرتُ . فقال الفتى : [من البسيط]

أكنتَ تجهل حزماً حِينَ تَنكحِها … أم خفتَ ، لا زلتَ فيها جائع الكبِدِ

قال معمر : لم أجْهَلْ حزماً . فقال الفتى : [من البسيط]

أبعدَ صهرِ بني الخطاب تجعلهمُ … صِهراً وبعد بني العوّامِ من أسَدِ

فقال معمر : قد كان ذلك . فقال الفتى : [من البسيط]

هَبْها سليلةَ خَيلٍ غيرِ مُقْرِفةٍ … مظلومةً حُبِست للعَيرِ في الجددِ

قال : نعم أعانَها الله وصَبَّرَها . فقال الفتى : [من البسيط]

فكلُّ ما نالَنا من عارِ مَنكَحِها … شَوًى إذا فارقتْه وهِي لَم تَلِدِ

قال : نعم إلى الله عزّ وجلّ في ذلك الرغبة .

قال الزُّبير : أمّا قوله «صهر بني الخطّاب» فإنّ جميلةَ بنتَ أبي الأقلح كانت عند عمر بن الخطّاب ، فولدت له عاصم بن عمر : وأمّا «صهر بني العوام» فإنّ نهيسة بنت النُّعمان بن عبد الله بن أبي عُقبة ، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، فولدت له أبا بكر ومحمداً .

[أمّ جعفر تكره أصواتاً من الغناء القديم]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني مصعب قال : قال الهدير : كرهَتْ أمُّ جعفر أصْواتاً من الغِناء القديم ، فأرسلَتْ لها رسولاً يُلقيها في البحر ، ثم غنّتها جاريةٌ بعد ذلك : [من الوافر]

سلامُ الله يـا مطـرٌ عليهـا وليس عليك يـا مطرُ السلامُ

فقالت : هذا أرسِلُوا به رسولاً مفرداً إلى دَهلك[1] ليلقيَه في البحر خاصّة . قال : والذي حمل أمَّ جعفرٍ على هذا التطيّر على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات ، أيّام محاربته المأمون فمنها قوله : [من الطويل]

كُليبٌ لَعمـرِي كان أكثَرَ ناصراً وأيسَرَ جرمـاً منك ضُرِّج بالدمِ[2]

ومنها قوله : [من الطويل]

همُ قَتلـوه كَـيْ يكونوا مكانَـه كما غدَرتْ يوماً بِكسرى مَرازِبُهْ[3]

ومنها قوله : [من الطويل]

رأيت زُهيراً تحـت كلكل خالـدٍ فأقبلتُ أسعـى كالعَجُـولِ أُبادِرُ[4]

ومنها قوله : [من الطويل]

أبـا منـذرٍ أفنيـتَ فاستَبْقِ بعضَنا حنانَيكَ بعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعضِ[5]

مضى الحديث .

صوت

[من الطويل]

وكنّـا كنَدْمانَـيْ جَذِيمةَ حِقبـةً مـن الدَّهْـرِ حتَّى قيل لن يتصدَّعا
فلمّـا تفرَّقنـا كأنّـي ومالِكـاً لِطولِ اجتماعٍ لَم نَبِتْ ليلـةً معا

الشعر لمتمِّم بن نُوَيرة ، يرثي أخاه مالِكاً . والغناء لسياط .

1 دهلك : جزيرة في البحر الأحمر .
2 البيت للنابغة الجعدي وقد تقدّم في ترجمته .
3 البيت للوليد بن عقبة .
4 البيت لورقاء بن زهير .
5 البيت لطرفة في ديوانه ، والمثل «بعض الشر أهون من بعض» في مجمع الميداني 1 : 94 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 والدرة الفاخرة 2 : 456 وفصل المقال : 244 . وفي بيت أبي خراش الهذلي :
حمـدت إلهـي بعـد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض .

[301] ـ ذكر متمّم وأخباره وخبر مالك[1] ومقتله
[واستطراد بقصة جذيمة والزبّاء]

[نسبه]

هو متمِّم بن نويرة بن عمرو بن شدّاد بن عبيد بن ثَعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ويكنى متمِّم بن نويرة أبا نهشل .

[أخوه مالك]

ويُكنى أخوه مالك أبا المِغوار . وكان مالكٌ يقال له فارسُ ذي الخِمار ، قيل له ذلك بفرسٍ كان عنده يقال له «ذو الخمار» ، وفيه يقول وقد أحمَدَه في بعض وقائعه : [من الطويل]

جزاني دَوائي ذُو الخمار وصَنعتي بِما بــاتَ أطْواءِ بنــيَّ الأَصاغِرُ

[مقتل مالك]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان مالك بن نويرة شريفاً فارساً شاعراً ، وكان فيه خُيَلاءُ وتقدُّم ، وكان ذا لِمّة كبيرة ، وكان يقال له الجَفول .

وكان مالِكٌ قُتِل في الرِّدّة ، قتله خالدُ بن الوليد بالبِطاح في خلافة أبي بكرٍ ، وكان مقيماً بالبِطاح ، فلمّا تنبأتْ سَجاحِ اتّبعها ثم أظهَرَ أنّه مسلم ، فضربَ خالدٌ عنقَه صَبْراً ؛ فطَعن عليه في ذلك جماعةٌ من الصحابة ، منهم عُمر بن الخطّاب ، وأبو قَتادة الأنصاريّ ، لأنّه تزوّج امرأةَ مالكٍ بعده . وقد كان يقال إنّه يهواها في الجاهلية واتُّهم لذلك أنّه قَتله مسلماً ليتزوّج امرأتَه بعده .

حدَّثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبريّ قال : كتب إليّ السريّ بن يحيى ، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيميّ ، عن سيف بن عُمر ، عن الصَّقعب بن عطيّة عن أبيه : أنّ رسول الله ﷺ استعمل عمالَه على بني تميم ، فكان مالك بن نويرة عاملَه على بني يربوع . قال : ولّما تنبأت سَجاح بنتُ الحارث بن سويد بن عُقْفان وسارت من الجزيرة ، راسلت مالكَ بن نويرة ودَعَتْه إلى الموادعة ، فأجابَها وفَثَّأَها[2] عن غَزْوها ، وحَمَلَها على أحياءِ

1 ترجمة متمّم بن نويرة في طبقات ابن سلام : 169–174 والشعر والشعراء 254–258 وخزانة البغدادي 2 : 22–24 وتاريخ الطبري 3 : 24 ومعجم المرزباني : 432 وشعره في المفضليات والجمهرة وأمالي اليزيدي وحماسة اليزيدي وكامل المبرد . وقد اتصلت أخباره بأخبار أخيه . وقد جمعت ابتسام مرهون الصفّار شعر مالك ومتمّم من مختلف المصادر مع مقدمة طويلة وتخريج مستفيض .

2 فثأها : كفّها .

من بني تميم ؛ فأجابته وقالت : نَعَمْ فشأنَكَ بمَن رأيت ، وإنّما أنا امرأةٌ من بني يربوع ، وإن كان مُلكٌ فهو مُلكُكم . فلمّا تزوّجها مسيلمةُ الكذّاب ودخل بِها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحتْه على أن يحمل عليها النِّصفَ من غَلاّت اليمامة . فارعَوى حينئذٍ مالكُ بن نُوَيرة ونَدِمِ وتحيَّر في ادمرِهِ ، فلحِق بالبِطاح ، ولَم يبقَ في بلاد بني حنظلة شيء يُكره إلاّ ما بَقِيَ من أمر مالك بن نويرة ومَنْ تأشَّب إليه[1] بالبِطاح ، فهو على حاله متحيِّر ما يدري ما يصنع .

وقال سيف : فحدَّثني سهلُ بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا : لمّا أراد خالدُ بن الوليد المسيرَ خرج مِن ظَفَرَ[2] وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً . فسار يريد البِطاح دون الحَزْن ، وعليها مالكُ بن نويرة وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردَّدت الأنصار على خالد وتخلَّفتْ عنه ، وقالوا : ما هذا بِعهدِ الخليفة إلينا ؛ فقد عهد إلينا إن نحنُ فرَغنا من البُزاخة[3] واستبرأنا بلادَ القوم ، أن يكتب إلينا بما نعمل . فقال خالد : إن يكنْ عَهِد إليكم هذا فقد عَهِد إليّ أن أمضي ، وأنا الأميرُ وإليّ تنتهي الأخبار ، ولَو أنّه لَم يأتني له كتابٌ ولا أمْر ثم رأيتُ فرصةً إن أعلمته بها فاتَتْني لم أعلمه حتّى أنتهَزَها . وكذلك لو ابتُلِينا بأمرٍ ليس منه عهدٌ إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونَعمَل به . وهذا مالك بن نُويرة بِحِيالنا ، وأنا قاصدٌ بِمَن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ، ولستُ أُكرِهُهم . ومضى خالدٌ وبرِمت الأنصارُ وتذامروا[4] وقالوا : لئن أصاب القومُ خيراً إنّه لخيرٌ حُرِمتموه ، ولئنْ أصابتهم مصيبةٌ ليجتَنِبَنَّكُم النّاس . فأجمعوا على اللَّحاق بخالد ، وجَرّدوا إليه رسولاً ، فأقام عليهم حتّى لحِقوا بِهِ ، ثم سار حتّى لحِقَ البِطاح فلَم يجد بِهِ أحداً .

قال السريّ عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العُقفانيّ عن عثمان بن سُويد ، عن سويد بن المنعبة الرّياحِيّ قال : قدِم خالد بن الوليد البِطاحَ فلَم يجِدْ عليه أحداً ، ووجد مالك بن نويرة قد فرَّقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبثَّ السرايا وأمَرَهم بداعيةِ الإسلام ، فمَن أجابَ فسالِموه ومن لم يُجِبْ وامتنَع فاقتلوه .

وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم منزِلاً فأذّنوا وأقيموا ، فإنْ أذّن القومُ وأقاموا فكُفُّوا عنهم ، وإنْ لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة . ثم اقتلوهم كلَّ قِتلة : الحرق فما سواه . فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقرّوا بالزّكاة قَبِلتم منهم ، وإلاّ فلا شيء إلاّ الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم ، وعبيد ،

1 تأشب إليه : تجمع .

2 ظفر : موضع .

3 البزاخة : ماء لبني أسد .

4 تذامروا : حصنوا بعضهم بعضاً على القتال .

وعرين ، وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة . وكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصَلَّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أُمَرَ بحبسهم ، في ليلةٍ باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلَتْ تزداد برداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : «دافئوا أسراكم» . وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه من الدفء . فظنّ القوم أنّه يريد القتل فقتلوهم . فقتل ضرار بن الأزور مالِكاً ، فسمع خالدٌ الواعية[1] ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد اختلف القومُ فيهم فقال أبو قَتادة : هذا عملك ! فزبره خالد فغضب ومضى حتّى أتى أبا بكر ، فغضِب عليه أبو بكر حتّى كلّمه عمر بن الخطّاب فيه ، فلم يَرضَ إلاّ بأن يرجع إليه ، فرجَع إليه فلم يزل معه حتّى قدِم المدينة . وقد كان تزوّج خالدٌ أُمّ تميم بنت المِنهال وتَركها لينقضيَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساءَ في الحرب وتعايرُه ، فقال عُمر لأبي بكر : إنّ في سيف خالدٍ رَهَقا ، وحقّ عليه أن تُقِيده . وأكثَرَ عليه في ذلك . وكان أبو بكرٍ لا يُقِيد من عُمّاله ولا من وزَعَته[2] ، فقال : هيه يا عمر تأوّل فأخطأ . فارفعْ لسانك عن خالد . ووَدَى مالكاً ، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه ، ففعل وأخبره خبره فعذَره ، وقَبِل منه ، وعنّفه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك .

فذكر سيفٌ عن هشام بن عروة عن أبيه قال : شهد قوم من السريّة أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشهِد آخرون أنّه لم يكن من ذلك شيء فقُتِلوا . وقدِم أخوه متمّم يَنشُد أبا بكرٍ دَمَه ويَطلب إليه في سَبْيهم ، فكتب له بردّ السَّبي ، وألحَّ عليه عمر في خالد أن يعزله وقال : إنّ في سيفه لرَهَقاً ! فقال له : لا يا عمر ، لم أكن لأشِيمَ سيفاً سلّه الله على الكافرين .

حدَّثنا محمد بن إسحاق قال : كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال : كان مالكٌ من أكثر الناس شَعراً ، وإنّ أهل العسكر أثّفوا القُدور برؤوسهم[3] ، فما منها رأسٌ إلاّ وَصَلت النّارُ إلى بشرته ، ما خلا مالِكاً فإنّ القدر نضِجت وما نضِج رأسُه من كثرة شَعره ، ووقى الشعرُ البشرةَ من حرِّ النّار أن تبلغَ منه ذلك .

قال : وأنشد متمّم عمر بن الخطّاب وذكر خَمَصه ، يعني قوله : [من الطويل]

لقد كفن المِنهالُ تحت ردائه فتًى غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أروَعا

فقال : أكذاكَ كان يا متمّم ؟ قال : أمّا ما أعني فنعم .

أخبرني اليزيديُّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن فليح ، عن موسى بن عُقبة ،

1 الواعية : الصراخ على الميت .

2 الوزعة : جمع وازع ، وهو الذي يدير أمور الجيش ويرد من شذ منهم .

3 أثفوا القدور برؤوسهم : جعلوا أثافيها من رؤوس القتلى .

عن ابن شهاب . وحدَّثنيه أحمد بن الجعد قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيَّبيّ قال : حدَّثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب : أنّ مالك بن نويرة كان من أكثر النّاس شَعراً ، وأنّ خالداً لمّا قتله أمَر برأسِهِ فجعل أُثفِيّة لقدرٍ ، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النّارُ إلى شَواته .

أخبرني محمد بن جرير قال : حدَّثنا محمد بن حميد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

أنّ أبا بكر كان مِن عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غَشِيتم داراً من دُورِ النّاس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسِكُوا عن أهلِها حتّى تسألوهم ماذا نَقِموا ، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشُنُّوا الغارةَ واقتُلُوا وحَرِّقوا . فكان مِمّن شهدَ لمالك بالإسلام أبو قَتادة الأنصاريّ ، واسمه الحارث بن رِبعيّ أخو بني سَلمة ، وقد كان عاهَدَ الله أنّه لا يشهد حرباً بعدها أبداً . وكان يحدّث أنّهم لمّا غَشُوا القومَ راعُوهم تحت الليل ، فأخذَ القومُ السلاحَ . قال : فقلنا لهم : إنّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون . قلنا : فما بالُ السلاحِ معكم ؟ فإن كنتم كما تقولون فضَعُوا السلاح . ففعلوا ثم صلّينا وصلّوا . وكان خالدٌ يعتذر في قتلِهِ أنّه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبَكم ، يعني النبيّ ﷺ ، إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد : أَو ما تعدُّه صاحباً ؟ ثم قدَّمَه فضربَ عنقَه وأعناق أصحابِهِ ، فلمّا بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطّاب تكلَّم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : عدوُّ الله عَدا على امرىء مسلم فقتلَه ، ثم نَزا على امرأته . وأقبل خالدُ بن الوليد قافلاً حتّى دخل المسجدَ وعليه قباءٌ له ، وعليه صدأُ الحديد ، معتجراً بعمامة غرز فيها أسهُماً ، فلمّا أنْ دخل المسجدَ قام إليه عُمر فانتزع الأسهمَ من رأسِهِ فحطَّمها ثم قال : أقتلتَ امرءاً مسلماً ثم نَزوتَ على امرأته ، والله لأرجُمنّكَ بأحجارك ! ولا يكلّمه خالد بن الوليد ولا يظنُّ إلاّ أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمرَ فيه ، حتّى دخل على أبي بكر فأخبره الخبرَ واعتذر إليه ، فعذَره أبو بكرٍ وتجاوَزَ له عمّا كان في حربه تلك . فخرج خالدٌ حين رضي عنه أبو بكر ، وعمرُ جالسٌ في المسجد الحرام ، فقال : هلمَّ إليّ يا ابن أُمّ شَملة . فعرف عمرُ أنّ أبا بكر قد رضيَ عنه ، فلم يكلِّمه ودخل بيتَه . وكان الذي قتل مالكَ بنَ نويرة عبدُ بن الأزوَر الأسديّ .

وقال محمد بن جرير : قال ابن الكلبيّ : الذي قتل مالكَ بن نويرة ضِرارُ بن الأزور .

[أخبار في عذر خالد]

وهكذا روى أبو زيد عُمر بن شَبّة عن أصحابِهِ ، وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قَدِم مالِكُ بن نُويرة على النبيّ ﷺ فيمَن قَدِم من أمثالِهِ من العربِ ، فولاَّه صدقاتِ قومِهِ بني يربوع ، فلمّا ماتَ النبيُّ ﷺ اضطربَ فيها فلم يُحمَد أمرُه ، وفرّقَ ما في يدِهِ من إبل الصدقة ، فكلّمه

الأقرع بن حابسٍ المُجاشعيّ ، والقَعقاع بن مَعبد بن زُرارة الدارِميّ فقالا له : إنَّ لهذا الأَمر قائِماً وطالباً ، فلا تَعْجَلْ بتفرقةِ ما في يدك . فقال[1] : [من الوافر]

أَرانِي اللهُ بالنَّعَمِ المندَّى ببُرقةِ رحرحانَ وقد أَرانِي
تَمشَّى يا ابنَ عَوذةَ في تميمٍ وصاحِبُكَ الأُقيرِعُ تَلْحيانِي
حميتُ جميعَها بالسَّيفِ صَلتاً ولَم تُرعَش يداي ولا بناني

يعني أُمُّ القعقاع ، وهي مُعاذَةُ بنت ضِرار بن عمرو . وقال أيضاً[2] : [من الطويل]

وقُلْتُ خُذوا أموالَكم غيرَ خائفٍ ولا ناظرٍ فيما يجيءُ من الغدِ
فإنْ قامَ بالأَمرِ المخوّف قائمٌ مَنعنا وقلنا الدِّينُ دِينُ محمَّدِ

قال ابن سلام : فمَن لا يعذِر خالداً يقول : إنّه قال لخالد : وبهذا أمَرَك صاحبُك ، يعني النبيّ ﷺ ، وأنّه أرادَ بهذه القرشيّة . ومَن يعذر خالداً يقول : إنّه أراد انتفاءَ من النبوّة ، ويحتجّ بشعرَيه المذكورَين آنفاً . ويذكُر خالدٌ أنّ النبيّ ﷺ لمّا وجَّهه إلى ابن جُلندَى قال له : يا أبا سليمان ، إنْ رأت عينُك مالِكاً فلا تزايلْه أو تقتلَه .

قال محمد بن سلاّم : وسمعني يوماً يونسُ وأنا أُرادُّ التميمية في خالدٍ وأعذرُه ، فقال لِي : يا أبا عبد الله ، أَما سمعتَ بساقَيْ أُمّ تميمٍ ؟ يعني زوجةَ مالك التي تزوّجها خالدٌ لما قتله ، وكان يقال إنّه لم يُرَ أحسَنُ من ساقيها . قال : وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمّم بأنّ أَخاه لم يُستشهَدْ . ففيه دليلٌ على عذر خالد .

[متمّم ينشد أبا بكر]

أَخبرنا اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثني محمد بن الحكم البَجلي عن الأنصاريّ قال : صلَّى متمّم بن نويرةَ مع أبي بكرٍ الصُّبح ، ثم أنشده قوله[3] : [من الكامل]

نِعمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَناوحَتْ تحت الإزار قَتلتَ يا ابن الأزورِ
أَدعوتَه باللهِ ثُمّ قتلتَه لو هُو دَعاكَ بذِمّة لم يَغدرِ

فقال أبو بكر : والله ما دعوتُه ولا قتلته . فقال :

لا يُضمِر الفحشاءَ تحت ردائِهِ حلوٌ شمائلُه عفيفُ المِئزرِ
ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنت وحاسراً ولَنِعمَ مأوى الطارقِ المتنوِّرِ

---

1 شعر مالك بن نويرة : 80–81 .

2 شعر مالك : 66 .

3 شعر متمم بن نويرة : 91–92 .

قال : ثم بكى حتّى سالت عينُه ، ثم انخرط على سِيَة قوسِه متكئاً . يعني مغشيّاً عليه .

[وصف متمّم لمالك]

أخبرني اليزيديّ قال حدَّثنا الرياشيّ قال حدَّثني محمد بن صخر بن خلخلة قال : ذَكَرَ متمّم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له : إنّك لتذكر أخاك ، فما كانت صِفتُه ، أو صِفْهُ لنا ؟ فقال : «كان يركب الجَمَل الثِّفالَ[1] في الليلة الباردة ، يرتوي لأهلِهِ بين المزادتين المضرَّجتين[2] ، عليه الشَّملةُ الفلوت[3] ، يقود الفَرَس الجرور[4] ، ثم يصبح ضاحِكاً» .

[تكفين المنهال لمالك]

أخبرني اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن حبيب بن بدر الطائيّ وغيره : أنّ المنهال رجلاً من بني يربوع ، مَرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لمّا قَتَله خالد ، فأخذ ثوباً وكفّنه فيه ودفنه ، ففيه يقول متمّم[5] : [من الطويل]

صوت

لعمري وما دَهري بتأبين مالك ولا جَـزعٍ ممّـا أصابَ فأَوجَعا
لقــد كَفَّــنَ المِنهــالُ تحت ردائِهِ فتًــى غَيرَ مبطانِ العشيّاتِ أروعا

غنّاه عمرو بن أبي الكنّاتِ ، ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش .

[متمّم ينشد عمر رثاءه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن محمد البصريّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعيّ قال حدَّثني أحمد بن عمّار العبديّ ، وكان من العلم بموضع قال : حدَّثني أبي عن جدِّي قال : صلّيتُ مع عمر بن الخطّاب الصبحَ ، فلمّا انفتلَ من صلاته إذا هو برجلٍ قَصير أعوَرَ متنكّباً قوساً ، وبيدِهِ هِراوة ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : متمّم بن نويرة . فاستنشده قولَه في أخيه ، فأنشده : [من الطويل]

لعمرِي وما دَهرِي بتأبين مالك ولا جَــزعٍ مِمّا أصابَ فأَوجعا
لقــد كفَّــنَ المِنهال تحــتَ ثيابه فتًــى غيرَ مبطانِ العشياتِ أروعا

حتّى بَلغ إلى قوله :

1 الثفال : البطيء .
2 المضرجتين : المشقوقتين . وفي رواية النضوحتين .
3 الشملة الفلوت : المئزر الذي لا ينضم طرفاه .
4 الفرس الجرور : الذي لا ينقاد فيجب جرّه .
5 هذه العينية هي المفضلية 57 ، فانظرها في شرح ابن الأنباري وفي مجموع شعر متمّم : 106 .

وكنّا كندمانَيْ جَذيمةَ حِقبةً ... من الدَّهرِ حتّى قِيل لن يتصدّعا[1]
فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

فقال عُمر : هذا والله التأبين ، ولَودِدتُ أنّي أُحسِنُ الشِّعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثَيتَ بِهِ أخاك . فقال متمّم : لو أنّ أخي ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته ، وكان قُتل باليمامة شهيداً ، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد ، فقال عمر : ما عزَّاني أحد عن أخي بمثل ما عزَّانِي به متمّم .

وقال : وكان عمر يقول : ما هبت الصَّبا من نحو اليمامة إلاّ خُيِّل إليّ أنّي أشم ريح أخي زيد .

قال : وقيل لمتمّم : ما بلغَ من وجدك على أخيك ؟ فقال أُصِبتُ بإحدى عينيّ فما قَطرت منها دمعةٌ عشرينَ سنة ، فلمّا قُتِل أخي استَهلّت فما تَرقأ[2] .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن لاحق ، عن ابن أبي مليكة قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشيّ[3] خارج مكّة ، فحُمِل فدفن بمكّة ، فقدِمت عائشةُ فوقفَتْ على قبره وقالت متمثلة : [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمةَ حِقبةً ... من الدَّهر حتّى قيل لن يتصدّعا
فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطولِ اجتماعٍ لم نبِتْ ليلة معا

أمَا والله لو حضرتُكَ لدفنتك حيث مِتّ ، ولو شَهِدتك ما زرتك .

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدَّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أنّ متمّم بن نويرة دخل على عمر بن الخطّاب فقال له عمر : ما أرى في أصحابك مِثلَك . فقال : يا أمير المؤمنين أمَا والله إنّي مع ذلك لأركب الجمَل الثَّفال ، وأعتقِل الرُّمحَ الشَّطون[4] ، وألبَسُ الشَّملةَ الفَلُوت . ولقد أسرَتْني بنو تغلبَ في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالِكاً فجاء ليفديَني منهم ، فلمّا رآه القومُ أعجبهم جَمالُه ، وحدَّثهم فأعجبهم حديثُه ، فأطلقوني له بغير فداء .

1 المثل «هما كندماني جذيمة» في مجمع الميداني 2 : 139 وجمهرة العسكري : 365 وفصل المقال : 257 ومستقصى الزمخشري 2 : 234 .
2 ما ترقأ : ما يجفّ دمعها وينقطع .
3 الحبشيّ : جبل بأسفل مكّة تحالفت عنده قبائل فسمّوا الأحابيش .
4 الرمح الشطون : الطويل الأعوج .

[إنقاذ مالك لمتمّم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني النوفليّ عن أبيه وأهله قالوا : لمّا أنشد متمّم بن نويرة عمرَ بن الخطّاب قولَه يرثي أخاه مالِكاً : [من الطويل]

وكنّا كندمانَـيْ جذيمـة حِقبةً   من الدَّهر حتّى قيل لَن يتصدّعا
فلمّـا تفرّقنـا كأنِّي ومالِكاً   لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلـةً معا

قـال لـه عمر : هل كان مالِكٌ يحبُّكَ مثلَ محبّتك إيّاه ، أم هل كان مثلَكَ ؟ فقال : وأين أنا من مالك ، وهل أبلغُ مالكاً ، واللهِ يا أمير المؤمنين . لقد أسَرني حيٌّ من العرب فشدّوني وَثاقاً بالقِد ، وألقَوني بفنائهم ، فبلغه خبري فأقبلَ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ في ناديهم . فلمّا نظر إليّ أعرضَ عنّي ، ونظر القومُ إليه فعَدَلَ إليهم ، وعرفتُ ما أراد ، فسلّم عليهم وحادثهم وضاحَكهم وأنشدهم ، فواللهِ إنْ زال كذلك حتى ملأهم سروراً ، وحضَر غَداؤهم فسألوه ليتغدَّى معهم فنزلَ وأكل ، ثم نظر إليّ وقال : إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقًى بين أيدينا لا يأكل معنا ! وأمسكَ يَدَه عن الطّعام . فلمّا رأى ذلك القومُ نَهضُوا وصبُّوا الماء على قدّي حتى لانَ وخلَّوني ، ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغَداء ، فلمّا أكلنا قال لهم : أما ترون تَحرُّم هذا بنـا وأكلَـه معنـا ، إنّه لقبيـح بكم أن تردُّوه إلى القِدّ . فخلَّوا سبيلي فكان كما وصفت . وما كذبتُ في شيء من صفته إلاّ أنّي وصفتُه خميصَ البطن ، وكان ذا بطن .

[خلاف متمّم مع زوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن نصر العتيقيّ قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقيّ ، عن أبيه عن مروان بن موسى . ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ ، عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه : أنّ عمر بن الخطّاب قـال لمتمّم بن نويـرة : إنّكم أهلُ بيت قد تَفانيتم ، فلو تزوّجتَ عسى أن تُرزقَ ولداً يكون فيه بقيّةٌ منكم . فتزوّج امرأةً بالمدينة فلم ترضَ أخلاقه لشدّة حُزنه على أخيه ، وقِلّة حَفْلِه ، فكانت تُماظُّه[1] وتؤذيه ، فطلَّقها وقال[2] : [من الطويل]

أقـول لهندٍ حـينَ لم أرض فِعلَها   أهذا دلالُ الحبّ أم فعـلُ فاركِ[3]
أمِ الصرمُ مـا تبغي ، وكلُّ مُفارقٍ   يسيرٌ علينـا فقـدُه بعـدَ مالكِ

1 تماظه : تخاصمه وتشاتمه .

2 شعر متمم : 128 .

3 الفارك : المبغضة لزوجها .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحوي قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، عن سلمويه بن أبي صالح ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازيّ قال : بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكّة والمدينة إذْ عرَضَ لهما أعرابيّ ، فوقفا ليمضيَ فوقف ، فتعجَّلا ليسبقاه فتعجَّل ، فقالا : ما أثقلَكَ يا أعرابيّ ، تَعجَّلنا لنسبقَك فتعجّلت ، فوقفنا لتمضيَ فوقفت ؟ فقال : لا إله إلاّ الله مُفْني أغدَر النّاس ، أغدر بأصحاب محمد ﷺ ؟ هَبانِي خِفتُ الضَّلالَ فأحببت أن أستدلَّ بكما ؛ أو خِفتُ الوَحشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمّم بن نويرة . فقال طلحة : واسوأتاه ، لقد مَلِلْنا غيرَ مملول . هاتِ بعض ما ذكرتَ في أخيك من البكاء . فزوّجوه أُمَّ خالد ، فبينا هو واضعٌ رأسَه على فخذها إذْ بكى فقالت : لا لإله إلاّ الله ، أَما تنسى أَخاك . فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أقولُ لهـا لمـا نَهتْني عن البُكا ... أَفي مالـكٍ تَلحَيْننـي أُمَّ خالدِ
فإن كان إخواني أُصيبوا وأخطأتْ ... بني أُمّك اليومَ الحُتوف الرواصدُ[2]
فكـلُّ بنـي أُمّ سيمسونَ ليلـةً ... ولَم يَبْقَ مـن أَعيانِهم غيرُ واحدِ

أمّا معنى قول متمّم : [من الطويل]

وكنّا كنَدمانَيْ جذيمـة حِقبة

فإنّه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عُدثان الأسْديّ[3] .

وكان الخبر في ذلك ما أُخبرنا به علي بن سليمان الأخفش ، عن أَبي سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب . وذكر ابن الكلبيّ عن أَبيه والشرقيّ وغيره من الرّواة أنّ جذيمة الأَبرش ، وأصله من الأزد ، وكان أوّل مَن ملك قُضاعة بالحِيرة ، وأوّل مَن حَدا النّعال ، وأَدلجهم من الملوك ، ورُفِع له الشَّمَع ، قال يوماً لجلسائه : قد ذُكِر لِي عن غلامٍ من لخم ، مُقيم في أَخوالِهِ من إيادٍ ، له ظَرف ولُبٌّ ، فلو بعثتُ إليه يكون في نِدماني ، ووَلّيته كأسي والقيامَ بمجلسي ، كانَ الرأي ، فقالوا : الرأي ما رأى الملكُ ، فليبعثْ إليه . ففعل فلمّا قَدِم فَعل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدّة طويلةً ثم أشرفَتْ عليه يوماً رَقاشِ ابنةُ الملك ؛ أختُ جذيمة ، فلَم تزلْ تراسلُه حتّى اتّصل بينهما ، ثم قالت له : يا عديّ ، إذا سقيتَ القوم فامزجْ لهم واسقِ الملك صِرفاً ، فإذا أخذَتْ منه

---

1 شعر متمم : 88 .
2 في هذا البيت إقواء .
3 الأسد : بسكون السين لغة في الأزد .

الخمر فاخطُبني إليه فإنّه يزوّجك ، وأشهِد القومَ عليه إنْ هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبَها فزوّجه ، وانصرف الغلامُ بالخير إليها فقالت : عرِّسْ بأهلك . ففعل فلمّا أصبحَ غَدا مضرَّجاً بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثارُ يا عديّ ؟ قال : آثار العُرس . قال : أيُّ عرس ؟ قال : عرس رَقاشِ . قال : فنخَرَ وأكبَّ على الأرض ، ورفع عديٌّ جراميزه[1] ، فأسرع جذيمةُ في طلبه فلم يحسسْهُ ، وقيل إنّه قتله وكتب إلى أُخته : [من الخفيف]

حَدِّثيني رَقاشِ لا تَكذِبيني ... أبِحُرٍّ زنيتِ أم بهجينِ

أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ ... أم بِدُونٍ فأنتِ أهلٌ لدونِ

قالت : بل زوّجْتَني امرءاً عربيّاً . فنقَلَها جذيمة وحصَّنها في قصره ، واشتملت على حَملٍ فولدت منه غلاماً وسمّته عمراً وربَّته ، فلمّا ترعرع حَلَّته وعَطَّرتْه وألبسَته كُسوةَ مثلِهِ ، ثم أرَته خالَه فأعجِبَ بهِ ، وألقيَتْ عليه مِنه مَحَبّةٌ ومودّة ، حتّى إذا وصُف[2] خرجَ الغلمان يجتنون الكمأة في سنةٍ قد أكمأتْ ، وخرجَ معهم ؛ وقد خرج جذيمة فبسِط له في روضةٍ ، فكان الغلمانُ إذا أصابوا الكمأة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خَبأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يَقدُمهم ويقول : [من الرجز]

هـذا جنـايَ وخِيارُه فيـه ... إذْ كلُّ جـانٍ يـده إلى فيـهِ[3]

فالتزمه جذيمةُ وحَباه وقرُبَ من قلبه ، وحلَّ منه بكلّ مكان . ثم إنّ الجنّ استطارته ، فلَم يزلْ جذيمةُ يرسِل في الآفاق في طلبِهِ فلم يُسمَع له بخبر ، فكفّ عنه . ثم أقبل رجلانِ يقال لأحدهما عَقيل والآخر مالك ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملكَ بهدية ، فنزلا على ماء ومعهما قينةٌ يقال لها أُمّ عمرو ، فنصبَتْ قدراً وأصلحت طعاماً ، فبينما هما يأكلانِ إذْ أقبل رجلٌ أشعثُ أغبر ، قد طالت أظفارُه وساءت حاله ، حتّى جلس مَزْجَر الكلب ، فمدَّ يدَه فناولَتْه شيئاً فأكله ، ثم مدّ يده فقالت : «إن يُعطَ العبدُ كُراعاً يتّسع ذراعاً»[4] فأرسلَتْها مثلاً . ثم ناولتْ صاحبيها من شرابها وأوكت[5] دَنَّها ، فقال عمرو بن عديّ[6] : [من الوافر]

---

1 الجراميز : ما انتشر من الثياب .

2 وصف : شب .

3 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 138 و397 وجمهرة العسكري 2 : 136 ومستقصى الزمخشري 2 : 386 .

4 المثل «إن تعطِ العبد كراعاً يطلب ذراعاً» في مستقصى الزمخشري . وبلفظ «أعطي . . . فطلب . . .» في جمهرة العسكري 1 : 107 وفصل المقال : 397 .

5 أوكت : ربطت .

6 هذان البيتان في معلقة عمرو بن كلثوم .

صوت

صَددتِ الكأسَ عنّا أُمَّ عمرٍو   وكان الكأسُ مَجراهـا اليمينا
ومـا شرُّ الثلاثـة أُمَّ عمرو   بصاحبِـك الذي لا تَصبَحينا

غنّاه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير . وقد زعم بعض الرّواة أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب .

وأخبرنا اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانيّ قال : حدّثنا حفص بن عمرو ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب في ربيعةٍ بن نصرٍ اللخميّ .

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان : ومَن أنت ؟ فقال : «إن تنكراني أو تنكرا نسبي ، فإنّني عمرو وعديّ أبي» ، فقاما إليه فلَثماه ، وغَسَلا رأسه وقلّما أظفاره ، وقصّرا من لِمَّتِه ، وألبساه من طرائفِ ثيابهما وقالا : ما كُنّا لنهديَ إلى الملك هديّةً أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صَفَدا[1] من ابن أخته ، فقد ردّه الله عزّ وجلّ إليه . فخرجا حتى إذا دَفَعا إلى باب الملك بشّراه به ، فصرفَه إلى أُمِّه ، فألبسَتْه ثياباً من ثياب الملوك ، وجعلَتْ في عنقه طوقاً كانت تُلبسه إيّاه وهو صغير ، وأمرَتْه بالدّخول على خالِهِ ، فلمّا رآهُ قال : «شبّ عمرٌو عن الطوق»[2] فأرسلها مثلاً . وقال للرجلين اللذين قدما به : احكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتُك ما بقيتَ وبقِينا . قال : ذلك لكما . فهما نديماً جذيمةَ اللذان ذكرهما متمّم ، وضَربت بهما الشعراءُ المَثَل . قال أبو خِراشٍ الهذَليّ :   [من الطويل]

أَلَم تَعلمِي أَنْ قـد تفرَّقَ قبلنا   خليـلا صفـاءٍ مالِكٌ وعقيلُ

قال ابن حبيب في خبره : وكان جذيمةُ من أفضل الملوك رأياً ، وأبعَدِهم مُغاراً ، وأشدِّهم نكاية ، وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق ، وكانت منازلُه ما بين الأنبار وبَقّة وهِيت وعَين التمر ، وأطراف البرّ والقُطقطانة[3] والحيرة ، فقَصد في جموعه

---

1 الصفد : العطية .

2 المثل «شبّ عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 547 ومستقصى الزمخشري 2 : 126 وفصل المقال : 125 وبلفظ «كبر عمرو . . .» في مجمع الميداني 2 : 137 .

3 القطقطانة : موضع قرب الكوفة .

عمرو بن الظَّرِب بن حسّان بن أُذينة بن السميدع بن هَوبر العامليّ ، من عاملة العماليق ، فجمَع عمرو جموعَه ولقيه ، فقتله جذيمةُ وفضَّ جموعه . فانفلّوا[1] وملَّكوا عليهم ابنته الزبّاء ، وكانت من أحزم الناس ، فخافت أن تغزوَها ملوكُ العرب فاتّخذتْ لنفسها نَفَقاً في حصنٍ كان لها على شاطىء الفرات ، وسَكّرت الفراتَ في وقت قِلّة الماء ، وبنت أزجا[2] من الآجُرّ والكِلْس ، متَّصِلاً بذلك النفق ، وجعلتَ نَفقاً آخر في البرِّيّة متّصلاً بمدينةٍ لأختها ، ثم أُجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدُوّاً دخلَت النفَق . فلمّا اجتمعَ لها أمرُها واستحكم مُلكها أجمعت على غَزْو جذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختُها وكانت ذاتَ رأيٍ وحزم : إنّك إن غزوتِ جذيمة فإنّه امرؤٌ له ما يصدّه ، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأرَكِ ، وإن ظفِر بك فلا بقيّة لك ، والحربُ سِجال ، ولا تَدرين كيفَ تكون أَلَكِ أم عليك ؛ ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنّكِ قد رغبتِ في أن تتزوّجيه وتجمعي ملكَك إلى ملكه ؛ وسَليه أن يجيبَك إلى ذلك ، لأنّه إن اغتر ففعل ظفِرتِ به بلا مُخاطَرة . فكتبت الزباءُ في ذلك إلى جَذيمة تقول له : إنّها قد رغِبَت في صلة بلدها ببلده ، وإنَّها في ضعفٍ من سلطانها ، وقلَّة ضبطٍ لمملكتها ، وإنّها لم تجد كفئاً غيره ، وتسأله الإقبالَ عليها وجَمْعَ مُلكِها إلى مُلكِهِ . فلمّا وصلَ ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، فشاور أصحابَه فكلٌّ صوَّبَ رأيهُ في قصدها وإجابتها ، إلاّ قصيرَ بنَ سعدِ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن نخم ، فقال : هذا رأيٌ فاتر ، وغَدرٌ حاضر[3] ، فإن كانتْ صادقة فلتُقْبلْ إليك وإلاّ فلا تمكنها من نفسك فتقعَ في حبالها وقدْ وتَرتها في أبيها . فلم يوافقْ جذيمةَ ما قال وقال له : «أنت امرؤٌ رأيك في الكِنّ لا في الضِّحّ»[4] . ورحلَ فقال له قصير في طريقه : انصرفْ ودمُك في وجهك . فقال جذيمة : «ببَقَّةَ قُضِيَ الأمر»[5] فأرسلَها مثلاً . ومضى حتّى إذا شارف مدينتَها قال لقَصير : ما الرأي ؟ قال : «ببقّة تركتُ الرأي» . قال : فما ظنُّك بالزبّاء ؟ قال : «القولُ رِدافٌ ، والحزمُ عَيْرانَةٌ لا تخاف»[6] . واستقبله رسلُها بالهدايا والألطاف فقال : يا

---

1 أنفلوا : انهزموا .

2 الأزج : البيت المستطيل .

3 المثل «رأي فاتر وغدر حاضر» في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 92 .

4 الضح : الشمس والبارز من الأرض . والكن : البيت . وهذا المثل في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 380 .

5 المثل «ببقة قضي (صرم) الأمر» في مجمع الميداني 1 : 90 ومستقصى الزمخشري 2 : 6 وجمهرة العسكري 1 : 203 وفصل المقال : 125 ، وكذلك المثل «ببقة تركت (خلفت) الرأي» .

6 المثل «القول رداف والحزم عيرانة لا تخاف ، أو والحزم عترانة تخاف» في مجمع الميداني 1 : 234 .

قَصير ، كيف ترى ؟ قال «خطر يسير في خطب كبير»[1] ، وستلقاك الخيول ، فإن سارتْ أمامَك فالمرأةُ صادقة ، وإن أَخذَتْ في جنبيك وأَحاطت بِكَ فالقومُ غادرون . فلقيته الخيولُ فأحاطت به ، فقال له قصير : اركبِ العصا فإنّها لا تُدرَك ولا تُسبَق ، يعني فرساً له كانت تُجنَب ، قبلَ أن يَحُولوا بينك وبين جنودك . فلم يفعلْ ، فجال قصيرٌ في ظهرها فمرّتْ به تعدو في أوّل أصحاب جذيمة . ولمّا أُحيط بجذيمةَ التفَتَ فرأى قصيراً على فرسه العصا في أوّل القوم ، فقال : «لَحازمٌ مَنْ يُجرِي العصا في أوّل القوم»[2] . فذكر أبو عبيدة والأصمعيّ أنّها لم تكن تَقِف ، حتّى جرت ثلاثين ميلاً ، ثم وقفت فبالت هناك ، فبُنِي على ذلك الموضع برجٌ يسمَّى العصا ، وأُخِذ جذيمةُ فأُدخِلَ على الزباء فاستقبلتْه قد كشفت عن فرجها ، فإذا هي قد ضَفَرتِ الشعر عليه ، فقالت : يا جَذِيم أذاتَ عروسٍ تَرى ؟ قال : بل أُرى مَتاعٍ أَمَةٍ لكْعاءَ غيرِ ذاتِ خفر . ثم قال : بُلغ المَدى ، وجفَّ الثَّرى ، وأمرَ غدرٍ أُرى . قالت : واللّه ما ذلك من عَدم مَواسٍ ، ولا قلّة أواسٍ[3] ، ولكنّها شيمةُ ما أناسٍ . ثم قالت لجواريها : خُذْنَ بعَضُدِ سيِّدِكنَّ . ففعلنَ ثم دَعَتْ بنطعٍ فأجسلتْه عليه ، وأمرَت برواهشه[4] فقُطعت في طَستٍ من ذهب يسيلُ دمه فيه ، وقالت له : يا جَذيم لا يضيعنّ مِن دمك شيءٌ فإنّي أريده للخَبْل[5] . فقال لها : وما يَحزُنكِ مِن دمٍ أَضاعَه أَهله[6] . وإنّما كان بعض الكهّان قال لها : إنْ نَقط من دمه شيءٌ في غير الطست أُدرِكَ بثأره . فلم يزلْ دمُه يجري في الطِّست حتى ضعُف ، فتحرّكَ فنقطت من دمه نُقطة على أسطوانة رخامٍ ومات .

قال : والعرب تتحدّث في أنَّ دماء الملوك شفاءٌ من الخَبْل . قال المتلمس : [من الطويل]

من الدارِميِّينَ الذين دماؤهــمْ   شِفاءٌ من الداءِ المجَنَّةِ والخبلِ

قال : وجمعت دمَه في بَرنيّة وجعلتْه في خزانتها ، ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الجُرّ التَّنُوخيّ فقال له : اطلبْ بدم ابن عمّك وإلاّ سبَّتْك به العرب ، فلم يحفِل بذلك . فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عديّ ابن أخت جذيمة فقال : هل لك في أن أصرفَ الجنودَ إليك على

---

1 في سياق شرح المثل «خطب (خطر) يسير في خطب كبير» . وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 174 .

2 المثل «ويل أُمه حزماً على متن العصا» في مجمع الميداني 1 : 234 .

3 أواسي : جمع آسية وهي الخاتنة .

4 الرواهش : عروق في باطن الذراع .

5 الخبل : الجنون .

6 المثل «لا يحزنك دم أضاعه (هراقة) أهله» في مجمع الميداني 2 : 231 . ومستقصى الزمخشري 2 : 268 وجمهرة العسكري 2 : 235 .

أن تطلبَ بثأر خالك ؟ فجعلَ ذلك له ، فأتى القادةَ والأعلامَ فقال لهم : أنتم القادةُ والرؤساء ، وعِندنا الأموالُ والكنوز . فانصرفَ إليه منهم بشَرٌ كثير ، فالتقى بعمرٍو التنوخيّ فلمّا صافُّوا القتال تابَعَه التنوخيّ ومالك بن عمرٍو بن عديّ . فقال له قصير : انظرْ ما وعدتَني في الزبّاء . فقال : وكيف وهي أمنعُ من عُقاب الجوّ[1] ؟ فقال : أمّا إذْ أبيتَ فإنّي جادعٌ أنفي وأُذُني ، ومحتالٌ لقتلها ، فأعِنّي وخَلاك ذم[2] . فقال له عمرو : وأنت أبصَر . فجدعَ قصيرٌ أنفه[3] ثم انطلق حتّى دخل على الزبّاء فقالت : مَن أنت ؟ قال : أنا قصير ، لا وربِّ البشَر ما كان على ظهر الأرضِ أحدٌ أنصحَ لجذيمة منّي ولا أغشّ لكِ حتّى جدَع عمرو بن عديّ أنفي وأُذُني ، فعرفتُ أنّي لَن أكونَ مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أيْ قصيرُ نقبَل ذلك منك ، ونصرّفك في بِضاعتنا . وأعطتْه مالاً للتجارة ، فأتى بيت مالِ الحيرة فأخذ منه بأمر عديّ ما ظنَّ أنّه يُرضيها ، وانصرف إليها به ، فلمّا رأت ما جاء به فرحَتْ وزادته . ولم يزلْ حتّى أنستْ به فقال لها : إنّه ليس مِن ملكٍ ولا ملِكة إلاّ وقد ينبغي له أن يتّخذ نَفقاً يهرُب إليه عند حُدوث حادثة يخافها . فقالت : أمَا أنّي قد فعلتُ واتّخذْت نفقاً تحت سريري هذا ، يخرجُ إلى نفَقٍ تحت سرير أُختي . وأرَتْه إيّاه ، فأظهـرَ لها سروراً بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرُو بنُ عديٍّ ما فعله ، فركب عمرو في ألفَيْ دارعٍ على ألف بعير في الجَوالق حتّى إذا صاروا إليها تقدَّمَ قصيرٌ يسبق الإبل ودَخَل على الزبّاء فقال لها : اصعَدي في حائط مدينتك فانظُري إلى مالكِ ، وتَقدّمي إلى بوّابك فلا يعرضْ لشيء من أعكامنا[4] ، فإنّي قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أمِنته فلم تكن تتّهمه ولا تخافه ، فصعِدت كما أمرها فلمّا نظَرتْ إلى ثِقل مَشْي الجمال قالت ، وقيل إنّه مصنوع منسوب إليها : [من الرجز]

مـا للجمالِ مشيُها وئيدا أجندلاً يَحملِنَ أم حديدا
أم صَرَفاناً بـارِداً شديداً أم الرجـالُ جُثَّما قُعودا[5]

---

1 المثل «أمنع من عقاب الجو» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرة الفاخرة 2 : 386 وجمهرة العسكري 2 : 227 ومستقصى الزمخشري 1 : 369 .

2 المثل «. . . وخلاك ذم» في مجمع الميداني 1 : 224 وفصل المقال : 313 ومستقصى الزمخشري 1 : 224 .

3 المثل «لأمر ما جدع قصير أنفه» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرة الفاخرة 1 : 106 ومستقصى الزمخشري (حز) 1 : 240 وأمثال الضبي : 146 .

4 الأعكام : جمع عكم وهو العدل .

5 الصرفان : ضرب من التمر . وقيل الرصاص .

فلمّا دخل آخِرُ الجمال نَخس البوّابُ عِكماً من الأعكام بمِنخسةٍ معه ، فأصابت حاضرةَ رجلٍ فضَرَط ، فقال البوّاب : «شرٌّ والله عكمتم به في الجُوالقات»[1] . فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف ، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدي فضربَها فقتلها ، وقيل بل مَصَّت خاتَمها وقالت : «بيدي لا بيدِ عمرو»[2] . وخُربت المدينة وسُبيت الذراريّ ، وغنم عمرٌو كلَّ شيء كان لها ولأبيها وأختها . وقال الشعراء في ذلك تَذكُر ما كان من قصير في مَشُورته على جَذيمة ، وفي جدعه أنفَه ، فأكثروا . قال عديُّ بن زيد : [من الوافر]

ألا يـا أيـُّها المُثْري المرجِّـي ... أَلـَم تَسمع بخَطْب الأوّلينا
دَعـا بالبَقَّـة الأُمـراءَ يَومـاً ... جذيمـةَ ينتحـي عُصَباً ثُبِينا[3]
فطاوَعَ أمرَهم وعصى قَصيراً ... وكان يقـول لـو سَمِع اليقينا

وهي طويلة . وقال المتلمّس يذكر جَدْع قصير أنفه :

ومِن حَـذَرِ الأيّـامِ ما حَزَّ أنفَه ... قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهسُ

وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكرها .

[كان جذيمة ملكاً شاعراً]

وكان جَذيمة الملكُ شاعراً ، وإنّما قيل له الوضاح لبرصٍ كان به ، وكان يُعظِم أن يسمَّى بذلك ، فجعل مكانه الأبرشَ والوضّاح . وهو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

والمُلكُ كان لذي نُـوا ... سٍ حَولـه تَردِي يحابرْ
بالسابغـات وبالقَنـا ... والبِيض تَبرق والمَغافرْ
أزمَـانَ لا مُلكٌ يُجيـ ... ـر ولا ذِمامَ لِمَن يُجاورْ
أُودى بهـم غِيَرُ الزما ... نِ فمنجـدٌ منهم وغائرْ

وهو الذي يقول : [من المديد]

ربَّمـا أوفيـتُ في عَلَـم ... تَرْفَعـنْ ثوبـي شمالاتُ
في شبابٍ أنـا رابئهـم ... هـمْ لذي العَورةِ صِمّاتُ

---

1 المثل «شر في الجوالق» في مجمع الميداني 1 : 236 ومستقصى الزمخشري 2 : 130 .
2 المثل «بيدي لا بيد عمرو» في جمهرة العسكري 1 : 203 ، 226 وأمثال الضبي : 147 .
3 ينتحي : يقصد . والثبون : الجماعات من الناس ، مفردها ثُبة .

لیتَ شعري ما أُطافَ بهم … نحـن أدلجنـا وهُـم باتوا
ثُـمَّ أُبنـا غانِمِـينَ وكَم … كَـرَّ نـاسٌ قبلنـا ماتوا

فيه غناء يقال إنّه ليمانٍ ، ويقال إنّه لمعبد ، ولم يصحّ .

صوت

[من البسيط]

في كَفِّـه خَيزُرانٌ ريحُـه عَبِقٌ … من كفِّ أروعَ في عِرنينه شَمَمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مَهابته … فمـا يُكلَّـم إلاّ حـين يبتسمُ

الشعر لحزينٍ بن سُليمان الدِّيلِيّ ، والغناء لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش ، وفيه لعريب رملٌ عملته على لحن ابن سُريج .

[302] ـ أخبار الحزين ونسبه[1]

[نسبه]

ذكر الواقديّ أنّه من كِنانة وأنّه صَليبة ، وأنَّ الحزين غلب[2] عليه ، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وُهَيب بن مالك ، ويكنى أبا الشّعثاء ، بن حُرَيث بن جابر بن بُجير ، وهو راعي الشمس الأكبر ، بن يعمر بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة .

أُخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة ، عن الواقديّ .

قال : وأمّا عمر بن شبّة فإنّه ذكر أنَّ الحزين مولًى ، وأنّه الحزين بن سليمان ، ويُكنى سُليمان أبا الشعثاء ، ويُكنى الحزين أبا الحَكَم . من شعراء الدولة الأُمويّة حجازيّ مطبوعٌ ليس من فُحول طبقته . وكان هَجّاءً خبيثَ اللسان ساقِطاً ، يُرضيه اليسير ، ويتكسَّب بالشَّرّ وهجاءِ النّاس ، وليس مِمّن خَدَم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ، ولا كانَ يَرِيم الحجاز حتّى مات .

[تعريف بعبد الله بن عبد الملك]

وهذا الشّعر يقوله الحزينُ في عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وكان عبد الله من فِتيان بني أُميّة وظرفائهم . وكان حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأُمُّه أُمُّ ولد . وزَوجةُ عبدِ الله رملةُ بنت عبد الله بن عبد الله ، وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديّان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو . وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطّلب بن أسَد بن عبد العزى بن قُصيّ ، تزوّجها[3] لِما كان يُقال إنّها ناتق[4] في وِلادها[5] ، فمات عنها ولم تَلِدْ له . فخلَفَه محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى ، وبناتٍ .

أُخبرني بذلك عُمر بن عبد الله بن جميل العَتَكي ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، ويحيى بن علي بن يحيى ، قالوا : حدَّثنا عمر بن شبّة عن ابن رَواحة وغيره . وأخبرني به الطّوسيّ والحِرْميّ عن الزّبير عن عمّه .

---

1 للحزين الديلي ترجمة في المؤتلف والمختلف : 122–123 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : وقع .

3 الضمير هنا عائد إلى رملة .

4 الناتق : الكثيرة الأولاد .

5 الولاد : الولادة .

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني عمِّي أنّ عبد الله بن عبد الملك حَج ؛ فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة ، وهو ذَرِب اللسان ، فإيّاك أن تحتَجب عنه ، وأرضِه . وصِفتُه أنّه أشعر[1] ذو بطنٍ عظيمُ الأنف . فلمّا قَدِمَ عبد الله المدينة وصفَه لحاجبه وقال له : إيّاك أن تردَّه . فلم يأتِ الحزين حتى قام فدخَلَ لينام ، فقال له الحاجب : قد ارتَفَعَ . فلمّا ولّى ذَكَرَ فلحقَه فقال : ارجعْ ، فاستأذنْ له فأدخِلَه . فلمّا صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءه ، وفي يده قضيبُ خيزُران ، وقف ساكتاً . فأمهله عبدُ الله حتّى ظنَّ أنّه قد أراح ثم قال له : السلامُ رحمكَ اللهُ أوّلاً . فقال : عليكَ السلامُ وحيّا الله وجهَكَ أيُّها الأمير ، إنِّي قد كنت مدحتُك بشعر ، فلمّا دخلتُ عليك ، ورأيت جمالَك وبهاءَك أذهلَني عنه فأُنْسِيتُ ما كنتُ قلتُه ، وقد قلتُ في مقامي هذا بيتين . فقال : ما هما ؟ قال : [من البسيط]

في كفِّه خيزرانٌ ريحُها عبِقٌ ... من كفِّ أروعَ في عرنينه شممُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يكلَّم إلاّ حين يبتسمُ

فأجازه فقال : أخدمْني[2] أصلحك الله ، فإنّه لا خادم لِي . فقال : اختر أحد هذين الغلامين . فأخذ أحدَهما فقال له عبد الله : أعلينا تُرذِل[3] ، خُذ الأكبر .

[الخلاف في نسبة بيتين للحزين]

والنّاس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام ، التي أوّلها : [من البسيط]

هذا الذي تعرِف البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرمُ

وهو غلطٌ ممّن رواه فيها . وليس هذان البيتان ممّا يُمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المُتعالَم ما ليسَ لأحد .

حدَّثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال : حدَّثني محمد بن عمر العدني قال : حدَّثني سفيان بن عيينة عن الزّهري قال : ما رأيت هاشِمِيّاً أفضلَ من علي بن الحسين .

[أخلاق علي بن الحسين]

حدَّثني محمد قال حدَّثنا يوسف بن موسى القطّان قال : حدَّثنا جرير بن المغيرة قال : كان علي بن الحسين يُبخَّل ، فلمّا مات وجدُوه يَعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة .

---

1 الأشعر : الكثير الشعر .
2 أخدمني : اجعل لي خادماً .
3 ترذل : تأخذ الرذل الدون .

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن معرّس قال حدَّثنا محمد بن ميمون قال حدَّثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثُّمالي قال : كان علي بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول : «إنّ صدقة اللَّيْل تطفىء غضبَ الربّ» .

حدَّثني أبو عبد الله الصَّيرفيّ قال حدَّثنا الفضل بن الحسين المصري قال : حدَّثنا أحمد بن سليمان قال حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثنا سعد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع قال : قال علي بن الحسين : ما أكلتُ بقرابتي من رسول الله ﷺ شيئاً قطّ .

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدَّثني إسحاق بن موسى الأنصاريّ قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يَدرون من أين عَيشُهم ، فلمّا مات علي بن الحسين فَقَدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل .

[أبيات الفرزدق]

وأمّا الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها ، فحدَّثني بها أحمد بن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حجّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ، فجهِد أن يستلم الحجَر فلم يقدِر من ازدحام الناس ، فنُصِب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسنُ النّاس وجهاً ، وأنظفُهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلمّا بلغ الحجرَ الأسودُ تنحّى النّاس كلُّهم وأخلَوْا له الحَجَر ليستلمه ، هيبةً وإجلالاً له ، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : مَن هذا أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفاً ، ولكنّه خافَ أن يَرغَب فيه أهل الشام ويَسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كلّه حاضراً : أنا أعرِفه ، فسَلْني يا شاميّ . قال : ومَن هو ؟ قال[1] : [من البسيط]

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتَه ... والبيتُ يعرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطّاهر العلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكادُ يُمسِكه عِرفانَ راحته ... رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
فليس قولُك مَن هذا بضائِره ... العُرَب تعرِف مَن أنكرتَ والعجمُ

1 ديوان الفرزدق 2 : 179–180 .

أيُّ الخَلائق ليست في رقابهم لأوّليّةِ هذا أو لَهُ نِعَمُ[1]
مَن يعرِف الله يعرفُ أوّليةَ ذا فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأمُمُ

[حبس هشام للفرزدق لمديحه للحسين]

فحبسه هشام فقال الفرزدق[2] : [من الطويل]

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوبُ الناس يَهوِي مُنِيبُها
يُقلِّب رأساً لَم يكن رأسَ سيدٍ وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها

فبعث إليه هشامٌ فأخرجه ، ووجّه إليه عليُّ بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : أعذِرْ يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصَلْناك به . فردّها وقال : ما قلت ما كانَ إلاّ لله ، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئاً . فقال له عليّ : قد رأى الله مكانَكَ فشكرك ، ولكنّا أُهلُ بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه . فأقسم عليه فقبِلها .

[الخلاف في نسبة هذا الشعر]

ومن الناس أيضاً مَن يروي هذه الأبياتَ لداود بن سَلْم في قُثَم بن العبّاس ، ومنهم مَنْ يرويها لخالد بن يزيد فيه ؛ فهي في روايته : [من البسيط]

كَم صارخٍ بِك من راجٍ وراجيةٍ يَرجُوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ
أيُّ العمائر ليست في رقابهمُ لأوّليّةِ هذا أوْله نِعَمُ[3]
في كفِّه خيزرانٌ ريحُها عَبِقٌ من كفِّ أروَعَ في عِرنينه شممُ
يُغضي حياء ويُغضى من مهابته فما يُكلَّم إلاّ حينَ يبتسِمُ

وممّن ذكر لنا ذلك الصوليّ عن الغلابيّ عن مَهديّ بن سابق ، أنَّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل في شعره في علي بن الحسين عليه السلام .

وذكر الرياشيّ عن الأصمعيّ أنّ رجلاً من العربِ يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال : [من البسيط]

يكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتِهِ رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلمُ
كَم صارخٍ بِك من راجٍ وراجيةٍ في النّاس يا قثمَ الخيراتِ يا قثمُ

فأمر له بجائزة سنيّة .

---

1 الأولية : مفاخر الآباء والأجداد .
2 ديوان الفرزدق 1 : 47 مع بعض اختلاف .
3 العمائر : جمع عمارة ، وهي الحي العظيم أو هي دون القبيلة .

والصحيح أنّها للحزين في عبدالله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخالِهِ البيتين في تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة ، تنبىء عن نفسها . وهي : [من البسيط]

اللهُ يعلمُ أنْ قد جُبت ذا يمنٍ ثـمَّ العراقَين لا يَثنيني السَّأَمُ
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفَلها كذاك تَسرِي على الأهوالِ بِي القدمُ
ثم المواسِمَ قد أُوطنْتها زمناً وحيث تُحلَقُ عند الجمرة اللِّممُ
قالوا دِمشقُ يُنبِّيك الخبيرُ بها ثم ائتِ مصرَ فثَمَّ النائلُ العَمَمُ[1]
لمّا وقفت عليها في الجموع ضُحًى وقد تعرّضَتِ الحجّابُ والخَدَمُ
حَيّيته بسَلامٍ وهو مرتفقٌ وضَجَّةُ القومِ عند الباب تَزدحِمُ
في كفِّه خيزُرانٍ ريحُها عبقٌ من كفٍّ أَروعَ ، في عِرنينه شممُ
يُغْضِي حياءً ويُغضى مِنْ مهابته فما يكلَّم إلاّ حينَ يبتسمُ
ترى رؤوسَ بَني مَرْوانَ خاضعةً يمشُون حولَ ركابِهِ وما ظلموا
إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشَروا جذَلاً وإنْ هُمُ آنسوا إعراضَه وجَموا
كلتا يديه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ بحرٌ يفيض وهادِي عارضٍ هزِمُ[2]

ومن الناس مَن يقول : إنّ الحزينَ قالها في عبد العزيز بن مروان ، لذكره دمشق ومصر . وقد كان ثَمَّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضاً في مصر ، والحزين بها .

[الحزين يستهدي غلاماً]

أُخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى أبو غسّان عن عبد العزيز بن عمران الزُّهريّ قال : وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك ، وفي الرقيق أَخَوانِ ، فقال عبدُ الله للحزين : أيُّ الرّقيقِ أعجبُ إليك ؟ قال : ليخترْ لِي الأمير . قال عبد الله : قد رضيتُ لك هذا ، لأحدهما ، فإنّي رأيتُه حسنَ الصلاح . قال الحزين : لا حاجة لِي بِهِ فأعطِنِي أخاه . فأعطاه إيّاه . قال : والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وتميم أبو محمد بن تميم ، وهو الذي اختاره الحزين . قال : فقال في عبد الله يمدحه : [من البسيط]

الله يعلم أنْ قد جُبْتَ ذا يمنٍ

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل .

1 العمم : الكثير .

2 الهادي : المقدم . والعارض : السحاب . والهزم : المتبعق الذي لا يستمسك .

[إقامة الحد على الحزين في الخمر]

أخبرني وكيع عن محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لآلِ مَخرمةَ بن نوفل . فجاء الحزينُ الدِّيليّ إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حمارَه وذهب إلى العقيق فشرِب ، وأقبلَ على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحِمارُ حتّى وقفَ به على باب المسجد كما كان صاحبُه عوّده إيّاه . فمرّ به صفوانُ فأخذه فحبسَه وحبسَ الحِمار ، فأصبح والحِمارُ محبوسٌ معه . فأنشأ يقول : [من الوافر]

أيا أهــلِ المدينةِ خبّروني ... بأيِّ جريرة حُبِس الحِمارُ
فما للعَيرِ من جُرمٍ إليكم ... وما بالعير إنْ ظُلِم انتصارُ

فرَدُّوا الحِمار على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحدّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال : [من الطويل]

نشَدْتُك بالبيت الذي طيفَ حولَه ... وزمـزمَ والبيتِ الحـرامِ المحجّبِ
لِزانيــةٍ صفــوانُ أم لعفيفــةٍ ... لأعلــمَ مـا آتــي ومـا أتجنّبُ[1]

فقال مولاه : هو لِزانية . فخرج وهو ينادي : إنّ صفوان ابن الزانية ! فتعلّق به صفوانُ فقال : هذا مولاك يشهدُ أنّك ابنُ زانية . فخلّى عنه .

[نصيحته لابن عمّه في الزواج]

وقال محمد بن عليّ بن حمزة : وأخبرني الرياشيّ أنّ ابن عمٍّ للحزين استشارَه في امرأةٍ يتزوّجها ، فقال له : إن لها إخوة مشائيم وقد رَدُّوا عنها غيرَ واحد ، وأخشى أن يردّوك فتُطْلِق عليك ألسُناً كانت عنكَ خُرْساً . فخطبها ولم يُقْبل منه فردّوه ، فقال الحزين : [من الطويل]

نهيتُك عن أمــرٍ فلَم تَقبل النُّهى ... وحذَّرتك اليومَ الغُــواةَ الأشائما
فصرتَ إلى مــا لَم أَكُــنْ منه آمِناً ... وأشمتَّ أعدائــي وأنطقتَ لائِما
ومــا بهمُ مِن رغبةٍ عنك قلْ لَهُم ... فــإن تسألوني تسألـوا بِــيَ عالِما

نسخت من كتاب لعليّ بن محمد الشاميّ[2] : حدَّثني أبو محلّم . ولَم يتجاوزْه .

[يهجو ابن سهيل ويمدح سفيان بن عاصم]

وأخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني عمر بن سلام

1 في البيت إقواء .
2 ل : الساعي .

مولى عمر بن الجعّاب : أنّ الحزين الدِّيليّ خرجَ مع ابنٍ لسهيل بن عبد الرّحمن بن عوف ، إلى منتزهٍ لهم ، فسكر الحزينُ وانصرف ، فبات في الطريق وسُلِب ثيابَه ، فأرسل إلى ابن سهيلٍ يخبره الخبرَ ويستمنحه فلم يمنحْه ، وبلغ الخبرُ سفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه ، وعوّضه ثمنَ ثيابه ، فقال الحزينُ في ذلك : [من المنسرح]

هَلاَّ سُهيلاً أشبهتَ أَو بعض أَعما ... مك يـــا ذا الخلائقِ الشكسَهْ
ضيَّعتَ نَدمانك الكريمَ ولَم تُشْـ ... ـفِقْ عليــه مـــن ليلـةٍ نَحِسَهْ
ثـــم تعالَلـــتَ إذْ أَتـاك لـــه ... صُبحـاً رسولٌ بعِلّـــة طفِسَهْ[1]
لكـــنّ سفيـــانَ لَم يكن وَكَلاً ... لَمّـــا أتتنـــا صِلاتُـــه سلِسَهْ[2]
سما بـــه أروعٌ ونفسُ فتًـــى ... أَروعَ ليست كنفسك الدنِسَهْ

[هجاء بني كعب]

حدَّثنا الصُّولي قال : حدَّثنا ثعلب قال حدَّثني عبد الله بن شبيب قال : مرّ الحزين الدِّيليّ على مجلسٍ لبني كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال : [من البسيط]

لا بارَكَ اللهُ في كعبٍ ومجلِسِهم ... ماذا تجمَّعَ من لؤمٍ ومن ضَرَعِ[3]
لا يدرُسون كتـــابَ الله بينهـمُ ... ولا يصومون من حِرص على الشبعِ

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه ، وسألوه الكفَّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله ، فأجابهم وانصرف .

[يصرّ على هجاء كثير]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدّثنا عمرو بن أَبي بكر المؤمّليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي عبيدة قال : كان الحزين قد ضرب على كلّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين في كلّ شهر ، منهم ابن أبي عَتيق ، فجاءهُ لأَخذ دِرهميه وهو على حمارٍ أعجفَ ، قال : وكثيّر مع ابن أَبي عتيق ، فدعا ابن أَبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين : مَن هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة . قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذن لِي أن أهجوَه ببيت ؟ قال : لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي ، ولكن أشتري عرضَه منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما ، فأصغى ثمّ قال : لا بُدَّ لِي من هجائِهِ ببيت . قال : أَوَ أشتري

1 طفسة : قذرة .
2 الوكل : الذي يتكل على غيره .
3 الضرع : الذلّ والمهانة .

ذلك منك بدرهمين آخرين . ودَعا له بهما فأخذهما وقال : ما أَنا بتارِكِه حتّى أُهجوَه . قال : أوَ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له كثيّر : ائذن له ، وما عسى أن يقول فيّ ؟ فأذِن له ابن أَبي عتيق فقال : [من الطويل]

قصير القميص فاحش عند بيته يَعَضُّ القُراد باستِهِ وهـو قائمُ

فوثب كثيِّر إليه فوكَزه فسقط هو والحمار ، وخلَص ابن أَبي عتيق بينهما وقال لكثيّر : قَبَحك الله ، أتأذن له وتبسطَ إليه يَدَك . قال كثيِّر : وأنا ظننته يبلغ في هذا كلّه في بيتٍ واحد !

ولكثيِّر مع الحزين أَخبار أُخَر قد ذُكِرَت في أَخبار كثيِّر .

[جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة]

أَخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني عمِّي عن الضحّاك بن عثمان قال : حدَّثني ابن عُروة بن أذينة قال : كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ ، وكان كثيراً ما يأتيه . وكان بالمدينة قَينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها ، فبيعت وأُخرِجت عن المدينة ، فأَتى الحزينُ أبي وهو كئيبٌ حزين كاسمه ، فقال له أبي : ما لك يا أَبا حكيم ؟ قال : أَنا والله يا أَبا عامر كما قال كثيّر [1] : [من الطويل]

لعمرِي لئن كانَ الفؤادُ من الهوى بَغـى سَقَمـاً إنِّـي إذاً لسقيمُ
سألت حكيماً أَين شطَّت بها النَّوى فخبَّرني مـا لا أُحـبُّ حكيمُ

فقال له أَبي : أنتَ مجنونٌ إن أَقمتَ على هذا .

[كساه جعفر بن محمد فمدحه]

أَخبرني أَحمد بن سليمان الطُّوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني مصعب قال : مرَّ الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمارٌ ، فقال له : يا ابنَ أبي الشعثاء ، إلى أين أَصبحت غادياً ؟ قال : أمتع الله بِك ، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرَّةَ يريد الحجّ ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأَحسنَ إليَّ . قال : أَفَما وجدتَ شيئاً تلبسُه غير هذه الثياب ؟ قال : قد استعرت من أَهل المدينة فلَم يُعِرني أَحد منهم غير هذه الثياب . فدَعا جعفرٌ غلاماً فقال : ائتني بجبّة صوف ، وقميصٍ ورداء . فجاء بذلك فقال : أَبْلِ وأخلِقْ . فلمّا ولّى الحزينُ قال جُلساء جعفرٍ له : ما صنعتَ ؟ إنّه يَعمِد إلى هذه الثياب التي كسوتَه إيّاها فيبيعها ، ويُفسد بثمنها . قال : ما أُبالي إذا كافأتُه بثيابه ما صنعَ بِها . فسمع الحزينُ قولَهم وما ردَّ عليهم ، ومضى حتّى أَتى عبدَ الله بن عبد الملك فأَحسنَ إليه وكساه . فلمّا أصبح

1 ديوان كثير : 127 .

الحزينُ أتى جعفراً ومعه القومُ الذين لاموه بالأمس وأنشده : [من الطويل]

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّدٍ إلى المجدِ حتّى عَبْهَلَتْهُ عواذِلُهْ[1]
وقُلن لـه هلْ مِن طريفٍ وتالد من المال إلاّ أنت في الحقِّ باذِلُهْ
يُحاولنَه عن شِيمةٍ قد عَلِمنَها وفِي نفسه أمرٌ كريـمٌ يُحاوِلُهْ

ثم قال له : بأبي أنتَ وأُمِّي ، سمعتُ ما قالوا وما رددْتَ عليهم .

[هجاؤه لأبي بعرة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : صَحِبَ الحزينُ رجلاً من بني عامر بن لؤيّ يلقّب أبا بعرة ، وكان استُعمِل على سِعايات[2] فلَم يصنعْ إليه خيراً ، وكان قد صحب قبله عَمرو بن مُساحق وسعد بن نوفل فأحمدهما[3] ، فقال له : [من الطويل]

صحبتُك عامـاً بعد سَعدِ بن نوفلٍ وعمرٍو فما أشبهتَ سعداً ولا عمرا
وجـادا كما قصّرت في طلبِ العُـلا فحُـزتَ بـه ذمّـاً وحازا بِه شكرا

قال : وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث بجاريةٍ لابن أبي عتيق ، فشكته إليه فقال لها : عِدِيهِ فإذا جاءكِ فأدخِليه إليّ . ففعلَتْ فأدخلته عليه ، وهو وشيخ من نظرائه جالسان في حَجَلة[4] ، فلمّا رآهما قال : أقسم بالله ما اجتمعتما إلاّ على ريبة . فقال له ابن أبي عتيق : استُر علينا سترَ الله عليك .

قال : وآل أبي بعرة هم موالي آل أبي سمير . قال : فلمّا وَلِيَ المهديُّ باعوا ولاءهم منه .

قال الزُّبير : وأنشدني عمِّي تمامَ الأبياتِ التي هجا بها أبا بعرة ، وسمّاه لِي فقال : وكان اسمه عيسى ، وهي : [من الطويل]

أُولاك الجِعاد البِيض من آلِ مالكٍ وأنتـم بنـو قَينٍ لحِقتم بِهِ نَزْرا

نصب «نزرا» على الحال ، كأنّه قال : لحقتم به نزراً قليلاً من الرِّجالِ .

نسوِّق بيعـوراً أميراً كأنّـما نَسوق بِـهِ في كلِّ مَجمعةٍ وَبْرا[5]
فإن يكـن البيعـور ذمَّ رفيقُـه قـراه فقـد كانت إمارتُه نَكْرا

---

1 عبهل : لام وعاتب .

2 السعاية : العمل على الصدقات .

3 أحمده : رضي فعله .

4 الحجلة : موضع يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس ، أو هي ستر العروس في جوف البيت .

5 بيعور : عبث باسم أبي بعرة . والوبر : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء يشبه بها الرجل تحقيراً له .

ومتّبع البيعورِ يرجُو نوالَه ... فقد زاده البيعورُ في فَقره فَقْرا

[هجاؤه لعمرو بن عمرو]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني صالح ، عن عامر بن صالح قال : مدح الحزينُ عمرو بن عمرو بن الزُّبير فلَم يُعطِهِ شيئاً .

وأخبرني بهذا الخبر عمّي تامّاً واللّفظ له ، ولَم يذكر الزُّبير منه إلاّ يسيراً ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ قال : حدَّثني عطاء بن مصعب ، عن عاصم بن الحدثان قال : دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوّام منزلَه ، فامتدحَه وسأله حاجةً ، فقال له : ليس إلى ما تطلبُ سبيل ، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذيرَ ، وما كلُّ مَن سألَنا حاجةً استحقّ أن نقضيها ، ولرُبَّ مستحقٍّ لها قد منعناه حاجتَه . فقال الحزين : أفَمِنَ المستحقِّين أنا ؟ قال : لا والله ، وكيف تكون مستحقاً لشيءٍ من الخير وأنت تشتم أعراضَ النّاسِ وتهتِك حريمَهم ، وترميهم بالمُعضِلاتِ ، إنّما المستحقّ من كفَّ أذاه ، وبذل نداه ، ووقَمَ[1] أعداه . فقال له الحزين : أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو : أين تُبعِدني لا أُمّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها ! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول : [من الوافر]

حَلفتُ وما صبَرتُ على يمينٍ ... ولَو أُدعى إلى أيمان صبرِ[2]
بربِّ الراقصاتِ بشُعثٍ قومٍ ... يُوافون الجِمارَ لصُبحِ عشرِ[3]
لَوَ انَّ اللؤم كان مع الثريَّا ... لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو
ولو أنّي عرفتُ بأنّ عمراً ... حليفُ اللؤم ما ضيَّعت شِعري

فقال العمري : وحدَّثني لقيطٌ أنّ الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم ، وجاءه فشكا إليه عَمراً ، فوصله وأحسن إليه . قال : [من الطويل]

إذا لَم يَكُنْ للمرء فضلٌ يَزينُه ... سِوى ما ادَّعى يوماً فليس له فَضلُ
وتَلقى الفتى ضخماً جميلاً رُواؤه ... يَرُوعك في النّادِي وليس له عقلُ
وآخرُ تنبو العين عنه مهذّب ... يجود إذا ما الضَّخم نَهْنَهَهُ البخلُ
فيا راجياً عمرو بنَ عمرٍو وسَيبَه ... أتعرف عمراً أم أتاه بك الجهلُ

1 وقم : أذل وقهر .
2 يمين الصبر : هي اليمين التي يحبسه السلطان حتى يحلفها .
3 الراقصات : الإبل ترقص في مشيها .

فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطىء الفتى وإن كنتَ ذا حزم إذاً جارت النّبلُ
جهِلَت ابنَ عمرو فالتمس سيبَ غيره ودونك مرمًى ليس في جدِّه هزلُ
عليك ابنَ مروان الأغرَّ محمداً تجدْه كريماً لا يطيش له نَبلُ

قال لقيط : فلمّا أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : اكففْ يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك . فقال : لا والله ولا بحُمْرِ النَّعَم وسُودِها ، لو أُعطيتُها ما كففتُ عنه ، لأنّه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ ، قليل الخير ، متسلِّط على صديقه ، فَظٌّ على أهله . «وخير ابن عمرو بالثريا معلق» .

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر . فقال : بعد ساعةٍ يصير شعراً ، ولو شئت لعجَّلته . ثم قال : [من الطويل]

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرُ لصديقه وخَير ابن عمرٍو بالثريّا معلَّقُ
ووجهُ ابن عمرٍو باسرٌ إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفَّقُ[1]
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدَتْ كتائب هيجاء المنيّة تبرَقُ
فلا زال عمروٌ للبلايا دريّةً تباكِره حتّى يموت وتطرقُ[2]
يهرّ هريرَ الكلب عمرٌو إذا رأى طعاماً فما ينفكّ يبكي ويَشهقُ

قال : فزجره محمد عنه ، وقال له : أفٍّ لك ، قد أكثرتَ الهجاء ، وأبلغت في الشَّتيمة .

قال العمريّ : وحدَّثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي ، قال : قال الحزين الدِّيليّ يهجو عمرو بن عمرو بن الزُّبير : [من الطويل]

لعمرك ما عمرو بن عمرٍو بماجدٍ ولكنّه كزُّ اليدين بخيلُ
ينام عن التّقوى ويُوقِظه الخنا فيخبطُ أثناءَ الظّلام يجولُ
فلا خَير في عمرٍو لجارٍ ولا له ذِمامٌ ولكنْ للئام وصولُ
مواعيدُ عمرٍو تُرَّهاتٌ ووجهُه على كلِّ ما قد قلت فيه دليلُ
جبانٌ وفحّاشٌ لئيمٌ مذمَّمٌ وأكذبُ خَلقِ الله حين يقولُ
كلام ابنِ عمرٍو صُوفةٌ وسطَ بَلقع وكفُّ ابنِ عمرٍو في الرَّخاء تطولُ
وإن حَزَبته الحازباتُ تَشنَّجتْ يداه ورمحٌ في الهَياجِ كليلُ

---

1 باسر : كالح .

2 الدريئة والدرية : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

فبلغ شعرُه عمراً فقال : ما له لعنَه الله ولعنَ مَن ولده ، لقد هجاني بنيّةٍ صادقة ولسان صَنَعٍ ذَلْق ، وما عَداني إلى غيري . قال : فلقي الحزين عروة بن أُذينة الليثيّ فأنشده هذه الأبيات فقال له : وَيْحك ، بعضُها كان يكفيكَ ، فقد بنيتَها ولَم تُقِمْ أَوَدَها ، وداخَلْتَها وجعلتَ معانيها في أكمّتها . قال الحزين : ذلك والله أرغبُ للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ الناس مَن حَلُم عن الجهّال ، وما أُراه إلاّ قد حَلم عنك . فقال الحزين : حَلُم والله عنّي شاءَ أو أَبى ، برغمه وصَغَره[1] .

[هجاؤه بني الزُّبير]

قال العمريّ : فحدّثنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال : لَقِيَ شُبّانٌ من ولد الزُّبير الحزينَ ، فتناولوه بألسنتهم ، وهمُّوا بضربه ، فحال بينهم وبينه ابنٌ لُمصعب بن الزبير . فقال الحزينُ يهجوهم ويهجو جماعةً من بني أُسد بن عبد العُزّى ، سوى بني مصعب الذين منعوهم منه ، قال : [من الطويل]

لحا الله حيّاً مـن قُريشٍ تحالفوا ... على البُخل بالمعروف والجودِ بالنُّكْرِ
فصاروا لخَلق اللهِ في اللؤمِ غاية ... بهم تُضرب الأَمثال في النثر والشعرِ
فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعباً ... حُمِدتَ ولكنْ أنت منقبضُ البِشرِ[2]
بني أسدٍ ، سادَتْ قريشٌ بجودِها ... معـدّاً وسادتْكُمْ معدٌّ يَـدَ الدَّهرِ
تجود قريشٌ بالنَّـدى ورضيتمُ ... بنـي أَسد باللُّـؤم والذّلّ والغدرِ
أَعمرو بنَ عمرٍو ، لست ممّن تَعدُّه ... قريشٌ إذا ما كاثَروا الناسَ بالفخرِ
أبَتْ لك يا عمرو بنَ عمرٍو دناءةٌ ... وخُلقٌ لئيم أن تَرِيش وأن تَبرِي

[يهجو ويمدح على إطعامه]

أُخبرني الحِرْمي قال : حدَّثنا الزبير قال : حدَّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال : حدَّثني أبي قال : كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنَّزْر إذا أُعطِيَه ، ويهجو على مثله إذا مُنِع ، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه ، فقال يهجوه بقوله : [من الطويل]

سِيروا فقـد جُـنَّ الظّلامُ عليكـم ... فباستِ الذي يرجو القِرى عند عاصمِ
ظَلِلنـا عليـه وهـو كالتّيس طاعِماً ... نَشُـدّ عـلى أكبادِنـا بـالعمائمِ

---

1 الصَّغَر : الذل والمهانة .

2 البشر في ل : الشبر .

ومـا لِـي مـن ذنـبٍ إليـه علمتُه سوى أنّني قـد جئتُـه غيرَ صائمِ

فقيـل لـه : إنّ عاصماً كثيراً ما تسمّي به قريش . فقال : أَما والله لأُبيِّننّه لهم فقـال : [من الطويل]

إليك ابن عثمان بن عفّـان عاصم بـ ـنَ عمرٍو سرَتْ عَنْسي فخابَ سُراها

فقـد صادفَـتْ كزَّ اليَدَينِ مبخَّلا جبانـاً إذا مـا الحـرب شُبَّ لظاها

بخيـلاً بمـا في رحلِـه غير أنّه إذا مـا خَلَـتْ عِرسُ الخليـل أتاها

أُخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أَبيه قال : قال الحزين لهلالِ بن يحيى بن طلحة قوله : [من الطويل]

هلالُ بـن يحيى غُـرّةٌ لا خَفَا بها على النّاسِ في عُسرِ الزّمانِ ولا اليُسرِ

وسعدُ بـن إبراهيم ظُفرٌ موسَّخٌ فهل يستريح الناسُ من وَسَخ الظفرِ

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان ولِيَ قضاءَ المدينة من هشام بن عبد الملك ، فلَم يُعطِ الحزينَ شيئاً فهجاه . وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

أتيتُ هلالاً أرتجِي فَضْلَ سَيبِهِ فأفلتَنِـي مِمّا أحـبُّ هلالُ

هِلال بن يحيى غُرّةٌ لا خفا بها لكـلِّ أُنـاس غُـرّةٌ وهلالُ

صوت[1]

[من الطويل]

أَلَم تَشهدِ الجونينِ والشِّعب ذا الصَّفا وكَرَّاتِ قَيس يـوم دَيْرِ الجَماجمِ

تحرِّض يـا ابنَ القَـينِ قيساً ليَجعلوا لقومك يومـاً مثـلَ يـوم الأَراقِمِ

بسيفِ أَبي رَغْـوان سيف مُجاشع ضربتَ ولَم تَضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ بـه عنـد الإمام فأُرعِشَتْ يـداك وقالـوا مُحدَثٌ غير صارمِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالبنصر .

1 ديوان جرير : 461–462 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

303 ـ [جرير والفرزدق وضربة الرومي]

وهذه الأبياتُ يقولها جريرٌ يهجو الفرزدق ، ويعيِّره بضربةٍ ضربَها بسيفه رجلاً من الرّوم ، بحضرة سليمان بن عبد الملك فلَم يَصنَعْ شيئاً .

فحدّثنا بخبره في ذلك محمَّد بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثنا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة الكنديّ ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ، ثم كان من أصحاب المنصور ، قال : كنتُ حاضراً سليمان بن عبد الملك .

وأَخبرنا عليّ بن سليمان الأَخفش واليزيديّ عن السّكريّ عن محمد بن حبيب عن أَبي عبيدة ، وعن قتادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائض ، عن رؤبة بن العجّاج قال : حجَّ سليمان بنُ عبد الملك ومعه الشُّعراء ، وحججْتُ معهم ؛ فمرَّ بالمدينة منصرِفاً فأُتِيَ بأسرى من الرُّوم نحوٍ من أربعمائة . فقعدَ سليمانُ وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسَن بن علي عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصَّران[1] ، وهو أَقربهم منه مجلساً ، فأَدنَوْا إليه بِطْرِيقَهم وهو في جامعةٍ[2] . فقال لعبد الله بن الحسن : قُمْ فاضرِب عنقه . فقام فما أعطاه أحدٌ سيفاً حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً ، فضربَه فأَبانَ عنقَه وذراعَه ، وأَطَنَّ[3] ساعدَه وبعضَ الغُلّ . فقال له سليمان : اجلسْ فوالله ما ضربتَه بسَيفك ولكن بحسَبك . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم ، حتّى دفع إلى جريرٍ رجلاً ، فدسَّتْ إليه بنو عبسٍ سَيفاً قاطِعاً في قِرابٍ أبيض ، فضربَه فأَبانَ رأسَه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدسَّت إليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسيرَ ضَرَباتٍ فلم يصنع شيئاً . فضحك سليمانُ وضَحِكَ النّاس معه .

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة .

وأمّا سليمان بن أَبي شَيخ فإنّه ذكر في خبره أنّ سليمان لّما دفع إليه الأسير دفعَ إليه سيفاً وقال له : اقتلْه به . فقال : لا بل أَضربهُ بسيفِ مُجاشِع ، واخترط سيفَه فضربَه به فلم يُغْنِ شيئاً . فقال له سليمان : أَما والله لقد بَقِيَ عليك عارُها وشنارُها ! فقال جرير قَصيدتَه التي يهجوه فيها ، ومنها الصوت المذكور ، وأوّلها قوله : [من الطويل]

1 الثوب الممصر : المصبوغ بالحمرة أو الصفرة الخفيفة .

2 الجامعة : الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق .

3 أطن : قطع .

أَلاَ حــيِّ رَبْعَ المنزلِ المتقادِمِ   ومــا حُلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أمُّ سالِمِ

وهي طويلة . فقال الفرزدق[1] : [من الطويل]

صوت

فهل ضَرَبةُ الرُّوميِّ جاعلــةٌ لكم   أبــاً عــن كُليبٍ أو أباً مِثْــلَ دارمِ
كذاك سيوفُ الهِندِ تَنْبو ظُباتُها   وتَقطع أحيانــاً مَنــاطَ التمائمِ
ولا نَقتُل الأَسرى ولكــنْ نفكُّهمْ   إذا أَثقَــلَ الأَعناقَ حمــلُ المَغارِمِ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لابن محرز ، ولم يجنِّسه .

وقال يعرِّض بسليمان ويعيِّره بنبوِّ سيفِ ورقاءَ بن زهيرٍ العبسيّ عن خالدِ بن جعفر ، وبنو عبسٍ أخوال سليمان ، قال[2] : [من الطويل]

فإنْ يــكُ سيفٌ خانَ أو قدرٌ أَتى   بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُهــا غير شاهدِ
فسيفُ بني عَبسٍ وقد ضَربوا بــه   نَبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ
كذاك سيوفُ الهنــدِ تنبو ظُباتُها   وتقطــع أَحيانــاً مَنــاطَ القلائدِ

ورُوِيَ هذا الخبرُ عن عَوانة بن الحَكَم ، قال فيه : إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هبْ لِي هذا الأسير . فوهَبَهُ له فأَعتَقَه ، وقال الأبياتَ التي تقدَّم ذِكرُها ، ثم أقبلَ على رُواته وأَصحابه . فقال : كأنّي بابنِ المراغةِ وقد بلغه خَبري فقال : [من الطويل]

بِسَيفِ أَبي رَغْوان سيفِ مُجاشع   ضَربتَ ولم تَضْرِب بسيفِ ابنِ ظالمِ
ضربتَ بــه عِند الإمام فأُرْعِشَتْ   يداكَ وقالوا مُحــدَث غير صارِمِ

قال : فما لبثنا غير مدّةٍ يسيرة حتى جاءتنا القصيدةُ وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فِطنة الفرزدق .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلويّ ، قال : حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ قال : زعم جهم بن خلف أنّ رؤبة بن العجّاج حدَّثه ، فذكر هذه القصيدةَ وزاد فيها .

قال : واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهبَه له سليمان ؛ فأَعتَقَه وكساه ، وقال قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

---

1 ديوان الفرزدق 2 : 314 .
2 ديوان الفرزدق 1 : 157 .

ولا نقتُل الأَسرى ولكن نفكُّهمْ إذا أُثقَلَ الأَعناقَ حمـلُ المغارمِ

قال : وقال في ذلك : [من الطويل]

تَباشَرَ يربــوعٌ بنبوةِ ضربــةٍ ضَربتُ بِهـا بين الطُّلا والحراقِدِ[1]
ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه إلى عَلَق بــين الحجابَـين جامدِ
فإنْ يَنبُ سيفٌ أو تراخَتْ منيَّةٌ لميقاتِ نَفْسٍ حتفُهــا غيرُ شاهِدِ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضَرَبوا بِـهِ نَبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

قال : وقال في ذلك[2] : [من البسيط]

أَيَضْحَكُ النّاسُ أن أَضحكتُ سيِّدَهم خليفــةَ الله يُستَسْقى بِــهِ المطرُ
فما نبا السيفُ عن جُبنٍ ولا دَهَش عند الإمــام ولكــنْ أُخِّرَ القدرُ
ولــو ضَربــتُ بِـهِ عمراً مقلَّدَه لخرَّ جُثمانُــه مــا فوقَــه شَعَرُ[3]
ومــا يقــدِّم نفساً قبــل مِيتَتِهــا جَمعُ اليَدَينِ ولا الصَّمصامةُ الذكَرُ[4]

[خبر يوم الجونين]

فأمَّا يوم الجونين الذي ذكره جرير ، فهو اليوم الذي أُغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب ، وهو يوم الرَّغام[5] .

أُخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأَخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن السكريّ عن ابن حبيب ، ودماذ عن أبي عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه : أنّ عتيبةَ بن الحارث بن شهابٍ أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائفَ من بني كلابٍ يوم الجونين فاطّرد إبلَهم ، وكان أَنسُ بن العبّاس الأَصمُّ ، أخو بني رعلٍ من بني سليم ، مجاوِراً في بني كلاب ، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رِعْل عهد : لا يُسفَكُ دم ولا يؤكل مال . فلمّا سمِع الكلابيّون الدّعوى : يالَ ثعلبة ! يالَ عبيد ! يالَ جعفر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن العبّاس : قد عَرَفنا ما بين بني رِعل وبني ثعلبة بن يربوع ، فأدركْهم فاحبسْهم علينا حتّى نلحق . فخرج أنسٌ في آثارهم حتى أدركَهم ، فلمّا دنا منهم قال عُتيبة بن

1 لم يرِد هذا البيت في الديوان . والطلا : أصل الرقبة . والحراقد : جمع حرقدة وهي عقدة الحنجور .
2 ديوان الفرزدق 1 : 291 .
3 الديوان : ولو ضربت على عمد . . .
4 الديوان : ما يعجل السيف نفساً .
5 أيام العرب في الجاهلية : 370–372 والنقائض : 410 وما بعدها . والرغام : رملة بعينها في نواحي اليمامة .

الحارث لأخيه حنظلة : أغنِ عنّا هذا الفارس . فاستقبله حنظلةُ فقال له أنس : إنّما أنا أخوكم وعَقيدُكم ، وكنتُ في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه ، وهو معكم . فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له : حيّاك الله ، وهلمّ فَوالِ إبلك ، أي اعزلْها . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتُهم بالركوب في أثري ، وهم أعرفُ بها منّي . فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلَهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس : إنّما هم بَنيَّ وبنو أخي . وإنّما يريِّثُهم لتلحق فوارسُ بني كلاب . فلحقوا فحمَل الحَوثرةُ بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتَلَه ، وحَمَل لأُم بن سَلَمة أخو بني ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مُزنة أخو بني عاصم بن عبيد ، فأسَراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صَبْراً ؛ وهُزِم الكلابيّون ومضى بنو ثَعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تُقِرَّ أنساً نفسُه حتى اتّبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرّة وهم يسيرونَ في شَجْراء[1] . فتخلّف عتيبةُ لقضاء حاجته ، وأَمسك برأسِ فرسه فلم يشعرْ إلاّ بأنسٍ قد مرّ في آثارهم ، فتقدَّم حتى وثب عليه فأَسَره ، فأَتى به عتيبةُ أُصحابَه ، فقال بنو عبيدة : قد عرفنا أنّ لأم بن سلمة وابن مزنة قد أُسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه ؛ فأَعقِبْهما في أنس بن عبّاس ، فمن قَتَلْتَه خيرٌ من أَنس . فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتّى افتدى أنسٌ نفسَه بمائتي بعير . فقال العبّاس بن مرداس يعيِّر عتيبة بن الحارث بفعله : [من الكامل]

كثُر الضِّجاجُ وما سمعتُ بغادرٍ كعُتيبةَ بنِ الحارث بن شهابِ
جَلّلتَ حنظلة المَخانَةَ والخنا ودنِسْتَ آخَر هذه الأحقابِ[2]
وأَسَرتُمُ أنساً فما حاولتمُ بإسارِ جارِكُم بني المِيقابِ

الميقاب : التي تلد الحمقى . والوقْب : الأَحمق . [من الكامل]

باستِ التي ولدتك واستِ معاشرٍ تَرَكوك تمرسهم من الأَحسابِ

فقال عتيبة بن الحارث : [من الوافر]

غدرتمْ غدرةً وغدرتُ أُخرى فليسَ إلى توافينا سبيلُ
كأَنّكمْ غداة بني كلابٍ ـ تفاقدتمْ ـ عليَّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتُمْ ، دعاء عليهم أن يفقد بعضُهم بعضاً .

---

1 الشجراء : الأرض الكثيرة الشجر .

2 المخانة : الخيانة .

صوت

[من الطويل]

وبالعُفْر دارٌ مِن جميلةَ هيجت سوالفَ حُبٍّ في فؤادكَ مُنصِبِ
وكنتَ إذا ناءت بها غربة النوى شديدَ القِوى لم تدر ما قولُ مِشْغَبِ
كريمة حُرِّ الوجه لم تدْعُ هالِكاً من القوم هُلكاً في غدٍ غيرِ مُعْقِبِ
أسِيلةُ مَجرى الدّمع خُمصانةُ الحشا بَرُوق الثّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشرعَبِ

العُفْر : منازِل لقيس بالعالية . سوالف : مواضٍ . يقول : هيّجَتْ حبّاً قد كان ثُمَّ انقطع . ومُنصِب : ذو نصب . ونأت وناءت وبانت بمعنًى واحد ، أي بعدت . ومِشْغَب : ذو شغَبٍ عليك وخلافٍ في حبّها . ويروى : «مشعب» أي متعدّد يصرفك عنها . وقوله : «لم تَدعُ هالِكاً» أي لم تندبْ هالِكاً هلكَ فلم يُخْلِف غيره ولم يُعْقِب . ومعنى ذلك أنّها في عددٍ وقوم يخلفُ بعضُهم بعضاً في المكارم ، لا كمَن إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقُمْ أحد منهم مقامه . والمشرعب : الجسيم الطويل . والشَّرعبيّ : الطويل .

الشعر لطفيلٍ الغنوي[1] ، والغناء لجميلة ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامي . وذكره حماد عن أبيه أنّه لها ولم يجنّسه . وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أنّ هذا أحسن صوتٍ صنعته جميلة .

1 ديوان الطفيل الغنوي (تحقيق محمد عبد القادر أحمد ـ دار الكتاب الجديد) : 17–18 .

[304] ـ نسب الطُّفَيل الغَنَويّ وأَخباره[1]

قال ابن الكلبيّ : هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضُبَيْس بن خُلَيف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنْمْ بن غَنيّ بن أَعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان .

ووافقه ابن حبيب في النسب إلاّ في خلف بن ضبيس فإنّه لم يذكر خلَفا وقال : هو طفيل بن عوف بن ضبيس . قال أبو عبيدة : اسم غنيّ عمرو ، واسم أَعصُر منبه ، وإنّما سمِّيَ أَعصُرَ لقوله : [من الكامل]

قالتْ عُميرةُ ما لرأسِكَ بعدما فُقِدَ الشبابُ أَتى بلونٍ منكَرِ
أَعُمَير إنَّ أَبـــاكِ غيَّر رأسَه مـــرُّ الليالي واختلافُ الأعصرِ

فسمِّي بذلك .

وطفيلٌ شاعر جاهليّ من الفحول المعدودين ، ويكنى أَبا قُرَّان ، يقال إنّه من أَقدَم شعراء قيس . وهو من أوصف العرب للخيل .

[نعّات الخيل]

أُخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَفَ الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريبٍ الأنصاريّ قال : قال لِي عمِّي : إنّ رجلاً من العربِ سمِعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتَها والبَصَر بها ، فقال : كان يقال إنّ طفيلاً رَكِبَ الخيلَ ووليَها لأهله ، وإنّ أبا دُوادٍ الأيادي مَلكها لنفسه ووليها لغيره ، كان يليها للملوك ، وأنّ النابغة الجعديّ لمّا أسلمَ النّاسُ وآمَنوا اجتمعوا وتحدَّثوا ووصفوا الخيل ، فسمِعَ ما قالوه فأضافَه إلى ما كان سمِعَ وعَرَف قبل ذلك في صفة الخيل . وكان هؤلاء نُعَّاتَ الخيل .

أُخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا عبد الرحمن ، قال حدَّثني عمِّي قال : كان طفيلٌ أكبرَ من النابغة ، وليس في قيس فحلٌ أقدَم منه .

قال : وكان معاوية يقول : خلُّوا لِي طُفَيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء .

أُخبرني عبد الله بن مالك النحويّ قال : حدَّثنا محمد بن حبيب قال : كان طفيلٌ الغنويّ يُسمَّى «طُفيلَ الخيل» لكثرة وصفِهِ إيّاها .

---

1 للطفيل بن كعب الغنويّ ترجمة في الشعر والشعراء : 364–365 والمؤتلف والمختلف : 207 والسمط : 210 وخزانة البغدادي 9 : 45–46 .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ خطيب مسجد القادسية ، قال : حدَّثني الرياشيّ قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : كان أهل الجاهلية يسمُّون طفيلاً الغَنَويَّ «المحبِّر» ؛ لحُسْن وصْفِه الخيل .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد قال : قال أبو عبيدة : طُفيلٌ الغَنَويّ ، والنّابغة الجَعْدِيّ ، وأبو دُوادٍ الإياديّ ، أعلَم العرب بالخيل وأوصفُهم لَها .

[أعفّ بيت وأجود بيت في الحرب والصبر]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ عن لقيط قال : قال قتيبة بن مسلم لأعرابيّ من غَنيّ قِدَم عليه من خُراسان : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ ؟ قال : قولُ طفيلٍ الغنويّ[1] : [من البسيط]

ولا أكونُ وِكاءَ الزّادِ أحبسه ... لقد علمت بأنّ الزّادَ مأكولُ

قال : فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجْودَ ؟ قال : قول طفيل[2] : [من الطويل]

بحـيٍّ إذا قيـل اركبوا لم يقل لهم ... عَواويرُ يَخْشَوْنَ الرَّدى أين نَركَبُ

قال : فأيّ بيتٍ قالته العرب في الصَّبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنويّ : [من الطويل]

ومِن خيرِ مـا فينا من الأمر أنّنا ... متى ما نُوافِي مَوطِنَ الصَّبر نصبِرُ

قال : فقال قتيبة : ما تركت إخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم[3] : [من الطويل]

وإنّا أنـاسٌ مـا تَزالُ سَوامُنا ... تنـوِّر نيـرانَ العـدوِّ مَناسِمُه

وليس لنا حـيٌّ نُضافُ إليهمُ ... ولكن لَنا عَودٌ شديد شكائمه

حـرامٌ وإن صَلَّيتَـه ودَهنته ... تأوُّده ما كان في السيف قائمُه

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيلٌ في وَقْعةٍ أوقَعها قومُه بطيء ، وحربٍ كانت بينَه وبينهم .

[غزوه لطيىء]

وذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ والطُّوسيُّ فيما رواه عن الأصمعيّ وأبي عبيدة : أنَّ رجلاً من غنيّ ، يقال له قيس النَّدامى ، وَفَدَ على بعض الملوك ، وكان قيسٌ سَيِّداً حواداً ، فلمّا حفَل

---

1 ديوانه : 58 .

2 ديوانه : 42 . والعواوير : جمع عُوّار وهو الضعيف الجبان السريع إلى الفرار .

3 جاء البيتان الأول والثاني في ديوان طفيل : 112-113 ولم يرد الثالث ، مع أن النص هنا يقطع بأن الأبيات لرجل من باهلة ، ولم يشر محقق الديوان إلى شيء من ذلك .

المجلسُ أَقبلَ الملك على مَن حضره من وفود العرب فقال : لأَضَعَنَّ تاجي على أُكرمِ رجلٍ من العرب . فوضعه على رأسِ قيس وأَعطاه ما شاء ، ونادمَه مُدّة ، ثم أَذِن له في الانصراف إلى بلده . فلمّا قرُب من بلاد طيىءٍ خرجوا إليه وهم لا يعرفونه ، فلقُوه برَمّان فقتلوه . فلمّا عِلموا أنّه قيس ندِموا لأَياديه كانت فيهم ، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً . ثم إنّ طُفيلاً جمع جموعاً من قيس فأَغارَ على طيىءٍ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قَتلى كثيرة . وكانت هذه الوقعة بين القَنان وشرقيّ سَلْمى ، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة[1] : [من الطويل]

فذُوقــوا كما ذُقْنــا غَداةَ محجَّرٍ مــن الغَيْظِ في أَكبادِنا والتحوُّبِ[2]
فبِالقتــلِ قَتْــلٌ والسَّوامُ بمثلِـهِ وبـالشَّلّ شَلٌّ الغائـطِ المتصوِّبِ[3]

أَخبرني عليّ بن الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الحارث بن محمد ، عن المدائنيّ ، عن سلمة بن محارب قال : لمّا مات محمد بن الحجّاج بن يوسف جزِعَ عليه الحجّاجُ جزَعاً شديداً ، ودخل النّاسُ عليه يعزّونه ويسلّونه ، وهو لا يَسلُو ولا يزداد إلاّ جزَعاً وتفجُّعاً ، وكان فيمن دَخَلَ عليه رجلٌ كان الحجّاج قتلَ ابنَه يومَ الزاوية ، فلمّا رأى جزعَه وقلّة ثَباته للمصيبة شمِتَ بِهِ وسُرّ لما ظَهَر له منه ، وتمثَّلَ بقول طُفيل : [من الطويل]

فذُوقوا كما ذُقْنــا غــداةَ محجَّرٍ من الغَيظ في أَكبادِنا والتحوّبِ

وفي هذه القصيدة يقول طُفيل : [من الطويل]

تَرى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ من اليُمْنِ إذْ تبدو ومَلْهًى لملعبِ
وبيت تهــبُّ الرِّيحُ في حَجَراتِهِ بـأَرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ[4]
سَماوتُــه أَسمــالُ بُــــرْدٍ محبَّرٍ وصَهوته مِنْ أَتحميّ معصَّبِ[5]

[أكرم بيت وصفته العرب]

أَخبرني عيسى بن الحسين بن الورّاق قال : حدَّثنا الرياشيّ عن العتبيّ عن أَبيه قال : قال عبد الملك بن مَرْوان لولده وأَهلِهِ : أيُّ بيتٍ ضربته العربُ على عصابة ووصفَتْه أَشرفُ حِواء ، وأَهْلاً وبنـاء ؟ فقالوا فأَكثروا ، وتكلَّم مَن حضَرَ فأَطالوا ، فقال عبد الملك : أَكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيلٍ الذي يقول فيه : [من الطويل]

---

1 هذه البائية أولى قصائد الديوان وتتألف من 77 بيتاً (17–36) .
2 التحوب : التوجع .
3 الغائط : يقال غاط في الوادي إذا ذهب إليه . والتصويب : الانحدار .
4 الحجرات : النواحي ، مفردها حَجرة .
5 وصهوته في ل : وسائره .

وبيتٍ تهبُّ الرّيحُ في حَجَراتِهِ ... بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ
سَماوتُهُ أسمالُ بُردٍ محبَّرٍ ... وصَهوتُه مِن أتحميٍّ معصَّبِ[1]
وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها ... صُدورُ القَنا من بادىءٍ ومعقبِ[2]
نصبتُ على قومٍ تُدِرّ رماحُهم ... عروقَ الأعادِي من غَرِيرٍ وأشْيَبِ

[طفيل يمنّ على قبيلتين]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : كانت فزارةُ لقِيتْ بني أبي بَكر بن كلاب وجيرانَهم من مُحارب ، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة ، ثم أدركتْهم غنِيٌّ فاستنقذَتْهم ، فلمّا قتلتْ طيّىءٌ قيس النَّدامى ، وقتلتْ بنو عَبسٍ هُرَيم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلاّن بن غَنْم بن غنيّ ، وكان فارساً حَسِيباً قد ساد ورأس ، قتله ابن هِدْم العبسيّ طريد الملك ، فقال له الملك[3] : كيف قتلته ؟ قال : «حملت عليه في الكَبّة ، وطعنتُه في السَّبّة ، حتى خرجَ الرّمح من اللَّبّة[4] . وقُتِل أسماءُ بن واقدِ بن رُفَيد بن رياح بن يربوع بن ثَعْلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلاّن ، وهو من النجوم ، وحصن بن يربوع بن طريف وأمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف . فاستغاثت غنِيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم . فقال طُفيل في ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم في نُصرتهم ، ويرثي القتلى ، قال[5] : [من الطويل]

تأوَّبَنِي هَمٌّ من اللَّيْلِ مُنْصِبُ ... وجاء من الأخبارِ ما لا أُكذِّبُ
تتابَعْنَ حتّى لم تكنْ لِيَ رِيبةٌ ... ولَم يَكُ عمّا خبَّروا مُتعقَّبُ[6]
وكان هُريمٌ من سِنانٍ خليفةً ... وحصنٍ ومن أسماءَ لّما تَغَيَّبوا
ومن قيسٍ الثّاوي برَمّانَ بيتُه ... ويومَ حَقِيلٍ فادَ آخرُ مُعجِبُ[7]
أشمُّ طويلُ السّاعدين كأنّه ... فَنِيقُ هِجانٍ في يديه مُركَّبُ[8]

---

1 سماوتُه : أعلاه . الأتحمي المعصب : ضرب من برود اليمن .
2 البادىء : الذي غزا أول غزوة . والمعقب : الذي غزا مراراً .
3 هو النعمان بن المنذر كما في اللسان (سبب) .
4 الكبة : الحملة في الحرب . والسبة : الإست . واللبة : وسط الصدر والمنحر .
5 ديوان : 37–40 .
6 الديوان : تظاهرن . ولم يك . . . متعقب : لم أستطع تعقب أخبارهم بتكذيب ما ظهر .
7 رَمان : الموضع الذي قتل فيه قيس الندامى كما تقدم . وحقيل : موضع في بلاد بني أسد . وفاد : مات .
8 لم يرد هذا البيت في الديوان . والفنيق : الفحل المكرم .

ربالسَّهبِ ميمـونُ النَّقيبة قولُـــه   لملتمس المعروف أَهـلٌ ومَرحَبُ

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ   بَدا وانجلت عنه الدُّجُنَّةُ كَوكبُ

الغناء لسليم أَخِي بابويه ، ثاني ثقيل عن الهشامي . وهي قصيدةٌ طويلة ، وذكرتُ منها هذه الأبياتَ من أجلِ الغناء الذي فيها . ومن مختار مرثيته فيها قوله : [من الطويل]

لعمري لقد خَلَّى ابنُ جندع ثَلمةً   ومن أَينَ إنْ لَم يرأَب اللهُ تُرأَبُ[1]

ندامايَ أَمسَوْا قـد تخلَّيتُ عنهمُ   فكيف أَلَذُّ الخمرَ أَم كيف أَشربُ

مضَوْا سلَفـاً قَصْدَ السَّبيل عليهم   وصَرْف المنايـــا بالرِّجالِ تقلّبُ

صوت

[من السريع]

فَدَيت مَن بـاتَ يغنِّيني   وبـــتُّ أُسقِيـهِ ويَسْقيني

ثم اصطبَحْنا قَهوةً عُتِّقَتْ   مِن عَهـدِ سابورَ وشِيرِينِ[2]

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعة ، ولحنه فيه رمل أوّل بالبنصر ، لا نعرف له صنعة غيره .

---

1 ابن جندع في الديوان : ابن خندع .

2 وشيرين في ل : وشروين .

[305] ـ نسب محمد بن حمزة بن نُصَير الوصيف وأخباره

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ، ويُكنى أبا جعفر ، ويلقَّب وَجهَ القَرعة .

وهو أحد المغنِّين الحُذّاق الضُرّاب الرُّواة . وقد أخَذ عن إبراهيم الموصليّ وطبقتِه ، وكان حسنَ الأداء طيِّبَ الصوت ، لا علّة فيه ، إلاّ أنّه كان إذا غنَّى الهَزَجَ خاصّةً خرج بسببٍ لا يعرف ، إلا لآفة تعرض للحِسّ في جنسٍ من الأجناس فلا يصحُّ له بتَّةً .

[إسحاق يثني عليه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ إسحاق بن محمد الهاشميّ حدَّثه عن أبيه ، أنّه شهد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليَّ عند عمّه هارون بن عيسى ، وعنده محمد بن الحسن بن مُصعَب ، قال : فأتانا محمدُ بن حمزةَ وجهُ القَرعة ، فسرَّ به عمِّي . وكان شرسَ الخُلُق أبيَّ النَّفس ، فكان إذا سُئل الغِناءَ أباهُ ، فإذا أُمسِكَ عنه كان هو المبتدىء بِهِ ، فأمسكْنا عنه حتّى طلبَ العُودَ فأُتِيَ بِهِ فغنَّى ، وقال : [من مجزوء الرمل]

مــرَّ بِــي سِربُ ظِباء رائحــاتٍ مــن قُبــاء

قال : وكان يُحسِنه ويُجيده ، فجعل إسحاقُ يشرب ويستعيده حتّى شرب ثلاثة أرطال ثم قال : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء لِي وأنت تتقدّمُني فيه ، ولا يُخلقُ الغناءُ ما دام مثلُك ينشأ فيه .

[مخارق يعجب بغنائه]

قال : وحدَّثني إسحاق الهاشميّ عن أبيه قال : كنّا في البستان المعروف ببستان خالصٍ النصرانيّ ببغداد ، ومعنا محمد بن حمزة وجهُ القرعة ، فيغنِّينا قولَه : [من مجزوء الكامل]

يــا دارُ أقفــرَ رسمُهــا بين المحصَّب والحَجُونِ
يـــا بشرُ إنِّي فاعلمي واللهِ مجتهــداً يمينــي

فإذا برجل راكب على حمارٍ يؤمُّنا وهو يصيح : أحسنتَ يا أبا جعفر ، أحسنتَ واللهِ ! فقلنا : اصعد إلينا كائناً مَن كنت . فصعِد وقال : لو منعتموني من الصُّعود لما امتنعتُ . ثم سَفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارِق ، فقال : يا أبا جعفر أعِدْ عليَّ صوتَك . فأعاده فشرِب رِطلاً من شرابنا وقال : لولا أنّي مدعوّ إلى خدمة الخليفةِ لأقمتُ عندكم واستمعتُ هذا الغناء الذي هو أحسَنُ من الزَّهَر ، غِبَّ المَطَر .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

مرَّ بِـي سِربُ ظِباء رائحـاتٍ مـن قُباء
زُمَـراً نحـوَ المصلَّى يَتَمشَّينَ حِـذائِي
فتجاسَـرتُ وألقيْـ ـتُ سَرابيلَ الحياء
وقديمـاً كان لَهْوِي وفُتونِـي بـالنِّساء

الغناء لإسحاق ممّا لا يشكّ فيه من صنعته ، ولحنه من ثقيلٍ أوَّلَ مطلقٍ في مجرى الوسطى . وذكر محمد بن أحمد المكّي أنّه لجدِّه يحيى . وذكر حبشٌ أنّ فيه لابنَ جامع ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى .

ومنها[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا بِشرُ إنّي فاعلمِي واللهِ مُجتهـداً يمينـي
ما إن صرمتُ حِبالَكمْ فصِلِي حبالِي أو ذَرِينِي
استبدَلُوا طَلَـبَ الحِجا زِ وسُرَّةِ البلـدِ الأَمينِ
بحدائـقٍ محفوفـةٍ بالبيتِ من عِنَبٍ وتِينِ
يـا دارُ أقفَـرَ رسمُهـا بين المحصَّبِ والحَجُونِ
أقـوَتْ وغيَّرَ آيَـها طُـولُ التَّقادُم والسِّنينِ

الشعر للحارث بن خالد ، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأُوَل ، رمل بالوسطى ، ولابن سريج في الخامس والسادس والأوّل والثاني ثقيل أوّل بالبنصر .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن مهرويَه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني الفضل بن المغنِّي ، عن محمد بن جبر قال : دخلنا على إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ نعودُه من علّةٍ كانَ وجدَها ، فصادفْنا عنده مُخارِقاً ، وعَلُّويَه ، وأحمد بن المكّيّ وهم يتحدَّثون ، فاتَّصل الحديث بينهم ، وعرضَ إسحاقُ عليهم أن يقيموا عندَه ليتفرَّجَ بهم ، ويُخرجَ إليهم سِتارَته يغنُّون من ورائها . ففعَلوا وجاء محمد بن حمزة وجهُ القَرعة على تفئة

1 شعر الحارث بن خالد : 107 وفيه يا بسر .

ذلك فاحتبسه إسحاقُ معهم ، ووُضِع النبيذُ وغنَّوا ، فغنَّى مخارقٌ أو عَلُّويَه صوتا من الغناء القديم ، فخالفه محمدٌ فيه وفي صانعه ، وطال مِراؤهما في ذلك ، وإسحاقُ ساكت ، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمدٍ . وراجعه علويه ، فقال له إسحاق : حسبُك ، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسِهِ منه . ثم غنَّى أحمد بن يحيى المكّيّ قوله :

قُل للجُمانةِ لا تَعْجَلْ بإسراج

فقال محمد : هذا اللَّحن لمعبد ولا يُعرف له هزَجٌ غيره . فقال أحمد : أمّا على ما شَرَطَ أبو محمّد آنفاً من أنّه ليس في الجماعة أدرى بِما يَخرُج من رأسِهِ منك فلا مُعارضَ لك . فقال له إسحاق : يا أبا جعفرٍ ، ما عنيتُك والله فيما قلتُ ، ولكِنْ قد قال إنّه لا يُعرفُ لمعبدٍ هزجٌ غير هذا ، وكلّنا نعلم أنّه لمعبد ، فأكذِبْه أنتَ بهزَجٍ آخَر له مِمّا لا يُشَكّ فيه . فقال أحمد : ما أعرف .

نسبة هذا الصوت

قال محمد بن الحسن : وحدَّثني إسحاقُ الهاشميّ عن أبيه : أنّ محمداً دخلَ معه على إسحاقَ الموصليّ مهنّئاً له بالسلامة من عِلّةٍ كان فيها ، فدَعا بعُود ، فأمر به إسحاقُ فدُفِع إلى محمد ، فغنّى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم ، وأصواتاً لإسحاق ، في إيقاعاتٍ مختلفة . فوجَّه إسحاقُ خادِماً بين يديه إلى جوارِي أبيه ، فخرجْنَ حتّى سَمِعْنَه من وراء حجابٍ ، ثم ودّعَهُ وانصرف ، فقال إسحاقُ للجواري : ما عندكنّ في هذا الفَتى ؟ فقلن : ذكَّرَنا والله أباك فيما غنّاه . فقال : صَدَقتنّ . ثم أقبلَ علينا فقال : هو مغنٍّ مُحْسِن ، ولكنّه لا يصلحُ للمطارحة لكثرة زوائدِه ، ومثله إذا طارحَ جَسَر الذي يأخُذُ عنه فلم ينتفعْ بِهِ ، ولكنّه ناهيك به مِنْ مغنّ مُطْرِب .

[يصلح غناء جواري مخارق]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّه صار إلى مخارقٍ عائداً ، فصادف عنده المغنِّين جميعاً ، فلمّا طلَعَ تغامَزُوا عليه ، فسلَّم على مخارقٍ وسأله به ، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له : يا أبا جعفر ، إنّ جواريكَ اللواتي في مِلكي قد تَرَكْنَ الدَّرسَ من مُدّة ، فأُحِبُّ أن تدخلَ إليهمّ وتأخذَ عليهنّ وتُصلِح من غنائهنّ . ثم صاحَ بالخدم فسعَوْا بين يديه إلى حُجرةِ الجواري ، ففعلَ ما سأله مخارق ، ثم خرجَ فأعلَمَه أنّه قد أتى ما أحبَّه ، والتفت إلى المغنِّين فقال : قد رأيتُ غَمْزَكم ، فهل فيكم أحدٌ رضيَ أبو المهَنّا أعزّه الله حِذقَه وأدَبه وأمانته ، ورضِيَه لجواريه غَيري ؟ ثم ولّى فكأنّما ألقمَهُم حَجرا ، فما أجابه أحد .

صوت[1]

[من الكامل]

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها بِمنى تأبّـدَ غَوْلُها فرِجامُها
فَمَدافعُ الرّيّانِ عُـرِّي رسمُها خَلَقاً كما ضَمِنَ الوحيَّ سِلامَها[2]
فاقنعْ بما قسمَ الإلـهُ فإنَّما قَسَم الخلائـقَ بيننا عَلاّمُها

عروضه من الكامل . عفت : درست . ومِنًى : موضعٌ في بلاد بني عامر ، وليس مِنى مكّة . تأبّد : توحَّشَ . والغَول والرِّجام : جَبَلانِ بالحِمى . والرّيانُ : وادٍ . مدافعهُ : مَجاري الماء فيه . وعُرِّيَ رسمها ، أي تُرك وارتُحِل عنه . يقول : عُرِّيَ من أهلِهِ . وسِلامها : صُخورها ، واحدتها سَلِمة .

الشعر للبيدِ بن ربيعةَ العامريّ ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالسبابة في مجرى البِنصِر عن إسحاق ، وفيه لابن مُحرز خفيفُ رملٍ أوّلَ بالوسطى عن حَبَش ، وذكر الهشاميّ إنّ فيه رملاً آخَر للهذليّ في الثالث والأوّل .

1 هذه الأبيات من معلقة لبيد .

2 الوحي : الكتابة .

[306] ـ نسب لبيد وأخباره[1]

[نسبه]

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر .

وكان يقال لأَبيه «ربيعُ المقْتِرين» لجوده وسخائه . وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه .

وعمُّه أَبو بَراء عامرُ بن مالك ملاعب الأسنّة ، سُمِّي بذلك لقول أَوسِ بن حجر فيه[2] : [من الطويل]

فلاعَبَ أَطرافَ الأسنّة عامرٌ فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أَجمعُ

وأُمُّ لبيد تامرة بنت زِنباع العبسيّة ، إحدى بنات جَذِيمة بن رَواحة .

[صفات لبيد]

ولبيدٌ أَحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرَمين ممّن أَدركَ الإسلام ، وهو من أَشراف الشُّعراء المُجيدين الفُرسان القُرّاء المعمَّرين ، يقال إنّه عمِّر مائةً وخمساً وأربعين سنة .

أَخبرني بخبره في عُمره أَحمد بن عبد العزيزي الجوهريّ قال : حدَّثنا عُمَر بن شبّة عن عبد الله بن محمد بن حكيم ؛ وأَخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا بن مهرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن علي بن الصباح ، عن ابن الكلبيّ ، وعن عليّ بن المِسور عن الأصمعيّ ، وعن المدائنيّ وعن رجالٍ ذكرهم ، منهم أبو اليقظان وابن دأب ، وابن جعدبة ، والوقاصيّ .

أنّ لَبيد بن ربيعة قدِم على رسول الله ﷺ في وفدِ بني كلاب بعدَ وفاة أَخيه أَرْبَدَ وعامِر بن الطُّفيل ، فأسلَمَ وهاجر وحسُن إسلامه ، ونزل الكوفةَ أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه فأَقام بها . ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية ، فكان عمره مائةً وخمساً وأَربعين سنة ، منها تسعون سنةً في الجاهلية ، وبقيّتُها في الإسلام .

---

1 ترجمة لبيد في الشعر والشعراء : 194–204 وطبقات ابن سلام : 113 وخزانة البغدادي 2 : 246–257 وطبقات ابن سعد والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومقدمة ديوان لبيد (إحسان عبّاس ـ الكويت) وإليه نشير .

2 ديوان أوس : 58 .

[توقيته مراحل عمره]

قال عمر بن شبّة في خبره : فحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم أنّ لبيداً قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة[1] : [من البسيط]

قامت تَشَكَّى إليَّ النَّفسُ مُجْهِشةً ... وقــد حَمَلتك سبعا بعــد سبعينا
فــإنْ تُــزادِي ثلاثــاً تبلُغــي أملاً ... وفِــي الثّــلاثِ وفــاءٌ للثمانينا

فلمّا بلغ التسعينَ قال[2] : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً ... خلعــتُ بِهــا عــن مَنكِبيَّ ردائِيا

فلمّا بلغ مائةً وعشراً قال[3] : [من البسيط]

أَلَيس في مائــةٍ قــد عاشَها رجلٌ ... وفي تكامُــلِ عَشْرٍ بعدَهــا عُمُرُ

فلمّا جاوزها قال[4] : [من الكامل]

ولقد سئِمتُ من الحياةِ وطُولها ... وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ
غَلَب الرّجالَ وكان غيرَ مغلَّب ... دَهــر طويــلٌ دائــمٌ ممدودُ
يومــاً أُرى يأتـــي عليَّ وليلةٌ ... وكلاهمــا بَعــدَ المضاءِ يعودُ
وأُراه يأتـــي مثلَ يــوم لقيتُه ... لم يُنتَقَص وضَعُفتُ وهو يزيدُ

[خبره مع الربيع بن زياد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا أبو حاتم السجستاني قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : وفد عامر بن مالكٍ ملاعبُ الأسنّة ، وكان يكنى أبا البَراء ، في رهطٍ من بني جعفر ، ومعه لبيدُ بن ربيعة ، ومالكُ بن جعفر ، وعامر بن مالكٍ عمّ لبيد ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زيادٍ العبسيّ ، وأمُّه فاطمةُ بنت الخُرشُب ، وكان الرّبيع نديماً للنُّعمان مع رجلٍ من تُجّار الشام يقال له زَرجون بن توفيل ، وكان حريفاً[5] للنُّعمانِ يُبايعه ، وكان أدِيباً حسنَ الحديث والنِّدام ، فاستخفّه النُّعمان ؛ وكان إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بَعَثَ إليه وإلى النِّطاسيّ : متطبِّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد فخَلا بهم . فلمّا قدِم الجعفريُّون كانوا

1 ديوانه : 352 .
2 لم يرد هذا البيت في الديوان .
3 ديوانه : 350 .
4 ديوانه : 35 مع بعض اختلاف .
5 حريف الرجل : الذي يعامله في حرفته .

يحضُرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فإذا خرجوا من عنده خَلا به الرّبيعُ فطعَن فيهم وذكر مَعايبَهم . وكانت بنو جعفرٍ له أعداء ، فلم يزَل بالنُّعمانِ حتّى صَدَّه عنهم . فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً ، وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم . فخرجوا غِضاباً ولبيدٌ متخلِّف في رِحالِهم يَحْفظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم كلَّ صباحٍ يرعاها ، فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون أمرَ الرَّبيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حفِظتُ لكم متاعاً ، ولا سرّحتُ لكم بعيراً أو تُخْبروني فيم أنتم ؟ وكانت أُمّ لبيدٍ يتيمةً في حِجْر الرّبيع ، فقالوا : خالُكَ قد غَلَبنا على الملكِ وصَدَّ عنّا وجهَه . فقال لبيد : هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجُرَه عنكم بقول مُمِضّ لا يلتفت إليه النُّعمان أبداً ؟ فقالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نبلوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البَقْلة ، وقدّامهم بَقلةٌ دقيقة القُضْبان ، قليلةُ الورق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّربَة[1] ، فقال : «هذه التَّربة التي لا تُذكِي ناراً ولا تُؤهِل داراً ، ولا تسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مرعًى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدُّها قلعاً . بلدها شاسع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، فالقَوْا بي أخا عَبْس ، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره في لَبْس» . قالوا : نصبحُ ونَرى فيك رأينا . فقال عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، يعني لبيداً ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، إنّما هو يتكلّم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبُه . فرمَقوه فوجدوه وقد ركب رحْلاً وهو يكدم[2] وسطه حتّى أصبح ، فقالوا : أنت والله صاحبُه . فعَمَدوا إليه فحلقوا رأسَه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حُلَّةً ثم غدا معهم وأدخلوه على النُّعمان ، فوجدوه يتغدَّى ومعه الربيعُ بن زيادٍ ، وهما يأكلان لا ثالثَ لهما ، والدّار والمجالس مملوءة من الوُفود . فلمّا فرغ من الغداء أذِن للجعفريِّين فدَخلوا عليه ، وقد كان أمْرُهم تقارَبَ ، فذكروا الذي قدِموا له مِن حاجتهم ، فاعترض الربيعُ بن زياد في كلامهم ، فقال لبيد في ذلك[3] : [من الرجز]

أكلَّ يومٍ هامتي مقَزَّعَهْ ... يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَهْ
نحن بني أُمِّ البنينَ الأربعه ... سيوفُ حَزٍّ وجفانٌ مُترَعَهْ
نحن خيارُ عامرِ بن صعصعه ... الضاربون الهام تَحتَ الخَيْضَعَهْ[4]

1 التربة : شجرة شاكة ثمرتها كالبسرة المعلقة (اللسان ـ ترب) .
2 يكدم : يعض .
3 ديوانه : 340–343 .
4 الخيضعة : الغبار والمعركة واختلاف الأصوات في الحرب . وقيل هي البيضة .

والمطعمون الجَفنةَ المُدعدَعه مهلاً أبيتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ معه[1]
إنّ استَه من بَرَص مُلمَّعه وإنّـه يُدخِل فيها إصبعَهْ
يُدخِلها حتّى يُواري أشجعَهْ كأنّه يطلبُ شيئاً ضيعَهْ[2]

فرفع النُّعمانُ يَدَه من الطّعام وقال : خَبّثْتَ والله عليَّ طعامي يا غلام ؛ وما رأيتُ كاليوم . فأقبل الربيعُ على النُّعمان فقال : كذَبَ والله ابنُ الفاعلة[3] ، ولقد فعلتُ بأمّه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلُك فعلِ ذلك بربيبةِ أهلِهِ والقريبةِ من أهلِهِ ، وإنّ أُمّي من نساءٍ لم يكنَّ فواعلَ ما ذكرت . وقضى النُّعمانُ حوائج الجعفريِّين ، ومضى مِن وقتِهِ وصَرَفهم ، ومضى الرّبيعُ بن زياد إلى منزلِهِ مِن وقتِه . فبعث إليه النُّعمانُ بضِعفِ ما كان يَحبوه ، وأمره بالانصراف إلى أهلِهِ . فكتب إليه الربيع : إنّي قد عرفتُ أنّه وَقَعَ في صدرِك ما قال لبيد ، وإنّي لستُ بارِحاً حتّى تبعثَ إليّ مَن يجرِّدني فيعلمَ مَنْ حضَرَكَ من النّاسِ أنّي لست كما قال لبيد . فأرسل إليه : إنّك لستَ صانِعاً بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئاً ، ولا قادِراً على ردِّ ما زَلّت به الألسُن ، فالحقْ بأهلِك . فلَحِقَ بأهلِهِ ثم أرسل إلى النُّعمان بأبياتِ شعرٍ قالها ، وهي : [من البسيط]

لئن رحلتُ جِمالِي لا إلى سَعَةٍ ما مثلُها سَعَةٌ عرضاً ولا طُولا
بحيثُ لو وردَتْ لخمٌ بأجمعها لم يَعدِلوا ريشةً من رِيش سَمويلا[4]
ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها لا مثلَ رَعيكم مِلحاً وغَسْويلا[5]
فاثبُتْ بأرضك بعدي واخلُ متكئاً مع النِّطاسيِّ طوراً وابن تُوفيلا

فأجابه النُّعمانُ بقوله : [من البسيط]

شرِّدْ برحلكَ عنّي حيثُ شئتَ وَلا تُكثِر عليَّ ودعْ عنكَ الأباطِيلا
فقد ذُكِرتَ بشيءٍ لستُ ناسيَه ما جاورت مصرُ أهلَ الشّام والنِّيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جَزَعَتْ هُوجُ المطيِّ به نحو ابن سَمويلا[6]

1 المدعدعة : المملوءة .
2 الأشجع : أصل الإصبع .
3 ل : الحمق .
4 السمويل : طائر أو بلد كثير الطيور .
5 الروائم : التي تعطف على أولادها . وأحرار البقول : ما رق منها ورطب . والغسويل : نبت ينبت في السبخات .
6 جزعت : قطعت .

قـد قيل ذلك إنْ حقّـاً وإنْ كذباً فمـا اعتذارُك من قـولٍ إذا قيلا[1]
فالحقْ بحيثُ رأيـتَ الأرضَ واسعةً فانْشر بها الطَّرفُ إنْ عرضاً وإن طُولا

قال : وقال لبيد يهجو الربيعَ بنَ زياد ، ويزعمون أنّها مصنوعة . قال : [من الرجز]

رَبيعُ لا يَسُقْكَ نحـوي سائقُ فتُطلَـبَ الأذْحـالُ والحقائقُ[2]
ويُعلَـمَ المُعْيـا بـه والسّابقُ ما أنتَ إن ضُمَّ عليك المازِقُ
إلاّ كشيءٍ عاقَـه العوائـقُ إنّـك حـاسٍ حُسوةً فذائقُ
لا بـدّ أن يغمز منك العاتقُ غمزاً تـرى أنّك منه ذارقُ
إنّـك شيخٌ خائـن منافـقُ بالمخزيـات ظاهـرٌ مطابِقُ

[أظهر شعره بعد المعلقة]

وكان لبيد يقول الشعر ويقول : لا تُظْهِروه ، حتى قال : [من الكامل]

عفَتِ الدِّيـارُ محلُّهـا فمُقامها

وذكر ما صنع الرّبيع بن زياد ، وضَمْرة بن ضَمرة . ومَنْ حَضَرَهم من وجوه النّاس ، فقال لهم لبيدٌ حينئذٍ : أظهروها .

قال الأصمعيّ في تفسير قوله : الخيضعة ، أصله الخضعة بغير ياء ، يعني الجلبة والأصوات ، فزاد فيها الياء . وقال في قوله «بالمخزيات ظاهر مطابق» : يقال طابق الدّابةُ ، إذا وضع يديه ثم رفَعهما فوضع مكانَهما رجليه ، وكذلك إذا كان يطأ في شوك . والمأزق : المضيق . والنازق : الخفيف .

نسخت من كتاب مرويٍّ عن أبي الحَكَم قال : حدَّثني العلاء بن عبد الله الموقّع قال : اجتمع عندَ الوليد بن عقبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم لبيدٌ ، فسأل لبيداً عمّا كان بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ عند النُّعمان ، فقال له لبيد : هذا كانَ من أمر الجاهليّة وقد جاء اللهُ بالإسلام . فقال له : عزمتُ عليك ، وكانوا يَرَون لعَزْمة الأميرِ حقّاً ، فجعَل يحدِّثُهم ، فحسده رجلٌ من غنيٍّ فقال : ما عَلِمْنا بهذا . قال : أجَلْ يا ابن أخي ، لم يُدْرِكْ أبوك مثلَ ذلك ، وكان أبوك مِمّن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك .

[ما سمع من فخره في الإسلام]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكرانيّ قال حدَّثني العمريُّ قال : حدَّثني الهيثم عن ابن عيّاش عن

---

1 المثل «قد قيل . . . إذا قيلا» في أمثال الضبّيّ : 172 وجمهرة العسكري 2 : 118 ومستقصى الزمخشري 2 : 191 وفصل المقال : 90 ، 92 .

2 الأذحال : جمع ذحل ، وهو الثأر .

محمد بن المنتشر قال : لم يُسمَع من لبيدٍ فخرُه في الإسلام غيرَ يومٍ واحد ، فإنّه كان في رَحَبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سَجَّى نفسَه بثوبه ، إذ أقبل شابٌّ من غنيٍّ فقال : قَبَحَ اللهُ طُفَيْلاً حيث يقول[1] : [من الطويل]

جَزى اللهُ عنّا جعفراً حيثُ أشرفَتْ ... بنــا نعلُنــا في الواطئــين فزلَّــتِ
أَبَــوْا أن يَملُّونــا ولَــو أنَّ أُمَّنا ... تُلاقِــي الذي يَلقَــوْن منّا لملَّتِ
فــذو المال موفورٌ وكلّ مُعصِّبٍ ... إلى حُجُــرات أدفــأت وأظَلَّتِ[2]
وقالــت هلُمُّوا الدّار حتّــى تبيَّنُوا ... وتنجَلِــيَ الغَمَّــاءُ عمّــا تجلَّــتِ

ليت شعرِي ما الذي رأى من بني جعفر حيث يقول هذا فيهم ؟ قال : فكشفَ لبيدٌ الثَّوبَ عن وجهه وقال : يا ابن أخي ، إنّكَ أدركتَ الناسَ وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يَزعُون بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ تَخْرجُ الخادِمُ بجرابها فتأتي برزقِ أهلها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتَهم ، ولو أدركتَ طُفيلاً يوم يقول هذا لم تَلُمْه . ثم استلقى وهو يقول : أستغفر الله . فلَم يزل يقول : أستغفر الله ؛ حتى قام .

[سؤال عن أشعر العرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال : قال مَرَّ لبيدٌ بالكوفة على مجلسِ بني نَهد وهو يتوكّأ على مِحجن له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب . فسأله فقال : الملك الضِّليل ذو القُروح . فرجعَ فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس . ثم رجع إليه فسأله : ثم مَن ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بني بكر . فرجَع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفة . ثم رجع فسأله ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المِحجَن ، يعني نفسه .

[شعره في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو عبيدة قال : لم يقل لبيدٌ في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، وهو[3] : [من البسيط]

---

1 ديوان الطفيل الغنوي : 98 .

2 المعصب : الذي يعصب بطنه من الجوع . صدر البيت في الديوان :
«هم خلطونا بالنفوس وألجأوا»

3 قال ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء : 195 ، وعنه أخذه صاحب الخزانة وأضاف ابن قتيبة قال إنّ أبا اليقظان ، وهو : الحمد لله . . . وقال غيره ، بل هو :
ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح
وفي الاستيعاب والإصابة ومعجم المرزباني أن البيت الأوّل لقردة بن نفاثة . والصواب أنّ لبيداً قال شعراً كثيراً في الإسلام كما يستدلّ من مراجعة قصائده . وانظر شعره فيما تقدم من ترجمته عندما بلغ المائة وعندما جاوزها ، وكان وقتئذٍ مسلماً . وانظر فيما بعد شعره عند احتضاره .

الحمدُ لله إذْ لم يأتِنـي أجَـلي حتّى لبستُ من الإسلام سِربالا

أُخبرني أحمد قال : أخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن عباد بن حبيب المهلَّبيّ قال : حدَّثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشَّعبيّ قال : كتبَ عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة : أن استنشِد من قِبَلك من شُعراء مِصرك ما قالوا في الإسلام . فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْلِيّ ، فقال له : أنشدني . فقال : [من الرجز]

أَرَجَـزاً تريـدُ أم قصيدا لقـد طلبتَ هيّناً موجودا

ثم أُرسل إلى لبيدٍ فقال : أُنشِدْني . فقال : إنْ شئت ما عُفِيَ عنه ، يعني الجاهلية ، فقال : لا ، أَنشِدْني ما قلتَ في الإسلام . فانطلق فكتب سُورة البقرة في صحيفةٍ ثم أَتى بها وقال : أبدلَنِي الله هذه في الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمرَ ، فنقص من عَطاءِ الأَغلبِ خمسمائةٍ وجَعَلَها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب : يا أَمير المؤمنين أتنقُص عطائي أن أطَعتُك ؟! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاءَ لبيدٍ على أَلفين وخمسمائة .

[معاوية يحاول إنقاص عطائه]

قال أَبو زيد : وأَراد معاويةُ أن ينقُصَه من عطائه لّما ولِي الخلافة ، وقال : هذان الفَودان ، يعني الألفين ، فما بال العِلاوة ؟ يعني الخمسمائة . فقال له لبيد : إنّما أَنا هامةُ اليومِ أو غد ، فأعِرني اسمها ، فلعلّي لا أَقبضُها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان . فرقَّ له وترك عطاءه على حالِهِ ، فمات ولم يقبضْه .

[نحره كلّما هبت صبا]

وقال عمر بن شبّة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأَخبرني به إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قالا : كان لبيد من جُوداء العرب ، وكان قد آلى في الجاهليّة أن لا تَهُبَّ صبا إلاّ أُطعم ، وكان له جفنتان يَغدو بهما ويَروحُ في كلِّ يومٍ على مسجد قومه فيُطعِمهم . فهبّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعِد الوليدُ المنبر فخطبَ النّاس ثم قال : إنّ أخاكم لبيدَ بن ربيعة قد نذَر في الجاهلية ألاّ تَهبَّ صَبَاً إلاّ أُطعم ، وهذا يومٌ من أيّامه ، وقد هبَّتْ صباً فأعينوه ، وأنا أوّلُ من فَعَل . ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائةِ بكرة ، وكتب إليه بأبياتٍ قالها : [من الوافر]

أرى الجزّارَ يشحَذُ شفرتَيـهِ إذا هبَّتْ ريـاحُ أَبي عَقيلِ
أشمُّ الأنـف أَصيدُ عامـريٌّ طويلُ البَاعِ كالسَّيفِ الصَّقيلِ

وَفــى ابنُ الجعفريِّ بحَلْفَتيهِ على العِلاَّتِ والمــالِ القليلِ[1]
بِنَحرِ الكُوم إذ سُحِبت عليه ذيولُ صبــاً تَجاوَبُ بالأَصيلِ

فلمّا بلغت أبياتُه لبيداً قال لابنته : أجيبيه ، فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أُعيا بجوابِ شاعر . فقالت ابنته : [من الوافر]

إذا هبَّتْ ريــاحُ أبي عَقيلٍ دعَوْنــا عنــد هَبَّتِها الوليدا
أشمَّ الأَنــف أَروعَ عبشميّاً أَعــانَ على مروءتــــه لَبيدا
بأَمثــالِ الهضــابِ كأنّ رَكْباً عليها مــن بنــي حامٍ قُعودا
أَبــا وهــبٍ جَزاكَ اللهُ خَيراً نَحرناهــا فأَطعَمْنــا الثَّريدا
فعُــدْ إنَّ الكريمَ لــه مَعادٌ وظنِّي يــا ابنَ أروى أن تَعُودا

فقال لها لبيد : أحسنتِ لولا أنّكِ استطعمتِهِ . فقالت : إنّ الملوكَ لا يستحيا من مسألتهم . فقال : وأنتِ يا بُنيّةُ في هذه أشعَر .

[سمع الفرزدق شعراً له فسجد]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني محمد بن عمران الضبّيّ قال : حدَّثني القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبّيّ قـال : قـدِم الفرزدق فمرَّ بمسجد بني أُقَيْصِر ، وعليه رجلٌ يُنشِد قول لبيد : [من الكامل]

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنّها زُبُــرٌ تُجِــدُّ مُتونَها أَقلامُها

فسجَدَ الفرزدق فقيل له : ما هذا يا أَبا فِراس ؟ فقال : أَنتم تعرفونَ سجدة القرآن ، وأَنا أَعرفُ سجدةَ الشعر .

[سؤال عن أشعر الشعراء]

أَخبرنا أَحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدَّثنا يعقوب الثقفيّ ، وابن عَيّاش ، ومسعر بن كدام ، كلُّهم عن عبد الملك بن عُمَير قال : أخبرني مَنْ أرسله القراء الأَشراف ، قال الهيثم : فقلت لابن عيّاش : من القرّاءِ الأشراف ؟ قال : سُليمان بن صُرَد الخُزاعيّ ، والمسيَّب بن نَجَبة الفزاريّ ، وخالد بن عُرفُطة الزُّهريّ ، ومسروق بن الأَجْدَع الهَمْدانيّ ، وهانىء بن عروة المُرادي ، إلى لبيد بن رَبيعة وهو في المسجد ، وفي يده مِحجَن فقلت : يا أَبا عَقِيل ، إخوانك يُقرونك السّلام ، ويقولون : أيّ العربِ أَشعَر ؟ قال : الملك الضِّليل ذو القروح .

---

1 على العلات : في حال عسره ويسره .

فرَدُّوني إليه وقالوا : ومَنْ ذو القروح ؟ قال : امرؤ القيس . فأعادوني إليه وقالوا : ثم مَنْ ؟ قال : الغلام ابن ثمانِ عَشْرة سنة . فرَدُّوني إليه فقلت : ومن هو ؟ فقال : طَرَفة . فردُّوني إليه فقلت . ثمّ من ؟ قال : صاحب المِحجَن حيث يقول[1] : [من الرمل]

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذن الله رَيْثي وَعَجَلْ
أَحْمَدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فعَلْ
مَن هَداه سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومَنْ شاءَ أَضلّ

يعني نفسه . ثم قال : أَستغفرُ اللهَ .

[المعتصم يعجب بشعر لبيد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن ابن البوّاب قال : جلس المعتصمُ يوماً للشراب ، فغنَّاه بعض المغنِّين قولَه[2] : [من الرمل]

وبَنُو العبّاسِ لا يأتون «لا» وعلى أَلسنهم خفَّتْ «نَعَمْ»
زَيَّنت أَحلامُهم أَحسابَهُمْ وكذاك الحلمُ زَينٌ للكرمْ

فقال : ما أَعرِفُ هذا الشعر ، فلِمَن هو ؟ قيل : للبيد . فقال : وما للبيد وبني العبّاس ؟ قال المغنّي : إنّما قال :

وبنو الدّيان لا يأتون

فجعلتُه «وبنو العبّاس» . فاستَحْسَنَ فعلَه ووصلَه .

وكان يُعجَب بشعر لبيدٍ فقال : مَن منكم يروي قوله : [من الطويل]

بلينا وما تَبْلَى النّجومُ الطوالع

فقال بعض الجلساء : أَنا . فقال : أَنشِدْنيها . فأَنشد[3] : [من الطويل]

بَلِينا وما تَبلى النُّجومُ الطوالِعُ وتَبقى الجِبالُ بعدَنا والمَصانِعُ
وقد كنتُ في أَكنافِ جارِ مَضَنّةٍ ففارقني جارٌ بأَربدَ نافعُ

فبكى المعتصمُ حتّى جرت دموعهُ ، وترحَّم على المأمون ، وقال : هكذا كانَ رحمة الله عليه ! ثم اندفعَ وهو يُنشِد باقيها ويقول : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 175 .
2 ديوانه : 352 .
3 ديوانه : 168 .

فـلا جزِعٌ إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا — فكلُّ امرىءٍ يوماً له الدَّهرُ فاجعُ
ومـا النّاسُ إلاّ كالدِّيارِ وأَهلِها — بِها يـومَ حلُّوهـا وبَعْـدُ بلاقِعُ
ويَمْضُون أَرسالاً ونخلُف بعدَهمْ — كما ضَمَّ إحدى الراحتينِ الأَصابعُ
ومـا المرءُ إلاّ كالشِّهابِ وضوئه — يَحُورُ رَماداً بعدَ إذْ هـو ساطِعُ
وما البرُّ إلاّ مُضمَراتٌ من التُّقى — ومـا المـالُ إلاّ عاريـاتٌ ودائعُ
أَليسَ ورائِـي إنْ تراخَتْ منيَّتِي — لُزومُ العَصا تُحنى عليها الأَصابعُ
أُخبِّر أَخبـارَ القرونِ التي مَضَت — أَدبُّ كأنِّـي كلّما قمـتُ راكِعُ
فأَصبحتُ مثلَ السَّيف أَخلَقَ جَفنَه — تقادُمُ عهدِ القَـينِ والنصلُ قاطِعُ
فـلا تَبعَـدَنْ إنّ المنيّـةَ مَوعِدٌ — علينـا فـدانٍ للطُّلـوعِ وطالِعُ
أَعـاذلُ مـا يُدريكِ إلاّ تَظَنِّياً — إذا رَحَلَ الفِتيانُ مَـنْ هـو راجعُ
أَتَجزعُ مِمّا أَحدَثَ الدَّهرُ بالفتى — وأَيُّ كريـمٍ لم تُصِبْـه القوارِعُ
لعمركَ ما تَدرِي الضَّوارِبُ بالحَصى — ولا زاجراتُ الطَّيرِ مـا اللهُ صانِعُ

قال : فعَجِبنا والله من حُسنِ أَلفاظه ، وصحّة إنشاده ، وجودة اختياره .

[موقف عثمان بن مظعون]

أَخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه . وحدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازيّ قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : كان عثمان بن مظعون في جوارِ الوليد بنِ المغيرة ، فتفكَّر يوماً في نفسِهِ فقال : والله ما ينبغِي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوارِ كافر ورسولُ الله ﷺ خائف . فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له : أُحبُّ أن تبرأ من جِوارِي . قال : لعلَّه رابَكَ رَيب . قال : لا ، ولكن أُحبُّ أَن تفعل . قال : فاذهبْ بِنا حتّى أبرأَ منك حيثُ أُجرتك . فخَرجَ معه إلى المسجد الحَرام فلمّا وقَفَ على جماعةِ قريش قال لهم : هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرتـه ثـم سألني أن أبرأ منه ، أَكذاك يا عثمان ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أنّي منه بريء . قال : وجماعةٌ يتحدَّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشَدهم لبيد :

أَلا كلُّ شيءٍ ما خَـلا اللهَ باطِلُ

فقال له عثمان : صدَقت . فقال لبيد :

وكلُّ نعيـمٍ لا محالـةَ زائـلُ

فقال عثمان : كذبتَ . فلم يَدْرِ القومُ ما عَنى . فأَشار بعضُهم إلى لبيدٍ أن يُعيد ، فأعاد

فصدَّقه في النصف الأوّل وكذَّبه في الآخر ، لأنّ نعيم الجنّة لا يزول . فقال لبيد : يا معشرَ قريش ، ما كان مثلُ هذا يكون في مجالسكم . فقام أُبيُّ بن خَلَف أو ابنه فلطم وجهَ عثمان ، فقال له قائل : لقد كنتَ في مَنَعَةٍ من هذا بالأمس . فقال له : ما أحوجَ عيني هذه الصحيحةَ إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأُخرى في الله .

[بين الشعبيّ وعبد الملك]

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عَيّاش قال : كتب عبدُ الملك إلى الحَجّاج يأمره بإشخاص الشعبيِّ إليه ، فأشخصَه فألزمه ولَده ، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم ، قال : فدَعاني يوماً في عِلّتِه التي مات فيها فغَصَّ بلقمةٍ وأنا بين يديه ، فتساندَ طويلاً ثم قال : أصبحتُ كما قال الشّاعر[1] : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزت سبعين حجّة خلعتُ بِهـا عنِّـي عذارَ لجامِ
إذا ما رآني النّاسُ قالوا ألَم يكنْ شديـدَ مَحـال البطشِ غيرَ كَهامِ
رمَتني بناتُ الدّهر من حيث لا أرى وكيف بِمـن يُرمـى وليس بِرامِ
ولَـو أنّني أُرمـى بسهـمٍ رأيْتُه ولكنّنِـي أُرمـى بغيرِ سهامِ

فقال الشعبيّ : فقلت : إنّا للهِ ، استسلم الرّجل واللهِ للموت ! فقلتُ : أصلحَكَ الله ، ولكن مثلك ما قال لبيد : [من البسيط]

باتت تَشَكَّى إلَيّ الموتَ مُجْهشةً وقـد حملتُك سبعاً بعـد سبعينا
فـإن تُزادِي ثلاثـاً تبلغي أملاً وفي الثّـلاثِ وفـاءٌ للثمانِينا

فعاشَ إلى أن بلغ تسعين سنة فقال : [من الطويل]

كأنـي وقد جاوزتُ تِسعِينَ حِجّةً خلعـتُ بِهـا عن مَنكبيّ ردائيا

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين . فقال : [من البسيط]

أليس في مائةٍ قـد عاشها رجـلٌ وفي تكامـلِ عَشْرٍ بعدهـا عُمُرُ

فعاشَ إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال : [من الكامل]

ولقد سئِمتُ من الحياة وطولِها وسؤال هـذا النَاسِ كيفَ لبيدُ
غَلَبَ الرّجالَ وكان غير مغلّبٍ دَهـرٌ جديـدٌ دائـم ممدودُ

---

1 ديوان عمر بن قميئة (دار صادر ـ بيروت) : 38–39 .

يـومٌ أُرى يأتِـي عليـه وليلةٌ وكلاهما بَعـدَ المضـاءِ يَعودُ

ففرِح واستبشر وقال : ما أُرى بأساً ، وقد وجَدْتُ خَفّاً[1] . وأَمَرَ لِي بأربعة آلافِ دِرهم ، فقبضْتُها وخرجت ، فما بلغتُ البابَ حتّى سمِعتُ الواعيةَ عليه[2] .

وغنّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

غَلَـبَ الرِّجالَ وكان غيرَ مغلَّبِ

عمرُ الوادِي خفيفَ رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو .

[شهادة النابغة له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَه قال : حدَّثنا هارون بن مسلم عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّادٍ الرّاوية قال : نظر النابغةُ الذُّبيانيّ إلى لبيدِ بن ربيعة وهو صبيٌّ ، مع أعمامِهِ على باب النُّعمان بن المُنذر ، فسأل عنه فنُسِب له ، فقال له : يا غلام ، إنّ عَينَيك لَعَينا شاعرٍ ، أفتقرِض من الشِّعرِ شيئاً ؟ قال : نَعَمْ يا عمّ . قال : فأنشِدْنِي شيئاً مِمّا قلته . فأنشَدَه قوله :

أَلَم تَربَعْ على الدِّمـن الخَوالِي[3]

فقال له : يا غلامُ ، أنتَ أشعَر بني عامر ، زِدْنِي يا بنيّ . فأنشده :

طلـلٌ لخولـة بالرُّسَيس قديمُ

فضرب بيَدَيه إلى جنبيه وقال : اذهبْ فأنتَ أشعرُ من قيسٍ كلِّها ، أو قال : هوازنَ كلّها .

وأخبرَني بهذا الخبر عمّي قال : حدَّثنا العمري عن لقيط عن أبيه ، وحمّادٌ الرّاويةُ عن عبد الله بن قَتادة المحاربيّ قال : كنتُ مع النّابغة بباب النُّعمان بن المنذر ، فقال لِي النّابغة : هل رأيتَ لبيد بن ربيعة فِيمَن حَضَرَ ؟ قلت : نعم . قال : أيُّهم أشعَر ؟ قلت : الفتى الذي رأيتَ من حالِهِ كَيْتَ وكَيْت . فقال : اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا . قال : فجلسنا فلمّا خرَجَ قال له النّابغة : إليَّ يا ابن أخي . فأتاه فقال : أنشِدْني . فأنشَدَه قوله : [من الوافر]

أَلَم تُلمِمْ على الدِّمن الخـوالي لسَلْمـى بالمَذانِـبِ فالقُفالِ

فقال له النّابغة : أنتَ أشعَرُ بني عامر ، زِدْنِي ، فأنشَدَه : [من الكامل]

1 الخف : الخفّة .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 ربع : وقف .

طَلَلٌ لخولــةَ بالرّسَيسِ قديمُ فبعاقـــلٍ فالأنعَمَــين رُسومِ

فقال له : أنتَ أشعَرُ هوازِنَ ، زِدْني . فأنشَدَه قوله : [من الكامل]

عَفَت الدِّيارُ محلُّهـا فمُقامها بمنًى تأبَّــدَ غَولُهـا فرِجامها

فقال له النّابغة : اذهبْ فأنتَ أشعَر العرب .

[وصيّته لابن أخيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، أنّ لبيداً لّما حضرتْه الوفاة قال لابن أخيه ولَم يكن له ولدٌ ذكر : يا بنيّ ، إنّ أباكَ لَم يمُتْ ولكنّه فني . فإذا قُبِض أبوكَ فأقبِلْه القِبلةَ وسجِّه بثوبه ، ولا تَصرُخَنّ عليه صارخةٌ ، وانظُر جَفنتيَّ اللّتين كنت أصنعُهما فاصنَعْهما ثم احمِلْهما إلى المسجد ، فإذا سلَّمَ الإمامُ فقدِّمْها إليهم ، فإذا طَعِموا فقُلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم . ثم أنشد قوله : [من مجزوء الكامل]

وإذا دفنــتَ أبـاكَ فاجـ ـعَلْ فوقَــه خشباً وطِينا
وسَقائفــاً صُمّــاً رَوَا سِيهـا يسدُّدن الغصونا
ليقِين حُــرَّ الوجـهِ سفـ ـسافَ التُّراب ولَن يَقِينا

قال : وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة .

وقد ذكر يونس أنّ لابن سُريجٍ لحناً في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه ، ولم يجنّسه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

أبُنــيَّ هــل أبصرتَ أعــ ـمامــي بنـــي أُمِّ البنينــا
وأبــي الـــذي كان الأرا مــلُ في الشّتـاء لـه قَطِينا
وأبــا شَرِيـك والمَنــا زِلَ في المضيــق إذا لقِينـا
مـا إنْ رأيــتُ ولا سمعــ ـــتُ بمثلهــمْ في العالَمينـا
فبقيـــتُ بعدَهـــمُ وكنــ ـتُ بطـولِ صُحبتهم ضَنِينا
دَعْنِــي ومـا ملكت يَميـ ـنــي إنْ سددت بها الشؤونا
وافعــل بمالِـك مـا بـدا لــك مُستعانـــاً أو مُعِينا

[شعره لابنتيه حين احتضر]

قال : وقال لابنتَيه حين احتُضِر ، وفيه غناء : [من الطويل]

تمنَّـــى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهمـا وهَلْ أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَرْ
فإنْ حانَ يوماً أن يموت أبوكما فلا تَخمِشا وجْهاً ولا تحلِقا شَعَرْ
وقولا هــو المــرءُ الذي لا حليفَه أضاعَ ، ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَولِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما ومَن يَبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى . وذكر الهشاميّ إنّه لإسحاق . وذكر أحمد بن يحيى أنّه لإبراهيم .

قال : فكانت ابنتاه تَلبسان ثيابَهما في كلِّ يوم ، ثم تأتيان مجلسَ بني جعفر بن كلاب فتَرثِيانِهِ ولا تُعْوِلانِ ، فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفَتا .

صوت[1]

[من الوافر]

سألناهُ الجزيـــلَ فما تأبَّى فأعطى فـــوقَ مُنْيتِنا وزادا
وأحسَنَ ثمّ أحسَنَ ثم عُدْنا فأحسَنَ ثم عُدت لـــه فعادا
مراراً مـــا دنوتُ إليــه إلاّ تبسَّم ضاحِكاً وثَنى الوِسادا

الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارية ، خفيف رمل بالبنصر مطلق .

1 شعر زياد الأعجم (يوسف بكار ـ دار المسيرة) : 66 .

[307] ـ أخبار زيادٍ الأعجم ونسبه[1]

[نسبه]

زياد بن سليمان[2] ، مولى عَبد القيس ، أحَد بني عامر بن الحارث ، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية .

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري . وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه عن ابن حبيب قال : هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى عبد القيس . وكان ينزل إصطَخْر فغلبت العجمةُ على لسانه ، فقيل له الأعجم .

وذكر ابنُ النطَّاح مثلَ ذلك في نسبه ، وخالف في بلده ، وذكر أنّ أصلَه ومولده ومنشأه بأصفهان ثمّ انتقل إلى خُراسان ، فلَم يَزَلْ بِها حتّى مات .

وكان شاعراً جزْل الشعر فصيح الألفاظ على لُكنةِ لسانِه ، وجَريه على لفظ أهل بلدِه .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : حُدِّثت عن المدائنيّ أنّ زياداً الأعجَم دَعا غلاماً له ليُرسِله في حاجة ، فأبطأ فلمّا جاءه قال له : منذ لدُنْ دأَوْتُك إلى أن قلتَ لبَّي ما كنت تسنأ ؟ يريد منذُ لدُنْ دعوتُك إلى أن قلتَ لبَّيك ماذا كنتَ تصنع .

فهذه ألفاظه كما ترى في نهاية القُبْح واللُّكنة .

[رثاؤه للمغيرة بن المهلّب]

وهو الذي يقول يرثي المُغيرةَ بن المهلّب بقوله[3] : [من الكامل]

صوت

قُلْ للقَوافــِل والغــزِيِّ إذا غَزَوْا ... والباكريـــن وللمجـــدِّ الرائـــحِ
إنّ المـــروءةَ والسّماحَــةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَـــرْوَ على الطّريق الواضحِ
فإذا مـــررتَ بقبرِهِ فاعقِـرْ بِـهِ ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِـرفٍ سابحِ

---

1 ترجمة زياد الأعجم في الشعر والشعراء : 343-345 والمؤتلف والمختلف : 193-195 وكامل المبرد (الدالي) : 769 ومعجم الأدباء : 1329-1330 وخزانة البغدادي 10 : 4-9 ومعاهد التنصيص 2 : 173 وقد جمع شعره د . يوسف بكار (دار المسيرة) ووضع له مقدمة مستفيضة .

2 في الشعر والشعراء والخزانة : ابن سلمى .

3 ديوانه : 52-56 .

وانضَحْ جوانِبَ قَبرِهِ بدِمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ
يا مَن بمغدى الشَّمس من حيٍّ إلى ... ما بين مَطلع قَرنها المتنازِحِ[1]
ماتَ المُغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ ... للموتِ بين أسِنَّةٍ وصفائحِ
والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى ... حَيّاً يؤخَّر للشَّفيق الناصحِ

وهي طويلة . وهذا من نادر الكلام ، ونقيِّ المعاني ، ومختار القصيد ، وهي معدودة من مراثي الشُّعراء في عصر زياد ومقدَّمها .

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأُوَل غناءٌ أوّله نشيدٌ كلُّه ، ثم تعود الصَّنعةُ إلى الثاني والثالث في طريقه الهزج بالوسطى .

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن السكّريّ عن محمد بن حبيب ، أنّ من النّاس مَن يروي هذه القصيدة للصَّلتان العبديّ . وهذا قولٌ شاذٌّ ، والصحيح أنّها لزياد قد دوّنها الرواةُ ، غيرَ مدفوعٍ عنها .

[مثل آخر من أمثلة لكنته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : رَثى زياد الأعجم المُغيرة بن المهلّب فقال : [من الكامل]

إنّ الشَّجاعةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرِهِ فاعقِرْ بِه ... كُومَ الهجان وكلَّ طِرفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلّب : يا أبا أمامة ، أفعَقَرتَ أنتَ عنده ؟ قال : كنتُ على بِنت الهمار . يريد الحِمار .

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال : كنت حاضراً في مجلس أبي العبّاس ، فقلت وقد قرىء عليه شعرُ زيادِ الأعجم ، فقرئت عليه قصيدته : [من الكامل]

قل للقوافِلِ والغزيِّ إذا غَزَوا ... والباكرين وللمجدِّ الرائحِ

قال : فقلت إنّها من مختار الشعر ، ولقد أُنشِدت لبعض المحدَثين في نحوِ هذا المعنى أبياتاً حسنة . ثمّ أنشدَنا[2] : [من الخفيف]

أيُّها الناعِيانِ مَن تنعِيانِ ... وعلى مَنْ أراكما تبكِيانِ

1 هذا هو البيت الأوّل في الديوان وروايته :
يا مَن بمغدى الشمس أو بمراحها ... أو مَن يكون بقرنها المتنازح

2 الأبيات لأحمد بن محمد الخثعمي (انظر وفيات الأعيان 5 : 356) .

اندُبـا الماجِدَ الكريمَ أبا إسـ حاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبا بِي إنْ لَم يكنْ لكما عَقْـ ـرٌ إلى جنب قَبرِهِ فاعقِراني
وانضَحا من دَمِي عليه فقد كا ن دَمِي مِن نَداهُ لو تَعْلَمانِ

[دية الحمامة ألف دينار]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان المهلّب بن أبي صُفرة بخُراسان ، فخرج إليه زيادٌ الأعجم فمدحَه ، فأمر له بجائزةٍ فأقام عندهُ أيّاماً . قال : فإنّا لَبِعشيَّةٍ نَشرب مع حبيب بن المهلَّب في دارٍ له ، وفيها حمامةٌ ، إذْ سجعت الحمامةُ فقال زياد[1] : [من الوافر]

تَغَنَّيْ أنتِ في ذِمَمِي وعَهـدِي وذمّـةِ والـدي ألا تُطـارِي
وبيتُك فاصلِحِيهِ ولا تَخافِي على صُفْـرٍ مزغَّبـةٍ صِغـارِ
فإنَّـكِ كلَّما غنَّيتِ صوتـاً ذكرتُ أحبّتي وذكرتُ داري
فإمّـا يَقتلـوكِ طلبتُ ثـأراً لـه نبـأ لأنّك في جِواري

فقال حبيبٌ : يا غلام ، هاتِ القوس . فقال له زياد : وما تصنعُ بها ؟ قال : أرمِي جارتَك هذه . قال : والله لئنْ رميتَها لاستعدِينَّ عليك الأمير . فأتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلَها ، فوثب زيادٌ فدخل على المهلَّب فحدَّثه الحديثَ وأنشده الشعر ، فقال المهلَّب : عليَّ بأبِي بِسطام ، فأُتِيَ بحبيب فقال له : أعطِ أبا أُمامَةَ ديةَ جارته ألفَ دينار . فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ، إنّما كنتُ ألعب . قال : أعطِهِ كما آمُرك . فأنشأ زيادٌ يقول[2] : [من الطويل]

فللّـه عينا مَـنْ رأى كقَضيّةٍ قَضى لِي بها قَرْمُ العِراقِ المهلَّبُ
رماها حبيبُ بـن المهلَّب رميةً فأثبتَها بالسَّهم والسّهمُ يغربُ
فألزمَه عَقْـلَ القتيـل ابنُ حُرّةٍ وقال حبيبٌ : إنّما كنت ألعبُ
فقال : زيـادٌ لا يرَوّعُ جـارُه وجارة جاري مثل جاري وأقربُ

[نصر المهلّب له على ولده]

قال : فحَمَل حبيبٌ إليه ألفَ دينار على كرهٍ منه ، فإنّه ليشرب مع حبيبٍ يوماً إذ عربدَ عليه حبيبٌ ، وقد كان حبيب ضَغِن عليه ممّا جرى ، فأمر بشقّ قَباء ديباجٍ كانَ عليه ، فقام

1 ديوانه : 75–76 .
2 ديوانه : 44–45 .

فقال[1] : [من الطويل]

لعمرك ما الدِّيباجَ خرّقتَ وحدَهُ ولكنّما خرّقْتَ جلدَ المهلّبِ

فبعث المهلَّب إلى حبيب فأحضَرَه ، وقال له : صدَقَ زِياد ، ما خرّقت إلاّ جلدي ، تبعث هذا على أن يهجوَني . ثم بعث إليه فأحضره ، فاستلّ سخيمتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصَرَفه .

وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً . قال أحمد بن الهيثم بن فراس ، قال العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : تهاجى قَتادةُ بن مُغْرب اليشكُريّ وزيادٌ الأعجمُ بخراسان ، وكان زيادٌ يخرج وعليه قَباءُ دِيباج ، تشبُّهاً بالأعاجم ، فمرَّ بِهِ يزيدُ بن المهلَّب وهو على حاله تلك ، فأمر به فقُنِّعَ أسواطاً ، ومزَّقت ثيابه وقال له : أبأهل الكفرِ والشّرك تتشبّه لا أمّ لك ؟ فقال زياد : [من الطويل]

لعمركَ ما الدِّيباجَ خَرَّقْتَ وحدَه ولكنّما خرّقتَ جلدَ المهلَّبِ

وذكر باقيَ الخبر مثله وقال فيه : فدَعا به المهلَّب فقال له : يا أَبا أُمامة ، قلتَ شيئاً آخر ؟ قال : لا والله أيُّها الأمير . قال : فلا تقُلْ . وأعتبَه[2] وكساه وحَمَله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : اعذِرْ ابنَ أخيك يا أبا أمامة ، فإنّه لم يَعرفْك .

وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ يقولها زيادٌ الأعجم في عُمَر بن عبيد الله بن معمر التَّيميّ .

[عراك الفقيه]

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : أتى زيادٌ الأعجم عمرَ بن عَبيد الله بن مَعمرٍ بفارس ، وقَدِم عليه عِراك بن محمّد الفقيهُ من مِصر ، فكان عِراكٌ يحدِّثه بحديث الفقهاء ، فقال زياد[3] : [من الطويل]

يحدِّثنا أنَّ القيامَةَ قد أتَتْ وجاءَ عِراكٌ يبتغِي المالَ من مِصرِ
فكَم بينَ بابِ النُّوبِ إنْ كنتَ صادِقاً وإيوان كسرى من فَلاةٍ ومِن قصرِ

وقال يمدح عُمر بن عُبيد الله : [من الوافر]

سألناه الجزيلَ فما تأبَّى وأعطى فوقَ مُنْيتِنا وزادا

وذكر الأبياتَ الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبي الدُّنيا : أخبرني محمد بن زياد ، عن ابن عائشة .

---

1 ديوانه : 48 .
2 أعتبه : أزال عتبه وأرضاه .
3 ديوانه : 76–77 .

[استنجازه وعدا لابن معمر]

وأخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، وخبرُ ابنِ أبي الدُّنيا أتمّ . قال : كان زيادُ الأعجم صديقاً لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يَلي ، فقال له عمر : يا أبا أمامة ، لو قَد وَليت لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبداً . فلمّا وَلِيَ فارِسَ قصدهُ ، فلمّا لقيَه أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أبلــغْ أبــا حفصٍ رسالةَ ناصحٍ أَتَتْ من زيــادٍ مستبيناً كلامُها
فإنّكَ مثــلُ الشّمس لا سِترَ دونَها فكيــف أبــا حفص عليَّ ظَلامُها

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبداً . فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو الله في السّرِّ أن أرى أُمــورَ معــدٍّ في يديــك نظامُها

فقال له : قد رأيتَ ذلك . فقال :

فلمّا أتانِــي مــا أردتُ تباشَرَتْ بناتِي وقلــنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال : فهو عامهنَّ إن شاء الله تعالى . فقال :

فإنّي وأرضاً أنت فيهــا ابنَ معمرٍ كمكّةَ لم يَطربْ لأرضٍ حَمامُها[2]

قال : فهي كذلك يا زياد . فقال :

إذا اخترتَ أرضاً للمقامِ رضيتُها لنفسي ولَــم يثقُــلْ عــليَّ مُقامُها
وكنتُ أمنّي النَّفسَ منك ابنَ معمر أمــانيَّ أرجــو أن يتــمَّ تمامُها

قال : قد أتمَّها الله عليك . فقال :

فــلا أكُ كالمُجْرِي إلى رأسِ غايــةٍ يُرجِّــي سَمــاءً لم يُصِبْه غَمامُها

[مديحه لعبد الله بن الحشرج]

قال : لستَ كذلك فسَلْ حاجتَك . قال : نَجيبةٌ ورحالتها[3] ، وفرسٌ رائع وسائسُه ، وبَدْرةٌ وحاملها ، وجاريةٌ وخادِمُها ، وتَختُ ثيابٍ ووصيفٌ يَحمِله . فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ ، وهو لكَ علينا في كلِّ عام . فخرج مِنْ عنده حتّى قدِم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابور ، فأنزلَه وألطَفَه ، فقال في ذلك[4] : [من الكامل]

1 ديوانه : 94 .
2 الطرب : الشوق .
3 الرحالة : الرحل .
4 ديوانه : 49 .

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبت على ابن الحَشْرَجِ
مَلكٌ أغــرُّ متــوَّجٌ ذو نائـلٍ ... للمُعْتَفِــين يمينُـه لم تَشنـجِ
يـا خيرَ من صعدِ المنابرِ بالتُّقى ... بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّجِ
لمــا أتيتُـكَ راجياً لنوالكمْ ... أُلفيتُ بابَ نوالكم لم يُرتَجِ

فأمر له بعشرةِ آلاف درهم .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبيد بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه : «أتى زيادُ عبدَ الله بن عامر بن كريز» . والخبر الأوّلُ أصحُّ . وزاد في الشعر : [من الوافر]

أخٌ لَـكَ لا تَـراه الدَّهرَ إلاَّ ... على العِـلاَّتِ بَسّامــاً جَوادا

فقال له عمر : أحسنتَ يا أبا أمامة ، ولَكَ لكلِّ بيتٍ ألف . قال : دَعْني أتمَّها مائة . قال : أمَا إنَّك لو كنت فعلتَ لفعلتُ ، ولكن لك ما رُزِقتَ .

[رثاء عمر بن عبيد الله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثني أبي قال : لمّا خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر لِيَقْدَمَ عليه ، فلمّا كان بضُمَيرٍ ، وهي من الشام ، ماتَ بالطّاعون ، فقام عبدُ الملك على قبرِهِ وقال : أمَا والله لقد علمَتْ قريشٌ أن قد فَقَدتِ اليومَ ناباً من أنيابها . وقال جدّ خَلاّد بن أبي عمرو الأعمى ، وكانوا مواليَ أبي وَجْرةَ بن أبي عمرو بن أميّة : أهو اليوم نابٌ لمّا ماتَ ، وكان أمس ضِرساً كَليلة ؟! أمَا والله لَوَدِدْتُ أنّ السماءَ وَقَعَتْ على الأرض فلَم يَعِش بينهما أحدٌ بعده ! وسمعها عبد الملك فتغافَلَ عنها .

قال : وقال الفرزدق يرثيه[1] : [من البسيط]

يا أيُّها النّاس لا تَبكُوا على أحَـدٍ ... بعــد الذي بضُمَيرٍ وافَـقَ القَدَرا
كانت يـداه لَنا سَيفـاً نَصُول بِهِ ... على العـدُوِّ وغيثـاً ينبِت الشَّجَرا
أمّا قريشٌ أبـا حفصٍ فقد رُزِئت ... بالشّام إذ فارقتكَ الباسَ والظفَرا
مَن يقتلُ الجوعَ من بعد الشهيدِ ومَنْ ... بالسيف يقتل كَبْشَ القوم إذ عَكَرا[2]
إنّ النوائح لَم يَعــدُدْنَ في عُمرٍ ... مـا كان فيـه إذا المولى بِهِ افتخَرا

1 ديوان الفرزدق 1 : 235–236 .
2 عكرا في ل : غدرا .

إذا عدَدنَ فعـالاً أو لَـهُ حسباً ويـومَ هيجاءَ يُغْشي بأسُه البصرا
كم مِن جبانٍ إلى الهيجا دنوتَ له يومَ اللّقاء ولـولا أنتَ ما صَبَرا

أخبرنا أحمد حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا عفّان بن مسلم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة قال : أخبرنا حميد عن سليمان بن قَتّة قال : بعث عُمر بن عُبيد الله بن مَعمَر إلى ابن عُمر ، والقاسم بن محمد ، بألفِ دينار ، فأتيتُ عبد الله بن عُمر وهو يغتسل في مُستَحمٍّ له ، فأخرج يدَه فصببتها في يده ، فقال : وصَلتَ رحِماً ، وقد جاءتنا على حاجة . وأتيتُ القاسمَ فأبى أن يَقْبَلها ، فقالت لي امرأته : إنْ كان القاسِمُ ابنَ عمِّه فأنا لابنةُ عمِّه . فأعطيتُها . قال : فكان عمرُ يبعث بهذه الثِّياب العمريّـة يقسِّمهـا بـين أهل المدينة ، فقال ابن عُمر : جَزى الله مَن اقتنى هذه الثيابَ بالمدينة خيراً . وقال لِي عمر : لقد بلغني عن صاحبك شيءٌ كرهتُه . قلت : وما ذاك ؟ قال : يُعطِي المهاجرين ألفاً ألفاً ، ويُعطي الأنصار سَبعمائة سبعَمائة . فأخبرته فسوَّى بينهم .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا أبو زيد قال : كانت لرجل جاريةٌ يهواها ، فاحتاج إلى بيعها ، فابتاعها منه عُمر بن عُبيد الله بن معمر ، فلمّا قبضَ ثمنَها أنشأتْ تقول : [من الطويل]

هنيئاً لك المال الذي قد قبضتَه ولم يبـقَ في كَفَّيّ غير التحسُّرِ
فإنِّي لحُزْنٍ مـن فِراقكَ مُوجَعٌ أُناجِي بِـهِ قلباً طويلَ التفكّرِ

فقال : لا ترحلِي . ثم قال : [من الطويل]

ولَولا قُعود الدَّهرِ بِي عنكِ لَم يكن يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذرِي
عليـكِ سلامٌ لا زيـارةَ بيننـا ولا وَصلَ إلاّ أنْ يشاء ابنُ معمرِ

فقال : قد شئتُ ، خذِ الجارية وثمنَها . فأخذَها وانصرف .

[زياد يستبطىء عمر بن عبيد الله]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن زياد قال : حدَّثني ابن عائشة قال : استبطأ زيادٌ الأعجم عُمر بن عبيد الله بن مَعمر في زيارته إيّاه فقال[1] : [من الطويل]

أصابت علينا جودَكَ العينُ يا عُمرْ فنحنُ لها نبغِـي التمائم والنُّشَرْ[2]
أصابتك عـينٌ في سماحِـك صلبةٌ ويـا رُبَّ عينٍ صُلبةٍ تَفلِقُ الحَجَرْ
سنَرقيكَ بـالأشعارِ حتّـى تملَّها فإنْ لم تُفِـقْ يوماً رقَيناكَ بالسُّوَرْ

فبلغته الأبياتُ فأرضاه وسرَّحه .

1 ديوانه : 77 .
2 النشر : جمع نُشرة ، وهي الرقية .

[هجاء عبّاد بن الحصين]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني العمريّ قال : حدَّثني مَن سمع حمّاداً الرّاوية يقول : امتدح زيادٌ الأعجم عبّاد بن الحُصين الحَبَطيّ ، وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له «القُباع» ، وطلب حاجة فلَم يَقضِها فقال زياد[1] : [من المتقارب]

سألتُ أبـا جَهضَمٍ حاجـةً ... وكنـتُ أُراه قريبـاً يسيرا
فلو أنّنِـي خِفت منـه الخِلا ... فَ والمنعَ لِي لَم أَسَلْهُ نَقِيرا
وكيـف الرَّجـاءُ لِما عنـدَه ... وقد خالط البخلُ منه الضَّميرا
أَقِلْنِـي أبـا جَهضَمٍ حاجَتِـي ... فإنّي امـرؤٌ كان ظَنّي غُرُورا

[هجاء يزيد بن حبناء]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ ، عن عَطاء بن مُصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : مَرَّ يزيد بن حَبْناء الضّبّيّ بزيادِ الأعجم وهو ينشِد شعراً قد هجا به قَتادةَ بن مغْرِب ، فأفحَشَ فيه ، فقال له يزيدُ بن حبناء : أَلَم يأنِ لك أن تَرعَوِيَ وتتركَ تمزيقَ أعراضِ قومِك ، وَيْحك ! حتّى متى تتمادى في الضّلالِ ، كأنّكَ بالموتِ قد صَبَّحك أو مَسّاك ! فقال زياد فيه[2] : [من الطويل]

يحذّرني المـوتَ ابنُ حبناءَ والفتى ... إلى المـوتِ يَغدو جاهـداً ويَرُوحُ
وكلُّ امرىءٍ لا بدّ للموتِ صائِرٌ ... وإن عاشَ دهـراً في البِلادِ يسيحُ
فقلْ ليزيدٍ يـا ابنَ حَبْناء لا تَعِظْ ... أخاكَ وعِظْ نفساً فأنتَ جَنوحُ
تركتَ التُّقى والدِّينُ دِينُ محمّدٍ ... لأهـل التُّقـى والمسلمين يلوحُ
وتابَعْتَ مُـرّاقَ العِراقَـينِ سادراً ... وأنتَ غليظ القُصْرَيَيْنِ صحيحُ[3]

فقال له يزيد بن عاصم الشّنّيّ : قَبَحَك الله ، أتَهجو رجلاً وعَظَك وأَمَرَك بمعروف بمِثلِ هذا الهجاء ، هلاّ كففتَ إذ لم تقبل ، أراه والله سيأتِي على نفسك ثم لا تَحبِقُ فيك عَنْزان[4] ، اذهبْ ويحك فأْتِهِ واعتذر إليه لعلّه يَقبلُ عذرَك . فمَشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشَفَعوا إليه فيه ، فقال : لا تثريبَ ، لستُ واجداً عليه بعد يومِي هذا .

---

1 ديوانه : 69 .

2 ديوانه : 50 .

3 القصريان : مثنى القصرى ، وهي آخر ضلع الجنب أسفل الأضلاع .

4 مثل .

[مدحه للمهلّب ببيت جائزته ثلاثون ألف درهم]

أخبرني أحمد بن عليّ قال : سمعت جدّي عليّ بن يحيى يحدّث عن أبي الحَسَن عن رجل من جُعفيٍّ قال : كنتُ جالِساً عند المهلَّب إذْ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب ، فلمّا رآه المهلَّب قال : اللهمَّ إنّي أعوذُ بِك من شَرّه ! فجاء فقال : أصلحَ الله الأمير ، إنّي قد مدحتك ببيتٍ صَفَدُه مائة ألف درهم . فسكت المهلَّب ، فأعاد القول فقال له : أنشدْه . فأنشَدَه : [من الطويل]

فتًى زادَهُ السُّلطانُ في الخيرِ رغبةً إذا غَيَّـرَ السُّلطـانُ كلَّ خليـلِ

فقال له المهلّب : يا أبا أُمامة ، مائة ألف ! فوالله ما هي عندنا ولكنْ ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ . وأمر له بها ، فإذا هو زياد الأعجم .

[هجاؤه للفرزدق وفزع الفرزدق منه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ وأبو العيناء عن القَحذميّ قال : لقي الفرزدقُ زياداً الأعجمَ فقال له الفرزدق : لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس ، وأصفَ من فَسْوِهم شيئاً . قال له زياد : كما أنتَ حتّى أسمِعَك شيئاً . ثم قال : قُل إن شئتَ أو أمسِك . قال : هات . قال : [من الطويل]

ومـا تَرَكَ الهاجون لِي إن هجوتُه مَصَحّـاً أراه في أديـم الفرزدقِ

فإنّا ومـا تُهدِي لنـا إنْ هجوتَنا لكالبحرِ مَهما يُلقَ في البحرِ يَغرقِ

فقال له الفرزدق : حَسبك هَلُمَّ نَتتارك . قال : ذاك إليك . وما عاودَه بشيء .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العتبيّ عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : حدَّثني خِراش ، وكان عالِماً راوية لأبي ، ولمؤرِّج ، ولجابر بن كلثوم ، قال : أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناسَ في المربَد وقد اجتمعوا حولَه ، فقال : مَن هذا ؟ قيل : الأعجم . فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك . فقام فتلقّاه وحيّا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال له الفرزدق : ما زالت تنازعُني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذُ دهرٍ . قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنّي رأيتُ الأشقريَّ هجاكم فلم يصنَعْ شيئاً ، وأنا أشعرُ منه ، وقد عرفتُ الذي هيّج بينك وبينه . قال : وما هو ؟ إنّكم اجتمعتم في قُبّة عبد الله بن الحَشرج بخُراسان ، فقلتَ له قد قلت شيئاً فمَن قال مثلَه فهو أشعر منّي ، ومَن لَم يَقُلْ مثلَه ومَدَّ إليَّ عنقَه فإنّي أشعَر منه . فقال لك : وما قلتَ ؟ فقلتَ : قلتُ : [من الطويل]

وقافيـةٍ حَـذّاءَ بِـتُّ أحُوكُهـا إذا مـا سُهيلٌ في السّماء تَـلالا

فقال لك الأشقريّ : [من الطويل]

وأقلف صلَّى بعـد مـا ناكَ أُمَّه يرى ذاك في دِينِ المجوسِ حَلالا

فأقبلْتَ على مَن حضَرَ فقلت : يا لأُمٍّ كعبٍ أخزاها الله تعالى ، ما أنمَّها حين تُخبر ابنها بقُلْفتي ! فضحك النّاسُ وغلبت عليه في المجلس .

فقال له زياد : يا أبا فراس ، هَبْ لِي نفسك ساعةً ولا تعجَلْ حتّى يأتيك رسولي بهديّتي ثم ترى رأيَك . وظنّ الفرزدقُ أنّه سيُهدي إليه شيئاً يستكفّه به ، فكتب إليه : [من الطويل]

ومــا تَرك الهاجُون لِي إن أردتُه مَصَحّــاً أَراهُ في أديــمِ الفرزدقِ
ومــا تركوا لحماً بدا فوق عَظْمَه لآكِلِـــه أَلْقَـــوْه للمتعـــرِّقِ
سَأَحْطِمُ ما أَبقَوْا لــه من عِظامِهِ فأَنكتُ عظمَ السّاقِ منــه وأَنتقِي
فإنّا وما تُهدي لنــا إنْ هجوتَنا لكالبحر مَهما يُلْقَ في البحرِ يَغرَقِ

فبعث إليه الفرزدق : لا أَهجو قوماً أنتَ منهم أبداً .

[زياد أهجى من كعب الأشقريّ]

قال أبو المنذر : زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ ، وقد أَبرَّ عليه في عدّة قصائد . منها التي يقول فيها : [من المتقارب]

قُبَيِّلــةٌ خيرُهــا شرُّهــا وأَصدقُهــا الكـاذب الآثِمُ
وضَيفهمُ وَسْطَ أَبياتِهــمْ وإن لَم يكن صائِماً صائِمُ

وفيه يقول : [من الطويل]

إذا عــذَّبَ الله الرِّجالَ بشِعرِهِم أَمِنْتُ لكعـبٍ أَنْ يعذَّبَ بالشِّعرِ

وفيه يقول : [من الوافر]

أَتَـتْــكَ الأزدُ مُصْفَرّاً لِحاها تَساقَطُ من مناخرها الجُوافُ

أَخبرني وكيعٌ قال : حدَّثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدَّثنا الهيثم عن ابن عيّاش قال : دخل أبو قِلابةَ الجَرْميّ مسجدَ البصرة وإذا زيادٌ الأعجم ، فقال زياد : مَن هذا ؟ قال : أبو قِلابة الجَرميّ ، فقام على رأسه فقال : [من الطويل]

قمْ صاغــراً يا كهلَ جَرمٍ فإنّما يقال لكَهل الصِّدق قُمْ غيرَ صاغرِ
فإنّــك شَيخٌ ميّــت ومــورّثٌ قُضاعــة ميراثَ البَسوسِ وقاشرِ
قضى الله خَلْـقَ النّاسِ ثم خُلِقْتمُ بقيّــةَ خَلْـق اللهِ آخِــرَ آخِــرِ
فلم تسمعوا إلاّ بمــا كان قبلَكم ولَم تُدرِكوا إلاّ بـــدقِّ الحوافِرِ
فلو ردَّ أَهلُ الحَقِّ مَن مات منكمُ إلى حقِّهِ لَــم تُدفَنوا في المَقابِرِ

فقيل له : فأين كانوا يدفنون يا أبا أُمامة ؟ قال : في النَّواويسِ .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٦٧م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد السادس عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

16

الطبعَة الأولىٰ

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[308] ـ أخبار شارية

[نسبها]

قال أبو الفرج علي بن الحسين : كانت شارية مولدة من مولدات البصرة ، يقال إنّ أباها كان رجلاً من بني سامةَ بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وأنّه جحدها ، وكانت أمّها أَمَة ، فدخلت في الرقّ . وقيل بل سُرقت فبيعت ، فاشترتها امرأة من بني هاشم ، فأدّبتها ، وعلّمتها الغناء ؛ ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي ، فأخذت غناءها كلّه أو أكثره عنه ؛ وبذلك يحتجّ من يقدّمها على عَريب ، ويقول : إنّ إبراهيم خرَّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه ، وبمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب ، لأنّ المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم ، ولا يقاس به في بعضه ، فضلاً عن سائره .

[كتاب ابن المعتزّ في أخبارها]

أُخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قُريص : أنّ ابن المعتزّ دفع إليه كتابه الذي ألّفه في أَخبارها ، وقال له أن يروِيه عنه . فنسختُ منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه ، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب ، وسمعته أنا عمّن رويته عنه .

قال ابن المعتزّ : حدَّثني عيسى بن هارون المنصوري : أنّ شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية ، من ولد جعفر بن سليمان . فحملتها لتبيعها ببغداد ، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأعطى بها ثلثمائة دينار ، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها . فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي ، فعرضت عليه ، فساوم بها . فقالت له مولاتها : قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار ، وأنت أيها الأمير ، أعزّك الله ، بها أحقّ[1] . فقال : زنوا لها ما قالت . فوُزن لها ، ثم دعا بقَيِّمته ، فقال : خذي هذه الجارية ولا ترينيها سنة ، وقولي للجواري يطرحن عليها ، فلمّا كان بعد سنة أخرجت إليه ، فنظر إليها وسمعها . فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه ، وأراه إياها ، وأسمعه غناءها . وقال : هذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهي رخيصة بها . قال له إبراهيم : أتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية التي عَرَضَتْها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار ، فلم تقبل . فبقي إسحاق متحيراً ، يعجب من حالها وما انقلبت إليه .

وقال ابن المعتزّ : حدّثني الهشامي عن محمد بن راشد : أنّ شارية كانت مولدة بالبصرة ،

1 ل : أولى بها .

وكانت لها أمّ خبيثة منكرة، تدّعي أنّها بنت محمد بن زيد، من بني سامة بن لؤي.

قال ابن المعتزّ: وحدَّثني غيره، أنّها كانت تدّعي أنّها من بني زُهْرة.

قال الهشامي: فجيء بها إلى بغداد، وعُرضت على إبراهيم بن المهدي، فأعجب بها إعجاباً شديداً؛ فلم يزل يعطِي بها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم. فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: إنّه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق، فقال لي: ويحك! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً، وليس عندنا شيء. فقلت له: نبيع ما نملكه حتى الخزَف[1]، ونجمع ثمنها. فقال لي: قد فكرت في شيء؛ اذهب إلى علي بن هشام، فأقرئه منّي السلام، وقل له: جعلني الله فداءك! قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي، وليس عندي ثمنها، فأحبّ أن تقرضني عشرة آلاف درهم. فقلت له: إنّ ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم، لا بدّ أن نكسوها، ونقيم لها ما تحتاج إليه.

فصرت إلى علي بن هشام، فأبلغته الرسالة، فدعا بوكيل له، وقال له: ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً، وقل له: أنا لا أصلك، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة. قال: فصرت إلى أبي بالدراهم، فلو طلعتُ عليه بالخلافة لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم.

وكانت أمّها خبيثة، فكانت كلّما لم يعطِ إبراهيم ابنتها ما تشتهي، ذهبت إلى عبد الوهّاب بن علي، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

قال ابن المعتزّ: وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصري، صاحب إبراهيم بن المهدي: أنّ إبراهيم وجَّه به إلى عبد الوهاب ابن علي، في حاجة كانت له قال: فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة. فلمّا نظرت في وجهي سترت وجهها. فأخبرني شاكري[2] أنّ المرأة هي أمّ شارية، جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم، وقلت له: أدرك، فإنّي رأيت أمّ شارية في دار عبد الوهّاب، وهي مَن تعلم، وما يفجؤك إلاّ حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك. وأمرني بالرّكوب إلى دار ابن أبي دُواد، وإحضار مَن قدرت عليه من الشهود المعدّلين عنده، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً. وأمر بإخراج شارية، فخرجت، فقال لها: اسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنّه إنّما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت. فقال

1 ل: الخرق.

2 الشاكري: أحد جند الخلفاء.

لها : تسمَّي . فقالت : أنا شارية أَمَتك . فقال لهم : تأمّلوا وجهها ، ففعلوا . ثم قال : فإنّي أُشهدكم أنّها حرّة لوجه الله تعالى ، وأنّي قد تزوّجتها ، وأصدقتها عشرة آلاف درهم . يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي ، أرضيتِ ؟ قالت : نعم يا سيدي قد رضيت ، والحمد لله على ما أنعم به علي . فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطَيَّبهم وانصرفوا .

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دُواد ، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي ، فأقرأ عمّه سلام المعتصم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من المفترَض علي طاعتك ، وصيانتك عن كلّ ما يَعرك ، إذ كنتَ عمِّي ، وصنو أبي ، وقد رفعتْ إلي امرأة من قريش قصّة ، ذكرت فيها أنّها من بني زُهرة صَليبة[1] ، وأنّها أمّ شارية ؛ واحتجّت بأنّه لا تكون بنت امرأة من قريش أَمَة . فإن كانت هذه المرأة صادقة في أنّ شارية بنتها ، وأنّها من بني زهرة ، فمن المحال أن تكون شارية أَمَة ؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك ، وسترها عند مَن تثق به من أهلك ، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة ؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ مَن جعلتَها عنده بإطلاقها ، وكان في ذلك الحظّ لك في دينك ومروءتك ؛ وإن لم يصحّ ذلك ، أعيدت الجارية إلى منزلك ، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هب شارية بنت زُهْرة بن كلاب ، أتنكر على ابن عبّاس بن عبد المطّلب أن يكون بعلاً لها ؟ فقال عبد الوهّاب : لا . فقال إبراهيم : فأبلغ أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وأخبره أنّ شارية حرّة ، وأنّي قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول .

وقد كان الشهود بعد منصرَفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دُواد . فشمّ منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه ، فأعلموه أنّهم حضروا عتق شارية ، وتزوّج إبراهيم إياها . فركب إلى المعتصم ، فحدَّثه بالحديث معجِباً له منه . فقال : ضلّ سَعْي عبدِ الوهاب . ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلمّا رآه يمشي في صحن الدار ، سدّ المعتصم أنف نفسه ، وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشمّ رائحة صوف مُحرَق ، وأحسب أنّ عمِّي لم يقنعه ردّك إلاّ وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها ، فشممتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح .

ولمّا انصرف عبد الوهّاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية ، بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها في ملك غيره . ثم ابتاعها من ميمونة ، فحلّ له فرجُها ، فكان يطؤها على أنّها أَمَتُه ، وهي تتوهّم أنّه يطؤها على أنّها حرّة . فلمّا توفّي طلبت مشاركة أمّ محمد بنت خالد زوجته في الثّمن ، فأظهرت خبرها . وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن

---

1 صليبة : خالصة النسب .

الخبر ، فأخبرا به المعتصم . فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار ، فحوّلت إلى داره ، فكانت في ملكه حتى تُوفّي .

قال ابن المعتزّ : وقد قيل إنّ المعتصم ابتاعها بثلثمائة ألف درهم .

قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أنّ إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته ، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فربّاها تربية الولد ، حتى لقد ذكرت أنّها كانت في حجره جالسة ، وقد أعجب بصوت أخذته منه ، إذ طُمِثت أوّل طمثها ، فأحسن بذلك ، فدعا قيّمة له ، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام ، فلفّه عليها ، فقال : احمليها ، فقد اقشعرّت ، وأحسِب برد الحُشّ[1] قد آذاها .

قال : وحدَّثت شارية أنّها كانت معه في حَرَّاقة قد توسّط بها دجلة ، في ليلة مقمرة ، وهي تغنّي إذ اندفعت فغنّت[2] : [من مجزوء الوافر]

لقد حثوا الجِمال ليهـ ـربوا منّا فلَم يَئِلوا

فقام إليها ، فأمسك فاها ، وقال : أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناء ، فما يؤمنني عليك ؟ أمسِكي .

قال : وحدَّث حمدون بن إسماعيل : أنّه دخل على إبراهيم يوماً ، فقال له : أتحبّ أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قطّ ؟ قال : نعم . فقال : هاتوا شارية ، فخرجت ، فأمرها أن تغنّي لحن إسحاق :

هل بالديار التي حَيَّيْتَها أحد ؟

قال حمدون : فغنّتني شيئاً لم أسمع مثله قطُّ ، فقلت : لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا . فقال : أتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لا يكون . فقال : بلى والله تقرّ بذاك . فقلت : على اسم الله . فغنّاه هو ، فرأيت فضلاً عجيباً . فقلت : ما ظننت أنّ هذا يفضل ذاك هذا الفضل . قال : أفتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذي لا يكون . فقال : بلى والله . فقلت : فهات . قال : بحياتي يا شارية ، قوليه وأجيلي حلقك فيه . فسمعت والله فضلاً بينا ، فأكثرت التعجّب . فقال لي : يا أبا جعفر ، ما أهون هذا على السامع ! تدري بالله كم مرّة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت ؟ قلت : لا . قال : فقل وأكثر . قلت : مائة مرّة . قال : اصعد ما بدا لك . قلت : ثلثمائة . قال : أكثر والله من ألف مرّة ، حتى قالته كذا .

---

1 الحش : البستان ، وفي ل : الخيش .

2 البيت للحكم بن عبدل وقد تقدم في ترجمته 2 : 265 . ولم يئلوا : لم ينجوا .

[عقوبتها]

قال : وكانت رَيِّق تقول : إنّ شارية كانت إذا اضطربت في صوت ، فغاية ما عنده من عقوبتها أنّه يقيمها تغنّيه على رجليها ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضَرَبَت ريِّق[1] .

قال : ويقال إنّ شارية لم تضرب بالعود إلاّ في أيام المتوكّل ، لمّا اتّصل الشرّ بينها وبين عرِيب ، فصارت تقعد بها عند الضرب[2] ، فضربت هي بعد ذلك .

[لا يبيعها بسبعين ألفاً]

قال ابن المعتزّ : وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم ، المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضي الكتاب في زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخاً ثقة . قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها . فعاتبتُه على ذلك . فلم يجبني بشيء . ثم دعاني بعد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة . فأحضره الغلام سَفُّوداً فيه ثلاث فراريج ، فرمى إليّ بواحدة ، فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رِطلاً وسقانيه ، ثم أُتِي بسفود آخر ، ففعل كما فعل ، وشرب كما شرب وسقاني . ثم ضَرَب سِتراً كان إلى جانبه ، فسمعت حركة العِيدان ، ثم قال : يا شارية تَغَنَّي . فسمعت شيئاً ذهب بعقلي . فقال : يا سهل ، هذه التي عاتبتَني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا واللهِ ، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار .

قال : وكانت شارية تقول : إنّ أباها من قريش ، وإنّها سُرِقت وهي صغيرة ، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدي . والله أعلم .

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال : أمرني المعتزّ ذات يوم بالمُقام عنده ، فأقمت . فأمر فمدّت الستارة ، وخرج مَن كان يغنّي وراءها ، وفيهنّ شارية ، ولم أكن سمعتها قبل ذلك . فاستحسنت ما سمعت منها ، فقال لي أمير المؤمنين المعتزّ : يا عبيد الله ، كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء ، أكثر من حظّ الطرب . فاستحسن ذلك ، وأخبرها به فاستحسنته .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني الهشامي ، قال : قالت لي رَيِّق : كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم ، وهو متّكىء على مِخدّة ينظر إلينا . فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب ، فأغلظتُ لها في الكلام بعض الغلظة . فاستوى إبراهيم جالساً ، وقال : أراك تستخفّين بها ، فوالله ما أجد أحداً يخلفك غيرها . وأومأ إلى حلقه بيده .

1 أي ضربت بالعود .

2 تتنقصها بأنها لا تعرف الضرب .

[نقض حكاية العتق والزواج]

قال : وحدَّثني الهشامي ، قال : حدَّثني عمرو بن بانة ، قال : حضرت يوماً مجلس المعتصم ، وضُرِبت الستارة ، وخرجت الجواري ، وكنت إلى جانب مخارق ، فغنَّت شارية ، فأحسنت جداً . فقلت لمخارق : هذه الجارية في حسن الغناء على ما تسمع ، ووجهها وجه حسن ، فكيف لم يتحرّم[1] بها إبراهيم بن المهدي ؟ فقال لي : أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة مَنْع إبراهيم بن المهدي من ذلك .

قال عبد الله بن المعتزّ : وحدَّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى ، عن رَيِّق قالت : استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه ، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام ، فنالته ضَيقة . قالت : فتحمل ذهابنا إليه على ضعف ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقّعة ، فجعلنا نَرى جواريَ المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة ، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنّوا وغنّينا . فطرب المعتصم على غنائنا ، ورآنا أُمْثَل من جواريه ، فتحوّلت إلينا أنفسنا في التّيه والصّلف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

قال : وحدَّثني أبو العَنْبَس ، عن أبيه قال : كانت شارية أحسن النّاس غناء ، منذ توفّي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

قال أبو العَنْبَس : وحدَّثتني رَيِّق أنّ المعتصم افتضّها ، وأنّها كانت معها في تلك الليلة .

قال أبو العَنْبَس : وحدَّثتني طِباع جارية الواثق : أنّ الواثق كان يسمِّيها سِتِي . وكانت تعلم فريدة ، فلم تبق في تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق ، فحلفت أنّها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها . فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلاّ نقصت من نغمه . وكان المعتمد قد تعشّق شرة جاريتها ، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفّة روح . وعجز عن شرائها ، فسأل أُمّ المعتزّ أن تشتريها له ، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار ، وأهدتها إليه . ثم تزوّجت بعد وفاة المعتمد بابن البقّال المغنّي ، وكان يتعشّقها . فقال عبد الله بن المعتزّ ، وكان يتعشّقها : [من الطويل]

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسِي ... ألا رُبّ تطليقٍ قريبٌ من العُرسِ
لئن صِرتِ للبقّال يا شرَّ زوجةً ... فلا عجبٌ قد يربُض الكلبُ في الشمسِ

[ابن وصيف يستودعها جوهره]

وقال يعقوب بن بُنان : كانت شارية خاصّة بصالح بن وصيف . فلمّا بلغه رحيل موسى بن

---

1 لم يتحرم بها : لم يدخلها في حرمه .

بُغا من الجبل يريده ، بسبب قتله المعتزّ ، أودع شارية جوهره . فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك . فلمّا أوقع موسى بصالح ، استترت شارية عند هارون بن شعيب العُكْبَرِي ، وكان أنظف خلق الله طعاماً ، وأسراه مائدة ، وأوسخه كلّ شيء بعد ذلك ؛ وكان له بسرّ مَن رأى منزل ، فيه بستان كبير ، وكانت شارية تسمِّيه أبي ، وتزوره إلى منزله . فتحمل معها كلّ شيء تحتاج إليه ، حتى الحصير الذي تقعد عليه .

[كرمها]

قال : وكانت شارية من أكرم الناس . عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق في وقت ، فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار ، ومكثت عليه أكثر من سنة ، ما أذكرته بها ، ولا طالبته حتى ردّها ابتداء .

[تحزب لشارية وعريب]

قال يعقوب بن بنان : وكان أهل سرّ مَن رأى متحازِبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء . فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عَرِيبياً ، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وعنده عَرِيب وجواريها . فاتّصل الخبر بشارية ، فبعثت بجواريها إلى علي بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهنّ ، وما أدري هي : مِهرجانُ ، أو مطربُ ، أو قمرية ، إلاّ أنـّها إحدى الثلاثة ، أن تغنِّي قوله : [من مجزوء الخفيف]

لا تَعودَنّ بعدهـا فترى كيفَ أصنعُ

فلمّا سمع علي الغناء ضحك ، وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية ، فلم يكن يأكل إلاّ طعامها . فمكثت دهراً من الدهور تعدّ له في كلّ يوم جُونْتين[1] ، وكان طعامه منهما في أيام المتوكّل .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أحمد بن نعيم عن رَيِّق ، قالت : كان مولاي إبراهيم يسمِّي شارية بنتي ، ويسمِّيني أختي .

[المعتمد يمنحها ألف ثوب]

حدَّثني جحظة ، قال : كنت عند المعتمد يوماً ، فغنّته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه : [من الكامل]

1 الجونة : سلة صغيرة تغشى بالأدم ويستعملها العطارون . جمعها جون .

يا طول عِلـةِ قلبــيَ المعتادِ ... أَلِفَ الكرامَ وصحبةَ الأَمجادِ[1]

فقال لها : أحسنتِ واللهِ . فقالت : هذا غنائي وأنا عارية ، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة ، فحُمل ذلك إليها . فقال لي علي بن يحيى المنجّم : اجعل انصرافك معي . ففعلت ، فقال لي : هل بلغك أنّ خليفة أمَر لمغنّية بمثل ما أمَر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء ، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام ، فتصفّحناها كلّها ؛ فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

يا طـول عِلّـةِ قلبيَ المعتادِ ... أَلِفَ الكرامَ وصحبةَ الأَمجادِ
مـا زلت آلف كلّ قَرْمٍ ماجدٍ ... متقــدّمِ الآبــاء والأَجــدادِ

الشعر لإبراهيم بن المهدي ، والغناء لعلّويه ، خفيف رمل لشارية بالبنصر ، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه .

[شعر وغناء لخديجة بنت المأمون]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدَّثني محمد بن مالك الخزاعي ، قال : حدَّثتني مُلَح العطّارة ، وكانت من أحسن الناس غناءً ، وإنّما سمِّيت العطّارة لكثرة استعمالها العطر المطيّب ، قالت : غنَّت شارية يوماً بين يدَي المتوكّل وأنا واقفة مع الجواري : [من السريع]

بالله قولوا لي لِمَــن ذا الرَّشا ... المثقلُ الردفِ الهضيمُ الحشا
أظرف ما كان إذا ما صحا ... وأملــح الناس إذا ما انتشى
وقــد بنى بُـرْجَ حمامٍ له ... أرسل فيــه طائـراً مُرعَشا[2]
يــا ليتني كنت حَماماً له ... أو باشَقاً يفعل بي مــا يشا
لــو لبس القُوهيَّ من رقّةٍ ... أوجعــه القُوهيُّ أو خدَّشا[3]

1 علة في ل : غلة ، والغلة العطش .
2 المرعش : الحمام الأبيض .
3 القوهي : ضرب من الثياب البيض .

وهو هَزَج ، فطرب المتوكّل ، وقال لشارية : لَمن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من دار المأمون ، ولا أدري لَمن هو . فقلت له أنا : أعلم لَمن هو . فقال : لَمن هو يا مُلَح ؟ فقلت : أقوله لك سرّاً . قال : أنا في دار النساء ، وليس يحضرني إلاّ حُرَمي ، فقوليه . فقلت : الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون ، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه ، وغنّت في هذا اللحن . فأطرق طويلاً ، ثم قال : لا يسمعْ هذا منك أحد .

صوت[1]

[من الطويل]

أُحبّكِ يا سلمى على غير ريبة — وما خير حبّ لا تعف سرائرُهْ
أُحبّكِ حبّاً لا أُعنِّف بعده — محبّاً ، ولكنّي إذا لِيم عاذرُهْ
وقد مات حُبّي أوّل الحبّ فانقضى — ولَوْ متُّ أَضحى الحبّ قد مات آخرُهْ
ولمّا تناهى الحبّ في القلبِ واردا — أَقام وسدّت فيه عنه مصادرُهْ

الشعر للحسين بن مُطَير الأسدي ، والغناء لإسحاق : هزج بالبنصر .

1 شعر الحسين بن مطير : 55–56 مع بعض اختلاف .

[309] ـ أخبار الحسين بن مطير ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحسين بن مُطَير بن مكمَّل ، مولى لبني أَسد بن خُزيمة ، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أُسد . وكان جدّه مكمَّل عبداً ، فأَعتقه مولاه . وقيل بل كاتبه ، فسعى في مكاتبته حتى أدّاها وأعتق . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعبّاسية ، شاعر متقدّم في القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بني أمية وبني العبّاس .

أُخبرني أُحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن محمد بن داود بن الجرّاح ، عن محمد بن الحسن بن الحَرون : أنّه كان من ساكني زُبالة[2] ، وكان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . وذلك بَيِّن في شعره .

وممّا يدلّ على إدراكه دولة بني أُمية ، ومدحه إياهم ، ما أُخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة ، قال : أخبرني أبي ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن مروان بن أبي حفصة ، قال : دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفي ، والحسين بن مطير الأسدي ، في عدّة من الشعراء ، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل كلّما أُنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدُ على بيت منه ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعراء . فقلت : مَن هذا ؟ قالوا : هذا حمّاد الراوية . فلمّا وقفت بين يدَي الوليد لأُنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أُمير المؤمنين وهو لحانة . فتهانف[3] الشيخ ، ثم قال : يا ابن أخي ، أنا رجل أُكلّم العامة ، وأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عنّي الشعر كلّه ، إلاّ شعر ابن مقبل ، فقلت : نعم ، لابن مقبل . فأنشدته : [من الطويل]

---

1 للحسين بن مطير ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 114–119 ومعجم الأدباء : 1157–1162 وخزانة البغدادي 5 : 475–482 وفوات الوفيات 1 : 388–389 وتهذيب ابن عساكر 4 : 362 والسمط : 409 وسير أعلام النبلاء 7 : 81 والوافي للصفدي 13 : 63 . وقد جمع شعره مرتين : مرة بعناية د . حسين عطوان ومرة بعناية د . محسن غياض (بغداد) وإلى هذا نشير .

2 زُبالة : كانت قرية عامرة على طريق مكة من الكوفة وكان فيها أسواق وحصن وجامع وقد بقي منها خرائب قصر زُبالة .

3 تهانف : تضاحك في فتور وسخرية .

سلِ الدّار مـن جنبي حِبِرٍ فواهبٍ   إلى ما رأى هضبَ القليب المُضَيَّحِ[1]

ثم جزت . فقال : قف . ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول . فقال : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان : إذا تقابلا .

[يفد على معن بن زائدة فينقد شعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، والحسن بن علي ، ويحيى بن علي ، قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن علي ، قال : حدَّثني أبي : أنّ الحسين بن مُطير وفد على مَعن بن زائدة لّما ولِي اليمن وقد مدحه ، فلمّا دخل عليه أنشده[2] : [من الطويل]

أُتيتك إذ لَم يبـقَ غيرَك جابـر   ولا واهب يعطِي اللُّها والرغائبا[3]

فقال له معن : يا أخا بني أسد ، ليس هذا بمدح ، إنّما المدح قول نهار بن تَوْسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة ، في مِسمع بن مالك : [من الخفيف]

قلدتْـه عُـرى الأمورِ نـِزار   قبـل أن تهلِك السراة البحورُ[4]

قال : وأوّل هذا الشعر : [من الخفيف]

اظْعَني من هراة قد مـرَّ فيها   حِججٌ مذ سكنتِهـا وشهورُ
اظْعَنـي نحـو مِسمع تجديـهِ   نعـم ذو المُنثنى ونعم المَزورُ
سوف يكفيك إن نبتْ بكَ أرض   بخُـراسان أو جفـاك أميرُ
من بني الحِصن عامِلٌ بن بريح   لا قليـلُ النّـدى ولا منزورُ
والـذي يفـزع الكماة إليـه   حين تدمى من الطّعان النُّحورُ
فاصطنع يا ابن مالك آل بكر   واجبرِ العظـم إنّـه مكسورُ

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها ، وأوّلها[5] : [من الرجز]

حديث ريا حَبّذا إدلالُها
تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرىء قد شفَّه خيالها

---

1 حبر وواهب : جبلان . وهضب القليب والمضيّح : ماءان .
2 شعره : 34 .
3 اللها : العطايا ، مفردها : لهوه .
4 السراة : جمع سري ، وهو الرجل السيد الشريف .
5 شعره : 66 .

وهي شفاء النفسِ لو تنالها

يقول فيها يمدحه :

سلَّ سيوفـاً محدثاً صِقالُها

صاب على أعدائــهِ وبالها[1]

وعند معن ذي النّدى أمثالها

فاستحسنها ، وأجزل صِلته .

[الأصمعي يردّ معنى دعبل إليه]

أخبرني ابن عمّار ويحيى بن علي ، حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصمّ قال : كنّا في مجلس الأصمعي ، فأنشده رجل لِدِعبِل بن علي :

أيـن الشبابُ وأيـةً سلكا

فاستحسنا قوله[2] : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سَلْمُ من رجلٍ ضحِكَ المشيب برأسِهِ فبكى

فقال الأصمعي : هذا أخذه من قول الحسين بن مُطير[3] : [من الخفيف]

أيــن أهــل القِبــاب بالدّهنــاء أيــن جيراننــا عــلى الأحساء

فارقونــا والأرض مُلبَسة نــو ر الأقاحِــي يُجــاد بـالأنواء

كلَّ يــوم بأقحـــوان جديـــد تضحك الأرض من بكاء السماء[4]

[سهر المهدي من شعره]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم الدينوري ، قال : حدَّثني محمد بن عمران الضبيّ ، قـال : قـال المهدي للمفضل الضبّي : أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مُطير الأسدي . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله[5] : [من الطويل]

وقــد تغدر الدّنيا فيضحِي فقيرها غنيــاً ويغْنى بعــد بؤسٍ فقيرُها[6]

1 صاب : انصب بغزارة .
2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .
3 شعر الحسين بن مطير : 31 .
4 من بكاء السماء في ل : عن مهل السماء .
5 شعره : 51 . مع اختلاف في الترتيب .
6 في الديوان : «. . . فيضحي غنيها فقيراً» وهو أقرب إلى الصواب .

فــلا تقــرب الأَمــر الحرام فإنّه حلاوتــه تفنــى ويبقى مَريرُها
وكم قـــد رأينــا مَــن تغيّر عيشة وأُخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرك يا أُمير المؤمنين .

وقد أُخبرني بهذا الخبر عمِّي رحمه الله أتمّ من هذا ، قال : نسخت من كتاب المفضل بن سلمة : قال أبو عِكرمة الضبّي : قال المفضل الضبّي : كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم ، وعلي عشرة آلاف درهم دين ، إذ جاءني رسول المهدي ، فقال : أجِب أمير المؤمنين . فقلت : ما بعث إليّ في هذا الوقت إلاّ لسعاية ساع . وتخوّفته ، لخروجي ، كان ، مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن . فدخلت منزلي ، فتطهّرت ولبست ثوبين نظيفين ، وصرت إليه . فلمّا مثلت بين يديه سلّمت ، فردّ علي ، وأمرني بالجلوس . فلمّا سكن جأشي ، قال لي : يا مفضل ، أي بيت قالته العرب أُفخَر ؟ فتشكّكت ساعة ، ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالساً ، ثم قال : وأي بيت هو ؟ قلت قولها : [من البسيط]

وإنّ صَخراً لَـتأتَـمُّ الهداةُ بِه كأنَّـه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بَزِيع ، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه . فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : حدّثني يا مفضل . قلت : أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين ؟ قال : حديث النساء . فحدّثته حتى انتصف النهار ، ثم قال لي : يا مفضل ، أُسهرني البارحة بيتا ابن مُطير ، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأوّل . ثم قال : أَلهذين ثالث يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله : [من الطويل]

وكم قـــد رأينــــا مَــن تغيّر عِيشةٍ وأُخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر ، ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال مَن هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، وقال : اقضِ دينك ، وأصلِح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

[مديحه المهدي]

أُخبرني يحيى بن علي ، عن علي بن يحيى إجازة ، وحدَّثنا الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع ، أحد بني سوار بن الحارث الأسدي ، قال : أخبرني جدّي موسى بن مجمع ، قال : قال الحسين بن مُطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

1 شعره : 33 .

إليــك أميــر المؤمنــين تعسَّفتْ بنا البيدَ هَوجـاءُ النَّجاء خَبوبُ[1]

ولو لَـم يكن قدّامها ما تقاذفتْ جبـال بهـا مغبـرَّة وسُهوبُ

فتى هـو مـن غير التخلّق ماجدٌ ومـن غيرِ تأديب الرّجـال أديبُ

عـلا خَلْقُه خَلـق الرّجالِ وخُلْقه إذا ضاق أخلاق الرّجالِ رحيبُ

إذا شاهـد القـوّاد سار أمامهم جـريء على مـا يتّقـون وَثوبُ

وإن غـاب عنهم شاهدتهم مهابةٌ بهـا يقهـر الأعداءَ حـين يَغيبُ

يعـفُّ ويستحيي إذا كان خاليـاً كما عـفَّ واستحيا بحيـثُ رَقيبُ

فلمّا أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد .

[مسكنه]

وكان الحسين من الثعلبية[2] ، وتلك داره بها . قال ابن أبي سعد : وأرانيها الشيخ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، عن إسحاق بن عيسى ، قال : دخل الحسين بن مُطَير على المهدي ، فأنشده قوله[3] : [من البسيط]

لو يعبـدُ النّاسُ يـا مهديُّ أفضلَهُم مـا كان في النّاس إلاّ أنت مَعْبُودُ

أضحت يمينُك مِن جودٍ مصوّرة لا بـل يمينُك منهـا صُوِّر الجودُ

لـو أنّ مـن نوره مثقـال خردلةٍ في السودِ طُرّا إذن لابيضّتِ السُّودُ

فأمر له لكلّ بيت ألف درهم .

[رثاء معن بن زائدة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : خرج المهدي يوماً ، فلقيه الحسين بن مُطَير ، فأنشده قوله : [من البسيط]

أضحت يمينُك مـن جودٍ مصوّرة لا بـل يمينُك منهـا صوّر الجودُ

فقال : كذبت يا فاسق ، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد ، بعد قولك في مَعْن بن زائدة

1 تعسفت : سارت على غير هدى . الهوجاء : الناقة المسرعة . والنجاء : الاسراع . والخبوب : التي تسير الخبب وهو ضرب من عدو الإبل .

2 الثعلبية : موضع بجوار زبالة .

3 شعره : 48 .

حيث تقول[1] : [من الطويل]

أَلِمّـا بمَعـنٍ ثـم قـولا لقبره سُقِيت الغوادي مَرْبعـا ثـم مربعا

أُخرجوه عنّي ، فأُخرجوه .

وتمام الأبيات :

أيـا قبر معـن كنـت أوّل حفرةٍ من الأرض خُطَّت للمكارم مضجعا[2]
أيا قبر معنٍ كيـف واريتَ جودَه وقـد كان منـه البرّ والبحر مُترَعا
بلى قد وسعتَ الجود والجود ميِّت ولـو كان حياً ضِقت حتى تصدّعا
فتى عِيش في معروفه بعـد موتـه كما كان بعـد السيلِ مجراه ممرِعا
أَبى ذكر مَعنٍ أن تمـوت فِعاله وإن كان قـد لاقى حِماماً ومصرعا

[أشعر العبّاسيين]

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني علي بن عبيد الكوفي قال : حدَّثني الحسين بن أبي الخَصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب ، قال : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العبّاس ، مَن أشعر مَن قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلَم بهذا وأعلى عيناً . فقال له : على ذاك فقل ، وتكلّم أنتَ أيضاً يا أحمد بن يوسف . فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول : [من الطويل]

أيـا قبر معـن كنـت أوّل خِطّة من الأرض خطّت للمكارم مضجعا

فقال أحمد بن يوسف : بل أشعرهم الذي يقول[3] : [من الكامل]

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّـر عنـه ولا متقـدَّمُ

فقال : أبيت يا أحمد إلاّ غزلاً ! أين أنتم عن الذي يقول[4] : [من المديد]

يا شقيق النفس من حكمِ نمتَ عـن ليلي ولَم أنَمِ

---

1 شعره : 60–61 .

2 ويروى : «خطت للسماحة . . .» .

3 البيت لأبي الشيص وينسب إلى غيره .

4 البيت مطلع قصيدة لأبي نواس ، وسيرد في ترجمة والبة بن الحباب منسوباً إليه 18 : 74 .

[أبو عبيدة يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا أبو خليفة عن التَّوزي ، قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مُطَير ؟ فقال : والله لوددت أنّ الشعراء قاربته في قوله[1] : [من الطويل]

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مِمّا زينتها عقودُها
فصُفرٌ تراقيها ، وحمرٌ أكفّها وسودٌ نواصيها ، وبيضٌ خدودُها

[وصف السحاب والمطر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مُطَير ، قال : كان سبب قوله هذه الأبيات أنّ والياً ولِي المدينة ، فدخل عليه الحسين بن مُطَير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره ، وقد كانت سحابة مكفهرّة نشأت ، وتتابع منها الرعد والبرق ، وجاءت بمطر جَوْد . فقال له : صِف هذه السحابة . فقال[2] : [من الكامل]

مستضحِكٌ بلوامعٍ مستعبِر بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاءُ[3]
فله بلا حزن ولا بمسرّة ضحِك يراوِح بينه وبكاءُ
كثرت لكثرة ودقه أطباؤه فإذا تَحَلَّبَ فاضتِ الأطباءُ[4]
وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاءُ[5]
لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبقَ في لجج السواحل ماءُ

صوت

[من الهزج]

إذا ما أُمّ عبد اللـ ـه لم تَحلل بواديهِ
ولم تمسِ قريباً هيَّـ ـج الحزنَ دواعيهِ
غزال راعه القنَّا ص تحميه صياصيهِ
وما ذكري حبيباً و قليل ما أواتيهِ

1 شعره : 45 .
2 شعره : 27–28 .
3 لم تمرها الأقذاء : لم يسل دمعها القذى .
4 الأطباء : أثداء الحيوان . والودق : المطر .
5 العرفج والألاء : نوعان من الشجر .

كذي الخمرِ تمنّاها وقد أُنزِف ساقيهِ[1]
عرفتُ الرّبع بالإكليـ ـل عفّته سوافِيهِ[2]
بجوٍّ ناعم الحوذا ن ملتفٍّ روابيهِ[3]

الشعر مختلط ، بعضه للنُّعمان بن بشير الأنصاري ، وبعضه ليزيد بن معاوية ، فالذي للنُّعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأوَل والبيت الأخير ، وباقيها ليزيد بن معاوية[4] . ورواه مَن لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العُزَّى . فأمّا مَن ذكر أنّه للنُّعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني ؛ وجدت ذلك عنه في كتابه ، وخالد بن كلثوم ، نسخته من كتاب[5] أبي سعيد السكري في مجموع شعر النُّعمان . وتمام الأبيات للنُّعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه ، فإنّها متوالية ، قال :

فبحت اليوم بالأمر الْـ ـلَذي قد كنت تخفيهِ
فإن أكتمه يوماً فإنّي سوف أبديهِ
وما زلت أفدّيهِ وأدنيهِ وأرقيهِ
وأسعى في هواه أ بداً حتّى أُلاقيهِ
فبات الرّيم منّي حـ ـذراً زلّت مراقيهِ

والغناء لمعبد : خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى ، عن الهِشامي وحنين .

1 أنزف : ذهب عقله .
2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تحمل التراب والرمل .
3 الحوذان : نبت أو بقلة لها نور أصفر .
4 لم يدخِل المحقق (صلاح الدين المنجد) شيئاً منها في مجموع الشعر المنسوب ليزيد .
5 ل : خط .

[310] ـ أخبار النُّعمان بن بشير ونسبه[1]

[نسبه]

هو النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خَلاّس بن زيد بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج . وأُمّه عَمْرة بنت رَواحة ، أُخت عبد الله بن رواحة ، التي يقول فيها قيس بن الخطيم[2] : [من المتقارب]

أَجَــدَّ بعمــرة غُنيانُهــا فتهجــرَ أُمّ شأنُنــا شأنُها[3]
وعمرة من سَروات النسا ء تنفــح بالمسك أردانُها

وله صحبة بالنبي ﷺ ، ولأَبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي ﷺ ومعه رجل آخر ، ليشهد معه غزوة له فيما قيل ، فاستصغرهما فردّهما .

وأَبوه بشير بن سعد أوّل مَن قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أَبي بكر رضي الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها ، واستشهد يوم عين التمر[4] مع خالد بن الوليد .

[عثماني الهوى]

وكان النُّعمان عثمانياً ، وشهد مع معاوية صِفّين ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ؛ وكان كريماً عليه ، رفِيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده . وعمِّر إلى خلافة مروان بن الحكم ، وكان يتولى حِمص . فلمّا بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط . فلم يجبه أُهل حِمص إلى ذلك . فهرب منهم ، وتبعوه فأَدركوه فقتلوه ، وذلك في سنة خمس وستّين .

ويقال إنّ النُّعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إياها . وقد

---

1 ترجمة النُّعمان بن بشير في تهذيب التهذيب 10 : 447 والاستيعاب 4 : 1496 وأسد الغابة 5 : 22 والإصابة وأنساب الأشراف 1 : 244 ومصورة تاريخ ابن عساكر 17 : 85 والوافي للصفدي والمحبر : 276 ، 294 وطبقات ابن سعد 5 : 531 ، وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري (بغداد) ووضع له مقدمة ضافية .

2 ديوان قيس بن الخطيم : 271 .

3 غنيانها : استغناؤها بزوجها .

4 عين التمر : مدينة في وسط العراق .

قيل ذلك في عبد الله بن الزُّبير ، إلاّ أنّ النُّعمان أوّل مولود وُلِد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

[العدل بين الأولاد]

وروى النُّعمان بن بشير عن النبي ﷺ كثيراً .

حدَّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء . قال : حدَّثني أبو بكر بن أبي شَيْبة ، قال : حدَّثنا عباد بن العوّام ، عن الحصين ، عن الشعبي ، قال : سمعت النُّعمان بن بشير يقول : أعطاني أبي عطية ، فقالت أمّي عمرة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسولَ الله فقال : ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتْني أن أشهدك . فقال : أعطيتَ كلّ ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . فقال : فاتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

[يرفض زيادة عطاء الكوفيين]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم ، وعامله يومئذٍ على الكوفة وأرضها النُّعمان بن بشير ، وكان عثمانياً ؛ وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام . فأبى النُّعمان أن ينفذها لهم . فكلّموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المِنبر أكثَرَ من قراءة القرآن . وكان يقول : لا ترون على مِنبركم هذا أحداً بعدي يقول : إنّه سمع رسول الله ﷺ . فصعد المِنبر يوماً فقال : يا أهل الكوفة . فصاحوا : ننشدك الله والزيادة . فقال : اسكتوا . فلمّا أكثروا قال : أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ قالوا : لا . قال : مثل الضبع والضبّ والثعلب : فإنّ الضبع والثعلب أتيا الضبّ في وِجاره ، فنادياه : أبا الحِسْل . فقال : سميعاً دعوتما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : إنّي حللت عَيْبَتي . قال : فِعلَ الحرّة فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : طيباً لقطتِ . قالت : فأكلها الثعلب . قال : لنفسه نظر . قالت : فلطمته . قال : بجُرْمه . قالت : فلطمني . قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : حدّث امرأة حديثين ، فإن أبَت فعشرة[1] .

فقال عبد الله بن هَمّام السَّلولي : [من الطويل]

1 المثل بألفاظ مختلفة في معظم كتب الأمثال (انظر جمع الميداني 1 : 192 ومستقصى الزمخشري 2 : 60 وجمهرة العسكري 1 : 342 والدرة الفاخرة 2 : 457 وفصل المقال : 50) .

زِيادتَنـا نعمـانُ لا تحبِسنهـا خَفِ اللّهَ فينا والكتابَ الذي تتلو[1]
فإنّـكَ قـد حُمِّلـت منّا أمانة بما عجزت عنه الصَّلاخمة البُزْلُ[2]
فلا يـكُ باب الشرّ تحسن فتحه وبـاب النّدى والخيرات له قفلُ[3]
وقـد نلتَ سلطاناً عظيماً فلا يكن لغيرك جَمّات النّدى ولك البخلُ
وأنت امـرؤ حلـو اللسان بليغه فمـا بالـه عنـد الزيـادة لا يحلُو
وقبلك قـد كانـوا علينا أئمّة يهمُّهـمُ تقويمنـا وهـمُ عُصْلُ[4]
إذا نصبوا للقول قالـوا فأحسنوا ولكنَّ حسن القول خالفه الفعلُ
يذمُّون دنياهـم وهـم يرضِعونها أفاويقَ حتّـى مـا يدرّ لهم ثَعلُ[5]
فيـا معشر الأنصار إنّي أخوكُم وإنّي لمعروفٍ أنـى منكم أهلُ[6]
ومن أجـل إيواء النبي ونصره يحِبُّكـمُ قلبـي وغيركُم الأصلُ

فقال النُّعمان بن بشير : لا عليه ألاّ يتقرّب ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنفِذها أبداً .

[سماعه الغناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الأصمعي ، قال : حدَّثني شيخ قديم من أهل المدينة . وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو غسان ، عن أبي السائب المخزومي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال : دخل النُّعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزُّبير ، فقال : والله لقد أخفقتْ أُذناي من الغِناء ، فأسمِعوني . فقيل له : لو وجّهت إلى عزّة الميلاء ، فإنّها مَن قد عرفتَ . فقال : إي وربّ الكعبة ، إنّها لممّن تزيد النفس طيباً ، والعقل شحذاً . ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبَتْ صِرت إليها . فقال له بعض القوم : إنّ النقلة تشتدّ عليها لثقل بدنها ،

1 لا تحبِسنها في ل : لا تحرمننا .
2 الصلاخمة : الجمال الصلبة الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذي انشقّ نابه وذلك في عامه التاسع .
3 فلا يك في ل : فانك . وباب الندى والخيرات في ل : ولا يك باب الخير ليس . . .
4 العصل ، جمع أعصل ، وهو المعوج مع صلابة وشدّة ، ويقال عادة في أنياب السباع .
5 الأفاويق : اللبن الذي يتجمّع في الضرع بين الحلبتين ، مفرده رفيقة . والثعل : خلف زائد في أخلاف الناقة وضرع الشاة لا لبن فيه .
6 أنى : حان .

وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النُّعمان بن بشير : وأين النجائب عليها الهوادج ؟ فوجّه إليها بنجيب ، فذكرت علّة . فلمّا عاد الرسول إلى النُّعمان قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذِنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النُّعمان عذرها ، وقال لها : غنّي ، فغنّت : [من المتقارب]

صوت

أجـدَّ بعَمــرة غُنيانهـا ... فتهجــرَ أمّ شأننا شأنُها

وعمرة من سَروات النسا ... ء تنفَح بالمسك أردانُهــا

قال : فأُشير إليها أنّها أمّه ، فأمسكت . فقال : غنّي ، فوالله ما ذكرتِ إلاّ كرماً وطيباً ، ولا تغنّي سائر اليوم غيره . فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

[فتوى في النّكاح]

قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى ، يا أبا عبد الرحمن . فقال : قال لقيط ونحن عند سعيد الزُّبيري ، قال عامر الشعبي : اشتاق النُّعمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزل عزّة المَيْلاء ، فلمّا انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له . فلمّا خرج شكت إليه كثرة غِشيان زوجها إياها ، فقال النُّعمان : لأقضينّ بينكما بقضية لا تُردّ علي ، قد أحلّ الله له من النساء أربعاً : مثنّى ، وثلاث ، ورباع ، له مرّتان بالنهار ، ومرّتان بالليل .

[مديح أعشى همدان له]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال حدَّثني عمِّي ، عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه ؛ وأخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الكلبي . وأخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكراني قال : حدَّثني العُمَرِي عن الهيثم بن عدِي ، قالوا : خرج أعشى همْدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم ، فلم يَنَل فيها حظّاً ؛ فجاء إلى النُّعمان بن بشير وهو عامل على حِمص ، فشكا إليه حاله . فكلّم له النُّعمان اليمانية ، وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يعطيه كلّ واحد منّا دينارين من عطائه . فقال : أعطوه ديناراً ، واجعلوا ذلك معجلاً . فقالوا له : أعطه إياه من بيت المال ، واحتسب ذلك على كلّ رجل من عطائه . ففعل النُّعمان ذلك ، وكانوا عشرين ألفاً ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النُّعمان : [من الطويل]

ولَم أَرَ للحاجات عند التماسها كنعمانَ نعمانِ النَّدى ابن بشيرِ
إذا قال أوفى ما يقول ولَمْ يكن كمُدْلٍ إلى الأقوامِ حبلَ غرورِ
متى أَكفرِ النُّعمان لا أُلْفَ شاكراً وما خير مَن لا يقتدي بشَكورِ
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ثَوى ما ثوى لم ينقلب بنَقيرِ

[هجاء الأخطل للأنصار]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا يحيى الزُّبيري قال حدَّثني ابن أبي زريق ، قال : شبّب عبد الرحمن بن حسّان برَمْلة بنت معاوية ، فقال[1] : [من الخفيف]

رملَ هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمنّي
إذ تقولين عَمْرَكَ اللهَ هـ ـل شيء وإنْ جلّ سوف يُسْليكَ عنّي
أم هَلْ اطمِعتُ منكم يا ابن حسّا ن كما قد أراك أُطمعتَ منّي

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فغضب ودخل على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى إلى هذا العِلج من أهل يثرب ، يتهكّم بأعراضنا ، ويشبّب بنسائنا ؟ فقال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسّان . وأنشده ما قال : فقال : يا يزيد ؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة ، ولكن أمهل حتى يقدَم وفد الأنصار ، ثم أذكرني به . فلمّا قدموا أذكره به . فلمّا دخلوا ، قال : يا عبد الرحمن ، ألم يبلغني أنّك شببت برملة بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمت أنّ أحداً أشرف لشعري منها لذكرته . فقال : فأين أنت عن أُختها هند ؟ قال : وإن لها لأختاً يقال لها هند ؟ قال : نعم . وإنّما أراد معاوية أن يشبّب بهما جميعاً ، فيُكذب نفسه . قال : فلم يرض ذلك يزيد ما كان من معاوية في ذلك ، فأرسل إلى كعب بن الجُعَيل ، فقال : اهجُ الأنصار . فقال : أُفْرَق من أمير المؤمنين ، ولكن أدلّك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل . قال : فدعاه ، فقال له : اهجِ الأنصار . فقال : أفرَق من أمير المؤمنين . قال : لا تخف شيئاً ، أنا بذلك لك . فهجاهم ، فقال : [من الكامل]

وإذا نسبتَ ابن الفُرَيعة خِلته كالجحش بين حمارة وحمارِ
لعن الإلـه من اليهود عصابة بالجِزْعِ بين صُليصل وصُدارِ
قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم حمراً عيونهمُ من المُسْطارِ[2]

1 تقدم هذا الخبر في التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم 15 : 74 .
2 المسطار : الخمر الحديثة العصر أو الخمر الحامضة .

خَلُّوا المكارم لستمُ من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النَّجارِ
إنّ الفوارس يعرفون ظهوركم ... أولادَ كلّ مقبَّح أكّارِ[1]
ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النُّعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، فحسر عمامته عن رأسه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤماً ؟ قال : بل أرى كرماً وخيراً . فما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أنّ اللؤم تحت عمائم الأنصار . قال : أوَ فعل ذلك ؟ قال : نعم . قال لك لسانه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلمّا أُتِي به ، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أوّلاً ، فأدخله عليه . فقال له : هذا الذي كنت أخاف . قال : لا تخف شيئاً . ودخل إلى معاوية ، فقال : علام أُرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا ، ويرمي من وراء جَمْرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومَن زعم ذلك ؟ قال : النُّعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه ، وهو المدّعي لنفسه ، ولكن تدعوه بالبينة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له . فدعاه بالبيِّنة ، فلم يأت بها ، فخلّى سبيله ، فقال الأخطل : [من الطويل]

وإنّي غداة استعبرتْ أمّ مالك ... لَراضٍ من السلطان أن يتهدّدا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه ... تجلّلتُ حِدْباراً من الشرّ أنكدا[2]
فكم أنقذتْني من خطوب حبالُه ... وخَرْساء لو يُرْمى بها الفيل بَلّدا[3]
ودافع عنّي يوم جِلَّقَ غمرة ... وهمّا ينسيني الشراب المبرَّدا[4]
وبات نَجِيّاً في دمشقَ لحيّةٍ ... إذا همَّ لم يَنَمِ السليمُ وأقصدا[5]
يُخافته طوراً ، وطوراً إذا رأى ... من الوجه إقبالاً ألحّ وأجهدا
أبا خالد دافعت عنّي عظيمة ... وأدركت لحمي قبل أن يتبدّدا
وأطفأت عنّي نار نعمان بعدما ... أغذّ لأمر فاجر وتجرّدا[6]
ولّما رأى النُّعمان دوني ابن حرّة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا

---

1 الأكار : الحراث .
2 تجلل : علا . والحدبار : الناقة التي يبس لحمها من الهزال .
3 الخرساء : الداهية . بلّد : ضعف واستكان .
4 الشراب في ل : السلاف .
5 الحية هنا : الرجل الداهية . والسليم : الملدوغ . وأقصدت الحية : إذا عضّت فمات الملدوغ في مكانه .
6 أغذّ في ل : أعدّ .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : لّما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار ، قال له : أرادِّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام ؟ أأهجو قوماً آوَوا رسول الله ﷺ ونصروه ؟! قال : أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى مَن يفعل ذلك . قال : غلام منّا خبيث الدِّين نصراني ، فدلّه على الأخطل .

[عودة إلى تهاجي عبد الرحمن]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطّاب ، قال[1] : لّما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي ، وتفاحشا ، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد ، وما مدح أحداً غيره قطّ . فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمّه ، فأمسك عنهما . ثم ولي مروان ، فلمّا قدِم أخذ ابن حسّان فضربه مئة سوط ، ولم يضرب أخاه . فكتب ابن حسّان إلى النُّعمان بن بشير وهو بالشام ، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية : [من الخفيف]

ليت شعري أغائبٌ ليس بالشا ... م خليـــلي أم راقـــد نعمانُ[2]
أيـَّـةً ما يكن فقد يرجع الغـا ... ئـب يومـاً ويوقـظ الوسنانُ
إن عمـراً وعامـــراً أبوينـــا ... وحرامـاً قِدْماً على العهد كانوا
أفهـــم مانِعـوك أم قلّـــة الكـ ... ـتّاب أم أنـت عاتب غضبانُ
أم جفاء أم أعوزتـك القراطيـ ... ـس أمَ امـــري بـه عليك هوانُ
يـوم أنبئتَ أن ساقـيَ رُضَّت ... وأتتكـــم بذلـــك الـركبانُ
ثم قالـوا إنّ ابن عمِّك في بلـ ... ـوى أمورٍ أتـى بها الحِدْثانُ
فنسيت الأرحام والودّ والصحـ ... ـبة فيمـا أتـت بـه الأزمانُ[3]
إنّمـــا الرّمح فاعلمـــنّ قنـــاة ... أو كبعض العيدان لولا السّنانُ

وهي قصيدة طويلة . فدخل النُّعمان بن بشير على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسّان وابن الحَكَم مئة مئة ، فلم يفعل ؛ ثم ولّيت أخاه ، فضرب ابن حسّان ولم يضرب أخاه : قال . فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به

---

1 تقدم هذا الخبر والشعر في 15 : 80 .

2 راقد في ل : عاتب .

3 فنسيت في ل : فتنط .

إلى سعيد . فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة . فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسّان بحُلّة ، وسأله أن يعفو عن خمسين . ففعل ، وقال لأهل المدينة : إنّما ضربني حدّ الحر مئة ، وضربه حد العبد خمسين . فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحَكَم . فجاء إلى أخيه فأخبره ، وقال : لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسّان . فبعث إليه مروان : لا حاجة لنا فيما تركت ، فهلمّ فاقتصّ من صاحبك . فحضر فضربه مروان خمسين أخرى .

[نبوءة ميسون الكلبية]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث ، قال : حدَّثنا المدائني ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب : أنّ معاوية تزوّج امرأة من كَلْب ، فقال لامرأته ميسون أمّ يزيد بن معاوية : ادخلي فانظري إلى ابنة عمّك هذه . فأتتها فنظرت إليها ، ثم رجعت فقالت : ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالاً تحت سرّتها ليوضَعنّ تحت مكانه في حجرها رأس زوجها . فتطير من ذلك ، فطلّقها ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة ، ثم طلّقها ، فتزوّجها النُّعمان بن بشير ، فلمّا قتل وضعوا رأسه في حجرها .

قالوا : وكان النُّعمان بن بشير لمّا قُتل الضحّاك بن قيس بمرْج راهط ، في خلافة مروان بن الحكم ، أراد أن يهرب من حمص ، وكان عاملاً عليها ، فخالف ودعا لابن الزُّبير ، فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزّوا رأسه . فقالت امرأته هذه الكلبيّة : ألقوا رأسه في حجري ، فأنا أحقّ به . فألقوه في حجرها ، فضمّته إلى جسده ، وكفّنته ودفنته .

[غضبه من معاوية]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخزاعي ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ ، قال : حدّثنا أبو عبيدة ، قال : نظر معاوية إلى رجل في مجلسه ، فراقه حسناً وشارة وجسماً ، فاستنطقه فوجده سديداً . فقال له : مِمّن أنت ؟ قال : ممّن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين . قال : عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التي لا تمنع مَن دخل فيهم ، ولا تبالي مَن خرج منهم . فغضب النُّعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه ، وقال : أما والله إنّك ما علمتُ لسيِّىء المجالسة لجليسك ، عاقّ بزَوْرك[1] ، قليل الرّعاية لأهل الحرمة بك . فأقسم عليه إلاّ جلس فجلس . فضاحكه معاوية طويلاً ، ثم قال له : إنّ قوماً أوّلهم غسان وآخرهم الأنصار ، لكرام . وسأله عن حوائجه ، فقضاها حتى رضي .

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطّه ، أخبرنا ابن حبيب ، قال : قال خالد بن

1 الزور : الزائرون .

كلثوم : خرج النُّعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذٍ حديث السنّ ، حتى نزلوا بأرض من الأردنّ يقال لها حَفير ، وحاضرتها بنو القَين . فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى ، هدية . فبينا القوم يتحدّثون ويذكرون الشعراء ، إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعراً ؟ قال : لا والله ما قلت ، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سِماك : لم تقل شعراً قطّ ؟ قال : لا . قال : فأقسم عليك لتُربطنّ إلى هذه السرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم ، أو تقول شعراً . فقال عند ذلك ، وهو أوّل شعر قاله[1] : [من الخفيف]

يـا خليـلي ودِّعـا دار ليـلى ليس مثـلي يحـلّ دار الهوانِ
إنّ قَيْنيـة تحـلّ مُحِبّـاً وحفيـراً فجنبتـي تَـرْفُلانِ[2]
لا تؤاتيك في المغيب إذا مـا حال مـن دونها فروع قَنانِ[3]
إن ليـلى ولـو كلِفت بليلى عاقها عنك عائـق غيرُ وانِ[4]

قال : وضرب الدهر على ذلك ، وأتى عليه زمن طويل . ثم إن ليلى القَينية قدمت عليه بعد ذلك ، وهو أمير على حمص . فلمّا رآها عرفها ، فأنشأ يقول[5] : [من الطويل]

ألا استأذَنت ليلى فقلنا لها لِجي ومالـكِ ألا تدخـلي بسلامِ
فإنّ أناساً زرتِهم ثـم حَرَّموا عليك دخول البيت غير كرامِ

وأحسن صلتها ، ورفدها[6] طول مقامها ، إلى أن رحلت عنه .

[أهل المدينة لا يريدون لقباً غير الأنصار]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود ، عن أبيه ، عن مشيخة من الأنصار ، قال : حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة ، وقد حَجَب بعده عبد الملك بن مروان ، فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص ، فاستأذن لهم . فقال له عمرو : ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ؟ اردُد القوم إلى أنسابهم . فقال معاوية : إنّي أخاف من

1 شعر النُّعمان بن بشير : 128–129 .
2 قينية : نسبة إلى بني القين . محب وحفير وترفلان : أسماء مواضيع . وفي الديوان «فجنتي» كما في معجم البلدان بدلاً من «جنبتي» .
3 قنان : جبل بنجد .
4 وان : ضعيف فاتر .
5 مجموع شعره : 116 .
6 ل : زِرْدها .

ذلك الشُّنعة . فقال : هي كلمة تقولها ، إن مضت عضّتهم ونقصتهم ، وإلاّ فهذا الاسم راجع إليهم . فقال له : اخرج فقل : مَن كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلاّ الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً ، فقال له : باعدتَ جدّاً . فقال : اخرج فقل : مَن كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فقالها ، فلم يدخل أحد . فقال له معاوية : أُخرج فقل : مَن كان ههنا من الأنصار فليدخل . فخرج فقالها ، فدخلوا يقدُمهم النُّعمان بن بشير وهو يقول[1] : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِــد الدّعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصارِ[2]
نسب تخيّره الإلــه لقومنــا أثْقِــل بــه نسباً على الكفّارِ
إنّ الذيــن ثَـوَوْا ببـدر منكمُ يــوم القَليب هــمُ وقود النّارِ

فقال معاوية لعمرو : قد كنّا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير : هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جدّه شاعر ، وأبوه شاعر ، وعمّه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء[3] .

فأمّا جدّه سعد بن الحصين[4] فهو القائل : [من البسيط]

إن كنــتِ سائلــة والحــقّ مَعْتبة فــالأزد نسبتُنا والمــاء غسّانُ[5]
شمّ الأنوف لهم عــزٌّ ومكرمــة كانت لهم من جبال الطَّوْد أركانُ[6]

وعمّه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد ، القائل : [من الطويل]

إذا لم أزر إلاّ لآكلَ أكلــةً فــلا رفعَت كفّــي إلي طعامي
فمــا أكلة إن نلتهــا بغنيمة ولا جَوْعــة إن جعتهــا بغرامِ

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول : [من الطويل]

---

1 مجموع شعره : 147–148 .
2 تُعِد في ل : تجب . وفي مجموع شعره : لا تعد النداء .
3 الشعر المنسوب إلى جدّ النُعمان بن بشير وأبيه ينسب أيضاً إلى حسان بن ثابت . وهو مثبت في ديوانه مع بعض اختلاف في الرواية .
4 ليس في نسب النُعمان بن بشير من اسمه سعيد بن الحصين (انظر نسبه في أوّله هذه الترجمة وجمهرة ابن حزم 364 الاستيعاب : 1496) .
5 غسان : ماء بسد مأرب كان شرباً لبني مازن بن الأزد أجداد الأنصار .
6 جبال الطود : جبال السراة .

لعمـرةَ بالبطحاء بـين معـرَّفٍ وبين المطاف مسكـن ومحاضرُ[1]
لعمري لَحَـيٌّ بين دار مزاحـم وبين الجثى لا يجشم السير حاضِرُ[2]
وحـي حِـلال لا يـروَّع سَرْبُهم لهم من وراء القاصيـات زوافرُ[3]
أحقُّ بهـا من فتيـة وركائب يقطع عنهـا الليلَ عوجٌ ضوامرُ[4]
تقول وتذري الدمع عن حُرّ وجهها لعلّـك نفسي قبل نفسِك باكرُ
أبـاح لها بِطريق فـارس غائطاً لها من ذرا الجَوْلان بقل وزاهرُ
فقرَّبتهـا للرحـلِ وهـي كأنّها ظلِيـم نعـامٍ بـالسماوة نافرُ
فأوردتها مـاء فما شربت بـه سوى أنّـه قـد بُـلّ منها المشافرُ
فباتت سُراهـا ليلة ثمّ عرّست بيثربَ والأعراب بـادٍ وحاضرُ

[طلب قطع لسان الأخطل]

قال خالد بن كلثوم : ودخل النُّعمان بن بشير على معاوية لمّا هجا الأخطل الأنصار ، فلمّا مَثَل بين يديه أنشأ يقول[5] : [من الطويل]

معـاويَ إلاّ تعطنا الحقّ تعترفْ لِحى الأزد مشدوداً عليها العمائمُ
أيشتمنا عبـد الأراقـم ضَلّـة وماذا الذي تجدي عليك الأراقمُ[6]
فما لِـيَ ثـأر غيرَ قطع لسانه فدونك مَن يرضيه عنك الدراهمُ
وَأَرْعِ رويـداً لا تَسُمنا دَنِيّـة لعلّك في غِـبّ الحوادث نادمُ[7]
متى تلـقَ منّـا عصبـة خزرجية أو الأوس يوماً تخترمك المخارمُ[8]

1 المطاف في ل : البطاح . معرف : موضع الوقوف بعرفة . والأمكنة في هذه الرواية في مكّة ، وفي ديوان حسان : ين نطاة . . . ونطاة وجثى في البيت التالي أقرب إلى المدينة حيث إقامة جميع من نسبت إليهم الأبيات .
2 الجثى في ل : الحمى .
3 الحي الحلال : القوم المقيمون بأرضهم . والسرب : المال الراعي من الإبل والماشية . والقاصيات : جمع قاصية ، موضع . والزوافر : جمع زافرة ، وهي الرهط والعشيرة .
4 العوج : التي في يديها عوج .
5 مجموع شعره : 150–158 عن الأغاني . وكان جامع الشعر قد أثبت من المخطوطة خمسة أبيات فقط ثم أضاف رواية الأغاني على حدة .
6 الأراقم : أحياء من تغلب قبيلة الأخطل .
7 أرع رويداً : كن برعيتك شفيقاً .
8 تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق في الجبال .

وتلقك خيـــل كالقطـا مسبطِرّةٌ شماطيطُ أُرسال عليها الشكائمُ[1]
يسوّمها العَمْرانِ عمرو بن عامر وعِمـــران حتّـــى تستباح المحارمُ
ويبدو مـن الخَودِ الغريرة حِجلها وتبيض مـن هول السيوف المَقادمُ
فتطلب شَعْب الصّدع بعد التئامه فتعيـا بـــه فالآنَ والأمـر سالمُ
وإلاّ فثوبـــي لأمـــة تُبَّعِيـــة مواريـــث آبائـــي وأبيض صارمُ
وأجـــرد خـــوّار العِنـــان كأنّه بدُومـــةَ موشيٌّ الذراعـيـنِ صائمُ
وأسمـــر خَطّـــي كأنّ كعوبـــه نوى القَسْبِ فيها لَهْذميّ ضُبارِمُ[2]
فـإن كنـت لم تشهد ببدر وقيعة أذلَّـــت قريشاً والأنوفُ رواغمُ
فسائل بنـــا حيي لؤي بن غالب وأنت بِما تخفي مـن الأمرِ عالِمُ
ألَـمْ تبتدِركم يـــوم بدر سيوفنا وليلك عمّـا نـاب قومك نائمُ
ضربناكُمُ حتّـى تفـرّق جمعكم وطارت أكفّ منكـمُ وجماجمُ
وعاذت على البيتِ الحرام عوابِس وأنـت على خـوفٍ عليك تمائمُ
وعضّت قريش بالأنامـــل بِغضة ومن قبلُ ما عُضّت علينا الأباهِمُ
فكنّا لهـــا في كلّ أمرٍ تكيـــده مكان الشَّجا والأمـر فيـه تفاقمُ
فمـا إن رمى رامٍ فأوهى صَفاتَنا ولا ضامناً يوماً مـن الدَّهرِ ضائمُ
وإنّـي لأغضي عـــن أمور كثيرة ستُرقَى بهـا يومـاً إليك السلالِمُ
أصانِـع فيهـا عبد شمس وإنّني لتلك التي في النَّفسِ منّـي أكاتِمُ
فـــلا تشتُمنّا يا ابن حرب فإنّما ترقّـي إلى تلك الأمـورِ الأشائِمُ
فما أنـتَ والأمرَ الذي لستَ أهله ولكن ولِي الحـقّ والأمر هاشِمُ[3]
إليهـم يصير الأمـر بعـد شتاته فمَن لك بالأمرِ الذي هـو لازمُ
بهم شَرَع الله الهدى واهتدى بهم ومنهم لـه هـادٍ إمـامٌ وخاتِمُ

قال : فلمّا بلغت هذه الأبيات معاوية ، أمر بدفع الأخطل إليه ، ليقطع لسانه . فاستجار

1 مسبطرة : طويلة وسريعة . والشماطيط : المتفرقة المتتابعة .
2 القسب : التمر اليابس . واللهذمي : القاطع . والضبارم : الأسد الشديد .
3 يستبعد أن يكون هذا البيت وما بعده للنعمان بن بشير ، فقد كان عثماني الهوى وقاتل علياً مع معاوية في صفين .

بيزيد بن معاوية ، فمنع منه ، وأرضوا النُّعمان ، حتى رضي وكفَّ عنه .

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لمّا ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسّان الحدّ ، ولم يضرب أخاه ، حين تهاجيا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن إلى النُّعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه ، فدخل إلى معاوية ، وأنشأ يقول[1] : [من السريع]

يـا ابـن أبي سفيانَ ما مثلُنا   جـار عليـه ملـك أو أميرْ
اذكر بنـا مَقْـدمَ أفراسنا   بالحِنْـو إذ أنـتَ إلينـا فقيرْ
واذكر غـداة الساعديّ الذي   آثـركم بالأمـر فيهـا بشيرْ[2]
واحـذر عليهم مثل بـدر فقد   مـرَّ بكـم يـومٌ ببدر عسيرْ
إن ابـن حسّان لـه ثائـرٌ   فأعطِه الحـقَّ تَصحّ الصدورْ[3]
ومثـلُ أيـام لنـا شتّتت   ملكاً لكم أمرك فيهـا صغيرْ
أمـا تـرى الأزد وأشياعهـا   نحوك خُـزْراً كاظماتٍ تَزيرْ[4]
يطـوف حولي منهـمُ معشر   إن صُلْتُ صالوا وهم لِي نصيرْ[5]
يأبى لنـا الضيم فـلا يعتـلي   عـزٌ منيـع وعديـد كثيرْ
وعنصـر في حُـرٍّ جرثومـة   عاديـة تنقل عنها الصخورْ[6]

[أهل المدينة يصرّون على تلقيبهم بالأنصار]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفِراسيّ ، قال : حدَّثني العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال[7] : حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النُّعمان بن بشير ، فخرج إليهم سعد أبو دُرّة ، وكان حاجب معاوية ، ثم حجب عبد الملك بن مروان ، فقال : استأذن لنا . فدخل ، فقال لمعاوية : الأنصار بالباب . فقال له عمرو بن العاص : ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً ؟ اردده إلى نسبهم . فقال معاوية : إنّ علينا في ذلك

1 مجموع شعره : 144–146 عن الأغاني .
2 اليوم الساعديّ : نسبة إلى بني ساعدة ، وهو يوم السقيفة إذ كان بشير بن سعد أبو النُّعمان أوّل أنصاريّ بايع أبا بكر بالخلافة .
3 ثائر : ناصر .
4 نحوك في ل : تجول . تزير : تزأر كالأسود .
5 يطوف في ل : يصول .
6 الجرثومة : الأصل .
7 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة برواية من طريق آخر .

شناعة . قال : وما في ذلك ؟ إنّما هي كلمة مكان كلمة ، ولا مردّ لها . فقال له معاوية : اخرج فنادِ مَن بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فخرج فنادى بذلك ، فدخل مَن كان هناك منهم سوى الأنصار . فقال له : اخرج فنادِ مَن كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فنادى ذلك ، فوثب النُّعمان بن بشير ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِد الدّعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصارِ
نسب تخيره الإلـه لقومنا ... أُثقل به نسباً على الكفّارِ
إنّ الذين ثَوَوا ببدر منكم ... يوم القَليب همُ وقود النّارِ

وقام مغضباً وانصرف . فبعث معاوية فردّه ، فترضّاه وقضى حوائجه وحوائج مَن حضر معه من الأنصار .

ومن مختار شعر النُّعمان قوله ، رواها خالد بن كلثوم ، واخترت منها[1] : [من الطويل]

إذا ذُكرت أُمّ الحويرث أخضلَت ... دموعي على السِّربال أربعة سَكْبا
كأنّي لما فرَّقتْ بيننا النَّوى ... أجاور في الأغلال تغلب أَو كلبا
وكنّا كماء العين والجفنِ لا تَرى ... لواشٍ بَغى نقض الهوى بيننا إرْبا[2]
فأمسى الوشاة غيَّروا وُدَّ بيننا ... فلا صلةً تَرعى لديّ ولا قُربى
جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت ... كأنّي ، ولَم أذنب ، جَنيتُ لها ذنبا
فإن تصرميني تصرمي بِيَ واصلاً ... لَدى الودّ مِعْراضاً إذا ما التوى صعبا
عَزوفاً إذاً خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطي مودّته غصبا
فإن أَستطع أصبر وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت كلّفني نُصْبا[3]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أُخرى ، وأوّلها[4] : [من المتقارب]

أهيَّجَ دمعَك رسمُ الطللْ ... عفا غيرَ مطَّردٍ كالخِلَلْ[5]
نعم فاستهلّ لعرفانه ... يَسِح ويَهْمِي بفَيْضٍ سَبَلْ[6]

---

1 مجموع شعره : 135–136 عن الأغاني .
2 الإرب : الحاجة .
3 النصب : الداء والبلاء والشر .
4 مجموع شعره : 105–112 مع بعض اختلاف في الرواية .
5 الخلل : جمع خِلّة ، وهي بطانة تنقش بالذهب ويغشى بها جفن السيف .
6 السبل : المطر الجود الهاطل .

ديـــار الألـــوف وأترابِهـا وأنـتَ مـن الحـبِّ كالمختَبَلْ
ليالِـيَ تَسْبي قلـوب الرجا ل تحت الخدور بحسن الغزلْ
مـن الناهضـات بأعجازِهِـ ـنَّ حين يقوم جزيـلُ الكفلْ
كأنّ الرُّضاب وصَوْب السحا بِ بات يُشاب بذَوْب العسلْ
مـن الليـل خالـط أنيابهـا بُعيـد الكرى واختلافِ العَلَلْ

أخذ هذا المعنى جميل منه ، فقال[1] : [من الكامل]

وكأن طارقها على عَلَل الكرى والنّجمُ وَهْناً قـد دَنا لَتَغوُّرِ[2]
يشتـمّ ريح مدامـةٍ معلولـة بِسحيقِ مسك في ذكي العنبرِ

وفي هذه القصيدة يقول النُّعمان :

وأروعَ ذي شرف حـازم صروم وصولٍ حبال الخُللْ[3]
كريم البـلاء صبور اللقـا ء صافي الثنـاء قليـل العذلْ
عظيـم الرّمـاد طويل العما دِ واري الزّناد بعيـد القَفَلْ[4]
أقمـت لـه ولأصحابـه عمود السُّرى بذمـولٍ رملْ[5]
مداخَلـةٍ سَرْحـة جسرةٍ على الأين دَوْسَرَة كالجملْ[6]

[عبد الله بن النُّعمان]

ومن شعراء ولد النُّعمان بن بشير ، ابنه عبد الله بن النُّعمان ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

ماذا رجـاؤك غائباً مَن لا يَسُرّك شاهِدا
وإذا دنـوت يزيده منك الدنـوّ تباعدا

[عبد الخالق بن أبان]

ومنهم عبد الخالق بن أُبان بن النُّعمان بن بشير ، شاعر مكثر ، وهو القائل في قصيدة

1 ديوان جميل (صادر) : 60 .
2 العلل : الشرب مرة بعد مرة ، استعير هنا للنوم .
3 الخلل : جمع خلة ، وهي الحبيبة .
4 القفل : الرجوع من أماكن الغزو البعيدة .
5 عمود السرى : طريق السير . والذمول والرمل : أنواع من السير .
6 المداخلة : المكتنزة المدمجة الخلق . السرحة والجسرة والدوسرة : الضخمة الطويلة الشديدة . والأين : التعب والكلال .

طويلة : [من الطويل]

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر ... بأعلى ذَرا العلياء ركناً تأثّلا
وخَطّ حياض المجد مترعة لنا ... مِلاءً فعَلَّ الصفوَ منها وأنهَلا
وأشرع فيها الناس بعدُ ، فما لهم ... من المجد إلاّ سُؤْرُه حين أفضلا[1]
وفي غيرنا مجد من النّاس كلّهم ... فأمّا كمثل العُشْرِ من مجدنا فلا

وله أشعار كثيرة لم أحبّ الإطالة بذكرها .

[شبيب بن يزيد]

ومنهم شبيب بن يزيد بن النُّعمان بن بشير ، شاعر مكثر مُجيد ، وهو القائل من قصيدة طويلة ، يعاتب بني أُميّة عند اختلاف أمرهم في أيّام الوليد بن يزيد وبعده ، أوّلها : [من البسيط]

يا قلب صبراً جميلاً لا تمتْ حَزَنا ... قد كنتَ من أن تُرى جَلْد القُوى قَمنَا

يقول فيها :

بل أيُّها الرّاكبُ المُزجِي مطيّته ... لُقِّيتَ حيث توجّهتَ الثَّنا الحسنا
أبلغْ أُميّة أعلاها وأسفلَها ... قولاً ينفِّر عن نُوّامها الوَسَنا
إنّ الخلافة أمر كان يُعْظِمه ... خيارُ أوّلكم قِدْماً وأوّلنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكمُ ... وقد وُعظتم فما أحسنتمُ الأَذَنا[2]
أغريتمُ بكمُ جهلاً عدوّكمُ ... في غير فائدة فاستوسَقوا سَنَنا[3]
لّما سفكتم بأيديكم دماءكمُ ... بغياً وغشّيتمُ أبوابكم درنا

[إبراهيم بن بشير]

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد ، أخو النُّعمان ، شاعر مكثر ، وهو القائل في قصيدة طويلة : [من الطويل]

أشاقتك أظعانُ الحُدوج البواكرِ ... كنخل النُّجَير الشامخاتِ المَواقِرِ[4]
على كلّ فَتْلاء الذراعين جَسْرةٍ ... وأعْيَس نَضّاخ المَهدّ عُذافِرِ[5]

---

1 السؤر : البقية الباقية في الحوض .
2 الأَذَن : الاستماع .
3 استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح .
4 النجير : موضع . المواقر : جمع موقرة ، أي المحملة .
5 الجمل الأعيس : الذي فيه أدمة . والنضاخ : من النضخ ، وهو شدّة فور الماء وجيشانه عند انفجاره من ينبوعه . المهد : الهدّ وهو هدير الفحل . والعذافر : الجمل الصلب العظيم .

نعم فاستدرت عبرة العين لوعة ... وما أَنت عن ذكرى سليمى بصابرِ
ولَـم أَر سلمى بعد إذ نحن جيرةٌ ... مـن الدَّهـرِ إلاّ وقفـةً بالَمشاعرِ
أَلا رُبَّ ليل قـد سريتُ سواده ... إلى رُدُح الأعجاز غُـرّ المحاجرِ
ليـاليَ يدعـونى الصِّبـا فأُجيبه ... أُجر إزاري عاصياً أَمـر زاجري
وإذ لِمتـي مثـل الجنـاح أُثيثةٌ ... أُمشِّي الهُوَيْنـى لا يروِّع طائري
فأَصبحت قد ودّعت ذاكُمْ بغيره ... مخافة ربِّـي يـوم تُبلى سرائري

[حميدة بنت بشير]

وبنت النُّعمان بن بشير ، واسمها حُميدة ، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشرّ ، فكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد المخزوميّ ، وقيل بل كانت تحت المهاجرين بن عبد الله بن خالد ، فقالت فيه : [من المتقارب]

كهـولُ دمشقَ وشبانُها ... أحـبّ إليَّ مـن الجالِيَـهْ[1]
صُماحهـمُ كصماحِ التيـو ... س أَعيا على المِسك والغالِيَهْ[2]
وقملٌ يـدبّ دبيب الجرادِ ... أَكاريسَ أَعيـا عـلى الفالِيَهْ

فطلّقها . فتزوّجها رَوْح بن زِنْباع ، فهجته ، وقالت تخاطب أَخاها الذي زوَّجها من رَوح ، وتقول : [من الوافر]

أَضلَّ الله حلمك من غـلام ... متـى كانت مَناكحَنا جذامُ
أَترضى بالأَكارع والذُّنابى ... وقـد كنّا يَقِر لنـا السنامُ

وقالت تهجو رَوحاً : [من الطويل]

بكى الخزُّ من روح وأَنكر جلدَه ... وعَجَّت عجيجاً من جُذامَ المطارفُ
وقـال العَبـاء نحـن كنّا ثيابهـم ... وأَكسيـةٌ كدْريَّـة وقطـائفُ[3]

فطلّقها رَوح ، وقال : سلّط الله عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيئها في حجرك . فتزوّجت بعده الفيض بن أَبي عَقيل الثقفيّ ، وكان يسكر ويقيء في حجرها . فكانت تقول : أجيبت فيّ دعوة رَوح . وقالت في الفيض : [من البسيط]

---

1 الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم .
2 صماحهم كصماحِ في ل : صنانهم كصنان .
3 العباء : نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن .

سُمِّيت فَيْضاً وما شيءٌ تفيض بـه   إلاّ بسَلْحك بـين البـاب والدارِ
فتلك دعـوة رَوْح الخير أَعرفهـا   سقى الإله صَداه الأَوْطفَ الساري[1]

وقالت فيه : [من الطويل]

وَهَـل أَنـا إلاّ مُهْـرة عربيّـة   سليلـة أَفـراس تجلّلهـا بغـلُ
فإن نُتِجت مهـراً كريماً فبالحَرى   وإن كان إقرافٌ فما أَنجب الفحلُ

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها ، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لمّا تزوّج الحجّاج أخته هنداً . وهي القائلة لمّا تزوّج الحجّاج أختها أمّ أبان : [من الرجز]

قد كنت أَرجو بعض ما يرجو الراجْ   أَن تنكحيـه ملكـاً أَو ذا تاجْ
إذا تذكّـرت نكـاح الحجاجْ   تضـرّم القلـب بحـزن وهّاجْ
وفاضت العـين بمـاء ثَجّاج   لـو كان نعمان قتيـلُ الأعلاجْ
مستويَ الشخص صحيحَ الأَوداج   مـا نلتَ ما نلتَ بخَتْلِ الدُّراجْ

فأخرجها الحجّاج من العراق ، وردّها إلى الشام .

صوت

[من الكامل]

نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرَّةٍ   بُنيتْ على طلْقِ اليدين وَهوبِ
لا تنفري يـا نـاقَ منـه فإنّه   شرِّيب خمـر مِسعرٌ لحروبِ
لا يَبعَـدنَّ ربيعةُ بن مكدَّم   وسقى الغـوادي قبره بذَنوبِ
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ   لتركتُهـا تحبـو على العُرْقوبِ

يقال إنّ الشعر لحسّان بن ثابت الأنصاريّ[2] ، ويقال : إنّه لضرار بن الخطّاب الفهريّ .

أَخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام ، قال : الصحيح أنّ هذه الأبيات لعمرو بن شقيق ، أحد بني فهر بن مالك . ومن الناس مَن يرويها لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف الفهريّ ، وعمرو بن شقيق أولى بها[3] .

والغناء لمالك : خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 الأوطف : السحاب المسترخي من كثرة مائه .
2 ديوان حسان بن ثابت 1 : 410 .
3 نسبت هذه الأبيات إلى كثير غير هؤلاء . انظر شرح الحماسة للتبريزي وديوان حسان .

[311] ـ أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه[1]

[نسبه]

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، أحد فُرسان مُضَر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين ، قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَميّ في يوم الكَديد .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد ، إجازة عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ؛ ونسخْته أيضاً من رواية الأصمعيّ وحمّاد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم ، فجمعتها ههنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تدارؤ[2] بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيم بن منصور ، ثم إنّهم وَدَوْهما . ثم ضرب الدّهر ضَرَبانَه ، فخرج نبيشة بن حبيب السلميّ غازياً ، فلَقِي ظُعُناً من بني كنانة بالكديد ، في نفر من قومه ، وبَصُر بهم نفر من بني فراس بن مالك ، فيهم عبد الله بن جِذْل الطعان بن فراس ، والحارث بن مكدَّم أبو الفارعة ، وقال بعضهم أبو الفَرْعة ، أخو ربيعة بن مكدَّم . قال : وهو مجدور يومئذٍ يُحمَل في محفّة ، فلمّا رآهم أبو الفارعة ، قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءَهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدَّم : أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم ، فآتيكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم ، فلمّا وَلّى ، قال بعض الظعن : هرب ربيعة . فقالت أخته أمّ عزّة بنت مكدَّم : أين تنتهي نَفْرة الفتى ؟ فعطف وقد سمع قول النساء ، فقال : [من الرجز]

لقد علمنَ أنَّني غير فَرِقْ ... لأطعُنَنّ طعنة وأعتنِقْ
أُعْمِل فيهم حين تحمرّ الحَدَق ... عَضْباً حساماً وسناناً يأتلقْ

قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد له في طريق الظعن . وانفرد به رجلٌ من القوم ، فقتله ربيعة . ثم رماه نُبيشة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمي ، حتى أتى إلى أمّه أمّ سيّار ، فقال : اجعلي على يدي عصابة ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

1 انظر أمالي القالي 2 : 270 والعقد الفريد 5 : 174 وسمط اللآلي 2 : 910 وبلوغ الأرب 1 : 144 وأيّام العرب في الجاهلية : 312 .

2 تدارؤ : تدافع في خصومة واختلاف .

شدّي علــيَّ العَصْبَ أُمَّ سيّارْ
لقــد رُزِيـــتِ فارساً كالدينارْ
يطعُــن بــالرّمحِ أمــام الأدبارْ

فقالت أمُّه : [من الرجز]

إنّا بنــو ثعلبــة بــن مالكِ مُــرَزَّأ خيارنـــا كذلكِ
من بين مقتول وبين هالكِ ولا يكون الرزء إلاّ ذلكِ

قال أبو عبيدة : وشدّت أمّه عليه عصابة . فاستسقاها ماء ، فقالت : إنّك إن شربت الماء مت ، فكُرَّ على القوم . فكَرَّ راجعاً يشدّ على القوم ويَذُبّهم ، ونزفه الدم حتى أثخن ، فقال للظعن : أوْضِعن[1] ركابكنّ خلفي ، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحيّ ، فإنّي لِما بي ، وسوف أقف دونكنّ لهم على العقبة ، وأعتمد على رمحي ، فلن يقدَموا عليكن لمكاني . ففعلن ذلك ، فنجَون إلى مأمنهنّ .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره . قال : وإنّه يومئذٍ لغلام له ذؤابة . قال : فاعتمد على رمحه ، وهو واقف لهن على متن فرسه ، حتى بلغن مأمنهنّ ، وما يقدم القوم عليه . فقال : نُبيشة بن حبيب : إنّه لمائل العنق ، وما أظنّه إلاّ قد مات . فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه . فرماها فقمصت وزالت ، فمالَ عنها ميتاً . قال : ويقال بل الذي رمى فرسه نُبيشة . فانصرفوا عنه ، وقد فاتهم الظُّعُن .

قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذٍ أبا الفَرعة الحارث بن مكدَّم ، فقتلوه ، وألقَوا على ربيعة أحجاراً .

فمرّ به رجل من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة . فقال يرثيه ويعتذر ألاّ يكون عقر ناقته على قبره ، وحضّ على قتلته ، وعيَّر مَن فرَّ وأسلمه من قومه : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حَرّة بُنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري يــا نــاق منــه فإنّه سَبّاء خمــر مِسْعَــر لحروبِ
لــولا السِّفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبــو على العرقوبِ
فــرّ الفوارس عن ربيعة بعدما نَجّاهمُ مــن غُمَّة المكروبِ[2]

1 الايضاع : سير سريع .
2 غمة في ل : غمرة .

يدعو عليّاً حين أُسلم ظهره فلقد دعوتَ هناك غير مجيبِ
لله درّ بني عليّ إنّهم لم يُحمشوا غزواً كولْغ الذيبِ[1]
نِعْمَ الفتى أدّى نُبيشة بَزَّه يوم الكديد ، نُبيشةُ بن حبيبِ[2]
لا يَبْعَدنّ ربيعة بن مكدَّم وسقى الغوادي قبره بذَنوبِ

قال أبو عبيدة : ويقال إنّ الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطّاب بن مِرداس ، أحد بني محارب بن فهر . وقال آخر : هو حسان بن ثابت . وقال الأثرم : أنشدني أبو عبيدة مرّة أخرى هذا البيت : [من الكامل]

وسقى الغوادي قبره بذَنوبِ

واحتجّ به في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ذَنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾ . فسألته لَمن هذا البيت ، فقال : لُمكَرِّز بن حفص بن الأحنف ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، رجل من قريش الظواهر ؛ ولم يسمّه ههنا .

وقال عبد الله بن جِذل الطّعان واسمه بَلعاء : [من الكامل]

لأُطلبنْ بربيعة بن مكدم حتى أنال عُصَيّة بن مَعِيصِ

يقال إنّ عصيّة من بني سليم ، وهو عُصية بن مَعِيص بن عامر بن لؤي .

وتُقاد كلّ طِمِرَّةٍ ممحوصةٍ ومقلِّص عَبْل الشَّوى ممحوصِ[3]

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدَّم . وقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطّاب الأخفش أنّه لحسّان بن ثابت ، يحضّ على قتلته[4] : [من الكامل]

ولأَصرفنَّ سِوى حذيفة مِدْحتي لفتى الشتاء وفارس الأجرافِ[5]
مأوى الضَّريك إذا الرّياح تناوَحَتْ ضخم الدَّسيعة مُخلِفٍ مِتلافِ[6]

---

1 لم يحمشوا : لم يحرضوا على القتال . وولغ الذيب : شربه الماء .
2 البز : السلاح .
3 تقاد في ل : يقتاد . الطمرة : الفرس الطويلة القوائم المستعدّة للعدو . والممحوصة : القليلة لحم القوائم . والمقلص : الحصان الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى : ضخم الأطراف .
4 ديوان حسان 1 : 496 .
5 سوى في ل : إلى . الأجراف : موضع .
6 الضريك : المحتاج .

مَــن لا يــزال يَكُــبّ كلّ ثقيلة   كَوْمــاء غير مُسائــل منزافِ[1]
رَحْــبِ المَباءة والجنـاب موطّأ   مــأوًى لكــلّ مُعتّــق بسَوافِ[2]
فسقــى الغوادي قبرك ابن مكدم   من صَوْب كل مُجلجِل وَكّافِ[3]
أَبلغ بنــي بكــر وخُصّ فوارساً   لحِقــوا الملامــة دون كل لحافِ
أَسلمتُمُ جِــذل الطّعــان أخاكُمُ   بــين الكَديـدِ وقُلّـة الأَعرافِ

الأَعراف : رمل ، قال الأثرم : الأعراف كلّ ما ارتفع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ونادى أَصْحابُ الأَعْرافِ﴾ .

حتّــى هــوى مُتَزايــلاً أَوصاله   للّحْــد بــين جنادل وقِفافِ[4]
لله درّ بنــي عــليّ إنْ هُـــم   لم يثـأَروا عوفـاً وحـيَّ خِفافِ[5]

قال الأَثرم : وأَنشدنا أَبو عبيدة هذه القصيدة مرّة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه ، فقال : [من الطويل]

تذكّر ليــلى حُسنَها وصفاءَها

وقال ابن جِذل الطعان في ذلك أيضاً : [من الوافر]

أَلا لله درّ بنــي فِــراس   لقد أُورثتُمُ حزنـاً وَجيعا
غداة ثـوى ربيعة في مَكَرّ   تمجّ عروقــه عَلَقا نَجيعا
فلــن أَنسى ربيعة إذ تَعالى   بكاء الظُّعْنِ تدعـو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير ، وأُمّه من بني أَشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة ، يرثي ربيعة بن مكدّم ، ويحضّ على بني سُليم ، ويعير بني كنانة بالدماء التي أدّوها إلى بني سليم ، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدَرَك قتل فيهم ولا دية[6] : [من الكامل]

بَــان الشبابُ وكلُّ إلفٍ بائــنٌ   ظعن الشباب مع الخليط الظاعنِ

---

1 الثقيلة : الناقة الضخمة السمينة . الكوماء : العظيمة السنام . غير مسائل : لا يسأل أحداً المعونة .

2 المباءة : المنزل . السواف : داء يصيب الإبل .

3 قبرك في ل : رمسك . المجلجل : المطر المصحوب بالرعد . والوكاف : المنهمر .

4 القفاف : جمع قف ، وهو الأرض الغليظة .

5 بنو علي : قبيلة من كنانة .

6 لم يرِد من هذه القصيدة سوى ستة أبيات مع اختلاف كبير في الرواية (انظر ديوان كعب بشرح السكري : 229 : 231) .

قالت أُميمة ما لجسمك شاحباً ... وأراك ذا بَثٍّ ولستَ بدائنِ
غُضِّي ملامك إنّ بي من لومكم ... داءٌ أظنّ مُماطلي أو فاتِني
أَبلغ كنانة غثّها وسمينها ... الباذلين رِباعها بالقاطِنِ
أنّ المذلّة أن تُطَلّ دماؤكم ... ودماء عوفٍ ضامن في العاهنِ[1]
أموالكم عوض لهم بدمائهم ... ودماؤكم كَلَف لهم بظعائنِ
طلبوا فأدرك وترَهم مولاهمُ ... وأبت محاملكم إباء الحارنِ
شُدّوا المآزر فاثأروا بأخيكمُ ... إن الحفائظ نِعْم ربح الثامنِ
كيف الحياة ربيعةَ بن مكدّم ... يُغدى عليك بمِزْهَر أو قائنِ[2]
وهو التَّريكة بالعراء وحارثٌ ... فَقْعُ القَراقر بالمكانِ الواتنِ[3]
كم غادروا لك من أراملَ عُيَّلٍ ... جَزَر الضِّباع ومن ضَريكٍ واكِنِ[4]

وقالت أُمّ عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة : [من البسيط]

ما بال عينك منها الدّمع مهراقُ ... سَحّاً ولا عازب لا لا ولا راقي[5]
أبكي على هالكٍ أودى وأورثني ... بعد التفرّق حزناً بعده باقي
لو كانَ يَرجع ميتاً وَجْدُ ذي رحمٍ ... أبقى أخي سالِماً وجدي وإشفاقي
أو كان يُفدى لكان الأهل كلُّهمُ ... وما أُثمِّر من مالٍ له واقي
لكنْ سهام المنايا مَن نصَبْن له ... لم ينجه طِبُّ ذي طِبّ ولا راقي
فاذهب فلا يُبعدنْك الله من رجلٍ ... لاقى الذي كلُّ حيٍّ مثلَهُ لاقي
فسوف أبكيك ما ناحت مطوّقة ... وما سريتُ مع الساري على ساقي
أبكَى لذكرته عَبْرى مفجَّعة ... ما إن يجفّ لها من ذكره ماقي

وقال عبد الله يرثيه : [من الكامل]

1 ضامن : مضمون . والعاهن : الثابت .
2 المزهر : العود . والقائن : صاحب القيان .
3 التريكة : هو ربيعة بن مكدم . شبهه ببيضة النعام التي يتركها عندما تنقف ويدفنها تحت التراب . والحارث : أخو ربيعة . فقع القراقر : مثل يضرب للذلّ ، يقال أذل من فقع بقرقرة ، (مجمع الميداني 1 : 284 والدرة الفاخرة 1 : 304 وجمهرة العسكري 1 : 458 ومستقصى الزمخشري 1 : 134) والواتن : الثابت المقيم .
4 جزر الضباع : طعام للضباع . والواكن : العاجز .
5 راقي : مخفف راقىء ، وهو الساكن .

خَلَّى عليّ ربيعة بن مكدّم حزناً يكاد له الفؤاد يزولُ
فإذا ذَكرتُ ربيعةَ بن مكدّمٍ ظلّت لذكراه الدّموع تسيلُ
نِعْم الفتى حيّاً وفارسَ بُهمةٍ يَرْدِي بشِكّته أقبُّ ذؤُولُ[1]
سَقَتِ الغوادي بالكُدَيِّدِ رِمّة والناسُ إمّا هالك وقتيلُ
فإذا لقيتَ ربيعة بن مكدّم فعلى ربيعة مَن نداه قبولُ
كيف العزاء ولا تزال خريدة تبكي ربيعةَ غادة عُطبولُ[2]
يأبى لِيَ الله المذلّةَ إنّما يعطى المذلّة عاجز تنبيلُ[3]

وقال عبد الله أيضاً يرثيه : [من الكامل]

نادي الظعائنُ يا ربيعةُ بعدما لم يبقَ غيرُ حُشاشة وفُواقِ[4]
فأجابها والرّمح في حيزومه أنَفاً بطعن كالشَّعيب دُفاقِ
يا رَيْطَ إنّ ربيعة بن مكدّم وربيع قومك آذنا بفراقِ
ولئن هلكت لرُبَّ فارسِ بُهْمة فرّجتَ كُرْبته وضيقِ خِناقِ

وقال أيضاً يتوعّد بني سليم : [من الوافر]

ولست لحاضرٍ إن لم أزِركم كتائبَ من كنانة كالصريمِ[5]
على قُبٍّ الأياطلِ مضمَراتٍ أضرّ بنِيِّها علكُ الشكيمِ[6]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني الطّلحيّ ، قال : أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ومحمد بن الحسن بن زُبالة في مجلس واحد ، قالا : مرَّ حسّان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكنانيّ ، بثنية كعب ، ويقال : بثنية غزال ، فقلصت به راحلته ، فقال : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حَرَّة بنيت على طلق اليدين وهوبِ

---

1 البهمة : الشجاع . الأقب : الضامر البطن من الخيل . ذؤول : سريع خفيف .
2 العطبول : الطويلة العنق .
3 التنبيل : القصير العاجز .
4 الفواق : الريح التي تشخص من الصدر وما تسميه العامة الحازوقة .
5 الحاضر : الحي المقيمون . والصريم : الليل .
6 الأياطل : جمع أيطل ، وهي الخاصرة . والنيّ : الشحم . الشتيم : الكريه الوجه .

لا تنفري يا نــاقَ منـه فإنّه شِرِّيبُ خمرٍ مِسْعَـرٌ لحروبِ
لولا السِّفارَ وبُعْدُ خَـرْق مهمه لتركتهـا تحبـو على العرقوبِ

فبلغ شعره بني كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق .

[ربيعة ودريد بن الصمّة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيّ ، قال : حدَّثنا أبو عبيدة ، قال : خرج دُريد بن الصِّمّة في فوارس من بني جُشَم ، حتّى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم ، وهو يريد الغارة على بني كنانة ، رُفِع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة . فلمّا نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك ، وهو لا يعرفه . فانتهى إليه الرجل ، فصاح به ، وألحّ عليه . فلمّا أتى ألقى الزّمام وقال للظعينة : [من الرجز]

سِيري على رِسْلك سير الآمنِ سير رَداحٍ ذات جأشٍ ساكنِ
إنّ انثنائي دون قِـرني شائني فابْلي بلائي واخبُري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الظعينة . فبعث دريد فارساً آخر ، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعاً . فصاح به ، فتصامم عنه ، فظنّ أنّه لم يسمعه . فغشيه ، فألقى الزّمام إليها ، ثم حمل على الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول : [من الرجز]

خلِّ سبيل الحُـرة المنيعـهْ إنّـك لاقٍ دونهـا ربيعَهْ
في كفّـه خَطِّيـة مطيعـه أو لا ، فخذها طعنةً سريعَهْ
فالطّعن منّي في الوغى شريعهْ

فلمّا أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا ؟ فانتهى إليهما ، فرآهما صريعين ، ونظر إليه يقود ظعينته ، ويجرر رمحه . فقال له الفارس : خلِّ عن الظعينة . فقال لها ربيعة : اقصدي قصد البيوت ، ثم أقبل عليه فقال : [من الرجز]

ماذا تريـد من شَتيم عابِسِ أَلَم تَرَ الفارسَ بعد الفارِسِ
أرداهما عامــل رمح يابِسِ

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه . فارتاب دريد ، وظنّ أنّهم قد أخذوا الظعينة ، وقتلوا الرجل . فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحيّ ، ووجد القوم قد قُتِلوا . فقال دريد : أيّها الفارس ، إنّ مثلك لا يُقتل ، وإنّ الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رمحاً ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح ، فإنّي راجع إلى أصحابي ، فمثبِّط عنك . فأتى دريد أصحابه ، وقال : إنّ فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحي ، ولا طمع لكم

فيه . فانصرف القوم . وقال دريد في ذلك[1] : [من الكامل]

مـا إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله ... حامـي الظعينـة فارساً لم يُقتلِ
أردى فـوارسَ لم يكونوا نُهْـزة ... ثـم استمـرّ كأنّـه لم يفعلِ
متهلّـل تبـدو أسِرَّة وجهـه ... مثلَ الحسام جلته كفُّ الصيقلِ
يُزجِـي ظعينته ويسحب رمحـه ... متوجّهـاً يُمنـاه نحـو المنزلِ
وتـرى الفوارسَ من مخافة رمحه ... مثل البُغاث خَشين وقع الأجدلِ[2]
يـا ليـت شعري مـن أبوه وأمّه ... يا صاح مَن يَكُ مثلَه لم يُجهلِ !

فقال ربيعة : [من الكامل]

إن كان ينفعكَ اليقـينُ فسائلي ... عنّي الظعينة يـومَ وادي الأخرمِ
هل هِـي لأوّل مَن أتاهـا نُهْزة ... لـولا طعـان ربيعة بن مكدّمِ
إذ قـال لي أدنى الفوارس مِيتـة ... خَـلِّ الظعينـة طائعـاً لا تندمِ
فصرفتُ راحلـة الظعينة نحـوه ... عمـداً ليعلم بعض مـا لم يعلمِ
وهتكـتُ بـالرّمحِ الطويل إهابه ... فهوى صريعـاً لليديـن وللفمِ[3]
ومنحـتُ آخـر بعـده جياشةً ... نجلاء فاغرة كشِدق الأضجمِ[4]
ولقـد شفعتهما بآخـر ثالـثٍ ... وأبى الفـرارَ لِـيَ الغـداةَ تكرمي

قال : فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدّم ، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمّة ، فأخفى نسبه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه . فصرخت امرأة منهنّ ، فقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فِراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه مَن هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمّة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدّم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال : فمن الظعينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيطة بنت جِذل الطّعان ، وأنا هي ،

1 ديوان دريد ، ص 67 .
2 بغاث الطير : ضعافها . والأجدل : الصقر .
3 المثل «لليدين وللفم» بمعنى الدعاء في مجمع الميداني 2 : 207 ومستقصى الزمخشري 2 : 93 وفصل المقال : 98 وجمهرة العسكري 2 : 91 .
4 الأضجم : المائل الفم .

وأنا امرأته . فحبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تُكْفر نعمة دريد على صاحبنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلاّ برضا المخارق الذي أسره . وانبعثت المرأة في الليل ، فقالت : [من الطويل]

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمةً وكلُّ فتى يُجزى بما كان قدَّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شرّاً كان شرّاً مذمَّما
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرّمح السديد المقوّما
فقد أُدركتْ كفّاه فينا جزاءه وأهلٌ بأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حقّ نُعماه فيكمُ ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيّاً لم يضق بثوابه ذراعاً ، غنيّاً كان أو كان معدِما
ففُكّوا دريداً من إسار مُخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلَّما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه ، وكسته ريطة وجهزته ، ولحق بقومه . ولم يزل كافّاً عن غزو بني فِراس حتى هلك .

[أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدَّثني محمد بن يعقوب بن أبي مَريم العدَويّ البصريّ ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الأزديّ ، قال : حدَّثني أبو البلاد الغطفانيّ وقبيصة بن ميمون الصادريّ ، قالا : سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عمرو بن مَعْدِيكرِب الزُّبيديّ : مَن أشجع مَن رأيت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنّك عن أحْيَل الناس ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس . فقال له عمر : هات . فقال : أربَعَت المدينة ، فخرجتْ كأحسن ما رأيت ، وكانت لي فرس شَمَقمقة[1] طويلة سريعة الإبقاء[2] ، تَمطّق بالعرق تمطق الشيخ بالمرق ، فركبتها ، ثم آليت لا ألقى أحداً إلاّ قتلته . فخرجت وعليّ مُقُدّى[3] ، فإذا أنا بفتى بين غرضين[4] ، فقلت له : خذ حذرك ، فإنّي قاتلك . فقال : والله ما أنصفتني يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزل أمْيَل[5] عُوّارة ، والعوارة : الذي لا تُرس معه ، فأنْظرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غناؤها عنك ؟ قال : أمتنع بها . قلت : خذها .

1 شمقمقة : طويلة .
2 سريعة الإبقاء : تسرع استئناف الجري بعد التعب .
3 المقد : حديدة يقد بها الجلد ، ويعني هنا سيفه .
4 الغرض : شعبة في الوادي .
5 الأميل : لا يستقر على الفرس .

قال : لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنّك لا تروّعني حتى آخذها . فأثلجته ، فقال : وإله قريش لا آخذها أبداً . فسلم والله منّي وذهبت ؛ فهذا أحيل الناس .

ثم مضيت حتى اشتمل عليّ الليل ، فوالله إنّي لأسير في قمرٍ زاهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة ، وهو يقول : [من مجزوء الرمل]

يـا لُدَينا يـا لُدَينا ليتنا يُعـدى علينا

ثـم يُبْلى مـا لدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته ، فيرمي بها في السماء ، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمِشْقص[1] من نبله . فصحت به : خذ حذرك ثكلتك أُمّك ، فإنّي قاتلك . فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض . فقلت : إنْ هذا إلاّ استخفاف . فدنوت منه ، وصحت به : ويلك ، ما أجهلك ! فما تحلحلَ ولا زال عن موضعه ، فشككت الرّمح في إهابه ، فإذا هو كأنّه قد مات منذ سنة ، فمضيت وتركته ، فهذا أُجبن الناس .

ثم مضيت فأصبحت بين دَكادك هَرْشى إلى غزال[2] ، فنظرت إلى أبيات ، فعدلت إليها ، فإذا فيها جَوار ثلاث ، كأنّهنّ نجوم الثريّا . فبكين حين رأينني ، فقلت : ما يبكيكنّ ؟ فقلن : لما ابتلينا به منك ، ومن ورائنا أخت هي أجمل منّا . فأشرفت من فدفد ، فإذا بمن لم أرَ شيئاً قطّ أحسن من وجهه ، وإذا بغلام يخصف نعله ، عليه ذؤابة يسحبها . فلمّا نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً ، ثم ركض ، فسبقني إلى البيوت ، فوجدهنّ قد ارتعن ، فسمعته يقول لهن : [من الرجز]

مهـلاً نُسَيّاتي إذن لا ترتعْـنْ إن يُمنـع اليوم نساء تُمنعْنْ

أرخِين أُذيـال المروط وارتَعْنْ

فلمّا دنوت منه ، قال : أتطردني أم اطردك ؟ قلت : أطردك . فركض وركضت في أثره ، حتى إذا مكنت السنان في لفتته ، واللفتة أسفل من الكتف ، اتكأت عليه ، فإذا هو والله مع لَبَب فرسه ، ثم استوى في سرجه . فقلت : أقِلْني . قال : اطرد . فتبعته حتى إذا ظننت أنّ السنان في ماضِغيه اعتمدت عليه ، فإذا هو والله قائم على الأرض ، والسنان ماضٍ زالجٍ . واستوى على فرسه ، فقلت : أقلني . قال : اطرد . فطردته ، حتى إذا مكنت السنان في متنه ، اتكأت عليه وأنا أظنّ أنّي قد فرغت منه ، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض ، ومضى السنان

1 المشقص : نصل طويل .

2 الدكادك : ما تلبد من الرمل ولم يرتفع كثيراً . وهرشى : هضبة . وغزال : واد .

زالجاً . ثم استوى وقال : أبعد ثلاث ؟ تريد ماذا ؟ اطردني ثكلتك أُمّك . فوليت وأنا مرعوب منه . فلمّا غشيني ووجدت حس السنان ، التفت فإذا هو يطردني بالرّمح بلا سنان ، فكفّ عنّي واستنزلني ، فنزلت ونزل ، فجزّ ناصيتي ، وقال : انطلق ، فإنّي أُنفَس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشدّ من الموت ؛ فذاك أشجع مَن رأيت . وسألت عن الفتى ، فقيل : ربيعة بن مكدّم الفِراسيّ ، من بني كنانة .

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ هذا الخبر وفيه خلاف للأوّل . قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني محمد بن موسى الهذليّ ، قال : حدَّثني سُكين بن محمد ، قال : دخل عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال له : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيّد بني مخزوم ، أعظمها هامة ، وأمدّها قامة ، وأقلّها ملامة ، وأفضلها حلماً ، وأقدمها سلماً ، وأجرئها مُقدَماً . قال : ومَن هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله ، قال : وأيّ شيء صنعت عنده ؟ قال : أتيته زائراً ، فدعا لي بكعب وقوس وثور[1] . فقال عُمر : وأبيك إنّ في هذا لشبعاً . قال : لي أو لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لي ولك . قال له : فوالله إنّي لآكل الجَذَعة ، وأشرب التِّبْن من اللبن رَثيئة وصرِيفاً[2] ، فلِمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أي أحياء قومك خير ؟ قال : مَذحج ، وكلّ قد كان فيه خير ، شِداد فوارسها ، فوارس أبطالها ، أهل الربا والرباح[3] . قال عمر : وأين سعد العَشيرة ؟ قال : هم أشدّنا شَريساً ، وأكثرنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وهم الأوفياء البَرَرة ، المساعير الفَجَرة . قال عمر : يا أبا ثور ، أَلَكَ علم بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سل عمّا بدا لك . قال : أخبرني عن النَّبْل . قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : فأخبرني عن الرمح قال : أخوك وربّما خانك . قال : فأخبرني عن التُّرس . قال : ذاك مِجَنٌّ وعليه تدور الدوائر . قال : أخبرني عن الدرع . قال : مَشْغلة للفارس ، مَتْعبة للراجل . قال : أخبرني عن السيف . قال : عنه قارعتُك لأُمّك الهَبَل ، قال : لا ، بل لأُمّك . قال عمرو : بل لأُمّك ، فرفع عمر الدِّرّة ، فضرب بها عَمراً ، وكان عمرو محتبياً ، فانحلت حُبوته ، فاستوى قائماً ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أتضربني كأنّك ذو رُعَين بخير معيشة أو ذو نُواسِ

---

1 الكعب : الصبة من السمن . والقوس : ما يبقى في أصل الجلة من التمر . والثور : الكتلة من الأقط .

2 الجذعة من الغنم : ما تكون سنها بين ستة أشهر وسنة . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب لساعته . والصريف : الذي ينصرف عن الضرع حاراً وقت حلبه .

3 الربا والرباح : النماء والكثرة .

فكـم مُلْك قديـم قـد رأينا وعـزٍّ ظاهـر الجبروت قاسي
فأضحى أهلـه بادوا وأضحى ينقَّل مـن أنـاس في أناسِ

قال : صدقت يا أبا ثور ، وقد هدم ذلك كلّه الإسلام ، أقسمت عليك لما جلست . فجلس . فقال له عمر : هل كَعَعْتَ[1] من فارس قطّ ممّن لقيت ؟ قال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أنّي لم أستحل الكذب في الجاهلية ، فكيف أستحلّه في الإسلام ؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي ، خيل بني زُبيد ، أغيروا بنا على بني البكّاء . فقالوا : بعيد علينا المُغار . فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة ، قال : فأتينا على قوم سَراة . فقال عمر : ما علمك بأنّهم سَراة . قال : رأيت مَزاود خيلهم كثيرة ، وقُدوراً مثفّاة ، وقباب أدم ، فعرفت أنّ القوم سراة . فتركت خيلي حَجْرة ، وجلست في موضع أتسمع كلامهم ، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها ، فجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولائدها ، فقالت : ادعي فلاناً . فدعت لها برجل من الحيّ ، فقالت له : إنّ نفسي تحدّثني أنّ خيلاً تغير على الحيّ ، فكيف أنت إن زوّجتك نفسي ؟ فقال : أفعل وأصنع ، وجعل يصف نفسه فيفرط . فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها ، فقالت : ما عنده خير ، ادعي لي فلاناً . فدعت بآخر . فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه ، فأجابها بنحو جوابه ، فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : ولا عند هذا خير أيضاً . ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكَدَّم . فدعته ، فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها : إنّ أعجز العجز وصف المرء نفسه ، ولكنّي إذا لقيت أعذرت ، وحسب المرء غَناء أن يُعذِر . فقالت له : قد زوّجتك نفسي ، فاحضُر غداً مجلس الحيّ ، ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . وانتظرتُ حتى ذهب الليل ، ولاح الفجر ، فخرجتُ من مَكمني ، وركبت فرسي ، وقلت لخيلي : أغيري ، فأغارت ، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهنّ ، فكشفت عن خيمة المرأة ، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلمّا ملأتْ بصرها منّي ، أهوت إلى درعها فشقته وقالت : واثكلاه ؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد ، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز[2] ، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط ، فتهلك ضيعة ، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع ، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد ، أهلبَ[3] أغلب ، يخصف نعله ، وإلى جنبه فرسه وسلاحه . فلمّا رآني رمى بنعله ، ثم استوى على

1 كععت : ضعفت وتراجعت .
2 القوز : الرمل المستدير المرتفع .
3 الأهلب : الكثير الشعر .

فرسه ، وأخذ رمحه ، ومضى ولم يحفل بي . فطفقت أشجره بالرّمح[1] خَفْقاً ، وأقول له : يا هذا استأسِر . فمضى ما يحفل بي ، حتى أشرف على الوادي . فلمّا رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً ، وأنشأ يقول : [من الرجز]

قـد علمتْ إذ منحتْني فاها ... أنّي سأحوي اليوم من حَواها

بل ليتَ شعري اليوم من دهاها

فأجبته : [من الرجز]

عمرو على طول الوجى دهاها ... بالخيل يحميها على وجاها[2]

حتّى إذا حلّ بها احتواها

فحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أهْوِن بنضر العيش في دارِ نَدَمْ ... أُفيض دمعاً كلّما فاض انسجمْ

أنا ابن عبد الله محمود الشيم ... مؤتمَن الغيب وفيٌّ بالذممْ

أكرم مَن يمشي بساق وقدم ... كالليث إن هَمَّ بتَقْصام قَصَمْ

فحملت عليه وأنا أقول : [من الرجز]

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ ... أنا ابن ذي الإكليل قتالِ البُهَمْ[3]

مَن يلقَني يُودِ كما أُودت إرَم ... أتركه لحماً على ظهرِ وَضَمْ[4]

وحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

هذا حِمًى قد غاب عنه ذائده ... الموتُ وِرْد والأنام وارِدُهْ

وحمل علي فضربني ، فرُغْت وأخطأني ، فوقع سيفه في قَرَبوس السرج ، فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مِسْح الفرس . ثم ثنّى بضربة أُخرى ، فرُغْت وأخطأني ، فوقع سيفه على مؤخّر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس ، وصرت راجلاً . فقلت : ويحك ! مَن أنت ؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليّ إلاّ ثلاثة : الحارث بن ظالم ، للعُجْب والخيلاء ؛ وعامر بن

1 أشجره بالرمح خفقاً : أطعنه طعناً خفيفاً .

2 الوجى : الحفا ، وهو أن يرق الحافر من طول السفر .

3 التقليد : ما يجعل في عنق البدنة لتعرف أنّها هدي . والشهر الأصم : رجب .

4 المثل : «أضيع من لحم على وضم» في مجمع الميداني 1 : 427 والدرة الفاخرة 1 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 3 ومستقصى الزمخشري 1 : 219 . والوضم : الخشبة التي يقطع عليها القصاب اللحم . ويضرب المثل للذليل .

الطّفيل للسنّ والتجربة ؛ وربيعة بن مكدّم للحداثة والغِرَّة ، فمن أنت ويلك ؟ قال : بل الويل لك ، فمَن أنت ؟ قلت : عمرو بن معديكرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدّم . قلت : يا هذا ، إنّي قد صرت راجلاً ، فاختر منّي إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز ، وإن شئت اصطرعنا ، فأيّنا صرع صاحبه حكم فيه ؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني . قال : الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بي أيضاً على قومي هوان . قلت : فذاك لك . وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابي ، وقد حازوا نَعَمه ، فقلت : هل تعلمون أنّي كَعَعْت عن فارس قَطّ من الأبطال إذا لقيته ؟ قالوا : نعيذك من ذاك . قال : قلت : فانظروا هذا النعم الذي حُزتموه ، فخذوه منّي غداً في بني زُبيد ، فإنّه نَعَم هذا الفتى ، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حيّ . فقالوا : لحاك الله فارس قوم ! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأْتَنا[1] عنها . قال : قلت إنّه لا بدّ لكم من ذلك ، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدّم . فقالوا : وإنّه لهو ؟ قلت : نعم . فردّوها وسالمتُه ، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك .

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معديكرب وربيعة بن مكدّم غناء ، نَسَبْتُه ، وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد ، وهو : [من الرجز]

صوت

أَنا ابن ذي التقليد في الشهرِ الأصمّ ... أَنــا ابــن عبد الله قَتّــال البُهَمْ
أَكرم مَــن يمشي بساق وقدم ... مــن يلقَني يــودِ كما أودت إرَمْ
أتركه لحمــاً عــلى ظهــر وَضَم ... كالليــث إن هــمَّ بتَقْصام قَصَمْ
مؤتمَــنُ الغيــب وفيٌّ بالذممْ

ذكر أحمد بن يحيى المكّيّ : أنّ الغناء في هذا الشعر لحنين ، خفيف ثقيل ، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سرجيس الملقّب بقراريط .

حدّثتني قمريّة العُمْريّة جارية عمرو بن بانة ، أنّها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن ، فقال لها : انظري أيَّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن مخارق ، فلمّا استوى لي قال لي مخارق : انظر أيّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكّيّ ، فلمّا غنّيته الرشيد أطربه ، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم .

[أجود وصف للطعنة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن

---

1 فثّأه : ثبط عزيمته وسكنه .

الطُّرسوسيّ ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : أَجود بيت وصفت به الطعنة قول أُهْبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدّم ، حيث يقول : [من الكامل]

ولقد طعنتُ ربيعة بـن مكدّمٍ   يوم الكديد فخـرّ غير موسَّدِ
في ناقع شَرِقت بما في جوفه   منـه بأَحمـر كالعقيق المُجْسَدِ

صوت

[من الكامل]

أدركتِ ما منيتُ نفسي خالياً   لله درُّك يـا ابنـة النّعمـانِ
إنّـي لِحَلْفِك بالصليبِ مصدّقٌ   والصُّلْبُ أَصدق حَلْفـةِ الرهبانِ
ولقـد رددتِ على المغيرةِ ذهنـه   إنّ الملـوك بطيئـة الإذعـانِ
يا هند حسبكِ قد صدقتِ فأَمسِكي   والصـدق خير مقالـة الإنسانِ

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفـيّ ، يقولـه في هند بنت النُّعمان بن المنذر ، وقد خطبها فردّتـه . وخبره في ذلك وغيرِه يذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لحنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ وإبراهيم .

[312] ـ أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه[1]

[نسبه]

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثقيف . ويكنى أبا عبد الله ، وكان يكنى أبا عيسى ، فغيّرها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وكناه أبا عبد الله . وأُمّه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُويلِم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمتها ، وذوي الرأي منها ، والحيل الثاقبة ، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي ، وكان يقال : ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلاّ اختار أحزمهما .

وصحِب النبيّ ﷺ ، وشهِد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النُّجير[2] . وشهِد فتح اليمامة وفتوح الشام . وكان أعور ، أصيبت عينه في يوم اليرموك ، وشهِد القادسية مع سعد بن أبي وقّاص . فلمّا أراد مراسلة رستم ، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب .

[ولاياته وفتوحه]

وولاّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عِدّة ولايات ، إحداها البصرة . ففتح وهو واليها مَيسان ودست ميسان وأبْـرَقُباذ . وقاتل الفرس بالمِرغاب فهزمهم ، ونهض إلى مَن كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها . وانحازوا إلى نهرِ تِيرَى ومَناذِر الكبرى ، فزحف إليهم ، فقاتلهم وهزمهم وفتحها . وخرج إلى المشرِق مع النعمان بن المُقرِّن ، وكان المغيرة على ميسرتِه ، وكان عمر قد عهد : إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة ، فإن هلك حذيفة ، فالأمير المغيرة بن شعبة . ولمّا فتحت نهاوند ، سار المغيرة في جيش إلى هَمَذان ففتحها .

وولاّه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة ، فقُتِل عمر وهو واليها . وولاّه أيضاً إيّاها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فكان عليها إلى أن مات بها .

وهو أوّل مَن وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان . ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه .

---

1 ترجمة المغيرة بن شعبة في الإصابة وأسد الغابة وطبقات بن سعد وتاريخ الطبري وانظر وفيات الأعيان 6 : 364–367 والتذكرة الحمدونية 9 : 210–217 ومواضع أخرى متفرقة .

2 النجير : حصن باليمن .

[خبر إسلامه]

قال محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أُخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثني محمد بن سعيد الثقفيّ ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفيّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة ، عن أبيه وغيرهم ، قالوا : قال المغيرة بن شعبة : كنّا قوماً من العرب متمسّكين بديننا ، ونحن سَدنة اللات ، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم . فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقِس ، وأهدوا له هدايا . فأجمعت الخروج معهم . فاستشرت عمّي عروة بن مسعود ، فنهاني ، وقال لي : ليس معك من بني أبيك أحد . فأبيت إلاّ الخروج ، وخرجت معهم ، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري ، حتى دخلنا الإسكندرية ، فإذا المقوقِس في مجلس مطِلّ على البحر . فركبت قارِباً حتى حاذيت مجلسه ، فنظر إليّ فأنكرني ، وأمر من يسائلني ما أنا ، وما أُريد ؟ فسألني المأمور ، فأخبرته بأمرنا ، وقدومنا عليه . فأمر بنا أن ننزِل في الكنيسة ، وأجرى علينا ضِيافة . ثم دعا بنا ، فنظر إلى رأس بني مالك ، فأدناه إليه ، وأجلسه معه ، ثم سأله : أَكلّ القوم من بني مالك ؟ فقال : نعم ، إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف . فعرَّفه إيّاي ، فكنت أهون القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسرّ بها ، وأمر بقبضها . وأمر لهم بجوائز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصَّر بي ، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له .

وخرجنا ، فأَقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأَهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض عليّ أحد منهم مُواساة ، وخرجوا ، وحملوا معهم خمراً ، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تَدَعني معهم . وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حَباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي ، وازدرائه إيّاي . فأجمعت على قتلهم . فقلت : أنا أجِد صُداعاً ، فوضعوا شرابهم ودعوني . فقلت : رأسي يُصَدَّع ، ولكنّي أجلس وأسقيكم ، فلم ينكروا شيئاً ؛ وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح . فلمّا دبَّت الكأس فيهم ، اشتهُوا الشراب ، فجعلت أُصَرِّف لهم وأُترِع الكأس ، فيشربون ولا يدرون . فأهْمَدتهم الكأس ، حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم ، فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم .

فقدِمت على النبيّ ﷺ ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه ، وعليَّ ثياب السفر ، فسلّمت بسلام الإسلام . فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة ، وكان بي عارفاً ، فقال : ابن أخي عُروة ؟ قلت : نعم ، جئت أشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أَفمن مصر أَقبلتم ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيني وبينهم

بعض ما يكون بين العرب ونحن على دِين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليَخمُسها ، ويرى فيها رأيه ، فإنّما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : أمّا إسلامك فنقبله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ، ولا نَخمُسها ، لأنّ هذا غدر ، والغدر لا خير فيه . فأخذني ما قَرُب وما بَعُد ، وقلت : يا رسول الله ، إنّما قتلتهم وأنا على دِين قومي ، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة . قال : فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله . وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً . فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمّي عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِية .

قال المغيرة : وأقمت مع النبيّ ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية ، في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة ، فكانت أوّل سَفْرة خرجت معه فيها ، وكنت أكون مع أبي بكر ، وألزم النبيّ ﷺ فيمن يلزم .

وبعثتْ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبيّ ﷺ ، فأتاه يكلّمه ، وجعل يمسّ لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه ، مقنّع في الحديد . فقلت لعروة ، وهو يمسّ لحية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : اكفُفْ يدك قبل ألاّ تصل إليك . فقال عروة : يا محمد ، مَن هذا ؟ ما أفظّه وأغلظه ! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . فقال عروة : يا عدوّ الله ، ما غَسَلْتُ عنّي سوءتك إلاّ بالأمس ، يا غُدَر .

[أوّل ما عرف دهائه]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفِراسيّ ، قال : حدَّثنا العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قال المغيرة بن شعبة : أوّلُ ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء ، أنّي كنت في ركب من قومي ، في طريق لنا إلى الحِيرة . فقالوا لي : قد اشتهينا الخمر ، وما معنا إلاّ درهم زائف . فقلت : هاتوه وهلمُّوا زِقَّين . فقالوا : وما يكفيك لدرهم زائف زقّ واحد ؟ فقلت : أعطوني ما طلبت وخَلاكم ذمّ ، ففعلوا وهم يهزؤون بي . فصببت في أحد الزقّين شيئاً من ماء ، ثم جئت إلى خمّار ، فقلت له : كِلْ لي ملء هذا الزّقّ . فملأه . فأخرجت الدرهم الزائف ، فأعطيته إيّاه ، فقال لي : ما هذا ؟ ويحك ! أمجنون أنت ؟ فقلت : ما لك ؟ قال : إنّ ثمن هذا الزقّ عشرون درهماً جياداً ، وهذا درهم زائف . فقلت : أنا رجل بدويّ ، وظننت أنّ هذا يصلح كما ترى ، فإن صَلَح ، وإلاّ فخذ شرابك . فاكتال منّي ما كاله ، وبقي في زقّي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزقّ الآخر ، وحملتهما على ظهري ، وخرجت ، وصببت في الزقّ الأوّل ماء .

ودخلت إلى خمّار آخر ، فقلت : إنّي أريد مِلء هذا الزقّ خمراً ، فانظر إلى ما معي

منه ، فإن كان عندك مثله فأعطني . فنظر إليه ، وإنّما أردت ألاّ يستريب بي إذا رددت الخمر عليه . فلمّا رآه قال : عندي أجودُ منه . قلت : هات . فأخرج لي شراباً ، فاكتلته في الزقّ الذي فيه الماء . ثم دفعت إليه الدرهم الزائف ، فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك . فأخذ ما كان كاله لي ، وهو يرى أنّي خلطته بالشراب الذي أريته إيّاه . وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل . ولم أزل أفعل ذلك بكلّ خمّار في الحِيرة ، حتى ملأت زقّي الأوّل وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابي ، فوضعت الزقّين بين أيديهم ، ورددت دِرهمهم . فقالوا لي : ويحك ! أيَّ شيء صنعت ؟ فحدّثتهم ، فجعلوا يعجبون . وشاع لي الذكر في العرب بالدّهاء حتى اليوم .

[هو أوّل مَن خضب بالسواد]

قال محمد بن سعد : أُخبرنا محمد بن معاوية النيسابوريّ ، قال : حدَّثنا داود بن خالد ، عن العبّاس بن عبد الله بن معبد بن العبّاس ، قال : أوّل مَن خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه .

[يغضب لأبي بكر الصديق]

قال محمد : وأُخبرني شهاب بن عباد ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسيّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي خازم ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : كنت جالساً عند أبي بكر ، إذ عُرِض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملني عليها . فقال أبو بكر : لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غُرْلته[1] ، أحبّ إليَّ من أن أحملك عليها . فقال له الأنصاريّ : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه ، فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فكأنّما كان عَزالي[2] مزادة . فتوعّدني الأنصار أن يستقيدوا منّي ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقام فقال : أمّا بعد . فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أنّي مُقِيدهم من المغيرة . ووالله لأن أخرجهم من دارهم ، أقرب إليهم من أن أقيدهم مِن وَزَعة الله الذين يَزَعون إليه .

[أسطورة خطبته هند بنت النُّعمان]

أُخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : حدَّثنا حسّان بن العلاء الرياحيّ ، عن أبيه ، عن الشعبيّ ، قال : ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النُّعمان بن المنذر ، وهي بدير هند ،

1 ركب الخيل على غرلته . ركبها وهو صبي لم يختن .

2 العزالي : جمع عزلاء ، وهي فم المزادة الأسفل .

متنصِّرة عمياء ، بنت تسعين سنة . فقالت له : مَن أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المَدَرة ؟ تعني الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوّجناك ، ولكنّك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب ، فتقول : تزوّجت بنت النعمان بن المنذر ؛ وهذا والصليبِ أمر لا يكون أبداً ، أَوَ ما يكفيك فخراً أن تكون في مُلْك النُّعمان وبلاده ، تدبرهما كما تريد ! وبكت .

فقال لها : أيّ العرب كان أحبّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيساً ؟ قالت : ما كان يستعتبهم من طاعة . قال : فأين كان يجعل ثقيفاً ؟ قالت : رُوَيداً لا تعجل . بينا أنا ذات يوم جالسة في خِدر لي ، إلى جنب أبي ، إذ دخل عليه رجلان ، أحدهما من هوازن ، والآخر من بني مازن ، كلّ واحد منهما يقول : إنّ ثقيفاً منّا ، فأنشأ أبي يقول : [من الرجز]

إنّ ثقيفاً لم يكن هوازناً ... ولم يناسب عامراً ومازنا

إلاّ قريباً فانشرِ المحاسِنا

فخرج المغيرة وهو يقول : [من الكامل]

أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خالياً ... لله دركِ يا ابنة النُّعمانِ !

وذكر الأبيات التي مضت ، وذكرتُ الغناء فيها .

[أجاز هجاء حسان لقبيلته]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد ، قال : قال أبو عبيدة : قال العلاء بن جرير العنبريّ : بينا حسّان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف ، إذ زفر زفرة ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الكامل]

وكأنّ حافرها بكلّ خميلةٍ ... صاع يكيل به شحيحٌ معدِمُ

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله ... عبد ويزعم أنّه مِنْ يَقْدُم

قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فلمّا أتاه بها الرسول قال : مَن بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، سمع ما قلت . فقال : واسوْءتاه ! وقَبِلها .

[مزواج مطلاق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل[2] العَتَكيّ ، قال حدَّثنا

1 ديوان حسان 1 : 438 وفيه «صحيح معدم» .

2 ل : إسماعيل بن عيسى .

محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهنّ ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب ، وفيهنّ حفصة بنت سعد بن أبي وقاص ، وهي أُمّ ابنه حمزة بن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

وقال أبو اليقظان : صلّى المغيرة بالناس سنة أربعين في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فجعل يوم الأضحى يوم عرفة ، أظنّه خاف أن يُعزل ، فسبق ذلك .

فقال الراجز : [من الرجز]

سِيري رُويداً وابتغـي المغيرهْ كلفتُهـا الإدلاج بـالظهيرهْ

قال : وكان المغيرة مِطلاقاً . فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنّكنّ لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنّي رجل مِطلاق ، فاعتددْن .

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكّر وامرأة مؤنّثة ، فهو قَوامٌ عليها ؛ ورجل مؤنّث وامرأة مذكّرة ، فهي قوامة عليه ؛ ورجل مذكّر وامرأة مذكّرة ، فهما كالوَعِلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنّث وامرأة مؤنّثة ، فهما لا يأتيان بخير ، ولا يفلحان .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : حدّثنا أبو هلال عن مطير الورّاق ، قال المغيرة بن شعبة : نكحت تسعاً وثمانين امرأة ، أو قال : أكثر من ثمانين امرأة ، فما أمسكت امرأة منهنّ على حبّ ؛ أُمْسِكها لولدها ، ولحسبها ، ولكذا ولكذا .

قال أبو زيد : وبلغني أنّهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة ، فقال : أنا أُعلمكم بهنّ : تزوّجت ثلاثاً وتسعين امرأة ، منهنّ سبعون بكراً ، فوجدت اليمانيّة كثوبك : أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ؛ ووجدت الرَّبَعيّة أَمَتك : أمرتَها فأطاعتك ؛ ووجدت المُضَريّة قِرْناً ساوَرْته ، فغلبته أو غلبك .

حدّثنا ابن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا أبو عاصم قال : رأى المغيرة امرأة له تخلّل بعد صلاة الصبح ، فطلّقها . فقالت : علام طلّقني ؟ قيل : رآك تَخَلّلين ، فظنّ أنّك أكلت . فقالت : أبعده الله ! والله ما أتخلّل إلاّ من السواك[1] .

[غيّر عمر كنيته]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني موسى بن إسماعيل قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم : أنّ رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي

1 وردت هذه الحكاية في مروج الذهب (3 : 132) وفيه أن الفارعة كانت زوجة الحارث بن كلدة الثقفيّ وأنّها أمّ الحجّاج ، وقال صاحب العقد (5 : 13–14) أنّ الفارعة كانت زوجة المغيرة .

عيسى ، على أمير المؤمنين . فقال عمر : أيّكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله ، وأبي عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أنّ النبي ﷺ كناه بها . فقال له عمر : إنّ النبيّ ﷺ قد غُفِر له ، ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وأنا لا أدري ما يُفْعَل بي . فكناه أبا عبد الله .

[عور الكوفة]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : حدّثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، قال : كان الجَمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر : المغيرة بن شعبة ؛ وجرير بن عبد الله ، والأشعث بن قيس ، وحُجْر بن عديّ ، وكلّهم كان أعور ؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقِفين بالكوفة بالكُناسة ، فطلع عليهم أعرابيّ . فقال لهم المغيرة : دعوني أُحرّكه . قالوا : لا تفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يُؤْثَر . قال : لا بدّ . قالوا : فأنتَ أعلم . قال له : يا أعرابيّ ، هل تعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال : نعم أعرفه أعورَ زانياً . فوَجم ، ثم تجلد فقال : هل تعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : نعم ، ذاك رجل لا يعرى قومه . قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّه حائك ابن حائك . قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال : وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عُرفت عشيرته . قالوا له : قَبَحك الله ، فإنّك شرّ جليس ، فهل تحبّ أن نُوقِر لك بعيرك هذا مالاً وتموتَ أكرم العرب ؟ قال : فمَن يبلغه أهلي إذن ؟ فانصرفوا عنه وتركوه .

[القبائل والنساء عند ابن لسان الحمرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثني أبو سعيد السكريّ ، قال : حدّثنا محمد بن أبي السريّ ، واسم أبي السريّ سهل بن سلام الأزديّ ، قال : حدّثني هشام بن محمد قال : أخبرنا عَوانة بن الحكم ، قال : خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذٍ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعيّ ، بعد غِبّ مطر ، يسير بظهر الكوفة والحوف ، فلقِيَ ابن لسان الحُمَّرة ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة . فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابيّ ؟ قال : من السماوة . قال : فكيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة[1] . قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عَفَّى الأثر ، وملأ الحُفَر . قال : مِمّن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول في بني ذُهْل ؟ قال : سادة نَوْكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن

1 أريضة : معشبة خصبة .

ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رِعاء البقر ، وعراقيب الكلاب . قال : فما تقول في بني يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى . (قال هشام : لأنّ في ألوانهم حمرة) . قال : فعِجْل ؟ قال : أحلاس[1] الخيل . قال : فحنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ، ويضربون الهام . قال : فعنَزَة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً . قال : فضُبيعة أضجم ؟ قال : جَدْعاً وعَقْراً[2] . قال : فأخبرني عن النساء . قال : النساء أربع : ربيع مُربِع ، وجميع تَجْمع ، وشيطان سَمَعْمع ، وغُلّ لا يخلَع . قال فَسِّر . قال : أمّا الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أقسمت عليها أبرَّتك ؛ وأمّا التي هي جميع تجمع ، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب ، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبها ؛ وأمّا الشيطان السمعمع ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت ، والمولولة في أثرك إذا خرجت ؛ وأمّا الغلّ الذي لا يخلع ، فبنت عمِّك السوداء القصيرة ، الفوهاء[3] الدميمة ، التي قد نثرت لك بطنها ، إن طلّقتها ضاع ولدك ، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك . فقال له المغيرة : بل أنفك . ثم قال له : ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعورُ زنّاء . فقال الهيثم : فضّ الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة . فقال : إنّها كلمة والله تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذٍ أربع نسوة ، وستّون أو سبعون أَمَة . قال له : ويحك ؛ هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهنّ المغيرة : ارمين إليه بحُلاكنّ . ففعلن . فخرج الأعرابيّ بملء كسائه ذهباً وفضّة .

[نصح وغش]

أخبرني عبيد الله بن محمد ، قال : حدَّثنا الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن أبي مخنف ، وأخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال : حدَّثنا الحسن بن نصر ، قال : حدَّثني أبي نصر بن مزاحم قال : حدَّثنا عُمر بن سعد ، عن أبي مِخْنف عن رجاله : أنّ المغيرة بن شعبة جاء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : اكتب إلى معاوية فوَلِّه الشام ، ومره بأخذ البيعة لك ، فإنّك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك . فقال عليّ عليه السلام : ﴿ما كنتُ متَّخِذَ المُضِلِّين عَضُدا﴾ . فانصرف المغيرة وتركه . فلمّا كان من غد جاءه ، فقال : إنّي فكّرت فيما أشرتُ به عليك أمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصوب . فقال له عليّ : لم يَخْفَ عليّ ما أردت ؛ قد نصحتني في الأولى ، وغششتني في الآخرة ، ولكنّي والله لا آتي أمراً أجد فيه

1 أحلاس الخيل : فرسان شجعان .

2 هذا دعاء عليهم بالفناء .

3 ل : الورهاء .

فساداً لديني ، طلباً لصلاح دنياي . فانصرف المغيرة .

[بينه وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين ، قال : حدَّثني محمد بن يونس الشيرازيّ ، قال : حدَّثني محمد بن غسان الضبيّ ، قال : حدَّثني زاجر بن عبد الله الثقفيّ ، مولى الحجّاج بن يوسف ، قال : كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانيّ تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع في كلامه ، حتى طمع فيه مَصقلة ، واستعلى عليه ، فشتمه . فقدَّمه المغيرة إلى شُرَيح ، وهو القاضي يومئذٍ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحدّ . فآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً ، وخرج إلى بني شيبان ، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة . ثم دخل الكوفة ، فتلقّاه قومه ، وسلّموا عليه . فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها . فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنّك تريد أن ترجم قبره . فقال : ألقوا ما في أيديكم . فألقَوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعاً لصديقك ، ضائراً لعدوّك ، وما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في أخيه كليب : [من الخفيف]

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً وخَصيماً ألدَّ ذا معلاقِ[1]

حيّةٌ في الوِجار أربدُ لا ينْـ ـفع منه السليمَ نفثُ الرّاقي

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، عن أحمد بن القاسم ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ : أنّ مصقلة قال له : والله إنّي لأعرف شبهي في عُرْوة ابنك . فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحدّ . وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله .

[عمر لا ينخدع به]

أخبرني محمد بن عبد الله الرازيّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، عن مسلمة بن محارب ، قال : قال رجل من قريش لعمر بن الخطّاب رضوان الله عليه : ألا تتزوّج أمّ كلثوم بنت أبي بكر ، فتَحْفظه بعد وفاته ، وتخلُفه في أهله . فقال عمر : بلى ، إنّي لأحبّ ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعُد إليّ بجوابها . فمضى الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حبّاً وكرامة . ودخل إليها بعَقِب ذلك المغيرة بن شعبة ، فرآها مهمومة . فقال لها : ما لك يا أمّ المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إنّ هذه جارية حَدَثة ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر . فقال لها : عليّ أن أكفيك . وخرج من عندها ، فدخل

---

1 ذو معلاق : شديد الخصومة . والمعلاق : اللسان البليغ . ويروى : ذو مغلاق ، وهو الذي يغلق الحجة على الخصم .

على عمر ، فقال : بالرِّفاء والبنين ، قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله ، وخِطْبتك أُمّ كلثوم . فقال : قد كان ذاك . قال : إلاّ أنّك ، يا أمير المؤمنين ، رجل شديد الخُلُق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء ، فتضربها فتصيح : يا أبتاه ! فيغمّك ذلك ، وتتألّم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيبكون عليه ، فتجدّد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها في كلّ يوم . فقال له : متى كنت عند عائشة ، واصدقني ؟ فقال : آنفاً . فقال عمر : أشهد أنّهم كرهوني ، فتضمنت لهم أن تصرفني عمّا طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

[اتهامه بالزنا]

حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن محمد بن سليمان الباقلانيّ ، عن قتادة ، عن غنيم بن قيس ، قال : كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرَّقْطاء ، فلقيه أبو بكرة ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان . فأخذ بتلابيبه ، وقال إنّ الأمير يزار ولا يزور .

وحدَّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه ، أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، فرواه عن جماعة من رجاله ، بحكايات متفرّقة .

قال عمر بن شبّة : حدَّثني أبو بكر العُلَيميّ ، قال : أخبرنا هشام ، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جَوشن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة . قال عمر بن شبّة : وحدَّثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة . قال أبو زيد عمر بن شبّة : وحدَّثنا عليّ بن محمد بن حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبيّ . قال : وحدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : حدَّثنا عوف ، عن قسامة بن زهير . قال أبو زيد عمر بن شبّة : قال الواقديّ : حدَّثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان . قال : وحدَّثني محمد بن الجهم ، عن عليّ بن أبي هاشم ، عن إسماعيل بن أبي عبلة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك :

أنّ المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْط النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : آتي حاجة . فيقول له : حاجة ماذا ؟ إنّ الأمير يزار ولا يزور .

قال : وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة . قال : فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ، ورجلٍ آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة . فضربت الريح باب المرأة ففتحته . فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بلية ابتُليتم بها ، فانظروا . فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت ، فاعتزِلنا . قال : وذهب ليصلّي بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكرة ، وقال له : لا والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دعوه فليصلّ ، فإنّه الأمير ، واكتبوا بذلكم إلى عمر . فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعاً ، المغيرة والشهود .

وقال المدائنيّ في حديثه عن حباب بن موسى : وبعث عمر بأبي موسى الأشعريّ على البصرة . وعزم عليه ألاّ يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة . قال : قال عليّ بن أبي هاشم في حديثه : إنّ أبا موسى قال لعمر لمّا أمره أن يرحله من وقته : أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين : نتركه يتجهّز ثلاثاً ، ثم يخرج . قال : فصلّينا صلاة الغداة بظهر المِربد ، ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلّون : الرجال والنساء مختلطين . فدخل رجل على المغيرة ، فقال له : إنّي رأيت أبا موسى في جانب المسجد ، عليه بُرْنُس . فقال له المغيرة : ما جاء زائراً ولا تاجراً . فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده . فلمّا رآنا قال : الأمير ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلمّا قرأه ذهب يتحرّك عن سريره . فقال له أبو موسى : مكانك ، تجهّز ثلاثاً .

وقال الآخرون : إنّ أبا موسى أَمره أن يرحل من وقته . فقال له المغيرة : لقد علمتَ ما وُجهتَ فيه ، فألاّ تقدّمت فصلّيت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت في هذا الأمر إلاّ سواء . فقال له المغيرة : فإنّي أحبّ أن أُقيم ثلاثاً لأتجهّز . فقال : قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألاّ أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك ، حتى أُرحِّلَك إليه . قال : إن شئت شَفّعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين . قال : وكيف ؟ قال : تؤجّلني إلى الظهر ، وتمسك الكتاب في يدك . قالوا : فقد رُئي أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً ، وإنّ الكتاب لفي يده معلّقاً بخيط . فتجهّز المغيرة ، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة ، جارية عربية من سَبْي اليمامة ، من بني حنيفة ؛ ويقال إنّها مولدة الطائف ، ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلّى الظهر ، حتى قدم على عمر : وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاريّ : فلمّا قدم على عمر ، قال له : إنّه قد شُهد عليك بأمر إن كان حقّاً لأن تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك .

قال أبو زيد : وحدَّثني الحكم بن موسى ، قال : حدَّثنا يحيى بن حمزة ، عن إسحاق بن

عبد الله بن أبي فروة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاريّ ، عن مصعب بن سعد : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه جلس ، ودعا المغيرة والشهود . فتقدّم أبو بكرة . فقال له : أرأيته بين فخذيها ، قال : نعم والله ، لكأنّي أنظر إلى تشريم جُدَريّ بفخذيها . فقال له المغيرة : لقد ألطفت النظر . فقال له : لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرود في المُكْحُلة . فقال : نعم أشهد على ذلك . فقال له : اذهب عنك مُغيرة ، ذهب رُبْعك .

ثم دعا نافعاً فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكرة . قال : لا ، حتى تشهد أنّه كان يلج فيه وُلوج المِرود في المكحُلة . فقال : نعم حتى بلغ قُذَذه[1] . فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب نِصفك . ثم دعا الثالث ، فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبيّ . فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام . اذهب عنك مغِيرة ، ذهب ثلاثة أرباعِك . قال : حتى مكث يبكي إلى المهاجرين ، فبكوا . وبكى إلى أمّهات المؤمنين ، حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة .

قال : ثم كتب إلى زياد ، فقدِم على عمر . فلمّا رآه جلس له في المسجد ، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : ومعي كلمة قد رفعتها لأكلّم القوم . قال : فلمّا رآه عمر مقبلاً قال : إنّي لأرى رجلاً لن يخزيَ الله على لسانه رجلاً من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدَّثنا عفّان ، قال : حدَّثنا السَّرِيّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبي عثمان النهديّ ، قال : لمّا شهِد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة ، تغيّر لذلك لون عمر . ثم جاء آخر فشهد ، فانكسر لذلك انكساراً شديداً . ثم جاء رجل شابّ يخطِر بين يديه ، فرفع عمر رأسه إليه ، وقال له : ما عندك يا سَلْح العُقاب . وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر . قال عبد الكريم : لقد كِدتُ أن يُغْشى عليّ .

وقال آخرون : قال المغيرة : فقمت إلى زياد ، فقلت له : لا مَخبأ لعطر بعد عَروس[2] ؛ ثم قلت : يا زياد ، أُذكر الله ، وأذكر موقف يوم القيامة ؛ فإنّ الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي ، إلاّ أن تتجاوز إلى ما لم ترَ ما رأيت ، فلا يحملك شرّ منظر رأيته على أن تتجاوزه إلى ما لَم ترَ ، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها . قال : فترنّقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما أن أُحُقَّ ما حقّ القوم فليس

---

1 قذذ : جمع قذة ، وهي جانب الحياء .

2 المثل «لا مخبأ لعطر بعد عروس» في مجمع الميداني 2 : 211 ومستقصى الزمخشري 2 : 263 وفصل المقال : 427 .

ذلك عندي ؛ ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً ، وسمعت نَفَساً حثيثاً وانبهاراً ، ورأيته متبطّنها . فقال له : أرأيته يدخله كالمِيل في المكحُلة . فقال : لا .

وقال غير هؤلاء : إن زياداً قال له : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، ورأيت حَفْزاً شديداً ، وسمعت نفَساً عالياً . فقال له : أرأيته يدخله ويخرجه كالمِيل في المكحلة ؟ فقال : لا . فقال عمر . الله أكبر . قم إليهم فاضرِبهم . فقام إلى أبي بكرة ، فضربه ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجْم . فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب : فإنّي أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا . فهم عمر بضربه ، فقال له عليّ عليه السلام : إن ضربته رجمت صاحبك . ونهاه عن ذلك .

قال : يعني أنّه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المغيرة .

قال : واستتاب عمر أبا بكرة . فقال : إنّما تستتيبني لتقبل شهادتي . قال : أجَل . قال : لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدُّنيا . قال : فلمّا ضُرِبوا الحدّ قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أخزاكم . فقال له عمر : اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه . قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رَقَط فخذيها . قال : وتاب الاثنان ، فقُبلت شهادتهما . قال : وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعي إلى شهادة يقول : اطلب غيري ، فإنّ زياداً قد أفسد عليّ شهادتي .

قال أبو زيد : وحدَّثني سليمان بن داود بن عليّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما ضُرب أبو بكرة أمرت أمّه بشاة فذبحت ، وجعلت جلدها على ظهره . قال : فكان أبي يقول : ما ذاك إلاّ من ضرب شديد .

حدَّثنا ابن عمّار والجوهريّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : كانت أُمّ جميل بنت عمر ، التي رُمِي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة ، تختلف إلى المغيرة في حوائجها ، فيقضيها لها . قال : ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : نعم ؛ هذه أُمّ كلثوم بنت عليّ . فقال : له عمر : أتتجاهل عليّ ؟ والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلاّ خفت أن أُرمى بحجارة من السماء .

حدَّثني أحمد بن الجعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عباد ، قال : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لئن لم ينته المغيرة لأتبعنّه أحْجاره . وقال غيره : لئن أخذت المغيرة لأتبعنّه أحجاره .

أخبرني ابن عمّار والجوهريّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : قال

حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة[1] : [من الوافر]

لَـو انّ اللؤم ينسَبُ كان عبداً قبيح الوجـه أعور من ثقيفِ
تركـتَ الدِّيــن والإسلام لما بدت لك غُدوةً ذاتُ النَّصيفِ
وراجعت الصِّبا وذكرت عهداً من القَينـات والغمز اللطيفِ

[يتزوج في الطريق إلى عمر]

أخبرني الجوهريّ وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ عن عبد الله بن سلم الفِهريّ ، قال : لمّا شخص المغيرة إلى عمر ، رأى في طريقه جارية فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها . فقال له : أنت على هذه الحال ؟ قال : وما عليك ؟ إن أُعفَ ، فهو الذي تريد ؛ وإن أقتل ترِثني . فزوّجه .

قال أبو زيد : قال الواقديّ : تزوّجها بالرَّقَم[2] . وهي امرأة من بني مرّة . فلمّا قدِم بها على عمر ، قال : إنّك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق .

وقال محمد بن سعد . أخبرني محمد بن عبد الله الأسدِيّ ، قال : حدَّثنا مِسعر ، عن زياد بن علاقة ، قال : سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأميركم هذا ، فإنّه كان يحبّ العافية .

قال : وكان المغيرة أصهب الشعر جدّاً ، أكشف ، يفرُق رأسه قروناً أُربعة ، أقلص الشفتين ، مهتوماً ، ضخم الهامة ، عَبل الذراعين ، بعيد ما بين المِنكبين .

[وفاته]

قال : وقال الواقديّ ، حدَّثني محمد بن موسى الثقفيّ ، عن أبيه ، قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين ، في خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلاً طُوالاً أعور ، أُصيبت عينه يوم اليرموك .

صوت

[من البسيط]

جِنِّيَّــةٌ ولهـــا جِـــنّ يعلّمها رميَ القلوب بقوس ما لها وترُ
إن كان ذا قَدَراً يعطيكِ نافلة منّا ويحرِمنا ، ما أنصف القدرُ

الشعر لمحمد بن بشير الخارجيّ ، والغناء لإبراهيم : هزج بالبِنصر ، عن الهشاميّ .

---

1 ديوان حسان 1 : 112 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 الرقم : موضع بالحجاز .

[313] ـ أخبار محمد بن بشير الخارجيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عِدِيّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجيّ ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر . ويقال لعدوان وفهم : ابنا جديلة ، نُسبا إلى أمّهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان ؛ شاعر فصيح حجازيّ مطبوع ، من شعراء الدولة الأمويّة . وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة القرشيّ ، أحد بني أسد بن عبد العزى ، وهو جدّ ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن ، لأمّهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشيّ ؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى . وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَراثٍ مختارة ، وهي عيون شعره ، وكان يبدو[2] في أكثر زمانه ، ويقيم في بوادي المدينة ، ولا يكاد يحضر مع الناس .

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مُصعَب الزبيريّ . قال أحمد : وحدَّثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ وعمِّي مصعب ، وحدَّثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق ، عن الزُّبير ، عن سليمان بن عياش . وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه .

[امرأة لا تريد ترك البصرة]

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزُّبير ، عن سليمان بن عيّاش : كان الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر ، شاعراً فصيحاً ، ويكنى أبا سليمان . فقدِم البصرة في طلب ميراث له بها ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجية ؛ من خارجة عدوان . فأبت أن تتزوّجه إلاّ أن يقيم معها بالبصرة ، ويترك الحجاز ، ويكون أمرها في الفرقة إليها . فأبى أن يفعل ، وقال في ذلك[3] : [من الكامل]

---

1 لمحمد بن بشير الخارجي ترجمة في معجم الشعراء : 343 والمحمدون من الشعراء : 232 ويصحف أحياناً إلى محمد بن يسير الذي يصحف اسمه بدوره إلى «بشير» . وهما شاعران مختلفان ، وقد ترجم أبو الفرج لمحمد بن يسير الرياشي في جزء سابق . وقد قام د . نوري حمودي القيسي بجمع شعر محمد بن بشير الخارجي في القسم الثالث من «شعراء أمويون» (مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1982) .

2 يبدو : يقيم في البادية .

3 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .

أَرِق الحزيـــنُ وعــاده سُهدُهْ ... لطــوارقِ الهـــمِّ التـــي تَرِدُهْ
وذكرتُ مَن لانت له كبدي ... فأَبـى فليس تلـــين لي كبدُهْ
ونــأَى فليس بنـــازلٍ بلدي ... أبـداً ، وليس بمُصلِحي بلدُهْ
فصُدِعت حـــين أَبـى مودّتَه ... صَدْعَ الزجاجـة دائـمٌ أَبدُهْ
وعرفت أَنّ الطير قد صدقت ... يــوم الكِدانــة شرَّ مـا تَعِدُهْ
فاصبر فـإن لكلّ ذي أَجـــل ... يومـــاً يجـيء فينقضي عَددُهْ
مــاذا تعاتب مـــن زمانك إذ ... ظعن الحبيب وحلَّ بي كمدُهْ

قالا : وخاطب أَباها يحيى بن يعمر في ذلك ، فقال له : إنّها امرأة بَرْزة عاقلة ، لا يُفتات على مثلها بأمرها ، وما عندها عنك من رغبة ، ولكنّها امرأة في خلقها شدّة ، ولها غيرة ، وقد بلغني أن لك زوجتين ، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ؛ فانظر في أمرك ، وشاور فيه : فإمّا أَن أَقمت بالبصرة معها ، فعَفَت لك عن صاحبتيك ، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرة ، وإن شئت فارقتهما وأُخْرِجها معك . فصار إلى رحْله مغموماً . وشاور ابن عمٍّ له يقال له وَرّاد بن عمرو في ذلك ، فقال له : إن في يحيى بن يعمر لرغبة ، لثروته وكثرة ماله ، وما ذكرته من جمال ابنته ، وما نحب أن تفارق زوجتيك ، وكانتْ إحداهما ابنة عمّه ، والأُخرى من أشجع ، فتقيم معها السنة بالبصرة ، ونمضي نحن ، فإن رغبت فيها تمسّكت بها ، وأقمت بمكانك ، وإن رغبت في العود إلى بلدك ، كتبت إلينا فجئناك ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك . ففكّر ليله أجمع في ذلك ، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز ، وقال[1] : [من البسيط]

لئن أَقمتُ بحيث الفيضُ في رجب ... حتى أُهِـلَّ بـه من قابلٍ رَجَبا[2]
وراح في السَّفْر ورّاد فهيجنـي ... إنّ الغريـب إذا هيجتـــه طربا
إنّ الغريبَ يَهيج الحـزنُ صَبْوته ... إذا المصاحب حيــاه وقـد ركبا
قـد قلـــت أَمس لورّاد وصاحبه ... عُوجا على الخارجيّ اليوم واحتسبا
وأَبلغـــا أُمّ سعـد أنّ عانيهـــا ... أَعيـا على شفعاء الناس فاجتنبا[3]
لما رأيت نجِيَّ القــوم قلت لهم ... هل يَعدُوَنَّ نجيُّ القوم مـا كُتبا

1 مجموع شعره : 173–175 عن الأغاني .
2 الفيض : نهر بالبصرة . وأهل به : ظهر له الهلال .
3 العاني : الأسير .

وقلت إنّي متى أَجلب شفاعتكم أَندم وإنّ أشقَّ الغيّ مـا اجتُلِبا
وإنّ مثـلي متـى يسمع مقالتكم ويعرف العين يندم قبل أَن يَجبا
إنّي ومـا كبّر الحُجّـاج تحملهم بُزْل المطايـا بجنبي نخلةٍ عُصَبا[1]
وما أهلّ بـه الدّاعي وما وقفت عُلْيا ربيعة ترمي بالحصى الحِصبا[2]
جهداً لَمَنْ ظنّ أنّي سوف أُظعنها عن ربع غانية أُخرى لقـد كذبا
أأبتغي الحسن في أُخرى وأُتركَها فذاك حين تركت الدينَ والحسبا
وما انقضى الهمّ من سُعدى وما عَلِقت منّي الحبائـل حتى رمتُهـا حِقَبا
ومـا خلوت بها يومـاً فتعجِبَني إلاّ غـدا أَكثرَ اليومين لي عجَبا
بل أيّها السائلي مـا ليس يدركه مهـلاً فإنّك قـد كلفتَنـي تعبا
كم من شفيع أتاني وهو يحسُب لي حَسْباً فأُقصِرُه من دون ما حَسَبا
فإن يكـن لهواهـا أو قرابتها حبّ قديم فمـا غابـا ولا ذهبا
همـا عـليّ : فإن أرضيتها رضيا عنّي وإن غضبتْ في باطل غضِبا
كائنْ ذهبـتُ فـرَدّاني بكيدهما عمّا طلبت وجاءاهـا بمـا طلبا
وقد ذهبت فلـم أُصبـح بمنزلة إلاّ أُنـازع مـن أُسبابهـا سببا
وَيْلُمِّها خُلَّةً لـو كنتِ مُسجِحة أَو كنتَ تُرجع من عَصْرَيْك ما ذهبا
أنت الظعينـة لا تُرْمَـى برمتهـا ولا يفجِّعها ابن العمّ ما اصطحبا

[يفرّق بين عربية ومولى]

أُخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : قدِم أعراب من بني سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء ، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء ، فزوّجه . فركب محمد بن بشير الخارجيّ إلى المدينة ، وواليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، فاستعداه الخارجيّ على المولى . فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين ، وفرّق بين المولى وزوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه . فقال محمد بن بشير في ذلك[3] : [من الوافر]

1 نخلة : موضع قريب من مكة . والعصب : الجماعات .
2 الحصب : محصب منى .
3 مجموع شعره : 179 عن الأغاني .

شهدتُ غداةَ خصم بني سُليم وجوهاً من قضائك غيرَ سودِ
قضيتَ بسنّة وحكمت عدلاً ولم تَـرِث الحكومة من بعيدِ
إذا غُمِز القنا وُجِدتْ لعمري قناتك حـين تغمَز خيرَ عُودِ
إذا عضّ الثّقاف بها اشمأزّت أبـيٌّ القسر بائنـةَ الصعودِ
حمـى حَدَباً لحومَ بنـاتِ قوم وهم تحـت التراب أبو الوليدِ
وفي المِئتَيْنِ للمـولى نكـالٌ وفي سلب الحواجب والخدودِ
إذا كافأتَهـم ببناتِ كِسرى فهـل يجـد الموالي من مَزيدِ
فأيُّ الحـقّ أنصفُ للمـوالي مِـن اصْهار العبيد إلى العبيدِ

[لا تفلت العبد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عياش ، قال كان للخارجيّ عبد ، وكان يتلطّف له ويخدمه ، حتى أعتقه وأعطاه مالاً ، فعمل به ، وربح فيه . ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته ، فبعث إلى مولاه في ذلك ، وقد كان المولى أثرى واتّسعت حاله ، فحلف له أنّه لا يملك شيئاً ، فقال الخارجيّ في ذلك[1] : [من الطويل]

يسعى لـك المـولى ذليلاً مُدقِعاً ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ
فأمسِك عليك العبد أوّل وَهْلـةٍ ولا تنفلِت مـن راحتيك حبائلُهْ

وقال أيضاً : [من الطويل]

إذا افتقر المـولى سعى لك جاهداً لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا

[تأخرت عنه زوجتاه فتزوّج]

حدَّثني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قـال : كان محمد بن بشير الخارجيّ بين زوجتين له ، وكان يسكن الروحاء ، فأجدب عليه منزله ، فوجّه غنماً إلى سحابة وقعت برُجْفان ، وهو جبل يطلّ على مضيق يَلْيل ، فقال لزوجتيه : لو تحوّلتما إلى غنمنا . فقالتا له : بل تذهب ، فتطلع إليها ، وتصرفها إلى موضع قريب ، حتى نوافيـك فيـه . فمضى وزوّدتاه وَطْبين ، وقالتا له : اجمع لنا اللبن ، ووعدتاه موضعاً من رُجفـان ، يقال له ذو القِشع . فانطلق ، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع ، ثم انتظرهما ، فأبطأتا عليه . وخالفته سحابة إليهما ، فأقامتا ، وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا . فجعل يَصعد في الجبل

1 مجموع شعره : 194 عن الأغاني .

وينزل ، يتبصّرهما فلا يراهما . فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا ، فقال : أنزل فأتحدّث إليهما ، فإذا هو بامرأة مسنّة ، ومعها بنت لها شابّة ، فأعجبته ، فقال لها : أتزوّجينني ابنتك هذه ؟ قالت : إن كنت كفؤاً . فانتسب لها ، فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه ، ولكن يأتي أبوها . فجاء أبوها فعرفه ، فأخبرته امرأته بما طلب . فقال : نعم ، وزوّجه إيّاها . فساق إليها قطعة من غنمه ، ثم بنى بها ، وانتظر ، فلم يَرَ زوجتيه تَقْدَمان عليه ، فارتحل إليهما بزوجته وبقيّة غنمه . فلمّا طلع عليهما وقف ، فأخذ بيدها ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

كأنّــيَ مُــوفٍ للهـلالِ عشيّةً ... بأسفلِ ذات القِشع منتظِرَ القَطْرِ
وأنتــن تلبسن الجديــدة بعدمـا ... طُردت بطَيٍّ الوَطْبِ في البُلْقِ والعُفْرِ
فكان الذي قلتن أُعْــدِدْ بضاعة ... لناهـدِ بيضاء الترائــب والنحرِ
كـأنّ سُموط الدرّ منهـا معلّـق ... بجَيْداءَ في ضالٍ بوَجْرة أو سدرِ
تكون بلاغــاً ثــم لست بمخبرٍ ... إذا وُدِيت لي ما وددتن من أمري

[فراق المرأة المزنية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مصعب ، قال : حدَّثني أحمد بن زهير ؛ وحدَّثني الزبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قالا : كان محمد بن بشير يتحدّث إلى امرأة من مُزَينة ، وكان قومها قد جاوروهـم ، ثـم جاء الربيع ، وأخصبت بلاد مزينة ، فارتحلوا ، فقال محمد بن بشير[2] : [من الكامل]

لــو بَيَّنتْ لك قبــل يــوم فراقِها ... أنّ التفـرّق مــن عشيّةَ أو غــدِ
لشكوتَ إذ علِــق الفؤاد بهائم ... علــقٍ حبائــلَ هائــم لم يُعهدِ
وتبرّجَت لك فاستبَتْكَ بواضح ... صَلْت وأسود في النصيف معقّدِ
بيضاء خالصة البيــاض كأنّهــا ... قمــر توسط ليــل صيف مُبْردِ
موسومة بــالحسن ذات حواسد ... إن الجمــال مَظِنّــــةٌ للحسَّدِ
لم يُطْغِها سَرَف الشباب ولم تضع ... عنهــا معاهـدة النصيح المرشدِ
خَــودٌ إذا كثر الكـلام تعوّذت ... بحِمــى الحيــاء وإن تكلّمْ تُقصدِ
وكأنّ طعــم سُلافـــة مشمولةٍ ... تنصبّ في إثـــر السواك الأغيدِ

---

1 مجموع شعره : 186–187 عن الأغاني .

2 مجموع شعره : 178–179 عن الأغاني .

وتـــرى مدامعهـــا تُرَقْرِق مقلةً ... حوراءَ ترغبُ عن سواد الإثمدِ
مـاذا إذا بـــرزت غـداة رحيلها ... مِ الحُسن تحت رِقاق تلك الأبرُدِ
وُلِــدت بــأسعدِ أنجمٍ فمحلها ... ومسيرها أبـــداً بطلـــق الأسعُدِ
الله يُسعدهـــا ويُسْقـــي دارهـــا ... خَضِلَ الرَّباب سَرى ولما يُرْعِدِ[1]

[قضاعية ترفضه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكّة ، وكانت فيهم امرأة جميلة ، فكان يسايرها ويحادثها . ثم خطبها إلى نفسها ، فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، لأنّك لست لي بعشير ، ولا جاري في بلدي ، ولا أنا ممّن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه . فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحجّ ، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما ، فقال الخارجيّ في ذلك[2] : [من البسيط]

أستغفر الله ربِّـي مـن مخدَّرة ... يوماً بدا لِيَ منها الكشحُ والكتِدُ[3]
من رُفقة صاحبونـا في ندائهـمُ ... كلٌّ حـرام فما ذمُّوا ولا حُمِدوا
حتى إذا البُدْن كاسَتْ في مناحرها ... يعلو المناسمَ منهـا مُزبِـد جَسِدُ[4]
وحلَّـق القـوم واعتمّوا عمائمهم ... واحتـلّ كلّ حـرامٍ رأسُه لَبِدُ
أقبلـتُ أسألهـا مـا بالُ رُفقتها ... وما أُبالي أغـاب القوم أم شهِدوا
فقربـت لِيَ واحلـولت مقالتها ... وعوّقتني وقالت بعضَ مـا تجدُ
أنّـى ينـال حِجـازيّ بحاجتـه ... إحدى بني القين أدنى دارِها بَرِدُ[5]

[طلّق امرأتك أتزوّجك]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : خطب محمد بن بشير امرأة من قومه ، فقالت له : طلّق امرأتك حتى أتزوَّجك . فأبى وانصرف عنها ، وقال في ذلك[6] : [من البسيط]

---

1 يسعدها في مجموع شعره : يصحبها .
2 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .
3 الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والحيوان .
4 كاس البعير يكوس : مشى على ثلاث . وجَسِد الدم : لصق .
5 برد : جبل قريب من تيماء .
6 هذه الأبيات وردت ضمن البائية السابقة مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

أأطلب الحسن في أُخرى وأتركَها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هـي الظعينـة لا يُرْمى برُمّتها ولا يفجّعها ابن العمّ ما اصطحبا
فما خلوت بهـا يومـاً فتعجبني إلاّ غـدا أُكثر اليومـين لي عجبا

[يحتال لمحادثة النساء والأنصار]

حدَّثني عيسى قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : بلغني عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أنّ محمد بن حاطب الجُمَحيّ ، يروي شيئاً من أخبار الخارجيّ وأشعاره ، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى ، كان من الكتّاب ، وسألته أن يكتب لي ما عنده ، فكان فيما كتب لنا ، قال : زعم الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير ، وكنيته أبو سليمان ، وهو رجل من عَدوان ، وكان يسكن الرَّوْحاء ، قال : بينا نحن بالرّوحاء في عام جدب قليل الأمطار ، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته ، وإذا بقطار ضخم كثير الثَّقَل يهوي ، قادم من المدينة ، حتى نزلوا بجانب الرَّوحاء الغربيّ ، بيننا وبينهم الوادي ، وإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيد بن عبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت . فلبثنا أيّاماً ، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي : أرسَلَ إليَّ النساء يقلن : أما لكم في الحديث حاجة ؟ فقلت لهنّ : فكيف برجالكنّ ؟ قلن : بلغنا أنّ لكم صاحباً يعرَف بالخارجيّ ، صاحب صيد ، فإن أتاهم فحدّثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلوتم فتحدّثتم . قال : فقلت لسليمان : بئس لعمر الله ما أردت منّي ، أأذهب إلى القوم فأُغرُّهم ، وآثَم وأتعبَ وتنالون أنتم حاجتكم دوني ؟ ما هذا لي برأي . قال لي سليمان : فأنظِرني إذنْ ، أُرْسِل إلى النساء وأخبرهنّ بقولك . فأرسل إليهن فأخبرهنّ بما قلت . فقلن : قل له احتلْ لنا عليهم هذه المرّة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرّة الأُخرى .

قال الخارجيّ : فخرجت حتى أُتيت القوم فحدّثتهم ، وذكرت لهم الصيد ، فطارت إليه أنفسهم . فخرجت بهم ، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً ، وتزوّدنا لثلاث . وانطلقت أُحدِّثهم وألهِيهم ، فحدَّثتهم بالصدق حتى نفد . ثم حدَّثتهم ممّا يشبه الصدق حتى نَفِد . ثم صرّحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، وجعلت لا أُحدِّثهم حديثاً إلاّ قالوا : صدقت . وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عاينّا صيدا ، فقلت في ذلك[1] : [من البسيط]

إنّي لأَعجَبُ منّي كيف أُفكِههم أم كيف أخدع قوماً ما بهم حُمُقُ !
أظـلّ في البِيد أُلهيهـم وأُخبرهم أخبار قـوم وما كانوا وما خُلقوا

---

1 مجموع شعره : 190–191 عن الأغاني .

ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا حين انطلقنا وآتي ساعـة انطلقوا
أم كيف تُحْرَم أيدٍ لم تخن أحداً شيئاً وتظفر أيديهم وقـد سرقوا
ونرتمي اليـوم حتى لا يكون له شمس ويرمون حتى يَبرُق الأُفقُ
يرمون أحـور مخضوباً بغير دمٍ دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العَلَقُ
تسعى بكلبـين تبغيـه وصيدهم صيـد يرجَّـى قليـلاً ثـم يُعْتنقُ
مـا زلت أحدوهم حتّى جعلتهم في أُصل مَحْنيَة مـا إن لها طُرُقُ
ولـو تركتهـم فيهـا لمزّقهـم شيخا مزينة إن قالا انعِقوا نعقوا
إن كنتم أبـداً جاريْ صديقِكم والدّهـر مختلف ألوانــه طرقُ
فمتّعوني فإنّــي لا أرى أحــداً إلاّ لــه أجـل في الموتِ مستَبَقُ

[رثاء سليمان بن الحصين]

قال سليمان بن عيّاش : ومات سليمان بن الحصين هذا ، وكان خليلاً للخارجيّ ، مصافياً له ، وصديقاً مخلصاً ، فجزع عليه ، وحزن حزناً شديداً ، فقال يرثيه[1] : [من البسيط]

يـا أيّهـا المتمنّي أن يكـون فتًـى مثل ابن ليلى لقـد خلّى لك السُّبلا
إن ترحل العيسَ كي تسعى مساعيَه يُشفَقْ عليك وتعملْ دون مـا عملا
لـو سرت في النّاسِ أقصاهم وأقربهم في شُقّة الأرض حتـى تُحسِر الإبلا
تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا مثـل الذي غيبـوا في بطنهـا رجلا
اعْدُد ثـلاث خصال قـد عُرفن له هـل سَبّ من أحد أو سُبَّ أو بخلا

قال سليمان بن عيّاش : لما مات عبد العزيز بن مروان ، ونُعِي إلى أخيه عبد الملك ، تمثّل بأبيات الخارجيّ هذه ، وجعل يردّدها ويبكي .

[شعره في امرأة كريمة]

أخبرني عيسى ، قال : حدّثنا الزُّبير ، قال : حدّثني عمّي عن أبيه ؛ قال : قال الرشيد يوماً لجلسائه : أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفِرة كريمة ، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لي : إيه يا ابن مصعب ، أما أنّك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجيّ حيث يقول[2] : [من الكامل]

1 مجموع شعره : 194–195 عن الأغاني .
2 تقدمت هذه الأبيات في المرأة المزنية مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

بيضاء خالصـة البيـاض كأنّها قمـر توسّط جنـح ليـل مُبردِ
موسومـة بـالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنّـة للحسدِ
وتـرى مدامعهـا تُرقـرق مقلةً حـوراء ترغب عن سواد الإثمدِ
خَـوْد إذا كثر الكلام تعـوّذت بحمـى الحيـاء وإن تكلّم تُقْصِدِ
لم يُطغها سرف الشباب ولم تَضِعْ منهـا مُعاهَـدة النصيح المرشدِ
وتبرّجت لـك فاستَبَتْك بواضح صَلْـت, وأسود في النصيف معقّدِ
وكأنّ طعـم سلافـة مشمولة بالريـق في أثـر السواك الأغيَدِ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر ، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ! ثم أمر مؤدّب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فروّاهما الأبيات .

[مزينة تصده]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسّان المُزَنية ، ويَقِيل عندها أحياناً ، وربّما بات عندها ضيفاً ، لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه ، وقالوا : ما مبيت رجل بامرأة أيِّم ؟ فجاءها ذات يوم ، فلم تدخله خباءها ، وقالت له : قد نهاني قومي عنك ، وكان قد أمسى ، فمنعته المبيت ، وقالت : لا تبت عندنا ، فيُظَنّ بي وبك شرّ ، فانصرف وقال فيها[1] : [من الطويل]

ظللـتُ لـدى أطنابها وكأنّني أسيرٌ مُعَنًّـى في مُخلخَلـهِ كَبْلُ
أُخيَّـر إمّـا جَلسةٌ عنـد دارهـا وإمّا مَـراح لا قريـبٌ ولا سهلُ
فإنّكِ لو أُكومتِ ضيفكِ لم يعب عليك الذي تأتين حَمْوٌ ولا بعلُ
وقـد كان يَنميها إلى ذروة العلا أبٌ لا تخطّـاه المطيّـة والرجْلُ
فهـل أنـتِ إلاّ جِنَّـة عبقريّةٌ يخالط من خالطتِ من حبّكم خَبْلُ
وهـل أنت إلاّ نبعـة كان أصلها نُضاراً فلم يفضحك فرع ولا أصلُ
صددتِ امرءاً عن ظلِّ بيتك ماله بواديك لولاكم صديـق ولا أهلُ

[لقبته الأنصارية أبا الجون]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان ، حتى أتيا

1 مجموع شعره : 193 عن الأغاني .

امرأة من الأنصار ، من بني ساعدة ، فبرزت لهما ، وتحدّثا عندها ، وقالا لها : هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت : مَن هو ؟ قالا : محمد بن بشير الخارجيّ . قالت : لا حاجة بي إلى لقائه ، ولا تجيئاني به معكما ، فإنّكما إن أتيتما به لم آذن لكما . فجاءا به معهما ، وأخبراه بما قالت لهما ، وأجلساه في بعض الطريق ، وتقدّما إليها ، فخرجت إليهما ، وجاءهما الخارجيّ بعد خروجها إليهما ، فرحّبا به ، وسلّما عليه . فقالت لهما : مَن هذا ؟ قالا : هذا الخارجيّ الذي كنّا نخبرك عنه . فقالت : والله ما أرى فيه من خير ، وما أشبهه إلاّ بعبدنا أبي الجَون . فاستحيا الخارجيّ ، وجلس هُنيهة ، ثم قام من عندها ، وعَلِقها قلبه ، فقال فيها[1] : [من الوافر]

أَلا قـد رابني وَيَريب غيري ... عشيّةَ حكمهـا حيفٌ مريبُ
وأضحت للمودّة عنـد ليـلى ... منـازلُ ليس لي فيهـا نصيبُ
ذهبتُ وقد بدا لِيَ ذاك منها ... لأهجوهـا فيغلبنـي النسيبُ
وأنسى غيظَ نفسي إن قلبي ... لمَـن واددت فَيئتُـهُ قريبُ
فـلا قلـب مُصِرٌّ كل ذنب ... ولا راضٍ بغير رضا ، غضوبُ
فدعها لست صاحبها وراجع ... حديثـك إن شأنكما عجيبُ

قال : وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية ، فعيّرته بذلك ، وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجَون ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

وأيـدِي الهدايـا مـا رأيتُ مُعاتباً ... مـن الناس إلاّ الساعديّـةُ أَجملُ
وقد أخطأتْني يـوم بطحـاء منعمٍ ... لهـا كِفَف يُصطاد فيهـا وأحبُلُ
وقـد قال أَهلي خيرُ كسب كسبته ... أَبو الجَون فاكسب مثلها حين ترحلُ
فإن بـات إيضاعـي بأَمـر مسرّة ... لكنَّ فما تسخطن في العيش أُطولُ

[جواز الحديث إلى النساء في الحلّ والحرم]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أَحمد ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثيِّر بمكّة ، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن ، فجلسا إليهن ، وتحدّثا معهن حتى تفرّقن ، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجيّ ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا ؛ فقال لهم رجل مرّ بهم : أَما تزدجرون عن هذا

1 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .
2 مجموع شعره : 193–194 عن الأغاني .

الشعر وأنتم حُرُم ، ولا تَدَعون إنشاده وقول الزور في المسجد ! فقالت المرأة : كذبت لعمرُ الله ، ما قول الشعر بزور ، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل . فانصرف الرجل ، وقال فيها الخارجيّ[1] : [من الوافر]

أما لـك أن تزور وأنت خِلْو ... صحيحُ القلبِ أُختَ بني غفارِ
فما برحتْ تُعيرك مقلتيها ... فتعطيك المنيّةَ في استتارِ
وتسهو في حديث القوم حتى ... يُبيِّنَ بعضُ ذلك ما تواري
فمت يا قلب ما بك من دفاع ... فينجيَك الدّفاع ولا فرارِ
فلم أرَ طالباً بدم كمثلي ... أودَّ وَحُسْنَ مطلوب بثارِ
إذا ذكروا بثأري قلت سقيا ... لثأري ذي الخواتم والسوارِ
وما عرفت دمي فتبوءَ منه ... برهن في حبالي أو ضِمارِ[2]
وقد زعم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصَّب ذي الجمارِ
من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتّماري[3]
كذبتم ما السلام بقول زُور ... وما اليوم الحرام بيوم ثارِ
ولا تسليمنا حُرُماً بإثم ... ولا الحبّ الكريم لنا بعارِ
فإن لم نلقكم فسقى الغوادي ... بلادكِ والرويّاتُ السواري

قال سليمان : وفي هذه المرأة يقول الخارجيّ وقد رحلوا عن مكّة ، فودعها وتفرّقوا[4] : [من البسيط]

يا أحسن النّاس لولا أن نائلها ... قِدْماً لمن يبتغي ميسورها عَسِرُ
وإنّما دَلُّها سحرٌ تصيد به ... وإنّما قلبها للمشتكي حجرُ
هل تذكرين كما لم أنس عهدكمُ ... وقد يدوم لعهد الخُلَّة الذّكَرُ
قَوْلي وركبك قد مالت عمائمهم ... وقد سقاهم بكأس الشقوةِ السفَرُ
يا ليت أنّي بأثوابي وراحلتي ... عبد لأهلك هذا العام مؤتجرُ

---

1 مجموع شعره : 186 عن الأغاني .

2 تبوء منه : تخلص منه . والضمار من الدين : ما لا يرجى .

3 الاغباء : الاخفاء .

4 مجموع شعره : 182–184 ويروى بعضها لأبي دهبل .

فقد أُطلتِ اعتلالاً دون حاجتنا بالحجّ أمسِ فهذا الحِلّ والنفرُ
ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم إلفان ليس لنا في الودّ مُزدجَرُ
فكان حظّك منها نظرةً طرفتْ إنسانَ عينك حتّى ما بها نظرُ
أكنتِ أبخل مَن كانت مواعده دَيناً إلى أجلٍ يرجى وينتظرُ
وقد نظرتُ وما أُلفيت من أحدٍ يعتاده الشوق إلاّ بدؤه النظرُ
أبقت شجًى لكَ لا يُنسى وقادحةً في أسود القلب لم يشعر بها أُخرُ
جنيةٌ أوْلها جنٌّ يعلمها رمي القلوب بقوس ما لها وترُ
تجلو بقادمتي ورقاء عن بَرَد حمر المفاغر في أطرافها أشرُ[1]
خَوْدٌ مبتلّةٌ ريّا معاصمها قدرَ الثياب فلا طول ولا قصرُ
إذا مجاسدها اغتالت فواضلها منها روادفُ فَعْمات ومؤتزرُ[2]
إن هبّتِ الرّيح حنّت في وشائحها كما يجاذب عودَ القينة الوترُ
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت في الحجّ ليلةَ إحدى عشرة القمرُ
ألا رسول إذا بانت يبلغها عنّا وإن لم تؤلّف بيننا المِررُ[3]
أنّي ، بآية وجدٍ قد ظفرتِ به منّي ولم يك في وجدي بكم ظفرُ
قتيلُ يومَ تلاقَينا وأن دمي عنها وعمّن أُجارت من دمي هَدَرُ
تقضين فيَّ ولا أُقضي عليك كما يقضي المليك على المملوك يقتسرُ
إن كان ذا قَدَراً يعطيك نافلة منّا ويحرمنا ، ما أنصف القدرُ

[ندم على طلاق زوجته العدوانية]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان الخارجيّ قدِم البصرة ، فتزوّج بها امرأة من عَدْوان ، كانت موسرة ، فأقام عندها بالبصرة مدّة ، ثم توخّم البصرة ، فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع ، وأمضي معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق ، فإمّا أن أقمتَ هاهنا أو طلّقتني . فطلّقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وتذكّرها ، فقال[4] : [من الكامل]

1 مفاغر : جمع مفغر ، وهو مشق الفم . والأشر : حدّة أطراف الأسنان .
2 المجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب . وفعمات : ممتلئات . والمؤتزر : الإزار .
3 المرر : جمع مرة ، وهو الحبل . أي لا روابط قوية بيننا .
4 مجموع شعره : 196–197 عن الأغاني .

دامــت لعينــكَ عَبرةٌ وسُجومُ وثــوت بقلبــكَ زَفرة وهُمومُ
طيف لزينبَ مـا يــزال مؤرِّقي بعــد الهــدوِّ فمـا يكـاد يَرِيمُ
وإذا تعــرَّض في المنــام خيالها نكــأ الفــؤادَ خيالُهـا المحلومُ
أجعلــتِ ذنبــكِ ذنبه وظلمتِه عنــد التحــاكُم والمُـدِلّ ظلومُ
ولئــن تجنّيــتِ الذنــوبَ فإنّه ذو الدّاء يَعْــذِر والصحيح يلومُ
ولقد أُراكِ غــداةَ بِنْتِ وعهدُكم في الوصل لا حَــرج ولا مذمومُ
أضحت تُحَكّمكِ التجاربُ والنُّهى عنــه ، ويُكْلِفــه بـك التّحكيمُ

صوت

بَــرأَ الأُلى عِلِقــوا الحبائــل قبلَه فنجَــوا وأُصبح في الوَثاق يهيمُ
ولقد أردت الصبر عنكِ فعاقني عَلَق بقلبــي مِــنْ هــواكِ قديمُ
ضعفت معاهــد حبّهنّ مع الصبا ومع الشباب فبِنَّ وهــو مقيمُ
يبقى على حــدث الزّمان وريبه وعــلى جفائــك إنّــه لكريمُ
وجنيتِ حين صَحَحْتِ وهو بدائِهِ شتّــان ذاك مصحَّــحٌ وسقيمُ
وأَدَيْتِــه زمنــاً فعــاذ بحلمــه إنّ المحــبّ عــن الحبيب حليمُ[1]
وزعمــتِ أنّك تبخلين وشفَّه شوق إليك ، وإن بخلت ، أَليمُ

غنّى في هذه الأبيات الدارميّ ، خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ ؛ وفيه لعَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق ، وهو الذي يغنّي الآن ، ويتعارفه الناس .

[رثاء أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحسن ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : كان الخارجيّ منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، وكان يكفيه مؤونته ، ويُفضِل عليه ، ويعطيه في كلّ سنة ما يكفيه ويُغنيه ، ويغني قومه وعياله ، من البُرّ والتمر والكسوة في الشتاء والصيف ، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه ، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن ، وابنه الحسن بن زيد ، وكلّهم به برّ ، وإليه محسن . فمات أبو عبيدة ، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل ، وكان الخارجيّ ينزل الروحاء ، فقال يرثيه[2] : [من الطويل]

1 أديته : ختلته . وفي المجموع : أربته ولعلها خطأ مطبعي .
2 مجموع شعره : 180–181 عن الأغاني وفيه زيادة بيت .

ألا أيّها الناعــي ابن زينبَ غـدوةً نعيـت النــدى دارت عليه الدوائرُ
لعمري لقد أُمسى قِرى الضيف عاتماً بذي الفَــرش لمــا غيَّبتك المقابرُ[1]
إذا سُوِّفــوا نــادَوا صداك ودونــه صفيحٌ وخَــوّار مــن الترب مائرُ
ينــادون مَــن أُمسى تَقَطَّعُ دونــه من البعــد أَنفــاسُ الصدور الزوافرُ
فقومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَي أَبــاً مثلــه تسمو إليــه المفاخرُ

قال الزُّبير : فحدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كانت هند بنت أَبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن ، فلمّا مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً ، ووجِدت وجداً عظيماً ، فكلّم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل إليها ، فيعزّيها ويسلّيها عن أبيها ، فدخل إليها معه . فلمّا نظر إليها صاح بأعلى صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَيْ أَبــا مثلــه تسمو إليــه المفاخرُ
وكنتِ إذا فاخرتِ أَسميتِ والداً يزيــن كما زان اليديــنِ الأساورُ
فإن تُعْولِيــه يشفِ يومــاً عويلُه غليلَكِ أو يعذرك بــالنوح عاذرُ
وتحزنك ليلات طوال وقد مضت بذي الفرش ليلات تَسُرُّ قصائرُ
فلقَّــاه ربٌّ يغفــر الذنبَ رحمــة إذا بُلِيت يــوم الحساب السرائرُ
إذا ما ابن زاد الركب لم يمسِ ليلة قفا صَفِرٍ لم يقــرب الفَرشَ زائرُ[2]
لقــد علِــمَ الأقــوام أَن بناتِه صــوادقُ إذ يندبنــه وقواصرُ

قال : فقامت هند ، فصكت وجهها وعينيها ، وصاحت بويلها وحَرَبها ، والخارجيّ يبكي معها ، حتى لقيا جهداً . فقال له عبد الله بن الحسن : أَلهذا دعوتك ويحَك ؟ فقال له : أفظننت أنّي أعزيها عن أَبي عبيدة ؟ والله ما يسليني عنه أحد ؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر ، فكيف يسليها عنه مَن ليس يسلو بعده !

[ذم ومدح]

أُخبرني عيسى ، قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص ، فمطله ، فقال فيه يذمّه ، ويمدح زيد بن الحسن بن عليّ بن

1 عاتماً : متأخراً .
2 زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب جدّ أَبي عبيدة . وأزواد الركب ثلاثة من قريش : مسافر بن أَبي عمرو وأبو أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود ، لقّبوا بذلك لأنّ مَن كان يصحبهم في سفر لم يكن في حاجة إلى أن يتزوّد . وصفر : جمل كريم . والفرش : موضع بين المدينة وملل .

أبي طالب عليه السلام[1] : [من الطويل]

لعلّك والموعود حقّ وفاؤه بدا لك في تلك القَلوص بَداءُ
فإنّ الذي أُلقى إذا قال قائل من الناس : هل أحسستها لعناءُ
يقول الذي يبدي الشّماتَ وقوله عليّ وإشماتُ العدوّ سواءُ
دعوتُ ، وقد أخلفتني الوعد ، دعوة بزيد فلم يَضْلِل هناك دعاءُ
بأبيضَ مثلِ البدر عظّم حقّه رجال مِنَ آل المصطفى ونساءُ

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن ، فبعث إليه بقَلوص من خيار إبله ، فقال يمدحه[2] : [من الطويل]

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعة نفى جدبَها واخضرَّ بالنبت عودُها
وزيدٌ ربيعُ الناس في كل شَتْوة إذا أُخلفت أنواؤها ورعودُها
حمول لأشناقِ الدياتِ كأنّه سراج الدّجى إذ قارنته سعودُها

[يبكي سليمان بن الحصين]

أخبرني عيسى ، قال : حدّثني الزّبير ، قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : نظر الخارجيّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج ، فهتف بهم ، فقال[3] : [من السريع]

ألَم تروا أنّ فتًى سيّداً راح على نعش بني مالكِ
لا أنفَسُ العيش لَمن بعده وأنفَس الهُلك على الهالكِ

وقال فيه أيضاً[4] : [من الطويل]

ألا أيّها الباكي أخاه وإنّما يبكّي بيومِ الفدفدِ الأخوانِ
أخي يوم أحجار الثُّمام بكيته ولو حُمَّ يومي قبله لبكاني
تداعت به أيّامه فاختَرمْنَهُ وأبقين لي شجواً بكلّ زمانِ
فليت الذي يَنعى سليمان غُدوة بكى عند قبري مثلها ونعاني
فلو قُسِمَتْ في الجنّ والإنس لوعتي عليه بكى من حرّها الثقَلانِ

1 مجموع شعره : 171 .
2 مجموع شعره : 178 .
3 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .
4 مجموع شعره : 198 .

ولــو كانـــت الأيّام تطلب فِدية وقاه صروف الدهر بي وفداني[1]

[أرجوزة له في المولى الصائد]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سلمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد بن بشير يرمي الأروى ومعه جماعة ، فيهم رجل من الموالي من أهل السَّيالة ، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها ، فزلت قدمه عنها ، فصاح حتى سقط على الأرض ، وأحدث في ثيابه ، فقال الخارجيّ في ذلك[2] : [من الرجز]

حُــرِّق يــا صَفاةُ في ذُراك بِالنـــارِ إن لم تمنعــي أرواكِ
تَعَلَّمــــي أن بـــذي الأَراكِ ـ أيّتها الأَروى ـ ذوي عِراكِ[3]
قَومــاً أَعَـدُّوا شَبَكَ الشِّباكِ يـبغون ضَبْعـاً قتلـت أَباكِ
نِعْـــمَ مُلَـــوِّي الجِيَدِ المَداكِ إذ صَوَّتَ الجالب في أُخراكِ[4]
ولم يقـــل منتصِحـاً : إيّــاك بـــين مقاطِيهــا ركبْتِ فاكِ[5]
فَعُـدتِ والطّعـــن على كُلاكِ مثل الأضاحي بيـــد النسّاكِ
يُرْمى بالأكتافِ على الأوراكِ كما أُطحتِ العبـــد عن صفاكِ
أمـــا السَّيـــاليُّ فلـــن ينساكِ لو يرتميك الناس ما ارتماكِ

[عتاب الزوجة]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : كانت عند الخارجيّ بنت عمّ له ، فهجاه بعض قرابتها ، فأجابه الخارجيّ ، فغضبت زوجته ، وقالت : هجوت قرابتي . فقال الخارجيّ في ذلك[6] : [من الوافر]

أمَّا مـــا أقـــول لهـم فعابَتْ عليّ وقـد هُجيت فما تعيبُ
فرمت وقـــد بدا لي ذاك منها لأهجوها فيمنعنـــي النسيبُ
فـــلا قلـــب يصرَّ كلّ ذنب ولا راض بغير رضا ، غَضُوبُ

1 مجموع شعره : إليه وصرف الدهر ما ألواني .
2 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .
3 ذوو العراك : هو وصحبه .
4 المداك : الحجر يسحق عليه الطيب . والجيد : جمع حيدة ، وهي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل .
5 المقاطي : جمع مقطى ، وهو موضع القطاة ، وهي العجز .
6 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .

[لهو المسنات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثني مصعب قال : وحدَّثني الزُّبير عن سليمان بن عيّاش ، قالا : تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة ، وقد أسنّ وأسنّت زوجته العَدوانية . فضربت دونه حِجاباً ، وتوارت عنه ، ودعت نسوة من عشيرتها ، فجلسن عندها ، يلهون ويتغنَّين ويضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال[1] : [من الطويل]

لئِن عانسٌ قد شاب ما بين قَرْنها ... إلى كعبها وامْتُصَّ عنهــا شبابُـها
صَبَتْ في طِلاب اللهو يوماً وعَلَّقتْ ... حجاباً لقد كانت يَسيراً حجابُـها
لئــن مُتِّعت بالعيش حتى تشعَّبت ... من اللهو إذ لا ينكر اللهوَ بابُـها[2]
فبِيني برغــمٍ ثــم ظَلِّي فربّما ... ثَوى الرغم منها حيث يثوِي نقابُـها
لبيضــاءَ لم تُنسَبْ لجـدٍّ يَعيبها ... هِجـانٍ ولم تنبَحْ لئيماً كلابُـها
تــأوّدُ في المَشْى كأنّ قناعَهــا ... على ظبية أُدْمــاءَ طابَ شبابُـها
مُهفهفة الأعطافِ خَفّاقــة الحَشى ... جميــل محياهــا قليــلٍ عِتابُـها
إذا ما دعتْ بابني نِزار وقارَعَتْ ... ذَوِي المجد لم يُرْدد عليها انتسابُـها

[صديق يتنكّر بعد الولاية]

حدَّثنا الحسن بن علي قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمّي عن الضحاك بن عثمان ، قال : لمّا ولِي إبراهيم بن هِشام الحَرَمين ، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ ، وكان له قبل ذلك صديقاً . فأعرض عنه ، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً . ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد ، فأعرض عنه ، وأخرجه الحاجب من داره ، وكان إبراهيم بن هشام تياهاً ، شديد الذهاب بنفسه ، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد ، فلمّا حاذاه صاح به[3] : [من البسيط]

يا ابن الهِشامَيْنِ طُرًّا حُزت مجدَهما ... ومــا تَخَوَّنــه نقــضٌ وإمرارُ
لا تُشمِتــنّ بِــيَ الأعداءَ إنّهمُ ... بيني وبينــك سُمّــاع ونُظّارُ
وإنّ شكــريَ إنْ رُدُّوا بغيظهمُ ... في ذمّــة الله إعــلانٌ وإسرارُ
فاكْــرر بنائلك المحمود مِنْ سعة ... عليَّ إنّــك بالمعــروفِ كَرّارُ

1 مجموع شعره : 173 عن الأغاني .
2 تشعبت : تغيّرت أخلاقها . وربما كان في الكلمة تحريف (تشبعت ، تشغبت) .
3 مجموع شعره : 185 عن الأغاني .

فقال لحاجبه : قل له يرجعْ إليّ إذا عُدْت . فرجع ، فأدخله إليه ، وقضى دينه ، وكساه ووصله ، وعاد إلى ما عهده منه .

[ردّه على عروة بن أذينة]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مصعب عن أبيه قال : عَثَر بعُروة بن أُذَينة حمارُه عند ثنية العُوَيقِل ، فقال عروة[1] : [من البسيط]

ليتَ العُوَيْقلَ مسدودٌ وأصبحَ من ... فوق الثنيةِ فيه رَدمُ يأجوجِ
فتستريحَ ذوو الحاجات من غِلَظ ... ويَسْلُكَ السهلَ يمشي كلُّ مَنْتوجِ[2]

فقال محمد بن بشير الخارجيّ يردّ عليه[3] : [من البسيط]

سبحانَ ربّك تبْ ممّا أتيتَ به ... ما يسدُدِ اللّهُ يُصبحْ وهو مَرْتوجُ
وهل يُسَدّ وللحُجّاج فيه إذا ... ما أُصعدوا فيه تكبير وتلْجِيجُ
ما زال منذُ أذلّ اللّهُ مَوطِئَه ... ومنذ آذَنَ أنَّ البيت مَحْجوجُ
يهدِي له الوفدَ وفدَ الله مَطْرَبة ... كأنّه شُطَب بالقِدّ منسوجُ[4]
خلّ الطريق إليها إن زائرها ... والساكنينَ بها الشمُّ الأباليجُ[5]
لا يسدُد الله نَقباً كان يسلكه الـ ... ـبيضُ البهاليلُ والعُوج العَناجِيجُ[6]
لو سدَّه الله يوماً ثم عَجّ له ... مَن يسلك النقبَ أمسى وهو مفروجُ

[عتابه لأخيه بشّار]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا مصعب ، قال : كان للخارجيّ أخ يقال له بشّار بن بشير ، وكان يجالس أعداءه ، ويعاشر مَن يعلم أنّه مُباين له . وفيه يقول[7] : [من الوافر]

وإنّي قد نَصَحْتُ فلم تُصدّق ... بنصحي واعتَددتُ فما تبالي

---

1 ديوان عروة بن أُذينة (صادر) : 36 .
2 منتوج : مولود .
3 مجموع شعره : 176 ، وانظر معجم ما استعجم .
4 المطربة : الطريق الضيق في الجبل .
5 الأباليج : جمع أبلج ، وهو الأبيض الوجه .
6 البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهي الناقة النجيبة أو الطويلة العنق .
7 مجموع شعره : 195–196 عن الأغاني .

وإنّي قـد بدا لِيَ أنَّ نُصحي لغيبكَ واعتدادي في ضلالِ[1]
فكـم هذا أذودُك عن قِطاعي كتذويـد المَحـلَّأة النَّهـالِ
فلا تبـغِ الذنوبَ عليَّ واقصِدْ لأمركَ من قِطـاع أو وصالِ
فسوف أرى خلالكَ مَنْ تُصافي إذا فارقتني وتـرى خِلالي
وإنّـك تستـريح إذْ تَوَلَّى بأن أُغضي وأسكتَ لا أبالي[2]

[هجر ورجوع]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن عياش ، قال : كان الخارجيّ معجباً بزوجته سُعدى ، وكانت من أسوأ الناس خُلقاً ، وأشدّه على عَشِير ، فكان يلقى منها عَنَتاً . فغاضبها يوماً لقول آذته به ، واعتزلها ، وانتقل إلى زوجته الأُخرى ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم اشتاق إلى سُعدى ، وتذكّرها ، وبدا له في الرجوع إلى بيتها ، فتحوّل إليها ، وقال[3] : [من الطويل]

أراني إذا غالبتُ بالصبرِ حُبَّهـا أبى الصبرُ ما أُلقى بسُعدَى فأُغلَبُ
وقـد عَلِمَتْ عنـد التعاتـب أنّنا إذا ظَلَمتْنـا أو ظَلَمنـا سنُعْتِبُ
وإنّي وإن لَم أجـنِ ذنباً سأبتغي رضاها وأعفو ذنبَها حـين تذنبُ
وإنّي وإن أُنبِّـتُ فيهـا يزيدني بهـا عَجَباً مَن كان فيها يؤنبُ

[عتاب آخر لأخيه]

أخبرني عيسى قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش قال : كان بشّار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه ويهجوه ، ويجالس أعداءه . فقال الخارجيّ فيه[4] : [من الطويل]

كفاني الذي ضيَّعتَ منّـي وإنّما يُضيعُ الحقوقَ ظالماً مَن أضاعَها
صنيعةَ مَـن وَلاَّك سوءَ صنيعها وولّـى سواكَ أجْرَهـا واصطناعَها
أبى لك كسبَ الخير رأيٌ مُقَصِّرٌ ونفس أضاق الله بـالخير باعَها
إذا هـي حثَّتـه على الخيرِ مرّةً عصاها وإن همّـت بشرٍّ أطاعها

1 لغيبك في مجموع شعره : لغيلك .
2 صدر البيت في مجموع شعره : وإن جزاء عهدك إذ تولى .
3 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .
4 مجموع شعره : 187–188 ، وينسب بعضها إلى عبد الرحمن بن حسان .

فلولا رجـــالٌ كاشحون يَسُرُّهم أذاكَ ، وقُرْبـى لا أحبُّ انقطاعَها
إذاً بان إن زلَّتْ بك النعلُ زَلَّةً فِراقُ خِـلال لا تُطِيق ارتجاعها
وأنّي متى أُحْمَل على ذاك أُطَّلِع عليك عيوبـاً لا أُحِبُّ اطّلاعها
فإنْ تـك أحــلامٌ تردُّ إخاءنا علينـا فمـن هـذا يردُّ سماعها
سأنهــاك نهياً مُجمِـلاً وقصائداً نواصحَ تَشْفي من شئونٍ صُداعها
ومَن يجتلب نحوي القصائد يجتلب قِـــراهُ ويتبع مَن يُحِبّ اتباعَها
إذا ما الفتى ذو اللبّ حَلَّتْ قصائدٌ إليــه فَيُخْــلي للقــوافي رباعَها

[رثاء زيد بن حسن]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش قال : لمّا دُفِن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره ، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد ، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يُعزّونه ، فأخذ بعِضادتي الباب ، وقال[1] : [من الطويل]

أعينـــيّ جـودا بالدّموع وأسعِدا بني رحِـم مـا كان زيدٌ يُهينُها
ولا زيـدَ إلاّ أن يجـود بعَبرة على القبرِ شاكي نكبة يستكينُها[2]
وما كنتَ تلقى وجهَ زيد ببلدة من الأرض إلاّ وجهُ زيـد يزينُها
لعمر أبـي النّاعي لعمَّتْ مصيبةٌ على النّاس واختصّت قُصَيّاً رَصينُها[3]
وأنّى لنـا أمثـالُ زيـد وجَدُّه مبلِّـغُ آيــات الهـدى وأمينُها
وكان حَليفيه السماحةُ والنَّدى فقد فـارق الدّنيا نداهـا ولِينُها
غدت غُدْوةً ترمي لُؤيَّ بن غالب بجَعْد الثَّرى فوق امرىء ما يَشِينُها
أغـرُّ بِطاحِيٌّ بكـت مـن فراقه عُكاظُ فبطحاء الصفا فحَجونُها
فقل للتي يعلو على الناس صوتُهـا ألا لا أعـان الله مَـنْ لا يُعينُها
وأرملةٍ تبكـي وقـد شُقّ جيبُها عليه فآبت وهِـيَ شُعْثٌ قرونُها
ولو فقِهت ما يفقه الناسُ أصبحت خواشعَ أعـلامُ الفَـلاة وعِينُها[4]

1 مجموع شعره : 197–198 عن الأغاني .
2 يستكين : يخضع ويذل .
3 الرصين هنا : المصيبة الثقيلة .
4 أعلام الفلاة : جبالها . والعين : بقر الوحش .

نعـاه لنـا الناعـي فظَلنا كأنّنا نرى الأرضَ فيها آيةٌ حـانَ حِينُها
وزالـت بنـا أقدامنـا وتقلّبتْ ظهـورُ روابيـها بنـا وبطونُها
وآب ذوو الألبـاب منّـا كأنّما يـرون شِمـالاً فارقتها يمينُها
سقى الله سُقْيا رحمةٍ تُربَ حُفرة مقيم عـلى زيـدٍ ثراها وطِينُها

قال : فما رُؤي يومٌ كان أكثر باكياً من يومئذٍ .

[ابنة عمّه تستخفّ به]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ من أهل المدينة ، وكانت له بنت عمّ سَرِيّة جميلة ، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش ، فلم ترضه . فقال لأبيه : زوِّجنيها . فقال له : كيف أزوّجكها وقد ردّ عمّك عنها أشرافَ قريش . فذهب إلى عمّه فخطبها إليه ، فوعده بذلك ، وقرَّب منه . فمضى محمد إلى أبيه فأخبره ، فقال له : ما أراه يفعل . ثم عاوده فزوّجه إيّاها . فغضبت الجارية ، وقالت له : خطبني إليك أشرافُ قريش فرددتهم ، وزوّجتني هذا الغلام الفقير ، فقال لها : هو ابن عمّك ، وأولى الناس بك . فلمّا بنى بها جعلت تستخفّ به وتستخدمه ، وتبعثه في غنمها مرّة ، وإلى نخلها أخرى . فلمّا رأى ذلك من فعلها قال شعراً ، ثم خلا في بيت يترنّم به ويُسْمِعها . وهو[1] : [من الطويل]

تثاقلتِ أن كُنتُ ابنَ عـمّ نكحتِهِ فملتِ وقد يُشْفى ذوو الرأي بالعَذْلِ
فإنّك إلاّ تتركـي بعضَ ما أرى تُنازِعْك أخرى كالقَرينة في الحبلِ
تَلزُّك ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها كقَسْمِك حَقّاً في التّلاد وفي البعْلِ
متـى تحمليها منك يومـاً لحالـة فتتبَعهـا تحمِلـك منها على مِثلِ

قال : فصلَحت ، ولَم يَرَ منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه .

صوت

[من المتقارب]

عـلامَ هَجـرتِ ولم تُهْجَري ومثلـكِ في الهجـرِ لم يُعذَرِ
قطعتِ حبالَـكِ مـن شادنٍ أغنَّ قَطـوفِ الخُطـا أحْورِ

الشعر لسُدَيف مولى بني هاشم : والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون . خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى .

1 مجموع شعره : 196 عن الأغاني .

[314] ـ ذكر سُدَيْف[1] وأخباره

[نسبه وولاؤه]

هو سُديف بن ميمون مولى خزاعة . وكان سبب ادّعائه ولاء بني هاشم أنّه تزوّج مَوْلاة لآل أبي لَهَب ، فادّعى ولاءهم ، ودخل في جملة مَواليهم على الأيّام . وقيل : بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللَّهَبيين ، فولدت منه سُدَيفاً . فلمّا يَفَع ، وقال الشعر ، وعُرف بالبيان وحسن العارضة ، ادّعى الولاء في موالي أبيه ، فغلبوا عليه .

[تعصّبه لبني هاشم]

وسُديف شاعر مُقِلّ ، من شعراء الحِجاز ، ومن مخضرمي الدولتين ، وكان شديد التعصّب لبني هاشم ، مظهراً لذلك في أيّام بني أُميّة . فكان يخرج إلى أحجار صفاً في ظهر مكّة ، يقال لها صُفِيّ السِّباب ، ويخرج مولى لبني أُميّة معه يقال له سَبّاب ، فيتسابّان ويتشاتمان ، ويذكران المثالب والمعايب . ويخرج معهما من سفهاء الفريقين مَن يتعصّب لهذا ولهذا ؛ فلا يبرحون حتى تكونَ بينهم الجِراح والشِّجاج ، ويخرج السلطان إليهم فيفرّقهم ، ويعاقِب الجناة . فلم تزل تلك العصبية بمكّة حتى شاعت في العامة والسَّفِلة . فكانوا صنفين ، يقال لهما السُّدَيفية والسَّبَّابية ، طول أيّام بني أُميّة . ثم انقطع ذلك في أيّام بني هاشم ، وصارت العصبيّة بمكّة في الحناطين والحرّارين[2] :

[تحضيض أم تأنيب]

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العَتَكيّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني فُلَيح بن إسماعيل قال : قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن . فلمّا أتى على هذا البيت : [من الكامل]

يا سوءتا للقوم لا كَفُّوا ولا ... إذ حاربوا كانوا من الأَحرارِ

فقال له المنصور : أتحضهم عليّ يا سُديف ؟ فقال : لا ، ولكنّي أؤنّبهم يا أمير المؤمنين .

---

1 لسديف بن ميمون ترجمة في الشعر والشعراء : 647–648 وطبقات ابن المعتز : 27–42 وتهذيب ابن عساكر 6 : 66 .

2 الحرارين : صنّاع الحرير .

[إنكار انتسابه إلى قريش]

وذكر ابن المعتزّ أنّ العَوْفيّ حدَّثه عن أُحمد بن إبراهيم الرياحيّ قال : سلّم سُديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار . فقال له العبدريّ : مَن أنت يا هذا ؟ قال : أنا رجل من قومك ، أنا سُدَيف بن ميمون . فقال له : والله ما في قومي سُدَيف ولا ميمون . قال : صدقت ، لا والله ما كان قطُّ فيهم ميمون ولا مبارك .

صوت

[من الوافر]

لعمــرُك إنّنــي لأحبّ داراً   تكــون بهــا سُكينة والرَّبابُ
أحبّهما وأبــذل جُــلَّ مالي   وليس لعاتب عنــدي عتابُ

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . والغناء لابن سريج : رَمَل بالبنصر . وفيه للهذليّ ثقيل أوّل بالسبابة ، في مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

[315] ـ أخبار الحسين بن عليّ ونسبه[1]

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وقد تكرّر هذا النسب في عدّة مواضعَ من هذا الكتاب . واسم أبي طالب : عبد مناف ، واسم عبد المطّلب ، شَيْبة ، واسم هاشم : عمرو . وأُمّ عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وكانت أوّل هاشميّة تزوّجها هاشميّ ، وهي أُمّ سائر ولد أبي طالب . وأُمّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب : فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وأمّها خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصَيّ . وكانت خديجة تُكْنى أُمّ هند ، وكانت فاطمة تكنى أُمّ أبيها ، ذكر ذلك قَعْنب بن مُحرِز ، قال : حدَّثنا أبو نعيم ، عن حسن بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : وكان عليّ ابن أبي طالب سمَّى الحسن حرباً ، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسن . ثم ولد له الحسين فسمّاه حرباً ، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسين .

حدَّثني بذلك أحمد بن الجعد ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : حدَّثنا يحيى بن عيسى قال : حدَّثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال عليّ بن أبي طالب : كنت رجلاً أحبّ الحرب ، فلمّا وُلد الحسن هممت أن أُسمّيه حرباً ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه الحسن ، فلمّا وُلِد الحسين هممت أن أُسمّيه حرباً ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه الحسين . ثم قال سمّيتهما باسمَي ابنَي هارون : شَبَّر وشُبير .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال : حدَّثنا محمد بن يحيى الأحول قال : حدَّثنا خلاد المقرىء قال : حدَّثنا قيس بن الربيع بن أبي حُصَين ، عن يحيى بن وَثّاب ، عن ابن عمر ، قال : كان على الحسن والحسين تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام .

وهذا الشعر يقوله الحسين بن عليّ في امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وَبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وأمّها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عُلَيم بن كلب ؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين . واسم سُكينة : أميمة ، وقيل أمينة ، وقيل آمنة ، وسُكينة لقب لقبت به .

قال مصعب فيما أخبرني به الطّوسيّ عن زُبير عنه : اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : حدَّثنا

1 ترجمة الحسين بن علي في جميع كتب التاريخ : الطبري ، المسعودي ، كامل ابن الأثير وتهذيب ابن عساكر 4 : 311 ومقاتل الطالبيين : 54 ، 67 وصفوة الصفوة 1 : 321 وأخباره كثيرة في كتب الأدب .

أبو نعيم ، عن عمر بن ثابت ، عن مالك بن أعْين ، قال : سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمّي الحسنُ أبي في أُمّي ، فقال : [من الوافر]

لعمركَ إنّني لأحبُّ داراً تكون بها سُكينة والرَّبابُ
أحبّهما وأبذل جُلّ مالي وليس لعاتب عندي عتابُ

[اسم سكينة]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أُسد قال : حدَّثنا العُمَريّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال : قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سكينة بنت الحسين ؟ فقلت : سكينة . فقال : لا . اسمها آمنة .

وروي أنّ رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة . فقال : أمينة ، فقال له : إنّ ابن الكلبيّ يقول أميمة . فقال : سل ابن الكلبي عن أمّه ، وسَلني عن أُمّي . وقال المدائنيّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيّ قال :

سكينة لقب ، واسمها آمنة . وهذا هو الصحيح .

[إسلام أبي الرباب]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العلويّ قال : حدَّثنا شيخ من قريش ، قال : حدَّثنا أبو حُذافة أو غيره ، قال : أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فما صلّى لله صلاة حتى ولاّه عمر ، وما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين ، فزوّجه إيّاها . فولدت له عبد الله وسكينة ولَدَي الحسين عليهما السلام . وفي سكينة وأمّها يقول : [من الوافر]

لعمرُك إنّني لأحبّ داراً تحلّ بها سُكينة والرَّبابُ

وذكر البيت الآخر ، وزاد على البيتين :

فَلَسْتُ لهم وإن غابوا مُضِيعاً حياتي أو يغيِّبني الترابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغَلاّبيّ ، وهو أتمّ . قال : حدَّثنا عليّ بن صالح ، عن عليّ بن مجاهد ، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبيّ ، قال : أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال : حدَّثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زَبّان بن سَيّار الفزاريّ ؛ قال حدَّثني عوف بن خارجة المُرّيّ ، قال : والله إنّي لعند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في خلافته ، إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعَر[1] ، يتخطّى رقاب الناس ، حتى قام بين يدي عمر . فحيّاه بتحيّة الخلافة ،

1 الأفحج : الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه عند المشي . والأجلى : الذي انحسر مقدم شعره . والأمعر : الذي سقط شعره .

فقال له عمر : فمَن أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانيّ ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ . قال : فلم يعرفه عمر . فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل ، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فَلْج . قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله . ثم دعا له برُمْح ، فعقد له على مَن أسلم بالشام من قضاعة . فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه . قال عوف : فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصَلِّ لله ركعة قطّ أُمِّرَ على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه ، فأخذ بثيابه . فقال له : يا عمّ ، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهْره ، وهذان ابناي الحسن والحسن من ابنته ، وقد رغبنا في صِهْرك فأنكحنا . فقال : قد أنكحتك يا عليّ المُحياة بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرىء القيس .

وقال هشام بن الكَلْبيّ : كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهنّ . فخُطبت بعد قتل الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنت لأتّخذ حَماً بعد رسول الله ﷺ .

قال المدائنيّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيّ ، قال : قيل لسكينة واسمها آمنة ، وسكينة لقب : أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً ؟ فقالت : لأنّكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وسمّيتموني باسم جدّتي التي لم تدرك الإسلام . تعني آمنة بنت وهب ، أمّ رسول الله ﷺ .

[رثاء الرّباب للحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكناني ، عن قعنب بن المحرز الباهلي ، عن محمد ابن الحكم ، عن عَوانة ، قال : رثت الرَّباب بنت امرىء القيس ام سكينة بنت الحسين ، زوجَها الحسينَ عليه السلام حين قتل ، فقالت : [من البسيط]

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به بكَربلاءَ قتيلٌ غير مدفونِ
سِبْطَ النبيِّ جَزَاكَ اللهُ صالحةً عنا ، وجُنِّبْتَ خُسران الموازينِ
قد كنت لي جَبَلاً صَعْباً ألوذ به وكنتَ تصحبنا بالرُّحم والدِّينِ
من لليتامَى ومن للسائلينَ ومَن يُغْني ويأوي إليه كلُّ مسكينِ
والله لا أبتغي صهراً بصهركُم حتّى أُغيَّبَ بين الرمل والطينِ

أخبرني الطّوسي قال : حدَّثني الزُّبير عن عمّه قال : أخبرني إسماعيل بن بكار قال : حدّثني أحمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسين العلوي ، عن الزُّبير عن عمّه ، قال : وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى ، قالا : كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

طالب خطب إلى عمّه الحسين ، فقال له الحسين عليهم السلام : يا ابن أخي ، قد كنت أنتظر هذا منك ، انطلقْ معي ، فخرج به حتى أدخله منزله ، فخيره في ابنتيه فاطمة وسُكينة . فاختار فاطمة ، فزوّجه إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار على سُكينة لمنقطعة القرين في الحسن . وقال عبد الله بن موسى في خبره : إن الحسين خيره ، فاستحيا ، فقال له : قد اخترت لك فاطمة ، فهي أكثرهما شبَهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ .

[بين سكينة وبنت لعثمان]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدَّثني يحيى بن الحسن العلويّ قال : كتب إليّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي بن سُليمان بن الحسين العلويّ قال : كانت سُكَينة في مأتم فيه بنت لعثمان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة : فلمّا قال المؤذن . أشهد أنّ محمداً رسول الله . قالت سكينة : هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية : لا جرم لا أفخر عليكم أبداً .

[لا تسكت على شتم عليّ]

أخبرني أحمد بن محمد قال : حدَّثنا يحيى قال : حدَّثنا مروان بن موسى القرويّ قال : حدَّثنا بعض أصحابنا قال : كانت سُكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة ، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم ، إذا صعد المِنبر ، فإذا شتم عليّاً ، شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريها .

أخبرني الطوسيّ عن الزُّبير عن عمّه مصعب ، قال : كانت سكينة عفيفة سَلِمَة[1] بَرْزَة من النساء ، تجالس الأجلّة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة .

أخبرني الطوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير عن عمّه قال : حدَّثني معاوية بن بكر ، قال : قالت سكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدة .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن أبي أيّوب المدينيّ ، عن مصعب ، قال : كانت سُكينة أحسن الناس شَعراً ؛ فكانت تُصَفِّف جُمَّتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه ، حتى عُرِف ذلك . فكانت تلك الجُمة تسمّى السُّكَينية . وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صَفَّف جُمته السُّكينيةَ جلده وحلقه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحِميريّ ، قال : بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغالية ، لأنّه كان من أخوالها . فلمّا وصلت إليه قال : فأين كانت ، عن الصَّيّاح[2] ؟ يقدِّر أنّ الصَّيَّاح

1 سلمة : مسالمة .

2 الصياح : عطر أو خلوق ونحوه .

أرفع من الغالية .

[مزاح سكينة]

قال محمد بن سلام : كانت سكينة مَزَّاحة ، فلسعتها دَبْرة فولولت . فقالت لها أمّها : ما لكِ يا سيدتي وجزعت ؟ فقالت : لَسَعتني دُبَيْرة ، مثل الأُبَيرة ، فأوجعتني قُطَيْرة[1] .

وقال هارون بن أبي عبيد الله ، حدَّثني ضمرة بن ضمرة ، قال : أَجلَستْ سكينة شيخاً فارسيّاً على سَلّة بيض ، وبعثت إلى سليمان بن يسار ، كأنّها تريد أن تسأله عن شيء . فجاءها إكراماً لها ، فأمرت مَن أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السَّلّة فيها البيض . فولّى يُسبِّح .

قال : وبعثت سُكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة : أنّه دخل علينا شاميّ ، فابعث إلينا بالشُّرَط . فركب ومعه الشرط . فلمّا أتى إلى الباب ، أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثاً . فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الشاميّ الذي شكوناه . فانصرفوا يضحكون .

[ابن أشعب سر أبيه]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو هَفّان قال : حدَّثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهديّ قال : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد لّما ولاّه دمشق استوهبه صُحبة دُبَيَّة والغاضريّ وعُبيدة بن أشعب وحكم الوادي . فوهبهم له ، فأشخصهم معه .

قال : فكان فيما حدَّثني به عبيدة قال : قال إبراهيم : ركبت جمازة[2] وهو عَديلي ، ونمت على ظهرها . فلمّا بلغنا ثنية العُقاب ، اشتدّ عليّ البرد ، فاحتجت إلى الزيادة من الدِّثار . فدعوت بدُوَّاجٍ[3] سَمُّور ، فألقيته على ظهري ، ودعوت بمَن كان معي في سمري في تلك الليلة ، وكانوا حولي . فقلت لابن أشعب : حدِّثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك . فقال : أعجب من طمع أبي طمع ابنه . فقلت : وما بلغ من طمعك ؟ فقال : دعوت آنفاً لما اشتدّ عليك البرد بدُوّاج سَمُّور ، لتستدفىء به ، فلم أشكَّ أنّك دعوتَ به لتجعله عليّ . فغلبني الضحك ، وخلعت عليه الدُّواج . ثم قلت له : ما أحسب لك قَرابة بالمدينة . فقال : اللهمّ غَفراً ، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات . قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال : اللهمّ غفراً ، لا تذكر العشراتِ ولا المئين ، وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها . قلت : ويحَك ! ليس

1 قطيرة : تصغير قطرة ، أي إيجاعاً يسيراً .

2 الجمازة : الناقة السريعة .

3 الدَواج والدّوّاج : اللحاف الذي يلبس .

بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال : إنّ زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان تزوّج سُكينة بنت الحسين . فخف أبي على قلبها ، فأحسنت إليه ، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه . فمال إليها بكليته .

قال : وحجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سُكَينة ، وأعلمها أنّها أوّل سنة حجّ فيها الخليفة ، وأنّه لا يمكنه التخلّف عن الحجّ معه . وكانت لزيد ضيعة يقال له العَرْج ، وكان له فيها جَوارٍ . فأعلمتْه أنّها لا تأذن له إلاّ أن يخرج أشعبُ معه ، فيكون عَينا لها عليه ، ومانعاً له من العدول إلى العَرْج ، ومن اتّخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته . فقنع بذلك ، وأخرَجَ أشعب معه . وكان له فرس كثير الأوضاح ، حسن المنظر ، يصونه عن الركوب إلاّ في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ؛ وله سرج يصونه ، لا يركب به غير ذلك الفرس . وكان معه طيب لا يتطيّب به إلاّ في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه ؛ وحُلّة مَوْشية يصونها عن اللُّبس إلاّ في يوم يريد التجمّل فيه بها . فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله ، وأجزل صِلته . وانصرف سليمان من حَجّه ، ولم يسلك طريق المدينة . وانصرف ابن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة . ودعا أشعب ، فأحضره وصَرَّ صُرّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنّه ليس بينه وبين العرج إلاّ أميال ؛ وأنّه إن أذن له في المسير إليها ، والمبيت بها عند جواريه ، غَلَّس إليه ، فوافى وقتَ ارتحال الناس ، ووهب له أربعمائة الدينار . فقبل يده ورجله ، وأذن له في السير إلى حيث أحبّ ، وحلف له أنّه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجَة ، أنّه ما سار إلى العَرْج ، ولا اتّخذ جارية منذ فارق سُكَينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى .

قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب : حدَّثني أبي أنّه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قِربتان . فألقتا القربتين ، وألقتا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما في الغدير ، وعامتا فيه ، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبه واستحسنه . فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما . فأعلمتاه أنّهما من إماء نسوة خُلُوف ، لبني عامر بن صعصعة ، هن بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل سبيل إلى مولياتهما ، لمحادثة شيخ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنّى لهنّ بمَن هذه صفته ؟ فقال لهما : أنا ذاك . فقالتا : انطلق معنا . فوثب إلى فرس زيد ، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه ، ودعا بحلّته التي كان يضنّ بها فلبسها ، وأحضر السَّفَط الذي كان فيه طيبه ، فتطيّب منه ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر . فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ ، وقد انصرفوا غانمين

من غزاتهم ، وأُقبلت تمرّ به الرِّعلة بعد الرِّعلة ، فيقفون به فيقولون : ممّن الرجل ؟ فينتسب في نسب زيد ، فيقول كلّ مَن اجتاز به : ما نرى به بأساً . وينصرفون عنه . إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل ، ففعل مثل ما كان يفعل مَن اجتاز ، فسأله مثلما يسألون عنه ، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدّمه ، فقال مثل قولهم .

قال ابن أشعب : قال أبي : ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله ، فأوجست منه خيفة ، لأنّي رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ، فرفعهما ، ثم استدار ليرى وجهي . فركبت الفرس ، فما استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا قرشيّ ، وما هذا إلاّ وجه عبد . فركضت وركض خلفي ، فرأى حِجْره مقصرة . فلمّا يئس من اللحاق بي ، انتزع سهماً فرماني به ، فوقع في مؤخرة السرج ، فكسرها . ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلّة . ووافيت رحل مولاي ، فغسلت الحُلّة ونشرتها ، فلم تجفّ ليلاً . وغلّس مولاي من العَرْج ، فوافاني في وقت الرحيل ، فرأى الحلّة منشورة ، ومؤخّرة السرج مكسورة ، والفرس قد أُضَرَّ بها الركض ، وسَفَط الطيب مكسور الختم . فسألني عن السبب ، فصَدَقْتُه . فقال لي : ويحك ! أَما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبتَ في نسبي ، فجعلتني عند أشراف قومي من العرب جَمّاشاً ، وسكتَ عنّي ، فلم يقل لي : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة . فلمّا وافاها سألتْه سُكينة عن خبره ، فقال لها : يا بنت رسول الله ، وما سؤالك إيّاي ولم يزل ثقتك معي ، وهو أمين عليّ ، فسليه عن خبري يصدقك عنه . فسألتني ، فأخبرتها أنّي لَم أنكر عليه شيئاً ، ولم أُمكنه من ابتياع جارية ، ولم أُطلق له الاجتياز بالعَرْج . فاستحلفتني على ذلك ، فلمّا حلفت لها بالأيمان المحرِجة فيها طلاق أُمّك ، وثب فوقف بين يديها ، وقال : أي ابنة عمّ ، ويا بنت رسول الله ، كذبك والله العلج ، ولقد أخذ منّي أربعمائة دينار ، على أن أذن لي في المصير إلى العرج ؛ فأقمت بها يوماً وليلة ، وغسلت بها عدّة من جواريّ ، وها أنا ذا تائب إلى الله ممّا كان منّي ، وقد جعلت توبتي هبتهنّ لك ، وتقدّمت في حملهنّ إليك ، وهنّ موافيات المدينة في عشيّة اليوم ، فبيعهنّ أو عتقهنّ إليك الأمر فيه ، وأنت أعلم بما تَرين في العبد السَّوء . فأمرتني بإحضار أربعمائة الدينار ، فأحضرتها . فأمرتْ بابتياع خَشَب بثلثمائة دينار ، وأمرت بنشرِه ، وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة عِلم بما تريده فيه . ثم أمرتْ بأن يتّخذ بيت كبير ، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينارَ الباقية . ثم أمرت بابتياع بيض وتِبن وسِرجِين بما بقي من المائة الدينار بعد أُجرة النجارين . ثم أدخلتني البيت ، وفيه البيض والتبن والسِّرْجِين ، وحلفت بحقّ جدّها ألاّ أخرُج من ذلك البيت حتى أحضُن ذلك البيض كلّه إلى أن يُفْقَس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضُنه

حتى فُقِس كلّه . فخرج منه الألوف من الفراريج ، وربيت في دار سكينة ، فكانت تنسبهنّ إليّ ، وتقول : بنات أشعب .

قال أبو إسحاق : قال لي : وبقي ذلك النسلُ في أيدي الناس إلى الآن ، فكلّهم إخواني وأهلي . قال : فضحكت والله حتى غُلِبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فحملت بحضرتي إليه .

[أزواج سكينة]

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مصعب قال : تزوّجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج ، أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ ، وهو ابن عمّها وأبو عُذْرتها ، ومصعب بن الزُّبير ، وعبد الله بن عثمان الحِزاميّ ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، ولم يدخل بها ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولم يدخل بها .

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلويّ : إنّ عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر ، وأمّه بنت السَّلِيل بن عبد الله البَجَليّ ، أخي جرير بن عبد الله ، قال : ثم خلفه عليها مصعب بن الزُّبير ، زوّجه إيّاها أخوها علي بن الحسين ، ومهرها مصعب ألفَ ألفِ درهم .

قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أنّ عليّ بن الحسين أخاها حملها إليه ، فأعطاه أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدَّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت سكينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القَرّة .

قال : فولدت من مصعب بنتاً ، فقال لها : سمِّيها زهراء . قالت : بل أُسمِّيها باسم إحدى أمّهاتي وسمَّتها الرّباب . فلمّا قتل مصعب ولِيَ أخوه عُروة تركته ، فزوّجها يعني الرّباب بنت مصعَب ابنه عثمان بن عُروة ، فماتت وهي صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار .

قال الزُّبير : فحدّثني محمد بن سلاَّم عن شعيب بن صخر ، عن أمِّه سعدة بنت عبد الله بن سالم ، قالت : لقيتُ سكينة بين مكّة ومِنى ، فقالت : قفي لي يا ابنة عبد الله ، فوقفت . فكشفت عن بنتها من مصعب ، فإذا هي قد أثقلتها بالحليّ واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عمِّي عن الماجشون ، قال : قالت سكينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال لأقضين بينكما ؛ أما أنتِ يا سُكَينة فأملَح منها ، وأمّا أنتِ يا عائشة فأجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لي والله . وكانت سكينة تسمِّي عائشة ذات الأُذنين ، وكانت عظيمة الأُذنين .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني أحمد بن زهير قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : خطب

سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان . فقالت أمّها : لا والله لا يتزوّجها أبداً وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعباً .

وأمّا محمد بن سلاّم الجمحيّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسديّ عن الرياشيّ عنه : أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن عليّ . ثم خلف عليها العثمانيّ ، ثم مصعب بن الزّبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان . فقال فيه بعض المدنيين[1] : [من الكامل]

نكَحَتْ سُكينة بالحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بهـا فأنت الرابعُ

قال : وكان يتولّى مصر ، فكتبت إليه : إنّ أرض مصر وخمة . فبنى لها مدينة تسمّى مدينة الأصبغ . وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إيّاها ، فنفِس بها عليه . فكتب إليه : اختر مصر أو سُكَينة . فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ، ومتّعها بعشرين ألف دينار . ومرّوا بها في طريقها على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار . قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً .

وذكر محمد بن سلاّم في هذا الخبر الذي رواه الرياشيّ عن شعيب بن صخر أنّ الحزاميّ عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها ، وولدت منه بنتاً . وذكر عن أمّه سعدة بنت عبد الله أنّ سكينة أرتها بنتها من الحزاميّ ، وقد أثقلتها باللؤلؤ ، وهي في قبّة ، فقالت : والله ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه . تريد أنّها تفضح الحليّ بحسنها ، لأنّها أحسن منه .

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حَسّان وغيره : أنّ سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام ، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، ثم تزوّجها مصعَب بن الزُّبير . فلمّا قتل مصعب ، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك .

[بنانة تتمنّى جلبة فتحدث]

قال : ثم تنفّست يوماً بُنانة جارية سكينة وتنهدت ، حتى كادت أضلاعها تتحطّم . فقالت لها سكينة : مالكِ ويْلَك ! قالت : أحبّ أن أرى في الدار جَلَبة ، تعني العُرْس . فدعت مولى لها تثق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فقل له : إنّ الذي كنّا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ؛ أنت من أخوال رسول الله ﷺ ، فأحضِر بيتك . قال : فجمع عِدّة من بني زُهرة ، وأفناء قريش من بني جُمَحَ وغيرهم ، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين .

---

1 هو أيمن بن خريم .

ثم أرسل إلى عليّ بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وغيرهم من بني هاشم . فلمّا أتاهم الخبر اجتمعوا ، وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فتنادى بنو هاشم واجتمعوا ، وقالوا : لا يخرجَنّ أحد منكم إلاّ ومعه عصا . فجاءوا وما بقي إلاّ الكلام . فقال : اضربوا بالعصيّ . فاضطربوا هم وبنو زُهْرة ، حتى تشاجُّوا ، فشُجَّ بينهم يومئذٍ أكثر من مائة إنسان . ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : في هذا البيت . فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاءوا بكساء طاروقيّ ، فبسطوه ثم حملوها ، وأخذوا بجوانبه ، أو قال : بزواياه الأربع ، فالتفتت إلى بُنانة فقالت : يا بُنانة ، أرأيت في الدار جَلَبة ؟ قالت : إي والله إلاّ أنّها شديدة .

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني أبو حذيفة عن مصعب ، قال : كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن عليّ ، قتل عنها ولم تلد له . وخلف عليها مصعب ، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، فنشزت عليه ، فطلّقها . ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال الشاعر : [من الكامل]

نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة ... فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه ... خاب البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب ، وقال : أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا ! فطلِّقها . فطلّقها . فخلف عليها العثمانيّ ، وشرطت عليه ألاّ يغيرها[1] ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث خلَّتها أمّ منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده . فكانت تقول له : يا ابن عثمان اخرج بنا إلى مكّة . فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين ، قالت : ارجع بنا إلى المدينة . فإذا رجع يومه ذاك ، قالت : اخرج بنا إلى مكّة . فقال له سليمان بن عبد الملك : أعلَمُ أنّك قد شرطت لها شروطاً لم تفِ بها ، فطلّقها . فطلّقها . فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فكره ذلك أهلها ، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل ، فبعث إليها يخيّرها . فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه ، فقال لها : جُعلت فداءك ، قد خيّرتك فاختاري . فقالت : قلت ماذا بأبي ، تهزأ به . فعرف ذلك ، فانصرف . وخيّروها ، فقالت : لا أريده .

قال : وماتت فصلّى عليها شَيبة بن نِصاح .

1 يغيرها : يجعلها تغار .

وأمّا ابن الكلبيّ فذكر فيما أخبرنا به الجوهريّ ، عن عمر بن شبّة ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عنه : أن أوّل أزواجها الأصبغ ، ومات ولم يرها ، ثم زيد بن عمرو العثمانيّ ، قال : وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قرين ، ثم الحِزامي ، ثم خلف عليها مصعب ، فولدت له جارية ، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها .

قال عمر بن شبّة : وحدَّثني محمد بن يحيى قال : تزوّج مصعب سكينة وهو يومئذٍ بالبصرة ، عامل لأخيه عبد الله بن الزُّبير ، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السَّلاَّس ، وهو الذي جاء بنعيه ، فقال ابن قيس فيه[1] : [من الخفيف]

قـد أتانا بما كرهنا أبو السلاَّ س كانـت بنفسه الأوجاعُ

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه . وهذا غلط من محمد بن يحيى ، ليست قصّة أبي السلاّس مع مصعب ، وإنّما هي مع ابن جعفر .

قال محمد بن يحيى : ولّما تزوّج مصعب سكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله بن همّام على يد أبي السلاّس إلى عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبلِـغ أمير المؤمنـين رسالـة من ناصح لك لا يريد خِداعا
بُضْع الفتاة بألف ألف كامـلٍ وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبـي حفص أقول مقالتي وأبـث مـا أبثتكـم لارتاعا

قال : وكان ابن الزُّبير قد أوصاه ألاّ يعطيه أحد كتاباً إلاّ جاء به ، فلمّا أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله ، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألفِ ألفِ درهم . ثم قال : إنّ مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه ، وسلّ أيره ، وعزله عن البصرة ، وأمره أن يجيء على ذات الجيش ؛ وقال : إنّي لأرجو أن يخسف الله بك فيها . فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب ، فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

قال أبو زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهريّ قال : ذُكِر أنّ زيد بن عمرو بن عثمان العثمانيّ خرج إلى مال له مغاضباً لسكينة ، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينة على زيد ، وذكرت غَيبته مع ولائده سبعة أشهر ، وأنّها شرطت عليه أنّه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجاً تريده ، فهي خَلِيّة[2] ، فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما .

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 147 .

2 خلية : مطلقة .

قال : حدَّثني أُبو بكر بن عبد الله ، قال : بعثني عمر ، وبعث معي محمد بن معقِل بن يسار الأشجعيّ ، إلى ابن حزم ، وقال : اشهدا قضاءه ، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس ، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحَجَلة جالسة ، وجاءت سكينة ، فقال ابن حزم : أُدخلوها وحدها . فقالت : والله لا أدخل إلاّ ومعي ولائدي ، فأدخلن معها ، فلمّا دخلت قالت : يا جارية اثني لي هذه الوسادة . ففعلت ، وجلست عليها ، ولصق زيد بالسرير ، حتى كاد يدخل في جوفه خوفاً منها . فقال لها ابن حزم : يا ابنة الحسين ، إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ القصد في كلّ شيء ، فقالت له : وما أنكرت منّي ، إنّي وإيّاك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه ، ولا يرى الخشبة في عينه . فقال لها : أما والله لو كنت رجلاً لسطوت بك . فقالت له : يا ابن فَرْتَنى ألا تزال تتوعّدني ؟ وشتمته وشتمها . فلمّا بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العَدَويّ : ما بهذا أُمِرنا ، فأمض الحكم ولا تُشاتم . فقالت لمولاة لها : مَن هذا ؟ قالت : أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم . فقالت : لا أراك ههنا وأنا اشتمُ بحضرتك . ثم هتفت برجال قريش ، وحضت ابن أبي الجهم ، وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحَرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهوديّ عند شتمه إيّاي ، أي عدوّ الله ، تشتمني وأبوك الخارج مع يهودَ صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله ﷺ إلى أريحا ، يا ابن فَرْتَنى . قال : وشتمها وشتمته .

قال : ثم أحضرنا زيداً ، فكلّمها وخضع لها ، فقالت : ما أَعْرَفَني بك يا زيد ، والله لا تراني أبداً ، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهُنّ ؟ املأ عينك الآن منّي ، فإنّك لا تراني بعد الليلة أبداً . وجعلت تردّد هذا القول ومثله ، فكلّما تكلّمت ترفُث[1] لابن حزم وامرأته في الحَجَلة ، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه . ثم حكم بينهما بأنّ سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته ، وإلاّ فاليمين على زيد . فقامت وقالت لزيد ، يا ابن عثمان : تزوّد منّي بنظرة ، فإنّك والله لا تراني بعد الليلة أبداً ، وابن حزم صامت . ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية ، فسألنا عن الخبر ، فأخبرناه ، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم دعا زيداً من غد ، فأحلفه وردّ سكينة عليه .

وأخبرني الحِرْمِيُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار عن عمّه قال : قالت سكينة لأُمّ أشعب : سمعت للناس خبراً ؟ قالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته ، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه ، وحملوا العصيّ ، وجاءوا فقاتلوا بني زُهرة حتى كثرت الشِّجاج ، ثم فُرِّق بينهم ، وخُيِّرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم ، ثم التفتت إلى أُمّ أشعب وقالت : أترين الآن أنّه كان للناس اليوم خبر ؟ قالت ، إي والله ، بأبي أنت ، وأيّ خبر .

---

1 ترفث : تفحش في القول .

قال هارون بن الزيّات : وجدت في كتاب القاسم بن يوسف : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، عن أُشعب ، قال : تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان سكينة ، وكان أبخل قرشيّ رأيته ، فخرج حاجّاً وخرجت سكينة معه ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلاّ حملته معها ، وأعطتني مائة دينار ، وقالت : يا ابن أُمّ حميدة ، اخرج معنا . فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال ، فلمّا أتينا السَّيالة نزلنا ، وأمرت بالطعام أن يقدّم . فلمّا جيء بالأطباق ، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلّمون على زيد ، فلمّا رآهم قال : أُوَّهْ . خاصرتي . باسم الله ، ارفعوا الطعام ، وهاتوا الترياق والماء الحارّ ، فأُتِي به فجعل يتوجَّرهما[1] حتى انصرفوا ، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعاً ، فلم آكل إلاّ ممّا اشتريته من السوق . فلمّا كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما الله أعلم به ، ودعا بالطعام وأُتي به . قال : فأمر بإسخانه ، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلّمون عليه ، فلمّا رآهم اعتلّ بالخاصرة ، ودعا بالتِّرياق والماء الحارّ ، فتوجَّره ورفع الطعام ، فلمّا ذهبوا أمر بإعادته ، فأُتي به وقد برد ، فقال لي : يا أشعب ، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له أخبرني عن دَجاجك هذا ؟ أمن آل فرعون ، فهو يُعْرَض على النار غُدُوًّا وعَشيًّا .

[تبغض أهل الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال : جاء قوم من أهل الكوفة يسلّمون على سُكَينة فقالت لهم : الله يعلم أنّي أُبغضكم : قتلتم جدّي عليّاً ، وأبي الحسين ، وأخي عليّاً ، وزوجي مصعباً ، فبأيّ وجه تَلْقَونني ، أيْتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة .

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ قال : بينما سكينة ذات ليلة تسير ، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول :

لولا ثـلاث هـنَّ عيشُ الدهرِ

قالت لقائد قطارها : ألحِق بنا هذا الرجل ، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث .

فطال طلبه لذلك حتى أتعبها . فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

المـــاء والنـــوم وأمّ عمـــرِو

فقالت : قَبَحَه الله ! أتعبني منذ الليلة .

قال : وحدَّثني المدائنيّ أنّ أشعب حجّ مع سكينة ، فأمرت له بجمل قويّ يحمل أثقاله ، فأعطاه القيِّم جملاً ضعيفاً ، فلمّا جاء إلى سكينة قالت له : أعطوك ما أردت ؟ قال : عِرسُه

1 يتوجر الدواء : يصبه في حلقه قليلاً قليلاً .

الطلاق ، لو أنّه حمل قَتَباً على الجمل لما حمله ، فكيف يحمل محملاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ ، عن سفيان بن حرب ، قال : رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجِمار ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة ، فرمت بخاتمها مكانها .

وقال هارون بن الزيّات : حدّثني أبو حُذافة السهميّ قال : أخبرني غير واحد ، منهم محمد بن طلحة : أنّ سكينة ناقلت بمالها بالزوراء ، إلى قصر يقال له البَريديّ بَلْزق الجماء ، فلمّا سال العقيق ، خرجت ومعها جواريها تمشي ، حتى جاءت السيل ، فجلست على جِرْفه ، ومالت برجليها في السيل ، ثم قالت : هذا في است المغبون . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء . قال : وكان البريديُّ قصراً لا غلّة له ، وإنّما يُتَنزّه فيه ، وكانت غلّة الزوراء غلّة وافرة عظيمة .

[تزال منها سلعة بالجراحة]

وقال هارون : وحدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه ، وعمّه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين : أنّ سكينة بنت الحسين عليه السلام ، خرجت بها سَلَعة[1] في أسفل عينها ، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، وعظُم شأنها ؛ وكان بدراقُس منقطعاً إليها في خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال : لها أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم . فأضجعها ، وشقّ جلد وجهها حتى ظهرت السَّلَعة ، ثم كشط الجلد عنها أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحَدَقة عنه ، حتى جعلها ناحية ، ثم سل عروق السَلَعة من تحتها . فأخرجها أجمع ، ورد العين إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرّك ولا تئنّ ، حتى فرغ ممّا أراد ، فزال ذلك عنها ، وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤُخَر عينها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كلّ حَلْي وزينة ، ولم يؤثر ذلك في نظرها ، ولا في عينها .

[نقدها الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه ، قال : أخبرني عيسى بن إسماعيل ، عن محمد بن سلام ، عن جرير المدينيّ ، عن المدائنيّ . وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام . وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عُمر بن شبّة موقوفاً عليه ، قالوا : اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام ، جرير والفرزدق وكُثيِّر وجميل ونُصَيب ، فمكثوا أيّاماً ؛ ثم أذنتْ

1 السلعة : غدة تفتح وتحرك أو خراج ، وتبدأ كالحمصة ثم تصير بحجم البطيخة .

لهم ، فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها ، وتسمع كلامهم ؛ ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيّكم الفرزدق ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل[1] : [من الطويل]

هما دلّتاني من ثمانينَ قامةً ... كما انحطّ بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ
فلمّا استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحيٌّ يُرَجَّى أم قتيل نحاذرُهْ
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أُبادِرُهْ
أُبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا ... وأحمر من ساج تبِصٌّ مسامرُهْ

قال : نعم . قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرّها وسرّك ؟ هلاّ سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف ، والحق بأهلك .

ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيّكم جرير ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل[2] : [من الكامل]

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ
تُجْري السواك على أغرَّ كأنّه ... بَرَدٌ تحدر من مُتون غَمامِ
لو كان عهدكِ كالذي حدثتِنا ... لوصلتِ ذاك فكان غير رِمامِ[3]
إنّي أواصل مَنْ أردتُ وصاله ... بحبالِ لا صلِفٍ ولا لَوَّامِ

قال : نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها ، ورحبت بها ، وقلت لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف والحق بأهلك . ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيّكم كُثَيِّر ؟ فقال : هأنذا . فقالت : أنت القائل[4] : [من الطويل]

وأعجبني يا عَزُّ منك خلائق ... كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنوك حتى يطمعَ الطالبُ الصبّا ... ودفعك أسباب الهوى حين يَطمعُ
وقطعُك أسبابَ الكريم ووصلك الْـ ... ـلئيم وخَلاَّت المكارمِ ترفعُ[5]

---

1 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 211 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
2 ديوان جرير (صادر) : 452 .
3 غير رمام : غير متقطّع .
4 ديوان كثير : 405 مع اختلاف في الرواية .
5 رواية البيت في الديوان :
ومنهن إكرام الكريم وهفوة الـ ... ـلئيم وخلات المكارم تنفع

فوالله مـــا يـــدري كريم مماطَلٌ أينساك إذ باعـــدتِ أم يَتضرّعُ

قال : نعم . قالت : مَلَّحْتَ وشَكَّلْت . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أيّكم نُصَيْب ؟ قال : هأنذا . قالت : أأنت القائل[1] : [من الوافر]

ولولا أن يقـــال صبا نُصَيْب لقلت بنفسيَ النَّشأُ الصِّغارُ

بنفسي كلّ مهضـــوم حشاها إذا ظُلِمَتْ فليس لهـا انتصارُ

قال : نعم . قالت : ربيتنا صغاراً ، ومدحتنا كباراً . خذ هذه الأربعة الآلاف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : يا جميل ، مولاتي تُقْرِئك السلام ، وتقول لك : والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك[2] : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القُرى إنّـي إذاً لسعيدُ

لكلّ حديـــثٍ بينهنّ بشاشة وكلُّ قتيـــل عندهـــن شهيدُ

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار ، والحق بأهلك .

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، عن أبي عبد الله الزُّبيريّ قال : اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثيِّر وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص ، فافتخر كلّ واحد منهم بصاحبه ، وقال : صاحبي أشعر . فحكّموا سكينة بنت الحسن بن عليّ عليهما السلام ، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، فخرجوا يتقادَون[3] ، حتى استأذنوا عليها ، فأذنت لهم ، فذكروا لها الذي كان من أمرهم ، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي يقول : [من الكامل]

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حِـينَ الزيـــارةِ فارجِعي بسلامِ

وأيُّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قَبَح الله صاحبك ، وقَبَح شعره ! ألا قال : فادخلي بسلام !

ثم قالت لراوية كثيِّر : أليس صاحبُك الذي يقول[4] : [من الطويل]

1 ديوان نصيب 88 .

2 ديوان جميل : 42 .

3 يتقادون : يتبارون في التفاخر .

4 ديوان كثير : 107 .

يَقَـرّ بعينـــي مــا يقَــرُّ بعينها وأُحسن شيء ما به العين قَرّتِ

فليس شيء أقرّ لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن يُنكَح ؟ قَبح الله صاحبك ، وقَبح شعره ! ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول[1] : [من الطويل]

فلو تَركَتْ عقلي معــي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لمـا فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوًى ، إنّما يطلب عقله ، قَبح الله صاحبَك وقَبح شعره ! ثم قالت لراوية نُصَيب : أليس صاحبك الذي يقول[2] : [من الطويل]

أهيم بدعد مــا حييت فإن أُمُت فيا حَرَبا مــن ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همّة إلاّ مَن يتعشّقها بعده ! قَبحَه الله وقَبح شعره ! ألا قال : [من الطويل]

أهيم بدعد ما حييت فإن أُمت فلا صَلَحت دعد لذي خُلّة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبُك الذي يقول : [من الكامل]

مِن عاشقين تواعـدا وتراسلا ليــلا إذا نجـمُ الثريـا حَلَّقا

باتـا بأنعـمِ ليلـة وألذّهــا حتى إذا وضَح الصباحُ تفرّقا

قال : نعم ، قالت : قَبحَه الله وقَبح شعره ! ألا قال : تعانقا .

قال إسحاق في خبره : فلم تُثْن على أَحد منهم في ذلك اليوم ، ولم تقدِّمه .

قال : وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلاّ جميلاً ، فإنّه خالف هذه الرواية ، وقال : فقالت ، لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول : [من الطويل]

فيا ليتني أَعمى أصمُّ تقودني بُثينــة لا يَخْفى عليَّ كلامُها

قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبَك كان صادقاً في شعره ، كان جميلاً كاسمه ، فحكمت له .

* * *

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغانٍ تذكر هاهنا نسبتُها . فمنها : [من الطويل]

صوت

همـا دلّتاني من ثمانــين قامــةً كما انقضّ بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان نصيب : 84 .

فلمّا استوت رجلاي بالأرض قالتا أحَـيٌّ يرجّـى أم قتيـل نحـاذرُهْ

عروضه الطويل . الشعر للفرزدق ، والغناء للحَجَبيّ ، رمَل بالبنصر عن الهشاميّ وحبش .

[استطراد بشأن الفرزدق]

وأخبرني : أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدَّثنا محمد بن سلام عن يونس ، وحدَّثنا به اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلام عن يونس قال : كان للفرزدق غلامان ، يقال لأحدهما وقّاع ، وللآخر زُنْقطَة . قال : ولوقّاع يقول الفرزدق[1] : [من الطويل]

تغلغـل وقّـاعٌ إليهـا فأقبلـت تخوض خُداريا من الليل أخضرا[2]

لطيف إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى إذا هـو للظبـيّ المَرُوعِ تَقَتَّرا[3]

وله يقول أيضاً[4] : [من الوافر]

فأبْلَغَهنّ وحـيَ القـولِ عنّي وأدخـل رأسه تحـت القِرامِ[5]

أُسَيِّـد ذو خُرَيِّطـةٍ نهـاراً مـن المتلقِّطِي قَـرَدِ القُمامِ[6]

فقلـن لـه نواعـدك الثريّا وذاك إليـه مجتمعُ الرِّجامِ

صوت

ثـلاث واثنتان فهـنّ خمسٌ وسادسة تميـل مـع السَّنامِ

خرجـن إليّ لم يطمثنَ قبلي فَهُـنّ أصحّ مـن بيض النّعامِ

فبتـن بجانبـيَّ مُصرَّعـاتٍ وبـتُّ أَفُضُّ أغـلاق الختامِ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع ، خفيف رَمل بالبنصر عن الهشاميّ ، وفيها هَزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أنّ الهزج لفُليح ، وأنّ لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

أخبرني أبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : قال الفرزدق وهو بالمدينة : [من الطويل]

همـا دلّتانِـي مـن ثمانـين قامـةً كما انقضَّ بـاز أقتـم الريش كاسرُهْ

---

1 ديوان الفرزدق 1 : 344 .

2 خداري : مظلم .

3 انغل : دخل . وتقتر : تهيأ وتلطف . وفي الديوان : «إذا هو للطنء المخوف تقترا» .

4 ديوان الفرزدق 2 : 290 مع اختلاف في اللفظ .

5 القرام : الستر الأحمر .

6 في الديوان : قرد القسام ، والقرد نفاية الصوف والكتان ، والقسام : مال الصدقة .

فلمّا استوت رجلايَ بالأرض قالتا أَحَـيٌّ يُرَجَّى أم قتيلٌ نحاذِرُهْ
فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنا ووليت في أعجاز ليل أُبادِرُهْ
أُبادِر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا وأحمرَ من ساجٍ تبِصّ مسامرُهْ
وأصبحتُ في القوم الجلوسِ وأصبحتْ مُغَلَّقَةً دوني عليها دساكِرُهْ

قال : فأنكرتْ ذلك قريش عليه ، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية ، وأجَّله ثلاثة أيّام ، فقال[1] : [من الكامل]

يا مَرْوَ إنّ مطيّتي محبوسة ترجو الحِباءَ وربّها لم ييأسِ
وأتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ أُخشى عليّ بها حِباءَ النِّقْرِسِ
ألقِ الصحيفة يا فرزدقُ لا تكن نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمّسِ[2]

وقال في ذلك : [من الوافر]

وأخرجني وأجَّلني ثلاثاً كما وُعِدت لمهلِكِها ثمودُ

وذكر ذلك جرير في مناقضته إيّاه ، فقال : [من المتقارب]

وشبهتَ نفسك أَشقى ثمودٍ فقالوا ضَلَلْت ولم تهتدِ

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً . وقال فيه أيضاً جرير : [من الطويل]

تدليتَ تزني من ثمانين قامةً وقَصَّرتَ عن باع العلا والمكارمِ

وهما قصيدتان .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشدني أجود شعر قلته ، فأنشده[3] : [من الطويل]

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ وأنكرت من حَدْراء ما كنت تعرفُ

فقال له : زِدني . فأنشده قوله : [من الوافر]

ثلاث واثنتان فهنّ خمس وسادسة تميل إلى الشمامِ[4]

فقال له سليمان : ما أظنّك إلاّ قد أحللت بنفسك العقوبة ؛ أقررت بالزّنا عندي وأنا إمام ، ولا بدّ لي من إقامة الحدّ عليك . قال : إن أخذت فيّ بقول الله عزّ وجلّ لم تفعل . قال : وما قال

1 ديوان الفرزدق 1 : 384 .
2 المثل «صحيفة المتلمس» في مجمع الميداني 1 : 399 والفاخر : 73 وجمهرة العسكري 1 : 579 .
3 ديوان الفرزدق 2 : 23–33 .
4 مر آنفاً برواية «تميل مع السنام» .

الله عزّ وجلّ ؟ قال : قال : «والشعراء يتّبعُهُمُ الغاوون . ألم ترَ أنّهم في كلّ واد يهيمون . وأنّهم يقولون ما لا يفعلون» . فضحك سليمان ، وقال : تلافيتها ودرأتَ عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنيّة ، وخلَع عليه .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ ؛ عن أبي عبيدة ، قال : نزل الفرزدق هو ومَن معه بقوم من العرب ، فأنزلوه وأكرموه ، وأحسنوا قِراه ، فلمّا كان في الليل دبَّ إلى جارية منهم ، فراودها عن نفسها ، فصاحت ، فتبادر القوم إليها ، فأخذوها من يده وأنَّبوه . فجعل يفكّر واهتمّ ، فقال له الرجل الذي نزل به : مالك ؟ أتحبّ أن أزوِّجك من هذه الجارية . فقال : لا ، والله . ما ذلك بي ، ولكنّي كأنّي بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر ، فقال فيّ : [من الوافر]

وكنتَ إذا حللتَ بدار قـوم رحلتَ بخَزْية وتركت عارا

فقال له الرجل : لعلّه لا يفطُن لهذا . فقال : عسى أن يكون ذلك . قال : فوالله ما لبثوا أن مرّ بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه ، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل ، وفيها هذا البيت بعينه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا حِـين الزيـارةِ فارجعي بسلامِ
تُجْـرِي السواكَ على أغـرَّ كأنـّه بَـرَد تحـدَّر مـن مُتـون غَمامِ
هيهـاتَ منزلُنـا بجـوٍّ سُوَيْقةٍ ممّـن يَحِـلّ بواطـن الآجامِ
إقـر السلام عـلى سُعادَ وقُل لها لَـوْ مـا تـردّ رسولنا بسلامِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج : ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكّيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً ولم ينسبه إلى أحد ، وأظنّه من منحول يحيى . وذكره عمرو بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة ، وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج ثقيل أوّل في الثاني والثالث ، وأنكر ذلك حبش ، وقال : هو بالوسطى . قال عليّ بن يحيى : ومن الناس مَن ينسبه إلى سِياط . وذكر حبش أنّ فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر ، وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها : [من الكامل]

صوت

مِـن عاشقَين تراسلا وتواعدا بِلِقاً إذا نجـم الثريّـا حَلَّقا
بعثـا أمامهمـا مخافـة رِقبة رَصَداً فمزّق عنهما ما مَزّقا
باتـا بأنعـم ليلـة وألذّهـا حتى إذا وضح الصباحُ تفرّقا

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، عن يونس والهشاميّ .

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

[سكينة تسأل الفرزدق مَن أشعر الناس]

وروى أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن أبي يعقوب الثقفيّ ، عن عامرٍ الشعبيّ ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى : أنّ الفرزدق خرج حاجّاً ، فلمّا قضى حجّه خرج إلى المدينة ، فدخل على سُكينة بنت الحسين عليه السلام مسلّماً ، فقالت له : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسِيَ مَـن تجنّبـه عزيـزٌ عـليّ ومَـن زيارتـه لِمـامُ
ومَـن أمسِي وأصبح لا أراه ويَطْرُقنـي إذا هجـعَ النّيامُ

قال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه . قالت : أقيموه ، فأخرج . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول : [من الكامل]

لـولا الحياء لعادني استعبارُ ولـزرت قبرَكِ والحبيب يزارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كُتِم الحديث وعفّتِ الأسرارُ
لا يُلْبِث القرنـاءَ أن يتفرّقوا ليـلٌ يكُـرّ عليهـم ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه . فأمرت به فأخرج ؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحولها مولّدات كأنّهنّ التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ ، فأعجِب بها . فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ فقال : أنا . فقالت : كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول : [من البسيط]

إنّ العيون التي في طرفهـا مَرَض قتلننـا ثـم لم يُحْيِـين قتلانا
يَصْرَعنَ ذا اللبّ حتى لا حَراك به وهـنّ أضعفُ خلـق الله أركانا

فقال : يا بنت رسول الله ﷺ ، إن لي عليكِ حَقّاً عظيماً . ضربتُ إليك من مكّة أريد

التسليم عليك ، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إيّاي أن أسمعك ، وبي ما قد عِيل معه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنا متّ فمري أن أُدرج في كفني ، وأُدفن في حِرِ تلك الجارية ، يعني الجارية التي أعجبته . فضحكت سُكينة ، وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيْطتها ، وأمرت الجواري أن يدفَعْن في أقفائهما ، ثم قالت : يا فرزدق ، أحسن صحبتها ، فإنّي آثرتك بها على نفسي .

[وفاة سكينة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : حدَّثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم : أنّه لم يصلَّ على أحد بعد رسول الله ﷺ بغير إمام إلاّ سكينة بنت الحسين عليه السلام ، فإنّها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه ، فآذنوه بالجنازة ، وذلك في أوّل النهار في حر شديد ، فأرسل إليهم : لا تُحدِثوا حدثاً حتى أجيء فأُصلّي عليها . فوضع النعش في موضع المصلّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه ، فقال : لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صلّيت العشاء ، كلّ ذلك يرسلون إليه ، فلا يأذن لهم حتى صلّيت العَتَمة ولم يجيء ، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس ، فقاموا فأقبلوا يصلّون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون . فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : مَن أعان بطيب رحمه الله ! قال : وإنّما أراد خالد بن عبد الملك ، فيما ظنّ قوم ، أن تُنْتن . قال : فأُتِي بالمجامر ، فوضعت حول النعش ، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثمانيّ ، فأتي عطّاراً كان يعرف عنده عُوداً ، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أتى به ، فسُجِر حول السرير ، حتى أصبح وقد فُرِغ منه . فلمّا صُلِّيت الصبح أرسل إليهم : صلّوا عليها وادفِنوها . فصلّى عليها شَيبةُ بن نِصاح .

وذكر يحيى بن الحسين في خبره : أنّ عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار .

صوت

[من الرمل]

وأنـا الأخضرُ مَـن يعرفني ... أخضرُ الجِلدة من بيت العَرَبْ
مَـن يساجلْني يساجلْ ماجداً ... يملأُ الدلوَ إلى عَقْـدِ الكَرَبْ

إنّما عبـد منـاف جوهـر زَيَّـن الجوهـرَ عبـدُ المطّلِبْ
كلّ قـوم صيغـة مـن فضّة وبنـو عبـد مناف من ذَهَبْ
نحن قـوم قـد بنـى الله لنا شرفاً فـوق بُيوتـات العربْ
بنبـيّ اللهِ وابنـي عمِّـه وبعبّـاس بـن عبـد المطَّلِبْ

الشعر للفضل بن العبّاس اللَّهَبيّ ، والغناء لمعبد ، ثقيل أوّل بالبنصر ، في الأوّل والثاني والثالث . ولابن محرز في الأوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر . وذكر يونُس أنّ فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مِسْجَح وابن سريج خمسة ألحان . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابن سريج رَمَل ، ولحن مالك خفيف رَمَل ، ولحن معبد خفيفُ ثقيل ، ولحن ابن محرز ثقيل أوّل . وذكر ابن المكّيّ أنّ الثقيل الأوّل لمالك . وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أنّ لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل . وذكر الهشاميّ أنّ فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد ، ولأبي الحسن مولى سكينة ، وفي الثالث والرابع ، خفيف ثقيل . وذكر حبش أنّ لابن صاحب الوضوء في الأوّل والثاني ثانِيَ ثقيل بالبنصر ، ولابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر حمّاد عن أبيه : أنّ لابن عائشة فيهما لحناً ، ووافقه ابن المكّيّ . وذكر أنّه خفيف رَمَل . قال : وقيل إنّه لدُحْمان . وذكر ابن خرداذبه أنّ لخُليدة المكيّة في الرابع والثالث خفيفَ رمل ، وفي الخامس والسادس والأوّل رَمَل ، يقال إنّه لإبراهيم ، ويقال إنّه لإسحاق . والخامس والسادس من هذه الأبيات ، وإن كان شعر الفضل بن العبّاس اللهبيّ ، فليس من القصيدة التي فيها : [من الرمل]

وأنـا الأخضر مَـن يعرفنـي

لكن من قصيدة له أوّلها : [من الرمل]

شاب رأسي ولِداتي لم تشب بعـد لهـو وشبـاب ولَعِبْ
شيّبَ المَفْـرقِ منّـي وبـدا في حفافَـيْ لحيتي مثلُ العطَبْ

في هذين البيتين لهاشم ونُفَيلة خفيفُ رَمَل بالوسطى ، والقصيدة التي فيها : [من الرمل]

وأنا الأخضر مَن يعرفني أَخضر الجلدة من نسل العربْ

أوّلها قوله :

طَربَ الشيخُ ولا حينَ طَرَبْ وتصابى وصِبا الشيخِ عَجَبْ

[316] ـ أخبار الفضل بن العبّاس اللهبيّ ونسبه[1]

[نسبه]

الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة . ولذلك قال : [من الرمل]

وأنا الأخضر مَــن يعرفني

وهو هاشميّ الأبوين ؛ أمّه بنت العبّاس بن عبد المطّلب .

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه عبيد الله ، عن ابن حبيب : وإنّما أتاه السواد من قِبل أُمّه : جدّته ، وكانت حبشية .

[مَن الذي أكله الأسد]

وكان النبيّ ﷺ زوّج عُتبة إحدى بناته . فلمّا بعثه الله تعالى نبيّاً ، أقسمت عليه أُمّ جميل أن يطلقها . فجاء إلى النبيّ ﷺ ، فقال : يا محمد ، أُشهد مَن حضر أنّي قد كفرت بربّك ، وطلّقت ابنتك . فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله . فبعث الله عزّ وجلّ عليه أسداً فافترسه[2] .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلّى قال : حدَّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن عكرمة قال : لّما نزلت : «والنجمِ إذا هوى» ، قال عتبة للنبيّ ﷺ : أنا أكفر بربّ النجم إذا هوى . فقال رسول الله ﷺ : اللهمّ أرسل عليه كلباً من كلابِك . قال : فقال ابن عبّاس : فخرج إلى الشام في ركب فيهم هبَّار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة ، وهي مَسْبَعة ، نزلوا ليلاً ، فافترشوا صفّاً واحداً ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلوني حُجْزة ؟ لا ، والله ، لا أبيت إلاّ وسطكم . فبات وسْطهم . قال هبار : فما أنبهني إلاّ السبع يشمّ رؤوسهم رجلاً رجلاً ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه ، فصاح : أيْ قوم ، قتلني دعوة محمد ، فأمسكوه ، فلم يلبث أن مات في أيديهم .

أخبرني الحسن بن الهيثم قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم قال : حدَّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مثله . إلاّ أنّه قال : قال عتبة : أنا بريء من الذي

---

1 للفضل بن العبّاس اللهبي ترجمة في معجم الشعراء : 178 وفي المختلف والمؤتلف : 41 وشرح التبريزي 1 : 120 وسرح العيون : 191 وسمط اللآلي : 701 وانظر أعلام الزركلي .

2 في الروض الأنف أن الذي دعا عليه النبي فأكله الأسد هو عتيبة وأما عتبة فإنه أسلم .

«دنا فتدلّى» . قال : وقال هبّار : فضغمه الأسد ضَغْمة ، فالتقت أنيابه عليه .

[بين الأحوص والفضل]

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ . وقد أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، إلاّ أنّ رواية ابن النطّاح أتمّ ، واللفظ له ، قال : مرَّ الفضل اللّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد ، وقد اجتمع الناس عليه ، فحسده ، فقال له : يا أحوص إنّك لشاعر ، ولكنّك لا تعرف الغريب ، ولا تُعرب . قال : بلى ، والله إنّي لأبصر الناس بالغريب والإعراب ، فأسْألك ؟ قال : نعم . قال : [من البسيط]

مـا ذاتُ حَبْـلٍ يراها الناس كلّهمُ وَسْط الجحيم فلا تخفى على أحدِ
كلّ الحِبالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ وحبلها وَسْطَ أهـلِ النّارِ من مسدِ

فقال له الفضل بن العبّاس : [من البسيط]

ماذا أردتَ إلى شتمي ومَنْقَصتي مـاذا أردت إلى حمَّالةِ الحطبِ ؟
أذْكَرْتَ بنتَ قُروم سادةٍ نُجُبٍ كانت حليلة شيخ ثاقبِ النَّسبِ

فانصرف عنه .

[بين الفضل والحزين الديلي]

قال ابن النطاح : وحُدّثت أنّ الحزين الدِّيليّ مرّ بالفضل يوم الجمعة ، وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين : أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ؟ فقال الفضل : ويْلَك يا حزين ! أتتعرّض لي ، كأنّك لا تعرفني . قال : بلى والله ، إنّي لأعرفك ، ويعرفك معي كلّ من قرأ سورة ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ . وقال يهجوه : [من الوافر]

إذا مـا كنـت مفتخِراً بجَـد فعـرِّج عـن أبي لهبٍ قليلا
فقـد أخزى الإله أباك دهـراً وقَلَّـد عِرسه حبـلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل ، وتكرّم عن جوابه . وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه .

[بينه وبين الفرزدق]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدَّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران ، قال : دخل الفرزدق المدينة ، فنظر إلى الفضل بن العبّاس بن عُتبة ينشد : [من الرمل]

من يساجِلْني يساجِلْ ماجِدا يملأ الدلـو إلى عَقْدِ الكَرَبْ

فقال الفرزدق : مَن المنشِد ؟ فأُخبِر به ، فقال : ما يساجلُك إلاّ مَن عَضَّ بَظْر أمّه .

[الوليد يعطيه وسليمان يحرمه]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : قدِم الوليد بن عبد الملك حاجّاً إلى مكّة وهو خليفة ، فدخل عليه الفضل بن العبّاس بن عتبة ، فشكا إليه كثرة العيال ، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً . فلمّا مات الوليد وَلِيَ سليمان فحجّ ، فأتاه فسأله ، فلم يعطِه شيئاً ، فقال : [من الكامل]

يا صاحب العِيسِ التي رُحِلت محبوسة لعشيةِ النَّفْرِ
امرر على قبر الوليدِ فقل له صلَّى الإلهُ عليك من قبرِ
يا واصل الرَّحم التي قُطِعت وأصابها الجَفَوات في الدهرِ
إنّي وجدت الخِلّ بعدك كاذباً فبرِئت من كذبٍ ومن غَدْرِ
ولقد مررت بنسوةٍ يندبنه بيضِ السواعدِ من بني فهرِ
تبكي لسيدها الأجل وما يبكين من نابٍ ولا بَكْرِ
يبكِينه ويقلن : سَيِّدنا تاج الخلافة آخر الدهرِ
ماذا لقيتُ ، جزِيتَ صالحة من جفوةِ الإخوان لو تدرِي

أخبرني وكيع بهذا الخبر ، قال : حدَّثني محمد بن علي بن حمزة قال : حدَّثنا أبو غسان قال : أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال : كان الفضل بن العبّاس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك ، فلمّا مات الوليد جفاه سليمان وحرمه ، فقال : [من الكامل]

يا راكب العيسِ التي وُقِفت لِلنفْرِ يوم صبيحةِ النحرِ

وذكر الأبيات . قال : وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كلّ سنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقِي شارب الريح . قال : وما شارب الريح ؟ قال : حماري ، افرِض له شيئاً . ففرض له خمسة دنانير ، فأخذها ولم يكن يطعمه . فعمَد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصّة الحمار ، وعلّقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي ، فأضحك منه الناس .

حدَّثنا اليزيديّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبو الشكر مولى بني هاشم ، كوفيّ ظريف ، قال : كان الفضل بن العبّاس بخيلاً ، فقدِم عليّ بن عبد الله بن العبّاس حاجّاً ، فأتاه في منزله مسلماً عليه ، فقال له : كيف أنت ، وكيف حالك ؟ قال : بخير ، نحن في عافية . قال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإنّي لأشتهي هذا العنب ، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج . فغمز غلاماً له ، فذهب فأتاه بسَلّة عظيمة من عنب ، فجعل يغسل له عنقوداً عنقوداً ويناوله ، فكلّما فعل ذلك قال : بَرَّتك رحِم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمِّه ، قال : كان الفضل بن العبّاس بخيلاً ، وكان ثقيل البدن ، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوباً ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعض بني هاشم : أنا أشتري لك حماراً تركبه ، وتستغني عن العاريَّة . ففعل ، وبعث به إليه ، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألاّ يعيره أحد سرجاً . فلمّا طال عليه ذلك ، اشترى سرجاً بخمسة دراهم ، وقال : [من الطويل]

ولمّـا رأيـت المـال مَـألف أهلِـهِ وصان ذوِي الأحساب أن يتبذّلوا
رجعـت إلى مالي فأعتبت بعضه فأعتبنـي إنّـي كذلـك أفعـلُ

ثم قال للذي اشترى له الحمار : إنّي لا أُطيق عَلَفه ، فإمّا أن تبعث إليّ علفه وإلاّ رددته . فكان يبعث إليه بعلَفٍ كل ليلة وشعير ، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كلّ أحد يأنس بـه علفاً لحماره ، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير ، حتى هَزَل وعطِب . فرفع الحزينُ الكِنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطّلب رقعة ، وكتب في رأسها قصّة حمار الفضل اللهبيّ ، وذكر فيها أنّه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس ، ويعلفه التبن ، ويبيع الشعير ، ويأخذ ثمنه ، ويسأل أن يُنصَف منه . فضحك لمّا قرأ الرقعة ، وقال : لئن كنت مازحاً إنّي لأراك صادقاً . وأمر بتحويل حمار اللهبيّ إلى إصطبله ، ليعلِفه ويُقضِمه ، فإذا أراد ركوبه دُفِع إليه .

أخبرني وكيع قال : حدَّثني محمد بن سعد الشاميّ ، عن ابن عائشة ، قال : كان الفضل اللهبيّ بغير سرج ، فاستعار سرجاً ، فمطله الرجل ، حتى خاف أن تفوته حاجته ، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ولمّا رأيت المـال مألف أهله

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً .

[منّة بني هاشم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقيّة حسنة في ذلك الدهر ، فأفاضوا في ذكر بني هاشم ، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيّه ﷺ ، فمن مُنشد شعراً ، ومتحدّث حديثاً ، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم . فقال أبي : قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العبّاس اللَّهَبيّ في بيتٍ قاله ، ثم أنشد قوله : [من البسيط]

مـا بـات قومٌ كرام يدّعون يدا إلاّ لقومـي عليهـم مِنّـة ويـدُ

نحن للسَّنام الذي طالت شظيّته فما يخالطه الأدواء والعَمَدُ

فمن صلّى صلاتنا ، وذبح ذبيحتنا ، عرف أنّ لرسول الله ﷺ يداً عليه ، بما هداه الله عزّ وجلّ إلى الإسلام به ، ونحن قومه ، فتلك مِنّة لنا على الناس .

وفي هذين البيتين غِناء لابن محرز ، هَزَج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة . وقوله «وطالت شظيّته» ، الشظية : الشَّظى ، قال دريد بن العصمة[1] : [من الطويل]

سليم الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شنِج النّسا أَمين القُوى نهدٌ طويل المقلَّدِ

والعمد : داء يُصيبُ البعير من مُؤْخر سنامه إلى عجزه ، فلا يُلْبِثه أو يقتلَه .

[مدح عبد الملك]

أَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، قال : قدِم الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، على عبد الملك بن مروان ، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزياديّ : والله ما أَسمع شعراً ، فلمّا كان العشيّ راح إليه الفضل ، فوقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أَتيتك خالاً وابن عمّ وعمّةٍ ولم أَكُ شَعْباً لاطَه بك مِشعَبُ
فصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة أَلا صِلةُ الأَرحام أَبقى وأَقربُ
ولا تجعلنّي كامرىء ليس بينه وبينكمُ قربى ولا متنسَّبُ
أتحدِب من دون العشيرة كلّها فأَنت على مولاك أَحنى وأَحدبُ

فقال الزياديّ : هذا ، والله يا أمير المؤمنين ، الشعر ! فقال عبد الملك : النَّخْس يكفيك البطيء[2] . وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده . وأَحسن صلته .

[عطية الأحيحي]

وأَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني النوفليّ قال : حدَّثني عمّي قال : لمّا قدِم الفضل اللَّهَبيّ على عبد الملك بن مروان أَمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حجّ الوليد فأَمر له بمثلها . فلمّا قدِم الأُحيحيّ على المهديّ فمدحه ، قال المهديّ لَمن حضر : كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللَّهَبيّ لما مدحه ، فما أعلم هاشميّاً مدحه غيره ؟ فقيل له : أعطاه عشرة آلاف

1 الشظية : القطعة من كل شيء والقطعة المرتفعة في رأس الجبل . والشظى : عظم دقيق لاصق بالذراع . والشوى : اليدان والرجلان . وشَنج النَّسا : متقبض عرق النسا فلا تسترخي رجلاه .

2 المثل «النخس يكفيك البطيء» في مجمع الميداني 2 : 346 .

درهم . قال : فكم أعطاه الوليد ؟ قالوا : مثل عطيّة أبيه . فأمر للأُحَيحيّ بثلاثين ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال : خرج عليّ بن عبد الله بن العبّاس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ، ومعه حاد يحدو به وعليّ بن عبد الله يسايره على نجيب له ، ومعه بغلة تُجنَب ، فحدا حادي عبد الملك به ، فقال : [من الرجز]

يـا أيّها البكـر الذي أراكا عليك سهلَ الأرضِ في ممشاكا
ويلَـك هل تعلـم مَن علاكا إن ابـن مـروان على ذُراكا
خليفـة الله الـذي امتطاكا لم يَعْلُ بكراً مثـلُ مَن علاكا

فعارضه الفضل اللَّهَبيّ ، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عبّاس ، فقال : [من الرجز]

يـا أيّها السائـل عن عليّ سألت عـن بـدر لنا بدرِيّ
أغلـبَ في العليـاء غلاَّبـي وليِّـن الشيمـةِ هاشميّ
جـاء على بكر لـه مَهْرِيّ

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال : أهذا مجنون آل أبي لهب ؟ قال : نعم . فلمّا أعطى قريشاً مرّ به اسمه فحرمه ، وقال : يعطيه عليّ . هكذا رواية عُمر بن شبة .

[غضب عليه سليمان]

وأخبرني ابن عمّار بهذا الخبر عن عليّ بن محمد بن النوفليّ عن عمّه : أنّ سليمان بن عبد الملك حجَّ في خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ، ودخل الفضل اللَّهبيّ يستقي ، فجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

يـا أيّها السائـل عـن عليّ سألـت عـن بدرٍ لنا بدريٌّ
مقـدَّم في الخير أبطحِـيٌّ ولـينِ الشيمـةِ هاشميٌّ
زمزمَنـا بورِكـتِ من ركيٍّ بورِكـتِ للساقـي وللمستقيّ

فغضب سليمان ، وهم بالفضل . فكفّه عنه عليّ بن عبد الله ، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية ، فأعطاه إيّاه ، وسأله أن يشربه ، فأخذه من يده كالمتعجّب ، ثم قال : نعم إنّه يستحبّ ، ووضعه في يده ولم يشربه . فلمّا وَلِيَ الخلافة وحجّ لقيه الفضل ، فلم يعطه شيئاً .

[بينه وبين الحارث بن خالد]

نسخت من كتاب ابن النطاح ، قال : ذكر أبو الحسن المدائنيّ أنّ الحارث بن خالد المخزوميّ ، كان يحسد الفضل اللَّهَبيّ على شعره ويعاديه ، لأنّ أبا لهب كان قامر جدّه العاصي بن

هشام على ماله فقَمَره ، ثم قامره على رِقَةٍ فقَمَره ، فأسلمه قَيْناً ، ثم بعث به بديلاً يوم بدر ، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول : هذا شعر ابن «حَمّالة الحطب» . فقال الفضل في ذلك : [من البسيط]

مـاذا تحاول من شتمي ومَنقصتي مــاذا تُعَيِّر مــن حمالة الحطبِ
غــراء سائلــة في المجد غُرتها كانت حليلة شيخ ثاقب النسبِ
إنـا وإن رسول الله جــاء بنـا شيخ عظيم شُئُونِ الرأس والنشبِ
يـا لعن الله قومـاً أنت سيدهم في جلدة بين أُصل الثِّيل والذنبِ[1]
أبالقيــون توافينــي تفاخِــرني وتدَّعي المجد قد أفرطتَ في الكذبِ
وفي ثلاثــةِ رهطٍ أنــت رابعهم توعـدني واسطاً جرثومـةَ العربِ
في أسرة من قريش هم دعائهما تشفي دماؤهــمُ للخَبْل والكَلَبِ
أمــا أبــوك فعبدٌ لستَ تنكره وكان مالكَــه جــدي أبــو لهبِ
النبــعُ عيداننــا والمجـدُ شيمتنا لسنا كقومِك من مَرْخ ولا غَرَبِ

[بينه وبين عقرب الحناط]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله بن محمد ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْرَبُ حَنّاط قد داين الفضل اللَّهَبيّ فمطله ، ثم مرَّ به الفضل وهو يبيع حِنطة له ، ويقول : [من الرجز]

جاءت بهــا ضابطـة التِّجارِ صافيــة كقطــع الأوتــارِ

فقال الفضل : [من السريع]

قــد تَجَرت عَقْربُ في سوقنا يــا عَجَبـا للعقربِ التاجرَهْ
قــد ضاقتِ العقربُ واستيقنت أنْ مالهــا دنيــا ولا آخرَهْ
فإن تعـدْ عادت لمــا ساءها وكانــتِ النعـلُ لها حاضرَهْ
إنَّ عــدُوّاً كيــدُه في استِهِ لَغَيرُ ذي كيـــدٍ ولا نائرَهْ
كلّ عــدوّ يُتقّــى مقبــلاً وعَقْرب تُخْشى مـن الدابرَهْ
كأنّها إذ خرجــت هَـوْدجٌ شَدَّت قُــواه رُفْقـة باكرَهْ

1 الثيل : وعاء قضيب البعير والتيس .

[بينه وبين عمر بن ربيعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا دماذ أبو غسان ، عن أبي عبيدة . ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائيّ عن ابن عائشة عن أبيه ، والروايتان كالمتفقتين : أنّ عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان ، فأدخِل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب ، فقال له : [من الرجز]

لا أنعــم الله بقَيْن عينا تحيّة السخطِ إذا التقينا

أأنت لا أُمّ لك القائل : [من الطويل]

صوت

نظـرت إليهـا بالمحصَّب مِن مِنًـى ولي نظــر لــولا التحــرُّج عارِمُ
فقلــت : أشمس أم مصابيـح بِيعةٍ بدت لك خلف السجفِ أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْوى القُــرطِ إمّــا لنوفل أبوهــا وإمّــا عبـدُ شمس وهاشِمُ

الغناء لابن سريج : رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ، ومن رواية حمّاد بن إسحاق عن أبـيه . ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق : ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، أوّلـه :

بعيـدة مهْــوى القـرط إمّا لنوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله :

ومـدّ عليها السجف يـوم لقيتها عــلى عجــلٍ تُبّاعها والخوادمُ

وتمام الشعر :

فلم أستطعها غير أنْ قــد بدا لنا عشيــة راحــت كفُّها والمعاصمُ
معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحى عصاها ، ووجْه لم تَلُحْه السَّمائمُ

نرجع إلى سياقة الخبر

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله ! ما ألأمك ! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عنه بنات عمِّك ! فقال عمر : بئست والله هذه التحيّة يا أمير المؤمنين لابن العمّ ، على شَحْط الدار ، ونأي المزار . فقال له عبد الملك : أراك مرتدِعاً عن ذلك فقال : إنّي إلى الله تعالى تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوبَ الله عليك ، وسيحسن جائزتك . ولكن أخبرني عن منازعتك اللَّهَبيّ في المسجد الجامع ، فقد أتاني نبأ ذلك ، وكنت أحبّ أن أسمعه منك . قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا جالس في المسجد الحرام ، في جماعة من قريش ، إذ دخل علينا الفضل بن

العبّاس بن عتبة ، فسلّم وجلس ، ووافقني وأنا أتمثّل بهذا البيت : [من الوافر]

وأصبح بطنُ مكــة مقشعِرًّا كأن الأرضَ ليسَ بهـا هِشام

فأقبل عليّ وقال : يا أخا بني مخزوم ، والله إن بلدة تبحبَحَ بها عبد المطّلب ، وبُعِث منها رسول الله ﷺ ، واستقرّ بها بيت الله عزّ وجلّ ، لحقيقة ألا تَقْشَعِرّ لهشام ، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ مَن يقول : [من الرمل]

إنّمــا عبــد منــاف جوهر زَيَّنَ الجوهــرَ عبدُ المطّلِبْ

فأقبلت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، إنّ أشعر من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

إنّ الدليــل على الخيراتِ أجمعِها أبناءُ مخزومَ ، للخيرات مخزومُ

فقال لي : أشعر والله من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمعَها إذ أمَّ هاشمَ لا أبنـــاءَ مخـزومِ

فقلت في نفسي : غلبني والله . ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ ، فخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذي يقول : [من المنسرح]

أبنـاء مخــزومٍ الحريــقُ إذا حرّكتــه تــارة تــرى ضَرَما

يَخرج منــه الشَّرارُ معْ لَهَبٍ مــن حاد عن حَرِّه فقد سلِما

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه فقال : يا أخا بني مخزوم ، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من المنسرح]

هاشمُ بحــر إذا سمــا وطما أخمــد حَــرّ الحريق واضطرما

واعْلَــم وخير المقــال أصدقُه بأنّ مــن رام هاشماً هُشِما

قال : فتمنّيت والله يا أمير المؤمنين أنّ الأرض ساختْ بي ، ثم تجلّدت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، أشعر من صاحبك الذي يقول : [من المنسرح]

أبنــاءُ مخــزومَ أنجمٌ طلعتْ للنّاس تجلـو بنورهـا الظُّلَما

نجود بالنَّيــل قبــلَ تُسْأَلــه جُـوداً هنيئاً وتضربُ البُهَما

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ ، ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من المنسرح]

هاشمُ شمسٌ بـالسَّعْدِ مَطْلَعها إذا بَدَت أخفت النجومَ مَعا

اختار منهـا ربِّـي النبيَّ فمن قارَعَهـا بعــد أحمـدِ قُرِعا

فاسودَّت الدنيا في عيني ، ودِير بي ، وانقطعت ، فلم أحِر جواباً . ثم قلت له : يا أخا بني

هاشم ، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ ، فما يسعنا مفاخرتك . فقال : كيف ؟ لا أمّ لك ، والله لو كان منك لفخرتَ به عليّ . فقلت : صدقتَ وأستغفر الله ، إنّه لموضع الفَخار . وداخلني السرور لقطعه الكلام ، ولئلاّ ينالني عَوَز عن إجابته فأفتضح . ثم إنّه ابتدأ بالمناقضة ، فأفكر هنيهة ، ثم قال : قد قلتَ فلم أجدْ بُدّاً من الاستماع ، فقلت : هات . فقال : [من الكامل]

نحـنُ الذيـن إذا سما لِفَخارهم ... ذو الفخر أقعـده هناك القُعْدُدُ[1]
افخَـر بنـا إن كنتَ يوماً فاخراً ... تَلْـقَ الأُلى فخروا بفخرك أُفْرِدوا
قـلْ يا ابن مخزومٍ لكلّ مفاخرٍ ... منّا المبـاركُ ذو الرسالـة أحمدُ
مـاذا يقول ذوو الفَخار هُنالِكُمْ ... هَيهاتَ ذلك ، هـل ينالُ الفرقَدُ

فحصِرت والله وتبلّدت ، وقلت له : إن لك عندي جواباً فأنظرني . وأفكرت مَلِيّاً ، ثم أنشأت أقول[2] : [من الكامل]

لا فَخْـرَ إلاّ قـد عـلاه محمدٌ ... فإذا فخـرتَ بـه فإنّـي أشهدُ
أنْ قَدْ فخرتَ وفُقْت كلَّ مفاخرٍ ... وإليك في الشرف الرفيعِ المَعْمدُ
ولنا دعائـم قـد بناهـا أوّلٌ ... في المكرمات جـرى عليها المَوْلدُ
مَنْ رامهـا حاشى النبـيَّ وأهله ... بالفخر غطمطـه الخليجُ المُزْبدُ[3]
دَعْ ذا ورُحْ لِغنـاء خَوْدٍ بَضَّةٍ ... ممّـا نطقـتَ بـه وغَنَّى مَعْبدُ
معْ فتيـة تَنْدى بطـونُ أكفّهم ... جُـوداً إذا هَـرَّ الزمانُ الأنكَدُ[4]
يتناولـون سُلافـة عانيـةً ... طابت لشاربهـا وطـاب المقْعَدُ

فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أجابني بجواب كان أشدّ عليّ من الشعر . قال لي : يا أخا بني مخزوم ، أريك السُّها وتريني القَمَرَ[5] ، قال أبو عبد الله اليزيديّ[6] : أدُلُّك على الأمر الغامض ، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح . وهذا مَثَلٌ ، أتخرج من المفاخرة إلى شرب الرّاح ، وهي

1 القعدد : اللئيم الخامل .
2 ديوان عمر : 117 مع بعض اختلاف .
3 غطمطه : اضطربت به أمواجه .
4 هر : ساء خلقه واشتدّ .
5 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 ومستقصى الزمخشري 1 : 147 وجمهرة العسكري 1 : 142 .
6 هو محمد بن العبّاس اليزيدي .

الخمر المحرمة ؟ فقلت له : أما علمت أصلحك الله أنّ اللهَ عزّ وجلّ يقول في الشعراء : ﴿وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله قوماً منهم ، فقال : «إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء ، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها ؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر . فقلت : أصلحك الله ، لا أجِد للمستخذي شيئاً أصلح من السكوت . فضحك وقال : أستغفر الله . وقام عنّي .

قال : فضحك عبد الملك حتى استلقى ، وقال يا ابن أبي ربيعة ، أما علمت أنّ لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق ، ارفع حوائجك . قال : فرفعتها فقضاها ، وأحسن جائزتي وصرفني .

واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العبّاس .

317 ـ [خليدة المكيّة]

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممّن ذكرت صنعته في هذا الخبر

[خليدة المكيّة]

منهم خُليدة المكيّة ، وهي مولاة لابن شمّاس ، كانت هي وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك .

فأخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه قال : كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعامَ الرقيق ، فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل ، فيفطُن هِشام ، فيقول : لقد حدث شيء ، ثم يقوم محمد ، فيتسلَّل القوم إليه ، وجاءت خُليدة المكيّة ، فصعِدُوا غُرفة ، فلمّا غَنَّت إذا حَفْز[1] ونفس ، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد : [من الرجز]

يــا قدمــيّ ألحقاني بالقومْ لا تَعِداني كَسَلا بعد اليومْ

فلمّا رآهم ، قال : أُحسبه قد جلس معهم . وقال لخُليدة : غني . فغنّت . فقال لها : اكتبي في صدرك «قل هو الله أحد والمعوَّذتين» لا تصيبك العين .

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْداذبه قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن الفضل بن الربيع قال : ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكيّة ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر : [من الخفيف]

فَتَنــت كاتبَ الأَميرِ رِياحا يــا لقــومٍ خُلَيـدة المكيَّهْ

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطّه ، قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : بلغني أنّ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان أرسل إلى خليدة المكيّة أبا عون مولاه يخطبها عليه . فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسترها ، ثم وثبت ، فقالت : إنّما ظننتك بعض سفهائك ، ولكنّي ألبس لك ثياب مِثلك ، ثم أخرج إليك . ففعلت . وقالت : قل . قال : أرسلني إليك مولاي ، وهو من تَعلمين بين رسول الله ﷺ وبين عليّ وعثمان ، وهو ابن عمّ أمير المؤمنين ،

1 الحفز : الدفع وتتابع النفس في الصدر .

يخطبك . وقالت : قد نسبته فأبلغت ، فاسمع نسبي أنا ، بأبي أنت . إنّ أبي بِيع على غير عَقْد الإسلام ولا عهده ، فعاش عبداً ، ومات وفي رجله قيد ، وفي عنقه سلسلة ، وعلى الإباق والسرقة ؛ وولدتني أُمِّي على غيرِ رِشدة ، وماتت وهي آبقة ، فأنا مَن تعلم . فإن أراد صاحبك نكاحاً مُباحاً ، أو زناً صُراحاً ، فهلمّ إليه ، فنحن له . فقال : إنّه لا يدخل في الحرام . قالت : ولا ينبغي أن يستحيَ من الحلال . فأمّا نكاح السِّر فلا . والله لا فعلته ، ولا كنت عاراً على القِيان . قال : فأتيت محمداً فأخبرته ، فقال : ويلك ! أتزوّجها مُعْلِناً وعندي بنت طلحة بن عُبيد الله ! لا . ولكن ارجع إليها ، فقل لها تختلف إليّ أردد بصري فيها ، لعلّي أسلو . فرجعت فأبلغتها الرسالة ، فضحكت ، وقالت : أما هذا فنعم . لسنا نمنعه منه .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ ليـــلٍ ناعـــم أحييتُـــه ... في عفافٍ عنــد قبّاء الحشى
ونهـــار قـــد لهونـــا بـــالتي ... لا نرى شبهاً لها فيمن مَشى
لِطلوعِ الشمس حتـى آذنت ... بغــروب عنــد إبان العِشا
لِسُلَيمى مــا دعــت قُمْرِيّـة ... بهديل فوق غصن من غَضى
وعُقَـــارٍ قهـــوةٍ باكرتُهـــا ... في ندامـى كمصابيح الدُّجى
وجـــواد سابــح أقحمتـــه ... حَوْمــة الموت على زُرق القَنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد ، فيما ذكر الزُبير بن بكّار . وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ . وخالدُ بن كلثوم : أنّه لابنه خالد بن المهاجر . والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان ، أحدهما هزج خفيف بالسبابة ، في مجرى البنصر ، عن إسحاق وابن المكّيّ ، والآخر رمل بالبنصر ، عن عمرو وابن المكّيّ والهشاميّ . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر ، عن ابن المكّيّ . قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر ، نشيد مسحج ، ووافقه عمرو والهشاميّ ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنّه لابن محرز ، والمعمول عليه الرواية الثانية .

[318] ـ أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وكان الوليد بن المغيرة سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من جُوَدائها . وكان يلقّب بالوَحيد . وأُمّه صَخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجيلة ، ثم من قَسْر . ولّما مات الوليد بن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة ، لإعظامها إيّاه ، حتى كان عام الفيل ، فجعلوه تاريخاً . هكذا ذكر ابن دأب .

وأمّا الزُّبير بن بكّار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤَمَّليّ ، أنّها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين ، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرّخوا بها .

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والغَناء في حروبه المحل المشهور ، ولقّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سيف الله ، وهاجر إلى النبيّ ﷺ قبل الفتح وبعد الحُدَيْبية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة . فقال النبيّ ﷺ لّما رآهم : رمتكم مكّة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكّة مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ فكان أوّل مَن دخلها في مُهاجِرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مُؤْته . فلمّا قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة ، ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم ، انحاز بهم ، وحامَى عليهم حتى سلموا ، فلقّبه يومئذٍ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : سيف الله .

حدَّثنا بذلك أَجمع الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء والطوسيّ عن الزُّبير بن بكّار .

وكان خالد يوم حنين في مقدّمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعه بنو سليم ، فأصابته جِراح كثيرة ، فأتاه الله ﷺ بعد هزيمة المشركين ، فنَفَث على جراحه ، فاندملت ونهض . وله آثار في قتال أهل الرِّدَّة ، في أيّام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة ، يطول ذكرها . وهو فَتَح الحِيرة ، بعث إليه أَهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة ، فكلّمه خالد ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائي . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامي . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل وامرأة . قال : فأين أقصى أثرك ؟ قال : منتهى عمري . قال : أتعقل ؟ قال : نعم ، وأُقَيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتّقي بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لأَمر ما اختارك قومك ، ما هذا في يدك ؟ قال : سَمٌّ ساعة . قال : وما تصنع به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردني به : فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم ، وإلاّ شربته ، فقتلت نفسي ، ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون . فقال له خالد : أرنيه . فناوله إيّاه . فقال خالد : باسم الله لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجللته غشية ، ثم أفاق يمسح

العرق عن وجهه . فرجع ابن بُقيلة إلى قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القوم إلاّ من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالِحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

أخبرني بذلك إبراهيم بن السريّ ، عن يحيى التميميّ ، عن أبيه ، عن شعيب بن سيف . وأخبرني به الحسن بن عليّ عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ .

وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جَبَل ، فرضوا به وبإمارته .

قالوا : وكان رسول الله ﷺ قد حَلَق رأسه ذات يوم ، فأخذ خالد شَعره ، فجعله في قلنسوة له ، فكان لا يَلقى جيشاً وهي عليه إلاّ هزمه .

وروى عن النبيّ ﷺ الحديث ، وحُمل عنه . ورآه النبيّ ﷺ مُتَدلّياً من هَرْشى فقال : نِعْم الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسيّ والحِرْميّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن أبي سعيد المقبريّ ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك له .

[ما صنعه النساء عند موت خالد]

قال الزُّبير : وحدَّثني محمد بن سَلاّم ، عن أبان بن عثمان قال : لمّا مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلاّ وضعت لِمَّتها على قبره ، يعني حلقت رأسها ، ووضعت شعرها على قبره .

قال ابن سلاّم : وقال يونس النحويّ : إنّ عمر رضي الله عنه قال حينئذٍ : دعوا نساء بني المغيرة يَبكين أبا سليمان ، ويُرِقن من دموعهن سَجْلاً أو سجلين ، ما لم يكن نقع أو لقلقة .

قال : والنقع : مد الصوت بالنحيب . واللقلقة : حركة اللسان بالولولة ونحوها .

[أشبه الناس بعمر]

قال الزُّبير ، فيما ذكره لي مَن رويت عنه : حدَّثني محمد بن الضَّحاك عن أبيه : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان أشبَه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمرُ سَحَراً ، فلقيه شيخ ، فقال له : مَرْحَباً بك يا أبا سليمان ، فنظر إليه عمر ، فإذا هو عَلقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة : عزلك عمر بن الخطّاب ؟ فقال له عمر : نعم . قال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ما عندي إلاّ السمع والطاعة .

فلمّا أصبح عمر دعا بخالد ، وحضره علقمة بن عُلاثة ، فأقبل على خالد ، فقال له : ماذا قال لك علقمة ؟ قال : ما قال لي شيئاً . قال : اصدُقْني . فحلفَ خالد بالله ما لقيه ، ولا قال له شيئاً . فقال له علقمة : حِلا أبا سليمان . فتبسّم عمر ، فعلِم خالد أنّ علقمة قد غلط ، فنظر إليه ،

وفَطَن عاقمة ، فقال له : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعفُ عنّي ، عفا الله عنك . فضحك عمر وأخبره الخبر .

أخبرني عمّي قال : حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدّثنا المدائنيّ ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد ، وعن أبي ذئب ، عن أبي سهيل أو ابن سهيل : أنّ معاوية لمّا أراد أن يُظْهر العهْد ليزيد ، قال لأهل الشام : إنّ أمير المؤمنين قد كَبِرت سنّه ، ورقّ جِلده ، ودقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمَن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها ، ودسّ ابن أُثال الطبيب إليه ، فسقاه سمّاً فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكّة ، وكان أسوأ الناس رأياً في عَمِّه ، لأنّ أباه المهاجر كان مع عليّ عليه السلام بصِفّين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه : هاشميّ المذهب ، ودخل مع بني هاشم الشِّعْب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقى عليه زِق خمر ، وصبَّ بعضه على رأسه ، وشَنَّع عليه بأنّه وجده ثَمِلاً من الخمر ، فضربه الحدّ . فلمّا قُتِل عمّه عبد الرحمن مَرَّ به عروة بن الزّبير ، فقال له : يا خالد ، أتدع ابن أُثال يُنْقِي[1] أوصال عمّك بالشام وأنت بمكّة مُسْبِلٌ إزارك ، تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمي خالد ، ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فأعلمه الخبر ، وقال له : لا بدّ من قتل ابن أُثال ؛ وكان نافع جَلْداً شهماً .

فخرجا حتى قدِما دمشق ، وكان ابن أُثال يُمْسي عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامه إلى أُخرى ، حتى خرج . فقال خالد لنافع : إيّاك أن تعرض له أنت ، فإني أضربه ، ولكن احفظ ظهري ، واكْفِني من ورائي ، فإن رابَك شيء يريدني من ورائي فشأنك . فلمّا حاذاه وثَب عليه فقتله ، وثار إليه مَن كان معه . فصاح بهم نافع فانفرجوا ، ومضى خالد ونافع ، وتبعهما مَن كان معه ، فلمّا غَشَوْهما حملا عليهم ، فتفرّقوا ، حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً ، ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر ، فقال : هذا خالد بن المهاجر ، اقلبوا الزُّقاق الذي دخل فيه . ففُتّش عليه ، فأُتِي به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيراً ، قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور وبقي الآمِر . فقال له : عليك لعنة الله ! أَما والله لو كان تَشَهَّد مرّة واحدة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت إلاّ به . ثم أمر بطلبه فوُجِد ، فأُتي به ، فضربه مِئة سوط . ولم يُهجْ خالداً بشيء أكثر من أن حبسه ، وألزم بني مخزوم دية ابن أُثال ، اثني عشر ألف درهم . أدخل بيتَ المال منها ستّة

---

1 ينقي العظام : يخرج مخها .

آلاف درهم ، وأخذ ستّة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد ، حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبتَ الذي يدخل بيت المال .

وخالد بن المهاجر الذي يقول : [من الكامل]

صوت

يـا صاحِ يا ذا الضامِرِ العَنْسِ والرحلِ ذي الأنساعِ والحِلسِ
سَيْرَ النهـارِ ولستَ تاركـه وتُجِـدُّ سَيراً كلّمـا تمسي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجِده في شعر المهاجر ، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون ، لحنان : ثقيل أوّل ، وخفيف ثقيل . ذكر يونس أنّ أحدهما لمالك ، ولم يذكر طريقة لحنه ، ووجدته في جامع غناء معبد ، عن الهشاميّ . ويحيى المكّيّ له فيه خفيف ثقيل . وهكذا ذكر عليّ بن يحيى أيضاً ، ولعلّه رواه عن ابن المكّيّ . وإن كان هذا لمعبد صحيحاً ، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل . وذكر حبش ، وهو ممّن لا يحصل قوله : أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

[ضجره من الحبس]

قال : ولّما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحَبْس : [من مجزوء الكامل]

إمّـا خُطـايَ تقارَبَتْ مَشْيَ المقيَّـد في الحِصارِ
فبمـا أُمَشّي في الأبـا طِـح يقتفـي أثرى إزارِي
دع ذا ولكنْ هـل ترى نـاراً تُشَبُّ بـذي مُرارِ[1]
مـا إن تُشَبُّ لِقُـرَّة للمصطلـين ولا قُتـارِ
مـا بـالُ ليلكَ ليس يَنْـ ـقُص طُولَـه طولُ النّهارِ
أتقاصـر الأزمـانُ أم غَرَضِ الأسيرِ من الإسارِ[2]

[تحريضه على قتل ابن جرموز]

قال : فبلغت أبياتُه معاويةَ ، فرقّ له وأطلقه . فرجع إلى مكّة . فلمّا قدمها لقِي عروة بن الزُّبير ، فقال له : أما ابن أُثال فقد قتلتُه ، وذاك ابن جُرموز يُنْقي أوصال الزُّبير بالبصرة ، فاقتله إن كنتَ ثائراً . فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يمسِك عنه ، ففعل .

---

1 ذو مرار : أرض كثيرة المرار ، وهو حمض تأكله الإبل .

2 غرض : ضجر وقلق .

[غنّى إبراهيم بن المهديّ في شعر للمهاجر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني يعقوب بن نعيم قال : حدَّثني إسحاق بن محمد قال : حدَّثني عيسى بن محمد القَحْطَبيّ قال : حدَّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتابِ والحِلْسِ

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : تأمر سيّدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي ، فهو أحبّ إليّ منها ؟ فقال له : يا عمّ ، ألقِ هذا الصوت على محمد . فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخُذه قال : اذهب فأنت أحذقُ الناس به . فقلت : إنّه لم يصلح لي بعد . قال : فاغدُ غداً عليّ . فغدوت عليه ، فأعاده ملتوياً ، فقلت له : أيّها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ؛ أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعمّ الخليفة ، تجود بالرغائب ، وتبخل عليّ بصوت ؟ فقال : ما أحمَقك ! إنّ المأمون لم يستبقني محبّة لي ، ولا صلة لرحمي ، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندي ، ولكنّه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمقالته . فقال : إنّا لا نكدِّر على أبي إسحاق عفونا عنه ، فدعه . فلمّا كانت أيّام المعتصم نشِط للصَّبوح يوماً ، فقال : أحضروا عمّي . فجاء في دُرّاعة بغير طَيْلَسان ، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّاً ، فقال : يا عمّ غَنِّني : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتاب والحلسِ

فغنّاه . فقال : ألقه على محمد ، فقال : قد فعلت ، وقد سبق منّي قول ألاّ أُعيدَه عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنّيه حيث أحضُر .

صوت

[من المنسرح]

أقفَـر بعـد الأحبّـة البلَدُ فهْـو كأنْ لم يكنْ بـه أحدُ
شَجاك نُـؤْيٌ عَفَت معالِمُهُ وهامـدٌ في العِـراص مُلتبدُ
أُمُّــك عَنْسيـة مهذَّبـة طابت لهـا الأُمَّهاتُ والقَصَدُ
تُدْعى زهيريـة إذا انتسبتْ حيث تلاقى الأنسابُ والعَدَدُ

الشعر لحمزة بن بِيض ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو وابن المكيّ .

[319] ـ أخبار حمزة بن بيض ونسبه[1]

حمزة بن بِيض الحَنفيّ : شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، كوفيّ خليع ماجن ، من فحول طبقته . وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبي صُفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بُرْدة . واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أبو هفّان قال : أخبرني أبو محلم عن المفضل قال : أخذ حمزة بن بِيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف دِرهم ، من مال وحُملان وثياب ورقيق وغير ذلك .

[ممازحة بلال بن أبي بردة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أبو تَوبة ، قال : قدِم حمزة بن بِيض على بِلال بن أبي بُردة ، فلمّا وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بِيض الحنفيّ ، فدخل الغلام إلى بِلال ، فقال : حمزة بن بِيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه ، فقال : اخرج إليه فقل : حمزة بن بِيض ابن مَن ؟ فخرج الحاجب إليه ، فقال له ذلك . فقال : ادخل فقل له : الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد ، تسأله أن يهب لك طائراً ، فأدخلك وناكك ، ووهب لك طائراً . فشتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة ، فأخبره بالجواب . فدخل الحاجب وهو مغضَب ، فلمّا رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك قبَحه الله ؟ قال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدِّ الجواب . قال : فأبى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحص برجله ، وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه ، ورفعه ، وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

قال : وأراد بقوله (ابن بِيض ابن مَنْ ؟) قول الشاعر فيه : [من البسيط]

أنت ابن بِيض لعمري لستُ أُنكره ... وقد صدقت ، ولكن مَن أبو بِيض ؟

[مديحه مخلد بن يزيد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن الأثرم ، عن أبي عمرو ، وأخبرني وكيع قال : حدَّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان ، قال : حدَّثني أبو الحسن الشَّيبانيّ قال : حدَّثني شعيب بن صفوان ، قال : قدِم حمزة بن بِيض على مَخْلد بن

1 لحمزة بن بيض ترجمة في معجم الأدباء : 1215–1219 وفوات الوفيات 1 : 395–397 وتهذيب ابن عساكر 4 : 443 ومصورة ابن عساكر 5 : 299 والمعارف : 591 والمؤتلف والمختلف : 141 وبغية الطلب 5 : 287 وسير الذهبي 5 : 267 وأخبار الحمقى : 43 وقد أورد له صاحب التذكرة أخباراً كثيرة في مواضع متفرقة .

يزيد بن المهلّب وعنده الكميت ، فأنشده قوله فيه : [من المتقارب]

أتينـاك في حاجـة فاقضِها وقُـل مرحباً يَجِبِ المرحَبُ
ولا تَكِلَنَّـــا إلى معشر متـى يعِـدوا عِدة يكذبوا
فإنّـك في الفرع من أُسرة لهم خضع الشرق والمغربُ
وفي أدبٍ منهـمُ مـا نشأتَ ونعْـمَ لعمـرُك مـا أدّبوا
بلغـت لعَشر مضت من سنيـ ـك مـا يبلغ السيدُ الأشيبُ
فهَمُّـك فيهـا جسام الأُمورِ وهـمُّ لِداتـك أن يلعبوا
وجُـدْتَ فقلـت ألا سائـل فيعطـى ولا راغـبٌ يرغبُ
فمنـك العطيّـة للسائلـين وممّـن ينوبـك أن يَطلُبوا

فأمر له بمئة ألف درهم ، فقبضها . قال وكيع في خبره : وسأله عن حوائجه ، فأخبره بها ، فقضى جميعها . وقال أيضاً في خبره : فحسده الكميت . فقال له : يا حمزة ، أنت كمُهْدِي التمر إلى هجر[1] ، قال : نعم ، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر .

أخبرني عليّ بن سليمان قال : حدَّثني محمد بن يزيدَ النحويّ ، قال : قال الجاحظ : أصاب حمزةَ بن بِيض حُصْرٌ[2] ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القُولَنْج ، إذ ضرط رجل منهم ، فقال حمزة : مَن هذا المنعَم عليه ؟

[نبوءة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه قال : قال عليّ بن الصباح : حدَّثني هشام بن محمد ، عن الشَّرْقيّ ، قال : زعم هشام بن عروة أنّ عبد الرحمن بن عنبسة مَرَّ فإذا هو بغلام أصبَح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن وَلَد ، فسأل عنه ، فقيل له : يتيم من أهل الشام ، قدِم أبوه العراق في بَعْث[3] فقُتِل ، وبقي الغلام هاهنا . فضمّه ابن عنبسة إليه ، وتبنّاه . فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ، ومرَّ يوماً على بِرذون ومعه خدم على ابن بِيض ، وحول ابن بِيض عِياله في يوم شات ، وهم شُعْث غُبْر عُراة ، فقال ابن بِيض : مَن هذا ؟ فقيل : صَدَقة يتيم ابن عنبسة . فقال : [من المنسرح]

1 المثل «كمستبضع التمر إلى هجر» في مجمع الميداني 2 : 152 ومستقصى الزمخشري 2 : 233 وفصل المقال : 413 .
2 الحصر : احتباس البطن أو البول .
3 البعث : الجيش .

يَشْعَث صبيانُنا وما يَتموا | وأنت صافي الأديم والحدقَهْ
فليت صبياننا إذا يَتِموا | يلقَون ما قد لقيت يا صدقَهْ
عوّضك الله من أبيك ومن | أمّك في الشام بالعراق مِقَهْ[1]
كفاك عبد الرحمن فَقْدَهما | فأنتَ في كُسوة وفي نَفَقَهْ
تظلّ في دَرْمكٍ وفاكهة | ولحمِ طير ما شئت أو مرقَهْ[2]
تأوي إلى حاضن وحاضنة | زادا على والديْك في الشفقَهْ
فكلْ هنيئاً ما عاش ثم إذا | مات فَلَغْ في الدماء والسرِقَهْ
وخالِف المسلمين قِبلَتهم | وضَلّ عنهم وخادِنِ الفسقَهْ
واشترِ نهد التليلِ ذا خصَلٍ | لصوته في الصهيل صَهْصَلَقَهْ[3]
واقطع عليه الطريق تُلْفَ غداً | رَبَّ دنانيرَ جمّةٍ ورِقَهْ[4]

فلّما مات عبد الرحمن ، أصابه ما قال ابن بيض أجمع : من الفساد والسرِقة وصحبة اللصوص ، ثم كان آخر ذلك أنّه قطع الطريق ، فأُخِذ وصُلِب .

[نبوءة أُخرى]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني النوفليّ عن أبيه . قال ابن عمّار : وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدّثني أبي عن أبي سفيان الحميريّ قال : خرج حمزة بن بِيض يريد سفراً ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة ، كثيرة الأهل والمواشي ، ومن الشاء والبقر ، كثيرة الزّرع ، فلم يصنعوا به خيراً ، فغدا عليهم ، وقال : [من الكامل]

لعن الإله قرية يمّمتها | فأضافني ليلاً إليها المغربُ
الزارِعين وليس لي زرع بها | والحالبين وليس لي ما أحلُبُ
فلعلّ ذاك الزّرع يُودِي أهلُه | ولعلَّ ذاك الشاءِ يوماً يَجْرَبُ
ولعلّ طاعوناً يصيب علوجها | ويصيب ساكنها الزّمان فتخربُ

قال : فلم يمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون ، فأباد أهلها ، وخربت إلى اليوم . فمرّ بهم ابن بِيض ، فقال : كَلاَّ ، زعمتُ أنّي لا أُعْطى مُنْيَتي . قالوا : وأبيك لقد أعطيتها ،

1 مقه : محبة .
2 الدرمك : الدقيق الأبيض .
3 النهد : المرتفع . والتليل : العنق والصهصلقة : شدة الصوت . ويقصد بذلك الفرس .
4 الرقة : الدراهم المضروبة .

فلو كنت تمنّيت الجنّة كان خيراً لك . قال : أنا أعلم بنفسي ، لا أتمنّى ما لست له بأهل ، ولكنّي أرجو رحمة ربّي عزّ وجلّ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكرياء الغَلابيّ قال : قال ابن عائشة : خرج ابن بِيض في سفر ، فنزل بقوم ، فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس ، وألقوا لِبغلته تبناً ، فأعرض عنهم ، وأقبل على بغلته ، فقال : [من الرمل]

أحسُبِيهــا ليلــة أدلجتُهــا ... فكُلي إن شئت تِبْنــاً أو ذري
قــد أتــى ربَّكِ خبزٌ يابس ... فتعــزِّي وتعــزي واصبري

[محاورة مع الفرزدق]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قـال : قال حمزة بن بِيض يوماً للفرزدق : أيُّما أحبّ إليك ، تسبق الخير أو يسبقك ؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقني ، ولكن نكون معاً . فأيُّما أحبّ إليك ، أن تدخل إلى بيتك ، فتجِد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك ، أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بدّ من جوابه ، والبادي أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره ، قد أغبَته[1] عن نفسها .

[جبنه]

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميني : قال ابن الأعرابيّ : وقع بين بني حنيفة بالكوفة ، وبين بني تميم شرّ ، حتى نشِبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بِيض : ألا تأتي هؤلاء القوم ، فتدفعَهم عن قومك ، فإنّك ذو بيان وعارضة ؟ فقال : [من الطويل]

ألا لا تلمني يا ابن ماهان إنّني ... أخاف على فَخَّارتـي أن تَحَطَّما
ولو أنّني أبتاع في السوق مثلَها ... وجـدِّك مـا باليت أن أتقدّما

[شارب النبيذ أفضل من الناسك]

قال : وكان لابنِ بِيض صديق عامل من عمّال ابن هبيرة ، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألفَ درهم ، واستودع مثلَها رجلاً نبيذيّاً ، فأمّا الناسك فبنى بها داره ، وتزوّج النساء ، وأنفقها وجحده . وأمّا النبيذيّ فادّى إليه الأمانة في مالِه ، فقال حمزة بن بِيض فيهما : [من المتقارب]

ألا لا يغرَّنْك ذو سجـدة ... يظـلّ بهــا دائبـاً يَخْدَعُ
كــأنّ بجبهتــه جُلْبــة ... يسبح طـوراً ويسترجعُ[2]

1 أغبته : أبعدته .

2 الجلبة : قشرة رقيقة على الجرح عندما يقارب البرء .

وما للتُّقى لزمت وجهه ولكن ليغترَّ مستودِعُ
فلا تنفِرنَّ مِنَ آهل النبيذِ وإن قيل يشرب لا يُقْلِعُ
فعندك عِلم بما قد خبر تُ إن كان علم بهم ينفعُ
ثلاثون ألفاً حواها السجود فليست إلى أهلها تَرجعُ
بنى الدار من غير ما ماله وأصبح في بيته أربعُ
مهائرُ من غيرِ مالٍ حواه يقاتون أرزاقَهم جُوَّعُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريّا الصَّحَّاف ، قال : حدَّثنا قَعْنب بن المحرز ، قال : حدَّثنا أبو عبيدة والأصمعيّ ، وكَيسان بن المعرف ، فذكروا نحو هذا الخبر ، إلاّ أنّه حكى أنّ حمزة بن بِيض هو الذي استودع الرجلين المال ، وقال :

وأدّى أخو الكأس ما عنده وما كنت في ردّها أطمعُ

[بينه وبين أبي الجون السحيمي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني أحمد بن محمد ، عن ابن داجة ، قال : اختصم أبو الجَون السُّحَيميّ وحمزة بن بِيض ، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابيّ ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة وقال : [من البسيط]

غَمَّضتُ في حاجة كانت تؤرِّقني لولا الذي قلتَ فيها قلَّ تغميضي

فقال : وما الذي قلت لك ؟ قال :

حلفت بالله لي أن سوف تنصفني فساغ في الحلقِ ريقي بعد تجريضي[1]

قال : وأنا أحلِف لأنصفنّك . قال :

سل هؤلاءِ إلى ما ذا شهادتهم أم كيف أنت وأصحابَ المعاريضِ

قال : أُوجعهم ضرباً . فقال :

وسل سُحيماً إذا وافاك أجمعُهم هل كان بالشرّ حوض قبل تحويضي

قال : فقضى له . فأنشأ السحيميّ يقول : [من البسيط]

أنت ابنِ بِيض لعمري لستُ أُنكره حقّاً يقيناً ، ولكن من أبو بِيضِ ؟
إن كنت أنبضت لي قوساً لترميني فقد رميتك رمياً غير تنبيضِ

---

1 التجريض : ابتلاع الريق على هم وحزن .

أو كنت خَضْخضت لي وطْباً لتسقِيني فقـد سقيتك محضـاً غير ممخوضِ

قال : فوجَم حمزة وقُطِع به . فقيل له : ويلَك ! ما لك لا تجيبه ؟ قال : وبِم أُجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطّلب بن هاشم أبو بِيض ما نفعني ذلك ، بعد قوله : ولكن من أبو بِيض .

وأخبرني بهذا الخبر ابن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة بمثله . وقال فيه : إنّ المخاصِم له أبو الحويرِث السُّحَيميّ .

[مدح يزيد بن المهلّب في السجن]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرنا السَّكْن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، قال : دخل حمزة بن بِيض على يزيد بن المهلّب السجن ، فأنشده : [من المنسرح]

أغلِق دون السماح والجود والنـ ـجدة باب حديـدُه أَشِبُ[1]

ابنُ ثـلاث وأربعين مضت لا ضرِع واهن ولا نكِبُ[2]

لا بَطِـر إن تتابعـت نِعَـم وصابـر في البـلاء محتسِبُ

بَرَّزْتَ سبقَ الجوادِ في مَهَل وقَصَّرتْ دون سعيك العَربُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأت ، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه ، ولا منزل لـك ، ثم رفع مقعداً تحته ، فرمى إليه بخرقة مصرورة ، وعليه صاحب خبر واقف ، فقال : خذ هذا الدينار ، فوالله ما أملك ذهباً غيره . فأخذه حمزة ، وأراد أن يردّه ، فقال له سرّاً : خذه ولا تُخْدع عنه . فقال حمزة : فلمّا قال لي : لا تخدع عنه ، قلت : والله ما هذا بدينار ، فقال لي صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطاني ديناراً ، فأردت أن أردّه عليه ، فاستحييت منه . فلمّا صرت إلى منزلي حللت الصرّة ، فإذا فَصٌّ ياقوت أحمر ، كأنّه سِقط زَنْد ، فقلت : والله لئن عرضتُ هذا بالعراق ، ليُعْلَمنّ أنّي أخذته من يزيد ، فيؤخذ منّي ، فخرجت به إلى خراسان ، فبعته من رجل يهوديّ بثلاثين ألفاً ، فلمّا قبضت المال وصار الفَصُّ في يده ، قال لي :

والله لو أبيت إلاّ خمسين ألف درهم ، لأخذته منك ، فكأنّما قذف في قلبي جمرة . فلمّا رأى تغيّر وجهي قال : إنّي رجل تاجر ، ولست أشكّ أنّي قد غممتك . قلت : إي والله وقتلتني . فأخرج إليّ مائة دينار ، فقال : أنفِق هذه في طريقك ، لتتوفّر عليك تلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي : دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلَّب ، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز ، فأنشده قوله فيه : [من المنسرح]

1 أشب : ملتف .

2 الضرع : الضعيف الجبان . والنكب : من يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً .

أُصبح في قيدك السماحة والـ ـحاملُ للمعضلات والحَسَبُ
لا بِطـرٌ إن تتابعـت نعـمٌ وصابـرٌ في البـلاء محتسِبُ

فقال له : ويحك أتمدحني على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لئن كنتَ هكذا لطالما أَثْبت على الثناء ، فأحسنت الثواب والرِّفْد ، فهل بأس أن نُسلِفك الآن . قال : أما إذ جعلته سَلَفاً فاقنع بما حضر ، إلى أن يمكن قضاء دينك . وأمر غلامه ، فدفع إليه أربعة آلاف درهم ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتله الله ! يعطي في الباطل ، ويمنع الحقّ ، يعطي الشعراء ، ويمنع الأمراء .

[مدحه سليمان بن عبد الملك]

أُخبرني محمد بن الحسين بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الأوّل بن مَزيد ، قال : حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، قال : أخبرني مَخْلد بن حمزة بن بِيض قال : قدِم أبي على يزيد بن المهلّب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأُدخله إليه ، فأُنشده : [من الكامل]

ساس الخلافـةَ والداك كلاهمـا من بين سَخْطة ساخط أُو طائعِ
أبـواك ثـم أَخـوك أُصبحَ ثالثاً وعلى جبينك نـور مَلْـك الرابعِ
سَرَّيتَ خوف بنـي المهلَّب بعدما نظـروا إليك بسَمٍّ مـوتٍ ناقِعِ
ليس الـذي ولاّكَ ربُّـك منهمُ عنـد الإلـه وعندهـم بالضائعِ

فأَمر له بخمسين ألفاً .

[يريد جائزة مثل جائزة الكميت]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال : حدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال : حدَّثني عُيينة بن المنهال قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ قال : حدَّثني أبو يعقوبَ الثقفيّ قال : قال لي حمزة بن بِيض : لمّا وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أَباه على خراسان ، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها :

هـلا سألتَ معالِم الأطلالِ

وهي التي يقول فيها : [من الكامل]

يمشين مشي قطا البطاحِ تأوُّدا قُبّ البطونِ رواجح الأكفالِ

وقصيدته التي يقول فيها :

هـلاّ سألت منازلاً بالأبرقِ

أُعطاه مِئة ألفِ درهم ، سوى العُروض والحُمْلان . فقدِم الكوفة في هيئة لم يُرَ مثلها ، فقلت في نفسي : واللهِ لأنّا أولى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد ، وإنّي لحليفه وناصره في العصبية على الكميت ، وعلى مُضَر جميعاً . فهيأت لَمخْلد مديحاً على رويّ قصيدَتَي

الكميت وقافيتيهما ، ثم شخصت إليه . فلمّا كان قبل خروجي إليه بيوم ، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضَرَ في البدو ، فقالوا إنّك تأتي مَخْلَداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنّك لا تُؤْثر على نفسك ، ولكن إذا فَرَغ من أمرك ، فأعلمه مَمشانا إليك ، ومسألتنا إيّاك كلامه ، فنرجو أن تكون عند ظنّنا . فلمّا قدِمت على مخلد خُراسان أنزلني ، وفَرَش لِي ، وأَخْدَمني ، وحملني وكساني ، وخلطني بنفسه ، فكنت أسمرُ معه ، فقال لي ليلة : أعليك دين يا ابن بِيض . قلت : دَعني من مسئلتك إيّاي عن الدين ، إنّك قد أعطيت الكميت عطيّة لست أرضى بأقلّ منها ، وإلاّ لم أُدخل الكوفة ، ولم أُعيَّر بتقصيرك بي عنه . فضحك ، ثم قال لي : بل أزيدك على ما أعطيت الكميت . فأمر لي بمئة ألف درهم ، كما أعطى الكميت ، وزادني عليه ، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به ، فلمّا فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكِرة بحاجة القوم في الديات ، فلمّا جلس أنشدته : [من المتقارب]

أتينــاك في حاجــة فاقضِها وقُــلْ مرحباً يجِبِ المَرحَبُ
ولا تَكِلَنـــــا إلى معشر متــى يعِدوا عِــدَة يكذِبوا
فإنّك في الفــرع من أُسرة لهــم خضع الشرق والمغربُ
وفي أَدَب منهــم مــا نشأْتَ ونِعْــمَ لعمــرُك مــا أَدَّبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سِنيـ ـك ما يبلغ السّيدُ الأشيبُ
فهمُّك فيهــا جِسام الأمــورِ وهـــمُّ لِداتـــك أن يلعبوا

فقال : مرحباً بك وبحاجتك ، فما هي ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم ، وقلت : حَمالات في ديات . فتبسّم ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم . فقلت : أوَ غير ذلك أيّها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أُدَلّ على قبر المهلّب ، حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسّم ، ثم قال : زِده يا غلام عشرة آلاف أُخرى ، فأبيت ، وقلت : بل أدَلّ على قبر المهلّب ، فقال : زِده يا غلام عشرة آلاف أُخرى ، فما زلت أكرّرها ويزيدني عشرة آلاف ، حتى بلغت سبعين ألفاً . فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي ، فقلت : وصلك الله أيّها الأمير ، وآجَرك ، وأحسن جزاءك . فقال مَخلَد : أما والله لو أقمت على كلامك ، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

[مجلس المأمون والنضر بن شميل]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني النضر بن شميل ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْو وعليّ أطمار مترعبلة[1] ؛ فقال لي : يا نضر ،

1 مترعبلة : ممزقة .

تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حَرَّ مرو لا يُدفَع إلاّ بمثل هذه الأخلاق[1] . فقال : لا . ولكنّك رجل متقشّف . فتجارَيْنا الحديث ، فقال المأمون : حدّثني هُشَيم بن بَشِير ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز» . هكذا قال : سَداد بالفتح . فقلت : صدق ، يا أمير المؤمنين . حدّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن ، أنّ النبيّ ﷺ قال : «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها ، كان فيه سِداد من عَوَز» ، وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : السَّداد لحن يا نضْر عندك ؟ قلت : نعم هاهنا يا أميرَ المؤمنين ؛ وإنّما هُشَيم لَحَن ، وكان لحانة ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد : القصد في الدِّين والطريقة والسبيل . والسِّداد : البُلْغة ، وكلّ ما سددت به شيئاً فهو سِداد . وقد قال العَرْجيّ : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أَضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثغرِ

قال : فأطرق المأمون مَلِيّاً ، ثم قال : قَبَح الله مَن لا أدب له ! ثم قال : أَنشِدني يا نضر أَخلب بيت للعرب . قال : قلت : قول حمزة بن بِيض يا أَمير المؤمنين : [من المنسرح]

تقول لي والعيون هاجعة : ... أَقم علينا يوماً ، فلم أُقِمِ
قالت : فأيَّ الوجوه ؟ قلت لها : ... لأيّ وجه إلاّ إلى الحَكَمِ ؟
متى يقُل حاجبا سرادِقِه : ... هذا ابن بِيض بالباب ، يبتسِم
قد كنت أَسلمت فيكَ مُقْتَبِلاً ... فهات إذ حَلَّ أعطني سَلَمِي[2]

فقال المأمون : لله درّك ، كأنّما شُقّ لك عن قلبي ! فأنشدني أنصف بيت للعرب . قال : قلت : قول أبي عَروبة المدني[3] : [من الكامل]

إنّي وإن كان ابن عمّي عاتباً ... لَمزاحِمٌ مِن خلفِه وورائِهِ
ومُفيده نصري وإن كنت امرءاً ... متزحزحاً عن أَرضه وسمائِهِ
وأَكون واليَ سِرّه وأَصونه ... حتّى يحين عليّ وقتُ أدائِهِ
وإذا الحوادث أجحفت بسَوامِه ... قُرِنت صَحيحتنا إلى جَرْبائِهِ
وإذا دعا باسمي ليركب مَرْكباً ... صعباً قعدتُ له على سِيسائِهِ

---

1 الأخلاق : جمع خَلَق ، وهو الثوب البالي .
2 أسلمت : أسلفت . مقتبلاً : مستأنفاً . وسلمي : جائزتي .
3 نسبت هذه الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي (4 : 1680) إلى الهذيل بن مشجعة البولاني .

وإذا أتـى مـن وجهـه بطريفةٍ ... لم أطّلـع مِمّـا وراء خِبائِهِ
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقُل : ... يـا ليـت أن عـليَّ حسنَ ردائِهِ

فقال : أحسنت يا نضر ؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عبدل الأسديّ : [من المنسرح]

إنّي امرؤ لم أزل ، وذاك من اللـ ... ـه قديمـاً ، أعلّـم الأدبا
أُقيم بالدّار ما اطمأنّت بِيَ الدا ... ر وإن كنـت نازعـاً طرِبا
لا أُجتوي خُلَّة الصديق ولا ... أُتبِـع نفسي شيئـاً إذا ذهبا
أُطلب ما يطلب الكريم من الـ ... ـرِّزق بنفسي وأُجْمِل الطلبا
وأحلـب الثرَّة الصفِـي ولا ... أجهَد أخلاف غيرِهـا حَلَبا[1]
إنّي رأيـت الفتى الكريم إذا ... رغَّبتـه في صنيعـة رغِـبا
والعبد لا يطلـب العَلاء ولا ... يعطيك شيئـاً إلاّ إذا رهِبا
مثـلُ الحمار المُوَقَّـع السَّوْءِ لا ... يُحسن مَشْياً إلاّ إذا ضُرِبا[2]
قـد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما ... شد بِعيس رحـلاً ولا قَتَبـا
ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطيّة والر ... حل ومَـن لا يـزال مغتربا
ولَم أجِد عُـدّة الخلائق إلاّ ... الدِّين لمـا اعتبرتُ والحَسَبا

فقال : أحسنت يا نضر ! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً ، وأمر خادماً بإيصال رقعته ، وتنجيز ما أمر به لي ، فمضيت معه إليه ، فلمّا قرأ التوقيع ضحك ، وقال لي : يا نضْر ، أنت الملحِّن لأمير المؤمنين ؟ قلت : لا ، بل لهشيم . قال : فذاك إذنْ ، وأطلق لي الخمسين ألفَ درهم ، وأمر لي بثلاثين ألفاً .

[عبث عبد الملك بن بشر به وانتقامه منه]

أخبرني الحسين بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، قال : بلغني أنّ حمزة بن بِيض الحنفيّ كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً ، فوجّه إليه ليلة برسول ، وقال : خذه على أيّ حال وجدته عليها ، ولا تدعْه يغيّرها ، وحلَّفه على ذلك ، وغلّظ الأيمان عليه . فمضى الرسول ، فهجم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخَلاء ، فقال : أجِب

1 الثرة : الغزيرة ، وكذلك الصفي . وأخلاف الناقة : أثداؤها .
2 الموقع : الذي في ظهره آثار دبر .

الأمير . فقال : وَيْحَك ، إنّي أكلت طعاماً كثيراً ، وشربت نبيذاً حُلْواً ، وقد أخذني بطني . قال : والله لا تفارقني أو أمضيَ بك إليه ، ولو سَلَحت في ثيابك . فجَهَد في الخلاص ، فلم يقدر عليه ، فمضى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً في طارمة له ، وجارية جميلة كان يتحظّاها جالسة بين يديه ، تسجُر الندّ في طارمته[1] ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه .

قال : فعرضت لي ريح ، فقلت : أسرحها وأستريح ، فلعلّ ريحها لا يتبيّن مع هذا البَخور ، فأطلقتها ، فغلبت والله ريح الندّ وغَمرته . فقال : ما هذا يا حمزة ! قلت : عليَّ عهد الله وميثاقه ، وعليّ المشي والهَدْي إن كنت فعلتها ، وما هذا إلاّ عمل هذه الفاجرة . فغضب واحتفظ ، وخجلت الجارية ، فما قدَرَت على الكلام ؛ ثم جاءتني أخرى فسرَّحتها ، وسطع والله ريحها . فقال : ما هذا ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها . قال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها ، وما هو إلاّ عمل هذه الجارية . فقال : ويلكِ ما قصّتكِ ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حِسّاً ، فزاد خجلها وأطرقت . وطمِعت فيها ، فسرَّحت الثالثة ، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبد الملك ، حتى كاد يخرج من جلده ، ثم قال : خذ يا حمزة بيد الزانية ، فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغّصت علي ليلتي . فأخذت والله بيدها ، وخرجت ، فلقيني خادم له ، فقال : ما تريد أن تصنع ؟ قلت : أمضي بهذه . قال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت ليبغضنّك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً . وهذه مئة دينار ، فخذها ودَع الجارية ، فإنّه يتحظّاها ، وسيندم على هِبته إيّاها لك . قلت : والله لا نقصتك من خمسمائة دينار . فلم يزل يزايدني حتى بلغ مِئتي دينار ، ولم تطب نفسي أن أُضيّعها ، فقلت : هاتِها ، فأعطانيها ، وأخذها الخادم .

فلمّا كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلمّا قربت من داره لقيني الخادم ، فقال : هل لك في مِئة[2] دينار وتقول ما لا يضرّك ، ولعلّه أن ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ الفَسَوات ، ونسبتها إلى نفسك ، وتنفح عن الجارية ما قرفتها به . قلت : هاتها . فدفعها إليّ ، ودخلت على عبد الملك ، فلمّا وقفت بين يديه قلت : أَلِي الأَمان حتى أُخبرك بخبر يسرّك ، وتضحك منه ؟ قال : لك الأمان . قلت : أرأيت ليلة حضوري وما جرى ؟ قال : نعم . فقلت : فعليّ وعليّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري . فضحك حتى سقط على قفاه . ثم قال : ويلَك ! فلم لم تخبرني ؟ قلت : أردت بذلك خصالاً ، منها أن قمت فقضيت حاجتي ، وقد كان رسولك منعني منها ، ومنها أنّي أخذت جاريتك ، ومنها

1 الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

2 ل : مائتي .

أن كافأتك على أذاك لي بمثله . فقال : فأين الجارية . قلت : ما برحتُ من دارِك ولا خرجتُ حتى سلّمتها إلى فلان الخادم ، وأخذت مائتي دينار . فسُرّ بذلك ، وأمر لي بمائتي دينار أُخرى ، وقال : هذه لجميل فِعلك بي ، وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بِيض : ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم يَرَ الناس أُنتن إبطاً منه ، فقال لي : يا حمزة ، سابق غلامي حتى يفوح صُنانكما ، فأيّكما صُنانه أنتن ، فله مائة دينار . فطمعت في المائة ، ويئست منها لِما أعلمه من نَتْن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ، فسبقني ، فسلحت في يدي ، ثم لطّخت[1] إبطي بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصّة ، فلمّا دنا الغلام منه فشمّه ، وثب ، وقال : هذا والله لا يساجِله شيء . فصحت به : لا تعجل بالحكم ، مكانَك . ثم دنوت منه ، فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنّه قد خالط دِماغه ، وأنا ممسك لرأسه تحت يدي . فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُف أُشبه منه بالآباط ! فضحك عبد الملك ، ثم قال : أفحكمت له ؟ قال : نعم . فأخذت الدنانير .

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني جعفر العاصميّ قال : حدَّثنا عيينة بن المنهال ، عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي يعقوبَ الثقفيّ ، قال : قال حمزة بن بِيض : دخلت يوماً على مَخْلد بن يزيد ، فقلت : [من الكامل]

إنّ المشارق والمغارب كلّها ... تُجْبى وأَنت أُميرها وإمامُها[2]

فضحك ثم قال : مه ؟ فقلت :

أغفيتُ قبل الصُّبح نومَ مسهَّدٍ ... في ساعة ما كنت قبلُ أَنامُها

قال : ثم ماذا كان ؟ قلت :

فرأيت أنّك جُدت لي بوصيفة ... موسومةٍ حَسَنٍ عليَّ قيامُها

قال : قد فعلت . فقلت :

وببَدرة حُمِلت إليّ وبغلة ... سَفْواء ناجية يصِلُّ لجامُها[3]

قال : قد حقّق الله رؤياك . ثم أمر لي بذلك كلّه ، وما عَلِم الله أنّي رأيت من ذلك شيئاً .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد رُوِي هذا الخبر بعينه لابن عبدلٍ الأسديّ ، وذكرته في أُخباره .

---

1 ل : طليت .

2 الشطر الأول في ل : ليت المشارق والمغارب أصبحت .

3 السفواء : قليلة شعر الناصية والسريعة ، ويصل لجامها : يصوت لما فيه من الحلية .

[صحب ابن عمّه في الحج]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدَّثنا أبو حاتم، قال: حدَّثنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، قال: حجّ حمزة بن بِيض الحنفيّ، فقال له ابن عمّ له: أُحجج بي معك. فأخرجه معه، فحَوقل[1] عليه بعد نشاطه، فقال ابن بِيض فيه: [من الطويل]

وذي سِنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعتسِف خَرْقاً من الأرض مَجْهلا[2]
ولم يَدر ما حَلُّ الحبال وعقدُها ... إذا البردُ لم يترك لكفّيه مَعْملا
ولم يقرِ مأجوراً ولا حجّ حِجّة ... فيضربَ سهماً أو يصاحبَ مِكتلا[3]
غدونا به كالبغل ينفض رأسَه ... نشاطاً بناه الخير حتى تفتَّلا[4]
ترى المَحْمِلِ المحسور ناء عُرامة ... وبابا إذا أمسى من الشرّ مُقْفلا[5]
وإن قلت ليلاً: أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا
يسوق مطيّ القوم طوراً وتارة ... يقود وإن شئنا حدا ثم جلجلا
فأجّلته خمساً وقلت له: انتظر ... رُوَيداً؛ وأجّلنا المطيّ ليدبُلا
فلمّا صدرنا عن زُبالة وارتمت ... بنا العيس منها مَنْقلاً ثم مَنْقلا[6]
ترامت به المَوماة حتّى كأنّما ... يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا[7]
وحتّى نَبا عن مِزود القوم ضِرْسُه ... وعادى من الجهدِ الثريدَ المرعبلا
وحتّى لَوَ انّ الليثَ ليثَ خَفِيَّة ... يحاوله عن نفسه ما تَحَلْحلا
وحتى لَوَ انّ الله أعطاه سؤله ... وقيل له: ما تشتهي؟ قال: محملا
فقلت له لمّا رأيتُ الذي به ... وقد خِفت أن ينضى لدينا ويهزِلا
أطعني وكُلْ شيئاً، فقال معذّراً ... من الجهد: أطعِمني تراباً وجندلا
فللموت خير منك جاراً وصاحباً ... فدعني فلا لبّيك ثم تَجَدّلا[8]

1 حوقل: مشى فأعيا وضعف، وحوقل أيضاً: نام.
2 اعتسف الطريق: سار على غير هداية ولا دراية. الخرق: الأرض الواسعة. والمجهل: المفازة لا أعلام فيها.
3 المكتل: الزنبيل.
4 بناه الخير في ل: ثناه الحر. تفتل: اشتدّ.
5 المحسور ناء عُرامه في ل: المحشو فاه عرامة. وبابا في ل: ويأبى.
6 زُبالة: موضع من ضواحي المدينة. والمنقل: الطريق في الجبل.
7 بكى كأنه يسف الحنظل مع الخزيرة، وهي طعام من دقيق ولبن يحلّى بالعسل أو التمر.
8 تجدل: سقط على الأرض من الإعياء.

وقال : أقلنــي عثرتي وارعَ حرمتي ... وقــد فــرّ منّــي مرّتــين لِيقفِلا
فقلت له : لا ، والذي أنا عبده ، ... أقيلُـك حتى تمسح الرّكـن أوّلا

[تأخّرت مكافأته فعاتب مخلد بن يزيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال : حدَّثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشميّ ، قال : حدَّثني أبو عمر العُمَريّ ، قال : حدَّثني عطاء بن مصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : قدِم حمزة بن بِيض على مخلد بن يزيد بن المهلّب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شُغِل عنه ، فاختلف إليه مراراً ، فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عِدّته ، فقال ابن بِيض : [من الطويل]

أَمَخْلَــد إن الله مـا شاء يصنع ... يجود فيعطي مَـن يشاء ويمنعُ
وإنّــيَ قــد أمّلــت منك سحابة ... فحالت سراباً فـوق بيداء تلمعُ
فأجمعتُ صُرْماً ثم قلتُ : لعلّه ... يثـوب إلى أمـرٍ جميـلٍ فيرجعُ
فأيأسني مــن خير مخلــدَ أنّــه ... على كلّ حال ليس لي فيه مطمعُ
يجــود لأقــوام يــودّون أنّه ... من البغض والشّنْآن أمسى يُقَطَّعُ
ويَبْخَــل بالمعروف عمّــن يوَدُّه ... فوالله ما أدري بـه كيف أصنعُ ؟
أأصرِمــه فالصُّــرم شرٌّ مغبَّـةً ... ونفسي إليــه بــالوصال تَطَلَّعُ
وشتانَ بينــي في الوصالِ وبينَه ... عـلى كلّ حــال أستقيـمُ ويَظْلَعُ
وقــد كان دهراً واصلاً لي مودّةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرعُ[1]
وأعقبني صُرْمــاً على غير إحنـة ... وبخـلاً وقِدْمــاً كان لي يتبرّعُ
وغيَّـره مــا غيّر النــاسَ قبلَــه ... فنفسي بمــا يأتي بـه ليس تقنعُ

ثم كتبها في قرطاس وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ، فلمّا قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال : لا أعرفه . فأدخل إليه الرجل ، فقال : مَن أعطاك هذا الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بِيض ، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهـم ، وكساه ، قال : إنّما ضربناك أدباً لك ، لأنّك حملت كتاباً لا تدري ما فيه ، لِمَن لا تعرف ، فإيّاك أن تعود لمثلها . قال الرجل : لا والله ، أصلحك الله ، لا أحمل كتاباً لِمَن

1 مودة في ل : بوده . والشطر الثاني في ل : ومعروفه يعدو البريد المفرّع .

أعرف ، ولا لِمَن لا أعرف . قال له مَخْلد : احذَر ، فليس كلّ أحد يصنع بك صنيعي ؛ وبعث إلى ابن بِيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا . فحدّثه مَخْلد بقصّته ، فقال ابن بِيض : والله ، أصلحك الله ، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سَوْطاً مع الخمسمائة أبداً . فضحك مَخْلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً . قال : أَجَلْ والله ، ولكن مَن لي بمثلك يُعْتِبُني إذا استعتبته ، ويفعل بي مثل فعلك ؟ ثم قال : [من الطويل]

وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره كفاني وأعطاني الذي جئت أسألُ
ويُعتِبُني يوماً إذا كنت عاتباً وإن قلت ، زدني : قال : حقّاً سأفعلُ
تراه إذا ما جئته تطلب الندى كأنّك تعطيه الذي جئتَ تسألُ
فللّه أبناءُ المهلَّب فتيةً إذا لَقَحَتْ حرب عَوانٌ تأكَّلُ
هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ بسُمْر القنا والمشرفيةُ من عَلُ[1]
ترى الموت تحت الخافقات أمامَهُمْ إذا وردوا علُّوا الرماح وأنهلوا
يجودون حتى يحسِب الناس أنّهم لجودهم نَذْر عليهم يُحَلَّلُ
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم سِمامٌ لأقوام ذُعافٌ يُثَمَّلُ[2]
وفى لِيَ أبناءُ المهلّب إنّهم إذا سئلوا المعروف لم يَتَسَعَّلوا[3]
فذلك ميراث المهلَّب إنّه كريم نَماه للمكارم أوّلُ
جرى وجرت آباؤه فتحرَّزوا عن الذّم في عَيطاء لا تُتَوَقّلُ[4]

فلمّا أنشده ابن بِيض هذه الأبيات ، أمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة أثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ، ونضعف لك . فقال :

أمَخْلَد لم تترك لنفسي بُغْيَةً وزدت على ما كنت أرجو وآملُ
فكنتَ كما قد قال مَعْنٌ فإنّه بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثّلُ
وَجَدْتُ كثير المالِ إذ ضَنَّ مُعْدِماً يُذَمُّ ويَلْحاه الصديقُ المؤمِّلُ

---

1 كانع : متجمع للوثوب ، مترقب .
2 ذعاف : قاتل من ساعته . ويثمل : سم نقع أيّاماً حتى اختمر .
3 وَفى لي أبناءُ في ل : كفاك من ابناء .
4 عيطاء : هضبة مرتفعة . تتوقّل : يصعد فيها .

وإن أحقّ النّاس بالجودِ مَن رأى أبــاه جَــواداً للمكــارم يُجْزِلُ
تَرُبُّ الذي قــد كان قَدَّم والد أُغَـــرُّ إذا مــا جئتـــه يَتَهَلَّلُ
وَجَدْتَ يزيــداً والمهلَّــبَ برَّزا فقلــت : فإنّي مثـلَ ذلك أُفعلُ
ففــزت كما فازا وجاوزتَ غاية يُقَصِّر عنهــا السابــق المتمهِّلُ
فأنـــت غِياث لليتامى وعِصمة إليك جِمال الطالِبي الخيرِ تُرحلُ
أصاب الذي رجَّى نداك مُخِيلةً تصُبّ عزاليهــا عليــه وتَهطِلُ[1]
ولم تُلْفَ إذ رَجَّوا نوالَكَ باخلاً تضَن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ
وموت الفتى خير لــه من حياته إذا كان ذا مــال يَضَنُّ ويبخلُ

فقال له مخلد : احتكم . فأبى ، فأعطاه عشرة آلاف[2] دينار وجارية وغلاماً وبِرْذَوناً .

[شرط مصالحة حماد بن الزبرقان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، قال : كان حمزة بن بِيض شاعراً ظريفاً ، فشاتم حمّادَ بن الزبرقان ، وكان من ظُرفاء أهل الكوفة ، وكلاهما صاحب شراب ، وكان حماد يُتَّهم بالزندقة ، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا ، فدخلا يوماً على بعض وُلاة الكوفة ، فقال لابن بِيض : أراك قد صالحت حماداً ، فقال ابن بِيض : نعم ، أصلحك الله ، على ألا آمرَه بالصلاة ، ولا ينهاني عنها .

[تشوّقه إلى أهله]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال : حدَّثنا قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ قال : قدِم حمزة بن بِيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى ، وبينهما مودّة منذ الصِّبا ، فطال مقامه عنده ، فاشتاق إلى أهله وولده ، فكتب إلى بلال : [من البسيط]

كَلَّــتْ رحالي وأعواني وأحراسي إلى الأمير وإدلاجــي وإمْلاسي[3]
إلى امــرىء مُشْبَع مجداً ومكرُمة عاديــة فهو حــالٍ منهما كاسي[4]
فلستُ منــك ولا مِمّا مَنَنْتَ به من فضل ودّك كالمرميّ في الراسي

1 العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصبّ القربة .
2 ل : ألفي .
3 الإملاس : السوق الشديد .
4 عادية : قديمة متأصلة .

إنّـي وإيّـاك والإخـوانَ كلَّهـم ... في العسر واليسر لو قِيسوا بمقياسِ
وذاك ممّا ينوبُ الدهرُ من حَدَثٍ ... كالوردِ في المَثَل المضروبِ والآسِ
يبيد هـذا فيبلَـى بعـد جدّتـه ... غَضّـاً وآخـره رهـن بإيناسِ[1]
وأنـت لي دائـم بـاقٍ بشاشته ... يهتزّ في عـود لا عَشٌّ ولا عاسى[2]

فعجل له بلال صلته ، وسرّحه إلى الكوفة .

[رؤيا أخرى]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال : حدَّثنا أبو المُعارِك الضَّبي قال : حدَّثني أبو مِسكين قال : دخل حمزة بن بِيض على سليمان بن عبد الملك ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول : [من الوافر]

رأيتـك في المنـام سننت خزا ... عـليّ بَنَفْسَجاً وقضيت دَيني
فصدّقْ يـا فدتْك النفس رؤيا ... رأَتهـا في المنـام لديك عَيْني

فقال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكِسوة ، واسننْ عليه كلّ ثوب خَزٍّ بَنَفْسَجِيّ فيها : فخرج كأنّه مِشْجَب . ثم قال له : كَم دَينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها .

صوت[3]

[من الكامل]

من سره ضرب يُرعبلُ بعضه ... بعضاً كمعمعة الأَباء المُحرَقِ[4]
فليـأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها ... بين المَذاد وبين جِزْعِ الخَنْدَقِ

ويروى : يُمَعْمع بعضه بعضاً . والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها . والمأسدة : الموضع الذي تجتمع فيه الأُسْد . وتُسَنّ : تحدّ . يقال : سيف مسنون . والمَذاد : موضع بالمدينة . والخندق : يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله ﷺ وأصحابه حول المدينة . والشعر لكعب بن مالك الأنصاريّ . والغناء لابن محرز : خفيف رَمَل ، بإطلاق الوَتَر في مَجرى الوُسطى ، عن إسحاق وعمرو .

1 وآخره في ل : غابرة .
2 في عود لا في ل : لا عوده . والعش : الشجر اللئيم المنبت ومن النخل : القليل السعف .
3 ديوان كعب بن مالك 244 : وفيه يمعمع بدلاً من يرعبل .
4 يرعبل : يقع بعضه على بعض . والأباء : القصب ، واحدته أباءة .

[320] ـ أخبار كعب بن مالك الأنصاريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كعب بن مالك بن أُبي كعب . واسم أُبي كعب : عمرو بن القَيْن بن كعب بن سوار . وقيل : القَيْن بن سوار (هكذا قال ابن الكلبيّ) بن غَنْم بن كعب بن سَلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد بن الغوث .

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين ، وهو بَدْريّ عَقَبيّ . وأبوه مالك بن أبي كعب بن القَين شاعر ، وله في حروب الأوس والخزرج ، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر . وعمّه قيس بن أبي كعب شهد بدراً ، وهو شاعر أيضاً ، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس . وخبره في ذلك يذكر في موضعه ، بعد أخبار كعب وأبيه .

ولكعب بن مالك أصل عريق[2] ، وفرع طويل في الشعر : ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشِير بن عبد الرحمن شاعر ، والزُّبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر ، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أُبو الخطّاب شاعر ، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر ، وكلّهم مجيد مُقَدَّم . وعُمِّر كعب بن مالك ، ورَوى عن النبيّ ﷺ حديثاً كثيراً ، وكلّ بني كعب بن مالك قد رَوى عنه الحديث .

فممّا رواه ابن ابنه بَشير عن أَبيه عنه : حدَّثني أَحمد بن الجَعْد قال : حدَّثنا أَبو بكر بن أَبي شيبة قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الملك قال : حدَّثنا عَتّاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال : كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه أن كعب بن مالك كان يحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لكأنّما تنضحونهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشعر» .

وممّا رواه عنه ابنه عبد الله : أخبرني أَحمد بن الجعد قال : حدَّثنا أَبو بكر بن أَبي شيبة قال : حدَّثنا بكر بن عبد الرحمن قال : حدَّثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أَبي ليلى ، عن إسماعيل بن أُميّة ، عن محمد بن مسلم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أَبيه قال : كان رسول الله ﷺ

1 لكعب بن مالك الأنصاري ترجمة في الإصابة وطبقات ابن سلام 1 : 220—223 ومعجم المرزباني : 229—230 وخزانة البغدادي 1 : 417—418 وشرح الشواهد : 123 ونكت الهميان : 231 وانظر سيرة ابن هشام وأعلام الزركلي . وقد جمع شعره سامي العاني (بغداد) .

2 ل : أصيل .

يصلّي المغرب ، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النَّبل حين يرمون .

وممّا رواه ابنه محمد : أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ قال : حدَّثنا محمد بن سابق قال : حدَّثنا إبراهيم بن طِهمان ، عن أبي الزبير ، عن محمد بن كعب ، عن أبيه ، أنّه حدَّثه أنّ النبيّ ﷺ بعثه وأوسَ بن الحَدَثان أيّام التشريق ، فنادى :

«إنّه لا يدخل الجنة إلاّ مؤمن ، وأيّام مِنًى أيّام أكل وشرب وبِعال» .

[كان عثماني الهوى]

وكان كعب بن مالك عثمانياً ، وهو أحد مَن قَعَد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فلم يشهد معه حروبه ، وخاطبه في أمر عثمان وقَتَلَته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره ، ثم اعتزله . وله مَراثٍ في عثمان بن عفّان رحمه الله ، وتحريض للأنصار على نُصْرته قبل قتله ، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك ، منها قوله[1] : [من الطويل]

فلو حُلْتُمُ من دونه لم يَزَلْ لكم ... يَدَ الدّهر عِزٌّ لا يوخُ ولا يَسْرِي

ولم تَقْعدوا والدّار كابٍ دُخانُها ... يُحَرَّق فيها بالسعير وبالجمرِ

فلَم أرَ يوماً كان أكثر ضَيْعةً ... وأقربَ منه للغَواية والنُّكْرِ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد مَن عاون عثمانَ على المصريين ، وشهر سلاحه ، فلمّا ناشد عثمان الناس أن يُغْمدوا سيوفهم انصرف ، ولم يَرَ أنّ الأمر يخلُص إليه ، ولا يَجْرِي القوم إلى قتله ؛ فلمّا قُتِل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار ، في مسجد رسول الله ﷺ ، فأنشدهم[2] : [من الكامل]

مَنْ مُبلِغُ الأنصارِ عنّيَ آيةً ... رُسُلاً تَقُصُّ عليهمُ التّبيانا

أن قد فَعَلْتم فَعْلةً مذكورة ... كسَتِ الفُضُوح وأبدَتِ الشَّنْآنا[3]

بقعودكم في دوركم وأميركم ... تُحْشى ضواحي داره النيرانا

بينا يرجّي دفعَكم عن دارِه ... مُلئت حَريقاً كابِياً ودُخانا

حتى إذا خلَصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا

يُعلُون قُلَّته السيوفَ وأنتمُ ... متلبِّثون مكانكم رِضوانا

---

1 ديوان كعب : 213 .

2 ديوان كعب : 285-286 .

3 الشنآنا : البغضاء ، وفي ل : الذلاّنا ، أي الأذلاء .

اللهُ يَعلم أنّني لم أرضَــــه ... لكُـمُ صنيعاً يـوم ذاك وشانا
يا لَهْفَ نفسي إذ يقول : ألا أرى ... نَفَـراً مـن الأنصارِ لي أعوانا
واللّهِ لو شهد ابن قيس ثابتٌ ... ومعاشرٌ كانـوا لـه إخوانا

يعني ثابتَ بن قيس بن شَمَّاس .

وأبو دُجانة وابـنُ أرقمَ ثابتٌ ... وأخـو المَشاهد من بني عَجْلانا

أبو دجانة : سِماك بن خَرَشة . وابن أرقم : ثابت البلَويّ . وأخو المَشاهد من بني عَجْلان : مَعْن بن عَدِيّ ، عَقَبِيّ .

ورِفاعة العُمَريُّ وابن مُعاذِهم ... وأخو مُعاوِيَ لم يخـف خذلانا

رفاعة : ابن عبد المنذر العُمَريّ . وابن معاذ : سعد بن معاذ . وأخو معاوية : المنذر بن عمرو الساعديّ ، عَقَبيّ بَدريّ .

قومٌ يَـرَوْن الحقّ نصرَ أميرِهم ... ويَـرون طاعـةَ أمـره إيمانا
إن يُتْركوا فَوْضى يَرَوْا في دينهم ... أمْـراً يُضَيِّق عنهـمُ البُلْدانا
فَلَيعْلِـينَّ الله كعـبَ وَليـهِ ... ولَيَجْعَلـنَّ عَـدُوَّه الذُّلاّنا
إنّي رأيـت محمـداً اختاره ... صِهراً وكان يَعُـدُّه خُلْصانا
مَحْضَ الضرائبِ ماجداً أعراقُهُ ... من خيرِ خِندِفَ مَنصِباً ومَكانا
عَرَفَتْ لـه عُلْيـا مَعَـدٌّ كلُّها ... بعـدَ النبيّ الملـكَ والسلطانا
من مَعْشَرٍ لا يغدِرون بجارهم ... كانـوا بمكّـة يَرْتَعـون زمانا
يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارهم ... فيهـم ويُرْدون الكُماة طِعانا
فلَوَ انّكم مـع نصركم لنبيكم ... يـوم اللقاء نصرتُمُ عثمانا !
أنَسِيتُمُ عهـد النبـيّ إليكُمُ ... ولقـد ألَـظَّ ووَكَّـد الأيمانا[1]

قال : فجعل القوم يبكون ، ويستغفرون الله عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا أبو عامر ، عن ابن جُرَيج ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : رجز راجز من قريش[2] برسول صلّى الله عليه وآله ، فقال : [من الرجز]

1 ألظ : ألح .

2 هو سلمة بن الأكوع (اللسان : عجف) .

لم يَغْذُهـا مُـدٌّ ولا نصِيفُ ولا تُمَيـراتٌ ولا تَعْجِيـفُ[1]
لكن غذاهـا اللبـنُ الخِرِّيفُ والمَخْضُ والقـارصُ والصَّرِيفُ

قال : فاحْتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُد والتمر ، فقالوا لكعب بن مالك : انزل ، فنزل ، فقال[2] : [من الرجز]

لم يَغْذُهـا مُـدٌّ ولا نَصِيفُ لكن غذاهـا الحنظلُ النَّقِيفُ[3]
ومَذْقَـة كطُـرَّة الخنيـفِ تبيتُ بـين الزَّرْبِ والكَنيفِ[4]

فقال رسول الله ﷺ : اركبا .

[هجاءوا قريش من الأنصار]

أخبرني الجوهـريُّ والمُهلَّبـيّ قـالا : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : حدَّثنا هَوذة بن خليفة قـال : حدَّثنـا عـوف بن محمـد ، عن محمد بن سِيرين ، في حديث طويل قـال : كان يهجوهم ، يعني قريشاً ، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . وكان حَسّان وكعب يعارِضانهم بمثل قولهم ، بالوقائع والأيّام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالبِ ، وكان عبد الله بن رواحة يُعيِّرُهمْ بالكفر ، وينسُبهم إليه ، ويعلم أنّ ليس فيهم شيء شرّ من الكفر . فكانوا في ذلك الزّمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسّان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رَواحة ، فلمّا أسلموا وفقِهوا الإسلام ، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا عبد الله بن بكرٍ السَّهميّ قـال : حدّثنـي حاتـم بن أبي صَغيرة قال : حدّثنا سِماك بن حرب قال : أُتِي رسول الله ﷺ فقِيل : إنّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يهجوك ، فقام ابن رَواحة ، فقال : يا رسول الله ائذن لي فيه . فقال له : أنت الذي تقول : فثَبَّت الله ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول : [من البسيط]

فثبت الله مـا أعطاك مِـن حَسَنٍ تثبيت مُوسى ، ونَصْراً كالذي نَصَرا

فقال : وأنت فعل الله بك مثل ذلك . قال : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله ، ائذن لي فيه . فقال : أنت الذي تقول : هَمَّت ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي

1 التعجيف : حبس الدواب عن الطعام لتهزل .
2 ديوان كعب : 233 .
3 النقيف : المنقوف ، أي المشقوق .
4 الطرة : الحاشية . والخنيف : نوع من أردأ الكتان .

أقول[1] : [من الكامل]

هَمّت سَخِينـةُ أَنْ تغالبَ ربَّها وليُغْلَبَنَّ مُغالِـبُ الغَـلاَّبِ[2]

فقال : أما إن الله لم ينسَ لك ذلك .

[شعره]

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن شبَّة قال : حدَّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال : حدَّثنا عبد الواحد بن زياد قال : حدَّثنا مجالد ، عن الشعبيّ قال : لمّا انهزم المشرِكون يوم الأحزاب ، قال رسول الله ﷺ : إنّ المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم ، ولكنّكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم ، فمَن يحمي أعراض المسلمين ؟ فقام عبد الله بن رَواحة ، فقال : أنا . فقال : إنّك لحسن الشعر . ثم قام كعب فقال : أنا . فقال : وإنّك لحسن الشعر .

أخبرني الجوهريّ والمهلَّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدَّثني محمّد بن منصور قال : حدَّثني سعيد بن عامر قال : حدَّثني جُويريّة بن أسماء قال : بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال : أمرتُ عبد الله بن رَواحة ، فقال وأحسن ، وأمرت حَسَّاناً فشفى واشتفى .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أحمد بن عيسى قال : حدَّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث : أنّ يحيى بن سعيد حدَّثه عن عبد الله بن أُنيس عن أُمّه ، وهي بنت كعب بن مالك : أنّ النبيّ ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله ﷺ يُنْشد ، فلمّا رآه كأنّه انقبض ، فقال : ما كنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد . فقال رسول الله ﷺ : فأنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مُقاتَلُنا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمةٍ[3]

فقال رسول الله ﷺ لا تقل عن جِذمنا ، ولكن قُل : مُقاتَلُنا عن ديننا .

قال أبو زيد : وحدَّثني سعيد بن عامر قال : حدَّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال : وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك ، فخرج فقال له رسول الله ﷺ : إيه ، فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده (ثلاث مرّات) . فقال رسول الله ﷺ : لَهذا أشدّ عليهم من مواقع النَّبْل .

---

1 ديوان كعب : 182 .

2 سخينة : قريش ، لقبت بذلك لكثرة أكلها السخينة ، وهي طعام يتخذ من الدقيق والسمن ، دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء .

3 الجذم : الأصل . والفخمة : الكتيبة العظيمة .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : حدَّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعِيّ ، وذكر له إسناداً شاميّاً ، هكذا قال ، قال ابن عمّار في الخبر ، وذكر حديثاً فيه طول ، لحسّان بن ثابت ، والنُّعمان بن بشير ، وكعب بن مالك ، فذكرت ما كان لكعب فيه ، قال : لمّا بُويع لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، بلغه عن حسّان بن ثابت وكعب بن مالك والنُّعمان بن بشير . وكانوا عثمانية ، أنّهم يقدّمون بني أُميّة على بني هاشم ، ويقولون : الشام خير من المدينة . واتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه ، فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ، أخبِرْنا عن عثمان : أقُتِل ظالِماً ، فنقولَ بقولك ؟ أم قُتِل مظلوماً ، فنقولَ بقولنا ، ونكلَك إلى الشبهة فيه ، فالعجب من تيقّننا وشكّك ، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال[1] : [من الطويل]

كَفَّ يديهِ ثم أغلَقَ بابه ... وأيقن أنّ الله ليس بغافلِ

وقال لِمَن في دارِهِ : لا تقاتلوا ... عفا الله عن كلّ امرىء لم يقاتِلِ

فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصُلِ

وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ ... وولّى كإدبار النّعام الجوافلِ

فقال لهم عليّ عليه السلام : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأَثرة ، وجزِعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تعذِرُنا به . فقال عليّ عليه السلام : أتردون عليّ بين ظَهْرانَي المسلمين ، بلا بيِّنة صادقة ، ولا حجّة واضحة ؟ اخرجوا عنّي ، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من يومهم ، فساروا حتى أتوا معاوية : فقال لهم : لكم الولاية والكفاية . فأعطى حسّان بن ثابت ألف دينار ، وكعب بن مالك ألف دينار ، وولّى النُّعمان بن بشيرٍ حِمص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدَّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال : قال معاوية يوماً لجلسائه : أخبروني بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه . فقال له رَوْح بن زِنباع : قول كعب بن مالك[2] : [من الكامل]

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا ... قُدُماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَقِ[3]

فقال له معاوية : صدقت .

---

1 ديوان كعب : 264 .

2 ديوان كعب : 245 .

3 قدماً في ل : يوماً .

321 ـ [مالك بن أبي كعب الأنصاري]

وأمّا أبوه مالك بن أبي كعب ، أبو كعب بن مالك ، فإنّي أذكر قبل أخباره شيئاً ممّا يغنّى فيه من شعره ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

صوت

لَعمـرُ أبيـها لا تقـول حليلتي : ألا فـرَّ عنّي مالك بن أبي كعبِ
وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه ترى حوله الأبطال في حَلَقٍ شُهْبِ

الشعر لمالك بن أبي كعب . والغناء لمالك ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن يونس والهِشاميّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، جميعاً عن الهِشاميّ . وزعم ابن المكّي أنّ خفيف الثقيل هو لحن مالك .

[سبب الخصومة بين مالك وبرذع بن عديّ]

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظَفَر ، يقال له بَرْذَع بن عديّ .

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصميّ عن عيينة بن المِنهال ، ونسخْته من كتاب أعطانيه عليّ بن سليمان الأخفش : أنّ رجلاً من طيىء قدِم يثرب بإبل له يبيعها ، فنزل في جوار بَرذع بن عديّ أخي بني ظَفَر ، فباع إبله ، واقتضى أثمانها . وكان مالك بن أبي كعب بن القَين أخو بني سَلِمة ، اشترى منه جملاً ، فجعله ناضحاً ، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله ، وحضر شخوص الطائيّ ، فشكا ذلك إلى برذع ، فمشى معه إلى منزل مالك ، ليكلّمه أن يوفيه ثمن جمله ، أو يردّه عليه ، فلم يجدا مالكاً في منزله ، ووجدا الجمل باركاً بالفناء ، فبعثه برذع ، وقال للطائيّ : انطلق بجملك ، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النَّبيت ، فأمنا ، فارتحل الطائيّ بالجمل إلى بلاده ، وبلغ مالكاً ما صنع برذع ، فكره أن يَنْشَب بين قومه وبين النّبيت حرب ، فكفّ وقد أغضبه ذلك ، وجعل يُسَفِّه برذعاً في جراءته عليه وما صنع ، فقال برذع بن عديّ في ذلك : [من الطويل]

أمِن شَحْط دار من لُبابة تجزعُ وصرف النّوى ممّا يُشِتُّ ويَجمعُ

وليس بهـا إلاّ ثـلاثٌ كأنّها مُسَفَّعـة أو قـد علاهـنَّ أيدَعُ[1]
قد اقتربت لو كان في قرب دارها جَـداء ولكن قــد تضَن وتمنعُ
وكان لهـا بالمنحنـى وجُنوبِـه مَصِيف ومشتًى قبل ذاك ومَرْبعُ
أتـاني وعيـد الخزرجيّ كأنّني ذليل له عنـد اليهوديّ مَضْرَعُ[2]
متـى تَلْقني لا تَلـقَ نُهْزَةَ واجد وتعلـمُ أنّي في الهَزاهـز أروعُ[3]
معي سَمْحة صفراء من فَرْع نَبعةٍ ولَيْـنٌ إذا مسَّ الضريبـةَ يقطعُ
ومطَّرِدٌ لَـدْنٌ إذا هُـزَّ متنـهُ متين كخرْصِ الذابلاتِ وأهزعُ[4]
فـلا وإلهي لا يقـول مجاوري : ألا إنّني قـد خانني اليـوم برذعُ
وأحفظ جاري أن أخاتلَ عِرسه ومـولاي بالنَّكْـراء لا أتطلّعُ
وأجعل مـالي دون عِرضيَ إنّـه على الوُجْدِ والإعدامِ عِرض ممَّنعُ
وأصبِر نفسي في الكريهـة إنّـه لِذِي كلّ نفس مستقرّ ومصرعُ[5]
وإنّي بحمـد الله لا ثـوبَ فاجر لبست ولا مـن خَزْيـةٍ أتقنّعُ

فأجابه مالك بن أبي كعب ، فقال : [من البسيط]

صوت

هـل للفؤادِ لـدى شَنْباءَ تنويلُ أم لا نـوالٌ فإعـراضٌ وتحميلُ[6]
إنّ النساءَ كأشجارٍ نبتـن معـاً منهنّ مُـرّ وبعض المُـرّ مـأكولُ
إنّ النساءَ ولو صُوِّرن مـن ذهب فيهنّ مـن هفوات الجهل تخبيلُ

الغناء لسُليم ، هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ وبذل .

إنّـك إن تنهَ إحداهـنّ عن خلق فإنّـه واجـب لا بـدّ مفعولُ
ونعجةٍ مـن نِعاج الرمـلِ خاذلةٍ كأن مَأْقِيَهـا بـالحسنِ مكحولُ[7]

---

1 مسفعة : علاها سواد وحمرة . والأيدع : الزعفران .
2 مضرع في ل : ومصرع .
3 الهزاهز : الشدائد . والواجد : الغاضب الحاقد .
4 الخرص : الرمح القصير السنان . والذابلات : الرماح الدقيقة . والأهزع : الرمح المضطرب المهتز .
5 نفس في ل : جنب .
6 أم لا نوال في ل : أم لا فيأس .
7 نعجة هنا : امرأة .

رِدَّعتها في مُقامي ثم قلت لها : حياك ربُّك إنّي عنكِ مشغولُ
وليلةٍ من جُمادى قد شربت بها والزِّقّ بيني وبين الشَّرج مَعدولُ[1]
ومُرْجَحنٌ على عمْدٍ دَلَفْت به كأنّه رجل في الصفّ مقتولُ[2]
ولا أهاب إذا ما الحرب حَرَّشها الْـ ـأبطال واضطربت فيها البهاليلُ
أمضِي أمامَهُمُ والموت مكتنِعٌ قُدْماً إذا ما كبا فيها التَّنابيلُ[3]
عليَّ فَضْفاضة كالنِّهي سابغة وصارم مثل لون المِلح مصقولُ[4]
ولدنةٌ في يدي صفراء ثعْلَبُها بعامل كشهاب النّار موصولُ[5]
إنِّي من الخزرج الغُرِّ الذين هُمُ أهلُ المكارم لا يُلفى لهم جِيلُ
في الحربِ أنْهكَ منهم للعدوّ إذا شُبت وأعظمَ نَيْلاً إن همُ سِيلوا
أشبهتُ من والدي عِزّاً ومَكرُمةً وبَرذَعٌ مُدغَم في الأوسِ مجهولُ
نُبِّئته يدَّعي عزّاً ويُوعِدني نُوكاً وعندي له بالسيف تنكيلُ

قال : ثم إنّ مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته ، فبينا هو يمشي وحده ، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظَفَر ؛ فلمّا رأوا مالكاً أقبلوا نحوه ، فبدَرَهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف ، فقام عليه ، وأخذ في يده أحجاراً ، وأقبلوا حتى دنوا منه ، فشاتموه وراموه بالحجارة ، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه ، كأنّه يستبطىء ناساً ، فلمّا رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات ، ظنّوا أنّه ينتظر ناساً كانوا معه ، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال ، فانصرفوا عنه ، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك : [من الطويل]

لعمرُ أبيها لا تقول حليلتي : ألا فرَّ عنّي مالك بن أبي كَعْبِ
أقاتِل حتّى لا أرى لِي مُقاتِلاً وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكَرْبِ
أبى لِيَ أن أُعْطى الصَّغار ظلامةً جدودي وآبائي الكرامُ أولو السَّلْبِ

1 الشرج : مسيل الماء إلى السهل .
2 المرجحن : المهتز .
3 مكتنع : حاضر قريب . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو اللئيم الجبان .
4 النهي : الغدير ، شبه به الدرع في تموّجها .
5 الثعلب : طرف الرمح الداخل في السنان .

هـمُ يضربون الكبشَ يَبرُق بيضُه ترى حوله الأبطال في حَلَق شُهْبِ
وهـم أورثوني مجدَهم وفَعالَهم فأُقسم لا يُزْرِي بهـم أبداً عَقْبِي

ويروى : لا يُخْزِيهِمُ .

وأرعى لجاري ما حييتُ ذِمامَه وأعرِف ما حقُّ الرفيقِ على الصحْبِ
ولا أُسمِع النَّدْمـان شيئـاً يَريبه إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ
إذا ما اعترى بعضُ الندامى لحاجةٍ فقولي له : أهلاً وسهلاً وفي الرحبِ
إذا أَنفدُوا الزِّقّ الرويّ وصرِّعوا نَشاوى فلـم أُقنع بقولهمُ : حَسْبي
بعثـت إلى حانوتها فاسْتبأْتُهـا بغير مِكاس في السَّوامِ ولا غصْبِ
وقلـت : اشربوا رِيّـاً هنيئاً فإنّها كماء القَليـب في اليسارة والقُربِ
يطاف عليهم بالسَّدِيف وعندهم قيـانٌ يلَهِّـينَ المَزاهـرَ بالضربِ
فإن يصبِروا لي الدهرَ أُصْبِرهم بها ويَرحُبْ لهم باعي ويغزرْ لهم شِرْبي
وكان أَبي في المَحْل يطعم ضيفه ويُروِي نداماه ويصبِرُ في الحربِ
ويمنع مـولاه ويـدرك تَبْلَـه ولو كان ذاك التبلُ في مركبٍ صعبِ [1]
إذا مـا منعت المـال منكم لثروةٍ فلا يَهْنني مالي ولا ينمُ لي كسبي

وقد رُوِي أنّ الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب ، لرجل من مراد ، يقال له مالك بن أبي كعب ، وذُكر له خبر في ذلك .

[أسطورة المرادي]

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان . قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عبد الله بن عبّاس ، عن مجالد عن الشعبيّ ، قال : كان رجل من مُراد يُكْنى أبا كعب ، وكان له ابن يُدعى مالِكاً ، وبنت يقال لها طُرَيْفة ، فزوّج ابنه مالكاً امرأة من أرحب ، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب ، فقالت الأرحبيّة لمالك : إنّي قد اشتقت إلى أهلي ووطني ، ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش ، فلو ارتحلت بأهلك وبي ، فنزلت على أهلي ، لكان عيشنا أرغد ، وشَمْلنا أجمع ؛ فأطاعها ، وارتحل بها وبأُمّه وبأُخته إلى بلاد أرحب . فمرّ بحيّ كان بينهم وبين أبيه ثأر ، فعرفوا فرسه ، فخرجوا إليه ، وأحدقوا به ، وقالوا له : استسْلم وسلِّم الظعينة . فقال : أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا ، وقاتلهم حتى

1 صعب في ل : مطلب .

صُرِع ، فقال وهو يجود بنفسه : [من الطويل]

لعمر أَبيها لا تقــول حليلتي ألا فرَّ عنّي مالك بن أَبي كعبِ

وذكر باقي الأبيات التي تقدّم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وأحسب هذا الخبر مصنوعاً ، وأنّ الصحيح هو الأوّل .

* * *

صوت

[من البسيط]

خُيِّرتُ أَمرين ضاع الحزم بينهما إمّــا الضَّياعُ وإمّــا فِتنة عَمَمُ
فقد همت مِــراراً أن أساجلهم كأسَ المنيّــةِ لــولا اللهُ والرَّحِمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشميّ ، والغناء لمتيّم الهاشمية ، خفيف رمل ، من روايتَي ابن المعتزّ والهشاميّ .

[322] ـ أخبار عيسى بن موسى ونسبه[1]

[نسبه]

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف . وقد مضى في عدّة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب . وأمّه وأمّ سائر إخوته وأخواته أم ولد .

وعيسى ممّن وُلِد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوي النجدة والرأي والبأس والسُّودَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره ، فإنّي أبدأ بالرواية في أنّ الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعلّ منكِراً أن ينكر ذلك إذا قرأه .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلّبيّ وعمّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد . ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد ، فقابلت به ما روياه ؛ فوجدته موافِقاً .

[خلعه المنصور وأخذ البيعة للمهدي]

قال ابن أبي سعد : حدَّثني عليّ بن النطّاح قال : حدَّثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال : لمّا خلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، وبايع للمهديّ ، قال عيسى بن موسى : [من البسيط]

خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزم بينهما إمّـا صَغار وإمّـا فتنة عَمَمُ
وقـد هممت مِراراً أن أُساقِيَهم كأس المنيّـة لولا اللهُ والرَّحِمُ
ولـو فعلـت لزالت عنهمُ نِعَمٌ بكفـر أمثالهـا تُستَنْزَل النِقَمُ

على هذه الرواية في الشعر ، رَوى من ذَكرت . وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف في الألفاظ يُغنّى .

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال : أنشدني ابن بُرَيهة المنصوريّ هذه الأبيات ، وحكى أنّ ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دبّره عليه من الخلع . قال : فجعل يتململ على فِراشه ويُهَمْهِم ، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات ، فعلمت أنّه كان يهمهم بها ، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى ، شفقة عليه .

1 لعيسى بن موسى ترجمة في أشعار أولاد الخلفاء : 309–323 وتاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ومعجم المرزباني : 96–97 .

[رؤيا موسى]

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدّمت ذكره عنهم : وحدّثني محمد بن يوسف الهاشميّ قال : حدَّثني عبد الله بن عبد الرحيم قال : حدَّثتني كلثم بنت عيسى قالت : قال موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس : رأيت في المنام كأنّي دخلت بستاناً ، فلم آخذ منه إلاّ عنقوداً واحداً ، عليه من الحبّ المرصَّف ما الله به عليم ، فوُلد لي عيسى بن موسى ، ثم وُلد لعيسى مَن قد رأيت .

[كراهيته للغناء]

قال ابن أبي سعد في خبره هذا : وحدّثني عليّ بن مسلم الهاشميّ قال : حدَّثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك ، مولى عيسى بن موسى ، قال : حدَّثني أبي قال : كنّا مع عيسى بن موسى لمّا سكن الحِيرة ، فأرسل إليّ ليلة من الليالي ، فأخرجني من منزلي ، فجئت إليه ، فإذا هو جالس على كرسيّ ، فقال لي : يا عبد الرحمن ، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قطُّ إلاّ ليلةً بالحُمَيْمَة والليلة ، فانظر ما هو . فدخلت أستقري الصوت ، فإذا هو في المطبخ ، وإذا الطبّاخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنّيهم بالعود ، فكسرت العود ، وأخرجت الرجل ، وعُدْت إليه فأخبرته ، فحلف لي أنّه ما سمعه قطّ إلاّ تلك الليلةَ بالحُمَيْمة وليلَته هذه .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ ، قالا : حدَّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفيّة بنت الزبير بن هشام بن عُروة ، عن أبيها ، قال : كان عيسى بن موسى إذا حجّ ، يَحُجّ ناس كثير من أهل المدينة ، يتعرَّضون لمعروفه فيصلهم ؛ قالت : فمرَّ أبي بأبي الشدائد الفزاريّ ، وهو ينشد بالمصلّى : [من الرجز]

عصابة إن حـج عيسى حجُّوا
وإن أقـام بالعـراق دَجُّـوا
قـد لَعِقـوا لُعَيقـةً فلَجُّـوا
فالقوم قـوم حَجُّهـم مُعْوَجُّ
مـا هكذا كان يكـون الحجُّ

قال : ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي ، فسلّم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام عليّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حاجَّ بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد : [من الرجز]

إنّي وربِّ الكعبةِ المبنيَّهْ
واللهِ ما هجوتُ مِن ذِي نيّهْ
ولا امرىء ذي رِعَةٍ نقيّهْ
لكِنّني أُرْعِي على البريّهْ
من عُصبةٍ أَغْلَوا على الرعِيّهْ
بغير أخلاق لهم سَرِيّهْ

صوت

[من مجزوء الرجز]

آثار رَبْع قَدُما أعيا جواباً صَمَما
سُحّت عليه دِيَمٌ بمائها فانهدَما
كان لسُعْدى عَلَماً فصار وَحْشاً رِمَما
أيّامَ سُعدى سَقَمٌ وهْي تداوي السَّقَما

الشعر للرّقاشيّ ، والغناء لابن المكّيّ ، رمل بالوسطى ، عن عَمرو بن بانة .

[323] ـ أخبار الرقاشيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو الفضل بن عبد الصمد مَولى رقاشٍ . وهو من ربيعة ، وكان مطبوعاً سهل الشعر ، نقيّ الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس : [من الوافر]

وجدنا الفضل أكرم مِن رقاشٍ   لأنّ الفضل مولاه الرسولُ

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه ، لأنّه كان أكرم ممّن ينتمي إليه ، وذهب أبو نواس إلى قول النبيّ ﷺ : أنا مولى مَن لا مولى له .

وذكر إبراهيم بن تميم ، عن المعلّى بن حُمَيد : أنّ الرقاشيّ كان من العجم ، من أهل الريّ وقد مدح الرقاشيّ الرشيد وأجازه ، إلاّ أنّ انقطاعه كان إلى آل بَرمَك ، فأغنَوه عن سواهم .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلّبيّ قال : حدَّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال : حدَّثني أبي ، قال : كان الفضل الرقاشيّ منقطعاً إلى آل بَرْمَك ، مستغنياً بهم عن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ، ويدونون القليل والكثير منها ، تعصّباً له ، وحفظاً لخدمته ، وتنويهاً باسمه ، وتحريكاً لنشاطه ، فحفِظ ذلك لهم . فلمّا نُكِبوا صار إليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدّة أيّامهم ، ينشدهم ويسامِرهم ، حتّى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نَشَر منها ما كان مطويّاً ، وأذاع منها ما كان مستوراً ؛ وجرى على شاكلته بعدهم ، وكان كالموقوف المديح على جميعهم ، صغيرهم وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان ، فلم يزل بها معه حتى مات .

وكان مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً ، متهاوناً بمروءته ودينه ، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة في الناس ، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامّة ، وهي التي أوّلها : [من الرجز]

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانِهِ   وصيّةَ المحمودِ في نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخطّ الجاحظ في شعر أبي نعامة ، من جملة قصيدة له

---

1 ترجمة الرقاشي في طبقات ابن المعتز 426–227 ومعجم المرزباني : 180–181 وتاريخ بغداد 12 : 345 والزركشي : 245 وفوات الوفيات 4 : 183–184 .

طويلة ، يهجو فيها جماعة ، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشيّ .

وقال عبد الله بن المعتزّ : حدّثني ابن أبي الخنساء ، عن أبيه ، قال : لما قال أبو دُلَف : [من مجزوء الرمل]

صوت

ناوليني الرمح قد طا ... ل عن الحرب جَمامِي
مرّ لي شهران مذْ لم ... أرمِ قوماً بِسهامي

قال الرقاشيّ يعارضه : [من مجزوء الرمل]

جنّبيني الدّرعَ قد طا ... ل عن القَصْف جَمامِي
واكسِرِي المِطْرد والبَـ ... ـيْض وأثنِي بالحُسامِ
واقذفي في لُجّة البحـ ... ـرِ بقوسي وسِهامِي
وبتُرسي وبرُمحـي ... وبِسرجِي ولجامِي
فبحسبي أن تَرَيْني ... بين فِتيانٍ كِرامِ
سادةٍ نغدو مُجِدّيـ ... ـن على حَرْبِ المدامِ
واصطِفاقِ العودِ والنا ... ياتِ في جوفِ الظلامِ
هَزْم أرواح دِنانٍ ... لم ننلها باصطلامِ
نهزِم الراح إذا ما ... هَمَّ قوم بانهزامِ
ثم خلِّ الضرب والطعـ ... ـن لأجساد وهامِ
لشقِيّ قال : قد طا ... ل عن الحربِ جَمامِي

[رثاء البرامكة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن ابن النطاح ، قال : تُوُفّي العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلد ، والرشيد بالرُّصافة ، في يوم جمعة ، فأخرجتْ جنازته مع العصر ، وحضر الرشيد والأمين ، وأخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان ، وفُرِش للرشيد في مسجد هناك ، وجاء الرشيد في الحِلَق بالأعلام والحِراب ، فصلّى عليه ، ووقف على قبره حتى دُفِن ؛ فلمّا خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر ، قَبَّلا يد الرشيد ، وسألاه الانصراف ، فقال : لا ، حتى يُسَوَّى عليه التراب ، ولم يزل قائماً حتى فُرِغ من أمره ، وعزّاهما وأمرهما بالركوب ، فقال الرَّقاشيّ يرثي العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك : [من الطويل]

أتحسِبني باكرتُ بعدك لذّةً أبا الفضلِ أو رَفَّعت عن عاتقٍ سِترا
أوِ انتفعت عيناي بعدُ بنظرة أوَ ادْنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثغرا
جفانِي إذن يوماً إلى الليل مؤنِسي وأضحت يميني من ذخائرها صِفرا
ولكنّني استشعرتُ ثوب استكانة وبتُّ كأن الموت يحفِر لي قبرا

غنّى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرّفّ ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى . وفيه ثقيل أوّل مجهول ، أحسبه لبعض جواري البرامكة . وفيهما لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل ، عن عبد الله بن موسى .

ومن ذلك قوله في جعفر : [من البسيط]

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ يا طيبَ للضيفِ إذ تُدْعى وللجارِ
إن يُعْدَمِ القطر كنتَ المُزنَ بارقُه لمعُ الدنانيرِ لا ما خيَّل الساري

وقوله : [من الطويل]

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المَعايرُ
وما أحد حيٌّ وإن كان سالماً بأسلم ممّن غيبته المقابرُ
ومن كان ممّا يُحدث الدهر جازِعاً فلا بدّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيش عن الموت مَقْصَرٌ وليس على الأيّام والدهر غابرُ
وكلّ شباب أو جديدٍ إلى البِلى وكلّ امرىء يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبْعِدَنْك الله عنيَ جعفراً بروحي ولو دارت عليّ الدّوائرُ
فآلَيْتُ لا أنفكُّ أبكيك ما دَعَتْ على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبة قال : حدَّثني أبو غسّان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن محمد بن عبد العزيز : أنّ الرقاشيّ الشاعر فنِيَ في حبّ البرامكة حتى خيف عليه .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي عن أبي عكرمة ، قال : وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن إسماعيل بن مجمع ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أنّه لما دارت الدوائر على آل برمك ، وأمِر بقتل جعفر بن يحيى وصُلِب ، اجتاز به الرَّقاشيّ الشاعر وهو على الجِذع ، فوقف يبكي أحرَّ بكاء ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أمـا واللهِ لولا خـوف واشٍ وعـين للخليفـة لا تنـامُ
لَطُفنـا حول جذعك واستلمنا كما للنـاس بالحَجَـر استلامُ
فما أبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حساماً قـدَّهُ السيفُ الحسامُ[1]
على اللـذات والدّنيـا جميعاً ودولـة آلِ برمـكٍ السلامُ

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد ، فأحضره ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كان إليّ محسناً ، فلمّا رأيته على الحال التي هو عليها حرّكني إحسانه ، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت . قال : وكم كان يُجْرِي عليك ؟ قال : ألفَ دينار في كلّ سنة . قال : فإنّا قد أضعفناها لك .

[أسفه على أصدقائه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثنا الرّياشيّ قال : كان الفضل الرَّقاشيّ يجلس إلى إخوانٍ له يحادثهم ، ويألفونه ويأنسون به ، فتفرّقوا في طلب المعاش ، وترامت بهم الأسفار ، فمرّ الرقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه ، فوقف فيه طويلاً ، ثم استعبر وقال : [من الكامل]

لـولا التطيُّر قلـتُ غيَّـركم ريبُ الزمـان فخنتُم عهدي
درستْ معـالمُ كنـت آلَفُهـا من بعدكـمْ وتغيّرتْ عندِي

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبو هِفان ، عن يوسف بن الدّاية قال : كان أبو نواس والفضل الرَّقاشيّ جالسَيْن ، فجاءهما عمرو الورّاق ، فقال : رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ ، فما رأيت جارية أحسن منها ، هيفاءَ نجلاء ، زجَّاءَ دعجاء ، كأنّها خُوط بان ، أو جَدْل عِنان ، فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ ، وأحسن[2] لسان ، وأجمل خطاب . فقال الرقاشيّ : قد والله عشقتها ، فقال أبو نواس : أوَ تعرِفها ؟ قال : لا واللهِ ، ولكن بالصفة ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

صفاتٌ وظَنٌّ أورثا القلب لوعـةً تضـرَّم في أحشاء قلـب متيَّمِ
تُمَثِّلهـا نفسي لعينـي فأنثنـي إليهـا بطـرف الناظـر المتوسِّمِ
يحمِّلني حبِّـي لهـا فـوق طاقتي من الشوقِ دأْبَ الحائرِ المتقسِّمِ

1 قده في ل : حتفه .
2 ل : وأفصح .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانيّ قال : قيل لابن دراج الطفيليّ أتتطفّل على الرؤوس ؟ قال : وكيف لي بها ؟ قيل : إنّ فلاناً وفلاناً قد اشترياها ، ودخلا بستان ابن بَزِيع ، فخرج يُحْضِر خوفاً من فوتهما ، فوجدهما قد لوَّحا بالعظام فوقف عليهما ينظر ، ثم استعبر وتمثّل قول الرّقاشيّ : [من مجزوء الرجز]

آثار رَبْع قَدُما أعيا جوابي صَمَما

وابن دراج هذا يقال له عثمان ، وهو مولًى لكندة ، وكان في زمن المأمون ، وله شعر مليح ، وأدب صالح ، وأخبار طيبة ، يجري ذكرها هاهنا .

[324] ـ أخبار ابن درّاج الطُّفيليّ

[يخاف الكلب]

أُخبرني الجوهريّ عن ابن مهرويه ، عن أبيه قال : قيل لعثمان بن دراج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إي والله ، وإنّه للجنّة الحاضرة في الدنيا . قيل له : فلِم لا تدخل إليه ، فتأكل من ثماره ، تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأنّ فيه كلباً لا يتمضمض إلاّ بدماء عراقيب الرجال .

[إصراره على التطفّل]

أُخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الرحيم بن أُحمد بن زيد الحرّانيّ قال : كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابيّ ، أحد ولد زيد بن الخطّاب ، فقال له : ويْحَك ! إنّي أبخل بأدبك وعلمك ، وأصونك وأضَنّ بك عمّا أنت فيه من التطفيل ، ولي وظيفة راتبة في كلّ يوم ، فالزمني وكُن مدعوّاً أصلح لك ممّا تفعل . فقال : رحمك الله أين يُذْهَب بك ؛ فأين لذّة الجديد ، وطيب التنقّل كلّ يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال العروس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأمّا إذ أبيت ذاك ، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإنّي فَيْئة لك . قال : أمّا هذا فنعم .

[يمنع الطفيليين]

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابيّ مولاة له ، فقالت : جُعِلْتُ فِداك . زوَّجت ابنتي من ابن عمّ لها ، ومنزلي بين قوم طُفَيليين ، لا آمنهم أن يهجموا عليّ ، فيأكلوا ما صنعت ، ويبقى مَن دعوت ، فوجِّه معي بمَن يمنعهم . فقال : نعم ، هذا أبو سعيد ، قم معها يا أبا سعيد . فقال : مُرِّي بين يَدَيّ ، وقام وهو يقول[1] : [من الكامل]

ضجــت تميمٌ أن تُقَتَّل عامــرٌ يــومَ النسار فأُعتِبــوا بالصَّيْلَمِ

[تحيّله في التطفيل]

قال : وقال الخطابيّ هذا لابن درّاج : كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يُدْخلوك ؟ قال : أُنوح على بابهم ، فيتطيّرون بذلك ، فيدخلوني .

---

1 البيت لبشر بن أبي خازم (اللسان ـ صلم) . والصيلم : الداهية .

[خوفه من نفاد الطعام أكسب لونه الصفرة]

قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة في لونك ؟ قال : من الفترة بين القصعتين ، ومن خوفي كلّ يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع .

[صفة بيته]

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، عن عبد الرحيم بن أحمد : أنّ ابن درّاج صار إلى باب عليّ بن زيد ، أيّام كان يكتب للعبّاس بن المأمون ، فحجبه الحاجب ، وقال : ليس هذا وقتك ، قد رأيتَ القواد يُحْجبون ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلي سبيلهم ، لأنّه يحبّ أن يراني ، ويكره أن يراهم ، فلم يأذن له . فبيناهما على ذلك إذ خرج عليّ بن زيد ، فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ فقال : منعني هذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب ، فقال : بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ؟ ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديت إليّ من النوادر ؟ قال : مرّت بي جنازة ومعي ابني ، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول : بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء ، ولا ضيافة ولا غطاء ؛ ولا خبز فيه ولا ماء . فقال لي ابني : يا أبة ، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت له : وكيف ويلَك ؟ قال : لأنّ هذه صفة بيتنا . فضحك عليّ وقال : قد أمرت لك بثلاثمائة درهم . قال : وقد وفَّر الله عليك نصفها على أن أتغدّى معك . قال : وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس ، فقال : هي عليك مُوَفَّرة كلّها ، وتتغدّى معنا .

[لذّة التطفيل]

وعثمان ابن درّاج الذي يقول : [من مجزوء الرمل]

لــذّةَ التطفيل دُومي وأقيمِــي لا تَريمـي
أنتِ تشفـين غليـلي وتسلّـين همـومي

عود إلى الرقاشيّ :

[خضاب الرقاشيّ]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العكليّ قال : دخل الرقاشيّ على بعض أمراء الصدقة ، فقال له : قد أصبح خِضابك قانياً . قال : لأنّني أمسيت له معانياً . قال : وكيف تفعله ؟ قال : أُنْعِم الحناء عَجْناً ، وأجعل ماءه سخناً ، وأُرَوِّي شَعْرِي قبله دُهْناً ، فإن بات قَنا[1] ، وإن لم يفعل أغنى .

1 قنا : احمر .

صوت[1]

[من الخفيف]

مـــن لِعين رأت خيالاً مِطيفا   واقفـــاً هكـــذا علينـــا وقوفا
طارقـــاً موهِنـــاً ألمّ فحيّـــا   ثـــم ولّى فهاج قلبـــاً ضعيفا
ليت نفسي وليت أنفس قومي   يـــا يزيـــد النّدى تقيك الحتوفا
عَتَكـــي مُهَلَّبـــيّ كريـــم   حاتمي قـــد نال فرعـــا منيفا

عروضه من الخفيف ، والشعر لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم المهلّبيّ . والغناء لعبد الرحيم الرفّ ، خفيف رملٍ بالوسطى ، عن عمرو .

1 شعر ربيعة الرقي : 83 ولم يرِد فيه البيت الثالث .

[325] ـ أخبار ربيعة الرَّقيِّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو ربيعة بن ثابت الأنصاريّ ، ويكنى أبا شَبابة . وقيل إنّه كان يكنى أبا ثابت ، وكان ينزل الرَّقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهديّ إليه ، فمدحه بعدّة قصائد ، وأثابه عليها ثواباً كثيراً ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً ، وإنّما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته ، بُعده عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عدِم مفضِّلاً لشعره ، مقدِّماً له .

[أشعر المحدثين وأسيرهم بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن داود ، عن ابن أبي خَيْثمة عن دِعبل قال : قلت لمروان بن أبي حفصة : مَن أشعركم جماعة المحدَثين يا أبا السِّمط ؟ قال : أشعرنا أسْيَرنا بيتاً . قلت : ومَن هو ؟ قال : ربيعة الرقيّ الذي يقول[2] : [من الطويل]

لَشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى ... يزيد سُلَيم والأغـرّ ابـن حاتمِ

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلّبيّ ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَميّ ، وبعد البيت الذي ذكره مروان : [من الطويل]

يزيـد سُلَيم سالمُ المـالِ والفتى ... أخـو الأزدِ للأمـوالِ غير مُسالمِ

فهَـمُّ الفتى الأزديّ إتلاف مالِـهِ ... وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهمِ

فـلا يحسَبِ التَّمتام أنّي هجوتُه ... ولكنّنـي فضّلـت أهـل المكارمِ

فيا ابن أُسَيد لا تسامِ ابن حاتـم ... فتقـرَعَ إن ساميتَـه سنَّ نادمِ

هو البحر إن كَلَّفت نفسك خوضه ... تهالكتَ في مـوج لـه متلاطمِ

[أبو زيد يستشهد بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه ، قال : حدَّثني أُسَيد بن خالد الأنصاريّ ، قال : قلت لأبي زيد النحويّ : إنّ الأصمعيّ قال : لا يقال : شتان ما بينهما ، إنّما يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى :

---

1 لربيعة الرقي ترجمة في طبقات ابن المعتز : 157–170 ومعجم الأدباء : 1302–1303 ونكت الهميان : 151 والوافي 16 : 189 وخزانة البغدادي 6 : 301–302 وقد جمع شعره د . يوسف بكار .

2 شعر ربيعة : 96–100 .

شتانَ مـا يومي على كُورها

فقال : كذب الأصمعيُّ ، يقال : شتان ما هما ، وشتان ما بينهما ، وأنشدني لربيعة الرقيّ ، واحتجّ به : [من الطويل]

لشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى يزيــد سُلَيم والأغـرّ ابن حاتمِ

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ ، كفاية له في تفضيله .

وذكره عبد الله بن المعتزّ فقال : كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس ، لأنّ في غزل أبي نواس بَرْداً كثيراً ، وغزل هذا سَلِيم سهل عذب .

[سرقوه من بلاده]

نسخت من كتابٍ لعمّي : حدَّثنا ابن أبي فَنَن قال : اشتهى جَوارِي المهديّ أن يسمعن ربيعة الرقيّ ، فوجّه إليه المهديّ مَن أخذه من مسجده بالرقّة ، وحُمِل على البريد حتى قُدِم به على المهديّ ، فأُدخِل عليه ، فسمع ربيعة حِسّاً من وراء السِّتر ، فقال : إنّي أسمع حسّاً يا أمير المؤمنين ، فقال : اسكت يا ابن اللّخناء ، واستنشده ما أراد ، فضحِك وضحكن منه . قال : وكان فيه لين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازه جائزة سنيّة ، فقال له[1] : [من مجزوء الرمل]

يــا أمير المؤمنينَ اللـ ـــه سَمّــاك الأمينا

سَرقوني مــن بلادِي يـــا أميــر المؤمنينا

سرقوني فــاقضِ فيهم بجـــــزاء السارقينا

قال : قد قضيت فِيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحُمِل على البريد من ساعته إلى الرقّة .

[في يزيد بن حاتم]

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً[2] : [من الوافر]

يزيــدَ الأزدِ إن يزيــدَ قومي سميَّــك لا يجــود كما تجودُ

يقودُ جماعة وتقــودُ أخرى فترزُقُ مَــن تقود ومَــن يقودُ

فمــا تِسعون يَحقرُها ثــلاث يقيم حسابَهــا رجــل شديدُ

1 شعر ربيعة 105 .

2 شعر ربيعة : 72 .

وكفٌّ شَثْنة جُمِعَــتْ لوَجْءٍ　　بأَنكدَ مــن عطائك يا يزيدُ

[غضب الرشيد على العبّاس بن محمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : امتدح ربيعة الرقيّ العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسناً ، وهي طويلة يقول فيها[1] : [من الكامل]

صوت

لــو قيل للعبّاس يا ابن محمدٍ　　قل : (لا) وأنت مخلَّد ما قالَها

ما إن أَعُدُّ من المكارمِ خَصْلة　　إلاّ وجدتــك عمّها أو خالَها

وإذا الملــوك تسايروا في بلدة　　كانوا كواكبها وكنت هلالَها

إنّ المكــارم لم تــزل معقولة　　حتى حللت براحتيك عِقالَها

في البيت الأوّل والبيت الأخير خفيف رمل بالوسطى ، يقال إنّه لإبراهيم . ويقال إنّه للحسين بن محرِز .

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين ، فلمّا نظر إلى الدينارين كاد يُجَن غيظاً ، وقال للرسول : خذ الدينارين ، فهما لك ، على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدري العبّاس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة ، وأمر مَن كتب في ظهرها[2] : [من الوافر]

مدحتك مِدحةَ السيفِ المُحَلَّى　　لتجْريَ في الكرامِ كما جريتُ

فهبها مِدحةً ذهبــت ضَياعاً　　كذبتُ عليك فيهــا وافتريتُ

فأنت المــرءُ ليس لــه وفــاءٌ　　كأنّي إذ مدحتك قــد زنيتُ

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . فردّها الرسول في موضعها . فلمّا كان من الغد أخذها العبّاس ، فنظر فيها ، فلمّا قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً عنده ، يبجِّله ويقدّمه ، وكان قد هَمَّ أن يخطب إليه ابنته ؛ فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : هجاني ربيعة الرَّقيّ . فأحضِر ، فقال له الرشيد : يا ماصَّ كذا وكذا من أُمِّه ، أتهجو عمِّي ، وآثَرَ الخلق عندي ، لقد هممت أن أضرب عنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء ، في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ، وأكثرت في الوصف ، فإن رأى أمير

1 شعر ربيعة : 87 .

2 شعر ربيعة : 67 .

المؤمنين أن يأمره بإحضارها . فلمّا سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه ، وأحبّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العبّاس بإحضار الرقعة ، فتلكّأ عليه العبّاس ساعة . فقال له الرشيد : سألتك بحقّ أمير المؤمنين إلاّ أمرت بإحضارها . فعلم العبّاس أنّه قد أخطأ وغلِط ، فأمر بإحضارها فأُحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها ، وأُعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبرّ . ثم قال للعبّاس : كم أثبْته عليها ؟ فسكت العبّاس ، وتغيّر لونه ، وجَرِض بريقه ، فقال ربيعة : أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهّم الرشيد أنّه قال ذلك من الموجِدة على العبّاس ، فقال : بحياتي يا رقيّ ، كم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلاّ بدينارين . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وجه العبّاس بن محمد ، وقال : سَوْأَةً لك ! أيّةُ حال قعدتْ بك عن إثابته ؟ أقلّة المال ؟ فوالله لقد موّلتك جُهدي ؛ أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لي ، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك ، حتى فضحتَ أباك وأجدادك ، وفضحتني ونفسك . فنكس العبّاس رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة ، واحمله على بغلة ، فلمّا حُمِل المال بين يديه ، وألبس الخلعة ، قال له الرشيد : بحياتي يا رقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عمّا كان هم به أن يتزوّج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطّراح .

[عبثه بالعبّاس بن محمد]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدَّثني أحمد بن أبي فنن الشاعر ، قال : حدَّثني من لا أحصي من الجلساء : أن ربيعة الرقيّ كان لا يزال يعبَث بالعبّاس بن محمد بحضرة الرشيد ، العبث الذي يبلغ منه ؛ منذ جرى بينهما في مديحه إيّاه ما جَرى ، من حيث لا يتعلّق عليه فيه بشيء ، فجاء العبّاس يوماً إلى الرشيد ببَرْنيّة فيها غالية ، فوضعها بين يديه ، ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية ، صنعتها لك بيدي ، اختير عنبرها من شِحْر عمان ، ومسكها من مَفاوز التُّبَّت ، وبانها من ثغر تهامة ؛ فالفضائل كلّها مجموعة فيها ، والنعت يقصر عنها .

فاعترضه ربيعة ، فقال : ما رأيت أعجب منك ، ومن صفتك لهذه الغالية ، عند من إليه كلّ موصوف يُجْلَب ، وفي سوق يَنْفق ، وبه إليه يُتقرّب ، وما قَدْر غاليتك هذه ، أعزّك الله ، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت ؟ أأجريت بها إليه نهراً ، أم حملت إليه منها وِقراً ؟ إن تعظيمك هذا عند مَن تُجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كلّ بلدة ، وتذِل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة ، وتتحفه بطُرَف بُلدانها ، وبدائع ممالكها ، حتى كأنّك قد فقتَ به

على كلّ ما عنده ، أو أبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصَصته بما لم يحوه بملكه ، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همّة . أَنشُدك الله يا أمير المؤمنين ، إلاّ جعلت حظّي من كلّ جائزة وفائدة توصلها إليَّ مدّة سنتي هذه الغالية ، حتى أتلقّاها بحقّها . فقال : ادفعوها إليه ، فدُفِعت إليه . فأدخل يده فيها ، وأخرج مِلئها ، وحلّ سراويله ، وأدخل يده فطلى بها استه ، وأخذ حَفْنة أُخرى ، وطلى بها ذكره وأُنثَيَيه ، وأخرج حَفْنتين ، فجعلهما تحت إبطيه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، مرْ غلامي أن يدخل إليّ ، فقال : أدخلوه إليه ، وهو يضحك ، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنيّة غير مختومة ، وقال : اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنيّة ، وقل لها : طيبي بها حِرَك واستك وإبطيك ، حتى أجيء الساعة وأنيكك . فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشي عليه ، وكاد العبّاس يموت غيظاً ، ثم قام فانصرف ، وأمر الرشيد أن يبعث لربيعة بثلاثين ألفَ درهم .

[طرز شعره في بساط]

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى ، أنّه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة في دَوْرِ بِساطٍ من بُسُط السلطان قديم ، وكان مبسوطاً في دار العامّة بسرّ مَن رأى ، فنسخها منه ، وهي قوله[1] : [من الطويل]

صوت

وتزعـم أنّي قــد تبدَّلتُ خُلَّةً ... سِواهـا وهـذا الباطـل المتقوَّلُ
لحـا الله مَن بـاع الصديقَ بغيرِهِ ... فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ
سَتصرِم إنساناً إذا مـا صَرَمتني ... يحبّـكَ فانظر بعـدَه مَـن تَبَدَّلُ

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى إبراهيم بن المهديّ ، وفيه لعريب رَمَل من رواية ابن المعتزّ .

[لم يقض يزيد بن أسيد حاجته فهجاه]

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسَيْد ، أنّه زاره يستميحه ، لقضاء دَين كان عليـه ، فلم يجـد عنده ما أحبّ ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلّبيّ ، فطَفَّل[2] على قضاء دينه وبـرّه ، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه ، وله فيه عِدّة قصائد مختارة ، يطول ذكرها ، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه في قوله : [من الطويل]

1 شعر ربيعة : 84 .
2 طفل : ترفق وتلطف .

لشتان مـا بين اليزيدين في الندى يزيـد سليمٍ والأغـر ابـن حاتمِ

في قصيدة مدح بها يزيد بن مَزْيَد ، وسلَخ بيت الرقيّ ، بل نقله وقال : [من الطويل]

لشتان مـا بين اليزيدين في الندى إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ
يزيـدُ بنـي شَيبانَ أكـرم منهما وإن غضبت قيسُ بن عَيلانَ والأزدُ
فتـى لم تلِده مـن رُعَين قبيلـةٌ ولا لَخْـمُ تَنميـه ولم تَنْمـه نَهْدُ
ولكن نمته الغُـرُّ مـن آل وائلٍ وبَـرَّةُ تَنميـه ومِن بعدهـا هندُ

ولم يسِرْ في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن داودَ بن الجرّاح قال : حدَّثنا محمد بن أبي الأزهر قال : عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أُسَيد الذي هجاه ربيعة جَواريَ ، فاختار جاريتين منهن ، ثم قال للنخاس : أيّتهما أحبّ إليك ؟ قال : بينهما أعزّ الله الأمير كما قال الشاعر : [من الطويل]

لشتان مـا بين اليزيدين في الندى يزيـدِ سليم والأغـرّ ابن حاتمِ

فأمر بجر رجله وإخراجه وجواريه .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : لمّا حجّ الرشيد لقيه قبل دخوله مكّة رجلان من قريش ، فانتسب له أحدهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نَهَكتنا النوائب ، وأجحفت بأموالنا المصائب ، ولنا بك رحِم أنت أولى من وصلها ، وأمل أنت أحقّ من صدقه ، فما بعدك مطلب ، ولا عنك مذهب ، ولا فوقك مسؤول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر ، فلم يأت بشيء فوصلهما ، وفضل الأوّل تفضيلاً كثيراً ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل : [من الطويل]

لشتانَ مـا بين اليزيدين في الندى يزيـدِ سُلَيم والأغـرّ ابـن حاتمِ

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال : لمّا هجا ربيعة يزيدَ بن أُسَيد السُّلَميّ ، وكان جليلاً عند المنصور والمهديّ ، وفضَّل عليه يزيد بن حاتم ، قلت لربيعة : يا أبا شَبابة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك ، وفضلت عليه رجلاً من الأزد ؟ فقال : أُخبرك .

أملقتُ فلم يبق لي شيء إلاّ داري ، فرهنتها على خمس مئة درهم ، ورحلت إليه إلى إرمينية ، فأعلمته ذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولاً ، فوهب لي خمسمائة درهم ، فتحمّلت وصرت بها إلى منزلي ، فلم يبقَ معي كبير شيء ، فنزلت في دارٍ بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمّي فعل بي هذا الفعل ، فكيف غيره ؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته . فأُعلم

بمكاني ، فتركني شهراً حتى ضجرت ، فأكريت نفسي من الحمّالين ، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه ، والبيت : [من الطويل]

أُراني ولا كفران لله راجعاً بخُفَّيْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتمِ

فوقعت الرقعة في يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري ، فبعث خَلْفي ، فلمّا دخلت عليه قال : هيه ، أنشدني ما قلت . فتمنّعت ، فقال : والله لتُنْشِدَنّي ، فأنشدته فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفّيه ، فنُزِعا فحشاهما دنانير ، وأمر لي بغلمان وجوار وكُسا ، أفلا ترى لي أن أمدَح هذا وأهجو ذاك ! قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه .

[هواه]

أُخبرني الحسن بن عليّ الأدَميّ قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسيانيّ قال : حدَّثني عمِّي عبد الله بن عباد : أنّ ربيعة بن ثابت الرقيّ الأسديّ كان يلقّب الغاوي ، وكان يهوى جارية يقال لها عَثْمة ، أَمَة لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له ابن مَرَّار ، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولَّوه مصر ، فأصاب بها مالاً عظيماً ، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته ، فأحضره ، وعرض عليه أن يهبها له ، فقال : لا تهبها لي ، فإنّ كلّ مبذول مملول ، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي ، ولكن دعني أُواصلها هكذا ، فهو أحبّ إليّ .

قال : وقال فيها[1] : [من الكامل]

اعتـاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ شوقٌ عَراك فأَنت عنه تذُودُهُ
والشوق قد غلب الفؤاد فقاده والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُهُ
في دار مَـرَّارٍ غـزالٌ كَنِيسة عَطِرٌ عليـه خُزوزه وبُرودُهُ
رِيـمٌ أَغرّ كأنّه مـن حسنه صنـم يُحَـجُّ ببِيعـة معبودُهُ
عيناه عينـا جـؤذَر بصَريمة ولـه مـن الظبي المربَّب جِيدُهُ
مـا ضرُّ عَثْمـة أن تُلِـم بعاشقٍ دنِـفِ الفـؤاد متيّـم فتعودُهُ
وتَلُـدّه مـن رِيقها فلربّمـا نفع السقيم من السَّقام لَدودُهُ[2]

وهي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلّب .

---

1 شعر ربيعة : 71 .

2 تلده : تسقيه اللدود ، وهو دواء .

[يمدح معن بن زائدة ويهجوه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدَّثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أبي بشر الفزاريّ قال : لقِيَ ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في قَدْمة قدِمها إلى العراق ، فامتدحه بقصيدة ، وأنشده إيّاها راويته ، فلم يَهَش له معن ، ولا رضي ربيعة لقاءه إيّاه ، وأثابه ثواباً نَزْرا ، فردّه ربيعة ، وهجاه هجاء كثيراً ، فممّا هجاه به قوله[1] : [من الخفيف]

معنُ يا معنُ يا ابنَ زائدةِ الكلْـ ـب التي في الذراع لا في البنانِ
لا تفاخــر إذا فخـرت بآبـا ئـك وافخر بعمِّك الحَوْفزانِ
فهشام مــن وائــلٍ في مكانٍ أنت ترضى بدون ذاك المكانِ
ومتــى كنت يا ابن ظَبية ترجو أن تُثنّـي على ابنـةِ الغَضَبانِ
وهــي حَـوْراء كالمَهاة هِجانٌ لهجـانٍ وأنــت غيــر هِجانِ
وبنات السَّليلِ عند بنــي ظبـ ـية ، أفٌّ لكــم بني شيبانِ
قيــل : معــن لنا فلمــا اختبرنا كان مَرْعًى وليس كالسَّعْدانِ[2]

قال أبو بشر : ظَبية التي عيَّره بها أَمَة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك ، وكانت راعية لأهلها ، وهي في غنمها ، فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة ، ودجاجة بنت عبد الله . قال : وبنت السليل التي عناها : امرأة من ولد الحَوْفزان .

[الجارية العطرة]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاريّ ، قال : كان ربيعة الرقيّ يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة ، يقال لها عثمة ، وكان أهلها ينزلون في جوارِ جُعفيّ ، فقال فيها في أبيات له[3] : [من المنسرح]

جُعْفيّ جيرانُها فقــد عَطِرت جعفـيّ مــن نشرِهـا ورياها

فقال له رجل من جُعفيّ : وأنا جار لها بيتَ بيتَ ، والله ما شمِمت من دارهم ريحاً طيّبة قطٌّ . فتشمم ربيعة رائحته وقال : وما ذنبي إذا كنتَ أَخْشَم[4] ، والله إنّي لأجد ريحها وريح

---

1 شعر ربيعة : 106 .

2 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .

3 شعر ربيعة : 108 .

4 الأخشم : الذي لا يجد ريح ما يشمّ في أنفه .

طيبها منك ، وأنت لا تجده من نفسك .

[رقية]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال : كنت حاضراً ربيعة الرقيّ يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية ، فقالت : تقول لك فلانة : إنّ بنت مولاي محمومة ، فإن كنت تعرف عُوذة تكتبها لها فافعل . فقال : اكتب لها يا أبا بشر هذه العُوذَة[1] : [من السريع]

تفُــو تفُــو باسم إلهــي الذي ... لا يعرِض السقم لَمن قد شَفى
أعِيــذ مولاتــي ومولاتَهــا ... وابنتهــا بعُــوذة المصطفى
من شرِّ مــا يعرِض مــن عِلّة ... في الصبح والليــل إذا أسْدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت ، لست أحسِن أن أكتب : تفُو تفُو ، فكيف أكتبها ؟ قال : انضح المداد من رأس القلم في موضعين ، حتى يكون كالنفث ، وادفع العُوذة إليها ، فإنّها نافعة . ففعلت ودفعتها إليها ، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحِكاً . فقالت له : يا مجنون ، ما فعلت بنا ؟ كدنا والله نفتضِح بما صنعت . قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا مَــنْ بَيّن الأخَويـ ... ـنِ أمُّهما هي الثكلى
تسائل مَــن رأى ابنَيها ... وتستشفي فمــا تُشْفى
فلمّا استيأسَت رجعــت ... بعبــرة والــهٍ حَــرَّى
تتابــعُ بــين وَلولــة ... وبــين مدامــعٍ تَتْــرى

عروضه من الهزج[2] ، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارِظ الكِنانية ، وتكنى أمّ حكيم ، زوجة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، في ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لؤيّ باليمن .

والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لحُنين الحِيريّ ، ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وفيه لأبي سعيد مولى فائد ، خفيف ثقيل الأوّل ، مطلق في مجرى الوسطى .

1 شعر ربيعة : 83 .

2 الأبيات من مجزوء الوافر لا الهزج .

[326] ـ ذكر الخبر في مقتل ابني عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب[1]

[حملة بسر بن أرطاة في الحجاز واليمن]

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطّلاّس قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا عليّ بن محمد المدائنيّ ؛ عن أبي مخنف ، عن جويريّة بن أسماء ، والصَّعْب بن زهير ، وأبي بكر الهذليّ ، عن أبي عمرو الوقاصيّ : أنّ معاوية بن أبي سفيان بعث بُسْر بن أرْطاة ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، بعد تحكيم الحكمين ، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ حيّ ، وبعث معه جيشاً ، ووجَّه برجل من غامد ضمّ إليه جيشاً آخر . ووجّه الضحّاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر ، وأمرهم أن يسيروا في البلاد ، فيقتلوا كلّ مَن وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يُغيروا على سائر أعماله ، ويقتلوا أصحابه ، ولا يكفُّوا أيديَهم عن النساء والصبيان . فمضى بُسْر لذلك على وجهه ، حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناساً من أصحاب عليّ عليه السلام وأهل هواه ، وهدم بها دُوراً من دور القوم . ومضى إلى مكّة ، فقتل نفراً من آل أبي لَهب ، ثم أتى السَّراة ، فقتل من بها من أصحابه . وأتى نَجران ، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وابنه ، وكانا من أصهار بني العبّاس ، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العبّاس ، عاملاً لعليّ بن أبي طالب ، وكان غائباً ، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر ، فلم يصادفه بُسْر ، ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله وذبحهما بيده ، بمُدْية كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية . وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به . فقصد الغامِديُّ إلى الأنبار ، فقتل ابنَ حسان البكريّ ، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة .

[خطبة علي بن أبي طالب]

فحدَّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس النسائيّ قال : حدَّثنا محمد بن حسّان الأزرق ، قال : حدَّثنا شبابة بن سوّار قال : حدَّثنا قيس بن الربيع ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي صادق ، قال : أغارت خيل لمعاوية على الأنبار ، فقتلوا عاملاً لعليّ عليه السلام ، يقال له حسان بن حسان ، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساء ، فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فخرج حتى أتى المِنبر ، فرقيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ ﷺ ، ثم قال : إنّ الجهاد

1 انظر خبر مقتل ابنَي عبيد الله بن العبّاس في تاريخ الطبري والمسعودي وشرح نهج البلاغة 1 : 144 ومقاتل الطالبيين والتذكرة الحمدونية 4 : 276–278 .

باب من أبواب الجنّة ، فمَن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة وشَمَله البلاء ، ودُيِّث[1] بالصَّغار ، وسيم الخَسْف . وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنّه لم يُغْزَ قوم قطُّ في عُقْر دارهم إلاّ ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولي وراءكم ظهريّاً ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد جاء الأنبار ، فقتل عاملي عليها حسّان بن حسّان ، وقتل رجالاً كثيراً ونساء . والله لقد بلغني أنّه كان يأتي المرأة المسلمة والأُخرى المعاهِدة ، فينزع حِجْلها ورِعاثها[2] ، ثم ينصرفون موفورين ، لم يُكْلَم أحدٌ منهم كلماً . فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، لم يكن عليه ملوماً ، بل كان به جديراً . يا عجباً ، عجباً يميت القلب ، ويُشعل الأحزان ، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم ، وفَشَلكم عن حقّكم ، حتى صرتم غرضاً تُرمَون ولا ترمُون ، وتُغزَون ولا تَغزُون ، ويُعصى الله وترضَون . إذا قلت لكم اغزوهم في الحر ، قلتم هذه حمارّة القيظ فأمهِلنا ، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد ، قلتم هذا أوانُ قُرّ وصِرّ فأمهلنا . فإذا كنتم من الحرّ والبرد تفرُّون ، فأنتم والله من السيف أشدّ فِراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طَغام[3] الأحلام ، وعقولَ ربات الحِجال ، وددت والله أنّي لم أعرفكم ، بل وددت أنّي لم أرَكم ، معرفة والله جَرَّعت بلاء وندماً ، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . ويْحَهم ! هل فيهم أشدّ مراساً لها منّي ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نَيَّفْتُ على السِّتين ، ولكن لا رأْي لِمَن لا يُطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله تعالى : «لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسي وأَخِي» فمُرْنا بأمرك ، فوالله لنطيعنّك ولو حال بيننا وبينك جَمْر الغَضى ، وشوك القتاد . قال : وأين تبلغان ممّا أُريد ؛ هذا أو نحوه ، ثم نزل .

[بين عليّ وعقيل]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله بن محمد قال : حدَّثني جعفر بن بشير قال : حدَّثني صالح بن يزيد الخراسانيّ ، عن أبي مِخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال : كتب عَقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ جارك من كلّ سوء ، وعاصمك من المكروه . إنّي خرجت معتمراً ، فلقيت عبد الله بن أبي سَرْح في نحو أربعين شابّاً من أبناء

1 ديث : ذلل .

2 الرعاث : جمع رعثة ، وهي الشنف .

3 الطغام : من لا عقل له ولا معرفة عنده .

الطُّلَقاء ، فقلت لهم ، وعرفت المنكر في وجوههم : يا أبناء الطُّلَقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعني القوم وأسمعتهم . ثم قدمت مكّة وأهلها يتحدّثون أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحِيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعاً ، فأفٍّ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك . وما الضحاك ؟ وهل هو إلاّ فَقْع بقَرْقرة[1] ، وقد ظننتُ وبلغني أنّ أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إليّ يا ابن أُمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد ، تحمّلت إليك ببني أبيك وولد أخيك ، فعشنا ما عشت ، ومتنا معك ، فوالله ما أحبّ أن أبقى بعدك فَواقاً[2] ، وأقسم بالله الأعزّ الأجلّ ، أنّ عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك ، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع[3] . والسلام» .

فأجابه عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم : «أمّا بعد ، كلأنا الله وإيّاك كَلاءة من يخشاه بالغيب ، إنّه حميد مجيد . فقد قدِم عليّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزديّ بكتابك ، تذكر فيه أنّك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلاً من قُدَيد ، في نحو من أربعين شابّاً من أبناء الطلقاء ، وإنّ بُنَيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، وبغاها عِوجاً ، فدَع بني أبي سرح عنك ، ودَع قريشاً وتَرْكاضَهم في الضلالة ، وتَجْوالَهم في الشقاق ، فإنّ قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك ، إجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه ، وجَحَدوا فضله ، وبادَوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كلّ الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمَرَّين . اللهمّ فاجز عنّي قريشاً الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ، والحمد لله على كلّ حال .

«وأمّا ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة ، ولكنّه جاء في خيل جريدة ، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة ، فمرّ بواقصة وشَراف وما والى ذلك الصقع ، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلمّا بلغه ذلك جاز هارباً ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير ، وقد طَفَلت[4] الشمس للإياب ، فاقتتلوا شيئاً كَلا ولا[5] ، فولّى ولم يصبر ، وقُتِل من أصحابه بضعة عَشَر رجلاً ،

1 المثل «أذل من فقع بقرقرة» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 458 والدرة الفاخرة 1 : 304 .

2 فواقاً : وقتاً قصيراً .

3 نجيع : هنيء .

4 طفلت : مالت .

5 كلا ولا : مدة قليلة .

ونجا جَرِيضاً[1] بعد ما أُخِذ منه بالمُخَنَّق ، فَلأْيا بلأْيٍ ما نجا»[2] .

«وأمّا ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي ، فإنّ رأيي قتالُ المُحِلِّين[3] حتى ألقى الله ، لا يزيدني كثرةُ الناس حولي عِزَّة ، ولا تفرُّقهم عنّي وحشة ، لأنّي محِقّ ، والله مع الحقّ وأهله ، وما أكره الموت على الحقّ ، وما الخير كلّه إلاّ بعد الموت لمَن كان مُحِقّاً» .

«وأمّا ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأَقِم راشداً مهديّاً ، فوالله ما أُحِبّ أن تهلِكوا معي إن هلكت ، ولا تحسَبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرِّعاً متخشِّعاً ، لكن أقول كما قال أخو بني سُلَيم : [من الطويل]

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنّني صبور على ريب الزمان صَلِيبُ
يعِزُّ عليّ أن تُرى بي كآبة فيشمتَ باغٍ أو يُساءَ حبيبُ

والسلام» .

رجع الخبر إلى سياقة مَقتل الصبيين

[نوح أم حكيم على طفليها]

ثم إنّ بُسْر بن أرطاة كرَّ راجعاً ، وانتهى خبره إلى عليّ عليه السلام ، أنّه قتل عبد الرحمن وقُثَمَ ابنَي عُبيد الله بن العبّاس ، فسرَّح حارثة بن قُدامة السعديّ في طلبه ، وأمره أن يُغِذَّ السير ، فخرج مسرعاً ، فلمّا وصل إلى المدينة ، وانتهى إليه قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه ، ركب في السلاح ، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن ، فامتنعوا ، فقال : والله لتبايعُنّ ولو بأستاهكم . فلمّا رأى أهلُ المدينة الجِدّ منه بايعوا للحسن ، وكرّ راجعاً إلى الكوفة ، فأصاب أُمَّ حكيم بنت قارظ ولْهَى على ابنيها ، فكانت لا تعقِل ولا تُصْغي إلى قول مَن أعلمها أنّهما قد قُتِلا ، ولا تزال تطوف في المواسم ، تنشدُ الناس ابنيها بهذه الأبيات : [من البسيط]

صوت

يا مَن أحسَّ بُنيَّي اللذين هما كالدُّرَّتين تَشظَّى عنهما الصدفُ
يا مَن أحسَّ بنيَّي اللذين هما سمعي وقلبي ، فقلبي اليوم مختَطَفُ

---

1 جريضاً : مشرفاً على الهلاك .

2 لأياً بلأي ما نجا : نجا بعد مشقة وجهد .

3 المحلون : الخارجون من الميثاق والبيعة .

يــا مَــن أحسّ بُنَيَّيَ اللذين هما ... مُخُّ العظام فمخّي اليوم مُزْدَهَفُ
نُبِّئت بُسْراً وما صدّقت ما زعموا ... من قولهم ومِن الإفك الذي اقترفوا
أنحــى على وَدَجَــيْ إبنيَّ مُرْهَفَةً ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترفُ
حتى لقِيــت رجــالاً مــن أرومته ... شمّ الأُنوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعــن بُسْراً حــقَّ لعنتــه ... هــذا لعمر أبي بُسْرٍ هــو السَّرَفُ
مَــن دَلَّ والهــةً حَــرَّى مُدَلَّهــة ... على صبيَّين ِضلاّ إذ هوى السلفُ

الغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، يقال إنّه له أيضاً ، وفيه لِعَريب رمل نشيد .

[دعاء علي على بسر]

قالوا : ولّما بلغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسْرٍ الصبيين ، جزع لذلك جزعاً شديداً ، ودعا على بُسْر لعنه الله ، فقال : اللهمّ اسلُبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلُبه عقلـه ! فأصابه به ذلك ، وفقد عَقله ، فكان يهذِي بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله .

[بين عبيد الله بن العبّاس وبسر]

ولّما كانت الجماعة واستقرّ الأَمر على معاوية ، دخل عليه عُبيد الله بن العبّاس وعنده بسر بن أرطاة ، فقال له عبيد الله : أأنت قاتل الصبيين أيّها الشيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيد الله : أما والله لوددت أنّ الأرض كانت أنبتَتْني عندك . فقال بسر : فقد أنبتتك الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف ! فقال له بسر : هاك سيفي . فلمّا أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله ، أخذه معاوية ، ثم قال لبسر : أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك ، تعمِد إلى رجل من بني هاشم قد وتَرْته وقتلت ابنَيه ، تدفع إليه سيفك ، إنّك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك . فقال عبيد الله : أجل ، والله ، ثم إذن لثَنَّيْتُ به .

[انتقام من ابنَي بسر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : أخبرني محمد بن مسروق قال : قال الأصمعيّ : سمِع رجل من أهل اليمن وقد قدِم مكّة امرأة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب تندب ابنَيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها : [من البسيط]

يــا مَــن أحسَّ بُنَيَّيَ اللذيــن همــا ... كالدرّتين تشظّى عنهما الصَّدَفُ

فرقَّ لها ، فاتّصل ببُسر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنَيه ، فخرج بهما إلى وادي أوطاس ، فقتلهما وهرب ، وقال : [من البسيط]

يـا بُسر بسرَ بني أُرطاةَ مـا طلعت   شمس النهارِ ولا غابـت على ناسِ
خيرٍ مـن الهاشميِّين الذيـن هُـمُ   عين الهدى وسمام الأشوس القاسي[1]
مـاذا أردت إلى طفـلي مُدَلَّهة   تبكي وتندب مَن أُثكلت في الناسِ
إمّا قتلتهما ظلماً فقـد شرِقـت   في صاحبيك قناتي يـوم أوطاسِ
فاشرب بكأسهما ثُكلاً كما شربت   أُمّ الصبيَّين أو ذاق ابـن عبّاسِ

صوت

[من الطويل]

أَلا فاسقياني مـن شرابكما الوَرْدِي   وإن كنت قد أُنفدتُ فاستَرهِنا بُردِي
سِواري ودُملوجي وما ملكت يدي   مباح لكم نَهْبٌ فـلا تقطعوا وِردِي

عروضه من الطويل . والشعر لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أُميّة بن عبد شمس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، رمل بالوسطى ، من رواية عمرو بن بانة .

1 الأشوس : الشديد الجريء في القتال .

[327] ـ ذكر أمّ حكيم وأخبارها[1]

قد مضى ذكر نسبها .

[أمّها وجدتها]

وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هي وأمّها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : الموصِلة بنت المُوصِلة ، لأنّهما وصلتا الجمال بالكمال .

وأمّ زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : سُعْدى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأْم الطائيّ . وكانت سُعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سَلمة ورَيطة . ثم توفّي عنها ، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها ، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلّم بنوها ، وكرهوا أن تتزوّج وقد صاروا رجالاً ، فقالت : إنّه قد بقي في رحم أمّكم فضلة شريفة ، لا بدّ من خروجها ، فتزوّجها . فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه ، وزينب ، وهي أمّ أمّ حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدِم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلمّا قدِم تغيّبوا ، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبثّ المغيرة الجِفان في السكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة : [من الوافر]

أتاكَ البحرُ طَمَّ على قُريشٍ مُغِيريّ فقد راغ ابنُ بِشرِ

قال مصعب الزّبيريّ : هو ، يعني المغيرة ، مطعم الجيش بمنى ، وهو إلى الآن يطعَم عنه . قال : وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقدّاً ، وكأن أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، فكانت تسمّى الموصِلة . وسُمِّيت بنتها أمّ حكيم بذلك ، لأنّها أشبهتها .

أخبرني عمّي قال : حدّثني ابن أبي سعد قال : حدّثني عليّ بن محمد بن يحيى الكنانيّ عن أبيه قال : كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصِلة : قال مصعب : فتزوّج زينب أبان بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبد العزيز بن أبان ، ثم مات عنها ،

1 لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم (الواصلة) ترجمة في ثمار القلوب : 299 .

فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا إلى عبد الملك ، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن : كم الذي تأمُل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على ألف دينار ، ولا يزيدك على خمس مئة دينار ، ولها عندي خمسون ألف دينار ، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوّجتنيها ، فزوَّجه إيّاها على ذلك . فغضب عليه عبد الملك . وقال : دخل عليَّ في خِطبتي . والله لا يخطب على مِنبر ما دمت حيّاً ، ولا رأى منّي ما يُحبّ ، فأسقطه . فقال يحيى : لا أُبالي ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد : وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيِّبي قال : حدَّثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحيّ : أنّها لمّا خُطبت قالت : لا أتزوّج والله أبداً إلاّ مَن يغني أخي المغيرة . فأرسل إليها يحيى بن الحكم : أيغنيه خمسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال : فهي له ، ولك مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء . أرسل إلى أهلك شيئاً من طِيب ، وشيئاً من كسوة .

قال : ويقال إنّ عبد الملك لمّا تزوّجها يحيى قال : لقد تزوّجتْ أفْوهَ غليظ الشفتين . فقالت زينب : هو خير من أبي الذّبان فماً ، فما له يعيبه بفمه ؟ وقال يحيى : قولوا له أقبح من فمي ما كَرِهَتْ من فمك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو غسّان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عمّه محمد بن عبد العزيز : أنّ عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها ، وكتب إليه أن يَلْحق به ، وكان بفلسطين أو بالأُردنّ ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربع مئة دينار لزينب ، ولك عندي ثلاثون ألف دينار ، سوى صداق زينب . فقال المغيرة : أوَ تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح ؟ قال : نعم ، فنقل إليه المال . فتجهّز المغيرة ، وسيَّر ثَقَله ، ثم دخله على يحيى فزوَّجه ، وخرج إلى المدينة ، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة ، فلمّا أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّه زوّج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن ، بثلاثين ألف دينار ، وأعطاه إيّاها ، ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى ، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول : [من الطويل]

ألا لا أُبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كعكتان وزينبُ

[زواج أمّ حكيم]

قال : وكانت زينب تسمّى المُوصِلة ، من حسن جسدها ، وكانت أُمّ حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، تزوّجها في حياة جدّه عبد الملك ، ولمّا عقد النّكاح بينهما ، عقد في مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا في ذلك أشعاراً

كثيرة يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرّقاع ، فدخلا ، وبدأ عديّ لموضعه منهم ، فقال : [من الكامل]

قَمرُ السماء وشمسُها اجتمعا بالسَّعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما مَن ذا رأى هذا ومَن سمِعا ؟
دام السرور له بها ولها وتَهنّيا طول الحياة معا

وقال جرير[1] : [من الكامل]

جَمع الأمير إليه أكرم حرةٍ في كلِّ ما حالٍ من الأحوالِ
حَكَميّة علَتِ الروابيَ كلَّها بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ فخرتهمُ بالسَّيِّد المفضالِ
عبد العزيز ومن يكلفْ نفسه أخلاقه يَلْبَثْ بأكسف بالِ
هنأتكم بمودّة ونصيحة وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنِك النِّعَم التي خُوِّلتَها يا خيرَ مأمول وأفضلَ والِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعديّ بن الرّقاع بمثلها ، وقضى لأهله ومواليه يومئذٍ مئة حاجة ، وأمر لجميع مَن حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير . فلم تزل أُمّ حكيم عند عبد العزيز مدّة ، ثم تزوّج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، فملكته وأحبّها ، وذهبت بقلبه كلّ مذهب ، فلم ترض منه إلاّ بطلاق أُمّ حكيم ، فطلّقها ، فتزوّجها هِشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز ، فتزوّج هشام ميمونة أيضاً . وكان شديد المحبّة لأمّ حكيم ، فطلّق لها ميمونة ، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها ؟ فقالت : نعم . فولدت أُمّ حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بني أُميّة ، وكان أحد مَن يطعُن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويغري الناس به .

[كأس أمّ حكيم]

وكانت أُمّ حكيم منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقه . وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم ، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن ، وفيه يقول الوليد بن يزيد[2] : [من الخفيف]

1 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان جرير (صادر) .
2 ديوان الوليد بن يزيد : 65 (دار الكتاب الجديد) .

صوت

عَلِّـــلاني بعاتقـات الكرومِ   واسقياني بكـأسَ أُمِّ حكيمِ
إنّهـا تشرب المدامـة صِرفاً   في إنـاء مـن الزجاج عظيمِ
جَنِّبـوني أذاة كلّ لئيـم   إنّــه مـا علمـتُ شرُّ نديمِ
ثـم إن كان في النَّدامى كريم   فأَذيقـوه مَسّ بعـض النعيمِ
أنت حظّي من النساء سُلَيْمى   إن سَلْمـايَ جَنّتـي ونعيمي
فدَعـوني مـن الملامـة فيهـا   إن مَـن لامنـي لغيـرُ حليمِ

عروضه من الخفيف . غناء عمر الوادي من رواية يونس . وفي رواية إسحاق : غنّاه الغُزَيل أبو كامل : خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر .

فيقال إنّ هذا الشعر بلغ هشاماً ، فقال لأُمّ حكيم : أتفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت : أَوَ تصدقه الفاسقَ في شيء ، فتصدقَه في هذا ؟ قال : لا . قالت : فهو كبعض كذبه .

[تهاجي يزيد بن هشام والوليد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقال : [من الطويل]

فحسْب أبـي العبّاس كأس وقَيْنةٌ   وزِقّ إذا دارت بـه في الذوائبِ
ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك   ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالبِ

فقال الوليد يهجوه ، ويعيره بشرب أُمّه الشراب : [من الخفيف]

إنّ كأس العجوز كأسٌ رَواءُ   ليس كأس ككأس أُمِّ حكيـمِ
إنّهـا تشرب الرَّساطون صِرْفاً   في إنـاء من الزجـاج عظيمِ[1]
لـو بـه يشرب البعيرُ أو الفيـ   ـل لظَلاّ في سَكرة وغُمومِ
ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ   ـق فوافى لـذاك غير حليمِ

[أبو شاكر بن هشام وولاية العهد]

وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة ، ويُكْنى أبا شاكر ، وكان هشام ينوِّه باسمه ، وأراد أن يوليه العهد بعده ، وولاّه الحجّ ، فحجّ بالناس ، وفيه يقول عُروة بن أذينة ، لما وفد على هشام ، وفَرَّق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً ، وأحبّه الناس ومدحوه : [من المتقارب]

---

1 الرساطون : الخمر .

أَتينـــا نَمُـــتُّ بأَرحامنا وجئنا بأمــر أَبي شاكرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه ، وأشاع ذلك وغنّى فيه ، وأراد أن يعيّره بذلك[1] : [من السريع]

صوت

يــا أَيّها السائلُ عن ديننا نحن على دِين أَبي شاكرِ
نشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسخن أُحيانــاً وبالفاترِ

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه : [من السريع]

يــا أَيّها السائل عن ديننا نحن على دِيــن أَبي شاكرِ
الواهـــبِ البُزْلِ بأرسانِها ليس بزنديــقٍ ولا كافرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ أنّ هشاماً لمّا أراد أن يوليه العهد ، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القَسْريّ ، فقال خالد : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ قومه هشاماً ، فكان سبب إيقاعه به .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن موسى قِمَطر ، عن إسماعيل بن مجمع قال : كنّا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة ، فنزكّي عنه ، فكان فيما يُزَكَّى عنه ، قائم كأس أُمّ حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً . قال محمد بن موسى : سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته ، فقال : كأس كبير من زجاج أخضر ، مَقْبِضه من ذهب . هكذا ذكر إسماعيل .

وقد حدَّثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال : لمّا أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع ، في أيّام ظهور الناجم بالبصرة ، أخرج إلينا كأس أم حكيم ، فكان كأساً مدوَّراً على هيئة القِحْف ، يسع ثلاثة أرطال ، فقُوِّم بأربعة دنانير ، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة ، مع خساسة قدره ، فسألنا الخازن عنه . فقال : هذا كأس أُمّ حكيم ، فرددناه إلى الخزانة . ولعلّ الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذٍ ، ثم أُخرج ليباع .

قال محمد بن موسى : وذكر لي عُبيد بن محمد عن أبي الأغرّ ، قال : كنّا مع محمد بن الجُنيد الخُتَّليّ أيّام الرشيد ، فشرب ذات ليلة ، فكان صوته : [من الخفيف]

عَلِّلاني بعاتقـــات الكـروم واسقياني بكـأس أُمّ حكيمِ

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحَر ، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد : إنّ

1 ديوان الوليد بن يزيد : 39 .

الخليفة على الركوب . وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ، ومن يقدِّم دابته ، فقال : ويْحَكم ! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران . فقالوا : لا بدّ من الركوب ، فركب على تلك الحال ؛ فلمّا قدَّم إلى الرشيد دابته ، قال له : يا محمد ، ما هذه الحال التي أراك عليها ؟ قال : لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب ، فشربت ليلي أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره .

فقال له : عُدْ إلى منزلك ، فلا فضْلَ فيك ، فرجع إلينا وخبَّرنا بما جرى ، وقال : خذوا بنا في شأننا ، فجلسنا على سطح ، فلمّا مَتَع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذَون ، في يده شيء مُغَطًّى بمنديل ، قد كاد ينال الأرض ، فصعد إلينا ، وقال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أُمّ حكيم ، لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها في صَبوحك . فقام محمد ، فأخذ الكأس من يد الخادم ، وقبَّلها ، وصبّ فيها ثلاثة أرطال ، وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مئتي دينار ، وغَسَل الكأس ، وردَّها إلى موضعها ، وجعل يفرّق علينا تلك الدنانير ، حتى بقي معه أقلّها .

[الأعشى يهجو علقمة بن علاثة]

صوت[1]

[من السريع]

علقمَ مـا أنـت إلى عامرٍ　　　الناقـضِ الأوتـارِ والواترِ
إن تَسُد الحُوصَ فلـم تعدُهمْ　　　وعامـر سادَ بنـي عامـرِ
عهدي بها في الحيّ قد أُبرزت　　　صفراءَ مثل المُهْـرة الضامرِ
قـد حجمَ الثديُ على صدرها　　　في مُشْرِق ذي بهجـة ناضرِ
لـو أسندت مَيتـاً إلى نحرِها　　　عـاش ولم يُنْقَـل إلى قابـرِ
حتى يقـولَ الناس ممّـا رأوا　　　يـا عَجَبـاً للميّـتِ الناشرِ

عروضه من السريع . والشعر للأعشى : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، يمدح عامر بن الطُّفيل ، ويهجو علقمة بن عُلاثة .

والغناء لمعبد في الثالث وما بعده ، خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر . وفي الأبيات لحُنين ثقيل أوّل مطلق ، في مجرى البِنْصر ، عن إسحاقَ . وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرّد ولم يُجَنِّسه ، ولم ينسبه إلى أحد .

1 من قصيدة طويلة للأعشى في ديوانه (صادر) : 92–96 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

[328] ـ الخبر في هذه القصة ، وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها[1]

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة . ونسخت من روايات ابن الكلبيّ عن أبيه ، ومن رواية دَماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعيّ ، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، ومن رواية أبي عمرو الشيبانيّ عن أصحابه ؛ فجمعت رواياتهم ، ولكلّ امرىء منهم زيادة على صاحبه ، ونقصان عنه ، واللفظ مشترك في الروايات ، إلاّ ما حكيته مفرداً .

[سبب المنافرة بين عامر وعلقمة]

قال ابن الكلبيّ : حدَّثني أبي ومحيريز بن جعفر ، وجعفر بن كلاب الجعفريّ ، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، عن أبيه ، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين ، قالوا : أوّل ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص .

وأُمّ عامر : كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر ، وأمّها أُمّ الظباء بنت معاوية ، فارس الهَرَّار ، ابن عبادة بن عَقِيل بن كعب بن ربيعة ، وأُمّها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأُمّها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف . وأُمّ أبيه الطُّفيل : أُمّ البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أُمّ علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النَّخَع سبِيّة ، وأُمّ أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيطان بن بكر بن عوف بن النّخَع مَهِيرة .

أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول ، فبصُر به عامر ، فقال : لم أَرَ كاليوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما تَثِب على جاراتها ، ولا تنازل كنَّاتها ؛ يعرِّض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم ! والله لفرس أبي «حَنوةُ» أذكر من أبيك ؛ ولفحل أبي «غيهبُ» أعظم ذِكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان ، وكان فحله فحلاً لبني حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية خبر هذه المنافرة 7 : 399–403 وانظر سرح العيون : 162–166 .

قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق ، قال : هو الأشعر بن صِرمة .

قال : الأثرم : سمّي صِرمة غيهب لسواده .

قال ابن الكلبيّ : فاستعاره منهم يستطرقه[1] ، فغلبهم عليه ، فقال علقمة : أما فرسكم فعارة[2] ، وأمّا فحلكم فغدرة . ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت .

فقال عامر : والله لأنّا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً .

فقال علقمة : لأنّا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لأنّا أحبّ إلى نسائك أن أصبح فيهنّ منك .

فقال علقمة : على ماذا تنافرني يا عامر ؟

فقال عامر : أنافرك على أنّي أنحر منك للّقاح ، وخير منك في الصباح[3] ، وأطعم منك في السنة الشّياح[4] .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنّي جبان ، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك ، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك . وأنت جواد والناس يزعمون أنّي بخيل ، ولست كذلك ، ولكن أنافرك أنّي خير منك أثراً ، وأحدُّ منك بصراً ، وأعزّ منك نفراً ، وأسرح[5] منك ذِكْراً .

فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقص ، وبصرك صحيح ، ولكنّي أنافرك على أنّي أنشر منك أُمّة[6] ، وأطول منك قِمَّة ، وأحسن منك لِمّة ، وأجعد منك جُمّة ، وأبعد منك همّة .

قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قضيف ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكنّي أنافرك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنّي أنافرك أنّي خير منك عَقِباً ، وأطْعَمُ منك جَدْباً .

قال علقمة : قد علمت أن لك عقِباً في العشيرة ، وقد أطْعَمت طيباً إذ سارت ؛ ولكنّي

1 يستطرقه : يتخذه فحلاً .

2 عارة : عارية .

3 في الصباح : الغارة على الأعداء في الصبح .

4 الشياح : القحط .

5 أسرح : أبعد .

6 يريد أكثر عدداً .

أنافرك أنّي خير منك ، وأولى بالخيرات منك ؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم .

قال : فخرجت أُمّ عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال أبو المنذر : قال أبو مسكين : قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحُماة ، وأقتل منك للكُماة ، وخير منك للمولى والمولاة .

فقال له علقمة : والله إنّي أعزّ منك . إنّي لبرٌّ وإنّك لفاجر ، وإنّي لوفيّ وإنّك لغادر ، ففيم تفاخرني يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنّي لأنْزَلُ منك للقفرة ، وأنحر منك للبَكْرة ، وأطعم منك للهَبْرة ، وأطعن منك للثُّغْرة .

فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر ، نَكِد النظر ، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر .

فقال بنو خالد بن جعفرٍ ، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكِبَر . فقال له علقمة هذا القول .

فقال عامر : عنز وتيس ، وتيس وعنز[1] ، فذهبت مثلاً . نعم على مِئة من الإبل ، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم ، أينا نُفِّرَ عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهُناً من أبنائهم ، على يدي رجل من بني الوحيد ، فسمّي الضّمين إلى الساعة ، وهو الكفيل .

قال : وخرج علقمة ومَن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمَّه عامر بن مالك ، وهو أبو بَراء ، فقال : يا عمّاه ، أعنّي . فقال : يا ابن أخي ، سبَّني . فقال : لا أسبّك وأنت عمّي . قال : فسُبَّ الأحوص . فقال عامر : ولا أسبّ والله الأحوص وهو عمّي ، فقال : فكيف إذن أعينُك ، ولكن دونك نعلي ، فإنّي قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعاً ، فاستعن بها في نفارك .

[اختيار الحكم]

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أُميّة ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم[2] ، تقعان بالأرض . قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاكما اليمين ، وأبى أن يقضي بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر ، فقال : [من الرجز]

---

1 لم نعثر عليه في كتب الأمثال .

2 الأدرم : الذي تراكب شحمه ولحمه ، والذي ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، أو الذي لا أسنان له .

يــا آل قريشٍ بيِّنــوا الكلاما إنّـا رضينـا منكـم الأحكاما
فبيِّنــوا إن كنتــمُ حكّامــا كان أبونـا لهــمُ إمــاما
وعبـد عمْرو منــع الفِئامــا في يــوم فخــر مُعْلَم إعلاما
ودَغْلَــجٌ أقدمـــه إقدامــا لــولا الذي أُجشمهم إجشاما
لاتخذتْهــم مَذْحِــج نَعامــا

قال : فأبَـوا أن يقولوا بينهما شيئاً .

وقد كانت العرب تُحاكِم إلى قريش ، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئاً . فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعْتب الثَّقَفِيّ ، فردّهما إلى حَرْملة بن الأشعر المُرِّي ، فردّهما إلى هَرم بن قطْبة بن سنان بن عمرو الفَزاريّ ، فانطلقا حتى نزلا به .

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى : إنّهما ساقا الإبل معهما ، حتى أثنت وأربعت ، لا يأتيان أحداً إلاّ هـاب أن يقضـي بينهمـا . فقـال هـرم : لعمري لأحكمن بينكمـا ، ثم لأفصِلن ، ثم لست أثِق بواحد منكما . فأعطياني موثقاً أطمئنّ إليه أن ترضيا بمـا أقـول ، وتسلّما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل . فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابلٍ ، خرجا إليه ، فخرج علقمة ببني الأحوص ، فلم يتخلّف منهـم أحـد ، معهم القبـاب والجُـزُر والقدور ، ينحرون في كلّ منزل ويطعمـون ، وجمع عامر بني مالك ، فقال : إنّما تخاطرون عن أحسابكم ، فأجابوه وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثنية إلاّ وجدت الأحوص مُنيخاً بهـا ، وكـره أبو بَـراء ما كان من أمرهما ، فقال عامر فيما كره من منافرتهما ، ودعاء عامر إيّاه أن يسير معه : [من الوافر]

أأُومَــر أن أسُبَّ أبــا شُريح ولا والله أفعـلُ مــا حييتُ
ولا أُهــدِي إلى هــرم لِقاحاً فيُحيـي بعـد ذلك أو يُميتُ
أُكَلَّف سعيَ لُقمانِ بـن عادِ فيـا آل أبي شُرَيْح مــا لقيتُ

قال : وأبو شريح : هو الأحوص . فكرِه كلّ واحد من البطنين ما كان بينهما . وقال عبدُ عَمْرِو بن شُرَيح بن الأحوص : [من الطويل]

لَحى الله وَفْدينا ومـا ارتحلا بـه مـن السَّوءَةُ الباقي عليهم وبالُها
ألا إنّمـا بُــرْدي صِفـاق متينة أبى الضيم أعلاهـا وأُثبتَ حالُها

قال : فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبِي الإبل[1] ، وعليهم السلاح ، فقال رجل من

1 ل : على الإبل مجنبي الخيل .

غنيّ : يا عامر ، ما صنعت ؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُزُر ، وليس معك شيء تطعمه الناس ! ما أسوأ ما صنعت ! فقال عامر لرجلين من بني عمّه : أحصيا كلّ شيء مع علقمة من قُبّة أو قِدْر أو لَقْحة . ففعلا . فقال عامر : يا بني مالك ، إنّها المقارعة عن أحسابكم ، فاشخَصُوا بمثل ما شَخَصوا به ففعلوا .

[شعراء المتنافرين]

وثار مع عامر لَبيد بن ربيعة والأعشى ، ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص ، منهم السِّنْدريّ بن يزيد بن شريح ، ومروان بن سُراقة بن قَتادة بن عمرو بن الأحوص ، وهم يرتجزون ، فقال لبيد[1] : [من الرجز]

يــا هرِما وأنت أهلُ عدلِ إن نُـفِّـر الأحوص يوماً قبلي
ليذهَبــنَّ أهلُــه بأهــلي لا تَجْمَعَنَّ شكلَهم وشكلي
ونســلَ آبائِهِــم ونســلي

وقال أيضاً[2] : [من الرجز]

إنّي امرؤ من مالك بن جعفرِ علقم قـد نافرت غيرَ مُنْفَرِ
نافرتَ سَقْباً من سِقاب العَرْعَرِ

فقال قحافةُ بن عوف بن الأحوص : [من الرجز]

نهنهْ إليك الشعرَ يــا لَبيدُ واصْدُد فقد ينفعك الصُّدودُ
ساد أبونـا قبـل أن تَسودوا سُؤْدُدُكم مُطَّـرف زَهيــدُ

وقال أيضاً : [من الرجز]

إنّــي إذا اكننــي الخبــاء وضاع يــوم المَشهد اللِّواءُ
أُنْمى وقــد حُـقَّ لِيَ النماءُ إلى كهــولٍ ذِكرهـا سناءُ
إذ لا تزال جَلــدةٌ كَومـاء مبقــورةَ لسَقْبهــا رُغــاءُ
لم يَنْهنا عــن نحرهـا الصفاء لنــا عليكــمُ سُورَة وِلاءُ[3]
المجــدُ والسؤْدُدُ والعَطــاءُ

---

1 ديوان لبيد : 343 .
2 ديوان لبيد : 334 .
3 سورة : منزلة رفيعة .

وقال أيضاً : [من الرجز]

أنتم هَزَلْتمْ عامرَ بـنَ مالكِ في شَتَـواتِ مُضَرَ الهوالِكِ

يـا شَرَّ أحياءٍ وضرَّ هالكِ

قال : وأنشدها السَّنْدَرِيُّ يومئذٍ ، ورفع صوته ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : [من الرجز]

أنا لِمَن أنكر صوتي السَّنْدَرِيّ أنا الفتى الجعد الطويل الجعفريّ

من ولد الأحوص أخوالي غَنِيّ

فقال عامر : أجب يا لَبيد . فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأنّ السَّندريّ كانت جَدّته أَمَةً اسمها عَيْساء ، فقال[1] : [من الطويل]

لَمّـا دعـاني عامـرٌ لأَسُبَّهـم أَبيتُ وإن كان ابن عَيْساءَ ظالما

لكيما يكونَ السَّندَرِيُّ نَدِيدتِي وأَشتُمَ أَعمامـا عُمومـاً عَماعِما[2]

وأُنْشِرَ مـن تحـت القبورِ أُبُـوَّةً كراما هـم شَدُّوا عليّ التّمائما

لعِبـت على أكتافهمْ وجُحُورهم وَليـداً وسَمَّوني مُفيـداً وعاصما

ألا أينـا مـا كان شرّاً لمالكٍ فـلا زال في الدّنيا مَلُوماً ولائما

قال : ووثب الحُطَيئة ، فقال[3] : [من الطويل]

مـا يحبِسُ الحُكّـامَ بالفصْل بعدما بـدا سابـقٌ ذو غُـرَّة وحُجُولِ

وقال أيضاً[4] : [من البسيط]

يا عامِ قد كنت ذا باع ومكرمة لـو أنّ مَسعاة مـن جاريتَه أَمَمُ

جاريت قَرْماً أجاد الأَحوصانِ به سمـحَ اليديـن وفي عِرْنينه شَمَمُ

لا يصعُبُ الأَمـرُ إلاّ ريثَ يركَبُه ولا يبيـت على مـالٍ لـه قَسَمُ

هابـتْ بنو مالك مجداً ومَكْرُمَةً وغايةً كان فيهـا الموتُ لو قَدِموا

ومـا أساءوا فِـراراً عـن مُجَلِّحةٍ لا كاهنٌ يَمتري فيها ولا حَكَمُ

---

1 ديوان لبيد : 286-287 .

2 العماعم : الجماعات المتفرقة .

3 ديوان الحطيئة : 94 وفيه :

فما ينظر الحكام بالفضل بعدما بـدا واضح ذو غـرة وحجـول

4 ديوان الحطيئة : 95 .

[دهاء الحكم]

قال : وأَقام القوم عنده أيّاماً ، وأَرسل إلى عامر ، فأتاه سرّاً ، لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر ، قد كنتُ أرى لك رأياً ، وأنّ فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيّام إلاّ لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخَر أنت وقومُك إلاّ بآبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟

قال عامر : أَنشُدُك الله والرَّحِم أن لا تُفَضِّل عليّ علقمة ، فوالله لئِن فعلت لا أُفلح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجززُها ، واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشكّ أنّه يُنَفِّره عليه .

ثم أَرسل إلى علقمة سِرّاً ، لا يعلم به عامر ، فأَتاه فقال : يا علقمة ، والله إن كنتُ لأَحسب فيك خيراً ، وأن لك رأياً ، وما حبستك هذه الأيّام إلاّ لتنصرف عن صاحبك . أتفاخر رجلاً هو ابن عمّك في النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غَناء ، وأَحمَدُهم لِقاء ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أَنْشُدك الله والرَّحِم ألاّ تُنَفِّر عليّ عامراً . اجزُز ناصيتي ، واحتكم في مالي ، وإن كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه ، فقال : انصرف فسوف أرى رأيي . فخرج وهو لا يشكّ أنّه سيفضّل عليه عامراً .

قال أَبي : وسمعت أَنّ هَرِماً قال لعامر حين دعاه : يا عامر ، كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرِم ؟ قال : لأنّه أنجل منك عَيْناً في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدّعاء . قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أكثر منك نائلاً في الثّراء ، وأَعظم منك حقيقة عند الدّعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال : ولِمَ يا هَرم ؟ قال : هو أَنفذ منك لساناً ، وأَمضى منك سِناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أقتل منك للكُماة ، وأفكّ منك للعُناة .

قال : ثم إنّ هرماً أرسل إلى بنيه وبني أَبيه : إنّي قائل غداً بين هذين الرجلين مَقالة ، فإذا فعلتُ فليطرِدْ بعضكم عَشْر جَزائر فلْينحَرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، فَلْيخرها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس ، لا تكون لهم جماعة .

وأَصْبحَ هَرِم ، فجلس مجلسه ، وأَقبل الناس ، وأَقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لَبيد فقال[1] : [من الرجز]

يـــا هرمَ ابنَ الأكرمين مَنصِبا إنّك قد وُلِّيتَ حُكماً مُعْجِبا

1 ديوان لبيد : 331 .

فاحكم وصوِّب رأس مَن تصوّبا إن الذي يعلـو علينـا تُرُبًا[1]
لخَيرُنـا عمّـاً وأُمّاً وأَبـا وعامـرٌ خيرهمـا مُـرَكَّبا
وعامر أُدنى لقيسٍ نسبا

فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتَي البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيِّد كريم .

وعمَد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر ، فنحروها حيث أمرهم هرِم عن علقمة عشراً ، وعن عامر عشراً ، وفرّقوا الناس ، فلم يفضِّل هرِم واحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل وهما ابنا عمّ ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .

[عامر أجار الأعشى فانحاز إليه]

قال : وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معديكرب بما أُعطاه طلب الجِوار والخُفرة من علقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفَره عامر ، حتى إذا أدّاه وماله إلى أهله قال : [من السريع]

عَلْقَمَ مـا أَنت إلى عامرِ الناقِض الأوتـارِ والواتِـرِ

ثم أتمّها بعد النِّفار . فلمّا بلغ علقمة ما قال الأعشى ، وأشاع في العرب أن هرِماً قد فضَّل عامراً ، توعَّد الأعشى ، فقال الأعشى :

لعمري لئن أُمسى من الحيّ شاخصا

[هرم لا يبوح بالسر لعمر]

قال ابن الكلبيّ : حدَّثني أبي قال : فعاش هرِم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرِم ، أيَّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة ، ولبلغتْ شِعاف هَجَر . فقال عمر : نِعْمَ مستودَعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليُسد الشعيرة . وقال : إلى مثلك فليستبضِع القوم أحكامهم .

[علقمة يسلم ويرتدّ ثم يعود إلى الإسلام]

قال مؤلّف الكتاب : وقد أَدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام ، فأَسلَم ، ثم ارتدّ فيمَن ارتدّ من العرب . فلمّا وجّه أبو بكر خالد بن الوليد المخزوميّ إلى بني كلاب ليوقع بهم ، وعلقمة يومئذٍ رئيسهم ، هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه ، فأعلمه أنّه قد نَزَع عمّا كان عليه ، فقبل إسلامه وأمّنه . هكذا ذكر المدائنيّ .

---

1 ترتبا : جميعاً .

وأمّا سيف بن عمر فإنّه روى عن الكوفيين غير ذلك .

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدَّثنا السريّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سَيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، قال : كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومَن والاها ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتدّ في حياة النبيّ ﷺ ، ثم خرج بعد فتح الطائف ، حتى لحق بالشام مرتدّاً ، فلمّا تُوفّي النبيّ ﷺ أقبل مسرِعاً ، حتى عسكر في بني كعب ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أُخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه ، فبعث إليه سَرِيّة ، وأمّر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : يا قعقاع ، سِر حتى تغير على علقمة بن علاثة ، لعلّك تأخذه لي أو تقتله . واعلم أنّ شفاء النفس الحُوْص ، فاصنع ما عندك . فخرج في تلك السريّة حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة ، وكان لا يبرح أن يكون على رحل ، فسابقهم على فرسه مراكضة ، وأسلم أهله وولده ، واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناتِه ونساءه ومَن أقام من الرجال ، فاتّقوه بالإسلام . فقدِم بهم على أبي بكر رضي الله عنه ، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالأوا علقمة على أمره ، وكانوا مقيمين في الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك . وقالوا لأبي بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسلَم علقمة ، فقبِل ذلك منه .

أخبرنا الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثنا عمرو بن عثمان قال : كان رسول الله ﷺ ربّما حدّث أصحابه ، وربّما تركهم يتحدّثون ويُصغي إليهم ويتبسّم ، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيّام العرب ، إذ سمع حسّانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة ، علقمةَ بن عُلاثة ، ومديحه عامر بن الطُّفيل : [من السريع]

علقمَ ما أنت إلى عامرٍ   الناقِض الأوتارِ والواترِ
إن تَسُد الحُوص فلم تَعْدُهمْ   وعامرٌ سادَ بني عامرِ
ساد وأُلْفي رهطه سادة   وكابراً سادوك عن كابرِ

فقال رسول الله ﷺ : كُفَّ عن ذكره يا حسّان ، فإن أبا سفيان لمّا شعَّث منّي عند هرقل ، ردّ عليه علقمة ، فقال حسّان بن ثابت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، مَن نالتك يدُه فقد وجب علينا شكره .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن أبي بكرٍ الهذليّ قال : لمّا أطلق عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة ، لأقصده به ، فقد منعتني التكسّب

بشعري . فقال : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إنّ علقمة ليس بعاملك ، فتخشى أن تأثَم ، وإنّما هو رجل من المسلمين ، تشفع له إليه . فكتب له بما أراد ، فمضى الحطيئة بالكتاب ، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره ، فوقف عليه ، ثم أنشد قوله[1] : [من الطويل]

لعمري لنعم المرءِ من آل جعفرٍ بحَورانَ أمسى أعْلَقتْه الحبائلُ
فإن تحيَ لا أُملَل حياتي وإن تمت فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ
وما كان بيني لو لقيتُك سالماً وبين الغِنى إلاّ ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنه : يا حطيئة ، كم ظننت أنّ علقمة يعطيك ؟ قال : مِئة ناقة . قال : فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها . فأعطاه إيّاها .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد والضحاك بن عثمان قالا : لَمّا قدِم علقمة بن عُلاثة المدينة ، وكان قد ارتدّ عن الإسلام ، وكان لخالد بن الوليد صديقاً ، لقيه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل ، وكان عمر يُشَبَّه بخالد ، وذلك أنّ أُمّه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فسلّم عليه ، وظنَّ أنّه خالد ، فقال : أعَزَلَك ؟ قال : كان ذلك . قال : والله ما هو إلاّ نفاسةٌ عليك ، وحسد لك . فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟ قال : مَعاذ الله ، إنّ لعمر علينا سمعاً وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه . فلمّا أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس ، فدخل خالد وعلقمة ، فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيهِ يا علقمة ، أأنت القائل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمة إلى خالد ، فقال : يا أبا سليمان ، أفعلتها ؟ قال : ويْحَك والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإنّي لأراك لقيت الرجل . قال : أُراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعتَ إلاّ خيراً . قال : أَجل . فهل لك أن أُولّيك حَوْران ؟ قال : نعم . فولاّه إيّاها ، فمات بها . فقال الحطيئة يرثيه : [من الطويل]

لَعمري لنعم الحيُّ من آل جعفرٍ بحَوْران أمسى أقصدته الحبائلُ[2]
لقد أقصدَتْ جُوداً ومجداً وسؤدداً وحلماً أصيلاً خالفته المَجاهلُ

---

1 هذه الأبيات من قصيدة طويلة في ديوان الحطيئة : 213–217 ومنها أيضاً الأبيات التي ستأتي فيما بعد .

2 ل : أعلقته .

فإن تَحي لا أُمْلَلْ حياتي وإن تمت　　فمــا في حياةٍ بعــد موتك طائلُ

وفي أوّل هذه القصيدة التي رَثى بها الحطيئة علقمة غِناء نسبته : [من الطويل]

صوت

أرى العِيسَ تَخْدِي بين قَوٍّ فضارجٍ　　كما لاح في الصبح الأَشاءُ الحواملُ
فأتبعتهمْ عينَــيَّ حتــى تفرّقَتْ　　مع الليلِ عن ساق الفريدِ الجَمائلُ
فلأْيا قصرتُ الطرفَ عنهم بِجَسرةٍ　　أُمــونٍ إذا واكلتُهــا لا تواكِلُ

غنّى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوسطى ، من رواية حمّاد بن إسحاق والهشاميّ .

صوت

[من الخفيف]

لَيتَ شعري أفــاحَ رائحــةُ المسـ　　ـكِ وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسي
حــينَ غابَتْ بنــو أُميَّــة عنــه　　والبهاليلُ مــن بنــي عبد شمسِ
خُطَبــاءُ عــلى المنابــر فُرْسا　　نٌ عَليهــا وقالــةٌ غيرُ خُرْسِ

إخال : أظن . خِلْت كذا وكذا ، فأنا إخاله : إذا ظننته ، وخال عليّ الشيءُ يَخيل : إذا شككت فيه . وليت شعري : كلمة تقولها العرب عند الشيء تحبُّ علمه ، وتسأل عنه .

وأخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني عُمَر ين شَبَّة قال : سأل رجل أبا عبيدة : ما أصل «ليت شعري» ؟ فقال : كأنّه قال : ليتني شَعَرْت بكذا وكذا ، ليتني علمت حقيقته .

الشعر لأبي العبّاس الأعمى ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالبنصر في مجراها .

[329] ـ أخبار أبي العبّاس الأعمى [1]

[نسبه]

هو السائب بن فَرُّوخ مولى بني لَيث . وقيل إنّه مولى بني الدِّيل ، وهذا القول هو الصحيح .

ذكر محمد بن معاوية الأَسَدِيّ ، عن المدائنيّ والواقديّ : أنّ أبا العبّاس الأعمى الذي يَروي عنه حَبيب بن أبي ثابت ، مولى جَذِيمة بن عليّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بني أُميّةَ المعدودين ، المقدمين في مدحهم والتشيّع لهم ، وانصباب الهوى إليهم ، وهو الذي يقول في أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : [من الوافر]

لعمركَ إنّنــي وأَبا طُفَيلٍ لمختلفـــان ، والله الشهيدُ

أُرى عثمانَ مهتدياً ويأبى متابعتي وآبــى مـــا يريدُ

أُخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي سعد .

وقد رَوى أبو العبّاس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث ، وروى عنه عطاء ، وعمرو بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت .

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أَبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العبّاس الأعمى الشاعر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إنّما جَمْعٌ [2] منزل تُدْلج منه إذا شئت .

قال : حدَّثنا أحمد بن محمد بن دَلان الخَيشي ، قال : حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدَّثنا أبو ضمرة قال : حدَّثني أبو الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن أبي العبّاس ، عن سعيد بن المسيّب قال : قال عليّ بن أبي طالب : قال رسول الله ﷺ : إسباغ الوضوء على المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا .

حدَّثني : أُحمد بن محمد بن سعيد الكوفيّ قال : حدَّثنا أَبو قِلابة قال : حدَّثنا بشر بن عمر قال : حدَّثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : سمعت أبا العبّاس السائب بن فَرُّوخ الأعمى الشاعر يحدِّث عن عبد الله بن عمر ، قال : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ يستأذنه

1 لأبي العبّاس الأعمى ترجمة في نكت الهميان : 153 .

2 جمع : اسم للمزدلفة .

في الجهاد ، فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهدْ .

[لقاؤه المنصور]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدَّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجي بِجُرجان قال : حدَّثني مسلم بن الوليد الأنصاريّ قال : سمعت يزيد بن مزيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهديّ يقول : سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام أيّام مَروان بن محمد ، فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرني أنّه يريد مروان بشعر امتدحه به ، فاستنشدته إيّاه ، فأنشدني : [من الخفيف]

ليتَ شِعري أفاح رائحة المِسـ ـك وما إن إخال بالخَيف إنسي

حين غابت بنو أُميَّةَ عنه والبهاليلُ من بني عبْد شمسِ

خطباء على المنابر فُرْسا ن عليها وقالةٌ غير خُرْسِ

لا يُعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ

بِحُلومٍ إذا الحلوم تقضَّتْ ووجوه مثل الدنانير مُلْسِ

ويروى مكان «تقضت» : اضمحلت . قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أنّ العَمى قد أُدركني ، وافترقنا . فلمّا أفضت الخلافة إليّ خرجت حاجاً ، فنزلت أمشي بجَبلي زَرُود ، فبُصرت بالضرير ، ففرّقت مَن كان معي ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفني ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيّام مروان . فقال : أوَّهْ : [من الكامل]

آمتْ نساءُ بني أُمَيّة منهمُ وبناتُهُمْ بِمَضيعةٍ أيتامُ

نامتْ جدودُهم وأُسْقِط نجمهمْ والنجم يَسْقُط والجدود تَنامُ

خَلَتِ المنابرُ والأَسِرّةُ منهمُ فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحداً بعده . فهممت بقتله ، ثم ذكرت حقّ الاسترسال والصحبة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عيني ، فبدا ليَ فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنّما البيداء بادت به .

[قصة له مع امرأة ذات بعل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : قال أبو عبيدة : هَوِي أبو العبّاس الأعمى امرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه . فأطمعته . ثم قال : أرسلي إليه فليأتك . فأرسلت إليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العبّاس : إنّك قد وُصِفْت لنا وما نراك ، فألمسينا . فأخذت يده ، فوضعتها على أير

زوجها ، فنفر ، وعلِم أنْ قد كِيد ، فنهض من عندها ، وقال : [من الوافر]

صوت

عليَّ أَلِيَّةٌ ما دمت حيّاً ... أَمَسُّك طائعاً إلاّ بعُودِ
ولا أُهدِي لأرضٍ أنتِ فيها ... سلامَ الله إلاّ من بعيدِ
رجوتُ غنيمة فوضعت كفّي ... على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخير منكِ من لا خيرَ فيهِ ... وخيرٌ من زيارتكمْ قُعودِي

وقرأت هذه الحكاية مرويّة عن الأصمعيّ غيرَ مذكور راويها عنه . وزعم أنّ بشاراً صاحب القصّة ، وأنّه كان له مجلس يسمِّيه البَرْدان ، يجتمع إليه فيه النساء ، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها . ثم ذكر الخبر بطوله ، وقال فيه : فلمّا وصل إليها أنشأ يقول : [من الوافر]

مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسنٍ ... وإنّا لا نراكِ فألمِسينا

فاخذ زوجها يده فوضعها على أيره .

ذكر إسحاق أنّ في البيتين الأوّلين والرابع من هذه الأبيات ، لحناً من خفيف الثقيل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولم ينسبه إلى أحد . ووجدته في غناء عَمْرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه ، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره .

[يحض بني أميّة على ابن الزُّبير]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أيّوب بن عمر أبو سلمة قال : قال أبو العبّاس الأعمى ، مولى بني الدِّيل بن بكر ، يَحضّ بني أُميّة على عبد الله بن الزُّبير : [من الكامل]

أبني أُميّةَ لا أرى لَكُم ... شِبْهاً إذا ما التفّتِ الشِّيَعُ
سَعَةً وأحلاماً إذا نَزِعَتْ ... أهلُ الحلومِ فضرَّها النَّزَعُ
وحفيظةً في كلّ نائبةٍ ... شَهباءَ لا يُنْهى لها الرُّبَعُ
اللهُ أعطاكمْ وإنْ رغِمتْ ... مَن ذاك أنفُ معاشرٍ رَتَعُوا
أبني أُميّةَ غيرَ أنّكمُ ... والنّاس فيما أُطْمِعوا طمِعوا
أَطْمَعْتُمُ فيكمْ عَدُوَّكُم ... فسما بهمْ في ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَو انّكمْ كنتمْ لقولكمُ ... مثلَ الذي كانوا لكمْ رَجعوا
عمّا كرهتمْ أو لَرَدَّهُمُ ... حذرُ العقوبةِ إنّها تَزَعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أُميّة ، وهجاء آل الزُّبير ، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزُّبير ،

ليس ذكرها مما قصدنا له .

ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحرز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن جُوَيْريّة بن أسماء : أنّ ابن الزُّبير رأى رجلاً من حُلفاء بني أسد بن عبد العُزَّى في حالة رَثَّة ، فكساه ثوبين ، وأمر له ببُرٍّ وتمر ، فقال أبو العبّاس الأعمى في ذلك : [من الطويل]

صوت

كَسَتْ أسدٌ إخوانَهـا ولَوَ انّني ... ببلـدةِ إخـواني إذاً لكُسِيتُ

فلم تَـرَ عيني مثل حيٍّ تَحمَّلوا ... إلى الشام مظلومين منذ بُرِيتُ

غنّى في هذين البيتين دُحمان ثقيلَ أوّل بالبنصر ، من رواية ابن المكّيّ ، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقيّ فيهما صنعة أيضاً .

[يهجو البعيث المجاشعي]

وقال محمد بن معاوية : حدَّثني المدائنيّ قال : قدِم البَعيثُ المجاشِعيّ مكّة ، وكان أبو العبّاس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائز أُميّة تأتيه من الشام ، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه ، وتقرُّباً إلى بني أُميّة ببرِّه . قال : فصلّى البعيث مع النّاس ، وسأل في حمالة كانت عليه ، وكان سَؤُولاً ملحّاً شديد الطمع ، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه ، فيقول : لا أقبله إلاّ أن تجيء معي إلى الصرَّاف حتى ينقده ويزنه ، فإن لم يفعل ذمّه وهجاه . فشكوه إلى أبي العبّاس الأعمى ، فقال : قودوني إليه ، ففعلوا . فلمّا عرف مجلسه رفع عصاه ، فضرب بها رأسه ، ثم قال له : [من الطويل]

فهــلْ أنتَ إلاّ مُلْصَقٌ في مُجاشِعٍ ... نَفاكَ جريــرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ

ويروى : نفاك جرير بالهجاء إلى نجد

تظــلُّ إذا أُعطيتَ شيئــاً سألْتَه ... تطالبُ مَن أَعطاك بالوزن والنقدِ

فـلا تَطْمَعَنْ من بعدِ ذا في عطيّةٍ ... وثِقْ بقبيح المنــعِ والدفعِ والردِّ

فلستَ بمُبْــقٍ في قريش خِزايــة ... تُذَمّ ولو أَبْعَدْت فيهِ مَدى الجَهْدِ

قال فتضاحك به مَن حضر ، واستحيا ولم يُحِر جواباً . فلمّا جَنَّ الليل عليه هرب من مكّة .

[عبد الملك يستنشده مديحه في مصعب]

وقال قَعنب بن المحرز : حدَّثني المدائنيّ قال : قال عبد الملك بن مروان لأبي العبّاس الأعمى مولى بني الدِّيل : أنشدني مديحك مُصْعباً . فاستعفاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما رثيته بذلك لأنـّه كان صديقي ، وقد علمتَ أنّ هوايَ أمويّ . قال : صدقت ، ولكن أنشدني

ما قلته . فأنشده : [من الخفيف]

يرحـمُ اللهُ مصعباً فلقـد مـا ... تَ كريماً ورامَ أمـراً جسيما

فقال عبد الملك : أَجَلْ ، لقد مات كريماً . ثم تمثّل : [من الطويل]

ولكنّـه رام التـي لا يرومُهـا ... مـن الناس إلاّ كلّ حُـرٍّ مُعَمَّمِ

[بنو أمية يكسون أبا العبّاس]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان . قال حدَّثني إسحاق بن محمد الأمويّ قال : لمّا حجّ عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكّة ، فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلّموا ، ودخل أبو العبّاس الأعمى ، فلمّا رآه عبد الملك قال : مَرْحبا مرحبا بك يا أبا العبّاس ، أخبرني بخبر المُلْحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك ، وأنشدني ما قلت في ذلك .

فأخبره بخبر ابن الزُّبير ، وأنّه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات . فقال عبد الملك : أقسم على كلّ مَن حضرني من بني أميّة وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كلّ مَن حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم ، إلاّ كسا أبا العبّاس .

فخُلعت والله حُلَل الوشي والخزّ والقُوهِيّ ، وجُعِلت تُرمى عليه ، حتى إذا غطّته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه ، قال : حتى رأيت في الدار من الثياب ما سَتَر عني عبد الملك وجلساءه ، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم .

[نفاه ابن الزُّبير فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ . قال : حدَّثني أبي وأهلي : أنّ عبد الله بن الزُّبير لمّا غلب على الحجاز ، جعل يتتبّع شيعة بني مروان ، فينفيهم عن المدينة ومكّة ، حتى لم يبق بهما أحد منهم ، ثم بلغه عن أبي العبّاس الأعمى الشاعر نَبْذٌ من كلام ، وأنّه يكاتب بني مروان بعَوراته ، ويمدح عبد الملك ، وتجيئه جوائزه وصِلاته ، فدعا به ، ثم أغلظ له ، وهمَّ به ، ثم كُلِّم فيه ، وقيل له : رجل مضرور . فعفا عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير : [من الطويل]

بني أُسد لا تذكـروا الفخرَ إنّكمْ ... متـى تذكـروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا
بُعَيْـداتِ بَيْنٍ خيرُكم لصديقكمْ ... وشرُّكمُ يغـدو عليـه ويَطْرُقُ
متى تُسألوا فضلاً تَضَنّوا وتَبخلوا ... ونيرانكـمْ بـالشرّ فيهـا تَحَرُّقُ
إذا استبقت يومـاً قريش خرجْتُمُ ... بني أسدٍ سُكْتاً وذو المجـدِ يسبقُ

تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكمْ إذا مـا قريش للأضاميـم أصفقوا
ومـا ذاك إلاّ أن للّـؤم طابَعـاً يلـوح عليكـمْ وسْمه ليس يَخْلُقُ

[بينه وبين عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني عمِّي مُصعب قال : قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العبّاس الأعمى الشاعر مولى بني الدِّيل بن بكر[1] : [من الرمل]

أفتِنـي إن كنتَ ثَقْفاً شاعـراً عن فتًى أعرجَ أعمى مختلِفْ
سيىء السَّحْنـة كابٍ لونُـه مثلِ عود الخروعِ البالي القصِفْ

فقال أبو العبّاس يردّ عليه : [من الطويل]

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفَتى وسيّدُنـا لـولا خلائـقُ أربعُ
نُكُولك في الهيجا وتَقْوالُك الخنا وشتمـك للمـولى وأنّـك تُبَّعُ

قال الزُّبير : يقال رجل تبْع نساء وتُبَّع نساء : إذا كان كَلِفاً بهن .

أخبرني الحِرْمِيُّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني المكّيّون : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُرامي جارية لأبي العبّاس الأعمى ببنادق الغالية ، فبلغ ذلك أبا العباس ، فقال لقائده : قفني على باب بني مخزوم ، فإذا مرَّ عمر بن أبي ربيعة ، فضع يدي عليه ، فلمّا مرَّ عمر وضع يده عليه ، فأخذ بحُجْزته ، وقال : [من الوافر]

ألا مَن يشتري جاراً نَئُوماً بجـار لا ينـام ولا يُنيمُ[2]
ويلبس بالنهـار ثيابَ ناسٍ وشَطْرَ الليـلِ شيطانٌ رجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فمه ، وضَمِنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه .

صوت

[من الطويل]

ألا حيِّ من أجل الحبيب المَغانيا لبِسن البِـلى لمـا لَبِسن اللياليا
إذا ما تقاضى المـرءَ يومٌ وليلة تقاضاه شيء لا يمـلّ التقاضيا

الشعر لأبي حيّةَ النُّميريّ . والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ ، خفيفُ رَمَل بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 ديوان عمر : 258 .

2 المثل «لا ينام ولا ينيم» في الفاخر 42 وجمهرة العسكري 2 : 418 ويقال «السليم لا ينام ولا ينيم» كما في مجمع الميداني 1 : 339 .

[330] ـ أخبار أبي حَيَّة النميريّ ونسبه[1]

[نسبه]

أبو حيّة : الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جَناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

وكان يقال لمالك الأصقع . وقال قوم : إنّ الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب .

وأبو حيّة شاعر مُجيد مُقدَّم ، من مُخَضْرميّ الدولتين : الأمويّة والعباسيّة ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً ، من ساكني البصرة ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذّاباً ، معروفاً بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه . وقيل إنّه كان يُصْرَع .

[الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ . وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد . وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، قالوا : كان لأبي حيّة سيف يسمّيه لُعابَ المَنيّة ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس .

قال : فحدَّثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنّه لصّاً ، فأشرفْتُ عليه وقد انتضى سيفَه لُعابَ المنيّة ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : أيّها المغترّ بنا ، والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنيّة الذي سمعت به ، مشهورة ضرْبَتُهُ ، لا تُخاف نَبْوته . اخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك . إنّي والله إن أدْعُ قيساً إليك لا تقُم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورَجْلاً ، سبحانَ الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً .

[ما يقول القدريون]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدَّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال : حدَّثني أبو عثمان

1 لأبي حية النميري ترجمة في الشعر والشعراء : 658–659 وطبقات ابن المعتز : 143–146 والمؤتلف : 145 وخزانة البغدادي 10 : 217–220 والسمط : 244 وانظر مواطن متفرقة من التذكرة الحمدونية .

المازنيُّ قال : حدَّثني سعيد بن مَسْعدة الأخفش قال : قال أبو حيّة النميريّ : أتدري ما يقول القَدَرِيّون ؟ قلت : لا . قال : يقولون : الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون ، ولا يسألهم ما لا يَجدون ، وصدق والله القَدَريّون ، ولكنّي لا أقول كما يقولون .

[هلك الناس]

قال محمد بن علي بن حمزة : وحدَّثني أبو عثمان قال : قال سَلَمة بن عيّاش لأبي حيّة النميريّ : أتدري ما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنّي أشعر منك . قال : إنّا لله ! هلكَ والله الناس !

قال : وكان أبو حيّة النميريّ مجنوناً يُصْرَع ، وقد أدرك هشام بن عبد الملك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال : سمعت عمِّي يقول : أبو حيّة في الشعراء كالرجلِ الرَّبْعة ، لا يعدّ طويلاً ولا قصيراً .

قال : وسمعت أبا عمرو يقول : هو أشعر في عُظْم الشعر من الراعي .

[كذبه]

أخبرني الحسن بن عليّ وعليّ بن سليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل . وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالوا : كان أبو حيّة النميريّ من أكذب الناس ، فحدث يوماً أنّه يخرج إلى الصحراء ، فيدعو الغربان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء . فقيل له : يا أبا حيّة ، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك ، فما نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذن !

[السهم المراوغ للظبي]

قال : وحدَّثنا يوماً قال : عنَّ لي ظبي يوماً فرميته ، فراغ عن سهمي ، فعارضه السهم ، ثم راغ ، فعارضه السهم ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات .

[يشفق على الظبية فيسترجع السهم]

قال : وقال يوماً : رميت والله ظبية ، فلمّا بَعُد سهمي عن القوس ، ذكرت بالظبية حبيبة لي ، فعدَوت خلف السهم ، حتى قبضت على قُذَذه قبل أن يدركها .

[يمدح المنصور ويهجو بني حسن]

وذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال : قال الرياشيّ ، عن الأصمعيّ قال : وفد أبو حيّة النميريّ على المنصور وقد امتدحه ، وهجا بني حسن بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

عُوجا نُحيِّ ديارَ الحيِّ بالسَندِ … وهل بتلك الديارِ اليوم من أَحَدِ

يقول فيها :

أحين شِيمَ فلم يتركْ لهم تِرَةً ... سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللِّبَدِ
سللتموه عليكمْ يا بني حسنٍ ... ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبدِ
قد أصبحتْ لبني العبّاس صافيةً ... لجدع آناف أهل البغي والحسدِ
وأصبحت كلَهاة الليثِ في فمه ... ومَنْ يحاولُ شيئاً في فمِ الأسدِ ؟

[يشرب عند خمارة بنسيئة]

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل ؛ فاحتجن لعياله أكثره ، وصار إلى الحِيرة ، فشرب عند خمّارة بها ، فأعجبه الشرب ، فكرِه إنفاد ما معه ، وأحبّ أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمّارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنّه مدح الخليفة وجماعة من القوّاد ، ففعلت وشرِهت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبي حيّةَ أير كعنق الظليم ، فأبرز لها عنه ، فتدلَّهَت ، وكانت كلّما سقته خَطَّت في الحائط ، فأنشأ أبو حيّة يقول : [من الوافر]

إذا أسقيتِني كُوزاً بخَطٌّ ... فخُطِّي ما بدا لك في الجدارِ
فإن أعطيتني عيناً بدين ... فهاتي العَيْن وانتظري ضِماري[1]
خرقتُ مقدّماً من جنب ثوبي ... حِيال مكان ذاك من الإزارِ
فقالت ويلَها : رجل ويمشي ... بما يمشي به عُجَرُ الحمارِ[2]
وقالت : ما تريد ؟ فقلت : خيراً ... نسيئةَ ما عليّ إلى يساري
فصدّت بعد ما نظرت إليه ... وقد ألحتُها عُنُق الحُوارِ

[عيب شعره أن ابن مناذر يسمعه]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال : لقِي ابن مناذر أبا حيّة ، فقال له : أنشدني بعض شعرك . فأنشده : [من الطويل]

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مُناذر : وهذا شعر ؟ فقال أبو حيّة : ما في شعري عيب هو شرّ من أنّك تسمعه . ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره ، فقال له أبو حيّة : قد عرفتك ما قصّتك ؟

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حيّة ، ويذكر يوم النَّشَّاش[3] ، وهو يوم لبني نُمَير .

1 الضمار : الوعد المسوف أو الدين الهالك .
2 عجر : جمع عجرة وهي العروق المتعقدة في الجلد .
3 النشاش : واد لبني نمير كانت به وقعة بين بني نمير وأهل اليمامة .

[331] ـ أخبار أحمد بن يحيى المكّيّ

[مكانته]

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكّيّ ، ويكنى أبا جعفر . وكان يلقّب ظنيناً . وقد تقدّم ذكر أبيه وأخباره . وهو أحد المحسنين المبرّزين ، الرواة للغناء ، المجيدين للصنعة . وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره ، ويُشيد بذكره ، ويَجهر بتفضيله ، وكتابه «المجرد» في الأغاني ونسَبها أصل من الأصول المعمول عليها ، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا ، يقارب كتابه ، ولا يقاس به ، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته ، أحد الضراب الموصوفين المتقدّمين .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ ، عن محمد بن أحمد المكّيّ : أنّ أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسَبه وجنسه ، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت .

[قيمته لو كان مملوكاً]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني عليّ بن يحيى ، ونسخت من بعض الكتب : حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال : حدَّثني عليّ بن يحيى قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكّيّ : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكّيّ مملوكاً ، كم كان يساوي ؟ فقال : أخبرك عن ذلك .

انصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلمّا قام لصلاة العشاء الآخرة ، قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنّى صوتاً ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنّى صوتاً آخر ، فقلت للحسن : يا أبا عليّ أضعفها . ثم أردت الانصراف ، فقلت لأحمد : غنّني : [من البسيط]

صوت

لولا الحياءُ وأن السّتْر من خُلُقي إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أَقُمِ
أليس عندك شُكر للتي جعلت ما ابيضَّ من قادمات الرأس كالحُمَمِ

الغناء فيه لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لمالك ، وليس كما قال ، لحن مالك ثقيل أوّل ذكره الهشاميّ ودنانير وغيرهما .

قال : فغنّاه أحمد بن يحيى المكّيّ ، فأحسن فيه كلّ الإحسان . فلمّا قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا عليّ ، أضعف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ، ولست أدري ما معناه . قال : نحن نبيعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدري .

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أخيه أحمد بن عليّ ، عن عافية بن شبيب ، عن أبي حاتم ، قال : كان إسحاق عندنا في منزل أبي عليّ الحسن بن وهب ، وعندنا ظنين بن المكيّ ، وذكر الحديث مثله ، وقال فيه : إنّه قوَّمه مِئةَ ألفِ درهم ، وذكر أنّ الصوت الذي غنّاه آخِراً : [من الوافر]

صوت

أمِـــن دِمَـــنٍ وخِيَمٍ بالياتِ وسُفْـــعٍ كالحمائـم جاثماتِ
أرِقتَ لهنّ شطرَ الليـــل حتّـى طلعن مـن المناقـبِ مُنجداتِ

وأنّ إسحاق لمّا سمعه قال : كم كنت قَوَّمته ؟ قال : مئة ألف درهم . قال : أضعفوا القيمة . قيمته مِئتا ألفِ درهم .

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ينسب إلى ابن مِسجح ، وإلى ابن محرز . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى ، عن عمرو . وللغريض خفيف ثقيل عن الهشاميّ .

[مناظرة في الغناء عند المعتصم]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال : ناظر أبي بعضَ المغنّين ذات ليلة بين يدي المعتصم ، وطال تلاحيهما في الغناء ، فقال أبي للمعتصم ، يا أمير المؤمنين ، مَن شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنّي عشرة وعشرة وعشرة ، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين . واتبعه ابن بُسْخُنَّر وعَلُّويه ، فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله . فأمر له بعشرين ألف درهم .

قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظَّته يوماً ، فقال له : قد دعوتك إلى النَّصَفة ، فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه ، فاندفع فغنَّى عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً ، كلّها من الغناء القديم ، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملي الذكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتاً ، وأسكت المغنّين له ، واستعاده مرّات عدّة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر ألاّ يراجعَ أحداً من المغنّين كلاماً ، ولا يعارضَه أحدٌ منهم ، إذ كان قد أبرَّ عليهم ، وأوضح الحجّة في انقطاعهم ، وإدحاض حُجَجهم .

وكان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه ، وأمر له لمّا سمعه بألفي دينار : [من الخفيف]

صوت

لعـنَ الله مَــن يلــوم محبّــاً ... ولحى الله مَـن يُحَــبُّ فيابى
رُبَّ إلفين أضمرا الحُبَّ دهراً ... فعفـا الله عنهمــا حــين تابا

الغناء ليحيى المكّيّ رَمَل .

قال محمد ، قال أبي : وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مَماطر لها شأن من ألوان شتّى ، فسألني عبد الوهّاب بن عليّ أن أردّ عليه هذا الصوت ، وجعل لي مِمْطره ، فغنّيته إيّاه ، فلمّا خرجنا للانصراف إلى منازلنا ، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني ، فسلّموه إليهم .

[إعجاب إسحاق الموصليّ به]

أخبرني عبد الله بن الربيع ، عن أبيه ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : سألني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً : مَنْ بقِي من المُغنِّين ؟ قلت : وجْه القَرْعة محمد بن عيسى ، مولى عيسى بن جعفر . فقال : صالح كَيِّس . ومَن أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكّيّ . قال بَخٍ بَخْ ! ذاك المحسن المُجمل الضارب المغنّي القائم بمجلسه ، لا يحوِج أهل المجلس إلى غيره . ومَن بأبي أنت ؟ قلت : ابن مقامرة . قال : لا والله ما سمعت بهذا قَطُّ . فمن مُقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنّية ؟ قلت : لا ، ولكنّها من الناس ، وليست من أهل صناعته . قال : ومَن أيضاً بأبي أنت ؟ قلت : يحيى بن القاسم ابن أخي سَلَمة . قال : الذي كان له أخ يغنّي مرتجِلاً ؟ قلت : نعم . قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قَطُّ ، ولا أشكّ أنّ هذا كذلك ، لأنّهما مؤدِّباه .

[يغنّي الخليفة في شعر مدح به أحد رجاله]

وذكر ابن المكّيّ عن أبيه قال : قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده : خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف ، حسن الوجه ، شجاع القلب ، ووليته المَصيصَة ونواحيها . فقلنا : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالد بن يزيد بن مَزْيد . فقال عَلويه : يا أحمد غنِّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد ، فأمسكت عنه . فقال المعتصم : مالك لا تجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس هو ممّا يغنّى بحضرة الخليفة . فقال : ما مَن أن تغنّيه بدّ . قال : فغنّيته صنعة لي في هذا الشعر : [من الخفيف]

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خالــدُ بــنُ يزيدٍ ... كلَّ حِلــم وكلّ بأسٍ وجُودِ
فترى الناسَ هيبةً حــين يبدو ... مِــن قيــامٍ ورُكَّعٍ وسجودِ

فقال المعتصم : يا ثمامة ، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[غناؤه الأمين]

قال : وغنّى أبي يوماً محمداً الأمين : [من الطويل]

صوت

فعش عُمرَ نوحٍ في سعود وغِبْطَةٍ   وفي خفضِ عيش ليس في طوله إثمُ
تساعـدُك الأقدارُ فيـه وتنثني   إليك وترعى فضلَك العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخمسمائة دينار .

[وفاته]

وتوفّي أحمد بن يحيى المكّيّ في خلافة المستعين في أوّلها .

أخبرني بذلك جحظة البرمكيّ ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ : أنّ أباه تُوفّي في هذا الوقت .

انقضت أخباره .

صوت[1]

[من الكامل]

إنّ الذين غَـدَوا بلُبِّك غادروا   وشَلا بعينك مـا يـزال مَعِينا
غَيَّضْنَ من عبراتهنّ وقلن لي :   ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا ؟

غادروا : تركوا . والوشَل : الماء القليل . والمَعين : الماء الصافي الجاري . وغَيَّضن من عبراتهن : أي كففنها ومسحنها حتى تغيض .

الشعر لجرير ، والغناء لإسحاق ، رَمَل بالوسطى ، عن عمرو . وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها . وفيه لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعمرو . وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج رملاً آخر . وذكر عيسى أنّ الثقيل الأوّل لإبراهيم ، وأنّ فيه للهُذليّ ثانيَ ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم أيضاً ماخوريّ بالبنصر .

1 ديوان جرير (صادر) : 476 .

332 ـ [طرائف تتعلق بغزل جرير]

[هل البيتان لجرير ؟]

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب الصائغ قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أنّ هذين البيتين للمَعْلوط ، وأنّ جريراً سرقهما منه ، وأدخلهما في شعره .

[أبو السائب لا يردّ على أحد إلاّ ببيتَي جرير]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي وغيره قالوا : غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ على أبي السائب المخزوميّ في منزله ، فلمّا خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوا بلبك غادَروا وشَلاً بعينك لا يـزال مَعِينا

البيتين . فحلف أبو السائب ألاّ يَرُدّ على أحد سلاماً ، ولا يكلّمه إلاّ بهذين البيتين ، حتى يرجع إلى منزله . فخرجا ، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاضٍ ، وكانا يُدْعَيان القرينين لملازمتهما ، فلمّا رآهما قال : كيف أصبح القرينان ؟ فغمز أبو السائب ابنَ جندُبَ : أن أخبره بالقصّة ، وابن جُندَب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أبو السائب يغمزه ، أي أخبره بيميني . قال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطّلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه ، فصرفهم ودخل منزله مغتمّاً . فلمّا أتى أبو السائب منزله ، وبَرَّت يمينه ، خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطّلب ، فإنّي أخاف أن يردّ شهادتي . فاستأذنا عليه ، فأذِن لهما فقال له أبو السائب : قد علمت ، أعزّك الله ، غرامي بالشعر ؛ وإنّ هذا الضالّ جاءَني حين خرجت من منزلي ، فأنشدني بيتين ، فحلفت ألاّ أردّ على أحد سلاماً ، ولا أُكلّمه إلاّ بهما . حتى أرجع إلى منزلي . فقال ابن المطّلب : اللهمّ غَفْراً ! ألا تترك المجون يا أبا السائب .

أخبرني : الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد المطّلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير : [من الكامل]

غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه ، كأنّه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

[ابن أبي عتيق يعدل مَن يحفظ بيت جرير]

أُخبرني الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا المدائنيّ . وأُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن بكّار قال : عن المدائنيّ قال : شهد رجل عند قاضٍ بشهادة ، فقيل له : مَن يعرفك ؟ قال : ابن أبي عَتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدلٌ رِضاً . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكنّي سمعته ينشد : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتهن وقُلْن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فعلمتُ أنّ هذا لا يرسَخ إلاّ في قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

[أبو السائب يرمي نفسه في البئر]

أُخبرني الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحّاك قالا : كان أبو السائب المخزوميّ واقفاً على رأس بئر ، فأنشده ابن جندب : [من الكامل]

إنّ الذين غدَوا بلبك غادروا وشَلاً بعينــك لا يزال مَعينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه ، فبعد لأْي ما أُخرجوه .

[أشعب يطرب سالم بن عبد الله بن عمر]

أُخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا العلاء بن عمرو الزُّبيريّ ، من ولد عَمْرو بن الزُّبير ، قال : حدَّثنا يحيى بن أبي قُتيلة قال : حدَّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، عن أشعب قال : جاءَني فِتية من قريش ، فقالوا لي : نحبّ أن تُسْمِع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء ، وتُعلِمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي في ذلك جُعْلاً . فدخلت عليه ، فقلت : يا أبا عَمْرو ، لي مجالسة وحرمة ومودّة وسِنّ ، وأنا مولع بالترنّم . قال : وما الترنّم ؟ قلت : الغناء . قال : وفي أيّ وقت ؟ قلت : في الخَلوة ، ومع الإخوان في الخارج . وأُحِبّ أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنه . ثم غنَّيته ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم ، فأعلمتهم ، فقالوا : وما غنَّيته ؟ فقلت : غنّيته : [من الخفيف]

قَرِّبــا مَرْبَــطَ النعامةِ مِنّي لقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ

قالوا : هذا بارد لا حركة فيه ، ولسنا نرضى . فلمّا رأيت دفعهم إيّاي ، وخفت ذهاب ما جعلوا لي ، رجعت إليه ، فقلت : يا أبا عمرو ، آخَر . قال : ما لي ولك ؟ ولم املّكه أمره حتى غنَّيت ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم فأعلمتهم . قالوا : وما غنَّيته ؟ قلت : [من الخفيف]

لم يُطِيقوا أن ينزِلــوا ونزلْنا   وأخو الحرب مَن أطاق النزولا

قالوا : وليس هذا بشيء . فرجعت إليه ، فقلت : آخَر . فاستكفَّني ، فلم أُمَلِّكه القول حتى غنَّيته :   [من الكامل]

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْن لي   ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا ؟

فقال : مَهْلاً مَهْلاً . قلت : لا والله إلاّ بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر . فقال : هو لك . فخرجت عليهم به ، وأنا أخطِر . فقالوا : مه . فقلت : أطربتُ الشيخ حتى أعطاني هذا ، وقال مرّة أخرى : حتى فرض لي هذا . قال : ووالله ما فعل ، وإنّما كان فِدْية لأصمت ، وأخذت منهم الجُعْل .

[إبراهيم يحب إسحاق لقرابته وفنه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حُدِّثت عن حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني علويه الأعسر قال : أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانَها وسائرها خراب ، فجلسنا على تلٍّ من تراب ، فغنّاني لحنه في :   [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتهنّ وقلن لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا !

فسألته أن يعيده عليّ ، ففعل . وأتانا رسول أبيه بطبق رُطَب ، فقال للرسول : قل له : سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثتَ به إليّ ، فأبلغه الرسول ذلك ، فقال له : ومَن عنده ؟ فأخبره أنّني عنده . فقال : ما أخلقه أن يكون قد أتانا بمائدة ، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال : ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت ، فغنّيته إيّاه ، فقال : أجاد والله . أأُلام على هذا وحبّه ، والله لو لَم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته ، فكيف وهو ابني ؟

صوت

[من الطويل]

ألست ترى يا ضبُّ بالله أنّني   مصاحبة نحــو المدينة أرْكُبا[1]

إذا قطعوا حَزْناً نَخُبُّ رِكابُهمْ   كما حرَّكتْ ريحٌ يَراعــاً مُثَقَّبا

عروضه من الطويل . والشعر لنائلة بنت الفَرافِصة . والغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى . ووجدت في كتاب بخطّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّه ممّا نحله يحيى المكّيّ لابن عائشة .

1 أركب : جمع ركب .

[333] ـ أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

[نسبها]

هي نائلة بنت الفَرافَصة بن الأحوص بن عمرو ، وقيل : ابن عَفْر بن ثعلبة ، وقيل : عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عديّ بن جَناب الكَلْبيّة ، زوجة عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، تقوله لأخيها لمّا نقلها إلى عثمان .

[زواجها من عثمان]

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمرو بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : تزوّج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه .

«بسم الله الرحمن الرحيم .

أمّا بعد ، فإنّه قد بلغني أنّك تزوّجت امرأة من كَلْب ، فاكتب إليّ بنسبها وجمالها» .

فكتب إليه :

«أمّا بعد ، فإنّ نسبها أنّها بنت الفَرافصة بن الأحوص . وجمالُها أنّها بيضاء مديدة القامة» .

فكتب إليه : «إن كانت لها أُخت فزوِّجْنيها» .

فبعث سعيد إلى الفَرافصة ، يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفَرافصة ابنه ضبّاً ، فزوّجها إيّاه . وكان ضبّ مسلماً ، وكان الفَرافصة نصرانيّا ، فلمّا أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : يا بنيّة ، إنّك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش ، هنّ أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عنّي خَصلتين : تكحَّلي وتطيّبي بالماء ، حتى يكون ريحُك ريح شنّ[1] أصابه مطر .

فلمّا حُمِلَتْ كرهت الغربة ، وحزنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول : [من الطويل]

ألستَ تَرى يـا ضبُّ باللهِ أنّني ... مصاحبــةٌ نحــو المدينــة أركُبا

إذا قطعـوا حزنـاً تَخُبّ ركابهمْ ... كما زعزعــتْ رِيحٌ يراعـاً مُثَقَّبا

لقد كان في أبناء حِصْن بن ضَمْضَمٍ ... لكَ الويلُ مـا يغني الخِباءَ المطَنّبا

1 الشن : القربة الخلق .

[لقاء عثمان]

فلمّا قدمت على عثمان رضي الله عنه ، قعد على سريره ، ووضع لها سريراً حيالَه ؛ فجلست عليه ، فوضع عثمان قُلَنسيّته ، فبدا الصلعَ ، فقال : يا ابنة الفَرافصة ، لا يهولنّك ما ترين من صَلَعي ، فإنّ وراءه ما تحبّين . فسكتت . فقال : إمّا أن تقومي إليّ ، وإمّا أن أقوم إليك . فقالت : أمّا ما ذكرت من الصلعَ ، فإنّي من نساء أُحبّ بعولتهنّ إليهنّ السادة الصُّلْع . وأمّا قولك : إمّا أن تقومي إليّ ، وإمّا أن أقوم إليك ، فوالله ما تجشّمت من جَنبات السماوة أبعدَ ممّا بيني وبينك ، بل أقوم إليك . فقامت ، فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ، ودعا لها بالبركة ، ثم قال لها : اطرحي عنك رداءَك ، فطرحته ، ثم قال لها : اطرحي خمارك ، فطرحته ، ثم قال لها : انزعي دِرْعك ، فنزعته ؛ ثم قال : حُلّي إزارك . فقالت : ذاك إليك . فحلَّ إزارها ، فكانت من أَحظى نسائه عنده .

[يوم الدار]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عليّ بن محمد بن عيسى بن يزيد ، عن عبد الواحد بن عمير ، عن أبي الجَرّاح مولى أُمّ حبيبة ، قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار ، فما شَعَرْت وقد خرج محمد بن أبي بكر ، ونحن نقول : هم في الصلح ، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة[1] ، ونزلوا بأمراس الحبال من سُور الدار . معهم السيوف . فرميت بسيفي ، وجلست عليه ، وسمعت صياحهم ، فكأنّي أنظر إلى مصحف في يدِ عثمان ، وإلى حمرة أديمه . فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها ، فقال لها عثمان : خذي خمارك ، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك . وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف ، فاتقته نائلة بيدها ، فقطع إصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه ، وخرجوا يكبِّرون ، ومرَّ بي محمد بن أَبي بكر ، فقال : ما لكَ يا عبد أم حبيبة ؟ ومضى فخرجت .

[بكاؤها على عثمان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدَّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : لمّا قُتِل عثمان رحمة الله عليه ، قالت نائلة بنت الفَرافصة : [من الطويل]

أَلا إن خيرَ النّــاس بعــد ثلاثــةٍ قَتيلُ التُّجِيبيّ الذي جاءَ مِن مِصرِ[2]

1 الخوخة : ممر بين دارين .

2 الثلاثة هم النبي وأبو بكر وعمر .

ومـا لي لا أبكـي وتبكي قَرابتي وقد غُيِّبت عنّا فضولُ أَبي عمرِو

هكذا في هذه الرواية . وقد قيل إنّ هذين البيتين للوليد بن عُقْبة .

[كتابها إلى معاوية]

أَخبرني أَحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثنا عليّ بن محمد ، عن أَبي مخنف ، عن نُمَير بن وَعْلة ، عن الشعبيّ ومَسلمة بن محارب ، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية : أنّ نائلة بنت الفَرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان ، وبعثت بقميص عثمان مع النُّعمان بن بشير ، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أَبي بَلْتعة :

«من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أَبي سفيان .

أمّا بعد ، فإنّي أذكّركم بالله الذي أَنعم عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدوّ ، وأسبغ النعمة ؛ وأنشُدكم بالله ، وأُذكِّركم حقّه وحقّ خليفته الذي لم تنصروه ، وبعزمة الله عليكم ، فإنّه عزّ وجلّ يقول : ﴿وإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُما عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلُوا التي تَبْغي حَتَّى تَفيءَ إلى أَمْرِ اللهِ﴾ . وإنّ أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لَم يكن له عليكم حقٌّ إلاّ حق الوِّلاية ، ثم أُتِـي إليه بما أُتِي ، لَحَقٌّ على كلّ مسلمٍ يرجو ثواب الله أن ينصره ، لقِدمِه في الإسلام ، وحُسن بلائه ، وأنّه أجاب داعِيَ الله ، وصدَّق كتابه وصدّق رسوله ، والله أعلم به إذا انتجبه ، فأعطاه شرف الدُّنيا وشرف الآخرة .

وإنّي أُقصّ عليكم خبره ، لأنّـي كنت مشاهدة أمره كلّه ، حتى أُفْضِي إليه : وإنّ أَهل المدينة حصروه في داره ، يحرسونه ليلهم ونهارهم . قيام على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كلّ شيء قَدَروا عليه ، حتى منعوه الماء ، يُحْضِرونه الأذى ، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومَن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أَبي بكر وعمّار بن ياسر ، وكان عليّ مع المحرِّضين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ، ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به . فظلّت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل ، وطوائف من مُزَينة وجُهَينة ، وأنباطِ يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكنّي سمّيت لكم الذين كانوا أشدّ الناس عليه في أوّل أمره وآخره . ثم إنّه رُمِي بالنَّبل والحجارة ، فقُتِل ممّن كان في الدار ثلاثة نفر ، فأتوه يصرخون إليه ، ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يردّوا عليهم نبلهم ، فردّوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءة ، وفي الأمر إلاّ إغراء . ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه ، فقالوا : إنّ في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعَدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلحة القوم مُطلّة

عليه من كلّ ناحية ، وما أَرى أحداً يعدل ، فدخل الدار . وقد كان نفر من قريش على عامّتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبست درعاً ، فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابن الزُّبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة ، بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تَعُرُّوه بشيء ، فكلّموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح . فلم يكن إلاّ وضْعه ، حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلِحيته ، ودَعَوْه باللَّقَب . فقال : أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثْخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ، ليذهبوا به ، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة ، فألقت نفسها معي عليه ، فوُطِئْنا وطْئاً شديداً ، وعُرِّينا من ثيابنا ، وحرمة أمير المؤمنين أُعظم . فقتلوه رحمة الله عليه في بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنّه والله لئن كان أثِمَ مَن قَتَله ، لَما يَسْلَم مَنْ خَذَله . فانظروا أين أنتم من الله جَلّ وعزّ ، فإنّا نشْكِي ما مَسَّنا إليه ، ونستنصر وليه وصالحَ عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله مَن قتله ، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزيّ والمذلّة ، وشَفى منهم الصدور» .

فحلف رجال من أهل الشام ألاّ يطأوا النساء حتى يقتلوا قَتَلته ، أو تذهَبَ أرواحهم .

صوت

[من الطويل]

فيــا راكِباً إمّــا عرضْت فبلِّغنْ ... ندامايَ من نجـرانَ أنْ لا تلاقيا
أَبــا كـــرِبٍ والأَيْهَمين كليهما ... وقيسا بأَعــلى حضرموتَ الْيَمانِيا
وتضحكُ مِنِّــي شيخةٌ عَبْشَميّةٌ ... كأن لَــم تَرَا قبــلي أسيراً يمانِيا
أَقــول وقــد شَدُّوا لساني بنِسْعةٍ ... أَمعشَر تيْمٍ أطلِقوا عــن لِسانِيا[1]

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثيّ . والغناء لإسحاق ثقيل أوّل .

1 النسعة : قطعة من الجلد .

[334] ـ أخبار عبد يغوث ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد يغوث بن صَلاءة . وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وَقَّاص بن صلاءة ، وهو قول ابن الكلبيّ ، بن المَغَفَّل ، واسم المغفَّل : ربيعة بن كعب الأرَتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أُدَدَ بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن الكلبيّ : قَحطان بن عابر بن شالخَ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المرعَّف .

[منزلته في قومه]

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعراً من شعراء الجاهليّة ، فارساً سيِّداً لقومه من بني الحارث بن كعب ، وهو كان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني ، إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أُسِر فقُتِل . وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم في الجاهليّة والإسلام ، منهم اللَّجلاج الحارثيّ ، وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ؛ وأخوه مُسْهِر فارس شاعر ، وهو الذي طعن عامر بن الطُّفيل في عينه يوم فَيْف الريح . ومنهم ممّن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة ، وكان فارساً شاعراً صُعلوكاً ، أُخِذ في دم ، فحُبِس بالمدينة ، ثم قتل صَبْراً . وخبره يذكر منفرداً ، لأنّ له شعراً فيه غناء .

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة ، يقوله في يوم الكُلاب الثاني[2] ، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم ، فظفِرت به بنو تميم ، وأَسروه وقُتِل يومئذٍ .

[يوم الكلاب]

وكان من حديث هذا اليوم ، فيما ذكر أبو عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء ، وهشام بن الكلبيّ عن أبيه ، والمفضل بن محمد الضبيّ ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن العنبريّ ، قالوا : لمّا أوقع كسرى ببني تميم يوم الصّفا بالمشقَّر ، فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والذراريّ ، بلغ ذلك مَذحِجاً ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن

---

1 لعبد يغوث ترجمة في المحبر : 251 وخزانة البغدادي 1 : 195-197 و202-203 وشرح الشواهد : 232 وقصيدته اليائية هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباريّ .

2 في يوم الكلاب الثاني انظر النقائض 1 : 149 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 224-233 .

وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور الحارثيّ ، وهو كاهن : ما ترى ؟ فقال لهم : لا تغزوا بني تميم ، فإنّهم يسيرون أغباباً[1] ، ويرِدون مياهاً جِباباً ، فتكون غنيمتكم تراباً . قال أبو عبيدة : فذكر أنّه اجتمع من مَذْحِج ولَفِّها اثنا عشر ألفاً . وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة ، ورئيس هَمْدان يقال له مُسَرِّح ، ورئيس كندة البَراء بن قيس بن الحارث . فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثَم بن صيفيّ ، وهو قاضي العرب يومئذٍ ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقلّوا الخِلاف على أُمرائكم ، واعلموا أنّ كثرة الصّياح من الفَشَل ، والمرء يعجز لا محالة[2] يا قوم تثبّتوا ، فإنّ أحزم الفريقين الرَّكين ، وربّ عجلة تَهَب رَيثا[3] . واتّزِروا للحرب ، وادّرعوا الليل ، فإنّه أخفى للويل[4] ، ولا جماعةَ لِمَن اختلف .

فلمّا انصرفوا من عند أكثم تهيّئوا ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن ، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرِّم ، ويزيد بن الطيثم بن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتَيمَن نزلوا قريباً من الكُلاب ، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع ، يقال له مُشَمِّت بن زنباع في إبل له ، عند خال له من بني سعد ، يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمِّت قال لزهير : دونك الإبل ، وتنحّ عن طريقهم ، حتى آتيَ الحيّ فأُنذرَهم . قال : فركب المشمِّت ناقة ، ثم سار حتى أتى سعداً والرِّباب وهم على الكُلاب ، فأنذرهم ، فأعدّوا للقوم ، وصبَّحوهم ، فأغاروا على النَعم فطردوها ، وجعل رجل من أهل اليمن يرتجز ويقول : [من الرجز]

في كلّ عامٍ نَعَمٌ نَنتابُهُ ... على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

قال : فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم ، على فرس له ، فقال : [من الرجز]

عمّا قليلٍ سَتُرى أربابُهُ ... صُلْبَ القناةِ حازماً شبابُهُ

على جيادٍ ضُمَّرٍ عِيابُهُ

قال : فأقبلت سعد والرِّباب ، ورئيس الرِّباب النُّعمان بن جِساس ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المِنقريّ . قال أبو عبيدة : اجتمع العلماء على أنّ الرئيس كان يومئذٍ قيسُ بن عاصم . فقال ضَبِّيّ حين دنا من القوم : [من الرجز]

1 أغباباً : يعني أنهم يسيرون منقلتين في منقلة واحدة . والمنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

2 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 . وفصل المقال : 299 .

3 المثل «رب عجلة تهب ريثاً» في مجمع الميداني 1 : 294 وجمهرة العسكري 1 : 482 ومستقصى الزمخشري 2 : 97 وفصل المقال : 335 .

4 المثل «ادّرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل» في جمهرة العسكري 1 : 88 وفصل المقال : 66 .

في كلِّ عـام نَعَمٌ تحوُونَهْ يُلْقِحُـهُ قـوم وتَنْتِجُونَهْ
أربابُه نوكَى فـلا يَحْمونَهْ ولا يلاقـون طِعاناً دونَهْ
أنَعَـمَ الأبنـاءِ تَحْسِبُونَهْ هيهاتَ هيهاتَ لما تَرْجُونَهْ

فقال ضَمرة بن لبيد الحِماسيّ[1] : انظروا إذا سقتم النَعم ، فإن أتتكم الخيل عُصَباً عُصَباً ، وثبتت الأولى للأُخرى ، حتى تَلْحَق ، فإنّ أمر القوم هيِّن . وإن لحق بكم القوم ، فلم ينظروا إليكم حتى يرُدُّوا وجوه النَعم ، ولا ينتظرُ بعضهم بعضاً ، فإنّ أمر القوم شديد . وتقدّمت سعدٌ والرِّباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعَم من قِبَل وجوهها ، فجعلوا يضربونها بأرماحهم . واختلط القوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل النُّعمان بن جِساس ، قتَلَه رجلٌ من أهل اليمن ، كانت أُمّه من بني حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذي رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظليّة . فقال النُّعمان : ثَكِلتك أُمّك ، ربّ حنظليّة قد غاظتني[2] . فذهبت مثلاً وظنّ أهل اليمن أنّ بني تميم سَيُهدّهم قتل النُّعمان ، فلم يزدهم ذلك إلاّ جَراءة عليهم . فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً ، فلمّا أصبحوا غدَوا على القتال ، فنادى قيس بن عاصم : يالَ سعد ، ونادى عبد يغوث : يالَ سعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلمّا سمع ذلك قيس نادى : يالَ كعب ، فنادى عبد يغوث : يالَ كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلمّا رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث ، قال : ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلاّ دَعَوا بمثله . فنادى قيس : يالَ مُقاعس ، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب ، وكان يلقّب مُقاعِساً ، فلمّا سمع وَعْلة بن عبد الله الجَرميّ الصوت ، وكان صاحب اللواء يومئذٍ ، طرحه ، وكان أوّل مَن انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب ، فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول : [من الرجز]

يـا قومُ لا يُفْلِتْكُمُ اليزيدانْ مُخَرِّمـا أعني بـه والدَّيّانْ

وجعل قيس بن عاصم ينادي : يالَ تميم : لا تقتلوا إلاّ فارساً ، فإنّ الرجّالة لكم . وجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

لّمـا تَوَلَّوا عُصَبـا شَوازِبا أقسمت لا أُطعُن إلاّ راكبا[3]

---

1 في ل : ضمرة بن أسد الحارثيّ .
2 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال . وفي النقائض «رب ابن حنظلية قد غاظني» .
3 الشوازب : جمع شازب وهو الشاحب الضامر .

إنّي وجدت الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأُسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممّن أنت ؟ فيقول : من بني زَعْبل ، وهو زَعبل بن كعب ، أخو الحارث بن كعب ، وهم أنذال ، فكأنّ الأسارى يريدون بذلك رِخَص الفداء . فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم ، دفعه إلى مَن يليه من بني تميم ، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أُخرى[1] ، فذهبت مثلاً . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسِرون ، حتى أُسِر عبد يغوث ، أسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس . وقُتِل يومئذٍ علقمة بن سَبّاع القُرَيْعيّ ، وهو فارس هَبُّود ، وهَبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المراديّ وكان علقمة قتل عَمْراً وأخذ فرسه من تحته ، وأَسَرَ الأَهتم ، واسمه سنان بن سُميّ بن خالد بن مِنْقر ، ويومئذٍ سُمِّي الأهتم ، رئيسَ كندة البراءَ بن قيس ، وقَتَلَتِ التّيم الأوبَر الحارثيّ ، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية ، قتلهما النُّعمان بن جِساس ، وقَتَل يومئذٍ من أشرافهم خمسة ، وقتلت بنو ضَبّة ضَمرةَ بن لَبيد الحِماسيَّ الكاهن ، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبيّ .

وأمّا عبد يغوث فانطلق به العَبْشَمِيّ إلى أَهله . وكان العبشميّ أَهوج ، فقالت له أُمّه ، ورأَت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً : مَن أنت ؟ قال : أَنا سيّد القوم . فضحكت ، وقالت : قَبَحك الله من سيّد قوم حين أَسرك هذا الأَهوَج . فقال عبد يغوث : [من الطويل]

وتَضْحَكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيّة   كأن لم تَـرَا قبلي أسيراً يمانيا

ثم قال لها : أيّتها الحرّة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطي ابنك مِئةً من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم ، فإنّي أتخوّف أن تنتزعني سعد والرِّباب منه ، فضمن له مئة من الإبل ، وأرسل إلى بني الحارث ، فوجّهوا بها إليه ، فقبضها العبشميّ ، فانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول : [من الطويل]

أأهتـمُ يـا خيرَ البريّـة والـدا   ورَهْطاً إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا
تـداركْ أسيراً عانيـاً في بلادكم   ولا تثقفنّي التيـمُ أَلْقى الدواهيا[2]

فمشت سعد والرِّباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد ، قُتِل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور . فدفعه الأهتمّ إليهم ، فأخذه عِصْمة بنُ أُبير التيميّ ، فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تميم ، اقتلوني قِتلة كريمة . فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اسقوني الخمر ، ودعوني أَنحْ على نفسي ، فقال له عصمة : نَعَم . فسقاه الخمر ، ثم

1 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .

2 تثقفني : تظفر بي .

قطع لـه عرقاً يقال له الأكحل ، وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه عصمة ، وترك معه ابنين له ، فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا ، فكيف رأيت اللهَ صنع بك ؟ فقال عبد يغوث في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بِيا … فما لكما في اللوم نفعٌ ولا لِيا
ألَم تعلما أنّ المَلامة نفعُها … قليل وما لومي أخي مِن شِماليا[2]
فيا راكباً إمّا عرضت فبلِّغنْ … ندامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقيا
أبا كَرِبٍ والأيهمينِ كليهما … وقَيْساً بأعلى حضرموتَ اليمانيا
جزى الله قومي بالكُلاب مَلامةً … صريحَهم والآخرينَ المَواليا
ولو شئتُ نَجَّتْني من الخيل نَهْدَةٌ … ترى خَلْفَها الحُوَّ الجيادَ تواليا[3]
ولكنّني أحمي ذمار أبيكم … وكان الرّماح يختطفن المحاميا
وتضحك منّي شيخة عبشميّة … كأن لم تَرَا قبلي أسيراً يمانيا
وقد علمتْ عرسي مُلَيْكَة أنّني … أنا الليثُ معدوّاً عليه وعاديا
أقول وقد شدّوا لساني بنِسعةٍ … أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتمْ فأَسْجِحُوا … فإن أخاكم لم يكن من بَوائيا[4]
فإن تقتلوني تقتلوا بِيَ سيّداً … وإن تطلقوني تَحْرُبُوني بماليا[5]
أحقّاً عبادَ الله أنْ لست سامعاً … نشيدَ الرِّعاء المُعْزِبين المَتاليا
وقد كنت نحّار الجزور ومُعْمِلَ الْـ … ـمَطيّ وأمضي حيث لا حيٌّ ماضيا
وأنحر للشَّرْب الكرام مطيّتي … وأصدع بين القَينتين ردائيا
وعاديةٍ سومَ الجراد وَزَعتها … بكفّي وقد أنحوا إليّ العواليا[6]
كأنّيَ لم أركب جواداً ولَم أقل … لخيليَ كُرّي نَفّسي عن رجاليا

---

1 هذه هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباري . وقد أوردها أبو عبيدة في النقائض والعقد الفريد في يوم الكلاب الثاني (الصفقة) .

2 من شماليا : من شمائلي .

3 النهدة : الفرس العالية . والحو : التي تضرب إلى الخضرة .

4 لم يكن من بوائيا : لم يكن نظيراً لي فأبوء به .

5 تحربوني بماليا : تسلبوني مني مالي .

6 عادية : القوم يعدون . وسوم الجراد : منتشرون كالجراد . ووزعتها : كففتها ومنعتها .

ولم أَسْبأ الزِّقّ الرويّ ولم أَقُل   لأيسار صدق أعظموا ضَوْءَ ناريا

قال : فضحكت العبشميّة ، وهم آسروه . وذلك أنّه لمّا أَسروه شدّوا لسانه بنسعة ، لئلاّ يهجوهم ، وأَبوا إلاّ قتله ، فقتلوه بالنُّعمان بن جِساس .

[ما قيل من الشعر بعد الوقعة]

فقالت صفيّة بنت الخَرِع ترثي النُّعمان : [من البسيط]

نِطاقـــه هُنْـدُوانيٌّ وجُبَّتُـــهُ   فَضْفاضة كأَضاة النِّهْي مَوْضونَهْ[1]

لقد أَخذنا شفاء النفسِ لو شُفِيت   ومـا قتلْنـا بـه إلاّ امـرءاً دونَهْ

وقال عَلقمة بن سَباع لعمرو بن الجُعيد : [من السريع]

لمّـا رأيـت الأمر مَخْلُوجـةً   أكرهـت فيـه ذابلاً مارِنا[2]

قلـت لـه : خذها فإنّي امرؤ   يعرِف رمحـي الرجلَ الكاهنا

قوله : «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد : أنّ عمرو بن الجعيد كان كاهناً . وهو أحد بني عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أفصى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك في ولده . ومنهم الرّباب بن البَراء ، كان يتكهّن ، ثم طلب خلاف أهل الجاهليّة ، فصار على دِين المسيح عليه السلام ، فذكر أبو اليقظان أنّ الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل ، وذلك قبل مَبعث النبيّ ﷺ : خير أهل الأرض رَبابٌ الشَّنِّيّ ، وبحِيرا الراهب ، وآخر لم يأت بعد . قال : وكان لا يموت أحد من ولد الرّباب إلاّ رأوا على قبره طَشاً[3] . ومن ولده مَخْرَبة ، وهو أحد أجواد العرب ، وإنّما سُمِّي مَخْرَبة لأنّ السلاح خرَبه ، لكثرة لبسه إيّاه ؛ وقد أَدرك النبيّ ﷺ ، فأسلم ، فأرسله إلى ابن الجُلَنْدى العُمانيّ . وابنُه المُثَنَّى بن مَخْرَبة أحد وجوه أصحاب المختار ، وكان قد وجّهه إلى البصرة ليأخذها ، فحاربه عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه ، وكان ابنه بَلْجُ بن المُثنَّى جواداً ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس : [من الوافر]

أَلا يـا بَلْجُ بلـجَ بني المُثَنَّى   وأنـتَ لكـلِّ مَكرُمة كِفاءُ

أَلومُك طائعاً مـا دمتُ حيّاً   عـليّ إذَنْ مـن الله العفاءُ[4]

كفـى قومـاً مكارمَ ضَيَّعوها   وأَحسنَ حين أبصرَهم أساءُوا

---

1 أضاءة النهي : مسيل الماء في الغدير . وموضونة : منثن بعضها على بعض لسعتها .

2 مخلوجة : مضطرب .

3 الطش : المطر الخفيف .

4 ألومك : لا ألومك .

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوثَ والوقعة

قال : فأمّا وَعْلة بن عبد الله الجرميّ ، فإنّه لحقه رجل من بني سعد ، فعقَر به ، فنزل ؛ وجعل يُحضِر على رجليه ، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سَليط بن قَتَب ، من بني رفاعة ، فقال له لمّا لحقه : أَرْدفني ، فأبى ، فطرحه ، عن فرسه ، وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النهديَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة في ذلك : [من الطويل]

ولمّا سمعت الخيلَ تدعو مقاعساً ... علمتُ بأنّ اليوم أغبرُ فاجرُ
نجوتُ نجاءً ليس فيه وَتِيرة ... كأنّي عُقّاب دون تَيْمَنَ كاسرُ
خُداريّةٌ صَقْعاء لَبَّد رِيشها ... بِطَخفَةَ يومٌ ذو أهاضيبَ ماطرُ[1]
وقد قلت للنهديّ : هل أنت مردِفي ... وكيف رداف الفَلِّ أمُّك عاثرُ[2]
فإن أستطع لا تَبْتَئِس بي مقاعِس ... ولا يرني باديهمُ والحواضِرُ
فِدًى لكما رِجليّ أُمّي وخالتي ... غداة الكُلاب إذ تحزّ الحناجرُ
فمَن كان يرجو في تميم هوادة ... فليست لجَرم في تميم أواصرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجُعيد : [من الطويل]

أشابَ قَذال الرأس مَصْرَعُ سيِّد ... وفارسُ هَبُّودٍ أشاب النّواصيا

وقال محرز بن مُكَعْبَر الضَّبّيّ : [من البسيط]

فِدًى لقومِيَ ما جمَّعت من نَشَبٍ ... إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوامِ[3]
قد حَدَّثتْ مَذْحج عنّا وقد كَذَبتْ ... أن لا يُوَرِّع عن نسواننا حامِ[4]
دارت رحاهمْ قَليلاً ثم واجههمْ ... ضرب يصبّح منهم مَسْكَن الهامِ
ساروا إلينا وهم صِيد رؤوسهمُ ... فقد جعلنا لهمْ يوماً كأيّامِ
ظلّتْ ضباعُ مُجيراتٍ يَعُدْنَهُمُ ... وألحموهنّ منهمْ أيَّ إلْحامِ[5]

1 الخدارية : العقاب لسوادها . الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض . وطخفة : موضع والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي الدفعة من المطر .
2 الفل : المنهزم .
3 نشب في ل : سبد .
4 يورع : يكفّ ويمنع .
5 مجيرات : موضع .

ظلّت تدوس بني كعبٍ بكَلْكلها ... وهَـمَّ يــومُ بني نهــدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغراء : [من الوافر]

وفي يـومِ الكُلاب إذ اعترتنا ... قبائـــلُ أقبلـــوا متناسِبينا
قبائلُ مذحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ ... وهَمْــدانٍ وكِنــدةَ أجمعينا
وحِميَر ثـم ساروا في لُهامٍ ... على جُــرْدٍ جميعــاً قادِرينا
فلمّــا أن أتونـــا لم نُكَذِّب ... ولم نَسْأَلهـــمُ أن يُمهِلونا
قتلنـــا منهـــم قَتْـلى وولّـى ... شرِيدُهـم شَعاعـــا هاربينا[1]
وفاظتْ منهـم فينـــا أُسارى ... لدينـــا منهـــمُ مُتَخَشِّعينا[2]

وقال ذو الرمّة غَيلان بن عُقْبة في ذلك[3] : [من الطويل]

وعمّي الذي قاد الرِّباب جماعةً ... وسَعدُهُــمُ الرأسُ الرئيسُ المـؤَمَّرُ
عشيّــةَ أعطتنـــا أزمَّـــةَ أمرهـــا ... ضِرارٌ بنــو القَرْم الأغـرّ ومِنْقرُ
وعبــدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه ... قــد احتزَّ عُرْشَيه الحسام المذكَّرُ

العُرْشان : عِرْقان في العنق :

عشيّةَ فــرّ الحارثيــّون بعدمــا ... قضى نَحْبَه في مَعْرَك الخيل هَوْبَرُ
وقــال أخو جَـرْمٍ ألا لا هوادةٌ ... ولا وَزَرٌ إلاّ النجـــاءُ المشمــرُ
أبــى اللهُ إلاّ أنّنـــا آل خِنـدِفٍ ... بنـا يَسْمَع الصوتَ الأنام ويُبْصرُ
إذا مــا تمضَّرنا فــلا ناسَ غيرُنا ... ونُضْعِـف أحيانـــاً ولا نتمضَّرُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

فما شَهدت خيلُ امرىء القيس غارةً ... بثهلانَ تحمي عـن ثغـورِ الحقائقِ
أثَرْنـا بِـــهِ نَقْـعَ الكُلاب وأنتمُ ... تُثِيرونَ نقـــعَ الملتقــى بالمعازِقِ
أدَرْنـا على جَـرْمٍ وأفناءِ مذحِجٍ ... رَحى الموت فوق العاملاتِ الخوافقِ

1 شعاعاً : متفرقين في جميع النواحي .
2 فاظت : هلكت .
3 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 222–239 مع بعض اختلاف .
4 ديوان ذي الرمة : 404–412 مع اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .

صدمناهمُ دُونَ الأمانيّ صَدْمةً عَماسا بأطوادٍ طِوالٍ شواهِقِ
إذا نطحتْ شهباءُ شهباءَ بينها شُعاعُ القَنا والمشرفيِّ البوارقِ

وقال البَراء بن قيس الكِنديّ : [من الخفيف]

قَتَلَتْنا تميمُ يوماً جديداً قتلَ عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ
يومَ جئنا يَسوقنا الحَين سوقاً نحو قَومٍ كأنّهم أُسدُ غابِ
سرتُ في الأزد والمذاحج طُرّاً وبكيلٍ وحاشد الأنيابِ
وبني كِندة الملوكِ ولخمٍ وجُذامٍ وحِميَرَ الأربابِ
ومُرادٍ وخَثْعم وزُبيد وبني الحارث الطوالِ الرِّغابِ
وحشدنا الصميمَ نرجو نِهاباً فلقِينا البَوار دون النِّهابِ
لَقِيَتْنا أسودُ سَعدٍ وسعدٌ خُلِقت في الحروب سَوْط عذابِ
تركوني مُسهَّداً في وَثاق أرقب النّجم ما أُسيغُ شرابي
خائفاً للردى ولولا دفاعي بمئينٍ عن مهجتي كالهضابِ
لسُقِيت الرّدى وكنت كقومي في ضريحٍ مغيَّباً في الترابِ
تذرفُ الدّمع بالعويلِ نسائي كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّبابِ
فلِعيني على الأُلى فارقوني دِرَر من دموعها بانسكابِ[1]
كيف أُبغي الحياة بعد رجالٍ قُتلوا كالأسودِ قتل الكلابِ
منهم الحارثيّ عبدُ يغوثٍ ويزيدُ الفتيانِ وابن شهابِ
في مِئينٍ نعدّها ومئينٍ بعد ألف مُنوا بقوم غِضابِ
برجالٍ من العرانين شُمٍّ أُسْدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْميّ : [من الخفيف]

عَذَلتني نهدٌ فقلت لنهدٍ حين حاست على الكُلابِ أخاها
يومَ كنّا عليهمُ طيرَ ماءٍ وتميمٌ صُقورَها وبُزاها
لا تلوموا على الفِرار فسعدٌ يال نَهْدٍ يخافها مَن يراها
إنّما هَمُّها الطِّعان إذا ما كَرِه الطّعن والضراب سِواها

1 درر : جمع درة ، وهي الدفعة من المطر .

تركوا مَذْحِجاً حديثاً مشاعاً مثل طَسْم وحِمْيَرٍ وصُداها
يالَ قحطانَ وادعوا حَيَّ سعدٍ وابتغوا سَلْمها وفضل نداها
إنّ سعد السعود أُسْدُ غِياض باسلٌ بأسها شديدٌ قُواها
فُضِحتْ بالكُلاب حارِ بنُ كعبٍ وبنو كندةَ الملوكُ أُباها
أسلموا للمنون عبدَ يغوثٍ ولِعضّ الكبول حولا يَراها
بعد ألف سُقوا المَنِيّةَ صِرفاً فأصابت في ذاك سَعْدٌ مُناها
ليتَ نَهْداً وجَرْمها ومُراداً والمذاحيجَ ذو أُناة نَهاها
عن تميم فلم تكن فَقْع قاعٍ تبتدرْها رِبابُها ومَناها
قل لبكر العراق تَستُر عَمْراً عمرَو قيسٍ وأيّ عمرو يراها
عن تميم ولو غزتْها لكانت مثل قحطانَ مستباحاً حماها

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمس أَبي الخطّاب قد حُجِبَتْ أظُنّ يا صاحبيَّ الساعةَ اقتربتْ
أَوْلا فما بال ريحٍ كنت آنَسُها عادتْ عليَّ بصِرٍّ بعد ما جَنَبَتْ[1]
أَشكو إليك أبا الخطّاب جارية غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبتْ
وأنت قَيِّمها الأدنى وسيّدها يا ليتَ قد قَرَّبت مني وما بَعُدَتْ

عروضه من البسيط . الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ ، رَمَل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعلي بن يحيى . وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أن فيه هَزَجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهديّ . وذكر عمرو بن بانة أنّه لإبراهيم الموصليّ أيضاً .

وأبو الخطّاب الذي عناه إبراهيم الموصليّ في شعره هذا : رجل نَخّاس يعرف بِقَرِين ، مولى العباسة بنت المهديّ ، وكان إبراهيم يهوى جارية له ، يقال لها خُنْث ، وكانت من أجمل النساء وأكملهنّ ، وكان لها خالٌ فوق شفتها العليا ، وكانت تعرف بذات الخال ، وإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة . نذكر منها كلّ ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

1 الصرّ : البرد . وجنبت : هبت جنوباً .

[335] ـ أخبار ذات الخال

[عشقها إبراهيم واشتراها الرشيد]

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أبي : أنّ جدِّي كان يتعشّق جارية لِقَرين ، المكنّى بأبي الخطّاب النخّاس ، وكان يقول فيها الشعر ويُغنّي فيه ، فشَهَرها بشعره وغنائه ، وبلغ الرشيدَ خبرها ، فاشتراها بسبعين ألفَ درهم . فقال لها ذات يوم : أسألك عن شيء ، فإن صدَقْتني وإلاّ صدَقَني غيرُك وكذّبتُك . قالت له : بل أَصْدُقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصليّ شيء قطّ ، وأنا أُحْلِفه أن يَصْدُقني . قال : فتلكّأت ساعة ، ثم قالت : نعم ، مرّة واحدة . فأبغضها وقال يوماً في مجلسه : أيّكم لا يبالي أن يكون كَشْخاناً ، حتى أهب له ذات الخال . فبدر حَمّويه الوصيف ، فقال : أنا . فوهبها له ، وفيها يقول إبراهيم : [من الطويل]

أتحسِب ذات الخالِ راجية رَبّـاً وقـد فَتَنَتْ قلباً يَهيم بهـا حُبّا

وما عُذْرها نفسي فِداها ولم تَدَع على أعظمي لحماً ولم تُبْقِ لي لُبّا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[تشوق الرشيد إليها]

وذكر أحمد بن أبي طاهر : أنّ الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم ، وذكر قصّة حَمّويه كما ذكرها حمّاد ، وقال في خبره : فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهَبها لِحَمّويه ، فقال له : ويْلَكَ يا حمّويه ، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مرْ فيها بأمرك . قال : نحن عندك غداً . فمضى فاستعدّ لذلك ، واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنة[1] وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار . فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها ، فلمّا رآها أنكره ، وقال : ويلَك يا حَمّويه ! من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ، ولا وَصَل إليك منّي هذا القدر ! فصَدَقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم ، واشترى الجوهر منهم ، ووهبه لها ، ثم حلف ألاّ تسأله يومه ذلك شيئاً إلاّ أعطاها ، ولا حاجة إلاّ قضاها ، فسألته أن يولّيَ حَمّويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك ، وكتب له عهده به ، وشرط على وليّ العهد بعده أن يتمّها له إن لم تتمَّ في حياته .

1 البدنة : قميص بلا كمين للنساء .

[قصّها خالها وشعر العبّاس بن الأحنف فيها]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال : حدَّثني أحمد بن عبد الله طَمّاس ، عن عبد الله وإبراهيم ابنَي العبّاس الصُّوليّ قالا : كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال ، فدعته يوماً ، فوعدها أن يصير إليها . وخرج يريدها ، فاعترضته جارية ، فسألته أن يدخل إليها ، فدخل وأقام عندها ، فشقَّ ذلك على ذات الخال ، وقالت : والله لأطلبنّ له شيئاً أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجهاً ، ولها خال على خدّها لم يَرَ الناس أحسن منه في موضعه ، فدعت بمِقْراض ، فقصّت الخال الذي كان في خدِّها ، وبلغ ذلك الرشيد ، فشق عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضعه ، وقال للفضل بن الربيع : انظُر مَن بالباب من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت العبّاس بن الأحنف . فقال : أدخله . فأدخله ، فعرَّفه الرشيد القِصّة وقال : اعْمَل في هذا شيئاً ، على معنًى رسمه له ، فقال[1] : [من الطويل]

صوت

تخلَّصْتُ ممّن لم يكن ذا حَفِيظةٍ ومِلْـتُ إلى مَـن لا يغيِّره حالُ

فـإن كان قطعُ الخال لمّا تطلّعتْ إلى غيرها نفسي فقد ظَلِمَ الخالُ

غنّاه إبراهيم . فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها ، وجعل هذين البيتين سبباً ، وأمر للعبّاس بألفَيْ دينار ، وأمر إبراهيم الموصليّ فغنّاه في هذا الشعر .

[إعجاب بالتقسيم في الشعر]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثني محمد بن الفضل قال : كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم في الشعر ، ويُشغَف بجيد الأشعار ، فكان ممّا يعجبه قول نُصَيْب[2] : [من الطويل]

صوت

أيا بعلَ لَيلى كيف تجمعُ سَلْمَها وحَرْبي وفيما بيننا شَبَّتِ الحربُ

لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنباً ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل . والشعر لنُصَيْب ، ويروى للمجنون ، ويروى لكعب بن مالك الخَثعميّ . والغناء لمالك ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .

---

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 249 وفيه «لما تعطفت على غيرها . . .» .

2 شعر نصيب : 65 .

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعبّاس بن الأحنف[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقى من الهوى عَشِير الذي أَلْقى فيلتئمَ الشَّعْبُ
إذا رَضِيتْ لم يَهْنني ذلك الرِّضا لعلمي بـه أن سوف يتبعُه العَتْبُ
وأَبكي إذا ما أَذنبتْ خوفَ صَدِّها وأَسأَلها مَرْضاتها ولها الذنْبُ
وصالُكـمُ صُـرْمٌ وحبُّكمُ قِلًى وعطفُكمُ صَدٌّ وسَلْمُكم حَرْبُ

ويقول : ما أَحسن ما قسّم ، حتى جعل بإزاء كلّ شيء ضدّه ، والله إنّ هذا لأَحسن من تقسيمات إقليدس .

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

[ثلاث جوارٍ هويهنّ الرشيد]

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يَهواهنّ ، ويقول الشعر فيهنّ ، وهن سِحْر ، وضياءٌ ، وخُنْث ؛ وفيهنّ يقول الرشيد : [من الرمل]

إنّ سِحْـراً وضيـاءً وخُنُـثْ هنَّ سحـر وضيـاءٌ وخُنُثْ
أَخَذَتْ سِحْـرٌ ولا ذنبَ لهـا ثُلُثَـيْ قلبـي وتِرْباهـا الثُّلُثْ

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُويد ين مَنْجوف السَّدُوسيّ قال : حدَّثني محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال : وجّه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة ، ثم جاءته من الغَدِ ، فقال الرشيد : [من الهزج]

أَيـا مَنْ رَدَّ وُدِّي أَمْـ ـس لا أُعْطيكَهُ اليوما
ولا والله لا أعطيـ ـك إلاّ الصدَّ واللّوْما
وإن كان بقلبـي منـ ـك حُبٌّ يمنع النَّوما
أَيا مـن سُمْتُه الوَصْلَ فأَغـلى المَهْـرَ والسَّوْما

قال : وفيهنّ يقول ، وقد قيل إنّ العبّاس بن الأَحنف قالها على لسانه[2] : [من الكامل]

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 34 .
2 ديوان العبّاس بن الأحنف : 312 .

صوت

مَلَكَ الثّلاثُ الآنساتُ عِناني ... وحَلَلْن مـن قلْبي بكلِّ مَكانِ
مـا لي تُطاوِعني البريّةُ كلّها ... وأطيعُهنّ وهـنّ في عصياني
مـا ذاك إلاّ أنّ سُلْطان الهوى ... وبــه عززن أعزّ من سلطاني[1]

غنّته عريب خفيف ثقيل الأوّل بالوسطى .

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال : وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل ، فحضرت ، فأخرج إليّ جارية كأنّها المَهاة ، فأجلسها في حجره ، ثم قال : غنّني ، فغنّته : [من السريع]

جئْـنَ مِـنَ الـرّوم وقالِيقَلا ... يرفُلْـن في المِـرْط ولِين المُلا
مُقَرْطَقــاتٌ بصُنوف الحُـلى ... يـا حَبَّذا البيْضُ وتلك الحُلى[2]

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استُؤْذن للفضل بن الربيع ، فأذن له ، فلمّا دخل قال : ما وراءك في هذا الوقت ؟ قال : كلّ خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى الساعة لي سبب لم يجر لي كتمانُهُ أميرَ المؤمنين . قال : وما ذاك ؟ قال : أُخرج إليّ في هذا الوقت ثلاثُ جَوارٍ لي : مكّيّة ، ومَدِينيّة ، وعراقيّة . فقبَضَتِ المَدِينيّة على ذَكري ، فلمّا أنعظْت وثبت المكّيّة فقعدت عليه ، فقالت لها المدينيّة : ما هذا التعدّي ؟ ألم تعلَمي أنّ مالكاً حدّثنا عن الزهريّ عن عبد الله بن ظالم ، عن سعيد بن زيد : أنّ النبيّ ﷺ قال : «مَن أحيا أرضاً مَيِّتة فهي له» ؟ فقالت الأُخرى : أوَ لَم تعلمي أنّ سفيان حدَّثنا ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنّ النبيّ ﷺ قال : «الصيدُ لَمن صاده لا لمن أثاره» . فدفعتهما العراقيّة عنه ، ووثبت عليه ، وقالت : هذا لي ، وفي يدي حتى تصطلحا . فضحك الرشيد ، وأمره بحملهنّ إليه ، ففعل ، وحَظِين عنده ، وفيهنّ يقول : [من الكامل]

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِي ... وحَلَلْن مـن قلبي بكلّ مكانِ

[إعجاب بشعر الرشيد في جواريه]

حدَّثنا محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ قال : حدَّثني مهديّ بن سابق قال : حججنا مع الرشيد آخر حِجَّة ، فكان الناس يتناشدون له في جواريه : [من الوافر]

ثلاث قد حَلَلْن حِمى فؤادي ... ويُعْطَين الرغائـب من وِدادي

1 عززن في ل والديوان : قوين .
2 البيض في ل : والله .

نظمت قلوبَهُـنّ بخيطِ قلْبي   فهـنّ قرابتـي حتى التنادِي
فمَن يكُ حلّ من قلب مَحَلاً   فهنّ مـع النواظـر والسَّوادِ

وممّا قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنّى فيه : [من الهزج]

صوت

أذاتَ الخـالِ أُقصَيْتِ   مُحبّـاً بكُـمُ صبّا
فـلا أنْسى حياتِيَ ما   عَبدْتُ الدَّهرَ لي ربّا
وقـد قلـت أنيلينـي   فقـالت أفْـرَقُ الذّنْبا

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوُسطى عن عمرو . ومنها : [من الهزج]

صوت

أذات الخال قـد طالَ   بمَن أسقمتِهِ الوجَعُ
وليس إلى سِواكِمْ في الْـ   ـلَذِي يلقـى لـه فَزَعُ
أمـا يمنعُـك الإسلا   مُ من قتلي ولا الوَرَعُ
ومـا ينفـكُّ لي فيكِ   هـوًى تَغتَـرُّه خُدَعُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى ، عن عمرو . ومنها : [من الرجز]

صوت

ثَعلَبُ يـا هذا الكثيرُ العَبَثِ   بالله لَمَّا قُلْتَ لي عـن خُنُثِ
عـن ظبيةٍ تميس في مِشيتها   أُحسنُ مَـن أبصرتُه في شَعَثِ
فقال : قالت قل له أنت امرؤ   مُوَكَّـل فيمـا تـرى بالعَبثِ
والله لـولا خَصْلَـةٌ أرقبُهـا   لقَلَّ في الدُّنيا لمـا بي لَبَثي

الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان : أحدهما ثقيل الأوّل ، عن أبي العَنْبَس ، والآخر هزج بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريب ثقيل أوّل آخرُ . وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى .

وذكر هارون بن الزيّات أن حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أنّ ثعلباً هذا ، كان مملوكاً لإبراهيم ، فقال هذه الأبيات في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصليّ ، وكانت مغنّية محسنة ، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أنّه قال في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلي ، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب ، وكانت خُنْث مغنّية محسنة ، وكانت تعرف بذات الخال .

صوت

[من الرجز]

ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث   بالله إلاّ قلت لي عن خُنُث

وذكر الأبيات .

قال : وقال له أيضاً : [من السريع]

صوت

أبــدِ لــذات الخال يــا ثعلبُ   قولَ امرىء في الحبّ لا يكذبُ

إنّــي أقــول الحــقّ فاستيقِني   كلّ امــرىء في حُبِّــه يلعبُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، له فيه لحنان : رمل وخفيف ثقيل ، عن ابن المكّيّ .

ومنها : [من الطويل]

صوت

جـزى الله خيراً من كلِفت بحبِّهِ   وليس بــه إلاّ المموّهُ من حُبّي

وقالــوا : قلوب العاشقين رقيقة   فما بال ذات الخالِ قاسيةَ القلبِ ؟

وقالوا لهــا : هــذا محبّك مُعرضاً   فقالت : أرى إعراضه أيسرَ الخطبِ

فمــا هــو إلاّ نظــرة بتبسُّم   فتنشَب رجلاه ويسقُطَ للجَنبِ

ومنها : [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّاني   إذنْ فَحُوِّلْتُ في مَسْكِ ابن زَيدانِ[1]

فإنَّ هذي يمين مــا حلفت بها   إلاّ على الحقّ في سرى وإعلاني

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالبنصر .

ومنها : [من الهزج]

صوت

لقــد أخلو بذات الخا   لِ والحراسُ قــد هَجَعُوا

فمن يُبْصِرْ أبــا الخطّا   ب يطلُبُهــا ويتّبِــعُ

1 المسك : الجلد .

أَلا لَم تَرَ محزوناً تَسَنَّم صَبْرَهُ الجَزَعُ
وقارَعَني ففزْت بها وحازتها لي القُرَعُ

غنّاه إبراهيم، من رواية بَذْل عنه، ولم تذكر طريقته.

قال عليّ بن محمد الهشاميّ: حدَّثني جدِّي، يعني ابن حمدون، قال: حدَّثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصليّ ومعي ابن زَيدان صاحب البرامكة، وإبراهيم يلاعبه بالشِّطْرَنْج، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة. سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلاّ الله. فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت. هلا قلت: دُنْيا ودينا. فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهيم، وقال له: يا زنديق، أتكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضرباً شديداً، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدّثه بخبره. قال: وعلِم إبراهيم أنّه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به، فاستوهبه الفضلُ من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول: [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عنّاني إذا فَحُوِّلتُ في مَسْك ابن زَيْدانِ
فإن هذي يمين ما حلَفْت بها إلاّ على الصدق في سري وإعلاني

قال: وله في هذين البيتين صنعة، وهي هَزَج.

منها: [من الهزج]

صوت

مَنْ يرحمُ محزونا بذات الخالِ مَفْتونا
أبى فيها فما يسلو وكلّ النّاس يَسْلُونا
فقد أُودى به السُّقْمُ وقد أُصبح مَجنونا
فإن دام على هذا ثَوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، عن الهشاميّ.

ومنها: [من الهزج]

صوت

لذات الخال أُرَّقني خيالٌ بات يَلْثَمنِي
بكى وجرى له دمع لما بالقلب من حَزَنِ

فـلا أَنساه أَو أَنسى إذا أُدْرِجْت في كَفَني

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

هل علمتَ اليومَ يا عا صمُ يـا خيرَ خَدِينِ
أَنّ ذات الخـال تأتيـ ـنِـي على رَغـمِ قَرينِ
لا تلُمْني إنّ ذات الـ ـخالِ دنيـايَ ودِيني[1]
وإلى حفـصٍ خليـلٍ ووَزيـري وأَميـنـي
بُحْت لا أَكتمُـه شيـ ـئاً مـن الداء الدفينِ[2]
إنّ بي من حبّ ذات الـ ـخال شيئـاً كالجنونِ

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى ، عن ابن المكّيّ .

ومنها : [من مجزوء الرجز]

صوت

تقـول ذات الخـالِ لي : يـا خَلِيّ البالِ
فقلتُ : حاشاكِ من أَنْ يكـونَ حالُك حالي
أعرَضْتِ عَنّـيَ لّمـا أوقعتنـي في الحبـالِ
إن الخـليّ هـو الغا فِـلُ الذي لا يُبالي

لإبراهيم من كتابه عن حَبَش فيه لحن . وذكر ابن المكّيّ أنّه رمل .

ومنها : [من الهزج]

صوت

أَمـا تعلمُ ذات الخا لِ فوقَ الشفة العليا
بأنّي لست أَهوى غيـ ـرها شيئاً مـن الدنيا
وأنّي عـن جميع النـ ـاس إلاّ عنهمُ أَعمى
وأنّي لو سُقِيت الدّهـ ـرَ من ريقك لا أُرْوى

---

1 إلى هذا أشار في قوله لإسحاق : «دنيا وديناً» .

2 الداء في ل : السر .

الشعر والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى ، عن عمرو وابن المكّيّ وغيرهما . وقد روى «أما تعلم يا ذا الخال» . وهذا هو الصحيح .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا ليت شِعريَ كيفَ ذاتُ الخالِ ... أمْ أينَ تَحسِبُ حالَها من حالي
هــل أنْسَيَنْ منهـــا وضَمَّتْ مرّةً ... رأسي إليها ثــم قالــت : مالي
ألِزَلَّـــة أقصيتَني نفسي الفـــدا ... لــــك أم أطعــت مَقالةَ العذالِ
والله مــا استحسنتُ شيئاً مُونِقاً ... ألتـــذُّه إلاّ خَطَـــرْتِ ببـــالي

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان : هزج بالأصابع كلّها ، عن ابن المكّيّ ، وثقيل أوّل بالوسطى ، عن حبش .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا ليتَ شِعريَ والنساءُ غوادِرٌ ... خُلْــفُ العِداتِ وَفاؤُهُــن قليلُ
هل وصلُ ذاتِ الخال يوماً عائدٌ ... فتزولَ لَوْعاتـــي وحَرُّ غليلي
أم قـــد تناستْ عهدَنا وأحالَها ... عن ذاك مَلْكٌ حـــال دون خليلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن إسحاق بن إبراهيم ، وابن المكّيّ والهشاميّ . انقضت أخبارها .

[حجر بن عمرو]

صوت

[من الخفيف]

إن من غَـــرَّهُ النساءُ بشيء ... بعـــد هنـــدٍ لجاهـــلٌ مغرورُ
حُلْوة القول واللسان ومُــرٌّ ... كلّ شيء أَجَنَّ منها الضميرُ
كلّ أنثى وإن بـــدا لك منها ... آيـــةُ الحـــبّ حبُّها خَيْتَعُورُ[1]

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار . والغناء لحُنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ . وفيه لنُبَيه ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حَبَش . وفيه رمل له .

---

1 خيتعور : باطل لا يدوم على حال .

[336] ـ نسب حُجر بن عمرو
والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

[نسبه]

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع ، واسمه عمرو بن ثور ، وقيل : ابن معاوية بن ثور ، وهو كِندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان .

[القتال بينه وبين ابن الهبولة]

أُخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، عن الشَّرْقيّ بن القُطاميّ قال[1] : أقبل تُبَّع أيّام سار إلى العراق ، فنزل بأرض معدّ ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو ، وهو آكِل المرار ، فلم يزل ملكاً حتى خَرِف ، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن . ثم إنّ زياد بن الهَبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَليح القضاعيّ ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، ومنزله بغَمر ذي كندة ، وكان قد غزا بربيعة البحرين . فبلغ زياداً غزاتُه ، فأقبل حتى أغار في مملكة حُجْر ، فأخذ مالاً كثيراً ، وسبى امرأة حُجْر ، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل .

فلمّا بلغ حجراً وبكر بن وائل مغارُه وما أخذ أقبلوا معه ، ومعه يومئذٍ أشرافُ بكر بن وائل ، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شَيبان ، وصُلَيعْ بن عبد غَنْم بن ذهل بن شيبان ، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهل ، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم ، قالا لحجر : إنّا متعجِّلان إلى الرجل ، لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا . فلقياه دون عين أُباغ ، فكلّمه عوف بن ملحم ، وقال : يا خير الفتيان ، اردد عليّ ما أخذته منّي . فأعطاه إيّاه . وكلّمه عمرو بن معاوية في فحل إبله ، فقال : خذه ، فأخذه عمرو ؛ وكان قويّاً . فجعل الفحل ينزع إلى الإبل ، فاعتقله عمرو ، فصرعه . فقال له ابن الهبولة : أما والله يا بني شيبان ، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم . فقال عمرو : أما والله لقد وهبتَ قليلاً ، وشتمت جليلاً . ولقد جررت على نفسك

---

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونيّة هذا الخبر 7 : 384–386 .

شرّاً ، ولتجدني عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر ، فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْر في أصحابه ، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبرّ ، وهو دون عين أُباغ ، بعث سَدوساً وصُلَيعاً يتجسّسان له الخبر ، ويعلمان له عِلم العسكر . فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد ناراً ، ونادى منادٍ له : مَن جاء بحزمة من حطب فله فِدْرة[1] من تمر . وكان ابن الهَبولة قد أصاب في عسكر حُجْر تمراً كثيراً . فضَرب قِبابه ، وأجّج ناره ، ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً . فاحتطب سَدوس وصُلَيع ، ثم أتيا به ابن الهَبولة ، فطرحاه بين يديه ، فناولهما من التمر ، وجلسا قريباً من القُبة . فأمّا صُلَيع فقال : هذه آية وعلم ما يريد ، فانصرف إلى حُجْر ، فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر . وأمّا سدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَليّ . فلمّا ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر في كلّ ناحية ، فضرب سَدُوس بيده إلى جَليس له ، فقال له : مَن أنت ؟ مخافة أن يستنكر . فقال : أنا فلان ابن فلان . قال : نعم . ودنا سَدوس من القُبّة ، فكان حيث يسمع الكلام . فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر ، فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنّك الآن بحُجر لو علِم بمكاني منك ؟ قالت : ظنّي به والله أنّه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحُمْر ، وكأنّي أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يُذَمِّرهم ويذمّرونه ، وهو شديد الكَلَب ، سريع الطلَب ، يزبد شدقاه كأنّه بعيرٌ آكِلُ مُرار . فسمّى حُجْر آكلَ المُرار يومئذٍ . قال : فرفع يده فلطمها . ثم قال : ما قلتِ هذا إلاّ من عُجْبك به ، وحبّك له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمة قطُّ بغضي له ، ولا رأيت رجلاً قطُّ أحزم منه نائماً ومستيقظاً ، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام . وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّاً مملوءاً لبناً ، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة ، وبسط الأخرى ، فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى العُسّ : شربه ثم مجّه ، فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت ، فأستريح منه . فانتبه من نومه ، فقال : عليّ بالإناء ، فناولته ، فشمّه فاضطربت يداه ، حتى سقط الإناء فأهَريق . وذلك كلّه بأذن سَدُوس . فلمّا نامت الأحراس خرج يسري ليلته ، حتى صَبَّحَ ؛ حُجراً . فقال : [من الوافر]

أتاك المرجفون برجم غيبٍ ... على دَهَش وجئتك باليقينِ
فمن يَكُ قد أتاك بأمر لبْس ... فقد آتي بأمر مُستبينِ

1 فدرة : قطعة .

ثم قصّ عليه جميع ما سمع .

فأسف ونادى في الناس : الرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة . وعرفه سدوس ، فحمل عليه ، فاعتنقه وصرعه فقتله . وبصُر به عمرو بن معاوية ، فشدّ عليه ، فأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلَبه ، وأخذ حُجْر هنداً فربطها بين فرسين ، ثم ركضا بها حتى قَطَّعاها قطعاً .

هذه رواية ابن الكلبيّ .

وأمّا أبو عبيدة فإنّه ذكر أنّ ابن الهَبولة لمّا غنم عسكر حُجر ، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم ، وأُمّ أُناس بنت عوف بن محلّم الشيبانيّ ، وهي أُمّ الحارث بن حُجر وهند بنت حُجر ، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن أبي خازم[1] : [من الكامل]

فإلى ابـن أُمّ أُناسَ أُعْمِل ناقتي عمرٍو فتنجَحُ حاجتي أم تُرْجَفُ
مَلِك إذا نـزل الوفـودُ ببابـه غَرَفوا غواربَ مُزْبِد ما يُنزَفُ

قال : وبنتها هند هي التي تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخميّ . قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم ، ويتصيّد في المسير ، ولا يمرّ بوادٍ فيعجبه إلاّ أقام به يوماً أو يومين ، حتى أتى على ضَرِيَّة ، فوجدها مُعْشِبة ، فأعجبته ، فأقام بها أيّاماً . وقالت له أُمّ أُناس : إنّي لأرى ذات وَدَك[2] ، وسوء دَرَك ، كأنّي قد نظرت إلى رجل أسود أدلم ، كأنّ مشافره مشافر بعير آكِل مُرار قد أخذ برقبته ؛ فسُمِّي حُجْر آكلَ المُرار بذلك . وذكر باقي القصّة نحو ما مضى .

وقال في خبر ابن الهَبولة : إنّ سَدوساً أَسَرَه ، وإنّ عمرو بن معاوية لمّا رآه معه حسده ، فطعنه فقتله : فغضب سَدوس لذلك ، وقال : قتلت أسيري وديتُه دية الملوك . وتحاكما إلى حُجْر ، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ؛ وأعانهم في ذلك بماله . وقال سَدُوس في ذلك يعاتب بني شيبان : [من الكامل]

مـا بعدُكم عيشٌ ولا مَعكُمْ عيشٌ لذي أَنف ولا حَسَبِ
لـولا بنو ذهل وجَمْعُ بني قيسٍ وما جَمَّعْتُ من نَشَبِ
مـا سُمْتُموني خُطَّة غَبَنـاً وعلى ضَرِيَّـة رمتمُ غَلَبي

قال : وقد رُوِي أنّ حُجْراً ليس بآكل المُرار ، وإنّما أبوه الحارث آكل المُرار . ورُوِي أيضاً

1 ديوان بشر بن أبي خازم : 155 وفيه «أو ترحف» .

2 الودك : الدسم من اللحم أو الشحم .

أنّه إنّما سُمِّي آكلَ المُرار لأنّ سَدوساً لمّا أتاه بخبر ابن الهَبولة ومداعبته لهند ، وأنّ رأسَه كان في حجرها ، وحدَّثه بقولها وقوله ، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار ، وهو نبت شديد المرارة ، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير . فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنّه يأكله من شدّة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث ، فعلِم حينئذٍ بذلك ، ووجد طعمه ، فسُمِّي يومئذٍ آكلَ المُرار .

قال ابن الكلبيّ : وقال حُجْر في هند : [من الخفيف]

لَمن النارُ أُوقِدَتْ بحَفيرِ   لم تَنمْ عند مُصْطلٍ مَقْرورِ
أوقدتْها إحدى الهنود وقالت   أنت ذا مُوثَقٌ وَثاق الأسيرِ
إنّ من غَرّه النساء بشيء   بعدَ هند لجاهلٌ مغرورُ

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدّماً وفيها الغناء .

صوت

[من الكامل]

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه   وتفرّقت فِرَقاً به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندمل الهَوى   برقٌ تألَّقَ مَوْهناً لَمَعانُهُ
يبدو كحاشية الرِداء ودونه   صعبُ الذُّرى متمنّعٌ أركانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه   والماء ما جادت به أجفانُهُ[1]

الشعر لمحمد بن صالح العَلَوِيّ . والغناء لرذاذ ، ويقال إنّه لبنان . خفيف ثقيل . وفيه ثقيل أوّل ، يقال إنّه لأبي العَنْبَس ، ويقال إنّه للقاسم بن زُرزور . وفيه لعمرو الميدانيّ رمل طُنبوريّ ، وهو لحن مشهور .

1 جادت به في ل : سمحت .

[337] ـ أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه[1]

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب . ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازيّ ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته المتقدّمين . وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابنَي عبد الله بن حسن بن حسن الحِجازيين الخارجيين في أيّام المنصور ، أمّهم جميعاً هند بنت أبي عُبيدة .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العَلوِيّ قال : حدَّثني الزبير بن بكّار : أنّ هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستّون سنة . قال : ولا تحمل لستّين إلاّ قرشيّة ، ولا تحمل لخمسين إلاّ عربيّة . قال : وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة ، وله تقول أمّه هند : [من الرجز]

إنّكَ أَنْ تكونَ جَوْناً أنزعا   أجدرُ أن تضرَّهُمْ وتنفَعا
وتسلكَ العيش طريقاً مَهْيعا   فرْداً من الأصحاب أو مُشَيَّعا

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زماناً ، ثم ظَفر به أبو جعفر ، فضربه بالسوط ، وحبسه مدّة ، ثم عفا عنه وأطلقه .

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها .

[خرج على المتوكّل]

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكّل مع مَن بَيَّض في تلك السنة ، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو السَّاج ، فأخذهم وقيَّدهم ، وقتل بعضهم ، وأخرب سُوَيقة ، وهي منزل للحسَنِيِّين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وقَعَر بها نَخلاً كثيراً ، وحَرَّق منازل لهم بها ، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة ، وحُمِل محمد بن صالح فيمن حُمِل منهم إلى سرَّ مَنْ رأى . فحُبِس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكّل ، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنّي في شعره المذكور ، فطرب ، وسأل عن قائله فعرفه ، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه .

1 ترجمة محمد بن صالح العلوي في مقاتل الطالبيّين : 600–614 ومعجم المرزبانيّ : 380 والوافي 3 : 154 والفوات 3 : 392 والنجوم الزاهرة 2 : 256 وانظر أعلام الزركليّ .

[حبسه ووفاته]

وأخبرني محمد بن خلف وكِيع قال : حدَّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال : أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى ، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم ، في شيء من أمور السلطان . وكان محمد بن صالح قد خرج بسُوَيقة ، فصار أبو السَّاج إلى سُوَيقة ، فأسلمه عمّه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو السَّاج الأمان ، فطرح سلاحه ، ونزل إليه فقيّده ، وحمله إلى سُرّ مَنْ رأى ، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين ، ثم أُطلق ، وأقام بها إلى أن مات . وكان سبب موته أنّه جُدِر ، فمات في الجُدَرِيّ ، وهو الذي يقول في الحبس : [من الكامل]

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانه ... وتشعّبتْ شُعَباً به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى ... بَرْقٌ تألَّق مَوْهِناً لَمَعانُهُ
يبدو كحاشية الرِّداء ودونَهُ ... صعْب الذُّرا متمنِّعٌ أركانُهُ
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظراً إليه وردّه سَجّانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماءُ ما سَحَّت به أجفانُهُ[1]
ثم استعاذ من القبيح وردَّهُ ... نحوَ العزاء عن الصِّبا إيقانُهُ
وبدا له أنّ الذي قد ناله ... ما كان قدَّره له دَيَّانُهُ
حتى اطمأنّ ضميرُه وكأنّما ... هتكَ العلائقَ عاملٌ وسنانُهُ[2]
يا قلبُ لا يذهبْ بحلمك باخلٌ ... بالنَّيْل باذِلُ تافهِ مَنّانُهُ
يَعِدُ القضاءَ وليس ينجز مَوْعِداً ... ويكونُ قبل قضائه لَيّانُهُ[3]
خَدِلُ الشَّوى حَسَن القَوام مُخَصَّر ... عذبٌ لَمَاهُ طيِّبٌ أردانُهُ
فاقنع بما قسم الإله فأمرُهُ ... ما لا يزال على الفتى إتيانُهُ
والبؤس ماضٍ ما يدوم كما مضى ... عصرُ النَّعيمِ وزال عنك أوانُهُ

[شجاعته]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا ، فأقمنا إلى أن انتصف الليل ، وأنا أرى أنّه يبيت . فإذا هو قد قام ،

1 سحت في ل : سمحت .
2 عامل الرمح : صدره .
3 ليان : مخلف الوعد .

فتقلّد سيفه ، وخرج ، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المُقام والمبيت ، وأعلمته خوفي عليه ، فالتفت إليّ مبتسماً وقال : [من الطويل]

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أُهَلْ ... لِشيءٍ ولَم تَقْرَع فؤادي القوارِعُ

[الجواري الباكيات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : مرَّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكّل ، فرأى الجواري يلطمن عنده ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

رأيت بسامَرّا صَبيحةَ جمعة ... عيوناً يروق الناظرين فُتورُها
تزور العِظام البالياتِ لدى الثَّرى ... تَجاوزَ عن تلك العظام غَفُورُها
فلولا قضاءُ الله أن تَعْمُرَ الثرى ... إلى أن يُنادى يوم يُنْفَخُ صُورُها
لقلتُ عساها أن تَعِيش وأنّها ... ستُنْشَرُ من جَرّا عيونٍ تزورُها
أسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ ... شُؤون المآقي ثم سَحّ مَطيرها
بوبْلٍ كأتْوام الجمان يُفيضُه ... على نحرها أنفاسُها وزفيرها
فيا رحمةً ما قد رحمتِ بَواكِياً ... ثقالاً تواليها لِطافاً خُصورها

[يخطب فيرد ثم يعاود فيجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبِّر قال ، جاءني محمد بن صالح الحسَني ، فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرِّيّ ، أو أخته حَمدونة . ففعلت ذلك ، وصرت إلى عيسى ، فسألته أن يجيبه ، فأبى ، وقال لي : لا أكذبك ، والله ما أرده لأنّني لا أعرف أشرف وأشهر منه لَمن يصاهره ، ولكنّي أخاف المتوكّل وولده بعده على نعمتي ونفسي ، فرجعت إليه ، فأخبرته بذلك ، فأضرب عن ذلك مدّة ، ثم عاودني بعد ذلك ، وسألني معاودته ، فعاودته ورَفَقْت به ، حتى أجاب ، فزوّجه أخته ، فأنشدني بعد ذلك محمد : [من الطويل]

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردَّني ... فلِلّهِ والي حُرَّة وعَليقُها
لقد ردَّني عيسى ويعلم أنّني ... سليلُ بنات المصطفى وعريقها
وإن لنا بعد الولادة نبعةً ... نبيُّ الإله صِنوُها وشقيقُها
فلمّا أبى بُخلاً بها وتمنُّعاً ... وصيَّرني ذا خُلَّة لا يُطِيقها
تداركني المرءُ الذي لم يزل له ... من المكرُمات رحبُها وطليقُها

سَمِيُّ خليلِ اللهِ وابنُ وليه وحَمّالُ أَعباءِ العُلا وطريقُها
وزوَّجَها والمنُّ عندي لغيره فيا بيعةً وفَّتْنيَ الربح سوقُها
ويا نعمةً لابن المدبِّر عندنا يجِدّ على كرِّ الزّمان أَنيقها

[مغرم في زوجته]

قال ابن مهرويه : قال لي إبراهيم بن المدبر : فلمّا نُقِلت حمدونة إليه شُغف بها ، وكانت امرأة جميلة عاقلة ، فأنشدني لنفسه فيها : [من السريع]

لعمرُ حمدونةَ إنّي بها لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامْ
مجاوز للقدرِ في حُبِّها مباينٌ فيها لأَهل الملامْ
مُطَّرِحٌ للعذل ماضٍ على حماقة النفس وهولِ المَقامْ
مُشايعي قلب يخاف الخَنا وصارمٌ يقطع صُمّ العظامْ
جَشَّمني ذلك وَجْدي بها وفضلُها بين النساء الوِسامْ
ممكورة الساقِ رُدَيْنِيَّةٌ مع الشَّوى الخَدْلِ وحسن القَوامْ
صامتة الحِجْل خَفوق الحَشا مائِرة الساق ثَقالُ القِيامْ
ساجية الطَّرْف نئوم الضُّحى منيرة الوجه كبَرْقِ الغَمامْ
زيّنها اللهُ وما شانَها وأُعطيت مُنيتَها من تَمامْ
تلك التي لولا غرامي بها كنتُ بسامرًّا قليلَ المُقامْ

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر ، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة .

[قصّته مع حمدونة قبل زواجه منها]

وحدَّثني عمّي عن أَبي جعفر بن الدّهقانة النديم قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال : جاءني يوماً محمد بن صالح الحسَنيّ العلويّ بعد أن أُطلِق من الحبس ، فقال لي : إنّي أُريد المُقام عندك اليوم على خلوة ، لأَبُثّك من أمري شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا . فقلت : أفعل . فصرفت مَن كان بحضرتي ، وخلوت معه ، وأمرت بردّ دابّته ، وأَخذ ثيابه ؛ فلمّا اطمأنّ وأَكلنا واضطجعنا ، قال لي : أُعلمك أنّي خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفُلانية ، فقاتلنا مَن كان فيها ، فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينا أنا أحوزُها وأُنيخ الجمال ، إذ طلعت عليّ امرأة من العَماريّة ، ما رأيت قطّ أحسن منها وجهاً ، ولا أحلى منطقاً ، فقالت : يا فتى ، إن رأيتَ أن تدعوَ لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش . فقلت : وقد رأيتِه وسمِع كلامك . فقالت : سألتك بحقّ الله وحقّ رسوله ﷺ أنت هو ؟ فقلت : نعم

وحقّ الله وحقّ رسوله إنّي لهو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرِّي ، ولأبي محلٌّ من سُلْطانه ، ولنا نِعمة ، إن كنت ممّن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ ، وما أسألك إلاّ أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالاً ، وهذا حَلْيٌ عليّ من خمس مئة دينار ، فخذه وضَمِّنّي ما شئت بعده ، آخذه لك من تجار المدينة أو مكّة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عنّي ، واحمني من أصحابك ، ومن عار يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً ؛ فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها . ثم خرجت فناديت في أُصحابي ، فاجتمعوا فناديتُ فيهم : إنّي قد أجرت هذه القافلة وأهلها ، وخَفَرتها وحميتُها ، ولها ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّتي ، فمَن أخذ منها خيطاً أو عقالاً[1] فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معي ، وانصرفت .

فلمّا أُخِذت وحُبِست ، بينا أنا ذات يوم في مَحبِسي إذ جاءني السَّجّان وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنّهما من أهلك ، وقد حُظِر عليّ أن يدخل عليك أحد ، إلاّ إنّهما أعطتاني دُمْلُج ذَهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد أذِنت لهما ، وهما في الدّهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكّرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب ، لا أعرف أحداً ، ثم قلت : لعلّهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتي ، فلمّا رأتني بكت لمّا رأت من تغيّر خَلْقي ، وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأُخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : إيْ والله ، إنّه لهو هو ، ثم أقبلت عليّ فقالت : فِداك أبي وأُمّي ، والله لو استطعت أن أَقيكَ ممّا أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت ، وكنتَ بذلك منّي حقيقاً ، ووالله لا تركتُ المعاونة لك ، والسعي في حاجتك ، وخلاصك بكلّ حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطِيب ، فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كلّ يوم بما يصلحك ، حتى يفرِّج الله عنك . ثم أخرجت إليّ كِسوة وطيباً ومائتي دينار ، وكان رسولها يأتيني في كلّ يوم بطعام نظيف ، وتُواصل برَّها بالسَّجّان ، فلا يمتنع من كلّ شيء أريده .

فمنّ الله بخلاصي ، ثم راسلتها فخطبتها ، فقالت : أمّا من جهتي فأنا لك متابعة[2] مطيعة ، والأمر إلى أبي ، فأتيته ، فخطبتها إليه ، فردّني ، وقال : ما كنت لأحقّق عليها ما

1 ل : مخيطاً .

2 ل : سامعة .

قد شاع في الناس عنك في أمرها ، وقد صيرتَها فضيحة . فقمت من عنده منكّساً[1] مسْتَحِياً ، وقلت له في ذلك : [من الطويل]

رَمَوْني وإيّاها بشنعاءَ هُمْ بها أحقّ أدال الله منهمْ فعجَّلا
بأمــر تركنــاه وربِّ محمد عِيانــا فإمّــا عِفّة أو تجمُّلا

فقلت له : إنّ عيسى صنيعة أخي ، وهو لي مطيع ، وأنا أكفيك أمره .

فلمّا كان من الغد لقيتُ عيسى في منزله ، وقلت له : قد جئتك في حاجة لي ؛ فقال : مَقْضيّة ، ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبّه لأمرتني فجئتك ، وكان أسرَّ إليّ . فقلت له : قد جئتك خاطباً إليك ابنتك . فقال : هي لك أمَة ، وأنا لك عبد ، وقد أجبتك . فقلت : إنّي خطبتها على مَن هو خير منّي أباً وأمّاً ، وأشرف لك صهراً ومُتَّصلاً ، محمد بن صالح العَلوِيّ . فقال لي : يا سيّدي ، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنّة ، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى ، والحمد لله . قلت : فكأنّها لم تقل ، وإذا وقع النّكاح زال كلّ قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق بـه حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوّجته ، وسُقْت الصَّداق عنه .

[مديح صديق]

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة ، لمّا أولاه من هذا الفعل ، ولصداقة كانت بينهما ، فمن جيد ما قاله فيه قوله : [من الوافر]

أتخبِر عنهم الدِّمَنُ الدُّثور وقد يُنبي إذا سُئل الخبيرُ
وكيف تُبَيِّنُ الأنباءَ دارٌ تعاقَبَها الشمائلُ والدَّبُورُ

يقول فيها في مدحه :

فهلاّ في الذي أولاكَ عُرْفاً تُسَدِّي من مقالك ما تُنِيرُ[2]
ثناءٌ غيرَ مختلَق ومَدْحاً مع الركبان يَنْجد أو يَغُورُ
أخ واساك في كَلَب الليالي وقد خذَل الأقاربُ والنصيرُ
حِفاظاً حين أسلمك الموالي وضَنّ بنفسه الرجلُ الصبورُ
فإن تشكر فقد أولى جميلاً وإن تكفر فإنّك لَلْكَفورُ

---

1 ل : منكسراً .

2 تسدي وتنير من ألفاظ نسج السدى واللحمة .

وما في آل خاقان اعتصامٌ إذا ما عُمِّم الخَطْبُ الكبيرُ
لئام الناس إثراءً وفقراً وأعجزُهم إذا حمي القَتيرُ
قُوَيْم لا يزوّجهمْ كريمٌ ولا تُسْنى لنسوتهم مُهورُ

وإنّما ذكر آل خاقان ههنا لأنّ عبيد الله بن يحيى قَصَّر به وتحامل عليه ، وكان يقول ما يكره ، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه ، وكان فيه وفي ولده نَصْب[1] شديد .

ولمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة ، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب .

[صداقة بين شاعرين]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال : كان محمد بن صالح العلويّ حُلْو اللسان ، ظريفاً أديباً ، فكان بسُرَّ من رأى مخالطاً[2] لسَراة الناس ، ووجوه أهل البلد ، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حُمَيد ، وكانا يتقارضان الأشعار ، ويتكاتبان بها . وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلويّ : [من الطويل]

أصاحِبُ من صاحبتَ ثُمَّتَ أَنثَني إليك أَبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أَبى القلبُ أن يُرْوى بهمْ وهو حائمٌ إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا
ولكن إذا جئناكَ لم نبغ مَشرَباً سِواك ورَوَّيْنا العظامَ الصَّواديا

قال عبد الله بن طالب : وكان بعض بني هاشم دعاه ، فمضى إليه ، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه ، فأُخبِر بموضعه عند الهاشميّ ، فلمّا عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه ، فكتب إليه بهذه الأبيات .

قال عبد الله : وشرب يوماً هو وسعيد بن حُميد ، فسكر محمد بن صالح قبله ، فقام لينصرف ، والتفت إلى سعيد وقال له : [من الوافر]

لعمرُك إنّني لمّا افترقنا أَخو ضِنٍّ بخُلْصاني سعيدِ
تبقَّته المدامُ وأَزعجتني إلى رحلي بتعجيل الورودِ

[سعيد بن حميد يرثيه]

قال : وتوفّي محمد بن صالح بسُرّ من رأى ، وكان يَجْهد في أن يُؤْذن له في الرجوع إلى الحجاز ، فلا يجاب إلى ذلك ، فقال سعيد يرثيه : [من الطويل]

---

1 النصب : كره لآل علي وعداوة .
2 ل : مألفة .

بأيّ يـد أَسطو على الدهرِ بعدما ... أَبان يدي عضْبُ الذُّبابين قاضبُ
وهاضَ جَناحي حادثٌ جَلَّ خطبُه ... وسُدَّت عن الصبر الجميل المذاهبُ
ومـن عـادة الأيّام أَنَّ صُروفها ... إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
لعمري لقـد غـال التجلدَ أَنّنا ... فقدناك فقد الغيث والعامُ جادبُ
فمـا أَعـرفُ الأيّامَ إلاّ ذميمةً ... ولا الدَّهرَ إلاّ وهو بالثأرِ طالبُ
ولا لي من الإخوان إلاّ مكاشِرٌ ... فوجّه لـه راضٍ ووجّه مُغاضِب
فقدتُ فتًى قد كان للأَرض زِينة ... كما زَيَّنَتْ وجهَ السماء الكواكبُ
لعمري لئن كان الردَى بك فاتني ... وكلُّ امرىء يوماً إلى الله ذاهبُ[1]
لقد أخذتْ منِّي النوائبُ حكمَها ... فما تركتْ حَقّـاً عـليَّ النوائبُ
ولا تركتني أرهبُ الدهـرَ بعدَه ... لقـد كلَّ عنّـي نابـُه والمخالبُ
سقى جَدَثاً أَمسى الكريمُ ابنُ صالح ... يَحُلّ به ، دانٍ من المُزن ساكبُ
إذا بشَّرَ الرُّوادَ بـالغيث برقـه ... مَرَتْه الصَّبا واستحْلبته الجنائبُ
فغادر باقـي الدَّهـر تأثيرُ صَوْبه ... رَبيعاً زَهَت منه الرُّبـا والمَذانبُ[2]

[المتوكّل يطلقه من الحبس لشعره]

أَخبرني أَحمد بن جعفر جَحْظة قال : حدَّثني المبرّد قال : لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى تَوَصّل بُنان له ، بأن غنَّى بين يدي المتوكّل في شعره : [من الكامل]

وبدا لـه من بعد مـا اندمل الهوى ... بـرق تألّـق مَوْهِنـاً لمعانُـهُ

فاستحسن المتوكّل الشعرَ واللحن ، وسأل عن قائله ، فأُخبر به ، وكُلِّم في أمره ، وأحسنتِ الجماعة رِفْدَه ، وقام الفتح بأمره قياماً تامّاً . فأمر بإطلاقه من حبسه ، على أن يكون عند الفتح وفي يده ، حتى يقيم كفيلاً بنفسه أَلاّ يبرح من سُرَّ مَنْ رأى ، فأُطلِق ، وأخذ عليه الفتحُ الأيمان المُوَثَّقة ألاّ يبرح من سُرَّ مَن رأى إلاّ بإذنه ، ثم أطلقه .

[شكره المتوكّل على إطلاق سراحه]

ولمحمد بن صالح في المتوكّل والمنتصر مدائح جِياد كثيرة ، منها قوله في المتوكّل : [من الكامل]

أَلِـفَ التُّقى ووفى بنـذر الناذِرِ ... وأَبى الوقـوفَ على المحـلّ الداثرِ

---

1 امرىء في ل : فتى .

2 فغادر باقي في ل : فغا وربا في الدهر

ولقدْ تَهيج لـه الديـارُ صبابةً ... حيناً وتَكَلُّف بالخليط السائرِ
فـرأى الهدايـةَ أن أناب وأنّهُ ... قصرَ المديحَ على الإمامِ العاشرِ
يـا ابن الخلائف والذين بهَديهمْ ... ظهـرَ الوفـاء وبانَ غـدرُ الغادرِ
وابنَ الذين حَـوَوْا تُراث محمدٍ ... دون الأقـارب بالنصيب الوافرِ
نَطَـق الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقاً ... ومضتْ بـه سُنَنُ النبيّ الطاهرِ
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدى ... إذ نِلْتهـا وأنمـتَ عـين الساهرِ
أحييتَ سنة مَن مضى فتجدّدتْ ... وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسرِ
فافْخـر بنفسك أو بجَـدِّك مُعْلِناً ... أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ
مـا للمكارم غيرُكُم مـن أولٍ ... بعـدَ النبيِّ ومـا لَها مـن آخـرِ
إنّي دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي ... والمـوتُ منّـي قِيدُ شِبْر الشابرِ
فانتَشتَني مـن قَعْر مَوْرِدة الردى ... أمْنا ولم تسمع مقالـةَ زاجرِ[1]
وفككتَ أسري والبـلاءُ مُوَكَّل ... وجبرتَ كَسْراً ما لـه من جابرِ
وعطفتَ بالرَّحِم التي ترجُو بها ... قربَ المحَـلِّ مـن المليكِ القادرِ
وأنا أعوذ بفضل عفوِك أن أُرى ... غَرَضاً يبابـك للمُلـمِّ الفاقرِ[2]
أو أن أُضَيَّـع بعدمـا أنقذتَني ... مـن رَيب مُهْلِكة وجَـدٍّ عاثرِ
ولقد مننتَ فكنـتَ غيرَ مكدِّرٍ ... ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكرِ

[هجاؤه أبا السَّاج]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدَّثنا الفضل بن سعيد بن أبي حَرْب قال: حدَّثني أبو عبد الله الجُهَنيّ قال: دخلت على محمد بن صالح الحَسَني في حبس المتوكّل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا السَّاج[3]: [من الوافر]

ألَم يحزنـكِ يا ذلفاءُ أنّي ... سكنتُ مساكن الأموات حَيّا
وأنَّ حمائـلي ونجـادَ سَيفي ... علـونَ مُجَدَّعـاً أشْرُوسَنيّا
فقصَّرَهنّ لّمـا طُلْنَ حتى اسـ ... ـتوين عليـه لا أمْسى سَوِيّا

1 أمنا في ل: منّاً.

2 الملم الفاقر: الحادث الذي يكسر فقار الظهر.

3 أبو السَّاج الأشروسني: أحد قواد المعتمد.

أمّا والراقصاتِ بـذات عرقٍ   تريـدُ البيت تحسبهـا قِسِيا
لَوَ امكنـنـي غداتئذٍ جِـلادٌ   لألفـوني بـه سَمْحاً سَخِيّا

[غزل وحنين]

قال ابن عمّار : وأنشدني عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمّد بن صالح أيضاً : [من الطويل]

نظرتُ ودوني مـاءُ دجلة مَوْهِناً   بمطروفـة الإنسان محسورة جدّا
لتُؤْنس لي نـاراً بليـلٍ توقّدَتْ   وتالله مـا كلفتها نظراً قَصْدا[1]
فلـو أنّها منهـا لقلتُ كأنّني   أرى النارَ قد أمست تضيء لنا هِنْدا
تضيء لنـا منهـا جَبيناً ومَحْجِراً   ومبتسَماً عَذْباً وذا غُـدَر جَعْدا

انقضت أخباره .

صوت

[من الخفيف]

يـا عديّـا لقلبكَ المهتاجِ   أن عفا رسمُ منزلٍ بالنّباجِ[2]
غيرتـه الصَّبا وكُلُّ مُلِـثٍّ   دائم الودقِ ذي أهاضيبَ داجِ[3]
وحملنـا غلامَنـا ثـم قُلْنا   هاجرُ العِيس ليس منك بناجِ
فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْنٍ   جَوَّعتـه القُنّـاص للدُّرّاجِ

الشعر لأبي دُواد الإياديّ . والغناء لحنين ، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن عائشة . وفيه لعَريب هزج . وفيه ثقيل أوّل ، ينسب إلى يزيدَ الحَذّاء[4] ، وإلى أحمد النَّصيبيّ .

1 بليل توقدت في ل : بقلبك أوقدت .
2 النباج : مكان .
3 الملث : المطر . الودق : لمعان البرق . والأهاضيب : دفعات المطر .
4 الحذاء في ل : الحوراء .

[338] ـ ذكر أخبار أبي دواد الإياديّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو فيما ذكر يعقوب بن السكّيت : جارَية بن الحجّاج . وكان الحجّاج يلقّب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ . وقال ابن حبيب هو جارَية بن الحجّاج أحد بني بُرْد بن دُعْميّ بن إياد بن نزار . شاعر قديم من شعراء الجاهليّة ، وكان وصّافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك ، إلاّ أنّ شعره في وصف الفَرَس أكثر وأشهر .

[جار أبي دواد]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ ، عن أبيه ، والشَّرْقيّ : أنّ أبا دُواد الإياديّ مدح الحارث بن همّام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبي دُواد وهو في جواره فوَدَاه ، فمدحه أبو دُواد ، فحلف له الحارث أنّه لا يموت له ولد إلاّ وَدَاه ، ولا يذهب له مال إلاّ أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبي دُواد ، وفيه يقول قيس بن زهير : [من الوافر]

أُطوِّف مــا أُطوِّفُ ثم آوي   إلى جـــار كجـار أبي دُوادِ[2]

هذه رواية هؤلاء ؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك .

أخبرني ابن دريد قال : أخبرني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : جاور أبو دُواد الإيادي كعب بن مامة الإياديّ ، فكان إذا هلك له بعير وَدَاه وإذا هلك له شاة أخلفها ، وفيه يقول طَرَفة يمدح عمرو بن هند :

جارٌ كجار الحُذاقيّ الذي انتصفا[3]

وكان لأبي دواد ابن يقال له دُواد شاعر ، وهو الذي يقول يرثي أباه : [من البسيط]

فبات فينـــا وأمسى تحتَ هائرة   ما بعد يومك مَن مُمْسًى وإصباحِ[4]

---

1 لأبي دواد الإيادي ترجمة في الشعر والشعراء : 161–163 وخزانة البغدادي 9 : 590–592 والعيني 2 : 391 وشرح شواهد المغني : 124 وبروكلمان 1 : 118 وقد جمع ديوانه وترجم له غرنباوم في «دراسات في الأدب العربي» : 243–353 تحقيق إحسان عبّاس .

2 المثل «جار كجار أبي دواد» في مجمع الميداني 1 : 163 والدرة الفاخرة 1 : 130 .

3 صدر البيت : «إني كفاني من همّ هممت به» . والحذاقي : أبو دواد نسبة إلى حذاق قبيلته .

4 هائرة في ل : هاوية ، والهائرة : الحفرة .

لا يدفع السُّقْمَ إلاّ أَنْ نُفَدِّيَهُ ولو ملكنا مسكنا السُّقْم بالرّاحِ

[زوجته تحرّضه على إبعاد ابنه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني عليّ بن الصباح قال : أخبرنا أبو المنذر ، عن أبيه قال : تزوّج أبو دُواد امرأة من قومه ، فولدت له دُواداً ثم ماتت ، ثم تزوّج أخرى ، فأولعت بدُواد ، وأمرت أباه أن يجفوَه ويبعده ، وكان يحبّها ، فلمّا أكثرت عليه قالت : أخرجه عنّي ، فخرج به وقد أردفه خلفه ، إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شيء ، فألقى سوطه متعمداً ، وقال : أيْ دُواد ، انزل فناولني سَوْطي . فنزل ، فدفع بعيره وناداه : [من الكامل]

أدوادُ إن الأمر أُصبح ما ترى فانظر دوادُ لأيّ أرض تَعْمِدُ ؟

فقال له دُواد : على رِسْلك . فوقف له فناداه : [من الكامل]

وبأيّ ظنّك أن أُقيمَ ببلدةٍ جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ[1]

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابني حقّاً ، ثم ردّه إلى منزله ، وطلّق امرأته .

[زوجه تلومه على تبديد المال]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن أبي عمرو الشيبانيّ قال : كانت لأبي دُواد امرأة يقال لها أُمّ حَبْتر ، وفيها يقول : [من الخفيف]

أصبحت أُمّ حَبترٍ تشكوني في ثلاثين ذعْذَعتها حقوقٌ[2]

زعمت لي بأنّني أُفسد الما لَ وأزويه عن قضاء ديوني

أَمَّلت أن أُكون عبداً لمالي وتَهَنَّا بنافع المال دوني

وهي طويلة . قال : ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعْتبها ، فصرمته : [من مجزوء الكامل]

حاولتُ حين صَرَمْتِني والمرءُ يعجز لا محالَهْ[3]

والدهر يلعب بالفتى والدّهر أروغُ من ثُعالَهْ[4]

---

1 تلدد : تلبث .

2 ذعذعتها : بددتها .

3 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 وفصل المقال : 299 ومستقصى الزمخشري 1 : 346 .

4 المثل «أروغ من ثعالة» في مجمع الميداني 1 : 317 والدرة الفاخرة 1 : 209 وجمهرة العسكري 1 : 473 ومستقصى الزمخشري 1 : 248 .

والمــرء يكسِب مالَــهُ والشُّحّ يُورِثُــهُ الكَلالَهْ
والعبـدُ يُقْـرع بـالعصا والحـرُّ تكفيـه المقالَهْ[1]
والسَّكْـت خير للفتـى فالحَيْنُ مـن بعض المقالَهْ

[وصّافو الخيل]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبي عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقاربهم أحد : طُفَيل ، وأبو دواد ، والجَعديّ . فأمّا أبو دُواد فإنّه كان على خيل المنذر بن النُّعمان بن المنذر . وأمّا طُفَيل فإنّه كان يركبها وهو أغرَل[2] إلى أن كبر . وأمّا الجعديّ فإنّه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدَّثني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : أبو دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهليّة والإسلام ، وبعده طُفَيل الغنويّ والنابغة الجعديّ .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن ابن الأعرابيّ قال : لم يصف أحد قَطُّ الخيل إلاّ احتاج إلى أبي دُواد ، ولا وصف الحمر إلاّ احتاج إلى أوس بن حَجَر ، ولا وصف أحد نعامة إلاّ احتاج إلى علقمة بن عَبَدة ، ولا اعتذر أحد في شعره إلاّ احتاج إلى النابغة الذبيانيّ .

[رأي في أشعر الناس]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال : حدَّثنا عُيينة بن المنهال قال : حدَّثنا شدّاد بن عبيد الله قال : حدَّثني عبيد الله بن الحرّ العَنَزيّ القاضي ، عن أبي عَرادة قال : كان عليّ صلوات الله عليه يُفْطِر الناسَ في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العَشاء تكلّم ، فأقلّ وأوجز ، فأبلغ . فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس ، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤَلي : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود ، وكان يتعصّب لأبي دُواد الإياديّ : أشعرهم الذي يقول : [من الخفيف]

ولقـد أغتـدِي يدافـعُ رُكني أُحْوَذِيٌّ ذو مَيْعـة إضْريجُ[3]

1 المثل «العبد يقرع بالعصا . والحر تكفيه الإشارة» في مجمع الميداني 2 : 19 .
2 أغرل : صبي لم يختن .
3 الأحوذي : الذي يسوق الإبل بسرعة . وفي الديوان أجولي ، وهو الفرس الجوال السريع . الميعة : النشاط والسرعة . والاضريج : السريع .

مِخْلطٌ مِزْيَــلٌ مِكَــرٌّ مِفَــرّ مِنْفَح مِطْرَح سَبوحٌ خَروجُ[1]
سَلْهَــبٌ شَرْجَبٌ كأنَّ رِماحاً حَمَلَتْــه وفي السَّراة دُمــوجُ[2]

وكان لأبـي الأسود رأي في أبي دُواد ، فأقبل عليّ على النّاس ، فقال : كلّ شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد في القول ، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك ، وكلّهم قد أصاب الذي أراد ، وأحسن فيه ، وإن يكن أحد فَضَلَهم ، فالذي لم يقل رَغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر ، فإنّه كان أصحّهم بادرة ، وأجودهم نادرة .

[إحجام الرواة عن رواية شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أبيه ، عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : كانت الرواة لا تروِي شعر أبي دواد ولا عديّ بن زيد ، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[3] ، قال : وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء ، فأكثر وصفه للخيل .

[تبرك الإياديين بناقته الزباء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني ابن أبي الهَيذام قال : اسم أبي دواد الإياديّ جُوَيريّة بن الحجّاج . وكانت له ناقة يقال لها الزَّبّـاء ، فكانت بنو إياد يتبرّكون بها . فلمّا أصابتهم السنة تفرّقوا ثلاث فرق ، فرقة سلكت في البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلِمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل ، فنزلوا على الحارث بن هَمّام .

وكان السبب في ذلك أنّـهم أرسلوا الزَّبـّاء ، وقالوا إنّها ناقة ميمونة ، فخلُّوها ، فحيث توجّهت فاتّبعوها . وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة . فخرجت تخوض العرب ، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن هَمّام ، وكان أكرم الناس جواراً ، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل . فقال أبو دواد يمدح الحارث ، ويذكر ناقته الزَّبّاء : [من الكامل]

---

1 المثل «مخلط مزيل» في مجمع الميداني 1 : 75 يضرب للذي يخالط الأمور ويزايلها . وفي وصف الفرس أنه يحسن الجري ويأتي بفنون منه . ورواية البيت في الديوان :

مِخلَــطٌ مِزيَــلٌ معـنّ مغـنّ مِطرحٌ مِضْرَجٌ جموحٌ خروج

والخروج : الذي يسبق الخيل فيخرج من بينها . والمعن : الذي لا يرى شيئاً إلاّ عارضه .

2 السلهب : الطويل من الخيل . والشرجب : الطويل القوائم أو الفرس الكريم الجواد . والسراة : الظهر . والدموج : الإحكام والملاسة .

3 انظر الشعر والشعراء : 154 وموشح المرزباني : 103 والحجة في ذلك أنّ ألفاظهما حيرية وليست بنجدية . ثم يورد ابن قتيبة لعدي «أربع قصائد غرر» . وواضح من السياق أنّ هذا الإهمال مردّه عدم استشهاد علماء اللغة بألفاظهما .

فإلى ابن هَمّامِ بن مُـرّة أصعدتْ ظُعـنُ الخليط بهـم فقـلّ زِيالُها
أنعمــتَ نِعمــةَ ماجــد ذي مِنة نُصِبَت عليـه مـن العُـلا أظلالُها
وجعلتنا دون الــوليّ فأصبحت زبّــاءُ منقطعاً إليـك عِقالُها

[مفاخر إياد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا يحيى بن سعيد قال : كانت إيادُ تفخر على العرب ، تقول : منّا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنّا أشعر النّاس أبو دواد ، ومنّا أنكح النّاس ابن ألْغَز .

[ابن ألغز]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدَّثني القَحْذميّ قال : كان ابن أَلْغَزَ أَيِّرا ، فكان إذا أنعظ احتكّت الفِصال بأيره ، قال : وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال ، فجامعها ابن أَلْغَزَ ، فقالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فضرب بيده على أليتها وقال : ما هذا ؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضرب العربُ بها المثل : «أُريها استَها وتريني القَمَر»[1] . وأنشد ، وقد كان الحجّاج مَنَع من لحوم البقر خوفاً من قِلّة العِمارة في السواد ، فقيل فيه : [من المتقارب]

شكونا إليـه خـرابَ السوادِ فحـرَّم فينـا لُحـومَ البَقَرْ
فكنّا كمَـن قـال مِنْ قبلنا أُريهـا استَهـا وتريني القَمَرْ

[رأى الحطيئة في أشعر الشعراء]

أخبرني عمّي عن الكرانيّ ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه .

وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط قال : أخبرني التّوزيّ عن أبي عبيدة قال : كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة ، فتذاكروا الشعراء ، وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مُلَيكة ما تقول ؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ، ولا أنشدتم أجود الشعر . فقالوا : فمَن أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعدُّ الإقتار عُدمـا ولكن فقدُ مَـن قـد رُزِئته الإعْدامُ[2]

---

1 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 وقرب منه «أريها السها وتريني القمر» في جمهرة العسكري 1 : 142–143 . ومستقصى الزمخشري 1 : 147 .

2 هكذا رواية الديوان ، وبداية الشطر الأول في ل «ليس عدم الأموال عدماً . . .» .

والشعر لأبي دواد الإياديّ . قالوا : ثم مَن ؟ قال : ثم عَبيد بن الأبرص . قالوا : ثم مَن ؟ قال : كفاكم والله بي إذا أخذَتْني رغبة أو رهبة ، ثم عَوَيْت في إثْر القوافي عُواء الفصيل في إثر أمِّه .

[مباراة في وصف ثور]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن هَجّاس بن مَرير الإياديّ ، عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهليّة ، قال : بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة ، وإيّاد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دواد : [من مجزوء الكامل]

وبَـدَتْ لـــه أُذُن توجَّـ ـسُ حُـرَّةٌ وأَحمُّ وارِدْ[1]
وقوائـــمٌ عُــوجٌ لهـــا من خلفها زَمَع زوائِدْ[2]
كمقاعـــد الرُّقَبـاء للضُّـ ـرَباء أيديهــمْ نواهِدْ[3]

ثم قال : أنفِذِي يا أُمَّ دُواد ، فقالت : [من مجزوء الكامل]

وبَـدَتْ لـــه أُذُن تَوَجَّـ ـسُ حُرَّة وأَحمُّ مُولَقْ[4]
وقوائـــمٌ عُـــوج لهـــا مـــن خلفها زَمَع مُعَلَّقْ
كمقاعـد الرقبـاء للضُّـ ـرَبـاء أَيديهـــمْ تألَّقْ

ثم قال : أنفذْ يا دُواد . فقال : [من مجزوء الكامل]

وبـــدت لـــه أُذن تَوَجَّـ ـس حرّة وأحمّ مرهَفْ
وقوائـــم عـــوج لهـــا مـــن خلفها زمع ملفَّفْ
كمقاعـد الرقبـــاء للضّـ ـــرباء أيديهـــمْ تَلَقَّفْ

ثم قال : أنفذي يا دوادة[5] . قالت : وما أَقول مع مَن أخطأ . قالوا : ومن أين أخطأناه ؟ قالت : جعلتم له قرناً واحداً ، وله قرنان . قالوا : فقولي . قالت : [من مجزوء الكامل]

وبـدت لـــه أُذن تَوَجَّـ ـــسُ حـــرّة وأَحَمّتانْ

1 توجس : تستمع إلى الصوت الخفي . وحرة : مرهفة السمع . والأحم : القرن الأسود .
2 الزمغ : الشعر الذي في مؤخرة رجلَي الحيوان ، الواحدة زمعة .
3 الرقباء : الذين يرقبون القداح . والضرباء : الذين يضربونها .
4 مولق في ل : مذلق .
5 ل : دبدبة .

وقوائـــمٌ عُـــوجٌ لهـــا   مـــن خلفهـــا زَمَع ثَمانْ
كمقاعــد الرقبـــاء للضَّـ   ـــرباء أيديهـــمْ دَوانْ

[قتل رقبة البهراني أولاد أبي دواد الثلاثة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرني عمِّي عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه قال : كان أبو دُواد الإياديّ الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء . وإنّ أبا دواد نازع رجلاً بالحِيرة من بهْراء ، يقال له رَقَبة بن عامر بن كعب بن عمرو ، فقال له رقبة : صالحني وحالفني[1] . فقال أبو دواد : فمن أين تعيش إياد إذاً ، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت ، وانصرفا على تلك الحال .

ثم إنّ أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْرانيّ ، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر ، وأخبرهـم أنّ القوم ولدُ أبي دواد ، فخرجوا إلى الشام ، فلَقُوهم فقتلوهم . وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة ، فلمّا أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المنذر ، فقال له : قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً ، فأنا أُحبّ أن تتغدّى عندي ، فأتاه المنذر وأبو دواد معه ، فبينا الجِفان تُرفع وتوضع ، إذ جاءته جفنة عليها بعض[2] رؤوس بني أبي دُواد ، فوثب وقال : أبيت اللعن ! إنّي جارك ، وقد ترى ما صُنع بي ، وكان رقبة أيضاً جاراً للمنذر . فوقع المنذر منهما في سَوْأة ، وأمر برقبة فحبس ، وقال لأبي دواد : أما يرضيك توجيهي بكتيبتيّ الشهباء والدَّوسر إليهم ؟ قال : بلى . قال : قد فعلت . فوجّه إليهم بالكتيبتين .

فلمّا بلغ ذلك رقَبة قال لامرأته : ويْحَك ! الحقي بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلمّا قربت منهم تعرّت من ثيابها ، وصاحت وقالت : أنا النذيرُ العُرْيان[3] . فأرسلتها مثلاً . فعرف القوم ما تريد ، فصعدوا إلى أعالي الشام ، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً ، فقال المنذر لأبي دُواد : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أدِي كلّ ابن لك بمئتي بعير ، فأمر له بستّ مئة بعير ، فرضي بذلك ، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ : [من الوافر]

سأفعل مـــا بـــدا لِيَ ثـــم آوي   إلى جـــارٍ كجـــار أبي دُوادِ

1 ل : خالصني .
2 ل : أحد .
3 المثل «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخر : 84 .

صوت

[من الطويل]

ورَكْب كأطـراف الأسنّة عرّسوا على مثلهـا والليلُ داج غياهبُـهْ[1]
لأَمْـرٍ عليهـم أن تتـمّ صدورُه وليس عليهـم أن تتـمّ عواقبُـهْ

الشعر لأبي تمام الطائي . والغناء للقاسم بن زُرْزور ، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر . وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل .

أخبرني : إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه ، وحدَّثني المظفر بن كَيَغْلَغَ عن القاسم أيضاً : أنّ المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقّة في رقعة ، وهو أمير ، وأمر أن يصنع فيهما لحن . فصنع القاسم هذا اللحن ، وصنع جعفر خفيف الثقيل .

1 داج في ل وديوان أبي تمام : تسطو .

[339] ـ أخبار أبي تمام ونسبه[1]

[مذهبه في الشعر]

أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ ، من نفس طَيِّىء صَلِيبة . مولده ومنشؤه مَنْبج ، بقرية منها يقال لها جاسِم . شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غَوَّاص على ما يُستصعب منها ، ويعسُر مُتناوله على غيره . وله مذهب في المطابَق ، هو كالسابق إليه جميع الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسوك في جميع طرقه . والسليمُ من شعره النادر شيء لا يتعلّق به أحد . وله أشياء متوسطة ، ورديئة رَذْلة جدّاً .

[المتعالمون الذامون لشعره]

وفي عصرنا هذا مَن يتعصّب له فيفرِط ، حتى يفضلَه على كلّ سالف وخالف ، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه ، ويطوون محاسنه ، ويستعملون القِحَة والمكابرة في ذلك ، ليقول الجاهل بهم : إنّهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلاّ بأدب فاضل ، وعلم ثاقب . وهذا ممّا يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس ، وطلب معايبهم ، سبباً للترفُّع ، وطلباً للرياسة . وليست إساءة من أساء في القليل ، وأحسن في الكثير ، مُسْقطةً إحسانه ؛ ولو كَثُرَت إساءته أيضاً ثم أحسن ، لم يُقَلْ له عند الإحسان أسأت ، ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسّط في كلّ شيء أجمل ، والحقّ أحقّ أن يتَّبع .

[شعر الرجل بمنزلة أولاده]

وقد رُوِي عن بعض الشعراء أنّ أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها ، إلاّ في بيت واحد ، فقال له : يا أبا تمام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . فقال له : أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم ، ولكن مَثَل شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح ، والرشيد والساقط ، وكلّهم حلو في نفسه ، فهو وإن أحبّ الفاضل ، لم يبغض الناقص ، وإن هَوِيَ بقاء المتقدّم ، لم يهوَ موت المتأخّر .

1 ترجمة أبي تمام في «أخبار أبي تمام» للصوليّ وطبقات ابن المعتز : 282–286 ووفيات الأعيان 2 : 11–26 وتاريخ بغداد 8 : 248 وتهذيب ابن عساكر 4 : 18 وقد كتب فيه الآمدي كتاب «الموازنة» بينه وبين البحتري ، وفي التذكرة الحمدونية جانب كبير من أخباره وشعره (انظر الفهرس) . وقد طبع ديوانه عدة مرات ، ونشير إلى طبعة مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني (بيروت) .

واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق ، حيث يقول[1] : [من الكامل]

جاءتكَ من نظم اللسان قِلادَةٌ سِمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنونُ
أحْذَاكَها صَنَعُ اللّسان يُمدُّه جَفْرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِينُ[2]
ويُسيءُ بالإحسان ظنّاً لا كمَن هو بابنه وبشعره مفتونُ

[المفضلون له أعلم من الطاعنين عليه]

فلو كان يسيء بالإساءة ظنّاً ولا يفتتن بشعره ، كنّا في غِنًى عن الاعتذار له .

وقد فضَّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء ، مَن لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه ، ولا يدركون ، وإن جَدُّوا ، آثاره ، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيِّده نظيراً ولا شكلاً ؛ ولولا أنّ الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصّبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه ، والتنبيه على رَذْله ودنيئه ، لذكرت منه طَرَفاً ، ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه .

[من المعجبين بشعره]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني أُبي قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيّات يقول : أُشعر النّاس طُرّاً الذي يقول[3] : [من البسيط]

ومـا أُبـالي وخيرُ القـولِ أُصدقُهُ حقنتَ لي ماء وجهي أو حقَنتَ دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العبّاس[4] ، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب ، فجلست إليه ، وكنت أجري عنده مَجْرى الوَلد ، فقلت له : مَنْ أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال : الذي يقول[5] : [من الكامل]

مطـر أبـوك أبـو أهلةَ وائلٍ مـلأ البسيطـةَ عُـدَّةً وعَديدا
نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحى نُـوراً ومـن فَلَق الصباح عَمُودا
ورثـوا الأُبوَّة والحظوظَ فأُصبحوا جمعوا جُدودا في العلا وجُدودا

فاتفقا على أن أبا تمّام أشعر أهل زمانه .

---

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 292 .
2 اللسان في ل والديوان : الضمير .
3 ديوانه : 256 .
4 هو إبراهيم بن العبّاس الصولي من كبار الكتّاب والشعراء في الدولة . وقد أورد أبو الفرج ترجمة له في الأغاني 10 : 36 .
5 ديوانه : 80 .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال : قدِم عُمارة بن عَقيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه ، فكتبوا شعره وشعر أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار . فقال بعضهم : هاهنا شاعر يزعم قوم أنّه أشعر الناس طرّاً ، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك . فقال : أنشدوني قوله . فأنشدوه[1] : [من الطويل]

غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوى غَدِ ... وعـادَ قَتـاداً عندهـا كلُّ مَرقَدِ
وأنقذهـا مـن غَمرة المـوت أنَّهُ ... صُدودُ فـراقٍ لا صـدودُ تَعَمُّدِ
فأجرى لهـا الإشفاقُ دمعاً مُوَرَّدا ... مـن الدّمِ يجري فوق خـدّ مُوَرَّدِ
هِـيَ البـدرُ يغنيها تودُّدُ وجهِها ... إلى كلِّ مَـن لاقتْ وإن لَم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد . فقال له عُمارة : زِدنا من هذا . فوصل نشيدَه وقال :

ولكنّنـي لم أحـوِ وَفْـراً مُجَمَّعا ... ففـزْتُ بـه إلاّ بشَمْـل مُبَـدَّدِ
ولم تُعْطنـي الأيّام نومـاً مُسَكّنا ... أَلَـذُّ بـه إلاّ بنـوم مُشَرَّدِ

فقال عمارة : لله دَرُّه ! لقد تقدّم في هذا المعنى مَن سبقه إليه ، على كثرة القول فيه ، حتى لقد حَبَّب إليّ الاغتراب ، هِيه . فأنشده :

وطولُ مُقام المـرء في الحيّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيـه فاغتـربْ تتجدَّدِ
فإنّـي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... إلى الناسِ أَنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ

فقال عُمارة : كَمَلَ والله ، لئن كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعاني ، واطراد المراد ، واتّساق الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال : سمعت عليّ بن الجَهْم يصِف أبا تمّام ويفضله ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا . فقال : إن لم يكن أخا بالنسب ، فإنّه أخ بالأدب والمودّة ؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول[2] : [من الكامل]

إنْ يُكْـدِ مُطَّـرَفُ الإخاء فإنّنا ... نغـدو ونسري في إخـاء تـالدِ
أو يختلفْ مـاء الوِصال فماؤنا ... عـذبٌ تحـدَّرَ مـن غمام واحدِ

1 ديوانه : 90 .
2 ديوانه : 78 .

أو يفترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننا أدبٌ أقمناه مَقامَ الوالدِ

[دعبل يدّعي سرقة معانيه]

أخبرني محمد قال : حدَّثني هارون بن عبد الله المهلّبيّ قال : كنّا في حَلْقة دِعْبل ، فجرى ذكر أبي تمّام ، فقال دعبل : كان يتتبّع معانيّ فيأخُذها . فقال له رجل في مجلسه : وأيّ شيء من ذلك ، أعزّك الله ؟ قال : قولي[1] : [من الطويل]

وإن امرءاً أسْدى إليّ بشافع إليه ويرجو الشكرَ منّي لأحمقُ
شفيعَك فاشكر في الحوائج إنّه يصونُك عن مكروهِها وهو يَخْلُقُ

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمّام ؟ فقال : قال[2] : [من الكامل]

فلقيتُ بين يديك حُلْوَ عَطائِهِ ولقيت بين يديَّ مُرَّ سُؤالِهِ
وإذا امْرؤٌ أسدى إليكَ صَنيعةً من جاهه فكأنّها من مالِهِ

فقال له الرجل : أحسن والله . فقال : كذبتَ قَبّحكَ الله . فقال : والله لئن كان أخذه منك . لقد أجاد ، فصار أولى به منك . وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلَغه . فغضب دِعبل وانصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدّم أبا تمام ويفضّله ، ويقول : لو لم يقل إلاّ مَرْثيّته التي أوّلها :

أصمَّ بكَ الناعي وإن كان أسمعا

وقوله[3] : [من الكامل]

لو يقدرون مَشَوْا على وَجَناتهم وجباهِهم فضلاً عن الأقدامِ

لكفتاه .

[إعجاب عمارة بن عقيل بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان عُمارة بن عَقيل عندنا يوماً ، فسمع مؤدِّباً كان لولد أخي يُرَوِّيهم قصيدة أبي تمام :

الحق أبلج والسيوف عَوارِ

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 112 .
2 ديوان أبي تمام (عزام) 3 : 60 .
3 ديوانه : 245 وفيه «وعيونهم» بدلاً من «وجباههم» .

فلمّا بلغ إلى قوله[1] : [من الكامل]

سُودُ اللباسِ كأنّما نَسَجَت لهم أيـدي السَّموم مَدارِعا من قارِ
بَكَروا وأَسْرَوا في مُتون ضوامرٍ قِيدَت لهـم مـن مَرْبـط النَّجارِ
لا يَبرحون ومَـن رآهـم خالهـم أبـداً عـلى سَفَـرٍ مـن الأَسفارِ

فقال عمارة : لله درّه ! ما يعتمد معنى إلاّ أصاب أحسنه ، كأنّه موقوف عليه .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو ذكوان قال : قال لي إبراهيم بن العبّاس : ما اتّكلتُ في مكاتبتي قطُّ إلاّ على ما جاش به صدري ، وجلبه[2] خاطري ، إلاّ أنّي قد استحسنت قول أبي تمام[3] : [من الطويل]

فإن باشَرَ الإصحارَ فالبِيضُ والقنا قِـراهُ وأَحواضُ المنايـا مَناهلُهْ[4]
وإن يَبـنِ حِيطانـاً عليـهِ فإنّما أولئـك عُقَّالاتُـهُ لا مَعاقلُهْ[5]
وإلاّ فأعلمه بأنّـك ساخـطٌ عليه ، فإنّ الخوف لا شكّ قاتِلُهْ

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي ، فقلت : «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يَعقلهم يعتقلهم» . قال : ثم قال لي إبراهيم : إنّ أبا تمّام اخترِم وما استمتع بخاطره ، ولا نزحَ رَكِيَّ[6] فكره ، حتى انقطع رِشاءُ عمره .

أخبرني محمد قال : حدَّثني أبو الحسين بن السخيّ قال : حدَّثني الحسين بن عبد الله قال : سمعت عمِّي إبراهيم بن العبّاس يقول لأبي تمّام ، وقد أنشد شعراً له في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رَعِيّة لإحسانك .

أخبرني محمد قال : حدَّثني هارون بن عبد الله قال : قال لي محمد بن جابر الأزديّ ، وكان يتعصّب لأبي تمّام : أنشدت دِعبلَ بن عليّ شعراً لأبي تمّام ولم أعلمه أنّه له ، ثم قلت له : كيف تراه ؟ قال : أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس . فقلت : إنّه لأبي تمام . فقال : لعلّه سرقه !

[اقتسام الشعراء الجوائز بعد موته]

أخبرني محمد قال : حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال : ما كان أحد من الشعراء

1 ديوانه : 136–137 .
2 ل : واجتلبه .
3 ديوانه : 204 .
4 الإصحار : البروز إلى الصحراء .
5 العقالات : الحبوس والقيود . والمعاقل : جمع معقل وهو الملجأ .
6 الركي : البئر .

يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام ، فلمّا مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

[شعراء خراسان يعجبون به]

أخبرني عمّي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا ، وأظنّ أيضاً جَحظة حدّثنا به ، قالوا : حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لمّا قدِم أبو تمّام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه ، وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غداً ، وستسمعوني . فلمّا دخل على عبد الله أنشده[1] : [من الطويل]

أهــنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُهْ فعزماً فقِدمــاً أدرك السُّؤلَ طالبُهْ

فلمّا بلغ إلى قوله :

وقلقلَ نــأْيٌ من خراسان جأْشَها فقلت اطمئنّي أنضرُ الروض عازبُهْ[2]

وركب كأطراف الأسنّــة عَرَّسُوا على مثلهــا والليــل تسطو غياهِبُهْ

لأَمــر عليهـــم أن تتــمّ صُدورُه وليس عليهــم أن تتــمّ عواقبُهْ

فصاح الشعراء بالأمير أبي العبّاس : ما يستحقّ مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزّه الله ! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ : لي عند الأمير أعزّه الله جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال له : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب له علينا . فلمّا فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار ، فلقطها الغِلمان ، ولم يمسَّ منها شيئاً ، فوجَد عليه عبد الله وقال : يترفّع عن بِرّي ، ويتهاون بما أكرمته به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك .

[إعجاب أبي دلف به]

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمّي ، عن الحَزَنْبَل ، عن سعيد بن جابر الكرخيّ ، عن أبيه : أنّه حضر أبا دلَف القاسمَ بن عيسى وعنده أبو تمّام الطائيّ ، وقد أنشده قصيدته[3] : [من الطويل]

عــلى مثلهـــا من أربُعٍ وملاعبِ أُذيلَتْ مصُونات الدموع السواكبِ

فلمّا بلغ إلى قوله :

إذا افتخرتْ يوماً تميــم بقوسِها وزادت على ما وطَّدت من مَناقِبِ[4]

---

1 ديوانه : 43 .

2 العازب : الكلأ البعيد المطلب .

3 ديوانه : 41–42 .

4 ل : ما أنبتت .

فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سُيوفُكم عُروش الذين استُرْهِنوا قوسَ حاجبِ
محاسنُ من مجدٍ متى تَقْرُنوا بها محاسن أقوامٍ تكن كالمعايبِ

فقال أبو دُلَف : يا معشَر ربيعة ، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قطّ ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارِفهم يَرْمون بها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قبلَها وأعاركم لبْسها ، وسأنوب عنكم في ثوابه . تمِّم القصيدة يا أبا تمام . فتمّمها ، فأمر له بخمسين ألف درهم . وقال : والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا ، فشكره وقام ليقبِّل يده ، فحلف ألاّ يفعل ، ثم قال له : أنشدني قولك في محمد بن حُميد[1] : [من الطويل]

وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ من الضربِ واعتلت عليه القنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ
فأثبت في مستنقَع الموت رجلَه وقال لها من تحت أَخْمُصِك الحشْرُ
غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائِهِ فلم ينصرف إلاّ وأكفانه الأجْرُ
كأن بني نَبهانَ يوم مُصابِهِ نجومُ سماء خرَّ من بينها البدْرُ
يُعَزَّوْن عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلى ويبكي عليه البأسُ والجود والشعْرُ

فأنشده إيّاها ، فقال : والله لوددت أنّها فيّ . فقال : بل أُفدِّي الأميرَ بنفسي وأهلي ، وأكونُ المقدم قبله ، فقال : إنّه لم يمت مَن رُثي بهذا الشعر ، أو مثله .

[مدحه الواثق بن أبي دواد]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال : حدَّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال : قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد : بلغني أنّك أعطيتَ أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار . قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنّي أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم[2] : [من الكامل]

فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنّه سَكَنٌ لوَحشتها ودارُ قَرارِ
ولقد علمت بأنّ ذلك مِعْصمٌ ما كنتَ تتركه بغير سوارِ

فابتسم وقال : إنّه لحقيق بذلك .

[مدحه خالد بن يزيد الشيباني]

أخبرني علي بن سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال : خرج أبو تمام إلى

1 ديوانه : 328–329 .
2 ديوانه : 137 .

خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرْمِينية ، فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلافِ موفورة ، فإن أردت الشخوص فاعجل ، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والبرّ . قال : بل أشخص . فودّعه ؛ ومضت أيّام ، وركب خالد يتصيّد ، فرآه تحت شجرة ، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب ، وغلام يغنّيه بالطُّنبور . فقال : أبو تمّام ؟ قال : خادمك وعبدك . قال : ما فعل المال ؟ فقال[2] : [من المنسرح]

عَلَّمنـي جـودُكَ السماحَ فمـا أبقيت شيئاً لـديّ مـن صِلَتكْ
مـا مـرَّ شهر حتـى سمحتُ به كـأنّ لي قـدرةً كمقـدُرتِكْ
تُنفق في اليوم بالهبات وفي السـ ـاعـة مـا تجتنيه في سَنَتِكْ
فلستُ أدرِي مـن أين تنفق لـو لا أنّ ربّـي يَمُـدُّ في هبتك[3]

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا عون بن محمد الكنديّ قال : حدَّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقيّ ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ؛ قال : قَدِم أبو تمّام مادحاً للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللاميّة التي امتدحه بها ، فلمّا انتهى إلى قوله[4] : [من الكامل]

أنا مَن عَرَفْتَ فإن عرتكَ جَهالة فأنـا المقيـمُ قِيامَـة العُذَّالِ[5]
عـادتْ لـه أيّامـه مُسْودَّة حتـى توهّـم أنّهـنّ ليالِ

فقال الحسن : والله لا تسْوَدُّ عليك بعد اليوم . فلمّا قال : [من الكامل]

لا تنكري عَطَل الكريمِ من الغِنى فالسيـل حـربٌ للمكان العالي
وتنظَّـري حَيْـث الركابُ ينصُّها محيـي القريض إلى مميـت المالِ

فقام الحسن بن رجاء على رجليه ، وقال : والله لا أتممتَها إلاّ وأنا قائم . فقام أبو تمّام لقيامه ، وقال : [من الكامل]

---

1 زكرة : وعاء من جلد للخمر .
2 لم نعثر على هذه الأبيات في أي من طبعات ديوانه .
3 يمد في ل : يزيد .
4 ديوانه : 217-218 .
5 الديوان : أنا ذو عرفت . . . وهي بمعنى الذي في لغة طيىء .

لمّا بلغنا ساحةَ الحَسَن انقضى عنّا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ[1]
بسَطَ الرجاءَ لنا برغْم نوائبٍ كثُرَتْ بهنّ مصارعُ الآمالِ[2]
أغلى عذارى الشعر إنّ مُهورَها عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ
تَرِدُ الظُّنونُ بنا على تصديقها ويُحَكِّم الآمالَ في الأَموالِ
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدِّقاً بأجلّ فائدة وأيمن فالِ
ورأيتَني فسألتَ نفسك سَيْبَها لي ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالي
كالغيث ليس له ، أُرِيد غمامه أو لم يرد ، بُدٌّ من التَّهطالِ[3]

فتعانقا وجلسا . فقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوت هذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحُورِ العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها .

قال محمد بن سعد : وأقام شهرين ، فأخذ على يدِي عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك ممّا لم أعلم به ؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء .

[اعتذار دعبل]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني عون بن محمد قال : شهدت دِعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام ، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائيّ ، فقال : يا أبا عليّ ، اسمع منّي ما قاله ، فإن أنت رضيته فذاك ؛ وإلاّ وافقتك على ما تذمُّه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده قوله[4] : [من الطويل]

أمّا إنّه لولا الخليطُ المودِّعُ ومغنًى عفا منه مَصِيفٌ ومَرْبَعُ

فلمّا بلغ إلى قوله :

هو السيلُ إن واجهته انقدْتَ طَوْعَه وتقتادُه من جانبيه فيَتبَعُ
ولم أَرَ نفعاً عند مَن ليس ضائراً ولم أَرَ ضُرّاً عند مَن ليس ينفعُ
مَعادُ الورى بعد الممات وسيبُه معادٌ لنا قبل المماتِ ومَرجعُ

فقال له دِعبل : لم ندفع فضلَ هذا الرجل ، ولكنّكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على مَن يتقدّمه ، وتنسُبون إليه ما قد سرقه . فقال له عصابة : إحسانه صيرك له عائباً ، وعليه عاتباً .

1 بلغنا في الديوان : وردنا .
2 بسط في الديوان : أحيا .
3 غمامه في الديوان : نواله .
4 ديوانه : 167–169 .

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال : حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده[1] : [من الكامل]

أَسْقى ديارَهُمُ أجشُّ هَزيمُ ... وغدتْ عليهمْ نضرةٌ ونعيمُ[2]

قال : فلمّا فرغَ أمر له بألفِ دينار ، وخَلَع عليه خِلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلمّا كان من غَد كتب إليه أبو تمّام[3] : [من الخفيف]

قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ ... مكتسٍ من مَكارم ومَساعِ[4]
حُلَّةً سابريَّةً ورِداءً ... كسَحا القِيض أو رداء الشُّجاعِ[5]
كالسَّراب الرَّقْراق في الحسن إلاّ ... أنّه ليس مثلَه في الخِداعِ[6]
قَصَبِيّاً تسترجِفُ الريحُ مَتنيـ ... ـه بأمرٍ من الهُبوبِ مطاعِ
رَجَفاناً كأنّه الدّهرَ منه ... كبِدُ الضَّبِّ أو حشا المُرْتاعِ
لازماً ما يليه تحسِبه جُزْ ... ءاً من المَتْنَيْنِ والأضلاعِ
يَطردُ اليومَ ذا الهَجير ولو شُبِّـ ... ـهَ في حرِّه بيوم الوَداعِ
خِلعةً من أغرَّ أَرْوَعَ رَحْب الصَّـ ... ـدر رحب الفؤاد رحْب الذراعِ
سوف أكسوك ما يُعَفّي عليها ... من ثَناء كالبُرد بُرْدِ الصَّناعِ[7]
حسن هاتيكَ في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماعِ

فقال محمد بن الهيثم : ومَن لا يُعْطِي على هذا مُلكه ؟ والله لا بقي في داري ثوب إلاّ دفعتُه إلى أبي تمام ، فأمر له بكلّ ثوب كان يملكه في ذلك الوقت .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : لمّا شَخَص أبو تمّام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلدَ ، وقد كان عبد الله وجَد عليه ، وأبطأ بجائزته ، لأنّه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسَسها بيده ، ترفّعاً عنها ، فأغضبه

1 ديوانه : 264 .
2 ديارهم في الديوان : طلولهم .
3 ديوانه : 172 .
4 الخرق : السخي .
5 السابرية من الثياب : الجيدة الرقيقة النسج .
6 الحسن في الديوان : في النعت .
7 يعفي عليها : يفوقها في القيمة .

وقال : يحتقر فِعلي ، ويترفّع عليّ . فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمّام[1] : [من البسيط]

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ ... ولا قشيبٌ فَيُسْتَكْسى ولا سَمَلُ[2]
عدلٌ من الدّمع أن يُبْكى المَصيفُ كما ... يُبْكى الشبابُ ، ويُبْكى اللهوُ والغَزلُ
يُمْنى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ ... يُسْراه وهْي لنا من بعدها بَدَلُ

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثل شاعرَ آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمّام ، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ما عَتَب عليه من أجله ، وتضمَّن له ما يُحِبّه . ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيّها الأمير ، أتتهاون بمثل أبي تمّام وتجفوه ؟ فوالله لو لَم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شرّه ، والتوقّي لذمّه ، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السَّكَن ، وقد قصدك عاقداً بك أمَلَه ، مُعملاً إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يُلزمُك قضاء حقّه ، حتى ينصرف راضياً ؛ ولو لم يأت بفائدة ، ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلاّ قوله[3] : [من البسيط]

تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منّا السُّرى وخُطا المهريّة القُودِ[4]
أَمَطْلعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كَلاّ ولكن مَطْلِع الجودِ

فقال له عبد الله : لقد نَبَّهْتَ فأحسنت ، وشفعت فَلَطُفْت ، وعاتبت فأَوْجَعت ، ولك ولأبي تمام العُتْبيّ ، ادعُه يا غلام . فدعاه ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفَي دينار ، وما يحمله من الظَّهْر ، وخلَع عليه خِلْعة تامّة من ثيابه ، وأمر ببذْرَقَته[5] إلى آخر عمله .

[التقاطه المعاني]

أُخبرني جَحْظة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : مرَّ أَبو تمّام بمخنَّث يقول لآخر : جئتك أمسِ فاحتجبت عنّي ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجّي خيرُها . فتبيّنتُ في وجه أبي تمّام أنّه قد أخذ المعنى ، ليضمنه في شعره ، فما لبِثنا إلاّ أيّاماً

1 ديوانه : 377 .
2 القشيب : الجديد . وفيستكسى في ل : فيسلبني . والسمل : البالي .
3 ديوانه (عزام) 2 : 132 .
4 السرى في ل : الفلا .
5 بذرقته : حراسته .

حتى أُنْشِدت قوله[1] : [من البسيط]

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملاً ... إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

[دعبل يتّهمه بسرقة قصيدة]

أخبرني أبو العبّاس أحمد بن وصيف ، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهانيّ ابن عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : كنّا عند دِعْبل أنا والقاسم ، في سنة خمس وثلاثين ومئتين ، بعد قدومه من الشام ، فذكرنا أبا تمام ، فثلبه ، وقال : هو سَروق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف ، هات تلك[2] المِخلاة . فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يُمِرُّها على يده ، حتى أخرج منها دَفتراً ، فقال : اقرءوا هذا . فنظرنا فيه ، فإذا فيه : قال مُكْنِف أبو سُلْمى ، من ولد زهير بن أبي سُلْمى ، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها : [من البسيط]

إنّ الضُّراطَ به تصاعَد جَدُّكم ... فتعاظموا ضَرْطاً بني القَعقاعِ

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك ، فرثاه فقال : [من الطويل]

أبعدَ أبي العبّاس يُسْتعذَبُ الدّهرُ ... فما بعده للدّهر حسنٌ ولا عُذْرُ
ألا أيُّها الناعي ذُفافةَ والنّدى ... تَعِسْت وشَلَّت من أناملك العشرُ
أتنعى لنا مِنْ قيس عيلانَ صَخرة ... تفلَّق عنها من جبال العِدا الصخرُ
إذا ما أبو العبّاس خَلّى مكانه ... فلا حَمَلتْ أنثى ولا نالَها طُهْرُ
ولا أمطرتْ أرضاً سماءٌ ولا جرتْ ... نجومٌ ولا لَذّتْ لشاربها الخمرُ
كأنّ بني القعقاع يوم مُصابِهِ ... نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ
تُوُفِّيتِ الآمالُ يومَ وفاتِهِ ... وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفْر السفْرُ

ثم قال : سرق أبو تمّام أكثر هذه القصيدة ، فأدخلها في قصيدته : [من الطويل]

كذا فليجِلَّ الخطبُ ولْيفدَحِ الأمرُ ... وليسَ لعين لم يَفضْ ماؤُها عُذْرُ

[مداعبة بينه وبين الحسن بن وهب]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : كان أبو تمّام يعشق غلاماً خَزَريّاً للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشّق غلاماً روميّاً لأبي تمّام . فرآه أبو تمّام يوماً يعبث

1 ديوانه : 26 .
2 ل : ويلك .

بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقتَ[1] إلى الروم ، لنركُضَنَّ إلى الخَزَر . فقال له الحسن : لو شئتَ حكَّمتنا واحتكمت . فقال أبو تمّام : أنا أشبهك بداود عليه السلام ، وأشبه نفسي بخصمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً خفناه ، فأمّا وهو منثور فلا ، لأنّه عارِض لا حقيقة له ، فقال أبو تمّام[2] : [من البسيط]

أبا علِيٍّ لصرفِ الدَّهرِ والغِيَرِ ... وللحوادث والأيّامِ والعِبَرِ
أذكرتني أمر داود وكنتُ فتًى ... مُصَرَّف القلب في الأهواء والفِكَرِ
أعندك الشمس لم يَحظَ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمَرِ
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى ... جآذر الرومِ أعنقنا إلى الخَزَرِ
إنّ القُطُوبَ له منّي محلُّ هوًى ... يَحِلّ منّي محلَّ السمع والبصرِ[3]
وربّ أمنعَ منه جانباً وحِمًى ... أمسى وتِكَّتُهُ منّي على خَطِرِ
جَرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منه غَيابتُها عن نَيكة هَدَرِ[4]
سبحانَ مَن سَبَّحتْهُ كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمَحان الأير والنظرِ[5]
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُهُ ... وأيرُه أبداً منه على سَفَرِ[6]

[حسد دعبل له]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين قال : حدَّثني وهب بن سعيد قال : جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام ، فقال له رجل في المجلس : يا أبا عليّ ، أنت الذي تطعُن على مَن يقول[7] : [من الطويل]

شَهِدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدِي ... ومَحَّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ[8]

---

1 أعنق : سار سيراً سريعاً .
2 ديوانه : 356–357 .
3 القطوب في الديوان : النفور .
4 عن نيكة هدر في الديوان : عن فجرة هدر .
5 الأير والنظر في الديوان : العين بالنظر .
6 وأيره في الديوان : وفعله .
7 ديوانه : 112 .
8 أقوت : خلت . ومحت : درست . والوشائع : جمع وشيعة ، وهي الغزل الملفوف من اللحمة التي يداخلها الناسج بين السدى .

وأنجدتم مـن بعـد إتْهامِ داركُمْ فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجدِ

فصاح دعبل : أحسنَ والله ! وجعل يردد «فيا دمع أنجدني على ساكني نجد» ثم قال : رحمه الله ! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنّه أشعر النّاس .

[رثاؤه ابنَي عبد الله بن طاهر]

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد ، فدخل عليه أبو تمّام فأنشده[1] : [من الكامل]

مـا زالت الأيّـامُ تخبرُ سائـلاً أن سَوفَ تفجعُ مُسْهِلاً أو عاقلا[2]
مجـدٌ تأوَّبَ طارقـاً حتـى إذا قلنـا أقام الدهـرَ أصبحَ راحلا
نجمـان شاء الله ألاّ يَطْلُعـا إلاّ ارتـدادَ الطّرف حتـى يأفِلا
إن الفجيعـة بـالرياض نواضراً لأجـلّ منهـا بالرياض ذَوابلا
لـو يُنْسِبان لكـان هذا غارباً للمكرُمـات وكان هـذا كاهلا[3]
لَهْفـي على تـلك المخايلِ منهما لـو أُمْهِلَت حتى تكـون شمائِلا
لغـدا سكونُهما حِجًى وصِباهُما حِلْمـاً وتلك الأريحيّـةُ نائِلا
إنّ الهـلالَ إذا رأيـت نمـوَّهُ أيقنتَ أنْ سيكونُ بـدراً كاملا[4]

صوت[5]

[من مجزوء الرجز]

بالله قـلْ يـا طَلَلُ أهلُـك مـاذا فعلُوا
فـإن قلبـي حَـذِرٌ من أن يَبينوا وَجِلُ

عروضه من الرجز . الشعر لأبي الشِّيص . والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ . خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ومن رواية الهِشاميّ .

1 ديوانه : 338 .
2 المسهل : النازل في السهل . والعاقل : الممتنع في الجبل .
3 ينسبان في الديوان : ينسأن .
4 سيكون في الديوان سيعود .
5 شعر أبي الشِّيص : 89 .

[340] ـ أخبار أبي الشِّيص ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه محمد بن رَزِين بن سليمان بن تميم بن نهشل ، وقيل : ابن بُهَيْش ، بن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أَنَس بن خُزَيمة بن سَلامان بن أَسلَم بن أفصى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيا بن عامر بن ثعلبة .

وكان أبو الشِّيص لقباً غلب عليه . وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن عمّ دِعبل بن عليّ بن رَزين لَحّاً . وكان أبو الشِّيص من شعراء عصره ، متوسِّط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس ، فخمل وانقطع إلى عُقْبَةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ ، وكان أميراً على الرَّقّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلّما يُرْوى له في غيره . وكان عُقْبة جواداً فأغناه عن غيره .

ولأبي الشِّيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً ، صالح الشعر ، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب ، فأُخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .

[رثاء عينيه]

وعَمِيَ أبو الشِّيص في آخر عمره ، وله مَراثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .

[ابن المعتزّ يفضله]

وكان سريع الهاجس جدّاً ، فيما ذُكر عنه . فحكى عبد الله بن المعتزّ أنّ أبا خالد العامريّ قال له : مَن أخبرك أنّه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشِّيص فكذّبه . والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان . وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .

وهكذا ذكر ابن المعتزّ ، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر في ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سَرَف شديد .

1 ترجمة أبي الشِّيص في الشعر والشعراء : 721–726 وطبقات ابن المعتز : 72–86 وتاريخ بغداد 5 : 401 ومعاهد التنصيص 4 : 87 والسمط : 506 وفوات الوفيات 3 : 402 ونكت الهميان : 257 وانظر بروكلمان 2 : 69 والوافي 3 : 302 . وقد جمع شعره د . عبد الله الجبوري (بغداد 1967) . واسمه فيها جميعاً محمد بن عبد الله بن رزين .

[مكافأة عتبة بن جعفر له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال : قال لي أبو الشِّيص : لمّا مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها : [من الكامل]

لا تُنكري صَدّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمـان براضِ

أمر بأن تُعَدّ ، وأعطاني لكلّ بيت ألف درهم .

[شاعران يرثيان عينيهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أنشدت إبراهيم بن المهديّ أبيات أبي يعقوب الخُرَيميّ التي يرثي بها عينه ، يقول فيها : [من الوافر]

إذا مـا مات بعضُك فابكِ بعضاً فـإنّ البعض مـن بعض قريبُ[1]

فأنشدني لأبي الشِّيص يبكي عينيه[2] : [من المنسرح]

يـا نفسُ بكّـي بأدمع هُتُنِ وواكـفٍ كالجُمـان في سَنَنِ

على دليـلي وقائدي ويـدي ونـور وجهي وسائِس البدنِ

أبكي عليهـا بهـا مخافـةَ أن تَقْرُنَني والظـلامَ في قَـرنِ

وقال أبو هِفّان : حدَّثني دِعبل أنّ امرأة لقيت أبا الشِّيص ، فقالت : يا أبا الشِّيص : عَمِيتَ بعدِي . فقال : قَبَحَكِ الله ، دعوتني باللقَب ، وعيَّرْتني بالضَّرر !

[مجلس شعر]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي ، عن أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشِّيص ودِعبل في مجلس ، فقالوا : ليُنشِد كلّ واحد منكم أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا منّي أخبركم بما يُنشِدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد . قالوا : هات . فقال لمسلم : أمّا أنت يا أبا الوليد فكأنّي بك قد أنشدت[3] : [من الطويل]

إذا مـا علَـتْ منّـا ذؤابةُ واحدٍ وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهلِ

هل العيشُ إلاّ أن تروح مع الصِّبا وتغدو صريعَ الكأسِ والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لُقِّب «صريع الغواني» ، لقبه به الرشيد ، فقال له مسلم : صدقت .

---

1 فإن البعض في ل : فبعض الشيء .

2 شعره : 103 .

3 ديوان مسلم بن الوليد : 42 مع بعض اختلاف .

ثم أقبل على أبي نواس فقال له : كأنّي بك يا أبا عليّ قد أنشدت[1] : [من البسيط]

لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هندِ واشربْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالوردِ
تَسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سُكرين من بُدِّ

فقال له : صدقت .

ثم أقبل على دعبل فقال له : وأنت يا أبا عليّ ، فكأنّي بك تنشد قولك[2] : [من الكامل]

أيـن الشبابُ وأيَّـةً سَلَكا لا أينَ يُطلَب ضلّ بـلْ هَلَكا
لا تعجبي يـا سَلْمَ مـن رجُل ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال : صدقت . ثم أقبل على أبي الشّيص ، فقال له : وأنت يا أبا جعفر ، فكأنّي بك وقد أنشدتَ قولك : [من الكامل]

لا تنكري صدِّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمـان براضِ

فقال له : لا . ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلته . قالوا فأنشدنا ما بدا لك . فأنشدهم قوله[3] : [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي متأخَّـرٌ عنـهُ ولا متقـدَّمُ
أجـدُ الملامَـة في هواكِ لذيذةً حُبـا لذكـرك فليلُمني اللُّوَّمُ
أشبهتِ أعدائـي فصرتُ أُحبُّهـمْ إذ كان حظِّي منكِ حظِّـي منهمُ
وأهَنْتِنـي فأهنـتُ نفسيَ صاغراً مـا مَـنْ يهون عليك ممّن يُكْرَمُ

لِعَريب في هذا الشعر لحنان : ثقيل أوّل ، ورمل .

قال : فقال أبو نواس ، أحسنتَ والله وجودت ! وحياتِك لأسرقنّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنّك عليه ، فيشتهرُ ما أقول ، ويموت ما قلت . قال : فسرق قوله : [من الكامل]

وقَف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّـرٌ عنـه ولا متقـدَّمُ

سَرَقاً خَفِيّاً ، فقال في الخصيب[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 27 .
2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .
3 شعر أبي الشّيص : 92–93 مع اختلاف في الترتيب .
4 ديوان أبي نواس : 481 . وفيه «يصير الجود حيث يصير» .

فما جــازه جــودٌ ولا حل دُونَهُ ولكـــن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت أبي نواس ، وسقط بيت أبي الشِّيص .

[مجلس شعري آخر]

نسخت من كتاب جدّي لأُمِّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطِّه : حدَّثني الحسن بن سعد قال : حدَّثني رَزِين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال ، كنّا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشِّيص ومُسلم بن الوليد الأنصاريّ ، فقال أبو نواس لأبي الشِّيص : أنشدني قصيدتك المُخزية . قال : وما هي ؟ قال : الضادية . فما خطر بخَلَدي قولك : [من الكامل]

ليس المقلُّ عن الزمـــان براضِ

إلاّ أخزيتُك استحساناً لها ، فإنَّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان ثقَّفها وعلّمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عُدِّي لِيَ المُخْزِيات ، فتعدُّ قوله[1] : [من البسيط]

أَغَـــرُّ أَرْوَعُ يُستسقى الغمام به لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا

وما أَشبَهها من شعره . قال أبو الشِّيص : لا أفعل . إنّها ليست عندي عِقْدَ دُرٍّ مفصَّل ، ولكنّي أكاثر بغيرها ، ثم أنشده قوله : [من الكامل]

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنت فليسَ لي متأخَّـــر عنـــه ولا متقـــدَّمُ

الأبيات المذكورة ، فقال له أبو نواس : قد أردت صرفَك عنها ، فأَبيتَ أن تَخَلَّى عن سَلَبِك ، أو تُدْرَك في هَرِبك . قال : بل أقولُ في طلبي ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال : أرى نَمَطاً خُسْرُوانياً مُذْهَباً حسناً ، فكيف تركت[2] : [من الخفيف]

في رِداء مـــن الصَّفيح صَقِيـــلٍ وقميصٍ مـــن الحديـدِ مُـذالِ

قال : تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما ، بما سبق في ألحاظه ، وزُيِّن في ناظره .

[أبو نواس يفضله]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني مَن قال لأبي نُواس : مَن أشعر طبقات المُحْدَثين ؟ قال : الذي يقول[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان الأعشى (صادر) : 109 وروايته :

أغـر أبلـــج يستسقـى الغمام بـــه لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا

2 شعر أبي الشِّيص : 86 .

3 شعر أبي الشِّيص : 100 .

يطـوفُ علينـا بهـا أحْـورٌ ... يـداه مـن الكأسِ مخضوبتان

والشعر لأبي الشِّيص .

[خادم يخشى العين على صدره]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوكبيّ قال : حدَّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانيّ قال : حدَّثني أبي قال : دخل أبو الشِّيص على أبي دُلَف وهو يلاعب خادماً له بالشِّطْرَنج ، فقيل له : يا أبا الشِّيص ، سَل هذا الخادم أن يَحُلّ أزرار قميصه . فقال أبو الشِّيص : الأمير أعزّه الله أحقّ بمسألته . قال : قد سألته ، فزعم أنّه يخاف العين على صدره . فقل فيه شيئاً . فقال[1] : [من السريع]

وشادنٍ كالبدرِ يجلو الدُّجى ... في الفرقِ منـه المسكُ مَذرورُ

يُحـاذر العـينَ على صَـدْره ... فالجيبُ منـه الدهـرَ مزرورُ

فقال أبو دُلَف : وحياتي لقد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد والله أحسن كما قلت ، ولكنّك أنت ما أحسنت ! فضحك ، وأمر له بخمسة آلاف أخرى .

[منعه صاحب القينة من زيارتهما بعد العمى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال : حدَّثني علي بن سعد بن إياس الشيبانيّ قال : تعشّق أبو الشِّيص محمد بن رَزين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها ، وينفق عليها في منزل الرجل ، حتى أتلف مالاً كثيراً . فلمّا كُفّ بصره ، وأُخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حَجَبه ، ومنعه من الدخول . فجاءني أبو الشِّيص ، فشكا إليّ وجدَه بالجارية ، واستخفاف مولاها به ، وسألني المُضيّ معه إليه ، فمضيت معه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذِن ، فدخلت أنا وأبو الشِّيص . فعاتبته في أمره ، وعَظَّمت عليه حقّه ، وخوفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه ، فكان يأكل في بيته ، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها . فلمّا وقفنا على بابهم ، سمعنا صُراخاً شديداً من الدار ، فقال لي : ما لها تصرخ ؟ أتراه قد مات لعنه الله ! فما زلنا ندقّ الباب حتى فُتِح لنا ، فإذا هو قد حَسَر كمّيه وبيده سوط ، وقال لنا : ادخلا ، فدخلنا ، وإنّما حمله على الإذن لنا الفَرَق منّي ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها ، فاستمعنا عليه واطلعنا ، فإذا هي مشدودة على سُلّم وهو يضربها أشدّ ضرب ، وهي تصرخ ، وهو يقول : وأنت أيضاً فاسرِقي الخبز . فاندفع أبو الشِّيص على المكان يقول في ذلك[2] : [من السريع]

1 شعر أبي الشِّيص : 57 .

2 شعر أبي الشِّيص : 62 .

يقــولُ والسوط على كفّــه ... قــد حَــزّ في جلدتهــا حَزّا
وهْــي على السُّلَّــم مشدودة ... «وأنتِ أيضاً فاسرقي الخُبْزا»

قال : وجعل أبو الشِّيص يُردِّدها ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدني البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنّه لا بدّ من إنشادهما ، فأنشده إيّاهما ، فقال لي : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحبّ ، فإن شاع هذان البيتان فضحتَني ، فقل له يقطع هذا ، ولا يُسمِعْهما[1] ، وله عليَّ يومان في الجمعة . ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردّد إليه يومين في الجمعة حتى مات .

[عشقه لجاريته تبر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدَّثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب ، عن أبيه قال : كانت لأبي الشِّيص جارية سوداء اسمها تِبْر ، وكان يتعشّقها ، وفيها يقول[2] : [من المنسرح]

لم تُنْصِفي يــا سَمِيّــة الذَّهَبِ ... تتلــفُ نفسي وأنــتِ في لَعِبِ
يا ابنــة عمّ المِسكِ الذكيّ ومَن ... لــولاك لم يُتَّخَـــذ ولم يَطِبِ
ناسَبَك المسكُ في السوادِ وفي الرِّ ... يح فأكــرم بـــذاك من نسبِ

[صديق تغيّر بعد أن غني]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن عمّه قال : كان أبو الشِّيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ ، وهما حينئذٍ مُملقان ، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، واستغنى ، فجفا أبا الشِّيص ، وتغير له ، فكتب إليه[3] : [من البسيط]

الحمــدُ لله ربّ العالَمــين علــى ... قُربي وبعدِكَ منّي يا ابن إسحاقِ
يا ليتَ شعري متى تُجْدِي عليّ وقد ... أصبحتَ ربّ دنــانير وأوْراقِ
تُجْدي عليَّ إذا ما قيلَ مَنْ راقِ ... والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ
يومٌ لَعمري تَهُمُّ النــاسَ أنفسُهمْ ... وليس ينفــع فيــه رُقيــة الراقي

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أبو العبّاس بن الفرات قال : كنت أسيرُ مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل ، وخلفه غلام له ، وشيخ على

---

1 ل : ولا يشعهما .
2 شعره : 26 .
3 شعره : 80 .

بغل له هَرِم ، وما فيهم إلاّ نِضْو ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان فقال : كأنّهم والله صِفة أبي الشّيص حيث يقول[1] : [من الكامل]

أَكلَ الوجيفُ لحومَها ولحومَهمْ فأَتوكَ أنقاضاً على أنقاضِ[2]

[مقتله]

وقال عبد الله بن المعتزّ : حدَّثني أَبو مالك عبد الله قال : قال لي عبد الله بن الأعمش، كان أَبو الشّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ يشرب ، فلمّا ثَمِل نام عنده ، ثم انتبه في بعض الليل ، فذهب يَدبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكين ، فقال له : ويحك ! قتلتني والله ! وما أحبّ والله أن أفتضح أنّي قُتِلت في مثل هذا ، ولا تُفْضَح أنت بي ، ولكن خذ دَسْتيجة[3] فاكسِرْها ولوثها بدمي ، واجعل زجاجها في الجُرْح ، فإذا سئِلت عن خبري ، فقل : إنّي سقطت في سكري على الدَسْتيجة فانكسرت ، فقتلتني ، ومات من ساعته . ففعل الخادم ما أمره به ، ودُفِن أبو الشّيص ، وجزع عُقْبة عليه جزعاً شديداً . فلمّا كان بعد أيّام سكِر الخادم ، فصدق عقبةَ عن خبره ، وأنّه هو قتله ، فلم يُلْبثه أن قام إليه بسيفه ، فلم يزل يضربه حتى قتله .

صوت[4]

[من الكامل]

هَــلاّ سألْــتَ معـالمَ الأطـلالِ والرسمَ بعـد تقـادم الأحوالِ
دِمَنـاً تَهيجُ رسومُهـا بعـد البلى طَرَبـاً وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ
يمشين مشى قَطـا البِطاح تأوُّداً قُـبَّ البطـون رواجح الأكفالِ
مـن كلّ آنسة الحديـث حَيِيّـةٍ ليست بفـاحشةٍ ولا مِتْفـالِ
أقصـى مذاهِبِهـا إذا لاقيتُهـا في الشهر بـين أسِرَّةٍ وحِجالِ
وتكـونُ رِيقتُهـا إذا نبهتُهـا كالشهـدِ أو كَسُلافـة الجِريالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجريال فيما قيل : اسم للون الخمر . وقيل : بل هو من أسمائها . والدليل على أنّه لونها قول الأعشى : [من الكامل]

وسُلافـةٍ ممّـا تعتـق بابـل كدمِ الذبيح سلبتُهـا جِرْيالَها

---

1 شعر أبي الشّيص من قصيدة طويلة : 71–74 .
2 الوجيف : السير السريع .
3 دستيجة : إناء كبير من الزجاج .
4 شعر الكميت (سلوم) 2 : 52–54 .

قال سِماك بن حَرْب : حدَّثني يُحَنَّسُ بن متَّى الحِيريّ راوية الأعشى : أنّه سأله عن هذا البيت فقال : سلبتها لونها : شربتها حمراء ، وبُلْتها بيضاء .

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة ، وذكر المكيّ أنّه لابن مُحرز . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل . وهذا الشعر من قصيدة للكميت ، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب ، يقول فيها : [من الكامل]

قادَ الجيوشَ لخمسَ عَشْرةَ حِجَّةً وِلِداتُـــهُ عـــن ذاك في أُشغالِ
قَعَدتْ بهـم هِمّاتُهُمْ وسَمَتْ به همـمُ الملـوك وسَوْرَة الأبطـالِ
فكأنّما عـاشَ المهلَّـبُ بينهمْ بأغـرَّ قـاسَ مثالَـه بمثـالِ
في كَفِّـه قَصَبـات كلّ مُقَلَّدٍ يـومَ الرِّهـان وفـوزُ كلّ نِصالِ
ومتـى أزِنْـك بمعشر وأُزنهمُ بـك أُلْفِ وزنك أرجحَ الأثقالِ

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين — الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد السّابع عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

17

الطبعَـة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعـة الثـانية
1426هـ - 2005م
الطبعـة الثـالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[341] ـ ذكر الكُميت ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

هو الكُميت بن زيد بن خُنَيس بن مُجالد بن وُهَيْب بن عَمْرو بن سُبَيْع . وقيل : الكُميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سُبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار . شاعر مقدَّم ، عالِم بلغات العرب ، خبير بأيّامها فصيح من شعراء مُضر وألسنتها ، والمتعصِّبين على القحطانيّة ، المقارنين المقارِعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيّام ، المفاخرين بها . وكان في أيّام بني أُميَّة ، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة ، ومات قبلها .

[تشيّعه لبني هاشم]

وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره . ولم تزل عصبيَّته للعدنانيّة ومهاجاته شعراء اليمن متَّصلةً ، والمناقضة بينه وبينهم بسببها شائعة في حياته وبعد وفاته ، حتى ناقض دِعبل[2] وابنُ أبي عُيَيْنةَ قصَيدتَه المُذْهَبة ، بعد وفاته ، وأجابهما أبو الذلفاء البَصْرِيّ مولى بني هاشم عنها ، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

[معلّم صبيان]

أخبرني محمد بن الحسين بن دُريد عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن خلَف الأحمر : أنّه رأى الكُميت يعلّم الصبيان في مسجد بالكوفة .

[صداقة بين شيعي وخارجي]

قال ابن قتيبة في خبره خاصة : وكانت بينه وبين الطِّرِمّاح خُلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين ، قال : فحدَّثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت ، قال : أنشدت الكُميت قولَ الطِّرِمّاح[3] : [من الطويل]

1 ترجمة الكُميت بن زيد في الشعر والشعراء : 485–488 والموشح : 191 وشرح شواهد المغني : 13 وخزانة البغدادي 4 : 315–320 وانظر الفهرس وجمهرة أشعار العرب : 351 وقد نشر هوروفتز قصائده الهاشميات (ليدن 1904) . وجمع د . داود سلّوم شعره في جزئين (بغداد 1969) .

2 انظر ترجمة دعبل في الأغاني 20 : 90 .

3 ديوان الطرماح .

إذا قُبِضت نفس الطِّرِمّـاح أُخلقتْ عُرى المجدِ واسترخى عِنان القصائدِ

قال : إي والله وعِنان الخطابة والرواية . قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبيّة والديانة ؛ كان الكُميت شيعيّاً عصبيّاً عدنانيّاً من شعراء مضر ، متعصّباً لأهل الكوفة ، والطِّرِمّاح خارجيٌّ صُفْرِيٌّ قحطانيٌّ عصبيٌّ لقحطان ، من شعراء اليمن ، متعصّب لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتّفقتما هذا الاتّفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ قالا : اتّفقنا على بُغْض العامّة .

[علمه بأيّام العرب وأشعارها]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني محمد بن سعد الكُرانِيّ ، قال : حدَّثنا أبو عمر العمريّ ، عن لَقيط ، قال : اجتمع الكُميت بن زيد وحمّاد الراوية في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيّامَها ، فخالفه حمّاد في شيء ونازعه ، فقال له الكُميت : أتظنّ أنّك أعلَمُ منّي بأيّام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلاّ الظنّ ! هذا والله هو اليقين . فغضِب الكُميت ثم قال له : أَلِكَمْ شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان ، تَرْوِي ؟ ولِكَم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عَمرو ، تَرْوِي ؟ فقال حمّاد قولاً لم يحفظه ؛ فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ، ويسأل حمّاداً : هل يعرفه ؟ فإذا قال : لا ، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجِرنا . ثم قال له الكُميت : فإنّي سائلك عن شيء من الشّعر ، فسأله عن قول الشاعر[1] : [من الرمل]

طَرَحـوا أُصحابَهُمْ في ورطـةٍ قَذْفَـكَ المَقْلَـةَ شَطْرَ المُعْتَرَكْ

فلم يعلم حمّاد تفسيرَه ، فسأله عن قول الآخر : [من الطويل]

تَدَرَّيْنَنا بالقَـولِ حتى كأنّما تَدَرَّيْنَ وِلْدانا تَصيدُ الرَّهادنا

فأُفْحِمَ حمّاد ، فقال له : قد أُجَّلْتُك إلى الجمعة الأُخرى ، فجاء حمّاد ولم يأْتِ بتفسيرهما ، وسأل الكُميت أنْ يفسِّرَهما له ، فقال : المَقْلَة : حصاةٌ أو نَواة من نَوى المُقْلِ يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتُوضع في الإناء ويُصبُّ عليها الماء حتى يَغْمُرَها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء . والشَّطر : النّصيب . والمعتَرك : الموضِعُ الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونَها هناك عند الشّرّ . وقوله : «تَدَرَّيْنَنا» ، يعني النساء ، أي خَتَلْنَنا فرمَيْنَنا . والرهادن : طَيْرٌ بمكّةَ كالعصافير .

1 هو يزيد بن طعمة الخطمي (اللسان ، مقل) .

[خالد القسريّ يحرّض هشاماً عليه]

وكان خالدُ بن عَبْدِ الله القَسْرِيّ ، فيما حدَّثني به عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاريّ عن ابن الأعرابيّ ، وذكره محمد بن أنس السَّلاميّ عن المستَهِلّ بن الكُميت ، وذكره ابن كُناسة عن جَماعةٍ من بَني أسد ، [قد بلغه] أنَّ الكُميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليَمن ، وهي[1] :

ألا حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينا

فأحفظته عليه ، فروّى جاريةً حسناء قصائدَه الهاشميّات ، وأعدَّها ليُهْدِيَها إلى هشام ، وكتب إليه بأخبار الكُميت وهجائه بني أُميَّة ، وأنفذ إليه قصيدتَه التي يقول فيها[2] : [من الطويل]

فيا رَبِّ هل إلاَّ بِكَ النَّصْرُ يُبْتَغى ويـا ربّ هل إلاّ عَلَيكَ المُعَوَّلُ

وهي طويلة يَرثي فيها زَيْد بن عليّ ، وابنَه الحسين بن زيد[3] ، ويمدح بني هاشم . فلمّا قرأها أكبرَها وعظُمَتْ عليه ، واستنكرها ، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطعَ لسانَ الكُميت ويده . فلم يشعر الكُميت إلاَّ والخيلُ محدِقَةٌ بداره ، فأُخِذ وحُبِس في المُخيَّس . وكان أبـان بن الوليد عامِلاً على واسِط ، وكان الكُميت صديقَـه ، فبعث إليه بغلام على بَغل ، وقال لـه : أنتَ حرٌّ إنْ لحقْتَه ، والبَغْلُ لكَ . وكتب إليه : قد بلغني ما صِرْتَ إليه ، وهو القَتْل ، إلاّ أنْ يَـدْفعَ الله عزَّ وجـلَّ ، وأرى لكَ أنْ تبعثَ إلى حُبَّى ، يعني زوجة الكُميت وهي بنت نُكَيف بن عبد الواحد بن حمان ، وهي ممّن يتشيَّع أيضاً ، فإذا دخلَتْ إليك تنقَّبتَ نِقابَها ، ولبستَ ثيابَـها وخرجتَ ، فإنّي أرجو ألاّ يُؤْبَه لك .

فأرسل الكُميت إلى أبي وضّاح حَبِيب بن بُدَيْل ، وإلى فِتيان من بني عمِّه مِنْ مالك بن سَعِيد ، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسدَّدَ رأْيَه ؛ ثم بعث إلى حُبَّى امرأته ، فقصَّ عليها القصّةَ ، وقال لها : أيْ ابنة عَمّ ، إنّ الواليَ لا يُقْدِم عليكِ ، ولا يُسْلِمك قومك ، ولو خِفْتُه عليكِ لما عرَّضتُك له . فألبسَتْه ثيابَها وإزارَها وخمَّرَتْه[4] ، وقالت له : أَقْبِلْ وأَدْبِر ؛ ففعَل ،

1 شعر الكُميت 2 : 114–118 .

2 هاشميات الكُميت : 135 .

3 قتل زيد بن علي في ولاية يوسف بن عمر الذي تلا خالد بن عبدالله القسري (تاريخ الطبري حوادث سنة 122) وأما ابنه الحسين بن زيد فإنّه خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن أيّام المنصور (تاريخ الطبري ، حوادث سنة 145) .

4 خمرته : ألبسته خمارها .

فقالت : ما أُنْكِرُ منك شيئاً إلاَّ يبساً في كتفك ، فاخْرُج على اسم اللهِ .

وأَخرجَتْ معه جاريةً لها ، فخرج وعلى باب السجنِ أبو وضّاح ، ومعه فِتيانٌ من بني أَسَد ، فلم يُؤْبَه له . ومشى والفِتيان بين يَدَيْهِ إلى سكّة شبيب بناحية الكُناسة ، فمرَّ بمجلس مِنْ مجالِسِ بني تميم ، فقال بعضهم : رجل وربِّ الكعبة . وأمَرَ غلامه فاتَّبَعه ، فصاح به أبو الوضّاح : يا كذا وكذا ، لا أراك تتبعُ هذه المرأة منذ اليوم . وأَوْمَأَ إليه بنَعْلِه ، فولّى العَبدُ مُدْبِراً ، وأدخله أبو الوضَّاح مَنزِله .

ولمّا طالَ على السجّان الأمرُ نادى الكُميت فلم يُجِبْه ، فدخل ليعرِفَ خَبَرَه . فصاحت به المرأةُ : وراءكَ ، لا أُمَّ لك ! فشقَّ ثوبَه ، ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر . فأحضر حُبَّى فقالَ لها : يا عدوَّةَ الله ، احتَلْتِ على أميرِ المؤمنين ، وأخرجْت عدوَّه ، لأُمَثِّلَنَّ بك ولأَصْنَعَنَّ ولأَفْعلَنَّ . فاجتمعَتْ بنو أسَد إليه ، وقالوا : ما سبيلُك على امرأةٍ منّا خُدِعَتْ . فخافَهم فخلّى سبيلَها .

قال : وسقط غُرابٌ على الحائط فنَعَب ، فقال الكُميت لأَبي وضّاح : إنّي لمَأخوذٌ ، وإنّ حائطَك لساقط . فقال : سبحانَ الله ! هذا ما لا يكونُ إن شاء الله . فقال له : لا بُدَّ من أن تحوِّلَني . فخرج به إلى بني عَلْقَمة ، وكانوا يتشيَّعُون ، فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائطُ الذي سقط عليه الغُراب .

قال ابن الأَعرابيّ : قال المستهِلّ : وأَقام الكُميت مدّةً متوارِياً ، حتى إذا أَيقن أنَّ الطلبَ قد خَفَّ عنه خرج ليلاً في جماعةٍ من بني أسد ، على خَوفٍ ووَجَل ، وفيمن معه صاعدٌ غلامُه ، قال : وأخذ الطريقَ على القُطْقطانَةِ[1] ، وكان عالِماً بالنجوم مُهْتَدِياً بها ، فلمّا صار سُحَيْرٌ صاح بنا : هوِّموا[2] يا فِتْيان ، فهوَّمنا ، وقام يصلّي .

[ذئب يهديه إلى الطريق]

قال المستهلّ : فرأيتُ شخصاً فتضعضعتُ له ، فقال : ما لك ؟ قلت : أرى شيئاً مُقْبِلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئبٌ قد جاء يستطْعِمُكم ، فجاء الذئب فربَضَ ناحيةً ، فأطعمناه فلذَ جَزُور ، فتعرَّقها ، ثم أَهْوَينا له بإناءٍ فيه ماءٌ فشرب منه ، وارتحَلْنا . فجعل الذئبُ يَعْوِي ، فقال الكُميت : مالَه وَيْلَه ! أَلَم نُطعِمه ونسقِه ؟ وما أَعْرَفَني بما يريد ! هو يُعْلِمنا أنّا لسنا على الطريق ؛ تَيامَنُوا يا فِتيان ، فتيامنّا فسكن عُواؤه .

1 القطقطانة : موضع بالكوفة .

2 التهويم : النوم الخفيف .

[توسّط رجالات قريش له عند مسلمة بن هشام فأمنه]

فلم نَزَلْ نسيرُ حتى جئنا الشامَ ، فتوارى في بني أَسَد وبني تَميم ، وأَرسل إلى أَشراف قُريش ، وكان سيِّدَهم يومئذٍ عَنْبَسةُ بن سَعِيد بن العاصّ ، فمشت رجالاتُ قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنْبَسةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ، هذه مكرمة قد أتاك الله بها ، هذا الكُميت بن زَيْد لسانُ مُضَر ، وكان أَمير المؤمنين كتب في قَتْله ، فنجا حتى تخلَّص إليك وإلينا . قال : فمرُوه أَنْ يَعُوذَ بِقَبْرِ معاوية بن هشام بدَيْر حَنِيناء . فمضى الكُميت ، فضرب فُسْطاطَه عند قَبْرِه ، ومضى عَنْبَسةُ فأَتى مَسْلَمةَ بن هشام ، فقال له : يا أَبا شاكر ، مكرمة أتيتَك بها تبلغُ الثريّا إن اعتقَدْتَها ، فإنْ علمتَ أَنّكَ تفي بها وإلاّ كتَمْتَها . قال : وما هي ؟ فأَخبره الخبر ، وقال : إنّه قد مَدحكُم عامّة ، وإيّاكَ خاصّة بما لم يُسمَع بمثله . فقال : عليَّ خلاصُه .

فدخل على أَبيه هشام وهو عند أُمِّهِ في غير وقت دخولٍ ، فقال هشام : أَجئتَ لحاجةٍ ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيّة إلاَّ أَن يكونَ الكُميت . فقال : ما أحبُّ أَنْ تسْتَثْنيَ عليَّ في حاجتي ، وما أَنا والكُميت ! فقالت أُمُّه : والله لتقضينَّ حاجَتَه كائنةً ما كانت . قال : قد قضيتُها ولو أَحاطت بما بينَ قُطْرَيها . قال : هي الكُميت يا أَمير المؤمنين ، وهو آمِنٌ بأَمانِ الله عزَّ وجلَّ وأَماني ، وهو شاعرُ مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله ، قال : قد أَمَّنته ، وأَجزتُ أَمانَك له ، فاجلس له مجلساً يُنْشِدُك فيه ما قال فينا .

[هشام يسمع مدائحه في بني أُميّة]

فعقد له ، وعنده الأَبرش الكلبيّ ، فتكلَّم بخطبة ارتجلها ما سُمِع بمثلها قطّ ، وامتدحه بقصيدته الرّائيّة ، ويقال : إنّه قالها ارتجالاً ، وهي قوله[1] :

قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله : [من مجزوء الكامل]

مــاذا عليــك مِــنَ الوُقُو فِ بهـا وأَنَّكَ غَيْرُ صاغِرْ[2]
دَرَجَـتْ عليهــا الغاديـــا تُ الرَّائحاتُ مِنَ الأَعاصِرْ

وفيها يقول :

---

1 شعر الكُميت 1 : 223–225 .

2 رواية مجموع شعره :

مــاذا عليك من الوقو ف بهامد الطللين دائر

فـالآن صِـرْتُ إلى أُميَّـ ـةَ والأُمـورُ إلى المَصايِرْ

وجعل هشام يغمز مَسْلَمة بقَضيب في يَدِه ، فيقول : اسمَعْ ، اسمَعْ .

ثم استأذنه في مَرْثِيَّة ابنه معاوية ، فأَذِن له ، فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

سأَبْكِيكَ للدُّنْيا وللدِّين إنَّني رأَيْتُ يدَ المعروفِ بعدكَ شَلَّتِ

فدامَتْ عليكَ بالسلامِ تحيّـةٌ ملائكـةُ اللهِ الكـرامُ وصلَّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجِبُ فسكّته .

ثم جاء الكُميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المُضريّة بالهدايا ، وأمر له مَسْلَمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم . وكتب إلى خالد بأمانِهِ وأمانِ أهْل بيته ، وأنّه لا سلطانَ له عليهم .

قال : وجمعت له بنو أُميّة بينها مالاً كثيراً . قال : ولم يُجمَع من قصيدته تلك يومئذٍ إلاّ ما حفظه الناسُ منها فأُلِف . وسُئِل عنها ، فقال : ما أحفَظُ منها شيئاً ؛ إنّما هو كلامٌ ارتجلْتُه .

فقال : ووَدّع هشاماً ، وأنشده قوله فيه[2] : [من الخفيف]

ذكـر القلـبُ إلْفَه المذكورا

[سبقه إلى معنى في صفة الفرس]

قال محمد بن كُناسة : وكان الكُميت يقول : سبقتُ الناسَ في هذه القصيدة من أهل الجاهليّة والإسلام إلى معنًى ما سُبِقتُ إليه في صفةِ الفرس حين أقول[3] : [من الخفيف]

يَبْحثُ التُّرْبَ عن كواسر في المَشْـ ـرَبِ لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصَّفيرا

هذه رواية ابن عمّار . وقد روي فيه غير هذا .

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكُميت غير هذا ، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخرّاز ، قال : حدَّثني أحمد بن إبراهيم الحاسب ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أُميَّـة البلخيّ ، قـال : كان حَكِيم بن عيّاش الأعور الكلبيُّ وَلِعاً بهجاء[4] مُضَر ، فكانت شعراء مُضَر تَهْجُوه ويُجيبهم ، وكان الكُميت يقول : هو واللهِ أشْعَرُ منكم . قالوا : فأجِب الرجلَ .

1 شعر الكُميت : 147 .
2 شعر الكُميت : 210 .
3 شعر الكُميت : 205 . غير أن البيت في وصف عروق النبات في الأرض .
4 ل : بشعراء .

قال : إنَّ خالد بن عبد الله القَسْرِيّ محسن إليَّ فلا أقدِرُ أنْ أردَّ عليه . قالوا : فاسمَعْ بأذنك ما يقول في بنات عَمِّك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك ؛ فحمِيَ الكُميت لعشيرته ، فقال المُذْهَبة :

أَلا حُيِّيتِ عنّا يــا مَدِينا

فأحسن[1] فيها ، وبلغ خالداً خبَرُها ، فقال : لا أُبالي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكر ، فأنشدوه قوله : [من الوافر]

ومِــنْ عَجَبٍ عليَّ لَعَمْرُ أُمّ ... غذَتــك وغير هاتيّــا يمينا

تجاوزتَ الميــاهَ بــلا دَليلٍ ... ولا عَلَــمٍ تعَسُّفَ مخطئينا

فإنَّكَ والتحوّل مِــنْ مَعَدّ ... كهيلـــــةَ قَبْلَنــا والحالبينا

تخطَّت خيرهم حَلَبا ونَسْئاً ... إلى المَــوْلى المغادِرِ هارِبينا[2]

كعَنْزِ السّوء تنطحُ عالِفيها ... وترميهــا عِصِـــيُّ الذّابحِينا[3]

فبلَغَ ذلك خالداً ، فقال : فعلَها ! واللهِ لأقتُلنَّه . ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيَّرهنَّ نهايةً في حُسْنِ الوجوهِ والكمال والأدَب ، فروَّاهُنَّ الهاشِميّات ، ودسَّهنَّ مع نخّاسٍ إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهُنَّ جميعاً . فلمّا أنس بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأدباً ، فاستقرأهُـنَّ القرآنَ ، فقـرأْنَ ، واستنشدهنَّ الشعر ، فأنشدْنَه قصائد الكُميت الهاشميّات . فقـال : ويلكـنّ ! مَن قائلُ هذا الشعر ؟ قلن : الكُميت بن زَيْد الأَسَدِيّ . قال : وفي أيّ بلد هو ؟ قُلْنَ : في العراق ، ثم بالكوفة . فكتب إلى خالد وهو عامِلُه على العراق : ابْعَثْ إليَّ برأسِ الكُميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكُميت في الليل ، فأخذه وأوْدَعَه السِّجْن . ولّما كان من الغدِ أقرأ مَنْ حضره من مُضَر كتابَ هِشام ، واعتذر إليهم مِن قتلِه ، وآذَنهم في إنفاذِ الأمرِ فيه في غدٍ ؛ فقال لأبان بن الوليد البجَليّ ، وكان صَدِيقاً للكُميت : انظر ما ورد في صَدِيقك . فقال : عزَّ عليّ واللهِ ما به ، ثم قام أبان ، فبعث إلى الكُميت فأنذره ، فوجَّه إلى امرأتِهِ .

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانَه ، كما ذكر مَن تقدّمه . وقال فيه : فأتى مَسلمة بن عبد الملك فاستجارَ به ، فقال : إنّي أخشى ألاّ ينفعك جواري عنده ، ولكن استجر بابنهِ مَسلمة بن هشام . فقـال : كُـنْ أنتَ السفير بيني وبينه في ذلك ، ففعل

1 ل : فأفحش .

2 النسء : اللبن الكثير الماء .

3 عالفيها في ل : حالبيها .

مسلمة ، وقال لابنِ أخيه : قد أتيتك بشَرَف الدَّهْرِ ، واعتقادِ الصَّنيعةِ في مُضَر ، وأخبره الخبر ؛ فأجاره مسلمة بن هشام . وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ، ثم قال : أتُجيرُ على أمير المؤمنين بغير أمرِه ؟! فقال : كلاّ ، ولكنّي انتظرتُ سكونَ غَضَبِه . قال :أَحْضِرْنيه الساعة ، وإلاّ لا جوار لك . فقال مَسلمة للكُميت : يا أبا المستهلّ ، إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بإحضارك . قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟ قال : كلاّ ، ولكنّي أحتالُ لكَ . ثم قال له : إنّ معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرِبْ رواقَكَ على قبره ، وأنا أبعثُ إليك بنيه يكونون معك في الرّواق ، فإذا دعا بك تقدَّمْتَ إليهم أنْ يربطوا ثيابَهم بثيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبْرِ أبينا ، ونحن أحقُّ مَنْ أجاره .

فأصبح هشام على عادتِهِ مُتَطَلِّعاً مِنْ قَصْرِه إلى القبر ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : لعلّه مُسْتَجِير بالقَبْرِ ! فقال : يُجارُ مَنْ كان إلاّ الكُميت ؛ فإنّه لا جوار له . فقيل : فإنّه الكُميت ، قال : يُحْضَرَ أَعْنَف إحضار . فلمّا دُعِي به رَبَط الصبيانُ ثيابَهم بثيابه . فلمّا نظر هشام إليهم اغرورَقَت عيناه واستعبَرَ ، وهُم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بِقَبْرِ أبينا ، وقد مات ، ومات حظّه من الدُّنيا ، فاجْعَلْهُ هبةً له ولنا ، ولا تفضحنا فيمَن استجار به . فبكى هشام حتى انتحَب ، ثم أَقبل على الكُميت فقال له : يا كُمَيت ، أنت القائل : [من الطويل]

وإلاّ تَقُولوا غيرها تتعرّفوا نَواصِيَها تَرْدِي بِنا وهي شُزَّبُ[1]

فقال : لا ، والله ، ولا أتانٌ مِنْ أُتن الحجاز وَحْشِيّة . فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيِّه ، ثم قال : أمَّا بعد فإنِّي كنتُ أَتَدهْدى[2] في غمرة ، وأَعُوم في بَحْرِ غواية ، أَخْنى عليَّ خطلها ، واستفزَّني وَهلها[3] ؛ فتحيَّرتُ في الضَّلالَة ، وتسكَّعت في الجهالة ، مُهْرِعاً عن الحقّ ، جائراً عن القَصْدِ ، أَقولُ الباطلَ ضلالاً ، وأُفوه بالبهتان وَبالاً ، وهذا مقامُ العائذِ مُبْصِرِ الهدى ، ورافض العمى . فاغسِلْ عنّي يا أمير المؤمنين الحَوْبة[4] بالتَّوبة ، واصْفَحْ عن الزلّة ، واعْفُ عن الجَرِمَة[5] ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

---

1 لم يرد هذا البيت في مجموع شعره ، وورد في الهاشميات : 47 . والشزب : الضمر .

2 أتدهدى : أتقلب .

3 الوهل : الفزع .

4 الحوبة : الخطيئة والإثم .

5 الجرمة : الذنب .

كَمْ قـالَ قائلُكم : لَعا لـك ، عنـد عَثْرتِهِ لعاثِرْ
وغفَرْتُـمُ لِـذَوِي الذنـو بِ من الأَكابرِ والأَصاغِرْ
أَبَنِـي أُمَيَّـةَ إنّكُـمْ أَهلُ الوسائـلِ والأَواصِرْ[1]
ثِقَتـي لكُـلِّ مُلِمَـةٍ وعَشِيرتـي دُونَ العَشائِرْ
أَنتُـمْ مَعـادِنُ للخـلا فَةِ كابِراً مِـن بَعْـدِ كابِرْ
بالتِّسْعَـةِ المتتابعيـ ـن خلائفا وبخَيرِ عاشِرْ
وإلى القيامَـةِ لا تـزا لُ لِشافعٍ منكـمْ وَواتِرْ[2]

ثم قطع الإنشادَ وعاد إلى خطبَته ، فقال : إغضاءُ أَمير المؤمنين وسماحتُه وصباحتُه ، ومَناط المنتَجِعين بحَبْلِه ، مَنْ لا تُحَلُّ حَبْوتُه لإساءةِ المذنبين ، فضلاً عن استشاطةِ غضَبِه بجَهْلِ الجاهلين .

[محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أُميّة]

فقال له : ويلك يا كميت ! من زيّن لك الغَواية ، ودَلاّك في العَماية ؟ قال : الذي أخرج أَبانا من الجنّة ، وأنساه العَهْد ، فلم يَجِدْ له عَزْماً . فقال : إيهٍ ! أَنت القائل : [من الطويل]

فيا مُوقِـدا نـاراً لغيرك ضَوْءُها ويا حاطِباً في غير حَبْلِك تحطِبُ[3]

فقال : بل أَنا القائل[4] : [من المتقارب]

إلى آلِ بَيْـتِ أَبـي مالـكٍ مناخٌ هـو الأَرْحَبُ الأَسْهَلُ[5]
نَمُـتُّ بأَرْحامنـا الدَّاخِـلا تِ مِنْ حَيْثُ لا يُنْكَرُ المدخَلُ
بِبَـرَّةَ وَالنَّضْـر والمالِكِيـ ـنَ رَهْط هـم الأَنبلُ الأَنبلُ
وبِابْنَـيْ خُزَيْمة بَـدْر السما ء والشمس مفتـاح ما نأْمُلُ
وجَدْنـا قريشاً قريشَ البِطاح علـى مـا بَنـى الأَوَّلُ الأَوَّلُ

---

1 الأواصر في شعر الكُميت : والأوامر .
2 الهاشميات : 54 .
3 المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 والمثل «كل امرىء يحتطب في حبله» في المرجع نفسه 2 : 171 .
4 شعر الكُميت 2 : 28–29 .
5 الشطر الأول في ل : إلى آل فهر إلى مالك .

بهم صَلُح النّاسُ بعد الفساد   وحِيصَ مـن الفَتْق ما رَعْبَلُوا[1]

قال له : وأَنت القائل[2] : [من الخفيف]

لا كعَبْـد المَلِيك أَو كوَلِيدٍ   أَو سُليمان بَعْدُ أَو كهشام
مَنْ يَمُتْ لا يَمُتْ فقِيداً ومَنْ يَحْـ   ـيَ فـلا ذُو إِلٍّ ولا ذُو ذِمام

ويلك يا كميت ! جعلْتَنا مِمَّن لا يَرْقب في مُؤْمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّة ، فقال : بل أَنا القائلُ يا أَمير المؤمنين : [من مجزوء الكامل]

فـالآنَ صِـرْتُ إلى أُميَّـ   ـةَ والأُمـورُ لهـا مصائِرْ
والآنَ صِـرتُ بهـا المُصيـ   ـب كمُهْتَدٍ بالأَمْس حائِرْ
يـا ابْنَ العقائـل للْعقـا   ئِلِ والجحاجِحةِ الأَخايِرْ
مِـنْ عَبْد شمسٍ والأَكا   بـرِ مِـنْ أُمَيَّـةَ فالأَكابِرْ
إنَّ الخلافـــة والإلا   فَ برَغْمِ ذِي حَسَدٍ وواغِرْ
دَلفا مِـنَ الشَّرفِ التَّليـ   ـد إليكَ بالرِّفـدِ المُوافِرْ
فحللـتَ مُعْتَلَـجَ البِطـا   ح وحـلَّ غيرك بالظواهِرْ

قال له : إيه ، فأَنت القائل[3] : [من الوافر]

فقُلْ لبني أُميَّةَ حيْثُ حَلُّوا   وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا
أَجـاعَ اللهُ مَـنْ أَشبعتموه   وأَشبعَ مَنْ بجَوْرِكُمُ أُجِيعا
بمَرْضِيٍّ السياسةِ هاشميٍّ   يكـونُ حَيـاً لأُمَّتِهِ رَبِيعا

فقال : لا تثريب يا أَمير المؤمنين ، إن رأَيت أَنْ تمحُوَ عنِّي قولي الكاذب . قال : بماذا ؟

قال : بقولي الصادق[4] : [من الخفيف]

أَورَثَـتْـهُ الحَصانُ أُمُّ هشامٍ   حسَباً ثاقِباً ووَجْهاً نَضِيرا
وتعاطـى به ابنُ عائشةَ البد   رَ فأَمسى لـه رَقيبـاً نَظيرا

---

1 حيص : رتق . ورعبلوا : مزّقوا .
2 لم يرد البيتان في مجموع شعره . وهما في الهاشميات : 11-12 .
3 الهاشميات : 153 .
4 شعر الكُميت 1 : 204 .

وكساه أبو الخلائف مَرْوا نُ سَنِـيَّ المكـارِمِ المأثورا
لم تجهَّمْ لَـهُ البِطاحُ ولكِنْ وَجَدَتْها لَـهُ مَغـاراً ودُورا[1]

[أعجب هشام بشعره فرضي عنه]

وكان هشامٌ مُتَّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : قد رضيتُ عنك يا كُمَيْت ؛ فقبَّل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيتَ أن تزيدَ في تشريفي ، ولا تجعلَ لخالد عَليَّ إمارة ! قال : قد فعلت . وكتب له بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هِشاميّة . وكتب إلى خالد أن يخلّيَ سبيلَ امرأته ويُعطيَها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً . ففعل ذلك .

[سحابة صيف]

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قدومه الكُوفة بالعَهْد الذي كُتب له ، منها أنّه مرَّ به خالدٌ يوماً ، وقد تحدَّث الناس بِعَزْلِهِ عن العراق ، فلمّا جاز تمثَّل الكُميت[2] : [من الطويل]

أَراها ، وإنْ كانت تُحَبُّ ، كأنّـها سحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّعُ[3]

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لا تنقشِعُ حتى يغشاك منها شُؤْبوب بَرَد . ثم أمر به فجُرِّدَ ، فضربه مائةَ سوط ، ثم خلّى عنه ومَضى . هذه رواية ابن حبيب .

[يحذّر هشاماً من خالد]

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدَّثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان هشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله ، وكان يُقال : إنّه يريد خَلْعَكَ ، فوُجد بباب هشام يوماً رقعةٌ فيها شعر ، فدُخِل بها على هشام فقُرِئت عليه ، وهي[4] : [من الطويل]

تألَّـقَ بَـــرْقٌ عندنـا وتقابَلَتْ أثافٍ لِقدْرِ الحَرْبِ أَخْشى اقْتبالَها
فدونَك قِـدْرَ الحَرْبِ وهي مُقِرَّةٌ لكفَّيك واجعل دُونَ قِدْرٍ جِعالَها[5]
ولن تنتهي أو يبـلغ الأمْرُ حَـدَّه فنَلْهـــا بِرِسْل قبــل ألاّ تنـــالَها

---

1 مغاراً في شعر الكُميت : معاناً .

2 شعر الكُميت : 250 .

3 المثل «سحابة صيف عن قليل تقشع» في مجمع الميداني 1 : 344 .

4 شعر الكُميت 1 : 86–87 .

5 الجعالة : خرقة تنزل بها القدر .

فتجْشَم منها ما جَشمْتَ مِنَ التي بسُوراءَ هرَّت نحـو حالكَ حالها[1]
تَلافَ أُمـورَ النـاسِ قبل تفاقُمٍ بعَقْدةِ حَزْم لا تَخـافُ انْحلالَها
فما أبـرم الأَقـوامُ يَوْماً لِحيلَةٍ مِنَ الأمـرِ إلاّ قلَّـدُوكَ احتيالها
وقـد تُخْبِرُ الحَرْبُ العَوانُ بسرِّها ـ وإن لم تُبحْ ـ مَنْ لا يُرِيدُ سؤالَها

فأَمر هشام أَن يُجمعَ له مَنْ بحضرته من الرُّواة ، فجُمِعوا . فأَمر بالأَبيات فقرئت عليهم ، فقال : شِعرُ مَنْ تُشبِه هذه الأبيات ؟ فأجمعُوا جميعاً مِنْ ساعتهم أنّه كلام الكُميت بن زيد الأَسديّ . فقال هشام : نعم ، هذا الكُميت يُنْذِرُني بخالد بن عبد الله . ثم كتب إلى خالد بخَبَرِه ، وكتب إليه بالأَبيات ، وخالدٌ يومئذٍ بواسط .

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأَخْذِ الكُميت وحَبْسه ، وقال لأَصحابه : إنّه بلغني أَنَّ هذا يمدحُ بني هاشم ويهجُو بني أُميّة ، فأْتوني من شعره هذا بشيء . فأُتِيَ بقصيدته اللاميّة التي أوّلُها[2] : [من الطويل]

أَلا هَـلْ عَـمٍ في رَأْيِه مُتأَمِّلُ وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءة مُقْبِلُ !

فكتبها وأَدْرَجها في كتابٍ إلى هشام ، يقول : هذا شعرُ الكُميت ؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك .

فلمّا قُرِئت على هشام اعتاظ ، فلمّا قال[3] : [من الطويل]

فيا ساسةً هاتوا لنا مِنْ جوابِكم ففيكم لعَمْري ذُو أَفانين مِقْوَلُ

اشتَدَّ غَيْظُه ، فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطعَ يَدَي الكُميت ورِجْلَيه ، ويُضربَ عنقه ويهدمَ داره ، ويصلبه على تُرابها .

[ابن عنبسة ينذره]

فلمّا قرأ خالد الكتابَ كرِه أَنْ يَسْتَفْسِدَ عشيرتَه ، وأَعلن الأَمرَ رجاء أَن يتخلَّصَ من الكُميت ، فقال : لقد كتب إليَّ أميرُ المؤمنين ، وإنِّي لأَكرَهُ أن أَستَفْسِدَ عشيرته ، وسمّاه . فعرف عبد الرحمن بن عَنبسة بن سَعِيد ما أرادَ ، فأخرج غلاماً مولّداً ظريفاً ، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة ، وقال : إنْ أنتَ ورَدْتَ الكوفةَ ، فأَنْذرْتَ الكُميت لعلّه أن

1 سوراء : موضع .
2 الهاشميات : 110–144 .
3 الهاشميات : 116 .

يتخلَّصَ منَ الحَبْس ، فأنتَ حُرٌّ لِوجْهِ الله ، والبغلةُ لك ، ولك عليَّ بعد ذلك إكرامُك والإحسانُ إليك .

فركب البَغْلة وسار بقيَّةَ يومِه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها ، فدخل الحبسَ مُتَنكِّراً ، فخبَّر الكُميت بالقصّة ، فأرسل إلى امرأتِه وهي ابنةُ عمِّه يأْمرها أنْ تجيئه ومعها ثيابٌ مِنْ لباسها وخُفّان ، ففعلت ، فقال : أَلبسيني لِبْسةَ النساء ، ففعلَتْ ، ثم قالت له : أقبِل ، فأقبَل ، وأدبِرْ ، فأدبَرَ . فقالت : ما أرى إلاّ يُبْساً في منكبيك ، اذهب في حِفْظ الله .

فخرج فمرَّ بالسجَّان ، فظنَّ أنَّه المرأة ، فلم يعرِض له فنجا ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

خرجتُ خروجَ القِدْح قِدْحِ ابن مُقْبِل على الرّغْم من تلك النـوابحِ والمُشْلي
عـليَّ ثيـابُ الغانيـات وتحتَهـا عزيمةُ أمـرٍ أَشبهَتْ سَلَّـةَ النَّصْلِ

وورد كتابُ خالد على والي الكوفة يأْمُرُه فيه بما كتب به إليه هشام ، فأرسل إلى الكُميت لِيُؤْتى بِهِ من الحَبْس فيُنفِذَ فيه أمْرَ خالد ، فدنا من باب البيت فكلَّمتْهم المرأةُ ، وخبَّرتهم أنّها في البيت ، وأنَّ الكُميت قد خرج ؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابه : حرَّة كريمة آسَتْ ابْنَ عمِّها بنفسها ، وأمر بتَخْليتها ، فبلغ الخبرُ الأعورَ الكلبيَّ بالشام ، فقال قصيدته التي تَرْمِي فيها امرأة الكُميت بأهل الحبس ، ويقول : أَسْوَدِينَ وأحمَرِينا[2] .

[هجاؤه أحياء اليمن]

فهاج الكُميت ذلك حتى قال :

أَلا حُيِّـيتِ عنّا يـا مَدِينا

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيّاً مِنْ أَحياءِ اليَمَنِ إلاَّ هجاهم . وتوارى ، وطُلِب ، فمضى إلى الشام ، فقال شعره الذي يقول فيه :

قِـفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ

في مسلمة بن عبد الملك ، ويقول : [من مجزوء الكامل]

يا مَسْلَمُ ابْنَ أَبي الوليدِ لميّتٍ إنْ شئـتَ ناشِرْ
اليـومَ صـرتُ إلى أُميّـ ـة والأُمورُ إلى المصايِرْ

قال أَبو الحسن : قال أَبي : إنمّا أَراد اليوم صرتُ إلى أُميّة والأُمورُ إلى مصايرها ؛ أَي بني

---

1 شعر الكُميت 2 : 50 .

2 البيت في خزانة البغدادي 1 : 178 .

فما وجدت بنات بني نزار حلائـل أسودين وأحمرينا

هاشم . وبذلك احتجّ ابنُه المستهلّ على أبي العبّاس حين عَيَّره بقول أبيه هذا الشعر .

فأذن له ليلاً ، فسأله أن يُجيره على هشام ، فقال : إنّي قد أجَرْت على أمير المؤمنين فأخفر جواري ، وقبيحٌ برجل مثلي أن يُخْفَرَ في كلّ يوم ، ولكنّي أدلّك ، فاستجرْ بمسلمة بن هشام وبأُمّه أُمّ الحكم بنت يحيى بن الحكم ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين قد رشّحه لولاية العهد .

فقال الكُميت : بئس الرأيُ ! أُضيعُ دَمِي بين صَبيّ وامرأة ! فهل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبّه ، وقد جعل أميرُ المؤمنين على نَفْسِه أن يزورَ قبرَه في كلّ أُسبوع يوماً ، وسمّى يوماً بعينِه ، وهو يزورُه في ذلك اليوم ، فامْضِ فاضرِبْ بناءك عند قبره ، واستجِرْ به ، فإنّي سأحضر[1] معه وأُكلّمه بأكثر من الجوار .

ففعل ذلك الكُميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه ، فجاء هشام ومعه مسلمة ، فنظر إلى البناء ، فقال لبعض أعوانه : انظر ما هذا ، فرجع فقال : الكُميت بن زيد مُستجير بقَبْر معاوية ابن أمير المؤمنين . فأمر بقتله ، فكلَّمَه مَسلمة وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ إخفارَ الأمواتِ عارٌ على الأحياء ، فلم يزل يعظِّم عليه الأمرَ حتى أجاره .

[خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب]

فحدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ ، قال : حدَّثنا حَجر بن عبد الجبّار ، قال : خرجت الجعفريّة[2] على خالد بن عَبد الله القَسْريّ وهو يخطبُ على المِنبر وهو لا يعلمُ بهم ، فخرجوا في الببانيين ، ينادون : لبّيك جعفر ، لبّيك جعفر ! وعرف خالدٌ خبرهم ، وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فَزَعاً ، فقال : أَطعموني ماءً ، ثم خرج الناسُ إليهم فأُخِذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طُنّ قصَب[3] فيُطْلى بالنّفْط ، ويُقال للرجل احتضِنه ، ويُضرَب حتى يفعل ، ثم يحرَق ، فحرّقهم جميعاً .

فلمّا قدِم يوسف بن عُمر دخل عليه الكُميت وقد مدحه بعد قتله زَيْد بن عليّ ، فأنشده قوله فيه[4] : [من الطويل]

خرجْتَ لهم تَمْشي البَراحَ ولم تكُنْ كمَنْ حِصْنُه فيه الرِّتاجُ المضبَّبُ[5]

1 ل : شاخص .
2 ل : المغيرية .
3 طن القصب : الحزمة منه .
4 شعر الكُميت 1 : 85 .
5 المضبب : المغلق .

وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماءَ فاغِراً　　　بِعدْلِكَ والدَّاعي إلى الموتِ ينعَبُ

[قتله الجند تعصّباً لخالد]

قال : والجندُ قيامٌ على رأسِ يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصَّبوا لخالد ، فوضعوا ذُبابَ سيُوفِهم في بَطْنِ الكُميت ، فوَجِئوه[1] بها ، وقالوا : أتنشدُ الأميرَ ولم تَسْتأْمِرْه ! فلم يزل ينزف الدَّمَ حتى مات .

[اعتذاره لهشام]

وأخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، قال : لمّا دخل الكُميت بن زَيْد على هشام ، سلَّم ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، غائب آبَ ، ومذنب تاب ، مَحا بالإنابة ذَنْبَه ، وبالصِّدْقِ كذبه ، والتوبةُ تُذهب الحَوْبَة ، ومِثْلُك حَلُم عن ذي الجريمة ، وصفح عن ذي الرِّيبَة .

فقال له هشام : ما الذي نجّاك من القَسْرِيّ ؟ قال : صِدْقُ النيّة في التوبة . قال : ومَنْ سنَّ لك الغَيَّ وأوْرَطك فيه ؟ قال : الذي أغْوى آدم فنَسيَ ولم يَجدْ له عَزْماً ، فإن رأيْتَ يا أمير المؤمنين ، فَدَتْكَ نفسي ، أنْ تأذَن لي بِمَحْو الباطل بالحقّ ، بالاستماع لما قُلته ! فأنشده : [من الخفيف]

ذَكَرَ القلبُ إلْفَهُ المذكورا　　　وتلافى مِنَ الشبابِ أخِيرا

[موقف الكُميت من بني أميّة وبني هاشم]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العنَزيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل الأسديّ ، قال : دخل المستهلّ بن الكُميت على عبد الصَّمد بن عليّ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فأخبره ؛ فقال : لا حيَّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباك ، هو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

فالآن صرتُ إلى أُميَّـ　　　ـة والأُمورُ إلى المصايِرْ

قال : فأطرقْتُ استحياء ممّا قال ، وعرفْتُ البيتَ . قال : ثم قال لي : ارْفَع رأسَكَ يا بنيَّ ، فلئن كان قال هذا ، فلقد قال[2] : [من الطويل]

بخاتمكم كرهاً تجوزُ أُمورُهم　　　فلم أرَ غَصْباً مِثْله حين يُغْصَبُ

---

1 وجئوه : ضربوه في أي مكان .

2 الهاشميات : 37 .

قـال : فسلّى بعضَ مـا كان بي ، وحادثني ساعةً ، ثم قال : ما يعجبُك من النساء يا مستهلّ ؟ قلت : [من الكامل]

غَرّاء تَسْحَبُ مِنْ قيامٍ فَرْعَها ... جَثْـلاً يُزَيِّنُـه سَوادُ أَسْحَمُ[1]

فكأنّهـا فيـه نَهـارٌ مُشْرِقٌ ... وكأنّـهُ ليـلٌ عَلَيْهـا مُظْلِمُ

قال : يا بنيّ ؛ هذه لا تصابُ إلاّ في الفردوس ، وأَمَر له بجائزة .

[يصلح بشعره بين هشام وجاريته]

أَخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله الخصّاف الطلحيُّ ، عن محمد بن أنس السّلاميّ ، قال : كان هشامُ بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها صدُوف مدَنيّة اشتُرِيَت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها ، وحلف أَلاَّ يبدأَها بكلام ، فدخل عليه الكُميتُ وهو مغموم بذلك ، فقال : ما لي أَراكَ مغموماً يا أميرَ المؤمنين ، لا غمَّكَ اللهُ ! فأخبره هشام بالقصّة ، فأطرق الكُميت ساعةً ثم أَنشأ يقول[2] : [من الكامل]

أعتبْتَ أَمْ عَتَبَتْ عَلَيْكَ صَدُوفُ ... وعِتابُ مِثْلك مِثلَها تَشريفُ

لا تقعُدَنَّ تَلُومُ نفسَك دائباً ... فيهـا وأَنـتَ بحُبِّها مشغوفُ

إنَّ الصريمةَ لا يقـومُ بثِقْلِها ... إلاَّ القويُّ بها ، وأَنْتَ ضَعيفُ

فقال هشام : صدقتَ واللهِ ، ونهض مِنْ مجلسه ، فدخل إليها ، ونهضَتْ إليه فاعتنقته . وانصرف الكُميت ، فبعث إليه هشام بألفِ دينار ، وبعثَتْ إليه بمثلها .

[عند يزيد بن عبد الملك]

قال الطلحيّ : أَخبرني حُبيش بن الكُميت أَخو المستهلّ بن الكُميت بن زيد ، قال : وفد الكُميت بن زَيْد على يزيد بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشتُريت له سلاّمة القسّ ، فأَدخلها إليه والكُميتُ حاضِرٌ فقال له : يا أَبا المستهلّ ؛ هذه جارية تُباع ، أَفَترى أَن نَبْتاعها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ؛ وما أُرى أنَّ لها مِثْلاً في الدُّنيا فلا تفوتنَّك ، قال : فصِفْها لي في شِعْرٍ حتى أقبلَ رأيَك ؛ فقال الكُميت[3] : [من الخفيف]

---

1 الشطر الثاني في ل : «وتغيب فيه وهو جثل أسحم» . والبيتان في الحماسة (شرح المرزوقي) : 1285 .

2 شعر الكُميت 1 : 253 .

3 لم يرِد هذا الشعر في مجموع شعره ولا في الهاشميات .

هي شمسُ النهار في الحُسْنِ إلاّ أنّها فُضِّلت بِقَتْلِ الظِّرافِ
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيم لَعُوبٌ وَعْثَةُ المتنِ شَخْتة الأطرافِ[1]
زانهـا دَلُّهـا وثَغْرٌ نَقِيٌّ وحَدِيثٌ مُرَتَّلٌ غَيْر جافي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيةِ المتمنّى فاقْبَلِ النُّصْحَ يا ابْنَ عَبْدِ مَنافِ

فضحك يزيد ، وقال : قد قَبِلْنا نُصْحَكَ يا أبا المستهلّ ، وأمر له بجائزةٍ سنيّة .

[الفرزدق يسأل والكُميت يجيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : أخبرني إبراهيم بن أيّوب ، عن ابن قُتيبة ، قال : مَرَّ الفرزدق بالكُميت وهو ينشِدُ ، والكُميت يومئذٍ صَبِيٌّ ، فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرُّك أنّي أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرُّني أن تكون أُمِّي ! فَحَصِرَ الفرزدق ، فأقبل على جلسائه وقال : ما مَرَّ بي مثلُ هذا قطّ .

[ينشد جعفر بن محمد فيبكي الحاضرين]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ بن عُقْدة ، قال : أخبرنا عليّ بن محمد الحسينيّ ، قال : حدَّثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال ، قال : حدَّثنا مصبِّح بن الهِلقام ، قال : حدَّثنا محمد بن سهل صاحب الكُميت ، قال : دخلتُ مع الكُميت على أبي عبد الله جَعْفر بن محمد عليهما السلام ، فقال له : جُعِلتُ فِداك ! ألا أُنشدك ؟ قال : إنّها أيّامٌ عِظام ، قال : إنّها فِيكم ، قال : هاتِ ، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقَرُب ، فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت[2] : [من الطويل]

يُصيبُ به الرَّامون عن قَوْسِ غيرِهم فيا آخِراً سَدّى له الغَيَّ أوَّلُ

فرفع أبو عبد الله ، عليه السلام ، يَدَيْه فقال : اللهمّ اغْفِرْ للكُمَيْت ما قدَّم وما أخَّر ، وما أسرَّ وما أعلن ، وأعطِه حتى يَرْضى .

[الكسوة ورد المال]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : قال محمد بن كُناسة : حدَّثني صاعِد مولى الكُميت ، قال : دخلْنا على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فأنشده الكُميت قصيدتَه التي أوّلها[3] :

---

1 وعثه المتن : سمينة الظهر . شختة الأطراف : ضامرتها دون هزال .
2 الهاشميات : 138 .
3 هذه أوّل قصيدة في الهاشميات .

مَـنْ لقَلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ ؟

فقال : اللهمّ اغفر للكُمَيت ، اللهمّ اغْفِرْ للكُمَيت .

قال : ودخَلْنا يوماً على أبي جَعْفر محمد بن عليٍّ ، فأعطانا ألفَ دينار وكُسوة ، فقال له الكُميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتُ الدُّنيا لأتَيْتُ مَنْ هيَ في يَدَيْهِ ، ولكنّي أحببتكم للآخرة ؛ فأمّا الثيابُ التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبَرَكاتها ، وأمّا المالُ فلا أقبله ، فردّه وقَبِل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين ، عليهما السلام ، فقالت : هذا شاعِرُنا أهلَ البيت ، وجاءت بقَدَحٍ فيه سَوِيق ، فحركّته بيدها وسقت الكُميت ، فشربه ، ثم أمرَت له بثلاثين ديناراً ومَركب ، فهَمَلت عيناه ، وقال : لا والله لا أقبلها ؛ إنّي لم أُحبّكم للدنيا .

[بنو أسد يذكرون ابن الكُميت ببيت أبيه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، قال : أخبرني عمّي ، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابْنِ كُناسة ، قال : لمّا جاءت المُسوّدَة سخروا بالمستهلّ بن الكُميت ، وحَملُوا عليه حَمْلاً ثقيلاً ، وضربوه . فمرَّ ببني أسد ، فقال : أترضوْن أن يُفعل بي هذا الفعل ؟ قالوا له : هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم[1] : [من الخفيف]

والمُصيبون بابَ ما أخطأ النَّا ... س ومُرْسُو قواعِـــد الإسلامِ

قد أصابوا فيك ، فلا نكذب أباك .

[المستهلّ وأبو مسلم]

قال : ودخل المستهلّ على أبي مُسلم ، فقال له : أبوك الذي كفر بعد إسلامه ، فقال : كيف وهو الذي يقول : [من الطويل]

بخاتمكم كرْهاً تجوزُ أُمُورهم ... فلم أَرَ غَصْباً مِثْلَه حين يُغْصَبُ

فأطرق أبو مسلم مستحيياً منه .

[المستهل يشكو إلى أبي جعفر]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكرانيّ ، قال حدَّثنا الحسن بن بشر السَّعديّ ، قال : أخذ العَسَس المستهلّ بن الكُمَيت في أيّام أبي جعفر ، وكان الأمر صَعْباً ، فحُبِس ، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حالَه ، وكتب في آخر الرُّقعة : [من الطويل]

---

1 الهاشميات : 2 وفيها «والمصيبين . . . ومرسي» مجاراة للأبيات السابقة .

لئِنْ نحن خِفْنا في زمانِ عدوّكم وخِفْناكُمُ إنَّ البــلاءَ لراكِدُ

فلمّا قرأها أبو جعفر قال : صدق المستهلّ ، وأمر بتَخليَته .

[دعبل يرى النبيّ في النوم]

حدَّثني عليُّ بن محمد بن عليٍّ إمام مسجد الكوفة ، قال : أخبرنا إسماعيل بن عليّ الخُزاعيّ ، ابن أخي دعبل ، قال : حدَّثني عمِّي دِعْبل بن عليّ قال : رأيتُ النبيَّ ، ﷺ في النوم ، فقال لي : مالك وللكُمَيْت بن زيد ؟ فقلت : يا رسول الله ، ما بيني وبينه إلاّ كما بين الشعراء ، فقال : لا تفعل ، أليس هو القائل : [من الطويل]

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونَني ولا زِلْـتُ في أَشْياعِهم أتقلَّبُ

فإنّ اللهَ قد غفر له بهذا البيت . قال : فانتهيتُ عن الكُمَيت بعدها .

[النبيّ يستنشد شخصاً في نومه شعر الكميت]

حدَّثني عليُّ بن محمد ، قال : حدَّثني إسماعيل بن عليّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن سعد الأسديّ ، قال : سمعتُ أبي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال : مِنْ أيِّ الناسِ أنت ؟ قلت : مِن العرب ، قال : أعلم ، فمِنْ أيِّ العرب ؟ قلت : من بني أسد ، قال : من أسدَ بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال لي : أهِلاليٌّ أنتَ ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرِفُ الكُمَيت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّي ومِنْ قبيلتي ، قال : أتحفظ من شعرِه شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : أنشِدني[1] : [من الطويل]

طرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله[2] : [من الطويل]

فما لِيَ إلاَّ آلَ أحمــدَ شِيعةٌ وما لِيَ إلاَّ مَشْعبَ الحقِّ مَشْعَبُ

فقال لي : إذا أصبحتَ فاقرأ عليه السلام ، وقل له : قد غفر الله لكَ بهذه القصيدة .

[ثالث يرى الكُميت في نومه ينشد النبي]

وجَدْتُ في كتاب بخطّ المُرْهبيّ الكوفيّ : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام النهديّ الخرّاز ، قال : حدَّثني نَصْر بن مُزاحم المِنْقَريّ ، أنّه رأى النبيَّ ﷺ في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

1 الهاشميات : 27 وعجز البيت «ولا لعباً منّي وذو الشوق يلعب» .

2 الهاشميات : 33 .

من لِقَلْبٍ مُتَيَّـمٍ مُسْتَهامِ ؟

قال : فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الكُمَيْتُ بن زَيْد الأَسديّ ، قال : فجعل النبيّ ﷺ يقول له : جَزاكَ اللهُ خيراً ! وأثنى عليه .

[يعرض شعره على الفرزدق]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف ، قال : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن بُكَيْر الأَسديّ ، قال : حدَّثني محمد بن أنس السَّلاميّ ، قال : حدَّثني محمد بن سَهْل راوية الكُمَيت ، قال : جاء الكُمَيْت إلى الفرزدق لمّا قدِم الكوفة ، فقال له : إنِّي قد قلْتُ شيئاً فاسْمَعْهُ منِّي يا أَبا فِراس . قال : هاتِه ، فأَنشده قوله : [من الطويل]

طرِبْتُ وما شوقاً إلى البِيضِ أَطربُ ... ولا لَعِباً منِّي وذو الشيبِ يَلْعَبُ
ولكِنْ إلى أَهلِ الفضائلِ والنُّهى ... وخَيْرِ بَني حَوَّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال له : قد طربْتَ إلى شيءٍ ما طَرِبَ إليه أَحدٌ قبلك ، فأَمّا نحن فما نطربُ ، ولا طرب من كان قبلنا إلاَّ إلى ما تركت أنتَ الطَّربَ إليه .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عليّ النَّوفليّ ، قال : سمعتُ أَبي يقول : لمّا قال الكُمَيت بن زيد الشعرَ كان أَوّل ما قال الهاشميّات ، فسترها ، ثم أَتى الفرزدق بن غالب ، فقال له : يا أَبا فِراس ، إنّكَ شيخُ مُضَر وشاعِرُها ، وأنا ابن أَخيك الكُمَيت بن زيد الأَسديّ . قال له : صدَقْتَ ، أنتَ ابنُ أَخي ، فما حاجتُك ؟ قال : نُفِثَ على لساني فقلت شعراً ، فأَحببْتُ أن أعرضَه عليك ؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرْتَني بسَتْرِه ، وكنتَ أَولى من ستره عليّ . فقال له الفرزدق : أَمّا عقلك فحسَن ، وإنّي لأَرجو أن يكون شعْرُك على قَدْرِ عقلك ، فأَنشِدني ما قلت ، فأَنشده : [من الطويل]

طربْتُ وما شوقاً إلى البِيض أَطْرَبُ

قال : فقال لي : فيمَ تطربُ يابْنَ أَخي ؟ فقال : [من الطويل]

ولا لِعباً منّـي وذو الشيب يَلْعبُ

فقال : بلى يابْنَ أَخي ، فالْعَبْ ، فإنّك في أَوان اللعب ، فقال : [من الطويل]

ولم يُلْهِنـي دارٌ ولا رسْم منزلٍ ... ولم يتَطَرَّبْنِـي بَنـانٌ مخضَّبُ

فقال : ما يُطربك يابْنَ أَخي ؟ فقال : [من الطويل]

ولا السانحاتُ البارِحـاتُ عشيّةً ... أَمَرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ ؟

فقال : أجل ، لا تتطيَّر ، فقال : [من الطويل]

ولكن إلى أهـل الفضائل والنُّهى وخَيْرِ بنـي حوَّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال : ومَنْ هؤلاء ؟ وَيْحَك ! فقال : [من الطويل]

إلى النَّفَـر البيضِ الذيـنَ بِحُبِّهم إلى اللهِ فيمـا نابَنــي أتقـرَّبُ

قال : أرِحني وَيْحَك ! مَنْ هؤلاء ؟ قال : [من الطويل]

بَنـي هاشمٍ رَهْـطِ النبيِّ فإنّني بهم ولَهُمْ أرضى مِراراً وأغْضَبُ
خفَضْتُ لهـم منّي جَناحَيْ مَوَدَّةٍ إلى كنَفٍ عِطْفاه ؛ أهلٌ ومَرْحَبُ
وكنتُ لهـم مِـنْ هؤلاء وهَؤُلا مُحبّـا ، على أنّي أُذَمُّ وأُقْصَبُ[1]
وأُرْمـى وأَرْمِـي بالعَداوَةِ أهلَها وإنّــي لأُوذى فِيهــمُ وأُؤَنَّبُ

فقال له الفرزدق : يا ابنَ أخي ، أذِع ثم أذِعْ ؛ فأنتَ والله أشعرُ مَنْ مضى ، وأشعر مَن بقي .

[لا يصيب ولا يخطىء]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَير ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل راوية الكُمَيْت عن الكُميت ، قال : لمّا قَدِم ذو الرُّمّة الكوفة أتيته فقلت له : إنّي قد قلتُ قصيدةً عارضْتُ بها قصيدتك :

مـا بـال عَيْنِك منها الماءُ ينسكب[2]

فقال لي : وأيّ شيء قلت ؟ قال : قلتُ : [من البسيط]

هل أنـتَ عـن طَلَب الأيْفاعِ مُنْقَلِبُ أم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ[3]

حتى أنشدتُه إياها ، فقال لي : وَيْحك ! إنّك لتقولُ قولاً ما يقدِرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبتَ ولا أخطأت ، وذلك أنّك تصِفُ الشيءَ فلا تجيء به ، ولا تَقَعُ بعيداً منه ، بل تقع قريباً . قلت له : أوَتدري لِمَ ذلك ؟ قال : لا . قلتُ : لأنّك تصفُ شيئاً رأيتَه بعَيْنك ، وأنا أصِفُ شيئاً وُصِف لي ، وليست المعاينةُ كالوصف . قال : فسكت .

---

1 أقصب : أعاب وأشتم .
2 هذه أوّل قصيدة في ديوان ذي الرمّة (مكارتني) . وعجز البيت «كأنّه من كلى مَفْرِيّةٍ سرب» .
3 الأيفاع هنا : الكواعب .

[جدّتاه تصفان له البادية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني إسماعيل بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، عن حمّاد الراوية ، قال : كانت للكُمَيت جدّتان أدركتا الجاهليّة ، فكانتا تصِفان له البادية وأُمورَها وتُخبِرانه بأخبار الناس في الجاهليّة ، فإذا شكّ في شِعْر أو خَبَر عرضه عليهما فيخبرانه عنه ، فمِن هناك كان عِلْمه .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليُّ الكوفيُّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المُعَلَّى ، قال : حدَّثنا محمد بن فُضَيل ، يعني الصَّيرفيّ ، عن أبي بكر الحضْرميّ ، قال : استأذنتُ للكميت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ ، عليهما السلام ، في أيّام التَّشريق بِمنًى ، فأذن له ، فقال له الكُمَيت : جُعلت فِداك ! إنِّي قلتُ فيكم شِعْراً أُحِبُّ أن أُنشدكَهُ . فقال : يا كُمَيت ، اذكر الله في هذه الأيّام المعلومات ، وفي هذه الأيّام المعدودات ، فأعاد عليه الكُمَيت القول ، فرقّ له أبو جعفر عليه السلام ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ : [من الطويل]

يُصِيب به الرَّامُونَ عن قَوْسِ غيرهمْ فيا آخِــراً سَدَّى لــه الغَيَّ أَوَّلُ

فرفع أبو جعفر يدَيه إلى السماء وقال : اللهمّ اغفِرْ للكُمَيت .

[استئذانه في مدح بني أُميّة]

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغَزَّال الكوفيّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا أرطاة بن حبيب ، عن فُضَيل الرَّسَّان ، عن ورد بن زَيْد أخي الكُمَيت ، قال : أرسلني الكُمَيت إلى أبي جعفر ، فقلت له : إنّ الكُمَيت أرسلني إليك ، وقد صَنَع بنفسه ما صنع ، فتأذَن له أن يمدحَ بني أُميّة ؟ قال : نعم ، هو في حِلٍّ فيَقُلْ ما شاءَ .

أخبرني محمد بن العبّاس ، قال : أخبرني عمِّي عن عُبيد الله بن محمد بن حَبيب ، عن ابن كُناسَة ، قال : مات وَرْدٌ أخو الكُمَيت ، فقيل للكُمَيت : ألا ترثي أخاك ؟ فقال : مَرْثيته ومَرْزيته عندي سواء ، وإنّي لا أُطيق أن أُرثيَه جَزَعاً عليه .

[يروي الحديث]

وقد رَوى الكُمَيت بن زَيْد الحديث ، ورُوِي عنه .

أخبرني جعفر بن محمد بن عُبيد بن عُتبة في كتابِه إلي ، قال : حدَّثني الحُسين بن محمد بن عليٍّ الأزدي ، قال : حدَّثني الوليد بن صالح ، قال : حدَّثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداوي ، عن أبيه ، عن الكُمَيت بن زَيْد ، قال : حدَّثني عكرمة أنّ عبد الله بن عبّاس بعثه

مع الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فجعل يُهِلّ[1] حتى رَمى جَمْرَة العَقبة ، أَو حين رمى جَمْرة العقبة ، فسألته عن ذلك ، فأخبرني أنّ أباه فَعَلَه . فحدَّثتُ به ابن عبّاس ، فقال لي : لا أُمَّ لك ! أتسأَلني عن شيءٍ أخبرك به الحسين بن عليّ عن أبيه ! والله إنّها لسُنَّة .

أَخبرنا أَبو الحسن بن سراج الجاحظ ، قال : حدَّثنا مسروق بن عبد الرحمن أَبو صالح ، عن الحسن بن محمد بن أَعين ، عن حَفْص بن محمد الأسديّ ، قال : حدَّثنا الكُمَيت بن زيد عن مذكور مولى زينب ، عن زينب ، قالت : دخل عليّ النبيُّ ﷺ وأَنا فضُلٌ[2] ، قالت : فقلت بيدي هكذا ، واستترتُ ، قالت : فقال لي : إنّ الله عزَّ وجلَّ زوَّجنيك .

حدَّثني أَبو العبّاس أَحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدَّثني أَحمد بن سراج ، قال : حدَّثني الحسن بن أَيّوب الخثعمي ، قال : حدَّثنا فُرات بن حبيب الأسديّ قال : حدَّثني أَبي حبيبُ بن أبي سليمان ، قال : حدَّثني الكُمَيت بن زيد ، قال : سأَلْتُ أبا جعفر عن قَول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرادُّك إلى مَعاد﴾ . قال : دخلتُ أَنا وأَبي إلى أَبي سعيد الخُدْرِيِّ ، فسأَله أَبي عنها ، فقال : مَعادُ آخِرَتِه : الموت .

[أخذه بالتقية]

أَخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال حدَّثني إسحاق بن محمد بن أَبان ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مِهْران ، قال : حدَّثني رِبْعِيُّ بن عبد الله بن الجارود بن أَبي سَبْرَة ، عن أَبيه ، قال : دخل الكُمَيت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فقال له : يا كُمَيت ؛ أنت القائل : [من مجزوء الكامل]

فالآن صِرْتُ إلى أُمَيَّـــــةَ والأُمورُ إلى المصايِـرْ

قال : نعم ، قد قُلْتُ ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدُّنيا ، ولقد عرفتُ فضلكمُ ، قال : أَما أَنْ قلت ذلك فإنَّ التقيّة لتحِلّ .

[أشعر الأوّلين والآخرين]

أَخبرني محمد بن القاسم الأَنباريّ ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثنا الحَسَنُ بن عبد الرّحمن الرَّبَعِيّ ، قال : حدَّثنا أَحمد بن بُكَير الأَسديّ قال : حدَّثنا محمد بن أَنس السّلاميّ الأَسديّ قال : سُئِل مُعاذ الهرَّاء : مَنْ أشعَرُ النّاسِ ؟ قال : أَمِن الجاهليين أم من الإسلاميين ؟

---

1 يهل : يرفع صوته .

2 فضل : مرتدية ثوباً واحداً .

قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس ، وزُهير ، وعَبيد بن الأبرص . قالوا : فمِن الإسلاميين ؟ قال : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والرَّاعي . قال : فقِيل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرتَ الكُمَيت فيمَنْ ذكرت . قال : ذاك أشعر الأوّلين والآخرين .

[يجود بما دون هلاك النفس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن بكّار ، قال : حدَّثنا أبو بكر الهذليّ ، قال : لمّا خرج زيدُ بن عليّ كتب إلى الكُمَيْتِ : اخْرج معنا يا أُعَيْمِش ، ألستَ القائل[1] : [من الخفيف]

مـا أُبالي ، إذا حُفِظْتَ أبا القا سم ، فيكـم ملامـةَ اللوَّامِ

فكتب إليه الكُمَيت : [من الطويل]

تجودُ لكم نفسي بما دُون وَثْبَةٍ تظَلُّ لها الغِرْبان حَوْلِيَ تَحْجِلُ

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن محمد بن كُناسة ، قال : لمّا أُنشد هشام بن عبد الملك قول الكُمَيت[2] : [من الخفيف]

فَبِهِمْ صرتُ للبعيد ابْنَ عَمٍّ واتّهمتُ القريبَ أيَّ اتّهامِ
مُبْدِياً صفحتي على الموقفِ الْمُعْـ ـلَم ، بالله قوَّتي واعتصامي

قال : استَقْتَل[3] الْمُرائيّ .

[مدحه خالد القسرى]

قال : ودخل الكُمَيْت على خالد القَسْريّ ، فأنشده قوله فيه[4] : [من المنسرح]

لو قِيل للجُودِ : مَنْ حَلِيفُكَ ؟ ما إنْ كان إلاّ إليـك يَنْتَسِبُ
أنـتَ أخـوه وأنْـتَ صُورَتُـه والرأْسُ منه ، وغيرُك الذَّنَبُ
أحرَزْتَ فَضْلَ النِّضالِ في مَهَلٍ فكُـلَّ يَـوْمٍ بِكَفِّكَ القَصَبُ
مسوّم بالبهاء يكنفك المجـ ـد بتاجِ الوقـار معتصبُ
لـو أنّ كَعْبـاً وحاتمـا نُشِرَا كانا جميعاً مِـنْ بَعْضِ ما تَهَبُ

---

1 الهاشميات : 22 .
2 الهاشميات : 21–22 .
3 ل : شك .
4 شعر الكُميت : 84 .

لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وَعدتَ ولا أَنتَ عن المعْتَفِين تحتجبُ
ما دُونَكَ اليوم من نَوالٍ ، ولا خَلْفَكَ للراغبين مُنْقلبُ[1]

فأمر له بمائة ألف درهم .

[المستهل وعيسى بن موسى]

قال : وحضر المستهلّ بن الكُمَيْت بابَ عيسى بن موسى ، وكان يكرمُه ، فبلغه أنّه قد غلب عليه الشرابُ ، فاستخفَّ به ، وكان آخرَ مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يُقال لهم الرّاشدون يُؤْذَن لهم في القعودِ ، فأُدخِل المستهلّ معهم ، فقال : [من المتقارب]

أَلَم تَرَ أَنِّيَ لما حضرت دُعِيتُ فكنتُ مع الرَّاشِدينا
ففُزْتُ بأَحسنِ أَسمائهم وأَقْبَحِ منزلةِ الدَّاخلينا

[مخلد بن يزيد يجزل له العطاء]

أخبرني حبيب بن نَصْر المهلَّبيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة ، قال : دخل الكُمَيت على مَخْلَد بن يزيد بن المهلَّب ، فأنشده[2] : [من الكامل]

قاد الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ولِداتُه عن ذاكَ في أَشْغالِ
قعدَتْ بهم هِمَّاتُهم وسمَتْ به هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأَبطالِ

قال : وقُدَّام مخلد دراهم يقال لها الرُّوَيجة ، فقال : خُذْ وِقْرَك منها . فقال له : البغلة بالباب ، وهي أجلد منّي . فقال : خُذْ وِقْرَها ، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيه في ذلك ، فقال : لا أردُّ مكرُمةً فعلها ابني .

[يحب الإحسان في القول]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أبو بكر الأُمويّ ، قال : حدَّثنا ابن فضيل ، قال : سمعتُ ابن شُبْرُمَة ، قال : قلت للكُمَيْت : إنّك قلتَ في بني هاشم فأحسنْتَ ، وقلْتَ في بني أُميّة أفضل ، قال : إنّي إذا قلت أحببتُ أنْ أُحسِن .

[يكلف ابنه بالإنشاد عنه]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن معاوية ، عن ابن كُناسة ، قال : كان الكُميت بن زيد طويلاً أصمّ ، ولَم

1 منقلب في ل : مطَّلَبُ .
2 شعر الكُميت 2 : 53 .

يكن حَسَنَ الصوت ولا جَيِّدَ الإنشاد ، فكان إذا استُنشد أَمَرَ ابنه المستهلّ فأَنشد ، وكان فصيحاً حسن الإنشاد .

[هجاؤه أهل اليمن]

أُخبرني عمّي وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل : أنَّ سبب هجاء الكُمَيْت أهل اليمن ، أنَّ شاعراً من أهل الشام يقال له حَكِيم بن عيّاش الكلبيّ كان يهجو عليَّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بني أُميّة ، فانتدبَ له الكُمَيت فهجاه وسبَّه ، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما . وكان الكُمَيْت يخافُ أن يفتضحَ في شعره عن عليّ ، عليه السلام ، لِما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظهر أنَّ هجاءه إيّاه في العصبيّة التي بين عدنان وقحطان . فكان ولد إسماعيل بن الصبّاح بن الأشعث بن قيس ووَلَد علقمة بن وائل الحَضْرَميّ يَرْوُون شِعْر الكلبيّ ، فهجا أَهلَ اليمن جميعاً إلاَّ هذين ، فإنّه قال في آل علقمة[1] : [من الوافر]

ولـولا آلُ عَلْقَمَـةَ اجتدَعْنا بقايـا مـن أُنوفِ مُصَلَّمينا

وقال في إسماعيل[2] : [من الطويل]

فـإنّ لإسماعيـل حقّـاً ، وإنّنـا له شاعِبُو الصَّدْع المُقارِب للشَّعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يَدٌ ؛ لأنَّ علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشّام ، وأُمُّ إسماعيل من بني أَسد ، فكفَّ عنهما لذلك .

قال الطلحيّ : قال أبو سلمة : حدَّثني محمد بن سهل ، قال : قال الكلبيّ : [من البسيط]

مـا سَرَّني أنَّ أُمّي مِنْ بني أَسدٍ وأَنَّ رَبّيَ نَجَّانِـي مِـنَ النّارِ
وأَنّـهم زوّجوني مـن بناتهمُ وأَنّ لي كلّ يـوم أَلفَ دِينارِ

فأَجابه الكُمَيْت[3] : [من البسيط]

يا كلب مالك أُمٌّ من بني أَسد معروفة فاحترق يا كلبُ بالنارِ
لكنَّ أُمَّك مِنْ قوم شُنِئْت بهم قد قنَّعوك قناعَ الخِزْي والعارِ

---

1 شعر الكُميت : 124 .
2 شعر الكُميت 1 : 137 .
3 شعر الكُميت : 180–181 .

قال : فقال له الكلبيّ : [من البسيط]

لن يَبْرَحَ اللُّؤْمُ هذا الحيَّ من أَسَد حتى يُفرِّقَ بين السَّبْتِ والأَحَدِ

قال محمد بن أنس : حدَّثني المستهلّ بن الكُمَيْت ، قال : قلت لأَبي : يا أَبت ، إنّك هجوت الكلبيّ ، فقلت[1] : [من الهزج]

أَلا يـا سَلمَ يـا تِرْبي أَفي أَسمـاءَ من تِرْبِ ؟

وغمزتَ عليه فيها ، ففخرتَ ببني أُميّة ، وأَنتَ تشهد عليها بالكفر ، فأَلا فخرتَ بعليّ وبني هاشم الذين تتَوَلاَّهُم ! فقال : يا بنيّ ، أنتَ تعلم انقطاعَ الكَلْبيّ إلى بني أُمَيّة ، وهم أعداء عليّ عليه السلام ، فلو ذكرتُ عليّاً لترك ذِكري ، وأقبلَ على هجائه ، فأكون قد عرَّضْتُ عليّاً له ، ولا أجِد له ناصراً من بني أُميّة ، ففخرت عليه ببني أُميّة ، وقلت : إنْ نقضها عليّ قَتَلُوه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غَمّاً وغلبتُه ؛ فكان كما قال ، أمسك الكلبيّ عن جوابه ، فغلب عليه ، وأفحم الكلبيّ .

وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته : [من الهزج]

صوت

أَلا يـا سَلمَ يـا تِرْبِي أَفي أَسماء مـن تِرْبِ ؟
أَلا يــا سَلم حُيِّـيتِ سَلِي عنّي وعن صَحبي
أَلا يـــا سَلم غَنِّينـا وإنْ هَيَّجْتُمـــا حُبِّي
عــلى حادِثــة الأَيّــا مِ لي نَصْباً من النَّصْبِ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر عن عَمْرو .

[يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجليّ]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش ، قال : أَخبرني أَبو سعيد السّكّريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة : كان الكُمَيْت مدّاحاً لأَبان بن الوليد البَجَليّ ، وكان أبان له مُحِبّاً وإليه مُحْسِناً ، فمدح الكُميتُ الحكمَ بن الصَّلْت ، وهو يومئذٍ يخلف يوسف بن عُمر ، بقصيدته التي أوّلها :

طربتَ وهاجكَ الشوقُ الحَثِيثُ

فلمّا أَنشده إيّاها وفرغ ، دعا الحكم بخازِنه ليُعطيه الجائزة ، ثم دعا بأَبان بن الوليد ،

---

1 شعر الكُميت 1 : 125 .

فأُدْخِلَ إليه وهو مكبَّلٌ بالحديد ، فطالبه بالمال ، فالتفت الكُميتُ فرآه ، فدمعَتْ عيناه . وأقبل على الحكم ، فقال : أَصلح اللهُ الأميرَ ! اجعل جائزتي لأبان ، واحتسب بها له من هذا النّجم . فقال له الحكم : قد فعلتُ ، ردُّوه إلى السجن . فقال له أَبان : يا أَبا المستهلّ ، ما حلَّ له عليّ شيء بعدُ . فقال الكُمَيْت للحكم : أبي تسخَرُ أصلح اللهُ الأمير ! فقال الحكم : كذب ، قد حَلَّ عليه المال ، ولو لم يحلّ لاحتسَبْنا له ممّا يحلّ . فقال له حَوْشَب بن يزيد الشيبانيّ ، وكان خليفة الحكم : أصلح اللهُ الأمير ، أتشفَّع حمارَ بني أسد في عَبْد بَجِيلة ؟ فقال له الكُمَيْت : لئن قلتَ ذاك فوالله ما فرَرْنا عن آبائنا حتى قُتِلوا ، ولا نكحنا حلائلَ آبائنا بعد أنْ ماتُوا ، وكان يقال إنَّ حوشباً فرَّ عن أبيه في بعض الحروب ، فقتل أبوه ونجا هو ، ويقال : إنّه وطِئ جاريةً لأبيه بعد وفاته ، فسكت حوشب مُفْحَماً خجلاً ، فقال له الحكم : ما كان تعرُّضك للسان الكميت ! .

قال : وفي حَوْشَبٍ يقول الشاعر : [من الكامل]

نَجَّى حُشاشتَه وأَسلم شيْخَه لمّا رأى وَقْعَ الأَسِنَّة حَوْشَبُ

[تبادل الغناء بين ابنة الكُمَيْت وابنة أبان بن الوليد]

قال الطَّلْحيّ في هذا الخبر : وحدَّثني إبراهيم بن عليّ الأَسديّ قال : التقَتْ ريّا بنت الكُمَيْت بن زيد ، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكّة ، وهما حاجَّتان ، فتساءلَتا حتى تعارَفَتا ، فدفعت بنتُ أبان إلى بِنْتِ الكُمَيْت خَلْخالَيْ ذهب كانا عليها ، فقالت لها بنت الكُميت : جزاكُم اللهُ خيراً يا آل أبان ، فما تتركون بِرَّكُمْ بنا قديماً ولا حديثاً ! فقالت لها بنت أبان : بل أَنتم ، فجَزاكُم اللهُ خيراً ؛ فإنّا أعطيناكم ما يَبِيدُ ويَفْنى ، وأعطَيْتُمونا من المجد والشرَف ما يَبقى أبداً ولا يَبيد ، يتناشده الناسُ في المحافل فيُحْيي مَيِّتَ الذِّكْرِ ، ويرفع بقية العَقِب .

[مولده وموته]

أُخبرني عمِّي وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا يعقوب بن نعيم ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصّاف الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة بن أرتبيل : وُلِد الكُمَيْت أيّام مقتل الحسين بن عليٍّ سنة ستّين ، ومات في سنة ستّ وعشرين ومائة ، في خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً .

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمِّي خاصة عنه : حُدِّثْتُ عن المستهلّ بن الكُمَيْت أنّه قال : حضرتُ أَبي عند الموت وهو يجودُ بنفسه ، ثم أَفاقَ ففتح عينيه ، ثم قال : اللهمّ آل محمد ، اللهمّ آل محمد ، اللهمّ آل محمد ، ثلاثاً ، ثم قال لي : يا بنيّ ؛ وددت أنّي لم أَكُنْ

هجوتُ نساءَ بني كلب بهذا البيت : [من الوافر]

مع العُضْروطِ والعُسَفاء أَلْقَوْا بَرَادِعَهُنَّ غيرَ مُحَصَّنِينا[1]

[وصيّته لابنه]

فعممتهنّ قَذْفاً بالفجُور ، والله ما خرجتُ بليل قطُّ إلاّ خشيتُ أَنْ أُرْمى بنجوم السماء لذلك . ثم قال : يا بنيّ ؛ إنّه بلغني في الروايات أنّه يُحْفَر بظَهْر الكوفة خندق يُخرَج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها ، فيحوَّلون إلى قبورٍ غير قبورهم ، فلا تدفنّي في الظهر ، ولكن إذا متّ فامْض بي إلى موضعٍ يقال له مَكْران ، فادفنّي فيه . فدُفِن في ذلك الموضع وكان أوّل مَن دُفِنَ فيه ، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة .

قال المستهلّ : ومات أبي في خلافة مَروان بن محمد سنة ستٍّ وعشرين ومائة .

صوت

[من الخفيف]

أَستعينُ الذي بكفَّيْهِ نَفْعِي ورَجائي على التي قَتَلَتْني
ولقد كنتُ قد عرفْتُ وأبصرتُ أُموراً لَوْ أَنَّها نفعَتْني
قلت : إنّي أَهوى شِفا ما أُلاقي مِن خطوب تتابعت فَدَحتْني[2]

عروضه من السريع[3] ، يقال : إنّ الشعر لعُمَر[4] ، والغناء لابن سُرَيج ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حمّاد عن أبيه ، وفيه لحنٌ للهُذَليّ . وقيل : بل لحن ابن سُريج للهُذَليّ ، ذكر ذلك حَبَش . وقيل : بل هو ممّا نُسِب من غناء ابنْ سُريج إلى الهذَليّ .

1 العضروط : الذي يخدم بطعامه . والعسفاء : جمع عسيف ، وهو الأجير .
2 إني أهوى شفا في ل : أي أخت شفتي . فدحتني في ل : قد حنتني .
3 عروض الأبيات من الخفيف .
4 ديوان عمر : 437 .

[342] ـ خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام

[توقف ابن سريج عن الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مصعب الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني شيخ من المكّيِّين ، ووجدتُ هذا الخبر أيضاً في بعض الكُتُب مَرْويّاً عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ ، عن مصعب ، عن شيخ من المكّيِّين والرواية عنهما متَّفِقَةٌ ، قال : كان ابن سُرَيج قد أصابته الريح الخبيثة ، وآلى يميناً ألاَّ يغنِّي ، ونَسَك ولزم المسجد الحرام حتى عُوفِي . ثم خرج وفيه بقيَّة من العِلّة ، فأتى قَبر النبيّ ﷺ وموضعَ مُصَلاَّه . فلمّا قدِم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النُّسك والقراءة ، فكان أهلُ الغناء يأتونَه مسلِّمين عليه ، فلا يأذَن لهم في الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حَولاً حتى لم يُحِسَّ من عِلّته بشيء ، وأراد الشخوصَ إلى مكّة .

[التحايل لتسمعه سكينة]

وبلغ ذلك سُكينة بنت الحسين ، فاغتمَّت اغتماماً شديداً ، وضاق به ذَرْعُها ، وكان أشعبُ يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره ، وقالت لأشْعَب : ويلك ! إنَّ ابن سُرَيج شاخِصٌ ، وقد دخل المدينة منذ حول ، ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً ، ويعزُّ ذلك عليَّ ، فكيف الحيلةُ في الاستماع منه ، ولو صوتاً واحداً ؟ فقال لها أشعب : جُعِلْتُ فِداك ! وأنَّى لك بذلك والرجلُ اليوم زاهدٌ ولا حيلةَ فيه ؟ فارفعي طَمَعَكِ ، والْحَسِي تَوْرَكِ[1] تنفعك حلاوة فَمك .

فأمرت بعض جواريها فوَطِئْنَ بَطْنَه حتى كادت أَنْ تَخرج أمعاؤه ، وخنَقْنَه حتى كادت نفسُه أن تَتْلَف ، ثم أَمَرَتْ به فسُحِب على وجهه حتى أخرِج من الدار إخراجاً عنيفاً . فخرج على أسوأ الحالات ، واغتمَّ أشعب غمّاً شديداً ، ونَدِم على ممازحتها في وقتٍ لم يَنْبَغِ له ذلك ؛ فأتى منزلَ ابْنَ سُرَيج ليلاً فطرقه ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : أشعب ، ففتحوا له ، فرأى على وجهِهِ ولحيتِهِ التراب ، والدَّمَ سائلاً من أنفه وجَبْهته على لحيته ، وثيابه ممزّقة ، وبطنه

1 التور : إناء للشرب .

وصَدره وحَلْقه قد عصرها الدَّوْس والخَنْقُ ، ومات الدّم فيها ، فنظر ابنُ سريج إلى منظرٍ فظيع هالَه وراعَه ، فقال له : ما هذا وَيْحَك ؟ فقصَّ عليه القصّة .

[امتناعه من الذهاب إليها]

فقال ابن سُريج : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! ماذا نزل بك ؟ والحمد لله الذي سلَّم نفسك ، لا تعُودَنَّ إلى هذه أبداً . قال أشعب : فديتك هي مَوْلاتي ولا بدّ لي منها ، ولكن هل لك حيلةٌ في أَنْ تصيرَ إليها وتُغنِّيَها ؛ فيكون ذلك سبباً لِرَضاها عنّي ؟ قال ابن سُريج : كلاّ والله لا يكونُ ذلك أبداً بعد أن تركتُه .

قال أَشعب : قد قطعْتَ أملي ورفعتَ رِزْقي ، وتركتَني حَيْرانَ بالمدينة ، لا يقبلني أَحد وهي ساخطةٌ عليّ ، فاللهَ اللهَ فيّ ، وأنا أنشدك الله إلاَّ تحمَّلْت هذا الإثمَ فيّ ، فأبى عليه .

فلمّا رأى أَشعب أَنَّ عَزْمَ ابْنِ سُرَيج قد تمَّ على الامتناع قال في نفسه : لا حيلةَ لي ، وهذا خارجٌ ، وإنْ خرج هلكْتُ ، فصرخ صرخةً آذَن أَهلَ المدينة لها ، ونبَّه الجيران مِنْ رُقادهم ، وأقام الناسَ من فرشُهم ، ثم سكتَ فلم يدْرِ الناسُ ما القصّةُ عند خفُوتِ الصّوتِ بعد أن قد راعهُمْ .

فقال له ابن سريج : ويلك ! ما هذا ؟ قال : لئن لم تَصِرْ معي إليها لأَصرُخَنَّ صرخةً أُخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلاَّ صار بالباب ، ثم لأَفْتَحنَّه ولأُرِينَّهم ما بي ، ولأُعلمنّهم أنّك أردتَ تفعلُ كذا وكذا بفلان ، يعني غلاماً كان ابنُ سريج مشهوراً به ، فمنعْتُك ، وخلَّصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسّفاً ، وأنّك إنّما أَظهرت النُّسكَ والقراءة لتظفر بحاجتك منه ، وكان أهل مكّة والمدينة يعلمون حاله معه . فقال ابن سريج : اغرُبْ ، أخزاكَ الله . قال أَشعب : واللهِ الذي لا إله إلاّ هو ، وإلاّ فما أملك صدقة ، وامرأته طالق ثلاثاً ، وهو نَحِيرٌ[1] في مقام إبراهيم ، والكعبة ، وبيت النار ، والقبر قبر أبي رِغال إن أَنتَ لم تنهض معي في ليلتي هذه لأَفعلنَّ .

[وافق على الذهاب إلى سكينة]

فلمّا رأَى ابنُ سريج الجدَّ منه قال لصاحبه : وَيْحَك ! أَما تَرى ما وقَعْنا فيه ؟ ! وكان صاحِبه الذي نزل عنده ناسكاً ؛ فقال : لا أَدري ما أَقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث . وتذَمَّمَ ابنُ سرَيج من الرجل صاحبِ المنزل فقال لأَشْعَب : اخْرج مِن منزل الرجل . فقال :

1 نحير : ذبيح .

رِجْلي مع رِجْلك ، فخرجا .

فلمّا صارا في بعض الطريق قال ابن سُرَيج لأشعب : امْضِ عَنِّي . قال : واللهِ لئن لم تفعل ما قلْتُ لأُصيحنَّ الساعة حتى يجتمعَ الناس ، ولأقولنَّ : إنّك أخذْتَ منّي سِواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنّيها سرّاً ، وإنّك كابَرْتَني عليه وجحدْتَني ، وفعلتَ بي هذا الفعل .

فوقع ابن سريج فيما لا حيلةَ له فيه . فقال : أَمْضي ، لا بارك اللهُ فيك . فمضى معه .

فلمّا صار إلى باب سُكينة قرع الباب ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : أشعب قد جاء بابن سُرَيج ، ففُتح الباب لهما ، ودخلا إلى حجرةٍ خارجةٍ عن دارِ سكينة . فجلسا ساعةً ، ثم أُذِن لهما فدخلا إلى سكينة ، فقالت : يا عُبيد ، ما هذا الجفاء ؟ قال : قد علمتِ بأبي أنتِ ما كان منّي . قالت : أجَلْ ، فتحدَّثا ساعة ، وقَصَّ عليها ما صنع به أشعب ، فضحكت ، وقالت : لقد أذهب ما كان في قلبي عليه ، وأمَرتْ لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة . ثم قال لها ابنُ سريج : أتأذنين بأبي أنتِ ؟ قالت : وأين ؟ قال : المنزل ، قالت ! برئت من جدّي إن برحت داري ثلاثاً ، وبرئت من جدّي إن أنت لم تُغَنِّ إن خرجت من داري شهراً ، وبرئتُ من جدّي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكلّ يوم تقيم فيه عشراً ، وبرئتُ من جدّي إن حنِثت في يميني أو شفّعتُ فيك أحداً .

فقال عبيد : وا سخنة عيناه ! وا ذهاب دنياه ! وا فضيحتاه ! ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

أَستعينُ الذي بِكفَّيْه نفْعي ورَجائي على التي قَتَلَتْني

الصوت المذكور آنفاً . فقالت له سُكينة : فهل عندك يا عُبَيد منْ صَبْر ؟ ثم أخرجت دُمْلُجاً من ذَهب كان في عُضُدِها وَزْنُه أربعون مثقالاً ، فرمَتْ به إليه ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لما أدخلْتَه في يدك ، ففعل ذلك .

[استدعاء عزة الميلاء]

ثم قالت لأشعب : اذهب إلى عَزّة[1] فأقْرِئها منّي السلام ، وأعلمها أنَّ عُبَيْداً عندنا ، فلتأتنا مُتَفضِّلة بالزيارة . فأتاها أشعب فأعلمها ، فأسرعت المجيءَ ، فتحدّثوا باقي لَيْلَتهم . ثم أمرت عُبَيْداً وأشعَبَ فخرجا فناما في حُجْرَةِ مَواليها . فلمّا أصبحت هُيِّىءَ لهم غداؤهم ، وأذنت لابن سُرَيج فدخل فتغدّى قريباً منها مع أشعب ومواليها ، وقعدت هي مع عزّة وخاصّة

1 أي عزّة الميلاء .

جوارِيها ، فلمّا فرغوا من الغَداء قالت : يا عزّ ، إن رأيت أن تُغنّينا فافعلي . قالت : إي وعيشِك . فتغنّت لحنها في شعر عنترة العبسيّ[1] : [من الكامل]

حُيِّيتَ مِـنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُه أَقْـوى وأَقفـرَ بعـد أُمِّ الهَيْثَمِ
إن كنْتِ أَزمَعْتِ الفِراقَ فإنّما زُمَّـتْ رِكابُكـمُ بلَيْـلٍ مُظْلِمِ

فقال ابن سريج : أَحسنتِ واللهِ يا عزّة ! . وأَخرجت سكينة الدُّمْلج الآخر من يَدِها فرمَته إلى عزّة ، وقالت : صَيِّري هذا في يدك ، ففعلت . ثم قالت لعُبيد : هات غنّنا . فقال : حَسبُك ما سمعتِ البارحة . فقالت : لا بُدَّ أنْ تغنّينا في كلّ يوم لحناً . فلمّا رأى ابنُ سريج أنّه لا يقدر على الامتناع ممّا تسأَلُه غَنّى[2] : [من البسيط]

قالت : مَنَ انتَ ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلت لها: أَنــا الذي ساقَــهُ للحَيْــن مقْـدارُ
قد حانَ منكِ ، فلا تَبْعُدْ بك الدار ، بَيْــنٌ وفي البَيْــنِ للمَتْبُولِ إضْرارُ

ثم قالت لعَزَّة في اليوم الثاني : غنِّي ، فغنَّتْ لحنَها في شعر الحارث بن خالد ، ولابن محرز فيه لَحْن ، ولَحْنُ عزّة أَحسنهما[3] : [من الطويل]

وقرَّتْ بها عَيْني ، وقـد كنتُ قَبْلَها كثيرَ البكـاء مُشْفِقاً مِـنْ صُدُودِها
وَبِشْرَة خَــوْدٌ مِثْــل تمثالِ بِيعَـةٍ تظَـلُّ النصـارى حولـه يَوْمَ عِيدِها

قال ابن سُرَيْج : واللهِ ما سمعت مثل هذا قطّ حُسْناً ولا طيباً .

ثم قالت لابن سريج : هاتِ ، فاندفع يغنّي[4] : [من الهزج]

أَرقتُ فلـم أَنَمْ طَرَبا وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا
لِطَيْفٍ أُحبِّ خَلْقِ اللـ ـه إنساناً وإنْ غَضِبا
فلــم أُرددْ مقالَتهـا ولم أَكُ عاتِبـاً عَتَبـا
ولكــن صرَّمَتْ حَبْلي فأَمسى الحَبْـلُ مُنْقَضِبا

فقالت سكينة : قد علمتُ ما أردتَ بهذا ، وقد شفّعناك ، ولم نردّك . وإنما كانت يميني على ثلاثة أيّام ، فاذهبْ في حِفْظِ الله وكلاءته . ثم قالت لعزّة : إذا شئت . ودعَتْ لها بحُلّة ،

1 هذان البيتان من معلقته .

2 ديوان عمر : 211 .

3 شعر الحارث بن خالد : 59 .

4 ديوان عمر : 32 .

ولابن سريج بمثلها . فانصرفَتْ عزّةُ ، وأَقام ابن سريج حتى انقضت ليلته ، وانصرف ، فمضى من وجْهه إلى مكّة راجعاً .

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها : [من الكامل]

صوت

حُيِّيتَ مِـنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه أَقـوى وأَقفـر بعـد أُمِّ الهَيْثَمِ

الشّعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ ، والغناء لعزَّةَ المَيْلاء ، وقد كتبَ ذلك في أوّل هذه القصيدة وسائر ما يغنّى فيها .

ومنها : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَرقْـتُ فلـم أَنَـمْ طرَبا وبـتّ مسهَّـداً نَصبا
لِطَيْفِ أَحبِّ خلق اللـ ـه إنساناً وإن غضِبا
إلى نَفْسي ، وأَوْجَهِهـم وإن أَمْسى قَـدِ احتجبا
وصرَّمَ حَبْلَنـا ظُلْمـاً لبلْغَـةِ كاشحٍ كـذَبا

عروضه من الوافر . الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

ومنها قوله : [من البسيط]

صوت

قـد حان منكِ ، فلا تَبْعُدْ بك الدارُ بَيْـنٌ وفي البَيْـنِ للمتبُـول إضْرارُ
قالت : مَن انت ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلتُ لها : أَنـا الذي ساقَنـي للحَيْـنِ مِقدارُ

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغِناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .

ومنها الصوت الذي أوّله :

وقَرَّتْ بهـا عَيْني وقـد كنتُ قبلها

أوّله قوله : [من الطويل]

صوت

لبشْرَةَ أَسْرى الطَّيْفُ والخَبْتُ دونَها ... وما بَيْنَنا من حَزْنِ أَرْضٍ وبِيدِها
وقَرَّتْ بها عَيْني وقد كنتُ قبْلَها ... كثيراً بُكائي مُشفقاً مِنْ صُدودِها
وبِشْرَةُ خَوْدٌ مِثْلُ تمثالِ بِيعَةٍ ... تظلُّ النصارى حَوْلَها يوم عِيدها

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى .

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسُبْها إلى أُحد ، ولابن محرز في هذه الأبيات ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيها لعزّة الميلاء خفيف رمل .

[الحارث بن خالد المخزوميّ وبشرة]

وبِشرة هذه ، التي ذكرها الحارِث بن خالد ، أُمةٌ كانت لعائشة بنت طلحة ، وكان الحارث يكنى عن ذِكْرِ عائشة بها ، وله فيها أشعار كثيرة .

منها ممّا يغنّى فيه قوله : [من الكامل]

صوت[1]

يا رَبْعِ بِشْرَةَ بالجَناب تَكَلَّمِ ... وأَبِنْ لنا خَبَراً ولا تَسْتَعْجِمِ
ما لي رأيتُك بعد أَهْلِكَ مُوحِشاً ... خَلَقاً كحوض الباقِرِ المتهدِّمِ
تسقي الضجيعَ إذا النجومُ تغَوَّرَتْ ... طَوعُ الضجيع وغايةُ المتوسّمِ
قُبُّ البطون أَوانِسٌ شِبْهُ الدُّمى ... يَخْلِطْنَ ذاكَ بعِفَّةٍ وتكرُّمِ

عروضه من الكامل ، والشعر للحارث بن خالد ، والغناء لمعبد ، ولحْنه من خفيف الرمل بالسبابة في مَجرى البنصر ، عن إسحاق .

وفيه أيضاً ثقيل أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو ، ومنها[2] : [من الكامل]

صوت

يا ربْعَ بشْرة إنْ أَضَرَّ بكَ البلى ... فلقد عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا
عَقَب الرّذاذُ خلافَه فكأنّما ... بَسطَ الشّواطِبُ بينهنّ حَصِيرا

1 شعر الحارث بن خالد : 95-97 .
2 شعر الحارث بن خالد : 95-97 .

غنّاه ابن سُرَيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لَحْنٌ لمالك ، وقيل : بل هو لابن محرز . وعروضه من الكامل .

وقوله : «عَقَب الرّذاذُ خلافه» يقول : جاء الرذاذ بعده ، ومنه يقال : عقبَ لفلان غِنًى بعد فَقْر . وعقَب الرجل أباه ، إذا قام بعده مقامه . وعَواقب الأمور مأخوذة منه ، واحدتها عاقبة . والرذاذ : صِغار المطر ، وقوله خلافَه : أي بعده . قال متمّم بن نويرة[1] : [من الطويل]

وفَقْدِي بَني أُمٍّ تداعَوْا فلم أَكُـنْ خِلافَهـُمُ أَنْ أَستَكِـينَ وأَضْرَعا

أي بَعدهم . والشَّواطب : النساء اللواتي يشطبْنَ لِحاءَ السَّعَف يعملْنَ منه الحُصْر ، ومنه السيف المشطّب : والشَّطِيبة : الشّعبةُ من الشيء ، ويقال : بعثنا إلى فلان شَطِيبةً من خيلنا ، أي قطعة .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : كانت مغنّية تختلف إلى صديقٍ لها ، فأتَتْه يوماً ، فوجدَته مريضاً لا حراك به ، فدَعَتْ بالعود وغنّت : [من الكامل]

يـا رَبْعَ بشرَةَ إنْ أَضَرَّ بِكَ البِلى فلَقَـدْ عهدتُـكَ آهِـلاً مَعْمُورا

وممّا يغنّى به فيه من هذه الأبيات الرائية : [من الكامل]

صوت

أعرفتَ أَطـلالَ الرُّسومِ تنكَّرَتْ بَعْـدِي وغُيِّر آيُهُـنَّ دُثُـورا

وتبدَّلَتْ بَعْـدَ الأَنيس بأَهلهـا عُفْـرَ البَواقـر يَرْتعِينَ وُعورا[2]

مِـنْ كلّ مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرى لها كَفَـلاً كرابِيـةِ الكثيبِ وَثِيرا

الأَطلال : ما شخص من آثار الدّيار . الرسومُ : البقايا من الديار ، وهي دون الأطلال وأخفى منها . وتنكّرت : تغيَّرت . والدّاثر : الدارس . والعُفْر : الظباء ، واحدها أعفر . والوعور : المواضع التي لا أنيسَ فيها . والرّابية : الأرض المشرفة ، وهي دون الجبل . والكثيب : القطعةُ العالية المرتفعة من الرّمل ، جمعها كثُب . والوثير : التامّ المرتفع ، يقال : فراش وثير ، إذا كان مرتفعاً عن الأرض .

لإسحاق الموصليّ في البيتين الأوَّلين ثاني ثقيل بالبنصر ، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، ولطُوَيس فيهما خفيف ثقيل . وقيل إنّه ليس له . ولابن سُريج

1 ديوان متمّم بن نويرة : 114 .

2 البواقر في ل : اليعافر ، وهي الغزلان .

في الثالث ثم الأوّل خفيف رمل ، وقيل : بل هو لخُليدة المكيّة . وفي البيت الأوّل والثاني لمالك رمل بالوسطى ، وقيل : الرمل لطُوَيس ، وخفيف الثقيل لمالك . ولمعبد في هذا الصوتْ لَحنان : أحدهما ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، والآخر خفيف ثقيل أوّل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يـا دارُ حَسَّرها البِلى تَحْسِيرا وسفَتْ عليها الريحُ بعدك مُورا
دُقَّ الترابُ بِخَيْلِهـا فمخيِّـمٌ بِعِراصِهـــا ومُسيَّـرٌ تَسْيِـيرا

غنّى في هذين البيتين ابن مِسْجَح خفيف ثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وللغريض في : «أعَرَفْتَ أطلال الرسوم» وما بعده ثقيل أوّل بالبنصر ، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى .

حسَّرها : أذْهَب معالِمَها ، ومنه حَسَرَ الرجل عن ذِراعِهِ وعن رأسِهِ إذا كشفهما . وحسر الصلَعُ شَعر الرأس ، إذا حَصَّه[1] . والمُور : التراب ، والمخيِّم : المقيم .

ومنها صوت ، أوّله : [من الكامل]

مِنْ كُلِّ مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرى لها كفَلاً كرابِيَـــةِ الكَثِيبِ وَثِيرا
يَفْتِـنّ ، لا يألُـون ، كُلَّ مغَفَّلٍ يملأْنَـــه بحديثهـــنّ سُرُورا

ومنها : [من الكامل]

صوت

دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظعائناً قَرَّبن أجمالاً لَهُـنَّ قُحُورا ؟!
قرَّبْـــنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتحمّـلٍ بُـــزْلا تشبِّه هامَهُــنَّ قبورا

القُحور : واحدها قَحْر ، وهو المسنّ . والمخيَّس : المحبوس للرحلة . والمتحمِّل : معتاد الحمل .

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه . ولابن جامع في : [من الكامل]

دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى .

1 حص الشعر : حلقه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ خَلَقاً ويصبح بَيْتُكم مَهْجورا
فلقد أَراني ، والجديدُ إلى بِلًى ، زَمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مَسْرُورا
جَذِلاً بمالي عندكُمْ لا أَبتغي للنفس بعدكِ خُلَّةً وعَشِيرا
كنتِ الهوى وأَعزَّ من وَطِيءَ الحَصا عندي ، وكنتُ بذاكَ منكِ جديرا

لإبراهيم الموصليّ ، ويحيى المكّي في هذه الأَبيات لحنان ، كلاهما من الثقيل الثاني ؛ فلحْن إبراهيم بالوسطى ، ولَحْن يحيى بالبنصر ، ولإسحاق فيهما رمل . وقيل : إنَّ لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : حدَّثني رجل من أَهل البصرة ، قال : اشتريتُ جاريةً مغنِّية ، فأقامت عِنْدي زَمَناً وهوِيَتْنِي ، وكرِهْتُ أنْ يراها أهلي ، فعرضتُها للبيع ، فجزعتْ ، وقالت : لقد اشتريتَني وأنا لَكَ كارهة ، وإنّك لتبيعني وأنا لذلك كارهةٌ . فقال أَخٌ لي : أرِنِيها ، فقلت : هي عند فُلانة ، فانظر إليها ، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر ، فلمّا اعترضها وفرغ من ذلك غنَّت : [من الكامل]

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُولِ تواصُلٍ خَلَقاً ويُصْبِح بَيْتكُم مهجُورا
فلقد أَراني ، والجديدُ إلى بِلًى ، زَمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مسرورا

ثم بكَت ، وضربت بالعُودِ الأَرض فكسَرَتْه ، فخيَّرتُها بين أن أُعتقها أو أَبيعها ممّن شاءت ، فاختارت البيعَ ، وطلبت موضعاً أَرْضاه حتى أصابته ، فصَيَّرْتُها إليه .

[إسحاق يصلح لحناً لمخارق]

أَخبرني يحيى بن عليّ ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدائنيّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن علي بن هشام ، قال : حدَّثتني جارية يقال لها طِباع ـ جارية محمد بن سهل بن فَرْخنَّد ـ قالت : غنَّيتُ إسحاق في لَحنه :

أَعرفت أَطلالَ الرسوم تنكّرت بعدي . . . .

فأَنكر عليّ في مقاطعه شيئاً ، وقال : ممّن أَخَذْتِه ؟ فقلت : من مخارق ، فقال لي : تعثّر الجوادُ بل هو كما أَقول لك ، وردَّه عليّ ، فهو يُقال كما يقول مخارق ، وكما غَيَّره إسحاق .

صوت

[من المنسرح]

أَخْشى على أَربدَ الحتُوفَ ولا ‏ ‏ أَرهبُ نَـوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ
فجَّعني الرَّعْـدُ والصَّواعِقُ بالْـ ‏ ‏ ـفارِسِ يـَوْمَ الكرِيهةِ النَّجُدِ
يـا عَيْنُ هـلاَّ بكَيْتِ أَرْبَد إذْ ‏ ‏ قُمنـا وقـام الخُصومُ في كَبَدِ
إن يَشْغَبُـوا لا يُبـالِ شَغْبَهُمُ ‏ ‏ أَو يَقْصِدُوا في الخِصامِ يَقْتَصِدِ[1]

عروضه من المنسرح .

النَّجُد : البَطَلُ ذو النَّجْدَة . وقال الأَصمعيّ في النَّجُد مثل ذلك . وقال : النَّجِد ، بكسر الجيم : الذي قد عرق جداً . والكَبَد : الثبات[2] والقيام .

الشعر لِلَبيد بن ربيعة[3] ، والغناء للأَبجر ، رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة . ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، أوّله الثالث والرابع ثم الأوّل والثاني ، وذكرتْ بَذْلُ أنَّ في الثالث والرابع لَحْناً لِحُنَين بن محرز .

1 الخصام في الديوان : الحكوم بمعنى الحكومة .
2 ل : الانتصاب .
3 ديوان لبيد (عباس) : 158–160 .

[343] ـ خبر لبيد في مرثية أخيه

[نسب أربد]

وقد تقدّم[1] مِنْ خَبر لبيد ونَسبه ما فيه كِفاية . يرثي أخاه لأُمّه أربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب ، وكانت أصابته صاعِقةٌ فأحرقته .

[وفد بني عامر بن صعصعة]

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبريّ[2] قال : حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عاصم ، عن عمرو بن قَتادة ، قال : قدِم على رسول الله ﷺ وفْدُ بني عامر بن صعْصعة ، فيهم عامرُ بن الطُّفيل وأربد بن قيس وجبّار بن سُلْمى بن مالك بن جَعْفر بن كلاب ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوسَ القوم وشياطينهم ، فهمَّ عامرُ بن الطُّفيل بالغَدْر برسول الله ﷺ ، وقد قال له قومُه : يا عامرُ ؛ إنَّ الناس قد أسلموا فأسْلِم . فقال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهي حتى تتبع العربُ عقبي ، فأتبع أنا عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش ! ثم قال لأرْبد : إذا أقبلْنا[3] على الرجل فإنّي شاغِلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعلُهُ أنتَ بالسيف .

فلمّا قدِموا على رسول الله ﷺ قال له عامر : يا محمد ، خالّني[4] قال : لا والله ، حتى تؤمِنَ باللهِ وحدَه . قال : يا محمد ، خالّني ، وجعل يكلّمه وينتظِر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لا يُحِيرُ شيئاً . فلمّا رأى عامر ما يصنَعُ أربد قال : يا محمد ، خالّني . قال : لا ، والله ، حتى تؤمِنَ بالله وَحْدَه لا تشرك به . فلمّا أبى عليه رسول الله قال : أما واللهِ لأملأنَّها عليك خيلاً حُمْراً ، ورجالاً سُمْراً[5] .

[دعاء الرسول عليه]

فلمّا ولّى قال رسول الله ﷺ : اللهم اكْفِني عامر بن الطُّفيل . فلمّا خرجوا من عِند رسول الله ﷺ قال عامر لأرْبد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ أوصَيتُك به ! واللهِ ما كان على

1 في الأغاني 15 : 246 .
2 تاريخ الطبري : وفد عامر بن صعصعة سنة 10 .
3 ل : قدمنا .
4 خالّني : وادّني وصادقني .
5 ل : غبرا .

ظَهْر الأرض رجلٌ هو أخوفُ عندي على نفسي مِنك ، وايْمُ الله لا أخافُكَ بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجَلْ عليَّ لا أبا لك ! والله ما هَممتُ بالذي أمرتني به من مرّةٍ إلاّ دخلْتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ! أفأضرِبُك بالسيف ! فقال عامر : [من الكامل]

بُعِثَ الرسولُ بما تَرى فكأنّما عَمْداً أشُدُّ على المَقانِبِ غارا
ولقد وَرَدْنَ بنـا المدينةَ شُزَّباً ولقـد قَتَلْنَ بجوِّها الأنصارا

[وفاة عامر بالطاعون]

وخرجوا راجِعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا بِبَعْضِ الطريق بعث اللهُ على عامر الطاعونَ في عنُقه ، فقتله الله ، وإنّه لفي بيت امرأةٍ من بني سَلُول ، فجعل يقول : يا بَني عامر ، أغدَّةٌ كغُدَّةِ البَكرِ ، وموت في بيت امرأةٍ من بني سَلُولٍ[1] ! فمات .

[أربد يموت بالصاعقة]

ثم خرج أصحابُه حين وَارَوْه حتى قدِموا أرْضَ بني عامر . فلمّا قدِموا أتاهم قومُهم فقالوا : ما وراءكَ يا أربَد ؟ فقال : لقد دعانا إلى عبادةِ شيء لوددتُ أنّه عندي الآن فأرْمِيَه بنِبلي هذه حتى أقتُله . فخرج بَعْد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جملٌ له يَبِيعه ، فأرسل اللهُ عليه وعلى جَمَلِه صاعقةً فأحرقتهما .

وكان أربَد بن قيس أخا لبيدِ بن ربيعة لأُمِّه .

نسخت من كتاب يحيى بن حازم ، قال : حدَّثنا عليُّ بن صالح صاحبُ المصلَّى ، قال : حدَّثنا ابن دأب ، قال : كان أبو بَراء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلَةٌ[2] ، فبعث لبيدَ بن ربيعة إلى رسولِ الله ﷺ ، وأهدى له رواحِلَ ، فقدِم بها لبيد ، وأمره أن يستشفِيَه من وجعِه . فقال له رسول الله ﷺ : لو قبلتُ من مُشْرِك لقبلتُ منه ، وتناوَل من الأرض مدَرَةً[3] فتفل عليها ، ثم أعطاها لبيداً ، وقال : دُفْها[4] له بماءٍ ثم اسْقِه إيّاه .

وأقام عندهم لَبيد يقرأُ القرآن وكتب منهم : «الرَّحمنُ * علَّمَ القرآنَ» فخرج بها ، ولقيه أخوه أربد على ليلةٍ من الحيِّ ، فقال له : انزِل فنزل ، فقال : يا أخي ، أخبرني عن هذا الرجل ؛

1 المثل «غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية» في مجمع الميداني 2 : 57 وجمهرة العسكري 2 : 10-13 وفصل المقال : 374 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 258 .

2 الدبيلة : داء في الجوف مصحوب بورم .

3 المدرة : قطعة طين يابس .

4 دفها : اخلطها .

فإنّه لم يأْتِهِ رجل أُوثقُ عندي فيه قَوْلاً منك . فقال : يا أُخي ، ما رأَيتُ مثلَه ، وجعل يذكر صِدْقه وبِرَّه وحُسْنَ حديثِهِ . فقال له : هل معك من قوله شيء ؟ قال : نعم ، فأخرجها له فقرأها عليه ، فلمّا فرغ منها قال له أُربَد : لوددتُ أنّي أَلقى الرحمن بتلك البُرْقة[1] ، فإن لم أَضربه بسيفي فعليَّ وعليَّ . . .

قال : ونشأت سحابةٌ وقد خلَّيا عن بعيريهما ، فخرج أُربَد يريد[2] البعيرين ، حتى إذا كان عند تلك البُرْقة غشيَتْه صاعقة فمات .

وقدِمَ لبيد على أَبي براء فأَخبره خبرَ رسول الله ﷺ ، وأَمره ، قال : فما فعل فيما استشفيْتَه ؟ قال : تاللهِ ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك ، وأخبره بالخبر . قال : فأين هي ؟ قال : هاهي ذه معي . قال : هاتِها ، فأخرجها له فدافَها ، ثمّ شربها فبرَأَ .

قال ابن دأب : فحدَّثني حنظلة بن قُطرب بن إياد ، أَحد بني أَبي بكر بن كِلاب ، قال : لّما أُصاب عامِرَ بن الطُّفيل ما أَصابه ، بعث بنو عامر لبيداً ، وقالوا له : اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا عِلْمَه . فقدِم عليه ، فأسلم ، وأصابه وَجَعٌ هناك شديد من حُمًّى ، فرجع إلى قومه بفضْلِ تلك الحمّى ، وجاءهم بذِكْرِ البعث والجنّة والنّار ، فقال سُراقة بن عَوْف بن الأَحوص : [من الطويل]

لَعَمْرُ لبيدٍ إنّه لابْنُ أُمِّه ... ولكِنْ أَبوه مَسَّهُ قِدَمُ العَهْدِ
دَفَعْناك في أَرضِ الحجازِ كأَنّما ... دفعناك فَحْلاً فوقه قَزَعُ اللّبدِ[3]
فعالجْتَ حُمَّاه وداءَ ضُلوعِه ... وتَرْنِيقَ عَيْشٍ مَسَّهُ طَرَفُ الجَهْدِ[4]
وجِئتَ بدِينِ الصابئين تَشُوبُه ... بأَلواحِ نَجْدٍ بُعْدَ عَهْدِك مِنْ عَهْدِ ![5]
وإنَّ لنا داراً ـ زعمْتَ ـ ومَرجعاً ... وثمَّ إيابُ القارِظَيْنِ وذِي البُرْدِ[6]

قال : فكان عُمر يقول : وايم الله ، إياب القارِظَيْن وذي البُرْد .

1 البرقة : أرض غليظة ذات حجارة ورمل .
2 ل : يردّ .
3 قزع اللبد : بقايا الشعر ممّا يوضع على ظهر الفرس .
4 طرف في ل : ألم .
5 نجد في ل : نوح .
6 إشارة إلى المثل «حتى يؤوب القارظان» : مجمع الميداني 1 : 211 .

[وفود عامر بن الطُّفيل على النبي]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي ، وحبيب بن نَصْر المهلّبيّ ، وغيرهما ، قالوا : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار ، قال : حدَّثتني ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوَلَة ، قالت : حدَّثني أبي ، عن جدِّي مَوَلَة بن كُثَيْف[1] ، أنَّ عامرَ بن الطُّفيل أتى رسولَ الله ﷺ فَوَسَّده وِسادةً ، ثم قال : أَسلم يا عامر . قال : على أنَّ لي الوَبَر ولك المدَر ، فأبى رسولُ الله ﷺ ، فقام عامرٌ مُغْضَباً فولَّى ، وقال : لأملأنّها عليك خَيْلاً جُرْداً ، ورِجالاً مُرْداً ، ولأربطنَّ بكلّ نخلة فَرساً . فسألَتْه عائشة : مَن هذا ؟ فقال : هذا عامر بن الطُّفيل ، والذي نفسي بيده لو أَسلَمَ فأسلمَتْ بَنُو عامر معه لزاحموا قريشاً على منابِرهم[2] . قال : ثم دعا رسولُ الله ﷺ ، وقال : يا قوم ، إذا دعوتُ فأمِّنوا ، فقال : اللهم اهْدِ بني عامر ، واشْغَل عنّي عامرَ بن الطُّفيل بما شئتَ ، وكيف شئتَ ، وأنّى شئت . فخرج فأخذته غُدَّة مثل غدَّةِ البَكْرِ ، فجعل يثِب وينزو في السماء ويقول : يا موت ابرُزْ لي ، ويقول : غدّة مثل غدّة البكر ، وموت في بيت سلُوليّة ؟! ومات .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازةً . عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : أخبرني أسعد بن عمرو الجُعفيّ ، قال : أخبرني خالد بن قَطنٍ الحارثيّ ، قال : لّما مات عامر بن الطُّفيل خرجت امرأةٌ من بني سلول كأنّها نخلة حاسراً ، وهي تقول : [من الرجز]

أنْعى عامرَ بـن الطُّفيل وأَبقى وهل يموتُ عامرٌ من حقا ؟
وما أرى عامراً مـاتَ حَقّا !

قال : فما رُئيَ يومٌ أكثر باكياً وباكية ، وخمشَ وجوهٍ ، وشقَّ جُيُوبٍ من ذلك اليوم .

[أنصاب حمى قبر عامر]

وقال أبو عبيدة عن الحرمازيّ ، قال : لّما مات عامر بن الطُّفيل بعد مُنْصَرفه عن النبي ﷺ ، نصبَتْ عليه بنو عامر أنصاباً مِيلاً في ميل ، حِمًى على قبرِه لا تُنْشَر فيه ماشية ، ولا يُرْعى ، ولا يسلكه راكبٌ ولا ماش . وكان جَبّار بن سَلْمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً ، فلمّا قدِم قال : ما هذه الأنصاب ؟

قالوا : نصبناها حِمًى لقبر عامر بن الطُّفيل ، فقال : ضيَّقْتُم على أبي عليّ ، إنَّ أبا عليّ بانَ من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجَمَل ، وكان لا يضلّ حتى يضلّ النَّجْم ،

1 ل : كنيف .

2 ل : منابرها .

وكان لا يَجْبُن حتى يَجْبُنَ السيل .

قال أبو عبيدة : وقدِم عامر على النبي ﷺ وهو ابنُ بضْعٍ وثمانين سنة .

[مراثي لبيد في أربد]

وممّا رثى به لبيد أخاه أربد قوله[1] : [من الوافر]

أَلا ذهبَ المُحافِظُ والمُحامي ودافِع ضَيْمِنا يَومَ الخِصامِ[2]
وأَيقَنْتُ التَّفرُّقَ يومَ قالوا : تُقُسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ
وأَرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذا ما تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ[3]

وهي طويلة يقول فيها : [من الوافر]

فودِّعْ بالسلامِ أَبا حُزَيزٍ وقَلَّ وَداعُ أَرْبَد بالسَّلامِ

قال : وكانت كُنية أَرْبد أَبا حِزاز ، فصغَّره ضَرورةً .

وقال فيه أيضاً[4] : [من المنسرح]

ما إن تَعَدّى المنونُ مِنْ أَحدِ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ[5]
أَخْشى على أَرْبَدَ الحتوفَ ولا أَرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ
فجَّعني الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْـ ـفارِسِ يَوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ[6]
الحارِبِ الجابِرِ الحَرِيبِ إذا جاءَ نَكِيبا وإن يَعُدْ يَعُدِ[7]
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤال كما أُنْزِل صَوْبُ الربيع ذي الرَّصَدِ[8]
لم تبلغِ العَيْنُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسي الجِيادُ كالقِدَدِ[9]

---

1 ديوان لبيد : 201–207 .
2 ودافع ضيمنا في الديوان : ومانع ضيمنا ، ويروى ورافع ضيمنا .
3 تقعرت : تقوضت من أصلها . والمشاجر : مراكب النساء أكبر من الهوادج . والفئام : وطاء يكون للهودج أو هو الهودج الذي وسع في أسفله . وفي الديوان : بالخيام .
4 ديوان لبيد : 158–162 .
5 تعدّى في الديوان : تعرّى أي تترك .
6 النجد : الشديد .
7 الحارب : الذي يحرب الأموال . والجابر : الذي يجبر من حرب ماله . ونكيباً : مصاباً . وإن يعد لسؤاله يعد لعطائه .
8 يعفو : يكثر . وصوب الربيع : مطره . والرصد : نبات يكون تحت الثرى .
9 كلّ في ل : كنه . القدد : السيور .

كلُّ بنــي حُــرَّةٍ مَصِيرهــمُ قُــلٌّ ، وإن أكثرَتْ منه العَدَدِ
إنْ يُغْبَطوا يُهْبَطُوا وإن أُمِرُوا يومــاً يَصِيرُوا للهُلْكِ والنَّفَدِ[1]
يــا عَيْنُ هلاّ بكيتِ أرْبَد إذ قُمْنا وقام الخصومُ في كَبَدِ[2]
يــا عَيْنُ هَلاَّ بكيتِ أرْبَد إذ أَلْوَتْ رِيـاحُ الشتاء بالعَضَدِ[3]
وأصبحَتْ لاقحــاً مُصَرَّمةً حين تقضَّتْ غَوابِــرُ المُدَدِ[4]
إنْ يشغَبُوا لا يُبـالِ شَغْبَهمُ أو يَقْصِدُوا في الخصامِ يَقْتَصِدِ[5]
حُلْــوٌ كريــمٌ ، وفي حلاوَتِـه مُــرٌّ ، لطيفُ الأحشاء والكبِدِ[6]

[أبو بكر يتمثل بشعره]

نسختُ من كتاب ابن النطاح ، عن المدائنيّ ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لَبيد في أخيه أربد[7] : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كان المخبِّرُ صادِقـا لقد رُزِئَتْ في حادث الدَّهْر جَعْفَرُ
أخٌ لي ، أمَّــا كلّ شيء سألْتــه فيُعْطِـي ، وأمّا كلُّ ذَنْبٍ فيغفِرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه : ذلك رسولُ الله ، لا أربد بن قيس .

وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخَبَرُ بذكرها .

ومّما رثاه به ، وفيه غناء ، قوله[8] : [من الطويل]

صوت

بَلِينا ومــا تَبْلى النجــومُ الطَّوالِعُ وتَبْقـى الجِبالُ بعدنـا والمَصانِعُ[9]

---

1 يهبطوا : يموتون .
2 الكبد : القيام على الأمر الشديد .
3 ألوت : ذهبت وطارت . والعضد : الشجر اليابس .
4 اللاقح : الناقة تري الفحل أنها حامل . ومصرمة : لا لبن فيها . والغوابر : الباقية . ومعناه أن الحرب رفعنا فيها الرماح كما ترفع اللاقح ذنبها ، وهي مقطوعة الأطباء لا درة لها إنّما درتها الدم .
5 الشغب هنا : القتال . يقتصدوا : يأخذوا القصد .
6 يقال للمرأة اللطيفة : إنها رقيقة الكبد .
7 الديوان : 167 . وأوّل البيت الثاني فيه «فتى كان أما . . .» .
8 ديوان لبيد : 168–172 .
9 المصانع : بناء للماء ، أو القصور .

وقـد كنتُ في أَكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ... ففارقنـي جـارٌ بأَرْبَـدَ نافِعُ[1]
فـلا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... فكلُّ فتًى يوماً بـه الدَّهْرُ فاجعُ
وما المرءُ إلاَّ كالشِّهاب وضَوْئِه ... يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هـو ساطِعُ
أَليسَ وَرائي إنْ تراخَتْ منيَّتي ... لزُومُ العَصا تُحْنى عليها الأَصابعُ
أُخبِّر أَخبـارَ القُرونِ التي مَضَتْ ... أَدِبُّ كأَنِّي كُلَّما قمـتُ راكِعُ
فأَصبحْتُ مِثْلَ السيفِ أَخْلَقَ جَفْنَه ... تقادمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فـلا تَبْعَـدَنْ إنّ المنيّةَ موعـدٌ ... علينـا فَـدانٍ للطّلـوعِ وطالِعُ
أَعاذِلَ مـا يُدْرِيك ، إلاّ تَظَنِّياً ... إذا رحل السُّفَّار مَنْ هو راجعُ ؟[2]
أَتَجْزَعُ ممّا أَحدث الدهْرُ لِلْفَتى ... وأَيُّ كريـم لم تُصِبْه القَوارِعُ !

غنّى في الأوّل والخامس والسادس والسابع حُنَيْـنٌ الحيريّ خفيف ثقيل أوّل بـالبنصر ، عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحمّاد ، وفيها ثقيل أوّل بالوسطى ، يقال إنّه لحنين أيضاً ، ويقال إنّه لأحمد النَّصْبيّ ، ويقال : إنّه مَنْحول .

وممّا رثاه به قوله ، وهي من مختار مراثيه[3] : [من الكامل]

طرِبَ الفـؤادُ ولَيْتـه لم يَطْـرَبِ ... وعَناه ذِكْـرى خُلّة لم تَصْقَبِ[4]
سفَهاً ، ولـو أنّـي أَطَعْتُ عَواذِلي ... فيما يُشِرْنَ بـه بسَفْح المِذْنَبِ
لزجَرْتُ قَلْبـاً لا يَريـعُ لِزاجرٍ ... إنَّ الغَوِيَّ إذا نُهِـي لم يُعْتِبِ[5]
فتعـزَّ عن هـذا ، وقُلْ في غَيْرِهِ ... واذكُرْ شَمائِلَ من أَخيك المُنْجِبِ
يـا أَرْبَـدَ الخَيْرِ الكريم جدودُه ... أَفردتنـي أَمشي بقَـرْنٍ أَعضبِ[6]
إنَّ الرزيَّـة لا رَزِيَّـة مثلهـا ... فِقْدانُ كلِّ أَخٍ كضَوْءِ الكوكبِ
ذهب الذين يُعـاشُ في أَكنافهم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجربِ

1 أكناف جار مضنة : جار يضن به .
2 السفار في الديوان : الفتيان .
3 ديوان لبيد : 156–157 .
4 تصقب : تجاور .
5 لا يريع : لا يرجع ولا يتعظ . ولم يعتب : لم يرجع إلى ما يرضى عاتبه .
6 الخير في ل : الحر .

يتأكّلُون مَغالةً وخِيانةً ويُعابُ قائلُهم وإنْ لم يَشْغَبِ[1]
ولقد أراني تارةً مِنْ جَعْفَرٍ في مثلِ غَيْثِ الوابلِ المتحلِّبِ
مِنْ كلِّ كَهْلٍ كالسِّنانِ وسَيِّدٍ صَعْبِ المقادَةِ كالفَنِيقِ المُصْعَبِ[2]
مِنْ مَعْشَرٍ سنَّتْ لهم آباؤهم والعزُّ قد يأتي بغير تَطَلُّبِ
فبرى عِظامي بعد لحمي فَقْدُهم والدَّهْرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا أبو السائب سالم بن جُنادة ، قال : حدَّثنا وكيع ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنّها كانت تنشد بيت لبيد : [من الكامل]

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ

ثم تقول : رحم الله لبيدا ، فكيف لو أدرَكَ مَنْ نحن بَيْنَ ظهْرانَيْهِم !

قال عروة : رحم الله عائشة ، فكيف بها لو أدركَتْ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم ! .

قال هشام : رحم الله أبي ، فكيف لو أدركَ من نحن بين ظهرانيهم ! وقال وكيع : رحم الله هشاماً ، فكيف لو أدرك مَن نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو السائب : رحم الله وكيعاً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو جعفر : رحم الله أبا السائب ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم !

قال أبو الفرج الأصفهاني : ونحن نقول : الله المستعان ، فالقصَّةُ أعظمُ من أن تُوصَف !

صوت

[من الطويل]

فإن كان حَقّاً ما زعمتِ أتَيْتُه إليكِ فقامَ النائحاتُ على قَبْري
وإن كان ما بُلِّغْتِه كان باطلاً فلا متِّ حتى تَسْهَري الليلَ مِنْ ذكري

عروضه من الطويل . والشعر للعبّاس بن الأحنف يقوله في فَوْز ، وخبرهما يأتي هاهنا ، والغناء لبَذْل ، خفيف رمَل بالبنصر ، وفيه لِبَنان بن عَمْرو ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لَحنٌ لابن جامع من كتاب إبراهيم . وزعم أبو العبّاس أنّ لمعبد اليقطينيّ فيه خفيف رمل ، وذكر حَبَش أنّ لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى . وذكر عليّ بن يحيى المنجّم أنّه لعُليّة . وقيل : إنّ خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنْقُطة . والصحيح أنّه لبذْل .

1 مغالة : اغتيالاً .
2 الفنيق : الفحل لا يركب لكرامته على أهله . والمصعب : غير المذلل .

[344] ـ ذكر خبر العبّاس وفوز[1]

[فوز جارية محمد بن منصور]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق الخراساني ، قال : حدَّثنا محمد بن النضر ، قال : كانت فوز جاريةً لمحمد بن منصور ، وكان يلقَّب فتى العسكر ، ثم اشتراها بعضُ شباب البرامكة فدبَّرها[2] وحجَّ بها . فلمّا قدِمت قال العبّاس[3] : [من الهزج]

ألا قـد قَدِمَـتْ فَوْزُ فقـرَّت عَيْـنُ عَبَّاسِ
لِمَـنْ بَشَّرني البشرى عـلى العينـين والرّاسِ
أيـا ديباجـة الحُسْنِ وَيـا رامُشْنَـةَ الآسِ[4]
يلومـوني عـلى الحبّ وما بالحبِّ مِنْ باسِ !

[يتشبّه في الشعر بأبي العتاهية]

أخبرني محمد ، قال : حدَّثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباريّ ، وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب ، قال : حدَّثني علي بن محمد النَّوفليّ قال : كانت فوز لرجلٍ جليل من أسباب السلطان ، وكان العبّاس يتشبَّه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عُتْبة ، فحَجَّ بها مولاها ، فقال العبّاس[5] : [من المجتث]

يـا رَبِّ رُدَّ عَلَيْنـا مَـنْ كان أُنْساً وَزَيْنا
مَـنْ لا نُسَرُّ بعَيْشٍ حتـى يكـون لدَيْنا
يـا مَنْ أتاح لِقَلْبِي هـَواهُ شُؤْمـاً وحَيْنا

1 ترجمـة العبـاس بن الأحنف في الشعر والشعراء : 707–711 ووفيات الأعيان 3 : 20–27 وطبقات ابن المعتز : 253–256 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 ومعجم الأدباء : 1481–1482 وقد طبع ديوانه عدّة مرات (مرة في استانبول 1298 ومرة في مصر 1954 ومرة في بيروت 1965) أمّا ديوانه الذي نعتمده هو طبعة الكتب المصرية .

2 دبرها : أعتقها بعد موته .

3 ديوان العباس بن الأحنف : 164–165 ؛ مع اختلاف .

4 رامشنة : ورقة الآس . ويروى : رائحة الآس .

5 ديوانه : 265 .

ما زِلْتُ مُذْ غِبْتِ عَنّي مِـنْ أُسْخَنِ الناسِ عَيْنا
ما كان حَجُّـكِ عِندي إلاّ بَــــلاءً عَلَيْنــا

فلمّا قدِمت قال : [من الهزج]

أَلا قـد قدمَتْ فـوزُ فقـــرَّت عَيْــنُ عَبّاسِ

وذكر الأَبيات المتقدّمة .

[يعابث الأصمعي]

أُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، أنّه دخل على الفضل بن الربيع يوماً ، والعبّاس بن الأحنف بين يَدَيْه ، فقال العبّاس للفَضْل : دَعْني أُعابِث الأصمعيّ . قال : لا تفعل ، فليس المزاح من شأنه . قال : إنْ رأى الأمير أن يَفْعَل . قال : ذاك إليك . قال : فلمّا دخلتُ قال لي العبّاس : يا أبا سعيد مَن الذي يقول[1] : [من الهزج]

إذا أَحْبَبْـتَ أَن تصـ ـنع شيئاً يعجِب النَّاسا
فصَوِّر هاهنـا فَـوْزا وصوِّر ثَــمَّ عبَّاسا
فإنْ لم يَدْنُــوا حتى تَــرى رَأسيهما راسا
فكذِّبها بمــا قاسَتْ وكذِّبــه بمــا قاسى

فقال لي ابنُ أبي السِّعلاء الشاعر : إنّه أَرادَ العبَثَ بك ، وهو نَبطيّ ، فأَجِبْه على هذا . قال : فقلت له : لا أعرف هذا ، ولكنّي أعرف الذي يقول : [من الهزج]

إذا أَحببت أَنْ تبصـر[2] شيئاً يعجـبُ الخَلْقا
فصـــوِّرْ هاهنــا زَوراً وصـــوِّر ههنــا فَلْقا
فـإنْ لم يَدْنُــوا حتى تَــرى خَلْقَيهمـا خلَقا
فكذِّبْهـا بمـا لاقَـتْ وكذِّبـــه بمـــا يَلْقى

فعرَّض بالعبّاس أنّه نَبطيّ ، فضحك الفَضْل ، فوجَم العبّاس ، فقال له الفضل : قد كنتُ نهيتُك عنه ، فلم تَقْبَلْ .

[ليت صداع فوز برأسه]

أُخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني محمد بن الفضل الهاشميّ ، قال : حدَّثني أبو تَوْبة

1 ديوانه : 164 .
2 تبصر في ل : تصنع .

الحنفيّ ، قال : وَجَّه العبّاس بن الأحنف رسولاً إلى فَوْز ، فعاد فأخبره أنّها تجدُ صُداعاً ، وأنّه رآها معصوبةَ الرأسِ ؛ فقال العبّاس[1] : [من الخفيف]

عصبَتْ رأسَها فليتَ صُداعاً ... قد شكَتْه إليّ كان بِراسي

ثم لا تشتكي ، وكان لها الأجْـ ... ـرُ ، وكنتُ السَّقامَ عنها أُقاسي

ذاكَ حتى يقولَ لي مَنْ رآني : ... هكذا يفعلُ المحِبُّ المُواسي

قال : فبرئَتْ ثم نُكِسَتْ ، فقال[2] : [من السريع]

إنَّ التي هامت بها النَّفْسُ ... عاودَها مِنْ عارضٍ نُكْسُ

كانت إذا ما جاءها المُبْتَلى ... أبرأَهُ مِنْ كفِّها اللَّمْسُ

وابأبي الوجْهُ المليحُ الذي ... قد عشِقَتْه الجِنُّ والإنْسُ

إنْ تكنِ الحمَّى أضرَّتْ به ... فربّما تَنْكَسِفُ الشمسُ

[فوز تسهر على ذكره]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني أبو العبّاس الخلنجيّ ، قال : حدَّثني أبو عبدكان الكاتب ، قال : حدَّثني أبو توبة الحنفيّ ، قال : لمّا قال العبّاس بن الأحنف[3] : [من الطويل]

أمَا والذي أبْلى المحبَّ وزادَني ... بلاءً ، لقد أسرفْتِ في الظلم والهَجْرِ

فإنْ كان حقّاً ما زعمتِ أتيتُه ... إليك ، فقام النائحاتُ على قبري

وإن كان عُدْواناً عليَّ وباطلاً ... فلا مِتّ حتى تسهَري الليلَ مِنْ ذكري

بعثَت إليه فوْز : أظُنُّنا ظلَمْناك يا أبا الفضل ، فاستجيبت دعوتك فينا ! ما زلتُ البارحةَ ساهرةً ذاكرةً لك .

[تشفيع فوز في غلام له]

أخبرني جحظة البرمكيّ ، قال : حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون ، عن أحمد بن إبراهيم ، قال : حدَّثني محمد بن سَلاَّم ، قال : كان في خلق العبّاس بن الأحنف شدَّة ، فضرب غلاماً له ، وحلف أنّه يَبيعُه ، فمضى الغلامُ إلى فَوْز فاستشفع بها عليه ، فكتبت إليه فيه ؛ فقال[4] : [من السريع]

---

1 ديوانه : 162 .

2 ديوانه : 160–161 .

3 ديوانه : 153 .

4 ديوانه : 69

يا مَــنْ أَتانا بالشفاعاتِ مِنْ عِنْدِ مَنْ فيه لَحاجاتي
إنْ كنتُ مولاكَ فإنَّ التي قد شفعَتْ فيكَ لَمَوْلاتي
إرسالها فيــكَ إلينا لنا كرامــةٌ فــوق الكراماتِ

ورضي عنه ووصله ، وأعتقه .

[دعته فوز يا شيخ فاكتأب]

أخبرني جحظة ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله بن حمدون ، عن أبيه حمدون بن إسماعيل ، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل ، قال : جاءنا العباسُ بن الأحنف يوماً وهو كئيب ، فنشَّطْناه فأبى أن ينشط ، فقلنا : ما دَهاك ؟ فقال : لقيتني فوز اليوم ، فقالت لي : يا شيخ ! وما قالت ذلك إلاّ من حادثِ مَلالٍ . فقلنا له : هوِّنْ عليك ؛ فإنّها امرأةٌ لا تثبُتُ على حال ، وما أرادتْ إلاّ العَبْثَ بك والمُزاح معكَ : فقال : إنّي والله قد قلتُ أقبحَ ممّا قالت ، ثم أنشدنا[1] : [من الخفيف]

هزِئَتْ إذ رأَت كئيبــاً مُعَنًّى أَقصدَتْهُ الخطوبُ فهو حزِينُ[2]
هزِئَتْ بي ونِلْتُ ما شئتُ منها يــا لَقَوْمي فأَيُّنــا المغبونُ !

فقلت له : قد انتصفتَ وزِدْتَ .

[يمن اتهمته بأنه راودها]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا علي بن الصبّاح ، قال : حدَّثنا أبو ذكوان ، قال : كانت لفوز جاريةٌ يقال لها يُمْن ، وكانت تجيء إلى العبّاس برسالتها ، فمضَتْ إلى فوز ، وقد طلبت من العبّاس شيئاً فمنعها إيّاه ، وزعمَتْ أنّه أرادها ودعاها إلى نَفْسه ، فغضِبَتْ فوز من ذلك ، فكتب إليها[3] : [من الطويل]

لقــد زعمَــتْ يُمْنٌ بأنّي أَرَدْتُهــا على نفسها ، تَبّاً لذلكَ مِنْ فِعْلِ
سَلُوا عن قميصي مثلَ شاهِدِ يُوسفٍ فإنَّ قميصي لم يكــن قُــدَّ مِنْ قُبْلِ

[معاتبة وجواب]

أخبرني محمد ، قال حدَّثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثني سعيد بن حميد ، قال : كانت فوز قد مالَتْ إلى بعض أولادِ الجُنْد[4] ، وبلغ ذلك العبّاس ، فتركها ولم تَرْضَ هي البديل بعد

1 ديوانه : 260–261 .
2 الديوان : أن رأت غلاماً . . .
3 ديوانه : 230 .
4 ل : الكتاب .

ذلك ، فعادت إلى العبّاس ، وكتبت إليه تُعاتبه في جفائه ؛ فكتب إليها[1] : [من الكامل]

كَتَبَتْ تلومُ وتَستريبُ زِيارتـي — وتقولُ : لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ
فأجبتُها ودمـوعُ عينـي جمَّةٌ — تَجْري على الخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوامِدِ !
يـا فَـوْز لم أهجركُـمُ لملالَـةٍ — منّـي ولا لَمقـالِ واشٍ حـاسدِ
لكنّنـي جرّبتكـم فوجدتُكـم — لا تصبرونَ عـلى طعـامٍ واحدِ

[سرقته شعر أبي نواس]

وقد أنشدني عليُّ بن سليمان الأخفش هذه الأبيات ، وقال : سرقها من أبي نُواس حيث يقول[2] : [من الوافر]

صوت

ومُظْهِـرة لخَلْـقِ الله وُدّاً — وتلْقـى بالتحيّـةِ والسلامِ
أتيتُ فؤادَهـا أشكـو إليـه — فلـم أُخْلَصْ إليه من الزِّحامِ
فيـا مَنْ ليس يَكْفِيـهِ مُحِبٌّ — ولا أَلْفـا مُحِـبٍّ كلَّ عـامِ
أظنُّكِ مِنْ بقيّة قـوم مُوسى — فهُـمْ لا يصبرون على طَعامِ

غنَّت فيه عَرِيب لحناً ذكره ابن المعتزّ ، ولم يذكر طريقته .

وممّا يغنّى فيه من شعر العبّاس في فوز قوله : [من البسيط]

صوت[3]

يا فَوْزُ ما ضَرَّ مَنْ يُمْسي وأنْتِ له — ألاَّ يفـوزَ بدُنْيـا آلِ عَبّـاسِ
أبصرتُ شيباً بمولاهـا فواعَجباً — منه يراها ويَبْدو الشَّيْبُ في الرَّاسِ !

غنّاه سُليم ، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكّي .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا محمد بن الفَضْلِ بن الأسود ، قال : قرأتُ على أحمد بن أبي فَنَن شعر العبّاس بن الأحنف ، وكان مشغوفاً به ، فسمعتُه يقول : وددت أنّ أبياتَه التي يقول فيها : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 106 .
2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 542 مع بعض اختلاف .
3 ديوانه : 159 .

يا فَوْز ما ضَرَّ من يُمْسي وأنت له

لي بكلٍّ شعري .

وفي بَذْل يقول عبد الله بن العبّاس الربيعيّ يخاطِبُ عَمْراً في بَذْل بقوله : [من الطويل]

صوت

تَسمَّعْ بحقٍّ الله يا عَمْرو مِنْ بَذْلِ فقد أُحسنَتْ واللهِ واعتمدت قَتْلي
كأنّي أرى حُبِّيك يرجحُ كلّما تغنَّتْ لإعجابي وأُفْقِد مِنْ عَقْلي

غنّاه عبد الله بن العبّاس الربيعيّ ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وغنَّى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حَبَش .

[345] ـ ذكر بذل وأخبارها

[لها كتاب أغان]

كانت بَذْل صفراء مولَّدة من مولّدات المدينة ، وربِّيت بالبصرة ، وهي إحدى المُحْسِنات المتقدّمات ، الموصوفات بكثْرة الرِّواية ، يقال : إنّها كانت تغنّي ثلاثين ألف صوت . ولها كتابٌ في الأغاني منسوبُ الأصوات غير مجنّس ، يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال : إنّها عملتْه لعليّ بن هشام . وكانت حُلْوة الوجهِ ظريفةً ، ضاربةً متقدّمة ، وابتاعها جعفرُ بن موسى الهادي ، فأخذها منه محمد الأمين ، وأعطاه مالاً جَزِيلاً ، فولدُهما جميعاً يدَّعون ولاءها . فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفُلَيح وابن جامع وإبراهيم ، وطبقتهم .

وقرأتُ على جحظة ، عن أبي حَشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده ، قال : كانت بذل من أحسنِ الناسِ غناءً في دهْرِها ، وكان أستاذَة كلِّ محسن ومحسنة ، وكانت صفراء مدنية ، وكانت أروى خَلْقِ الله تعالى للغناء ، ولم يكن لها معرفة .

[احتيال الأمين في أخذها]

وكانت لجعفر بن موسى الهادي ، فوُصِفَتْ لمحمد بن زبيدة ، فبعث إلى جعفر يسأله أن يُرِيَه إيّاها ، فأبى ، فزارَه محمد إلى منزله ، فسمع شيئاً لم يسمَعْ مثلَه ، فقال لجعفر : يا أخي ، بِعْني هذه الجارية . فقال : يا سيِّدي ، مثلي لا يبيعُ جارية ، قال : فهَبْها لي ، قال : هي مُدبَّرة[1] . فاحتال عليه محمد حتى أسكره ، وأمر ببذل فحُمِلت معه إلى الحرَّاقة ، وانصرف بها .

فلمّا انتبه سأل عنها فأُخبر بخبرها ، فسكت . فبعث إليه محمد من الغد ، فجاءه وبذل جالِسةٌ فلم يَقُلْ شيئاً . فلمّا أراد جعفر أن ينصرفَ قال : أوقِرُوا حرَّاقة ابْنِ عمِّي دراهم ، فأوقرت .

قال : فحدَّثني عبد الله بن الحُنَيْني ، وكان أبوه على بيتِ مالِ جعفر بن موسى ، أنّ مبلغَ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم .

قال : وبقيت بذل في دارِ محمدٍ إلى أنْ قُتِل ، ثم خرجت ، فكان ولَدُ جعفر وولد محمد يدّعون ولاءها . فلمّا ماتت ورثها ولَدُ عبد الله بن محمد بن زبيدة .

---

1 مدبرة : معتقة بعد وفاة مولاها .

[هبات الجواهر من الأمين]

وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر ، عن ابن المكّي ، عن أبيه ، وقال فيه : إنّ محمداً وَهب لها من الجواهر شيئاً لم يملك أحدٌ مثله ، فسلم لها ، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعُه بالمال العظيم ، فكان ذلك مُعْتَمدها مع ما يصلُ إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقيّةٌ عظيمة .

[إباؤها الزواج]

قال : ورغب إليها وجوهُ القُوَّاد والكتّاب والهاشميِّين في التزويج ، فأَبتْ وأَقامتْ على حالها حتى ماتت .

[زيارة علي بن هشام لها]

قال أبو حشيشة في خبره : وكنتُ عند بذل يوماً وأنا غلام ، وذلك في أيّام المأمون ببغداد ، وهي في طارمة[1] لها تَمْتَشِطُ ، ثم خرجتُ إلى الباب ، فرأيتُ الموكب ، فظننتُ أنّ الخليفة يَمرُّ في ذلك الموضع ، فرجعتُ إليها فقلتُ : يا سِتّي ؛ الخليفة يمرُّ عَلى بابك ؟ فقالت : انظروا أيّ شيء هذا ؟ إذ دخل بوّابُها فقال : علي بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنعُ به ! فقامت إليها وشِيكة[2] جارِيتها ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها ، فأكبَّتْ على رِجْلها ، وقالت : الله ، الله ! أتحجُبين عليّ بن هشام ! فدعَتْ بمِنديل فطرَحَتْه على رأسها ولم تَقُمْ إليه ، فقال : إنّي جئتك بأمرِ سيِّدي أمير المؤمنين ، وذلك أنّه سألني عنكِ ، فقلتُ : لم أرها منذ أيّام . فقال : هي عليك غَضْبى ، فبِحياتي لا تدخلُ منزلَك حتى تذهبَ إليها فتسترضيها .

فقالت : إنْ كنتَ جئْتَ بأمر الخليفة فأنا أقومُ . فقامت فقبَّلَتْ رأْسَه ويَدَيْه وقعد ساعةً وانصرف . فساعةَ خرج قالت : يا وَشيكة ، هاتي دواةً وقرطاساً ، فجعلت تكتبُ فيه يومَها وليلتها حتى كتبت اثني عشرَ ألف صوت ، وفي بعض النسخ : (رؤوسَ سبعة آلاف صوت) ، ثم كتبت إليه : يا عليّ بن هشام ، تقول : قد استغنَيْت عن بَذْل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ، وقد كتبتُ هذا وأنا ضَجِرَة ، فكيف لو فرَّغتُ لك قلبي كلَّه ! وختَمَتِ الكتاب ، وقالت لها : امضي به إليه .

فما كان أسرع من أنْ جاء رسوله ، خادمٌ أسود يقال له مخارق ، بالجواب يقول فيه : يا

---

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 ل : وشيك .

ستّي ، لا واللهِ ما قلتُ الذي بلغَكِ ، ولقد كُذِبَ عليَّ عندكِ ؛ إنّما قلتُ : لا ينبغي أنْ يكونَ في الدُّنيا غناءٌ أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثتِ إليّ بديوانٍ لا أُؤدِّي شكْرَكِ عليه أبداً . وبعث إليها عشرة آلاف درهم ، وتخوتاً فيها خزٌّ ووشْي ومُلَحٌ ، وتختاً مطبقاً فيه ألوان الطِّيب .

[عتاب عليّ بن هشام لها]

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لعليّ بن هشام يعاتِبُ بذلاً في جَفْوَة نالته منها : [من الطويل]

تَغَيَّرْتِ بَعْدِي والزمانُ مُغَيِّرٌ ... وخِسْتِ بعَهْدِي والملوكُ تَخِيسُ[1]
وأظهرتِ لي هَجْراً وأخفَيْتِ بِغْضَةً ... وقَرَّبْتِ وَعْداً واللسانُ عَبُوسُ
وممّا شجاني أنَّني يوْمَ زُرْتكمْ ... حُجِبْت وأعدائي لدَيْكِ جُلُوسُ
وفي دُونِ ذا ما يَسْتَدِلُّ به الفتى ... على الغَدْرِ مِنْ أَحْبابه ويَقِيسُ
كفرتُ بدِيْنِ الحُبِّ إنْ طُرتُ بابَكم ... وتلك يَمينٌ ، ما علمت ، غَمُوسُ[2]
فإنْ ذَهَبَتْ نفسي عليكم تشوُّقاً ... فقد ذهبتْ للعاشقين نُفوسُ
ولو كان نَجْمي في السُّعودِ وَصَلْتُمُ ... ولكنْ نجومُ العاشقينَ نُحُوسُ

وأخبرني أبو العبّاس الهشاميّ المِشك ، عن أهله : أنَّ عليّ بن هشام كان يَهْوى بذلاً ويكتمُ ذلك ، وأنّها هجَرَتْه مدَّةً ، فكتب إليها بهذه الأبيات .

وذكر محمد بن الحسن أنّ أبا حارثة حدَّثَه عن أخيه أنَّ معاوية قال : قالت لي بذل : كنتُ أروي ثلاثين ألف صوت ، فلمّا تركْتُ الدَّرسَ أُنسِيتُ نِصْفَها ، فذكرت قولها لزُرزُر الكبير ، فقال : كذَبَت الزَّانية !

[تغنّي مائة صوت لم يعرفها إبراهيم بن المهديّ]

قال : وحدَّثني أحمد بن محمد الفيْزُران ، عن بعضِ أصحابه ، أنّ إبراهيم بن المهديّ كان يعظِّمها ويتوافى لها ، ثم تغيَّر بعد ذلك استغناءً عند نفسه عنها . فصارت إليه ، فدَعا بعُودٍ فغنَّت ، في طريقةٍ واحدةٍ وإيقاعٍ واحد وإصبعٍ واحدة ، مائةَ صوت ، لم يعرف إبراهيمُ منها صوتاً واحداً ، ووضعت العُودَ وانصرفت ، فلم تدخُلْ دارَه حتى طال طلبُه لها وتَضرُّعُه إليها في الرجوع إليه .

1 الملوك في ل : والملول .
2 طرت بابكم : حمت حوله .

[خجل إسحاق الموصليّ لجهله أصوات أبيه]

وقال محمد بن الحسن ، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أنَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالفَ بذلاً في نسبةِ صوتٍ غنّتْه بحضرة المأمون ، فأمسكَتْ عنه ساعةً ، ثم غنَّت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد ، وسألتْ إسحاق عن صانِعِها فلم يعرفه . فقالت للمأمون : يا أميرَ المؤمنين ، هي والله لأبيه ، أخذْتُها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرفُ غناءَ أبيه فكيف يعرفُ غناءَ غيره ! فاشتدَّ ذلك على إسحاق حتى رُئِيَ ذلك فيه .

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثني حمَّاد بن إسحاق قال : غنَّتْ بذل يوماً بين يدي أبي : [من المديد]

إنْ تَرَيْنِـي ناحِلَ البَدَنِ ... فلِطـول الْهَـمِّ والحَزَنِ
كان ما أخشى بواحِدَتي ... ليتَـه واللهِ لَـمْ يَكُنِ[1]

فطرِب أبي والله طرباً شديداً ، وشرب رِطْلاً ، وقال لها : أحسنْتِ يا بنتي ، والله لا تغنّين صوتاً إلاّ شربتُ عليه رِطْلاً .

قال أبو الفرج : والغناء في هذا الشعر لبَذْل خفيف رمل بالوسطى .

[ألذ شيء]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنَّ محمد بن عليّ بن طاهر بن الحسين حدَّثه أنَّ المأمونَ كان يوماً قاعداً يشربُ وبيده قَدَح إذ غنَّت بَذْل : [من الطويل]

ألا لا أرى شيئاً ألَذَّ من الوَعْدِ

فجعلَتْه :

ألا لا أرى شيئاً ألذّ من السَّحْقِ

فوضع المأمونُ القَدَح من يده والتفت إليها ، وقال : بلى يا بَذْل ، النّيك ألذُّ من السَّحْق ، فتشوَّرت[2] وخافتْ غضبَه ، فأخذ قَدَحه ، ثم قال : أتمّي صوتك وزيدي فيه : [من الطويل]

ومِـنْ غَفْلة الواشي إذا ما أتَيْتُها ... ومِنْ زَوْرَتي أبياتَها خالياً وَحْدِي
ومِـنْ صيحةٍ في المُلْتَقى ثم سَكْتَةٍ ... وكلتاهُما عِنْدي ألَـذُّ مِنَ الخُلْدِ

1 الشطر الأول في ل : أسقمني الحب وأنحلني .
2 تشورت : خجلت .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

أَلا لا أَرى شيئاً أَلَــذَّ مِــن الوَعْد ... ومن أَمَلي فيه وإنْ كان لا يُجدِي

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة .

صوت

[من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليــوم مَتْبُولُ ... متيَّــمٌ عندهــا لم يُجْــزَ مَكْبُولُ[1]

ومــا سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا ... إلاّ أغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سُلْمى المُزَنِيّ ، والغناء لابن محرز ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة والهشاميّ .

1 ديوان كعب بن زهير : 6–25 وفيه «متيم إثرها» . ومتبول : سقيم . والمكبول : مقيد .

[346] ـ أخبار كعب بن زُهير ونسبه[1]

[نسبه]

كعب بن زهير بن أبي سُلْمى المُزَنيّ ، وقد تقدّم خبرُ أبيه[2] ونسبُه . وأُمُّ كَعْب امرأةٌ من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كَبْشة بنت عمَّار بن عديّ بن سُحَيم ، وهي أُمُّ سائر أولاد زُهير .

وهو من المخضرمين ، ومن فحول الشعراء .

وسأَلَه الحطيئة أنْ يقولَ شعراً يقدّم فيه نفسه ، ثم يثنّي به بَعْدَه ، ففعل .

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قالا : أتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ، وكان الحطيئةُ راويةَ زهير وآل زهير ، فقال له : يا كعب ، قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيتِ وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك ، فلو قلتَ شعراً تذكرُ فيه نفسَك وتَضعُني مَوضِعاً بَعْدَك ! وقال أبو عبيدة في خبره : تبدأ بنفسك فيه وتثنّي بي ؛ فإنَّ الناس لأشعاركم أروى ، وإليها أسرع ، فقال كعب[3] : [من الطويل]

فمَنْ للقوافي شانَها مَنْ يَحُوكها ... إذا ما ثَوى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[4]
يقول فلا تعْيا بشيء يَقولُه ... ومِنْ قائليها مَنْ يُسيءُ ويَعْمَلُ
كفيتُكَ لا تَلْقى مِن الناسِ واحداً ... تنخَّلَ مِنها مِثْلَ ما يُتنخَّلُ[5]
يُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيَقْصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام ، عن إسحاق بن الجصّاص ، قال :

---

1 ترجمة كعب بن زهير في الشعر والشعراء : 89–91 وطبقات ابن سلام : 99–100 ومعجم المرزباني : 343 والإصابة وأسد الغابة والاستيعاب . وانظر بروكلمان 1 : 156 .
2 في الأغاني 10 : 226 .
3 ديوانه : 59–60 مع بعض اختلاف . وقد وردت في الشعر والشعراء وفي خزانة البغدادي .
4 فوَّز : مات .
5 الديوان : أتَنَخَّلُ .

قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أَكْدى[1] ، فمرَّ به النّابغةُ ، فقال له : أَبا أُمامة ، أَجِزْ ، فقال : وما قلتَ ؟ قال : قلت : [من الوافر]

تَزِيـد الأَرضُ إمّا مـتَّ خِفّـاً وتَحْيـا إنْ حَيِيتَ بهـا ثَقِيلا

نزلْـتَ بمستَقرِّ العَرْضِ منهـا . . . .

أَجِز ، قال : فأكدى والله النابغة . وأَقبل كَعْب بن زهير ، وإنّه لغلام ، فقال أَبوه : أَجِز يا بُنَيّ ، فقال : وما أُجيز ؟ فأنشده ، فأَجاز النصف بيت ، فقال :

وتمنـع جانِبَيها أَنْ يَـزُولا

فضمَّه زهيرٌ إليه ، وقال : أَشهد أَنّك ابني .

[أبوه يحاول منعه من قول الشعر ثم يمتحنه]

وقال ابنُ الأعرابيّ : قال حماد الراوية : تحرَّك كعب بن زهير وهو يتكلَّم بالشعر ، فكان زُهير يَنْهاه مخافةَ أَنْ يكون لم يستحكِمْ شعْرُه ، فيُرْوى له ما لا خيرَ فيه . فكان يَضْرِبُه في ذلك ، فكلّما ضربه يزيدُ فيه فغلبه . فطال عليه ذلك ، فأَخذه فحبَسه ، فقال : والذي أُحلفُ به لا تتكلّم ببيتِ شعر إلاَّ ضربْتُك ضرْباً يُنكِّلُك[2] عن ذلك . فمكث محبوساً عدَّة أَيّام ، ثم أخبر أنّه يتكلَّم به ، فدعاه فضربه ضرْباً شديداً ، ثم أطلقه وسرَّحه في بَهْمه[3] وهو غُلَيّم صغير ، فانطلق فرَعى ثم راح عشيَّة ، وهو يرتجز : [من الرجز]

كأنّما أَحْـدُو بِبَهمِي عِيرا مِـن القُـرى مُوقـرةً شَعِيرا

فخرج إليه زُهير وهو غَضْبان ، فدعا بناقته فكفَلها بكسائه ، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كَعْب ، فأخذ بيده فأَردَفه خَلْفَه ، ثم خرج فضرب ناقتَه وهو يريد أَنْ يبعثَ ابنَه كَعْباً ويعلَم ما عنده من الشعر ، فقال زهير حين برز إلى الحيّ : [من الطويل]

إنّي لَتُعْدِينـي على الهـمّ جَسْرَةٌ تَخُـبُّ بِوَصَّـالٍ صَـرُومٍ وتُعْنِقُ

ثم ضرب كَعْباً ، وقال له : أَجِز يا لُكع ، فقال كعب : [من الطويل]

كبُنْيانةِ القَرْئِـيّ موضعُ رحلهـا وآثـارُ نِسْعَيْها مـن الدَّفِّ أَبلَقُ[4]

---

1 أكدى : توقف عن القول عجزاً .

2 ينكلك : يصرفك .

3 البهم : صغار الضأن .

4 النسع : السير المضفور ، أو المفصل بين الكف والساعد . والدف : المشي .

فقال زهير : [من الطويل]

على لاحــبٍ مثــل المجرَّةِ خِلْتَهُ إذا ما عَلا نَشْزاً من الأَرض مُهْرَقُ[1]

أَجز يا لُكع ، فقال كعب : [من الطويل]

مُنِيرٌ هَـــداهُ ليلُــه كنَهــارِه جميعٌ ، إذا يَعْلُــو الحُزُونةَ أَفْرُقُ

قـال : فتبدّى زهير في نعت النعام ، وتـرك الإبـل ، يتعَسَّفُه عمْداً ليعلمَ مـا عنـده ، قـال : [من الطويل]

وظَــلَّ بوَعْساء الكَثِيــبِ كأَنَّه خِبــاءٌ على صَقْبَــيْ بِوانٍ مُرَوَّقِ

صَقْبَي عَمُودَيْ ، بوان : عَمود من أَعمدة البيت ، فقال كعب : [من الطويل]

تراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى سَماوَةَ قَشْراء الوَظِيفَــين عوْهَقِ[2]

فقال زهير : [من الطويل]

تَحــنُّ إلى مِثْــل الحَبابيرِ جُثَّــمٍ لــدى منتج مِــنْ قَيْضِها المُتَفَلِّقِ[3]

الحبابير : جمع حُبارى ، وتجمع أيضاً حُبارَيات ، فقال كعب : [من الطويل]

تحطَّــمَ عَنْهــا قَيْضُها عن خَراطِم وعَــنْ حَــدَقٍ كالنَّبْــخِ لم يَتَفتَّقِ

الخراطم هاهنا : المناقير ، والنَّبخ : الجُدْري ، شبّه أَعْيُنَ ولدِ النعامة به .

قال : فأخذ زهير بيد ابْنِهِ كعب ، ثم قال له : قد أَذِنْتُ لك في الشِّعر يا بُنَيّ .

فلمّا نزل كعب وانتهى إلى أَهله ، وهو صغير يومئذٍ ، قال[4] : [من الطويل]

أَبِيتُ فلا أَهجو الصديقَ ومَنْ يبعْ بعِــرْضِ أَبيــه في المعــاشر يُنْفقِ

قال : وهي أوّلُ قصيدة قالها .

[خروج كعب وبجير إلى النبي]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ ، قال : حدَّثني الحجّاج بن ذي الرُّقَيْبة بن

1 اللاحب : الطريق الواضح . والمهرق : الأملس .

2 تراخى : تطاول . والضحاء للإبل مثل الغداء للناس . سماوة : شخص . وقشراء الوظيفين : الساقين . وعوهق : طويلة العنق .

3 القيض : قشر البيضة اليابس .

4 يقال أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها ــ عن أبي عمرو (ديوان زهير : 245) .

عبد الرحمن بن مُضَرّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، عن أبيه ، عن جدّه قال : خرج كَعْب وبُجَير ابنا زهير بن أبي سُلْمى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزّاف[1] ، فقال كعب لبُجَير : القَ الرجل ، وأنا مقيمٌ هاهنا ، فانظُرْ ما يقولُ لك . فقدِم بُجَير على رسول الله ﷺ ، فسمع منه وأسلم ، وبلغ ذلك كعباً ، فقال[2] : [من الطويل]

ألا أَبْلِغـا عنّـي بُجَيْراً رِسالةً على أيِّ شيء ، وَيْبَ غَيْرِكَ ، دَلَّكا[3]
على خُلـق لم تُـلْفِ أُمّاً ولا أَباً عَلَيـه ولم تُدْرِك عليـه أَخاً لَكا
سقاكَ أَبـو بكـر بكأسٍ رَوِيَّـة فأنهلَـك المأمـونُ مِنْهـا وعلَّكا

ويروى «المأمور» . قال : فبلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دَمه ، وقال : مَنْ لقي منكم كَعْبَ بن زهير فيَقْتُله .

فكتب إليه أخوه بُجَير بخبره ، وقال له : انجه[4] وما أُراك بِمُفْلِتٍ . وكتب إليه بعد ذلك يأمُره أنْ يُسْلِم ويُقْبِل إلى رسول الله ﷺ ويقول له : إنّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسوله قَبلِ ﷺ منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك . فأسلم كعب ، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ : [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتبُولُ مُتَيَّـمٌ عِنْدَهـا لم يجزَ مَكْبُولُ[5]

قال : ثم أَقبل حتى أَناخ راحِلَتَه بباب مسجد رسول الله ﷺ ، وكان مجلسه من أصحابه مكانَ المائدة من القوم حلقة ثم حَلْقة ثم حلقة ، وهو وسطهم ، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم ، ثم على هـؤلاء ، ثم على هـؤلاء . فأقبـل كعب حتى دخل المسجد فتخطَّى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، الأمان . قال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : أنتَ الذي يقول . . . كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

سقاكَ أَبو بَكْـرٍ بكأْسٍ رَوِيَّـةٍ وأَنهلَكَ المأمونُ منهـا وعَلَّكا

---

1 أبرق العزاف : ماء لبني أسد .

2 ديوانه : 3 وفيه :

ألا أبلغـا عنّـي بجيراً رسالـة فهل لك في ما قلت في الخيف هل لكا
شربـت مـع المأمـون كأساً رويـة فأنهلـك المأمـون منهـا وعلّكا

3 شيء في ل : خير .

4 انجه : انج وأضيفت إليها هاء السكت .

5 يجز في ل : يفد .

فقال رسول الله ﷺ : مأمون والله . ثم أُنشده ، يعني كعباً : [من البسيط]

بانــت سُعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ

قال عمر بن شبّة : فحدَّثني الحزاميّ ، قال : حدَّثني محمد بن فُلَيح ، عن موسى بن عقبة ، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجَعْدِ ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي ، قال : حدَّثنا محمد بن فُليح ، عن موسى بن عقبة ، قال : أنشدها رسول الله ﷺ في مسجده ، فلما بلغ إلى قوله : [من البسيط]

إنّ الرّسولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ بـه ... مهنَّـدٌ مِـنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ
في فِتْيَـةٍ مِـنْ قريش قال قائلُهم ... بِبَطْـنِ مكّـة لَمَّا أسلموا : زُولوا
زَالُوا فما زال أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنــد اللقــاء ولا خُــورٌ مَعازِيلُ[1]

أَشار رسول الله ﷺ إلى الحِلَق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير .

قال الحزاميّ : قال عليّ بن المدينيّ : لم أَسمع[2] قطّ في خبر كعب بن زهير حديثاً قطّ أتمّ ولا أحسنَ من هذا ، ولا أُبالي ألاّ أسمع من خبره غير هذا .

[رؤيا زهير]

قال أبو زيد عُمر بن شبّة : ومِمّا يُرْوى من خبره أنّ زهيراً كان نظّاراً متوقّياً ، وأنّه رأى في منامه آتياً أتاه ، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسّها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلمّا احتُضِر قصّ رُؤْياه على وَلده ، وقال : إنّي لا أُشكُّ أنّه كائن مِنْ خبر السّماء بَعْدي شيء ، فإن كان فتمسّكوا به وسارِعُوا إليه .

فلمّا بُعِث النبيُّ عليه السلام خرج إليه بُجَير بن زهير فأسلم ، ثم رجع إلى بلادِ قومه ، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ أتاه بُجَيْر بالمدينة ، وكان من خيارِ المسلمين . وشهد يومَ الفَتْح مع رسول الله ﷺ ، ويوم خَيْبر ويوم حُنَيْن وقال في ذلك : [من الوافر]

صَبَحْناهُـمْ بأَلْـفٍ مـن سُلَيْمٍ ... وأَلْـف مـن بنـي عثمانَ وافِ
فرُحْنا والجيادُ تجـول فيهم ... بأَرْمـاحٍ مُثقَّفَـةٍ خِفـافِ
وفي أَكتافهـم طعْـنٌ وضَرْبٌ ... ورَشْـقٌ بـالمُرَيَّشةِ اللِّطـافِ

1 الديوان : ميل بدلاً من خور . والكشف الذين ينهزمون ولا يثبتون . والميل : لا يثبتون على سروجهم . والنكس : الضعيف . والمعازيل : الذين لا سلاح لهم .

2 ل : لم يسمع .

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزاميّ ، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعبٌ إليه : [من الطويل]

فخالفــتَ أسبابَ الهُــدى وتبعتَــهُ فهل لك فيما قُلْت بالخَيْفِ هَلْ لكا ؟

ثم قال في خبره أيضاً : إنّ كعباً نزل برجل من جُهَينة ، فلمّا أصبح أتى النبيّ عليه السلام ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن أتيتُك بكعب بن زهير مُسْلماً أتؤمِّنُه ؟ قال : نعم ، قال : فأنا كَعْب بن زهير ، فتواثبت الأنصارُ تقول : يا رسول الله ؛ ائذَنْ لنا فيه . فقال : وكيف ، وقد أتاني مُسلماً ! وكفَّ عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً ، فأنشد رسولَ الله ﷺ قصيدتَه : [من البسيط]

بانت سُعاد فقَلْبي اليوم متبولُ

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

لا يَقَــعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورهمُ وما بِهم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ[1]

هكذا في رواية عُمر بن شبّة ، ورواية غيره «تَعْليل» .

فعند ذلك أومأ رسولُ الله ﷺ إلى الحِلَقِ حوله أن تسمعَ منه . قال : وعَرَّضَ بالأنصار في قصيدته في عدّة مواضع ، منها قوله : [من البسيط]

كانت مواعيــد عُرْقُوبٍ لهـا مَثَلاً ومـــا مَواعيدُهـــا إلاَّ الأباطِيلُ[2]

وعُرْقوب : رجل من الأوس[3] .

[مدحه الأنصار]

فلمّا سمع المهاجِرُون بذلك قالوا : ما مدحنا مَن هجا الأنصار ، فأنكروا قوله ، وعُوتب على ذلك فقال[4] : [من الكامل]

مَنْ سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فـلا يَزَلْ في مِقْنَب مِن صالحي الأنصارِ[5]

---

1 تهليل في ل : تنكيل .

2 المثل «مواعيد عرقوب» في مجمع الميداني ، 2 : 311 والدرة الفاخرة 1 : 178 وجمهرة العسكري 1 : 433 وفصل المقال : 113 .

3 في شرح ديوان كعب أن «عرقوب بن نصر من العمالقة ، نزل المدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى» .

4 ديوانه : 25–41 .

5 المقنب : الجماعة من الفوارس ، واختلف في عدد أفرادها .

البـاذِلــينَ نفوسَهـمْ لِنَبِيِّهــم عنـد الهِيـاج وسَطْوَةِ الجَبَّارِ[1]
والناظِريــن بأَعْيُـنٍ محمَــرَّة كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلـةِ الإبصارِ
والضَّارِبـين الناسَ عن أُديانِهم بـالمَشْرَفيِّ وبالقَنـا الخَطَّارِ[2]
يتطهَّرُونَ يرَوْنَـهُ نسكاً لهـم بدماء مَـنْ عَلِقُوا مِنَ الكفَّارِ[3]
صَدَمُوا الكتيبةَ يوم بَدْرٍ صَدْمَةً ذَلَّتْ لوَقْعَتِها رِقــابُ نِـزارِ

[عرقوب المضروب به المثل]

قال أبو زيد : الذي عناه كعب رجلٌ من الأَوس كان وَعد رجلاً ثمرَ نَخْلَةٍ ، فلمّا أطلعَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تلقح ، فلمّا لقِحَتْ قال : دَعْها حتى تُزهِي[4] ، فلمّا أزْهَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تُرْطِب ، ثم أتاه فقال : دَعْها حتى تُتْمِر ، فلمّا أتمرت عَدا عليها ليلاً فجدَّها ، فضُرِب به في الخُلْفِ المَثَلُ ، وذلك قول الشماخ : [من الطويل]

وَواعَــدَني مـا لا أُحاوِل نَفْعَه مواعيدَ عُرْقُـوب أُخاه بِيَثْرِبِ

وقال المتلمّس لعمرو بن هند : [من الكامل]

مَــنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمتَه والغَــدْرُ عرقــوبٌ لَـهُ مثَلُ

وما قالته الشعراء في ذِكر عُرقوب يكثُر .

قال إبراهيم بن المنذر : حدَّثني مَعْن بن عيسى ، قال : حدَّثني الأَوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، قال : حدَّثني عليّ بن زيد أنَّ كعب بن زهير أنشد رسولَ الله ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحَرام ، لا في مسجد المدينة .

قال إبراهيم : حدَّثني محمد بن الضَّحّاك بن عثمان عن أَبيه ، قال : عنى كعْبُ بن زهير بقوله : [من البسيط]

في فِتْيَةٍ من قريش قــال قائلهم

عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه .

---

1 الهياج في ل : عند الصباح . وفي الديوان : يوم الهياج وقبة الجبار .
2 والضاربين الناس في الديوان : والذائدين الناس .
3 يرونه نسكاً لهم في الديوان : كأنه نسك لهم .
4 تزهي : تظهر الحمرة والصفرة في الثمر .

صوت[1]

[من الطويل]

أَبِيني أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جعَلتِني فأَفرحَ أَمْ صيَّرتِني في شِمالِكِ[2]
أَبِيتُ كأَنّي بين شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً حذارَ الرَّدى أَو خِيفَةً من زِيالِكِ
تَعالَلْتِ كي أُشجى وما بِكِ عِلَّة تُرِيدينَ قَتْلي ، قد ظفِرْتِ بذلكِ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن الدُّمينة بعضُه ، وبعضُه أُلحقه المغنّون به ، وهو لغيره . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر .

1 ديوان ابن الدمينة : 17 ، البيت الأول . ولم يرد البيتان الآخران فيه ولا في زياداته .
2 صيرتني في ل : خلفتني .

[347] ـ أخبار ابن الدُّمَيْنة ونسبه[1]

[نسبه]

الدُّمَيْنة أُمُّه ، وهي الدُّمينة بنتُ حذَيْفة السَّلولية ، واسم ابن الدُّمَيْنة عبد الله بن عُبيد الله ، أَحد بني عامر بن تيم الله بن مُبَشِّر بن أكلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس بن حَلْف بن أَفتَلَ وهو خَثْعَم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك .

وقيل : إنَّ أكلُب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس ، وإنّهم حالفوا خَثْعم ونزلوا فيهم فنُسِبوا إليهم . ويُكنى ابنُ الدُّمَينة أبا السَّرِيِّ .

وكان بلغه أنّ رجلاً من أخواله من سَلُول يأتي امرأتَه ليلاً فرَصده حتى أتاها فقتله ، ثم قتلها بعده ، ثم اغتالَتْه سَلُول بعد ذلك فقتلَتْه .

أَخبرني بخبره عليُّ بن سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثنا أَبو سعيد السُّكّري ، عن محمد بن حَبِيب ، عن أبي عبيدة وابن الأعرابيّ ، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكّار عن أصحابه ، وما اتَّفقت الروايتان فيه ، فإذا اختلفتا نسبت كل خبرٍ إلى راويه .

[مزاحم السلوليّ يعرّض بامرأة ابن الدمينة]

قال الزُّبير : حدَّثني موهوب بن رُشيد الكلابيّ ، وإبراهيم بن سعد السُّلمي ، وعمر بن إبراهيم السّعدي ، عن ميناس بن عبد الصمد ، عن مصعب بن عمرو السَّلولي ، أُخي مُزاحم بن عمرو ، قالوا جميعاً : إنَّ رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عَمرو كان يُرمى بامرأة ابن الدُّمينة ، وكان اسمها حمّاء . قال السُّكّري : كان اسمها حمّادة ، فكان يأتيها ويتحدَّث إليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدُّمَيْنة من إتيانها ، واشتدَّ عليها ، فقال مزاحم يذكرُ ذلك ، وهذا من رواية ابن حبيب ، وهي أتمُّ وأصحُّ[2] : [من البسيط]

يـا ابْنَ الدُّمينةِ والأَخبارُ يرفَعُها وَخْـدُ النّجائبِ والمحقُورُ يُخفِيها

1 ترجمة ابن الدمينة في الشعر والشعراء : 617–618 والسمط : 136 وأسماء المغتالين : 269 وحماسة الخالديين وعيون التواريخ (وفيات سنة 143هـ) وشرح شواهد المغني للبغدادي ومعاهد التنصيص . وقد حقق ديوانه وقدم له الأستاذ أحمد راتب النفاخ (القاهرة 1959) وإليه نشير .

2 ديوان ابن الدّمينة : 6–7 .

يا ابْنَ الدُّمَيْنَةَ إنْ تغضَبْ لِما فَعلَتْ ... فطـال خِزيُكَ أَو تغضَبْ مَواليها[1]
أَو تُبغضوني فكم مِنْ طعنةٍ نَفَذٍ ... يعوي خِلالَ اختلاج الجَوْفِ عاويها
جاهَدْتُ فيها لكُمْ إنّي لكُمْ أبداً ... أَبْغِـي معايبكـم عَمْـداً فآتِيها
فـذاكَ عندي لكـم حتّى تُغيِّبَني ... غَبْـراء مُظْلِمـةٌ هـارٍ نَواحِيها
أَغْشى نساءَ بنـي تَيْم إذا هجعَتْ ... عنّي العُيـونُ ولا أَبغِـي مَقارِيها[2]
كَم كاعبٍ مِنْ بني تَيْم قعدْتُ لها ... وعانِسٍ حـين ذاقَ النومَ حامِيها
كقِعْدة الأَعْسر العُلْفوف مُنْتَحِياً ... مَتِينةً مـن متـونِ النَّبْلِ يُنْحيها[3]
وشَهْقَةٍ عنـد حسِّ الماءِ تشهَقُها ... وقولُ رُكْبَتِها : قِضْ ، حين تَثنِيها
علامـة كيَّةٌ مـا بَيْـن عانَتِها ... وبـين سَبَّتِهـا لا شلَّ كاوِيها[4]
وتَعدِلُ الأَيـرَ إن زاغَتْ فتبعثه ... حتى يقيـمَ برفـق صَدْرَه فيها
بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ في مستهدِف ومِدٍ ... ذِي حَرَّة ذاق طعْمَ الموتِ صالِيها[5]
ماذا تَـرى ابن عُبَيْد الله في امرأةٍ ... ليست بِمُحْصَنَةٍ عَـذْراءَ حاوِيها
أيَّـام أنْـتَ طريـدٌ لا تقاربُها ... وصادفَ القَوْسَ في الغِرَّاتِ باريها[6]
تَـرَى عجُوزَ بنـي تيـم ملفَّعةً ... شُمْطاً عوارِضُهـا رُبْـداً دَواهِيها
إذ تجعلُ الدِّفْنِسُ الوَرْهاء عُذْرَتها ... قُشارةً مـن أَديـم ثـم تفريها[7]
حتى يظلَّ هِـدان القوم يَحْسَبُها ... بِكْراً وقَبْلُ هَوى في الدارِ هاوِيها[8]

[قتل مزاحماً السلوليّ]

قال الزُّبير عن رجاله ، وابن حبيب عن ابن الأَعرابيّ : لمّا بلغ ابن الدُّمينة شعرُ مزاحم

---

1 فطال خزيك في ل : فطال حزنك .
2 مقاري : محلات قرى الضيوف .
3 العلفوف : الرجل الجافي الكثير اللحم والشعر . وينحيها : يضرب بها . وفي رواية : يرميها .
4 السبة : الاست .
5 الومد : الشديد الحر . والمستهدف : العريض المرتفع .
6 إشارة إلى المثل «أعط القوس باريها» : مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 76 وفصل المقال : 298 ومستقصى الزمخشري 1 : 247 .
7 الدفنس : المسنة أو الحمقاء . والورهاء : الكثيرة اللحم .
8 هدان القوم : الأحمق الثقيل .

أُتى امرأتَه فقال لها : قد قال فيكِ هذا الرجل ما قال ، وقد بلغك ! قالت : والله ما رأى ذلك منّي قطّ . قال : فمن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهنّ له النساء . قال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك . ثم أمسك مدّةً وصبر حتى ظنَّ أن مُزاحماً قد نسِيَ القصّة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أنَّ ذلك ممّا وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تمكّنيني منه لأَقتُلَنَّكِ . فعلمَتْ أنّه سيفعلُ ذلك ، فبعثت إليه وواعَدَتْه ليلاً ، وقعد له ابن الدُّمَينة وصاحبٌ له ، فجاءها للموعد ، فجعل يكلّمها وهي في مكانها[1] فلم تكلّمه ، فقال لها : يا حمَّاء ، ما هذا الجَفاء الليلة ؟ قال : فتقول له هي بصوتٍ ضعيف : ادخل ، فدخل فأهْوى بيده ليضَعها عليها ، فوضعها على ابن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصى في ثوب ، فضرب بها كَبِده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميّتاً ، فجاء أُهله فاحتملوه ، ولم يَجدوا به أَثر السلاح ، فعلِموا أنَّ ابنَ الدُّمينة قتله .

[هجاء سلول]

قال الزُّبير في حديثه : وقد قال ابن الدُّمينة في تحقيق ذلك[2] : [من البسيط]

قالوا : هجَتْكَ سَلولُ اللُّؤمِ مُخْفِيةً   فاليومَ أَهْجُو سَلولاً لا أُخافِيها
قالوا : هجاكَ سَلُوليٌّ ؛ فقلتُ لهم :   قد أنصف الصَّخْرَةَ الصَّماء رامِيها
رِجالُهم شَرُّ مَنْ يَمْشي ونسْوَتُهم   شرُّ البريَّةِ واسْتٌ ذَلَّ حامِيها
يَحْكُكْنَ بالصَّخْرِ أُستاها بها نُقَب   كما يَحُكُّ نِقابَ الجُرْبِ طالِيها

قال : وقال أيضاً يذكر دخولَ مُزاحم ووضْعَه يدَه عليه[3] : [من الطويل]

لكَ الخَيْرُ إن واعدْتَ حَمَّاءَ فالْقَها   نهاراً ، ولا تُدْلج إذا الليلُ أُظلما
فإنَّكَ لا تَدْري أَبيضاءَ طَفْلَةً   تُعانِقُ أَمْ لَيْثاً مِن القوم قشْعَما
فلمّا سَرى عن ساعِدَيَّ وحيتي   وأَيقن أنّي لستُ حَمَّاء جَمْجَما[4]

[يقتل امرأته وابنته]

قالوا جميعاً : ثم أَتى ابن الدُّمينة امرأَته ، فطرح على وجهها قطيفةً ، ثم جلس عليها حتى

1 ل : في مظلتها .
2 ديوانه : 8 .
3 ديوانه 181–182 .
4 جمجم : لم يبن الكلام .

قتلها ، فلمّا ماتت قال : [من البسيط]

إذا قَعَدْتُ على عِرْنِين جاريةٍ فوق القطيفةِ فادْعُوا لي بحَفَّارِ

فبكت بُنَيَّةٌ له منها ، فضرب بها الأَرضَ فقتلها ، وقال متمثّلاً : «لا تَتّخذنّ مِنْ كَلْبِ سَوْءٍ جَرْوًا»[1] .

قال الزُّبير في خبرِه ، عن عمِّه مصعب ، عن حُمَيد بن أُنيف ، قال : فخرج جناحٌ أَخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْداه على ابن الدُّمينة ، فبعث إليه فحبسه .

[أم تحض ابنيها على الثأر]

وقالوا جميعاً : قالت أُمُّ أَبان والدة المزاحم بن عمرو المقتول ، وهي من خَثْعم ، ترثي ابنَها ، وتحضّض مُصْعَباً وجناحاً أُخويه[2] : [من الطويل]

بأَهْلي ومـالي ، بل بِجُلٍّ عَشيرتي قَتيـلُ بنـي تَيْـمٍ بغير سِلاحِ
فهَلاَّ قَتَلْتُمُ بالسَّلاحِ ابْنَ أُختِكم فتظهـرَ فيـه للشهـودِ جِراحُ
فلا تطمعوا في الصّلح ما دمْتُ حيّةً ومـا دامَ حيّـاً مُصْعَبٌ وجَناحُ
أَلَـمْ تعلمـوا أَنَّ الدَّوائـرَ بيننا تَـدُورُ ، وأَنَّ الطالبـين شِحاحُ

قالوا : فلمّا طال حَبْسُه ، ولم يَجِدْ عليه أَحمدُ بن إسماعيل سبيلاً ولا حجّة خلاَّه . وقتلت بنو سلُول رجلاً من خثعم مكانَ المقتول ، وقتلت خَثْعم بعد ذلك نفراً من سَلُول . ولهم في ذلك قصصٌ وأَشعارٌ كثيرة .

[مقتله]

قالوا : وأَقبل ابن الدُّمَينة حاجّاً بعد مدّةٍ طويلة ، فنزل بتَبالة ، فعدا عليه مُصعب أُخو المقتول لمَّا رآه ، وقد كانت أُمُّه حَرَّضَتْه عليه ، وقالت : اقتُل ابنَ الدُّمينة ، فإنّه قتل أُخاك ، وهجا قومَك ، وذَمَّ أُختك ، وقد كنتُ أعذرك قبلَ هذا ، لأنّك كنتَ صغيراً ، وقد كبرت الآن . فلمّا أَكثرَتْ عليه خرج مِن عندها ، وبَصُر بابن الدُّمينة واقفاً يُنشد الناسَ ، فغَدا إلى جزَّار فأَخذ شَفْرَتَه ، وعَدا على ابنِ الدُّمينة ، فجرحه جراحَتَيْن ، فقيل : إنّه مات لوقتِه . وقيل : بل سَلِم تلك الدَّفْعَةَ ، ومرَّ به مصعب بعد ذلك وهو في سُوق العبْلاء يُنشِد ، فعلاهُ

---

1 المثل «لا تقتن من كلب سوء جرواً» في مجمع الميداني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 141 ومستقصى الزمخشري 2 : 258 .

2 ديوان الدمينة : 8 .

بسيفه حتى قتله ، وعَدا وتَبِعَه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه ، فجاءه رجلٌ من قومه فصاح به : يا مُصعب ، إن لم تضَعْ يدَكَ في يدِ السلطان قتلَتْكَ العامّة فاخرج ، فلمّا عرفه قال له : أنا في ذِمَّتِك حتى تسلِّمني إلى السلطان ؟ قال : نعم ، فخرج إليه ووضع يدَه في يدِه ، فسلّمه إلى السلطان ، فقذَفه في سجن تَبالة .

[يحرّض قومه ويوبّخهم]

قال السّكّريّ في خبره : ومكث ابنُ الدُّمينة جَريحاً لَيلَته ، ومات في غَد ، فقال في تلك الليلة يحرِّض قومه ويوبّخهم[1] : [من الوافر]

هتَفتَ بأَكْلُب ودَعَوْتَ قَيْساً ... فـلا خُذُلاً دعَوْتَ ولا قَلِيلا
ثأَرْتَ مزاحِماً وسَرَرت قَيْساً ... وكنتَ لِما هممت بـهِ فَعُولا
فـلا تَشلَلْ يَـداك ولا تَزالا ... تُفِيـدان الغنائـمَ والجَزِيلا
فلـو كان ابنُ عَبْدِ الله حيّـاً ... لصبَّـحَ في منازِلهـا سَلُولا

[مصعب السلولي يطلب من قومه انقاذه]

قال : وبلغ مصعباً أنَّ قومَ ابن الدُّمينة يريدون أنْ يقتحموا عليه سِجن تَبالة فيقتلوه به غِيلة ؛ فقال يحرِّضُ قومه : [من الوافر]

لقيتُ أَبا السَّرِيِّ وقـد تكالا ... لـهُ حـقُّ العداوَةِ في فؤادِي[2]
فكاد الغيـظُ يُفرِطُنـي إليـه ... بطَعْـن دونـه طَعْنُ السَّدادِ
إذا نبحَتْ كِلابُ السجْنِ حَوْلِي ... طَمِعْتُ هَشاشَةً وهَفا فُؤادِي
طماعَةَ أَنْ يَدُقَّ السجْنَ قَوْمي ... وخَوْفـاً أَنْ يُبَيِّتَنـي الأَعادِي
فمـا ظنِّـي بقومي شَرُّ ظَنّ ... ولا أَنْ يُسْلِمـوني في البلادِ
وقـد جدّلـتُ قاتِلَهُم فأَمْسى ... يَمُجُّ دَمَ الوَتِـين على الوِسادِ

[هرب مصعب من السجن]

فجاءت بنو عُقَيل إليه ليلاً ، فكسروا السجن ، وأخرجوه منه .

قال مصعب : فلمّا أفلتَ من السجن هرب إلى صَنْعاء ، فقدِم علينا وأبي بها يومئذٍ والٍ ، فنزل على كاتب لأبي كان مولًى لهم ، فرأيتُه حينئذٍ ولم يكن جَلْداً من الرجال .

---

1 ديوانه : 10 .

2 تكالا في ل : تغالى . حقّ في ل : حمى .

[مما يغنى به من شعره]

ومّما يغنّى به من شعر ابن الدُّمَيْنَة قوله من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

أقمتُ على زِمّان يوماً وليلةً لأنْظُرَ ما واشي أُمَيْمَةَ صانِعُ[2]

فقَصْرُكِ منّي كلَّ عامٍ قَصِيدة تخُبُّ بها خُوصُ المَطِيِّ النَّزائِعُ[3]

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أنَّ عبد الله بن شبيب أنشده إيّاها ، عن محمد بن عبد الله الكُرّانيّ لابن الدُّمينة . والذي يغنّى به منها قوله[4] : [من الطويل]

صوت

أُقَضِّي نَهارِي بالحديثِ وبالُمنى ويجمَعُني والهمَّ بالليل جامِعُ

نهارِي نَهارُ الناسِ حتى إذا بَدا لِيَ الليلُ شاقتني إليكِ المضاجعُ

لقد ثَبتتْ في القَلْبِ مِنْكِ محبَّةٌ كما ثبتَتْ في الراحَتَيْن الأَصابعُ

غنَّاه إبراهيم رمَلاً بالوسطى ، عن عمرو بن بانة .

[تزوجه أميمة]

نسخت من كتاب أبي سعيد ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي السَّريِّ ، عن هشام ، قال : هَوِيَ ابنُ الدُّمينة امرأةً من قومه يقال لها أُميمة ، فهام بها مدّةً ، فلمّا وصلَتْه تجنّى عليها ، وجعل يغاضبها وينقطعُ عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتَبا طويلاً ، ثم أقبلت عليه فقالت[5] : [من الطويل]

صوت

وأَنْتَ الذي أَخلفْتَني ما وعدتَني وأَشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يَلُومُ

وأَبرزْتَني للناس ثم تركْتَني لهم غَرَضاً أُرْمى وأنتَ سَلِيمُ

فلو أَنَّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدا بجسمِيَ مِن قَوْلِ الوُشاةِ كُلُومُ

الشعر لأُميمة : امرأة ابن الدُّمينة ، والغِناء لإبراهيم الموصليّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو والهشاميّ . وذكر حَبش أنَّ لإبراهيم أيضاً فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى ، وذكر

---

1 ديوانه : 87 .

2 زمّان : محلّة بالبصرة .

3 قصرك منّي : حسبك منّي وخوص المطيّ : النوق الغائرة العين . والنزائع : التي تجلب من بلاد الغير والتي انتزعت من غير الغرباء .

4 ديوانه : 88 ، وهي مما ينسب إلى قيس بن ذريح ومجنون ليلى .

5 ديوانه : 42 . والبيت الثالث منسوب في الديوان إلى ابن الدمينة نفسه .

حكم الوادي أنّ هذا اللحنَ ليعقوب الوادي ، وفيه لعريب خفيف ثقيل .

قال : فأجابها ابن الدُّمينة ، فقال[1] : [من الطويل]

وأنــتِ التي قطَّعْتِ قلبي حزازةً ومزَّقْتِ قَـرْحَ القَلْبِ فَهْـوَ كَلِيمُ
وأنتِ التي كلفتِني دَلَـجَ السُّرى وجُونُ القَطا بالجَلْهَتَـيـن جُثومُ[2]
وأنتِ التي أحفظتِ قومي فكلُّهم بَعِيــدُ الرِّضا داني الصدودِ كظيمُ

قال : ثم تزوَّجَها بعد ذلك ، وقُتِل وهي عِنده .

[قصّة عاشقين]

فأخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد بن إسحاق : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا سعيد بن سَلْم ، عن أبي الحسن الينبعيّ ، قال : بينا أنا وصديق لي من قُريش نَمْشي بالبِلاط ليلاً إذا بظِلٍّ نسوة في القَمَر ، فالتفتنا فإذا بجماعةِ نِسوةٍ ، فسمعْتُ واحدة منهنَّ وهي تقول : أهُوَ هو ؟ فقالت الأُخرى : نعم ، والله إنه لهو هو . فدنَتْ منّي ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]

ليسَتْ لَياليك في خاخٍ بعائدةٍ كما عَهِدْتَ ولا أيّام ذِي سَلَمِ

فقلت له : أجِبْ ، فقد سمعتَ . فقال : قد والله قطِعَ بي ، وأرتج عليّ ، فأجِبْ عنّي ، فالتفتّ إليها ثم قلت : [من الطويل]

فقلتُ لها : يـا عَزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

فقالت المرأة : أوه ! ثم مضَتْ ومضينا ، حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ، ومضيْتُ أنا إلى منزلي ؛ فإذا أنا بجُوَيْرية تجذبُ رِدائي ، فالتفتُّ إليها ، فقالت : المرأةُ التي كلَّمتْكَ تَدْعوكَ . فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً ، ثم صِرْتُ إلى بيتٍ فيه حَصِير ، وثُنِيتْ لي وِسادةٌ فجلستُ عليها ، ثـم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنِيّةٍ فطرَحَتْها ، وجاءت المرأة فجلستَ عليها ، وقالت : أنتَ المُجيب آنفاً ؟ قلت : نعم . قالت : ما كان أفَـظَّ جوابَك وأغلظه ! قلت : والله ما حضرني غيرُه . فبكتْ ، ثم قالت لي : والله ما خلق اللهُ خَلْقاً أحبَّ إليَّ من إنسان كان معك . قلت : أنا الضامِنُ لكِ عنه ما تُحبِّين . قالت : أوَ تفعـل ؟ قلت : نعم . فوعَدْتُها أن آتِيَها به في الليلة القابلة . وانصرفت ، فإذا الفتى ببابي ، فقلتُ : ما جاءَ بك ؟ قال : علمتُ أنّها سترسلُ

---

1 ديوانه : 42 .

2 الجلهتين : موضع .

إليك ، وسألتُ عنك فلم أجِدْك فعلمتُ أنّك عندها ، فجلسْتُ أنتظرك . فقلت : فقد كان كلُّ ما ظننْتَ ، ووعدْتُها أن آتِيَها بك في الليلة القابلة . فمضى ثم أصبحنا فتهيَّأنا ، ورُحنا فإذا الجارية تنتظرنا ، فمضَتْ أمامَنا ، حتى دخلنا الدّار ، فإذا برائحةِ الطِّيب ، وجاءت فجلست مليّاً ، ثم أقبلَتْ عليه فعاتَبَتْه طويلاً ، ثم قالت : [من الطويل]

صوت

وأَنْتَ الذي أخلفتَني ما وعَدْتَني ... وأَشمَتَّ بي مَـنْ كان فيكَ يَلومُ
وأبرزْتَنـي للنـاس ثـم تركْتَني ... لهـم غَرَضاً أُرْمـى وأنـتَ سَلِيمُ
فلو أنّ قـولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدا ... بِجِسْمِيَ مِـنْ قولِ الوُشاةِ كُلُومُ[1]

ثم سكتتْ ، فسكت الفتى هُنيهة ، ثم قال : [من الطويل]

غَدَرْتِ ولم أغْدِرِ وخُنْتِ ولم أَخُنْ ... وفي دُونِ هـذا للمُحِبِّ عَـزاءُ
جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ ثم صَرَمْتِني ... فحبُّـكِ في قلبـي إليـك أداءُ

فالتفتت إليّ وقالت : أَلا تسمعُ ما يقول ؟ قد أُخبرتك ! قال : فغمزْتُه فكفَّ ، ثم قالت : [من الطويل]

صوت

تجاهَلْتَ وَصْلي حِيْنَ لَجَّتْ عَمايتي ... وهلاَّ صرَمْتَ الحَبْلَ إذ أنا مُبْصِرُ !
ولي منْ قُوى الحَبْلِ الذي قد قطعْتَه ... نصيبٌ وإذ رأْيـي جميـعٌ مُوَفَّرُ
ولكنَّمـا آذَنْـتَ بـالصَّرْمِ بَغْتـةً ... ولستُ على مِثْلِ الذي جئتَ أَقْدِرُ

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكر حبَش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر .

قال : فقال الفتى مُجيباً لها : [من الطويل]

لقد جَعَلَتْ نَفْسي ، وأنت اجْتَرَمْتِه ... وكنتِ أُحبَّ الناسِ ، عنكِ تَطِيبُ

فبكتْ ، ثم قالت : أَوقد طابَتْ نفسُكَ ! لا واللهِ ما فيكَ خَيْرٌ بعدها ، فعليك السلام . ثم قامت والتفتتْ إليّ ، وقالت : قد علمتُ أنّكَ لا تفي بضمانك عنه ، وانصرفنا .

---

1 الجسم في ل : الجلد . البيت في الديوان منسوب لابن الدمينة .

[العبّاس بن الأحنف يريد أن ينطح العمود برأسه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان العبّاسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به ، وأفعلُ مثل ذلك ، فجاءَني يوماً ، فوقف بين البابَيْن ، وأنشد لابنِ الدُّمَينة[1] : [من الطويل]

صوت

ألا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ   فقد زادَني مَسْراك وَجْداً على وَجْدِ
أإنْ هتفَتْ ورْقاءُ في رَوْنَقِ الضّحى   على فَنَنٍ غَضِّ النبـاتِ مـن الرَّنْدِ[2]
بَكَيْتَ كما يَبْكـي الحزيـنُ صبابـةً   وذُبْت مـن الشَّوْقِ المُبرِّح والصَّدِّ
بكيت كما يَبْكي الوَليدُ ، ولم تكن   جَزُوعاً ، وأَبدَيْتَ الذي لم تكن تُبْدِي[3]
وقـد زَعَمُـوا أنَّ المُحِبَّ إذا دَنا   يَمَلُّ وأنَّ النـأيَ يَشفِي من الوَجْدِ
بكُلٍّ تَداوَينا فلـم يُشْفَ مـا بِنـا   على أنَّ قُـرْبَ الدّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

وزِيد على ذلك بيت ، وهو :

ولكـنَّ قـرْبَ الدَّارِ ليس بنافـعٍ   إذا كانَ مَـنْ تَهْواهُ ليس بِذِي وُدِّ

ثم ترنَّح ساعة ، وتَرَجّح أُخرى ، ثم قال : أَنطَحُ العمودَ برأْسي من حُسْن هذا ! فقلت : لا ، ارْفُق بنفسك .

الغناء في هذه الأَبيات لإبراهيم له فيه لَحْنان : أَحدهما ماخُوريٌّ بالبِنصر أَوّله البيت الثاني ، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوّله البيت الأَوّل .

[صديق يأمرُ صديقه بتطليق امرأته]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحِيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن سعيد ، عن ابن زَبَنَّج راويةِ ابنِ هَرْمة ، قال : لقي ابنُ هَرْمة بعضَ أصدقائه بالبَلاط ، فقال له : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : مِنَ المسجد ، قال : فأيّ شيء صنعْتَ هناك ؟ قال : كنْتُ جالساً مع إبراهيم بن الوليد المَخزوميّ ، قال : فأيّ شيء قال لك ؟ قال : أمرني أنْ أُطلّق امرأتي . قال : فأيّ شيء قلتَ له ؟ قال : ما قلتُ له شيئاً . قال : فوالله ما

1 ديوانه : 80–86 مع اختلاف كبير في الترتيب .
2 الهتاف : رفع الصوت .
3 الديوان : ولم تكن جليداً .

قال لك ذلك إلاّ لأمرٍ أظْهَرْتَهُ عليه وكتمتنيه ، أفرأيت إن أمرْتَه بطلاقِ امرأتِه ، أيُطَلِّقُها ؟ قال : لا ، والله ، قال : فابنُ الدُّمينة كان أنصفَ منك ، كان يَهوى امرأةً من قومه ، فأرسلت إليه : إنّ أهلي قد نَهَوني عن لقائك ومُراسلتك ، فأرسلَ إليها[1] : [من الوافر]

صوت

أطعْتِ الآمِرِيكِ بقَطْعِ حَبْلِي مُريهِمْ في أحبّتهم بِذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعوكِ فطاوِعيهم وإنْ عاصَوْكِ فاعصي مَنْ عصاكِ
أما والرَّاقِصاتِ بكلِّ فَجٍّ ومَنْ صَلَّى بنَعْمانِ الأَراكِ[2]
لقد أضمَرْتُ حُبَّك في فُؤادي وما أَضْمرْتُ حُبّاً مِن سِواكِ

في هذه الأبيات لإسحاق رَمَلٌ ، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى ، ولعريب خفيف ثقيل ، ابتداؤه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأوّل ، وفيه لمتيّم خفيف رمل آخر .

[عاشق يتمثل ببيتين له]

وحدَّثني بعض أصدقائنا ، عن أبي بكر بن دُريد ، ولم أسمعه منه ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، ووجدتُه أيضاً في بعض الكتُب بغير هذا الإسناد عن الأصمعيّ ، فجمعت الحكايَتَيْن ، قال : مررْتُ بالكوفة ، وإذا أنا بجارية تطَّلعُ من جِدارٍ إلى الطريق ، وفتًى واقفُ وظهْرُه إليَّ ، وهو يقول لها : أسهَرُ فيك وتنامين عنّي ، وتضحكين منّي وأبكي ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المودَّة وتَمْذُقِينَها[3] لي ، وأصدقُك وتُنافقيني ، ويأمرُك عدوِّي بهَجْري فتطيعينه ، ويأمرُني نَصيحي بذلك فأعصيه ! ثم تنفَّس وأجْهَش باكياً . فقالت له : إنَّ أهلي يمنعونني منك ، وينهونني عنكَ ؛ فكيف أصنع ؟ فقال لها : [من الوافر]

أطَعْتِ الآمِرِيكِ بصَرْمِ حَبْلي مُريهِم في أحِبَّتهم بذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعُوكِ فطاوِعيهم وإنْ عاصَوْك فاعصي مَنْ عَصاكِ

ثم التفتَ فرآني ، فقال : يا فتى ؛ ما تقول أنتَ فيما قلت ؟ فقلتُ له : والله لو عاش ابنُ أبي ليلى ما حكم إلاَّ بمثل حُكْمك .

تمَّتْ أخبارُ ابْنِ الدُّمَيْنة .

---

1 ديوانه : 182 .
2 بكل فج في ل : بذات عرق .
3 أمحضك المودة : أخلصها . وتمذقينها : من مذق اللبن أي خلطه بالماء .

صوت[1]

[من الطويل]

وإنَّ الذي بَيْنِـي وبَيْنَ بَنِـي أَبي ... وبَيْنَ بني عَمِّـي لَمُخْتَلِـفٌ جِدّا
فمـا أَحْمِلُ الحقد القديم عليهمُ ... وليس رئيس القوم مَن يحمل الحِقدا
وليسوا إلى نَصْري سِراعاً وإنْ همُ ... دعَـوْني إلى نَصْرٍ أَتيتهـمُ شَدّا
إذا أَكلوا لَحْمِي وَفَرْتُ لحومَهم ... وإنْ هدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدا
يعاتِبُنـي في الدَّيْـن قومِي وإنّما ... تديَّنْـت في أَشياء تُكسبهم حَمْدا

عروضه من الطويل . الشعرُ للمقنَّع الكنديّ ، والغناء لابن سُريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه من روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى . وذكر علي بن يحيى أنَّ لحنَ ابن سريج خفيف ثقيل . وذكر إبراهيم أنَّ فيه لِقَفا النجار لحناً لم يذكُرْ طريقته ، وأظنُّه من خفيف الثقيل .

1 الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي : 1178–1180 مع اختلاف في الترتيب وحماسة البحتري : 347 .

[348] ـ نسب المقنَّع الكنديّ وأخباره[1]

[يخشى العين فتقنع]

المقنَّع لقبٌ غلب عليه ؛ لأنه كان أجملَ الناسِ وجْهاً ، وكان إذا سفَر اللِّثام عن وجهه أصابَتْه العين .

قال الهيثم : كان المقنَّع أحسَنَ الناسِ وجْهاً ، وأمدَّهم قامةً ، وأكملهم خَلْقاً ، فكان إذا سفر لُقِع ، أي أصابته أعينُ الناس ، فيمرض ، ويلحقه عنَتٌ ؛ فكان لا يمشي إلاّ مُقنَّعا .

[نسبه]

واسمه محمد بن ظَفَر بن عُمَير بن أَبي شمر بن فُرْعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولاَّدة ـ سمِّي بذلك لكثرة ولده ـ بن عمرو بن معاوية بن كِندَة بن عُفير بن عَديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وكان له محلّ كبير ، وشرَف ومروءة وسؤدد في عَشيرته .

قال الهيثَم بن عَدِيّ : كان عُمَير جدّه سيِّدَ كِنْدة ، وكان عمُّه عمرو بن أَبي شَمِر يُنازِعُ أباه الرِّياسة ويساجِله فيها ، فيقصِّر عنه .

[أتلف ماله بالعطاء]

ونشأ محمد بن عُمَير المقنّع ، فكان متخرِّقاً في عطاياه ، سَمْح اليَد بمالِه ، لا يَرُدُّ سائلاً عن شيء حتى أتلَفَ كلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ ، فاستعلاهُ بنو عمِّه عمرو بن أبي شَمرٍ بأموالهم وجاههم .

[بنو عمّه منعوه من زواج أختهم لفقره ودينه]

وهَوِيَ بنتَ عَمِّه عمرو فخطبها إلى إخوتها ، فردُّوه وعيَّرُوه بتخرُّقه وفَقْرِه وما عليه من الدَّين ؛ فقال هذه الأبيات المذكورة .

[كثير بن هراسة يعرض ببخل الخليفة]

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدَّثني محمد بن زكريّا الغِلابي ، عن العُتْبيّ ، قال : حدَّثني أبو خالد من ولَدِ أُميَّة بن خَلَف ، قال : قال عبد الملك بن مروان ، وكان أوّل خليفة ظهر

1 ترجمة المقنع الكندي في السمط : 615 والشعر والشعراء : 625–626 .

منه بُخل : أيُّ الشعراء أَفضل ؟ فقال له كثير بن هَراسة ، يعرِّض ببُخْل عبد الملك : أَفضلهم المقنّع الكِنْديّ حيث يقول : [من البسيط]

إنِّـي أُحرِّضُ أَهْلَ البُخْـلِ كُلَّهم لو كان ينفَعُ أَهلَ البخلِ تَحْرِيضي
مـا قَـلَّ مالِـيَ إلاَّ زادَني كَرَماً حتى يكـونَ برزقِ الله تعويضي
والمالُ يرفعُ مَنْ لَوْلا دَراهِمُه أَمْسى يُقَلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ
لن تُخْرجَ البيضُ عَفْواً من أَكفهمُ إلاَّ عَلى وَجَـعٍ منهـم وتَمْرِيضِ
كأنَّها مِـنْ جلُـودِ الباخلين بها عنـد النوائب تُحْذى بالمقارِيضِ[1]

فقال عبد الملك ، وعرف ما أَراد : الله أَصدق من المقنَّع حيث يقول : ﴿والذين إذا أَنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُروا﴾ .

صوت

[من السريع]

يـا ابْنَ هشام يا عليّ النَّدى فَدَتْـكَ نَفْسي ووَقَتْكَ الرَّدى
نسيتَ عَهْـدِي أَوْ تناسيْتَنـي لَمّا عَداني عَنْكَ صَرْفُ النَّوى

الشعرُ والغناء لإسحاق الموصليّ رمل بالبنصر .

1 تحذى : تقطع .

[349] ـ خبر لإسحاق وابن هشام

[رسالة إسحاق إلى علي بن هشام]

وهذا الشعر يقولُه في عليّ بن هشام أيّام كان إسحاق بالبصرة ، وله إليه رسالةٌ حسنة ، هذا موضع ذكرها ، أخبرنا بها عليُّ بن يحيى المنجّم ، عن أبيه ، ووقعَتْ إلينا من عدَّةِ وُجوه : أنّ إسحاق كتب إلى عليٍّ بن هشام : «جُعلتُ فداك ! بعثَ إليَّ أبو نصر مولاك بكتابٍ منكَ إليَّ يرتفِعُ عن قَدْري ، ويقصُرُ عنه شُكْرِي ، فلولا ما أُعرِف من معانيه لظننتُ أنَّ الرسولَ غلط بي فيه ، فما لنا ولك يا عبد الله ، تدَعُنا حتى إذا أُنسينا الدنيا وأبغضناها ، ورجَوْنا السلامةَ مِن شَرِّها ، أفسدْتَ قلوبَنا وعلّقت أنفسنا ، فلا أنت تُريدنا ، ولا أنت تتركنا ؛ فبأيِّ شيء تستحِلُّ هذا ! فأمّا ما ذكرْتَه مِن شوقك إليَّ فلولا أنّك حَلَفْتَ عليه لقلت : [من الكامل]

يــا مَــنْ شكا عَبَثاً إلينــا شَوْقَهُ   شَكْوى المُحِـبِّ وليس بالمُشْتاقِ
لــو كنْتَ مشتاقــاً إلــيَّ تُرِيدُني   مــا طِبْتَ نفساً ساعــةً بِفِراقي
وحفِظْتَني حِفْظ الخليــلِ خليلَه   ووفيْــتَ لي بالعَهْـــدِ والميثاقِ
هيهاتَ قــد حدثَــتْ أُمورٌ بَعْدَنا   وشُغِلْتَ باللــذَّاتِ عــن إسحاقِ

وقد تركتُ ، جُعلت فِداك ، ما كرهتَ من العِتاب في الشعر وغيره ، وقلت أبياتاً لا أزالُ أخرجُ بها إلى ظَهْرِ المِرْبَد ، وأستقبِل الشَّمال ، وأتنسَّم أرواحكم فيها ، ثم يكونُ ما اللهُ أعلمُ به ، وإن كنتَ تكرهها تركتها إن شاء الله : [من الطويل]

أَلا قـــد أرى أنَّ الثَّــواءَ قَلِيــلُ   وأَنْ لَيْس يَبْقى للخليــلِ خَلِيلُ
وإنّــي وإنْ مُلِّيتُ في العَيْشِ حِقْبَةً   كذِي سَفَرٍ قــد حــان منه رَحِيلُ
فهــلْ لي إلى أنْ تنظُرَ العَيْنُ مَرَّةً   إلى ابْنِ هشامٍ في الحياةِ سَبِيلُ ؟!
فقــد خِفْتُ أنْ أَلْقى المنايا بحَسْرَةٍ   وفي النفسِ مِنــه حاجــةٌ وغَلِيلُ

وأمَّا بعد ، فإنّي أُعلمُ أنّك ، وإن لم تَسَلْ عن حالي ، تُحِبُّ أنْ تعلمَها وأنْ تأتيَك عنّي سلامةٌ ؛ فأنا يوم كتبتُ إليك سالم البدن ، مريض القلبِ .

وبعد : فأنا ، جُعِلْتُ فداك ، في صَنْعةِ كتابٍ مَلِيح ظريف ، فيه تسميةُ القومِ ونسبُهم

وبلادُهم ، وأَسبابُهم وأَزمنتهم ، وما احتلفُوا فيه من غنائهم ، وبعضُ أُحاديثهم ، وأَحاديثُ قِيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات ، وما قيل فيهنَّ من الأشعار ، ولِمَنْ كُنَّ ، وإلى مَنْ صِرْن ، ومَنْ كان يغْشاهُنَّ ، ومَنْ كان يُرَخِّص في السماع من الفقهاء والأشراف ، فأَعْلِمْني رأْيَك فيما تشتهي لأعملَ على قَدْرِ ذلك ، إن شاء الله .

وقد بعثتُ إليك بأُنموذج ، فإنْ كان كما قال العباديّ : «قبح الله كلَّ دَنّ أوَّله دُرْدِيّ»[1] ، لم نتجشَّم إتمامَه ، وربحنا العناءَ فيه ، وإنْ كان كما قال العربيّ : «إنّ الجوادَ عَيْنُه فِرارُه»[2] أعلمتنا ؛ فأتمَمْناه مسرورينَ بحُسْن رأْيك فيه ، إنْ شاءَ الله .

وهذا ممّا يدلُّ على أنَّ كتابَ الأغاني المنسوب إلى إسحاق ليس له ؛ وإنّما أُلِّف ما رواه حمّاد ابنه عنه من دواوين القدماء ، غير مختلط بعضها ببعض .

[وحشة بعد ألفة]

وكان إسحاق يألفُ عليّاً وأَحمد ابنيْ هشام وسائرَ أَهلهما إلفاً شديداً ، ثمَّ وقعَت بينهم نَبْوَةٌ ووحْشة في أمرٍ لم يقعْ إلينا إلاَّ لُمَعاً غَيْرَ مشروحة ، فهجاهم هجاءً كثيراً ، وانفرجت الحالُ بينه وبينهم .

فأَخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن عليّ بن يحيى وغيرهما ، عن أَبي أَيّوب سليمان المدينيّ ، عن مُصْعب ، قال : قال لي أحمد بن هشام : أَما تَسْتَحي أنتَ وصباح بن خاقان ، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعِلم والأدب أن شبّب بذكركما إسحاق في الشعر ، وهو مغنٍّ مذكور ، فيقول : [من المديد]

قــد نهانا مُصْعَبٌ وصباحٌ   فعَصَيْنا مُصْعبــاً وصباحــا
عَــذْلاً مــا عَــذَلا أَمْ مَلاماً   فاسترَحْنــا منهما فاستراحا

ويروى :

علما في العَذْلِ أَمْ قــد أُلاما

ويروى :

عــذلا عَذْلَهما ثـــم أناما

فقلتُ : إن كان فعل فما قال إلاَّ خيراً ، إنّما ذكرَ أنّا نهيناه عن خَمْرٍ شربها ، وامرأةٍ عشقها ،

---

1 المثل «أول الدن دردي» في مجمع الميداني 1 : 89 . والدردي : هو ما يتبقى في قعر الإناء .

2 المثل «(إن) الجواد عينه فرارة» في جمهرة العسكري 2 : 151 ومجمع الميداني 1 : 9 ، أي يغنيك منظره عن اختباره .

وقد أَشاد باسْمِك في الشعر بأشدَّ من هذا ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [من الطويل]

وصافيــةٍ تَغْشى العيــونَ رقيقــةٍ رهينــة عــامٍ في الدِّنــان وعامِ
أَدَرْنا بهــا الكأْسَ الرَّوِيَّــةَ مَوْهِناً من الليل حتــى انجابَ كلُّ ظَلامِ
فما ذَرَّ قَــرْنُ الشَّمْسِ حتى كأننا من العِــيِّ نحكي أَحمــد بْنَ هِشامِ

قال : أَو قد فعل العاضَّ بَظْرَ أُمِّه ! قلت : إي والله لقد فعل .

إلى هاهنا رواية مصعب .

[أحمد بن هشام يتوعده وعلي يصلح بينهما]

ووجدتُ هذا الخبرَ في غير روايته ، وفيه زيادة قد ذكرتُها ، قال : فآلى أَحمد بن هشام أَنْ يبلُغ فيه كلَّ مبلغ يقدرُ عليه ، وأن يجتهد في اغتياله .

قال إسحاق : حضرتُ بدار الخليفة ، وحضر عليّ بن هشام ، فقال لي : أَتهجُو أَخي وتذكره بما بلغَني من القبيح ؟ فقلت : أَوَ يتعرَّضُ أَخوك لي ويتوعَّدني ! فوالله ما أُبالي بما يكون منه ؛ لأنّي أَعلمُ أنّه لا يقدرُ لي على ضرّ ، والنفع فلا أُريده منه ، وأنا شاعر مغنٍّ ، والله لأَهجونَّه بما أفري به جِلْدَه ، وأَهتك مروءتَه ، ثم لأغنينَّ في أقبح ما أقولُه فيه غناء تسري به الرُّكبان . فقال لي : أَوَ تهبُ لي عِرْضَه ، وأُصلح بينكما ؟ فقلت : ذاك إليك . وإن فعلتَه فلكَ لا لَه . ففعل ذلك ، وفعلته به .

[هجاء مصعب وصباح]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : كان صباح بن خاقان المنقريّ نديماً لمصعب الزُّبيريّ ، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة ، وكان خليعاً من أَهل البصرة : [من الخفيف]

مَنْ يكن إبْطُه كآباطِ ذا الخَلْـ ـقِ فإبْطاي في عِـدادِ الفِقاحِ
لِيَ إبْطــانِ يَرْمِيــانِ جَلِيسي بشبيــه السُّلاح بَـلْ بالسُّلاحِ
فكأَنِّي مِــنْ نَتْنِ هــذا وهذا جالسٌ بــين مُصْعَبٍ وصباحِ

[ينشد الفضل بن الربيع]

أَخبرني عليّ بن يحيى المنجم ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثني إسحاق ، قال : دخلتُ على الفضل بن الربيع يوماً ، فقال : ما عندك ؟ قلت : بيتان أَرجو أن يكونا فيما يُستطرف ، وأنشدته : [من الطويل]

سنُغْضي عن المكروهِ من كلِّ ظالمٍ ونصبرُ حتـــى يصنعَ اللهُ بالفَضْلِ
فتنتصر الأَحـــرارُ مِمَّـــنْ يَضيمُها وتُدْرِك أَقْصى ما تطالِبُ من ذَحْلِ[1]

قال : فدمعت عينُه ، وقال : مَن آذاك لعنه الله ؟ فقلت : بنو هشام وأخبرتُه الخبر .

قال يحيى بن علي : ولم يذكر بأيّ شيء أُخبره .

صوت

[من السريع]

قـد حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسي فما أَطعَـــمُ نومـاً غَيْرَ تَهْجاعِ[2]
أَسْعـى على جُـلِّ بَنِي مالكٍ كلُّ امـرىء في شأنِـه ساعِ
مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَها مُـرّاً ، وتتركـــه بجَعْجاعِ[3]
لا نألم القَتْلَ ونَجْزِي بـه الـ ـأعداء كَيْـلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

الشعر لأبي قيس بن الأسلت[4] ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل . وقيل : بل هو لمعبد .

---

1 تطالب في ل : تحاول .

2 حصت : أذهبت الشعر . والبيضة : الخوذة .

3 الجعجاع : الأرض الغليظة لا أحد فيها .

4 الأبيات في جمهرة أشعار العرب (صادر) : 234–236 وهي من المفضلية الخامسة والسبعين في شرح ابن الأنباري .

[350] ـ نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره[1]

[نسبه]

أبو قيس لم يقع إليَّ اسْمُه غير ابن الأسلت[2] ، والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جُشم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر .

وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوسُ قد أسندت إليه حَرْبَها ، وجعلَتْه رئيساً عليها ، فكفى وسادَ . وأسلم ابنُه عقبة بن أبي قيس ، واستشهد يوم القادسيّة .

وكان يزيد بن مِرْداس السُّلَميّ أخو عبّاس بن مرداس الشاعر قتَل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكَّن من يزيد بن مرداس ، فقتله بقَيْس بن أبي قيس ، وهو ابنُ عمّه .

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت[3] : [من الطويل]

أَقيسٌ إن هلكتُ وأنتَ حَـيٌّ ... فـلا تَعْـدَمْ مُواصَلَـةَ الفَقِيرِ

وهذا الشّعرُ الذي فيه الغناءُ يقوله أبو قيس في حرب بُعاث[4] .

[ترأس الأوس يوم بعاث]

قال هشام بن الكلبيّ : كانت الأَوْسُ قد أسندوا أمرَهم في يوم بُعاث إلى أبي قيس بن الأسلت الوائليّ ، فقام في حَرْبهم وآثرها على كلِّ أمر حتى شَحُبَ وتغيَّر ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة . ثم إنّه جاء ليلةً فدقَّ على امرأتِه ، وهي كبشة بنت ضَمْرة بن مالك بن عَدِيّ بن عمرو بن عوف ، ففتحت له ؛ فأهوى إليها بيده فدفعَتْه ، وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلَّمْتَ . فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة ، وأوّلها[5] : [من السريع]

---

1 ترجمة أبي قيس بن الأسلت في طبقات ابن سلام 226–227 وخزانة البغدادي 3 : 409–413 وتهذيب ابن عساكر 6 : 454 ومعاهد التنصيص 2 : 25 والبيان والتبيين 3 : 23 والإصابة وطبقات ابن سعد 4 : 383–385 .

2 اسم أبي قيس «صيفي» وقيل «عبد الله» .

3 معاهد التنصيص 2 : 25 .

4 بعاث : موضع قريب من المدينة .

5 معاهد التنصيص 2 : 26 .

قالت ولم تَقْصِدْ لِقيلِ الخَنا : مَهْـلاً فقـد أَبلغْتَ أَسْماعِي
استنكرَتْ لَوْنـاً لَـهُ شاحِباً والحـربُ غُـولٌ ذاتُ أَوْجاعِ
مَنْ يَذُق الحَرْبَ يَجِدْ طعْمَها مُــرّاً وتتركْــه بِجَعْجاعِ

[يوم بُعاث][1]

فأَمّا السببُ في هذا اليوم ، وهو يوم بعاث ، فيما أَخبرني به محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرازيّ ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفَضْل ، عن محمد بن إسحاق ، وأضفت إليه ما ذكره ابنُ الكلبيّ عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أَبي عبيدة ، عن محمد بن عمّار بن ياسر ، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب .

[الأوس تستعين ببني قريظة والنضير]

أَنّ الأَوس كانت استعانت ببَني قُرَيظة والنَّضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرج ، فبعثت إليهم : إنَّ الأوس فيما بلغنا قد استعانَتْ بكم علينا ، ولن يُعجزنا أَنْ نستعين بأعدادكم وأَكثر منكم من العرب ، فإنْ ظفرْنا بكم فذاك ما تكرهون ، وإن ظفرتُمْ لم نَنَمْ عن الطَّلب أبداً ، فتصيروا إلى ما تكرهون ، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون ، وأَسلَمُ لكم من ذلك أَنْ تدَعونا وتخلّوا بيننا وبين إخواننا . فلمّا سمعوا ذلك عَلِموا أنّه الحقّ ؛ فأرسلوا إلى الخزرج : إنّه قد كان الذي بلغكم ، والتمست الأوس نَصْرنا ، وما كنّا لِنَنْصرهم عليكم أبداً . فقالت لهم الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثُوا إلينا برَهائن تكونُ في أَيدينا .

[الخزرج تأخذ رهائن]

فبعثوا إليهم أَربعين غلاماً منهم ، ففرَّقهم الخزرجُ في دُورهم فمكثوا بذلك مدّةً .

ثم إنّ عمرو بن النُّعمان البياضيّ قال لقومه بَياضة : إنَّ عامراً أَنزلكم منزِل سُوء بين سَبخَة ومفازة ، وإنّه والله لا يمسّ رأسي غُسْلٌ حتى أُنزِلكم منازلَ بني قريْظَة والنَّضير على عَذْبِ الماء وكريم النَّخْلِ . ثم راسلهم : إمّا أن تُخلوا بيننا وبين دِياركم نسكنُها ، وإمّا أَنْ نقتل رُهُنَكم ، فهمُّوا أَن يَخْرُجوا من ديارهم ، فقال لهم كَعْب بن أَسَدِ القُرَظيّ : يا قومُ ، امنعوا ديارَكم ، وخلُّوه يقتلُ الرُّهُن ، والله ما هي إلاّ ليلة يُصيبُ فيها أَحدُكم امرأَته حتى يولد له غُلام مثل أَحد الرُّهن .

---

1 في يوم بعاث انظر أَيّام العرب في الجاهلية : 73 .

[غدر عمرو بن النُّعمان بالرهائن]

فاجتمع رأيُهم على ذلك ، فأرسلوا إلى عمرو بألاّ نُسلّم لكم دُورَنا ، وانظروا الذي عاهدْتُمونا عليه في رُهننا ، فقوموا لنا به ، فعدا عمرو بن النُّعمان على رُهنِهم هو ومَن أطاعه من الخزرج ، فقتلوهم وأبى عبدُ الله بن أُبيّ ، وكان سيِّداً حَلِيماً ، وقال : هذا عقوقٌ ومأْثم وبَغْي ؛ فلستُ مُعِيناً عليه ، ولا أحدٌ من قومي أطاعَني . وكان عنده في الرُّهُن سُلَيم بن أَسَد القرظيّ ، وهو جَدُّ محمد بن كعب القرظيّ ، فخلَّى عنه ، وأطلق ناسٌ من الخزرج نَفراً فلحقوا بأهليهم ، فناوشَتِ الأَوْسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنَّضِير إلى كعب بن أسد ، أخي بني عمرو بن قريظة ، ثم توامروا أن يُعينُوا الأَوسَ على الخزرج ؛ فبعث إلى الأوس بذلك ، ثمَّ أجمعوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بَيْتٍ من النَّبيت[1] على بيت من قريظة والنضير ، فنزلوا معهم في دُورهم ، وأرسلوا إلى النَّبيت يأمُرونهم بإتيانهم ، وتعاهَدوا ألاّ يُسلموهم أبداً ، وأنْ يقاتلُوا معهم حتى لا يَبْقى منهم أحد . فجاءَتهم النَّبيت فنزلوا مع قُريظة والنَّضير في بيوتهم ، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخَزْرَج ، فأجابوهم إلى ذلك . فاجتمع المَلأُ منهم ، واستحكم أمْرُهم ، وجدّوا في حَرْبهم ، ودخلت معهم قبائلُ من أهلِ المدينة ، منهم بنو ثعلبة ـ وهم من غسان ـ وبنو زَعُوراء ، وهم من غسّان .

[مشورة عبد الله بن أبي للخزرج]

فلمّا سمِعَتْ بذلك الخزرج اجتمعوا ، ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان البياضيّ ، وعمرو بن الجمُوح السُّلميّ ، حتى جاءوا عبد الله بن أُبيّ ، وقالوا له : قد كان الذي بلغكَ من أمر الأوسِ وأمر قُرَيظة والنَّضير واجتماعهم على حربنا ، وإنّا نرى أنْ نُقاتِلَهم ، فإنْ هزَمْناهُمْ لم يَحْرِز أحدٌ منهم مَعْقِلَه ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد .

فلمّا فرغوا من مقالتهم قام عبدُ الله بن أُبيّ خطيباً وقال : إنَّ هذا بَغْيٌ منكم على قومكم وعقُوق ، ووالله ما أُحِبُّ أنَّ رِجْلاً[2] من جَراد لقيناهم . وقد بلغني أنّهم يقولون : هؤلاء قوْمُنا منعونا الحياةَ أفيمنعوننا الموت ! والله إنّي أرى قوماً لا ينتهون أو يُهْلِكوا عامَّتكم ، وإنّي لأخاف إنْ قاتلوكم أن يُنْصَرُوا عليكم لبَغْيِكم عليهم ، فقاتلوا قوْمَكم كما كنتّم تقاتلونَهم ، فإذا ولُّوا فَخَلُّوا عنهم ، فإذا هزمُوكم فدخلتم أدْنى البيوت خَلَّوا عنكم .

---

1 النبيت : أبو حي باليمن .

2 الرجل من الجراد : القطعة العظيمة .

فقال له عمرو بن النُّعمان : انتفخ والله سَحْرُكَ[1] يا أبا الحارث حين بلغك حِلْفُ الأوس قريظة والنضير ! فقال عبد الله : واللهِ لا حَضَرْتكم أبداً ، ولا أحد أطاعَني أبداً ، ولكأنّي أنظر إليك قتيلاً تحملُك أربعةٌ في عَباءة .

[عمرو بن النُّعمان يتولّى رئاسة الخزرج]

وتابع عبد الله بن أُبَيٍّ رجالٌ من الخزرج ، منهم عمرو بن الجَموح الحَراميّ . واجتمع كلامُ الخزرجِ على أنْ رأسوا عليهم عَمرو بن النُّعمان البياضيّ ، وولَّوْه أمْرَ حَرْبهم ، ولبثت الأَوْس والخَزْرَج أربعين ليلة يتصنَّعُون للحَرْب ، ويجمع بعضُهم لبعض ، ويُرسلون إلى حُلفائهم من قبائل العرب . فأرسلت الخزرجُ إلى جُهينة وأشْجع . فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شمَّاس ، فأجابوه ، وأقبلوا إليهم ، وأقبلت جُهينة إليهم أيضاً . وأرسلت الأوْسُ إلى مُزَيْنَة ، وذهب حُضَيْر الكتائب الأشهليُّ إلى أبي قَيْس بن الأَسلت ، فأمره أن يَجمَعَ له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَير ، فاعتمد على قَوْسه ، وعليه نَمِرة[2] تَشِفُّ عن عَوْرَته ، فحرَّضهم وأمرهم بالجِدِّ في حَرْبِهم ، وذكر ما صنعَتْ بهم الخَزْرَج من إخراج النَّبيت وإذلال مَن تخلَّف بالمدينة من سائر الأوس ، في كلامٍ كثير .

فجعل كُلَّما ذكر ما صنعَتْ بهم الخزرجُ وما رَكِبُوه منهم يستشيطُ ويَحْمى ، وتَقْلِصُ[3] خُصْيَتاه ، حتى تَغِيبا ، فإذا كلَّموه بما يُحِبُّ تدلَّتا حتى ترجعا إلى حالهما . فأجابته أوْسُ الله بالذي يُحِبُّ من النّصرة والموازرة والجدِّ في الحرب .

[موقف حضير الكتائب]

قال هشام : فحدَّثني عبد المجيد بن أبي عيسى ، عن خير ، عن أشياخ من قومِه : أن الأوس اجتمعت يومئذٍ إلى حُضير بموضع يقال له الجباة ، فأجالُوا الرَّأي ، فقالت الأوس : إن ظفِرْنا بالخزرج لم نُبْقِ منهم أحداً ولم نقاتلهم كما كنّا نقاتِلهم . فقال حُضَير : يا معشر الأوْس ؛ ما سُمِّيتم الأوس إلاّ لأنّكم تَؤُوسون[4] الأمورَ الواسعة . ثم قال : [من الرجز]

يا قوم قد أَصْبحْتُمُ دَوارا   لمعشَرٍ قد قَتَلُوا الخِيارا[5]

---

1 السحر : الرئة ، ومعناه : جاوزت قدرك ؛ ولم نعثر عليه في كتب الأمثال .

2 النمرة : بردة من صوف .

3 تقلص : تنقبض .

4 آس القوم يؤوسهم : أعطاهم وعوضهم .

5 الدوار بضم الدال وفتحها : صنم كانت العرب تجعل موضعاً تدور فيه حوله (اللسان : دور) .

يُوشِكُ أَنْ يستَأْصِلُوا الدِّيــارا

قال : ولمّا اجتمعوا بالجباة طَرَحُوا بين أَيديهم تَمْراً ، وجعلوا يأكلون وحُضَيرُ الكتائب جالسٌ ، وعليه بُرْدةٌ له قد اشتمل بها الصمَّاء[1] ، وما يأكل معهم ، ولا يدْنُو إلى التمر غَضَباً وحنَقاً . فقال : يا قوم ، اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت . فقال لهم أبو قيس : لا أقبل ذلك ؛ فإنّي لم أُرأّس على قومٍ في حرب قطّ إلاّ هُزِموا وتشاءموا برياستي . وجعلوا ينظرون إلى حُضير واعتزالِه أكلهم واشتغالِه بما هم فيه من أمر الحرب ، وقد بدت خصْيَتاه من تحت البُرْد ، فإذا رأى منهم ما يكره من الفُتور والتخاذل تقلَّصتا غَيْظاً وغضباً ، وإذا رأى منهم ما يُحِبُّ من الجدِّ والتشمير في الحرب عادَتا لحالهما .

وأَجابت إلى ذلك أُوسُ مَناة ، وجدُّوا في المُوازرة والمظاهرة . وقدمَتْ مُزَينة على الأوس ، فانطلق حُضَير وأبو عامر الراهب بن صَيْفيّ إلى أبي قيس بن الأَسلت ، فقالا : قد جاءتنا مُزَينة ، واجتمع إلينا من أهل يَثْرب ما لا قِبَل للخزرج به ، فما الرَّأيُ إنْ نحن ظَهَرْنا عليهم : الإثخان أم البَقيّة ؟ فقال أبو قَيْس : بل البَقيّة . فقال أبو عامر : والله لوددتُ أنَّ مكانهم ثَعلباً ضَبَّاحاً .

[حضير يقسم أن يهدم أطم مزاحم]

فقال أَبو قيس : اقتلُوهم حتى يقولوا : بزا بزا ، كلمة كانوا يقولونها إذا غُلِبوا ، فَتَشاجَرُوا في ذلك ، وأقسم حُضير ألاّ يشرب الخمر أو يظهرَ ويَهْدم مُزاحِماً أُطُمَ عبد الله بن أُبَيّ .

فلبثوا شهرين يُعدُّون ويستعِدُّون ، ثم التقوا بِبُعاث ، وتخلَّف عن الأَوس بنو حارثة بن الحارث ، فبعثوا إلى الخزرج : إنّا والله ما نريد قتالكم .

فبعثُوا إليهم أَن ابعثوا إلينا برُهنٍ منكم يكونون في أيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً ، منهم خَدِيج ، أبو رافع بن خديج .

وبعاث : من أَموال بني قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرى ؛ فلِذلك تُدْعى بُعاث الحرب .

[الاستعداد للقتال]

وحشد الحيَّانِ فلم يتخلّف عنهم إلاّ مَن لا ذِكْرَ له . ولم يكونوا حشَدوا قبل ذلك في يومٍ التقوا فيه . فلمّا رأت الأَوسُ الخزرجَ أعظموهم ، وقالوا لحُضَير : يا أَبا أُسَيْد ، لو حاجزْتَ القوم ، وبعثتَ إلى مَنْ تخلَّف من حُلفائك من مُزَيْنة ! فطرح قوساً كانت في يدِه ، ثم قال : أَنتظر مُزَيْنة ، وقد نظر إليَّ القوم ونظرتُ إليهم ! الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا ، فاقتتلوا

1 الصماء : طريقة في لبس الشملة .

قتالاً شديداً ، فانهزمت الأَوسُ حين وجَدُوا مَسَّ السلاح ، فولَّوا مُصْعِدين في حَرَّة قَوْرى نحو العُرَيض [1] وذلك وَجْه طريق نَجْد . فنزل حُضَيْر ، وصاحت بهم الخزرج : أَين الفرار ؟ أَلا إنَّ نجداً سنةٌ ، أيَّ مُجْدب ، يُعَيِّرُونهم .

فلمّا سَمِع حُضَير طعن بسِنانِ رُمْحِه فَخذه ، ونزل وصاح : واعَقراه ! والله لا أَرِيمُ حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أنْ تسلموني فافعلُوا .

فتعطَّفت عليه الأَوس ، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأَشهل ، يقال لهما : محمود ولبيد ، ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذٍ مِعْرَسان ذوَا بَطْشٍ ، فجعلا يَرتَجِزانِ ويقولان : [من الرجز]

أَيَّ غلامَـــيْ ملـــكٍ تَرانـــا في الحَرْبِ إذ دارَتْ بنا رَحانا
وعـدَّدَ النـاسُ لَنـا مَكانا

[مقتل عمرو بن النُّعمان]

فقاتلا حتى قُتِلا ، وأَقبل سهمٌ حتى أُصاب عَمْرو بن النُّعمان رأْسَ الخزرج فقتَله ، لا يُدْرى مَنْ رَمى به ، إلاّ أنَّ بني قُرَيظة تزعَم أنّه سَهْمُ رجُلٍ يقال له أبو لُبابَة ، فقتله .

فبينا عبدُ الله بن أُبيّ يتردَّدُ على بَغْلةٍ له قريباً من بُعاث ، يتحسَّسُ أَخبار القَوْم ، إذ طَلِع عليه بعَمْرو بن النُّعمان ميِّتاً في عَباءةٍ ، يحمله أربعةٌ إلى داره . فلمّا رآه عبد الله بن أُبيّ قال : مَنْ هذا ؟ قالوا : عَمْرو بن النُّعمان . قال : ذُقْ وَبالَ العقوق .

[انهزام أم الخزرج]

وانهزمت الخزرجُ ، ووضَعَت الأَوسُ فيهم السِّلاحَ ، وصاح صائح : يا معشر الأَوس ، أَسْجِحوا [2] ولا تُهلِكوا إخوتكم ؛ فجِوارُهم خيرٌ مِن جوارِ الثَّعالب .

فتناهت الأَوسُ ، وكفَّت عن سَلبهم بعد إثخانٍ فيه ، وسلبتهم قريظةُ والنَّضير ، وحملت الأَوس حُضيراً من الجِراح التي به ، وهُمْ يرتجزونَ حَولَه ويقولون : [من الرجز]

كَتِيبـةٌ زَيَّنَهـا مَوْلاهـا لا كَهْلُها هِدٌّ ولا فَتاها [3]

وجعلت الأَوْس تحرِّقُ على الخزرج نَخْلَها ودُورَها ؛ فخرج سَعْد بن مُعاذ الأَشهليّ حتى

1 العريض : واد بالمدينة .

2 اسجحوا : أحسنوا العفو .

3 الهد : الضعيف .

وقف على باب بَني سَلِمة ، وأَجارهم وأَموالهم جزاءً لهم بيَوْمِ الرَّعل[1] ، وكان للخزرج على الأَوسِ يومٌ يقال له يوم مُغلِّس ومُضرِّس . وكان سعد بن معاذ حُمِل يومئذٍ جريحاً إلى عمرو بن الجَمُوح الحرامي ، فمنَّ عليه وأجاره وأخاه يوم رَعل ، وهو على الأوس ، من القَطْع والحَرْق ، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بُعاث .

وأَقسم كَعْب بن أَسد القرظيّ ليُذِلَّنَّ عبد الله بن أُبيّ ، وليحلقَنَّ رأسَه تحت مزاحم ؛ فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله . فقال له عبد الله : أنشدك الله وما خذَّلْتُ عنكم . فسأل عمّا قال ، فوجده حقّاً ، فرجع عنه .

وأَجمعت الأَوس على أَن تهدم مُزاحماً أُطمَ عبد الله بن أُبيّ ، وحلف حُضير ليهدمنَّه . فكُلِّم فيه ، فأمرهم أن يَريثوا فيه ، فحَفرُوا فيه كوَّة . وأفلت يومئذٍ الزُّبير بن إيّاس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شمَّاس أخا بني الحارث بن الخزرج ، وهي النعمة التي كافأه بها ثابتٌ في الإسلام يوم بني قُريظة .

[موقف أبي قيس من هدم بيوت الخزرج]

وخرج حُضَير الكتائب وأَبو عامر الراهب حتى أَتَيا أَبا قَيْس بن الأَسلت بعد الهزيمةِ ، فقال له حُضَير : يا أَبا قيس ، إنْ رأيْتَ أَن تأتيَ الخزرجَ قصراً قصراً وداراً داراً ، نقتل ونَهْدم ، حتى لا يَبْقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : واللهِ لا نفعلُ ذلك ؛ فغضب حُضَير ، وقال : ما سمّيتم الأَوس إلاّ لأنّكم تؤوسون الأمْرَ أَوْساً . ولو ظفرت منّا الخزرجُ بمثلها ما أقالوناها . ثم انصرف إلى الأَوس ، فأَمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وكان حُضير جُرح يومئذٍ جراحةً شديدةً ، فذهب به كُليب بن صَيْفِيّ بن عبد الأَشهل إلى مَنْزِله في بني أُميّة بن زيد ، فلبث عنده أيّاماً ثم مات من الجراحة التي كانت به ، فقبره اليوم في بني أُميّة بن زيد .

قال : وكان يهوديٌّ أَعمى من بني قريظة يومئذٍ في أُطُم من آطامهم ، فقال لابنةٍ له : أَشْرِفي على الأطُم ، فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت ، فقالت : أَسْمَعُ الصوتَ قد ارتفع في أعلى قَوْرى ، وأَسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدولة إذاً على الأَوس ، لا خيرَ في البقاء بعدهم . ثم قال : ماذا تسمعين ؟ قالت : أَسمعُ رجالاً يقولون : يا آل الأَوس ، ورجالاً يقولون : يا آل الخزرج . قال : الآن حَمِيَ القتال . ثم لبث ساعة ، ثم

1 الرعل : موضع كان فيه يوم للخزج على الأوس وفيه قتل سماك أبو حضير الكتائب .

قال : أشْرِفي فاسمعي ، فأشرفت ، فقالت : أسمعُ قوماً يقولون :

نحن بنو صَخْرَة أصحابُ الرَّعَلْ

قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ، وصخرة أُمُّهم بنتُ مُرَّة بن ظَفَر أُمّ بني عَبْد الأشهل ، ثم وثب فرحاً نحو باب الأُطم فضرب رأسه بحِلقِ بابِه ، وكان مِنْ حجارةٍ فسقط فماتَ .

وكان أبو عامر قد حلف ليَركزَن رُمْحَه في أصل مُزاحم أُطُم عبد الله بن أُبيّ ، فخرجت جماعةٌ من الأوس حتى أحاطُوا به ، وكانت تحت أبي عامر جَميلة بنت عبد الله بن أُبيّ ، وهي أُمّ حنظلة الغَسِيل بن أبي عامر ، فأشرف عليهم عبدُ الله ، فقال : إنّي والله ما رَضِيتُ هذا الأمر ، ولا كان عن رأيي ، وقد عرفتُم كراهتي له ، فانصرفوا عَنّي . فقال أبو عامر : لا والله ، لا أنصرف حتّى أركز لِوائي في أصْلِ أُطمك .

فلمّا رأى حنظلة أنّه لا ينصرِف ، قال لهم : إنَّ أبي شدِيدُ الوَجْدِ بي ، فأشرفوا بي عليه ، ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنّا لنرمينَّ برأسه إليك . فقالوا ذلك له ، فركزَ رُمْحه في أصلِ الأُطُم ليَمينه[1] ثم انصرف ، فذلك قول قيس بن الخطيم[2] : [من الطويل]

صبَحْنا بـه الآطامَ حَـوْلَ مُزاحِمٍ قَوانِسُ أولى بَيْضِنا كالكواكبِ[3]

وأسر أبو قَيْس بن الأسلت يومئذٍ مخلد بن الصامت الساعديّ أبا مَسلمة بن مخلَّد ، اجتمع إليه ناسٌ من قومه من مُزَينة ومنْ يهود ، فقالوا : اقتله ، فأبى ، وخلَّى سبيلَه ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَسرتُ مخلّـداً فعفَوْتُ عنـه وعِنْـدَ اللهِ صالِحُ مـا أَتَيْتُ
مُزَيْنَـة عنـده ويهـودُ قَوْرى وقَوْمـي كلُّ ذلكـمُ كفيْتُ

[رثاء حضير الكتائب]

وقال خُفاف بن نُدبة ، يرثي حُضَيْر الكتائب ، وكان نديمَه وصديقَه : [من الطويل]

لـو آنَّ المنايا حِدْنَ عن ذِي مَهابَةٍ لَهِبْنَ حُضيراً يـومَ أَغلق واقِما[4]

1 ليمينه : أي ليبر يمينه .
2 ديوان قيس بن الخطيم : 86 .
3 القوانس : جمع قونس ، وهو الجزء الناتيء في أعلى البيضة .
4 ديوان خفاف : 72–73 . وواقم : أطم بالمدينة .

أطاف بـه حتـى إذا الليلُ جَنَّهُ   تَبـوّأ منـه منـزلاً مُتَنـاعِما[1]

وقال أيضاً يرثيه[2] : [من المتقارب]

أتـاني حديـثٌ فكذَّبْتُـه   وقيـل : خَلِيلُك في المَرْمَسِ[3]
فيا عين بَكِّي حُضَيرَ النَّدى   حُضَيرَ الكتائـبِ والمجلسِ
ويـومٍ شديـدِ أُوارِ الحديدِ   تقطَّعُ منـه عُـرى الأنْفُسِ
صَلِيتَ بـه وعليك الحديـ   ـدُ ما بين سَلعٍ إلى الأَعرُسِ
فأَوْدى بنفسكَ يومُ الوَغى   ونقَّـى ثيابـكَ لم تدنَسِ

[وصف امرأة خفرة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني داود بن محمد بن جميل ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : قال لي الهيثم بن عديّ : كنَّا جلوساً عند صالح بن حسّان ، فقال لنا : وأخبرني عمِّي عن الكُرانيّ ، عن النوشجانيّ ، عن العمريّ ، عم الهيثم بن عدِيّ ، قال : قال لنا صالح بن حسّان . وأخبرني به الأخفش عن المبرّد ، قال : قال لي صالح بن حسّان : أنشِدُوني بيتاً خَفِراً في امرأة خَفِرة شريفة ، فقلنا : قول حاتم[4] : [من الطويل]

يُضيءُ لها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ   إذا هيَ يَوْماً حاوَلَتْ أن تبسَّما

فقال : هذه من الأصنام ، أُريد أحسنَ من هذا . قلنا : قول الأعشى[5] : [من البسيط]

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها   مَـرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خرّاجة ولاّجة كثيرة الاختلاف . قلنا : بيت ذي الرُّمّة[6] : [من الطويل]

تَنُوءُ بأُخراهـا فلأيـاً قِيامُها   وتَمْشي الهُوَيْنا مِنْ قَرِيبٍ فتُبْهَرُ

فقال : هذا ليس ما أُردت ، إنّما وصف هذه بالسمن ، وثقل البدن . فقلنا : ما عندنا شيء . فقال : قول أبي قيس بن الأسلت[7] . [من الطويل]

---

1 متناعم : مفضال .
2 ديوان خفاف : 70–71 .
3 المرمس : موضع القبر .
4 ديوان حاتم (صادر) : 80 .
5 ديوان الأعشى (صادر) : 144 .
6 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 227 .
7 معاهد التنصيص 2 : 27 .

ويكرِمُهـا جاراتهـا فيزرْنَها وتَعْتَـلُّ عـن إتيانِهـنّ فتُعْذَرُ
وليس لهـا أنْ تستهين بجارةٍ ولكنّها مِنْهُـنَّ تَحْيـا وتخفَرُ

[أحسن ما وصفت به الثريا]

ثـم قـال : أنشدوني أحسنَ بيتٍ وُصفت بـه الثريّا . قلنا : بيت ابن الزَّبيرِ الأسدِيّ : [من الطويل]

وقـد لاح في القُورِ الثُّرَيّـا كأنّما بـه رايـةٌ بيضاءُ تخفقُ للطَّعْنِ

قال : أُريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرىء القيس[1] : [من الطويل]

إذا مـا الثريّا في السماءِ تعرَّضَتْ تعـرضَ أثنـاء الوِشاحِ المُفصَّلِ

قال : أُريد أحسن من هذا . قلنا : بيت ابن الطَّثْرِيّة : [من الطويل]

إذا مـا الثريّا في السماءِ كأنّها جُمانٌ وَهى مِـنْ سِلْكِهِ فتَسرَّعا

قـال : أريـد أحسن مـن هـذا . قلنا : ما عندنا شيء . قال : قول أبي قيس بن الأسلت[2] : [من الطويل]

وقد لاح في الصُّبْحِ الثريّا لَمِن رأى كعنقـود مُلاَّحِيّـةٍ حـين نوَّرا[3]

قال : فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدّم .

[عبد الملك يستشهد بشعر ابن الأسلت]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الحسين بن أحمد بن طالب الديناريّ ، قال : حدَّثني أبو عدنان ، قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، قال : حدَّثني الضحاك بن زُمَيْل السَّكسكيّ ، قال : لمّا قَتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزُّبير خطب الناس بالنُّخَيْلة ، فقال في خطبته : أيُّها النّاس ، دَعُوا الأهواء المردية المُضِلَّة ، والآراءَ المتشتّتة ، ولا تكلّفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ؛ فقد جاريتمونا إلى السيف ، فرأيتُم كيف صَنَع اللهُ بكم ، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادونَ جراءة ؛ فإنّي لا أزداد بعدها إلاّ عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلاّ كما قال أبو قيس بن الأسلت[4] : [من البسيط]

1 ديوان امرىء القيس (صادر) : 39 .
2 معاهد التنصيص 2 : 26 .
3 الملاحية : ضرب من نبات الحمض .
4 معاهد التنصيص : 27 .

مَن يَصْلَ نارِي بلا ذَنْب ولا تِرَةٍ يصلَ بنارِ كريم غيْر غَدَّارِ
أنا النذيرُ لكم مِنِّي مُجاهرة كي لا أُلامَ على نهيٍ وإعذارِ
فإنْ عصيْتم مقالي اليومَ فاعترفوا أنْ سوف تلقون خِزياً ظاهِرَ العارِ
لتُتْرَكُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنَةً عند المقيم وعند المُدْلج السَّارِي
وصاحب الوِتْر ليس الدهرَ مُدْرِكَه عندي وإنّي لطلَّابٌ لأوْتارِ
أُقيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوَجٍ كما يقوِّمُ قِدحَ النَّبْعَةِ البارِي

صوت

[من الوافر]

ترفَّعْ أيّها القمرُ المنيرُ لعلَّكَ أن ترى حُجْراً يَسيرُ
يَسير إلى مُعاويةَ بن حَرْبٍ ليقتلَه كما زعم الأميرُ
ألا يا حُجْر حُجْر بني عَدِيٍّ تلقّتكَ السلامةُ والسرورُ
تنعمّت الجَبابِرُ بعد حُجْرٍ وطاب لها الخورنَقُ والسَّدِيرُ

الشعر لامرأةٍ من كندة ترثي حُجْر بن عديٍّ صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه . والغناء لحكمَ الوادي رمَل بالوسطى ، وفيه لحُنَيْن هَزج خفيف بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ .

[351] ـ خبر مقتل حُجر بن عديّ[1]

[يستنكر ذم علي ولعنه]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : حدَّثنا أبو مِخنف ، قال : حدَّثنا خالد بن قطن ، عن المجالد بن سعيد الهمدانيّ ، والصقْعب بن زُهير ، وفُضيل بن خَدِيج ، والحسن بن عُقبة المراديّ ، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يَسيرةً ؛ تحرُّزاً من الإطالة : أنّ المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقومُ على المِنبر فيذّم عليَّ بنَ أبي طالب وشيعته ، وينال منهم ، ويلعن قتلةَ عثمان ، ويستغفر لعثمانَ ويزكّيه ، فيقوم حُجْر بن عديّ فيقول : ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شُهَداءَ لله ولو على أنْفُسِكم﴾ ، وإنِّي أشهد أنَّ مَنْ تذمّون أحقُّ بالفَضْل ممّن تطْرُونَ ، ومَن تزكّون أحقُّ بالذمّ ممّن تعيبون . فيقول له المغيرة : يا حُجْر ، ويحك ! اكفُفْ من هذا ، واتَّقِ غَضْبَة السلطان وسَطْوتَه ؛ فإنّها كثيراً ما تقتل مثلَك . ثم يكفُّ عنه .

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرةُ يوماً في آخر أيّامه يخطب على المنبر ، فنال مِنْ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولعنه ، ولعن شيعَتَه ، فوثب حُجْر فنعرَ نعرة أسمعَتْ كلَّ مَن كان في المسجد وخارجه . فقال له : إنّك لا تدري أيّها الإنسان بمَن تولَع ، أَوَ هَرِمْتَ ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا ؛ فإنّك قد حبَسْتَها عنّا ، ولم يكن ذلك لكَ ولا لِمَنْ كان قبلك ، وقد أصبحت مولَعاً بذمِّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معه أكثَرُ من ثلاثين رجلاً يقولون : صدق والله حُجْر ! مُرْ لنا بأعطياتنا ؛ فإنّا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يُجْدِي علينا . وأكثَروا في ذلك .

[قوم المغيرة يلومونه في صبره عليه]

فنزل المغيرةُ ودخل القصر ، فاستأذن عليه قومُه ، ودخلوا ولاموه في احتماله حُجْراً ؛ فقال لهم : إنّي قد قتلتُه . قالوا : وكيف ذلك ! ؟ قال : إنّه سيأتي أميرٌ بَعْدي فيحسبه مثلي فيصنَع به شبيهاً بما ترَوْنه ، فيأخذه عند أوَّل وَهْلَة فيقتله شرَّ قِتْلَة . إنّه قد اقترب أجَلي ، وضَعُف عملي ، وما أُحبُّ أن أبتدىء أهلَ هذا المِصْر بقتل خِيارهم وسَفْك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشْقى ،

1 خبر مقتل حجر بن عدي في تاريخ الطبريّ : حوادث سنة 51 وطبقات ابن سعد 6 : 217–220 .

ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جرّبُوا العمّال .

قال الحسن بن عقبة : فسمعتُ شيخاً من الحيِّ يقول : قد والله جرَّبْناهم فوجدناه خيرَهم .

[زياد يذكره بصداقته ويحذّره]

قال : ثم هلك المغيرة سنة خمسين ، فجُمعت الكوفة والبصرة لزِياد ، فدخلها ، ووجَّه إلى حُجْر فجاءه ، وكان له قبل ذلك صديقاً ، فقال له : قد بلغني ما كنتَ تفعلُه بالمغيرة فيحتمله منك ؛ وإنّي واللهِ لا أحْتمِلُكَ على مِثْلِ ذلك أبداً . أرأيت ما كنت تعرفني به مِنْ حُبٍّ عليٍّ ووُدِّه ، فإنَّ اللهَ قد سلخه من صدري فصيَّره بُغْضاً وعداوة ، وما كنت تعرفني به من بُغْض معاوية وعداوته فإنَّ اللهَ قد سلخه من صدري وحوَّلَه حُبّاً ومَودَّة ؛ وإنّي أخوك الذي تَعْهَد ، إذا أتيتني وأنا جالسٌ للناس فاجلس معي على مجلسي ، وإذا أتيتَ ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرجَ إليك ، ولكَ عندي في كلّ يوم حاجتان : حاجة غُدوة ، وحاجة عشيَّة . إنّك إن تستَقِمْ تسلَمْ لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخُذْ يميناً وشمالاً تهْلِكْ نَفْسَك وتُشط[1] عِندي دمك . إنّي لا أحبُّ التنكيلَ قبل التقدمة ، ولا آخذ بغير حُجَّةٍ ، اللهمّ اشْهَدْ . فقال حُجر : لن يرى الأمير منِّي إلاّ ما يحبُّ ، وقد نصح ، وأنا قابلٌ نصيحته .

ثم خرج من عنده ، فكان يتّقِيه ويَهابُهُ ، وكان زياد يُدْنيه ويُكرمه ويفضِّله ، والشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر وتسمَعُ منه .

وكان زياد يَشْتُو بالبصرة ، ويَصيفُ بالكوفة ، ويستخلِف على البصرة سَمُرة بن جُندب ، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث ، فقال له عُمارة بن عُقبة : إنَّ الشيعةَ تختلفُ إلى حُجْر ، وتسمَعُ منه ، ولا أُراه عند خروجك إلاَّ ثائراً . فدعاه زياد فحذّره ووعظه . وخرج إلى البصرة ، واستعمل عَمْرو بن حُرَيث ، فجعلت الشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر . ويَجيء حتى يجلسَ في المسجد فتجتمع إليه الشيعةُ ، حتى يأخذوا ثلثَ المسجد أو نِصْفَه ، وتطيف بهم النظَّارة ، ثم يمتلىء المسجد ، ثم كثروا ، وكثُر لغَطُهم ، وارتفعت أصواتُهم بذمِّ معاوية وشَتْمِه ونَقْص زياد . وبلغ ذلك عَمْرو بن حُريث ، فصعد المِنبر ، واجتمع إليه أشرافُ أهل المِصْرِ فحثَّهم على الطاعة والجماعة ، وحذَّرَهم الخلافَ ؛ فوثب إليه عُنُقٌ[2] من أصحاب حجْر يكبِّرون ويشتمون ، حتى دنَوْا منه ، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه ،

1 أشاط بدمه : عرض نفسه للقتل .

2 عنق : جماعة من الناس .

وكتب إلى زياد بالخبر ، فلمّا أتاه أنشد يتمثّل بقول كعب بن مالك[1] : [من الطويل]

فلمّا غدوْا بالعِرْض قـال سَراتنا : علامَ إذا لم نمنع العِرْض نزرعُ[2]

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفةَ من حُجر ، وأَدَعه نِكالاً لِمَنْ بعده ، وَيْل أُمّك حجر ! لقد سقط بك العشاء على سرحان[3] .

ثم أقبل حتى أتى الكوفةَ ، فدخل القصر ، ثم خرج وعليه قَباءُ سُندس ، ومُطْرفُ خزّ أخضر ، وحُجْر جالسٌ في المسجد ، وحولَه أصحابه ما كانوا . فصعد المِنبر فخطب وحَذَّر الناس ، ثم قال لشدَّاد بن الهيثم الهلاليّ أمير الشُّرَط : اذهبْ فائْتني بحُجْر ، فذهب إليه فدعاه ، فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامةَ . فسبُّوا الشُّرَط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه ، فقال : يا أشرافَ أهلِ الكوفة : أتشجُّون بيدٍ وتأسُون بأُخرى ؟

[استعداء زياد أشراف الكوفة عليه]

أبدانُكم عندي ، وأهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب[4] . أنتم معي وإخوتكمُ وأبناؤكم وعشيرتكم مع حُجْر ؛ فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا رأيٌ إلاّ طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلُّ ما ظننتَ أنْ يكونَ فيه رِضاك فمُرْنا به . قال : ليَقُمْ كلُّ امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حُجْر ، فليَدْعُ الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومَنْ يُطِيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كلَّ مَن استطعتُم . ففعلوا ، وجعلوا يُقِيمون عنه أصحابَه حتى تفرَّق أكثرهم وبَقِيَ أقلُّهم .

فلمّا رأى زيادٌ خِفّةَ أصحابِهِ قال لصاحب شرطته : اذهب فائْتني بحُجْر ، فإنْ تَبِعك وإلاّ فمُرْ من معك أنْ ينتزِعُوا عمد السيوف ، ثم يشدُّوا عليه حتى يأتوا به ، ويضربوا مَن حالَ دونَه .

[أصحاب حجر يمنعونه من الذهاب]

فلمّا أتاه شدَّاد قال له : أَجِب الأمير ، فقال أصحاب حُجر : لا والله ولا نعْمَةَ عَيْنٍ ، لا يُجيبه . فقال لأصحابه : عليَّ بعَمَد السيوف ، فاشتدُّوا إليها ، فأقبلوا بها ، فقال عُمير بن زيد

1 ديوان كعب بن مالك : 59 .
2 فلما غدوا في الديوان : ولما ابتنوا . العرض : الوادي .
3 المثل «سقط العشاء به على سرحان» في مجمع الميداني 1 : 328 وفصل المقال : 362 ومستقصى الزمخشري 2 : 119 وجمهرة العسكري 1 : 514 .
4 الهجاجة : الأحمق . والمذبوب : المطرود .

الكلبيّ أبو العَمَرَّطة : إنّه ليس معك رجلٌ معه سيف غيري ، فما يُغْني سيفي ! قال : فما ترى ؟ قال : قُمْ من هذا المكان ، فالْحقْ بأهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المِنبر إليهم فغَشُوا حُجْراً بالعمَد ، فضربَ رَجُلٌ من الحمراء يقال له : بَكْر بن عُبيد رأسَ عمرو بن الحَمِق بعَمُود فوقع .

[تواري حجر في منازل الأزد]

وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعَجْلان بن ربيعة ، وهما رجلان من الأزد ، فحملاه ، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعد ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها .

[الثأر لعمرو بن الحمق]

قال أبو مخنف : فحدَّثني يوسف بن زياد ، عن عُبيد الله بن عَوْف ، قال : لمّا انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرى[1] قَبْل قتل عبد الملك مُصعباً بعام ، فإذا أنا بالأحمريّ الذي ضرب عَمْرو بن الحمقِ يسايِرُني ؛ ولا والله ما رأيتُه منذ ذلك اليوم ، وما كنتُ أرى لو رأيته أنْ أعرفَه ، فلمّا رأيته ظننتُه هو هو ، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسأله : أنت ضارِب عمرو بن الحَمِق ، فيُكابرني ؛ فقلتُ له : ما رأيتُك منذ اليوم الذي ضربْتَ فيه رأسَ عمرو بن الحَمِق بالعَمود في المسجد فصرعْتَه حتى يَوْمِي ، ولقد عرفْتُك الآن حين رأيتُك .

فقال لي : لا تَعْدم بصرَك ، ما أثبت نظرك ! كان ذلك أمر السلطان[2] أما واللهِ لقد بلغني أنّه قد كان امرءاً صالحاً ، ولقد ندمتُ على تلك الضَّرْبة ، فأستغفر اللهَ .

فقلت له : الآنَ ترى ، لا والله لا أفترِق أنا وأنت حتى أضربَك في رأسِك مِثلَ الضَّرْبة التي ضربْتَها عمرو بن الحَمِق وأموت أو تموت .

قال : فناشدني وسألني بالله . فأبيتُ عليه ، ودعوْتُ غلاماً يدعى رُشَيداً من سَبْي أصبهان معه قناة له صلْبة ، فأخذْتُها منه ثم أحمل عليه ، فنزل عن دابَّتِهِ ، فألحقه حين استوَتْ قدَماهُ على الأرض ، فأصفُق بها هامتَه ، فخرَّ لوجْهِه ، وتركْتُهُ ومضيت ، فبرأ بعد ذلك . فلقيته مرَّتين من دهري ، كلٌّ ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فأقول له : الله بينك وبين عمرو بن الحَمِق .

---

1 باجميرى : موضع قرب الموصل .

2 ل : الشيطان .

رجع الحديث إلى سياقه الأوّل

قال : فقال زياد ، وهو على المِنبر : لتقُمْ هَمْدان وتميم وهوازن وأَبناء بَغِيض ومذحج وأَسد وغطفان فليأْتُوا جبَّانة كِنْدة ، وليمضوا من ثمَّ إلى حُجر ، فليأتوني به . ثم كرِه أن تسير مُضَر مع اليمن ، فيقع شَغْبٌ واختلافٌ ، أو تنشب الحميّة فيما بينهم . فقال : لتقمْ تميم وهوازن وأبناء بغِيض وأسد وغطفان ، ولْتَمْضِ مذحج وهَمْدان إلى جبَّانة كِندة ، ثم ليمضوا إلى حُجْر فليأتوني به ، ولْيَسِرْ أهلُ اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصيداويين[1] ، وليَمْضُوا إلى صاحبهم فليأتوني به .

فخرجت الأزد وبَجيلة وخثعم والأَنصار وقُضاعة وخُزاعة ، فنزلوا جبّانةَ الصيداويين ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كِندة .

[مشورة عبد الرحمن بن مخنف]

قال أَبو مخنف : فحدَّثني سعيد بن يحيى[2] بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : فإنّي لَمع أَهْلِ اليمن وهم يتشاورُون في أمْرِ حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنَف : أنا مُشِيرٌ عليكم برأْيي ، فإنْ قبِلْتُموه رَجَوْتُ أن تَسلموا من اللائمة والإِثم : أنْ تُلَبِّثُوا قليلاً حتى تكفيكم عَجَلةٌ في شباب مَذْحج وهَمْدان ما تكرهون أن يكونَ من مساءةِ قومِكم في صاحبكم .

فأَجمع رأْيُهم على ذلك ، فلا والله ما كان إلاَّ كَلا ولا[3] حتى أُتينا فقيل لنا : إنَّ شباب مذحج وهَمْدان قد دخلوا ، فأخذوا كلَّ ما وجَدُوا في بني بَجِيلة .

[حجر يصرف أصحابه]

قال : فمرَّ أَهلُ اليمن على نواحي دور كندة مُعَذِّرين ، فبلغ ذلك زياداً ، فأَثنى على مَذْحج وهَمْدان ، وذمَّ أهلَ اليمن . فلمّا انتهى حُجرٌ إلى دارِهِ ورأى قِلَّةَ مَن معه قال لأَصحابه : انصرفوا ، فوالله مالكم طاقةٌ بمَن اجتمع عليكم منْ قومِكم ، وما أُحِبُّ أَن أعرِّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل خَيْلِ مذحج وهَمْدان ، فعطف عليهم عُمير بن يزيد ، وقيس بن يزيد ، وعبيدة بن عمرو ، وجماعة ، فتقاتلوا معهم ؛ فقاتلوا عنه ساعةً فجُرِحوا ، وأُسِر قيس بن يزيد ، وأَفْلَتَ سائِرُ القوم ، فقال لهم حُجْر : لا أبا لكم ! تفرَّقوا لا

1 بنو الصيداء : حي من أسد . وفي الطبري : الصائدين .

2 الطبري : يحيى بن سعيد .

3 كلا ولا : مدة قصيرة .

تُقتَلوا ؛ فإنّي آخذٌ في بَعْضِ هذه الطرق[1] .

[من دار سليمان بن يزيد إلى دور بني العنبر]

ثم أُخذ نحو طريق بني حَرب من كِندة ، حتى أُتى دارَ رَجُلٍ منهم يقال له سليمان بن يزيد ، فدخل داره ، وجاء القومُ في طلبه ، ثم انتهَوْا إلى تلك الدار ، فأخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ، ثم ذهب ليخرُجَ إليهم ، فبكت بناتُه ، فقال له حُجْر : ما تريد ؟ لا أبا لك ! فقال له : أُريدُ والله أنْ ينصرفوا عنك ؛ فإن فعلوا وإلاّ ضارَبْتهُم بسيفي هذا ما ثبتَ قائمُه في يَدِي دونَك . فقال له حُجْر : بئس والله إذَنْ ما دخلتَ به على بناتِك ! أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خَوْخَة[2] أَخْرُجُ منها ، عسى الله أنْ يسلّمني منهم ويسلّمك ؛ فإنَّ القومَ إنْ لم يقْدِروا عليَّ في دارِك لم يضرّك أمرهم . قال : بلى ، هذه خَوْخَة تخرجك إلى دورِ بني العَنْبر من كِندة ، فخرج معه فتية من الحيّ يقصُّون له الطريقَ ، ويسلكون به الأزقّة ، حتى أفضى إلى النخع ، فقال عند ذلك : انصرفوا ، رحمكم الله .

[يهرب إلى دار ربيعة بن ناجذ]

فانصرفوا عنه ، وأقبل إلى دارِ عبد الله بن الحارث أخي الأَشتر ، فدخلها ، فإنّه لكذلك قد أُلقى له عبدُ الله الفرشَ ، وبسط له البسط ، وتلقّاه ببَسْطِ الوجه وحُسْنِ البِشْر إذ أُتِي فقيل له : إنّ الشُّرَطَ تسأل عنك في النخع وذلك أنَّ أَمَةً سوداء يقال لها أدْماء لَقِيَتْهم فقالت لهم : مَنْ تطلبون ؟ قالوا : نطلب حُجْراً ، فقالت : هو ذا قد رأيتُه في النخع ، فانصرفوا نحو النخع ؛ فخرج متنكّراً ، وركب معه عبدُ الله ليلاً حتى أُتى دارَ ربيعة بن ناجذ الأزديّ ، فنزل بها ، فمكث يوماً وليلة .

[زياد يطلب حجراً من محمد]

فلمّا أعجزهم أنْ يقدِرُوا عليه دعا زيادٌ محمدَ بن الأشعث فقال : أَما والله لتأتيني بحُجْر أو لا أَدَع لك نخلةً إلاَّ قطعتُها ، ولا داراً إلاّ هدَمتُها ، ثم لا تسلم منّي بذلك حتى أُقطّعك إرْباً إرْباً . فقال له : أمهِلْني أُطلبه . قال : قد أمهلْتُك ثلاثاً ، فإن جئتَ به وإلاَّ فاعدُدْ نَفْسَك مِنَ الهلكى . وأُخْرِج محمد نحو السجن وهو منتقعُ اللونِ يُتَلُّ تَلاًّ عنيفاً[3] . فقال حجر بن يزيد الكنديّ من بني مرّة لزياد : ضَمِّنّيه وخَلِّ سبيله ليطلب صاحبَه ، فإنّه مخلى سِرْبُه أحرى أن

1 ل : السكك .

2 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

3 تله : صرعه أو ألقاه على وجهه .

يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . قال : أتضمنُه لي ؟ قال : نعم . قال : أَما واللهِ لئِنْ حاصَ عنك لأُوردنَّك شَعوب[1] ، وإن كنْتَ الآن عليّ كريماً . قال : إنّه لا يفعل . فخلَّى سبيلَه .

ثم إنّ حجر بن يزيد كلّمه في قيس بن يزيد ، وقد أُتِي به أَسيراً ، فقال : ما عليه مِن بأس ، قد عرفنا رأْيَه في عثمان رضي الله عنه ، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصِفّين ؛ ثم أرسل إليه فأُتِي به ، فقال : قد علمتُ أنّك لم تقاتلْ مع حُجر أنَّك ترى رأيه ، ولكن قاتلتَ معه حميَّة ، وقد غفرنا لك لِما نَعْلَمُه من حُسْنِ رأيك ، ولكن لا أدعك حتى تأتيَني بأخيك عُمَير . قال : آتيك به إنْ شاء الله . قال : هاتِ مَنْ يضْمَنُه معك . قال : هذا حُجر بن يزيد . قال حُجْر : نعم ، على أنْ تؤمِّنه على مالِه ودَمِه . قال : ذلك لك .

فانطلقا فأَتَيا به ، فأَمر به فأُوقر حَدِيداً ، ثم أَخَذَتْه الرجال ترفَعُه ، حتى إذا بلغ سُرَرها أَلقَوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه فأَلقَوْه ، ففُعِل به ذلك مراراً . فقام إليه حُجر بن يزيد ، فقال : أَوَ لم تؤمِّنه ؟ قال : بلى ، لستُ أهريق له دماً ، ولا آخذُ له مالاً . فقال : هذا يُشْقي به على الموت .

وقام كلُّ مَنْ كان عنده مِنْ أَهْلِ اليمن ، فكلَّموه فيه ، فقال : أَتضمنونه لي بنفسه متى أَحْدَث حَدثاً أتيتموني به ؟ قالوا : نعم . فخلّى سبيلَه .

ومكث حُجْرٌ في منزل رَبيعة بن ناجذٍ يوماً وليلة ، ثم بعث إلى ابنِ الأَشعَث غلاماً يُدْعى رُشَيْداً مِنْ سَبْي أصبهان ، فقال له : إنّه قد بلغني ما استقبلكَ به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شيءٌ من أمره ؛ فإنّي خارج إليك ، فاجْمَعْ نَفْراً مِنْ قومِك ، وادخُلْ عليه ، واسأَله أَنْ يؤمِّنني حتى يبعثني إلى معاوية ، فيرى فيّ رأْيَه .

[زياد يأمر بحبسه]

فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد ، وجرير بن عبد الله ، وعبد الله أَخي الأَشتر ، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر ، فأَجاب ، فبعثوا إليه رسولاً يُعْلِمُونَه بذلك . فأقبل حتى دخل على زياد ، فقال له : مَرْحباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرْبٌ في أيّام الحرب ، وحَرْب وقد سالم الناسُ ! «على نَفْسِها تَجْني بَراقِش»[2] . فقال له : ما خلعتُ يداً عن طاعةٍ ، ولا

---

1 حاص : حاد . وشعوب : المنية .

2 المثل «على أهلها (نفسها) تجني براقش» في مجمع الميداني 2 : 14 وفصل المقال : 459 وجمهرة العسكري 2 : 52 ومستقصى الزمخشري 2 : 165 . وفي براقش أقوال كثيرة منها أنها كلبة أو أنها امرأة كانت لبعض الملوك أو أنها امرأة لقمان بن عاد .

فارقتُ جماعةً ، وإنّي لعلى بَيْعَتي . فقال : هيهات يا حُجْر ، أتشجّ بيدٍ وتأسُو بأُخرى ، وتريد إذا أمكننا اللهُ منكَ أنْ نرضى ! هيهات والله ! فقال : أَلَم تؤمّني حتى آتي معاوية ، فيرى فيّ رأيَه . قال : بلى ، انطلقوا به إلى السجن .

[زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر]

فلمّا مُضِي به قال : أَما واللهِ لولا أَمانُه ما برح حتى يُلْقَط عَصَبُه[1] . فأُخرج وعليه بُرْنس في غَداةٍ باردةٍ ، فحُبِس عَشْرَ ليال ، وزيادٌ ما له عملٌ غير الطلب لرؤوس أصحاب حُجْر .

فخرج عَمْرو بن الحَمِق ، ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائنَ ، ثم ارتحلا حتى أَتَيا الموصل ، فأتَيا جَبَلاً فكَمَنا فيه ، وبلغ عاملَ ذلك الرُّستاق[2] ، وهو رجلٌ من هَمْدان يقال له عُبيد الله بن أبي بَلْتَعة ، خَبَرُهما ، فسار إليهما في الخيل ، ومعه أهلُ البلد ، فلمّا انتهى إليهما خرجا ، فأمَّا عَمْرو فكان بطنه قد استسقى[3] ، فلم يكُنْ عنده امتناعٌ . وأمّا رِفاعة فكان شابّاً قويّاً فوثَب على فرسٍ له جَواد ، وقال لعَمْرو : أُقاتِلُ عنك . قال : وما ينفعني أنْ تقتل ؟ انْجُ بنفسك ، فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه ، وخرجت الخيلُ في طلبه ، وكان رامياً فلم يلحقْه فارسٌ إلاَّ رماه ، فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه ؛ فأُخِذ عَمْرو بن الحَمِق ، فسألوه : مَنْ أَنتَ ؟ فقال : مَنْ إنْ تركتموه كان أَسلَم لكم ، وإن قتلتُموه كان أضَرَّ عليكم . فسألوه فأبى أنْ يخبرهم ، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان ، وهو ابن أُمّ الحكم ، الثقفيّ ، فلمّا رأى عَمْراً عرفه ، فكتب إلى معاوية بخَبَرِه . فكتب إليه معاوية : إنّه زعم أنّه طَعَن عثمان تسع طعنات ، وإنّه لا يُتعدّى عليه ، فاطْعَنْهُ تسعَ طعنات كما طعنَ عثمان .

[رأس ابن الحَمِق يحمل إلى معاوية]

فأُخرج فطُعن تسع طعنات ، فمات في الأُولى منهنّ أو في الثانية ، وبعث برأسه إلى معاوية ؛ فكان رأسه أوّل رأس حُمِل في الإسلام[4] .

وجَدَّ زيادٌ في طلب أَصحابِ حُجر وهم يهربون منه ، ويأخذ مَنْ قدر عليه منهم . فجاء قيس بن عَبّاد الشيبانيّ إلى زياد ، فقال له : إنّ امرءاً منّا يقال له صَيْفيّ بن فَسِيل ، من رؤوس

1 أي حتى يقتل .
2 الرستاق : الناحية في طرف الإقليم .
3 استسقى : أصابه مرض السقي وهو تجمع الماء في البطن .
4 تقدم أن عمرو بن الحمق مات من ضربة عمود .

أصحاب حُجْر ، وهو أَشدّ الناسِ عليك ؛ فبعث إليه فأُتِيَ به ، فقال له زياد : يا عدوَّ الله ، ما تقولُ في أبي تُراب ؟ فقال : ما أعرف أبا تُراب ، قال : ما أَعْرَفَك به ! أما تعرفُ عليَّ بن أبي طالب ! قال : بلى ، قال : فذاك أبو تُراب ؛ قال : كلاّ ، فذاك أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشرطة : أيقولُ لك الأميرُ هو أبو تُراب وتقول أنت : لا ! قال : أفإنْ كذب الأميرُ أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذَنْبك ، عليّ بالعِصيّ فأُتِيَ بها ، فقال : ما قولُك في عليّ ؟ قال : أحسنُ قَوْلٍ أنا قائلُه في عَبْدٍ من عَبيد الله أقوله في أمير المؤمنين . قال : اضربوا عاتِقَه بالعِصيّ حتى يلصَق بالأرض ، فَضُرِبَ حتى لصقَ بالأرض . ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك فيه ؟ قال : والله لو شَرَّحتني بالمُدى ، والمَواسي ما زُلْتُ عَمَّا سمعتَ . قال : لتلعننَّه أَوّ لأضربنَّ عنقك . قال : إذاً والله تضربها قبل ذلك ، فأسعد وتَشْقى إن شاء الله ؛ قال : أوقِروه حديداً واطْرَحُوه في السجن .

[شهادة رؤوس الأرباع على حجر وأصحابه]

وجمع زياد من أصحاب حُجر بن عدِيّ اثني عشر رجلاً في السجن ، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم ، فحضروا ، وقال : اشْهَدُوا على حُجْر بما رأيتموه ، وهم عَمْرو بن حُريث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقَيْس بن الوليد بن عبد شمس بن المُغيرة ، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى . فشهدوا أنَّ حجراً جمع إليه الجموعَ ، وأظهر شَتْم الخليفة ، وعَيْبَ زياد ، وأظهر عُذْرَ أبي تُراب والترحُّم عليه ، والبراءة مِنْ عدوّه ، وأهلِ حَرْبه ، وأنّ هؤلاء الذين معه رؤوسُ أصحابه ، وعلى مثْل رأْيِه .

فنظر زياد في الشهادة فقال : ما أُظنُّ هذه شهادة قاطعة ، وأُحِبُّ أن يكونَ الشهود أكثر من أربعة .

فكتب أبو بُرْدَة بن أبي موسى :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبي موسى للهِ ربّ العالمين ، شهد أنَّ حُجْر بن عَدِيٍّ خلع الطاعةَ ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحَرْبِ والفِتْنة ، وجمع إليه الجموعَ يَدْعُوهم إلى نَكْثِ البيعة ، وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كَفرة صلعاء» .

فقال زياد : على مِثْلِ هذه الشهادة فاشهدوا ، والله لأجهدنّ في قَطْعِ عُنُقِ الخائن الأحمق ، فشهد رؤوسُ الأرباع الثلاثة الآخرون على مِثْل ذلك ، ثم دعا الناسَ ، فقال : اشهدوا على مِثْل ما شهد عليه رؤوسُ الأرباع .

فقام عثمان بن شرحبيل التيميّ أوَّل الناس ، فقال : اكتبُوا اسْمِي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ، ثم اكتبوا اسمَ مَنْ نعرفه ويعرفه أميرُ المؤمنين بالصحّة والاستقامة . فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عُبيد الله ، والمنذر بن الزُّبير ، وعمارة بن عقبة ، وعبد الرحمن بن هَبّار ، وعُمَر بن سَعْد بن أَبي وقاص ، وشهد عنان ، ووائل بن حُجْر الحضرميّ ، وضِرار بن هُبيرة ، وشدّاد بن المنذر أخو الحُضين بن المنذر ، وكان يُدْعى ابن بُزَيعة .

فكتب شدّاد بن بُزَيْعة ، فقال : أما لهذا أَبٌ يُنْسَب إليه ، أَلغوا هذا من الشهود . فقيل له : إنّه أخو الحُضين بن المنذر ، فقال : انسبوه إلى أَبيه ، فنُسِب ، فبلغ ذلك شدّاداً ، فقال : والهفاه على ابن الزّانية ؟ أوليست أُمُّه أعرفَ من أَبيه ؛ فوالله ما يُنْسَب إلاّ إلى أُمِّه سُمَيَّة .

وشهد حجّار بن أَبجر العجليّ ، وعَمْرو بن الحجّاج ، ولبيد بن عُطارد ، ومحمد بن عمير بن عطارد ، وأَسماء بن خارجة ، وشمِر بن ذي الجَوْشن ، وزَحْر بن قَيْس الجعفيّ ، وشبَث بن رِبْعِيّ ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسديّ صاحب مسجد سماك ، ودعا المختار بن أَبي عُبيد ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا ، وشهد سبعون رجلاً . ودَفع ذلك إلى وائل بن حُجر ، وكثير بن شهاب ، وبعثهما عليهم وأَمرهما أَنْ يخرجوهم .

وكتب في الشهود شريح بن الحارث ، وشريح بن هانيء . فأَمّا شريح بن الحارث فقال : سأَلني عنه فقلت : أَما إنّه كان صوّاماً قوّاماً . وأَمّا شريح بن هانيء فقال : بلغني أَنَّ شهادتي كُتبت فأكذبتُه ، ولُمْتُه .

وجاء وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأَخرجا القومَ عشيّة ، وسار معهم أَصحابُ الشّرط حتى أُخرجوهم ، فلمّا انتهوا إلى جبّانة عَرْزَم[1] نظر قبيصة بن ضبيعة العَبْسيّ إلى داره في جبّانة عَرْزَم ، فإذا بَناتُه مشرفات ، فقال لوائل وكثير : أَدْنياني أُوصِ أَهْلي ، فأَدْنَياه . فلمّا دنا منهنّ بكَيْنَ ، فسكت عنهنّ ساعةً ثم قال : اسكُتْنَ ، فسكتْنَ ، فقال : اتَّقِين اللهَ واصبِرْنَ ، فإنّي أَرجو من ربِّي في وَجْهي هذا خَيْراً : إحدى الحسنيين ؛ إمّا الشهادة فنعم سعادة ، وإمّا الانصراف إليكنّ في عافية ؛ فإنَّ الذي كان يرزقكنّ ويكفيني مؤنتكنّ هو اللهُ تبارك وتعالى وهو حيٌّ لا يموتُ ، وأَرجو أَلاّ يضيعكنّ ، وأَنْ يحفظني فيكنَّ . ثم انصرف ، فجعل قومه يَدْعُونَ له بالعافية .

1 عرزم : جبانة في الكوفة .

وجاء شريح بن هانىء بكتاب ، فقال : بلّغوا هذا عنّي أميرَ المؤمنين ، فتحمّله وائل بن حجر .

ومضَوْا بهم حتى انتهوا إلى مَرْج عَذراء[1] ، فحبسوا به وهم على أميالٍ من دمشق ، وهم : حُجْر بن عديّ الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصَيفيّ بن فَسِيلٍ الشيبانيّ ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّ ، وكَرِيم بن عَفيف الخثعميّ ، وعاصم بن عوف البَجَليّ ، ووَرْقاء بن سُمَيّ البَجَليّ ، وكِدام بن حَيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العنَزيّان ، ومحرز بن شهاب المِنقريّ ، وعبد الله بن جُوَيّة التميميّ ، وأتْبَعهم زياد برجلين ، وهما عتبة بن الأخنس السعديّ ، وسَعيد بن نِمْران الهَمْدانيّ الناعطيّ ، فكانوا أربعة عشر .

[كتاب زياد إلى معاوية]

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير ، فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، وقرأه على أهل الشام :

«بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، من زياد بن أبي سفيان .

أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاءَ فأدالَهُ من عدوِّه ، وكفاه مؤونة مَنْ بَغى عليه ، إنّ طواغيت[2] الترابيّة السابّة رأسهم حُجْر بن عديّ ، خلَعُوا أميرَ المؤمنين ، وفارقوا جماعةَ المسلمين ، ونصَبُوا لنا حَرْباً فأطفأها اللهُ عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المصر وأشرافهم وذوي النُّهى والدِّين ، فشهدوا عليهم بما رأَوْا وعلِموا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادةَ صُلحاءِ أهل المِصْرِ وخيارهم في أسفل كتابي هذا» . فلمّا قرأ الكتابَ قال : ما ترون في هؤلاء ؟ فقال يزيد بن أسَد البَجَليّ : أرى أنْ تفرّقهم في قُرى الشام ، فتكفيكهم طَواغيتها .

[كتاب شريح بن هانىء إلى معاوية]

ودفع وائل كتابَ شريح إليه ، فقرأه وهو :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين ، من شريح بن هانىء .

---

1 مرج عذراء : في غوطة دمشق .

2 طواغيت : جمع طاغوت ، وهو الكثير الطغيان .

أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر ، وإن شهادتي على حُجْر أنّه ممَّنْ يُقيم الصلاةَ ، ويُؤْتي الزكاة ، ويأمر بالمعروف ، ويَنْهى عن المنكر . حرامُ المال والدم ، فإن شئْتَ فاقْتُلْه ، وإن شئت فدَعْه»

[حيرة معاوية في أمر حجر وزياد يطالب بالعقاب]

فقرأ كتابَه على وائل ، وقال : ما أرى هذا إلاّ قد أخرج نَفْسَه من شهادتكم . فحبس القومَ بعد هذا ، وكتب إلى زياد :

«فهمتُ ما اقتصصت من أمر حُجْر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحياناً أرى أنَّ قتلهم أفضل ، وأحياناً أرى أن العَفْوَ أفضل منْ قتلهم» .

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التيميّ : «قد عجبْتُ لاشتباهِ الأَمْرِ عليك فيهم مع شهادة أهلِ مِصْرِهم عليهم ، وهم أعلَمُ بهم ؛ فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المِصْر فلا تردّنَّ حُجْراً وأصحابَه إليه» .

[ثبات حجر على البيعة]

فمرَّ يزيد بحُجْر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد ، فقال له حُجْر : أَبلغ أَمير المؤمنين أنّا على بَيْعَتِه لا نقيلها ولا نستقيلها ، وإنّما شهد علينا الأعداء والأظِنَّاء[1] .

فقدِم يزيد بن حُجيَّة على معاوية بالكتاب ، وأخبره بقول حُجْر . فقال معاوية : زياد أَصدقُ عندنا من حُجْر .

وكتب جرير بن عبد الله في أَمْرِ الرجلين اللَّذَين من بَجِيلة ، فوهبهما له وليزيد بن أُسد ، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكنديّ ، فتركه ، وطلب أبو الأعور في عُتْبَة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهَمْدانيّ في سَعِيد بن نِمْران فوهبَه له ، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جُوَيَّة التميميّ فخلّى سبيله .

فقام مالك بن هُبيرة ، فسأله في حُجر فلم يشفّعه ؛ فغضب وجلس في بَيْتِهِ . وبعث معاوية هُدْبَة بن فَيّاض القضاعيّ والحُصين بن عبد الله الكِلابيّ ، وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدريّ ، فأتَوْهُم عند المساء ، فقال الخَثْعَمِيّ حين رأى الأعور : يُقتل نصفنا ويَنْجُو نصفنا . فقال سعيد بن نِمْران : اللهمّ اجعلني ممّن ينجو ، وأنتَ عنّي راضٍ . فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزيّ : اللهمّ اجعلني ممّن يُكْرَمُ بهوانهم وأنتَ عنّي راضٍ ، فطالما عرَّضت نفسي

1 الأظناء : المتهمون .

للقَتْل ، فأَبى الله إلاَّ ما أَراد .

[من أصحاب حجر يرفضون لعن عليّ]

فجاء رسولُ معاوية إليهم فإنّه لَمَعَهُم إذ جاء رسولٌ بتَخْلِيَةِ ستَّةٍ منهم وبقي ثمانية . فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أُمِرنا أَنْ نعرِض عليكم البراءة مِنْ عليّ واللَّعْنَ له ، فإن فعلتُم هذا تركناكم ، وإن أبيتُم قتلناكم ، وأميرُ المؤمنين يزعمُ أنَّ دماءَكم قد حلَّتْ بشهادةِ أهلِ مِصْرِكم عليكم ، غير أنّه قد عَفا عن ذلك فابْرَءوا مِنْ هذا الرجل يُخْلِ سبيلَكم . قالوا : لسنا فاعلين ؛ فأَمر بقيودهم فحُلَّتْ ، وأُتيَ بأكفانهم فقاموا الليلَ كلَّه يصلُّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، قد رأيناكم البارحة أَطَلْتُم الصلاة ، وأحسنتُم الدّعاءَ ، فأَخبرونا ما قولكم في عثمان ، قالوا : هو أوَّل مَن جار في الحكم ، وعمل بغير الحق . فقالوا : أمير المؤمنين كان أعرفَ بكم . ثم قاموا إليهم وقالوا : تبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاّه .

فأخذ كلُّ رجل منهم رجلاً يقتله ، فوقع قبيصة في يَدي أَبي صَرِيف البدريّ ، فقال له قبيصة : إنَّ الشرّ بين قومي وقومك أمِين ، أي آمن فليقتلني غَيْرُك . فقال : بَرَّتك رَحِم . فأخذه الحضرميّ فقتله .

وقتل القُضاعيّ صاحبه ، ثم قال لهم حُجر : دَعُوني أُصلِّي ركعتينْ ، فإنّي والله ما توضّأت قطّ إلاّ صلّيت ، فقالوا له : صَلِّ . فصلَّى ثم انصرف ، فقال : والله ما صلّيتُ صلاةً قطّ أَقصر منها ، ولولا أَن يروا أنَّ ما بي جزَعٌ من الموت لأحببتُ أن أَستكثِرَ منها ، ثم قال : اللهم إنّا نستعديك على أُمَّتنا ، فإنّ أهلَ الكوفة قد شهدوا علينا ، وإنّ أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونا فإنّي أوّل فارس من المسلمين سلك[1] في واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نَبَحَتْه كِلابُها . فمشى إليه هُدْبة بن الفيّاض الأعور بالسيف ، فأرعدت خصائله[2] ، فقال : كلاّ ، زعمتَ أنّك لا تجزعُ من الموت ، فإنّا ندعُكَ ، فابرأْ من صاحبك . فقال : ما لي لا أَجزع ، وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيْفاً مشهوراً ، وإنّي والله إن جزعتُ لا أَقول ما يُسخِطُ الربَّ . فقتله .

[أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية]

وأَقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّةَ نَفَر . فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن

---

1 الطبري : هلك .

2 خصائل : جمع خصيلة ، وهي القطعة من اللحم أو لحم الفخذين والعضدين والذراعين أو كل عصبة فيها لحم غليظ .

عفيف : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مِثْلَ مقالَتِه . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث : ائتوني بهما . فالتفتا إلى حُجْر ، فقال له العَنَزيّ : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مَثْواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنتَ ، وقال الخثعميّ نحو ذلك . ثم مضى بهما ، فالتفت العنزيّ ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

كَفى بشَفاةِ القبر بُعْداً لِهالِكٍ وبالموتِ قَطّاعاً لِحَبْلِ القرائنِ

فلمّا دخل عليه الخثعميّ قال له : الله الله يا معاوية ! إنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤول عمّا أردتَ بقتلنا ، وفيما سفكْتَ دماءنا . فقال : ما تقولُ في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولَك ، أتبرّأ من دينِ عليّ الذي كان يَدين اللّهَ به ! وقام شَمِر بن عبد الله الخثعميّ فاستوهَبه ، فقال : هو لك ، غير أنّي حابِسُه شهراً . فحبسه ، ثم أطلقه على ألاّ يدخلَ الكوفة ما دام له سلطان . فنزل الموصل ، فكان ينتظرُ موتَ معاوية ليعود إلى الكوفة ، فمات قبل معاوية بشهرٍ .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان ، فقال له : يا أخا ربيعة ، ما تقول في عليّ ؟ قال : أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أوّل مَن فتح أبواب الظلم ، وأرْتَج أبواب الحقّ . قال : قتلْتَ نفسَك . قال : بل إيّاكَ قتلْت ، لا ربيعة بالوادي ؛ يعني أنّه ليس ثَمَّ أحد من قومه فيتكلّم فيه .

فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : إنّ هذا شرُّ مَنْ بعثتَ به ، فعاقِبْه بالعقوبة التي هو أهلها واقتُلْه شرَّ قتلة .

فلمّا قُدِم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطِفِ[1] ، فدفنَه حيّاً .

قال أبو مِخنف ، عن رجاله : فكان مَن قُتِل منهم سبعة نَفَر : حجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفيّ بن فسيل الشيبانيّ ، وقبيصة بن ضُبيعة العبسيّ ، ومُحرز بن شهاب المِنقريّ ، وكِدام بن حيّان العنزيّ وعبد الرحمن بن حسان العنزيّ . ونجا منهم سبعة : كريم بن عفيف الخثعميّ ، وعبد الله بن جؤيّة التميميّ ، وعاصم بن عوف البجليّ ، ووَرقاء بن سميّ البجليّ ، وأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وعتبة بن الأخنس السعديّ من هوازن ، وسعيد بن نِمران الهمدانيّ .

1 قس الناطف : موضع قرب الكوفة .

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حُجر مائة ألف درهم ، فرضي .

قال أبو مخنف : فحدثني ابن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ يقولون : أوّل ذُلٍّ دخل الكوفة قَتْلُ حُجْر ، ودِعوة زياد ، وقَتْلُ الحسين .

[تأخر رسول عائشة في أمر حجر وأصحابه]

قال : وجعل معاوية يقول عند موته : أيّ يوم لي من ابن الأدبر[1] طويل !

قال أبو مخنف : وحدَّثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤي أنَّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجر وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قتلهم ، فقال له : أين غاب عنك حِلْمُ أبي سفيان ؟ فقال : حين غاب عنّي مثلُك من حُلماء قومي ، وحمّلني ابن سُمَيّة فاحتمَلْت .

قال : وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيّر شيئاً قطّ إلاّ آلت بِنا الأمورُ إلى أشدّ ممّا كنّا فيه لغَيَّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسْلِماً ما علمتُه حاجّاً معتمراً .

[رثاء حجر]

وقالت امرأة من كندة ترثي حجراً[2] : [من الوافر]

ترفّـعْ أيُّهـا القَمَـرُ المُنيرُ لعلّكَ أن تَـرى حُجْراً يَسيرُ
يسير إلى معاويـة بن حرب لِيَقْتُلَـهُ كما زعـم الأميـرُ
ألا يا ليتَ حُجْراً مات مَوْتاً ولم يُنْحَـر كما نُحِـر البَعيرُ
ترفّعَت الجبابرُ بعـد حُجْرٍ وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ
وأصبحتِ البـلادُ لـه مُحُولاً كأنْ لم يُحيِها مُـزْنٌ مَطِيرُ
ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بنـي عَدِيٍّ تَلقّتْـكَ السلامَـةُ والسرورُ
أخافُ عليكَ سطوةَ آلِ حرب وشيخاً في دمشقَ لـه زَئيرُ[3]
يرى قَتْلَ الخِيار عليـه حقّـاً لـه مِـنْ شَرّ أمّتِـه وَزِيرُ
فإنْ تهلِكْ فكـلُّ زعيم قومٍ إلى هُلْكٍ مِـن الدّنيا يَصِيرُ

---

1 ابن الأدبر : حجر بن عدي .

2 هي هند بنت زيد بن مخرمة (مخربة) الأنصارية . وبعض هذه الأبيات في طبقات ابن سعد : 220–221 مع اختلاف ، وبعضها في خبر مقتل حجر في الطبري .

3 سطوة في ل : صولة .

صوت

[من الوافر]

أُحِنُّ إذا رأَيْتُ جمالَ سُعْدى وأَبكي إن رأَيتُ لها قَرِينا
وقد أَفِدَ الرَّحيل فقُلْ لسُعْدى : لعمرِكِ خبِّري ما تَأمرينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة[1] ، يقوله في سُعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . والغناء لابن سريج ، رمل بالوسطى ، عن حبش . وقد قيل : إنّ عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلى بنت الحارث بن عوف المرِّيّ . وفيه أيضاً غناء ، وهو : [من الوافر]

صوت

أَلا يا لَيْلَ إنَّ شِفاءَ نفسي نوالُكِ إنْ بخلتِ فزوِّدِينا
وقد أَفِد الرحَيل وحان منّا فِراقُك فانظري ما تأمرينا

غنّى به الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر ، عن عمرو وحبَش ، وفيه خفيف ثقيل يقال إنّه أيضاً للغريض . ومن الناس مَن ينسبه إلى ابن سريج .

1 ديوانه : 437 ومع البيتين البيت :
أَلا يا ليل إن شفاء نفسي نوالك إن بخلت مزوِّدينا

352 ـ [أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

[سعدى تعظ عمر]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن طارق بن عبد الواحد ، قال : قال عبد الرحمن المخزوميّ : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد ، فرأت عُمَر بن أبي ربيعة في الطواف ، فأرسلت إليه : إذا قضيتَ طوافَك فائْتِنا ، فلمّا قضى طوافَه أتاها فحادثها ، وأنشدها ، فقالت : ويحك يا ابنَ أبي ربيعة . ما تزال سادِراً في حَرَمِ اللهِ مُنْتَهِكاً ، تتناول بلسانك ربّات الحجال من قريش ؟ ! فقال : دَعِي هذا عنك ، أما سمِعتِ ما قلتُ فيك ؟ قالت : وما قلت فيّ ؟ فأنشدها : [من الوافر]

أحِنُّ إذا رأَيْتُ جمالَ سُعْدى وأبكـي إنْ رأَيت لهـا قَرِينا[1]
أسُعدى إنَّ أهلك قـد أجَدُّوا رحيــلاً فانْظُرِي مـا تأمرينا

فقالت : آمُرُكَ بتقوى الله ، وتركِ ما أنت عليه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الله بن مسلم ، قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله : [من الوافر]

أحِنُّ إذا رأَيتُ جمالَ سُعدى

قال : فركب ابنُ أبي عَتيق فأتى سعدى بالجناب من أرضِ بني فزارة ، فأنشدها قولَ عمر ، وقال لها : ما تأمُرين ؟ فقالت : آمُره بتَقْوى الله يا ابن الصِّدِّيق .

[ينشد ليلى بنت الحارث بن عوف]

قال الزُّبير : وحدَّثني طارق بن عبد الواحد ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الرحمن المخزوميّ ، قال : لقي عُمَر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف المرّيّ ، وهو يسير على بَغلة ، فقال لها : قِفي أسمعكِ بعض ما قلتُ فيكِ ؟ فوقفت ، فقال : [من الوافر]

ألا يـا ليـلَ إنّ شفاءَ نفسي نوالُـــكِ إنْ بخلـتِ فنوِّلينا

قال : فما بلغنا أنّها ردّتْ عليه شيئاً ، ومضَتْ .

وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن مَعْن ، فذكر أنّ ابن أبي عتيق إنّما

---

1 ديوان عمر : 63 .

مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف ، فأنشدها هذا البيت ، وهو الصحيح ؛ لأنَّ حلولَها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عَوف . ورواية الزُّبير فيما أُرى وَهَمٌ لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى .

[خبر آخر لسعدى]

أَخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد الحرام ، فرأت عُمر بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت ، فأرسلَتْ إليه : إذا فرغت من طوافك ، فائْتِنا . فأتاها ، فقالت : ألا أراك يا ابنَ أبي ربيعة إلاّ سادِراً في حَرَم الله ! أَما تخاف الله ! ويحك إلى متى هذا السَّفه ! قال : أيْ هذه ، دَعِي عنك هذا من القول . أما سمعتِ ما قلتُ فيكِ ؟ قالت : لا ، فما قُلْتَ ؟ فأُنشدها قوله : [من الكامل]

صوت

قالت سُعَيْدَةُ والدموعُ ذَوارِفٌ منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ
ليت المغيريَّ الذي لم أَجْزِهِ فيما أَطال تصيُّدِي وطِلابي
كانت تردّ لنا المُنى أيّامُنا إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابي
أَسُعيدَ ما ماءُ الفراتِ وطِيبُه منّي على ظمأ وحُبٌ شرابِ
بألَذّ منك وإن نأيْتِ وقلَّما يَرْعى النساءُ أَمانة الغُيّابِ

عروضه من الكامل ، غنّاه الهذليّ رملاً بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وغنّاه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

فقالت : أخزاك الله يا فاسق ، ما عَلِم الله أنّي قلت ممّا قلتَ حَرفاً ، ولكنّك إنسانٌ بَهُوت[1] .

وهذا الشعر تُغُنِّيَ فيه : [من الكامل]

قالت سكينة والدموعُ ذوارفٌ

وفي موضع :

أَسعيد ما ماءُ الفرات وبَرْده

أُسكَيْنَ . وإنّما غيَّره المغنّون : ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر .

1 البهوت : الباطل الذي يتحيّر من بطلانه .

[الرشيد يغضب للغناء بشعر في سكينة]

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق ، قال : غنّيت الرشيد يوماً بقوله : [من الكامل]

قالت سُكَيْنَة والدموعُ ذَوارِفُ   منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ

فوضع القدح من يَدِه وغضب غضباً شديداً ، وقال : لعنه الله الفاسق ، ولعنك معه . فسُقِط في يدي ، وعَرَفَ ما بي ، فسكنَ ، ثم قال : ويحك ! أتغنّيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بِنْتِ عَمّي ، وبِنْتِ رسول الله ﷺ ! ألا تتحفّظ في غِنائك وتدري ما يخرجُ من رأسك ! عُدْ إلى غِنائك الآن ، وانظُرْ بين يديك . فتركت هذا الصوت حتى أُنسِيته ، فما سمعه منّي أحدٌ بعده . والله أعلم .

صوت[1]

[من الطويل]

فلا زال قَبْرٌ بين تُبْنى وجاسم   عليه من الوسْمِيّ جَوْدٌ ووابِلُ[2]
فينبت حَوْذاناً وعوفاً مُنَوَّراً   سأُتبعه مِنْ خير ما قال قائلُ[3]

عروضه من الطويل ، والشعر لحسّان بن ثابت الأنصاري . وهذا القَبْرُ الذي ذكره حسّان فيما يقال قبر الأيهم بن جَبَلة بن الأيهم الغسّانيّ . وقيل : إنّه قبر الحارث بن مارية الجفنيّ ، وهو منهم أيضاً . والغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ممّا لا يشكّ فيه من غنائها . وقد نسبه قومٌ إلى ابن عائشة ، وذلك خطأ .

1 ديوان حسان 1 : 506 ونسبهما ياقوت (تبنى) إلى النابغة الذبياني وهما في ديوانه مع بعض اختلاف .

2 تبنى وجاسم في الديوان : بثنى وجلق . وتبنى بلدة بحوران من أعمال دمشق . والوسمي : أول المطر . والجود : المطر الغزير .

3 الحوذان والعوف : نبتان طيبا الرائحة .

[353] ـ أخبار عزّة الميلاء[1]

كانت عَزَّةُ مولاةً للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أقدم مَن غنّى الغناء الموقَّع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جَميلة . وكانت من أجمل النساء وَجْهاً ، وأحسنهنّ جِسْماً ، وسُمِّيَتْ الميلاء لتمايُلِها في مشيها . وقيل : بل كانت تلبسُ المُلاء ، وتَشبَّهُ بالرجال ، فسمِّيت بذلك . وقيل : بل كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خذ مِلْئاً[2] واردُدْ فارغاً ، ذكر ذلك حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه .

والصحيح أنّها سُمِّيت الميلاء لَمْيلِها في مِشيَتِها .

[ضربها وغناؤها]

قال إسحاق : ذكر لي ابن جامع ، عن يونس الكاتب ، عن معبد ، قال : كانت عزّة الميلاء ممّن أحسنَّ ضرباً بعود ، وكانت مطبوعةً على الغناء ، لا يُعييها أداؤه ولا صَنعته ولا تأليفُه . وكانت تغنّي أغانيَ القِيان من القدائم ، مثل سيرين ، وزرنب ، وخولة ، والرباب ، وسلمى ، ورائقة ، وكانت رائقة أستاذتها . فلمّا قدِم نشيط وسائب خاثر المدينة غنّيا أغانيَ بالفارسيّة ، فلَقِنَتْ عزّة عنهما نَغْماً ، وألفت عليها ألحاناً عجيبة ، فهي أوّل مَن فَتن أهل المدينة بالغناء ، وحرَّض نساءهم ورجالهم عليه .

[ثناء مشايخ المدينة عليها]

قال إسحاق : وقال الزُّبير : إنّه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزّة قالوا : للهِ دَرُّها ! ما كان أحسن غناءها ، ومدَّ صوتها ، وأندى حَلْقها ، وأحسن ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي ، وأجملَ وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقْرب مجْلسها ، وأكرم خُلُقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها .

قال إسحاق : وحدَّثني أبي ، عن سياط ، عن معبد ، عن جميلة ، بمثل ذلك من القول فيها .

---

1 لعزة الميلاء ترجمة في أعلام النساء 2 : 1013 والطرب عند العرب : 19 والدر المنثور : 341 . وانظر أعلام الزركلي .

2 مقدار ما يتسع له الإناء . وقد تكون ملاء .

[المغنون يأخذون عنها]

قال إسحاق : وحدَّثني أَبي ، عن يونس ، قال : كان ابن سُريج في حداثةِ سِنّه يأتي المدينة ، فيسمَع من عزَّة ويتعلَّم غناءها ، ويأخذ عنها ، وكان بها مُعْجَباً ؛ وكان إذا سُئل : مَن أحسن الناس غناءً ؟ قال : مولاة الأنصار المفضَّلة على كلِّ مَن غنّى وضرب بالمعازف والعِيدان من الرجال والنّساء .

قال : وحدَّثني هشام بن المُرِّيّة أنَّ ابن مُحرز كان يُقيم بمكّة ثلاثة أشهر ، ويأتي المدينة فيُقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزّة ، وكان يأخذ عنها .

قال إسحاق : وحدَّثني الجمحيّ ، عن جُرَير المغنّي المدينيّ ، أنَّ طُوَيساً كان أَكثر ما يأوي إلى منزل عزَّة الميلاء ، وكان في جوارها ، وكان إذا ذكرها يقول : هي سيِّدة مَن غَنّى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخُلق فاضلٍ وإسلام لا يَشوبُه دَنَس ؛ تأمُرُ بالخير وهي من أهله ، وتَنْهى عن السوء وهي مُجانبة له ، فناهيك ما كان أَنبلها ، وأَنبل مجلسها !

ثم قال : كانت إذا جلست جُلوساً عامّاً فكأنّ الطيرَ على رؤوس أهل مجلسها ، مَن تكلّم أو تحرّك نقر رأسه .

قال ابن سلاّم : فما ظنّك بمَن يقول فيه طويس هذا القول ! ومَن ذلك الذي سَلِم من طُوَيس !

[معبد يعجب بغنائها وهي مسنّة]

قال إسحاق : وحدَّثني أَبو عبد الله الأَسلميّ ، عن معبد : أنّه أَتى عزّة يوماً وهي عند جميلة وقد أَسنَّت ، وهي تغنّي على معزفة في شِعْر ابن الإطنابة ، قال : [من الخفيف]

عَلِّلانِـي وعَلِّــلا صاحبَيّا واسقِياني مِـنَ المروَّق رِيّا

قال : فما سمع السامعون قط بشيء أحسنَ من ذلك . قال معبد : هذا غناؤها ، وقد أسنَّت ، فكيف بها وهي شابّة !

[يغشى على عمر لسماعه غنائها]

قال إسحاق : وذُكر لي عن صالح بن حسان الأنصاريّ ، قال : كانت عزّة مولاةً لنا ، وكانت عفيفة جميلة ، وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أَبي عتيق ، وعمر بن أَبي ربيعة يَغشَوْنها في منزلها فتغنّيهم . وغنّت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشقَّ ثيابه ، وصاح صيحةً عظيمة صعق معها ، فلمّا أفاق قال له القوم : لغيرك الجهلُ يا أَبا الخطّاب ! قال : إنّي سمعتُ والله ما لم أملِكْ معه نفسي ولا عَقلي .

وقال إسحاق : وحدَّثني أبو عبد الله الأسلميّ المدنيّ ، قال : كان حسّان بن ثابت معجباً بعزّة الميلاء ، وكان يقدِّمها على سائر قِيانِ المدينة .

[حسان يبكي لغنائها شعره]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن الحسن المخزوميّ ، عن محرز بن جعفر ، قال : ختَن زيد بن ثابت الأنصاريّ بنتَه ، فأوْلَم ؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامَّة أهل المدينة ، وحضر حسّان بن ثابت وقد كُفَّ بصَرُه يومئذٍ ، وثَقُل سمْعُه ، وكان يقول إذا دُعي : أَعُرْسٌ أم عِذار[1] ؟ فحضر ووُضِع بين يَديه خِوان ليس عليه إلاّ عبد الرحمن ابنه ، فكان يسأله : أطعامُ يَدٍ أمْ يدين ؟ فلم يزل يأكلُ حتى جاءوا بالشِّواء ، فقال : طعامُ يَدَين ؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثُنيت وسادة ، وأقبلت المَيلاء ، وهي يومئذٍ شابّة ، فوُضِع في حجرها مِزهر ، فضربت به ، ثم تغنَّت ، فكان أوَّلَ ما ابتدأت به شعرُ حسّان ، قال : [من الطويل]

فلا زالَ قَبْرٌ بَيْن بُصرى وجِلَّق عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابِلُ

فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان ، وهو مُصْغٍ لها .

أخبرني ابن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبّة ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الزناد ، قال : قلت لخارجة بن زيد : أكان يكون هذا الغناء عندكم ؟ قال : كان يكون في العُرُسات[2] ولم يكن يُشْهَد بما يشهدُ به اليوم من السَّعة .

وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة ، فدُعينا وثمَّ قينة أو قينتان تُنْشِدان شِعْرَ حسّان بن ثابت ، قال[3] : [من المنسرح]

انظُرْ خَلِيلي ببابِ جِلَّقَ هلْ تُبْصِرُ دون البَلْقاء مِنْ أَحَدِ ؟

قال : وحسّان يبكي ، وابنُه يُومِىء إليهما أن زيدا ؛ فإذا زادتا بكى حسان ، فأعجبني ما يُعجبه من أن تُبكيا أباه ، وقد كُفَّ بَصَرُ حسّان بن ثابت يومئذٍ .

أخبرنا وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الواقديّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ خارجةَ بن زيد يقول : دُعينا إلى مأدبة في آل نَبِيط ، قال خارجة : فحضَرْتُها ، وحسان بن ثابت قد حضرها ، فجلَسْنا جميعاً على مائدةٍ واحدةٍ ، وهو

---

1 العرس : طعام وليمة العرس ، والعذار : طعام البناء والختان .

2 العرسات : جمع عرس ، وهو طعام الوليمة .

3 ديوان حسان : 279 وفيه «هل تؤنس . . .» .

يومئذٍ قد ذهب بصَرُه ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه : أطعام يَدٍ أمْ يدين ؟ يعني باليد الثَّريد وباليدين الشواء ؛ لأنّه يُنْهش نَهْشاً ، فإذا قال : طعام يدَيْن أمسك يده . فلمّا فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين : إحداهما رائقة والأخرى عزّة ، فجلستا وأخذتا مِزْهَريهما ، وضَرَبَتا ضَرْباً عجيباً ، وغنَّتا بقول حسّان : [من المنسرح]

انظر خَلِيلي بباب جلّق هَلْ ... تُبْصِرُ دُونَ البَلْقاء من أحَدِ

فأسمع حساناً يقول :

قــد أراني بهــا سَمِيعاً بصيرا

وعَيْناه تدمعان ، فإذا سكتتا سكت عنه البكاء ، وإذا غنّتا بكى . فكنت أرى ابنَه عبد الرحمن إذا سكتتا يُشير إليهما أن تغنّيا ، فيبكي أبوه ، فأقول : ما حاجته إلى إبكاء أبيه !

قال الواقديّ : فحدَّثتُ بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفريّ ، فقال : سمعتُ سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان يقول : لمّا انقلب حسان منْ مأدبة بني نَبيط إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وقال : لقد أذكرتني رائقة وصاحبتها أمراً ما سَمِعَتْه أذُناي بُعَيْد ليالي جاهليتنا مع جبَلَة بن الأيْهم ! فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيان يكنَّ عند جبلة ؟ ، فتبسّم ثم جلس ، فقال : لقد رأيتُ عشر قِيان : خمس رُومِيّات يغنِّين بالروميّة بالبرابط ، وخمس يُغنِّين غناء أهل الحيرة ، أهداهنّ إليه إياس بن قَبيصة ، وكان يَفِد إليه مَن يُغنّيه من العرب من مكّة وغيرها ؛ وكان إذا جلس للشرب فُرِش تحته الآسُ والياسمين وأصنافُ الرياحين ، وضُرِب له العنْبَرُ والمسك في صِحافِ الفضّة والذهب ، وأُتي بالمسك الصحح في صحاف الفضة ، وأوقد له العودُ المندليّ إن كان شاتياً ، وإن كان صائفاً بُطِّن بالثَّلج ، وأُتي هو وأُصحابه بكُساً صيفيّة يتفضّل هو وأصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء الفِراء الفَنَك[1] ، وما أشبهه ؛ ولا والله ما جلستُ معه يوماً قطّ إلاّ خلع عليّ ثيابَه التي عليه في ذلك اليوم ، وعلى غيري من جلسائه ، هذا مع حِلْمٍ عمَّن جهل ، وضَحِكٍ وبذْلٍ من غير مسألة ، مع حُسن وجهٍ وحسن حديث ، ما رأيتُ منه خنًى قطّ ولا عربدة ، ونحن يومئذٍ على الشِّرْك ؛ فجاء اللهُ بالإسلام فمحا به كلَّ كفْر ، وتركنا الخَمْرَ وما كرِه ؛ وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التَّمر ، والفضيخ[2] من الزَّهر والرُّطب ، فلا يشرب أحدُكم ثلاثة أقداح حتى يصاخِبَ

1 الفنك : جراء الثعلب التركي .

2 الفضيخ : عصير العنب أو هو شراب يتخذ من بسر مفضوخ يصب عليه الماء الحار فيستخرج حلاوته .

صاحبَه ويفارقه ، وتُضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون !

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن أبي أيّوب المدينيّ ، عن مصعب الزُّبيريّ ، عن الضحّاك ، عن عثمان بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد مثله ، وزاد فيه : فلمّا فرغنا من الطعام ثَقُل علينا جلوس حسّان ، فأومأ ابنُه إلى عزّة الميلاء فغنّت : [من المنسرح]

انْظُر خَلِيلي ببابِ جِلَّق هَلْ ... تُبْصِرُ دونَ البَلْقاء مِنْ أَحَدِ

فبكى حسّان حتى سَدِرَ[1] ، ثم قال : هذا عَمَلُ الفاسق ، أَما لقد كرهتم مجالستي ، فقبَّح اللهُ مجلسكم سائرَ اليوم ، وقام فانصرف .

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه مصعب ، قال : ذكر هشام بن عروة ، عن أبيه : أنّه دُعِيَ إلى مأدبة في زمن عثمان ، ودُعِي حسّان ومعه ابنه عبد الرحمن ، ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبّة عن الأصمعيّ في الحديث الأوّل ، قال : [من المنسرح]

نسبة هذا الصوت

انظُرْ خليلي بباب جلّق هل ... تُونسُ دُونَ البَلْقاءِ مِنْ أَحَدِ
أَجمال شَعْثا إنْ هَبَطْنَ من الْـ ... ـمَحْبس بَيْنَ الكُثْبانِ فالسَّنَدِ[2]
يُمِلْن حُوراً حُورَ المدامع في الرَّيْـ ... ـط وبِيضَ الوُجُوهِ كالبَرَدِ[3]
مِنْ دون بُصْرى ودونَها جبل الثَّلـ ... ـج عليه السَّحابُ كالقَرَدِ[4]
إنِّي وأَيدي المخيَّساتِ وما ... يقْطَعْنَ من كلِّ سَرْبَخ جَدَدِ[5]
أَهوى حديثَ النُّدْمان في فلَقِ الصُّبْـ ... ـح وصَوْتَ المُسامرِ الغَرِدِ
تَقُول شَعْثاءُ بعد ما هبطت ... بصَوْر حُسنى من احتدى بَلَدِي[6]
لا أَخدِشُ الخَدْشَ بالحبيب ولا ... يَخْشَى نديمي إذا انتشيتُ يَدي

1 سدر : أصابه دوار وتحير .
2 الديوان : أجمال شعثاء قد هبطن .
3 الديوان : يحملن حوّاً : والحوة : سمرة الشفة .
4 القرد : نفاية الصوف ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان . وفي الديوان : كالقِدد .
5 الديوان : إني ورب المخيسات . والمخيسات : الإبل المذللة . والسربخ : الأرض البعيدة . الديوان :
تقول شعثاء لو تفيق من الـ ... ـكأس لألفيت مثري العدد
6 الديوان : «. . . بالنديم . . . ولا يخشى جليسي» .

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعزّة الميلاء رمل بالبنصر ، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز ، وإلى عزّة الميلاء . وإلى الهذليّ في : [من المنسرح]

تقول شَعْثاء بعـد مـا هبطت

وما بعده من الأبيات ، ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو .

[شعثاء التي شبب بها حسان]

وشَعْثاء هذه التي شبَّب بها حسّان ، فيما ذكر الواقديّ ومصعب الزُّبيريّ ، امرأةٌ من أسلم ، تزوَّجها حسّان ، وولدت منه بنتاً يقال لها أُمّ فِراس تزوَّجها عبد الرحمن بن أُمّ الحكم . وذكر أبو عمرو الشيبانيّ مثل ما ذكره في نَسبِها ، ووصف أنّه خطبها إلى قومِها من أسلم فردُّوه ، فقال يهجوهم[1] : [من البسيط]

لقـد أتـى عن بني الجَرْباء قولُهمُ ... ودونهم قُفُّ جُمْدانٍ فمَوْضُوعُ[2]
قـد علمت أسلمُ الأرذالُ أنَّ لهـا ... جـاراً سيقتلُـه في دارِه الجُوعُ[3]
وأنْ سيمنَعُهم ممّـا نـوَوْا حَسَبٌ ... ـ لن يبلغ المجدَ والعلياءَ ـ مقطوعُ
وقد عَلَوْا ، زَعَموا ، عنّـي بأختهمُ ... وفي الذُّرى حَسبي والمَجْدُ مرفوعُ[4]
ويل أمّ شعثاء شيئاً تستغيثُ به ... إذا تجلَّلهـا النَّعْـظُ الأفاقيعُ[5]
كأنّه في صَلاهـا وهـي بارِكةٌ ... ذِراعُ بَكْرٍ مِـن النيَّاط مَنْزوعُ[6]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أبي القاسم بن أبي الزناد ، عن أخيه عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، قال : شعثاء هذه بنت عمرو ، ومن بني ماسكة من يهود ، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القُفّ ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهودَ التي تلي بيت الدِّراسَةِ للتوراة ، وكان ذا قَدْرٍ فيهم ، فقال حسّان يذكر ذلك : [من المنسرح]

---

1 ديوان حسان : 176 .
2 جمدان وموضوع : مكانان .
3 الديوان : . . . أسلم الأنذال .
4 الديوان : «قد رغبوا زعموا . . . وفي الذرا نسبي . . .» .
5 الأفاقيع : الذي يتفقع فيسمع له صوت .
6 الصلا : وسط الظهر . والشطر الثاني في الديوان : ذراع آدم من ناطاء منزوع .

هل في تَصابي الكريم مِنْ فَنَدِ ... أم هـل لمـرِّ الأيّام مِـنْ نَفَدِ[1]
تقول شَعْثاء : لو أفقتَ عن الكا ... س لألفيتَ مُثْـرِيَ العَـدَدِ
يأبى لي السيفُ واللسانُ وقوْ ... مٌ لم يُضامُـوا كلِبْـدَة الأَسَدِ

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء .

ومّما قاله حسان بن ثابت في شعثاء ، وغُنّي به قوله[2] : [من السريع]

مـا هاج حسّانَ رسومُ المُقامْ ... ومظعَنُ الحـيّ ومبنـى الخِيامْ
والنُّـؤيُ قـد هَـدَّم أعضادَهُ ... تقـادُمُ العَهْـد بـوادي تِهامْ
قـد أدرك الواشون مـا حاوَلُوا ... والحَبْلُ مـن شَعْثاء رَثٌّ رِمامْ[3]
جِنيَّـةٌ أرَّقنـي طَيْفُهـا ... يذهبُ صُبْحاً ويُرى في المنامْ[4]
هـل هـي إلاّ ظبيةٌ مُطْفِلٌ ... مأْلَفُها السِّدْر بنعفـيْ بَرامْ[5]
ترعـى غزالاً فاتِـراً طَرْفُـه ... مُقاربَ الخَطْوِ ضعيف البُغامْ[6]
كأنَّ فاهـا ثَغـبٌ بـاردٌ ... في رَصَف تحتَ ظلالِ الغَمامْ[7]
شُجَّ بِصَهْبـاء لهـا سَوْرَةٌ ... من بيت راسٍ عُتِّقَتْ في الخِيامْ[8]
تـدبّ في الكأس دَبيباً كما ... دبَّ دبًى وسْطَ رِقاقٍ هُيامْ[9]
مِـنْ خَمْـرِ بَيْسان تخيَّرتُها ... درْياقـةً توشِكُ فَتْـر العظامْ
يَسْعى بهـا أحمَـرُ ذُو بُرْنُسٍ ... مُخْتلَق الذِّفْرى شَدِيدُ الحِزامْ[10]

يقول فيها :

1 هذا البيت لم يرد في الديوان . والنفد : الفناء .
2 ديوان حسان : 106 .
3 الديوان : رث الرمام .
4 يذهب . . . ويرى في الديوان : «. . . تذهب . . . وترى» .
5 برام : جبل قرب المدينة . ونعفاه : جانباه .
6 الديوان : تزجي غزالاً . . .
7 الثغب : الغدير في ظلّ الجبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . والرصف : الحجارة المتراصفة .
8 شبح في الديوان : شجت ، وشجت : مزجت . وبيت راس : قرية بالأردن .
9 الديوان : تدب في الجسم . والدبى : صغار النمل .
10 الذفرى : العظم الناتىء خلف الأذن .

قَوْمِي بنــو النّجّار إذْ أقبلَت شَهْباءُ تَرْمــي أهلَهــا بالقَتامْ
لا تخذل الجارَ ولا تُسْلمُ الــ ـمَوْلى ولا تُخْصَمُ يَوْمَ الخِصامْ[1]

الشعر لحسان ، والغناء لمعبد ، خفيف رمَل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات ، والرابع والتاسع والحادي عشر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى .

وهذه الأبيات يقولها حسان في حربٍ كانت بينهم[2] وبين الأوس ، تُعْرَف بحرب مزاحم ، وهو حِصن من حصونهم .

[حرب بين الأوس والخزرج]

أخبرني بخبره حِرْميّ عن الزُّبير ، عن عمّه مصعب ، قال : جمعت الأوس وحشدت بأحلافها ، ورأَّسوا عليهم أبا قيس بن الأَسلت يومئذٍ ، فسار بهم حتى كان قريباً من مُزاحم . وبلغ ذلك الخزرج ، فخرجوا يومئذٍ وعليهم سَعْدُ بن عبادة ؛ وذلك أنَّ عبد الله بن أُبيّ كان مريضاً أو متمارضاً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقُتلت بينهم قتلى كثيرة ، وكان الطَّوْل[3] يومئذٍ للأوس ؛ فقال حسان في ذلك : [من السريع]

مــا هاج حسّانَ رسومُ المقامْ ومَظْعَنُ الحــيّ ومَبْنــى الخِيامْ

وذكر الأبيات كلّها .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن القاسم بن الحسن ، عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال : قال رجل من أهل المدينة : ما ذكر بيت حسان بن ثابت[4] : [من المنسرح]

أَهْوى حَديثَ النُّدْمانِ في فَلَقِ الصُّبْـ ـــح وصَــوْتَ المُسامِــرِ الغَــرِدِ

إلاّ عُدْتُ في الفتوّة كما كنت . قال : وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها : [من المنسرح]

انظر خليلي بباب جلّق هــل تُؤنسُ دونَ البَلْقاء مِــنْ أَحَدِ

وقد رُوِي أيضاً في هذا الخبر غيرُ الروايتين اللتين ذكرتهما .

1 الديوان : «لا نخذل . . . ولا نسلم . . . ولا نخصم» .
2 أي بين الخزرج قوم حسان والأوس .
3 الطول : الفوز والغلبة .
4 ديوان حسان : 279 .

[ابنه يحتال لإبعاده عن مجلس أصحابه]

أخبرني بذلك حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن وَهْب بن جرير ، عن جويريّة بن أسماء ، عن عبد الوهاب بن يحيى ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن شيخ من قريش ، قال : إني وفتية من قريش عند قينةٍ من قِيان المدينة ، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسان ، فكرِهْنا دخولَه ، وشقَّ ذلك علينا ؛ فقال لنا عبد الرحمن : أيسرُّكُمْ ألاّ يجلس ؟ قلنا : نعم . قال : فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّي : [من الكامل]

أولادُ جَفْنَــةَ عنــد قَبْرِ أبيهمُ قَبْرِ ابْنِ مارية الكريم المُفْضِلِ
يُغشَوْن حتى مـا تَهِرُّ كلابُهم لا يَسألُون عن السَّوادِ المقبلِ

قال : فوالله لقد بكى حتى ظننا أنّه سقطت نَفْسُه ، ثم قال : أفيكم الفاسق ! لعمري لقد كرهتم مجلسي سائرَ اليوم ، وقام فانصرف . والله تعالى أعلم .

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنّى فيه من القصيدة[1] التي هو منها .

صوت

[من الكامل]

أولادُ جَفْنَةَ عنـد قَبْرِ أبيهـمُ قبر ابْنِ مارِيـة الجوادِ المُفْضِلِ
يَسقُونَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ عليهمُ كأساً تصفّق بالرحيقِ السَّلْسَلِ

البريص : موضع بدمشق .

بِيضُ الوجـوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمّ الأنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ
يُغْشَوْن حتى مـا تَهِرُّ كِلابُهم لا يَسْألُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

ذكر حبَش أن فيه لسيرين قينةِ حسّان بن ثابت لحناً ثقيلاً أوّل ابتداؤه نشيد ، وفيه لعريب ثقيل أوّل لا يشكّ فيه .

وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله : [من الكامل]

صوت

كِلتاهُما حَلَبُ العَصير فعاطِني بزُجاجـةٍ أرْخاهُمـا للمِفْصَلِ

1 ديوان حسان : 74 .

بِزُجاجةٍ رقصَتْ بما في قَعْرِها   رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجلِ

غنّاه إبراهيم الموصليّ رمَلاً مطلقاً في مجرى الوسطى ، عن إسحاق وعمرو وغيرهما ، ويروى : «كلتاهما حَلَبَ العصيرُ» ، بجعل الفعل للعصير . ويروى للمِفصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد ، وللمَفْصِلِ ، بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو اللسان .

أخبرنا بذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، عن المبرد ، حكاية عن أصحابه ، عن الأصمعيّ .

رجع الحديث إلى أخبار عزّة الميلاء

[ناسك يستهتر بمغنّية]

قال إسحاق : حدَّثني مصعب الزُّبيريّ ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كان بالمدينة رجلٌ ناسك من أهل العِلم والفِقه ، وكان يَغشى عبد الله بن جعفر ، فسمِع جاريةً مغنِّية لبعض النخّاسين تغنّي[1] : [من البسيط]

بانَـتْ سُعـادُ وأمسى حَبْلُها انقطَعا

فاستهتر بها وهامَ ، وترك ما كان عليه ، حتى مشى إليه عطاء وطاووس فلاماهُ ؛ فكان جوابُه لهما أنْ تمثَّل بقول الشاعر : [من البسيط]

يلُومني فيـكِ أقوامٌ أُجالِسُهم   فمـا أُبـالي أطارَ اللَّوْمُ أمْ وَقَعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبرُه ، فبعث إلى النخّاس ، فاعترض الجارية ، وسمع غناءها بهذا الصوت ، وقال لها : ممَّنْ أخذْتِه ؟ قالت : من عزّة الميلاء . فابتاعَها بأربعين ألف درهم ، ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خَبره ، فأعلمه إيّاه وصدقه عنه . فقال له : أتُحبُّ أنْ تسمعَ هذا الصوتَ ممّن أخَذَتْه عنه تلك الجارية ؟ قال : نعم . فدعا بعزّة وقال لها : غَنِّيه إيّاه ، فغنَّته ؛ فصُعِقَ الرجل ، وخَرَّ مغشيّاً عليه . فقال ابن جعفر : أثِمْنا فيه ، الماء ، الماء ! فنضح على وجهه ، فلمّا أفاق قال له : أكلّ هذا بلغ بك عِشْقُها ؟ قال : وما خَفِي عنك أكثر . قال : أفتحبُّ أنْ تسمعَه منها ؟ قال : قد رأيتَ ما نالني حين سمعتُه من غيرها ، وأنا لا أُحبُّها ، فكيف يكون حالي إن سمعتُه منها ، وأنا لا أقدر على مِلكها ! قال : أفتعرِفُها إن رأيْتَها ؟ قال : أوَأعرف غَيْرَها ! فأمر بها فأُخرجت ، وقال : خذها فهي لك ، والله ما نظرتُ إليها إلاّ عن عُرُض . فقبّل الرجل يَدَيه ورِجليه ، وقال : أنَمْتَ عيني ، وأحييْتَ نَفسي ، وتركتني أعيشُ بين قومي ، ورددت إليّ عقلي ؛ ودعا له دعاءً كثيراً . فقال : ما أرضى أن أُعطيكها هكذا ، يا غلام احملْ معها مثل ثمنها لكيلا تهتمّ به ويهتمّ بها .

1 ديوان الأعشى: 105 وتمام البيت : «واحتلت الغور فالجدين فالفرعا» .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من البسيط]

بانت سعادُ وأمسى حَبْلُها انقطعا ... واحتلَّت الغَوْر فالجدَّين فالفَرَعا
وأنكرتْني ومـا كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلاَّ الشَّيبَ والصَّلَعا

عروضه من البسيط ، والشعر للأعشى ، أعشى بني قيس بن ثعلبة .

[الأصمعيّ ينحل الأعشى بيتاً]

وزعم الأصمعيّ أنّ البيت الثاني هو صَنَعه ونحله الأعشى .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه ، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، قال : ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يَقُلْه إلاّ بيتاً واحداً نحلته الأعشى ، وهو : [من البسيط]

وأنكرَتْني وما كان الذي نكرَتْ ... من الحوادث إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

الغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ؛ وذكر عَمرو بن بانة أنّه لمعبد ، وأنكر إسحاق ذلك ودَفَعه ، وفيه للغريض ثقيل أوّل بالبنصر ، وقيل : إنّه لجميلة .

[عبد الله بن جعفر يطلب عدم منع عزة من الغناء]

قال إسحاق : وحدّثني ابنُ سلاّم ، عن ابن جعدبة ، قال : كان ابن أبي عتيق مُعجباً بعزّة الميلاء ، فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر ، فقال له : بأبي أنت وأُمّي ! هل لك في عزّة ، فقد اشتقْت إليها ! قال : لا ، أنا اليوم مشغول . فقال : بأبي أنتَ وأُمّي ! إنّها لا تنشط إلاّ بحضورك ، فأقسمتُ عليك إلاّ ساعدتَني وتركتَ شغلك ، ففعل . فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها : دَعِي الغناء ، فقد ضجَّ أهلُ المدينة منك ، وذكروا أنّك قد فَتَنْتِ رجالهم ونساءهم . فقال له ابنُ جعفر : ارجع إلى صاحبك فقل له عنّي : أُقسم عليك إلاّ ناديتَ في المدينة : أيُّما رجل فسد أو امرأة فُتِنت بسبب عزّة إلاّ كشف نفسه بذلك لنَعرِفَه . ويظهَر لنا ولكَ أمْرُه . فنادى الرسول بذلك ، فما أظهر أحدٌ نفسه . ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيقٍ معه ، فقال لها : لا يهولنّك ما سمعتِ ، وهاتي فغنّينا ، فغنّته بشعر القُطاميّ[1] : [من البسيط]

إنّـا محيُّـوك فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ ، وإن طالتْ بك الطِّيَلُ

1 مطلع قصيدة القطامي في جمهرة القرشي (المشوبات) . وفيها «وإن طالت بك الطول» أي العمر أو الغيبة .

فاهتزّ ابنُ أبي عَتيق طرَباً ، فقال عبدُالله بن جعفر : ما أراني أُدرك ركابك بعد أنْ سمعتَ هذا الصوت من عزّة .

وقد مضَتْ نسبة ما في هذه الأَخبار من الأغاني في مواضعَ أخر .

صوت[1]

[من الكامل]

مَنْ كان مسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ فليَأتِ نسوتَنـا بوَجْـهِ نَهارِ
يَجِـدِ النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَهُ قد قُمْنَ قبـل تبلُّج الأَسحارِ

عروضه من الكامل . قوله :

قـد قمن قبل تَبَلُّج الأسحار

يعني أنّهنَّ يَنْدُبْنَهُ في ذلك الوقت ؛ وإنّما خصَّه بالندبة لأنّه وقتُ الغارة . يقول : فهنَّ يذكُرْنَهُ حينئذٍ ؛ لأنّه كان من الأوقات التي ينهضُ فيها للحرب والغارات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿فالمُغِيرات صُبْحا﴾ . وأمّا قول الخنساء[2] : [من الوافر]

يذكِّرُني طلوعُ الشمسِ صَخْراً وأذكرُه لكلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

فإنّما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة ، وعند غروبها للضيف .

الشعر للربيع بن زياد العبسيّ ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق . والله أعلم .

1 النقائض : 89 وأيام العرب في الجاهلية : 257 .
2 ديوان الخنساء (صادر) : 84 .

[354] ـ ذكر نسب الربيع بن زياد
[وحرب داحس والغبراء][1]

وبعض أَخباره ، وقصة هذا الشعر ، والسبب الذي قُتل من أَجله .

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هِدْم بن عُوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار .

وأُمُّه فاطمة بنت الخُرشُب ، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ، وهي إحدى المنجبات ، كان يقال لبَنِيها الكَمَلة ، وهم : الرَّبيع ، وعُمارة ، وأَنس .

ولّما سأل معاوية علماءَ العرب عن البيوتات والمنجبات ، وحظر عليهم أَن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة ، وفي المنجبات ثلاثاً ، عَدُّوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدُّوا ، وقبلها حُبَيَّة بنت رياح الغنويّة أُمّ الأَحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب ، وماويّة بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عَمرو بن تميم ، وهي أُمُّ لَقِيط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم .

أَخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهْر المبرد ، قال : حدَّثني محمد بن موسى اليزيديّ ، قال : حدَّثني محمد بن صالح بن النطّاح ، واللفظ له ، وخَبَره أتمّ ، وأخبرني به أَبو الحسن الأَسَديّ ، قال : حدَّثنا محمد بن صالح بن النطاح ، قال : ولدت فاطمةُ بنت الخُرْشب من زياد بن عبد الله العبسيّ سبعة ؛ فعدّت العرب المنجبين منهم ثلاثة ، وهم خِيارهم .

قال محمد بن موسى : قال محمد بن صالح : وحدَّثني موسى بن طلحة ، والوليد بن هشام القَحْذَمِيّ بمِثْلِ ذلك ، قال : فمنهم : الربيع ويقال له الكامل ، وعُمارة وهو الوهّاب ، وأنس وهو أَنس الفوارس وهو الواقعة ، وقيس وهو البرك ، والحارث وهو الحرُون ، ومالك وهو لاحق ، وعمرو وهو الدرّاك .

---

1 أخبار حرب داحس والغبراء في النقائض : 83 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 150 وما بعدها وسيرة ابن هشام 1 : 287–289 وأيام العرب في الجاهلية : 246 وما بعدها وكتب الأمثال .

[أم لا تدري أي بنيها أفضل]

قال محمد بن موسى : قال ابن النطّاح : وحدَّثني أبو عثمان العمريّ : أنّ عبد الله بن جُدعان لَقِيَ فاطمة بنت الخُرْشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك برَبّ هذه البَنِيّة ، أيُّ بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ، ثكلْتُهم إن كنت أدري أيّهم أفضل .

قال ابن النطاح : وحدّثني أبو اليقظان سُحَيم بن حَفص العُجَيفيّ ، قال : حدَّثني أبو الخنساء ، قال : سُئلتْ فاطمةُ عن بَنيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ؛ لا بل قيس ، وعَيْشي ما أدري ، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعاً ، ولا ولدته يَتْناً ، ولا أرضعتُه غَيْلاً ، ولا منعته قَيْلاً ، ولا أبتُّه على ماقَة .

قال أبو اليقظان : أما قولها ما حملتُ واحداً منهم تُضعاً ، فتقول : لم أحمله في دُبُر الطّهر وقبلْ الحيض . وقولها : ولا وَلَدْتُه يَتْناً ، وهو أن تخرج رِجلاه قبل رأسه . ولا أرضعته غَيلاً ، أي ما أرضعتُه قبل أن أحلُب ثَدْيي . ولا منعتُه قَيْلاً ، أي لم أمنعه اللبنَ عند القائلة . ولا ابتُّه على ماقة ، أي وهو يَبكي .

قال ابن النطاح : وحدَّثني أبو اليقظان ، قال : حدَّثني أبو صالح الأَسديُّ قال : سُئلَت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها ، فوصفَتهم ، وقالت في عُمارة : لا ينامُ ليلةَ يُخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف . وقالت في الربيع : لا تُعَدُّ مآثِرُه ولا تُخشى في الجهل بوادِره . وقالت في أنس : إذا عزم أمضى ، وإذا سُئل أُرضى ، وإذا قَدَر أغضى . وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان .

[حكمته وبعد نظره]

وقال ابن النطاح : وحدّثني القحذميّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني ابن عيّاش ، عن رجلٍ من بني عبس ، قال : ضاف فاطمة ضيفٌ ، فطرحَتْ عليه شَمْلَةً من خزّ وهي مِسْكٌ كما هي ، فلمّا وجد رائحتها وأعتَم دنا منها ، فصاحت به ، فكفَّ عنها ؛ ثم إنّه تحرّك أيضاً فأرادها عن نفسها ، فصاحت ، فكفّ ، ثم إنّه لم يصبر فواثَبها فبطشَتْ به ، فإذا هي من أشدِّ الناس ، فقبضت عليه ثم صاحت : يا قيس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي ، فما ترى فيه ؟ فقال : أخِي أكبرُ منّي ، فعليكِ به ، فنادت : يا أنس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخي أكبر منّي فسَلِيه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكرَتْ ذلك له ، فقال لها : السيف ، وأراد قتله ، فقالت له : يا بنيّ ، لو دعَوْنا أخاك فهو

أُكبَرُ منك ، فدعَت الربيع ، فذكرت ذلك له ، فقال : أفتطيعونني يا بَني زياد ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تُزنّوا أُمَّكم ، ولا تقتلوا ضَيْفَكم ، وخَلُّوه يذهب ، فذهب .

قال ابن النطاح : حدّثني هشام بن محمد قال : سمّيت فاطمة بنت الخرشب العرجاء ، ولم يكن بها عرج ، إنما هو لقب غلب عليها .

[مديح أبناء زياد]

قال ابن النطاح : وقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة ، يقال إنّه قيس بن زهير ، ويقال حاتم طيِّيء[1] : [من الوافر]

بنـو جِنِّيَّـةٍ ولـدَتْ سيوفاً قواطـعَ كلُّهم ذكـرٌ صَنِيعُ
وجارتُهـم حَصـانٌ لم تُزَنَّـى وطاعمـة الشتاء فمـا تجوعُ
شرى وُدِّي ومكرمتي جميعاً طَـوالَ زمانـه ووفى الربيعُ

وقال سلمة بن الخُرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حربه : [من الطويل]

أتيتُم إلينـا تَزْحفُـون جماعـةً فأَيْن أَبـو قيس وأَيـن ربيعُ !
وذاك ابنُ أختٍ زانه ثوبُ خاله وأعمامـه الأعمـام وهـو نَزيعُ
رَفيقٌ بـداءِ الحرب طَبٌّ بصَعْبها إذا شتَّ رأيُ القوم فهـو جَميعُ
عطوفٌ على المولى ثقيلٌ على العِدا أصمُّ عـن العَـوْراء وهـو سَمِيعُ

وقال رجل من طيىء ، للربيع وعمارة : [من الوافر]

فإن تكـنِ الحوادثُ أَفْظَعَتْني فلـم أَرَ هالِكاً كابْنَيْ زِيادِ[2]
همـا رُمْحـان خَطِّيّانِ كانا مـن السُّمْر المثقَّفـة الجيادِ
تهـاب الأرض أَنْ يَطأَ عليها بمثلهمـا تُسالـمُ أَو تُعادي

[أمّه تقتل نفسها خوف للعار]

وقال الأثرم : حدَّثني أَبو عمرو الشيبانيّ ، قال : أَغار حَمَلُ بن بَدْر أَخو حذيفة بن بَدر الفَزاريّ على بني عَبْس ، فظفر بفاطمة بنت الخُرشب أُمِّ الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جَمَل لها ، فقادها بجمَلها ، فقالت له : أيْ رجل ، ضلّ حِلْمُك ! والله لئن أخذتني فصارت هذه الأَكمة بي وبك التي أمامنا وراءنا لا يكون بينكَ وبين بني زياد صُلْح أبداً ؛ لأنّ الناس

1 الشعر في ديوان حاتم (صادر) : 67 .
2 أفظعتني في ل : أقصدتني .

يقولون في هذه الحال ما شاءوه ، وحَسْبُكَ من شَرٍّ سَماعُه[1] . قال : فإنّي أذهب بك حتى ترعَيْ عليَّ إبلي . فلمّا أيقنَتْ أنّه ذاهبٌ بها رمَتْ بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت خوفاً من أن يلحق بَنِيها عارٌ فيها .

[لبيد يوقع بينه وبين النُّعمان]

وحدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي عبد الله بن محمد ، قال : أُخبرنا محمد بن حبيب ، عن ابن الأَعرابيّ ، قال[2] : وفد أبو بَراء مُلاعِب الأسنّة ، وهو عامِرُ بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وإخوته طُفيل ومعاوية وعبيدة ، ومعهم لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ، وهو غلام ، على النُّعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسيّ ، وكان الربيع يُنادِم النُّعمانَ مع رجلٍ من أَهل الشام تاجر ، يقال له : سرجون بن نوفل ، وكان حَرِيفاً للنُّعمان ، يعني سرجون ، يبايعه ، وكان أديباً حسنَ الحديث والمنادمة ، فاستخفَّه النُّعمان ، وكان إذا أراد أن يَخْلُو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسيّ ، متطبِّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد ، وكان يُدْعى الكامِل .

فلمّا قدِم الجعفريّـون كانـوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فإذا خلا الربيع بالنُّعمان طعن فيهم ، وذكر معايِبَهم ، ففعل ذلك بهم مِراراً ؛ وكانت بنو جعفر له أعداء ، فصدَّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأَوْا منه تغيُّراً وجفاء ، وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويُقَرِّبُ مجلسهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً ، ولَبِيد في رحالهم يحفظ أمتِعتَهم ، ويغدو بإبلهم كلَّ صباح ، فيَرْعاها ، فإذا أمسى انصرف بإبلهم ، فأتاهم ذات ليلة فألْفاهم يتذاكرون أمْرَ الربيع ، وما يلْقَوْن منه ؛ فسألهم فكتموه ، فقال لهم : والله لا أُحفظُ لكم متاعاً ، ولا أُسرِّح لكم بَعيراً أو تخبروني .

وكانت أُمُّ لبيد امرأَةً من بني عَبْس ، وكانت يتيمة في حِجْرِ الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدَّ عَنّا وَجْهَه ، فقال لهم لبيد : هل تقدرون على أنْ تجمَعُوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقولٍ مُمِضّ ، ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبداً . فقالوا : وهل عندك من ذلك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنا نبلوك بشَتْم هذه البَقْلةِ ، لِبَقْلَةٍ قُدّامهم دقيقةِ القضبان قليلةِ الورق لاصقةٍ فروعها بالأرض ، تدعى التَّربة ، فقال : هذه التَّرِبَة التي لا تُذكي ناراً ،

1 المثل «حسبك من شر سماعه» في مجمع الميداني 1 : 194 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 2 : 62 وفصل المقال : 89 .

2 تقدم هذا الخبر في ترجمة لبيد 15 : 247 .

ولا تؤهل داراً ، ولا تسرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفَرْعُها كَلِيل ، وخَيْرُها قليل ، بلدُها شاسِعٌ ، ونَبْتُها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ، أقصر البقولِ فَرْعاً ، وأخبثها مرعى ، وأشدّها قلعاً ، فتَعْساً لها وجَدْعا ، الْقَوا بي أخا بني عَبس ، أرجعه عنكم بتعس ونَكْس ، وأتركه من أمره في لَبْس .

فقالوا : نصبح فنرى فيك رأْيَنا . فقال لهم عامر : انظروا غُلامَكم ؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، وإنّما يتكلّم بما جاء على لسانه ، ويَهْذي بما يهجس في خاطره ، وإذا رأيتُموه ساهراً فهو صاحِبُكم . فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رَحْلاً ، فهو يكدُم بأوسطه حتى أصبح .

فلمّا أصبحوا قالوا : أنت واللهِ صاحبُنا ، فحلَقوا رأسَه ، وتركوا ذُؤابتين ، وألبسوه حُلَّةً ، ثم غَدَوا به معهم على النُّعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع وهما يأكلان ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءةٌ من الوفود .

فلمّا فرغ من الغداء أَذِن للجعفريين فدخلوا عليه ، وقد كان تقارب أمرهم ، فذكروا للنُّعمان الذي قدموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام لبيد يرتجز ، ويقول[1] : [من الرجز]

يا رُبَّ هَيْجا هي خَيرٌ من دَعَهْ ... أَكُلَّ يوم هامَتِي مقَزَّعَهْ[2]
نحن بَنُو أُمِّ البنينَ الأَربعهْ ... ومِنْ خيارِ عامرِ بْنِ صَعْصَعَهْ[3]
المطعمون الجفْنَةَ المُدَعْدَعهْ ... والضاربون الهامَ تحت الخَيْضَعَهْ[4]
يا واهِبَ الخير الكثير مِنْ سَعَهْ ... إليكَ جاوَزْنا بلاداً مُسْبِعَهْ
يخبر عن هذا خبيرٌ فاسْمَعَهْ ... مَهْلاً ـ أُبيت اللَّعْنَ ـ لا تأْكُلْ معَهْ[5]
إنّ استَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ ... وإنّه يُدْخِلُ فيها إصبعَهْ
يُدْخِلُها حتى يُوارِي أَشْجَعَهْ ... كأنّما يطلب شيئاً أَطمعَهْ[6]

1 ديوان لبيد : 340 .
2 القزع : تساقط الشعر وبقاء بعضه .
3 الديوان : ونحن خير . . .
4 المدعدعة : المملوءة . والخيضعة : البيضة التي يلبسها الفارس (الخوذة) .
5 يخبر في الديوان : يخبرك .
6 أطمعه في الديوان : ضيّعه .

فلمّا فرغ من إنشاده التفت النُّعمان إلى الربيع شزراً يرمقُه ، فقال : أَكَذا أَنت ؟ قال : لا ، والله ، لئند كذب عليَّ ابن الحَمق اللئيم . فقال النُّعمان : أُفٍّ لهذا الغلام ، لقد خبَّث عليَّ طَعامي . فقال : أَبَيْتَ اللعن ، أَما إنّي لقد فعلت بأُمّه . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أَهل ، وهي من نساء غير فُعُل[1] ، وأنتَ المرءُ فَعَلَ هذا بيتيمة في حجره .

فأَمر النُّعمان ببني جعفر فأُخرجوا . وقام الربيع فانصرف إلى منزله ، فبعث إليه النُّعمان بضعف ما كان يَحْبُوه به ، وأَمره بالانصراف إلى أَهله .

وكتب إليه الربيع : إنّي قد تخوَّفتُ أَن يكون قد وَقَر في صدْرِك ما قاله لَبيد ، ولستُ برائمٍ حتى تبعث مَن يجرِّدُني فيعلم مَن حضرك من الناس أَنّي لستُ كما قال . فأرسل إليه : إنّك لستَ صانعاً بانتفائك ممّا قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على ما زلّت به الألسن ، فالحقْ بأَهلك . فقال الربيع[2] : [من البسيط]

لئــن رحلتَ جِمــالي إنَّ لي سعــةً ... مــا مِثْلُهــا سَعَــة عَرْضاً ولا طُولا
بحيْــثُ لــو وُزنــت لَخْمٌ بأَجمعها ... لم يَعْدِلُوا ريشة مــن ريش سمويلا[3]
تَرْعــى الرَّوائمُ أَحــرارَ البقُولِ بها ... لا مِثْلَ رَعْيكــم مِلْحــاً وغَسْوِيلا[4]
فابــرُقْ بأَرضك بعدي واخلُ متكئاً ... مــع النطاسيّ يومــاً وابن توفيلا

فكتب إليه النُّعمان :

شَرِّدْ برَحْلك عنِّي حيثُ شئتَ ولا ... تكثِرْ عــليَّ ودَعْ عنــك الأَباطيلا
فقــد ذُكرتَ بــه والركبُ حامِلُه ... وِرْداً يُعلِّــل أَهــلَ الشام والنِّيــلا
فما انتِفاؤُك مِنْهُ بعــد مــا جزَعت ... هُــوجُ المطــيّ بــه إِبْراقَ شِمْليلا
قــد قِيل ذلك إنْ حقّــاً وإنْ كذباً ... فما اعتذارُك مــن شيء إذا قِيلا[5]
فالحــقْ بحيث رأيتَ الأَرضَ واسعــة ... وانشر بها الطَّرْفَ إنْ عرضاً وإن طولا

1 غير فعل : لا يفعلن المنكر .
2 البيتان الأولان من قول الربيع في الخزانة 4 : 12 مع اختلاف وأبيات النعمان فيها أيضاً 4 : 10 .
3 سمويل : طائر ، وقيل أرض كثيرة الطير .
4 غسويل : نبت ينبت في السباخ .
5 هذا المثل في فصل المقال : 90 و92 وفيه الأبيات وجمهرة العسكري 2 : 114 ومستقصى الزمخشري 2 : 191 .

وأمّا الشعر الذي فيه الغناء فإنّ الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير . وكان قتْلُه في بعض تلك الوقائع التي يُعرفُ مبدؤها بداحِس والغَبْراء .

[حرب داحس والغبراء]

وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، وإبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، قال : كان من حديث داحِس أنَّ أُمَّهُ فرس كانت لقِرْواش بن عوف بن عاصم بن عُبيد بن ثعلبة بن يَرْبُوع يقال لها : جَلْوى ، وكان أبوه يسمّى ذا العُقّال ، وكان لحَوْط بن أبي جابر بن أوس بن حِميريّ بن رياح ؛ وإنّما سُمِّي داحِساً لأنَّ بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجعة ، وكان ذو العُقّال مع ابنَتَيْ حَوْط بن أبي جابر بن أوس تجنُبانه ، فمرَّتا به على جَلْوى فرس قرواش وديقا[1] ؛ فلمّا رآها الفرس وَدى وصَهَل ، فضحك شُبّان من الحيّ رأَوْه ، فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فنَزا على جَلْوى ، فوافق قبولها فأَقَصَّت[2] ، ثم أخذه لهما بعض الحيّ ، فلحق بهما حَوْط ، وكان رجلاً شريراً سيِّىء الخلُق ، فلمّا نظر إلى عين الفرس قال : والله لقد نَزا فرسي ؛ فأخبراني ما شأنه ، فأخبرتاه الخبر ، فقال : يا آل رياح ، لا والله لا أرضى أبداً حتى أُخرجَ ماءَ فرسي ، فقال له بنو ثعلبة : والله ما استكرهْنا فَرَسك ؛ إنّما كان مُنْفلِتاً ، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عَظُم .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : دونكم ماء فرسكم ؛ فسطا عليها وأدخل يدَه في ماءٍ وتُراب ، ثم أدخلها في رَحِمها حتى ظنَّ أنّه قد أخرج الماء ، واشتملت الرحِمُ على ما كان فيها ، فنتَجها قِرْواش مُهْراً ، فسمّاه داحِساً لذلك ، وخرج كأنّه أبوه ذو العقّال . وفيه يقول جرير[3] : [من الكامل]

إنَّ الجيادَ يَبِتْنَ حَـوْلَ خِبائنا   مِنْ آلِ أعـوجَ أو لذِي العُقّالِ

وأعوجُ : فرس لبني هِلال .

---

1 وديق : الفرس التي تطلب الفحل .

2 أقصت : حملت .

3 ديوان جرير : 375 .

فلمّا تحرّك المُهْر سام[1] مع أُمّه وهو فِلْوٌ يَتْبَعُها ، وبنو ثعلبة سائرون ، فرآه حَوْط فأخذه ، فقالت بنو ثعلبة : يا بني رياح ، ألم تفعلوا فيه أوّل مرّة ما فعلتُم ثم هذا الآن ! فقالوا : هو فَرَسُنا ، ولن نترككم أوْ نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : إذاً لا نقاتلكم عنه ، أنتم أعزُّ علينا هو فداؤكم ، ودَفعوه إليهم .

فلمّا رأى ذلك بنو رياح قالوا : والله لقد ظلمنا إخوتَنا مرّتين ، ولقد حَلُموا وكَرُموا ، فأرسلوا به إليهم مع لَقُوحَيْن .

فمكث عند قِرْواش ما شاءَ الله ، وخرج أجودَ خيولِ العرب .

ثم إنّ قيس بن زهير بن جذيمة العَبسيّ أغار على بني يربوع ، فلم يُصِب أحداً غير ابنتي قِرْواش بن عوف ومائةٍ من الإبل لقِرواش ، وأصاب الحيَّ وهم خُلُوف ، ولم يشهد من رجالهم غَيْرَ غُلامين من بني أَزْنَم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع . فجالا في مَتْنِ الفرس مُرْتَدِفَيْهِ[2] وهو مقيَّد بقَيْدٍ من حديد فأعجلَهُما القوم عن حلّ قَيْدِه ، واتّبعهما القومُ ، فضَبَرَ[3] بالغُلامَين ضَبْراً حتى نَجَوا به . ونادتْهُما إحْدى الجاريتين : إنّ مفتاحَ القَيد مدفون في مِذْوَد الفرس بمكان كذا وكذا ، أي بجَنْبِ مذود ؛ وهو مكان ، أي لا تَنْزِلا عنه إلاّ في ذلك المكان ، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرَّا راجِعَيْن .

فلمّا رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس ، فقال لهما : لكما حُكمُكما ، وادْفَعا إليّ الفرس . فقالا : أَوَ فاعلٌ أنتَ ؟ قال : نعم ، فاستَوْثَقا منه ، على أنْ يردّ ما أصاب من قليلٍ وكثير ، ثم يرجع عوْده على بدئه ، ويُطلِق الفتاتَين ، ويخلّي عن الإبل ، وينصرف عنهم راجعاً . ففعل ذلك قيس ، فدفعا إليه الفرس .

فلمّا رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا : لا نصالحك أبداً ، أصبنا مائةً من الإبل وامرأتين ، فعمدتَ إلى غَنيمتنا فجعلتَها في فرسٍ لك تذهبُ به دوننا ؛ فعَظُم في ذلك الشرُّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائةٍ من الإبل .

فلمّا جاء قِرْواش قال للغُلامين الأزنميَّين : أَيْنَ فرسي ؟ فأخبراه ، فأبى أن يَرْضى إلاّ أن يُدفَع إليه فرسه ، فعظُمَ في ذلك الشرُّ حتى تنافروا فيه ، فقُضي بينهم أنْ تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى

1 سام : رعى .
2 مرتدفيه : راكب أحدهما خلف الآخر .
3 ضبر : وثب بجميع قوائمه .

قيس بن زهير ، ويُردَّ عليه الفرس . فلمّا رأى ذلك قِرْواش رضيَ بعد شرّ ، وانصرف قيس بن زهير ، ومعه داحس ، فمكث ما شاء الله .

وزعم بعضُهم أنَّ الرهان إنّما هاجَهُ بين قيس بن زهير وحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّه بن لَوْذان بن عديّ بن فَزارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار ، أنّ قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قَيْنَةٌ لحُذَيفة بن بدر تغنّيه بقول امرىء القيس[1] : [من الكامل]

دارٌ لهنـدٍ والرَّبـابِ وَفَرْتَنى ولِميسَ قبْـل حَـوادِثِ الأيّامِ

وهنَّ ، فيما يُذْكَر ، نسوة من بني عبس ، فغضب قيس بن زهير ، وشقَّ رداءها ، وشتمها ؛ فغضب حذيفة ، فبلغ ذلك قيساً ، فأتاه يسترضيه ، فوقف عليه ، فجعل يكلّمه وهو لا يعرفه من الغضب ، وعنده أفراسٌ له ، فعابها ، وقال : ما يرتبط مثلك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر ! فقال حذيفة : أتَعِيبها ؟ قال : نعم ، فتجاريا حتى تراهنا .

وقال بعض الرواة : إنّ الذي هاج الرِّهان أنَّ رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جَوشن ، وهم أهل بيت شُؤْم ، أتى حذيفة زائراً ، (ويقال إنّ الذي أتاه الورد العبسيّ أبو عُرْوَة بن الورد) ، قال : فعرض عليه حذيفة خَيْلَه ، فقال : ما أرى فيها جواداً مُبِرّاً ، والمبرّ : الغالب ، قال ذو الرمّة[2] : [من الوافر]

أبـرّ على الخُصوم فليس خَصْمٌ ولا خصْمانِ يَغْلِبُـه جِـدالا

فقال له حذيفة : فعند مَن الجوادُ المُبِرّ ؟ فقال : عند قيس بن زهير فقال له : هل لك أن تراهنني عنه ؟ قال : نعم ، قد فعلت . فراهنَه على ذَكَر من خَيْله وأنثى .

ثم إنّ العبديّ أتى قيس بن زهير ، وقال : إنّي قد راهنْتُ عنك على فرسين من خيلك ذكر وأنثى وأوجبت الرِّهان .

فقال قيس : ما أُبالي مَن راهنْتَ عن حذيفة ، فقال : ما راهنت غيره ، فقال له قيس : إنّك ما علمتُ لأنكَدُ .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة ، فوقف عليه ، فقال له : ما غَدا بِكَ ! قال : غدوْتُ لأُواضِعَك الرهان ، قال : بل غدوتَ لتُغلقه ، قال : ما أردت ذلك . فأبى حذيفة إلاّ الرِّهان ،

1 ديوانه : 162 .

2 ديوان ذي الرمة : 445 .

فقال قيس : أُخيِّرِكَ ثلاث خِلال ، فإن بدأْتَ فاخترت قبلي فلي خلّتان ، ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قَبْلك فلك خلّتان ولي الأُولى .

قال حذيفة : فابدأْ ، قال قيس : الغاية من مائة غَلْوة ، والغلوة : الرميةُ بالنُّشّابة ، قال حذيفة : فالمِضْمار أربعون ليلةً ، والمجرى : من ذات الإصاد .

ففعلا ووضعا السَّبَقَ[1] على يَديْ غَلاّق أو ابن غَلاّق ، أحد بني ثعلبة بن سَعْد بن ثعلبة .

فأمّا بنو عبس فزعموا أنّه أجْرى الخطّار والحَنْفاء . وزعمت بنو فزارة أنّه أجرى قُرْزُلاً والحَنْفاء ، وأجرى قيس داحِساً والغبراء .

ويزعم بعضُهم أن الذي هاج الرهانَ أنَّ رجلاً من بني المعتمِر بن قُطَيْعة بن عَبْس يقال له سُراقة راهَنَ شاباً من بني بَدْر ، وقيسٌ غائبٌ ، على أربع جزائر[2] من خمسين غَلوة ، فلمّا جاء قيس كرِهَ ذلك ، وقال له : لم ينته رهان قطّ إلاّ إلى شَرّ . ثم أتى بني بَدْر ، فسألهم المُواضَعة ، فقالوا : لا ، حتى نعرف سبقَنا ؛ فإن أخذْنا فحقّنا ، وإنْ تركنا فحقّنا .

فغضب قيس ومَحَك[3] ، وقال : أما إذ فعلتم فأعظِموا الخطر ، وأبعدوا الغاية ، قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغايةَ من واردات إلى ذاتِ الإصاد ، وذلك مائة غلوة ، والثَّنِيّة فيما بينهما ، وجعلوا القَصَبة في يَدَيْ رجل من بني ثعلبة بن سعد ، يقال له حُصين ، ويقال : رجل من بني العُشَراء من بني فزارة ، وهو ابْنُ أُختٍ لبني عبس ، وملأوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرعُ فيها .

ثم إن حذيفة بن بَدْر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أُرسِلْنَ منه ينظران إلى الخيل كيف خروجُها منه . فلمّا أُرسلت عارَضاها ، فقال حذيفة : خدعتْك يا قَيس ، قال : تَرَكَ الخداعَ من أَجْرى من مائة[4] ؛ فأرسلها مثلاً .

ثم ركضا ساعةً فجعلَتْ خيلُ حذيفةَ تُبرّ وخَيْل قيس تُقَصِّر ، فقال حذيفة : سبقتُكَ يا قيس ، فقال : جَرْيُ المُذَكّيات غِلاب[5] ، فأرسلها مثلاً . ثم ركضا ساعة ، فقال حُذيفة ، إنّك

---

1 السبق : الرهان الذي يوضع بين أهل السباق .

2 جزائر : جمع جزور .

3 محك : لج .

4 المثل «ترك الخداع من أجرى من مائة» في مجمع الميداني 1 : 122 والفاخر : 220 وجمهرة العسكري 1 : 286 وفصل المقال : 154 ومستقصى الزمخشري 2 : 42 .

5 المثل «جري المذكيات غلاب» في مجمع الميداني 1 : 158 وجمهرة العسكري 1 : 299 وفصل المقال : 127 ومستقصى الزمخشري 2 : 51 .

لا تركض مَرْكضاً[1] ، فأُرسلها مثلاً . وقال : سُبِقَتْ خيلك يا قيس ، فقال قيس : رُوَيداً يَعْلُونَ الجَدَد[2] ، فأُرسلها مثلاً .

قال : وقد جعل بنو فَزارة كميناً بالثنيَّة ، فاستقبلوا داحِساً فعرفوه فأَمسكوه وهو السابق ، ولم يعرفوا الغَبْراء وهي خَلْفه مُصَلِّية ، حتى مضت الخيل واستهلّت من الثنيَّة ، ثم أُرسلوه فتمطّر[3] في آثارها ؛ أي أسرع ، فجعل يَبْدُرُها فرساً فَرَساً حتى سبقها إلى الغاية مصلّياً ، وقد طرح الخيل غيرَ الغَبْراء ، ولو تباعدت الغايةُ لسبقها ؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ، ثم حلؤوها[4] عن البِركة ، ثم لطموا داحساً وقد جاءا مُتَوالِيَيْن . وكان الذي لطمه عُمَيْر بن نضلة ، فجسأَتْ[5] يدُه ؛ فسُمِّي جاسئاً .

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سَبَقِهم ، ولطموا افراسَهم ، ولم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم ، وإنّما كان مَنْ شهد ذلك من بني عبس أُبياتاً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّه لا يأتي قومٌ إلى قومهم شرّاً من الظلم ، فأعطونا حقّنا . فأَبت بنو فزارة أَنْ يُعطوهم شيئاً ، وكان الخَطَر[6] عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أَعطونا بعض سَبَقِنا ، فأبوا ، فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطْعِمُها أهلَ الماء ؛ فإنّا نكره القالة في العرب . فقال رجلٌ من بني فزارة : مائةُ جَزُور وجَزُور واحدٌ سواء ، والله ما كُنّا لنُقرّ لكم بالسبق علينا ، ولم نُسْبَق .

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ، إنَّ قيساً كان كارهاً لأَوّل هذا الرهان ، وقد أَحسن في آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهي إلاّ إلى الشر ؛ فأعطوه جَزوراً من نَعمكم ، فأَبواه فقام إلى جَزور من إبله فعقلها ليُعْطيها قيساً ويُرضيه ، فقام ابنُه فقال : إنّك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومَك وتلحِق بهم خَزايَةً بما ليس عليهم ؟ فأطلق الغلامُ عِقالَها ، فلحقت بالنِّعم . فلمّا رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومَنْ معه من بني عبس ، فأتى على ذلك ما شاءَ الله .

---

1 المثل «إنك لا تركض مركضاً» في مستقصى الزمخشري 1 : 416 والضبي : 193 .

2 المثل «رويداً يعلون الجدد» في مجمع الميداني 1 : 288 وجمهرة العسكري 1 : 472 وفصل المقال : 127 .

3 يتمطر : يسرع .

4 حلؤوها : منعوها .

5 جسأت : تصلبت .

6 الخطر : الرهان .

[قيس بن زهير يقتل عوف بن بدر]

ثم إنّ قيساً أغار عليهم ، فلقي عَوْفَ بن بدر فقتله وأخذ إبله . فبلغ ذلك بني فزارة ، فهمُّوا بالقتال ، وغضبوا ، فحمل الربيع بن زياد أحدُ بني عَوْذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عُشَراء مُتْلية .

(العُشراء : التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من مَلْقَحِها . والمتالي : التي نَتَج بعضها والباقي يتلوها في النتاج) .

وأُمُّ عوف وأُمّ حُذيفة ابنة نضلة بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة . واصطلح الناس ، فمكثوا ما شاء الله .

[حذيفة يدبر مقتل مالك بن زهير]

ثم إنّ مالك بن زهير أتى امرأةً يقال لها : مُلَيْكةُ بنت حارثة من بني عَوْذ[1] بن فزارة ، فابتنى بها باللُّقاطة قريباً من الحاجر . فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسانّ خَيْله ، وقال : لا تُنْظِرُوا مالكاً إنْ وجدتموه أنْ تقتلوه ، والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسيّ مجاورٌ حذيفةَ بن بَدر . وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر ، فانطلق القوم ، فلقوا مالِكاً فقتلوه ، ثم انصرفوا عنه ، فجاءوا عشيةً وقد جَهَدوا أفراسَهم ؛ فوقفوا على حُذَيفة ومعه الربيع بن زياد ، فقال حذيفة : أقدرتم على حمارِكم ! قالوا : نعم ، وعقرناه .

فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قطّ ، أهلكتَ أفراسك من أجل حمارٍ ! فقال حذيفة لمّا أكثر عليه من الملامة ، وهو يحسبُ أنّ الذي أصابوا حماراً : إنّا لم نقتلْ حماراً ، ولكنّا قَتَلْنا مالكَ بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرُ الله القتيل قتلت ، أمّا والله إنّي لأظنُّه سيبلغ ما نكره .

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا ، فقام الربيع يَطَأُ الأرض وطأً شديداً ، وأَخذ يومئذٍ حَمَلُ بن بدر ذا النّون ، سيفَ مالك بن زهير .

[الربيع يرثي مالكاً]

قال أبو عبيدة : فزعموا أنَّ حذيفة لما قام الربيع بن زياد أُرسل إليه بمولّدة له[2] فقال لها : اذهبي إلى معاذة بنت بَدْر امرأة الربيع فانظري ما ترينَ الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى

---

1 ل : غراب .

2 أي أمة مولدة .

دخلت البيت ، فاندسَّت بين الكِفاء والنَّضَد ، والكِفاء : شُقَّه في آخر البيت ، والنَّضَد : مَتاعٌ يُجعَلُ على حمار من خَشَب ، فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ، ثم مسح مَتنَه حتى قبض بعُكْوَة ذَنَبه ، العُكوة : أصل الذنب ، ثم رجع إلى البيت ورُمْحُه مركوزٌ بفنائه ، فهزَّه هزّاً شديداً ، ثم ركزه كما كان ، ثم قال لامرأته : اطرحي لي شيئاً ، فطرحَتْ له شيئاً ، فاضطجع عليه ، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة ، فَدَنَتْ منه ، فقال : إليك ! قد حدث أمرٌ ، ثم تغنّى ، وقال[1] : [من الكامل]

نــام الخَلِــيُّ ومــا أُغَمِّضُ حارِ ... مــن سيِّىء النَّبأ الجليلِ السَّاري

مِنْ مِثْلـه تُمسي النساءُ حواسِراً ... وتقــوم مُعْوِلَــةٌ مــع الأَسحارِ

مَــنْ كان مسروراً بمَقْتَل مالكٍ ... فَلْيــأتِ نِسوتَنــا بوَجْــهِ نهارِ

يَجِــد النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَــه ... يبكــين قبــل تبلُّج الأَسحارِ

قــد كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجوهَ تستُّراً ... فاليــوم حِــين بــدَوْن للنُّظّارِ[2]

يَخْمِشْنَ حُرَّات الوُجوهِ على امرىءٍ ... سَهْــلِ الخليقــة طيِّــب الأخبارِ

أفبَعْــدَ مَقْتَــل مالك بــن زهيرٍ ... تَرْجــو النساء عواقــبَ الأطهارِ

ما إنْ أرى في قتله لِذَوي الحِجا ... إلاّ المطــيّ تُشَدُّ بــالأَكْوارِ

ومجنَّباتٍ مــا يَذُقْــنَ عَذُوفــةً ... يَقْذِفْــــنَ بالمُهَـــرات والأَمْهارِ

العذوف والعدوف واحد ، وهو ما أكلته .

ومساعِراً صدأُ الحديــدِ عليهــم ... فكأنّما طُلِــيَ الوجــوهُ بقارِ[3]

يــا رُبَّ مَسْرُورٍ بمَقْتَلِ مالــك ... ولسوف نصرِفُــه بشرِّ مَحارِ[4]

فرجعت المرأةُ[5] فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أمْرُ إخوتكم ، ووقعت الحرب .

[حذيفة يعمل على قتل الربيع]

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جاره : سَيِّرني ، فإنّي جارُكم ، فسَيَّره ثلاث ليال ، ومع

1 الأبيات في النقائض : 89 .
2 بدون في ل : يبرزن .
3 مساعر : جمع مسعر ، وهو موقد نار الحرب .
4 المحار : المرجع .
5 ل : الأمة .

الربيع فَضْلَةٌ من خمر ، فلمّا سار الربيع دسَّ حُذيفة في أثره فوارس ، فقال : اتبعوه ، فإذا مَضَت ثلاث ليالٍ فإنَّ معه فَضْلَةً من خَمْر ، فإنْ وجدتموه قد أهراقها فهو جادٌ وقد مضى ، فانصرفوا ، وإنْ لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه ؛ فإنّكم تجدونه قد مال لأدْنى منزل ، فرتع وشرب فاقتلوه ، فتبعوه فوجدوه قد شقّ الزِّقّ ومضى ، فانصرفوا .

فلمّا أتى الربيع قومَه ، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شَحْناء ؛ وذلك أنَّ الربيعَ ساوَمَ قيس بن زهير في دِرْع كانت عنده ، فلمّا نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ، ثم ركض بها فلم يردَّها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخُرْشب الأنمارية ، من أنمار بن بغيض ، وهي إحدى مُنْجبات قيس ، وهي أمُّ الربيع ، وهي تَسِيرُ في ظعائنَ من عبس ، فاقتاد جَمَلها ، يريد أن يَرْتَهِنها بالدِّرع حتى يُردَّ عليه ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم فعْلَ رجل ! أي قيس ، ضلَّ حِلْمُك ! أترجو أنْ تصطلحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أمَّهم ! فذهبتَ بها يميناً وشمالاً ! فقال الناس في ذلك ما شاءوا ! وحَسبُك من شرٍّ سماعه ، فأرسلتها مثلاً . فعرف قيس بن زهير ما قالت له ، فخلّى سبيلها ، وأطرد إبلاً لبني زياد ، فقدم بها مكّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة القرشيّ ، وقال في ذلك قيس بن زهير[1] : [من الوافر]

أَلم يبلغك والأنباء تَنْمِي ... بما لاقَتْ لَبُونُ بني زِيادِ
ومَحْبِسُها على القرشيّ تُشْرى ... بأدراعٍ وأسيافٍ حِدادِ
كما لاقيتَ مِنْ حَمَلِ بن بَدْرٍ ... وإخوته على ذات الإصادِ
همُ فَخَرُوا عليّ بغير فخرٍ ... وذادُوا دُونَ غايته جَوادي
وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصْمِ سوء ... دلفْتُ له بداهيةٍ نآدِ[2]
بداهيةٍ تدقّ الصُّلْبَ منه ... فتقصِمُ أو تجوبُ عن الفؤادِ
وكنتُ إذا أتاني الدّهرَ رِبْقٌ ... بداهيةٍ شددتُ لها نِجادِي

الربق : ما يتقلّده .

أَلم تعلم بنو المِيقاب أنّي ... كريمٌ غير مُنْغَلِثِ الزِّنادِ

الوَقْبُ : الأحمق ، والميقاب : التي تلد الحمقى ، والمنغلث : الذي ليس بمنتقى .

1 النقائض : 90–91 .
2 نآد : شديدة .

أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوِي إلى جارٍ كجارِ أبي دُوادِ

جارُه : يعني ربيعة الخير بن قُرْط بن سلمة بن قشير ، وجار أبي دُواد يقال له : الحارث بن همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وكان أبو دُواد في جواره ، فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غَدير ، فغمس الصِّبْيان ٱبْنَ أبي دُواد فيه فقتلوه ، فخرج الحارث فقال : لا يبقى صبِيّ في الحيّ إلاّ غُرِّق في الغَدير أو يرضى أبو دُواد ، فُودِيَ ٱبْنُ أبي دُواد عشر ديات فرضي ، وهو قول أبي دُواد : [من الخفيف]

إبلي الإبْلُ لا يحوزها الرا عُون مَجَّ النّدى عليها المُدامُ

قال أبو سعيد : حفظي : لا يحوزها الراعي ومَجَّ الندى . [من الوافر]

إليك ربيعةَ الخير بن قُرْط وَهُوباً للطَّرِيف وللتِّلادِ
كفاني ما أخافُ أبو هلال ربيعةُ فانتَهَتْ عَنِّي الأعادي
تَظَلُّ جيادُه يحدين حَوْلي[1] بذات الرِّمْث كالحِدإِ الغَوادي
كأنّي إذ أنختُ إلى ٱبنِ قرط عقلْتُ إلى يَلَمْلَمَ أو نَضادِ[2]

وقال أيضاً قيس بن زهير[3] : [من المتقارب]

إن تك حَرْبٌ فلم أجْنِها جَنَتْها خيارُهمُ أوْ هُمُ[4]
حِذارَ الرَّدى إذ رأوا خَيْلَنا مُقَدَّمُها سابحٌ أدْهَمُ
عليه كَمِيٌّ وسِرْبالُه مُضاعفةٌ نسجُها مُحْكَمُ
فإنْ شَمَّرَتْ لكَ عن ساقِها فَوَيْهاً ربيعُ ولم يسأمُوا
نَهيتُ رَبيعاً فلم يَزْدَجِرْ كما انزجر الحارثُ الأَضْجَمُ

قال أبو عبد الله : الحارث الأضجم : رجل من بني ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، وهو صاحب المِرْباع .

قال : فكانت تلك الشَّحْناء بين بَني زياد وبين بني زُهير ، فكان قيس يخاف خذْلانهم إيّاه ، فزعموا أنَّ قيساً دَسَّ غلاماً له مولَّداً ، فقال : انطلق كأنّك تطلب إبلاً ؛ فإنّهم

1 يحدين في ل : يجرين .
2 يلملم ونضاد : جبلان .
3 النقائض : 92 .
4 خيارهم في ل : صبارتهم .

سيسألونَك ، فاذكر مَقْتَل مالك ، ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبد ، فسمع الربيع يتغنّى بقوله : [من الكامل]

أفبَعْـدَ مَقْتَلِ مالكِ بْـنِ زُهير ترجُو النساءُ عواقبَ الأطهارِ

فلمّا رجع العبدُ إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد ، عرف قيس أنْ قد غضب . فاجتمعت بنو عَبْس على قِتال بني فزارة ، فأرسلوا إليهم أن رُدّوا علينا إبلنا التي وَدَيْنا بها عَوفاً أخا حُذَيفة بن بَـدْر لأمّه ، فقال : لا أعطيكم دِيَةَ ابنِ أُمّي ، وإنّما قتل صاحبَكم حَملُ بن بَـدْر ، وهو ابنُ الأسديّة ، وأنتم وهو أعلم .

فزعم بعض الناس أنّهم كانوا وَدَوْا عوف بن بدر بمائة من الإبل مُتْلِية ؛ أي قد دنا نتاجها ، وأنّه أتى على تلك الإبل أربعُ سنين ، وأنّ حذيفة بن بدر أراد أن يَرُدَّها بأعيانها ، فقال له سنان بن خارجة المُرّيّ : أتريد أنْ تلحقَ بنا خَزاية فنعطيهم أكثَرَ ممّا أعطونا ، فتسبّنا العرب بذلك ؟ فأمسكها حذيفة ، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلاّ إبلهم بعينها . فمكث القوم ما شاءَ الله أنْ يمكثوا .

[مقتل مالك بن بدر]

ثم إنّ مالك بن بَدر خرج يطلب إبلاً له ، فمرّ على بني رَواحة ، فرماه جُندب[1] ، أحد بني رواحة ، بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك[2] : [من الطويل]

للهِ عَيْنا مَنْ رأى مِثْلَ مالك عَقِيرةَ قَـوْمٍ أنْ جَرى فَرَسانِ
فليتهما لم يَشْرَبا قـطُّ قطرةً وليتهمـا لم يُرْسلا لِـــرهانِ
أُحِلَّ به مِنْ جندب أمس نَذْره فـأيُّ قتيـلٍ كان في غطفانِ
إذا سجعَتْ بالرَّقْمتَيْن حَمامةٌ أو الرَّسِّ تَبْكِي فارسَ الكَتِفانِ

فَرس له كانت تسمَّى الكَتِفان .

[محاولة صلح بين عبس وذبيان]

ثم إنَّ الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هِدْم بن أُدّ بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس مشى في الصُّلح ، ورهَنَ بني ذبيان ثلاثةً من بَنِيه وأربعةً من بني أخيه حتى يصطلحوا ، جعلهم على يدي سُبَيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان . فمات سُبَيع وهم عنده .

1 النقائض : جنيدب .
2 النقائض : 93 .

فلمّا حضرته الوفاة قال لابنِه مالك بن سُبيع : إنَّ عندك مكرمة لا تَبيد إن أنْتَ احتفظتَ بهؤلاء الأُغَيْلِمَة ؛ وكأنّي بك لو قَدْ مُتُّ قد أتاكَ حُذيفة خالك ، وكانت أُمُّ مالك هذا ابنة بدر ، فعصر عينيه ، وقال : هلكَ سيِّدُنا ، ثم خدعَكَ عنهم حتى تدفَعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرفَ بعدها ، فإن خِفْتَ ذلك فاذهبْ بهم إلى قومهم .

فلمّا ثقل جعل حذيفة يَبْكِي ويقول : هلك سيِّدُنا ، فوقع ذلك له في قلبِ مالك .

فلمّا هلك سُبَيع أَطاف بابنه مالك فأعظمه ، ثم قال له : يا مالِك ، إنِّي خالُك ، وإنِّي أَسَنُّ منك ، فادفَع إليّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أنْ ننظر في أمْرِنا . ولم يزل به حتى دفعهم إليّ حُذَيفة باليَعْمُريّة ، واليعمُريّة : ماءٌ بوادٍ من بطنِ نَخْل من الشَّرَبَّة لبني ثعلبة .

فلمّا دفع مالكٌ إلى حُذيفة الرُّهُن جعل كلّ يوم يُبْرِز غلاماً فينصبه غَرَضاً ويَرْمِي بالنَّبل ، ثم يقول : نادِ أباك ، فينادي أباه حتى يُمزِّقَه النبلُ ، ويقول لواقد بن جنيدب : نادِ أباك فجعل ينادي : يا عمّاه ، خلافاً عليهم ، ويكره أنْ يأبِس أباه بذلك ، والأبس : القَهْر والحَمْل على المكروه ، وقال لابن جُنَيْدب بن عمرو بن عبد الأسلع : ناد جنيبة ، وكان جُنَيبة لقب أبيه ، فجعل ينادي : يا عمْراه ، باسم أبيه حتى قُتل . وقُتل عتبة بن قيس بن زهير .

ثـم إنَّ بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرّة ، فالتقوا هم وبنو عَبْس ، فقتلوا منهم مالـكَ بن سبيع بن عَمرو الثعلبـيّ ، قتله مَروان[1] بن زِنْباع العَبْسيّ ، وعبد العزّى بن حُذار الثعلبيّ ، والحارثَ بن بَدْر الفزاريّ ، وهَرم بن ضمضم المُرّيّ ، قتله وَرْد بن حابس العبسيّ ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر ، فقالت ناجية[2] أخت هَرِم بن ضمضم المرّيّ[3] : [من الكامل]

يا لَهْفَ نفسي لهفــةَ المفجوع ... أَلاّ أَرى هَرِمــاً على مَوْدُوعِ
مِــنْ أَجل سيّدنا ومَصْرَع جَنْبه ... عَلِـقَ الفـؤاد بحنظلٍ مجدوعِ

مَوْدُوع : فرسه .

ثم إنّ حذيفة بن بَدْر جمع وتأهَّب ، واجتمع معه بنو ذُبيان بن بَغِيض فبلغ بني عَبْس أنّهم

1 النقائض : الحكم بن مروان .
2 ل : نائحة .
3 النقائض : 203 .

قد ساروا إليهم ، فقال قيس : أطيعوني ، فوالله لئن لم تفعلوا لأتَّكِئنَّ على سَيْفي حتى يخرج من ظَهْري ، قالوا : فإنّا نطيعك . فأمرهم فسرَّحوا السَّوام والضّعاف بِلَيلٍ وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصُّبْح ، وأصبحوا على ظهر العقبة ، وقد مضى سوامُهم وضُعفاؤهم . فلمّا أصبحوا طلعت عليهم الخيلُ من الثنايا ، فقال قيس : خذوا غير طريقِ المالِ ؛ فإنّه لا حاجةَ للقوم أنْ يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب أموالكم . فأخذوا غير طريق المال .

فلمّا أدرك حذيفة الأثر ورآه قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذَهابِ أموالهم ! فاتّبع المال .

وسارت ظعُن بني عَبس والمقاتِلَةُ من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلمّا أدركوه ردُّوه أوَّله على آخره ، ولم يُفْلت منهم شيء ، وجعل الرجلُ يطردُ ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها . وتفرّقوا ، واشتدّ الحرّ ، فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّ القوم قد فرَّق بينهم المَغْنَم ، فاعطفوا الخيلَ في آثارهم ، فلم تشعر بنو ذبيان إلاّ والخيل دوائس[1] ، فلم يقاتلهم كبيرُ أحد ، وجعل بنو ذبيان إنّما هِمَّةُ الرجل في غنيمته أن يحوزها ، ويمضي بها .

فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذُبيان البقيَّة ، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة ، فارسلوا خَيْلهم مجتهدين في أثره ، وأرسلوا خيلاً تقصّ الناسَ ويسألونهم ، حتى سقط خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد بن معاوية العبسيّ ، وعمرو بن ذُهل بن مرّة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة العبسيّ ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير ، وقِرواش بن هُنَيّ بن أُسَيِّد بن جذيمة ، وجُنَيدب .

وكان حذيفة قد استرخى حِزامُ فرسه ، فنزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافةَ أن يُقْتَصَّ أثره ، ثم شدّ الحزام فوقع صَدْرُ قدمِه على الأرض فعرفوه ، وعرفوا حنفَ فرسه ، والحَنَف : أن تُقبل إحدى اليدين على الأُخرى ، وفي الناس أن تُقْبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وأن يطأ الرجل وحشّيهما[2] ، وجَمع الأحنف حُنْف ، فاتبعوه ، ومضى حتى استغاث بجَفْر الهباءة وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ، ومعه حَمَل بن بَدْر ، وحَنَش بن عمرو ، وورقاء بن بلال

1 دوائس : يتبع بعضها بعضاً .

2 الوحشي : الجانب الأيمن ، والأيسر : الإنسي .

وأخوه ، وهما من بني عديّ بن فزارة ، وقد نزعوا سرُوجَهم ، وطرحوا سلاحَهم ، ووقعوا في الماء ، وتمعّكَت[1] دوابُّهم ، وقد بعثوا رَبيئةً فجعل يطّلع فينظر ، فإذا لم يَرَ شيئاً رجع ، فنظر نظرةً فقال : إنّي قد رأيتُ شخصاً كالنّعامة أو كالطائر فوق القَتادَةِ من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هَنًّا وهَنًّا ، هذا شدّاد على جِرْوة ، وجِروة : فَرسُ شدّاد ، والمعنى دَعْ ذِكر شداد عن يمينك وعن شمالك ، واذكر غيره لمّا كان يخافُ من شدّاد .

فبينا هم يتكلّمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم ، فحال بينهم وبين الخيل ، ثم جاء عمرو بن الأسلع ، ثم جاء قِرواش حتى تتامّوا خمسة . فحمل جُنَيدب على خيلهم فاطّردها ، وحملَ عمرو بن الأسلع ، فاقتحم هو وشدّاد عليهم في الجَفْر ، فقال حذيفة : يا بني عبس ؛ فأين العُقول والأحلام ! فضربه أخوه حَمَل بن بدر بين كتفَيْه ، وقال : اتَّقِ مأثور القولِ بعد اليوم[2] فأرسلها مثلاً .

وقَتَل قِرواش بن هُنَيّ حذيفة ، وقتل الحارث بن زهير حملَ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير ، وكان حملٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله ، فقال الحارث بن زهير في ذلك[3] : [من الوافر]

تركتُ على الهَباءةِ غَيْرَ فخر   حُذيفةَ حولَه قِصَدُ العَوالي[4]
سيخبرُ قومه حَنَشُ بن عَمْرٍو   إذا لاقاهُمُ وابْنا بِلالِ
ويُخبرهم مكانَ النُّون منّي   وما أُعطيتُه عَرقَ الخِلالِ

العرق : المكافأة ، والخلال : المودّة ، يقول : لم يعطوني السَّيْفَ عن مكافأة ومودّة ، ولكنّي قتلت وأخذت .

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سَعْد بن ذُبيان[5] : [من الوافر]

سيُخْبرك الحديثَ به خبيرٌ   يُجاهِرك العداوةَ غَيْرَ آلي
بُداءتها لِقِرْواشٍ وعَمْرٍو   وأنْتَ تَجُولُ جَوْبَكَ في الشمالِ

الجوب : التّرس ، يقول : بداءة الأمر لقِرْواش وعَمْرو بن الأسلع ، وهما اقتحما الجَفْر وقتلا

1 تمعكت الدواب : تمرغت في التراب .
2 المثل «اتق مأثور القول بعد اليوم» في أمثال الضبي : 96 .
3 النقائض : 96 .
4 قصد العوالي : كسر الرماح .
5 النقائض : 96 .

مَن قَتلا ، وأنت تُرْسك في يَدِك يجولُ لم تغن شيئاً . ويقال : لك البداءة ولفلانٍ العَوْدة .

وقال قيس بن زهير[1] : [من الوافر]

تعلّــم أنَّ خير النــاس مَيْتٌ على جَفْـر الهَبـاءةِ مـا يَـريمُ
ولولا ظُلْمـه مـا زلتُ أَبْكي عليـه الدهرَ مـا طلع النجومُ
ولكنَّ الفتـى حَمَلَ بن بدر بَغـى ، والبَغْيُ مَرْتَعُه وَخِيمُ[2]
أُظنُّ الحلـم دلَّ عليّ قومـي وقد يُستجهَلُ الرجـلُ الحليمُ
فـلا تَغْشَ المظالم لن تـراه يُمتَّعُ بالغنـى الرجـلُ الظَّلُومُ
ولا تَعْجَـلْ بأمرك واستَدِمْه فما صلَّى عصاك كمستديمِ[3]
أُلاقِي مِـنْ رجالٍ مُنْكَراتٍ فأُنكرها ومـا أنـا بالغَشُومِ
ولا يُعْيِيك عُرْقُـوبٌ بـلأْيٍ إذا لم يعطك النِّصْفَ الخصيمُ
ومارَسْتُ الرجالَ ومارسُوني فمعـوجٌّ عـليَّ ومُسْتَقيـمُ

قوله : فما صلَّى عصاك كمستديم ، يقول : عليك بالتأنّي والرفق ، وإيّاك والعجلة ؛ فإنّ العَجُول لا يُبْرِم أمراً أبداً ، كما أنَّ الذي يثقّف العُودَ إذا لم يُجِد تصليته على النار لم يستقم له .

وقال في ذلك شدّاد بن معاوية العبسيّ[4] : [من الوافر]

مَـنْ يَـكُ سائلاً عنّـي فإنّي وجِـروةَ لا نَـرودُ ولا نُعـارُ
مُقَـرَّبَـةَ النّساء ولا تراهـا أمـام الحـيّ يتبعُهـا المِهارُ
لهـا في الصيف آصِرَةٌ وَجُلٌّ وسِتٌّ مـن كرائمهـا غِزارُ

آصرة : حشيش ، وسِت : أي ستّ أينق تُسْقى لبنها . [من الوافر]

ألا أبلـغ بنـي العُشَراء عنّي علانيـةً ومـا يُغْنـي السِّرارُ
قتلتُ سراتكمْ وحَسَلْتُ منكم حَسِيلاً مثلَ ما حُسِلَ الوِبارُ[5]

1 النقائض : 96 .
2 المثل «الظلم مرتعه وخيم» في مجمع الميداني 1 : 444 . وجمهرة العسكري 2 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 330 .
3 في هذا البيت والذي بعده إقواء . والمثل «ما صلى عصاك كمستديم» في مجمع الميداني 2 : 287 .
4 النقائض : 97 وتنسب هذه الأبيات إلى عنترة .
5 الحسيل : الأرذال والسفلة . الوبار : دويبة على قدر السنور من حيوانات الصحراء .

حُسالةُ الناس وحُفالتهم ورعاعهم وخَمَّانهم وشَرَطُهم وحُثالتهم وخشارتهم وغُثاؤهم واحد ؛ وهم السِّفلة . يقول : قتلت سَراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة ، كما خُلقت الوبار حُسالةً .

وكان ذلك اليوم يوم ذي حُساً ، ويزعم بعضُ بني فزارة أنَّ حذيفة كان أصاب يومئذٍ فيمن أصاب من بني عَبْس تُماضر ابنة الشريد السُّلَمِيَّة أُمّ قيس فقتلها ، وكانت في المال ، وقال[1] : [من الوافر]

ولم أقتلكُمُ سِرّاً ولكن ... علانيةً وقد سطع الغُبارُ

صوت[2]

[من البسيط]

جاء البريدُ بقِرطاسٍ يخبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسِه فَزَعا

قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ ... قال : الخليفة أمسى مُثْبَتاً وجَعا[3]

عروضه من الكامل[4] . الشعر ليزيد بن معاوية ، والغناء لابن محرز ، هزج بالوسطى عن عمرو .

وهذا الشعرُ يقوله يزيد في علّةِ أبيه التي مات فيها ، وكان يزيد يومئذٍ غازياً غزاة الصائفة .

1 قائل البيت في النقائض (97) هو شداد بن معاوية العبسي .

2 شعر يزيد : 25 .

3 مثبتاً : لا حراك به من المرض .

4 بل من البسيط .

355 ـ [خبر ليزيد بن معاوية][1]

[يزيد يقود الصائفة]

أخبرني عليّ بن سلمان الأخفش ، قال : حدَّثني السكريّ والمبرّد ، عن دماذ أبي غسان ، واسمه رَفيع بن سلمة ، عن أبي عبيدة : أنّ معاويةَ وجَّه جيشاً إلى بلد الروم ليَغزو الصائفة ، فأصابهم جُدَريٌّ فمات أكثرُ المسلمين[2] ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بِدَير مُرّان مع زوجته أمّ كلثوم ، فبلغه خبرهم ، فقال[3] : [من البسيط]

إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبِحاً ... بدَيْـر مُـرّانَ عنـدي أُمُّ كُلْثومِ

فمـا أُبالي بمـا لاقَتْ جنودُهمُ ... بالغَذْقَذُونَة مِـنْ حُمَّى ومن مُومِ

فبلغ شعرُه أباه ، فقال : أَجل ، والله ليلحقنّ بهم فليصيبنَّه ما أَصابهم .

[يضرب باب القسطنطينية]

فخرج حتى لحق بهم ، وغَزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر إلى قبَّتين مبنيَّتين عليهما ثيابُ الديباج ، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفعَ من إحداهما أصواتُ الدّفوف والطبول والمزامير ، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأُخرى . فسأل يزيد عنهما فقيل له : هذه بنتُ ملكِ الروم ، وتلك بنت جبَلة بن الأيهم ، وكلٌّ واحدة منهما تُظهرُ السرور بما تفعله عشيرتها . فقال : أَما والله لأَسُرَّنَّها ، ثمّ صفَّ العسكر ، وحمل حتى هزِم الرُّوم ، فأحجرهم في المدينة ، وضرب بابَ القسطنطينية بعَمود حديد كان في يده ، فهشّمه حتى انخرق ، فضُرِب عليه لوحٌ من ذهب ، فهو عليه إلى اليوم .

نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيديّ : حدَّثني العبّاس بن ميمون طايع ، قال : حدَّثني ابن عائشة ، عن أبيه ، وحدَّثني القَحْذَميّ : أنَّ ميسون بنت بَحْدَل الكلبيّة كانت تزيِّن يزيدَ بن معاوية ، وتُرَجِّل جُمَّتَه ، قال : فإذا نظر إليه معاوية قال : [من الطويل]

---

1 ترجمة يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني في جميع كتب التاريخ التي تتحدث عن هذه الفترة : الطبري ، ابن الأثير ، البدء والتاريخ ، اليعقوبي ، المسعودي وكثير غيرها . وفي زمنه وقعت معركة الحرة وقتل الحسين بن علي مما أكثر الوضع عليه . وله مجموع شعر صنعه صلاح الدين المنجد غير أنه من الصعب تمييز ما قاله ممّا نسب إليه .

2 ل : الناس .

3 شعر يزيد : 30 . والبيتان في معجم البلدان : غذقذونة ، ودير مران .

فإنْ مـاتَ لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه ... فَنُوطي عليه يا مزين التَّمائما[1]

[يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر]

فلمّا احتُضر معاوية حضره يزيد بن معاوية ، وعَنْبَسة بن أبي سفيان ، فبكى يزيد إلى عنبسة ، وقال : [من المنسرح]

لو فات شيء يُرى لفات أبو ... حيّـان لا عاجـزٌ ولا وَكَلُ
الحُـوَّلُ القلَّب الأريـب ولن ... يَدْفـعَ زَوْءَ المنيـةِ الحِيَـلُ[2]

فسمعهما معاوية بعد أن ردّدهما مِراراً ، فقال : يا بنيّ ، إنَّ أخوفَ ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك ؛ إنّي كنتُ أُوَضّىء رسولَ الله ﷺ ، فكساني قميصاً ، وأخذتُ من شَعره ، فإذا أنا متُّ فكفّنّي في قميصه ، واجعل الشَّعْرَ في منخري وأُذني وفمي ، وخَلِّ بيني وبين ربِّي ، لعلّ ذلك ينفعُني شيئاً .

قال العبّاس بن ميمون : فقلت للقَحْذَميّ : هذا غَلَط ، والدليلُ على ذلك أنَّ أبا عدنان حدَّثني ، وها هو حيّ فاسأله ، عن الهيثَم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، عن الشعبيّ : أنَّ معاوية مات ويزيد بالصائفة ، فأتاه البريدُ بنَعْيه ، فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

جـاء البريـدُ بقرطاسٍ يخبُّ بـه ... فأوجس القلبُ مـن قرطاسه فَزَعا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ ... قـال : الخليفـةُ أمسى مُثْبَتاً وَجَعا
مادَتْ بنا الأرضُ أو كادت تَميدُ بنا ... كأنَّ مـا عـزَّ مـن أركانها انقلعا
مَـنْ لم تَزَلْ نَفْسُه تُوفِي على وَجلٍ ... تُوشكْ مقاديرُ تلك النفس أنْ تقعا[4]
لمّـا وَردتُ وبـابُ القَصْرِ منطبِقٌ ... لصوت رَمْلة هُـدَّ القلب فانصدعا[5]

[الضحاك بن قيس يتولّى غسل معاوية ودفنه]

وكان الذي تولّى غَسْله ودَفْنَه الضحاك بن قيس ، فخطب الناس ، فقال : إنَّ ابنَ هند قد تُوفِّيَ ، وهذه أكفانُه على المِنبر ، ونحن مُدْرِجُوه فيها ، ومخلُّون بينه وبين ربّه ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة . ولو كان يزيد حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أنْ يفعلَ من هذا شيئاً .

---

1 نوطي : علقي .
2 زوء في ل : صرف .
3 شعر يزيد : 25 .
4 وجل في ل : شرف .
5 منطبق في ل : مصطفق .

قال العبّاس : فسكت القحذميّ ، وما ردّ[1] عليّ شيئاً .

[رثاء معاوية]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدَّثني عمّي ، عن جدّي ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، قال : صَلَّى بنا عبدُ الله بن الزُّبير يوماً ، ثم انفتل من الصلاة ، فنَشَج ، وكان قد نُعي له معاوية ، ثم قال : رحم الله معاوية إنْ كنّا لنخدعه فيتخادع لنا ، وما ابن أنثى بأكرم منه ، وإن كنّا لنعرفه يتفارق لنا ، وما الليثُ المِحْرَبُ بأجرأ منه ؛ كان والله كما قال بطحاء العُذْرِيّ : [من المتقارب]

رَكُوبُ المنابــر وثّابهــا مِعَــنٌ بخُطبتــه يَجْهَرُ[2]
تَريع إليه عيونُ الكلام إذا حَصِر الهـذِر المِهْمَرُ[3]

كان والله كما قالت رقيقة ، أو قال : بنت رقيقة : [من الهزج]

ألا ابكيـــه ألا ابكيــه ألا كلّ الفَتـــى فيـــه

والله لوُدِّي أنّه بقي بقاء أبي قُبيس ، لا يتخوّن له عقل ، ولا تنقض له قوّة .

قال : فعرفنا أنَّ الرجلَ قد استوحش .

[ابن عباس يرثي معاوية أيضاً]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، قال : حدَّثنا ابن أبي سعد ، قال : قال محمد بن إسحاق المُسيّبيّ : حدَّثني جماعة من أصحابنا : أنّ ابنَ عبّاس أتاه نَعْيُ معاوية وولاية يزيد ، وهو يعشّي أصحابَه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه لقمةً ، فألقاها وأطرق هُنيهة ثم قال : [من الكامل]

جَبلٌ تَدَكْدَكَ ، ثم مال بِجُمْعِهِ في البحر واشتملت عليه الأبحُرُ

لله درُّ ابنِ هند ! ما كان أجملَ وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حِلْمه .

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه ، وقال : أتقول هذا فيه ؟ فقال : ويحك ! إنّك لا تدري مَن مضى عنك ، ومَن بقي عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

---

1 ل : أنكر .

2 يهجرُ في ل : مجهر . والمعن : الذي يتكلّم فيما يعرض له .

3 حصر الهذِر في ل : هزل الخطل . والمهمر : الكثير الكلام ، الهذار .

صوت

[من المتقارب]

إذا زينـــبٌ زارهـــا أهلُها　　　حَشَدتُ وأكرَمْتُ زوّارَها
وإن هـــي زارتهـــمُ زُرتُهم　　　وإن لم أجد لي هَوًى دارها
فسَلْمِي لمن سالَمتْ زينب　　　وحَرْبي لَمـــن أشعلت نارَها
وما زلتُ أرعى لها عَهْدَها　　　ولم أتبَّـع ساعـة عـارَها[1]

عروضه من المتقارب . الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حُدَير التميميّة ، والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عنه على مذهب إسحاق . وذكر إسحاق في كتاب الأغاني المنسوب إليه أنّه لابن محرز .

1 أتبّع في ل : ابتغ .

[356] ـ ذكر شريح ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

هو فيما أخبرني به الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا الحارث[2] بن أبي أسامة ، قال : حدَّثنا أبو سعيد ، عن هشام بن السائب . وأخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني عليّ بن عبد الله بن معاوية بن مَيسرة بن شُريح ، كلاهما اتّفق في الرواية لنسبه : أنّه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاويـة بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكنديّ . قال هشام في خبره خاصة : وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم ، وسائرهم من هَجر وحضرموت .

وقد اختلف الرواةُ بعد هذا في نسبه ؛ فقال بعضهم : شريح بن هانىء ، وهذا غلط ، ذاك شريح بن هانىء الحارثيّ ، واعتلّ مَن قال هذا بخبرٍ رُوِي عن مجالد ، عن الشَّعبيّ ، أنّـه قرأ كتاباً من عُمَر إلى شريح : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانىء . وقد يجوز أن يكونَ كتب عُمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانىء الحارثيّ ، وقرأه الشعبيّ ، وكلا هذين الرجلين معروف ، والفَرْقُ بينهما النسب والقضاء ؛ فإن شُريح بن هانىء لم يَقض ، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام . وقيل : شريح بن عبد الله ، وشريح بن شراحيل ، والصحيح ابن الحارث . والله أعلَمُ به .

وقد أخبرنا وكيـع ، قـال : حدَّثنا أحمد بن عمر بن بكير ، قال : حدَّثني أبي عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي ليلى : أنّ خاتم شريح كان نَقْشه شريح بن الحارث . وقيـل : إنّه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سَيْف بن ذي يَزَن ، وعِداده في كندة ، وقد روي عنه شبيه بذلك .

أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمـد الحنفـيّ ، قال : حدَّثنا عبدان ، قال : حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدَّثنا سفيان الثوريّ ، عن ابن أبي السَّفَر ، عن الشعبيّ ، قال : جاء أعرابيّ إلى شريح ، فقال : ممَّنْ أنتَ ؟ قال : أنا من الذين أنعم الله عليهم ، وعدادي في كندة .

---

1 ترجمة القاضي شريح في وفيات الأعيان 2 : 460–463 وفي طبقات ابن سعد 6 : 131 وحلية الأولياء 4 : 172 والمعارف : 433 وتذكرة الحفاظ : 59 والعقد 1 : 81–91 .

2 ل : الحسن .

قال وكيع : وقال أبو حسان ، عن أيّوب بن جابر ، عن أبي حصين ، قال : كان شريح إذا قيل له ممّن أنت ؟ قال : مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام ، عَدِيد كندة .

قال وكيع : وقيل إنّما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق ؛ لأنَّ أُمَّه تزوّجت بعد أبيه فاستحيا من ذلك .

وقد اختلف أيضاً في سنّهم ؛ فقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وعشر ، وقيل : أقلّ من ذلك وأكثر .

فممّن ذكر أنّه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوّار ، روى ذلك يحيى بن معين ، عن المحاربيّ ، عن أشعث ، وأبو سعيد الجعفيّ ، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهريّ . وممّن قال أقلّ من ذلك أبو نعيم .

أخبرنا الحسن بن عليّ ، عن الحارث ، عن ابن سعد ، عن أبي نعيم ، قال : بلغ شريح مائة وثماني سنين .

[سنة وفاته]

قال الحارث : وأخبرني ابن سَعْد ، عن الواقديّ ، عن أبي سبرة ، عن عيسى ، عن الشعبيّ ، قال : توفّي شريح في سنة ثمانين ، أو تسع وسبعين .

قال أبو سعيد : وقال إبراهيم : في سنة ستّ وسبعين . وقال أبو إبراهيم الزّهريّ ، عن أبي سعيد الجعفيّ : إنَّ شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان .

أخبرني وكيع ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن سهل ، عن الأصمعيّ ، قال : وُلد لشريح وهو ابنُ مائة سنة .

وروى إسماعيل بن أبان الورّاق ، عن عليّ بن صالح ، قال : قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ ابنَ ستٍّ ومائة ، قضيْتُ[1] منها ستّين سنة .

[عمر يستقضيه]

وأخبرني وكيع بخَبَر عمر حين استقضاه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أيّوب ، قال : حدَّثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدَّثنا شعبة ، قال : سمعتُ سيّاراً قال : سمعتُ الشعبيّ يقول : إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرساً على سَوْم ، فحمل عليه رجلاً ، فعطب الفَرس ، فقال عمر : اجعَلْ بيني وبينك رجلاً ، فقال له الرجل : اجعل

1 قضيت : عملت بالقضاء .

بيني وبينك شريحاً العراقيّ . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذتَه صحيحاً سليماً على سَوْم ، فعليكَ أن تردَّه كما أخذتَه . قال : فأعجبه ما قال ، وبعث به قاضياً ، ثم قال : «ما وجدتَه في كتاب الله فلا تسألْ عنه أحداً ، وما لم تستَبِنْ في كتاب الله فالزم السنَّة ، فإن لم يكن في السنّة ، فاجتهد رأيك» .

أخبرني وكيع ، قال : أخبرني عبد الله بن الحسن ، عن النُّميريّ ، عن حاتم بن قبيصة المهلّبيّ ، عن شيخ من كنانة ، قال : قال عمر لشريح ، حين استقضاه : «لا تُشارَّ ولا تُضارَّ ، ولا تشترِ ولا تبع» . فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

إنّ القُضاة إن أرادوا عَدْلاً وفَصلوا بين الخصوم فَصْلا
وزَحْزَحوا بالحكم منهم جهلاً كانوا كمثل الغيث صابَ مَحْلا

وله أخبار في قضايا كثيرة يطولُ ذكرها ، وفيها ما لا يستغنى عن ذِكْره ، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه في الدّرع .

[يقضي بين علي وبين يهوديّ]

حدَّثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهِر بن نوح بالأهواز ، قال : حدَّثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجليّ ، قال : حدَّثني حكيمُ بن حزام ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، قال : عَرَف عليٌّ صلوات الله عليه درْعاً مع يهوديّ ، فقال : يا يهوديّ ، دِرْعي سقطَتْ منّي يوم كذا وكذا ، فقال اليهوديّ : ما أدري ما تقولُ ! دِرْعي وفي يَدِي ، بيني وبينك قاضي المسلمين .

فانطلقا إلى شريح ، فلمّا رآه شريح قام له عن مَجْلِسه ، فقال له عليّ : اجلس . فجلس شريح ، ثم قال : إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلستُ معه بين يديك ، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا تساوُوهم في المجلس ، ولا تعودُوا مَرْضاهم ، ولا تشيّعوا جنائزهم ، واضطرُّوهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : دِرْعي ، عَرَفْتُها مع هذا اليهوديّ .

فقال شريح لليهوديّ : ما تقولُ ؟ قال : دِرْعي وفي يدي .

قال شريح : صدقْتَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، إنّها لِدِرْعُك كما قلتَ ، ولكن لا بدَّ من شاهد ؛ فدعا قَنْبَراً فشهِدَ له ، ودَعا الحسن بن عليّ ، فشهد له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأمّا شهادة ابنك لك فلا . فقال عليّ : سمعْتُ عمرَ بن الخطّاب يقول : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول إنّ الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهل الجنّة . قال :

اللهمّ نعم ، قال : أَفَلا تُجيز شهادةَ أَحَدِ سيِّدَي شباب أَهل الجنّة ! واللهِ لتخرجنّ إلى بانِقيا فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً . ثم سلَّم الدّرْعَ إلى اليهوديّ .

فقال اليهوديُّ : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه ، فقضى عليه ، فرضي به ، صدقْتَ إنّها لَدِرْعُك ، سقطَت منكَ يوم كذا وكذا عن جمَل أوْرَق فالتَقَطْتُها ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله . فقال عليٌّ عليه السلام : هذه الدِّرْعُ لك ، وهذه الفرسُ لك ، وفرض له في تسعمائة ، فلم يزَلْ معه حتى قُتِل يوم صِفِّين .

[357] ـ خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إيّاها

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثنا أبو همّام الوليد بن شجاع ، قال : حدَّثنا ابن أبي زائدة ، وأبو محمد رجل ثقة ، قال : حدَّثنا مُجالد ، عن الشعبيّ ، قال[1] : قال لي شُريح : يا شعبيّ ، عليكم بنساء بني تميم فإنهنَّ النساء ، قال : قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً ، فمررتُ بدُور بني تميم ، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سقيفةٍ على وِسادة وتجاهها جاريةٌ رُؤْد ، يعني التي قد بلغت ، ولها ذُؤابة على ظَهْرها جالسة على وِسادة ، فاستسقيت ، فقالت لي : أيّ الشراب أعجبُ إليك : النبيذ ، أم اللبن ، أم الماء ؟ قلت : أي ذلك يَتَيَسَّر عليكم ، قالت : اسقُوا الرجلَ لبناً ؛ فإنّي إخاله غريباً[2] .

[يخطب زينب بنت حدير]

فلمّا شربْتُ نظرْتُ إلى الجارية فأعجبتني ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتي ، قلت : وممّن ؟ قالت : زينب بنت حُدَير ، إحدى نساء بني تميم ، ثم إحدى نساء بني حنظلة ، ثم إحدى نساء بني طُهيّة . قلت : أفارغَةٌ أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة ، قلت : أتزوِّجينيها ؟ قالت : نعم إن كنْتَ كَفِيّاً ، ولها عمٌّ فاقصده .

فانصرفت فامتنعت من القائلة ، فأرسلتُ إلى إخواني القرّاء الأشراف : مسروق بن الأجدع ، والمسيّب بن نَجَبَة ، وسليمان بن صُرد الخزاعيّ ، وخالد بن عُرْفُطة العُذْريّ ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ، وأبي بردة بن أبي موسى ، فوافيتُ معهم صلاةَ العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أُميّة ، حاجتك ؟ قلت : إليك ، قال : وما هي ؟ قلت : ذُكرت لي بنتُ أخيك زينب بنت حُدير ، قال : ما بها عنك رغبة ، ولا بك عنها مَقْصر ، وإنّك لَنُهْزَة .

فتكلّمت فحمدت الله جلّ ذكره ، وصلَّيْتُ على النبيّ ﷺ ، وذكرتُ حاجتي ، فردّ الرجل عليّ وزوّجني ، وبارك القومُ لي ، ثم نهضنا .

---

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر : 9 : 201–203 .

2 ل : عربيّاً .

فما بلغت منزلي حتى ندمْتُ ، فقلت : تزوّجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ، ثم قلت : أجمعها إليّ ، فإن رأيتُ ما أُحبُّ وإلاّ طلّقتُها .

فأقمْتُ أيّاماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها ، فلمّا أُجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت ، وأخلي لي البيت ، فقلت : يا هذه ، إنَّ من السنة إذا دخلت المرأةُ على الرجل أَنْ يصلّيَ ركعتين وتصلّي ركعتين ، ويسألا اللهَ خير ليلتهما ، ويتعوَّذا بالله مِنْ شرّها . فقمتُ أُصلّي ثم التفتّ ، فإذا هي خَلْفي فصلّيت ، ثم التفتّ فإذا هي على فراشها ، فمددتُ يدي ، فقالت لي : على رِسْلِك ، فقلت : إحدى الدواهي مُنيتُ بها ، فقالت : إنّ الحمد للهِ أَحمده وأستعينه إنّي امرأة غريبة ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشدّ عليّ منه ، وأنتَ رجل غريب لا أعرِف أخلاقَك ، فحدِّثني بما تحبُّ فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلّى الله على محمد ، قدمتِ خَيْرَ مقدم ، قدمتِ على أهل دارٍ زَوْجُك سيّد رجالهم ، وأنْتِ سيّدةُ نسائهم ، أُحبُّ كذا وأكرهُ كذا .

قالت : أخبرني عن أختانك[1] أتحبُّ أَن يَزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاضٍ ، وما أُحبُّ أن تملّوني .

قال : فبتّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ عندها ثلاثاً ، ثم خرجْتُ إلى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوماً إلاّ هو أفضل من الذي قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلْتُ منزلي ، فإذا عجوز تأمر وتَنْهى ، قلت : يا زينب ، مَنْ هذه ؟ فقالت : أُمّي فلانة . قلت : حيّاك الله بالسلام ، قالت : أَبا أُميّة كيف أنتَ وحالك ؟ قلت : بخير أَحمد الله ، قالت : أَبا أُميّة ؛ كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إنَّ المرأةَ لا ترى في حال أسوأ خُلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ؛ فإنْ رابَك منها رَيْب فالسَّوْط ؛ فإنَّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الوَرْهاء[2] المتدلّلة .

قلت : أَشهد أَنّها ابنتُك ، قد كفيتنا الرياضة ، وأحسنْتِ الأَدب .

قال : فكانت في كلّ حوْل تأتينا فتذكر هذا ، ثم تنصرف .

[يعالج زينب من لسعة عقرب]

قال شريح : فما غضبتُ عليها قطّ إلاّ مرّةً كنتُ لها ظالماً فيها ؛ وذاك أنّي كنتُ أَمام قومي فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتَي الفجر ، فأبصرت عقرباً ، فعجلتُ عن قتلها ، فأكفأت

1 أختان الرجل : أصهاره .

2 الورهاء : الحمقاء .

عليها الإناء ، فلمّا كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحرِّكي الإناء حتى أُجيء ، فعجلَتْ فحرَّكت الإناء فضربتها العقرب ، فجئت فإذا هي تَلَوّى . فقلت : ما لك ؟ قالت : لسعتني العقرب . فلو رأيتني يا شعبيّ وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوّذتين وفاتحة الكتاب .

وكان لي يا شعبيّ جارٌ يقال له مَيْسرة بن عُرَيْر من الحيّ ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلت : [من الطويل]

رأيتُ رجـالاً يضربون نساءَهم ... فشَلَّت يميني يـوم أُضْرِبُ زينبا

يا شعبيّ ، فوددتُ أنّي قاسمتها عَيْشي .

وممّا يغنّى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب : [من الطويل]

صوت

رأيتُ رِجـالاً يضربُون نساءَهم ... فشَلَّت يَميني يَـوْمَ أُضرِبُ زَيْنَبا
أأضربها في غير جُـرمٍ أَتَـتْ بـه ... إليّ ، فما عذري إذا كنْتُ مذنبا !
فتاة تزينُ الحَلْيَ إن هـي حُلِّيتْ ... كأن بفيها المسكَ خالط مَحلبا[1]

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَنَّس .

صوت

[من الطويل]

أَمِنْ رسم دارٍ مربـعٌ ومصيفُ ... لعينك من مـاء الشؤون وَكِيفُ
تذكرتُ فيها الجَهْلَ حتى تبادَرَتْ ... دُموعي وأُصحابي عـلـيّ وقوفُ

عروضه من مصرّع الطويل . الشعر للحطيئة من قصيدة يمدحُ بها سعيد بن العاص لما وَلِي الكوفةَ لعثمان . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عَمرو .

---

1 محلب : من معانيها العسل .

[358] ـ أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص[1]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال : لَقِيَني إياس بن الحطيئة ، فقال لي : يا أبا عثمان ، مات أبي ، وفي كِسْر بيته عشرون ألفاً أعطاه إيّاه أبوك ، وقال فيه خمس قصائد ، فذهب والله ما أعطيتمونا وبَقِيَ ما أعطيناكم ، فقلت : صدقت والله .

[مدح سعيد بن العاص]

قال أبو زيد : فممّا قال فيه قوله[2] : [من الطويل]

أَمِـنْ رَسْمِ دارٍ مربَـعٌ ومَصيفُ ... لعينك مـن مـاء الشؤون وَكِيفُ

إليك سعيـدَ الخير جُبْتُ مهامِهاً ... يقابلنـي آلٌ بهـا وتُنُـوفُ[3]

ولـولا أصيلُ اللُّـبّ غضٌّ شبابه ... كريـم لأيّـام المنـون عَرُوفُ[4]

إذا هـمّ بالأعـداء لم يَثْـن همّـه ... كعـابٌ عليهـا لؤلـؤ وشُنُوفُ[5]

حَصانٌ لهـا في البيت زِيّ وبهجة ... ومَشْيٌ كما تمشي القَطـاة قَطُوفُ[6]

ولو شاء وارى الشمس منْ دونِ وَجْهه ... حِجـابٌ ومطـويُّ السراةِ منيفُ[7]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ؛ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، قال : كان سعيد بن العاص في المدينة زمنَ معاوية ، وكان يعشّي الناس ، فإذا فرغ من العشاء قال الآذِنُ : أجيزوا إلاّ مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشّى مع الناس ، ثم أقبل فقال الآذِنُ : أجيزوا ، حتى انتهى إلى الحطيئة ، فقال : أجز ، فأبى ، فأعاد عليه فأبى ، فلمّا رأى سعيد إباءه قال : دَعْه ؛ وأخذ في الشِّعْر والحطيئة مُطْرِقٌ لا ينطق ، فقال

1 تقدمت ترجمة الحطيئة في الأغاني 2 : 101 .

2 ديوانه (صادر) : 81–83 .

3 تنوف : جمع تنوفة : وهي المفازة .

4 أصيل اللب : ثابت اللب . والعروف : الصبور على نوائب الأيام .

5 الشنوف : جمع شُنف وهو القرط .

6 الحَصان : العفيفة . والقطوف : المتقارب الخطو .

7 مطوي السراة : مدمج الأعلى .

الحطيئة : والله ما أصَبْتُم جيِّدَ الشعر ، ولا شاعر الشعراء .

[أفضل الشعراء]

قال سعيد : مَنْ أشعر العرب يا هذا ؟ فقال : الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعــدُّ الإقتارَ عُدْمــاً ولكن فَقْــدُ مَــنْ قــد رُزِئتُه الإعدامُ
مِنْ رجــالٍ من الأقاربِ بانُوا من جُذامٍ هم الرؤوس الكرامُ
سُلِّط المـوتُ والمنـون عليهم فلهم في صُوى المقابـر هامُ[1]
وكـذاكُمْ سبيل كلِّ أنــــاس سوف حقّــاً تُبْليهـــمُ الأيّامُ

قال : ويحك ! مَن يقول هذا الشعر ؟ قال أبو دُواد الإياديّ ، قال : أوَ تَرْوِيه ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده الشعرَ كلّه ، قال : ومَنِ الثاني ؟ قال : الذي يقول[2] : [من السريع]

أفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغ بالضـ ـعف وقد يُخـدع الأريـبُ

قال : ومَنْ يقول هذا ؟ قال : عَبيد ، قال : أوترويه ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده ، ثم قال له : ثُمّ مَنْ ؟ قال : والله لَحسْبُك بي عند رَهْبَةٍ أو رَغْبَة ، إذا وضعْتُ إحدى رجليّ على الأخرى ، ثم رفعتُ عَقِيرتي بالشِّعر ، ثم عوَيْت على أثر القوافي عُواءَ الفصيل الصادر عن الماء .

قال : ومَنْ أنْتَ ؟ قال : الحطيئة ، قال : ويحك ! قد علمتَ تشوُّقنا إلى مجلسك ، وأنت تكتُمنا نفسك منذ الليلة ! قال : نعم ، لمكان هذين الكلبين عندك ، وكان عنده كعب بن جعيل ، وأخوه . وكان عنده سويد بن مشنوء النَّهْدِيّ ، حليف بني عديّ بن جناب الكلبيّين ، فأنشده الحطيئة قوله[3] : [من الوافر]

ألستَ بجاعِلي كابنَــيْ جُعَيْلٍ هداكَ الله أو كابْنَــيْ جَنابِ[4]
أدبُّ فـلا أُقــدِّرُ أنْ تـراني ودونك بالمدينة ألـفُ بابِ[5]
وأُحْبَسُ بالعــراء المَحْــلِ بيتي ودونك عازِبٌ ضخم الذبابِ[6]

1 صوى في ل : صدى .
2 ديوان عبيد (صادر) : 26 .
3 ديوانه : 86 .
4 بنو جعيل من تغلب وبنو جناب من كلب .
5 الديوان : أدب وراء نقدة أن تراني ، ونقدة : مكان .
6 ضخم الذباب في الديوان : صخب الذباب .

العازب : الكَلأُ الذي لم يُرْعَ ، وقد التفَّ نَبْتُه .

فقال له سعيد : لعمر الله لأنتَ أشْعَرُ عندي منهم ، فأنشدني ، فأنشده[1] : [من الطويل]

سَعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فإنّه نجيبٌ فَلاهُ في الرِّباطِ نَجيبُ[2]
سَعِيدٌ فلا يغررك قِلَّة لحمه تخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صَلِيبُ

ويروى : خفّة لحمه .

إذا غاب عنّا غاب عنّا رَبِيعُنا ونُسقى الغمامَ الغرَّ حينَ يَؤُوبُ
فنعم الفتى تَعْشُو إلى ضَوْء ناره إذا الريحُ هبّت والمكانُ جَدِيبُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم عاد فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

أمِنْ رسم دارٍ مربع ومَصِيف

يقول فيها : [من الطويل]

إذا همّ بالأعداء لم يثن عَزْمَه كعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ

فأعطاه عشرة آلاف أُخرى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد ، وزاد فيه : فانتهى الشُّرَط إلى الحطيئة فرأوه أعرابيّاً قبيح الوَجه ، كَبِيرَ السنّ ، سيِّىء الحال ، رثّ الهيئة ، فأرادوا أنْ يقيموه ، فأبى أنْ يقومَ ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دَعُوا الرجل . وباقي الخبر مثله .

قال أبو عبيدة في هذا الخبر : وأخبرني رجلٌ من بني كنانة ، قال : أقبل الحطيئةُ في رَكْب من بني عَبْس ، حتى قَدِم المدينةَ ، فأقام مدَّة ، ثم قال له مَنْ في رفقته : إنا قد أرذينا[3] وأخلينا ، فلو تقدَّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقَرانا وحملَنا . فأتى خالد بن سعيد بن العاص ، فسأله فاعتذر إليه ، وقال : ما عندي شيء فلم يُعِدْ عليه الكلام ، وخرج من عنده . فارتاب به خالد ، فبعث يسأل عنه ، فأخبر أنّه الحطيئة ، فردّه . فأقبل الحطيئة ، فقعد لا يتكلّم ، فأراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ ، فقال : مَنْ أشعَرُ الناس ؟ فقال : الذي يقول[4] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 87 .

2 فلاه : رباه . والرباط : مرابطة الخيل .

3 أرذينا : هزلت دوابنا من السفر .

4 البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته . وانظر الشعر والشعراء : 666 .

ومَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دونِ عِرْضه يَفِـرْه ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعضُ عقاربِه ، وأمر له بكسوة وحملان ، فخرج بذلك من عنده .

صوت

[من الخفيف]

حبَّـذا لَيْلَتـي بِتَـلّ بَوَنَّى حين نُسْقى شرابَنا ونُغَنَّى[1]
إذْ رأيْنـا جَوارِيـاً عَطِراتٍ وغنـاءً وقَرْقَفـاً فنزلنـا[2]
مـا لهـم لا يُبارِكُ اللهُ فيهم إذ يسالون : ويحنا مـا فَعَلْنا !

عروضه الضرب الأوّل من الخفيف . الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة ، والغناء لحنين ، رمَل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 تل بونّى : من قرى الكوفة .

2 القرقف : الخمر التي ترعد شاربها .

[359] ـ أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه[1]

[نسبه]

هو مالك بن أَسماء بن خارجة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر الفَزاريّ ، وقد مضى هذا النسب في أخبار عُوَيف القَوافي ، وقد مضت أخبارُه ، وذِكْر هذا البيت من فزارة وشرفُه فيها وسائر قصصه هناك .

[تزوّج الحجّاج أخته وولاّه أصبهان ثم حبسه]

وكان الحجّاج بن يوسف وَلَّى مالك بن أسماء بعد أنْ تزَوَّج أُخْتَه هنداً بأصفهان ، بعد حَبْسٍ طويلٍ في خيانةٍ ظهرت عليه ، ثم خلاّه بعد ذلك ، وطالت أيّامُه بأصفهان ، فظهرت عليه خيانةٌ أُخرى ، فحبسه وناله بكلّ مَكْرُوه .

أَخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، قال : حدَّثني هشام بن محمد الهلاليّ ، قال : اختلف الحجّاج وهند بنتُ أسماء زوجته في وقعة بنات قَيْن ، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة ، فأخرجه من السجن ، وكان محبوساً بمالٍ عليه للحجّاج ؛ فسأله عن الحديث فحدَّثه به ، ثم أقبل على هند فقال : قُومي إلى أخيك ، فقالت : لا أقومُ إليه ، وأنتَ ساخطٌ عليه . فأقبل الحجّاج عليه ، فقال : إنّكَ واللهِ ما علمتُ لِلخائنُ أمانتَه ، اللئيم حَسَبُه ، الزاني فَرْجُه ، فقال : إنْ أذِنَ لي الأمير تكلّمت . قال : قل ، قال : أما قول الأمير الزاني فَرْجُه ، فوالله لأنا أحقَر عند الله عزّ وجلّ وأصغر في عَيْن الأمير من أن يجبَ لله عليَّ حدّ فلا يُقيمه ؛ وأمّا قوله : اللئيمُ حَسبُه ، فوالله لو علِم الأمير مكانَ رجل أشرف منّي لم يُصاهِرْني ؛ وأمّا قوله : إنّي خؤون ، فلقد ائتمنني فوفَّرت ، فأخذني بما أخذَني به ، فبعْتُ ما كان وراء ظَهْري ، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديتُ بها من مِثْلِ هذا الكلام .

قال : فنهض الحجّاج ، وقال : شأنكِ يا هنْدُ بأخيك .

قال مالك بن أسماء : فوثبَتْ هِنْد إليّ فأكبَّتْ عليّ ، ودعَتْ بالجواري ، ونزَعْنَ عنّي حَدِيدي ، وأمرَتْ بي إلى الحمّام ، وكسَتْني ، وانصرفت .

---

1 ترجمة مالك بن أسماء في الشعر والشعراء : 666—667 ومعجم المرزباني : 266 والسمط : 150 .

فلبثتُ أيّاماً ، ثم دخلت على الحجّاج وبين يديه عهودٌ ، وفيها عَهْدي على أصفهان . قال : خُذْ هذا العَهْد ، وامْضِ إلى عملك ، فأخذتُه ونهضت . قال : وهي ولايته التي عزله عنها ، وبلغ به ما بلغ من الشرّ .

قال أبو زَيْد : ويقال إنّه كان في الحَبْسِ في الدفعة الثانية مضيَّقاً عليه في كلّ أحواله ، حتى كان يُشاب[1] له الماء الذي كان يشربُه بالرماد والمِلْح . فاشتاق الحجّاج إلى حديثه يوماً ، فأرسل إليه ، فأُحضر ، فبينا هو يحدّثُه إذ استسقى ماءً فأُتِيَ به ، فلمّا نظر إليه الحجّاج قال : لا ، هاتِ ماءَ السجن ، فأُتِي به وقد خُلِط بالملح والرماد ، فَسُقِيَه .

قال : ويقال إنّه هرب من الحبس ، فلم يزل مُتَوارياً حتى مات الحجّاج .

قال : وكتب إليه بعضُ أهله أن يمضي إلى الشام فيستجيرَ ببعضِ بني أُميّة حتى يأمَن ، ثم يعود إلى مصره .

[يشفّع أباه عند الحجّاج]

وقد كان خالد بن عَتّاب الرّياحيّ فعل ذلك ، واستجار بزُفر بن الحارث الكلابيّ ، فأجاره ، فراجعه عبد الملك في أمره ، ثم أجاره ، فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يدخلَ إلى الحجّاج ويسأله في أمره ، فقال أسماء في ذلك : [من الكامل]

أبَني فـزارةَ لا تُعَنُّوا شَيْخكم ... مـا لي ومـا لزيـارةِ الحجَّاجِ
شبَّهْتُـه شِبْـلاً غـداةَ لقيتُـه ... يُلْقِي الرؤوسَ شَواخبَ الأَوْداجِ
تجري الدمـاء على النّطاع كأنّها ... رَاحٌ شَمُـولٌ غَيْـرُ ذاتِ مزاجِ
لا تطلبـوا حاجـاً إليـه فإنّـه ... بئس المؤمَّـل في طِـلاب الحاجِ
يـا ليت هنداً أصبحَتْ مرموسةً ... أَوْ لَيْتَهـا جلست عـن الأَزْواجِ

[بين خالد بن عتاب والحجّاج]

قال أبو زيد : فأمّا خَبَرُ خالد بن عتّاب الرياحيّ ، فإنّ الحجّاج كان استعمله على الريّ ، وكانت أُمّه أُمّ ولَدٍ ، فكتب إليه الحجّاج يلخن أُمَّه ، ويقول با ابن اللخناء ؛ أنت الذي هربْتَ عن أبيك حتى قُتِلَ ، وقد كان حلف ألاّ يسبَّ أحدٌ أُمَّه إلاّ أجابه كائناً مَن كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إليّ تلخّنني ، وتزعمُ أنّي فررتُ عن أبي حتى قُتِل ، ولعمري لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قُتِل ، وحين لم أجِد لي مقاتلاً ؛ ولكن أخبرني عنك يا ابنَ اللَّخناء

---

1 ل : يماث .

المستفرمة[1] بعَجَم زبيبِ الطائف ، حين فررت أنْتَ وأبوك يوم الحرّة على جمل ثَفال[2] ، أيّكما كان أمام صاحبه ، فقرأ الحجّاج الكتاب ، وقال : صدق : [من الرجز]

أنـا الذي فَرَرْتُ يـوم الحَرَّهْ ثـم ثَنَّيـتُ كـرَّةً بفَـرّهْ
والشيخُ لا يَفِـرُّ إلاَّ مَـرَّهْ

ثم طلبه ، وهرب إلى الشام ، وسلَّم بيتَ المالِ ولم يأخُذْ منه شيئاً .

[خالد بن عتاب يستجير]

وكتب الحجّاجُ إلى عبد الملك بما كان منه ، وقدم خالدٌ الشامَ ، فسأل عن خاصّة عبد الملك ، فقيل له : رَوْحُ بن زِنْباع ، فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إنّي جئتُك مُستجِيراً ، فقال : إنّني قد أجرتك إلاَّ أن تكونَ خالداً ، قال : فإنّي خالد ، فتغيّر وقال : أنشدك الله إلاّ خرجْتَ عنّي ؛ فإنّي لا آمَنُ عبد الملك ، فقال : أنظرني حتى تغربَ الشمس . فجعل رَوْح يُراعيها حتى خرج خالد .

فأتى زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ فقال : إنّي جئتُك مستجيراً ، قال : قد أجَرْتك . قال : أنا خالد بن عتّاب . قال : وإن كنْتَ خالداً .

فلمّا أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسنَّ ، فدخل على عبد الملك وقد أذِنَ للناس ، فلمّا رآهُ دَعا له بكرسيّ ، فجُعِل عند فراشه ، فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد أجَرْتُ عليك رجلاً ، فأجِرْه ، قال : قد أجرْتُه إلاّ أن يكون خالداً ، قال : فهو خالد ، قال : لا ، ولا كرامة . فقال زُفَر لابنيه : أنهضاني .

فلمّا ولَّى قال : يا عبد الملك ، أما واللهِ لو كنتَ تعلم أنَّ يَدي تُطيق حَمْلَ القناة ورأس الجواد لأجَرْتَ مَن أجرتُ . فضحك ، وقال : يا أبا الهذيل ، قد أجرناه ، فلا أرَينَّه . وأرسل إلى خالد بألفي درهم ، فأخذها ، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم .

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء]

[مالك وأخوه يعشقان جارية لأختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد النحويّ ، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالا : عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند ،

1 المستفرمة : التي تضيق فرجها بالفرم .

2 الثفال : البطيء .

وعشقها أخوه عُيَيْنة بن أسماء بن خارجة ، فاستعان بأخيه مالك ، وهو لا يعلم ما يجد بها ، يشكو إليه حبَّها ، فقال مالك[1] : [من الكامل]

أعُيَيْنُ هَـلاَّ إذْ كَلِفْتَ بهـا ... كنْـتَ استغثْتَ بفارغ العَقْلِ
أرسلتَ تَبْغي الغَوْثَ مِنْ قِبَلي ... والمستغـاثُ إليــه في شغْـلِ

[مالك يعشق جارية من بني أسد]

قال ابن قُتيبة خاصة : وهَوِي مالك بن أسماء جاريةً من بني أسد ، وكانت تنزل داراً من قصب ، وكانت دار مالك في بني أسد داراً سريّة مبنيّة بالجصّ والآجرّ فقال : [من الكامل]

يـا ليـت لي خُصّاً يُجاوِرُها ... بَـدلاً بـداري في بنـي أسدِ
الخُـصُّ فيــه تقـــرّ أعيُنُنـا ... خَيْـرٌ مِـنَ الآجُـرّ والكمَدِ

[ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عَمِّي ويعقوب بن عيسى ، وأخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم ، قال : حدَّثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ ، عن الزُّبير : أنّ عمر أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء . قال أبو هفّان في خبره : وهو يطوف بالبيت ، وقد بهر الناس جمالُه وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلّم عليه وقال له : أنتَ أخي حقّاً ، فقال له مالك : ومَنْ أنا ومَنْ أنت ؟ فقال : أما أنا فستعرفني ، وأمّا أنت فالذي تقول[2] : [من الخفيف]

إنّ لي عنـــد كلّ نفحةِ بستا ... نِ مِـنَ الوَرْد أو مِنَ الياسمينا
نظـــراً والتفاتـــةً أترَجّـى ... أنْ تكـوني حَلَلْتِ فيما يَلِينا

غنّت فيه عُلَيّة بنت المهديّ خفيف رمَل بالوسطى .

وقال أبو هِفّان في حديثه : قال له عُمَر : ما زلتُ أُحبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك ، فقال له مالك : أنت عُمر بن أبي ربيعة ، قال : نعم .

قال الزُّبير في خبره خاصة : وحدَّثني ابنُ أبي كُناسة ، أنَّ عمر لما لقي مالكاً استنشده ، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره ، فقال له عمر : ما أحسنَ شِعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك[3] : [من الخفيف]

---

1 البيتان في معجم الشعراء : 266 .
2 البيتان في معجم الشعراء : 266 .
3 جميع هذه الأبيات في معجم البلدان .

إنَّ في الرفْقَـةِ التـي شيَّعتنا بجويـرٍ سمـا لزَيْـنَ الرِّفاقِ

ومثل قولك : [من الكامل]

أَشَهِدْتِنـا أُمّ كنـتِ غائبـةً عـن ليلتـي بحديثـةِ القَسْبِ

ومثل قولك : [من الخفيف]

حبَّـذا ليلتـي بتَـلٍّ بَوَنَّـى حـين نُسْقى شرابنـا ونُغَنَّـى

فقال له مالك : هي قُرى البلد الذي أنا فيه ، وهو مثل ما تذكره في شِعرك من أَرْضِ بلادك ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك : [من الكامل]

حَـيِّ المنازِلَ قـد دَثَرْنَ خرابا بين الجوين وبَيْن رُكْنِ كُسابا[1]

ومثل قولك[2] : [من الخفيف]

مـا على الرَّسْمِ بالبُلَيَّيْن لو بَيَّـ ـنَ رَجْعَ السلام أَوْ لو أَجابا

فأمسك عنه عُمر بن أَبي ربيعة .

ومالك بن أَسماء الذي يقول[3] : [من الخفيف]

وحديـثٍ أَلَـذُّ هُـوَ مِمّـا ينعَتُ الناعتـون يُوزَنُ وَزْنا

مَنْطِـقٌ صائبٌ وتلحَـنُ أَحيا نًا وأَحْلى الحديثِ ما كان لَحنا

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني أبي ، قال : قلت للجاحظ : إنّي قرأتُ في فَصْلٍ من كتابك المسمّى بكتاب البيان والتبيين[4] : إنّما يستحسن من النساء اللَّحْنُ في الكلام ، واستشهدتَ ببيتي مالك بن أسماء ، يعني هذين البيتين ، قال : هو كذاك ، فقال : أما سمعْتَ بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحَنَتْ في كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجَّتْ ببيتَي أخيها ، فقال لها : إنّ أخاكِ أراد أنَّ المرأة فَطِنة ، فهي تلحَنُ بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستُرَ معناه ، وتُورِّي عنه ، وتفهمه مَن أرادت بالتعريض ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ولتعْرِفنَّهم في لحنِ القول﴾ ولم يرِد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ ساعة ، ثم قال : لو سقط إليَّ

1 ديوان عمر : 46 . وروايته : بين الجرير وبين ركن كسابا .
2 الديوان : 40 .
3 الشعر والشعراء : 666 .
4 البيان والتبيين 1 : 82 . وانظر حاشية السمط : 16–17 .

هذا الخبر أوّلاً لما قلتُ ما تقدّم ، فقلت له : فأَصْلِحْه ، فقال : الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق ، وهذا لا يُصلح ، أو كلاماً نحو ما ذكرنا ، فإنّ أبا أحمد أخبرنا به على سبيلِ المذاكرة فحفظْتُه عنه .

[المتوكّل يطلب ابتياع تل بونّى]

أخبرني الحسين بن يحيى ، وجعفر بن قدامة ، قالا : قال حمّاد : حدَّثني أحمد بن داود السدّي ، قال : ورد عليّ كتابُ أمير المؤمنين المتوكّل ، وأنا على سَواد الكوفة : أن ابتع لي تلَّ بَوَنَّى بما بَلَغَتْ ، فأتيتها ، فإذا قريةٌ صغيرة على تلٍّ ، قد خرب ما حَواليها من الضِّياع ، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم ، قال : فظننتُ حرَّكه على طلبها أنّه غُنِّي : [من الخفيف]

حبّـذا ليلتـي بتَـلّ بَوَنَّى

فسألتُ عن ذلك ، فعرفتُ أنّ جاريته مكتومة غنَّتْه هذا الصوت .

قال حمّاد : ومكتومة هذه جاريةٌ أهداها أبي إليه لمّا ولي الخلافة ، فإنّه سأل عنه ، فعرف أنّه كفّ بصره ، فكتب له بمائة ألف درهم ، وأمر بإشْخاصِه إليه مكرّماً ، فأشخِص إليه ، وأهدى إليه عِدَّة جوارٍ هذه فيهنّ .

[الحجّاج يستتيب مالكاً]

وروى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش أنّ الحجّاج دعا يوماً بمالك بن أسماء ، فعاتبه عِتاباً طويلاً ، ثم قال له : أنتَ والله كما قال أخو بني جعدة[1] : [من الوافر]

إذا مـا سَوْأَةٌ غـرّاءُ ماتَـتْ   أُتيـتَ بسوْءةٍ أُخـرى بَهِيمِ[2]
ومـا تنفكُّ تُرْحَضُ كلَّ يـوم   مِنَ السَّوآت كالطفْل النهيمِ[3]
أَكلَّ الدَّهرِ سعيُـك في تبـابٍ   تناغـــي كلَّ مُومِسة أثيـمِ

فقال له : لستُ كما قال الجعديّ ، ولكنّي كما قلت : [من الطويل]

لكـــلّ جـــوادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُهـــا   وعثرةُ مِثْلي لا تُقال مَدى الدَّهْرِ
فَهبنيَ يـا حجَّاج أَخطأتُ مـرَّةً   وَجُرْتُ عن المُثْلى وغنَّيتُ بالشعرِ
فهل لي إذا مـا تبتُ عندك توبةٌ   تَدارك ما قد فات في سالف العمرِ

1 المفضليات : 70 .
2 بهيم : سوداء .
3 ترحض : تغسل .

فقال له الحجّاج : بلى والله ، لئن تبْتَ لأقبلنَّ توبتك ولأُعَفِّيَنَّ على ما كان من ذنبك ومَنْ لي بذلك يا مالك ؟ قال له : لك الله به ، قال : حَسْبِيَ الله ونعم الوكيل ، فانْظُر ما تقول ، قال : الحقّ أصلحك اللهُ لا يَخْفَى على أحد . قال : فتَرَكَ مالكٌ الشرابَ ، ووفّى بعهده وأظهر النسكَ ، ثم طما به الشعر ، وطال عليه تَرْكُ اللذّات والشراب ، فقال : [من الطويل]

ونَدمـانِ صِدْقٍ قال لي بعد هَدأةٍ ... من الليل : قم نَشْرَبْ ، فقلتُ له : مَهْلا
فقـال : أَبُخْلاً يا ابْنَ أسماء هاكها ... كُمَيْتاً كريح المِسْكِ تَزْدَهِف العَقْلا[1]
فتابعْتُـه فيمـا أراد ولم أكُـنْ ... بَخِيلاً على النّدمان أو شَكِساً وَغْلا
ولكنّني جَلْدُ القُوى أبذلُ النّدى ... وأشربُ ما أُعْطى ولا أقبلُ العَذْلا
ضحوكٌ إذا ما دبّت الكأسُ في الفتى ... وغيَّره سُكْرٌ وإنْ أكثَـرَ الجَهْلا

قال : فبلغ الحجّاج أنَّ مالكاً قد راجع الشَّرابَ ، فقال : لا يأتي مالك بخير سَجِيسَ الأوجس[2] ، قاتلَ اللهُ أيمن بن خُريم حيث يقول : [من الطويل]

إذا المَـرْءُ وفَّى الأربعين ولم يَكُنْ ... له دُونَ ما يأتي حِجابٌ ولا سِتْرُ[3]
فدَعْـه ومـا يأتـي ولا تعذلنّه ... وإنْ مـدّ أسبابَ الحياة له العُمْرُ

وأنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش أبياتَ أيمن هذه الرائية ، وقال : أخذ معناها من قول ابن عبّاس : إذا بلغ المرءُ أربعين سنة ولم يتُبْ أخذ إبليس بناصيته ، وقال : حبّذا مَن لا يُفلح أبداً . وأوّلُ الأبيات هذه : [من الطويل]

وصَهْباءَ جُرجانيّةٍ لم يَطُـف بهـا ... حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بهـا ساعـةً قِدرُ
ولم يشهـد القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَهـا ... طَرُوقـاً ولا صلَّى على طَبْخها حَبْرُ
أتـاني بها يَحْيى وقد نمْتُ نومةً ... وقـد غابت الجَوْزاء وانحدر النَّسْرُ
فقلت : اصطبحْها أو لغيريَ سَقِّها ... فما أنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْحَك والخمرُ !
إذا المَرْءُ وفَّـى الأربعين ولم يكن ... له دُونَ ما يأتـي حِجابٌ ولا سِتْرُ
فدَعْـه ولا تنفس عليه الذي أتـى ... ولـو مَدَّ أسبابَ الحياة لـه العمرُ

1 تزدهف العقل : تذهب به .
2 سجيس الأوجس : طول الدهر . والمثل «لا آتيك سجيس الأوجس» في فصل المقال : 510 .
3 حِجابٌ في ل : حياء .

صوت

[من الخفيف]

تلك عِرْسي تَرُومُ هَجْري سِفاهاً ... وجَفتْني فما تُوافي عِناقي
زعمتْ أنّها تُواتي مع الما ... ل وأنّي محالف إملاقي[1]
وتناست رَزِيَّةً بدمشقٍ ... أشخصَتْ مُهْجَتي فُوَيْقَ التَّراقي
يوم نلقى نعشَ ابْنِ عُروة محـ ... ـمولاً بأيدي الرجالِ والأعناقِ
مستحثّاً به سِياقاً إلى القَبْـ ... ـر وما إن لحَثِّهم من سِباقِ
ثم وَلَّيتُ مُوجَعاً قد شَجاني ... قربُ عَهْدٍ بهم وبعد تلاقِ

عروضه من الخفيف . الشعر لإسماعيل بن يسار النَّسائيّ يرثي محمد بن عُروة بن الزُّبير . والغناء لدحمان ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابنِ محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَش .

1 محالف في ل : محالفي

360 ـ [من أخبار عروة بن الزُّبير][1]

[غضب للوقوع بأخيه عبد الله في مجلس الخليفة]

أخبرنا الطوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عُرْوة ، قال : قدِم عُروة بن الزُّبير على عبد الملك بن مروان ، فدخل فأجلسه معه على السرير . فجاء قومٌ فوقعوا في عبد الله بن الزُّبير ، فخرج عُرْوة فقال للآذِن : إنّ عبد الله بن الزّبير ابنُ أُمّي وأبي ، فإذا أردتم أن تقَعُوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم .

فذُكِر ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : قد أخبرني الآذِنُ بما قلْتَ ، وإنَّ أخاك لم يكن قتلُنا إيّاه لعداوةٍ ، ولكنّه طلب أمْراً وطلبناه فقُتِل دونه ، وإنّ أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ شتموه ، فإذا أذِنَّا لأحدٍ قبلك فقد جاءَ مَن يشتمه فلا تدخل ، وإذا أذنّا لأحد وأنت جالس فانصرف .

[قطع رجله]

ثم قدِم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شَلَّت رجلُه ، فقيل له : اقطعها ، قال : إنّي لأكره أنْ أقطع منّي طابقاً ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إنّها إنْ وقعت في الركبة قتلتْك ، فقُطِعت ، ولم يقبض وَجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لا تجد معه ألماً ، فقال : ما يسعني أنّ هذا الحائط وقَاني أذاها .

[مقتل ابنه محمد]

قال الزُّبير : وحدَّثني مصعب بن عثمان بن عامر ، عن صالح ، عن هشام بن عروة ، قال : سقط محمد بن عُروة بن الزُّبير ، وأُمّه بنت الحَكم بن أبي العاص بن أميّة ، من سطح في اصطبل دوابّ الوليد بن عبد الملك ، فضربته بقوائمها حتى قتلتْه ، فأتى عروة رجل يعزّيه ، فقال عروة : إن كنتَ تعزّيني برِجْلي فقد احتسبتُها ، فقال بل أُعزّيك بمحمد ، قال : وما له ؟ فخبَّره بشأنه ؛ فقال : [من الطويل]

1 ترجمة عروة بن الزُّبير في وفيات الأعيان 3 : 255–258 وسير أعلام النبلاء 4 : 421 ونسب قريش : 245–246 وحلية الأولياء 2 : 176 وصفوة الصفوة 2 : 47 وتذكرة الحفاظ : 62 والإصابة والشذرات 1 : 103 .

وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْـنَ نكبةً أقول شَوًى ما لم يُصِبْنَ صَميمِي [1]

اللهمّ أخذْتَ عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، فإنّك إن كنت أخذْتَ لقد أبقيْتَ ، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت .

فلمّا قدِم المدينة نزل قصره بالعقيق ، فأتاه ابن المنكدرِ ، وقال : كيف كنت ؟ فقال : ﴿لقد لَقِينا مِنْ سفَرِنا هذا نَصَبا﴾ .

[تعزية عيسى بن طلحة]

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز ، عن ابن الماجشون : أنّ عيسى بن طلحة جاء إلى عُروة بن الزُّبير حين قدِم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قُطِعت رِجْلُه ، فقال عُروة لبعض بنيه : اكشف لعمّك عن رِجْلي ينظر إليها ، ففعل . فقال له عيسى : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعدَدْناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنّا نحتاج إليه منك : رأيُك وعِلْمك . فقال عُرْوة : ما عزّاني أحدٌ عن رِجلي مثلك .

[وجد من هو أعظم بلاء منه]

قال الزُّبير : وحدَّثني مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة : أنّه قدِم على الوليد رجُلٌ من عَبْس ضَرِيرٌ محطومُ الوجه ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال : بتُّ ليلةً في بطنِ وادٍ ، ولا أعلم في الأرض عَبْسِيّاً يزيد مالُه على مالي ، فطرقَنا سيْلٌ ، فذهب بما كان لي من أهلٍ ومالٍ ووَلد إلاّ صبيّاً مولوداً وبعيراً ضعيفاً ، فندّ البعير والصبيُّ معي ، فوضعته ، واتبعت البعيرَ ، فما جاوزتُ ابني قليلاً إلاّ ورأسُ الذئب في بَطنه ، فتركتُه ، واتّبَعت البعير ، فرَمَحني رَمْحَةً حطّم بها وجهي ، وأذهب عَيْني ، فأصبحتُ لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر .

فقال الوليد بن عبد الملك : اذهبوا به إلى عُروة ليعلمَ أنَّ في الناس مَن هو أعظمُ بلاءً منه .

[عمر موكل بالجمال يتبعه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، وجماعة أخبروني قالوا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال حدَّثني عمِّي ، عن جدِّي ، عن هشام بن عروة ، قال : خرجْتُ مع أبي عروة بن الزُّبير حاجّاً ، ومعنا أخي محمد بن عروة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فلمّا كنّا في بعض الطريق إذا نحن بعُمر بن أبي ربيعة يكلِّمُ بعضَنا ؛ فقلنا : هذا أبو الخطاب لو سايَرْناه ، فرآنا عُروة ، فقال : فِيْمَ أنتُم ؟ قلنا : هذا

1 البيت للبريق الهذلي . ديوان الهذليين : القسم الثالث ــ 60 .

عمَر بن أبي ربيعة ، فضرب عُرْوَة إليه راحلتَه ، فلمّا رآها عُمَر عدل إليه فسلّم عليه ، ثم قال : وأَيْنَ زَيْنُ المواكب ؟ ، يعني محمد بن عُروة ، فقال : قد تقدّم ، فعدل عن عُروة واتبع محمداً ، فقال له عُروة : نحن أكفى لك وأَوْلى أن تُسايِرَنا . فقال : إنّي رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان ، وضرب راحلته ومضى .

صوت

[من الرمل]

يـا بني الصَّيْداء رُدُّوا فَرَسي إنّمـــا يُفْعَـلُ هــذا بالذَّلِيلْ
عَـوِّدوا مُهْرِي الذي عوَّدْتُـه دَلَـج الليـلِ وإيطـاءَ القتيلْ
واستِباء الــزِّقِّ مِــنْ حاناتِه شائلَ الرِّجلين معصوباً يَمِيلْ

عروضه من ثاني الرمل .

بنو الصَّيْداء : بَطن من بني أَسد . والدَّلَج : السيرُ في آخر الليل ، يقال دَلَجَ يَدْلِجُ ، مخفّفة ، إذا سار من آخر الليل ، وادّلج يدّلج ، إذا سار الليل كلّه . واستْباء الزّقّ ، أراد استباء الخَمر فيه ؛ أي ابْتاعَها من حاناتها . والحانات : جمع حانة ، وهي الموضع الذي تُباع فيه الخمر . وشائل الرجلين : رافعهما .

وروى الأصمعيّ وأبو عمرو : [من الرمل]

أُحمِــلُ الــزِّقّ عــلى منْسِجِهِ فيظَـلُّ الضيفُ نَشْواناً يَمِيلْ

الشعر لزيد الخيل الطائيّ . والغناء لابن محرز ، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، عن يحيى المكّي . وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وفيه لعاذل لَحن من كتاب إبراهيم غير مجنّس ، وذكر حَبَش أنَّ فيه لِنُبَيْهٍ لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى .

[361] ـ أخبار زيد الخيل ونسبه[1]

[نسبه]

هو زيد بن مُهَلْهِل بن يزيد بن مُنْهِب بن عَبد رُضا ، ورُضا : صنم كان لِطيِّيء ـ ابن محلس بن ثور بن عديّ بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان ، وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جَلْهمة ، وهو طيِّيء ؛ سُمِّي بذلك لأنّه كان يَطوي المناهل في غزواته ، ابن أُدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأَصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو هُود النبيّ ﷺ . كذا نسبه النّسابون ، والله أعلم .

وأُمّ طيِّيء مُدِلّة بنت ذي منحسان بن عَرِيب بن الغَوْث بن زُهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومُدِلّة هذه هي مَذْحِج ، وهو لَقبُها ، وهي أُمّ مالك بن أُدد ، وكانت مُدِلّة عند أدد أيضاً ، فولدت له الأَشعر واسْمُه نَبْت ، ومرَّة ، ابني أدد . ومن الناس مَنْ يقولُ مَذْحِج ظَرِب صغير اجتمعوا عليه ، وليس بأُمّ ولا أب ، والله أعلم .

[سمّاه النبيّ زيد الخير]

وكان زَيدُ الخيلِ فارساً مِغْواراً مظفَّراً شجاعاً بَعِيدَ الصّيت في الجاهلية ، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبيّ ﷺ ، ولقِيَه وسُرَّ به وقرّظه ، وسمّاه زَيد الخير .

وهو شاعر مُقِلٌّ مُخَضْرَمٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان ، وإنّما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند مَنْ مَرّ[2] عليه وأَحسنَ في قِراه إليه ؛ وإنّما سُمّي زيد الخيل لكثرة خَيْلِه ، وأنّه لم يكن لأحدٍ من قومه ولا لكثير من العرب إلاّ الفرس والفَرَسان ، وكانت له خَيْلٌ كثيرة ، منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شِعْرِه وهي ستّة ، وهي الهَطّال ، والكُمَيت ، والوَرْد ، وكامِل ، ودؤول ، ولاحق . وفي الهطّال يقول[3] : [من الوافر]

1 ترجمة زيد الخيل في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة والشعر والشعراء : 205–207 وتهذيب ابن عساكر 6 : 34 وخزانة البغدادي 4 : 379–380 ووفوده على الرسول في كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام 2 : 577 وإمتاع الأسماع : 508 وعيون الأثرم : 236 ، وراجع بروكلمان 1 : 162 . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي ما بقي من شعره .

2 ل : منّ .

3 ديوانه : 89 .

أُقَـرِّبُ مَرْبِـطَ الطَّـالِ إنِّي ... أرى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيالِ

وفي الوَرْد يقول[1] : [من الطويل]

أَبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أَنْ يُكرِهَ القَنا ... وحاجـةُ نَفْسي في نُمَيْرٍ وعامِرِ

وفي دؤول يقول[2] : [من الوافر]

فأقسم لا يُفارِقنـــي دؤولٌ ... أَجولُ بـــه إذا كثر الضِّرابُ

هذا ما حضرني من تسمية خَيلِه في شعره ، وقد ذكرها .

[أبناؤه شعراء]

وكان لِزيد الخيل ثلاثة بنين كلّهم يقول الشعر ، وهم عُروة ، وحُرَيث ، ومهلهل . ومن الناس مَن يُنكر أَن يكونَ له من الولد إلاّ عروة وحُريث .

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظَلَعَ في بعض غزواته بني أسد ، فلم يتبع الخيل ووقف ، فأخذَتْه بَنو الصيداء ، فصلح عندهم ، واستقلّ .

وقيل : بل أُغزى عليه بعضَ بني نبهان ، فنكّس عنه وأُخذ . وقيل : إنّه خلّفه في بعض أحياء العرب ظالعاً ليستقلّ ، فأغارت عليهم بنو أسد ، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم ، فقال في ذلك زيد الخيل[3] : [من الرمل]

يـــا بَني الصَّيْداء ردُّوا فرسي ... إنّمـــا يُفْعَـــلُ هـــذا بالذَّليلْ
لا تُذيلـــوه فإنّـــي لم أَكُـــنْ ... يا بَني الصَّيْدا لُمهْري بالمُذيلْ[4]
عـــوِّدُوه كالـــذي عوَّدْتُـــه ... دَلَـــج اللّيْـــلِ وإيطـــاء القَتِيلْ
أحمِـــل الـــزقَّ عـــلى مِنْسَجه ... فيظلّ الضيفُ نشوانـــاً يَميلْ[5]

قال أبو عَمْرو الشيبانيّ : وكان زيد الخيل مُلِحّاً على بني أسد بغاراته ، ثم على بني الصيداء منهم ، ففيهم يقول[6] : [من السريع]

1 ديوانه : 67 .
2 ديوانه : 33 .
3 ديوانه : 93–94 .
4 أذال الفرس : لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل .
5 المنسج : أسفل الحارك .
6 لم ترد هذه الأبيات في مجموع شعره .

ضجَّتْ بَنُو الصَّيْداء من حربنا والحربُ من يحللْ بها يضجرِ
بِتْنا نُزجِّي نحوهم ضُمَّراً معروفةَ الأنساب من منسرِ
حتى صبحناهم بها غُدْوَةً نقتلهم قَسْراً على ضُمَّرِ
يدعون بالوَيْل وقد مَسَّهم منّا غداةَ الشِّعب ذي الهَيْشرِ
ضربٌ يُزيلُ الهامَ ذو مَصْدَقٍ يَعْلُو على البيضة والمِغْفَرِ

الهَيْشَر : شجر كثير الشَّوْك تأكلهُ الإبل .

نسخت من كتاب لأبي المحلم ، قال : حدَّثني أَضبط بن الملوّح ، قال لي : أَبي : أنشِد حبيب بن خالد بن نَضْلة الفَقْعَسيّ قول زيد الخيل : [من الرمل]

عَوِّدُوا مُهْري الذي عوَّدْتُه

فضحك ثم قال : قولوا له : إنْ عوَّدْناه ما عوّدْتَه دفعناه إلى أوّل مَن يَلْقانا ، وهربنا .

[وفوده على النبي وإسلامه]

أَخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة ، قال : حدَّثني عليّ بن حرب ، قال : أنبأني هشام بن الكلبيّ أبو المنذر ، قال : حدَّثني عباد بن عبد الله النَّبهانيّ عن أَبيه عن جدّه ، وأضفْتُ إلى ذلك ما رواه أَبو عمرو الشيبانيّ ، قالا : وفد زَيْدُ الخيل بن مهلهل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ومعه وِزْر بن سَدُوس النّبهانيّ ، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرميّ ، ومالك بن جبير المغنّي ، وقُعين بن خليل الطَّرفيّ ، في عدّة من طيىء ، فأَناخوا رِكابَهم بباب المسجد ، ودخلوا ورسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخطب الناس ؛ فلمّا رآهم قال : إنّي خَيْرٌ لكم مِنَ العُزَّى ، وممّا حازت مَناع ، من كلّ ضارّ غير يَفاع ، ومن الجَبَلِ الأسود الذي تعبدونه من دون الله عزّ وجلّ .

قال أبو المنذر : يعني بمَناع : جَبَل طيىء .

فقام زيد ، وكان من أجمل الرّجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرسَ المشرف ورجْلاه تخطّان الأَرض كأنّه على حمار ، فقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك محمد رسول الله . قال : ومَن أَنْتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل . فقال رسول الله : بل أنتَ زيد الخير ، وقال : الحمد لله الذي جاء بك من سَهْلك وجَبَلك ، ورقّق قلبك على الإسلام ، يا زيد ، ما وُصف لي رجل قطّ فرأيته إلاّ كان دون ما وُصِف به إلاّ أنتَ ؛ فإنّك فوقَ ما قيل فيك .

[موته بالحمى]

فلمّا ولّى قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : أيّ رجل إن سلم من آطام المدينة !

فأخذَتْه الحُمّى ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أُنَخْتُ بآطام المدينة أربَعاً ... وخَمْساً يغنّي فوقها الليلَ طائِرُ
شددتُ عليها رَحْلَها وشَليلَها ... من الدَّرْس والشَّعْراء والبَطْن ضامرُ[2]

فمكث سبعاً ، ثم اشتدّت الحُمّى به فخرج . فقال لأصحابه : جَنِّبوني بلادَ قيس ؛ فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتلُ مسلماً حتى ألقى اللهَ . فنزل بماء لحيٍّ من طيِّىء يقال له فَرْدَة ، واشتدَّت به الحُمّى ، فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أَمُرْتَحِلٌ صَحْبِي المَشارقَ غدوةً ... وأُترَكَ في بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنجِدِ
سقى الله ما بين القَفِيل فطابَةٍ ... فما دونَ أرمام فما فوق مُنشدِ
هنالك لو أنّي مرضتُ لعادني ... عوائدُ من لم يَشْفِ منهنّ يَجْهدِ
فليتَ اللواتي عُدْنَني لم يَعُدْنَني ... وليت اللواتي غِبْنَ عَنِّيَ عُوَّدي

قال : وكتب معه رسول الله صلّى الله عليه وآله لبني نبهان بِفَيْدَك كتاباً مفرداً ، وقال له : أنْتَ زيد الخير ، فمكث بالفَرْدَة سبعة أيّام ثم مات . فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سَبْعاً ، ثم بعث راحِلَتَه ورَحْلَه ، وفيه كتابُ رسولِ الله ﷺ ، فلمّا نظرت امرأته ، وكانت على الشِّرْك ، إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت : [من الطويل]

ألا إنّما زيدٌ لكُلِّ عظيمةٍ ... إذا أقبلتْ أَوْبَ الجرادِ رِعالُها[4]
لَقاهُمْ فما طاشَتْ يَداه بضربهم ... ولا طَعْنهم حتى تولّى سِجالُها[5]

قال : فبلغني أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا بلغه ضَرْبُ امرأةِ زَيد الراحلة بالنار ، واحتراق الكتاب ، قال : بُؤْساً لبني نَبْهان .

وقال أبو عمرو الشيبانيّ ، لمّا وفد زيد الخيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فدخل إليه ، طرح له متّكأ فأعظمَ أن يتّكىءَ بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، فردّ المُتّكأ ، فأعاده عليه ثلاثاً ، وعلّمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة ، ويستسقي

1 ديوانه : 57 .
2 الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل وراء الرحل . والدرس : الثوب الخلق والشعراء : ما فيه من الشعر .
3 ديوانه : 52–53
4 رعال : جمع رعلة ، وهي القطعة من الخيل .
5 لقاهم : لقيهم ، (بلغة طيّىء ، ع .) .

فيُسقى ؛ وقال : يا رسول الله ، أعْطني ثلاثمائة فارس أُغير بهم على قصور الروم ، فقال له : أيّ رجل أنت يا زيد ! ولكن أُمّ الكلبة تقتلك ، يعني الحمّى ، فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلاّ قليلاً حتى حُمّ ومات .

قال أبو عمرو : وأسلموا جميعاً إلاّ وِزراً ؛ فإنّه قال لمّا رأى النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّي لأرى رجلاً ليملكنَّ رقابَ العرب ، وواللهِ لا يملك رقبتي أبداً ؛ فلحق بالشام ، فتنصَّر وحلق رأسه ، فمات على ذلك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثني السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، قال : أقبلَ زيدُ الخيل الطائيّ حتى أتى النبيّ ﷺ ، وكان زيد رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً ، فقال له النبيّ ﷺ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل . قال : بل أنت زيد الخير ، أما إنّي لم أُخبَر عن رجل خبراً إلاّ وجدتُه دون ما أُخبِرْتُ به عنه غيرك ؛ إن فيك لخصلتين يحبُّهما الله عزّ وجلّ ورسوله ، قال : وما هُما يا رسول الله ؟ قال : الأَناة والحلم ، فقال زيد : الحمد لله الذي جَبلني على ما يُحبُّ اللهُ ورسولُه .

[وصف طيىء ورؤسائها]

قال : ودخل زيد على رسول الله ﷺ وعنده عُمر رضي الله عنه ، فقال عمر لزيد : أخبرنا يا أَبا مُكْنِف عن طيىء وملوكها ونَجَدَتها وأَصحاب مَرابعها ؛ فقال زيد : في كلٍّ يا عُمَر نَجْدَةٌ وبأس وسيادة ، ولكلِّ رَجل من حَيِّه مِرْباع ، أمّا بنو حَيَّة فملوكنا وملوك غيرنا ، وهم القَداميس[1] القادة ، والحماة الذَّادة ، والأنجاد السادة ، أعظَمُنا خَمِيساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأَجملنا مجالس ، وأَنجدنا فوارس .

فقال له عُمَر رضي الله عنه : ما تركْتَ لِمَنْ بقي من طيىء شيئاً ، فقال : بَلى واللهِ ؛ أمّا بنو ثُعَل وبنو نَبْهان وجَرْم ففوارس العَدُوة وطلاَّعُو كلّ نجوة ، ولا تُحَلّ لهم حَبْوة ، ولا تُراعُ لهم ندوة ، ولا تُدْرَك لهم نَبْوة ، عَمُود البلاد ، وحيّة كلّ وادِ ، وأهل الأَسَلِ الجِداد ، والخيل الجياد ، والطّارف والتّلاد .

وأمّا بنو جَديلة فأَسهَلُنا قراراً ، وأَعظمنا أخطاراً ، وأَطلبنا للأوتار ، وأَحْمانا للذّمار ، وأَطعمنا للجار .

1 القداميس : جمع قدموس ، وهو السيد .

فقال له عمر : سَمِّ لنا هؤلاء الملوك ، قال : نعم ، منهم عُفَير المُجير على الملوك ، وعَمرو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغَمْرُ ذو الجود ، ومُجير الجراد ، وسراجُ كلّ ظلام ولامة[1] ، وملجم بن حنظلة ؛ هؤلاء كلُّهم من بني حيّة .

وأمّا حاتم بن عبد الله الثعليُّ الجواد فلا يُجارى ، والسمح فلا يبارى ، والليث الضِّرغامة ، قرّاع كلِّ هامة ، جودُه في الناس علامَة ، لا يَقَرُّ على ظُلامة . فاعترض رَجُلٌ من بني ثعَل لمّا مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنّا زَيد بن مهلهل النبهانيّ رئيس قومه وسيِّد الشِّيب والشبّان ، وسمّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكلّ مكان ، أسرعَ إلى الإيمان ، وآمَن بالفرقان ، رئيس قومِه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم ، على شَحْط المزار ، وطُموسِ الآثار ، وفي الإسلام رائدنا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ومجيبُه من غير تَلَعْثُم ولا تلبّث .

ومنّا زيد بن سدوس النّبهانيّ عصمة الجيران ، والغيثُ بكلّ أوان ، ومُضْرِم النيران ، ومطعم النُّدمان ، وفخر كل يَمان .

ومنّا الأَسد الرَّهيص ، سيّد بني جَدِيلة ، ومدوّخ كلّ قبيلة ، قاتل عنترة فارس بني عَبْس ، ومكشِّف كلّ لبس .

فقال عمر لزيد الخيل : لله دَرُّك يا أَبا مكْنِف فلو لم يكن لطيىء غيرك وغير عديّ بن حاتم لقهرتْ بكما العرب .

[قصّته مع الشيبانيّ]

أُخبرني ابن دريد ، قال : أُخبرني عَمّي ، عن أَبيه ، عن ابن الكلبيّ ، عن أَبيه ، قال : أَخبرني شيخٌ من بني نبهان ، قال : أَصابَتْ بني شيبان سنَة ذهبَتْ بالأَموال ، فخرج رَجُلٌ منهم بعِيالِه ، حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريباً من الملك يُصِبْكُنّ من خيره حتى أَرجع إليكنَّ ، وآلى أَليَّةً لا يرجعُ حتى يكسبهنّ خيراً أو يموت . فتزوَّد زاداً ، ثم مشى يوماً إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيَّد يَدُور حَول خباء . فقال : هذا أَوَّل الغنيمة ، فذهب يَحُلُّه ويركبه ، فنودِي : خَلِّ عنه واغنَمْ نفسك ، فتركه ، ومضى سبعة أَيّام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطفيل الشمس ، فإذا خِباء عظيم وقُبّة من أَدَم ، فقال في نفسه : ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهلٍ ، وما لهذه القبّة بدٌّ من ربّ ، وما لهذا العطن بدٌّ من إبل ، فنظر في الخباء ، فإذا شيخ كبير

---

1 اللامة : الهول .

قد اختلفت تَرْقُوَتاه ، كأنّه نَسْرٌ .

قال : فجلستُ خَلْفَه ، فلمّا وجبت[1] الشمسُ إذا فارسٌ قد أُقبل لم أَرَ فارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم ، على فرس مُشْرِف ، ومعه أسودان يمشيان جَنْبيه ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِها ، فبرك الفَحْل ، وبركت حَوْله ، ونزل الفارسُ ، فقال لأحد عَبْدَيْه : احلُب فلانة ، ثم اسْقِ الشيخَ ، فحلب في عُسّ[2] حتى ملأه ، ووضعه بين يدي الشيخ وتنحَّى ، فكرع منه الشيخُ مرّةً أو مرّتين ، ثم نزع ، فثُرْت إليه فشربته ، فرجع إليه العبد . فقال : يا مولاي ، قد أتى على آخِره ، ففرح بذلك ، وقال : احلُبْ فلانة ، فحلبها ، ثم وضع العُسّ بين يدي الشيخ ، فكرع منه واحدةً ، ثم نزع ، فثُرْتُ إليه فشربتُ نِصْفَه ، وكرهتُ أَنْ آتِيَ على آخره ، فأتّهم . فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه : قد شرب ورَوِي ، فقال : دَعْه ، ثم أمر بشاةٍ فذُبحت ، وشوى للشيخ منها ، ثم أكل هو وعَبْداه ؛ فأمهلتُ حتى إذا نامُوا وسمعتُ الغطيطَ ثُرتُ إلى الفَحْل ، فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاندفع بي وتبعَتْه الإبل ، فمشيت ليلتي حتى الصباح ، فلمّا أصبحتُ نظرت فلم أرَ أحداً ، فشللتُها إذاً شلاً[3] عنيفاً حتى تعالى النهار ، ثم التفتُّ التفاتةً فإذا أنا بشيء كأنّه طائر ، فما زال يَدْنو حتى تبيَّنته . فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبي بالأمس ، فعقلت الفَحْلَ ، ونثلْتُ كِنانتي ، ووقفتُ بينه وبين الإبل ، فقال : احلل عِقال الفحل ، فقلت : كلاّ والله ، لقد خلّفت نُسيّات بالحيرة ، وآليتُ أليّةً لا أرجع حتى أُفيدهنّ خيراً أو أموت . قال : فإنّك لميّت ، حُلَّ عقاله ، لا أُمّ لك ! فقلت : ما هو إلاّ ما قلت لك . فقال : إنّك لمغرور : انصب لي خطامَه ، واجعَلْ فيه خَمْس عُجَر[4] ففعلت ، فقال : أين تريد أن أضعَ سهمي ؟ فقلت : في هذا الموضع ، فكأنّما وضعه بيده ، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم ، فرددْتُ نَبْلي ، وحططتُ قوسي ، ووقفت مستسلماً ؛ فدنا منّي وأخذ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارْتَدفْ خَلْفي ، وعرف أنّي الرجل الذي شربت اللَّبَنَ عنده ، فقال : كيف ظنُّك بي ؟ قلت : أسوأ ظنّ . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيتَ من تعب ليلتك ، وقد أظفرك الله بي ، فقال : أترانا كنّا نهيجك ، وقد بتَّ تنادم مُهلهلاً ؟ قلت : أزيد الخيل

---

1 وجبت الشمس : غابت .

2 العس : القدح الكبير .

3 شل الإبل : طردها .

4 عجر : عقد .

أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، فقال : ليس عليك بأس .

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسلمتها إليك ، ولكنّها لبنت مهلهل ، فأقِمْ عليَّ ؛ فإنّي على شَرَف غارةٍ .

فأقمتُ أيّاماً ، ثم أغار على بني نُمير بالمِلْحِ ، فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أَحَبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه ، قال : دُونكها . وبعث معي خُفَراء من ماءٍ إلى ماءٍ ، حتى وَرَدُوا بي الحيرة ، فلقيني نبطيٌّ : فقال لي : يا أعرابيّ ، أيسرُّك أنَّ لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرب مخرج نبيٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إنّ أحدهم ليبتاعُ البستان من هذه البساتين بثمن بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع الشَّيِّطَيْن[1] فبينما نحن في الشَّيِّطَيْن على ماءٍ لنا ، وقد كان الحَوْفَزان بن شريك أغار على بني تميم ، فجاءنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأسلَمْنا ، وما مضت الأيّامُ حتى شريتُ بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة . فقال في يوم المِلْح زيد الخيل[2] : [من الوافر]

ويــوم الملحِ مِلــحِ بني نُمَيْرٍ أصابتكــم بأظفــارٍ ونــابِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عَمِّي عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، والشرقيّ .

أنّ زيد الخيل قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إن في الحيّ رجلين لهما كلاب مُضرَّيات[3] تَصيدُ الوحش ، أفنأكل ممّا أمسكته ولم تُدرك ذكاته ؟ فقال : «إذا أرسلْتَ كلبك فاذكر اسم الله عليه وكُلْ ممّا أمسك» ، أو كما قال عليه السلام .

[شعره في يوم محجر]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أنشدتني ليلى بنت عُروة بن زيد الخيل الطائيّ شِعْرَ أبيها في يوم مُحَجِّر : [من الطويل]

بني عامر هــل تعرفون إذا غَدا أبو مُكْنِف قــد شدَّ عَقْدَ الدوابرِ

1 الشيّطان : واد في ديار بني تميم .

2 ديوانه : 40–41 وفيه «من يغير على غني» .

3 مضريات : مدربات على الصيد .

بجيشٍ تضلُّ البُلْـقُ في حَجَراتـهِ ترى الأُكْمَ فيـه سُجَّداً للحَوافرِ
وجَمعٍ كمثلِ الليلِ مرتجزِ الوَغى كثيرٍ حواشيـه سريـعِ البوادرِ

قالت ليلى : فقلت لأبي : يا أَبَهْ ، أشهدْتَ ذلك اليوم مع أبيك ؟ قال : إي والله يا بنيَّة ، لقد شهدته ، قلت : كم كانت خيلُ أبيكَ هذه التي وصفت ؟ قال : ثلاثة أفراس .

[غزوه بني عامر]

نسختُ من كتاب عَمْرو بن أبي عمرو الشيبانيّ بخطّه عن أبيه : أنّ زيدَ الخيل بن مهلهل جمع طَيِّئاً وأخلاطاً لهم ، وجموعاً من شُذَّاذِ العرب ، فغزا بهم بني عامر ومَن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، وسار إليهم فصَبّحهم من طلوع الشمس فنَذِروا به ، وفزعوا إلى الخَيل وركبوها ، وكان أوّل مَن نَذِر بهم ، فلقِيَ جمعهم غَنِيٌّ بن أعصر وإخوتهم : الحارث وهو الطُّفاوة ، واسمُه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، فاستحرَّ القَتلُ بِغَنِيّ ، وفيهم يومئذٍ فُرسان وشُعَراء ، فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم .

[أسر الحطيئة وأطلقه]

وأسر زيد الخيل يومئذٍ الحطيئةَ الشاعر ، فجزَّ ناصيته وأطلقه .

ثم إنّ غنيّاً تجمَّعت بعد ذلك مع لِفّ من بني عامر فغزَوْا طيئاً في أرضهم ، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم .

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدتَه التي يقول فيها[1] : [من الوافر]

وخيبة مـن يخيب على غَنِـيٍّ وباهلـةَ بْنِ أعصُرَ والكلابِ

فلمّا أدركوا ثارهم أجابه طُفَيل الغنويّ ، فقال[2] : [من الوافر]

سَمَوْنـا بالجِيـادِ إلى أعـادٍ مُغـاورةً بجـدٍّ واعتصابِ
نؤمّهـم على وَعْـثٍ وشحطٍ بِقُـودٍ يَطَّلِعن مـن النِّقابِ[3]

وهي طويلة يقول فيها : [من الوافر]

1 ديوانه : 65–66 .

2 ديوان طفيل الغنوي (صادر) : 96–97 .

3 الوعث : الطريق العسر . وقود : سهلة الانقياد .

أَخذنــا بالمخَطَّم مَــنْ أَتاهم ... من السُّودِ المزَنَّمـةِ الرِّغابِ[1]
وَقَتَّلْنــا سَراتَهــمُ جِهــاراً ... وجئنــا بالسَّبايــا والنِّهـابِ
سبايـا طَيِّىءٍ أُبــرزن قَسْراً ... وأُبدلن القصورَ مــن الشِّعابِ
سبايـا طَيِّــىءٍ مــن كلّ حَيّ ... نمـا في الفرع منها والنِّصابِ
ومــا كانــت بناتُهــمُ سبيّاً ... ولا رغبـاً يعـدُّ مـن الرِّغابِ
ولا كانــت دماؤهــمُ وفـاءً ... لنا فيمــا يعُـدّ مـن العِقابِ

[عروة بن زيد الخيل]

أَخبرني الحسن بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، قال : كان لزيد الخيل ابن يقال له عُروة ، وكان فارساً شاعراً ، فشهد القادسيّة ، فحَسُنَ فيها بلاؤُه ، وقال في ذلك يذكر حُسْنَ بلائه : [من الطويل]

بَــرزتُ لأَهْــلِ القادسيّة مُعْلِمــاً ... ومــا كلّ مَــنْ يَغْشى الكريهةَ يُعلِمُ
ويــوم بأَكناف النُّخَيْلَــة قَبْلَهـا ... شهدتُ فلـم أُبْرَحْ أُدَمِّي وأُكْلَمُ
وأَقعصتُ منهــم فارساً بَعْدَ فـارسٍ ... وما كلّ مَنْ يلقــى الفَوارسَ يَسْلَمُ[2]
ونجَّــانيَ اللهُ الأَجَــلُّ وجرأَتــي ... وسيفٌ لأَطراف المــرازبِ مِخْذَمُ[3]
وأَيقنــتُ يــوم الدَّيْلَمِيِّـين أَنّنــي ... متى ينصرف وَجْهي عن القومِ يُهْزَموا
فمــا رُمْــتُ حتى مزَّقــوا برماحهم ... ثيابــي وحتــى بـلَّ أَخْمصيَ الدَّمُ
محافظــةً إِنّـــي امــرؤٌ ذو حَفيظـــة ... إذا لَــمْ أَجِــدْ مستأخــراً أَتقدَّمُ

قال : وشهد مع عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه صِفِّين ، وعاش إلى إمارة معاوية ، فأَراده على البراءة مِن عليّ عليه السلام ، فامتنع عليه ، وقال[4] : [من الوافر]

يحاولُني معاويــةُ بــن حَرْبٍ ... وليس إلى الذي يَهـوى سبيلُ
على جَحْدي أَبـا حَسنٍ عليّـاً ... وحظّــي من أَبي حَسنٍ جليلُ

قال : وله أَشعار كثيرة .

1 المزنم : مقطوع طرف الأذن . والرغاب : الكثيرة النفع .
2 أقعسه : قتله وأجهز عليه .
3 المرازب : جمع مرزبان ، وهو الرئيس من الفرس . ومخذم : قاطع .
4 لم يرد البيتان في ديوانه .

[قتل الجرار لما أبى الإسلام]

قال أبو عمرو : كان لتغلب رئيس يقال له الجرّار ، وأدرك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأبى الإسلام ، وامتنع منه ، فيقال : إنّ رسول الله ﷺ بعث إليه زَيد الخيل ، وأمره بقتاله ، فمضى زيد فقاتله فقتله أبى الإسلام ، وقال في ذلك[1] : [من البسيط]

صبّحتُ حَيَّ بَنِي الجرّار داهيةً … ما إن لتغلبَ بعد اليوم جَرّارُ
نحوي النّهابَ ونَحْوِي كلَّ جاريةٍ … كأن نُقبتها في الخدِّ دِينارُ

[يغير على بني عامر]

قال مؤرّج : خرج رجل من طيىء يقال له : ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له من هوازن ، فأصيب الرجل ، وكان شريفاً ذا رياسة في حَيِّه ، فبلغ ذلك زيداً ، فركب في نبهان ومَن تبعه من ولد الغَوْث ، وأغار على بني عامر ، وجعل كلّما أخذ أسيراً قال له : ألكَ عِلْم بالطائيّ المقتول ؟ فإن قال : نعم ، قتله ، وإن قال : لا ، خَلّى سبيله ومَنَّ عليه . وأصاب رجالاً من بني الوحيد والضباب وبني نُفَيل . ثم رجع زيد إلى قومه ، فقالوا : ما صنعتَ ؟ فقال : ما أصبْتُ بثأر ذُؤاب ، ولا يَبُوء به إلاّ عامر بن مالك ملاعب الأسنّة ، فأمّا ابنُ الطّفيل فلا يبوء به ، وأنشأ زيد يقول[2] : [من الخفيف]

لا أرى أن بالقَتِيل قَتِيلاً … عامريّاً يَفي بقَتْل ذُؤابِ
ليس مَنْ لاعَب الأسنّة في النقـ … ـع وسُمِّي ملاعباً بأرابِ
عامرٌ ليس عامرَ بنَ طُفيل … لكن العَمْرُ رأسُ حيّ كِلابِ
ذاكَ إن ألْقَه أنالُ به الوِتْـ … ـرَ وقَرّتْ به عُيونُ الصّحابِ
أو يَفُتْني فقد سُبِقْتُ بوترٍ … مَذْحِجِيٍّ وجَدُّ قوميَ كابي
قد تقنّصْتُ للضِّبابِ رجالاً … وتكرّمتُ عن دماءِ الضِّبابِ
وأصبنا مِن الوَحِيد رجالاً … ونُفيلٍ فما أساغُوا شَرابي

فبلغ عامر بن الطُّفيل قولُ زيد الخيل وشعره ، فأغضبه وقال مجيباً له[3] : [من الخفيف]

قل لزيدٍ قد كنتَ تؤثَر بالحلـ … ـم إذا سُفِّهَتْ حلومُ الرِّجالِ

1 ديوانه : 59 .
2 ديوانه : 39 .
3 ديوان عامر بن الطفيل (صادر) 101–102 .

ليس هذا القتيلُ مِنْ سَلَفِ الحـ ـيّ كَلاعٍ ويَحْصُبٍ وكُلالِ[1]
أو بنـــي آكلِ المُرار ولا صيـ ـــدِ بنـي جَفْنةَ الملوك الطِّوالِ
وابن ماء السماء قد علم النّا سُ ولا خَيْرَ في مقالـةِ غالي
إنَّ في قَتْـل عامِـر بْنِ طُفيلٍ لَبَـــواءٌ لطيِّـــىء الأَجبـــالِ
إنّني والذي يحجُّ لـــه النّا س قليـــلٌ في عامـــر الأَمثالِ
يوم لا مال للمحارب في الحرْ ب سِوى نَصْلٍ أَسمـرٍ عَسّالِ
ولجامٍ في رَأْس أَجْرَدَ كالجذْ عٍ طُـــوالٍ وأَبيض قَصَّالِ
ودِلاصٍ كالنِّهْـيِ ذاتِ فضولٍ ذاكَ في حَلْبَةِ الحوادث مالي[2]
ولِعَمِّي فضل الرياسةِ والسـ ـنٌ وجَدّي على هـوازنَ عالي
غير أنّي أُولي هوازنَ في الحر بِ بضَرْبِ المتـوَّجِ المختالِ
وبِطَعْنِ الكَميِّ في حَمَسِ النَّقْـ ـعِ على مَتْن هَيْكَــلٍ جَوّالِ

[غارته على بني مرّة]

قال أَبو عمرو الشيبانيّ : لَمّا بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعَمرو بن الإطنابة الخَزْرَجيّ وهجائه إيّاه ، غضب زيدٌ لذلكَ ، فأَغار على بني مُرّة بن غطفان ، فأَسر الحارث بن ظالم وامرأَته في غارته ، ثم مَنّ عليهما ، وقال يذكُرُ ذلك[3] : [من الطويل]

أَلا هـل أَتـــى غَوْثاً ورُومانَ أَننا صبَحْنا بني ذُبيانَ إحدى العظائمِ
وسُقْنا نساءَ الحـيّ مُـرَّةَ بـالقَنا وبالخيلِ تَرْدي قد حوينا ابن ظالمِ
جَنِيباً لأَعضاد النواجـي يَقُدْنَـه على تَعَـبٍ بين النَّواجي الرواسمِ[4]
يقـول : اقبَلُوا مِنّي الفداء وأَنعِموا عـليّ وجُـزُّوني مكـانَ القَوادِمِ
وقد مسَّ حـدُّ الرّمح قوَّارةَ استِه فصارت كشِدْقِ الأَعْلَمِ المُتَضاجِمِ[5]
وسائِلْ بنا جارَ ابْنِ عَوف فقد رأَى حليلتَـه جالَـتْ عليهـا مقاسمي

1 ذو الكلاع ويحصب وعبد كلال : من ملوك اليمن .
2 الدلاص : الدروع الواسعة الملساء . والنهي : الغدير .
3 ديوانه 96-98 .
4 أعضاد : جمع عضد ، وهو ما حول الشيء . والنواجي : جمع ناجية ، وهي الناقة السريعة .
5 المتضاجم : المعوج الفم .

تُلاعب وُحْدانَ العَضارِيطَ بَعْدَما جَلاها بسهميه لقيطُ بن حازمِ[1]
أَغرّك أَنْ قيل ابنُ عوف ولا أَرى عَزيمك إلاّ واهِياً في العزائمِ
غداة سَبْيَنا مِن خَفاجة سَبْيَها ومرَّتْ لهم مِنّا نحوسُ الأَشائمِ
فمن مُبلِغٌ عنّي الخزارجَ غارةً على حيٍّ عوفٍ موجفاً غَيْرَ نائمِ

[غارته على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان]

وقال أَبو عمرو : أَغار زَيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ أَبو ضَبّ ، ومع زَيد الخيل من بني نَبْهان بطنان يقال لهما : بنو نَصْر وبنو مالك ، فأَصاب وغَنِم ، وساقوا الغنيمة ، وانتهى إلى العَلَم ، فاقتسموا النِّهاب ، فقال لهم زيدٌ : أَعطوني حقّ الرياسةِ ، فأَعطاه بنو نَصْر ، وأَبى بنو مالك ، فغضب زيد ، وانحدر إلى بني نصر ، فبينما بنو مالك يقتسمون إذْ غشيَتْهم فَزارة وغطفان ، وهم حلفاء ، فاستنقذوا ما بأيديهم . فلمّا رأى زيد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أَبا ضَبّ ، وأخذ ما في أيديهم ، فدفعه إلى بني مالك ، وكانوا نادَوه يومئذٍ : يا زَيْداه ، أَغِثْنا ! فكرَّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم ، ورَدّه ، وقال يذكر ذلك[2] : [من الطويل]

كررْتُ على أَبطالِ سَعْدٍ ومالكٍ ومَنْ يَدعُ الدّاعي إذا هو ندّدا[3]
فلأْياً كَررتُ الوَرْدَ حتى رأَيْتُهم يُكَبّون في الصحراء مَثْنى ومَوْحَدا
وحتى نبذتُم بالصَّعيدِ رِماحَكم وقد ظهرت دَعوى زُنَيْم وأَسْعَدا
فما زلتُ أَرميهم بغُرَّة وَجْهِهِ وبالسيفِ حتى كلَّ تَحْتِي وبَلّدا[4]
إذا شكَّ أَطرافُ العَوالي لَبانَهُ أُقَدِّمه حتى يَرى المَوْتَ أَسودا
عُلالَتها بالأمس ما قد علمتمُ وعَلُّ الجواري بيننا أَنْ تُسَهَّدا
لقد علمَتْ نَبْهانُ أَنّي حميتُها وأَنّي منعتُ السَّبْيَ أَنْ يتبدَّدا
عشيَّةَ غادرتُ ابْنَ ضَبّ كأنّما هوى عن عُقاب من شماريخ صِنْدِدا[5]

---

1 العضاريط : الخدم ، جمع عضروط .
2 ديوانه : 43–45 .
3 أبطال في ل : فتيان .
4 تحتي في ل : خربي .
5 عقاب في ل : حفافي . صندد : جبل بتهامة .

بِذي شُطَبٍ أُغْشي الكتيبــةَ سَلْهباً ⠀⠀ أَقَــبَّ كَسِرْحــان الظَــلام مُعَــوَّدا

[زيد وعامر بن الطفيل]

قال أبو عمرو : وخرَج زيد الخيل يطلب نَعَماً له من بني بَدْر ، وأَغار عامرُ بن الطُّفيل على بني فَزارة ، فأخذ امرأةً يقال لها هِنْد ، واستاق نعماً لهم ، فقالت بنو بَدْر لزَيْد : ما كنّا قطّ إلى نَعَمك أُحْوج منّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى ، وعامر يقول : يا هند ، ما ظنُّك بالقَوْمِ ؟ فقالت : ظنّي بهم أنّهم سيطلبونك ، وليسوا نِياماً عنك .

قال : فحطأً عَجُزَها ، ثم قال : لا تقول استُها شيئاً[1] ، فذهبتْ مثلاً .

فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجَماله ، وغشيه زيد فبرز له عامر ، فقال : يا عامر ؛ خَلِّ سبيلَ الظعينة والنَّعم . فقال عامر : مَنْ أَنت ؟ قال : فزاريٌّ أَنا . قال عامر : والله ما أَنْتَ من القُلْح[2] أفْواهاً . فقال زيد : خَلِّ عنها ، قال لا ، أَو تخبرني مَنْ أَنت ؟ قال : أَسديٌّ ، قال : لا والله ما أَنْتَ من المتكوِّرين على ظُهورِ الخيل . قال : خَلِّ سبيلها . قال : لا والله أو تخبرني فاصدقْني ؛ قال : أنا زَيْد الخيل ، قال : صدقْتَ ؛ فما تريد مِنْ قتالي ، فوالله لئن قتلتني لتطلبنّك بَنو عامر ، ولتذهبنّ فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلِّ عنها ، قال : تخلِّي عَنِّي وأَدَعُك والظعينة والنّعم ؟ قال : فاستأسِر ، قال : أَفعل ، فجزّ ناصيته ، وأخذ رُمْحَه ، وأخذ هنداً والنّعم ، فردَّها إلى بني بَدْر ، وقال في ذلك[3] : [من البسيط]

إنّــا لَنُكثِرُ في قَيْسٍ وقائعَنــا ⠀⠀ وفي تميمٍ وهــذا الحيِّ من أَسدِ
وعامــر بــن طُفيل قد نحوتُ له ⠀⠀ صَدْرَ القناة بماضي الحـدّ مطَّردِ
لّمــا أَحسَّ بــأَنَّ الوَرْدَ مُدرِكه ⠀⠀ وصارِماً وَربيطَ الجـأْش ذا لُبَدِ[4]
نادى إليَّ بسلْمٍ بعدمــا أَخَذَتْ ⠀⠀ منــه المنيّــةُ بــالحَيْزومِ واللُّغُدِ
ولــو تصبَّر لي حتــى أُخالِطَـه ⠀⠀ أسْعرتــه طعنَــةٌ تكْتار بالزَّبَدِ[5]

قال : فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً ، وأَخبرهم الخبر . فغضِبُوا لذلك ، وقالوا : لا

1 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .
2 القلح : جمع أقلح ، وهو الذي في أسنانه صفرة .
3 ديوانه : 51-52 .
4 أحس في ل : تحسب أن .
5 تكتار بالزبد في ل : كالنار بالزَّند . وتكتار : تجيش وترمي بالزبد .

ترأسنا أبداً ، وتجهَّزوا ليغيروا على طيىء ، ورأسوا عليهم علقمة بن عُلاثَة ، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير .

[يأسر الحطيئة وكعب بن زهير]

فبعث عامر إلى زيد الخيل دَسِيساً يُنْذِره ، فجمع زيدٌ قومه ، فلقيهم بالمضيق فقاتلهم ، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ؛ فلمّا طال عليهم الأسر قالوا : يا زيد ، فادِنا . قال : الأمر إلى عامر بن الطُّفيل ، فأبَوْا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر إلاّ الحطيئة وكَعْباً ، فأعطاه كعب فرسه الكُمَيت ، وشكا الحطيئة الحاجةَ ، فمنَّ عليه ، فقال زيد[1] : [من الطويل]

أقُولُ لعَبْدي جَرْوَل إذ أسَرتُهُ ... أثِبْني ولا يَغْرُرْكَ أنّك شاعِرُ
أنا الفارِسُ الحامِي الحقيقةَ والذي ... لـه المَكْرُماتُ واللُّهى والمآثِرُ[2]
وقومي رُؤُوس الناسِ والرأسُ قائد ... إذا الحربُ شَبَّتْها الأكفُّ المساعِرُ
فلستُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ وِرْدُه ... وأتْرَعَ حَوْضاه وحَمَّجَ ناظِرُ[3]
بِوَقافةٍ يخشى الحُتُوفَ تَهيُّباً ... يُباعِدُني عنها مِن القُبِّ ضامِرُ
ولكنّني أغْشى الحُتوفَ بصَعْدَتي ... مجاهَرةً إنّ الكريمَ يُجاهِرُ[4]
وأرْوِي سِناني مِن دِماءٍ عزيزة ... على أهلِها إذ لا ترجَّى الأياصِرُ[5]

فقال الحطيئة لزيد[6] : [من الطويل]

إن لم يكن مالي بآتٍ فإنّني ... سيأتي ثنائي زيداً بن مُهَلْهِلِ
فأعطيتَ منّا الوُدّ يوم لقيتنا ... ومن آلِ بَدْرٍ شدَّة لم تُهلَّلِ[7]
فما نلتَنا غَدْراً ولكن صبَحْتَنا ... غداةَ التقينا في المضيق بأخْيُلِ[8]

1 ديوانه : 54–56 .
2 اللهى : العطايا .
3 حمّج : حدد النظر .
4 الصعدة : القناة المستوية .
5 الأياصر : قرابة الرحم ، جمع آصرة .
6 ديوان الحطيئة (صادر) : 172–173 مع اختلاف في الرواية والترتيب .
7 لم تهلل : لم يجبن أصحابها .
8 أخيل : جمع خيل .

تَفادى حمـاةُ القومِ من وقع رمحه ... تَفادِي ضعافِ الطَّيرِ مِن وَقْع أجدلِ[1]

وقال فيه الحطيئة أيضاً[2] : [من الطويل]

وقعْـتَ بعَبْس ثـم أنعمت فيهم ... ومن آل بدر قد أصبت الأخايرا[3]

فإنْ يشكروا فالشكرُ أدنى إلى التُّقى ... وإن يكفروا لا أُلْف يا زيدُ كافرا[4]

تركتَ الميـاهَ مـن تميمٍ بَلاقِعاً ... بما قد ترى منهم حُلُولاً كراكِرا[5]

وحيَّ سُلَيْمٍ قد أثَرْت شَرِيدَهم ... وبالأمس مـا قتَّلتَ يا زيد عامرا

فرضي عنه زيد ومَنَّ عليه لمّا قال هذا فيه ، وعدَّ ذلك ثواباً من الحطيئة وقبله .

فلمّا رجع الحطيئةُ إلى قومه قام فيهم حامداً لزَيْد ، شاكراً لنعمته ، حتى أسرَتْ طيىء بني بدر ، فطلبت فزارةُ وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجوا بني لأم وزيداً ، فتحامتهم شعراء العرب ، وامتنعت من هجائهم ؛ فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم ، وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دَمي ، وأطلقني بغير فِداءٍ ؛ فلست بكافر نعمتَهُ أبداً ، قالوا : فإنّا نُعطيكَ مائة ناقة ، قال : واللهِ لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك . وقال الحطيئة[6] : [من البسيط]

كيف الهجـاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ ... مـن آل لأمٍ بظَهْـر الغَيْب تأْتِينا

المنعمـين أقـام العِـزُّ وسطَهُـمُ ... بيضُ الوجُـوه وفي الهيجا مَطاعِينا

وقد أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنّصُون الوَحْشَ ، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم ، فافتدى بُجَير نفسه بفرس كان لكعب أخيه ، وكعب يومئذٍ مجاور في بني مِلْقَط من طيىء ، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه .

[غزوه فزارة]

وقال أبو عمرو : غزَتْ بنو نبهان فزارةَ وهم متساندون ومعهم زَيْد الخيل ، فاقتتلوا قتالاً

1 تفادى حماة القوم في ل : كريم تفادى الخيلُ .
2 ديوان الحطيئة : 185 .
3 الأخايرا في الديوان : الأكابرا .
4 التقى في ل : النهى .
5 الكراكر : الجماعات ، واحدتها كركرة .
6 ورد البيت الأول في الديوان (174–175) وروايته فيه :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... إذا ذكرت بظهر الغيب تأتيني

ولم يرد البيت الثاني .

شديداً ، ثم انهزمت فزارة ، وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان ، ثم إنّ فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس ، وفيهم رجل من سُليم شديدُ البأس سيّدٌ يقال له : عبّاس بن أنس الرعليّ ، كانت بنو سُليم قد أرادوا عَقْد التاج على رأسِه في الجاهليّة ، فحسده ابنُ عمٍّ له فلطم عينه ، فخرج عبّاس من أعمال بني سليم في عِدّةٍ من أهل بيته وقومه ، فنزل في بني فزارة ، وكان معهم يومئذٍ ، ولم يكن لزَيْد المِرباع حينئذٍ . وأدركت فزارة بني نبهان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلمّا رأى زيد ما لَقيَتْ بنو نبهان نادى : يا بني نبهان ؛ أأحمل وَلي المِرْباع ؟ قالوا : نعم ، فشدَّ على بني سليم فهزمهم ، وأخذ أُمّ الأسود امرأة عبّاس بن أنس ، ثم شَدَّ على فزارة والأخلاط فهزمهم ، وقال في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا ودَّعَتْ جيرانَها أُمُّ أَسْوَدا ... وضنَّت على ذي حاجَةٍ أن يُزوَّدا
وأبغضُ أخلاقِ النساء أَشَدُّه ... إليّ فلا تُولِنَّ أَهلي تشدّدا
وسائلْ بني نَبْهان عنّا وعندهم ... بلاءٌ كحدّ السيف إذْ قَطَعَ اليدا
دَعَوْا مالكاً ثم اتَّصلنا بمالكٍ ... فكلٌّ ذَكا مصباحُهُ فتوقّدا
وبشرَ بن عمرو قد تركنا مُجَنْدلاً ... ينوء بخطّار هناك ومَعْبَدا
تمطّت به قَوْداءُ ذاتُ عُلالة ... إذا الصِّلْدِمِ الخِنْذِيذ أَعْيا وبَلَّدا[2]
لقيناهُمُ نستنقذُ الخيلَ كالقنا ... ويستسلبون السَّمْهَرِيَّ المُقَصَّدا
فيا رُبَّ قِدْرٍ قد كَفأنا وجَفْنَةٍ ... بذي الرِّمْثِ إذ يدعون مَثْنى ومَوْحَدا
على أنّني أثوى سناني وصَعْدَتي ... - بِساقَين - زيداً أن يبوءَ ومعبدا

[بينه وبين قيس بن عاصم]

قال أبو عمرو : وقعَتْ حربٌ بين أخلاط طيِّىء ، فنهاهم زيد عن ذلك وكَرِهَه فلم ينتهوا ، فاعتزل وجاوَرَ بني تميم ، ونزل على قيس بن عاصم ، فغَزَتْ بنو تميم بكرَ بن وائل وعليهم قيس ، وزيد معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وزيد كافٌّ . فلمّا رأى ما لقيَتْ تميم ركب فرسه ، وحمل على القوم ، وجعل يدعو يا لتميم ، ويتكنّى بكنية قَيْس إذا قتل رجلاً أو أذراه[3] عن فرسه ، أو هزم ناحية ، حتى هزمت بكر ، وظفرت تميم ، فصارت

1 ديوانه : 46–48 .
2 الصلدم : الشديد الحافر . والخنذيذ : الطويل .
3 أذراه : أطاره .

فخراً لهم في العرب ، وافتخر بها قيس .

فلمّا قدموا قال له زيد : اقسم لي يا قيس نَصيبي ، فقال : وأيّ نصيب ؟ فوالله ما وَلِيَ القتالَ غيري وغيرُ أُصحابي : فقال زيد[1] : [من الطويل]

ألا هــل أتاها والأَحادِيثُ جَمَّــةٌ مُغَلغلــةٌ أنبــاءُ جَيْشِ اللَّهــازِمِ
فلستُ بوقّافٍ إذا الخيل أحجمت ولست بكذّاب كقيس بن عاصمِ
تُخبِّر مَنْ لاقيتُ أن قد هزمتهم ولم تَــدرِ مـا سيماهُمُ والعمائمِ
بل الفارس الطائيُّ فَضَّ جموعَهم ومكَّةَ والبيتِ الذي عنـد هاشمِ
إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجِلنا عليهمُ بِمأْثُورةٍ تَشْفي صُداعَ الجماجمِ

فبلغ المكشَّر بن حَنْظلة العجليَّ أحد بني سنان قولُ زيد ، فخرج في ناس من عِجْل حتى أغار على بني نَبْهان ، فأخذ من نعمهم ما شاء ، وبلغ ذلك زيد الخيل ، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان ، حتى اعترض القوم ، فقال : ما لي ولك يا مكشّر ؟ فقال : قولك : [من الطويل]

إذا ما دعوا عجلاً عجلْنا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ، ورجع المكشّر ببقيّةِ ما أصاب . فأغار زيد على بني تَيمِ الله بن ثعلبة ، فغنم وسبى ، وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

إذا عركت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ غَيْرنا عَرَكْنا بتَيْم اللاتِ ذَنْب بني عجلِ

[حريث بن زيد الخيل]

وقال أبو عمرو : كان حُريث بن زيد الخيل شاعراً ، فبعث عمر بن الخطّاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه . فأقبل حتى نزل بمحلّة بني نبهان ، فاستقرأ ابن عمٍّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مُنْهِب ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربه ، فمات .

فأقامت بنته أُمّ أوس تندبه ، وأَقبل حُرَيث بن زيد الخيل فأَخبرته ، فأَخذ الرّمح فشدّ على أَبي سفيان فطعنه فقتله ، وقتل ناساً من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

1 ديوانه : 99–100 .

2 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

أَلا بكَّـر الناعي بأَوْسِ بن خالـد ... أَخي الشَّتْوَة الغَبْراء والزَّمَنِ المَحْلِ
فــلا تَجْزَعِـي يـا أُمَّ أوسٍ فإِنّه ... يلاقي المنايا كلُّ حافٍ وذي نَعْلِ
فـإنْ يقتلوا أوساً عزيــزاً فإنّني ... تركـتُ أَبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
ولولا الأُسى ما عشْتُ في الناسِ بعده ... ولكنْ إذا مـا شئت جاوبني مِثْلي
أُصبْنا بــه من خِيرة القوم سَبْعةً ... كِراماً ولم نأكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ

صوت

[من الخفيف]

بَشَّرَ الظَبْيُ والغـرابُ بسُعْدى ... مَرْحبـاً بالذي يقـول الغرابُ
اذْهَبي فاقرئــي السلام عليهم ... ثــم رُدِّي جوابَنـا يـا رَبابُ

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قيس الرقيّات ، والغِناء لفِنْد المخنّث ، مولى عائشة بنت سَعْد بن أَبي وقّاص ، خفيف رمل بالبنصر . وذكر حبش أنّ هذا اللّحن ليحيى المكّيّ ، وليس ممّن يُحصّل قوله .

362 ـ [خبر لابن قيس الرقيّات][1]

أُخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحِرْميُّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب ، مولى بني عامر بن لؤيّ ؛ وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أَبــا الحارثِ قلبي طائرٌ فائتمر أَمْــرَ رشيــد مُؤتمنْ

[يقف مع عبد العزيز بن مروان]

قال : حدَّثني عمرو بن عبد الرحمن بن عَمْرو بن سهل ، قال : حدَّثني سليمان بن نوفل بن مساحق ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان ، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك ، فامتنع عليه ، وكتب إليه يقول له : لي ابنٌ ليس ابنُك أحبَّ إليَّ منه ؛ فإن استطعت ألاّ يفرقَ بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل . فرقَّ له عبد الملك ، وكفَّ عن ذلك ، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ، وكان عند عبد العزيز[2] : [من المنسرح]

يَخلُفكَ البيضُ مِــنْ بنيــك كما يُخْلَفُ عُــودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ
ليسوا مِنَ الخِرْوع الضِّعاف ولا أَشبــاهِ عيدانـــه ولا غَـــرَبِهْ[3]
نحــن على بيعــةِ الرسول التــي أُعطِيَــتْ في عُجمـــه وفي عَرَبِهْ
نأتي إذا ما دعوتَ في الزَّغَفِ المَسْـ ـــرودِ أبدانُــــه وفي جُنَبِــهْ[4]
نُهــدِي رَعِيــلاً أَمــام أَرْعَنَ لا يُعرفُ وَجْــهُ البلقــاء في لَجبِهْ[5]

فقال عبد الملك : لقد دخل ابنُ قَيْس الرقيّات مَدْخَلاً ضيِّقاً ، وتهدّده وشتمه . وقال : أَليس

1 تقدمت ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الأغاني 5 : 48 .
2 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 14–15 .
3 الضعاف في الديوان : الضعيف .
4 الديوان : نأتي إذا ما دعوت في الحلق الـ ـماذي أبدانــه وفي جببـــه
والزغف الدروع الواسعة المحكمة ، واحدتها زغفة . وجببه : جمع جبة ، وهي الدرع السابغة .
5 الديوان : يهدي رعالاً . والرعال : جمع رعيل ، وهو القطعة من الخيل . وارعن : كثير ، صفة للجيش .

هو القائل[1] : [من الخفيف]

كَيْفَ نومي على الفراش ولما ... تَشْمَلِ الشّامَ غارةٌ شعواءُ
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتبدي ... عن خِدامِ العقيلةُ العَذْراءُ[2]

وهو القائل أيضاً[3] : [من الطويل]

على بَيْعَةِ الإسلام بايَعْنَ مُصْعَباً ... كرادِيس مِنْ خيل وجمعاً مُباركا[4]
تدارِكَ أُخرانا ويَمْضي أمامنا ... ويتْبَع ميمونَ النقيبة ناسكا
إذا فرغَتْ أظفارُه مِنْ كتيبةٍ ... أمال على أُخرى السيوفَ البواتكا

قال : فلمّا بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشَتْمه إيّاه قال[5] : [من الخفيف]

بَشَّرَ الظَّبْيُ والغُرابُ بسُعْدى ... مَرْحباً بالذي يقول الغرابُ
قال لي : إنَّ خيرَ سعدى قريب ... قد أنى أنْ يكون منه اقترابُ
قالت : أنَّى تكون سُعْدى قريباً ... وعليها الحصونُ والأبوابُ
حبّذا الرِّيمُ ذو الوشاحين والخَـ ... ـصْرُ الذي لا ينالُه الأثوابُ[6]
إنَّ في القصر لو دخلتَ غزالاً ... مُصْفَقاً موصَداً عليه الحِجابُ
أرسَلَتْ أن فَدَتْكَ نفسيَ فاحذرْ ... هاهُنا شُرْطَةٌ عليك غضابُ
أقسموا إنْ رأوك لا تَطْعَم المـا ... ءَ وهم حين يقدُرُون ذِئابُ
قلت : قد يَغْفَلُ الرَّقيبُ ويُغفي ... شُرْطةٌ أو يحينُ منه انقلابُ
أو عسى أنْ يُوَرِّيَ الله أمراً ... ليس في غَيْبِهِ علينا ارتقابُ
اذهبي فاقرئي السلامَ عليها ... ثم رُدِّي جوابَنا يا رَبابُ
حدّثيها ما قد لقيتُ وقُولي ... حُقَّ للعاشق الكريم ثوابُ
رجلٌ أنتِ همُّهُ حين يُمْسي ... خامرَتْهُ مِنْ أجلِكِ الأوصابُ

---

1 الديوان : 95–96 .
2 عن خدام في الديوان : عن براها .
3 ديوانه : 132 .
4 الديوان : مباركا ، أي كثير .
5 ديوانه : 84–86 مع بعض اختلاف .
6 الديوان : والقصر . . . الأسباب .

لا أَشمُّ الريحـــانَ إلاّ بعَيْـــ ـــنيّ كَرمـاً إنّما يشمُّ الكلابُ
رُبَّ زارٍ عــليَّ لم يَــرَ منّــي عثـرةً وهـــو مُومِسٌ كـذّابُ
خــادعَ اللّهَ حــين جلّله الشيـ ـبُ فأضحى قد بان منه الشّبابُ
يأمُــرُ النّــاس أن يبرّوا ويُمْسي وعليــهِ مـــن عَيبــه جِلْبابُ
لا تَعِبْنــي فليس عنــدك علم لا تنامَــنَّ أيُّهــا المغتــابُ
تَختِــلُ الناسَ بــالكتاب فهـلاّ حــين تغتابنــي نهـاكَ الكتابُ
لَسْتَ بالُمخْبِتِ التقــيِّ ولا المُحْـ ـضيهِ مــن مقالتــي الاحتسابُ[1]
إنّنــي والتي رَمَـتْ بـك كرهاً ساقطــاً مُلصَقـاً عليـك الترابُ
لتذوقــنّ غِــبَّ رأيــك فينا حــين تَبْدو بعرضِكِ الأندابُ

قال الزُّبير : معنى قوله : [من الخفيف]

لا أشمّ الريحــانَ إلاَّ بعيــ ـــنيَّ كَرماً إنّما يشمُّ الكلابُ

يُعرِّض بعَبْدِ الملك ؛ لأنّه كان متغيِّرَ الفم يؤذيه رائحته ، فكان في يده أبداً ريحان ، أو تفّاحة ، أو طيب يشمّه .

أخبرني الحِرْميّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، عن عمِّه : أنَّ ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان[2] : [من المنسرح]

يلتفــتُ الناسُ عنــد مِنْبره إذا عمودُ البريّــةِ انهدما[3]

يعني إذا مات عبد الملك ؛ لأنَّ العهْدَ كان إليه بعده .

قال الزُّبير : فأخبرني مصعب بن عثمان ، قال : لمّا بلغ عبد الملك هذا البيت أحفظه ، وقال : بفيه الحجر ، وحينئذٍ قال : لقد دخل ابن قيس مَدْخلاً ضيّقاً .

[الحجّاج يدس من يرشح الوليد للخلافة]

أخبرني الحِرْميّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني كُثيِّر بن جعفر ، عن أبيه ، قال : قال الحجّاج يوماً لأهلِ ثِقته مـن جلسائـه : ما مِن أحد من بني أُميّة أشدّ نَصْباً[4] لي من

1 البيت في الديوان : لست بالمخبث التقيّ ولا المحـ ـض الذي لا تذمه الأنساب
2 ديوانه : 152 .
3 عند في ل والديوان : حول .
4 النصب : المعاداة .

عبد العزيز بن مروان ، وليس يوم من الأيّام إلاّ وأنا أتخوّف أنْ تأتيني منه قارعة ، فهل من رجل تدلّوني عليه ، له لسانٌ وشعر وجلد ؟ قالوا : نعم ، عمران بن عصام العنزيّ ، فدعاه فأخلاه ، ثم قال : اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، فاقدح في قَلْبه من ابنه شيئاً في الولاية ، فقال له عمران : دُسَّ أيّها الأمير إليَّ دَسّاً ، فقال له الحجّاج : «إنّ العوانَ لا تُعلّم الخِمْرة»[1] .

فخرج بكتاب الحجّاج ، فلمّا دخل على عبد الملك دفع إليه الكتابَ ، وسأله عن الحجّاج ، وأَمْر العراق ، فاندفع يقول : [من الوافر]

أميرَ المؤمنـين إليك أُهـدي   على الشَّحْطِ التحيّـةَ والسلاما
أميرٌ مـن بَنِيك يكن جوابي   لهـم أُكرومـةً ولنـا نظاما
فلـو أنّ الوليـدَ أُطاعَ فيـه   جعلتَ لـه الإمامـةَ والذِّماما

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك . ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله ، وقال فيه : فرَقَّ عبدُ الملك رِقّةً شديدة ، وقال : لا يكونُ إلى الصلة أسرعَ منِّي ، فكفَّ عن ذلك . وما لبث عبد العزيز إلاّ ستّة أشهر حتى مات . فلمّا كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجّاج ، فأتي به حين قَتل ابنَ الأشعث فقتله ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : قطع الله يدي الحجّاج ! أَقَتَلَهُ وهو الذي يقول : [من الكامل]

وبعثت من ولد الأغرِّ مُعَتِّبٍ   صَقْراً يلـوذُ حَمامـه بالعَوْسَجِ
وإذا طبختَ بنـارِه أنضجتَها   وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ

---

1 المثل «إن العوان لا تعلم الخمرة» في مجمع الميداني 1 : 69 ومستقصى الزمخشري 1 : 334 .

[363] ـ ذكر فند وأخباره

[كان خليعاً متهتكاً]

هو فِنْد أَبو زَيْد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص ، ومنشؤه المدينة ، وكان خليعاً متهتكاً ، يجمع بين الرجالِ والنساء في منزله ، ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيّات[1] : [من الخفيف]

صوت

قـل لفِنْـدٍ يُشَيِّعُ الأَظْعانا طالمـا سَرَّ عيشَنـا وكَفـانا
صادراتٍ عشيّـةً مِـنْ قُدَيد وارداتٍ مع الضّحى عُسْفانا
زوَّدَتْنـا رُقَيَّـةُ الأَحزانـا يوم جازت حُمولُها السَّكْرانا

عروضه من الخفيف . غنّاه مالك بن أَبي السمح من روايتي إسحاق وعَمرو بن بانة . ولحنه من خفيف الثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

وقد اختلف في اسمه ، فقيل : قَند بالقاف ، وفِنْد بالفاء أَصحُّ . وبه يضرب المثل في الإبطاء ، فيقال : تَعِست العَجلة[2] .

[غاب سنة ليجيء بنار]

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فلقي عِيراً خارجاً إلى مصْر ، فخرج معهم ، فلمّا كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ، ودخل على عائشة وهو يَعْدو فسقط وقد قرب منها ، فقال : تَعِسَت العَجَلة ، فقال بعض الشعراء في رجل ذُكِرَ بمثل هذه الحال : [من الرمل]

مـا رأينـا لعُبَيْدٍ مثَـلاً إذْ بعَثْناهُ يَجِـي بالمَسَلَهْ
غير فِنْـد بعثُـوه قابساً فنوى حَـوْلاً وسبَّ العَجَلَهْ

[سعد بن إبراهيم يترضاه بعد ضربه إيّاه]

أَخبرني الحسين ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أَبي الهيثم بن عَدِيّ ، قال : كان فِنْد أبو زيد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 157 مع اختلاف في الرواية والترتيب .
2 المثل «تعست العجلة» في مجمع الميداني 1 : 139 والفاخر : 198 .

مولى لسَعد بن أَبي وقّاص ، فضربه سَعْد بن إبراهيم ضرباً مُبرِّحاً ، فحلفَتْ عائشةُ بنت سعد أنّها لا تكلِّمه أبداً أو يرضى عنه ، وكانت خالته ، فصار إليه سعد طاعة لخالته ، فوجده وَجِعاً من ضَرْبه ، فسلَّم عليه فحوَّل وَجهَه عنه إلى الحائط ولم يكلِّمه ؛ فقال له : أَبا زيد ، إنَّ خالتي حلفت أَلاّ تكلّمني حتى ترْضى ، ولستُ ببارح حتى تَرْضى عنّي . فقال : أما أَنا فأشهد أنّك مَقِيت سَمج مبغَّض ، وقد رَضيتُ عنك على هذه الحال لتقومَ عنّي ، وتُريحني من وجهك ومن النظر إليك .

فقام من عنده ، فدخل على عائشة ، وأَخبرها بما قال له فِنْد ، فقالت : قد صدق ، وأنت كذلك ورضيتْ عنه .

قال : وكان سعدٌ مضطرِبَ الخُلُقِ سَمِجاً .

[مروان بن الحكم سمج والياً ومعزولاً]

أَخبرني الحسين قال : قال حمّاد : قرأت على أَبي بكر : وذكر عوانةُ أَنَّ معاوية كان يستعملُ مَروان بن الحكم على المدينة سنةً ، ويستعمل سعيد بن العاص سنةً ، فكانت ولاية مروان شديدةً يهربُ فيها أَهل الدعارة والفسوق ، وولاية سعيد ليّنة يرجعون إليها ، فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكّازة له ، وهو يومئذٍ مَعزول ، إذا هو بفِنْدٍ يمشي بين يديه ، فوكزه بالعكازة ، وقال له : ويلك هِيه .

[من الخفيف]

قـــل لفِنْـــد يُشيِّع الأَظْعانا

أتشيّع الأَظعانَ للفساد ، لا أُمَّ لك ، إلى أَهل الريبة ! ستعلمُ ما يحلّ بك مِنّي ، فالتفت إليه فِنْد ، وقال : نعم ، أنا ذلك وسبحان الله ! ما أَسمَجك والياً ومَعْزولاً ! فضحك مَروان ، وقال له : تمتَّعْ ، إنّما هي أيّام قلائل ثم تعلم ما يمرّ بك منّي .

صوت

[من مجزوء الكامل]

حَيِّ الدُّوَيْـرَةَ إذ نأت منّـا عـلى عُدَوائِهـا
لا بالفـراقِ تُنيلنـا شيئـاً ولا بلقائهـا

عروضه من الكامل[1] . الشعر لنُبَيه بن الحجّاج السَّهميّ ، والغناء لابن سريج ، رَمَل بالوُسطى عن عَمْرو .

---

1 من مجزوء الكامل .

[364] ـ أخبار نبيه ونسبه[1]

[نسبه]

هو نبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعْد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ؛ وأُمُّه وأُمّ أخيه مُنبِّه أروى بنت عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قصيّ .

[من قتلى بدر]

وكان نُبَيه بن الحجّاج وأخوه من وُجوه قريش وذوي النباهة فيهم ، وقُتِلا جميعاً يوم بَدْر مشركَيْن ، ولهما يقول أعشى بني تميم ، وهو ابن النبّاش بن زُرارة ، وكان أخوه أبو هالَة بن النبّاش زَوْج خديجة أُمّ المؤمنين في الجاهلية ، ولها منه أولاد لهم عَقب إلى الآن ، وكان الأعشى مَدَّاحاً لهم ، وفيهم يقول ، وهي قصيدة طويلة[2] : [من البسيط]

لله دَرُّ بنــي الحجّــاج إذْ نُدِبوا ... لا يَشتكي فِعْلَهم ضيفٌ ولا جارُ[3]
إن يكسبوا يُطعِموا مِنْ فَضْل كسبِهمُ ... وأوفيــاءُ بعَقْـدِ الجــارِ أحرارُ[4]

وفي نبيه يقول أيضاً[5] : [من البسيط]

إنَّ نُبَيهــاً أبــا الــرزّامِ أفضلُهم ... حِلْماً وأجودُهم ، والجودُ تَفْضِيلُ[6]
ليس لفعــل نُبيه إنْ مَضى خَلَفٌ ... ولا لقــول أبــي الرزّام تَبْدِيلُ
ثَقْفٌ كلُقْمانَ ، عَدْلٌ في حكومتِه ... سيْفٌ إذا قام وَسْطَ القوم مَسْلَولُ[7]
وإنَّ بيــتَ نُبيــهِ مَنْهــجٌ فَلجٌ ... مُخَضَّر بالندى مــا عاشَ مأهُولُ[8]

---

1 لنبيه بن الحجاج السهمي ترجمة في خزانة البغدادي 6 : 419–421 والمحبر 161–162 ونسب قريش : 403–404 وانظر أعلام الزركلي .

2 أورد الآمدي في المؤتلف والمختلف : 21 تسعة أبيات منها مع اختلاف كبير في الرواية .

3 الآمدي :

وقـد أراها حديثاً وهـي آنسة ... لا يشتكي أهلها ضيف ولا جار

4 ل والآمدي : . . . وأوفياء لمن آووه أبرار

5 نسب قريش : 404 .

6 أفضلهم في نسب قريش : أحلمهم .

7 ثقف : حاذق .

8 فلج : واسع .

مَن لا يَعُــرُّ ولا يــؤذِي عشيرتَه ولا نَــداهُ عــن الْمُعْتَرّ معدولُ[1]

وله أيضاً مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلا بِبَدْر لم أَستَجِزْ ذِكْرها ؛ لأنـّهما قُتِلا مشركَيْنِ محاربَيْن لله ورسوله .

[افتقاره بعد غنى]

وكان نُبَيْه من شعراء قريش ، وهو القائل وقد سألته زوْجَتاه الطلاق ، ذكر ذلك الزُّبير بن بكّار[2] : [من الخفيف]

تلــك عِرْسايَ تنطقــان بِهُجْــرِ وتقــولان قَــوْلَ زُورٍ وهِتْــرِ
تسألاني الطــلاقَ أَنْ رأتــاني قــلَّ مالِي ، قد جئتمــاني بِنُكْرِ
فلعلّي أَنْ يَكْثُرَ المــالُ عِنْـدِي ويُخلَّــى مــن المغــارم ظَهْــري[3]
ويُــرى أَعْبُــدٌ لَنــا وجِيــادٌ ومَناصيف مِــنْ وَلائِــدَ عَشْرِ[4]
ويَكَأَنْ مَنْ يكن لــه نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ ومَنْ يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ
ويُجَنَّبْ يُسْرَ الأُمــورِ ولــ ـكنّ ذَوِي المال حُضَّرٌ كلَّ يُسْرِ

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ؛ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني علي بن صالح : أَنَّ عامر بن صالح أنشده لنُبَيْه بن الحجّاج : [من الخفيف]

قَصَّرَ العُدْمِ بي ولو كنت ذا ما لٍ كثيرٍ لأَجلبَ الناسُ حَوْلي
ولقالوا : أَنــت الكريــمُ علينا ولحطّــوا إلى هــوايَ ومَيْلي
ولَكِلْتُ المعــروفَ كَيْلا هَنِيّاً يَعْجِزُ الناسُ أَنْ يكيلوا ككيلي

قال الزُّبير : قال عليّ بن صالح : وأَنشدني عامر بن صالح لنبيْه بن الحجّاج أيضاً : [من الطويل]

قالت سُليمى إذ طَرَقْتُ أَزورُها : لا أَبتغــي إلاّ امْــرءاً ذا مــالِ
لا أَبتغــي إلاّ امْرءاً ذا ثَــرْوَة كيمــا يَسُدُّ مفاقِــري وخِـلالي
فلأَحرصَنَّ على اكتسابِ محبَّــبٍ ولأَكْسِبَــنْ في عِفَّــةٍ وجمــالِ

1 يعرُّ في ل : يعق .
2 في نسب قريش : 404 أربعة أبيات منها .
3 ويخلي في ل : ويعرى .
4 مناصيف : خدم ، واحدها مِنصَف .

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : نزل نُبَيْه بن الحجّاج قُدَيداً يُريد الشامَ ، فغيَّب بعضُ بني بكر ناقتَه ، يريد أخْذَ الجعالة عليها منه ، فقال نبيه في ذلك : [من الكامل]

وردَتْ قُدَيْداً فالْتَوى بذراعها ذؤْبانُ بكرٍ كلُّ أَطلسَ أفْحَجِ[1]
رجلٌ صَدِيقٌ ما بَدَت لك عَيْنُه فإذا تغيَّب فاحتفظْ مِنْ دَعْلجِ

قال الزُّبير : الدَّعْلَج : الكلب والذِّئب ، وكل مختلس من السباع فهو دَعْلَج ، ويقال لاختلاسه : الدَّعْلجة ، وأنشد : [من الكامل]

باتت كلابُ الحيّ تَسْرِي بَيْنَنا يَأْكُلْنَ دَعلجةً ويشبَع من ثَوى

يعني بالدعلجة السرقة .

قال الزُّبير : ولا عَقِبَ للحجّاج أَبي نُبَيْه ومنبِّه إلاّ من ولد نُبيه ؛ فإنّ العَقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نُبَيْه ، وفي ريطة بنت منبّه ؛ فإنّ عمرو بن العاص تزوّجها فولدت له عبد الله بن عَمرو .

[حلف الفضول يرد امرأة انتزعها]

وهذا الشعرُ الذي فيه الغِناء يقوله في امرأةٍ كان غلب أباها عليها ، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش ، والحِلف المعروف بحِلْف الفضول ؛ فانتزعوها من نُبَيْه وردُّوها على أبيها .

أخبرني الطوسيّ ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني غَيْرُ واحد من قريش ، منهم عبد العزيز بن عمر العَنْبسيّ عن مغنٍّ ، واسمه عُيينة بن عبد الله بن عَنْبسة : أنَّ رجلاً من خَثْعم قدم مكّة تاجِراً ، ومعه ابنةٌ له يقال لها القَتُول ، أوْضَأ نساء العالمين وَجْهاً ؛ فعلِقها نُبَيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد بن سَهْم ، فلم يبرح حتى نَقَلها إليه ، وغلب أباها عليها . فقيل لأبيها : عليك بِحلْفِ الفضول ؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم ، فأتوا نُبَيْه بن الحجّاج ، فقالوا : أخرج ابنةَ هذا الرجل ، وهو يومئذٍ مُتَبَدٍّ بناحية مكّة وهي معه ، فقال : لا أفعل ، قالوا : فإنّا مَنْ قد عَرَفْت ، فقال : يا قوم مَتِّعوني بها الليلة ، فقالوا : قبَّحك الله ، ما أجهلك ! ، لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ ، وهي أوْسَعُ أحاليب الشائل ، فأخرجها إليهم فأعطوها أباها ، وركبوا ، وركب معهم الخَثْعَميّ . فلذلك يقول نُبَيه بن

1 ذؤبان : هنا : لصوص . والأطلس : المغبر . والأفحج : متداني صدور القدمين متباعد العقب .

الحجّاج : [من الخفيف]

راحَ صَحْبي ولم أُحَيِّ القَتُولا ... لم أُودّعهمُ وَداعاً جميلا
إذْ أُجِدَّ الفُضولُ أَنْ يمنَعُوها ... قد أَراني ولا أَخافُ الفُضولا
لا تخالي أنّي عشيّةَ راحَ الـ ... ـرّكْبُ هُنْتُم عليّ ألاّ أقُولا
إنّني والذي حجَّ لَهُ شُمُـ ... ـطٌ من إياد وهلّلوا تهليلا
لا تَبَرّأتُ مِنْ قُتَيْلَةَ بالنّا ... سِ وهَلْ تَبْتَغُونَ إلاّ القَتُولا
لَمْ أُخبِّر عن الحديث ولا أَبْـ ... ـدأ رَسَّ الحديث والتقبيلا
ومَبِيتاً بذِي المجاز ثلاثاً ... ومتى كان حجُّنا تحليلا
لن أُذيعَ الحديثَ عنها ولا أنـ ... ـقادُ لو أُبيت فيها فتيلا
أتلوّى بها كما تَتَلَوَّى ... حيَّةُ الماء بالأَباء طويلا[1]
ثم عدْواً عِداءَ نَخْلَةَ ما يد ... ركُ منهمُ أُدنى رَعِيل رَعِيلا
وبنو غالب أولئك قومي ... ومتى يفزعوا تراهم قَبِيلا
ونَدامى بِيضُ الوجوه كهولٌ ... وشبابٌ أَسهرتُ لَيْلاً طَوِيلا
غير هُجنٍ ولا لئامٍ ولا تعـ ... ـرف منهمْ إلاّ فَتى بُهْلُولا

وفي ذلك يقول نُبَيه بن الحجّاج[2] : [من مجزوء الكامل]

حيٌّ الدُّوَيْرَةَ إذْ نأَتْ ... مِنّا على عُدَوائِها[3]
لا بالفراق تُنِيلُنا ... شيئاً ولا بلقائها
أخذَتْ حُشاشةَ قَلْبِهِ ... ونأَتْ فكيف بنائها[4]
حلَّت تِهامةَ خُلَّةٌ ... مِنْ بَيْتِها ووِطائها
ولهما بمكّةَ مَنْزِلٌ ... مِنْ سهلِها وَحِرائها
رفعُوا المحلّةَ فوقها ... واستعذبوا مِنْ مائِها

1 الأَباء : أجمة الحلفاء والقصب .
2 في نسب قريش : 291 ثلاثة أبيات منها .
3 عدوائها : بعدها .
4 بنائها : بعدها .

تَدْعو شِهاباً حَوْلَها | وتعمُّ في حُلفائها
لولا الفُضولُ وأنّه | لا أَمْنَ مِنْ عُدَوائها
لدنوتُ مِنْ أَبياتِها | ولطُفْتُ حَوْلَ خِبائِها
ولجئتُها أَمشي بِلا | هادٍ لَدى ظَلْمائها
فشربتُ فضلةَ رِيقها | وَلَبِتُّ في أَحشائها
فَسَلِى بمكّة تُخْبَرِي | أَنّا مِن أَهل وَفائِها
قِدْماً وأَفضلُ أَهلها | مِنَّا على أَكفائِها
نمشي بأَلْوِيَة الوَغى | ونموتُ في أَوْدائِها[1]

1 أودائها : جمع وادي .

365 ـ [حلف الفضول][1]

[سبب حلف الفضول]

أخبرنا به الطُّوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عُبيدة قال : كان سبَبُ حِلْف الفضول أنَّ رجلاً من أهل اليمن قدِم مكّة ببضاعة فاشتراها رجلٌ من بني سَهْم ، فلَوى الرجلَ بحقِّه ، فسأله متاعَه فأبى عليه ، فقام في الحجر ، فقال[2] : [من البسيط]

يـالَ قُصيٍّ لمظْلُومٍ بِضاعتُه بَبطْنِ مكّة نائـي الدّار والنَّفَرِ
وأشعثٍ مُحرمٍ لم يَقضِ حُرْمته بين المقام وبَيْنَ الرُّكْن والحَجَرِ

ورَوى بعضُ الثقاتِ تماماً لهذين البيتين ، وهو : [من البسيط]

أقائـمٌ مِنْ بني سَهمٍ بذمّتهم أم ذاهبٌ في ضَلالٍ مالُ مُعْتَمِرِ
إنَّ الحرامَ لِمَنْ تمَّتْ حَرامتُه ولا حرام لثَوْبِ الفاجرِ الغُدَرِ

قال : وقال بعضُ العلماء : إنّ قيس بن شَيْبَة السُّلَميّ باع متاعاً من أُبيّ بن خلَف ، فَلَواهُ وذهب بحقِّه ، فاستجار برجل من بني جُمح ، فلم يقمْ بجواره ، فقال : [من الرجز]

يالَ قُصَيّ كيف هذا في الحَرْم وحرمةِ البيت وأعلاقِ الكَرَمْ
أُظْلَمُ لا يُمْنَعُ منّي مَن ظَلَمْ

قال : وبلغ الخبر العبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ ، فقال : [من البسيط]

إن كان جـارُكَ لم تنفعكَ ذِمَّتُه وقد شربتَ بكأس الغـلِّ أنفاسا
فائْتِ البيوتَ وكُنْ من أهلها صَدداً لا تُلْف ناديَهُمْ فُحْشاً ولا باسا[3]
واخطط ونم بِفناء البَيْتِ مُعْتَصِماً تَلْقَ ابنَ حربٍ وتَلْقَ المرءَ عبّاسا
قَرْمَـيْ قُريشٍ وحَلاَّ في ذُؤابتها بالمجد والحَزْمِ ما حاز وما ساسا

1 خبر حلف الفضول في سيرة ابن هشام 1 : 133–135 وابن كثير 2 : 29 .
2 انظر حاشية سيرة ابن هشام 1 : 133 .
3 صدداً : قبالتهم وقريباً منهم .

ساقـي الحجيج وهـذا ياسرٌ فَلَجٌ   والمجـدُ يورثُ أخماساً وأسداسا[1]

فقام العبّاس وأبو سفيان حتى ردّا عليه . واجتمعت بطونُ قريش ، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكّة ، وألاّ يُظلم رَجلٌ بمكّة إلاّ منعُوه ، وأخذوا له بحقّه ، وكان حِلْفهم في دار ابن جُدْعان ، فكان رسولُ الله ﷺ يقول : «لقد شهدْتُ حِلْفاً في دار ابن جُدْعان ما أحِبُّ أنّ لي به حُمْرَ النَّعَم ، ولو دُعيتُ به لأجبتُ» .

فقال قوم من قريش : هذا واللهِ فضل منَ الحلف ؛ فسمّي حلفَ الفضول .

قال : وقال آخرون : تحالفوا على مِثْل حِلْفٍ تحالف عليه قومٌ مِنْ جُرْهم في هذا الأمر ألاّ يُقرُّوا ظلماً ببطن مكّة إلاّ غيَّروه ، وأسماؤهم الفضل بن شراعة ، والفضل بن قُضاعة ، والفَضْل بن سماعة[2] .

قال : وحدَّثني محمد بن فضالة ، عن عبد الله بن سمعان ، عن ابن شهاب ، قال : كان شأن حِلْف الفضول أنَّ بَدْءَ ذلك أنّ رجلاً من بني زُبَيد قدِم مكّة مُعْتَمِراً في الجاهلية ومعه تِجارةٌ له ، فاشْتَراها منه رجلٌ من بني سَهْم ، فأواها إلى بيته ، ثم تغيَّب ، فابتغى مَتاعَه الزُّبيديّ ، فلم يقدِرْ عليه ، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه ، فأغْلَظُوا عليه ، فعرف أنْ لا سبيل إلى ماله ؛ فطوَّف في قبائل قريش يستعينُ بهم ، فتخاذلت القبائلُ عنه ، فلمّا رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قُريش مجالِسها في المسجد ، ثم قال : [من البسيط]

يـا آل فِهْـرٍ لمظلوم بِضاعَتُه   ببَطْن مكّة نائـي الدارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمْرَتَهُ   يا آل فهرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
أقائمٌ من بني سَهْم بخُفرتهم   فعادلٌ أم ضلالٌ مالُ معتمرِ[3]

فلمّا نزل أعظَمت قريشٌ ذلك ، فتكلَّموا فيه ، فقال المُطيَّبون : والله لئن قُمْنا في هذا ليغضَبَنّ الأحلاف ، وقال الأحلافُ : والله لئن تكلّمنا في هذا ليغضبنّ المطيَّبون ، وقال ناس من قريش : تعالـوا فليكـن حِلْفاً فُضُولاً دونَ المطيّبين ودون الأحـلاف ، فاجتمعوا في دارِ عبد الله بن جُدْعان ، وصنع لهم طعاماً يومئذٍ كثيراً ، وكان رسولُ الله ﷺ يومئذٍ معهم ، قَبْل أن يُوحِيَ اللهُ إليه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة . فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتَيْم ،

1 ياسر : لين .
2 ل : فلان .
3 أقائم في ل : هل مخفر . . .

وكان الذي تعاقَدَ عليه القومُ : تحالفوا على ألاّ يُظلم بمكّة غَريبَ ولا قَريب ولا حُرٌّ ولا عَبْدٌ إلاّ كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقّه ، ويُؤدّوا إليه مظلمَتَه من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماءٍ من زَمزم فجعلوه في جَفْنة ، ثم بعَثُوا به إلى البيت ، فغُسلت به أركانه ، ثم أتَوْا به فشربوه .

[إشادة الرسول به]

قال : فحدَّثنا هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها : أنّها سمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفَ الفضول ، أمَا لو دُعيت إليهِ اليوم لأَجَبْتُ ، وما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمر النَّعم وأنّي نقضته» .

قال : وحدَّثني عُمر بن عبد العزيز العنبسيّ أنَّ الذي اشترى مِنَ الزُّبيديّ المتاعَ العاص بن وائل السَّهْميّ .

وقال : أهلُ حِلْف الفضول بنو هاشم ، وبنو المطّلب ، وبنو أسد بن عبد العُزَّى ، وبنو زُهْرَة ، وبنو تَيْم ، تحالفوا بينهم ألاّ يُظلم بمكّة أحد إلاّ كنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذَ له مظلمته ممَّنْ ظلمه شريفاً أو وَضيعاً ، منّا أو من غيرنا .

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ، ثم قالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدّيَ إليه حقّه ، فأعطى الرجل حقّه ، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحد حقَّه بمكّة إلاّ أخذوه له . وكان عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أنّ رجلاً وَحْدَه خرج من قومِه لخرجتُ من عبد شمس ، حتى أدخل في حِلْف الفُضول . وليس عبد شمس في حلف الفضول .

وحدَّثني محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعن محمد بن فَضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، وعن إبراهيم بن محمد ، وعن أبي عبد الله بن الهاد : أنَّ بني هاشم وبني المطّلب وبني أسد بن عبد العُزّى وتيم بن مرّة احتلفوا على ألاّ يَدعوا بمكّة كلّها ، ولا في الأحابيش[1] مظلوماً يدعوهم إلى نُصرته إلاّ أنجدوه ، حتى يرُدّوا عليه مظلمته ، أو يُبْلوا في ذلك عُذْراً ، أو على ألاّ يتركوا لأحدٍ عند أحدٍ فضلاً إلاّ أخذوه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك سُمّي حِلْفَ الفضول ، وهذه نُبَذٌ من حلف الفضول : بالله الغالب ، إنّا ليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقّه ما بَلَّ بحرٌ صوفة[2] ، وعلى التأسّي في المعاش .

1 الأحابيش : سموا بذلك لسوادهم . وقيل إنهم سموا بذلك باسم جبل حبشي بأسفل مكة .

2 المثل «لا آتيه ما بل بحر صوفة» في مجمع الميداني 2 : 230 ومستقصى الزمخشري 2 : 246 .

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن طلحة في حديثه ، عن موسى بن محمد عن أبيه . وعن محمد بن فضالة ، عن أبيه ، قال : لم يكن بنو أسد بن عبد العُزّى في حِلْف الفضول ، قال : وكان بعد عبد المطّلب .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن عيسى بن يزيد بن دأب ، قال : أهل حلف الفضول : هاشم ، وزهرة ، وتيم . قال : وقيل له : فهل لذلك شاهدٌ من الشعر ؟ قال : نعم ، قال : أنشدني بَعْضُ أهلِ العِلْم قولَ بعض الشعراء : [من البسيط]

تيْمُ بن مـرَّةَ إن سألت وهاشمٌ   وزهرةُ الخيرِ في دارِ ابن جُدعانِ
متحالفون على النَّدى مـا غرَّدت   وَرْقـاء في فَنَنٍ من جِزْع كُتْمانِ

فقيل له : وأين كُتمان ؟ فقال : وادٍ بنَجْران[1] ؛ فجاء ببيتين مضطربين مختلفي النصفين .

وحدَّثني أبو الحسن الأَثْرَمُ ، عن أبي عبيدة ، قال : تداعى بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو أسد بن عبد العزَّى وبنو زُهْرَة بن كلاب وتَيْم بن مرّة إلى حِلْفِ الفُضول ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان ، فتحالفوا عنده ، وتعاقدوا ألاّ يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها ولا مِن غيرهم إلاّ قاموا معه على مَن ظلَمه حتى يردُّوا مَظْلَمته . وشهدَ النبيُّ ﷺ هذا الحلف قبل أَنْ يُبعث ، فهذا حِلْف الفُضول .

قال : وحدَّثني إبراهيم بن حمزة عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : إنّما سُمِّي حِلْفَ الفضول لأنّه كان في جُرْهم رِجالٌ يردُّون المظالم يقال لهم : فُضيل وفضّال وفَضل ومُفضل ، قال : فلذلك سُمِّي حلف الفضول ، تعاقدوا أن يردُّوا المظالم .

قال : فتحالفوا باللهِ الغالب لنأخذنَّ للمظلوم من الظالم ، وللمقهور من القاهِر ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة .

قال : وقال أبي : قال رسول الله ﷺ : «فشهدت حلفاً في دارِ عبد الله بن جُدعان لم يَزِده الإسلام إلاّ شدّةً ، ولهو أَحَبُّ إليّ من حُمر النَّعم» ، قال : وقال غيره : «لو دُعيت إليه لأَجَبْت» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضلِ قال : إنّما سمّت قريش هذا الحلف حلف الفضول ، لأنّ نَفراً من جُرْهم يقال لهم : الفَضْل وفَضَّال والفُضيل ، تحالفوا على مِثْل ما تحالفت عليه هذه القبائل .

1 قيل كتمان اسم بلد في بلاد قيس . وقيل هو واد بنجران (معجم البلدان) .

قال : وحدَّثني رجل غير محمد بن حسن ، عن محمد بن فضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لقد شهدتُ في دارِ ابن جُدْعان حِلْف الفضول ، أما لو دُعيت إليه لأجبت ، وما أُحِبُّ أنّي نقضْتُه وأنّ لي حمر النّعم» .

قال الزّبير : وحدّثني علي بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لقد شهِدْتُ في الجاهليّة حِلْفاً ، يعني حلف الفضول ، أما لو دُعيت إليه اليوم لأجبْتُ ، لهو أحبُّ إليّ من حمر النّعم ، لا يزيده الإسلامُ إلاّ شدّة» .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : حدَّثني رجل عن محمد بن يزيد الليثيّ ، قال : سمعْت طَلحة بن عبد الله بن عَوف الزهريّ ، يقول :

قال رسول الله ﷺ : «لقد شهدْتُ في دارِ عبد الله بن جُدعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حمر النعم ، ولو أُدْعى إليه في الإسلام لأجبْتُ» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف بن خَرَّبُوذ ، قال : تداعَتْ بنو هاشم وبنو المطّلب وأسد وتَيم ، فاحْتَلَفُوا على ألاّ يَدَعوا بمكّة كلّها ولا في الأحابيش مظلوماً يَدْعُوهم إلى نُصْرته إلاّ أنْجَدوه ، حتى يردّوا إليه مظلمته ، أو يُبلوا في ذلك عُذْراً . وكرِهَ ذلك سائر المطيّبين والأحْلاف من أمره ، وسَمَّوْه حلف الفضول ، عَيْباً له ، وقالوا : هذا من فُضول القَوْم ، فسمّوه حِلْفَ الفُضُول .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهرة وبني تيم .

قال : فحدَّثني أبو خيثمة زُهير بن حرب ، قال : حدّثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عَوف ، قال :

قال رسول الله ﷺ : «شهدتُ مع عُمومَتي حلْفَ المكّيين ، فما أُحبُّ أنَّ لي حُمرَ النَّعم وأنّي أنكثه» .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن محمد بن طَلْحَة ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ : انه بلغه أنّ الذي بدأ بحلْفِ الفضول مِنْ هذه القبائل أمْرُ الغَزال الذي سُرِق من الكعبة .

[بنو نوفل وبنو عبد شمس خارج الحلف]

حدَّثني محمد بن الحسن ، قال : حدَّثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد بن

إبراهيم بن الحارث التيميّ ، عن أبيه ، قال : قدِم ابْنُ جُبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان ، وكان مِنْ حُلَفاء قريش ، فقال له عبد الملك : يا أبا سعيد ، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم ، يعني بني نوفل ، في حِلْف الفضول ، قال : وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : لتحدثني بالحق من ذلك ، قال : لا واللهِ يا أمير المؤمنين ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، ولم تكن يَدُنا ويَدُكم إلاّ جميعاً في الجاهلية والإسلام .

[الوليد بن عتبة ينصف الحسين تحت التهديد]

قال : وحدَّثني محمد بن حَسن ، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد اللَّيْثيّ أنَّ محمد بن الحارث التيميّ أخبره : أنّه كان بين الحُسين بن عليّ عليهما السلام وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان كلامٌ ، والوليد يومئذٍ أميرُ المدينة في زَمن معاوية بن أبي سفيان ، في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة ؛ فقال الحُسين بن عليّ عليهما السلام : استطال عليَّ الوليد بن عُتبة في حقِّي بسلطانه ، فقلت : أقسم بالله لتنصِفَنِّي في حقّي أو لآخذنَّ سيفي ، ثم لأقومنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، ثم لأَدعونَّ بحلف الفضول ، قال : فقال عبدُ الله بن الزُّبير ، وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال : وأنا أحلف بالله لئنْ دعا به لآخُذَنَّ سَيْفي ثم لأقومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقِّه أو نموت جميعاً . فبلغت المِسْور بن مخرمة بن نوفل الزهريّ ، فقال مثل ذلك ، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ ، فقال مثل ذلك . فلّما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحُسين من حقّه حتى رضي .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم عليّ بن المغيرة ، عن أبي عُبيدة ، قال : حدّثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أُسامة الليثيّ : أنَّ محمد بن إبراهيم التيميّ حدَّثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا .

[الحسين ينازع معاوية في أرض]

قال : وحدَّثني إبراهيم بن حمزة ، عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه أنَّ الحُسين بن عليّ عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلامٌ في أرضٍ له ، فقال له الحسين عليه السلام : اخْتَرْ خصلة من ثلاث خصال : إمّا أَنْ تشتري ، من حقّي ، وإمّا أن تردّه عليّ ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر ، والرابعة الصَّيْلم ، قال : وما الصَّيْلَم ؟ قال : أنْ أهتفَ بحلف الفُضُول ، قال : فلا حاجةَ لنا بالصَّيْلم .

قال : فخرج وهو مُغضَب ، فمرّ بعبد الله بن الزُّبير فأَخبره ، فقال : والله لئن لم ينصفني لاهتفَنَّ بحلْفِ الفضول ، فقال عبدُ الله بن الزُّبير : والله لئن هتفْتَ به وأنا

مضطجع لأقعدنَّ أو قاعد لأقومنَّ ، ولئن هتفتَ به وأنا ماشٍ لأسعَينَّ ، ثم لينفدنَّ روحي مع روحك ، أو لَينصِفَنَّك .

قال : فخرج عبدُ الله بن الزُّبير فدخل على معاوية فباعه منه ، وخرج عبد الله فجاء إلى الحُسين عليه السلام ، فقال : أرسل فانتقدْ مالك ، فقد بعتُه لك .

قال : وحدَّثني عليّ بن صالح ، عن جَدّي عبد الله بن مُصْعب ، عن أبيه ، قال : خرج الحسينُ عليه السلام من عند معاوية ، فلقي عبدَ الله بن الزُّبير ، والحسين مغضَب ، فذكر الحسين أنّ معاويةَ ظلمه في حقّ له ، فقال الحسين : أُخيِّره في ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلم : أن يجعلكَ أو ابن عمر بيني وبينه ، أو يقرّ بحقّي ، ثم يسألني فأهبه له ، أو يشتريه منّي ، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفنَّ بحِلْفِ الفضول . قال ابن الزُّبير : والذي نفسي بيده لئن هتفْتَ به وأنا قاعد لأقومنّ أو قائم لأمشيَنَّ ، أو ماشٍ لأشتدنَّ ، حتى تَفْنى رُوحي مع روحك أو ينصفك .

قال : ثم ذهب ابنُ الزُّبير إلى معاوية ، فقال : لَقِيَني الحسين فخيَّرك في ثلاث خصالٍ ، والرابعة الصَّيْلم . قال معاوية : لا حاجةَ لنا بالصَّيْلم ؛ إنّك لقيته مُغْضَباً ، فهاتِ الثلاث ، قال : تجعلني أو ابنَ عمر بينك وبينَه ، قال : فقد جعلتُك بيني وبينه أو ابْنَ عمر أو جعلتكما ، قال : أو تقرّ له بحَقّه وتسأله إيّاه ، قال : أنا أُقِرُّ له بحَقّه وأسأله إيّاه ، قال : أو تشتريه منه ، قال : وأنا أشتريه منه ، قال : فلمّا انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحُسين عليه السلام : إنْ دعاني إلى حِلْف الفضول لأُجبْتُه ، فقال معاوية : لا حاجة لنا بهذا .

قال : وبلغني أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكرة والمِسْوَر بن مخرمة قالا للحُسين بن عليّ عليهما السلام مِثل ما قال ابنُ الزُّبير ، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبير بن مطعم ، فقال له معاوية : يا أبا محمد ، أكنّا في حِلْف الفضول ؟ قال : لا ، قال : فكيف كان ؟ قال : قدِم رجل من ثُمالة فباع سِلْعةً له من أبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَحَ ، فظلمه ، وكان يُسيء المخالطة ، فأتى الثمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب فأخبِره أنّك أتيتنا ، فإن أعطاك حقّكَ وإلاّ فارجع إلينا ، فأتاه فأخبره بما قال له أهلُ حِلف الفضول ، قال : فأخرج إليه ماله ، وأعطاه إيّاه بعينه ، وقال : [من الطويل]

أَيأخذني في بَطْنِ مكّة ظالماً ... أُبيٌّ ولا قَوْمي لدَيَّ ولا صَحْبي
وناديتُ قومي صارِخاً ليُجيبني ... وكم دُونَ قومي مِنْ فَيافٍ ومن سُهْبِ

ويأبى لكم حِلْفُ الفضول ظلامتي   بَني جُمحٍ والحقُّ يُؤْخَذُ بالغَصْبِ

[أبو الطمحان يستجير بعبد الله بن جدعان]

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزاميّ في أمر حِلْف الفضول غير ما رواه الزُّبير ، قال إبراهيم : حدَّثني عبد العزيز بن عمران ، قال : قدِم أبو الطمحان القَيْنيّ الشاعر ، واسمه حنظلة بن الشرقيّ ، فاستجار عبدَ الله بن جُدْعان التيميّ ومعه مال له من الإبل ، فعدا عليه قومٌ من بني سَهْم فانتحروا ثلاثةً من إبله ، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها ، فقال : أنتم لها ولأكثر منها أهلٌ ، فأخذوها فانتحروها ، ثم أمسكوا عنه زماناً ، ثم جلسوا على شَرابٍ لهم ، فلمّا انتشَوا غَدَوْا على إبله فاستاقوها كلّها ، فأتى عبدَ الله بن جُدعان يستصرخُه ، فلم يكن فيه ولا في قومه قوّةٌ ببني سهم ، فأمسك عنهم ولم ينصره ، فقال أبو الطمحان[1] : [من الطويل]

ألا حنَّت المِرْقــال واشتاقَ ربُّها   تذكَّرُ أَرْماماً وأَذكرُ مَعْشَري[2]
ولو عَلِمت صَرْفَ البيوع لسرَّها   بمكّة أن تبتاع حَمْضاً بإذخرِ[3]
أجَــدَّ بنـــي الشّرقيّ أنَّ أخاهُمُ   متى يَعتلقْ جاراً وإنْ عــزَّ يَغْدرِ
إذا قلتُ وافٍ أدْرَكَتْــهُ دُروكه   فيا مُوزِع الجيران بالغَيّ أقْصِرِ[4]

ثم ارتحل عنهم .

[لميس بن سعد يستجير بقريش]

ووفد لَمِيسُ بن سَعْد البارِقيّ مكّة ، فاشترى منه أُبيّ بن خلف سلعة ، فظلمه إيّاها ، فمشى في قريش فلم يُجِرْهُ أحد ، فقال : [من الطويل]

أيظلمنـــي مـــالي أُبَـــيٌّ سَفاهـــةً   وبَغْياً ولا قَومـي لـديَّ ولا صَحْبي
ونـاديـتُ قومـــي بارقـاً لتجيبَنـــي   وكم دونَ قومي من فيافٍ ومن سَهْبِ

[زبيدي يستجير بقريش]

ثم قدِم رجل من بني زبيد . فاشترى منه رجل من بني سَهْم يقال له : حُذيفة سلعةً ، وظلمه حقّه ، فصعد الزبيديّ على أبي قُبيس ، ثم نادى بأعلى صوته : [من البسيط]

---

1 الشعر والشعراء : 304 .
2 الشعر والشعراء : وانثب ربها ، أي تهيأ وتجهز . وأرمام : اسم موضع .
3 بمكة في ل : بيثرب .
4 دروكه في ل : خيانة .

يـا آل فِهـرٍ لمظلوم بضاعتُه ببَطْن مكّةَ نائـي الحيّ والنَّفرِ
يـا آل فهرٍ لمظلوم ومُضْطَهَدٍ بين المقام وبين الركن والحجَرِ
إنّ الحرامَ لمن تَمَّتْ حَرامتـه ولا حرام لثوب الفاجر الغُدرِ

فأعلم الزُّبير بن عبد المطّلب ذلك ، وقال : يا قوم ، إنّي والله لأَخشى أَنْ يصيبَنا ما أَصاب الأُمم السالفةَ منْ ساكني مكّة . فمشى إلى ابنِ جُدعان ، وهو يومئذٍ شيخُ قريشٍ ، فقال له في ذلك ، وأخبره بظُلْم بني سَهْم وبغيهم ، وقد كان أصاب بني سَهْم أمران لا يشكُّ أنّهما لِلبغي : احتراق المقاييس منهم ، وهم قيس ومَقِيس وعبد قَيْس بصاعِقَةٍ ؛ وأقبل منهم رَكب من الشام ، فنزلوا بماء يقال له القُطَيْعَة ، فصبُّوا فضلةَ خَمْر لهم في إناءٍ ، وشربُوا ثم ناموا ، وقد بقيت منهم بقيةٌ فكرع فيها حيّة أسود ، ثم تقيّأ في الإناء ، فهبّ القومُ فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، فأذكره هذا ومثله ، فتحالف بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو زهرة وبنو تيم : بالله الغالب ، إنّا ليدٌ واحدة على الظالم ، حتى يردَّ الحقّ .

وخرج سائر قريش من هذا الحلف . إلاّ أنّ ابنَ الزُّبير ادّعاه لبني أسد في الإسلام . قال : فأخبرني الواقديّ وغيره أن محمد بن جُبير بن مطعم دخل على عَبْد الملك بن مروان ، فسأله عن حِلْفِ الفضول فقال : أما أنا وأَنت يا أمير المؤمنين فلسنا فيه ، فقال : صدقت والله ، إنّي لأعرفك بالصدق ، قال : فإنَّ ابنَ الزُّبير يدَّعيه ، فقال : ذاك هو الباطل .

قال : وكان عتبة بن ربيعة يقول : لو أَنَّ رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حِلفٍ لخرجتُ عن قومي إلى حلف الفضول .

قال الواقديّ : قد اختلف فيه ، لم سُمِّي حِلْف الفضول ؛ فقيل : إنّه سُمِّي بذلك لأنّهم قالوا : لا ندَعُ لأَحدٍ عند أحدٍ فَضْلاً إلاّ أخذناه منه ، وقيل : بل سمع بهذا بعض مَن لم يدخل فيه ، فقال : هذا فضولٌ من الأمر .

وقال الواقديّ : والصحيح أَنّ قوماً من جُرهم يقال لهم فَضْل وفضالة وفَضَّال ومُفَضَّل تحالَفُوا على مِثْل هذا في أيّامهم ، فلمّا تحالفت قريش هذا الحِلْف سُمّوا بذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يـا لَلرِّجـال لمظلوم بضاعتُـه ببَطْن مكَّـة نائي الدّار والنفرِ

إنّ الحرامَ لِمَنْ تَمَّتْ حرامته ولا حرامَ لثَوْبَـيْ لابِس الغَدرِ[1]

غنّاه ابنُ عائشة ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن حَبَش .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن ابن أبي سبرة ، عن لقيط بن نصر المحاربيّ ، قال : كان يزيد بن معاوية أوّل مَنْ سَنَّ الملاهي في الإسلام مِنَ الخلفاء ، وآوى[2] المغنّين ، وأظهر الفَتْك وشُرْب الخمر ، وكان ينادِمُ عليها سرجون النَّصْرانيّ مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنّين سائب خاثر فيقيم عنده ، فيخلع عليه ويَصِلِه ، فغنّاه يوماً : [من البسيط]

يـا للرِّجـال لمظلومٍ بضاعته ببَطْن مكّةَ نائي الأَهْلِ والنفَرِ

فاعتَرَتْهُ أَرْيحيّة ، فرقص حتى سقط ، ثم قال : اخلعُوا عليه خِلعاً يغيبُ فيها حتى لا يُرى منه شيء ، فطرحت عليه الثيابُ والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها .

صوت

[من البسيط]

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً في رَأْسِ غُمدان داراً منك مِحْلالا
تلـك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنٍ شِيبا بمـاءٍ فعـادا بَعْـدُ أَبوالا

عروضه من البسيط .

المرتفق : المتَّكىء على مرفقه . وغمدان : اسمُ قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن . والمِحْلال : الدار التي يحلّ فيها ، أي يقيم فيها . وشِيبا : معناه خُلطا . والشوب : الخلط ، يقال : شاب كذا بكذا إذا خلطهما .

الشعرُ لأُميّة بن أَبي الصّلت الثقفيّ ، وقيل بل هو للنابغة الجعديّ ، وهذا خطأ من قائله ؛ وإنّما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين . والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى ، من رواية حمّاد عن أَبيه ، وفيه لطُويس لَحْن من كتاب يونس الكاتب غير مجنّس .

---

1 حرامته في ل : محارمه .

2 ل : أدنى .

[366] ـ نسب أُميّة بن أَبي الصّلت[1]
وخبره في قوله هذا الشعر

[نسبه]

أَبو الصّلت عبد الله بن أَبي ربيعة بن عمرو بن عُقْدَة بن عنزة[2] بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثَقيف . شاعر من شُعَراء الجاهلية قديم . وهذا الشعرُ يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنّيه بذلك ويمدحه .

[قدوم الأحباش إلى اليمن]

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سَيْف بن ذي يزَن إلى كسرى يستنجدُ عليهم أنّ مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له : ذو نُواس غَزا أَهلَ نجران ، وكانوا نَصارى ، فحصرهم ؛ ثم إنّه ظفر بهم فخَدّد لهم الأخاديد ، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك ، فحرَّقهم بالنار ، وحرق الإنجيل ، وهدم بيعتهم ، ثم انصرف إلى اليَمن . وأُفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثُعْلَبان على فرسٍ ، فركضه حتى أعجزهم في الرّمل ، ومضى دَوْس إلى قيصر ملك الرُّوم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ، ومنْ قتل من النصارى ، وأنّه خرب كنائسهم ، وبقر النساء ، وهدم الكنائس ، فما فيها ناقوس يُضْرب به . فقال له قَيْصر : بَعُدَتْ بِلادي عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني ، أَهل مملكته قريب منكم فينصرونكم . قال دَوْس ذو ثُعْلُبان : فذاك إذاً ، قال قيصر : إنّ هذا الذي أُصنعه بكم أذلّ للعرب أن يطأها سُودان ليس أَلوانهم على أَلوانهم ، ولا أَلسنتهم على أَلسنتهم ، فقال : الملك : أَنْظَرُ لأَهل دِينه إنما هم خَوَلُه .

فكتب إلى ملك الحبشة أَن انصر هذا الرجل الذي جاءَ يستنصرني ، واغضب للنصرانيّة ، فأَوطىء بلادَهم الحبشة .

فخرج دوس ذو ثُعْلُبان بكتاب قَيْصَر إلى ملك الحبشة ، فلمّا قرأَ كتابَه أَمر أَرياط ، وكان عظيماً من عُظَمائهم ، أَنْ يخرجَ معه فينصره .

1 ترجمة أمية بن أَبي الصّلت في الشعر والشعراء : 369–372 والسمط : 362 . وخزانة البغدادي 1 : 247–253 وطبقات ابن سلام : 260–270 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 185 وشعراء النصرانية : 219 . وقد نشر ديوانه بشير يموت (بيروت 1937) . وانظر بروكلمان 1 : 113–114 .

2 ل : غمرة .

[أرياط يخرج في جيش كبير إلى اليمن]

فخرج أرياط في سبعين ألفاً من الحبشة ، وقوّد على جُنْدِه قوّاداً من رؤسائهم ، وأقبل بفيله ، وكان معه أبرهة بن الصباح . وكان في عَهْدِ ملك الحبشة إلى أرْياط : إذا دخلْتَ اليمن فاقتُلْ ثلثَ رجالها ، وخرّب ثلث بلادها ، وابعث إليّ بثلث نسائها .

فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر ، وعبَر بهم حتى وردَ اليمن ، وقد قدَّم مقدّمات الحبشة ، فرأى أهل اليمن جُنْداً كثيراً ، فلمّا تلاحقوا قام أرياط في جُنْدِه خطيباً فقال : يا معشر الحبشة ، قد علمتم أنّكم لن ترجعوا إلى بلادِكم أبداً ، هذا البحر بين أيديكم إنْ دخلْتُموه غَرِقْتُم ، وإن سلكتم البَرَّ هلكتم ، واتخّذتكم العربُ عَبيداً ، وليس لكم إلاّ الصبر حتى تموتوا أو تَقتلوا عدوَّكم .

فجمع ذو نُواس جَمْعاً كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدولةُ للحبشة ، فظفر أرياط ، وقتل أصحاب ذي نُواس ، وانهزموا في كلّ وَجْه . فلمّا تخوّف[1] ذو نواس أنْ سيُؤْسَرُ ركض فرسَه ، واستعرض به البحر ، وقال : الموت بالبحر أحسن من إسار أسوَد ، ثم أقحم فرسَه لُجَّةَ البحر ، فمضى به فرسَهُ ، وكان آخر العهد به .

ثم خرج إليهم ذو جَدن الهمدانيّ في قومه ، فناوشهم ، وتفرَّقت عنه همدان ، فلما تخوّف على نفسه قال : ما الأمر إلا ما صنع ذو نُواس ، فأقحم فرسه البحر ، فكان آخر العهد به .

ودخل أرياط اليمن ، فقَتل ثلثاً ، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة ، وخرّب ثلثاً ، وملك اليمَن ، وقَتَل أهلَها ، وهدم حُصُونَها ، وكانت تلك الحصونُ بنَتْها الشياطين في عهد سليمان لِبَلْقيس ، واسمها بَلْقَمَة[2] ، وكان ممّا خرب من حصونهم : سلحون ، وبينون ، وغُمْدان ، حصوناً لم يُرَ مثلها . فقال الحميريّ ، وهو يذكر ما دخل على حِمْيَر من الذلّ[3] : [من البسيط]

هونَكَ أين تَرُدُّ العَيْنُ ما فاتا ... لا تهلِكَنْ أسفاً في إثر من فاتا
أبعدَ بَيْنُونَ لا عَيْنٌ ولا أثَر ... وبعد سَلْحون يَبْني الناسُ أبياتا !

قال : فلمّا ظفر أرْياط أخذ الأموال ، وأظهر العَطاء في أهل الشرف ، فغضبت الحبشةُ حين أعطى أشرافهم ، وترك أهل الفقر منهم واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في

1 ل : عرف .
2 ل : ملقبة .
3 البيتان في معجم البلدان (بينون) وفي الطبري مع اختلاف في الرواية لذي جدن الحميري .

العمل ، وكلّفهم مالا يُطيقون ، فجزع من ذلك الفقراء ، وشكا ذلك بعضُهم إلى بعض ، وقالوا : ما نرانا أذِلّة أشقياء أينما كنّا ، إن كان قتال قُدِّمنا في نحورِ العدوّ ، وإن كان قَتْلٌ قتلنا ، وإن كان عَمَل فعلينا ، والبلايا علينا ، والعطايا لغيرنا ، مع ما يُقْصينا ويجفونا .

[ثورة الفقراء على أرياط]

فقال لهم عند ذلك رجلٌ من الحبشة يقال له أَبرهة مِنْ قُوّاد أَرياط : لو أَنّ رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأَسلَمْتُمُوه حتى يُذْبَحُ كما تُذبحُ الشاة . قالوا : لا والمسيح ، ما كنّا نسلمه أبداً ، فواثقوه بالإنجيل ألاّ يسلّموه حتى يموتوا عن آخرهم .

فنادى مناديه فيهم ، فاجتمعوا إليه فبلغ أرياط أَبا أُضجم أَنَّ أَبرهة جمع لك الجموعَ ، ودعا الناسَ إلى قِتالك . قال : أَوَقَد فَعل ذلك أَبرَهة ، وهو ممّن لا بَيْتَ له في الحبشة ! وغضب أرياط غضباً شديداً ، وقال : هو أدنى من ذلك نَفْساً وبيتاً ، هذا باطل .

قالوا : فأرسل إليه ؛ فإنْ أَتاك فهو باطل ، وإن لم يَأتك فاعلم أنّه كما يقال ، فأرسل إليه : أَجِب الملك أرياط . فجثا أبرهة على رُكبتيه وخَرَّ لوجهه ، وأخذ عُوداً من الأَرض فجعله في فِيه ، وقال للرسول : اذهَبْ إلى الملك فأخبِره بما رأيتَ منّي ، أنا أخلعه ؟ أنا أَشدُّ تعظيماً له من ذلك ! وأنا آتيه على أربع قوائم بحسابِ البهيمة .

فرجع الرسولُ إلى الملك فأَخبره بالخبر ، فقال : أَلَم أَقُلْ لكم ؟ قالوا : الملك أَعقل وأَعلم منّا .

فلمّا وَلَّى الرسولُ من عند أَبرهة وتوارى عنه صاحَ أَبرهة في الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا إليه معهم السلاح ، والآلةُ التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مُدن اليمن : المعاول والكَرازِين[1] والمساحي ، ثم صفّوا صفّاً ، وصفّوا خلْفَه آخر بإزائه . فلمّا أبطأ أبرهة على الملك وهو يَرى أنّه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، وأتى الرسولُ أرياط فأخبره بما صنع أبرهة ، ركب في الملوك ومَنْ تَبِعه من أتباعهم ، فلبسوا السلاحَ وجاءوا بالفِيَلة ، وكان معه سبعة فِيَلة ، حتى إذا دنا بعضُهم من بعض برزَ أبرهةُ بين الصَّفَّين ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربُّنا ، والإنجيل كتابُنا ، وعيسى نبيُّنا ، والنجاشيّ ملِكنا ، علامَ يَقتُلُ بعضُنا بضعاً في مذهب النصرانيّة ؟ هذا رجلٌ وأنا رجل فخلّوا بيني وبينه ، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، وإنْ قتلتُه سلمتم وعملتُ فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت .

1 الكرازين : الفؤوس الكبيرة ، واحدها كرزن .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنّه صنع ما قد ترى ، وقد أَبيت إلاّ حُسن الرأي فيه ، وقد أَنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً ، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجُمَّة[1] ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبن ، فبرز بين الصفَّين ، ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامَّة أنفه ، ووقع بين رِجْلَيْ أرياط ، فعمد أبرهة إلى عمامته فشدّ بها وجهه ، فسكن الدَّمُ والتأم الجرح ، وأخذ عوداً وجعله في فِيه ، وقال : أيّها الملك ، إنّما أنا شاة فاصنَعْ ما أردْتَ ، فقد أبصرتُ أمري . ففرح أرياط بما صنع ، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً ، وجعله في بطن فخذه ، كأنّه خافية نَسر .

فلمّا رأى أبرهة أنَّ أرياط قد أفلت عنه ، وهو ينظرُ يميناً وشمالاً لئلاّ تراه ملوكُ الحبشة ، استلَّ خنجره فطعنه طعنة في فرج دِرْعه فأثبته ، وخرَّ أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صَدْره فأجهز عليه . فسمِّي أبرهة الأشرمَ بتلك الضَّربة التي شرمت وجهَه وأنفه .

فملك أبرهة عشرين سنة ، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، وأُمّه ريحانة امرأة ذِي يزن أُمّ سيف بن ذي يزن الحميريّ .

[سعي سيف بن ذي يزن لتخليص اليمن]

فلمّا طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميريّ فكلَّموه في الخروج ، وقالوا إنّا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنّه يوشك أنّ هذا البلاء يفرج بيَدِ رَجُل من أهل بَيْتِك ابن ذي يزن ، وقد رجَوْنا أن ندرِكَ بثأْرِنا ، فأنْعَم لهم[2] . فخرج إلى قيصر ملك الروم ، فكلّمه أن ينصُرَه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشة على دِيني ودِين أهل مملكتي ، وأنتم على دين يهود ، فخرج من عنده يائساً . فخرج عامِداً إلى كسرى ، فانتهى إلى النُّعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه ، فأخبره بما لَقِي قومُه من الحبشة ، فقال : أقم ؛ فإنَّ لي على الملك كسرى إذْناً في كلّ سنة ، وقد حان ذلك .

فلمّا خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كِسرى ، فقال : غُلِبنا على بلادنا ، وغَلَب الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنّي أبيض وأنت أبيض ، وهم سودان . فقال : بلادك بلادٌ بعيدة ، ولا أبعثُ معك جيشاً في غير منفعة ، ولا أمر أخافُه على ملكي .

فلمّا أيأَسَه من النَّصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُساً .

1 الجمة : مجتمع شعر الرأس .

2 أنعم لهم : أجابهم بنعم .

فلمّا خرج بها من باب كسرى نَثرها بين الصِّبْيان والعبيد ، فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فقالوا ذلك له ؛ فأرسل إليه : لِمَ صنعْتَ بجائزة الملك ؟ تَنثُرها للصِّبْيان والناس ؟ فقال سَيْف : وما أعطاني الملك ! جبالُ أرضي ذهب وفضّة ، جئتُ إلى الملك ليمنَعَني من الظُّلْم ، ولم آتِه ليعطيني الدراهم ، ولو أردتُ الدراهم كان ذلك في بَلَدي كثيراً .

[كسرى يستجيب لسيف]

فقال كسرى : أنْظرُ في أمرك . فخرج سيف على طمع ، وأقام عنده ، فجعل سيف كلّما ركب كسرى عَرَض له ، فجمع له كِسْرى مَرازِبته ، وقال : ما تَروْن في هذا العربيّ ، وقد رأيتُه رَجُلاً جَلْداً ؟ فقال قائل منهم : إنّ في السجون قوماً قد سجنهم المَلك في مَوجِدَةٍ عليهم ، فلو بعثهم الملك معه فإن قُتِلوا استراح منهم ، وإن ظفرُوا بما يُريد هذا العربيّ فهو زيادة في مُلْك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأُحضروا فوجد ثمانمائة رجل ، فولّى أمرهم رجلاً معهم يقال له وَهْرِز ، وكان رامِياً شجاعاً مع مكانة في الفرس ، وجهَّزهم ، وأعطاهم سلاحاً ، وحملهم في البحر في ثماني سُفن ، فغرقت سفينتان ، وبَقي مَنْ بَقي وهم ستمائة رجل ؛ فأرْسَوْا إلى ساحل عَدَن ، فلمّا أرسوا قال وهرز لسيف : ما عندك ، فقد جئنا بلادَك ؟ فقال : ما شئْتَ من رجل عربيّ وفرس عربي ، ثم اجعل رَجُلي مع رَجُلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً .

قال وهرز : أنصفْتَ . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة ، وقد سمع بهم مسروق وبتَعْبيتهم ، فجمع إليه جُنْدَه من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العَسْكران . وجعلت أمدادُ اليمنِ تثوبُ إلى سيف ، وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة خَيْل ، فقال : ناوِشُوهم القتال ، حتى ننظر قتالَهم ، فناوشهم ابنُه ، وناوشوه شيئاً من قتال ، ثم تورّط ابنُه في هلكة لم يستطع التخلّص منها ؛ فاشتملوا عليه فقتلوه ، فازْدادَ وهرز عليهم حَنَقاً . وسيء العرب ، وفرحت الحبشة ، فأظهروا الصليب ، فوتّر وهرز قَوْسَه ، وكان لا يقدر أن يوتّرها غيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا أين تَرون ملكهم ؟ قال سيف : أرى رجلاً قاعداً على فيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء . قال : ذلك ملكهم . وقال وهرز : اتركوه . ثم وقف طويلاً ، ثم قال : انظروا هل تحوَّل ؟ قالوا : قد تحوّل على فرس . قال : هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلاً ، وقال : انظروا هَلْ تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على بغلة ، فقال : ابنةُ الحِمار ، ذلّ الأسود وذلّ مُلْكُه ، ثم قال لأصحابه : قتلته في هذه الرَّمْيةِ ، تأمَّلُوا النشّابة ، وأخذَ النشّابة وجعل فُوقَها في الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأها ،

وكان أيِّداً[1] ، ثم أرسلها فصكّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق ، فتغلغلت النشّابة في رأسه حتى خرجت من قَفاه ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، فانهزمت الحبشة في كلّ وَجْه ، وجعلت حمير تقتلُ مَن أدركوا منهم ، وتُجْهز على جَريحهم .

[وهرز يملك اليمن]

وأقبل وَهْرز يريد أنْ يدخل صنعاء ، وكان موضعهم الذي التَقَوا فيه خارج صَنعاء ، وكان اسم صنعاء : أزال ، فلمّا قدمت الحبشة بنوها وأحكموها ، فقالت : صَنْعَة ؛ فسمّيت صَنْعاء . وكانت صنعاء مدينة لها بابٌ صغير يُدْخَلُ منه ، فلمّا دنا وَهْرز من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تَدْخُلُ رايتي منكّسة ، اهدموا الباب ، فهُدِم بابُ صنعاء ، ودخل ناصباً رايَتَه وسِيرَ بِها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب مُلْكُ حمير آخِرَ الدّهر ، لا يرجع إليهم أبداً .

فملك وهرز اليمن ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخْبره : إنّي قد ملكْتُ للملك اليَمن ، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم ، وبعث بجَوْهر ، وعَنبر ، ومال ، وعُود ، وزَباد[2] ، وهو جلود لها رائحة طيّبة .

[كسرى يملّك سيفاً اليمن]

فكتب كسرى يأْمُرْه أنْ يملّك سيفاً ، ويقدم وَهْرزُ إلى كسرى .

فخلّف على اليمن سيفاً ، فلمّا خَلا سيفٌ باليمن وملكها عَدا على الحبشة ، فجعل يَقْتل رِجالها ويبقر نساءَها عمّا في بطونها ، حتى أفناها إلاّ بقايا منها أُهل ذلّةٍ وقلّة ، فاتّخذهم خَولاً ، واتّخذ منهم جمّازين[3] بحرابهم بين يَديه .

[اغتيال سيف]

فمكث كذلك غير كثير ، وركب يوماً وتلك الحبشةُ معه ، ومعهم حرابُهم يَسْعَون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً منهم مالُوا عليه بحِرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه .

وكان سيف قد آلى ألاّ يشرب الخمر ، ولا يمسّ امرأةً حتى يدركَ ثأره من الحبشة ، فجُعلت له حُلّتان واسعتان فاتزر بواحدة ، وارتدى الأُخرى ، وجلس على رأس غُمدان يشرب ، وبرَّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيّد فقتَلَتْه الحبشة .

---

1 أيّد : قوي .

2 الزباد : طيب يؤخذ من حيوان كالسنور يسمّى قط الزباء .

3 الجمازون : العداؤون بحرابهم أمام موكب الملك .

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة ، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وملك يكسوم تسع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة ، فهذه أربع وسبعون سنة .

وكان قدومُ أَهلِ فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجار بعشر سنين ، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ وآله ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها ؛ لأنّ رسول الله ﷺ وُلِدَ بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة .

[وفود العرب تهنىء سيفاً بالنصر]

ونسخت خَبَر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسّان ، قال : حدَّثنا الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، وحدَّثني به محمد بن عمران المؤدّب بإسنادٍ لستُ أَحفظ الاتصال بينه وبين الكلبيّ فيه ، فاعتمدت هذه الرواية ، قال :

[أمية يمدح سيفاً والفرس]

لّما ظفر سيف بن ذي يَزَن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين أَتَتْه وفود العربِ وأشرافُها لتهنِّيه وتمدحه ، وتذكر ما كان من بلائه وطلب بثأرِ قومه ؛ فأَتَتْهُ وفودُ العرب من قريش ، فيهم عبد المطّلب بن هاشم ، وأُميّة بن عبد شمس ، وخويلد بن أَسد ، في ناسٍ من وجوه قريش ، فأتوه بصَنْعاء ، وهو في رأس قَصْرٍ له يقال له : غُمدان ، فأخبره الآذِنُ بمكانهم ، فأذِن لهم ؛ فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأْسِه غلامٌ واقف يَنْثر في مفرقه المسك ، وعن يمينه ويساره الملوك والمَقاول ، وبين يديه أُميّة بن أبي الصّلت الثقفيّ ينشده قوله فيه هذه الأبيات[1] : [من البسيط]

لا يطلُبُ الثأر إلاّ كابْنِ ذي يَزَن … في البَحْرِ خيَّم للأعــداء أَحوالا
أَتــى هِرَقلَ وقــد شالَتْ نَعامَتُهُ … فلَم يَجِدْ عنده النّصر الذي سالا[2]
ثم انتحى نحو كِسْرى بعد عاشرة … من السِّنينَ يُهينُ النفسَ والمالا
حتى أَتى بِبَني الأَحرار يَقْدُمُهم … تخالُهم فوقَ مَتْنِ الأَرضِ أَجبالا[3]
لله دَرُّهــمُ مِــنْ فِتْيَــةٍ صُبُــرٍ … مــا إن رأَيت لهم في الناسِ أَمثالا

1 ديوانه : 453–457 : ونسبت في الطبري وابن هشام إلى أبي الصّلت والد أمية . وهناك بعض اختلاف في الرواية .
2 النصر في ل : الثأر .
3 أتى في ل : انتحى .

بيـضٌ مَرازِبَـةٌ غُلْـبٌ أَساوِرَة ... أسد تُربِّـبُ في الغَيْضاتِ أَشبالا
فالْتَطْ من المسكِ إذ شالت نَعامَتهم ... وأَسْبِل اليومَ في بُرْدَيك إسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منك مِحْلالا
تلـك المكارم لا قَعْبانِ مِـنْ لَبَنٍ ... شِيباً بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أَبوالا

بنو الأَحرار الذين عناهم أُميّة في شعره هم الفوارس الذين قدِموا مع سَيْفِ بن ذي يزن ، وهم إلى الآن يسمّون بني الأحرار بصنعاء ، ويسمّون باليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ؛ وبالبصرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة .

فبدأ عبد المطّلب فاستأذن في الكلام ، فقال له سيف بن ذي يزن : إنْ كنتَ ممّن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذِنّا لكَ . فقال عبد المطّلب : إنَّ الله قد أحلَّكَ أيُّها الملك مَحَلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذِخاً ، وأنبتك منبتاً طابتْ أرومته ، وعزّت جرثومته ، في أكرم موطن ، وأَطيب معدن ؛ فأنت ، أبيتَ اللعن ، مَلِكُ العرب ، وربيعها الذي به تُخصِب ، وأنتَ أيُّها الملك رأسُ العرب الذي له تَنْقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد ، فسلَفك لنا خَيْرُ سلف ، وأنتَ لنا منهم خير خلف ، فلم يَخمُل مَنْ أنت خلَفَهُ ، ولن يهلك من أنت سَلَفُه . نحن أهلُ حرم الله وسَدَنةُ بيته ، أشخصَنا إليك الذي أبهجنا ؛ لكشفك الكرب الذي فَدحنا ، فنحن وفودُ التَّهْنِيَةِ لا وفود المَرْزِيَة .

قال : وأيّهم أنت أيّها المتكلّم ؟ قال : أنا عبد المطّلب بن هاشم ، قال : ابْنُ أُختنا ؟ قال : نعم . فأدْناه حتى أَجْلَسه إلى جَنْبه ، ثم أقبل على القَوْم وعليه ، فقال : مرحباً وأهلاً ، وناقةً ورَحْلاً ، ومستناخاً سهلاً ، ومَلِكاً رِبَحْلاً[1] ، يُعْطي عطاءً جَزْلاً ، قد سمع الملكُ مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقَبِل وَسِيلَتَكم ، وأنتم أهلُ الشرفُ والنَّباهة ، ولكم الكرامة ما أَقمتم ، والحِباء إذا ظعنتم .

[أمارات ظهور النبيّ]

ثم استُنهضوا إلى دارِ الضيافة والوفود ، فأَقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، وأَجرى لهم الأنزال[2] . ثم انتبه لهم انتباهةً ، فأَرسل إلى عبد المطلب ، فأَدْناه ، وأَخلى مجلسه ، ثم قال : يا عبد المطّلب ، إنّي مفوِّض إليكَ مِنْ سرّ علمي أمْراً لو

1 ربحل : عظيم الشأن .
2 الأنزال : جمع نزل ، وهو ما يقدم للضيف .

يكون غيرك لم أُبحْ به إليه ، ولكنّي رأيتك موضِعَه ، فأطلعتك طِلْعَه ؛ فليكن عندك مطوِيّاً حتى يأذَنَ اللهُ فيه ، فإنَّ اللهَ بالغ أمره .

إنّي أجِدُ في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذي اخترناه لأنفسنا ، واحْتَجَنَّاه دون غيرنا ، خَبَراً عظيماً ، وخَطراً جَسيماً ، فيه شَرَفُ الحياة ، وفضيلةُ الوفاء للناس عامة ، ولِرَهْطِك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : مِثلك أيّها الملك مَنْ سَرَّ وبَرَّ ، فما هو ، فداك أَهْل الوبر ، زُمَراً بعد زمر ؟ قال ابنُ ذي يزن : إذا وُلد غلامٌ بتهامة ، بين كتفيه شامَة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزَّعامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطّلب : أيّها الملك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافد ، ولولا هَيْبَة الملك وإكرامه ، وإعظامه لسألتُه أنْ يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً . قال ابن ذي يَزن : هذا حينه يولَدُ فيه ، أو قد وُلد اسمه محمد (ﷺ) ، يموتُ أبوه وأُمّه ، ويكفله جَدّه وعمّه ، قد ولدناه مِراراً ، واللهُ باعِثُه جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أنصاراً ، يُعزُّ بهم أولياءه ، ويُذلّ بهم أعداءه ، يضربُ بهم الناسَ عن عُرْض ، ويستبيح بهم كرائمَ الأرض ، يُخمد النيران ، ويدْحَرُ الشيطان ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فَصْل ، وحُكْمُه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطّلب : أيّها الملك ، عَزّ جَدُّك ، وعَلا كَعْبُك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخْبِري بإفصاح ، فقد أوضح لي بعضَ الإيضاح .

فقال ابن ذِي يزن : والبيتِ ذي الحُجْب ، والعلامات على النُّصُب ، إنّك يا عبد المطّلب ، لَجَدُّه غير الكذب .

فخرّ عبدُ المطّلب ساجداً ، فقال له : ارفَعْ رأسك ، ثلج صدْرُك ، وعلا أمرُك ؛ فهل أحسستَ شيئاً ممّا ذكرتُه لك ؟ فقال عبد المطّلب : أيّها الملك ، كان لي ابنٌ ، وكنت به معجَباً ، وعليه رفيقاً ، زوّجْتُه كريمةً من كرائم قومي ، اسمها آمنة بنت وهب ؛ فجاءت بغلام سمّيْتُه محمداً ، مات أبوه وأُمّه ؛ وكفلته أنا وعمّه . قال : الأمْرُ ما قلت لك ؛ فاحتفِظْ بابنك ، واحذر عليه من اليهود ؛ فإنّهم له أعداء ، ولن يجعلَ اللهُ لهم عليه سبيلاً ، واطْوِ ما ذكرتُ دون هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ؛ فإنّي لا آمَن أنْ تدخلَهم النّفاسة مِنْ أن تكون له الرياسة ؛ فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم ، وبطيءٌ ما يُجيبه قومُه ؛ وسيَلْقى منهم عنَتاً ، واللهُ مُبْلِج حجّته ؛ ومُظهر دعْوَتَه ، وناصر شيعته ، ولولا أنّي أعلمُ أنَّ

الموتَ مجتاحي قبل مَبْعثه لَسِرْتُ بخَيْلي ورَجلي ؛ حتى أصيِّر يثرب دارَ مُلكي ، فإنّي أَجدُ في الكتاب المكنون أنَّ بيثرب استحكامَ أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قَبْره ؛ ولولا أنّي أتوقّى عليه الآفات ، وأحذَرُ عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنّه أمرَه ، ولكنّي صارفٌ ذلك إليك من غير تقصيرٍ منّي بمَنْ معك .

قال : ثم أَمَر لكلّ رجل بعشرة أَعْبُد ، وعشر إماء ، ومائة من الإبل وحُلَّتين بُروداً ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضّة ، وكرش مملوءة عنبراً ، ثم أمر لعبد المطّلب بعشرة أَضعاف ذلك .

وقال : يا عبد المطّلب ، إذا حال الحَوْلُ فائْتني . فمات ابنُ ذي يَزَن قبل أَنْ يحولَ الحول .

وكان عبد المطّلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، وإنْ كثُر ؛ فإنّه إلى نَفاد ، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفُه وذِكْرُه إلى يوم القيامة . فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون نبأ ما أقولُ ، ولو بَعْدَ حين .

وفي ذلك يقول أُميّة بن عبد شمس[1] : [من الوافر]

جلبْنا النُّصحَ تحمله المَطايا ... إلى أَكْوارِ أَجمالٍ ونُوقِ
مغلغلةً مرافِقُها ثِقالا ... إلى صنعاءَ مِنْ فجٍّ عَميقِ
تَؤمُّ بنا ابْنَ ذِي يَزن ونُهدي ... مَخالِيَها إلى أَمَمِ الطريقِ
فلمّا وافقتْ صَنْعاءَ صارَتْ ... بدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيقِ

[غناء في شعر أُميّة]

أَخبرني عليّ بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه ، قال : كان أَحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكيّ ، أحد القوّاد مع طاهر بن الحُسين بن عبد الله بن طاهر ، فكان معه بالريّ ، وكان مع محلِّه مِنْ خدمة السلطان مُغنِّياً حسن الغناء ، وله صنعةٌ . فحضر مجلس طاهر بن عبد الله ، وهو متنزّه بظاهر الريِّ بموضع يعرف بشاذَمِهْر ، وقيل : بل حضره بقَصْرِه بالشاذِياخ ، فغنّى هذا الصوت : [من البسيط]

اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غمدان . . . البيت

فقال ابنُ عبّاد الرازيّ في وقتِه من الشعر مثلَ ذلك المعنى ، وصنع فيه ، وغنّى فيه أَحمد بن سعيد لحناً من خفيف الرمل ، وهو : [من البسيط]

1 ديوان أمية بن أبي الصّلت : 424–426 وتنسب إليه وإلى أمية بن عبد شمس .

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً بالشاذياخ ودَعْ غُمْـدان لِلْيَمَنِ
فأنــتَ أَوْلى بتــاج المُلْكِ تَلْبَسُه مِنْ هَوْذَةَ بن عليّ وابن ذي يَزَنِ

فطرب طاهر ، فاستعاده مرات ، وشرب عليه حتى سكر ، وأَسنى لأَحمد بن سعيد الجائزةَ .

[هوذة بن علي ويوم الصفقة]

أَمّا ذكره هوذة بن عليّ ولبسه التاج ؛ فإنَّ السببَ في ذلك أنّ كسرى تَوَّج هَوْذَةَ بن عليّ الحنفيّ ، وضمَّ إليه جيشاً من الأَساورة ، فأَوقع ببني تميم يوم الصَّفْقة .

367 ـ [يوم الصفقة][1]

أخبرني بالسبب في ذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السكَّريّ ، قال حدَّثنا ابنُ حبيب ودِماذ ، عن أبي عُبيدة ، قال ابنُ حبيب : قال أبو سعيد : وأخبرنا إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قال ابن حبيب : وأخبرني ابن الأعرابيّ ، عن المفضل ، قال أبو سعيد ، قالوا جميعاً : كان من حديث يوم الصَّفْقة أنّ باذام عامل كِسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمِلُ ثياباً من ثيابِ اليمن ، ومِسْكاً وعَنْبَراً ، وخُرجين فيهما مناطق مُحَلاَّة ، وخُفراء تلك العير فيما يزعمُ بَعْضُ الناس بنو الجُعَيْد المرادِيُّون . فساروا من اليمن لا يَعْرِضُ لهم أحد ، حتى إذا كان بحَمَضَ مِنْ بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم ، أغاروا عليها فقتلوا مَنْ فيها مِنْ بني جُعيد والأساوِرة ، واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجيةُ بن عقال ، وعتيبة بن الحارثِ بن شهاب ، وقَعْنب بن عتّاب ، وجَزْء بن سعد ، وأبو مليل عبد الله بن الحارث ، والنَّطِف بن جبير ، وأسيد بن جُنادة . فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجَر مع كزارجر المكعبر ، فسارُوا إلى بني حنظلة بن يربوع ، فصادَفُوهُم على حَوْضٍ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فهُزِمَت الأساورة ، وقُتِلوا قَتْلاً شديداً ذَرِيعاً ، ويومئذٍ أخذ النَّطف الخُرجَيْن اللذيْنِ يُضْرَبُ بهما المَثَل[2] .

فلمّا بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً ، وأمر بالطعام فادُّخر بالمشقَّر ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناسَ سنةٌ شديدة ، ثم قال : مَنْ دخلها مِن العرب فأمِيروه ما شاء[3] .

فبلغ ذلك الناس ، قال : وكان أعظم مَنْ أتاها بنو سَعْد ، فنادى منادي الأساورة : لا يدخلها عَرَبيّ بسلاح ؛ فأُقيم بَوَّابُون على باب المشقّر ، فإذا جاء الرجلُ ليدخلَ قالوا : ضَعْ سلاحك ، وامْتَرْ ، واخرُجْ من الباب الآخر ؛ فيذهب به إلى رأْس الأساورة فيقتله ، فيزعمون أنَّ خَيْبَرِيَّ بن عبادة بن النوال بن مرّة بن عُبَيْد ، وهو مُقاعس ، قال : يا بني

1 خبر يوم الصفقة في معجم البلدان : صفقة وتاريخ الطبري 2 : 169 والعقد 5 : 224 وأيّام العرب في الجاهلية : 2 .

2 يقال : أهنى (أهنأ) من كنز النطق . انظر مجمع الميداني 2 : 409 والدرة الفاخرة 2 : 429 وجمهرة العسكري 2 : 352 .

3 أميروه : أعطوه الميرة .

تميم ؛ ما بَعْدَ السلب إلاّ القَتْل ، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون . فانصرف منهم مَن انصرف مِنْ بقيَّتهم ، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم . هذا حديث المفضَّل .

وأمّا ما وجد عن ابن الكلبيّ في كتاب حمَّاد الراوية ، فإن كسرى بعث إلى عامِلِه باليمن بعِير ، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعاً[1] ، فكانت تُبَذْرَق[2] من المدائن حتى تدفعَ إلى النُّعمان ، ويبذرقها النُّعمان بخُفَراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفَعها إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ ، فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى سَعْد ، وتجعل لهم جِعالة ، فتسير فيها ، فيدفعونها إلى عُمّال باذام باليمن .

فلمّا بعث كسرى بهذه العير قال هَوذة للأساورة : انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه ؛ فأنا أكفيكم أمْرَهم ، وأسير فيها معكم ، حتى تبلغوا مأْمنكم ، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم مِنْ هَجَر ، حتى إذا كانوا بَنطاع بلغ بني سَعْد ما صنع هَوْذَة ، فسارُوا إليهم ، وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه وقتلوا عامّة الأساورة ، وسلبوهم ، وأسروا هَوْذة بن عليّ ، فاشترى هوذةُ نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هَجَر ، فأخذوا منه فداءه ، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد : [من الطويل]

ومِنّا رئيسُ القَوْمِ ليلةَ أدلَجُوا بهَوْذَةَ مقرونَ اليدين إلى النَّحْرِ
ورَدْنا به نَخْلَ اليمامةِ عانياً عليه وَثاقُ القِدِّ والحَلَقِ السُّمْرِ

فعمد هَوذَةُ عند ذلك إلى الأساورة الذين أُطلقهم بنو سعد ، وكانوا قد سُلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هَوْذَةُ رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً . فدخل عليه فقصَّ أمْرَ بني تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأْس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إيّاها وكساه قَباء دِيباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتُها ثلاثون ألف درهم ، وهو قول الأعشى[3] : [من البسيط]

لـه أكاليلُ بالياقوت فصَّلها صَوَّاغُها لا ترى عَيْباً ولا طَبَعا

وذُكِر أن كسرى سأَلَ هَوْذَة عن ماله ومعيشته فأخبره أنّه في عَيش رَغد ، وأنّه يغزو

---

1 النبع : شجر تتخذ منه القسي .
2 تبذرق : تخفر .
3 ديوان الأعشى : 108 .

المغازيَ فيُصيب .

فقال له كسرى في ذلك : كَمْ ولَدُك ؟ قال : عشرة ، قال : فأيّهم أحبُّ إليك ؟ قال : غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلك على أن طلبْتَ منّي الوسيلةَ . وقال كسرى لهوذة : رأيتَ هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ، أبَيْنَك وبينهم صُلح ؟

قال هوذة : أيّها الملك بيني وبينهم حَساء[1] الموت ، وهم قتلوا أبي . فقال كسرى : قد أدركْتَ ثأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوذة : إنَّ أرْضهم لا تُطيقها أساورتُك ، وهم يمتنعون بها ، ولكن احبِسْ عنهم المِيرة ، فإذا فعلتَ ذلك بهم سنةً أرسلتَ معي جنداً من أساورتك ، فأُقيم لهم السوق ؛ فإنّهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خَيْلُكَ .

ففعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الأسواقَ في سَنةٍ مُجْدبة ، ثم سَرَّح إلى هوذة فأتاه ، فقال : ائت هؤلاء فاشْفني منهم ، واشْتَفِ . وسَرَّح معهم جَوار بُودار ورجلاً أرْدَشِير خُرَّة . فقال لهوذة : سِرْ معَ رسولي هذا ، فسار في ألف أسوار حتى نزلُوا المشقر من أرض البحرين ، وهو حِصْن هَجَر .

وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتَوه ، فدنوا مِن حيطان المشقَّر ، ثم نودي : إنَّ كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتعالوا ، فامتاروا . فانْصبَّ عليهم الناس ، وكان أعظم مَنْ أتاهم بنو سَعد ، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقَّر أُدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يُذهب به إلى المُكَعْبِر[2] فتضرب عنقه ، وقد وضع سِلاحَه قبل أن يدخل ، فيقال له : ادْخُلْ من هذا الباب واخْرُجْ من البابِ الآخر ؛ فإذا مرَّ رجُلٌ من بني سَعْد بينه وبين هَوْذَة إخاء ، أو رجل يرجوه ، قال لمكعبر : هذا مِنْ قومي فيخلّيه له .

فنظر خيبريٌّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، وتُؤْخَذ أُسلحتُهم ، وجاء ليمتار ، فلمّا رأى ما رأى قال : وَيْلكم ! أينَ عقولكم ! فوالله ما بعدَ السَّلْب إلاّ القتل .

وتناول سيْفاً من رجل من بني سَعْد يُقال له مَصاد ، وعلى باب المشقَّر سلسلة ورجل من الأساورة قابضٌ عليها ، فضربها فقطعها ويَد الأسوار ، فانفتح البابُ ، فإذا الناس يُقتلون ، فثارَتْ بنو تميم .

1 حساء الموت : تجرعه .

2 سمّي المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل .

ويقال : إنّ الذي فعل هذا رجلٌ من بني عبس يقال له : عُبيد بن وهب ، فلمّا عَلِم هَوْذة أنَّ القوم قد نَذِرُوا به أمَر المكعبر فأطلق منهم مائةً من خِيارهم ، وخرج هارباً من الباب الأوّل هو والأساورة ، فتبعتهم بنو سَعْد والرباب ، فقُتِل بعضهم ، وأفلت مَن أفْلَت .

صوت[1]

[من الطويل]

إذا سلكتْ حَورانَ مِنْ رَمْلٍ عالجٍ فقُولا لها : ليس الطريقُ هنالكِ[2]
دَعُوا فلَجاتِ الشامِ قد حِيل دُونَها بضَرْبٍ كأَفْـواهِ العِشار الأَوارِكِ[3]

عروضه من الطويل . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لابن محرز ، ولَحْنُه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، مطلق في مجرى البنصر .

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقُرَيش حين تركت الطريقَ الذي كانت تسلكُه إلى الشام بعد غَزْوة بَدْر ، واستأجرت فُرات بن حيّان العِجليّ دَليلاً ، فأخذ بهم غَيْرَها ، وبلغ النبيّ ﷺ الخبر ، فأرسل زيد بن حارثة في سريّة إلى العير فظفر بها ، وأعجزه القوم .

---

1 ديوان حسان : 85 .
2 الديوان : إذا سلكت الغور . . .
3 الديوان :
«. . . قـد حـال دونهـا بضرب كأفواه المخاض الأوارك»
والأوارك : التي ترعى الأراك . والفلجات : الأودية الصغار أو العيون الجارية .

368 ـ [ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة][1]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، قال : كان سبب هذه الغَزْوة أنَّ قريشاً قالت : قد عوَّر علينا محمد مَتْجرَنا[2] ، وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصَفْوان بن أُميّة : إنْ أقمنا بمكّة أكلنا رؤوس أموالنا . فقال زَمْعَةُ بن الأسود : وأنا أدلّكم على رجُل يسلكُ بكم النّجدةُ ، ولو سلكها مُغْمَض العين لاهْتَدى . فقال صفوان : مَنْ هو ؟ قال : فرات بن حَيّان العجليّ ، فاستأجَراه ، فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عِرْق ، ثم سلك بهم على غَمْرَة ، فانتهى إلى النبيّ ﷺ خَبَرُ العِير ، فخرج وفيها مالٌ كثير ، وآنِية مِنْ فِضّة حملها صَفْوان بن أُميّة .

فخرج زَيْد بن حارثة فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم ، وكان الخُمْسُ عشرين ألفاً ، فأخذه رسولُ الله ﷺ فقسّم الأربعة الأخماس على السَّريّة ، وأتى بفُرات بن حَيّان العجليّ أسيراً ، فقيل له : إن أسلَمْتَ لم يقتلك رسول الله ﷺ . فلمّا دَعا به رسولُ الله ﷺ أسلم ، فأرسله .

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق في خبرِ هذه السرية بمثل رِواية الواقديّ ، وزاد فيها فيما رواه : إنّ قريشاً لمّا خافت طريقَها إلى الشام أخذَتْ على طريق العراق ، وذكر أنَّ الوقْعَةَ كانت على القَرَدَة[3] : ماء من مياه نجد .

أخبرني حِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك : إن رأى أميرُ المؤمنين إذا فرغ من دَعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدَعوة أخواله بني مخزوم . فكتب : إن رضي بذلك آلُ الزُّبير فافعل . فلمّا فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى

1 خبر سرية زيد بن حارثة في الطبري : حوادث سنة 3 وسيرة ابن هشام 3 : 50 .

2 عور متجرنا : عرضه للضياع .

3 في الطبري والسيرة : القَرْدة بفتح القاف وسكون الراء . وفي ياقوت : الفَردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة ، وأضاف أن ابن الفرات ضبطه بالفَرِدة ، بفتح فكسر .

منادِيه ببني مخزوم ، فناداه عثمان بن عروة ، وقال : [من الطويل]

إذا هبطتْ حورانَ مِنْ أَرْضِ عالج فقُولا لهـا : ليس الطريقُ هنالك

فأَمر منادِيه فنادى بني أَسد بن عبد العزّى ، ثم مضى على الدعوة .

أَخبرني محمد بن عبد الله الحضرميّ إجازة ، قال : حدَّثنا ضرار بن صُرَد ، قال : حدَّثنا عليّ بن هشام ، عن عمّار بن زُرَيق ، عن أبي إسحاق ، عن عديّ بن حاتم : أنَّ النبيّ ﷺ أتى بفرات بن حيّان فقال : إنّي مسلم ، فقال لعليّ صلوات الله عليه : إنَّ منكم مَن أكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان ، وأقطعه أرضاً بالبحرين تغلّ ألفاً ومائتين .

حدَّثني أحمد بن يوسف بن سعيد ، قال : حدَّثنا محمد عُبيد الله بن عتبة ، قال : حدَّثنا موسى بن زياد الزيات ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن سليمان الأَشل ، عن زكريا بن أَبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن جارية[1] بن مُضَرِّب ، عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه ، قال : أُتِيَ النبيّ ﷺ بفرات بن حيّان يوم الخَنْدق ، وكان عَيْناً للمشركين ، فأَمَر بقتله ، فقال : إنّي مسلم ، فقال : إن منكم مَن أتألَّفه على الإسلام وأكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان .

صوت

[من الطويل]

إذا المـرء لم يطلب معاشاً لِنَفْسه شكى الفقْرَ أَو لامَ الصَّدِيقَ فأَكثرا
وصار على الأَدْنَين كَلاًّ وأَوشكت صِلاتُ ذَوِي القُرْبى له أَن تَنَكَّرا
فسر في بـلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى تَعشْ ذا يَسارٍ أَو تموتَ فتُعذرا
ولا تَرْضَ مِنْ عيش بدُونٍ ولا تنم وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي عطاء السنديّ . والغناء لإبراهيم . خفيف ثقيل بالوسطى ، من نسخة عمرو الثانية .

1 ل : حارثة .

[369] ـ ذكر أَبي عطاء السنديّ[1]

[نسبه]

أَبو عطاء ، اسمه أَفلح بن يَسار ، مولى بني أُسد ، ثم مَوْلى عنْبر[2] ، بن سِماك بن حُصين الأَسديّ ، منشؤُه الكوفة ، وهو مِنْ مخضرميّ الدولتين . مدح بني أُميّة وبني هاشم ، وكان أَبوه يَسار سِنْدِيّاً أعجمياً لا يفصح . وكان في لسان أبي عطاء لكْنَـةٌ شديدة ولثغة ، فكان لا يفصح . وكان له غلامٌ فَصيح سمّاه عطاء ، وتكنّى به ، وقال : قد جعلتُك ابني ، وسميتك بكنيتي ، فكان يروِّيه شِعْره ، فإذا مدح مَنْ يَجتَدِيه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله . وكان ابن كناسة يَذْكر أنّه كاتَبَ مواليَه ، وأنّهم لم يعتقوه .

[مكاتبة مواليه]

أَخبرني بذلك محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، عن ابن كُناسة ، قال : كَثُر مال أبي عطاء السنديّ بعد أن أُعْتِق ، فأعنَته مواليه وطمعوا فيه ، وادَّعوا رِقَّه ، فشكا ذلك إلى إخوانه . فقالوا له : كاتِبْهُمْ ، فكاتَـبُوه على أربعة آلافٍ ، وسعى له أهلُ الأدب والشعر فيها فتركهم .

[مدح الحرّ بن عبد الله القرشي]

وأَتى الحرّ بن عبد الله القُرَشيّ ، وهو حليفٌ لقريش لا مِنْ أَنفسهم ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

أَتيتُـكَ لا مِـنْ قُرْبَةٍ هي بَيننا ... ولا نعمــةٍ قَدَّمْتَهــا أَستَثِيبُها
ولكن مع الرَّاجِين أَن كنتَ مَوْرِداً ... إليـه بُغاةُ الدّيْـن تَهْفُـو قلوبُها
أَغثني بِسَجْلٍ مِـنْ نَداك يكفُّني ... وقاك الرَّدى مُرْدُ الرِّجالِ وشِيبُها
تَسمَّى ابـن عبد الله حرّاً لوَصْفه ... وتلك العُلا يُعْنى بها من يُصِيبُها

فأَعطاه أَربعة آلاف درهم ، فأَدَّاها في مكاتبته وعَتق .

1 ترجمة أَبي عطاء السنديّ في خزانة البغدادي 9 : 545–546 والشعر والشعراء : 652–654 والعيني 1 : 560 والسمط : 602 . وقد جمع الأستاذ بخش نتفاً من شعره وإليها نشير بـ «نتف السنديّ» .

2 ل : عمرو .

3 نتف السنديّ : 84 .

[يطلب سليمان بن سليم غلاماً فصيحاً]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : كان أبو عطاء السنديّ يجمَعُ بين لثغة ولكنة ، وكان لا يكادُ يُفْهَم كلامه ، فأتى سليمان بن سُليم فأنشده[1] : [من الخفيف]

أعوزَتْنــي الرُّواةُ يا ابْنَ سُلَيم ... وأبى أَنْ يقيـم شِعْري لساني
وغَلى بالذي أُجَمْجِمُ صَدْري ... وجَفَــاني لِعُجْمتــي سلْطاني[2]
وازْدَرَتْني العيونُ إذ كان لَوْني ... حالكاً مُجْتَوًى مــن الألوانِ[3]
فضربتُ الأمورَ ظَهْراً لبَطْنٍ ... كيف أَحْتالُ حِيلةً للساني !
وتمنيتُ أنّني كنــت بالشِّعْـ ... ـرِ فَصيحاً وبانَ بَعْضُ بَناني
ثم أَصبحتُ قد أنختُ رِكابي ... عنــد رَحْب الفِناء والأعطانِ
فاكفني ما يَضِيقُ عنــه رُواتي ... بفصيح مِــنْ صالح الغِلمانِ
يُفْهِمُ الناسَ ما أَقول من الشـ ... ـعر فإنَّ البيانَ قَــدْ أَعياني
فاعْتَمِدْني بالشكر يا ابْنَ سُلَيم ... في بــلادي وسائِــر البُلدانِ
ستُوافيهــمُ قَصائــدُ غُــرٌّ ... فيــك سَبَّاقــةٌ لكلّ لسانِ
فقديماً جعلتُ شكري جَزاء ... كلّ ذِي نعمــةٍ بمــا أَوْلاني
لم تَـزَلْ تشتري المحامِـدَ قِدماً ... بالرَّبيح الغــالي مــن الأثمانِ

فأمر له بوصيف برْبريّ فصيح ، فسمّاه عطاء ، وتكنّى به ، وروّاه شِعْرَه ؛ فكان إذا أراد إنشادَ مديح لِمَنْ يَجْتَديه ، أو مذاكرة لشِعْرِه أنشده .

[هجاؤه مولاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا ثعلب ، عن أبي العالية الحُرّ بن مالك الشاميّ ، قال : لمّا أثرى أبو عطاء أعْتَقَه مولاه عنبر بن سِماك الأسديّ ، حتى ابتاع نَفْسَه منه ، فقال يهجوه[4] : [من الوافر]

إذا مــا كنتَ متخذاً خليــلاً ... فــلا تَثِقَنْ بكــلّ أَخي إخاء

---

1 نتف السندي : 34 .
2 سلطاني في ل : شيطاني .
3 مجتوى : مكروهاً .
4 نتف السندي : 5 .

وإنْ خُبِّرْتَ بينهـــمُ فألْصِقْ بأهـلِ العقـلِ منهـم والحياء
فـإنَّ العقل ليس لـه إذا مـا تُذُوكِرَت الفَضائِلُ مِـنْ كِفاء
وإنَّ النَّوْكَ للأحسابِ غُـولٌ بـــه تـأوِي إلى داءٍ عَيـاء
فلا تَثِقَنْ مِـن النَّوكى بشَيْءٍ ولــو كانوا بَنـي مـاءِ السماء
كعَنْبرٍ الوثيـــقِ بنـاءَ بَيْتٍ ولكـــن عقلُـه مِثْـلُ الهَباء
وليس بقابــلٍ أدبـاً فدَعْـه وكـن منـه بمنقطعِ الرَّجاء

[من شعراء بني أميّة]

قال : وكان أبو عطاء مِنْ شُعراء بني أُميّة ومُدّاحهم والمُنْصَبِّي الهَوى إليهم ، وأدرك دولةَ بني العبّاس فلم تكُنْ له فيها نَباهةٌ ، فهجاهم . وفي آخر أيّام المنصور مات . وكان مع ذلك مِنْ أحسن الناس بديهة ، وأشدّهم عارضةً وتقدُّماً . وشهد أبو عطاء حَرْبَ بني أُميّة وبني العبّاس فأبلى ، وقُتِل غلامه عطاء مع ابن هبيرة ، وانهزم هو ؛ وقيل : بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه .

[أبو يزيد المريّ يفر على فرسه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء يقاتل المسوِّدة[1] ، وقدّامه رجُل مِنْ بني مرّة يكنى أبا يزيد ، وقد عُقِر فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسَك حتى أُقاتل عنّي وعنك ، وقد كانا أيْقَنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسَه ، فركبه المُرِّيُّ ، ثم مضى وترك أبا عطاء ، فقال أبو عطاء في ذلك[2] : [من الوافر]

لعمــرك إنّنــي وأبــا يزيــد لكالساعي إلى وَضَحِ السَّرابِ
رأيْتُ مُخيلةً فطمعتُ فيهــا وفي الطمع المذلّـةُ للرِّقابِ[3]
فما أعياك مِـنْ طلبٍ ورزقٍ كما يعييـك في سَرَق الدَّوابِ
وأشهد أنّ مـرَّة حيُّ صِدْقٍ ولكن لستَ منهم في النِّصابِ

أخبرني الحسن ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أنّ يحيى بن زياد الحارثيّ وحمّاداً الراوية كان بينهما وبَيْن مُعلّى بن هُبيرة ما يكونُ مثلُه بين الشعراء والرُّواة من النَّفاسة ، وكان معلّى بن هُبيرة يحبُّ أن يطرح حمّاداً في لسان شاعرٍ يهجوه .

---

1 المسودة : بنو العباس ومن والاهم للبسهم السواد .

2 نتف السندي : 6 .

3 المخيلة : السحابة تخالها ماطرة .

[أبو عطاء وحمّاد الراوية]

قال حمّاد الراوية : فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السنديّ أن يقول في زُجّ وجَرادة ومسجد بني شيطان ؟ قال : فقلت له : فما تجعله على ذلك ؟ قال : بَغْلتي بسرجها ولجامها . قلت : فعدِّلْها[1] على يدي يحيى بن زِياد ، ففعل ، وأخذْتُ عليه موثقاً بالوفاء .

وجاء أبو عطاء السنديّ فجلس إلينا ، وقال : مرهباً مرهباً ، هيّاكم الله . فرحّبْتُ به ، وعرضْتُ عليه العشاء ، فقال : لا هاجَةَ لي به ، فقال : أعندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرّتْ عَيْناه ، واسترخت عَلابِيه[2] ، ثم قلت : يا أبا عطاء ، إنّ إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البتّةَ ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء ، ففرِّجْ عنّي . قال : هات ، فقلت[3] : [من الوافر]

أبن لي إنْ سُئِلْتُ أبا عطـاء ... يقيناً كيف علمُـك بالمعاني

فقال : [من الوافر]

خبيرٌ عـالم فاسأل تَجِـدْني ... بهـا طَبّـاً وآيـاتِ المَثاني

فقلت : [من الوافر]

فما اسمُ حدَيْدَةٍ في رأس رُمحٍ ... دُوَين الكَعْبِ ليست بالسِّنانِ ؟

فقال أبو عطاء : [من الوافر]

هو الززُّ الذي إن بات ضَيْفاً ... لصَدْرك لم تَـزَلْ لك عَوْلتانِ

قلت : فرَّج الله عنكَ ، تعني الزجّ . وقلت : [من الوافر]

فما صفراء تُـدْعى أُمَّ عوف ... كأنّ رُجَيْلَتَيْهـا مِنْجـلانِ ؟

فقال : [من الوافر]

أردتَ زَرادةً وأَزُنُّ زَنّـا ... بأنّـك ما أردتَ سِوى لساني

قلت : فرَّج الله عنك ، وأطال بقاءك ! تريد جرادة ، وأظنُّ ظنّاً . وقلت : [من الوافر]

---

1 عدلها : اجعلها في ضمان عدل .

2 العلابي : جمع علباء وهو عصب في عنق البعير .

3 انظر في هذه المعاياة الشعر والشعراء والخزانة .

أتعرِف مسجداً لبني تميم فُوَيْقَ المِيل دُونَ بَني أَبانِ ؟

فقال : [من الوافر]

بنو سَيْطان دُونَ بني أَبان كقُرْب أَبيك من عَبْدِ المدانِ

قال حمّاد : فرأيتُ عينيه قد احمرّتا ، وعرفت الغضب في وجهه وتخوَّفْته ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك النصف ممّا أخذته ، قال : فاصدقني ، قال : فأخبرته . فقال لي : أولى لك ! قد سلمتَ وسلم لك جُعْلُك ، خُذْه بُورِك لك فيه ، ولا حاجة لي فيه . فأخذته ، وانقلب يَهْجو مُعَلَّى بن هبيرة .

[مدح أبا جعفر ثم هجاه]

أخبرني الحسن ، قال : حدثّنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه ، فأظهر الانحرافَ عنه لعلمه بمَذْهَبه في بني أُميّة ، فعاوَدَه بالمدح ، فقال له : يا ماصّ كذا من أُمّه ، أَلَسْتَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سَيّار ترثيه : [من البسيط]

فاضَتْ دُموعي على نَصْرٍ وما ظلمت عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّارِ
يا نَصْرُ مَنْ لِلِقاء الحرب إن لَقِحَتْ يا نَصْرُ بعدك أو للضيف والجارِ
الخِنْدِفيّ الذي يَحْمي حَقيقَته في كلّ يَوْم مخوف الشرّ والعارِ
والقائد الخَيْل قبّاً في أَعنَّتِها بالقوم حتى تلفَّ القار بالقارِ
منْ كُلِّ أَبيض كالمصباح مِنْ مُضَرٍ يَجلُو بِسُنَّتِه الظلماءَ لِلسَّاري
ماضٍ على الهَوْل مِقدام إذا اعترضت سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فرَّارِ
إنْ قالَ قَوْلاً وَفى بالقولِ مَوْعِدُه إنَّ الكنانيَّ وافٍ غَيْرُ غَدَّارِ

والله لا أُعطيك بعد هذا شيئاً أبداً . قال : فخرج من عنده ، وقال عدّة قصائد يذمُّه فيها منها[1] : [من البسيط]

فليت جَوْرَ بني مَرْوان عادَ لَنا وليتَ عَدْلَ بني العبّاس في النارِ

وقال أيضاً[2] : [من الوافر]

أَلَيس اللهُ يعلمُ أَنَّ قلبي يُحِبُّ بني أُميّة ما استطاعا

1 نتف السنديّ : 16 .
2 نتف السنديّ : 18 .

وما بـي أَنْ يكونوا أهل عَدْل ... ولكنّي رأيـتُ الأَمْـرَ ضاعا

[ابن هبيرة يحرمه]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني الخراز ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يَبْني مدينته التي على شاطىء الفرات ، فأعطى ناساً كثيراً صلاتٍ ولم يُعْطِه شيئاً ، فقال[1] : [من الوافر]

قصائـدُ حكتهُنَّ ليَـوْمِ فَخْر ... رَجَعْـنَ إليَّ صُفْراً خالياتِ[2]

رَجعن ومـا أفـأْنَ عليّ شيئاً ... سِوى أنّي وُعِـدت التُّرَّهاتِ

أقام على الفرات يزيد حَوْلاً ... فقال الناس : أيّهما الفراتي !

فيـا عجباً لبَحْرٍ بـاتَ يَسْقي ... جميعَ الخَلْـقِ لم يَبْلُلْ لَهاتي

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة : وكم يبلّ لهاتك يا أبا عطاء ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابْنَه بدفعها إليه ، ففعل ، فقال يمدح ابنه[3] : [من البسيط]

أمَّا أبوكَ فعَيْنُ الجودِ تعرفُه ... وأنتَ أشبَهُ خَلْقِ الله بالجودِ

لـولا يزيد ولولا قَبْله عمر ... ألقَـتْ إليـك معـدٌّ بالمَقاليدِ

مـا ينبتُ العودُ إلاّ في أُرُومته ... ولا يكون الجَنى إلاّ من العودِ

[عند نصر بن سيار]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : وَهَب نَصْر بن سيّار لأبي عطاء جارية ، فلمّا أصبح غدا على نَصْر ، فقال : ما فعلتَ أنْتَ وهي ؟ فقال : قد كان شيء منّي منعني من بعض حاجتي ، يعني النّوم ، فقال : وهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد : [من الكامل]

إنَّ النكاحَ وإن هَرِمْتَ لصالح ... خَلَفٌ لعَيْنِك مِن لذيذ المَرْقَدِ

فقال نصر : [من الكامل]

ذاك الشقاء فـلا تَظُنَّنْ غَيْرَهُ ... ليس المشاهِدُ مِثْلَ مَنْ لم يَشْهَدِ

---

1 نتف السنديّ : 9 .

2 ليوم فخر في ل : لقرم قيس .

3 نتف السندي : 10 .

فقال : أَصلحك الله ، إنّي قد امتدحتكَ فائْذَن لي أن أنشدك ، قال : إنّي لفي شغل ، ولكن ائتِ تميماً ، فأتاه فأنشده ، فحمله على بِرذَوْنٍ أَبْلَق ، فقال له نصر من الغد : ما فعل بك تميم ؟ فقال[1] : [من المتقارب]

لئن كان أُغْلِقَ بابُ النَّدى ... فقد فُتِحَ البابُ بالأَبلقِ

ثم أنشده قوله[2] : [من الرجز]

وهيكلٍ يُقال في جَلالِهِ ... تقصُرُ أَيْدي الناسِ عَنْ قَذالِهِ
جَعَلْتُ أوصالي على أَوصالِهِ ... إنّك حمّالٌ على أَمثالِهِ

[مبايعته كرهاً]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أَحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : لمّا أَمر أبو جعفر الناسَ بلبس السَّواد ، لبسَه أبو عطاء فقال[3] : [من الطويل]

كُسِيتُ ولم أَكفُرْ مِنَ الله نعمةً ... سواداً إلى لوني ودنًّا مُلَهْوَجا[4]
وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة ... مُبَهرجة إن كان أَمرٌ مبهرجا

[يجيز بيتين لإبراهيم بن الأشتر]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أَحمد ، عن المدائنيّ ، قال : بعث إبراهيم بن الأَشتر إلى أَبي عطاء ببيتين من شعر ، وسأله أَنْ يضيف إليهما بيتين من رويّهما وقافيتهما ، وهما : [من البسيط]

وبلدةٍ يزدهي الجِنّانُ طارِقَها ... قطعتها بكِناز اللحْمِ مُعْتاطَهْ
وَهْناً وقد حلّق النَّسْران أو كَرَباً ... وكانت الدلو بالجَوْزاء مُنْتاطَهْ

فقال أَبو عطاء[5] : [من البسيط]

فانجاب عنها قميصُ الليل فابتكَرت ... تسير كالفَحْلِ تحت الكُورِ لَطَّاطَهْ
في أَينقٍ كلّما حثَّ الحداةُ لها ... بَدَتْ مناسِمُها هَوْجاءَ حَطّاطَهْ

---

1 نتف السنديّ : 19 .
2 نتف السنديّ : 20 .
3 نتف السنديّ : 10 .
4 الدن : القلنسوة . وملهوج : غير محكم .
5 نتف السنديّ : 17 .

[بغلة أبي دلامة]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : كان سبب هجاء أبي دُلامة بغلته أن أبا عطاء السنديّ هجاها ، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك ، وتعرّه ، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة . قال : وأبيات أبي عطاء فيها[1] : [من الوافر]

أبغلَ أبي دُلامةَ متّ هَزْلاً عليه بالسخاء تُعَوِّلينا
دوابّ النّاس تقضُم مِلْمَخالي وأنتِ مهانَةٌ لا تقضَمينا
سَليه البيعَ واستعْدِي عليه فإنّك إنْ تُباعِي تسمنينا

[ثناؤه على نهيك بن معبد]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكّة ، وخباؤه مطروحٌ ، فمرّ به نَهيكُ بن مَعْبَد العطارديّ ، فقال : لَمنْ هذا الخباء المُلْقى ؟ فقيل : لأبي عطاء السنديّ ، فبعث غِلْماناً له ، فضرَبُوا له خِباءً ، وبعث إليه بألطاف وكسوة ، فقال : مَنْ صنع هذا ؟ قالوا : نَهيك بن معبد ، فنادى بأعلى صوته يقول[2] : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتادَ الرجال لِنَفْعِهم فنادِ بصَوْت : يا نَهيكُ بنَ مَعْبَدِ

فبعث إليه نهيك : لا ، زِدْنا يا أبا عطاء .

فقال أبو عطاء : إنّما أعطيناك على قَدْر ما أعطيتنا ، فإنْ زِدْتنا زِدْناك . والله أعلم .

نسخت من كتاب ابن الطحان : قال الهيثم بن عديّ : أخبرنا حمّاد الراوية ، قال : أنشدت أبا عطاء السنديّ في أثناء حديثٍ هذا البيت : [من المتقارب]

إذا كنْتَ في حاجةٍ مرسلا فأرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ! فقلت : كيف تقول أنت ؟ قال : أقول : [من الوافر]

إذا أرسلتَ في أمرٍ رسولا فأفهِمْه وأرسِلْه أدِيبا
وإنْ ضيَّعتَ ذاك فلا تَلُمْهُ على أن لم يكن عَلِمَ الغُيوبا

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ : قال الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد بن سلمة الكلبيّ ، قال : دخل أبو عطاء السنديّ على سليمان بن سُليم بن بَشّار[3] ،

1 نتف السنديّ : 27 .
2 نتف السنديّ : 7 .
3 ل : كيسان .

فقال لـه[1] : [من الخفيف]

أعوزَتْنـــي الرُّواةُ يا ابن سُليم وأبـى أن يقيـمَ شِعْري لساني
وغـلا بالذي أُجَمْجِم صَدْري وشَكاني من عجمتي شيطاني
وعَدَتْني العيونُ أن كان لَوْني حالِكاً مُظْلِماً مِـنَ الألوانِ
وضربت الأُمـورَ ظهـراً لبطن كيف أحتـال حيلةً لَبَياني !
فتمنّيت أنّني كنْـتُ بالشعـ ـر فصيحاً وبـانَ بَعْضُ بناني
ثم أُصبحت قد أنخْتُ ركابي عنـد رحب الفِناء والأعطانِ
فإلى مَـن سِواك يا ابن سليم أشتكي كُرْبَتِي ومـا قد عَناني
فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي بفَصيح مِنْ صالحـي الغلمانِ
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـ ـر فإنَّ البيانَ قـد أعياني
ثم خذني بالشكر يا ابن سُليم حيْثُ كانتْ داري من البلدانِ

فأمر له بوَصِيف فصيح كان حسن الإنشاد ، فقال أبو عطاء أيضاً : [من الخفيف]

فأقبلـوا نَحْوي معـاً بالقنا وكلّهـم يسأل : مـا شاني ؟
فقلـت : شأني كلّـه أنّني في تعـب مـن لفظ جُرْداني
يا ابنَ سليم أنْتَ لي عصمة مـن حـدثٍ أفزع جيراني
فقد رمـاني الدَّهْرُ عن فقـره بسهـم فقـر غير لَغبانِ[2]
صادَ فُؤادي بعد مـا قد سلا فصـرت كالمقتبِـل العـاني
فانعَشْ فدَتْكَ النفس منّي ومَن أطاعَنـي مِـنْ جـلّ إخواني
وهبْ فدتك النفْسُ لي طَفلة يقمع جِرهـا رأْسَ شيطاني[3]
فإن أيري قـد عَتا واعتدى وصار يبغـي بغيـةَ الزّاني
فـاللهَ ثـم اللهَ في قَمْعِـه مـن قبـل أَنْ أُمْنى بسلطانِ
يتركنـي أُضحوكـةً بعدمـا أُضْـرَبُ في سِرٍّ وإعْـلانِ

1 نتف السنديّ : 24–25 .
2 لغبان : شديد الاعياء .
3 الطفلة : الرخصة الناعمة .

فأمر له بجارية قُنْدُهارِيّة[1] فارهة ، فقال : [من الخفيف]

أحصنني اللهُ بكفَّيْ فَتى مهذَّبٍ مِنْ سِرِّ قَحْطانِ
من حميرٍ أهل السَّدى والندى وعصمة الخائف والجاني
يا خَيْرَ خَلْقِ الله أنت الذي أَيْأَسْتَ مِنْ فسقي شيطاني

[يغضب لخطأ راويته في شعر قاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن أبيه ، قال : كنتُ جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السنديّ ، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً لأبي عطاء ، وأبو عطاء جالس لا يتكلّم ، إذ قال الراوية في إنشاده : [من الوافر]

فما فضلت يمينُك من يمين ولا فضلَتْ شمالُك عن شمالِ

هكذا بالرفع ، فغضب أبو عطاء ، وقال : ويلك فما مدحته إذاً ! إنّما هزوته ، يريد فما مدحتُه إذاً إنّما هجوتُه ، ثم أنشده أبو عطاء : [من الوافر]

فما فدَلت يمينَك من يمينٍ ولا فدَلَت شمالَكَ عن شمالِ

فكدتُ أضحك ، ولم أجسر ، لأنّي رأيْتُ القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون ؛ خوفاً منه .

حدَّثنا وكيع ، قال : أخبرنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا سليمان بن منصور ، قال : حدَّثني صالح بن سليمان ، قال : وَفَد أبو عطاء السنديّ على نَصر بن سيّار فأنشده[2] : [من البسيط]

قالت تَرِيكة بَيْتِي وهي عاتِبةٌ إنَّ المقام على الأفْلاسِ تَعْذيبُ[3]
ما بال همٍّ دخيلٍ بات محتضراً رأس الفؤادَ فنوم العَيْنِ توجيبُ
إنّي دعاني إليك الخَيْرُ مِنْ بلدي والخيرُ عندَ ذوي الأحسابِ مطلوبُ

فأمر له بأربعين ألف درهم .

[ضيفه يرقب الجارية]

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن عليّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعد ، قال : حدَّثني سليمان بن أبي شيخ ، عن صالح بن سليمان ، قال : دخل إلى أبي عطاء السنديّ

---

1 قندهارية : نسبة إلى قندهار .

2 نتف السنديّ : 7 .

3 تريكة البيت : المتروكة دون زواج ، العانس .

ضَيْفٌ ، فأتاه بطعام ، فأكل ، وأتاه بشراب وجلسا يشربان ، فنظر أبو عطاءٍ إلى الرجل يلاحظُ جاريته ، فأنشأ يقول[1] : [من الخفيف]

كُلْ هنيئاً وما شربت مَرِيئاً ثم قُمْ صاغـراً وأَنْتَ ذميمُ
لا أُحبُّ النديم يُومِض بالطر ف إذا مـا خلا لعِرْسِ النَّديمِ[2]

صوت

[من الطويل]

تجولُ خلاخيـلُ النساءِ ولا أرى لرَمْلَـة خَلْخالاً يَجولُ ولا قَلبا[3]
أُحـبّ بنـي العـوَّام طُرّاً لحبِّها ومِنْ أَجلها أحبَبْتُ أخوالها كَلْبا
فإن تُسْلِمي نُسْلِم ، وإن تتنصَّري تخطّ رِجـالٌ بـين أعينهم صُلْبا

عروضه من الطويل . الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رَمْلة بنت الزُّبير . والغناء ليحيى المكّيّ ، ثاني ثقيل أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه وأبي العَنْبَس ، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل ، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر ، عن حبش .

---

1 نتف السنديّ : 22 .
2 في البيت إقواء .
3 البيتان الأولان في معجم الأدباء : 1241 والأبيات الثلاثة في المختار ومن شعر بشار : 151 .

[370] ـ ذكر خالد ورملة[1]
وأخبارهما وأنسابهما

[نسبه]

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفْنى بذلك عمره ، وأسقط نفسه . وأمّ خالد بن يزيد أُمّ هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

[عالم شاعر]

أخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ، ويقول الشعر ، وزعموا أنّه هو الذي وضع خَبَر السُّفيانيّ وكبَّره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مَروان بن الحكم على المُلك ، وتزوّج أُمَّه أُمَّ هاشم ، وهذا وهْمٌ من مصعب ؛ فإنّ السفيانيّ قد رَواه غَير واحد ، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامّة . وذكر خبَر أمره أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم .

حدَّثني أبو عبد الله الصَّيْرَفيّ قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلف العطّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن صالح ، عن أبي الأسود ، قال : حدَّثنا صالح بن أبي الأسود ، يعني أباه ، عن عبد الجبّار بن العبّاس الهمدانيّ ، عن عمّار الذّهبيّ ، قال :

قال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام : كم تعدون بقاءَ السفيانيّ فيكم ؟ قلت : حَمْلَ امرأة تسعة أشهر ، قال : ما أعلمكم يأهل الكوفة . حدَّثني أبو عبد الله قال : حدَّثنا محمد بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن صالح ، قال : حدَّثنا منصور بن الأسود ، قال : أتيتُ جابراً الجعفيّ أنا والأسود أخي ، فقلنا له : إنّا قومٌ نضربُ في هذه التجارات ، وقد بلغنا أنّ الراياتِ

---

1 ترجمة خالد بن يزيد في معجم الأدباء : 1238–1241 ومصورة ابن عساكر 3 : 379 ومختصر ابن منظور 8 : 33 وتهذيب ابن عساكر 5 : 119 وتهذيب الكمال 8 : 201 وأنساب الأشراف 1/4 : 359–367 ووفيات الأعيان 2 : 224–226 وتاريخ الحكماء : 440 والمعارف : 352 ونسب قريش : 128–130 وسير أعلام النبلاء 9 : 411 والعبر 7 : 105 والبداية والنهاية 9 : 60 وتهذيب التهذيب 3 : 128 وكتب التاريخ مثل الطبري وابن الأثير وتاريخ خليفة وكتب الأدب كالبيان والتبيين . وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

قد قُطِع بها الفُرات ، فماذا تُشير علينا ؟ وماذا تأمرنا ؟ قال : اذهبوا حيث شئتّم من أَرْض الله تعالى ، حتى إذا خرج السُّفيانيّ فأَقْبِلوا عَوْدكم على بدئكم .

أَخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه ، قال لمّا ولدت أُمُّ هاشم خالدَ بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها ، واكتنَتْ بخالد ، وقال فيها يزيد بن معاوية[1] : [من الطويل]

وما نَحْنُ يوم استعبَرتْ أُمُّ خالدٍ بمَرضى ذوِي داءٍ ولا بصِحاحِ

ولها يقول ، وقد قدم من المدينة ، وقد تزوّج أُمَّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عُمر بن الخطّاب فحُمِلت إليه بالشام ، فأُعجِب بها ، وجَفا أُمَّ خالد ، ودخل عليها وهي تبكي ، فقال[2] : [من الرجز]

ما لكِ أُمَّ خالدٍ تبكينْ مِنْ قَدَرٍ حلَّ بِكُمْ تَضِجِّين !
باعَتْ على بَيْعك أُمُّ مِسكينْ ميمونة مِنْ نِسوةٍ مَيامينْ
حَلَّتْ مَحَلَّك الذي تَحُلِّين زارتك مِنْ يثرب في حوارين
في مَنْزِلٍ كنْتِ به تكونين

أَخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه : أَنَّ رملة بنت الزُّبير كانت أختَ مصعب بن الزُّبير لأُمِّه[3] ، كانت أُمّهما أُمّ الرباب بنت أُنيف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن عتّاب بن ذهلٍ من كلب ، وإنّما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خُويلد بن أَسد بن عبد العُزّى ، فولدت له عبدالله بن عثمان ، وهو زوجُ سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام .

[ردّه على الحجّاج]

قال الزُّبير : فحدَّثني رَجُل ، عن عُمر بن عبد العزيز ، وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : لمّا قُتِل ابن الزُّبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَمْلة بنت الزُّبير بن العوّام ، فأَرسل إليه الحجّاجُ حاجبه عُبيد الله بن مَوهب ، وقال له : ما كنتُ أُراك تخطب إلى آل الزُّبير حتى تشاورني ، وكيف خطبْتَ

1 شعر يزيد : 14 .
2 شعر يزيد : 34 .
3 أنساب الأشراف : لأبيه .

إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ! وكذلك قال جدّك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورَمَوْه بكلّ قبيحة ، وشَهِدوا عليه وعلى جدّك بالضّلالة .

فنظر إليه خالدٌ طويلاً ، ثم قال له : لولا أنّكَ رسول ، والرسولُ لا يعاقب لقطَّعتُك إرْباً إرْباً ، ثم طرحتُك على باب صاحبك ، قل له : ما كنتُ أرى أنّ الأُمورَ بلغَتْ بك إلى أن أُشاورك في خطبة النساء !

وأمّا قولك لي : قارعُوا أباك وشهدُوا عليه بكلّ قبيح ، فإنّها قُريش يُقارِعُ بعضُها بعضاً ، فإذا أقَرَّ اللهُ عزّ وجلّ الحقّ قراره ، كان تقاطُعهم وتراحمهم على قَدْر أحلامهم وفَضْلهم .

وأمّا قولك : إنّهم ليسوا بأكفاء فقاتَلك اللهُ يا حجّاج ، ما أَقَلَّ علمك بأنساب قريش ! أيكونُ العوام كفُوًا لعَبْد المطّلب بن هاشم بتَزوُّجه صفيّة ، ويتزوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان ! فرجع الحاجبُ إليه فأعلمه .

[شعره في رملة]

قال : وقال عُمر بن شبّة في خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها[1] : [من الطويل]

أليس يزيــد السيرُ في كلّ ليلـة … وفي كلّ يـوم مِـن أحبّتنا قُربا
أحِنّ إلى بنت الزُّبير وقد علَتْ … بنا العِيسُ خَرقاً من تهامة أو نقبا
إذا نزلــت أرضاً تحبّبَ أهلهـا … إلينـا وإنْ كانت منازلهـا حَرْبا
وإن نزلت مــاءً وإن كان قَبْلَها … مليحاً وجَدْنـا مـاءَه بارِداً عَذْبا
تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى … لرَمْلَـة خلخالاً يَجُـولُ ولا قُلْبا
أقِلّـوا عــليّ اللـومَ فيها فإنّني … تخيَّرتُهــا منهــم زُبيريّــةً قَلْبا
أُحبُّ بنـي العــوّام طُرّاً لحبِّها … ومِنْ حبّهـا أحبَبْتُ أخوالها كلبا

قال أبو زيد : وزادوا في الأبيات : [من الطويل]

فـإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصّري … تخـطّ رجـالٌ بـين أعينهم صُلْبا

فقال له عبد الملك : تنصّرْتَ يا خالد ، قال : وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت ، فقال له خالد : على مَنْ قاله ومَنْ نحَلنيه لعنةُ الله .

1 الأبيات، في معجم الأدباء : 1241 .

[بينه وبين الحجّاج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثني عُمَر بن شبَّة ، قال : حدَّثني موسى بن سعيد بن سلم ، قال : قدِم الحجّاج على عبد الملك ، فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ، ومعه بعضُ أهل الشام ، فقال الشاميّ لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد كالمستهزىء : هذا عَمْرو بن العاصي ، فعدل إليه الحجّاجُ ، فقال : إنّي والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عَمراً ولا ولدني ؛ ولكنّي ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش ، ولقد ضربْتُ بسيفي هذا أكثرَ من مائةِ ألف ، كلّهم يشهدُ أنّك وأباك من أهل النار ، ثم لم أجِدْ لذلك عندك أجراً ولا شكراً ، وانصرف عنه ، وهو يقول : عَمْرو بن العاصي ، عمرو بن العاصي ! .

[تهجم محمد بن عمرو بن سعيد عليه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم القرشيّ ، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك : أنّ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدِم الشام غازياً ، فأتى عَمَّته أُميّة ، بنت سعيد ، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدٌ فرآه ، فقال : ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلاّ اختار المقام عندنا على المدينة ؛ فظنَّ محمدٌ أنّه يعرِّضُ به ، فقال له : وما يَمنعُهم من ذلك ، وقد قدِم قوم من أهل المدينة على النواضحِ[1] ، فنكحوا أُمَّك وسلَبُوك مُلْكك ، وفرَّغوك لطلب الحديث وقراءةِ الكتب ، وعَمَلِ الكيميا الذي لا تقدِرُ عليه . انتهى .

[أمّه قتلت زوجها]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ ، عن أبي أيّوب القرشيّ ، عن يزيد بن حصين بن نمير : أنَّ مَروان بن الحكم تزوَّج أُمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فناظر خالداً يوماً وأراد أنْ يضَعَ منه في شيء جرى بينهما ، فقال له : يا أبْنَ الرَّطبة ، فقال له خالد : إنّك لأُمِّي مختبر[2] ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أُمَّه فأخبرها ، وقال : أنتِ صنعتِ بي هذا ، فقالت له : دَعْه ، فإنّه لا يَقولها لكَ بعد اليوم .

فدخل مروان عليها فقال لها : هل أخبركِ خالدٌ بشيء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ خالد أشدُّ تعظيماً لك مِن أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه .

فلمّا أمسى وضعَتْ مِرْفَقةً على وَجْهه ، وقعدَتْ عليها هي وجواريها حتى مات .

1 النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء .

2 ل : الأمير مختبر .

وأراد عبد الملك قَتْلها ، وبلغها ذلك ، فقالت : أَما إنّه أَشدُّ عليك أَنْ يعلَم الناس أَنّ أَباك قتَلَتْهُ امرأة : فكفّ عنها .

[رملة تشكو سكينة بنت الحسين]

أَخبرني محمد قال : حدَّثني الخرّاز ، عن المدائنيّ ، قال : وأَخبرني الطوسيّ ، عن الزُّبير ، عن المدائنيّ ، عن جُوَيريّة قال : نشزت سكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على زَوْجها عبد الله بن عثمان ، وأُمُّه رَمْلَة بنت الزُّبير ، فدخلت رملةُ على عبد الملك بن مروان ، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا أَنْ يُبتزَّ أَمْرُنا ، ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ٱبْني ، قال : يا رَمْلَة ، إنّها سُكينة ، قالت : وإن كانت سُكينة ، فوالله لقد ولدنا خَيرهم ، ونكحنا خَيرهم ، وأنكحنا خَيرهم ، تعني بمَن وَلدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومَنْ نكحوا صَفِيَّة بنت عبد المطّلب ، ومَنْ أُنكحوا النبيّ ﷺ .

فقال : يا رَمْلة ، غَرَّني منك عُرْوة بن الزُّبير ، فقالت : ما غَرَّك ، ولكن نصح لك ؛ لأنّك قتلْتَ أَخي مُصْعباً فلم يأمني عليك .

[خالد وبنت عبد الله بن جعفر]

أُخبرني الطوسيّ ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : تزوَّج خالد بن يزيد بنتَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيها : [من الكامل]

جاءَتْ بها دُهْمُ البغال وشهبها مقنّعة في جَوْفِ حِدْجٍ مُخدَّرِ[1]
مقابلَـةً بَـيـن النبـيّ محمـد وبين عليّ والحَوَاري وجَعْفَرِ
مَنافِيَّةً جـادَتْ بخالِص وُدّها لعبـــدِ مَنافيّ أَغَـــرّ مُشهَّرِ

قال مُصعب : ومِنَ الناس مَنْ ينكر تزويجَه إيّاها .

[شاعر يعير به عبد الملك]

وممّا يُثْبِتُه قولُ شُدَيد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وُهَيب بن ضَباب بن حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ لعبد الملك بن مروان هذا يُعَيِّره بخالد في تَزويجه بنت الزُّبير وبنتِ عبد الله بن جعفر ، قال[2] : [من الطويل]

1 الحدج : مركب للنساء بين الهودج والرحل كالمحفة .
2 نسب قريش : 435 .

لا يستوي الحَبْلان حَبْلٌ تَلَبَّست قُواهُ وحَبْلٌ قد أُمِرَّ شَديدُ
عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ففي خالدٍ عمّا تُريدُ صُدُودُ
إذا ما نظَرْنا في مناكحِ خالدٍ عَرَفْنا الذي يَهْوى وحَيث يُريدُ

[خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك]

أخبرنا الطوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني مصعب بن عثمان ، قال : دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ اليَوْمَ بقَتْلِ الوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئْسَ ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين ، قال : إنّه لقي خَيْلي فنفّرها ، وتلاعبَ بها ، فقال له خالد : أنا أكْفِيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك ، وعنده الوليدُ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّ وليّ عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خَيْلَ ابنَ عمِّه عبد الله بن يزيد فنفّرها وتلعّب بها ، فشقّ ذلك على عبد الله . فنكس عَبْدُ الملك رأسَه ، وقرع الأرض بقَضيب في يده ثم رفع رأسه إليه ، فقال : ﴿إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أفْسَدُوها وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّة وكَذَلِكَ يَفْعَلُون﴾ . فقال له خالد : ﴿وإذا أرَدْنا أنْ نُهْلِك قريَةً أمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فحقَّ عليها القَوْلُ فدَمَّرْناها تَدْميراً﴾ ، فقال له عبد الملك : أتكلّمني فيه ، وقد دخل عليّ لا يقيم لسانه لَحناً . فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفَعلى الوليد تعوِّل في اللّحن ؟ فقال عبد الملك : إنْ يكن الوليدُ لَحّاناً فأخوه سليمان . قال خالد : وإن يكن عَبْدُ الله لَحّاناً فأخوه خالد . قال الوليد لخالد : أتكلّمني ولستَ في عِير ولا نَفِير[1] ! قال : ألا تسمَعُ يا أمير المؤمنين ما يقولُ هذا ؟ أنا والله ابنُ العِير والنَّفير ، سيِّد العِير جَدّي أبو سفيان ، وسيِّد النَّفير جَدّي عُتْبَة بن ربيعة ، ولكن لو قلتَ : حُبَيْلات ، يعني حَبَلة العِنب[2] ، وغُنَيْمات والطائف لقلنا : صدَقْتَ ، ورحم الله عثمان !

هذا آخر الحديث . قال مؤلّف هذا الكتاب : يعيِّره بأمّ مروان ، وأنّها من الطائف ، ويُعيِّره بالحكم ، وأنّ رسول الله ﷺ طرده إلى الطائف ، وترحّم على عثمان لردِّه إيّاه .

[حماقة معاوية بن مروان]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن إسحاق بن أيّوب : أنّ معاوية بن مروان كان ضعيفاً ؛ فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المغيرة : ما

---

1 المثل «لا في العير ولا النفير» في مجمع الميدان 2 : 221 وجمهرة العكسري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .

2 حبلة العنب : شجرته .

الذي هوّنك على أخيك فلا يوليك ولايةً ، قال : لو أردتُ لفَعل ، قال : كلاّ ، قال : بَلى والله ، قال : فسَلْه أن يولّيَكَ بيت لِهْيا[1] ، قال : نعم .

فغَدا على عبد الملك ، فقال له معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أخاك ؟ قال : بلى واللهِ ، إنّكَ لأخي وشقيقي ، قال : فولِّني بيت لِهْيا ، قال : متى عهدُك بخالد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال : إيّاك أنْ تكلّمه .

ودخل خالدٌ فقال له : كيفَ أصبحتَ يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نَهانا هذا عن كَلامِك ، فغلب على عبد الملك الضَّحك ، فقام وتفرّق الناس .

قال : وأفلت لمعاوية هذا بازٍ فَصاحَ : أغْلِقُوا أبواب المدينة لا يخرج ، قال : وقال له رجل : أنت الشَّريف ابن أمير المؤمنين ، وأخو أمير المؤمنين ، وابن عمّ أمير المؤمنين عثمان ، وأُمُّك عائشة بنت معاوية ، قال : فأنا إذاً مُردَّد في بني اللَّخْناء ترداداً .

[تعصّب خالد لكلب]

أخبرني الطوسيُّ ، عن الزُّبير ، عن عمّه ، قال : كان خالد بن يزيد يتعصّب لكلبٍ على قَيْس في الحرب التي كانت بينهم ؛ لأنّ كَلْباً أخوالُ أبيه يزيد ، وأخوال زوجته ، فقال شاعر قيس : [من البسيط]

يا خالد بن أبي سفيان قد قَرِحَتْ ... منّا القلوبُ وضاقَ السَّهْلُ والجَبَلُ[2]
أأنتَ تَأْمُرُ كَلْباً أنّ تقاتِلَنا ... جَهْلاً وتمنعهم منّا إذا قَتَلُوا
ها إنّ ذا لا يُقِرّ الطير ساكنةً ... ولا تَبَرَّك مِنْ نكرائِه الإبلُ

صوت

[من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطَفٍ ... حُور العيون نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيِّ وقد ... نام الرَّقِيبُ وحَلَّقَ النَّسرُ

عروضه من الكامل . الشعر للأحوص ، والغِناء لمعبد ، رمَل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

1 بيت لهيا : قرية في غوطة دمشق .
2 قرحت في ل : قدحت .

371 ـ [خبر للأحوص]

[شعره في مجلس نساء]

أخبرني حِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار ، قال : أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن ، قال : حدَّثني إسماعيل بن محمد المخزوميّ ، قال : اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن : أرسلي إلى الأحوص ، فإنّا نحبُّ أن نتحدَّثَ معه ونسمع من شِعره ، فقالت لهنَّ : إذاً لا يزيدكنَّ على أنْ يخرج إذا عرفكنّ ، فَيَشهركُنّ وينظم الشعرَ فيكُنَّ ، فلم يَزَلْنَ بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكرُ له أمرهنَّ ولا يسمّيهنّ ، ويقول له أن يأتيهنّ مخمَّر الرأسِ ؛ ففعل ، وتحدَّث معهنَّ وأنشدهنّ . فلمّا أراد الخروجَ وضع يدَه في تَوْر[1] بين أيديهنّ فيه خَلُوق ، فغطَّى راسه ، وخرج ووضع يدَه على الباب ، ثم تفقّد الموضع الذي كان فيه ، فغدا إليه ، وطاف حتى وجد أثر يَدِه في الباب ، فقال[2] : [من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطفٍ حورُ العيون نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيّ وقد نام الرقيبُ وحَلَّق النسرُ
مستبطناً للحيّ إذ قرعوا عَضْباً يَلُوحُ بمَتْنِهِ أثْرُ
فعكفْن ليلتهنّ ناعِمَة ثم استفَقْنَ وقد بَدا الفَجْرُ
بأشمّ معسول فكاهته غضّ الشبابِ رداؤه غَمْرُ[3]
رَزْنٍ بَعِيد الصَّوْت مُشْتَهر جيبت له جَوْب الرّحى عَمْرو
قامت تخاصِرُه لكِلَّتِها تمشي تَأَوَّدُ غادة بكرُ
فتنازعا مِن دُونِ نسوتها كَلِماً يَسُرُّ كأنّه سِحْرُ
كلٌّ يَرى أنَّ الشَّبابَ له في كلِّ غايةِ صَبْوةٍ عُذْرُ
سَيْفانَةٌ أَمْرُ الشباب بها رَقراقةٌ لم يُبْلها الدَّهْرُ
حتى إذا أبدى هَواهُ لها وبَدا هواها مالَهُ سِتْرُ

1 التور : إناء .
2 ديوان الأحوص : 78 (صادر) .
3 الغمر من الثياب : الواسع .

سَفَرَتْ وما سَفَرَتْ لمعرفة وجْهاً أغرَّ كأنَّهُ البَدْرُ

قال إسماعيل بن محمد : فخرجتُ وأنا شابٌ ومعي شبابٌ نُريد مسجدَ رسول الله ﷺ ، فذكَرْنا حديثَ الأحوص وشِعْرَه ، وقدّامنا عَجُوزٌ عليها بَقايا من الجمال ، فلمّا بلغنا المسجدَ وقفَتْ علينا والتفَتَتْ إلينا ، وقالت : يا فِتْيان ، أنا والله إحدى الخمس ، كذب وربّ هذا القَبْر والمِنبر ما خلَتْ معه واحدة منّا ، ولا راجعته دُونَ نسوتها كلاماً .

قال الزُّبير : وحدَّثني غَيْرُ إبراهيم بن عبد الرحمن : أنَّ نسوةً من أهلِ المدينة نَذَرْنَ مشياً إلى قُباء وصلاةً فيه ، فخرجْنَ ليلاً ، فطال عليهنّ الليلُ فنِمْنَ ، فجاءَهُنَّ الأحوص متّكِئاً على عرجون ابن طاب[1] ، فتحدّث معهنّ حتى أُصبح ، ثم انصرف وانصرفْنَ ، فقال قصيدته : [من الكامل]

خمس دَسَسْنَ إليّ في لطف حُورُ العُيونِ نَواعِمٌ زُهرُ

وحدَّثني عمِّي ، عن أبيه ، قال : قال حَبِيب بن ثابت : صدَرْتُ إلى العَقِيق ، فخلا لي الطريق ، فأنشدتُ أبياتَ الأحوص هذه ، وعجوزٌ سَوْداء قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها ، فقالت : كذبَ والله يا سيّدي ؛ إنَّ سيفَه ليلتئذٍ لعرجُون ابن طاب يتخصّر به ، وإنّي لرسولهنّ إليه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عَمّي ، عن أبيه ، عن الزُّبير بن حبيب ، قال : كنْتُ أنشد قول الأحوص : [من الكامل]

خمس دَسَسْنَ إليّ في لَطف

قال : فإذا نسوة فيهنّ عجوز سوداء ، فأقبلْنَ على العجوز ، فقلن لها : لِمَنْ هذا الشعر ؟ قالت : للأحوص ، فقلت : للأحوص لعمري ، فقالت لهن : أنا والله الجرِيُّ ، خرج نسوة يصلِّين في مسجد قُباء ، ثم تحدَّثْنَ في رَحْبَة المسجد ، في ليلةٍ مقمرة ، فقُلْن : لو كانَ عندنا الأحوص ! فخرجتُ حتى أتيتُهنّ به ، وهو متخَصِّر بعرجون ابن طاب ، فتحدَّث معهنّ حتى دَنا الصبح ، فقلن له : لا تذكر خبَرنا ، ولا تذكر إلاّ خيراً ، قال : قد فعلت ، وأنشدهنّ تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات ، ثم استمرّت بأفواهِ الناس تغنّي : [من الكامل]

خمْس دَسسن إليّ في لَطف

الأبيات كلّها ، والله ما قامَتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهنّ سِرّ .

---

1 عرجون ابن طاب : نوع من تمور المدينة .

صوت

[من المديد]

يـا ابْنَةَ الجُودِيِّ قَلْبي كئِيبُ مُسْتهامٌ عندهـا مـا يُنِيبُ
ولقد قالـوا فقُلت : دَعُوها إنَّ مَـنْ تَنْهَوْنَ عنـه حَبيبُ
إنّما أَبْلى عِظامـي وجسْمي حبُّها ، والحبُّ شيءٌ عجيبُ

عروضه من الرمل[1] . الشعر لعبد الرحمن بن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه لمالك خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، لم ينسبه إسحاق إلى أحد . وذكر أحمد بن يحيى المكّيّ أنّه لأَبيه يحيى . والله أَعلم .

1 عروضه من المديد .

[372] ـ ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر[1]
وخبره وقصّة بنت الجودِيّ

[نسبه]

عبد الرحمن بن أبي بكر ، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله ، وكان اسمُه في الجاهليّة عَتِيقاً ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الله ، بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الرحمن .

وأُمُّه وأُمّ عائشة أُمّ رُومان بنت عامر بن عُويمر بن عَبد شمس بن عَتّاب بن أُذَينة بن سُبَيع بن دُهمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة بن خزيمة .

هذا قول الزُّبير ، وعمّه .

وحكى إبراهيم بن موسى أنّها بنت عُوَيمر بن عتّاب بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم .

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المروانيّ أنّها بنت عامر بن عُوَيمر بن أُذَينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة .

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبةٌ بالنبيّ ﷺ ، ولم يهاجِر مع أبيه صِغَراً عن ذلك ، فبقي بمكانه ؛ ثم خرج قبل الفتح مع فِتْيةٍ من قريش . وقيل : بل كان إسلامه في يوم الفَتْح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع . انتهى .

أخبرني الطوسيّ وحرميّ بن أبي العلاء ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني إبراهيم بن حمزة ، عن سُفْيان بن عُيينة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان : أنَّ عبدَ الرحمن بن أبي بكر خرج في فِتيـةٍ مـن قُريش مُهاجـراً إلى النبيّ ﷺ قبل الفَتْح ، قال : وأحسبه قال : إنّ معاوية كان معهـم .

[موقفه في البيعة ليزيد]

قال الزّبير : وحدَّثني عمِّي مُصعب قال : وقف مُحَكِّم اليَمامةِ على ثُلْمة[2] فحماها فلم

---

1 لعبد الرحمن بن أبي بكر ترجمة في الإصابة ونسب قريش : 276 ووفيات الأعيان 3 : 69 .

2 ثلمة : فرجة .

يَجُزْ عليه أَحَد ، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله ، وكان أحدَ الرُّماةَ ، فدخل المسلمون من تلك الثُّلْمة . وهو المخاطِبُ لمَرْوان يوم دَعا إلى بَيعة يزيد ، والقائل : إنّما تُريدون أن تجعلوها كسْرَويَّة أوْ هرقليّة ، كما هلك كسرى أو هرقل مَلكَ كسرى أو هرقل . فقال مروان : أيُّها الناس ، هذا الذي قال لوالديه : أُفٍّ لكما أتَعِدانني أن أخرج وقد خلَتِ القرونُ من قبلي . فصاحت به عائشة : أَلِعَبْدِ الرحمن تقولَ هذا ؟ كذبْتَ واللهِ ، ما هو به ، ولو شئت أن أُسمّي مَنْ أُنزلت فيه لسميتُه ، ولكن أشهد أنّ رسولَ اللهِ ﷺ لعَن أباك ، وأنت في صُلْبه ، فأنتَ فَضَضٌ[1] من لَعْنَةِ اللهِ .

حدَّثنا بذلك أحمد بن الجَعْد ، قال : حدَّثنا أحمد بن زُهير ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا وهب بن جرير ، عن جُويرية بن أسماء ، وفي غير رواية : أنّ عائشة قالت له : يا مَروان ؛ أفِينا تتأوّل القرآن ، وإلينا تسوقُ اللعن ؟ واللهِ لأَقومنَّ يوم الجمعة بك مقاماً تودُّ أنّي لم أقُمْه . فأرسل إليها بعد ذلك وتَرضَّاها واستعفاها ، وحلف ألاّ يصلّي بالناس أو تؤمّنه ، ففعلت .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . وأخبرني الطّوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : استهيم عبدالرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجُودِيّ بن عديّ بن عمرو بن أبي عمرو الغَسّانيّ ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

تذكّرتُ ليلى والسماوةُ دُونَها ... وما لابنَةِ الجُودِيِّ ليلى وماليا
وأنَّى تُعاطي قلبه حارِثيّةً ... تحلُّ ببُصْرى أو تحلّ الجَوابِيا
وكيف يُلاقيها ، بَلى ، ولعَلَّها ... إذا الناسُ حجّوا قابلاً أن تلاقيا

قال أبو زيد : وقال فيها : [من المديد]

يا ابْنَةَ الجُودِيّ قَلْبي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنِيبُ

1 فضض : أي قطعة منها .

2 الأبيات، في تسب قريش : 276 مع بعض اختلاف .

جاورتْ أخوالهـا حَـيَّ عَكٍّ فلِعَـكٍّ مـن فؤادي نَصِيبُ

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدّم .

قال الزُّبير في خبره : وكان قدِم في تجارة ، فرآها هناك على طِنْفسة حولها وَلائد ، فأعجبته .

وقال أبو زيد في خبره : فقال له عمر : مالكَ ولها يا عبدَ الرحمن ! فقال : واللهِ ما رأيْتُها قطّ إلاّ ليلة بيت المقدس في جَوارٍ ونساءٍ يَتهادَيْنَ ، فإذا عثرتْ إحداهنَّ قالت : يا ابنة الجوديّ ، فإذا حلَفْت إحداهُنَّ حلفت بابنة الجوديّ .

[غنمها في فتح دمشق بأمر عمر]

فكتب عُمر إلى صاحب الثَّغْر الذي هي به : إذا فتح اللهُ عليكم دمشق فقد غنَّمت عبد الرحمن بن أبي بكر لَيلى بنت الجوديّ . فلمّا فتح اللهُ عليهم غنّموه إيّاها .

قالت عائشة : فكنتُ أكلّمه فيما يصنَعُ بها ، فيقول : يا أُخيّهْ ، دَعيني فوالله لكأنّي أرشف من ثَناياها حَبَّ الرمّان . ثم ملّها[1] وهانَتْ عليه ، فكنتُ أُكلّمه فيما يُسيء إليها كما كنتُ أُكلّمه في الإحسان إليها ، فكان إحسانه أنْ ردَّها إلى أهلها .

[ردّها إلى أهلها عندما ملّها]

قال الشيخ في خَبَره : فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أَحبَبْتَ ليلى فأفرطت ، وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإمّا أنْ تنصفها ، وإمّا أنْ تجهّزها إلى أهلها ؛ فجهَّزَها إلى أهلها .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الله بن نافع الصائغ : عن هشام بن عُروة ، عن أبيه : أنّ عمَر بن الخطّاب نفَّل عبدَ الرحمن بن أبي بكر بنت الجوديّ ، حين فتح دمشق ، وكانت بنت ملك دمشق .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الصَّلْت بن مسعود ، قال : حدَّثنا محمد بن شيرويه ، عن سليمان بن صالح ، قال : قرأت على عبدِ الله بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة بنت مصعب ، عن عروة بن الزُّبير ، قال : كانت ليلى بنت الجوديّ بنت ملكٍ مِنْ مُلُوكِ الشام ، فشبَّب بها عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان قد رآها فيما تقدّم بالشام ، فلمّا فتح اللهُ عزّ وجلّ على المسلمين ، وقتلوا أباها أصابوها ، فقال المسلمون لأبي بَكْر : يا خليفةَ رسولِ الله : أعطِ هذه الجارية عبد الرحمن . فقد سلّمناها له ؛ قال أبو بكر : أكلّكم على

1 ل : بذل بها .

هذا ؟ قالوا : نعم ، فأعطاه إيّاها ، وكان لها بساط في بلدِها لا تذهَبُ إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلاّ بُسِط لها ، ورُمِيَ بين يديها برمّانتين من ذهب تتلهّى بهما في طريقها . فكان عبد الرحمن إذا خرج مِن عندها ، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثَرَ البُكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ اختاري خصالاً أيّها شئتِ فعلتُ بك : إمّا أنْ أعتقك وأنكحك ، فتقول : لا أشتهيه ، وإن شئت ردَدْتكِ على قومِك ، قالت : ولا أُريد ، وإنْ أَحببتِ ردَدْتُكِ على المسلمين ، قالت : لا أُريد ، قال : فأخبريني ما يُبكيك ؟ قالت : أبكي الملك من يوم البؤس .

أخبرني أحمد ، قال : حدَّثني أبو زيد ، قال حدَّثني هارون بن إبراهيم بن معروف ، قال : حدَّثني حمزة[1] بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، عن عبد الله بن عَوْف ، عن يحيى بن يحيى الغسانيّ : أنّ عبد الرحمن قدِم على يَعْلى بن مُنبّه ، وهو على اليَمن ، فوجدها في السَّبي ، فسأله أن يدفعها إليه .

أخبرني أحمد ، قال : حدَّثنا عمر ، قال : كتب إليَّ محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أنّ عبد الرحمن قال فيها : [من الوافر]

فإمّا تُصْبِحي بعد اقترابٍ ... بسلْعٍ أو ثنيّات الوَداعِ
فلم ألفظك مِنْ شبَعٍ ولكن ... لأقضيَ حاجةَ النفس الشَّعاعِ[2]
كأنَّ جَوانحَ الأضلاعِ مِنّي ... بُعَيْدَ النوم مُبْطَنَةَ اليَراعِ

[عائشة ترثيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا أبو أحمد الزّبيريّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن لاحق ، عن أبي مُليكة ، قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبْشيّ ، جبَل من مكَّةَ على أميال ، فحُمِل فدُفِن بمكّة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ، ثم قالت : [من الطويل]

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذيمةَ حِقْبَةً ... من الدَّهْرِ حتى قِيل لن يتصدَّعا
فلمّا تفرَّقْنا كأنّي ومالِكاً ... لطُولِ اجْتِماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

أَما واللهِ لو حضرتُك لدَفَنْتُك حيث متّ ، ولو شهدتك ما زرتك .

---

1 ل : ضمرة .

2 نفس شعاع : متفرقة ، وقد نسب في اللسان إلى قيس بن ذريح .

صوت

[من الطويل]

أماوِيَّ إنّ المـــالَ غـــادٍ ورائـــحٌ ويَبْقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ[1]
وقـــد عَلِمَ الأقوامُ لو أَنَّ حاتماً أرادَ ثَـــراء المالِ أَمْسى له وَفْرُ[2]
أماوِيَّ إنْ يُصْبِحْ صَدايَ بِقَفْرَةٍ مِنَ الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ
تَرَيْ أَنَّ ما أَنفقتُ لم يَكُ ضائِري وأَنَّ يَـــدِي مِمّا بَخِلْتُ به صِفْرُ[3]

عروضه من الطويل .

الثراء : الكثرة في المال ، وفي عَددَ القومِ أيضاً . والوَفْرُ : الغِنى ، ووفور المال . والصَّدى هاهنا : كان أهلُ الجاهلية يذكرون أَنَّ طائراً يخرج مِنْ جسم الإنسان أو من رأسه ، فإذا قُتِل أقبل يُصوِّتُ على قبره ، حتى يُدْرَكَ بثأره . والصِّفْرُ : الخالي . والصدى : العطش ، والصدى ، ما يجيب إذا صُوِّت في المكان الخالي . وصدأ الحديد مهموز .

الشعر لحاتم الطائيّ . والغناء لإسحاق ، رَمل بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه ثقيلاً أوّلَ ، ولمالك خفيفاً ، وذكر حَبَش أنَّ فيه لابنِ سُريج ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر عَمْرو بن بانة أنّ فيه لابن جامع خفيف رَملٍ بالوسطى .

1 ديوان حاتم (صادر) : 50–51 مع اختلاف في الترتيب .
2 امسى له وفرُ في الديوان : كان له وفر .
3 أنفقت في الديوان : أهلكت .

[373] ـ أخبار حاتم ونسبه[1]

[نسبه]

ذكر ابن الأعرابيّ ، عن المفضل ، والأثرم ، عن أبي عمرو الشيبانيّ ، وابن الكلبيّ ، عن أبيه والسكريّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت : أنّه حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عَديّ بن أخزَم بن أبي أخزم ، واسمُه هَزُومة بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيّىء .

وقال يعقوب بن السّكيت : إنّما سُمّي هَزُومة ؛ لأنّه شَجَّ أو شُجّ ؛ وإنّما سُمّي طيّىء طيئاً ، واسمه جُلْهُمة ، لأنّه أوّلَ مَن طَوى المناهلَ ، وهو ابن أُدد بن زَيْد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويكنى حاتم أبا سَفّانة ، وأبا عدِيّ ؛ كني بذلك بابنتِه سفّانة ، وهي أكبر ولده ، وبابنِه عديّ بن حاتم . وقد أدركت سفّانة وعدِيّ الإسلامَ فأسلما ، وأُتِي بسفّانة النبيَّ ﷺ في أسْرى طيّىء فمنَّ عليها .

[النبيّ يمنّ على سفّانة]

أُخبرني بذلك أُحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفيّ ، ووجدْتُه في بعض نسخ الكوفيين . عن سليمان بن الربيع ، أتمّ من هذا فنسختُه وجمعتهُما . قال : حدَّثنا عبد الحميد بن صالح الموصليّ البرجميّ ، قال : حدَّثنا زكريّا بن عبد الله بن زيد الصُّهبانيّ ، عن أبيه ، عن كُمَيْلٍ بن زياد النخعيّ ، عن عليّ عليه السلام ، قال : يا سبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير ! عجبْتُ لرجلٍ يَجيئه أخوه في حاجةٍ فلا يرى نَفْسَه للخَيْرِ أهلاً ؛ فلو كنّا لا نرجو جنّةً ، ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً ، لكان ينبغي لنا أنْ نطلُبَ مكارِمَ الأخلاق ؛ فإنّها تدلُّ على سبيل النجاة .

فقام رجلٌ ، فقال : فداك أبي وأُمّي يا أُميرَ المؤمنين ، أُسمِعْتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؛ لمّا أُتينا بسَبايا طيىء كانت في النساء جاريةٌ حمّاء[2] حَوراء العينين ،

1 ترجمة حاتم الطائي في الشعر والشعراء : 164–170 وتهذيب ابن عساكر 3 : 420 وشرح شواهد المغني : 70 وخزانة البغدادي 3 : 127–130 ومروج الذهب 3 : 327 والشريشي 2 : 332 .

2 حماء : بيضاء .

لَعْساء لَمْياء عَيْطاء[1] شمّاء الأنف ، معتدلة القامة ، دَرْماء[2] الكعبين ، خدلجّة الساقين ، لفّاء الفخذين ، خميصة الخَصر ، ضامِرة الكَشْحين ، مصقولة المَتْنين .

فلمّا رأيتُها أُعْجبت بها فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها مِنْ فيئي . فلمّا تكلَّمت أُنسيتُ جمالَها ؛ لِما سمِعْتُ من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخَلِّي عنّي ، فلا تُشْمِتْ بي أحياءَ العرب ؛ فإنّي بنْتُ سيِّد قومي ، كان أبي يفُكُّ العانيَ ، ويَحْمي الذمارَ ، ويَقْري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعامَ ، ويفشي السلام ، ولم يَرُدّ طالبَ حاجة قطّ ؛ أنا بنتُ حاتم طيىء .

فقال لها رسولُ الله ﷺ : يا جارية ، هذه صفةُ المؤمن ، لو كان أبوكِ إسلاميّاً لترحمنا عليه ، خلُّوا عنها ؛ فإنَّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ، والله يحبُّ مكارِمَ الأخلاق .

وأُمّ حاتم عتبة[3] بنت عَفِيف بن عَمرو بن امرىء القيس بن عديّ بن أخزم . وكانت في الجُودِ بمنزلة حاتم ، لا تدَّخر شيئاً ، ولا يسألها أحدٌ شيئاً فتمنعه .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : أخبرنا الحرمازيّ ، عن العباسيّ بن هشام ، عن أبيه ، قال : كانت عُتبة[4] بنت عفيف ، وهي أمّ حاتم ذات يسار ، وكانت من أسْخى الناس ، وأقراهم للضيف ، وكانت لا تُليق شيئاً تملكه . فلمّا رأى إخوتها إتلافَها حَجَروا عليها ، ومنعوها مالَها ، فمكثت دَهْراً لا يُدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظنُّوا أنّها قد وجدت ألَمَ ذلك أعطوْها صِرْمة[5] مِن إبلها ، فجاءتها امرأةٌ من هوازن كانت تأتيها في كلّ سنةٍ تسألها ، فقالت لها : دُونك هذه الصِّرْمَةَ فخُذِيها ، فوالله لقد عضَّني من الجوعِ ما لا أمنعُ معه سائلاً أبداً ، ثم أنشأت تقول : [من الطويل]

لَعَمْري لَقِدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّةً فآلَيْتُ ألاَّ أَمْنَعَ الدَّهْرَ جائعا
فقُولا لهذا اللائميّ اليومَ : أعفِني فإن أنْتَ لم تفعَلْ فعَضّ الأصابِعا

---

1 لمياء : في شفتها سواد . وعيطاء : طويلة العنق .
2 درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقها .
3 ل : غنية .
4 ل : غنية .
5 الصرمة : قطعة من الإبل .

فمــاذا عساكُم أنْ تقولوا لأختكم سِوى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعا
ومــاذا تَــرَوْنَ اليــومَ إلاّ طبيعةً فكيف بتَرْكـي يا ابنَ أُمّ الطَّبائعا

[سفانة من أجود النساء]

قال ابن الكلبيّ : وحدّثني أبو مسكين قال : كانت سَفّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يُعْطيها الصِّرْمَة بعد الصِّرْمَة من إبله ، فتنهبها وتُعطيها الناسَ ، فقال لها حاتم : يا بنيّة ، إنَّ القَرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه ، فإمّا أن أعطي وتمسكي ، أو أمسك وتُعطي ؛ فإنّه لا يبقى على هذا شيء .

قال ابن الأعرابيّ : كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يُشبه شعره جوده ، ويصدّق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عُرِف منزله ، وكان مظفَّراً ، إذا قاتل غَلَب ، وإذا غَنِم أنهَب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أَسَر أَطلقَ ، وكان يقسم بالله ألاّ يقتل واحِدَ أُمِّه .

وكان إذا أُهلَّ الشهر الأصمُّ[1] الذي كانت مُضر تعظّمه في الجاهلية ينحَر في كلّ يوم عَشْراً من الإبل ، فأَطعم الناس واجتمعوا إليه ، فكان ممَّن يأتيه من الشعراء الحطيئة ، وبشر بن أَبي خازم .

فذكروا أن أُمَّ حاتم أُوتِيَت وهي حُبْلى في المنام ، فقيل لها : أغلام سمح يقال له : حاتم أحبّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس ، ليوثٌ ساعةَ البأس ، ليسوا بأوغال ولا أَنكاس[2] ، فقالت : بل حاتم ، فولدت حاتماً .

[يريد شريكاً في الأكل]

فلمّا ترعرع جعل يُخرج طعامه ، فإن وجد مَن يأكله معه أكل ، وإن لم يجِدْ طرحه .

[أسطورة كرمه للشعراء الثلاثة]

فلمّا رأى أَبوه أنّه يهلك طعامَه قال له : الحق بالإبل ، فخرج إليها ، ووهب له جاريةً وفرساً وفِلْوَها ، فلمّا أتى الإبلَ طفِق يبغي الناسَ فلا يجدهم ، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً ، فبينا هو كذلك إذ بصر بِرَكْبٍ على الطريق ، فأتاهـم فقالوا : يـا فتى هل من قِرًى ؟ فقال : تسألوني عن القِرَى وقـد تـروْن الإبـل ؟ وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبيانيّ ؛ وكانوا يريدون النُّعمان ، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل ،

1 الشهر الأصم : رجب .
2 الأوغال : جمع وغل ، وهو الضعيف الساقط . والأنكاس : جمع نكس ، وهو الضعيف المقصر .

فقال عبيد : إنمّا أردنا بالقرى اللبَن ، وكانت تكفينا بَكْرة إذا كنت لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكنّي رأيتُ وجوهاً مختلفة ، وألواناً متفرّقة ، فظننت أنّ البُلدان غيرُ واحدة ؛ فأردت أن يذكر كلٌّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها ، وذكروا فَضْله . فقال حاتم : أردت أن أُحسن إليكم فكان لكم الفَضْل عليّ ، وأنا أُعاهِدُ اللهَ أن أضربَ عراقيبَ إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها . ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، وتموا على سفرهم إلى النُّعمان وإنّ أبا حاتم سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : أين الإبل ؟ فقال : يا أبتِ ؛ طوّقْتُك بها طَوْقَ الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوَضاً من إبلك .

فلمّا سمع أبوه ذلك قال : أبإبلي فعلتَ ذلك ! قال : نعم ، قال : والله لا أُساكِنك أبداً ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتماً ، ومعه جارِيته وفرسه وفِلْوها ، فقال يذكر تحوُّلَ أبيه عنه[1] : [من الطويل]

وإنّـي لَعَفُّ الفقْـرِ مُشْتَرَك الغِنى ... وتـارِك شكْـلٍ لا يوافقُـه شَكْلي[2]
وشَكْـلي شكـلٌ لا يقـومُ لمثلـه ... مـنَ الناسِ إلاّ كلُّ ذي نيقة مِثْلي
وأَجْعَلُ مـالي دُونَ عِرْضيَ جُنَّـةً ... لنفسي وأَستغني بما كان مِنْ فضلي
ومـا ضَرَّني أَن سارَ سَعْـدٌ بأَهلِهِ ... وأَفـْرَدَني في الدارِ لَيْسَ معـي أَهلي
سيَكفي ابتنائي المجدَ سَعْدَ بن حَشرج ... وأَحمِل عنكم كلَّ ما ضاع من ثِقْلِ[3]
ولي مـعَ بَذْلِ المال في المجد صَوْلَةٌ ... إذا الحَرْبُ أَبْدَتْ عن نواجذها العُصْلِ

وهذا شعر يدلُّ على أنَّ جَدَّه صاحب هذه القصة معه لا أنّها قصّة أبيه . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ، ووَصَف أنّ أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير ، فكان في حجر جَدّه سعد بن الحشرج ، فلمّا فتح يدَه بالعطاء وأنهب ماله ضيَّق عليه جدُّه ورحل عنه بأهله ، وخلّفه في داره ، فقال يعقوب خاصّة : فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذْ انتبه ، وإذا حوْله مائتا بعير أو نحوها تجولُ ويحكمُ بعضُها بعضاً ، فساقها إلى قَوْمه ؛ فقالوا : يا حاتم ، أبقِ على نفسك فقد رُزِقت مالاً ، ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من

1 ديوانه : 75 .
2 وتارك شكل في الديوان : وودك شكل .
3 الديوان : . . . كل ما حل من أزلي . والأزل : الضيق والشدة .

الإسراف ، قال : فإنّها نُهْبى[1] بينكم ، فانتهبتْ ، فأنشأ حاتم يقول[2] : [من الطويل]

تَدارَكنــي مَجْــدي بسَفْحِ مُتالعٍ فــلا يَيأَسَنْ ذو نَوْمَةٍ أَنْ يغنَّما[3]

قال : ولم يَزَلْ حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله .

[حاتم وبنو لأم]

قال ابن الأعرابيّ ، ويعقوب بن السكّيت ، وسائر من ذكرنا من الرُّواه : خرج الحَكَمُ بن أبي العاصي بن أُميّة بن عبد شمس ، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمعُ إليه الناس[4] كل سنةٍ . وكان النُّعمان بن المنذر قد جعل لِبَني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيء رُبع الطريق طُعمةً لهم ؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النُّعمان ، وكانوا أصهارَه فمرّ الحكَمُ بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله ، فسأله الجوارَ في أرضِ طيىء حتى يَصِير إلى الحيرة ، فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور فنُحرت ، وطبخت أعضاء ، فأكلوا ، ومع حاتم مِلْحان بن حارثة بن سَعْد بن الحشرج وهو ابن عمِّه ؛ فلمّا فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكَمُ من طِيبه ذلك ، فمرّ حاتم بسَعْد بن حارثة بن لأم ، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان ، وحاتمٌ على راحلته ، وفرسه تُقاد ، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حيّاكم الله ، فقالوا : مَنْ هؤلاء معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيراني ، قال له سعد : فأنتَ تُجِير علينا في بلادنا ؟ قال له : أنا ابنُ عمّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمّته ، فقالوا : لستَ هناك . وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِحَ عامر بن جُوَيْن قبله ، فوثبوا إليه ، فتناول سعد[5] بن حارثة بن لأم حاتماً ، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرْنَبة أنفه ، ووقع الشرُّ حتى تحاجزوا ، فقال حاتم في ذلك[6] : [من الطويل]

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ لــو أَنَّ أَنْفَه هواءٌ فما مَتَّ المُخاطُ عن العَظْمِ[7]

---

1 النهبى : كل ما انتهب .

2 ديوانه : 87 .

3 الديوان : تداركني جدي . . . ذو قومه .

4 ل : يجتمع إليها العرب .

5 ل : كندي .

6 ديوانه : 88 .

7 مت العظم : سال ما فيه .

ولكنّما لاقــاهُ سَيْفُ ابنِ عَمِّهِ فآبَ ومَرَّ السَّيْفُ منه على الخَطْمِ[1]

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سُوقُ الحيرة فنُماجِدُك ونضَع الرُّهن ، ففعلوا ، ووضعوا تسعةَ أفراسَ رَهْناً على يدَيْ رجل من كَلْب يقال له : امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَناب ، وهو جدُّ سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما ، ووضع حاتم فرسَه . ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائيّ ، فخاف أن يُعينهم النُّعمان بن المنذر يُقوِّيهم بماله وسلطانه ؛ للصِّهْرِ الذي بينَهم وبينه . فجمع إياسٌ رَهْطَهُ من بني حيّة ، وقال : يا بني حيّة ، إنّ هؤلاء القوم قد أرادوا أنْ يفضحوا ابن عمّكم في مجاده ، أي مماجدته فقال رجل من بني حيّة : عندي مائةُ ناقةٍ سوداء ومائة ناقة حمراء أدْماء ، وقام آخر فقال : عندي عشرة حُصُن ، على كلّ حصانٍ منها فارس مدجَّج لا يُرى منه إلاّ عيناه . وقال حسّان بن جبلة الخير : قد علمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلأً كثيراً ، فعليّ كلُّ خمْر أو لحم أو طعام ما أُقاموا في سوق الحيرة . ثم قام إيّاس فقال : عليّ مثْلُ جميع ما أعطيتم كلّكم .

قال : وحاتم لا يعلمُ بشيء ممّا فعلوا ؛ وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال ، فقال : يا ابن عمّ ، أعِنِّي على مخايلتي . قال : والمخايلة المفاخرة ، ثم أنشد[2] : [من البسيط]

يا مالُ إحْدى خطوب الدَّهْر قد طَرَقَتْ يــا مــالُ مـا أنْتُمُ عنهـا بزَحْزاحِ
يا مالُ جاءتْ حِياضُ المـوتِ وارِدَةً مــن بيْنِ غَمْر فخُضْناه وضَحْضاحِ

فقال له مالك : ما كنْتُ لأُحْرِبَ نفسي ولا عِيالي وأعطيك مالي .

فانصرف عنه ، وقال مالك في ذلك قوله : [من البسيط]

إنّا بَنُو عمِّكم لا أنْ نُباعِلكم ولا نجــاوِركم إلاّ عـلى ناحِ
وقد بلَوتُك إذ نلْتَ الثراءَ فلم ألقـك بـالمالِ إلاّ غير مرتاحِ

قال أبو عَمرو الشيبانيّ في خبره : ثم أتى حاتم ابن عمّ له يقال له : وَهْم بن عَمْرو ، وكان حاتم يومئذٍ مصارِماً له لا يكلِّمُه ، فقالت له امرأته : أيْ وَهْمُ ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلَع ، فقال : مالنا ولحاتم ! أثبتي النظر ، فقالت : ها هو ، قال : ويحك هو لا يكلّمني ، فما

1 الخطم : مقدم الفم والأنف .
2 ديوانه : 33 ، وفيها : عنها بنزّاحِ .

جاء به إليّ ؟ فنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامَه وحيّاه ، ثم قال له : ما جاءَ بك يا حاتم ؟ قال : خاطرتُ على حَسبك وحَسَبي ، قال : في الرُّحب والسَّعَة ، هذا مالي ، قال : وعِدّته يومئذٍ تسعمائة بعير ، فخُذها مائة مائة حتى تذهبَ الإبلُ أو تصيبَ ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم ! أنْتَ تخرجنا من مالِنا ، وتفضح صاحبنا ، تعني زَوجها ، فقال : اذهبي ، عنك ؛ فوالله ما كان الذي غمَّك ليردّني عمّا قبلي . وقال حاتم[1] : [من الطويل]

أَلا أَبلِغا وَهْمَ بنَ عمرو رسالةً فإنّكَ أَنْتَ المرءُ بالخير أَجْدَرُ
رأيتُك أَدْنى الناسِ منّا قرابةً وغَيْرِكَ منهم كنتُ أَحْبُو وأَنصُرُ
إذا ما أَتى يومٌ يُفَرِّقُ بيننا بمَوْتٍ فكُنْ يا وَهْمُ ذُو يتأَخَّرُ

ذو في لغة طيىء : الذي .

قالوا : ثم قال إياس بن قبيصة : احملوني إلى الملك ، وكان به نِقْرس ، فحُمِل حتى أُدخل عليه ، فقال : أنْعِم صباحاً أبيتَ اللعن ، فقال النُّعمان : وحيَّاك إلهك ، فقال إيّاس : أتمدُّ أَختانَك بالمالِ والخيل ، وجعلْتَ بني ثُعَل في قَعْرِ الكنانة ! أظَنَّ أختانُك أن يصنعُوا بحاتم كما صنعوا بِعامِر بن جُوَين ، ولم يَشْعروا أنَّ بني حيَّة بالبَلَد ؛ فإن شئت واللهِ ناجَزْناك حتى يَسْفَحَ الوادي دماً ، فليحضروا مِجادَهم غداً بمجمع العرب .

فعرف النُّعمان الغضبَ في وَجهه وكلامه ، فقال له النُّعمان : يا أَحلمنا لا تغضب ؛ فإنّي سأكفيك .

وأرسل النُّعمانُ إلى سَعْد بن حارثة وإلى أَصحابه : انظروا ابنَ عمّكم حاتماً ، فأَرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أُعطيكم مالي تبذِّرونه ، وما أُطِيق بني حيَّة .

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له : أَعْرِض عن هذا المِجاد ندع أَرْشَ أنفِ ابن عمّنا . قال : لا ، والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ، ويغلب مجادكم . فتركوا أَرْشَ أنفِ صاحبهم وأفراسهم ، وقالوا : قبّحها اللهُ وأبْعدها ؛ فإنّما هي مَقارف[2] . فعمد إليها حاتم ، فعقرها وأَطعمها الناس ، وسقاهم الخمر ، وقال حاتم في ذلك[3] : [من الكامل]

أَبْلِغْ بني لأمٍ فإنَّ خيولَهُم عَقْرى وإنَّ مجادَهم لم يَمْجُدِ

1 ديوانه : 61 .
2 مقارف : جمع مقرف ، وهو غير الأصيل من الخيل .
3 ديوانه : 42 .

هـا إنّمـا مَطـرَتْ سماؤكُمُ دَماً ورفعْتَ رأسَكَ مِثل رأْسِ الأصْيَدِ
ليكـونَ جيراني أُكالاً بينكـم نُحْـلاً لِكنْـديّ وسَبْيٍ مزبدِ[1]
وابن النُّجُودِ إذا غَـدا متلاطما وابن العذَوَّرِ ذي العِجان الأَبردِ[2]
ولثابتٍ عَيْنـي خَـذٍ متماوت وللعمظ أَوْس قـد عـوى لمقلّدِ[3]
أَبْلِغ بني ثُعَـلٍ بأنّيَ لم أَكُـنْ أَبـداً لأَفعلَهـا طـوالَ المُسْنَدِ[4]
لا جئتُهم فـلاًّ وأَترِكَ صُحْبَتِي نَهْبـاً ولم تَغْـدرْ بقائمه يَدي

وخرج حاتم في نَفَرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم ، فسقطوا على عَمرو بن أوس بن طَريف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ في فَضاءٍ من الأرض ، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم : لا تَعْجَلُوا بقَتْلِه ؛ فإن أُصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه ، وإنْ لم تَرَوْا أحداً قتلتموه . فأصبحوا وقد أحدق الناسُ بهم ، فاستجاروه فأَجارهم ، فقال حاتم[5] : [من البسيط]

عَمرو بن أَوس إذا أَشياعه غَضِبوا فأحـرزُوه بـلا غُـرْمٍ ولا عارِ
إنَّ بنـي عَبْد وُدٍّ كلّمـا وقعت إحدى الهنـات أَتَوْها غير أَغْمارِ

[أسطورة عن كرمه بعد موته]

أَخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش ، عن عليّ بن حرب ، عن هشام بن محمد ، عن أبي مِسكين جعفر بن المحرز بن الوليد ، عن أَبيه ، قال : قال الوليد جدّه ، وهو مولى لأَبي هريرة : سمعتُ محرز بنَ أَبي هريرة يتحدَّث ، قال : كان رجل يُقال له أبو الخَيْبَريّ مرَّ في نَفَرٍ من قومه بقبر حاتم ، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنّهنَّ نساءٌ نوائح . قال : فنزلوا به ، فبات أبو الخيبريّ ليلَته كلَّها يُنادي : أبا جعفر اقْرِ أضيافَكَ . قال : فيقال له : مَهْلاً ؛ ما تُكلِّم من رِمَّةٍ بالية ! فقال : إنَّ طيئاً يزعمون أنّه لم ينزل به أحدٌ إلاّ قَراه .

قال : فلمّا كان من آخر الليل نام أبو الخَيْبَريّ ، حتى إذا كان في السَّحَر وثب فجعل يصيح : واراحلَتاه ! فقال له أصحابُه : وَيْلك ! ما لك ! قال : خرج والله حاتم بالسيف وأنا

---

1 أكالاً : داء في العضو يأتكل منه . والشطر الثاني في الديوان : «بخلاً لكندي وسبي مزند» .
2 العذوّر : السيء الخلق . والعجان : الاست . والنجود : الأمكنة المرتفعة ، ويعني بابن النجود : السيل .
3 لم يرِد هذا البيت في الديوان .
4 المسند : الدهر .
5 ديوانه : 60 .

أَنظرُ إليه حتى عقر ناقتي ، قالوا : كَذَبْتَ ، قال : بلى ، فنظروا إلى راحلته فإذا هي مُنْخَزِلة[1] لا تنبعث ، فقالوا : قد واللهِ قَرَاك . فظلُّوا يأكلون مِنْ لحمِها ، ثم أردفوه ، فانطلقوا فساروا ما شاء الله ، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عَديّ بن حاتم راكباً قارِناً جملاً أسود ، فلحقهم ، فقال : أيّكم أبو الخيبريّ ؟ فقالوا : هو هذا ، فقال : جاءَني أبي في النوم ، فذكر لي شَتْمَكَ إيّاه ، وأنّه قرى راحلتك لأصحابك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ، وردّدها عليّ حتى حفظتُها ؛ وهي[2] : [من المتقارب]

أَبـا خيبريٍّ وأَنْـتَ امـرؤٌ ظَلُـومُ العشيرةِ شَتّـامُها
فمـاذا أردْتَ إلى رِمَّـة ببادِيـة صَخِـبٍ هـامُها[3]
تُبَغِّـي أذاهـا وإعسارهـا وحولَـكَ غَـوْثٌ وأَنعامها
وإنّـا لنُطعـم أَضْيافَنـا مِنَ الكُومِ بالسَّيْفِ نَعْتامُها[4]

وقد أَمرني أَنْ أَحملك على جَمَل فدونكه ، فأَخذه وركبه ، وذهبوا .

[حاتم يفك أسر قومه]

أغارت طيىء على إبل للنُّعمان بن الحارث بن أَبي شَمِر الجفنيّ ، ويقال : هو الحارث بن عَمرو ، رجل من بني جَفْنة ، وقَتَلُوا ابناً له . وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلنَّ وليسبينّ الذَّراريّ ، فحلف ليقتلنّ من بني الغَوْث أهل بيت على دَمٍ واحد ، فخرج يريد طَيئاً ، فأَصاب من بني عديّ بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رَهْط حاتم ، وحاتمٌ يومئذٍ بالحيرة عند النُّعمان ، فأصابتهم مُقدمات خيله . فلمّا قدِم حاتم الجَبَلَين جعلتِ المرأةُ تأتيه بالصبيّ من ولدها فتقول : يا حاتم أُسِر أبو هذا . فلم يلبث إلاّ ليلة حتى سار إلى النُّعمان ومعه مِلْحان بن حارثة ، وكان لا يُسافر إلاّ وهو معه ، فقال حاتم[5] : [من الطويل]

أَلا إنّنـي قَـدْ هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ وما ذاكَ من حبّ النساء ولا الأَشَرْ[6]

1 منخزلة : منقطعة .
2 ديوانه : 89 .
3 ببادية في الديوان : بدوية .
4 الكوم : النوق العظيمة السنام . ونعتامها : نأخذ خيارها .
5 ديوانه : 55–56 .
6 الأشر : المرح .

ولكنّه ممّا أصاب عَشِيرتي وقومي بأقْرانِ حَوالَيْهم الصُّيَّرْ

الأقران : الجبال . والصُّير : الحظائر ، واحدها صِيرَة .

ليالي نَمشي بين جَوٍّ ومِسْطَحٍ نَشاوى لنا من كُلِّ سائمةٍ جُزُرْ[1]
فياليتَ خَير الناس حيّاً وميّتاً يقول لنا خيراً ويُمْضي الذي ائتمرْ
فإنْ كان شرّاً فالعزاء فإنّنا على وقعات الدَّهرِ مِن قَبْلِها صُبُرْ
سَقى اللهُ ربُّ النّاس سَحّاً وديمةً جنوبَ السَّراة من مَآبِ إلى زُغَرْ
بلادَ امرىءٍ لا يعرفُ الذَّمُّ بيته له المشربُ الصافي ولا يطْعم الكدرْ[2]
تذكّرتُ مِنْ وَهْم بن عَمْرٍو جَلادَةً وجُرْأة مَغْزاه إذا صارِخٌ بَكَرْ[3]
فأبْشِرْ وقَرَّ العينَ منك فإنّني أحيِّي كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ

فدخل حاتم على النُّعمان فأنشده ، فأُعجب به ، واستوهبهم منه ؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عديّ ، ثم أنزله فأُتِيَ بالطعام والخمر ، فقال له مِلْحان : أَتَشْرَبُ الخمر وقومك في الأغلال ؟ قُمْ إليه فسَلْه إيّاهم ، فدخل عليه فأنشده[4] : [من البسيط]

إنَّ امرأ القيس أُضحت من صَنيعتكم وعبدَ شمس ، أبيتَ اللَّعْن ، فاصطنعوا[5]
إنَّ عَدِيّاً إذا مُلِّكْتَ جانبها من أَمْرِ غَوْثٍ على مرأى ومُسْتَمَعِ
أُتبعْ بني عبد شمسٍ أمْرَ صاحبهم أهلي فِداؤُكَ إنْ ضَرُّوا وإنْ نَفَعُوا
لا تَجْعَلنّا ، أبيتَ اللَّعْنَ ، ضاحيَةً كمعشرٍ صُلِموا الآذانَ أو جُدِعُوا[6]
أو كالجَناحِ إذا سُلّتْ قَوادِمُهُ صارَ الجَناحُ لفضْلِ الرِّيْشِ يَتَّبِعُ

فأَطْلَقَ له بني عبد شمس بن عديّ بن أُخزم ، وبقِي قَيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضًى بن مالك بن ذُبيان بن عَمْرو بن ربيعة بن جرْول الأجئِيّ ، وهو من لَخْم ، وأُمّه من بني عديّ ، وهو جَدُّ الطرماح بن حكيم بن نَفر بن قَيْس بن جَحْدر ، فقال له النُّعمان : أَفَبقيَ

1 ليالي نمشي في الديوان : ليالي نمسي . وجو ومسطح : موضعان .
2 ولا يطعم الكدر في الديوان : وليس له الكدر .
3 إذا صارح بكر في الديوان : إذا نازح بكر .
4 ديوانه : 69 .
5 فاصطنعوا في الديوان : فاصطنع .
6 ضاحية في الديوان : ضاحكة .

أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم[1] : [من الطويل]

فَككْــتَ عَدِيّــاً كلَّها مــن إسارِها ... فأفْضِلِ وشفّعْني بقَيْسِ بــن جَحْدَرِ
أبُــوهُ أبــي والأمّهــاتُ امّهاتنــا ... فأنْعِمْ فَدَتْكَ اليومَ نَفْسي ومَعْشَري

فقال : هو لك يا حاتم ، فقال حاتم[2] : [من الخفيف]

أبْلِغْ الحــارثَ بن عَمْــرو بأنّي ... حافِــظُ الوُدِّ مُرْصِــدٌ للثّوابِ[3]
ومُجِيــبٌ دُعــاءه إنْ دَعــاني ... عَجِــلاً واحــداً وذا أصحابِ
إنّمــا بَيْنَنــا وبينــك فاعْلَــمْ ... سَيْرُ تِسْعٍ للعاجــلِ المُنْتــابِ
فثــلاثٌ مِــنَ السَّراة إلى الحَلَّةِ ... للخَيْــلِ جاهــداً والرِّكابِ[4]
وثــلاثٌ يُورِدْن تَيْمــاءَ رَهْواً ... وثــلاثٌ يُقرِّبْــنَ بالأعْجابِ[5]
فإذا مــا مَــرَرْنَ في مُسْبَطِــرٍّ ... فاجْمَحِ الخَيْلَ مثل جَمْحِ الكِعابِ[6]

اجْمَحْ : ارْمِ بهم كما يُرْمى بالكعابِ ، ويقال : إذا انتصب لك أمْرٌ فقد جمحَ .

بينما ذاك أصبحَتْ وهي عَضْدَى ... مِــنْ سبيٍ مجموعــةٍ ونهابِ

عَضْدى : مكسورة الأعضاد .

لَيْتَ شِعْري متــى أرى قُبّــةً ذا ... تَ قِــلاعٍ للحــارث الحَــرّابِ
بِيفــاعٍ وذاك منهــا محَــلّ ... فَــوْقَ مَلْــكٍ يدِيــن بالأحسابِ
أيّها المُوعِــدي فــإنَّ لَبُــوني ... بين حَقــلٍ وبين هَضْبِ دَبابِ[7]
حيــثُ لا أرهبُ الجُراةَ وحَوْلي ... ثُعَلِيُّــون كاللُّيُــوثِ الغِضابِ

وقال حاتم أيضاً[8] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 57 .
2 ديوانه : 27 .
3 للثواب في الديوان : للصواب .
4 من السراة إلى الحلة في الديوان : . . . من السراة إلى الحلبط .
5 يقربن في الديوان : يغررن .
6 مررن في الديوان : مررت . والمسبطر : الممتد .
7 دباب في ل : ضباب .
8 ديوانه : 66 .

لم تُنسِنِي أطلال ماويّـــةٍ يأسي ولا الزمن الماضي الذي مِثْله يُنسي[1]
إذا غرّبَتْ شَمْسُ النهارِ وردْتُها كما يـــرِد الظمآن آتيـــةَ الخِمْسِ

[حاتم ومعاوية بنت عفزر]

قال : وكنّا عند معاوية ، فتذاكرْنا ملوكَ العرب ، حتى ذكرنا الزبّاء وابنة عفزر ، فقال معاوية ، إنّي لأُحبّ أن أسمع حديث ماوية وحاتم ، وماويةُ بنت عَفْزَر ، فقال رجل من القوم : أفلا أُحدّثك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . فقال : إنّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة ، وكانت تتزوّج مَن أرادت ؛ وإنّها بعثت غلماناً لها وأمرَتْهم أن يأتوها بأوسَمِ مَن يجدونه بالحيرة ، فجاؤوها بحاتم ، فقالت له : استقدم إلى الفراش ، فقال : حتى أخبرك ، وقعد على الباب ، وقال : إنّي أنتظر صاحبين لي ، فقالت : دونَك استدخل المِجْمَر . فقال : اسْتِي لم تُعَوَّد المِجْمر[2] ، فأرسلها مثلاً . فارتابتْ منه ، وسقَتْه خمراً ليسكر ، فجعل يهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل ، ثم قال : ما أنا بذائق قِرًى ولا قارٍّ حتى أنظرَ ما فعل صاحباي . فقالت : إنّا سنرسلُ إليهما بِقرًى ، فقال حاتم : ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما . قال : فأتاهما ، فقال : أفتكونان عَبْدَيْن لابنة عَفْزَر ، تَرْعَيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما ؟ فقالا : كلّ شيء يُشبه بعضُه بعضاً ، وبعضُ الشَّرِّ أهون من بعض[3] ، فقال حاتم : الرحيل والنجاة . وقال يذكُر ابْنَةَ عفزر ، وأنّه ليس بصاحب ريبة[4] : [من الطويل]

حَننتُ إلى الأجبال أجبـالِ طيـىء وحَنَّت قَلُوصي أن رأت سوط أحمرا
فقلتُ لهـا : إنَّ الطريـقَ أمامنـا وإنّـا لمحيُـو رَبْعِنـا إن تَيَسَّرا
فيـا راكبَـيْ عَلْيـا جَدِيلَـةَ إنّما تُسامـان ضَيْمـاً مستبينـاً فتُنْظَرا
فمـا نكِـراهُ غيرَ أنَّ ابنَ مِلْقَـط أراهُ وقـد أُعطـى الظُّلامـة أَوْجَرا[5]
وإنّي لَمُـزْجٍ لِلْمَطـيِّ على الوَجـا ومـا أنـا مـن خِلاّنكِ ابنةَ عَفْزَرا[6]

1 يأسي في الديوان : ناسي .
2 المثل «است لم تعود المجمر» في مجمع الميداني 1 : 332 .
3 المثل «بعض الشر أهون من بعض» في الدرة الفاخرة 2 : 456 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 ومجمع الميداني 1 : 94 .
4 ديوانه : 47–49 .
5 الأوجر : المشفق ، الخائف .
6 الوجا : الحفى .

وما زِلْتُ أسعى بين نابٍ ودارةٍ بِلَحْيانَ حتى خِفْتُ أن أتَنَصَّرا
وحتى حسِبْتُ الليلَ والصبحَ إذْ بدا حِصانَيْنِ سيَّالَيْنِ جَوْناً وأشْقَرا
لَشِعْبٌ من الرَّيَّان أملِكُ بابَه أنادي به آل الكبير وجَعْفَرا
أحَبُّ إليَّ مِنْ خطيبٍ رأيْتُه إذا قلتُ معروفاً تبدل مُنْكرا
تنادي إلى جاراتِها : إنَّ حاتماً أراهُ لعَمْري بَعْدَنا قد تَغَيَّرا
تغيَّرْتُ إنّي غَيرُ آتٍ لرِيبةٍ ولا قائلٍ يوماً لذِي العُرْفِ مُنْكَرا
فلا تسأليني واسْألي أيَّ فارِس إذا بادَرَ القومُ الكنيفَ المُستَّرا
ولا تَسألِيني واسألي أيَّ فارس إذا الخيلُ جالَتَ في قَناً قد تكسَّرا
فلا هي ما تَرْعى جَمِيعاً عِشارُها ويُصْبح ضيفي ساهِمَ الوجهِ أغبرا
متى ترَني أمشي بسيفيَ وَسْطَها تَخَفْني وتُضْمِرْ بينها أن تُجَزَّرا
وإنّي ليغشى أبعدُ الحيِّ جَفْنَتي إذا ورَقُ الطَّلْحِ الطوالِ تَحَسَّرا
فلا تسأليني واسألي بي صُحْبَتي إذا ما المَطِيُّ بالفَلاةِ تضَوَّرا
وإنّي لَوَهَّابٌ قُطُوعي وناقتي إذا ما انتشيْتُ ، والكميتَ المصَدَّرا[1]
وإنّي كأشلاء اللِّجامِ ولَنْ تَرَى أخا الحَرْبِ إلاَّ ساهِم الوجْهِ أغبَرا
أخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ به الحَرْبُ عضَّها وإنْ شمّرت عن ساقها الحَرْبُ شَمَّرا
وإنّي إذا ما الموْتُ لم يَكُ دونَه قِدى الشِّبرِ أحمي الأنْف أن أتأخّرا[2]
متى تبْغ وُدّاً مِنْ جَدِيلةَ تَلْقَهُ مع الشَّنْءِ مِنْهُ باقياً متأثّرا[3]
فإلاّ يُفادونا جِهاراً نُلاقِهم لأعدائنا رِدْءاً دَليلاً ومُنْذِرا[4]
إذا حال دُوني مِنْ سَلامان رَمْلَةٌ وَجَدْتُ تَوالي الوَصْلِ عِنْدي أبْتَرا

وذكروا أنّ حاتماً دعَتْهُ نفسه إليها بعد انصرافِه من عندها ، فأتاها يخطبُها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبِيت ؛ فقالت لهم : انقلبُوا إلى رِحالكم ، ولْيَقُل كلٌّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإنّي أتزوَّج أكرَمَكم وأشعركم .

1 القطوع : الثياب الموشاة .
2 قدى الشبر : قدر الشبر .
3 الشنء : البغض .
4 الديوان : فالا يعادونا . . . والردء : المعين ، الناصر .

فانصرفوا ونحر كلٌّ واحد منهم جَزُوراً ، ولبست ماوية ثياباً لأَمَةٍ لها وتبعتهم ، فأتَتْ النَّبيتيَّ فاستطعمته من جَزُوره فأطعمها ثيل جَملِه[1] فأخذته ثم أتت نابغةَ بني ذبيان فاستطعمتْه فأطعمها ذَنَب جَزُوره فأخذته ، ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدْرَه فاستطعمته ، فقال لها : قفي حتى أُعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك ، فانتظرت فأطعمها قِطَعاً من العَجُز والسنام ، ومثلَها من المِخْدَش ، وهو عند الحارك[2] ، ثم انصرفت . وأرسل كلٌّ واحد منهم إليها ظهر جَمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية . وصبّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتيّ : [من البسيط]

هـلاَّ سألْتِ النبيتيِّينَ مـا حَسَبى … عنـد الشتاء إذا مـا هبَّتِ الرِّيحُ
ورَدَّ جازِرُهـم حرفـاً مُصَرَّمَةَ … في الرَّأْس منها وفي الأَصلاء تمليحُ[3]
وقـال رائِدُهـم : سِيّانِ مالُهـم … مِثْـلانِ مِثْـلٌ لَمن يرعى وتَسْرِيحُ
إذا اللِّقاحُ غدت مُلْقًـى أَصرَّتها … ولا كَريمَ مِـنَ الولدان مَصْبُوحُ

فقالت له : لقد ذكرت مَجْهَدةً .

ثم استنشدت النابغة ، فأنشدها يقول[4] : [من البسيط]

هَلاَّ سألتِ بنـي ذبيانَ مـا حَسَبى … إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأَشمطَ البَرَما[5]
وهبَّـتْ الريحُ مِـنْ تلقاءِ ذي أُرُلٍ … تُزْجِي مع الليل مِنْ صُرَّادِها الصِّرَما
إنّـي أُتمّـم أَيسارِي وأَمْنَحُهـم … مَثْنى الأَيادي وأَكْسُو الجَفْنَة الأُدُما

فلمّا أَنشدها قالت : ما ينفكّ الناس بخير ما ائتدموا .

ثم قالت : يا أُخا طيِّىء أَنشدني ، فأَنشدها[6] : [من الطويل]

أَمـاوِيَّ قـد طال التَّجنُّبُ والهَجْرُ … وقـد عذَرَتْنـي في طِلابكـم العُذْرُ

1 الثيل : وعاء قضيب البعير .

2 المخدش : كاهل البعير . والحارك : أعلى الظهر .

3 الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة . ومصرومة : منقطعة اللبن . والأصلاء : وسط الظهر واحدها : صلا . والتمليح : السمن .

4 ديوان النابغة الذبياني : 62–63 .

5 البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .

6 ديوانه : 50–51 .

أماوِيَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائِحٍ ... ويَبْقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ
أماوِيَّ إنّي لا أَقولُ لسائلٍ ... إذا جاءَ يَوْماً : حلَّ في مالنا النَّذْرُ[1]
أماوِيَّ إمّا مانِعٌ فمبيِّن ... وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أماوِيَّ ما يُغْني الثَّراءُ عَنِ الفَتى ... إذا حشرجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدْرُ[2]
إذا أَنا دَلاّني الذينَ أُحبّهم ... بملحودةٍ زَلْجٍ جوانِبُها غُبْرُ
وراحُوا سِراعاً ينفُضون أَكفَّهم ... يقولون : قد دَمَّى أَناملَنا الحَفْرُ[3]
أماوِيَّ إنْ يُصبحْ صدايَ بقَفْرَةٍ ... من الأَرْضِ لا ماءٌ لديّ ولا خَمْرُ[4]
تَرَيْ أَنَّ ما أَنفقتُ لم يَكُ ضَرَّني ... وأَنَّ يَدي مِمّا بخلْتُ به صِفْرُ[5]
أماوِيَّ إنّي رُبَّ واحدِ أُمِّهِ ... أَخذْتُ فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ[6]
وقد عَلِم الأَقوامُ لو أَنَّ حاتِماً ... أَرادَ ثراءَ المالِ كان لَهُ وَفْرُ
فإنّيَ لا آلُو بمالي صَنِيعةً ... فأَوَّلُه زادٌ وآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤْكَلُ طيِّباً ... وما إنْ تعرَّتْهُ القِداحُ ولا الخَمْرُ
ولا أَظلِم ابنَ العمّ إن كان إخوتي ... شُهوداً وقد أَوْدى بإخوته الدَّهْرُ
غنينا زماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنى ... وكلاًّ سقاناه بِكأْسهما العَصْرُ
فما زادنا بَغْياً على ذِي قَرابَةٍ ... غِنانا ولا أَزرى بأَحْسابِنا الفَقْرُ
وما ضَرَّ جاراً يا ابْنَةَ القومِ فاْعلَمي ... يجاورني أَلاَّ يكون له سِتْرُ
بعينيَ عن جاراتِ قَوْمِيَ غَفْلَةٌ ... وفي السَّمْعِ مِنّي عن حديثهمُ وَقْرُ

فلمّا فرغ حاتِمٌ من إنشاده دعَتْ بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءها أَنْ يقدّمن إلى كلّ رجلٍ منهم ما كان أطعمها ، فقدّمن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أَنْ يقدمنه إليهم ، فنكّس النَّبِيتيُّ رأْسه والنابغة ، فلمّا نظر حاتم إلى ذلك رَمى بالذي قُدِّم إليهما ، وأَطعمهما ممّا قدم إليه ، فتسلّلا لِواذاً ، وقالت : إنَّ حاتماً أكرمكم وأشعركم .

1 النذر في الديوان : نزر .
2 يوماً في الديوان : نفس .
3 وراحوا سراعاً في الديوان : وراحوا عجالاً .
4 لا ماء لديّ في الديوان : لا ماء هناك .
5 أنفقت في الديوان : أهلكت .
6 أخذت في الديوان : أجرت .

فلمّا خرج النَّبيتيُّ والنابغة قالت لحاتم : خلِّ سبيلَ امرأتك ، فأبى ، فزوّدته وردَّته . فلمّا انصرف دعَتْه نفسُه إليها ، وماتت امرأته ، فخطبها فتزوّجته ، فولدت عَدِيّاً .

[إسلام عديّ بن حاتم]

وقد كانت عديّ أسلمَ وحسُن إسلامه ، فبلغنا أنّ النبيَّ ﷺ قال له ، وقد سأله عدِيّ : يا رسول الله ، إنّ أبي كان يعطي ويحمل ، ويُوفي بالذِّمّةِ ، ويأمر بمكارم الأخلاق ؛ فقال له رسول الله ﷺ : إنَّ أباك خشبة مِن خشبات جَهَنّم .

فكأنّ النبيّ ﷺ رأى الكآبةَ في وَجْهه : فقال له : يا عديّ إنَّ أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار .

[ماويّة تطلق حاتماً وتتزوّج من ابن عمه]

وكانت ماويّة عنده زماناً ، وإنّ ابنَ عمٍّ لحاتم كان يُقال له : مالك قال لها : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنّه ، وإن لم يَجِدْ ليتكلفنّ ، وإنْ مات ليتركنّ ولده عِيالاً على قومك ، فقالت ماويّة : صدقت ، إنّه كذلك .

وكان النساءُ ، أو بعضهنّ ، يُطلِّقْنَ الرجالَ في الجاهليّة ، كان طلاقهنّ أنّهنّ إنْ كنَّ في بيتٍ من شَعر حوَّلن الخِباءَ ؛ فإن كان بابُه قِبَلَ المشرق حوّلْنَه قبلَ المغرب ، وإن كان بابه قِبل اليمن حوَّلْنَه قِبَلَ الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل عِلم أنّها قد طلّقته فلم يأتِها . وإن ابنَ عمّ حاتم قال لماوية ، وكانت أحسنَ نساءِ الناس : طلّقي حاتماً ، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه ، وأكثر مالاً ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك ؛ فلم يزل بها حتى طلَّقَتْ حاتماً . فأتاها حاتم وقد حوَّلت بابَ الخِباء ، فقال : يا عديّ ، ما ترى أُمَّك عُدِيَ عليها ؟ قال : لا أدري ، غير أنّها قد غيَّرت بابَ الخِباء ، وكأنّه لم يلحن[1] لما قال ، فدعاه فهبط به بطنَ وادٍ ، وجاء قومٌ فنزلوا على بابِ الخباء كما كانوا ينزلون ، فتوافَوْا خمسين رجلاً ، فضاقَتْ بهم ماوية ذَرْعاً ، وقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالك فقولي له : إنّ أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرْسِلْ بناب[2] نَقْرِهم ولَبنٍ نَغْبقهم[3] . وقالت لجاريتها : انظري إلى جَبينه وفَمه فإن شافَهك بالمعروف فاقْبَلي منه ، وإنْ ضرب بلحيته على زَوْرِه ، وأدخل يدَه في رأسه فاقفُلي ودعيه . وإنّها لّما أتت مالكاً وجدته

1 لم يلحن : لم يفطن .

2 الناب : الناقة المسنة .

3 الغبوق : ما يشرب في المساء .

متوسِّداً وَطْباً[1] من لبن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره ، فأبلغته ما أرسلتْها به ماوية ، وقالت : إنّما هي الليلةُ حتى يعلم الناسُ مكانَه .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أَمَرْتُكِ أَنْ تطلّقي حاتماً فيه ، فما عندي من كبيرة قد تركَت العمل ، وما كنْتُ لأنحر صَفِيَّةً[2] غزيرة بشَحْمِ كُلاها ، وما عندي لبنٌ يكفي أَضياف حاتم .

فرجعت الجاريةُ فأخبرتها بما رأتْ منه ، وما قال ؛ فقالت : ائت حاتماً فقولي : إن أَضيافَك قد نزلُوا الليلةَ بنا ، ولم يَعلَمُوا بمكانك . فأَرْسِلِ إلينا بنابٍ ننحرها ونقرهم وبلبن نَسقِهم ؛ فإنّما هي الليلة حتى يعرفوا مكانَك .

فأتت الجارية حاتماً فصرخَتْ به .

فقال حاتم : لبيكِ ، قريباً دَعَوْتِ . فقالت : إنَّ ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : إنَّ أَضيافَك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسلْ إليهم بناب ننحرها ولبَنٍ نَسقهم . فقال : نعم وأبي ، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثَنِيَّتَين من عِقالَيْهما ، ثم صاح بهما حتى أَتى الخباء فضرب عراقيبَهما ، فطفقت ماويّة تصيح وتقول : هذا الذي طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شيء ، فقال حاتم[3] : [من الطويل]

هل الدَّهرُ إلاَّ اليومُ أَو أَمسِ أَوغَدُ كـذاكِ الزمـانُ بيننـا يَتَرَدَّدُ
يَـرُدُّ علينـا ليلـةً بعـد يَوْمِها فلا نَحْنُ ما نَبْقى ولا الدَّهْرُ يَنْفَدُ
لنـا أَجَـلٌ إمّـا تَناهـى أُمامه فنحـن عـلى آثـارِه نتورَّدُ
بنـو ثُعَلٍ قومـي فما أَنـا مُدَّعٍ سِواهُمْ إلى قوم ومـا أَنا مُسْنِدُ
بدَرْئهـمُ أَغْشى دُرُوءَ مَعـاشِرٍ ويحنف عَنّـي الأَبْلَـخُ المُتَعَمِّدُ[4]
فمهـلاً فِـداكِ اليومَ أُمِّي وخالتي فـلا يأمُرَنّـي بالدَّنيـة أَسْوَدُ
على حين أَن ذَكيت واشتدَّ جانبي أُسامُ التي أَعْيَيْتُ إذْ أَنـا أَمْرَدُ[5]

---

1 الوطب : سقاء اللبن .
2 الصفية : الناقة الصغيرة .
3 ديوانه : 34–35 .
4 الدرء : الاندفاع . ويحنف : يميل . الأبلخ : المتكبر . وفي الديوان : الأبلج ، وهو الطلق الوجه .
5 الديوان : على جبن إذ كنت . . . وذكيت : عقرت وذبحت .

فهل تركَتْ قَبْلي حضُورَ مكانِها ! وهل مَنْ أتى ضَيْماً وخَسْفاً مخلَّدُ
ومُعتَسَفٍ بالرُّمْحِ دونَ صِحابه تعسَّفْتُهُ بالسَّيْفِ والقومُ شُهَّدُ
فخَرَّ على حُرِّ الجَبين وذادَه إلى الموتِ مَطرورُ الوَقِيعةِ مِذْوَدُ[1]
فما رمْتُه حتى أزحْتُ عَوِيصَهُ وحتى عَلاه حالِكُ اللَّوْنِ أسودُ
فأقسمتُ لا أمشي على سرِّ جارتي يَدَ الدَّهْرِ ما دام الحَمامُ يغرِّدُ
ولا أشْتَري مالاً بِغَدْرٍ علِمْتُهُ ألا كُلُّ مالٍ خالطَ الغَدْرَ أنْكَدُ
إذا كان بعضُ المالِ ربّاً لأهْلِهِ فإنّي بحمدِ الله مالي مُعَبَّدُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤكل طيِّباً ويُعطى إذا ضَنَّ البخيل المُصَرِّدُ[2]
إذا ما البخيلُ الخبُّ أخْمَدَ نارَه أقولُ لِمَنْ يصْلى بناريَ : أوْقِدُوا
توسَّعْ قليلاً أو يكن ثَمَّ حَسْبُنا ومُوقدها البادِي أعَفُّ وأحمدُ
كذاك أُمُورُ الناسِ راضٍ دَنِيَّةً وسامٍ إلى فَرْعِ العُلا مُتَوَرِّدُ
فمنهم جوادٌ قد تلفَّتَ حَوْلَه ومنهم لئيم دائم الطّرف أقْوَدُ
وَداعٍ دَعاني دَعْوَةً فأجَبْته وهل يَدَعُ الدَّاعِين إلاّ اليَلَنْددُ[3]

[هكذا فصادتي]

أسرت عنزةُ حاتماً ، فجعل نساءُ عنزَة يُدارِئْنَ بَعِيراً ليفصدْنه فضَعُفْن عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفاصِدُه أنْتَ إنْ أطلقنا يدَيْكَ ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يَدَيْه ، فوجأ لَبَّته فاستدمينه . ثم إنّ البعير عَضِد ، أي لَوى عُنُقَه ، أي خَرَّ ، فَقُلن : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادتي[4] ، فجرت مثلاً . قال : فلطمته إحداهنَّ ، فقال : ما أنتنَّ نساء عنزة بكِرام ، ولا ذواتِ أحلام . وإن امرأةً منهنّ يقال لها : عاجزة أُعجبت به ، فأطلقَتْه ؛ ولم ينقِمُوا عليه ما فعل ، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده[5] : [من الطويل]

كذَلِكَ فَصْدِي إنْ سألتِ مِطِيَّتي دَمُ الجَوْفِ إذْ كلُّ الفِصادِ وَخِيمُ

1 مطرور الوقيعة : السيف .
2 التصريد : التقليل .
3 اليلندد : الخصم الشحيح ، وفي الديوان : المبلد ، وهو العاجز الضعيف الهمة .
4 المثل «هكذا فصدي» في معجم الميداني 2 : 394 .
5 ديوانه : 85 .

[غلام جواد]

أقبل ركْبٌ من بني أَسد ومن قَيس يريدون النُّعمان ، فلقوا حاتماً ، فقالوا له : إنّا تركنا قومنا يُثنون عليك خيراً ، وقد أرسلوا إليكَ رَسولاً برسالة . قال : وما هي ؟ فأَنشده الأَسديُّون شعراً لعَبيد ولِبشْر يمدحانه ، وأَنشد القيسيُّون شعراً للنابغة . فلمّا أُنشدوه قالوا : إنّا نستحي أن نسأَلكَ شيئاً ، وإن لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا قد أُرجل[1] ، فقال حاتم : خذُوا فَرسي هذه فاحملوا عليها صاحبَكم . فأُخذوها وربطت الجارية فِلْوَها بثوبها ، فأَفلت ، فاتّبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفِلْو والجارية .

وإنّهم وردوا على أُبي حاتم ، فعرف الفَرس والفِلْو ، فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بغلامٍ كريمٍ فسأَلناه ، فأَعطى الجسيم .

[أبو الخيبري مرّة أخرى]

قال : وكنّا عند معاوية فتذاكرنا الجُود ، فقال رجل من القوم : أَجودُ الناس حيّاً وميتاً حاتم ؛ فقال معاوية : وكيف ذلك ؛ فإنّ الرجل من قريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قطّ ولا قومه ، فقال : أخبرك يا أمير المؤمنين ، أنَّ نفراً من بني أسد مرُّوا بقَبْرِ حاتم ، فقالوا : لنبخّلنَّه ولنخبرَنّ العرب أنّا نزلْنا بحاتم ، فلَم يقرنا ، فجعلوا يُنادُون : يا حاتم أَلا تَقْري أضيافك ! وكان رئيس القوم رجل يقال له : أَبا الخَيْبَرِيّ ، فإذا هو بصوتٍ ينادي في جوف الليل : [من المتقارب]

أَبـا خَيْبريٌّ وأَنت امرؤٌ ظلـوم العشيرة شَتَّامُها

إلى آخرها ، فذهبوا ينظرون ، فإذا ناقةُ أَحدهم تكُوس على ثلاثة أَرجل عقيراً . قال : فعجب القومُ من ذلك جميعاً .

[حاتم وأوس بن سعد]

وكان أَوس بن سعد قال للنُّعمان بن المنذر : أَنا أُدخلك بين جبلي طَيِّىء حتى يدين لك أَهلهما ، فبلغ ذلك حاتماً ، فقال[2] : [من الكامل]

1 أُرجل : لم تعد له مطية .

2 ديوانه : 65–66 .

ولقــد بَغــى بِخَلاد أُوسٌ قومَه ... ذُلاًّ وقــد علمَتْ بذلكَ سِنْبِسُ[1]
حاشا بَني عَمْرِو بْنِ سِنْبِسَ إنّهم ... مَنَعُـوا ذِمـارَ أَبيهم أَنْ يدنَسوا
وتواعَــدُوا وِرْدَ القُرَيَّـة غُـدوَةً ... وحلفْـتُ بـاللهِ العزيز لَنحبِسُ
واللهُ يعلَـمُ لـو أتــى بِسُلافِهم ... طَرَفُ الجَرِيضِ لَظَلَّ يَوْمٌ مِشْكَسُ[2]
كالنّارِ والشّمسِ التي قالَتْ لهـا ... بيــد اللُّوَيمِسِ عالماً مـا يَلْمسُ[3]
لا يطعمــنَّ المــاءَ إنْ أَوْرَدْتَهم ... لِتَمامِ ظِمِئِكمُ ففُوزوا واحْلِسُوا[4]
أو ذو الحصين وفارِسٌ ذُو مِرَّة ... بكَتيبةٍ مَــنْ يُدْرِكُــوه يُفْرَسُ[5]
ومُوَطَّــأُ الأكنــافِ غير ملعَّــن ... في الحـــيِّ مَشَّاءٌ إليـه المَجْلِسُ

[يمدح بني بدر]

قال : وجاور في بني بَدْر زَمَن احتربت جَدِيلة وَثُعَلُ ، وكان ذلك زَمن الفساد ، فقال يمدح بني بدر[6] : [من الكامل]

إنْ كنْــتِ كارِهــةً مَعِيشتنا ... هاتِــي فَحُلِّي في بَنــي بَدْرِ
جاوَرْتُهــم زَمَنَ الفسادِ فَنِعْـ ... ـمَ الحيُّ في العَوْصاءِ واليُسرِ[7]
فسُقيــتُ بالمـاءِ النَّمير ولم ... يُنْظَــرْ إليَّ بــأَعيُنٍ خُــزْرِ[8]
ودعيتِ في أولى النـدى ولم ... ينظــرْ إليَّ بـأعين خــزرِ
الضاربــين لــدى أعنَّتِهــم ... والطاعنــين وخَيْلُهم تَجْري
الخالطين نَحِيتَهــم بنُضارِهُم ... وذَوِي الغِنى منهم بذِي الفَقْرِ

---

1 صدر البيت في الديوان : ولقد بغى بجلادِ أوسٍ قومُهُ . وخلاد : أرض ببلاد طيىء . والجلاد : الحرب . وسنبس : أبو حي من طيىء .
2 الجريض : غصص الموت . والمشكس : السيء الخُلق .
3 اللويمس : تصغير لامس .
4 حلس : أقام .
5 يفرس في الديوان : يغرس .
6 ديوانه : 54 .
7 العوصاء : الشدة والعسر .
8 الشطر الثاني في الديوان : أترك أواصر حمأة الجفر ، وفي ل أترك لأطلس حمأة الجفر . والحمأة : الطين . والجفر : اسم لأماكن كثيرة .

[يقيم في قيد أسير ليطلقه]

وزعموا أنّ حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلبُ حاجةً ، فلمّا كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم : يا أبا سَفّانة ؛ أكلَني الإسار والقمل ، قال : وَيلَك ! واللهِ ما أنا في بلادِ قومي ، وما معي شيء ، وقد أسأتَ بي إذ نوَّهْتَ باسمي ، وما لَكَ مَتْرَك . فساوم به العَنَزيّين فاشتراه منهم ، فقال : خلُّوا عنه وأنا أُقيمُ مكانه في قَيْدِهِ حتى أُؤدّي فِداءه ، ففعلوا ، فأُتِيَ بفدائه .

[ذبح فرسه ليطعم جيرانه]

وحدَّث الهيثم بن عديّ ، عمّن حدّثه ، عن ملحان ابن أُخي ماوية امرأة حاتم ، قال : قلت لماوية : يا عمّة ، حدِّثيني بِبَعْضِ عجائب حاتم ، فقالت : كلُّ أمره عجبٌ ، فعن أيِّه تسألُ ؟ قال : قلت : حدِّثيني ما شئْتِ ، قالت : أصابت الناسَ سنةٌ ، فأذهبت الخُفَّ والظِّلف ، فإنّي وإيّاه ليلةً قد أسهرنا الجوعُ ؛ قالت : فأخذ عديّاً وأخذتُ سَفّانة ، وجعلنا نُعلِّلُهما حتى ناما ، ثم أقبل عليّ يحدِّثني ويعلِّلني بالحديث كي أنام ، فرققْتُ له لما به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمتِ ؟ مِراراً ، فلم أُجِب ، فسكتّ فنظر في فتق الخِباء فإذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسَه فإذا امرأةٌ . فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سَفّانة ، أتيتُك من عند صِبْيَةٍ يتعاوَوْن كالذئاب جُوعاً ، فقال : أحضريني صِبيانك ، فواللهِ لأشبِعنَّهم . قالت : فقمتُ سريعاً فقلت : بماذا يا حاتم ! فوالله ما نام صِبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل ! فقال : والله لأُشبعنَّ صبيانك مع صبيانها .

فلمّا جاءتْ قام إلى فرسه فذبحها ، ثم قدح ناراً ثم أجّجها ، ثم دفع إليها شفرة ، فقال : اشتوي ، وكُلي ، ثم قال : أيقظي صبيانك . قالت : فأيقظتهم ، ثم قال : والله إنَّ هذا لَلُؤْمٌ ؛ تأكلون وأهل الصِّرْم[1] حالهم مثل حالكم ! فجعل يأتي الصِّرْمَ بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم بالنار . قال : فاجتمعوا حَوْلَ تلك الفَرس ، وتقنَّع بكسائه فجلس ناحيةً ، فما أصبحوا ومِنَ الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلاّ عَظْم وحافر ، وإنّه لأَشدُّ جوعاً منهم ، وما ذاقه .

[حاتم ومحرِّق]

أُتي حاتم مُحَرِّقاً فقال له محرّق : بايِعْني ، فقال له : إنَّ لي أُخوين ورائي ، فإنْ يأذنا لي أبايعك وإلاّ فلا ، قال : فاذهبْ إليهما ، فإنْ أطاعاك فأتني بهما ، وإن أَبيا فأذَنْ بحرب . فلمّا خرج حاتم قال[2] : [من الطويل]

1 الصرم : أبيات مجتمعة منقطعة عن الناس .

2 ديوانه : 77 .

أتـــاني مِـــن الرّيّـــان أُمْسِ رسالةٌ　　وعُذْوَى وغَيٌّ مـا يقول مُواسِلُ[1]
هُمــا سألاني مـا فعلتَ ؟ وإنّني　　كذلــك عمّـــا أحْدثا أنا سائلُ
فَقُلتُ : ألا كيف الزمان عليكما ؟　　فقــالا : بِخَيْرٍ كلُّ أرضِكَ سائلُ

فقال محرّق : ما أخواه ؟ قال : طرفا الجَبَل ، فقال : ومحلوفة لأُجلِّلنَّ مُواسلاً الرَّيطَ مصبوغاتٍ بالزيت ، ثم لأُشعِلَنَّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهل مرتَقىً بين مداخل سُبُلات[2] . فلمّا بلغ ذلك محرقاً قال : لأُقْدِمَنَّ عليك قريتك[3] . ثم إنّه أتاه رجل ، فقال له : إنّك إن تقدم القُرَيّة تهلك . فانصرف ولم يقدم .

[حاتم وأسير له]

غزت فزارةُ طيّئاً وعليهم حصين بن حذيفة ، وخرجت طيىء في طلب القوم ، فلحق حاتم رجلاً من بَدْر ، فطعنه ثم مضى ، فقال : إنْ مَرَّ بك أُحد فقل له : أنا أُسير حاتم . فمرَّ به أُبو حَنبل ، فقال : مَنْ أُنت ؟ قال : أنا أسير حاتم . فقال له : إنّه يقتلك ، فإن زعمتَ لحاتم أو لِمَنْ سألك أنّي أسرتك . ثم صِرْتَ في يدي خلّيتُ سبيلك . فلمّا رجعوا قال حاتم : يا أبا حَنْبل خَلِّ سبيلَ أسيري ، فقال أبو حنبل : أنا أُسرتُه ، فقـال حاتم : قد رضيتُ بقوله ، فقال : أُسرني أبو حنبل ، فقال حاتم[4] :　　[من الطويل]

إنَّ أُباكَ الجَونَ لم يَكُ غادراً　　أُلا مِنْ بَني بدر أُتتْكَ الغَوائلُ

صوت[5]

[من الطويل]

وهاجـرةٍ مِـــنْ دُونَ مَيَّـةَ لم تَقِلْ　　قَلُوصي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمَحُ[6]
بِتَيْهــاء مِقْفــارٍ يكــــادُ ارْتكاضُها　　بآل الضُّحى والهَجْرِ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ[7]

---

1 الديوان : أتاني من الديان . . . والريان ومواسل : جبلان .

2 المثل «جهل من لغانين إلى سبلات» في مجمع الميداني 1 : 178 . يضرب لمن يقدم على أمر يجهل ما فيه من المشقة والشدة . واللغانين : مداخل الأودية ، واحدها : لغنون . ومواسل والسبلات : جبال .

3 القرية : موضع بجبل طيىء .

4 لم يرِد هذا البيت في ديوانه .

5 ديوان ذي الرمة : 86–87 .

6 لم تقل : من القيلولة . والجون : الأسود . ويرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر .

7 الديوان : ببيداء مقفار . . .

الهجر هاهنا مرفوع بفعله ، كأنّه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . ويمصَح : يذهب بالطَّرْف .

كأنّ الفِرِنْدَ المَحْضَ معصوبةٌ بهِ ذُرا قُورِها يَنْقَدُّ عَنها ويُنْصَحُ
إذا ارفضَّ أُطرافُ السِّياط وهَلَّلتْ جُرومُ المَهارى عذَّبتهنَّ صَيْدَحُ

عروضه من الطويل .

الهاجرة : تكون وقْتَ الزوال . والجندب : الجرادة . والجوْن : الأسود . والجَوْن : الأبيض أيضاً : وهو من الأضداد . وقوله : يرمح ، أي ينزو من شدّة الحرِّ لا يكاد يستقرّ على الأرض . والتَّيْهاء من الأرض : التي يُتاه فيها . والمِقفار : التي لا أحد فيها ولا ساكن بها . ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعيّ . وارتكاضها ؛ يعني ارتكاض هذه التَّيْهاء ، وهو نزوها بالآل ، والآل : السراب . والهجر والهاجرة واحد . وقوله : الهجر بالطرف يمصَحُ ، رفع الهجر بفِعْلِه كأنّه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . يمصح : يذهب بالطَّرف . والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض ، وقد عصبت به ذرى قورها ، وهي الجبال الصغار والواحدة قارة ، فتارة يغطيها وتارة يَنْجابُ عنها وينكشف ، فكأنّه إذا انكشف عنها ينقدّ عنها ، وكأنّه إذا غطّاها ينصَح عنها ؛ أي يخاط . ويقال : نصحتُ الثوب ، إذا خِطْتَه ، والنّاصِحُ : الخيّاط ، والنِّصاح : الخيط . وقوله : ارفضّ أُطراف السياط ، يعني أنّها انفتحت أُطرافها من طُولِ السفر ؛ وأصل الارفضاض التفرّق . والجروم : الأبدان ، واحدها جِرم ، بالكسر . وقوله : هللت جروم المطايا ، يعني أنّها صارت كالأهلّة في الدّقّة . وصَيْدَح : اسم ناقته .

الشعر لذي الرّمة ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالوسطى .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثامن عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

18

جَميع الحُقوق محفوظَة
الطبعَة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعة الثانية
1426 هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429 هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[374] ـ ذكر ذي الرمّة وخبره[1]

اسمه غَيْلانُ بن عُقْبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

[أسباب تلقيبه بذي الرمّة]

وقال ابن سلاّم : هو غيلان بن عقبة بن بُهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان . ويكنى أبا الحارث ، وذو الرمّة لقبٌ . يقال : لقَّبته به ميَّة ؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسةٌ إلى جَنْب أُمّها فاستسقاها ماء ، فقالت لها أُمّها : قومي فاسقيه . وقيل : بل خرق إداوته لمّا رآها ، وقال لها : اخرُزي لي هذه ، فقالت : والله ما أُحسِنُ ذلك ، فإنّي لخرقاء . قال : والخَرْقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قَوْمها ؛ فقال لأُمّها : مُرِيها أن تسقِيَني ماء ، فقالت لها : قومي يا خَرْقاء فاسقيه ماء ، فقامت فأتَتْه بماءٍ ، وكانت على كتفه رُمَّة ؛ وهي قطعة من حَبْل ، فقالت : اشرب يا ذا الرُّمَّة ؛ فلُقِّب بذلك .

وحكى ابنُ قُتَيْبة أنّ هذه القصّة جرت بينه وبين خَرْقاء العامِريَّة .

وقال ابن حبيب : لُقِّبَ ذا الرُّمَّة لقوله[2] :

أَشعَثَ باقي رُمَّـــةِ التَّقليدِ

وقيل : بل كان يُصيبه في صِغَره فزَعٌ ، فكُتِبت له تميمة ، فعلّقها بحَبْل ، فلُقِّب بذلك ذا الرُّمَّة .

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، عن محمد بن صالح العدويّ ، عن أبيه ، وعن أشياخه ، وعِدّة من أهل البادية من بني عديّ ، منهم زُرْعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم : أنَّ أُمَّ ذي الرُّمَّة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدويّ وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتساباً بما

---

1 ترجمة ذي الرمة في الشعر والشعراء : 437–447 وطبقات ابن سلام : 550–570 والموشح : 170 وشرح شواهد المغني : 52 والسّمط : 81 ووفيات الأعيان 4 : 11–17 وخزانة البغدادي 1 : 106–110 والعيني 1 : 412 وانظر بروكلمان 1 : 220 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونيّة وقد نشر مكارتني ديوانه (كيمبرج 1919) ثم طبعه محققاً عبد القدوس أبو صالح في ثلاثة مجلدات ، ونعتمد في الإشارة إلى شعره على الطبعة السابقة .

2 ديوانه : 22 .

يقيم لهم صلاتَهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ؛ إنّ ابْني هذا يُرَوَّع بالليل ، فاكتب لي مَعاذةً أُعلِّقها على عنقه ، فقال لها : ائتيني برَقّ أكتب فيه ، قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له ؟ قال : فجيئيني بجلد ، فأتته بقطعة جِلد غليظ ، فكتب له مَعاذة فيه ، فعلّقته في عنقه ، فمكث دهْراً . ثم إنّها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَين وهو جالس في ملأ من أصحابه ومَواليه ، فدَنَتْ منه ، فسلّمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل ، ألا تسمع قولَ غَيْلان وشِعْرَه ؟ قال : بلى . فتقدَّم فأنشده ، وكانت المعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود ، فقال الحصين : أحسن ذو الرُّمَّة ؛ فغلبت عليه .

[إخوته كلّهم شعراء]

وقال الأصمعيّ : أُمُّ ذي الرُّمَّة امرأة من بني أَسد يُقال لها ظبية ، وكان له إخوة لأَبيه وأُمِّه شعراء ، منهم مسعود ، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرُّمَّة ويذكر ليلى بنته : [من الطويل]

إلى الله أَشكو لا إلى الناس أَنّني ... وليلى كِلانا مُوجَعٌ مات وافِدُهْ

ولمسعود يقول ذو الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

صوت

أقولُ لمسعود بِجَرْعاء مالكٍ ... وقد همَّ دَمْعِي أَن تَسِحَّ أَوائِلُهْ

أَلا هل تَرى الأظعان جاوَزْنَ مُشرِفاً ... من الرمل أو سالت بهنَّ سلاسلُهْ[2]

غنّى فيه يحيى بن المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى ، على مذهب إسحاق من رواية عَمرو .

ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرُّمَّة ، ويرثي أوْفى بن دَلْهَم ابنَ عمِّه . وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُرْوى عنه الحديث .

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان لذي الرُّمَّة إخوة ثلاثة[3] : مسعود ، وجِرْفاس ، وهشام ، كلّهم شعراء ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرُّمَّة أبياتاً أُخر ، فينشدها الناس ، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه : [من الطويل]

نعى الركبُ أوفى حين آبتْ رِكابُهم ... لعَمْري لقد جاؤوا بشَرٍّ فأوجعوا

نَعَوْا باسِقَ الأَخلاقِ لا يُخلَفونَه ... تكادُ الجبالُ الصُّمُّ مِنه تَصدَّعُ

---

1 ديوانه : 466 .

2 مشرف : موضع .

3 ابن قتيبة (441) وكان لذي الرّمّة إخوة ، هشام وأوفى ومسعود . وقال ابن سلام (565) : وكانوا إخوة ثلاثة : غيلان ، وهو ذو الرّمّة ، وأوفى ومسعود . وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر في الحاشية .

خوى المسجدُ المعمورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهمٍ فأَضحى بأَوْفى قومُه قد تضعضعوا
تعزَّيتُ عن أَوْفى بغَيْلانَ بَعْدَه عَزاءً وَجفنُ العين مـلآنُ مُتْرَعُ
ولم تُنْسِنِي أَوفى المصيباتُ بعده ولكنّ نَكْأً القَرْح بالقَرْحِ أَوْجَعُ

وأخوه الآخر هشام ، وهو ربّاه ، وكان شاعراً . ولذي الرُّمَّة يقول : [من الطويل]

أغَيلانُ إن ترجع قُوى الوُدِّ بيننا فكلُّ الذي ولّى من العيشِ راجعُ
فكنْ مثل أَقْصى الناسِ عندي فإنَّني بطول التَّنائي مِنْ أَخِي السوء قانِعُ

وقال ذو الرُّمَّة لهشام أخيه[1] : [من الطويل]

أغـرَّ هشاماً مـن أَخيـه ابنِ أُمِّه قـوادِمُ ضَأنٍ أقبلَـتْ ورَبيـعُ[2]
وهل تُخلِفُ الضأْنُ الغزارُ أخا النَّدى إذا حلّ أمـرٌ في الصُّدُورِ فَظِيعُ[3]

فأَجابه هشام فقال : [من الطويل]

إذا بانَ مالِي مِنْ سَوامِك لم يكُنْ إليـك وربِّ العالمـينَ رُجوعُ
فأَنتَ الفتى ما اهتزَّ في الزَّهَرِ النَّدى وأَنْتَ إذا اشتدَّ الزمـانُ مَنُوعُ

وذكر المهلّبيّ عن أبي كَرِيمة النحويّ ، قال : خرج ذو الرُّمَّة يسير مع أَخيه مسعود بأَرضِ الدَّهناء ، فسنحت لهما ظَبيةٌ ، فقال ذو الرُّمَّة[4] : [من الطويل]

أَقُولُ لدَهناويّـةٍ عَوْهَـجٍ جَـرَتْ لنـا بـين أَعلى بُرْقـةٍ بالصّرائمِ[5]
أَيـا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بـين جُلاجِلٍ وبـين النَّقـا آ أنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ !

وقال مسعود :

فلو تُحسِنُ التشبيهَ والنعْتَ لم تقُلْ لِشاةِ النَّقـا آ أَنْتِ أَمْ أُمّ سالمِ
جعلت لهـا قَرنَيْن فوق قُصاصِها وظِلْفَيْن مُسوَدَّيـن تحـت القوائِمِ[6]

وقال ذو الرُّمَّة[7] : [من الطويل]

1 ديوانه : 354 .
2 الديوان : يسرت وربيع .
3 الديوان : ولا تخلف . . . أخا الفتى .
4 ديوانه : 621 .
5 الدهناويّة : ظبية من ظباء الدهناء والعوهج : طويلة العنق . وبرقة : موضع . والصرائم : الرمال . وفي الديوان : أعلى عرفة .
6 قصاص الشعر : حيث تنتهي نبتته من مقدمه أو مؤخره .
7 ديوانه : 622 .

هِـيَ الشِّبْهُ لولا مِذْ رواها وأُذْنُها سواء ولـولا مَشْقَـةٌ في القَوائِمِ[1]

وكان ذو الرُّمَّة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة ، وكان طُفيليّاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن سعيد الكِنديّ ، قال : سمعت ابن عيّاش يقول : حدَّثني مَنْ رأى ذا الرُّمَّة طفيليّاً يأتي العُرُسات[2] .

[صفاته]

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن الزيّات ، قال : أخبرني محمد بن صالح العدويّ ، قال : قال زُرعة بن أذبول : كان ذو الرُّمَّة مدوَّر الوجه ، حسن الشَّعرة جَعْدها ، أقنى ، أنزع ، خفيف العارضين ، أكحَل ، حسن الضحك ، مُفَوَّهاً ، إذا كلَّمك كلَّمك أبلغ النّاس ، يضع لسانَه حيث يشاء .

وقال حمّاد بن إسحاق : حدّثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، عن عمّته عافية وغيرها من أهله : أنّهم رأوا ذا الرُّمَّة باليمامة عند المُهاجِر بن عبد الله شيخاً أَجْنأ سِناطاً[3] متساقطاً .

وقال هارون بن الزيّات : حدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدّثني ربيح النميريّ ، قال : اجتمع الناس مرّةً وتحلَّقوا على ذي الرُّمَّة ، وهو ينشدهم ، فجاءت أُمّه فاطّلعت من بينهم ، فإذا رجل قاعد وهو ذو الرُّمَّة . وكان دميماً شختاً[4] أَجْنَأ ، فقالت أُمّه : استمعوا إلى شِعْره ، ولا تنظروا إلى وجهِه .

قال هارون : وأخبرني يعقوب بن السكّيت ، عن أبي عدنان ، قال : أخبرني أسيد الغنويّ ، قال : سمعتُ ببادِيتنا من قوم هَضَبوا[5] في الحديث أنَّ ذا الرُّمَّة كان تِرْعِيَّةً[6] ، وكان كِنازَ اللحم مربوعاً قصيراً ، وكان أنفه ليس بالحسن .

[الإعجاب بشعره]

أخبرني ابن عمّار ، عن سليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن صالح بن سليمان قال : كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرُّمَّة ، وأهلُ البادية يُعجبهم شعرُه .

قال : وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرُّمَّة ، فأنشد يوماً قصيدةً له ، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع ؛ فقال : أشهد عَنَّك ، أي أنَّك ، لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تَتْلوه ، وكان يحسبَه قرآناً .

1 الديوان : . . . إلاّ مدرييها . . . وإلاّ مشقةٌ .

2 العرسات : جمع عُرُس . وهو طعام الوليمة .

3 الأجنأ : الذي يشرف كاهله على صدره . والسناط : الخفيف العارض .

4 الشخت : الخفيف الضامر .

5 هضبوا : أفاضوا .

6 ترعية : يحسن رعي الإبل .

نسختُ من كتاب محمد بن داود : وحدَّثني هارون بن الزيّات ، عن محمد بن صالح العدويّ ، قال : قال حمّاد الرّاوية : قال الكُميت حين سمع قول ذي الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

أَعاذِلُ قد أَكثرتِ مِنْ قول قائلٍ وعَيْبٌ على ذي الوُدِّ لَوْمُ العواذلِ

هذا واللهِ مُلهم ، وما عِلْمُ بَدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كَنْز العقل المعدّ لذوي الألباب ! أحسنَ ثم أحسن .

قال محمد بن صالح : وحدَّثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكُميت ، وقال : لمّا أَنشدَ قوله في هذه القصيدة[2] : [من الطويل]

دعاني وما داعي الهوى مِنْ بِلادِها إذا ما نأتْ خَرْقــاءُ عَنِّي بِغافِلِ

فقال الكُمَيْت : للهِ بلادُ هذا الغلام ! ما أحسن قوله ! وما أجود وصفه ! ولقد شفع البيتَ الأوَّل بمثله في جودة الفهم والفطنة ، وقال قولَ مُستسلم .

قال ابن كناسة : وقال لي حمّاد الراوية : ما أخَّر القومُ ذِكْرَه إلاّ لحداثة سنّه ، وأنّهم حسدوه .

قال محمد بن صالح : وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو : قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف : لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرُّمَّة ، ولا أحسن جواباً ؛ كان كلامه أكثر من شعره .

وقال الأصمعيّ : ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريّين وغيرهم شكا حُبّاً أحسن من شكوى ذِي الرُّمَّة ، مع عِفَّةٍ وعَقْلٍ رصين .

قال : وقال أبو عبيدة : ذو الرُّمّة يخبر فيُحسن الخبر ، ثم يردّ على نفسه الحجَّةَ من صاحبه فيحسن الردّ ، ثم يعتذر فيحسن التخلّص ، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف في الحكم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدّثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ ، عن مولًى لجدِّه ، قال : رأيتُ ذا الرُّمَّة بسوق المِرْبَد ، وقد عارضه رجلٌ يهزأُ به ، فقال له ، يا أعرابيّ ، أتشهد بما لَم تَرَ ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ؟ قال : أشهد أنَّ أباك ناك أُمَّك .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي عُبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير عند بعض الخلفاء ، فسأله عن ذي الرُّمَّة ، فقال : أخذ من طريف الشعر وحَسِنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : قال حمّاد الراوية : قدِم علينا ذو الرُّمَّة الكوفة ، فلم أرَ أفصح ولا أعلَم بغريب منه .

---

1 ديوانه : 500 .

2 ديوانه : 492 .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدَّثني أَبو عبيدة ، عن أَبي عمرو ، قال : خُتِم الشِّعْر بذي الرُّمَّة ، وختِم الرَّجَز برُؤبة .

قال : فما تقول في هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كَلٌّ على غيرهم ؛ إنْ قالوا حسناً فقد سُبِقوا إليه ، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن بعض أصحابه ، عن حمّاد الرّاوية ، قال : أحسَنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ، وذو الرُّمَّة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمِّه عبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل : أنَّ جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بني أُمَيّة ، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراد عن ذي الرُّمَّة ، فكلاهما قال : أخذ من طريف الشعر وحَسنه ما لم يسبقه إليه غيره . فقال الخليفة : أشهد لاتّفاقكما فيه أنّه أشْعَرُ منكما جميعاً .

أخبرني جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : حدَّثني أبي قال : أُنشِد الصَّيْقَلُ شعر ذي الرُّمَّة فاستحسنه ، وقال : ما لهُ قاتلَه الله ! ما كان إلاّ رُبيْقَة[1] ، هلاَّ عاش قليلاً !

وقال هارون بن محمد : أُخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق البلخيّ ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن ابن شُبرمة ، قال : سمعت ذا الرُّمَّة يقول : إذا قلتُ : كأنّه ، ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني .

قال هارون : وحدَّثني العبّاس بن ميمون طائع ، قال : قال الأصمعيّ : كان ذو الرُّمَّة أشعرَ النّاس إذا شبَّه ، ولم يكن بالمُفْلِق .

وحدَّثني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كان لذي الرُّمَّة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأَحد من الإسلاميِّين ، كان علماؤنا يقولون : أحسَنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤُ القيس ، وأحسَنُ أهلِ الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمَّة .

[حبّه لِمَيّ]

أُخبرني محمد بن يزيد قال : حدَّثنا حمّاد عن أَبيه عن أَبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمّته أُمّ القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأُمّ ميّ ، قالت : كنّا نازلين بأَسفل الدهناء ، وكان رهط ذي الرُّمَّة محاورين لنا ؛ فجلست ميّة ، وهي حينئذٍ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته ، تغسل ثياباً لها ولأُمّها في بيت منفرد ، وكان بيتاً رثّاً قد أخلق ، ففيه خروق ، فلمّا فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أُمّها ، فأقبل ذو الرُّمَّة حتى دخل إلينا ، ثم

---

1 الربقة : العروة من الحبل .

سلَّم ، ونَشد ضالَّةً وجلس ساعةً ثم خرج . فقالت ميّة : إنّي لأرى هذا العدويّ قد رآني منكشفة واطلع عليّ من حيث لا أدري ؛ فإن بني عديّ أخبث قوم في الأرض ، فاذهبي فقُصّي أثره فخرجت فوجدته ما يثبتُ مُقامه ، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردَّد أكثر من ثلاثين طرقة ، كلّ ذلك يدنو فيطّلع إليها ، ثم يرجع على عَقِبيه ، ثم يعود فيطّلع إليها ، فأخبرتها بذلك ، ثم لم تنشب أن جاءنا شِعْرُه فيها من كلّ وَجْه ومكان .

وذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازيّ : أنّ هارون بن مسلم بن سَعْد حدَّثه عن حسين بن براق الأسديّ ، عن عمارة بن ثقيف ، قال : حدَّثني ذو الرُّمَّة أن أول ما قاد المودَّة بينه وبين ميَّة أنّه خرج هو وأخوه وابن عمّه في بِغاء إبلٍ لهم ؛ قال : بينا نحن نسير إذ وردْنا على ماءٍ وقد أُجهدنا العطش ، فعدلنا إلى حِواءٍ[1] عظيم ، فقال لي أخي وابن عمّي : ائت الحِواء فاستَسْقِ لنا ، فأتيتُه وبين يديْه في رواقه عجوزٌ جالسة . قال : فاستسقيتُ ، فالتفتَتْ وراءَها فقالت : يا ميّ ، اسْقِي هذا الغلام . فدخلتُ عليها فإذا هي تنسج عِلْقةً[2] لها ، وهي تقول : [من الرجز]

يــا مَنْ يَرى بَرْقـاً يمُرُّ حِينا زَمْـزَمَ رَعْـداً وانتحى يمينا
كأنَّ في حافاتِـــهِ حنينـــا أو صوتَ خيـل ضُمَّرٍ يَرْدِينا

قال : ثم قامت تصبُّ في شكوتي[3] ماءً ، وعليها شَوْذب[4] لها ، فلمّا انحطتْ على القِرْبة رأيتُ مُولًّى لم أرَ أحسنَ منه . قال : فلهوْت بالنظر إليها ، وأقبلَتْ تصبُّ الماء في شكوتي والماء يذهبُ يميناً وشمالاً . قال : فأقبلت عليّ العجوز وقالت : «يا بنيّ أُلهتْكَ ميّ عمّا بعثك أهلُك له ، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً !» فأقبلت على العجوز فقلتُ : أما والله ليطولنَّ هُيامي بها .

قال : وملأْتُ شَكْوَتي ، وأَتيتُ أَخي وابن عمّي ، ولففتُ رأسي ، فانتبذتُ ناحيةً ، وقد كانت ميّ قالت : لقد كلَّفك أهلُكَ السَّفَر على ما أرى من صغرك وحداثة سنّك ؛ فأنشأتُ أقول[5] : [من الرجز]

قـد سَخِرَتْ أُختُ بنـي لَبيدِ منّي ومِنْ سَلْمٍ ومِـنْ وَليدِ[6]
رأَتْ غُلامَـيْ سَفَرٍ بعيـــدِ يَـدَّرِعانِ اللَّيْـــلَ ذا السُّدودِ

---

1 الحواء : مجموعة من البيوت المتدانية .
2 العلقة : قميص بلا كمّين .
3 الشكوة : وعاء من الجلد للماء واللبن .
4 الشوذب : الثوب الطويل .
5 انظر ديوانه : 157 .
6 قد سخرت في الديوان : قد عجبت . . . وهربت مني ومن مسعود .

مثـل ادِّراعِ اليَلْمَـقِ الجديد[1]

قال : وهي أوّل قصيدة قلتها ثم أتممتها :

هــل تعـرف المنزل بالوَحِيدِ

ثم مكثتُ أُهِيمُ بها في دِيارها عشرين سنة .

[زوج ميّ يأمرها أن تسبّه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن النوفليّ ، قال : سمعْتُ أبي يقول : ضاف ذو الرُّمَّة زوجَ ميّ في ليلةٍ ظلماء ، وهو طامع في ألاّ يعرفه زوجُها ، فيدخله بيتَه ، فيقريه فيراها ويكلِّمُها ، ففطن له الزَّوجُ وعرفَه فلم يُدْخِلْه ، وأخرج إليه قِراه ، وتركه بالعَراء ، وقد عرفته ميَّةُ ؛ فلمّا كان في جَوْفِ الليل تغنَّى غناء الرُّكبان قال[2] : [من الطويل]

أراجعــةٌ يــا مـــيُّ أيّامُنــا الأُلى بذِي الأَثْل أَم لا ، ما لهنَّ رجوعُ[3]

[غزله في خرقاء]

فغضب زوجُها ، وقال : قُومي فصيحي به : يا ابن الزّانية ، وأيُّ أيّام كانت لي معك بذي الأثل ! فقالت : يا سبحان الله ، ضيفٌ ، والشاعر يقول ! فانتضى السيفَ ، وقال : والله لأَضربنَّكِ به حتى آتِي عليك أو تقولي . فصاحت به كما أَمَرها زوجُها ، فنهض على راحلته ، فركِبها وانصرف عنها مُغْضباً يُريد أن يصرفَ مودَّتَه عنها إلى غيرها . فمرَّ بفَلْج في رَكْبٍ ، وبعضُ أصحابه يريد أن يرقع خُفَّه ، فإذا هو بجوار خارجاتٍ مِنْ بيتٍ يُرِدْنَ آخر ، وإذا خرقـاء فيهـنّ ، وهي امـرأةٌ مـن بنـي عامر ، فإذا جاريةٌ حُلْوةٌ شَهْلاء . فوقعَت عينُ ذِي الرُّمَّة عليها ، فقال لها : يا جارية ، أترقَعِين لهذا الرجل خُفَّه ؟ فقالت تهزأ به : أنا خَرْقاء لا أُحسِن أن أعمل ؛ فسمَّاها خرقاء ، وترك ذكر ميّ ؛ يُريد أن يغيظَ بذلك ميّاً . فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ، ثم لم يلبث أن مات .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه عن الأصمعيّ ، عن عمارة بن عقيل ، قال : قال جرير : خرجتُ مع المهاجِر بن عبد الله إلى حَجَّةٍ ، فلقينا ذا الرُّمَّة ، فاستنشده المهاجر فأنشده[4] : [من الطويل]

ومِنْ حاجتــي لَوْلا التَّنائي وربّما منحتُ الهَوى مَنْ ليس بالمُتَقاربِ

1 اليلمق : القباء .

2 ديوانه : 352 .

3 الديوان : بذي الرمث .

4 ديوانه : 56 .

عطابيلُ بِيضٌ مِـنْ ربيعة عامرٍ عِذابُ الثنايـا مُثقَلاتُ الحقائبِ[1]
يَقِظْنَ الحِمى والرَّمْلُ منهنَّ مَحْضَرٌ ويَشْرَبْنَ أَلبانَ الهِجـانِ النجائبِ[2]

فالتفت إليَّ المهاجر ، وقال : أتراه مجنوناً !

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : أخبرنا أبو البَيْداء الرّياحيّ ، قال : قال جرير : قاتل اللهُ ذا الرُّمَّة حيث يقول[3] : [من الطويل]

ومُنْتَزِعٍ مِـنْ بـين نِسْعَيْـهِ جِـرَّةً نشيجِ الشَّجا جاءت إلى ضِرْسِهِ نَزْرا[4]

أما والله لو قال : «ما بين جَنبيهِ» لما كان عليه مِنْ سبيل .

أخبرني الطوسيّ وحبيب المهلّبيّ ، عن ابن شبّة ، عن أبي غزالة ، عن هشام بن محمد الكلبيّ ، عن رجل من كندة ، قال : سئل جرير عن شِعرِ ذي الرُّمّة فقال : بعرُ ظِباءٍ ، ونقطُ[5] عروسٍ ، يضمحلُّ عن قليل .

[شعره في نظر جرير وأبي عمرو بن العلاء]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال : كان أبو عمرو بن العلاء يقول : إنّما شعر ذي الرُّمَّة نَقْط عروس يضمحلّ عن قليل وأبعارٌ لها مَشَمّ في أوّل شمّة ، ثم تعودُ إلى أرواح البَعَر .

قال أبو زيد بن شبّة : قال أبو عبيدة : وقف الفرزدقُ على ذي الرُّمَّة وهو ينشد قصيدته (الحائيّة) التي يقول فيها[6] : [من الطويل]

إذا ارْفَضَّ أَطرافُ السِّياط وهُلِّلَتْ جُرومُ المطايـا عذَّبتهنَّ صَيْدَحُ[7]

فقال ذو الرُّمَّة : كيف تسمعُ يا أبا فِراس ؟ قال : أَسمعُ حَسناً ، قال : فما لي لا أُعَدُّ في الفحول من الشعراء ؟ قال : يمنعك من ذلك ويُباعدك ذِكرُك الأبعار وبكاؤك الديار ، ثم قال[8] : [من الطويل]

ودَوِّيَّـةٍ لو ذُو الرُّمَيْمَـةِ رامَهـا لقصَّر عنهـا ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ[9]

---

1 الديوان : عطابيل بيض من ذؤابة عامر رقاق الثنايا مشرفات الحقائب
2 صدر البيت في الديوان : يقظن الحمى والرمل منهن مربع
3 ديوانه : 173 .
4 نشيج الشجا : كأنّه يتنفس الصعداء كالذي اعترض حلقه عود .
5 نقط العروس : ما تنقط به العروس خدها من السواد لتجعله كالخال .
6 ديوانه : 87 .
7 جروم : جمع جرم وهو الجسد . هللت : صارت كالأهلة من الهزال . وصيدح : ناقة ذي الرّمّة .
8 ديوان الفرزدق 1 : 124 .
9 الشطر الثاني في الديوان : وصيدحُ أوْدى ذو الرميم وصيدحُ . والدويّة : المفازة .

قطعتُ إلى معروفها منكراتِها ... إذا اشتدّ آلُ الأمْعَزِ المتوضِّحُ[1]

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبر : فقام إليه ذو الرُّمّة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً ، فقال : إنّهما بيتان ، ولن أزيد عليهما شيئاً .

قال : وكان عمر بن شبّة يقول عمَّن أخبره عن أبي عمرو : إنّما شعره نقط عروس تضمحل عمّا قليل ، وأبعار ظباء لها مشمّ في أوّل شمّها ، ثم تعود إلى أرواح الأبعار .

[هواه مع الفرزدق على جرير]

وكان هوى ذي الرُّمّة مع الفرزدق على جرير ؛ وذلك لِما كان بين جرير وابن لجأ التَّيْميّ ، وتَيْمٌ وعديٌّ أخوان من الرِّباب ، وعُكْل أخوهم ، ولذلك يقول جرير لعُكَل[2] : [من الطويل]

فلا يضغمنَّ الليثُ عُكْلاً بغِرَّةٍ ... وعُكلٌ يَشمُّونَ الفَرِيسَ المنيَّبا

الفَرِيس هاهنا ابن لجأ ، وكذلك يفعل السبع إذا ضغم[3] شاةً ثم طُرد عنها ، أو سبقته ، أقبلت الغنمُ تشمُّ موضع الضَّغْم ، فيفترسها السبع ، وهي تشمّ ، ولذلك قال جرير لبني عديّ[4] : [من الوافر]

وقُلْتُ نصاحةً لبَني عَدِيٍّ ... ثيابَكم ونَضْحَ دَمِ القَتيلِ

يحذّر عديّاً ما لَقِي ابن لجأ .

[الفرزدق ينتحل أبياتاً له]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام أنَّ أبا يحيى الضبِّيّ قال : قال ذو الرُّمّة يوماً : لقد قلتُ أبياتاً إنّ لها لعُروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً . قال له الفرزدق : ما هي ؟ قال : قلت[5] : [من الطويل]

أحين أعاذَتْ بي تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدْتُ تجريدَ اليماني من الغِمْدِ

ومَدَّت بضَبْعَيَّ الرَّبابُ ومالِكٌ ... وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائي بنو سَعْدِ

ومن آلِ يَرْبوعٍ زُهاءٌ كأنَّه ... زُها اللَّيْلِ محمودُ النِّكايَةِ والرِّفْدِ

فقال له الفرزدق : لا تعودَنَّ فيها ، فأنا أحقُّ بها منكَ ، قال : والله لا أعودُ فيها ولا أنشدها أبداً إلاّ لك ؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها[6] : [من الطويل]

1 الشطر الثاني في الديوان : إذا خب آلٌ دونها يتوضح . والأمعز : المكان الكثير الحصى .

2 ديوان جرير : 20 .

3 ضغم الشاة : عضّها .

4 ديوان جرير : 352 .

5 ديوان ذي الرّمّة : 142 . وديوان الفرزدق 1 : 177 وفيه «دجى الليل» .

6 ديوان ذي الرمّة : 142 وديوان الفرزدق 1 : 177 .

وكُنَّا إذا القَيْسيُّ نَبَّ عَتُوده ضَرَبْناه فوْقَ الأُنثيين على الكَرْدِ

الأُنثيان : الأذنان . والكَرْد : العُنُق .

وروى هذا الخبر حمّاد عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك الفقيميّ قال : بينا أنا بكاظمة وذو الرُّمَّة يُنْشِدُ قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

أحِينَ أعاذَتْ بِي تَمِيمُ نساءَها

إذا راكبان قد تدلَّيا مِنْ نَقْب كاظمة مُقنَّعان فوقفا . فلمّا فرغ ذو الرُّمَّة حسر الفرزدق عن وجْهه وقال لِراوِيته : يا عُبيد ، اضممْ إليك هذه الأبيات . قال له ذو الرُّمَّة : نشدتُك الله يا أبا فراس ! فقال له : أنا أحقُّ بها منك ، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات .

[تهاجيه مع هشام المرئي]

حدَّثنا محمد ، قال : حدَّثنا أبو الغرّاف ، قال : مرَّ ذو الرُّمَّة بمنزلٍ لامرىء القَيْس بن زيد يُقال له : مرأة ، به نَخْل ، فلم ينزلوه ولم يقروه ، فقال[1] : [من الطويل]

نَزَلْنا وقد طال النّهارُ وأوْقَدَتْ علينا حصى المَعزاء شَمْسُ تنالُها[2]

أنَخْنا فَظُلِّلنا بأبْرادِ يُمْنَةٍ عِتاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقالُها[3]

فلمّا رآنا أهلُ مَرْأةَ أغلقوا مخادِعَ لم تَرفَعْ لخيرٍ ظِلالُها[4]

وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امرىء القيس قَريةٌ كِرامٌ صَوادِيها لِئامٌ رِجالُها[5]

فلجَّ الهجاءُ بين ذي الرُّمَّة وبين هشام المرئيّ ، فمرَّ الفرزدق بذي الرُّمَّة وهو ينشد[6] : [من الطويل]

صوت

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي فما زِلْتُ أَبْكِي عنده وأُخاطِبُهْ

وأُسقِيهِ حتى كاد مِمّا أُبثُّه تُكلِّمني أحجارُه وَمَلاعبُهْ

غنّى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مُطلق في مجرى البنصر ، وسيأتي خبره بعد لئلاّ ينقطع هذا الخبر .

---

1 ديوان ذي الرّمّة : 542 .

2 طال النهار في الديوان : غار النهار .

3 رواية الديوان :

بنينا علينا ظل أبراد يمنة على سمك أسياف قديم صقالها

4 الديوان : فلمّا دخلنا جوف مرأة غلقت دساكر لم ترفع لخير ظلالها

5 الصوادي : جمع صادية ، وهي النخلة التي امتدت جذورها إلى الماء فهي لا تحتاج إلى سقي.

6 ديوانه : 38 .

فقال له الفرزدق : أَلهاك البكاء في الديار ، والعبْدُ يرتجز بك في المقابر ، يعني هشاماً .

وكان ذو الرُّمَّة مستَعْلِياً هشاماً حتى لقِي جريرٌ هشاماً ، فقال : غلبك العبدُ ، يعني ذا الرُّمَّة . قال : فما أصْنَع يا أبا حَزْرَة ، وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ ، والرَّجزُ لا يقوم للقَصيد في الهِجاء ؟ ولو رَفَدْتَني ، فقال جرير ، لتُهمَتِه ذا الرُّمَّة بالميل إلى الفرزدق ، قل له[1] : [من الطويل]

غَضِبْتُ لرَجْلٍ منْ عَدِيّ تشمَّسوا ... وفي أيِّ يَـوْمٍ لم تَشَمَّسْ رجالُها[2]

وفيم عَديٌّ عنـد تَيْـمٍ من العُلا ... وأيّامنـا اللاَّتـي تُعَـدُّ فَعالُها

وَضَبَّةُ عَمِّي يا ابنَ جُلٍّ فلا تَرُمْ ... مَساعِيَ قـومٍ ليس منكَ سِجالُها

يُماشي عَدِيّـاً لؤمُهـا ، لا تُجِنُّه ... من الناس ما مَسَّت عَدِيّاً ظِلالُها

فقـل لعـديٍّ تَستعـنْ بنسائِها ... عـليّ فقـد أَعْيـا عَدِيّاً رِجالُها

أَذا الرُّمِّ قـد قَلَّدْتَ قومَك رُمَّةً ... بطيئـاً بأمـر المُطْلِقيـن انحلالُها

قال أبو عبد الله : فحدّثني أبو الغرّاف ، قال : لمّا بلغت الأبياتُ ذا الرُّمَّة قال : والله ما هذا بكلام هشام ، ولكنّه كلامُ ابن الأَتان[3] .

أَخبرنا أَبو خليفة ، قال : حدَّثنا ابن سلاّم ، قال : وحدَّثني أَبو البَيْداء قال : لمّا سمعها قال : هو والله ينتمي شِعْرَ حنظليٍّ عُذريٍّ ، وغلب هشام على ذي الرُّمَّة بها[4] .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدَّثني أَبو عبيدة ، قال : حدَّثني فلان المرئيّ ، قال : أتانا جرير على حمار ، وأنا لا أعرفه ، فأُتي بنبيذ فشرب ، فلمّا أخذ فيه قال : أين هشام ؟ فدُعِي ، فقال له : أنشدني مـا قلـتَ في ذي الرُّمَّة ، فأنشده ، فجعل كلّما أنشده قصيدةً قال : لم تصنع شيئاً ؛ ثم قال له : قد دَنا رَواحِي فارْدُدْ هذه الأبيات ومُر شُبّانكم برِوايتها ، وذكر الأبيات التي أوّلها قوله : [من الطويل]

غَضِبْتَ لرَجْلٍ من تميم تَشَمَّسُوا

[جرير يرفد ذا الرُّمَّة]

قال : فغلبه هشام بها ، فلمّا كان بعد ذلك لقي ذو الرُّمَّة جريراً فقال : تعصَّبْتَ على خالك للمرئيّ . فقال جرير : حيث فعلتُ ماذا ؟ قال : حين تقولُ للمرئيّ كذا وكذا . فقال

1 ديوان جرير : 390 .

2 الديوان : عجبت لرجل . . . لم تشمس رحالها . ويروى غضبت لرحل . . .

3 ابن الأتان : يعني جريراً .

4 انظر طبقات ابن سلام : 557–559 .

جرير : لأنّك ألهاك البكاءُ في دار ميّة حتى استقبحتْه محارمُك .

قال : وقول ذي الرُّمَّة : تعصَّبتَ على خالك ، أنَّ النَّوار بنت جُلّ أمّ حَنظلة بن مالك ، وهي من رَهط ذي الرُّمَّة ، وكذلك عنى جرير بقوله[1] : [من الوافر]

ولــولا أن تقــولَ بنو عــديّ ألم تَــكُ أُمَّ حنظلة النَّــوارُ

أتتكم يــا بنــي مِلْكانَ منّي قصائــدُ لا تعاوَرُهــا البِحارُ

فقال ذو الرُّمَّة : لا ، ولكن اتهمتَني بالمَيْل مع الفرزدق عليك ، قال : كذلك هو ، قال : فوالله ما فعلتُ ، وحلف له بما يُرضيه ، قال : فأنشدني ما هجوتَ به المرئيّ ، فأنشده قوله[2] : [من الوافر]

نَبَتْ عَيْناك عن طَللٍ بِحُزْوى عَفَتْه الريح وامتضح القِطارا[3]

فأطال جدّاً ، فقال له جرير : ما صنعتَ شيئاً ، أفأرفدك ؟ قال : نعم ، قال : قل[4] : [من الوافر]

يَعُــدُّ الناسِبُون إلى تميــم بُيوتَ المَجْــدِ أربعةً كبارا[5]

يَمُــدُّون الرِّبــابَ وآلَ سَعْدٍ وعَمْراً ثــم حنظلةَ الخيارا[6]

ويَهْلِــك بينهــا المَرَئــيُّ لَغْواً كما أَلغَيْتَ في الدِّيَــةِ الحُوارا

ويروى : ويذهب بينها .

فغلبه ذو الرُّمَّة بها .

قال : حدَّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : حدَّثني جماعة من أهل العِلم أنَّ ذا الرُّمَّة مَرَّ بالفرزدق فقال له : أنشدني أحدَث ما قلت في المرئيّ ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ، ثم قال : أعِد ، فأعاد ، فقال : كذبت وايم الله ، ما هذا لك ، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، وما هذا إلاّ شعرُ ابن الأتان .

فلمّا سمعها المرئيّ جعل يلطم رأسَه ، ويصرخ ويدعو بوَيْله ، ويقول : قتلني جرير ، قتله الله ! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطةٌ في البحر لكدّرته ، قتلَني ، وفضحَني .

فلمّا استعلى ذو الرُّمَّة على هشام أتى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا : يا أبا حَزْرة ، عادتُكَ

1 ديوانه : 193 .

2 لم نعثر عليها في طبعات ديوان جرير .

3 امتضح : شان . وفي الديوان : امتنح : من المنحة .

4 ديوان ذي الرمّة : 196 .

5 الديوان : بيوت العز .

6 الديوان : يعدون الرباب لهم وعمراً وسعداً ثم حنظلة الخيارا

الحسنى ؛ فقال : هيهات ، ظلمتُ أحوالي ، قد أتاني ذو الرُّمَّة ، فاعتذر إليّ ، وحَلف فلستُ أعِينُ عليهم .

فلمّا يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتب وقد طلع بمكاتبته ، فأعطوه عشرة أعنز ، وأعانوه على مكاتبته ، فقال أبياتاً عَيْنيَّة يفضِّل فيها بني امرىء القيس على بني عديّ ، وهشاماً على ذي الرُّمَّة ، ومات ذو الرُّمَّة في تلك الأيّام ، فقال الناس : غَلَبه هشام .

قال ابن النّطاح : إنّما مات ذو الرُّمَّة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئيّ ، فقال الناس : غلبه ، ولم يغلبه ؛ إنّما مات قبل الجواب .

[قول ذي الرُّمَّة في شعره]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن محمد بن الحسن الأحول ، عن بعض أصحابه ، عن الشَّبّو بن قُسيم العُذْريّ ، قال : سمعتُ ذا الرُّمَّة يقول : مِنْ شعري ما طاوعني فيه القولُ وساعدني ، ومنه ما أجهدْتُ نفسي فيه ، ومنه ما جُننت به جنوناً ؛ فأمّا ما طاوعني القول فيه فقولي[1] :

خليليّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ

وأمّا ما أجهدتُ نفسي فيه فقولي[2] :

أإن تَوسَّمت من خَرْقاء منزلة

أمّا ما جُننت به جنوناً فقولي[3] :

ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكِبُ

[جرير يعجب ببائيّته]

أخبرني عليُّ بن سليمان ، عن محمد بن يزيد ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير يقول : ما أحببتُ أن يُنسب إليّ مِن شعر ذي الرُّمَّة إلاّ قوله :

ما بالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ

فإنّ شيطانه كان له فيها ناصحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : قال حمّاد الراوية : ما تمّم ذو الرُّمَّة قصيدته التي يقول فيها :

---

1 ديوانه : 491 ، وعجزه : بجمهور حزوى فابكيا في المنازل .

2 ديوانه : 567 وفيه :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

3 ديوانه : 1 وعجزه : كأنه من كلى مفرية سرب . وفيه «الماء» بدل «الدمع» .

مـا بـالُ عَيْنك منها الماء ينسكبُ

حتى مات ، كان يَزِيد فيها منذ قالها حتى تُوفّي .

[يسخر منه]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبي عدنان ، قال : أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز الباهليّ ، عن كثير بن ناجية ، قال : بينا ذو الرُّمَّة ينشد بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون إليه ، إذا هو بخيّاط يطالِعُه ، ويقول : يا غيلان [من الطويل]

أأنتَ الذي تستنطق الدارَ واقفاً مِنَ الجهل هل كانت بكنّ حلولُ ؟

فقام ذو الرمّة وفكّر زماناً ، ثم عاد فقعد في المِرْبَد ينشد ، فإذا الخيّاط قد وقف عليه ، ثم قال : [من الطويل]

أأنـت الذي شبّهت عَنْزاً بقفرةٍ لهـا ذَنَبٌ فـوق استِها أُمَّ سالمِ
وَقَرْنانِ إمّـا يَلزقـا بِـكَ يَتْركا بجَنْبَيْكَ يـا غيلانُ مِثلَ المواسمِ
جعلت لهـا قرنين فـوق شَواتها وراَبك منهـا مَشْقَةٌ في القَوائِمِ[1]

فقام ذو الرُّمَّة فذهب ، ولم يُنشد بعدها في المِرْبد حتى مات الخيّاط . قال : وأراد الخيّاط بقوله هذا قولَ ذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

أقـول لدَهْناوِيّةٍ عَوْهَـجٍ جَـرَتْ لنا بـين أَعْلى بُرقـةٍ في الصَّرائمِ
أيـا ظبية الوَعْساء بـين جُلاجلٍ وبـين النَّقا آأنْـتِ أم أُمُّ سالِمِ
هـي الشِّبْهُ لولا مِدْرياها وأذْنها سواء وإلاَّ مَشْقَـةٌ في القَـوائمِ[3]

فانتبه ذو الرُّمَّة لذلك ، فقال[4] : [من الطويل]

أقولُ بذِي الأَرْطى عشيَّةَ أُرشَقَتْ إلى الرَّكْبِ أعناقُ الظِّباء الخَواذلِ[5]
لأَدمـاءَ مِـن آرام بين سُوَيْقَةٍ وبين الجِبالِ العُفْر ذاتِ السَّلاسِلِ[6]
أرى فيكِ من خرقاء يا ظبيةَ اللِّوى مشابـهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائلِ

1 الشواة : قحف الرأس .
2 ديوانه : 621 وفيه «بين أعلى عرفة بالصرائم» .
3 مدرياها في الديوان : مدرييها .
4 ديوانه : 495 .
5 عشيّة أُرشقَتْ في الديوان : عشية أتلعت .
6 الديوان : لأدمانة من وحش . . . . وبين الحبال .

فعيناكِ عيناهـا وجِيدُكِ جِيدُها ... ولونـك لـولا أنّها غيرُ عاطلِ[1]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم .

[يفسر لرؤبة بيتاً للراعي]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السكريّ ، عن يعقوب بن السكّيت ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبي الغرّاف ، قال : قال ذو الرُّمَّة لرُؤبة : ما عَنى الراعي بقوله[2] : [من الطويل]

أناخا بأَسْوا الظَّنّ ثمّتَ عرَّسا ... قَلِيلاً وقـد أبقى سُهَيْلٌ فعَرّدا

فجعل رُؤبة يقول : هي كذا هي كذا ، لأشياء لا يقبلها ذو الرُّمَّة ، فقال له رؤبة : فمَهْ ؟ وَيْحَكَ ! قال : هي الأرض بين المُكلئة وبين المُجْدِبة .

[جرير والفرزدق يقران له]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبي عَدْنان ، عن إبراهيم بن نافع : أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره ، فقال له : مَنْ أشعر النّاس ؟ قال : أنا ، قال : أفتعلَم أحداً أشعَر منك ؟ قال : لا ، إلاّ أنّ غلاماً من بني عديّ بن كعب يركبُ أعجازَ الإبل ، وينعت الفَلَوات . ثمّ أتاه جرير فسأله ، فقال له مثل ذلك . ثمّ أتاه ذو الرُّمَّة فقال له : ويحك ! أنتَ أشعر النّاس ، قال : لا ، ولكنْ غلام من بني عقيل يُقال له : مُزاحم : يسكن الرَّوضات يقول وحشيّاً من الشعر لا نقدرُ على أن نقول مثلَه .

[كثيرة تنحله ذمّاً لميّ]

قال : وكان ذو الرُّمَّة يتشبَّب بميّ بنت طُلْبَةَ بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وكانت كثيرة[3] أَمَةً مُولّدة لآلِ قيس بن عاصم ، وهي أُمّ سَهْم بن بُرْدة اللصّ الذي قتله سِنان بن مُخَيَّس القشيريّ أيّام محمد بن سليمان ، فقالت كثيرة[4] : [من الطويل]

على وَجْه مَـيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاحَةٍ ... وتحت الثيابِ الخِزيُ لو كانَ بادِيا

---

1 الديوان :

فعيناك عيناها ولونـك لونها ... وجيـدك إلاّ أنّها غير عاطـل

2 ديوان الراعي النميريّ (فايبرت) : 89 وفيه :

أناخوا بأشوال إلى أهـل خبّـة ... طروقاً وقد أقعى سهيل فعردا

3 ابن سلام (559) : كنزة . وانظر تعليق الأستاذ محمود محمد شاكر في الحاشية . وقد ألحق محقق ديوانه هذه الأبيات به (675) .

4 انظر ملاحق الديوان .

أَلَـم تَــرَ أَنّ المــاءَ يخبثُ طعْمُه ولو كان لَوْنُ الماءِ في العينِ صافِيا

ونحلْتها ذا الرُّمَّة ، فامتعض من ذلك ، وحلف بجهد أيمانه ما قالها .

قال : وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دهري ، وأفنيتُ شبابي أُشبِّب بها وأمدَحُها ، ثم أقول هذا ! ثمّ اطَّلع على أنَّ كثيرة قالتهما ، ونحلتهما إيّاه .

[مية لا تردّ عليه السلام فيغضب ويقول في ذلك شعراً]

وقال هارون بن محمد : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : حدَّثني هارون بن سعيد ، قال : حدَّثني أبو المسافر الفقعسيّ ، عن أَبي بكر بن جَبَلة الفقعسيّ ، قال : وقف ذو الرُّمّة في رَكْبٍ معه على مَيّة ، فسلَّموا عليها ، فقالت : وعليكم إلاّ ذا الرُّمَّة ، فأحفظه ذلك وغمَّه ما سمع منها بحضرة القوم ؛ فغضب وانصرف وهو يقول[1] : [من الطويل]

أَيا ميّ قد أشمتِّ بي ويحك العِدا وقطَّعتِ حَبْلاً كان يــا ميّ باقيا

فيا مــيّ لا مرجوعَ للْوَصْلِ بيننا ولكــنّ هَجْــراً بيننـــا وتَقاليا

أَلَـم تَــرَ أَنَّ الماءَ يخْبثُ طعْمُه وإنْ كان لونُ الماء في العينِ صافيا

[ميّة العجوز]

أَخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن ابن النطّاح ، عن محمد بن الحجّاج الأسيديِّ من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، قال : مررتُ على ميّة وقد أسنّت ، فوقفت عليها وأنا يومئذٍ شابّ فقلت : يا ميّة ؛ ما أرى ذا الرُّمَّة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول[2] : [من الطويل]

صوت

أَما أَنْتَ عن ذِكراك مَيَّة مُقْصِرُ ولا أَنْتَ ناسي العَهْدِ منها فتذكُرُ

تَهيمُ بهــا ما تستفيقُ ودُونها حِجابٌ وأَبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّرُ

قال : فضحكت وقالت : رأيتَني يا ابنَ أخي وقد ولَّيتُ وذهبتْ محاسِني ، ويرحم اللهُ غَيْلان ، فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسنُ من النار الموقدة في الليلة القرَّة في عين المقرور ، ولن تبرحَ حتى أُقيمَ عندك عُذره ؛ ثم صاحت : يا أسماء ، اخرجي ؛ فخرجت جاريةٌ كالمهاةِ ما رأيتُ مثلها ، فقالت : أمّا لمن شبّب بهذه وهويها عُذر ؟ فقلت : بلى ، فقالت : والله لقد كنتُ أزمان كنت مثلها أحسنَ منها ، ولو رأيتني يومئذٍ لازْدَرَيْتَ هذه ازدراءك إيّاي اليوم ، انصرف راشداً .

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى .

---

1 البيتان الأول والثاني ليسا في ديوانه ولا في الزيادات .

2 البيتان في مزيدات الديوان : 666 .

[صفات ميّة]

أخبرني أبو خليفة ، قال : قال محمد بن سلاّم : قال أبو سوّار الغنويّ : رأيت مَيّة وإذا معها بُنون لها صغار ، فقلت : صِفْها لي ، فقال : مسنونةُ الوجه ، طويلة الخدّ شمّاء الأنف ، عليها وَسْم جمال ، فقالت : ما تلقَّيْتُ[1] بأحدٍ من بنيَّ هؤلاء إلاّ في الإبل ، قلت : أفكانت تنشدك شيئاً ممّا قاله ذو الرُّمَّة فيها ؟ قال : نعم ، كانت تسحّ سحّاً ، ما رأى أبوك مثله .

[نذر ميّة إذا رأت ذا الرُّمّة]

فأمّا ابن قتيبة فقال في خبره : مكثت ميَّة زماناً لا ترى ذا الرُّمَّة وهي تسمع مع ذلك شِعْرَه ، فجعلت لله عليها أنْ تنحرَ بدَنة يوم تراه ، فلمّا رأته رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجمل الناس قالت : واسوأتاه ! وابؤساه واضيعة بدَنتاه ! فقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ   وتحت الثيابِ الشَّيْنُ لو كانَ بادِيا

قال : فكشفت ثوبَها عن جسدها ، ثم قالت : أشيناً ترى لا أُمّ لك ! فقال : [من الطويل]

أَلم تَرَ أنَّ الماءَ يخبُثُ طَعْمُه   وإنْ كان لَوْنُ الماءِ أبيضَ صافيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شينَ فيه ، ولم يبق إلاّ أنْ أقول لك : هلمَّ ، حتى تذوق ما وراءه ، ووالله لا ذقْتَ ذاك أبداً ، فقال : [من الطويل]

فيا ضيعةَ الشّعرِ الذي لجّ فانقضى   بِمَـيًّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا

قال : ثمّ صلح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد لما كان عليه من حُبِّها .

[ابنة ميّة تنشد شعره في أمّها]

وذكر محمد بن عليّ بن حَفْص الجُبَيريّ الحنفيّ ، من ولد أبي جُبيرة ، أنَّ النَّوار بنت عاصم المنقريّة ، وأمّها ميّة صاحبة ذي الرُّمَّة ، أخبرته ، وقد ذكر عندها ذا الرُّمَّة ، وأنشدها قوله في أمّها[2] : [من الطويل]

هي البُرْء والأسقام والهـمُّ والمُنى   وموتُ الهوى في القَلْبِ منى المبرِّحُ[3]
وكان الهوى بالنأي يُمْحى فيمَّحي   وحُبُّكِ عنـدي يستَجِدُّ ويربحُ[4]

يربح ، أي يزيد الربح . هكذا ذكره الأصمعيّ .

1 تلقيت : حملت .

2 ديوانه : 83 .

3 الديوان :

هي البرء والأسقام والهم ذكرها   وموت الهوى لولا التنائي المبرح

4 الشطر الأول في الديوان : وبعض الهوى بالهجر يمحى فيمتحي .

إذا غَيَّر النــأيُ المحِبِّــين لم أَجِد رَسِيسَ الهوى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبرحُ[1]

فلمّا سمعت قوله :

إذا غَيَّـرَ النَّـأيُ المحبِّين . . .

قالت : قبَّحه الله ، هو الذي يقول أيضاً : [من الطويل]

على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ مِنْ مَلاحةٍ وتحت الثياب الشَّينُ لو كان بادِيا

فقلت لها : أكانت ميَّةَ جَدّتك ؟ قالت : لا ، بل أُمِّي ، فقلت لها : كم تَعُدِّين ؟ قالت : ستِّين سنة .

أخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أبي ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كانت ميّ صاحبة ذي الرُّمَّة من وَلد طَلِبة بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وكانت لها بنت عمّ من ولد قيس يقال لها : كثيرة أُمّ سلهمة ، فقالت على لسان ذي الرُّمَّة : [من الطويل]

على وَجْــه ميٍّ مَسْحَةٌ من مَلاحة

الأبيات . فكان ذو الرُّمَّة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه ، ويحلفُ أنّه ما قالها قطّ .

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبي الغرّاف الضبّيّ بمثله ، وقال فيه : إنّ كثيرة مولاة لهم ، وهي أُمّ سلهمة اللصّ الذي قتلته خَيْلُ محمد بن سليمان ، والله أعلم .

[ذو الرُّمَّة يقرأ ويكتب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبيّ ، عن ابن شبَّة ، عن المدائنيّ ، عن سلمة عن محارب ، قال : كان ذو الرُّمَّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، فقيل له : كيف تقول : عُزَير ابن الله أو عزير بن الله ؟ فقال : أكثرهما حروفاً .

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : قال عيسى بن عمر : قال لي ذو الرُّمَّة : ارفع هذا الحرْفَ ، فقلتُ له : أتكتب ؟ فقال بيده على فيه : اكتم عليّ فإنّه عندنا عَيْب .

[سرقة شعر رؤبة]

أخبرني ابن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ ، قال : قال رؤبة : كلّما قلتُ شعراً سرقه ذو الرمّة ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال : قلت :

حَــيُّ الشهيقِ ميّــتُ الأنفاسِ

فقال هو[2] : [من الرجز]

---

1 لم أجد في الديوان : لم يكد .

2 ديوانه : 482 .

يَطْرحنَ بالمهامـه الأغفالِ كلَّ جَهِيضٍ لَثِقِ السِّرْبالِ[1]

حـيٍّ الشهيق مَيِّتِ الأوصالِ

فقلت له : فقوله واللهِ أجودُ من قولك ، وإن كان سرقه منك ، فقال : ذلك أغمّ لي .

[منزلته من الراعي]

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبّة قال : قيل لذي الرُّمَّة : إنّما أنت راوية الرّاعي . فقال : أمَا والله لئن قيل ذاك ما مثَلي ومَثَله إلاّ شابٌّ صحِب شيخاً ، فسلك به طرقاً ثم فارقه ، فسلك الشابُّ بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ .

[ضعفه في الهجاء والمدح]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس ، عن الخراز عن المدائنيّ ، وأخبرني به إبراهيم بن أيّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، دخل حديثُ بعضِهم في حديث بعض قال : إنّما وضع من ذي الرُّمَّة أنّه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح ، وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال[2] : [من الوافر]

رأيـتُ الناسَ ينتجعون غَيثاً فقلتُ لِصَيْدحَ : انتَجعي بِلالا

فلمّا أنْشده قال له : أولم ينتجعني غير صَيْدح ؟ يا غلام ، أعطه حَبْل قَتٍّ لصَيْدَح ، فأخجله .

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : حدَّثني أبو الغرّاف قال : عاب الحكم بن عَوانة الكلبيُّ ذا الرُّمَّة في بعض قوله فقال فيه[3] : [من الطويل]

فلو كنتَ من كَلْبٍ صميماً هجوتكُم جميعاً ولكن لا إخالُكَ من كَلْبِ[4]

ولكنّمـا أُخبِرتُ أنّـك مُلْصَـقٌ كما أُلصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ القَعْبِ[5]

تدَهْدى فخرَّتْ ثُلْمَةٌ مـن صميمه فَكيفَ بـأخرى بالغِـراء وبالشَّعْبِ[6]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : وحدَّثني أبو الغرّاف قال : دخل ذو الرُّمَّة على بلالِ بن أبي بُردة ، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً ، فأنشده بلال أبياتَ حاتم طيِّء

---

1 الأغفال : التي ليس بها علامات يهتدى بها . الجهيض : الوليد لغير تمام . ولثق : مبتل . والسربال : جلده .

2 ديوانه : 442 .

3 ديوانه : 53 .

4 هجوتكم في الديوان : هجوتها .

5 الديوان : ولكنني خبّرت . . .

6 فكيف بأخرى في ل والديوان : فلزّ بأخرى .

قال[1] : [من الطويل]

لحـا اللهُ صُعْلُوكاً مُنـاهُ وهمُّه مِنَ العَيْشِ أَن يلقى لَبُوساً ومَطْعَما
يَرى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُه مِـنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما

[أبو عمرو بن العلاء يحكم في شعر حاتم]

هكذا أُنشد بلال ، فقال ذو الرُّمَّة : يرى الخَمْص تعذيباً ، وإنّما الخِمْسُ للإبل ، وإنّما هو خَمْص البطن ، فمحكَ بلال ، وكان مَحِكاً[2] ، وقال : هكذا أُنشدنيه رُواة طيِّىء ، فردَّ عليه ذو الرُّمَّة ، فضحك ؛ ودخل أبو عمرو بن العلاء ، فقال له بلال : كيف تنشدهما ؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال : كِلا الوَجْهَيْنِ جائز ، فقال : أَتأخذون عن ذي الرُّمَّة ؟ فقال : إنّه لفصيح وإنا لنَـأْخذُ عنه بتمريضٍ[3] . وخرجا من عنده . فقال ذو الرُّمَّة لأبي عَمْرو : واللهِ لولا أنّي أعلم أنّك حطبْتَ في حَبْلِه وملتَ[4] مع هواه لهجوتُك هِجاءً لا يقعُد إليك اثنان بعده .

[آراء في شعره]

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن محمد الزيّات ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل ، قال : قيل لبلال بن جرير : أيّ شعر ذي الرُّمَّة أجود ؟ فقال[5] :

هـل حبل خَرْقاءَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرْمُوم[6]

إنّها مدينة الشعر .

حدَّثنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال[7] : كان ذو الرُّمَّة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتادة من الحسن وابن سيرين ، كان يَرْوِي عنهما ويروى عن الصحابة ؛ وكذلك ذو الرُّمَّة ، وهو دونَهما ويساويهما في بَعْضِ شعره .

[معرفته بالغريب]

أُخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابن شبّة ، عن ابن معاوية ، قال : قال حمّاد الراوية : قدِم علينا ذو الرُّمَّة الكوفة فلم نَرَ أحسنَ ولا أفصحَ ولا أعلَمَ بغريبٍ منه ؛ فغمَّ ذلك كثيراً من أهل

---

1 انظر الخبر والبيتين في طبقات ابن سلام : 569 .
2 محك : يتمادى في اللجاجة .
3 تمريض الشيء : توهينه .
4 المثل «يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 .
5 ديوانه : 569 .
6 عجز البيت : أم هل لها آخر الدهر تكليم . وفي الديوان : بعد الهجر .
7 طبقات ابن سلام : 550 .

المدينة ، فصنعوا له أبياتاً وهي : [من الطويل]

رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها ... من الدَّهرِ يدري كيف خَلْقُ الأباعرِ
فقــال : شظايــا مَعْ ظبايا ألا لنا ... وأجفــل إجفــالَ الظَّليـم المبادرِ
فقلت له : لا ذَهْـل مِلْكَيْل بعدما ... مَـلا نَيفَـق التُّبَّان منـه بعاذرِ

قال : فاستعادها مرَّتين أو ثلاثاً ، ثم قال : ما أحسب هذا من كلام العرب .

[ذو الرُّمَّة والنحوي]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، عن العبّاس بن ميمون طائع ، قال : حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، عن عنبسة النحويّ ، قال : قلت لذي الرُّمَّة وسمِعتُه ينشد ويقول[1] : [من الطويل]

وعَيْنــان قــال الله كُونا فكانتا ... فَعُولَيْنِ بالألْبابِ ما تَفْعَل الخَمْرُ

قال : فقلت له : فهلاّ قلتَ : فَعُولان ؟ فقال : لو قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر ، كان خيراً لك ؛ أي أنّك أردْتَ القدر ، وأراد ذو الرُّمَّة كونا فعولين بالألباب ، وأراد عنبسة : وعينان فَعولان .

وروى هذا الخبرَ ابنُ الزيّات ، عن محمد بن عبادة ، عن الأصمعيّ ، عن العلاء بن أسلم ، فذكر مِثلَه .

[خطأ ابن شبرمة وخطأ ذي الرُّمَّة]

وحكى أنّ إسحاقَ بن سُوَيد المعارِضَ له قال : وأخبرني الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه قال : قدِم ذو الرُّمَّة الكوفة فوقف يُنشِد الناس بالكُناسة قصيدتَه الحائيّة ، حتى أتى على قوله : [من الطويل]

إذا غَيَّر النَّأْيُ المُحِبِّــين لم يَكدْ ... رَسيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرمة : يا غَيْلان ، أراهُ قد برَح . فشنق[2] ناقتَه ، وجعل يتأخَّر بها ويفكِّر . ثم عاد فأنشد قوله :

إذا غَيَّر النَّأْيُ المحبـين لم أجِدْ

قال : فلمّا انصرفت حدَّثتُ أبي ، فقال : أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذي الرُّمَّة ما أنشد ، وأخطأ ذو الرُّمَّة حين غيَّر شِعرَه لقول ابن شبرمة ، إنّما هذا مثل قول اللهِ عزّ وجلّ : ﴿ظُلماتٌ بَعضُها فوق بعض إذا أخرج يدَه لم يَكَدْ يَراها﴾[3] وإنّما معناه لم يرها ولم يكد .

1 ديوانه : 213 .
2 شنق ناقته : رفع رأسها وهو راكبها .
3 سورة النور ، الآية : 40 .

أخبرني الجوهريّ ، عن ابن شُبرمة ، عن يحيى بن نجيم قال : قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة : علام تعطي ذا الرُّمَّة ؟ فوالله إنّه ليَعْمد إلى مقطّعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال : والله لو لم أعطِه إلاّ على تأليفه لأعطيته ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[نقد رجل بالمربد له]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : حدَّثنا إسحاق الموصليّ ، عن الأصمعيّ ، قال : قال رجل : رأيت ذا الرُّمَّة بمِربَد البصرة وعليه جماعةٌ مجتمعة وهو قائم ، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار ، وهو ينشد ، ودموعُه تجري على لحيته :

مـا بـالُ عَيْنِك منها الماء يَنسَكِبُ

فلمّا انتهى إلى قوله[1] : [من البسيط]

تُصْغي إذا شَدَّهـا بالكُورِ جانحةً حتى إذا ما اسْتَوى في غَرْزِها تَثِبُ

قلتُ : يا أخا بني تميم ، ما هكذا قال عمُّك ، قال : وأيّ أعمامي يرحمك الله ؟ قلتُ : الراعي ، قال : وما قال ؟ قال : قلت : قوله[2] : [من المتقارب]

ولا تُعْجل المـرءَ قبـل الوُرو ك وَهْـيَ بركبتـه أَبْصَـرُ[3]
وهـيٌّ إذا قـام في غَرْزِها كمثـل السفينةِ إذ تُوقَـرُ[4]
ومُصْغِيَـة خَدَّهـا بـالزّما مِ فالرأس منهـا لَـهُ أصعَرُ[5]
حتـى إذا مـا اسْتَوى طبَّقَتْ كما طَبَّـقَ المِسحَـلُ الأَغْبَرُ[6]

قال : فأرتج عليه ساعة ، ثم قال : إنّه نعت ناقةَ مَلِكٍ ونَعتُّ ناقة سُوقةٍ . فخرج منها على رؤوس الناس .

[أخبار خرقاء وتشبيب ذي الرُّمَّة بها]

فأمّا السبَبُ بين ذي الرُّمَّة وخَرقاء فقد اختلف فيه الرّواة ؛ فقيل : إنّه كانَ يَهْواها ، وقيل : بل كاد بها ميّة ، وقيل : بل كانت كَحَّالة فداوَت عينه فشبّب بها .

1 ديوانه : 9 .
2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 103 .
3 الشعر والشعراء (445) :
ولا تعجل المرء قبل البرو ك وهـي بركبتهـا أبصر
4 إذ توقر في الديوان والشعر والشعراء : أو أوقر .
5 الشعر والشعراء : وواضعة . . . للزمام .
6 المسحل : الحمار الوحشي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن النوفليّ ، عن أبيه : أن زوج ميّة أمرها أن تَسُبَّ ذا الرُّمَّة غَيرةً عليها ، فامتنعت ، فتوعّدها بالقتل ، فسبَّته فغضب ، وشبَّب بخرقاء العامريّة ؛ يَكيدُ ميّة بذلك ، فما قال فيها إلاّ قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات .

أخبرني حبيب بن نصر ، عن ابن شبّة ، عن العُتبيّ ، عن هارون بن عتبة قال : شبَّب ذو الرُّمَّة بخرقاء العامريّة بغير هوًى ؛ وإنّما كانت كحّالة فداوَتْ عَيْنَه من رمَد كان بها فزال ، فقال لها : ما تحبّين حتى أعطيك ؟ فقالت : عشرة أبيات تشبّب بي ؛ ليرغبَ النّاس فيَّ إذا سمعوا أنَّ فيّ بقيّة للتشبيب ، ففعل .

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال : كان ذو الرُّمَّة شبَّب بخَرْقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة ، وكانت تَحُلُّ فَلْجاً ، ويمرّ بها الحاجّ ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهادِيهم ، وكانت تجلس معها فاطمة بنتها ، فحدَّثني مَنْ رآهما ، فلم تكن فاطمة مثلها ، وكانت تقول : أنا مَنْسَكٌ من مَناسِك الحجّ ؛ لقول ذي الرُّمَّة فيها[1] : [من الوافر]

تمـامُ الحـجِّ أَنْ تقِفَ المطايا على خَرْقـاءَ واضِعَـة اللِّثامِ

قال ابن سلاّم في خبره : وأرسلت خرقاء إلى القُحَيْف العقيليّ تسأله أن يشبب بها فقال : [من الطويل]

صوت

لقد أَرسلتْ خرقاءُ نَحوي جَرِيّها لتجعَلني خَرْقاءُ فِيمَـن أَضلَّتِ[2]
وخَرقـاءُ لا تـزدادُ إلاّ مَلاحةً ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلَّتِ[3]

حدَّثني حبيبُ بن نصر ، عن الزُّبير ، عن موهوب بن رشيد ، عَمَّن حدَّثه ، قال : نزل ركب بأبي خرقاء العامِريَّة ، فأمر لهم بلبن فُسقُوه ، وقصَّر عن شابّ منهم ، فأعطته خرقاءُ صَبوحَها وهي لا تعرِفهُ ، فشربه ، ومضَوا فركبوا . فقال لها أبوها : أتعرفين الرجلَ الذي سقيتِه صَبوحك ؟ قالت : لا والله ؛ قال : هو ذو الرُّمَّة القائل فيكِ الأقاويل . فوضعت يدَها على رأسها ، وقالت : واسوأتاه وابُؤساه ! ودخلت بيتها ، فما رآها أبوها ثلاثاً .

حدَّثني إبراهيم بن أيّوب ، عن ابن قتيبة قال : قال الضبّيّ : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حجَجْتُ ، فقال لي يوماً : هل لكَ إلى أن أُورِيَك خَرْقاءَ صاحبة ذي الرُّمَّة ؟

1 ديوانه : 673 .
2 جريها : رسولها . أضلت : فتنت .
3 جلّ الرجل : كبر واحتنك وأسنّ .

فقلت : إن فعلتَ فقد بررت . فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعَدَل بي عن الطريق قَدْر ميل ، ثم أتينا أُبيات شَعر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة بها قوّة ، فسلَّمَتْ وجلسَتْ ، فتحدَّثنا ساعة ، ثم قالت لي : هل حججتَ قطّ ؟ قلت : غير مرّة . قالت : فما منعك من زِيارتي ؟ أما علمت أنّي منسَك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعتَ قول ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

تمامُ الحجِّ أن تقِفَ المطايا على خَرْقـاءَ واضعةَ اللّثامِ

أخبرني وكيع ، عن أبي أيّوب المدائنيّ عن مصعب الزُّبيريّ ، قال : شبَّب ذو الرُّمَّة بخرقاء ولها ثمانون سنة .

قال هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم ، عن محمد بن يعقوب ، عن أبيه قال : رأيتُ خرقاءَ بالبصرةَ وقد ذهبت أسنانُها ، وإنّ في ديباجة وجهها لبقيّة ، فقلت : أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرُّمَّة ، فقالت : اجتاز بنا في رَكْبٍ ونحن عدّة جوارٍ على بعض المياه ، فقال : أسفِرن ، فسفرن غَيرِي ، فقال : لئن لم تُسْفِري لأفضحَنّك ، فسفرتُ ، فلم يزل يقول حتى أزبد ، ثم لم أرَه بعد ذلك .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني موهوب بن رشيد ، قال : حدَّثني جدِّي ، قال : كنت مع خرقاء ذي الرُّمَّة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأَمِر لهم بلبن فسُقوه ، وقصُر اللبن عن شاب منهم ، فأمرت له خرقاء بغَبوقها ، فلمّا أن رَحل عنهم الركب قال لها أبوها : يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غَبوقَك اليوم ؟ قالت : لا والله ما أعرفه ، قال : ذاك ذو الرُّمَّة ، فوضَعَت يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه ! ودخلت خدرها .

قال الزُّبير : وحدّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ ، قال : حدَّثنا أبو الشّبل المعديّ قال : كانت خَرْقاء البَكّائيّة أصبحَ من القَبَس ، وبقيَتْ بقاءً طويلاً حتى شَبَّب بها القُحَيف العقيليّ .

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ ، عن أحمد بن سليمان ، عن أبي شَيْخ ، عن أبيه ، عن عليّ بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زُفَر بن الهذيل ، قال : خرجتُ أُريدُ الحجّ ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزله خرقاء ، فأتيتُها ، فإذا امرأة جَزْلة ، عندها سماطان[1] من الأعراب تحدّثُهم وتُناشدهم . فسلَّمتُ فردّتْ ، ونسبتني ، فانتسبتُ لها وهي تُنْزِلني ، حتى انتسبت إلى أبي ، فقالت : حسبك أكرمتَ ما شئت ، ما اسمك ؟ قلت : صباح ، وأبو مَن ؟ قلت : أبو المغلِّس ، قالت : أخذت أوّل الليل وآخره ، قال : فما كان لي هِمَّة إلاّ الذّهاب عنها .

---

1 السماط : الصف .

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح : حدَّثني محمد بن الحجّاج الأسديّ التميميّ ، وما رأيتُ تميميّاً أعلم منه ، قال : حججتُ فلمّا صرت بمَرَّان منصرفاً ، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له فجئته فاستنشدتُه ، فقال لي : إليك عنّي ، فإنّي مشغول عنك . وألححتُ عليه فقال : أرشدك إلى بعض ما تحبّ ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلقاكَ فإن فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرُّمَّة ؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد ، فقالت : ادْنُه ! فدنوت ، فقالت : إنّك لحضريّ ، فمَن أنت ؟ قلت : من بني تميم ، وأنا أحسب أنّها لا معرفةَ لها بالنّاس ، قالت : مِن أيّ تميم ، فأعلمتُها ، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي ، فقالت : الحجّاجُ بن عُمَير بن يزيد ؟ قلت : نعم ، قالت : رحم الله أبا المثنّى ! قد كنا نرجو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد ، قلت : نعم ، فعاجَلَتْه المنيَّةُ شابّاً . قالت : حيَّاك الله يا بنيّ وقرَّبَك ، مِنْ أين أقبلت ؟ قلتُ : من الحجّ . قالت : فما لكَ لم تمرّ بي وأنا أحدُ مناسك الحجّ ؟ إنَّ حجَّك ناقص ، فأقِم حتى تحجّ أو تكفّر بعِتْق . قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعتَ قول غَيْلان عمِّك : [من الوافر]

تمامُ الحـجِّ أنْ تقِفَ المطايـا على خَرْقـاءَ واضعـةَ اللّثامِ

قال : وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنّها قائمةٌ من طولها ، بَيْضاءُ شهلاءُ ، فخمة الوجه . قال : فسألتُها عن سنّها ، فقالت : لا أدري إلاّ أنّي كنتُ أذكر شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن حين قتل الحُسين عليه السلام ، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسَّمها في قومه ؛ قالت : وكان أبي قد أدرك الجاهليّة وحمل فيها حَمالات . قال : ولما أنشدتني خرقاء بَيتَ ذي الرُّمَّة فيها قلت : هيهات يا عمّة ، قد ذهب ذلك منك ، قالت : لا تقل يا بنيّ ، أما سمعتَ قولُ قُحَيف فيّ : [من الطويل]

وخَرْقـاء لا تـزدادُ إلاَّ ملاحـةً ولـو عُمِّرت تعميرَ نُوح وجلَّتِ

ثم قالت : رحم الله ذا الرُّمَّة ؛ فقد كان رَقيقَ البشرة ، عَذْبَ المنطِق ، حَسَن الوصف ، مُقاربَ الرَّصف ، عفيف الطَّرْف ، فقلت لها : لقد أحسنت الوصف ، فقالت : هيهات أن يدركه وصْفٌ ، رحمه الله ، ورحم مَنْ سمّاه اسمه . فقلت : ومَن سمّاه ؟ قالت : سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عَبدة بن نُعيم ، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

لقـد أُصبحتَ في فَرْعـيْ مَعَدٍّ مكانَ النّجـم في فَلَـك السماء
إذا ذُكـرت محاسنُـه تـدرَّت بِحـارُ الجود مـن نحـو السماء
حُصَينٌ شادَ باسمِـك غيرَ شَكٍّ فَأَنْتَ غيـاثُ مَحْـلٍ بالفِناء

إذا ضنَّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ ... تَشُجُّ بحارُ جُودِك بارتواء
لقد نَضِرت باسمِك أرضُ قَحطٍ ... كما مُطِرَتْ عديٌّ بالثَّراء

فقلت : أحسنتِ يا خرقاء ، فهل سمع ذلك منك ذو الرُّمَّة ؟ قالت : إي وربِّي . قلت : فماذا قال ؟ قالت : قال : شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربَّيتِ شُكْرَها من ذِكرها . فقالت : أثقلنا حقُّها ، ثم قالت : اللهمّ غَفْراً ، هذا في اللفظ ، ونحتاج إلى العمل .

أخبرني جحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كُناسة ، عن خيثم بن حِجِّيَّة العِجليّ ، قال : حدَّثني رجل من بني النجّار ، قال : خرجتُ أمشي في ناحية البادية ، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بَيْتٍ فقمت أُكلِّمُها فنادتني عجوز من ناحية الخِباء : ما يقيمك على هذا الغزال النَّجديّ ؟ فوالله ما تنالُ خَيْراً منه ولا ينفعك . قال : وتقول هي : دَعيه يا أُمّاه يكن كما قال ذو الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

وإن لم يكن إلاّ مُعَرَّسُ ساعةٍ ... قليلاً فإنّي نافعٌ لي قَلِيلُها

فسألتُ عنهما ، فقيل لي : العجوز خرقاء ذي الرُّمَّة والفتاة بِنتها .

[وفاة ذي الرُّمَّة]

وتوفّي ذو الرُّمَّة في خلافة هشام بن عبد الملك ، وله أربعون سنة . وقد اختلفت الرواةُ في سبب وفاته .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السُّكّريّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت : أنّه بلغ أربعين سنة ، وفيها توفّي ، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ، ودفن بِحُزْوَى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني ابن أبي عديّ قال : قال ذو الرُّمَّة : بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين سنة .

قال ابنُ سلاّم : وحدّثني أبو الغرّاف أنّه مات وهو يريد هشاماً ، وقال في طريقه في ذلك[2] : [من الطويل]

بلادٌ بها أَهلُونَ لستُ ابْنَ أَهلها ... وأُخْرى بها أَهلون ليس بها أَهلُ

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك : حدَّثني القاسم بن محمد الأسديّ ، قال : حدَّثني جبرُ بن رِياط قال : أنشد ذو الرُّمَّة الناس شعراً له ، وصف فيه الفلاة بالثَّعلبيّة[3] ؛ فقال له

---

1 ديوان ذي الرّمّة : 550 وفيه : . . . إلا تعلل ساعة .

2 ديوانه : 458 ورواية البيت فيه :

بلاد بها أهلون ليسوا بأهلها ... وأخرى من البلدان ليس بها أهل

3 الثعلبية : منازل على طريق مكة .

حَلْبَسٌ الأَسديّ : إنّك لتنعتُ الفلاةَ نَعْتاً لا تكون مَنِيَّتُكَ إلاّ بها .

قال : وصدر ذو الرُّمَّة على أحد جَفْرَي بني تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة ، فلمّا أشرف على البصرة قال[1] : [من الطويل]

وإنّي لعالِيهـا وإنّي لخائفٌ لِما قال يَـوْمَ الثَّعْلَبِيَّة حَلْبَسُ

قال : ويقال إنّ هذا آخر شعر قاله . فلمّا توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنفَرَتْ منه ، ولم تكن تنفر منه ، وعليها شرابُه وطعامُه ، فلمّا دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال إنّه قال عند ذلك[2] : [من الطويل]

أَلا أَبلغِ الفِتيان عنّـي رِسالةً أَهِينوا المَطايا هُـنَّ أَهْلُ هَوانِ

فقـد تركَتْني صَيْدَحٌ بمَضلَّةٍ لساني مُلْتاثٌ مِـنَ الطَّلَوانِ[3]

قال هارون : وأخبرني أحمد بن محمد الكلابيّ بهذه القصّة ، وذكر أنّ ناقته وردت على أهله في مياههم ، فركبها أخوه ، وقصَّ أثره ، حتى وجده ميّتاً وعليه خِلَعُ الخليفة ، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن الرّياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الوَجيه ، قال : دخلتُ على ذي الرُّمَّة وهو يجود بنفسه ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أَجِدُني والله أجد ما لا أجد أيّام أزعم أنّي أجد ما لم أجد حيث أقول[4] : [من الطويل]

كأنّـي غداة الزُّرْق يـا مَيُّ مُدْنَفٌ يَجودُ بنَفْسٍ قـد أَحَـمَّ حِمامُها[5]

حِـذارَ اجْتِـذامِ البَيْن أَقرانَ نِيّة مُصابٌ ولوعاتُ الفؤاد انجذامُها[6]

قال : وكان آخر ما قاله[7] : [من البسيط]

يا ربّ قد أَشرفَتْ نَفْسي وقد عَلِمَتْ عِلْمـاً يقينـاً لقـد أَحصَيْـتَ آثاري

---

1 ديوانه : 668 .

2 ديوانه : 675 .

3 الطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

4 ديوانه : 637 .

5 الديوان : أجم حمامها .

6 الديوان :

حـذار اجتـذام البـين أقران طيّة مصيبٍ لوقرات الفؤاد انجذامها

الطية : النية ؛ والأقران : الحبال ؛ والوقر : الكسر ؛ وانجذامها : انقطاعها .

7 ديوانه : 667 .

يا مُخرجَ الرّوح من جسمي إذا احْتُضِرَت   وفارجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِي عن النَّارِ

قال أبو الوجيه : وكانت مَنِيَّتُه هذه في الجُدَريّ ، وفي ذلك يقول[1] : [من الطويل]

أَلَمْ يأْتِها أَنِّي تلبّستُ بعدها   مُفَوَّفَةً صَوَّاغُها غيرُ أَخرقِ

نسخت من كتاب هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الوهّاب بن إبراهيم الأَزديُّ ، قال : حدَّثني جَهْم بن مَسْعَدة ، قال : حدَّثني محمد بن الحجّاج الأسديّ ، عن أبيه ، قال : وردت حَجْراً وذو الرُّمَّة به ، فاشتكى شكايته التي كانت منها منيَّته ، وكرهتُ أن أخرج حتى أَعلم بما يكون في شكاته ، وكنت أَتعهّده ، وأعوده في اليوم واليومين ؛ فأتيته يوماً وقد ثَقُل ، فقلت : يا غيلان ، كيف تَجِدُك ؟ فقال : أجِدني والله يا أبا المثنّى اليوم في الموت ، لا غداة أقول : [من الطويل]

كأنّي غداة الزُّرق يا ميّ مدنَفٌ   يكيد بِنَفْسٍ قد أحمّ حِمامُها

فأنا والله الغداة في ذلك ، لا تلك الغداة .

قال هارون بن الزيّات : حدَّثني موسى بن عيسى الجعفريّ ، قال : أَخبرني أبي قال : أُخبرني رجل من بني تميم ، قال : كانت ميتة ذي الرُّمَّة أنّه اشتكى النَّوْطة[2] فوَجِعَها دهراً ، فقال في ذلك[3] : [من الطويل]

أَلِفتُ كلابَ الحيِّ حتى عَرَفْنَني   ومُدَّتْ نِساجُ العنكبوت على رَحْلي[4]

قال : ثم قال لمسعود أخيه : يا مسعود ، قد أجدني تماثلتُ وخفّت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بني مروان ، فهل لك بنا فيهم ؟ فقال : نعم ، فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوّده ، وواعده مكاناً ، وركب ذو الرُّمَّة ناقته فقَمصت به ، وكانت قد أُعفِيت من الركوب ، وانفجرت النَّوْطة التي كانت به . قال : وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً ، وإنّ العلّة التي كانت بي انفجرت . فأرسل إلى أهله فَصَلُّوا عليه ، ودفن برأس حُزْوى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ : قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيّات ، عن محمد بن عليّ بن المغيرة ، عن أبيه : عن أبي عبيدة ، عن المنتجع بن نبهان قال : لما احتُضِر ذو الرُّمَّة قال : إنّي لست ممّن يدفن في الغموض والوِهاد . قالوا : فكيف نصنع بك ونحن في

1 ديوانه : 670 .

2 النوطة : ورم في الصدر أو غدة في البطن .

3 ديوانه : 491 .

4 الديوان : أتتني كلاب . . . . ومدت نسوج

رمال الدّهناء ؟ قال : فأين أنتم من كُثبان حُزْوى ؟ ، قال : وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال ، قالوا : فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل ؟ قال : فأين الشجرُ والمدَرُ والأعوادُ ؟ قال : فصلّينا عليه في بطن الماء ، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكِباش ، وهي أقوى على الصُّمود في الرمل من الإبل . فجعلوا قبره هناك وزبّروه[1] بذلك الشجر والمدر ، ودلُّوه في قبره ، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء ، وأنت بالدَّوِّ على مسيرة ثلاث .

قال هارون : وحدَّثني محمد بن صالح العدويّ ، قال : ذكر أبو عمرو المراديّ : إنّ قبر ذي الرُّمَّة بأطراف عَناق من وسط الدَّهناء مقابل الأواعس ، وهي أجبُل شوارعُ يقابلن الصَّريمة ، صريمة النِّعام ، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرِّباب .

قال هارون : وحدَّثني هارون بن مسلم ، عن الزِّياديّ ، عن العلاء بن بُرْد ، قال : ما كان شيءٌ أحبَّ إلى ذي الرُّمَّة إذا ورد ماء من أن يَطْوِيَ ولا يَسْقِيَ ، فأخبرني مخبر أنّه مرّ بالجَفْر وقد جَهَده العطش ، قال : فسمعته يقول : [من البسيط]

يا مخرجَ الرّوح من جِسْمي إذا احتُضِرتْ وفارجَ الكرْب زَحْزِحني عن النّارِ

ثم قضى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، عن عيسى بن عمر ، قال : كان ذو الرُّمَّة ينشد الشعر ، فإذا فرغ قال : والله لأكسعنَّك بشيء ليس في حسابك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، ووَكيعٌ ، عن أبي أيّوب ، قال : حدَّثني أبو معاوية الغلابيّ ، قال : كان ذو الرُّمَّة حسنَ الصلاة ، حسنَ الخشوع ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : إنّ العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع .

[رثاء مسعود له]

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيديّ قال : حدَّثني عبد الرحمن ، عن عمّه ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كان مسعود أخو ذي الرُّمَّة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً ، وقد بلغ قريباً من منزلي : أنا الذي أقول في أخي ذي الرُّمَّة : [من الطويل]

إلى اللهِ أشكو لا إلى الناسِ أنَّني ولَيْلى كلانا مُوجَعٌ مات وافدُهْ

فقلتُ له : مَن ليلى ؟ فقال : بنت أخي ذي الرُّمَّة .

1 زبر البئر : قوّى جوانبها .

[375] ـ ذكر خبر إبراهيم

[في هذه الأصوات الماخوريّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة ، عن إسحاقَ الموصليّ ، عن أبيه ، قال : صنعت لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً ، فعَسَر ذلك عليّ ، فأُريتُ في المنام كأن رجلاً لقيني ، فقال لي : يا إبراهيم ، أوقد أعياك شِعرٌ لغنائك هذا الذي تُعجَب به ؟ قلت : نعم . قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمِيّ يا دارَ ميّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجرعائكِ القَطْرُ

قال : فانتبهتُ فرحاً بالشعر ؛ فدعوت مَن ضرب عليّ فغنيتُه ، فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلمّا عملت هذا الغناء في شعر ذي الرُّمَّة نبّهت عليه وعلى شعره ، فصنعت فيه ألحاناً ماخوريّة منها[2] : [من الطويل]

أَمَنْزِلَتي مَيٍّ سلامٌ عليكما هل الأزمُن اللائي مَضَيْنَ رَواجعُ !

وغنَّيت بها الهادي فاستحسنها ، وكاد يطير فرحاً ، وأمر لي لكلّ صوت بألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

أَلا يا اسلَمي يا دار ميٍّ على البِلى ولا زال مُنهلاً بجرعائك القَطْرُ
ولَو لم تكوني غير شامٍ بقفرةٍ تجرُّ بها الأذيالَ صيفِيَّةٌ كُدرُ[3]

عروضه من الطويل . وقوله : يا اسلمي هاهنا نداء ؛ كأنّه قال : يا دار ميّ اسلمي ، ويا هذه اسلمي ، يدعو لها بالسلامة . ومثله قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَلا يسجدوا لله الذي يُخرجُ الخَبْءَ في السّموات والأرض﴾ ، فسّره أهلُ اللغة هكذا ، كأنّه قال : يا قوم اسجدوا لله . وميّ ترخيم ميّة إلاّ أنّه أقامه هاهنا مقام الاسم الذي لم يرخّم فَنَوَّنَه . وقوله : على البلى ، أي اسلمي وإن كنتِ قد بَلِيت . والمنهلُّ : الجاري ، يقال : انّهلّ المطرُ انهلالاً ، إذا سال . والجرعاء والأجرع من

---

1 ديوانه : 206 .

2 ديوانه : 332 .

3 شام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض .

الرمل : الكثير الممتدّ . والشام : موضع يخالف لونَ الأرض ، وهو جمع ، واحدته شامة . والقفر : ما لم يكن فيه نبات ولا ماء ، تجرّ بها الأذيال صيفيّة يعني الرياح الصيفيّة الحارة . وأذيالها : مآخيرها التي تُسفي التراب على وجه الأرض ، شبّهها بذيل المرأة ، وعنى بها أوائلَها . والكُدْر : التي فيها الغبرة من القتام والفِجاج ؛ فهي تُعفّي الآثار وتدفنها . غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

أَمَنزلتَـيْ مـيٍّ سَلامٌ عليكمـا ... هـل الأَزْمُنُ اللائي مَضينَ رواجعُ !

وهل يرجعُ التَّسليمَ أو يكشف العَمى ... ثـلاثُ الأثافي والدِّيـارُ البلاقِعُ ![1]

توهمتُهـا يومـاً فقلـتُ لصاحبـي ... وليس لهـا إلاّ الظبـاءُ الخواضعُ

ومَوْشِيَّةٌ سُحْـمُ الصّياصي كأنّها ... مُجَلَّلَـةٌ حُـوٌّ عليهـا البـراقِعُ

عروضه من الطويل . غنّاه إبراهيم ماخوريّاً بالوسطى . والأزمن والأزمان جمع زمان . والعمى : الجهالة . والأثافيّ الثلاث هي الحجارة التي تنصبّ عليها القِدْر ، واحدتها أثفيَّة . والخواضع من الظباء : اللاتي قد طأطأت رؤوسها . والموشيّة : يعني البقر . والصَّياصي : القرون واحدتها صيصية . والمجلَّلَة : التي كأنّ عليها جِلالاً سوداً . والحُوَّة : حمرة في سواد . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله[2] : [من الطويل]

صوت

قِفِ العَنْسَ نَنظرْ نظرةً في ديارها ... وهل ذاك من داء الصبابة نافِعُ ![3]

فقـال : أَمـا تَغْشى لِميَّـةَ منزلاً ... من الأَرض إلاّ قُلتَ : هل أَنا رابعُ[4]

وقـلَّ لأطـلالٍ لِمَـيٍّ تحيَّـةٌ ... تُحيَّـا بهـا أَو أَن تُرِشَّ المدامعُ

العَنْس : الناقة . والرابع : المقيم . وقلّ لأطلال ، أي ما أقلّ لهذه الأطلال ممّا أفعله . وتُرِش المدامع ، أي تكثر نضحَها الدموعَ . غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً .

وذكر ابن الزيّات ، عن محمد بن صالح العذريّ ، عن الحرمازيّ ، قال : مرَّ الفرزدق على ذي الرُّمَّة وهو ينشد : [من الطويل]

أَمَنزلتَـيْ مـيٍّ سَلامٌ عليكمـا

---

1 الديوان : والرسوم البلاقع .

2 ديوان : 333 .

3 العنس في الديوان : العيس .

4 الديوان : هل أنت رابع .

فلمّا فرغ قال له : يا أبا فراس ، كيف ترى ؟ قال : أراك شاعراً . قال : فما أقعدني عن غاية الشعراء ؟ قال : بكاؤك على الدِّمن ، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل .

[زيارة لميّ]

حدَّثني ابنُ عمّار والجوهريّ ، وحبيب المهلّبيّ ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق الموصليّ ، عن مسعود بن قند ، قال : تذاكرنا ذا الرُّمَّة يوماً فقال عصمة بن مالك : إيّاي فاسألوا عنه . قال : كان حُلْوَ العينين ، حسن النغمة ، إذا حدَّث لم تسأم حديثه ، وإذا أنشدك بَرْبَر وجَشَّ صوته ؛ جمعني وإيّاه مَرْبَع مرَّة ، فقال لي : هيّا عِصْمة ، إنّ ميّة من مِنْقر ، ومِنْقر أخبث حيّ وأقفاه لأثرٍ ، وأثبته في نظر ، وأعلمه بشرّ ، وقد عرفوا آثار إبلي ؛ فهل عندك من ناقة نَزْدارُ عليها ميّة ؟ قلت : إي والله عندي الجؤذَر بنت يمانيّة الجدَليّ . قال : فعليَّ بها . فأتيته بها ، فركب وردفتُه فأتينا محلّة ميّة ، والقومُ خُلوف والنساء في الرحال ، فلمّا رأين ذا الرُّمَّة اجتمعن إلى ميّ ، وأنخنا قريباً وأتيناهنَّ ، فجلسنا إليهنَّ ، فقالت ظريفة منهنَّ : أنشِدْنا يا ذا الرُّمَّة . فقال لي : أنشِدْهنَّ يا عصمة . فأنشدتُ قصيدتَه التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

نظـرتُ إلى أظعانِ مَيٍّ كأنّـها ذُرا النَّخْل أو أثلٌ تميل ذوائبُهْ
فأسبلت العينانِ والقلبُ كاتمٌ بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّت عليه سواكبُهْ[2]
بكاء فتًى خاف الفِراقَ ولم تُجِلْ جوائلَهـــا أسرارُه ومعـاتبُهْ[3]

قالت الظريفة : فالآن فلتُجِلْ ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله :

وقـد حلفتْ بالله ميّة مـا الذي أحدِّثهـا إلاّ الذي أنـا كاذبُهْ
إذاً فرماني الله من حيثُ لا أرى ولا زال في أرضي عدوٌّ أُحاربُهْ

فقالت ميّة : ويحك يا ذا الرُّمَّة ! خَفِ الله وعواقبَه . ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[4] :

إذا سَرَحَتْ من حبّ ميٍّ سوارحٌ على القلب أبَّتْه جميعاً عوازبُهْ

فقالت الظريفة . قتلتِه قتلك الله ! فقالت ميّة : ما أصحَّه وهنيئاً له ! فتنفّس ذو الرُّمَّة تنفيسةً كادَ حرُّها يطير بلحيتي ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[5] : [من الطويل]

1 ديوانه : 39 .
2 الديوان : فأبديت من عيني والصدر كاتم .
3 الديوان : هوى آلف جاء الفراق فلم تجل .
4 لم يرِد هذا البيت في القصيدة .
5 ديوانه : 42 .

إذا نازعْتـكَ القولَ ميّـةُ أو بَدا ... لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالِبُهْ
فما شئتَ مـن خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ ... رخيمٍ ومـن خَلْقٍ تَعلّل جادِبُهْ[1]

فقالت الظريفة : فقد بدا لك الوجه وتُنوزِع القولُ ، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها ميّة : قاتلكِ الله ! فماذا تأتين به ! فتضاحكت الظريفة وقالت : إنّ لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما . فقامت وقُمن معها ، وقمت فخرجت ، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما ، فوالله ما رأيتـه تحرّك من مكانه الذي خلّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال . فأتيته فقلت : انهض بنا فقد ثاب النوم فودَّعها فركب وردفته وانصرفنا . ومنها[2] : [من الطويل]

صوت

إذا هَبّتِ الأَرْواحُ من أيِّ جانبٍ ... بـه أهلُ مـيٍّ هاج قلبي هُبُوبُها[3]
هوًى تذرِف العينانِ منـه وإنّما ... هوى كلِّ نفس حيثُ كان حبيبُها

الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهِشاميّ .

صوت[4]

[من الكامل]

إنّـي تُذكّـرني الزُّبيرَ حمامـةٌ ... تدعُـو بمجمعِ نخلتـين هَديلا
أَفَتى النّدى وفَتـى الطِّعان قتلتمُ ... وفَتـى الرِّيـاح إذا تَهُـبّ بَلِيلا[5]
لـو كنتَ حُرّاً يا ابن قينٍ مجاشعٍ ... شيَّعْتَ ضَيْفَك فَرْسَخاً أو مِيلا

وفي أخرى : فرسخين وميلا .

قالـت قريشٌ : مـا أذلَّ مُجاشعاً ... جاراً وأكـرم ذا القتيـل قتيلا !

الشعر لجرير ، يهجو الفرزدق ويعيّره بقتل عشيرته الزُّبيرَ بن العوّام يوم الجمل ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

---

1 الديوان : فيا لك من خدّ أسيل . .
2 ديوانه : 66 .
3 الديوان : . . . . من نحو جانب . . . . هاج شوقي . . . .
4 ديوان جرير (صادر) : 364 .
5 الديوان :
أفتى الندى وفتى الطعان غررتم ... وفتـى الشمال إذا تهب بليـلا

[376] ـ ذكر مقتل الزُّبير وخبره[1]

[بين الزُّبير وطلحة وعلي]

حدَّثنا أحمد بن عُبَيد اللهِ بن عمّار ، وأحمدُ بن عبد العزيز ، عن ابن شبَّة قالا : حدَّثنا المدائنيّ ، عن أبي بكر الهُذَليّ ، عن قتادَة قال : سار أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزّاوية[2] يريد طلحةَ والزُّبير وعائشةَ ، وصاروا من الفُرْضة يريدونه ، فالتَقَوْا عند قصر عُبَيْد اللهِ بن زياد يوم الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين ، فلمّا تراءى الجَمْعان خرج الزُّبيرُ على فرسٍ وعليه سلاحُه ، فقيل لعليٍّ صلوات الله عليه : هذا الزُّبير ، فقال : أمَا واللهِ إنه أحرَى الرجلين إن ذُكِّرَ باللهِ أن يذكُره . وخرج طلحةُ ، وخرج عليٌّ عليه السلام إليهما ، فدَنا منهما حتى اختلفَت أعناقُ دوابِّهم ، فقال لهما : لعمري لقد أعدَدْتما خَيْلاً ورجالاً ، إن كنتُما أعددتما عند اللهِ عُذراً فاتّقيا اللهَ ولا تكُونا ﴿كالَّتِي نَقَضَت غَزْلَها من بعد قُوَّةٍ أَنْكاثاً﴾ [النحل : 92] ألم أكُن أخاكُما في دينكما تحرِّمانِ دمي وأُحرِّم دماءَكما ؟ فهلْ من حدَثٍ أحَلَّ لكما دمي ؟ فقال له طلحة : ألَّبتَ الناسَ على عثمان . فقال : يا طلحةُ ، أتطلُبني بدم عثمان ؟ فلعَن اللهُ قَتَلَة عثمان ! يا زُبير ، أتذكر يوم مررتُ مع رسول الله ﷺ وآله في بني غَنْم ، فنظر إليَّ وضحك ، وضحكتُ إليه ، فقلتَ : لا يدعُ ابنُ أبي طالب زَهْوَه ، فقال : مَهْ ليس بمزهوٍّ ، ولتقاتلنَّه وأنتَ له ظالم ؟ فقال : اللهمَّ نعم ، ولو ذُكِّرتُ ما سِرتُ مسيري هذا ، والله لا أُقاتلك أبداً . وانصرف عليٌّ صلواتُ الله عليه ، إلى أصحابه وقال : أمّا الزُّبير فقد أعطى اللهَ عهداً ألاّ يُقاتلَني .

قال : ورجع الزُّبير إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ في موطن مُذْ عَقَلْتُ إلاّ وأنا أعرِف فيه أمرِي غيرَ موطني هذا ؛ قالت : وما تُريد أن تصنع ؟ قال : أدعُهم وأذهب . فقال له ابنه عبدُ الله : أجمعْتَ بين هذين الغارَين[3] حتى إذا حدَّد بعضُهم لبعض أردتَ أن تذهب

1 مقتل الزبيري بن العوام في كتب التاريخ كالمسعودي والطبري (حوادث سنة 36) وطبقات ابن سعد 3 : 110–113 وصفة الصفوة 1 : 132 وحلية الأولياء 1 : 89 وتهذيب ابن عساكر 5 : 355 والعقد 4 : 322–325 وخزانة البغدادي 4 : 218–220 وأخبار عاتكة بنت زيد في الكتب التي تحدثت عن مقتل الزُّبير وفي الاستيعاب والإصابة وخزانة البغدادي 10 : 378–381 والعيني 2 : 278 . وانظر في الحالين أعلام الزركلي .

2 الزاوية : موضع قرب البصرة .

3 الغار : الجيش الكثير .

وتَتْرُكَهم ؟ أخَشِيتَ رايات ابن أبي طالب وعلمتَ أنّها تحملها فِتيةٌ أنجاد ؟ فأحفظه ، فقال : إنِّي حَلفتُ ألاَّ أُقاتِله . قال : كفِّرْ عن يمينِك وقاتِلْه . فدعا غلاماً له يُدعَى مَكْحولاً فأعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ : [من الرجز]

لم أرَ كاليوم أخـا إخوانِ أعجَبَ مـن مُكَفِّر الأَيْمانِ

بالعِتــقِ في مَعْصِيَةِ الرَّحمــنِ

وقال بعضُ شُعرائِهم : [من الرجز]

يُعتِق مَكْحولاً لصَوْنِ دينِهْ كفّــارةً للهِ عـن يمينِهْ

والنَّكْـثُ قـد لاح على جَبينِهْ

[مقتل الزُّبير]

حدَّثني ابنُ عمّار والجوهريّ قال : حدَّثنا ابن شبّة عن عليّ بن محمد النوفليّ عن الهذليّ ، عن قَتادة ، قال : وقف الزُّبير على مسجد بني مُجاشِع فسأل عن عِياض بن حمّاد ، فقال له النُّعمان بن زمام : هو بوادي السِّباع فمضى يريده .

حدَّثني ابن عمّار والجوهريّ ، عن عُمر ، قال : حدَّثني المدائنيّ ، عن أبي مِخْنَف ، عمّن حدَّثه عن الشعبيّ ، قال : خرج النُّعمان مع الزُّبير حتى بلغ النَّجيب ، ثم رجع .

قال : وحدَّثنا عن مسْلَمة بن مُحارب ، عن عَوف ، وعن أبي اليقظان ، قالا : مرَّ الزُّبير ببني حمّاد فدعَوْه إلى أنفسهم فقال : اكفُوني خيرَكم وشرَّكم ، فوالله ما كَفَوْه خيرَهم وشرَّهم . ومضى ابن فَرْتَنى إلى الأحنف وهو بعِرْق سُوَيقة ، فقال : هذا الزُّبير قد مَرَّ ؛ فقال الأحنف : ما أصنع به ؟ جمع بين غارَيْن من المسلمين ، فقتل بعضهم بعضاً ، ثم مرَّ يريد أن يلحق بأهله . فقام عمرو بن جُرمُوز وفُضالةُ بن حابس ونُفَيع بن كعب أحدُ بني عوف ، ويقال نُفَيع بن عُمَير ، فلحقوه بالعِرق ، فقُتِل قبل أن ينتهي إلى عِياض ، قتله عَمرو بن جُرمُوز .

حدَّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجْليُّ الكوفيّ ، وجعفرُ بن محمد بن الحسن العلويّ الحسنيّ ، والعبّاس بن عليّ بن العبّاس وأبو عبيد الصَّيْرفيّ ، قالوا : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلَف العطّار ، قال : حدَّثنا عمرو بن عبد الغفّار ، عن سفيان الثوريّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، قال : حدَّثني ابنُ عبّاس قال : قال لي عليّ صلوات الله عليه : ائتِ الزُّبير فقل له : يقولُ لك عليُّ بن أبي طالب نشدتُك الله ، ألستَ قد بايَعتني طائعاً غيرَ مُكْرَه . فما الذي أحدثتُ فاستحللتَ به قِتالي ؟

وقال أحمد بن يحيى في حديثه : قل لهما : إنّ أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول : هل

نَقِمْتُما عليَّ جَوْراً في حكم أو استئثاراً بفيْء ؟ فقالا : لا ، ولا واحدةً منهما ، ولكن الخوْف وشدَّة الطمع .

وقال محمد بن خلف في خبره : فقال الزُّبير : مع الخوف شدَّة المطامع ؛ فأَتيتُ عليّاً عليه السلام فأخبرتُه بما قال الزُّبير ، فدعا بالبَغْلة فركِبَها وركِبْتُ معه ، فدَنَوا حتى اختلفت أعناقُ دابَّتَيْهما ، فسمِعْتُ عليّاً صلوات الله عليه ، يقول : نشدتُك الله يا زُبيرُ ، أَتعلم أنّي كنتُ أنا وأنتَ في سقيفة بني فلان تُعالجني وأُعالجك فمرَّ بي ، يعني النبيَّ ﷺ ، فقال : كأَنَّك تُحِبُّه ! فقلت : وما يمنَعُني ! قال : أَما إنّه ليُقاتِلنَّك وهو لك ظالم . فقال الزُّبير : اللهمّ نعم ، ذكّرتَني ما نسيت ، وولّى راجعاً . ونادى منادي عليّ : ألا لا تقاتِلوا القومَ حتى يستشهِدوا منكم رجلاً . فما لبث أن أُتِي برجلٍ يتشحَّط في دمِه ، فقال عليٌّ عليه السلام : اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد . وأَمر الناسَ فشدُّوا عليهم ، وأَمر الصُّرَّاخَ فصرخوا : لا تُذَفِّفوا[1] على جريح ولا تَتْبعوا مُدبِراً ، ولا تَقتُلوا أسيراً .

حدّثنا إبراهيمُ بن عبد الله بن محمد بن أَيّوب المخزوميّ ، عن سعيد بن محمد الجرميّ ، عن أبي الأحوص ، عن عاصم بن بهدلةَ ، عن زرّ بن حُبيش ، ولا أحسبه إلاّ قال : كنت قاعداً عند عليٍّ عليه السلام ، فأتاه آتٍ فقال : هذا ابن جُرموز قاتلُ الزُّبير بن العوّام يستأذن على الباب ، قال : ليدخُلَنَّ قاتلُ ابن صفيَّة النّار ، إنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : «إنّ لكلِّ نبيٍّ حوارِيَّ وإنَّ حَوارِيَّ الزُّبير» .

أَخبرني الطُّوسيّ وحِرْمِيّ ، عن الزُّبير ، عن عليّ بن صالح ، عن سالم بن عبد الله بن عروة ، عن أبيه : أنّ عمراً أو عُوَيْمر بن جُرْمُوز قاتل الزُّبير أتى مُصْعَباً حتى وضع يده في يده ، فقذفه في السجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزُّبير يذكر له أمره ، فكتب إليه عبدُ الله : بئس ما صنعت ، أَظننتَ أنّي أقتل أعرابيّاً من بني تميم بالزُّبير ! خَلِّ سبيلَه ، فخلاَّه .

[عاتكة ترثي الزُّبير]

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه قال : قُتِل الزُّبير وهو ابنُ سبعٍ وستّين سنة أو ستٍّ وستّين سنة ، فقالت عاتِكةُ بنت زَيْد بن عمرو بن نُفيل ترثيه : [من الكامل]

غَـدَر ابنُ جُرْمـوزٍ بفارس بُهْمَةٍ   يـومَ اللقـاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ[2]

1 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

2 البهمة : الشجاع . والمعرد : الهارب المحجم عن قرنه .

يـا عمرُو لـو نَبَّهته لوجدتَه لا طائشاً رَعِشَ اللسان ولا اليَدِ[1]
شَلَّتْ يمينُك إن قتلـتَ لمُسلِمًا حَلَّت عليك عقوبـةُ المُسْتَشْهِدِ[2]
إنّ الزُّبيرَ لـذُو بـلاءٍ صادقٍ سَمْحٌ سَجِيَّتُـه كريـمُ المَشْهَدِ
كم غمـرةٍ قـد خاضها لم يَثْنِه عنها طِرادُك يا ابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ[3]
فاذهبْ فمـا ظَفِرتْ يداكَ بمثلِه فِيمَن مضى مِمّن يَروحُ ويَغْتَدي

وكانت عاتكةُ قبل الزُّبير عند عُمَر ، وقبل عُمَر عند عبد الله بن أبي بكر .

[أزواج عاتكة]

أخبرني بخبرها محمد بن خَلَف وكيع ، عن أحمد بن عمرو بن بكر ، قال : حدَّثنا أبي قال : حدَّثنا الهَيْثَمُ بن عَديّ ، عن محمّد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة بن عبد الرّحمن وأخبرنا وَكيع ، قال : حدَّثني إسماعيل بن مجمِّع عن المدائنيّ .

وأخبرني الطوسيّ والحِرْمِيّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، عن عمِّه ، عن أبيه ، وأخبرني اليَزيديّ ، عن الخليل بن أسَد ، عن عمرو بن سعيد ، عن الوَليد بن هشام بن يحيى الغَسّانيّ .

وأخبرني الجوهريّ ، عن ابن شَبَّة ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى الهُذَليّ ، وكلٌ واحد منهم يزيدُ في الرواية ويَنقُصُ منها ، وقد جَمعت رواياتهم قالوا : تزوّج عبدُ الله بن أبي بكر الصِّدِّيق عاتِكةَ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ في عقلها ومنظرها وجزالةِ رأيها ؛ وكانت قد غلبته على رأيه . فمرَّ عليه أبو بكر أبوه وهو في عِلِّيَّة يناغيها في يوم جمعة ، وأبو بكر متوجِّه إلى الجمعة ؛ ثم رجع وهو يُناغِيها ، فقال : يا عبد الله أجمَّعْتَ[4] ؟ قال : أوَصلّى النّاس ؟ قال : نعم ، قال : وقد كانت شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها ، فقال له أبو بكر : قد شغلتْك عاتكةُ عن المعاش والتجارة ، وقد ألهَتْك عن فرائض الصلاة ! طلِّقها ، فطلَّقها تطليقة ، وتحوّلت إلى ناحية ؛ فبَيْنا أبو بكر يصلّي على سطح له في الليل إذْ سمِعه وهو يقول : [من الطويل]

أعاتِـكُ لا أنساكِ مـا ذرَّ شارِقٌ ومـا نـاح قُمْرِيُّ الحمامِ المُطَوَّقُ
أعاتِـكُ قلبـي كلَّ يـوم وليلة لديـكِ بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ

---

1 الطبقات والخزانة : رعش الجنان .
2 الطبقات والخزانة : عقوب المتعمد .
3 الفقع : الكمأة ، والقردد : المكان المستوي . وفي المثل : أذل من فقع القرقر .
4 أجمّعت : أصليت الجمعة .

لهـا خُلُقٌ جَـزْلٌ ورأْيٌ ومنطـقٌ وخَلْق مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ[1]
فلـم أرَ مثلي طلَّـق اليـوم مثلَها ولا مثلَهـا في غيرِ شيءٍ تُطلَّـقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقّ له ، فقال : يا عبدَ اللهِ ، راجع عاتكة ، فقال : أُشهدك أنّي قد راجعتُها . وأشرف على غلام له يقال له أيْمَن ، فقال له : يا أيْمن ، أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى ، أُشهِدُك أنّي قد راجعت عاتِكَةَ ، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخَّر الدار وهو يقول : [من الطويل]

أعاتِـكُ قـد طُلِّقتِ في غير رِيبَةٍ ورُوجعتِ للأمـرِ الذي هـو كائِنُ
كذلـك أمـرُ الله غـادٍ ورائـحٌ عـلى النّاس فيـه أُلفـةٌ وتباينُ
ومـا زال قلبـي للتَّفـرُّق طائراً وقلبي لما قـد قَـرَّب اللهُ ساكِنُ
لِيهْنِـكِ أنّي لا أرى فيكِ سَخْطَةً وأنّك قـد تَمَّتْ عليك المحاسنُ
فإنّـك مِمَّـنْ زيَّـن اللهُ وجهَه وليس لِوَجْـهٍ زانَـه اللهُ شائِنُ

قال : وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألاّ تتزوّج بعده ، فلمّا مات من السهم الذي أصابه بالطائف ، أنشأت تقول : [من الطويل]

فلِلّه عينـا مَـنْ رأى مثلَـه فتًى أكَرَّ وأحمـى في الهيـاجِ وأصْبرا
إذا شُرِعت فيـه الأسِنَّةُ خاضَها إلى الموتِ حتى يترُك الرُّمحَ أحمرا[2]
فأقسمتُ لا تنفَـكُّ عيني سَخِينَةً عليـكَ ولا ينفـكُّ جِلْديَ أغبرا
مَدى الدَّهْرِ مـا غَنَّت حمامةُ أيكةٍ ومـا طـردَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرا

فخطبها عمر بن الخطّاب ، فقالت : قد كان أعطاني حديقةً على ألاّ أتزوَّجَ بعده ، قال : فاستفتـي ، فاستفْتَتْ عـليَّ بن أبـي طالب عليه السلام ، فقال : رُدِّي الحديقةَ على أهله وتزوَّجـي . فتزوَّجت عمر فسَرَّح عمر إلى عِدّة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، يعني دعاهم ، لما بَنى بها ، فقال له عليّ : إنَّ لي إلى عاتكةَ حاجةً أريد أن أذكرَها إيّاها ، فقُلْ لها تَسْتَتِر حتى أكلّمها ؛ فقال لها عمر : استَتِري يا عاتكةُ فإنَّ ابنَ أبي طالب يريد أن يُكلِّمك ، فأخذت عليها مِرْطَها[3] فلم يظهر منها إلاّ ما بدا من بَراجِمها[4] ،

---

1 الخزانة : لهـا خلق جزل ورأي ومنصب وخَلق سويّ في الحياة وَمَصْدق
2 الرمحُ في ل : الموت أحمرا .
3 المرط : كساء من صوف أو خز .
4 البراجم : مفاصل الأصابع أو رؤوس السلاميات .

فقال يا عاتكةُ : [من الطويل]

فأقسمتُ لا تنفــكُّ عيني سخِينةً عليــكَ ولا ينفــكُّ جِلديَ أغبَرا

فقال له عمر : ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : وما أرادتْ إلى أن تقول ما لا تفعل ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾[1] وهذا شيء كان في نفسي أحببتُ والله أن يَخرُج . فقال عمر : ما حَسَّنَ اللهُ فهو حَسَنٌ ، فلمّا قُتِل عمر ، قالت ترثيه : [من الخفيف]

عــينُ جُودِي بعَبْرةٍ ونَحيبِ لا تمَلِّـي على الإمامِ النَّجيبِ
فَجَعتْنا المَنُـونُ بالفارِسِ المُعْـ ـلَم يـومَ الهِيــاجِ والتَّلْبيبِ
عِصْمَةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ـرِ غِياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ
قُلْ لأَهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا قد سَقَتْه المَنُونُ كأسَ شَعُوبِ

وقالت ترثيه أيضاً : [من الكامل]

صوت

مُنِع الرُّقادُ فعادَ عَيْنِيَ عِيدُ مِمَّـا تَضَمَّن قَلبِــيَ المَعْمودُ[2]
يــا ليلةً حُبِست عليَّ نُجومُها فسَهِرْتُهــا والشامِتُونَ هُجودُ
قــد كان يُسهِرُني حِذارُك مَرّةً فاليـوم حـــقَّ لِعَيْني التَّسْهيدُ
أبكِــي أميــرَ المُؤْمِنِــين ودُونَه لِلزَّائريــن صَفائِــحٌ وصَعِيدُ

غنّى فيه طُوَيس خفيف رمل عن حمّاد والهشاميّ .

فلمّا انقضت عِدَّتُها خطبها الزُّبير بن العوَّام فتزوَّجها ، فلمّا مَلَكها قال : يا عاتِكَة ، لا تَخرُجِي إلى المسجد ، وكانت امرأة عَجْزاء بادِنة . فقالت : يا ابن العوّام ، أتريد أن أدَعَ لغَيْرتك مُصلًّى صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فيه ؟ قال : فإنّي لا أمنعك . فلمّا سَمِع النداء لصلاة الصبح توضّأ وخرج ، فقام لها في سقيفة بني ساعِدَة ، فلمّا مرَّت به ضَرَب بيده على عجيزتها ، فقالت : ما لك قطع اللهُ يدك ! ورجعتْ . فلمّا رَجع من المسجد قال : يا عاتِكَةُ ، ما لي لم أرَكِ في مُصلاّكِ ؟ قالت : يرحمُك الله أبا عبد الله ، فَسَد الناسُ بعدَكَ ، الصلاة اليوم في القَيْطُون[3] أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضل منها في الحُجْرة . فلمّا قُتِلَ عنها الزُّبير بوادي السّباع رثَتْه فقالت : [من الكامل]

---

1 سورة الصف ، الآية : 3 .

2 العيد : ما يعتاد من مرض أو حزن .

3 القيطون : المخدع .

غَــدَر ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يــومَ اللِّقــاءِ وكان غيرَ مُعَــرِّدِ
يــا عَمرُو لَــو نَبَّهتَــه لوجدْتَه ... لا طائِشاً رعِشَ اللِّسان ولا اليَدِ
هبِلَتْك أمُّكَ إن قَتَلْتَ لَمُسْلِماً ... حَلَّــت عليــك عقُوبةُ المُتَعَمِّدِ[1]

فلمّا انقضت عِدَتُها تزوَّجها الحُسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فكانت أوّلَ مَن رفع خدَّه من التراب ، صلّى الله عليه وآله ، ولَعَن قاتِلَه والرّاضي به يوم قُتِلَ ، وقالت ترثيه : [من الخفيف]

وحُسَيْناً فــلا نَسِيتُ حُسَيْناً ... أقصدَتْــه أسِنَّــةُ الأعــداءِ
غــادَروه بكَرْبَــلاءَ صَرِيعــاً ... جادَتِ المُزنُ في ذَرى كَرْبَلاءِ

ثم تأيَّمت بعده ، فكان عبد الله بن عمر يقول : مَن أراد الشَّهادة فليتزوَّج بعاتكة . ويقال : إنّ مروان خَطَبها بعد الحُسَين عليه السلام فامتنعت عليه ، وقالت : ما كنت لأتَّخِذ حَماً بعد رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد قال : حدَّثني العمريّ قال : حدَّثنا أسامة بن زيد ، عن القاسم بن محمد قال : لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدِم وفد ثقيف فأخرجه إليهم ، فقال : مَن يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج : هذا سهمي وأنا بريتُه ، وأنا رشتُه ، وأنا عقبته ، وأنا رميت به يوم الطائف . فقال أبو بكر : فهذا السهم الذي قتل عبد الله ، والحمد لله الذي أكرمه بيدك ، ولم يهنك بيده .

[غناء طويس في شعر عاتكة]

أخبرني اليزيديُّ ، عن الزُّبير ، عن أحمد بن عُبَيْد الله بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبير ، قال : لّما قُتل الزُّبير وخلتْ عاتِكة بنتُ زَيْد ، خطَبها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت له : إنِّي لأَضَنّ بك على القتل يا ابنَ عمِّ رسول الله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن محمد بن سَلاّم قال : حدَّثني أبي قال : بينا فِتية من قريش ببطن مُحسِّرٍ يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعارَ إذ أقبل طُوَيس وعليه قميص قُوهِيٌّ[2] وحَبَرة قد ارتدى بها ، وهو يَخطُر في مِشْيته ، فسلّم ثم جلس ؛ فقال له القوم : يا أبا عبد الله غنّنا شِعْراً مليحاً له حديث ظريف ، فغنّاهم بشعر

1 تقدم برواية : شلت يمينك

2 قوهي : أبيض .

عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطّاب : [من الكامل]

مُنِـعَ الرُّقادُ فعـادَ عَيْنيَ عِيدُ ... مِمَّـا تَضمَّن قَلبِـــيَ المَعمودُ

الأَبيات ، فقال القوم : لِمَنْ هذه الأَبيات يا طُوَيس ؟ قال لأَجْمَل خلق الله وأشأمهم ؛ فقالوا : بأنفُسنا أنت ، مَن هذه ؟ قال : هي والله مَن لا يُجهَل نَسبُها ولا يُدفَع شرفُها ، تزوَّجت بابن خليفة نبيّ الله ، وثَنَّت بخليفة خليفة نبيّ الله ، وثَلَّثت بحَوارِيّ نبيّ الله ، وربَّعت بابن نبيّ الله ، وكُلاًّ قَتَلَتْ . قالوا جميعاً : جُعِلْنا فداك ، إنّ أمر هذه لعجيب ، بآبائنا أنت مَن هذه ؟ قال : عاتِكةُ بنتُ زَيد بن عمرو بن نُفَيل . فقالوا : نعم ، هي على ما وصَفْتَ ، قوموا بنا لا يُدرِك مجلسَنا شؤمُها . قال طُوَيس : إنّ شُؤْمَها قد مات معها ، قالوا : أنت والله أَعلم مِنّا .

صوت

[من الخفيف]

يــا دَنانِيرُ قــد تَنكَّر عَقْـلي ... وتَحَيَّرتُ بــين وَعْـدٍ ومَطْلِ
شَغَفــي شافِعــي إليــكِ وإلاّ ... فاقتُلِيني إن كنتِ تَهْوَين قَتْلي

الشعر والغِناء لعَقيد مولى صالح بن الرشيد ، خفيف ثقيل ، وفيه لعريب رمل بالوسطى ، وهذا الشعر يقوله في دنانير مَولاة البرامكة ، وكان خَطَبها فلم تُجِبه ، وقيل : بل قاله أَحدُ اليزيديِّين ونَحَلَه إيّاه .

[377] ـ ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد[1]

كانت دنانيرُ مولاة يحيى بن خالد البرمكيِّ وكانت صفراءَ مولَّدة ، وكانت من أَحسن النّاس وجهاً وأظرفهنَّ وأكملهنَّ أدباً وأكثرهنّ رِوايةً للغناء والشعر ، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثِر مصيرَه إلى مولاها ويقيم عندها ويَبرّها ويفرِط ، حتى شكَته زبيدةُ إلى أهله وعُمومته ، فعاتبوه على ذلك .

[كتابها في الأغاني]

ولها كتابٌ مجرَّد في الأغاني مشهور ، وكان اعتمادُها في غنائها على ما أَخذته من بذْل وهي خَرَّجَتْها ، وقد أُخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَذْل عنهم مثل : فُلَيح ، وإبراهيم ، وابن جامع ، وإسحاق ، ونُظرائهم .

أُخبرني جحظة ، قال : حدَّثني المكّيُّ عن أبيه قال : كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايي دنانيرَ جارية البرامكة ، فكثيراً ما كانت تَغلبنا .

[إبراهيم الموصليّ يعجب بصوت لها]

أُخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ ، عن ابن شبّة ، قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ ، قال : قال لي أبي[2] ؛ قال لي يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عمِلت صوتاً اختارتْه وأُعْجِبت به ، فقلت لها : لا يشتدُّ إعجابُك حتى تعرِضيه على شَيخك ، فإن رضِيَه فارضَيه لنفسك ، وإن كرهه فاكرهيه ، فامضِ حتى تعرضَه عليك . قال : فقال لي أبي : فقلت له : أيّها الوزير فكيف إعجابُك أنت به ؟ فإنّك والله ثاقب الفِطنة صحيحُ التّمييز ؟ قال : أكرهُ أن أقولَ لك : أعجبني فيكون عندك غَيرَ مُعجِب ؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك ، تَعرِف منها ما لا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقِف ، وأكرَهُ أن أقول لك : لا يُعجبُني ، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً ، وإنّما يتمُّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويباً . قال : فمضيت إليها ، وقد تقدَّم إلى خَدَمه يعلمهم أنّه سيرسل بي إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءَك إبراهيمُ فاعْرِضي عليه الصوت الذي صنعتِه واستحسنْتِه ، فإن قال لك : أصبتِ سَررتِني بذلك ، وإن كَرِهه فلا تُعلميني لئلاّ يزول سُروري بما صنعتِ . قال إسحاق : قال أبي : فحضَرْتُ الباب فأُدخِلتُ ، وإذا الستارة قد نُصِبت ، فسلّمت على الجارية من وراء

1 لدنانير ترجمة في الدر المنثور : 192 وفيه «عقيل» وأعلام الزركلي .

2 تقدم الخبر والصوت في ترجمة إبراهيم الموصليّ 5 : 102 .

الستارة ، فردَّت السلام ، وقالت : يا أَبتِ أعرِضُ عليك صوتاً قد تقدّم لا شكّ إليك خبرُه ، وقد سمعتُ الوزيرَ يقول : إنّ النّاس يُفتنون بغنائهم ، فيُعجبهم منه ما لا يُعْجِب غيرهم ، وكذلك يُفتنون بأولادهم ، فيحسُنُ في أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك ، فقُلت : هاتِ ، فأخذت عودَها وتغنَّت تقول : [من الكامل]

صوت

نَفْسي أكنتُ عليك مُدَّعِياً ... أم حين أزمع بَيْنَهم خُنْتِ !
إن كنتِ مولعةً بذكرهمُ ... فعلى فراقِهمُ ألا مُتِّ !

قال : فأعجبني والله غاية العجب واستخفَّني الطرب ، حتى قلت لها : أعيديه ، فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعاً أُصلحه وأُغيِّره عليها لتأخذَه عنِّي ، فلا والله ما قَدرتُ على ذلك ؛ ثم قلتُ لها : أعيديه الثالثة فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفّى ؛ فقلت : أحسنتِ يا بنيّة وأصبتِ ، وقد قطعت عليك بحُسن إحسانك وجودة إصابتك أنّك قائدةٌ للمعلِّمين ؛ إذ قد صرتِ تُحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة ؛ قال : ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد : فقال : كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير ؟ قال : أعزَّ الله الوزير ، والله ما يُحْسِن كثيرٌ من حُذَّاق المغنِّين مثلَ هذه الصنعة ، ولقد قلتُ لها : أعيديه وأعادته عليَّ مرّات ، كلُّ ذلك أُريد إعناتها ، لأجتلِبَ لنفسي مدخلاً يؤخذ عنِّي ويُنسب إليّ ، فلا والله ما وجدته . فقال لي يحيى : وصفُك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها ، وقد ، والله ، سررتني وسأسرُّك ، فوجَّه إليّ بمال عظيم .

[إعجاب الرشيد بها]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب ، قال : حدَّثني ابن المكِّي ، قال : كانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرّجها وأدَّبها ، وكانت أروى النّاس للغِناء القديم ، وكانت صفراءَ صادقَة الملاحة ، فلمّا رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها . وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعُها ، حتى أَلِفَها واشتدّ عَجَبُه بها فوهب لها هِبات سنيّة ، منها أنّه وهب لها في ليلة عِيد عِقْداً قيمته ثلاثون ألف دينار ، فرُدَّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك . وعلمت أُمّ جعفر خبرَه فشكته إلى عُمومته ، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه ، فقال : ما لي في هذه الجارية من أَرَب في نفسها ، وإنّما أَرَبي في غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحقّت أن يُؤلفَ غناؤُها وإلاّ فقولوا ما شئتم ؛ فأقاموا عنده ، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أُمّ جعفر فأشاروا عليها ألاّ تُلحّ في أمرها فقَبِلت ذلك ، وأهدت إلى الرَّشيد عَشْرَ جوارٍ ، منهن : ماردة أُمّ المعتصم ، ومراجل أُمّ المأمون ، وفارِدَة أُمّ صالح .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، : أخبرني محمد بن عبد الله الخُزاعيّ قال : حدَّثني عبّاد البشريّ قال : مررتُ بمنزل من منازل طريق مكّة يقال له النِّباج ، فإذا كِتاب على حائط في المنزل ، فقرأتُه فإذا هو : النَّيْكُ أربعة ؛ فالأوّل شَهْوة ، والثاني لذَّة ، والثالث شفاء ، والرابع داءٌ ، وحِرٌ إلى أيْرَيْن أحوجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْن ، وكَتَبتْ دَنانيرُ مولاة البرامكة بخطِّها .

أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شَبَّة : أنّ دنانير أخذت عن إبراهيم الموصليّ حتى كانت تُغنّي غِناءه ، فتَحْكِيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتَني ودنانيرُ باقية فما فقدتني .

[عدم صبرها عن الأكل]

قال : وأصابتها العِلّةُ الكَلْبيّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدةً ، فكان يحيى يتصدَّق عنها في كلّ يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنّها كانت لا تصومه ، وبقيت عند البرامكة مدّة طويلة .

أخبرني ابنُ عمّار ، وابن عبد العزيز ، وابن يونس ، عن ابن شَبَّة ، عن إسحاق .

[امتناعها عن الغناء للرشيد]

وأخبرني جَحْظة ، عن أحمد بن الطيِّب : أنّ الرشيد دعا بدنانير البرمكيّة بعد قتلِه إيّاهم ، فأمرها أن تُغنّي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنّي آليتُ ألاّ أُغَنِّي بعد سيِّدي أبداً ؛ فغضب ، وأمر بصَفْعِها ، فصُفِعَت ، وأُقيمت على رجليها ، وأُعطيت العُود ، وأخذته وهي تبكي أحرَّ بكاء ، واندفعت فغنَّت : [من المنسرح]

صوت

يــا دارَ سَلْمى بنــازِح السَّنَدِ ... بـين الثَّنايــا ومَسْقَط اللَّبَــدِ

لَمَّا رأيتُ الدِّيارَ قد دَرَسَتْ ... أيقنتُ أنَّ النَّعيــم لم يَعُــدِ

الغناء للهُذَليّ خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوُسْطى ، وذكر عليّ بن يحيى المُنَجّم وعمرو أنّه لسياط في هذه الطريقة .

قال : فَرَقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المَهْديّ فقال له : كيف رأيتَها ؟ قال : رأيتها تَختِله برفق ، وتَقْهَرُه بحِذْق .

[رفضها الزواج]

قال عليّ بن محمد الهِشاميّ : حدَّثني أبو عبد الله بن حَمْدون أن عَقِيداً مولى صالح بن الرشيد خَطَب دنانير البرمكيّة ، وكان هَوِيَها وشُغِف بذكرها ، فردَّته ، واستَشْفَع عليها مولاه صالح بن الرشيد ، وبَذْل ، والحُسَين بن محرز ، فلم تُجِبه وأقامت على الوفاء

لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد قوله : [من الخفيف]

يـا دنانيرُ قـد تَنكَّر عَقْـلي وتَحيّرتُ بـين وَعْـدٍ ومَطْلِ
شَفِّعي شافعـي إليـك وإلاَّ فاقتُليني إن كنت تَهْوَيْن قَتْلي
أنـا بـالله والأمير ومـا آ ملُ من موعـد الحُسَين وبَذْلِ
ما أُحِبُّ الحَياةَ يا حِبُّ إن لم يجمع الله عاجلاً بـكِ شَمْلي

فلم يعطِفْها ذلك على ما يُحِبّ ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

وكانت عَقِيدٌ حَسَن الغِناء والضرب قليلَ الصَّنْعة ، ما سَمِعنا منه بكثير صَنْعة ، ولكنّه كان بمَوضِع من الحِذْق والتّقدُّم .

قال محمد بن الحسن : حدَّثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال : شهدتُ إسحاق يوماً وعَقِيدٌ يُغنِّيه : [من البسيط]

صوت

هلاّ سألتِ ابنةَ العَبْسيّ ما حَسبي عند الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ
وجالـت الخَيلُ بالأبطال عابِسةً شُعْثَ النّواصي عليها البِيضُ تَأتَلِقُ

الشعر يقال إنّه لعَنْتَرة ولم يصحَّ له ، والغِناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . قال : فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويُصفّق حتى والى بين أربعة أرطال ، وسأله بعضُ مَنْ حضر : مَنْ أحسَنُ الناسِ غناء ؟ قال : مَنْ سقاني أربعةَ أرطال .

وفي دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنْجِيّ : [من السريع]

صوت

أَشبَهـكِ المسكُ وأَشبهتِـهِ قائمـةً في لونـه قاعـدَهْ
لا شكّ إذ لونُكما واحـدٌ أنَّكما مـن طينـةٍ واحـدَهْ

غنّاه ابن جامع هزجاً بالبِنصر وقيل إنّه لأبي فارة .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، عن عليّ بن محمد النوفليّ ، عن مَوْلاةِ ابن جامع أنّ مولاها كان يهوى جارية صفراء . فقال فيها هذا الشعر وغنّى فيه ، وأظنّ هذا وهمّاً ؛ لأنّا لم نسمع لابن جامع بشعر قطّ ، ولعلّه غنّاه في شعر أبي حَفْص الشِّطْرنجيّ . فظنته له .

وممّا غنّاه عَقِيد في دنانير والشعر للموصليّ إلاّ البيت الأوّل فليس له .

صوت

[من البسيط]

هَــذِي دَنانيرُ تَنْساني فأَذْكرُها وكيف تنسى مُحِبّاً ليس يَنْساها !
واللهِ واللهِ لــو كانت إذا بَرزَت نَفسُ المُتَيَّمِ في كَفَّيْه أَلْقاهــا

والشعر والغناء لعقيد ، ولحنه من الرَّمل المطلق في مجرى الوسطى ، وفيه هزج خفيف مُحدَث .

[غناء بشعر في دنانير]

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني عليُّ بن محمد قال : حدَّثني جابر بن مُصعَب ، عن مُخارِق ، قال : مرّت بي ليلةٌ ما مَرَّ بي قطّ مثلُها . جاءني رسولُ محمد الأمين وهو خليفة ، فأخذني وركضَ بي إليه رَكْضاً ، فحين وافَيْتُ أُتِيَ بإبراهيم بن المهديّ[1] على مثل حالي ، فنزلنا ، وإذا هو في صحن لم أَرَ مثله قد مُلِئ شمعاً من شمع محمد الأمين الكِبار ، وإذا به واقف ثم دخل في الكِرح[2] ، والدار مملوءة بالوصائف يُغنِّين على الطبول والسّرنايات[3] ومحمد في وسطهنّ يرتكِض في الكِرْح . فجاءنا رسولُه ، فقال : قُوما في هذا الباب ممّا يَلي الصَّحْن ، فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بَلَغ ، وإيّاكما أن أَسمعَ في أصواتكما تقصيراً عنه ، قال : فأصغَيْنا فإذا الجَواري والمُخَنَّثون يزمُرون ويضربون : [من البسيط]

هَــذي دنانيرُ تَنْساني وأَذكرهــا وكيف تنسى مُحِبّاً ليس ينساها !
أَعوذُ باللهِ مــن هِجران جاريــةٍ أَصبحتُ من حبِّها أَهذِي بذكراها
قد أُكمِلَ الحسنُ في تركيب صورتها فارتــجَّ أَسفلُهــا واهتــزَّ أَعلاها
قامت تمَشَّى فليت الله صَيَّرني ذاك الترابَ الذي مَسَّتْه رِجلاها
والله واللهِ لــو كانت إذا بــرزت نفسُ المُتَيَّــم في كفَّيــه أَلقاها

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناي ونَتْبَعه حذراً من أَن نخرج عن طبقته ، أَو نقصر عنه إلى الغداة ، ومحمد يجولُ في الكِرْح ما يسأمه ، يدنو إلينا مرّة في جولانه ويتباعد مرّة ، وتحولُ الجوارِي بيننا وبينه حتى أَصبحنا .

---

1 ط . بيروت : إبراهيم الموصلي .
2 الكرح : بيت الراهب . وفي ط . بيروت : قد دخل في الخدم .
3 السرنايات : جمع سرناي ، وهي من آلات الصفير .

صوت[1]

[من الطويل]

أَلا طَرَقَتْ أَسماءُ لا حين مَطْرَقِ   وأَنَّى إذا حَلَّتْ بنَجْـرانَ نلتقي
بِــوَجٍّ ومــا بــالي بِوَجٍّ وبالُها   ومَنْ يلقَ يوماً جِدَّة الحبّ يُخْلِقِ[2]

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لخُفاف بن نُدْبة ، والغناء لابن مِحْرز خفيف ثقيل أُوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق أيضاً ، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لِمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لعلويه خفيف رمل بالوسطى ، وفيه للقاسم بن زُرْزُور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه ، وفيه لابن مِسْجَح ثقيل أوّل ، عن إبراهيم ، ويحيى المكّيّ ، والهِشاميّ ، وفيه لمخارق رمل بالبِنصر .

1 مجموع شعر خفاف بن ندبة : 27–29 .
2 وجّ : واد بالطائف . ويروى :
ألحــت بنــوح ما لنوح ومالها   ومن يلق يوماً جدة البين يخلق

[378] ـ أخبار خفاف ونسبه[1]

هو خُفاف بن عُمَير[2] بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان بن مضر بن نِزار ، ونُدْبة[3] أمّه وهي أَمةٌ سوداء ، وكان خفاف أسودَ أيضاً ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم ، وجعله ابنُ سَلاّم في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُوَيرة ، ومع ابنَي عمِّه صَخْر ومعاوية ابنَي عمرو بن الشريد ، ومالك بن حِمار الشَّمْخيّ[4] .

[أحد أغربة العرب]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم ، قال : كان خُفاف بن نُدْبة ، وهي أُمّه ، فارساً شجاعاً شاعراً ، وهو أَحدُ أَغْربة العرب[5] ، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشَّريد أغار على بَني ذُبيان يوم حَوْزة[6] ، فلمّا قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف : والله لا أَريم اليومَ أو أُقِيدُ به سيِّدَهم ، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذٍ فارسُ بني فَزارة وسيِّدهم فطعنه فقتله ، وقال[7] : [من الطويل]

فإن تَكُ خَيلي قد أُصيب صَميمُها فعمْداً على عينـي تَيمَّمْتُ مالِكا
رفعتُ لـه مـا جَرَّ إذ جَرَّ موته لأَبْنـيَ مَجْـداً أو لأَثـأر هالِكا[8]

---

1 ترجمة خفاف بن ندبة في الشعر والشعراء : 258–259 وخزانة البغدادي 5 : 443–448 والمؤتلف : 153 وكامل المبرد (الدالي) : 1150 والاشتقاق : 309–310 والمعارف : 325 والوافي 13 : 351 وأسد الغابة 3 : 118–119 والإصابة 1 : 448 وانظر أعلام الزركلي وقد جمع شعره د . نوري حمودي القيسي (مطبعة المعارف ، بغداد) .

2 ل : عمرو .

3 بفتح النون وضمّها .

4 لم يرد ذكر هؤلاء بين الشعراء في طبقات ابن سلام .

5 أغربة العرب : عنترة بن شداد والسليك بن السلكة وأبو عمرو بن الحباب وخفاف بن ندبة وهشام بن عقبة بن أبي معيط سموا كذلك لسوادهم . وانظر اللسان (غرب) .

6 ل : الجزيرة .

7 مجموع شعره : 64 .

8 الديوان : «وقفت له عَلوى وقد خام صحبتي . وعلوى : فرسه .

أَقـول لـه والرُّمحُ يأْطِـرُ مَتْنَه : تأَمَّـلْ خُفافـاً إنَّنـي أنا ذَلِكا[1]

قال ابن سلاّم : وهو الذي يقول[2] : [من السريع]

يا هِندُ يا أُختَ بنـي الصّارِدِ مـا أنا بالباقـي ولا الخالدِ[3]

إن أُمسِ لا أُملِـكُ شيئاً فقد أُملـكُ أمـرَ المَنْسِرِ الحـارِدِ[4]

في هذين البيتين لعُبيد الله بن أبي غسّان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

[مناقضاته مع العباس بن مرداس]

أَخبرني عَمِّي ، عـن عبد الله بن سعد ، عـن أَحمد بن عمَر ، عن عُمَر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفّـان رضي الله عنه ، عن الحجّاج السُّلَميّ قال : كان بَدءُ ما كان بين خُفاف بن نُدبة والعبّاس بن مرداس أنَّ خُفافاً كان في ملإٍ من بني سُلَيم فقال لهم : إنّ عبّاس بن مِرْداس يريد أن يبلُغ فينا ما بلغَ عبّاس بن أَنَس الأصمّ ، ويأبَى ذلك عليه خصالٌ قَعَدْن به . فقـال لـه فتـى من رهط العبّاس : وما تلك الخصالُ يا خُفاف ؟ قال : اتّقاؤه بخَيْله عند الموت ، واستهانَتُه بسَبايا العَرب ، وقتلُه الأسرى ، ومُكالبَتُه للصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تَمَنَّيْنا موتَه . فانطلق الفتى إلى العبّاس فأخبره الخبر ؛ فقال العبّاس : يا ابن أخـي ، إن لم أكن كالأصمّ في فضله فلستُ كخُفافٍ في جهْله ، وقـد مضى الأصمُّ بما في أمس وخَلَّفَني بما في غَدٍ ، فلمّا أمسى تغنّـى ، وقال[5] : [من الوافر]

خُفافٌ مـا تزال تجـرُّ ذيلاً إلى الأمـرِ المُفـارقِ للرَّشادِ

إذا مـا عايَنَتْكَ بنـو سُلَيمٍ ثَنَيْت لهـم بِداهيـةٍ نَآدِ[6]

وقـد عَلِم المعاشِرُ من سُلَيْم بأنّي فيهـمُ حَسَنُ الأَيادي

فأَورِدْ يـا خُفافُ فقد بُليتم بَني عـوف بحَيَّةِ بَطْن وادي[7]

قال : ثم أصبح فأتى خُفافاً ، وهو في ملإٍ من بني سُلَيْم ، فقال : قد بلغني مقالتُك يا

1 يأطر : يثني . والمتن : الظهر .
2 مجموع شعره : 46 .
3 بنو الصارد : حيّ من بني مرة بن غطفان .
4 المنسر : مجموعة من الخيل . والحارد : الجاد القاصد .
5 ديوان العباس بن مرداس : 46 وسيرد برواية : أخفاف أما تزال . . . إلى الأمر المقارب للفساد .
6 نآد : داهية شديدة .
7 حية بطن واد : داهية خبيثة .

خُفاف ، والله لا أَشتُم عِرضَك ولا أَسُبُّ أَباكَ وأُمَّك ، ولكنِّي رام سوادك[1] بما فيك ، وإنّك لتعلم أنّي أحمي المصافَّ[2] وأتكرَّمُ على السَّلَب وأطلق الأسيرَ وأصون السبِيّة ؛ وأما زعمُك أنّي أتَّقي بخيلي الموت فهاتِ من قومِك رجلاً اتَّقيتُ به ؛ وأمّا استهانتي بسَبَايا العرب فإنّي أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائِنا ؛ وأمّا قتلي الأسرى فإنّي قتلتُ الزبيديّ بخالك ؛ إذ عجزتَ عن ثأرك ؛ وأمّا مُكالبتي الصعاليكَ على الأسلاب ، فوالله ما اتيتُ على مسلُوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبه . وأمّا تمنِّيك موتي ، فإن متُّ قبلك فأغْنِ غَنائي ؛ وإنْ سُلَيما لتعلم أنّي أخفُّ عليهم مؤونة ، وأثقلُ على عدوِّهم وطأةً منك ؛ وإنَّك لتعلم أنّي أبحتُ حِمى بني زُبيد ، وكسرتُ قَرْنَي بني الحارث وأطفأتُ جمرَة خَثعم ، وقلَّدت بني كِنانة قلائِدَ العار ، ثم انصرف . فقال خُفاف أبياتاً لم يحفظ الشيخُ منها إلاّ قوله : [من الوافر]

ولم تقتُــل أُسيرَك مــن زُبيدٍ بخــالي بــل غَدَرْتَ بمُسْتفادِ
فَزنْــدُك في سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْــدٍ وزادُك في سُلَيْـــم شَــرُّ زادِ

فأجابه العبّاس بقوله[3] : [من الوافر]

ألا مَــنْ مُبلــغٌ عنِّــي خُفافاً فإنِّــي لا أحاشي من خُفافِ
نكحتَ وليدةً ورضعتَ أُخْرى وكان أَبــوكَ تحْمِلـهُ قَطافِ[4]
فلستُ لحاضِنٍ إن لم نُزِرْها تُثيرُ النَّقعَ من ظَهْر النِّعافِ[5]
سراعاً قد طواها الأينُ دُهْماً وكمتاً لونُها كالوَرس صافِ[6]

قال : ثم كفَّ العبّاس وخُفاف حتى أَتى ابنُ عمّ للعبّاس يُكنى أَبا عَمْرو بن بدر ، وكان غائباً ، فقال : يا عبّاس ، ما نقولُ فيك خيراً إلاّ وهو باطل ، قال : وكيف ذلك ، ويحك ! قال : أخبرني عنك ، أَكُلُّ الذي أقررتَ به من خُفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك ؛ ليأسٍ من نصر قومك أو ضعفٍ من نفسك ؟ قال : لا ، ولا واحدة منهما ، ولكنِّي أحببت البُقْيا ، قال : فاسمع ما قلتُه ، قال : هات ، فأنشأ يقول : [من الوافر]

1 سوادك : شخصك .
2 المصاف : جمع مصف ، وهو موقف القتال .
3 مجموع شعره : 74 .
4 ديوان العباس : 91 . قطاف : علم للأمة مبني على الكسر كقطام .
5 إن لم نزرْها في الديوان : إن لم تروها . والحاضن : العفيفة . ونعاف : جمع نعف وهو ما انحدر من السفح وغلظ .
6 في الديوان : سواهم كالقداح مسومات . والسواهم : الخيل التي غيرها السفر . والأين : التعب .

أرى العبّاس ينفُض مِذْرَوَيْــه ... دَهِــينَ الرأس تَقْليه النساءُ[1]
وقــد أَزرى بوالده خُفافٌ ... ويُحسَب مثلــه الداءُ العَياءُ
فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ ... فــإنّ السَّبَّ تُحسِنُـه الإماءُ
ولا تكذِب وأهْدِ إليه حرباً ... مُعَجَّلَــةً فــإنّ الحــربَ داءُ
أذَلَّ اللهُ شرَّكما قَبيــــلاً ... ولا سَقَّت لــه رَسْماً سَماءُ

[الحرب بين العبّاس وخفاف]

قال العبّاس : قد آذنتُ خُفافاً بحرب ، ثم أُصبحا فالتقيا بقومهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل ، وكان الفضل للعبّاس على خفاف . فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَمِيّ في وجوه هَوازن ، فقام دُريد خطيباً فقال : يا معشر بني سُلَيم ، إنّه أعجلني إليكم صدرٌ وادّ ورأيٌ جامع ، وقد ركب صاحباكم شرَّ مطيَّة ، وأوضعا إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذِلّ[2] المغلوب ، ثم جلس . فقام مالِكُ بن عوف[3] فقال : يا معشر بني سُلَيم ، إنّكم نزلتم منزلاً بَعُدت فيه هَوازن ، وشَبِعت[4] منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائِل ، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزِعوا وفيكم بقيّة قبل أن تلقوا عدوَّكم بقَرْنٍ أَعْضَبَ وكَفٍّ جَذْماءَ[5] ، قال : فلمّا أُمسينا تغنّى دريد بن الصِّمَّة فقال[6] : [من الطويل]

سُلَيمُ بــنَ منصور أَلَّما تُخَبَّرُوا ... بما كان من حَرْبَيْ كُلَيْبٍ وداحِسِ
وما كان في حرب اليَحابِرِ من دمٍ ... مباحٍ وجَــدْعٍ مؤلمٍ للمَعاطِسِ[7]
وما كان في حَرْبَي سُلَيْم وقبلهم ... بحرب بُعاثٍ من هلاك الفوارسِ
تسافهت الأحــلامُ فيها جَهالةً ... وأُضرِم فيهــا كلُّ رَطب ويابسِ
فكُفُّوا خُفافــاً عــن سفاهَةِ رأيِهِ ... وصاحِبَه العبّاسَ قبــل الدَّهارسِ[8]

1 المذروان : طرف الإلية . والمثل : جاء ينفض مذرويه (الميداني 1 : 171 وجمهرة العسكري 1 : 318 ومستقصى الزمخشري 2 : 46) يضرب لمن يتوعد من غير حقيقة .
2 ل : ويذم .
3 ل : أوس .
4 ل : وشعبت .
5 القرن الأعضب : المكسور . واليد الجذماء : المقطوعة .
6 ديوان دريد : 88 (عن الأغاني) .
7 اليحابر في ل : البحائر .
8 الدهارس : الدواهي .

وإلاّ فأنتم مثلُ مَنْ كان قبلكم ومَنْ يعقِل الأمثالَ غيرُ الأكايسِ

وقال مالك بن عوف النَّصْريّ : [من الطويل]

سليم بن منصور دعوا الحربَ إنّما هي الهُلك للأقْصَيْن أو للأقارِبِ
ألم تعلموا ما كانَ في حرب وائلٍ وحرب مُرادٍ أو لُؤيّ بن غالبِ
تفرّقت الأحياءُ منهم لَجاجَةً وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ
فما لسُلَيمٍ ناصرٌ من هَوازنٍ ولو نُصِروا لم تُغنِ نُصرةُ غائبِ

قال : ثم أصبحنا ، فاجتمعت بنو سُلَيم ، وجاء العبّاس وخُفافٌ ، فقال لهما دُريد بن الصِّمَّة ولِمَن حضر من قومهما : يا هؤلاء ، إنَّ أوّلكم كان خيرَ أوّل ، وكلّ حيٍّ سَلَف خيرٌ من الخَلف ، فكُفُّوا صاحبيكم عن لَجاجِ الحرب وتهاجي[1] الشعر ، قال فاستحيا العبّاس فقال : فإنّا نكفّ عن الحرب ، ونتهادَى الشعر ؛ قال : فقال دُريد : فإن كنتما لا بدّ فاعلين فاذكرا ما شئتما ودَعا الشَّتم ، فإنّ الشّتم طريقُ[2] الحرب ، فانصرَفا على ذلك .

فقال العبّاس بن مِرداس[3] : [من المتقارب]

فأبلغْ لدَيْك بني مالكٍ فأنتم بأنبائنا أخبَرُ
فأمّا النَّخِيلُ فليست لنا نخيلٌ تُسقَّى ولا تُؤبَرُ
ولكنَّ جَمعاً كجِذْل الحِكا ك فيه المُقَنَّع والحُسَّرُ[4]
مغاويرُ تحمِل أبطالَنا إلى الموتِ ساهِمةٌ ضُمَّرُ
وأعددتُ للحرْب خَيفانةً تُدِيم الجِراءَ إذا تَخْطِرُ[5]
صَنِيعاً كقارورة الزّعفرا ن مِمّا تُصانُ ولا تُؤثَرُ

ويقال : صَبِيغاً . قال : فأجابه خُفافٌ فقال[6] : [من المتقارب]

أعبّاسُ إن استعارَ القَصِيـ ـدِ في غير مَعْشَره مُنكَرُ

1 ل : تهادي .
2 ل : طرف .
3 ديوان العباس : 65 .
4 جذل الحكاك : عود ينصب للإبل الجربى فتحتك به .
5 خيفانة : سريعة . الجراء : الفتوة .
6 مجموع شعره : 57–58 .

عـلامَ تَناولُ مـا لا تَنالُ فتقطَـعُ نفسَكَ أو تَخسرُ
فإنَّ الرِّهـانَ إذا مـا أُريـد فصاحبُـه الشامـخُ المُخْطِرُ[1]
تَخاوَصُ لم تستطعْ عُـدَّةً كأنَّك مـن بُغضِنـا أعوَرُ[2]
فقصـرُك مَأثورةٌ إن بَقِيـ ـتُ أصحو بها لك أو أسكرُ
لساني وسيفـي معاً فانظُرَنْ إلى تلـك أيُّهمـا تُبْـدَرُ

قال : فلمّا طال الأمر بينهما من الحرب والتّهاجي ، قال عبّاس : إنّي واللهِ ما رأيت لخُفافٍ مثلاً إلاّ شِيام بني زُبَيد فإنّه كان يَلقى من ابن عمّه ثَرْوانَ بن مُرَّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف ، فلمّا لَجَّ في شتمه تركه وما هو فيه ، فقال : [من الطويل]

وهبتُ لثَروانَ بن مُـرَّةَ نفسَه وقد أمكَنَتني من ذُؤابَتِه يدي
وأحمِلِ ما في اليوم من سُوء رأيِه رَجاء التي يأتي بها اللهُ في غدِ

فقال خُفاف : إنّي والله ما وجدتُ لعبّاس مثلاً إلاّ ثَرْوان بني زُبَيد ، فإنّه كان يَلقى من شِيام ما أَلقى من العبّاس من الأذى ، فقال ثَرْوان : [من الطويل]

رأيتُ شِياماً لا يـزالُ يَعيبُني فللَّه مـا بـالي وبالُ شِيامِ !
فقَصْرُك منّي ضربـةٌ مازِنِيَّةٌ بكفِّ فتًى في القوم غيرِ كَهامِ
فتُقصِر عنّي يا شِيامُ بنَ مالكٍ وما عَضَّ سيفي شاتمي بحَرامِ

فقال عبّاس : جزاك الله عنّي يا خُفاف شرّاً ، فقد كنتُ أخفَّ بني سُليم من دمائها ظَهْراً ، وأخْمصها بطناً ، فأصبحتِ العرب تُعَيِّرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمالِ وأكْل الأموال ، وصرت ثَقيل الظَّهر من دمائها مُنْفَضِجَ[3] البطن من أموالها ، وأنشأ يقول[4] : [من المتقارب]

ألَـم تَـرَ أنّي تركتُ الحروبَ وأنّي نَدِمت على مـا مَضى
ندامـةَ زارٍ عـلى نفسه لتِلـك التـي عارُهـا يُتَّقى
فلم أُوقِـد الحربَ حتى رَمى خُفـافٌ بأسهُمه مَـنْ رَمى
فـإن تعطِف القـومَ أحلامُهم فيرجعَ مـن وُدِّهم مـا نأى

---

1 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .
2 عُدّة في ل : غرة . وتخاوص : غضّ من بصره .
3 منفضج البطن : منتفخه .
4 ديوان العباس : 29 .

فلستُ فَقِيراً إلى حَرْبِهِـــم وما بـي عن سَلْمِهِم مِن غِنى

فقال خُفاف[1] : [من المتقارب]

أَعبَّاسُ إمَّا كَرِهْـتَ الحـروبَ فقد ذُقْتَ مـن عَضِّها ما كَفى

أَأَلْقَحْتَ حَربـاً لهـا شِدَّةٍ زَمانـــاً تُسعِّرُهـا بـاللَّظى

فلمّـا تَرَقَّيْـتَ في غَيِّهـا دَحَضْت وزَلَّ بِـكَ المرْتَقى

فـلا زِلْتَ تَبكي على زَلَّـة ومـاذا يَـرُدُّ عليـك البُكا

فإن كنتَ أَخطأتَ في حَرْبنـا فلَسْنا نُقيلُـك هـذا الخَطا

وإن كنتَ تَطْمَـعُ في سَلْمِنا فـزاوِلْ ثَبيراً ورُكْنَـيْ حِرا

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني مسعودُ بن عيسى العَبديّ ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفَزاريّ ، وكان علاّمةً بأمرِ قيس ، قال : كان خُفاف بن نُدْبَةَ في جماعة من قومه ، فقال : إنّ عبّاس بنَ مرداس ليُريد أن يبلغ فينا مبلغ عبّاس بن أنس الأصمّ وتأبى عليه خِصالٌ قعَدْن به عن ذلك ، فقال فتًى من رَهْط عبّاس : ما تلك الخصال يا خُفاف ؟ فقال : اتّقاؤه بخيله عند الموت ، ومكالبةُ الصعاليك على الأسلاب ، وقتلهُ الأسرى ، واستهانتُه بسبايا العرب ، وآيم الله ، لقد طالت حياتُه حتى تمنّينا موتَه ، فانطلق الفتى إلى العبّاس فحدَّثه الحديث ، فقال العبّاس : يا ابن أخي إلاّ أكـن كالأصمّ في فضلـه فلست كخُفافٍ في جهله ، وقد مضى الأصمّ بما في أمس ، وخلّفني لِما في غد ، فلمّا أمسى تغنّى ، فقال[2] : [من الوافر]

خُفــافُ أَما تزال تجرُّ ذَيلاً إلى الأمــرِ المقـرِّب للفسادِ

وقـد علـم المعاشِرُ من سُلَيْم بأنّي فيهــمُ حَسَنُ الأيادي

وأنّي يـوم جَمْعِ بني عُطَيْفٍ حملت بحالكٍ وَهِجِ المَرادي[3]

وأنّــي لا أُعَيَّر في سُلَيْــم بــردِّ الخيــلِ سالمةَ الهوادي

وأنّــي في مُلِمَّــةِ كلّ يـوم أَقي صَحْبي وفي خيلي تعادِي

ولم أَسلِب بحمــدِ الله كَبْشاً سِلاحاً بين مختلف الصِّعادِ[4]

1 مجموع شعره : 68–69 .

2 لم ترِد الأبيات بهذه الرواية في ديوانه .

3 المرادي : جمع مردي ، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور .

4 الصعاد : جمع صعدة ، وهي القناة المستوية .

ولم أُحلُــل لُمحصَنَةٍ نِطاقـاً ولم أرَ عِتقَهــا إلاّ مُــرادِي
فأُوردْ يـــا خُفاف فقد مُنِيتم بنـــي عوفٍ بحيّة بطن وادي

فلمّا أصبح أتى خُفافاً وهو في ملأٍ من قومه ، فقال : قد بلغني مقالُك يا خُفاف ، وآيم الله ، إنّك لتعلم أنّي أحمي المصافَّ ، وأكره السَّلَب ، وأطلِق الأسير ، وأصون السَّبِيَّة .

فأمّا زعمُك أنّي أتّقي بخيلي عند الموت فهاتِ لي من قومك رجلاً اتَّقيتُ به ؛ وأمّا قَتْلي الأسرى فإنّي قتلتُ الزُّبيديّ بخالك ؛ وأمّا سَلْبي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبَه ؛ وأمّا استهانتي بالسَّبايا فإنّي أحذو القوم في سباياهم فِعالَهم في سبايانا ، وأمّا تمنّيك موتي فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي ، ثم انصرف . فقال خُفاف مُجيباً للعبّاس عن قوله[1] : [من الوافر]

لعمــرُ أَبيك يــا عبّاسُ إنّي لُمنْقطِع الرِّشاء مـــن الأَعادي
وإنّــي قـــد تعاتبُنــي سُلَيْم على جَـــرِّ الذيولِ إلى الفسادِ
أكُلَّ الدّهــر لا تَنْفَكّ تجري إلى الأُمـــر المفــارِق للسَّدادِ
إذا مـــا عاينَتْكَ بَنُــو سُلَيم تَبيتُ لهــم بداهيــة نـــآدِ
فزَنْـــدك في سُلَيْم شَرّ زَنْدٍ وزادُك في المعــاشرِ شَرّ زادِ[2]
ألا لله دَرُّك مــــن رئيــسٍ إذا عادَيْــتَ فانظُر مَنْ تُعادي
جريْتُ مُبَرِّزاً وجَريتَ تكبو على تَعَبٍ فهل لك من مَعادِ
ولم تقتــلْ أُسيرَك من زُبَيْدٍ بخالي بـــل غدرت بِمُستقادِ

ومُستقاد : الزُّبيديّ .

وإنّ رهط خُفاف لاموه وقالوا : اكفُف عن الرجل . فقال : كيف أكفُّ عن رجل يريد أن يَترنا أمرنا بغير فضل . وقال رهطُ العبّاس له : أيّها الرجل ، اكفُف ، فقالا قولاً جميلاً ، وقال العبّاس عند ذلك[3] : [من الكامل]

هل تعــرف الطَّلَل القديمَ كأنّه وشْمٌ بأَسفل ذي الخيــام مُرَجَّعُ

---

1 لم ترِد في مجموع شعره باستثناء البيت الثامن والبيت الخامس ، مع أنه أفرد في المجموع قسم لشعر خفاف الوارد في الأغاني .
2 مجموع شعره : وزاول في سليم .
3 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان العباس بن مرداس .

بقِيتْ معارِفُــه على مَــرّ الصّبَا بعــد الجميــع كأنّه قـد يَمْرُعُ
دارُ التي صادت فؤادك بعـد ما شمِل المَفارِقَ منك شيبٌ أروعُ
وزعمتَ أنّكَ لا تُراحُ إلى الصّبَا وعَلَتْــك منـــه شبيبةٌ لا ترجعُ
يـا أيّها المــرءُ السفيهُ ألا ترى أنّي أضرُّ إذا هَوِيــتُ وأنفعُ
وأعيش مـا قَدَر الإلهُ على القِلى وأعِفُّ نفسي عـن مطامع تُطمِعُ
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى نفسي إلى الأمـــرِ الدنيّ تطلَّعُ
وأردُّ ذا الضِّغْــن اللئيــمَ برأيه حتى يمـوت وليس فينـا مَطمعُ
لله دَرُّك لا تَمَــــنَّ مماتَنــــا فالموتُ وَيْحـك قصرُنا والمرجعُ
لــو كان يَهلِك مَـنْ تَمَنَّى موتَه حلَّــت عليــك دُهيَـة لا تُرْقَعُ
ومكثــت في دار الهــوان موطَــأ بالــذّلّ ليس لداركم مَـنْ يمنعُ

فقال خُفافٌ مجيباً له[1] : [من الكامل]

عَجِبَتْ أُمامَــةُ إذ رَأَتْنيَ شاحباً خَلَـق القميص وأنَّ رأسيَ أصلَعُ
وتنفست صُعُداً فقلتُ لها : اقصري إنّــي امــرؤ فيمـــا أضرّ وأنفعُ
مهـــلاً أبـــا أنس فإنّــي للّذي حلَّـــى عليـك دُهيَّــةً لا تُرْفَعُ
وضَرَبْتُ أُمَّ شؤون رأسك ضربةً فاستكَّ منهـــا في اللّقــاء المسمَعُ
نَعْلَــيَّ حَـــذْوُ نِعالهـــا ولربَّما أحذو العِدا ولكلِّ عــادٍ مَصرعُ
لا تفخــرَنَّ فإنَّ عُــودِيَ نبعَةٌ أعيت أَبا كَرِبٍ وعُودُك خِرْوَعُ[2]
ولقـــد أَقــود إلى العــدوِّ مُقَلِّصاً سَلِسَ القِيــادِ لــه تَليــلٌ أَتْلَعُ[3]
نَهْــدَ المـــراكل والدَّسيــع يَزينه شَنِجُ النَّسا وأَباجِــلٌ لا تُقْطَعُ[4]
وعَــلَيَّ سابِغَـــةٌ كأَنَّ قَتِيرَهـا حَدَق الجنادب لَيْسَ فيها مطمعُ[5]

1 لم ترِد هذه الأبيات في مجموع شعره .
2 عودي نبعة : صلب شديد . وعودك خروع : ليّن سهل الكسر .
3 المقلص : الطويل القوائم . والقليل الأتلع : العنق الطويل .
4 النهد : المرتفع . والمراكل : حيث تصيب رجل الراكب من الدابة . وشنج النسا : متقبض عرق النساء فلا تسترخى رجلاه . والأباجل : عرق في الفرس والبعير .
5 السابغة : الدرع الطويلة . والقتير : رؤوس المسامير في الدرع .

زَغَــفٌ مُضاعَفَةٌ تَخَيَّر سَرْدَها ذو فائشٍ وبنــو المُــرارِ وتُبَّعُ[1]
في فِتْيَــةٍ بِيضِ الوجــوه كأنّهم أُسْدٌ عــلى لحــم ببِيشَةَ طُلَّعُ
لا ينكلــون إذا لَقُوا أعداءَهم إنّ الحِمــامَ هــو الطريق المَهْيَعُ[2]

وكان خُفاف قد كفَّ عن العبّاس ، حتى أتاه غلام من قومه ، فقال : أبى العبّاس إلاّ جُرأة عليك وعَيْباً لك ؛ فغضب خُفاف ثم قال : ما يدعوه إلى ذلك ؟ فوالله إنّ أباه لرابطُ السهم ، وإن أمّه لخفِيّة الشخص ، ولئن طلب مسعاي ليعلمنَّ أنّه قصيرُ الخطوة أجذمُ الكفّ ، وما ذنبنا إليه إلاّ أنّا استنقذنا أباه من عِصِيّ بني حِزام ، وكافحنا دونه يوم بني فِراس ، ونصرنا أباه على حرب ابن أُميّة . وقال خُفاف في ذلك[3] : [من البسيط]

لن يترك الدهــرَ عَبَّاسٌ تَقَحُّمَه حتــى يذوقَ وبالَ البَغْــي عَبَّاسُ
أمسكتُ عن رَمْيِه حــولاً ومَقْتُلُه بــادٍ لتعذرني في حَرْبِــه الناسُ
عمداً أجــرَّ لــه ثوبي لأَخدَعه عن رأيــه ورجائــي عنده ياسُ
فالآن إذ صَرَّحت منــه حَقيقَتُه ظُلْماً فليس بشتمي شاتمي باسُ
أجُدّ يومــاً بقولي كُلَّ مبتَدِىء كما يَجُــدُّ بكفّ الجازِرِ الفاسُ[4]
تأبى سُلَيْم إذا عَــدّت مساعِيَها أن يُحرِزَ السَّبقَ عبّاسٌ ومِرداسُ
أودى أبو عامــر عبّــاس مُعْتَرِفاً أنّا إذا مــا سُلَيم حَصَّلت راسُ

فبلغ العبّاسَ أمرُ خُفاف ، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصَّلت ، وكان مأموناً في بني سُلَيم . فقال العبّاس : قد بلغني قولك يا خُفاف ، ولعمري لا أشتُم أباك ولا أمَّك ، ولكنّي رامٍ سوادَك بما فيك .

والله ما كنت إلى ذمِّك بالهَيْمان ولا إلى لحمك بالقَرِم ، وإنّ سُلَيْماً لتعلم أنّي أبحثُ حِمَى بني زُبَيد ، وأطفأت جمرة خثعم ، وكسرتُ قَرْنَي بني الحارث بن كعب ، وقلّدت بني كنانة قلائدَ العار ، وإنّي يا خُفاف لأخفُّ منك على بني سُلَيْم مؤونةً ، وأثقل منك على عدوّهم وطأةً ، وقال مُجيباً له[5] : [من البسيط]

1 زغف : محكمة . والسرد : النسيج . وذو فائش : أحد ملوك اليمن .
2 المهيع : الواسع الواضح .
3 وهذه أيضاً لم ترِد في مجموع شعره .
4 أجد : أقطع .
5 لم ترِد في ديوانه .

إنِّـــي رأيــت خُفافــاً ليس يُهنئه شيءٌ سوى شتم عبّاسِ بنِ مرداسِ
مهلاً خُفــافُ فإنّ الحقَّ مَعْضَبَةٌ والحمق ليس له في الناس من آسي[1]
سائلْ سُليماً إذا ما غــارة لَحِقتْ منها فــوارسُ حُشْدٌ غيرُ أنكاسِ
مـــن خَثعَم وزُبَيْدٍ أو بني قَطَنٍ أو رَهْط فروةَ دهراً أو شحا الناسِ[2]
يُنْبوا مـن الفارسُ الحامي حقيقَتَه إذا أتـــوْك بحـــامٍ غيرِ عبّــاسِ
لا يحسب النّاس قــولَ الحقّ مُعترفاً فانظر خُفاف فما في الحقّ من باسِ
مَنْ زار خيــل بني سعد مُسَوَّمة يُهــدِي لأَوّلهـــا لأُبَيُ بن شمّاسِ
يوم اعترضتُ أبا بـــدر بجائفةٍ تعوِي بعرق من الأحشاء قلّاسِ[3]
أُدعى الرئيسُ إذا ما حربكم كشَفَت عن ساقهــا لَكُم والأمـــر للرّاسِ
حتى إذا انكشفت عنكم عَمايتُها أنشأتَ تضرِب أخماساً لأسداسِ[4]

وسعى أهلُ الفسادِ إلى خُفاف فقالوا : إنّ عَبّاساً قد فَضَحَك ، فقال خُفاف[5] : [من الطويل]

أَلا أيُّها المُهْدي ليَ الشَّتْمَ ظالِماً ولستُ بأهــلٍ حين أُذْكَر للشَّتْمِ
أَبى الشَّتْمَ أَنّي سَيِّدٌ وابنُ سادةٍ مطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعِيمَ لِلَّحْمِ[6]
هــمُ مَنَحُوا نَصْراً أَبــاك وطاعَنوا وذَلِك إذْ تُرْمى ذَليــلاً ولا تَرْمي[7]
كمُسْتَلْحِمٍ في ظُلمةِ اللَّيْلِ بَعْدَ ما رأى المَوتَ صِرْفاً والسيوفُ بها تَهْمي[8]
أَدِبُّ على أنمــاط بيضاء حُــرَّةٍ مقابَلَـة الجدَّين ماجـــدَة العَمِّ[9]

---

1 معضبة : مقطعة .

2 الشحا : الواسع من كل شيء ، ويقصد جميع الناس .

3 الجائفة : الطعنة التي تبلغ الجوف . وعرق قلاس : يزخر بالدم .

4 المثل «يضربُ أخماساً لأسداس» في مجمع الميداني 1 : 418 وجمهرة العسكري 2 : 4 ومستقصى الزمخشري 2 : 145 وفصل المقال : 105 ويراد به السعي في المكر والخديعة .

5 مجموع شعره : 59–61 .

6 مجموع شعره : مطاعيم للجرم .

7 مجموع شعره :

هـــم منحوا الضرّا أباك وطاعنوا وذلك الذي يُرمى ذليلاً ولا يرمي

8 مجموع شعره : «مخزما» بدل «بعد ما» و«تضمي» بدل «تهمي» . والمستلحم : الذي يركب الطريق الواسع . وتهمي : تسيل .

9 الأنماط : جمع نمط ، وهو البساط .

وأنــت لَحَنْفاء اليَدَيْــن لَــوَ انَّها تُباع لما جاءت بزَنْدٍ ولا سَهْمِ[1]
وإنِّـــي على مـــا كان أَوَّلُ أَوَّلٍ عليــه ، كذاك القَرْم يُنْتَجُ للقَرْمِ
وأُكرِمِ نَفسي عـــن أُمـــور دَنِيئة أُصونُ بها عِرضي وآسو بها كَلْمي
وأُصفحُ عَمَّن لـــو أشاءُ جَزَيته فيمنعني رُشْدِي ويُدرِكُني حِلْمي
وأُغفـــر للمـــولى وإنْ ذو عَظِيمَةٍ على البَغْي منها لا يَضِيقُ بها حَزْمي
فهَــذي فِعالي مـــا بَقيتُ وإنّني لَمُوصٍ به عَقْبي إذا كُنتُ في رَجْمي[2]

فقال له قومه : لو كان أَوَّلُ قولِك كآخِره يا خفاف لأطفأت النائرة ، وأذهبت سخائم النَمائمِ ، فقال العبّاسُ مُجيباً له[3] : [من الطويل]

ألا أيُّها المُهْـديّ ليَ الشَتْم ظالماً تَبَيَّنْ إذا راميتَ هَضْبَــة مَنْ تَرْمي
أَبى الذَّمَّ عِرضي إنَّ عِرضيَ طاهرٌ وإنِّـي أَبيٌّ مـن أُباةٍ ذوي غَشْمِ[4]
وإنِّـــي مـن القومِ الذين دماؤُهُم شِفاءٌ لطُلاَّب التِّراتِ من الوَغْمِ[5]

وقال أيضاً[6] : [من البسيط]

إن تَلْقَني تَلــقَ ليثــاً في عَرينَتِه من أُسْد خِفّانَ في أرساغه فَدَعُ[7]
لا يبرح الدهرَ صيداً قــد تقنّصه من الرجالِ على أُشداقــه القَمَعُ[8]

وكان العبّاس وخفاف قد همَّا بالصُّلح ، وكرهت بنو سُلَيْم الحَرب ، فجاء غوِيّ من رهط العبّاس فقال للعبّاس : إنَّ خُفافاً قد أَنْحى عليك وعلى والدَيْك ؛ فغضب العبّاس ، ثم قال : قد واللهِ هجاني ، فكان أعظمُ ما عابني به أصغرَ عيب فيه ، ثم هجا والديَّ فما ضرَّهما ولا نَفعه ، ثم برزتُ له فأخفى شخصه واتَّقاني بغيره ، ولو شئتُ لشتمت أَباه وثَلبت عِرضَه ، ولكنِّي وإيّاه كما قال شِيامُ بني زُبيد لابن عم له ، يقال له ثَرْوان بن مُرّةَ ،

1 حنفاء اليدين : معوجتهما .
2 رجمي : قبري .
3 ديوان العباس : 105 .
4 الغشم : الظلم .
5 الوغم : الحقد الشديد . وفي الديوان «الرغم» وفي رواية «لطلاب الشفاء» .
6 ديوان العباس : 87 .
7 فدع : اعوجاج .
8 القمع : الاحمرار .

كان أَشبه الناس بخُفاف : [من الطويل]

وهبتُ لثَرْوانَ بنِ مُرَّة نفسَه ... وقد أَمكنتني من ذُؤابَتِه يدي
وأَحمِلُ ما في اليوم من سُوء رأيه ... رجاءَ الذي يأتي به الله في غدِ
ولستُ عليه في السَّفاه كنفسه ... ولَستُ إذا لم أهجُه بمُوعِّدِ

وقال[1] : [من الوافر]

أَراني كُلّما قاربتُ قومي ... نأَوْا عنّي وقَطعهُم شديدُ
سئمت عِتابَهم فصفحتُ عنهم ... وقلتُ لعلَّ حلمَهُم يعودُ
وعلَّ الله يُمْكِنُ من خُفافٍ ... فأسقِيَه التي عنها يَحيدُ
بما اكتسبت يداهُ وجَرَّ فينا ... من الشَّحْنا التي ليست تَبيدُ
وأَنَّى لي بودٍّ بني خُفافٍ ... وعوْف والقلوبُ لها وَقودُ
وإنّي لا أَزال أُريدُ خيراً ... وعند الله من نَعَمٍ مَزيدُ
فضاقت بي صدورُهمُ وغصَّت ... حُلوقٌ ما يَيِضُّ لها وريدُ[2]
متى أَبعُدْ فشرُّهُمُ قريبٌ ... وإن أَقرُبْ فوُدُّهم بعيدُ
أَقول لهم وقد لَهِجُوا بشَتمي : ... ترَقَّوْا يا بني عوفٍ وزِيدُوا
فما شَتْمي بنافع حَيٍّ عَوفٍ ... أَينقُصُني الهُبوطُ أَم الصُّعودُ[3]
أَتجعلُني سَراةُ بني سُلَيم ... ككلبٍ لا يهِرُّ ولا يصيدُ
كأنّي لم أَقُد خيلاً عِتاقاً ... شَوازبَ ما لها في الأرض عودُ[4]
أُجَشِّمها مَهامِهَ طامِساتٍ ... كأنَّ رمالَ صَحصَحِها قُعودُ[5]
عليها من سَراة بني سُلَيم ... فَوارس نجدةٍ في الحربِ صيدُ
فأوطِىء من تريد بني سُلَيم ... بِكَلْكَلِها ومن ليست تُريدُ

فلمّا بلغ خُفافاً قولُ العبّاس قال : والله ما عِبْتُ العبّاس إلاّ بما فيه ، وإنّي لسليمُ العود ، صحيح الأديم ، ولقد أدنيتُ سوادي من سَواده فلم أحجِم ولا نَكَصتُ عنه ، وإنّي وإيّاه كما قال

1 ديوان العباس : 42-43 .
2 ييض : يسيل .
3 أينقصني في الديوان : أينفعني .
4 الشوازب : الضامرة . وفي الديوان : «مثلها» بدل «ما لها» .
5 الصحصح : الأرض المستوية الجرداء .

ثَرْوان لشِبام بني زَبيد ، وكان يَلْقى منه ما أَلْقى من العبّاس ، قال : [من الطويل]

رأيتُ شِباماً لا يزال يَعيبني ... فللّهِ ما بالي وبالُ شبامِ
فقَصرُك منّي ضَربةٌ مازِنيَّةٌ ... بكفّ امرىءٍ في الحرب غير كَهامِ[1]
من اليوم أو من شَيْعِه بمهنَّدٍ ... خَصومٍ لهامات الرجال حُسامِ[2]
فتُقصِر عنّي يا شِبامُ بنَ مالكٍ ... وما عضَّ سيفي شاتمي بحرامِ

وقال خفاف[3] : [من الوافر]

أرى العبّاسَ ينقصُ كلَّ يوم ... ويزعم أنّه جَهلاً يَزيدُ
فلو نُقِصَت عزائمُه وزادت ... سلامتُه لكان كما يَرِيدُ[4]
ولكنَّ المَعالِمَ أفسدته ... وخُلْقٌ في عشيرته زَهيدُ[5]
فعبّاسُ بن مِرْداس بن عمْرو ... وكِذْبُ المرء أقبحُ ما يُفيدُ
حلفتُ بربِّ مكّةَ والمُصلَّى ... وأشياخٍ محلّقة تَنُودُ[6]
بأنّك من مودَّتِنا قريبٌ ... وأنتَ من الذي تَهوى بَعيدُ
فأبشِر ان بقِيتَ بيوم سوء ... يَشيبُ له من الخوف الوليدُ
كيومك إذ خرجت تَفوق ركضاً ... وطار القلبُ وانتفَخ الوريدُ
فدَعْ قولَ السّفاهَةِ لا تَقُلْه ... فقد طال التَّهدُّدُ والوعيدُ
رأينا مَن نُحاربُه شَقِيّاً ... ومن ذا يا بني عَوْف سَعيدُ

وقال خُفافٌ أيضاً[7] : [من المتقارب]

أعبّاسُ إنّا وما بينَنا ... كصَدْع الزُّجاجة لا يُجبَرُ
فلستَ بكُفْءٍ لأعراضِنا ... وأنت بشَتْمِكَنا أجدرُ[8]

1 في الحرب في ل : في الحي .
2 شيعه : بعده ، يعني به الغد بعده .
3 مجموع شعره : 62–63 .
4 مجموع شعره : وبادت بدل وزادت .
5 المجموع : «المعايب . . . وخلف . . .» . وزهيد : لئيم .
6 تنود : تتمايل من النعاس . وفي ل ومجموع شعره : تهود ، بمعنى تتوب .
7 مجموع شعره : 55–58 .
8 مجموع شعره : بشتمكم .

ولسنا بأهــلٍ لـمــا قُلتُمُ ... ونحــن بِشَتْمِكُــمُ أعذرُ
أراكَ بَصيراً بتلــك التي ... تُريدُ وعن غيرهــا أعورُ
فقصرُك منّــي رَقيقُ الذُّبا ... بِ عَضْبٌ كَرِيهتُه مِبْتَرُ[1]
وأزرقُ في رأسِ خَطِّيَّــةٍ ... إذا هُــزَّ أكعُبُهـا تَخطرُ
يَلوح السِّنان على مَتْنِها ... كنـار على مَرْقَـب تُسعَرُ
وزَعْفٌ دِلاصٌ حَباها العَزِيزُ ... توارثهـا قبلَــه حِمْيَرُ[2]
فتلــك وجــرداءُ خَيْفانَةٌ ... إذا زُجِر الخيــلُ لا تُزجَرُ[3]
إذا ألقــت الخيــلُ أذيالها ... فأنت على جريهـا أقدرُ[4]
متــى يبلُلِ المــاءُ أعطافَها ... تبُــذُّ الجيــادَ ومـا تُبْهَرُ
أُنهنِهُـه بالسوطِ مــن غَرْبها ... وأُقدِمُهـا حيثُ لا يُنكَرُ[5]
وأرحَضُهـا غيرَ مذمومـةٍ ... بلبَّاتهـا العَلَـق الأحمرُ[6]
أقــولُ وقـد شكَّ أقرابَها ... غـدرتَ ومِثلِيَ لا يغدِرُ[7]
وأُشهدُها غمراتِ الحروبِ ... فسيَّانِ تَسلَـم أو تُعقَـرُ

وقال العبّاس[8] : [من المتقارب]

خُفـاف ألـم تَـرَ ما بيننا ... يزيـدُ استعاراً إذا يُسعَرُ
ألـم تَــرَ أنّا نُهين التِّلا ... دَ للسائلين ومـا نُعذِرُ[9]
لأنّا نُكلِّفُ فــوق التي ... يُكلِّفها الناسُ لــو تخبُرُ
لنـا شِيَمٌ غَيرُ مجهولـةٍ ... تَوارثهـا الأكبـرُ الأكبرُ

1 قصرك : يكفيك .
2 حباها العزيز في ل : كماء الغدير . والزغف : الدروع المحكمة . والدلاص : الشديدة الملوسة .
3 الخيفانة : السريعة .
4 أذيالها في ل وشعره : أولادها .
5 أنهنه : أكف . وغربها : نشاطها وحدتها .
6 أرحضها : أغسلها (بعرقها) . ويروى : وأرجعها .
7 الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة .
8 ديوان العباس : 63–64 .
9 نهين في الديوان : وهبنا .

وخيـــلُ تكدَّسُ بالدَّارعيـ ـن تُنْحَر في الرَّوع أَو تُعقرُ
عليها فـــوارِسُ مَخبورةٌ كجِنٍّ مساكِنُهـــا عَبقَرُ[1]
ورَجْراجةٌ مثلُ لونِ النجو م لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ[2]
وبِيضٌ سوابـــغُ مَسرودةٌ مواريثُ مـا أَورثت حِمْيَرُ
فقد يعلم الحَيُّ عند الصِّياح بـــأنّ العَقِيلة بـــي تُستَرُ[3]
وقد يعلم الحيُّ عنـــد الرها نِ أنـــي أَنا الشامخ المُخْطِرُ[4]
وقد يعلم الحيُّ عنـــد السوْا لِ أنِّي أَجـــودُ وأُستَمْطَرُ
فأَنَّـــى تعيِّرني بالفخـــارِ فهـــا إن هـــذا هـو المُنْكَرُ

صوت

[من الطويل]

أَلا لا أُبـــالي بعـــد رَيَّا أَوافقتْ نَوانا نَـــوى الجيرانِ أَم لم تُوافِقِ
هِجانُ المُحَيَّا حُرَّةُ الوجهِ سُربِلتْ من الحُسْنِ سِربالاً عتيقَ البنائِقِ

الشعر لجَبْهاء الأَشجَعيّ[5] ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 مخبورة : مجربة .
2 رجراجة : كتيبة تموج من كثرتها . والحسر : الذين لا تروس ولا دروع لهم .
3 عند الصياح في ل : عند الصباح .
4 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .
5 شعراء مقلون : 23 عن الأغاني .

[379] ـ أخبار جبهاء ونسبه[1]

جَبْهاء لقب غَلب عليه ، يقال جَبْهاء وجُبَيْهاء جميعاً ، واسمه يَزيدُ بن عُبَيد ، ويقال : يَزيد بن حُمَيْمة بن عُبيد بن عُقيلة بن قيس بن رُوَيْبة بن سُحَيم بن عُبَيد بن هِلال بن زَبيد بن بَكْر بن أَشْجَع ، شاعر بدوِيّ من مَخاليفِ الحِجاز ، نشأ وتوفِّيَ في أيّام بني أُميّة ، وليس مِمّن انتجَع الخلفاء بشِعْره ومدحهم فاشتهر ، وهو مُقِلٌّ ، وليس من مَعْدودي الفُحول ، ومن الناس مَن يَروي هذه الأبيات لأبي رُبَيْس الثَّعلبي[2] وليس ذلك بِصحيح ، وهي في شعر جَبْهاء موجودة .

[الفرزدق يستنشده]

أَخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو الحَسَن الأحول ، عن الطُّوسيّ ، عن أبي عمرو الشَّيبانيّ ، قال : قدِم جُبَيْهاء الأشجعيُّ البصرةِ بجَلُوبَة[3] له يريد بَيعَها ، فلَقِيَه الفرزدقُ بالمِرْبَد ، فقال : مِمَّن الرَّجُل ؟ قال : مِن أشجَع ، قال : أَتعرِفُ شاعراً منكم يُقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أَفتروي قوله[4] : [من الكامل]

أَمِنَ الجَميع بذي البقاع رُبوعُ هاجت فؤادَك والرُّبوعُ تَروعُ[5]

قال : نعم ، قال : فأَنشِدْنيها ، فأَنشدَه قولَه منها : [من الكامل]

من بعد ما نَكِرت وغَيَّر آيَها قَطْرٌ ومُسبِلَةُ الدّموع خَريعُ
يا صاحِبَيَّ ألا ارْفَعا لي آيةً تَشْفي الصُّداع فيُذهلَ المرفوعُ[6]

---

1 ترجمة جبهاء الأشجعي في المؤتلف والمختلف : 104–106 وسمط اللآلي : 640 والمفضليات (المفضلية رقم 33/32) . وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في «شعراء أمويون» .

2 في التاج : «أبو ربيس (عباد بن طهمة) هكذا بالميم ، وفي التكملة . . . وذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبي (شاعر) من بني ثعلبة . . . وفي اللسان وأبو الربيس التغلبي من شعراء تغلب وهو تصحيف . . .» .

3 جلوبة : إبل يحمل عليها المتاع .

4 شعراء أمويون : 21–22 .

5 بذي البقاع : يروى بذي النُّعاع : وهو النبات الغض الناعم .

6 شعراء أمويون : ارفعاني إنه . . .

أَلْــواح ناجِيَــــة كأنَّ تَلِيلَها جِذْعٌ تُطِيف بــه الرُّقاةُ مَنِيعُ[1]

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدَق : فأُقسِم بالله إنّك لَجَبْهاء ، أو إنَّك لشَيْطانه .

قال الأخفَشُ في خبَره عن أصحابه : الخَريعُ : الذاهِبَة العَقْل ، شَبَّه السحابةَ بها لأنـَّها لا تَتمالك من المطر .

أَخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عُبيد المكتب قال : حدَّثني عليّ بن الصبّاح ، عن ابن الكَلْبيّ ، قال : قدِم جُبَيْهاء الأشجَعيّ المدينة بجَلُوبة له ، فبينا هو يبيعها والفرزدق يومئذٍ بالمدينة إذ مَرَّ به ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعراً منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أَترْوي قصيدته : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي بعــد رَيَّا أُوافَقَتْ نَوانا نَوى الجيران أَم لم تُوافِقِ

قال : نعم . قال : أنْشِدنيها ، فأَنشده إيّاها ، فقال الفرزدق : أُقسم بالله إنّك لجُبَيْهاء ، أو إنّك لَشَيْطانه .

[إبله تحن إلى أوطانها]

أُخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن سُليمان بن عيَّاش ، قال : قالت زوجة جَبْهاء الأشجعيّ له : لو هاجرتَ بنا إلى المدينة وبِعْتَ إبلَكَ واقتَرَضْتَ في العطاء كان خيراً لك ، قال : أفعلُ . فأَقبَل بها وبإبِله حتى إذا كان بحرّة وَاقِمَ من شرقيّ المدينة ، شَرَّعَها بحوض واقِمَ[2] ليَسْقِيَها ، فحَنَّت ناقة منها ثم نَزَعت ، وتَبِعَتها الإبلُ ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقِل ، تحنُّ إلى أوطانِها ، ونحن أحقُّ بالحنين منها ، أنتِ طالقٌ إن لم تَرْجِعي ، وفعل اللهُ بك وفعلَ وردّها وقال[3] : [من الكامل]

قالت أُنَيْسَةُ دَعْ بلادَكَ والتمِس داراً بطَيْبَــــة رَبَّـــــةِ الآطــامِ

تَكتُب عِيالَكَ في العَطاءِ وتَفْتَرِض وكـــذاك يفعــلُ حــازِمُ الأَقوامِ

فهمَمْتُ ثــم ذكرتُ ليلَ لِقاحِنا بِلِــوى عُنَيْزَةَ أوَ بقُــفٍّ بشامِ[4]

إذ هُــنَّ عــن حَسَبي مَذاوِد كُلَّما نـــزل الظــلامُ بعُصْبــةٍ أُغْتامِ[5]

---

1 الناجية : الناقة . والتليل : العنق .

2 شرعها : أوردها الماء . وواقم : من آطام المدينة . وحرة واقم إلى جانبه .

3 شعراء أمويون : 26 .

4 اللوى : ما التفّ من الرمل . والقف : ما ارتفع من الأرض .

5 أغتام : لا يفصحون .

إنّ المَدينَـــة لا مَدِينَـــة فالْزِمي   حِقْـفَ السِّنادِ وقُبَّةَ الأَرجامِ[1]
يُحْلَب لكِ اللَّبنُ الغَرِيض ويُنْتَزع   بالعيس مـــن يَمـــنٍ إليكِ وشامِ
وتُجـــاوِري النفـــرَ الذين بِنَبْلِهم   أُرمِـــي العَدُوَّ إذا نهضت أُرامي
الباذلـــين إذا طلبت تِلادَهـــم   والمانِعـــي ظَهْـــري مـــن الغُرَّامِ

[منيحته لتيميّ]

أُخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ زُهير ، قال : حدَّثني مُصعَب قال : جاور جَبْهاء الأشجعيُّ في بني تَيم ، بطنٍ من أشجع ، فاستمْنَحَه مولى لهم عَنْزاً ، فمنحه إيّاها فأمسكَها دَهْراً ، فلمّا طال على جَبْهاء ألاّ يردَّها ، قال جبهاء[2] : [من الطويل]

أَمـــوْلى بَنـــي تَيْمٍ ألستَ مُؤَدِّياً   مَنِيحتَنـــا فيمـــا تُـــرَدُّ المَنائِحُ[3]
لهـــا شَعَرٌ ضافٍ وجِيـــدٌ مُقلَّص   وجسمٌ زُخارِيٌّ وضِرْسٌ مُجالِحُ[4]

فأرسل إليه التَّيْميّ يقول : [من الطويل]

بَـــلى ، سنؤدِّيهـــا إليـــكَ ذميمَةً   لِتَنْكِحهـــا إن أَعوَزَتْـــكَ المَناكِحُ

فعمد به جَبْهاء فنزل ، وقال : [من الطويل]

لو كنتُ شيخاً من سَواةَ نكحتُها   نِكاحَ يَسارٍ عَنْزَهُ وهْـــيَ سارِحُ

قال : وهم يُعيَّرون بنُكَّاح العَنْز .

[قوله لمن مطله الكبش]

أُخبرني وكيع ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدينيّ ، عن مُصْعَب ، قال : استَطْرق جَبْهاءُ الأشجعيّ موسى بن زياد الأشجعيّ كبشاً ، فوعده ثم مَطلَه ، فقال جَبْهاء[5] : [من البسيط]

واعَدَني الكبشَ مُوسى ثـــم أَخلفَني   ومـــا لِمثْـــليَ تُعتَـــلُّ الأَكاذِيبُ
يـــا ليتَ كَبشَك يا مُوسى يُصادِفُه   بـــين الكُراعِ وبـــين الوَجْنَةِ الذِّيبُ
أُمسى بذي الغُصن أُو أُمسى بذي سَلَمٍ   فَقَحَّمَتْـــه إلى أَبياتِـــك اللُّوبُ[6]

---

1 حقف : ما اعوج من الرمل . والأرجام : أرض الستار .
2 انظر المفضلية 33 وشعراء أمويون : 16–17 .
3 المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك .
4 المقلص : الطويل . والزخاري : الكثير اللحم والشحم . والمجالح : الذي يجتلح (بقشر) الشجر .
5 شعراء أمويون : 15 عن الأغاني .
6 اللوب : العطش .

فجــاء والحــيُّ أيقــاظٌ فطافَ بهم طوفيْــن ثــم أقرَّتــه الأحاليبُ
فبــات ينظــرُه حــرّانَ مُنطَوِيـاً كأنّه طالــبٌ للوِتْــرِ مَكروبُ
وقــام يَشْتَدّ حتــى نــال غِرَّتَه طاوِي الحَشا ذَرِبُ الأنيابِ مَذْبُوبُ[1]
بغَفْلَــةٍ مــن زُرَيــقٍ فاستمَرَّ بــهِ ودونــه آكُــمُ الحِقْــفِ الغرابيبُ
سَلْ عنْــه أرخمــةً بِيضاً وأغرِبةً سوداً لهــنَّ حنًى أُطْمى سَلاهِيبُ[2]
يَرديــن رَدْيَ العَذارى حول دمنتِهِ كما يطــوفُ على الحــوضِ المعاقيبُ
فجــاء يحمــلُ قرنيــه ويندبــه فكلُّ حــيٍّ إذا مــا ماتَ مندوبُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

وَلَهــا ولا ذَنْبَ لهــا حُــبٌّ كأَطْرافِ الرِّمــاحِ
في القَلْبِ يَجْرَحُ والحَشا فالقَلْبُ مَجروحُ النَواحي

الشعر لوالِبة بن الحُباب ، والغناء ليَزيد ، رمل بالوسطى عن الهِشاميّ وعمرو ، وفيه لسبك الزامر لحن عن ابن خُرداذْبه .

1 مذبوب : مجنون . وذرب الأنياب : حادها .

2 السلاهيب : الطوال .

[380] ـ أخبار والبة بن الحباب[1]

والِبَة بنُ الحُباب أسديٌّ صلِيبَةً ، كوفيٌّ ، شاعر من شعراء الدولة العبّاسيّة ، يُكْنى أبا أسامة . وهو أُستاذ أبي نُواس ، وكان ظريفاً شاعراً غزِلاً وصّافاً للشراب والغِلمان المُرْد ، وشعرُه في غير ذلك مُقارب ليس بالجَيِّد ، وقد هاجى بشّاراً وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئاً وفضَحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب ، وخَمَل ذكرُه بعد .

[المهدي لا ينادمه]

أخبرني محمدُ بن مزيد قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبي ، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، والحسن بن عليّ الأدَميّ جميعاً ، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدّثنا يعقوب بن عمر ، قال : حدّثني أحمد بن سلمان ، قال : حدّثني أبو عدنان السُّلَميّ الشاعر ، قال[2] : قال المهديّ لعُمارة بنِ حَمْزة : مَنْ أَرَقُّ النّاسِ شِعْراً ؟ قال : والِبةُ بنُ الحُباب الأسديّ ، وهو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

ولهــا ولا ذنْــبَ لهــا حُــبٌّ كأطْـرافِ الرِّماحِ
في القلبِ يَقْـدحُ والحَشا فالقلبُ مَجْروحُ النَّواحِي

قال : صدقتَ والله ، قال : فما يَمنَعُك عن مُنادمَتَه يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : يَمْنعُني قولُه : [من السريع]

قُلـتُ لِساقِينا على خَلْـوةٍ أَدْنِ كذا رأسَك من راسي
ونَمْ على صَدْرِك لي ساعةً إنِّـي امـرؤٌ أَنكَحُ جُلاّسي

أفتُريدُ أن نكونَ من جُلاّسِهِ على هذه الشَّريطة ؟

[شعر في أبي نواس]

أخبرني الحُسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة : حدَّثني عبدُ الله بن مُسلم بن قُتَيْبة ، ووجدتُه في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ ، فجمعتهما ، قال : حدّثني الدَّعلجيّ غلامُ أبي نواس ، قال : أنشدتُ يوماً بين يدي أبي نواس قولَه[3] : [من المديد]

---

1 ترجمة والبة بن الحباب في تاريخ بغداد 13 : 487–490 وطبقات ابن المعتزّ : 87–89 والوافي بالوفيات 4 : 247–248 والشعر والشعراء (ترجمة أبي نواس) . وانظر أعلام الزركلي .

2 انظر الخبر والشعر في طبقات ابن المعتزّ : 88–89 .

3 البيت في ديوان أبي نواس (الغزالي) : 41 وانظر الموشح : 241 .

يا شقيقَ النفْسِ من حَكَمٍ   نمتَ عـنْ ليـلي ولم أَنَمِ[1]

وكان قد سكر ، فقال : أُخبرك بشيء على أن تكتمه ؟ قلتُ : نعم ، قال : أتدري مَن المَعْنِيّ بقوله : يا شَقيق النفس من حَكم ؟ ، قلت : لا ، قال : أنا والله المعنيُّ بذلك ، والشعر لوالِبة بنِ الحُباب ؛ قال : وما عَلِم بذلك غيرُك وأنت أَعلم . فما حدَّثت بهذا حتى مات .

[أصدقاء والبة]

قال : وقال الجاحظ : كان والبة بنُ الحُباب ، ومُطيعُ بن إياس ، ومُنقذُ بن عبد الرحمـن الهلاليّ ، وحَفْصُ بن أبي وردة ، وابن المقفَّع ، ويونُسُ بن أبي فَرْوة ، وحمّادُ عَجْرد ، وعليُّ بن الخليل ، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية ، وابن الزِّبرِقان ، وعُمارة بن حمزة ، ويزيدُ بن الفَيض ، وجميلُ بن محفوظ ، وبشَّار المُرَعَّث ، وأبانُ اللاّحقيّ ندماء ، يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضُهم بعضاً هزلاً وعَمْداً ، وكلّهم مُتَّهمٌ في دِينه .

[تهاجيه مع أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم بن محمد السالمـيُّ الكوفيّ التّيمـيّ ، قـال : حدَّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ ، قال : رأيتُ أبا العتاهية جاء إلى أبي ، فقال له : إنّ والبة بن الحُباب قد هجاني ، ومَن أنا منه ؟ أنا جرَّارٌ مسكين ؛ وجعل يرفع من والبة ويضَع من نفسه ، فأُحِبّ أن تكلِّمه أن يُمْسِك عنّي . قال : فكلَّم أبي والبـة ، وعـرَّفه أنّ أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك ، فلم يقبل وجعل يَشتم أبا العتاهية ، فتركه ؛ ثم جاء أبو العتاهية فسأله عمّا عمل في حاجته ، فأخبره بما ردَّ عليه والبةُ . فقال لأبي : ليَ الآن إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : لا تكلِّمني في أمره ، قال : قلت له : هذا أوَّل ما يجب لك ، قال : فقال : أبو العتاهية يهجوه[2] :   [من مجزوء الوافر]

أَوالِـبُ أَنتَ في العرَبِ   كمِثْلِ الشِّيصِ في الرُّطَبِ[3]
هلُـمَّ إلى المَـوالي الصِّيـ   ـدِ في سَعـةٍ وفي رَحَبِ
فأنـتَ بنـا لعَمْرُ اللـ   ـه أَشبهُ منـك بالعرَبِ

1 عن ليلي في ل : عن عيني .
2 ديوان أبي العتاهية : 494–495 (عن الأغاني) .
3 الشيص : أردأ التمر .

غضِبْتُ عليـك ثـم رأيـ ـتُ وجهَك فانْجَلى غَضَبي
لِما ذكَّرتني من لون أجْـ ـــدادي ولـــونِ أبـــي
فقُـل مـــا شئتَ أقبلْـه وإن أطْنبـتَ في الكَذِبِ
لقـد أُخبِرت عنك وعن أبيك الخالـص العرَبـي
فقـــال العارِفُـونَ بـه مُصـاصٌ غيرُ مُؤْتَشِبِ[1]
أتانـا مـن بـلاد الرُّو م مُعْتَجِـراً عـلى قَتَبِ
خفيفَ الحـاذِ كالصَّمْصا م أطلسَ غيرَ ذي نَشَبِ[2]
أوالِبُ مـا دهاكَ وأنـ ـتَ في الأعرابِ ذو نَسَبِ
أراكَ وُلِـدتَ بالمِرِّيـــ ـخِ يا ابنَ سَبائِك الذهبِ
فجئـــتَ أُقَيْشِرَ الخدَّيْـ ـن أزرقَ عـارِمَ الذَّنبِ
لقـد أخطأتَ في شَتمي فخبِّـرْني ألَـم أصِبِ

وقال في والِبة أيضاً[3] : [من الكامل]

نَطقــتْ بنـو أسَدْ ولم تَجهرْ وتكلَّمَـت خَفْيـاً ولم تَظهـرْ
وأما وربِّ البيت لو نطقتْ لتركتهـا وصَباحُهـا أغبرْ
أيَـرومُ شتمي منهمُ رجـلٌ في وجهــه عِبَرٌ لِمَـن فكَّرْ
وابنُ الحُبابِ صَليبةٌ زعمـوا ومـن المحـالِ صليبةٌ أشقَرْ
ما بـالُ مَنْ آباؤه عُرُب الألْـ ـوان يُحسب من بني قَيْصرْ
أترون أهلَ البدوِ قـد مُسِخوا شُقراً أمـا هـذا من المُنْكَرْ

قال : وأوّل هذه القصيدة : [من الكامل]

صَرِّحْ بما قــد قلتَه واجهَرْ لابن الحُباب وقُل ولا تَحْصَرْ
ما لي رأيــتُ أباك أسودَ غِر بيـب القَـــذالِ كأنّه زُرزُرْ[4]
وكأنّ وجهَــك حُمرةً رِئَةٌ وكأنَّ رأسَكَ طائـــرٌ أصفرْ

---

1 المصاص : الخالص من كل شيء . ومؤتشب : مختلط .
2 الحاذ : الظهر . وخفيف الحاذ : قليل المال .
3 ديوان أبي العتاهية : 459–460 (عن الأغاني) .
4 غربيب : أسود . القذال : جماع مؤخر الرأس . زرزر : زرزور .

قال : وبلغ الشعرُ والبة ، فجاء إلى أَبي فقال : قد كلَّمتَني في أَبي العتاهية ، وقد رغبتُ في الصّلح ؛ قال له أَبي : هيهاتَ إنّه قد أكّد عليَّ إن لم تقبل ما طلب أن أُخَلِّي بينك وبينه ، وقد فعلت . فقال له والِبة : فما الرأي عندك ؟ فإنّه فضحني ، قال : تنحدر إلى الكوفة . فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة ، وأجودُ ما قاله والبةُ في أَبي العتاهية قوله : [من الخفيف]

كان فينا يُكنـى أَبا إسحاقِ وبهـا الرَّكبُ سار في الآفاقِ
فتَكنَّـى معتُوهُنـا بعَتـاهٍ يـا لهـا كُنيةً أَتت باتفاقِ
خلـقَ اللهُ لِحْيَةً لـك لا تَنْـفَكُّ معقودةً لـدى الحلاَّقِ

وله فيه ، وهو ضعيف سخيف من شعره : [من مجزوء الكامل]

قُـل لابنِ بائعـةِ الغضارِ وابنِ الدَّوارقِ والجـرارِ
تَهـوى عُتَيْبَـةَ ظاهـراً وهـواك في أَيْرِ الحِمارِ
تهجـو مواليـك الأُلى فكُّـوك مـن ذلِّ الإسارِ

[والبة وعليّ بن ثابت]

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني أَحمد بن أبي طاهر قال : حدَّثني ابن أَبي فَنَن ، قال : كان والبةُ بن الحُباب خليلاً لعليّ بن ثابت ، وصديقاً ودوداً ، وفيه يقول : [من السريع]

حَيّ بهـا والِبَـةَ المُصْطَفى حَـيٍّ كَرِيماً وابن حُرٍّ هِجانِ
وقاسِماً نَفْسي فدَتْ قاسِماً من حَدَث المَوْتِ ورَيْبِ الزَّمانِ

قال : ولمَّا ماتَ والبةُ رثاه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

بكـت البَرِيَّـة قاطِبَهْ جَزَعـاً لِمَصْرَع والِبَهْ
قامَتْ لِمَـوْتِ أَبي أُسا مـةَ في الرِّفـاقِ النَّادِبَهْ

[لقاؤه أبا نواس]

قال : وكان والبةُ أُستاذَ أَبي نُواس ، وعنه أَخَذ ومنه اقتَبَس ؛ قال : وكان والبةُ قد قَصَد أبا بُجَير الأسديّ وهو يتولَّى للمَنْصور الأهوازَ ، فمدَحه وأقام عنده ، فألفى أبو نواس هناك وهو أَمرد ، فصَحِبه وكان حسنَ الوَجْه ، فلم يزل معه ، فيقال : إنّه كشَفَ ثوبَه ليلةً فرأى حُمرةَ أَلْيَتَيْه وبياضَهما ، فقبَّلَهما فضَرَط عليه أبو نواس ، فقال له : لِمَ فَعلتَ هذا وَيْلَك ، قال : لئِلاَّ يضيعَ قولُ القائل : ما جزاءُ مَنْ يُقبِّل الاستَ إلاَ ضَرْطَة .

[شعره في صديقه أَبي سلهب]

أَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي الفَضْل ، قال : حدَّثني أَبو سلهب

الشاعر ، قال : كان والبةُ بنُ الحُباب صديقي ، وكان ماجناً طبعاً ، خفيفَ الرُّوح ، خَبيثَ الدِّين ، وكنّا ذات يوم نَشرب بغُمَّى ، فانتبه يوماً من سُكْرِه ، فقال لي : يا أبا سلهب ، اسمع ، ثم أُنشدني ، قال : [من الوافر]

شَرِبــتُ وفاتِكٌ مِثْـلي جَمُوحٌ بِغُمَّــى بالكــؤوس وبالبَواطِي
يُعاطِيني الزّجاجَـــةَ أَرْيَحِــيٌّ رَخِيمُ الدَّلِّ بُورِكَ من مُعاطِي
أقول لــه على طَـرَبٍ : أَلِطْني ولـــو بمُؤاجِـرٍ عِلْـجٍ نَباطِي
فمــا خَبرُ الشَّرابِ بغَيْرِ فِسْقٍ يُتابَــعُ بالزِّنــاء وبــاللِّواطِ
جعلــتُ الحجَّ في غُمَّــى وبِنَّا وفي قُطْرُبُّــلٍ أَبــداً رِباطِي[1]
فقــل للخَمْسِ آخـــرُ مُلتَقانا إذا ما كان ذاك على الصِّراطِ

يعني الصَّلَوات .

[إبليس يثني على أبي نواس]

قال : وحدّثني أنّـه كان ليلة نائماً وأبو نواس غُلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آتٍ في منامه ، فقال له : أَتدْري مَنْ هذا النائم إلى جانبك ؟ قال : لا ، قال : هذا أشعر منك وأشعر من الجنِّ وانس ، أما والله لأفتِنَنَّ بشِعْره الثَّقَلَين ولأغرِيَـنَّ به أهلَ المشرق والمغرب ، قال : فَعلمتُ أنَّه إبليس ؛ فقلتُ له : فما عِندك ؟ قال : عصيتُ ربِّي في سَجْدَةٍ فأهلَكَني ، ولو أمرني أن أسْجُد له ألفاً لسَجَدْت .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قرأتُ على أَبي عن أبيه أَنَّ حَكَمَ الوادي أخبره أنّـه دخل على محمد بن العبّاس يوماً بالبصرة وهو يتململ خماراً ، وبيَدِه كأس وهو يجتهد في شُرْبها فلا يُطِيقه ، ونُدماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم ، وكان يوم نيروز ، فقال لي : يا حَكَم غنِّني فإن أطرَبْتَني فَلكَ كُلّ ما أهديَ إليّ اليوم قال : وبين يديه من الهدايا أمر عظيم ، فاندفعتُ أغنِّي في شِعر والبة بن الحُباب : [من المجتث]

صوت

قــد قابلتنـــا الكؤوسُ ودابَرَتْنـــا النُّحــوسُ
واليـــوم هرمـــزروز قــد عَظَّمتْـه المَجوسُ
لم نُخطِــه في حِسابٍ وذاك مِمّـــا نَسوسُ

---

1 غمّى وبنّا : ناحيتان من نواحي بغداد .

فطرب واستعاده ، فأعدتُه ثلاث مرّات ، فشُمِّرت قدحُه[1] واستَمرَّ في شُربه ، وأَمر بحَمْل كلّ ما كان بين يديه إليَّ ، فكانت قيمتُه ثلاثين ألف درهم .

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشاميّ وإبراهيم وغيرهما .

صوت[2]

[من الوافر]

لقـــد زادَ الحَيـــاةَ إليَّ حُبّاً ... بناتــي إنَّهُـــنَّ مـــن الضِّعافِ
مخافَةَ أَن يَذُقْن البُؤسَ بَعدي ... وأَن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعـد صافِ
وأَن يَعرَيْن إن كُسيَ الجَواري ... فيُبدي الضُرُّ عن كَرْمٍ عِجافِ[3]
ولولاهنّ قــد سَوَّمْتُ مُهرِي ... وفي الرَّحْمانِ للضُّعفاء كافِ

الشعر لعِمران بن حِطان فيما ذكر أَبو عمرو الشَّيبانيّ ، وذكر المدائنيّ أَنّه لعيسى الحَبطيّ ، وكلاهما من الشُّراة ، والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفيّ ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة .

1 شمرت قدحه : خففت بالماء .

2 تنسب هذه الأبيات إلى عيسى بن عاتك (فاتك) الخطي (الحبطي) : انظر معجم المرزباني : 95–96 وديوان شعر الخوارج : 71 .

3 المرزباني : فتنبو العين عن عرّ عجاف . وفي رواية : عن هزل عجاف .

[381] ـ أخبار عمران بن حطان ونسبه[1]

هو عِمْرانُ بنُ حِطّان ، بن ظَبْيان بن لَوْذان ، بن عمرو ، بن الحارث ، بن سدُوس ، بن شَيبان ، بن ذُهْل ، بن ثَعلبة ، بن عُكابة ، بن صَعْب ، بن عليّ ، بن بكر ، بن وائل .

وقال ابن الكلبيّ : هو عِمران بن حِطّان ، بن ظَبْيان ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن سَدُوس . ويُكنى أبا سِمك . شاعر فصيح من شعراء الشُّراة ودُعاتهم والمُقدَّمين في مذهبهم ، وكان من القَعَدة ؛ لأنّ عُمرَه طال فضَعُف عن الحرب وحضورها . فاقتصر على الدّعوة والتحريض بلسانه .

[روايته الحديث]

وكان قبل أن يُفتَن بالشُّراة مشتهراً بطلب العِلم والحديث ، ثم بُلي بذلك المذهب فضَلَّ وهلك ، لعنه الله ، وقد أدرك صَدْراً من الصحابة ، وروى عنهم ، وروى عنه أصحاب الحديث . فما رُوي عنه ما أخبرنا به محمد بنُ العبّاس اليَزيديّ ، قال : حدّثنا الرِّياشيّ ، قال : حدَّثنا أبو الوليد الطَّيالِسيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي صالح بن سَرْح اليَشْكريّ ، عن عِمران بن حِطَّان قال : كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضاة ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالقاضي العَدْل ، فلا يزال به ما يرى من شِدَّة الحِساب ، حتى يتمنّى أنّه لم يَقضِ بين اثنَيْن في تَمْرة» .

وكان أصلُه من البصرة ، فلمّا اشتَهَرَ بهذا المَذْهب طلبه الحَجّاج ، فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك ، فهرب إلى عُمان ، وكان يتنقّل إلى أن ماتَ في تَواريه .

[أضلّته امرأة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسَنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا مَنِيعُ بن أحمد السَّدوسيّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كان عِمرانُ بنُ حِطّان من أهلِ السّنّة والعِلم ، فتزوَّج امرأةً من الشُّراة من عشيرته ، وقال : أردُّها عن مذهبها إلى الحقّ ، فأضلّته وذهبت به .

1 لعمران بن حطان ترجمة في الإصابة وكامل المبرد : 1083 فما بعدها وميزان الاعتدال 2 : 276 والمؤتلف : 125–126 وخزانة البغدادي 5 : 350–362 وديوان شعر الخوارج (جمع وتحقيق إحسان عباس) : 157–158 وفيه مجموع شعره : 157–191 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[هربه من الحجّاج إلى الشام]

وأخبرني بخبره في هربه من الحجّاج عُمرُ بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا الرِّياشي ، قال : حدَّثنا الحَكَمَ بن مروان ، قال : حدَّثنا الهَيْثم بن عديّ قال : طلب الحَجَّاجِ عِمرانَ بن حطّان السَّدوسيّ ، وكان من قعَدة الخوارج ، فكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك .

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحَسن بن عليّ الخَفّاف ، ومحمد بن عِمران الصيرفيّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصَّمد الدّارع ، قال : حدَّثنا أبو عُبيدة مَعْمرُ بن المثنَّى ، عن أخيه يزيد بن المثنّى : أن عِمران بن حِطّان خرج هارباً من الحجّاج ، فطلبه ، وكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك ، فهرَب ولم يزل يتنقّل في أحياء العرب ، وقال في ذلك[1] : [من الوافر]

حَلَلْنا في بني كَعْبِ بن عَمْرٍو وفي رِغْلٍ وعامرِ عَوْثَبانِ[2]
وفي جَرْمٍ وفي عمرو بن مُرٍّ وفي زيدٍ وحيّ بني الغُدانِ[3]

[عند روح بن زنباع]

ثم لحق بالشام فنزل برَوْح بنِ زِنباع الجُذامي ، فقال له رَوْح : مِمّن أنت ؟ قال : من الأزد ، أزْدِ السّراة . قال : وكان رَوْح يسمُر عند عبد الملك فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين إنَّ في أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً قطّ إلاّ حدَّثني به وزاد فيما ليس عندي . قال : مِمَّن هو ؟ قال : من الأَزْد ، قال : إنّي لأسمعُك تصف صفة عِمران بن حِطّان ؛ لأنّني سمعتك تذكر لغة نزاريّة . وصلاة وزهداً ورواية وحِفْظاً ، وهذه صفته . فقال رَوْح : وما أنا وعمران ! ثم دعا بكتاب الحجّاج فإذا فيه : أما بعد : فإنّ رجلاً من أهل الشّقاق والنّفاق ، قد كان أفسد عليّ أهلَ العراق وحبّبهم بالشّراية ، ثم إنّي طلبته ، فلمّا ضاق عليه عملي تحوَّل إلى الشام ، فهو ينتقِل في مدائنها ، وهو رجل ضَرْب طوالٌ أفوه أروقُ[4] ، قال : قال رَوْحٌ : هذه والله صِفةُ الرجل الذي عندي . ثم أنشدَ عبدُ الملك يوماً قولَ عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم ، لعنه الله ، بقَتْلِه عليَّ بن أَبي طالب ، صلوات الله عليه[5] : [من البسيط]

---

1 شعره : 183 .
2 شعره : وفي عك .
3 شعره : وفي لخم وفي أدّ بن عمرو وفي بكر . . .
4 الضرب : الخفيف اللحم . والأروق : الطويل الأسنان .
5 شعره : 164 مع بعض اختلاف .

يـــا ضَربةً من كَرِيمٍ ما أَرادَ بها   إلاّ ليبلُغَ من ذي العَرْش رِضْوانا
إنِّي لأُفْكِـــر فيـــه ثـــم أحْسَبه   أُوفى البَرِيَّـــة عنـــد اللهِ مِيزانا

ثم قال عبدُ الملك : مَن يعرِفُ منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً ، فقال لِرَوْح : سَلْ ضيفَك عن قائلها ، قال : نعم أنا سائِله ، وما أراه يَخْفى على ضَيفِي ولا سألتُه عن شيء قَطّ فلم أجِده إلاّ عالِماً به . وراح رَوْح إلى أضيافه ، فقال : إنّ أميرَ المؤمنين سألنا عن الذي يقول :

يا ضَرْبَةً من كَرِيمٍ ما أَرادَ بِها   . . . .

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عن قائِله ، فلم يكن عند أحدٍ منهم عِلْم ، فقال له عِمرانُ : هذا قولُ عمران بن حِطّان في ابن مُلْجَم قاتل عليّ بن أبي طالب . قال : فهلْ فيها غير هذين البيتين تُفيدِنيه ؟ قال : نعم : [من البسيط]

لله دَرُّ المُـراديِّ الذي سَفَكَـت   كَفّاه مُهْجَـة شَرّ الخَلْقِ إنسانا
أُمسى عَشِيّـــة غَشّاه بضَرْبَتِـــه   مِمّا جَنـــاهُ مـــن الآثـــامِ عُرْيانا

صلوات الله على أميرِ المؤمنين ، ولعَن اللهُ عِمرانَ بن حِطّان وابن ملجَم ، فغدا رَوْح فأخبر عَبد الملك ، فقال : مَن أَخبرَك بذلك ، فقال : ضيفي ، قال : أظنّه عِمرانَ بنَ حِطّان ، فأعْلِمه أنّي قد أمرتُك أن تأتيَني به ، قال : أفعلُ . فراح رَوْحٌ إلى أضيافِه فأقبلَ على عِمْران ، فقال له : إنِّي ذكرتُك لعَبد المِلك ، فأمرني أن آتيَه بك ، قال : كنت أُحِبّ ذلك منك ، وما مَنَعَني من ذِكْرِه إلاّ الحياءُ منك ، وأنا مُتَّبِعُك ، فانطلقْ . فدخل رَوْح على عبد الملك ، فقال له : أينَ صاحِبُك ؟ فقال : قال لي : أنا متّبِعُك قال : أظنُّك واللهِ ستَرْجع فلا تجِدُه . فلمّا رجعَ رَوْح إلى منزله إذا عِمرانُ قد مَضى ، وإذا هو قد خَلّف رُقعةً في كَوَّةٍ عند فِراشه ، وإذا فيها يقول[1] : [من البسيط]

يا رَوْحُ كَم من أخي مَثْوًى نزلت به   قـد ظنَّ ظَنَّك من لَخْمٍ وغسّانِ
حتى إذا خِفتُـــه فارقـــتُ منزِلَه   من بعد ما قِيلَ : عِمرانُ بنُ حِطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حَولاً لا تروِّعُني   فيــه الطوارِقُ من إنْسٍ ولا جانِ
حتى أردت بيَ العُظْمى فأَوحَشَني   ما أَوحشَ الناسَ من خوفِ ابنِ مَرْوانِ

1 شعره : 179–180 مع بعض اختلاف .

فاعذِر أَخــاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنَّ له ... في الحادثاتِ هَنــاتٍ ذاتَ أَلْوانِ
يومـاً يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمــنٍ ... وإن لَقِيــتُ مَعَدِّيّــاً فعَـدْناني
لـــو كنتُ مُستغفِراً يوماً لطاغيَةٍ ... كُنتَ المُقـدَّم في سِرِّي وإعلاني
لكــن أبــتْ ذاك آيــاتٌ مُطَهَّرةٌ ... عنـد التِّلاوة في طَـــهَ وعِمْرانِ[1]

[لجوءه إلى زفر بن الحارث]

قال : ثم أتى عِمران بن حِطّان الجزيرة ، فنزل بزُفَر بن الحارث الكلابيّ بقَرْقِيسيا ، فجعل شبابُ بني عامر يتعجَّبون من صَلاتِه وطُولِها ، وانتسب لزُفَر أوزاعيّاً . فقدِم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عِمْران بن حِطّان بالشام عند رَوْح بن زنباع ، فصافحه وسلَّم عليه . فقال زُفَر للشّامي : أتَعْرِفه ؟ قال : نعم ، هذا شيخ من الأزْد ، فقال له زفر : أزدِيٌّ مرَّة وأوزاعيٌّ أخرى ! إن كنتَ خائِفاً آمنّاك ، وإن كنت عائِلاً أغنيناك ، فقال : إنّ الله هو المُغني ، وخرج من عنده وهو يقول[2] : [من البسيط]

إنّ التي أُصبحَت يَعْيا بها زُفَـرٌ ... أعْيَت عَياءً على رَوْحِ بـنِ زِنباعِ
أمسى يُسائلُنــي حــولاً لأُخبِرَه ... والناسُ من بين مَخدوعٍ وخَدَّاعِ
حتى إذا انْجَذَمَـتْ مِنِّي حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعي[3]
فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحٌ إنَّني رجلٌ ... إمّــا صرِيحٌ وإمّا فَقْعَــةُ القاعِ[4]
أمّا الصَّلاةُ فإنِّـي غيرُ تارِكِهــا ... كلُّ امرىءٍ للّذي يُعْنى بـه ساعي
فاكفَف لِسانَك عن هَزِّي ومسْألتي ... مــاذا تُريـد إلى شيــخٍ لأَوزاعِ
أَكـرِمْ برَوْحِ بن زِنبـاعٍ وأُسرتِه ... قومــاً دَعـا أوَّليهم للعُــلا داعي
جاورتُهـم سنَةً فيما دَعَوتُ بــه ... عِرضِي صَحيحٌ ونَوْمي غَيرُ تَهجاعِ
فاعمَـلْ فإنّـــك مَنْعــيٌّ بحادِثَــةٍ ... حَسْبُ اللَّبيب بهذا الشيبِ من ناعي

[هربه إلى عُمان]

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثِرون ذكرَ أبي بلال مرداس بن أُدَيَّة ، ويُثنُون عليه ويذكرون فضله ، فأظهر فضلَه ويسَّر أمرَه عندهم ، وبلغ الحجَّاج مكانُه ، فطلبه ، فهرب

1 عند التلاوة في ل والشعر : عند الولاية .
2 شعره : 180–181 مع اختلاف يسير .
3 إهلاعي : إفزاعي وترويعي .
4 فقعة القاع : من لا أصل له وقد تقدم المثل .

فنزل في روذَميْسان ، طَسُّوج[1] من طاسيج السَّواد إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات . وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزْد ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

نَزلتُ بحَمْدِ اللهِ في خَيْر أُسرةٍ أُسَرُّ بما فيهم من الإنْسِ والخفَرْ
نزلتُ بقومٍ يجمَعُ اللهُ شملَهم وما لهم عُودٌ سِوى المَجْد يُعْتَصَرْ
من الأَزْدِ إنّ الأَزْدَ أكرمُ أُسرةٍ يمانيّةٍ قَرُبوا إذا نُسِب البَشَرْ[3]

قال اليزيديُّ : الإنْس بالكَسْر : الاستئناس . وقال الرِّياشيّ : أراد قَرُبُوا فخفَّف ، قال : [من الطويل]

وأَصبحتُ فيهم آمناً لا كَمَعْشَرٍ بَدَوْني فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ[4]
أو الحيِّ قَحْطانٍ وتلْك سَفاهةٌ كما قال لي رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَرْ
وما مِنهمُ إلاّ يُسَرُّ بنسبةٍ تُقرّبني منهم وإن كان ذا نَفرْ
فنحن بَنو الإسلامِ واللهُ واحدٌ وأَولى عِبادِ الله باللهِ مَنْ شكرْ[5]

[من الذي حوّله عن مذهبه ؟]

أَخبرنا اليزيديُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ عن المُعتَمِر بن سليمان قال : كان عِمرانُ بن حِطّان رجلاً من أهل السنّة ، فقدِم عليه غلام من عُمان كأنّه نَصْل ، فقلبه عن مَذْهبه في مجلس واحد .

أَخبرني اليزيديُّ ، قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ ، قال : حدَّثنا مسدَّدُ بن مُسرْهَد ، قال : حدَّثنا بِشْرُ بن المفَضَّل ، عن سَلَمة بن عَلْقَمةَ ، عن محمد بن سيرين ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيلْ العَنَزيُّ ، قال : حدَّثنا عمرو بن عليّ القلاّسُ ، وعبّاس العنبريّ ، ومحمد بن عبد الله المخزوميّ ، قالوا : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، عن بشر بن المُفَضَّلِ ، عن سلَمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : تزوَّج عمرانُ بن حطّان امرأةً من الخوارج فقيل له فيها ، فقال : أردُّها عن مذْهبها فذهبت هي به .

[متخلف عن الخروج يتمثل بشعر عمران]

نَسختُ عن بعض الكتب : حدَّثنا المدائنيُّ ، عن جُوَيْريّة قال : كتب عيسى الحَبَطيُّ إلى

1 الطسوج : الناحية أو القرية .
2 شعره : 182 مع بعض اختلاف .
3 شعره : طابوا بدل قربوا .
4 شعره : أتوني فقالوا .
5 شعره : والله ربنا .

رجلٍ منهم يقال له أبو خالد ، كان تخلّف عن الخروج مع قطريّ أو غيره منهم[1] : [من الطويل]

أَبـا خالـدٍ أَنفُرْ فلستَ بخالدِ وما تـركَ الفُرقانُ عُذْراً لِقاعِدِ
أَتزعـمُ أَنَّ الخارجين على الهُدى وأَنت مُقيمٌ بـين لِصٍّ وجاحدِ !

فكتب إليه : ما منعني عن الخروج إلاَّ بناتي والحدَبِ عليهن حين سمعتُ عمران بن حِطّان يقول[2] : [من الوافر]

لقـد زاد الحيـاةَ إليَّ حُبّاً بناتـي إنَّهنّ مـن الضّعافِ
ولولا ذاك قـد سَوَّمتُ مُهري وفي الرَّحمـنِ للضُّعفاءِ كافِ

قال : فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ، ويقول : صدَقَ أخي ، إنَّ في ذلك لعُذراً له ، وإنَّ في الرحمن للضعفاء كافياً .

[رأي الأخطل في شعره]

وقال هارون : أخذتُ من خطّ أَبي عَدْنان : أخبرني أبو ثَرْوان الخارجيّ ، قال : سمعتُ أشياخَ الحيِّ يقولون : اجتمعت الشعراء عند عَبْدِ الملك بن مروان فقال لهم : أبقي أحدٌ أشعر منكم ؟ قالوا : لا . فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بَقِيَ مَن هو أشعر منهم ؛ قال : ومَن هو ؟ قال عِمرانُ بن حِطّان ؛ قال : وكيف صار أشعرَ منهم ؟ قال : لأنّه قال وهو صادِق ففاقهم ، فكيف لو كذَبَ كما كَذَبوا !

[الحجّاج وغزالة الحرورية]

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن محمد بن عليّ بن حمزة الخراسانيّ ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهّاب ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىء ، عن الزُّهريّ ، عن أبيه : أنّ غَزالةَ الحَروريَّةَ[3] ، لمّا دخلَت على الحجّاج هي وشبيب الكوفة تحصَّن منها وأغلق عليه قَصره ، فكتب إليه عِمران بن حطّان ، وقد كان الحجّاج لجّ في طلَبه ، قال[4] : [من الكامل]

أسدٌ عليَّ وفي الحـروبِ نَعامةٌ رَبداءُ تَجْفُـل مـن صَفير الصافرِ[5]

1 نسب البيتان في ديوان شعر الخوارج لقطري بن الفجاءة : 119–120 يقولهما لخالد القناني أحد القعدة .
2 نسبت الأبيات لعيسى بن فاتك (عاتك) الحبطي (الخطي) ولعمران بن حطان . ونسبتهما إلى أبي خالد القناني أقرب إلى السياق .
3 الحرورية : الخوارج سموا بذلك لاجتماعهم في حروراء .
4 شعره : 184 .
5 الربداء : السوداء والمنقطة بالحمرة .

هلاّ بَرَزتَ إلى غَزالة في الوَغى ... بل كان قَلبكَ في جَناحيْ طائرِ
صدَعتْ غَزالةُ قلبَه بفوارسٍ ... تركتْ مدابِرَه كأَمْسِ الدَّابرِ

ثم لَحِق بالشام فنزلَ على رَوْح بن زِنْباع .

أُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا محمد بن خالد أَبو حَرب ، قال : حدَّثنا محمد بن عبّاد المهلّبيُّ ، قال : حدَّثنا جريرُ بن حازمُ ، قال : كان عِمرانُ بن حِطّان أَشدَّ الناس خُصومة للحَروريّة حتى لقيه أعرابيٌّ حَروريّ فخاصَمه فخصمه فصار عِمرانُ حَرُوريّاً ، ورجع عن رأيه .

قال جرير بن حازم : كان الفرزدق يقول : لقد أحسنَ بنا ابن حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا ، يعني لجوْدة شعره .

[نسبة كثير من الشعر إليه]

نسختُ من كِتاب ابن سَعْد قال : أُخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : أُخبرني أُحمد بن عبد الله بن سُوَيد بن مَنجوف السَّدوسيّ ، قال : أخبرني أحمد بن مؤرِّج ، عن أبيه قال : حدَّثني به تميمُ بن سَوادَة ، وهو ابن أُخت مُؤَرِّج ، قال : حدَّثني أَبو العوَّام السَّدوسيّ ، قال : كان مالك المزموم رجلاً من بني عامر بن ذُهل ، وكان من الخوارج ، وكان الحجّاج يطلُبه . قال أبو العوَّام : فدخلتُ عليه يوماً وهو في تَوارِيه ، فأنشدني يقول[1] : [من الطويل]

أَلم يأنِ لي يا قَلبُ أن أَتْركَ الصِّبا ... وأَن أَزجرَ النفسَ اللَّجُوجَ عن الهَوى
وما عُذرُ مَنْ يَعمى وقد شابَ رأسُه ... ويُبصِر أَبوابَ الضَّلالةِ والهُدى
ولو قُسِم الذَّنبُ الذي قد أَصبْتُه ... على النّاس خاف النّاسُ كُلّهم الرَّدى
فإن جَنَّ ليلٌ كُنتُ باللَّيل نائماً ... وأُصبح بَطّالَ العَشيّاتِ والضُّحى

قال : فلمّا فَرغَ من إنشادها قال : سيَغْلِبُني عليها صاحبُكم ، يعني عِمران بن حِطّان ، فكان كذلك ، لمّا شاعَت رواها الناسُ لعِمران . وكان لا يقول أحدٌ من الشُّراة شِعْراً إلاّ نُسِب إليه لشُهرته إلاّ مَنْ كان مِثلَه في الشُّهرة مثل قطريّ وعَمْرو القنا وذويهما . قال : ثم هرب إلى اليمامة من الحجّاج ، فنزل بحَجْر ، فأتاه آلُ حَكّام الحنفيُّون ، فقال[2] : [من الخفيف]

---

1 شعره : 192 .
2 شعره : 193–194 .

طَيَّروني مِـــن البِـلاد وقالوا   مالَكَ النَّصفُ من بني حَكَّامِ[1]
ناقَ سِيري قد جَدَّ حَقّاً بنا السَّيـ   ـرُ وكوني جَوَّالـةً في الزِّمامِ
فمَتى تَعْلَقي يَـدَ المَلِك الأَسْـ   ـودِ تَسْتَيْقِنِـي بألاّ تُضامي[2]
قد أُراني ولي من الحاكم النَّصْـ   ـفُ بحَـدِّ السِّنانِ أو بالحُسامِ

قال : والملك الأسود إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة لعبْد المِلك ، وكان ابن حكَّام على شُرْطته قال : [من الخفيف]

ومُنِينـــا بِطِمْطِـــمٍ حَبَشيٍّ   حالِكِ الوَجْنَتين من آلِ حامِ[3]
لا يُبــالي إذا تَضلَّع خَمْـراً   أَبِحِـلٌّ رَمــاك أم بِحـــرامِ[4]

قال العَنَزِيّ : فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أَبي حَفْصَة ، عن أَبيه ، قال : كان مالكٌ المزموم من أحسن الناس قراءة للقرآن ، فقرأ ذاتَ ليلة فسَمِعَتْ قراءته امرأةٌ من آل حَكَّام فرَمَت بنفسها من فوق سطح كانت عليه ، فسَمِع الصوتَ أهلُها ، فأَتَوْه فضربوه ضربات ، فاستَعْدى عليهم إبراهيم بن عربيّ ، وكان عبدُ الله بن حكَّام على شُرْطَته فلم يُعدِه[5] عليهم ، فهجاه بالأبيات الماضية ، وهجاه بقصيدته التي أوَّلُها[6] : [من الخفيف]

دارَ سَلْمى بالجِزْعِ ذِي الآطام   خبِّرينا سُقِيــتِ صَوْبَ الغَمامِ

وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عِمْران بن حِطّان .

[اعتراف الفرزدق بتفوّقه]

أُخبرني أَحمدُ بن الحسين الأصْبهانيُّ ابن عمّي قال : حدَّثني أَبو جعفر بن رُسْتم الطَّبريُّ النَّحويُّ ، قال : حدَّثنا أبو عُثمان المازنيُّ قال : حدَّثنا عمرو بن مُرّة قال : مرَّ عِمران بن حِطَّان على الفرزدق وهو ينشد والناس حولَه ، فوقف عليه ، ثم قال[7] : [من الخفيف]

أَيُّها المــادِحُ العِبــادَ لِيُعْطى   إنَّ للهِ مــا بـأَيْدي العِبـادِ

---

1 النصف : الانصاف .
2 شعره : فمتى تلقني .
3 الطمطم : الأعجم الذي لا يفصح .
4 تضلّع : امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً ورياً .
5 لم يعده : لم ينصره .
6 شعره : 193 .
7 شعره : 176 .

فاسألِ اللهَ مـــا طلبتَ إليهم وارجُ فضـــلَ المُقسِّمِ العَوَّادِ
لا تقُلْ في الجَوادِ ما ليس فيه وتُسمِّي البَخيلَ باسم الجَوادِ

فقال الفرزدق : لولا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ شَغل عنّا هذا برأيه للقينا منه شرّاً .

[أوعظ بيت قالته العرب]

وقال هارون بن الزَّيّات : أخبرني عبدُ الرّحمن بن موسى الرَّقيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن محمد بن حُمَيْد بن سُليمان بن حَفْص بن عبد الله بن أبي جَهم بن حُذيفة بن غانم العدويّ قال : حدَّثنا يَزيدُ بنُ مرّة ، عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى عن عيسى بن يَزيد بن بَكر المدنيّ ، قال : اجتمع عند مسلَمة بنِ عبد الملك ناسٌ من سُمّاره ، فيهم عبدُ الله بن عبد الأعلى الشّاعر ، فقال مَسْلَمة : أيُّ بَيْت قالَتْه العربُ أوعظُ وأحكَم ؟ فقال له عبدُ الله قوله : [من الطويل]

صَبا ما صَبا حتّى عَلا الشَّيبُ رأسَه فلمّــا عــلاه قـال لِلْباطِلِ ابْعُدِ

فقال مَسْلَمةُ : إنّه واللهِ ما وَعَظَني شِعْرٌ قَطّ كما وَعَظَني شِعْرُ ابن حِطّان حيث يقول[1] : [من الطويل]

فيُوشِكُ يَـــومٌ أن يُقـارِنَ لَيْلَةً يَسوقانِ حَتْفاً راح نَحْوك أو غَدا

فقال بعضُ مَن حضر : واللهِ لقد سَمِعتُه أجَّل الموتَ ثم أفناه ، وما صنَع هذا غيرُه ، فقال مَسلمة : وكيف ذاك ؟ قال : قال[2] : [من البسيط]

لا يُعجزُ المَوتَ شيءٌ دُونَ خالِقِه والموتُ فانٍ إذا مــا نالـه الأَجَلُ
وكلُّ كَرْبٍ أمــامَ المَوتِ مُتَّضِعٌ للموتِ ، والمَوتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ

فبكى مَسلَمةُ حتى اخضلّت لِحيَتُه ، ثم قال : ردِّدهما عليَّ ، فردَّدَهما عليه حتى حَفِظَهما .

[خلات الصدق في زوجته]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا مَنيع بن أحمد بن مُؤرِّج السَّدُوسيّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : تزوّج عِمرانُ بن حِطّان حمزةَ بنتَ عمِّه ليردّها عن مذهب الشّراية ، فذهبت به إلى رأيهم ، فجعل يقول فيها الشعر ، فممّا قال فيها[3] : [من البسيط]

---

1 لم يرِد هذا البيت في مجموع شعره .
2 شعره : 168 .
3 شعره : 167 وفيه «جمر» بدل «حمز» .

يا حَمْزَ إنّي على مـا كان من خُلقي مُثْنٍ بخَلاّتِ صِدْقٍ كُلُّهـا فيكِ
اللهُ يعلَـم أنـّي لم أقُـلْ كَذِبـاً فيمـا عَلِمْـتُ وأنِّي لا أُزَكِّيكِ

[لا يكذب في شعره]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، وحدَّثني بعضُ أصحابنا ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ : أنَّ امرأةَ عمران بن حِطّان قالت له : أَلَم تزعم أنّك لا تكْذِب في شعرك ؟ قال : بلى ، قالت : أفرأيتَ قولَك : [من مجزوء الكامل]

وكذاك مَجْـزَأة بن ثَـوْ رٍ كان أشجعَ من أسامَهْ

أيَكون رجل أشجعَ من الأسد ؟ قال : نعم ، إنّ مجزأةَ بن ثَوْر فتح مدينةَ كذا ، والأسد لا يَقدر على فتحِ مدينة .

صوت

[من الطويل]

نَدِيميَّ قـد خَفَّ الشَّرابُ ولَم أجِد له سَوْرَةً في عَظْم رأسي ولا جِلْدي
نَدِيمـيَّ هـذِي غِبُّهُم فاشرَبا بها ولا خيْر في شُرْبٍ يكون على صَرْدِ[1]

الشعرُ لعُمارة بن الوليد بنِ المُغيرة المخْزُوميّ ، والغناء لابن سُرَيج خفيف ثقيل .

1 الغب : الزيارة يوماً بعد يوم . والصرد : الخالص من كل شيء ، أي صرفاً . وفي رواية «على حرد» أي على غضب .

[382] ـ أخبار عمارة بن الوليد ونسبه[1]

عُمارة بن الوليد ، بن المُغيرة ، بن عبد الله ، بن مَخْزُوم ، بن يَقَظة ، بن مرّة ، بن كعب ، بن لؤيّ ، بن غالب ، وهو أحدُ أزْواد الرَّكْب[2] ، ويقال له الوحيد ، وكان أزوادُ الرَّكْب لا يمرُّ عليهم أحد إلاّ قَرَوْه وأحْسَنُوا ضيافته ، وزوَّدُوه ما يحتاج إليه لسفَرِه . وكان عمارة بن الوليد فَخوراً مِعنّاً[3] متعرِّضاً لكلّ ذي عارِضة من قُرَيش ، فأخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن شَبِيب ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن الحزاميّ ، قال : مرَّ عمارة بن الوليد بمُسافرِ بن عمرو ، فوقَفَ عليه وهو مُنْتشٍ ، فقال : [من مجزوء الرمل]

خُلِقَ البِيضُ الحِسان لنا وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِراً كُنَّا أَحقَّ به حين صِيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ

فأجابه مُسافرُ بن عمرو بن أُميّة ، فقال : [من مجزوء الرمل]

أَعُمارَ بنَ الوليد لقد يذكُر الشّاعر مَنْ ذَكَرَهْ
هل أخو كأسٍ مُخَفِّفها ومُوَقٌّ صَحبَه سَكَرَهْ
ومُحيِّيهم إذا شَرِبُوا ومُقِلٌّ فيهم هَذَرَهْ
خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا وجِياد الرَّيْطِ والحَبَرهْ
كابِراً كُنّا أَحقَّ به كلُّ حيٍّ تابِعٌ أَثَرَهْ

[يترك الشراب ثم يعود]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، قال : حدَّثنا العُمَريُّ ، عن الهيثم بن عَديّ عن حمّاد الرّاوية : أنَّ عُمارة بن الوليد خَطَب امرأةً من قَومِه فقالت : لا أتزوّجُك أو تترُك الشّراب والزّنا ، قال : أمّا الزّنا فأتركه ، وأمّا الشّراب فلا أتركه ولا أستطيع . ثم اشتدَّ وجدُه بها فحلف ألاّ يشرب ؛ فتزوَّجها ومكث حيناً لا يشرب ، ثمّ إنّه لبِس ذات يوم حُلَّته وركب ناقته وخرج يسير ، فمرّ بخمّار وعنده شَرْبٌ يشربون ، فدعَوْه فدخل عليهم

1 لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي في نسب قريش : 322 وانظر تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد 1 : 202 و4 : 105 وقد تقدم خبر مرافقته عمرو بن العاص إلى الحبشة (انظر التذكرة الحمدونية 8 : 215–217) .
2 أزواد الركب : مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الأسود وأبو أمية بن المغيرة ، لأن الراكب لم يكن يتزود بزاد .
3 المعن : من يدخل فيما لا يعنيه .

وقد أنفدوا ما عندَهم . فقال للخمّار : أطعِمْهم ويلك ، فقال : ليس عندي شيء ، فنحر لهم ناقته ، فأكلوا منها ، فقال : اسقِهم ، ولم يكن معهم شيء يشربون به ، فسقاهم ببُردته ؛ ومكثوا أيّاماً ذوات عدد ، ثم خرج فأتى أهله ، فلمّا رأته امرأته ، قالت له : ألَم تحلف ألاّ تشرب ؟ ولامته ، فقال : [من الطويل]

ولسنا بشَرْبٍ أُمَّ عمرو إذا انتشوْا ثيابُ النَّدامى عندهم كالغنائمِ[1]
ولكنّنا يا أُمَّ عَمْرٍو نديمُنا بمنزلة الرّيّان ليس بعائمِ
أسرَّك لما صرَّع القومَ نشوةٌ أن اخرُجَ منها سالماً غيرَ غارمِ
خليّاً كأنّي لم أكُن كُنتُ فيهمُ وليس الخِداعُ مرتضًى في التّنادمِ

[ملاحاته عمرو بن العاص]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم ، قال : حدَّثني عمّي : أحمد بن جعفر ، عن ابن دأب ، قال : قدِم رجل من تجّار الرُّوم بحُلّة من لباس قيصر على أهل مكّة ، فأتى بها عمارةَ بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، فعرضها عليه بمائة حِقٍّ من الإبل ، فاستغلاها ، فأتى بها عمرو بن العاص ، فقال له : هل أتيت بها أحداً ؟ قال : نعم ، عُمارة بن الوليد فاستغلاها وقال : لن تعدم لها غَويّاً من بني سهم ، قال : قد أخذتها : فاشتراها بمائة حِقّ ، يعني مائة بعير ، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم ، فناداه عمارة : أتبيع الحُلّة يا عمرو ؟ فغضب والتفت إلى عمارة ، فقال : [من الوافر]

عليكَ بجزٍّ رأس أبيك إنّا كفيناك المُسَهَّمة الرِّقاقا[2]
زوَوْها عنكمُ وغَلَتْ عليكم وأُعطينا بها مائةً حِقاقا
وقلتم : لا نطيق ثيابَ سَهْمٍ وكلٌّ سوف يَلبَسُ ما أُطاقا

قال : فغضب عمارة وقال : يا عمرو ، ما هذا التّهوّر ؟ إنّك لست بعتبةَ بن ربيعة ، ولا بأبي سفيان بن حرب ، ولا الوليد بن المغيرة ، ولا سُهيل بن عمر ، ولا أُبيّ بن خلف . فقال عمرو : إلاّ أكن بعضَهم فإنّ كلَّ واحد منهم خيرُ ما فيه فيَّ : من عُتبة حلمُه ، ومن أبي سفيان رأيُه ، ومن سُهَيل جودُه ، ومن أُبيّ بنِ خلف نجدَتُه ، وأمّا الوليد فوالله ما أحبّ أنّ فيّ كلَّ ما فيه من خيرٍ وشرٍّ ، ولكنّك والله مالكَ عَقْلُ الوليد ، ولا بأسُ الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ، ولا لِسانُ أبي الحكَم ، يعني أبا جهل . وانصرف ، فأمر عُمارةُ بجزور فنُحِرت على

1 أم عمرو في ل : أم عوف .
2 المسهمة : المخططة .

طريق عمرو ، وأَقبل عمرو فقال : لَمَنْ هذه الجزور ؟ قيل : لعُمارة ، فقال له : أَطعِمنا منها يا عُمارة ، فضحك منه ، ثمّ قال : [من الوافر]

عليـك بجَـزْر أَيرِ أَبيك إنّا كفينـــاك المُشاشة والعُراقا[1]
ومَنسَبَة الأَطايب مـــن قريشٍ ولم تَــرَ كأسَنا إلاَّ دِهاقا[2]
ونلبسُ في الحوادثِ كلَّ زَغْفٍ وعنـد الأَمـــن أَبْراداً رِقاقا[3]

فوقع الشرُّ بينهم ، فقال عمرو : [من الوافر]

لعَمْرُ أَبيـك والأخبار تَنْمي لقــد هَيَّجْتَني يـا ابنَ الوليدِ
فـلا تعجل عُمـارةُ إنَّ سَهْماً لمخزومِ بـــن يَقْظةَ في العديدِ
وأوردْ يـا عُمارةُ إنَّ عودي مـن آعواد الأَباطحِ خيرُ عودِ

فأَجابه عُمارة ، فقال : [من الوافر]

أَلا يا عمرو هل لك في قُريشٍ أَبٌ مثـلُ المُغيـــرة والوليدِ
وجَـــدٌّ مثـــلُ عبدِ الله يَنْمي إلى عمــرِو بن مخزومٍ بعُودِ
إذا مـــا عُــدَّت الأعواد نَبْعاً فَما لي في الأَباطِحِ من نَديدِ
وقـــد عَلِمتْ سَراةُ بني لُؤَيٍّ بأَنِّـــي غيرُ مؤتَشِبٍ زهيـــدِ[4]
وإنِّـــي للمُنابِـــذِ مـن قريشٍ شَجاً في الحَلْقِ من دونِ الوريدِ
أَحوطُ ذِمارَهم وأَكفُّ عنهم وأَصبِر في وَغـا اليوم الشَّديدِ
وأبــذُل مـــا يضِنّ به رِجالٌ وتُطمِعُنـي المـــروءَةُ في المَزيدِ
وإنّك من بني سَهْمِ بنِ عَمرٍو مكان الرِّدْفِ من عَجُزِ القَعودِ
وكان أَبوكَ جَزّاراً . . . وكانت لـــه فأس وقِـــدْرٌ من حديدِ

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العُمَريّ ، عن أَبي عوانةَ ، عن عبد الملك بن عمير ، أنّ عمر بن الخطّاب قَسَم بروداً في المهاجرين .

قال العَمَريّ : هكذا ذكر أَبو عوانةَ ، وقد حدَّثني الهيثم ، عن أبي يعقوب الثَّقفيّ ، عن عبد

1 المشاشة : رأس العظم اللين . والعراق : أكل اللحم عن العظم .
2 كأس دهاق : ممتلئة .
3 الزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
4 مؤتشب : مختلط النسب غير صريح .

الملك بن عُمير ، قال : أخبرني مَنْ شهد ذلك : أنَّ عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ بعثَ إلى عمر بن الخطّاب بِحُلَلٍ من اليمن ، فقال عمر : عليَّ بالمحمَّدِين ، فأُتِي بمحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ، ومحمد بن حطّاب أخي حاطب ، وكلّهم سمّاه النبيّ ﷺ محمّداً ، فأقبلوا ، فاطّلع محمد بن حطّاب فيها ، فقال له عمر : يا شيبة معمر ، يعني عمّاً له قُتِل يوم بدر ، اكفف ، وكان زيد بن ثابت الأنصاريّ عنده ؛ فقال له عمر : أعطهم حُلّةً حُلّة . فنظر إلى أفضلها ، وكانت أُمُّ أحدهم عنده ، فقال عمر : ما هذا ؟ فقال : هذه لفلان ، الذي هو ربيبه ، فقال عمر : اردُدْه ، وتمثّل بقول عُمارة بن الوليد : [من الطويل]

أسرَّك لمّا صرَّع القومَ نشوةٌ ... أن اخرُجَ منها سالِماً غيرَ غارمِ
خَلِيّاً كأنّي لم أكُن كنت فيهمُ ... وليس الخِداعُ مُرتضًى في التّنادمِ

وقال أبو عوانة : من تصافي التنادم .

ثمّ أمر بالبرود فغُطِّيت بثوب ، ثمّ خلَطها ، ثم قال : لِيُدخِلْ كلُّ امرىءٍ يدَه فليأخذ حُلّته وما قُسِم له .

صوت

[من المنسرح]

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَهْ
فاقبَلْ من الدّهر ما أتاك بِهِ ... مَنْ قرَّ عيناً بعيشه نَفَعَهْ
لكلِّ همٍّ من الهمومِ سَعَهْ ... والصُّبح والمُسْيُ لا فلاحَ معَهْ[1]

الشعر للأضبط بن قُرَيع ، والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ ، ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر من روايته ، وسمعناه يغنّي في طريقة خفيف رمل ، فسألت عنه ذُكاء وجه الرّزّة ، فذكر أنّه سمعه من محمد بن يحيى المكّيّ في هذه الطريقة ، ولم يعرف صانعَه ولا سأل عنه .

1 المسي : الامساء . لا فلاح معه : لا بقاء معه .

[383] ـ أخبار الأَضبط ونسبه[1]

[الأضبط مفرّك]

أَخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عبدُ الله بن طاهر ، قال : قال أَبو محلّم : أَخبرني ضِرار بن عيينة ، أحد بني عبد شمس ، قال : كان الأضبط بن قُرَيْع مُفرَّكاً ، وكان إذا لقي في الحرب تقدّم أَمام الصفّ ، ثم قال : [من الرجز]

أَنـا الذي تفرُكُه حلائلُهْ ألا فتًى مُعشَّقٌ أُنازِلُهْ ![2]

قال : فـاجتمع نساؤه ذات ليلـة يسمرن ، فتعاقدن على أَن يصدقن الخبر عن فرْك الأضبط ، فأَجْمَعن أنّ ذلك لأنـّه بارد الكَمَرة ، فقالت لإحداهنّ خالتُها : أتعجز إحداكنّ إذا كانت ليلتُه منها أن تُسخن كمرته بشيء من دُهن ؟ فلمّا سمع قولَها صاح : يا آل عوف ، يا آل عوف ! فثار الناس وظنّوا أنـّه قد أُتِيَ ، فقال : أوصيكم بأن تُسخِنوا الكمرة فإنّه لا حُظْوة لبارد الكمرة ، فانصرفوا يضحكون ، وقالوا : تبّاً لك ، ألهذا دعوتَنا !

[يعصى ويلام]

قال أَبو مُحلّم : كانت أُمُّ الأضبطَ عَجِيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطَّموح بنت دارم أُمّ جُشَم وعبشمس ابنَي كعب بن سعد ، فحارب بنو الطَّموح قوماً من بني سعد ، فجعل الأضبط يدُسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرّح بنُصرتهم خوفاً من أن يتحزّب قومه حزبين معه وعليه ، وكان يشير عليهم بالرّأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأَرَوْه مع ذلك أنـّهم على رأيه ، فقال في ذلك : [من المنسرح]

لكلّ هَـمٍّ مـن الهُموم سَعَهْ والمُسْيُ والصُّبح لا فلاحَ معَهْ[3]
لا تحقِرنَّ الفقيرَ علَّـك أَن تركعَ يوماً والدّهرُ قـد رَفعَهْ
وصِلْ حِبال البعيد إنْ وَصَلَ الحبْـ ـلَ وأَقْصِ القريـبَ إن قطعَهْ
قـد يجمع المـال غيرُ آكلِهِ ويأكل المـالَ غيرُ مَنْ جمعَهْ

---

1 ترجمة الأضبط بن قريع في الشعر والشعراء : 298–299 والمعمرين : 7 وأمثال الضبي : 6 والسمط : 326 وشرح شواهد المغني : 155 وخزانة البغدادي 11 : 455–456 والمحبر : 182 ، 247 .

2 المفرّك : الذي تبغضه زوجاته .

3 صدر البيت في الخزانة : لكل ضيق من الأمور سعة . وفي الشعر والشعراء : يا قوم من عاذري من الخدعة .

مـا بال مَنْ غَيُّه مُصيبُك لا ... يملك شيئاً مـن أمرِه وَزَعَهْ[1]
حتى إذا مـا انجلَتْ غَوايتُه ... أقبـل يَلحـى وغيُّـه فجعَهْ
أذودُ عـن نفسه ويخدَعُنـي ... يا قوم مَنْ عاذري من الخُدَعَهْ
فاقْبَلْ مـن الدَّهرِ ما أتاكَ به ... مَـنْ قـرَّ عينـاً بعيشه نفعَهْ

[شعره في امرأة نشزت]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ ، قال : كان الأضبطُ بن قريع قد تزوّج امرأة على مال ووصيفة ، فنَشَزَت عليه ، ففارقها ولم يعطِها ما كان ضمِن لها ، فلمّا احتملت أنشأ يقول : [من الطويل]

ألـم ترَهـا بانـت بغير وصيفةٍ ... إذا ما الغواني صاحبتها الوَصائِفُ
ولكنّهـا بانـت شَموسٌ بَزِيَّـة ... مذممـة الأخـلاق حدباءُ شارفُ
لـو انَّ رسولَ اللّهْوِ سلَّم واقِفاً ... عليها لرامتْ وَصلَه وهـو واقِفُ

أخبرنا وكيع قال : حدَّثنا ابن أبي سعد قال : حدَّثنا الجمّاز : قال : أنشدت أبا عبيدة وخَلَفاً الأحمر شِعر الأضْبطِ : [من المنسرح]

وصِلْ حبال البعيد إن وصل الحبـ ... ـل وأَقْصِ القريبَ إنْ قطعَهْ

فما عرفا منه إلاّ بيتاً وعجز بيت ، فالبيت الذي عرفناه : [من المنسرح]

فاقبل مـن الدَّهرِ ما أتاك به ... .

والعجز :

يا قوم مَنْ عاذِري من الخُدعَهْ

والخدعة : قوم من بني سعْد بنِ زيْد مناة بنِ تميم .

صوت

[من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقّـي ولا قارع سِنّي[2]
ولا مُسلمٍ مـولاي عنـد جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شرٍّ ما أَجْني

الشعر لأعشى بني ربيعة ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

1 وزعه : كفه . ويروى : ما بال من سره مصابك . . .
2 في السمط (906) : ولا سالم قرني .

[384] ـ أخبار أعشى ربيعة ونسبه[1]

الأعشى اسمه عبدُ الله بن خارجةَ بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة الحُصَين بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار : شاعر إسلاميّ من ساكني الكوفة ، وكان مَرْوانيّ المذهب ، شديد التعصّب لبني أُميّة .

[مديحه عبد الملك]

أخبرني محمدُ بن العبّاسِ اليزيديّ قال : حدَّثنا عمِّي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيبَ ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عمِّه العبّاس بن هشام ، عن أبيه ، قالا : قدِم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبدُ الملك : ما الذي بَقِي منك ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خُصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي
ولا مُسلمٍ مَولايَ عند جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاي من شرِّ ما أجني
وإنّ فُؤادي بين جَنبَيَّ عالِمٌ ... بما أبصرت عيني وما سَمِعَتْ أُذْني
وفضَّلني في الشِّعرِ واللُّبِّ أنَّني ... أقولُ على عِلمٍ وأعرِفُ مَن أعْني
فأصبحتُ إذ فَضَّلتُ مروانَ وابنَه ... على النّاسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : مَن يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألفَ جَرِيب[2] ، وقال له : امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلاً[3] فأتى زَيداً فقال له : ائتِني غداً ، فأتاه فجعل يردِّده ، فقال له : [من الرجز]

يا زيدُ يا فِداكَ كُلُّ كاتِبِ ... في النّاسِ بين حاضرٍ وغائبِ

---

1 ترجمة أعشى بني ربيعة في السمط : 906 والمؤتلف : 10–11 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776–1778 وجمهرة أنساب العرب : 324 وتاريخ ابن عساكر (تراجم عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) : 222–224 وفيه معظم الشعر الوارد في هذه الترجمة .

2 الجريب : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، وقيل عشرة آلاف ذراع .

3 عيل الرجل : من يعول من أزواج وأولاد وأتباع .

هل لك في حَقٍّ عليكَ واجبِ ... في مثله يرغب كُلُّ راغِبِ
وأنت عَفٌّ طَيِّب المكاسبِ ... مُبَرَّأً من عَيْبِ كلِّ عائِبِ
ولستَ ، إن كفَيْتني وصاحِبي ... طُولَ غُدُوٍّ ورَواحٍ دائِبِ
وسُدَّةَ الباب وعُنفَ الحاجِبِ ... من نِعْمةٍ أسدَيْتَها بخائبِ

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سُفيانَ بنَ الأَبْرد الكلبيّ ، فكلَّمه سُفيان فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان ، فقال له : [من البسيط]

عُدْ إذ بدأْتَ أبا يَحيى فأنتَ لَها ... ولا تَكُنْ حين هاب النّاسُ هيّابا
واشفَع شفاعةَ أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فإنَّ من شُفَعاءِ النّاسِ أَذْنابا

فأتى سُفيانُ زيداً الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

[يحثّ عبد الملك على محاربة ابن الزُّبير]

قال محمد بن حبيب : دخل أعشى بني أبي ربيعة[1] على عبد الملك وهو يُرَوِّي في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يَجِدّ . فقال له : يا أمير المؤمنين ، مالي أراك مُتلوِّماً يُنهِضُكَ الحَزْم ويقعِدك العَزمُ ، وتَهُمّ بالإقدام وتجنَح إلى الإحجام ، انقَدْ لبصيرتك وأمضِ رأيَك ، وتوجَّهْ إلى عدُوّك ، فجَدُّك مُقبِل ، وجدُّه مُدبِر ، وأصحابُه له ماقِتُون ، ونحن لك مُحِبُّون ، وكلمَتُهم مُفترِقة ، وكَلِمَتُنا عليك مُجتمِعة ، واللهِ ما تُؤتى من ضَعْف جَنان ، ولا قِلّة أعوان ، ولا يُثبِّطُك عنه ناصح ، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً فقال : هاتِها ، فإنّك تنطق بلسان وَدُود وقلب ناصح ، فقال : [من الكامل]

آلُ الزُّبَير من الخلافة كالّتي ... عَجِلَ النِّتاجُ بحَمْلِها فأحالَها
أو كالضِّعاف من الحَمولة حُمِّلَت ... ما لا تُطِيق فضَيّعت أحمالَها
قُوموا إليهم لا تَناموا عنهمُ ... كَم للغُواةِ أطلتُموا إمْهالَها
إنَّ الخِلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ... ما زِلْتُمُ أركانَها وثِمالَها[2]
أمسَوْا على الخيرات قُفْلاً مغلقاً ... فانهض بيُمْنِك فافتتحْ أقفالَها

فضحك عبدُ الملك وقال : صدقتَ يا أبا عبد الله ، إنّ أبا خُبَيب لقُفلٌ دون كلّ خير ،

---

1 يقال له : أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار ، و«أعشى بني أبي ربيعة» نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان .

2 ثمالها : غياثها .

ولا نتأخَّر عن مُناجَزته إن شاء الله ، ونستعين الله عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وأمر له بصلة سنيّة .

[الحجّاج يسرّ بكلامه بعد جفاء]

قال ابن حبيب : كان الحجّاج قد جفا الأعشى واطَّرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلمّا فرغَ الحَجَّاج من حربِ الجماجم ذكر فتنةَ ابن الأشعث ، وجعل يوبِّخ أهلَ العراق ويؤنِّبهم ؛ فقال مَن حضر من أهلِ البصرة : إنَّ الرَّيبَ والفِتنة بدآ من أهلِ الكوفة ، وهم أوّل مَن خلع الطاعة وجاهر بالمعصية ؛ فقال أهل الكوفة : لا ، بل أهلُ البصرة أوَّلُ مَنْ أظهر المعصية مع جرير بنِ هميان السّدوسيّ ، إذ جاء مخالفاً من السِّند . وأكثروا من ذلك ، فقام أعشى بني أبي ربيعة ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ لا براءة من ذنب ، ولا ادِّعاء على الله في عصمة لأحد من المِصْرَيْن ، قد والله اجتهدوا جميعاً في قِتالِك ، فأبى اللهُ إلاَّ نَصْرَك ؛ وذلك أنّهم جَزِعوا وصبرتَ ، وكفروا وشكَرْت ، وغفرْت إذ قَدَرْت ، فوَسِعَهم عفوُ الله وعفوُك فنجَوْا ، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسُرَّ الحجّاجُ بكلامه وقال له جميلاً ، وقال : تهيَّأْ للوِفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شِفاهاً ، انتهى .

[غضب الحجّاج عليه لرثائه ابن الجارود]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حدَّثني حمَّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : بلغ الحجّاجَ أنَّ أعشى بني أبي ربيعة رثى عبدَ الله بن الجارود ، فغضب عليه ، فقال يعتذِر إليه : [من الطويل]

أَبيتُ كأنِّي من حِذار ابنِ يُوسُفٍ … طَرِيدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المَسالِكُ
ولو غَيْرُ حَجَّاجٍ أراد ظُلامَتي … حَمَتْني من الضَّيْمِ السُّيوفُ الفواتِكُ[1]
وفِتيانُ صِدْقٍ من ربيعة قُصْرةً … إذا احتلَفَت يومَ اللِّقاء النَّيازِكُ[2]
يُحامون عن أحسابِهم بِسُيوفهم … وأرماحِهم واليومُ أَسودُ حالِكُ

[يمدح عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدَّثني أحمد بن عبدُ الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنْجوف ، عن ابن مؤرِّجٍ ، عن أبيه ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن

1 الفواتك في ل : البواتك ، وهي القواطع .

2 قصرة : قريبو النسب . والنيازك : الرماح القصيرة .

مروان ، فأنشده قولَه[1] : [من الوافر]

رَأيتُك أمسِ خيرَ بنـي مَعَدٍّ ... وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ
وأنتَ غداً تَزيدُ الضِّعْفَ ضِعفاً ... كذاك تزيد سادةُ عَبْدِ شَمْسِ

فقال له : من أيِّ بني أبي ربيعة أنتَ ؟ قال : فقلتُ له : من بني أُمامة ، قال : فإنّ أُمامةَ ولد رجلين : قيساً وحارثةَ ، فأحدُهما نَجَم ، والآخر خَمَل . فمن أيّهما أنت ؟ قال : قلتُ : أنا من ولد حارثة ، وهو الذي كانت بكر بن وائل توَّجَتْه ، قال : فقام بمِخْصَرةٍ في يده ، فغمَز بها في بطني ، ثم قال : يا أخا بني أبي ربيعة همُّوا ولم يفعلوا ، فإذا حدّثتني فلا تكذِبْني ، فجعلتُ له عهداً ألاّ أُحدِّث قُرشيّاً بكذبٍ أبداً .

[يمدح أسماء بن خارجة]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أحمدُ بن الهيثم السُّلميّ . قال : حدَّثني أبو فراس محمد بن فراس ، عن الكلبيّ ، قال : أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماءَ بن خارجة فامتدحه فأعْطاه وكَساه ، فقال : [من الوافر]

لأسماءَ بنَ خارِجَة بنِ حِصْنٍ ... على عِبْءِ النَّوائبِ والغَرامَهْ
أقَلُّ تَعَلُّلاً يومـاً وبُخْلاً ... على السُّؤالِ من كَعْبِ بنِ مامَهْ
ومَصْقَلةُ الذي يَبْتـاع بَيْعـاً ... رَبِيحاً فـوق ناجِية بنِ سامَهْ

قال الكلبيّ : جعل ناجيةَ رجلاً وهي امرأة ، لضرورة الشعر .

[يمدح سليمان بن عبد الملك]

قال أبو فراس : فحدَّثني الكلبيّ ، عن خِداش ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال : [من الطويل]

أتَينـا سُليمـانَ الأَميرَ نـزورُه ... وكان امرءاً يُحْبى ويُكرَمُ زائرُهْ
إذا كُنتَ في النَّجْوى بـه مُتَفَرِّداً ... فلا الجُودُ مُخْلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُهْ
كِلا شافِعَيْ سُؤَّالِـهِ مـن ضميرِه ... على البُخْلِ ناهِيه وبالجودِ آمِرُهْ[2]

فأعطاه وأكرمه وأمر كلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بصلَتِه ، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه .

---

1 في المؤتلف أنه قال البيتين ومعهما ثالث لبشر بن مروان . والبيت الثالث :

وتاج الملك ليس يزال فيهم ... يحـوّل فوق رأس كل رأس

2 الشطر الثاني في شرح الحماسة : عن الجهل ناهيه وبالحلم آمره .

صوت[1]

[من المتقارب]

نَـأَتْـــك أُمامـــةُ إلاّ سُؤالا ... وإلاّ خيـــالاً يُـــوافي خَيالا
يُـــوافي مـــع الليـــل ميعادُها ... ويأبى مـــع الصُّبح إلاّ زِيالا
فذلـــك يَبذُل مـــن وُدِّها ... ولو شَهِـدَت لم تُواتِ النَّوالا[2]
فقـــد رِيـــعَ قَلبيَ إذْ أَعلَنوا ... وقيل أَجـــدَّ الخلِيطُ احْتِمالا

الشعر لعمرو بن قَميئة ، والغناء لحُنَيْن خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكّي ، وذكر الهشاميّ وغيره أنّه من مَنْحول يحيى إلى حنين .

1 ديوان عمرو بن قميئة : 54–55 ومنتهى الطلب : 154/1 .

2 الديوان : فذاك تبدّل . وللبيت روايات مختلفة (انظر حاشية الديوان : 54) وكذلك الحال في أكثر شعره .

[385] ـ أخبار عمرو بن قميئة ونسبه[1]

هو فيما ذكر أبو عمرو الشيبانيّ ، عن أبي بَرْزَة : عمرو بن قَمِيئة بن ذَريح بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بنِ عليّ بنِ بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعِمّي بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبيّ : ليس من العرب مَنْ له ولَدٌ ، كُلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثَعلبة بن عُكابة ، فإنّه ولدَ أربعةً كلٌّ واحد منهم قبيلة : شَيْبان بن ثَعلبة ، وهو أبو قبيلة ، وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وذُهْل بن ثَعلبة وهو أبو قبيلة ، وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة .

وكان عمرو بن قمِيئة من قُدماء الشعراء في الجاهليّة ، ويُقال : إنّه أوّلُ مَنْ قال الشعر من نِزار ، وهو أقدَم من امرىء القيس ، ولَقِيه امرؤُ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قَيْصر لمّا توجّه إليه فمات معه في طريقه ، وسمَّتْه العربُ عَمْراً الضائع لموته في غُربة وفي غير أَرَبٍ ولا مَطْلب .

نسختُ خبرَه من روايتي أبي عمرو الشَّيبانيّ ، ومؤرِّج ، وأخبرني ببَعْضه الحسنُ بن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي سَعْد ، عن ابن الكلْبيّ ، فذكرتُ ذلك في مواضعه ، ونَسبتُه إلى رُواته ، قالوا جميعاً :

كان عَمْرُو بنُ قميئة شاعراً فَحْلاً مُتقدّماً ، وكان شابّاً جميلاً حَسنَ الوجه مدِيدَ القامة حسن الشَّعْر ، ومات أبوه وخلَّفه صغيراً ، فكفلَه عَمُّه مَرْثَد بن سَعد ، وكانت سبَّابتا قدمَيْه ووُسْطَياهما مُلتَصِقَتَين ، وكان عمُّه مُحِبّاً له مُعجباً به ، رقيقاً عليه .

[هويته امرأة عمّه فامتنع عليها]

وأخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو عمر العُمريّ ، عن لَقيط وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرُّواة : أنَّ مَرْثَدَ بن سعد بن مالك عمّ عمرو بن قَميئة كانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال ، فهويت عَمْراً وشُغِفَت به ولم تُظهِر له ذلك . فغاب مَرْثَد لبعض أمره ، وقال لَقيط في خبَره : مضى يَضْرب بالقِداح ، فبعَثَت امرأتُه إلى عمرو تدعوه على لسان عمِّه ، وقالت

1 ترجمة عمرو بن قميئة في المعمرين : 68 والمؤتلف : 254–255 والشعر والشعراء : 292–293 وخزانة البغدادي 4 : 410–412 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776–1778 . وقد نشر لايل ديوانه (كيمبرج 1919) وأعادت دار صادر (بيروت) نشره بتحقيق د . خليل إبراهيم العطية (1994) ، وإلى هذه الطبعة نشير .

للرَّسول : ائتِني به من وراءِ البيوتِ ، ففعل ؛ فلمّا دخل أنكر شأنَها ، فوقف ساعة ، ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئت بأمرٍ عظيم ، وما كان مثْلي ليُدْعى لمثْل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لأمتنعنَّ منه خوفَ الدَّناءة والذِّكْر القبيح الشَّائع عنّي في العرب ؛ قالت : والله لتفعلَنَّ أو لأسُوأنّك ، قال : إلى المساءةِ تدْعِينني . ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يُخبر عمّه بما جرى ، فأمرت بجَفْنة فكُفِئت على أثر عمرو ، فلمّا رجع عمُّه وجدها مُتَغَضِّبة ، فقال لها : ما لكِ ؟ قالت : إنّ رجلاً من قومك قريبَ القرابة ، جاء يَسْتامني نَفْسي ويُريد فِراشك منذ خرجت ، قال : مَن هو ؟ قالت : أما أنا فلا أُسَمِّيه ، ولكن قُم فافتَقِد أثره تحت الجَفْنة ، فلمّا رأى الأثر عرفه .

قال مُؤرِّج في خبره : فحدَّثني أبو بَرْزَة وعلْقمة بن سعد وغيرُهما من بني قيس بن ثعلبة ، قالوا : وكان لمِرْثد سيفٌ يُسمَّى ذا الفَقار ، فأتى ليَضربه به ، فهرب فأتى الحِيرةَ ، فكان عند اللَّخميّين ولم يكن يَقوى على بني مَرْثد لكثرتهم ؛ وقال لعمرو بن هِند : إنّ القوم اطّردوني ، فقال له : ما فعلوا إلاّ وقد أجْرَمْت ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتَ مُجرماً رددتُك إلى قومك ، فغضب وهَمَّ بهجائه وهجاء مرْثَد ، ثم أعرضَ عن ذلك ، ومدح عمَّه واعتذر إليه ، انتهى .

وأمّا أبو عمرو فإنّه قال : لمّا سمع مَرْثد بذلك ، هجر عَمْراً وأعرض عنه ، ولم يُعاتِبْه لموضعه من قلبه ، فقال عمرو يعتذِر إلى عمِّه[1] : [من الطويل]

خليلَيَّ لا تَسْتَعْجِلا أن تَزَوَّدا ... وأنْ تجمعا شَمْلي وتَنْتَظِرا غَدا
فما لَبثِي يوماً بسائقٍ مَغْنَمٍ ... ولا سُرْعتِي يوماً بسائِقة الرَّدى
وإن تُنْظِراني اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتستوجبا مَنّاً عليَّ وتُحْمدا
لعمرُك ما نَفْسٌ بجِدٍّ رَشيدةٍ ... تؤامرني سُوءاً لأَصرِمَ مَرْثَدا[2]
وإن ظهَرت منّي قوارِصُ جَمَّةٌ ... وأفرعَ من لَوْمِي مِراراً وأصعدا[3]
على غيرِ جُرْمٍ أن أكون جَنَيْتُه ... سِوى قَولِ باغٍ كادَني فتَجهَّدا
لعَمْري لنِعْم المَرءِ تدْعو بخَيْلِه ... إذا ما المُنادي في المَقامةِ ندَّدا[4]

1 ديوانه : 29–30 .
2 الديوان : تؤامرني سراً .
3 الديوان : ظهرت منه .
4 الديوان : تدعو بحبله .

عَظيمُ رَمادِ القِدْرِ لا مُتَعَبِّسٌ ولا مُؤيسٌ منها إذا هو أُوقَدا
وإن صَرَّحَت كَحْلٌ وهبَّت عَرِيَّةٌ من الرِّيح لم تَتْرُك من المالِ مِرْفدا[1]
صَبَرتُ على وَطْءِ المَوالي وخَطْبِهِم إذا ضَنَّ ذُو القربى عليهم وأَخْمدا[2]

يعني أخمد نارَه بُخلاً ، وروى : أجْمداً . المجمد : البخيل .

ولم يَحمِ فَرْجَ الحَيّ إلاّ مُحافظٌ كريم المحَيَّا ماجِدٌ غيرُ أَجْرَدا[3]

الأَجردُ : الجعْد اليدِ البخيل .

[رأي حمّاد الراوية في شعره]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفَضْل بن إسحاق ، عن الهيثم بن عَدِيّ ، قال : سأل رجُلٌ حمّاداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بُردة : مَنْ أشعرُ النّاس ؟ قال الذي يقول : [من الطويل]

رمَتْني بَناتُ الدَّهْرِ من حيثُ لا أُرى فما بالُ مَن يُرمى ولَيْس بِرامِ[4]

قال : والشعر لعمرو بن قَميئة .

[قال في التسعين]

قال عليّ بن الصباح في خبره ، عن ابن الكلبيّ : وعُمِّر ابن قَميئةَ تسعين سنة ، فقال لمَّا بلَغَها : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تِسْعينَ حِجَّةً خلعت بها عَنِّي عِنانَ لِجامِي[5]
على الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وعلى العَصا أَنوءُ ثلاثاً بَعْدَهُنَّ قِيامي
رمَتْني بناتُ الدَّهرِ من حَيْثُ لا أُرى فما بالُ مَن يُرْمى وليس بِرامِ
فلو أنَّ ما أُرمى بنَبلٍ رَمَيْتُها ولكنَّما أُرمى بغَيرِ سِهامِ[6]
إذا ما رآني النّاسُ قالوا : ألم يَكُن حَدِيثاً جَدِيدَ البَرْي غيرَ كَهامِ[7]

---

1 كحل : السنة الشديدة المجدبة . وعرية : باردة .
2 خَطْبهم في الديوان : وحطمهم .
3 أجردا في الديوان : أحردا .
4 ديوانه : 38-39 . ومنتهى الطلب : 148/1 . وانظر الخبر والشعر في الخزانة 2 : 250-251 (عن المعمرين) .
5 الشطر الثاني في الديوان : خلعت بها يوماً عذار لجامي .
6 الشطر الثاني في الديوان : فكيف بمن يرمى وليس برام .
7 جديد البري في الديوان : جديد البز ، والبز هو السلاح . والكهام : الكليل البطيء .

وأفنى ومـا أُفنِي من الدهرِ ليلةً ولم يُفْنِ مـا أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ
وأهلكَنـي تأمِيـلُ يَـوْمٍ ولَيْلَـةٍ وتأميـلُ عـامٍ بعـد ذاك وعامِ

أخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : حدَّثنا الهيثم بن عديّ عن مجالد ، عن الشعبيّ قال : دخلتُ على عبد الملك بنِ مروان في عِلّته التي مات فيها ، فقلت : كيف تَجِدُك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ كما قال عمرو بن قميئة : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزتُ تِسْعِين حِجَّةً خَلَعْـتُ بهـا عَنِّـي عِنانَ لجامِ
رَمَتْني بَناتُ الدَّهر من حَيْثُ لا أُرى فكيف بمَنْ يُرمـى وليس بِرامِ !
فلـو أنَّهـا نَبْـلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ولكنّمـا أُرمـى بغَيْرِ سِهامِ
وأهلكَني تأمِيلُ يَـوْمٍ ولَيْلَـةٍ وتأميـلُ عـامٍ بعـد ذاك وعامِ

فقلتُ : لستَ كذلك يا أمير المؤمنين : ولكنّك كما قال لبيد[1] : [من البسيط]

قامَتْ تَشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُـك سَبْعاً بعـد سَبْعِينا
فـإن تُزادِي ثَلاثـاً تَبْلُغي أملاً وفي الثّـلاثِ وَفـاءٌ للثّمانِينا

فعاش حتى بلَغ التسعين ، فقال[2] : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزت تِسْعين حِجَّةً خلعتُ بهـا عـن مَنْكِبيَّ رِدائِيا

فعاش حتى بلغ عشراً ومائة سنة ، فقال[3] : [من البسيط]

أليسَ في مائـةٍ قـد عاشها رَجُلٌ وفي تكامـلِ عَشْرٍ بعدهـا عِبَرُ

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة ، فقال[4] : [من الكامل]

وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مجرى داحسٍ لـو كان للنّفس اللجوجِ خُلُودُ

ويروى : «دَهْراً قبل مَجْرى داحس» ، فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة ، فقال[5] : [من الكامل]

ولقد سَئِمتُ مـن الحياة وطُولِها وسُؤالِ هـذا النّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ ؟

فتبسَّم عبد الملك وقال : لقد قَوَّيتَ من نَفْسي بقَوْلك يا عامر ، وإنِّي لأَجِدُ خِفّاً وما بي

1 شرح ديوان لبيد : 352 .
2 انظر شرح ديوان لبيد : 261 والبيت في قصيدة لزهير بن أبي سلمى (ديوان زهير بشرح ثعلب : 286) .
3 في الديوان 2 : 250 وفيه وفي الخزانة : بعدها عمر .
4 الديوان : 35 . والسبت : يقال إنه ثمانون سنة .
5 ديوان لبيد : 35 .

من بأس وأمرَ لي بصِلة ، وقال لي : اجلِسْ يا شعبيّ فحدِّثني ما بينك وبين الليل ؛ فجلست فحدَّثتُه حتى أمسَيت ، وخرجتُ من عنده ، فما أصبحت حتى سَمِعْت الواعية[1] في داره .

[مرافقته امرىء القيس]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني محمّد بن عبد الله بن طَهْمان السُّلميّ ، عن إسحاق بن مِرار الشَّيبانيّ ، قال : نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل ، وضرب قُبَّته ، وجلس إليه وجوهُ بكر بن وائل ، فقال لهم : هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعرٌ إلاّ شيخ قد خلا من عمره وكبر ، قال : فأْتوني به ، فأتوْه بعَمْرو بن قَميئة وهو شيخ ، فأنشده فأُعجِب به ، فخرج به معه إلى قيصر ، وإيّاه عَنى امرؤ القيس بقوله[2] : [من الطويل]

بَكى صاحِبِي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَــن أنَّا لاحِقــانِ بقَيْصَرا

فقُلتُ لــه : لا تَبْكِ عينُك إنَّما ... نُحاوِلُ مُلْكــاً أو نَموتَ فنُعْذَرا

وقال مؤرِّج في هذا الخبر : إنَّ امرأَ القيس قال لعمرو بن قميئة في سفره : ألا تركب إلى الصَّيد ؟ فقال عمرو[3] : [من الطويل]

شَكوتُ إليــه أنَّني ذُو جلالــةٍ ... وأنِّي كَبِيرٌ ذُو عِيــالٍ مُجَنَّب[4]

فقال لنــا : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... إذا سَرَّكم لحمٌ من الوَحشِ فاركَبُوا

صوت

[من السريع]

يا آحِ من حَرِّ الهَوى إنّما ... يَعرِف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

أصبحتُ للحُبِّ أسِيراً فقد ... صعَّدني الحُبُّ وقـد صوَّبا

لا شكَّ أنِّي مَيِّتٌ حَسْرَةً ... إن لم أزُر قَبْــلَ غَــدٍ زَيْنَبا

تِلْك الّتي إن نِلْتُها لم أُبَلْ ... مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أو غَرَّبا

الشعر للمُؤمَّل بن جميل بن يحيى بن أبي حَفْصة بن عمْرو بن مروان بن أبي حَفْصة ، والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشاميّ .

---

1 الواعية : الصراخ .

2 ديوان امرىء القيس (صادر) : 95 .

3 ديوان عمرو بن قميئة : 66 .

4 ذو جلالة في الديوان : ذو خلالة . والجلالة : عظم القدر . والخلالة : الحاجة والفقر والمجنب : الفقير . وجنب القوم : انقطعت ألبانهم .

[386] ـ أخبار المؤمل بن جميل[1]

قد مضى نَسبُ أبي حفصة في أخبار مروان ، وكان يحيى بن أبي حفصة يُكنى أبا جميل . والمؤمَّل بن جميل يُكنى أبا جميل . وأُمّ جميل أميرة بنت زياد بن هَوْذة بن شماس بن لـؤيّ مـن بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحُطيئة . وأُمّ المؤمّل شريفة بنت المذَلـق بن الوليد بن طلِبـة بـن قيس بن عاصم المِنقريّ ، وكان جميل يُلقّب قَتيل الهوى ، ولُقِّب بذلك لقوله[2] : [من الخفيف]

قُلن : من ذا ؟ فَقُلتُ هذا اليمانـ ـيّ قَتيلُ الهـوى أبو الخطّابِ
قُلـن : بـالله أنت ذاك يَقيناً لا تقُـل قـولَ مازحٍ لَعّابِ
إن تكن أنتَ هُو فأنت مُنانا خالِياً كنتَ أو مع الأصحابِ

[غلامه المطرز]

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان ، عن أبيه ، وحكى أبو أحمد ، رحمه الله ، عن محمد بهذا الإسناد : أنّ أبا جميل اشترى غلاماً مدنيّاً مُغنِّياً مجلوباً من مولّدي السِّند على البراءة من كلّ عيب ، يقال له المطرّز ، فدعا أصحاباً له ذات يوم ، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنيين ، يقال لأحدهما السائب وللآخر شُعبة ، فلمّا أخذ القومُ مجلسَهم ومعهم المُطرّز اندفع الشيخان فغنَّيا ، فقال المطرّز لأبي جميل مولاه : ويلك يا أبا جميل يـا ابن الزّانية ، أتـدري مـا فعلت ومن عندك ؟ فقال له : ويلك ! أجُنِنت ! ما لك ؟ قـال : ما أنا فأشهد أنّك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين .

قال : وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له ، فوجدهم عند رجل من أهـل اليمامـة يقـال لـه بُهلول ، وهو في بُستان له ، فقال لهم : مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم ، وقد بلّغتُكم رسالتَه ، وإن شاوَرتموني أشرتُ عليكم ؛ فقالوا : أشِرْ علينا ، قال : أرى ألاّ تذهبوا إليه ، فمجلسُكم والله أنزهُ من مجلسه وأحسن ، فقالوا له : قد أطعْناك ، قال : وأخرى ، قالوا : وما هي ؟ قال : تحلِفون عليّ ألاّ أبرحَ ، ففعلوا ، فأقام عندهم .

---

1 ترجمـة المؤمـل بن جميـل في تاريخ بغداد 13 : 180 ، وانظر مصارع العشاق (صادر) 2 : 40 وأعلام الزركلي ، وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 281 .

2 في مصارع العشاق أن الذي سمي قتيل الهوى هو المؤمل لا أبوه ، وأن الأبيات التالية له .

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطحَه يَضربه وهو يقول : ويلك أبا جميلَ ! اتّقِ الله فيَّ ، الله الله في أمري ! أما عَلمت ويلك خبري قبل أن تشترِيَني ! قال : وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبَة في بستان له يستقي منها لهم ماء ، فكان يستقيه ثم يصبُّه لجيران لهم في حيِّهم ، ثم يستَقي مكانه من بئر لهم غليظة ، فإذا أنكر مولاه قال له : سلِ الغلمان إذا أتيت البستان : هل استقيتُ منه ؟ فيسألهم فيجده صادِقاً .

حدَّثنا يحيى بن محمد بن إدريس ، عن أبيه : أنّ يحيى بن أبي حَفصة زوَّج ابنه جميلاً شريفةَ بنت المُذلّق بن الوليد بن طَلِبة بن قيس بن عاصم ، فولدت له المُؤمّل بن جميل ، وكان شاعراً ظريفاً غَزِلاً ، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، ثم قدِم العراق فكان مع عبد الله بن مالك ، وذكره للمهديّ فحظِيَ عنده ، وهو الذي يقول في شكاةٍ اشتكاها عبد الله بن مالك : [من الكامل]

ظلّت علـيَّ الأرضُ مُظلمةً إذْ قِيـلَ عبدُ الله قـد وُعِكا
يا ليتَ ما بِكَ بي وإن تَلِفت نفسي لذاك وقـلَّ ذاكَ لكا

وهو الذي يقول : [من السريع]

يـا آحِ مـن حَـرِّ الهوى إنّما يعرف حَـرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

وذكرَ الأبيات التي تقدّم ذِكرها والغناء فيها .

صوت

[من الكامل]

إنّي وَهبتُ لظالِمي ظُلمي وغفرتُ ذاكَ لـه على عِلْمِ
مـا زال يَظلمني وأَرحَمهُ حتّى رَثيتُ لـه من الظّلمِ

الشعر لمساور الورَّاق ، والغناء لإبراهيمَ بن أبي العَنْبَس ، ثاني ثقيل بالوسطى ، أخبرني بذلك ذُكاءُ وغيره .

[387] ـ أخبار مساور ونسبه[1]

[نسبه]

هو مساور بن سوَّار بن عبد الحميد ، من آل قَيْس بن عيْلان بن مُضَر ويقال : إنّه مولى خُوَيْلد من عَدْوان[2] كوفيٌ قليل الشِّعر من أصحاب الحديثِ ورُواته ، وقد روى عن صَدْر من التابعين ، ورَوى عنه وجوه أصحابِ الحديث .

أخبرني عليُّ بن طَيْفور بن غالب النّسائيّ قال : حدَّثنا يعقوبُ بن حميد بن كاسب ، قال : حدَّثنا حمّاد بن أسامة ، عن مساورِ الورّاق ، قال : حدَّثني جعفر بن عمرو ، بن حُرَيث ، عن أبيه ، قال : كأنّي ألنظر إلى النبيِّ ﷺ وهو على ناقتِه يخطبُ ، وعليه عِمامة سوداء ، قد أرخاها بين كتفيه .

[ابن أبي ليلى لا يجعله في من يوصى بهم]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الأُشْنانداني ، عن الأصمعيّ ، قال : كان قوم يَجْلِسون إلى ابن أبي ليلى ، فكتب قوماً منهم لِعيسى بن مُوسى ، وأشار عليه أن يَشْغلهم ويَصِلهم . فأتى مُساوِرٌ الورّاق ، فكلّمه أن يجعَله فيهم فلم يفعل ، فأنشأ يقول : [من المتقارب]

أراكَ تُشير بأهلِ الصلاحِ ... فهل لك في الشّاعرِ المُسلِمِ
كَثيرِ العيالِ قليلِ السوُا ... ل عَفٌّ مطاعِمُه مُعْدِمِ
يُقيم الصَّلاةَ ويؤتي الزَّكاةَ ... وقد حَلَّق العامَ بالمَوْسِمِ
وأصبح واللهِ في قَومِهِ ... وأمسى وليس بذي دِرْهَمِ

قال : فقال ابن أبي ليلى : لا حاجة لنا فيه ، فقال فيه مساورٌ أبياتاً ، قال أبو بكر ابن دُرَيْد : كرِهنا ذِكرها صيانة لابن أبي ليلى .

[هجا مَن عاب شعر المرقش الأكبر]

أخبرني محمد قال : حدَّثني التوّزي قال : كان مُساوِرٌ الورّاق ، وحمَّاد عَجْرد ، وحَفْص بن أبي بُردة مجتمعين ، فجعل حَفْص يَعيب شعْرَ المُرقِّش الأكبر ؛ فأقبل عليه مُساوِرٌ فقال : [من الطويل]

---

1 ترجمة مساور الوراق في تهذيب التهذيب 10 : 103–105 والوافي بالوفيات 25 : 481–482 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : عدنان .

لقد كان في عينَيْك يا حفصُ شاغِلٌ وأنفٌ كَثِيلِ العَوْد عمّا تَتَبَّعُ[1]
تَتَبَّعتَ لحناً في كلام مُرَقَّشٍ ووجهُك مبنيٌّ على اللحنِ أجمعُ

فقام حَفْص من المجلس خَجِلاً ، وهاجره مدة .

[وصيته لابنه]

نسختُ من كتاب عُبيد الله اليزيديّ بخطِّه : حدَّثنا سليمانُ بن أبي شَيخ ، قال : كان مُساوِر الورَّاق من جدِيلة قيس ، ثم من عدوان ، مولًى لهم ، فقال لابنه يوصيه : [من الكامل]

شَمِّر ثيابك واستعدَّ لقائلٍ واحكُكْ جَبينَك للعُهود بثُومِ
إنَّ العُهودَ صفَتْ لكلِّ مُشمِّرٍ دَبِرِ الجبين مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ حسنِ التَّعهُّد للصلاةِ صَؤُومِ
من ضَرْبِ حَمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ وسِماكٍ العَتَكيّ وابنِ حَكِيمِ
وعليك بالغَنَوِيِّ فاجلِسْ عنده حتى تُصيبَ وَدِيعَةً لِيَتِيمِ
تغنِيك عن طلب البُيوعِ نَسيئةً وتكفَّ عنك لسانَ كُلِّ غَرِيمِ
وإذا دخلت على الرَّبيعِ مُسلِّماً فاخْصُصْ شَبابَةَ منك بالتَّسْلِيمِ

[عمل بالوصيّة فتعرض للعقاب]

قال : ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مُساوِرٌ أن ولاّه عيسى بن موسى عملاً ، ودفع إليه عهده ، فانكسر عليه الخراج ، فدُفِع إلى بطينٍ صاحبِ عذابِ عيسى يسْتأدِيه ، فقال مُساوِر : [من الوافر]

وجدت دواهِرَ البَقَّال أَهْنى من الفُرْنيِّ والجَدْي السَّمينِ[2]
وخَيراً في العَواقِبِ حين تُبلى إذا كان المَرَدُّ إلى بَطِينِ
فكُنْ يا ذا المُطِيف بقاضِيَيْنا غداً من عِلْم ذاك على يَقينِ
وقُلْ لهما إذا عَرَضا بعَهْدٍ : بَرئتُ إلى عُرَيْنَةَ من عرِينِ[3]
فإنّك طالما بَهْرجْتَ فيها بمثل الخُنْفُساء على الجَبينِ

---

1 ثيل : وعاء قضيب البعير . والعود : المسن من الإبل .

2 دواهر البقال : لعلها ما يطعمه من البقال . والفرني : خبز ملتوت بالسكر والسمن .

3 عرينة : من اليمن . وعرين : هي من تميم . وقال جرير :

عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين

[استعباره في مقبرة حميد الطوسيّ]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : مَرَّ مُساوِر الورَّاق بمقبرة حُمَيد الطوسيّ وكان له صديقاً ، فوقف عليها مُستعبِراً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أبـا غانِـمٍ أمَّا ذَراك فـواسِعٌ   وقَبرُك مَعمورُ الجَوانـبِ مُحْكَمُ
ومـا يَنْفَع المقبـورَ عُمْـرانُ قَبْرِه   إذا كان فيـه جِسْمُـه يَتهدَّمُ

[أصحاب أبي حنيفة]

أخبرني إسماعيلُ بن يونُس الشِّيعيُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ قال : حدَّثنا محمد بن الصبّاح ، عن سفيان بن عُيَينة ، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب : أنَّ حامد بن يحيى البلْخيّ ، حدَّث عن سفيان بن عُيَيْنة ، وهذه الرواية أتمّ ، قال : لمَّا سَمِع مُساوِر الورَّاق لغَطَ أصحاب أبي حنيفة وصياحَهم أنشأ يقول : [من البسيط]

كنّا من الدِّين قبل اليوم في سَعةٍ   حتـى بُلِينا بأَصحـاب المَقاييسِ
قَـومٌ إذا اجْتمعوا ضَجُّوا كأنَّهمُ   ثعالبٌ ضَبَحَتْ بـين النَّواويسِ[1]

فبلغ ذلك أبا حنيفةَ وأصحابَه ، فشقَّ عليهم وتوعّدُوه ، فقال أبياتاً تُرضِيهم وهي : [من الوافر]

إذا مـا النّاسُ يومـاً قايَسُونا   بآبِـدَةٍ مِـن الفُتْيـا ظَرِيفَهْ
أتيناهُـمْ بمِقْيـاسٍ ظَرِيفٍ   مُصيبٍ من قِياسِ أبي حَنِيفَهْ[2]
إذا سَمِـع الفَقِيهُ بهـا وَعاها   وأثبتهـا بحِبْرٍ في صَحِيفَـهْ

فبلغ أبا حَنِيفة فرضي . قال مُساوِرٌ : ثم دُعِينا إلى وَليمة بالكوفة في يوم شديد الحَرّ ، فدَخَلت فلم أجِد لرجْلي مَوْضعاً من الزّحام ، وإذا أبو حنيفة في صدر البيت ؛ فلمّا رآني قال : إليَّ يا مُساوِر ، فجئتُ فإذا مكان واسع ، وقال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقلت في نفسي : نفعَتني أبياتي اليومِ . قال : وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي : هاهنا ، هاهنا ، ويوسِّع لي إلى جنبه ، ويقول : إنَّ هذا من أهل الأدب والفَهْم ، انتهى .

[حقوق جيرانه وحقوقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أبو المعمّر عبد الأوّل بن مزيد ، أحد بني أنف الناقة ، قال : كان مُساور الورَّاق لا يُضيعُ حقّاً لجارٍ له ، فماتت بِنتُه ، فلم يشهدها من

---

1 ضبحت الثعالب : صوتت . والنواويس : القبور .
2 انظر الأبيات وجوابها في عيون الأخبار 2 : 140 ، وفيه :
أتيناهـم بمقياس صحيح   تـلادٍ من طراز أبي حنيفة

جيرانِه إلاّ نفرٌ يسيرٌ ، فقال مُساوِرٌ في ذلك : [من الطويل]

تغَيَّب عنّي كُلُّ جافٍ ضرورةٍ وكلّ طُفَيْليّ من القوْمِ عاجزِ[1]
سَرِيعٍ إذا يُدعى ليومِ وَليمَةٍ بَطيءٍ إذا ما كان حَمْلُ الجَنائِزِ

أخبرني محمد بن الحسن ، قال : حدّثنا عبد الأوَّل ، قال : قدِم جارٌ لِمُساور الورَّاق من سفر ، فجاءَهُ يُسلِّم عليه ، فقال : يا جارية ، هاتي لأبي القاسم غداء . فجاءت برغيفٍ فوضَعَتْه على الخُوان ، فمَدَّ يده يأكل مع مُساوِر ، وقال له : يا أبا القاسِم ، كُلْ من هذا الخبز ، فما أكلتُ خبزاً أطيبَ منه ، فقال مُساوِرٌ في ذلك : [من البسيط]

ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الخُبزَ فاكهةٌ حتّى رأَيتُكَ يــا وَجْهَ الطَّبَرْزِينِ[2]
كأَنَّ لِحْيَتَــه في وجهــه ذَنَبٌ أو شِعْرَةٌ فــوق بَظرٍ غيرِ مَخْتونِ

[جزعه على صديقه أبي العيص الجرمي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : دخل مُساوِرٌ الورَّاق على أبي العيص الجِرميّ يعوده وكان صديقَه ، فكلَّمه فلم يُجبْه ، فبَكى مُساوِرٌ جَزَعاً عليه ، وأدنى رأسَه منه يكلِّمه ، فقال أبو العيص : [من الطويل]

أفي كلّ عــامٍ مَرْضةٌ بعــد نَقْهةٍ وتَنْعى ولا تُنْعى مَتــى ذا إلى متى
سيوشك يــومٌ أن يجيء ولَيْلةٌ يَسوقان حَتْفاً راح نحوك أوْ غَدا
فتُمسي صَريعاً لا تُجيب لدَعوةٍ ولا تَسْمع الدّاعي وإن جَدَّ في الدُّعا

ثم لم يلبث أن مات ، رحمه الله .

صوت

[من الطويل]

تَنامِينَ عن لَيْلي وأُسهَرُه وَحْدي وأَنهى جُفوني أن تَبُثَّكِ ما عِنْدي[3]
فإن كُنتِ مــا تَدْرينَ ما قد فعلتِه بنا فانظُري مــاذا على قاتِلِ العَمْدِ

الشعر لسعيد بن حُمَيد الكاتب ، والغناء لَعرِيب خفيف ثقيل مُطْلَق بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 يروى : كل جاف صرورة ، والصرورة الذي لم يتزوج أو لم يحجّ .
2 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
3 مجموع شعره : 125 .

[388] ـ أخبار سعيد بن حميد ونسبه[1]

[نسبه]

سعيد بن حُميد بن سعيد بن حُمَيد بن بجر ، يُكْنى أبا عُثمان من أولاد الدَّهاقين ، وأصله من النَّهْروان الأوْسط ، وكان هو يقول : إنَّه موْلى بني سامةَ بن لُؤيّ ، من أهل بغداد ، بها وُلِد ونشأ ، ثم كان يتنقَّل في السُّكنى بينها وبين سُرَّ مَنْ رأى : كاتبٌ شاعرٌ مُترَسِّل ، حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة ، فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذْهبِه ، فأغرى به المعتصم ، وقال : إنّه شُعُوبيٌّ زِنْديق ، فحبَسه مدّة طويلة ؛ ثم بانت براءته له أو للواثق بعده ، فخلّى سبيله .

[أبوه يهجو ابن أبي دواد]

وكان شاعراً أيضاً ، فكان يَهْجو أحمد بن أبي دُواد ، وأنشدنيها جماعةٌ من أصحابنا ، قال : [من الوافر]

لقد أصبحتَ تُنْسَب في إيادٍ   بأن يُكْنى أبوكَ أبا دُوادِ
فلو كان اسْمُه عمرَو بنَ مَعْدِي   دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ
لئن أفسدْتَ بالتَّخويف عيْشي   لما أصلحتَ أصلَكَ في إيادِ
وإن تكُ قد أصبتَ طريف مالٍ   فبُخْلُكَ باليَسيرِ من التِّلادِ

[كان قوي الحافظة]

فذكر محمد بن موسى أنّ أبا يوسفَ بن الدَّقّاق اللّغوي أخبره أنَّ حُمَيْد بن سعيد بن حُمَيد دفع إليه ابنَه سعيداً وهو صبيٌّ فقال له : امضِ به معك إلى مجلس ابن الأعرابيّ ؛ قال : فحضرناه ذات يوم ، فأنشدنا أُرجوزةً لبعض العرب فاستحْسنتُها ، ولم تكن معنا مِحْبَرة نكتبُها منها ؛ فلمّا انصرفنا قلت له : فاتَتنا هذه الأُرجوزة ، فقال : لم تفتُكْ ، أتُحِبّ أن أُنشدَكها ؟ قلت : نعم ، فأنْشدنيها وهي نيِّف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه ، وإنّما سَمِعها مرَّةً واحدة . فلقيتُ أباه من غدٍ ، فقال لي : كيف رأيتَ سعيداً ؟ قلت له : إنّك أوْصَيْتَني به ، وأنا أسألُك الآن أن تُوصيَه بي ، فضحك وسألني عن الخبر ، فأعلَمْته فسُرَّ به .

[شغفه بالغلمان المرد]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلحة ، قال : حدَّثني ابن أبي المُدَوَّر ، قال : دخل

---

1 ترجمة سعيد بن حميد في معجم الأدباء (عباس) : 1365–1366 والوافي بالوفيات 15 : 213 والسّمط : 161 ووفيات الأعيان 3 : 80 ، 89 وقد جمع يونس أحمد السامرائي رسائله وشعره (بغداد ، 1971) .

سعيدُ بن حُميد يوماً على أبي العبّاس بن ثوابة ، وكان أبو العبّاس يُعاتبه على الشَّغف بالغِلْمان المُرْد ، فرأى على رأسِه غُلاماً أمردَ حَسن الوجه ، عليه مِنْطَقةٌ وثياب حِسان ، فقال له : يا أبا العبّاس[1] : [من الكامل]

أزعمْتَ أنَّك لا تَلوطُ فقُل لنا ... هـذا المُقَرْطَقُ قائماً ما يصْنعُ[2]

شَهِدَت مَلاحَتُه عليكَ بِريبَةٍ ... وعلى المُريبِ شَواهدٌ لا تُدفَعُ

فضحك أبو العبَّاس وقال : خُذْه ، لا بُورِك لك فيه حتى نستريح من عَتْبك .

أخبرني عَمِّي ، رحمه الله ، قال : قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفُراتِ الكاتب : كان سعيد بن حُمَيْد يهوى غلاماً له من أولاد المَوالي ، فغاب عنه مدّة ، ثم جاءه مُسلِّماً ، فقال له : غِبتَ عنّي هذه المدّة ثم تَجيئني فلا تُقيم عندي ! فقال له : قد أمسينا ، فقال : تَبيتُ ، قال : لا والله لا أقدِر ، ولم يَزل به حتى اتّفقا على أنَّه إذا سَمِع أذان العتَمة انصرف ، فقال له : قد رضيت . ووضع النَّبيذَ ، فجعل سعيد يَحُثُّ السَّقي بالأرطال ، فلمّا قرُب وقتُ العتَمة ، أخذ رُقعةً فكتب فيها إلى إمام المسجِد وهو مُؤذِّنُه قولَه[3] : [من الخفيف]

قـل لِداعي الفِراق أخِّرْ قليلاً ... قـد قَضيْنا حَقَّ الصّلاةِ طويلا

أخِّـر الوقْتَ في الأذانِ وقدِّمْ ... بعدهـا الوقت بُكرةً وأصيلا

ليس في ساعـةٍ تُؤخِّرها وِزْ ... رٌ فنحيـا بهـا وتأتي جميلا

فتُراعـي حـقَّ الفُتُوَّةِ فينا ... وتُعافـى مـن أن تكون ثقيلا

فلمّا قرأ المُؤذِّن الرُّقْعة ضَحِك وكتب إليه يحلِف أنّه لا يُؤذِّن ليلَته تلك العتَمة ، وجعل الفتى ينتظِر الأذانَ حتى أمسى وسَمِع صوتَ الحارس ، فعَلِم أنَّها حِيلة وقعَت عليه وبات في موضعه . وقال سعيد في ذلك[4] : [من الرجز]

عَرَّضتُ بالحُـبِّ لـه وعرَّضا ... حتى طَوى قلبي على جَمْر الغَضى

وأظْهَرتْ نفسي عن الدَّهْرِ الرِّضا ... ثـم جَفـاني وتولَّـى مُعرِضا

لم ينقضِ الحبُّ بَلى صبرِي انقضى ... فِداكَ مَنْ ذاقَ الكرى أو غَمَّضا

---

1 مجموع شعره : 158 (من المنسوب إليه) .

2 المقرطق : الذي يلبس القرطق ، وهو قباء من طاق واحد .

3 مجموع شعره : 145–146 .

4 مجموع شعره : 135–136 .

حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى سألتُه خُوَيْجَةً فأَعرضا
وقال : لا ، قولَ مُجيبٍ بِرِضا فكان ما كان وكابرْنا القَضا

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صَدَقة ، أخبرني بذلك ذُكاء وجه الرُّزّة .

وجدت في بعض الكتب : حدَّثني أحمد بن سليمان بن وَهْب أنّه كان في مجلس فيه سعيد بن حُمَيد ، فلمّا سكروا قام سعيد قومة بعد العصر ، فلم نشعر إلاّ وقد أخذ ثيابَه فلبسها ، وأخذ بعضُدتي الباب ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

سلام عليكم حالت الرَّاحُ بيننا وألوتْ بنا عن كلّ مرأًى ومَسْمَعِ
ولم يبْقَ إلاّ أن يَميلَ بنا الكَرى ويجمع نومٌ بين جَنْبٍ ومضْجعِ

فقام له أهل المجلس ، وقالوا : يا سيِّدنا ، اذهب في حفظ الله وفي ستره ، فانصرف وودَّعهم .

[اعتذاره لفضل الشاعرة]

حدَّثني محمد بن الطَّلاَّس أبو الطَّيِّب ، قال : حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال : قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حُميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغيُّر ظَنَّته به ، وفي آخرها[2] : [من الطويل]

تَظنُّون أنِّي قد تبدّلتُ بعدكم بديلاً وبعضُ الظّنّ إثمٌ ومُنكَرُ
إذا كان قلبي في يديكِ رَهِينةً فكيف بلا قلب أُصافي وأُهجُر !

في هذين البيتين لابن القصَّار الطنبوريّ رمل ، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل .

[خبره مع كعب الجارية]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني أبو عليّ المادرانيّ أنّه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكْل المقَيِّن ، وكان بعضُ أهلِ المجلس يهواها . قال : فدخل إلينا سعيد بن حميد ، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها في حِجرها ، فإذا فيها قولُه[3] : [من مجزوء الرمل]

ما على أحسن خلْـ ـق الله أن يَحسُنَ فِعْلُهْ

1 مجموع شعره : 137 .
2 مجموع شعره : 131–132 .
3 مجموع شعره : 144 .

بأبـي أنـتِ وأُمّي مـن مَليكٍ قَـلَّ عَدْلُهْ
وبَخيـلٍ بالهَـوى لـو كان يُسلَى عنـه بُخلُهْ
أكثَرَ العاذِلُ في حُبِّـ ـك لـو ينفع عَذْلُهْ
فهـو مَشْغـولٌ بعَذْلي وفـؤادي بـِك شُغْلُهْ
أُكثِرُ الشَّكْـوى وأستَعْـ ـدي على مَـنْ قَلَّ بذْلُهْ

فوثبت الجارية فقبَّلت رأسَه وجَلسَتْ إلى جنبِه ، فقال الرجل الذي كان يهواها : هذا والله كلام الشَّياطين ورُقْيَةُ الزِّنا ، وبهذا يَتمّ الأمْر ، أمّا أنا فإنّي أُشهدكم ، لا قرأتُ اليوم في صَلاتي غيرَ هذه الأبيات لعلَّها تَنْفعُني . فضحك سعيد وقال : بحياتي قُومي فارْجِعي إليه حتى تكون الأبياتُ قد نَفَعَتْه قبل أن يقرأها في صلاتِه ، وسُرِّيني بذلك ، فقامت فرَجَعتْ إلى موضعها .

[زيارة على غير وعد]

قال عليّ بن العبّاس : وحدَّثني أبو عليّ المادَرانيُّ : أنَّه كان عنده يوماً ، فدخلت إليه جاريةٌ ، كان يهواها ، غفلةً على غير وَعْد ، فسُرَّ بذلك وقال لها : قد كُنتُ على عِتابِك ، فأمَّا الآن فلا ؛ فقالت : أمَّا العِتابُ فلا طاقةَ لي به ، ووالله ما جِئْتُك إلاّ عند غفلة البوّاب ، فقال سعيد في ذلك[1] : [من مخلع البسيط]

زارَكَ زَوْرٌ عـلى ارتقـابِ مُغتَنِمـاً غَفْلَـة الحُجّابِ
مُستتِراً بالنِّقـابِ يَبـدُو ضِياءُ خَدَّيـه في النِّقابِ
كالشَّمْسِ تبدو وقد طَواها دُونَك سِتْرٌ مـن السَّحابِ
قد كان في النفسِ منك عَتْبٌ يدعـو إلى شِدَّة اجْتِنابِ
فمِلتُ بالعَتْبِ عن حَبِيبٍ يَضعُف عن موقف العِتابِ
والذَّنبُ منه وأَنتَ تَخْشى في هَجْرِه صولَـة العِقابِ

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني ابن أَبي سعد ، قال : حدَّثني محمّد بن عبد الله بن داود ، قال : كان أبي يَسْتَحسِن قولَ سعيد بن حُميد :

تَظُنُّون أَنِّي قـد تَبَدَّلْتُ بعدكم بَدِيـلاً ، وبَعضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ

1 مجموع شعره : 119 .

إذا كان قَلْبِي في يَدَيْكِ رهينةً ... فكيف بلا قَلْبٍ أُصافِي وأَهجُرُ !

ويقول : لَئن عاش هذا الغُلامُ لَيكوننَّ له في الشِّعر شأن .

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل ، وذكر قريض أنَّه له .

[زيارة فضل له على غفلة]

أخبرني ابنُ أبي طَلْحة قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ مُسافِر أنّه كان عند سَعيد بن حُمَيد يوماً إذ دَخَلت عليه فَضْل الشاعرة على غَفلة ، فوثَب إليها وسَلَّم عليها ، وسألها أن تقيم عنده ، فقالت : قد جاءني وحياتِك رسولٌ من القَصْر ، فليس يُمكِنُني الجُلوسُ ، وكرِهتُ أن أمُرَّ ببابِك ولا أراك . فقال سعيد من وَقتِه على البَديهة[1] : [من الطويل]

قَرُبتِ ولا نَرْجُو اللِّقاءَ ولا نَرى ... لنا حِيلَةً يُدْنيكِ منّا احْتِيالُها
فأَصبحْتِ كالشمسِ المُنيرة ضوؤُها ... قريبٌ ولكن أَيْنَ مِنّا مَنالُها !
كَظاعِنةٍ ضَنَّتْ بها غُرْبَةُ النَّوى ... علينا ولكن قد يُلِمُّ خيالُها
تُقرِّبها الآمالُ ثم تَعُوقُها ... مُماطَلَةُ الدُّنيا بها واعتلالُها
ولكنّها أُمنيَّةٌ فلعلّها ... يجودُ بها صَرْفُ النَّوى وانْتِقالُها

[استرضاء فضل الشاعرة]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود ؛ قال : تغاضبَ سعيدُ بن حميد وفَضْل الشاعرة أيّاماً ، ثم كَتب إليها[2] : [من المتقارب]

تعالَيْ نُجدِّدُ عَهْدَ الرِّضا ... ونَصفَح في الحُبِّ عمَّا مَضى
ونَجرِي على سُنَّةِ العاشقين ... ونضمن عنّي وعنكِ الرِّضا
ويَبذُل هذا لِهذا هَواهُ ... ويَصْبِر في حُبِّه للقَضا
ونخضعُ ذُلاًّ خُضوعَ العَبيدِ ... لمولًى عزيزٍ إذا أَعرضا
فإنِّيَ مُذْ لَجَّ هذا العِتابُ ... كأنِّيَ أبطنْتُ جَمْرَ الغَضى

فصارت إليه وصالحَته .

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيها لابن القصّار خفيف رمل .

1 مجموع شعره : 144 .
2 مجموع شعره : 134-135 .

[دعوة تنتزعه من مجلس السرور]

أخبرني ابن أبي طَلحة قال : حدَّثنا أبو العبّاس بن أبي المدوّر قال : بات سعيد بن حُمَيد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل ، واصطبحا على غناءِ حسن كان عندهما ، فجاءه رسول الحسن بن مَخْلَد وقد أُمِر ألاَّ يُفارِقه لأمرٍ مُهمٍّ ، فقام فلبِس ثيابَه ، وأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

يـا ليلةً باتَ النُّحوسُ بَعيدةً ... عنها على رَغْمِ الرَّقيبِ الرَّاصِدِ
تَدعُ العَواذِلَ لا يَقُمْنَ لِحاجةٍ ... وتقومُ بهجتُها بِعُذرِ الحاسِدِ
ضَنَّ الزَّمانُ بهـا فلمّا نِلْتُها ... وَرَدَ الفراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدَّمعُ ينطق للضمير مُصدِّقاً ... قَـوْلَ المُقِرِّ مُكَذِّباً للجاحِدِ

[ردّه على عتاب ابن ثوابة]

أخبرني ابن أبي طلحة قال : حدَّثني أبو العبّاس بن أبي المدوّر ، قال : كان سعيد بن حُميد صديقاً لأبي العبّاس بن ثَوابة ، فدعاه يوماً ، وجاءه رسول فَضْل الشّاعرة يسألُه المصير إليها ، فمضى معه وتأخَّر عن أبي العبّاس ، فكتب إليه رُقْعةً يعاتِبه فيها معاتبةً فيها بعض الغِلظة ، فكتب إليه سعيد[2] : [من الكامل]

أقلِـلْ عِتابـكَ فالبقاءُ قليلُ ... والدَّهْرُ يَعـدِل تـارةً ويَميلُ
لم أبكِ من زَمن ذَممتُ صروفَه ... إلاّ بكيتُ عليـه حـين يَزولُ
ولِكُـلِّ نائبـةٍ أَلمَّتْ مُـدَّة ... ولكـلِّ حـالٍ أقبلت تحويلُ
والمُنتمُون إلى الإخاءِ جماعةٌ ... إن حصَّلوا أفناهـم التَّحصيلُ
ولعلَّ أحـداثَ الليالي والرّدى ... يَوْمـاً ستَصْدَعُ بيننـا وتحولُ
فلئـن سبقتُ لتبكِـينَّ بحسرة ... وليكثُرنَّ عـليَّ منـكَ عَويلُ
ولتُفجَعَنَّ بمخلصٍ لك وامقٍ ... حبلُ الوفاء بحبلـه موصولُ
وليذهبنَّ جمـالُ كلِّ مروءة ... وليعفُـونَّ فِناؤهـا المأهولُ
ولئن سَبَقْتَ ولا سبَقْتَ ليمْضينْ ... مَنْ لا يشاكلـه لديَّ عديلُ
وأراك تَكْلَف بالعتـابِ وودُّنا ... بـاقٍ عليـه مـن الوفاءِ دليلُ
ودٌّ بـدا لذَوِي الإخاءِ جميلُه ... وبدت عليـه بهجـةٌ وقبولُ

---

1 مجموع شعره : 126 .

2 مجموع شعره : 146–147 .

ولعـلَّ أيّـام الحيـاةِ قصيرةٌ　　فَعـلامَ يكثُر عتبُنـا ويطولُ

[عتاب مظلومة له وجوابه]

أخبرني الطَّلْحيُّ قال : حدَّثني أبو عليّ بن أبي الرعد : أنّ سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقيّ ، فبلغه أنّها تُواصلُ بعض أعدائه ، فهجرها مدّة ، فكتبت إليه تعاتبه وتتشوّقه ، فكتب إليها[1] : [من البسيط]

أمرِي وأمـرُك شيءٌ غير مُتَّفقِ　　والهجر أفضل من وصلٍ على مَلَقِ

لا أكْذِبُ اللهَ ، مـا نفسِي بعاليةٍ　　ولا خليقةُ أهل الغدْرِ مِنْ خُلقِي

فإن وثقـتِ بـوُدٍّ كنتُ أبذُله　　فعاودِي سوءَ ظنّ بـي ولا تثِقِي

[اعتذاره لهبة المغنية]

وذكر اليوسفيّ الكاتب أنّه حَضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هِبةُ المغنّية ، وكان سعيد يتعشَّقها ويَهيمُ بها ، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ، ودَخلت بعد ذلك وهو في القوم ، فسلَّمت عليهم سواه . فقالوا لها : أتَهجُرين أبا عُثمان ؟ فقالت : أُحِبُّ أن تسألوه ألاّ يكلِّمني ، فقال سعيد[2] : [من البسيط]

اليـوم أيقنتُ أنَّ الهجـرَ مَتلفَةٌ　　وأنَّ صاحبَـه منـه على خَطَرِ

كيف الحياة لِمَن أمسى على شَرَفٍ　　من المنِيّة بـين الخَوْفِ والحَذَرِ

يلـومُ عَيْنَيْـهِ أحيانـاً بذَنْبهما　　ويحمِـل الذنبَ أحياناً على القَدَرِ

تنأَوْنَ عنـه وَينـأى قلبُه معكم　　فقلبُـه أبـداً منـه على سَفَرِ

فوثَبت إليه وقبّلت رأسَه ، وقالت : لا أهجُرك والله أبداً ما حَيِيتُ .

[عتاب فضل ورجوعها إليه]

أخبرني جَحْظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : غضِبت فَضْل الشاعرة على سعيد بن حُمَيْد فكتب إليها[3] : [من السريع]

يا أيّها الظـالم مـا لي ولَكْ　　أهكَذا تهْجر مَـنْ واصلَكْ !

لا تصرفِ الرّحمـةَ عن أهلها　　قد يَعطِف المَوْلى على مَنْ مَلكْ

---

1 مجموع شعره : 140 .

2 مجموع شعره : 156 (من المنسوب إليه) .

3 مجموع شعره : 140–141 .

ظلمتَ نفساً فيكَ عَلَّقتُها   فدارَ بالظُّلمِ عليَّ الفَلَكْ
تبارَكَ اللهُ فما أعلَمَ اللهَ   بِما ألقى وما أغفلكْ !

فراجعت وصله ، وصارت إليه جواباً للرقعة .

في هذه الأبيات لعَرِيب ثاني ثقيل وهزج ، عن ابن المعتز ، وأخبرني ذُكاءُ وجهُ الرّزة أنّ الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء .

[جوابه لفضل على تشوقها إليه]

أخبرني الطّوسيّ الطَّلحيُّ قال : حدَّثنا محمد بن السَّريّ : أنّ سعيدَ بن حُمَيْد كان في مجلس الحَسن بن مَخلَد ، إذ جاءه الغلام برقعة فَضْل الشاعرة تشكو فيها شِدَّة شوقها ، فقرأها وضَحِك ؛ فقال له الحسنُ بن مُخَلَّد : بحياتي عليك أقرئنيها ، فدفعها إليه فقرأها وضَحِك وقال له : قد وحياتي مَلَّحتْ فأجِبْ ، فكتب إليها[1] : [من البسيط]

يا واصفَ الشوق عندي من شواهده   قلبٌ يهيم وعَينٌ دَمعُها يكِفُ
والنَّفسُ شاهدةٌ بالوُدِّ عارفةٌ   وأنفُسُ النّاسِ بالأهواء تأتلِفُ
فكُن على ثِقَةٍ منّي وبيِّنةٍ   إنّي على ثقةٍ من كلِّ ما تصِفُ

[فضل تميل إلى بنان]

أخبرني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون قال : لمّا عشقت فَضلُ الشاعرةُ بنانَ بنَ عمرو المغنّي ، وعدلَتْ عن سعيد بن حُمَيد إليه أسف عليها وأظهر تَجَلّداً ، ثم قال فيها[2] : [من البسيط]

قالوا : تَعزَّ وقد بانوا فقُلتُ لهم :   بانَ العزاءُ على آثارِ مَنْ بانا
وكيف يملكُ سُلواناً لحبِّهِمُ   مَنْ لم يُطِق للهَوى سَتْراً وكتمانا !
كانت عزائمُ صَبْرِي أستعين بها   صارتْ عليَّ بحمد الله أعوانا
لا خَيْرَ في الحبِّ لا تبدو شواكِلُهُ   ولا تَرى منه في العينين عُنوانا

قال أبو الحسن جحظة : وغنّى فيه بعض المُحْدَثين لحناً حسناً ، وأظنّه عنى نفسَه .

[تبرؤه لأبي هفان مما نسب إليه]

أخبرني الطَّلْحيُّ قال : حدَّثني أبو عيسى الكاتب : أنّ أبا هِفّان بلغَه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جفاء وطَعْن على شعرِه ، فتوعّده بالهجاء ، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً ، فبَلَغَ

---

1 مجموع شعره : 138 .
2 مجموع شعره : 151–152 .

سعيداً ما جرى ، فكتب إلى أبي هفّان[1] : [من البسيط]

أمسى يُخَوِّفنـي العبـديُّ صوْلَتَه   وكيف آمنُ بأْسَ الضَّيْغَمِ الهَصِرِ[2]
من ليس يُحرِزُني من سيفِه أَجلي   وليس يمنعني مِـنْ كيدِه حذَري
ولا أُبـارزُه بالأمـرِ يَكرهُـه   ولـو أُعِنْتُ بأنصارٍ مـن الغِيَرِ
لـه سِهامٌ بـلا ريشٍ ولا عَقَبٍ   وقَوْسُهُ أبـداً عُطْلٌ مـن الوَترِ
وكيف آمنُ مَنْ نَحْرِي له غَرَضٌ   وسَهمُه صائبٌ يَخفى عن البصرِ

[مع فضل الشاعرة]

أخبرني الطَّلحيُّ قال : حدَّثني محمد بن السَّريّ : أنّه سار إلى سعيد بن حُمَيد وهو في دار الحسن بن مَخلد في حاجة له ، قال : فإنّي عنده إذ جاءته رُقعةُ فَضْل الشاعرة ، وفيها هذان البيتان : [من الكامل]

صوت

الصبر ينقُص والسَّقامُ يزيـدُ   والدّارُ دانِيـةٌ وأنـتَ بَعيـدُ
أشكوكَ أم أشكو إليكَ فإنّه   لا يستطيع سِواهُمـا المجهودُ

أنا يا أبا عُثمان في حال التّلف ولم تَعُدْني ، ولا سألْت عن خَبَري .

فأخذ بيدي فَمضينا إليها ، فسأل عن خبرها ، فقالت : هوذا أموتُ وتستريح منّي ، فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

لا مُـتِّ قبلِيَ بل أحيا وأنتِ معاً   ولا أعيشُ إلى يـوم تَموتينـا
لكـن نَعيش بمـن نَهوى ونأمَلُه   ويُرغِـمُ الله فينـا أنْفَ واشينا
حتـى إذا قـدَّر الرحمـنُ ميتتنا   وحانَ من أمرنا مـا ليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعـاً كغُصْنَيْ بانـةٍ ذَبُلا   مِنْ بعد ما نَضَرا واستوسقا حِينا
ثـمَّ السَّلام علينـا في مضاجعنا   حتـى نعـودَ إلى ميزان مُنْشِينا

أخبرني إبراهيمُ بنُ القاسم بن زُرْزور قال : قال لي أبي : كانت فَضْل الشاعرةُ تتعشّق سعيدَ بن حميد مدّة طويلة ، ثم تعشّقت بناناً ، وعدَلت عنه ، فقال فيها قصيدته الدّالية التي

1 مجموع شعره : 130-131 .
2 العبدي : نسبة إلى عبد القيس قوم أبي هنان .
3 مجموع شعره : 152-153 .

يقول فيها :

تَنامينَ عــن ليلي وأُسهَرُه وَحْدِي

فَلـم تَتَعطَّف عليـه ، وبلغها بعد ذلك أنّه قد عَشِق جارية من جواري القيان ، فكتبت إليه : [من المنسرح]

يــا عاليَ السنِّ سَيِّىءَ الأَدَب شِبتَ وأَنتَ الغُلام في الطَّربِ
ويحكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرك الْـ ـمَنْصوب بينَ الغُرور والعَطبِ
لا تَصدَّيْــنَ للفقيــرِ ولا يَطلُبْــن إلاّ معــادِنَ الذهبِ
بينا تَشَكَّى هــواك إذ عَدَلَتْ عن زفراتِ الشَّكْوى إلى الطَّلَبِ
تَلْحَــظ هـــذا وذاك وَذا لحـظ مُحِـبٍّ وفِعْلَ مُكْتسبِ

[فضل تعوده في مرضه]

أخبرني إبراهيم قال : وحدَّثني أَبي قال : افْتَصد سعيد بن حميد ، فسأَلتْني فضل الشاعرة وسأَلت عَرِيب أن نمضي إليه ، ففعلنا ، وأهدت إليه هدايا ، فكان منها ألف جَدْي وحمل وألف دجاجة فائقة ، وألف طبق ريحان وفاكهة ، ومع ذلك طِيبٌ كثير وشرابٌ وتُحفٌ حِسانٌ . فكتب إليها سعيد : إنَّ سروري لا يتمّ إلاّ بحضورك ، فجاءته في آخر النهار ، وجلسنا نشرب فاستأذن غلامُه لبنان فأَذِن له ، فدخل إلينا وهو يومئذٍ شابٌّ طَرِير ، حسَن الوجه ، حسنُ الغِناء ، نظيف الثياب ، شَكِلٌ[1] فذهب بها كلَّ مذهب ، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها ، فتشَمَّز سعيد واستُطِير غضباً ، وتبيَّن بَنان القِصَّة فانصرف ، وأقبل عليها سعيد يَعذلُها ويُؤَنِّبها ساعة ، ثم أمسك ، فكتبت إليه : [من مجزوء الكامل]

يــا مَــن أُطلــتُ تَفرُّسي في وَجْهِــــه وتَنفُّسي
أُفديــك مـــن مُتَدلِّــل يُزهــى بقَتْــلِ الأَنفُسِ
هَبْنِــي أَسأْتُ ومـــا أَسأْ تُ بَـلى أُقِــرّ أَنـا المُسي
أَحْلفتَنــــــي أَلاَّ أُســا رق نَظْــرةً في مَجْلِسي
فنظـرتُ نظــرةَ مُخطِىءٍ أَتْبَعْتُهـــا بتَفَـــرُّسِ
ونَسيتُ أَنّي قـــد حَلَّفْـ ـتَ ، فما عُقوبَةُ مَنْ نَسي ؟

فقام سعيد ، فقبَّل رأْسَها وقال : لا عقوبةَ عليه بل نَحْتَمِل هَفوته ، ونَتجافى عن إساءته ؛

1 شكل : فيه دلال وغزل .

وغنَّت عَرِيبُ في هذا الشِّعر هَزَجاً ، فشَرِبنا عليه بَقِيَّة يومِنا ، ثم افترقنا . وأَثَّر بَنان في قَلبها وعَلِقَت به ، فلم تَزلْ حتى واصلته وقَطعت سعيداً .

وجدتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن المُعتزّ ، قال : قال لي إبراهيم بن المهديّ[1] : كانت فَضْل الشَّاعرة من أحسن خلْق الله خطّاً ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلَغهم في مخاطبة ، وأثبتهم في محاورة ، فقلتُ يوماً لسعيد بن حُمَيد : أظنّك يا أبا عثمان تكتب لفَضْل رِقاعَها وتُقيّدها وتُخرِّجها ، فقد أخذتْ نحوك في الكلام وسلكت سبيلَك . فقال لي وهو يضحك : ما أخْيب[2] ظنَّك ، ليتها تسلم منِّي ولا آخُذُ كلامَها ورسائلَها ، والله يا أخي لو أخذ أفاضلُ الكُتَّاب وأُماثلُهم عنها لما استغنَوْا عن ذلك .

صوت

[من الخفيف]

كلُّ حَيٍّ لاقي الحِمام فَمُودِي ما لِحَـيٍّ مُؤمِّـلٍ مِـنْ خُلودِ
لا تَهـابُ المَنونُ شَيئاً ولا تُبْـ ـقي على والـدٍ ولا مَوْلودِ

الشعرُ لابن مُناذِر ، والغناء لبنان ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صَنْعته ، وفيه لِساجي جارية عُبيد الله بن عبدِ الله بن طاهر ثقيلٌ أوَّل أيضاً على مذهب النَّوْح ، ابتداؤه نشيد .

1 ط . بيروت : إبرهيم بن المدبر .
2 ط . بيروت : ما أحسن ظنّك .

[389] ـ أخبار ابن مناذر ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن مُناذر مولى بني صُبَيْر بن يَرْبوع ، ويُكْنى أبا جعفر ، وقيل إنّه كان يُكنى أبا عبد الله .

ووجدتُ في بعض الكُتب رواية عن ابن حبيب أنّه كان يُكْنى أبا ذَريح وقد كان له ابنٌ يُسمّى ذَريحاً ، فمات وهو صَغير وإيّاه عَنى بقوله : [من مجزوء الوافر]

كأنّك للمنايا يا ذَريحُ اللهُ صَوَّركا
فناطَ بوَجْهِك الشّعرى وبالإكليل قَلَّدكا

ولعلّه اكْتَنى به قبلَ وفاته .

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القَهْرمان ، وكان سليمان مولى عُبيد الله بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكرة عَبداً لثقيف ، ثم ادَّعى عُبيد اللهِ بن أبي بكرة أنّه ثقفيٌّ ، وادّعى سليمان القهرمان أنّه تميميٌّ ، وادّعى ابن مناذر أنّه صَلِيبة من بني صُبَير بن يربوع ، فابنُ مناذِر مَولى مَوْلى مَوْلًى ، وهو دَعِيٌّ مولى دَعيٍّ ، وهذا ما لا يجتمع في غيره قطّ ممّن عرفْناه وبلَغنا خبره .

[عالم باللغة]

ومحمد بنُ مناذر شاعر فصيح مُقَدَّم في العِلم باللغة وإمامٌ فيها ؛ وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها ؛ وكان في أوّل أمرِه يتألَّهُ ، ثم عدَل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتّك وخلع ، وقذَف أعراضَ أهلِ البصرة حتى نُفيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك . وهذه الأبيات يرثي بها ابنُ مناذر عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيّ . وكان عبد الوهّاب مُحدِّثاً جليلاً ، وقد روى عنه وجوهُ المحدِّثين وكبراء الرُّواة ، وكان ابن مُناذِر يهوى عبد المجيد هذا . فكان في أيّام حياته مَستوراً متألِّهاً جميلَ الأمر ، فلمّا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عليه ، وأخبارُهما تُذكَر في مواضعها .

[ناسك يتهتّك]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفَش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النَّحويُّ ، قال : كان ابنُ مناذر موْلى صُبَيْر بنِ يَربوع ، وكان إماماً في علم اللُّغة وكلام العرب ، وكان في أوّل أمره

1 ترجمة ابن مناذر في الشعر والشعراء : 747–749 ومعجم الأدباء (عباس) 2648–2651 وبغية الوعاة 1 : 249–250 والكامل للمبرد : 1426–1428 وطبقات ابن المعتزّ : 119–125 ولسان الميزان 5 : 390–393 وعصر المأمون 2 : 400 .

ناسكاً مُلازماً للمسجد ، كثير النَّوافل ، جميلَ الأمر إلى أن فُتِن بعبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقفيّ ، فتهتّك بعد ستره ، وفتكَ بعد نُسْكِه ، ثم ترامى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظْهر البَذاء وقذف المُحْصَنات ، ووجبت عليه حُدودٌ ، فهرب إلى مكّة وبقي بها حتى مات .

[سفيان بن عيينة يسأله عن معاني الحديث]

وكان يُجالس سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ ، فيسأله سفيانُ عن معاني حديث النبيّ ﷺ فيُخبره بها ، ويقول له : كذا وكذا مأخوذ من كذا ، فيقول سفيان : كلامُ العرب بَعضُه يأخذ برِقاب بعض . قال : وأدرَك المهدِيَّ ومدَحه ، ومات في أيّام المأمون .

أخبرني عليٌّ بن سُلَيمان ، قال : حدَّثني محمد بن يزيد وغيره : أنَّ محمد بن مُناذِر كان إذا قيل له : ابن مَناذر ، بفتح الميم ، يغضب ، ثم يقول : أَمَناذر الصُّغرى أم مَناذِر الكبرى ؟ وهما كورتان من كُوَر الأهواز ، إنّما هو مُناذر على وزن مُفاعِل من ناذَر فهو مُناذِر ، مثل ضارب فهو مُضارِب ، وقاتل فهو مُقاتِل .

[بينه وبين المعتزلة]

قال محمد بن يزيد : ولمّا عدل محمد بن مناذر عمّا كان عليه من النُّسْك والتألّه وعظتْه المعتزلة فلم يَتَّعِظ ، وأوعدَته بالمكروه فلم يزدجر ، ومنعوه دخولَ المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيطرحه في مَطاهِرهم ، فإذا توضَّؤوا به سوّد وجوهَهم وثيابَهم ، وقال في توَعُّد المعتزلة إيّاه[1] : [من الكامل]

أَبلِغْ لديك بنـي تَميمٍ مأْلُكاً ... عَنِّي وعَرِّج في بَني يَرْبُوعِ[2]

أَنـِّي أخٌ لكُمُ بِــدارِ مَضيعَةٍ ... بُــومٌ وغِربـانٌ عليـه وُقوعُ[3]

يا لَلْقبائل مـن تَميمٍ ما لكُم ... رَوْبى ولَحْمَ أُخيكم بِمَضيعِ[4]

هُبُّوا لـه فلقد أُراه بنَصْرِكُم ... يــأْوي إلى جَبَــل أَشَمَّ مَنيعِ

وإذا تحزَّبــت القَبائـلُ كُنْتُمُ ... ثِقَتِــي لِكُــلِّ مُلِمَّــةٍ وفظيعِ

إن أنتــمُ لم تَثْأَرُوا لأَخيكمُ ... حتــى يُباءَ بوِتْــرِهِ المَتْبُوعِ

1 الأبيات في معجم الأدباء 2450 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

2 مألكاً ومألكة : رسالة .

3 في البيت إقواء .

4 روبى : خاثرو النفس .

فخُذوا المَغازِلَ بالأَكُفِّ وأَيقِنوا ... ما عِشْتُمُ بمَذَلَّةٍ وخضوعِ
إن كنتمُ حُدُباً على أحسابكم ... سُمُعاً فقد أَسمعتُ كُلَّ سَمِيعِ
أَينَ الصُّبَيْرِيُّونَ لم أَرَ مِثْلَهم ... في النائباتِ وأَين رَهْط وَكِيعِ

قال : ثم استَحْيا من قوله : أَينَ الصُّبَيْرِيُّونَ ؟ لِقِلَّة عَدَدهم فقال : أَين الرِّياحيُّون ؟ .

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني الحَسن بن عليّ ، قال : حدَّثني مسعود بن بِشْر ، قال : قال لي ابنُ مُناذر : ولع بي قومٌ من المعتزلة ففَرِقْتُ منهم ، قال : وكان مَوْلى صُبَيْر بن يَرْبوع ، فقلت : بنو صُبَير نَفْسان ونصف ، فمَن أَدْعو منهم ؟ فقلت : ليس إلاّ إخوتهم بنو رياح ، فقلت أبياتاً حَرَّضْتُهم فيها ، وحضَضْتُ بنو رياح ، فقلت : [من الكامل]

أَين الرِّياحِيُّون لم أَرَ مِثلَهم ... في النَّائباتِ وأَينَ رَهْط وكيع !

قال : فجاء خمسون شيخاً من بني رياح فطرَدُوهم عنّي .

أُخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدّثني محمد بن يزيد ، قال : حدّثني الجاحِظ ، عن مسعود بن بِشر ، عن أبي عُبيدة ، قال : ما زادت بنو صُبَيْر بنِ يَرْبوع قط على سَبْعة نَفَر ، كُلّما وُلِد منهم مولود مات منهم ميِّت .

[عدني الأصل]

أُخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني يعقوب بن نعيم ، قال :حدَّثني إسحاقُ بن محمد النَّخعيّ ، قال : حدَّثني أبو عثمان المازنيّ ، قال : كان ابن مناذر من أهل عدن ، وإنَّما صار إلى البصرة في طَلَب الأدب لتَوافُر العلماء فيها ، فأقام فيها مدَّة ، ثم شُغِل بعبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقَفيّ ، فتَطاول أمرُه إلى أن خرَج عنها ، وكان مُقِيماً بمكّة ، فلمّا مات عبد المجيد نَسَك ، وقوم يقولون : إنّه كان دهرِيّاً .

[يهجو الذين كرهوا إمامته في الصلاة في المسجد بعد تهتّكه فهجوه وردّ عليهم]

وذكر أبو دعامة ، عن عطاء الملط قال : كان ابن مناذر يؤُمُّ النَّاسَ في المسجد الذي في قبيلَته ، فلمّا أظهَر ما أظهره من الخَلاعة والمُجُون كرِهوا أن يُصلِّي بهم وأن يأْتمُّوا به ، فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهَجَوْه ، وألقوا الرقعة في المِحرابِ ؛ فلمّا قضى صَلاتَه قرأها ، ثم قلَبها وكَتَب فيها يقول : [من البسيط]

نُبِّئتُ قافيةً قِيلت تَناشَدَها ... قومٌ سأَترك في أَعراضهم نَدَبا
ناكَ الذين رَوَوْها أُمَّ قائِلها ... وناك قائلُها أُمَّ الذي كَتَبا

ثم رمى بها إليهم ولم يعُد إلى الصلاة بهم .

[صلته بأبي نواس]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا أبو الفَضْل بن عبدان بن أبي حَرْب الصَّفّار ، قال : حدَّثني الفضل بنُ موسى مولى بني هاشم ، قال : دخَل ابنُ مُناذِر المسجدَ الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غُلام مُسْتَنِدٍ إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقْعةً ودَواةً ، فكتب أبياتاً مدَحه بها ، وسأل الغُلامَ الذي التمسه أن يُوصِّل الرُّقْعة إلى الفَتى المُستنِد إلى السارية . فذهب بها إلى الغلام ، فلمّا قرأها قلبَها وكَتب على ظهْرها يقول[1] : [من الكامل]

مِثلُ امْتِداحِك لي بلا وَرِقٍ ... مثلُ الجِدارِ بُني على خُصٍّ[2]
وأَلَذُّ عِنْدي من مديحك لي ... سُودُ النِّعالِ ولَيِّن القُمْصِ
فإذا عَزَمْتَ فَهيٌّ لي وَرِقاً ... فإذا فعلتَ فلستُ أَستَعْصي

فلمّا قرأها ابن مُناذر قام إليه فقال له : ويْلك ، أأنتَ أبو نُواس ؟ قال : نعم ، فسلَّم عليه وتعانَقا ، وكان ذلك أوَّل المودَّة بينهما .

[بينه وبين أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مُناذِر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنتَ في الشِّعرِ ؟ قال : أقول في الليلة إذا سَنَح القولُ لي ، واتَّسعَت القوافي عشرةَ أبياتٍ إلى خمسة عشر . فقال له أبو العتاهية : لكنِّي لو شئْت أن أقولَ في الليلة ألفَ بيت لقُلْت ، فقال ابن مُناذِر : أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك[3] : [من الهزج]

أَلا يا عُتبةَ السَّاعَهْ ... أَموتُ السَّاعَةَ السَّاعَهْ

قلت ؛ ولكنِّي لا أعوِّد نفْسي مثل هذا الكلام السَّاقِط ، ولا أسمَح لها به ، فخَجِل أبو العَتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَه .

أخبرني به الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني سَهْل بن محمد أبو حاتم ، وأحمد بنُ يعقوب بن المُنير ابن أخت أبي بَكر الأصمّ . قال ابن مَهْرُوَيْه : وحدَّثني به يحيى بنُ الحسن الرّبيعيّ ، عن غسَّان بن المُفَضَّل ، قال : اجتمع أبو العتاهية ، وابنُ مُناذر ، فاجتمع الناس إليهما ، وقالوا : هذان شَيْخا الشُّعراء . فقال أبو العتاهية لابن مُناذِر : يا أبا

---

1 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (الغزالي) .
2 الورِق : الدراهم المضروبة .
3 ديوان أبي العتاهية : 577 ومعجم الأدباء : 2649 .

عبد الله ، كم تقولُ في اليوم من الشّعْر ؟ وذكر باقي الخبر مثل المتقدّم سواء .

[إعجابه بشعره]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع ، قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : حضرنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرز خلَفٌ الأحمر ، وحضرها ابن مُناذر ، فقال لخلف الأحمر : يا أبا مُحْرِز ، إن يكن النّابغة ، وامرؤُ القيْس ، وزُهير ، قد ماتوا فهذه أشعارُهم مُخلّدة فقِسْ شعْري إلى شِعْرِهم ، واحكُم فيها بالحقّ . فغضِب خلَفٌ ، ثم أخذ صحفة مملوءة مَرقاً فرمى بها عليه فملأه ، فقام ابن مُناذر مُغْضَباً ، وأظنّه هَجاه بعد ذلك .

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : قال : حدَّثنا خَلَّاد[1] الأرقط ، قال : لَقِيَني ابن مُناذِر بمكّة ، فأنشدني قصيدته :

كُلُّ حَيٍّ لاقي الحِمام فمُودِي

ثم قال لي : أقرىء أبا عُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابنُ مناذر ، اتّقِ اللهَ واحكُم بين شِعْري وشِعْر عَديّ بن زَيد ، ولا تقُلْ ذلك جاهليٌّ ، وهذا إسلامي ، وذاك قديم وهذا مُحْدَث فتحكم بين العصرين ، ولكن احكُم بين الشعريْن ودع العَصبيَّة . قال : وكان ابنُ مناذِر ينْحُو نحو عديّ بن زيد في شِعره ، ويميل إليه ويقدّمه .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عثمان الكزبريّ ، قال : أخبرني محمد بن الحجّاج الجراداني ، قال : قلتُ لابن مُناذر : مَنْ أشْعَر الناس ؟ قال : مَنْ كُنتُ في شِعْره ، فقلت له : ومَنْ ذاك ؟ فقال : عَدِيُّ بن زيد ، وكان ينْحُو نحوه في شِعْرِه ويقدّمه ويتّخذه إماماً .

[محبّته لعبد المجيد الثقفيّ]

والأبيات التي فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مُناذِر رَثى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ ، وكان يَهواه . وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملِهم في كلّ حال ، وكان على غاية المحبَّة لابن مُناذر والمُساعدة له والشَّغَف به . وكان يبلغُ خبرُه أباه على جلالته وسِنّه وموْضعه من العِلْم ، فلا يُنْكِر ذلك ، لأنّه لم تكن تبلغه عنه ريبة ، وكان ابن مُناذر حينئذٍ حَميدَ الأمر حسنَ المروءة عفيفاً . فحدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بنُ محمد حُدَّان ، قال : حدَّثني قُدامة بنِ نوح ، قال : قيل لعبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ : إنّ ابن مُناذر قد أفسد ابنَك ، وذكره في شِعره وشبَّب به ، فقال عبد الوهّاب : أولا يَرْضى ابْني أن يَصْحبه مثلُ ابن مُناذر ويذكره في شِعره !

---

1 ل : حماد .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد بن سليمان النَّوفليّ ، قال : أمُّ عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقفيّ الذي كان يشبِّب به ابن مُناذر بانَةُ بنْت أبي العاصي ، وهي موْلاة جِنان التي يشَبِّب بها أبو نُواس ، قال : فحدَّثني مَنْ رأى محمد بنَ مُناذر يومَ ثالثِ بانةَ هذه ، وقد خرَج جواريها إلى قبرها ، فخرج معهنَّ نحو الجبَّانة بالبصرة ، قال : فقلتُ له : يا أبا عبد الله ، أين تريد ؟ فقال : [من المجتث]

اليــومُ يــومُ الثُّلاثا وَيــومُ ثالثِ بانَـــهْ
اليوم تَكثُر فيــه الظِّبا ءُ في الجَبَّانَـــهْ

قال أبو الحسن : ولَدت بانَةُ من عبدِ الوهَّاب بن عبد المجيد أولادَه : عبدَ المجيد ، وأبا العاصي ، وزياداً . وزيادٌ الذي عناه أبو نواس في قوله يُشَبِّب بجِنان[1] : [من مجزوء الخفيف]

جَفْنُ عيني قد كاد يَسْـ ـقط من طول ما اختلَجْ
وفُؤادِي مِــنْ حَرّ حُبِّـ ـكِ قــد كاد أو نَضَجْ
خبِّرِينــي فَدَتْــكِ نَفْسـ ـي وأَهْلي مَتـى الفَرَجْ !
كان ميعادُنـــا خُـــرو جَ زيـادٍ فقــد خَرَجْ

قال ابن عمّار : قال لي النَّوفَليّ : في هذه الأبيات غناء حُلْو مليح ، لو سَمِعْته لشربتَ عليه أربعة أرطال .

قال النوفليُّ : وكان لعبد الوهّاب ابنٌ يقال له : محمد ، كان أسنَّ ولَدِه ، ويقال : إنّه كان يتعشَّق بانَةَ ابنةَ أبي العاصي هذه امرأةَ أبيه ، وإنّ زِيادَ بن عبد الوهّاب منه ، وكان أشْبَه الناس به .

حدَّثني ابن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني أبي ، قال : خرج ابن مناذر يوماً من صلاة التّراويح وهو في المَسْجد بالبصرة ، وخرج عبدُ المجيد بن عبد الوهّاب خلفَه ، فلم يَزَل يُحدِّثه إلى الصُّبح ، وهما قائِمان ، إذا انْصَرَف عبدُ المجيد شيَّعَه ابنُ مُناذر إلى منزله ، فإذا بَلغَه وانصرفَ ابنُ مُناذر شيَّعه عبدُ المجيد ، لا يَطِيب أحدُهما نَفْساً بفراقِ صاحِبِه حتى أصبحا . فقيلَ لعبد الوهّاب بن عبد المجيد : ابنُ مناذر قد أفْسد ابنَك ، فقال : أوما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مُناذر .

وفي عبدِ المَجيد يقول ابن مُناذر يمدحُه ، وهو من مختار ما قاله فيه ، أنشدنيها عليُّ بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن زيد من قصيدةٍ أوّلها : [من مخلع البسيط]

---

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

شَيَّب رَيبُ الزَّمانِ رأسي ... لَهْفي على ريبِ ذا الزَّمانِ
يَقدَحُ في الصُّمِّ من شَرَوْرى ... ويَحْدُرُ الصُّمَّ من أَبانِ[1]

يقول فيها يمدح عبد المجيد: [من مخلّع البسيط]

مِنّي إلى الماجِدِ المُرجَّى ... عبدِ المَجيدِ الفَتى الهِجانِ
خيرِ ثَقيفٍ أبًا ونَفساً ... إذا التَقَت حَلْقَتا البِطانِ
نفسي فِداءٌ له وأَهْلي ... وكُلُّ ما تَمْلِكُ اليَدانِ
كأنَّ شمسَ الضُّحى وبدر الدُّجى ... عليه مُعلَّقانِ
نِيطا معاً فوق حاجِبَيْهِ ... والبدرُ والشَّمسُ يَضْحَكانِ
مُشمِّرٌ، هَمُّه المَعالي ... ليس بِرَثٌّ ولا بِواني
بَنى له عِزَّةً ومَجْداً ... في أَوَّلِ الدَّهْرِ بانيانِ
بانٍ تَلقَّاه من ثَقيفٍ ... ومن ذُرا الأزدِ خَيرُ باني
فاسأَلْه مِمَّا حَوَت يَداه ... يَهْتَزُّ كالصَّارِمِ اليَماني

[تمريضه عبد المجيد]

أخبرني عمّي، قال: حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو تَوْبة صالِحُ بن محمد قال: مرض عبدُ المجيد بن عبد الوهّاب الثّقفيّ مرضاً شديداً بالبصرة، وكان ابن مناذر ملازماً له يُمرِّضه ويخدمه، ويتولّى أمره بنفسه، لا يَكِلُه إلى أحد. فحدَّثني بعضُ أهلهم قال: حضرتُ يوماً عنده، وقد أُسْخِن له ماءٌ حارٌّ ليَشْرَبه، واشتدَّ به الأمرُ فجعل يقول: آهِ! بصوتٍ ضَعِيف، فغَمَس ابن مُناذر يدَه في الماء الحارّ وجعل يتأوَّه مع عبد المجيد ويدُه تحترق حتى كادت يدُه تسقُط، فجذبْناها وأخرجْناها من الماء، وقلنا له: أمجْنُونٌ أنتَ! أيُّ شيء هذا! أينتفع به ذاك! فقال: أساعده، وهذا جَهْدٌ من مقِلٍّ. ثم استقَلَّ من عِلَّته تلك وعُوفِي مدّة طويلة، ثم تَردَّى من سَطح فمات، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يَفضُل أهلَه وإخوتَه في البكاء والعَويل، وظهَر منه من الجزع ما عجب الناس له، ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة، فرواها أهلُ البصرة، ونيح بها على عبد المجيد، وكان الناس يُعجَبون بها ويَسْتَحْسِنُونها.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم النُّوشجاني، قال: سمعت أبي يقول: حضرتُ سُفيان بن عُيَيْنة يقول لابن مُناذِر: أنشِدني ما قلت في عبد المجيد، فأنشده قصيدته

1 شرورى وأبان: جبلان.

الطويلة الدّالية . قال سفيان : بارَكَ اللهُ فيك ، فلقد تفرَّدت بمراثي أهلِ العراق .

[وفاة عبد المجيد]

فأخبرني عمِّي : قال : حدَّثني أبو هِفَّان ، قال : قال الجَمَّاز : تزوَّج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شهراً يجتمع عنده في كلِّ يوم وُجُوه أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها . فصعد ذاتَ يوم إلى السطح فرأى طنباً من أطناب السِّتارة قد انحلَّ ، فأكبَّ عليه ليشدَّه ، فتردَّى على رأسِهِ ومات من سَقْطتِه ، فما رأيتُ مُصيبَةً قطّ كان أعظم منها ولا أنكأَ للقُلوب .

[رثاء عبد المجيد]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمَّار قال : حدَّثني الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الخرَّاز ، قال : قال لي ابن مُناذِر : ويحك ! لستُ أرى نساء ثَقِيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نياحةً على استواء ، قلت : فما تُحِبّ ؟ قال : تخرجُ معي حتى أُطارحك ، فطارحني القصيدة التي يقول فيها[1] : [من الخفيف]

إنَّ عبـدَ المجيد يـوم تَولَّـى ... هَـدَّ رُكناً مـا كان بالمَهْدُودِ

هَدَّ عبدُ المجيدِ رُكْني وقد كُنْـ ... ـتُ بِرُكْنٍ أُبـوءُ منـه شَدِيدِ

قال : فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعَيْتُها ، ووضعنا فيها لحناً ؛ فلمّا كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها ، صلَّينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع ، ثم خرجنا إلى دارِهم ، وقد صعد النساء على السَّطح يَنُحن عليه ، فسكَتن سكتةً لهنّ ، فاندفعنا أنا وهو نَنُوح عليه . فلمّا سمِعْننا أقبلن يَلْطُمنَ ويصِحْن حتى كِدْنَ يَنْقَلِبْنَ من السطح إلى أسفل من شدّة تَشرُّفِهنَّ علينا وإعجابهنَّ بما سمعنه منّا ، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا ، وشاع الخبر بالبصرة وتحدَّث به النّاسُ حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال لي : حدَّثني موسى بن حمّاد بن عبد الله القُرشيّ ، قال : حدَّثني محمد بن النعمان بن جَبَلة الباهليّ ، قال : لمّا قال ابن مُناذر : [من الخفيف]

لأُقِيمَنَّ مأتمـاً كَنُجوم اللَّيْل ... زُهْـراً يَلْطُمْن حُـرَّ الخُدُودِ

مُوجَعـاتٍ يَبْكِـين للكَبِـدِ ... الحَـرَّى عليـه وللفُؤادِ العَمِيدِ

قالت أُمّ عبد المجيد : والله لأُبِرَّنَّ قسمَه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : واي ، وَيْه ، واي ، وَيْه ، فيقال : إنّها أوَّل مَن فعل ذلك وقاله في الإسلام .

1 انظر القصيدة في طبقات ابن المعتز : 122–124 وكامل المبرد : 1436 وما بعدها .

وأخبرني بهذا الخبر ابن عمَّار عن عليّ بن محمد النوفليّ عن عمّه : أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر النخعيّ ، قال : أنشدني محمد بن مُناذِر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهّاب يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

يــا عَينُ حَقٌّ لكِ البُكا ءُ لحـادِثِ الرُّزءِ الجَليلِ
فابْكي على عبــدِ المجيـ ـدِ وأعولِــي كلَّ العَويلِ
لا يُبْعِـدُ اللهُ الفَتى الـ ـفَيَّاضَ ذا الباعِ الطَّويلِ[2]
عَجِــلَ الحِمامُ بِــه فودَّ عَنــا وآذنَ بــالرَّحِيلِ
لَهَفــي عــلى الشَّعَرِ المُعَـ ـفَّرِ منكَ والخَدِّ الأَسيلِ[3]
كَسَفتْ لِفقْــدِك شمْسُنا والبــدْرُ آذن بــالأُفولِ[4]

[لم تعجب داليته أبا عبيدة]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني النَّضرُ بن عمرو عن المازنيّ ، قال : حدَّثنا حيّان : أنّ ابن مُناذر دفع قصيدته الدَّالية إليه ، وقال : اعرِضها على أبي عُبَيْدة ، فأتيْتُه وهو على باب أبي عَمْرو بن العلاء ، فقرأتُ عليه منها خمسةَ أبيات فلم تُعْجِبه ، وقال : دعني من هذا ، فإنّي قد تشاغلْتُ بحِفْظِ القرآنِ عنه وعن مِثْله ، قال : وكان أبو عبيدة يُبغِضُه ويُعادِيه لأنّه هجاه .

[هبّود أمّ عبود]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : قال ابن مناذِر : قلت : [من الخفيف]

يَقــدَحُ الدّهــرُ في شماريخ رَضْوى

ثم مكثتُ حولاً لا أدري بِمَ أُتمِّمُه ، فسمعت قائلاً يقول : هبُّود ، قلت : وما هبُّود ؟ فقال لي : جُبَيْل في بلادنا ، فقلت : [من الخفيف]

ويحُـطُّ الصُّخورَ مــن هَبُّودِ

قال إسحاق : وسمِع أعرابيٌّ هذا البيت ، فقال : ما أجهل قائله بهبُّود ! والله إنّها

1 الأبيات في طبقات ابن المعتز : 124–125 .
2 الطبقات : لا يبعدن ذاك الفتى . . .
3 الطبقات : لهفي على الثغر . . .
4 عجز البيت في الطبقات : جزعاً وهمّت بالأفول .

لأُكَيمة ،ما تُواري الخارِىء ، فكيف يُحُطُّ منها الصُّخور !

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : سمِعْتُ أبا مالِك عمْرو بن كِرْكِرة يقول : أنشدني ابنُ مُناذر قصيدتَه الدَّالية التي رثى فيها عبد المجيد ، فلمّا بَلغ إلى قوله : [من الخفيف]

يَقدح الدَّهرُ في شماريخ رَضْوى ويحُـطّ الصُّخورَ مِـنْ هَبُّودِ

قلت له : هبُّود ، أيّ شيء هو ؟ فقال : جبل ، فقلت : سَخِنت عينُك ، هبُّود والله بئر باليمامة ماؤها مِلْح لا يَشْرَب منه شيء خَلَقه الله ، وقد والله خَرِيتُ فيها مرّات . فلمّا كان بعد مدّة وقَفتُ عليه في مَسجد البصرة وهو ينشدها ، فلمّا بَلغَ هذا البيتَ أنشدَها :

ويحُطّ الصُّخورَ مـــن عَبُّـودِ

فقلت له : عبُّود ، أيُّ شيء هوذا ؟ فقال : جبل بالشَّام ، فلعلَّك يا ابن الزَّانية خَرِيت عليه أيضاً ؛ فضحِكتُ ثم قُلت : لا ما خريتُ عليه ولا رأيتُه ، وانصرفتُ عنه وأنا أضحَك .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيُّ ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال كان يحيى بنُ زياد يُرمى بالزّندقة ، وكان من أظرف النّاس وأنظفهم ، فكان يقال : أظرف من الزّنديق .

[محمد بن زياد مزندق الظاهر]

وكان الحاركيّ واسمه محمد بن زياد يُظهر الزّندقة تظارفاً ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

يا ابنَ زيادٍ يـا أبا جَعفرٍ أظهرتَ دِيناً غيرَ ما تُخفي
مُزَنْدَق الظاهِر باللفظِ في باطِنِ إسلامِ فَتًـى عَفٍّ
لسْتَ بزِنْديـقٍ ولكنّمـا أَرَدْتَ أن تُوسَم بالظَّرْفِ

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

يـا أبـا جعفرٍ كأنّك قد صِرْ تَ على أُجْرِدٍ طَوِيلِ الجِرانِ[1]
من مَطايا ضَوامِرٍ ليس يَصْهَلْـ ـنَ إذا مـا رُكِبْنَ يوم رِهانِ
لم يُذَلَّلْـنَ بالسُّرُوجِ ولا أُقْـ ـرَح أشداقَهنَّ جـذبُ العِنانِ
قائماتٍ مُسوَّمات لدى الجِسْـ ـرِ لأمثالِكـم مـن الفِتْيانِ

[تركه الناس لحضور حلقة عتبة النحويّ]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينة ، عن ابن عائشة ،

1 الجران : باطن عنق البعير وغيره .

قال : كان عُتبة النحويّ من أصحاب سيبويه ، وكان صاحب نحوٍ فَهِماً بما يشرحه ويفسِّره على مذاهب أصحابه ، وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ، ويجلس إليه قومٌ يأخذُونه عنه . فجلس عُتْبة قريباً من حَلْقته ، فتقوّض الناسُ إليه ، وتركوا ابن مُناذر ، فلمّا كان في يوم الجمعة الأُخرى قام ابن مناذر من حَلْقته ، فوقف على عُتْبة ، ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الرجز]

قُومـوا بنـا جميعاً لِحَلْقَـةِ العَـذارِي
تَجمعـن للشقـاء إلى عُتْبـةِ الخَسارِ
مـالي ومـا لِعُتْبَـ ـةَ إذ يبْتغي ضِراري

قال : فقام عتبة إليه فناشده ألاّ يَزيد ، ومنعَ مَنْ كان يجلِس إلى ابن مُناذِر من حضور حَلْقته ، وجَلس هو بعيداً من ابنِ مُناذِر بعد ذلك .

[يهجو جاره ابن عمير]

حدَّثني عَمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة ، قال : كان لابن مُناذر جارٌ يقال له ابنُ عُمير من المعتزلة ، فكانَ يَسعى بابن مناذر إليهم ، ويَسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به ، فقال يَهجوه : [من السريع]

بَنو عُمَيْر مَجدُهـم دارُهمْ وكُلّ قَـوْم فلَهُـم مَجْدُ
كأنّهـم فَقْـعٌ بِدَوِّيَّـةٍ ليس لهـم قَبْلٌ ولا بَعْدُ[1]
بَـثَّ عُمَيْرٌ لؤمَـه فيهمُ فكُلُّهم مـن لُؤْمِهِ جُعْدُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن النَّوفلي بمِثْله ، وزاد فيه . وعبد الله بن عُمَير ، أبو هؤلاء الذين هجاهم ، أخو عبدِ الله بن عامِر لأُمِّه ، أمُّهما دجاجةُ بنت إسماعيل بن الصَّلت السَّلمي .

[حاضر الجواب]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدَّثنا الخليل بن أسد ، قال : كان ابن مُناذِر مِن أحْضَر الناسِ جواباً ، قال له رجل : ما شأنك ؟ قال : عِظَم في أنْفي .

قال : وسأله رجُلٌ يوماً : ما الجَرْباء ؟ فأومأ بِيدِه إلى الأرض ، قال : هذه ، يَهْزأ به ، وإنّما الجَرْباء السماء .

[خبره مع الخليل بن أحمد]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العنَزيّ ، قال :

1 فقع بدوية : يقال : فقع بقرقر (أو بقرقرة) مثل يضرب للذليل .

حدَّثني جعفرُ بن محمد عن دماذ قال : دار بين الخليل بنِ أحمد وبين ابن مُناذِر كلام ، فقال له الخليل : إنّما أنتم معشرَ الشُّعراء تَبَعٌ لي ، وأنا سُكّان السفينة ، إن قرَّظْتُكم ورضيتُ قولكم نَفَقْتُم وإلاّ كسَدْتم . فقال ابن مُناذر : واللهِ لأُقولَنّ في الخليفة قصيدةً أمتَدِحهُ بها ولا أُحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غيرك ، فقال في الرشيد قصيدتَه التي أوَّلُها[1] : [من المنسرح]

ما هَيَّجَ الشوق من مُطَوَّقَةٍ ... أوفَتْ على بانةٍ تُغَنِّينا

يقول فيها :

ولو سألْنا بحُسْن وَجْهك يا ... هارونُ صَوْبَ الغمام أُسقِينا

قال : وأَراد أن يَفِدَ بها إلى الرشيد ، فلم يلبث أن قَدِم الرشيدُ البصرة حاجّاً ليأْخُذَ على طريق النِّباج وكان الطريق قديماً ، فدخلها وعديلُه إبراهيم الحرَّانيّ . فتحمَّل عليه ابنُ مُناذِر بعُثمان بنِ الحَكَم الثَّقفيّ ، وأبي بَكر السُّلَميّ حتى أوصلاه إلى الرشيد ، فأنشدَه إيّاها ، لمّا بَلَغ آخِرَها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو : [من المنسرح]

قومي تَميمٌ عند السِّماكِ لهم ... مَجْدٌ وعِزٌّ فما يُنالونا

فلمّا أنشده هذا البيت تعصَّبَ عليه قَوْمٌ من الجلساء ، فقال له بعضهم : يا جاهلُ ، أتفخر في قصيدةٍ مدحتَ بها أمير المؤمنين . وقال آخر : هذه حَماقة بَصْريَّة ، فكفَّهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألفَ درهم .

[استحسن الرشيد بيتاً له فأجازه]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأَخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، قال : حدَّثني سهيل السّلميّ : أنَّ الرشيد استسقى في سنة قَحْط فسُقي الناس ، فسُرَّ بذلك ، وقال : لله دَرُّ ابن مُناذر حيث يقول : [من المنسرح]

ولو سألْنا بحُسْن وَجْهِك يا ... هارون صَوْبَ الغَمامِ أُسقِينا

وسأل عن خَبره فأُخبِر أنَّه بالحِجاز ، فبعث إليه بجائزة .

[هجاء بكر بن بكّار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن محمد بن عمران الصّيرفيّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا نصر بن عليّ الجَهْضَميّ ، قال : حدَّثني محمد بن عباد المهلبيّ ، قال : شهد بكر بن بكّار عند عُبيد الله بن الحسن بن الحُصَين بن الحُرّ العنبريّ بشهادة ، فتبسَّم ثم قال له : يا بكر ، ما لك ولابن مُناذر حيثُ يقول : [من السريع]

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذه القصيدة منها البيت الثاني هنا .

أُعــوذُ بــالله مــن النّــار ومنك يــا بَكْــرَ بنَ بَكّارِ

فقال : أُصلحَ اللهُ القاضي ، ذاك رجل ماجنٌ خَليع لا يُبالي ما قال ، فقال له : صَدَقْت وزاد تبسُّمه ، وقَبِل شِهادتَه ، وقام بكر وقد تَشوَّر[1] وخجِل . قال العنزيّ : فحدَّثني أبو غسَّان دماذ قال : أنشدني ابن مُناذِر هذا الشِّعر الذي قاله في بكر بن بكّار وهو : [من السريع]

أعــوذُ بــالله مــن النَّــارِ ومنــكَ يــا بكـرَ بنَ بَكّارِ
يـا رَجُلاً ما كان فيما مَضى لآل حِمْـــران بِـــزَوّارِ
مـــا مَنزِلٌ أُحدثْتَــه رابعــاً مُعْتَزِلاً عـــن عَرْصَـة الدَّارِ
مـــا تَبرحُ الدَّهرَ على سَوْأةٍ تطـــرحُ حَبَّـــاً للخُشْنَشارِ
يا معشَرَ الأَحداثِ يا وَيْحَكم تَعَــوَّذُوا بالخالِـــقِ البارِي
مِن حَرْبَةٍ نِيطَت على حَقْـوِه يَسْمى بهـــا كالبَطَلِ الشّاري
يـــوم تَمنَّـــى أنَّ في كَفِّــه أيْــرَ أَبــي الخِضْرِ بـدِينارِ

قال ابن مَهْرُوَيْه في خبره : والخُشَنْشار هو معاوية الزِّيادي المُحدّث ، ويكنى أبا الخضر ، وكان جميل الوجه .

وقال العنزيّ في حديثه : حدَّثني إسحاقُ بن عبد الله الحمرانيّ ، وقد سألتُه عن معنى هذا الشعر ، فقال : الخُشَنْشار : غُلامٌ أمردُ جميل الوجه كان في محلَّتنا ، وهذا لقبه ، وكان بكر بنُ بكّار يتعشَّقه ، فكان يجيء إلى أبي فيُذاكِره الحديث ويُجالسه وينظر إلى الخُشَنْشار .

قال العنزيّ : حدَّثني عمرُ بن شَبَّة ، قال : بلغني أنَّ عبيد الله بن الحسن لقي ابن مُناذِر فقال له : وَيحك ، ما أردتَ إلى بكر بن بكّار ففضَحْتَه ، وقلت فيه قولاً لعلَّك لم تتحقَّقه ؟ فبدأ ابن مناذر يحلِف له بيمين ما سَمِعْتُ قطّ أغلظ منها ، أنَّ الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كلُّ مَن يعرِف بَكْراً ويعرِف الخُشَنْشار ، ويُجمِع عليه ولا يخالفه فيه . فانصرف عبيد الله مغموماً بذلك قد بان فيه ، فلمّا بعُد عنّا ، قلتُ لابن مُناذِر : برىء اللهُ منك ، وَيْلك ما أَكْذَبك ! أَكُلُّ مَنْ يعرف بكرَ بن بكّار يقول فيه مِثل قولك حتى حلَفْت بهذه اليمين ؟ فقال : سَخِنت عَينُك ، فإذا كنتَ أَعْمى القلب أيّ شيء أَصنع ! أفتراني كنت أُكذِّب نفسي عند القاضي ، إنّما موَّهتُ عليه وحلفت له أن كُلَّ مَن يعرفُهما يقول مثل قولي ، وعنيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قولي : [من السريع]

---

1 تشور : بمعنى خجل .

أعوذُ باللهِ مــن النّارِ

أَفتَعرِف أنتَ أحداً يعرفُهما أو يجهلهُما إلاّ يقول كما قلت : أعوذُ بالله من النار ، إنّما موَّهتُ على القاضي وأردتُ تحقيقَ قولي عنده .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وبكرُ بن بكّار رجلٌ مُحدِّث ، قد روى عن ورْقاء ، عن ابن أبي نُجَيْح تفسير مُجاهِد ، وروى حديثاً صالحاً .

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبي ، قال : حدَّثنا عمرُ بن شبَّة ، قال : حدَّثنا بكر بنُ بكّار عن عبد الله بن المحرز ، عن قتادة ، عن أنس : أنّ النبيّ ﷺ قال : «زيِّنُوا القُرآنَ بأصواتِكم» .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني الأحوص بن الفَضْل البصريّ قال : حدَّثنا ابنُ معاوية الزِّياديّ ، وأبوه الخُشَنْشار الذي يقول فيه ابن مُناذِر :

تَطْـرح حـبّــاً للخُشَنْشار

قال : حدَّثني مَنْ لقي ابنَ مُناذِر بمكّة فقال : ألا تشتاق إلى البصرة ؟ فقال له : أخبرني عن شمس الوزّانين ، أعلى حالها ؟ قال : نعم ، قال : وَثِيق بنُ يوسفَ الثَّقَفيّ حيّ ؟ قال : نعم ، قال : فغسّان بن الفَضْل الغلاّبيّ حيّ ؟ قال : نعم ، قال : لا ، والله لا دخلتها ما بقي فيها واحدٌ من الثلاثة . قال : وشمس الوزّانين في طرف المِرْبد بحضرة مسجد الأنصار في موضع حيطانُه قِصارٌ لا تكاد الشَّمسُ تفارقه .

[هجاء أخي عبد المجيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان محمد بن عبدِ الوهاب الثَّقفيّ أخو عبد المجيد يُعادي محمد بن مُناذر بسبب ميْله إلى أخيه عبد المجيد ، وكان ابن مُناذِر يَهْجوه ويَسُبّه ويقْطَعه ، وكلٌّ واحدٌ منهما يطلُب لصاحبِه المكروه ويسعى عليه . فلَقِي محمد بن عبد الوهّاب ابن مُناذر في مسجد البصرة ، ومعه دفتر فيه كتاب العرُوض بدوائره ، ولم يكن محمد بن عبد الوهّاب يعرِف العَرُوض ، فجَعَل يلحَظ الكِتاب ويَقرؤه فلا يفهمُه ، وابنُ مُناذر مُتغافِلٌ عن فِعْلِه ، ثم قال له : ما في كتابِك هذا ؟ فخبّأه في كُمِّه وقال : وأيُّ شيء عليك ممّا فيه ؟ فتعَلّق به ولَبّبه ؛ فقال له ابن مُناذر : يا أبا الصَّلْت ، اللهَ اللهَ في دمي فطمِع فيه وصاحَ يا زِنْدِيق ، في كُمِّك الزَّنْدَقة . فاجتمع النّاسُ إليه ، فأخرج الدَّفتر من كُمِّه وأراهم إيّاه ، فعرفُوا براءَته ممّا قَذفه به ، ووثَبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفُّوا به ، وانصرَفَ بخِزْيٍ ، وقال ابن مُناذر يهجوه[1] : [من الهزج]

1 في طبقات ابن المعتز أربعة من هذه الأبيات : الأول والثاني وبيتان قبل الأخير .

إذا أنــــتَ تعلَّقْـــتَ بحَبْــلٍ مــن أبي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْـــتَ بحَبْـــلٍ وا هِــنِ القُــوَّةِ مُنْبَتٍّ
إذا مــا بَلَــغ المجـدَ ذَوُو الأحسابِ بــالمَتِّ
تقاصَرْتَ عـــن المَجْـدِ بأمــرٍ رائــبٍ شَخْتِ[1]
فــلا تَسْمو إلى المَجْـدِ فمــا أمــرُك بالثَّبْتِ[2]
ولا فَرعُــك في العِيدا نِ عُــودٌ ناضِرُ النَّبْتِ
ومــا يُبقي لكم يـا قوْ مُ مــن أثْلَتِكم نَحْتي
فهــا فاسْمَع قَرِيضاً من رقيـــقٍ حَسَنِ النَّعْـتِ
يقـــول الحــقَّ إن قــال ولا يرميــك بــالبَهْتِ
وفي نَعْـــتٍ لِوَجْعـــاء قـــد استَرْخَت من الفَتِّ
فعِنْدي لــك يـا مَأْبُو نُ مِثْــلُ الفالجِ البُخْتِي[3]
عُتُـــلٌّ يُعمِـلُ الكُــومَ مــن السَّبْتِ إلى السَّبْتِ
لـــه فَيْشَلَـــةٌ إن أُدْ خِلَـتْ واسعةُ الخَرْتِ[4]
وإلاّ فاطْـلِ وجعـــاءَ كَ بالخَضْخاضِ والزِّفْتِ[5]
ألَــم يبلغْـــك تَسآلي لـــدى العَلاَّمَةِ المَرْتِ[6]
فقــال الشيخُ سَرْجُوَيَــــهُ : داءُ المرء من تَحْتِ
فخُذْ مــن وَرَقِ الدِّفْلى وخُــذ مــن وَرقِ القَتِّ
وخُذْ مــن جَعْرِ كَيْسانٍ ومــن أُظفــارِ نِسَّخْتِ[7]
فغَرْغِــرْه بـــه واسْعَطْ بِـــذا في دائِـــهِ أُفْتي

قال : ونسَّخْت : لقَب أبي عُبَيدة ، وهو اسمٌ من أسماء اليهود ؛ لقِّب به تعريضاً بأنَّ جدَّه

1 الرائب من الأمور : الذي فيه ريبة أو الفاتر . وشخت : دقيق ضامر .
2 في رواية : فما أصلك .
3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . والبخت : الإبل الخراسانية .
4 الخرت : الثقب .
5 الوجعاء : الدبر . والخضخاض : نفط أسود تدهن به الإبل الجربى .
6 المرت : من لا شعر في حاجبيه .
7 الجعر : ما يبس من العذرة .

كان يهوديّاً ، وكان أبو عُبيدة وسِخاً طويل الأظفار أبداً والشَّعر ، وكان يَغضَب من هذا اللَّقب .

فأخبرني الحسنُ بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : لمّا قال ابن مُناذِر هذه الأبيات : [من الهزج]

إذا أنـــت تَعلَّقْـتَ بحَبْلٍ مـن أبي الصَّلْتِ
تَعلَّقْـتَ بحبْـلٍ وا هِـنِ القُـوَّةِ مُنْبَتِّ
وقال الشيخُ سَرْجُويـ ـهُ : داءُ المَرْءِ من تَحْتِ

فبلغ ذلك سَرْجُويه ، فجاء إلى محمد بن عبد الوهّاب ، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه ، فسلَّم عليه وكان أعْجَميّاً لا يفصح ، ثم قال له : «بركست كمَن كفتم أن كسر مناذر كفت : داء المرء من تحت[1] ، فكاد القوم أن يَفتَضِحوا من الضَّحك ، وصاح به محمد : اعزُب قبَّحَك الله ! فظَنَّ أنّه لم يقبل عُذْرَه ، فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذاك ، ومحمد يَصيح به : ويلك اعزبْ عنّي ، وهو في الموتِ منه ، وكلّما زادَه من الصّياح إليه زادَه في العُذْرِ واجتهَد في الأيمان ؛ وضحك الناس حتى غُلِبوا ، وقام محمد خَجِلاً فدخَل منزِلَه وتفرَّقوا .

قال أبو الحَسَن النّوفليّ : ثم مَضى لذلك زمانٌ ، وهجا أبو نَعامة أبا عبد الله هَرِيسَة الكاتب فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ورَوى شَيـخُ تَميـمٍ خالــــدٌ أنَّ هَرِيسَهْ
يُدْخِلُ الأصلعَ ذا الخُرْ جَيْن في جَوْفِ الكَنِيسَهْ

فلَقِي خالدُ بنُ الصّبّاح هذا هريسةَ ، وكان يُعاديه ، وأراد أن يُخْجِله ، فحَلَف له مجتهداً أنّه لم يقُل فيه ما قاله أبو نعامة ، فقال هريسَة : يا بارد ! لم تُرِد أن تَعْتَذِر ، إنّما أردتَ أن تَتشبَّه بابنِ مُناذِر ومحمد بن عبد الوهّاب ، وبأبي الشَّمَقْمَق وأحمد بن المعذّل ، ولست من هؤلاء في شيء .

[ضرير وأخرس]

قرأتُ في بعض الكُتُب عن ابن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أبو الخطَّاب الحسن بن محمد ، عن محمد بن إسحاق البَلْخيّ ، قال : دخلتُ على ابنِ مُناذِر يوماً وعنده رجلٌ ضريرٌ جالسٌ عن يمينه ، ورجل بَصيرٌ جالسٌ عن شماله ساكِتٌ لا يَنْطِق . قال : فقلت له : ما خبرك ؟ فقال : [من الخفيف]

---

1 يريد أن ما نسبه إليه ابن مناذر غير صحيح .

يين أَعْمى وأَخرَسٍ أَخْرَس اللـ ـه لسانَ الأَعمى وأَعْمى البَصِيرا

قال : فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه .

[مع سفيان بن عيينة]

ونسختُ من كِتاب ابن أَبي الدُّنيا : حدَّثني أَبو محمد التَّميميّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله ، عن الحسن بن عليّ ، قال : كنَّا عند باب سُفيان بن عُيَيْنة وقد هرب منّا ، وعنده الحسن بن عليّ التَّخْتاخ[1] ، ورجلٌ من الحجَبة ، ورجل من أُصحاب الرشيد ، فدخل بهم وليس يأْذَن لنا ؛ فجاء ابن مُناذِرٍ فقَرُب من الباب ، ثم رَفَع صوته فقال : [من الطويل]

بعَمْرٍو وبالزُّهْريّ والسَّلَفِ الأُولى بهم ثَبَتَتْ رِجْـلاك عند المَقاوِمِ

جعلتَ طَوالَ الدَّهْرِ يَوْماً لصالِحٍ ويوْمـاً لصبَّاحٍ ويومـاً لحاتِمِ

وللحسَنِ التَّخْتاخ يومـاً ودونهم خَصصتَ حُسَيْناً دُونَ أَهل المواسمِ

نظرتُ وطالَ الفِكْرُ فيكَ فلم أَجِد رَحاك جَرَت إلاّ لأَخْذِ الدَّراهمِ

فخرج سُفيان وفي يدِه عَصاً وصاح : خُذُوا الفاسِق ، فهَرَب ابنُ مُناذر منه ، وأُذِنَ لنا فدَخلنا .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أَبو بكر المُؤدِّب ، قال : حدّثني محمد بن قُدامة ، قال : سمعتُ سُفيانَ بن عُيَيْنة يقول لابن مُناذر : يا أَبا عبد الله ، ما بَقِيَ أَحدٌ أَخافُه غيرَك ، وكأنّي بك قد مِتُّ فرثَيْتَني ، فلمّا مات سُفيان بن عُيَيْنة ، قال ابن مُناذِر يَرْثيه : [من السريع]

راحـوا بسُفيانَ عـلى نَعْشِهِ والعِلْـمِ مَكسُوَّيْـن أَكْفانا

إنّ الـذي غُـودِرَ بالمُنْحَنى هَـدَّ مـن الإسلامِ أَركانا

لا يُبعِدَنْـكَ اللهُ مـن مَيِّتٍ وَرَّثَنـا عِلْمـاً وأَحـزانا

أُخبرني أَحمد بن عُبَيْد الله بن عمَّار ، قال : حدَّثني أَحمد بن سُلَيْمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثني شيخٌ من أَهل الكوفة يقال له عوّام ، قال : سمِعتُ سُفيانَ بن عُيينة وقد تكلّم بكلام استُحسِن ، فسأَله محمد بن مُناذر أَن يمليَه عليه ، فتبَسَّم سُفيانُ وقال له : هذا كلام سَمِعتُك تتكلَّم به فاستحْسَنْتُه فكتَبْتُه عنك ، قال : وعلى ذلك أُحِبّ أن تُمليه عليّ ، فإنّي إذا رَوَيْتُه عنك كان أَنفقَ له من أن أنسبه إلى نفسي .

1 التختاخ : الألكن .

قال عوّام : وأنشدني ابنُ عائشة لابن مُناذر يَرثي سفيان بن عُيَيْنة بقوله[1] : [من السريع]

يَجْنِـــي مــن الحِكْمة نُوّارَها مــا تَشْتهــي الأَنفُسُ أَلــوانا
يــا واحــدَ الأُمَّة في عِلْمِـهِ لَقِيتَ مــن ذي العَرْشِ غُفرانا
راحــوا بسُفْيانَ على نَعْشِهِ والعلــمِ مَكْسُوَّيــن أَكفانا[2]

[عودة إلى المجون بعد عبد المجيد الثقفيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر الحَنفيّ ، قال : لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهّاب ، خَرجَ ابنُ مُناذر إلى مكَّة ، وترَك النُّسْك وعاد للمُجونِ والخَلْع ، وقال في هذا المعنى شِعْراً كثيراً ، حتى كان إذا مَدَح أو فَخر ، لم يجعل افتِتاح شعره ومَباديه إلاّ المُجون ، وحتى قال في مَدحه للرَّشيد[3] : [من المنسرح]

هل عندكم رُخْصةٌ عن الحسن البـ ـصْريّ في العِشْقِ وابنِ سِيرِينا ![4]
إنَّ سَفاهاً بـذي الجَلالَة والشَّيْـ ـبة أَلاّ يـــزالَ مَفْتونـــا

وقال أَيضاً في هذا المعنى[5] : [من الهزج]

أَلا يــا قمــر المَسْجـ ـد هل عندَك تَنْوِيلُ !
شِفائــي منــك ، إن نَـوَّلْتنــي ، شَمٌّ وتَقْبِيلُ
سَلا كُــلُّ فُــؤادٍ و فُــؤادي بــك مَشْغولُ
لقـد حُمِّلت مـن حُبِّـ ـك ما لا يَحمِل الفِيلُ

[بينه وبين يونس النحوي]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا العبّاس بن الفضل الربعيّ ، قال : حدّثني التّوّزيّ ، قال : قال ابنُ مناذر ليُونُس النحويّ يُعرّض به : أخبرني عن جُبّل أتنصَرِف أم لا ! وكان يونُس من أهلها ، فقال له : قد عرفتُ ما أردتَ يا ابن الزّانية . فانصرفَ ابنُ مُناذر : فأعَدَّ شُهوداً يَشْهَدون عليه بذلك ، وصار إليه وسأله ، هل تنصرف جُبّل ؟ وعَلِم يونُس ما أراد ، فقال له : الجوابُ ما سَمِعْتَه أمس .

1 الأبيات، بهذا الترتيب في معجم الأدباء : 2651 .
2 على نعشه في معجم الأدباء : على عرشه .
3 البيتان في الشعر والشعراء : 747 وطبقات ابن المعتز : 121 .
4 الطبقات : هل عندكم . . . تروى أو ابن سيرينا .
5 الأبيات، في الشعر والشعراء : 748 وطبقات ابن المعتز : 121 .

[خبره مع حجّاج الصواف]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل ، قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدَّثني إسحاق بن عَمْرو السَّعديّ ، قال : حدَّثني الحجّاج الصَّوَّاف . وأخبرني الحسن بن عليّ أيضاً ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني إسحاق بن محمد ، قال : حدَّثني أُمَيَّة بن أبي مروان ، قال : حدَّثني حجّاج الصَّوّاف الأعور ، قال[1] : خرجت إلى مكّة فكان هِجِّيراي في الطريق ابن مُناذِر ، وكان لي إلْفاً وخِدْناً وصدِيقاً . فدَخَلْتُ مكّة فسأَلتُ عنه ، فقالوا : لا يَبْرَح المسْجد ، فدخَلْت المسجد فالتَمسْتُه فوجدته بفِناء زَمْزَم ، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشُّعراء يَكتُبون عنه ؛ فسلَّمت وأنا أُقدِّر أن يكون عنده من الشَّوق إليَّ مثلُ ما عندي ، فرفَع رأسَه فردَّ السَّلام ردّاً ضعيفاً ، ثم رجع إلى القوم يُحدِّثُهم ولم يَحْفَل بي . فقلتُ في نفسي : أتراه ذهبتْ عنه مَعْرِفتي ! فبَيْنا أنا أُفكِّر إذ طلع أبو الصَّلْت بن عبد الوهّاب الثقفيّ من باب بني شَيْبة داخلاً المسْجد ، فرفع رأسه فنظر إليه ، ثم أقبل عليَّ فقال : أتعرِف هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذي يقول فيه مَنْ قَطَعَ اللهُ لِسانه : [من الهزج]

إذا أنــتَ تعلَّـقْـتَ بِحَبْلٍ مـن أَبي الصَّلْتِ
تَعلَّقـتَ بِحَبْـل وا هِـنِ القُـوَّةِ مُنْبَتِّ

قال : فتغافل عنّي ، وأقبل عليهم ساعة ، ثم أقبل عليّ فقال : من أيِّ البِلادِ أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : وأين تنزل منها ؟ قلت : بحضرة بني عائش الصَّوّافين ، قال : أتعرِفُ هناك ابنَ زانية يقال له : حجّاج الصَّوّاف ؟ قلت : نَعَم تركته يَنِيكُ أُمَّ ابنِ زانيةٍ يقال له : ابنُ مُناذِرِ ، فضَحِكَ وقام إليَّ فعانَقَني .

قال مؤلّف هذا الكِتاب : ولابن مُناذِر هجاءٌ في حجّاج الصَّوَّاف على سبيل العَبَث ، وهو قولُه : [من المنسرح]

إنَّ ادِّعــاءَ الحَجَّــاجِ في العَرَبِ عنْــدَ ثَقِيفٍ من أعْجَب العَجَبِ
وهـــو ابنُ زانٍ لألــف زانِيـةٍ وألـف عِلْــجٍ مُعَلْهَجِ النَّسَبِ[2]
ولــو دَعـــاهُ داعٍ فقال له : يــا ألأم النَّاسِ كلِّهــم أجِبِ
إذاً لقالَ الحجَّـــاج : لبَّيْك مِـنْ داعٍ دَعـاني بالحـقِّ لا الكَذِبِ

1 الخبر والشعر في طبقات ابن المعتز : 119 .
2 النسب في ل : الحسب . والمعلهج : الهجين .

رلــو دَعــاه داعٍ فقــال لــه : مَن المُعَلَّى في اللؤمِ ؟ قــال : أبي
أبـــوه زانٍ والأمُّ زانيـــــةٌ بنتُ زُنــاةٍ مَهْتُوكَةُ الحُجُبِ
تَقــول : عَجِّــلْ أدْخِلْ ، لِنائِكها اترُكْه في اسْتي إن شئْتَ أو رَكَبِي
مَــنْ ناكَنِــي فيهما فأَوْسَعَني رَهْــزاً دِراكاً أعطيتُــه سَلَبي
هَمُّ حِـرِي النَّيْكُ فابتَغوا لِحِري أَيْرَ حِمــارٍ أقضي بــه أرَبي
أُحِـبُّ أَيْــرَ الحِمــار وا بِأَبي فَيْشةُ أَيْــرِ الحِمـــار وابــأبي
إذا رأَتْـــه قالــت : فديتُك يــا قُــرَّة عَيْنِــي ومُنْتَهــى طَلَبي
إذا سَمِعتُ النَّهِيقَ هــاج حِرِي شَوْقاً إليــه وهــاج لي طَرَبي
يأخُـــذُني في أسافلي وحِـــرِي مِثلُ اضْطرام الحريـقِ في الحَطَبِ
شَكَــتْ إلى نِسْوة فقُلــن لهــا وهي تنادي بالوَيْـلِ والحَرَبِ :
كُفّي قَليلاً ، قالت : وكَيْفَ وبي في جَوفِ صَدْعي كَحِكَّة الجَرَبِ
أرى أيورَ الرِّجــال مــن عَصَبٍ ليتَ أيورَ الرِّجــال من خَشَبِ

[يهرب من البصرة لهجاء إسكاف]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد الرَّازيُّ أبو عبد الله ، قال : حدَّثني أبو بجير ، قال : كان ابن مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبَصرة ، فلا يزال يهجوه بالأبيات فيصيح من ذلك ويقول له : أنا صديقُك فاتّقِ اللهَ وأبْقِ على الصَّداقةِ وابن مناذر يُلِحُّ . فقال الإسكاف : فإنّي أستعِينُ اللهَ عليكَ وأتعاطى الشعر ، فلمّا أصبحَ غدا عليه ابن مُناذِرٍ كما كان يفعل ، فأخذ يَعْبَث به ويهجوه ، فقال الإسكاف : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَــلَّ عَديــدُه ورمــى القَضاء بــه فِراشَ مُناذِرِ
عبدَ الصُّبَيْرِيِّــين لم تَــكُ شاعِراً كيف ادَّعيتَ اليومَ نِسْبَة شاعِرِ !

فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤه ، وجعلوا يتناشَدُونَهما إذا رأَوْه ، فخرج من البصرة إلى مكّة وجاور بها ، فكان هذا سبب هربَه من البصرة .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، عن أبي حاتم ، قال : قال ابن مناذر : ما مرَّ بي شيء قطّ أشدَّ عليّ ممَّا مرَّ من قول أبي العَسْعاسِ فِيَّ : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَــلَّ عَديدُه ورَمى القَضاءُ به فِراشَ مُناذِرِ

انظُر بكَم صِنْفٍ قد هجاني في هذا البيت قبَّحه الله ، ثم مَنَعني من مكافأته أنّي لم أجِد له نَباهة فأغُضَّها ، ولا شرفاً فأاهدِمَه ، ولا قَدْراً فأضَعَه .

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني الكُرانيّ ، قال : حدَّثني بِشْر بن دِحْيَةَ الزِّياديُّ أبو معاوية قال : سمعتُ ابن مُنـاذِر يقـول : إنَّ الشِّعرَ ليَسْهُل عَلَيَّ حتى لو شِئْتُ ألاَّ أتكلَّم إلاّ بشِعْرٍ لفَعلت .

[برد شعره]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن ميمون طايع ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا ، قال : رأيتُ ابنَ مناذر بمكّة وهو يتوكّأ على رجُل يمشي معه ويُنشد : [من مجزوء الوافر]

إذا مـا كِدْتُ أَشْكُوها إلى قَلْبـي ، لهـا شَفَعا
ففـــرَّق بيننــا دَهْـــرٌ يُفـرِّق بـين مـا اجْتَمَعا

فقلت : إنَّ هذا لا يُشبِه شِعْرك ، فقال : إنّ شِعْري بَرَد بعدك .

[يذمّ امرأة محمد بن عبد الوهاب]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا بعضُ أصحابنا أنَّ محمد بن عبد الوهّاب الثَّقَفيّ تزوَّج امرأةً من ثقيف يقال لها عمَّارة ، وكان ابنُ مُناذر يُعاديه ، فقال في ذلك : [من السريع]

لَمّـا رأيـتُ القَصْفَ والشّارَهْ والبَزَّ قـد ضاقَتْ بـه الحارَهْ
والآسَ والرَّيحـانَ يُرْمى بـهِ مـن فَوق ذي الدَّارَةِ والدَّارَهْ
قُلتُ : لِمَنْ ذا ؟ قِيلَ : أُعجوبةٌ مُحَمَّـــدٌ زُوِّج عَمَّـــارَهْ
لا عَمَّـــر اللهُ بهـــا رَبْعَـه فـإنَّ عَمَّـارَةَ بَـــدْكارَهْ[1]
وَيْحَكِ فِرِّي واعصِبي فاكِ لي فهـــذه أُختُــكِ فَـــرَّارَهْ

قال : فوالله ما لَبِثتْ عنده إلاّ مُدَيْدة حتى هربت ، وكانت لها أُختٌ قبلها متزوِّجة إلى بعض أهل البصرة ففركَتْه وهربت منه ، فكانوا يعجبون من موافقةِ فِعْلِها قول ابن مُناذِر .

[فشل مع خالد أبي أمية]

قـال أبـو أيُّوب : وحُدِّثْـت أنّ أبا أُميّة واسمه خالـد ، وهو الذي يقول فيه أبو نـواس[2] : [من الخفيف]

---

1 بدكاره : بنت زنا بالفارسية .

2 لم نعثر عليهما في ديوانه (الغزالي) .

أيّها المُقْبِلان من حَكَمان ... كيف خلَّفتما أبا عُثْمانِ ؟
وأبا أُمَيَّة المُهَذَّب والما ... جِد والمُرْتَجى لرَيْبِ الزَّمانِ

كان خطب امرأة من ثَقيف ، ثم من ولد عُثمان بن أبي العاصي ، فردَّ عنها ، وتصدَّى للقاضي أن يُضَمِّنَه مالاً من أموال اليتامى ، فلم يُجِبه إلى ذلك ، ولم يَثِق به ، فقال فيه ابنُ مناذر : [من البسيط]

أبا أُميَّة لا تَغْضَبْ عليَّ فَما ... جَزاءُ ما كان فيما بيننا الغَضَبُ
إن كانَ رَدَّك قَومٌ عن فَتاتِهِمُ ... ففي كَثير من الخُطّابِ قد رَغِبُوا
قالوا عَلَيْكَ دُيونٌ ما تَقومُ بها ... في كلِّ عام بها تُسْتَحْدَثُ الكُتُبُ
وقد تَقَحَّم من خَمْسِينَ غايَتُها ... معْ أنّه ذو عيالٍ بَعْدَ ما انْشَعَبُوا
وفي التي فَعَل القاضي فلا تَجِدَنْ ... فلَيْس في تلك لي ذَنْبٌ ولا ذَنَبُ
أردتَ أموالَ أيتام تُضَمِّنُها ... وما يُضَمَّن إلاَّ مَنْ له نَشَبُ

[هجاء ابن دأب]

أخبَرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حَدَّثني أحمدُ بن زهير ، قال : سمعت إبراهيم بن المُنذر الخزاميّ يقول : بلغَ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأب قولٌ قبيحٌ ، قال : فدعاني ، وقال : اكتب : [من الوافر]

فمَن يَبْغِ الوَصاةَ فإنَّ عِنْدي ... وَصاةً للكُهولِ وللشَّبابِ
خُذُوا عَنْ مالِكٍ وعن ابْنِ عَوْنٍ ... ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دابِ
ترى الغاوِين يَتَّبِعون منها ... ملاهِيَ من أحاديثٍ كِذابِ
إذا التُمِسَتْ مَنافِعُها اضمَحَلَّتْ ... كما يَرْفَضُّ رَقْراقُ السَّحابِ

قال : فرُوِيَتْ ، وافْتضَح بها ابنُ دأب . قال الخزاميّ : فلمّا قَدِمْت العراقَ وجدتُهم قد جعلوها : [من الوافر]

خُذُوا عن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْن

[رثاء الرشيد]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا أبو حاتِم ، قال : كان الرَّشيد قد وصل ابن مُناذر مرَّاتٍ صِلاتٍ سنيَّةً ، فلمّا مات الرَّشيد رثاه ابنُ مُناذِر فقال : [من مجزوء الكامل]

مَنْ كان يَبْكِي للعُلا ... مَلِكاً وللهِمَمِ الشَّريفَهْ

فلْيَبْكِ هـارونَ الخَلِيـ ـفَةَ للخَلِيفَـة والخَلِيفَهْ

[هجاء صديقه من بني طليق]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حَدَّثَنا أحمدُ بن أَبي خَيْثَمة ، عن محمد بن سَلاَّم قال : كان محمد بن طَلِيق وسائر بني طليق أصدقاء لابنِ مُناذر ، فلمّا وَلِي المَهديُّ الخلافةَ اسْتَقْضى خالِدَ بنَ طَلِيق ، وعَزل عُبيد الله بنَ الحسن بن الحرّ ، فقال ابن مُناذر يَهْجو خالداً مُجوناً وخُبْثاً منه[1] : [من مجزوء الرمل]

أَصبـح الحاكِمُ يا لَلنّـ ـاسِ مـن آلِ طَلِيقِ
جالِساً يَحْكُـم في النّا سِ بحُكـم الجاثَلِيقِ[2]
يـدع القَصْدَ ويَهْـوي في بُنَيّـاتِ الطَّرِيقِ[3]
يا أَبـا الهَيْثَمِ مـا كنـ ـتَ لهـذا بخَلِيقِ
لا ولا كنتَ لمـا حُمِّلـ ـتَ منـه بمُطيقِ
حَبْلُـه حَبْـلُ غـرورٍ عنـده غيـرُ وَثيقِ

قال ابن سلاّم : فقلتُ لابن مُناذِر : ويْحك إذا بلغ إخوانَك وأصدقاءَك من آل طَلِيق أنَّكَ هجوْتَهُم ما يقولون لك ؟ وبأيِّ شيء تعتذِر إليهم ؟ فقال : لا يُصدِّقون إذا بلغهم أنِّي هجوْتُهم بذلك ؛ لأنّهم يَثِقُون بي .

[عاده بنو مخزوم فمدحهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيْل ، عن مسعود بن بِشْر ، قال : حدَّثنا محمد بن مُناذر ، قال : كنتُ بمكّة فاشتكيتُ ، فلم يَعُدْني من قريش إلاّ بنو مَخْزوم وحدهم ، فقلتُ أمدَحُهم : [من المنسرح]

جاءت قُرَيشٌ تَعودُني زُمَـراً فقد وَعـى أَجرَها لها الحَفَظَهْ
ولم تَعُـدْني تَيْـمٌ وإخوتُها وزارَنـي الغُرُّ مـن بني يَقَظَهْ
لن يَبْرحَ العِـزُّ منهـمُ أبداً حتى تَزُولَ الجِبالُ من قُرَظَهْ[4]

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذا الشعر هي : الأول والثاني والرابع والخامس مع إضافة بيت ليس هنا : أي قاض أنت للنقض وتعطيل الحقوق
2 الشعر والشعراء والطبقات : ضحكة يحكم . . . . برأي الجاثليق . والجاثليق : رئيس الأساقفة .
3 بنيات الطريق : كناية عن الترهات .
4 قرظه · واد بين اليمن ونجد .

[ابن عائشة وداليته في عبد المجيد]

أخبرني الحسن ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن إسحاقَ بنِ محمد النخعيّ ، قال : كنّا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه : أنشدني مرثِيةَ ابنِ مُناذر في عبد المجيد فجَعَل يُنشِدُها فكُلَّما أتى على بيت استَحْسَنه ، حتى أتى على هذا البيت : [من الخفيف]

لأقِيمَنَّ مأْتَماً كَنُجُومِ اللَّيْلِ   زُهْراً يَخمِشْن حُرَّ الخُدودِ

فقال ابن عائشة : هذا كلام لَيِّن كأنّه من كلام المُخَنَّثِين ، فلمّا أتى على هذا البيت : [من الخفيف]

كُنتَ لِي عِصْمةً وكُنتَ سماءً   بك تَحْيا أرضي ويَخْضرُّ عُودي

فقال : هذا بَيْتُها ، ثم أنشد : [من الخفيف]

إنَّ عبدَ المَجيدِ يوم تَوَلَّى   هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ
ما دَرى نَعشُه ولا حامِلُوه   ما عَلى النَّعشِ من عَفافٍ وجُودِ
وأرانا كالزَّرعِ يَحصُدُنا الدَّهْـ   ـر فمِن بَيْنِ قائمٍ وحَصِيدِ

فقال ابن عائشة : أجعله زرعاً يحصدنا الله ؟ فليس هذا من كلام المسلمين ، ألا تَرى إلى قوله : إنَّه يقول : [من الخفيف]

يَحكُمُ اللهُ ما يشاءُ فَيُمْضي   ليس حُكْمُ الإله بالمَرْدودِ

[رثاء البرامكة وغضب الرشيد عليه]

أخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن مُوسى ، ولم يتجاوزه بالإسناد .

ونَسخْتُ هذا الخبرَ من كتاب ابن أبي مَرْيم الحاسب : حدَّثني ابنُ القدّاح ، وعبدُ الله بن إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ ، قالا : حدَّثنا ابن مُناذِر ، قال : حجَّ الرَّشيدُ بعد إيقاعه بالبرامكة وحجَّ معه الفضل بن الرّبيع ، وكنتُ مُضيَّقاً مُملِقاً ؛ فهيَّأْتُ فيه قولاً أجدتُ تَنمِيقَه وتنوَّقتُ فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التَّرْوِية وإذا هو يسأل عنّي ويطلُبني . فبدَرني الفضلُ بن الرَّبيع قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا شاعرُ البرامكة ومادحهم ؛ وقد كان البِشْر ظهر لي في وجهه لّما دخلتُ ، فتنكَّر وعبس في وجهي ، فقال الفَضْلُ : مُرْه يا أمير المؤمنين أن يُنْشِدك قوله فيهم :

أتانا بَنُو الأَملاكِ من آلِ بَرْمك

فقال لي : أنشِد ، فأَبيتُ ، فتوعَّدَني وأَكرهَني ، فأَنشدته[1] : [من الطويل]

أَتانـا بَنو الأَملاكِ مـن آلِ بَرْمَكٍ ... فيا طيبَ أَخبارٍ ويا حُسْنَ مَنْظَرِ
إذا ورَدوا بطحاء مكّـةَ أَشرقت ... بيَحْيى وبالفضلِ بن يحيى وجَعْفَرِ[2]
فتُظلِمُ بَغدادٌ ويَجْلُـو لنا الدُّجى ... بمكّـةَ مـا حجّوا ثلاثـةُ أَقْمُرِ[3]
فما صلَحت إلاّ لِجُـودٍ أَكُفُّهم ... وأَرجلُهـم إلاّ لأَعـوادِ مِنْبَرِ[4]
إذا راضَ يحيى الأَمرَ ذَلَّتْ صِعابُه ... وحَسبُكَ مِـنْ راعٍ لـه ومُدَبِّرِ[5]
تَرى الناسَ إجلالاً لـه وكأَنّهم ... غرانِيقُ ماءٍ تحت بـازٍ مُصَرْصِرِ[6]

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءكَ يا أميرَ المؤمنين أيّامَ مدَحْتُهم ، وفي طاعتك لم يلْحقهم سُخطُك ولم تَحلُل بهم نِقْمتُك ، ولم أكُن في ذلك مبتدِعاً ، ولا خَلا أحدٌ من نُظَرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلَّني فضلُهم ، وأغناني رِفدُهم فأَثنيتُ بما أُوْلَوا ، فقال : يا غلام ، الطُمْ وجهَه ، فلُطِمْـتُ والله حتـى سَدِرتُ[7] وأُظلم ما كان بيني وبين أهـل المجلس . ثـم قـال : اسحبوه على وجهه ، ثم قال : والله لأحرمَنَّك ولا تركـتُ أحـداً يعطيك شيئاً في هذا العام . فسُحِبت حتى أُخرِجت ، وانصرفتُ وأنا أسوأ الناسِ حـالاً في نفسي وحالي وما جرى عليَّ ، ولا واللهِ ما عندي ما يُقيم يومئذٍ قُوتَ عِيالي لعيدهم ؛ فإذا بشابٍّ قد وقف عليَّ ، ثم قال : أعزِزْ عليَّ واللهِ يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودفع إليَّ صُرَّةً وقال : تَبَلَّغْ بما في هذه ، فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار ، قال الصوليُّ في خبره : فإذا هي ثلاثمائة دينار ، فقلت له : مَن أنتَ جعلني الله فداءك ! قال : أنا أخوك أبو نُواس ، فاستعِن بهـذه الدنانير واعذِرْني ، فقَبِلتُها ، وقلت : وصلَك اللهُ يا أخي وأحسنَ جزاءَك .

[جعفر يكافئه على القراءة]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسَن الرَّبيعيّ ،

---

1 في معجم الأدباء ثلاثة أبيات منها : 3 ، 2 ، 4 . وفي طبقات ابن المعتز أربعة أبيات : 1 ، 3 ، 4 ، 5 . وبعد الأول بيت آخر :

لهـم رحلـة في كل عام إلى العدا ... وأخرى إلى البيت العتيق المستر

2 الطبقات : إذا نزلوا . . .

3 معجم الأدباء : ستظلم بغداد . . . ثلاثة أبحر .

4 الطبقات ومعجم الأدباء : فما خلقت . . . وفي الطبقات : أقدامهم بدل أرجلهم .

5 الطبقات : إذا رام . . . . وناهيك . . . .

6 الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائي . ومصرصر : مصوت .

7 سدرت : تحيرت .

قال : حدَّثنا أبو مُعاوية الغلابيّ ، قال : قال سُفْيان بن عُيَيْنة : كلَّمني ابنُ مُناذِر في أن أُكلِّم له جعفرَ بن يحيى ، فكلَّمتُه له ، وقد كان ابنُ مُناذِر ترك الشِّعر ، فقال : إن أحبّ أن يعود إلى الشِّعر أعطيتُه خمسين ألفاً ، وإن أحبَّ أن أُعطِيَه على القراءة أعطيتُه عشرة آلاف ، فذكرتُ ذلك له ، فقال لي : خُذْ لي على القراءة ، فإنّي لا آخذ على الشِّعر وقد تركتُه .

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ ، عن الرِّياشيّ ، قال : قال العُتبيُّ : جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَن قائِلُها ، فقال ابنُ مناذر : [من الرمل]

هَـذِهِ الدَّهْماءُ تَجري فِيكمُ ... أُرْسِلَتْ عَمْـداً تَجُـرُّ الرَّسَنا

[ألفة الرشيد ويحيى]

قال الكُرَّانيّ : وحدَّثني الرِّياشيّ قال : سمعت خَلَف بن خليفة يقول : قال لي ابنُ مُناذِر : قال لي جعفرُ بن يحيى : قُلْ فيّ وفي الرّشيد شعراً تَصِف فيه الأُلفة بيننا فقلت : [من الكامل]

قد تُقطَع الرَّحِمُ القريبُ وتُكفَر النُّعمى ... ولا كتَقـارُبِ القَلْبَـين

يُدْني الهَـوى هـذا ويُدْني ذا الهَوى ... فإذا هُمـا نَفْسٌ تُـرى نَفْسَيْنِ

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هذا أخذه من كلام رسول الله ﷺ نَقْلاً ؛ فإن ابن عُيَيْنَة روى عن إبراهيم بن مَيْسرَة ، عن طاوس ، عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال : «إنّ الرّحم تُقْطَع ، وإنّ النّعم تكفَر ، ولن تُرى مثلَ تقاربِ القلوب» .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا العبّاس بن ميْمُون ، قال : حدَّثنا سليمان الشّاذكونيّ قال : كنّا عند سُفْيان بن عُيَيْنة ، فحدَّث عن ابن أبي نُجيح ، عن مُجاهد ، في قوله عزّ وجلّ : ﴿قالوا سَلاماً﴾[1] قالوا سَداداً ، قال : فقال ابن مُناذِر وهو إلى جَنْبي : التنزيلُ أبينُ من التفسير .

[شعره وشعر أبي حيّة النميريّ]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن أبي حاتم ، عن العُتْبيّ ، عن أبي مَعْبد قال : مرَّ بنا أبو حيَّة النُّميريّ ونحن عند ابن مُناذِر ، فقال لنا : عَلامَ اجتمعتم ؟ فقلنا : هذا شاعر المِصْر ، فقال له : أنشدني ، فأنشده ابنُ مُناذر ، فلمّا فرغ ، قال له أبو حَيَّة : ألم أقل لك : أنشدني ؟ فقال له : أنشدنا أنتَ يا أبا حَيَّة ، فأنشدهم قوله : [من الطويل]

ألا حَـيَّ من أجْلِ الحَبيبِ المَغانِيا ... لَبِسْنَ البِـلى مِمّا لَبِسْنَ اللَّيالِيا

إذا مـا تَقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تَقاضاه شيء لا يَمـلُّ التَّقاضِيا

فلمّا فرغ ، قال له ابن مُناذِر : ما أرى في شعرك شيئاً يُستَحْسن ، فقال له : ما في شِعْري

1 سورة الذاريات ، الآية : 25 . سورة هود ، الآية : 69 .

شيءٌ يُعاب إلاّ استماعك إيّاه ، فكادا أن يتواثبا ، ثم افترقا .

[هجاء قاضي البصرة وأميرها]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني الكُرّانيّ ، عن ابن عائشة قال : وليَ خالدُ بن طليق القضاء بالبصرة ، وعيسى بنُ سُليمان الإمارة بها ، فقال محمد بنُ مناذِر يهجوهما بقوله : [من السريع]

الحمدُ لله على ما أرى خالدٌ القاضي وعيسى أميرْ

لكنّ عيسى نوكُه ساعة ونوكُ هذا مَنْجَنُونٌ يَدُورْ[1]

[شيروَيه عبد إن غضبنا وإن رضينا]

وقال في شيرَوَيْه الزِّيادِيّ ، وشيرَوَيْه لقب ، واسمه أحمد ، وسأله حاجةً ، فأبى أن يقضيَها إلاَّ على أن يمدحَه : [من الخفيف]

يا سَميَّ النَّبيِّ بالعَرَبِيَّهْ وسَمِيَّ اللُّيُوثِ بالفارِسِيَّهْ

إن غَضِبْنا فأَنْتَ عَبْدُ ثَقِيفٍ أَو رَضِينا فأنتَ عبدُ أُمَيَّهْ

فغضب شيرَوَيْه وجعل يَشتُمه ، وشاع الشِّعرُ بالبصرة ، فكان بعد ذلك إذا قيل لِشيرَوَيْه : ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض ، يَشتُم مَنْ يقول له ذلك .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أخبرني الحسَنُ بنُ القاسم الكوكبيّ قال : حدَّثنا ابنُ أبي الدنيا قال : سمعتُ محمد بن قُدامة الجوهريّ يقول : سمعتُ سُفيان بن عُيَيْنة يقول لمحمد بن مُناذِر : كأنَّك بي قد مِتُّ فرَثَيْتَني ، فلمّا مات ، قال ابنُ مُناذِر يرثيه[2] : [من السريع]

إنَّ الذي غُودِرَ بالمُنْحَنى هَدَّ من الإسلامِ أَرْكانا

راحوا بسُفيانَ على نَعْشِهِ والعِلمِ مَكسُوَّيْنِ أكفانا

لا يُبعِدَنْك اللهُ من هالِكٍ وَرَّثتَنا عِلْماً وأحزانا

[ابن مُناذِر اللغويّ]

أُخبرنا عمِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاريّ ، قال : حدَّثنا سُفيان قال : سَمِعتُ أعرابيّةً تقول : مَنْ يشتري منّي الحَزاة ؟ فقلت لها : وما الحَزاة ؟ قالت : تشترِيها النِّساء للطَّشَّة والخافِية والإقلات . قال عبد الله بنُ مروان : فسألتُ ابنَ مُناذر عن تفسير ذلك ، فقال : الطَّشَّة : وجع يصيب الصِّبيان في

1 النوك : الحمق . والمنجنون : الدولاب .

2 تقدمت هذه الأبيات مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

رؤوسهم كالزُّكام . والخافِية : ما خَفِي من العِلَلِ المنسوبة إلى أذى الجنّ . والإقلاتُ : قِلّة الولد . وأنشدني ابن مُناذِر بعَقِب ذلك[1] : [من الوافر]

بُغـاثُ الطَّيْرِ أكثرُهـا فِراخاً   وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْـلاتٌ نَـزُورُ

أي قليلة الفِراخ .

أخبرني محمد بنُ الحسَن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثني أبو حاتِم ، قال : سمعتُ محمد بن مُناذِر يقول : العذراءُ : البتولُ ، والبَتُورُ والبَتيلُ واحد ، وهي المنقَطِعة إلى ربِّها .

قال : وسأله ، يعني ابن مُناذر ، أبو هُرَيرة الصَّيْرفيّ بحضْرتي فقال : كيف تَقول : أمّا لا أو إمّا لا ؟ فقال له مُستَهْزِئاً به : أمّا لا[2] ، ثم التفت إليَّ فقال أسمعتَ أعجبَ من هذه المسألة ؟

أخبرني الحسَن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني العبّاس بنُ الفضل الرَّبعيّ قال : حدَّثنا التَّوَّزيُّ قال : سألتُ أبا عُبيدة عن اليوم الثاني من النَّحْر : ما كانت العرب تُسَمِّيه ؟ قال : ليس عِندي من ذلك علم . فلقِيتُ ابن مناذر بمكّة ، فأخبرتُه بذلك ، فعَجِب وقال : أيسقُط هذا عن مِثْل أبي عُبَيْدة ! هي أربعة أيّام مُتواليات كلّها على الرّاء : أوّلُها يوم النَّحْر ، والثّاني يوم القَرّ ، والثّالث يوم النَّفْر ، والرّابع يوم الصدر . فحدَّثْتُه ، يعني أبا عُبَيدة ، فكتَبَه عن ابن مُناذر . وقد روى ابنُ مناذر الحديث المسند ، ونقَله عنه المُحدِّثون .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا الخَليل بن أسد ، عن محمد بن مسعدة الدّارع أبي الجَهْجاء ، قال : حدَّثني محمَّد بن مناذر الشّاعر ، قال : حدَّثني سُفيان الثّوري ، عن الأغرّ ، عن وَهْب بن مُنبِّه ، قال : كان يقال : الحياءُ من الإيمان ، والمِذى ، مكسور الميم مقصور ، من النِّفاق ؛ فقلت : إنّ الناسَ يقولون : المذاء ، فقال : هو كما أخبرتك ، فقلت له : وما المِذا ؟ قال : اللِّينُ في أمرِ النِّساء ، ومنه دِرْعٌ ماذيّ ، وعَسَلٌ ماذيّ .

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه . قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد ، قال : حدَّثني حامد بن يحيى البلخيّ ، قال : حدَّثني محمد بن مناذر الشاعر ، قال : حدَّثني يحيى بن عبد الله بن مُجالد ، عن الشَّعبيّ ، عن مَسروق ، عن عبد الله ، قال : لَمَّا نظرَ رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القَتْلى وهم مُصرَّعُون ، قال لأبي بكر : «لو أنَّ أبا طالب حَيٌّ لعلم أنّ أسيافَنا قد أخذت بالأماثل» ، يعني قولَ أبي طالب : [من الطويل]

كذبتُم وبَيْتِ الله إن جَدَّ مـا أرى   لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنـا بالأماثِـلِ

1 هـذا البيت من قطعة تنسب إلى العباس بن مرداس السلميّ وتنسب إلى غيره . انظر ديوان العباس 58–59 .
2 تقول : افعل هذا إما لا ، أي إذا كنت لا تفعل غيره .

أخبرني محمد بن خَلَف قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدَّثنا ابن مناذر ، قال : حدَّثنا سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال عليٌّ عليه السلام : «ما قام بي من النِّساء إلاّ الحارِقة أسماء» . قال ابن مناذر : الحارقَة : التي تُجامَع على جَنْب .

أخبرني محمّد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، عن العبّاس بن عبد الواحد ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن مناذر ، عن سُفيان بن عُيَينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الشيطانُ إلى عيسى ، قال : ألستَ تزعمُ أنّك صادق ؟ قال : بلى ، قال : فأوفِ على هذه الشَّاهقة ، فألقِ نفسَك منها ، فقال : ويلك ، ألَم يَقُل الله : يا ابن آدم ، لا تَبلُني بهلاكِك ، فإنّي أفعلُ ما أشاء .

[رقعته إلى غلام في المسجد]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسَنِ الوجه في مسجد البصرة ، فكتب إليه بهذه الأبيات : [من السريع]

وجدتُ في الآثارِ في بَعْضِ ما ... حَدَّثنـا الأشيـاخُ في المُسْنَدِ
مِمّا رَوى الأعمَشُ عن جابرٍ ... وعامـرِ الشَّعْبِـيِّ والأسودِ
ومـا روى شُعْبَةُ عن عاصمٍ ... وقالـه حَمّـاد عـن فَرْقَدِ
وصيَّةٌ جـاءَت إلى كُلِّ ذي ... خـدٍّ خَـلا من شَعَرٍ أسودِ
أن يَقْبَلُوا الرّاغب في وَصْلِهم ... فاقْبَلْ فإنّـي فيـك لم أزْهَدِ
نَوِّلْ فكَـمْ من جَمْرَةٍ ضَمّها ... قَلبِـيَ مـن حُبِّكَ لم تبْرُدِ

فلمّا قرأها الفَتى ضَحِك ، وقَلب الرُّقْعة ، وكتب في ظهْرها : لستُ شاعراً فأُجيبَك ، ولا فاتِكاً فأُساعِدَك ، وأنا أعوذُ بالله رَبّك من شَرّك .

[بينه وبين أبي العتاهية (رواية أخرى)]

أخبرني محمد بن عُمران الصَّيْرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الله العَبْدِيّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن المبارك الأحمر ، قال[1] : لَقيَ أبو العتاهية ابنَ مناذرَ بمكّة ، فجعل يُمازحه ويُضاحكه ، ثم دخلَ على الرَّشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن مُناذر شاعرُ البصرة يقول قصيدة في سنَة ، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة . فقال الرشيد : أدخِلْه إليَّ ، فأدخَلَه إليه وقَدَّرَ أنّه يضعه عنده . فدخلَ فسلَّم

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 297 .

ودعا ، فقال : ما هذا الذي يَحْكِيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن مُناذر : وما ذاكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : زعم أنّك تقولُ قصيدةً في سنة ، وأنّه يقول كذا وكذا قصيدة في السَّنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كنتُ أقول كما يقول : [من الهزج]

ألا يا عُتْبَةَ السَّاعةْ أموتُ السَّاعَةْ السَّاعَةْ

لقلتُ منه كثيراً ، ولكنّي الذي أقول : [من الخفيف]

إنَّ عبدَ المَجيدِ يومَ تَولّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ
ما دَرى نَعْشُه ولا حامِلُوه ما عَلى النَّعْشِ من عَفافٍ وجُودِ

فقال له الرشيد : هاتِها فأنشِدْنيها ، فأنشده ؛ فقال الرشيد : ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلاّ في خليفة أو وليّ عهد ، ما لها عَيْبٌ إلاّ أنّكَ قُلتها في سُوقَة ، وأمر له بعشرة آلاف دِرهم ، فكاد أبو العتاهية يموت غَمّاً وأسَفاً .

[يحيى بن معين يذمّه]

أخبرني الحسَن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن الجُنيد قال : سألتُ يَحيى بن معين ، عن محمد بن مُناذر الشاعر ، فقال : لم يكن بثقةٍ ولا مأمون ، رجلٍ سَوْءٍ نُفِي من البَصْرة ؛ ووصفَه بالمُجون والخَلاعة ؛ فقلت : إنّما تكتُب شِعْرَه وحِكاياتٍ عن الخَليل بن أحمد ، فقال : هذا نَعَم ، وأمّا الحديثُ فلستُ أراهُ مَوضِعاً له .

[وفاته بعد العمى]

أخبرني الحَسَن ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه : قال : حدَّثني عليُّ بن محمد النَّوْفليّ قال : رأيتُ ابنَ مُناذر في الحجّ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائة ، قد كُفَّ بصرُه ، تَقودُه جُوَيْرِيّة حُرَّة ، وهو واقف يشتري ماء قِرْبة ، فرأيته وَسِخَ الثَّوْب والبدَن ، فلمّا صِرنا إلى البصرة أتتنا وفاتُه في تلك الأيّام .

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال : حدَّثنا خلاّد الأرقط قال : تذاكرنا ابنَ مناذِر في حَلْقة يُونُس ، فقدح فيه أكثرُ أهل الحَلقة ، حتى نسبوه إلى الزَّنْدَقة ؛ فلمّا صِرْت في السَّقيفة التي في مُقَدَّمِ المسجِد سَمِعْتُ قراءة قريبة من حائط القِبْلة ، فدنوتُ فإذا ابنُ مُناذِر قائمٌ يُصلّي ، فرجعت إلى الحلقة ، فقلتُ لأهلها : قُلتُم في الرجل ما قُلتم ، وها هُوذا قائِمٌ يُصلّي حيث لا يراهُ إلاّ الله عزَّ وجلَّ .

[مع أبي خيرة]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النَّحْويّ قال : حدَّثنا أحمد بنُ القاسم البرقيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن يعقوب ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يَحيى الهُذَليّ التَّمّارُ ، عن عبد الله بن عبد

الصَّمَد الضبِّيّ قال : كنّا يوماً جلوساً في حَلْقة هُبَيرة بن جرير الضَّبِّيّ إذ أقبل مُحمد بن مُناذر في بُرْد قد كسَته إيّاه بانةُ بنت أبي العاصي ، فسلَّم عليَّ وحدي ، ولم يعرف منهم أحداً ، ثم قام فجلَس إلى أبي خَيْرَة ، فخاطبه مُخاطبة خفيفة ، وقام مُغضَباً ؛ فقال لي هُبَيرة : مَنْ هذا ؟ فقلتُ ، محمد بن مُناذر : فقال : إنّا للهِ ! قومُوا بنا ؛ فقام إلى أبي خَيْرة ، فقال له : ماذا قال لك ابنُ مُناذِر ؟ قال : سألني عن شيءٍ وكنتُ مَشْغولاً عنه فقال : يا أبا خَيْرة إنّ العشائر تَغْبطُنا[1] لعِلْمِك ، وما جعل اللهُ عندك ، فنشَدْناك اللهَ أن تكون لنا ، كما كان عَرادَةُ لبني نُمَير ، فإنّه تعرَّض لجرير فهَجاه فعمَّهُمْ فقال[2] : [من الوافر]

عَرادَةُ من بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... ألا تَبّـاً لِما فَعَلوا تَبابا

أتدْري مَنْ كان عندَك آنفاً ؟ قال : لا ، قال : ابنُ مُناذِر ، وما تعرَّضَ لأعراض قومٍ قطّ إلاّ هتكَها وهتكهم ، فإذا جاءَك يسألُك عن شيءٍ فأجبه ، ولا تعتلّ عليه بالبول ، ولا تطلب منه شيئاً ، وكلّ ما أردْت من جهته ففي مالي . قال : أفعَلُ . قال : وكان أبو خَيْرة إذا سألَه إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يَعْتلّ عليه بالبول . فما شعرنا من غد إلاّ بابن مُناذر وقد أقبل ، فعَلِمنا أنّه قصدَ أبا خَيْرة ، فأتيْناه ، فلمّا رأى جمعَنا استحيا منّا ، وسلَّم علينا وتبسَّم ، ثم قال : يا أبا خَيْرة : قد قُلتُ شِعراً ، وقبيحٌ بمثلي أن يُسأل عنه فلا يدري ما فيه ، وإنّي ذكَرتُ فيه إنساناً فشَبَّهتُه بالأفّار ، فأيّ شيء هو ؟ فاحمرَّ وَجْه أبي خَيْرة واضْطرب ، وقال : هو التَّيْسُ الوثّاب الذي يَنزو وقضيبُه رِخْـو فـلا يَصِل ، فقال : جُزيتَ خيراً . ووثب وهو يضحك ، فقُمْنا إليه وقلنا : قد علِمنا أنّك عنيتَ هذا الشيخ ، فإن رأيت أن تهَبه لنا فافعَل ، فإنّه شيخُنا . قال : والله ما عَنيتُ غيرَه ، وقد وهَبْتُه لكم وكرامةً ، والله لا يسمع منّي أحدٌ ما قلتُ فيه ، ولا أذكره إلاّ بخير أبداً ، وإن كان قد أساءَ العِشْرة أمس .

صوت[3]

[من البسيط]

لا زلتَ تَنشُرُ أعياداً وتَطْويها ... تمضي بها لَكَ أيّامٌ وتُمْضِيها

ولا تَقضَّت بِك الدُّنيا ولا بَرِحَتْ ... تَطوِي لك الدَّهرَ أيّاماً وتُفْنيها

الشعر لأشجَع السُّلَميّ ، والغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، وفيه لمحمد قريض لحن من الثقيل الأوّل ، وهو من مشهور غنائه ومختاره .

1 ل : تعظمنا .

2 البيت في النقائض : 443 ولم يرد في ديوانه (صادر) .

3 البيت الأول مع أبيات أخرى في الشعر والشعراء : 759 وطبقات ابن المعتز : 252 .

[390] ـ نسب أَشجع وأَخباره[1]

أَخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ والحسن بن عليّ قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني عليّ بن الفَضْل السّلميَ ، قال : كان أَشجَعُ بن عمرو السلميُّ يُكنى أبا الوليد من ولد الشَّرِيد بن مطْرود السلميّ ، تزوَّج أبوه امرأة من أهل اليمامة ، فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أَشْجَع ، ونشأ باليمامة ؛ ثم مات أبوه ، فقَدِمتْ به أُمّه البصرة تطلب ميراث أَبيه ، وكان له هناك مال فماتَت بها . ورُبِّي أَشْجَع ونشأ بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفُه يَدْفع نسبَه ، ثم كَبِر وقال الشِّعر وأجاد وعُدَّ في الفحول . وكان الشِّعر يومئذٍ في ربيعةَ واليمن ، ولم يكنْ لقيس شاعر معدود ، فلمّا نجم أَشجع وقال الشعر ، افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخوان : أحمدُ وحُرَيْث ابنا عمرو ؛ وكان أَحمد شاعراً ولم يكُن يُقارِب أَشْجَع ، ولم يكن لحُرَيْث شِعْر . ثم خرَج أشجع إلى الرَّقّة والرَّشيد بها ، فنزل على بني سُلَيم فتقبَّلوه وأكرمُوه ، ومدح البرامكة وانقطَع إلى جَعفر خاصَّة وأَصفاه مَدْحه ، فأُعجِبَ به ووصله إلى الرشيد ، ومدَحه فأُعجِب به أيضاً ، فأثْرى وحَسُنَت حالُه في أيَّامِه وتقدَّم عنده .

[خاف أن تدركه الصلاة فابتدأ بالمدح]

أَخبرني محمد بن عِمْران ، قال : حدَّثني العَنَزيّ ، قال : حدَّثني صَخْر بن أَسد السُّلميّ قال : حدَّثني أَبي أَسدُ بن جَديلة قال : حدَّثني أَشجَعُ السُّلَميّ قال[2] : شَخَصت من البصرة إلى الرَّقّة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالَتْني خَلّة ، فخرجتُ حتى لَقِيتُه مُنصرِفاً من الغَزْو ، وكنت قد اتَّصلتُ ببعض أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : مَنْ كان هاهنا من الشعراء فلْيحضر يوم الخميس ، فحضَرنا سبعة وأنا ثامنهم ، وأمِرنا بالبُكور في يوم الجمعة ، فبكَّرنا وأُدخِلنا ، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منّا يُنشِد على الأسنان ، وكنتُ أحدثَ القومِ سِنّاً ، وأرثَّهم حالاً ؛ فما بُلِغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تَجِب ، فقُدِّمت والرَّشيد على كرسيّ ،

1 ترجمة أشجع السلمي في الشعر والشعراء : 757–762 وطبقات ابن المعتز : 250–253 وتهذيب ابن عساكر 3 : 59–63 وخزانة البغدادي 1 : 296–299 وتاريخ بغداد 7 : 45 ومعاهد التنصيص 4 : 62 وشرح الحماسة للتبريزي 2 : 169 وأوراق الصولي (قسم أخبار الشعراء) : 74–137 وهو يتفق مع نص أبي الفرج في كثير من المواضع . وقد جمع د . خليل الحسون شعره مع دراسة له (دار المسيرة ، بيروت ـ 1981) .

2 انظر أوراق الصولي : 75–76 وديوانه : 187 .

وأصحابُ الأعمدة بين يديه سِماطان[1] ، فقال لي : أُنشِدني ، فخِفْتُ أن أبتدىء من أوَّل قصيدتي بالتَّشْبيبِ فتَجِب الصلاة ويفوتُني ما أردْت ، فتركتُ التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المديح في قصيدتي التي أوّلها : [من الطويل]

تذكَّـر عهـدَ البيضِ وهو لها تِرْبُ وأيَّام يُصبي الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأتُ قولي في المديح :

إلى مَلِكٍ يَستَغرِقُ المـالَ جُـودُه مكارِمُــه نَثْـر ومَعْروفُـه سَكْبُ
وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد له من مياهِ النَّصْر مَشْرَبُها العَذْبُ
متـى تَبلُـغ العِيسُ المَراسيلُ بابَه بنا فهناك الرُّحبُ والمنزِلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعت فيكَ الظُّنون ولم يكن بغيرك ظَـنٌّ يستَرِيح لـه القَلْبُ
جَمعتَ ذَوِي الأهواء حتى كأنَّهُم على مَنهجٍ بَعْـد افتراقِهـم رَكْبُ
بَثَثْتَ عـلى الأعـداء أبناء دُرْبةٍ فلم يَقِهم منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ
ومــا زِلـتَ تَرْميهم بهم مُتَفَرِّداً أَنِيساكَ حَزْمُ الرَّأْيِ والصّارِمُ العَضْبُ
جَهَدْتُ فلم أُبلـغ عُلاكَ بمِدْحَةٍ وليس على مَنْ كان مُجتهِداً عَتْبُ

فضحِك الرشيد وقال لي : خِفْتَ أن يفوتَ وقْتُ الصلاة فَينْقَطِع المديح عليك ، فبدأتَ به وتركت التَّشْبيبَ ، وأمَرني بأن أُنشِدَه التَّشْبيبَ فأنشدتُه إيّاه ، فأمر لكُلٍّ واحدٍ من الشُّعراء بعشرة آلاف دِرهم وأمر لي بضِعْفِها .

[الرشيد يستحسن شعره]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شبَّة ، قال : حدَّثني أحمدُ بن سَيّار الجُرْجانيّ وكان راوية شاعراً مدَّاحاً ليزيدَ بن مَزْيد ، قال[2] : دخلْتُ أنا وأشْجَع والتَّيْميّ ، وابن رَزِين الخراسانيّ على الرشيد في قصرٍ له بالرقّة ، وكان قد ضرب أعناقَ قومٍ في تلك الساعة ، فجعلنا نتخلَّل الدِّماء حتى وصلنا إليه ، فأنشده أبو محمّد التَّيْميّ قصيدة به يذكر فيها نِقْفُور ووقعته ببلاد الرُّوم ، فنَثَر عليه مثلَ الدرّ من جَوْدة شعره ، وأنشدَه أشْجَع قوله[3] : [من الكامل]

قَصْـرٌ عليـه تَحِيَّـــةٌ وسَلامُ أَلقَــتْ عليـه جَمالَهـا الأَيَّامُ

1 السماط : الصف .
2 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي 76–77 ، 122 .
3 ديوانه : 252–253 .

قَصُرتْ سُقوفُ المزن دُونَ سُقُوفِه ... فيــه لأعــلام الهُــدى أعلامُ
تُثنـــي عــلى أيّامِـــك الأيّامُ ... والشاهِـــدانِ الحِــلُّ والإحْـرامُ
أدنتــك مـــن ظلِّ النبيِّ وصيّة ... وقرابــةٌ وشَجَت بهــا الأرحامُ
برقت سماؤك في العدو وأمطرت ... هاماً لهــا ظــلّ السيوفِ غمامُ
وإذا سيوفك صافحت هام العِدى ... طارت لهــنَّ عـــن الرؤوس الهامُ
وعلى عَدُوِّك يــا ابن عَمِّ مُحمَّد ... رَصَدانِ ضــوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فــإذا تَنَبَّــه رُعْتَــه وإذا غَفــا ... سَلَّت عليــه سيُوفَـك الأحْلامُ

وأنشدتُه أنا قَولي :

زَمَنٌ بأعْـــلى الرَّقْمَتَيْن قَصِير

حتى انتهيتُ إلى قَوْلي : [من الكامل]

لا تَبعَدِ الأيَّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا ... خَضَلٌ وإذ غَضٌّ الشباب نضِيرُ

فاستحسَن هذا البيت ، ومضيْتُ في القصيدة حتى أتممتها ، فوجَّه إليّ الفضلُ بن الربيع : أنفِذ إليَّ قصيدتَك ، فإنّي أُريد أن أُنشِدَها الجواري من استحسانه إيّاها .

قال : وركب الرشيد يوماً قُبَّةً وسعيدُ بنُ سالم معه في القُبّة ، فقال : أين محمد البَيْذَق ؟ وكان رجلاً حسن الصَّوْت يُنشد الشعرَ فيُطرب بحُسْن صوتـه أشدَّ من إطْراب الغناء . فحضر ، فقال : أنشدْني قصيدة الجُرْجانيّ ، فأنشدَه ، فقال : الشِّعرُ في ربيعةَ سائر اليوم ، فقال له سعيدُ بنُ سالم : يا أميرَ المؤمنين ، استَنْشِده قصيدةَ أَشْجَع بنِ عمرو ، فأبى ، فلم يزل به حتى أجابَ إلى استماعها ، فلمّا أنشدَه هذين البيتين : [من الكامل]

وعلى عَدوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّد

والذي بعده ، قال له سعيدُ بن سالم : والله يا أميرَ المؤمنين ، لو خَرِس بعد هذين لكان أشعرَ الناس .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أبي ، قال : بلَغني أنَّ أشْجَع لّما أنشد الرَّشيد هذين البيتين : [من الكامل]

وعلى عَدوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّدِ

والذي بعده ، طَرِب الرشيد ، وكان مُتَّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : أحسنَ والله ، هكذا تُمدَح الملوك .

أخبرني أحمدُ بن إسحاق العسكريّ ، والحسنُ بنُ عليّ ، قالا : حدَّثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهليّ ، عن أبيه ، قال[1] : كنتُ عند الرشيد ، فدخل إليه أشْجع ، ومنصورٌ النَّمريّ ، فأنشده أشْجَع قولَه : [من الكامل]

وعلى عَدُوِّك يـا ابنَ عَمِّ مُحمَّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فـإذا تَنَبَّـه رُعتَـه وإذا غفـا سلَّت عليه سيوفَـك الأحلامُ

فاستَحْسَنَ ذلك الرشيد ، وأومأتُ إلى أشجَع أن يَقْطَع الشِّعر ، وعلمت أنَّه لا يأتي بمِثْلِهما ، فلم يفعل . ولما أنشدَه ما بعدَهما فتَر الرشيد وضَرَب بمِخْصرةٍ كانت بيده الأرضَ ، واستنشَدَ منْصوراً النَّمريّ ، فأنشده قوله[2] : [من البسيط]

ما تَنْقَضي حَسْرَةٌ مِنّي ولا جَزَعُ إذا ذَكَـرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ

فمرَّ والله في قصيدة قَلَّ ما تقولُ العربُ مثلَها ، فجعل الرشيد يضرب بمِخْصَرته الأرض ويقول : الشِّعر في ربيعةَ سائر اليوم ، فلمّا خرجنا قلت لأشجع : غَمزْتُك أن تَقْطَع فلم تفعل ، ويلك ! ولم تأتِ بشيء ، فهلاً مِتَّ بعد البيتين أو خَرِسْت ، فكنتَ تكون أشعَر النّاس .

[مدح جعفر بن يحيى]

أخبرني حبيب بن نَصْر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا هارون بنُ محمد بن عبد الملك الزّيّات قال : حدَّثني مُوسى بنُ عيسى ، قال : اشترى جعفر بنُ يحيى المِرْغاب[3] من آل الرشيد بعشرين ألف ألف دِرهم ، وردَّه على أصحابه ، فقال أشجَعُ السّلميُّ يمدحَهُ بذلك ويقول[4] : [من الكامل]

ردَّ السِّباخَ نَـدى يَدَيْـهِ وأهلُها منهـا بمنزلـة السِّماكِ الأعزَلِ
قـد أيقَنـوا بذهابها وهلاكهِم والدَّهْـرُ يُوعِدُهـم بيَوْمٍ أعضَلِ[5]
فافتَكَّها لهـمُ وهم مـن دَهْرِهِم بين الجِرانِ وبـين حَدِّ الكَلْكَلِ
مـا كان يُرجـى غَيرُه لفَكاكِها يُرجى الكَرِيمُ لكلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ

[معارضته قصيدة لحميد بن ثور]

أخبرني الحسَن بن عليّ الخفَّاف قال : حدَّثني أحمد بن محمد حرّان ، عن قدامة بن نوح ،

---

1 انظر الخبر في أوراق الصولي : 76–77 .
2 ديوان منصور النمري : 95 .
3 المرغاب : ضيعة .
4 ديوانه : 247 (عن الأغاني) .
5 اليوم الأعضل : الذي لا يرتجى شفاء دائه .

قال[1] : جلس جَعْفَرُ بنُ يَحيى بالصالِحيَّةِ يشرب على مُستَشرفٍ له ، فجاءه أعرابيٌّ من بني هلال ، فاشْتَكى واستماح بكلامٍ فصيح ولَفْظ مثله يَعْطف المسؤول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعرَ يا هِلاليّ ؟ فقال : قد كنتُ أقولُه وأنا حَدَث أتملَّح به ، ثم ترَكتُه لّما صِرْتُ شيخاً ؛ قال : فأنشِدْنا لشاعرِكم حُمَيْد بن ثور ، فأنشدَه قوله[2] : [من الكامل]

لِمَـــنِ الدِّيارُ بجانبِ الحُمْسِ ... كَمَحَطٌ ذي الحاجاتِ بالنِّفْسِ

حتى أتى على آخرِها ، فاندفع أشجَعُ ، فأنشدَه مديحاً له فيه قاله لوقْتِه على وزنها وقافيتها ، فقال : [من الكامل]

ذهبَــتْ مكارِمُ جَعْفَرٍ وفِعالُه ... في النّاسِ مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِكٌ تسوسُ لـه المَعالي نفسُه ... والعقــلُ خَيْرُ سياسةِ النَّفْسِ
فإذا تراءَتْه المُلــوكُ تراجَعُوا ... جَهْــرَ الكَلامِ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ساد البرامِكَ جَعْفَرٌ وهم الأُلى ... بعــد الخلائف سادَةُ الإنْسِ
ما ضرَّ مَنْ قَصَدَ ابنَ يَحْيى راغِباً ... بالسَّعْدِ حــلَّ بــه أم النَّحْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضعَنا هذا ، فقال : [من الكامل]

قُصورُ الصالِحيَّــةِ كالعَذارى ... لَبِسْنَ ثيابَهُــنَّ ليَــوْمِ عُرْسِ
مُطِــلاّتٌ على بَطْــنٍ كَسَتْه ... أيادي الماءِ وَشْياً نسْجَ غَرْسِ
إذا مـــا الطَّلُّ أثَّرَ في ثَراهُ ... تَنفَّسَ نَــوْرُه مــن غيرِ نَفْسِ
فَتَغْبِقُه السَّماءُ بصِبْــغِ وَرْسٍ ... وتَصْحَبُه بأكْوُسِ عين شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابيّ : كيف تَرى صاحِبَنا يا هلاليّ ؟ فقال : أرى خاطرَه طوعَ لسانه ، وبيانَ الناسِ تَحْت بَيانِه ، وقد جعلتُ له ما تَصِلُني به ، قال : بل نُقِرُّك يا أعرابيّ ونرضيه ، وأمر للأعرابيِّ بمائة دينار ولأشْجَع بمائتين .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، قال . حدَّثني أبو دعامة ، قال : حدَّثني أشجَعُ السُّلميّ ، قال : كنتُ ذاتَ يوم في مجلس بعض إخواني أتحدّث وأُنشد ، إذ دخل عليهم أَنَسُ بن أبي شيخ النَّصْريّ صاحبُ جعفر بنِ يحيى ، فقام له جميعُ القوم غيري ، ولم أعرفه فأقوم له ؛ فنظر إليَّ وقال : مَن هذا الرَّجل ؟ قالوا : أشجع السُّلميّ الشّاعر ، قال : أنشدْني بعض

---

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي 77–78 وانظر ديوان أشجع : 219–220 .
2 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 53 .

قولك ، فأنشدْتُه . فقال : إنّك لَشاعر ، فما يمنَعُك من جعفر بن يحيى ؟ فقلت : ومَنْ لي بجعفر بنِ يحيى ؟ فقال : أنا ، فَقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنّه يمَلُّ الإطالة . فقلت : لستُ بصاحبِ إطالة ، فقلت أبياتاً على نحوِ ما رَسَم لي ، وصِرت إلى أنَس فقال : تقدَّمني إلى الباب ، فتقدَّمت ، فلم يلْبَث أن جاء فدَخَل ، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب جعفر بن يحيى ؛ فقال أشْجَع : فقمتُ ، فقال : ادخُل ، فدخَلْتُ ، فاستنشدَني فأنشدتُه أقول : [من الكامل]

وتَــرى المُلــوكَ إذا رأَيْتَهُـمُ   كُلٌّ بعيـد الصَّـوْتِ والجَرْسِ
فإذا بَـدا لَهُم ابنُ يَحْيـى جعفرٌ   رَجَعـوا الكـلامَ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ذَهَبَـتْ مكـارِمُ جَعْفَـرٍ وفِعالُه   في النّاسِ مِثْـلَ مذاهِـبِ الشَّمْسِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم : قال : وكان أشْجَعُ يُحِبُّ الثِّياب ، وكان يكْتَري الخِلعَة كلّ يوم بدرهمين ، فيَلبَسُها أيّاماً ، ثم يَكْتَري غيرها ، فيفعل بها مثلَ ذلك .

قال : فابتعْتُ أثواباً كثيرة بباب الكَرْخ ، فكسوتُ عيالي وعيالَ إخوتي حتى أنفقتها .

[الفضل يضعف له الجائزة]

ثم لقيتُ المُبارَك مُؤَدِّب الفضل بن يحيى بعد أيّام ، فقال لي : أنشدني ما قُلْتَه في جعفر ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل ؟ فقلت : ومَنْ لي بالفَضْل ؟ فقال : أنا لك به ، فأدخلني عليه ، فأنشدته[1] : [من الطويل]

وما قدَّم الفَضْلَ بنَ يَحيى مكانُه   على غيرِه بـل قَـدَّمَته المَكارِمُ
لقد أرهَبَ الأعداءَ حتى كأنّما   على كُلِّ ثَغْـرٍ بالمَنِيَّـةِ قائِمُ

فقال لي : كَم أعطاك جعفر ؟ فقلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

[قليل دائم خير من كثير منقطع]

أخبرني علي بن صالح ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فنن ، قال حدَّثني داود بن مُهَلْهِل قال[2] : لمّا خرج جعفر بن يحيى ليُصْلِح أمر الشام ، نزل في مَضْرَبه ، وأمر بإطعامِ النّاس ، فقام أشجَعُ فأنشده قوله : [من الكامل]

فِئتـانِ باغِيَـةٌ وطاغِيَـةٌ   جلَّت أُمورُهما عن الخَطْبِ

1 ديوانه : 261–262 .

2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 78–79 وديوانه : 188 .

قـد جاءكُم بالخَيْلِ شازِبَةً ينقلنَ نحوَكم رَحى الحَرْبِ[1]
لم يَبْقَ إلاّ أن تَدُورَ بِكم قد قامَ هاديها على القُطْبِ

قال : فأمر له بصلة ليست بالسَّنِيَّة ، وقال له : دائمُ القليلِ خيرٌ من مُنْقَطِع الكثير . فقال له : ونَزْرُه أكثرُ من جزيل غيره . فأمر له بمثلها ، قال : وكان يُجْري عليه في كلّ جُمعة مائةَ دينار مدّة مقامه ببابه .

[إسحاق الموصليّ يفضّل أشجع على أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد ، قال : حدَّثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ الموصليُّ ، قال : دخلت إلى الرشيد يوماً ، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلمّا رآني مُقبِلاً قال لجعفر بن يحيى : أتَرضى بإسحاق ؟ قال جعفر : واللهِ ما في عِلْمِه مَطْعَن إن أنصَفَ ، فقال لي : أيّ شيء تروي للشُّعراء المحدثين في الخمر ؟ أنشدني من أفضَلِ ما عندك وأشدِّه تقدُّماً . فعلمتُ أنّهما كانا يتماريان في تقديم أبي نُواس ، فعَدَلْتُ عنه إلى غيره ؛ لئلاّ أُخالِف أحدهما ، فقلت : لقد أحسن أشجَع في قوله[2] : [من الكامل]

ولقد طَعنتُ الليلَ في أعجازِهِ بالكأسِ بين غَطارِفٍ كالأنْجُمِ[3]
يَتَمايَلُـونَ على النَّعيـمِ كأنَّهُم قُضُبٌ مِـنَ الهِنـديّ لم تتثلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَرِيرِ يزيدُها طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تغْشِمِ[4]
والليلُ مُنْتَقِب بفضْلِ ردائـهِ قـد كاد يحْسَر عن أغرَّ أرثَمِ[5]
فـإذا أدارَتْهـا الأكُفُّ رأيتَها تَثْني الفصيحَ إلى لسانِ الأعجَمِ
وعـلى بَنـانِ مُديرِهـا عِقْيانَةٌ من سَكْبِها وعلى فضول المِعْصَمِ
تَغْلي إذا مـا الشِّعْرَيانِ تَلَظَّيا صيفاً وتَسْكُن في طلوع المرزَمِ[6]
ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّها بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّمِ

1 شازبة : ضامرة .
2 الأبيات في أوراق الصولي : 84–85 مع اختلاف طفيف في اللفظ ، وانظر ديوانه : 249–250 .
3 الغطارف : السادة الأشراف .
4 لم تغشم : لم تظلم .
5 الأرثم من الخيل : ما كان أبيض الشفة العليا .
6 الشعريان : نجمان ، الشعرى العبور والشعرى الغميصاء . والمرزم : نجم .

ولها سُكونٌ في الإناء وخلفَها شَغَبٌ يُطوِّحُ بالكَمِيّ المُعْلِمِ
تُعطى على الظّلمِ الفتى بقِيادِها قَسْراً وتَظلمهُ إذا لم يَظْلِمِ

فقال لي الرشيد : قد عرَفتُ تَعَصُّبك على أَبي نُواس ، وإنّك عَدلت عنه متعمّداً ، ولقد أحسنَ أشجعَ ، ولكنّه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس : [من المديد]

يـا شَقِيقَ النَّفس مـن حَكَمِ نِمْـتَ عـن لَيْلي ولم أَنَمِ

فقلت له : ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أَمير المؤمنين ، وإنّما أَنشدْت ما حضرني ، فقال : حسبُك قد سمعت الجواب .

قال الفَضْل : وكان في إسحاق تعصُّب على أَبي نُواس لشيءٍ جرى بينهما .

[الواثق يعجب بشعر أشجع]

أَخبرني محمد بن مَزْيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، قال : اصطبح الواثِقُ في يوم مطير ، واتَّصل شُرْبُه وشربنا معه حتى سقطنا لجُنوبِنا صَرعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُرِّك أحدٌ منّا عن مضجعِه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أُمرهم ، وقال : لا تحرِّكوا أَحداً عن موضعه ، فكان هو أوّل مَن أفاق منّا ، فقام وأمر بإنْباهِنا فأُنْبِهْنا فقمنا فتوضّأنا وأَصلحنا من شأننا ، وجئتُ إليه وهو جالس وفي يده كأس ، وهو يروم شربها ، والخمار يمنعه ، فقال لي : يا إسحاق ، أنشدني في هذا المعنى شيئاً ، فأنشدتُه قول أشْجع السُّلَميّ : [من الكامل]

ولقد طَعنت الليلَ في أَعْجازه بالكأس بين غَطارِفٍ كالأَنجُمِ
يتمايلُـون عـن النَّعيم كأَنَّهم قُضُبٌ مـن الهنـديّ لم تَتَثلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَريرُ يَزيدُها طِيبـاً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِمِ
والليـل مُنْتَقِب بفضـل رِدائِهِ قـد كاد يَحْسَر عن أَغرَّ أَرْثَمِ
وإذا أُدارتهـا الأَكُفُّ رأَيتها تثْني الفَصيحَ إلى لِسان الأَعْجَمِ
وعلى بَنـانِ مُديرهـا عِقْيانَةٌ من لونها وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ
تَغلي إذا مـا الشِّعريان تَلَظَّيا صيفاً وتسكن في طُلوعِ المِرْزَمِ
ولقد فَضَضْناها بخاتـم ربِّها بِكْراً وليس البِكْرُ مثـلَ الأَيِّمِ
ولها سُكُونٌ في الإناء وخَلفَها شَغَبٌ يُطَـوِّحُ بالكمِيِّ المُعْلِمِ
تُعطي على الظّلْمِ الفتى بِقيادِها قَسْراً وتظلمـه إذا لم يَظلِمِ

فطرب وقال : أحسنَ واللهِ أَشْجَع ، وأَحسنتَ يا أَبا محمد ، أَعِد بحياتي ، فأَعدتها وشرب كأسَه ، وأمر لي بألفِ دينارٍ .

[تعزية الفضل بن الربيع في ابنه]

أَخبرني جعفر بن قُدامَة ، قال : حدَّثنا أَبو هِفّان قال : ذكر أَبو دِعامة أَنَّ أَشْجَع دخل على الفَضْل بن الرَّبيع ، وقد توفِّيَ ابنه العبّاس والنّاس يُعزّونه ، فعزّاه فأَحسن ، ثم استأذنه في إنشاد مَرثيَة قالها فيه ، فأذِن له فأَنشده[1] : [من البسيط]

لا تبكِيَنَّ بعَيْـن غير جائدةٍ ... وكلُّ ذِي حَزَنٍ يبكِي كما يجدُ
أَيُّ امرىءٍ كان عبّـاسٌ لنائبةٍ ... إذا تَقَنَّـع دونَ الوالـد الوَلَدُ
لم يُدنِه طمعٌ من دار مُخْزِيَةٍ ... ولم يَعِـزّ لـه مـن نعمة بلَدُ
قد كنتُ ذا جَلَدٍ في كلِّ نائبةٍ ... فبانَ منّي عليك الصبرُ والجَلَدُ
لمّا تسامتْ بِكَ الآمالُ وابتهجت ... بك المروءةُ واعتدَّت بك العُدَدُ
ولم يكُن لِفَتًى في نفْسِهِ أَمَلٌ ... إلاّ إليكَ بـهِ من أَرضِهِ يَفِدُ
وحين جئتَ أَمامَ السّابِقين ولَمْ ... يبلل عِـذارَك مَيْدانٌ ولا أَمَدُ
وافاكَ يومٌ على نَكْراء مشتمِلٌ ... لم يَنْجُ مـن مِثلِهِ عادٌ ولا لُبَدُ
فمـا تكشّف إلاّ عن مُوَلْوِلَةٍ ... حَـرَّى ومُكْتَئِبٍ أَحشاؤُه تَقِدُ

قال : فبكى الفضلُ وبكَى النّاسُ معه ، وما انْصَرَفُوا يومئذٍ يتذاكرون غيرَ أَبياتِ أَشجَع .

[أحسن تعزية الرشيد في ابنه]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدِّيناريّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ الجهم ، قال : دخلَ أشجَعُ على الرشيد وقد مات ابنٌ له ، والنّاس يُعَزُّونَه فأَنشده قوله[2] : [من السريع]

نَقْصٌ مـن الدِّين ومن أَهلِهِ ... نقصُ المنايا مـن بني هاشمِ
قدَّمتَه ، فاصبِر على فقدِهِ ، ... إلى أَبِيـهِ وأَبِـي القاسِمِ

فقال الرشيد : ما عزّاني اليوم أحدٌ أحسنَ من تَعْزِيَة أشجَع ، وأمرَ له بصِلة .

1 ديوانه : 206–207 .

2 ديوانه : 261 (عن الأغاني) .

[استئذانه على جعفر في علّته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا العَنَزيّ، قال: حدَّثني عبدُ الرحمن بن النُّعمان السّلميّ قال[1]: كنّا بِبابِ جعفر بنِ يَحيى وهو عليل، فقال لنا الحاجِبُ: إنّه لا إذْن عليه، فكتب إليه أُشجَع: [من مخلع البسيط]

لَمّا اشتكى جعفرُ بنُ يَحيى ... فارقَنــي النَّــومُ والقَــرارُ
ومَــرَّ عَيشي عــليَّ حتَّــى ... كأنَّمــا طَعمــهُ المُــرارُ
خوفاً على جعفر بن يَحيى ... لا حُقِّـقَ الخَوفُ والحِذارُ
إن يُعفِــه اللهُ لا نُحــاذِرْ ... مــا أَحــدثَ الليلُ والنهارُ

قال: فأوصل الحاجبُ رُقْعَتَه، ثم خرج فأمره بالوصول وحده، وانْصَرَف سائِرُ النّاس.

[استعجال الصلة]

أخبرني الحسَن قال: حدَّثنا العَنَزيّ، قال: حدَّثني محمد بن الحسَين، عن عمرو بن عليّ: أنَّ أشجَعَ السُّلميّ كتب إلى الرشيد وقد أَبْطأ عنه شيءٌ أَمَرَ له[2] به: [من الطويل]

أبلِــغْ أميرَ المؤمنــين رسالَــةً ... لهــا عَنَقٌ بين الرُّواةِ فسيحُ[3]
بأنَّ لسانَ الشعرِ يُنطِقه النَّدى ... ويُخرِسه الإبطاءُ وهو فصيحُ

فضَحِك الرشيد وقال له: لن يَخرَس لسانُ شِعرك، وأمر بتعجيل صلته.

[محمد بن منصور يحبّ مديحه]

أخبرني الحسَن، ومحمد بن يحيى الصُّوليّ، قالا: حدَّثنا العَنَزيّ، قال: حدَّثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، وكان يُقال لأبيه فَتى العسكر، قال: أقبل أشجَعُ إلى بابِ أبي، فرأى ازدحامَ الناس عليه، فقال[4]: [من الهزج]

على بــابِ ابــنِ منصور ... علامــاتٌ مــن البَــذْلِ
جماعــاتٌ وحسْب البا ... ب نُبْــلاً كثرةُ الأهــلِ

فبلغ أبي بيتاه هذان، فقال: هما والله أحبُّ مدائحه إليّ.

---

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي: 79 وانظر ديوانه: 218.

2 انظر أوراق الصولي: 79–80 وديوان أشجع: 198.

3 العنق: السير السريع.

4 الخبر في أوراق الصولي: 80 وانظر ديوانه: 241 وقد أدرج البيتان في سياق قصيدة المدح.

[تهنئة جعفر بتولّيه خراسان]

أَخبرني عمّي ، والحسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا الفضلُ بن محمد اليزيديّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصليّ ، قال : لما وَلَّى الرشيد جعفرَ بن يحيى خُراسان جلس للناس فدخلوا عليه يُهنّئونه ثم دخلَ الشعراءُ فأنشدُوه ؛ فقام أشجَعُ آخرهم ، فاستأذَنَ في الإنشاد فأذِن له ، فأنشدَه قوله[1] : [من المتقارب]

أَتصبِرُ للبَيْنِ أَمْ تجزَعُ ... فإنَّ الدِّيارَ غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّقُ أَهلُ الهوى ... ويكثُر باكٍ ومُسْتَرجِعُ

حتى انتهى إلى قوله : [من المتقارب]

ودَوِّيّةٍ بين أَقطارِها ... مقاطيعُ أرضينَ لا تُقْطَعُ[2]
تَجاوَزْتُها فوق عَيْرانَةٍ ... من الريحِ في سَيرها أَسرعُ[3]
إلى جعفرٍ نزعتْ رَغبةٌ ... وأيّ فَتًى نحوه تَنْزِعُ
فما دُونه لامرئٍ مَطْمَعٌ ... ولا لامرئٍ غيره مَقنعُ[4]
ولا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَّه ... ولا يَضَعُون الذي يَرفعُ
يُريدُ الملوكُ مَدى جعفرٍ ... ولا يَصنعُونَ كما يَصْنعُ
وليس بأَوْسَعِهم في الغِنى ... ولكنَّ معروفَه أَوسعُ
تلوذُ الملوكُ بآرائه ... إذا نالها الحدَثُ الأَفظعُ[5]
بَديهَتُه مِثلُ تَدْبيره ... متى رُمتَه فهو مُسْتَجْمِعُ
وكم قائلٍ إذْ رأَى ثَروتي ... وما في فضول الغِنى أَصنعُ[6]
غَدا في ظِلال نَدى جعفرٍ ... يَجُرُّ ثِيابَ الغِنى أَشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تحيا فقد ... أَتاها ابنُ يحيى الفتى الأَروعُ

---

1 الأبيات في الخزانة 1 : 296–297 وأوراق الصولي 82–83 والديوان : 225–227 .
2 الدوية : الصحراء الواسعة .
3 العيرانة : الناقة النشيطة . وفي ل : ريحانة .
4 الشعر والشعراء : 760 :
وما خلفه لامرئ مطمع ... ولا دونه لامرئ مقنع
5 بآرائه في ل : بأبوابه .
6 الشعر والشعراء : بهجتي بدل ثروتي .

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحِكاً ، واستحسن شِعرَه ، وجَعَل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

[عزل جعفر عن خراسان]

قال : ثم بدا للرشيد في ذلك التَّدبير ، فعزل جعفراً عن خُراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد وأمَرَ ونَهى ، فوَجِم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول[1] : [من السريع]

أمست خُراسانُ تُعزَّى بما ... أخْطأها من جعفرِ المُرتَجى
كان الرشيدُ المُعتَلى أمرُه ... ولَّى عليها المُشرِقَ الأبْلَجا
ثم أراه رأيُه أنّه ... أمسى إليه منهمُ أحْوَجا
فكَمْ به الرَّحمن من كُربةٍ ... في مُدَّةٍ تقصُرُ قد فرَّجا

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوَّنتَ عليَّ العَزْل ، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر ، فسَلْني ما شئتَ ، فقال : قد كفاني جُودُك ذِلَّةَ السؤالِ ، فأمر له بألفِ دينار آخر .

[مديحه في الأمين وهو طفل]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، عن أبي دِعامة ، عن أشْجَع ، قال : دخلتُ على محمد الأمِين حين أُجلِسَ مَجلس الأدب للتَّعليم ، وهو ابنُ أربعِ سِنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته[2] : [من الكامل]

ملكٌ أبُوه وأُمُّه من نَبْعَةٍ ... منها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ
شرِبَتْ بمكّةَ في رُبا بَطْحائِها ... ماءَ النُّبوّة ليس فيه مِزاجُ

يعني النَّبعةَ . قال : فأمرتْ له زُبيدةُ بمائة ألف درهم ، قال : ولم يملِك الخلافَةَ أحدٌ أبوه وأُمُّه من بني هاشم إلاّ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه ، ومحمد بن زبيدة .

[يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك]

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، ومحمد بن يحيى الصوليّ ، قالا : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا المِهْزميّ ، قال : لمّا وَلِيَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهَيْك الشرطةَ ، دخل عليه أشجَعُ ، فأنشدَه قولَه فيه : [من الكامل]

---

1 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي : 87 والخزانة 1:298–299 وطبقات ابن المعتز : 251 وديوانه : 195–196 مع بعض اختلاف .

2 البيتان في أوراق الصولي : 94 وانظر ديوانه : 196 .

لِمَـــن المنازِلُ مثـلُ ظَهْرِ الأَرقَمِ قَدُمـت وعَهْـدُ أَنِيسها لم يَقْدُمِ
فتكَـتْ بهـا سَنَتان تَعْتَوِرانِها بالمُعْصِفات وكلّ أَسْحَـم مُرزِمِ[1]
دِمَنٌ إذا استَثْبَتَّ عينك عهدَها كـرَّت إليـك بنَظْرة المُتَوهِّمِ
ولقد طعَنْتُ الليـلَ في أَعْجازِه بالكأسِ بـين غَطارفٍ كالأَنْجُمِ
يَتمايَلُـون على النَّعيـمِ كأنَّهـم قُضُبٌ مـن الهِنْـديّ لم تَتَثلَّمِ
واللَّيـلُ مُشْتَمِلٌ بفَضْلِ رِدائِـه قـد كاد يَحْسُر عـن أَغـرَّ أرثَمِ
لِبَنـي نُهَيكٍ طاعـةٌ لـو أنَّها زُحِمَت بهَضْبِ مُتالِعٍ لَـمْ تُكْلَمِ
قـومٌ إذا غَمَزوا قَنـاةَ عَدُوِّهِم حَطَمـوا جَوانِبَها ببأْسٍ مُحْطِمِ
في سَيْفِ إبراهيمَ خـوفٌ واقعٌ لِذَوي النِّفاقِ وفيـه أَمْنُ المُسْلِمِ
ويَبِيتُ يَكْلأُ ، والعُيونُ هواجعٌ ، مـالَ المُضيع ومُهْجَـةَ المُسْتَسْلِمِ[2]
لَيـلٌ يُواصِلُـه بضَوْءِ نَهـارِه يَقْظانُ ليس يَـذُوق نَـوْمَ النُّوَّمِ
شَدَّ الخِطامَ بأَنـفِ كلّ مُخالِفٍ حتى استَقامَ لـه الذي لَمْ يُخْطَمِ
لا يُصلِـح السُّلطـانَ إلاّ شِدَّةٌ تَغْشى البَريءَ بفضل ذَنْب المُجرِمِ
منعَتْ مهابَتُـكَ النفوسَ حديثَها بـالشيء تكرهـه وإنْ لم تَعْلَمِ
ونهجْتَ في سُبُلِ السِّياسَةِ مَسْلَكاً ففهِمتَ مذهبَهـا الذي لم يُفْهَمِ

فوصله وحمله وخلع عليه .

[يستقلّ جائزته]

أَخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثنا الغَلابيُّ قال : حدَّثنا مهديُّ بن سابق قال : أَعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حَفْصةَ ـ وقد مدحه ـ ثلاثينَ ألف درهم ، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أَشْجَع ، وقد أنشدَه معهما ، ثلاثة آلاف درهم ، وكان ذلك في أوّل اتّصاله به ، فكتَب إليه أَشجَع يقول[3] : [من مجزوء الكامل]

أَعطيـتَ مـروانَ الثَّـلا ثِـينَ التـي دَلَّـت رِعاثَـهْ[4]

1 المرزم : المصوت .
2 المضيع : صاحب الضياع الكثيرة .
3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 86–87 ، وانظر ديوانه : 195 .
4 الرعاث : عثنون الديك ، ويقصد أنه زها وتكبّر .

وأبـا البَصِيرِ وإنّمـا أُعطيتَنـي منهـم ثـلاثَهْ[1]
مـا خانَنـي حَـوْكُ القريـ ـض ولا اتّهمتَ سِوى الحداثَهْ

فأمر له بعشرين ألف درهم أُخرى .

[انتحال شعره]

حدَّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريُّ ، قال : حدَّثني أبو هفان ، قال : حدَّثني سعيد بن هرَيْم وأبو دِعامة ، قالا : كان انقطاعُ أشجع إلى العبّاس بنِ محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، فقال الرشيدُ للعبّاس يوماً : يا عمّ ، إنّ الشُّعراء قد أكثروا في مدحِ محمد بسببي وبسبب أُمّ جعفر ، ولم يقُل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً ، وأنا أُحِبّ أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه ، فذكر العبّاسُ ذلك لأشْجَع ، وأمرَه أني قول فيه ، فقال[2] : [من المديد]

بَيْعَـةُ المأمـونِ آخِـذَةٌ بِعِنـان الحَقّ في أُفُقِهْ
أُحكِمتْ مِرَّاتُهـا عُقَداً تمنعُ المُخْتالَ في نَفَقِهْ
لن يفـكّ المرءُ رِبقَتَها أو يفكَّ الدِّينَ من عُنُقِهْ
ولـه مـن وَجْه والِدِهِ صُورَةٌ تَمَّتْ ومن خُلُقِهْ

قال : فأتى بها العبّاسُ الرشيد ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله : لِمَن هي ؟ فقال : هي لي ؛ فقال : قد سررتَني مرَّتين : بإصابَتِك ما في نفسي ، وبأنّها لك ، وما كان لك فهو لي ، وأمر له بثلاثين ألف دينار ، فدفع إلى أشْجَع منها خَمسة آلاف درهم ، وأخذ باقيها لنفسه .

[استعجاله عطاء يحيى]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ ، قال[3] : وعد يحيى بن خالد أشْجَعَ السُّلَميّ وعداً ، فأخّره عنه ، فقال له[4] : [من المتقارب]

رأَيْتُكَ لا تَسْتَلِـذُّ المِطالَ وتُوفي إذْ غَـدَرَ الخائنُ
فماذا تُؤخِّر من حاجَتي وأنتَ لتَعْجيلها ضامِنُ !
أَلَمْ تَرَ أَنَّ احتباسَ النَّوالِ لَمَعْرُوفِ صاحِبِه شائِنُ !

---

1 منهم ثلاثة في ل والأوراق : معهم ثلاثة .
2 ديوانه : 238 .
3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 88–89 وديوانه : 266–267 .
4 انظر أوراق الصولي : 89–91 وديوانه : 262–264 .

فلم يتعجَّلْ ما أراد ، فكتب إليه : [من الوافر]

رُويــدكَ إنَّ عِـزَّ الفَقْرِ أدنى إليَّ مـن الثّراء مـع الهَـوانِ
ومــاذا تَبلُـغُ الأَيَّامُ مِنّـي بريْبِ صُرُوفِهـا ومَعي لِساني

فبلغ قولُه جعفراً فقال له : ويلك يا أشجَعُ ! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله ، ثم كلَّم أباه فقضى حاجتَه ، فقال : [من الطويل]

كَفاني صُروفَ الدَّهْرِ يَحْيى بنُ خالد فأَصبَحْـتُ لا أُرتــاعُ للحَدَثانِ
كَفاني ، كَفـاه اللهُ كُلَّ مُلِمَّةٍ ، طِـلابَ فُـلانٍ مَـرَّةً وفُـلانِ
فَـأَصبَحْتُ في رغْدٍ من العَيْشِ واسعٍ أُقلِّـبُ فيـه ناظِـري ولساني

[إخفاقه في العمل]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال : حدَّثنا العَنَزيُّ عن ابن النَّطّاح قال : ولَّى جعفرُ بنُ يحيى أشجَعَ عملاً ، فرفَع إليه أهلُه رفائِعَ كثيرة ، وتظلَّموا منه وشَكَوْه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلمّا رجَع إليه من عمله مَثَل بين يديه ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أَمُفسِدةٌ سُعــادُ علـيَّ ديني ولائِمَتـي على طُـولِ الحَنِينِ
ومــا تَـدري سُعاد إذا تَخَلَّتْ من الأَشْجانِ كَيْفَ أَخُو الشُّجُونِ
تَنـامُ ولا أَنـامُ لِطُـولِ حُزْني وأَيْنَ أخُـو السُّرورِ من الحَزِينِ !
لقد راعَتْـك عند قَطِـين سُعْدى رواحــلُ غادِيـاتٌ بـالقَطِينِ
كأَنَّ دُمـوعَ عَيْني يـوم بانوا عِيانــاً سَحُّ مُطَّـردٍ مَعِـينِ[1]
لقد هَـزَّت سِنانَ القَـوْلِ منّي رِجــالُ رَفِيعَــةٍ لم يَعْرِفُوني
همُ جازُوا حِجابَك يا ابْنَ يَحْيى فقالـوا بالذي يَهْـوَوْنَ دُوني
أَطافُوا بـي لديك وغِبتُ عنهم ولــو أَدنَيْتَنـي لَتجَنَّبُـوني
وقــد شهدتْ عُيونُهـمُ فمالَت عــليَّ وغُيِّبَتْ عنهــم عُيوني
ولَمَّــا أن كَتَبْــتُ بمــا أرادُوا تَــدَرَّع كـُلُّ ذي غَمْـزٍ دَفِينِ
كَففتُ عــن المقاتِــلِ باديـاتٍ وقـد هَيَّأْتُ صَخْرَةَ مَنْجَنُونِ[2]

1 الأوراق : جداول من ذرى وشل معين .
2 المنجنون : دولاب الساقية .

ولــو أُرسلتُهـــا دَمَغَــتْ رِجالاً ... وصالَــت في الأَخِشَّة والشُّؤونِ[1]
وكنت إذا هــَززتُ حُسامَ قَوْلٍ ... قطعــتُ بحُجَّتــي عَلَق الوَتِينِ[2]
لعــلَّ الدّهـــرَ يُطلِقُ من لساني ... لهــم يومــاً ويَبْسط من يَميني
فأقضيَ دَيْنَهـــم بوفـــاءِ قَوْلٍ ... وأُثقلهـــم لصدقـــي بـــالديونِ
وقـــد علمـــوا جَميعاً أَنَّ قَولي ... قَرِيـــب حِـــينَ أَدْعُـــوه يَجيني
وكُنتُ إذا هَجَـوْتُ رئيسَ قَوْمٍ ... وَسَمْتُ عـلى الذُّؤابَـــة والجَبِينِ
بخطٍّ مثـــلِ حَـــرْقِ النّارِ باقٍ ... يلـــوحُ على الحَواجِـبِ والعُيُونِ
أَمائِلَـــةٌ بـــوُدِّك يـــا ابْـــنَ يَحْيى ... رِجـــالاتٌ ذَوُو ضِغْـــنٍ كَمِينِ
يَشِيمـــون السُّيـــوفَ إذا رَأَوْني ... فإنْ وَلَّيتُ سُلَّت مـــن جُفونِ[3]
ولـــو كُشِفَت سرائِرُنـــا جَمِيعاً ... علمتَ مَـــن البَريءِ مـن الظَّنينِ
عـــلامَ ، وأنتَ تَعْلَم نُصْحَ جَنْبي ... وأَخْـذي منـــك بالسَّبَبِ المتينِ[4]
وعَسْفي كُلَّ مَهْمَهَـــةٍ خَـــلاءٍ ... إليـــك بكـــلِّ يَعْمَلَـــةٍ أَمُونِ[5]
وإحْيائـــي الدُّجى لـــك بالقَوافي ... أُقيـم صُدُورَهُـــنَّ على المُتـــونِ ،
تُقـــرِّب منـــك أَعْدائـــي وأُنْـأَى ... ويجلسُ مَجْلِسي مَـــنْ لا يَليني !
ولـــو عاتبتَ نَفْسَك في مكاني ... إذاً لنَزلـــتُ عنـــدك بـــاليَمينِ
ولكِـــنَّ الشُّكوكَ نأَيْنَ عَنِّـــي ... بـــودِّك ، والمَصيـــرُ إلى اليَقِينِ
فـــإن أنصَفْتَني أحرقـــتَ منهم ... بنُضْجِ الكَـــيِّ أَثْبـــاجَ البطونِ[6]

[اتصاله بجعفر بن المنصور]

أَخبرني محمد بنُ يحيى الصَّوليُّ والحسنُ بن عليّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ قال[7] : أَوَّلُ ما نَجَمَ به أَشجَعُ أنّه اتّصلَ بجعفر بن المنصور وهو حَدَثٌ ، وصَلَه

1 الأخشة : جمع خشاش ، وهو العود يجعل في عظم أنف البعير . والشؤون : جمع شأن ، وهو عرق الدمع .
2 العلق : الحبل .
3 يشيمون السيوف : يغمدونها .
4 الأوراق : نصح حبي .
5 اليعملة : الناقة النجيبة . الأمون : الناقة الموثوقة الخلق المأمونة الكلال .
6 الأثباج : جمع ثبج ، وهو الوسط من كل شيء .
7 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 91 وديوانه : 234–236 .

به أحمد بنُ يزيد السُّلَميّ وابنه عوف ، فقال أشجَعُ في جعفر بن المنصور قوله : [من الخفيف]

اذكُروا حُرمَـةَ العَواتِك مِنّا يـا بني هاشمِ بنِ عبدِ منافِ
قـد وَلَدْنـاكُمْ ثَـلاثَ ولادا تِ خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ
مَهَّدَت هاشِماً نجـومُ قُصَيٍّ وبنـو فالحٍ حُجـور عَفافِ
إنَّ أرمـاحَ بُهْثَةَ بـنَ سُلَيْم لعِجافِ الأطرافِ غيرُ عِجافِ
ولأسيافهم قِـرى غَيْرُ لَـذٌّ راجِـعٌ في مَراجِـعِ الأكتافِ
معشَرٌ يُطعِمُونَ من ذِرْوَة الشَّو ل ويَسْقونَ خَمْرَةَ الأقْحافِ[1]
يَضرِبُون الجَبَّـار في أخدَعَيْه ويُسَقُّونـه نَقِيـعَ الذُّعافِ[2]

فشاع شِعْره وبلغ البصرة ، ولم يزل أمرُه يَتراقى إلى أن وصَلَتْه زُبَيْدةُ بعد وفاة أبيها بزَوْجها هارون الرشيد ، فأسْنى جوائزَه ، وألْحقَه بالطَّبَقة العُلْيا من الشُّعراء .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المرزبان قال : حدَّثني شَيْبةُ بنُ أحمد بن هشام ، قال : حدَّثني أحمدُ بن العبّاس الرَّبيعيُّ : أنّ الذي أوْصَلَ أشجَعَ السُّلَميّ إلى الرَّشيد جدُّه الفضلِ بن الرَّبيع ، وأنّه أوصلَه له وقال له : هو أشْعَر شُعَراء أهلِ هذا الزَّمان ، وقد اقتطعتْه عنك البرامِكة ، فأمره بإحضارِه وإيصالِه مع الشعراء ففعَل ، فلمَّا وصَلَ إليه أنشدَه قوله : [من الكامل]

قَصْـرٌ عليـه تَحيَّـةٌ وسَلامُ نَثَرَتْ عليـه جَمالَهـا الأيَّامُ
فيـه اجْتَلى الدُّنْيا الخليفَةُ والْتَقَتْ للملـك فيـه سلامَـةٌ وسَلامُ
قَصرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِه فيـه لأعـلام الهُـدَى أعْلامُ
نَشَرت عليه الأرضُ كُسوتَها التي نَسجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ[3]
أدنَتْك مـن ظِـلِّ النَّبيِّ وَصِيَّةٌ وقرابَـةٌ وُشِجَتْ بهـا الأرحامُ
برقَتْ سَماؤُك في العَدُوِّ وأمْطَرَتْ هَامـاً لهـا ظِلُّ السُّيوف غَمامُ
وإذا سُيوفُك صافحَتْ هامَ العِدا طارت لهُـنَّ عـن الرؤوسِ الهامُ
أثنـى على أيَّامِـك الأيَّـامُ والشَّاهِـدانِ : الحِـلُّ والإحرامُ

1 الشول : الناقة . والأقحاف : جمع قحف ، وهو إناء من خشب .
2 الذعاف والزعاف : السم القاتل .
3 الإرهام : المطر الخفيف .

وعَلى عَـدُوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدان : ضَوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعتَـه ، وإذا غَفـا سَلَّتْ عليـه سُيوفَـك الأَحْلامُ

قال : فاستَحْسَنها الرشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدَح الفَضْلَ بنَ الربيع ، وشكر له إيصالَه إيّاه إلى الرشيد ، فقال فيه قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الكامل]

غَلَب الرُّقـادُ على جُفونِ المُسْهَدِ وغَرِقْـتُ في سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
قـد جَدَّ بـي سَهَرٌ فلَمْ أَرقُد له والنَّومُ يلعبُ في جُفـونِ الرُّقَّدِ
ولَطالَمـا سَهِرَتْ لِحُبِّـيَ أَعْيُنٌ أَهـدى السُّهادَ لهـا ولَمَّا أَسْهدِ
أيّامَ أَرعـى في ريـاضِ بطالةٍ ورْدَ الصِّبا منهـا الذي لم يُورَدِ
لَهْوٌ يُساعِده ، الشَّبابُ ولَمْ أَجِدْ بعد الشَّبيبَة في الهوى من مُسْعِدِ[2]
وخَفِيفَـةِ الأَحشاء غير خَفِيفَـة مَجْدُولَـة جَـدْلَ العِنانِ الأَجْرَدِ
غَضِبَتْ على أَعْطافِهـا أَردافُهـا فالحَرْبُ بين إزارهـا والمِجْسَدِ[3]
خالفتُ فيـه عاذِلاً لِـيَ ناصحاً فرشَدْتُ حين عَصيْتُ قَولَ المُرشِدِ
أُقيـمُ مُحْتَمِلاً لِضَيْم حَـوادِثٍ مع هِمَّـةٍ موصولـة بالفَرْقَدِ
وأَرى مخايِلَ ليس يُخلِفُ نَوؤُها للفضل إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ
للفَضْلِ أَموالٌ أَطافَ بهـا النَّدى حتـى جُهِدْنَ وجُودُه لم يَجْهَدِ
يا ابنَ الرَّبيعَ حَسَرْتُ شُكْري بالتي أَولَيْتَني في عَـوْدِ أَمرِك والبَدِي
أَوصَلْتَني ورَفَدْتَنـي وكِلاهُمـا شَرفٌ فقأتُ بـه عُيونَ الحُسَّدِ
ووصَفْتَني عنـد الخَليفـة غائِباً وأَذِنْتَ لي فشَهِدْتُ أَفخرَ مَشْهَدِ
وكَفَيْتَني مِنَنَ الرِّجـالِ بنائـلٍ أَغنى يـدي عن أَن تُمَدَّ إلى يَدِ

[يطلب شراء غلام رومي له]

أَخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني صخرُ بن أَحمد السلميّ ، عن أبيه ، قال : كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً ، فمرَّ بنا غلامٌ أمردُ روميّ جميلُ الوجه ، فكلَّمه أشجَع وسأله هل يبيعُه مالِكُه ؟ فقال : نعم ، فقال أشجَع يمدَحُ جعفر بنَ

1 القصيدة في أوراق الصولي : 95–96 وديوانه : 201–203 .
2 مسعد : معين .
3 المجسد : ثوب يلي الجسد .

يحيى ، وسأله ابتياعَه له فقال[1] : [من الوافر]

ومُضْطَـرِبِ الوِشاحِ لمُقْلَتَيْـهِ علائِـقُ مـا لِوَصْلَتِها انْقِطاعُ
تعرَّض لي بنظـرةِ ذي دَلالٍ يُريـعُ بمُقْلَتَيْـهِ ولا يُراعُ
لِحاظٌ ليس تُحجَب عن قُلوبٍ وأمـرٌ في الذي يهوى مُطاعُ
ووُسْعي ضَيِّقٌ عنـه ومالي وضيقُ الأمـرِ يَتْبَعـهُ اتِّساعُ
وتَعْويلي على مـال ابنِ يَحْيى إليـه حَـنَّ شَوْقي والنِّزاعُ
وَثِقْتُ بجَعْفَـرٍ في كلِّ خَطْب فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال : اشتَرِه بها فإن لم تَكْفِك فازدَدْ .

[رثاؤه جاريته]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث قال : كانت لأشجَعَ جاريةٌ يقال لها : رِيمٌ ، وكان يَجِد بها وَجْداً شَديداً ، فكانت تَحلِف له إن بقيتْ بعده لم تعرَّض لغيره ، وكان يذكرُها في شعره . فمن ذلك قولُه في قصيدته التي يرثي بها الرشيد[2] : [من الطويل]

وليس لأحـزانِ النِّساء تَطاولٌ ولكنَّ أحـزانَ الرِّجـالِ تَطولُ
فلا تَبْخَلي بالدَّمْعِ عَنِّي ، فإنَّ مَن يَضِنُّ بدَمْـعٍ عـن هَوًى لبَخِيلُ
فلا كُنتُ مِمَّن يُتْبِع الرِّيحَ طَرفَه دَبُـوراً إذا هَبَّـت لـه وقَبُولُ
إذا دارَ فَيءٌ أَتبعَ الفَيْءَ طَرفَـه يَمِيـلُ مـع الأيَّامِ حَيْثُ تَميلُ

قال : وقال فيها أيضاً[3] : [من الطويل]

إذا غَمَّضَتْ فَوْقي جُفونُ حَفِيرَةٍ من الأرضِ فابْكِيني بما كُنتُ أَصنَعُ
تُعَـزِّكِ عَنِّـي عنـد ذلك سَلْوَةٌ وأَنْ ليس فِيمَن وارَت الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَيْ شَخْصي وتُغْنِكِ ثروتي ولم تَسْمَعي منِّـي ولا منكِ أَسمعُ
فحِيَنئِذٍ تَسْلين عنِّـي وإنْ يَكُنْ بُكاءٌ فأقصى مـا تُبكِّـين أَرْبَعُ

1 الأبيات في أوراق الصولي ضمن قصيدة طويلة في مدح جعفر بن يحيى : 103–104 وانظر ديوانه : 230–231 .
2 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 140 وديوانه : 245–246 .
3 أوراق الصولي : 141 وديوانه : 233 .

قليلٌ وربِّ البيْتِ يا رِيمُ ما أرى فَتاةً بمَنْ وَلَّى بــه المـوتُ تَقْنَعُ
بمَن تَدْفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمـى عليكِ بها عامٌ من الجَدْبِ يَطلُعُ
فحينئـذٍ تَدْرِيـن مَـنْ قـد رُزِيتِه إذا جَعَلـتْ أركانُ بيتـك تُنْزَعُ

[جواب أخيه أحمد على لسان ريم]

قال : فشكته رِيم إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفَضْل أيضاً فاختِير شعرُه على شعر أخيه وهو[1] : [من الطويل]

ذكرتُ فِراقـاً والفِـراقُ يُصدِّعُ وأيُّ حيـاةٍ بعـد مَوْتِك تَنْفَعُ !
إذا الزَّمــنُ الغَـرَّارُ فَـرَّقَ بيننا فما لِيَ في طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ
ولا كان يـومٌ يا ابْنَ عَمْرٍو وليلةٌ يُـبَدَّدُ فيهـا شَمْلُنـا ويُصَدَّعُ
ولا كان يومٌ فيــه تَثْـوي رهينةً فتَرْوى بجسمي الحادِثاتُ وتَشبعُ
وألطمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونُه وأخشعُ مِمّا لم أكُن منــه أخشعُ
ولــو أنَّني غُيِّبتُ في اللَّحْدِ لم تُبَلْ ولم تَــزَلْ الــراوُون لي تتوجَّعُ
وهــل رجـــلٌ أبصرتــه متوجِّعاً على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ !
ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها : اذهبِي فمِثْلُك أُخرى سوفَ أهوى وأتبَعُ
ولو أبصَرَتْ عيناك ما بي لأبصَرَتْ صبابةَ قلــب غيمُها ليس يُقْشَعُ
إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديحِ فإنّه مَنِيعُ الحِمى مَعروفُـــه ليس يُمْنَعُ
وزُرْه تَـزُرْ حِلْماً وعِلْماً وسؤدَدًا وبأساً بــه أنفُ الحوادثِ يُجدَعُ
وأبدِعْ إذا ما قلتَ في الفَضْلِ مِدْحَةً كما الفضل في بذل المواهِبِ يُبدِعُ
إذا ما حِياضُ المجدِ قلّتْ مِياهُها فحوضُ أبي العَبَّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ
وإن سَنةٌ ضَنَّتْ بخِصبٍ على الوَرى ففي جُودِهِ مرعًى خصيبٌ ومَشْرَعُ
وما بَعُدَتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نازلٌ ولا خابَ مَنْ في نائِلِ الفَضْلِ يَطْمَعُ
فنِعم المُنــادى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ لدفع خُطوبٍ مِثْلُها ليس يُدفعُ
إليكَ أبا العَبَّاسِ سارَتْ نجائِبٌ لهـــا هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِعُ
بذِكْرِك نَحْدُوها إذا مــا تأخَّرَت فتمضي على هَوْلِ المُضيّ وتُسْرِعُ

---

1 القصيدة في أوراق الصولي : 142–143 .

وما لِلسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ولا للمَطايا دُونَ بابِـــك مَفْزَعُ[1]
إليـــكَ أبـــا العَبّاسِ أحملُ مِدْحَةً مَطِيَّتُها ، حتى تُوافيـك ، أشجَعُ
فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيهـــا وإنما إلى مَفْزع الأملاكِ يُلْجا ويُفزَعُ

قال : فأنشدَها أشجَعُ الفَضْلَ ، وحدَّثه بالقِصَّة ، فوصل أخاه وجاريتَه ووصلَه .

وقال أحمد بنُ الحارث : فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشْجَع : مالك لا تمدَح الملوكَ كما يمدَحُهم أخوك ؟ فقال : إنّ أخي بلاءٌ عليَّ وإن كان فخراً ، لأنّي لا أمدحُ أحداً مِمَّن يُرضِيه دون شِعري ويُثِيبُ عليه بالكثير من الثَّوابِ إلاّ قال : أينَ هذا من قول أشْجَع ؟ فقد امتنعتُ من مدحِ أحد لذلك .

[أخوه أحمد يهجوه]

قال أحمدُ بنُ الحارث : وقال أحمدُ بنُ عمرو يهجو أخاه أشجَع ، وقد كان أحمدُ مدَح محمد بنَ جميل بشعر قاله فيه ، فسأل أخاه أشْجَع إيصاله ، ودفع القصيدةَ إليه فتوانى عن ذلك ، فقال يهجوه ، أخبرني بذلك أحمدُ بنُ محمد بنِ جميل[2] : [من المتقارب]

وسائلةٍ لِيَ : ما أشْجَعُ ؟ فقلتُ : يضـرّ ولا يَنفَعُ
قَريـبٌ من الشَّرِّ واعٍ له أصَمُّ عن الخيرِ ما يَسمَعُ
بَطيءٌ عن الأمرِ أحظى به إلى كلِّ ما ساءَني مُسرِعُ
شَرُودُ الوِدادِ على قُربِـهِ يُفـرِّقُ منـه الذي أجمَعُ
أُسَبُّ بأنّـــي شقِيقٌ له فأنْفي بـه أبـداً أجدَعُ

[إسحاق الموصليّ يثاب على إنشاده شعراً لأشجع]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال : دخلتُ على الفَضْل بنِ يحيى وقد بلغ الرشيدَ إطلاقُه يَحيى بن عبد الله بنِ حَسن ، وقد كان أمرَه بقتله فلم يُظهِر له أنّه بلغه إطلاقه . فسأله عن خبَرِه : هل قتلتَه ؟ فقال : لا ، فقال له : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّه سألَني بحقِّ اللهِ وبحقِّ رَسولِه وقرابتِه منه ومنك ، وحلَفَ لي أنّه لا يُحدِث حدَثاً ، وأنّه يُجيبُني مَتى طلبتُه . فأطرق ساعة ، ثم قال : امضِ بنَفْسِك في طلبِه حتى تجيئَني به واخرُج الساعةَ ، فخَرَج . قال : فدخلْتُ عليه مُهنِّئاً بالسَّلامة فقلت له : ما رأيتُ أثبتَ من جنانِك ولا أصحَّ من رأيك فيما جرى ،

---

1 دونك مشرع في ل : دونك شاهد .

2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 140 .

وأنت واللهِ كما قال أشجَعُ[1] : [من الوافر]

بدِيهتُـــه وفكرتُـــه سَواءٌ إذا مـــا نابَه الخَطْبُ الكَبيرُ
وأحزمُ مـا يَكونُ الدَّهرَ رأياً إذا عَـــيَّ المُشاوِرُ والمُشِيرُ
وصدرٌ فيـــه للهـــمِّ اتّساعٌ إذا ضاقَت بما تَحوي الصُّدورُ

فقال الفَضْل : انظروا كم أخذ أشْجَع على هذه القصيدة ، فاحمِلوا إلى أبي محمد مثلَه . قال : فوجدَه قد أخذ ثلاثين ألف درهم ، فحُمِلَتْ إليّ .

[يرثي صديقاً له من بغداد]

أخبرني الحُسَيْن بنُ القاسم الكَوْكبيُّ إجازة ، قال : حدَّثني محمد بنُ عَجْلان . قال : حدَّثنا ابنُ خلاَّد ، عن حُسين الجُعفيّ قال : كان أشجَع إذا قدِم بغداد ينزل على صديقٍ له من أهلِها ، فقَدِمها مرّة فوَجدَه قد مات ، والنوحُ والبكاء في دارِه ، فجَزِع لذلك وبكى ، وأنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنوحُ أسَقِيمٌ فُؤادُها أم صَحِيحُ !
قَمَـــرٌ أَطبَقُــوا عليـــه ببغدا دَ ضريحاً ، ماذا أَجَنَّ الضَّرِيحُ ![3]
رحِـمَ اللهُ صاحِبِـي ونَديمي رحمةً تَغْتدي وأُخرى تَرُوحُ[4]

وهذه القصيدة[5] التي فيها الأبيات المذكورة والغِناء فيها ، من قصيدة يمدَح بها أشجَعُ الرشيد ويُهنئه بفَتح هِرَقْلَةَ ، وقد مَدَحه بذلك وهنّأه جماعةٌ من الشُّعراء وغُنِّيَ في جميعها ، فذكرتُ خبرَ فتحِ هِرَقْلَةَ لذكر ذلك .

[فتح هرقلة]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد ، قال : كان من خبر غَزاة الرشيد هِرَقلة أن الرُّومَ كانت قد ملَّكَت امرأةً ، لأنّه لم يكُنْ بَقِيَ في أهلِ زمانها من أهل بيتها ، بيتِ المملكة ، غيرُها ، وكانت تكتُب إلى المهديّ والهادي والرشيد أوَّلَ خِلافَتِه بالتَّعْظيم والتَّبجيل ، وتدِرّ عليه الهدايا ، حتى بلَغَ ابنٌ لها فحاز المُلكَ دونها ، وعاث وأفسد ، وفاسد الرّشيد ، فخافت على مُلْك الرّوم أن يَذهب ، وعلى بِلادِهم أن تعطَب ؛ لعِلمها

1 تنسب هذه الأبيات إلى أشجع وكثير وغيرهما (الديوان : 272) .
2 الأبيات في أوراق الصولي : 129 من قصيدة في رثاء أحمد بن يزيد السلميّ ، وانظر ديوانه : 198 .
3 الأوراق : جبل أطبقوا . . .
4 الأوراق : رحم الله أحمد بن يزيد .
5 يعني القصيدة التي منها الأبيات الرائية في الفقرة السابقة .

بالرشيد وخوفها من سَطوته ، فاحتالت لابنها فسَمَلَتْ عَيْنيه[1] ، فبَطَل منه المُلك وعاد إليها ، فاستَنْكَرَ ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله . فخرج عليها نِقفور وكان كاتِبَها ، فأعانوه وعَضَّدوه ، وقام بأمْر المُلْك وضَبْط أمْر الرُّوم ، فلمّا قَوِيَ على أمره وتمَكَّن من مُلْكِه كَتَب إلى الرشيد :

«من نَقْفُور مَلِك الرُّوم إلى الرَّشيد مَلِك العرب ، أمّا بعد ؛ فإنّ هذه المرأة كانت وضَعَتْك وأباكَ وأخاك مَوْضِعَ المُلوكِ ، ووضَعَت نَفْسَها موضِعَ السُّوقَة ، وإنّي واضِعُك بغير ذلك المَوْضِع ، وعامل على تَطَرُّق بِلادِك والهجوم على أمصارِك ؛ أو تُؤدِّي إلي ما كانت المرأة تُؤدِّي إليك ، والسلام» .

فلمّا وَرَدَ كِتابُه على الرشيد كتَب إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : من عَبْدِ الله هارونَ أميرِ المؤمنين إلى نَقْفور كَلبِ الرُّوم : أمّا بعد ، فقد فهمت كِتابَك ، وجَوابُك عندي ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُه» . ثم شَخَصَ من شهره ذلك يؤمُّ بِلادَ الرُّوم في جمعٍ لم يُسمَع بمثله ، وقُوّاد لا يُجارَوْن نجدَةً ورأياً . فلمّا بلَغَ ذلك نقْفور ضاقت عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وشاوَر في أمرِه .

[قصيدة أبي العتاهية في هزيمة نقفور]

وجَدَّ الرشيد يتوغَّل في بلاد الرُّوم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِي ، ويُخرِّب الحُصونَ ويُعفِّي الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضايقة دون قُسْطَنطينيّة ؛ فلمّا بَلَغها وجَدَها وقد أمَر نقفور بالشَّجَر فقُطِع ورُمِي به في تلك الطُّرُق ، وأُلْقِيَت فيه النّار[2] . فكان أوّل مَن لَبِس ثياب النفّاطِين محمد بنُ يزيد بنِ مَزْيد ، فخاضها ، ثم اتَّبَعه الناس ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشدَّ الخُضُوع ، وأدَّى إليه الجزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

إمـامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّينِ مَعْنِيّاً ... وأصبحتَ تَسقي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيّا
لك اسمانِ شُقَّا من رَشادٍ ومن هُدًى ... فأنتَ الذي تُدعـى رَشيداً ومَهْدِيّا
إذا ما سَخِطْتَ الشيءَ كان مُسَخَّطاً ... وإن تَرضَ شَيْئاً كان في النّاسِ مَرْضِيّا
بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَـدَ العُلا ... فأوسعـتَ شَرْقِيّـاً وأوسَعْـتَ غَرْبِيّا

1 سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محمّاة .

2 ل : وأشعلت فيه النيران .

3 ديوان أبي العتاهية : 674-675 .

ووشَّيْتَ وَجْهَ الأرضِ بالجُودِ والنّدى ... فأَصبحَ وَجهُ الأرضِ بالجُودِ مَوْشِيّا
وأَنـتَ ، أَميرُ المؤمنينَ ، فَتـى التُّقى ... نشرتَ مـن الإحسانِ ما كان مَطْوِيّا
قَضى اللهُ أَن يَبْقى لِهـارونَ مُلْكهُ ... وكان قَضاءُ اللهِ في الخَلْـقِ مَقْضِيّا
تجلَّلَت الدُّنْيـا لِهارُون ذي الرِّضا ... وأَصبـح نَقْفـورٌ لهـارون ذِمـّيّا

فرجع الرشيد ، لَمّا أعطاه نَقْفور ما أعطاه ، إلى الرَّقَّة ، فلمّا سَقَط الثَّلجُ وأَمِن نَقْفُور أن يُغْزى اغترَّ بالمُهْلة ، ونَقَضَ ما بينه وبين الرشيد ، ورجَع إلى حالتِه الأولى ، فلم يَجْترِىء يحيى بنُ خالد ، فَضْلاً عن غيره ، على إخبار الرشيد بغَدر نقفور ، فبذَلَ هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعراء على أن يقولوا أشعاراً في إعلام الرَّشيد بذلك ، فكلُّهم كَعَّ[1] وأشفَق إلاّ شاعراً من أهلِ جُدَّة كان يُكنى أبا محمّد[2] ، وكان مُجيداً قَوِيَّ النَّفْسِ قَوِيَّ الشِّعرِ ، وكان ذو اليَمينَيْن اختَصَّه في أيّام المأمون ورَفَع قدرَه جدّاً ، فإنّه أَخذ من يحيى وبنِيه مائةَ ألفِ درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده : [من الكامل]

نَقَـضَ الذي أَعْطاكَـه نَقْفـورُ ... فعَلَيـه دائِـرَةُ البَـوارِ تَدُورُ
أَبْشِرْ أَميـرَ المُؤْمِـنين فإنّـه ... فَتْـحٌ أَتـاك بـه الإلهُ كَبِيرُ
فلَقَـد تباشَرَت الرَّعِيَّـة أَن أَتـى ... بـالنَّقْض عنـه وافـد وبَشِيرُ
ورجَتْ بيُمْنِك أَن تُعجِّل غَزوةً ... تَشفي النُّفوس نَكالُهـا مَذْكُورُ
أَعْطاكَ جزيتَـه وطَـأْطَـأ خَدَّه ... حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدى مَحْذُورُ
فأَجَرْتَـه مـن وَقْعِهـا وكأَنَّها ... بأَكُفِّنـا شُعَـلُ الضِّـرام تَطِيرُ
وصرفت في طول العساكِرِ قافلاً ... عنـه وجـارُك آمِـنٌ مَسْرُورُ
نَقْفورُ إنّك حين تَغْدِر أَنْ نَأَى ... عنك الإمـامُ لجاهِـلٌ مَغْرُورُ
أَظَنَنْتَ حين غَدَرْت أَنّك مُفْلِتٌ ... هَبِلَتْك أُمُّك مـا ظَنَنتَ غُرورُ
أَلقاكَ حَيْنُك في زواخِـرِ بَحْـرِه ... فَطَمت عليك من الإمامِ بُحورُ
إنَّ الإمـامَ على اقْتِسارك قـادِرٌ ... قَرُبَت دِيارُك أو نَـأَتْ بِك دُورُ[3]
لَيْس الإمـامُ وإن غَفِلنـا غافِلاً ... عمّـا يَسُوس بحَزْمِـه ويُدِيرُ

1 كعَّ : جبن .
2 ابن الأثير (حوادث سنة 187) : أبو محمد عبد الله بن يوسف ، وقيل الحجاج بن يوسف التيمي .
3 اقتسارك : قهرك .

مَلِكٌ تجَرَّد للجِهاد بنَفْسِهِ فَعدُوُّه أَبداً بِهِ مَقْهورُ
يا مَنْ يُريد رِضا الإله بسَعْيِهِ واللهُ لا يَخْفى عليه ضَميرُ
لا نُصْحَ ينفَع مَنْ يغُشُّ إمامَه والنُّصْحُ من نُصَحائِهِ مَشْكورُ
نُصْحُ الإمام على الأنامِ فَرِيضَةٌ ولأَهلِه كفَّارَةٌ وطَهُورُ

قال : فلمّا أنشده ، قال الرشيد : أَو قد فَعَل ! وعلم أَنَّ الوُزراء احتالُوا في إعلامِه ذلك فغزاه في بقيَّة من الثلج ، فافتتح هِرقلة في ذلك الوقت ، فقال أَبو العَتاهية في فَتْحه إيّاها[1] : [من الوافر]

أَلا نادَت هِرَقلَةُ بالخرابِ مِن المَلِكِ المُوَفَّق للصَّوابِ
غَدا هارونُ يُرعِدُ بالمَنايا ويُبرِق بالمُذَكَّرَةِ القِضابِ
وراياتٍ يَحُلُّ النَّصرُ فيها تمرُّ كأنّها قِطَعُ السَّحابِ
أَميرَ المؤمنينَ ظَفِرتَ فاسْلَمْ وأَبشِر بالغَنيمةِ والإيابِ

قال محمد : وجعلَ الرشيدُ قبل وصولِه إلى هِرَقْلَةَ يفتح المدنَ والحصونَ ويخرِّبها ، حتى أناخَ على هِرَقْلَةَ وهي أوثق حِصْنٍ وأعزّه جانباً وأَمنَعه ركناً ؛ فتحصَّن أهلُها ، وكان بابها يطلّ على وادٍ ، ولها خندق يطيف بها . فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة ومُلازمي الثُّغور يقال له عليّ بن عبد الله ، قال : حدَّثني جماعة أنّ الرشيدَ لَمّا حَصَرَ أهلَ هِرَقْلَةَ وغمّهم وألَحَّ بالمجانيقِ والسِّهام والعرَّادات[2] فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرِّجال قد خرج في أكمل السلاح ، فنادى : قد طالَت مُواقعتكم إيّانا فليبْرُز إليّ منكم رجلان ، ثم لَم يَزَل يزيد حتى بَلغ عشرين رجلاً ، فلم يُجِبه أحد . فدخل وأغلق بابَ الحِصن وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلاّ بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدمَه وغِلمانه على تركهم إنْباهَه ، وتأسّف لفوْته ، فقيل له : إنّ امتناعَ الناس منه سيُغْويه ويُطْغِيه ، وأحْرِ به أن يخرُج في غَدٍ فيطلُب مثلَ ما طلب ، فطالت على الرشيد ليلَتُه وأصبح كالمُنْتَظِر له ، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتِح وخَرج طالباً للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحرّ ، وجعل يدعو بأنّه يَثْبُت لعشرين منهم ، فقال الرشيد : مَن له ؟ فابتدَرَه جلَّة القُوّاد كهَرْثَمة ، ويزيدَ بن مَزْيد . وعبدِالله بن مالك ، وخُزَيْمة بن حازم ، وأخيه عبد الله ، وداود بن يَزيد ، وأخيه ، فعَزَم على إخراجِ بعضهم ، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجَهم ، فأذِن لعشرين منهم ، فاستأذَنوه في المشورة فأَذِن لهم ، فقال قائلهم : يا أميرَ المؤمنين ، قُوّادُك مشهورون بالبأْس والنَّجدة وعُلُوّ الصوت

---

1 ديوان أبي العتاهية : 491–493 .

2 العرادات : المجانيق الصغار .

ومُداوسَة[1] الحروب ، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العِلْج كانت وَضيعة على العسكر عجيبة وثُلمَة لا تُسَدّ ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منّا صوت إلاّ كما يَصْلُح للعامَّة ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُخَلِّينا نختارُ رجلاً فنخرجه إليه ، فإنْ ظَفِرَ عَلِمَ أهلُ الحِصْن أنَّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزّهم على يدِ رجلٍ من العامَّة ، ومن أفناء الناس ليس مِمَّن يُوهِن قتلُه ولا يُؤَثِّر ، وإن قُتِل الرجل فإنّما استُشْهِد رجلٌ ولم يؤَثِّر ذهابه في العسكر ولم يُثْلِمه ، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضي اللهُ ما شاء . قال الرشيد : قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا . فاختاروا رجلاً منهم يُعرَف بابن الجزريّ ، وكان معروفاً في الثَّغْر بالبأس والنجدة ؛ فقال الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستَعِين الله ، فقال : أعطُوه فَرَساً ورُمْحاً وسيفاً وتُرْساً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسي أُوثَق ، ورُمْحي بيدي أشدّ ، ولكني قد قَبِلت السيفَ والتُّرس . فلبِس سلاحه وأستَدْناه الرشيد فودَّعه ، واستتْبَعَه الدُّعاء ، وخرج معه عشرون رجلاً من المُطَّوِّعة ، فلمّا انقَضّ في الوادي قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً : إنّما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتُم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادَوْه : ليس يخرُج إليك منّا إلاّ رجلٌ واحد ، فلمّا فُصِل منهم ابن الجزريّ تأمَّله الرُّوميّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمَّلُونَ صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظنُّوا أنّه لم يَبْقَ في الحِصن أحدٌ إلاّ أشرف ؛ فقال الرّوميّ : أتصدُقُني ، عمّا أستخبِرُك ؟ قال : نعم ، فقال : أنتَ بالله ابن الجزريّ ؟ قال : اللهم نعم . فكفَّر له[2] ، ثم أخَذا في شأنهما فاطَّعَنا حتى طالَ الأمرُ بينهما ، وكاد الفَرَسانِ أن يقوما وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه ، ثم تحاجزا بشيء ، فَزَجَّ كلٌّ واحدٍ منهما برمحه ، وأَصْلَت سيفه ، فتجالدا مَلِيّاً ، واشتدَّ الحرّ عليهما ، وتبلَّد الفَرَسان ، وجَعل ابن الجزريّ يَضْرِب الرُّوميّ الضربة التي يَرى أنّه قد بلغ فيها فيَتَّقيها الروميُّ ، وكان تُرسُه حديداً ؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر ، ويضربه الرُّوميّ ضرب مُعَذِّر[3] ؛ لأنّ تُرْس ابن الجزريّ كان دَرَقَةً ، فكان العِلْج يخاف أن يَعَضّ بالسَّيْف فيعطب ، فلمّا يُئِس من وصول كلّ واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزريّ ؛ فدخلت المسلمين كآبةٌ لم يكتئبوا مثلها قطّ ، وعَطْعَطَ[4] المشرِكون اختِيالاً وتطاوُلاً ، وإنّما كانت هزيمتُه حيلةً منه ؛ فأتبعه العِلْج ، وتمكَّن منه ابن الجزريّ فرماه بوَهَق[5]

1 مداوسة الحروب : المران عليها وتذليلها .
2 كفّر له : وضع يده على صدره وطأطأ رأسه تعظيماً له .
3 المعذر : المبالغ في العذر .
4 العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .
5 الوهق : حبل فيه أنشوطة .

فوقع في عُنقه وما أُخطأه ، وركض فاستلَّه عن فرسه ، ثم عَطَف عليه فما وصل إلى الأرض حيّاً حتى فارقه رأسُه . فكبَّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشرِكون وبادروا الباب يُغلِقونه ، واتَّصل الخبر بالرشيد فصاح بالقُوَّاد : اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْع ؛ ففعلوا وجعلوا الكتّان والنّفط على الحجارة وأضرَموا فيها النار ورَمَوْا بها السور ، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة ، وقد تصدَّع فتهافتت . فلمّا أُحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأْمِنين ومستقبِلين ، فقال الشاعر المكِّيّ الذي كان ينزل جُدّة : [من البسيط]

صوت

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأَتْ عَجَباً حوائماً تَرتَمي بالنِّفط والنَّارِ
كأَنَّ نِيرانَنا في جَنْب قَلْعَتِهِم مُصَبَّغاتٌ على أَرْسانِ قَصَّارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوَّل بالبنصر .

[زهد في القيادة]

قال محمد بن يزيد : وهذا كلام ضعيف ليِّن ، ولكنَّ قدرَه عظيم في ذلك الموضع والوقت ، وغنَّى فيه المُغنّون بعد ذلك . وأعظم الرَّشيدُ الجائزةَ للجُدِّيّ الشاعر ، وصُبَّت الأَموالُ على ابن الجزريّ وقُوِّد ، فلم يقبل التّقويد إلاّ بغير رِزْق ولا عِوَض ، وسأل أن يُعفى ويُنزل بمكانه من الثَّغر ، فلم يزل به طول عمره .

أُخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا أَحمدُ بن عليّ بن أَبي نَعِيم المَرْوَزيّ قال : خرج الرشيد غازِياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقْلَة ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه : [من البسيط]

هوَت هرَقْلَة لمَّا أَنْ رأَت عَجَباً حوائِماً ترتَمي بالنفط والنّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جِيءَ بها ، فظنَّ أَنّ الطاغية قد أَتاه ، فخرج يركُض على فرس له وفي يده الرُّمح ، وتَبِعه الناس ، فلمّا تبيَّن له أنّها ماشية رَجَعوا ، فغنَّاه ابنُ جامع : [من الطويل]

صوت

رأَى في السَّما رَهْجا فيَمَّم نحوَه يجُرُّ رُدَيْنِيًّا وللرَّهْجِ يَسْتَقْرِي[1]
تناولتَ أَطرافَ البلادِ بقُدرَةٍ كأَنَّك فيها تَقْتفي أَثَر الخِضْرِ

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذْل وابن المكِّي .

1 الرهج : الغبار أو ما أثير منه والسحاب بلا ماء .

أخبرني هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ ، قال : حدَّثني الفَضْلُ بنُ محمد اليَزيديُّ ، عن إسحاق المَوْصِليّ ، قال : لمّا انصرفَ الرشيد من غزاةِ هِرَقْلَةَ قدم الرَّقَّة في آخر شهر رمضان ، فلمّا عيَّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أشْجع ، فبَدَرهم وأنشأ يقول[1] : [من البسيط]

لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْويهــا تَمْضي بهـا لكَ أيّـام وتَثْنِيها
مُستَقبِلاً زِينـةَ الدُّنيـا وبَهْجَتها أيّامنـا لـك لا تَفْنى وتُفْنِيها[2]
ولا تَقضَّت بك الدُّنيا ولا بَرَحَت يَطوي لك الدَّهرُ أيّاماً وتَطويها
ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيّام مُقبِلـةٌ إليكَ بالنصر مَعْقوداً نواصيها
أمسَتْ هِرَقْلَةُ تَهْوي من جوانِبها وناصرُ اللهِ والإسلامِ يَـرْمِيها[3]
مُلِّكْتَهـا وقَتلــتَ النّاكثِينَ بها بنَصْرِ مَنْ يملِكُ الدُّنيا وما فيها
ما رُوعِيَ الدِّينُ والدُّنيا على قَدَم بمِثْلِ هـارُون راعِيـهِ وراعِيها

قال : فأمر له بألف دينار ، وقال : لا يُنشدني أحدٌ بعده ، فقال أشجع : واللهِ لأَمرُه بألاّ يُنشدَه أحدٌ بعدي أحبُّ إليَّ من صِلته .

حدَّثني أحمدُ بنُ وصيف ، ومحمدُ بنُ يَحْيى الصُّوليّ قالا : حدَّثنا محمد بن موسى ابن حمّاد ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن عمرو الورّاق ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن منصور بنِ زياد عن أبيه ، قال : دخل أشْجَعُ على الرشيد ثـاني يـوم الفِطـر فـأنشده[4] : [من السريع]

صوت

استَقْبِلِ العيــدَ بعُمْــرٍ جَدِيد مَـدَّت لك الأيَّامُ حبْلَ الخُلودِ
مُصَعِّدا في دَرَجــات العُــلا نجْمُك مَقرونٌ بِسَعْد السُّعودِ
واطْــوِ رداءَ الشَّمس ما أطلعَتْ نُــوراً جدِيداً كلَّ يــوم جَدِيدِ

---

1 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 80–81 وديوانه : 268–269 .

2 الأوراق :

مستقبلاً بهجـة الدنيا ولذتها أيّامها لــك نظـم في لياليهـا
العيـد والعيـد والأيـام بينهمـا موصولة لـك لا تفنى وتفنيها

والبيتان في الشعر والشعراء : 761 مع اختلاف في اللفظ .

3 الأوراق :

أمست هرقلة مكلوماً جوانبها وناصر الدين بالتدبير يرميهـا

4 ديوانه : 203 .

تَمضي لكَ الأيّـامُ ذا غِبْطة إذا أتى عِيدٌ طَوى عُمـرَ عِيدِ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يُغنّى في هذه الأبيات .

[فتح طبرستان]

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ موسى بن حَمّاد ، قال : حدَّثني أبو عبدِ الله النَّخَعيّ ، قال : دخلَ أشجَعُ على الرشيد فأنشده قوله[1] : [من المتقارب]

أبَـتْ طَبَرِسْتـانُ غيرَ الذي صَدَعْتَ بـه بـين أعضائِها
ضَمَمْـتَ مَناكِبَهـا ضَمَّـةً رمَتْكَ بمـا بـين أحشائِها
سَمَوْتَ إليهـا بمِثْـلِ السَّماء تَدَلَّـى الصَّواعِـقُ في مائِها
فلمّـا نظـرتَ إلى جُرحِها وضَعْـتَ الدَّواءَ علـى دائِها
فرَشْت الجهادَ ظُهورَ الجياد بأبنائِـهِ وبـأبنائها
بنَفْسِك تَرمِيهِـمُ والخُيـولُ كَرْمـي العُقـابِ بأفْلائِها[2]
نظـرتَ برأيِـك لَمّا همـ ـتَ دُونَ الرِّجـالِ وآرائهـا

قال : فأمر له بألف دينار .

[يمن جلب الغيث]

أخبرني محمد بنُ جعفر ، قال : حدَّثنا محمد بن مُوسى ، قال : حدَّثني أبو عَمرو الباهِليُّ البصريُّ قال : دخل أشجَعُ بنُ عمرو السُّلَميّ على هارون الرشيد حين قدِم من الحَجّ ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه ، فأنشَده يقول[3] : [من الخفيف]

إنَّ يُمْـنَ الإمـام لَمّا أتانا جَلَبَ الغَيْثَ من مُتونِ الغمامِ
فابْتِسامُ النَّباتِ في أثر الغَيـ ـثِ بنُوَّارِه كسُرجِ الظَّلامِ[4]
مَلِكٌ مـن مَخافة الله مُغْضٍ وهو مُغضًى لـه من الإعظامِ
ألِف الحَـجَّ والجِهادَ فما يَنْـ ـفَكُّ من سَفْرَتَيْن في كُلِّ عامِ
سَفَرٍ للجِهـادِ نحـو عَـدُوٍّ والمطايـا لسَفْـرَةِ الإحرامِ

1 ديوانه : 187 .
2 أفلاء : جمع فلاة .
3 ديوانه : 261 .
4 سُرُج : جمع سراج .

طَلَبَ اللهَ فهــو يَسْعــى إليه بالمَطايــا وبالجِيــادِ السَّوامي
فيَــداهُ يَــدٌ بمَكَّــة تدْعــو هُ وأُخْرى في دَعْوَةِ الإسلامِ[1]

[يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر ، قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال : أخبرني أبو عبد الله النَّخَعيّ ، قال : أمرَ الرشيدُ بحفر نهر لبعض أهل السَّوادِ ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه ، فقال أشْجَع السُّلَميّ يمدحه[2] : [من مخلّع البسيط]

أجرى الإمامُ الرَّشيدُ نَهْراً عــاش بعُمرانِــه المَواتُ[3]
جــادَ عليــهِ برِيــقٍ فيهِ وسِرّ مَكْنُونــه الفُــراتُ[4]
أَلْقَمَـــــه دِرَّةً لَقُوحــاً يَرْضَع أخْلافَهــا النَّباتُ[5]

[رؤيا الرشيد]

أخبرني جَحْظَة ، قال : حدَّثني مَيْمُون بن هارون قال : رأى الرشيدُ فيما يَرى النائِم كأنّ امرأة وقَفت عليه وأخذَت كَفَّ تُراب ثم قالت له : هذه تُرْبَتُك عن قليل ، فأصبحَ فَزِعاً ، وقَصَّ رُؤْياه ، فقال له أصحابه ، وما هذا ؟ قد يرى النّاس أكثرَ ممّا رأيتَ وأغْلَظ ثم لا يضرّ . فركب وقال : والله إنّي لأرى الأمرَ قد قَرُب ، فَبَيْنا هو يَسير إذا نَظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبّاك حديد تَنْظر إليه ؛ فقال : هذه واللهِ المرأة التي رأيتُها ، ولو رأيتها بين ألف امرأةٍ ما خَفِيتْ عليّ ؛ ثمّ أمرها أن تأخذَ كَفَّ تُراب فتَدْفَعُه إليه ، فضربَتْ بيدِها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كَفَّ تُراب . فبكى ثم قال : هذه واللهِ التُّربةُ التي أُريتُها ، وهذه المرأةُ بعَيْنها . ثم مات بعد مُدَّة ، فدُفِن في ذلك المَوْضِع بعَيْنِه ، اشتُري له ودُفِن فيه ، وأُتي نعيُه بغداد ، فقال أشجَعُ يرثيه[6] : [من مجزوء الرمل]

غَرَبت بالمَشْرِقِ الشَّمْــ ــسُ فقــل للعين تَدْمَعْ
مــا رأينا قَــطُّ شمساً غَرَبت من حَيْثُ تَطْلَعْ

---

1 ل : غزوة الاسلام.
2 الأبيات في أوراق الصولي : 86 وديوانه : 193 .
3 الأوراق : باجرائه .
4 الأوراق : وسر مضمونه . . .
5 الأوراق : ألقحه درة . . .
6 ديوانه : 274 ونسبهما ابن المعتز وابن قتيبة لأبي الشيص .

[يحبّ الجارية ويبغض مولاها]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بنُ موسى ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعْد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : كان حربُ بن عمرو الثّقفيُّ نخّاساً ، وكانت له جارية مُغَنِّية ، وكان الشعراء والكُتّاب وأهلُ الأدبِ ببغداد يختلفون إليها يسمعونها ، ويُنْفِقُون في منزله النَّفقاتِ الواسعة ، ويبرُّونه ويُهدُون إليه ، فقال أشْجَع[1] : [من السريع]

جارِيَـــةٌ تهتَــزُّ أَرادفُهـــا مُشْبَعَــةُ الخَلْخَـــال والقُلْبِ
أشكُو الذي لاقَيتُ من حُبِّها وبُغْـضِ مَوْلاهـــا إلى الرَّبِّ
من بُغْض مولاها ومــن حُبِّها سَقِمتُ بـين البُغْضِ والحُبِّ[2]
فاختَلَجا في الصدرِ حتى استَوى أمرُهمـــا فـــاقْتَسَما قَلْبـــي
تَعَجَّـــل اللهُ شِفائـــي بهـــا وعَجَّـــل السُّقْـم إلى حَرْبِ

قال مؤلّف هذا الكتاب : فأخذَ هذا المعنى بعضُ المُحْدَثين من أهل عصرنا ، فقال في مُغَنِّية تُعرَف بالشّاة : [من مجزوء الوافر]

بِحُبِّ الشّاةِ ذُبتُ ضَنًى وطـــال لزوجهـــا مَقْتي
فلـــو أنّـــي مَلَكْتهُمـــا لأُسْعِدَ في الهَـوى بَخْتِي
فأُدخِل في استها أيْرِي ولِحْيَة زَوْجهـــا في استِي

[صلاح لأهل الدِّين والدُّنيا]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني صالح بن سليمان ، قال : اعتلّ يحيى بنُ خالدٍ ثم عُوفي ، فدخل النّاسُ يهنّئونه بالسَّلامة ، ودخل أشجَع فأنْشدَه[3] : [من الوافر]

لقـــد قَرعتْ شَكاةُ أبي عَليٍّ قُلوبَ مَعاشِرٍ كانوا صحاحا
فإن يَدْفَـع لنـا الرَّحمنُ عنه صُروفَ الدَّهرِ والأَجلَ المُتاحا
فقـــد أمسى صَلاحُ أبي عَليٍّ لأَهلِ الدِّينِ والدُّنيا صَلاحا[4]

1 الأبيات عدا الأخير في أوراق الصولي : 136 وديوانه : 191 .
2 الأوراق : بقيتُ بدل سقمتُ .
3 الأبيات في أوراق الصولي : 80 والشعر والشعراء : 759 وديوانه : 201 .
4 الشعر والشعراء : لأهل الأرض كلهم صلاحا .

إذا مــا المَــوْتُ أخطأَهُ فلَسنا نُبالي الموتَ حيث غَدا وراحا

[إذا مرض القاضي مرضنا]

قال : فما أُذِن يومئذٍ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البَرامكة إيّاه .

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضبّيُّ ، قال : سمعتُ محمد بنَ أبي مالك الغَنَويّ يقول : دخلَ أشجَعُ السُّلَمـيّ على عـليّ بـن شُبرُمة يعودُه ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

إذا مَرِض القاضي مَرِضْنا بأَسرِنا وإن صَحَّ لم يُسمَع لنا بِمَرِيضِ
فأصبحتُ ، لمّا اعتَلَّ يوماً ، كَطائِرٍ سَما بجَنَــاحٍ للنهــوضِ مَهِيضِ

قال : فشكره ابنُ شُبْرُمَة وحَمَله على بغلة كانت له .

[هجاء أبان بن الوليد]

أخبرني الحسنُ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عِمران ، قال : سَمِعت محمد بن أبي مالِك يقول : جاء أشجَعُ ليَدْخُل على أبان بنِ الوليد البَجَليّ ، فمنعه حاجِبُه ، وانتهره غِلمانه ، فقال فيه[2] : [من الطويل]

ألا أيُّها المُشْلي عــليّ كِلابَـــه وَلي ، غير أنْ لم أشْلِهِنّ ، كِلابُ[3]
رُويدَك لا تَعْجَلْ عليَّ فقد جرى بخِزيك ظبيٌ أعْضَبٌ وغُرابُ
علامَ تَسُدّ البابَ والسِّرُ قد فَشا وقد كنتَ مَحْجُوباً ومالك بابُ
فلو كُنتُ مِمَّن يَشْرَب الخَمرَ سادِراً إذاً لم يَكُن دُوني عليك حِجابُ
ولكنّه يَمْضي ليَ الحول كامِــلاً وما لِــيَ إلاّ الأَبيَضَيْنِ شَرابُ[4]
من الماء أو من شَخْبِ دَهْماءِ ثَرَّةٍ لهَــا حالبٌ لا يَشْتَكِي وحِلابُ[5]

[الاتعاظ بقبري النديمين]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثنا عليُّ بن الجَهْم قال : حدَّثني ابنُ أشجع السُّلميّ ، قال : لمّا مرَّ أبي وعمّايَ أحمدُ ويزيدُ ، وقد شَرِبوا

1 ديوانه : 234 . (عن الأغاني) .
2 ديوانه : 189 (عن الأغاني) .
3 المشلي : المغري .
4 الأبيضان : اللبن والماء .
5 الدهماء : الخالصة الحمرة .

حتى انتشَوْا ، بقبر الوليد بنِ عُقْبة وإلى جانبه قبرُ أبي زَبيد الطَّائي ، وكان نصرانيّاً ، والقَبْران مُختلفان كلٌّ واحدٍ منهما مُتوَجِّه إلى قِبْلَة مِلَّتِه ، وكان أبو زَبيد أوصى لمَّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جنب الوليد بالبليخ قال : فوقفوا على القَبْرين ، وجعلوا يتحدَّثون بأخبارِهما ويتذاكرون أحاديثَهما ، فأنشأ أبي يقول[1] : [من الوافر]

مَــررتُ على عِظامِ أبي زَبيدِ وقــد لاحَــت ببَلْقَعَةٍ صَلُودِ
وكان لــه الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ فنــادم قَبــرُه قَبْــرَ الوَليدِ
أنِيسا أُلفَــةٍ ذهبَــت فأمْسَتْ عظامُهُمــا تَــآنس بالصَّعيدِ
ومــا أدْري بمَنْ تبــدا المَنايا بأحْمَــدَ أو بأشْجَــع أو يَزيدِ

قال : فماتُوا والله كما رتَّبَهُم في الشِّعر ، أوَّلُهم أحمد ، ثم أشجَع ، ثم يزيد .

صوت[2]

[من الخفيف]

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانْهَه أن يَعودا إنَّ بــالبابِ حــارِسينَ قُعودا
مِــن أساوِيرَ مــا يَنُون قِياماً وخلاخيــل تُذهِــل المَوْلُودا
لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْـ ـح مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدا
يوم أُعطِي مخافةَ المَوْت ضَيْماً والمنايــا يَرْصُدْنَني أنْ أحِيدا[3]

الشِّعر ليزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ ، والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر أحمد بن المكّيّ أنّه لأبي يحيى ، وذكر الهِشاميُّ انّه لفليح . قال : ومن هذا الصوت سُرِق لحن :

تِلْــكَ عِرْسي تَلُومُنــي في التَّصابي

---

1 ديوانه : 204 .
2 ديوان ابن مفرغ : 100–103 .
3 الشعر والشعراء : يوم أعطي من المخافة ضيماً .

[391] ــ أخبار ابن مفرغ ونسبه[1]

هو يزيد بنُ ربيعة بن مُفَرِّغ[2] ، ولُقِّبَ جدُّه مُفَرِّغاً لأنّه راهن على سِقاء لَبَن أن يَشْرَبه كلّه فشَرِبه كلّه حتى فرّغه ، فلُقِّب مُفرّغاً ، ويُكنى أبا عثمان ، وهو من حِمْير فيما يزعم أهلُه ، وذكَرَ ابنُ الكلبيّ وأبو عُبيدة أنّ مُفَرِّغاً كان شعّاباً بتبالة[3] ، فادّعى أنّه من حِمْير . وقال عليّ بن محمد النّوْفليّ : ليس أحدٌ بالبصرة من حِمير إلاّ آل الحجّاج بن ناب الحِمْيريّ وبيتاً آخر ذكره ، ودفعَ بيتَ ابن مُفَرِّغ .

أخبرني محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان ، قال : أخبرني أحمدُ بن الهيثم القُرشيّ قال : أخبرني العُمريّ ، عن لَقيط بنِ بكر[4] المحاربيّ ، قال : هو يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ الحِمْيريّ حليفُ قُرَيْش ، ثم حليف آل خالِد بن أسيد بن أبي العِيص ، بن أُميّة بن عبد شمس . قال العُمَريّ : وكان ابن المكّي يقول : كان مُفَرِّغ عبداً للضّحّاك بن عبد عوف الهلاليّ فأنعَمَ عليه .

قال محمد بنُ خَلَف : أخبرني محمد بنُ عبد الرّحمن الأسديّ ، عن محمد بن رزين ، قال : قال الأخفش : كان ربيعة بنُ مُفرِّغ شعّاباً بالمدينة وكان يُنْسب إلى حِمير ، وإنّما سُمّي مُفرّغاً لتَفْريغِه العُسّ وكان شاعراً غَزِلاً محسناً ، والسيِّدُ[5] من ولده .

أخبرني محمد بن خَلَف بنِ المرزُبان ، قال : حدّثني أبو العَيْناء قال : سُئِل الأصمعيّ عن شعر

1 ترجمة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري في طبقات ابن سلام : 686–693 والشعر والشعراء : 276–280 ومعجم الأدباء (عباس) 2837–2838 وأمالي الزجاجي : 229 وأنساب الأشراف 1/4 : 374 وتاريخ الطبري 2 : 161 والاكليل 2 : 266 وجمهرة أنساب العرب : 436 وابن خلكان 6 : 342 وسير الذهبي 3 : 522 والبداية والنهاية 8 : 295 ، 314 وخزانة البغدادي 4 : 325–335 وانظر 6 : 43–45 . وقد جمع شعره ثلاث مرات : مرة على يد شارل بيلا ومرة على يد د . داود سلوم والثالثة على يد د . عبد القدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1975) وفي هذه تخريج وافٍ مع استقصاء لمختلف القراءات في مختلف المصادر . ولذلك نكتفي بالإحالة عليها .

2 في معجم الأدباء : يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ . وقال ابن خلكان إنّ أكثر العلماء يسقطون زياداً .

3 الشّعاب : الذي يصلح الصدوع . وتبالة : موضع باليمن . وذكر ابن خلكان أن مفرغاً كان حداداً .

4 ل : بكير وكذا سيأتي فيما بعد .

5 يقصد السيد الحميري .

تُبَّع وقِصتَّه ومَنْ وضعهما : فقال : ابن مُفرِّغ ؛ وذلك أنَّ يزيدَ بن معاوية لمَّا سيّره إلى الشَّام وتخلَّصه من عبّاد بن زياد أنزلَه الجزيرةَ ، وكان مُقيماً برأس عَيْن ، وزعم أنّه من حِمْير ، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره ، وكان النَّمِر بن قاسِط يدَّعي أنّه منهم .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : هو يزيدُ بن زِياد بن ربيعة بن مُفرِّغ اليَحْصُبيّ ، من حِمْير ، يَحْصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَديّ بن مالِك بنِ زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَع بن حِمير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان .

أخبرني بِخَبَره جماعة من مشايخنا ، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوْهريّ ، عن عُمر بن شَبَّة ومحمد بن خَلَف بن المرْزُبان ، عن جماعة من أصحابه ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عليٍّ بن محمد النّوفليّ ، عن أبيه ، فما اتَّفقتْ رواياتُهم من خبره جمعْتُها في ذِكره ، وما اختلفت أفردْتُ كلَّ مُنْفرد منهم بروايته .

[عباد بن زياد طرف ملول]

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عُبيدة ، عن مَسْلمة بن مُحارب ، وأخبرني الجوهريّ قال : حَدَّثنا عُمر بن شبّة ، وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : قرأتُ على محمد بنِ الحسنِ بن دُريد عن ابن الأعرابيّ ، وأخبرني محمد بنُ خَلَف بن المرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن لقيط بنِ بكير ، قالوا جميعاً : لمَّا وليَ سعيدُ بن عُثمان بن عفّان خُراسان ، استَصْحب يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، واجتهد به أن يصحبه ، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أما إذْ أبيتَ أن تصحبني وآثرت عبّاداً فاحفظ ما أُوصيك به : إنّ عبّاداً رجل لئيم ، فإيّاك والدّالَّة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه فإنّها خِدْعة منه لك عن نفسِك ، وأقلِلْ زيارته ، فإنّه طَرِفٌ[1] ملول ، ولا تفاخِره وإن فاخرَك ، فإنّه لا يحتْمل لك ما كنتُ أحتمله . ثمّ دعا سعيد بمالٍ فدفعه إلى ابن مُفرِّغ ، وقال : استعِنْ به على سفرِك ، فإن صلح لك مكانُك من عبّاد وإلاّ فمكانُك عندي مُمهَّدٌ فائتِني ؛ ثم سار سعيد إلى خراسان ، وتخلّف ابنُ مفرِّغ عنه ، وخرَج مع عبَّاد .

قال ابن دُريد في خبره ، عن مَسلمة بن مُحارب : فلمّا بلغَ عُبَيْدَ الله بن زياد صُحْبةُ ابنِ مُفرِّغ أخاه عبّاداً شَقّ عليه ، فلمّا سار أخوه عبَّادٌ شيَّعه وشيَّع الناسُ معه ، وجعلوا يودِّعونه ويودِّع الخارجون مع عبّاد عُبَيْدُ الله بن زياد ، فلمّا أراد عبيدُ الله أن يودع أخاه دعا ابنَ مُفرِّغ ، فقال له : إنّك سألت عبّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك ، وقد شقّ عليّ . فقال له ابن

1 الطرف : من لا يثبت على امرأة أو صاحب .

مُفَرِّغ : ولِمَ أَصلَحَك الله ؟ قال : لأن الشاعر لا يُقنِعه من الناس ما يُقنِع بعضَهم من بعض ، لأنّه يظنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر في موضع العُذْر ، وإنَّ عبّاداً يقدَم على أرض حرب فيشتغل بحُرُوبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت ، وتُكْسِبنا شرّاً وعاراً ، فقال له : لست كما ظنَّ الأمير ، وإنّ لِمَعْروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإنَّ عندي ، إن أَغْفَل أمري ، عذراً مُمهَّداً . قال : لا ، ولكن تَضْمَن لي إن أبطأ عنك ما تُحِبُّه ألاّ تعجل عليه حتى تكتبَ إليَّ ؛ قال : نعم ؛ قال : امضِ إذاً على الطائرِ الميمُون . قال : فقدِم عبّادٌ خُراسان ، واشتغل بحرْبه وخَراجه ، فاستبطأه ابنُ مُفرِّغ ولم يكتب إلى عُبيد الله بن زياد يشكوه كما ضَمِنَ له ، ولكنّه بسط لسانه فذَمَّه وهجاه .

[ليت اللحى كانت حشيشاً]

وكان عبّادٌ عظيمَ اللِّحْية كأنّها جُوالَق ، فسار يَزيدُ بنُ مُفرِّغ ، يوماً مع عبّاد ، فدخلت الريح فنَفَشَتْها ، فضحِك ابنُ مُفرِّغ ، وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله[1] : [من الوافر]

أَلا لَيْتَ اللِّحى كانت حَشِيشاً فنَعْلِفَهـــا خُيـــولَ المُسْلِمِينا

فسعى به اللَّخْميُّ إلى عبَّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا يَجمُل بي عقوبتُه في هذه الساعة مع الصحبة لي ، وما أُؤخِّرها إلاّ لأَشفيَ نفسي منه ، لأنّه كان يقوم فيَشْتُم أبي في عدَّة مواطن . وبلغ الخبرُ ابن مُفرِّغ فقال : إنِّي لأجِدُ رِيحَ الموتِ من عبّاد .

[يستأذن عباداً في الرجوع]

ثم دخل عليه فقال له : أيُّها الأَمير ، إنِّي كنتُ مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغَك رأيُه فيّ ، ورأَيتَ جميلَ أَثرِه عليّ ، وإنّي اخترْتك عليه ، فلم أَحْظَ[2] منك بطائلٍ ، وأُريدُ أن تأْذَن لي في الرُّجوع ، فلا حاجةَ لي في صُحْبَتك . فقال له : أمَّا اختيارك إيّاي فإنِّي اخترْتُك كما اخترْتني ، واستصحَبْتُك حين سأَلتني ، وقد أعجلْتَني عن بلوغ محبَّتي فيك ، وقد طلبتَ الإذْن لترجعَ إلى قومك ، فتَفْضحني فيهم ، وأَنتَ على الإذن قادر بعد أن أقضي حقَّك ، فأقام . وبلغ عبّاداً أنّه يسبُّه ويذكُره وينال من عِرْضه ، وأجرى عبّاد الخيل فجاء سابقاً ، فقال ابن مُفرِّغ :

سَبَق عبَّـادٌ وصَلَّـت لِحْيَتُهْ[3]

[بيع غلامه بُرد وجاريته الأراكة]

وطلب عليه العِلَل ، ودَسَّ إلى قوم كان لهم عليه دَيْن ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا ،

---

1 ديوانه : 225 .

2 ل : أحل .

3 المصلي : الذي يجيء تالياً في السباق . وتتمة الرجز : وكان خرازاً تجود قربته

فحبَسه وأَضرَّ به ؛ فبعث إليه أَنْ بِعْني الأَراكةَ وبُرْداً ، وكانت الأَراكة قَيْنَةً لابن مُفرِّغ ، وبُرْدٌ غُلامَه ، ربَّاهُما وكان شديدَ الضَّنِّ بهما . فبعث إليه ابنُ مُفرِّغ مع الرَّسول : أَيبيعُ المرءُ نفسَه أو وَلَدَه ؟ فأَضرَّ به عبّاد حتى أخذهما منه . هذه رواية مسلمة .

وأمَّا لَقيط وعمرُ بن شبَّة فإنّهما ذكرا أنّه باعهما عليه ، فاشتراهما رجلٌ من أهل خُراسان . قال لقِيط : فلمّا دخلا منزِلَه قال له بُرْد ، وكان داهيةً أَرِيباً : أَتدْرِي ما اشترَيْت ؟ قال : نعم ، اشتريْتُك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشترَيْتَ إلاّ العارَ والدَّمارَ والفضيحةَ أبداً ما حَيِيت . فجَزِع الرجلُ وقال له : كيف ذلك ؟ ويلك ! قال : نحن ليزيدَ بنِ ربيعةَ بن مُفَرِّغ ؛ والله ما أَصارَه إلى هذه الحال إلاَّ لِسانُه وشَرُّه ، أَفَتراه يهجو ابنَ زِياد ، وهو أميرُ خُراسان ، وأخوه أمير العِراقَيْن ، وعمُّه الخليفة ، في أن استَبْطأه ويُمْسِك عنك ، وقد ابتَعْتَني وابتَعْتَ هذه الجارية وهي نفسُه التي بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخلَ بيته أَشأَمَ على نفسه وأهله ممّا أَدخلتَهُ منزِلك . فقال : فاشْهدْ أنَّك وإيّاها له ، فإن شِئتُما أن تمضِيا إليه فامْضِيا ، على أنّي أخافُ على نَفْسي إنْ بَلَغَ ذلك ابن زياد ، وإن شِئتُما أن تكونا له عِندي فافعلا . قال : فاكتب إليه بذلك . فكتَب الرجلُ إلى ابن مُفَرِّغ في الحَبْس بما فَعَله ، فكتب إليه يَشْكُرُ فِعلَه ، وسأَله أن يكونا عنده حتى يُفرِّج اللهُ عنه .

قال : وقال عبّاد لحاجبه : ما أُرى هذا ، يعني ابن مُفَرِّغ ، يُبالي بالْمُقام في الحَبْس ، فَبعْ فرسَه وسلاحَه وأَثاثه ، واقسِم ثمنها بين غُرمائه ، ففعل ذلك وقسَم الثَّمَن بينهم ، وبَقِيت عليه بَقِيَّةٌ حبَسه بها . فقال ابنُ مُفَرِّغ يذكُر غُلامه بُرْداً وجارِيَته الأَراكةَ وبَيْعَهما[1] : [من البسيط]

شَرِيتَ بُرداً ولو مُلِّكتُ صَفْقَته ... لَمـا تطلَّبتُ في بَيْعٍ لـه رَشَدا
لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعَرَّض لي ... مـن الحوادِثِ مـا فارقتُه أَبدا
يا بُـردُ مـا مَسَّنا بَرْدٌ أَضَرَّ بنا ... مـن قَبْل هـذا ولا بِعْنا له وَلَدا
أَمّـا الأَراكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا ... عَيْشاً لَذِيذاً وكانت جَنَّـة رَغَدا
كانـت لنا جَـنَّة كُنّا نَعِيشُ بها ... نَغْنى بها إن خَشينا الأَزْلَ والنَّكَدا[2]
يا لَيْتَني قبل مـا نابَ الزَّمانُ به ... أَهلي لقيت على عُدْوانِـه الأَسَدا
قد خانَنا زَمَـنٌ لم نَخْشَ عَثْرَتَه ... مَنْ يأْمَن اليومَ أَم مَنْ ذا يَعِيش غَدا !

1 ديوانه : 96–99 .

2 الأزل : الضيق والشدة . والنكد : الشدة والعسر .

لامَتْنيَ النَّفْسُ في بُـرْدٍ فقلت لها لا تَهْلَكي إثْرَ بُـرْدٍ هكَذا كَمَدا
كَمْ مِـن نَعيمٍ أُصبْنا من لذاذَتِهِ قُلْنا لــه إذ تولَّـى ليتَـه خَلَدا

[هربه إلى البصرة]

قالوا : وعَلِم ابن مُفَرِّغ أنّه إن أقام على ذَمِّ عبّاد وهجائه وهو في مَحْبسه زاد نفسَه شرّاً ؛ فكان يقولُ للنّاسِ إذا سألوه عن حَبْسِهِ ما سببُه ؟ : رجل أدَّبه أميرُه ليُقَوِّم من أَوَده ، أو يكُفَّ من غَرْبه ، وهذا لعَمْري خيرٌ من جَرِّ الأميرِ ذيلَه على مُداهنة لصاحِبه . فلمّا بلغ عبّاداً قولُه رَقَّ له وأخرجه من السِّجن ، فهربَ حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشّامِ وجعل ينتقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولدَه .

وقال المدائنيّ في خبره : لَمّا بلَغَ عبَّاداً بن زيادٍ أنَّ ابن المُفَرِّغ قال :

سَبَق عَبَّـاد وصَلَّـت لِحْيَتُهْ

[عباد يجبر ابن يزيد على إنشاد شعر في هجاء أبيه]

دعا ابنَه والمجلِسُ حافِلٌ فقال له : أنشِدني هِجاءَ أبيك الذي هُجِيَ به ، فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ ما كلَّفْتني ، فأمر غُلاماً له أعْجَميّاً وقال له : قُمْ على رأسِه ، فإن أنشد ما أمرتُه به وإلاّ فصُبَّ السَّوْطَ على رأسِه أبداً أو يُنْشِده ، فأنشدَه أبياتاً هُجِيَ بها أبوه أوّلها : [من الكامل]

قَبَحَ الإلـهُ ولا يُقبِّح غيره وَجْهَ الحمارِ رَبيعةَ بن مُفرِّغِ

وجعل عَبّاد يَتَضاحك به ، فخرج ابنُ ابن مُفَرِّغ من عنده وهو يقول : والله لا يذهب شَتْم شيْخي باطلاً ، وقال يهجوه بقوله[1] : [من مجزوء الكامل]

أَصَرَمْتَ حبلك من أُمامَهْ مِــن بعـدِ أيَّــام بِرامَهْ
فـالرِّيحُ تَبكـي شَجْوَها والبرقُ يَضْحَك في الغَمامَهْ
لَهَفي على الأمْـرِ الذي كانت عواقِبُـه نَـدامَهْ
تَرْكِـي سَعيداً ذا النَّدى والبَيْت تَرْفَعُـه الدِّعامَهْ
فُتِحَتْ سَمَرْقَنْـدٌ لـه وبَنـى بعَرْصَتِها خِيامَهْ
وتَبِعْتُ عَبْـدَ بَنـي عِلا جٍ ، تِلْكَ أَشْراطُ القِيامَهْ[2]

1 ديوانه : 207–215 .

2 بنو علاج : بطن من ثقيف .

جـاءت بــه حَبَشِيَّةٌ سَكَّاءُ تحسَبُهـا نَعـامَهْ[1]
وشَرَيْتَ بُــرْداً لَيْتَني من بَعْد بُــرد كُنْتُ هامَهْ
أو بُومَــةً تدعُـو صَدًى بــين المُشَقَّــرِ واليَمامَهْ
فالهــول يَركَبُــه الفَتى حَــذرَ المَخازِي والسَّآمَهْ
والعَبْــدُ يُقْــرَعُ بالعَصا والحُــرُّ تكفِيــهِ المَلامَهْ[2]

قال : ثم لَجَّ في هجاء بني زياد حتى تغنّى أهلُ البصرة في أشعاره ، فطلبه عُبَيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام .

واختلفت الرُّواةُ فيمَن ردَّه إلى ابن زياد ، فقال بعضهم : مُعاوِية ، وقال بعضهم : يزيدُ ، والصحيحُ أنّه يزيد ؛ لأنّ عبّادَ بن زياد إنّما وَلِي سجِسْتانَ في أيّام يزيد . وقال بعضُهم : بل الذي ولاّه مُعاوِية ، وهو الذي ولّى سعيد بن عثمان خُراسان .

[عتاب معاوية على تولية يزيد]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، وعُبيد الله بن محمد الرازيّ قالا : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ قال : دخل سعيدُ بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال : علام جعلتَ يزيدَ وليَّ عهدك دوني ؟ فوالله لأبي خير من أبيه ، وأُمّي خير من أُمّه ، وأنا خير منه ، وقد ولَّيناك فما عزلناك ، وبنا نلْتَ ما نِلْتَ . فقال له معاوية : أمّا قولك : إنّ أباكَ خير من أبيه فقد صدقت لعَمْرُ الله ؛ إنّ عُثمان لخير منّي ، وأمّا قولك : إنَّ أُمَّك خير من أُمّه ، فحسب المرأةِ أن تكونَ في بيت قَومِها وأن يَرْضاها بعلها وأن يَنْجُب ولدُها . وأمّا قولُك : إنَّك خيرٌ من يَزيد ، فوالله يا بنيّ ما يسرُّني أنّ لي بيزيدَ ملءَ الغُوطَة مثلك . وأمّا قولُك : إنّكم ولَّيتموني فما عزلتموني ، فما ولّيتموني ، وإنّما ولاّني مَن هو خير منكم عُمَر ، فأقْرَرْتُموني ، وما كنتُ بئس الوالي لكم ، لقد قمتُ بثأركم ، وقتلتُ قَتَلَةَ أبيكم ، وجعلتُ الأمرَ فيكم ، وأغنيتُ فقيركم ، ورفعتُ الوضيعَ منكم ، فكلّمه يزيد في أمرِه فولاّه خُراسان .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرِّغ

[فراره هاجياً بني زياد]

قالوا : فلم يَزَل يَنْتَقِل في قُرى الشام ونواحيها ، ويهجو بني زياد ، وأشعارُه فيهم تَرِد البصرة وتنتشر وتبلُغهم . فكتب عُبيد الله بنُ زياد إلى معاوية ، وقال الآخرون : إنّه كتب إلى يزيد وهو

1 سكاء : صغيرة الأذنين .
2 المثل «العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة (الملامة) في مجمع الميداني 2 : 19 .

الصحيح ، يقول له : إنّ ابن مُفَرِّغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طُولَ الدّهر ، وتعدَّى ذلك إلى أبي سُفيان ، فقذفه بالزنا وسَبَّ ولده ، فهرب من خُراسان إلى البصرة ، وطلَبْتُه حتى لَفَظَتْه الأرض ، فلجأ إلى الشام يتمَضَّغ لحومَنا بها ، ويهتِك أعراضَنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتَنْتَصِف لنا منه . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مُفَرِّغ فيهم .

فأمر يزيد بطلبه ، فجعل ينتقل من بلدٍ إلى بلد ، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لفظَته الشام ، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قَيْس ، فالتجأ به واستجار ، فقال له الأحنف : إنّي لا أُجير على ابن سُميّة فأُعزَل ، وإنّما يُجير الرجلُ على عشيرته ، فأمّا على سُلْطانه فلا ، فإن شئت أجَرْتُك من بني سَعْد وشعرائهم ، فلا يَريبُكَ أحدٌ منهم . فقال له ابنُ مُفَرِّغ : بأَسْتاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا فيَّ ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه .

ثم أتى خالد بن عبدِ الله بن خالد بن أَسِيد فاستجار بـه ، فأبـى أن يُجيره ، فأتـى عُمَر بن عُبَيْد الله بن مَعْمر فوعده ، وأتى طَلْحَة الطَّلَحات فوعده ، وأتى المُنْذِرَ بن الجارُود العَبْديَّ فأجاره ؛ وكانت بَحْرِيَّةُ بنتُ المُنْذِر تحت عُبَيْد الله . وكان المنذر من أكرَم النّاس عليه ؛ فاغترّ بذلك وأدلّ بِمَوْضعه منه ، وطلبَـه عُبيدُ الله وقـد بلَغـه ورودُه البصرة ، فقيل له : أجاره المنذر بن الجارود . فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلمّا دَخل عليه بعث عبيدُ الله بالشُّرَط فكبسوا داره . وأتوْه بابن مُفرِّغ . فلم يَشعر المنذر إلاّ بابن مُفرِّغ قد أُقيم على رأسه . فقام المنذر إلى عُبيْد الله فكلّمه فيه فقال : أُذكِّرك اللهَ ، أيـُّها الأمير ، أن تخفْر[1] جواري فإنّي قد أجرتُه . فقال عبيد الله : يا مُنذِر لِيَمدحـنَّ أبـاك وليمدَحنَّك ، ولقد هجاني وهجا أبي ثم تُجيرُه عليّ ؟ لاها الله لا يكونُ ذلك أبداً ، ولا أغفِرُها له . فغَضِب المُنذر ، فقال له : لعلّكَ تُدِلّ بكريمَتك عندي ، إن شئتَ والله لأُبيننَّها بتطليق ألبتَّة . فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عُبيد الله على ابن مُفرِّغ فقال له : بِئسما صَحِبت به عبّاداً . قال : بِئسما صَحبني به عَبّاد ، اخترتُه على سعيد وأنفقْت على صُحبته كلّ ما أَفَدْته وكلّ ما أملكه ، وظننتُ أنّه لا يخلو من عَقْلِ زياد وحِلْم مُعاوية وسماحة قريش ، فَعَدَل عن ظَنّيَ كلّه . ثمَّ عاملني بكلّ قبيح ، وتناوَلني بكلٍّ مكرُوه ، من حبْس وغُرْم وشَتْم وضَرْب ، فكنتُ كمَن شام بَرْقاً خُلَّباً في سَحابِ جَهام ، فأراق ماءه طمَعاً فيه فماتَ عطشاً ، وما هَرَبتُ من أخيك إلاّ لَمّا خِفْتُ من أنْ يجريَ فيَّ إلى ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن في يدِك ، فشأنك فاصنع بي ما أحبَبت ، فأمر بحبسِه .

[معاوية أو يزيد لا يستبيح قتله]

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأْذَن له في قتله ، فكتب إليه : إيّاكَ وقتْلَه ، ولكن عاقِبْه

---

1 خفر جواره : حفظه وحماه ، وتعني أيضاً حفظ عهده وغدر به .

بما يُنَكِّله ويشدُّ سلطانَك ، ولا تبلُغ نفسَه ، فإنّ له عشيرةً هي جُندي وبطانتي ، ولا ترْضى بقتلِه منّي ، ولا تَقنع إلاّ بالقوَدِ منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنّه الجِدُّ منهم ومني ، وأنّك مُرْتَهَن بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحةٌ تشفي من الغَيظ . فورد الكتاب على عُبيد الله بن زياد ، فأمر بابن مُفرِّغ فسُقيَ نبيذاً حُلواً قد خُلِط معه الشُّبرُم[1] . فأسهل بطنَه ، وطِيفَ به وهو في تلك الحال ، وقرِن بِهرَّة وخِنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعُونه ويقولون له بالفارسية[2] :

أين چيست ؟ فيقول :

آبَسْتَ نبيذَ اسْت * عُصاراتُ زبيبسْت * سُميّة رُوسْبيد اسْت

وجعل كلّما جرَّ الخنزيرة ضجّت ، فجعَل يقول[3] : [من البسيط]

ضَجّتْ سُميّة لّمــا لَــزّها قَرني لا تَجزَعي إنَّ شَرَّ الشّيمة الجَزَعُ

فجعَل يُطافُ به في أسواق البصرة والصِّبيان خلفَه يصيحون به . وألَحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . فعرَف ابنُ زياد ذلك ، فقيل : إنّه لما به لا نأمن أن يموت ، فأمر به أن يُغسَل ، ففعلوا ذلك به ، فلمّا اغتسل قال[4] : [من الخفيف]

يَغسل الماءُ مــا فعلتَ وقَوْلي راسخٌ منك في العِظام البَواليَ

فردَّه عُبيدُ الله إلى الحبسِ ، وأمر بأن يُسلَم مِحجماً وقدَّموا له عُلوجاً ، وأُمِر بأن يحجمهم ، فكان يأخذُ المشارط فيَقطع بها رقابهم فيتوارَون منه ، فتركه وردّه إلى محبسه ، وقامت الشُّرَط على رأسه تَصبّ عليه السياط ويقولون له : احْجُمهم ، فقال : [من الطويل]

وما كنتُ حجّاماً ولكن أحلّني بمنزلةِ الحجّامِ نأْيِي عن الأهلِ[5]

وقال عُمر بنُ شبّة في خبره : جمع عبّاد بن زياد كلَّ شيء هجاه به ابنُ مفرِّغ ، وكتب به إلى أخيه عُبيْدِ الله وهو يومئذٍ وافدٌ على معاوية ، فكان فيما كتب إليه قوله[6] : [من الوافر]

إذا أَوْدى مُعاويـةُ بنُ حــربٍ فبشِّرْ شَعْب قعْبك بانصِداعِ[7]

1 الشبرم : نبات له حب مسهل .

2 معنى هـذا الكلام بالفارسية : (الأولاد يسألون) ما هذا ؟ (فيجيبهم ابن مفرغ) هذا ماء نبيذ ، هذه عصارة زبيب ، هذه سميته البغي .

3 ديوانه : 149 وفيه «لما مسها القرن» .

4 ديوانه : 188 .

5 ديوانه : 194 .

6 ديوانه : 156–157 .

7 الشعب : الصدع في الإناء ونحوه . والقعب : القدح الضخم الغليظ .

فأشْهدُ أنَّ أُمَّــكَ لم تباشر أبــا سُفيــان واضعَةَ القِناعِ
ولكــن كان أمــرٌ فيــهِ لَبْس على وَجَــلٍ شَديـدٍ وامتناعِ

وقوله[1] : [من الوافر]

ألا أبلغْ مُعاويةَ بــنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَـةً مِــن الرَّجل اليَماني
أتغضبُ أنْ يُقال أبـوك عَفٌّ وتَــرْضى أن يُقال أبُوك زاني
فأشهدُ أنَّ رِحْمَك مِـن زياد كرِحْم الفِيل من وَلَـدِ الأتانِ
وأشهــدُ أنّها ولــدت زياداً وصخرٌ مــن سُمَيَّةَ غيرُ داني[2]

فدخل عُبَيد الله بنُ زياد على معاوية ، فأنشده هذه الأشعار ، واستأذنه في قتله فلم يأْذَن له وقال : أدِّبه أدباً وجيعاً مُنكِّلاً ، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القتْلِ ، وذكر باقي الحديث كما ذكره مَن تقدَّم .

قالوا جميعاً : وقال ابنُ مُفرِّغ يَذْكُر جِوار المُنْذِر بن الجارود إيَّاه وأمانه[3] : [من الطويل]

تَركتُ قُرَيْشاً أن أُجاوِر فيهمُ وجاورتُ عَبْدَ القَيْسِ أهلَ المُشَقَّرِ
أُناسٌ أجارونــا فكان جِوارُهــم أعاصِيرَ مــن قَسْو العِراقِ المُبَذَّرِ
فأصبح جــارِي من خُزَيْمةَ قائِماً ولا يمنـــع الجِيرانَ غَيْرُ المُشَمِّرِ

[يستثير اليمانية لنصرته]

وقال أيضاً في ذلك[4] : [من البسيط]

أصبحتُ لا من بَني قَيْس فَتنصُرني قَيسُ العِراق ولم تَغْضَب لنا مُضَرُ
ولم تكَلَّــم قُــريشٌ في حَليفِهِمُ إذ غابَ ناصِرُه بالشَّام واحتَضَرُوا[5]
والله يعلم مــا تُخْفي النُّفوس وما سَرَّى أُميَّةُ أو مــا قــال لي عُمَرُ
وقال لي خالِــدٌ قولاً قَنِعتُ به لــو كنت أعلم أنَّى يَطْلع القَمَرُ[6]

1 ديوانه : 230–231 .
2 الشعر والشعراء : . . . . حملت زياداً .
3 ديوانه : 135 .
4 ديوانه : 122–124 .
5 الديوان : أنصاره بالشام واحتصروا . واحتضروا : بمعنى حضروا . واحتصروا : منعوا من السفر .
6 أنى يطلع القمر : من أين يأتي الفرج .

لو أنَّني شَهِدَتْني حِمْيرٌ غضِبَتْ ... دُوني فكان لهم فيما رأوْا عِبَرُ
أو كُنتُ جارَ بني هِنْدٍ تداركني ... عوفُ بنُ نُعْمانَ أو عِمْرانُ أو مَطَرُ[1]

وقال أيضاً يذكُر ذلك وما فعل به ابنَ زياد[2] : [من الخفيف]

دارَ سَلْمى بالخَبْت ذِي الأطلالِ ... كيف نومُ الأسير في الأغلالِ
أينَ منِّي السَّلامُ من بَعْد نأْيٍ ... فارْجعِي لي تَحِيَّتي وسُؤالي
أينَ منِّي نَجائِبي وجِيادِي ... وغَزالِي ، سَقى الإلهُ غزالي
أينَ لا أينَ جُنَّتِي وسِلاحي ... ومَطايا سَيَّرتُها لارْتِحالي
هدَم الدَّهْر عَرْشَنا فَتداعى ... فبَلِينا إذ كُلُّ عَيْش بالِي[3]
إذ دعانا زَوالُه فأَجَبْنا ... كُلُّ دُنْيا ونِعْمةٍ لَزوالِ
أم قَضَيْنا حاجاتنا فإلى المَوْ ... تِ مَصِيرُ المُلوكِ والأَقْيالِ
لا وصَوْمي لِرَبِّنا وزَكاتِي ... وصَلاتِي أدعُو بها وابْتِهالي
ما أتيتُ الغداةَ أمراً دَنِيّاً ... ولَدى الله كابِرُ الأعمالِ
أيُّها المالكُ المُرهِّب بالقَتْ ... لِ بَلَغْتَ النِّكالَ كُلَّ النّكالِ
فاخشَ ناراً تَشْوِي الوُجوهَ ويَوْماً ... يَقذِفُ الناسَ بالدَّواهي الثِّقالِ
قد تعدَّيْتَ في القِصاصِ وأَدْرَكْ ... تَ ذُحولاً لمَعْشَر أقْتالِ[4]
وكَسَرْتَ السِّنَّ الصَّحيحةَ منِّي ... لا تُذِلَّنْ فمُنْكَرٌ إذْلالي
وقَرَنْتُم معَ الخَنازير هِرّاً ... ويَميني مَغْلُولةٌ وشِمالي
وكلاباً يَنْهَشْنَني من وَرائي ... عجبَ الناسُ ما لهنَّ ومَا لي !
وأطلْتم معَ العقُوبة سِجناً ... فكَم السّجْن أو مَتى إرْسالي[5]
يَغسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلي ... راسخٌ مِنْكَ في العِظامِ البَوالي
لو قبلتَ الفِداءَ أو رُمْتَ مالي ... قُلتُ : خُذْه فِداءُ نَفْسيَ مالي

---

1 ل : بني نهد .
2 ديوانه : 185–193 .
3 الديوان : كل شيء .
4 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر والعداوة والحقد . وأقتال : جمع قِتل ، وهو الشجاع المقاتل .
5 في الديوان : سَجْني .

لو بِغَيْري من مَعْشَري لَعِب الدَّهْـ ـــر لما ذَمَّ نُصرَتـــي واحْتِيالي
كم بَكاني مـــن صاحِبٍ وخَليل حافِظِ الغَيْب حامِـدٍ للخِصالِ
ليتَ أنّي كُنـتُ الحَليفَ للَخمٍ وجُـذامٍ أو طَيِّـىء الأَجمالِ[1]
بَـــدَلاً مـــن عِصابَة من قُرَيْش أَسلَمُوني للخَصْم عنــد النِّضالِ
البَهالِيلُ مـــن بنـــي عَبْد شَمْس فَضَلُوا النّـاسَ بالعُـــلا والفِعالِ
وبنـــو التَّيْـمِ تَيْمِ مُـرَّة لَمَّا لَمَـع المَـوتُ في ظِلالِ العَوالي
مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الحِجْـ ـر إذِ الطَّيْرُ عُكَّـفٌ في الظِّلالِ
والبَهاليـــلُ خالِـــدٌ وسعيـــد شَمْسُ دَجْـنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ
في الأَروماتِ والذُّرى من بَني العِيـ ـص قُــرومٌ إذا تُعَـدُّ المَعالي
كُنتُ منهم ، مـا حَرَّموا فحَرامٌ لم يُرامُـــوا ، وحِلُّهُم من حَلالِ
وذَوُو المَجْدِ مـــن خُزاعَـةَ كانوا أَهلَ وُدِّي في الخِصْبِ والإمْحالِ
خَذَلُـــوني وهُــم لِذاكَ دَعَوْني لَيْس حامـــي الذِّمـــار بالخَذّالِ
لا تَدَعْنـــي فــِداك أهلي ومالي إنَّ حَبْلَيْـــكَ مـــن مَتِينِ الحِبالِ
حَسْرَتا إذ أَطَعْتُ أمْرَ غُواتـــي وعَصَيْتُ النَّصيحَ ضَـــلَّ ضَلالي

وقال يهجو عبَّادَ بن زيادٍ ويذكر سعيد بن عثمان[2] : [من المديد]

أَيُّها الشاتِـــمُ جَهْـلاً سَعِيداً وسَعِيــدُ في الحَـــوادِثِ نابُ
مـــا أَبـــوكم مُشبِهـاً لأَبيه فاسألوا الناسَ بـــذاكم تُجابُوا
سادَ عَبّـــادٌ ومُلِّــكَ جَيْشاً سَبَّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلابُ
إنَّ عامـــاً صِرْتَ فيـه أميراً تَملِــكُ النّاسَ لعــامٌ عُجابُ

[يمحو هجاءه بأظفاره]

قال : واتصل هِجاؤه زِياداً وولده وهو في الحبس ، فردَّه عُبيدُ الله إلى أخيه عبّادٍ بسجِسْتان ، ووكَّل به رجالاً ووجههم معه . وكان لمّا هرب من عبَّاد يهجوه ويكتب كلَّ ما هجاه به على حيطان الخانات ؛ وأمر عُبَيْدُ الله المُوكَّلين به أن يأخذوه يمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، وأمرهم ألاّ يتركوه يُصلّي إلاّ إلى قِبْلة النصارى إلى المشْرق . فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات

1 الأجمال في الديوان : الأجبال .
2 ديوانه : 61–63 .

التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مِمّا كتبه من الهجاء ، أُخذوه بأن يمحوَه بأظافره ، فكان يفعل ذلك ويحكُّه حتى ذهبت أظافِرُه ، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتّى سلّموه إلى عبّاد فحبسه وضيَّق عليه . قال عُمَرُ بن شبَّة في خبره : فقال ابن مُفرِّغ[1] : [من الطويل]

سَرَتْ تحت أَقطاع من اللَّيل زينَبُ   سلامٌ عليكم هَلْ لما فاتَ مَطْلَبُ !

ويروى : أَلا طرَقْتنـــا آخــرَ اللَّيل زَيْنَبُ

أَصابَ عَذابي اللونَ فاللَّونُ شاحِبٌ   كما الرأسُ من هَـوْل المنيّة أشيبُ
قُرنتُ بخِنْزِيــر وهِــرٍّ وكَلْبَةٍ   زماناً وشانَ الجلدَ ضربٌ مُشذِّبُ
وجُرِّعتُهـــا صَهباءَ مــن غيرِ لَذَّة   تُصعِّد في الجُثمـان ثـم تَصوَّبُ
وأُطْعِمْت مـــا إن لا يَحُلّ لآكلٍ   وصَلَّيْتُ شَرْقاً بَيتُ مكَّة مَغرِبُ
من الطَّفِّ مَجْنوباً إلى أَرضِ كابُلٍ   فملُّوا ومـا مَـلَّ الأسيرُ المُعذَّبُ[2]
فلو أَنَّ لَحْمي إذ هَوى لَعِبَتْ به   كِرامُ المُلـوكِ أو أُسودٌ وأَذْؤُبُ
لهَوَّن وَجْدي أو لزادت بَصيرَتي   ولكِنَّمـا أُودَتْ بلَحْمـي أَكْلُبُ
أَعبَّادُ مـــا لِلُّـــؤْمِ عنك مُحوَّلٌ   ولا لَـــكَ أُمٌّ في قُرَيْش ولا أَبُ
سيَنصُرُني مَـــنْ ليس تَنْفَع عِنْده   رُقاكَ وقَـــرْمٌ من أُمَيَّة مُصْعَبُ[3]
وقل لعُبَيْد الله : مـــا لَـــكَ والِـــدٌ   بحَقٍّ ولا يَدري امرؤٌ كيف تُنْسَبُ

في أَوَّل هذا الشعر غناء نسبته .

صوت

أَلا طرَقْتنـــا آخــرَ اللَّيـــل زينَبُ   سلامٌ عليكم هَلْ لِما فات مَطلَبُ !
وقالـــت : تَجنَّبْنـــا ولا تَقْرَبنَّـــا   فكَيْفَ وأَنُتم حاجَتـــي أَتجَنَّبُ !

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

وقالوا جميعاً : فلمّا طال مقامُ ابن مُفَرِّغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق ، وقال له : إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما

1 ديوانه 53–59 .
2 المجنوب : الذي يقاد إلى جنب الفرس . وفي الديوان : مجلوباً .
3 القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

يُمكِنُك من صوتك ، وكَتبَهما في رُقعة ، وهما[1] : [من البسيط]

أَبلِغْ لديك بنـي قَحْطانَ قاطِبةً ... عَضَّـت بأَيْرِ أَبيهـا سادةُ اليَمَنِ
أَضحى دَعِـيُّ زِيـادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ... ـ يا لَلْعجائب ـ يَلْهو بابن ذي يَزنِ[2]

ففعل الرسولُ ما أمره به ، فحَمِيت اليمانيّة وغضبوا له ، ودخلوا على مُعاوية فسألوه فيه فدفَعَهم عنه ، فقاموا غضاباً . وعرف معاوية ذلك في وجوههم ، فردَّهم ووهبَه لهم ، ووجَّه رجلاً من بني أسد يقال له خَمْخام ، ويقال : جهنام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمَره بأن يبدأ بالحبْس فيُخرِج ابنَ مُفرِّغ منه ويُطلِقه قبل أن يعلَم عبَّاد فيمَ قدِم فيغتاله . ففعل ذلك به ، فلمّا خرج من الحبس قُرِّبتْ إليه بغلة من بغال البريد فركبها ، فلمّا استوى على ظهرها قال[3] : [من الطويل]

عَـدَسْ مـا لِعَبَّـادٍ عليكِ إمارةٌ ... نجَوتِ وهـذا تَحْمِلِـين طَلِيقُ[4]
فإنَّ الذي نَجَّى من الكَرْب بَعدَما ... تَلاحَـمَ في دَرْبٍ عليكِ مضيقُ[5]
أَتاك بخَمْخامٍ فأَنْجاك فالْحَقـي ... بأَهْلِـك لا تُحبَسْ عليك طَريقُ[6]
لعمْرِي لقد أَنجاك من هُوَّةِ الرَّدى ... إمـامٌ وحَبـلٌ للأنـام وَثيقُ
سأَشكُرُ ما أُوليتَ من حُسْن نِعمة ... ومِثْـلي بشُكْـر المُنْعِمين حَقِيقُ

قال عُمر بن شَبَّة في خبره ، ووافقه لقيط بن بكير : فلمّا أُدخِل على مُعاوية بكى وقال : ركِبَ منّي ما لَم يُرْكَب من مسلم قَطّ ، على غير حَدَث في الإسلام ولا خَلْع يَدٍ من طاعةٍ ولا جُرْم ، فقال : أَلست القائل : [من الوافر]

أَلا أَبلِغْ مُعاويـةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً مـن الرَّجُـل اليَماني
أَتغضَب أن يُقال أَبـوكَ عَفٌّ ... وتَرضى أن يُقال أبوكَ زانِ !
فَأشهَدُ أَنَّ رِحْمَك مـن زيادٍ ... كرِحْمِ الفِيلِ مـن وَلَدِ الأَتانِ
وأَشهَـدُ أَنَّها وَلَدت زِيـاداً ... وصَخْرٌ مـن سُمَيَّةَ غيرُ دانِ

1 ديوانه : 226–228 .
2 تقدم المثل «فقع قرقرة» .
3 ديوانه : 171–175 .
4 عدس : كلمة لزجر البغلة ، وبها هنا سمى البغلة . وهذا بمعنى الذي .
5 الديوان : طليق الذي . . .
6 الديوان : قضى لك خمخام بأرضك فالحقي . . . . لا يؤخذ . . . .

فقال : لا والذي عظَّم حقَّك يا أميرَ المؤمنين ما قلتُه ، ولقد بلغني أنَّ عبد الرحمن بن الحَكَم قاله ونسبه إليَّ . قال : أفلَم تقُل : [من الوافر]

شَهِدتُ بـأَنَّ أُمَّك لم تُباشِر أبـا سُفْيـانَ واضِعَةَ القِناعِ
ولكـن كان أَمرٌ فيـه لَبْسٌ على وَجَـلٍ شَدِيدٍ وارتِياعِ

أو لَسْتَ القائل[1] : [من المنسرح]

إنَّ زِيـاداً ونافِعـاً وأَبـا بَكْرَةَ عِنْدي من أَعْجَب العَجَبِ
إنّ رِجـالاً ثَلاثَـةً خُلِقُـوا في رَحْمِ أُنثى ما كُلهمْ لأَبِ[2]
ذا قُرشيٌّ كما يَقُـولُ ، وذا مَوْلًـى ، وهذا بزَعْمِـه عَرَبي

في أَشعار كثيرة قُلتَها في هِجاء زياد وبنيه ، اذهَبْ فقد عفوتُ عن جُرْمِك ، ولو إيَّانا تعامل لم يكُنْ شيء مِمّا كان ، فاسكُن أيّ أرضٍ شِئْت . فاختار الموصلَ فنزلها ، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدِمها ؛ فدخل على عُبيد الله بن زياد ، واعتذر إليه وسأله الصَّفْح والأمان ، فأمَّنه وأقام بها مُدّة ، ثمّ دَخل عليه بعد أنْ أمَّنَه فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، إنّي قد ظننْت أنّ نفسك لا تَطيب لي بخير أبداً ، ولي أعداء لا آمن سعيَهم عليّ بالباطل ، وقد رأيتُ أن أتباعد ؛ فقال له : إلى أينَ شئت ؟ فقال : كَرْمان . فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقَطِيعة وكُسْوة . فشَخص فأقام بها حتى هَرَبَ عُبَيْد الله من البَصْرة ، فعاد إليها . هذه رواية عُمَر بن شَبَّة .

وقال محمد بنُ خَلَف في روايته ، عن أَحمد بنِ الهيْثم ، عن المَدائنـيّ ، وعن العمريّ ، عن لقيـط : أَنَّ ابنَ مُفـرِّغ لمّا طالَ حَبسُه وبلاؤه ، ركب طَلْحةُ الطَّلحات إلى الحجاز ، ولقي قريشاً ، وكان ابنُ مُفَرِّغ حليفاً لبني أُميَّة ، فقال لهم طَلحة : يا معشَر قُريش ، إنَّ أخاكم وحليفكـم ابن مُفَرِّغ قـد ابتُلي بهذه الأعبُد من بني زياد ، وهو عَديدكم وحليفكم ورجُلٌ منكم ، ووالله ما أُحِبُّ أن يُجْرِيَ الله عافيتَه على يدي دونكم ، ولا أَفوز بالمكرمة في أَمره وتُخلَوْا منهـا ، فانهضُوا معي بجماعتكم إلى يزيدَ بن معاوية ، فإنَّ أهلَ اليمن قد تحرّكوا بالشّام . فركب خالـدُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأُميّـة بن عبد الله أخـوه ، وعُمـرُ بن عبيد الله بن معمر ، ووجوه خُزاعة وكنانة وخَرجوا إلى يزيد ، فبَيْنا هم يسيرون[3] ذات ليلة إذ

1 ديوانه : 79 .
2 الديوان : مخالفي النسب .
3 ل : يسمرون .

سَمِعوا راكباً يتغنَّى في سواد الليل بقول ابنِ مُفرِّغ ويقول[1] : [من الخفيف]

إنَّ تركِي نَدى سَعيدِ بنِ عُثما … نَ بن عَفَّان ناصِري وعدِيدي[2]
واتِّباعي أَخا الضَّراعةِ واللُّؤ … م لنقصٌ وفَوتُ شأوٍ بَعيدِ
قلتُ واللَّيلُ مُطبِقٌ بعُراه : … ليتَني مِتُّ قبل تركِ سَعيدِ
ليتني مِتُّ قبل تَرْكي أَخا النَّجْـ … ـدة والحَزْم والفَعالِ السَّديدِ
عَبْشميٌّ أَبُوه عبدُ مَنافٍ … فازَ منها بتاجها المَعقُودِ
ثُمَّ جُودٌ لو قِيلَ : هل من مَزيد … قلتُ للسائلين : ما من مَزيدِ[3]
قُلْ لقَوْمي لَدى الأباطِح مِنْ آ … ل لُؤَيٍّ بنِ غالبٍ ذي الجُودِ
سامَني بعدَكم دَعِيٌّ زيادٍ … خُطَّةَ الغادِرِ اللئيمِ الزَّهيدِ[4]
كانَ ما كانَ في الأَراكةِ واجتَـ … ـبَّ ببُرْدٍ سَنامَ عِيسي وجيدِي
أَوْغَلَ العَبدُ في العُقوبةِ والشَّتْـ … ـمِ وأَوْدى بطارِفي وتليدِي
فارحلوا في حلِيفكم وأَخيكم … نحوَ غَوْث المُسْتَصرِخين يزيدِ
فاطلبوا النَّصفَ من دَعيِّ زيادٍ … وسلوني بِما ادَّعَيْتُ شُهودي[5]

قال : فدعا القوم بالراكبِ فقالوا له : ما هذا الذي سمعْناه منك تغنِّي به ؟ فقال : هذا قولُ رجل والله إنَّ أمرَه لعجَب ، رجل ضائعٌ بين قريش واليمن ، وهو رجل الناس ؛ قالوا : ومَن هو ؟ قال : ابنُ مفرِّغ ؛ قالوا : والله ما رحلنا إلاّ فيه وانتسبوا له . فضحك وقال : أفلا أُسمعكم من قوله أيضاً ؟ قالوا : بلى ، فأنشدَهم قولَه[6] : [من الطويل]

لعَمْرِيَ لو كان الأَسيرُ ابنَ مَعْمرٍ … وصاحبَه أو شِكلَه ابنَ أُسِيدِ
ولو أنَّهم نالوا أُميَّة أُرقَلَتْ … براكبها الوَجناءُ نحو يزيدِ
فأَبلغتُ عذراً في لؤيِّ بنِ غالب … وأَتلفتُ فيهم طارفي وتَليدي

---

1 ديوانه : 109–112 .
2 الديوان : فتى الجود ناصري وعديدي .
3 الديوان : ثم جود لو قيل : فيه مزيد ؟
4 الديوان : سنام عيشي : أي ذروة ما فيه من رغد وهناء .
5 النصف : الانصاف .
6 ديوانه : 113–116 .

فـإن لم يُغيِّرْهـا الإمامُ بحقِّها عَدلتُ إلى شُمٍّ شَوامخَ صِيدِ
فناديتُ فيهم دعوةً يَمنيَّةً كما كان آبائي دَعَوْا وَجُدُودي
ودافعتُ حتّى أَبلغ الجهدَ عنهمُ دِفاعَ امرىءٍ في الخير غير زَهيدِ
فإن لم تكُونوا عند ظَنِّي بِنصْرِكم فليس لهـا غَيْرُ الأَغَرِّ سَعيدِ
بِنَفسي وأَهلي ذاك حيّاً ومَيِّتاً نُضارٌ وُعودُ المَرءِ أكرمُ عُودِ
فكَم من مُقامٍ في قريش كُفيتُه ويومٍ يُشيبُ الكاعِباتِ شَديدِ
وخَصْمٍ تحاماه لُؤيُّ بنُ غالِبٍ شَبَبتُ له ناري فهاب وَقُودي
وخيرٍ كثيرٍ قـد أَفأتُ عليكمُ وأَنتم رُقـودٌ أو شَبيهُ رُقودِ

قال : فاستَرْجع القومُ لقوله وقالوا : واللهِ لا نَغْسِلُ رؤوسَنا في العرب إن لم نَغْسِلها بفكِّه . فأَغذَّ القومُ السَّيرَ حتى قدموا الشَّام .

[قدوم اليمانية على يزيد]

وبعث ابنُ مُفرِّغ رجلاً من بني الحارث بن كَعْبٍ ، فقام على سُور حِمْص ، فنادى بأَعلى صوته الحُصيْنَ بن نُمَير ، وكان والي حمص ، بهذه الأبيات وكان عظيمَ الجبهة : [من البسيط]

أَبلغْ لدَيك بنـي قَحْطانَ قاطبةً عَضَّتْ بأَيْر أَبيهـا سادَةُ اليَمَنِ
أَمسى دَعِـيُّ زيـادٍ فَقْعَ قَرقَرَةٍ يا لَلْعجائبِ يَلهو بابن ذي يَزَنِ !
والحِميريُّ طـريحٌ وسط مَزْبلـةٍ هـذا لعَمرُكُمُ غَبنٌ مـن الغَبنِ
والأَجبَهُ ابـنُ نُمير فوق مَفْرشه يدنُو إلى أَحْوَر العَيْنَيْنِ ذي غُنَنِ[1]
قُوموا فقُولُـوا : أَميرَ المؤمنين لنا حَقٌّ عليـك ومَـنٌّ ليس كالمِنَنِ
فاكفُف دَعيَّ زِيـادٍ عن أَكارمنا ماذا يُريـدُ على الأحقـادِ والإحَنِ

فاجتمعت اليمانيّة إلى حُصَيْن ، فعيّروه بما قاله ابن مُفرِّغ . فقال الحُصَيْن : ليس لي رأيٌ دونَ يزيد بن أسد ومَخْرمة بن شُرَحبيل ؛ فأرسل إليهما ، فاجتمعوا في مَنزلِ الحُصَين ، فقال لهما الحُصَين : اسمَعا ما أَهْدى إليَّ شاعِرُكم وقاله لكم في أخِيكم ، يعني نفسَه ، وأنشدهم ، فقـال يزيـد بن أَسد : قد جِئتُكم بأَعظمَ من هذا ، وهو قولُه : [من الطويل]

ومـا كنتُ حجّاماً ولكِنْ أَحلَّني بِمنزِلةِ الحَجَّامِ نأْيـى عن الأَصلِ

فقال الحُصَين : واللهِ لقد أَساءَ إلينا أميرُ المؤمنين في صاحِبنا مرَّتين : إحداهُما أنّه هربَ

1 الأجبه : العظيم الجبهة ، وهو الحصين بن نمير .

إليه فلم يُجِرْه ، وأُخْرى أنَّه أمرَ بعذابه غير مراقِبٍ لنا فيه . وقال يزيد بن أَسد : إنّي لأَظنّ أنَّ طاعتَنا ستفسُد ويمحوها ما فعل بابن مفرِّغ ، ولقد تطلَّع من نفسي شيء ، لَلموْت أَحبُّ إليَّ منه . وقال مَخْرمةُ بنُ شُرَحْبيل : أيّها الرَّجلان ، اعقِلا فإنّه لا معاوية لكما ، واعْرِفا أنَّ صاحِبَكما لا تقدَحَ فيه الغِلْظة ، فاقْصِدا التَّضرُّع . فركِب القومُ إلى دمشقَ وقدِموا على يزيدَ بن معاوية ، وقد سبقهم الرَّجل ، فنادى بذلك الشِّعر يوم الجمعة على درج مَسْجِد دمشق ، فثارت اليمانيّة وتكلَّموا ، ومشى بعضُهم إلى بعض ، وقدِم وفدُ القُرشيِّين في أمره مع طلحة الطَّلحات ، فسبقوا القُرشيِّين ، ودخلوا على يزيدَ بن معاوية ، فتكلّم الحُصَين بن نمَيْر ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الذي أتاه ابنُ زياد إلى صاحبنا لا قرارَ عليه ، وقد سامنا عُبيدُ الله وعبَّادٌ خُطَّةَ خَسْف ، وقَلَّدانا قِلادةَ عار ، فأنصِف كريمَنا من صاحبِه ، فوالله لئن قدرْنا لنَعْفُونَّ ، ولئن ظُلِمنا لننتَصرنّ . وقال يزيد بنُ أسد : يا أمير المؤمنين ، إنّا لو رضينا بمُثْلَةِ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه ، لم يَرْضَ الله عزَّ ذكره بذلك . ولئنْ تقرّبنا إليك بما يُسخطُ الله لَيُباعدنّا الله منك ، وإن يمانيّتك قد نَفَرتْ لصاحبها نفرةً طار غُرابُها ، وما أدري متى يَقع ، وكلّ نائرةٍ[1] تقدحَ في المُلك ، وإن صَغرتْ لم يُؤمن أن تكبر ، وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيّما إذا كانت في أنفٍ لا يُجدَع ، ويد لا تُقْطَع ، فأَنْصِفنا من ابني زياد .

وقال مَخْرَمَة بنُ شُرَحْبيل ، وكان مُتألِّهاً عظيمَ الطاعة في أهلِ اليمن : إنّه لا يدَ تحجُزك عن هواك ، ولو مثَّلتَ بأخينا وتولَّيتَ ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يُعاتبك فيه مُعاتِب ، ولكنَّ ابنَيْ زياد استخفَّانا بما يثْقُل عليك من حقّنا ، وتهاوَنا بما تُكرِمُه منّا ، وأنت بيننا وبين الله ، ونحن بينك وبين الناس ، فأنصفنا من صاحبَيْك ، ولَيَنْفَعْنا بلاؤنا عندك .

فقال يزيد : إنَّ صاحِبَكم أتى عَظِيماً ؛ نفى زياداً من أبي سُفْيان ، ونفى عبّاداً وعُبَيْدَ الله من زياد ، وقلَّدَهم طوقَ الحمامة[2] ، وما شَجَّعه على ذلك إلاّ نسبُه فيكم ، وحِلفُه في قريش ، فأمّا إذ بَلَغ الأمرُ ما أرى ، وأشْفى[3] بكم على ما أشفى ، فهو لكم ، وعليَّ رِضاكم .

قال : وانتهى القُرشيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم ، وقال لليمانيِّين : قد أتَتْكم بُرى الذهب من أهلِ العراق ، فدخلوا وسلَّموا والغَضبُ يتبَيَّن في وجوههم ، فظنَّ يزيدُ الظنون ،

1 النائرة : العداوة والشحناء .

2 انظر المثل «تقلدها طوق الحمامة» في مجمع الميداني 1 : 145 وجمهرة العسكري 1 : 255 ومستقصى الزمخشري 2 : 30 .

3 أشفى : أشرف .

وقال لهم : ما لكُم ؟ انفتق فَتْقٌ أو حدَثَ حدَثٌ فيكم ؟ قالوا : لا ، فسَكَن .

فقال طلحة الطَّلَحات : يا أَميرَ المؤمنين ، أَما كفى العربَ ما لقِيَتْ من زياد ، حتى استعمَلْتَ عليها ولدَه يستكثِرُون لك أحقادَها ، ويُبَغِّضونَك إليها ؟ إنّ عُبَيْد الله وأخاه أتيا إلى ابن مُفَرِّغ ما قد بلغك ، فأنصِفنا منهما إنصافاً تعلَم العرب أنَّ لنا منك خلَفاً من أبيك ؛ فوالله ، لقد خبَأَ لك فعلُهما خبئاً عند أهل اليمن لا نَحْمَدُه لك ، ولا تَحْمَدُه لنفْسِك .

وتكلَّم خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ زياداً رُبِّيَ في شرِّ حِجْر ، ونشأَ في أخْبَث نَشْء ، فأثْبتُّم نِصابه في قريش ، وحملْتُموه على رِقاب الناس ، فوَثَب ابْناه على أَخِينا وحلِيفِنا وحليفك ، ففعلا به الأفاعِيل التي بلغَتْك ، وقد غَضِبَتْ له قريشُ الحجاز ويمنُ الشَّام مِمَّن لا أُحِبُّ والله لك غَضَبه ، فأنصِفْنا من ابنَيْ زِياد .

وتكلّم أَخوه أُميّةُ بنحو ممّا تكلّم أخوه وقال : والله يا أميرَ المؤمنين لا أَحطُّ رَحْلي ، ولا أَخلع ثِيابَ سفري ، أو تنصِفَنا من ابنَيْ زياد ، أو تَعْلَمَ العربُ أنّك قد قطَعْتَ أرحامَنا ، ووصلْتَ ابنَيْ زياد بقطْعِنا ، وحكمتَ بغيرِ الحقِّ لهما علينا .

وقال ابنُ مَعْمَر : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ ابنَ مُفرِّغ طالما ناضلَ عن عِرْضِك وعِرْضِ أَبيك وأعراضِ قومك ، ورمى عن جَمْرة أهلِك ، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيّاً لم يرضَ به ، وهذا رجل له شرَفٌ في قومه ، وقد نفرُوا له نَفْرة لها ما بعدها ، فأعْتِبْهم وأنصِف الرجلَ ولا تُؤْثِر مَرْضاةَ ابنَي زيادٍ على مَرْضاةِ الله عزَّ وجلَّ .

[يزيد يطلق ابن مفرِّغ]

فقال يزيدُ : مرحباً بكم وأَهلاً ، والله لو أُصابه خالدٌ ابني بما ذكرتم لأُنصفته منه ، ولو رحلتم في جميع ما تُحيط به العراق لوهَبْتُه لكم ، وما عندي إلاّ إنصافُ المظلوم ؛ ولكنَّ صاحبكم أسرَف على القوم . وكتبَ يَزيدُ ببناء داره ، وردَّ مالِه وتَخْلِية سبيله ، وألاّ إمرةَ لأحد من بني زياد عليه ؛ وقال : لولا أنَّ في القَوَد بعدما جرى منه فَساداً في المُلك لأقدْتُه من عبَّاد .

وسرَّح يَزيدُ رجُلاً من حِمْيَر يقال له خَمْخام ، وكتب معه إلى عبّاد بن زياد : نفسَك نفسَك ؛ وأن تَسقُط من ابن مُفَرِّغ شعْرَةٌ فأُقِيدَكَ والله به ، ولا سُلطانَ لك ولا لأخيك ولا لأَحدٍ غيري عليه . فجاء خَمْخامُ حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر الناس وأَخرجه .

قالوا : فلمّا دخل على يزيد قال له : يا أَمير المؤمنين ، اختَر منّي خَصْلَةً من ثلاث خصال ، في كلِّها لي فَرَج ، إمّا أن تُقِيدَني من ابن زِياد ، وإمّا أن تُخلّي بيني وبينه ، وإمّا أن تُقدِّمَني فتضرِبَ عنقي .

فقال له يزيد : قبَّح اللهُ ما اخترته وخيَّرتَنيه ؛ أمّا القوَد من ابن زياد فما كنتَ لأُقيدَك من عامل كان عليك ، ظلمتَه وشتَمتَ عِرضَه وعِرْضي معه ، وأمّا التَّخْلِية بينك وبينه فلا ، ولا كرامة ، ما كنتُ لأُخلِّي بينك وبين أهلي تقطعُ أعراضَهم ، وأمّا ضَرْبُ عُنُقِك ، فما كنتُ لأَضرِبَ عُنُقَ مسلم من غير أن يستحق ذلك ، ولكنّي أفعلُ ما هو خير لك مِمّا اختَرْتَه لنفسك ؛ أعطيك دِيَتَك ، فإنّهم قد عرَّضُوك للقتل ، وأكففْ عن ولدِ زياد ، فلا يَبْلغني أنّك ذكرتَهم ، وانزِل أيّ البلاد شئتَ . وأمر له بعشرة آلافِ درهم .

[ابن مفرِّغ يعتذر لابن زياد]

فخرج حتى أتى المَوْصِل وأقام بها ما شاءَ اللهُ ، ثم خَرَج ذات يوم يَتَصَيَّد ، فلَقِي دِهْقاناً على حمارٍ له ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق . قال : من أيّها ؟ قال : من البصرة ، ثم من الأهواز . قال : فما فعل المَسْرُقان[1] ؟ قال : على حاله ، قال : أفتَعْرِف أناهِيدَ بنت أعنق ؟ قال : نعم ؛ قال : ما فعلت ؟ قال : على أحْسن ما عَهِدْت . قال : فضرَب بِرْذَوْنَه وسار حتى أتى الأَهْوازَ ، ولم يعلم أهلُه ولا غيرُهم بمَسِيره . ثم أتى عُبَيْد الله بنَ زِياد ، فدخل عليه واعتذر إليه ، وسأله الأمانَ فأمَّنه ، ثم سأله أن يكتُب له إلى شريك بن الأَعْور فكتب له ووصَلَه . وخرج فأقام بكَرْمان حتى غلب ابنُ الزُّبير على العراق ، وهرب ابنُ زياد وكان أهلُ البصرة قد أجمعوا على قَتله ، فخرج عن البصرة هارباً ، فعاد ابن مُفَرِّغ إلى البصرة ، وعاود هجاء بني زياد ، فقال يذكر هرب عُبَيْد الله وتَرْكَه أُمَّه بقوله[2] :

[من الكامل]

أَعُبَيدُ هَـلاَّ كنتَ أوّلَ فـارسٍ ... يـوم الهِياجِ دعا بحَتْفِك داعِ[3]
أَسلمْتَ أُمَّكَ والرِّمـاحُ تَنوشُها ... يـا ليتَني لـك ليلـةَ الإفزاعِ[4]
إذ تَسْتَغيث ومـا لنفسِك مانِعٌ ... عبْـدٌ تـردِّدُه بـدارِ ضَياعِ
هَـلاَّ عجوزك إذ تُمَـدُّ بثَدْيِها ... وتَصيـحُ ألاّ تَنْزِعُـنَّ قِناعي
أنقذتَ مـن أيـدي العُلوج كأنّها ... رَبْداءُ مُجفِلـةٌ ببطـنِ القاعِ[5]

1 المسرقان : نهر بخوزستان عليه عدة قرى .
2 ديوانه : 159–165 .
3 بحتفك في الديوان : لحينك .
4 تنوشها في الديوان : شوارع .
5 الربداء : السوداء أو التي بلون الرماد .

فركبتَ رأسَكَ ثم قلتَ : أرى العِدا ... كثُروا وأخلفَ مَوْعِدي أشْياعي[1]
فانْجي بنَفْسِكِ وابتغي نَفَقاً فما ... لي طاقَـةٌ بك والسَّلامُ وداعِي
ليسَ الكَريمُ بمَـنْ يُخَلِّف أمّه ... وفتاتَـــه في المَنزِلِ الجَعْجاعِ[2]
حَـذَرَ المَنِيَّةِ والرِّمــاحُ تَنوشُه ... لم يَـرْمِ دون نِسائـه بكُراعِ[3]
مُتأبِّطــاً سيفــاً عليــه يَلْمَـقٌ ... مثـــل الحمــار أثرتَـه بيَفاعِ[4]
لا خيرَ في هَـذِرٍ يهُــزُّ لسانَه ... بكلامـه والقلـبُ غيرُ شُجاعِ
لابنُ الزّبير غَـداةَ يَذْمُـر مُنْذِراً ... أَوْلى بغايَـة كلِّ يـومٍ وِقاعِ[5]
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرئٍ ... كَـزٍّ أناملُــه قصير البــاعِ[6]
جَعْدِ اليدين عن السَّماحة والنَّدى ... وعــن الضَّريبـة فاحِشٍ مَنّاعِ
كم يـا عُبَيْد الله عندك مـن دَمٍ ... يسعـى ليُدْرِكَـه بقَتْلِـكَ ساعِ
ومعاشرٍ أُنُفٍ أبَحْتَ حريمَهـم ... فرَّقتهـم مـن بعـدِ طُولِ جِماعِ
اذكُـرْ حُسَيْناً وابنَ عُرْوَةَ هانئاً ... وابنَـي عَقيـلٍ فـارس المِرْباعِ

وقال أيضاً يذكر هربه[7] : [من الطويل]

أَقَــرَّ بعينـي أنَّهُ عَـقَّ أُمَّه ... دعَتْه فولَّاها اسْتَه وهـو يَهرُبُ
وقـال : عليكِ الصبرَ كُوني سَبِيَّةً ... كما كنتِ أو مُوتي ؛ فذلك أقرَبُ
وقد هتفتْ هِنْدٌ : بماذا أمرتَني ؟ ... أَبِنْ لي وحَدِّثني إلى أينَ أذهبُ ؟[8]
فقال : اقْصِدِي للأزْدِ في عَرَصاتِها ... وبَكْرٍ فمـا إن عَنْهُـمُ مُتَجَنَّبُ
أخــافُ تَميماً والمَسالِحُ دونَها ... ونيرانُ أعدائـي عــليَّ تلهَّبُ[9]

1 فركبتَ رأسك في الديوان : فلبست سمعك .
2 الجعجاع : الموطن الضيق الخشن .
3 الكراع : الخيل .
4 اليلمق : القباء المحشو .
5 يذمر : يهدد ويحض على القتال .
6 كز الأنامل : كناية عن البخل .
7 ديوانه : 64–71 .
8 هند : امرأة عبد الله بن زياد .
9 المسالح : مواضع السلاح .

وولّى وماءُ العينِ يَغسِلِ وَجْهَها كأن لم يكُن والدَّهْرُ بالنّاسِ قُلّبُ
بما قَدَّمَتْ كَفّاك لا لَكَ مَهْرَبٌ إلى أيِّ قَوْمٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ
فكَمْ من كَرِيمٍ قد جَرَرْتَ جَرِيرَةً عليه فمَقْبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ
ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسُحْرَةٍ تُبكّي قتيلاً أو صَدًى يَتَأَوَّبُ[1]
فصبراً عُبَيْدُ ابنَ العَبيدِ فإنّما يُقاسي الأُمورَ المُسْتَعِدُّ المُجَرِّبُ
وذُقْ كالذي قد ذاقَ منكَ معاشِرٌ لَعِبْتَ بهم إذ أنتَ بالنّاسِ تلعَبُ
فلو كنتَ حُرّاً أو حَفِظْتَ وَصِيَّةً عطَفْتَ على هِنْدٍ وهِنْدٌ تُسَحَّبُ[2]
وقاتلتَ حتى لا تُري لك مَطْمَعاً بسَيْفِك في القومِ الذين تَحزَّبُوا
وقلتَ لأُمِّ العَبْد أُمِّك : إنّني وإن كَثُر الأعداءُ حامٍ مُذَبِّبُ[3]
ولكن أَبى قلبٌ أُطِيرَتْ بَناتُه وعِرْقٌ لكم في آلِ مَيْسان يَضرِبُ[4]

وقال في ذلك أيضاً[5] : [من الوافر]

أَلا أَبلِغْ عُبَيْدَ اللهِ عنّي عُبيدَ اللُّؤمِ عبدَ بني عِلاجِ[6]
عَليَّ لكم قلائدُ باقِياتٌ يُثِرْنَ عليكمُ نَقْعَ العَجّاجِ
تَدَّعيْتَ الخضارِمَ من قُريشٍ فما في الدِّين بعدك من حِجاجِ[7]
أَبِنْ لي هل بِيَثْرِبَ زَنْدُ وَرْدٍ قُرى آبائك النَّبَطِ العَجاجِ ![8]

وقال فيه أيضاً[9] : [من الوافر]

عُبَيدُ الله عَبْدُ بني عِلاجٍ كذاكَ نسبتُه وكذاكَ كانا
أعبْدَ الحارثِ الكِنديِّ ألاّ جعلتَ لإسْتِ أُمِّكَ دَيْدبانا[10]

---

1 يتأوب : يرجع .
2 الديوان : ولو كنت صلب العود أو ذا حفيظة .
3 مذبب : مدافع .
4 بناته في ل : ثيابه . وآل ميسان : النبط سكان السواد .
5 ديوانه : 87–88 .
6 يسمى آل زياد عبيد بني علاج لأن زياداً ولد على فراش مولى لهم .
7 الخضارم : جمع خضرم ، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء .
8 زند ورد : بلد قرب واسط . والعجاج : رعاع الناس .
9 ديوانه : 221–222 .
10 الحارث : هو الحارث بن كلدة . والديدبان : الرقيب .

فَتَسْتُرَ عَــورةً كانتْ قَدِيماً ... وتمنع أُمّكَ النَّبَــطَ البِطانا

وقال يهجو عُبيد اللهِ وعبّاداً ، أُنشدناه جماعة ، منهم هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة ، وهذا من قصيدة له طويلة أوّلها[1] : [من الوافر]

جَــرَتْ أُمُّ الظِّباء بِبَيْنِ لَيلى ... وكلُّ وِصال حَبْــلٍ لانقطاعِ

يقول فيها :

ومــا لاقَيتُ مــن أيّام بُؤْسٍ ... ولا أمــرٍ يَضيقُ بــه ذِراعي

ولم تَكُ شِيمتي عَجْزاً وَلُؤْماً ... ولم أَكُ بالمُضلَّل في المَساعي

سِوى يَومِ الهَجين ومَنْ يُصاحِبْ ... لئامَ النّاس يُغْضِ على القذاعِ[2]

حَلفتُ بِرَبِّ مَكَّةَ لو سلاحي ... بكفّــي إذ تُنازعنــي مَتاعِي

لباشَرَ أُمَّ رأسِك مَشْرَفِــيٌّ ... كذاكَ دَواؤنا وجع الصُّداعِ

أفي أحسابِنا تُــزري علينا ... هبِلْتَ وأنتَ زائدةُ الكُراعِ[3]

تبغَّيْتَ الذُّنــوب عَــليَّ جَهْلاً ... جُنوناً مــا جُننتَ ابنَ اللَّكاعِ

فما أُسفي على تَرْكي سَعِيداً ... وإسحاقَ بنَ طَلحــةَ واتّباعِي

ثَنايا الوَبْــر عبدَ بنــي عِلاجٍ ... عُبيْدَة فقْــعَ قَرْقَــرَةٍ بِقاعِ[4]

إذا مــا رايــةٌ رُفِعَت لمجد ... وودّع أهلُهـــا خَيْــرَ الوَداعِ

فأيْــرٌ في استِ أُمِّك من أمير ... كذاك يقال للحَمق اليَراعِ[5]

وَلا بُلَّــتْ سمــاؤك من أميرٍ ... فبِئس مُعَرَّسُ الرّكْب الجياعِ[6]

أَلَم تَرَ إذْ تُحالِف حِلْف حَرْبٍ ... عليك غَدَوْتَ من سَقَط المَتاعِ

وكدتَ تَمُوتُ أَنْ صاحَ ابنُ آوى ... ومثْلُك مات من صوت السِّباعِ

ويَوْمَ فَتحتَ سيفَكَ من بَعيدٍ ... أُضِعْتَ وكلُّ أمــرِك للضَّياعِ

---

1 ديوانه : 150–157 وأول القصيدة فيه :

أأن غنّت حمامــة بطن واد ... حماماً جاء من طرف اليفاع

2 القذاع : الفحش والمشاتمة .

3 زائدة الكراع : ما دون الكعب من الدابة . والكراع من كل شيء طرفه . وأكارع الناس : السفلة .

4 تقدم هذا المثل .

5 اليراع : الجبان .

6 المعرس : مكان النزول . يدعو عليه بالجدب .

إذا أُودى مُعاويةُ بـنُ حَرْبٍ فبشِّرْ شَعْبَ قَعْبك بانْصداعِ
فأشهـدُ أنَّ أُمَّك لم تُباشِرِ أبـا سُفيـانَ واضعةَ القِناعِ
ولكـن كانَ أمـراً فيـه لَبْسٌ على عَجَـل شديـدٍ وارْتياعِ

قال : وكان عبّاد في بعض حروبه ذاتَ ليلة نائماً في عسكره ، فصاحت بناتُ آوى ، فثارت الكلابُ إليها ، ونفر بعضُ الدَّوابّ ففزع عبّاد وظنّها كَبْسَةً من العدوّ ، فركب فرسه ودَهِش ، فقال : افتَحوا سيفي ، فعيّره بذلك ابن مفرِّغ . وممّا قاله ابن مُفرِّغ في هجاء بني زياد وغُنِّي فيه[1] : [من البسيط]

صوت

كَم بالدُّروبِ وأرضِ الهندِ من قَدَمٍ ومِنْ جَماجم قَتلى ما هُمُ قُبِرُوا[2]
ومـن سَرابيـلِ أَبطالٍ مُضرَّجَةٍ ساروا إلى الموت ما خامُوا ولا ذُعِروا[3]
بقُنْدُهـارَ ومَـنْ تُختَمْ مَنيَّتُهُ بقُنْدهـارَ يُرجَّـم دونَـه الخَبَرُ

غنَّى في هذه الأبيات ابنُ جامع .

أَجَـدَّ أَهلُك ، لا يأتيهِـمُ خَبَرٌ منّـا ولا منهـم عَيْنٌ ولا أَثَرُ
ولم تكلّـم قُريش في حَليفِهِـمُ إذ غابَ أَنصارُه بالشّامِ واحتُضِروا
لـو أنّني شَهِدتني حِمْيَرٌ غَضِبتْ إذاً فكان لهـا فيمـا جَرى غيَرُ
رهطُ الأغرِّ شراحيلِ بن ذي كَلَع ورهطُ ذي فائشٍ مـا فوقهم بَشَرُ
قُولا لطَلْحة ما أغنتْ صَحيفتكم وهل لجارك إذ أوردْتَـه صَدَرُ
فمَـنْ لنـا بشَقيقٍ أو بأُسرته ومَنْ لنا ببني ذُهْلٍ إذا خَطَرُوا !
هُم الذينَ سَمَـوْا والخيْلُ عابِسَةٌ والنّاسُ عنـد زيـاد كلّهم حَذِرُ
لولاهـمُ كان سلاّمٌ بِمَنْزِلتـي أَوْلى لهم ثمَّ أَولى بعدما ظَفِرُوا

أخبرني محمد بن خلَف ، عن أبي بكر العامريّ ، عن إسحاق بنِ محمد ، عن القَحْذَميّ قال : هجا سلامٌ الرّافعيُّ مُقاتلَ بن مِسْمَع فقال فيه : [من الطويل]

أَبى لك يـا ذا المَجْدِ أَنَّ مُقاتِلا زَنى واستَحلَّ الفارِسيَّ المُشَعْشَعا[4]

---

1 ديوانه : 120–126 .
2 الديوان : كم بالجروم .
3 خاموا : ذعروا .
4 الفارسي المشعشع : الخمر .

في أبيات هجاه بها فحبَسه مقاتل بالعربة[1] . فركب شقيقُ بنُ ثَوْر في جماعة من بني ذُهْل إلى الحبْس فأخرجه ؛ فضَرَب به ابنُ مفرِّغ المَثَل في الشِّعر الماضي .

أخبرني محمد بنُ خلَف بن المرْزُبان ، قال : حدَّثني أبو عبد الله اليمانيُّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيُّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال : قال لي عُبيد الله بن زِياد : ما هُجيتُ بشيءٍ أشدَّ عليَّ من قول ابن مُفَرِّغ[2] : [من البسيط]

فكِّرْ ، ففي ذاك إن فكَّرْتَ مُعْتَبرٌ   هــل نِلْتَ مَكرُمَةً إلاَّ بتأميرِ !
عاشَتْ سُمَيَّةُ ما تَدْري وقد عَمَرَتْ   أنَّ ابنَها من قُريشٍ في الجَماهيرِ[3]

وروى اليَزيديُّ في روايته عن الأحول : قال أبو عبيدة : كان زياد يزعمُ أنَّ أمَّه سُمَيّة بنتَ الأعور من بني عبد شمس بن زيد مَناة بن تَميم ، فقال ابنُ مفرِّغ يردّ ذلك عليه[4] : [من الوافر]

فأُقسِم مــــا زِيادٌ من قُرَيشٍ   ولا كانت سُمَيَّةُ مـــن تمِيمِ
ولكن نَسْلُ عَبْــدٍ مــن بَغيٍّ   عريقِ الأَصْلِ في النَّسَبِ اللَّئيمِ

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ قال : أنشدني أبو عبيدة لابن مُفرِّغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأُبْنَة[5] : [من الكامل]

أبلِــغْ قُريشاً قَضَّها وقَضيضَها   أهلَ السَّماحَـة والحُلُومِ الرَّاجحَهْ
أنِّــي ابتُلِيــت بحَيَّــةٍ ساوَرْتُــه   بيَدٍ لعَمْري لم تكُــنْ ليَ رابحَهْ[6]
صَفَق المُبَخَّــل صَفْقَـــةً ملعُونَةً   جرَّتْ عليــه مــن البلايا فادِحَهْ
شتّانَ مَـــنْ بَطحاء مَكَّـةَ دارُه   وبنُو المُضافِ إلى السِّباخ المالحَهْ
جَعُدَتْ أنامِلُـــه ولامَ نِجـــارُه   وبذاك تُخبِرُنـــا الظِّباءُ السانِحَهْ[7]
فـــإذا أُمَيَّة صَلْصَلَتْ أحسابُهـــا   فبَنُو زِيــاد في الكلابِ النَابِحَهْ
قالوا : يُناكُ ، فقلتُ : في جَوْفِ استِه   وبذاك خَبَّرني الصَّدوقُ الفاضِحَهْ

1 العربة : موضع .
2 ديوانه : 140 .
3 الديوان : وما علمت .
4 ديوانه : 206 .
5 ديوانه : 90–91 .
6 الحية تذكّر وتؤنّث .
7 لام نجاره : لؤم أصله .

لَمْ يبقَ أَيــرٌ أَسودُ أَو أَبيــضٌ إلاَّ له استُكَ في الخَلاءِ مُصافِحَهْ

[هجا عبيد الله بعد مقتله]

وأخبرني إبراهيم بنُ السريّ بن يحيى ، قال : حدَّثني أبي ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : لمّا قُتِل عُبيد الله بن زياد يوم الزَّاب ، قَتَلَه أَصحابُ المختار بن أَبي عبيد ويقال : إنّ إبراهيم بنَ الأشْتَر حمل على كتيبته فانهزموا ؛ ولَقيَ عبيد الله فضرَبه فقتله ، وجاء إلى أصحابه فقال : إنّي ضربتُ رجلاً فقدَدْتُه نصْفَين فشرَّقَتْ يداه وغرَّبَتْ رِجلاه ، وفاح منه المِسْك ، وأظنّه ابن مَرْجانة ، وأومأ لهم إلى موضِعِه . فجاؤوا إليه وفتَّشُوا عليه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن زياد ، فقال ابنُ مُفرِّغ يهجو[1] : [من البسيط]

إنَّ الذي عــاشَ ختَّاراً بذِمَّتِـهِ وعاشَ عَبْـداً قَتِيلُ الله بالزَّابِ[2]
العَبْدُ للعَبْدِ لا أَصْلٌ ولا طَـرَفٌ أَلْوَتْ بــه ذاتُ أَظْفـارٍ وأَنْيابِ
إنّ المَنايــا إذا مــا زُرْنَ طاغِيَةً هَتَكْنَ عنـه سُتوراً بـين أَبْوابِ
هَـلاَّ جُموعَ نِـزارٍ إذ لقِيتَهُمُ كنتَ امرءاً مـن نِزارٍ غير مُرتابِ
لا أَنتَ زاحَمْت عن مُلْكٍ فتمنعَه ولا مَـدَدْت إلى قَـوْمٍ بأَسْبابِ
مـا شُقَّ جَيبٌ ولا ناحَتْكَ نائِحةٌ ولا بَكَتْكَ جِيــادٌ عند أَسلابِ
لا يتركُ اللهُ أَنْفاً تَعْطِسُونَ بهــا بنــي العَبِيد شُهـوداً غيرَ غُيَّابِ
أَقولُ بُعْداً وسُحْقاً عنـد مَصْرعه لابن الخَبيثَةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي[3]

والقصيدة المذكورة بها غِناء فيه منها ، وقال[4] : [من الخفيف]

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانهَهُ أَن يَعُودا إنَّ بـالبابِ حـارِسينَ قُعودا
مــن أُساوِيرَ مــا يَنُــون قِياماً وخَلاخيــلَ تُذْهِـل المَوْلُودا[5]
وطماطِيمَ من مشايـخ جُـونٍ أَلْبَسوني مـع الصَّباحِ قُيُودا[6]

1 ديوانه : 81–84 .
2 ختار : غادر .
3 الكودن : البرذون الهجين . والكابي : المنكب على وجهه .
4 ديوانه : 100–104 .
5 الأساوير : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس أو الجيد الرمي بالسهام . والخلاخيل : يريد بها القيود في رجليه .
6 الطماطيم : الأعاجم الذي لا يفصحون . والجون : السود . وفي الديوان : «وطماطيم من سبابيج غتم» . والسبابيج قوم من السند كانوا بالبصرة حراس سجون . والغتم : الذين في منطقهم عجمة .

أيّ بلـوى معيشة قـد بلَوْنا فَنعمنـا وما رَجونـا خُلودا
ودهـورٍ لَقِينَنـا مُوجِعـاتٍ وزمـانٍ يُـكسِّرُ الجلمودا
فصبرنـا على مواطـن ضِيقٍ وخطوبٍ تُصَيِّرُ البِيضَ سُودا
ظَلَّ فيها النصيحُ يُرسِل سِرّاً لا تُهالنَّ إن سمعـتَ الوعيدا
أفإنْسٌ مـا هكذا صَبْرُ إنسٍ أم من الجِنِّ أم خُلِقتُ حَدِيدا
لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فَلَق الصّبـ ـح مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا[1]
يومَ أُعطِي مخافةَ الموت ضَيْماً والمنايـا يرصُدنَنـي أن أحيدا

قال : وهي قصيدة طويلة .

وتمثَّل الحسين بنُ عليٍّ صَلوات الله عليه ، بهذيْن البيتين لمَّا خرج من المدينة إلى مكّة عند بيعة يزيد : [من الخفيف]

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْـ ـحِ مُغِيراً ولا دُعيـتُ يَزِيدا
يوم أُعطِي مَخافَةَ المَوْتِ ضَيْماً والمَنايـا يَرْصُدْنَنـي أن أحِيدا

حدَّثني أحمد بن عيسى أبو موسى العِجْليّ العطَّار بالكوفة قال : حدَّثني الحُسَين بن نصر بن مُزاحم المِنْقَرِيُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا عمر بن سعيد ، عن أبي مِخْنَف ، قال : حدَّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبي سعيد المَقْبريّ قال : والله لرأيـتُ حُسَيْناً عليه السلام وهو يمشي بين رَجُلَين ، يعتَمِد على هذا مَرَّة ، وعلى هذا مرّة ، حتى دخلَ المسجِد وهو يقول :

لا ذَعَرتُ السَّوام . . . البيتين .

قال : فقلت عند ذلك إنّه لا يلبَثُ إلاَّ قليلاً حتى يخرُج ، فما لَبِث أن خرَج ، فلَحِقَ بمكّة ، فلمّا خرج من المدينة قال : ﴿فخَرَجَ مِنْها خائِفاً يترقَّبُ قال : رَبِّ نَجِّني مَن القَوْمِ الظَّالِمِين﴾[2] . ولمّا توجّه نحو مكّة قال : ﴿ولَمّا تَوَجَّه تِلقاءَ مَدْيَنَ قال عَسى رَبِّي أن يَهْدِيَني سَواءَ السَّبِيل﴾[3] .

[أعطاه مروان وكساه فمدحه]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن

1 الديوان : في وضح الصبح . والشعر والشعراء : في غلس الليل .
2 سورة القصص ، الآية : 21 .
3 سورة القصص ، الآية : 22 .

الصبّاح ، عن ابن الكلبيّ قال : لمّا قَدِمَ ابنُ مفرِّغ إلى معاوية مع خَمْخام الذي وَجَّهه إليه ، فانتزعه من عبّاد بن زياد ، نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذٍ عند معاوية ، فأعطاه وكساه ، وقام بأمره واسترفد له كلَّ مَن قدر عليه من بني أبي العاص بن أُميّة ، فقال ابنُ مُفَرِّغ يَمْدَحُه من قصيدته[1] : [من الكامل]

وأَقمْتُمُ سُوقَ الثَّناء ولم تكُـن ... سُوقُ الثَّناء تُقامُ في الأَسْواقِ
فكأنّما جَعَـلَ الإلَـهُ إليكُمُ ... قَبْضَ النُّفوسِ وقِسْمَةَ الأرزاقِ

[ذكره بنات الدهقان في شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان ابنُ مُفَرِّغ يهوى أُناهِيدَ بنتَ الأعنق ، وكان الأعنق دِهْقاناً من الأهواز ، له ما بين الأهواز وسُرَّقَ ومناذِرِ والسُّوس ، وكان لها أخوات يقال لهنَّ : أسماءُ والجُمانةُ ، وأُخرى قد سقط اسمها عن دماذ ، فكان يذكُرُهن جميعاً في شعره . فمن ذلك قولُه في صاحبتِه أناهيد من أبيات[2] : [من البسيط]

سِيرِي أُناهِيـدُ بالعبْرَيْـنِ آمنـةً ... قـد سَلَّمَ اللّهُ من قومٍ بِهم طَبَعُ[3]
لا باركَ اللّهُ فيهـم معشراً جُبُناً ... ولا سقى دارَهم قَطْراً ولا رُبِعوا
السارقـين إذا جاعـوا نَزِيلَهُمُ ... والأَخبَثِينَ بطُونـاً كلّمـا شَبِعُوا
لا تأمَنَنَّ حِزاميّـاً نزلـتَ بِـهِ ... قوم لديهم تناهى اللّؤمُ والضَّرَعُ
جاوِرْ بني خَلَفٍ تَحْمَدْ جِوارَهُمُ ... الأَعْظَمِينَ دفاعـاً كلّمـا دفعوا
والمطعِمين إذا مـا شَتْوَةٌ أَزَمَتْ ... فالنّاس شتّـى إلى أبوابهم شَرَعُ[4]
هم خير قَومهمُ إن حَدَّثُوا صدقوا ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا
المانعين مـن المخـزاة جارَهُـمُ ... والرّافعين من الأدنَيْنَ مـا صَنَعُوا
انـزِلْ بطلحـةَ يومـاً إنّ مَنْزِلَه ... سَهلُ المبـاءَة بالعليـاءِ مرتفعُ

وفي أسماء أختها يقول[5] : [من الطويل]

1 ديوانه : 182 .
2 ديوانه : 146–148 .
3 الطَبَع : العيب .
4 شرع : سواء .
5 ديوانه : 176–179 .

تَعَلَّـقَ مـن أَسماءَ مـا قـد تَعَلَّقا ومثل الذي لاقى من الحُبِّ أَرَّقا
وحَسبُكَ مـن أَسماءِ نَأيٌ وأَنّها إذا ذُكِرتْ هاجَتْ فُؤاداً مُعَلَّقا
سَقى هَزِمُ الإرعادِ مُنْبَجِسُ العُرى منازلَهـا بالمَسْرُقـانِ فَسُرَّقا[1]
وتُستَر لا زالت خَصيباً جنابُها إلى مَدْفَعِ السُّلاَّن من بطن دَوْرَقا[2]
إلى الكَوثَجِ الأعلى إلى رامَهُرْمُزٍ إلى قَريات الشِّيح من فوق سَفْسَقا[3]

رامهرمز : بلد من أعمال الأهواز معروف .

بِـلادُ بنـات الفارسيّـة إنّهـا سقتنـا على لَـوْحٍ شراباً مُعَتَّقا

[يترك زوجته ويلحق بأناهيد]

أَخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ . وأَخبرنا هاشم بن محمد قال : حدَّثنا دماذ أَبو غسَّان ، عن أَبي عبيدة ، قالا : لمّا فَصَل ابنُ مفرِّغ من عند معاوية ، نزل بالمَوْصل على أخواله من آل ذي العشراء من حمير ، قال الهيثم في روايته : فزوَّجوه امرأة منهم ، ولم يذكُر ذلك أَبو عبيدة ، فلمّا كان اليوم الذي يكونُ البناء في لَيْلَتِه . خرج يتَصَيَّد ومعه غلامه بُرد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عِطراً وأدهاناً . فقال له ابنُ مفرِّغ : من أين أَقبلت ؟ قال : من الأهواز ، قال : ويحك ! كيف خلّفت المَسرُقان وبَرْدَ مائِـه ؟ قال : على حاله . قال : ما فعلتْ دِهْقانة يقال لها أُناهِيدُ بنت أَعنق ؟ قـال : أصديقةُ ابنِ مُفرِّغ ؟ قال : نعم ، قال : ما تَجِفُّ جفونُها من البكاء عليه . فقال لغلامه : أيْ بُـرد ، أَمـا تسمع ؟ قال : بلى . قال : هو بالرَّحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها . فقال له بُرد : أكرمك القومُ وقاموا دُونك ، وزوَّجوك كريمتَهم ، ثم تصنع هذا بهم ، وتُقدِم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمرِه ولا عهد منه ولا عَقْد ؟ أَبْقِ أيّها الرجل على نفسك ، وأَقِم بمَوْضِعِك ، وابْنِ بأهلِكَ ، وانظُر في أَمرِك ، فإن جدَّ عزمُك كنتَ حينئذٍ وما تختاره . قال : دَعْ ذا عنك ، هو بالرحمن كافِر إن عَدَل عن الأَهواز ولا عَرَّج على شيء غيرها ، ومضى لوجهه من غير أن يُعلِم أهلَه ، وقال قصيدته[4] : [من الوافر]

سَما بـرقُ الجُمانة فاستَطارا لعـلَّ البرقَ ذاك يَحـورُ نارا

---

1 تقدم تعريف المسرقان . وسرّق : إحدى كور الأهواز .
2 تستر : أعظم مدينة في خوزستان . مدفع السُّلان : مجرى الأودية . ودورق : بلد بخوزستان .
3 هذه أسماء مواضع في الأهواز . وفي الديوان : إلى الكُربُج . . . إلى قريات الشيخ . . . من فوق شستقا .
4 ديوانه : 131–133 .

قعدتُ له العِشاءَ فهاج شَوقي ... وذَكَّـرني المَنـازِلَ والدِّيارا
دِيـارٌ للجُمانـةِ مقْفِـراتٌ ... بَلِـينَ وهِجْنَ للقَلْبِ ادِّكارا
فلم أملِكْ دُموعَ العَيْنِ مِنِّي ... ولا النَّفْسَ التي جاشَت مِرارا
بسُرَّقَ فالقُرى مـن صَهرتاجٍ ... فديـر الراهِبِ الطَّلَل القِفارا[1]
فقلتُ لصاحبي عـرِّجْ قَليلاً ... نُذاكِرْ شوقَنـا الدُّرسَ البَوارا
بآية مـا غَـدَوْا وهُمُ جَميعٌ ... فكاد الصبُّ ينتَحِـر انْتِحارا
فقال بَكَوْا لفقدك منذُ حِينٍ ... زمانـاً ثـم إنَّ الحَيَّ سارا
بدِجْلَة فاستمرَّ بهـم سَفِينٌ ... يَشُقُّ صُدُورُها اللُّججَ الغِمارا[2]
كأن لم أَغْنَ في العَرَصاتِ منها ... ولَم أُذْعَرْ بقاعَتِهـا صِوارا[3]
ولم أَسمَع غِنـاءً مـن خَلِيل ... وصوتَ مُقَرْطَقٍ خَلَعَ العِذارا[4]

قال : فقدم البصرة فذُكِر لعُبيد الله بن زياد مقدمُه ، فلم يَعرِض له ، وأرسل إليه أن أَقِم آمناً . فأَقام بالبصرة أشهراً ، يختلف من البصرة إلى الأهواز ، فيزور أناهيدَ ، ويُقيم عندها .

ثم أَتى عُبَيْدَ الله بن زياد فقال له : إنِّي امرؤٌ لي أعداء ، ولستُ آمنُ بعضَهم أَن يقولَ شيئاً عن لساني يُحْفِظ الأَميرَ عليَّ ، وأُحِبُّ أن يأذن لي أَن أتنحَّى عنه . فقال له : حُلَّ حيث شئت ، فخرج حتى قَدِم على شريك بن الأعور الحارثيّ وهو يومئذٍ عامِلُ عُبَيْد الله بن زياد على فارِسَ وكَرْمان ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم ، فقَدِم بها الأهواز فأعطاها أناهِيد .

[عبيد الله بن أَبي بكرة يكرمه]

أَخبرني أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ ، قال : حدَّثني محمد بن الحكم ، عن عَوانة : أَنَّ عُبَيْدَ الله بن أَبي بَكرة كتب إلى يزيد بن مُفرِّغ : إنِّي قد توجّهت إلى سجِستانَ فالحَقْ بي ، فلعلّك إن قدِمتَ عليَّ أَلاَّ تندم ولا يُذَمّ رأْيُك . فتجهَّزَ ابنُ مفرِّغ وخرج حتى قدِم سجِستانَ مُمْسِياً ، فدخل عليه فشغله بالحديث ، وأَمَرَ له بمنزلٍ وفَرْشٍ وخَدَم ، وجعل يُطاوِلُه حتى علِم أنّه قد استَتَمَّ له ما أمر له به ، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هُيِّيء له ؛ ثم دَعا به في اليوم الثاني فقال له : يا ابن مُفرِّغ ، إنَّكَ قد تجشَّمتَ إليّ

1 صهرتاج : موضع بالأهواز .
2 الغمار : الماء الكثير .
3 الصوار : القطيع من البقر .
4 ل : وصوت مقصِّب .

شُقّة بعيدة ، واتّسع لك الأملُ فرحلتَ إليَّ لأقضيَ عنك دَينَك ولأُغنيكَ عن الناس ، وقلتَ : أبو حاتم بسِجِسْتان فمَنْ لي بالغِنى بعده ! فقال : والله ما أخطأتَ أيُّها الأمير ما كان في نفسي . فقال عُبيد الله : أما والله لأفعلنّ ولأُقِلَّنَّ لبثك عندي ، ولأُحسِنَنَّ صِلَتك ؛ وأمر له بمائة ألف درهم ، ومائة وصيفة ومائة وصيف ومائة نَجيبة ، وأمَرَ له بما يُنفقه إلى أن يبلغ بَلده سوى المائة الألف ، وبمَنْ يكفيه الخِدمة من غِلمانه وأعوانه ، وقال له : إنّ من خِفّة السَّفر ألاّ تهتمّ بخُفٍّ ولا حافرٍ ، وكان مقامُه عنده سبعةَ أيّام .

ثم ارتحل وشيَّعه عُبَيدُ الله إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها : زالِقُ ؛ ثم قال له : يا ابن المفرِّغ ، إنّه ينبغي للمودّع أن ينصرف ، وللمتكلِّم أن يسكُت ، وأنا مَن قد عرَفت ، فأبْقِ على الأمل وحُسْن ظنّك بي ورجائِكَ فيَّ ، وإذا بدا لك أنْ تَعودَ فَعُد ، والسلام .

قال : وسار ابن مُفرِّغ حتى أتى رامهُرْمُزَ ، فنزل بقرية أبجَر . فنزلتَ إليه بنتُ الأبجر فقالت : يا ابن مفرِّغ ، لِمَنْ هذا المال ؟ قال : لابنة أعنق دهقانة الأهواز ، وإذا رسولها في القافلة بكتابها : إنّك لو كنتَ على العهد الأوّل لتعجّلت إليّ ولم تساير ثَقَلك ، ولكن قد علمتُ أنّ المال الذي أعطاكه عُبيدُ الله قد شَغَلَك عنّي ؛ قال : فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً ، وقد قال لابنةِ أبجر في جواب قولها له[1] : [من الطويل]

حَباني عُبَيْدُ الله يا ابنةَ أبجرٍ ... بهذا ، وهذا للجُمانةِ أجْمعُ
يَقَرّ بعيني أن أراها وأهلَها ... بأفضل حالٍ ذاك مرأىً ومَسمَعُ
وخيَّرتُها قالت : لقد حال بَعدنا ... فقد جعلت نفسي إليها تَطَلَّعُ
وقلتُ لهما لمّا أتاني رسولُها ... وأيُّ رسولٍ لا يضُرُّ وينفعُ
أُحِبُّكِ ما دامَتْ بنَجْد وشيجةٌ ... وما رُفِعت يوماً إلى الله إصبعُ[2]
وإنّي مَليءٌ يا جُمانةُ بالهَوى ... وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقْنِعُ

قال : فلمّا انتهت رُسُل عُبَيد الله بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له : قد بلغنا حيث أُمِرنا ؛ قال : أجل ؛ ثم أمَر ابنةَ أعنَق أن تَفتح الباب وقال لها : كلُّ ما دَخَل دارَكِ فهو لك .

وأقام بالأهواز ، ودعا نُدَماءَ كانوا له من فِتيان العَرب فلم يبقَ ظَريفٌ ولا مُغَنٍّ إلاّ أتاه ، واستَماحه جماعةٌ قصدُوه من أهل البصرة والكوفة والشّام فأعطاهم ، ولم يُفارق أناهيدَ ومعه شيء من المال . وجعل القومُ يسألونه عن عَبيد الله بنِ أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده

1 ديوانه : 144–145 .

2 الوشيجة : عرق الشجرة .

فقال[1] : [من الطويل]

يُسائِلُني أَهلُ العِـراقِ عن النَّدى ... فقلتُ : عُبَيْدُ اللهِ حِلْـفُ المكارِمِ
فتـى حاتِميٌّ في سِجِستانَ رَحله ... وحَسبُك جُوداً أن يكون كحاتمِ
سَمـا لِينـالَ المَكْرُمـاتِ فنالَها ... بشِدّة ضِرْغـام وبَـذْلِ الدّراهمِ
وحِلْمٍ إذا ما سَوْرةُ الحقْد أُطلَقت ... حُبـا القوْم عند الفـادِحِ المُتفاقِمِ
وإنّ لـه في كُلِّ حـيٍّ صَنيعـةً ... يُحدِّثها الرُّكبانُ أهـلَ المَواسِمِ
دَعاني إليـه جـودُه وَوَفاؤه ... ومنْ دونِ مَسراه عُداةُ الأعاجِمِ
فلـم أَبْقَ إلاّ جُمْعَـةً في جِوارِهِ ... ويَوْمَيْنِ حَـلاًّ مـن أَلِيَّـةِ آثِمِ[2]
إلى أَن دَعـاني زانَـه الله بالعُلا ... فأنبَتَ رِيشي من صَميمِ القَوادِمِ
وقال : إذا مـا شئتَ يا ابنَ مُفرِّغٍ ... فَعُدْ عـودةً ليست كأَضْغاثِ حالمِ
فقلتُ لـه ، لا يُبعِـد اللهُ دارَه : ... أَعودُ إذا مـا جئتُكم غيرَ حاشِمِ
وأَحمدْتُ وِرْدِي إذْ وردتُ حِياضَه ... وكلُّ كريـمْ نُهـزَةٌ للأَكارِمِ[3]
فأَصبَحَ لا يرجُـو العِراقُ وأَهلُه ... سِواه لنَفـع أو لِدَفـع العَظائمِ
وإنَّ عُبَيْـدَ الله هَنّـأَ رفـدَه ... سَراحاً وأَعْطى رِفـدَه غيرَ غانِمِ[4]

[يخدع عمّه ليريه أناهيد]

وقال الهيثم في خبره : كان عمرو بن مُفرِّغ ، عمُّ يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، رجلاً له جاه وقَدْر عند السُّلطان ، وكان ذا مال وثروة ، وذا دِين وفضْل وصَلاح ، فكان يُعنِّف ابنَ أخيه في أمرِ أناهيدَ عشيقَته ، ويعذِله ويُعيِّره بها . فلمّا أكثر عليه أتاه يوماً فقال له : يا عمّ ، جُعِلتُ فداك ، إنّ لي بالأهواز حاجةً ، ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين أَلفَ درهم قد خفْتُ أن تَتْوى[5] عليّ ، فإن رأيتَ أن تَتجشَّم العناء معي إليها حتى تطالبَ لي بحقِّي ، وتُعِينني بجاهك على غُرَمائي . وكان عمرو بن مُفرِّغ قد استَخْلفه ابنُ عبّاس عليها ؛ إذ كان عامِلَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وعلى آله ، على البصرة ، وكان عاملَ الأهواز ، حين سأل

1 ديوانه : 202–205 .
2 الألية : القسم .
3 نهزة : فرصة .
4 سراحاً : سهلاً .
5 تتوى : تهلك .

ابنُ مُفرِّغ عمّه أن يخرج معه ، ميمونُ بنُ عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونيّة . فلم يزل ابنُ مفرِّغ بعمّه حتى أجابه إلى الخروج . فاستأجر سَفينة وتوجّه إلى الأهواز ، وكتب إلى أناهِيد أن تهيَّئي وتزيَّني بأحسن زينتك ، واخرُجي إليّ مع جواريك فإنّي موافيك ، ومنزلُها يومئذٍ بين سُرَّق ورامهُرْمز .

فلمّا نزلوا منزلها خرجَتْ إليهم ، وجلست معهم في هيئَتها وزيّها وحُلِيها وآلتها ، فلمّا رآها عمُّه قال له : قبّحك الله ! أفهلاً إذْ فعلتَ ما فعلتَ كنتَ عَلِقت مثل هذه ؟ فقال : يا عمّ ، أوقد أعجبتك ! فقال : ومَن لا تعجبه هذه ؟ قال : أَلجِدُّ هذا منك ؟ قال : نعم والله . قال : فإنّها والله هذه بعينها ، فقال : يا خبيث إنّما أشخصتَني لهذا ، يا غلام ارحَلْ بنا . فانصرف عمُّه إلى البصرة وأقام هو معها ، ولم يزل يتردَّد كذلك حتى مات في الطاعون في أيّام مصعب بن الزُّبير .

[احتياله لقضاء ديونه]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب بن نصر المُهلَّبيُّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا القَحذميُّ قال : لزِمَ يزيدَ بن مُفرِّغ غُرماؤه بدَيْن ، فقال لهم : انطلِقوا نجلس على باب الأمير ، عسى أن يخرجَ الأشرافُ من عنده فيَروني فيَقْضوا عنّي . فانطلَقوا به ، فكان أوّل مَن خرَج إمّا عُمَرُ بنُ عبيد الله بن مَعْمَر وإمّا طلْحة الطَّلحات . فلمّا رآه قال : أبا عُثمان ، ما أقعدَك هاهنا ؟ قال : غرمائي هؤلاء لزموني بدَيْن لهم عليّ ، قال : وكم هو ؟ قال : سبعون ألفاً ، قال : عليّ منها عشرة آلاف درهم .

ثم خرج الآخرُ على الأثر ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقال : هل خرجَ أحدٌ قبلي ؟ قالوا : نعم فلان ، قال : فما صنع ؟ قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم ، قال : فعليّ مثلُها . قال : ثم جعل الناس يخرجون فمنهم مَن يضمن الألف إلى أكثر من ذلك ، حتى ضَمِنوا أربعين ألفاً .

وكان يأمُل عُبيدَ الله بن أبي بكرة ، فلم يخرج حتى غربت الشمس ، فخرج مبادراً ، فلم يَرَه حتى كاد يبلغ بيتَه . فَقِيل له : إنّك مررتَ بابن مفرِّغ ملزوماً ، وقد مرَّ به الأشرافُ فضَمِنوا عنه ، فقال : واسَوْأتاه ! إنّي أخاف أن يظُنّ أنّي تغافَلْتُ عنه ، فكرَّ راجعاً ، فوجده قاعداً ، فقال له : أبا عثمان ما يجلسك هاهنا . قال : غرمائي هؤلاء يلزمونني ، فقال : كم عليك ، قال : سبعون ألفاً ، قال : وكم ضُمِن عنك ؟ قال أربعون ألفاً ، قال : فاستمْتِعْ بها وعليّ دَيْنُكَ أجْمع ، فقال فيه يخاطب نفسه[1] : [من السريع]

---

1 ديوانه : 197–200 .

لـــو شِئتِ لم تَغْنَيْ ولم تَنْصَبي ... عِشْتِ بأَسبابِ أَبـــي حاتِمِ
عِشْتِ بأَسبابِ الجَوادِ الذي ... لا يَخْتِمِ الأَمـــوالَ بالخاتَمِ
مـــن كـــفٍّ بُهلولٍ لـــه عُدَّةٌ ... مـــا إن لَمَن عاداه من عاصِمِ[1]
المُطْعِمِ النّـــاسَ إذا حـــاردتْ ... نكباؤهـــا في الزّمـــن العارمِ[2]
والفاصِلِ الخطّة يـــوم اللّجا ... للأَمـــرِ عند الكُرْبَةِ اللاّزِمِ[3]
جاورتُـــه حِينـــاً فأَحْمَدْتُـــهُ ... أُثنـــي ومـــا الحامِدُ كاللاّئمِ
كَم مـــن عدُوٍّ شامتٍ كاشِحٍ ... أخزيْتَـــه يومـــاً ومـــن ظالِمِ
أذقْتَـــه المـــوتَ على غِـــرّةٍ ... بـــأَبيضٍ ذِي رَوْنَـــقٍ صارِمِ

[يطرب لغناء بُديح بشعره فيثيبه]

أخبرني عمّي قال : حدّثني أَبو أَيّوب المدينيّ ، قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه قال : قدم بُدَيح الكوفةَ ، فغنّى بها دهراً ، وأصاب مالاً كثيراً ، ثمّ خرج إلى البصرة ، ثمّ أَتى الأهواز ، ثمّ عاد إلى البصرة ، فصحب ابن مُفرِّغ في سفينة حتى إذا كان في نهر مَعْقِل تغنّى وهو لا يعرف ابنَ مُفرِّغ بقوله : [من الوافر]

سَما بـــرقُ الجُمانة فاستَطارا ... لعـــلّ البرقَ ذاك يعودُ نـــارا

قال : فَطرب ابنُ مُفرِّغ وقال : يا ملاّح ، كُرّ بنا إلى الأهواز ، فكرَّ وهو يُغنّيه ، ثمّ كَرَّ راجِعاً إلى البصرة ، وكرّوا معه ، وهو يُعيد هذا الصوت . قال : ووصل ابن مُفرِّغ بُدَيْحاً وكساه .

صوت[4]

[من الطويل]

رَضِيتُ الهَوى إذ حَلَّ بـــي مُتَخيِّراً ... نديماً ومـــا غَيري لـــه مَن يُنادِمُهْ
أُعاطِيـــه كأسَ الصَّبرِ بَيني وبينَه ... يُقاسِمُنِيهـــا مـــرّةً وأُقاسِمُـــهْ

يقال : إنّ الشِّعر لبشّار ، والغناء للزُّبير بن دَحْمان ، هزج بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكّي .

---

1 البهلول : السيد الجامع لكل خير .
2 حاردت السنة : قلّ مطرها . والنكباء : ريح انحرفت عن الجهات الأربع . والعارم : الشديد .
3 الديوان : اللحا ، وهو الملاحاة قصره لضرورة الوزن .
4 ديوان بشار (ابن عاشور) 4 : 684 (عن الأغاني) وقد جعل فيه الثاني أولاً .

[392] ـ أخبار الزُّبير بن دحمان

[قدومه من الحجاز]

قد مضَت أخبارُ أبيه ، ونَسبُه وولاؤُه في متقدّم الكتاب[1] ، وكان الزُّبيرُ أحدَ المُحسنِين المُتْقِنين الرّواة الضُّرّاب ، المتقدِّمين في الصنعة ، وقَدِم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنُّون في أيّامِه حزبين : أحدُهما في حِزْب إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، والآخر في حزْب ابن جامِع وابن المهديّ . وكان إبراهيم بن المهديّ أوْكَدَ أسبابِ هذا التَّحزُّب والتَّعصُّب لِما كان بَيْنه وبين إسحاق ، وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق ، وأخوه عبد الله في حزب إبراهيم بن المهديّ .

فأخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه قال : لمّا قَدِم الزُّبير بنُ دحمان على الرشيد من الحجاز ، قَدِم منه رجلٌ ما شئْتَ من رجُل ، عقْلاً ونُبْلاً ودِيناً وأدباً وسُكُوناً ووَقاراً ، وكان أبُوه قبله كذلك ، وقدِم معه أخوه عبد الله . فلمّا وصلا إلى الرشيد ، وجلسا معنا ، تخيَّلتُ في الزُّبير الفَضل فقلت لأبي : يا أبتِ ، أخلِق بالزُّبير أن يكون أفضلَ من أخيه ، فقال : هذا لا يَجيء بالظَّنّ والتَّخيُّل ، والجَوادُ إنّما يُمتَحَن في الميدان ، فقلت له : فالجوادُ عينه فِراره[2] ، فضَحِك وقال : نَنظُر في فِراسَتِك ، فلمّا غَنّيا بان فَضْلُ الزُّبير وتقدُّمه ، فاصْطَفاه أبي واصْطَفَيْتُه لأنفُسنا ، وقرَّظْناه ووصَفْناه ، وصار في حَيِّزنا وغنَّى الرشيد غناءً كثيراً من غناء المُتقدِّمين فأجادَ وأحسنَ ، وسأله الرشيد أن يُغنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه ، فالْتَوى بعضَ الالتواء وقال : قد سمع أميرُ المؤمنين غِناءَ الحُذّاق من المتقدِّمين وغناءَ مَن بحضرته من خدَمه ، ومَن وفَد عليه من الحجازِيِّين ، وما عسى أن يأتيَ من صَنْعَتي ؟ فأقسَمَ عليه أن يُغَنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه ، وجَدَّ به في ذلك ، فكان أوَّلَ صوتٍ غنّاه منها : [من الخفيف]

صوت

ارحَلا صاحِبَيَّ حانَ الرَّحِيلُ وابْكِياني فليس تَبْكِي الطُّلُولُ
قد تَولَّى النَّهارُ وانقضَتِ الشَّمْـ ـسُ يَمِيناً وحان منها أُفولُ

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل .

---

1 في الجزء السادس : 19 .

2 المثل «الجواد عينه فراره» في مجمع الميداني 1 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 308 والدرة الفاخرة 2 : 416 . والفرار بكسر الفاء وفتحها وضمّها النظر إلى أسنان الدابة لمعرفة سنّها . ويضرب المثل لمن يدلّ ظاهره على باطنه فيغني عن اختباره .

قال : فسمعتُ والله صَنعة حَسنة مُتْقَنة لا مَطْعَن عليها . فطَرِب الرشيدُ واستعادَ هذا الصوت ثلاث مرّات ، وأمر له بثلاثين ألف دِرهم ، ولأخيه بعِشرين ألف درهم . ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منّا ، وانحازَ عبد الله إلى جنبة إبراهيم بن المهديّ ، فكان معه . قال حمّاد : فقلتُ لأبي : كيف كانت صنعة عبد الله ؟ قال : أنا أجمِل لك القول : لو كان زبير مملوكاً لاشتريْتُه بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبد الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشْتَرِيَه بأكثر من عشرين ديناراً . فقلت : قد أجبْتَني بما يكفيني .

حدَّثني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أنَّ الرشيد كتب في إشخاص الزُّبير بن دحمان إلى مدينة السَّلام ، فوافاها واتَّفق قدومُه في وقت خروج الرشيد إلى الرَّيّ لمحاربة بِنْدارهُرْمُز أُصبهبذ طَبَرستان . فأقام الزُّبير بمدينة السَّلام إلى أن دخل الرشيد ، فلمّا قدِم دخل عليه بالخَيْزُرانية ، وهو الموضع الذي يعرف بالشَّمَّاسيّة ، فغنّاه في أوّل غنائه صوتاً في شِعْر قاله هو أيضاً في الرشيد مدَحه به ، وذكر خروجَه إلى طبرستان وهو[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا إنَّ حِـزْبَ الله ليس بمُعْجزِ وأَنصـارُه في مَنْعَــةِ المُتَحَـرِّزِ
أَبى اللهُ أَن يُعصى لِهـارُونَ أَمرُه وذَلَّــت لـه طَوْعـاً يَـدُ المُتَعَزِّزِ
إذا الرَّايةُ السَّوداءُ راحَتْ أَو اغْتَدَتْ إلى هارِبٍ منهــا فليس بمُعْجزِ
لَطاعَتْ لِهارُونَ العُداةُ لدى الوغى وكَبَّــر لِلإسلامِ بنــدارُ هُرْمُزِ

لم أَجِدْ هذا الصوت منسوباً في شيءٍ من الكتب إلاّ في كتاب بَذْل ، وهو فيه غير مُجنس .

وذكر إبراهيم بنُ المهديّ أنَّ الشِّعر للزُّبير بن دحمان ، وهذا خطأ ؛ الشِّعر لأَبي العتاهية وهو موجود في شِعرِه من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد .

قال أَبو إسحاق : فاستَحسنَ الرَّشيد الشِّعْرَ والغناء ، وأَمر له بألفِ دينار فدُفِعَت إليه ، ومكث ساعةً ثم غنَّى صوتاً ثانياً وهو : [من المتقارب]

صوت

وأَحورَ كالغُصْنِ يَشْفي السَّقامَ ويَحكِي الغَــزالَ إذا مـا رَنا
شَرِبتُ المُــدامَ على وَجْهِــهِ وعاطَيْتُه الكأسَ حتــى انْثَنى

1 ديوان أبي العتاهية : 563 .

وقُلـتُ مَديحـاً أُرَجِّـي بـه من الأَجْرِ حَظّـاً ونَيْلَ الغِنى
وأَعنـي بـذاك الإمامَ الذي بـه اللهُ أَعطـى العِبادَ المُنى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق .

قال : فما فرَغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبَضَه ، وخفَّ على قلبه واستَظْرَفه ، فأغْناه في مدّة يسيرة من الأيّام .

[يهيج في الرشيد ندمه على نكب البرامكة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو توبة ، عن القطرانيّ ، عن محمد بن حبيب قال : كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسفِ عليهم ، والتَّندُّم على ما فعَله بهم ، ففطن لذلك الزُّبير بنُ دحمان ، فكان يُغنِّيه في هذا المعنى ويُحَرِّكه ، فغنّاه يوماً والشعر لامرأة من بني أسَد : [من البسيط]

مَنْ للخُصومِ إذا جَدَّ الخِصامُ بهم يومَ النِّزالِ ومَـنْ للضُّمَّرِ القُودِ[1]
ومَوقفٍ قـد كَفيتَ النّاطِقِين به في مَجْمَعٍ من نَواصي النّاسِ مَشْهودِ[2]
فَرَّجتَـه بلسان غيـرِ مُلْتَبِسٍ عنـد الحِفاظِ وقولٍ غيرِ مردودِ

فقال له الرشيد : أعِدْ ، فأعاده . فقال له : ويْحَك ! كأنَّ قائلَ هذا الشِّعر يَصِف به يحيى بنَ خالد ، وجعفر بنَ يحيى . وبَكى حتى جَرَت دموعُه ، ووصَل الزبير صِلةً سَنِيّة .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد قال : كان أبي يقول : ما كان دَحمان يُساوي على الغِناء أربعمائة درهم ، وأشبهُ خَلْقِ اللهِ به غناء ابنه عبد الله . وكان يُفضِّل الزُّبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلاً بعيداً . وفي الزُّبير يقول إسحاقُ وله فيه غناء هو : [من الكامل]

صوت

أَسعِدْ بدَمْعِكَ يـا أبا العَـوَّامِ صَبّاً صريعَ هَوًى ونِضْوَ سقامِ
ذَكَرَ الأَحِبَّة فاستُجِنَّ وَهاجَه للشوقِ نـوحُ حَمامةٍ وحَمامِ
لم يُبدِ مـا في الصَّدْرِ إلاّ أنَّه حيّـا العِـراقَ وأَهلَـه بسلامِ
ودَعـاه داعٍ للهَوى فأَجابَه شَوْقـاً إليـه وقـادَه بزِمامِ

الشعر والغِناء لإسحاق ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرَّقَّة مع الرشيد يتشوَّق إلى العراق .

1 ل : يوم الجدال .
2 نواصي الناس : أشرافهم .

[تشوّق إسحاق لبغداد]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر قال : حدَّثني جدِّي عن حَمدون بن إسماعيل قال : قال لي إسحاق : كنّا مع الرشيد بالرَّقَّة ، وخرج يوماً إلى ظهرِها يَصِيد ، وكنتُ في موكبه أُسايرُ الزُّبير بن دحمان ، فذكَّرني بغدادَ وطيبها وأهلي وإخواني وحُرَمي فتشوَّقتُ لذلك تشوُّقاً شديداً ، وعرض لي همٌّ وفِكْرٌ حتى أبكاني . فقال لي الزُّبير : ما لكَ يا أبا محمد ؟ فشكوتُ إليه ما عرض لي ، وقلت : [من الكامل]

أسعِدْ بدَمْعِكَ يـا أَبـا العَوَّامِ صَبّاً صريعَ هَوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقي الأبيات ، وعلِمت أنّ الخبر سيَنْمي إلى الرشيد ، فصَنَعت في الأبياتِ لحناً ، فلمّا جلس الرشيد للشُّرب ابتدأْتُ فغنَّيته إيّاه ، فقال لي : تشوَّقْتَ والله يا إسحاق وشوَّقتَ وبلغْتَ ما أردْت ، وأمَر لي بثلاثين ألف درهم ، وللزُّبير بعشرين ألفاً ، ورحَلَ إلى بغدادَ بعد أيّام .

[غضب الفضل على إسحاق]

أخبرني يَحيى بنُ عليّ بنِ يحيى المُنَجِّم قال : أَخبرني أَبي قال : قال لي إسحاق ، وأَخبرني به الحسن بن عليّ قال : حدّثنا عبد الله بنِ عمرو بن أَبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، عن إسحاق قال : جاءَني الزُّبير بنُ دَحمان ذات يوم مُسلِّماً ، فاحتبستُه فقال : قد أمرني الفَضْل بن الرَّبيع بأن أصيرَ إليه فقلت : [من الطويل]

أَقِمْ يـا أَبا العَوَّامِ وَيْحك نَشْرَبُ وَنَلْهُو مع اللاَّهِينَ يومـاً ونَطربُ
إذا مـا رأَيتَ اليومَ قد جاءَ خَيرُه فخُذْه بشُكْرٍ واترك الفَضْلَ يَغْضَبُ

قال : فأقام عندي فشرَبنا باقي يومنا ، ثم سار الزُّبير إلى الفَضْلِ ، فسأله عن سبب تأخّره عنه ، فحدَّثه بالحديث ، وأنشده الشعر ؛ فغضب وحوّل وجهه عنّي ، وأمرَ عَوناً حاجبَه ألاَّ يُدْخِلني اليوم ولا يستأذن لي عليه ، ولا يُوَصِّل لي رُقعة إليه ، قال : فقلت : [من الطويل]

حَرامٌ عليَّ الكأْسُ ما دُمْتَ غَضْبانا ومـا لم يَعُدْ عنِّـي رِضاكَ كما كانا
فأَحسِنْ فإنِّي قـد أَسأْتُ ولم تَزَلْ تُعَـوِّدُني عنـدَ الإساءَةِ إحسانا

قال : وأنشدته إيّاهما ، فضحك ورضي عنِّي ، وعاد لي إلى ما كان عليه .

وأَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه بهذا الخبر ، فذكر نحو ما ذكره الآخران ، وزاد فيه : وقلت في عَوْن حاجبِه : [من الخفيف]

عونُ يـا عـونُ مثلَك عَوْنُ أنتَ لي عُـدَّةٌ إذا كان كَوْنُ

لكَ عندي واللهِ إن رَضِيَ الفَضْـ ـلُ غُلامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْنُ

فأتى عونٌ الفضْلَ بالشِّعْرَيْن جميعاً ، فلمّا قرأهما ضحِك وقال له : ويلك إنّما عرَّض لك بقوله : «غُلامٌ يرضيك» بالسَّوْأة ؛ فقال : قد وعدني ما سمعتَ ، فإن شئت أن تحرِمنيه فأنت أعلم . فأمره أن يُرسل إليّ ، وأتاني رسولُه فصرتُ إليه ورضي عنّي .

[إسحاق والزُّبير يحكِّمان حبشيّاً في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : حدَّثني إسحاقُ قال : كان عندي الزُّبير بن دَحمان يوماً ، فغنَّيتُ لحنَ أبي : [من الطويل]

أشاقَكَ من أرض العراقِ طُلُولُ تَحَمَّل منها جيرةٌ وحُمولُ !

فقال لي الزُّبير : أنتَ الأستاذ وابن الأُستاذ السيِّد ، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنِّيه أحسن . فقلت له : والله إنّي لا أُحبُّ أن يكون ذلك كذلك . فغَضِب وقال : فأنا والله أحسنُ غناء منك . وتلاحَيْناً طويلاً ، فقلتُ له : هلُمَّ نخرج إلى صحراء الرَّقّة ، فيكون أكلُنا وشربُنا هناك ، ونَرْضى في الحكم بأوّل مَن يطلُع علينا ، قال : أفعلُ . فأخرجنا طعامَنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفُراتِ ، فأقبلَ حَبَشيٌّ يحفِر الأرض بالبال[1] ، فقلت له : أترضى بهذا ؟ قال : نعم ، فدعَوناه فأطعَمْناه وسقَيْناه ، وبدرني الزُّبير بالغناء ، فغنَّى الصوت ، فطَرُب الحَبَشيُّ وحرَّك رأسَه حتى طمع الزُّبير فيّ ، ثم أخذتُ العودَ فغنّيته فتأمّلني الحبشيُّ ساعة ثم صاح : وأيّ شيطان هوه ! ومدَّ بها صوته ، فما أذكر أنّي ضَحِكت مثلَ ضَحكي يومئذٍ ، وانخزَلَ الزُّبير .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الطويل]

أشاقَكَ مِن أرضِ العِراقِ طُلولُ تحمَّـل منهـا جيرة وحُمولُ !
وكيف ألَـذُّ العيشَ بعـد مَعاشرٍ بهم كنتُ عند النَّائبات أُصولُ !

الشعر لأبي العتاهية ، والغِناء لإبراهيم ثَقِيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن أحمد بن المكّي ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى .

1 ل : بالناب .
2 ديوان أبي العتاهية : 599 .

وهذان البيتان من قصيدة مَدَح بها أبو العتاهية الفضْلَ بن الربيع . قال : أُنشدَنيها عبد الله بن الربيع الربيعيّ ، قال : أنشدنيها أبو سُوَيد عبدُ القَويّ بنُ محمد بن أبي العتاهية لجدِّه يمدحُ الفضلَ بن الربيع . وإنّما ذكرتُ ذلك هاهنا لأنَّ من الناس مَن ينسُبُهما إلى غيره ، فذكرتُ الأبيات الأُوَل ، وفيها يقولُ في مدح الفضلِ بن الربيع : [من الطويل]

قبائِل مِنْ أَقْصى وأَدْنى تَجَمَّعَتْ ... فهُنَّ على آلِ الرَّبيعِ كلولُ
تمرُّ رِكابُ السَّفْرِ تُثني عليهمُ ... عليها من الخَيْرِ الكَثِيرِ حُمولُ
إليكَ أَبا العبَّاسِ حَنَّتْ بأَهلِها ... مغانٍ وحَنَّت أَلسنٌ وعُقولُ
وأنتَ جَبينُ المُلْكِ بل أَنتَ سَمعُه ... وأَنتَ لِسانُ المُلْكِ حين تَقولُ
وللمُلْكِ مِيزانٌ يداك تُقيمُه ... يزولُ مع الإحسانِ حيث يَزُولُ

[غناء الزُّبير بشعر ابن الأحنف]

حدَّثني الصُّوليُّ قال : حدَّثني المُغيرةُ بنُ محمد المهلَّبيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني رجل من ثقيف ، قال : غضب الرشيد على أُمّ جعفر ، ثم ترضَّاها فأَبَتْ أن تَرْضى عنه ، فأَرِق ليلَته ثم قال : افرِشُوا لي على دَجْلة ، ففعلوا ، فقعد ينظُر إلى الماء وقد رأى زيادةً عجيبة ، فسمِع غناء في هذا الشعر[1] : [من الطويل]

صوت

جَرى السيلُ فاستَبْكانيَ السَّيْلُ إذ جَرى ... وفاضَتْ له من مُقْلَتَيَّ غُرُوبُ[2]
وما ذاكَ إلاّ حين خُبِّرتُ أَنَّهُ ... يمُرُّ بوادٍ أنتِ منه قَرِيبُ
يكونُ أُجاجاً ماؤُه فإذا انْتَهى ... إليكم تَلقَّى طِيبَكم فيَطِيبُ
فيا ساكِني شَرْقيّ دِجْلة كُلُّكم ... إلى القَلْبِ من أَجلِ الحَبِيبِ حَبِيبُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزُّبير بن دحمان ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ : فسأَلَ عن النّاحية التي فيها الغِناء فقيل : دارُ ابن المُسَيَّب . فبعث إليه أن ابْعَثْ بالمُغنّي ، فإذا هو الزُّبير بن دَحْمان ، فسأله عن الشعر فقال : هو العبّاس بن الأحنَف ، فأُحضِر واستنشدَه ، فأنشده إيّاه ، وجعل الزُّبير يُغنِّيه وعبّاس يُنشده ، وهو يستَعيدُهما ، حتى أصبح ، وقام فدخَل إلى أُمّ جعفر ، فسألتْ عن سبب دخوله فعرَّفَتْه ، فوجَّهتْ إلى العبّاس بألفِ دينار ،

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 45 .
2 غروب في الديوان : سروب .

وإلى الزّبير بألف دينارٍ أُخرى .

[الرشيد يفضله على المغنّين]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عليٌّ بن محمد ، عن جدِّه حَمْدون قال : تشوَّق الرشيد بغدادَ وهو بالرَّقَّة ، فانحدر إليها ، وأقام بها مدّة ، وخلّف هناك بعضَ جواريه ، وكانت حَظيَّةٌ له فيهنّ خلَّفها لمُغاضَبةٍ كانت بينه وبينها ، فتشوَّقها تشوُّقاً شديداً ، وقال فيها : [من المتقارب]

سَلامٌ علـى النّـازح المُغْتَرِبْ   تحيَّـة صَـبٍّ بـه مُكْتَئِبْ
غَـزالٌ مراتِعُـه بـالبَليخِ   إلى ديرِ زَكّى فجِسْرِ الخَشَبْ[1]
أيـا مـَنْ أعـانَ على نَفْسِه   بتخليفِه طائعـاً مَـنْ أَحَبّ
سأسْتُر والسَّتر مـن شِيمَتي   هَوى مـن أُحِبّ لَمن لا أُحِبّ

وجمع المغنّين ، فحضر إبراهيم الموصليّ ، وابن جامع ، وفُلَيح ، وزبير بن دحمان ، والمُعلّى بن طريف ، وحسين بن محرز ، وسليم بن سلام ، ويَحْيى المكّي ، وابنه ، وإسحاق ، وأبو زَكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمَلْ كلّ واحدٍ منكم فيه لحناً . قال : فلقد عملوا فيه عشرين لحناً ، فما أُعجِب منها إلاّ بلحن[2] الزُّبير وحده ، أُعجِب به إعجاباً شديداً ، وأجازه خاصَّة دون الجماعة بجائزة سَنِيّة .

غنَّى إبراهيمُ في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى ، ولفُليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن جامع رمل بالبنصر ، ولابن المكّيّ ثقيل أوَّل بالوسطى ، وللزُّبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، وللمُعلّى خفيف رمل بالوسطى ، ولإسحاق رمل بالوسطى ، وللحُسَيْن بن محرز هزج بالوسطى .

صوت

[من الرجز]

يـا ناعِشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرْ   وجابِرَ العَظْمِ إذا العَظْمُ انْكَسَرْ
أنـتَ ربيعِـي والرَّبيعُ يُنْتَظَرْ   وخَيرُ أَنـواء الرَّبيعِ مـا بَكَرْ

الشعر للعُمانيّ الراجز ، والغناء لشارِيةَ خفيف رمل ، من كتاب ابن المعتزّ وروايته .

1 البليخ : نهر بالرقة . ودير زكى : دير بالرها .

2 ل : بلحني .

[393] ـ نسب العمانيّ وخبره[1]

[نسبه]

اسمه محمد بنُ ذُؤَيْب بن مِحْجن بن قُدامة بن بَلْهيَّة الحَنْظَلِيّ ثمّ الدَّارميّ صَلِيبَة ، وقيل له : العُمانيُّ ، وهو بَصْرِيٌّ ؛ لأنّه كان شديد صُفرة اللون ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، ليس من نُظَراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره . مثل أشْجَع وسَلْم ومروان ، ولكنّه كان لطيفاً داهياً مقبولاً ، فأفادَ بشعره أموالاً جليلة .

[الرشيد يجزل له الصلة]

أخبرني ابن أَبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، عن جَبْر بن رياط الأسديّ : أنَّ عبدَ الملك بنَ صالح أدخل العُمانيَّ على الرشيد فأنشده : [من الرجز]

يا ناعِشَ الجَدّ إذا الجدُّ عَثَرْ   وجابرَ العَظْم إذا العَظْمُ انكَسَرْ
أنـت رَبِيعـي والربيـعُ يُنْتَظَرْ   وخيرُ أَنـواء الربيعِ مـا بَكَرْ

فقال له الرشيد : إذاً يَبكُر عليك ربيعُنا ، يا فَضْل ، أعطِه خمسة آلاف دينار ، وخمسين ثوباً .

قال إسحاق : قال جَبْر : لمّا دخل الرشيدُ الرَّقَّةَ استقبله العُمانيّ ، فلمّا بَصُرَ به ناداه : [من الرجز]

هارونُ يا ابنَ الأَكْرمِين مَنْصبا   لَمّـا ترحَّلْـتَ فصرتَ كَثَبا
من أرضِ بَغْدادَ تَـؤُمُّ المَغْرِبا   طابت لنا رِيحُ الجَنُوبِ والصَّبا
ونَزَل الغَيْثُ لنـا حتـى رَبـا   مـا كان من نَشْزٍ وما تَصَوَّبا[2]
فمَرْحَباً ومرحَباً ومَرْحَبا

فقال له الرشيد : وبك مرحباً يا عُمانيّ وأَهلاً ، وأَجْزَلَ صِلَته .

[في بيعة الأمين]

أخبرني محمد بنُ جعفر النّحويُّ صِهرُ المبرّد المعروف بابن الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا محمد بنُ

1 ترجمة العماني الراجز في الشعر والشعراء : 641–642 والمحمدون : 322 والموشح : 455–456 وطبقات ابن المعتز : 109–114 وتاريخ بغداد 5 : 270 .

2 النشز : ما ارتفع . وتصوب : انحدر .

موسى عن حمّاد قال : قال العُتبيّ : لمّا وجّه الفَضلُ بنُ يحيى الوفدَ من خُراسان إلى الرشيد يَحُضُّونه على البيعة لابنه محمد قَعَدَ لهم الرشيد ، وتكلّم القومُ على مراتبهم ، وأظهروا السرورَ بما دعاهم إليه من البيعة لابنه . وكان فيمن حضر محمد بن ذؤَيب العُمانيُّ ، فقام بين صفوفِ القُوّادِ ، ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

لمّا أتانا خَبرٌ مُشَهَّرُ ... أغرُّ لا يَخفى على مَنْ يُبصِرُ
جاءَ به الكُوفيُّ والمُبَصِّرُ ... والراكِبُ المُنجِدُ والمُغَوِّرُ
يُخَبِّرُ النّاسَ وما يَستَخبِرُ ... قلتُ لأصحابي ووَجْهي مُسْفِرُ
وللرجالِ : حَسْبُكُمْ لا تُكثِرُوا ... فازَ بها محمدٌ فأَقْصِرُوا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ ... في كُتُبِ العِلمِ التي تُسَطَّرُ
فقل لِمَن كان قَدِيماً يَتْجَرُ : ... قد نُشِرَ العَدْلُ فبيعُوا واشْتَرُوا
وشرِّقوا وغرِّبوا وبَشِّروا ... فقد كَفى اللهُ الذي يُسْتَقْدَرُ
بمَنِّه أفعالَ ما قد يُحْذَرُ ... والسيفُ عَنَّا مُغمَدٌ ما يُشهَرُ
وقُلِّدَ الأَمرَ الأَغرُّ الأَزهَرُ ... نَوءُ السِّماكَيْن الذي يُسْتَمْطَرُ
بوَجْهِهِ إن كان عامٌ أغْبَرُ ... سُرَّتْ به أَسِرَّةٌ ومِنبَرُ
وابتَهَج النّاسُ به واستَبْشَرُوا ... وهلَّلوا لرَبِّهم وكَبَّرُوا
شُكراً ومن حقِّهمُ أن يَشْكُروا ... إذ ثَبَتَتْ أَوتادُ ملكٍ يَعْمُرُ
من هاشمٍ في حَيْث طابَ العُنْصرُ ... وطاحَ مَنْ كان عليها يزفِرُ
إنّ بني العَبّاسِ لم يُقَصِّروا ... إذ نهضوا لملكهم فشَمَّروا
وعَقَلوا ونَزَعوا وأَمَّرُوا ... ودَبَّروا فأَحْكَمُوا ما دَبَّرُوا
وأوردُوا بالحَزْمِ ثم أَصدَرُوا ... والحَزْم رأيٌ مثلُه لا يُنْكَرُ
إذا الرِّجال في الرِّجالِ خُيِّرُوا ... يا أَيّها الخليفةُ المُطَهَّرُ
والمؤمِنُ المُبارَكُ المُوقَّرُ ... والطَّيِّبُ الأَغْصانِ والمُظَفَّرُ
ما النّاسُ إلاّ غَنَمٌ تَنَشَّرُ ... إن لم تَداركْهُم براعٍ يَخْطِرُ
على قَواصي طُرْقِها ويستُرُ ... ويمنَعِ الذِّئبَ فلا يُنفِّرُ
فامْنُنْ علينا بيَدٍ لا تُكفَرُ ... مَشْهورةٍ ما دام زَيْتٌ يُعصَرُ
وانظر لنا وخلِّ مَنْ لا ينظرُ ... واجْسِرْ كما كان أَبوك يَجْسِرُ

لا خير في مُجَمْجَمٍ لا يَظْهَرُ ولا كتابِ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ[1]
وقد تربَّصت فليس تُعْذَر فليت شِعْري ما الذي تَنْتَظِرُ
أأنت قائمٌ به أم تَسْخَرُ مالك في محمدٍ لا تَعذِرُ
وليتَ شِعْرِي والحديثُ يُؤثَرُ أترقُدُ الليلَ ونحن نَسهَرُ
خوفاً على أُمورنا ونَضْجَرُ واللهِ واللهِ الذي يُسْتَغفَرُ
لأنْ يموتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ خَيرٌ لنا من فِتْنةٍ تَسعَّرُ
يَهلِك فيها دينُهم ويُوزَرُوا وقد وَفى القومُ الذين انْتَصَروا[2]
لصاحب الرُّوم وذاك أصغرُ منه وهذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ
وذاكُم العِلْجُ وهذا الجَوْهَرُ يَنْمي به محمدٌ وجَعْفَرُ
والخُلَفاءُ والنَّبيُّ الأكبَرُ ونَبعةٌ من هاشمٍ وعُنْصُرُ
واعلمْ وأنتَ المرءُ لا يُبَصَّرُ واللهُ يبقيك لنا وتجبرُ
منّا ذوي العُسْرة حتى يُوسِرُوا أنَّ الرِّجالَ إن وَلُوها آثَرُوا
ذَوي القَراباتِ بها ، واستأْثرُوا بها ، وضَلَّ أَمرُهم واستكْبَرُوا
والمُلكُ لا رِحْم له فيأصِرُ ذا رَحِمٍ والنّاسُ قد تَغيَّروا
فأَحكِمِ الأمرَ وأنتَ تَقْدِرُ فمِثْلُ هذا الأمْرِ لا يُؤَخَّرُ

فلمّا فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أَبْشِر يا عُمانيّ بولاية محمد العهد . فقال : إي والله يا أمير المؤمنين ، بُشْرى الأرض المُجدِبة بالغَيث ، والمرأةِ النَّزُور بالولد ، والمريضِ المُدنَف بالبُرء . قال : ولِم ذاك ؟ قال : لأنّه نسيج وحده ، وحامي مجده ، ومُورِي زَنده . قال : فما لك في عبد الله [3] ؟ قال : مَرعًى ولا كالسَّعدان[4] . فتَبَسَّم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابيّ ما أعرفَه بمواضع الرغبة ، وأسرعَه إلى أهلِ البَذْلِ والعائدة ، وأبعدَه من أهل الحَزْمِ والعَزْمِ ، والذين لا يُستمنح ما لديهم بالثّناء ، أمّا والله إنّي لأعرف في عبدِ الله حَزْمَ المنصور ونُسْكَ المهديّ ، وعِزَّ نَفْس الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبْتُه إليها .

1 المجمجم : المخفي في الصدر .
2 يوزروا : يصابون بالوزر ، وهو الذنب .
3 يعني المأمون .
4 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .

[أرجوزة في ترشيح القاسم]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليّ بن الحسن الشَّيبانيّ ، وأخبرني به محمد بن جعفر ، عن محمد بن موسى ، عن حمّاد ، عن أبي محمد المطبخيّ ، عن عليّ بن الحسن الشّيبانيّ قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ ، عن جبير بن ضُبينة الطائيّ ، قال : أخبرني الفضل قال : حضرتُ الرشيد يوماً وجلس للشعراء ، فدخل عليه الفضلُ بنُ الربيع وخلفه العُمانيّ ، فأدْناه الرشيد واستنشده ، فأنشَده أرجوزةً له فيه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع : [من الرجز]

قُــلْ للإمام المقْتَدى بأمِّهِ : مـا قاسمٌ دُونَ مَدى ابنِ أُمِّهِ[1]
وقــد رَضِيناه فقُمْ فسمِّــهِ

قال : فتبَسَّم الرّشيد ثم قال : ويحك ! أما رَضِيتَ أن أولِّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رِجلي ! فقال له العُماني : ما أردتُ يا أمير المؤمنين قِيامَك على رِجْلَيْك ، إنّما أردتُ قيام العَزم . قال : فإنّا قد ولَّيناه العهد ، وأمرَ بالقاسم أن يحضر . ومرَّ العُمانيُّ في أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها ، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخويه فقال له : يا قاسم ، عليك جائزة هذا الشَّيخ ، فقد سألنا أن نولِّيَك العهد وقد فعلنا ؛ فقال : حكمك يا أمير المؤمنين . فقال : وما أنا وهذا ! بل حكمك ، وأمر له الرَّشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أُخرى مُفردَة .

[أكرمه أبو الحر التميميّ فمدحه]

أخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحـاق ، عن أبيه قال : دخل محمد بن ذُؤيب العُمانيّ على أبي الحرّ التّميمي بالبصرة ، فأطعَمه وسقاه وجلَّله بكساء فقال فيه : [من الرجز]

إنّ أبــا الحُـــرِّ لَعَـينُ الحُـر يدفــع عنّــا سَبراتِ القُرِّ[2]
باللحم والشَّحمِ وخُبز البُرّ ونُطْفَـة مكْنُونَـــة في الجَرِّ[3]
يَشْرَبهـا أشياخُنــا في السِّرِّ حتـى نَـرى حديثَنـا كالدُّرِّ

1 قاسم بن هـارون الرشيد جعلـه أبوه وليّاً للعهد بعد أخويه الأمين والمأمون ولقب المؤتمن . ومات في خلافة المأمون . وأم القوم : تقدّمهم .

2 سبرات : جمع سبرة ، وهي الغداة الباردة .

3 الجرّ : جمع جرّة .

[يمدح عبد الملك بن صالح]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حمّاد ، عن أبيه قال : قصد العُمانيُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشميَّ متوسِّلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ، ومدَح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها : [من المتقارب]

نمَتْــه العَرانــينُ مــن هاشمٍ إلى النَّسَبِ الأَوضح الأَصْرحِ[1]

إلى نَبْعــةٍ فرعُها في السماء ومغرسُهـــا سُرَّةُ الأَبطــحِ

فأَدخلَه عبدُ الملك إلى الرشيد بالرَّقَّة فأَنشده : [من الرجز]

هارونُ يا ابنَ الأَكرمين حَسبا لَمّـا ترحَّلْـتَ فكنـتَ كَثَبا

مـن أَرضٍ بغدادَ تؤمُّ المغرِبا طابَتْ لنا ريحُ الجَنوبِ والصَّبا

ونَــزلَ الغيثُ لنــا حتى رَبا مـا كان من نَشْزٍ وما تصوَّبا

فمَرْحبـاً ومَرْحَبـاً ومَرْحَبا

فأَعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

[طعام محمد بن سليمان]

أَخبرني عمِّي والحُسَين بنُ القاسم الكوكبيّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا إسحاقَ بن عبد الله الأَزديّ ، عن محمد بنِ عبدِ الله العامريِّ القُرشيِّ ، عن العُمانيّ الشاعر : أنّه تغدّى مع محمد بن سليمان بن عليّ ، فكان أوّل ما قُدِّم إليهم فُرْنيّةٌ[2] في لبن عليها سكر ، ثم تتابع الطّعام ، فقال له : قُل فيما أَكلت شعراً تصفه ، فقال : [من الرجز]

جــاؤوا بفُرْنــيّ لهم مَلبونِ بــات يُسَقّى خالصَ السُّمُونِ

مُصَوْمَعٍ أَكــومَ ذي غُضونِ قد حُشِيتْ بالسكّر المَطْحونِ[3]

ولَـوَّنوا مــا شِئْت مــن تلوينِ مــن بــاردِ الطّعامِ والسّخينِ

ومن شراسِيف ومــن طُرْدِينِ ومن هُــلامٍ ومَصُوصٍ جُونِ[4]

---

1 العرانين : السادة والأشراف .

2 الفرنية : خبز مستدير .

3 مصومع : مجمع مرتفع .

4 شراسيف : جمع شرسوف ، وهو الغضروف العالق بطرف الضلع المشرف على البطن . والطردين : طعام للأكراد . والهلام : طعام من لحم . والمصوص : طعام يطبخ منقوعاً في الخل .

ومــن إوَزٍّ فائـــقٍ سَمـــينِ ومن دَجاجٍ قِيتَ بالعجينِ[1]
فالشَّحْم في الظّهور والبُطونِ وأتبَعُـوا ذلــك بـالجَوْزِينِ
وبالخَبيصِ الرَّطْـبِ واللَّـوْزينِ وَفكَّهُــوا بِعَنَـبٍ وتِــينِ
والرُّطَــبِ الأزاذِ والهَيْرونِ محمــد يــا سيِّــد البَنِينِ[2]
وبِكْــر بِنتْ المُصطفى الأَمينِ الصــادقِ المُبــاركِ المَيْمونِ
وابــنِ وُلاةِ البَيْتِ والحَجُونِ اسمعْ لنعــتٍ غيرِ ذي تَفنينِ
يخْرُجُ مــن فــنٍّ إلى فُنونِ إن الحديثَ فيكَ ذو شُجونِ[3]

[العمانيّ لقب أطلق عليه]

أَخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَحمد بن أبي كامل قال : حدَّثني أبو هاشم القَيْنيّ قال : كان محمد بن ذُؤَيْب العُمانيُّ الراجز من أهل البصرة ، ويُكنى أبا عبد الله ، وإنّما قِيل له العُمانيّ لأنّه أقبل يوماً وقد خرج من عِلَّة ووجهُهُ أصفَر ، فقال له بعض أصحابنا : يا أبا عبدَ الله قد خرجت من هذه العِلّة كأنّك جمل عُمانيٌّ . قال : وكانت جِمال عُمان تحمِل الوَرْس من اليمَن إلى عُمان فتَصفرّ ، قال : وهو من بني تميم ثم من بني فُقَيم .

[عيسى بن موسى يصله]

قال : فقَدِم على عيسى بن موسى ، فلمّا وصل إليه أَنشدَه مديحاً له وَفَدَ إليه به ، فاستَحسنَه ووَصَلَه واقْتَطَعَه إليه وخصَّه ، وجعله في جُلَسائه ، فقال العُمانيُّ فيه : [من الرجز]

مــا كنتُ أَدري ما رَخاءُ العَيْشِ ولا لبِستُ الوَشْيَ بعــد الخَيْشِ
حتــى تمدَّحْــتُ فتــى قُرَيشِ عِيسى ، وعِيسى عند وقْتِ الهَيْشِ[4]
حــين يخــفّ غَيــرُه للطَّيشِ زَيْــن المقيمــين وعِــزّ الجَيْشِ
راش جَناحيَّ وفـوق الرِّيشِ

1 قيت : من القوت ، أي أضيف إليه العجين .
2 الأزاد : نوع من الرطب . والهيرون : البرّيّ من التمر والرطب .
3 المثل «الحديث ذو شجون» في مجمع الميداني 1 : 197 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 1 : 310 وفصل المقال : 67 .
4 الهيش : الفساد والهياج .

[في حصار هرقلة]

أخبرني حبيبُ بن نَصْر المهلبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم قال : حدَّثنا موسى بنُ صُبيح المروزيّ قال : خرج الرشيدُ غازياً بلادَ الروم ، فنزَل بهِرَقْلَةَ ، ونَصَب الحربَ عليها ، فدخل عليه العُمانيُّ وهو يذكر بغدادَ وطِيبَها وما فيه أهلُها من النِّعمة ، فأنشده العُمانيّ قصيدة له في هذا المعنى ، يذكرُ فيها طِيبَ العيش ببغداد ، وسَعَة النعم ، وكَثرةَ اللذّات ، يقول فيها : [من الرجز]

ثـم أَتَوْهم بالدَّجاجِ الدُّجَّجِ   بـين قَديـدٍ وشِواءٍ مُنضَجِ
وبِعَبِيـطٍ ليس بالمُلَهْـوَجِ   فـدُقَّ دَقَّ الكودَنِيّ الدَّيْزَجِ[1]
حتـى مَـلا أعفاجَ بطنٍ نُفَّجِ   وقال للقَيْنَة : صُبِّي وامزُجِي[2]

قال : فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم .

ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يُوضَع الكبريتُ والنّفط الأبيضُ على الحِجارة ، وتُلَفّ بالمُشاقَة[3] ، وتُوقد فيها النار ، ثم تُوضَع في كِفَّة المنجنيق ويُرْمى بها السُّور ، ففعلوا ذلك ، وكانت النار تَثْبُت في السُّور وتُصَدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذٍ ، فغنّاه ابن جامع وقال : [من البسيط]

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لمَّا أن رَأَتْ عَجَباً   حَوائِماً تَرْتَمِي بالنِّفـط والنَّارِ
كأنَّ نِيرانَنـا في جَنْـب قَلْعَتِهم   مُصَبَّغـاتٌ عـلى أرسان قَصَّارِ

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم أخرى .

[يصف فرساً سابقاً للمهديّ]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني أبو هِفَّان قال : حدَّثني أحمدُ بنُ سليمان قال : قال يزيد بنُ عِقال : كنّا وُقوفاً والمهديُّ قد أجرى الخَيْلَ فسبَقها فَرسٌ له يقال له الغَضبان ، فطلب الشُّعراءَ فلم يحضُر أحدٌ منهم إلاّ أبو دُلامة ؛ فقال له : قلِّده يا زَنْدُ ، فلم يفهم ما أراد فقلّده عِمامَتَه ، فقال له المهديّ : يا ابن اللَّخْناء ، أنا أكثرُ عمائم منك ؛ إنّما أردتُ أن تُقلّده شِعْراً ، ثم قال : يا لَهَفي على العُمانيّ . فلم يتكلّم بها حتى أقبل العُمانيّ ، فقيل له : ها هوذا قد أقبَلَ الساعة يا أمير المؤمنين ، فقال : قدِّموه ، فقدَّموه

---

1 العبيط : اللحم الطري . والكودني : الفيل .

2 الأعفاج : جمع عفج ، وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة .

3 المشاقة : ما خلص من الكتان والقطن .

فقال : قَلِّدْ فَرَسي هذا ، فقال غير مُتَوقّف : [من الرجز]

قد غَضِبَ الغَضْبانُ إذ جدَّ الغَضَبْ وجاء يحمي حَسَباً فَوقَ الحَسَبْ
من إرثِ عَبّاسِ بـنِ عبدِ المُطَّلبْ وجاءت الخَيْلُ بـه تَشْكو التَّعَبْ
له عليها مـا لَكُم على العَرَبْ

فقال له المهديُّ : أَحسنتَ واللهِ ، وأَمرَ له بعشرة آلاف درهم .

صوت

[من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي أَن الذي هو رِزْقي سوفَ يأتيني
أَسعـى لـه فيُعَنِّيني تَطلُّبُـه ولـو قَعـدتُ أَتـاني لا يُعنِّيني

الشعر لعُرْوة بن أُذَيْنة[1] ، والغناء لُمخارق ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

1 ديوان عروة (صادر) : 124 .

[394] ـ أخبار عروة بن أذينة ونسبه[1]

[نسبه]

هو عروةُ بنْ أُذينةَ ، وأُذَيْنَةُ لقبه ، واسمُه يحيى بنُ مالِك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زُحَل[2] بن يَعْمُر ، وهو الشَّدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وسُمِّي يَعْمُر بالشّدّاخ لأنّه تحمَّل دِيات قتلى كانت بين قُرَيش وخُزاعة ، وقال : قد شَدخْتُ هذه الدِّماءَ تحت قدميّ ، فسُمِّي الشّدّاخ .

قال ابنُ الكَلْبيّ : الشُّدّاخ ، بضمّ الشِّين .

[شاعر وفقيه ومحدث]

ويُكنى عُروة بن أُذينة أَبا عامر ، وهو شاعر غَزِل مُقدَّم ، من شُعراء أَهل المدينة ، وهو مَعدُودٌ في الفقهاء والمُحدِّثين ، روى عنه مالِكُ بن أنس ، وعُبَيد الله بن عمر العَدَويّ . أخبرني بذلك أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، عن عُمَر بن شَبَّة ؛ وروى جدُّه مالِكُ بن الحارث عن عليّ بن أبي طالِب عليه السلام .

[عليٌّ يكره قتل رجال قريش]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ مُوسى قال : حدَّثنا أَحمدُ بن الحارث ، عن المدائنيّ ، عن ابن دأْب ، عن عُروَة بن أُذَيْنة ، عن أَبيه قال : حدَّثني أبي مالِكُ بن الحارث قال : خَرَج مع عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام رجلٌ من قومي كان مُصْطَلماً[3] . فخرجتُ في أثره وخَشيت انقراضَ أهلِ بيتِه ، فأَردْتُ أَن استأْذِن له من عليّ ، فأَدركتُ عليّاً عليه السلام بالبصرة ، وقد هَزَم النّاسَ ودخل البصرة ؛ فجئتُه فقال : مرحباً بك يا ابن الفُقَيمة ، أبدا لَكَ فينا بَداءٌ[4] ؟ قلتُ : والله إنّ نُصْرَتَكَ لحقٌّ ، وإنّي لَعَلى ما عهِدْتَ أُحِبّ العُزلَة ، ثم ذاكرتُه أمرَ ابن عمِّي ذلك ، فلم يبعد عنه ، فكنت آتيه أتحدّث إليه . فركِب يوماً يطوف وركبت معه . فإنّي لأسِير إلى جانبه إذْ مرَرنا بقَبْر طَلْحة ، فنظر إليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليّ فقال : أمسى

1 ترجمة عروة بن أُذينة في الشعر والشعراء : 483–484 والمؤتلف : 69–70 والسمط : 136 والموشح : 231–233 وله مقطعات في أمالي المرتضى 1 : 408–416 وفي الزهرة وله قصائد في منتهى الطلب . وقد نشرت دار صادر (بيروت) ديوانه سنة 1996 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ل : ذهل .

3 مصطلم : مقطوع .

4 بداء : ظهور الرأي .

والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ، ثم تَمَثَّل : [من الوافر]

وما تَدْرِي وإن أزمعْتَ أمْراً بأيِّ الأرْض يُدْرِكُك المَقِيلُ

والله إنّي لأكْرَه أن تكون قريش قَتْلَى تحت بطون الكواكبِ . قال : فوقع العِراقيُّون يَشْتُمون طَلْحَة وسكَتَ عليٌّ وسكَتُّ ، حتى إذا فرَغوا أقبل عليٌّ عليه السلام عليَّ فقال : إيه يا ابن الفُقَيمة ، والله إنّه وإن قالوا ما سَمعت لكما قال أخو جُعْفيّ : [من الطويل]

فَتًى كان يُدْنِيه الغِنى من صَدِيقه إذا ما هو استَغْنى ويُبْعِدُه الفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكلِّمَهُ بشيء فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وما مَنَعَك أن تقول : يا أبا الحَسَن ؟ فقلتُ : أَبَيْتُ ، فقال : والله إنّها لأحبُّهما إليّ لولا الحَمْقى ، ولوَدِدْتُ أنّي خُنِقْت بحَبْل حتى أموت قبل أن يفعَل عُثمان ما فَعَل ، وما أعتذر من قِيام بحقٍّ ، ولكِنَّ العافية ممّا ترى كانت خيراً .

[حريق الكعبة]

حدَّثنا محمد خلَف وَكيع ، والحسن بن عليّ الخَفّاف ، قالا : حدَّثنا الحارث بن أبي أُسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سَعْد ، عن الواقديّ ، عن عبدِ الله بن يزيد ، عن عُروة بن أُذَينة قال : قَدِمْتُ مع أبي مكّة يوم احتَرَقت الكعبة ، فرأيتُ الخشبَ وقد خَلَصتْ إليه النّارُ ، ورأيتُ الكعبة مُتجرِّدة ، من الحريق ، ورأيتُ الرُّكنَ قد اسوَدَّ وتصدَّع من ثلاثةِ أمكِنة . فقلتُ : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا إلى رجُل من أصحاب ابن الزُّبير فقالوا : هذا احترَقتْ بسببه ؛ أخذَ قَبَساً في رأس رُمْح ، فطَيَّرت الرِّيح منه شيئاً ، فضرَبَتْ أستارَ الكَعْبة فيما بين اليمانيّ إلى الأسود .

[رزقه يأتيه]

حدَّثني محمد بن جرير الطبريّ وحفِظْتُه ، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بن نَصْر المُهلَّبيّ قالوا : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال : حدَّثني عمر بن محروس الورّاق بن أُقَيْصَر السُّلميُّ قال : حدَّثنا يحيى بن عُروة بن أُذَيْنة قال : أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بن عبد الملك ، فنسَبَهم ، فلمّا عرف أبي قال له : أنت القائل[1] : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي أنَّ الذي هو رِزْقي سوفَ يَأتيني

أَسعى له فيُعَنِّيني تَطلُّبُه ولو جَلستُ أَتاني لا يُعَنِّيني

هذا البيتان فقط ذكرهما المُهلَّبيُّ والجَوهريُّ ، وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات

1 القصيدة في ديوانه : 122–126 . وهناك قطعة أخرى (128–129) تشترك مع القصيدة في بعض الأبيات . والأبيات الواردة هنا بعضها موجود في الاثنتين وبعضها في هذه أو تلك .

كلّها : [من البسيط]

وأنَّ حظَّ امرىءٍ غيري سَيَبلُغُه لا بُدَّ لا بُدَّ أن يَحتازَه دُوني
لا خَيْرَ في طَمعٍ يُدني لِمنْقَصةٍ وغُفَّة من قَوام العيش تكْفيني[1]
لا أركبُ الأمرَ تُزري بي عَواقِبُه ولا يُعابُ به عِرْضي ولا دِيني
كم مِنْ فَقِيرٍ غَنيِّ النَّفْسِ تَعرفُه ومن غَنيٍّ فَقِيرِ النَّفْس مِسكينِ
ومن عَدوٍّ رَماني لو قَصدتُ له لم يأْخذِ النِّصفَ منّي حين يرميني[2]
ومن أخٍ لي طوى كَشْحاً فقلتُ له : إنَّ انْطِواءَك عنّي سيوف يَطْويني
إنّي لأنْطِق فيما كان من أَرَبي وأُكثِرُ الصَّمْتَ فيما ليس يَعْنِيني
لا أَبتَغي وَصْلَ من يَبْغي مفارقتي ولا أُلينُ لِمَنْ لا يَشْتَهي لِيني[3]

فقال له ابنُ أُذَينة : نعم أنا قائلها ؛ قال : أَفلا قعدتَ في بيتك حين يأتيك رزقُك ! وغَفَل عنه هشامٌ ، فخرج من وقته وركب راحلتَه ومضى مُنصرِفاً ، ثم افتقده هشامٌ فعرفَ خبرَه ، فأتبعَه بجائزة وقال للرَّسول : قل له : أردتَ أن تُكذِّبنا وتُصَدِّق نفسَك . فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماءٍ يتغدّى عليه ، فأبلغه رسالتَه ودفع الجائزة . فقال : قل له : صدَّقني ربّي وكذَّبَك .

قال يحيى بنُ عروة : وفرض له فريضتين ، فكنتُ أنا في إحداهما .

أُخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني أبو غَزِيَّة قال : حدَّثني أنَسُ بنُ حبيب قال : خرج ابن أُذَيْنة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه ، وكان ابنُه مَسْلَمة بن هشام سنة حجَّ أذنَ لهم في الوفود عليه ، فلمّا دخلوا على هِشام انتسَبوا له وسلَّموا عليه ، فقال : ما جاءَ بك يا ابن أُذينة ؟ فقال[4] : [من المتقارب]

أَتينا نمُتُّ بأَرحامِنا وجِئْنا بإذْنِ أَبي شاكِرِ
فإنَّ الذي سارَ مَعروفُه بنَجْدٍ وَغار مع الغائرِ

---

1 الغفة : البلغة .
2 النصف : (بفتح النون وكسرها) الإنصاف . وفي الديوان : لم آخذ النصف منه . . . .
3 الديوان : . . . يبغي مقاطعتي .
4 ديوانه : 36 .

إلى خير خِنْدِفَ في ملكِها ... لِبادٍ مــن النّاس أو حاضِرِ

فقال له هشام : ما أراك إلاّ قد أكذبْتَ نفسك حيث تقول : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي ... أنَّ الذي هو رِزْقِ سوف يأتيني

أسعــى لـــه فيُعَنِّينــي تَطَلُّبُه ... ولــو جَلَسْتُ أتــاني لا يُعَنِّينـي

فقال له ابن أُذَيْنة ما أكذبْتُ نفسي يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّي صدَّقْتُها ، وهذا من ذاك . ثم خرجَ من عِنده فركب راحلتَه إلى المدينة ، فلمّا أمر لهم هشامٌ بجَوائِزِهم فَقَده ، فقال : أين ابنُ أُذَيْنَة ؟ فقالوا : غَضِب من تقريعك له يا أمير المؤمنين ، فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فبَعَث إليه هِشام بجائزَتِه .

[الراعي النائم]

أخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارونُ بنُ محمد قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال : حدَّثني عمّي ، عن عُروة بن عبيد الله قال : كان عُروَةُ بن أُذَيْنة نازلاً مع أبي في قصر عُروَة بالعقيق ، وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابنُ أُذَيْنة ، ونظر إلى غنم كانت له في يَديْ راعٍ يقال له كَعب ، وهي مُهملة ، وكعب نائِم حَجْرَةً[1] ، فجعل ابن أُذَيْنَةَ يَنزو حوله وهو يَضربه ويقول[2] : [من الرجز]

لــو يَعْلَم الذِّئبُ بنَــوْم كَعْبِ ... إذاً لأَمْسى عندنــا ذا ذَنْبِ

أضرِبُــه ولا يَقُــول حَسْبي ... لا بدَّ عند ضَيْعَةٍ من ضَرْبِ

[تمنين فكنا المنى]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ ، وحَبيبُ بن نصرٍ المُهلَّبيُّ ، وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا : حَدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو غسان محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، قال : مرَّ ابنُ عائشة المُغنّي بعُرْوَةَ بنِ أذينة ، فقال له : قُل لي أبياتاً هزَجاً أُغنّي فيها ، فقال له : اجلس ، فجلس ، فقال[3] : [من الهزج]

صوت

سُلَيْمى أجمَعَتْ بَيْنــاً ... فأَيــنَ تقولُهــا أينــا

وقــد قالــت لأترابٍ ... لهــا زُهــرٍ تلاقَينــا

1 حَجرة : ناحية .

2 ديوانه : 9 .

3 ديوانه : 115 .

تعالَيْـنَ فقـد طابَ لنـا العيْشُ تعـالَيْنا

وغـاب البَـرِمُ اللّيْـ ـلة والعَيْنُ فلا عَيْنا[1]

فأقبلنَ إليهـا مُسـ ـرعـات يَتهـادَيْنا

إلى مثـلِ مَهـاة الرّمـ ـل تكسو المَجلسَ الزّينا

تمنَّيـن مُناهُـنّ فكُنّـا مـا تمنّينا

قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابنَ عائشة رواها ثم ضحك لمّا سَمِع قوله : [من الهزج]

تَمنَّيـن مُناهُـنَّ فكُنّـا مـا تَمنّينا

ثم قال : يا أبا عامر تَمنّينكَ لمّا أقبل بَخرُك وأدبر ذَكَرُك .

[امتدحه عمر بن عبد العزيز]

قال عمرُ بن شَبَّة : قال أبو غسان : فحدَّثني حمّاد الحُسينيّ قال : ذُكِر ابنُ أُذينة عند عمرَ بن عبد العزيز : فقال : نِعْمَ الرَّجل أبو عامر ، على أنّه الذي يقول : [من الهزج]

وقدْ قالَتْ لأَتْرابٍ لهـ ـا زُهْـرٍ تَلاقَيْنـا

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال : حدَّثني هارونُ بن محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن يحيى ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن قسطاس قال : مرَّ ابن عائشة بابن أُذَيْنة ، ثمَّ ذكر الخبرَ مثلَ الذي قبله .

[سكينة تطعن في ادعائه العفة]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ ، والحِرْميّ بنُ أبي العَلاء قالا : حدَّثَنا الزُّبير بنُ بكّار قال : حدَّثني أبو معاوية عبدُ الجبّار بنُ سعيد المساحقيّ ، وأخبرنا به وكيع قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، عن الحارث بنِ محمد العَوفيّ قال : وقفت سُكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على عُرْوَةَ بن أُذينة في موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذي تَزعمُ أن لك مُروءةً ، وأنَّ غزَلَك من وراء عِفّة وأنّك تقيٌّ ؟ قال : نعم ؛ قالت : أفأنتَ الذي تقول[2] : [من البسيط]

صوت

قالت وأَبْثَثْتُها وَجْدي فبُحتُ به : قد كنتَ عندي تُحبُّ السَّترَ فاستَترِ

ألستَ تُبصِرِ مَنْ حَوْلي ؟ فقلتُ لها : غَطّى هواكِ وما أُلقي على بَصري

1 البرم : الضجِر السؤوم .

2 ديوانه : 33 .

قال لها : بلى ؛ قالت ، هنَّ حرائر إن كان هذا خَرج مِن قلْبٍ سليمٍ ، أو قالت : من قلْبٍ صحيحٍ .

في هذين البيتين لعلُّويَه رمَل بالبنصر ، وفيهما لإسحاق هَزَج بالوسطى ، وفيهما لمخارقٍ ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعمرو بن بانة ، وذكر حَبَش أنّ الثقيل الأوّل لمعبد اليقطينيّ .

[بغض المنتصر للمعتزّ]

وذكر عليُّ بن محمد بن نصر البسَّاميّ أن خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال : كنت جالساً بين يدي المُتوكّل ، وبين يديه المنتصر ، فأحضر المعتزَّ وهو صبيّ صغير ، فلعبَ فأفْرَطَ في اللّعب ، والمنتصر يرمُقه كالمنكِر لفِعله ، فنظرَ إليه المتوكّل عدّة دفعات ، ثم التفت إلى المنتصر فقال : يا محمد : [من البسيط]

قالتْ وَأَبْثَثْتُها وَجدِي فبُحتُ به : قد كُنتَ عندي تُحبّ السّتر فاسْتِترِ

قال : فاعتذر إليه المنتصرُ عُذراً قبله وهو مُقطِّب مُعرض . قال : وكان المنتصرُ أشدَّ خَلْقِ الله بُغضاً للمعتزّ ، وطَعَناً عليه . ولقد دخلْتُ إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المُهلَّبيُّ بعد قتل المتوكّل وإفضاء الخلافة إليه ، ومع المُهلبيّ دِرْع كأنّها فضّة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه دِرْع المُهلَّب ، فأخذها وقام فلبسها ، ورأى المعتزَّ وعليه وَشيٌ مُثقل وما أشبه ذلك ، فتمثَّل ببيتِ جرير[1] : [من الطويل]

لبِسْتُ سِلاحِي والفرزدقُ لُعبةٌ عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ[2]

[طعن آخرّ في براءته]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني هارون بن محمد قال : حدَّثني عبدُ الله بن شُعيْب الزُّبيريّ قال : حدَّثني عبد العزيز بن أبي سَلمة قال : مرّت امرأةٌ بابن أُذَينة وهو بِفناء دارِه فقالت له : أأنْتَ ابنُ أُذينة ؟ قال : نعم ، قالت : أأنتَ الذي يقول الناس إنّك امرؤٌ صالح ، وأنتَ الذي تقول[3] : [من البسيط]

إذا وَجدتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبدِي عَمَدتُ نحوَ سِقاء القَوْم أَبْترِدُ
هَبْني بَرَدْتُ ببَرْد الماء ظاهرَه فمَنْ لِحَرٍّ على الأَحشاء يَتّقِدُ[4]

---

1 ديوان جرير (صادر) : 388 .

2 الكُرّج : حصان خشبي يلعب عليه الأطفال ، وفي الديوان : لبست أداتي .

3 ديوانه : 29 .

4 الديوان : فمن لحر . . . يتّقد .

[أبو السائب يعجب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي ، عن عروة بن عبد الله ، وأخبرنا به وكيع ، عن هارون بن الزَّيّات ، عن الزُّبيريّ ، عن عمّه ، عن عروة بن عبد الله ، وذكره حمّاد ، عن أبيه ، عن الزُّبيريّ ، عن عروة هذا قال : كان عروة بن أُذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق ، فسمِعَه ينشد[1] : [من الكامل]

صوت

إنَّ التــي زعَمَــتْ فُؤادَك ملَّها ... جُعِلَتْ هَواكَ كما جُعِلْتَ هوى لها
فَبِكَ الذي زَعَمَتْ بها وكلاكُما ... يُبدي لِصاحِبِــه الصَّبابـةَ كُلَّها
ويَبِيتُ بــين جَوانِحي حُبٌّ لها ... لــو كان تحت فِراشِها لأقلَّها[2]
ولعمرُها لــو كان حبُّك فوقها ... يومــاً وقــد ضَحِيَتْ إذاً لأظَلَّها
وإذا وجدتُ لهــا وَساوسَ سَلْوَةٍ ... شَفَع الفُــؤادُ إلى الضَّمير فسَلَّها[3]
بيضاءُ باكَرَهــا النَّعِيمُ فَصاغَها ... بِلَباقــــةٍ فَأَدَقَّهــــا وأَجَلَّها
لمــا عَرَضْتُ مُسَلِّماً لي حاجَــةٌ ... أَرجُــو مَعونَتَهــا وأَخشى دَلَّها
مَنَعَــتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لصاحِبي : ... مــا كان أَكْثَرهــا لنــا وأَقلَّها
فدنــا فقــال : لعَلَّهــا مَعْذُورةٌ ... من أَجل رِقْبَتِها ، فقلــتُ : لَعَلَّها

قال : فأتاني أبو السَّائِب المخزوميّ وأنا في داري بالعقيق ، فقلت له بعد التَّرحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال نعم ، أبيات لعروة بن أُذينة ، بلغني أنّك سمعتها منه ؛ فقلت له : وأيّة أبيات ؟ فقال : وهل يَخفى القمر ؟ قوله : [من الكامل]

إنّ التي زَعَمَت فؤادك مَلَّها

فأنشدتُه إيّاها ، فلمّا بَلَغْتُ إلى قوله «فقلت : لعَلَّها» . قال : أُحسن والله ، هذا والله الدّائمُ العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذي يقول : [من الكامل]

إن كان أَهلُكِ يَمْنَعونكِ رَغْبَــةً ... عنّــي فأَهْلي بــي أَضَنُّ وأَرغَبُ

اذهَبْ لا صَحِبكَ الله ولا وَسَّع عليك ، يعني قائلَ هذا البيت ، لقد عدا الأعرابيُّ طَوْرَه ، وإنّي لأرجو أن يغفر الله لصاحبك ، يعني عُروة ، لحُسنْ ظَنّه بها وطلَبِه العُذر لها . قال : فعرَضْتُ

1 ديوانه : 70–71 .
2 أقلها : هزها وأرعدها .
3 الشطر الثاني في الديوان : شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها .

عليه الطَّعام فقال : لا ، والله ما كنتُ لآكُل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل ، وانصرف .

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشعر المذكور فيه لعُرْوة في البيت الأوّل والرابع من الأبيات خفيف رمَل بالوسطى ، نسبه ابنُ المكِّي إلى ابن مِسْجَح ، وقيل : إنّه من مَنْحُوله إليه ، وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابن أُذَينة خفيف ثقيل لابن الهِرْبِذ ، والبيت : [من الكامل]

ويَبِيتُ بين جَوانِحي حُبٌّ لها ... لـو كان تحت فِراشِها لأَقَلَّها

[أبو السائب لا يعجب بشعر له]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا عمر بن أبي بَكْر المؤمّليّ قال : أخبرنا عبد الله بن أبي عبيدة قال : قلتُ لأبي السَّائب المخزوميّ : ما أحسن عُروة بنَ أُذينة حيث يقول[1] : [من الكامل]

صوت

لَبِثُوا ثَلاثَ مِنًى بمَنْزِل غِبْطَةٍ ... وهُمُ على غَرَضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ
مُتجاوِرِيــن بغَيْرِ دارِ إقامَــةٍ ... لــو قد أجدَّ رَحِيلُهم لَم يَنْدَمُوا
ولَهُــنَّ بالبَيْت العَتِيــق لُبانةٌ ... والبَيْتُ يعرفهــنَّ لَــوْ يَتَكَلَّمُ
لـــو كان حيّــاً قَبْلَهُنَّ ظعائناً ... حَيّا الحَطِيمُ وُجُوهَهنَّ وزَمْزَمُ
وكأنَّهُنَّ وقــد حَسَرنَ لَواغِباً ... بَيْضٌ بأَكْنــاف الحَطِيمِ مُركَّمُ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

قال : فقال : لا ، والله ما أحسن ولا أجمل ، ولكنّه أهْجَر وأخطل في صِفَتِهنَّ بهذه الصفة ، ثم لا يَنْدَم على رحِيلهن . أهكذا قال كُثَيِّر حيث يقول[2] : [من الطويل]

صوت

تَفرَّق أُهــواءُ الحجِيج على مِنًــى ... وَصدَّعَهم شَعْب النَّوى صُبْحَ أَرْبَعِ
فَرِيقــان : مِنْهُم سالِكٌ بَطْنَ نَخْلة ... وآخــرُ منهم سالِك بطنَ تَضْرُعِ[3]

في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش :

---

1 ديوانه : 83 .
2 ديوان كثير : 410–411 .
3 تضرع : جبل قرب مكة .

فلـم أَرَ داراً مِثْلَهـا دارَ غِبْطَـةٍ ... وملقًى إذا التَفَّ الحَجِيجُ بمَجْمَعِ
أقـلَّ مقيمـاً راضيـاً بمَكانِـهِ ... وأكْثَرَ جـاراً ظاعِنـاً لم يُـوَدَّعِ

انظُر إليه كيف تقدَّمت شهادتُه عِلمَه وكبا لسانُه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ، ولكن مُكْرَهٌ أخُوك لا بَطَل[1] ؛ والعَرْجيّ كان أوفى بالعَهْد منهما وأوْلى بالصَّواب ، حين تَعَرَّض لها نافرةً من مِنًى ، فقال لها عاتباً مُسْتَكيناً[2] : [من الكامل]

عُوجِـي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فِيمَ الصُّدودُ وأنتـمُ سَفْرُ
ما نَلْتَقي إلاّ ثَـلاثَ مِنًى ... حتـى يُفـرِّق بَيْنَنا النَّفْرُ

في هذين البيتين غناء قد تقدّمت نسبتُه في أخبار ابن جامع في أوّل الكِتاب .

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني جعفر بن موسى اللّهبيّ قال : كان عبدُ المِلِك بن مروان إذا قَدِمَ مكة أذِن للقُرَشِيِّين في السَّلام عليه ، فإذا أراد الخروج لم يأذَن لأحد منهم وقال : أكذبنا إذاً قول المُلَحيّ ، يعني كُثَيِّراً ، حيث يقولُ : [من الطويل]

تَفرَّق أهـواءُ الحَجِيج على مِنًى ... وصدَّعهم شعبُ النّوى صُبحَ أَرْبَعِ

وذكر الأبيات الأربعة .

[خالد صامة يغنّي بشعره عند الوليد]

أخبرنا عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد : قال حدَّثنا الزُّبيريّ ، عن خالد صامة ، وكان أحد المُغنِّين قال : قَدِمتُ على الوليد بن يزيد ، فدخلت إليه وهو في مجلسٍ ناهيك به ، وهو على سرير ، وبين يديه معبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامل ، فجعَلوا يُغنُّون ، حتى بلغت النَّوبةُ إليَّ فغنَّيْته[3] : [من الوافر]

صوت

سَرى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ... وغـارَ النَّجْمُ إلاّ قِيسَ فِتْرِ[4]
أُراقِبُ في المَجَـرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ ... تَعرَّض للمَجَرَّة كيف يَجْرِي[5]

---

1 المثل «مكره أخوك (أخاك) لا بطل» في مجمع الميداني 2 : 318 وجمهرة العسكري 2 : 242 ومستقصى الزمخشري 2 : 347 .

2 تقدم بيتا العرجي في ترجمته بالجزء 1 : 263 ، وفي ترجمة ابن جامع في الجزء 6 : 222 .

3 ديوان عروة : 34 .

4 الديوان : قيد فتر .

5 الديوان : تعرّض أو على المجراة يجري .

لِهَــمٍّ مــا أزالُ لــه مُدِيماً كأنَّ القَلْبَ أُضْرِم حرَّ جَمْرِ[1]
على بَكْــرٍ أخي وَلَّى حَمِيداً وأيُّ العَيْشِ يَصْفو بعد بَكْرٍ ![2]

فقال لي الوليد : أعِد يا صام ، فَفَعلتُ . فقال لي : مَن يقول هذا الشِّعر ؟ قلتُ : عروة بن أُذينة يَرثي أخاه بَكْراً . فقال لي : وأيّ العيش لا يَصْفو بعده ؟ هذا العيش والله الذي نحن فيه على رَغْم أنْفه ، واللهِ لقد تَحَجَّر واسعاً[3] .

لابن سُريج في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالوُسطى عن عَمْرو وابن المَكِّيّ وغيرهما وفيها رمل يُنْسَب إلى ابن عبّاد الكاتب ، وإلى حاجب الحزَوّر[4] ، وإلى مسكين بن صدقة .

حدَّثنا الأخفش ، عن محمد بن يزيد قال : قال الزُّبيريّ : حُدِّثتُ أن سُكينةَ بنتَ الحُسين عليه السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت : مَن بَكْرٍ هذا ؟ أليس هو الأَسودُ الدَّحْداح[5] الذي كان يمرُّ بنا ؟ قالوا : نعم ، فقالت : لقد طاب كلُّ شيء بعده حتى الخُبز والزَّيت .

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال : حدّثنا أحمدُ بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمّي قال : لَقِيَ ابنُ أبي عتيق عُروةَ بن أُذينة فأنشده قوله[6] : [من الرجز]

لا بَكْــرَ لي إذ دَعَوْتُ بَكْراً ودُونَ بَكْــرٍ ثَــرًى وطِـينُ

حتى فرغ منها ، ثم أنشده : [من الوافر]

سَرى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسري

حتى بلغ إلى قوله : [من الوافر]

وأيُّ العَيْش يَصلُح بعد بَكْرٍ !

فقال له ابن أبي عتيق : كلُّ العيش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت . فغَضِب عُروةُ من قوله ، وقام عن مجلِسه ، وحلف ألاَّ يُكلِّمـه أبداً ، فماتا مُتهاجِرَين .

---

1 الديوان : كأن القلب أبطن . . .
2 الديوان :
على بكر أخي فارقت بكراً وأي العيش يصلح بعد بكر
3 تحجر واسعاً : ضيق على نفسه . وقد ورد هذا الخبر في ترجمة الوليد بن يزيد الجزء 7 : 49 .
4 بيروت : وإلى صاحب الحرون .
5 الدحداح : القصير .
6 ديوانه : 112 .

[395] ـ ذكر مخارق وأخباره[1]

[نسبه]

هو مُخارق بنُ يحيى بن ناووس الجزَّار مَوْلى الرشيد ، وقيل : بل ناووس لَقَب أبيه يحيى ، ويكنى أبا المُهنَّأ ، كناه الرشيد بذلك .

وكان قبله لعاتِكة بنت شُهْدَة ، وهي من المُغنِّيات المُحْسِنات المُتقدِّمات في الضَّرب ، ذكر ذلك مُخارقٌ واعترفَ به . ونَشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان مَنْشَؤه بالكوفة .

[تعلمه الغناء]

وكان أبوه جزَّاراً مملوكاً ، وكان مُخارِق وهو صبيٌّ ينادي على ما يبيعُه أبوه من اللحم . فلمّا بانَ طِيبُ صوتِه علَّمته مولاتُه طرَفاً من الغناء ، ثم أرادت بيعَه ، فاشتراه إبراهيمُ الموصليُّ منها ، وأهداه للفَضْل بن يَحْيى ، فأخذه الرشيد منه ، ثم أعتقَه .

[انتقاله من مالك لآخر]

أخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حَمَّاد : حدَّثني زَكريَّا مولاهم ، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني عُبَيْد الله بن محمد بن عبدِ الملك قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن زكريّا مَوْلاهم قال : قَدِمَتْ مَولاةُ مُخارِق به من الكوفة ، فنزلت المُخرِّم[2] ، وصار إبراهيمُ إلى جدِّي الأصْبغ بن سِنان المُقيِّن وسِيرِين بن طَرْخان النَّخَّاس ، فقالا له : إن هاهنا امرأةً من أهل الكوفة قد قَدِمَت ومعها غلام يتغنَّى ، فأُحِبّ أن تنفعها فيه . قال : فوجَّهني مع مولاته لأَحمِلَه ، فوجدته مُتَمرِّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المُخَرِّم وهو يلعب ، فَحَمَلتُه خلفي وأتيتُ به إبراهيمَ ، فتغنَّى بين يديه فقال لها : كَم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرة آلاف درهم ، قال : قد أخذتُه بها وهو خَيْرٌ منها . فقالت : أَقِلْني قال : قد فَعلتُ ، فكم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرون ألفاً ، قال : قد أَخذتُه بها وهو خَيرٌ منها . فقالت : والله ما تَطيبُ نفسي أن أمتَنع من عشرين ألف درهم بكَبِدٍ رطبة ، فهل لك في خَصْلة : تُعطِيني به ثلاثين ألفَ درهم ولا أستقيلُك[3] بعدها ؟ فقال : قد فعلتُ وهو خيرٌ منها ، فصفَقَت على يدِه[4] وبايَعَته ؛ وأمر بالمال فأُحْضِر ،

1 ترجمة مخارق في النجوم الزاهرة وتاريخ الطبري 8 : 521 ونهاية الأرب 4 : 312—320 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 المخرّم : محلة كانت ببغداد .

3 أستقيلك : أطلب فسخ البيع .

4 صفقت على يده : ضربت يدها على يده إيجاباً للبيع .

وأمر بثلاثة آلاف درهم فزِيدَت عليه ، وقال : تكون هذه لهدِيَّة تُهْدِيها أو كُسْوة تَكْتَسِينها ، ولا تَثْلَمين المال .

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له : ما خبرُ غلامٍ بلغني أنّك اشتريته ؟ قال : هو ما بلغك ، قال ، فأرنيه ، فأحضَرَه ، فلمّا تغنّى بين يدي الفَضْل قال له : ما أرى فيه الذي رأيت ، قال : أنتَ تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ، ولم يكُن مثلُه في الدُّنيا ولا يكون أبداً . فقال : بكم تبيعُه ؟ فقال : اشتريتُه بثلاثة وثلاثين ألف دِرهم ، وهو حُرّ لوجه الله تعالى إن بعْتُه إلاّ بثلاثة وثلاثين ألف دِينار . فغضِب الفَضْل وقال : إنّما أردتَ أن تَمْنَعنِيه أو تجعلَه سبباً لأن تأخذَ منّي ثلاثةً وثلاثين ألف دينار . فقال له : أنا أصنَعُ بك خَصْلَة ؛ أبيعُك نصفَه بنصف هذا المال ، وأكون شريكك في نصفه وأُعلّمه ، فإن أُعْجَبَك إذا علّمتُه أتممتَ لي باقي المال . وإلاّ بِعتُه بعد ذلك وكان الرِّبحُ بيني وبينك . فقال له الفضْل : إنّما أردتَ أن تأخذ منّي المال الذي قدّمتَ ذِكرَه ، فلمّا لم تقدِر على ذلك أردتَ أن تأخُذَ نصفَه .

وغضِب ، فقال له إبراهيمُ : فأنا أهَبُه لك ، على أنّه يُساوي ثلاثةً وثلاثين ألفَ دينار ، قال : قد قَبِلتُه ، قال : قد وهبته لك . وغَدا إبراهيمُ على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ما غُلامٌ بلَغني أنّك وهبتَه للفَضْل ؟ قال : فقلتُ : غُلام يا أميرَ المؤمنين لم تملِك العربُ ولا العَجَمُ مِثلَه ، ولا يكون مِثلُه أبداً ، قال : فوجَّه إلى الفضْل فأمره بإحضارِه ، فوجَّه به إليه فتغنّى بين يديه ، فقال لي : كَمْ يُساوي ؟ قال : قلت : يُساوي خراجَ مِصْر وضياعَها . فقال لي : ويلك ، أتدْري ما تقول ! مبلغُ هذا المال كذا وكذا . فقلت : وما مقدارُ هذا المال في شيء لم يَملِكْ أحدٌ مِثلَه قَطّ ! قال : فالتفتَ إلى مسرور الكبير وقال : قد عَرفْتَ يميني ألاّ أسألَ أحداً من البرامكة شيئاً بعد فنفَنَةَ[1] . فقال مسرور : فأنا أمضي إلى الفضْل فأَسْتَوْهِبُهُ منه ، فإذا وهبه لي وكان عَبدي فهو عَبْدك . فقال له : شأنك . فمضى مسرور إلى الفضل فقال له : قد عَرفتم ما وقَعْتُم فيه من أمر فَنْفَنَة ، وإن منعْتُموه هذا الغلام قامت القيامة ، واستَوْهَبه منه فوهَبه له ، فبلَغ ما رأيت . فكان عَلّويَه إذا غَضِب على مُخارق يقول له ، حيث يقول : أنا مولى أميرِ المؤمنين ، متى كنت كذلك ؟ إنّما أنت عبدُ الفضْل بن يحيى أو مَولى مسرور .

أخبرني ابنُ أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال : كان مُخارق بنُ ناووس الجَزّار ؛ وإنّما لُقّب بناووس لأنّه بايَعَ رجلاً أنّه يمضي إلى ناووس[2] الكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تَنْضَج . فطَرَح رَهْنه بذلك ، فدسَّ الرجلُ الذي راهنَهُ رجُلاً . فألقى

1 فنفنة أو فنقنه : لعلّ اسم غلام أو جارية .

2 الناووس : المقبرة .

نفسَه في النَّاوُوس بين الموتى ، فلمّا فَرَغَ من الطَّبيخ مدَّ الرجل يدَه من بين الموتى وقال له : أطعِمْني ، فغرَف مِلْءَ المِغْرَفة من المَرَقة فصبَّها في يد الرجل فأحرقَها ، وضربَها بالمِغْرفة وقال له : اصبِر حتى نُطعِم الأحياءَ أوّلاً ثم نتفرَّغ للمَوْتى ، فلُقِّب بناووس لذلك . فنشأ ابنُه مُخارِق ، وكان يُنادي عليه إذا باع الجَزورَ ، فخرج له صوتٌ عجيب ، فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمرَه بتعليمِه فعلَّمه حتى بلغ المبلغ الذي بلَغَه .

[يفوق ابن جامع]

وكان يقِف بين يدي الرشيد مع الغِلمان لا يجلس ، ويُغنِّي وهو واقف ، فغنَّى ابن جامع ذاتَ يوم بين يدي الرشيد[1] : [من البسيط]

كأنَّ نِيرانَنا في جَنْب قلْعتهم مُصبَّغاتٌ على أرسانِ قصّارِ
هَوَتْ هِرَقْلَة لّما أنْ رأَتْ عَجَباً حَوائماً ترتمي بالنِّفط والنّارِ

فطَرِب الرشيد واستعاده عدّة مرّات ، وهو شعر مُدِح به الرشيد في فتح هِرَقلة ، وأقبل يومئذٍ على ابن جامع دون غيره ، فغَمز مُخارقٌ إبراهيمَ بعينه ، وتقدَّمه إلى الخلاء ، فلمّا جاءه قال له : ما لي أراكَ مُنكسراً ؟ قال : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد والله أخذتُه ، فقال له : ويْحَكَ إنّه الرشيد ، وابنُ جامع منْ تَعلم ، ولا يمكن مُعارَضتُه إلاّ بما يزيد على غِنائه ، وإلاّ فهو الموت . قال : دَعْني وخلاك ذمٌّ ، وعرِّفه أنـّي أغنّي به ، فإنْ أحسنتُ فإليك يُنسَب ، وإنْ أسأتُ فإليّ يعود . فقال للرشيد : يا أميرَ المؤمنين ، أراكَ متعجِّباً من هذا الصوت بغير ما يستَحقّه وأكثر ممّا يستوجبُه . فقال : لقد أحسنَ ابنُ جامع ما شاء ، قال : أوَ لابنِ جامع هو ؟ قال : نعمْ ، كذا ذكَر . قال له : فإنّ عبدَك مُخارقاً يغنّيه . فنظَر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هاتِه ، فغنّاه وتحفَّظَ فيه ، فأتى بالعجائب ؛ فطَرِب الرشيد حتى كاد يطير فَرَحاً ، وشَرِب ، ثم أقبل على ابنِ جامِع فقال له : وَيْلك ، ما هذا ! فابتدأ يَحلِف له بالطّلاق وكلّ مُحرجَةٍ أنّه لم يُسْمَع ذلك الصوت قطّ إلاّ منه ، ولا صَنَعه غيرُه ، وأنّها حِيلةٌ جَرَتْ عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أصدِقني بحياتي ، فصدَقَه عن قِصَّة مُخارق . فقال له : أكذلك هو يا مُخارق ؟ قال : نعم يا مولاي . فقال : اجلِس إذَن مع أصحابك ، فقد تجاوزْتَ مَرْتبةَ مَنْ يقومُ ، وأعتقه ووصَلَه بثلاثة آلاف دينار ، وأقطَعه ضيعةً ومنزلاً .

[صوت يعتقه ويغنّيه]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، وحدَّثني محمد بن خَلَف بنِ المَرْزُبان قال وكيع : حدَّثني

1 البيتان لشاعر مكي سبق أن وردا معكوسين في ترجمة أشجع السلميّ .

هارون بنُ مُخارق ، وقال ابنُ المَرزُبان : ذكر هارون بن مُخارق قال : كان أبي إذا غنّى هذا الصوت[1] : [من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيَّجْتَ لي طَرَباً زِدْتَ الفؤادَ على عِلاّتِه وَصبا[2]

رَبْعٌ تبدَّل مِمَّن كانَ يَسكُنُه عُفْر الظِّباء وظِلماناً بِهِ عُصَبا[3]

يبكي ويقول : أنا مَوْلى هذا الصَّوت ، فقلتُ له : وكيف ذاكَ يا أبَتِ ؟ فقال : غَنَّيته مولاي الرشيد فبكى وشَرِب عليه رطلاً ، ثمّ قال : أحسنْتَ يا مُخارِق فسَلني حاجتك ، فقلتُ : أن تعتِقني يا أمير المؤمنين أعتقكَ اللهُ من النارِ ؛ فقال : أنتَ حُرٌّ لوجه الله ، فأعِدِ الصوتَ ؛ فأعَدْتُه فبكى وشرب رطلاً ثم قال : أحسنتَ يا مُخارِق فسَلْني حاجتَك ، فقلت : ضيعة تُقيمُني غلَّتُها ، قال : قد أمرتُ لك بها ، أعِدِ الصوت ، فأعدْتُه فبكى وقال : سَلْ حاجتك ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم ، قال : ذلك لك ، أعِد الصّوت ؛ فأعدته ، فبكى وقال : سَلْ حاجتَك ، فقبَّلتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيل الله بقاءك ويُدِيم عزَّك ويجعلني من كلّ سوءٍ فداءَك ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

وذكر محمد بن الحسن الكاتِب أنَّ أبان بنَ سعيد حدَّثَه : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومخارق فقال : يا أمير المؤمنين إذا تغنَّى إبراهيمُ بنُ المهديّ بعلمه فَضَل مخارقاً ، وإذا تغنَّى مخارِق بطبعِهِ وفضْلِ صوته فَضَل إبراهيم ، فقال له : صدقت .

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا المُبَرِّد بهذا الخبر فقال : حدَّثني بعضُ حاشية السلطان : أنَّ إبراهيم المَوْصليّ غنَّى الرشيدَ يوماً هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مراراً ، فقال له : فكيف لو سمعتَه من عَبْدِك مُخارق ، فإنّه أخذَه عنّي وهو يَفضُل فيه الخَلْقَ جميعاً ويَفْضُلني ، فدعا بمخارق فأمره أن يُغنّيه ، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الذي تقدَّم .

[تكنيته أبا المهنأ]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن أبي الدُّنيا ، عن إسحاق بن محمد النَّخعيّ ، عن الحسين بنِ الضّحّاك ، عن مُخارِق : أنّ الرشيد قال يوماً للمغنّين وهو مُصْطَبِح ، مَن منكم

1 تقدم هذا الخبر في ترجمة هلال بن الأسعر المازني ، الجزء 3 : 49 .

2 وصب : مرض . وفي رواية : نصبا أي تعباً .

3 عصب : جمع عصبة .

يُغنّي : [من البسيط]

يـا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيّجْتَ لي طَرَباً

فقمتُ فقلتُ : أنا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : هاتِه ، فغنَّيتُه ، فطَرِب وشَرِب ثم قال : عليّ بهَرثَمةَ بنِ أَعْيَنَ ، فقلتُ في نفسي : ما يُريد منه ؟ فجاؤوا بهرثمة ، فأُدخِل إليه وهو يَجُرّ سيفَه ؛ فقال له : يا هَرثمة ، مُخارِق الشّاري الذي قتلْناه بناحية المَوْصل ما كانت كُنيَته ؟ فقال : أبو المَهنّأ ، فقال : انصَرِف ، فانصرَفَ ؛ ثم أَقبل عليّ وقال : قد كَنَيْتُك أبا المُهنّأ لإحسانِك ؛ وأمَر لي بمائة ألف دِرهم ، فانصرَفتُ بها وبالكُنْية .

[يجتمع الغلمان لسماعه فلا يسمعون الخليفة]

أُخبرني جعفر بن قُدامةَ قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نصر البسَّاميّ قال : حدَّثني خالي أبو عبد الله بن حَمدون قال : رُحْنا إلى الواثق وأُمُّه عَليلة ، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أُمّه ، وأمرَ بألاّ نَبرح ، وكان في الصّحن حُصْرٌ غيرُ مَفْروشة . فقال لي مخارق : امْضِ بنا حتى نَفْرِش حصيراً من هذه الحُصْر فنجلِس على بعضه ونتّكىء على المَدَرَّج منه ؛ وكانت ليلةً مُقمِرةً . فمضينا ففرشنا بعض تلك الحُصْر ، واستلقينا وتحدَّثنا ، وأبطأ الواثق عند أُمّه ، فاندفع مُخارق فغنّى[1] : [من الطويل]

أَيـا بَيْتَ لَيْـلى إنَّ لَيْـلى غَريبةٌ ... براذانَ لا خالٌ لديها ولا ابنُ عَمْ

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح : يا غلام ، فلم يُجبه أحدٌ ومشى من المجلس إلى أن توسَّط الدّار ، فلمّا رأيتُه بادرتُ إليه ، فقال لي : ويْلك ، هل حدَث في داري شيء ؟ فقلت : لا يا سيِّدي ، فقال : فما لي أَصِيح فلا أُجاب ! فقلت : مُخارِق يغنّي والغِلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لسماع غيرِ ما يسمعونه منه . فقال : عُذْرٌ والله لهم يا ابن حَمْدُون وأيُّ عُذْر . ثم جلس وجلسْنا بين يديه إلى السَّحَر .

[عاتكة وأمّها شهدة]

وذكر هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك أنَّ مُخارقاً كان ينادي على اللّحْم الذي يبيعه أَبوه ، فيُسمَع له صوتٌ عجيب ، فاشترته عاتكةُ بنتُ شُهدة وعلَّمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير ، ثم باعَتْه من آل الزُّبير ، فأخذَه منهم الرشيد وسلَّمه إلى إبراهيم الموصليّ ، فأخذ عنه ، وكان إبراهيم يُقدِّمه ويؤثِره ويخُصّه بالتَّعليم لما تبيَّنه منه ومن جودة طبعه .

1 نسب ياقوت البيت مع بيتين آخرين إلى مرة بن عبد الله النهدي . وراذان عنده يطلق على كورتين في سواد بغداد (راذان الأعلى وراذان الأسفل) (معجم البلدان ـ صادر ـ 3 : 12) .

أخبرني عليُّ بنُ عبدِ العزيز الكاتب قال : حدَّثني ابن خُرداذْبه قال : كان مُخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار ، وكان عبداً لعاتِكة بنتِ شُهْدة ، وكانت عاتكة أحذَق الناس بالغناء ، وكان ابنُ جامع يلوذ منها بالتَّرجيعِ الكثير ، فتقول له : أينَ يُذهب بك ؟ هلُمّ إلى معظم الغناء ودَعْني من جنونك . قال : فحدّثني مَنْ حَضَرهما أنَّ عاتكة أفرطت يوماً في الردِّ على ابن جامع بحضرة الرشيد ، فقال لها : أيْ أمّ العبّاس ، أنا ، يشهد الله ، أُحِبّ أن تَحْتَك شِعْرَتي بشِعرتك ؛ فقالت له : اسكت قَطع الله لسانَك ، ولم تُعاود بعد ذلك أذِيّته . قال : وكانت شُهدة أُمُّ عاتكة نائحة . هكذا ذكر ابنُ خُرداذْبه ، وليس الأمر في ذلك كما ذكره .

حدَّثني محمد بنُ يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الغلابيُّ قال : حدَّثني عليّ بنِ محمد النوفليّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس الرَّبيعيّ ، أنَّه كان هو وابنُ جامعٍ وإبراهيمُ الموصليُّ وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرشيد ، ومعهم محمد بن داودَ بنِ عليّ ، فغنّى المغنّون جميعاً ، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه[1] : [من الكامل]

صوت

أُمَّ الوَليـــدِ سَلَبْتِني حِلمــي ... وقَتَلْتِنـــي فتَحلَّــلي إثْمي[2]
بـــاللهِ يـــا أمَّ الوَليــدِ أمَــا ... تَخْشَيْنَ فيَّ عواقِــبَ الظّلْمِ[3]
وتَركْتِني أبغــي الطَّبيبَ وَما ... لطَبيبنا بـــالدَّاء مـــن عِلْمِ[4]

قال : فاستحسنه الرشيد وكلُّ مَن حضر وطربوا له . فسأله الرشيد : عمَّن أخذتَه ، فقال : أخذتُه عن شُهدة جاريةِ الوليد بن يزيد . قال عبدُ الله بن العبّاس ، وهي أُمُّ عاتِكَة بنْتِ شُهدة .

الأبياتُ المذكورة التي فيها الغِناء لعُبيد الله بن قيس الرُّقيَّاتِ ، وتمامُها : [من الكامل]

للهِ دَرُّكِ في ابـــن عَمِّك قَــدْ ... زَوَّدتِـــهِ سُقْمــاً عــلى سُقْــمِ
في وجهِها مــاءُ الشَّبابِ ولَم ... تُقبِــل بمَكْـــروهٍ ولا جَهْــمِ

والغناء فيه لابن مُحْرِز لحنان ، كلاهما له ، أحدهما ثقيل الأوّل بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لمالك

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 149–150 .
2 الديوان : أم البنـــين . . . . فتحملي إثمي
3 الديوان : . . . يا أم البنين ألم تخشي عليك عواقب الأثم
4 الديوان : . . . أدعـــو . . . وما لطبيبكم . . .

ثاني ثَقيل عن الهشاميّ وحَبَش ، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنصر عنهما ، وثقيل أوَّل للحسين بن مُحرِز .

[مقارنة بين المغنّين]

وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزيّات ، قال أبي : قال الواثقُ أميرُ المؤمنين : خطأُ مخارق كصواب علُّويَه ، وخطأُ إسحاق كصواب مُخارق ، وما غنّاني مُخارق قطّ إلاّ قدَّرت أنَّه من قلبي خُلِق ، ولا غنَّاني إسحاق إلاّ ظننت أنّه قد زِيد في ملكي ملكٌ آخر .

قال : وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضلَ مخارق على جميع أصحابه : انظروا إلى هؤلاء الغِلمان الذين يقفون في السِّماط . فكانوا يتفقَّدونهم وهم وُقوف ، فكلّهم يسمَعُ الغِناءَ من المُغنِّين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا تغنَّى مخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرَّكت أرجُلهم ومناكِبُهم ، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم ، وازدحموا على الحبلِ الذي يقفون من ورائه .

[يستوقف الحجّاج بأذانه]

قال هارون : وحُدِّثتُ أنّه خرج مرّة إلى باب الكُناسة بمدينة السَّلام ، والنّاسُ يرتحلون للخُروج إلى مكّة ؛ فنظر إليهم واجتماعهم وازدحامهم ، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه : قد جاء في الخبر أنَّ ابنَ سُرَيْج كان يتغنَّى في أيَّام الحجِّ ، والنّاس بمِنًى فيستوقفُهم بغنائه ، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلْهِيهم جميعاً ، لتعلمُوا أنّه لم يكن ليفضُلني إلاّ بصنعته دون صوته ؛ ثم اندفع يؤذِّن ، فاستوقف أولئك الخَلْق واستلهاهم ، حتى جعلت المحامِلُ يغشى بعضُها بعضاً ، وهو كالأعمى عنها لِما خامر قلبَه من الطَّرب لحُسنِ ما يسمع .

[إعجاب أبي العتاهية بغنائه]

أخبرني أحمدُ بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ابنُ أخت الخاركيّ وأبو سعيد الرّامَهُرْمُزيُّ ، وأخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد الأزديّ ، عن أحمد بن عيسى الجَلوديّ عن محمد بن سعيد التِّرمذيّ ، وكان إسحاقُ إذا ذكر محمداً وصفَه بحسن الصّوت ، ثم قال : قد أُفْلِتْنا منه ، فلو كان يُغنِّي لتقدَّمنا جميعاً بصوته ، قالوا : جاءَ أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستَفتح ، فإذا مخارق قد خرج إليه ؛ فقال له أبو العتاهية : يا حُسَّان هذا الإقليم ، يا حَكيمَ أرض بابل ، اصبُبْ في أُذني شيئاً يَفرحْ به قلبي ، وتنعم به نفسي ؛ فقال : انزلوا ، فنزلنا ، فغنّانا ، قال محمد بن سعيد : فكدت أسعى على وجهي طرباً . قال : وجعل أبو العتاهية يبكي ، ثم قال له : يا دواءَ المجانين لقد رقَّقْتَ حتى كِدتُ أحسوك ، فلو كان الغِناء طعاماً لكان غِناؤُكَ أُدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

نَسختُ من كتاب ابن أبي الدُّنيا : حدَّثني بعضُ خَدَم السُّلطان قال[1] : قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرتْه الوفاة : هل في نفسك شيءٌ تَشْتَهيه ؟ قال أن يَحضُر مخارق الساعة فيُغنِّيني[2] : [من الطويل]

سيُعرَض عن ذِكري وتُنْسى مودَّتي ويحـدثُ بعـدي للخليل خليـلُ
إذا ما انقضت عنّي من الدهر مُدَّتي فــإنّ غنــاءَ الباكيـاتِ قليـلُ

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن حمزة العلويُّ قال : حدَّثنا عليّ بن الحسين بن الأعرابيّ قال : لقِي مخارق أبا العتاهية ، فقال له : يا أبا إسحاق ، أأنت القائل : [من مجزوء الكامل]

اصْرِف بطَرفِكَ حيثُ شِئـ ـتَ فلن تَـرى إلاّ بخيلا

قال له : نَعَمْ . قال : بخَّلتَ الناسَ جميعاً . قال : فاصْرِف بطرفك يا أبا المُهنَّأ . فانْظر فإنَّك لن ترى إلاّ بخيلاً ، وإلاّ فأكْذِبني بجواد واحد ، فالتَفتَ مخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال : صدَقْتَ يا أبا إسحاق ، فقال له أبو العتاهية : فَدَيْتُك ، لو كنتَ مِمَّا يُشرَب لذُرِرْتَ على الماء وشُرِبْت .

[يغنّي بين قبرين فيكسب الرهان]

أخبرني إسماعيل بنُ يونسُ الشِّيعيُّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدَّثني بعض آل نُوبَخْت قال : كان أبي وعبدُ الله بنُ أبي سهل وجماعةٌ من آل نُوبَخْت وغيرهم وُقوفاً بكُناسةِ الدَّوابّ في الجانب الغربيّ من بغداد يتحدَّثون ، فإنّهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود ، وعليه قميص رَقيق ورداءٌ مُسَهَّم ؛ قال : فِيمَ كنتم ؟ فأخبَرُوه ، فقال : دَعُوني من وَسْواسِكم هذا ، أيُّ شيء لي عليكم إن رمَيْت بنفسي بين قبرين من هذه القُبور وغطَّيتُ وجهي وغنَّيت صَوْتاً ، فلم يبقَ أحدٌ بهذه الكُناسة ولا في الطَّريق من مُشْتَرٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلاّ ترك عمله وقرُب منّي واتَّبع صوتي ؟ فقال له عبد الله : إنّي لأحِبّ أن أرى هذا ، فقُل ما شِئتَ ؛ فقال : فَرسُك الأشقرُ الذي طلبتُه منك فمَنعْتَنِيه ؛ قال : هو لك إن فعلتَ ما قلتَ . ثمّ دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه ، ثمّ اندفَعَ يُغنّي فغنّى في شعر أبي العتاهية[3] : [من الكامل]

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة أبي العتاهية ، الجزء 4 : 86 .
2 ديوان أبي العتاهية : 313 .
3 ديوان أبي العتاهية : 350 .

نادَتْ بوَشْكِ رَحيلِكَ الأَيّامُ أَفلسْتَ تسمَعُ أَمْ بِكَ استِصْمامُ !

قال : فرأيتُ الناسَ يتقوَّضُون إلى المقبرة أرسالاً[1] من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحِبْ جَدْي ومارٍّ بالطريق ، حتى لم يبقَ بالطريق أحدٌ ؛ ثم قال لنا من تَحت ردائه : هل بَقِيَ أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرَّهن . فقام فركِب حمارَه ، وعاد النّاسُ إلى صنائِعهم ، فقال لعبد الله : أَحْضِر الفَرسَ ، فقال : على أن تُقيم اليومَ عندي ، قال : نعم . فانصرفنا معهما ، وسَلَّم الفرسَ إليه وبَرَّه وأَحسنَ إليه وأَحسنَ رفده .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

نادَتْ بوَشْكِ رحيلِك الأَيّامُ أَفلستَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ استِصْمامُ !
ومَضى أَمامكَ مَنْ رأَيت وأَنْت لِلْـ ـباقين حتى يَلْحقوك إمامُ
ما لي أَراكَ كأَنَّ عينَكَ لا تَرى عِبَراً تمرُّ كأنَّهنَّ سِهامُ
تمضي الخُطوبُ وأَنتَ مُنتَبِهٌ لها فإذا مَضَتْ فكأَنَّها أَحلامُ[2]

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لُمخارِق هزَج بالوُسطى ، كلاهما عن عمرو ، وفيه رمل يقال : إنّه لعلُّويَه ، ويقال : إنّه لمخارق عن الهشاميّ .

أخبرني جحْظة قال : ذكر ابنُ المكّي المرتَجَلُ عن أَبيه : أنَّ أَبا العَتاهية دخَلَ يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغنّي ، فقال : أبا إسحاق إنّ هذه الجارية تُغنّي صوتاً حسناً في شعرٍ لك ، أَفتَنشَط إلى سماعه ؟ قال : هاتِيه ، فغنَّته لحْناً لعمرو بن بانة في قوله : [من الكامل]

نادَتْ بِوَشْك رحيلك الأَيَّامُ

فعَبَسَ وبَسَر وقال : لا جزى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصَّنعةَ في شِعْري . قال : فإنَّها تُغنّي فيه لحناً لمخارِق ، قال : فلتُغنّه فغنّته ، فأعجبَه وطَرِب حتى بكى ثم قال : جزى اللهُ هذا عنّي خيراً ، وقام فانصرف .

وقد روى هذا الخبر هارونُ بنُ الزيّات ، عن حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه ، عن غَزْوان : أنّه

---

1 يتقوضون أرسالاً : يجيئون ويذهبون جماعات .

2 الديوان : تأتي الخطوب . . .

كان وعبيد الله بنُ أبي غسّان ، وأبو العتاهية ، ومحمد بنُ عمرو الرُّومي ، عند ابن أبي مَرْيم ومعهم مُغنِّية يقال لها بنتُ إبليس ، فغنّى عبيد الله بن أَبي غسَّان في لحن مخارق : [من الكامل]

نــادَت بِوَشْكِ رحيلك الأيّامُ

فلم يستحسنه ابو العتاهية ، ثمّ غنَّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهديّ فأطربه وقال : جزى الله عنِّي هذا خيراً .

أخبرني إسماعيل بنُ يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : بلغني أنَّ المتوكّلَ دخل إلى جارية من جواريه وهي تُغنِّي : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمِـنْ قَطْـرِ النَّـدى نظَّمْـ ـتَ ثغرَك أَم مـن البَـرَدِ
ورِيقُكَ من سُلاف الكَرْ م أَم مـن صفْوة الشُّهُدِ
أَيا مَنْ قـد جـرى مِنِّي كمَجْرى الرُّوحِ في الجَسَدِ
ضَمِيرُكَ شاهـدي فِيمـا أُقاسِيـهِ مـن الكَمَـدِ

والغناء لمخارق رَمَل ، فقال لها : وَيْحك ، لِمَنْ هذا الغناء ؟ فقالت : أخذتُه من مُخارق ، قال : فألقِيه على الجواري جميعاً ، ففعلت . فلمّا أخذْنَه عنها أمَرَ بإخراجهنّ إليه ، ودعا بالنَّبيذ ، وأمر بألاّ يُغنِّينه غيره ثلاثة أيّام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

[مع أبي المضاء الأسدي]

وأخبرنا إسماعيلُ بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال : قال عُمَرُ بن نوح بن جرير : سألْتُ أبا المَضاء الأسديّ أن يُنشدني فقال : أُنْشِدُك من شِعْري شيْئاً قُلته لرجلٍ لقيتُه على الجسر ببغداد . فأعجبه منِّي ما يَرى من دماثتي ، وأقبلتُ أحدِّثه وهو يُنصِت لي ، وأُنشده وهو يُحسِن الإصغاء إلى إنشادي ، ويُحدِّثني فيُحسن الحديث ، حتى بَلَغْنا منزله . فأدْخلني فغدّاني ثم لم يَرِمْ حتى كساني وسقاني فروّاني ، ثم أسمعني والله شيئاً ما طار في مسامعي شيءٌ قطّ أحسن منه ، فلمّا خرجتُ سألت عنه ، فقال لي غِلمانُه : هذا أبو المهنَّأ مُخارق ، فقلتُ فيه : [من الوافر]

أَعـاد اللهُ يـوم أَبي المُهنَّا علينـا إِنَّه يـوم نضيرُ
تغيَّبَ نَحسُه عنّـا وأزخى علينا وابـلٌ جَـوْدٌ مطيرُ
فلمّا أَن رأيتُ القَطْر فوقي وأقداحاً يَحُثّ بهـا المُديرُ

وأَسعدَنا بصَوْتٍ لو وعاه ولِيُّ العهدِ خفَّ به السَّريرُ
تذكرتُ الحبيبَ وأَهلَ نَجْدٍ وروضاً نبتُـه غَضٌّ نضيرُ

قال : فقلت له : ولِم ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه ؟ وكان ينْبغي لك أن تنساه ؛ قال : كلاًّ ، إنّ المرءَ إذا كان فيما يُحِبّ تذكَّرَ أهلَه ، قلت : فما غنَّاك ؟ قال : غنَّاني : [من الطويل]

ومـا رَوْضَةٌ جـادَ الرَّبيعُ بهَطْلِه عليها فروَّاهـا ورقَّـتْ غُصونُها
وهبَّت عليها الرِّيحُ حتى تَبَسَّمت وحتى بَدَت فوق الغُصون عُيونُها
بأَحسنَ منها إذ بَدَتْ وسْط مَجلِسٍ وفي يدِهـا عُـودٌ فَصيحٌ يَزينُها
وقـد أنْطَقَتْـه والشَّمالُ جَرِيَّـةٌ على عَقْدِ مـا تُلقي عليها يمينُها

قال : فلم يزل يُردِّدُه عليّ حتى قضَيْتُ وطري من لذَّتي وحَفِظْتُه عنه .

[يبكي إبراهيم الموصليّ]

أخبرني جَحْظة قال : حدَّثني حمّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه قال : دخلتُ على جدِّك إبراهيم وهو جالِسٌ بين بابين له ، ومُخارقٌ بين يديه يُغنِّيه : [من الكامل]

يا رَبْعَ بِشْرَةَ إن أَضرَّ بِكَ البِلى فلقـد رأَيتُـكَ آهِـلاً مَعْمورا

قال : واللَّحنُ الذي كان يُغنِّيه لمالِك ، وفيه عدَّة ألحان مشتركة ، فرأيتُ دموعَ أبي تَجْري على خَدَّيه من أربعة أماكن وهو يَنْشِج أحَرَّ نشيج . فلمّا رآني قال : يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواء غداً إن مات أبوك .

[إبليس يعقد له لواء الغناء]

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهْرويه قال : حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق ، عن أبيه قال : رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأنَّ شيْخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني ، فقال لي : غنِّني يا مُخارِقُ ، فقلت : أصوتاً تقترحه أم ما حضر ؟ فقال : ما حضر ؛ فغنَّيته بصَنْعتي في : [من الطويل]

صوت

دَعِي القَلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي بـه منكِ أو داوِي جَواه المُكتَّما
وليس بتزْوِيـق اللسانِ وصوْغِه ولكنَّـه قـد خالط اللَّحمَ والدَّما

ولحن مخارق فيه ثقيلٌ أوّل ، وفيه لابن سُرَيج رمل .

قال : فقال لي : أحسنتَ يا مُخارق ، ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفَّه على المِضراب ، ودفعه إليّ ، فجعل المِضرابُ يطول ويغلُظ ، والوتر ينْتشِر ويَعرُض حتى صار المِضرابُ

كالرُّمح ، والوتر كالعذَبة عليه ، وصار في يدي علماً ؛ ثم انتبهْتُ فحدَّثْتُ برؤياي إبراهيمَ الموصليّ ، فقال لي : الشيخُ ، بلا شكّ ، إبْليسُ ، وقد عَقَدَ لك لواء صَنْعتِك ، فأنتَ ما حييتَ رئيسُ أهلها .

قال مؤلِّف هذا الكتاب : وأَظُنّ أنَّ الشاعرَ الذي مدح مخارقاً إنّما عَنى هذه الرؤيا بقوله : [من الطويل]

لقد عَقَد الشَّيخُ الذي غَرَّ آدماً وأُخرجَــه من جنّةٍ وحدائقِ
لِواءَيْ فُنــونٍ للقريض وللغِنا وأقسَم لا يُعطيهما غيرَ حاذِقِ

[يصحح لحناً لجواري الواثق]

وذكر محمد بن الحسنَ الكاتب ، أنَّ هارونَ بنَ مُخارق حدَّثَه فقال : كان الواثقُ شديدَ الشَّغف بأبي ، وكان قد اقْتطعه عنَّا ، وأمَرَ له بحُجْرة في قصره ، وجعل له يوماً في الأسبوع لنَوْبته في منزِله ؛ وكان جواريه يَخْتَلِفْن لذلك اليوم . قال : فانصرف إلينا مرّة في نَوْبته فصلّى الغداةَ مع الفجر على أسِرَّة في صحن الدّار في يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح ، فما راعَنا إلاّ خَدَمٌ بيضٌ قد دخلوا فسَلّموا عليه وقالوا : إنّ أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة ، فأعَدْنا عليه الصوتَ الذي طرحتَه علينا فلم يَرْضَه من أحدٍ منّا ، وأمَرنا بالمصير إليك لنصحِّحه عليك . قال : فأمَر غلمانَه فطرحوا لهم عِدَّة كراسيّ فجلسوا عليها ، ثم قال لهم : رُدّوا الصوت ، فردُّوه ، فلم يرضَه من أحدٍ منهم . فدَعا بجاريته عَميم ، فردَّته عليهم ، فلم يَرضَه منها ، قال : فَتَحَوَّل إليهم ثم اندفع فرَدَّ الصوت على الخَدَم ، فخرج الوصائفُ مِنْ حُجَر جَواريه حتى وقَفنَ حوالي الأَسِرَّة ، ودَخَل غلامٌ من غِلمانِه وكان يستقي الماءَ ، فهَجَمَ على الصَّحْن بدلوه ، وجاءت جارية على كَتِفها جرّة من جِرار المُزمَّلات[1] ، حتى وقفتْ بالقُرْبِ منه ، قال : وسبقتني عيناي فما كففتُ دموعهما حتى فاضت .

ثمّ قطع الصوتَ حين استوفاه ، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سعياً إلى حُجَر الجواري ، وخرج الغُلام السَّقّاء يشتدُّ إلى بغلة ، ورجعت الجاريةُ الحاملة الجرّة المُزمَّلة شدّاً إلى الموضع الذي خَرجت منه . فتَبَسَّم أبي وقال : ما شأنُكَ يا هارون ؟ فقلت : يا أبتِ جَعلني اللهُ فداءَك ، ما ملكتُ عَيْني ، قال : وأبوك أيضاً لم يَملِك عينَه .

[نام وهو يغنّي]

وذكر هارونُ بن الزيّات عن أصحابه قال : جمع إبراهيم بنُ المهديّ المغنّين ذات يوم في

1 المزملات : جمع مزملة ، وهي الجرة يبرد فيها الماء .

منزله ، فأقاموا ، فلمّا دَخَلوا في الليل ثمِل مُخارِق وسَكِر سُكراً شديداً ، فسألوه أن يغنّي صوتاً ، فغنّى هذا البيت من شعر عُمَر بن أبي ربيعة المخزوميّ[1] : [من الخفيف]

قـال : سارُوا وأمعَنوا واستَقلّوا وبرَغْمـي لـو اسْتَطعتُ سبيلا

فانتهى منه إلى قوله : واستقلوا . وانثنى نائماً ، فقال إبراهيم بن المهديّ : مهِّدُوه ولا تُزعِجوه ، فمهّدوه ونام ، حتى مضى أكثر الليل ، ثم استقلّ من نَوْمِه فانتبه وهو يُغنّي تمام البيت : [من الخفيف]

وبرغْمـي لـو استَطعتُ سبيلا

وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته .

قال : فجعل إبراهيم يتَعَجَّب منه ، ويَعْجب منه مَنْ حَضَرَه ، من جودة طَبْعِه وذكائِه وصحَّة فهمه .

[مفاضلة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المُنجّم قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قال محمد بن الحسن بن مصعب : قلت لإسحاق يوماً : أسألك بالله إلاّ صدَقْتَني في مُخارِق وإبراهيم بن المَهْديّ ، أيّهما أحذَق وأحسنُ غِناء ؟ فقال لي إسحاق : أَجادٌّ أنت ؟ والله ما تقاربا قطّ ، والدَّليل على فضلِ مُخارق عليه أنَّ إبراهيم لا يؤدِّي صوتاً قديماً ثقيلاً جيِّداً أبداً ولا يستوفيه ، وإنّما يُغنّي الأهزاج والغناء الخفيف ، وأمَّا الذي فيه عمل شديد فلا يُصيبه .

أُخبرني يحيى قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المَدينيّ قال : حدَّثني بعضُ ولد سعيد بن سَلْم قال : دخلَ مُخارِقٌ على سعيد بن سَلْم فسأله حاجةً ، فلمّا خرج قيل له : أما تعرف هذا ؟ هذا مُخارق ، فقال : ويحكم ! دخل ولم نَعرفه ، وخرج ولم نَعرفه ، رُدُّوه ، فردُّوه ؛ فقال له : دخَلْتَ علينا ولم نعرفك ، فلمّا عَرَفناك أحبَبْنا ألاّ تخرُج حتى نسمعك . فقال له : أيّ شيء تشتهي أن أسمِعك ؟ فقال[2] : [من المنسرح]

يـا ريحُ مـا تَصْنَعِينَ بالدِّمَنِ كَم لكِ من مَحْوِ مَنْظرٍ حَسَنِ !

فغنَّاه مُخارِق ، فلمّا خرَج قال لبعض بنيه : أبو كم هذا نِكْس[3] يتَشَهَّى على مثلي : [من المنسرح]

يـا ريحُ مـا تَصنعِينَ بـالدِّمَنِ

1 ديوان عمر (صادر) : 333 .
2 البيتان لعلي بن أمية وسيردان في ترجمته في الجزء 23 من الأغاني .
3 نكس : لا خير فيه .

أخبرنا يحيى بنُ عليّ قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثني عمِّي محمد قال : سمعتُ أبي يقول وقد غنَّى مُخارق : نعم الفسيلة[1] غَرْس إبليس في الأرض .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمد قال : سمع محمد بن سعيد القارىء مهدِيَّةَ جارية يعقوب بن السَّاحِرِ تغنِّي صوتاً لمخارق بحضرته ، وقد كانت أخذته عنه وهو : [من الخفيف]

ما لِقلبي يـزداد في اللهوِ غيّا والليالي قــد أنضَجَتْنيَ كَيّا
سَهُلَـت بعدك الحوادثُ حتّى لستُ أخشى ولا أُحاذِر شَيّا

فأحسَنتْ فيه ما شاءت ، وانصرف محمد بن سعيد ، وقرأ على لحنه : ﴿يا يحيى خُذِ الكِتابَ بقُوَّةٍ﴾[2] .

[خبر الذي حلف بالطلاق أن يسمعه]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله قال : حدَّثني محمد قال[3] : كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام ، فلعب مع هارون بالنّرد فَقَمَره مُخارق مائتي رطل باقلاً طريّاً ، فقال مُخارق : وأنتم عنـدي أُطعِمكـم من لحمِ جَزور من الصناعة ، يعني من صِناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزّار .

قال : ومرَّ بهارون بن أحمد فصيلٌ يُنادى عليه ، فاشتراه بأربعة دنانير ، ووجَّه به إلى مُخارق ، وقال : يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل ، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّةً ، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضائر[4] شُوِيت في التَّنُّورِ ، وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشَّر في نهاية الطِّيب . فأكلنا وجلسنا نشرب ، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطّ : يا أبا المُهنَّا ، اللهَ اللهَ فيَّ ! حلَف زوجِي عليَّ بالطّلاق أن يَسْمع غِناءك ويَشْرب عليه ، فقال : اذهبي وجيئي به . فجاء فجلس ، فقال له : ما حَمَلَك على ما صنَعْتَ ، فقال له : يا سيِّدي ، كنتُ سَمِعت صوتاً من صَنْعَتِك فطَرِبْتُ عليه حتى استَخَفَّني الطَّربُ ، فحلفتُ أنْ أسمعه منك ثِقةً بإيجابك حقَّ زوجتي ، وكان زوجتُه دايةَ هارونَ بن مُخارِق . فقال : وما هو الصوت ؟ فقال[5] : [من الكامل]

---

1 الفسيلة : النبتة الصغيرة أو العود يؤخذ من الشجرة ليغرس .
2 سورة مريم ، الآية : 12 .
3 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 67–69 .
4 غضائر : قطع .
5 شعر الحسين بن مطير (بغداد) : 49 .

بكَــرتْ عليَّ فهيَّجَتْ وَجْدا ... هُــوجُ الرِّياحِ وأذْكرتْ نَجْدا
أتحِنُّ مـــن شَوْقٍ إذا ذُكِرتْ ... نجــدٌ وأنْتَ تركتَهـا عَمْدا

الشعر لحُسين بن مُطَير ، والغِناء لمُخارِق ثقيل أوّل ، وفيه لإسحاق ثقيل أوّل آخر ، فغنَّاه إيّاه وسقاه رِطْلاً ، وأَمَرَه بالانصراف ، ونهاه أن يُعاوِدَ ، وخرَج فما لبِثْنا أن عادت المرأةُ تصرُخ : اللهَ اللهَ فيَّ يا أبا المُهنَّا ! قد أعادَ زوجي المشؤوم اليمينَ أنَّك تُغنّيه صوتاً آخر ، فقال لها : أحْضِريه ، فأحضرتْه أيضاً ، فقال له : ويلك ، ما لي ولك ! أيُّ شيءٍ قصَّتُك ؟ فقال له : يا سيِّدي أنا رجلٌ طَرُوب ، وكنتُ قد سمِعتُ صوتاً لك آخر فاستفزَّني الطَّرَبُ إلى أن حَلَفتُ بالطّلاق ثلاثاً أنِّي أسمعه منك ، قال : وما هو ؟ قال لَحنُكَ[1] : [من البسيط]

أَبلِغْ سَلامةَ أنَّ البَينَ قــد أفِـدا ... وأنَّ صَحْبَكَ عنهـا رائحُونَ غَدا
هذا الفِراق يَقيناً إن صَبرتَ لهُ ... أو لا فإنَّــكَ منهـا مَيِّتٌ كَمَدا
لا شَكَّ أنَّ الذي بي سَوْفَ يُهْلِكُني ... إن كانَ أهلكَ حُــبٌّ قبله أحَدا

فغنَّاه إيّاه مُخارق وسقاه رِطلاً ، وقال له : احذَرْ ويْلك أن تُعاوِد ، فانصرف . ولم تَلبَثْ أن عاودَتْ الصِّياح تَصرُخ : يا سيِّدي ، قد عاوَدَ اليمينَ ثلاثة ، اللهَ اللهَ فيَّ وفي أولادي ! قال : هاتِيه ، فأحضرتْه . فقال لها : انصرفي أنتِ ، فإنّ هذا كلّما انصرفَ حَلَفَ وعاد ، فدَعيه يُقيم يومه كلَّه ، فتركَتْه وانصرَفَتْ . فقال له مُخارِق : ما قصَّتَك أيضاً ؟ قال : قد عرَّفتك يا سيِّدي أنَّني رجُلٌ طَرُوبٌ ، وكنت سَمِعت صوتاً من صَنْعَتِك فاستخَفَّني الطَّربُ له فحلفْتُ أنِّي أسمَعُه منك ، قال : وما هو ؟ قال : [من مجزوء الرمل]

أَلِــفَ الظَّبــيُ بعادِي ... ونَفــى الهــمُّ رُقادي
وعَدا الهَجْرُ على الوصْـ ... ـلِ بــأسيافٍ حِــدادِ
قل لِمَنْ زيَّف وُدِّي : ... لستَ أهـــلاً لودادي

قال : فغنَّاه إيّاه وسَقاه رِطْلاً ، ثم قال : يا غُلام ، مَقارِعَ ! فجيء بها ، فأَمَر به فبُطِح ، وأَمَر بضَرْبِهِ فَضُرِب خمسين مِقْرعةً ، وهو يَسْتَغِيث فلا يُكلِّمه ، ثم قال له : احلِفْ بالطَّلاق أنّك لا تذكرني أبداً ، وإلاّ كان هذا دأْبك إلى الليل . فحلف بالطَّلاق ثلاثاً على ما أَمَرَه به ، ثمّ أُقيم فأُخرِج عن الدار ، فجعلنا نَضحَك بقيّة يَوْمِنا من حُمْقِه .

---

1 البيت الأول مطلع قصيدتين لعمر بن أبي ربيعة مع بعض اختلاف والبيتان التاليان ليسا في ديوانه .

[يشرف على المقابر ويغنّي ويبكي]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعْد قال : حدَّثنا أَحمد بنُ محمد قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ عُمر بنِ بَزيع قال : أتيتُ مُخارقاً ذات يوم ومعي زُرْزُورٌ الكبير لنُقيمَ عنده ، فوجدتُه قد أخرج رأسَه من جناحٍ له ، وهو مُشرِف على المقابر يُغنّي هذا البيتَ ويبكي :

أَينَ الملوكُ التي كانت مُسَلَّطةً

قال : فاستَحْسنّا ما سمِعناه منه استحسانَ مَنْ لَم يَسْمَع قطّ غناءً غيره . فقال لنا : انصَرِفوا ، فليس فيَّ فضلٌ اليوم بعد ما رأيتُم . قال محمد : وكان والله مُخارِق مِمّن لو تنفَّس لأَطْرَبَ مَنْ يسمعه استماعَ نَفَسِه .

[الظباء تصغي له]

وذكر محمد بنُ الحسن الكاتب أنَّ محمد بنَ أَحمد بن يحيى المكّيَّ حدَّثه عن أَبيه قال : خرج مُخارِق مع بعض إخوانِه إلى بعض المتنَزَّهات ، فنظر إلى قوسٍ مُذْهَبة مع أحدِ مَن خرج معه ، فسأله إيّاها ، فكأنَّ المسؤول ضَنَّ بها . قال : وسَنَحت ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القَوْس : أرأيتَ إن تغنَّيتُ صوتاً فعَطفتُ عليك به خُدودَ هذه الظباء ، أتدفع إليَّ هذه القوْسَ ؟ قال : نعم . فاندفع يغنّي : [من المجتث]

صوت

مــاذا تقُــولُ الظّباءُ ... أَفُرْقَــةٌ أَمْ لِقــاءُ

أَمْ عهْدُهــا بسُلَيْمى ... وفي البيــانِ شِفــاءُ

مَــرَّت بِنــا سانحاتٍ ... وقــد دَنــا الإمساءُ

فمــا أَحارَتْ جواباً ... وطــالَ فيهــا العَناءُ

في هذه الأبيات ليَحيى المكّي ثقيل أوّل بالوسطى .

قال : فعطفت الظّباءُ راجعةً إليه حتى وقفت بالقربِ منه ، مُستَشرفةً تنظر إليه مُصغيةً تَسمعُ صوتَه . فعَجب مَنْ حَضَرَ من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجلُ القوسَ فأخذَها وقَطَع الغناء ، فعاودت الظّباء نِفارَها ، ومَضَتْ راجعةً على سَنَنِها .

قال ابن المكّي : وحدَّثني رجلٌ من أَهلِ البصرة كان يألف مُخارِقاً ويَصحبه قال : كنتُ معه مرَّة في طيَّار[1] ليلاً وهو سكران ، فلمّا توسَّط دِجْلة اندفَع بأعلى صوتِه فغنّى ، فما بقي

---

1 الطيار : القارب السريع .

أحدٌ في الطَّيّار من ملاّح ولا غلام ولا خادم إلاّ بكى من رِقَّة صوته ، ورأيت الشَّمع والسُّرُج من جانبي دِجلة في صُحون القُصور والدُّور يتساعَون بين يَدي أهلها يستمعون غناءه .

[ابن الأعرابيّ يستكثر هبته]

حدَّثني الصُّوليُّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله التَّميميُّ الحُزُنبل قال : كنّا في مجلس ابن الأعرابيّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابن الأعرابيّ ، وكان يُحِبّه ويأْنس به ، فقال له : ما أخَّرَك عنّي ؟ فاعتذر بأشياء منها أنّه قال : كنتُ مع مُخارِق عند بعض بني الرشيد ، فوهَبَ له مائة ألف درهم على صوت غنّاه إيّاه ، فاستكثر ابنُ الأعرابيّ ذلك واستهوله ، وعجب منه وقال له : بأيِّ شيءٍ غنّاه ؟ قال : غنَّاه بشعر العبّاس بن الأحنف[1] : [من الهزج]

صوت

بكــتْ عَيْنــي لأنواعٍ ... مــن الحُــزْنِ وأَوْجاعِ

وإنّــي كلَّ يــومٍ عنــ ... ـدكم يَحْظى بِيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيٌّ : أمَّا الغناء فما أدري ما هو ، ولكن هذا والله كلام قريب مليح .

لَحْن مخارق في هذين البيتين ثقيل أوّل من جامع صنعته ، وفيهما لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكَر حَبَش أنَّ فيهما لإبراهيم بن المهديّ لحناً ماخوريّاً .

[خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه]

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جحظةُ قال : حدَّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : غنَّت شاريةُ يوماً بحضرة أبي صوتاً ، فأحدَّ النظر إليها وصَبر حتى قطَعتْ نفسَها ثم قال لها : أمسِكي ، فأمسكت ؛ فقال لها : قد عَرفتُ إلى أيّ شيءٍ ذهَبتِ ؛ أردت أن تتشبَّهي بمُخارِق في تزايُدِه ، قالت : نعم يا سيِّدي . قال : إيّاك ثمّ إيّاك أن تعودي ، فإنّ مُخارِقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونَفَسه ، يتصرّف في ذلك أجمعَ كيف أحَبّ ، ولا يلحقه في ذلك أحد ، وقد أراد غَيرُك أن يتشبَّه به في هذه الحال فهلِك وافتضح ولم يلحقه ، فلا أسمعنَّك تتعرَّضين لمثل هذا بعد وقتك هذا .

[غلمان المعتصم يتجمعون للاستماع إليه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر البسّاميّ قال : حدَّثني خالي أبو عبد الله عن أبيه قال : كنّا بين يدي المُعتصم ذاتَ ليلة نَشْرب إلى أن سَكِرْنا جميعاً ، فقام ، فنام وتوَسَّدنا أيدينا ونِمْنا في مواضِعنا ، ثمّ انتبَه فصاح فلم يُجِبه أحد ؛ وسَمِعْنا صياحه فتبادَرْنا نسأل عن

1 ديوانه (صادر) : 205 .

الغلمان ، فإذا مُخارِق قد انتَبَه قبلنا فخرج إلى الشَّطِّ يتنسَّم الهواء ، واندفَعَ يغنّي ، فتلاحق به الغلمان جميعاً ، فجئتُ إلى المعتصم فأخبرتُه وقلتُ : مُخارِق على الشَّطّ يغنّي والغلمانُ قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لشيء غير استماعِه . فقال لي : يا ابن حمدون ، عُذْرٌ واللهِ وأيُّ عُذْرٍ ! ثم جلس بين يديه إلى السَّحر .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

وذكر محمد بن الحَسَن الكاتِب أنَّ أبان بن سعيد حدَّثه : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومُخارِق ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إذا تغنَّى إبراهيم بعِلمه فَضَلَ مُخارِقاً ، وإذا تغنَّى مُخارِق بطبعِه وفضْل صوتِه فضَل إبراهيم ، فقال له : صَدَقْتَ .

[ندم الأمين على إعطائه جبته]

نسختُ من كتاب هارون بن الزيّات : حدَّثني هارون بن مُخارِق عن أبيه قال : دعاني محمد الأمينُ يوماً وقد اصطبَح فاقترح عليّ[1] : [من البسيط]

استَقبلَتْ وَرَقُ الرّيحانِ تَقطِفُهُ وعنبرَ الهِنْدِ والوَرْديَّةَ الجُدُدا
ألستَ تَعرفني في الْحَيِّ جاريةً ولم أَخُنْكَ ولَم تَرْفع إليَّ يدا

فغنَّيْته إيّاه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال ولاءً ، وأمَر لي بألف دينار وخلَع عليَّ جُبَّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبَة ، ودُرّاعةً مثلها وعمامة مثلَها تكاد تُعْشي البصر من كثرة الذهب . فلمّا لبِسْتُ ذلك ورآه عليّ ندِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ؛ فقال لبعض الخَدَم : قُل للطبّاخ يأتينا بمَصْليَّة[2] مَعقُودَة الساعة ، فأُتي بها ، فقال لي : كُلْ معي ، وكنتُ أعرفَ النّاس بمذهبه وبكراهته لذلك ، فامتنعتُ . فحلَفَ أن آكُل معه ، فحين أدْخلْتُ يدي في الغضارة[3] رفع يدَه ، ثم قال : أُفٍّ نغَّصتَها علَيَّ والله وقذَّرْتَها عندي بإدخالِك يدك فيها ، ثمَّ رَفَس القَصعة رفسةً فإذا هي في حِجْري ، وودكُها[4] يَسيل على الخِلعة حتى نَفَذ إلى جِلدي . فقُمْتُ مُبادراً فنزَعتها ، وبَعَثتُ بها إلى منزلي وغيَّرت ثيابي وعُدْتُ وأنا مغمُومٌ منها وهو يضحَك . فلما رجعتُ إلى منزلي جَمَعتُ كلَّ صانع حاذِق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرُج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقْتها فأخذْتُ ذهبها ، وضرب الدَّهرُ بعد ذلك ضربانه .

1 ديوان عمر : 112 .
2 المصلية : الشاة المشوية .
3 الغضارة : القصعة الكبيرة .
4 الودك : الدسم المتحلب من اللحم والشحم .

[المأمون يكره مؤاكلة الرعية]

ثم دّعاني المأمون يوماً ، فدخَلتُ إليه وهو جالس ، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان ؛ فقال لي : تعالَ فكلْ ، فامتنَعْتُ ، فقال لي : تعالَ وَيْلك فساعِدْني . فجلستُ فأَكلْتُ معه حتى استَوْفى ، ووضع النبيذ ودعا عَلُّويَه فجلس ، وقال لي : يا مُخارِقُ ، أَتُغنّي[1] : [من الطويل]

أَقولُ التِماسَ العُذْرِ لَمّا ظَلَمْتِني وحَمَّلتِني ذَنْباً وما كنتُ مُذْنِبا

فقلتُ : نعم يا سيِّدي ، قال : غنّه ، فغنّيته فعبس في وجْهي ثم قال : قبَّحك الله أَهكذا يُغنَّى هذا ! ثم أَقبل على عَلُّويَه فقال : أَتُغنّيه ؟ قال ، نعم يا سيِّدي ، قال : غنّه ، فغنّاه ، فوالله ما قاربَني فيه . فقال : أَحسنْتَ والله ، وشرِب رطلاً ، وأَمر له بعشرة آلاف دِرهم ، واستعادَه ثلاثاً ، وشرِب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كلٍّ عشرة آلاف درهم ، ثم خَذَف بإصبَعِه[2] وقال : برْقٌ يمانٍ ، وكان إذا أَراد قَطْع الشرب فعل ذلك ، وقمنا فعَلِمتُ من أَين أُتيتُ .

فلمّا كان بعد أيّام دَعاني فدخلْتُ إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك ؛ فقال لي : تعالَ ويْلَك فساعِدْني ، فقلت : الطلاق لي لازم إن فعلتُ ، فضحك ثم قال : وَيْلك ، أَتراني بخيلاً على الطَّعام ! لا والله ، ولكنّني أردتُ أن أُؤدِّبَك ، إنَّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلَها ، أَفهمت ؟ فقلتُ : نعم ، قال : فتَعالَ الآن فكلْ على الأمان . فقلتُ : أَكون إذاً أوّل مَن أضاع تأْديبك إيّاه واستَحقّ العُقوبة من قريب . فضحِك حتى استغرب ، ثمّ أمَرَ لي بألف دينار ، ومضيت إلى حُجرتي المرسومة لي للخدمة ، وأُتِيتُ هناك بطعام فأكلتُ ، ووُضِع النّبيذ ودعاني وبعلُّويَه ، فلمّا جلسنا قال له : يا عليّ ، أَتُغنّي : [من البسيط]

أَلَم تَقُولي : نَعَمْ ، قالت : أَرى وَهَماً منّي وهل يُؤخَذُ الإنسانُ بالوَهَمِ ![3]

فقال : نعم يا سيِّدي ، فقال : هاتِه ، فغنّاه ، فعَبَس في وجهِه وبَسَر وقال : قبَّحكَ اللهُ ، أَتُغنّي هذا هكذا ثمّ أقبل عليّ فقال : أَتُغنّيه يا مُخارِق ؟ فقلت : نعم يا سيِّدي ، وعلمتُ أَنّه أراد أن يستقيد لي من عَلُّويَه ويرفع منّي ، وإلاّ فما أتى علُّويَه بما يُعاب فيه ، فغنّيتُه ، فطَرِبَ وشَرِبَ رطلاً ، وأمَر لي بعشرة آلاف دِرهم ، وفعل ذلك ثلاثَ مرّات كما فعل به .

ثُمَّ أمر بالانصراف فانصرفنا ، وما عاودْتُ بعد ذلك مُؤاكلة خَلِيفة إلى وقْتِنا هذا .

1 ديوان الأحوص (النجف) : 139 .

2 خذف باصبعه : حرك إصبعه كأنّه يرمي شيئاً .

3 الوهم : السهو أو الخطأ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

استقبلتْ ورَقَ الرّيحـــان تقطُفهُ ... وعَنْبَرَ الهِنْـــد والوردِيَّــةَ الجدُدا
ألستَ تعرفني في الحـــيِّ جاريــةً ... ولم أَخُنْكَ ولم تَمْـــدُدْ إليَّ يَدا

الشعر ، فيما يُقال ، لعُمر بن أبي ربيعة ، والغِناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وأصله يماني ، وفيه لابن جامع هزج .

صوت

[من الطويل]

أقولُ التِماسَ العُــذر لمـا ظَلَمتِني ... وحمَّلتني ذَنبـاً ومـا كنتُ مُذْنِبا
هبينـــي امــرءاً إمّــا بريئاً ظلمتِه ... وإمّــا مُسِيئاً قــد أنــاب وأعْتبا

الشعر للأحوص ، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من البسيط]

أَلَم تَقولي : نَعم ، قالت : أرى وهَماً ... مِنّي وهل يُؤخَذ الإنسان بالوَهَمِ !
قُولي : نَعمْ ، إنّ «لا» إن قُلتِ ، قاتِلتِي ... ماذا تُريدِين مــن قَتْلي بغيرِ دَمِ !

الغناء لسياط خفيف رمل بالبِنصر عن عمرو ، ولم يقع إليَّ لَمن الشِّعر .

[تنافس مع علّويه]

قال هارون : وحدَّثني أبو معاوية الباهليُّ قال : حَضَرتُ عَـلُّويَه ومُخارقاً مُجتمعين في مجلس ، فغنّى علّويَه صوتاً فأحسن فيه وأجادَه ، فأعادَه مُخارِق وبرَّزَ عليه وزاد ، فردَّه علُّويَه وتعمَّل فيه واجتهد فزاد على مُخارِق . فجثا مُخارق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزَّ منكباه ، فما ظَنَنَّا إلاّ أنَّ لأرضَ قد زُلزِلت بنا ، وغلب والله ما سمِعنا على عُقولنا . ونظرتُ إلى لون عَـلُّويَه وقد امتُقِع وطار دمُه . فلمّا فرَغ مُخارِق توقّعنا أن يُغنِّي علُّويَه ، فما فعل ولا غنّى بقيّة يومه . قال : وكان مُخارِق إذا صاح قطع أصحاب النايات .

[أرسله الأمين إلى إسحاق ليعلّمه]

أخبرني وَسواسةُ بنُ المَوْصليّ ، وهو أحمد بنُ إسماعيل بن إبراهيم قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال : قال لي مُخارِق : دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن

المهديّ ، فقال : غنّني يا مُخارق ، فغنّيتُه أصواتاً عديدة ، فلم يَطْرب لها وقال : هذا كلّه مُعاد ، فَغَنِّني : [من الطويل]

لقــد أزمعــتْ للبــين هِنــدٌ زِيالها

فقلت : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنِّني : [من الكامل]

لا والــذي نُحِــرتْ لــه البُدْنُ

فقلتُ : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنِّني : [من البسيط]

يا دارَ سُعْدى سقى أَطْلالَك الدِّيما

فقلتُ : لا والله لا أحسنه ، فغضب وقال : ويلك ! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسِن منها واحداً ! فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما ذَنبه ؟ إسحاقُ أُستاذُه وعليه يَعْتمد ، وهو يُضايقه في صوت يُعلِّمه إيّاه . فقلتُ : قد والله صدَقَ ، ما يُعطِيني شيئاً ولا يُعلِّمنيه ، قال : فما دَواؤه ؟ فقد والله أعياني . فقال له إبراهيم : تُوكِّل به مَنْ يَصُبُّ على رأسِه العذابَ حتى يُعلِّمه مائةَ صوت . قال : أمَّا هذا فبَعيد ، ولكن اذْهب إليه عنّي فمُرْه أن يُعلِّمك هذه الثلاثة الأصوات ، فإن فَعَلَ وإلاّ فصُبَّ السَّوط على رأْسِه حتى يُعلِّمك .

فدَخلتُ إلى إسحاقَ ، فجلست بغير أمْره ، وسلَّمت سلاماً مُنكَراً . ثم أَقبلتُ عليه فقلت : يأمُرك أميرُ المؤمنين أن تُعلِّمني كذا وكذا . قال : ما أُحسِنه ، فقلت : إنّي أُنفّذ فيك ما أَمرني به . فقال : تُنفِّذ فيَّ ما أَمِرْتَ به ، ألا تَستَحي وَيْحَك منّي ومن تربيتي إيّاك ! قلت : فلا بُدّ من أن تُعلِّمني ما أمرَك به أميرُ المؤمنين . قال : فإنّي لستُ أُحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه ، هاتُوها . فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخذتُ الأصوات الثّلاثة ، وجعل كلّ مَن جاءَ يومئذٍ لا يَحجبُه لِيَروني وجاريتُه تُطارحني .

فلمّا أَخذتُ الأصوات رَجَعتُ إلى محمد وأَخبرته الخبر وحضر إسحاقُ ، فغنّيتُـه إيّاها ، فطَـرِب . وجعـل إبراهيمُ بن المهـديّ يقول : أحسن والله ، أحسن والله . فلمّا فرِغتُ قال إسحاق : لا والله ما أحسن ولا أَصاب هو ولا إبراهيم في استحسانِه ، ولقد جَهَدت الجاريةُ جهدَها أن يأخذَه عنها فلم يَتَوجَّه له ، ثم اندفع فغنَّاها ، فكأنِّـي والله كنتُ أَلعب عندما سمعتُ .

ثم أقبل على إبراهيم بن المهديّ فقال له : كَم أقولُ لك : ليس هذا من عِلْمك ولا مِمّا تحسنه وأنتَ تكابر وتُدخِل نفسك فيما لا تُحسنه . فقال : ألا تراه يا أمير المؤمنين يُصيِّرني مُغنِّياً ! فقال له إسحاق : ولِم تجحد ذلك ؟ أوَ أَسررتَ إليَّ منه شيئاً لم تُظْهِره للنّاس وتُعلِّمهم إيّاه ؟ ومتى صِرْتَ تأْنف من هذا وأنتَ تَتبَحْبَح به ؟ فليتك تُحْسِنه ، والله ما تَفْرُق بين الخطأ والصواب فيه ، وإن شئت الآن أَلقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ عِلم

شئت ، فإن أجبْتَ في واحدة منهنّ وإلاّ علِمتُ أنّك مُتكلِّف . فقال : يا أمير المؤمنين يَستقبلُني بهذا بين يديك ؟ قال : وما هذا ممّا لا أستقبِلُك به ؟ فقال له محمد : نعم اختَر ما شئتَ حتى نسألك عنه . فقال : إنّما يفعل هذا الصبيان ، وانكسر حتى رَحِمْتُه . فقلتُ لمحمد : يا أمير المؤمنين لعلّك ترى مع هذا القول أنّه لا يُحسن ، بلى والله إنّه ليُحسن كلَّ شيء وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري ، وإنّه ليتقدَّم كثيراً من الناس في كلِّ شيء ، فجعل محمد يضحك وهو يقول : تَشُجُّه بيدٍ وتدْهُنه بيَد ، وتجرحه بيَد وتأسوه بيَد !

نسبة هذه الأصوات

صوت[1]

[من الطويل]

لقد أزمعتْ لِلْبينِ هندٌ زيالَها | وزَمُّوا إلى أرْضِ العِراقِ جِمالَها
فما ظبيةٌ أدْماءُ واضحةُ القَرا | تَنُصُّ إلى بَرْدِ الظِّلالِ غَزالها[2]
تَحُتُّ بقَرنيها بَريرَ أراكةٍ | وتَعْطو بظِلْفَيْها إذا الغُصْنُ طالها[3]
بأحسنَ منها مُقلةً ومُقلَّداً | وجيداً إذا دانَتْ تنوطُ شِكالَها[4]

الشِّعرُ لكُثيِّر ، والغِناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لابن سُرَيج في الثالث والثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، ولإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، في الثاني ثمّ في الثالث ، وفي كتاب حَكَمٍ : لحَكَم فيه خفيف ثقيل ، وعن حبش لطُوَيْس فيه رمل بالوُسطى ، وذكر أيضاً أنّ لحن معبد ثاني ثقيل .

صوت

[من البسيط]

يا دارَ سُعدى سَقى أطلالَك الدِّيما | مُسْقي الرَّوايا وإن هيَّجتِ لي سَقَما
دارٌ خَلتْ وعفَتْ منها معالِمُها | إلاّ الثُّمامَ وإلاَّ النُّؤْيَ والحُمَما[5]

الغناء لقَفا النجّار ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم .

1 ديوان كثير : 468 .
2 أدماء : البيضاء البطن في ظهرها غبرة . القرا : الظهر . تنص : تسوق وتحث .
3 البرير : ثمر الأراك . تعطو : تتناول . طالها : ارتفع عنها .
4 تنوط : تعلق . الشكال : ما تشده المرأة على وسطها تعلق به الحلي .
5 الثمام : نبت ضعيف لا يطول . والنؤي : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . والحمم : جمع حمة وهو الفحم وكل ما احترق بالنار .

صوت

[من الكامل]

لا والذي نُحِرتْ له البُدُنُ ... وله بمكّةَ قُبِّلَ الرُّكُنُ
ما زلتُ يا سَكَني أخا أَرَق ... مُتكنِّفاً بي الهمُّ والحَزَنُ
أَخشى عليك وبعضه شَفَقٌ ... أن يَفْتنوك وأنتَ مُفْتَتِنُ

الغِناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق وذكر الهشاميُّ أنّه لسليمان الوادي أوّله فيه لحن ، ونسبه إبراهيم إلى ابن عَبّاد ولم يُجنِّسه .

أخبرني عمِّي : حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدَّثني عبدُ الوهّاب المؤذِّن قال : انحدَرْنا مع المُعتَصم من السنّ[1] ونحن في حَرَّاقته[2] ؛ وحضر وقْتُ الأذان فأذَّنتُ ، فلمّا فرغت من الأذان اندفع مُخارق بعدي فأذَّن وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتمنَّيتُ واللهِ أن دجلة أهرقتْ لي فغرقتُ فيها .

[غضب المعتصم يعقبه رضى]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ عبد الله بن حمدون قال : حدَّثني أبي قال : غَضِب المعتصمُ على مُخارِق فأمر به أن يُجعل في المؤذِّنين ويلزَمهم ، ففُعِل ذلك ، وأُمهِلَ حتى علِم أنَّ المعتصم يشرب وأُذِّنتِ العصرُ ؛ فدخل هو إلى السّتر حيثُ يقف المؤذِّن للسلام ، ثمَّ رفع صوته جُهْدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، الصّلاة يرحمك الله . فبكى حتى جَرَتْ دُموعه ، وبكى كلُّ مَنْ حضره . ثم قال : أدْخِلوه إليَّ ، ثم أقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قطُّ ! هذا الشيطان لا يترك أحداً يغضب عليه . فأمِر به فأدخِلَ إليه ، فقبَّل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يدَه فقبَّلها ، وأمرَه بإحضار عودِه فأُحضِر ، فأعاده إلى مرتبته .

وجَدتُ في بعض الكتب ، عن عليِّ بن محمد البسّاميّ ، عن جدِّه حمدون بن إسماعيل قال : غنّى علُّويه يوماً بين يدي إسحاق الموصليّ : [من الطويل]

هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى ... وخوفَ الأعادي واتّقاءَ النمائمِ

فقال له إسحاق : أحسنت يا أبا الحسن أحسنت ، واستعاده ثلاثاً وشرب . فقال له علّويَه : يا أُستاذ ، أين أنا الآن من صاحبي ، يعني مخارقاً ، مع قولك هذا لي ؟ فقال : لا تُردْ أن تعرف

1 السن : مدينة على دجلة .

2 الحراقة : سفينة خفيفة .

هذا . قال : بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة . فقال : إذا غنّيتما مَلِكاً اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك . فضجر علّويَه وقال لإسحاق : أُفٍّ مِن رضاك وغضبك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

هجرتُك إشفاقاً عليكِ من الأذى وخوفَ الأعادي واتّقاءَ النمائمِ
وإنّي وذاك الهجْرَ لو تَعْلَمينَه كساليَةٍ عن طِفلِها وهي رائِمُ[1]

الشعر لهلال بن عمرو الأسديّ ، والغناء لعلّويه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو .

[ثلاثة يهابون ثلاثة]

وقال الجاحظ : قال أبو يعقوب الخُرَيميّ : ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً ، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار : كان هشامُ بن الكَلبيّ علاّمة نسّابة وراوية للمثالب عيّابة ، فإذا رأى الهيثم بن عديّ ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علي بن الهيثم جونقاً مُفْقِعاً[2] نِيّاً صاحب تَقَعُّر ، يستولي على كلّ كلام لا يَحْفِل بخطيب ولا شاعر ، فإذا رأى موسى الضَّبّيَّ ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علّويَه واحد الناس في الغناء رواية وحِكاية ودِرايةً وصنعةً وجودةَ ضَرْبٍ وأضرابٍ وحُسْنَ خلق ، فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

[مخارق يهوى جارية أمّ جعفر]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خرْداذبه قال : هَوِيَ مُخارقٌ جاريةً لأمّ جعفر ، فحجَّ في السنة التي حَجَّت فيها أُمُّ جعفر بسبب الجارية ، فقال أحمد بن هشام فيه : [من الوافر]

يحُجُّ الناسُ من بِرٍّ وتَقْوى وحجُّ أبي المُهنَّأ للتّصابي

قال : وكان المعتصم قد وهب دارَ مخارق لمّا قدِم بغدادَ لِيُونازَةَ خليفةِ الأفشينِ ، فقال عيسى بن زينب في ذلك : [من الكامل]

يا دارُ غَيَّر رَسمَها يُونازَهْ وبَقِي مخارقُ قاعداً في فازَهْ[3]

---

1 في هذا الشعر إقواء . ورائم من رأمت الناقة ولدها : عطفت عليه .

2 المفقع : التشدّق في الكلام .

3 الفازة : مظلة بعمودين .

لا تَجْزَعَنَّ أَبا المُهَنَّأ إنَّها ... دُنيا تُنال بِذِلّةٍ وعَزازَهْ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة . وحدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : وجدت بخطّ عبد الله بن الحسين : حدَّثني الحسن بن إبراهيم بن رِياح ، قالا .

وكان مخارق يهوى جارية لأُمِّ جعفر يقال لها بَهارُ ، ويستر ذلك عن أُمِّ جعفر ، حتى بلغها ذلك ، فأقصَتْه ومنعته من المرور ببابها ، وكان بها كلفاً . قال الصُّوليّ : في خبره : فلمّا علِم أنَّ الخبر قد بلغ أُمَّ جعفر قطعها وتجافاها إجلالاً لأُمِّ جعفر ، وطمَعاً في السُّلُوِّ عنها . وضاقَ ذرْعُه بذلك ، فبينا هو ذاتَ ليلة في زلاّلٍ[1] ، وقد انصرف من دار المأمون ، وأُمُّ جعفر تشرب على دجلة ، إذ حاذى دارَها ، فرأى الشمع يزْهَر فيها ، فلمّا صار بمَسْمعٍ منها ومرْأى اندفعَ فغنّى[2] : [من البسيط]

صوت

إنْ تَمنَعوني مَمَرّي قُرْبَ دارِهِمُ ... فسوف أَنظُر من بُعْدٍ إلى الدّارِ
سِيما الهَوى شُهِرَتْ حتى عُرِفتُ بها ... أَنّي مُحِبٌّ وما بالحُبِّ من عارِ
ما ضَرّ جِيرانَكم ، والله يُصلِحهم ... لولا شَقائيَ ، إقْبالي وإدْباري
لا يَقدِرون على منْعي ولو جَهَدُوا ... إذا مررتُ وتَسليمي بإضْماري

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل بالوسطى .

فقالت أُمُّ جعفر : مُخارِقٌ والله ، ردُّوه ! فصاحُوا بملاّحِه : قدِّمْ ! فقدَّم ، وأمَره الخَدَم بالصُّعود ، فصعد ، وأَمرت له أُمُّ جعفر بكُرْسيٍّ وصينيَّة فيها نبيذ ، فشرب ، وخلَعَت عليه ، وأمَرتْ الجواري فغنَّيْن ، ثمَّ ضربن عليه فغنّى فكان أوَّل ما غنّى[3] : [من البسيط]

صوت

أغيبُ عنكِ بوُدٍّ ما يُغيِّرُه ... نأْيُ المَحلِّ ولا صَرفٌ من الزمَنِ
فإن أَعِش فلعلَّ الدَّهْرَ يجمعُنا ... وإن أَمُتْ فقتِيلُ الهَمِّ والحَزَنِ

---

1 الزلال : قارب نهري .

2 لم نعثر على أبيات العباس بن الأحنف في ديوان (صادر) .

3 ديوان العباس : 309 .

قد حسَّن اللهُ في عَيْنيَّ ما صنعَتْ حتّى أرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ

الشِّعرُ للعبّاس بن الأحنف ، والغناءُ لمخارق رمل .

قال : فاندَفعتْ بَهارُ فغنَّت كأنّها تُباينُه ، وإنّما أجابتْهُ عن معنى ما عرَّض لها به[1] : [من البسيط]

تعتلُّ بالشُّغلِ عنّا ما تُلِمُّ بنا والشُّغلُ للقلبِ ليس الشُّغل للبَدنِ

ففطِنَت أمُّ جعفر أنّها خاطبته بما في نفسها ، فضَحِكَت وقالت : ما سمعنا بأملحَ ممّا صَنَعْتما ، وقال إسماعيل بن يونس في خبره : وَوَهَبْتها له .

وقال هارون بنُ الزيّات : حدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه : أنَّ المأمون سأله لما قَدِم مكّة عن أحدث صوت صنعه ، فغنّاه : [من الخفيف]

صوت

أقبلَتْ تحصِبُ الجمارَ وأقْبلْ ـتُ لرمْي الجمارِ من عَرفاتِ

ليتَني كُنتُ في الجمارِ أنا المحـ ـصُوب من كَفِّ زَيْنبٍ حَصياتِ

الشعر للنّميريّ ، والغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر ، قال : فضحك ، ثمّ قال : لعَمري إنّ هذا لأحدَثُ ما صنعت ، ولقد قنِعتَ بيسير ، وما أظنّ بهار كانت تبخل عليك بأنْ تحْصِبك بحصاة كما تحصبُ الجمار . واستَعاده الصوتَ مرّات .

[المأمون يبكي لصوت في جارية له]

أخبرني جعفر بنُ قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ مخارق قال : حدَّثني أبي قال : كنّا عند المأمون يوماً ، فجاءه الخادم الحرَميّ فأسرَّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثمّ أبطأ علينا ساعة وعاوَد وعَيْنُه تذْرف . فقال لنا : دخلتُ الساعةَ إلى جارية لي كنت أتخطّاها ، فوجدْتها في الموت ، فسلّمتُ عليها فلم تستطع ردَّ السَّلام إلاّ إيماءً بإصبعها ، فقلتُ هذين البيتين : [من الطويل]

سلامٌ على مَنْ لم يُطِق عند بَيْنِه سلاماً ، فأوْمى بالبَنانِ المخضَّبِ

فما استطَعْتُ توديعاً له بِسوى البُكا وذلك جُهْد المُستهام المُعذَّبِ

ثم قال : غنِّ فيها يا مخارق ، ففعلتُ ، فما استعادني ذلك الغِناء قطّ إلاّ بكى .

[حاج يهبه حجّته]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكبيُّ إجازةً قال : حدَّثني أحمد بن أبي العلاء قال :

1 البيت تابع لأبيات العباس السابقة .

حدَّثني أَبي قال : حجَّ رجُلٌ مع مخارق ، فلمّا قضَيا الحجَّ وعادا ، قال له الرجل في بعض طريقه : بحقّي عليك غنّني صوتاً ، فغنّاه : [من الطويل]

رَحَلنـــا فشَرَّقْنا وراحوا فَغَرَّبُوا ففاضَتْ لرَوْعاتِ الفــراقِ عُيونُ

فرفع الرجل يدَه إلى السماء وقال : اللهمّ إنّي أُشهِدُك أنّي قد وهَبْتُ حَجَّتي له .

[وفاته]

وتوفّي مخارق في أوَّل خلافة المتوكِّل ، وقيل : بل في آخر خلافة الواثق ، وذكر ابن خُرْداذْبه أنّ سبب وفاته أنّه كان أُكل قِنّبيطِيّةً باردةً فقتلتْه من فوره .

صوت[1]

[من الطويل]

إذا مِتّ فادفِنّي إلى جنبِ كَرْمة تُروِّي مُشاشي بعد موتي عُرُوقُها[2]
ولا تَدْفِنَنِّـــي بالفـــلاةِ فإنَّنـــي أَخافُ إذا مـــا مِتُّ أَلاَّ أذوقَها

عروضه من الطويل ، ويُروى : [من الطويل]

إذا رحـــت مدفوناً فلستُ أذوقها

الشعر لأبي مِحْجَن الثقفيّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لحُنَين لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجنِّسْه .

* * * *

1 ديوان أبي محجن .

2 المشاش : رؤوس العظام اللينة وفي الديوان : عظامي .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد التاسع عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

19

جَميع الحُقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[396] ـ ذكر أَبي محجن ونسبه[1]

أَبو مِحْجَن عبدُ اللهِ[2] بنُ حبيب بن عَمْرو بن عُمَيْر بنِ عَوْف بنِ عُقْدة بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسيّ وهو ثَقِيف ، وقد مضى نسبه في عِدّة مواضع .

وأبو مِحْجَن من المُخضرمين الذين أدرَكُوا الجاهلية والإسلام ، وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ معدود في أُولي البأسِ والنَّجدة ؛ وكان من المعاقِرين للخمر المحدودين في شُرْبها .

[نفاه عمر فهرب]

أَخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الأَحوَل ، عن ابنِ الأعرابيّ ، عن المُفَضَّل قال : لَمّا كَثُرَ شُربُ أبي مِحجَن الخمر ، وأقامَ عُمَر بن الخَطّاب رضي الله عنه عليه الحَدَّ مِراراً وهو لا ينتهي ، نَفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حَضَوْضى[3] ، وبعث معه حَرَسِيّاً يقال له ابنُ جَهْراء ، فهرب منه على ساحل البحر ، ولحق بسَعد بن أبي وقّاص ، وقال في ذلك يذكُر هَرَبه من ابنِ جَهْراء[4] : [من البسيط]

الحَمْـدُ للهِ نَجّـاني وخَلَّصَنـي ... من ابن جَهْراءَ والبُوصيُّ قد حُبِسا[5]

من يَجشَمِ البَحْرَ والبُوصيُّ مَرْكبُه ... إلى حَضَوْضَى فبئس المَرْكبُ الْتَمسا

أَبلـغْ لَدَيْـكَ أَبـا حَفْص مُغَلْغَلةً ... عبدَ الإله إذا مـا غـارَ أَو جَلَسا

أَنّـي أَكُـرُّ على الأُولى إذا فَزِعوا ... يوماً وأَحبِس تحت الرّايةِ الفَرَسا[6]

1 ترجمة أَبي محجن في الشعر والشعراء : 336–337 والمؤتلف : 133 والاستيعاب : 1746–1751 والإصابة 7 : 170 وطبقات ابن سلام : 268–269 والخزانة 8 : 405–413 وكتب التاريخ في وقعة القادسية . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وله ديوان صغير بشرح أبي هلال العسكري .

2 اختلف في اسمه ، فهو في المؤتلف حبيب ، وفي الإصابة والاستيعاب (وعن الثاني خزانة البغدادي) اختلف في اسمه فقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب . . . وقيل كنيته اسمه» .

3 حضوضى : عند ياقوت : «جبل في الغرب ، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها ؛ وقال الحازميّ : حضوض ، بغير الألف ، جزيرة في البحر» .

4 ديوانه : 9–10 .

5 البوصي : ضرب من السفن . وهذا يرجح قول الحازميّ في حضوضى .

6 الأولى : مقدمة الخيل .

أُغشى الهِيــاجَ وَتغْشاني مُضاعَفَةٌ   من الحَديدِ إذا ما بعضُهم خَنَسا[1]

[سبب آخر لنفيه]

هذه روايةُ ابن الأعرابيّ عن المَفضّل ، قال ابنُ الأعرابيّ : وحدَّثني ابنُ دأب بسبب نَفْي عُمَر إيّاه ، فذكر أنَّ أبا مِحْجَن هَوِيَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَمُوس ، فحاول النَّظر إليها بكلّ حِيلة ، فلم يَقْدر عليها ، فآجَر نفسَه من عامل يعمل في حائط[2] إلى جانب منزلها ، فأشرف من كُوَّة في البُستان ، فرآها فأنشأ يقول[3] : [من الكامل]

ولقد نظرتُ إلى الشَّموسِ ودُونها   حَــرَجٌ مــن الرّحمــن غيرُ قليلِ
قــد كنتُ أَحْسَبُني كأغْنى واحدٍ   وَرَد المدينـــةَ عــن زراعــة فُولِ

فاستَعْدى زوجُها عليه عُمَر بن الخطّاب ، فنفاه إلى حَضَوْضَى ، وبَعَث معه رجلاً يقال له ابن جَهْراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يَسْتعين به . قال له عُمَر : لا تَدَع أبا مِحْجَنٍ يُخرِج معه سيفاً ، فعمد أبو مِحجَن إلى سيفه فجعل نصلَه في غِرارة وجعل جفنه في غِرارة أُخرى ، فيهما دَقيق له .

فلمّا انتهى به إلى الساحلِ وقَرُب البُوصيّ اشترى أبو مِحْجن شاةً وقال لابن جَهْراء : هلمَّ نتَغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنَّه يُخرج منها دقيقاً فأخذ السيفَ ، فلمّا رآه ابنُ جهراء والسيفُ في يده خرج يعدو حتى ركب بَعيرَه راجعاً إلى عُمَر ، فأخبره الخبر .

وأقبل أبو مِحْجن إلى سَعْد بن أبي وَقّاص وهو يُقاتل العَجَم يوم القادسيَّة ، وبلغ عُمَرَ خبرُه ، فكتب إلى سعد بحبسِه ، فحبَسه ، فلمّا كان يوم أرْماث ؛ والتحم القِتالُ سأل أبو مِحْجَن امرأةَ سَعْد أن تُعطِيَه فرس سعد وتَحُلَّ قيده ليُقاتِل المشركين ، فإن استُشْهِد فلا تَبِعة عليه ، وإن سَلِم عاد حتى يضع رجلَه في القيْد ، فأعطته الفرسَ ، وخَلّت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بلاءً حسناً إلى الليل ، ثم عاد إلى حبسه .

حدَّثني بهذا الحديث عمّي عن الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن إبراهيم بنِ حَكيم ، عن عاصِم بنِ عُروَة : أنَّ عُمر بن الخَطّاب رضي الله عنه غَرّب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن ، وكان يُدمِن الخمر وأمَر ابن جَهْراء النَّصريَّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر ، وذكر الخبر مثل الذي قبله ، وزاد فيه : وقال أبو مِحْجَن أيضاً[4] : [من المديد]

---

1 مضاعفة : درع صنعت من حلقتين حلقتين . خنس : تأخر .

2 حائط : بستان .

3 لم يرد البيتان في ديوانه .

4 لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

صوت

صاحِبـا سَوْءٍ صَحِبتُهما صاحَباني يـوم أَرْتحِـلُ
ويَقـولان : ارتَحِل مَعنا فأُنادِي : إنّنـي ثمـلُ
إنَّنـي باكـرتُ مُترعةً مـزّةً راوُوقهـا خَضِلُ

الغناء في البيتين الأخيرين لنَشْو خفيف رمل وأوّله :

ويقُـولان اصْطبح مَعَنا

قال الأصفهانيّ : وهذه القصة كانت لأبي مِحْجَن في يوم من أيّام حَرْب القادسيّة يقال له : يوم أرْماث ، وكانت أيّامُها المَشْهورة يومَ أغْواث ويوم أرْماث ويوم الكتائب وخَبرُها يَطول جدّاً ؛ وليس في كلّها كان لأبي مِحْجَن خَبَرٌ ، وإنّما ذكرنا هاهنا خَبره ، فذكرنا منها ما كان اتّصاله بخبر أبي مِحْجَن [1] .

حدَّثنا بذلك محمد بن جرير الطّبريّ قال : كَتَب إليّ السَّريُّ بن يَحيى ؛ يذكر عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بن طَلحة وزيادٍ وابن مخراق ، عن رجل من طيىء قال : لمّا كان يومُ الكتائب اقتَتَل المسلمون والفُرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلمّا غابت الشمس تزاحف النّاسُ فاقتتلوا حتى انتصف الليل ؛ وهذه الليلة التي كان في صَبيحتها يوم أرْماث ، وقد كان المسلمون يوم أغْواث أشرفوا على الظّفر وقتلوا عامّة أعلام الفُرْس ، وجالت خَيلُهم في القلب ، فلولا أنَّ رَجْلهم ثَبتوا حتى كرَّت الخيلُ لكان رئيسُهم قد أُخِذ ؛ لأنّه كان ينزل عن فرسِه ؛ ويجلِسُ على سريره ، ويأمُر الناسَ بالقتال ؛ قالوا : فلمّا انتصفَ الليلُ تحاجز الناس ، وبات المسلمون يَنتمون منذ لدن أمْسَوا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تمّ النّاسُ على الانتماء فلا تُوقِظْني فإنّهم أقوياء على عَدُوّهم ؛ وإن سَكتوا وسَكت العدو فلا تُنبِّهني فإنّهم على السواء ؛ وإن سمعتَ العدُوّ ينتمون وهؤلاء سُكوتٌ فأنْبِهني فإنّ انتماء العدوّ من السُّوء .

قالـوا : ولما اشتـدَّ القِتال في تلك الليلـة ، وكان أبو مِحجَن قد حبسه سعد بكتاب عُمَر ، وقيَّده فهو في القصر ، صعد أبو محجن إلى سَعْد يَستَعْفِيه ويَستقِيله ، فزبره [2] وردَّه ؛ فنزل فأتـى سَلمى بنتَ أبي حَفْصة فقال : يا بنت آل أبي حفصة ، هل لكِ إلى خير ؟ قالـت : وما ذاك ؟ قال : تُخلِّين عنّي وتُعيرِينَني البلقاء ، فللّهِ عليّ إن سلّمني الله أن أرجعَ

1 قارن تاريخ الطبري (حوادث سنة 14) ، وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 455–457 .

2 زبره : منعه ونهاه .

إلى حضرتك حتى تَضعِي رِجليَّ في قَيْدي . فقالت : وما أنا وذاكَ ؟ فرجَع يَرسُف في قُيوده ويقول[1] : [من الطويل]

كَفى حَزَنا أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا وأُتـرَكَ مَشْدُوداً عـلـيَّ وِثاقِيا[2]
إذا قُمتُ عَنَّاني الحدِيـدُ وغُلِّقَت مَصاريعُ من دُوني تُصِمُّ المُنادِيا[3]
وقد كنـتُ ذا مـالٍ كَثيرٍ وإخْوةٍ فقـد تركوني واحـداً لا أخا لِيا[4]
وقد شَفَّ جِسْمي أنَّني كلَّ شارِقٍ أُعالِـج كَبْلاً مُصْمَتًا قـد بَرانِيا
فللـهِ دَرِّي يـومَ أُترَكُ مُوثَقـاً وتَذهَـلُ عنِّـي أُسْرَتـي ورِجالِيا
حبيساً عن الحَرْب العَوانِ وقد بدت وإعمالُ غَيْري يوم ذاكَ العَوالِيا[5]
ولله عَهْـــدٌ لا أَخِيسُ بعَهْـده لئـن فَرَجَـت ألاَّ أَزُورَ الحوانِيا

فقالت له سَلْمى : إنّي قد استَخَرْتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقَتْه وقالت : أمّا الفرس فلا أُعيرها ، ورجَعَت إلى بيتها . فاقْتادها أبو مِحجَن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندَق ، فركبها ثم دَبَّ عليها ، حتى إذا كان بحِيال الميمنَة ، وأضاء النّهار ، وتصافّ النّاس ، كبَّر ، ثم حَمَل على مَيْسَرة القوم فلَعِب برُمحه وسِلاحه بين الصَّفَّين ، ثم رجَعَ من خلف المسلمين إلى القلب فبدَر أمامَ الناس ، فحمل على القوم فلعِب بين الصَّفَّين برُمحه وسلاحه ، وكان يقصفُ الناس ليلتئذ قصفاً مُنكَراً ؛ فعجب الناسُ منه وهم لا يعرِفُونه ولم يرَوْه بالأمس ، فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هِشام بن عُتبة أو هشامٌ بنفسه . وقال قوم : إن كان الخِضر يشهد الحروبَ فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون : لَولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال ظاهِراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا ؛ وجعل سَعد يقول ، وهو مشرف ينظر إليه : الطَّعنُ طَعنُ أبي مِحجن ، والضَّبْرُ ضَبرُ البلقاء[6] . ولولا مَحْبس أبي مِحجن لقلتُ : هذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلم يزل يُقاتِل حتى انتصف الليل ، فتحاجز أهلُ العسكَرين وأقبَل أبو مِحجَن حتى دَخَل القصر ، ووضع عن نفسه ودابّته ، وأعاد

1 في الديوان أربعة أبيات منها ، وهي في الخزانة 8 : 407 (عن الاستيعاب) .
2 تردي : تضرب الأرض بحوافرها . وفي الديوان : تطعن وفي الخزانة : تلتقي .
3 مصاريع في الديوان والخزانة : مصارع .
4 بعد هذا البيت في الديوان بيت رابع :
فان مت كانت حاجة قد قضيتها وخلّفت سعداً وحـده والأمانيا
5 حبيساً في الخزانة : حبست .
6 الضبر : جمع القوائم والوثب .

رجلَيْه في القيد ، وأنشأ يقول[1] : [من الوافر]

لقــد عَلِمتْ ثقيفٌ غَيرَ فخر بأنّـــا نحــن أكرمُهم سُيوفا[2]
وأكثرُهــم دُروعــاً سابغــاتٍ وأصبرُهم إذا كرِهــوا الوُقوفا
وأنّا رِفْدُهـــم في كلِّ يــوم فإن جحدوا فَسلْ بهمُ عَرِيفا[3]
وليلــةَ قادسٍ لم يَشْعُروا بــي ولم أُكْرَه بمخرجــيَ الزُّحوفا
فإن أُحبَسْ فقــد عَرفوا بَلائي وإن أُطلَــقْ أُجرِّعْهم حُتوفا[4]

فقالت له سلمى : يا أبا مِحْجَن ؛ في أيّ شيء حَبَسك هذا الرجل ؟ فقال : أمَا والله ما حَبَسني بحرامٍ أكلتُه ولا شَرِبتُه ، ولكنّي كنتُ صاحبَ شراب في الجاهليّة وأنا امرؤٌ شاعر يدبُّ الشِّعر على لساني فينفثه أحياناً ، فحَبَسني لأنّي قلتُ[5] : [من الطويل]

إذا مِــتُّ فادفِنِّي إلى أصل كَرْمةٍ تُروِّي عِظامي بعد مَوْتِي عُرُوقُها
ولا تَدْفِنَنّــي في الفَــلاة فإنّنــي أخــافُ إذا مــا مِــتُّ ألاّ أذُوقُها
لِيُروى بخمر الحُصِّ لَحمي فإنّني أسيرٌ لها من بعد مــا قد أَسُوقُها[6]

قال : وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جَوْلةً ، وسَعد بنُ أبي وَقّاص في القصر لِعِلَّةٍ كانت به ، لم يقدِر معها على حضور الحرب ، وكانتْ قبلَه عند المثنّى بن حارثة الشَّيبانيّ ! فلمّا قُتِل خَلَف عليها سَعْد ، فلمّا رأت شِدَّةَ البأس صاحت : وامُثَنَّياه ولا مُثنّى لي اليوم ، فلَطَمها سَعد ، فقالت : أُفٍّ لك ، أجُبْناً وغَيْرَة ؟ وكانت مُغاضِبة لسعد عشيّةَ أرْماثٍ وليلة الهَدْأة وليلة السَّواد ، حتى إذا أصبحت أتَته وصالحَتْه ، وأخبرته خَبَر أبي مِحْجَن ، فَدعا به وأطْلَقه وقال : اذْهَب فلستُ مؤاخذَك بشيء تقولُه حتى تَفعَله ، قال : لا جَرَمَ ، واللهِ إنِّي لا أجَبْتُ لِساني إلى صِفَة قَبيح أبداً .

[رواية أخرى]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بنُ نَصْر المُهَلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن

1 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثلاثة منها .
2 أكرمهم سيوفا في الديوان : أجودهم سيوفا .
3 فسل بهم عريفا في الديوان : فسل رجلاً عريفا .
4 في تاريخ الطبري :
فان أحبس فذلكم بلائي وإن أترك أذيقهم الحتوفا
5 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثمانية أبيات ليس البيت الثالث منها .
6 الحصّ : موضع من نواحي حمص .

شَبَّة قال : حدَّثنا محمد بن حاتم قال : حدَّثنا محمد بنُ حازم قال : حدَّثنا عَمْرو بن المهاجِر ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد ، عن أبيه ، وأخبرني عليٌّ بن سليمان الأخْفش قال : حدَّثنا محمد بنُ الحسن بنِ دينار مَوْلى بني هاشم ، عن ابنِ الأعرابيّ عن المفضَّل ، وروايتُه أتمّ ، قالوا : كان أبو مِحْجَن الثَّقَفيّ فيمن خرَجَ مع سعد بن أبي وقّاص لحرب الأعاجم ؛ فكان سعد يؤتى به شارباً فيتهدّدُه فيقول له : لستُ تارِكَها إلاّ للهِ عزَّ وجلَّ ؛ فأمّا لِقَولِك فلا . قالوا : فأُتِيَ به يوم القادسيّة وقد شَرِب الخمرَ ؛ فأُمِر به إلى القَيْد ، وكانت بِسَعْد جراحة فلم يخرُج يومئذٍ إلى الناس ؛ فاستعمل على الخيل خالدَ بن عُرْفُطة ، فلمّا التَقى الناسُ قال أبو مِحْجَن : [من الطويل]

كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنا وأُتــركَ مَشْدوداً عــليَّ وِثاقِيا

[يمتنع عن شرب الخمر]

وذكر الأبياتَ وسائِرَ خَبَره مثل ما ذكره محمد بن جرير ، وزاد فيه : فجاءَت زَبْراءُ امرأة سَعد ، هكذا قال : والصحيح أنّها سَلْمى ، فأخبرت سعداً بخَبَره ؛ فقال سعد : أما واللهِ لا أضْرِبُ اليوم رجلاً أبْلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم ، فَخَلّى سبيلَه . فقال أبو مِحجَن : قد كنتُ أشرَبُها إذ كان الحدُّ يُقام عليّ وأطَّهَّر منها ، فأمّا إذ بَهْرَجْتَني[1] فلا واللهِ لا أشْرَبُها أبداً . وقال ابنُ الأعرابيُّ في خبره : وقال أبو مِحجَن في ذلك[2] : [من البسيط]

إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنِعَتْ وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقــد أُباكِرُهــا صِرْفــاً وأَمزُجُها ريّـــاً وأطـــرب أحيانــاً وأمْتَزِجُ
وقــد تَقُــومُ على رأسي مُنَعَّمــةٌ خَوْدٌ إذا رَفَعت في صَوْتها غُنُجُ
تُرَفِّع الصَّوتَ أحيانــاً وتخفِضُه كما يَطِــنُّ ذُبــابُ الرَّوضَةِ الهَزِجُ

[ظنته امرأة هارباً]

أخبرني الجوهريُّ والمُهلَّبيُّ ، قالا : حدَّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّة قال : لَمّا انصرَف أبو مِحْجَن لِيَعودَ إلى محبسه رأتْه امرأة فظنّته مُنْهَزماً ؛ فأنشأت تُعَيِّره بفِراره : [من الكامل]

مَنْ فارِسٌ كَرِهِ الطِّعان يُعِيرُني رُمْحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّرِ[3]

---

1 بهرجتني : أهدرتني بإسقاط الحد عني (اللسان) .

2 الديوان : 19–20 .

3 مرج الصّفر : بدمشق . والبيت الذي تمثلت به المرأة لخالد بن سعيد بن العاصي (ياقوت) .

فقال لها أبو مِحجن : [من الكامل]

إنّ الكِـرامَ على الجِيادِ مَبيتُهم فَدَعِي الرِّماحَ لأَهْلِها وتَعَطَّرِي

[رثاء عبيد بن مسعود]

وذكر السَّريّ ، عن شُعيب ، عن سيف في خبره ، ووافَقَتْه رواية ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل : أنَّ الناس لمّا التقَوْا مع العجم يوم قَسٍّ النَّاطِف ، كان مع الأعجام فِيلٌ يَكُرُّ عليهم ؛ فلا تَقوم له الخَيْل ؛ فقال أبو عُبيد بنُ مسعود : هل له مَقْتل ؟ فقيل له : نَعَمْ ؛ خُرْطومه إلاّ أنّه لا يُفلِت منه مَن ضَرَبه ؛ قال : فأنا أهَب نَفسي لله ، وكمَن له حتى إذا أقبل وَثَبَ إليه فضَرَب خُرْطُومه بالسيف ؛ فرَمى به ، ثم شَدَّ عليه الفِيلُ فقَتَله ، ثم اسْتَدار فطَحَن الأعاجِمَ وانْهَزَموا ، فقال أبو مِحْجَن الثّقفيّ يَرثي أبا عُبَيد[1] : [من الطويل]

أنَّى تَسَدَّت نحوَنَـا أُمُّ يوسُفٍ ومِنْ دُونِ مَسْراها فَيافٍ مَجاهِلُ[2]
إلى فِتيـةٍ بالطَّفِّ نِيلَـت سَراتُهم وغُـودِر أفـراسٌ لهم ورواحِلُ
وأضْحى أبـو جَبْرٍ خـلاءً بُيوتُه وقد كان يَغْشاها الضِّعافُ الأَرامِلُ
وأضْحى بَنو عمرو لدى الجِسْرِ منهمُ إلى جانبِ الأَبياتِ جُـودٌ ونائِلُ
وما لُمْتُ نفسي فيهِمُ غَيْرَ أنّها لهـا أَجَلٌ لم يأْتِها وهـو عاجِلُ
وما رمـتُ حتى خَرّقُوا بسِلاحهم إهابي وجادَتْ بالدِّماءِ الأَباجِلُ[3]
وحتـى رأيـتُ مُهْرتي مُزْوَئِرّةً مِنَ النَّبْلِ يَدْمى نَحرُها والشَّواكِلُ[4]
وما رُحتُ حتى كنتُ آخرَ رائحٍ وصُرِّع حولي الصّالِحونَ الأماثِلُ
مَرَرْتُ على الأَنصارِ وَسْط رِحالِهم فقلتُ : أَلا هَلْ منكم اليوم قافِلُ ؟
وقرَّبْـتُ رَوَّاحاً وكُـوراً ونُمرقاً وغُـودِر في أُلَّيس بكْـرٌ ووائِلُ[5]
أَلا لَعَـنَ اللهُ الذيـن يَسرُّهُـم رَدايَ وما يَدْرونَ ما اللهُ فاعِلُ

قال الأخفش في روايته ، عن الأحْول ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المفضّل : قال أبو مِحجَن في تَرْكه الخَمر : [من الوافر]

1 الديوان : 13-15 .
2 تسدت نحونا : جازت إلينا .
3 رمت : برحت . الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق في الرجل أو اليد .
4 مزوئرة : منحرفة . والشواكل : جمع شاكلة ، وهي الخاصرة .
5 أُلّيس : موقع المعركة في العراق .

رأيــتُ الخَمر صالحــةً وفيها مناقِبُ تُهلِكُ الرّجـل الحَليما
فــلا واللهِ أشربُهــا حَياتــي ولا أُسقي بهــا أبداً نَديما

[ابنه عند معاوية]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمريُّ ، عن لَقِيط ، عن الهيثم بن عَدِيّ . وأخبرني محمد بن الحَسن بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتيبة قالوا : دخَلَ ابنُ أبي مِحْجَن على معاوية ، فقال له : أليس أبوك الذي يقول : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادفنِّي إلى أصلِ كَرْمَةٍ تُروِّي عِظامي بعد مَوتي عُروقُها
ولا تَدْفِننّــي بالفـــلاة فإنّني أخاف إذا مـــا مــتّ ألاَّ أذُوقُها

فقال ابن أبي مِحْجَن : لو شئتَ لذكرتُ ما هو أحسَن من هذا من شعره ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : قوله[1] : [من البسيط]

لا تَسألي الناسَ عن مالي وكَثْرَتِه وسائلي الناسَ ما فِعْلي وما خُلُقي[2]
أُعطي السِّنانَ غداة الرَّوْع حِصَّته وعامِلَ الرُّمح أُرويــه من العَلَقِ[3]
وأطعن الطعنةَ النَّجلاءَ عن عُرُضٍ وأحفظُ السرَّ فيــه ضَرْبَةُ العُنقِ[4]
عَـفٌّ المَطالب عمّــا لستُ نائلَه ـ وإن ظُلِمتُ ـ شديدُ الحِقْد والحَنَقِ[5]
وقد أجودُ وما مــالي بذِي فَنَعٍ وقـــد أكُرُّ وراءَ المُحجَر البَرِقِ[6]
والقومُ أعْلَمُ أنّي مـــن سَراتِهمُ إذا سَما بَصَرُ الرِّعديدة الشَّفِقِ[7]
قد يُعسِر المرءُ حيناً وهو ذُو كَرَم وقد يَثوبُ سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ[8]

---

1 الديوان : 3–8 مع اختلاف في الترتيب .
2 الديوان : وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي .
3 حصته في الديوان : نحلته . والعلق : الدم .
4 الديوان :
وأكشف المأزق المكروب غمته وأكتـم السر فيه ضربـة العنق
5 الديوان : عف الإياسة . . .
6 الفنع : الكثرة والمحجر : المستور .
7 الديوان : قد يعلم الناس أنا من سراتهم .
8 الديوان : قد يقتر المرء يوماً وهو ذو كرم .

سيَكثُر المــالُ يومــاً بعــد قِلَّته ويكتسي العُودُ بعد اليُبس بالوَرَقِ[1]

فقال معاوية : لَئِن كنّا أسأنا لك القول لنُحْسننّ لَكَ الصَّفَد ، ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدت النِّساء فلْتَلِد مِثلك !

[علي يفتي عمر في الحد]

أُخبرني الحسن بن عليّ وعيسى بن الحسين الورّاق قالا : حدَّثنا ابن مهرويَه ، قال : حدَّثني صالح بن عبد الرحمن الهاشميّ ، عن العُمريّ ،عن العتبيّ قال : أُتيَ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ، بجماعة فيهم أبو مِحْجَن الثقفيّ وقد شربوا الخَمر ، فقال : أشربتم الخَمْر بعد أن حرَّمَها الله ورسوله ، فقالوا : ما حرَّمها الله ولا رسوله ؛ إنّ الله تعالى يقول : ﴿ليسَ عَلى الذينَ آمَنُوا وعَملوا الصَّالحات جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصّالحات﴾[2] ؛ فقال عمر لأصحابه : ما تَروْنَ فيهم ، فاختلفوا فيهم فبَعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوَره ؛ فقال عليّ : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا المَيْتة والدّم ولحم الخنزير ؛ فسكتوا ، فقال عمر لعليّ : ما ترى فيهم ؟ قال : أرى إن كانوا شرِبُوها مُستحلِّين لها أن يُقتلوا ، وإن كانوا شربُوها وهم يُؤمنون أنّها حرامٌ أن يُحَدُّوا ، فسألهم ؛ فقالوا : والله ما شككنا في أنّها حرام ، ولكنّا قدّرنا أن لنا نجاةً فيما قُلناه ، فجعل يحدّهم رَجلاً رجلاً ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي مِحْجَن ؛ فلمّا جلده أنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أَلـم تَـرَ أَنَّ الدَّهـرَ يعثُر بالفتى ولا يستطيع المَرءُ صرفَ المَقادِرِ
صَبرتُ فلم أَجزَع ولم أَكُ كائعـاً لحادثِ دَهْر في الحُكومـة جائِرِ[4]
وإنِّي لذُو وصَبر وقد مات إخوَتي ولست عن الصهباء يومـاً بصابِرِ
رَماهــا أَميرُ المُؤمنـــين بحتْفِهـا فخُلاّنُها يبكـون حـول المَعاصِرِ

فلمّا سمع عمر قوله :

ولستُ عن الصَّهْباء يوماً بصابرِ

1 الديوان : قد يكثر المال . . . . بعد الجدب . . .
2 سورة المائدة ، الآية : 93 .
3 في الطبري (حوادث سنة 18) حكاية مماثلة عن ضرار وأبي جندل وأنّ هذا الشعر لأبي الزهراء القريشيّ .
4 كائع : جبان هياب .

قال : قد أبدَيتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارِك على شُرْب الخَمر ؛ فقال له عليّ عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوزُ أن تُعاقب رجلاً قال لأفعلنّ وهو لم يفعل ، وقد قال الله في الشعراء : ﴿وأنّهُمْ يقولون مالا يَفعَلُون﴾[1] . فقال عمرُ : قد استثنى اللهُ منهم قوماً فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ﴾ . فقال عليٌّ عليه السلام : أفهؤلاء عندكَ منهم وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يشرَب العبدُ الخَمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ» .

[نبتت الكرمة على قبره]

أخبرنا محمد بنُ خَلف بن المَرزبان قال : حدَّثنا أحمدُ بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عَديّ قال : أخبرني مَن مرَّ بقبر أبي مِحْجَن الثقفيّ في نَواحي أذْرَبيجان ، أو قال في نواحي جُرْجان ، فرأيتُ قبرَه وقد نبتت عليه ثلاثة أُصول كَرْم قد طالت وأثمرت وهي مَعْرُوشة ، وعلى قبره مكتوب : هذا قبر أبي مِحْجَن الثقفيّ ، فوقَفتُ طويلاً أتَعَجّب ممّا اتّفق له حتى صار كأُمنيَّة بَلَغها حيث يقول : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أُصلِ كَرْمــةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوتــي عُروقُها

صوت

[من الطويل]

أَلا يا لَقومي لا أُرى النَّجْمَ طالعاً ... ولا الشّمسَ إلاّ حاجِبي بَيَميني

مُعَزِّيَتي خَلْف القفــا بعمُودِهــا ... فجُــلُّ نكيري أن أَقــولَ ذَريني

أَمينٌ على أَسرارِهـــنَّ وقــد أُرى ... أَكــونُ على الأَسرارِ غيرَ أَمــينِ

فَلَلموتُ خيرٌ مــن حِداجٍ مُوَطَّإٍ ... مع الظُّعْنِ لا يأتــى المحــلَّ لحينِ

عَرُوضه من الطويل ؛ والمُعزِّية : امرأةٌ تكون مع الشيخ الخَرِف تَكْلَؤُه . وقوله :

أُمينٌ على أُسرارِهنّ . . .

أي أَنّ النساء صِرْنَ يتحدَّثن بين يَدَيّ بأسرارِهنَّ ، ويفعلن ما كُنَّ قبل ذلك يَرْهبنَني فيه ؛ لأنّي لا أَضُرُّهنَّ . والحِداج والحِدْج : مركب من مراكب النِّساء .

الشِّعر لزُهَير بنِ جَناب الكلبيّ ، والغناء لأهل مكّة ، ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالوُسطى عن الهشاميّ وحَبَش ، وفيه لِحُنين ثاني ثقيل بالوسطى .

---

1 سورة الشعراء ، الآية : 227 .

[397] ـ أخبار زهير بن جناب ونسبه[1]

[نسبه]

زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللاّت بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

شاعرٌ جاهليٌّ ، وهو أحد المُعمَّرين ، وكان سيِّد بني كَلْب وقائدَهم في حروبهم ؛ وكان شُجاعاً مُظفّراً مَيمُونَ النَّقيبة في غزواته ، وهو أحدُ من ملَّ عُمرَه فشَرِب الخمر صِرفاً حتى قَتَلْته .

ولم يُوجدْ شاعرٌ في الجاهليّة والإسلام وَلَد من الشّعراء أكثر مِمَّن وَلدَ زُهَيرٌ ، وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شِعرهم بعقِب ذِكْر خَبرِه إن شاء الله تعالى .

[غزوة غطفان]

قال ابن الأعرابيّ : كان سببُ غَزوة زهير بنِ جَناب غَطَفان أَنّ بني بَغيض حين خرجوا من تِهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرّضت لهم صُداء وهي قبيلة من مَذحِج ؛ فقاتلوهم وبَنُو بَغيض سائِرون بأَهليهم ونسائِهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حَرِيمهم فظَهرُوا على صُداء فأَوْجَعُوا فيهم ونكَأُوا[2] ؛ وعزَّت بَنو بَغيض بذلك وأَثْرت وأصابت غنائمَ ؛ فلمّا رأَوْا ذلك قالوا : أما والله لنتَّخِذَنَّ حَرَماً مثلَ حرم مكّةَ لا يُقتل صيدُه ، ولا يُعضَد شَجرُه ، ولا يُهاج عائذُه[3] ، فوَلِيتْ ذلك بَنو مُرّة بن عوف .

ثمّ كان القائمَ على أمرِ الحَرَم وبناء حائطه رِياحُ بنُ ظالم . ففعلوا ذلك وهم على ماءٍ لهم يقال له بُسّ . وبلَغ فِعلهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جَناب وهو يومئذٍ سَيِّدُ بَني كَلْب ؛ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأَنا حيّ ، ولا أُخلِّي غَطَفانَ تتخِذ حَرَماً أَبداً .

فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم ، فذكر حالَ غَطَفان وما بلغه عنها ؛ وأَنَّ أَكرمَ مأْثُرة يعتقدُها هو وقَوْمه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه ، فأَجابوه ، واستمدّ[4] بني القَيْن من جُشَم فأَبَوْا أن يَغزُوا معه ، فسار في قومه حتى غزا غَطَفان ؛ فقاتلهم فظَفِر بهم زُهَيْر وأصاب حاجتَه فيهم ، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حَرَمهم الذي بَنوْه ، فقال لبعض

---

1 ترجمة زهير بن جناب في الشعر والشعراء : 294–297 وطبقات ابن سلام : 35–37 والمعمرين : 24 والمؤتلف : 191 وانظر جمهرة ابن حزم : 426 وما بعدها ، والتذكرة الحمدونية 2 : 36 وما بعدها و8 : 215–217 . وقد صنع ديوانه د . محمد شفيق البيطار ، (بيروت 1999) .

2 نكأوا : جرحوا وقتلوا .

3 لا يهاج عائذه : لا يفزع من يلجأ إليه .

4 استمد : طلب المدد .

أصحابه : اضرب رقبتَه ، فقال : إنّه بَسْلٌ[1] ، فقال زهير : وأبيك ما بَسْلٌ عليّ بحَرام .

ثم قام إليه فضَرَب عُنقَه وعَطَّلَ ذلك الحَرَم ؛ ثم مَنَّ على غَطَفان وردَّ النساءَ واستاق الأموالَ ؛ وقال زهيرٌ في ذلك : [من الوافر]

ولم تَصْبِرِ لَنا غطفانُ لَمّا ... تلاقَيْنا وأُحرِزَت النِّساءُ
فلَوْلا الفَضْلُ منّا ما رجَعتم ... إلى عذراءَ شِيمَتُها الحَياءُ
وكم غادَرتُمُ بَطَلاً كمِيّاً ... لدى الهَيْجاء كان له غَناءُ
فدُونكم دُيوناً فاطْلُبوها ... وأَوْتاراً ودُونكم اللِّقاءُ
فإنّا حَيْثُ لا نَخْفى عليكم ... لُيوثٌ حين يحتضِرُ اللِّواءُ[2]
فَخَلّى بعدَها غطَفانُ بُسّاً ... وما غَطَفانُ والأَرض الفَضاءُ !
فقد أُضْحى لِحَيّ بني جَنابٍ ... فضاءُ الأَرضِ والماءُ الرَّواءُ
ويصدُق طَعنُنَا في كلِّ يوم ... وعِنْد الطَّعن يُختبَر اللِّقاءُ
نَفْينا نَخْوَةَ الأَعداء عنّا ... بأَرْماحٍ أَسِنّتُها ظِماءُ
ولولا صبرُنا يوم التَقيْنا ... لَقِينا مِثلَ ما لقيتْ صُداءُ
غَداةَ تَعرّضوا لِبَني بغِيضٍ ... وصِدْقُ الطَّعْن للنَّوْكى شِفاءُ[3]
وقد هَرَبَتْ حِذارَ الموتِ قَيْنٌ ... على آثارِ مَنْ ذَهَب العَفاءُ
وقد كُنّا رَجَوْنا أن يُمِدّوا ... فأَخْلَفَنا من آخوتِنا الرَّجاءُ
وأَلهى القَيْنَ عن نَصر الموالي ... حِلابُ النِّيبِ والمرعى الضَّراءُ[4]

[شفي من طعنة ابن زيابة]

وقال أبو عَمرو الشَّيبانيّ : كان أَبرهة حين طَلَع نَجْداً أَتاه زُهيرُ بنُ جناب ، فأَكرمه أَبرهة وفضَّله على مَن أَتاه من العرب ، ثم أَمَّره على ابني وائل : تغْلب وبكر . فَوليهم حتى أَصابتهم سنة شَدِيدة ، فاشتدّ عليهم ما يَطلبُ منهم زُهير . فأقام بهم زُهير في الجَدْب ، ومنعهم من النُّجْعة حتى يُؤدُّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فلمّا رأى ذلك ابنُ زَيّابة ، أحدُ بني تَيْم الله بنِ ثعلبة ، وكان رجُلاً فاتِكاً ، بَيّت زُهيراً[5] وكان نائماً في قُبَّة له من أَدَم ؛ فدَخَل فأَلْفَى

1 بسل : حرام .
2 يحتضر : يحضر .
3 النوكى : الحمقى .
4 الضراء : الشجر الملتفّ .
5 بيّته : هاجمه ليلاً على غرّة .

زُهيراً نائماً ، وكان رجلاً عَظيم البَطن ، فاعتَمَد التَّيميُّ بالسَّيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصِّفاق ، وسَلِمت أعفاجُ بطنه[1] ، وظَنَّ التَّيميُّ أنَّه قد قتله ؛ وعلم زُهَير أنّه قد سَلِم ، فتخوَّف أن يتحرّك فيُجهز عليه ، فسَكَت . وانصرفَ ابنُ زيَّابة إلى قومه ، فقال لهم : قد ، والله ، قَتلتُ زُهَيراً وكَفَيْتُكموه ، فسَرَّهم ذلك . ولمّا عَلِم زُهير أنّه لم يُقدِم عليه إلاّ عن ملأٍ من قومه بكر وتَغْلِب ، وإنّما مع زهير نَفَر من قومه بمنزلة الشُّرَط ، أمَرَ زهير قومَه فغيَّبوه بين عمودين في ثيابٍ ثم أتوا القومَ فقالوا لهم : إنّكم قد فَعَلتم بصاحبنا ما فعلتُم ، فأْذَنوا لنا في دَفنه ، فَفَعلوا . فحَملوا زهيراً مَلْفوفاً في عَمودين والثِّياب عليه ، حتى إذا بَعُدُوا عن القوم أخرَجوه فلفَّفوه في ثيابه ، ثم حفروا حَفِيرةً وعَمَّقوا ، ودَفَنوا فيها العمودين ، ثم ساروا ومعهم زُهير ، فلمّا بلغ زهير أرضَ قَومِه جمع لِبكْر وتَغْلب الجُمُوع ، وبلَغهم أنَّ زهيراً حيٌّ ، فقال ابن زَيَّابة : [من الخفيف]

طَعْنةً مـا طَعَنتُ في غَبَش اللَّيـ ـلِ زُهَيرا وقد تَوافى الخُصومُ
حين تَجْبي لـه المواسِمَ بَكرٌ أينَ بَكْرٌ ، وأيْنَ منها الحُلومُ
خانَني السيفُ إذ طَعنتُ زُهَيْراً وهـو سيفٌ مُضلِّـل مَشْئُومُ

[غزو بكر وتغلب]

قال : وجمع زهير بني كَلْب ومَن تجمَّع له من شُذَّاذِ العرب والقبائل ، ومَن أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكراً ابنَيْ وائل ، وهم على ماء يقال له الحُبَيّ[2] ، وقد كانوا نَذِروا به ، فقاتَلهم قتالاً شديداً ، ثم انهزَمَت بَكر وأسْلَمَت بني تَغْلب ، فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهَزَمت ؛ وأُسِرَ كُلَيْب ومُهَلْهل ابنا ربيعة ، واستِيقَت الأموالُ ، وقَتَلت كلْبٌ في تَغْلب قتْلى كثيرة ، وأسَروا جماعة من فرسانهم ووجوههم ، وقال زُهير بنُ جناب في ذلك : [من الكامل]

تَبّـاً لِتَغْلـبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهم سَوْقَ الإمـاء إلى المواسِمِ عُطّلا
لحقـتْ أوائِـلُ خَيْلِنـا سَرَعانَهم حتـى أُسَرْنَ على الحُبَـيّ مُهَلْهِلا[3]
إنَّا ، مُهَلْهِلُ ، مـا تَطِيشُ رِماحُنا أيّام تَنْقُـفُ في يَدَيْـك الحَنْظَلا
وَلَّت حُماتُك هاربين من الوَغى وبَقِيـتَ في حَلَـق الحديـد مُكَبَّلا
فلئن قُهِرْتَ لقـد أَسرتُـكَ عَنْوةً ولئِن قُتِلْتَ لقـد تَكُـون مُؤَمَّلا

---

1 الصفاق : الجلد الباطن . والأعفاج : معى الإنسان .

2 الحبي : موضع بتهامة .

3 سرعان الخيل : أوائلها .

وقال أيضاً يُعيِّر بني تَغْلِب بهذه الوقعة في قصيدة أوّلها : [من الخفيف]

حـيٌّ داراً تَغَيَّرت بالجَنابِ ... أَقْفَـرَتْ مـن كواعبٍ أَترابِ

يقول فيها : [من الخفيف]

أَيْنَ أَيْنَ الفِرارُ من حـذَرِ المَوْ ... ت وإذْ يَتَّقُـونَ بـالأَسلابِ
إذْ أَسَرنـا مُهَلْهِـلاً وأَخـاهُ ... وابنَ عَمْرٍو في القِدِّ وابنَ شهابِ
وسَبَيْنا مـن تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضا ... ءَ رَقُودِ الضُّحى بَرُودِ الرُّضابِ
يَوْمَ يدعُـو مُهَلْهِـلٌ يالَبَكْرٍ ... هـا أَهَذِي حفِيظَةُ الأَحسابِ
وَيْحكم وَيْحكم أُبيح حِماكُم ... يا بني تَغْلبَ أَمـا من ضِرابِ
وهُـمُ هارِبُـونَ في كلِّ فجٍّ ... كشَرِيدِ النَّعامِ فـوقَ الرَّوابي
واستدارَت رَحي المَنايا عليهم ... بلُيُـوثٍ مـن عامـرٍ وجنابِ
طَحَنتهم أَرحاؤهـا بطَحونٍ ... ذاتِ ظُفـرٍ حدِيدَةِ الأَنيابِ
فهُمُ بَيْن هـاربٍ ليس يأْلُو ... وَقتيـلٍ مُعفَّـرٍ في التُّـرابِ
فضَلَ العِـزُّ عِزَّنـا حين نَسْمُو ... مِثْل فَضْلِ السَّماءِ فَوْقَ السَّحابِ

[وفادته على ملك غسان]

أَخبرني محمد بنُ الحَسَن بن دريد ، قال : حدَّثنا عمِّي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أَبيه ، قال : وفَدَ زهير بن جَناب وأَخوه حارثة على بعض ملوك غسَّان ، فلمّا دَخَلا عليه حدَّثاه وأَنْشَداه ، فأعجِب بهما ونادَمَهما . فقال يوماً لهما : إنّ أُمِّي عليلةٌ شديدةُ العِلَّة ، وقد أعياني دَواؤُها ، فهل تعرِفان لها دواء ؟ فقال حارثة : كُمَيْرة حارّة ، وكانت فيه لُوثة ، فقال الملك : أيّ شيء قلت ؟ فقال له زهير : كُمَيْئَة حارّة تُطعِمُها ، فوَثَب الملك ، وقد فهم الأولى والآخِرَة ، يُريهما أنّه يأْمُر بإصلاح الكمأة لها ، وحلُم عن مَقالة حارثة . وقال حارثة لزهير : يا زُهير اقْلِبْ ما شئت ينقَلِب ، فأرسلها مَثلاً .

[ذهاب عقله]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حَدَّثني أَحمد بن الغيث الباهليّ عن أَبيه قال : كان من حديث زهير بنِ جَناب الكلبيّ أنّه كان قد بلغ عُمراً طويلاً حتى ذهب عقلُه ، وكان يَخرُج تائهاً لا يدري أين يذهب ، فتلحَقُه المرأة من أهله والصَّبيّ ، فتردّه وتقول له : إنِّي أخاف عليك الذِّئب أَن يأكلك ، فأَين تَذهب ؟ فذَهب يوماً من أَيّامه ، ولحقَته ابنة له فردَّته ، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنّه رأْلٌ[1] ، وراحَتْ عليهم سماءٌ في

1 الرأل : ولد النعام .

الصيف فعلتهم منها بَغْشَةٌ[1] ثم أردَفَها غَيْث ، فنظر وسمع له الشَّيخ زجلاً مُنْكراً . فقال : ما هذا يا بُنيَّة ؟ فقالت : عارضٌ هائِلٌ إن أصابَنا دونَ أهلِنا هَلَكنا . فقال : انْعَتِيه لي ، فقالت : أراه مُنْبطحاً مُسْلَنْطِحاً[2] ، قد ضاق ذَرْعاً وركب رَدْعاً[3] ، ذا هَيْدَب[4] يطير ، وهَماهِم[5] وزَفير ، ينهض نهضَ الطير الكسير ، عليه مِثْل شَبارِيق[6] السَّاج ، في ظُلْمَةِ اللَّيل الدّاج ، يتضاحك مثل شُعَل النيران ، تهرب منه الطير ، وتُوائِل[7] منه الحَشَرةُ . قال : أيْ بُنَيّة ، وائلي منه إلى عِصْرٍ[8] قبل أن لا عَيْن ولا أثر .

[تسميته بالكاهن]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني أحمدُ بن عبيد ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، عن مشيخة من الكلبيِّين قالوا : عاش زهير بن جناب بن هُبل بن عبد الله خمسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب ، ولم تجتمع قُضاعة إلاّ عليه وعلى حُنٍّ بن زَيْد العُذريّ ، ولم يكن في اليَمَن أشجَع ولا أخطب ولا أوجَه عند الملوك من زهير . وكان يدعى الكاهن ، لصحَّة رأْيِه .

[تطاول عمره]

قال هشام : ذَكَر حمَّاد الرَّاوية أنَّ زهيراً عاش أربعمائة وخمسين سنة ، قال : وقال الشَّرقيُّ بنُ القُطاميّ : عاشَ زهير أربعمائة سنة ، فرأته ابنةٌ له فقالت لابن ابنها : خُذْ بِيَد جدّك ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : فُلانُ بن فُلانِ بن فُلانة ، فأنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

أَبَنِيَّ إنْ أَهْلِكْ فقد ... أَوْرثْتُكُمْ مَجْداً بَنِيَّهْ
وَتَرَكْتُكُمْ أَبناءَ سا ... داتٍ زِنادُكم وَرِيَّهْ
ولَكُلُّ ما نالَ الفَتى ... قد نِلْتُه إلاّ التَّحِيَّهْ[9]

---

1 البغشة : المطر الخفيف .
2 المسلنطح : الواقع على وجهه .
3 ركب ردعاً : سقط على عنقه .
4 الهيدب : السحاب الداني .
5 الهماهم : ترديد الزفير ، مفرده همهمة .
6 شباريق : قطع .
7 توائل : تطلب النجاة .
8 عِصر : ما يتحصن به .
9 التحية : الملك والبقاء . وتحية الملك : أبيت اللعن .

والمـوتُ خَيْرٌ لِلفتـى   فَلْيَهْلِكَـنْ وبِـهِ بَقِيَّـهْ
مِـن أن يُـرى الشَّيْخَ البَجا   لَ وَقَـدْ تَهـادى بالعَشِيَّهْ[1]
ولقـد شَهِدتُ النّـارَ للأَسْـ   ـلاف تُوقَـد في طَمِيَّـهْ[2]
ولقـد رَحَلْـتُ البـازِلَ الـ   ـكَوْمـاء ليس لهـا وَلِيَّهْ[3]
وخَطَبـتُ خُطْبَـةَ ماجِـدٍ   غَيْرِ الضَّعِيـف ولا العَيِيَّهْ
ولقـد غَـدوتُ بمُشرِف الـ   ـقُطْرَيـن لم يَغْمِـزْ شَظِيَّهْ[4]
فأَصبـتُ مـن بَقَـر الجَنا   ب ضُحًى ومن حُمُرِ القَفِيَّهْ[5]

قال ابن الكَلبيّ : وقال زهير في كِبَره أيضاً : [من الطويل]

أَلا يا لَقَوْمي لا أَرى النَّجمَ طالِعاً   ولا الشَّمسَ إلاّ حاجِبي بِيَميني
مُعَزِّبتـي عنـد القَفـا بعَمُودهـا   فأَقْصى نَكِيري أن أَقـول ذَريني
أَمِينٌ على أَسرارِهِـنَّ وقد أُرى   أَكُـونُ على الأَسرارِ غَيْرَ أَمِينِ
فلَلْمَوتُ خَيْرٌ مـن حِداجٍ مُوَطَّإٍ   على الظُّعْن لا يأتـي المحـلَّ لحِينِ

قال : وقال زُهير أيضاً في كِبره : [من الطويل]

إن تُنْسِنِي الأَيّـامُ إلاّ جلالـةً   أَمُتْ حين لا تأْسى عـليَّ العوائِدُ
فيَأْذى بِيَ الأَدنى ويَشْمَت بي العِدا   ويأمَن كَيْدي الكاشِحُونَ الأَباعِدُ

قال : وقال زهير أيضاً : [من الوافر]

لقـد عُمِّرتُ حتى لا أُبـالي   أَحَتْفي في صَباحي أَم مَسائي
وحُـقَّ لَمَن أَتَـتْ مائتان عاماً   عليـه أَنْ يمَـلَّ مـن الثَّواء
شَهِدتُ المُوقدين على خَزازى   وبالسُّلاَّن جَمْعـاً ذا زُهاءِ[6]
ونادمتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو   وبعدَهُـمُ بنـي مـاء السماء

[شرب الخمر حتى مات]

قال ابنُ الكلبيّ : وكان زهير إذا قال : أَلا إنّ الحَيّ ظاعن ، ظَعَنت قُضاعة ؛ وإذا قال : أَلا إنّ

---

1 الشيخ البجال : الذي يبجله قومه . ويروى : الشيخ الكبير .
2 طمية : جبل في طريق مكة (ياقوت) .
3 وليّه : كساء أو نحوه مما يلي ظهر البعير .
4 مشرف القطرين : مرتفع الجانبين . والشظية : عظم الساق .
5 القفية : الناحية .
6 خزازى : جبل . والسلان : الأودية . وذو زهاء : ذو عدد كبير .

الحيَّ مُقيم ، نَزَلوا وأَقاموا . فلَمّا أن أَسنَّ نصبَ ابنَ أَخيه عبد الله بن عُلَيم للرِّياسة في كَلْب ، وطَمِع أن يكون كعَمِّه وتجتمع قُضاعةُ كلّها عليه ، فقال زهير يوماً : ألا إنَّ الحيَّ ظاعن ، فقال عبد الله : ألا إنّ الحي مُقيم ، فقال زهير : ألا إنّ الحيَّ مُقيم ، فقال عبد الله : ألا إنّ الحيَّ ظاعن ، فقال زهير : مَنْ هذا المخالف عَليَّ منذ اليوم ؟ فقالوا : ابن أخيك عبدُ الله بن عُلَيم ، فقال : أعدى الناسِ للمرء ابنُ أخيه إلاّ أنّه لا يدعُ قاتِلَ عمِّه أو يقتُلَه . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وكَيْفَ بِمَـنْ لا أَستَطِيعُ فِراقَـه ... ومَنْ هـو إن لم تَجْمَعِ الدَّارُ آلِفُ
أَمِيرُ شِقـاقٍ إنْ أُقِـم لا يُقِم مَعي ... ويَرْحَلْ ، وإن أَرحَل يُقِم ويخالِفُ

ثم شرِب الخمر صِرْفاً حتّى مات .

قال : وممّن شَرِب الخمرَ صرْفاً حتى مات عمرو بنُ كُلثوم التّغلبيّ ، وأَبو بَراء عامِرُ بن مالِك مُلاعِبُ الأسِنّة .

قال هشام : عاشَ هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زهير بن جَناب ستّمائة سنة وسبعين ، وهو القائل : [من الرجز]

يا رُبَّ يَومٍ قد غَني فيه هُبَلْ ... لـه نَـوالٌ ودُرُورٌ وجَذَلْ[1]
كأنَّه في العِزِّ عَوْفٌ أَو حَجَلْ

قال : عَوْف وحَجَل : قَبيلتان من كلب .

[أنذرته أخته فرحل]

وقال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : كان الجُلاحُ بن عَوف السَّحْميُّ قد وطَّأ لزهير بن جَناب وأنزله معه ، فلم يزل في جَناحِه حتى كَثُر مالُه وولدُه ، وكانت أُختُ زهير مُتزوِّجة في بني القَيْن بن جَسْر ، فجاءَ رسولُها إلى زهير ومعه بُرْد فيه صِرارُ رَمْل وشَوكةُ قَتاد ، فقال زهير لأصحابه : أتتكمُ شَوكةٌ شديدة ، وعددٌ كثير فاحتَمِلوا ، فقال له الجُلاحُ : أنحتمِلُ لقول امرأة ! والله لا نفعل ، فقال زهير : [من الكامل]

أمَّا الجُـلاحُ فإنّنـي فارقْتُـه ... لا عن قِلًى ولقد تَشِطُّ بنا النَّوى
فَلئن ظَعَنْـتَ لأُصبِحَـنَّ مُخيِّماً ... ولَئنْ أَقمتَ لأَظعَنَنَّ عـلى هَوى

قال : فأقام الجُلاح ، وظعن زُهير ، وصبَّحهم الجيش فقتل عامَّة قوم الجُلاح وذهبوا بماله .

قال : واسم الجُلاح عامرُ بنُ عوف بن بكر بن عَوْف بن عامر بن عوف بن عُذْرة .

ومضى زُهَير لوَجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جَناب ، وبَلَغ الجيشَ خبرُه فقَصَدوه ،

1 الدرور : الكثرة .

فحاربَهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم ، فانْصَرَفوا عنه خائبين ، فقال زهير : [من الطويل]

أَمِن آلِ سَلْمى ذا الخَيالُ المؤرِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغَرِيبُ المُشَوَّقُ[1]
وأَنَّى اهْتَدَت سَلمى لِوَجهِ مَحلِّنا ... وما دونها من مَهْمَه الأَرض يَخفِقُ
فلَم تَرَ إلاّ هاجعاً عند حُرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عَتِيقٌ ونُمْرُقُ
ولَمّا رَأَتْني والطَّلِيحَ تَبَسَّمَتْ ... كما انهلَّ أَعْلى عارضٍ يتأَلَّقُ
فحُيِّيتِ عَنَّا زَوَّدينا تحيَّةً ... لعلَّ بها العاني من الكَبْل يُطْلَقُ
فردَّت سَلاماً ثم وَلت بحاجَةٍ ... ونحنُ لعَمْرِي يا ابْنةَ الخَيْرِ أَشْوَقُ
فيا طِيبَ ما رَيّا ويا حُسْنَ منْظَرٍ ... لَهَوْتُ به لو أَنَّ رُؤْياكِ تَصْدُقُ
ويومَ أُثالى قد عرفتُ رُسومَها ... فعُجْنا إليها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ
وكادت تُبِينُ القَولَ لَمّا سأَلْتُها ... وتُخْبِرُني لو كانت الدارُ تَنْطِقُ
فيا دارَ سَلْمى هِجْتِ للعين عَبْرة ... فماءُ الهوى يرفضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خِلافَ الجُلاح عليه : [من الطويل]

أَيا قَوْمَنا إن تَقْبَلوا الحَقَّ فانْتهوا ... وإلاّ فأَنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ[2]
فجاؤوا إلى رَجْراجَةٍ مُكْفَهِرَّة ... يكاد المديرُ نحوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ[3]
سُيوفٌ وأَرماحٌ بأَيدي أعزَّةٍ ... ومَوْضُونةٌ مِمّا أَفاد مُحَرِّقُ[4]
فما بَرِحُوا حتى تَرَكْنا رئيسَهم ... وقد مار فيه المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ[5]
وكائِنْ تَرى من ماجِدٍ وابْنِ ماجدٍ ... له طَعْنَةٌ نجلاءُ للوَجْهِ يَشْهَقُ

وقال زهير في ذلك أيضاً : [من البسيط]

سائِل أُمَيْمَةَ عنِّي هل وَفَيْتُ لها ... أَم هل مَنَعْتُ من المَخْزاة جيرانا
لا يَمْنَع الضَّيفَ إلاّ ماجِدٌ بطَلٌ ... إنَّ الكريمَ كريمٌ أَينما كانا
لَمَّا أَبى جِيرَتي إلاّ مُصَمِّمَةً ... تَكْسُو الوُجوهَ من المَخْزاة أَلوانا

---

1 يمق : يحب .
2 تحرق : تحتك فتخرج صوتاً .
3 الرجراجة : الكتيبة تموج من كثرتها .
4 الموضونة : درع رقيقة النسج .
5 المضرحيّ المذلق : النسر المحدد الطرف ، كناية عن مصرعه .

مِلْنا عليهم بورْد لا كِفاءَ لــه يَفْلِقْن بالبِيضِ تحت النَّقْع أَبْدانا
إذا ارجَحَنُّوا علوْنـا هامَهم قُدُماً كأنّمـا نَخْتَـلي بالهـامِ خُطْبانا[1]
كَم من كريم هَوى للوَجْه مُنْعفِراً قـد اكْتَسى ثوبُـه في النَّقْع ألوانا
ومِنْ عَميدٍ تَناهـى بعـد عَثْرَته تَبـدُو ندامتُـه للقَـوْم خَزيانا

[أولاده شعراء]

وأمّا الشعراء من ولد زهير : فمنهم مَصادُ بن أسعد بن جُنادة بن صَهْبان بن امرىء القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائلُ : [من الطويل]

تَمَنَّيْتَ أَن تَلْقى لِقاحَ ابنِ مُحْرِزٍ وقبلـك شامتهـا العُيونُ النّواظرُ
مُمَنَّحـةً في الأَقربـين مُناخَـةً وللضَّيف فيهـا والصَّديق مَعاقِرُ
فهَلاَّ بَنـي عَيْناء عاينتَ جَمْعَهمْ بحالة إذ سُدَّت عليك المَصادِرُ[2]

ومنهـم حُرَيْـثُ بنُ عامر بنِ الحارث بن امرىء القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائل : [من الوافر]

أَرى قَوْمـي بني قَطَنٍ أَرادُوا بـأَلاَّ يتركوا بِيَـديَّ مـالا
فإن لم أَجزِهـم غَيْظاً بغَيْظٍ وأُورِدْهُم على عَجَلٍ شِلالا[3]
فَلَيْـتَ التَّغْلبيّـة لم تَلِـدْني ولا أَغْنَتْ بمـا ولدت قِبالا

ومنهم الحَزَنْبَل بنُ سلامة بنِ زُهير بن أسْعد بن صَهْبان بنِ امرىء القَيْس بن زهير بن جناب ، وهو القائل : [من الكامل]

عَبَثَت بمُنْخَـرِق القَميص كأنَّه وَضَحُ الهِلال على الخُمُور مُعذلِ
يـا سَلْمَ وَيْحكِ والخَليل مُعاتبٌ أَزْمَعْتِ أن تَصلي سواي وتَبْخَلي
لمَّـا رأَيـتِ بعارضَـيّ ولمَّتـي غِيَرَ المَشيب عـلى الشباب المُبْدَلِ
صَرَّمْتِ حَبْل فتًى يَهشُّ إلى النّدى لـو تَطْلُبـين نـداه لم يَتَعَلَّلِ
إنّا لنَصْبر عنـد مُعتَرَك الوَغَـى ونَبُـذّ مكرُمَـة الكريـمِ المُفْضِلِ

ومنهم غُرَيرُ بن أبي جابر بن زُهير بن جناب ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

---

1 ارجحنوا : مالوا ووقفوا . نختلي : نقطع . الخطبان : نبت كالهليون والأخضر من ورق السمر .
2 حالة : موضع .
3 شلالاً : متفرقين .

أَبلِغ أَبـا عَمْـرٍو وأَنْـ ـتَ عليَّ ذُو النِّعَم الجَزِيلَهْ
أَنَّا مَنَعْنـا أَنْ تَـذِ لَّ بلادُكُمْ وبَنُو جَدِيلَهْ
وطرقْتُهـم لَيـلاً أُخَـ ـبِّرهم بهم ومعي وَصِيلَهْ[1]
فصدَقْتُهم خَبَري فَطـا رُوا في بِلادِهم الطَّوِيلَهْ

ومنهم عرفَجَةُ بن جُنادة بن أُبيِّ بن النُّعمان بن زُهَير بن جناب ، وهو القائل : [من الطويل]

عفا أَبرقُ العَزَّاف من أُمِّ جابرٍ فمُنْعَرجُ الوادي عفـا فَحَفِيرُ
فَرَوضُ ثُوَيـر عن يمين رَوِيَّةٍ كأن لَـمْ تَربَّعْه أَوانِسُ حُورُ
رِقاقُ الثَّنايا والوُجوه ، كأَنّها ظِباءُ الفلا في لَحْظِهِـن فتُورُ

ومنهم المُسيَّب بن رِفْل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرىء القيس بن أَبي جابر بن زُهير بن جناب ، وهو القائل : [من الطويل]

قَتَلْنا يَزِيدَ بن المُهَلَّب بعدمـا تَمَنَّيتُمُ أَن يَغلِبَ الحَقَّ باطِلُهْ
ومـا كان منكم في العِراقِ مُنافِقٌ عن الدِّين إلاّ من قُضاعة قاتِلُهْ
تَجلَّلـه قَحْلٌ بـأَبْيضَ صارِمٍ حُسامٍ جَلا عن شفرَتَيْه صَياقِلُهْ

يعني بالقَحْل ابنَ عَيّاش بن شَمِر بن أَبي شَراحِيل بن غُرَيْر بن أَبي جابر بن زُهَير بن جناب ، وهو الذي قتل يزيد بن المهلّب .

ومن بني زُهَير شُعراء كثير ، ذَكرتُ منهم الفُحول دونَ غَيرهم .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

تَدَّعي الشوقَ إن نَـأَتْ وتَجنَّـى إذا دَنَـتْ
سرَّني لـو صَبَرتُ عَنـ ـها فتُجزى بمـا جَنَتْ
إنَّ سَلْمى لَـو اتَّقَـتْ رَبَّهـا فيَّ أَنْجَـزَتْ
زَرَعت في الحَشا الهَوى وسقَتْه حتـى نَبَـتْ

الشِّعر لمُسْلِم بن الوليد[2] ، والغناء لعَريب خفيف ثقيل . وقيل : إنّه لأبي العَنْبَس بن حمدون . وذكر الهشاميّ أنّ لإسحاق في : إنّ سَلْمى . . . وما بعده لَحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر .

1 وصيلة : رفقة أو سيف أو الناقة التي وصلت عشرة أبطن .

2 ديوان صريع الغواني : 308 .

[398] ـ نسب مسلم بن الوليد وأَخباره[1]

[نسبه]

هو مُسلِم بن الوليد ، أَبوه الوليد مَولى الأَنصار ثم مَولى أَبي أُمامة أَسعَد بن زُرارة الخَزرَجيّ . يلقَّب صريعَ الغواني ، شاعر متقدّم من شعراء الدولة العبّاسيّة ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو ، فيما زعموا ، أَوّل مَن قال الشّعر المعروف بالبديع ، وهو لَقّب هذا الجنسَ البديعَ واللّطيفَ . وتبعَه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أَبو تمَّام الطائيّ فإنّه جعل شِعره كُلّه مذهباً واحداً فيه . ومُسْلِم كان مُتفنّناً متصرّفاً في شعره .

أَخبرني عليٌّ بن سليمان الأَخفش قال : قال أَبو العبّاس محمد بن يزيد : كان مُسلِم شاعراً حَسَن النَّمط ، جيِّد القول في الشراب ، وكثيرٌ من الرُّواة يَقْرِنه بأَبي نُواس في هذا المعنى . وهو أَوّل مَن عقد هذه المعاني الظّريفة واستخرجها .

حدَّثنا أَحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : سَمِعتُ أَبي يقول : أَوّلُ مَن أفسد الشّعر مُسلِمُ بن الوليد ، جاءَ بهذا الذي سمَّاه النّاس البديع ، ثم جاء الطائيّ بعده فتفنَّن فيه .

أَخبرني إبراهيمُ بن أَيُّوب عن عبد الله بن مُسلِم الدِّينوَريّ قال : كان مُسْلِم بنُ الوليد وأخوه سليمان منقطعَين إلى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفَضْل بن سَهْل بعد ذلك . وقلَّد الفضلُ مُسْلِماً المظالمَ بجُرْجان فمات بها .

[يتغزّل بجارية لا يهواها]

أَخبرني عليٌّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان السببُ في قَول مُسْلِم : [من مجزوء الخفيف]

تَـدَّعي الشوقَ إن نأَتْ وَتَجَنَّـى إذا دَنَـتْ

أَنّه عَلِق جارية ذات ذِكر وشرف ، وكان منزِلُها في مَهَبِّ الشَّمال من منزله ، وفي ذلك يقول[2] : [من الوافر]

---

1 ترجمة مسلم بن الوليد (صريع الغواني) في الشعر والشعراء : 712–720 وطبقات ابن المعتز 234–240 ومعاهد التنصيص 3 : 55 وتاريخ بغداد 13 : 96 ومعجم المرزباني : 277 والموشح : 444 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ، وانظر بروكلمان 2 : 32–33 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه د . سامي الدهان (دار المعارف بمصر) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ديوانه : 274 .

صوت

أُحِبُّ الرِّيحَ مـا هَبَّتْ شَمالا وأَحسُدُها إذا هَبَّتْ جَنُوبا
أَهابُكِ أن أَبوحَ بذاتِ نَفْسي وأَفرَقُ إنْ سَأَلْتُكِ أن أُجيبا
وأَهجُرُ صاحِبِي حُبَّ التَّجَنّي عليـه إذا تَجَنَّيـتِ الذُّنوبا
كأنّي حين أُغضي عن سِواكُمْ أَخافُ لكم على عَيْني رَقِيبا

غنَّى عبد الله بن العبّاس الربيعيّ في هذه الأبيات هزجاً بالبِنصر عن الهشامي .

قال : وكانت له جارية يرسِلها إليها ويبثُّها سِرّه ، وتعودُ إليه بأخبارها ورسائِلها ؛ فطال ذلك بينهما ؛ حتى أحبَّتها الجاريةُ التي عَلِقها مُسْلِم ومالت إليها ، وكلتاهما في نهاية الحُسْن والكمال .

وكان مُسلم يُحِبُّ جاريتَه هذه محبَّة شديدة ، ولم يكن يَهوى تلك ، إنّما كان يريد الغزل والمُجون والمُراسلة ، وأن يشيع له حديثٌ بهواها ، وكان يرى ذلك من المَلاحة والظَّرف والأدب ، فلمّا رأى مودَّة تلك لجاريته هجر جاريته مُظْهِراً لذلك ، وقطْعها عن الذّهاب إلى تلك ، وذلك قولُه : [من الوافر]

وأَهْجُرُ صاحِبِي حُبَّ التَّجَنّي عليـه إذا تجنَّيْـت الذُّنوبا

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وذلك قوله : [من مجزوء الخفيف]

تَـدَّعي الشوقَ إن نأَتْ وتجنّـى إذا دنَـتْ
واعدتْنـا وأَخلفـتْ ثـم ساءَتْ فأحسنتْ[1]
سرَّني لو صبرتُ عنـ ـها فتُجْزى بما جنتْ
إنَّ سَلْمـى لـو اتَّقـ ـت رَبَّهـا فيّ أنجزَتْ
زرعتِ في الحشا الهوى وسقتـهُ حتـى نَبَتْ

[بينه وبين أبي نواس]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالا : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أَبيه قال : لقِي مُسلِم بنُ الوليد أَبا نُواس فقال له : ما أعرف لك بيتاً إلاّ فيه سَقَطٌ ، قال : فما تَحْفَظ من ذلك ؟ قال : قُلْ أنت ما شِئتَ حتى أُريك سَقَطَه فيه ، فأنشَدَه[2] : [من الكامل]

ذكر الصَّبوحَ سُحَيرةً فارتاحا وأَمَلَّه دِيـكُ الصَّباح صِياحا

---

1 الديوان : فأساءت وأحسنت .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 1 وفيه «بسحرة» .

فقال له مُسلم : فلِمَ أُملّه وهو الذي أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشِدْني شيئاً من شِعْرك ليس فيه خَلل ، فأنشده مُسلم : [من الكامل]

عاصى الشَّبابَ فراح غير مُفنَّد وأَقــام بين عزيمـــة وتَجَلُّدِ[1]

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد . فتشاغَبا وتَسابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

[شعره يعجب المأمون]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : قال لي محمد بن عبد الله بن مُسْلِم : حدَّثني أبي قال : اجتمع أصحابُ المأمون عنده يَوماً ، فأفاضوا في ذِكر الشِّعر والشّعراء ، فقال له بعضُهم : أين أنت يا أميرَ المؤمنين عن مُسلِم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيثُ يقول وقد رثى رجلاً[2] : [من الطويل]

أَرادوا ليُخْفــوا قبرَه عـــن عَدُوِّه فَطِيبُ تُـــرابِ القبر دلَّ عَلى القَبْرِ

وحيث مدح رجلاً بالشّجاعة فقال[3] : [من البسيط]

يَجودُ بالنَّفس إذْ ضَنَّ الجَوادُ بها والجُودُ بالنَّفْس أَقْصى غايةِ الجُودِ

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأَخلاقِ فقال[4] : [من الكامل]

قَبُحَتْ مناظِـرُه فحــين خَبَرتُـــه حَسُنَتْ مناظـرُه لِقُبْـــح المَخْبَرِ

وتَغازَل فقال : [من الرجز]

هَـــوًى يَجِـــدُّ وحَبِيبٌ يَلعَـــبُ أَنْـــتَ لَـــقًى بينهمـا مُعَـــذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعَرُ من خُضْتُم اليوم في ذكره .

[يزيد بن مزيد لا يعرف مادحه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ والحسن بن عليّ الخفَّاف قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني قَعْنَب بن المُحْرِز ، وابن النَّطَّاح ، عن القَحْذَميّ قال : يزيدُ بن مزيد : أرسلَ إليَّ الرَّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسَل فيه إلى مِثلي فأتيتُه لابساً سلاحي ، مستعدّاً لأمر إن أرادَه ، فلمّا رآني ضَحِك إليَّ ثم قال : يا يَزيد خبِّرني مَن الذي يقولُ فيك[5] : [من البسيط]

1 غير مفند : غير ملوم .
2 ديوانه : 164 .
3 ديوانه : 320 . وفيه : تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها .
4 ديوانه : 321 .
5 ديوانه : 12 ، 13 ، 22 .

تَراهُ في الأمْنِ في دِرْعٍ مُضاعفة ... لا يأمَنُ الدّهرَ أن يُدْعى على عَجلِ
صافِي العِيان طَمُوحُ العَيْنِ همَّتُه ... فَكُّ العُناةِ وأَسْرُ الفاتِكِ الخَطِلِ
للهِ مِن هاشِمٍ في أرضِه جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُك رُكْنا ذلكَ الجَبلِ

فقلت : لا أعرفُه يا أميرَ المؤمنين . قال : سَوْأةً لك من سيِّد قومٍ يُمدَح بمِثْل هذا الشِّعر ولا تعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائلَه ، وهو مُسْلِمُ بنُ الوليد . فانصرفتُ فدعوتُ به ووصلتُه ووَلَّيتُه .

أخبرني محمدُ بن عمران الصَّيرفيّ ، والحسنُ بن عليّ الخفَّاف قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن سليمان الحنفيّ ذو الهِدْمَيْن قال : حدَّثني أبي قال : دخل يزيدُ بن مَزْيد على الرّشيد فقال له : يا يَزيد ، مَن الذي يقولُ فيك[1] : [من البسيط]

لا يَعبَقُ الطِّيبُ خدَّيْه ومفرِقَه ... ولا يُمسِّح عَيْنَيه من الكُحُلِ
قد عَوَّدَ الطَّير عاداتٍ وَثِقْن بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَه في كُلّ مُرْتَحَلِ

فقال : لا أعرف قائِله يا أمِير المؤمنين . فقال له هارون : أيُقال فيك مِثلُ هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائله ! فخرج من عنده خجلاً ، فلمّا صار إلى منزله دعا حاجِبه فقال له : مَنْ بالبابِ مِنَ الشُّعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حَجبتَه عنّي فلم تُعْلِمْني بمكانه ؟ قال : أخبرتُه أنَّكَ مُضيقٌ ، وأنّه ليس في يَدَيك شيء تعطيه إيّاه ، وسألتُه الإمساكَ والمُقامَ أيّاماً إلى أن تتَّسع . قال : فأنْكَر ذلك عليه وقال : أدخِلْه إليَّ . فأدخله إليه ، فأنشدَه قولَه[2] : [من البسيط]

أُجْرِرتُ حبلَ خَلِيعٍ في الصِّبا غَزِل ... وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في عَذَلي
رَدَّ البُكاءَ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفَرَّقٌ بين تَوْديعٍ ومُرْتَحَلِ[3]
أما كَفى البَيْنَ أن أُرمى بأسْهُمِه ... حتى رَماني بلَحْظِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ
مما جَنَت لي ، وإن كانت مُنًى صَدَقَتْ ، ... صبابَةٌ خُلَسُ التَّسليمِ بالمُقَلِ[4]

فقال له : قد أمرْنا لك بخمسين ألفَ دِرْهم ، فاقبِضْها واعذِر . فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم : قد أمرني أن أرهن ضَيْعة من ضِياعه على مائة ألف درهم ، خمسون ألفاً لك

1 ديوانه : 12 ، 13 .
2 ديوانه : 1–3 وفيه : أُجرِرت . . . . بالبناء للمجهول .
3 الديوان : هاج البكاء . . .توديع ومرتحل .
4 الديوان : مما جنى .

وخمسون ألفاً لنفقتِه . وأعطاه إيّاها ، وكتب صاحِبُ الخبَر بذلك إلى الرشيد ، فأمر لِيَزيد بمائتي ألفِ دِرهم وقال : اقضِ الخمسين الألف التي أخذها الشاعر وزِدْه مثلَها . وخُذ مائةَ ألْفٍ لنفقتِك . فافتَكَّ ضَيْعتَه ، وأعطى مُسلماً خمسين ألفاً أُخرى .

[فرج بعد ضيق]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عليُّ بن عُبيد الكُوفيّ ، وعليُّ بنُ الحسن كِلاهما قال : أخبرني عليّ بنُ عمرو قال[1] : حدَّثني مُسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال : كنتُ يوماً جالساً في دكان خيّاط بإزاء منزلي ، إذ رأيتُ طارقاً ببابي ، فقُمتُ إليه فإذا هو صديق لي من أهلِ الكوفة قد قَدِمَ من قُمَّ ، فسُرِرْتُ به ، وكأنَّ إنساناً لطم وجهي ، لأنّه لم يكُن عندي درهم واحد أُنفِقه عليه . فقُمتُ فسلّمت عليه ، وأدخلتُه منزلي ، وأخذتُ خُفَّيْن كانا لي أتجمَّل بهما ، فدفعتُهُما إلى جاريتي ، وكتبتُ معهما رُقعة إلى بعض معارفي في السُّوق ، أسأله أن يبيع الخُفَّين ويشتريَ لي لحماً وخبزاً بشيء سمَّيتُه . فمَضَت الجاريةُ وعادت إليَّ وقد اشترى لها ما قد حدَّدْتُه له ، وقد باع الخُفَّين بتسعَةِ دراهم ، فكأنّها إنّما جاءت بخُفَّين جديدَين . فقعدْتُ أنا وضيفي نطبُخ ، وسألتُ جاراً لي أنه يسقيَنا قارورة نبيذ ، فوجَّه بها إليَّ ، وأمرتُ الجاريةَ بأن تُغلِق باب الدّار مخافةَ طارق يجيء فيشرَكُنا فيما نحن فيه ، ليبقى لي وله ما نأكُله إلى أن ينصرِف . فإنّا لجالسان نطبُخ حتى طرق البابَ طارقٌ ، فقلت لجاريَتي : انْظُري مَن هذا . فنظرتْ من شقّ الباب فإذا رجُلٌ عليه سوادٌ وشاشيَّة ومنطقة ومعه شاكريّ[2] ، فخبَّرَتْني بمَوضعه فأنكرْتُ أمرَه ؛ ثم رجَعت إلى نفسي فقلت : لستُ بصاحب دعارة ، ولا للسُّلطان علَيَّ سبيل . ففتحْتُ الباب وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابّته وقال : أأنت مُسْلم بنُ الوليد ؟ قلت : نعم . فقال : كيف لي بمعرفتِكَ ؟ قلت : الذي دلَّك على منزلي يصحّحُ لك معرفتي . فقال لغُلامه : امض إلى الخيَّاط فسَلْه عنه . فمَضى فسألَه عنّي فقال : نعم هو مُسلِم بن الوليد . فأخرج إليَّ كتاباً من خُفِّه ، وقال : هذا كتاب الأمير يزيدَ بن مَزْيد إليّ ، يأمُرني ألاّ أفُضَّه إلاّ عند لقائِك ، فإذا فيه : إذا لَقِيتَ مُسلِمَ بن الوليد فادفَعْ إليه هذه العشرةَ آلاف درهم ، التي أنفذتُها تكون له في منزله ، وادفع ثلاثة آلاف دِرهم نفقة ليتحمّل بها إلينا . فأخذتُ الثلاثة والعشْرة ودخلتُ إلى منزلي والرجُل معي ، فأكلنا ذلك الطعام ، وازددتُ فيه وفي الشَّراب ، واشتريْتُ فاكِهة ، واتّسعْتُ ووهبتُ لضَيفي من الدّراهم ما يُهدي به هديَّة لعيالِه . وأخذتُ في الجهاز ، ثم ما

---

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة .

2 الشاشية : العمامة . والشاكري : الأجير والمستخدم .

زِلتُ معه حتى صِرنا إلى الرَّقَّة إلى باب يزيد . فدخلَ الرّجلُ وإذا هو أحَدُ حُجّابه ، فوجَدَه في الحمّام ، فخرج إليَّ فجلس معي قليلاً ، ثم خبَّر الحاجبُ بأنّه قد خرَج من الحمّام ، فأدخلَني إليه ، وإذا هو على كرسيّ جالس ، وعلى رأسِه وصيفة بيدِها غِلاف مِرآة ، وبيَدِه هو مرآة ، ومُشْط يُسرّح لحيته ، فقال لي : يا مُسلِم ، ما الذي بطّأَ بك عنّا ؟ فقلت : أيُّها الأمير ، قِلّة ذاتِ اليد . قال : فأنشِدني . فأنشدتُه قصيدتي التي مدحتُه فيها : [من البسيط]

أجْرَرْتُ حَبلَ خَليع في الصِّبا غزِلِ وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في عَذَلِي

فلمّا صِرتُ إلى قولي :

لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومفرِقَه ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه من الكُحُلِ

وَضَع المِرآة في غِلافِها ، وقال للجارية : انْصرفي ، فقد حرَّم علينا مُسلم الطِّيبَ . فلمّا فرغْتُ من القصيدة قال لي : يا مُسلِم ، أتَدْري ما الذي حداني إلى أن وجَّهتُ إليك ؟ فقلتُ : لا واللهِ ما أدري . قال : كنتُ عند الرشيد منذُ ليالٍ أُغمِّزُ رِجْلَيه ، إذ قال لي : يا يزيد ، من القائل فيك[1] : [من البسيط]

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفاً من بَني مَطَرٍ يَمضي فَيَخْتَرِمُ الأجسادَ والهاما[2]

كالدَّهْرِ لا يَنْثَني عمَّا يَهُمّ به قد أوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما

فقلت : لا والله ما أدري . فقال لي الرشيد : يا سُبحان الله ! أنتَ مُقيم على أعرابيّتك ، يقال فيك مثلُ هذا الشِّعر ولا تدري مَن قائلُه ! فسألت عن قائله ، فأُخبِرتُ أنَّك أنت هو ، فقُم حتى أُدخِلكَ على أمير المؤمنين .

ثم قام فدَخَل على الرشيد ، فما عَلِمتُ حتى خرَج عليّ الإذن فأُذِن لي ، فدخَلْتُ على الرشيد ، فأنشدتُه ما لي فيه من الشِّعر ، فأمر لي بمائتَي ألف درهم ، فلمّا انصرفْتُ إلى يزيد أمر لي بمائة وتِسعين ألفاً ، وقال : لا يجوز لي أن أعطِيَك مِثْلَ ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطَعَني إقطاعات تبلُغ غَلّتُها مائتي ألف درهم .

[هجاؤه يزيد]

قال مُسلِم : ثم أفْضَت بي الأُمورُ بعد ذلك إلى أن أغْضَبَني فهَجَوتُه ، فشَكاني إلى الرشيد ، فدَعاني وقال : أتَبيعُني عِرضَ يزيد ؟ فقلت : نَعم يا أمير المؤمنين . فقال لي : بِكَم ؟ فقلتُ : برغِيف خبز . فغَضِب حتى خِفتُه على نَفسي ، وقال : قد كُنتُ على أن أشترِيَه منك

---

1 ديوانه : 63 .

2 الديوان : يمضي فيخترق . . .

بمالٍ جَسيم ، ولستُ أَفعَل ولا كرامةَ ، فقد عَلِمتُ إحسانَه إليك ، وأَنا نَفيٌّ من أَبي ، ووالله ثمّ والله لئن بلغني أنّكَ هجوْتَه لأنزِعنّ لسانَك من بين فكّيك . فأمسكتُ عنه بعد ذلك ، وما ذكرتُه بخير ولا شرّ .

أُخبرني الحَسَنُ بن علي قال : حدَّثَنا محمد بن القاسِم بن مَهْرويه قال : حدَّثني محمد بنُ عبد الله اليعقوبيّ قال : حدَّثني البَيْدق الراويةَ ، وكان من أهل نصيبين ، قال : دخلتُ دارَ يزيدَ بن مَزْيد يوماً وفيها الخَلْق ، وإذا فتًى شابٌّ جالس في أفناء النّاس ، ولم يكُنْ يزيد عرفه بَعْدُ ، وإذا هو مُسْلم بنُ الوليد . فقال لي : ما في نفسي أن أقولَ شعراً أبداً ، فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : لأنّي قد مدحتُ هذا الرجل بشِعر ما مُدِح بمثْلِه قطّ ، ولست أجِد مَن يُوَصِّله ، فقلتُ له : أنشِدني بعضَه ، فأنشدني منه[1] : [من البسيط]

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذِي رَهَجٍ ... كأنَّه أَجَلٌ يَسْعى إلى أَمَلِ
يَقري السُّيوفَ نُفوسَ النّاكِثِين به ... ويَجْعَل الرُّوسَ تِيجانَ القَنا الذُّبُلِ[2]
لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومَفرِقَه ... ولا يُمَسّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ
إذا انتَضى سيفَه كانت مسالِكُه ... مسالكَ المَوْت في الأَجسام والقُلَلِ[3]
وإن خَلَتْ بحَديث النَّفْس فِكْرَتُه ... عاش الرّجاءُ ومات الخَوْفُ من وَجَلِ
كاللّيث إن هِجْتَه فالمَوْتُ راحَتُه ... لا يَسْتَرِيحُ إلى الأَيّامِ والدُّوَلِ
لله من هاشم في أرضِهِ جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُك رُكْنا ذَلك الجَبَلِ
صدَّقْتَ ظَنِّي وصدَّقتَ الظُّنونَ به ... وَحَطّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جملي

قال : فأخذتُ منها بيتَين ، ثم قلت له : أنشِدني أيضاً ما لك فيه ، فأنشدني قصيدة أُخرى ابتداؤُها[4] : [من البسيط]

طيفَ الخيال حَمِدْنا منكَ إلماما ... داوَيْتَ سُقْما وقد هَيّجْتَ أَسقاما

يقول فيها :

كالدَّهْرِ لا يَنْثَني عمَّا يَهُمّ به ... قد أَوسَعَ النّاس إنعاماً وإرغاما

قال : فأنشدْتُ هذه الأبياتَ يزيدَ بنَ مزيد ، فأمر له بخمسمائة دِرهم . ثم ذكرتُه بالرِّقّة

1 ديوانه : 9 ، 11 ، 13 ، 14 ، 22 ، 23 .
2 الديوان : يكسو السيوف دماء . . . ويجعل الهام . . . .
3 الديوان : في الأبدان والقلل .
4 الديوان : 61 .

فقلت له : هذا الشاعر الذي قد مَدَحك فأحسَن ، تَقْتَصر به على خمسمائة دِرهم ! فبَعَث إليه بخمسمائة درهم أُخرى . قال : فقال لي مُسلِم : جاءتني وقد رَهَنْتُ طَيْلَساني على رؤوس الإخوان ، فوقعت منّي أحسن مَوْقِع .

[يزيد يغسل الطيب تصديقاً لقول مسلم]

أُخبرني محمد بن عِمران قال : حدَّثنا العَنَزيّ عن محمد بن بَدْر العِجليّ عن إبراهيم بن سالم عن أبي فِرعونَ مولى يزيد بن مَزْيد قال : رَكِب يزيدُ يوماً إلى الرشيد فتغلَّف بغالية ، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطسْتٍ فغسَل الغالية ، وقال : كرِهتُ أن أُكذِّب قولَ مُسلِم بن الوليد : [من البسيط]

لا يَعبَق الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفرِقَه ولا يُمَسِّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ

[ينصح يزيد بتخريق كتاب جاءه]

أُخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني أَبو تَوبة قال : كان مُسلِم بن الوليد جالساً بين يدَي يزيد بن مزيد فأتاه كتابٌ فيه مُهِمّ له ، فقرأه سرّاً ووضعَه ، ثم أعاد قراءته ووضعه ، ثم أراد القيامَ ، فقال له مُسلِم بن الوليد[1] : [من البسيط]

الحَزْم تَخْرِيقُه إن كنت ذا حَـذَر وإنّما الحَـزْم سُوءُ الظَّنِّ بالنّاسِ
لقــد أَتــاك وقــد أَدَّى أَمانتَـه فاجعل صِيانَتَـه في بَطْـنِ أَرماسِ

قال : فضَحِك يزيد وقال : صَدَقْتَ لعَمري . وخرَّق الكتاب ، وأمر بإحراقِه .

[خيبته في انقطاعه إلى ابن يزيد بعده]

حدَّثني عمّي وجَحْظة قالا : حدَّثنا عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى قال : حدَّثني أَبو مُحَلِّم ، وحدَّثني عمّي قال : حدَّثني عبدُ الله بن أَبي سَعد قال : حدَّثني أبو توبة ، قال : كان مُسلِم بن الوليد صديقاً ليزيد بن مزيد ومدّاحاً له ، فلما مات انقطعَ إلى ابنه محمد بن يزيد ، ومدَحه كما مدَح أباه ، فلم يصنَع إليه خيراً ، ولَم يُرضِه ما فعله به ، فهجَره وانقطَع عنه ؛ فكتب إليه يستحفِيه[2] ويلُومه على انقطاعه عنه ، ويُذَكِّره حُقوقَ أبيه عليه ، فكتَب إليه مُسلِم[3] : [من الطويل]

لَبِستُ عَـزاءً عن لِقاءِ محمدٍ وأَعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا
وقُلتُ لنَفْسٍ قادَها الشَّوقُ نحوه فَعوِّضَها حُبُّ اللِّقاءِ صُدُودا[4]

---

1 الديوان : 324 .
2 يستحفيه : يستخبره .
3 ديوانه : 310 .
4 الديوان : فعوضها منه اللقاء . . .

هَبِيه امرءاً قد كان أصْفاكِ وُدَّه فمات وإلاَّ فاحسُبِيــه يَزيدا
لعَمْري لقد وَلَّى فلم أَلْقَ بعده وَفاءً لِذي عَهْـد يُعَـدُّ حَمِيدا

[رثاء يزيد بن مزيد]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني أحمدُ بن محمد بن أَبي سعد قال : أُهدِيَتْ إلى يزيد بن مَزْيد جاريةٌ وهو يأكل ، فلمّا رُفِع الطعام من بين يديه وطِئَها فلم ينزِل عنها إلاّ ميِّتاً ، وهو ببَرْذَعة[1] ، فدُفِن في مقابر بَرْذَعة ، وكان مُسْلم معه في صحابته فقال يَرثيه[2] : [من الكامل]

قَبـرٌ ببَرْذَعــة استَسَرَّ ضريحُـه خَطَـراً تقاصَرُ دُونَـه الأخْطارُ
أبقــى الزَّمــانُ على رَبيعَةَ بعده حُزْنــاً كعُمر الدَّهـرِ لَيْس يُعارُ[3]
سلكت بك العُربُ السَّبِيلَ إلى العُلا حتى إذا بَلَغوا المَدى بِكَ حارُوا[4]

ويُروى :

حتى إذا سَبَقَ الرَّدى بك حاروا

هكذا أنشده الأخفش :

نُفِضَتْ بك الأحلاس نَفْضَ إقامةٍ واسترجَعَت رُوَّادَهــا الأمصارُ[5]
فاذهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ أثنــى عليهــا السَّهــلُ والأوْعارُ

[داود بن يزيد يفضح ادّعاء راوية مسلم]

نَسختُ من كِتاب جدِّي يحيى بنِ محمد بن ثَوابة : حدَّثني الحسَنُ بنُ سعيد عن أَبيه قال : كان داودُ بنُ يَزيد بنِ حاتم المُهلَّبيّ يَجلِس للشُّعراء في السَّنة مجلِساً واحداً فيَقْصِدونه لذلك اليوم ويُنْشِدونه ، فوجَّه إليه مُسلِم بنُ الوليد راويَته بشِعره الذي يقول فيه[6] : [من البسيط]

جعلتَه حيث تَرتابُ الرِّياح به وتحسُد الطَّيرَ فيـه أَضْبُعُ البِيدِ

فقَدِم عليه يوم جُلُوسه للشُّعَراء ، ولَحِقه بِعَقِب خُروجهم عنه ، فتَقَدَّم إلى الحاجِب

1 برذعة : بلد في أذربيجان .
2 ديوانه : 313 . وفي المرثي خلاف . فقيل إنّه يزيد بن أحمد السلميّ وقيل بل مالك بن علي الخزاعي .
3 الديوان : على معدّ .
4 الديوان : حتى إذا سبق الردى . . .
5 الديوان :
نفضت بك الآمال أحلاس الغنى واسترجعـت نزاعهـا الأمصـار
6 ديوانه : 165 . وفيه وضعته . . .

وحسر لِثامَه عن وَجهِه ثم قال له : استأذِن لي على الأَمير . قال : ومَن أَنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انْصرَم وقتُك ، وانْصرَف الشُّعراء ، وهو على القيام . فقال له : وَيْحك قد وفَدْتُ على الأَمير بشِعْر ما قالت العربُ مثلَه . قال : وكان مع الحاجب أدبَ يفهم به ما يسمع ، فقال : هاتِ حتى أسْمَع ، فإن كان الأمرُ كما ذكَرتَ أوصلْتُك إليه . فأنشدَه بعضَ القصيدة ، فسمع شيئاً يَقصُرُ الوصفُ عنه . فدخل على داود فقال له : قد قَدِم على الأمير شاعرٌ بشِعْر ما قيل فيه مثلُه ، فقال : أدخِل قائلَه . فأدخلَه ، فلمّا مَثَل بين يديه سلَّم وقال : قَدِمتُ على الأمير ، أعزّه الله ، بمَدْح يسمعه فيعلم به تقدُّميّ على غيري ممَّن امتدَحه . فقال : هاتِ . فلما افْتَتَح القصيدة وقال[1] : [من البسيط]

لا تَدْعُ بـي الشَّوق إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ نَهى النُّهى عن هَوى البِيضِ الرَّعادِيدِ[2]

استَوى جالِساً وأُطْرق ، حتى أَتى الرجلُ على آخِرِ الشِّعر ، ثم رَفَع رأسه إليه ثم قال : أَهذا شِعْرك ؟ قال : نعم أعزَّ اللهُ الأمير ، قال : في كم قُلتَه يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر ، أبقاكَ الله . قال : لو قُلتَه في ثمانيةِ أشهُر لكُنتَ مُحسِناً ، وقد اتَّهَمْتُكَ لجَوْدة شِعْرك وخُمول ذِكرك ، فإن كُنتَ قائِلَ هذا الشِّعر فقد أنظَرتُك أربعةَ أشهُر في مِثْله ، وأمرتُ بالإجراء عليك ، فإن جِئْتَنا بمِثْل هذا الشِّعر وَهبتُ لك مائةَ ألفِ درهم وإلاّ حَرَمْتك . فقال : أو الإقالة ، أعزَّ اللهُ الأمير . قال : أَقَلْتُك . قال : الشِّعر لُمسلِم بن الوليد ، وأنا راويتُه والوافِدُ عليك بشِعْره . فقال : أنا ابنُ حاتم ، إنَّك لمَّا افْتَتَحتَ شِعرَه فقُلت : [من البسيط]

لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ

سَمِعتُ كلامَ مُسْلِم يُناديني فأَجَبْتُ نداءَه واستوَيْتُ جالساً . ثم قال : يا غُلام ، أعطِه عشرة آلافِ درهم ، واحمِل الساعة إلى مُسلِمٍ مائةَ ألف درهم .

[ولاّه الفضل بن سهل البريد في جرجان]

أَخبرني الحسين بن القاسم الكوكَبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني مسعودُ بنُ عيسى العَبْديّ قال : أخبَرني موسى بن عَبْدِ الله التّميميّ قال : دَخَل مُسلِم بن الوليد الأنصاريّ على الفَضْل بن سَهل لِيُنشده شِعْراً ، فقال له : أيُّها الكَهْل ، إنِّي أُجِلُّك عن الشِّعر ، فسَلْ حاجَتَك ، قال : بل تَسْتَتِمّ اليَدَ عندي بأن تَسْمَع ، فأَنْشَدَه[3] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 151 .

2 الديوان : الهيف الرعاديد .

3 ديوانه : 304 .

دُموعُها من حِذارِ البَيْن تَنْسَكِبُ وقَلبُها مُغـرَمٌ من حَرّهـا يَجِبُ
جدَّ الرَّحِيـلُ بـه عنها ففارقَها لَبَيْنِه اللَّهـوُ واللَّـذَّاتُ والطَّربُ
يَهْوى المَسِيرَ إلى مَـرْوٍ ويَحزنُه فِراقُهـا فهـو ذو نَفْسَيْن يرتَقِبُ

فقال له الفَضْل : إنّي لأُجِلُّك عن الشعر ، قال : فأغنِني بما أحْبَبتَ من عمَلك ؛ فولاّه البريدَ بجُرْجان .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني الحُسين بن أبي السّريّ . وأخبرني بهذه الأخبار محمد بنُ خَلَف بن المَرزُبان ، قال : حدَّثني إبراهيمُ بن محمد الورّاق ، عن الحُسين بن أبي السَّريّ قال : قيل لُمسلم بن الوليد : أيُّ شِعْرك أحبُّ إليك ؟ قال : إن في شعري لبيتاً أخذتُ معناه من التّوراة ، وهو قولي[1] : [من البسيط]

دَلَّت على عَيْبِهـا الدُّنْيا وصَدَّقَها ما استَرْجَع الدَّهرُ مِمّا كان أعْطاني

[قذف بدفتر شعره في البحر]

قال الحسين : وحدَّثني جماعة من أهْل جُرْجان أنَّ راوِية مُسلِم جاءَ إليه بعد أن تابَ لَيَعرِض عليه شِعرَه ، فتغافَله مُسْلِم ، ثم أخذ منه الدّفتر الذي في يدِه ، فقذَف به في البحر ، فلهذا قلَّ شِعْرُه ، فليس في أيدي النّاس منه إلاّ ما كان بالعراق ، وما كان في أيدي الممدُوحين من مَدائحهم .

[يكره لقبه]

قال الحُسين : وحدَّثني الحسين بن دِعْبل قال : قال أبي لُمسْلِم : ما مَعنى قولك : [من البسيط]

لا تَدْعُ بي الشّوقَ إنّي غَيْرُ مَعْمُود

قال : لا تَدْعُني صَرِيعَ الغواني فلستُ كذلك ؛ وكان يُلقَّبَ هذا اللَّقب وكان له كارهاً .

[عتب ورضى]

أخبرني محمدُ بن خَلَف بن المرْزُبان قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : عَتَب عيسى بن داود على مُسلم بن الوليد فهجَره ، وكان إليه مُحسناً ، فكتب إليه مسلم[2] : [من الطويل]

شَكرتُـكَ للنُّعْمـى فلمّـا رمَيْتَني بِصدِّكَ تأديباً شكرتُـك في الهَجْرِ
فعِنـديَ للتَّـأديب شُكْـرٌ وللنّدى وإن شِئْت كان العَفْوُ أدْعى إلى الشُّكْرِ[3]
إذا مـا اتّقـاكَ المستليمُ بعُذْرِه فعَفْـوك خَيْرٌ من مَـلامٍ على عُذْرِ[4]

---

1 ديوانه : 122 .

2 ديوانه : 319 .

3 الديوان : أدنى إلى الشكر .

4 الديوان : إذا ما التقاك . . .

قال : فرَضي عنه وعادَ له إلى حاله .

[بخله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني محمد بنُ الأشعث قال : حدَّثني دِعْبل بنُ عليّ قال : كان مُسلِم بن الوليد من أبخلِ الناس ، فرأيْتُه يوماً وقد استقبلَ الرِّضا عن غلام له بعد مَوْجِدَة ، فقال له : قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بدِرْهم .

[تهاجيه مع دعبل]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه قال : حدَّثني محمد بنُ عمرو بن سعيد قال : خرج دِعْبِل إلى خراسان لمّا بلَغَه حُظْوةُ مُسلِم بنِ الوليد عند الفضل بن سَهْل . فصار إلى مَرْو ، وكتب إلى الفَضْل بن سَهْل [1] : [من الكامل]

لا تَعْبَأَنْ بابنِ الوَليــد فإنّــه ... يرمِيك بعــد ثَلاثــةٍ بمَلالِ

إنَّ المَلُــولَ وإن تَقادَمَ عَهدُه ... كانت مَودَّتُــه كفــيْءِ ظِلالِ

قال : فدَفَع الفَضل إلى مُسلِم الرُّقْعة وقال له : انظر يا أبا الوليد إلى رُقعةِ دِعْبِل فيك ، فلمّا قرأها قال له : هل عرَفت لَقَب دِعْبِل وهو غُلام أمرد وهو يُفْسَق به ؟ قال : لا ، قال : كان يُلقَّب بمَيّاس ، ثم كتبَ إليه [2] : [من الكامل]

مَيَّاسُ قُل لي : أينَ أنْتَ من الورى ... لا أنتَ مَعلــومٌ ولا مَجْهــولُ !

أمّا الهِجاءُ فــدَقَّ عِرضك دونَه ... والمَــدْحُ عنــك كما عَلِمْتَ جليلُ

فاذهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضك إنّه ... عِرضٌ عــزَزْتَ بــه وأنتَ ذَليلُ

أخبرني محمد بن الحسين الكِنديّ الكوفيّ مُؤدِّبي قال : حدَّثني أزهرُ بن محمد قال : حدَّثني الحسين بن دِعْبِل قال : سمعتُ أبي يقول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرَّت بي جارية لم أرَ أحسنَ منها وجهاً ولا قدّاً تتثنّى في مشيِها وتنظُر في أعطافِها ، فقلت مُتعرِّضاً لها [3] : [من مخلع البسيط]

دُموعُ عيني بهــا انْبِساطٌ ... ونَومُ عينــي بــه انقِباضُ

فأجابَتني بسُرعة فقالت : [من مخلع البسيط]

وذا قليــلٌ لمَــن دَهَتْــه ... بلَحْظِهــا الأعيُــنُ المِراضُ

فأدهَشَتْني وعَجِبْت منها فقلت : [من مخلّع البسيط]

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 135 .

2 ديوان مسلم : 334 ، وتروى لدعبل وأبي تمام .

3 ديوان دعبل : 96 .

فهل لِمَوْلاي عَطفُ قَلْبٍ وللّذي في الحَشا انْقِراضُ

فأجابَتني غير متوقِّفة فقالت : [من مخلع البسيط]

إن كنتَ تهوى الوِدادَ منّا فـالوُدُّ في دِينِنـا قِراضُ

قال : فما دَخَل أُذُني كَلامٌ قطّ أحلى من كلامِها ، ولا رأيتُ أنضرَ وَجْهاً منها ، فعدَلْتُ بها عن ذلك الشعر وقلت[1] : [من الكامل]

أَتُـرى الزّمانُ يَسرُّنا بتَلاقٍ ويَضُمُّ مُشتاقاً إلى مُشتاقِ

فأجابَتني بسُرعة فقالت : [من الكامل]

مـا لِلزّمانِ وللتّحَكُّم بيننا أَنتَ الزّمان فسُرَّنا بتَلاقِ

قال : فمضَيْت أمامها أُؤُمّ بها دارَ مُسلِم بن الوليد وهي تتبَعُني ، فصِرتُ إلى منزِله ، فصادفْتُه على عُسْرة ، فدفَع إليّ منديلاً وقال : اذهَب فبِعْه ، وخُذ لنا ما نَحتاج إليه وعُد ؛ فمضيْتُ مُسرعاً . فلمّا رجَعْتُ وجَدْتُ مُسلِماً قد خلا بها في سِرداب ، فلمّا أحسَّ بي وثب إليّ وقال : عرَّفك اللهُ يا أبا عليّ جميلَ ما فعلت ، ولقّاك ثوابَه ، وجعَله أحسنَ حسنةٍ لك ، فغاظَني قولُه وطَنْزُه[2] ، وجعلتُ أُفكِّر أيَّ شيءٍ أعمل به ، فقال : بحياتي يا أبا عليّ أخبرني مَن الذي يقول[3] : [من الخفيف]

بِتُّ في دِرْعِهـا وبات رَفِيقي جُنُبَ القَلْبِ طاهـرَ الأَطْرافِ

فقلت : [من الخفيف]

مَنْ لَـهُ في حِرِ امِّـه أَلفُ قَرْنٍ قـد أَنافَـتْ على عُلُوٍّ مَنافِ !

وجعلت أَشتُمه وأَثِب عليه ، فقال لي : يا أَحمق ، مَنزلي دخلتَ ، ومَنْديلي بِعت ، ودراهمي أَنفَقْت ، على مَنْ تَحْرَد أَنت ؟ وأيّ شيء سببُ حَرَدِك يا قَوّادُ ؟ فقلت له : مهما كذَبتَ عليّ فيه من شيء فما كذَبتَ في الحُمْقِ والقيادة .

[هجاء بالجملة]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه والعَنَزِيُّ ، عن محمد بن عبدِ الله العَبْدِيّ قال : هَجا مُسلِمُ بنُ الوليد سعيدَ بن سَلْم ويزيد بن مَزْيد وخُزَيمة بن خازم فقال[4] : [من الطويل]

1 ديوان دعبل : 116 .
2 الطنز : السخرية والتهكم .
3 ديوان مسلم : 327 .
4 ديوانه : 271 .

دُيونُـكَ لا يُقضى الزّمانَ غَرِيمُها ‏ ‏ ‏ ‏ وبخلُـكَ بُخـلُ الباهِـليِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أَبخل النّاسِ كُلِّهم ‏ ‏ ‏ ‏ ومـا قَومُـه مـن بُخْلِه بِبَعِيدِ[1]
يَزِيـدُ لـه فَضْلٌ ولكـنَّ مَزْيَداً ‏ ‏ ‏ ‏ تَـدارَكَ فينـا بخلُـه بِيَزِيدِ[2]
خُزَيمـةُ لا عَيْبٌ لـه غيرَ أَنّه ‏ ‏ ‏ ‏ لمطبخـه قُفْـلٌ وبـابُ حَدِيدِ[3]

أخبرني هاشِم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَةُ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ قال : قال لي سعيد بن سَلم : قَدِمَت عليَّ امرأةٌ من باهلة من اليمامة ، فمدَحْتني بأبيات ، ما تمَّ سُروري بها حتى نغَّصَنيها مُسلِمُ بنُ الوليد بهجاء بلغني أنّه هجاني به ، فقلت : ما الأبيات التي مُدِحْتَ بها ؟ فأنشدني : [من الطويل]

قُتَيْبَةُ قَيْسٍ سادَ قَيْساً وسَلْمهـا ‏ ‏ ‏ ‏ فلمّا تَولَّـى سادَ قَيْساً سَعِيدُها
وسَيِّدُ قَيْس سَيِّدُ النَّـاسِ كلّهـم ‏ ‏ ‏ ‏ وإن مات من رَغْمٍ وذُلٍّ حَسُودُها
هُـمُ رفعوا كَفَّيْك بالمَجْدِ والعُلا ‏ ‏ ‏ ‏ ومَنْ يرفَـعُ الأَبناءَ إلاّ جُدودُها
إذا مـدَّ للعليـا سَعِيـدٌ يَمِينَـه ‏ ‏ ‏ ‏ ثنت كَفُّـه عنهـا أَكُفّاً تُرِيدُها

قال الأصمعيّ : فقلتُ له : فبأيّ شيء نَغَّصها عليك مُسلم ؟ فضَحِك وقال : كلَّفْتَني شَطَطا ، ثم أَنشد[4] : [من المتقارب]

وأَحببتُ مـن حُبِّها الباخِلِينَ ‏ ‏ ‏ ‏ حتى وَمِقْتُ ابنَ سَلْم سَعِيدا
إذا سِيلَ عُرفـاً كسا وَجهَه ‏ ‏ ‏ ‏ ثِياباً من النَّقْع صُفْراً وسُودا[5]
يَغـارُ على المـالِ فِعْل الجَوا ‏ ‏ ‏ ‏ د وتأْبـى خلائِقُه أَن يَجُودا[6]

أخبرني عمِّي ، قال حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثني النّوْشجانيُّ الخليلُ بنُ أسَد قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال : وقَفَ بعضُ الكُتّاب على مُسلِم بن الوليد وهو يُنشد شِعْراً له في مَحْفِل ، فأَطال ثم انصرف ، وقال لرَجُل كان معه : ما أَدْرِي أيَّ شيءٍ أعجب الخليفةَ والخاصّةَ من شِعْر هذا ؟ فواللهِ ما سَمِعْتُ منه طائِلاً ، فقال مُسلِم : رُدُّوا عليَّ الرّجل ، فرُدَّ إليه ، فأَقْبَلَ عليه ثم قال : [من الكامل]

1 الديوان : . . . أَلأم الناس . . . من لؤمه . . .
2 الديوان : تدارك أقصى مجده .
3 الديوان : لا بأس به .
4 ديوانه : 270 .
5 الديوان : ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً . .
6 الديوان : يغير على المال .

أمَّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضُك دونه والمَدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذْهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرْضِك إنّه عِرضٌ عَزَزْتَ بِهِ وأنتَ ذَليلُ

[فساد علاقته بدعبل]

أخبرَني محمد بن خَلَف بنِ المَرْزُبان قال: حدَّثني إبراهيم بن محمد الورَّاق قال: حدَّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال: كان مُسلِم بن الوليد أُستاذَ دِعبل وعنه أخذ، ومن بَحْرِه استقى. وحدَّثني دِعبل أنّه كان لا يزال يقول الشِّعر فيعرضُه على مسلم، فيقول له: إيّاك أن يكون أوّل ما يظهرُ لك ساقطاً فتُعرَف به، ثم لو قلتُ كلَّ شيء جيّداً كان الأوّل أشهَرَ عنك، وكُنتَ أبداً لا تزال تُعيَّر به، حتى قلتُ:

أَيـنَ الشَّبابُ وأَيَّةً سَلَكـا

فلمّا سَمِع هذه قال لي: أظهِر الآن شِعرَك كيف شِئْت.

قال الحُسين: وحدَّثني أبو تمّام الطائيّ قال: ما زال دِعْبل مُتعصّباً لمُسْلم، مائلاً إليه، مُعترفاً بأُستاذِيَّته حتى ورَد عليه جُرْجانَ، فجفاه مُسلِم، وهجره دِعْبِل، فكتب إليه[1]: [من الطويل]

أبـا مَخْلَـدٍ كُنَّا عَقِيدَيْ مَوَدَّة هَوانـا وقَلْبانـا جَميعاً مَعاً معا
أحوطُك بالغَيْبِ الذي أنتَ حائطي وأجزَعُ إشفاقـاً بـأَنْ تَتوجَّعا
فصَيَّرتَنـي بعـد انْتِكاثِك مُتْهِماً لنفسي عليها أرهَبُ الخَلْق أجْمَعا
غَشَشْتَ الهوى حتى تَداعَتْ أُصولُه بنا وابتَذَلْتَ الوَصلَ حتـى تَقطَّعا
وأنزلتَ من بين الجَوانحِ والحَشا ذَخِيرَةَ وُدٍّ طـال مـا قد تمنَّعا
فلا تَلْحَيَنِّي ليس لي فيك مَطْمَع تَخَرَّقْتَ حتى لم أجِد لك مَرْقَعا
فَهبْك يَمينـي استأكَلَتْ فَقَطَعتُها وَجَشَّمتُ قلبـي صَبرَه فَتَشَجَّعا

قال: ثم تَهاجَرا بعد ذلك، فما الْتَقيا حتى ماتا.

[بينه وبين محمد بن أبي أميّة]

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال: أخبرني أحمدُ بن أبي أُميّة قال: لقِي أخي محمد بنُ أبي أُميّة مُسلِمَ بنَ الوليدِ وهو يتثنّى، ورواته مع بعض أصحابه، فسَلَّم عليه، ثم قال له: قد حضرني شيء. فقال: هاتِه، قال: على أنّه مزاحٌ ولا تَغْضب، قال: هاتِه ولو كان شتماً، فأنشدتُه: [من المديد]

---

1 ديوان دعبل: 102–103.

مَن رأى فيما خَلا رَجُلاً ... تِيهُــه أربــى على جِدَتِهْ
يَتمشَّى راجِــلاً ولــه ... شاكِــرِيٌّ في قُلَنْسِيَتِـهْ

فسكت عنه مُسلم ولم يُجبه ، وضَحِك ابن أبي أُميّة وافترقا .

قال : وكان لمحمد بِرْذَوْن يركبُه فنفق ، فلَقِيه مُسلِم وهو راجل ، فقال : ما فعل بِرْذَوْنُك ؟ قال : نَفَقَ ، قال : فنُجازيك إذاً على ما أسلفتناه ، ثم أنشده[1] : [من السريع]

قُـل لابن مَيٍّ لا تَكُن جازِعاً ... لن يَرْجِـعَ البِرْذَوْنُ باللَّيْتِ[2]
طامِــنَ أَحشاءَك فِقدانُــه ... وكُنْتَ فيــه عــاليَ الصَّوتِ[3]
وكُنــتَ لا تَنْزِل عــن ظَهْرِه ... ولــو مــن الحُشِّ إلى البَيْتِ[4]
مـا مــاتَ مـن سُقْم ولكنَّه ... ماتَ من الشَّوقِ إلى المَوْتِ[5]

[أبو تمّام يحفظ شعره وشعر أبي نواس]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ سَعيد الحَرِيرِيّ أنَّ أبا تمّام حَلَف ألاّ يُصلّيَ حتى يحفظ شِعْرَ مُسلِم وأبي نُواس ، فمَكَثَ شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما . قال : ودخلتُ عليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : اللاَّتُ والعُزَّى وأنا أعبدُهما مِن دون الله .

[مسلم وأبو نواس يتناشدان]

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثنـي سَمعـانُ بنُ عبد الصَّمد قـال : حدّثني دِعْبِل بنُ عليّ قال : كان أبو نواس يسألني أن أجمعَ بينه وبين مُسلِم بن الوليد ؛ وكان مُسلِم يسألُني أن أجمع بينه وبين أبي نواس ، وكان أبو نُواس إذا حَضَر تخلَّف مُسْلِم ، وإذا حضر مُسلِم تخلَّف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا ، فأنشده أبو نُواس[6] : [من الطويل]

أَجــارةَ بَيْتَيْنا أَبُــوكِ غَيُــورُ ... ومَيْسُور ما يُرْجى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأَنشدَه مُسلِم : [من البسيط]

للهِ مــن هاشِمٍ في أَرْضِهِ جَبَلٌ ... وأَنتَ وابنُك رُكْنا ذلِكَ الجَبَلِ

---

1 ديوانه : 282 .
2 الديوان : ليس على البرذون من فوت .
3 الديوان : طأطأ أحشاءك .
4 الحش : البستان ، ونقل إلى بيت الخلاء .
5 الديوان : من حتف .
6 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 480 .

فقلت لأبي نُواس : كيفَ رأيتَ مُسْلِماً ؟ فقال : هو أشعر النّاس بَعدي . وسألت مُسلِماً وقلت : كيفَ رأيتَ أبا نُواس ؟ فقال : هو أشعَرُ الناس وأنا بَعْده .

[ذو الرياستين يجزل له الجائزة]

أخبرني الحَسَن قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنصاريّ من ولدِ النّعمان بن بشير قال : حدَّثني مسلم بن الوليد قال : وجَّه إليَّ ذو الرِّياستَين ، فحُمِلتُ إليه ، فقال : أنشِدْني قولك[1] : [من السريع]

بالغَمْـرِ مـن زَينبَ أطْلالُ   مَرَّتْ بهـا بعدك أحوالُ

فأنشدتُه إيّاها حتى انتهيت إلى قولي[2] : [من السريع]

وقائـلٍ ليست لـه هِمَّةٌ   كلاَّ ولكن لَيس لي مالُ
وهِمَّـةُ المُقْتِـرِ أُمْنِيَّـةٌ   هَـمٌّ مع الدَّهرِ وإشْغالُ[3]
لا جِدَةٌ أنْهِضُ عَزْمي بها   والنـاسُ سُؤّالٌ وبُخّـالُ[4]
فاقعُدْ مع الدَّهْرِ إلى دَوْلَةٍ   ترفَعُ فيها حالَك الحالُ[5]

قال : فلمّا أنشدتُه هذا البيت قال : هذه واللهِ الدولةُ التي ترفعُ حالَك . وأمر لي بمالٍ عَظِيم وقلَّدني ، أو قال قبَّلَني ، جَوْزَ جُرْجان[6] .

[هجاؤه معن بن زائدة ويزيد بن مزيد]

حدَّثني جحظة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان مسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن مَعْنِ بن زائدةَ بعد مدحه إيّاه ، لشيء أوحشَه منه ؛ فسأله يزيد بن مزيد أن يَهَبه له ، فوعَده ولم يفعل ، فتركَه يزيد خوفاً منه ، فهجاه هجاءً كثيراً ، حتى حَلَف له الرشيد إن عاودَ هجاءَه قَطَع لسانَه ، فمن ذلك قوله فيه[7] : [من الكامل]

يـا مَعْنُ إنّـك لم تَزَلْ في خِزيَةٍ   حتـى لَففتَ أبـاكَ في الأكفانِ
فاشْكُر بَلاءَ المَـوْتِ عِنْـدَك إنّه   أودى بلُـؤم الحَـيِّ مـن شَيْبانِ

---

1 ديوان مسلم : 335 .
2 ديوانه : 150 .
3 الديوان : عون على الدهر . . .
4 الديوان : لا حدة تنهض في عزمها .
5 الديوان : فاصبر مع الدهر . . . تحمل فيها .
6 تقدم أنّ الفضل بن سهل ولاّه بريد جرجان . وانظر ياقوت (جرجان) .
7 ديوانه : 341 .

قال : وهجا أيضاً يزيد بن مزيدَ بعد مدحِه إيّاه فقال[1] : [من الكامل]

أَيزِيدُ يــا مَغْرورُ أَلأَمَ مَنْ مَشى ... تَرْجُو الفَلاحَ وأَنتَ نُطْفَة مَزْيَدِ

إن كنتَ تُنكِر مَنْطقي فاصرُخ به ... يَوْمَ العَرُوبة عنــد بابِ المَسْجِدِ[2]

في مَــنْ يَزِيدُ فإن أُصبتَ بِمَزْيدٍ ... فَلْساً فهــاكَ على مُخاطرةٍ يَدِي

هكذا روى جَحظة في هذا الخبر ، والشِّعران جميعاً في يزيد بن مَزْيَد ، فالأوّل منهما أوّله : [من الكامل]

أَيـَزِيدُ إنّكَ لم تَــزَل في خَزْيَةٍ

وهكذا هو في شعر مُسلِم . ولم يَلْقَ مُسلِم مَعْنَ بن زائدة ، ولا له فيه مدح ولا هجاء .

[رثى يزيد بن مزيد]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعد قال : حدَّثنا محمد بنُ عبدالله بن جُشَم قال : كان يزيد بن مَزْيَد قد سأل مُسلِمَ بنَ الوليد عمّا يكفيه ويكفي عيالَه ، فأخبرَه فجَعله جِرايةً له ، ثم قال : ليس هذا ممّا تُحاسَبُ به بدلاً من جائزةٍ أو ثواب مديح . فكان يبعث به إليه في كلّ سنة ، فلمّا مات يزيد رثاه مُسلِم فقال[3] : [من الوافر]

أَحقّــاً أَنّــه أُودى يَزِيـــدُ ... تبَيَّنْ أَيُّها النّاعـــي المُشِيدُ[4]

أَتـَدْري من نَعَيْتَ وكيف دارَت ... به شَفَتاك دار بهـــا الصَّعِيدُ[5]

أَحامي المَجْدِ والإسلامِ أُودَى ... فمــا للأَرْض وَيْحك لا تَمِيدُ

تأَمَّلْ هل تَرى الإسْلامَ مالت ... دعائِمُه وهـــل شابَ الوَلِيدُ

وهل شِيمَت سُيوفُ بَني نِزار ... وهل وُضِعَت عن الخَيْل اللُّبودُ

وهل تَسْقي البِلادَ عُشارُ مُزْنٍ ... بدِرَّتِها وهـــل يَخْضَرّ عُودُ[6]

أَمــا هُــدّت لَمصْرعِه نِزارٌ ... بــلى وتقوَّض المَجْــدُ المَشِيدُ

1 ديوانه : 310 .

2 يوم العروبة : يوم الجمعة .

3 ديوانه : 147–149 .

4 الديوان : أحق . . . تأمّل .

5 الديوان :

تأمّل من نعيت وكيف فاهت ... بــه شفتاك كان بهــا الصعيد

6 عُشَار في ل وابن خلكان : ثقال المزن .

وحـــلَّ ضَريحَه إذ حَلَّ فيـه ... طَرِيفُ المَجْـد والحَسَبُ التَّلِيدُ
أَمَا واللهِ مـــا تنفـكُّ عَيْني ... عليـك بدَمْعِها أبـــداً تَجودُ
وإن تَجْمُـدْ دُموعُ لَئيم قومٍ ... فليس لدَمْعِ ذي حَسَبٍ جُمودُ
أَبعْدَ يَزيـــدَ تَختَزِنُ البَواكي ... دُموعاً أو تُصانُ لهـا خُدُودُ
لِتَبْكِـكَ قُـبَّـةُ الإسلام لَمّا ... وَهَتْ أطنابُها ووَهى العَمُودُ
ويبكِكَ شاعِـرٌ لم يُبقِ دَهْرٌ ... لــه نَشَباً وقد كَسَد القَصِيدُ
فإن يَهْلِك يزيـدُ فكُلُّ حَـيٍّ ... فَرِيسٌ للمَنِيَّـــةِ أو طَرِيـــدُ

هكذا في الخبر ، والقصيدة للتَّيميّ .

[مدح الفضل بن سهل ورثاؤه]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الهشاميُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بن عمرو قال : حدّثني موسى بن عبد الله التّميميّ قال : دخل مُسلِم بن الوليد على الفَضْل بن سهل ، فأنشده قوله فيه[1] : [من البسيط]

لــو نَطَـقَ الناسُ أو أنْبَوْا بعلمهمُ ... ونَبَّهتْ عن مَعالي دَهْرِكَ الكُتُبُ
لم يبلُغوا منك أدْنى مـا تَمُتُّ به ... إذا تفاخــرتْ الأمــلاكُ وانْتَسَبُوا

فأمر له عن كُلّ بيت من هذه القصيدة بألفِ درهم .

ثم قُتِل الفَضْل فقال يرثيه[2] : [من الطويل]

ذَهَلْتُ فلــم أُنقَع غَليــلاً بعَبْرَةٍ ... وأكبرتُ أن أُلقى بيَوْمِك ناعِيا
فلمّا بَـــدا لي أنّه لاعِجُ الأَسى ... وأَنْ لَيْسَ إلاّ الدَّمعُ للحُزْنِ شافِيا
أقمتُ لك الأنواحَ تَرتـــدُّ بينها ... مَآتِــمُ تندبــن النَّــدى والمَعالِيا[3]
وما كان مَنْعى الفَضْل مَنْعاةَ واحدٍ ... ولكنّ مَنْعى الفَضْل كان مَناعِيا[4]
أَللبـأْسِ أم لِلجُـودِ أم لمُقـــاوِمٍ ... من المُلكِ يَزْحَمْن الجبالَ الرّواسِيا
عَفَتْ بَعدَكَ الأيَّام لا بـل تَبدَّلت ... وكُــنَّ كأعْيـــادٍ فعُـدْنَ مَباكِيا

1 ديوانه : 304 .
2 ديوانه : 346 .
3 تندبن في الديوان : يندبن .
4 منعاة واحدٍ في الديوان : منعي وحادة .

فلم أَرَ إلاَّ قَبْلَ يَوْمِـكَ ضاحِكاً ولم أَرَ إلاّ بَعْـدَ يَوْمِـكَ باكِيا

[هجاء العبّاس بن الأحنف]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكبيُّ قال : حدَّثنا محمد بنُ عجلان قال : حدَّثنا يعقوبُ بنُ السِّكِّيت ، قال : أخبرني محمد بن المُهنّأ ، قال : كان العبّاسُ بنُ الأحنَف مع إخوان له على شراب ، فذكروا مُسلِمَ بنَ الوليد ، فقال بعضهم : صَرِيعُ الغواني ، فقال العبّاس : ذاك ينبغي أن يسمَّى صريع الغِيلان لا صريع الغواني . وبلغ ذلك مُسلماً فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرْضى الدَّعِيُّ بهم فاترُكْ حَنيفَةَ واطلُب غيرَها نَسَبا
فاذْهَبْ فأَنت طَلِيقُ الحِلْم مُرْتَهَنٌ بسَوْرة الجَهْلِ ما لم أُمْلِك الغَضَبا[2]
اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضى بِنِسْبَتهم إنّي أَرى لَكَ خَلْقاً يُشبِهُ العَرَبا[3]
مُنِيتَ مِنِّي وقـد جَـدَّ الجِراءُ بِنا بغايَـةٍ منَعَتْـكَ الفَوْتَ والطَّلَبا[4]

[يهب عرض خزيمة بن خازم ويمتنع عن هجائه]

أخبرني محمد بنُ يزيد قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : قلتُ لُمسلِم بنِ الوليد : ويْحَكَ ! أما استحيَيْتَ من النّاس حين تهجو خُزَيْمة بن خازم ، ولا استحيَيْتَ منّا ونحن إخوانُك ، وقد علمتَ أنّا نتولاّه وهو مَنْ تعرف فضْلاً وجُوداً ؟ فضحِك ، وقال لي : يا أبا إسحاق ، لغيرِك الجهل ، أما تعلم أنَّ الهجاءَ آخِذٌ بضَبْع الشاعر وأجدى عليه من المديح المُضرِع ؟ وما ظلَمتُ مع ذلك منهم أحداً ، وما مضى فلا سبيلَ إلى ردِّه ، ولكن قد وهَبتُ لك عِرضَ خُزَيمة بعد هذا . قال : ثم أنشدني قولَه في سعيد بن سَلم : [من الطويل]

دُيونُك لا يُقْضى الزّمانَ غَرِيمُهـا وبُخلُك بُخـلُ الباهِـليِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أَبخَلُ النّاسِ كُلِّهم ومـا قَومُـه مـن بُخلِـه بِبَعيدِ

فقلتُ له : وسَعِيدُ بنُ سَلْم صديقي أيضاً ، فهَبْه لي ، فقال : إن أقبلْتَ على ما يَعنيك ، وإلاّ رجعتُ فيما وهبتُ لك من خُزَيمة ، فأمسَكْتُ عنه راضياً بالكفاف .

[مدح وتحول]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ محمد بن موسى بنِ عُمَر بنِ حَمزة بن بَزِيع قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحَسَن

1 الديوان : 258–259 .
2 الديوان : فاقعد فأنت طليق الحلم . . .
3 اذهب في الديوان : واذهب .
4 في الديوان : . . . وقد هاج الرهان بنا .

اللّهبيّ قال[1] : كان مُسلِم بنُ الوليد مَدّاحاً ليَزِيدَ بن مَزْيد ، وكان يُؤثِرُه ويُقدِّمه ويُجزِل صِلته ، فلمّا ماتَ وفَد على ابنِه محمد ، فمدَحه وعزّاه عن أبيه ، وأقام ببابه أيّاماً فلم يَرَ منه ما يُحِبّ ، فانصرف عنه وقال فيه : [من الطويل]

لَبستُ عَزاءً عـن لِقاءِ محمدٍ وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا
وقلتُ لِنَفْسٍ قادَها الشّوقُ نحوَه فعَوِّضها منـه اللّقـاءَ صُدُودا
هَبِيهِ امرءاً قد كان أَصفاكِ وُدَّه ومـاتَ وإلاّ فاحسُبِيه يَـزِيدا
لعَمْري لقد وَلّى فلم أَلْقَ بَعدَه وفاءً لذي عَهْـدٍ يُعَدُّ حَمِيدا

[الفضل يجزل له العطاء ويهب له جارية أعجبته]

أَخبرني حبيبُ بن نصْر قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سَعْد قال : حدَّثني أَحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن داوُدَ قـال : دخـل مُسلِم بنُ الوليد يوماً على الفَضْل بن يحيى ، وقد كان أتاه خبرُ مَسيرِه ، فجلس للشُّعراء فمدحوه وأثابهم ، ونظَر في حوائِج النّاس فقضاها ، وتفرَّقَ النّاسُ عنه ، وجلس للشّرب ، ومُسْلِم غير حاضرٍ لذلك ، وإنّما بَلَغه حين انقضى المجلس ، فجاءه فأُدخِل إليه فاستأْذن في الإنشاد ، فأَذِن له ، فأَنشده قولَه فيـه[2] : [من الطويل]

أَتَتْـكَ المطايـا تَهْتَـدي بِمَطِيَّةٍ عليها فَتًى كالنَّصْلِ مُؤْنِسُه النَّصْلُ

يقول فيها : [من الطويل]

وَرَدتُ رِواقَ الفَضْـلِ آمـلُ فَضلَه فحَطَّ الثَّناءَ الجَـزْلَ نائِلُـه الجَزْلُ[3]
فتى تَرْتَعـي الآمـالُ مُزنَـةَ جُودِهِ إذا كان مَرْعاها الأَمـانيُّ والمَطْلُ[4]
تساقطُ يُمنـاه النَّدى وشِمالُه الـ ـرَّدى وعُيونُ القَوْلِ مَنطِقُه الفَصْلُ[5]
أَلحَّ على الأَيّـام يَفـرِي خطُوبَها على مَنْهجٍ أَلفَـى أَباه بـه قَبْلُ
أَنـافَ بـه العَلياءَ يَحيى وخالِدٌ فلَيس لَـه مِثْـلٌ ولا لَهُما مِثْلُ[6]
فُـروعٌ أَصابت مَغْرِساً مُتَمَكِّناً وأَصْلاً فطابت حيث وجَّهها الأَصلُ[7]

1 تقدم الخبر والشعر في هذه الترجمة .

2 ديوانه : 263–265 .

3 الديوان : وردن رواق الفضل فضل بن جعفر .

4 الديوان : الأماني والبُطل .

5 الديوان : ردى .

6 الديوان : يحيى وجعفر .

7 الديوان : فروع تلقتها المغارس فاعتلى بها عاطفاً أعناقها قصده الأصل

بكـفٍّ أبي العبّاس يُستَمطَر الغِنى ... وتُستَنْزَل النُّعمى ويُسْتَرعَف النَّصلُ

قال : فطَرِب الفَضْل طَرَباً شَدِيداً ، وأمر بأن تُعدَّ الأبياتُ ، فعُدَّت فكانت ثمانين بيتاً فأمر له بثمانين ألف درهم ، وقال : لولا أنَّها أكثر ما وُصِل به الشُّعراء لزِدْتُك ، ولكنّه شأوٌ لا يمكنني أن أتجاوَزه ، يعني أنَّ الرشيدَ رسمه لمروان بن أبي حَفْصة ، وأمره بالجلوس معه والمُقام عنده لمُنادَمَتِه ، فأقام عنده ، وشَرب معه . وكانت على رأس الفَضل وصيفة تَسْقِيه كأنّها لُؤْلُـؤة ، فلمح الفَضْلُ مُسلِماً ينظر إليها ، فقال : قد ، وحياتي يا أبا الوليد ، أعجَبَتْك ، فقُل فيها أبياتاً حتى أهَبَها لك ، فقال[1] : [من البسيط]

إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرَّاح فاسقِيني ... كأْساً أَلـذّ بهـا من فِيكِ تَشْفِيني

عَيْناكِ راحِي ، ورَيْحاني حَدِيثُك لي ... ولَونُ خَدَّيْك لَونُ الوَرْد يَكْفيني

إذا نَهاني عـن شُرب الطِّلا حَرَجٌ ... فخَمْـرُ عَيْنَيْكِ يُغنِينـي ويَجْزِيني

لولا علاماتُ شيبٍ لو أَتَت وَعَظت ... لقد صَحوتُ ولكِن سوف تَـأْتِيني

أُرضي الشَّبابَ فإن أَهلِك فعن قَدَر ... وإن بَقِيتُ فإن الشَّيبَ يُشقِيني[2]

فقال له : خُذْها بُورِك لك فيها . وأمر بتوجيهها مع بعض خدمها إليه .

[جزعه على زوجته]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمد بنُ إبراهيم قال : كانت لمُسلِم بن الوليد زوجةٌ من أهله ، كانت تكفيه أمرَه وتسرُّه فيما تليه له منه ، فماتت فجَزِع عليها جزَعاً شديداً ، وتنسَّك مدّة طويلة ، وعَزَم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعضُ إخوانِه ذاتَ يوم أن يزوره ففعل ، فأكلوا وقدَّموا الشّرابَ ، فامتنع منه مسلم وأباه ، وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

بُكـاءٌ وكَأسٌ ، كيف يَتَّفِقانِ ؟ ... سَبيلاهُمـا في القَلْـب مُختَلِفانِ

دَعـاني وإفـراطَ البُكاء فإنَّني ... أرى اليـومَ فيـه غيْرَ مـا تَرَيانِ

غَدَتْ والثَّرى أَولى بها من وَلِيِّها ... إلى منـزلٍ نـاءٍ لعَيْنـكَ دانِ

فلا حُزْن حتى تَذرِفَ العَينُ ماءَها ... وتعتـرِفَ الأَحشاءُ للخفَقـانِ[4]

---

1 ديوانه : 343–344 .

2 يشقيني في الديوان : يسليني .

3 الديوان : 241 .

4 فلا حزن في الديوان : فلا وجد .

وكَيفَ بِدَفْعِ اليأسِ للوَجْدِ بعدَها وسَهْماهُمــا في القلـبِ يَعْتَلِجانِ[1]

[تهاجيه مع ابن قنبر]

أَخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني عليُّ بن الصَّبّاح قال : حدَّثني مالكُ بنُ إبراهيم قال : كان مُسلِم بن الوليد يُهاجي الحَكَم بنَ قَنْبر المازِنيّ ، فغَلَب عليه ابن قَنْبر مدة وأخرسه ، ثم أَثاب مُسلِم بعد أن انْخَزَل وأُفحِم ، فهَتَك ابن قَنبر حتى كفَّ عن مُناقضَتِه ، فكان يَهرب منه ، فإذا لَقِيه مُسلِم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيُمْسِك عن إجابته ؛ ثم جاءه ابن قَنْبر إلى منزله واعتذر إليه ممّا سَلَف ، وتحمَّل عليه بأهلِه وسأله الإمساكَ ، فوعَده بذلك ، فقال فيه[2] : [من الكامل]

حَلُم ابنُ قَنْبَر حين أَقْصَر جهلُه هل كان يَحلُم شاعِرٌ عن شاعرِ ؟

مــا أَنتَ بالحَكَم الذي سُمِّيتَه غالَتْك حِلْمَك هَفْوَةٌ من قاهرِ

لولا اعْتِذارُك لارْتَمى بك زاخِرٌ مَرِحُ العُباب يَفوتُ طرف النَّاظِرِ[3]

لا تُرتِعَنْ لَحمي لِسانَك بعدَها إنِّي أَخـاف عليك شَفْرَةَ جازِرِ

واستَغْنِم العَفــوَ الذي أُوتِيتَــه لا تأمَنَــنَّ عُقوبـةً مــن قادِرِ

أَخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله أبو بكر العَبديّ قال : رأيتُ مسلمَ بنَ الوليد وابنَ قَنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جُمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجَيان ، فبدأ مسلم فقال[4] : [من الطويل]

أنــا النَّارُ في أَحجارِها مُستكِنَّةٌ فإن كنتَ مِمَّن يقدحُ النّارَ فاقدحِ

فأَجابه ابنُ قَنبر فقال : [من البسيط]

قد كنتَ تَهوي وما قوسي بمُوتَرة فكيف ظَنُّك بي والقوسُ في الوَترِ

[يلجأ إلى الدعاء على ابن قنبر]

قال : فوثب إليه مسلم وتواخزا[5] وتواثبا ، وحَجَز الناس بينهما فتفرَّقا .

أَخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ قال : حدَّثني عليّ بن عمروس الأنصاريّ قال : جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخَزْرَج إلى

1 الديوان : . . . والوجد بعدها .

2 ديوانه : 322 .

3 مرح العُباب في الديوان : مرج العباب .

4 ديوانه : 309 .

5 تواخزا : تطاعنا طعنات غير نافذة .

مُسلم بنِ الوليد فقال له : وَيْلك ما لَنا ولَك ، قد فضحتَنا وأخزيتَنا ، تعرَّضتَ لابن قنبر فهاجيته ، حتى إذا أمكنْتَه من أعراضنا انخزَلتَ عنه وأرعَيْتَه لحومَنا ، فلا أنت سَكتَّ ووَسِعك ما وَسِع غيرَك ، ولا أنت لَمّا انتصرتَ انتصفتَ . فقال له مسلم : فما أصنع ؟ فأنا أصبر عليه ، فإن كفَّ وإلاَّ تحمَّلتُ عليه بإخوانه ، فإن كفَّ وإلاّ وكلتُه إلى بَغْيه ، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل ، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو اللهَ عليه فيها فإنّها تُهلِكه . فقال له الأنصاريّ ، سَخِنَتْ عينُك ! أوَ بهذا تنتصِفُ مِمّن هجاك ؟ ثم قال له : [من الكامل]

قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبر مُسلمٌ بدُعــاء والدِه مــع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ما قــد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثَكِلَتْك أُمُّكَ قد هتكْتَ حريمَنا وفضَحت أُسرتَنا بنــي النجارِ
عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومعشَر أُوْسِنا خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ
فعليكَ من مولًى وناصرِ أُسرةٍ وعشيرةٍ غضَبُ الإله الباري

قال : فكاد مسلم أن يموت غمّاً وبُكاءً وقال له : أنت شرٌّ عليّ من ابنِ قَنبر . ثم أثاب وحَمِيَ ، فهتك ابنَ قَنْبر ومزَّقه حتى تركه ، وتحمَّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة .

ونسختُ هذا الخبر من كتاب جدِّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطِّه ، قال : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصورُ بن جُمهُور قال : لَمّا هجا ابنُ قَنبر مسلمَ بنَ الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشْلى عليه لسانَه[1] . قال : فجاءَه عمٌّ له فقال له : يا هذا الرجل ، إنّك عند الناس فوق ابنِ قَنبر في عمود الشعر ، وقد بَعث عليك لسانَه ثم أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قارَعْتَه أو سالَمْتَه . فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه ، وله بين ذلك دَعَوات يدعو بهنّ ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعَواته ، فإنّا نُكْفاه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال : [من الكامل]

غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبٌ لمــا اتَّقيــتَ هِجــاءه بدُعاءِ
ما زال يقذف بالهِجاء ولذعه حتى اتّقوه بدَعــوة الآبــاء !

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قَنبر يبلغ منّي هذا كلَّه ، فأمسِكْ لسانك عنّي ، وتعرَّف خبره بعه هذا . قال : فبعث ، واللهِ ، عليه من لسان مسلم ما أسكتَه . هكذا جاء في الأخبار .

وقد حدَّثني بخبر مناقضتِه ابنَ قَنبر جماعة ذكروا قصائدَهما جميعاً ، فوجدت في الشعر الفضلَ لابنِ قَنبر عليه ، لأن له عدّةَ قصائد لا نقائضَ لها ، يذكر فيها تعريده[2] عن الجواب ،

1 أشلى لسانه : أطلقه .

2 تعريده : هربه .

وقصائدَ يذكر فيها أن مسلماً فَخَر على قريش وعلى النبيّ ﷺ ورماه بأشياء تُبيح دَمه ، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها ، وجَحَد أشياء كان قالها فيه .

[الطرماح يهجو بني تميم]

فمِمّن أخبرني بذلك هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار ، وكان عالِماً بشعر مسلم بن الوليد وأخباره ، قال : كان سببُ المهاجاة بين مسلم بنِ الوليد والحَكَم بنِ قَنبر أنّ الطِّرِمَّاح بنَ حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها[1] : [من البسيط]

لا عَزَّ نصرُ امرىءٍ أضحى له فرسٌ ... على تميم يريـد النصرَ مـن أحدِ
إذا دعـا بشعارِ الأزْدِ نفَّرهـم ... كما يُنفِّرُ صـوتُ الليـث بالنَّقَدِ
لو حانَ وِردُ تميم ثم قيل لهم : ... حَوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم تَرِدِ
أو أنـزلَ الله وحْيـاً أن يعذِّبَها ... إن لم تَعُد لقتال الأزد ، لم تَعُدِ

وهي قصيدة طويلة ، وكان الفرزدق أجاب الطِّرِمَّاح عنها ، ثم إنّ ابنَ قنبر المازِنيّ قال بعد خبر طويل يردّ على الطِّرِمَّاح : [من البسيط]

يـا عاوِيـاً هاج لَيْثاً بالعُواء له ... شَثْنَ البراثن وَرْدَ اللـون ذا لِبَدِ
أيّ المـوارد هابت جَـمَّ غَمْرتِه ... بنـو تميـم على حـال فلم تَرِدِ
ألم تَـرِدْ يـوم قَنْدابيل مُعلمَة ... بالخَيْل تَضْبِر نحو الأزْد كالأُسُدِ[2]
بفتيـةٍ لم تنازعْهـا فتطبعَهـا ... بلؤمهـا طيِّـىءٌ ثديـاً ولم تلدِ
خاضت إلى الأزد بحراً ذا غوارب من ... سُمْرٍ طوالٍ وبحـراً من قَناً قِصَدِ
فأوردَتْهـا مَنَاياهـا بِمُرْهَفَـةٍ ... مُلسِ المضارب لم تُفْلَلْ ولم تكَدِ

وهي قصيدة طويلة . وقد كان الطِّرِمَّاح قال أيضاً[3] : [من الطويل]

تميمٌ بطُرْقِ اللؤمِ أهدى منَ القَطا ... ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ
أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى ... عظامَ المخازي عن تميم تَجَلَّتِ

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها ، وردَّ ابن قَنبر ينقُضُها[4] : [من الطويل]

1 ديوان الطرماح : 160 .
2 قندابيل : مدينة بالهند .
3 ديوان الطرماح : 59–60 .
4 ديوان الفرزدق 1 : 115 .

لَعمرُك ما ضلَّتْ تَميمٌ ولا جرَتْ على إثر أَشْياخ عن المَجْد ضَلَّتِ
ولا جَبُنت بل أُقدِمت يوم كسَّرت لها الأزدُ أغمادَ السُّيوفِ وسَلَّتِ
بغائط قَنْدابِيلَ والمَوْتُ خائضٌ عليها بآجالٍ لها قد أظلَّتِ
فما بَرِحت تُسقى كُؤوسَ حِمامِها إذا نَهِلتْ كرُّوا عليها فعَلَّتِ
إلى أَن أُبادَتْهم تَميمٌ وأكذبت أمانيَّ للشَّيطان عنها اضمحلّتِ
وحانَ فِراقٌ منهمُ كُلَّ خَدْلَة مُفارِقةٍ بَعلاً به قد تَملَّتِ

وهي أيضاً طويلة قال : فبلَغَ مُسلِمَ بن الوليد هجاءُ ابن قَنْبر للأَزْد وطيِّىء وردُّه على الطِّرِمَّاح بعد موته ، فغضب من ذلك ، وقال : ما المعنى في مناقضة رجُل مَيّت وإثارة الشرّ بذِكر القبائل ، لا سيّما وقد أجابه الفرزدقُ عن قوله ؟ فأبى ابنُ قنبر إلاّ تمادياً في مُناقضته ، فقال مسلم قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الكامل]

آياتُ أَطلالٍ برامةَ دُرَّسِ هِجْن الصَّبابةَ إذ ذكرْتُ مُعرَّسي[2]
أُوحَتْ إلى دِرَرِ الدُّموع فأسْبَلت واستَفْهَمْتها غيرَ أَنْ لَمْ تَنبسِ

يقول فيها يصف الخمر : [من الكامل]

صفراءَ من حَلب الكروم كسوتُها بيضاء من حَلب الغُيُوم البُجَّسِ
طارت ولاوَذَها الحَبابُ فحاكَها فكأن حِلْيَتَها جَنِيُّ النَّرجِسِ[3]

ويقول فيها يَصِف السُّيوفَ : [من الكامل]

وتُفارِقُ الأغمادَ تبدُو تارةً حُمْراً وتَخفى تارة في الأَرؤُسِ[4]
حَربٌ يكون وَقودَها أبناؤها لَقِحَتْ على عُقْرٍ ولَمّا تنفَسِ
من هاربٍ رَكِبَ النَّجاء ومُقعَصٍ جَثَمت منيَّتُه على المُتنفِّسِ
غصَبَتْه أَطرافُ الأَسِنَّة نفسَه فثَوى فَريسةَ وُلَّغٍ أو نُهَّسِ
إن كنتِ نازلةَ اليفاع فَنكِّبي دار الرَّباب وخَزرَجي أو أَوْسي[5]

---

1 ديوان مسلم : 130–140 .

2 الديوان :

آيات أطلال برامة درس هجن الصبابة واستترن معرسي

3 الديوان : مزجت ولاوذها . . .

4 الديوان : وبوارق الأغماد .

5 الديوان : فجنبي .

وتجنّبي الجَعْــراءَ إنَّ سُيوفَهــم حُــدُثٌ وإن قناتَهــم لم تَضْرَسِ[1]
هــل طَيِّيءُ الأَجبال شاكرةُ امرىءٍ ذادَ القــوافيَ عن حِماهــا مِردسِ[2]
أُحمــي ، أَبــا نفــر ، عِظامَ حَفِيرة دَرَسَتْ وباقــي غَرْسِها لم يَدرُسِ[3]
كافــأَتْ نِعْمتهــا بضِعْفِ بلائِهــا ثــم انفــردْتُ بمنْصِب لم يَدْنَسِ[4]
وإذا افتخــرتُ عددْتُ سَعيَ مآثِـرٍ قَصَرت على الإغضاء طَرْف الأشْوسِ
رَفَعت بَنُــو النّجّــارِ حِلْفي فيهمُ ثم انفردتُ فأَفسَحُوا عن مَجلِسي[5]
فاعقِــلْ لسانَك عــن شتائِم قومِنا لا يعلقَنّــك خــادرٌ مــن مأنَسِ[6]
أخلفتْ فَخْـرَك مــن أَبيك وجِئتَني بــأبٍ جَديــدٍ بعــد طُولِ تَلمُّسِ[7]
أخــذَتْ عليــه المحكَماتُ طريقَها فَغَــدا يُهاجــي أعظُماً في مَرْمَسِ[8]

قال : فلم يُجبْه ابن قَنْبر عن هذه بشيء ، ثم التقيا فتعاتَبا ، واعتذر كلّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، فقال مُسلم يهجوه : [من الكامل]

حَلُمَ ابنُ قَنْبر حــين قصَّر شِعرُه هل كان يَحلُم شاعرٌ عــن شاعِرِ

[هجاء قريش والفخر بالأنصار]

وقد مَضت هذه الأبيات مُتقدّماً . قال : ومكث ابنُ قنْبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكَفافِ ، ثم هجا مُسلم قريشاً وفخر بالأنصار فقال[9] : [من الخفيف]

قل لِمَن تاه إذ بِنا عــزَّ جهْلاً ليس بالتِّيــه يفخَــر الأَحرارُ
فتناهَوْا وأَقصِروا فلقــد جــا رَتِ عن القَصْدِ فيكمُ الأنصارُ[10]

---

1 وتجنبي الجعراء في الديوان : وتجنبي الخفراء .
2 الديوان : حماها الأقعس . والمردس : آلة للتسوية والتكسير .
3 الديوان : أحمى . . . وباقي عزها .
4 الديوان : بفضل بلائها .
5 الديوان :

رفعت بنو النجار بيتي فيهم ثم انثنيت فأفسحوا في المجلس

6 قومِنا في الديوان : عرضنا .
7 وجئتني في الديوان : فجئتني .
8 الديوان : فغدا يناقض .
9 ديوانه : 315–316 .
10 الأنصار في الديوان : الأبصار .

أيُّكم حــاطَ ذا جِوارٍ بعزٍّ قبــل أنْ تَحتويــه مِنّا الدّارُ
أو رَجــا أن يفوتَ قوماً بوِتْرٍ لم تَــزَلْ تمتَطِيهــمُ الأوتارُ
لم يَكُن ذاك فيكمُ فدَعوا الفخْـ ـر بما لا يَسوغُ فيه افتِخارُ
ونِـــزاراً ففاخِرُوا تَفضلُوهم ودَعُوا مَــنْ لــه عبيداً نِزارُ
فَبِنا عَــزّ منكــمُ الذُّلُّ والدّهْـ ـرُ عليكــم بريبــةٍ كرَّارُ
حاذِرُوا دولــةَ الزّمان عليكمْ إنّــه بــين أهلــه أطْوارُ
فتُرَدُّوا ونحــنُ للحالــةِ الأو لى وللأوْحــد الأذلّ الصَّغارُ
فاخرَتْنا لمّــا بَسَطنــا الفخــ ـرَ قريشٌ وفخرُها مُستَعارُ
ذكرتْ عِزَّهــا وما كان فيها قَبْــل أن يَسْتَجيرَنا مُستَجارُ
إنَّما كان عِزُّهــا في جبــال تَرتَقيهــا كما تَرقَّــى الوِبارُ[1]
أيُّها الفاخِرُونَ بالعِــزّ ، والعِـ ـزُّ لقَــومٍ سِواهُمُ والفخارُ
أخبِرونــا مَــنِ الأعــزُّ ٱلْمَنْـ ـصورُ حتى اعتلى أم الأنصارُ ؟
فَلَنــا العِــزُّ قبل عِــزّ قُريشٍ وقُريشٌ تِلك الدُّهــور تِجارُ

[رد ابن قنبر]

قال : فانبْرى له ابن قنبر يُجيبه فقال : [من الطويل]

أَلا امثُــلْ أميرَ المُؤمنين بمُسلمٍ وأَفلِق به الأحشاءَ من كلّ مُجرمِ
ولا تَرجِعَــنْ عــن قَتْله باستِتابةٍ فمــا هــو عن شَتْم النَّبيّ بمُحرِمِ
ولا عــن مُساواةٍ لــه ولقوْمه قُريشٍ بأصداءٍ لِعــادٍ وجُرْهُمِ
ويفخَر بالأنصار جَهْلاً على الذي بنُصرته فــازوا بحــظٍّ ومَغْنمِ
وسُمُّوا به الأنصارَ لا عــزَّ قائلٌ أرادَ قُريشاً بالمَقــالِ المُــذمَّمِ
ومنهم رَسولُ الله أزكى مَنِ انتَمى إلى نَسب زاكٍ ومجْــدٍ مُقــدَّمِ
وما كانَت الأنصارُ قبل اعْتِصامِها بنَصْر قُريش في المحــلّ المُعَظَّمِ
ولا بالأُلى يعلــون أقدارَ قومِهم صُداءٍ وخَولانٍ ولَخــمٍ وسلْهَمِ
ولكنَّهم بالله عــاذُوا ونَصرِهــم قريشاً ومن يَسْتعصِمِ الله يُعصَمِ

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي دويبة كالسنور أصغر منه .

فعَزُّوا وقــد كانوا وفِطْيَونُ فيهم من الذلّ في بابٍ من العزّ مُبْهِمِ[1]
يسومهم الفِطْيَوْن مـا لا يُسامُه كريمٌ ومن لا يُنكر الظُّلم يُظلَمِ
وإنّ قُريشاً بالمآثــر فُضِّلَــتْ على الخلقِ طُرّاً من فَصيحٍ وأعْجَمِ
فما بالُ هــذا العِلْجِ ضلَّ ضلالُه يَمُدّ إليهم كــفَّ أجذَمَ أعْسَمِ[2]
يُسامي قُريشاً مُسلمٌ وهمُ همُ بِمولًــى يَمانِــيٍّ وبيتٍ مُهَدَّمِ
إذا قام فيــه غيرهم لم يكُن لــه مقامٌ به من لُــؤم مَبْنًى ومَدْعَمِ
جَعاسيسُ أشباهُ القُرود لــو انّهم يُباعون ما ابتِيعوا جميعاً بِدرْهمِ[3]
وما مُسلِمٌ مــن هؤلاء ولا أُلى ولكنَّــه مــن نسْل عِلْجٍ مُلَكَّمِ
تولَّى زماناً غيرهــم ثُمَّتَ ادَّعى إليهــم فلم يَكــرُم ولم يَتَكرَّمِ
فإن يَــكُ منهم فالنَّضير ولِفُّهُم مواليــه لا مَــنْ يدَّعي بالتَّزعُّمِ
وإن تدعُــه الأنصارُ مولًى أسِمْهُمُ بقافيةٍ تَسْتكــرِه الجِلْــدَ بالدَّمِ
عِقاباً لهــم في إفكهــم وادّعائهم لأقلــفَ منقوش الذراع مُوَشَّمِ
فلا تَدَّعوه وانتفوا منــه تسْلَموا بنَفْيِكُمُــوه مــن مَقــامٍ ومأثمِ
وإلاّ فغُضُّوا الطَّرْفَ وانتظروا الرَّدى إذا اختلفت فيكم صوارِدُ أسهُمِي
ولم تَجدوا منهــا مِجَنّاً يُجِنُّكم إذا طلعت مــن كُلّ فجٍّ ومَعْلَمِ
وأنتُم بنو أذنــاب مــن أنتُمُ له ولستم بأبنــاء السَّنام المقدَّمِ
ولا ببنــي الرأسِ الرفيــع مَحلُّــه فيسمو بكم مَولًى مُسامٍ ويَنْتمي
فكيفَ رضيتم أن يُسامى نبيّكم ببيتكــمُ الــرَّثّ القصيرِ المهدَّمِ
سأحطِم مــن سامى النبيَّ تطاوُلاً عليــه وأكــوي مُنتماه بميسَمِ
أيُعدلُ بيــتٌ يثربــيٌّ بكعبــةٍ ثوتهــا قُريشٌ في المكان المُحرَّمِ
قُريش خِيــارُ الله واللهُ خصَّهــم بذلك فاقْعَسْ أيُّها العِلْجُ وارْغَمِ
ومَنْ يَدّعي منــه الولاءَ مُؤخَّرٌ إذا قِيل للجاري إلى المجدِ أقدِمِ

---

1 فطيون : ملك بيثرب .

2 الأعسم : من يبس مفصل رسغه حتى اعوج .

3 جعاسيس : قصار ، جمع جعسوس .

[هجاء تميم]

قال : وكان مُسلِم قال هذه القصيدة في قريش وَكَتمها ، فوقَعت إلى ابن قَنْبر ، وأَجابه عنها ، واستَعلى عليه وهَتكه ، وأغْرى به السُّلطان ، فلم يكن عند مُسلم في هذا جواب أكثر من الانتِفاء منها ، ونسبتها إلى ابن قنْبر ، والادّعاء عليه أنَّه ألصقَها به ونسَبها إليه ، ليُعرِّضه للسُّلطان[1] ، وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة[2] ويهجو تميماً[3] : [من الطويل]

دعــوتَ أُميرَ المُؤمنــين ولم تَكُــن ... هُناك ، ولكن مَــنْ يَخَفْ يَتجشَّمِ
وإنَّكَ إذ تَدْعُــو الخليفــةَ ناصِراً ... لكالمُتَرَقِّــي في السمــاءِ بسُلَّــمِ
كذاكَ الصَّدى تَدْعوه من حيث لا تَرى ... وإن تَتوهَّمْــه تَمُــتْ في التَّــوهُّمِ
هجَــوتَ قُرَيْشاً عامــداً ونحلْتَنــي ... رُويــدَكَ يَظهــرْ مــا تَقــول فيُعْلَمِ
إذا كان مِثْــلي في قَبيلي فإنَّــه ... على ابنَيْ لُــؤيٍّ قُصْرَةً غير مُتْهِمِ
سيكْشِفُك التَّعدِيلُ عمّا قَرفْتني ... بِــه فتأخَّــرْ عارِفــاً أو تَقــدَّمِ
فــإنَّ قُرَيْشاً لا تُغَيِّر وُدَّهــا ... ولا يُسْتَمــالُ عهدُهــا بالتَّزعُّمِ[4]
مضى سَلفٌ منهــم وصلَّى بِعَقْبِهم ... لنــا سلــفٌ في الأوَّل المُتقدِّمِ
جَــرَوْا فَجريْنا سابِقــينَ بسَبْقهم ... كما اتَّبعَــتْ كــفٌّ نواشرَ مِعْصَمِ
وإنَّ الذي يَسْعــى ليقطَــع بيننا ... كمُلتمِس اليربُــوعِ في جُحرِ أرقَمِ
أَضلَّك قَــدْعُ الآبِــدات طرِيقَها ... فأصبحتَ مــن عَمايئِهــا في تَهَيُّمِ[5]
وخانَتك عنــد الجري ، لمّا اتَّبَعْتَها ، ... تميمٌ فحاولــتَ العُــلا بالتقَحُّمِ[6]
فأصبحتَ ترمينــي بسَهمــي وتتَّقي ... يَــدي بيدِي ، أُصليتَ نارَكَ فاضْرَمِ

[ابن قنبر يواصل هجاءه]

قال : ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوَّلُها : [من الخفيف]

1 ل : ليعرض به .
2 ل : فقال يهجو من .
3 ديوانه : 339 .
4 لا تغير ودّها في الديوان : لا يُغادَر ودُّها .
5 الديوان : أُضلك قرع الآبدات . والقدع : المجاوزة . والتهيم : الحمل على الهيام .
6 ل : لما ابتغيتها . . . فحاولت الغنى .

قُلْ لعبدِ النَّضير مُسلمٍ الوغْـ ـدِ الدّنيِّ اللئيم شيْخ النِّصاب[1]
اخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنّي لستُ مِمَّن يجيبُ نَبْحَ الكِلابِ
أفأرضى ومنْصِبي مَنْصبُ العِزّ وبيتـــي في ذِرْوة الأحسابِ
أن أحطَّ الرَّفيعَ من سَمْك بيْتي بمُهاجـــاة أوشَبِ الأوشابِ
مَنْ إذا سِيل : مَن أبُوه ؟ بَدا منـ ـــه حياءٌ يَحمِيه رجْع الجوابِ
وإذا قيل حين يُقبِلُ : من أنـ ـتَ ومَنْ تعتزيه في الأنْساب ؟
قلتَ : هاجي ابنِ قنبر ، فتسربلـ ـتَ بذكري فخراً لَدى النُّسَّابِ

وهي قصيدة طويلة ، فلم يُجِبه مُسلم عنها بشيء ، فقال فيه ابن قنْبر أيضاً : [من الخفيف]

لستُ أنفيك إنْ سِوايَ نَفاكا عن أبيك الذي لـه مُنتماكا
ولمــاذا أنفيك يـا ابنَ وليدٍ من أبٍ إن ذكرتَـه أخزاكا
ولـــو انّي طلبتُ ألأمَ منـه لم أجِده إن لم تكن أنتَ ذاكا
لو سِواه أبـاك كان جَعَلنا إنْ النـاسُ طاوعونـــا أباكا
حاك دهراً بغَيْر حِذقٍ لبُرْد وتحوكُ الأشعار أنتَ كذاكا[2]

وهي طويلة ، فلم يُجِبه مسلم عنها بشيء ، فقال ابن قَنْبر أيضاً يهجوه : [من الخفيف]

فَخـر العبدُ عبدُ قِـــنّ اليهودِ بضعيفٍ من فخـرِه مَرْدودِ[3]
فاخر الغُـرَّ مـــن قريش بإخْوا ن خنازيـــر يثـربٍ والقُرودِ
يتولَّـى بنـــي النَّضير ويدعُـو بهـمُ الفَخْرَ مـــن مكان بَعيدِ
وبَني الأوسِ والخزارج أهْل الذُّ لّ في سالـف الزّمـــان التَّليدِ
إذ رَضُوا بافتضاض فِطْيَوْن منهم كلَّ بِكْــرٍ ريَّـا الرَّوادفِ رُودِ
وبنـــو عمِّهـــا شُهود لَما يَفْـ ـعل فِطْيَوْنُ قُبِّحوا من شُهودِ
خَلْفَ باب الفِطْيَون والبَعْل منهم لا بـــذي غَيرةٍ ولا بنجيـــدِ
فإذا مـــا قَضى اليهُوديّ منها نَحْبَـه قُنِّعُوا بخِـزْيٍ جديدِ[4]

1 شيخ في ل : سنخ .
2 لبرد في ل : بحوك .
3 ل : علج اليهود .
4 نحبه في ل : وطراً .

قال : فلمّا أفحش في هذه القصيدة وفي عدَّة قصائد قالها ، ومُسلم ممسك عنه لا يُجيبه ، مشى إليه قوم من مَشْيخة الأنصار ، واستعانوا بمشيخة من قُرَّاء تميم وذوي العِلم والفَضْل منهم ، فمشوا معهم إليه فقالُوا له : ألا تستحي من أن تَهجو من لا يُجيبك ؟ أنتَ بدأتَ الرَّجلِ فأجابك ، ثم عُدت فكفَّ ، وتجاوزْت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسولُ الله ﷺ يحميها ويذُبّ عنها ويصونها ، لغير حال أحلَّت لك ذلك منهم ، فما زالوا يَعظونه ويقُولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لُمسلمٍ ، فانقطعت .

صوت

[من البسيط]

ثلاثــةٌ تُشرق الدُّنيــا ببَهْجتهم شمسُ الضحى وأَبُو إسحاق والقمرُ
يحكــي أفاعيلَــه في كلّ نائبــةٍ الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

الشعر لمحمد بن وُهَيب ، والغناء لعلّوَيه ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم بن المَهديّ ثقيل أوّل آخر عن الهشاميّ .

[399] ـ أخبار محمد بن وهيب[1]

محمد بنُ وُهَيْب الحِمْيَرِيّ صَلِيبَة شاعر من أهلِ بغداد من شُعراء الدولة العبّاسيّة ، وأصلُه من البصرة ، وله أشعار كثيرة يذكُرها فيها ويتشوَّقُها ، ويصف إيطانَه إيّاها ومنشأه بها .

[يتكسّب بالمديح]

وكان يَستَمْنِحُ الناسَ بشعره ، ويتكسَّب بالمديح ، ثم توسَّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضَّحاك ومدَحه ، فأوصلَه إليه وسَمِع شعره فأُعجِب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسْنَى جائزَته ، ثم لم يزل مُنْقَطِعاً إليه حتى مات . وكان يتشيَّع ، وله مَراثٍ في أهل البيت .

وهو متوسّط من شعراء طبقته ، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة ، وأشياء متكلفة .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال : زعم أبو مُحلِّم ، وأخبرني عمِّي ، عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى ، عن أبي مُحلِّم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصِم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيّات أنّ أمير المؤمنين يقول لكم : مَن كان منكم يُحسِن أن يقول مثلَ قول النمريّ في الرشيد[2] : [من البسيط]

خَلِيفَـةَ اللهِ إنّ الجُـودَ أودِيَـةٌ ... أحلَّـك اللهُ منهـا حيـث تجتمعُ
مَـنْ لم يكـن بأمين الله مُعتصماً ... فليس بالصلوات الخمس ينتفـعُ
إنْ أخلف القطرُ لم تُخلِفُ مخايلُه ... أو ضـاق أمـرٌ ذكرنـاه فيتَّسِعُ

فليدخل وإلاّ فلْينصرف ، فقام محمدُ بن وُهَيب فقال : فينا مَن يقول مثله ، قال : وأيّ شيء قُلت ؟ فقال : [من البسيط]

ثلاثـةٌ تُشرِق الدُّنيـا ببهجتهم ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ
تحكـي أفاعيلَـه في كلِّ نائبـةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

فأمر بإدْخاله وأحسن جائزَته .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سَعْد قـال : حدَّثني محمد بن محمد بن

1 ترجمة محمد بن وهيب في معجم المرزبانيّ : 357–358 وطبقات ابن المعتزّ : 310–313 ومعاهد التنصيص 1 : 220–230 والوافي 5 : 175 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان منصور النمري : 95 .

مروان بن موسى قال : حدَّثني محمد بن وُهَيْب الشاعر قال[1] : لمّا تولّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحاك الجبلَ قلتُ فيه شِعراً وأنشدتُه أصحابنا دِعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمّام الطائيّ ، فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمري من الأشعار التي تُلقى بها الملوكُ ، فخرجتُ إلى الجبل فلمّا صِرْتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكاني فأذِن لي فأنشدته الشعرَ فاستحسن منه قولي : [من الطويل]

أجارَتنــا إنّ التّعفّــفَ بــالياسِ وصَبْراً على استِدْرار دُنيا بإبْساسِ
حَرِيَّــان ألاّ يقذِفــا بمذلّــةٍ كريماً وألاّ يُحوِجاه إلى الناسِ
أجارتنــا إنّ القِــداحَ كــواذِبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مـع الياسِ

فأمر حاجبَه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلّما دخلت إليه لم أنصرف إلاّ بحُمْلان أو خِلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ . فقال لي : يا محمد إنّ الشتاء عندنا عِلْج[2] فأعدَّ يوماً للوداع . فقلت : خدمة الأمير أحبُّ إليّ ، فلمّا كاد الشتاء أن يشتَدّ قال لي : هذا أوانُ[3] الوداع ، فأنشدني الثلاثةَ الأبيات فقد فهمت الشعر كلّه ، فلمّا أنشدته : [من الطويل]

أجارَتَنـا إنّ القِـداحَ كــواذِبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

قال : صدقت ، ثم قال : عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكلّ بيت ألفَ درهم ، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً ، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي : [من المتقارب]

صوت

دِمــاءُ المُحبِّـين لا تُعقَــلُ أما في الهـوى حَكَمٌ يعدِلُ !
تعبَّــدني حَــوَرُ الغانيــاتِ ودانَ الشبابُ لــه الأخطـلُ[4]
ونظــرةِ عــينٍ تعلَّلتُهــا غِـراراً كما ينظــر الأحـولُ
مُقَسَّمةٍ بـين وجــه الحبيبِ وطرف الرقيبِ متــى يغفَـلُ

في هذه الأبيات هَزَج طنبوريّ سمعته من جحظة ، فذكر أنّه يُراه للمسدودِ ولم يُحقّق صانعه .

قال الأصفهانيّ : هذه الأبيات من قصيدة له في المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ . قال

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 220–221 .
2 علج : شديد .
3 ل : يوم .
4 معاهد : الأخضل .

محمد بنُ وُهيب : وأُهدِي إلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجِب به فكتبتُ إليه : [من مخلع البسيط]

ليهنكَ الزائـرُ الجديـدُ ... جرى به الطائرُ السعيدُ
جاء مشوقٌ إلى مشوقٍ ... فـذا وَدُودٌ وذا وَدودُ
يَـومُ نَعيـمٍ ويومُ لهوٍ ... خُصِصْتَ فيـه بما تريدُ
إلـفٌ مشوقٌ أتاه إلفٌ ... فمستفـادٌ ومُستفيـدُ

حدَّثني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث ، عن يعقوبَ بن إسرائيل قَرْقارة ، عن محمد بن محمد بن مروان بن موسى ، عن محمد بن وُهَيب ، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه ، فلم يزل يستعيدُني : [من الطويل]

أجارتنـا إنّ القِـداح كواذِبٌ ... وأكثر أسباب النّجاح مع الياسِ

وأنا أعيده عليه ، فانصرفت من عنده بأكثر ممّا كنت أؤمل .

[أبو دلف يعجب بشعره]

حدَّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال : حدَّثني أبو هِفّان قال : حدَّثني خالي قال : كنت عند أبي دُلَف القاسم بن عيسى ، فدخل عليه محمد بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جدّاً ، فلمّا انصرف قال له أخوه مَعْقِل : يا أخي ، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه ، ما هو في بيت من الشَّرف ، ولا في كمال من الأدب ، ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخي ، إنّه لحقيق بذلك . أو لا يستحقّه وهو القائل[1] : [من المتقارب]

صوت

يَـدُلّ على أنَّني عاشقٌ ... من الدمعِ مُسْتَشْهَدٌ ناطِقُ
ولي مالكٌ أنـا عبدٌ له ... مُقِـرٌّ بأنّي لـه وامِقُ
إذا مـا سموتُ إلى وَصلِه ... تعرّض لي دونـه عائقُ
وحاربني فيه ريبُ الزّمان ... كأنَّ الزّمان لـه عاشِقُ

في هذه الأبيات رمل طُنبُوريّ أظنّه لجحظة .

[تهنئة المطلب الخزاعي بالحجّ]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : لمّا قَدِمَ المُطَّلِب بنُ عبد الله بن مالك من الحجّ لَقِيه محمد بنُ وُهيب مستقبِلاً مع مَن تلقّاه ، ودخل إليه مهنّئاً بالسّلامة بعد استقراره ، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة

1 الأبيات في معاهد التنصيص 1 : 222 .

طويلة مدحه بها ، يقول فيها[1] : [من الطويل]

وما زلتُ أسترعي لك الله غائباً ... وأُظْهِرُ إشفاقــاً عليـك وأكتمُ[2]

وأعلم أنَّ الجودَ ما غِبتَ غائبٌ ... وأنَّ النَّدى في حيث أنتَ مُخيِّمُ[3]

إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً ... وحُــمَّ لقــاءٌ بــالسُّعود ومَقْدَمُ

وظَلَّ يُناجيني بمدْحِـك خاطري ... وليـلِيَ ممـدودُ الرّواقــين أدهمُ[4]

وقالوا : طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ... ولا عيشَ حتـى يستهِـلَّ المحرَّمُ

سيفخَر مـا ضمَّ الحطيمُ وزمزمٌ ... بمُطَّلــبٍ لــو أنّــه يتكلّـمُ

ومـا خُلِقَتْ إلاّ مـن الجودِ كَفُّه ... على أنّهــا والبأس خِدْنـانِ توأمُ

أعـدْتَ إلى أكنافِ مكّـة بَهْجَةً ... خُزاعِيَّـةً كانــت تُجَلُّ وتُعظَمُ[5]

ليـالي سُمَّارُ الحَجون إلى الصَّفـا ... خُزاعة إذ خلَّت لها البيتَ جُرهُمُ

ولو نطقت بَطحاؤها وحَجُونها ... وخيفُ مِنًـى والمأزِمانِ وزمزمُ[6]

إذاً لدعَتْ أجزاءُ جسمك كلها ... تَنافسُ في أقسامــه لــو تُحَكَّمُ[7]

ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بــدءِ خلقه ... إذاً كنــت جسماً بينهن تُقَسَّمُ

سَما بك منهــا كلّ خَيْفٍ فأبطحٍ ... نَما بك منــه الجوهـرُ المتقدِّمُ[8]

وحنَّ إليك الركــنُ حتى كأنَّه ... وقــد جئتَه خِــلٌّ عليك مُسَلِّمُ

قال : فوصله صلة سنيّة وأهدى له هديّة حسنة من طُرَف ما قدم به وحمله ، والله أعلم .

[انقطاعه إلى الحسن بن سهل]

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني الحسنُ بن الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا : كان محمدُ بن وُهَيب الحميريّ لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان مُضاعاً مُطَّرَحاً ، إنّما يتصدَّى للعامّة وأوساط الكتّابِ والقوّادِ بالمديح ويسترفِدُهم فيحظى باليسير . فلمّا هدأت الأمور واستقرَّت

1 الشعر في التذكرة الحمدونية 4 : 181 .
2 أسترعي في ل : استدعي .
3 التذكرة : في حيث كنت .
4 التذكرة : وظل . . . خاطر .
5 تُعظمُ في التذكرة : وتكرم .
6 المأزمان : موضع بمكّة .
7 ل والتذكرة : إذاً لادعت .
8 التذكرة : خيف وأبطح . . . تصابك منه .

واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصَّته وذوي مودَّتِه ومَن يقرب من أُنسِه ، فتوسّل إليه محمد بن وُهَيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء ، فلمّا انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

ودائعُ أسرارٍ طَوَتْهـا السرائـرُ وباحـت بمكتوماتهـنّ النّواظرُ
مَلكْتُ بهـا طـيّ الضميرِ وتحته شَبا لوعـةٍ عضبُ الغِرارين باترُ
فأعجم عنها ناطِقٌ وهـو مُعرِبٌ وأعرَبت العُجمُ الجفونُ العواطِرُ
ألَم تغذُني السَّرّاءُ في رَيِّقِ الهوى غريـراً بمـا تَجْني عليّ الدَّوائِرُ
تُسالمني الأيّـامُ في عُنفوانِـه ويكلؤني طَرْفٌ مـن الدهرِ ناظِرُ

حتى انتهى إلى قوله :

إلى الحسَن الباني العُلا يَمَّمتْ بنا عَوالي المُنى حيثُ الحَيا المتظاهِرُ
إلى الأملِ المبسُوطِ والأجل الذي بأعدائِـه تكبُـو الجـدودُ العواثرُ
ومن أنبعت عـينَ المكارمِ كفُّه يقوم مقـامَ القَطْرِ والروضُ داثِرُ
تعصَّبَ تـاجَ الملكِ في عُنفوانِه وأطَّت بـه عصرَ الشَّبابِ المنابِرُ[1]
تُعَظِّمُه الأوهـامُ قبـل عِيانه ويصدُر عنه الطَّرف والطَّرف حاسِرُ
به تُجتدى النُّعمَى وتُستَدرَك المُنى وتُستكمل الحُسنى وتُرعى الأواصِرُ
أصات بنـا داعـي نوالِك مؤذِناً بجـودك إلاّ أنّـه لا يُحاوِرُ[2]
قسمْتَ صُروف الدّهر بأساً ونائلاً فمالُـك موتـورٌ وسيفُـك واترُ
ولّمـا رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ دعائمُهـا واللهُ بالأمـر خـابِرُ
بَنى بـك أركانـاً عليهـا مُحيطةً فأنـت لهـا دون الحوادثِ ساتِرُ
وأرعـنَ فيـه للسوابغ جُنَّـةٌ وسقفُ سمـاءٍ أنشأتْـه الحوافرُ[3]

يعني أنَّ على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنّة لها .

لهـا فَلَكٌ فيـه الأسنَّةُ أنجـمٌ ونقـعُ المنايـا مُستطِيرٌ وثائرُ

1 أطت : صوتت .
2 أصات بنا في ل : أهاب بنا . . .
3 أرعن : جيش مضطرب لكثرته .

أجزْتَ قضاءَ الموتِ في مُهَج العِدا ضُحًى فاستباحتْها المنايا الغوادِرُ[1]
لكَ اللَّحظاتُ الكالِئاتُ قواصداً بنُعمى وبالبأساء وَهْـي شَوازِرُ[2]
ولـو لَم تكُن إلاّ بنَفْسِك فاخراً لمـا انتسبتْ إلاّ إليـك المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال : أحسنتَ والله وأجملْت ، ولو لم تَقُل قط ولا تقولُ في باقي دَهْرِك غير هذا لَما احتجتَ إلى القول ؛ وأمر له بخمسة آلاف دينار فأُحضِرت واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل في جَنْبتِه أيّامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره .

[هجاء علي بن هشام]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : كان محمد بن وُهَيب الحِميريّ الشاعر قد مدح عليَّ بن هشام وتردّد إليه وإلى بابه دَفَعات ، فحجبه . ولقيه يوماً ، فعرض له في طريقه وسلّم عليه ، فلم يرفع إليه طرفه ، وكان فيه تِيهٌ شديد . فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها ، فلمّا وصلت إليه خرَّقها وقال : أيّ شيء يريد هذا الثقيل السيِّئ الأدب ؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضَباً ، وقال : والله ما أردت مالَه ، وإنّما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغني الله جلّ وعزّ عنه ، أما والله ليُذمَّنَّ مغبَّةَ فِعله . وقال يهجوه[3] : [من البسيط]

أزْرت بجُـودِ عَلَـيٍّ خيفـة العَدَم فصَدَّ مُنهزِمـاً عـن شأْوِ ذي الهِمَمِ[4]
لو كانَ مِنْ فارِسٍ في بَيْت مَكرُمةٍ أو كان من وَلَد الأَملاكِ في العَجَمِ[5]
أو كان أوّلَـه أهـلُ البِطاح أو الرَّ كـبُ المُلبُّـونَ إهـلالاً إلى الحَرَمِ
أيَّـامَ تتَّخــذُ الأَصنـامُ آلهــةً فـلا تَـرى عاكِفـاً إلاّ على صَنَمِ
لشجَّعَتْـه على فعــل المُلـوك لهـم طَبائِـعٌ لم تَرُعْهـا خِيفَـةُ العَدَمِ
لم تنــدَ كَفَّاك من بَـذْل النَّوال كما لم ينــدَ سَيفُـك مُــذْ قُلِّدتَـه بدَمِ
كُنْتَ امــرءاً رفعَتْــه فِتْنَــةٌ فَعلا أَيَّامَهـــا غــادِراً بالعَهْـــدِ والذّمَمِ
حتــى إذا انكشَفَت عَنَّا عِمايَتُها ورُتِّــبَ النّاسُ بالأحسابِ والقِدَمِ[6]

---

1 ضحى في ل : به .
2 شزره : نظر إليه بمؤخرة عينه (في حال الاعراض أو الغضب) .
3 الخبر والشعر في معاهد التنصيص .
4 معاهد : أزرَت عليه الجود .
5 معاهد : الأملاك والعجم .
6 عمايتها في ل : غيابتها .

مـــات التَّخلّقُ وارتدَّتـــك مُرتَجعاً طَبيعـةَ نَذْلَـةَ الأخـــلاقِ والشِّيَمِ
كَذاكَ مَـــنْ كان لا رأساً ولا ذَنباً كَزَّ اليَدَيْـنِ حَدِيـــثَ العَهْدِ بالنِّعمِ
هَيهاتَ ليس بحمّـالِ الدِّيات ولا مُعطِي الجَزِيلِ ولا المَرهُوبِ ذي النِّقَمِ

قال : فحدَّثني بعضُ بني هاشم أنَّ هذه الأبيات لمّا بلغت عليَّ بنَ هِشام ندم على ما كان منه ؛ وجَزِع لها وقال : لعن الله اللَّجاج فإنّه شرُّ خُلُقٍ تَخَلّقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال : الله يعلم أنّي لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلاّ وأنا مُسْتَحٍ منه ، أذكر قول ابنِ وُهَيب فيّ : [من البسيط]

لم تَندَ كَفّاك من بَذْلِ النَّوال كما لم يَنْدَ سَيفُك مـذ قُلِّدتَه بِدَمِ

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثني مَنْ سمع ابنَ الأعرابيّ يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بنِ وُهَيب : [من البسيط]

لم تَندَ كَفاكَ من بَذْلِ النّوال كما لم يندَ سيفُك مذ قُلّدتَه بِدَمِ

[أعرابيّة تسكته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني محمد بن مرزوق البصريّ قال : حدَّثني محمد بن وُهَيب قال[1] : جلستُ بالبصرة إلى عطّار فإذا أعرابيّة سوداء قد جاءت فاشترت من العطّار خَلُوقاً ، فقلت له : تجدُها اشترته لابنتها وما ابنتُها إلاّ خُنفُساءُ ، فالتفتت إليّ مُتَضاحكة ، ثم قالت : لا والله ، لكن مهاةٌ جيداء ، إن قامت فقَناةٌ ، وإن قعدت فحصاة ، وإن مشت فقطاةٌ ، أسفلُها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كَفَتياتِكم اللواتي تسمِّنونهنّ بالفَتُوت ، ثم انصرفت وهي تقول : [من الرجز]

إنّ الفَتُوتَ للفتـاةِ مَضْرطَـه يَكرُبها في البَطْنِ حتى تَثلِطَه[2]

فلا أعلمُني ذَكرتُها إلاّ أضحكني ذِكرُها .

[عند يزيد بن هارون]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا أبو هِفّان قال : كان محمد بنُ وُهَيب يتردّد إلى مجلس يزيد بن هارون ، فلزمه عدّة مجالس يُملي فيها كلّها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، لا يذكر شيئاً من فضائل عليّ عليه السلام ، فقال فيه ابنُ وُهَيب : [من البسيط]

آتـي يزيـدَ بنَ هـارونٍ أُدالِجُه في كلِّ يَوْمٍ وَمالي وابن هارونِ

1 الخبر في معاهد التنصيص 1 : 229 . وفيه : تسمنونهن بالقتوت : وهو الأفاويه .
2 تثلطه : تسلحه .

فلَيتَ لي بيَزيــدٍ حين أشهـدَهُ راحــاً وقَصْفاً ونَدْمانــاً يُسَلّيني
أغدُو إلى عُصْبَة صَمَّتْ مسامِعُهم عن الهُـدى بـين زِنْدِيق ومأفُونِ
لا يذكُرون عَلِيّاً في مَشاهِدِهم ولا بَنِيــه بَنــي البِيضِ المَيامِينِ
اللهُ يَعْلَــم أنّــي لا أُحِبُّهــمُ كما هــُمُ بيَقِــينٍ لا يُحِبُّــوني
ويَسْتَطِيعون عن ذكْرى أبا حَسَن وفَضْلــه قَطَّعُــوني بالسَّكاكينِ
ولستُ أترُك تَفْضِيلي لــه أبـداً حَتى المَماتِ عَلى رَغْمِ المَلاعينِ

[تشيعه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني إسحاق بن محمد الكوفيّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن يوسف . وأخبرني به الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم قال : حدَّثني إسحاق ، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال : كان محمد بن وُهَيب يأتي أبي فقال له يوماً : إنّك تأتينا وقد عرفتَ مذاهِبنا فنحبُّ أن تعرِّفنا مذهبَك فنوافقَك أو نخالفَك ، فقال لـه : في غد أُبيّن لك أمري ومذهبي . فلمّا كان من غدٍ كتب إليه : [من مجزوء الرمل]

أيُّها السَّائِلُ قد بيَّنـ ـتُ إن كنتَ ذَكِيّا
أحمــدُ اللهَ كَثِيــراً بأياديــــه عَلَيّــــا
شاهِــداً أن لا إلــه غيره مـا دمـتُ حَيّا
وَعلى أحمــدَ بِالصِّد قِ رَسولاً وَنَبِيّــــا
ومَنحْــتُ الوُدَّ قُرْبا هُ وواليــتُ الوَصِيّا
وأتــاني خَبرٌ مُطَّرحٌ لم يَــــكُ شَيّــــا
أنْ على غير اجْتِماعٍ عَقَــدُوا الأمرَ بَدِيّـا
فوقَفتُ القَــوْمَ تَيْماً وَعَدِيّــــاً وأُمَيّــــا
غَيْــر شَتّامٍ ولَكِنّــي تولَّيــــتُ عَلِيّــــا

[اعتزازه بشعره]

حدَّثني جَحظة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المُنَجِّم قال : بلغ محمدَ بنَ وُهَيب أنّ دِعْبل بنَ عليّ قال : أنا ابنُ قَولي[1] : [من الكامل]

لا تَعْجَبي يــا سَلْمُ مــن رَجُــلٍ ضَحِــك المَشِيبُ برأسِه فبَكى

1 الخبر والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 229 .

وأَنّ أبا تمّام قال : أَنا ابن قولي : [من الكامل]

نَقِّل فؤادَك حَيْثُ شِئْتَ من الهَوى ... مــا الحُــبُّ إلاّ للحَبيبِ الأَوَّلِ[1]

فقال محمد بن وُهَيب : وأَنا ابنُ قولي : [من المديد]

مــا لِمَــن تَمَّت محاسِنُه ... أَن يُعادي طَرْفَ مَنْ رَمَقا

لَـك أَن تُبدي لنا حَسَناً ... ولنــا أَن نُعمِــل الحَـدَقا

قال أَبو الفرج الأصفهانيّ : وهذا من جيّد شعره ونادِره ، وأَوّل هذه الأبيات قولُه : [من المديد]

نَم فقد وَكَّلتَ بي الأَرَقا ... لاهياً تُغري بمَـنْ عَشِقا

إنّما أَبقيتَ مـن جَسَدي ... شَبَحـاً غَيرَ الذي خُلِقا

كنتُ كالنُّقصانِ في قَمَر ... ماحِقـاً منـه الذي اتّسقا

وَفَتًى نـاداكَ من كَثَبٍ ... أُسْعِرَت أَحشاؤُهُ حُـرَقا

غَرِقَت في الدَّمــعِ مُقلتُه ... فدَعـا إنسانُهـا الغَـرَقا

إنّمــا عاقَبــتَ ناظِـرَه ... أَن أَعـاد اللَّحظَ مُسْتَرِقا[2]

مــا لِمَــن تَمَّت محاسِنُه ... أَن يُعادي طَرْفَ من رَمَقا

لَـكَ أَن تُبدِي لنا حُسناً ... ولنـا أَن نُعمِــل الحَدَقا

قدَحَت كَفّاكَ زَنْدَ هَوى ... في سَوادِ القَلْبِ فاحْتَرَقا

[يستوهب غلاماً]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَبو عبد الله الهِشاميّ عن أَبيه قال[3] : دخل محمد بن وُهَيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلماناً رُوقةً مُرداً وخدَماً بيضاً فُرَّهاً في نهاية الحسن والكمال والنظافة . فدهش لما رأى وبقي مُتبلِّداً لا ينطق حَرفاً ، فضحِك أحمد منه وقال له : ما لكَ ؟ ويحك ! تكلَّم بما تريد ، فقال : [من الكامل]

قد كانت الأَصنامُ وَهْي قَديمَةٌ ... كُسِرَت وجَدَّعَهُــنَّ إبراهيمُ

ولَدَيْكَ أَصنامٌ سَلِمْنَ من الأَذى ... وصَفَت لَهُــنَّ غَضارَةٌ ونَعيمُ

وبِنــا إلى صَنَمٍ نَلُوذ بِرُكْنِـه ... فَقْرٌ وأَنت إذا هُــزِزتَ كَرِيمُ

---

1 نقل في ل : قلّب .

2 اللحظ في ل : الطرف .

3 الخبر والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 228 .

فقال له : اخترْ مَن شئت ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إيّاه ، فقال يمدحه : [من الكامل]

فَضَلَتْ مَكارِمُـه على الأَقوامِ ... وعَـلا فَحـازَ مكارِمَ الأَيَّامِ
وعلَتْـه أُبَّهَةُ الجَـلالِ كأَنَّه ... قَمَرٌ بدا لـك من خِلالِ غَمامِ
إنَّ الأَميرَ على البَرِيَّـــة كُلِّها ... بعـد الخَليفة أَحمدُ بنُ هشامِ

[اتّصاله بالمأمون]

وأَخبرني جعفرُ بنُ قُدامة في خبره الذي ذكرتُه آنِفاً عنه ، عن الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال[1] : لمّا قدِم المأمونُ ، لقِيَه أبو محمد الحسن بنُ سَهل ، فدَخَلا جميعاً ، فعارضَهُما ابن وُهَيب وقال : [من البسيط]

اليومَ جُدِّدَت النَّعماءُ والمِنَنُ ... فالحمدُ للهِ حَـلَّ العُقدَةَ الزَّمَنُ
اليومَ أظهَرتِ الدُّنيا محاسِنَها ... للنّاسِ لما الْتقى المأمونُ والحَسَنُ

قال : فلمّا جلسا سأله المأمون عنه فقال : هذا رجل من حِمْيَر ، شاعر مطبوع ، اتَّصل بي متوسِّلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نُظَرائه . فأمر المأمونُ بإيصالِه مع الشعراء ، فلمّا وقف بين يديه ، وأُذِن له في الإنشاد ، أنشده قولَه : [من الكامل]

طَلَـلانِ طـال عليهما الأَمَدُ ... دَثَـراً فـلا عَـلَمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسا البِـلى فكأَنَّما وَجَـدا ... بعـد الأَحِبَّة مثـلَ مـا أَجِدُ
حُيِّيتُمـا طَلَلَـين حالُهمـا ... بعـد الأَحِبَّـة غَيرُ مـا عَهِدُوا
إمَّـا طَـوَاك سُلُـوٌّ غانِيَةٍ ... فهَـواك لا مَلَـلٌ ولا فَنَدُ
إن كنتِ صادِقَة الهَوى فرِدِي ... في الحُـبٌ مَنْهَلِيَ الذي أَرِدُ
أَدَمي هَرَقْـتِ وأَنـتِ آمِنةٌ ... أَم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ ؟
إن كنتِ فُتٌ وخانني سَبَبٌ ... فلربَّمـا لم يحـظَ مُجتهِدُ

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون :

يـا خَيْرَ مُنتَسِبٍ لَمكْرُمَـةٍ ... في المجدِ حيث تَبحْبَح العَدَدُ[2]
في كلٍّ أُنمُلَـةٍ لراحَتِـه ... نَـوءٌ يَسُحُّ وعارِضٌ حَشِدُ

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 224–225 .
2 تبحبح في معاهد التنصيص : تبجح .

وإذا القَنا رَعَفَت أسِنّته عَلَقاً وصُمٌّ كُعوبِها قِصَدُ[1]
فكأنَّ ضوءَ جَبينه قَمَرٌ وكأنّه في صَولةٍ أَسَدُ
وكأنّه رُوحٌ تُدَبِّرنا حَرَكاتُه وكأنّنا جَسَدُ

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبي محمد : احتكم له . فقال : أميرُ المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذِن لي في المسألة سألتُ له ، فأمّا الحُكم فلا . فقال : سَلْ ، فقال : يُلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة . فقال : ذلك والله أردتُ . وأمَر بأن تُعدَّ أبياتُ قصيدتِه ويُعطى لكلّ بيت ألف درهم ، فعُدَّت فكانت خمسين ، فأُعطِي خمسين ألف درهم .

قال الأصفهانيّ : وله في المأمون والحسن بنِ سهل خاصّة مدائحُ شريفة نادرة ، من عيونها قَولُه في المأمون في قصيدة أوّلُها : [من الكامل]

العُذرُ إن أنصفتَ مُتَّضِحُ وشهودُ حُبِّك أدمعٌ سُفُحُ
فضَحَت ضَميرَك عن وَدائِعِهِ إنَّ الجُفونَ نَواطِقٌ فُضُحُ
وإذا تكلّمت العُيونُ على إعجامِها فالسِّرّ مُفتَضَحُ
رُبّما أبيتُ مُعانقي قَمَرٌ للحُسْنِ فيه مخايلٌ تَضِحُ
نَشَر الجمالُ على مَحاسِنِه بِدَعاً وأَذهَبَ هَمَّه الفَرَحُ
يَخْتال في حُلَلِ الشَّبابِ به مَرَحٌ وداؤُك أنّه مَرِحُ
ما زال يُلثِمُني مراشِفَه ويَعُلُّني الإبريقُ والقَدَحُ
حتى استرَدَّ اللَّيلُ خِلْعَتَه ونَشا خِلالَ سَوادِه وَضَحُ
وبَدا الصَّباحُ كأن غُرَّته وَجهُ الخَليفةِ حين يُمتَدَحُ

يقول فيها :

نَشَرت بك الدُّنيا محاسِنَها وتَزَيَّنت بصِفاتِك المِدَحُ
وكأنَّ ما قد غابَ عنك له بإزاء طرفك عارِضاً شبحُ
وإذا سَلِمتَ فكلُّ حادِثةٍ جَلَلٌ فلا بُؤْسٌ ولا تَرَحُ[2]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثني بعض أهلنا : أنّ محمد بنَ وُهَيْب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ ، عمّ أبي ، وقد وَلِيَ الموصِل وكان له صديقاً حفيّاً ، وكان كثيرَ الرِّفد له والثّواب على مدائِحِه ، فأنشدَه قولَه فيه : [من المتقارب]

1 معاهد : أسنتها . وصم الكعوب : صلبة متينة . وقصد : قطع مما يكسر .

2 جلل : هينة محتقرة .

صوت

دِمـــاءُ المُحبِّـــين لا تُعقَـــل أمـــا في الهَـوى حَكَمٌ يَعدِلُ
تَعَبَّـــدني حَـــوَرُ الغانيـــات ودانَ الشَّبابُ لـــه الأَخطَلُ
ونَظـــرةِ عــــين تَلافَيْتُها غِـــراراً كما يَنظُـــر الأَحولُ
مُقسَّمةٍ بـــين وَجْـــه الحَبِيـــــــب وطَرْفِ الرَّقيبِ متى يَغفُلُ
أَذمُّ عـلى غَربـــاتِ النَّوى إليـك السُّلُـوَّ ولا أذهَلُ[1]
وقالـــوا عَزاؤُك بعد الفِراقِ إذا حُـــمَّ مكروهُـه أجمَلُ
أَقِيدي دَمـــاً سَفَكَتْه العُيونُ بإيماضِ كَحــلاء لا تُكحَلُ
فكُــلُّ سِهامِـك لي مُقصِدٌ وكُـلُّ مواقِعِهـــا مَقْتَـــلُ[2]
سلامٌ على المنزِلِ المُسْتَحِيـــلِ وإن ضَـــنَّ بالمَنْطِـقِ المنزِلُ
وعَضْب الضَّريبة يَلْقى الخُطوبِ بجِـــدٍّ عن الدَّهـر لا يَنْكِلُ
تَغَلْغَلَ شَرْقـــاً إلى مَغرِبٍ فلمّـــا تبـدّت لـــه الموصِلُ
ثَوى حيث لا يُستمال الأَريب ولا يُؤْلَـف اللَّقِـن الحُوَّلُ
لَـــدى مَلِكٍ قابلتْه السُّعودُ وجانَبَــــه الأَنجُـــم الأُفَّلُ
لأَيَّامـــه سَطَـــواتُ الزَّمـــانِ وإنعامُـــه حـــينَ لا مَـــوْئِلُ
سمـــا مالِكٌ بِـــكَ للباهِراتِ وأَوْحَـــدَكَ المَرْبَـــأُ الأَطوَلُ
وليس بَعِيـــداً بـــأَن تَحْتَذي مذاهِـــبَ آسادِهـــا الأَشبُلُ

قال : فوصله وأحسن جائزَته وأقام عنده مدّة ، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له ، وزاد في ضيافته وجِراياته وجدَّد له صلة . فأقام عنده بُرهة أُخرى ، ثم دخل عليه فأنشده : [من الطويل]

أَلا هَـلْ إلى فِيْء العقيـق وظلّــــه إلى قَصْر أَوْس فالجَزِيـــر مَعادُ ؟
وهل لي بأكنافِ المُصَلّى فسفْحِه إلى السُّورِ مَغْدًى ناعِمٌ ومُرادُ ؟
فلم تُنسِني نهرَ الأُبُلَّـــةِ نِيَّـــةٌ ولا عَرَصـــاتِ المَرْبَدَيْـــنِ بِعادُ
هنالك لا تَبْني الكواعِبُ خيمةً ولا تَتَهـــادى كَلْثَـــمٌ وسُعادُ

1 غربات : جمع غربة .
2 مقصد : مصيب قاتل .

أجِـدِّيَ لا أَلقى النَّوى مُطْمَئِنَّةً ... ولا يَزْدَهِينـي مَضْجـعٌ ومِهادُ

فقال له : أبيتَ إلاّ الوطنَ والنِّزاعَ إليه ! ثم أمر له بعشرة آلاف دِرهم ، وأوقرَ له زَوْرَقاً من طُرَف المَوْصِل وأَذِن له .

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو عبد الله الماقُطانيّ عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن وهيب قال : كان المأمون كثيراً ما يتمثَّل إذا كربَهُ الأمرُ : [من الطويل]

أَلا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بأهلِهِ ... وأُمكِنَ من بَيْن الأَسِنَّة مَخرَجُ

[تغيّر ابن عبّاد عليه]

قال الأصفهانيّ : وهذا الشعر لمحمد بن وُهَيب يقوله في ابن عَبّاد وزيرِ المأمون ، وكان له صديقاً ، فلمّا وَلِيَ الوزارَةَ اطَّرحَه لانقطاعه إلى الحسنِ بن سهل فقال فيه قصيدة أوّلُها : [من الطويل]

تَكَلَّمَ بالوحـي البَنانُ المُخَضَّبُ ... ولله شكوى مُعجِمٍ كيف يُعرِبُ ؟
أَإيماءُ أطـراف البنانِ وَوَجهُها ... أبانـا له كيف الضَّميرُ المُغَيَّبُ ؟
وقـد كان حُسنُ الظَّنِّ أنجبَ مَرَّةً ... فأَحْمَـد عُقْبـى أمـرِهِ المُتعقِّبُ
فلمّـا تَدبَّـرت الظُّنـون مُراقِباً ... تَقَلُّـبَ حالَيْهـا إذا هـي تكذِبُ
بـدأتَ بإحسانٍ فلمّـا شكرتُه ... تنكَّـرتَ لي حتى كأنِّيَ مُذنِبُ
وَكلُّ فَتًى يلقى الخطوبَ بعزمه ... له مذهبٌ عَمَّن لـه عنـه مذهبُ
وهل يصرعُ الحُبُّ الكريمَ وقلبُه ... عَليـمٌ بما يأْتـي وَمـا يتجَنَّبُ
تأَنَّيْتُ حتى أَوضَحَ العِلْمُ أنَّني ... مع الدَّهْرِ يوماً مُصعِدٌ وَمُصَوِّبُ
وأَلحقتُ أَعجازَ الأُمورِ صُدورَها ... وَقَوَّمها غَمـزُ القِـداحِ المُقَلِّبُ
وأَيقنتُ أَنّ اليأْسَ للعِرضِ صائِنٌ ... وأَن سوف أغضي للقذى حين أَرغبُ
أغادرتَني بـين الظُّنـون مُمَيِّزاً ... شواكِـلَ أمـرٍ بينهنّ مجرِّبُ
يُقرِّبني مَـنْ كُنت أُصفيك دونه ... بـوُدِّي وتنأَى بي فَـلا أَتَقَرَّبُ
فللّه حظِّي منـك كيف أَضاعَه ... سُلوُّك عنِّـي والأُمـورُ تَقَلَّبُ
أَبعدَكَ أَستَسْقي بوارِقَ مُزنَـةٍ ... وَإن جادَ هَطَّالٌ من المزْنِ هَيْدَبُ
إذا ما رأَيْتُ البرقَ أَغضَيْت دونَه ... وَقُلت إذا ما لاح : ذا البَرْقُ خُلَّبُ
وإن سَنَحت لي فُرصَةٌ لم أُسامِها ... وَأَعرضتُ عنها خوف ما أَترقَّبُ

تأدّبتُ عن حُسْن الرَّجاء فلَنْ أُرى أُعودُ له إن الزّمان مؤدِّبُ

وقال له أيضاً : [من الطويل]

هل الهَمُّ إلاّ كُربةٌ تتفرَّج لها مُعْقِبٌ تُحدى إليه وَتُزْعَجُ
وَما الدَّهر إلاّ عائدٌ مِثْلُ سالِفٍ وما العَيْش إلاّ جُدّةٌ ثم تُنْهَجُ[1]
وكيف أشِيمُ البَرْقَ والبَرْقُ خُلَّبٌ وَيُطْمِعُني رَيْعانُه المُتَبَلِّجُ
وَكيف أُدِيم الصبرَ لا بي ضَراعَةٌ ولا الرِّزقُ مَحْظورٌ ولا أنا مُحرَجُ ؟
ألا رُبَّما كان التَّصَبُّرُ ذِلَّةً وَأَدْنى إلى الحالِ التي هي أسْمَجُ
وَهَلْ يَحْمِلِ الهَمَّ الفَتى وَهْو ضامِنٌ سُرى الليل رَحّالُ العَشِيّاتِ مُدلِجُ
وَلا صبرَ ما أعدى على الدَّهْرِ مطلبٌ وأمْكَنَ إدلاجٌ وَأصحر منهجُ[2]
ألا رُبّما ضاق الفضاءُ بأهلِهِ وَأمكَنَ من بَيْنِ الأسِنَّة مَخْرَجُ
وَقَد يُركَبُ الخَطبُ الذي هو قاتِلٌ إذا لم يَكُن إلاّ عليْه مُعرَّجُ

[المعتصم يجيزه على مدح الأفشين]

حدَّثني بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال[3] : كان محمدُ بنُ وُهَيب تيّاهاً شديد الذّهاب بنفسه ، فلمّا قدم الأفشين ، وقد قَتَل بابك ، مدحَه بقصيدته التي أوَّلها : [من الهزج]

طُلولٌ ومَغانِيها تُناجِيها وَتَبْكِيها

يقول فيها :

بَعثْتَ الخيلَ ، والخَيرُ عَقِيدٌ في نَواصِيها

وهي من جَيِّد شعره ، فأنشدَناها ثم قال : ما لها عيبٌ سوى أنّها لا أُختَ لها .

قال : وأمَرَ المعتصم للشعراء الذين مَدَحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرِقَتُها على يد ابن أبي دُواد ، فأعطى منها محمد بنَ وُهَيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمّام عشرة آلاف درهم . قال ابنُ أبي كامل : فقلتُ لعليّ بن يحيى المُنجِّم : ألا تعجب من هذا الحظّ ؟ يُعطى أبو تمّام عشرة آلاف وابنُ وُهَيْب ثلاثين ألفاً ، وبينهما كما بين السماء والأرض . فقال : لذلِك عِلّة لا تعرفها ؛ كان ابنُ وُهَيْب مُؤدّبَ الفتْحِ بنِ خاقان ، فلذلك وَصَل إلى هذه الحال .

1 الجدّة : الطريق . تنهج : تبلى .
2 أصحر : اتسع .
3 انظر معاهد التنصيص 1 : 226 .

[شعره في مرضه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو زَكْوان قال[1] : حدَّثني مَنْ دخلَ إلى محمد بن وُهَيب يعودُه وهو عليل قال : فسألتُه عن خبره فتشكَّى ما به ثم قال : [من الطويل]

نُفوسُ المَنايـا بـالنُّفوسِ تَشعَّبُ ... وكُلٌّ له من مَذْهَب المَوت مَذْهَبُ[2]

نُراعُ لذِكرِ الموت ساعةَ ذِكْرِهِ ... وتَعتَرِض الدُّنيا فنَلْهو ونلعَبُ

وآجالُنا في كلِّ يَوْم وليلةٍ ... إلينا على غِرَّاتِنا تتقرَّبُ

أأيقنَ أنَّ الشيبَ يَنْعى حياتَه ... مُـدِرٌّ لأَخْلافِ الخَطِيئةِ مُذْنِبُ[3]

يَقِينٌ كأنَّ الشَّكَّ أغلبُ أمرِه ... عليه وعرفانٌ إلى الجهلِ يُنْسَبُ

وقد ذَمَّتِ الدُّنيا إليَّ نَعيمَها ... وخاطَبَني إعجامُها وهو مُعْرِبُ

ولكنَّني منها خُلِقتُ لغيرِها ... وما كنتُ منه فهو عندي مُحبَّبُ

[ردّه على أبي فنن والكنديّ]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال[4] : كنّا في مجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكِندِيّ وأحمد بن أبي فَنَن ، فتذاكرنا شعرَ محمد بنَ وُهَيْب فطَعَنَ عليه ابن أبي فَنَن وقال : هو متكلِّف حَسودٌ ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرَّظَه ووصفه في نِصْفِ يوم ، وشكا أنّه مَظلوم مَنحوس الحظّ ، وأنّه لا تُقصِّر به عن مراتب القُدماء حالٌ ؛ فإذا أُنشِدَ شعرُ غيره حَسده ، وإن كان على نبيذ عَرْبد عليه ، وإن كان صاحياً عاداه واعْتَقد فيه كلَّ مكروه . فقُلت له : كلاكما لي صديق ، وما أمتنِع من وصفِكُما جميعاً بالتّقدُّم وحسن الشعر ، فأخبرني عمّا أسألُك عنه إخبارَ مُنصِف ، أو يُعَدّ مُتكلِّفاً مَن يقول : [من الطويل]

أبى ليَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذى ... يَقِينِيَ أن لا عُسْرَ إلاّ مُفرَّجُ

ألا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بأَهلِهِ ... وأَمكَنَ مِن بَيْن الأَسِنَّةِ مَخرَجُ ؟

أَوَ يُعَدّ متكلّفاً مَن يقول : [من الطويل]

رأَتْ وَضَحاً مِن مَفْرِق الرأْسِ راعها ... شَرِيحَين مُبْيَضٌ بـه وبَهيمُ[5]

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 229–230 .

2 معاهد : بالنفوس . . . تشعبت .

3 معاهد : وهو لأخلاق الخطيئة . . .

4 انظر معاهد التنصيص 1 : 226–228 .

5 معاهد : رأت واضحاً .

فأَمْسكَ ابنُ أَبي فَنَن ، واندَفَع الكِنديّ فقال : كان ابنُ وُهَيب ثِنْوِيّاً . فقلتُ له : من أَيْنَ عَلمتَ ذاك ؟ أَكلَّمَك على مذهب الثّنْوِيّة قطّ ؟ قال : لا ، ولكنّي استدلَلْت من شعره على مذهبه ، فقُلتُ : حيث يقول ماذا ؟ فقال : حيث يقول[1] : [من الكامل]

طَلَلانِ طـال عليهما الأَمَدُ

وحيث يقول :

تَفترُّ عن سِمْطَيْنِ مـن ذهبِ

إلى غير ذلك ممّا يَستعمِلُه في شعره من ذكر الاثنين .

فشغَلَني واللهِ الضّحكُ عن جوابه . وقلت له : يا أَبا يوسف ، مِثلُك لا ينبغي أَن يتكلّم فيما لم يَنفُذ فيه عِلمُه .

[يستنجز حاجة من ابن الزيات]

أَخبرني أَحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أَحمدُ بن سليمان بن أَبي شيخ عن أَبيه قال : سأَل محمد بنُ وُهَيْب محمد بن عبد الملك الزيّات حاجةً فأَبطأَ فيها ، فوقف عليه ثم قال له : [من مجزوء الكامل]

طُبِـعَ الكَرِيمُ على وَفائِهْ ... وعَلى التَّفضُّـلِ في إخائِهْ
تُغنِـي عِنايَتُـه الصَّدِيـــقَ عن التَّعَرُّض لاقْتِضائِهْ
حَسْبُ الكَرِيـم حَيـاؤُهُ ... فكِـلِ الكَرِيـمَ إلى حَيائِهْ

فقال له : حسبُك فقد بلَغْتَ إلى ما أُحبَبْتَ ، والحاجةُ تسبِقُك إلى منزِلك . ووَفى له بذلك .

صوت

[من الطويل]

ودِدْتُ على ما كان من سَرَف الهَوى ... وغَـيّ الأَماني أَنَّ ما شِئْتُ يُفعَلُ
فترجِــعَ أَيّام تَقَضَّت ولَــذَّةٌ ... تولَّت ، وهل يُثْنى مِن الدَّهْرِ أَوَّلُ

الشعر لُمزاحم العُقَيليّ ، والغناءُ لمقاسة بن ناصح ، خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ : وفيه لأَحمد بن يحيى المكّيّ رمل .

1 معاهد التنصيص 1 : 230 .

[400] ـ أخبار مزاحم ونسبه[1]

[نسبه]

قيل : هو مُزاحِم بنُ عَمْرو[2] بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامِر بن عُقَيل بنِ كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوازِن .

وقيل : مُزاحِم بنُ عَمْرو بن مُرّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم ، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب .

بدويٌّ شاعر فصيح إسلاميّ ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق . وكان جرير يصفه ويُقرِّظُه ويقدِّمه .

أخبرني محمد بن خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ عن إسحاق المَوْصِلِيّ قال : قال لي عُمارة بنُ عُقَيل : كان جريرُ يقول : ما مِنْ بيتين كنتُ أُحِبّ أن أكون سَبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيْليّ[3] : [من الطويل]

وَدِدْتُ على ما كان من سَرَف الهَوى وغَيّ الأماني أنَّ ما شئتُ يُفعَلُ
فترجِع أيَّامٌ مَضَيْنَ ولَذَّةٌ تَوَلّتْ وهَل يُثنى من العَيْشِ أوّلُ

قال المفضّل : قال إسحاق : سَرَفُ الهوى : خطؤه ، ومثله قولُ جرير[4] : [من البسيط]

أعطوْا هُنَيْدَة تحدُوها ثمانيَة ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

أراد أنّهم لا يخطئون مواضع الصنائع ، لا أنّه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط في الجُودِ .

قال إسحاق : وواعدَني زيادٌ الأعرابيّ موضعاً من المسجد ، فطلبته فيه فلم أجِده ، فقلت له بعد ذلك : طلبتُك لموعدك فلم أجدك . فقال : أين طلبتَني ؟ فقلت : في موضع كذا وكذا ، فقال : هناك واللهِ سَرِفْتُك ، أيّ أخطأتُك .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : أنشدني حمّاد عن أبيه لمزاحم العُقَيْليّ قال : وكان يستجيدُها ويستحسنُها : [من الطويل]

1 ترجمة مزاحم العقيلي في طبقات ابن سلام : 770–777 وخزانة البغدادي 6 : 273–275 .
2 في ابن سلام والخزانة : مزاحم بن الحارث .
3 انظر الخزانة 6 : 274 .
4 ديوان جرير (صادر) : 307 .

لِصَفْراءَ في قَلْبي من الحُبِّ شُعبَة ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ
بها حَلَّ بَيتُ الحُبِّ ثم ابتَنى بها ... فبانَت بُيوتُ الحَيِّ وهو مُقِيمُ
بَكَت دارُهم من نَأْيِهم فتهلَّلَت ... دموعي فأَيَّ الجازِعين أَلُومُ
أَمُسْتَعْبِراً يبكي من الحُزنِ والجَوى ... أَمَ آخَرُ يَبْكي شَجْوَه فيَهيمُ ؟
تَضمَّنه من حُبِّ صَفْراءِ بعدما ... سلا هَيَضات الحبّ فهو كَلِيمُ[1]
ومن يَتَهَيَّض حبُّهنّ فُؤادَه ... يَمُت أَو يَعِش ما عاشَ وهو سَقِيمُ
كَحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْد مَشْربٍ ... وعنْ بَلَلاتِ الرِّيق فَهْو يَحُومُ

[امتنع عمّه من تزويجه لفقره]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال : حدَّثنا أَبو سعيد السُّكَّريّ قال : أَخبرنا محمد بن حبيب عن ابن أَبي الدُّنيا العُقَيليّ ، قال ابن حبيب : وهو صاحب الكسائيّ وأَصحابنا ، قال : كان مزاحم العقيليّ خطب ابنة عمّ له دِنْيَةً[2] فمنعه أَهلُها لإملاقه وقلّة ماله ، وانتظروا بها رجلاً مُوسِراً في قومها كان يذكرها ولم يحقّق ، وهو يومئذٍ غائب . فبلغ ذلك مُزاحِماً من فعلِهم ، فقال لعمّه : يا عمِّ ، أَتقطَع رَحِمي وتختار عليّ غيري لفضل أَباعرَ تحوزُها وطفيفٍ من الحظِّ تحظى به ؟ وقد علمت أَنّي أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأَفصح منه لساناً ، وأَجودُ كفّاً ، وأَمنعُ جانباً ، وأَغنى عن العشيرة ! فقال له : لا عليك فإنّها إليك صائرة ، وإنّما أُعلِّل أمَّها بهذا ، ثم يكون أمرها لك ، فوثِق به . وأقاموا مدّة ، ثمّ ارتحلوا ومزاحم غائب . وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها ، فرغب فيها ، فأَنكحوه إيّاها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأَنشأ يقول : [من الطويل]

نَزلتُ بمُفْضى سيلِ حَرْسَيْن والضُّحى ... يَسِيلُ بأَطرافِ المخارِمِ آلُها[3]
بمسقِيَّةِ الأَجفانِ أَنفَد دَمعَها ... مُقاربةُ الأُلاَّف ثُمَّ زِيالُها
فلمّا نَهاها اليأسُ أَن تُؤنِس الحِمى ... حِمى البِئرِ جَلَّى عَبْرَة العَيْنِ جالُها
أَيا ليلَ إن تَشْحَط بكِ الدارُ غُرْبَةً ... سوانا ويُعْيِي النّفسَ فيكِ احتيالُها
فكَمْ ثم كَمْ من عَبْرة قد رَدَدتُها ... سَريعٍ على جَيْب القَميصِ انهِلالُها

1 هيضات : جمع هيضة ، وهي معاودة الهم والحزن .
2 دنية : لاصقة النسب .
3 حرسين : ماءان لبني عقيل . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة .

خليليَّ هــل مــن حِيلــة تَعْلَمانها يُقــرِّب مــن ليــلى إلينا احتيالُها
فــإنَّ بأَعْــلى الأخشَبَيْن أَراكــةً عدَتني عنهــا الحَــرْب دانٍ ظِلالُها
وفي فَرْعهــا لــو تُستَطــاع جَنابُها جنًــى يجتنِيه المُجْتَنــي لــو يَنالُها
هنِيئــاً لِلَيْلــى مُهْجَــةٌ ظَفِــرَتْ بها وتَزْويجُ لَيْلى حــين حــان ارتِحالُها
فقــد حَبَسُوها مَحْبِس البُدْن وابتَغى بهــا الرِّبحَ أَقوامٌ تَساخَــف مالُها[1]
فــإنَّ مــع الرَّكْــبِ الذيـن تَحَمَّلُوا غمامــة صَيْف زعزعَتْهــا شمالُها

[هربه من السجن]

وقال محمد بنُ حبيب في خبره ، قال ابنُ الأعرابيّ : وقع بين مُزاحِم العُقَيْليّ وبين رجل من بني جَعْدَة لِحاءٌ في ماء فتَشاتَما وتَضاربا بعِصِيِّهما ، فشَجَّه مُزاحم شجَّة أَمَّتْه[2] ، فاستعدَت بنو جَعْدة على مُزاحم فَحُبِس حبساً طويلاً ، ثم هَرَب من السِّجن ، فمكَث في قومه مدّة ، وعُزِل ذلك الوالي وولي غيره ، فسأله ابنُ عمّ لمزاحِم يقال له مُغلِّس أن يكتب أماناً لمزاحم ، فكتَبه له ، وجاء مغلّس والأمان معه ، فنَفَر مُزاحِم منه وظنَّها حِيلةً من السُّلطان ، فهَرَب وقال في ذلك : [من الطويل]

أَتــاني بقِرطــاس الأَميرِ مُغَلِّسٌ فأَفــزَعَ قِرطــاسُ الأَميرِ فُؤادِيا
فقلتُ لــه : لا مَرْحَباً بِكَ مرسَلا إليَّ ولا لي مــن أَميرك داعِيــا
أليسَت جِبالُ القَهْرِ قُعْساً مكانها وعَرْوى وأَجبالَ الوَحاف كما هِيا ؟[3]
أَخــاف ذُنُوبــي أن تُعَــدّ ببابِهِ ومـا قــد أَزَلَّ الكاشِحُونَ أَمامِيا
ولا أَسْترِيم عُقْبــةَ الأَمــرِ بعدما تورَّط في بهماء كَعْبــي وساقِيا[4]

[هوي امرأة وتزوّجت غيره]

أَخبرني محمد بن مَزْيَد ، وأَحمد بن جعفر جحظة قالا : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أَبيه قال : كان مُزاحِمٌ العُقَيليّ يهوى امرأةً من قومه يقال لها مَيَّة ، فتزَوَّجت رجلاً كان أَقربَ إليها من مزاحم . فمرَّ عليها بعد أن دخل بها زوجُها ، فوقفَ عليها ثم قال : [من الطويل]

أَيــا شَفَتَيْ مَــيٍّ أَما مــن شَرِيعةٍ مــن المــوتِ إلاّ أَنتمــا تُورِدانِيا

---

1 تساخف مالها : رقّ حالها .
2 أمته : أصابت أم رأسه .
3 قعساً : ثابتة .
4 كعبي في ل : كفي .

ويا شَفَتَيْ مَـيٍّ أَمـا لي إليكما سبيلٌ وهذا الموت قد حَلَّ دانِيا !
ويا شَفَتَيْ مَـيٍّ أَمـا تَبذُلان لي بشيءٍ وإن أُعطيت أَهلي ومالِيا !

فقالت : أَعزِزْ عليَّ يا ابن عمّ بأن تسأل ما لا سَبيل إليه ، وهذا أمر قد حِيل دونه ، فَالْهُ عنه . فانصرف .

[جرير يتمنّى شعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويّ قال[1] : حدَّثني عُمارة بن عُقَيل قال : قال لي أبي : قال عبد الملك بنُ مروان لجرير : يا أَبا حَزْرة ، هل تُحبّ أن يكون لك بشيء من شِعْرِك شيءٌ من شِعْر غَيرِك ؟ قال : لا ، ما أُحِبّ ذلك ، إلاّ أنّ غُلاماً يَنْزل الرَّوضاتِ من بلادِ بني عُقيـل يقال له مُزاحِم العُقيليّ ، يقول حَسناً[2] من الشعر لا يقدِر أحد أن يقول مثلَه ، كنت أحِبُّ أن يكون لي بعضُ شِعْره مُقايضة ببعض شِعري .

[امرأة أُخرى يهواها فتتزوّج غيره]

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُريد قال : حدَّثني عمِّي ، عن العبّاس بن هشام عن أَبيه قال : كان مُزاحِم العُقَيليّ يَهوى امرأةً من قَوْمِه يقال لها ليلى ، فغاب غَيْبة عن بلادِه ، ثم عاد وقد زُوِّجت ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أَتاني بظَهْر الغَيْب أَن قد تَزَوَّجَتْ فظلَّت بِيَ الأَرضُ الفضاءُ تدُورُ
وزايَلَني لُبِّـي وقد كان حاضِراً وكاد جَنـاني عنـد ذاك يَطِيرُ
فَقلتُ وقـد أَيقنْتُ أَن ليس بَيْنَنا تَـلاقٍ وعَيْني بالدّمـوعِ تمورُ
أَيا سُرعةَ الأَخبارِ حين تَزَوَّجَتْ فهَـل يأتِيَنِّـي بالطَّلاقِ بَشِيرُ
ولستُ بمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائِلٍ مـن النَّاسِ إلاّ أن أَقـول كَثِيرُ

صوت

[من الطويل]

لها في سَوادِ القَلْبِ تِسعةُ أَسْهُمٍ وللنّاس طُرّاً من هَوايَ عَشِيرُ[3]

قال ابن الكلبيّ : ومن الناس مَن يزعم أنَّ ليْلى هذه التي يهْواها مُزاحم العُقيليّ هي التي كان يهْواها المجنون ، وأنّهما اجتمعا هو ومُزاحِم في حُبّها .

---

1 قارب بالخزانة 6 : 274 .
2 ل والخزانة : حوشياً .
3 عشير : معشار .

[امرأة رابعة هويها وتزوجت غيره]

قال الأصفهانيّ : وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بنِ الصّبّاح عن ابن الكلبيّ قال : كان مُزاحم بن مُرّة العُقيليّ يَهوى امرأة من قُشَير يقال لها ليلى بنت مُوازِر ، ويتحدَّث إليها مدّة حتى شاع أمْرُهما ، وتحدَّث جواري الحيِّ به ، فنَهاه أهلُها عنها ، وكانوا مُتجاوِرين ، وشَكَوْه إلى الأشياخ من قومِهِ فنَهَوْه واشتدّوا عليه ، فكان ينقلب إليها في أوقات الغَفَلات ، فيتحدَّثان ويتشاكَيان . ثم انتجَعَت بنو قُشَير في ربيع لهم ناحيةً غير تلك قد نضَّرها غَيْثٌ وأخصبَها ، فبَعُد عليه خبرُها واشْتاقَها ، فكان يسأل عنها كلَّ وارِد ، ويُرسِل إليها السلام مع كلّ صادِر ، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومِها ، فسأله عنها فأخبره أنّها خُطِبت فزُوِّجَت ، فوجَم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال : [من الطويل]

أتاني بظَهْر الغَيْب أن قد تَزَوَّجت ... فظلَّت بي الأرضُ الفَضاءُ تَدُورُ

وذكر الأبيات الماضية .

وقد أنشدني هذه القصيدة لمُزاحِم ابن أبي الأزهر ، عن حمّاد ، عن أبيه ، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها : [من الطويل]

وتُنشَر نفسي بعد مَوْتي بذِكْرِها ... مراراً فموتٌ مرَّة ونُشورُ
عَجَجْتُ لربِّي عَجَّة ما مَلَكتُها ... وربِّي بذي الشَّوْق الحزينِ بَصيرُ[1]
ليرحم ما ألقى ويعلمَ أنّني ... له بالذي يُسدي إليَّ شَكورُ
لئن كان يُهدي بردُ أنيابها العُلا ... لأحْوَجَ مِنّي إنَّني لَفَقِيرُ

[جرير والفرزدق وذو الرّمّة عند عبد الملك]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : قال أبو عدنان[2] : أخبرنا تميمُ بنُ رافع قال : حُدِّثت أنَّ الفرزدقَ دخل على عبد الملك بن مروان ، أو بعضِ بنيه ، فقال له : يا فرزدق ، أتعرفُ أحداً أشعرَ منك ؟ قال : لا ، إلاّ غُلاماً من بني عُقَيل ، يركب أعجازَ الإبل ويَنْعت الفَلواتِ فيُجيد ، ثم جاءه جرير فسأله عن مِثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه ، فلم يلبَث أن جاءه ذو الرُّمّة فقال له : أنت أشعرُ النّاس ؟ قال : لا ، ولكن غلام من بني عُقَيل يقال له مُزاحم يسكن الرَّوضات ، يقول وحْشِيّاً من الشعر لا يُقدَرُ على

1 عج : صاح .

2 قارن بالخزانة 6 : 274 والبيتان في طبقات ابن سلام .

مثله ، فقال : فأَنشدني بعض ما تحفظ من ذلك ، فأَنشده قولَه : [من الطويل]

خليلَيَّ عُوجا بي على الدّار نَسأَلِ مَتى عهدُهـا بالظَّاعِـن المُتحمِّلِ[1]
فعُجتُ وعاجوا فَوق بَيْداء موَّرتْ بها الرِّيح جولان الترابِ المُنَخَّلِ[2]

حتى أَتى على آخرها ثم قال : ما أَعرف أَحداً يقول قولاً يواصل هذا .

صوت

[من الطويل]

أُكذِّب طَرْفِي عنكِ في كُلِّ ما أَرى وأُسمِع أُذني منك ما ليس تَسْمَعُ
فـلا كَبِدي تَبلى ولا لكِ رَحمةٌ ولا عنكِ إِقصارٌ ولا فيكِ مَطْمَعُ
لقِيتُ أُمُوراً فيـك لم أَلقَ مِثْلَها وأَعظـمُ منهـا فيك مـا أَتَوَقَّعُ
فــلا تسأَلينـي في هواكِ زِيادةً فأَيسرُه يُجـزي وأَدنـاهُ يُقنِـعُ

الشعر لبكر بن النطَّاح[3] ، والغناء لحسين بن مِحْرِز ثقيل أَوّل بالوُسطى عن الهشاميّ .

1 ابن سلام : عوجا بي على الربع .
2 مورت في ل : صفقت . وابن سلام :
فعجت وعاجا فوق صحراء غادرت
3 مجموع شعره : 251–252 .

[401] ـ أخبار بكر بن النّطاح ونسبه[1]

[نسبه]

بكر بنُ النطَّاح الحنفيّ . يُكنى أبا وائل ، هكذا أخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب ، وذكر غيره أنّه عِجْلِيٌّ من بني سَعْد بن عِجْل ، واحتجَّ مَنْ ذكر أنّه عِجْليّ بقوله[2] : [من الطويل]

فإن يَكُ جَدَّ القومِ فِهْرُ بن مالِك فَجدِّيَ عِجْلٌ قَرْم بَكْرِ بن وائِلِ

وأنكر ذلك مَنْ زعم أنّه حَنَفِيٌّ وقال : بل قال : [من الطويل]

فجدّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْــر بنِ وائلِ

وعِجْل بنُ لُجيم وحنيفة بن لُجيم أخوان .

وكان بكر بن النطّاح صُعلوكاً يُصيب الطريق ، ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دُلَف من الجُند ، وجعل له رِزْقاً سُلطانيّاً ، وكان شُجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشِّعر والتصرُّف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام .

[قصته مع أبي دلف]

فأخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي ، قال[3] : قال بكر بنُ النَّطّاح الحنفيّ قصيدتَه التي يقول فيها[4] : [من الطويل]

هنيئاً لإخواني ببَغــدادَ عِيدُهــم وعِيدي بحُلوانٍ قِــراعُ الكَتائِبِ

وأنشدها أبا دُلَف فقال له : إنّك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشَّجاعة ، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قَطّ ، ولا فيك ، فقال له : أيُّها الأمير وأيّ غناء يكون عند الرجل الحاسِر الأعْزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً وتُرساً ودرعاً ورمحاً ، فأعطوْه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرسَ وخرج على وجهه ، فلقيه مالٌ لأبي دُلف يُحمَل من بعض ضياعه ، فأخذه وخرج

1 ترجمة بكر بن النطاح في طبقات ابن المعتزّ : 217–225 وفوات الوفيات 1 : 219–221 والوافي بالوفيات 10 : 218–221 والبداية والنهاية 10 : 208 والسمط : 520 ، 560 وتاريخ بغداد 7 : 90 وشرح الحماسة للتبريزي 3 : 140 والمرزوقيّ : 1285 وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 458–460 ، 489 و4 : 45 و5 : 314 . وقد جمع شعره حاتم الضامن في «شعراء مقلون» (بيروت ـ 1978) .

2 شعره (عن الطبقات) : فحسبي فخراً فخر بكر بن وائل .

3 انظر طبقات ابن المعتزّ : 218 والبيت فيه : ومن يفتقر منا يعش بحسامه . . .

4 شعره . 222 (عن الأغاني) .

جماعةٌ من غلمانه فمانعُوه عنه ، فجرحهم جميعاً وقَطَعَهم وانهزموا . وسار بالمال ، فلم ينزل إلاّ على عشرين فرْسخاً . فلمّا اتصل خبرُه بأبي دُلَف قال : نحن جَنَينا على أنفسنا ، وقد كُنّا أغنياءَ عن إهاجة أبي وائل ؛ ثم كتب إليه بالأمان ، وسوَّغه المالَ ، وكتب إليه : صِرْ إلينا فلا ذنْب لك ، لأنا نحن كنّا سبب فِعلك بتحْريكنا إياك وتحريضنا ؛ فرجَع ولَم يزل معه يمتدحه ، حتى مات .

[الرشيد يطلبه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ موسى قال : حدَّثني الحسنُ بنُ إسماعيل عن ابن الحفصيّ قال : قال يزيدُ بنُ مَزْيد[1] : وجَّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ ، فلمّا مثُلت بين يديه قال : يا يزيدُ ، مَن الذي يقول : [من الطويل]

ومـن يَفْتَقِرْ مِنّـا يَعِشْ بحُسامِه ومَن يَفْتَقِر مِن سائر النّاسِ يَسْأَلِ

فقلت له : والذي شرَّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذي يقول :

وإن يَكُ جَدُّ القَوْم فِهْرَ بن مالِك فَجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْر بن وائِلِ

قلت : لا والذي أكرمك وشرَّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه . قال : والذي كرَّمني وشرَّفني إنّك لتعرفه ، أتظنّ يا يزيد أنّي إذا أوطأتُك بساطي وشرَّفتُك بصنيعتي أنّي أحتَمِلك على هذا ؟ أو تظنّ أنّي لا أُراعي أُمورك وأتقصّاها ، وتحسب أنّه يخفى عليّ شيءٌ منها ؟ والله إنّ عُيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جِلْفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشاً بربيعة فأْتني به . فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر ، فقيل لي : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابي . فدعوتُه وأعلمته ما كان من الرشيد ، فأمرتُ له بألفيْ درهم ، وأسقطتُ اسمه من الديـوان ، وأمرتـه ألاّ يظهـر مـا دام الرشيدُ حيّاً ، فما ظهر حتى مات الرشيد ، فلمّا مات ظهـر ، فألحقتُ اسمَه وزِدتُ في أنزاله[2] .

[شعره في جارية تدعى رامشنة]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدَّثني محمد بن حمزة العلويّ قال : حدَّثني أبو غسّان دَماذ قال : حضرتُ بكرَ بنَ النّطّاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيّين ، وكانت للحنفيّ جاريةٌ يقال لها رامِشْنة ، فقال فيها بكر بن النّطّاح[3] : [من السريع]

1 طبقات ابن المعتزّ : 217–218 .

2 الطبقات : في عطائه ونزله .

3 شعره · 248 (عن الأغاني) .

حيَّتْك بالرَّامِشْن رامِشْنَةٌ أَحسنُ من رامِشْنَة الآسِ
جارِيــةٌ لم يُقْتَسَم بُضْعُها ولم تقــمْ في بَيت نَخَّاسِ
أفسدتِ إنساناً عَلى أهلِهِ يا مُفْسِدَ النّاسِ على النّاسِ

وقال فيها[1] : [من الطويل]

أُكذّب طَرْفي عنكِ والطَّرْفُ صادِقٌ وأُسْمِعُ أُذْني منكِ ما لَيْس تَسْمَعُ
ولَم أُسكُن الأرضَ التي تَسْكُنِينها لكي لا يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَعُ
فـلا كَبِدي تَبْلى ولا لَكِ رَحْمَة ولا عَنْكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطْمَعُ
لَقِيتُ أُموراً فيــكِ لم أَلْقَ مثلَها وأَعظَمُ منهــا منـكِ مـا أتوقَّعُ
فلا تسأَلِيني في هَـــواكِ زِيـادَةً فأَيْسَرُه يُجْــزي وأَدْنـــاه يُقْنِعُ

[إعجاب المأمون بشعره]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنـا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْـه ، عن علـيّ بن الصَّباح ، وأظنّه مُرسلاً وأنّ بينه وبينه ابن أَبي سَعْد أو غيره ، لأنّـه لم يَسْمع من عليّ بن الصَّباح ، قال : حدَّثني أبو الحسين الراوية ، قال لي المأمون : أنشِدْني أشجعَ بيت وأعفَّه وأكرَمه من شِعْر المحدثين ، فأنشدته : [من الطويل]

ومــن يَفْتَقِر منّــا يَعِشْ بحُسامه ومن يَفْتَقِرْ من سائِـر النّاسِ يَسْأَلِ
وإنّا لنَلْهـــو بـالسُّيوف كما لَهَت عَروسٌ بعِقــدٍ أو سِخابِ قَرَنْفُلِ[2]

فقال : ويحك ! مَن يقول هذا ؟ فقلتُ : بكْرُ بنُ النطّاح ، فقال : أَحسَنَ والله ، ولكنّه قد كَذَب في قوله ، فما بالُه يسأَلُ أبا دُلَف ويمتدحُه وينتجِعُه ! هلاّ أكَل خُبزَه بسَيْفه كما قال !

[عند أبي دُلَف]

أَخبرني الحسَن بن عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو الحسن الكسْكَريُّ قال[3] : بلَغني أنَّ أبا دُلَف لَحِقَ أكراداً قَطَعوا الطّريق في عمله ، وقد أَردَف منهم فارسٌ رفيقاً له خَلْفه ، فطَعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدَّث الناسُ بأنّه نَظَم بطعنة واحدة فارسَيْن على فرس ، فلمّا قَدِم من وجهه دخَل إليه بَكْرُ بن النّطّاح فأَنشده[4] : [من الكامل]

1 تقدمت هذه الأبيات برواية : «أكذب عيني عنك في كل ما أرى» .
2 سخاب قرنفل : عقد قرنفل .
3 قارن بالفوات : 219 .
4 شعره : 257 . وفي الفوات : «قالوا أينظم فارسين . . .» .

صوت

قالــوا : ويَنْظِم فارسَيْن بطَعْنَةٍ يــوم اللِّقاء ولا يَــراهُ جَلِيلا
لا تَعْجَبوا فَلَو اَنَّ طُــولَ قَناتِه ميلٌ إذاً نَظَــم الفوارسَ ميلا

قال : فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم ، فقال بَكْرٌ فيه[1] : [من الطويل]

لــه راحــةٌ لو أَنَّ مِعْشار جُودِها على البَرِّ كان البَرُّ أَندى من البَحْرِ
ولو أَنَّ خَلْقَ اللهِ في جِسْمِ فارسٍ وبــارزَه كان الخليَّ مــن العُمْرِ
أَبا دُلَــف بُورِكْتَ في كلِّ بَلْدةٍ كما بُورِكَتْ في شهْرِها لَيلةُ القَدْرِ

[غزله بغلام نصرانيّ]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمّار ، وعيسى بنُ الحسين قالا : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل قال : حدَّثني أبو زائدة ، قال : كان بكْرُ بن النّطّاح الحنفيّ يتعشّق غُلاماً نصرانيّاً ويُجَنُّ به ، وفيه يقول[2] : [من البسيط]

يا مَنْ إذا دَرَس الإنجيلَ ظلَّ له قَلْبُ التَّقيِّ عن القُرآن مُنْصَرَفا
إنِّي رأَيتُك في نومــي تُعانِقُني كما تُعانِــق لامُ الكاتِب الأَلِفا

[ينصرف عن ممدوحه إذا غضب]

أَخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني الحسن بن عبد الرحمن الرَّبعيّ قال : كان بكرُ بنُ النّطّاح يأتي أبا دُلَف في كلّ سنة ، فيقول له : إلى جَنْب أرضي أرضٌ تُباع وليس يحضُرني ثمنُها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطِيه ألفاً لنفقته . فجاءَه في بعض السنين فقال له مِثل ذلك ؛ فقال له أبو دُلَف : ما تَفْنى هذه الأَرَضُون التي إلى جانب ضَيْعتك ! فغَضِب وانصرف عنه ، وقال[3] : [من المنسرح]

يا نفسُ لا تجزَعي من التَّلَفِ فــإنَّ في اللهِ أَعظَــمَ الخَلَفِ
إن تَقْنَعــي بــاليَسيرِ تَغْتَبِطي ويُغْنِــكِ اللهُ عــن أَبي دُلَفِ

قال : وكان بَكْر بنُ النَّطَّاح يأتي قُرَّة بنَ مُحرِز الحنفيّ بكرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ، ويُجرِي عليه في كلّ شهر يقيم عنده ألفَ درهم . فاجتاز به قُرّة يوماً وهو ملازم في السّوق وغُرماؤه يُطالبونه بدَين ؛ فقال له : ويحك ! أما يكْفيك ما أعطيك حتى تستدين

1 شعره : 245 .
2 شعره : 253 (عن الأغاني) .
3 شعره : 254 .

وتُلازمَ في السّوق ؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول[1] : [من الوافر]

أَلا يـا قُـرّ لا تَكُ سامريّاً فتَتْرُكَ مَـنْ يَزُورك في جِهادِ
أَتَعْجبُ أَنْ رأيـتَ عليَّ دَيْناً وقد أودى الطّريفُ مع التّلادِ
ملأتُ يَـدِي مِنَ الدُّنيا مِراراً فما طمِعَ العَواذِلُ في اقْتِصادي
ولا وَجَبت عليَّ زَكاةُ مـالٍ وهل تَجِبُ الزّكاةُ على جَوادِ

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال : كنت يوماً عند عليّ بن هشام ، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيْل ، فحدَّثْته أنّ بَكْر بنَ النطّاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده ، فقال لي أبو دُلَف : يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تَسْتطرِفه . فبدَرَ إليه بكرٌ وقال : أنا أُنشدك أيّها الأميرُ بَيْتين قلتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأُحكِّمك ، فقال : هاتِ ، فإن شَهِد لك أبو محمد رَضِينا ، فأنشده[2] : [من الوافر]

إذا كانَ الشِّتاءُ فأنت شَمْسٌ وإن كان المَصِيفُ فأنتَ ظِلُّ[3]
وما تَدْري إذا أَعْطَيتَ مـالاً أتُكثِرُ في سَماحِـك أم تُقِلُّ

فقلت له : أحسنَ والله ما شاءَ ووجبت مكافأته . فقال : أما إذ رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم . فحُمِلتْ إليه ، وانصرفت إلى منزلي ، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إليّ ، وجّه بها أبو دُلَف . قال : فقال عُمارة لعليّ بن هشام : فقد قلت أنا في قريب من هذه القصّة : [من الطويل]

ولا عيبَ فيهـم غيرَ أنَّ أكفَّهم لأموالهم مِثْـلُ السِّنين الحَواطِمِ
وأنّهـمُ لا يُورِثُـون بَنِيهـمُ ـ وإن وَرِثوا خَيْراً ـ كُنوزَ الدَّراهِمِ

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو تَوْبة قال : كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطّاح ، وكان بكر فاتكاً صُعلوكاً ، فكان لا يزال قد أحدَث حادث في عمل أبي دُلَف ، أو جنى جِناية ، فَيَهُمّ به فيقوم دونه معقل حتى يتخلَّصَه ، فماتَ مَعقِلٌ فقال بكر بن النطّاح يرثيه بقوله[4] : [من الطويل]

وحدَّث عنـه بعضُ مَن قال إنّه رأتْ عَينُه فيما تَـرى عَينُ حالِمِ

1 شعره : 239 .
2 شعره 259 .
3 الفوات : شمسي .
4 شعره : 265–266 (عن الأغاني) .

كأنَّ الذي يَبْكي على قَبْر مَعْقِل ... ولم يَــرَه يَبكي على قَبْرِ حاتمِ
ولا قَبرِ كَعْــب إذ يَجودُ بنَفْسِهِ ... ولا قَبر حِلْفِ الجُودِ قَيْسِ بنِ عاصِمِ
فأيقَنْــتُ أنَّ الله فضَّـــل مَعْقِلا ... على كلِّ مَذْكور بفَضْلِ المَكارِمِ

[بخله]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ قال : كان بكرُ بن النّطّاح الحنفيّ أبو وائل بخيلاً ، فدخل عليه عبّاد بن المُمزَّق يوماً ، فقدّم إليه خُبْزاً يابساً قليلاً بلا أُدْم ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع ، فقال عبّادٌ يهجوه : [من السريع]

مَنْ يَشْتَري مِنِّــي أَبـا وائِلٍ ... بكـــرَ بنَ نَطّـاح بفَلْسَيْنِ ؟
كأنّمـــا الآكِـــلُ مـــن خُبزِهِ ... يأكلـــهُ مـــن شَحمَةِ العَيْنِ

قال : وكان عبّاد هذا هجّاءً ملعوناً ، وهو القائل : [من البسيط]

أنا المُمزّق أعــراضَ اللِّئام كما ... كان المُمزّق أعراضَ اللّئامِ أبي

[يمدح ثم يهجو]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أبو هفّان قال[1] : كان بكرُ بن النطّاح قصد مالك بن طَوق فمدحه ، فلم يرضَ ثوابَه ، فخرج من عنده وقال يَهجوه[2] : [من المتقارب]

فليتَ جَــدا مَالـــكٍ كُلَّــه ... وما يُرتجـــى منه من مَطْلَبِ
أُصِبْتُ بـــأَضْعاف أضعافِــهِ ... ولم أنتَجِعْــه ولَـــم أرغَـــبِ
أسأْتُ اختِيارِي فقــلَّ الثَّوابُ ... لِي الذّنبُ جَهْــلاً ولم تُذنِبِ

وكتَبَها في رقعة وبعث بها إليه . فلمّا قرأَها وَجَّه جماعة من أصحابه في طلبه ، وقال لهم : الويلُ لكـم إن فاتكم بكر بنُ النّطّاح . ولا بـدّ أن تنكَفِئوا على أثَره ولـو صار إلى الجبَـل ، فلَحِقـوه فردّوه إليه ، فلمّا دخل دارَه ونظر إليه قام فتلقّاه وقال : يا أخي ، عَجِلْتَ علينا وما كنّا نقتصر بك على ما سلف وإنّما بعَثْنا إليك بنفقة ، وعوّلنا بك على ما يتلوها ؛ واعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه ، ثم أعطاه حتى أرضاه ، فقال بكرُ بن النّطّاح يمدحه[3] : [من الطويل]

أقولُ لُمرتـــادِ نـــدى غيرِ مالِكٍ ... كفى بَذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عِداتِهِ

1 قارن بفوات الوفيات 1 : 220 .
2 شعره : 222–223 .
3 شعره : 232 .

فَتًى جاد بالأموال في كُلّ جانب وأَنْهَبَهـا في عَـوْده وبَـداتِهِ
فلـو خَذلـتْ أَموالُه جودَ كَفِّه لقاسَم مَنْ يَرجُوه شَطْـرَ حَياتِهِ[1]
ولو لم يجِد في العُمْر قِسمة مالِه وجـاز لـه الإعطاء من حَسناتِهِ[2]
لجادَ بهـا مـن غَيْر كُفْر بربِّه وشاركَهـم في صَوْمـه وصَلاتِهِ

فوَصَله صِلة ثانية لهذه الأبيات ، وانصرف عنه راضياً .

هكذا ذكر أبو هِفّان في خبره وأَحسبَه غلطاً ، لأَن أَكثر مدائح بَكْر بن النَّطَّاح في مالك بن عليّ الخُزاعيّ ، وكان يتولَّى طريقَ خُراسان ، وصار إليه بكر بن النَّطَّاح بعد وفاة أَبي دُلَف ومدحه ، فأَحسن تقبُّلَه وجعله في جُنده ، وأسنى له الرّزق ، فكان معه ، إلى أَن قَتَله الشُّراة بحُلوان ؛ فرثاه بكرٌ بعدّة قصائد هي من غُرر شعره وعيونه .

[رثاء مالك الخزاعي]

فحدَّثني عمّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر ، عن أَبي وائِلَة السَّدُوسيّ قال : عاثت الشُّراةُ بالجبل عَيْثاً شديداً ، وقتلوا الرجال والنساءَ والصِّبيان . فخرج إليهم مالكُ بنُ عليّ الخُزاعيّ وقد وردُوا حُلوان ، فقاتلهم قِتالاً شديداً فهزمهم عنها ، وما زال يتبَعُهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها : حُدَّان[3] ، فقاتلوه عندها قِتالاً شديداً . وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم . وأصابت مالِكاً ضربةٌ على رأسه أثبتته[4] ، وعَلِمَ أنّه ميِّت . فأمر بردِّه إلى حُلوان ، فما بلغها حتى مات ، فدفن على باب حلوان ، وبُنيت لقبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق . وكان معه بكر بنُ النّطّاح يومئذٍ ، فأَبلى بلاء حسناً ، وقال بكر يرثيه[5] : [من السريع]

يـا عينُ جُودِي بالدّموعِ السّجامْ عـلى الأمير اليمينـيّ الهُمـامْ
على فَتـى الدُّنيـا وصِنديدِهـا وفـارسِ الدِّيـن وسَيـفِ الإمامْ
لا تَدْخَـرِي الدمـعَ على هالك أَيْتَم إذ أُودى جَمِيـعُ الأَنامْ
طـاب ثَـرى حُلوان إذ ضُمِّنت عِظامَـه سَقْياً لهـا مـن عِظامْ
أغلَقَـتِ الخَيـراتُ أَبوابَهـا وامتَنَعت بعـدَك يـا ابنَ الكِرامْ

---

1 جود كفه في شعره : بذل كفّه .
2 قسمة ماله في الفوات : قسمة باذل .
3 حدان : من محال البصرة القديمة .
4 أثبتته : سكنته عن الحركة .
5 شعره : 266–267 (عن الأغاني) .

وأصبحَتْ خيلُـكَ بعـد الوَجا والغَزو تَشكُو منك طُولَ الجَمامْ
ارحَـلْ بنـا نَقرُبْ إلى مالكٍ كيما نُحيِّـي قبـرَه بالسّلامْ
كان لأهـلِ الأرض في كَفِّـه غِنًـى عن البحر وصَوْبِ الغَمامْ
وكان في الصُّبح كشمس الضُّحى وكان في الليـلِ كبَدْرِ الظّلامْ[1]
وسائـلٍ يعجَـب مـن موتِـهِ وقـد رآه وهـو صَعْبُ المَرامْ
قُلـتُ لـه عَهدِي بـه مُعلِماً يضربهـم عنـد ارتفـاع القَتامْ
والحـربُ مَـنْ طاولها لم يَكَد يُفلِت مـن وَقْـعِ صقيلٍ حُسامْ
لم ينظُـر الدَّهـرُ لنا إذ عدا على ربيـعِ النّـاس في كلِّ عامْ
لـن يَسْتَقِيلـوا أبـداً فقـدَه مـا هَيَّج الشّجوَ دُعاءُ الحَمامْ

قال : وقال أيضاً يرثيه[2] : [من الكامل]

أيُّ امرىءٍ خَضَب الخوارجُ ثوبَه بـدمٍ عَشِيَّـة راح مـن حُلْوانِ
يـا حُفْرَةً ضمَّتْ محاسِنَ مالكٍ مـا فيكِ من كَرَمٍ ومن إحسانِ
لَهْفي على البَطَـل المُعرِّض خدَّه وجبينَـه لأسنَّـة الفُـرسانِ
خَـرَقَ الكتيبة مُعلمـاً متكنياً والمُرْهفـاتُ عليـه كالنِّيـرانِ
ذهبـت بَشاشَةُ كلّ شيءٍ بعـده فالأرضُ مُوحِشة بـلا عُمرانِ
هـدَم الشُّراةُ غَداة مَصْرع مالكٍ شرف العُـلا ومكـارمَ البُنيانِ
قَتلوا فتى العرب الذي كانت به تَقْوى على اللَّزبـات في الأزمانِ
حرمـوا مَعَدّاً مـا لديه وأوقَعوا عصبِيَّـةً في قَلـبِ كُـلِّ يَماني
تَركُـوه في رَهَـج العَجاجِ كأنَّه أَسَدٌ يَصـول بساعِـدٍ وبَنانِ
هَوَتِ الجُدودُ عن السُّعودِ لفقدِهِ وتمسَّكَـتْ بـالنَّحْسِ والدَّبَـرانِ
لا يَبْعِدَنَّ أخُو خُزاعَـة إذ ثَوى مستَشْهِـداً في طاعـةِ الرَّحمنِ
عَـزَّ الغُـواةُ بـه وذَلّت أُمّةٌ مَحبُـوَّةٌ بحقائـقِ الإيمـانِ
وبكـاهُ مُصحَفُه وصدْرُ حسامِهِ والمُسلِمـونَ ودَوْلَـةُ السُّلطانِ

1 في رواية : كبدر التمام .
2 شعره : 268–269 .

وغـدَت تعقّر خيلَه وتُقسِّمَت أدراعُـه وسَوابِـغُ الأبـدانِ
أفتحمَد الدُّنيا وقد ذَهَبَتْ بِمَنْ كان المُجيرَ لنـا مـن الحَدَثانِ !

[شوقه إلى بغداد]

أخبرني هاشِمُ بن محمد الخُزاعيّ قال : أنشدَني أبو غسّان دَماذ لبَكْر بن النطّاح يتشوّق إلى بغداد وهو بالجبل يومئذٍ[1] : [من المتقارب]

نَسِيمُ المُـدامِ وبَـرْد السَّحْر هما هيَّجا الشّوقَ حتى ظَهَرْ
تقـولُ : اجتَنِب دارَنا بالنّهارِ وزُرْنا إذا غـاب ضوءُ القَمَرْ
فـإنّ لنـا حَرَساً إن رأوْكَ نَدِمْتَ وأُعطُوا عليك الظَّفَرْ
وكَـمْ صَنَعَ اللهُ مـن مرَّةٍ عليهـم وقـد أُمِرُوا بالحَذَرْ
سَقـى اللهُ بغـدادَ مـن بلدةٍ وساكنَ بَغْداد صَوْبَ المَطَرْ
ونُبِّئْتُ أنَّ جَـوارِي القُصُو رِ صَيَّرن ذِكْرِي حديثَ السَّمَرْ
ألا رُبَّ سائلـةٍ بالعـرا قِ عنّي وأُخرى تُطيل الذِّكَرْ
تقـول : عهدْنـا أبـا وائـلٍ كظبْـي الفَـلاة المَليـح الحوَرْ
ليـاليَ كنـتُ أزور القِيانَ كأنَّ ثِيابـي بَهـارُ الشَّجَرْ

[غزل بقينة]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني ميمون بنُ هارون قال : كان بَكْر بنُ النَّطَّاح يَهوى جارية من جَواري القيان وتَهْواه ، وكانت لبعض الهاشِمِيِّين ، يقال لها دُرّة ، وهو يذكُرها في شعره كثيراً ؛ وكان يَجْتمع معها في منزل رجُلٍ من الجُند من أصحاب أبي دُلَف يقال له : الفزر . فسَعى به إلى مولاها ، وأعلَمه أنّه قد أفسدَها وواطأها على أن تَهرُب معه إلى الجبل ، فمنعه من لقائها وحَجَبه عنها ، إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبي دُلَف ، فقال بكر بن النطّاح في ذلك[2] : [من الخفيف]

أهلُ دارٍ بين الرُّصافة والجِسْـ ـرِ أطالوا غَيْظي بطُول الصُّدودِ
عذَّبوني ببُعْدهم وابْتَلُوا قَلْـ ـبي بحبـين : طارِفٍ وتَليدِ[3]
مـا تَهُبّ الشَّمال إلاّ تَنفَّسْـ ـت وقال الفُؤادُ للعَيْن : جُودي

1 شعره : 246–247 (عن الأغاني) .
2 شعره : 237–238 (عن الأغاني) .
3 بحبين في شعره : بحزنين .

قلَّ عنهم صَبْري ولم يرحَموني ... فتحيَّرت كالطَّريـــد الشّريـدِ
وكلْتني الأيّامُ فيـكِ إلى نفسِـ ... ـي فأَعيَيْتُ وانتهى مَجْهودي

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ[1] : [من الكامل]

العَينُ تُبْدي الحُـبَّ والبُغضا ... وتُظهِـر الإبـــرامَ والنَّقْضا
دُرَّةُ مـا أنصفْتِني في الهوى ... ولا رَحِمْتِ الجَسَدَ المُنْضى[2]
مرَّت بنـا في قُرطُـق أخْضَرٍ ... يعشَق منهـا بَعضُهـا بَعْضا
غَضْبـى ولا واللهِ يـــا أهلَها ... لا أشرَبُ البـارِدَ أو تَرْضى
كيف أطاعَتْكم بهَجْري وقد ... جَعلْتُ خَـدّيَّ لهـا أرْضا !

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوريّ[3] : [من المنسرح]

صدَّتْ فأمسى لِقاؤُها حُلما ... واستبدل الطرفُ بالدُّموعِ دَما
وسلَّطت حُبَّهـــا على كَبِدي ... فأبدَلَتْنـــي بصِحَّـــةٍ سَقَما
وصِرْتُ فرداً أبكِـي لِفُرقتها ... وأقْــرعُ السِّنَّ بعدهـا نَدَما
شَقَّ عليها قولُ الوُشاة لها : ... أصبحتِ في أمرِ ذا الفَتى عَلَما
لولا شَقائـــي ومـا بُليتُ به ... من هَجْرِها لاستترتُ فاكتُما[4]
كم حاجةٍ في الكتاب بُحتُ بها ... أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما

وقال فيها أيضاً ، وفيه رمل لأبي الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظَة[5] : [من السريع]

بَعُـــدتِ عنّـــي فتغيَّرتِ لي ... وليس عنـــدي لـــكِ تَغْييرُ
فَجَدِّدي مـا رثَّ من وَصْلِنا ... وكلّ ذَنْـــبٍ لــــكِ مَغْفُورُ
أُطَيِّـــب النَّفسَ بكتمـان مـا ... سارت بـــه من غدْرِك العِيرُ
وَعـــدُك يـــا سَيِّدتي غـــرّني ... منـكِ ومَـــن يَعْشَقُ مَغْرورُ
يَحزنُني عِلمـــي بِنَفْسي إذا ... قـــال خَليـلي أنـتَ مَهْجورُ

---

1 شعره : 249–250 .
2 المنضى : المهزول .
3 شعره : 264–265 (عن الأغاني) .
4 شعره : ما استترت ما اكتتما .
5 شعره : 244 (عن الأغاني) .

يــا ليت مَن زَيَّنَ هـذا لها ... جارت لنـا فيـــه المَقادِيرُ
ساقي النَّدامى سَقَّهـا صاحِبي ... فإنّنـــي وَيْحــكِ مَعْــذورُ
أأشربُ الخَمــرَ على هَجْرِها ... إنّــي إذاً بالهَجْــرِ مسرورُ !

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف إلى أصبهان[1] : [من الكامل]

يــا ظبيةَ السِّيبِ التـي أحببتُها ... ومَنَحتُها لُطفـي ولِـينَ جَناحي
عَينـايَ باكِيَتــانِ بعــدَكِ للّذي ... أَوْدَعْتِ قلبـي مِن نُدوبِ جِراحِ
سَقْياً لأحمدَ مـــن أخٍ ولِقاسمٍ ... فَقَــدا غُـدوِّي لاهِيـاً ورَواحي
وتَرَدُّدِي مـــن بَيت فــزرٍ آمِناً ... من قُرْبِ كُلِّ مُخالِفٍ ومُلاحي
أيّامَ تَغبِطُنـي المُلـوكُ ولا أرى ... أحــداً لــه كتدلُّـلي ومَراحي
تَصِفُ القِيانُ إذا خلونَ مجانَتي ... ويَصِفْنَ للشَّربِ الكـرامِ سَماحي

ومِمّا يُغنّى فيه من شعر بَكْرِ بن النَّطّاح في هذه الجارية قوله[2] : [من الكامل]

صوت

هــل يُبتَلى أحــدٌ بمِثْـلِ بَلِيَّتـي ... أم ليس لي في العالَمين ضَرِيبُ
قالــت عَنانُ وأبصرتْني شاحِباً : ... يا بَكْرُ مالكَ قد عَلاك شُحوبُ
فأجَبتُها : يـا أختُ لم يلـقَ الذي ... لاقيـــتُ إلاّ المُبْتَـــلى أيُّوبُ
قــد كنـتُ أسمعُ بالهـوى فأظُنُّه ... شيئـاً يَلــذُّ لأهلِــهِ ويَطِيبُ
حتى ابتُلِيــتُ بحُلْــوه وبمُـرِّه ... فالحلـــو منـــه للقُلـوبِ مُذيبُ
والمُـرّ يَعجِز مَنْطقي عــن وَصْفِهِ ... للمُــرِّ وصفٌ يــا عَنانُ عَجيبُ
فأنـــا الشّقـــيّ بحُلْــوِهِ وبِمُـــرِّه ... وأنــا المُعَنَّى الهائِــمُ المَكرُوبُ
يـا دُرَّ حالَفَـكِ الجَمالُ فما لـه ... في وَجْه إنسانٍ سواكِ نَصيـــبُ
كلُّ الوجـوه تَشابَهَـتْ وبَهَرْتِها ... حُسناً فوَجهُكِ في الوُجوهِ غريبُ
والشمس يغرُب في الحِجاب ضِياؤُها ... عنّـا ويُشْرِق وَجهُكِ المَحْجوبُ

ومِمّا يُغنّى فيه من شِعْرِه فيها أيضاً[3] : [من الكامل]

1 شعره : 234-235 (عن الأغاني) .
2 شعره : 219-220 (عن الأغاني) .
3 شعره : 270-271 .

غَضِبَ الحبيبُ عليَّ في حُبِّي له ... نَفْسي الفِداءُ لِمُذْنِبٍ غَضْبانِ
ما لي بما ذكر الرّسولُ يدانِ بل ... إن تَمَّ رأيُكَ ذا خَلَعْت عِناني
يا مَنْ يَتُوقُ إلى حَبيبٍ مُذنِبٍ ... طاوعْتَه فَجَزاك بالعِصْيانِ
هلاّ انتحرتَ فكنتَ أوّلَ هالِكٍ ... إن لم يَكُن لك بالصُّدودِ يَدانِ
كنّا وكُنْتُم كالبَنانِ وَكَفِّها ... فالكفُّ مفردَةٌ بغَيْرِ بَنانِ
خُلِق السُّرورُ لمَعْشرٍ خُلِقوا له ... وخُلِقْتُ للعَبَراتِ والأَحزانِ

صوت[1]

[من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي أَأَوّلُ الهَرْجِ هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غيرِ هَرْجِ[2]
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحنُ بخَير ... قد أَتانا من عَيْشِنا ما نُرَجّي[3]
ملِكٌ يُطْعِم الطَّعام ويَسْقي ... لبنَ البُخْت في عِساسِ الخَلَنْجِ[4]
جَلب الخَيْل من تِهامَةَ حتّى ... بلغَت خيلُه قصورَ زَرَنْجِ[5]
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأَكـ ... ـتاف يُوجِفن بين قُفٍّ ومَرْجِ[6]

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قَيْس الرُّقيّات ، والغناء ليُونُس الكاتب ماخوريّ بالبنصر ، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مَجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 179–180 .

2 الهرج : القتل . انظر شرح الأستاذ محمود محمد شاكر في الطبقات : 531–532 وحاشية الديوان .

3 الديوان : فأنا بخير . . من عيشه .

4 الديوان :

ملك يبرم الأمور ولا يـ ... ـشرك في رأيه الضعيف المزجي

والمزجي : هو الذي يدافع الأمر ليفرغ منه بأقلّ الجهد . والبخت الإبل الخراسانية . والعساس : جمع عس وهو القدح الكبير . والخلنج : نوع من الشجر .

5 الديوان : وردت بدل بلغت . وزرنج : مدينة بخراسان .

6 الديوان : يرجعن . وذو الأكتاف : سابور بن هرمز . وقفّ : ما ارتفع من الأرض وغلظ . ومرج : أرض واسعة .

[402] ـ مقتل مصعب بن الزُّبير[1]

وهذا الشعر يقوله عُبَيْد الله بن قَيْس لمُصعَب بن الزُّبير لمّا حَشَدَ للخروج عن الكوفة عامداً لمحاربة عبد الملك بن مَروان .

[عبد الملك يستشير]

وكان السبب في ذلك ، فيما أجاز لنا الحِرْميّ بن أبي العلاء روايته عنه ، عن الزُّبير بن بكّار ، عن المدائنيّ قال : لمّا كانت سنة اثنتين وسبعين[2] ، استشار عبدُ الملك بن مروان عبدَ الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومُناجزة مُصْعَب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد واليتَ بين عامين تغزو فيهما وقد خَسِرت خيلَك ورجالَك ، وعامُك هذا عامٌ حارٌ فأرح نفسك ورَجلَك ثم ترى رأيك . فقال : إنّي أُبادر ثلاثة أشياء ، وهي أنّ الشام أرضٌ بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي ، وأشرافُ أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم ، وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد كبروا ونفِدت أعمارُهم ، وأنا أُبادِر بهم الموتَ أحبّ أن يحضروا معي .

ثم دعا يَحيى بن الحكم ، وكان يقول : مَن أراد أمراً فَلْيُشاورْ يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى في المسير إلى العراق ؟ قال : أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مُصعباً بالعراق ، فلعن الله العراق ! فضحك عبدُ الملك .

ودعا عبدَ الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرة فنصرك اللهُ ، ثم غزوتَ ثانية فزادك الله بها عِزّاً ، فأقم عامَك هذا .

فقال لمحمد بن مروان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن ينصُرَك الله أقمتَ أم غزوتَ ، فشمِّر فإنّ الله ناصرُك . فأمر الناسَ فاستعدّوا للمسير ، فلمّا أجمع عليه قالت عاتكةُ بنتُ يزيد بن معاوية زوجته : يا أمير المؤمنين وجِّه الجُنودَ وأقِم ، فليس الرأيُ أن يُباشر الخليفةُ الحرب بنفسه . فقال : لو وجَّهتُ أهلَ الشام كُلّهم فعلِم مُصعَب أنّي لستُ معهم لهلك الجيشُ كلّه ، ثم تمثّل[3] : [من الطويل]

---

1 مقتل مصعب بن الزُّبير في كتب التاريخ الكبرى كالطبري والمسعودي والكامل والبداية والنهاية ، وانظر أنساب الأشراف والعقد .

2 الطبري والمسعودي : سنة 71 .

3 انظر الخبر وما تمثل به عبد الملك في العقد 4/407 .

ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُرِيد بنا الرَّدى ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ

ثم قدم محمد بن مَروان ومعه عبد الله بن خالد بن أُسيد وبِشْرِ بن مروان ، ونادى مُناديه : إنّ أمير المؤمنين قد استعملَ عليكم سيّد الناس محمد بن مروان . وبلغ مُصعبَ بن الزُّبير مسيرُ عبد الملك ، فأراد الخُروجَ فأبى عليه أهلُ البصرة وقالوا : عدوُّنا مُطِلٌّ علينا ، يعنون الخوارج ، فأرسل إليهم بالمهلّب وهو بالموصلْ ، وكان عاملَه عليها ، فولاّه قتالَ الخوارج ، وخرج مُصعب فقال بعض الشعراء : [من الرجز]

أَكُلُّ عـام لك باجُمَيْرا تَغزُو بنا ولا تُفِيد خَيْرا[1]

[سير القتال]

قال : وكان مُصعب كثيراً ما يخرُج إلى باجُمَيْرا يريد الشام ثم يرجع . فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونيّة[2] ونزل مُصعب بمَسْكِن[3] إلى جنب أوانا[4] وخَنْدَق خَنْدقاً ثم تحول ونـزل دير الجاثَلِيق[5] وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، ويقال فرسخان ، فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكلُّ واحدٍ منهما على جيش والأمير محمد ، وقدّم مُصعبٌ إبراهيمَ بنَ الأشتر ؛ ثم كتب عبد الملك إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة يدعُوهم إلى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطُوا عليه شروطاً ، وسألوه ولاياتٍ ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رجلاً منهم . فقال عبد الملك لَمن حضره : ويْحكم ! ما أصبهان هذه ! تعجُّباً مّمن يطلبها . وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر : لك ولايةُ ما سقى الفراتُ إن تبعتني ، فجاء إبراهيمُ بالكتاب إلى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يَخْصُصني بهذا دون غيري من نظرائي ؛ ثم قال : فأطعني فيهم ، قال : أصنع ماذا ؟ قال : تدعوهم فتضرب أَعناقَهم . قال : أقتُلهم على ظنّ ظننته ! قال : فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرض المدائن حتى تَنقضيَ الحرب ، قال : إذاً تفسد قلوبُ عشائرهم ، ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تمدّني بهم فإنّهم كالمومسة تريد كلّ يوم خليلاً ، وهم يريدون كلّ يوم أميراً .

أرسل عبد الملك إلى مُصعَب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة ، فأبى مُصعَب . فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال : اللهمّ انصر محمداً ، ثلاثاً ، ثم قال : اللهمّ انصر

1 باجميرا : موضع بأرض الموصل .
2 الأخنونيّة : موضع من أعمال بغداد .
3 مسكن : موضع على دُجيل عند دير الجاثليق به قبر مصعب .
4 أوانا : بلدة قريبة من بغداد .
5 دير الجاثليق : دير قديم غربي دجلة قريب من بغداد .

أَصلحنا وخيرنا لهذه الأُمّة . قال : وقدّم مُصعَب إبراهيمَ بن الأشتر ، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مُصعَب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا ، فقُتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس ، وقُتِل صاحب لواء بشر وكان يقال له أُسَيد . فأرسل محمد إلى عبد الملك أنَّ بشراً قد ضيَّع لواءه . فصرف عبدُ الملك الأمر كلّه إلى محمد ، وكفّ الناسُ وتواقفوا ، وجعل أُصحابُ ابن الأشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه . فأرسل عبدُ الملك إلى محمد : ناجزْهم ، فأبى ، فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه ؛ فأمر محمد رجلاً فقال له : قِف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدَعَنّ أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك . وكان قد دبّر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه . فكره أن يُفسِد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أَسيد ؛ فلمّا رأَوْه أرسلوا إلى محمد بن مروان : هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : رُدُّوه بأشدّ مِمّا رددتم مَنْ جاء قبله ، فلمّا قرب المساء أمر محمدُ بنُ مَروانُ أصحابه بالحرب ؛ وقال : حرِّكوهم قليلاً ، فتهايج الناس ، ووجّه مُصعَب عَتّابَ بنَ ورقاء الرِّياحيّ يُعَجِّز إبراهيم ، فقال له : قد قلت له : لا تُمِدّني بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقْتَتَلوا . وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه ، بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه في رايه ، ألاّ تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم ؟ فقالوا : ولِمَ لا ننصرف ؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً . وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قُتِل . فلمّا أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال : انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر . قال : لا أعرف موضع عسكرهم ، فقال له إبراهيم بن عديّ الكنانيّ : انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك . فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب ، ثم رجع إلى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . وأُصبح مصعب فدنا منه ، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا ، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأُتوا محمد بن مروان . فدنا إلى مصعب ثم ناداه : فداك أبي وأُمِّي ، إنّ القوم خاذِلوك ولك الأمان ، فأَبى قبولَ ذلك . فدعا محمدُ بن مروان ابنَه عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريد محمد ، فدنا منه فقال له : إنِّي لكم ناصح ؛ إنّ القوم خاذِلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشدَه . فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : إنِّي أظنّ القوم سيَفون ، فإن أحببت أن تأتيَهم فأْتِهم ، فقال : والله لا تتحدَّث نساء قريش أنِّي خذلتك ورغبت بنفسي عنك ؛ قال : فتقدّم حتى أحتسبك ، فتقدّم وتقدّم ناس معه فقُتِل وقُتِلوا ، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة . وجاء رجل من أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى ، فشدّ عليه مصعب فقتله ، ثم شدّ على الناس فانفَرجوا ، ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيَفرِجون عنه ، ثم

يرجع فيقعد على المرفقة ، حتى فعل ذلك مراراً . وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال له : اعزُب يا كلب ، وشدّ عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصّب رأسه . وجاء ابن أبي فَرْوة كاتبُ مصعب فقال له : جُعِلتُ فداك ، قد تركك القوم وعندي خيل مضمَّرة فاركبها وانجُ بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس أخوك بالعبد . ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب ، فحمل عليه ، وزرق[1] زائدة بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ! فصرعه ، وقال عبيد الله لغلام له : احتَزَّ رأسه ، فنزل فاحتزّ رأسه ، فحمله إلى عبد الملك ، فيقال : إنّه لمّا وضعه بين يديه سجد . قال ابن ظَبيان : فهممت والله أن أقتله فأكون أفتكَ العرب ، قتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد ، ثم وجدت نفسي تنازعني إلى الحياة فأمسكت .

قال : وقال يزيد بن الرِّقاع العامليّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام : [من الطويل]

نحنُ قتلْنا ابنَ الحوارِيِّ مُصعَباً أخا أسد والمَذْحِجِيَّ اليمانيا[2]

يعني ابنَ الأشتر ، قال :

ومرَّت عُقاب الموت منّا بمُسلِمٍ فأهْوَت له ظُفراً فأصبَح ثاوِيا[3]

قال الزُّبير : ويروى هذا الشعر للبَعِيث اليَشْكُريّ ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليّ .

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، عن عَوانَة قال : كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر ، فطُعِن وسقط فارتُثَّ[4] ، فلمّا قُتِل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك ، فأرسل إليه : ما تصنع بالأمان وأنت بالموت ؟ قال : ليسلَم لي مالي ويأمن ولدي . قال : فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لأهل الشام : هذا أكفر الناس لمعروف ، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك ؟ فقال له خالد : تُؤَمِّنه يا أمير المؤمنين ، فأمَّنه ، ثم حُمِل فلم يبرح الصَّحْنَ

1 زرقه : رماه أو طعنه بالمزراق وهو الرمح القصير .

2 الطبريّ :

ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب أخا أسد والنخعيّ اليمانيا

3 الطبري : فأهوت له ناباً .

4 ارتث : حمل وبه رمق .

حتى مات ، فقال الشاعر : [من الطويل]

نحنُ قَتَلْنا ابنَ الحَوارِيّ مُصعباً أَخا أَسَدٍ والمذحِجيّ اليمانيا

حدَّثنا محمد بن العبّاس قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال : قال رجلٌ لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : بماذا تحتجّ عند الله عزّ وجلّ من قتلك لمصعب ؟ قال : إن تُرِكتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعَة بن صُوحان .

[مصعب وسكينة]

وقال مصعب الزُّبيريّ في خبره : قال الماجشون : فلمّا كان يوم قُتِل مصعب دخل إلى سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه ، ولبس غِلالة وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت سُكينة أنّه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه : واحُزناه عليك يا مصعب ؛ فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه ، فقال : أَوَكُلّ هذا لي في قلبك ! فقالت : إي والله ، وما كنت أُخفي أكثر . فقال : لو كنت أعلم أنّ هذا كلّه لي عندك لكانت لي ولك حال ، ثم خرج ولم يرجع .

قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أنّ مصعب بن الزُّبير لمّا قدمت عليه سُكينة أعطى أخاها عليَّ بن الحسين عليهم السلام ، وهو كان حملها إليه ، أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدَّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت سُكينة : دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النّار الموقدة . قال : وكانت قد ولدت منه بنتاً ، فقال لها سمّيها زَبْراء ، فقالت : بل أُسمّيها باسم بعض أُمّهاتي ، فسمَّتها الرَّباب .

قال : فحدَّثني محمد بن سلام ، عن شعيب بن صخر ، عن أُمّه سُعْدة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيتُ سُكَينة بنت الحسين بين مكّة ومِنًى فقالت : قفي يا بنتَ عبدِ الله ، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ . فقالت : والله ما ألبستْها إيّاه إلاّ لتفضحه ؛ قال : فلمّا قُتِل مصعب وليَ أمرَ مالك عروةُ بن الزُّبير ، فزوّج ابنَه عثمانَ بن عروة ابنةَ أخيه من سكينة وهي صغيرةٍ فماتت قبل أن تبلغ ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار .

قال : ولّما دخلت سُكَينة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبدُ الملك فقالت : والله لا يتزوَّجني بعده قاتِلُه أبداً . وتزوَّجت عبدَ الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام ، ودخلتْ بينها وبينه رَمْلَةُ بنت الزُّبير أُخت مصعب حتى تزوَّجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك ، فولدت منه ابناً فسمَّته عثمان ، وهو الذي يُلقَّب بقرين ، ورُبَيحة ابنَي عبد الله بن عثمان ؛ فتزوَّج رُبَيْحَةَ العبّاسُ بن الوليد بن عبد الملك .

[رثاء مصعب]

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّ الرَّزِيَّـة يـوم مَسْـ ـكِنَ والمُصيبَةَ والفَجيعَهْ
يـا ابـنِ الحوارِيّ الذي لم يَعده يـومُ الوقيعَهْ[2]
غَدَرتْ بـه مُضَرُ العِرا ق وأَمكَنَتْ منـه رَبيعَهْ
تَـالله لـو كانـت لـه بالدَّيْر يومَ الدير شِيعَهْ[3]
لوجَدْتُموه حـين يُـد لـج لا يُعرِّس بالمَضِيعَهْ[4]

غنّاه يونس الكاتب من كتابه ، ولَحْنه خفيف رمل بالوُسْطى ، وفيه لموسى شَهوات خفيف رمل بالبِنْصر عن حَبَش ، وقيل : بل هو هذا اللحن ، وغلِط مَن نسبه إلى موسى .

وقال عديّ بن الرِّقاع العامليّ يذكُر مقتلَه[5] : [من المتقارب]

لعَمْري لقـد أُصحَرَتْ خيلُنا بأَكنافِ دِجْلَـةَ للمُصْعَبِ[6]
يَهُـزّون كُلَّ طويـل القنـا ة معتـدلَ النَّصـلِ والثَّعلبِ
فِـداؤك أُمّـي وأبناؤهـا وإن شئتَ زِدتُ عليهـم أَبي
ومـا قلتُهـا رَهبَـةً إنّمـا يَحُـلّ العِقـابُ على المذنبِ
إذا شِئتُ دافعْـتُ مُستَقْتِلاً أُزاحِـمُ كالجَمَـل الأجربِ
فمَـن يَـكُ مِنّا يَبِتْ آمِناً ومَن يَـكُ من غَيرِنا يَهرُبِ

غنّاه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 184 .
2 يوم الوقيعه في الديوان : أهل الوقيعة .
3 الديوان :

يا لهف لـو كانت لـه بالدير يـوم الدير شيعه

4 يعرس : ينزل آخر الليل للراحة . ورواية الديوان :

لوجدتمـوه حين يغـ ـضب لا يعرج بالمضيعه

5 ديوان عدي بن الرقاع وانظر الطبري (حوادث سنة 71) .
6 أصحرت : برزت إلى الصحراء .

وقال ابن قيس يرثي مُصعَباً[1] : [من الطويل]

لقد أُورَثَ المِصْرَيْن خِزْياً وذِلَّةً قتيـلٌ بدَيْـر الجاثَليـقِ مُقِيمُ
فما قاتَلتْ في اللهِ بكرُ بنُ وائلٍ ولا صَبرتْ عند اللّقاء تميمُ[2]
ولكنّــه رامَ القِيـامَ ولَم يَكُن لها مُضَرِيٌّ يـوم ذاك كَريمُ[3]

[مصعب لا يفر]

قال الزُّبير : وكان مصعب لمّا قدِم الكوفةَ يسأل عن الحسين بن عليّ عليهما السلام وعن قتْله ، فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدّثه عن ذلك ، فقال متمثّلاً بقول سُليمان بن قَتَّة : [من الطويل]

فإنَّ الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ تأَسَّوْا فسَنُّوا للكِرامِ التَّأَسِّيا

قال عروة : فعَلِمت أَنّ مُصْعَباً لا يفرّ أَبداً .

قال الزُّبير : وقال أَبو الحكم بن خلاد بن قُرَّة السَّدوسيّ : حدَّثني أَبي قال : لمّا كان يوم السَّبَخة حين عَسْكَرَ الحجّاج بإزاء شبيبٍ الشاريّ قال له الناس : لو تنحّيت أيّها الأمير عن هذه السَّبخة ؟ فقال لهم : ما تنحُّوني ، واللهِ ، إليه أَنتنُ ، وهل ترك مصعبٌ لكريم مفرّاً ؟ ثم تمثّل قولَ الكَلْحَبَة : [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أَوشَكت حِبالُ الهُوَيْنـى بالفتـى أَن تَقطَّعا

[خطبة عبد الله بن الزُّبير]

قال الزُّبير : وحدَّثني المَدائنيّ عن عَوانة والشّرقيُّ بن القطاميّ عن أَبي جَنابٍ قال : حدَّثني شيخٌ من أهل مكّة قال : لمّا أتى عبدَ الله بن الزُّبير قتلُ مصعب أضرب عن ذكره أيّاماً حتى تحدَّثت به إماءُ مكّة في الطريق ؛ ثم صعد المِنبر فجلس عليه مليّاً لا يتكلّم ، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه ، وجبينُه يرشَحُ عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبي : ما له لا يتكلّم ؟ أَتُراه يَهاب المنطق ؟ فوالله إنّه لخطيب ، فما تُراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتلَ مصعب سَيِّدِ العرب فهو يفظع لذكره ، وغيرُ ملوم . فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدُّنيا والآخرة ، يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلُّ مَن يشاء ؛ ألا إنّه لم يَذِلّ واللهِ مَن كان الحقّ معه وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ولم يَعِزّ مَن كان الباطل معه ، وإن كان في العُدَّة والعَدد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 196 .
2 الديوان : فما نصحت لله . . .
3 الديوان :

ولكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مضري . . .

والكثرة . ثم قال : إنّه قد أتانا خَبرٌ من العراق بلدِ الغدر والشقاق فساءنا وسرَّنا ، أتانا أن مصعباً قُتِل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأمّا الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة ، ثم يرعَوي من بعدُ ذو الرأي والدِّين إلى جميل الصبر . وأمّا الذي سرّنا منه فإنّا قد علمنا أنّ قتله شهادة له وأنّ الله عزّ وجلّ جاعلٌ لنا وله ذلك خِيرةً إن شاء الله تعالى . إنّ أهل العراق أسلموه وباعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسَرِه ، أسلموه إسلامَ النَّعَم المُخَطَّم[1] فقُتِل ، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمُّه وأخوه وكانوا الخيارَ الصالحين . إنّا والله ما نموت حَتْفَ أنوفنا ، ما نموت إلاّ قَتْلاً ، قَعْصاً بين قِصَد الرِّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِل رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قطّ ، وإنّما الدُّنيا عاريةٌ من المَلِك القهّار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبِل الدُّنيا عليّ لا آخذْها أخْذ الأشِر البطِر ، وإن تُدبِر عنّي لا أبْكِ عليها بكاء الخرِف المُهْتَر . ثم نزل .

وقال رجلٌ من بني أسد بن عبد العُزّى يرثي مُصعباً : [من الطويل]

لعمـرُك إنّ المـوتَ منّـا لُمولَعٌ   بكُلِّ فتًـى رَحْبِ الذّراعِ أريبِ
فإن يَكُ أمسى مُصعبٌ نال حَتفَه   لقد كان صُلْبَ العُودِ غيرَ هَيُوبِ
جميلَ المُحَيَّا يُوهِـن القِرنَ غَربُه   وإن عضَّه دَهْـرٌ فغيـر رَهُـوبِ
أتـاه حِمامُ المَوْت وَسْط جُنودِهِ   فطـاروا شِلالاً واستَقى بذَنُوبِ[2]
ولـو صَبروا نالـوا حُبّـاً وكرامةً   ولكنّهـم وَلَّـوا بغير قُلـوبِ

[مصعب أشجع الناس]

قال : وقال عبد الملك يوماً لجلسائه : مَن أشجع الناس ؟ فأكثروا في هذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناس مُصعبُ بنُ الزُّبير ، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكَينة بنت الحسن وأمَة الحَميد بنت عبد الله بن عاصم ، ووليَ العراقين ، ثم زحف إلى الحرب ، فبذلتُ له الأمانَ والحِباء والولايةَ والعفو عمَّا خلص في يده ، فأبى قبول ذلك ، واطَّرح كلّ ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قدماً يقاتل وما بقي معه إلاّ سبعةُ نفر حتى قُتِل كريماً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا وَليَ مُصعبُ بنُ الزُّبير

1 النعم المخطم : البعير الذي جعل الخطام على أنفه لاقتياده .
2 طاروا شلالاً : فروا متفرقين .

العراقَ أَقرَّ عبدَ العزيز بنَ عبدالله بن عامر على سِجِستان وأَمدَّه بخَيل ، فقال ابنُ قيس الرُّقيات : [من الخفيف]

ليتَ شِعْري أَأَوَّلُ الهَرْج هـذا ... أَم زَمـانٌ من فتْنةٍ غير هَـرْجِ
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحـن بخيرٍ ... قد أَتانـا مـن عَيْشنا مـا نُرَجِّي
أُعطِيَ النَّصرَ والمهابـةَ في الأَعـ ... ـداءِ حتـى أَتَوْه مـن كلِّ فجٍّ
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأَكـ ... ـتاف يُوجِفْن بـين قُفٍّ ومَرْجِ
ملـكٌ يُطعِـم الطّعامَ ويَسْقي ... لَبَـنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ

قال الزُّبير : حدَّثني عمِّي مُصعب : أنّ عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك ، فأَقبل غِلمانٌ له معهم عِساس خَلَنْج فيها لبن البخت ، فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، أين هذا من عِساس مصعب التي تقول فيها : [من الخفيف]

ملكٌ يطعـم الطعـام ويسقي ... لبنَ البُخت في عِساس الخَلَنْجِ

فقال : لا أين يا أَمير المؤمنين ، لو طرحتَ عِساسَك هذه في عُسٍّ من عساس مُصعب لوَسِعها وتغَلغلت في جوفه ، فضحك عبد الملك ثم قال : قاتلك الله يا ابن قيس ، فإنّك تأبى إلاّ كرماً ووفاءً .

[يونس الكاتب والوليد بن يزيد]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمد بن الطيب قال : قال لي أَحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود : خرج يونس الكاتب من المدينة يُريد الشام بتجارة ، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأتته رُسلُه وهو في الخان ، وذلك في خلافة هشام ، والوليدُ يومئذٍ أَميرٌ ، فقالوا له : أَجِب الأَميرَ ؛ قال : فذهبتُ معهم ، فأَدخلوني عليه ولا أَدري مَن هو إلاّ أَنّه حسنُ الوجه نبيل . فسلَّمتُ عليه ، فأَمَرني بالجلوس فجلست ، ودَعا بالشراب والجواري ، فكنّا يومَنا وليلتنا في أمرٍ عجيب ، وغنَّيتُه فأَعجبَه غنائي ، وكان مِمّا أعجبه : [من الخفيف]

لَيتَ شِعْري أَأَوَّلُ الهَرْج هذا ... أَم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غير هَـرْجِ

فلم يزل يستعيده إلى الصبح ، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيّام . فقلت : أَيّها الأَمير ، أنا رجلٌ تاجر قدِمتُ هذا البلدَ في تجارةٍ لي ، وقد ضاعت ، فقال : تخرج غداً غُدْوةً وقد رَبِحتَ أَكثرَ من تجارتك ، وتَمَّم شُربه . فلمّا أَردتُ الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار ، فأَخذتها ومضيت . فلمّا أَفضت الخلافة إليه أَتيتُه ، فلم أَزَل مُقيماً عنده حتى قُتِل .

قال أحمد بن الطيب ، وذكر مُصْعب الزُّبيريّ ، أنَّ يونس قال : كنتُ أشربُ مع أصحاب لي فأردتُ أن أبُولَ ، فقمتُ فجلستُ أبُولُ على كثيب رمل ، فخطر ببالي قولُ ابنِ قَيس :

ليتَ شِعري أأوَّلُ الهَرْجِ هذا

فغنَّيت فيه لحناً استحسنتُه وجاءَ عجباً من العجب ، فألقيتُه على جاريتي عاتكةَ ، وردَّدَتْه حتى أخذتْه ، وشاع لي في الناس . فكان أوّلَ صوت شاع لي وارتفع به قَدْري وقُرِنتُ بالفُحول من المغنِّين ، وعاشرت الخلفاءَ من أجله ، وأكسبني مالاً جليلاً .

صوت[1]

[من المتقارب]

أَلا نادِ جيرانَنا يَقصِدُوا فنَقْضي اللُّبانـةَ أو نَعْهَـدُ[2]
كأنَّ على كَبِـدي جَمْرةً حِذاراً من البَيْنِ مـا تَبْرُدُ[3]

الشعر لكُثَيِّر ، والغناء لأَشْعَب المعروف بالطمع ، ثاني ثقيل بالوُسطى ، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش .

1 ديوان كثيّر : 493 .
2 الديوان : ألا نادِ لجيراننا .
3 جمرة في الديوان : قرحة .

[403] ـ ذكر أَشعب وأَخباره[1]

هو أَشعَب بن جُبَير ، واسمه شُعَيب ، وكنيته أبو العلاء ، كان يقال لأُمّه : أُمّ الخَلَنْدَج ، وقيل : بل أُمّ جميل ، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيدة . وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْدة ، وأسره مُصعب فضرب عنقه صبراً ، وقال : تخرج عليّ وأنتَ مولاي ؟ ونشأ أشعب بالمدينـة في دور آل أبي طالـب ، وتولّت تربيتَه وكفلته عائشةُ بنت عثمان بن عفّان .

وحُكي عنه أنّه حكى عن أُمّه أنّها كان تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ ، وأنّها زَنَت فَحُلِقت وطِيف بها ، وكانت تنادي على نفسها : مَن رآني فلا يَزْنين ، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلّ عنه فعصيناه ، أَوَنطيعك وأَنتِ مجلودة محلوقة راكبة على جمل !

وذكر رَضْوان بن أَحمد الصَّيْدلانيّ فيما أَجاز لي روايته عنه ، عن يوسف بن الداية عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ عُبيدة بن أشعب أخبره ، وقد سأله عن أوّلهم وأصلهم ، أنّ أباه وجدّه كانا مَولَيَي عثمان ، وأنّ أُمّه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب ، وأنّ ميمونة أُمّ المؤمنين أخذتها معها لمّا تزوّجها النبيّ ﷺ ، فكانت تدخل إلى أزواج النبيّ ﷺ فيستَظرفْنها ؛ ثم إنّها فارقت ذلك وصارت تنقل أَحاديثَ بعضهنّ إلى بعض وتغري بينهنّ ، فدعا النبيُّ ﷺ عليها فماتت .

وذكروا أنّه كان مع عثمان ، رضي الله عنه ، في الدار ، فلمّا حُصِر جرَّد مماليكَه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : مَن أغمد سيفه فهُو حرٌّ ، قال أشعَبُ : فلمّا وقعتْ والله في أُذني كنتُ أوّلَ مَن أغمَد سيفه ، فأُعتِقتُ .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : حدَّثني الفضل بن الرَّبيع قال : كان أشعبُ عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة ، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيُه . وهو أشعبُ بن جُبَير ، وكان أبوه مولى لآل الزُّبير ، فخرج مع المختار ، فقتله مُصعَب صبراً مع مَن قتل .

أَخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابنُ مهرويه قال : حدَّثنا أَحمد بن إسماعيل اليزيديّ قال : حدَّثني التَّـوَّزيّ ، عن الأصمعيّ قال : قال أشعب : نشأت أنا وأبو الزّناد في حِجْر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

1 ترجمة أشعب في وفيات الأعيان 2 : 471–475 وفوات الوفيات 1 : 197–201 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 75 وميزان الاعتدال 1 : 258 وتاريخ بغداد 7 : 37 . والمحاسن والمساوىء : 597 وأخبار الظرفاء : 31 وثمار القلوب : 150 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة جانباً كبيراً من أخباره في مواضع متفرقة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة قال : حدَّثني محمد بن عثمان بن عفّان قال : قلت لأشعب : لي إليك حاجة ، فحلف بالطلاق ، لابنة وَرْدان : لا سألتُه حاجة إلاّ قضاها ، فقلت له : أخبرني عن سنِّك ، فاشتدّ ذلك عليه حتى ظننت أنّه سيُطَلِّق . فقلت له : على رِسْلك ، وحلفتُ له إنّي لا أذكر سنّه ما دام حيّاً ، فقال لي : أمّا إذ فعلت فقد هوّنت عليّ ، أنا والله حيث حُصِر جدّك عثمان بن عفّان ، أسعى في الدار ألتقط السهام . قال الزُّبير : وأدركه أبي .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله اليعقوبيّ عن الهيثم بن عديّ قال : قال أشعب : كنت ألتقط السهامَ من دار عثمان يوم حوصِر ، وكنت في شبيبتي ألحق الحُمُرَ الوحشيّة عدْواً .

[حدّ أمّه على الزنا]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل قالا : أخبرنا المدائنيُّ قال : كان أشعب الطامع ، واسمه شُعيب ، مولى لآل الزُّبير من قِبل أبيه ، وكانت أمّه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفّان ؛ وكانت بغت فضُربت وحُلِقت وحُملت على جمل ، وطِيف بها وهي تنادي : مَن رآني فلا يزنين ، فأشرفت عليها امرأة فقالت : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلَّ عن الزنا فعصيناه ، ولسنا ندعه لقولك وأنتِ محلوقة مضروبة يُطاف بكِ ؟

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا أحمد بن مَهرويه قال : كتب إليّ ابنُ أبي خَيْثَمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : اسم أشعب شُعيب ، ويكنى أبا العلاء ، ولكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه ، وهو شعيب بن جُبير مولى آل الزُّبير ، وهم يزعمون اليوم أنّ أصلهم من العرب انتسبوا إلى ذي رعين ، وولده كثير عندنا ، وأمّ أشعب أم الخَلَندج . فزعم أشعب أنّ أمّه كان تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ ورَحِمِهم ، وامرأة أشعب بنت وردان ، ووردان الذي بنى قبر النبيّ ﷺ حين بنى عُمر بن عبد العزيز المسجد .

[أشعب حسن الصوت]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : وكتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : كان أشعبُ من القرّاء للقرآن ، وكان قد نَسَك وغزا ، وكان حسنَ الصوت بالقرآن ، وربّما صلّى بهم القيام .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني أحمدُ بن يحيى قال :

أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم قال : كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنّي أصواتاً فيجيدها ، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزُّبيريّ : [من السريع]

صوت

إذا تمــــزّزْتُ صُراحِيَّـــةً كمثـل ريح المسك أو أطْيَبُ[1]
ثــم تغنَّـــى لي بأهْزاجِـــه زَيْـدٌ أخـو الأنصارِ أو أشْعبُ
حسِبْتُ أنّــي ملك جالِسٌ حَفَّـت بـه الأملاكُ والمَوْكِبُ
ومــا أبــالي وإلـــهِ الوَرى أشرَّق العالَــمُ أم غَـرَّبــوا

غنّى في هذه الأبيات زيد الأنصاريّ خفيف رمل بالبنصر .

[رواية أشعب الحديث]

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد أنّ الربيع بن ثعلب حدَّثهم قال : حدَّثني أبو البختريّ .

حدَّثني أشعب ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ ، ولو أُهدِي إليّ كُراعٌ لقبلتُ» .

قال ابنُ أبي سعد ، ورُوِي عن محمد بن عباد بن موسى عن عتّاب بن إبراهيم ، عن أشعب الطامع ، قال عتّاب : وإنّما حملت هذا الحديث عنه لأنّه عليه ، قال : دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف عليّ وقال : يا أشعب ، ويلك لا تسأل ، فإنّي سمعتُ أبي يقول : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : «ليأتينَّ أقوامٌ يومَ القيامة ما في وجوههم مُزْعة لحم ، قد أخلقوها بالمسألة» .

ويروى عن يزيد بن موهب الرمليّ عن عثمان بن محمد ، عن أشعب ، عن عبد الله بن جعفر : أنّ النبيّ ﷺ تَختَّم في يمينه .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : حدَّثني الأصمعيّ ، عن أشعب قال : استَنشدني ابنٌ لسالم بن عبد الله بن عمر غناءَ الرُّكبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته ، ورأسُ أبيه سالم في بتٍّ[2] فلم ينكر ذلك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو مسلمٍ عن عبد الرحمن بن الحكم ، عن المدائنيّ قال : دفعت عائشةُ بنت عثمان أشعبَ في

1 الصراحية : إناء الخمر .
2 بت : طيلسان من خزّ ونحوه .

البزّازين فقالت له بعد حول : أتوجّهتَ لشيء ؟ قال : نعم ، تعلّمتُ نصفَ العمل وبقي نصفُه ، قالت : وما تعلّمتَ ؟ قال : تعلّمتُ النشرَ وبقي الطيّ .

[وهب له غلام فغشي على أمه من الفرح]

قال المدائنيّ : وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهّم أذهب عنّي الحرص والطلب إلى الناس ، فمررت بالقرشيّين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئاً . فجئت إلى أُمّي فقالت : ما لكَ قد جئتَ خائباً ؟ فأخبرتُها ، فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتَسْتقيل ربّك ، فرجعتُ فقلت : يا ربّ أقِلْني ، ثم رجعت ، فلم أمُرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلاّ أعطوني ووُهب لي غلامٌ . فجئت إلى أُمّي بحمار مُوقَر من كلّ شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفتُ أن أخبرها بالقصّة فتموت فرحاً ، فقلت : وهبوا لي ، قالت : أيّ شيء ؟ قلت : غَين ، قالت : أيّ شيء غَيْن ؟ قلت : لام ، قالت : وأيّ شيء لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأيّ شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأيّ شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني العبّاس بن ميمون قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : سمعتُ أشعبَ يقول : سمعتُ الناسَ يموجون في أمر عثمان . قال الأصمعيّ : ثم أدرك المهديّ .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الرّبيعيّ قال : حدّثني هند بن حَمدان الأرقميّ المخزوميّ قال : أخبرني أبي قال : كان أشعبُ أزرقَ أحولَ أكشفَ[1] أقرع .

قال : سمعتُ الأرقميَّ يقول : كان أشعب يقول : كنتُ أسقي الماءَ في فتنة عثمان بن عفّان . والله أعلم .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثنا عيسى بن موسى قال : حدّثنا الأصمَعيُّ قال : أصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشترى به قطيفة ، ثم خرج إلى قُباء يعرِّفها ، ثم أقبل عليَّ فيما أحسب ، شك أبو يحيى ، فقال : أتُراها تُعرَّف .

قال أحمد : وحدّثناه أبو محمد بن سعد قال : حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال : حدّثني الواقديُّ قال : كنت مع أشعب نريد المُصَلّى ، فوجد ديناراً ، فقال لي : يا ابنَ واقد قلت : ما تشاء ؟ قال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ قال : قلت : عرِّفه ، قال : أم العلاء إذاً طالق ، قال : قلت : فما تصنع به إذاً ؟ قال : أشتري به قطيفة أعرِّفها .

1 أكشف : انحسر مقدم شعر رأسه .

قال : وحدَّثني محمد بن القاسم قال : وحدّثنيه محمد بن عثمان الكُريزيّ ، عن الأصمعيّ : أنّ أشعب وجد ديناراً فتحرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه ، فاشترى به قطيفة ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : مَن يتعرّف الوَبِدَة ؟

أخبرني أحمد الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : سألت العَنَزِيّ ، فقال ! الوَبدُ من كلّ شيء : الخَلَق ؛ وبِدَ الثوبُ ووَمِد إذا أخْلَق .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثنا عيسى بن موسى ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : رأيت أشعب يغنّي وكأنّ صوتَه صوتُ بلبل .

[يصرف الناس عن القاص بغنائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل ، وكان ثَمّ قاصٌّ يَقُصّ عليهم ، فجئتُ فأخذتُ في أغنية من الرقيق ، فتركوه وأقبلوا إليّ ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال : إنّ هذا صرف وجوه الناس عنّي ، قال : وأتيتُ سالماً ، وأحسبه قال ، والقاسمَ ، فسألتهما بوجه الله العظيم ، فأعطياني ، وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله ، قال : قلنا : لا تجعل هذا في الحديث قال : بلى .

حدّثنا أحمد : قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : وحدَّثناه قَعنب بن محرز الباهليّ قال : أخبرنا الأصمعيُّ ، عن أشعب قال : قدِم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يقصّ في رُفقته ، وفيها ألف بعير ، فخرجْنا وأحرمْنا من الشّجرة فطرّبتُ بالتّلبية ، فأقبل الناس إليّ وتركُوه . قال : ابنُ أمّ حُميد ، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : إنّ مولاك هذا قد ضَيّق عليّ معيشتي .

[يحلف ألاّ يأكل مضيرة]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهْم عن المدائنيّ قال : تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ ، فجاؤوا بمَضيرة ، فقال أشعب لخبّاز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : مَن يُصلّي بأهل السّجن ؟ قال : ليس لهم إمام ، قال : أدخلوا أشعب يصلّي بهم ، قال أشعب : أوَ غير ذلك أصلح اللهُ الأميرَ ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف ألاّ آكُلَ مضيرةً أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني قعنب بن المحرز ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : ولّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ مكّة والمدينة . قال أشعب : فلقيتُه بالجُحْفة[1] فسلّمتُ عليه ، قال : فحضر الغداء ، وأهدِي إليه جَدْي فطبخه

1 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

مَضيرة ، وحُشِيت القَبَة[1] قال : فأكلتُ أكلاً أتملَّح به ، وأنا أعرف صاحبي ، ثم أُتِي بالقَبَة ، فشققْتُها ، فصاح الطبّاخ : إنّا لله ! شقّ القَبة ، قال : فانقطعتُ . فلمّا فرغْت قال : يا أشعب ، هذا رمضان قد حضر ، ولا بدّ أن تصلّي بأهل السّجن ، قلت : والله ما أحفظ من كتاب الله إلاّ ما أُقيم به صلاتي ، قال : لا بدَّ منه ، قال : قلت : أَوَلا آكل جَدْياً مضيرة ؟ قال : وما أُصنع به وهو في بطنك ؟ قال : قلت : الطّريق بعيد أُريد أن أرجع إلى المدينة ، قال : يا غلام ، هاتِ ريشة ذَنَب ديك ، قال أشعب : والجُحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك ، قال : فأدخلت في حلقي فتقيّأتُ ما أكلتُ ، ثم قال لي : ما رأيك ؟ قال : قلت : لا أُقيم ببَلْدة يصاح فيها : شقَّ القَبَة ، قال : لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك ، فقل ولا تشطط قال : قلت : نصف دِرهم كِراء حمار يُبلِّغني المدينة ، قال : أنصفت وأعطانيه .

[بعض طرائف أشعب]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال أخبرني أبو مسلم ، عن المدائنيّ قال : أُتيَ أشعبُ بفالُوذجة عند بعض الولاة ، فأكل منها ، فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكُن عُملت قبل أن يوحيَ الله عزَّ وجلَّ إلى النحل .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا عبد الله بن شعيب الزُّبيريّ عن عمِّه . قال أبو بكر : وحدَّثني ابن أبي سعد قال : حدَّثني عبد الله بن شعيب وهو أتمُّ من هذا وأكثر كلاماً ، قال : جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزُّبير ، فشكا إليه ، فأمر له بصاع من تمر . وكانت حال أشعب رثَّة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : ويحك يا أشعب ! أنت في سِنّك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتُعْطى مثل هذا ؟ اذهبْ فادخُل الحمام فاخْضِب لحيتَك . قال أشعب : ففعلتُ ، ثم جئتُه فألبسني ثيابَ صوف له وقال : اذهبْ الآن فاطلب ، قال : فذَهبتُ إلى هشام بن الوليد ، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة ، وكان رجلاً شريفاً موسِراً ، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً ، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد ، وطفِق كلّما جلس في حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى ، جزاه الله عنّي خيراً ، أعرف الناس بمسألة ، فعل بي وفعل ، فيقص قصّته . فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدوَّ نفسه ! فضحتني في الناس ، أفكان هذا جزائي !

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال : حدَّثني شيخٌ أنّه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفَرْع[2] يبكي وقد خضب بالحناء .

1 القبة : جزء من أسفل الكرش .

2 الفرع : قرية بين مكة والمدينة .

فقالوا : يا شَيْخ ما يبكيك ؟ قال : لغربة هذا الجناح ، وكان على دار واحدة ليس بالفَرْع غيره .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه ، قال : أخبرني محمد بن الحسين قال : حدَّثني أبي ، قال : نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله ﷺ قال : وهو يدعو ويتضرَّع ، قال : فأدمْتُ نظري إليه ، فكلّما أدمْتُ النظر إليه كلَّح وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هرَبت فسألت عنه فقالوا : هذا أشعب .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفِهْريّ قال : إنّ أشعب مرَّ برشٍّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال : كأنّ هذه الرشّ كِساءٌ بَرْنَكانيٌّ[1] فلمّا توسّطه قال : أظنّني والله قد صدقت ، وجلس يلمس الأرض .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثنا بعض المدنيِّين قال : كان لأشعب خرقٌ في بابه ، فينام ويُخرِج يدَه من الخرق ويطمع أن يجيءَ إنسانٌ فيطرح في يده شيئاً ؛ من الطمع .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال : صلّى أشعب يوماً إلى جانب مَروان بن أبان بن عثمان ، وكان مروانُ عظيمَ الخَلق والعَجيزة ، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه ، لها صوت ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوَهِم الناس أنّه هو الذي خرجت منه الريح ، فلمّا انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدِّية ، فقال : دِيَةُ ماذا ؟ فقال : دية الضرطة التي تحمَّلتها عنك ، والله وإلاّ شهّرتك ، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدَّثني سوّار بن عبد الله قال : حدَّثني مهديّ بن سليمان المِنقريّ مولى لهم ، عن أشعب قال : دخلتُ على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأُحبّه فيه ، فقال : ما أدخلك عليّ ؟ اخرج عنّي ، فقلت : أسألك بالله لما جَدَدْتَ[2] عِذْقاً ، قال : يا غلام ، جُدّ له عِذقاً ، فإنّه سأل بمسألة لا يفلح من رَدَّها أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال حدَّثنا الرياشيّ قال : حدَّثني أبو سلمة أيّوب بن عمر ، عن المحرزيّ ، وهو أيّوب بن عباية أبو سليمان قال : كان لأشعب عليّ في كلّ

1 كساء برنكاني : كساء من صوف .

2 جدّ العذق : قطعه .

سنة دينار ، قال : فأتاني يوماً ببُطحان[1] فقال : عجّل لي ذلك الدينار ، ثم قال : لقد رأيتني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مِمّا آخذ من هذا وهذا وهذا .

[مباراة بين أشعب وابنه]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : سمعتُ أبي يحكي عن بعض المدنيّين قال : كَبر أشعبُ فملّه الناس وبَرَد عندهم ، ونشأ ابنُه فتغنّى وبكى وأندَر[2] ، فاشتهى الناس ذلك ، فأخصب وأجدب أبوه : فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه ، وجاء ابنه وامرأته فقال له : بلغني أنّك قد تغنّيت وأندرتَ وخطبتَ ، وأنّ الناس قد مالوا إليك فهلمّ حتى أخايرَك[3] ، قال : نعم ، فتغنّى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعَد ، وتغنّى ابنُه فإذا هو حسنُ الصوت مطرب ، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك ، ثم خطبا فكان الأمرُ كذلك ، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه ، ثم قال : نعم ، فمن أين لك مثل خُلُقي ؟ مَنْ لك بمثل حديثي ؟ قال : وانكسر الفتى ، فنَعَرت العجوز ومَن معها عليه .

[دفن بنت الحسين بن علي]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسين بن هارون قال : حدَّثني محمد بن عباد بن موسى قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارَنا هنا قال : حدَّثني محمد بن حرب الهلاليّ ، وكان على شُرطة محمد بن سليمان ، قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدّثه قال : كانت بنتُ حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربّيها حتى صارت امرأة ، وحجّ الخليفة فلم يبقَ في المدينة خَلْق من قريش إلاّ وافى الخليفة إلاّ مَن لا يَصلُح لشيء ، فماتت بنتُ حسين بن عليّ ، فأرسلت عائشةُ إلى محمد بن عمرو بن حَزم وهو والي المدينة ، وكان عفيفاً حديداً[4] عظيمَ اللّحية ، له جارية مُوكّلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها ، وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذه . فأرسلت عائشة : يا أخي قد ترى ما دخل عليّ من المصيبة بابنتي ، وغَيبةِ أهلي وأهلِها ، وأنت الوالي ، فأمّا ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني ، وأمّا ما يكفي الرجالَ من الرجالِ فاكفِنيه ، مُرْ بالأسواق أن ترفع ، وأمر بتجريد مَن يحمل نعشها ، ولا يحملها إلاّ الفقهاء الألِبّاء من قريش بالوقار والسكينة ، وقُم على قبرها ولا يدخلْه إلاّ قرابتُها من ذوي الحِجا

1 بطحان : واد بالمدينة
2 أندر : أتى بالنوادر .
3 أخايرك : أغالبك .
4 رجل حديد : فيه شدّة .

والفضل . فأتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقِيل ، فدخل عليه فأبلغه رسالتها ، فقال ابنُ حزم لرسولها : أقرىء ابنة المظلوم السلام وأخبرها أنّي قد سمعت الواعيةَ[1] وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أُبرِد ، ثم أُصلّي ، ثم أُنفِّذ كلّ ما أمرت به . وأمر حاجبَه وصاحبَ شُرطته برفع الأسواق ، ودعا الحرسَ وقال : خذوا السّياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلاّ ذوي قرابتها بالسكينة والوقار ؛ ثم نام وانتبه وأُسرِج له ، واجتمع كلُّ مَن كان بالمدينة ، وأتى بابَ عائشة حين أُخرِج النعشُ ، فلمّا رأى الناس النعش التقفوه ، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً ، وجعل ابنُ حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء : اربَعوا أيّ ارفقوا فلم يسمعوا ، حتى بُلغ بالنعش القبرُ . فصلّى عليها ، ثم وقف على القبر فنادى : مَن هاهنا من قريش ؟ فلم يحضره إلاّ مروانُ بن أبان بن عثمان ، وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن ينثني من بطنه ، سخيفَ العقل ؛ فطلع وعليه سبعةُ قمصٍ ، كأنّها دَرَج ، بعضُها أُقصرُ من بعض ورداءٌ عدنيّ يثمن ألفي درهم . فسلّم وقال له ابن حزم : أنتَ لعَمري قريبُها ، ولكنّ القبرَ ضيّق لا يسعك ، فقال : أصلح الله الأمير إنّما تضيق الأخلاق . قال ابن حزم : إنّا لله ، ما ظننتُ أنّ هذا هكذا كما أرى . فأمر أربعة فأخذوا بضَبْعِه حتى أدخلوه في القبر ، ثم أتى خراءُ الزّنج ، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ، ثم قال : واسيّدتاه وابِنْت أُختاه ! فقال ابن حزم : تاللهِ لقد كان يبلغني عن هذا أنّه مخنّث ، فلم أكن أرى أنّه بلغ هذا كلّه ، دَلّوه فإنّه عورة ، هو والله أحقّ بالدفن منها . فلمّا أُدخِلا قال مروان لخِراء الزنج : تنحَّ إليك شيئاً . فقال له خراء الزنج : الحمد لله ربّ العالمين ، جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ . فقال لهما ابن حزم : اسكُتا قبّحكما الله وعليكما لعنته ، أيّكما الإنسيّ من الوحشيّ ، والله لئن لم تسكتا لآمرنّ بكما فتدفنان ، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيِّين وهو ناقةٌ من مرض لو أُخذ بعوضة لم يضبطها فقال : أنا خالها وأُمِّي سودة وأُمّها حفصة ، ثم رمى بنفسه في القبر ، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح : أَوه ! أَصلح الله الأمير دقّ والله عرقوبي . فقال ابن حزم : دقّ اللهُ عرقوبَك وترقوتَك ! اسكُت ويلك ، ثم أقبل على أصحابه فقال : ويحكم إنّي خبِّرت أنّ الجارية بادن ، ومروانُ لا يقدر أن ينثني من بطنه ، وخراء الزنج مخنّث لا يَعقِل سُنّة ولا دفناً ، وهذا الحاطبيّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه ، فمَن يدفن هذه الجارية ؟ والله ما أمرتْني بهذا بنتُ المظلوم . فقال له جلساؤه : لا والله ما بالمدينة خَلْق من قريش ، ولو كان في

1 الواعية : الصراخ على الميت .

هؤلاء خير لما بَقُوا ؛ فقال : من هاهنا من مواليهم ؟ فإذا أَبو هانىء الأَعمى وهو ظئر لها ، فقال ابنُ حزم : مَن أَنت رحمك الله ؟ قال : أنا أبو هانىء ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفِن أحياءهم وأمواتهم ، فقال : أنا في طلبك ، ادخُل رحمك الله ، فادفِن هؤلاء الأحياء ، حتى يُدلَّى عليك الموتى ؛ ثم أقبل على أصحابه فقال : إنّا لله ، وهذا أيضاً أعمى لا يبصر . فنادوا : مَن هاهنا من مواليهم فإذا برجلٍ يزيديّ يقال له أبو موسى قد جاء ، فقال له ابنُ حزم : مَن أنت أيضاً ؟ قال : أنا أبو موسى صالمين ، وأنا ابن السميط سميطين والسعيد سعيدين ، والحمد لله ربّ العالمين . فقال ابنُ حزم : والله العظيم لتكونن لهم خامساً ، رَحِمكِ الله يا بنت رسول الله ، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثّتك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأظنّه سقط رجل آخر .

[أشعب وجديه]

أَخبرني أَحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني اليعقوبيّ محمد بن عبد الله قال : حدَّثني أبو بكر الزلال الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني مَن رأى أشعب وقد علّق رأسَ كلبه وهو يضربه ويقول له : تنبح الهديةَ وتُبصبِص للضيف .

أُخبرنا أَحمد ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أَبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن محمد الزُّبيريّ أَبو الطّاهر قال : حدَّثني يحيى بن محمد بن أَبي قتيلة قال : غَذَا أَشعَبُ جَدْياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغايةَ قال : ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته : أيْ ابنة وَرْدان ، إنّي أُحِبّ أن تُرضِعيه بلبنك . قال : ففعلت ؛ قال : ثم جاء به إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال : بالله إنّه لابني ، قد رضع بلبن زوجتي وقد حَبوْتُك به ، ولم أرَ أحداً يستأهله سواك . قال : فنظر إسماعيلُ إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبح وسُمِط ، فأقبل عليه أشعب ، فقال : المكافأة ، فقال : ما عندي والله اليوم شيء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك . فلمّا يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد ، ثم اندفع يشْهَق حتى التقت أضلاعُه ، ثم قال : أَخْلني ، قال : ما معنا أحد يسمع ولا عينَ عليك . قال : وثب ابنُك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . قال : فارتاع جعفر وصاح : وَيْلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أمّا ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حِيلَة ولا يسمَع هذا سامِعٌ أبداً بعدك . فجزاه خيراً وأدخله منزلَه ، وأخرج إليه مائتي دِينار وقال له : خذ هذه ولك عندنا ما تُحِبّ . قال : وخرج إلى إسماعيل لا يُبصِر ما يطأ عليه ، فإذا به مُترسِّل في مَجْلِسه . فلمّا رأى وجهَ أبيه نكِره ، وقام إليه ، فقال : يا إسماعيل أَوَفَعَلْتها بأَشْعَب ؟ قتلتَ ولدَه . قال : فاستُضْحِك وقال : جاءَني بِجَدْيٍ من صفَتِه كذا ، وخبَّره الخبر . فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه . قال : فكان جعفر

يقول لأشعب : رعبتني رعبك الله فيقول : رَوْعةُ ابنِك والله إيّاي في الجَدْي أكبر من رَوْعتك أنتَ في المائتي الدينار .

[خالد بن عبد الله يجري عليه دون أن يعرفه]

أخبرنا أحمد قال : حَدَّثنا عبد الله بن عَمرو بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق المُسيَّبيّ قال : حدَّثني عُمَير بن عُبيد الله بن أبي بَكْر بن سُليمان بن أبي خَيْثمة ، قال : وعُمَير لقبٌ واسمُه عبد الرحمن ، عن أشعب قال : أتيتُ خالدَ بن عبد الله بن عَمرو بن عثمان بن عفّان ليلة أسأله ، فقال لي : أنتَ على طريقة لا أُعطي على مِثْلها ، قلت : بلى جُعِلْت فِداءَك ؟ ؛ فقال : قُم فإن قُدِر شيء فسيكون ؛ قال : فقمت ، فإنّي لَفي بعض سِكك المدينة ، إذ لَقيني رجل فقال : يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً فما أنتَ صانع ؟ قلت : أشكر الله وأشكر مَن فعله . قال : كم عيالُك ؟ فأخبرتُه قال : قد أُمِرْتُ أن أُجري عليك وعلى عِيالك ما كنتَ حيّاً . قال : مَن أمرَك ؟ قال : لا أُخبِرْك ما كانت هذه فوق هذه ، يريد السماء ، وأشار إليها . قال : قلت : إنّ هذا معروف يُشْكَر ، قال : الذي أمرني لم يرِد شكرك ، وهو يتمنّى ألاّ يَصِل مِثْلَك . قال : فَمكثْتُ آخذ ذلك إلى أن تُوُفِّي خالدُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . قال : فشهِدَتْه قريشٌ وحَفَل له الناس قال : فشَهدتُه فلَقِيَني ذلك الرجلُ فقال : يا أشعب انْتِفْ رأسَك ولحيتَك ! هذا والله صاحِبُك الذي كان يُجري عليك ما كنتُ أُعطيك ، وكان والله يَتَمَنَّى مباعدة مثْلك ؛ قال : فحمله والله الكرمُ إذْ سألتَه أن فعل بِك ما فعل ، قال عمير : قال أشعبُ : فعَمِلت بنفسي والله حينئذٍ ما حلَّ وحَرُم .

[خشوع أشعب]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبّض وجْهَه فصيّره كالصُّبرة[1] المجموعة ، فرآه عامر بن عبد الله بن الزُّبير فحصبه وناداه : يا أشعب ، إنّما تناجي ربّك . فناجه بوجه طلق ، قال : فأرخى لِحيه حتى وقع على زَوره ، قال : فأعرض عنه عامر وقال : ولا كلّ هذا .

[يجز لحيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني مُصْعَب قال : جزَّ أشعبُ لِحْيَتَه فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير : ألم أقلْ لك إنّ البطّال أملح ما يكون إذا طالت لِحْيَتُه فلا تَجْزُزْ لِحْيَتك .

1 الصبرة : كومة من العظام .

[طرائف أخرى لأشعب]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو الحسن المَدائنيّ قال : وقف أشعَبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوص فقال : لِتكبِّريه فقالت : لِمَ ؟ أتريد أن تَشتَريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهديَ إليّ فيه ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أحمد بن يحيى قال : أخبرنا المدائنيّ ، قال : قالت صديقةُ أشعب لأشعبَ : هَبْ لي خاتمَك أذكرك به ، قال : اذكري أنّي منعتُكِ إيّاه ؛ فهو أحبّ إليَّ .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مُسْلِم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : قال أشعب مرّة للصبيان : هذا عمرو بنُ عثمان يقسّم مالاً ، فمضوا ، فلمّا أبطؤوا عنه اتّبعهم ؛ يحسب أن الأمر قد صار حقّاً كما قال .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : دعا زيادُ بنُ عبد الله أشعبَ فتغدّى معه ، فضرب بيده إلى جَدْي بين يديه ، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام ، فغاظه ذلك ، فقال لخدمه : أخبروني عن أهل السجن ألـهُم إمام يصلّي بهم ؟ وكان أشعبُ من القرّاء لكتاب الله تعالى ، قالوا : لا ؛ قال : فأدخلوا أشعب فصيِّروه إماماً لهم . قال أشعبُ : أوَغير ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال أحلف لك ، أصلحك الله ، ألاّ أذوقَ جَدْياً أبداً ، فخلاّه .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : رأيتُ أشعبَ بالمدينة يُقَلِّب مالاً كثيراً فقلتُ له : ويحك ما هذا الحرص ! ولعلّك أن تَكونَ أيسرَ مِمّن تطلب منه ! قال : إنّي قد مَهَرتُ في هذه المسألة ، فأنا أكره أن أدَعَها فتَنفلت منّي .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : قيل لأشعب : ما بَلَغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ اثنين يتسارّان قَطّ إلاّ كنت أراهما يأمران لي بشيء .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : قال أشعبُ لأُمِّه : رأيتُك في النوم مطْلِيَّة بعسل وأنا مطليٌّ بعَذِرة . فقالت : يا فاسق هذا عَملُك الخبيثُ كساكه اللهُ عزّ وجلّ . قال : إنّ في الرؤيا شيئاً آخر ، قالت : ما هو ؟ قال : رأيتُني ألطَعُك وأنت تَلْطَعِيني ، قالت : لعَنك الله يا فاسق .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : كان أشعبُ يتحدَّثُ إلى امرأة بالمدينة حتى عُرِف ذلك ، فقالت لها جاراتها يوماً : لو سألتِه شيئاً فإنّه مُوسِر ؛ فلمّا جاء قالت : إنّ جاراتي لَيَقُلْن لي : ما يصلُك بشيء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يَقربْها شهريْن ، ثم إنّه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملآناً ماء ، فقالت : اشربْ هذا من الفزع ، فقال : اشربيه أنت من الطمع .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى ، واللفظ لأحمد ، قال : أخبرنا المدائنيّ عن جَهْم بن خلف قال : حدَّثني رجلٌ قال : قلتُ لأشعب : لو تحدَّثت عندي العَشيّة ؟ فقال : أكره أن يجيء ثقيل ، قال : قلت : ليس غَيرُك وغَيْري ؛ قال : فإذا صلّيتُ الظهرَ فأنا عندك .

فصلّى وجاء ، فلمّا وضَعَت الجاريةُ الطعامَ إذا بصديق لي يَدُقّ الباب ، فقال : ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره ؟ قال : قلت : إن عندي فيه عَشْرَ خصال ، قال : فما هي ؟ قال : أوّلُها أنّه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التِّسْعُ الخصال لك ، أدخله . قال أبو مسلم : إن كرِهْتَ واحدةً منها لم أدخِله .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : دخل أشعبُ يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابيٌّ قبيح المنظر مختلف الخِلقة . فسبَّح أشعبُ حين رآه ، وقال للحُسين عليه السلام : بأبي أنتَ وأمّي ، أتأذن لي أن أسْلح عليه ؟ فقال الأعرابيُّ : ما شئتَ ، ومع الأعرابيّ قوسٌ وكِنانة ، ففوّق له سهماً وقال : والله لَئِن فعَلْت لتكونَنَّ آخرَ سَلحة سلَحْتها ؛ قال أشعبُ للحسين : جُعِلتُ فداءَك ، قد أخذني القُولَنج[1] .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : ذَكر أشعبُ بالمدينة رجُلاً قبيح الاسم ، فقيل له : يا أبا العلاء ، أتعرِف فُلاناً ؟ قال : ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم .

وجَدْتُ في بعض الكتب ، عن أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال : توضَّأ أشعبُ فغسل رجلَه اليسرى وترك اليمنى ، فقيل له : لِمَ تركتَ غَسْل اليمنى ؟ قال : لأنّ النبيّ ﷺ قال : أمّتي غُرٌّ مُحجّلون من آثار الوضوء ، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرّ مُحجَّلاً مُطلقَ اليمنى .

وأُخبرتُ بهذا الإسناد قال : سَمِع أشعبُ حُبّي المدينيَّة تقول : اللهمّ لا تمِتني حتى تغفرَ لي ذُنوبي ، فقال لها : يا فاسقة ! أنتِ لم تسألي الله المغفرة إنّما سألتِه عمرَ الأبد ، يُريدُ

1 القولنج : التهاب في الأمعاء الغليظة يصعب معه خروج البراز والريح .

أنّه لا يغفِر لها أبداً .

أخبرنا أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا المدائنيّ ، عن فُلَيْح بن سُليمان قال : ساوم أشعبُ رجُلاً بقَوْس عربيَّة فقال الرجلُ : لا أنقُصُها عن دينار . قال أشعبُ : أعتق ما أملك لو أنّها إذا رُمِيَ بها طائر في جَوّ السماء وقع مشويّاً بين رغِيفين ما أخذتها بدِينار .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : أهدى رجلٌ من بني عامر بن لُؤيّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة ، وأشعب حاضر ؛ قال : كل يا أشعب ، فلمّا أكل منها قال : كيف تجدها يا أشعب ؟ قال : أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكُن عُمِلت قبل أن يوحي اللهُ عزّ وجلّ إلى النَّحل ، أي ليس فيها من الحلاوة شيء .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : سأل سالم بن عبد الله أشعبَ عن طمعه ، قال : قلتُ لصبياني مرّة : هذا سالِم قد فتح باب صدقة عمر ، فانطلقوا يعطكم تمراً ، فمضَوا ، فلمّا أبطؤوا ظننت أنّ الأمر كما قلت فاتّبعتهم .

أخبرني أحمد بنُ بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرني المدائنيّ قال : بينا أشعبُ يوماً يتغدّى إذ دخلت جارةٌ له ، ومع أشعب امرأته تأكل ، فدعاها لِتتَغدّى ؛ فجاءت الجارة فأخذت العرقوبَ بما عليه ، قال : وأهلُ المدينة يسمّونه عُرقوبَ ربّ البيت ، قال : فقام أشعَب فخرج ثم عاد فدقّ الباب ، فقالت له امرأته : يا سخِين العَيْن مالك ! قال : أدخل ؟ قالت : أتستأذن أنت ، وأنت ربُّ البيت ؟ قال : لو كنتُ ربَّ البيت ما كانت العُرْقوبُ بين يدي هذه .

أخبرني بعضُ أصحابنا قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني مصعب قال : قال لي ابن كُلَيْب : حدَّثتُ مرّة أشعب بمُلحة فبكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأتْ ابنتُها قُطِعت ، وقد نشأتَ أنتَ في مواليّ وأنا الآن أموت ، فإنّما أبكي على نفسي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : كان أشعبُ الطّمع يُغنّي وله أصواتٌ قد حُكِيت عنه ، وكان ابنُه عُبيدة يغنّيها ، فمِنْ أصواته هذه : [من الوافر]

أروني مَن يقـومْ لكم مقامي   إذا ما الأمرُ جلّ عن الخِطابِ

إلى مَن تَفزعـون إذا حَثوتُم　　　بأيديكـم عـليّ مـن الترابِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا شُعَيب بن عُبيدة بن أشعب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : كانت سُكَينة بنت الحُسين بن عليّ عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال : وقد كانت أحلفَتْه ألاّ يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت : اخرج بنا إلى حُمران[1] من ناحية عُسْفان . فخرج بها فأقامت ، ثم قالت له : اذهب بنا نعتمر ، فدخل بها مكّة ، فأتاني آتٍ ، فقال : تقول لك ديباجةُ الحرَم ، وهي امرأة من ولد عتّاب بن أسيد : لك عشرون ديناراً إن جئتني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح ، قال أشعب : وأنا أعرف سُكَينة وأعلم ما هي ، ثم غلب عليّ طباع السوء والشره ، فقلت لزيد فيما بيني وبينه : إنّ ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت ، فقال : عِدْها الليلة بالأبطح . فأرسلت إليها فواعدتُها الأبطح ، وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق ، ووضعت حشايا وعليها أنماط ، فجلستْ عليها . فلمّا طلع زيد قامت إليه ، فتلقّته وسلّمت عليه ، ثم رجعت إلى مجلسها ، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سُكينة . فلمّا استبانها زيد قام فأخذ بركابها ، واختبأتُ ناحية ، فقامت الديباجة إلى سُكينة فتلقَّتها وقبّلت بين عينيها ، وأجلستها على الفراش ، وجلست هي على بعض النمارق ؛ فقالت سُكينة : أشعبُ والله صاحبُ هذا الأمر ، ولستُ لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرّة ، لن يقوم لي بشيء أبداً . فطلعتُ على أربع أصيح صِياح الهرّة ؛ ثم دعت جاريةً معها مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت ، وصبّت في حجر الديباجة ، وحفنت لِمَن معها فصبّته في حجورهنّ وركِبتْ وركب زيد وأنا معهم . فلمّا صارت إلى منزلها قالت لي : يا أشعب أفعلتَها ؟ قلت : جعلت فداءك ، إنّما جَعلتْ لي عشرين ديناراً ، وقد عرفتِ طمعي وشرهي ، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويّ لقتلتهما . قال : فأمرت بالرحيل إلى الطائف ، فأقامت بالطائف وحوّطت من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها . قال : ثم قالت لي يوماً : قد أثمنا في زيد وفعلنا ما لا يحلّ لنا ، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة ، وأذنت لزيد فجاءها .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبدُ الله بن محمد بن أبي سَلَمة قال : جاءَ أشعبُ إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه ، فمرّت جارية لأحدهم بحُزمة عَراجين من صدقة عمر ، فقال له أشعبُ : فديتُك ، أنا محتاج إلى حطب فَمُرْ لي بهذه الحزمة ، قال : لا ، ولكن أعطيك نصفَها على أن تحدّثني بحديث ديباجة الحرم . فكشف أشعبُ ثوبَه عن استه واستوفز وجعل يخنس[2] ويقول : إنّ لهذا زماناً ،

1 حمران : ماء .

2 استوفز : قعد منتصباً غير مطمئن . ويخنس : يتأخر .

وجعلت خصيتاه تخطّان الأرض ، ثم قال : أعطاني واللهِ فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً ، وأعطاني فلان كذا ، وأعطاني فلان كذا ، حتى عدّ أموالاً ، وأنت الآن تطلبها منّي بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف .

وفي ديباجة الحرم يقول عمرُ بن أبي ربيعة[1] : [من الطويل]

صوت

ذَهبتَ ولَم تُلمم بديباجة الحرمْ   وقد كنتَ منها في عَناءٍ وفي سَقَمْ
جُنِنْتَ بها لَمّا سمعتَ بذكرها   وقد كنتَ مجنوناً بجاراتها القُدُمْ
إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى   فكن حجراً بالحزْن من حَرَّةٍ أصمّ

غنّاه مالك بن أبي السّمح من رواية يونس غير مجنّس .

قال الزّبير : وحدَّثني شعيب بن عبيدة عن أبيه قال : دخل رجل من قريش على سُكينة بنت الحسين عليهما السلام ، قال : فإذا أنا بأشعب مُتَفَحِّج جالس تحت السرير . فلمّا رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة ، فجعلت أنظر إليه وأعجب . فقالت : ما لك تنظر إلى هذا ؟ قلت : إنّه لعجب ، قالت : إنّه لخبيث ، قد أفسد علينا أُمورنا بغباوته ، فحضنته بَيْضَ دجاج ، ثم أقسمت أنّه لا يقوم عنه حتى ينقب . وهذا الخبر عندنا غير مشروح ، ولكن هذا ما سمعناه ، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهديّ التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم ، وقد ذكر في أخبار سُكينة[2] .

وروي عن أحمد بن الحسن البزّاز : وجدتُ بخطّ ابن الوشّاء عن أبي الوشاء ، عن الكديميّ عن أبي عاصم قال : قيل لأشعب الطامع ، أرأيت أحداً قطّ أطمعَ منك ، قال : نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العِلك .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، وعمِّي عبد العزيز بن أحمد ، وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني مصعب ، عن عثمان بن المنذر ، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة ، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفّه دُفٌّ وهو يغنّي به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول : [من مجزوء الوافر]

---

1 البيتان الأولان في ديوان عمر : 355 والثالث فيه من قصيدة أخرى ، وروايته :
إذا أنـت لم تعشق ولم تتبـع الهـوى   فكن صخرة بالحجر من حجر أصم
2 تقدمت أخبار سكينة في الأغاني 17 : 34 .

أَلا حـــيٌّ التي خرجت   قُبيلَ الصّبح فاخْتمرتْ
يقـــال بعينهــا رَمَــدٌ   ولا واللهِ مــا رمِــدتْ

فإذا تجاوز في الرقص الجماعةَ رجع إليهم حتى يُخالطَهم ويستقبل المرأة فيغنِّي في وجهها وهي تَبْسَم وتقول : حسبك الآن . فسألت عنها ، فقالوا : هذه جارية صُرَيم المغنِّية استلحقها صريم عند موته ، واعترف بأنّها بنته ، فحاكمت ورثتَه إلى السلطان ، فقامت لها البينةُ فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه ؛ وكانت أحسنَ خلقِ اللهِ غناءً ، كان يُضرَب بها المثل في الحجاز فيقال : أحسن من غناء الصُّرَيميَّة .

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : وحدَّثني أبي قال : اجتازت جنازة الصُّرَيْميَّة بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال : ذهب اليوم الغناءُ كلّه ، وعلى أنّها الزانية كانت ، لا رحمها الله ، شرَّ خلق الله ، فقيل : يا أُشْعب ليس بين بكائك عليها ولعْنِك إيّاها فصلٌ في كلامك . قال : نعم ، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش ، فيُطبخ لنا في دارها ثم لا تعشِّينا ، يشهد الله ، إلاّ بسِلْق .

[يتحدى الغاضري]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أُحمد بن زهير قال : قال حدَّثنا مصعب : بلغ أُشعب أن الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره ، وأنّ جماعة قد استطابوه ، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويُضحكهم . فصار إليه ، ثم قال له : قد بلغني أنّك قد نحوتَ نحوي وشغَلت عنّي مَنْ كان يألفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل ، ثم غَضَّن وجهَه وعرّضه وشنَّجه حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ؛ ثم أرسل وجهَه وقال له : افعل هكذا وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدرَه ، وصار كأنّه وجهُ الناظر في سيفِه ؛ ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبةٌ كسنام البعير ، وصار طولُه مقدارَ شبر أو أكثر ؛ ثم نزع سراويلَه وجعل يمدّ جلد خُصييه حتى حكّ بهما الأرض ، ثم خلاّهما من يده ومشى وجعل يخنِس وهما يخُطّان الأرض ؛ ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى حتى صار أُطولَ ما يكون من الرجال . فضحك والله القوم حتي أُغمي عليهم وقطع الغاضريَّ فما تكلّم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أُعاوِد ما تكره ، إنّما أنا تلميذُك وخرِّيجُك ، ثم انصرف أُشعب وتركه .

[عودة إلى أمّه]

أُخبرني رضوانُ بن أُحمد الصيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه : أنّه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأنّ أباه

كان من مماليك عثمان ، وأنّ أمّه كانت تنقل كلام أزواج النبيّ ﷺ بعضهنّ إلى بعض ، فتُلقي بينهنّ الشرّ ، فتأذّى رسول الله ﷺ بذلك ، فدَعا اللهَ عزّ وجلّ عليها فأماتها ، وعُمِّر ابنُها أشعب حتى هلك في أيّام المهديّ .

[كان من المعتزلة]

وكان في أشعب خِلالٌ ، منها أنّه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرة وأكثرهم نادرة ، ومنها : أنّه كان أحسنَ الناس أداءً لغناء سمعه ، ومنها : أنّه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرءاً منهم .

[ابن عمر يوقر بعيره تمراً ويغنّيه]

قال إبراهيم بن المهديّ فحدَّثني عُبَيْدةُ بن أشعب ، عن أبيه قال : بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدّق بثمرته ؛ فركبتُ ناضحاً ووافيتُه في ماله ؛ فقلتُ : يا ابن أمير المؤمنين ويا ابن الفاروق أوقِرْ لي بعيري هذا تَمْراً . فقال لي : أمِنَ المهاجرين أنتَ ؟ قلتُ : اللهمّ لا ؛ قال : فمن الأنصار أنت ؟ فقلت : اللهمّ لا ؛ قال : أفمِن التابعين بإحسان ؟ فقلت : أرجو ؛ فقال : إلى أن يُحَقَّق رجاؤك ؛ قال : أفمن أبناء السبيل أنت ؟ قلت : لا ، قال : فعلام أوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنّي سائل ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه» . فقال : لو شئنا أن نقول لك : إنه قال : لو أتاك على فرس ، ولم يقل أتاك على ناضِح بعير لقلنا ، ولكنّي أمسِك عن ذلك لاستغنائي عنه ؛ لأنّي قلت لأبي عمر بن الخطاب : إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته ؟ فقال : إنّي سألت رسول الله ﷺ عمّا سألتني عنه ، فقال لي : نعم إذا لم تصب راجلاً ونحن أيّها الرَّجل نُصيب رجّالة فعلام أعطيك وأنت على بعير ؟ فقلت له : بحقّ أبيك الفاروق ، وبحقّ الله عزّ وجلّ ، وبحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما أوقرته لي تَمْراً . فقال لي عبد الله : أنا مُوقِرُه لك تَمْراً ، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررتُ لك قسمك ، ولو أنّك اقتصرت على استحلافي بحقّ أبي عليّ في تمرة أعطيكها لَمّا أنفذت قسمك ، لأنّي سمعت أبي يقول : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : لا تُشدُّ الرّحالُ إلى مسجد لرجاء الثواب إلاّ إلى المسجد الحرام ومسجدي بيَثْرِبَ ، ولا يُبِرُّ امرؤٌ قَسَم مُستَحْلِفه إلاّ أن يستحلفه بحقّ الله وحقّ رسوله ؛ ثم قال للسودان في تلك الحال : أوقِرُوا له بعيرَه تمراً ، قال : ولمّا أخذ السودان في حشو الغرائر قلتُ : إنّ السودان أهلُ طرب ، وإن أطرَبْتهم أجادوا حَشْوَ غرائري ، فقلت : يا ابنَ الفاروق ، أتأذن لي في الغناء فأغنّيك ؟ فقال لي : أنتَ وذلك ، فاندفعت في النَّصْب ، فقال لي : هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه . ثم غنّيته صوتاً آخراً لطُوَيس المغنّي وهو : [من الطويل]

خلِيلَيَّ ما أُخفي من الحبِّ ناطِقٌ ودمْعي بمـا قلـتُ الغَداةَ شهيدُ

فقال لي عبد الله : يا هناهُ ، لقد حدَث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه ، قال : ثم غنَّيتُه لابن سُرَيج : [من السريع]

يا عينُ جودي بالدّموع السِّفاحْ وابْكي على قَتْلى قُريشِ البِطاحْ

فقال : يا أَشْعَب ، ويحك ، هذا يَحْيِقُ الفؤاد ، أَراد : يحرق الفؤاد ، لأنّه كان أَلثغ لا يُبين بالراء ولا باللام . قال أشعَب : وكان بعد ذلك لا يراني إلاّ استعادني هذا الصوت .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عمِّي قال : لقي أشعبَ صديق لأبيه فقال له : ويحك يا أشعب ، كان أبوك ألحى وأنتَ أثطُّ[1] فإلى مَنْ خرجت ؟ قال : إلى أُمِّي .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أخبرنا أحمد بن أبي خَيثمة قال : حدَّثنا مُصْعبُ بن عبد الله ، عن مُصعب بن عثمان قال : لقي أشعبُ سالمَ بنَ عبد الله بن عمر فقال : يا أشعب ، هل لك في هَريس قد أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمِّي . قال : فصِرِ إليّ ، فمضى إلى منزله ، فقالت لـه امرأتـه : قد وَجـَّه إليكَ عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك . قال : ويحكِ ، إن لسالِم بن عبدالله هريسةً قد دعاني إليها ، وعبدُ الله بن عمرو في يدي متى شئت ، وسالم إنّما دعْوَتـُه للنّاس فَلْتة ، وليس لي بُـدٌّ من المُضِيّ إليه . قالت : إذاً يغضَب عبدُ الله ، قـال : آكل عنـده ، ثم أصير إلى عبد الله . فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكلَ مُتَعالل ، فقال له : كُلْ يا أشعب وابعث ما فَضَل عنك إلى منزلك ، قال : ذاك أردت بأبي أنتَ وأُمِّي . فقال : يا غلام ، احمل هذا إلى منزله ، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له : ثكِلتْك أمّك ، قد حَلَف عبدُ الله أن لا يُكَلّمك شهراً ؛ قال : دعيني وإيّاه ، هاتي شيئاً من زَعْفران ، فأعطته ودخل الحـمّام يمسح على وجهـه ويديه وجلس في الحمام حتى صفّره ، ثم خرج متّكئاً على عصا يُرعِـد ، حتى أتى دارَ عبدِ الله بن عمرو . فلمّا رآه حاجبُه قال : ويحَك ، بلغتْ بك العلّةُ ما أرى ؟ ودخل وأعلم صاحبَه فأذِن له ، فلمّا دخل عليه إذا سالمُ بنُ عبد الله عنده . فجعل يزيدُ في الرِّعدَة ، ويُقارِبُ الخَطْوَ ، فجلس وما يَقدِر أن يستَقِلّ ، فقال عبد الله : ظَلَمْناك يا أشعب في غَضَبِنـا عليـك ، فقال لـه سالم : مـا لك ويلك ! ألم تكن عندي آنفاً وأكلتَ هَريسة ؟ فقال له : وأيّ أكل ترى بي ؟ قال : ويلك ! ألم أقل لك كَيْتَ وكَيْت وتَقُلْ لي كَيت وكَيت ؟ قال لـه : شُبِّه لك ، قال : لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ ، واللهِ إنِّي لأظُنّ الشيطانَ يتشبّه بك . ويلك ! أجادٌّ أنتَ ؟ قال : عليَّ وعليَّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر . فقال له عبدُ الله : اعزُب ويْحَك أتَبْهَتُه ، لا أُمَّ لك ! قـال : ما قلتُ إلاّ حقّاً . قال : بحياتي

1 أثط : خفيف شعر اللحية أو الحاجبين .

اصدُقْني وأنت آمِنٌ من غضبي . قال : لا وحياتك لقد صدَق . ثم حدَّثه بالقصّة فضحك حتى استَلْقى على قفاه .

[ابنه يذكر بعض طرائف أبيه]

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيدَ لمّا ولاّه دمشقَ بعث إليه عبيدة بن أشعب ، وكان يَقْدُم عليه من الحجاز إذا أراد أن يَطرَب ، وأراد أن يطرفه به ، فقدم عليه .

قال إبراهيم : وكان يحدِّثني من حديث أبيه بالطرائف[1] : عادَلتُه[2] يوماً وأنا خارج من دمشق في قبّة على بغل لألهوَ بحديثه ، فأصابنا في الطريق بردٌ شديد فدعوتُ بدُوّاج سمّور[3] لألبسه ، فأُتيت به فلمّا لبستُه أقبلتُ على ابن أشعب فقلت : حدِّثني بشيءٍ من طمع أبيك . فقال لي : ما لك ولأبي ، ها أنا إذ دعوتَ بالدُّوّاج فما شَككتُ والله في أنّك إنّما جئتَ به لي ، فضحكتُ من قوله ، ودعوتُ بغيره فلبستُه وأعطيتُه إيّاه ، ثم قلت له : ألأبيكَ ولدٌ غيرك ؟ فقال : كثير ، فقلت : عشرة ؟ قال : أكثر ، قلت : فخمسون ؟ قال : أكثر كثير ، قلت : مائة ؟ قال : دع المئين وخذ الألوف ، فقلت : ويلك ! أيُّ شيءٍ تقوله ؟ أشعبُ أبوك ليس بينك وبينه أب ، فكيف يكون له الألوف من الولد ؟ فضحك ثم قال : لي في هذا خبر ظريف ، فقلت له : حدِّثني به ، فقال : كان أبي منقطعاً إلى سُكَينة بنتِ الحسين ، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان وكانت محبّة له ، فكان لا يستقرّ معها ، تقول له : أريد الحجّ فيخرج معها ، فإذا أَفْضَوا إلى مكّة تقول : أريد الرجوعَ إلى المدينة ، فإذا عاد إلى المدينة ، قالت : أريد العمرةَ ، فهو معها في سفر لا ينقضي . قال عبد الله : فحدّثني أبي قال : كانت قد حلّفته بما لا كفّارةَ له ألاّ يتزوّجَ عليها ولا يتسرّى ولا يُلِمّ بنسائه وجواريه إلاّ بإذنها ، وحجَّ الخليفةُ في سنة من السنين فقال لها : قد حجّ الخليفةُ ولا بُدَّ لي من لقائه ؛ قالت : فاحلِفْ بأنّك لا تدخلُ الطائفَ ، ولا تُلمّ بجواريك على وجهٍ ولا سبب ، فحلف لها بما رَضِيَتْ به من الأيمان على ذلك ؛ ثم قالت له : احلِفْ بالطلاق ؛ فقال : لا أفعل ، ولكن ابعثي معي بثقتك ، فدعَتْني وأعطَتني ثلاثين ديناراً وقالت لي : اخرُج معه ، وحلّفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألاّ أطلِق له الخروجَ إلى الطائف بوجه ولا سبب ، فحلفتُ لها بما أثلج صدرها . فأَذِنَتْ له فخرجَ وخَرجْتُ معه . فلمّا حاذَيْنا الطائف قال لي : يا أشعب ، أنت

1 تقدمت هذه الأخبار في ترجمة سكينة .

2 عادله : ركب معه على نفس البعير .

3 دواج : لحاف يلبس . والسمور : حيوان يتخذ منه فرو ثمين .

تعرِفُني وتعرف صنائعي عندك ، وهذه ثلاثمائة دينار ، خُذْها بارَك الله لك فيها وأْذَنْ لي أَلُـمّ بجواريّ . فلمّا سمعتُها ذهب عقلي ثم قلت : يا سيِّدي ، هي سُكَينة ، فاللهَ اللهَ فيّ ! فقال : أَوَتعلم سُكينةُ الغيبَ ؟ فلم يزل بي حتى أخذتُها وأذنتُ له ، فمضى وبات عند جواريه . فلمّا أصبحنا رأيتُ أبياتَ قوم من العرب قريبةً منّا ، فلبستُ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت لزيد قيمتُها ألفُ دينار ، وركبتُ فرسَه وجئتُ إلى النساء فسلّمتُ فرددن وأجللني للهيئة والزيّ الذي لا يلبس مثله إلاّ أولاد الخلفاء . ونسبنني فانتسبتُ نسبَ زيد ، فحادثْنني وأَنِسن بي . وأقبل رجـال الحيّ ، وكلّما جاء رجل سأل عن نسبي فخُبِّر به هابني وسلّم عليّ وعَظَّمني وانصرف ، إلى أن أقبل شيخٌ كبير منكر مبطون ، فلمّا خبِّر بي وبنسبي شال حاجِبَيه عن عينـه ، ثـم نظر إليّ وقال : وأبي مـا هـذه خلقةُ قُرَشيّ ولا شمائله ، وما هو إلاّ عبدٌ لهم نادّ ، وعلمتُ أنّه يريد شرّاً ؛ فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ . ولحقنـي فرمـاني بسهم فما أخطأ قَرَبُوسَ السرج ، وما شككتُ أنّه يلحقني بآخر يقتلني فسلحْتُ ، يعلم الله ، في ثيابي فلوّثْها ونفذ إلى الحُلَّة فصيَرها شُهْرة . وأَتيتُ رحْلَ زيد بن عمرو فجلست أغسِل الحُلّـة وأُجفِّفها ، وأقبـل زيد بن عمرو ، فرأى ما لحِق الحُلَّة والسرج ؛ فقال لي : ما القصّة ؟ ويلك ! فقلت : يا سيِّدي الصدق أنجى ، وحدَّثته الحديثَ فاغتاظ ثم قال لي : أَلم يكفِك أَن تلبس حلّتي وتصنع ما صنعت ، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني ، وجعلتني عند العرب وَلاّجاً جَمّاشاً[1] ، وجرى عليك ذُلٌّ نُسِب إليّ ، أنا نفيٌّ من أبي ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أَسُؤْك وأبلُغْ في ذلك .

ثم لقي الخليفةَ وعاد ودخلنا إلى سُكينة ، فسألتْه عن خبره كلّه فخبّرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه ، فقالت : إيه وما كان من خبرك في طريقك ؟ هل مضَيْتَ إلى جواريك بالطائف ؟ فقال لها : لا أدري ، سلِي ثِقتَك . فدعَتني فسألتني ، وبدأتُ فحلفتُ لها بكلّ يمين محرجة أنّه ما مَرَّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقني . فقال لها : اليمينُ التي حلَف بها لازمة لي إن لم أَكُن دخلتُ الطائفَ وبتُّ عند جواريَّ وغسَّلْتهنّ[2] جميعاً ، وأخذ منّي ثلاثمائـة دينـار ، وفعل كذا وكذا ؛ وحدَّثها الحديثَ كلّه وأراها الحُلَّة والسرج . فقالت لي : أَفعَلتَها يا أشعب ! أنا نَفيَّة من أبي إن أَنفقتَها إلاّ فيما يسوءك ، ثم أمرت بكَبْس منزلي وإحضارها الدنانيرَ فأُحضِرت ، فاشترت بها خشباً وبيضاً وسِرْجيناً ؛ وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألاّ أخرج منه ولا أُفارقـه حتى أحضن البيضَ كلّـه إلى أن يَنْقَب . فمكثت أربعين يوماً أَحضُن لها البيض حتى نَقِـبَ ، وخرج منه فراريج كثيرة فربَّتْهنّ وتناسَلنَ فكُنَّ بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسلَ

---

1 الجماش : المتعرض للنساء .

2 غسلتهن : جامعتهن .

أشعب . فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نَسْلٌ يزيد على الألوف ، كلّهنّ أهلي وأقاربي .

قال إبراهيم : فضحكتُ والله من قوله ضحكاً ما أذكر أنّي ضحكتُ مثلَه قطّ ووصلته ، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنّه مات هناك .

[يتسور على سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا مُصعَب بن عبد الله بن عثمان قال : قال رجل لأشعب : إنّ سالم بنَ عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير ، فبادَر حتى لحِقه فأغلق الغلامُ البابَ دونَه ، فتسوّر عليه ، فصاح به سالم : بناتي ويلك بناتي ، فناداه أشعب : ﴿لقد علِمتَ ما لنا في بناتِكَ مِن حقٍّ وإنّكَ لتعلم ما نريدُ﴾[1] ، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن سعيد قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي قال : بعثتْ سُكينة إلى أبي الزّناد فجاءَها تستفتيه في شيء ، فاطّلع أشعبُ عليه من بيت وجعل يُقَوْقِيء مثلَ ما تُقَوْقيء الدجاجة ، قال : فسبّح أبو الزّناد وقال : ما هذا ؟ فضحكتْ وقالت : إنّ هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا ، فحلفتُ أن يحضُن بيضاً في هذا البيت ولا يفارقه حتى يَنْقُب ، فجعل أبو الزّناد يعجب من فعلها .

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحويّ بخبر سُكَينة الطويل على غير هذه الرواية ، وهو قريب منها ، وقد ذكرتُه في أخبار سُكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

[عبد يسلح في يده]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن أبي خَيثَمة قال : حدَّثنا مُصعَب ، قال : حدَّثني بعض المدنيِّين قال : كان لأشعبَ خَرْقٍ في بابه ، فكان ينام ثم يُخرِج يدَه من الخَرْق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدّة الطمع . فبعث إليه بعضُ مَن كان يعبث به من مُجّان آل الزّبير بعبدٍ له فسلح في يده ، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده .

وأخبرني به الجوهريّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن محمد بن الحسن ، عن مُصْعب ، عن بعض المدنيِّين فذكر نحوَه ولم يذكر ما فعل به الماجِن .

[يغنّي سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمدُ الزُّبيريّ أبو طاهر قال : حدَّثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال : حدَّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنَّ أشعبَ حدَّثه قال : جاءَني فِتْيَة من قريش فقالوا : إنّا نحبّ أن تُسمِع

---

1 سورة هود ، الآية : 79 .

سالمَ بنَ عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتُعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي على ذلك جُعْلاً فتنني ، فدخلتُ على سالم فقلت : يا أبا عمر ، إنّ لي مُجالسةً وحُرمَة ومودة وسِنّاً ، وأنا مولع بالتَّرنّم ، قال : وما الترنّم ، قلت : الغناء ، قال : في أيّ وقت ؟ قلت : في الخَلْوة ومع الإخوان في المُنْزه ، فأُحبّ أن أُسْمِعَك ، فإن كرهتَه أمسكْتُ عنه ، وغنيته فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ فأعلمتُهم ، قالوا : وأيّ شيء غنَّيته ؟ قلت : غنَّيتُه[1] : [من الخفيف]

قَرِّبا مَرْبَطَ النَّعامَةِ مِنِّي   لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالي

فقالوا : هذا بارد ولا حركة فيه ، ولسنا نرضى ، فلمّا رأيتُ دَفْعَهم إيّايَ وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لي رجعتُ فقلت : يا أبا عمر ، آخر ، فقال : ما لي ولك ؟ فلم أُملِّكْه كلامه حتى غنَّيتُ ، فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ إليهم فأعلمتُهم فقالوا : وأيّ شيء غنَّيته ؟ فقلت : غنَّيتُه قوله : [من الخفيف]

لم يُطيقوا أن يَنْزِلوا ونَزَلْنا   وأخو الحرب مَنْ أَطاقَ النّزالا

فقالوا : ليس هذا بشيء ، فرجعتُ إليه فقال : مَهْ ؟ قلت : وآخر ، فلم أُملِّكْه أمرَه حتى غنَّيتُ[2] : [من الكامل]

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلنَ لي :   ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فقال : نهلاً نهلاً ! فقلت : لا والله إلاّ بذاك السّداك ، وفيه تمر عَجْوة من صَدَقة عمر . فقال : هو لك . فخرجتُ به عليهم وأنا أَخْطِر فقالوا : مَهْ ؟ فقلت : غنَّيتُ الشيخ :

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْنَ لي   . . . .

فطرِب وفرض لي فأعطاني هذا ، وكذَبتُهم ، والله ما أَعطانِيه إلاّ استكفافاً لي حتى صَمتُّ .

قال ابن أبي سعد : السّداك ، الزَّبِيلُ الكبير . وفرض لي أيّ نقَّطني ، يعني ما يَهبُه الناس للمَغنِّين ويُسمُّونه النُّقَط .

[أحسن تأدية للألحان من معبد]

حدَّثني الجوهريّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المحرز عن الأصمعيّ قال : حدَّثني جعفر بن سليمان قال : قدِم أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يُغنِّيَهُم فغنّى فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلقُه على حاله ، فقال له جعفر بن المنصور : لِمَن هذا الشعر والغناء : [من مجزوء الوافر]

1 البيت للحارث بن عباد وقد تقدم في حرب بكر وتغلب في الأغاني 5 : 24 .

2 البيت لجرير في ديوانه (صادر) : 476 .

لِمَــن طَلَلٌ بــذاتِ الجَيْــ ـشِ أمسى دارساً خَلَقا ؟

فقال له : أخذتُ الغناء عن مَعبد ، وهو للدّلال ، ولقد كنتُ آخذُ اللحن عن معبد فإذا سُئل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسَنُ تأديةً له منّي .

[يطرب جريراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مصعب قال : قدِم جريرٌ المدينة ، فاجتمع إليه الناسُ يستنشدونه ويسألونه عن شعره ، فيُنشِدهم ويأخذون عنه وينصرفون ، ولزمه أشعبُ من بينهم فلم يفارقْه ، فقال له جرير : أراك أطولَهم جلوساً وأكثرَهم سؤالاً ، وإنّي لأظُنّك ألأمَهم حسباً ، فقال له : يا أبا حَزْرة ، أنا والله أنفعُهم لك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا آخذ شِعْرَك فأحسِّنُه وأُجوِّدُه ، قال : كيف تُحسِّنه وتُجوِّده ؟ قال ، فاندفع فغنّاه في شعره والغناءِ لابن سُرَيْج[1] : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيَة السلامُ عليكم قبلَ الرحيلِ وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لــو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عَهْدِكم يوم الرَّحيلِ فعلْتُ مـا لم أفْعلِ

قال : فطرِب جَرير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت رُكبتُه بركبته وقال : أشهد أنّك تُحَسِّنه وتُجوِّده ، فأعطاه من شعره ما أراد ، ووصله بدنانير وكسوة .

حدَّثني أحمدُ بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبي قال : قال الهيثم بن عَديّ : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهلَ زمانِك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديثِ الملوكِ ويُعطون إعطاءَ العبيد .

[أشعب يحجب لأمّ عمرو بنت مروان]

حدَّثني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أحمد بنُ يَحيى قال : أخبرنا مُصعَب قال : حجَّت أمّ عمرو بنت مَروان فاستَحْجَبت[2] أشعب وقالت له : أنت أعرفُ الناس بأهل المدينة ، فأْذن لهم على مراتبهم ، وجلستْ لهم مَلِيّاً ، ثم قامت فدخلت القائلة . فجاء طُوَيْس فقال لأشعب : استأذِن لي على أمّ عمر ، فقال : ما زالت جالسة وقد دَخلت ؛ فقال له : يا أشعب ملكتَ يومين فلم تَفُتّ بَعْرَتين ولم تَقْطع شَعْرتين . فدقّ أشعبُ البابَ ودخل إليها ، فقال لها : أنشُدكِ الله يا ابنةَ مَروان ، هذا طُوَيْس بالباب فلا تتعرَّضي للسانه ولا تُعَرِّضيني ، فأذِنَت له . فلمّا دخل إليها قال لها : والله لئن كان بابك غُلُقاً لقد كان بابُ أبيك

1 ديوان جرير (صادر) : 357 .

2 استحجبت : ولته الحجابة .

فُلُقاً[1] ، ثم أخرج دُفَّة ونقر به وغنّى : [من الكامل]

ما تمنعي يَقَظى فقد تُؤْتِيْنَه ... في النوم غير مُصَرَّد محسوبِ
كان المُنى بلقائها فَلَقِيتُها ... فلهوتُ من لهوِ امرىءٍ مكذوبِ

قالت : أيّهما أَحَبُّ إليك : العاجِل أم الآجِل ؟ فقال : عاجِلٌ وآجِل ، فأمرتْ له بكسْوة .

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، عن أبي مُسْلم ، عن المدائنيّ قال : حدَّث رجل من أهلِ المدينة أشعبَ بحديث أعجبه فقال له : في حديثك هذا شيء قال : وما هو ؟ قال : تَقْلِيبُه على الرأس .

[عند الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهريُّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : بعث الوليدُ بنُ يزيد إلى أشعب بعدما طلّق امرأته سُعْدَة فقال له : يا أشعبُ ، لك عندي عشرةُ آلافِ درهم على أن تبلّغ رسالتي سُعْدة ، فقال له : أحضِر المالَ حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بِدرَةً فوضعها أشعب على عنقه ، ثم قال : هاتِ رسالَتك يا أميرَ المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك : [من الوافر]

أَسُعْدَةُ هل إليك لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامَة من تلاقي ؟!
بلى ولعلَّ دهراً أن يُواتي ... بموتٍ من حليلكِ أو طلاقِ
فأُصبِحَ شامِتاً وتقرَّ عَيْني ... ويُجمَع شملُنا بعد افتراقِ

قال : فأتى أشعبُ الباب ، فأُخبِرت بمكانه ، فأَمرتْ ففُرِشَت لها فُرُش وجلستْ فأَذِنَتْ له ؛ فدخل فأنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال : يا سيِّدتي إنّها بعشرة آلاف دِرهم ؛ قالت : والله لأُقتلنَّك أو تبلّغه كما بلّغتني ، قال : وما تَهَبين لي ؟ قالت : بِساطي الذي تحتي . قال : قومي عنه ، فقامت فطواه ثم قال : هاتِي رسالتك جُعِلتُ فِداءك ، قالت : قل له : [من الطويل]

أتبكي على لُبْنى وأنتَ تركتَها ... فقد ذهبتْ لُبْنى فما أنتَ صانِعُ ؟!

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد فأنشده البيت ، فقال : أوَّه ! قتلتني والله ، ما تُراني صانعاً بك يا ابنَ الزّانية ؟ اخترْ إمّا أن أُدلِّيَكَ منكَّساً في بئر ، أو أرميَ بك من فوق القصر مُنكَّساً ، أو أضربَ رأسَك بعمودي هذا ضربة . فقال : ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك قال : ولِم ؟ قال : لأنّك لم تكُن لِتُعذِّب رأساً فيه عَيْنان قد نَظَرتا إلى سُعْدة . فقال :

1 غلق : مغلق . وفلق : مفتوح .

صدَقْتَ يا ابن الزانية ، اخرُج عنّي .

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزيد ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بنِ عديّ ، أنَّ سُعدَة لمّا أنشدَها أشعَبُ قوله : [من الوافر]

أسُعدَة هــل إليكِ لنا سَبيلٌ وهل حَتّى القيامة من تلاقي ؟!

قالت : لا والله لا يكونُ ذلك أبداً ، فلمّا أنشدَها : [من الوافر]

بَــلى ولعَــلَّ دهــراً أن يُواتي بمَوْتٍ مــن حَليلِكِ أو طلاقِ

قالت : كلاّ إن شاء الله ، بل يَفْعَل اللهُ ذلك به ، فلَمّا أنشدَها : [من الوافر]

فأُصبحَ شامِتاً وتَقَــرَّ عَيْنــي ويُجمَــعَ شملُنا بعــد افتِراقِ

قالت : بل تكون الشَّماتة به ، وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهريّ عن ابن مَهْرُوَيْه .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدَّثَنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عَدِيّ قال : كتبَ الوليدُ بنُ يزيد في إشخاص أشعَبَ من الحِجازِ إليه وحَملِه على البَريد ، فحُمِل إليه . فلمّا دَخَل أمَر بأن يَلبِس تُبَّاناً ويُحمَل فيه ذنب قرْد ، ويُشدَّ في رجلَيه أجراس ، وفي عُنُقه جَلاجِل ، ففعل به ذلك . فدَخَل وهو عَجَبٌ من العَجَب ، فلمّا رآه ضَحِك منه وكَشَف عن أيْرِه ، قال أشعب : فنظرت إليه كأنّه نايٌ مَدْهون ، فقال لي : اسجُد للأصمّ وَيلَك ، يعني أيرَه ، فسجَدتُ ، ثم رفعتُ رأسي وسجَدتُ أخرى ، فقال : ما هذا ؟ فقلتُ : الأولى للأصَمّ ، والثانية لخُصْيَتَيْك . فضَحِك وأمَر بنزع ما كان ألبَسَنيه ووَصلني ، ولم أزل من نُدَمائه حتى قُتِل .

أخبرني محمد بن مَزيد قال : حدَّثنا حَمّاد بنُ إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأشعبَ إنّه أُهدي إلى زياد بنِ عبد الله الحارثيّ قُبَّة أدَم قيمتُها عشرة آلاف دِرهَم فقال : امرأتُه الطَّلاقُ لو أنّها قُبَّة الإسلام ما ساوَتْ ألف دِرهم . فقيل له : إنّ معها جُبَّة وَشْيٍ حَشْوها قَزٌّ قيمتُها عشرون ألف دينارٍ ، فقال : أُمُّه زانية لو أنَّ حَشوَها زَغَبُ أجنِحَة الملائكةِ ما ساوت عِشرين ديناراً .

[أشعب ووالي المدينة البخيل]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أبو أيّوب المدائنيّ قال : حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ عن أبيه قال : حدّثني أشعب قال : وَلِيَ المدينة رجلٌ من ولد عامرِ بن لُؤيّ ، وكان أبخل النّاس وأنكدَهم . وأغراه اللهُ بي يَطْلُبني في لَيْلِه ونَهاره ، فإن هَرَبتُ منه هَجَم على منزلي بالشُّرط ، وإن كنتُ في موضع بعثَ إلى مَن أكون معه أو عنده يطلبُني منه ، فيُطالبني بأن أحدِّثه وأُضحِكه ، ثم لا أسْكُت ولا ينام ، ولا يُطعِمُني ولا يُعطيني شيئاً . فلقيتُ منه جهداً عظيماً

وبَلاءِ شديداً . وحَضَرَ الحَجُّ ، فقال لي : يا أَشعب ، كُن معي ، فقلت : بأبي أَنت وأُمِّي ، أنا عليل ، وليست لي نيّة في الحجّ . فقال : عَلَيه وعَلَيه وقال : إنّ الكَعْبَة بيتُ النّار ، لئن لم تخرج معي لأُودِعَنَّك الحبس حتى أقدُم . فخرجتُ معه مُكرَهاً ، فلمّا نزلنا المنزلَ أظهرَ أنّه صائم ونام حتى تشاغَلْت ، ثم أكل ما في سُفْرته ، وأمر غُلامه أن يُطعِمني رغيفين بِمِلْح . فجئتُ وعندي أنّه صائم ، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقَّع إفطارَه ، فلمّا صلّيتُ المغرِبَ قلتُ لغُلامه : ما ينتظِر بالأكْل ؟ قال : قد أكل منذُ زمان ، قلْت : أَوَلَم يكن صائماً ؟ قال : لا . قلت : أفأطوي أنا ؟ قال : قد أعدّ لك ما تأكلُهُ فكُلْ ، وأخرجَ إليَّ الرَّغيفين والمِلح فأكلتُهما وبِتُّ ميّتاً جوعاً ؛ وأصبحتُ فسِرْنا حتى نزلنا المنزِل ، فقال لغلامه : ابتَعْ لنا لحماً بدِرهم ، فابتاعه ، فقال : كَبِّب لي قِطَعاً ، ففعل ، فأكله ونَصَب القِدْر ، فلما اغبرَّت قال : اغرُف لي منها قِطَعاً ، ففعل ، فأكلها ؛ ثم قال : اطرح فيها دُقَّة وأطعِمْني منها ، ففعل ؛ ثم قال : ألقِ توابِلَها وأطعِمني منها ، ففعل ؛ وأنا جالس أنظُر إليه لا يدعوني . فلمّا استوفى اللحمَ كلَّه قال : يا غُلام ، أطعِم أشعبَ ، ورمى إليّ برغيفين ، فجئتُ إلى القِدْر وإذا ليس فيها إلاّ مَرَق وعظام . فأكلت الرَّغيفَين ، وأخرج له جراباً فيه فاكهةٌ يابسةٌ ، فأخذ منها حفنة فأكلها ، وبقي في كَفّه كَفٌّ لوزٍ بقِشْره ، ولم يكُن له فيه حيلة ، فرمى به إليَّ وقال : كُلْ هذا يا أشعب . فذهَبْتُ أُكسِر واحدة منها فإذا بضَرسي قد انكسرَت منه قِطعة فسَقَطَت بين يديَّ ، وتباعدتُ أطلبُ حَجَراً أكسِرُه به ، فوجدتُه ، فضربت به لوزة فطفرَتْ ، يعلمُ الله ، مقدارَ رَمْية حَجَر ، وعدوتُ في طَلَبها ، فبينما أنا في ذلك إذ أقبلَ بنو مُصْعَب ، يعْني ثابتاً وإخوته ، يُلبُّون بتلك الحُلوق الجَهوَرِيّة ، فصِحْتُ بهم : الغوثَ الغَوثَ ! العِياذُ بالله وبكم يا آل الزُّبير ! الحقوني أدركوني ! فرَكضوا إليَّ ، فلما رأوْني قالوا : أشعب ، ما لك ويلك ؟ قلت : خُذوني معكم تُخلِّصوني من الموت . فحَمَلوني معهم ، فجعلتُ أرفْرِف بيَدِي كما يفعل الفَرْخ إذا طَلَب الزَّقَّ من أبَويه . فقالوا : ما لكَ ويلَك ؟ قلت : ليس هذا وقت الحديث ، زُقُّوني مِمّا معكم ، فقد مُتُّ ضُرّاً وجُوعاً منذ ثلاث . قال : فأطعَموني حتى تراجعت نفسي ، وحملوني معهم في مَحمَل ، ثم قالوا : أخبرنا بقصَّتك ، فحدَّثتهم وأريتهم ضِرْسي المكسورة ؛ فجعلوا يضحكُون ويُصَفِّقون وقالوا : ويلك ، من أينَ وقعتَ على هذا ؟ هذا من أبخل خَلْقِ الله وأدنئِهم نَفساً ؛ فحلَفْتُ بالطّلاق أنّي لا أدخُل المدينة ما دامَ له بها سُلطان . فلم أدخُلها حتى عُزِل .

[بينه وبين الغاضريّ مرّة أخرى]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدَّثنا

إبراهيم بن المهديّ قال : حدَّثني عبيدة بن أشعب قال : كان الغاضريّ مُندِرَ[1] أهلِ المدينة ومُضحِكهم قبل أبي ، فأسقطَه أبي واطَّرح . وكان الغاضريُّ حَسنَ الوجه مادّ القامةِ عَبْلاً فَخماً ، وكان أبي قصيراً دَميماً قليلَ اللحم ؛ إلاّ أنّه كان يتضرَّم ويتوقَّد ذكاءً وحِدّةً وخِفّةَ رُوح ، وكان الغاضريّ يحسده إلاّ أنّهما متساويان ، وكان الغاضريّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرَف له أبٌ ، فمرَّ يوماً ، ومعه فِتيَة من قريش ، بأبي في المسجد وقد تأذّى بثيابه فنزَعها ، وتجرَّد وجلَس عُرياناً . فقال لهم الغاضريّ : أنشدتُكم اللهَ هل رأيتم أعجب من هذه الخِلْقة ! يريد خِلْقَة أبي . فقال له أبي : إنّ خِلقَتي لَعَجيبة ، وأعجَبَ منها أنّه زَقّني اثنان فصِرْت نضْواً[2] ، وزقّك واحدٌ فصِرْتَ بُخْتياً[3] قال : وأهلُ المدينة يسمّون المَهْلُوس[4] من الفِراخ النِّضْو والمُسَرْوَل[5] البُخْتيّ . فغضب الغاضريُّ عند ذلك وشتمه ، فسقط واستبرِد ، وترك النوادرَ بعد ذلك ؛ وغَلب أبي على أهل المدينة واستَطابُوه ، وكان هذا سبَبه .

[جدي زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني جعفَر بنُ قدامة قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه قال : كان زيادُ بن عبدِ الله الحارثيّ أبخلَ خلق الله ، فأولَمَ وليمةً لطُهْر بعض أولادِه . وكان الناس يَحضُرون ويُقدَّم الطَّعامُ فلا يأكلون منه إلاّ تعَلّلاً وتشعُّثاً[6] لعِلْمِهم به ، فقدِّم فيما قدِّم جَدْيٌ مشويٌّ فلم يَعرِض له أحد ، وجعل يردِّدُه على المائدة ثَلاثة أيّام والنّاس يَجْتَنبونه إلى أن انقضت الوليمةُ . فأصغى أشعب إلى بعض مَن كان هناك فقال : امرأتُه الطّلاق إن لم يكُن هذا الجدْيُ بعد أن ذُبح وشُوِي أطولَ عُمراً وأمدَّ حياةً منه قبل أن يُذبح ، فضحِك الرّجلُ ، وسَمِعها زيادٌ فتغافل .

[سُكينة تأمر بحلق لحيته]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : حدَّثني إبراهيم بنُ المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب قال : غَضِبتْ سُكينةُ على أبي في شيءٍ خالفَها فيه فحلفَت لتَحلِقَنَّ لِحيتَه ، ودعت بالحَجّام فقالت له : احْلِق لِحيتَه ، فقال له الحجّام : انفُخ شدْقَيك حتى أتمكّن منك . فقال له : يا ابنَ البَظْراء ، أمرتْك أن تَحلِق لِحيتي أو تُعَلِّمَني الزَّمْر ! خبِّرني عن امرأتك إذا أردتَ أن تَحلق

---

1 مندر : يأتي بالنوادر .

2 زقه : أطعمه كما يطعم الطائر فراخه . والنضو : المهزول .

3 البختي : جمل خراساني .

4 المهلوس : المهزول .

5 المسرول : الحمام الذي في رجليه ريش كاسراويل .

6 التشعث : الأكل القليل .

جِرَها تَنْفُخ أشداقَه ! فغضِب الحجَّام وحلف ألاّ يَحلِق لحيته وانصرف . وبلغَ سُكَينة الخبَر وما جرى بينهما فضَحِكت وعَفَت عنه .

[حكاية عن بخل زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال : حدَّثني أبو العيناء عن الأصمعيّ قال : أُهدى كاتِبٌ لزياد بن عبد الله الحارثيّ إليه طعاماً ، فأُتي به وقد تغَدّى فغضب وقال : ما أُصنَعُ به وقد أكلْتُ ؟ ادعُوا أهلَ الصُفّة[1] يأكلونه . فبَعَث إليهم وسأل كاتِبَه : فيمَ دعا أهلَ الصُفّة ؟ فعرّف ، فقال الكاتب : عرِّفوه أنّ في السِّلال أخبِصَةً وحلواءَ ودجاجاً وفراخاً . فأُخْبِر بذلك ، فأمر بكَشْفها ، فلمّا رآها أمر برَفعها فرُفِعَت ، وجاء أهلُ الصُفَّة فأُعلِم ، فقال : أضربوهم عشرين عشرين دِرَّة ، واحبسوهم فإنّهم يَفْسُون في مسجد رسول الله ﷺ ويؤذُون المُصلّين ، فكُلِّم فيهم ، فقال : حلِّفُوهم ألاّ يُعاوِدوا وأطلِقُوهم .

[عبث أبان بن عثمان بأعرابيّ]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شبَّة قال : حدَّثنا ابنُ زبالة ، قال : حدَّثنا ابن زَبَنّج راوية ابنِ هَرْمة عن أبيه قال : كان أبانُ بنُ عثمان من أهزَلِ النّاس وأعبَثِهم ، وبلغ من عَبَثه أنّه كان يَجيء بالليل إلى منزِل رَجُلٍ في أعلى المدينة له لقب يَغضَب منه فيقول له : أنا فلانُ بنُ فلان ، ثم يهتف بلقَبه ، فيشتُمُه أقبح شَتْم وأبانُ يَضحك . فبينما نحنُ ذاتَ يوم عنده وعنده أشْعَبُ إذ أقبل أعرابيٌّ ومعه جَمَل له ، والأعرابيُّ أشقَرُ أزرقُ أزعَرُ[2] غَضوبٌ يتلَظّى كأنّه أفعى ، ويتبيَّن الشرُّ في وجهِه ، ما يدنو منه أحدٌ إلاّ شتمه ونهره . فقال أشعب لأبان : هذا والله من البادية ادعوه ، فدُعيَ وقيل له : إنّ الأميرَ أبانَ بنَ عُثمان يَدْعُوك . فأتاه فسلَّمَ عليه ، فسأله أبانُ عن نسبه فانتسب له ، فقال : حيّاك الله يا خالي ، حبيبٌ ازدادَ حُبّاً . فجلس ، فقال له : إنّي في طَلَب جَمَلٍ مِثْلِ جملك هذا منذ زمان فلم أجِدْه كما أشتهي بهذه الصِّفة ، وهذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحمد لله الذي جَعَل ظَفَري به من عند مَن أُحبّه ، أتبيعُه ؟ فقال : نعم أيّها الأمير ، فقال : فإنّي قد بذلتُ لك به مائة دينار ، وكان الجملُ يُساوي عشرة دنانير ، فطَمِع الأعرابيُّ وسُرَّ وانتفخ ، وبان السُّرورُ والطَّمع في وَجْهِه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويْلك يا أشعَب ! إنَّ خالي هذا من أهلِك وأقاربك ، يعني في الطمع ، فأوسع له مِمّا عندك . فقال له : نعم بأبي أنت وزيادة . فقال له أبان : يا خالي ، إنّما زِدْتُك في الثمن على بَصيرة ، وإنّما الجمَل يساوي ستّين ديناراً ،

---

1 أهل الصفة : فقراء المهاجرين ومن لم يكن له مسكن .

2 أزعر : سيىء الخلق .

ولكن بذلتُ لك مائة لقِلَّة النَّقْد عندنا ، وإنِّي أُعطيك به عُروضاً تُساوي مائة ، فزاد طَمَعُ الأعرابيُّ وقال : قد قَبِلْتُ ذلك أيّها الأمير ، فأَسَرَّ إلى أشعب ، فأخرجَ شيئاً مُغطًّى فقال له : أخرِجْ ما جِئْتَ بـه ، فأخرج جَرْدَ عمامة خزٌ خلقٍ تساوي أربعةَ دراهم ، فقال له : قوِّمها يا أشعب ، فقال له : عِمامة الأمير تُعرَف به ، ويشهدُ فيها الأعيادَ والجُمَع ويلقى فيها الخُلفاء ؛ خمسون ديناراً . فقال : ضَعْها بين يديه . وقال لابن زَنْبَج ، أثبِت قيمتها . فكتب ذلك ، ووُضِعَتْ العمامة بين يدَي الأعرابيّ ، فكاد يدخل بعضُه في بعض غيظاً ، ولم يقدِر على الكلام ؛ ثم قال : هاتِ قَلَنْسُوَتي ، فأخرج قَلَنْسُوة طويلة خَلَقة قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرَّقَت ، تساوي نصف درهم ؛ فقال : قوِّم ، فقال : قَلَنْسُوة الأمير تعلُو هامتَه ويُصلِّي فيها الصَّلوات الخمس ، ويجلسُ للحُكم ؛ ثلاثون ديناراً . قال : أثبِت ، فأثبَتَ ذلك ، ووُضِعَت القَلَنْسُوة بين يدَي الأعرابيّ ، فتربَّدَ وجهُه وجَحظَتْ عيناه وهمَّ بالوُثوب ، ثم تماسَك وهو متقلقِل .

ثم قال لأشعب : هات ما عِندَك ، فأخرج خُفَّين خلقين قد نُقبا وتقشَّرا وتفتَّقا ؛ فقال له : قوِّم ، فقال : خُفّا الأمير يطأ بهما الرَّوضةَ ، ويعلو بهما مِنبر النبيّ ﷺ ؛ أربعون ديناراً . فقال : ضعْهُما بين يدَيه فوضعهما . ثم قال للأعرابيّ : اضْمُم إليك متاعَك ، وقال لبعض الأعوان : اذهَبْ فخذ الجملَ ، وقال لآخر : امْضِ مع الأعرابيّ فاقبِض منه ما بقيَ لنا عليه من ثمن المتاع وهو عِشرون ديناراً ، فوثب الأعرابيّ فأخذَ القماشَ فضرب به وُجوه القوم لا يألُو في شِدَّة الرَّمـي بـه ، ثم قال له : اتدري أصلحك الله من أيّ شيء أموت ؟ قال : لا ، قال : لم أدرِك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولَد مثلك ؛ ثم نهض مثلَ المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضَحِك أبان حتى سَقَط وضَحِك كلُّ مَن كان معه . وكان الأعرابيُّ بعد ذلك إذا لَقي أشعب يقول له : هَلمَّ إليَّ يا ابن الخبيثة حتى أُكافِئك على تقويمك المتاع يوم قُوِّم ، فيهرب أشعبُ منه .

[يخاف حسد العجوز على خفّة موته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : حدَّثني شيخ من أهل المدينة قال : كانت بالمدينة عجوزٌ شديدةُ العين ، لا تنظُر إلى شيء تَسْتَحسِنه إلاّ عانته[1] ، فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لبنته : يا بنيَّة ، إذا مُتُّ فلا تَندُبيني والناس يَسمعونك ، فتقولين : وا أبتاه أندُبك للصَّوم والصَّلوات ، وا أبتاه أندُبُك للفِقْه والقراءة ، فيُكذِّبك النّاسُ ويلعُنوني . والتفت أشعبُ فرأى المرأة ، فغطَّى وجهه بكُمِّه وقال لها : يا فلانة

1 عانته : أصابته بالعين .

بالله إن كُنتِ استَحْسَنْتِ شيئاً مِمّا أنا فيه فصَلّي على النبيّ ﷺ لا تُهْلِكيني . فغضبت المرأةُ وقالت : سَخِنت عينك ، في أيّ شيءٍ أنتَ ممّا يستحسَن ! أنتَ في آخِرِ رَمَق ! قال : قد علمت ولكن قلت لئلاّ تكوني قد استَحْسنتِ خِفَّة الموت عليَّ وسُهولة النَّزع ، فيشتدُّ ما أنا فيه . وخرجَت من عِنده وهي تشتُمه ، وضَحِكَ كلُّ مَن كان حوله من كلامه ، ثم مات .

[ضرطة بنقطة]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ ، عن مصعب قال : لاعب أشْعَبُ رَجلاً بالنَّرد ، فأشرَف على أنْ يَقمُرَه إلاّ بضرب دويكين[1] ، ووقع الفصّان في يد ملاعبه ، فأصابه زَمَع[2] وجزع ، فضرَب يكين وضَرَط مع الضربة فقال له أشعَب : امرأتُه طالِق إن لم أحسب لك الضَّرطة بنُقطة حتى يصير لك اليكان دُوويكً وتَقْمُر . وسلم له القَمْر بسبب الضَّرطة .

[مزيد من طرائفه]

أخبرني الحَسَن قال : حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثني أبو أيّوب ، عن حَمَّاد ، عن ابن إسحاق ، عن أبيه قال : قال رجلٌ لأشعب : كان أبوكَ ألحى وأنتَ أثطُّ فإلى مَن خرجت ؟ قال : إلى أُمِّي ، فمرَّ الرجلُ وهو يَعْجَب من جوابِه ، وكان رجلاً صالحاً .

أخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني الرياشيُّ قال : سَمِعتُ أبا عاصم النَّبيل يقول : رأيتُ أشعبَ وسألَه رجُلٌ : ما بَلَغ من طَمَعِك ؟ قال : ما زُفّت عروسٌ بالمدينة إلى زوجها قَطّ إلاّ فتَحْتُ بابي ، رَجاءَ أن تُهدى إليَّ طمعاً .

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمِّه قال : تظَلّمت امرأةُ أشعب منه إلى أبي بَكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت : لا يَدعُني أهدأُ من كثرة الجِماع ، فقال له أشعب : أتُراني أعلِفُ ولا أركَبُ ، لتكفَّ ضِرْسَها لأكُفَّ أيْرِي .

قال : وشَكا خالٌ لأشعبَ إليه امرأتَه وأنّها تَخونُه في ماله . فقال له : فدَيتك لا تأمَنَن قحبة ، ولو أنّها أمُّك ، فانصرف عنه وهو يَشتُمه .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المُحرز عن الأصمعيّ ، عن جَعفر بن سليمان ، قال : قدِم علينا أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم ، وسألوه أن يُغنّيَ فغنَّاهم فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلْقُهُ على حاله ، فسألوه : لِمَنْ هذا اللحن : [من مجزوء الوافر]

---

1 لعلّها : دوويك .

2 زمع : دهش .

لِمَنْ طَلَـلٌ بِـذاتِ الجَيْـ ـشِ أمسى دارِساً خَلَقا[1] ؟

فقال : للدلال ، وأخذته عن مَعْبَد ، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوتَ ، فإذا سُئِل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسنَ أداءً له منّي .

[الحسن بن الحسن يعبث به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال : ذكر الزُّبير بن بكّار ، عن شُعيب بن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه قال : كان الحسن بنُ الحسنِ بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يَعبَث بأبي أشدَّ عَبَث ، وربّما أراه في عَبَثه أنّه قد ثَمِل وأنّه يُعَربِد عليه ، ثم يخرُج إليه بسيف مَسْلول ويُريه أنّه يريد قتلَه ، فيَجري بينهما في ذلك كلّ مُستَمع . فهَجَره أبي مدّة طويلة ، ثم لقِيَه يوماً ، فقال له : يا أشعب ، هَجَرْتَني وقطعتني ونَسِيت عَهدي . فقال له : بأبي أنتَ وأُمّي ، لو كنتَ تعربد بغير السيفِ ما هجرتك ، ولكن ليس مع السيف لَعِبٌ . فقال له : فأنا أُعفيك من هذا فلا تراه منّي أبداً ، وهذه عشرة دنانير ، ولك حِماري الذي تحتي أحمِلُك عليه ، وصِر إليَّ ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً ؛ قال : لا والله أو تُخرِج كلّ سيف في دارك قبل أن نأكل ؛ قال : ذلك لك . قال : فجاءه أبي ، ووفّى له بما قال من الهِبَة وإخراج السُّيُوف ، وخلَّف عنده سيفاً في الدار ، فلمّا توسَّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيفَ مشهوراً ، ثم قال : يا أشعب إنّما أخرجتُ هذا السيف لخير أُريدُه بك ، قال : بأبي أنتَ وأُمّي ، وأيُّ خير يكون مع السَّيف ؟ ألست تذكُر الشرطَ بيننا ؟ قال له : فاسمع ما أقول لك ، لست أُضربك به ، ولا يلحقك منه شيء تكرهَهُ ، وإنّما أُريد أن أُضجعَك وأجلِس على صدرك ، ثم آخذ جِلدَة حلْقِك بإصبعي من غير أن أقبِض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقتل ، فأحزَّها بالسيف ، ثم أقومُ عن صَدْرِك وأُعطيك عشرين ديناراً . فقال : نشَدْتك اللهَ يا ابنَ رسولِ الله ألاّ تفعَل بي هذا ! وجعل يصرُخ ويبكي ويستغيث ، والحسنَ لا يزيدُه على الحَلْفِ له أنّه لا يقتُله ولا يتجاوز به أن يَحُزّ جِلدَه فقط ، ويتوعّده مع ذلك بأنّه إن لم يفعله طائعاً فعله كارِهاً ، حتى إذا طال الخَطْب بينهما ، واكتفى الحَسَن من المزح معه ، أراه أنّه يتغافل عنه ، وقال له : أنتَ لا تفعل هذا طائعاً ، ولكن أجيِءُ بحَبْل فأكتِفك به . ومضى كأنّه يجيء بحبل ، فهَرَب أشعَبُ وتَسوَّر حائِطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسَقَط إلى داره ، فانفكَّت رِجلُه وأُغمي عليه . فخرج عبد الله فَزِعاً ، فسأله عن قصّته ، فأخبره ، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً ، وأقام في منزله يعالجه ويَعُوله إلى أن صَلَحت حالُه .

1 طلل في ل : ربع .

قال : وما رآه الحَسَنُ بنُ الحسن بعدها .

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بنُ بَكّار قال : حدَّثني عَمِّي قال : دعا حسنُ بنُ حسنِ بن عليّ عليهم السلام أشعَبَ ، فأقام عنده ، فقال لأشعب يوماً : أنا أشتهي كَبِدَ هذه الشاة ، لشاةٍ عنده عَزيزةٍ عليه فارهةٍ ، فقال له أشعب : بأبي أنت وأُمِّي أعْطِنيها وأنا أذبحُ لك أسمَن شاةٍ بالمدينة . فقال : أُخبِرك أنّي أشتَهي كبدَ هذه وتقول لي : أسمن شاةٍ بالمدينة ، اذبَحْ يا غُلام ، فذبحها وشوى له من كبدِها وأطايِبِها ، فأكل . ثم قال لأشعب من الغدِ : يا أشعب أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا ، لِنَجيب كان عنده ثمنه ألوفُ دراهم ، فقال له أشعب : يا سيِّدي في ثمن هذا والله غناي ، فأعطِنيه وأنا والله أُطعِمُك من كبد كلّ جزورٍ بالمدينة . فقال : أُخبرك أنّي أشتهي من كبد هذا وتُطْعِمُني من غيره ! يا غلام انحَر ، فنحرِ النَّجيبُ وشَوى كبده فأكلاه فلمّا كان اليوم الثالث قال له : يا أشعبُ ، أنا والله أشتهي أن آكُل من كبدك . فقال له : سُبْحان الله أتأكُلُ من أكبادِ النّاس ! قال : قد أخبرتك ، فوثب أشعَب فرَمى بنفسِه من درجة عالية فانكسرت رِجلُه . فقيل له : ويْلَك أظننتَ أنّه يَذبَحُك ؟ فقال : والله لو أنّ كَبِدي وجَميعَ أكبادِ العالَمين جميعاً اشتَهاها لأكَلَها . وإنّما فَعَل حسن بالشّاةِ والنَّجيب ما فعل توطئة للعَبَث بأشعب .

تمّت أخباره .

صوت

[من المتقارب]

أَلَمَّتْ خُناسُ وإلمامُها أَحاديثُ نَفْس وأَحلامُها
يَمانِيَّةٌ من بني مالِكٍ تَطاوَل في المَجْدِ أَعمامُها

الشعر لعُوَيف القَوافي الفَزاريّ[1] والغِناء للهُذَليّ رمل بالوسطى ، عن عمرو ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ فيه لحناً لجميلة ولم يذكر طريقته ، وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ مُطلَق في مجرى الوسطى .

1 شعره : 152 .

[404] ـ أخبار عُوَيْف ونسبه[1]

[نسبه]

هو عُوَيف بن معاوية بن عُقْبة بنِ حِصْن وقيل : ابنُ عُقْبة بن عُيينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عَديّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار .

وعُوَيْف القوافي شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة من ساكني الكوفة ، وبيتُه أَحدُ البيوتِ المُقدَّمة الفاخرة في العرب .

قال أَبو عبيدة : حدَّثني أَبو عمرو بنُ العَلاء أَنَّ العرب كانت تَعُدُّ البُيوتاتِ المشهورة بالكِبَر والشَّرف من القبائل بعد بيت هاشِم بن عبد مَناف في قريش ثلاثة بيوت ، ومنهم مَن يقولُ أربعة : أوّلُها بيت آل حُذَيْفة بن بَدْر الفَزاريّ بيتُ قيس ، وبيْتُ آلِ زُرارة بن عُدَس الدّارميّيْن بيتُ تميم ، وبيتُ آلِ ذي الجَدَّين بن عبد الله بن همّام بيت شَيْبان ، وبيتُ بني الدّيّان من بني الحارث بن كعب بيتُ اليَمَن .

وأَمّا كِندة فلا يُعدُّون من أَهل البُيوتات ، إنّما كانوا مُلوكاً .

وقال ابن الكلبيّ : قال كِسْرى للنُّعمان : هل في العرب قبيلة تَشرُف على قبيلة ؟ قال : نعم . قال : بأيِّ شيء ؟ قال : مَن كانت له ثلاثةُ آباء متوالية رؤساء ، ثم اتَّصل ذلك بكمال الرّابع ، والبيتُ من قبيلته فيه . قال : فاطلُب لي ذلك ، فطَلَبه فلم يُصِبه إلاّ في آل حُذيفة بن بَدْر بيت قيس بن عيلان ، وآلِ حاجب بن زرارة بيتِ تميم ، وآل ذي الجَدَّين بيت شيبان ، وآل الأَشعَث بن قيس بيت كِندة . قال : فجمع هؤلاءِ الرَّهط ومَن تبعَهم من عشائرهم . فأقعد لهم الحُكّام العُدول ، فأقبل من كُلِّ قوم منهم شاعِرُهم ، وقال لهم : ليتكلَّم كلُّ رجلٍ منكم بمآثِر قومِه وفعالهم ، وليَقل شاعِرُهم فيصدُق . فقام حُذيفة بن بَدْر ، وكان أَسنَّ القوم وأَجرأهم مُقدَماً ، فقال : لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنَّ منّا الشَّرف الأقدمَ ، والعِزَّ الأعظمَ ، ومأثرة الصَّنيع الأكرم . فقال مَن حوله : ولِمَ ذاك يا أخا فَزارة . فقال : السنا الدّعائِمَ التي لا ترام ، والعِزَّ الذي لا يُضام ! قيل له : صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]

فَــزارةُ بيتُ العِــزّ والعِزُّ فيهمُ ... فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها

1 ترجمة عويف القوافي في معجم المرزباني : 127–128 والسمط : 814 وخزانة البغدادي 6 : 384–387 وقد جمع ما تبقى من شعره د. نوري حمودي القيسي في «شعراء أمويون» 2 : 135–154 ، وأخبار مرج راهط في كتب التاريخ .

لها العِزَّةُ القَعْساءُ والحَسَبُ الذي بَنـاه لِقَيْس في القديـم رِجالُها
فمَنْ ذا إذا مُدَّ الأَكفُّ إلى العُلا يَمُـدُّ بـأُخرى مِثْلَها فينالُها[1]
فهَيهاتَ قد أَعْيا القُرونَ التي مَضَت مآثِـرُ قَيْس مَجدُهـا وفَعالُها[2]
وهل أَحـدٌ إن مَـدَّ يوماً بكَفِّه إلى الشمس في مَجْرى النُّجوم ينالُها
وإن يَصْلُحوا يَصلُحْ لذاك جَميعُنا وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاس حالُها

ثم قام الأشعَث بن قيس ، وإنّما أُذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنُّعمان ، فقال : لقد علِمت العربُ أنّا نقاتل عديدَها الأكثرَ ، وقديم زحفِها الأكبر ، وأنّا غِياثُ اللّزَباتِ[3] . فقالوا : لِمَ يا أخا كِندة ؟ قال : لأنّا وَرِثنا مُلك كندة فاستظللنا بأفيائِه ، وتقلّدنا مَنْكِبَه الأعظم ، وتوسّطنا بُحبوحه الأكرم ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجـالِ بِبَيْتِنا وجدتَ له فَضْلاً على مَنْ يُفاخِرُ
فَمـنْ قـال كلاَّ أو أتانـا بخُطَّةٍ يُنافِرُنـا يومـاً فنحـن نُخـاطِرُ
تَعالـوا فعـدُّوا يعلـم النَّاس أيُّنَا لـه الفَضلُ فيمـا أورثَتْـه الأكابِرُ

ثم قام بَسْطام بن قَيْسٍ فقال : لقد علِمت ربيعة أنّا بُناة بيتها الذي لا يَزُول ومغرس عِزّها الذي لا يُنقل . قالوا : ولِمَ يا أخا شَيْبان ؟ قال : لأنّا أدركهم للثّأر ، وأقتلهم للملك الجبّار ، وأقولُهم للحقّ ، وألدُّهم للخَصْم ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

لعَمْري لَبِسْطـامٌ أحـقّ بفضلها وأولَى بِبَيْت العـزِّ عِـزّ القبائلِ
فَسائِلْ ، أبيت اللّعْن ، عن عزّ قومِنا إذا جَـدَّ يـوم الفَخْر كلُّ مناضلِ
ألسْنا أعـزَّ الناسِ قومـاً وأُسرةً وأَضْرَبَهـم للكَبْشِ بـين القبائلِ
فَيُخْبرَك الأقـوامُ عنهـا فإنّهـا وقائـعُ لَيسَت نُهـزةً للقبائلِ
وقائـعُ عِـزٍّ كلّهـا رَبَعيَّـةٌ تَـذِلُّ لهـم فيهـا رِقابُ المَحافلِ
إذا ذُكِرت لم يُنْكِرِ النَّاسُ فضلَها وعـاذَ بهـا من شَرِّها كُلُّ قائلِ
وإنَّا مُلـوكُ النَّاسِ في كل بَلْدةٍ إذا نَزَلت بالنَّاسِ إحْدى الزَّلازِلِ

ثم قام حاجب بن زرارة فقال : لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنّا فَرْع دِعامتها ، وقادة زحفِها ، فقالوا له : بِمَ ذاك يـا أخا بني تميم ؟ قال : لأنَّا أكثرُ الناس إذا نسِبْنا عدداً ، وأنجبهـم ولـداً ، وأنّـا

---

1 مثلها في ل : غيرها .
2 مضت في ل : خلت .
3 اللزبات : جمع لزبة ، وهي الشدّة والقحط .

أعطاهم للجزيل ، وأحملُهم للثَّقيل ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

لقــد عَلِمــتْ أَبنــاءُ خِنْدِفَ أَنَّنا لنا العِزُّ قِدْماً في الخُطوب الأَوائِلِ
وأنّا هِجـانٌ أَهْلُ مجــد وثَرْوَةٍ وعِــزٌّ قديــم ليس بــالمتضائِلِ[1]
فكَمْ فيهمُ مــن سَيِّدٍ وابْنِ سَيِّدٍ أَغَــرَّ نجيبٍ ذي فعــال ونائلِ
فسائلْ ، أَبيتَ اللَّعــن ، عنّا فإنّنا دعائمُ هــذا النّاس عنـد الجَلائلِ

ثم قام قيس بن عاصم فقال : لقد عَلِم هؤلاء أنّا أرفعَهُم في المكرُمات دعائم ، وأثبتهم في النّائباتِ مقاوم . قالوا : ولِم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال : لأنّا أمنعُهم للجار ، وأدركهم للثّار ، وأنّا لا نَنْكَلُ إذا حَمَلنا ولا نرام إذا حَلَلْنا ، ثم قام شاعرُهم فقال : [من الطويل]

لقــد عَلِمَتْ قيسٌ وخِندِفُ كُلّها وجُلُّ تَميم والجُموع التي تَرى
بأنّا عِمــادٌ في الأُمــورِ وأنّنا لنا الشَّرفُ الضَّخمُ المُركَّب في النَّدى
وأنَّا لُيوثُ النّــاس في كلِّ مأزِقٍ إذا اجتُزَّ بالبِيضِ الجماجِمُ والطُّلى[2]
وأنّا إذا داعٍ دَعانــا لنَجْـدةٍ أَجبْنا سِراعاً في العلا ثَمَّ مَنْ دَعا
فمَنْ ذا لِيوم الفَخْرِ يَعْدِل عاصماً وقَيْساً إذا مُدَّ الأَكُفُّ إلى العُلا
فَهَيْهاتَ قــد أَعيا الجميعَ فَعالُهم وفاتُوا بيَوْم الفَخْرِ مَسْعاةَ مَنْ سَعى

فلمّا سمع كِسْرى ذلك منهم قال : ليس منهم إلاّ سيِّد يَصلح لموضعه ، وأسنى حِباءَهم .

[رجع الحديث إلى عويف القوافي]

وإنّما قيل لعُوَيف : عُوَيْف القَوافي لِبَيْت قاله ، نَسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دُريد ولم أسمعه منه . قال : أخبرنا السَّكَن بنُ سعيد ، عن محمد بن عَبّاد ، عن ابن الكلبيّ قال : أقبلَ عُوَيْف القوافِي ، وهو عُوَيف بن معاوية بن عُقبة بن حصن بن حُذيفة الفَزاريّ ، وإنّما قِيل له عويف القَوافي ، كما حدَّثني عَمّارُ بنُ أبان بن سعيد بن عُيَيْنة ، ببيت قاله[3] : [من الطويل]

سأَكذِبُ مَن قد كان يَزعمُ أَنّني إذا قُلتُ قــولاً لا أُجيدُ القَوافِيا

قال : فوقف على جرير بن عبد الله البَجَليّ وهو في مجلسه فقال[4] : [من الوافر]

1 الهجان : الخيار والخالص من كل شيء ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .
2 الطلى : الرقاب .
3 شعره : 154 .
4 شعره : 154 .

أُصُبّ على بَجيلة من شقاها   هِجائي حين أدركني المَشِيبُ

فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراض بَجِيلَة ؟ قال : بلى ، قال : بِكَمْ ؟ قال : بألف دِرهم وبِرذون ، فأمر له بما طَلَب فقال[1] : [من الرجز]

لولا جَرِيرٌ هَلَكتْ بَجِيلَهْ   نِعْم الفَتى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

فقال جرير : ما أُراهم نَجَوْا منك بعد .

نسختُ من كتاب أبي سعيد السكريّ في كِتاب «مَنْ قال بيتاً فلُقِّب به» قال : أخبرني محمد بن حبيب قال : وإنّما قيلَ لعُوَيف عُويفُ القوافي لقوله ، وقد كان بعض الشعراء عَيَّره بأنّه لا يُجيد الشعر ، فقال أبياتاً منها : [من الطويل]

سأَكذِب مَنْ قد كان يَزعمُ أنَّني   إذا قُلتُ شعْراً لا أُجِيدُ القَوافِيا

فسُمِّي عُوَيف القوافي .

[عند الوليد بن عبد الملك]

أُخبرنا محمد بنُ خَلَف وكيع قال : حدَّثني أحمد بنُ إسحاق ، عن أَبيه ، قال : حدَّثني عزيزُ بنُ طَلْحة بنِ عبد الله بن عثمان بن الأرقَم المخزوميّ ، قال : حدَّثني غيرُ واحد من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجلٌ من وُلاةِ أولادِ عبد الملك بن مروان كان أنفسَ على قومه ، ولا أحْسَدَ لهم من الوليد بن عبد الملك . فأذِنَ يوماً للنّاس فدخلوا عليه ؛ وأذِن للشُّعراء ، فكان أوّل مَن بَدر بين يديه عُوَيْف القوافي الفَزاريّ . فاستأذنه في الإنشادِ فقال : ما بَقَّيتَ لي بعد ما قلتَ لأَخي بَني زُهرة ! قال : وما قلتُ له مع ما قلتُ لأمير المؤمنين ؟ قال : ألستَ الذي تقول[2] : [من الكامل]

يا طَلْحَ أنتَ أَخو النَّدى وحَلِيفُه   إنَّ النَّدى من بعد طَلْحَة ماتا

إنَّ الفَعالَ إليك أُطلَقَ رَحْلَه   فبِحَيْث بِتَّ مِن المَنازِلِ باتا

أَو لَسْتَ الذي تقول[3] : [من الوافر]

إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عَوْف   فلا مَطَرتْ على الأُرض السَماءُ

ولا سار البَشيرُ بغُنْم جَيْشٍ   ولا حَمَلت على الطُّهْرِ النِّساءُ[4]

---

1 شعره : 151 .

2 شعره : 143 .

3 شعره : 142 .

4 ل : ولا سار العزيز .

تَساقى النِّساءُ بعدكَ يا ابْنَ عَوْفٍ ذَريعَ المَوْتِ ليس لـه شِفاءُ

أَلم تَقُم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أَسمعَ منك شيئاً ، ولا أنفعك بنافِعةٍ أبداً ، أَخرجوه عنّي .

[قصّته مع طلحة أخي بني زهرة]

فلمّا أُخرج قال له القُرشيُّون والشاميُّون : وما الذي أَعطاك طلحَةُ حين استخرج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطاني غيرُه أكثرَ من عطيّته ، ولكن لا والله ما أعطاني أحدٌ قطّ أحلى في قَلبي ولا أبقى شُكْراً ولا أجدَر ألاّ أنساها ما عَرفتُ الصِّلاتِ من عطيّته . قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدِمْتُ المدينة ومعي بُضَيّعة[1] لي لا تَبلُغ عشرة دنانير ، أُريدُ أن أبتاعَ قَعوداً من قِعدان الصَّدَقة ، فإذا برجل في صَحْن السُّوق على طِنْفِسةٍ[2] قد طُرِحَتْ له ، وإذا النّاس حوله ، وإذا بين يديه إبلٌ معلوفة له ؛ فظننت أنّه عامِلُ السّوق ؛ فسلَّمت عليه ، فأثبتني وجهِلْتُه . فقلت : أي رَحِمك الله ، هل أنت مُعِيني ببَصَرِك على قَعُود من هذه القِعْدان تبتاعه لي ؟ فقال : نعم ، أوَ مَعَك ثمنه ؟ فقلت : نعم ، فأهوى بيدِه إليَّ فأعطيتُه بُضَيِّعَتي ، فرفع طِنْفسَته وألقاها تحتها ، ومَكَث طويلاً ، ثم قمتُ إليه فقلت : أي رَحِمَك الله ، انظُر في حاجتي فقال : ما منعني منك إلاّ النِّسيان ، أمَعَك حبل ؟ قلتُ : نعم ، قال : هكذا أفرِجوا ، فأفرَجُوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه ، فقال : اقرِن هذه وهذه وهذه . فما بَرِحتُ حتى أمرَ لي بثَلاثين بَكْرة أدنى بَكْرة منها ، ولا دنِيَّة فيها ، خيرٌ من بضاعتي . ثم رفع طِنْفِسَته فقال : وشأنَك ببضاعتك فاستَعِن بها على مَن ترجع إليه . فقلت : أي رَحِمك الله ، أتدْري ما تقول ؟ فما بَقي عنده إلاّ مَنْ نهرَني وشتمني ، ثم بَعَث معي نفراً فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثَّنِيّة ، فوالله لا أنساه ما دُمت حيّاً أبداً .

وهذا الصوتُ المذكور تمثَّل به إبراهيمُ بنُ عبد الله بنِ حَسَن بن حَسَن بن عليٍّ يوم مقْتلِه .

حدَّثني ابنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني مَيسرَةُ بن سيَّار أَبو محمد قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ عليّ الرّافقيّ ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ؛ وحدَّثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المنجِّم ، وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ قالا : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبّة قال : حدَّثني عبد الملك بن سليمان ، عن عليّ بن الحسن ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ؛ وروايةُ ابن عَمّار أتمُّ من هذه الرِّواية .

ونسختُ هذا الخبر أيضاً من بَعض الكتب عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ ، عن أبي عثمان

1 بضيّعة : تصغير بضاعة ، وهي مقدار من المال للتجارة .

2 الطنفسة : البساط والحصير .

اليَقْطُرِيِّ[1] ، عن أبيه ، عن المُفضَّل ، وهو أَتمُّ الرِّوايات ، وأكثرُ اللفظ له قال : قال المفضَّل : خرجتُ مع إبراهيم بنِ عبد الله بنِ حسن بن حسن ، فلمّا صار بالمِرْبَد ، وقف على رأس سليمان بن عليّ فأُخرِجَ إليه صبيان من ولده ، فضمَّهم إليه وقال : هؤلاء واللهِ منّا ونحن منهم ، إلاّ أن آباءهم فعلوا بنا وصنعوا ، وذكر كلاماً يعتدُّ عليهم فيه بالإساءة ، ثم توجّه لوجهِه وتَمثّل[2] : [من المنسرح]

مَهْلاً بَنــي عَمِّنــا ظُلامتنا إنّ بنــا سَوْرَةً من القَلَقِ[3]
لِمِثْلِكم نَحمِلِ السيوفَ ولا تُغمَزَ أَحسابُنــا من الدَّقَقِ[4]
إنّي لأنمِــي إذا انتَميت إلى عزٍّ عزيــزٍ ومَعْشَرٍ صُدُقِ[5]
بيضٍ سِبــاطٍ كأنّ أَعينَهم تكحَل يوم الهِياجِ بالعَلَقِ[6]

فقلت : ما أفحلَ هذه الأبياتِ ، فلِمَن هي ؟ قال : لضِرار بنِ الخطّاب الفِهْرِيّ ، قالها يوم الخَنْدق ، وتمثَّل بها عليُّ بنُ أبي طالب عليه السّلام يوم صِفِّين ، والحسين بن عليّ يوم قُتِل ، وزَيدُ بن عليّ عليهم السلام ، ولحقَ القومَ ، ثم مضى إلى باخَمْرى[7] ، فلمّا قَرُب منها أتاه نَعيُ أخيه محمد ، فتمثل : [من الكامل]

نُبِّئْتُ أنَّ بنــي رَبيعــة أَجمعوا أمــراً خلالَهُــمُ لتقْتُــلَ خالِدا
إن يَقتُلوني لا تُصِب أَرماحُهــم ثأري ويَسْعى القَومُ سَعْياً جاهِدا
أرمي الطريقَ وإن صُدِدتُ بِضيقِه وأُنازِلُ البطــلَ الكَميَّ الجاحِدا

فقلت : لِمَن هذه الأبيات ؟ فقال : للأحوص بن جعفر بن كِلاب ، تمثَّل بها يوم شِعْب جَبَلة ، وهو اليوم الذي لَقِيت فيه قَيْسٌ تميماً . قال : وأقبلت عساكر أبي جعفر ، فقتِل من أصحابه وقتِل من القوم ، وكاد أن يكون الظَّفَر له .

قال ابن عمّار في حديثه : قال المُفضَّل : فقال لي : حرِّكْني بشيء ، فأنشدته هذه الأبيات : [من الطويل]

أَلا أَيُّهــا النّاهــي فَزارةَ بعدمــا أَجدَّتْ بسَيْرٍ إنّمــا أنــتَ حالِمُ

---

1 ل: اليزيدي .
2 ديوان ضرار بن الخطاب الفهري (صادر) : 75 .
3 القلق في الديوان : الغلق ، وهو الضجر وضيق الصدر .
4 الدقق : الذين يظهرون عيوب الناس . وفي الديوان : الرفق : الضعف .
5 الديوان : حي كرام ومعشر صدق .
6 الديوان : بيض جعاد ، أي كرام .
7 باخمرى : موضع بين الكوفة وواسط .

أبـى كُلُّ حُـرٌّ أن يَبيتَ بوِتْـرِه ... ويُمنـعَ منـه النومُ إذ أنت نائِمُ
أقـولُ لفِتيـان العَشيِّ تَروّحـوا ... على الجُردِ في أفواهِهِنَّ الشَّكائمُ
قِفُوا وقْفَةَ مَنْ يَحْيَ لا يَخزَ بعدها ... ومَـن يُختَرم لا تَتَّبِعـه اللَّوائِمُ
وهل أنتَ إن باعَدْتَ نَفسَك منهمُ ... لتَسْلم فيمـا بعـد ذلـك سالِمُ

فقال لي : أعِدْ ، فتنبَّهت وندِمت ، فقلت : أوَغير ذلك ؟ فقال : لا ، أعدها ، فأعَدتها ؛ فتمطَّى في رِكابَيْه حتى خِلتُه قد قطعهما ، ثم حمل فكان آخرَ العهد به .

هذه روايةُ ابنِ عمّار ، وفي الرواية الأُخرى : فحَمَل فطَعَن رَجُلاً ، وطعنه آخر ، فقلت : أتباشِر الحربَ بنفسِك والعسكرُ مَنوطٌ بك ؟ فقال : إليك يا أخا بني ضَبَّة ، كأنَّ عُوَيفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيثُ يقول : [من المتقارب]

أَلَّمـت خُنـاسُ وإلمامُها ... أحاديثُ نفسٍ وأحلامُها
يَمانيَّـةٌ من بنـي مالكٍ ... تَطاولَ في المَجدِ أعمامُها
وإنّ لنـا أصلَ جُرْثُومةٍ ... تَـرُدُّ الحـوادِثَ أيّامُها
تـردُّ الكَتيبَـةَ مَغْلولـةً ... بها أَفْنُهـا وبهـا ذامُها[1]

قال : وجاءه السَّهْمُ العائر فشَغَله عنِّي .

[ينشد عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنْزيّ ، قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديُّ ، قال : حدَّثني أصحابنا الأسديُّون ، عن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعريّ قال : حضرت مع عُمَر بن عبد العزيز جِنازة ، فلمّا انصرف انصرفتُ معه ، وعليه عمامةٌ قد سَدَلها من خَلْفِه ، فما عَلِمتُ به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به[2] : [من الطويل]

أجِبْني أبا حَفْص لقيتَ محمداً ... على حَوْضِـه مُسْتَبْشِراً ورآكا

فقال له عمر : لَبَّيْك ، ووقف ووقف الناسُ معه ، ثم قال له : فمَه ؟ فقال :

فأنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفِيدةٌ ... شِمالُك خيرٌ مـن يمين سِواكا

قال : ثم مه ؟ فقال : [من الطويل]

بلغتَ مَدى المُجرِين قبلَك إذْ جَرَوا ... ولم يَبلُغ المُجْـرون بَعـدُ مَداكا

---

1 الأفن : ضعف الرأي . والذام : العيب والنقص .

2 شعره : 150 .

فجَدّاك لا جَدَّيـنِ أكرمُ منهما هُناك تَناهى المَجدُ ثم هُناكا

فقال له عمر : ألا أراك شاعراً ! ما لك عندي من حَقّ ؛ قال : لا ، ولكنّي سائل وابنُ سبيل وذو سُهْمَةٍ[1] . فالتفت عُمَر إلى قَهْرمانه فقال : أعطِه فَضْل نفقتي ، قال : وإذا هو عُوَيْف القوافي الفَزاريّ .

[هجاء بني مرّة]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عُبيدة ، قال : لمّا كان يَوم ابن جرح ، واقتتلت بنو مرّة وبنو حُنّ بن عُذْرة ، قال عُويف القوافي لبني مُرّة يهجوهم ويوبِّخهم بتَرْكهم نصرَهم[2] : [من الطويل]

كُنّا لكم يا مُرّ أُمّاً حَفِيَّةً وكنتُم لنا يا مرّ بَوّاً مُجَلَّدا[3]

وكنتم لنا سَيْفاً وكُنّا وِعاءه إذا نحن خِفْنا أن يكِلَّ فيُغْمَدا

فأجابه عُقَيل بنُ عُلَّفَة بقصيدته التي أوّلُها : [من الطويل]

أماوِيَّ إنَّ الركبَ مُرتحِلٌ غدا وحَقٌّ ثَوِيٌّ نازلٍ أن يُزَوَّدا

يقول فيها يخاطب عويفاً :

إذا قُلتُ : قد سامحت سَهْماً ومازِناً أبى النَّسَبُ الدّانيّ وكُفرُهُم اليَدا

وقد أَسلَمُوا أستاهُهم لقَبيلةٍ قُضاعيَّةٍ يدعون حُنّاً وأَصْيَدا

فما كنتَ أمّاً بل جعلتُك لي أخاً وقد كنتَ في النّاس الطَّريدَ المُشَرَّدا

عُوَيف استِها قد رُمتَ وَيْلَكَ مَجدَنا قديماً فلم تَعْدُ الحِمارَ المُقَيَّدا

ولو أنَّني يومَ ابنِ جُرْحٍ لَقيتُهم لجرَّدْتُ في الأعداء عَضْباً مُهَنَّدا

وأبيات عُوَيف هذه يقولها يوم مَرْج راهِط ؛ وهي الحرب التي كانت بين قيس وكَلْب .

[وقعة مرج راهط]

أخبرني بالسَّبب فيه أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال : أخبرني سليمان بن أيُّوب بن أعين أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : كان بدءُ حَرْب قيس وكَلْب في فِتنة ابن الزُّبير ما كان من وقعة مَرج راهِط ، وكان من قصَّة المَرج أنَّ مَروان بن الحَكَم بن أبي العاص قَدِم بعد هلاكِ يَزيد بن معاوية والنّاسُ يموجون ، وكان سعيد بن بَحْدل الكلبيُّ على

1 سهمة : القرابة والنصيب والقسمة .

2 شعره : 145 .

3 البوّ : جلد ولد الناقة يحشى تبناً لتدرّ عليه .

قِنَّسْرِين ؛ فوثب عليه زُفَر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابنِ الزُّبير . فلمّا قعد زُفَر على المِنبر قال : الحمدُ لله الذي أقعَدني مقعد الغادر الفاجر ، وحَصِر ، فضَحِكَ الناس من قوله . وكان النُّعمان بن بَشير على حِمْص ، فبايَع لابن الزُّبير . وكان حَسّان بن بَحْدل على فِلسْطين والأُرْدن ، فاستعمل على فلسطين رَوْحَ بنَ زِنباع الجُذاميّ ، ونزل هو الأُردُنّ فوثب نابِلُ بنُ قيس الجُذاميّ على رَوْح بن زِنباع ، فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزُّبير .

[موقف الضحاك بن قيس الفهريّ]

وكان الضَّحّاك بن قيس الفِهْرِيّ عامِلاً ليزيدَ بن معاوية على دمشق حتى هلك . فجعل يقدِّم رِجلاً ويُؤخِّر أُخرى ؛ إذا جاءته اليمانية وشِيعَةُ بني أُميّة أخبرهم أنّه أُمويّ ، وإذا جاءته القيسيَّة أخبرهم أنّه يدعو إلى ابن الزُّبير . فلمّا قدِم مروان قال له الضَّحّاك : هل لك أن تقدَم على ابن الزُّبير ببيعة أهل الشام ؟ قال : نعم ، وخرج من عنده ، فلقيه عمرو بنُ سعيد بن العاص ، ومالك بن هبيرة ، وحُصَين بن نمير الكِنديّان ، وعُبيد الله بنُ زياد ، فسألوه عمّا أخبره به الضَّحّاك ، فأخبرهم ؛ فقالوا له : أنتَ شيْخ بَني أُميَّة ، وأنتَ عَمُّ الخليفة ، هلمّ نُبايعك . فلمّا فَشا ذلك أرسل الضَّحّاك إلى بني أُميَّة يعتذر إليهم ، ويذكر حُسْنَ بلائِهم عنده ، وأنّه لم يُرِد شيئاً يكرهونه . فاجتمع مروان بنُ الحكَم ، وعَمْرُو بنُ سعيد بن العاص ، وخالِدُ وعبدُ الله ابْنا يَزيد بن معاوية وقال لهم : اكتبوا إلى حسّان بن بَحْدَل فليَسِرْ من الأردن حتى ينزِل الجابية ، ونسير من هاهنا حتى نلقاه ، فيستخلِف رجلاً ترضونه . فكتبوا إلى حسّان ، فأقبل في أهل الأردُن ، وسار الضَّحّاك بن قيس وبنو أُميّة في أهل دمشق . فلمّا استقلَّت الرَّاياتُ من جهة دمشق ، قالت القيسيَّة للضَّحّاك : دعوتنا لبَيْعة ابنِ الزُّبير ، وهو رجُلُ هذه الأُمَّة ، فلمّا تابعناك خرجتَ تابعاً لهذا الأعرابيّ من كَلْب تُبايع لابنِ أُختِه تابعاً له ، قال : فتقولون ماذا ؟ قالوا : نقول : أن تَنْصرف وتظهِر بيعةَ ابنِ الزُّبير ونظهِرَها معك . فأجابهم إلى ذلك ، وسار حتى نزل مَرْج راهط ، وأقبل حسّان حتى لَقي مَروان بن الحكَم ، فسار حتى دخل دمشق ؛ فأتتْه اليمانيّة تشكر بلاءَ بني أُميّة ، فساروا مع مروان حتى نزلوا المَرْج على الضَّحّاك ، وهم نحو سبعة آلاف ، والضَّحّاك في نحو من ثلاثين ألفاً . فلَقوا الضَّحّاك ، فقتل الضَّحّاك ، وقتِل معه أشرافٌ من قيس ، فأقْبل زُفَر هارِباً من وَجهِهِ ذاك حتى دخل قَرْقِيسيا ، وأقام عُمَير بنُ الحُباب شيئاً على طاعة بني مروان ، ثم أقبل حتى دخل قَرْقِيسيا على زُفر فأقام معه ، وذلك بعد يوم خازِر[1] حين قُتِل عُبيد الله بنُ زياد .

وأقبل زُفَر يبكي قَتلى المَرج ويقول[2] : [من الطويل]

---

1 خازر : نهر بين إربل والموصل يصب في دجلة .

2 الأبيات في الطبري (حوادث 64) .

لعَمْري لقــد أَبقَت وَقِيعةُ راهِطٍ لِمـروان صَدْعــاً بيننـا مُتنائيا[1]
أتذهــبُ كَلْبٌ لَـم تَنَلْها رِماحُنا ويُترك قَتْـلى راهطٍ هــيَ ماهيا
فقد يَنْبُت المَرْعى على دِمَن الثَّرى وتبقى حَـزازاتُ النُّفوس كما هِيا
أَبعدَ ابنِ صَقْرٍ وابنِ عَمـرو تتابعا ومَصْرَعِ هَمَّـام أُمَنَّــى الأمانيا[2]

فقال ابن المِخْلاة الكلبيّ يجيبه[3] : [من الطويل]

لعَمْري لقــد أَبقَت وَقيعَةُ راهطٍ على زُفَــرٍ داءٌ مـن الـدَّاء باقِيا
تُبَكِّـي على قَتْـلى سُلَيمٍ وعامــرٍ وذُبيانَ مغروراً وتُبْكي البَواكِيا[4]

وقال ابن المِخْلاة في يوم المَرْج : [من الطويل]

ويومٍ تــرى الرّاياتِ فيــه كأَنّها حوائــمُ طَيْرٍ مُسْتَديـرٌ وواقـعُ
مضى أَربــعٌ بعـد اللِّقــاءِ وأَربَعٌ وبالمرجِ باقٍ من دم القَوم ناقِعُ
طعَنَّا زِياداً في استِه وهـــو مُدْبِرٌ وثَوْرٌ أَصابَتْـه السُّيوفُ القواطِعُ
ونَجَّى حُبَيْشاً مُلْهِبٌ ذُو عُلالـةٍ وقـد جُذَّ من يُمنى يدَيْهِ الأَصابعُ[5]
وقد شَهِد الصَّفَّين عمرُو بنُ مُحرِزٍ فضاق عليـه المَرْجُ والمرجُ واسِعُ

وقال رجل من بني عُذْرة : [من الرجز]

سائِل بَنـي مَرْوان أَهـلَ العَجِّ رَهْـطَ النَّبــيِّ ووُلاة الحَـجِّ[6]
عنّا وعن قَيْسٍ غَــداةَ المَرْجِ إذ يُثْقِفُــون ثَقَفـــاً بِنَــجِّ[7]
تَسْدِيسَ أَطْرافِ القَنا المُعوَجِّ إذ أخلَف الضَّحَّاكَ ما يُرَجِّي
مُذ تَركوا من بَعْد طول هَرْجِ لَحمَ ابنِ قيسٍ للضِّباعِ العُرْجِ

وقال جَوَّاس بنُ القَعْطل الكلابيُّ في يوم المَرج : [من الوافر]

هُـمُ قَتلُـوا براهِطَ جدَّ قَيْس سُلَيْما والقبائـلَ مـن كلابِ

---

1 الطبري : لحسان صدعاً .
2 الطبري : أبعد ابن عمر وابن معن تتابعا ومصرع همام أمنّــى الأمانيا
3 الطبري والمرزباني : الأبيات لجواس بن القعطل .
4 الطبري والمرزباني : معذوراً وتبكي .
5 الملهب : الفرس الشديد الجري المثير للغبار . والعلالة : الجرية الثانية للفرس . وجذّ : قطع .
6 العج : رفع الصوت .
7 يثقفون : يطعنون . والنج : سيل الجرح .

وهـم قَتَلُوا بَني بَـدْر وعَبْساً وأُلصِقَ خُرُّ وَجْهِك بالتُّرابِ
تَذكَّرتَ الذُّحول فلن تُقَضَّى ذحولُك أو تُساقَ إلى الحِسابِ[1]
إذا سارتْ قبائـلُ من جَنابٍ وعوفٍ أشْحنوا شُمَّ الهضابِ[2]
وقـد حاربْتَنا فوجَدْتَ حَرْباً تُغِصُّك حين تشرَب بالشَّرابِ

فأقبل عُمَير يخطُر ، فخرج من قَرْقيسيا يتطرَّف بوادي كلب ، فيُغِير عليها وعلى مَن أصاب من قضاعة وأهلِ اليَمن ، ويخصّ كَلْباً ومَعْشَر تَغْلب ، قبل أن تقع الحرب بين قَيْس وتَغْلِب ، فجعل أهلُ البادِيَة ينتصِفون من أهل القَرار[3] كلّهم . فلمّا رأتْ كلبٌ ما لَقي أصحابُهم ، وأنّهم لا يَمتنِعون من خَيْل الحاضرة ، اجتمعوا إلى حُمَيد بن حُرَيث بنِ بَحْدل ، فسار بهم حتى نزل تَدْمر ، وبه بنو نُمَير ، وقد كان بين النُّمَيْريِّين خاصة وبين الكلبيِّين الذين بتَدْمر عقدٌ مع ابن بَحْدل بن بعّاج الكلْبيّ . فأرسلت بنو نُمَيْر رُسُلاً إلى حُمَيد يناشِدُونه الحرمة ، فوثب عليهم ابن بعّاج الكلبيّ فذبَحَهم ، وأرسلوا إليهم : إنّا قد قَطَعنا الذي بيننا وبينكم ، فالْحقُوا بما يَسَعُكم من الأرض ، فالتقوا فقتِل ابن بعّاج وظُفِر بالنُّمَيْريِّين فقتِلوا قتلاً ذَريعاً وأُسِرُوا ، فقال راعي الإبل في قتل ابن بعَّاج ولم يذكُر غيرَه من الكلبيِّين[4] : [من الطويل]

تَجِيءُ ابنَ بَعَّاج نُسورٌ كأنَّها مجالِسُ تَبغي بيعةً عنـد تاجرِ
تُطِيـف بكَلْبِيٍّ عليـه جَدِيَّـةٌ طويل القَرا يقذِفْنَه في الحَناجرِ[5]
يقولُ لـه مَنْ كان يَعْلَم عِلمَه كذاكَ انْتِقام للهِ من كُلِّ فاجرِ

وقد كان زُفرُ بن الحارِث لمَّا أغار عُمَير بنُ الحباب على الكَلبيِّين قال يُعيِّرهم بقولـه : [من الكامل]

يا كلبُ قد كَلِب الزَّمان عليكُمُ وأصابكم منِّـي عَـذابٌ مُرسلُ
إنّ السَّماوةَ لا سمـاوةَ فالْحقـي بمنابت الزَّيتُـون وابنَـيْ بَحْدَلِ[6]
وبـأرض عَـكٌ والسَّواحلِ إنّها أرضٌ تُـذَوَّب باللِّقـاحِ وتُهزَلُ

---

1 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .
2 أشحنوا : ملأوا .
3 أهل القرار : الحضر .
4 ديوان الراعي النميري (ڤايبرت) : 131 .
5 الجدية : الدم الذي لزق بالجسد . والقرا : الظهر .
6 في البيت إقواء . وانظر أنساب الأشراف 5 : 308 . والسماوة : ماء لبني كلب بين الكوفة والشام .

[غارة مضادة على بوادي قيس]

فجمع لهم حُمَيْد بنُ الحُرَيث بن بَحْدل ، ثم خرج يُريد الغارة على بوادي قَيس ، فانْتهى إلى ماءٍ لبني تَغْلب ، فإذا النِّساء والصِّبيان يبكون ، فقالت لهم النساء ، وهن يحسبنهم قيساً : وَيْحَكم ، ما ردَّكُم إلينا ، فقد فعلتم بنا بأمسِ ما فعلتم ؟ فقالت لهم كلب : وما لكم ؟ قالوا أغار علينا بالأمس عُمَير بنُ الحباب ، فقتل رجالنا ، واستاق أموالَنا ، ولم يَشككن أنَّ الخيلَ خَيلُ قَيس وأنَّ عُميراً عاد إليهن . فقال بعضُ كلب لحُمَيد ، ما تريد نِسوة قد أُغير عليهن وحُرِبن ، وصِبْية يتامى ، وتدَعُ عميراً . فاتَّبعوه ، فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رجلاً ربيئةً للقوم[1] . فسألوه فقال لهم : هذا الجيش هاهنا والأموال ، وقد خرج عُمَيْر في فوارس يريد الغارة على أهلِ بيت من بني زُهَير بن جَناب ، أخبرَ عنهم مُخبِر . فأقام حُمَيْد حتى جَنَّ عليه اللَّيل ، ثم بَيَّت القومُ بياتاً . وقال حُمَيْد لأصحابه : شِعارُكم : نحن عباد الله حقّاً . فأصابوا عامة ذلك العَسْكر ، ونجا فيمَن نجا رجلٌ عُرْيان قذف ثوبه وجلس على فرس عُريٍ ، فلمّا انتهى إلى عُمَير ، قال عُمَير : قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُرْيان[2] فلم أرَه ، فهو هذا ، ويلك ما لَك ! قال : لا أدري غير أنّه لقينا قومٌ فقتلوا من قتلوا وأخذوا العَسْكر ، فقال : أفتعرفهم ؟ قال : لا . فقصد عُمَير القومَ وقال لأصحابه : إن كانت الأعارِيبَ فسيُسارعُون إلينا إذا رأَوْنا ، وإن كانت خُيولُ أهل الشام فستقِف . وأقبل عُمَير ، فقال حُمَيد لأصحابه : لا يتحرَّكَنَّ منكم أحدٌ ، وانصُبوا القَنا ، فحمَل عُمَيْر حملة لم تحرّكهم ، ثم حَمَل فلم يتحرَّكوا ، فنادى مراراً : ويْحَكم مَن أنتم ؟ فلم يتكلَّموا ، فنادى عُمَير أصحابه : ويلكم خيلُ بني بَحْدل والأمانة ؛ وانصرف على حامِيَته ، فحَمَل عليه فوارسُ من كَلْب يَطلُبونه ، ولَحِقه مولًى لكَلْب يقال له شقرون ، فاطَّعنا ، فجُرِح عُمَيْرٌ وهرَب حتى دخل قَرْقِيسيا إلى زُفَر ، ورجع حُمَيد إلى مَن ظَفر به من الأسْرى والقَتْلى ، فقطع سِبالَهم[3] وأُنُفَهم ، فجعَلها في خَيط ، ثم ذهب بها إلى الشام ؛ وقال قائل : بل بعث بها إلى عُمَير وقال : كيف ترى ؟ أوَقْعي أم وَقْعَك ؟ فقال في ذلك سِنانُ بن جابِرِ الجُهَنيّ : [من الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بَحْدلٍ حُمَيْداً شَفى كَلْباً فقرَّتْ عُيُونُها
وعرَّف قَيْساً بالهوانِ ولم تكُنْ لتَنْزِع إلاّ عند أمرٍ يُهِينُها

---

1 ربيئة : كشاف متقدم .

2 المثل : «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخرة : 84 .

3 السبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة على الشفة العليا ، وقيل ما على الشاربين من الشعر .

فقلتُ لــه : قَيسُ بنُ عَيْلان إنَّه ... سريعٌ ، إذا ما عَضَّت الحربُ ، لِينُها
سما بالعِتاقِ الجُرْد من مَرْج راهطٍ ... وتَدْمُرَ يَنْوِي بَذْلَهــا لا يَصونُها
فكان لهــا عَـرضُ السَّماوةِ لَيْلَةً ... سَواءٌ عليهــا سَهْلُهــا وحُزونُها
فمَنْ يَحْتَمِلُ في شأنِ كَلْبٍ ضَغِينةً ... علينا إذا ما حانَ في الحَرْبِ حِينُها
فإنَّا وكَلْباً كاليديـن متى تَضَعْ ... شِمالك في شيءٍ تُعِنْهـــا يَمِينُها
لقد تُرِكَتْ قَتْلى حُمَيدِ بنِ بَحْدلٍ ... كثيراً ضواحِيهــا قليـــلاً دَفِينُها
وقَيْسيَّةٍ قــد طَلَّقَتْهــا رِماحُنــا ... تلفَّـتُ كالصَّيداءِ أَودى جَنينُها[1]

وقال سِنانٌ أيضاً في هذا الأمر بعد ما أَوقعَ بِبني فَزارة : [من البسيط]

يــا أُختَ قَيْسٍ سَلي عنّا علانِيَةً ... كي تُخبَري من بَيانِ العِلْمِ تِبْيانا
إنَّا ذَوُو حَسَبٍ مــالٍ ومَكْرُمَةٍ ... يــومَ الفَخارِ وخَيْرُ النَّاسِ فُرْسانا
منّا ابنُ مُرَّة عَمْرٌو قد سَمِعْتِ به ... غَيْثُ الأَرامِلِ لا يُردَينَ مــا كانا
والبَحْـدَليُّ الــذي أردت فوارِسُه ... قيساً غَداةَ اللّوى من رمل عَدْنانا
فغــادرت حَلْبَساً منهــا بمُعْتَرَكٍ ... والجعــدَ مُنعَفِراً لم يُكْسَ أَكفانا
كائِن تَركْنا غداةَ العاهِ من جَزَرٍ ... للطير منهــم ومن ثُكْلى وثُكلانا[2]
ومن غوانٍ تُبكِّــي لا حَميمَ لها ... بالعاهِ تدعو بنــي عَــمٌّ وإخوانا

فلمّا انتهى الخبر إلى عبد المَلِك بن مروان ، وعبدُ الله ومُصعبٌ يومئذٍ حيّان ، وعند عبد الملك حسّانُ بن مالِك بن بَحْدل وعبدُ الله بن مسعَدة بن حَكَم الفزاريّ ، وجيءَ بالطَّعام ، فقال عبدُ المَلِك لابن مَسْعَدة : ادْنُ ، فقال ابنُ مَسْعَدة : لا والله ، لقد أوقع حُمَيْد بسُلَيْم وعامِرٍ وقعة لا ينفعني بعدها طعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ . فقال له حَسَّان : أجزعْت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطَّاعة والمَعْصِية ، فأصَبْنا منكم يوم المرج ، وأغار أهلُ قَرْقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب ؟ فلمّا رأى حُمَيد ذلك طلب بثأر قومه ، فأصاب بعضَ ما أصابهم ، فجَزِعت من ذلك . وبلغَ حُمَيْداً قولُ ابن مَسْعدة فقال : والله لأشْغلَنَّه بمَن هو أقرب إليه من سُلَيم وعامر .

[عويف القوافي يحزن لقتلى فزارة]

فخرج حُمَيْد في نحوٍ من مائتيّ فارِس ، ومعه رَجلان من كَلْب دليلان ، حتى انتهى إلى

1 الصيداء : المائلة العنق .

2 العاه : جبل بأرض فزارة . قال ياقوت : العاه هو الموضع الذي أوقع فيه حميد بن بحدل ببني فزارة .

بني فزارَة أهلِ العمودِ لخَمْس عشرة مَضَت من شَهْر رمضان ، فقال : بعثني عبد الملك ابن مروان مُصدِّقاً : فابعثوا إلى كلّ مَنْ يُطيق أن يلقانا ، ففعلوا ، فقَتلهم أو مَنِ استطاعَ منهم ، وأخذَ أموالَهم ، فبَلَغ قتلاهم نحواً من مائةٍ ونيِّف ، فقال عُوَيْف القوافي[1] : [من الطويل]

مَنا الله أن أَلقى حُمَيْد بنَ بَحْدل ... بمنزلة فيها إلى النّصفِ مُعْلَما[2]
لكيما نُعاطِيه ونَبلوَ بيننا ... سُرَيْجِيَّةً يُعجِمن في الهام مُعجما[3]
ألا ليت أنّي صادفَتْني مَنِيَّتي ... ولَم أَرَ قَتْلى العامِ يا أُمَّ أَسْلَما
ولَم أَرَ قتلى لم تَدَع لي بعدَها ... يَدَيْن فما أَرجو من العيشِ أَجذَما
وأُقْسِم ما لَيثٌ بخَفَّان خادِرٌ ... بأَشجع من جَعْدٍ جَناناً ومُقدَما[4]

يعني الجَعْدَ بن عِمرانَ بن عُيَيْنة وقتِل يومئذٍ .

[أسماء بن خارجة يشكو حميداً]

فلمّا رجع عبدُ الملك من الكُوفة وقُتِل مُصعَب ، لحقه أسماءُ بن خارجة بالنُّخَيلة ، فكلَّمه فيما أتى حُمَيْد به إلى أهلِ العمود من فَزارة ، وقال : حدَّثنا أنّه مصدِّقك وعامِلك ، فأجبناك وبكَ عُذنا ، فعليك وفي ذمّتك ما على الحرِّ في ذِمَّتِه ، فأَقِدْنا من قضاعيٍّ سِكِّير . فأبى عبد المِلك وقال : أنظر في ذلك وأستشير . وحُمَيْد يَجْحد وليست لهم بيِّنة ؛ فوداهم ألفَ ألفَ ومائتي ألف ، وقال : إنّي حاسِبُها في أعطياتِ قُضاعة ، فقال في ذلك عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكَلْبِيّ : [من الوافر]

صوت

خُذوها يا بَني ذُبْيان عَقْلا ... على الأَجيادِ واعتَقِدوا الخِداما[5]
دراهِمَ من بني مَرْوان بيضا ... يُنَجِّمها لكم عاما فعاما
وأيقنَ أنَّه يومٌ طويل ... على قَيْسٍ يُذِيقُهُمُ السِّماما
ومُخْتَبٌّ أمامَ القومِ يَسْعى ... كسِرحانِ التَّنُوفَةِ حين ساما[6]

---

1 شعره : 152 (عن الأغاني) .
2 منا الله : قدّر .
3 السريجية : نوع من السيوف .
4 من المثل : أشجع من ليث بخفان خادر .
5 اعتقد الشيء : عقده . الخدام : جمع خدمة ، وهي السير الغليظ يشد في رسغ البعير .
6 مختب : مسرع . والتنوفة : الأرض الواسعة أو الصحراء .

رأى شَخْصاً على بلـدٍ بَعيدٍ ... فكبَّـر حـين أبصَـره وقاما
وأَقبَـلَ يسأَلُ البُشْرى إلينـا ... فقـال : رأَيتُ إنساً أَو نعاما
وقال لخَيْلِـه سيري حُمَيْـد ... فإنَّ لكُـلِّ ذي أَجَلٍ حِماما
فمـا لاقيتُ من سجح وبدر ... ومُـرَّة فاتركي حَطباً حُطاما
بكـلّ مُقلَّـص عَبْـلٍ شَواه ... يَـدُقُّ بِوقْـع نابَيْـه اللِّجاما
وكلّ طِمِـرَّةٍ مَرَطـى سَبوحٍ ... إذا مـا شَدَّ فارِسُها الحِزاما[1]
وقائِلـةٍ على دَهَشٍ وحُـزْنٍ ... وقـد بَلَّـت مدامِعُها اللِّثاما
كأَنَّ بَنـي فَزارةَ لم يكونوا ... ولم يَرْعَـوْا بأَرْضِهِـم الثُّماما
ولَـم أَرَ حاضراً منهـم بِشاءٍ ... ولا مَـنْ يملِك النَّعَم الرُّكاما[2]

[انتقام فزارة]

قال : فلمّا أَخذوا الدِّيَة انطلقت فَزارةُ فاشترت خَيْلاً وسِلاحاً ، ثم استَتْبَعت سائرَ قبائل قيس ، ثم أغارت على ماءٍ يدعى بناتِ قَيْن ، يجمع بُطوناً من بُطون كَلب كثيرة وأكثرُ مَنْ عليه بنو عَبْدِ وُدٍّ وبنو عُلَيم بن جناب ، وعلى قَيس يومئذٍ سعِيد بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، وحَلْحَلَة بن قيس بن الأَشْيَم بن يسار أحدُ بني العُشَراء . فلمّا أغاروا نادَوا بني عُلَيم : إنّا لا نَطْلُبكم بشيء ، وإنّما نطلُب بني عَبْد وُدّ بما صَنَع الدَّليـلان اللّذان حَمَلا حُمَيْداً ، وهما المأمورُ ورجُل آخر اسْمُه أبو أيُّوب . فقُتِل من العَبْدِيّين تسعةَ عشر رجلاً ، ثم مالوا على العُلَيْمِيِّين فقتلوا منهم خمسين رجلاً ، وساقوا أموالاً .

[عبد الملك يعرض الدية]

فبلغ الخبرُ عبدَ الملك ، فأَمهَل حتى إذا وَلِيَ الحَجَّاجُ العِراقَ كتَب إليه يَبْعث إليه سَعِيدَ بن عُيَيْنة وحَلْحَلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس . فلمّا قَدِم بهما عليه قذفهما في السِّجن وقال لِكَلْب : والله لئن قَتَلتم رجلاً لأُهَرِيقَنَّ دماءَكم . فقدِم عليه من بني عَبْدِ وُدّ عياضٌ ومُعاويةُ ابنا ورد ، ونُعمان بنُ سويد ، وكان سُوَيد أبوه ابن مالك يومئذٍ أشرفَ مَن قتِل يوم بنات قَيْن ، وكان شيخَ بني عَبْدِ وُدّ . فقال له النُّعمان : دماءنا يا أميرَ المؤمنين ! فقال له عبدُ الملك : إنّما قُتِل منكم الصَّبيُّ الصَّغيرُ والشيخُ الفاني . فقال النُّعمان : قُتِل منّا والله مَنْ لو كان أخاً لأبيك لاختِير عليك في الخِلافة . فغَضِب عبدُ الملك غضَباً شديداً ، فقال له معاويةُ وعياض : يا أمير

1 المرطى : الخفيف شعر الجسم .

2 النعم الركام : النعم الضخم .

المؤمنين ، شَيخ كَبير مَوْتور .

فأعرضَ عنه عبدُ الملك وعَرضَ الدِّيَة ، وجعل خالِدُ بنُ يزيد بن معاوية ومن وَلَدَتْه كلب يقولون : القَتْل ، ومَن كانت أُمُّه قَيْسيَّة من بني أُميَّة يقولون : لا ، بلِ الدِّيَة كما فُعِل بالقوم ، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمَقْصُورة . فأخرجَهم عبد الملك ودفع حَلْحَلة إلى بعض بني عَبْدِ وُدّ ، ودفع سَعِيدَ بنَ عُيينة إلى بعض بني عُلَيم ، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال : أَلم تأتياني تستعدِياني فأعدَيتكما واعطيتكما الدِّيَةَ ، ثم انطلقتما فأخفَرتما ذِمَّتي وصنَعْتما ما صنَعْتما . فكَلَّمه سعيد بكلام يستعْطِفه به ويُرقِقه ، فضرب حَلْحلة صَدْرَه وقال : أترى خضوعَك لابنِ الزَّرقاء نافعَك عنده ؟ فغَضِب عبدُ الملك وقال : اصبر حَلْحَلَة ، فقال له : أصبرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْه جُلَب[1] فقتِلا وشَقَّ ذلك على قَيْس ، وأعظَمه أهلُ البادِية منهم والحاضرَة ، فقال في ذلك عليُّ بنُ الغدير الغَنَويّ : [من الوافر]

لِحَلْحَلَة القَتِيلِ ولابنِ بدْر ... وأَهلِ دِمَشْقَ أَنْجِيةٌ تَبِينُ
فبَعْد اليَوْم أيّامٌ طِوالٌ ... وبعد خمودِ فتْنِتكم فُتونُ
وكلُّ صَنِيعةٍ رصدٌ ليومٍ ... تحُلّ به لصاحِبها الزّبونُ
خليفة أُمَّةٍ قُسِرت عليه ... تخمَّط واستخفَّ بمَنْ يدينُ[2]
فقد أتيا حُمَيْد ابن المَنايا ... وكُلُّ فَتًى ستَشْعَبه المَنُونُ

وقال رجل من بني عبد وُدّ : [من الطويل]

نحن قتَلْنا سَيِّدَيْهِم بشَيْخِنا ... سُوَيدٍ فما كانا وفاءً به دَما

وقال حَلْحَلَة وهو في السّجن : [من الطويل]

لعَمْري لئن شَيْخا فَزارَة أُسلِما ... لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرت كَلْبُ

وقال أَرطاةُ بنُ سُهَيَّة يُحرِّض قَيْساً : [من الوافر]

أَيُقتَلُ شَيخُنا ويُرى حُمَيْدٌ ... رَخِيّ البالِ مُنتَشِياً خُمورَا[3]
فإن دُمنا بذاكَ وطالَ عُمْر ... بِنا وبكمُ ولم نَسْمع نَكيرا
فناكَتْ أُمَّها قيسٌ جِهاراً ... وعَضَّت بعدَها مُضَرُ الأُيُورا

1 المثل «أصبر من عود بدفيه (بجنبيه) جلب» في الدرة الفاخرة : 269 وجمهرة العسكري 1 : 587 ومجمع الميداني 1 : 408 ومستقصى الزمخشري 1 : 203 ، والجلب : جمع جلبة ، وهي القرحة عليها قشر البُرء .

2 تخمط : تكبر .

3 منتشياً في ل : مستبياً .

وقالت عميرة بِنت حَسَّان الكَلبيَّة تفخر بفِعل حُمَيد في قيس : [من الوافر]

سَمَت كلبٌ إلى قَيْسٍ بجَمْعٍ يَهُدّ مناكِبَ الأُكَم الصِّعابِ
بذي لَجَبٍ يدُقُّ الأرضَ حتى تَضايق من دعا بِهَلا وهابِ[1]
نَفَين إلى الجزيرة فَلَّ قيْسٍ إلى بَقٍّ بهـا وإلى ذُبابِ[2]
وألفَينا هَجِينَ بنـي سُلَيْم يُفدِّي المُهرَ من حُبِّ الإيابِ
فلـولا عَـدْوة المُهْرِ المُفدّى لأُبْتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ
ونَجّـاه حَثيثُ الرَّكْض منا أُصَيْلاناً ولَـونُ الوَجْه كابي
وآضَ كأنّـه يُطـلى بـوَرْسٍ وذاقَ هُـوِيَّ كاسِرةٍ عُقابِ
حَمِدت اللهَ إذ لَقَّـى سُلَيْماً على دُهْمان صَقْرِ بَني جَنابِ
تركن الرُّوقَ من فَتَياتِ قَيْسٍ أيامَى قد يَئِسن من الخِضابِ[3]
فهُنَّ إذا ذَكَرنَ حُمَيْد كَلْبٍ نَعقْـنَ برَنَّـةٍ بعـد انْتِحابِ
متى تَذْكُر فتـى كَلْبٍ حُمَيْداً تَـرَ القَيْسيّ يشرَقُ بالشَّرابِ

[عويف يمدح عيينة بن أسماء]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، قال : أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي ، وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاريّ ، وكانت أخته عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطلَّقها ، فكان عويف مُراغِماً لعيينة وقال : الحرّة لا تُطلَّق بغير ما بأس ، فلمّا حَبَس الحجَّاج عُيَيْنة وقَيَّده قال عُوَيف[4] : [من الكامل]

مَنَع الرُّقادَ ، فما يُحَسُّ رُقادُ ، خَبرٌ أتـاك ونامـت العُـوَّادُ
خَبرٌ أتـاني عن عُيَيْنة مُوجعٌ وَلِمْثلـه تَتَصـدَّع الأكبـادُ
بلـغ النفوسَ بلاؤهـا فكأنّنا مَوتى وفينا الرُّوحُ والأجسادُ
ساءَ الأقاربَ يوم ذاك فأصبحوا بهجينَ قـد سُرّوا به الحُسَّادُ[5]

---

1 هلا زجر للخيل ، وهاب : زجر للإبل عند السوق .
2 بق : مدينة على الفرات . وذباب : جبل بالمدينة .
3 الروق : الجميلات .
4 شعره : 143–144 ، وانظر اختلاف الرواية في الحماسة (المرزوقي) : 262–264 .
5 هجين : موضع .

يرجون عَثْرة جَدِّنا ولو انّهم ... لا يدفعون بنا المكارةَ بادُوا
لَمّا أتاني عن عُيَينة أنَّه ... عانٍ تَظاهَرُ فوقه الأقيادُ
نَخَلتْ له نَفْسي النَّصيحَةَ إنّه ... عند الشَّدائِد تَذْهَب الأَحْقادُ[1]
وذَكرتُ أيُّ فتًى يَسُدُّ مكانَه ... بالرِّفدِ حين تَقاصرُ الأَرفادُ
أم مَنْ يُهِينَ لنا كَرائمَ مالِه ... ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ
لو كان من حَضَنٍ تَضاءَل رُكنُه ... أو من نَضادَ بكت عليه نَضادُ[2]

[يمدح عبد الرحمن بن مروان]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شَبَّة قال : قال العُتْبيّ، سأل عُوَيْف القوافي في حمالةٍ ، فمرَّ به عبدُ الرَّحمن بنُ محمد بن مروان وهو حديث السِّنّ ، فقال له : لا تسأل أحداً وصر إليَّ أكْفِك . فأتاه فاحتملها جَمْعاء له ، فقال عُوَيف يمدحه : [من الطويل]

غلامٌ رماه اللّهُ بالخيرِ يافِعاً ... له سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كأنَّ الثُّريّا عُلِّقت في جَبِينِه ... وفي خَدِّه الشِّعْرى وفي جيده القَمَرْ
ولّما رأى المجدَ استُعِيرت ثيابُه ... تَردَّى رِداءً واسِعَ الذَّيلِ واتّزرْ
إذا قيلَت العَوراءُ أغْضى كأنّه ... ذلِيلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانْتَصَرْ[3]
رآني فآساني ولو ضنَّ لم أُلُم ... على حينَ لا بادٍ يُرجَّى ولا حَضَرْ

قال أبو زيد : هذه الأبياتُ لابن عَنْقاء الفَزارِيّ ، يقولها في ابن أخ له ، كان قوم من العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاء فاستاقُوها ، حتى لم يَبْقَ له منها شيءٌ ، فأتى ابنَ أخيه فقال له : يا ابنَ أخي ، إنّه قد نزل بعمِّك ما ترى ، فهل من حَلُوبة ؟ قال : نعم يا عَمّ ، يرُوحُ المالُ وأبلُغ مُرادَك . فلمّا راح مالُه قاسَمَه إيّاه وأعطاه شطره ، فقال ابن عنقاء : [من الطويل]

رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى مالِه حالي أسرَّ كما جَهَرْ

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات . قال أبو زيد : وإنّما تَمَثَّلها عُوَيْف .

[يرثي سليمان ويمدح عمر]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع ، والحَسَن بنُ عليّ قالا : حدَّثنا الغلابيّ ، قالا : حدَّثنا محمد بن عُبيد الله ، عن عطاء بن مُصْعَب ، عن عاصم بن الحَدَثان ، قال : لّما مات

---

1 نخلت النصيحة : أخلصت .
2 حضن : جبل بأعلى نجد . ونضاد : جبل بالعالية .
3 ل : ولّى كأنّه .

سليمان بن عبد الملك ووَلِيَ عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافَة ، وفَد إليه عُوَيْف القوافي وقال شِعراً رَثى به سُليمان ومَدح عُمَر فيه ، فلمّا دخل إليه أنشدَه[1] : [من الرجز]

لاحَ سحـابٌ فرأَينـا برقَـهُ ثـم تدانـى فَسَمِعْنـا صَعْقَهُ
وراحـت الرِّيحُ تُزَجِّـي بُلقَهُ ودُهْمَـه ثـم تُزَجّي وُرْقَهُ[2]
ذاك سَقـى قَبْراً فَرَوَّى وَدْقَهُ قبرَ امـرىءٍ عَظَّم ربِّي حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذي مـن عَقَّهُ وجَحَد الخير الذي قـد بَقَّهُ[3]
في المسلمـين جِلّـه ودِقّـهُ فارق في الجحود مِنه صِدْقَهُ
قـد ابتـلى اللهُ بخيرٍ خلقَـهُ أَلْقـى إلى خير قريش وَسْقَهُ
يـا عُمرَ الخَيْرِ المُلَقّى وَفْقَـهُ سُمِّيت بالفاروق فافرُقْ فَرْقَهُ
وارزُق عِيـالَ المُسْلِمين رِزْقَـهُ واقْصِدْ إلى الجُـودِ ولا تَوَقَّهُ
بَحرُك عَذْبُ المـاءِ ما أَعَقَّهُ ربُّك فالمَحْرومِ مَنْ لم يُسْقَهُ[4]

فقال له عمر : لَسْنا من الشِّعر في شيء ، ومالَكَ في بيت المال حقٌّ . فألَحَّ عُوَيْف يسأَلُه فقال : يا مُزاحم ، انظُر فيما بقي من أرزاقنا فشاطِرْه إيّاه ، ولنَصْبر على الضِّيق إلى وقتِ العطاء . فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ سليمان بن عبد الملك : بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رِضا الرّجُل ، فقال : ما أولاكَ بذلك . فأخذ بيده وانْصَرَف به إلى منزله ، وأعطاهُ حتى رضي .

صوت

[من الكامل]

صَفراءُ يَطْويها الضَّجيعُ لصُلْبِها طـيَّ الحِمالَـةِ لَيِّـنٌ مَتْناها
نِعْمَ الضَّجِيعُ إذا النُّجوم تَغَوَّرت بالغَـوْر أُولاهـا على أُخْراها
عَـذْبٌ مُقَبَّلُها وَثِيرٌ رِدْفُهـا عَبْلٌ شَواها طَيِّـبٌ مَجْناها
يـا دارَ صَهْباء التي لا أَنْتَهي عن حُبِّهـا أَبداً ولا أنْساها[5]

الشعر لعبدِ الله بن جَحْش الصعاليك ، والغناءُ فيه لعليّ بن هشام ثقيل أوّل بالوسطى من كتاب أحمد بن المكّيّ .

---

1 شعره : 148–150 .

2 البلق : كل لون يخالطه بياض . والأورق : لون بين الخضرة والسواد .

3 بقه : فرّق .

4 ما أعقه : قال المبرد : مقلوب ما أقعه ، أي ما جعله شديد الملوحة .

5 صهباء في ل : صفراء .

[405] ـ أخبار عبد الله بن جحش

[هيامه بصهباء]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى أبو غسّان ، عن غسّان بن عبد الحميد قال : كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها : صَهْباء من أحسن الناس وَجْهاً ، وكانت من هُذَيل ، فتزوَّجها ابنُ عمٍّ لها ، فمكث حيناً معها لا يَقدِر عليها من شدّة ارْتِتاقها ، فأبغضته وطالبته بالطلاق ، فطلَّقها . ثم أصابَ الناسَ مَطَرٌ شديدٌ في الخريف ، فسال العَقيقُ سَيْلاً عظيماً ، وخرج أهلُ المدينة ، وخرجَتْ صهباءُ معهم ، فصادفت عبد الله بن جَحش وأصحابَه في نُزهة ، فرآها وافْتَرقا .

ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقَعَت في الماء وقد تفرَّق الناس وخفُّوا ، فاجتاز بها ابنُ جَحْش فرآها فتَهالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأةٌ تَدُلّ على النِّساء يقال لها : قُطْنة ، كانت تداخِل القُرَشِيَّات وغيرَهنّ ؛ فلَقِيَها ابن جحش فقال لها : اخْطُبي عَلَيَّ صهباء ، فقالت : قد خَطَبها عيسى بن طلحة بن عُبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ؛ فشتمها ابن جَحْش وقال لها : كُلُّ مملوك له فهو حرٌّ ، لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوَّجها لأضْرِبَنّك بالسيف ، وكان مِقداماً جَسُوراً ، ففَرِقت منه فدخلت على صهباء وأهلِها ، فتحدَّثت معهم ، ثم ذَكَرت ابنَ عَمِّها ، فقالت لعَمَّة صَهْباء : ما بالُه فارقها ، فأخبرتْها خبرَها ، وقالت : لم يقدِر عليها وعَجَز عنها . فقالت لها ، وأسمَعت صَهْباء : إنّ هذا ليَعْتَري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدَّموا في أمرِها إلاّ على مَنْ تختَبرونه ، وأما والله لو كان ابنُ جحش لصَهباء لثقَبها ثقبَ اللُّؤلُؤ ولو رُتِقت بحَجَر ؛ ثم خرجت من عندهم ، فأرسَلَت إليها صَهْباء : مُرِي ابنَ جَحْش فليَخْطُبني ، فلقِيَته قُطْنة فأخبرته الخبر . فمضى فخطبها ، فأنْعَمَتْ له[1] ، وأبى أهلُها إلاّ عيسى بنَ طلحة ، وأبَت هي إلاّ ابن جَحْش ، فتزوَّجته ودخلَ بها وافتضَّها ، وأحبَّ كُلّ واحدٌ منهما صاحبَه فقال فيها : [من الكامل]

نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النُّجوم تَغوَّرت ... بالغَـوْرِ أُولاهـا علـى أُخراها
عَـذْبٌ مُقبَّلُهـا وثيرٌ رِدْفُهـا ... عَبْـلٌ شَواهـا طَيِّـب مَجْناها

1 أنعمت له : قالت نعم .

صفراءُ يَطويها الضَّجيعُ لِجَنْبِها ... طَيَّ الحِمالة لَيِّن مَتْناها
لو يَسْتطيع ضجيعُها لأجنَّها ... في الجَوْفِ حبّ نسيمها ونشاها[1]
يا دار صَهباء التي لا أنتَهي ... عن ذكرها أبداً ولا أنْساها

[عبد الملك يعجب بشعره]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سَعد قال : حدَّثني عبدُ الرَّحيم بن أحمد بنِ زيد بن الفرج قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : كان عبد الملك بن مروان مُعجَباً بشِعر عبد الله بن جَحْش ، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه ، فورَد كِتابُه وقد تُوفِّي ، فقال إخوانُه لابنه : لو شَخَصتَ إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعلَّه كان ينفعُك ، ففعل . فبَيْنا هو في طريقِه إذ ضاع منه كِتابُ الإذنِ ، فهَمَّ بالرّجوع ، ثم مضى لوجهه . فلمّا قَدِم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبرَه بوفاتِه ، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له : أنشِدني قول أبيك : [من المنسرح]

صوت

هل يُبلِغَنْها السلامَ أربعةٌ ... مِنّي وإن يَفْعلوا فقد نَفَعُوا
على مِصَكّيْن من جِمالهمُ ... وَعَنْتَريسَين فيهما سَطَعُ[2]
قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ ... صُبحاً فأضْحَوا بها قد انْتَجَعُوا
ما كنتُ أدْري بِوَشْك بَيْنِهمُ ... حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعوا
قد كادَ قَلْبي ، والعينُ تُبْصرهم ... لمّا تَوَلَّى بالقوم ، يَنْصدِعُ
ساروا وخُلِّفتُ بعدهم دَنِفاً ... أليسَ باللهِ بِئسَ ما صَنَعوا

قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما أرويهِ ، قال : لا عليكَ ، فأنشدني قولَ أبيك : [من الوافر]

صوت

أجِدّ اليوم جيرتُك الغِيارا ... رَواحاً أم أرادوه ابتِكارا
بعينِك كان ذاك وإن يَبِينوا ... يَزِدْك البَينُ صَدْعاً مُسْتَطارا
بَلى أبقَت من الجيرانِ عندي ... أناساً ما أُوافِقُهم كُثارا

---

1 النشا : نسيم الريح الطيبة .

2 المصك : القوي . والعنتريس : الناقة القوية الغليظة . والسطع : طول العنق .

ومــاذا كَثْرةُ الجيرانِ تُغنــي إذا مـا بـان مَنْ أهوى فسارا

قال : لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين ، قال : ولا عليك ، فأنشدني قولَ أبيك : [من السريع]

دارٌ لصَهْباء التــي لا يَنْثَني عن ذِكرها قلبي ولا أنساها
صفراءُ يطويها الضَّجيعُ لصُلْبها طَــيّ الحمالــة ليِّن مَتْناها
لــو يَستطيع ضَجيعُها لأجنّها في القلبِ شَهْوةَ ريحِها ونَشاها

قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، ما أروِيه ، وإنّ صهباء هذه لأُمّي ، قال : ولا عليك ، قد يُبغِض الرجلُ أن يُشَبَّب بأُمّه ، ولكن إذا نَسَب بها غيرُ أبيه ، فأفٍّ لك ! ورَحِم اللهُ أباك ، فقد ضَيَّعتَ أدبَه وعقَقْته ؛ إذ لم تَرْوِ شعرَه . اخرُجْ فلا شيء لك عندنا .

صوت[1]

[من الطويل]

أماطَــتْ كِساءَ الخزّ عن حُرِّ وَجْهها وأَدنَــتْ على الخَدَّيــن بُـرْداً مُهَلْهَلا
مــن الــلاّءِ لم يَحجُجْنَ يَبْغِين حِسْبَةً ولكــن يُقتِّلــن البــريءَ المُغَفّــلا
رأتْني خَضيبَ الرّأسِ شمَّرتُ مِئْزري وقــد عَهِدتْنــي أسوَدَ الرّأسِ مُسبِــلا
خَطُوّاً إلى اللذّاتِ أجــرَرْتُ مِئْزَري كإجــرارِك الحَبْــلَ الجواد المُحَجَّلا[2]
صَريعَ الهَــوى لا يبرَحُ الحبُّ قائِدي بشَرّ فلم أعــدِل عــن الشّرِّ مَعْدلا
لَدى الجَمْرة القُصْوى فريعَت وهَلَّلت ومَنْ ريــعَ في حَــجٍّ من النّاس هَلَّلا

الشعر للعَرْجِيّ ، والغِناء لعبد الله بنِ العبّاس الرّبيعيّ ثقيل أوّل في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات . وهو من جيّد الغناء وفاخر الصنعة ، ويقال إنّه أوّل غناء صنعه . ولعزار المكّيّ في الثالث وما بعده ثاني ثقيل ، عن يَحيى المكّيّ وغيره ، وفيه خفيف ثقيل يُنسَب إلى معبد وإلى ابن سُرَيج وإلى الغَريض ، وفيه لإبراهيم لَحْن من كتابه غير مجنّس ، وأنا ذاكر هاهنا أخباراً لهذا الشّعر من أخبار العَرْجيّ ؛ إذ كان أكثرُ أخبارِه قد مضى سوى هذه .

1 ديوان العرجي ، 74 .
2 ويروى حطوطاً إلى اللذات أجررت مقودي .

[406] ــ بعض أخبار للعرجيّ

[امرأة لم تحجّ حسبة]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال : حدَّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع ، عن المدائنيّ ، عن عبد الله بن سليم ، قال : قال عبيد الله بن عمر العمريّ : خرجت حاجّاً فرأيتُ امرأةً جميلة تتكلّم بكلامٍ رفَثَت فيه ، فأدنيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجَّةً ! أما تخافين الله ، فسَفَرت عن وَجْه يَبْهَر الشَّمسَ حُسناً ، ثم قالت : تأمَّلْ يا عمِّي ، فإنِّي مِمَّن عَنى العَرْجيّ بقوله : [من الطويل]

من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكـن ليَقْتُلْـنَ البريءَ المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنّي أسألُ اللهَ ألاّ يعذِّب هذا الوجْه بالنَّار . قال : وبلغ ذلك سعيدَ بن المُسَيّب فقال : أما واللهِ لو كان من بعض بُغَضاء أهلِ العِراق لقال لها : اعزُبي قبّحَكِ الله ، ولكنَّه ظَرْف عُبّاد الحِجاز .

وقد رُويت هذه الحكاية عن أبي حازِم بن دينار .

أخبرني به وَكِيعٌ قال : حدَّثنا أحمدُ بن زهير ، قال : حدَّثنا مُصعَبٌ الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني عبدُ الرّحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابنُ أبي ذئب ، قال : بَيْنا أبو حازِم يَرمي الجمارَ إذا هو بامرأةٍ مُتَشَعْبِذة ، يعني حاسِرة ، فقال لها : أيَّتها المرأةُ استَتري ، فقالت : إنّي واللهِ من اللّواتي قال فيهنّ الشاعِرُ قولَه : [من الطويل]

من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكـن ليَقْتُلْـن البَريءَ المُغَفَّلا
وترمي بعَيْنَيْها القُلوبَ ولا تَرى لهـا رَميـةً لم تُصمِ منهنّ مَقْتَلا

فقال أبو حازم لأصحابه : ادْعُوا اللهَ لهذه الصُّورة الحَسَنة ألاّ يعذّبها بالنار .

وأبو حازم هذا هو أبو حازِم بن دِينار من وُجوه التّابعين ، قد رَوى عن سَهْل بن سَعْد وأبي هُرَيرة ، وروى عنه مالِكٌ وابن أبي ذئب ونظراؤُهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمريّ ، عن العُتبيّ ، عن الحَكَم بن صَخْر قال : انصرفتُ من مِنى فسَمِعت زَفْنا[1] من بعض المَحامِل ، ثم ترنّمت جارية فتَغَنَّت : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبغِينَ حِسْبَةً ولكــن ليَقْتُلــنَ البرِيءَ المُغَفَّلا

فقلت لها : أهذا مكان هذا يَرحَمُك الله ! فقالت : نعم وإيّاك أن تكونَه .

1 زفن : رقص .

[407] ـ أخبار عبد الله بن العبّاس الربيعي [1]

[نسبه]

عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، والرّبيع ، على ما يدَّعيه أهله ، ابن يونُس بن أبي فَرْوة ، وقيل إنّه ليس ابنَه ، وآلُ أبي فَرْوة يدفعون ذلك ويزعمون أنّه لقيط ، وُجد منبوذاً ، فكفِله يونُس بن أبي فَروة وربّاه ، فلمّا خدَم المنصور ادَّعى إليه ، وأخبارُه مذكورة مع أخبارِ ابنِه الفَضْل في شعر يُغنّى به من شِعْر الفضل وهو :

كنتُ صَبّاً وقَلْبيَ اليوم سالي

ويُكنى عبدُ الله بنُ العبّاس أبا العبّاس . وكان شاعِراً مطبوعاً ، ومُغنّياً مُحْسِناً جيِّدَ الصَّنعة نادرها ، حَسَن الرّواية ، حُلْو الشعر ظرِيفه ، ليس من الشِّعر الجيِّد الجَزْل ولا من المَرْذول ، ولكنّه شِعْر مطبوع ظريف مليح المذهب ، من أشعار المُتْرفين وأولاد النّعم .

حدَّثني أبو القاسم الشّيربابكيّ ، وكان نديماً لجَدِّي يحيى بن محمد ، عن يحيى بن حازم قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيّات على الواثق وأنا بين يديه أغنّيه ، وقد استعادَني صوتاً فاستحسَنه ، فقال له محمدُ بن عبد الملك : هذا واللهِ يا أمير المؤمنين أولى النّاس بإقبالِك عليه واستِحْسانك له واصطناعك إيّاه ؛ فقال : أجل ، هذا مولاي وابن مولاي وابن مواليّ لا يعرفون غير ذلك ؛ فقال له : ليس كلُّ مَوْلًى ، يا أمير المؤمنين ، بوليٍّ لمواليه ، ولا كُلُّ مولًى متجمِّل بولائِه ، يجمع ما جمع عبدُ الله من ظَرْف وأدب وصِحّة عَقْل وجَوْدة شِعْر ؛ فقال له : صدقتَ يا محمد . فلمّا كان من الغَدِ جِئتُ محمد بن عبد الملك شاكِراً لَمحْضَره ؛ فقلت له في أضعاف كلامي : وأفرَط الوزير ، أعزه الله ، في وصْفي وتقريظي بكُلّ شيءٍ حتى وصَفني بجَوْدة الشِّعْر وليس ذلك عندي ، وإنّما أعبَثُ بالبيتين والثلاثة ، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصِفه الوزير ، ومحلُّه في هذا البابِ المحلُّ الرفيعُ المَشهورُ ؛ فقال : واللهِ يا أخي ، لو عرفْتَ مقدارَ شِعْرِك وقولِك : [من المجتث]

يا شادِناً رام إذ مَرّ ... في السَّعانين قَتْلي

يقول لي : كَيْفَ أُصْبَحـ ... ـت كيف يُصبحُ مِثْلي

لَما قلتَ هذا القول . والله لو لم يَكُن لك شِعر في عُمْرِك كلّه إلاّ قولك : «كيف يُصبح مِثْلي» لكنتَ شاعراً مُجيداً .

---

1 ترجمة عبد الله بن العبّاس الربيعي في تاريخ بغداد 10 : 36 والوافي بالوفيات 17 : 235–236 .

حدَّثني جَحْظَة قال : حدَّثني أحمدُ بنُ الطَّيِّب قال : حدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق قال : سمِعتُ عبدَ الله بن العبَّاس الرَّبيعيّ يقول : أنا أوّلُ من غنَّى بالكَنْكَلَة[1] في الإسلام ووضَعْتُ هذا الصوتَ عليها[2] : [من المتقارب]

أتاني يُؤامِرُني في الصَّبو ... حِ ليلاً فقلتُ له : غادِها

[سبب دخوله في الغناء]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثنا عليٌّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيُّ قال : كان سبب دخولي في الغناء وتعلُّمي إيّاه أنّي كنتُ أهوى جاريةً لعمَّتي رُقيّة بنتِ الفَضْل بن الرَّبيع ، فكنتُ لا أقدِر على ملازمتها والجُلوسِ معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سببَ مَنعي منها ؛ فأظهرتُ لعمَّتي أنّني أشتهي أن أتعلَّم الغناءَ ويكون ذلك في سِترٍ عن جدِّي ، وكان جدِّي وعمَّتي في حالٍ من الرِّقَّة عليَّ والمحبَّة لي لا نهايةَ وراءها ، لأنَّ أبي توفِّي في حياة جَدِّي الفَضْل ، فقالت : يا بُنَيَّ ، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شَهْوة غلبت على قلبي إن مُنِعْتُ منها مُتُّ غمّاً ، وكان لي في الغناء طبْعٌ قويّ ، فقال لي : أنتَ أعلمُ وما تختاره ، والله ما أُحِبّ منعَك من شيء ، وإنّي لكارهة أن تَحْذِق ذلك وتُشهَر به فتسقط ويفتضِح أبوك وجدُّك ؛ فقلت : لا تخافي ذلك ، فإنّما آخُذُ منه مِقْدارَ ما ألْهو به ، ولازَمْتُ الجارية لمحبَّتي إيّاها بعِلَّة الغِناء . فكنتُ آخُذُ عنها وعن صواحباتِها حتى تقدَّمْتُ الجماعة حِذْقاً ، وأقررْنَ لي بذلك ، وبلغْتُ ما كنتُ أُريد من أمرِ الجارية ، وصِرْت أُلازِم مجلسَ جدِّي ، فكان يُسَرُّ بذلك ويظنُّه تقرُّباً منِّي إليه ، وإنّما كان وَكْدي[3] فيه أخْذَ الغناء ، فلم يكن يمرُّ لإسحاق ولا لابنِ جامع ولا للزبير بن دُحْمان ولا لغيرهم صوتٌ إلاّ أخذته ، فكنت سريعَ الأخذِ ، وإنّما كنتُ أسمعه مرّتين أو ثلاثاً ، وقد صحَّ لي وأحسَسْت من نفسي قوَّةً في الصِّناعة ، فصنعت أوّلَ صوت صنعته في شِعر العَرْجيّ : [من الطويل]

أماطَتْ كِساءَ الخزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأدنَت على الخَدَّينِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ثم صنعت في : [من المنسرح]

أقْفَر مِن بَعْد خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنحَنى فالعَقِيقُ فالجُرْفُ[4]

وعَرَضْتُهما على الجارية التي كنت أهواها وسألْتُها عمّا عندها فيهما ، فقالت : لا يجوزُ أن

---

1 الكنكلة : آلة عزف هندية ذات وتر واحد .

2 البيت للأعشى في ديوانه (صادر) : 58 . وفيه «يؤامرني في الشمول» .

3 وكدي : قصدي .

4 سرف والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

يكونَ في الصَّنْعةِ شيءٌ فوق هذا ، وكان جَواري الحارثِ بن بُسْخُنر وجواري ابنِه محمد يدخُلْنَ إلى دارنا فيَطْرَحْنَ على جواري عَمَّتي وجواري جدِّي ويأْخذنَ أيضاً منِّي ما ليس عندهنّ من غناء دارنا . فسمِعتني أُلقي هذين الصَّوْتين على الجارية ، فأخذنهما منِّي وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتهنَّ أنّهما من صنعتي ، فسألنها أن تصحِّحَهما لهنّ ، ففعلتْ فأخذنَهما عنها ، ثم اشتهر حتى غُنِّي الرَّشيدُ بهما يوماً ، فاستظرفهما وسأل إسحاق : هل تَعْرِفهما ؟ فقال : لا ، وإنّهما لَمِن حسن الصَّنْعة وجيِّدها ومُتْقَنها ، ثم سأل الجاريةَ عنهما فتوقَّفَت خوفاً من عمَّتي وحذَراً أن يبلُغ جدِّي أنّها ذكرتْني ، فانتهرَها الرشيد ، فأخبرته بالقصّة . فوجَّه من وقته فدعا بجدِّي ، فلمّا أحضره قال له : يا فضل ، يكونُ لك ابنٌ يغنِّي ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكِنه معه أن يصنع صوتَيْن يستَحْسنهما إسحاقُ وسائر المُغنِّين ويتداوَلهما جواري القِيان ولا تعلِمُني بذلك ؟ كأنّك رفعتَ قدرَه عن خِدمَتي في هذا الشأن ! فقال له جدِّي : وحقّ ولائِكَ يا أميرَ المؤمنين ونعمَتِك ، وإلاّ فأنا نفيٌّ منهما بريء من بَيْعتك وعليّ العهد والمِيثاق والعِتْق والطّلاقِ ، إن كنتُ عَلِمْتُ بشيء من هذا قطّ إلاّ منك السَّاعة ، فمَن هذا مِنْ ولدي ؟ قال : عبدُ الله بن العبّاس هو ، فأحضِرْنيه السَّاعة . فجاءَ جدِّي وهو يكاد أن ينْشَقّ غيظاً ، فدَعاني ، فلمّا خرجتُ إليه شتمني وقال : يا كَلْب ، بلَغ من أمرِك ومِقدارِك أن تَجْسُر على أن تتعلَّم الغناء بغيرِ إذني ، ثم زاد ذلك حتى صَنَعتَ ، ولم تقنع بهذا حتى ألقيتَ صَنْعتك على الجواري في داري ، ثم تجاوزتهن إلى جَواري الحارث بن بُسْخُنَّر ، فاشتهرْتَ وبلغ أمرُك أميرَ المؤمنين ، فتنكَّر لي ولامَني وفضحْتَ آباءَك في قُبورِهم ، وسقَطتَ الأبدَ إلاّ من المغنّين وطبقة الخُنْياكرين[1] فبكَيتُ غمّاً بما جرى ، وعَلِمتُ أنّه قد صَدَق . فرحِمني وضمَّني إليه وقال : قد صارَت الآن مُصيبَتي في أبيك مصيبَتين : إحداهُما به وقد مضى وفات ، والأُخرى بك وهي موصولة بحياتي ، ومصيبة باقيةُ العارِ عليَّ وعلى أهلي بعدي . وبكى وقال : عزَّ عليَّ يا بنيّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبّ ، وليست لي في هذا الأمر حيلَة ، لأنّه أمرٌ قد خرج عن يدي ؛ ثم قال : جِئْني بعُودٍ حتى أسمعك وأنظُر كيف أنت ، فإن كنتَ تصلُح للخِدْمة في هذه الفَضيحة ، وإلاّ جئتُه بك منفرداً وعرَّفته خبَرَك واستعفيته لك . فأتيتُه بعُودٍ وغنَّيتُه غناءً قديماً ، فقال : لا ، بل غَنِّ صوتَيْك اللذين صَنَعتَهما ، فغنَّيْتُه إيَّاهما فاستَحْسَنَهما وبكى ، ثم قال : بَطَلتَ واللهِ يا بُنيّ وخاب أملي فيك ، فواحَزَني عليك وعلى أبيك ! فقلت له : يا سيِّدي ، ليتني مِتّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ ، وما لي حِيلَة ولكنِّي وحياتِك يا سيِّدي ، وإلاّ فَعَليَّ عهدُ الله وميثاقه والعِتْق والطّلاقُ وكلّ يمين

1 الخنياكرين : المطربين والموسيقيّين .

يَحْلِف بها حالِف لازِمةٌ لي ، لا غنَّيتُ أبداً إلاّ لخَلِيفة أو وَليّ عَهْد . فقال : قد أحسَنْتَ فيما نَبَّهت عليه من هذا .

[أطرب الرشيد فأجزل مكافأته]

ثم رَكِبَ وأَمرني ، فأُحضِرتُ فوقَفت بين يَدَيِّ الرشيد وأَنا أُرعَد فاستَدْناني حتى صِرت أقربَ الجماعة إليه ومازحني وأقْبل عليَّ وسَكَّن منّي ، وأَمَر جدِّي بالانصراف وأمَر الجَماعة فحدَّثوني ، وسُقِيتُ أقداحاً وغنَّى المغنّون جميعاً ، فأومأ إليَّ إسحاقُ الموصليُّ بعَيْنِه أن ابدأْ فغَنِّ إذ بلَغت النَّوبةُ إليك قبل أن تُؤْمَر بذلك ، ليكونَ ذلك أصلَح[1] وأجوَد بك . فلمّا جاءَت النَّوبةُ إليَّ أخذتُ عُوداً مِمّن كان إلى جنبي وقمتُ قائماً واستأذَنْتُ في الغناء . فضَحِك الرشيد وقال : غَنِّ جالِساً ، فجلَسْتُ وغنَّيت لحني الأوّل فطرب واستعاده ثلاثَ مرّات ، وشرب عليه ثلاثةَ أنصاف ، ثم غنَّيتُ الثاني ، فكانت هذه حاله ؛ وسَكِر ، فدَعا بمَسْرُور فقال له : احمِل الساعةَ مع عبد الله عشرة آلافِ دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي ، وعَيْبةً مملوءة طِيباً ، فحُمِل ذلك أجمَع معي .

[المعتصم يأمره بالغناء للجميع وتكفير يمينه]

قال عبدُ الله ، ولم أَزَل كُلَّما أَراد وليُّ عهد أن يَعلم مَن الخليفة بعد الخليفة الوالي أَهُو أم غيره دعاني فأمرني بأن أُغنِّي ، فأعرِّفه بيميني ، فيَسْتأذِن الخليفةَ في ذلك ، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنّه وَلِيُّ عَهْد ، وإلاّ عرَف أنّه غيرُه حتى كان آخرهم الواثق ، فدَعاني في أيّام المُعتَصِم وسأله أن يأذَن لي في الغناء ، فأذِن لي ، ثم دعاني من الغَدِ فقال : ما كان غناؤُك إلاّ سبباً لظهورِ سِرّي وسِرّ الخلفاء قَبْلي ، ولقد هَمَمْتُ أن آمرَ بضَرْب رَقَبَتك . لا يبلُغني أنّك امتَنَعْتَ من الغناء عند أحد ، فوالله لئن بَلَغني لأقتُلنَّك ، فأعتِقْ مَنْ كنتَ تملِكه يوم حَلَفْت ، وطَلِّق مَنْ كان يوجد عندك من الحرائر ، واستبدِل بهنّ ، وعليَّ العِوَض من ذلك ، وأرِحْنا من يمينك هذه المشئومة . فقمتُ وأنا لا أعقِل خوفاً[2] منه ، فأعتَقْتُ جميعَ مَنْ كان بقي عندي من مماليكي الذين حَلفتُ يومئذٍ وهو في مِلكي ، وتصدَّقت بجُملة ، واستفتَيْت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها ، وغنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمْري ، وبلغ المُعتَصِم خبري ، فتخلَّصت منه ، ثم غَضِب عليَّ الواثقُ لشيءٍ أنكره ، ووَلِيَ الخلافةَ وهو ساخِطٌ عليَّ فكتبتُ إليه : [من الكامل]

1 ل : أملح .

2 ل : جزعاً .

اذْكُـرْ أَميرَ المؤمنين وسائلي أَيّامَ أَرهَـبُ سَطْوَةَ السَّيْفِ
أَدعُـو إلهــي أَن أَراكَ خليفَةً بـينَ المقامِ ومسجدِ الخَيْفِ

فدَعاني ورضي عنّي .

[أبوه يغتاظ لشربه دون غناء]

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ بخطّه : حدَّثني سليمان بن أَبي شيخ قال : دخلتُ على العبَّاس بن الفَضل بن الربيع ذات يوم وهو مُختَلِط مُغْتاظ وابنه عبدُ الله عنده ، فقلت له : مالكَ أمتع اللهُ بِك ؟ قال : لا يُفلِح والله ابني عبدُ الله أبداً . فظَنَنْتُه قد جَنى جِنايةً ، وجَعَلت أعتَذِر إليه له . فقال : ذنبُه أعظَم من ذلك وأشنَع ، فقلت : وما ذَنْبه ؟ قال : جاءَني بعضُ غلماني فحدَّثني أنّه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نبيذَ الدّاذيّ[1] بغير غِناء ، فهل هذا فِعْل من يُفلِح ؟ فقلت له وأنا أضحك : سهَّلتَ عليَّ القصَّة ، قال : لا تَقُل ذاك فإنّ هذا من ضَعَةِ النّفس وسُقُوط الهِمَّة . فكنتُ إذا رأيتُ عبدَ الله بعد ذلك في جُمْلة المُغنِّين . وشاهدتُ تبذُّلَه في هذه الحال وانخفاضَه عن مراتِب أهلِه تذكَّرتُ قولَ أبيه فيه .

قال : وسمِعْتُه يوماً يغنّي بصَنْعتِه في شِعْر أَبي العتاهية[2] : [من الخفيف]

صوت

أَنـا عبدٌ لهـا مُقِرٌّ ومـا يَمْـ ـلِكُ لي غيرُها من النَّاسِ رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُر زَق منهـا والحمـدُ للهِ عِتْقا
ليتَني مُـتُّ فاستَرَحْتُ فإنِّي أَبـداً مـا حَيِيتُ منها مُلقَّى

لحن عبدِ الله بنِ العبّاس في هذا الشعر رمل .

[إسحاق يصنع له لحناً وهو طفل]

أَخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى وأَحمدُ بن حَمدون ، عن أَبيه ؛ وأَخبرني جَحْظَة عن أبي عبد الله الهاشميّ ، أنّ إسحاقَ المَوْصليّ دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبدُ الله بنُ العبَّاس في حِجره قد أُخرِج إليه وله نحو السَّنَتَين ، وأبوه العبَّاس واقف بين يديه ، فقال إسحاقُ للوقت : [من الرجز]

مَـدّ لـك اللهُ الحيـاةَ مَدّا حتى يكونَ ابنُكَ هـذا جَدَّا
مــؤَزَّراً بمَجْـدِهِ مُـــردّى ثـم يُفـدّى مثلَ مـا تُفدّى

---

1 الداذي : شراب الفساق .
2 ديوان أَبي العتاهية : 584 .

أَشْبَـه منـك سُنَّـةً وخَـدّا وشِيَمـاً محمـودةً ومَجْـدا[1]
كأنَّـه أنـتَ إذا تَبَدّى

قال : فاستَحْسن الفَضلُ الأبيات وصنع فيها إسحاقُ لحنَه المشهور ، وقال جَحْظة في خبره عن الهاشميّ ، وهو رمل ظريف من حسَن الأرمال ومُخْتارها ، فأمر له الفَضلُ بثلاثين ألف دِرهم .

[الشعر والشراب ينشطان العباس بن الفضل]

أَخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثني عبد الله بن عمر قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالِك ، قال : حدَّثني بعضُ ندَماء الفضل بن الربيع قال : كنّا عند الفضل بن الربيع في يوم دَجْن ، والسماءِ ترُشّ[2] وهو أحسنُ يوم وأطيَبُه ، وكان العبّاس يومئذٍ قد أصبَح مَهموماً . فجهِدنا أن ينشَط ، فلم تكُن لنا في ذلك حِيلَة ، فبيْنا نحن كذلك إذ دخل عليه بعضُ الشعراء ، إمّا الرُّقاشيّ وإمّا غيرُه من طَبَقته ، فسلَّم وأخذ بِعضادتي الباب ثم قال : [من الطويل]

أَلا انْعِم صَباحاً يا أَبا الفَضْل واربَعِ على مربـع القُطربُّـليّ المُشَعْشِعِ
وعلِّـل نَدامـاك العِطاشَ بقَهْوةٍ لها مصرعٌ في القَـوْم غيرُ مروَّعِ
فإنّـك لاقٍ كُلَّما شِئتَ لَيْلَـةً ويومـاً يُغِصّان الجفـونَ بأَدْمُعِ

قال : فبَكى العبّاس وقال : صدَقتَ والله ، إنّ الإنسان ليَلْقى ذلك متى يشاء ، ثم دَعا بالطّعام فأَكل ، ثم دَعا بالشّراب فشَرِب ونَشِط ، ومرَّ لنا يومٌ حَسَنٌ طَيِّب .

[يوسط ابن المرزبان عند المنتصر]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المرزبان ، قال : جاءَني عبدُ الله بن العبَّاس في خِلافةِ المُنْتَصر وقد سألني عَرْضَ رقعَة عليه ، فأُعلِم أنّي نائمٌ ، وقد كنتُ شرِبت بالليل شُرْباً كثيراً ، فصلَّيتُ الغَداةَ ونِمت ، فلمّا انتبَهتُ إذا رُقعَة عند رأسي وفيها مكتوب : [من الخفيف]

أَنا بالبابِ واقفٌ مُنْذ أَصبَحْـ ـتُ على السّرج مُمْسِكٌ بعِناني
وبعين البوّابِ كُلُّ الذي بـي ويَـراني كأنّـه لا يَـراني

فأَمرتُ بإدخاله ، فدَخَل ؛ فعرّفتُه خبري واعتذرتُ إليه وعرضْتُ رقعتَه على المُنتَصِر وكلّمته حتى قضى حاجتَه .

1 السنة : من معانيها الوجه أو الجبهة والجبينان .

2 ل : تبنش .

[يقترح صوتاً على إسحاق]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال : دعا عبدُ الله بن العبّاس الربيعيُّ يوماً أبي ، وسأله أن يُبْكِر إليه فَفَعل ، فلمّا دخَل بادر إليه عبدُ الله بن العبّاس مُلتَقياً وفي يده العُود وغنّاه : [من الكامل]

قُم نَصْطَبِح يَفدِيك كُلُّ مُبَخَّلٍ عابَ الصَّبوحَ لِحُبِّه لِلمالِ
من قَهْوَةٍ صَفراءَ صِرْفٍ مُزَّةٍ قد عُتِّقَت في الدَّنِّ مُذْ أَحوالِ

قال : وقُدِّمَ الطّعامُ فأكَلْنا واصطَبَحنا ، واقترح أبي هذا الصوتَ عليه بقيّة يومه .

[هو وإسحاق يتناشدان الشعر]

قال : وأَتيتُه في دارِه بالمَطِيرة[1] عائداً ، فوجدتُه في عافية ، فجلسنا نتحدّثُ فأَنشدْتُه لذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

إذا ما امرؤٌ حاولْنَ أَن يَقْتَتِلْنَه بلا إحْنَةٍ بين النّفوس ولا ذَحْلِ
تبسَّمْنَ عن نَوْر الأَقاحيّ في الثّرى وفَتَّرن عن أَبصار مَكْحُولَةٍ نُجْلِ[3]
وكَشَّفْن عن أَجياد غِزْلان رَمْلَةٍ هِجانٍ فكان القَتْلَ أَو شَبَهُ القَتْلِ[4]
وإنّا لنَرضَى حين نَشْكُو بخَلْوةٍ إليهنّ حاجاتِ النُّفُوسِ بلا بَذْلِ
وما الفَقْرُ أَزرى عندهنَّ بوصْلِنا ولكن جَرَت أَخلاقُهنّ على البُخْلِ

قال : فأَنشدَني هو : [من الكامل]

أَنّى اهتَدَتْ لِمُناخِنا جُمْلُ ومن الكرى لعُيونِنا كُحْلُ
طرقَتْ أَخا سَفَرٍ وناجِيةً خَرْقاء عرَّفني بها الرّحلُ[5]
في مَهْمَهٍ هَجَعَ الدّليلُ به وتَعَلَّلَتْ بصَرِيفها البزْلُ[6]
فكأَنَّ أَحدثَ مَنْ أَلَمَّ به دَرجَت على آثارِه النَّملُ

قال إسحاق : فقال لي عبد الله بن العبّاس : كلُّ ما يَمْلك في سبيل الله إن فارقتُك ولم نَصْطَبِح على هذين الشِّعرين ، وأَنْشدك وتنشدني ، ففعَلْنا ذلك وما غنَّينا ولا غُنِّينا .

---

1 المطيرة : قرية من نواحي سامراء كانت منتزهاً .

2 ديوان ذي الرمّة : 487 .

3 مكحولة في الديوان : مضروجة ، وهي مشقوقة واسعة ، يعني العيون .

4 الديوان : وشففن عن .

5 الناجية : الناقة السريعة . ويروى : عرّق نيّها الرحل .

6 الصريف : صوت ناب البعير .

[صبوح على لواط وزنا]

أَخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أَبيه قال : لقيتُ عبدَ الله بنَ العَبَّاس يوماً في الطّريق فقلتُ له : ما كان خبرك أمس ؟ فقال : اصطبحتُ ، فقلت : على ماذا ومع مَنْ ؟ فقال : مع خادم صالِح بنِ عُجَيْف ، وأنتَ به عارِف ، وبخبري معه ومحبَّتي له عالِم ، فاصطبَحنا على زِنا بنت الخسِّ لّما حَمَلتْ من زِنا ، وقد سُئِلت : ممَّن حَمَلت . فقالت : [من الطويل]

أشمُّ كغُصْن البان جَعْدٌ مرجّلٌ … شُغِفْتُ به لو كان شَيْئاً مُدانِيا
ثَكِلتُ أَبي إن كُنتُ ذُقْتُ كَرِيقِهِ … سُلافاً ولا عَذْباً من الماءِ صافِيا[1]
وأُقسِم لو خُيِّرتُ بين فِراقِه … وبينَ أَبي لاختَرْتُ أَن لا أَبا لِيا
فإن لم أُوسِّد ساعِدي بَعْد هَجْعَةٍ … غُلاماً هلالِيّاً فشَلَّت بَنانِيا

فقلت له : أقمتَ على لِواطٍ وشربتَ على زِنا ، والله ما سَبَقَك إلى هذا أحد .

[فائز غلام محمد بن راشد]

أَخبرني محمد بنُ العبَّاس اليزيديّ قال : أَخبرني مَيمُون بنُ هارون قال : كان محمد بن راشد الخنّاق عند عبد الله بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع على القاطُول في أيّام المُعْتَصِم ، وكان لمحمد بن راشِد غُلامٌ يقال له : فائز ، يُغنِّي غناءً حسناً ، فأظلَّتْهم سحابةٌ وهم يشربون ، فقال عبدُ الله بن العبّاس : [من الطويل]

محمدُ قد جادتْ علينا بمائِها … سحابةُ مُزْنٍ بَرقُها يتهَلَّلُ
ونحن من القاطُولِ في مُتَربَّعٍ … ومنزلُنا فيه المَنابتُ مُبقِلُ
فمُر فائِزاً يشدُو إذا ما سَقَيْتَني … أَعن ظُعُن الحَيِّ الأُلى كُنتَ تَسأَلُ
ولا تَسْقني إلاّ حلالاً فإنَّني … أَعافُ من الأَشياء ما لا يُحَلَّلُ

قال : فأمر محمدُ بن راشدٍ غلامَه فائزاً فغنَّاه بهذا الصوت ، وشَرِب عليه حتى سَكِر .

قال : وكان أبو أحمد بن الرَّشيد قد عَشِق فائزاً ، فاشتراه من محمد بن راشِد بثلاثمائة ألف درهم ، فبلغ ذلك المأمونَ ، فأمَر بأن يُضْرب محمد بن راشد ألف سَوْطٍ ، ثم سُئِل فيه فكَفَّ عنه ، وارتجعَ منه نِصْفَ المال ، وطالَبه بأكثرَ فوجدَه قد أنْفَقَه وقَضى دَيْنَه ، ثم حَجَر على أبي أحمد بن الرَّشيد ، فلم يَزَل مَحجُوراً عليه طوال أيّام المأمون ؛ وكان أمرُ مالِه مردوداً إلى مَخْلد بن أبان .

[يشرب الخمر في رمضان إلى الفجر]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثَنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : أَخبرني ابن

---

1 ل : ولا ماءً من المزن صافيا .

الجرجرائيّ قال : اتَّفَق يوم النيروز في شهر رمضان ، فشرِب عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل في تلك الليلة إلى أن بَدا الفَجْر أن يَطْلُع ، وقال في ذلك وغنَّى فيه قوله : [من المديد]

اسقني صفـــراءَ صافيــةً ليلـــةَ النَّيْروزِ والأحــدِ
حرَّم الصَّوْمُ اصطباحَكُما فتـــزوَّد شُرْبَهـــا لغَــدِ

[الواثق يكتفي بلحنه]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثَنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن المُدبِّر قال : قال لي محمدُ بن الفضل الجرجرائيّ : أُنشدت عبدَ الله بن العبّاس الربيعيّ للمُعلّى الطائيّ : [من الكامل]

باكِرْ صَبوحَك صَبْحــةَ النَّيْروزِ واشرَبْ بكــأْسٍ مُتْرَعٍ وبِكــوزِ
ضَحِك الربيعُ إليك عــن نُوَّارِه آسٍ ونِسْرِيــنٍ ومَرْماحُـــــوزِ

فاستعادَنِيهما فأعدْتُهما عليه ، وسألني أن أُمليَهما ، وصنَع فيهما لحناً غنّى به الواثِقَ في يوم نَيْروز ، فلم يستَعِدْ غيرَه يومئذٍ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[يبكي لشعر جميل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى قال : أنشدني عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضل بن الربيع لجميل ، وأنشدَنيه وهو يبكي ودموعُه تنحَدِر على لِحيته .

صوت[1]

[من الطويل]

فمـــا لكِ لمـــا خبَّر الناسُ أنَّني غَدَرتُ بظَهرِ الغيبِ لم تَسَلِيني
فأحلِف بَتّـاً أو أجيء بِشاهدٍ مـــن الناس عَدْلٍ إنَّهم ظَلَمُوني

قال : وله فيه صَنعة من خفيف الثقيل وخفيف الرمل .

[مداومة الصبوح وقول الشعر فيه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثنا نافِذٌ مولانا قال : كان عبدُ الله بن العبَّاس صديقاً لأبيك ، وكان يُعاشِره كثيراً ، وكان عبدُ الله بن العبَّاس مُصْطَبِحاً دهرَه لا يفوتُه ذلك إلاّ في يوم جمعة أو صَوْم شهر رمضان ، وكان يُكثِر المدْحَ للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه ، ويغنِّي فيما يقوله . قال عبيد الله فأنشدَني نافِذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك ، منهم حمّاد بن إسحاق : [من البسيط]

1 ديوان جميل (صادر) : 126 .

صوت

ومُسْتَطيلٍ على الصَّهباء باكرها   في فِتْيَـةٍ باصْطِباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
فكُـلُّ شيءٍ رآه خالَـه قَدَحـاً   وكُـلُّ شَخْصٍ رآه خالَـه الساقي

قال : ولَحْنه فيه خفيف رمل ثقيل . قال حمَّاد : وكان أَبي يَسْتَجيد هذا الصوت من صنعتِه ، ويستَحْسِن شِعرَه ويَعجَب من قوله : [من البسيط]

فكُلُّ شَيْءٍ رآه خالـه قَدَحاً   وكُلّ شَخْصٍ رآه خالَه السّاقي

ويعجب من قوله : [من البسيط]

ومُسْتَطِيل على الصَّهباء باكَرَها

ويقول : وأيُّ شيء تَحْتَهُ من المعاني الظريفة !

قال : وسَمِعه أبي يغنِّيه فقال له : كأنّك والله يا عبدَ اللهِ خَطيبٌ يخطب على المِنبر ، قال عبدُ الله بن محمد : فأنشدني حمّادٌ له في الصَّبوح : [من المجتث]

لا تعذِلَـنْ في صَبُوحي   فـالعَيش شُرْبُ الصَّبُوحِ
مـا عـابَ مُصْطَبِحاً قَـ   ـطّ غَيْرُ وَغْـدٍ شَحِيحِ

قال عَمِّي : قال عُبَيد الله دخل يوماً عبدُ الله بنُ العبّاس الرَّبيعيُّ على أَبي مُسلِّماً ، فلمّا استقرَّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له : أَنشِدني شيئاً من شِعرك ، فقال : إنّما أعبث ولستُ مِمَّن يقدُم عليك بإنشاد شِعْره ، فقال : أتقولُ هذا وأنت القائل : [من المجتث]

يـا شادِناً رامَ إذ مَـرَّ   في السَّعانـين قَتْـلي
تَقـول لي : كَيْف أُصبَحْـ   ـت ؟ كَيْفَ يُصْبح مِثْلي

أنتَ والله أعزّك اللهُ أغزل النّاس وأرقّهم شِعراً ، ولو لم تقل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنتَ شاعراً .

[شعر في ليلة مقمرة]

أَخبرني عمّي والحُسين بن القاسم الكوكَبيّ قالا : حدَّثنا أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثني أَحمدُ بن الحُسين الهِشاميّ أبو عبد الله قـال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع قـال : كنتُ جالساً على دِجْلَةَ في ليلة من الليالي ، وأخذتُ دَواةً وقِرطاساً وكتبتُ شِعْراً حَضَرَني وقُلته في ذلك الوقت : [من المنسرح]

صوت

أخلفَك الدَّهـرُ مـا تنظّرُه   فاصبِر فـذا جُلّ أَمْرِ ذا القَدَرِ

لَعَلَّنـا أن نُديـلَ مِـن زَمَن فرَّقنـا والزَّمـانُ ذُو غِيَرِ[1]

قال : ثم أُرتِجَ عليَّ فلم أدْرِ ما أقولُ حتى يَئِست من أن يجيئني شيء ، فالتفتُّ فرأيتُ القمر وكانت ليلة تتِمّتِه فقلت : [من المنسرح]

فانظُر إلى البَدْرِ فهـو يُشبِهُه إن كان قد ضَنَّ عنـك بالنَّظَرِ

ثم صنعت فيه لَحْناً من الثقيل الثاني . قال أبو عبد الله الهشاميّ : وهو والله صوت حَسَن .

[وصفه البرق عند الواثق]

أخبرني جَحْظَةُ عن ابن حَمْدون ، وأخبرني به الكوكَبيّ عن عليّ بن محمد بنِ نَصْر ، عن خالِد بن حمدون قال : كنّا عند الواثِق في يوم دَجْن ، فلاح بَرْق واستطار ، فقال : لو في هذا شيء ، فبَدَرَهم عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفضل بن الرّبيع ، فقال هذَيْن البيتين : [من المتقارب]

أعنِّـي على لامِـعٍ بـارِقٍ حفـيٍّ كلمْحِـك بالحاجِبِ

كأنَّ تألّقَـه في السَّمـاء يَـدا كاتِـبٍ أو يَـدا حاسِبِ

وصنع فيه لَحْناً شَرِب فيه الواثقُ بقِيَّةَ يومه ، واستحسن شعرَه ومعناه وصنعته ، ووصل عبد الله بصِلةٍ سَنِيَّة .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بن محمد بن مروان قال : حدّثني الحسين بن الضَّحَّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبَّاس بن الفضْل بن الربيع ، وهو مُصْطَبِح ، وخادمٌ له قائمٌ يسقيه فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سَقْي هذا الخادم ، فإن حَضَرَك شيءٌ في قصَّتِنا هذه فقُل ، فقلت[2] : [من المنسرح]

أحيَتْ صَبوحي فُكاهةُ اللاَّهي وطاب يومي بقُرْبِ أشْباهي

فاستَثِر اللهـوَ مـن مَكامِنِـه مـن قبل يـومٍ مُنغِّصٍ ناهي

بابنـة كَرْمٍ مـن كفِّ مُنْتَطِقٍ مُؤْتَـزِرٍ بالمُجـونِ تَيّـاهِ

يسقيك من طَرْفِـه ومن يَدِه سَقْـيَ لطيفٍ مُجـرَّبٍ داهي

طاساً وكاساً كأنَّ شاربَهـا حَيرانُ بين الذَّكُورِ والسَّاهي

فاستَحْسَنه عبدُ الله ، وغنَّى فيه لَحْناً مليحاً ، وشَرِبْنا عليه بقيَّة يومِنا .

[غزله بجارية نصرانية]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله أحمدُ بن المَرزُبان بن الفَيْرزان قال : حدَّثني شَيْبَة بن

1 نديل في ل : ندال .

2 أشعار الخليع الحسين بن الضحاك (فراج) : 122 .

هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع قد عَلِق جاريةً نَصْرانيَّة قد رآها في بعض أعيادِ النّصارى ، فكان لا يُفارِق البِيَع في أعيادِهم شَغَفاً بها . فخرج في عِيد ماسَرْجِيس فظَفِر بها في بُسْتان إلى جانب البيعَة ، وقد كان قبل ذلك يُراسِلها ويعرّفها حُبَّه لها ، فلا تقدِر على مواصلَتِه ولا على لقائِه إلاّ على الطريق . فلمّا ظَفِر بها التَوَت عليه وأبَتْ بعضَ الإباء ، ثم ظهرت له وجلست معه ، وأكلُوا وشَرِبوا ، وأقام معها ومع نِسْوة كُنّ معها أُسبوعاً ، ثم انصرفت في يوم خَميس ، فقال عبد الله بنُ العبّاس في ذلك وغنّى فيه : [من الخفيف]

رُبَّ صَهْباءَ من شَرابِ المَجُوسِ ... قهــوةٍ بابِلِيَّـــةٍ خَنْـدَرِيسِ
قـــد تَجَلَّيتُها بنــايٍ وعُــودٍ ... قبل ضربِ الشَّمَّاسِ بالنّاقوسِ
وغَزالٍ مُكَحَّـــلٍ ذِي دلالٍ ... ساحرِ الطرْفِ سامِرِيٍّ عَرُوسِ
قـــد خلَوْنـــا بطِيبِه نَجْتَلِيهِ ... يوم سَبْتٍ إلى صَباحِ الخميسِ
بــين وَرْدٍ وبــين آسٍ جَنــيٍّ ... وسط بُسْتان دَيْر ماسَرْجِيس
يتثنّى بحُسْنِ جيــدِ غَــزالٍ ... وصَلِيبٍ مُفَضَّضٍ آبَنُــوسي
كم لثمتُ الصَّلِيبَ في الجِيد منها ... كهِــلالٍ مُكَلَّـــلٍ بشُمُوسِ

[يتطيّر بالغراب ويستبشر بالهدهد]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المَرزُبان ، عن شَيْبَةَ بن هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العبّاس يوماً جالساً ينتظِر هذه النّصرانيَّة التي كان يهواها ، وقد وعدَتْه بالزيارة ، فهو جالس ينتظِرها ويتفقّدها إذ سَقَطَ غُراب على بَرّادة[1] دارِه فنَعَب مَرَّة واحدة ثم طار ، فتطيَّر عبدُ الله من ذلك ولم يَزَل ينتظِرها يومه فلم يَرَها . فأرسل رسولَه عِشاءً يسأل عنها ، فعُرِّف أنّها قد انحَدَرَت مع أبيها إلى بغداد ، فتنغّصَ عليه يَومُه ، وتفرّقَ مَنْ كان عنده ، ومكثَ مدّةً لا يعرف لها خَبَراً . فبيْنا هو جالس ذاتَ يوم مع أصحابه ، إذ سقط هُدْهُد على برّادَته ، فصاح ثلاثة أصواتٍ وطار . فقال عبدُ الله بنُ العبَّاس : وأيّ شيء أبقى الغُرابُ للهُدْهُد علينا ؟ وهل تَرَكَ لنا أحداً يُؤذِينا بفراقه ؟ وتطيَّر من ذلك ، فما فَرَغ من كلامه حتى دَخَل رسُولُها يُعلِمه أنّها قد قَدِمَتْ منذ ثلاثة أيّام ، وأنّها قد جاءَته زائرةً على إثْرِ رسُولِها ، فقال في ذلك من وقتِه : [من الهزج]

سقــاكَ اللهُ يــا هُدْهُــ ... ــدُ وَسْمِيّــا من القَطْرِ
كما بَشَّــرتَ بــالوَصْلِ ... ومــا أَنْذَرْتَ بــالهَجْرِ

---

1 البرادة : إناء يبرد فيه الماء ، ولعلّها هنا الموضع الذي توضع فيه أواني التبريد .

فكَم ذا لَكَ من بُشْرى أَتَتْنـي منــكَ في سِتْرِ
كما جــاءَتْ سُليمانَ فأوفَــت منـــه بـالنَّذْرِ
ولا زالَ غُـرابُ البَيْــ ـن في قُفّاعَــة الأَسْرِ[1]
كما صَــرَّح بـــالبَيْنِ ومـــا كُنتُ بـه أَدْري

ولَحْنُه في هذا الشِّعر هزج .

[غناء لا يعجب المتوكّل]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني مَيْمونُ بن هارون قال : قال إسحاق بن إبراهيم بن مِصعب : قال لي عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ : لمَّا صنَعْتُ لحني في شعري : [من المنسرح]

أَلا اصبَحاني بــوم السّعانينِ من قَهْــوَةٍ عُتِّقَتْ بِكركِينِ[2]
عنــد أُناسٍ قَلبِـي بهم كَلِفٌ وإن تولّوا دِينـاً سِوى دِينِي
قــد زَيَّنَ الملكَ جَعفرٌ وحكى جُــودَ أَبيه وبــأسَ هارونِ
وأمَّن الخائِــفَ البـريءَ كما أخافَ أَهلَ الإلحادِ في الدِّينِ

دعاني المُتوكّل ، فلمّا جلستُ في مَجلس المُنادَمَة غنَّيتُ هذا الصوت فقال لي : يا عبدَ الله ، أين غناؤُك في هذا الشعر في أيّامي هذه من غنائك في : [من الطويل]

أَماطَتْ كِساءَ الخزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِها وأَدْنَتْ على الخَدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ومن غنائِك في : [من المنسرح]

أَقفَــر من بعــد خُلَّــةٍ سَرِفُ فالمُنْحَنــى فــالعَقِيقُ فالجُرُفُ

ومن سائر صَنْعَتِك المتقدِّمة التي استفرَغْتَ محاسِنَك فيها ؟ فقلتُ له : يا أَمير المؤمنين ، إنِّي كُنتُ أتغنَّى في هذه الأصوات ولي شبابٌ وطَرَب وعِشْق ، ولو رُدَّ عليَّ لغنَّيتُ مثل ذلك الغناء ، فأمر لي بجائزة واستحسَن قولي .

[يغني المنتصر بشعره فلا يجيزه]

حدَّثني عَمِّي قال : حدَّثنا أحمد بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أبي ، قال : ذَكَر المُنتصر يوماً عبدَ الله بن العبّاس وهو في قَراح[3] النّرجس مُصْطَبِح ، فأحضره وقال له : يا عبدَ الله ، اصنَع لحناً في شِعْري الفُلانيّ وغَنِّني به ، وكان عبد الله حَلَف لا يُغنّي في شِعره ، فأطرَق مليّاً ، ثم

---

1 القفاعة : شيء من جريد النخل يلقى به على الطير فيصاد به .
2 كركين : من قرى بغداد .
3 القراح من كل شيء : الخالص .

غنّى في شعرٍ قاله للوَقْت وهو : [من الكامل]

يا طِيبَ يَوْمي في قراحِ النَّرجسِ ... في مَجْلِسٍ مـا مِثْلُهُ مِنْ مَجْلِسِ
تُسْقــى مُشعْشعَــةً كأَنَّ شُعاعَها ... نــارٌ تُشَبُّ لِبــائِسٍ مُسْتَقْبِسِ

[يطرب المتوكل فيجيزه]

قال : فجَهِد أبي بالمُنتصر يوماً واحْتال عليه بكُلِّ حِيلة أَن يصِلَه بشيء فلم يَفعَل .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أبي قال : غضِبَت قَبِيحةُ على المُتوكّل وهاجَرَتْه ، فجلس ودخَل الجُلساء والمُغنُّون ، وكان فيهم عبدُ الله بنُ العبّاس الربيعيّ ، وكان قد عَرَف الخبر ، فقال هذا الشِّعرَ وغنّى فيه : [من الخفيف]

لستَ مِنّي ولستُ منك فدَعْني ... وامْضِ عنّــي مُصاحَباً بسَلامِ
لم تَجِد عِلّـةً تَجَنَّى بها الذّنْـ ... ـبَ فصارَتْ تعتــلُّ بالأَحْلامِ
فإذا ما شَكَوتُ ما بيَ قالت : ... قــد رأَينا خِلافَ ذا في المَنامِ

قال : فطَرِب المُتَوكّل وأمر له بعِشرين ألف دِرهم وقال له : إنّ في حياتِك يا عبد الله لأُنْساً وجَمالاً وبَقاءً للمُروءةِ والظّرف .

[غناء بشعر السليك]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس الربيعيّ قال : كنتُ في بعض العساكر فأصابَتْنا السماء حتى تأذّيْنا ، فَضُرِبت لي قُبّة تُركيّة ، وطُرِح لي فيها سَريرانِ ، فخَطَرَ بقَلْبي قَولُ السُّلَيْك[1] : [من الرمل]

صوت

قَرِّب النَّحّام واعجَل يا غُلامْ ... واطْرَحِ السَّرْجَ عليه واللِّجامْ[2]
أَبلغِ الفِتيــانَ أَنِّي خائِــضٌ ... غمْرَةَ الضَّرْب فمَنْ شاء أَقامْ

فغنَّيتُ فيه لَحني المعروف ، وغَدَوْنا فدخَلْتُ مدينةً ، فإذا أنا برَجُل يُغنِّي ، وواللهِ ما سَبَقني إليه أحد ولا سَمِعَه منّي أحد ، فما أَدْري مَن الرّجُل ، ولا من أين كان له ، وما أرى إلاّ أنّ الجِنَّ أوقعتْه في لسانه !

[محمد بن الجهم يحتمل خراجه سنة]

حدَّثني عَمِّي ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثني

1 ديوان السليك : 65 .
2 النحام : اسم الفرس .

عبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ قال : كنتُ عند محمد بنِ الجَهْم البَرمَكيّ بالأهواز ، وكانت ضَيْعَتي في يده ، فغنَّيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشُّرب : [من المنسرح]

صوت

المِهرَجـــانُ ويـــومُ الاثْنَيْنِ يومُ سُرورٍ قـد حُـفَّ بالزَّيْنِ
ينقل مـن وغْرة المَصيف إلى بَرْدِ شِتاءٍ مـا بـينَ فَصْلَيْنِ
محمدُ يا ابْنَ الجَهْم ومَن بَنى للمَجْدِ بَيْتاً مـن خير بَيْتَيْنِ
عِشْ ألفَ نَيْروز ومَهْرِجْ فَرِحاً في طِيـبِ عَيْش وقُرَّة العَيْنِ

قال : فسُرَّ بذلك واحتمل خَراجي في تلك السنة ، وكان مبلَغُه ثلاثين ألف دِرْهم .

[إعجابه بعساليج]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهرويه ، قال : حدَّثني ابنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني أبو تَوْبة القَطِرانيّ ، عن محمد بن حُسين قال : كنّا عند أبي عيسى بن الرَّشيد في زمن الرّبيع ومعنا مُخارِق ، وعَلُّويَه ، وعبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ونحن مُصْطَبِحون في طارمة[1] مضروبة على بُسْتانِه ، وقد تفتَّح فيه وَردٌ وياسَمِين وشقائق ، والسماء مُتغيِّمة غيماً مُطبِقاً ، وقد بدأتْ تَرُشُّ رشّاً ساكِباً ، فنحن في أكْمَل نشاطٍ وأحسَنِ يوم إذ خرجَتْ قَيِّمةُ دارِ أبي عيسى فقالت : يا سيِّدي ، قد جاءت عساليجُ ، فقال : لتخرُج إلينا ، فليس بحَضْرتنا مَن تحتشِمه . فخرجت إلينا جارية شَكِلة[2] حُلوَة ، حَسَنة العقل والهيئة والأدب ، في يدِها عُود . فَسَلَّمتْ ، فأمَرها أبو عيسى بالجُلوس فَجَلَست . وغنَّى القومُ حتى انتهى الدّور إليها ، وظننّا أنّها لا تصنَع شيئاً وخِفْنا أن تهابنا فتحْصَر . فغنَّت غِناء حَسَناً مُطرِباً مُتقَناً . ولم تَدَعْ أحداً مِمَّن حَضَر إلاّ غنَّت صوتاً من صَنْعَته وأدّته على غاية الإحكام . فطَرِبنا واستحسَنّا غناءها وخاطبناها بالاستِحْسان ، وألَحَّ عبدُ الله بنُ العبّاس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنَّظر إليها ، فقال أبو عيسى : عَشِقْتَها وحياتي يا عبدَ الله ؛ قال : لا والله يا سيِّدي وحياتِك ما عَشِقْتُها ، ولكنّي استَحْسنتُ كُلَّ ما شاهدتُ منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء . فقال له أبو عيسى : فهذا واللهِ هو العِشْق وسببُه ، ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه اللَّعِب[3] . وشَرِبنا فلمّا

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .
2 شكلة : ذات دلال وغزل .
3 المثل «رب جد جره اللعب» في مجمع الميداني 1 : 170 .

غَلَب النَّبِيذُ على عبد الله غَنَّى أهزاجاً قديمة وحَدِيثة ، وغنَّى فيما غنّى بينهما هَزَجاً في شِعْر قاله فيها لوَقْتِه ، فما فَطِنَ له إلاّ أبو عيسى وهو : [من الرمل]

صوت

نَطَــق السُّكْـرُ بسِرِّي فبَدا ... كم يُرى المَكْتومُ يَخفى لا يَضِحْ
سِحْرُ عَيْنَيــك إذا مــا رنَتا ... لم يَدَعْ ذا صَبْوة أو يَفْتَضِحْ
مَلَكَــتْ قلبــي فأمسى غَلِقاً ... عندها صَبّــاً بها لم يَسْتَرِحْ
بجَمَــالٍ وغِنَــــاءٍ حسنٍ ... جلّ عـــن أن يَنْتَقيه المُقْتَرِحْ
أورثَ القلبَ هُمومــاً ولقد ... كنــتُ مسروراً بمرآه فَرِحْ
ولكــم مُغْتَبِقٍ هَمّــاً وقــد ... بَكَــر اللَّهْو بُكورَ المُصْطَبِحْ

الغناء لعبد الله بن العبّاس هزج ، فقال له أبو عيسى : فعلْتَها والله يا عبدَ الله ، وطار طرباً وشَرِب على الصوت وقال له : صحَّ والله قولي لك في عساليج ، وأنت تُكابِرُني حتى فَضَحَكَ السُّكرُ . فجحَد ، وقال : هذا غناء كنت أرويه . فحلف أبو عيسى أنّه ما قاله ولا غنّاه إلاّ في يومِه ؛ وقال له : احلِفْ بحَياتي أنّ الأمرَ ليس هو كذلك ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى : والله لو كانت لي لوهبْتُها لك ، ولكنّها لآلِ يحيى بن معاذ ، والله لئِن باعُوها لأُمَلِّكَنَّك إيّاها ولو بكُلِّ ما أملك ، وحياتي لتنصَرفنَّ قبلك إلى منزِلك ؛ ثم دعا بحافِظتِها وخادِمٍ من خدَمه ، فوجَّه بها معهما إلى منزِله . والتَوى عبدُ اللهِ قليلاً وتجَلَّد ، وجاحَدَنا أمرَه ثم انصرف .

واتّصل الأمرُ بينهما بعد ذلك ، فاشترتها عمَّته رُقَيَّة بنتُ الفَضل بن الرَّبيع من آلِ يَحْيى بن مُعاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت . فحدَّثني جعفرُ بنُ قُدامَة بن زِياد عن بعض شيوخِه ، سقَط عنّي اسمُه ، قال : قالت بَذل الكبيرة لعبدِ الله بن العبّاس : قد بلَغني أنّك عَشِقْتَ جارية يقال لها عساليج فاعرِضْها عليّ ، فإمّا أن عذَرْتُك وإمّا أن عَذلتك . فوجَّه إليها فحَضَرَت ، وقال لبَذْل : هذه هي ياستي فانظري واسمعي ، ثم مُريني بما شئتِ أُطعك ، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت : يا عبدَ اللهِ أتُشاوِرُ فيّ ؟ فوالله ما شاوَرْت فيك لمَّا صاحبتُك . فنَعَرت بَذْل وصاحت : إيه ، أحسَنْتِ والله يا صَبِيَّة ، ولو لم تُحسني شيئاً ولا كانت فيك خَصْلة تُحمَد لوجب أن تُعشَقي لهذه الكلمة ، أحسنتِ واللهِ ؛ ثم قالت لعبدِ الله : ما ضَيَّعتَ ، احتَفِظ بصاحبتك .

[الواثق يجيزه في يوم نيروز]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن المَرْزُبان ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بن العبَّاس قال : دعانا الواثِقُ في يوم نَوْرُوز ، فلمّا دَخَلتُ عليه غنَّيْتُه في شعر قلتُه وصَنَعْت فيه لحناً

وهو : [من مجزوء الرمل]

هـيّ للنّيروزِ جامـا ومُدامـاً ونَدامـى
يَحْمـدون الله والـوا ثِـقَ هـارونَ الإماما
ما رأى كِسْرى أنوشِرْ وانَ مِثْـلَ العامِ عاما
نَرْجِساً غَضّـاً ووَرْداً وبَهـاراً وخُزامـى

قال : فطَرِب واستَحْسَنَ الغِناء ، وشرِب عليه حتى سكر ، وأمر لي بثلاثين ألف دِرْهم .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرزُبان قال : حدَّثني شَيْبة بنُ هِشام قال : ألقَت مُتيَّم على جوارينا[1] هذا اللحن وزعمت أنَّها أخذتْه من عبد الله بن العبّاس والصَّنعةُ له : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنِّي اتّخـذت عـدُوَّةً فسَقـى الإلـهُ عدُوَّتي
وَفَدَيْتُهـا بـأقاربي وبأُسرَتـي وبجيرتـي
جُدِلـتْ كجَدْلِ الخيزُرا ن وثُنِّيـتْ فَتَثَنَّـتِ
واستَيْقَنـتْ أنّ الفـؤا دَ يُحبُّهـا فأدَلَّـتِ

[يتعشَّق مصابيح]

قال : ثم حدَّثَتْنا مُتَيَّم أنَّ عبدَ الله بنَ العبّاس كان يتعشَّق مصابيحَ جاريةَ الأحْدَب المُقَيِّن ، وأنّه قال هذا الشعر فيها ، وغنَّى فيه هذا اللَّحْن بحضرتها ، فأخذته عنه .

هكذا ذكَرَ شَيْبَةُ بنُ هشام من أمْر مصابيح ، وهي مشهورة من جواري آل يحيى بنِ معاذ ، ولعلّها كانت لهذا المقِّين قبل أن يملكها آلُ يحيى ، وقبل أن تَصِلَ إلى رُقَيَّة بنتِ الفضلِ بنِ الرَّبيع .

وحدَّثنا أيضاً عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، عن شَيْبة بن هشام ، قال : كان عبدُ اللهِ بن العبّاس ينعشَّق جاريةَ الأحدبِ المُقَيِّنِ ، ولم يُسمِّها في هذا الخبر ، فغاضبها في شيء بلَغه عنها ، ثم رام بعد ذلك أن يترَضَّاها فأبَت ؛ وكتب إليها رُقعة يَحلِف لها على بطلان ما أنكَرته ، ويدعو اللهَ على مَن ظلم . فلم تُجبْه عن شيء ممّا كتب به ، ووقَّعت تحت دُعائِه : آمين . ولم تُجِب عن شيء ممّا تضَمَّنته الرُّقعة بغير ذلك ، فكتب إليها : [من مجزوء الكامل]

---

1 ل : جواريها .

أَمَّـا سُروريَ بالكِتـا ب فليس يَفنى ما بَقِينا
وأَتـى الكتابُ وفيه لي آمـين ربَّ العـالمينا

قال : وزارَتْه في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة ، ثم انصرفت وأَبَتْ أَن تَبيت وتُقيم ليلَتَها عنده . فقال هذا الشعر وغنّى فيه هَزَجاً وهو مَشْهور من أغانيه وهو : [من المنسرح]

صوت

يـا مَنْ لِهَمٍّ أمسى يُؤَرِّقُني حتى مضى شَطرُ لَيْلَةِ الجُهَني
عَنّي ولم أُدرِ أَنَّها حضرت كذاكَ مَنْ كانَ حُزْنه حَزَني
إِنّـي سَقِيـمٌ مُوَلَّـه دَنِفٌ أَسقَمني حُسْنُ وَجْهِكِ الحَسَنِ
جُـودي لـه بالشفاء مُنْيَتَـه لا تَهجُري هائماً عليكِ ضَنِي

قال : وليلةُ الجُهَنيّ ليلة تسعَ عشرةَ من شهر رمضان ، قال رجل من جُهَينة : إنّه رأى فيها ليلةَ القَدْرِ فيما يَرى النّائم فسُمِّيت ليلة الجُهَنيّ .

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا أُحمدُ بن المَرزُبان قال : حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هشام قال : دعانا محمد بنُ حمّاد بن دنقش وكان لـه سِتارة في نهاية الوَصْف ، وحضر معنا عبدُ الله بنُ العبّاس ، فقال عبدُ الله وغنّى فيه : [من البسيط]

دَعْ عنك لَوْمي فإنّي غيرُ مُنقادِ إلى المَلامِ وإن أُحببتَ إرْشادي
فلستُ أُعرِفُ لي يوماً سُرِرْتُ به كمِثْـل يَوْميَ في دارِ ابنِ حَمَّادِ

[شعر يذكر فيه أعياد النصارى]

أُخبرني يَحيى بنُ عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أُبو أُيُّوب المدينيّ قال : حدَّثني ابنُ المكّيّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس قال : لمّا صنعتُ لَحني في شعري : [من السريع]

صوت

يـا لَيلـةً ليس لهـا صُبْـحُ وموعِـداً ليس لـه نُجْـحُ
من شادنٍ مـرّ على وعده الميـ ـلادُ والسُّلاّقُ والذّبْـحُ[1]

هذه أُعيادُ النصارى ، غنّيتُه الواثِق فقال : ويْلَكم ، أُدركوا هذا لا يَتَنصَّر ، وتمامُ هذا الشعر : [من السريع]

1 السلاق : عيد الصعود عند النصارى .

وفي السَّعانِين لـو انِّي بـهِ ... وكان أَقْصى المَوعِـد الفِصْحُ
فـاللّهَ أَستَعْدي عـلى ظالمٍ ... لم يُغْـنِ عنـه الجُودُ والشُّحُّ

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ : قال أبو العتاهية : وفيه لعبد الله بنِ العبّاس غناء حَسَن : [من الخفيف]

أنـا عَبدٌ لهـا مُقِـرٌّ وما يَمْـ ... ـلِك لي غيرُها من النّاس رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُر ... زَق منهـا والحمـدُ لله عِتْقا
ومـن الحَيْـنِ والشّقاء تعلَّقْـ ... ـتُ مليكاً مُسْتَكْبِراً حين يُلْقى
إن شكوتُ الذي لَقيتُ إليه ... صَدَّ عنّي وقال : بُعداً وسُحْقا

[يشرب ويغنّي منفرداً]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر ، عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال : دخلتُ يوماً إلى عبدِ اللهِ بنِ العبّاس الربيعيّ ، وخادمٌ له يَسْقِيه ، وبيده عُودُه ، وهو يُغنِّي هذا الصوت : [من المجتث]

إذا اصطَبحْـتُ ثلاثـاً ... وكان عُـودي نَدِيمـي
والكأسُ تُغْرِب ضَحكاً ... مـن كـفِّ ظَبْـي رَخِيمِ
فمـا عـليَّ طرِيـقٌ ... لطارقـاتِ الهُمـومِ

قال : فما رأيتُ أحسنَ ممّا حكى حاله في غنائِه ، ولا سَمِعْتُ أحسنَ ممّا غنَّى .

[عشق غلام خادم المعتصم]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكَبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني دوسر[1] الخراسانيّ قال : اشترى حزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً ، كان عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع يتعشَّقه ، فسأَلَه هِبَته له أو بيعَه منه فأبى ، فقال عبدُ الله أبياتاً وصنع فيها غناء ، وهي قوله : [من الخفيف]

يومُ سَبْتٍ فصَرِّفـا لي المُداما ... واسقِياني لعلَّنـي أن أنامـا
شرَّد النـومَ حُبُّ ظَبْيٍ غريـرٍ ... مـا أُراه يَـرى الحَرامَ حَرامـا
اشتراه يومـاً بعُلْفـةِ يـوم ... أصبحتَ عنده الدوابُ صِياما

فاتصلت الأبياتُ وخبرُها بحزام ، فخَشي أن تَشتَهر ويسمعها المُعتصمْ فيأتي عليه ؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله ، وسأله أن يُمسِك عن الأبيات ، ففعل .

---

1 ل : دوس .

[أول لحن صنعه]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني الحُسَيْن بن يحيى قال : قلت لعبد الله بنِ العَبّاس : إنّه بَلَغَني لك خَبَرٌ مع الرّشيد أول ما شُهرتَ بالغِناء ، فحدِّثني به ، قال : نعم أوّل صوت صَنَعْته[1] : [من المتقارب]

أتـاني يؤامِـرُني في الصَّبُـو ح ِ ليـلاً فقلتُ لـه : غادِها

فلمّا تأتّى لي وضربت عليه بالكنكلة ؛ عرضتُه على جارية لنا يقال لها راحة ، فاستحسَنَتْه وأخذَته عنّي ، وكانت تختلف إلى إبراهيمَ الموصليّ . فسَمِعها يوماً تُغنّيه وتناغي به جارية من جواريه ، فاستعادَها إيّاه وأعادته عليه ، فقال لها : لِمَنْ هذا ؟ فقالت : صَوْت قديـم ؛ فقـال لها : كَذَبتِ ، لو كان قديماً لعرَفْتُه ، وما زال يُداريها ويتغاضَب عليها حتى اعترفت له بأنّه من صَنْعَتي . فعَجِب من ذلك ، ثم غنّاه يوماً بحضرة الرشيد ، فقال له : لَمنْ هذا اللّحن يا إبراهيم ؟ فأمسك عن الجواب وخشي أن يكذِبَه فيَنْمي الخبرُ إليه من غيره ، وخاف من جدِّي أن يصدقه ، فقال له : ما لك لا تجيبني ؟ فقال : لا يمكنني يا أميرَ المؤمنين . فاسْتَراب بالقِّصّة ، ثم قال : والله ، وتُربة المَهْديّ لئن لم تَصْدُقْني لأُعاقبنَّك عُقوبةً مُوجِعة ، وتوهّم أنّه لعُلَيَّة أو لبعض حُرَمه فاستُطِير غضباً . فلمّا رأى إبراهيمُ الجِدَّ منه صدَقَه فيما بينه وبينه سرّاً ، فدعا لوقته الفضلَ بن الرَّبيع ثم قال له : أيصنَع ولدُك غناء ويرويه الناس ولا تعرّفني . فجَزِع وحَلَف بحياته وبَيْعته أنّه ما عرف ذلك قطّ ، ولا سَمِع به إلاّ في وَقته ذلك . فقال له : ابنُ ابنِك عبدُ الله بنُ العبّاس ، أحضِرْنيه السّاعة . فقال : أنا أمضي وأمتَحِنه ، فإن كان يصلُح للخدمة أحضَرته ، وإلاّ كان أميرُ المؤمنين أولى مَن ستر عورتنا ؛ فقال : لا بُدّ من إحضاره . فجاء جدِّي فأحضرني وتَغيَّظ عليّ ، فاعتذرتُ وحَلْفتُ له أنّ هذا شيء ما تعمّدتُه ، وإنّما غنَّيتُ لنفسي ، وما أدري من أين خرَج . فأمر بإحضار عُود فأُحضِر ، وأمرني فغنّيتُه الصوتَ . فقال : قد عَظُمت مُصيبَتي فيك يا بنيّ ، فحلفتُ له بالطلاق والعتاق ألاّ أقبلَ على الغناء رِفداً أبداً ، ولا أُغنّي إلاّ خليفةً أو وليَّ عهد ، ومَنْ لعلّه أن يكون حاضراً مجالسهم ، فطابت نفسُه . فأحضرني ، فغنّيتُ الرشيدَ الصوتَ فطرِب وشرب عليه أقداحاً ، وأمرني بالمُلازمة مع الجُلَساء ، وجعل لي نَوْبة ، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدِّي ، وأمره أن يبتاع ضيعة لي بها ، فابتاع لي ضيعتي بالأهواز ، ولم أزَل مُلازِماً للرشيد حتى خرج إلى خُراسان ، وتأخّرتُ عنه وفرّق الموتُ بيننا .

1 انظر الخبر فيما تقدم من هذه الترجمة .

قال ابنُ المرزُبان : فكان عبدُ الله بنُ العبّاس سَبباً لمعرفة أُولياء العهود برأْي الخلفاء فيهم ؛ فكان منهم الواثـق ، فإنّه أحبّ أن يعرِف : هل يُولِّيه المعتَصمُ العهدَ بعدَه أم لا . فقال له عبدُ الله : أنا أدلّك على وجه تعرف به ذلك ، فقال : وما هو ؟ فقال : تسألُ أميرَ المؤمنين أن يأذَن للجُلساء والمغنِّين أن يَصيروا إليك ، فإذا فعل ذلك فاخْلَعْ عليهم وعليَّ معهم ، فإنّي لا أقبَل خِلعَتك لليمين التي عليَّ ألاَّ أقبل رفداً إلاّ من خليفة أو وليّ عهد . فقعَد الواثقُ ذات يوم وبعث إلى المعتصم وسأله الإذنَ بجلساء ، فأذِن لهم ، فقال له عبدُ الله بن العبّاس : قد عَلِم أميرُ المؤمنين يَميني ؛ فقال له : امض إليه فإنّك لا تَحْنَث . فمضى إليه وأخبره الخبرَ فلم يُصدِّقه ، وظنَّ أنّه يُطيِّب نفسَه ، فخَلَع عليه وعلى الجماعة ، فلم يَقبَل عبدُ الله خِلعَته ، وكتَب إلى المعتصم يشكوه . فبَعَث إليه : اقبَل الخِلْعَة ، فإنّه وليُّ عهدي . ونَمى إليه الخبرُ أنَّ هذا كان حِيلَة من عبد الله ، فنَذَر دَمَه ، ثم عفا عنه : وسُرَّ الواثقُ بما جرى ، وأمَرَ إبراهيمَ بنَ رِياح فاقْترض له ثلثمائة ألفِ درهم ، ففرّقها على الجلساء ، ثم عَرَف غَضَب المعتصم على عبدِ الله بن العبّاس واطراحَه إيّاه ، فاطّرَحَه هو أيضاً . فلمّا وَلِي الخلافة استمرَّ على جَفائه ، فقال عبدُ الله : [من الكامل]

ما لي جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ... أيّام أرهَبُ سطوةَ السَّيفِ
أدعُو إلهي أن أراكَ خليفةً ... بين المقامِ ومَسجد الخَيْفِ

ودَسَّ مَنْ غنَّاه الواثِق ، فلمّا سمعه سأل عنه ، فعَرَف قائلَه ، فتذَمَّم[1] ودعا عبد الله فبَسَطَه ونادمَه إلى أن مات .

وذكر العتّابيَ عن ابن الكلْبيّ أنّ الواثِقَ كان يَشْتهي على عبد الله بن العبّاس : [من الخفيف]

أيُّها العاذِلُ جَهْلاً تلومُ ... قبل أن يَنجاب عنه الصَّرِيمُ[2]

وأنّه غنّاه يوماً فأمَر بأن يَخلَعْ عليه خَلْعة ، فلم يَقْبلها لِيَمينه ، فشكاه إلى المعتصم ، فكاتَبه في الوقت ، فكَتَب إليه مع مسرور سُمَّانة : اقبَل خِلَع هارون فإنّك لا تَحْنَث ، فقبِلها وعَرَف الواثِقُ أنّه وليُّ عهد .

[رؤية محبوبته في يوم الشعانين]

حدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام ، قال : كان عبدُ الله بنُ العبّاس يَهْوى جاريةً نَصْرانيّة لم يكُن يصل إليها ولا يراها إلاّ إذا خرجت

1 تذمم : استحيا .
2 الصريم : القطعة من الليل .

إلى البِيعة ، فخرجنا يوماً معه إلى السَّعانين ، فوقف حتى إذا جاءت فرآها ، ثم أنشدَنا لنفسِهِ ، وغنّى فيه بعد ذلك : [من السريع]

صوت

إن كنتَ ذا طِبٍّ فداوِيني ولا تَلُم فاللَّوم يُغريني
يا نظرةً أبقَتْ جَوًى قاتِلاً من شادنٍ يومَ السَّعانينِ
ونظرةً من رَبْرَبٍ عِينٍ خرجْنَ في أحسَن تَزْيِينِ[1]
خرجْنَ يَمْشين إلى نُزْهَةٍ عَواتِقاً بين البَساتينِ[2]
مُزَنَّراتٌ بهَمايينها والعَيشُ ما تَحْتَ الهَمايينِ[3]

لحن عبدِ اللهِ بنِ العبّاس في هذا الشعر هزج .

[يشرب ليلة الشك من رمضان]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا محمد بن عمر الجُرْجانيّ ، ومحمد بن حمّاد كاتِب راشد ، قالا : كتَبَ عبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ في يوم نَيْروز ، واتّفقَ في يوم الشَّكّ بين شَهْرَي رمضان وشَعْبان ، إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يقول : [من المديد]

اسْقني صفراءَ صافيةً ليلةَ النَّيروزِ والأَحَدِ
حَرَّمَ الصَّومُ اصطِباحَكما فتزوَّدْ شُربَها لغَدِ
وأْتِنا أو فادْعُنا عَجِلاً نَشْتَرِك في عِيشَةٍ رَغَدِ

قال : فجاءه محمد بنُ الحارث بن بُسْخُنَّر فشربا ليلتهما .

[صنع لحناً للواثق فأجازه]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المكّيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال : جمع الواثِقُ يوماً المُغنِّين ليَصْطَبح ، فقال : بحياتي إلاّ صنعتَ لي هَزَجاً حتى أدخل وأخرُج إليكم السّاعة . ودخل إلى جواريه ، فقلتُ هذه الأبيات وغنَّيتُ فيها هَزَجاً قبل أن يَخرُج ، وهي : [من الرمل]

1 الربرب : القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الأنسي .
2 عواتق : جمع عاتقة ، وهي الشابة في أوّل الإدراك خدرت في البيت ولم تبن للزواج .
3 الهمايين : جمع هميان ، وهو كيس تحمل فيه النقود .

صوت

بأبـــي زَورٌ أتـــاني بـــالغَلَسْ   قُمتُ إجـلالاً لـه حتى جَلَسْ
فتعانَقْنـــا جميعـــاً ساعـــةً   كادَتِ الأرواحُ فيهـــا تُختَلَسْ
قلــتُ : يـا سُؤْلي ويا بدرَ الدُّجى   في ظَلامِ اللَّيلِ ما خِفتَ العَسَسْ ؟
قـــال : قـــد خِفْتُ ولكنّ الهَوى   آخِـذٌ بـالرُّوحِ منِّـي والنَّفَسْ
زارني يَخْطِـــرُ في مِشْيَتِـــه   حوله مـــن نُـــورِ خَدَّيْـهِ قَبَسْ

قال : فلمّا خرج من دار الحُرَم قال لي : يا عبدَ الله ، ما صنَعْت ؟ فاندفعتُ فغنَّيته ، فشَرِب حتى سَكِر ، وأمَرَ لي بخَمْسة آلافِ دِرْهم ، وأمرني بطَرْحِه على الجواري ، فطرحْتُه عليهنّ .

[لحن في شعر يوسف بن الصّيقل]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ ، عن حمّاد قال : من مَلِيح صَنْعةِ عبدِ الله بنِ العبّاس الربيعيّ ، والشِّعْر ليُوسُف بنِ الصّيقل ، ولحنه هزج : [من المتقارب]

صوت

أبعـدَ المواثيـــقِ لي   وبعـد السؤال الحَفي
وبَعْـد اليَمِـين التي   حَلفْتِ على المُصحَفِ
تركتِ الهَـوى بيننا   كضـوءِ سراجٍ طُفي
فليتـكِ إذ لم تَفـي   بوعـدك لم تَحلفـي

[غناء بشعر الأحوص]

حدَّثني الصّوليّ قال : حدَّثني يزيدُ بنُ محمد المُهلّبيّ ، قال : كان الواثق قد غضِب على فريدةَ لكلام أخفته إيّاه فأغضبَتْه ، وعرَفْنا ذلك وجلس في تلك الأيّام للصَّبُوح ، فغنَّاه عبدُ الله بنُ العبّاس : [من البسيط]

صوت[1]

لا تأمني الصَّرمَ منِّـي أن تَرَى كَلَفي   وإن مَضـى لصفـاء الـوُدِّ أعصارُ
مـا سُمِّـي القَلْبُ إلاّ مـن تَقلُّبِه   والرأْيُ يُصرَفُ والأهـواءُ أطـوارُ
كَم مِنْ ذَوِي مِقَـةٍ قَبْـلي وقَبْلَكمُ   خانوا فأَضْحَوا إلى الهِجْرانِ قد صارُوا

فاستعادَه الواثِقُ مِراراً ، وشرِب عليه وأُعجِب به ، وأمَر لعبد الله بألف دِينار وخلَع عليه .

1 ديوان الأحوص (السامرائي) : 88 .

الشعر للأَحْوَص ، والغناء لعبدِ اللهِ بنِ العبَّاس هَزَج بالوسطى عن عمرو .

[المتوكّل يفضله على المغنّين]

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن العبَّاس بن الفضل بن الرَّبيع ، قال : غنَّيتُ المتوكِّل ذاتَ يوم : [من الطويل]

أحبّ إلينا منك دَلاًّ ومـا يَرى ... له عند فِعْلي من ثَوابٍ ولا أَجْرِ

فطَرِب وقال : أحسنْتَ واللهِ يا عبدَ الله ، أما واللهِ لو رآكَ النّاسُ كُلُّهم كما أراكَ لَما ذكَروا مُغنّياً سِواك أبداً .

[ثناء ابن الزيات عليه]

نسختُ من كتاب لأبي العَبَّاس بنِ ثَوابة بخَطِّه : حدَّثني أحمدُ بنُ إسماعيل بن حاتِم قال : قال لي عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ : دخلتُ على المُعتصم أُودِّعه وأنا أُريد الحجَّ ، فقبَّلْت يدَه وودَّعْتُه . فقال : يا عبدَ الله إنّ فيك لخِصالاً تُعجِبُني كثَّر اللهُ في مواليَّ مِثْلَك . فقبَّلتُ رجلَه والأرضَ بين يديه ، وأحسنَ محمدُ بنُ عبد المَلِك الزيَّات محضري وقال له : إنّ له يا أميرَ المؤمنين ، أدباً حَسَناً وشِعْراً جيِّداً . فلمّا خرجْتُ قلتُ له : أيُّها الوزير ، ما شِعْري أنا في الشعر تَسْتَحسِنه وتُشيد بذكره بين يدَي الخليفة ؛ فقال : دَعنا منك ، تنتفي من الشِّعر وأنتَ الذي تقول : [من المجتث]

يـا شادِنـاً مَـرَّ إذ را ... مَ في السَّعانـين قَتْـلي

يَقولُ لي : كيف أصبحْـ ... ـتَ ، كيف يُصبح مِثْلي !

أحسنْتَ واللهِ في هذا ، ولو لَم تَقُل غيرَ هذا لكنتَ شاعِراً[1] .

[سوار يطلب منه لحناً]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : قال أبي : قال عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ : لَقِيَني سَوّارُ بنُ عبدِ الله القاضي ، وهو سوّار الأصغر ، فأصغى إليَّ وقال : إنَّ لي إليـك حاجـةً فأتِني في خَفْيٍ . فجئتُه ، فقال : لي إليك حاجة قد أَنِستُ بك فيها ، لأنّكَ لي كالوَلَد ، فإن شرطتَ لي كِتمانَها أفضَيْتُ بها إليك . فقلتُ : ذلك للقاضي عليَّ شرطٌ واجبٌ . فقال : إنِّي قلتُ أبياتاً في جارية لي أميلُ إليها وقد قَلَتْني وهجَرَتْني : وأحبَبْتُ أن تَصْنَـعَ فيهـا لحناً وتسْمِعِنيه ، وإن أظهَرتَه وغنَّيْتَه بعد ألاّ يعلَم أحدٌ أنّه شِعري ، فلستُ أُبالـي ، أتفعَل ذلك ؟ قلتُ : نعم حُبّاً وكرامة ، فأنشدَني : [من الطويل]

1 قارن بما تقدم .

صوت

سَلَبْتِ عِظامي لحمَها فتركتِها ... عَواريَ في أَجْلادِها تتكَسَّرُ[1]
وأخلَيتِ منها مُخَّها فكأنّها ... أنابيبُ في أجوافِها الرِّيح تصفِرُ
إذا سَمِعتْ باسْم الفِراق ترعَّدَت ... مفاصِلُها من هَوْلِ ما تتحذَّرُ
خُذِي بيَدي ثم اكْشفي الثوبَ فانظُري ... بِلى جَسَدي لكِنَّني أتَستَّرُ
وليس الذي يَجْري من العينِ ماؤُها ... ولكِنّها رُوحٌ تَذُوبُ فتَقْطُرُ

اللحن الذي صَنَعه عبدُ الله بنُ العبَّاس في هذا الشعر ثقيل أوّل ، قال عبدُ الله : فصَنَعتُ فيه لَحْناً ، ثم عرّفتُه خبرَه في رُقْعة كَتَبتُها إليه ، وسألتُه وَعْداً يَعِدني به للمصير إليه . فكتب إليَّ : نظرتُ في القِصَّة فوجدتُ هذا لا يصلُح ولا ينكتم عليّ حُضورُك وسَماعي إيّاك ، وأسألُ الله أن يسُرَّك ويُبقيك . فغنَّيت الصوتَ وظَهَر حتى تَغنَّى به الناسُ ، فلَقِيَني سَوَّار يوماً فقال لي : يا ابن أخي ، قد شاع أمرُك في ذلك الباب حتى سَمِعْناه من بُعْد كأنَّا لم نعرف القصَّة فيه ، وجعلْنا جميعاً نضحك .

[لحن في شفاء خادم]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : كان بِشْرٌ خادِمُ صالح بن عُجَيف عليلاً ثم بَرِئ . فدخل إلى عبدِ اللهِ بن العبَّاس ، فلمّا رآه قام فتلَقّاه وأجلسه إلى جانبه ، وشَرِب سُروراً بعافِيَته ، وصنع لحناً من الثقيل الأوّل هو من جيِّد صَنْعتِه : [من البسيط]

صوت

مَوْلاي ليس لِعَيْشٍ لستَ حاضِرَه ... قَدْرٌ ولا قِيمَةٌ عندي ولا ثَمَنُ
ولا فَقَدتُ من الدُّنيا ولذَّتِها ... شَيئاً إذا كان عندي وَجهُكَ الحَسَنُ

[غنّى الواثق بعد شفائه فأجازه]

حدَّثني محمدُ بن مَزْيد بن أبي الأزْهر قال : حدَّثنا حمَّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ قال : جَمَعَنا الواثِقُ يوماً بعَقِب عِلّة غليظة كان فيها ، فعُوفي وصَحَّ جِسمُه ، فدخلتُ إليه مع المغنِّين وعُودي في يَدِي ، فلمّا وقَعَتْ عيني عليه من بعِيد ، وصِرْتُ بحيث يَسْمَع صوتي ، ضربتُ وغنَّيتُ في شِعرٍ قلتُه في طريقي إليه ، وصنَعتُ فيه لحناً وهو : [من الكامل]

1 الأجلاد : جمع جلد ، وهو الجسم والأعضاء . انظر اختلاف الروايات وتخريجها في ديوان مجنون ليلى (فراج) : 134 .

صوت

اسلَـمْ وعَمَّـرَكَ الإلـهُ لأُمَّةٍ بِكَ أُصْبِحَت قَهَرَتْ ذَوي الإلحادِ
لـو تَسْتَطِيعُ وَقْتـكَ كُلَّ أَذِيَّـةٍ بـالنَّفْسِ والأَمْـوالِ والأَولادِ

فضَحِكَ وسُرَّ وقال : أُحسَنْتَ يا عبدَ الله وسَرَرْتَني ، وتيمّنتُ بابْتِدائِكَ ، ادْنُ منّي . فدَنَوْتُ منْه حتى كنتُ أقربَ المغنّين إليه ، ثم استعادني الصوتَ ، فأعدْتُه ثلاثَ مرّات ، وشَرِب عليه ثلاثةَ أقداح ، وأمَر لي بعشرة آلاف دِرْهم وخِلعة من ثيابه .

[وداع مفاجىء]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد الكِنْديّ قال : كان عبدُ الله بنُ العبَّاس بنِ الفَضْلِ بن الرَّبيع يَهْوى جارِيةً نَصرانيّة ، فجاءَته يوماً تُودِّعُه ، فأَعلَمَتْه أَنَّ أباها يُريدُ الانحدار إلى بغداد والمُضيّ بها معه ، فقال في ذلك وغنّى فيه : [من مجزوء الرجز]

صوت

أَفدي التي قُلتُ لهـا والبَينُ منّا قـد دَنا :
فَقدُكِ قد أُنحلَ جِسْمِـ ـي وأَذابَ البَدَنـا
قالت : فمـاذا حِيلَتي كذاك قـد ذبـتُ أَنا
باليأس بعـدي فاقتنع قلت : إذاً قَـلَّ الغَنا

[علي بن عيسى يؤجّل الصوم للشرب]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ عيسى بن جعفر الهاشميّ ، قال : دخَلَ عليَّ عبدُ الله بنُ العبَّاس في يوم النِّصف من شَعبان ، وهو يوم سَبْت ، وقد عزمْت على الصَّوم ، فأخذ بعِضادَتي باب مجلسي ، ثم قال : يا أميري : [من المنسرح]

تُصْبِـحُ في السّبتِ غَيْرَ نشوانِ وقد مَضى عنك نِصفُ شعبانِ !

فقلت : قد عَزَمتُ على الصوم ، فقال : أَفَعَلَيك وزرٌ إن أُفطرتَ اليوم ، لمكاني وسررتني بمساعدتك لي ، وصُمتَ غداً ، وتصدَّقتَ مكانَ إفطارِك ؟ فقلت : أفعل ، فدعَوتُ بالطَّعام فأكَلتُ ، وبالنبيذ فشَرِبْنا ، وأصبح من غد عندي ، فاصْطَبَح وساعدتُه ، فلمّا كان اليوم الثالث انتَبهتُ سَحَراً وقد قال هذا الشعرَ وغنّى فيه : [من المجتث]

شعبـانُ لم يبـقَ منـه إلاّ ثَـلاثٌ وعَشْرُ
فباكِـر الرّاحَ صِرْفـاً لا يَسْبِقَنّـكَ فَجْـرُ

فـإن يَفتُـكَ اصْطِباحٌ فـــلا يفوتَنْــك سُكْرُ
ولا تُنـــادِمِ فتًــى وقـــ ـــتُ شُربه الدَّهْرَ عَصرُ

قال : فأطرَبَني واصطَبَحت معه في اليوم الثّالث ، فلمّا كان في آخر النَّهار سَكِر ، وانصرف ، وما شَرِبنا يومَنا كُلَّه إلاّ على هذا الصَّوت .

[طلب من المتوكّل الشرب في آخر شعبان]

حدَّثَني عمِّي قال : حدَّثني ابن دِهْقانة النديم قال : دخَلَ عبدُ الله بن العبّاس إلى المُتوكّل في آخرِ شعبان فأنشدَه : [من الخفيف]

عَلِّـــلاني نَعِمْتُمـــا بمُـــدامِ واسْقِياني من قَبْلِ شَهْر الصِّيامِ
حـــرَّم اللهُ في الصِّيامِ التَّصابي فترَكنـــاه طاعــــةً للإمـــامِ
أظهرَ العَدْلَ فاستَنارَ بــه الدِّيـ ـــنُ وأَحيـــا شرائِعَ الإسلامِ

فأمَر المتوكّل بالطَّعام فأُحضِر ، وبالنَّديم وبالجَلساء فأُتي بذلك ، فاصطَبَح وغنَّاه عبدُ الله في هذه الأبيات ، فأمَرَ له بعشرة آلافِ دِرْهم .

[يحتال لإسقاط الربا]

أخبرني الحَسَن بن عليّ قال : حدَّثنا يَزِيد بنُ محمد المُهلَّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس قال : كُنتُ مُقيماً بسُرّ مَنْ رأى وقد رَكِبَني دَيْن ثقيل أكثرُه عِينَـةٌ[1] ورباً ، فقلتُ في المتوكّل : [من المديد]

اسقِيـاني سَحَـــراً بالكُبَّرهْ مـا قَضى اللهُ فَفيه الخِيَرَهْ[2]
أكـرمَ اللهُ الإمامَ المرتَضى وأطـالَ اللهُ فينـا عُمُـرَهْ
إن أكُن أُقْعِدْتُ عنه هكذا قـــدَّرَ اللهُ رَضينـا قَــدَرَهْ
سرَّه اللهُ وأبقــــاه لنـــا ألفَ عــام وكَفانا الفَجَرَهْ

وبعثتُ بالأبيات إليه ، وكنتُ مُسْتَتراً من الغُرَماء . فقال لعُبيد الله بن يحيى : وَقِّع إليه : مَنْ هؤلاء الفجَرَة الذين استكفيتَ اللهَ شَرَّهم ؟ فقلتُ : المعيِّنون الذين قد رَكِبَني لهم أكثر ممّا أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا . فأمر عُبَيد الله أن يقضيَ دَيْني ، وأن يَحْتَسِب لهم رؤوسَ أموالهم ، ويُسقِط الفَضْل ، ويُنادي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يَقضي أحدٌ أحداً إلاّ رأسَ ماله . وسَقَطَ عنِّي وعن النَّاس من الأرباح زُهاءَ مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببَها .

1 العِينة : بيع الشيء لأجل بزيادة على ثمنه انتظاراً للثمن ، للخلاص من الربا .
2 الكبرة : الكبير جداً .

[عتب على عدم العيادة]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد الكِنْديّ قال : حدَّثني أَبي قال : مَرِض عبدُ الله بن العبّاس بسُرّ مَن رأى في قَدْمةٍ قَدِمها إليها ، فتأخَّر عنه مَنْ كان يَثِق به ، فكتب إليهم : [من الطويل]

ألا قُــلْ لِمَـــن بالجانِبَيْن بأنَّنــي مــريضٌ عــَداني عن زِيارَتهم ما بِي
فَلَـو بهــمُ بعضُ الذي بــي لزُرتُهمْ وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمي وأوصابي
وإن أَقشَعتْ عنّــي سَحابَــةُ عِلَّتــي تَطاوَلَ عَتْبــي أن تأخَّـــر إعتابي

قال : فما بَقِي أحدٌ من إخوانه إلاّ جاءه عائداً مُعتَذِراً .

[غناء عند علويه]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أَبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بنُ محمد بن موسى قال : سمِعتُ عبدَ الله بنَ العبّاس يُغنّي ونحن مُجتمعون عند علُّويَه بشِعْر في النّصرانيّة التي كان يَهْواها والصَّنعة له : [من الرمل]

صوت

إنَّ في القَلْبِ من الظَّبْي كُلــومْ فــدَعِ اللّومَ فإنّ اللَّــوْمَ لُــومْ
حبَّــذا يــومُ السَّعانين ومــا نِلْتُ فيــه مــن نَعيمٍ لو يَدُومْ
إن يَكُن أُعظمتَ أَنْ هِمْتُ به فالذي تَرْكَب من عَذْلي عَظِيمْ
لم أكُن أوَّلَ مَــنْ سَنَّ الهَوى فدَعِ اللَّــومَ فــذا داءٌ قدِيمْ

الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى .

[يعلّم وصيفته الغناء]

حدَّثني أَبو بكر الرَّبيعيّ قال : حدَّثْتني عمَّتي ، وكانت رُبِّيت في دار عمّها عبد الله بن العبّاس ، قالت : كان عبدُ الله لا يفارق الصَّبوحَ أبداً إلاّ في يوم جُمُعة ، أو شهر رمضان ، وإذا حَجَّ . وكانت له وَصيفَة يقال لها : هَيْلانة قد ربَّاها وعلَّمها الغناء ، فأذْكرُه يوماً وقد اصطَبَح ، وأنا في حجره جالِسة والقدح في يدِهِ اليُمْنى ، وهو يُلقي على الصَّبيّة صوتاً أوّله : [من مجزوء الرمل]

صدعَ البيـنُ الفُؤادا إذ به الصائحُ نادَى

فهو يردِّدُه ويومىءُ بجميع أعضائه إليها يُفهِمها نَغَمه ، ويُوقِّعه بيده على كتفي مرّة وعلى فَخِذي أُخرى ، وهو لا يدري حتى أوجعَني . فبكَيت وقلتُ : قد أوجعَتْني مِمّا تضرِبُني وهَيلانة لا تأخذُ الصوت وتضربني أنا . فضَحِك حتى استلقى واستَمْلح قولي ، فوهب لي

ثوبَ قَصَب أُصفر ، وثلاثةَ دنانير جُدُداً . فما أَنسى فَرَحي بذلك وقِيامي به إلى أُمِّي ، وأنا أعدو إليها وأُضحَك فَرَحاً به .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

صـدَعَ البَيْـنُ الفُؤادا إذ بـه الصائِحُ نـادى
بيْنمـا الأحبابُ مَجْمو عون إذ صاروا فُرادى
فأتـى بعـضٌ بِـلاداً وأتـى بعـضٌ بِـلادا
كُلَّما قُلْـتُ : تَناهـى حَدَثـانُ الدَّهـر عادا

الشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو .

صوت[1]

[من الكامل]

حضر الرحيل وشُدَّت الأَحداجُ وغـدا بهـنّ مُشمِّـرٌ مِزعاجُ[2]
للشوق نيـرانٌ قَدَحْـنَ بقلبِـه حتى استمرَّ بـه الهَوى المِلجاجُ
أَزعِجْ هواكَ إلى الذيـن تحبُّهمْ إنّ المحـبَّ يسوقُـه الإزعاجُ
لم يُدنِينَّـك للحبيـب ووصلِـه إلاّ السُّرى والبـازلُ الهَجْهاجُ[3]

الشعر لسَلْم الخاسر ، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى .

1 شعراء عباسيون (غرونبام) : 95-96 .
2 الأحداج : جمع حدج ، وهو مركب للنساء كالهودج .
3 الهجهاج : الشديد الهدير .

[408] ـ أخبار سلم الخاسر ونسبه[1]

[نسبه]

سَلْمُ بنُ عمرٍو مولى بني تَيْمِ بنِ مرّة ، ثم مولى أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه . بصريّ ، شاعرٌ مطبوعٌ متصرّفٌ في فنون الشّعر ، من شعراء الدولة العباسيّة .

وهو راوية بشارِ بنِ بُرْد وتلميذُه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونَمَطه قال الشعر .

[تلقيبه بالخاسر]

ولُقّب سلمٌ بالخاسرِ ، فيما يقال ، لأنّه ورِث من أبيه مُصْحَفاً ، فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً . وقيل : بل خلّف له أبوه مالاً ، فأنفقه على الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنّك لخاسرُ الصفقة ، فلقّب بذلك .

[انقطاعه إلى البرامكة]

وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ ، ولأبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنّين ، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية ، وكان سلمٌ منقطعاً إلى البرامكة ، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم . وفيه يقول أبو العتاهية[2] : [من الرمل]

إنّمـــا الفضل لِسَلْمٍ وحـــدَه ليس فيــه لسوى سَلْمٍ دَرَكْ[3]

وكان هذا أحدَ الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حجّ مع عُتبة[4] : [من المنسرح]

واللهِ واللهِ مــا أُبــالي متـــى ما متُّ يـا سَلْمُ بَعْدَ ذا السفرِ
أَليس قد طُفْتُ حيث طافت وقَبّـ ــلتُ الذي قبلَتْ مـن الحجرِ

1 ترجمة سلم الخاسر في معجم الأدباء (عباس) : 1382–1384 ووفيات الأعيان 2 : 350–352 (سالم الخاسر) وطبقات ابن المعتز : 99–105 . وقد جمع غرونبام شعره في «شعراء عباسيون» ترجمة د . محمد يوسف نجم (بيروت ـ 1959) .

2 ديوان أبي العتاهية : 596 .

3 درك : الإدراك واللحاق .

4 ديوان أبي العتاهية : 549 .

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليُّ[1] : [من الخفيف]

سَلْمُ يـا سلمُ ليس دونك سِرٌّ ... حُبس الموصـليٌّ فالعيش مُـرُّ
ما استطاب اللذاتِ مذ سَكَن المُطْـ ... ـبِقَ رأسُ اللـذاتِ واللهِ حُرُّ[2]
تَـرَك الموصليُّ مَـن خَلَق اللـ ... ـهُ جميعـاً وعيشهم مُقْشعِرُّ

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليُّ بن الحسن الواسطيُّ ، قال : حدَّثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر . قال : لمّا مات عمرٌو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثَه ، فوقع في قِسْط سَلْم مصحفٌ ، فردَّه وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه ، فلُقِّب الخاسرَ بذلك .

[سلم الرابح]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : ورِث سلمُ الخاسِر أباه مائةَ ألف درهم ، فأنفقها على الأدب ، وبقي لا شيءَ عنده ، فلقبه الجيران ومَن يعرفه بسلم الخاسر ، وقالوا : أنفق مالَه على ما لا ينفعه . ثم مدح المهديّ ، أو الرشيد ، وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقِّب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : كذِّب بهذا المال جيرانَك ، فجاءهم بها ، وقال لهم : هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سَلْم الرَّابح ، لا سَلْم الخاسر .

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمار ، قال حدَّثني عليّ بن محمد بن النوفليّ ، عن أبيه ، قال : إنّما لُقِّب سَلْم الخاسر لأنّه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه ، واشترى بثمنه طُنبوراً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفضل ، قال : قال لي الجَمّاز : سلم الخاسر خالي لَحّاً[3] ، فسألته : لم لقب الخاسر ؟ فضحك ، ثم قال : إنّه قد كان نَسَك مدّة يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه ، وباع مصحفاً له وَرِثه عن أبيه ، وكان لجدّه قبله ، واشترى بثمنه طُنْبوراً . فشاع خبره وافتَضَح ، فكان يقال له : ويلك ! هل فعل أحد ما فعلتَ ؟ فقال : لَمْ أجِد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا .

[غضب عليه بشار]

أخبرني عمِّي ، قال : أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أحمد بن صالح المؤدّب ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، قال : حدَّثني أبي ، عن أحمد بن صالح قال ، قال

---

1 ديوان أبي العتاهية : 535 .
2 الديوان : رأس اللذات في الناس حر .
3 لحا : ملاصقاً .

بشّارُ بن برد[1] : [من البسيط]

صوت

لا خَيْرَ في العيشِ إن دُمنا كذا أبداً لا نلتقي وسبيلُ المُلْتَقى نَهَجُ[2]
قالـوا حَـرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ ما في التَّلاقي ولا في غيرِه حرَجُ
مَنْ راقَبَ النّاسَ لم يظفَرْ بحاجتِه وفـاز بالطَّيّباتِ الفاتـكُ اللهِجُ[3]

قـال : فقـال سلم الخاسر أبياتـاً ، ثـم أخـذ معنى هذا البيت ، فسلخه ، وجعله في قوله[4] : [من مخلع البسيط]

مَن راقب الناسَ مـاتَ غَـمّـاً وفـــاز باللــــذة الجَسورُ

فبلغ بيتُه بشاراً ، فغضب واستَشاط ، وحلف ألاّ يدخلَ إليه ، ولا يفيدَه ولا ينفَعه ما دام حيّاً . فاستشفَع إليه بكلِّ صديق له ، وكلِّ مَن يَثقُل عليه ردُّه ، فكلّموه فيه ، فقال : أدخلوه إليّ ، فأدخلوه إليه فاستدناه ، ثم قال : إيه يا سلم ، مَن الذي يقول : [من البسيط]

مَـن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه وفاز بالطَّيّباتِ الفاتكُ اللهِجُ

قال : أنت يا أبا معاذ ، قد جعلني اللهُ فداءكَ ! قال : فمن الذي يقول : [من مخلع البسيط]

مَن راقبَ الناسَ مـاتَ غَـمّـاً وفـــازَ باللـــذةِ الجسورُ

قال : تلميذك ، وخرِّيجك ، وعبدك يا أبا معاذ . فاجتذبه إليه ، وقنّعه[5] بمِخْصَرة كانت في يده ثلاثاً ، وهو يقول : لا أعود يا أبا مُعاذ إلى ما تُنْكره ، ولا آتي شيئاً تذُمّه ، إنّما أنا عبدك ، وتلميذك ، وصَنيعَتك ، وهو يقول له : يا فاسق ! أتجيء إلى معنًى قد سَهِرَت له عيني ، وتعِب فيه فِكري ، وسَبقتُ الناسَ إليه ، فتسرِقَه ، ثم تختصرَه لفظاً تُقرّبه به ، لِتُزْرِيَ عليّ ، وتُذهب بيتي ؟ وهو يحلف له ألاّ يعود ، والجماعة يسألونه . فبَعد لأْي وجهد ما شفَّعهم فيه ، وكفَّ عن ضربه ، ثم رجع له ، ورضي عنه .

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور ، قال : حدَّثني عبدُ الوهاب بنُ مرّار ، قال : حدَّثني أبو معاذ النُّميريّ راوية بشّار ، قال :

1 ديوان بشار : 167 .
2 نهْج : واضح ، وحركها للوزن .
3 اللهج : المولع .
4 شعراء عباسيون : 104 .
5 قنعه : غشاه .

قد كان بشّار قال قصيدة فيها هذا البيت : [من البسيط]

مَن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه وفـاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللهجُ

قال : فقلت له يا أبا مُعاذَ قد قال سلم الخاسر بيتاً ، هو أحسنُ وأخفّ على الألسن من بيتك هذا ، قال : وما هو . فقلت : [من مخلع البسيط]

مَـن راقب الناسَ مـات غَمّاً وفـــاز باللـــذّة الجسورُ

فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله لَوَدِدت أنّه ينتمي في غيرِ ولاء أبي بكر ، رضي الله عنه ، وأنّي مُغرَم ألف دينار محبّة منّي لِهَتْك عرضِه وأعراض مواليه ! قال : فقلت له : ما أخرجَ هذا القولَ منك إلاّ غمّ . قال : أجل ، فوالله لا طَعِمت اليوم طعاماً ، ولا صُمْت .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق بنِ محمد النَّخَعيّ ، قال : قال أبو معاذ النميريّ : قال بشّار قصيدة ، وقال فيها : [من البسيط]

مَن راقبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِهِ وفاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللهجُ

فعرّفته أنّ سلماً قد قال : [من مخلع البسيط]

مَـن راقب الناسَ مـات غَمّاً وفـــازَ باللـــذةِ الجسورُ

فلمّا سمع بشار هذا البيت قال : سار والله بيتُ سلم ، وخَمَل بيتُنا ! قال : وكان كذلك ، لَهِج الناسُ بِبَيت سلم ، ولم يُنشِد بيتَ بشارٍ أحدٌ .

[قوله في قصر صالح بن المنصور]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : لمّا بَنى صالح بن المنصور قصرَه بدِجْلة قال فيه سَلْم الخاسر[1] : [من السريع]

يـا صالحَ الجودِ الذي مَجدُه أفْسَدَ مجـدَ النـاسِ بالجودِ
بَنَيـتَ قصراً مشْرفـاً عالِيـاً بطائـــرَيْ سعـــدٍ ومسعودِ
كأنّمـــا يَرفـــعُ بنيانَـــه جِـــنُّ سليمـــانَ بـــنِ داودِ
لا زلتَ مسروراً بـــه سالمـاً على اختـلاف البيضِ والسودِ

يعني الأيّام والليالي ، فأمر له صالح بألف درهم .

1 شعراء عباسيون : 97–98 .

[ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشّار وأُخرى له]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني بعض آل ولد حمدونَ بن إسماعيل ، وكان ينادم المتوكّل ، عن أبيه ، قال : كان سلم الخاسر من غِلمان بشار ، فلمّا قال بشّار قصيدته الميميّة في عُمر بن العلاء ، وهي التي يقول فيها[1] : [من المتقارب]

إذا نَبَّهتْك صعابُ الأُمورِ ... فنبّه لها عُمراً ثم نَمْ
فَتًى لا يبيت على دِمْنَةٍ ... ولا يَشرب الماءَ إلاّ بِدَمْ[2]

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء ، فوافاه فأَنشده إيّاها ، فأَمر لبشّار بمائة ألف درهم . فقال له سلم : إنَّ خادمك ، يعني نفسه ، قد قال في طريقه فيك قصيدة ، قال : فإنّك لَهُناك ؟ قال : تسمع ، ثم تَحْكُمُ ، ثم قال : هاتِ ، فأَنشدَه[3] : [من السريع]

صوت

قد عزّني الدّاءُ فما لي دَواءْ ... مِمّا أُلاقي مِن حِسانِ النساءْ
قَلْبٌ صحيحٌ كنت أَسطو به ... أَصبحَ مِن سَلْمى بِداءٍ عَياءْ
أَنفاسها مِسك وفي طَرْفِها ... سِحر وما لي غيرها من دواءْ
وَعَدْتِني وَعْداً فأَوفى به ... هل تَصْلُح الخمرة إلاّ بماءْ

ويقول فيها :

كم كُرْبَةٍ قد مَسَّني ضُرُّها ... نادَيتُ فيها عُمَر بن العلاءْ

قال : فأَمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوَّلَ عطيّة سنيّة وصلت إليه .

[صداقته مع عاصم بن عتبة]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : وجَدْت في كتاب بخطّ الفضل بن مروان : وكان عاصم بن عتبة الغسّانيّ جدُّ أَبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر ، كثيرَ البِرّ به ، والملاطفة له ، وفيه يقول سَلْم[4] : [من مشطور الرجز]

1 ديوان بشار : 413 .
2 الدمنة : من معانيها الحقد القديم .
3 شعراء عباسيون : 92 .
4 شعراء عباسيون : 119–120 .

الجُود في قحطانِ ... مـا بَقِيتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبـالي ... مـا فَعَل الإخوانُ
مـا ضَرَّ مُرْتَجيـه ... مـا فعـل الزمانُ
مَن غاله مَخُوفٌ ... فعاصـمٌ أمـانُ

[يعطي ماله لعاصم]

وكان سبعين بيتاً، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مَبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خَمسمائة ألفِ درهم، فلمّا حضرَتْه الوفاة دعا عاصماً فقال له: إنّي ميِّت، ولا ورثةَ لي، وإنّ مالي مأخوذ، فأنتَ أحَقّ به، فدفع إليه خمسمائة ألفِ درهم، ولم يكن لسلم وارث. قال: وكان عاصم هذا جواداً.

أخبرني محمد بن خلف وَكيع، قال: حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد، قال: حدَّثني محمد بن طَهمان، قال: أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزْيد، أنّ يزيدَ بنَ مزيد قال: ما حسَدْتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلاّ عاصمٌ بن عُتْبة الغسّانيّ، فإنّي حسدته على قول سلم الخاسر فيه: [من مشطور الرجز]

لِعاصـمٍ سَمـاءٌ ... عارضُهـا تَهتـانُ
أَمطارُهـا اللجينُ ... والـدرّ والعِقيـانُ
ونـارُه تنـادي ... إذْ خبَـتْ النِّيرانُ
الجـودُ في قحطان ... مـا بقيـتَ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبـالي ... مـا فعـل الإخوانُ
صَلْتٌ لـه المعـالي ... والسيـفُ والسنانُ

[يقدم أبا العتاهية على بشار]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال: حدَّثنا يعقوبُ بن نُعيْم عن محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه، وأخبرني به الحسن بن علي، عن ابن مَهْرُوَيْه، عن الغَريبي، عن محمد بن عمر الجرجانيّ، قال: كان سلم تلميذَ بشّار، إلاّ أنّه كان تباعدَ ما بينهما، فكان سلم يُقدِّم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعرُ الجنّ والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً[1]: [من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية: 296-297.

تعـالى اللهُ يا سلمَ بـنَ عمرو أذلَّ الحـرصُ أعنـاقَ الرجالِ
هَب الدُّنيا تصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيـرُ ذاك إلى زوالِ

قال : وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه ، وقال : لعمري إنّ الحرص لَمَفْسَدَة لأمر الدِّين والدُّنيا ، وما فَتَّشت عن حريص قطّ مُغَيَّبه إلاّ انكشف لي عمّا أذُمّه . وبلغ ذلك سلماً ، فغضب على أبي العتاهية ، وقال وَيْلي على الجَرّار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق ! زعم أنّي حريص ، وقد كَنَز البُدور وهو يطلب وأنا في ثَوبيّ هذين ، لا أملك غيرهما . وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك .

[رده على أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال أخبرني محمد بن إسماعيـل السَّدُوسيّ ، قـال : حدَّثنـي جعفر العاصميّ ، وأخبرني عمِّي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن القاسم بن الحسن ، عن زكريّا بن يحيى المدائنيّ ، عن عليّ بن المبارك القُضاعيّ ، عن سلم الخاسر : أنّ أبا العتاهية لمّا قال هذا الشعر فيه كتب إليه[1] : [من السريع]

مـا أقبحَ التزهيدَ مِـنْ واعظٍ يُزَهِّـدُ النـاسَ ولا يَزْهَـدُ
لـو كان في تزهيدِه صادقاً أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ
ورَفَضَ الدُّنيـا ولم يَلْقَهـا ولم يكُـن يسعى ويسْتَرفِدُ
يخـاف أن تنفـدَ أرزاقُـه والرزقُ عنـدَ اللهِ لا ينفَـدُ
الرِّزقُ مقسوم على مَنْ تَرى ينالُـــه الأبيض والأسودُ
كُلٌّ يُوفَّـى رزقَـه كامـلاً مَنْ كفَّ عن جهد ومَن يَجْهَدُ

أخبرني الحسن بن عليّ ، قـال : حدَّثنـا ابن مهرويه ، قـال : حدَّثني أبو العسكر المِسْمعيّ ، وهو محمد بن سليمان ، قال : حدَّثني العبّاس بن عبد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مسمع ، قال : كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذٍ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد ؛ فقال لي : قُثَمُ : يا عبّاس ، اطلب لي الجَمّاز الساعة حيث كان فجئني بـه ، ولـك سَبَق[2] ، فطلبته ؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجبْ الأميرَ . فقام معي حتى أتى قثمَ ، فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه ، وأنشد قولَ سلم الخاسر

1 شعراء عباسيون : 97 .
2 سبق : ما يتراهن عليه المتسابقون .

فيه : [من البسيط]

ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ ... يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيدِه صادقاً ... أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ

وذكر الأبيات كلّها ، فقال أبو العتاهية : مَن هذا أعزّ الله الأمير ؟ قال : هذا الجماز ، وهو ابن أخت سلم الخاسر ، انتصر لخاله منك حيث قلت له : [من الوافر]

تعالى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرو ... أذلّ الحرصُ أعناق الرجالِ

قال : فقال أبو العتاهية للجمّاز : يا ابن أخي ، إنّي لم أذهب في شعري الأوّل حيث ذَهب خالُك ؛ ولا أردتُ أن أهتُف به ، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذَهَبْتَ من الحرص على الرزق ، واللهُ يغفر لكما . ثم قام فانصرف .

[صلاته من الرشيد والبرامكة]

أخبرني عمّي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبي هَفّان ، قال : وصَلَ إلى سلم الخاسر من آل بَرْمَكَ خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عِشرون ألف دينار ، ووصل إليه من الرشيد مثلُها .

[يطلب إلى أبي محمد اليزيديّ أن يهجوه فيفعل فيندم]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمّاي عبيدُ اللهِ والفضلُ ، عن أبيهما ، عن أبي محمد اليزيديّ : أنّه حضر مجلس عيسى بنَ عمر ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهْجُني عَلى رَوِيّ قصيدة امرىء القيس[1] : [من المديد]

رُبَّ رامٍ مِنْ بَني ثُعَلٍ ... مُتْلِجٍ كفيه في قُتَرِهْ[2]

قال : فقلت له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد . فقلت له : يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عمّا تستدعيه من الشرِّ فلْتَسَعْك العافية ؛ فقال : إنّك لتَحْتَجِز منّي نهاية الاحتجاز ، وأراد أن يوهم عيسى أنّي مُفْحَم عَيِيٌّ لا أقدر عَلى ذلك ، فقال لي عيسى : أسألك يا أبا محمد بِحَقّي عليك إلاّ فَعَلْت . فقلت : [من المديد]

رُبّ مغمومٍ بعافيةٍ ... غَمَط النعمةَ من أَشَرِهْ[3]

---

1 ديوان امرىء القيس : 102 .

2 مثلج : مدخل . والقتر : جمع قترة ، وهي حفيرة يكمن فيها الصائد .

3 في رواية : غمط النعماء .

وامرىءٍ طالَـت سلامتُه　　فرمـاه الدهرُ مـن غِيَرِهْ
بسهـامٍ غيـر مُشْوِيَّـةٍ　　نَقَضَت منـه قُوى مِرَرِه[1]
وكذاك الدهـر منقلِبٌ　　بالفتى حالـين من عُصُرِهْ
يَخْلِـط العُسْرَ بمَيْسَرةٍ　　ويَسارُ المـرء في عُسُرِهْ
عَـقَّ سلمٌ أُمَّـه صِغَـرا　　وأَبـا سَلْـم على كِبَرِهْ
كلَّ يـومٍ خلفَـه رجُل　　رامـحٌ يسعى عَلى أثَرِهْ
يُولِـج الغُرْمـولَ سَبَّتَه　　كوُلوجِ الضَّبِّ في جُحُرِهْ

قال : فاغتمّ سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشرّ . فضحك عيسى ، وقال له : قد جَهَد الرجل أن تَدَعه وصيانتَه ودينَه فأبيتَ إلاّ أن يُدْخِلك في حِرِ أُمك .

[يترفه ومروان يتخشن]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ ، قال : سمعت أبي يقول : كان المهديّ يعطي مروان وسلماً الخاسرَ عطيّة واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهديّ على البِرْذَوْن الفارِه ، قيمته عشرة آلاف درهم ، بِسَرْجٍ ولِجام مفضَّضين ، ولباسُه الخَزّ والوَشْي ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المِسكِ والطِّيب والغاليةِ تفوح منه ، ويجيء مروانُ بن أبي حفصة عليه فَرْوٌ كبلٌ وقميص كرابيس[2] وعمامة كرابيس وخفّا كَبْل وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة . وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَمَ إليه بُخْلاً ، فإذا قَرِم أرسل غلامه ، فاشترى له رأساً فأكله . فقال له قائل : أراك لا تأكل إلاّ الرأس ؛ قال : نعم ، أعرِف سعرَه ، فآمن خيانة الغلام ، ولا أشتري لحماً فيَطبخَه فيأكلَ منه . والرأس آكُلُ منه ألواناً : آكُلُ منه عينيه لوناً ، ومن غَلْصَمَتِهِ[3] لوناً ، ومن دماغه لوناً .

[بلي بالكيمياء]

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ ، قال : أخبرني أبي ، قال : كان سلم الخاسِر قد بُلي بالكيمياء فكان يذهب

1 أشوى : لم يصب مقتلاً . والمرر : جمع مرّة ، وهي طاقة الحبل .
2 فرو كبل : قصير . وكرابيس : جمع كرباس ، وهو ثوب من القطن أو الثوب الخشن .
3 الغلصمة : اللحم بين العنق والرأس أو رأس الحلقوم .

بِكُلِّ شيء له باطلاً . فلمّا أراد الله ، عزَّ وجلَّ ، أن يَصنع[1] له عُرِّف أنّ بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً ، وأنّه لا يصل إليه أحد إلاّ ليلاً ، فسأل عنه فدلّوه عليه .

قال : فدخلت إليه إلى موضع مُعْوِر[2] ، فدققت الباب فخرج إليّ ، فقال : مَن أنتَ عافاك الله ؟ فقلت : رجل معجَب بهذا العلم . قال : فلا تَشْهَرني ، فإنّي رجل مستور ، إنّما أعمل للقوت . قال ، قلت : إنّي لا أشهرك ، إنّما أقتبس منك ، قال : فاكتم ذلك . قال : وبين يديه كوزُ شَبَهٍ[3] صغيرٌ . فقال لي : اقلَعْ عُروتَه ، فقلعتها . فقال : اسبُكها في البُوطَقة ، فسبكتها ، فأخرجَ شيئاً من تحت مُصلاّه ، فقال : ذرّهُ عليه ، ففعلت . فقال : أفْرغه ، فأفرغتُه . فقال : دعه معك ، فإذا أصبحتَ فاخرُج ، فبعْه وعُدْ إليّ . فأخرجته إلى باب الشام ، فبعتُ المثقال بأحد وعشرين درهماً ، ورجعت إليه فأخبرته . فقال : اطلب الآن ما شئت . قلت : تفيدني . قال : بخمسمائة درهم على أن لا تعلِّمه أحداً ، فأعطيته . وكتب لي صفة ، فامتحنتُها ، فإذا هي باطلة . فعُدْت إليه ، فقيل لي : قد تحوّل ، وإذا عُروة الكوز المشَبَّه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شَبَه . ولذلك كان يُدْخل إليه مَن يَطلبه ليلاً ، ليخفي عليه ، فانصرفت ، وعلمت أنّ الله ، عزَّ وجلَّ ، أراد بي خيراً ، وأنّ هذا كلّه باطل .

[رثاء البانوكة بنت المهدي]

أخبرني محمد بنُ عمران الصيرفيّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك اليمانيّ ، قال : حدَّثني أبو كعب قال : لّما ماتت البانوكة بنت المهديّ رثاها سلم الخاسر بقوله[4] : [من السريع]

أُودى ببانوكــةَ ريبُ الزمانْ مُونِسةِ المهــديِّ والخيزُرانْ
لم تَنْطـو الأَرض على مِثلِهــا مولودةً حَــنَّ لهــا الوالدانْ
بانوكُ يــا بنتَ إمــام الهُدى أُصبحْت من زينة أَهلِ الجِنانْ
بَكتْ لــك الأَرضُ وسُكّانُها في كلِّ أُفْق بين إنسٍ وجانْ

[هجاؤه والبة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو المستهِلّ الأسديّ ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة ، قال : كان سلم الخاسر

1 يصنع له : يؤتيه الخير .
2 معور : لا يؤمن الشر فيه .
3 الشبه : النحاس الأصفر .
4 شعراء عبّاسيّون : 116 .

يهاجي والِبَة بن الحباب ، فأرسلني إليه سلم وقال : قُل له[1] : [من المنسرح]

يا والبَ بنَ الحُبابِ يا حَلَقي لَسْتَ من أهـلِ الزناء فانطلِقِ
تُدخـلُ فيــه الغُرمولَ تولجه مثلَ وُلوج المِفتـاحِ في الغَلقِ

قال : فأتيت والبة فقلت له ذلك ، فقال لي : قُل له : يا ابن الزانية ، سَلْ عنك ريعان التميميّ ، يعني أنّه ناكه ، قال : وكان رَيْعانُ لُوطيّاً آفةً من الآفات ، وكان علاّمةً ظريفاً .

قال : فحدَّثني جعفر بن قدامة عن محمد العِجْليّ ، عن أحمد بن معاوية الباهليّ ، قال : سمعت رَيعانَ يقول : نِكتُ الهيثم بنَ عديّ ، فمَن ترونه يُفلت منّي بعده ؟

[يعتذر لمدح بعض العلويين]

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قـال : حدَّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : كان سلم الخاسر مَدَح بعض العلويين ، فبلغ ذلك المهديَّ ، فتوعَّده وهمّ به ، فقال سلم فيه[2] : [من البسيط]

إنّــي أتتني عـــن المهديّ مَعْتَبَةٌ تكاد من خوفِها الأحشاء تضطربُ
اسمعْ فداكَ بَنُـو حـواء كلُّهـــمُ وقد يجور برأس الكاذب الكذبُ
فقــد حَلفتُ يمينــاً غيرَ كاذبـة يــوم المَغِيبة لم يُقطَعْ لها سببُ
ألاّ يحالِـفَ مدحـــي غَيرَكم أبداً ولو تَلاقـى عليّ الغَرْضُ والحَقَبُ[3]
ولو ملكتُ عِنـان الريح أصْرِفها في كلّ ناحيـةٍ مـا فاتها الطلبُ
مولاك مـولاك لا تُشمِت أعاديَه فما وراءَك لي ذِكْـرٌ ولا نسبُ

فعفا عنه .

[يحسن الرثاء دون المدح]

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا العَنَزِيّ ، قال : حدَّثني العبّاسُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ ، قال : حدَّثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمَعِيّ ، قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَر بنَ المثنى يقول : كان سَلْم الخاسر لا يحسن أن يَمْدَح ، ولكنّه كان يحسن أن يرثي ويسأل .

1 شعراء عباسيون : 108 .
2 شعراء عباسيون : 93–94 .
3 الغرض : كالحزام للرحل . والحقب : حزام يلي حقو البعير .

[يعد الرثاء قبل الوفاة]

أخبرني الحسنُ بن عليّ . قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ الحسن الشّيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو المُستَهِلّ ، قال : دخلتُ يوماً على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطِيسُ فيها أشعار يَرثي ببعضها أُمَّ جعفر ، وببعضها جاريةً غير مُسمّاة ، وببعضها أقواماً لم يموتوا ، وأُمُّ جعفر يومئذٍ باقية . فقلت له : ويحَكَ ! ما هذا ؟ فقال : تحدُث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يَجْمل بنا أن نقول غير الجيِّد ، فنُعِدّ لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً ، على أنّه قيل في الوقت .

[بيت أبي العتاهية يعجب المأمون]

أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بنُ الحسين ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بنُ بَكّار ، قال : قال عبد الله بنُ الحسن الكاتب : أنشد المأمون قول أبي العتاهية : [من الوافر]

تعـالى اللهُ يـا سلمَ بنَ عمرٍو … أذلَّ الحرصُ أعنـاقَ الرجـالِ

فقال المأمون : صدق لَعَمْرُ الله ، إنّ الحِرْص لَمفسَدَة للدِّين والمروءة ، والله ما رأيت من رجل قطّ حِرْصاً ولا شَرهاً ، فرأيت فيه مُصطَنعاً . فبلغ ذلك سلماً الخاسر ، فقال : ويلي على ابن الفاعلة بياع الخَزَف ، كَنَزَ البُدور بمِثْل ذلك الشعر المفكّكِ الغثّ ، ثم تزهَّد بعد أن استغنى ، وهو دائباً يهتف بي ، وينسبني إلى الحرص ، وأنا لا أملك إلاّ ثوبيّ هذين .

[يشتري نفسه من أبي الشمقمق]

أخبرني عمِّي والحسنُ بنُ عليّ ، قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال حدَّثنا زكريّا بنُ مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلماً الخاسر بأن يهبَ له شيئاً ، وقد خرجَتْ لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق يهجوه[1] : [من البسيط]

يـا أُمّ سَلم هـداكِ اللهُ زُورِينـا … كيما نَنِيكَكِ فَـرْداً أو تَنِيكينا

ما إن ذَكَرْتُكِ إلاّ هاج لي شَبَقٌ … ومثلُ ذِكْـراكِ أُمَّ السلم يُشْجِينا

قال : فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أُحبّ أن تُعْفِيَني من استزارتكِ أُمِّي وتأخذ هذه الدنانير فتُنْفِقها .

[شؤم يعقوب بن داود]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني يحيى بنُ الحسن بن

1 شعراء عباسيون : 150-151 .

عبد الخالق ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيعُ على المَهديِّ وأبو عبيد الله جالس يَعْرِض كتباً ، فقال له أبو عبيد الله : مُرْ هذا أن يتنحَّى ، يعني الربيع ، فقال له المهديّ : تَنَحَّ . فقال : لا أفعل . فقال : كأنّك تَراني بالعَينِ الأولى ! فقال : لا ، بل أراك بالعَينِ التي أنت بِها . قال : فلَمِ لا تتنحَّى إذا أمرتك ؟ فقال له : أنت رُكنُ الإسلام ، وقد قَتَلْتَ ابنَ هذا ، فلا آمَن أن يكون معه حَدِيدةٌ يَغتالُك بها . فقام المهديّ مذعوراً ، وأمر بتفتيشه ، فوجدوا بين جَوْرَبِه وخُفِّه سِكِّيناً ، فرُدَّت الأُمور كلُّها إلى الربيع ، وعُزِل أبو عبيد الله ، ووُلِّيَ يعقوبُ بنُ داود ، فقال سلم الخاسر فيه[1] : [من مجزوء الكامل]

يَعقُوبُ يَنظُر في الأمو رِ وأنت تَنظر ناحِيهْ
أدخلتَه فعلا عليـ ـكَ كذاك شؤم الناصيَهْ

قال : وكان بلغ المهديَّ من جهة الربيع أنّ ابن أبي عُبيد الله زِنْدِيقٌ ، فقال له المهديّ : هذا حَسَدٌ منك . فقال : افحص عن هذا ، فإنْ كنتُ مُبْطِلاً بلَغت منِّي الذي يَلزم مَن كذَبك . فأتى بابنِ عبيد الله ، فقرَّره تقريراً خفيّاً ، فأقرَّ بذلك ، فاستتابه ، فأبى أن يتوب ، فقال لأبيه : اقتله فقال : لا تطيب نفسي بذلك . فقَتله وصلَبه على بابِ أبي عبيد الله .

قال : وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمقِ الناسِ : وهَب له المهديُّ وَصيفةً ، ثم سأله بعد ذلك عنها ، فقال : ما وَضَعتُ بيني وبين الأرضِ حشيّةً قَطُّ أوْطأ مِنها حاشا السامع ، فقال المهديّ لأبيه ، أتُراه يعنيني ، أو يعنيك ، قال : بَل يَعْني أُمَّه الزانية ، لا يكني .

[يمدح الفضل لأخذه البيعة للمهدي]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني يحيى بن الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كنت أنا والربيع نَسِير قريباً مِن مَحْمِلِ المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدَّعَتْ ، وكأنّ رجلاً جاء بحَبل أسود فشدَّدها . فقال له الربيع : مَن الرجل ؟ فلم يُجبه ، حتى إذا اعتلَّ قال للربيع : أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة ! فأيَّ شيءٍ تعمل بعدي ؟ قال : ما كنت أعمل في حياتك . فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان ، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع[2] : [من البسيط]

يا ابن الذي جَبَر الإسلامَ يومَ وهي واستنقَذَ الناسَ مِن عَمْياءَ صَيْخودِ[3]

1 شعراء عباسيون : 120 .
2 شعراء عباسيون : 98 .
3 الصيخود : الصخرة الشديدة . ويعني هنا الفتنة الشديدة .

قالت قريشٌ غَداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ : أَيـن الربيـع وأَعطَـوْا بالمَقاليدِ
فقـام بالأَمـرِ مئناسٌ بوَحْدَتِـه ماضي العزيمةِ ضرّابُ القَماحيدِ[1]
إنّ الأُمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها حَلَّتْ يدُ الفَضْلِ مِنها كلَّ مَعقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضلَ قـد بَنَيـا رواقَ مجدٍ عـلى العبّاسِ ممدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

[حين عقدت البيعة للأمين]

أَخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا أَبو هِفّان ، قال : حدَّثني سعيد أَبو هُرَيم وأَبو دَعامة ، قالا : لّما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقَد البَيعةَ لابنه محمد الأمين[2] : [من الكامل]

قـد بايَعَ الثَّقلانِ في مَهْدِ الهُدى لمحمـد بـنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفرِ
ولَّيتَـه عَهْـدَ الأَنـامِ وأَمْرَهُمْ فدمَغْـتَ بالمعروفِ رأسَ المنكرِ

أَعطته زُبيدة مائة ألف درهم .

[خمسمائة ألف درهم لقصيدة]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن عمرو ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ عن يحيى بنِ الحسنِ بنِ عبد الخالق ، عن أبيه ، قال : قال سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها[3] : [من المتقارب]

لـه شِيمَةٌ عند بَذْلِ العَطا ءِ لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها
ومَهْـدِيٌّ أُمَّتِنـا والـذي حَماهـا وأُدرَكَ أُوتارَها

فأَمر له المهديّ بخمسمائة ألفِ درهم .

[طلب تقديمه في الجائزة على مروان]

أَخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن سليمان ، قال : حدَّثنا منصور بنُ أَبي مزاحمٍ قال : شَهِدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروانَ بنِ أبي حفصة بأربعين ألفَ درهم ، وفرضَ له على أهـل بيتِه وجلسائـه ثلاثـين ألف درهم . وأمر الرشيدُ بعد ذلك لّما وليَ الخلافةَ لسلم الخاسر ، وقد مدحه ، بسبعين أَلفَ درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ أكثر ما أُعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم ، فزِدْني وفضِّلني عليه ، ففعل ذلك ، وأعطاه تتمّة ثمانين

1 القماحيد : جمع القمحودة ، وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال . ويعني ضراب الرؤوس .
2 شعراء عباسيون : 100 .
3 شعراء عباسيون : 105 .

ألف درهم ، فقال سلم[1] : [من الطويل]

أَلا قُلْ لمروانٍ أَتَتْكَ رسالةٌ ... لها نَبأٌ لا يَنْثني عن لِقائكا
حَباني أميرُ المؤمنين بِنَفْحَةٍ ... مُشَهَّرَةٍ قد طأْطأَتْ من حِبائكا
ثمانينَ ألفاً حُزْتُ من صُلبِ ماله ... ولم يَكُ قَسْماً من أُولى وأُولائكا

فأجابه مروان فقال[2] : [من الطويل]

أَسَلْمَ بنَ عمرو قد تَعاطَيْتَ غايةً ... تُقَصِّرُ عنها بعدَ طُولِ عنائكا
فأُقسِمِ لولا ابنُ الربيع ورِفْدُه ... لما ابْتَلّت الدّلْو التي في رِشائكا
وما نِلْتَ مُذْ صُوِّرتَ إلاّ عطيّةً ... تَقُوم بها مَصرورةً في رِدائكا

[يهب تركته للرشيد]

حدَّثني وَسْواسة بن الموصليّ ، وهو محمد بنُ أحمدَ بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدَّثني حمّاد عن أبيه ، قال : استوهبَ أبي من الرشيدِ تَرِكَةَ سلم الخاسر ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قَبلَ أن يتسلَّمها صاحبُ المواريث ، فحصَّل منها خمسين ألف دينار .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني أبو هِفَّان ، عن سعيدِ بن هُرَيم وأبي دعامة أنّه رُفِع إلى الرشيد أنّ سلماً الخاسر قد توفّي ، وخلَّف مِمّا أخذه منه خاصة ومن زُبيْدَةَ ألفَ ألفٍ وخمسمائةِ ألفِ درهم سوى ما خلّفه من عَقار وغيره ممّا اعتقده[3] قديماً ، فقبضه الرشيد . وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، فقال : هذا خادمي ونَديمي ، والذي خلَّفه من مالي ، فأنا أحقُّ به ، فلم يعطهم إلاّ شيئاً يسيراً من قديم أملاكِه .

[يرثي ثلاثة معاً]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيلَ ، عن القَحْذَميّ ، قال : كان مالِكٌ وشهابٌ ابنا عبدِ الملك بنِ مِسْمع ومعنُ بنُ زائدة مُتَواخِين ، لا يكادون يفترقون . وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم ، ويُفْضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم ، فتُوفِّي مالكٌ ثم أخوه ثم معن في مدّة متقاربة ، فقال سلم يرثيهم[4] : [من الخفيف]

1 شعراء عباسيون : 109 .
2 ديوان مروان : 255 .
3 اعتقده : جمعه .
4 شعراء عباسيون : 119 .

عَيْنُ جُـودي بِعَبْرَةٍ تَهْتـانِ ... وانْدُبي مَن أَصابَ رَيْبُ الزمانِ
وإذا مـا بَكَيتِ قَومـاً كِراماً ... فَعَـلى مالـكٍ أَبـي غَسّانِ
أَينَ معنٌ أَبـو الوليدِ ومَن كا ... ن غِياثـاً لِلْهالِـكِ الحيرانِ
طَرَقتْك المنونُ لا واهيَ الحبـ ... ـلِ ولا عاقِداً بِحِلْف يمانِ
وشهابٌ وأَيـن مثلُ شهابٍ ... عند بَذْلِ النَّدى وحَرِّ الطِّعانِ
رُبَّ خِرْقٍ رُزِئْتُه منْ بَني قيـ ... ـس وخِرْقٍ رُزِئْتُ من شيبانِ[1]
دَرَّ دَرُّ الأَيّـام مـاذا أَجَنَّتْ ... منْهُـمُ في لفائـف الكتّانِ
ذاك معنٌ ثَـوى ببست رهيناً ... وشهابٌ ثَـوى بأرضِ عُمانِ
وهُمـا مـا هُما لِبَذْلِ العطايا ... ولِلَـفٌ الأَقـرانِ بالأَقرانِ
يَسْبِقان المنـونَ طَعْنـاً وضرباً ... ويَفُكّـانِ كُلَّ كَبْـلٍ وَعانٍ[2]

أَخبرني وكيع، قال حدَّثني يزيدُ بنُ محمدٍ المُهلّبيّ، قال: حدَّثني عبد الصمد بنُ المُعذَّل، قال: لَمّا أنشد سلمُ الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه:

حَضَرَ الرَّحِيلُ وشُدَّت الأَحْداجُ

أَمر له بمائةِ أَلفِ درهم.

[جائزة الفضل بن يحيى]

حدَّثني جَحْظةُ قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال: دخل سلْم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشده[3]: [من مجزوء الوافر]

أَمِـنْ رَبْـعٍ تسائلهُ ... وقَـدْ أَقْوَتْ منازِلُهُ
بِقَلْبي مِنْ هَوى الأَطلا ... لِ حُبٌّ مـا يُزايِلُهُ
رُوَيدَكُمُ عـن المَشْغو ... فِ إنَّ الحُـبَّ قاتلُهُ
بَلابِـلُ صَدرِه تَسْري ... وقـد نامت عـواذِلُهُ
أَحـقُّ النّاسِ بالتفضيـ ... ـلِ مَن تُرْجى فَواضِلُهُ

1 الخرق: السخي الكريم.
2 الكبل: القيد. والعاني: الأسير.
3 شعراء عباسيون: 111–112.

رأَيتُ مكارمَ الأَخْلا ... قِ ما ضَمَّت حَمائلُهُ
فلسْتُ أرى فتًى في النا ... سِ إلاّ الفَضْلُ فاضِلُهُ
يَقولُ لسانُه خَيراً ... فتَفْعلُه أَناملُهُ
ومهما يُرْجَ مِنْ خيرٍ ... فإنّ الفضلَ فاعلُهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنُه إسحاق حاضرَيْن . فقال لإبراهيم : كيف ترى وتسمع ؟ قال : أحسنَ مَرْئيٍّ ومسموع ، وفضْلُ الأمير أكثرُ منه . فقال : خُذوا جميع ما أُهْدي إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلاّ ذلك التمثال ، فإنّي أُريد أن أُهديَه اليومَ إلى دنانيرَ ؛ ثم قال : لا ، والله ، ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقَوَّم وندفع إليهم ثمنه ، ثم نُهديه ، فقُوِّم بألفَي دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

[أحسن مديح لمعن]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثني عيسى بنُ إسماعيلَ تِينةُ قال : حدَّثني القَحْذَميّ ، قال : قيل لِمَعْنِ بن زائدة : ما أحسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك ؟ قال : قول سَلْم الخاسر[1] : [من المديد]

أَبْلِغ الفِتْيانَ مأْلُكةً ... أَنَّ خيرَ الوُدِّ ما نَفَعا
أَنَّ قَرْماً من بَني مَطَرٍ ... أَتلَفَتْ كفّاه ما جَمعا
كُلّما عُدْنا لنائلِهِ ... عادَ في معروفه جَذَعا[2]

[بديهة الفضل وفكرته سواء]

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أَبي سعدٍ ، قال : حدَّثني أَبو توبةَ . وأَخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثني محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُوَيْه عن أبي توبة ، قال : حَدَثَ في أَيّام الرشيد أمرٌ فاحتاج فيه إلى الرأي ، فأَشْكَلَ ؛ وكان الفضلُ بن يحيى غائباً ، فورد في ذلك الوقت ، فأخبروه بالقصّة ، فأشار بالرأي في وقته ، وأُنْفذَ الأمر على مشورتِه ، فحُمِد ما جَرى فيه ، فدخل عليه سلم الخاسر فأَنشده[3] : [من الوافر]

بَديهَتُه وَفِكْرَتُه سواءٌ ... إذا ما نابَهُ الخَطْبُ الكبيرُ

1 شعراء عباسيون : 107 .
2 عاد جذعاً : عاد حدثاً (لارتياحه للندى) .
3 تقدم هذان البيتان في ترجمة أشجع السلمي جزء 18 : 178 منسوبين له . وينسبان أيضاً إلى عنان وأَبي نواس في الجزء 23 من الأغاني .

وَأَحزَمُ ما يكـونُ الدَّهرَ رأياً   إذا عـــيَ المُشــاوِرُ والمُشيرُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يشتري سكوت أبي الشمقمق]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : حدَّثني الجمَّازُ أنّ أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه ، فقال له : اسمع إذاً ما قلتُه ، وأنشده[1] : [من مجزوء الرمل]

حَدَّثُــوني أنَّ سَلماً   يَشْتكي جــارةَ أيْرِهْ
فَهْــو لا يَحْسُدُ شيئاً   غيرَ أيْرٍ في استِ غيرِهْ
وإذا سرَّك يَوْمـــاً   يـا خليليّ نَيْلَ خَيرِهْ
قُمْ فَمُرْ راهِبَك الأَصْـ   ـلَعَ يقرع بابَ دَيْرِهْ

فضحِك سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال له : أُحبّ ، جعلتُ فداءك ، أن تَصرفَ راهبَكَ الأصلعَ عن بابِ دَيْرِنا .

[تطير الرشيد بافتتاحه]

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أحمد بنُ أبي كامل ، قال : حدَّثني أبو دِعامة ، قال : دخَلَ سلم الخاسر على الرشيد ، فأنشده :

حَيِّ الأَحِبَّةَ بالسلام

فقال الرشيد :

حياهُم اللهُ بالسلامِ

فقال :

على وَداع أم مُقام

فقال الرشيد : حيّاهم الله على أيّ ذلك كان ، فأنشده[2] : [من مجزوء الكامل]

لَمْ يَبْقَ منــكَ ومِنْهُم   غيرُ الجلودِ على العظامِ

فقال له الرشيد : بل منك ، وأمر بإخراجه ، وتطيّر منه ، ومن قوله ، فلم يسمع منه باقيَ الشعر ولا أثابه بشيء .

1 شعراء عباسيّون : 137–138 .
2 شعراء عباسيّون : 115 .

[مديح الهادي]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد : قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : أتتْ وفاةُ المهديِّ إلى موسى الهادي ، وهو بجُرْجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين ، فهنّأه بخلافة الله ، ثم أنشده[1] : [من السريع]

لمَّا أتتْ خيرَ بَني هاشمٍ خلافــةُ الله بجُرْجــانِ
شَمَّر لِلْحــزمِ سَرابيلَـه بِرأيِ لا غَمْــرٍ ولا وانِ
لم يُدخِلِ الشُّورى على رأيِه والحــزْمُ لا يُمْضيه رأيانِ

[يقر بفضل بشار]

أخبرني الحسن بنُ عليّ وعمِّي ، قالا : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني صالح بنُ عبد الرحمن عن أبيه ، قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد ، وعنده العبّاس بن محمد وجعفر بن يحيى ، فأنشده قوله فيه :

حَضَرَ الرَحيلُ وشُدّت الأَحْداجُ

فلمّا انتهى إلى قوله[2] : [من الكامل]

إنّ المنايـا في السيوفِ كَوامِنٌ حتــى يُهَيِّجَهــا فتًــى هَيّاجُ

فقال الرشيد : كان ذلك معن بن زائدة ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله : [من الكامل]

ومُدَجَّجٍ يَغْشى المَضيقَ بسَيْفه حتــى يكونَ بسيفِه الإفراجُ

فقال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفرُ بن يحيى ، وكان يزيد بنُ مزيد عدوّاً للبرامكة ، مصافياً للفضل بن الربيع . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الكامل]

نَزَلَتْ نُجومُ الليلِ فَوقَ رؤوسِهمْ ولِكـلِّ قــومٍ كوكبٌ وهّاجُ

[وصف طي المنازل]

قال له جعفر بن يحيى : من قِلّة الشعر حتى تمدحَ أميرَ المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره ! هذا لِبشّار في فلان التميميّ ، فقال الرشيد : ما تقول يا سلم ؟ قال : صدَقَ يا سيِّدي ، وهل أنا إلاّ

1 شعراء عبّاسيّون : 117 .
2 شعراء عباسيّون : 95–96 .

جُزءٌ من محاسنِ بشّار ، وهل أَنطق إلاّ بفضل منطقه ! وحياتِك يا سيِّدي إنّي لأَروِي له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً . فضحك الرشيد ، وقال : ما أحسن الصدق ! امضِ في شعرك ، وأمر له بمائةِ أَلف درهم ، ثم قال للفضل بنِ الربيع : هل قال أحد غيرُ سلم في طَيِّنا المنازلَ شيئاً ؟ ، وكان الرشيد قد انصرف من الحجّ ، وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم ، فقال الفضل : نعم يا أميرَ المؤمنين ، النَّمَريّ ، فأمر سَلماً يَثبتَ قائماً حتى يفرغ النمَريّ من إنشاده ، فأنشده النمري قوله[1] : [من الطويل]

تَخَرَّقَ سِرْبالُ الشبابِ مـع البُرْدِ　　　وحالَتْ لنا أُمُّ الوليد عـن العهدِ

فقال الرشيد للعبّاس بن محمد : أيُّهما أَشعر عندك يا عمّ ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان كلام يُستفحَل لِجَودتِه حتى يؤخَذَ منه نَسْل لاستفحلتُ كلامَ النَّمَريّ ، فأَمَر له بمائة أَلف درهم أُخرى .

[أشجع السلميّ يرثي سلماً]

أَخبرني عمِّي ، قال : أَنشدني أَحمدُ بن أَبي طاهر لأَشجع السُّلَميّ يَرثي سلماً الخاسر ومات سلم قبله[2] : [من السريع]

يا سَلمُ إن أُصبَحْت في حُفرةٍ　　　موسَّداً تُرْبـــاً وأَحجـــارا
فــرُبَّ بيــتٍ حسنٍ قُلتَــه　　　خَلَّفتَــه في النــاسِ سيّـــارا
قَلّدتَــه ربّـــاً وسَيَّرتَـــه　　　فكان فخـــراً منـك أو عارا
لـــو نطقَ الشعرُ بكـى بعدَه　　　عليـــه إعلانـــاً وإسرارا

صوت

[من الكامل]

يا ويحَ من لعب الهوى بحياته　　　فأَماتــه مـن قبلِ حين مماتِهِ
مَنْ ذا كذا كان الشقيّ بشادن　　　هاروت بيت لسانــه ولَهاتِهِ
وحياة مَن أهوى فإنّي لم أَكُن　　　يوماً لأَحلـف كاذبـاً بحياتِهِ
لأخالِفَنَّ عَـواذلي في لذّتي　　　ولأُسْعِدَنَّ أخـي عـلى لذّاتِهِ

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه ، والغناء لأَبي صدقة رمل بالبنصر .

---

1 لم يرد في مجموع شعره .

2 شعره : 218–219 .

[409] ـ أخبار أبي صدقة

[نسبه]

اسمه مسكينُ بنُ صدقَة من أهل المدينة ، مولًى لقريش . وكان مليحَ الغناء ، طيِّب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثرِ الناسِ نادرة ، وأخفِّهم رُوحاً ، وأشدّهم طمعاً ، وألحِّهم في مسألة . وكان له ابنٌ يقال له : صدقة يُغنّي ، وليس من المعدودين ؛ وابنُ ابنِه أحمدُ بنُ صدقَة الطُّنبوريّ أحدُ المحسنين من الطُّنْبُورِيين ، وله صنعة جيّدة ، وكان أشبَه الناسِ بجَدِّه في المَزْحِ والنوادر ، وأخبارُه تُذْكَر بعد أخبار جدِّه . وأبو صدقة من المغنِّين الذين أقدَمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيّامه .

[كثرة سؤاله]

أخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : قيل لأبي صَدقة ما أكثرَ سؤالَك ، وأشدّ إلحاحَك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكُنْيتي أبو صدقة ، وامرأتي فاقة ، وابني صدقة !

[طرب الرشيد لغنائه]

أخبرني رضوانُ بنُ أحمد الصيدلانيّ ، قال : حدَّثنا يوسُف بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أنّ الرشيد قال للحارث بنِ بُسْخُنَّر : قد اشتهيْتُ أن أرى نُدَمائي ومَن يحضُر مجلسي من المغنِّين جميعاً في مجلس واحد ، يأكلون ويشربون ، ويتبذَّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام ، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم ، وهذا لا يَتمّ إلاّ بأن أكونَ بحيثُ لا يَرَونني ، عن غير علمٍ منهم برُؤيتي إيّاهم . فأعِدّ لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمِّي سليمان وإخوتي : إبراهيم بن المهديّ ، وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى ، فإنّا مُغَلِّسون عليك غَداةَ غد ، واستَزِرْ أنت محمدَ بن خالدِ بنِ بَرْمَك ، وخالداً أخا مَهْرُوَيْه ، والخِضْرَ بنَ جبريل ، وجميع المغنِّين ، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا ، وابسُطْ الجميع ، وأظهرْ بِرَّهم ، واخلع عليهم ، ولا تَدَعْ من الإكرامِ شيئاً إلاّ فعلتَه بهم . ففعل ذلك الحارث ، وقدّم إليهم الطعام فأكلوا ، والرشيد ينظر إليهم ، ثم دعا لهم بالنبيذ ، فشربوا . وأُحضرت الخِلَع ، وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد . فخَلَع على ابن جامع جُبّةَ خَزٍّ طارُونيٍّ[1] مبطَّنةً بِسَمُّور صينيّ ، وخلع على إبراهيم المَوْصليّ جُبّةَ وَشْي كوفي مرتفع مبطّنةً

---

1 طاروني : نوع من الخز .

بِفَنَكٍ[1] ، وخلع على أبي صدقَة دُرّاعة مُلْحَم[2] خراسانيٍّ محشوَّةً بِقَز . ثم تغنّى ابن جامع ، وتغنّى بعده إبراهيم ، وتلاهما أبو صدقة فغنّى لابن سُرَيج[3] : [من الطويل]

ومِنْ أَجْلِ ذات الخال أعملْتُ ناقتي أُكلِّفها سَيرَ الكَلالِ مع الظَّلْعِ

فأجاده ، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده . فقال له الحارث : أحسنتَ والله يا أبا صدقة ! قال له : هذا غنائي وقد قَرَصني البرْد ، فكيف تراه ، فدَيتك ، كان يكون لو كان تحت دُرّاعتي هذه شُعَيرات ؟ يعني الوبر ، والرشيد يسمع ذلك . فضحك ، فأمر بأن يُخْلَع عليه دراعةُ مُلْحم مبطّنةُ بفَنَك ، ففعلوا ، ثم تغنّى الجماعة ، وغنّى أبو صدقة لَمعبد : [من البسيط]

بان الخليط على بُزْلٍ مخيّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرَّمَلُ[4]

ثم تغنّى بعده لمعبَد أيضاً[5] : [من البسيط]

بانَ الخليطُ ولو طُووِعت ما بانا وقطّعوا من حِبال الوصلِ أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة ، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً . فقال له الحارث : أحسنت والله يا أبا صدقة ، فديتك ، وأجملت . فقال أبو صدقة : فكيف ترى ، فديتك ، الحال تكون لو كانت عَلى هذه الدراعة نُقَيْطات ؟ يعني الوشي . فضحِك الرشيد حتى ظهر ضحكه ، وعلِموا بموضعه . وعرف علمَهم بذلك ، فأمر بإدخالهم إليه ، وأمر بأن يُخلَع عَلى أبي صدقة دراعةٌ أخرى مبطنةٌ ، فخُلِعت عليه .

[طبعه في السؤال يغلبه]

أخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان اللطفيّ الفضل وجعفراً ابنَيْ يحيى أن يُقيما عنده يوماً ، فأجاباه . فواعد عِدة من المغنّين ، فيهم أبو صدقة المدنيّ ، فقال لأبي صدقة : إنّك تُبْرِم بكَثْرة السؤال : فصادِرْني[6] على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره ، فصادره على شيء أعطاه إيّاه . فلمّا جلسوا وغنّوا أُعجبوا بغناء أبي صدقة ، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيج ومعبَد وابن محرِز وغيرهم ، فغنّاهم ، ثم غنّى ، والصنعة له رمل : [من الكامل]

---

1 الفنك : دابة ذات فرو ثمين .

2 ملحم : نوع من الثياب .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 232 .

4 البزل : جمع بازل وهو ما انشقّ نابه من الإبل ، أي في التاسعة من عمره . ومخيسة : مروّضة مذللة .

5 البيت لجرير في ديوانه : 490 .

6 صادرني : طالبني .

يـا ويحَ مَـن لعب الهوى بحياتِه فأماتَـه مِـن قَبْـلِ حـينِ مماتِهِ
مَـن ذا كذا كان الشقـيَّ بِشادِنٍ هاروتُ بـين لسانِـه ولهاتِـهِ

وذكر الأبيات الأربعة المتقدِّمَ ذكرُها . قال : فأجاد وأحسنَ ما شاء ، وطرب جعفر ، فقال له : أحسنت وحياتي ، وكان عليه دُوّاج[1] خزٌّ مبطن بسمّور جيّد ، فلمّا قال له ذلك شَرهتْ نفسُه وعاد إلى طبعه . فقال : لو أحسنتُ ما كان هذا الدُّوّاجُ عليك ، ولتَخلعنّه عليّ ، فألقاه عليه . ثم غنّى أصواتاً من القديم والحديث ، وغنّى بعدها من صناعته في الرمل : [من السريع]

لَمْ يَطُـلِ العهـدُ فتنساني ولَمْ أغِـبْ عنـك فتنعاني
بَدَّلتَ بي غيري وباهتَّني ولم تكن صاحبَ بُهتانِ[2]
لا وَثِقَـتْ نفسيَ بإنسانٍ بَعـدك في سرٍّ وإعـلانِ
أعطيتني ما شئتُ من مَوْثقٍ منك ومـن عهـدٍ وأيمانِ

فقال له الفضل : أحسنت وحياتي ! فقال : لو أحسنت لخلعت عليّ جُبّة تكون شكلاً لهذا الدُّوّاج ، فنزع جبّته وخلعها عليه ، وسكروا وانصرفوا . فوثب الحسين بن سليمان ، فقال له : قد وافقتُك على ما أرضاك ، ودفعتُه إليك على ألاّ تسأل أحداً شيئاً ، فلم تَفِ ، وقد أخذتَ ما لك والله لا تركتُ عليك شيئاً ممّا أخذتَه ، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر ، فضحكا منه ، وأخلفا عليه ما ارتجعه اللطفي منه من خِلَعِهما .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من البسيط]

بـانَ الخليطُ على بُـزْلٍ مُخَيَّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرملُ
مِـنْ كلّ أعيَس نضّاح القفا قَطِمٍ ينفي الزمام إذا مـا حَنَّت الإبلُ[3]

الغناء لابن عائشة ، خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو الهشاميّ ، وقال الهشاميّ

1 الدواج : لحاف يلبس فوق الثياب .
2 باهتني : حيرتني بالكذب .
3 الأعيس : البعير الأبيض يخالط بياضه شقره . والقطم : الفحل يشتهي الضراب .

خاصة : فيه لابن محرز هزج ، ولإسحاق ثقيل أوّل ، ووافقه ابن المكّيّ . وما وجدْتُ لمعبَد فيه صنعةً في شيء من الروايات ، إلاّ في المذكور .

وأمّا :

بـان الخليط ولو طووعت مـا بانا

فقد مضى في المائة المختارة ، ونُسب هناك وذُكِرتْ أخباره .

[أحقيته في السؤال]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، قال[1] : كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحَّهم . فقال له الرشيد : ويلك ما أكثر سؤالك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكنيتي أبو صدقة ، واسم ابني صدقة ، وكانت أُمّي تلقَّب فاقة ، واسم أبي صدقة ، فمَن أحقّ منّي بهذا ؟

[الرشيد يعبث به]

وكان الرشيد يعبَث به عَبثاً شديداً ، فقال ذات يوم لمسرور : قُلْ لابنِ جامع وإبراهيم الموصليّ وزبير بن دَحمان وزُلزُل وبَرْصُوصا وابنِ أبي مريم المدينيّ : إذا رأيتموني قد طابت نفسي ، فليسألني كلّ واحدٍ منهم حاجة ، مقدارُها مقدارُ صلته . وذكر لكلّ واحد منهم مقدار ذلك ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة . فقال لهم مسرور ما أمَرَه به ، ثم أذِن لأبي صدقة قبل إذْنه لهم . فلمّا جلس قال له : يا أبا صدقة ، قد أضجرْتَني بكثرة مسألتك ، وأنا في هذا اليوم ضَجِرٌ ، وقد أَحببتُ أن أتفرّج وأفرح ، ولست آمن أن تنغّص عليَّ مجلسي بمسألتك ، فأمّا أن أعفيتَني من أن تسألني اليوم حاحة وإلاّ فانصرِف . فقال له : يا سيِّدي لستُ أسألك في هذا اليوم ، ولا إلى شهرٍ حاجةً . فقال له الرشيد : أما إذ شَرطتَ لي هذا على نفسك ، فقد اشتريت منك حوائجَك بخَمسمائة دينـار ، وها هي ذه فخذها هنيئة مُعْجَلة ، فإن سألتَني شيئاً بَعدها في هذا اليوم ، فلا لَوْم عَلَيّ إن لَم أصِلْك سنَةً بشيء . فقال له : نَعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْني في الوثيقة فقـال : قد جعلْتُ أمْرَ أُمّ صدقة في يدِك ، فطلِّقها متى شئت ، إن شئتَ واحدةً ، وإن شئتَ ألفاً إن سألتُك في يومي هـذا حاجـة . وأشهدَ اللهَ ومَن حضر على ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذِن للجلساء والمغنّين فحضروا ، وشرب القوم .

فلمّا طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نِلْتُ منك ما لم تبلُغْه أُمنيّتي ، وكثُر إحسانك إليَّ حتى كَبَّتَّ أعدائي وقتلْتهم . وليستْ لي بمكّة دار تُشْبه

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 8 : 186–188 .

حالي ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً ، وأفرشُها بباقيه لأَفْقأ عيون أعدائي وأُزهقَ نفوسهم ، فعل : فقال : وكَم قَدّرتَ لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له : قد ظهرَتْ نِعمتُك عليّ وعلى أكابر ولَدي ، وفي أصاغرِهم مَن قد بَلَغ ، وأريد تزويجه ، ومِن أصاغرهم مَن أحتاج إلى أن أُطهره ، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتّخذ لهم خدَماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحْسِنَ معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمَرَ لابن جامع ، وجعل كلّ واحدٍ منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجة على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفرَّق يميناً وشمالاً . فوثب على رِجليه قائماً ، وقال للرشيد : يا سيِّدي ، أقِلْني ، أقال الله عثْرتك ! فقال له الرشيد : لا أفعل ، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ ، والرشيد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل ، الشرط أمْلَك .

فلمّا عِيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد ، وقال له : هاكها قد رددتُها عليك وزدتُك فرجَ أُمِّ صدقة فطلّقها إن شئتَ واحدة ، وإن شئت ألفاً . وإن لم تُلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزّال ، وكانت صلتُه ألف دينار . فضحك الرشيد حتى استلقى ، ثم رَدَّ عليه الخمسمائة الدينار ، وأمر له بألف دينار معها . وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذ يوم خَدَمه إلى أن مات . فانصرف يومئذٍ بألفٍ وخمسمائة دينار .

[جعفر والرشيد يعبثان به]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدَّثني يوسف بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق ، قال[1] : مُطِرْنا ونحن مع الرشيد بالرقّة مطراً مع الفجر ، واتّصل إلى غد ذلك اليوم ، وعَرَفنا خبر الرشيد ، وأنّه مقيم عند أُمِّ ولده المسمّاة بِسحَر ، فتشاغلنا في منازلنا . فلمّا كان مِن غدٍ جاءنا رسول الرشيد ، فحضرنا جميعاً ، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي : ما صنع فيه فيخبره ، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى ، فسأله عن خبره ، فقال : كان عندي أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة ، فكان أبو زكّار كلّما غنّى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ، فإذا انتهى الدور إليه أعاده ، وحكى أبا زكّار فيه وفي شمائله وحركاته ؛ ويفطن أبو زكّار لذلك فيجنّ ويموت غيظاً ، ويشتم أبا صدقة كلّ شَتم حتى يَضجر ، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به ، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسّطنا الشراب وسئمنا من العبث به ، فقلت له : دع هذا وغنِّ غِناءك ، فغنّى رَمَلاً ذكر أنّه من صنعته ، طربت له ، والله يا أمير المؤمنين ،

1 وهذا الخبر أيضاً ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 9 : 69–71 .

طرباً ما أذكر أنّي طربتُ مثله منذ حين ، وهو : [من الخفيف]

صوت

فَتَنَتْني بفاحـمِ اللـون جَعْدِ وبِثَغـر كأنّــه نظـم دُرِّ
وبِوجـهٍ كأنّــه طلعة البد رِ وعَينٍ في طَرفها نَفْث سِحْرِ

فقلت له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة ، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي : إنّي قد بنيتُ داراً حتى أنفقت عليها حَرِيبَتي[1] ، وما أعددتُ لها فرشاً ، فافرشها لي ، نجّد[2] الله لك في الجنّة ألف قصر . فتغافلتُ عنه ، وعاود الغناء ، فتعمّدت أنْ قلتُ له : أحسنت ، لِيعاود مسألتي وأتغافل عنه ، فسألني وتغافلت . فقال لي : يا سيِّدي هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله ، وبحقّ أبيك عليك إلاّ أجبتَني عن كلامي ولو بشَتْمٍ ! فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بَغِيض ، اسكتْ يا بغيض ، واكفف عن هذه المسألة المُلحّة . فوثب من بين يدَيّ ، وظننتُ أنّه خرج لحاجة ، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرّد منها خوفاً من أن تَبْتَلّ ، ووقف تحت السماء ، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه ، ورفع رأسه وقال : يا ربِّ أنت تعلم أنّي مُلْهٍ ، ولست نائحاً ، وعبْدُك هذا الذي رفعتَه وأحوجتني إلى خِدْمته يقول لي : أحسنت ، لا يقول لي : أسأت ، وأنا منذ جلستُ أقول له : بَنيتُ ، لم أقل : هدمت ، فيحلف بك جرأة عليك أنّي بَغيض ، فاحْكُمْ بيني وبينه يا سيِّدي ، فأنت خير الحاكمين .

فغلبني الضحك ، وأمرتُ به فتنحّى ، وجَهدت به أن يغنّي ، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أنّي أفرش له داره ، وخدعتُه فلم أُسَمِّ له ما أفرشها به . فقال الرشيد : طيِّبٌ والله ! الآن تَـمَّ لنا به اللهو ، وهو ذا أدعو به ، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش ، لأنّك حلفت له بحياتي ، فهو يتنجّز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبواري[3] ، وحاكِمْه إليّ . ثم دعا به فأُحضر ، فما استقرّ في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى : الفرش الذي حلفتَ لي بحياة أمير المؤمنين أنّك تفرش به داري ، تقدَّمْ فيه . فقال له جعفر : اختر ، إن شئتَ فرشتها لك بالبواري ، وإن شئتَ بالبَرْدِيّ من الحصر ، فضجّ واضطرب .

فقال له الرشيد : وكيف كانت القصّة ؟ فأخبره فقال له : أَخطأتَ يا أَبا صدقة ، إذ لم

---

1 الحريبة : المال الذي حصل بالسلب .

2 نجّد : زيّن .

3 البواري : الحصير المنسوج ، بالقصب .

تُسَمِّ النّوع ولا حَدَّدتَ القيمة ، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبَرْدِيّ أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه ، وإنّما خَدَعك ، ولم تفطن له أنت ، ولا توثقت ، وضيَّعت حقّك . فسكت ، وقال : نوفِّر البرديّ والبواريّ عليه أيضاً ، أعزّه الله . وغنَّى المغنّون حتى انتهى إليه الدور ، فأخذ يغنّي غناء الملاّحين والبنّائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء ، فقال له الرشيد : أيْشٍ هذا الغناء ويلك ! قال : مَن فُرِشَت دارُه بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه ، وكثير أيضاً لِمَنْ هذه صلته . فضحك الرشيد والله وطرب وصفّق ، ثم أمر له بألف دينار من ماله ، وقال له : افرش دارك من هذه . فقال : وحياتك لا آخذها يا سيِّدي أو تحكمَ لي على جعفر بما وَعَدني ، وإلاّ مُتُّ والله أسَفاً لِفَوات ما حصل في طمعي ووُعدت به . فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار ، فقبِلها جعفر ، وأمر له بها .

[وصوله إلى السلطان]

أخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أنَّ أبي لمّا حَجَّ مَرَّ بالمدينة ، فاحتاج إلى قَطْع ثياب ، فالتمس خياطاً حاذقاً ، فدُلَّ على أبي صدقة ، ووُصف له بالحِذق في الخياطة والحذق في الغناء وخفّة الروح . فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه ، وسمع غناءه فأعجبه ؛ وسأله عن حاله ، فشكا إليه الفقر ، فخلَّف لعياله نفقة سابغة لِسَنة ، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان .

قال حمّاد : فقال أبو صدقة يوماً لأبي : قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك ، رحمه الله عندي ، وأنتَ لا ، رُبَّ[1] ذلك بشيء ، فقال له : هذه الصينيّة الفضةُ التي بين يديّ لك إذا انصرفْت ، فشكره وسُرّ بذلك ، ولم يزل يغنّيه بقيّة يومه . فلمّا أخذ النبيذ فيه قام قَوْمة ليبول ، فدَعا أبي بصينيّة رصاص فحوّل قنّينَتَه وقَدَحه فيها ، ورفع الصينيّة الفضة ، فلمّا أراد أبو صدقة الانصراف شدَّ أبي الصينيّة في منديلٍ ، ودفعها إلى غلامه ، وقال له : بِتِ الليلة عندي واصطبح غداً ، وارْدُد دابتَك . فقال : إنّي إذاً لأحمق ، أدفع إلى غلامي صينيّة فضّة ، فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ، ويركب الدابة ويهرب ، ولكنّي أبيت عندك ، فإذا انصرفتُ غداً أخذتها معي . وبات وأصبح عندنا مصطبحاً ، فلمّا كان وقت انصرافه أخذها ومضى . فلم يلبث من غدٍ أن جاءنا والصينيّة معه ، فإذا هو قد وجَّه بها لِتُباع ، فعرّفوه أنّها رصاص . فلمّا رآه أبي من بعيد ضحك ، وعرف القصّة وتماسك . فقال له أبو صدقة : نِعْم الخلافةُ خلفتَ أباك ، وما أحسن ما فعلت بي ! قال : وأيَّ شيء فعلت بك ؟ قال : أعطيتني صينيّة رصاص ، فقال له أبي : سخُنَتْ عينك ! سخِرَت امرأتُك بك ، وأنا مِن أين لي صينيّة رصاص

1 رب : زد .

فتشكك ساعة ، ثم قال : أظنّ واللهِ أنّ ذلك كذلك . فقام . فقال له أبي : إلى أين ؟ قال : أضع واللهِ عليها السوط فأضربُها به حتى تَرُدَّ الصينيّة . فلمّا رأى أبي الجِدَّ منه قال له : اجلس يا أبا صدقة ، فإنّما مزحْتُ معك ، وأمر له بوزنها دراهم .

صوت

[من مجزوء الرمل]

إنَّ مَـــنْ يملِكُ رِقّي مالـــكٌ رقّ الرِّقـــابِ
لم يكن يــا أحسن العا لم هـــذا في حسابـــي

الشعر لفضل الشاعرة ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل بالوسطى ، عن ابن المعتزّ .

[410] ـ أخبار فضل الشاعرة[1]

كانت فَضْل جاريةً مولَّدة من مولّدات البصرة ، وكانت أُمّها من مولّدات اليمامة . بها وُلِدَت ، ونشأت في دارِ رجل من عبد القيس ، وباعَها بعد أن أدَّبها وخرَّجها ، فاشتُريت وأُهدِيت إلى المتوكّل . وكانت هي تزعم أنَّ الذي باعَها أخوها ، وأنَّ أباها وطيء أُمّها فولدتها منه ، فأدّبها وخرّجها معترفاً بها ، وأنَّ بنيه من غير أُمّها تواطئوا على بيعِها وجَحْدها ، ولم تكن تُعْرف بعد أن أُعتقت إلاّ بفضل العبديّة . وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر . ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها .

[جواب مسكت]

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بن المَرْزبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة لرجل من النّخّاسين بالكَرْخ يقال له : حُسْنَوَيْه ، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرّخَّجيّ ، وأهداها إلى المتوكّل ، فكانت تجلس للرجال ، ويأتيها الشعراء ، فألقى عليها أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى[2] : [من الكامل]

قالوا عشِقْتَ صغيرةً فأَجبتُهمْ ... أَشهى المَطيِّ إليَّ ما لم يُرْكَبِ
كم بَيْنَ حبّــةِ لؤلــؤ مثقوبةٍ ... نُظِمتْ وحبــةِ لؤلؤ لم تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبة له : [من الكامل]

إنّ المطيّــةَ لا يَلَــذُّ رُكوبُها ... مــا لم تُذَلَّلْ بالزِّمامِ وتُركَبِ
والدُّرُّ ليس بنافــعٍ أصحابَه ... حتى يُؤلَّف للنِّظامِ بمِثْقَبِ

[مدحت المتوكّل]

حدَّثني عمّي ومحمدُ بنُ خلف ، قالا : حدَّثنا أبو العيناء ، قال : لمّا دخلَتْ فضل الشاعرة على المتوكّل يوم أُهدِيتْ إليه قال لها : أشاعرةٌ أنتِ ؟ قالت : كذا زعم مَن باعَني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدينا شيئاً من شعركِ فأنشدَتْه : [من السريع]

---

1 ترجمة فضل الشاعرة في طبقات ابن المعتزّ : 426 والمنتظم 5 : 6 والنجوم الزاهرة 3 : 28 وفوات الوفيات 3 : 185—187 والسمط : 656 والمستطرف من أخبار الجواري للسيوطي : 5—56 وانظر أعلام الزركلي . وقد ترجم لها د . يونس السامرائي في «رسائل سعيد بن حميد وأشعاره» : 62—73 .

2 هذه المطارحة في الفوات 3 : 87 . وقد نسب بيتا فضل إلى مسلم بن الوليد بقافية مفتوحة «وتركبا ـ وتثقبا» ؛ ديوانه : 305 . وانظر مجموع شعر أبي دُلف : 50 .

استقبل الملكَ إمامُ الهُدى عـامَ ثـلاثٍ وثلاثينا

تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سِنِي الهجرة .

خِلافةٌ أفْضَت إلى جعفر وهو ابنُ سبع بَعْدَ عِشرينا
إنّا لنَرجو يـا إمامَ الهُدى أن تَمْلِكَ الناس ثمانينا
لا قَدَّسَ اللهُ امرءاً لم يَقُلْ عنـدَ دُعائي لك : آمينا

فاستحسن الأبيات ، وأمر لها بخمسة آلاف درهم ، وأَمَرَ عَرِيبَ فغنَّت فيها .

[شعرها في جارية]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بنَ حمدون ، قال : عُرِضَت على المعتمد جاريةٌ تباع في خلافة المتوكِّل ، وهو يومئذٍ حديث السنّ ، فاشتطَّ مولاها في السَّوْم ، فلم يشترها ، وخرج بها إلى ابن الأغلب ، فبيعت هناك . فلمّا وليَ المعتمد الخلافة سأل عن خبرها ، وقد ذكرها فأُعْلم أنّها بيعت وأَوْلَدها مولاها ، فقال لفضل الشاعرة : قولي فيها شيئاً ، فقالت : [من مجزوء الكامل]

عَلَمَ الجمـالِ تركْتنـي في الحُبِّ أشهرَ مِن عَلَمْ
وَنَصَبْتنـي يـا مُنْيَتـي غَرَضَ المَظِنَّـةِ والتُّهمْ
فارقتني بعـدَ الدّنـ ـوّ فصِرْتِ عندي كالحُلُمْ
فلَـوَ انّ نَفسي فارَقَتْ جسمي لِفَقـدكِ لم تُلَمْ
ما كانَ ضرّكِ لو وَصَلْـ ـت فخفَّ عن قَلبي الألَمْ
برِسالـةٍ تُهْدينهـا أو زَوْرَةٍ تحتَ الظُّلَمْ
أَوْلا فَطيفـي في المنـا مِ فلا أقلَّ مـن اللَّمَمْ
صِلَـةُ المحـبِّ حَبِيبَـه اللهُ يَعْلَمُـه كَـرَمْ

[أشواق متبادلة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، قال : كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة : [من السريع]

أصبحتُ فَـرْداً هائم العَقْلِ إلى غـزالٍ حَسَنِ الشكـلِ
أضْنى فؤادي طولُ عهدي بِهِ وبُعْدُه منِّـي ومِـن وَصْلي
مُنْيةُ نفسي في هَـوى فَضْلِ أنْ يجمـعَ اللهُ بهـا شَمْلي
أهْواكِ يا فضلُ هوى خالصاً فمـا لِقَلْبي عنكِ من شُغْلِ

قال : فأجابته : [من الكامل]

صوت

الصبرُ ينقص والسَّقامُ يَزيـدُ   والدارُ دانيـةٌ وأنـتَ بَعيدُ
أشكُوكَ أَمْ أَشكو إليكَ فإنّه   لا يَستطيعُ سواهمـا المجهودُ
إنّي أعُوذ بحُرْمتي بِكَ في الهَوى   مِنْ أَن يطاعَ لديكَ فيّ حَسودُ

في هذه الأبيات رمَل طُنْبُوريّ . وأظنّه لجَحْظة .

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرْزُبان ، قال : حدَّثني الحسنُ بنُ عيسى الكوفيّ ، قال : حدَّثنا أبو دهمان ، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المَرْوَزيّ ، قالا : كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً وأرقَّهم شعراً ، فكتب إليها بعضُ مَن كان يجمعه وإيّاها مجلسُ الخليفة ، ولا تطلعه على حبّها له : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري فيكِ هل تَذْكرينَني   فذِكـراكِ في الدُّنيـا إليّ حَبيبُ
وهـل لي نصيبٌ في فؤادِك ثابتٌ   كما لكِ عنـدي في الفؤادِ نَصيبُ
ولستُ بمَوْصولٍ فأَحيـا بِزَوْرَةٍ   ولا النفسُ عنـد اليأسِ عنكِ تَطِيبُ

قال : فكتبت إليه : [من الطويل]

نَعَم وإلهي إنّـي بِـكَ صَبّةٌ   فهل أنتَ يا مَن لا عَدِمتُ مُثيبُ
لِمَنْ أنتَ منـه في الفؤادِ مصوَّر   وفي العَينِ نُصْبَ العين حين تَغيبُ
فَثِـقْ بِـوِدادٍ أنت مُظهـرُ مثلِه   عَلى أنّ بـي سُقْماً وأنتَ طبيبُ

[إجازتها الشعر]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدَّثني يحيى بنُ عليٍّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حدَّثني الفضلُ بنُ العبّاس الهاشميّ ، قال : حدَّثتني بَنانُ الشاعرة ، قالت : اتّكأ المتوكّل على يَدي ويدِ فضل الشاعرة ، وجعل يمشي بيننا ، ثم قال : أجيزا لي قول الشاعر : [من الطويل]

تعلّمتُ أسباب الرضا خوفَ عَتْبها   وعَلّمها حُبِّي لهـا كيف تَغضَبَ

فقالت له فضل : [من الطويل]

تَصُـدُّ وأَدْنـو بـالمودَّةِ جاهداً   وتَبعُـد عنّـي بالوصالِ وأَقربُ

فقلت أنا : [من الطويل]

وعندي لها العُتبى على كلِّ حالة   فما مِنْه لي بـدّ ولا عنه مذهبُ

أخبرني محمد بنُ خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة : [من الطويل]

ومستفتِحٍ بـــابَ البـلاءِ بنَظْرةٍ تَزوَّدَ منهـا قلبُـه حسْرةَ الدَّهْرِ

فقالت : [من الطويل]

فواللهِ ما يَدري أَتَدْري بما جَنَت عَلى قلبِه أو أَهلَكَتْه ومـا تَدْري

أَخبرني محمدُ بنُ خلفٍ ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر ، قال : أَلْقَيتُ أَنا على فضل الشاعرة : [من مجزوء الكامل]

عَلَـمَ الجمـالِ تركْتني بهـواكِ أَشهرَ مِنْ عَلَمْ

فقالت على البديهة : [من مجزوء الكامل]

وأَبحتَنـي يـا سيِّـدي سَقماً يجـلّ عن السقَمْ

وتَرَكْتَنـي غَرَضا ، فَدَيْـ ـتُكَ ، للعَـواذِلِ والتُّهمْ

صلَـةُ المحـبِّ حبيبَـه اللهُ يَعلَمُـــه كَــرَمْ

أَخبرني محمدُ بنُ خلف ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ الوليد ، قال : سمعت عليَّ بنَ الجَهْم يقول : كنت يوماً عند فضل الشاعرة ، فلحظتها لحظة استرابت بها ، فقالت : [من الرجز]

يـا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ يرمي ولا يُشعِرِ أَنِّـي غرضُهْ

فقلت[1] : [من الرجز]

أَيُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ وأَيُّ عَقدٍ محكَمٍ لا يَنْقُضُهْ !

فضحكت ، وقالت : خذ في غير هذا الحديث .

[تتشوّق إلى حبيب]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبّر ، قال : كَتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد أيّام كانت بينهما محبّة وتواصل : [من الطويل]

وعيشِك لَو صرّحتُ باسمِك في الهوى لأقصَرْتُ عن أَشياءَ في الهزْلِ والجِدِّ

ولكنَّنـي أُبـديْ لهـذا مَوَدَّتـي وذاك ، وأَخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْدِ

مخافـةَ أَن يُغْـري بنا قـولُ كاشحٍ عدُوّاً فيسعى بـالوِصالِ إلى الصَدِّ

فكتب إليها سعيد[2] : [من الطويل]

تنامِـين عــن لَيْلي وأَسهَرُه وحدي وأَنهى جفـوني أَن تُبثَّك ما عِنْدي

فإنْ كنتِ لا تَدْرينَ مـا قـد فعلْتِه بنا فانظُري مـاذا على قاتِـلِ العمدِ

---

1 ديوان علي بن الجهم : 305 .

2 تقدم بيتا سعيد بن حميد في ترجمته في الجزء 18 : 110 .

قال عمّي : هكذا ذكر ابن مهرويه .

وحدَّثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عبد الأعلى ، فذكر أنّ بيتَي سعيد كانا الابتداء ، وأنّ أبيات فضل كانت الجواب . وذَكَر لهما خبراً في عِتاب عاتبها به ، ولم أحْفظه ، وإنّما سمعتُه يذكره ، ثم أخرج إليّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن عليّ بنِ الحسين ، فوجدت هذا الخبر فيه ، فقرأته عليه .

قال عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى : حضَر سعيدُ بن حُمَيد مجلساً حضرَته فضل الشاعرة وبُنان ، وكان سعيد يهواها ، وتُظْهر له هَوًى ، ويتهمها مع ذلك ببنانٍ ، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بُنانٍ ، فغضب وانصرف ، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأُوَل ، وأجابها بالبيتين الآخرين ، فاتّفقت رواية ابنِ مَهْرُويه وعليّ بنِ الحسين في هذا الخبر .

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أبو يوسف بنُ الدقاق الضرير ، قال : صِرْتُ أنا وأبو منصور الباخَرْزِيّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِبنا عنها وانصرفنا ، وما علمتْ بنا ، ثم بَلَغها مجيئنا وانصرافنا فكَرِهَت ذلك وغمّها ، فكتبت إلينا تعتذر : [من الطويل]

وما كنْتُ أَخشى أن تَرَوْا لي زَلّةً ... ولكنَّ أمْرَ اللهِ ما عَنْه مَذْهَبُ

أَعُوذُ بحُسنِ الصفحِ منكمْ وقَبْلَنا ... بِصَفْحٍ وعفْوٍ ما تعوّذ مُذْنِبُ

فكتب إليها أبو منصور الباخرزيّ : [من الطويل]

لَئن أُهدِيَت عُتباكِ لي ولإخوتي ... فمِثْلُك يا فضلَ الفضائلِ يُعتِبُ

إذا اعتذر الجاني محا العذرَ ذنبَه ... وكلُّ امرىء لا يَقبل العُذْرَ مذنِبُ

[عندما يئست من إيقاظ المتوكل]

حدَّثني عليُّ بنُ هارونَ بن عليٍّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني عمّي عن جدِّي ، قال : قال لي المتوكّل يوماً ، وفضل واقفة بين يديه : يا عليّ ، كان بيني وبين فضل موعِد ، فشربْت شُرْباً فيه فضْل ، فسكِرْت ونمتُ ، وجاءتني للموعد ، فحرّكتني بكلّ ما ينتبه به النائم من قَرْص وتحريك وغَمْز وكلام ، فلم أنتبه . فلمّا علِمَتْ أنّه لا حيلة لها فيّ كتبَتْ رُقعة ووضَعَتْها على مَخَدَّتي ، فانتبهتُ فقرأتها ، فإذا فيها : [من مجزوء الرمل]

قد بَدا شِبْهك يا مو ... لايَ يَحْدُو بالظلامِ

قُمْ بنا نَقْضِ لُبانا ... تِ التزامٍ والتئامِ

قَبْلَ أنْ تَفْضَحنا عَوْ ... دةُ أرواحِ النِّيامِ

[تهاجي الجواري]

أخبرني محمدُ بن خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف ، وكانت شاعرةً ، وكان أبو شِبْل عاصمُ بن

وهبٍ يعاون فضلاً عليها ، ويهجوها مع فضل . وكان القصيديّ والحفصيّ يُعينان خنساء على فضلٍ وأبي شبل ، فقال أبو شبل على لسان فضل : [من السريع]

خنساءُ طِيري بِجَنَـــاحَيْنِ أَصبَحْـتِ مَعْشوقَـــةَ نَذْلَيْن
مَن كان يَهوى عاشقاً واحداً فأنْـــتِ تَهْوَيْــــنَ عَشيقَيْن
هذا القصيديّ وهذا الفتى الـ ـحفصّي قـــد زاراكِ فَرْدَيْنِ
نَعِمْتِ مـــن هـــذا وهذا كما يَنْعـــم خنزيـــر بحُشَّيْن[1]

فقالت خنساءُ تجيبها : [من السريع]

ماذا مَقالٌ لكِ يـــا فضلُ بَلْ مقـــالُ خِنزيرَيْـــن فَرْدَيْـــنِ
يُكْنى أَبا الشبلِ ولو أَبصرَتْ عينـــاهُ شِبْـــلاً راثَ كُـــرَّيْنِ[2]

وقالت فضل في خنساء : [من الخفيف]

إنَّ خنساء لا جُعِلْـــتُ فِداها اشتراها الكَسَّارُ مـــن مولاها
ولهـــا نَكْهَةٌ يقـــول محاذيـ ـها أَهـــذا حَدِيثها أم فُساها

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل : [من الطويل]

تَقُول لـــه فضلٌ إذا ما تخوَّفتْ ركوبَ قبيح الذُّلِّ في طلبِ الوصلِ
حِرُ أُمٍّ فَتًى لم يَلْقَ في الحُبِّ ذِلّةً فقلت لها لا بَل حِرُ أُمِّ أَبي الشبلِ

وقالت خنساء تهجو أبا شبل : [من الكامل]

مـــا يَنْقَضي فِكْري وطولُ تعجُّبي مِـــن نعجـــةٍ تُكْنى أَبا الشبلِ
لَعِـــبَ الفحولُ بسُفْلها وعِجانها فتمـــرَّدَتْ كتمـــرّدِ الفحـــلِ
لمـــا اكتَنَيْتَ بمـــا اكتَنَيْت بـــه وتَسَمَّـــتَ النقصـــانُ بالفضلِ[3]
كادَتْ بِنا الدُّنيـــا تَمِيد ضحى ونَـــرى السماءَ تَذُوبُ كالمُهْلِ[4]

قال : فغضب أبو شبل لذلك ، ولم يجبها ، وقال يهجو مولاها هشاماً : [من الخفيف]

نِعْمَ مأوى العُزَّاب بَيتُ هشام حين يرمي اللِّئامَ باغي اللئـــامِ
مَن أَراد السرور عند حبيبٍ لِينالَ السرورَ تحـــت الظلامِ

---

1 حشان : مثنى حشّ ، وهو البستان ، ثم كني به عن مكان قضاء الحاجة .
2 كرين : مثنى كر ، وهو مكيال كبير .
3 تسمّت به : أخذ سمته ، أي أشبهه .
4 المهل : من معانية القطران ، والذائب من الصفر والحديد .

فهشامٌ نَهــارُه ودُجى الليــ ــلِ سواءٌ نَفْسي فِداءُ هشامِ
ذاك حــرّ دواتُه ليس تخلــو أبــداً مَــنْ تَخَــرُّق الأقلام

[أعجلها طلب الخليفة عن زيارة سعيد بن حميد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون ، قال[1] : زارت فضلِ الشاعرة سعيدَ بن حُمَيد ليلةً على موعد سَبَق بينهما ، فلمّا حصلت عنده جاءتها جاريتُها مبادرة تُعْلمها أنّ رسول الخليفة قد جاء يطلبها ، فقامت مبادرةً فمضَت ، فلمّا كان من غدٍ كتب إليها سعيد : [من الكامل]

ضَنَّ الزمانُ بهــا فلمّا نِلْتُها وَرَدَ الفِراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدَّمعُ ينطقُ للضميرِ مصدِّقاً قولَ المُقــرّ مكذِّباً للجاحِدِ

[رثاؤها الخليفة]

حدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي الدُّنيا ، قال : حدَّثني ميسرةُ بنُ محمد ، قال : حدَّثني عُبيد بن محمد ، قال : قلت لفضل الشاعرة : ماذا نزل بكم البارحة ؟ ، قال : وذلك في صبيحة قَتْل المنتصِر المتوكّل ، فقالت وهي تبكي : [من البسيط]

إنّ الزمانَ بذحْــلٍ كان يطلبنــا مــا كان أغفلَنا عنــه وأسهانا[2]
ما لي ولِلدَّهرِ قــد أصبحْتُ هِمتَه ما لي ولِلدَّهْرِ مــا لِلدَّهــرِ لا كانا

[في يوم نيروز]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني محمدُ بن الفضل ، قال : حدَّثني أبو هفّان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن ، قال : خرجت قبيحة[3] إلى المتوكّل يوم نَيْروزٍ وبيدِها كأسُ بَلُّور بشراب صاف ، فقال لها : ما هذا فديتُك ؟ قالت : هَدِيّتي لك في هذا اليوم ، عرّفَك الله بركته ! فأخذه من يدها ، وإذا على خدِّها : جَعْفَرٌ ، مكتوباً بالمسك ، فشرب الكأسَ وقبّل خدَّها ، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت : [من الطويل]

وكاتِبةٍ بالمسكِ في الخَدِّ جعفرا بِنَفْسي سواد المسكِ من حيثُ أثَّرا
لئن أثَّرتْ بالمسك سطراً بِخَدِّها لقد أَودَعَتْ قلبي من الحزْنِ أسطُرا
فيــا مَن مُناها في السريرةِ جعفرٌ سقى الله مــن سُقيا ثناياكِ جعفرا

الغناء لِعَريبَ ، خفيفُ رملٍ . قال : وأمر عريب فغنَّت فيه . وقالت فضل في ذلك أيضاً : [من السريع]

---

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة سعيد بن حميد في الجزء 18 : 116 .
2 ذحل : ثأر .
3 قبيحة : زوجة المتوكل .

سُلافَــةٌ كالقَمَـــر الباهــــرِ في قَــدَحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُدِيرها خشفٌ كَبَدْرِ الدجَى فوق قضيبٍ أهيــفٍ ناضرِ
على فتًــى أروعَ مــن هاشم مثلِ الحسامِ المُرهَف الباترِ

وقد رُويت الأبيات الأُوَل لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل ، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرتُ بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب .

[رسالة وجوابها]

أخبرني محمدُ بنُ خلف ، قال : أخبرني أبو الفضل المَرْوروذيّ ، قال : كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد[1] : [من الوافر]

بَثَثْتُ هواكَ في بَدَني ورُوحي فأَلَّف فيهمــا طمعــاً بِياسِ

فأجابها سعيد في رقعتها : [من الوافر]

كفانا اللهُ شرَّ اليــأس إنّــي لِبُغض اليــأس أبغض كل آسي

[ميلها إلى بنان]

حدَّثني عمِّي ؛ قال : حدَّثني ابنُ أبي المدوّر الورّاق ، قال : كنت عند سعيدِ بن حُميد ، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعَّبُ ، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك ، فأقبل على صديق له فقال : أصبحْتُ واللهِ من أمر فضل في غُرور ، أخادع نفسي بتكذيب العِيانِ ، وأمنِّيها ما قد حِيل دونه . والله إنَّ إرسالي إليها بعدما قد لاح من تغيّرها لَذُلّ ، وإنَّ عدولي عنها وفي أمرها شبهة لعَجْز ، وإنَّ تصبّري عنها لَمِنْ دواعي التلَف ، ولله دَرُّ محمدِ بن أبي أُميّة حيث يقول : [من الكامل]

يا ليت شِعْري ما يكون جوابي أمّا الرسولُ فقد مضى بكتابي
وتعجَّلتْ نفسي الظنونُ وأشعِرَتْ طمعَ الحريصِ وخِيفَــةَ المُرْتابِ
وترُوعني حــركاتُ كلِّ محــرِّك والبــابُ يقرعــه وليس ببابي
كَمْ نحوَ باب الدار لي مِن وَثْبةٍ أرجـــو الرسولَ بمَطْمع كــذّابِ
والويلُ لي مِـــن بعدِ هــذا كلِّه إن كان مــا أخشاه ردَّ جوابي

[غضب بنان عليها ولم يقبل اعتذارها]

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّم ، قال : غضب بُنانٌ على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها ، فاعتذرت إليه ، فلم يقبل معذرتها ، فأنشدتْني لنفسها في ذلك : [من السريع]

---

1 مجموع شعره : 134 .

يـا فضـلُ صبراً إنّها مِيتَةٌ يَجْرَعُها الكاذبُ والصادقُ
ظـنَّ بُنـانٌ أنَّني خُنتُـه رُوحي إذاً مِـن بَدَني طالقُ

[تجيز بيتاً لعلي بن الجهم]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ؛ قال : حدَّثني أبو العبّاس المَرْوَزيّ ، قال : قال المتوكّل لعليّ بن الجَهْم : قُلْ بيتاً ، وطالِب فضلَ الشاعرة بأن تُجيزه ، فقال عليّ : أجيزي يا فضل[1] : [من المنسرح]

لاذَ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

قال : فأطرقت هُنيهة ثم قالت .

فلم يـزل ضارعاً إليها تَهْطِـل أجفانُـه رَذاذا
فعاتَبوه فـزاد عِشقـاً فمات وجداً فكان ماذا

فطرب المتوكّل ، وقال أحسنتِ وحياتي يا فضل ، وأمر لها بمائتي دينار ، وأمر عريبَ فغنَّت في الأبيات .

قال مؤلّف هذا الكتاب : أعرف في هذه الأبيات هَزَجاً لا أدري أهو هذا اللحن أم غيره ؟ ولم أرَه في أغاني عَريب ، ولعلّه شَذَّ عنها .

صوت

[من مجزوء الوافر]

أُمامـةُ لا أراكَ اللـ ـه ذلَّ معيشةٍ أبـدا
ألا تستصلحين فتـى وقاك السوءَ قد فسدا
غلام كان أهلُكَ مـرّ ة يدعونـه ولَـدا

الشعر لعبد الله بنِ محمدِ بن سالمٍ الخياط ، والغناء للرّطّاب الجدي ، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو ، وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق وأحمدَ بن المكّيّ .

وذكر عبد الله بنُ موسى بنِ محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحيّة أنّها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب عن تينة ، وسألته عن صانعه فأخبرها أنّه له .

---

1 بيت ابن الجهم ، وإجازة فضل في الفوات 3 : 185 .

[411] ـ نسب ابن الخياط وأخباره

هو عبدُ الله بنِ محمدِ بن سالمِ بن يونُس بن سالم . ذكر الزُّبيرُ بنُ بَكَّار أنّه مولًى لقريش ، وذكر غيره أنَّه مولى لهُذَيل .

وهو شاعرٌ ظريفٌ ، ماجنٌ خليعٌ ، هجّاءٌ خبيثٌ ، مخضرمٌ من شعراء الدولة الأمويّة والعبّاسيّة . وكان منقطعاً إلى آل الزّبير بنِ العوام مدّاحاً لهم ، وقدِم على المهديّ مع عبدِ الله بن مصعَب فأوصله إليه ، وتوصّل له إلى أن سمِع شعره وأحسن صلته .

[المهديّ يجيزه ثم يضعف له الجائزة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكّار قال : حدَّثني يونُس بنُ عبد الله بن سالم الخيّاطُ قال : دخل أبي على المهديّ فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال يمدحه : [من الطويل]

أخذتُ بكفّي كفَّه أبتغي الغِنى ... ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفّه يُعدي

فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغِنى ... أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي

قال : فبلغ المهديَّ خبرُه ، فأضعف جائزته ، وأمر بحملها إليه إلى منزله .

قال الزُّبيرُ بن بَكّار : سرق ابن الخيّاط هذا المعنى من ابن هَرْمة .

[معدود في الهجائين]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثنا أحمدُ بن أبي خَيثمة ، قال : حدَّثني مصعَب بنُ عبد الله قال : سمعتُ أبي يقول : لم يبرح هذه الثنيّةَ قطُّ أحد يَقذف أعراض النّاس ويهجوهم . قلت : مثلُ مَن ؟ قال : الحزينُ الكنانيّ ، والحكَمُ بنُ عِكرمة الدّؤليّ ، وعبدُ الله بن يونس الخيّاطُ ، وابنه يونس ، وأبو الشدائد .

[ابنه يعقه]

أخبرني محمد بنُ مَزْيد قال : حدَّثنا الزّبير بنُ بكّار قال : كان يونُس بن الخيّاط عاقّاً لأبيه ، فقال أبوه فيه : [من المنسرح]

يونسُ قلبي عليك يلتهفُ ... والعين عبرى دموعها تكِفُ

تُلحِفني كسوة العقوق فلا ... بَرِحتَ منها ما عشتَ تلتحفُ

أُمرتَ بالخفضِ للجناح وبالر ... فقِ فأمسى يعُوقكَ الأَنفُ

ويلـك واللهِ مـن زبانيـة إن سُلِّطوا في عذابهـم عَنُفوا

فأجابه ابنُه يونُس ، فقال : [من المنسرح]

أصبح شيخي يُزري به الخَرَفُ ما إن لـه حرمة ولا نَصَفُ
صِفاتنا في العقـوقِ واحـدة مـا خلتُنا في العقوقِ نختلفُ
لَحَفتَه سالفاً أبـاكَ فقـد أصبحتَ منّي كذاك تلتحفُ

[يهجو وضيعاً بنى داراً]

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ وَكيعٌ قال : حدَّثني طلحةُ بن عبد الله قال : حدَّثني أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : مرَّ ابن الخيّاط بدارِ رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال ، وقد شيّد بابها وطَرْمح[1] بناءَها ، فقال : [من الطويل]

أطِله فما طـول البناء بنافعٍ إذا كان فرعُ الوالدَين قصيرا

[بينه وبين موسى بن طلحة]

أخبرني وَكيعٌ قال : أخبرني إبراهيم بنُ إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال : أخبرني العامريُّ قال : هجا ابنُ الخيّاط موسى بن طَلحةَ بن بلال التيميّ ، فقال : [من الخفيف]

عجـب الناسُ لِلعجيب المُحالِ حاض موسى بنُ طلحةَ بنِ بلالِ
زعمـوه يحيضُ في كلِّ شهـرٍ ويَـرى صُفْـرة لكـلِّ هـلالِ

قال : فلقيه موسى ، فقال : يا هذا ، وأيّ شيء عليك ؟ نَعم حضتُ ، وحملتُ ، وولدتُ وأرضعتُ . فقال له ابنُ الخيّاط : أنشُدك اللهَ ألاّ يسمعَ هذا منك أحد فيجترىء على شعري النّاس ، فلا يكون شيئاً ، ولن يبلغَك عنّي ما تكره بعد هذا ، فتكافّا .

[رأي القاضي في عتق جارية]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني مصعَب بن عثمان قال : ما رأيتُ بريق صَلَع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القُتَيليّة جارية إبراهيم بنِ أبي قُتَيلة ، وكان يعشقها ، وبيعَتْ في دَيْن عليه ، فبلغت خمسمائة دينار . فقال المغيرة بنُ عبد الله لابن أبي قُتَيلة : ويحك ! اعتقها فتُقوَّمَ عليك ، فتَتزوّجها ، ففعل . فرُفع ذلك إلى أبي عمران وهو القاضي يومئذٍ فقال : أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة . أمّا نحن في الحكومة فقد عرفنا أنْ قد بلغت خمسمائة دينار ، فاذهبوا فقوّموها ، فإن بلغت القيمةُ أكثر من هذا ألزمناه ، وإلاّ فخُذوا منه خمسمائة دينار . فاستُحسِن هذا الرأْي ، ولَيس عليه الناس قَبْلَنا ، فقال ابنُ الخيّاط

1 طرمح : طوّل .

يذكر ذلك من أمر ابن أبي قُتَيلة وما كان من أمر جاريته : [من السريع]

يا معشرَ العشّاقِ مَن لم يكن ... مثـــل القُتَيـلـيِّ فــلا يعشَقِ
لمــا رأى السُّوّامُ قـد أحدقوا ... وصيحَ في المغـربِ والمَشرقِ
واجتمــع النّــاسُ عــلى دُرَّة ... نظيرهــا في الخَلْـقِ لم يُخْلَقِ
وأبــدتْ الأمــوالُ أعناقهــا ... وطاحــت العسرةُ للمملِــقِ
قلَّــب فيــه الرأي في نفسه ... يديــرُ مــا يأتي ومـا يتّقي
أعتقهــا والنفسُ في شدقهـــا ... للمعتَــق المَــنّ عـــلى المُعْتِقِ
وقـــال للحـــاكم في أمرهـــا ... إن افترقْنَــا فمتــى نلتقــي ؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيعٌ قال : قال الزُّبَير بن بَكّار ، وذكر مثلَ ما ذكره الحِرْميُّ ، وزاد فيه : فكان فيهم ، يعني فيمن حضر ، لابتياعها موسى بن جعفرِ بن محمدِ ومحمد بن زيدِ بن عليّ ، والقاسمُ بن إسحاق بن عبدِ الله بن جعفرٍ ، وغيرُهم . قال : فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها . وقال في خبره : ابن أبي قُتَيلة بالتاء .

[يسأل سائل عنه ابنه يونس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكّار قال : حدَّثني يونُس بن عبد الله بن سالم الخيّاطُ قال : كنت ذات عشيّة في مسجد رسول الله ﷺ وقت العصر في أيّام الحاج ، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعاتُ خزّ ، وإذا معه جماعة . فوقف إلى جنبي فصلّى ركعتين ، ثم أقبل عليّ ، وكان ذلك من أسباب الرزق ، فقال : يا فتى ، أتعرف عبدَ الله بن سالمٍ الخيّاطَ ؟ فقلت : نعم . فلمّا صلَّينا قال : امضِ بنا إليه ، فمضيت به ، فاستخرجت له أبي من منزله ؛ فقال الرجل : بلغني أنَّك قلت شعراً في أمر العَصَبيّة ؛ فقال له أبي : ومَن أنت بأبي أنتَ وأُمّي ؟ فقال : أنا خزيم بن أبي الهَيْذام ، فقال له أبي : نعم قد قلته ، وأنشده : [من الخفيف]

اسقياني من صِرف هذي المدام ... ودعــاني وأقصرا مــن ملامي
واشربا حيثُ شئتما إنّ قيساً ... قد عــلا عزُّهــا فروعَ الأنامِ
ليس واللهِ بــالشآم يمـــانٍ ... فيــه رُوح ولا بغيــرِ الشآمِ
يَطعَم النوم حين تَكتحلُ الأعْـ ... ــين بالنوم عند وقــت المنامِ
حَذرا من سيوف ضِرغامةٍ عا ... دِ على الهَــولِ باسلٍ مقدامِ
من بَني مُرّةَ الأطايبِ يكنى ... عند دَسر الرّمــاح بالهَيذامِ[1]

1 دسر : طعن ودفع .

[ابنه ينافسه]

قال : فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيراً . قال يونس : فبادرتُ فأخذت بيد المُرّي وقلت له : لا تَعجَل فإنّي قد قلت شعراً أجود[1] من شعره . قال أبي : ويلك يا يونُس يا عاضّ بَظْر أُمّه ! تحرمني ؟ فقلت : دع هذا عنك ، فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك . فقلت ليونس : ومَن كانت امرأةَ أبيك يومئذٍ ؟ فقال : أُمّي ، وجمعت والله عقوقهما معاً . فقال لي المُرّي أنشد فأنشدته : [من الخفيف]

اسقياني يا صاحبيّ اسقياني ودعاني من الملامِ دعاني
اسقياني هُديتما من كُميتٍ بنْتِ عَشْرٍ مشمولةٍ أسقياني
فُضّ عنها خِتامُها إذ سباها واضِحُ الخَدّ من بني عدنانِ
نَتحايا بالكأس أربعةً في الدّ ورِ هذان ناعمانِ وذانِ
ذا لهذا رَيحانة مثل هذا ك لهذا من طَيّبِ الريحانِ
فنهضنا لموعدٍ كان منّا إذ سمعنا تجاوب البُكْمانِ
فنعِمنا حولَين بَهْراً وعشنا بين دُفٍّ ومسمِعٍ ودِنانِ
ثم هِجنا للحرب إذ شبّت الحر بُ ففزنا فيها بسبق الرِّهانِ
إنّ قيساً في كلّ شرق وغربٍ خارجٌ سَهمُها على السُّهمانِ
منعَ اللهُ ضيمَنا بأبي الهيـ ـذام حِلْفِ السماح والإحسانِ
واليمانون يفخرون أمَا يَد رونَ أن النبيَّ غيرُ يمانِ

قال : فقال الفتى لأبي : قد وجب علينا من حقّه مثلُ ما وجب علينا من حقّك يا شيخ ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي ، وقسم الدنانير بيننا ، وكانت خمسين ديناراً .

[عقّ أباه فعقّه ابنه]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدّثنا محمدُ بنُ موسى بنِ حمّاد قال : حدّثني الزُّبير قال : مرَّ رجل بيونُس بنِ عبد الله بن الخيّاطِ ، وهو يعصِر حَلْق أبيه وكان عاقّاً به ، فقال له : ويلك أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلّصه من يده ، ثم أقبل على الأب يُعزّيه ويسكّن منه . فقال له الأب : يا أخي لا تَلُمه ، واعلم أنّه ابني حقّاً . والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه . فانصرف عنه الرجل وهو يضحك .

1 ل : أشعر .

[محمد بن سعيد يستجيب لشكوى يونس]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمان النَّوفليّ عن عمِّه عيسى قال : شكا عبد الله بن يونس الخيّاطُ إلى محمدِ بنِ سعيدِ بن المغيرة بن نَوْفَلِ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطّلب حاله وضيقاً قد ناله ، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر ، فقال يمدحه : [من السريع]

يا ابن سعيد يـا عَقيدَ النَّدى ... يا بارعَ الفضل على المُفضِلِ

حللتَ في الذّروة من هاشم ... وفي يَفـاعٍ مـن بنـي نَوْفَلِ

فطابَ في الفرعَيْنِ هـذا وذا ... مـا اعتمّ من منصِبِك الأطولِ

قد قلـتُ للدّهرِ وقـد نالني ... بـالنّابِ والمِخلـبِ والكَلكلِ

قد عُذتُ من ضُرّك مستعصِماً ... بهاشمـيٍّ ماجـدٍ نوفـلي

فقال لي أهـلاً وسهـلاً معاً ... فُـزْتَ ولم يمنعْ ولم يَبخلِ[1]

الدّهـرُ شِقّـانِ فشِقٌّ لـه ... لـينٌ وشقٌّ خَشِنِ المنـزلِ

وأخشنَ الشّقَّين عنّـي نَفى ... وشقُّه الألْيَـن مـا عاشَ لي

فقُل لهـذا الدهر مـا عاش لا ... تُبـقِ لا تُـرْعِ ولا تـأتلي

[يونس يستعفي من الصلاة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : أخذ أبي ، لمّا وَلي الحجاز ، عبدَ الله بن يونس الخيَّاط بأن يصلّي الصلوات الخمسَ مع الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ ، فجاءَني هو ومحمدُ بنُ الضّحاك وجعفرُ بن الحسين اللّهبيّ ، فوقف بين يديّ ، ثم أنشدني : [من الرجز]

قُل للأمير يـا كريم الجِنسِ ... يا خيرَ من بالغَور أو بالجَلْسِ[2]

وعُدّتـي لولـدي ونفسي ... شغلْتَني بالصّلـواتِ الخمسِ

فقلت له : ويلك ! أتريد أن أستعفيَه لك من الصّلاة ؟ والله ما يعفيك ، وإن ذلك لبعثه على اللَّجاج في أمرك ، ثم يضرّك عنده . فمضى وقال : نَصبر إذن حتى يُفرج اللهُ تعالى .

[صديق يهبه القميص سكراناً ويستردّه صاحياً]

أخبرني محمدٌ قال حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار قال حدَّثنا يونُس بن الخيّاط قال : كان لأبي صديق ، وكان يدعوه ليشرب معه ، فإذا سَكِر خلع عليه قميصه ، فإذا صحا من غدٍ بعث إليه

1 فزت في ل : شمت .

2 الجلس : بلاد نجد ، وأصله الأرض الغليظة .

فأخذه منه فقال أبي فيه : [من الطويل]

كساني قميصاً مرّتين إذا انتشى ويَنزِعُــه منّــي إذا كان صاحِيا
فَلِــي فَرحــة في سُكره بقميصه وروعاته في الصَّحوِ حَصَّت شَواتِيا[1]
فيا ليت حظّي من سروري وروعتي تكــون كَفافــاً لا عــليَّ ولا لِيَا

[مقابلة بالمثل]

أخبرنا وكيعٌ قال حدَّثنا محمد بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرَقيُّ قال : قال يونُس بنُ عبدِ الله الخَيَّاطُ لأبيه ، وكان عاقّاً به : [من مجزوء الرجز]

ما زال بي ما زال بي طعنُ أبي في النسبِ
حتى تَرَيَّبْت وحتــ ــى ساءَ ظنّي بأبي

قال : ونشأ ليونُسَ ابنٌ يقال له : دحيم ، فكان أعقَّ النّاس به ، فقال يونسُ فيه : [من المنسرح]

جَــلا دحيــمُ عَمايةَ الرِّيَبِ والشكَّ منّي والطَّعن في نسبي
ما زال بي الظَّنّ والتشكُّك حتــ ـى عقَّني مثلَ مــا عَقَقتُ أبي

[نسيب يونس]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني يونُس بنُ الخيّاط قال : أنشدتُ سعيدَ بن عمرو الزُّبيريّ : [من الكامل]

لــو فاحَ ريحُ حبيبةٍ من حِبِّها فاحت رياحُ حبيبتي من ريحي

قال : فقال لي سعيد بن عمرو : والله إنّي لأقول النسيب ، فلا أقدر على مثل هذا . فقلت له : ومن أين تقدرُ على مثلِ هذا يا أبا عثمانَ ؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك .

[يؤثر ابنه على نفسه]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني يونُس بنُ الخيّاط قال : لمّا أعطى المهديّ المغيرةَ بنَ حبيب ألف فَريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبد الله بنُ سالم ، وقال له : [من الكامل]

ألــف تــدور على يــدِ لِمُمَدَّحٍ مــا سُوقُ مادحِه لديــه بكاسِدِ
الظنُّ منّــي لــو فرضتَ لواحدٍ في الأعجمين خصصتَني بالواحدِ

قال : فقال له المغيرة : أيّهما أَحَبّ إليك : أأفرض لك أم لابنك يونُس ؟ فقال له : أنا شيخ

1 حص : حلق الشعر . والشواة : جلدة الرأس .

كبير ، هامةُ اليوم أو غدٍ[1] ، افرِض لابني يونُسَ ، ففرض لي في خمسين ديناراً ، فلمّا خرجَت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدَي بَكّار بن عبد الله قال لي خليفته وخَليفة أيّوبَ بن أبي سمير ، وهما يعرضان أهل ديوان العطاء ، : أنت من هُذَيل ونراك قد صِرْتَ من آل الزُّبير فنَرُدُّكَ إلى فرائض هُذيلٍ خمسةَ عشرَ ديناراً . فقال لهما بكّار : إنّما جُعلتما لتَتَبّعا ولا تبتدعا ، أَمضِياه ، فأعطياني مائة وخمسين ديناراً .

[هجاء ابنه للقاضي]

أخبرني محمدُ بنُ خَلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا ابنُ أبي قَباحة الزهريّ قال : لمّا عُزِل ابنُ عِمران ، وهو عبد الله بنُ محمدِ بنِ عِمرانَ التيميُّ ، عن القضاء ، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بنِ عِكرمة المخزوميُّ ، جزِع ابنُ عِمران من ذلك ، فقال بعضُ أصحابه ليونُسَ بنِ عبد الله الخيّاطِ : اهجُ هشاماً بما يغضّ منه ، فقال : [من مجزوء الرمل]

كم تغنّـــى لي هشام ذلك الجِلــف الطويلُ
بعد وهْن وهو في المجـ ـلس سكــرانُ يميــلُ
هَـل إلى نـــار بسَلْعٍ آخِـرَ الدَّهْــرِ سَبِيلُ[2]
قلــتُ للنَّدمــان لّمــا دارتْ الرّاحُ الشَمولُ
بأَبــي مـــالَ هِشامٌ فكمـــا مـــالَ فمِيلُوا

قال : وشَهَرها في النّاسِ ، وبلغ ذلك هشاماً فقال : لعنه الله ؛ إنْ كان لَكاذباً . فقال ابن أبي قَباحة : فقلتُ لابن الخَيّاط : كذبت ، أما والله إنّه لأمرٌّ من ذلك .

[ابنه يطعن في نسبه أمام الحضور]

أخبرنا وَكيعٌ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال : قال يونُس بنُ عبد الله بن الخيّاطُ : جئتُ يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له ؛ فوقفت عليهم لأغيظه ، وقلت : ألا أُنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم : [من البسيط]

يــا سائــلي مَن أنا أو مَن أُناسبه أنــا الذي ما لَـه أَصل ولا نسبُ
الكلبُ يختالُ فخراً حين يُبصرني والكلبُ أكرمُ منّي حين يَنتسِبُ

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .
2 سلع : جبل بالمدينة ، وآخر في هذيل . الدَّهْر في ل : الليل .

لو قال لي النّاسُ طُرّاً أنتَ ألأمُنا ما وَهِم النّاسُ في ذاكُمْ ولا كذبوا

قال : فوثب إليَّ ليضربني ، وعدَوتُ من بين يديه ، فجعل يشتِمْني وأُصحابه يضحكون .

[جلد ابنه في الشراب فهجا القاضي]

أُخبرني وكيعٌ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسنِ بنِ مسعود : أنّ مالكَ بنَ أَنَس جَلد يونُسَ بنَ عبد الله بنِ سالم الخيَّـاطِ حـدّاً في الشراب . قـال : ووَلي ابن سعيد القضاء بالمدينـة ، فقال يونُس فيه : [من الرجز]

بكَتْنـــيَ النَّـاسُ لأنْ جُلِدتُ وسْط الرحَبَهْ
وأنَّنـــي أزني وقـدْ غنَّيـــتُ في المحتسِبَـهْ
أعـزِف فيهـم بِعصا مالـــكٍ المقتضَبَـهْ
فقلــت لّمــا أُكثـروا عــليَّ فيـــم الجلبَهْ
ذا ابن سعيد قد قضى وحالنـــا مقترِبَـــهْ
لا بل لـه التفضيل فيـ ـما لم أَنَــل والغلَبَهْ
بحُسن صوتٍ مُطرب وزوجـــةٍ مَغْتَصَبَـهْ

[يستزيد الزُّبير بن بكّار]

أُخبرني الحِرْميُّ ابنُ أُبي العلاء ووَكيعٌ ، قال الحِرْميُّ قال الزُّبير ، وقال وكيعٌ قال الزُّبير بنُ بكّار : أرسل إليّ ابن الخيّاط يقول : إنّي عليل[1] منذ كذا وكذا ، ومنزلي على طريقك إذا صدرتَ إلى الثّنية[2] ، وأنا أُحبّ أن أُجدِّد بك عهداً . قال : فجعلته على طريقي ، فوجدتـه على فُرُش مُضَرَّبة[3] ، وحوله وسائد ، وهو مسَجًّى . فكشف ابنه الثوب عن وجهه ، وقال له : فدَيتُك ، هذا أبو عبد الله . فقال له : أجلسني ، فأجلَسه وأسنَده إلى صدره . فجعل يقول بنَفسٍ منقطع : بأبي أنتَ وأُمّي ! أموتُ منذُ بضعَ عشرةَ ليلة ما دخل عليّ قُرَشيٌّ غيرك وغير الزُّبير بنِ هِشام وإبراهيمَ بنِ المنذر ومحمدِ بن عبد الله البكريّ ، ولا والله ما أعلم أحداً أحبّ قريشاً كحبّي . قال الزُّبير : وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلافٌ فقال : لو كنت شابّاً لفعلت بأُمّه كذا وكذا ، لا يكني ، ثم قال : [من السريع]

والله لـو عادَت بني مُصعَب حلِيلَتـــي قلـت لَهـا : بيني

1 ل : أموت .
2 ل : البنية .
3 مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .

أَو ولدي عـن حبِّهم قصّروا ضَغطتهـمْ بالرَّغـم والهُـونِ
أَو نظرَتْ عينـي خلافاً لهمْ فقأتهـا عَمـداً بسكـينِ

ثم أَقبل على ابنه ، فقال : يا بنيّ أَقول لك في أَبي عبد الله ما قال ابن هرمة لابنه في الحسن بن زيد[1] : [من البسيط]

والله جـارُ عُتـيٌّ دعـوةً شفقا من الزمان وشرِّ الأَقـرب، الوالي
مـن كلِّ أَحيـدَ عنـه لا يُقرِّبـه وسْط النجيّ ولا في المجلس الخالي[2]

[وفاته]

قال الزُّبيرُ : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله البكريّ : أنّه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه ، قال : فقال لي : يا أبا عبد الله ، أنا أجودُ بنفْسي منذ كذا وكذا ولا تخرج ، ما هكذا كانت نفْس عَبِيد ولا لَبيد ولا الحطيئة ، ما هي إلاّ نفس كلب ؛ قال : فخرجتُ فما أَبعدت حتى سمعت الواعية[3] عليه .

صوت

[من مجزوء الرمل]

بأَبـي مـا لَكَ عنّي مائلَ الطرف كليلا !
وأَرى بِـرّك نـزْراً وتَحفيـكَ قليـلا
وتُسمّينـي عـدوّاً وأُسمّيـكَ خليـلا
أَتعلّمـتَ سلُـوّاً أَمْ تبدَّلْـتَ بديـلا ؟
أَحمَـدُ الله فما أَغـ ـنى الرَّجا فيكَ فَتيلا

الشعر لعليّ بن جَبَلة ، والغناء لزُرزُور غلامِ المارقي ، خفيفُ رملٍ بالبنصر من راويتَي الهشاميّ وعبدِ الله بن موسى . وفيه لعَريبَ هزَج ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ من جَيِّد الغناء . ينسب إليها وإلى علّويَه ، وهو بغنائها أشبه منه بغناء عَلُّويَه .

1 ديوان ابن هرمة : 198 عن الأغاني .
2 النجي : المتناجون .
3 الواعية : الصراخ على الميت .

[412] ـ أخبار عليّ بن جبلة[1]

هو عليُّ بن جَبَلة بنِ عبد الله الأَبناويّ[2] ، ويكنى أَبا الحسن ، ويلقَّبُ بالعَكَوَّك ، من أَبناء الشيعة الخُراسانيّة من أهل بغداد ، وبها نشأ ، ووُلد بالحَرْبيّة[3] من الجانب الغربيّ . وكان ضريراً ، فذكر عطاءُ الملطِ أنّه كان أَكمه ، وهو الذي يولد ضريراً ، وزعم أَهلُه أنّه عمي بعد أن نشأ .

[قصر شعره على أبي دُلف وحميد الطُّوسيّ]

وهو شاعر مطبوع ، عذْب اللفظ جزله ، لطيفُ المعاني ، مدّاح حسن التصرّف . واستنفَد شعرَه في مدح أبي دُلَف القاسِم بنِ عيسى العِجْليّ ، وأبي غانم حُمَيْدِ بن عبد الحميد الطُّوسيّ ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلَف خاصّة حتى فضَّل من أُجله ربيعة على مضر ، وجاوز الحدّ في ذلك . فيقال : إنّ المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلَّ لسانه من قفاه ؛ ويقال : بل هرب ، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه ؛ وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

[اختلافه إلى مجالس الأدب]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار الثقفيُّ قال : حدَّثني الحسينُ بنُ عبد الله بن جَبَلةِ بن عليِّ بن جَبَلة قال : كان لجدِّي أولاد ، وكان عليّ أصغرهم ، وكان الشيخ يرِقّ عليه ، فجُدِر فذهبتْ إحدى عينيه في الجُدَريّ ، ثم نشأ فأسلِم في الكتّاب ، فحذقَ بعض ما يَحذِقه الصبيان ، فحُمِل على دابّة ونُثِر عليه اللَّوْز ، فوقعَتْ على عينه الصحيحة لَوزة فذهبَتْ ؛ فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاق من السُّلطان ، فإن أَعنتموني على هذا الصبيّ ، وإلاّ صرفْتُ بعض أرزاقكم إليه . فقلنا : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجالس الأدب . قال : فكُنّا نأْتي به مجالسَ العِلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان ، فما أَتى عليه الحَول حتى برع ، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لَمن حوله : أوسعوا للبنويّ وكان ذكيّاً مطبوعاً ؛ فقال الشعر .

[اتّهم بانتحال قصيدته في أُبي دُلَف فنجح في الاختبار]

وبلغه أَنّ النّاس يقصدون أَبا دُلَف لجُوده وما كان يُعطي الشعراء ، فقصده ، وكان يسمّى

1 ترجمة علي بن جبلة (العكوك) في الشعر والشعراء : 742–746 وطبقات ابن المعتزّ : 171–185 ومعجم الأدباء (عبّاس) : 2791 وابن خلكان 3 : 350–354 والسمط : 330–332 وتاريخ بغداد 11 : 359 وشذرات الذهب 2 : 30 ومرآة الجنان 2 : 53 والورقة : 106 ونكت الهميان : 209 ، وانظر بروكلمان 2 : 37 وأعلام الزركليّ ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . حسين عطوان (دار المعارف بمصر) .

2 ل : الأنباري .

3 الحربية : محلة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ، أحد قواد المنصور .

العَكَوَّك ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها[1] : [من المديد]

ذاد وِرْدَ الغـيِّ عـن صَدرهْ وارعـوى واللهـوُ من وَطَرِهْ

يقول فيها في مدحه :

يـا دواءَ الأرض إن فسدَت ومُديـلَ اليُسر مـن عُسُرِهْ

كلّ مَن في الأرض من عَرَب بـين باديـه إلى حَضَـرِهْ[2]

مستعيـر منـك مكرمـة يكتسيهـا يـومَ مُفتَخَرِهْ

إنّمـا الدُّنيـا أبـو دُلَـف بـين مَبْـداه ومحتضَرِهْ[3]

فـإذا ولّـى أبـو دُلَـفٍ ولّـتْ الدُّنيـا على أَثَرِهْ

فلمّا وصل إلى أبي دُلَف ، وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه ، استرابوه بها ، فقال له قائده : إنّهم قد اتّهموك ، وظنّوا أنّ الشعر لغيرك ، فقال : أيّها الأمير ، إنّ المحنةَ تزيلُ هذا ، قال : صدقْتَ ، فامتحنوه . فقالوا له : صِف فرسَ الأمير ، وقد أجّلناك ثلاثاً ، قال : فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول . فجعلوا معه رجلاً ، فقال هذه القصيدة في ليلته ، وهي[4] : [من الرجز]

رِيعـت لمنشور عـلى مَفرِقِـهِ ذمّ لها عهـد الصِّبا حين انتسبْ

أهـدابُ شَيب جُـددٌ في رأسه مكروهةُ الجِـدّة أنضاء العُقَبْ[5]

أشرقـنَ في أسوَدَ أزريْـن بـه كانَ دُجاه لهـوى البِيض سببْ

واعتقـنَ أيّامَ الغـواني والصِّبا عن ميِّت مطلبُـه حـيُّ الأدبْ

لم يزدجِر مُرْعَوِياً حين ارعوى لكـن يـدٌ لم تتّصـلْ بمطّلبْ

لم أرَ كالشيبِ وقـاراً يُجتَوى وكالشَّبابِ الغضِّ ظِـلاًّ يُستلَبْ

فنـازلٌ لم يُبتَهـج بِقُربـه وذاهب أبقى جـوًى حين ذهبْ

كان الشبابُ لِمّـة أزهـى بها وصاحباً حـرّاً عزيز المصطَحَبْ

إذ أنـا أجري سادراً في غيـه لا أُعتب الدّهر إذا الدّهر عتبْ

---

1 شعره : 65–70 .

2 عرب في ل : ملك .

3 للبيت روايات مختلفة سترد في هذه الترجمة .

4 شعره : 32–36 .

5 العقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

أبْعدُ شأوَ اللهـو في إجرائـه ... وأقصد الخَـودَ وراءَ المحتجَبْ
وأذعَـرُ الرَّبْـربَ عن أطفالـه ... بأعوجـيٍّ دُلَفـيٍّ المنتَسَبْ[1]
تحسبه مـن مَـرَح العزّ بـه ... مستنفَراً بروعـة أو ملتهِـبْ
مُرتهِـج يرتـجُّ مـن أقطارِه ... كالماء جالتْ فيه ريحٌ فاضطربْ[2]
تحسبـه أقعـد في استقبالـه ... حتى إذا استدبرته قلتَ أكبّ[3]
وهـْو على إرهاقِـه وطيّـه ... يقصرُ عنـه المِحزَمـان واللّببْ[4]
تقـول فيـه حَنـبٌ إذا انثنى ... وهو كمتن القِدح ما فيه حَنبْ[5]
يخطـو على عُوجٍ تناهبن الثرى ... لم يتواكل عن شظًى ولا عصبْ[6]
تَحسِبها ناتئـة إذا خطـت ... كأنّهـا واطئـة على الرُّكَبْ
شَتـا وقـاظ بُرْهَتَيْهِ عندنـا ... لم يؤتَ من برٍّ بـه ولا حَدَبْ
يصـانُ عصرَي حـرِّه وقُـرّه ... وتُقصَرُ الخُـورُ عليـه بالحَلَبْ[7]
حتى إذا تمَّـتْ لـه أعضاؤه ... لم تنحبسْ واحـدة على عَتَبْ[8]
رُمنا بـه الصيد فرادَينـا بِـه ... أوابدَ الوحش فأجدى واكتسَبْ[9]
محتـدم الجـري يبـاري ظلَّه ... ويُعرِق الأحقبَ في شوطِ الخببْ[10]
إذا تظنينـا بـه صدَّقنـا ... وإن تظنـي فوتَـه العَيرُ كذبْ
لا يَبلُـغ الجهـدَ بـه راكبُه ... ويَبلُغ الريحَ بـه حيث طَلبْ
ثـم انقضى ذاك كأن لم يَعنِـه ... وكلّ بُقيـا فإلى يـومِ عطَبْ

---

1 الأعوجي : فرس من سلالة أعوج .
2 مرتهج في ل : مطّرد .
3 أقعد : ما يكون في وظيفة استرخاء .
4 المحزم : الحزام . واللبب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع انزلاق الرحل .
5 الحنب : احديداب في صلب الفرس .
6 الشظى : انشقاق العصب .
7 الخور : الخيرة من الإبل .
8 العتب : الظلع أو الأمر الكريه .
9 رادينا : داورنا .
10 الأحقب : حمار الوحش . والخبب : نوع من العدو .

وخَلَــفَ الدهــرُ على أُبنائِــه ... بالقَدْحِ فيهم وارتجاعِ ما وهبْ[1]
فحَمَّل الدّهــر ابن عيسى قاسماً ... ينهضْ بــه أبلجُ فرّاجُ الكرَبْ
كرونقِ السيفِ انبلاجاً بالنَّدى ... وكفِرارَيــه على أهــلِ الرِّيَبْ
مـا وسِنتْ عــينٌ رأت طلعتَهُ ... فاستيقظت بنَوْبــة مــن النُّوَبْ
لولا ابن عيسى القَـرْمُ كنّا هَمَلاً ... لم يؤتَثلْ مجد ولم يُـرعَ حسبْ
ولم يقــمْ في يــوم بأْس ونَدًى ... ولا تلاقــى سبــبٌ إلى سببْ
تكاد تبدي الأرضُ مــا تضمره ... إذا تداعَت خيله هَــلا وهَبْ[2]
ويستَهِــلُّ أمــلاً وخيفــةً ... جانبُهــا إذا استهــلَّ أو قطَبْ
وهْو وإن كان ابــنَ فرعَيْ وائل ... فبِمساعيه يوافــى في الحسبْ[3]
وبعُــلاه وعُــلا آبائِــه ... تُحوى غداة السبق أخطارُ القصبْ
يا زهرةَ الدُّنيا ويا بابَ النَّدى ... ويا مجيرَ الرُّعب من يوم الرَّهَبْ
لولاك مـا كان سدًى ولا ندى ... ولا قريش عُرِفَــت ولا العربْ[4]
خذها إليك مــن مــليءٍ بالثنا ... لكنّــه غيرُ مــليءٍ بالنَّشَبْ
فأْثْــوِ في الأرضِ أو استفزز بهــا ... أنتَ عليها الرأسُ والنّاسُ الذنبْ

قال : فلمّا غدا عليه بالقصيدة وأنشده إيّاها استحسنها مَن حضر ، وقالوا : نشهدُ أنّ قائل هذه قائل تلك ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم . وقد قيل : إنّ أبا دُلَف أعطاه مائة ألف درهم ، ولكن أراها في دفعات ؛ لأنّه قصده مراراً كثيرة ، ومدحه بعدّة قصائد .

[المأمون يطلب سماع قصيدته في أبي دُلَف]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى بنُ حمّاد قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن قال : قال عبد الله بن مالك : قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أُقسم على مَن حضر ممّن يحفظ[5] قصيدة عليّ بن جَبَلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلاّ أنشدَنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بدّ من إبرار قسمه ، وما أحفظها ، ولكنّها مكتوبة

1 أبنائه في ل : على أحبابه . والقدح : الإصابة منهم .
2 هلا وهب : لفظان لزجر الخيل .
3 ل : تراقى في الحسب .
4 السدى : المعروف .
5 ل : يروي .

عندي . قال : قمْ فجئني بها ، فمضى وأَتاه بها ، فأَنشده إيّاها وهي [1] : [من المديد]

ذاد وِرْد الغيِّ عن صدَرِهْ وارعوى واللّهوُ مِن وَطَرِهْ
وأبَت إلاّ البكاءَ له ضحكات الشيب في شعَرِهْ
نَدمي أنّ الشبابَ مضى لم أُبلّغه مدى أَشَرِهْ
وانقضت أيّامه سَلَما لم أُجِد حَوْلاً على غِيَرِهْ
حَسَرت عنّي بشاشتُه وذوى المحمودُ من ثمرِهْ
ودَمٍ أَهدرْتُ من رشَإٍ لم يُرِد عَقلاً على هدَرِهْ [2]
فأَتتْ دونَ الصِّبا هنةٌ قلبتْ فُوقي على وترِهْ [3]
جارتا ليس الشبابُ لَمن راحَ محنيّاً على كِبَرِهْ
ذهبَتْ أَشياء كنت لها صارَها حِلمي إلى صَورِهْ [4]
دَعْ جَدا قحطانَ أَو مُضرٍ في يمانيه وفي مضرِهْ
وامتدحَ من وائلٍ رجلاً عَصَرُ الآفاق في عَصَرِهْ [5]
المنايا في مقانبه والعطايا في ذَرا حُجَرِهْ
ملكٌ تَندى أَناملُه كانبلاج النَّوء من مطرِهْ
مستهِلٌ عن مواهبه كابتسامِ الروضِ عن زَهَرِهْ
جبَلٌ عزَّت مناكبه أُمِنتْ عدنان في ثَغرِهْ
إنّما الدُّنيا أَبو دُلَف بين مَبداه ومحتضَرِهْ
فإذا ولَّى أَبو دُلَف ولَّت الدُّنيا عَلى أَثرِهْ
لستُ أَدري ما أَقولُ له غيرَ أَنّ الأَرضَ في خَفَرِهْ
يا دواءَ الأَرض إن فسدَت ومُديلَ اليُسرِ من عسُرِهْ
كلُّ مَن في الأَرضِ من عربٍ بين باديه إلى حضرِهْ

1 في القصيدة هنا حذف واختلاف . قارن بمجموع شعره في الديوان وطبقات ابن المعتزّ .
2 عقل : دية .
3 الفوق : موضع الوتر من السهم .
4 صار الشيء : أماله .
5 العصر : الملجأ والحمى .

مستعيرُ منكَ مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخَرهْ

يقول فيها :

وزَحوف في صواهله ... كصياحِ الحشرِ في أثرِهْ[1]
قُدْتَه والموتُ مكتمِنٌ ... في مذاكيه ومشتجَرِهْ[2]
فرمَتْ جيلوَيه منه يد ... طوت المنشورُ من نظرِهْ[3]
زرتَه والخيلُ عابسة ... تحملُ البؤسى عَلى عُقَرِهْ[4]
خارجات تحت رايتها ... كخروج الطير من وُكَرِهْ
وعَلى النُّعمان عُجتَ به ... عَوجةً ذادته عن صَدرِهْ
غمَطَ النُّعمانُ صفوتها ... فرَددتَ الصفوّ في كدرِهْ
ولقُرقورٍ أَدْرَتَ رحاً ... لم تكن ترتد في فِكَرِهْ[5]
قد تأنّيتَ البقاءَ له ... فأبى المحتومُ من قدَرِهْ
وطغى حتى رَفَعْتَ له ... خطّة شنعاء من ذِكَرِهْ

قال : فغضب المأمون واغتاظ ، وقال : لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

[أنشدها أبا دُلَف بعد قتل قرقور]

قال ابن أبي فَنَن : وهذه القصيدة قالها عليّ بن جَبَلة وقصد بها أبا دُلَف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور ، وكان من أشدّ النّاس بأساً وأعظمهم . فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى ، وأبو دُلَف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه . فبينا أبو دُلَف خرج ذات يوم يتصيّد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشقّ الأرض بجريه ، فأيقن أبو دُلَف بالهلاك ، وخاف أن يُولِّيَ عنه فيهلك ؛ فحمل عليه وصاح : يا فتيان ! يَمنةً يمنةً ، يوهمه أنّ معه خيلاً قد كمنها له ، فخافه قرقورُ وعطف عَلى يساره هارباً ، ولحقه أبو دُلَف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره ، ونزل فاحتزّ رأسه ، وحمله عَلى

1 ويروى : كضياء الفجر في أمره . والإمر : النماء والكثرة . والأَمَر : جمع امرة ، وهي الرابية والعلم الصغير من الحجارة في المفاوز .
2 المذاكي : الخيل . والمشتجر : القنا .
3 جيلويه : رجل كان ذا شوكة ، وكان بينه وبين آل أبي دُلَف حرب قتل فيها أخو أبي دُلَف ، إلى أن تغلب عليه أبو دُلف وقتله .
4 العقر : جمع عقرة ، يعقر الراكب دابته من كثرة إتعابه لها .
5 تكن في ل : تكد .

رمحه حتى أُدخله الكرَج .

قال : فحدَّثني مَن رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أُربعة نفر . فلمّا أُنشده عليّ بن جَبَلة هذه القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأُمر له بمائة أَلف درهم .

[شهرة القصيدة]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمان الأُخفش قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ الأزديّ قال : أُخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال : بينا أبو دُلَف يسير مع أُخيه معقل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مرّا بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دُلَف ، قالت : ومَن أبو دُلَف ؟ قالت : الذي يقول فيه الشاعر : [من المديد]

إنّما الدُّنيـا أُبو دُلَفٍ بين باديـه ومحتضَرِهْ
فإذا ولّـى أبـو دُلَف ولّت الدُّنيـا عَلى أُثَرِهْ

قال : فاستعبر أُبو دُلَف حتى جرى دمعُه فقال له معقلُ : مالكَ يا أُخي تبكي ؟ قال : لأنّي لم أقضِ حقَّ عليٍّ بن جَبَلة . قال : أُولَم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة ؟ قال : والله يا أُخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي عَلى أنّي لم أكُن أعطيته مائة أُلف دينار . واللهِ لو فعلتُ ذلك لما كنت قاضياً حقّه .

[أبو تمّام يعجب ببيتٍ له]

حدَّثني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمـدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قـال : حدَّثني عبدُ الله بنُ محمدِ بن جريرٍ قال : أُنشدت أبا تمّام قصيدة عليٍّ بن جَبَلة البائيّة ، فلمّا بلغتُ إلى قوله[1] : [من الهزج]

وردّ البِيـضَ والبِيــضَ إلى الأغْمـادِ والحُجُبِ[2]

اهتزّ أُبو تمّام من فَرْقِه[3] إلى قدمه ، ثم قال : أحسن ، والله لودِدتُ أنَّ لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيّرها وينتخبها مكانه .

[شروط المأمون في مدحه]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني أُحمدُ بنُ أُبي طاهر قـال : حدَّثنـي أُبو نِزارٍ الضَّبِّـيُّ الشاعر قال : قال لي عليّ بنُ جَبَلة قلت لحُمَيد بنِ عبد الحميد الطُّوسيّ : يا أُبا غانم ، إنّي قد مدحْتُ أمير المؤمنين بِمَدْح لا يحسن مثلَه أحد من أهل الأرض ، فاذكرْني له . قال : فأنشِدني ، فأُنشدتُه . قال : أُشهَد أنّك صادق ، ما يحسن أحد أن يقول هكذا . وأخذ المديح فأدخله إلى

1 شعره : 39 .
2 البيض والبيض : السيوف والنساء . والحجب : البيوت .
3 ل : من قرنه .

المأمون ، فقال له : يا حُمَيد ، الجواب في هذا واضح ، إن شاءَ عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه ، وإن شاءَ جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دُلَف وبين شعره فينا ، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره ، وأطَلْنا حبسه ، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكلّ بيت ألف درهم ، وإن شاء أقلناه . فقلت له : يا سيِّدي ومَن أنا ومَن أبو دُلَف حتى يمدحَنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء ، فاعرِض ما قلت لك على الرجل . فقال : أفعل . قال عليُّ بنُ جَبَلة : فقال لي حميد : ما ترى ؟ فقلت : الإقالة أُحبّ إليَّ ، فأخبرَ المأمون بذلك . فقال : هو أعلم ، ثم قال لي حُمَيد : يا أبا الحسن أيَّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلَف ؟ فقلت : قولي فيك[1] : [من مجزوء الرجز]

لـولا حُمَيـدٌ لم يكن حسب يُعَدّ ولا نسبْ
يا واحـد العَربِ الذي عَزَّتْ بعزّتـه العـربْ

وقولي في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيـا أبو دُلَفٍ بـين باديـه ومحتضَرِهْ
فـإذا ولّـى أبـو دُلَف وَلّتْ الدُّنيـا على أثرِهْ

قال : فأطرق حُمَيد ثم قال : لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم . وبلغ ذلك أبا دُلَف فأضعف لي العَطيّة ، وكان ذلك في سَتر منهما ، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدَّثتك به يا أبا نزار .

[يستحي من كثرة برّ أبي دُلَف]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثني محمد بنُ يزيدَ : قال : حدَّثني عليُّ بن القاسم قال : قال لي عليّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَف ، فكنتُ لا أدخلُ إليه إلاّ تَلقاني ببرّه وأفرط ، فلمّا أكثر قعدت عنه حياء منه . فبعث إليّ بمعقل أخيه ، فأتاني فقال لي : يقول لك الأمير : لمَ هجرتنا ؟ لعلّك استبطأتَ بعض ما كان منّي ، فإن كان الأمر كذلك فإنّي زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى . فدعوت مَن كتب لي ، وأمللت عليه هذه الأبيات ، ثم دفعتها إلى معقل ، وسألته أن يوصلها ، وهي[2] : [من الطويل]

هجَرْتـك لم أهجركَ من كُفر نعمةٍ وهل يُرتَجَـى نَيـل الزيادة بالكُفْرِ
ولكنّنـي لمـا أتيتُـك زائـراً فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ

---

1 شعره : 31 .

2 لم ترِد هذه الأبيات في مجموع شعره .

فمـــلآن لا آتيـــكَ إلاّ مسلّمـــاً   أُزوركَ في الشهريْن يوماً وفي الشهرِ
فـــإن زدتنـــي بـــرّاً تزايدت جَفوة   ولم تلقني طـول الحيـــاة إلى الحشرِ

قال : فلمّا سمعها معقل استحسنها جدّاً ، وقال : جوّدتَ واللهِ ، أَمَا أَنّ الأَمير ليُعجب بمثل هذه المعاني ، فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال ؟ : للهِ دَرّه ! ما أشعره ، وما أرقّ معانيه ! ثم دعا بدواة ، فكتب إليّ : [من الطويل]

أَلا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه   وآنستُه قبـــل الضيافـــةِ بالبشرِ
أَتـــاني يرجِّيني فمـــا حـــال دونه   ودون القِرى من نائلي عنده سِتري
وجَدتُ لـــه فضلاً عليَّ بقصدِهِ   إليَّ وبِـــرّاً يستحقُّ بـــه شكري
فلم أعـــدُ أَن أدنيتُـــه وابتدأْتُه   ببشرٍ وإكـــرامٍ وبـــرٌّ على بـــرِّ
وزوّدتُـــه مـــالاً قليـــلاً بقـــاؤه   وزوّدني مدحـــاً يـــدومُ على الدّهرِ

ثـم وجّـه بهـذه الأبـيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار ، فذلك حيث قلت لـه : [من المديد]

إنّمـــا الدُّنيـــا أَبو دُلَفٍ   بـــين باديـــه ومحتضَرِهْ

[ردّه عبد الله بن طاهر]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسِم قال : حدَّثني نادر مولانا : أنّ عليَّ بن جَبَلة خرج إلى عبدِ الله بنِ طاهر والي خُراسان ، وقد امتدحه ، فلمّا وصل إليه قال له : أَلستَ القائل : [من المديد]

إنّمـــا الدُّنيـــا أَبو دُلَفٍ   بـــين باديـــه ومحتضَرِهْ
فـــإذا وَلَّـــى أَبو دُلَف   ولَّـــتْ الدُّنيـــا على أَثرِهْ

قال : بلى ، قال : فما الذي جاءَ بك إلينا ، وعَدلَ بك عن الدُّنيا التي زعمتَ ؟ ارجع من حيث جئت ، فارتَحَل ، ومرَّ بأَبي دُلَف وأعلمه الخَبَر ، فوصله بما أرضاه . قال نادر : فرأيته عند مولاي القاسم بن يوسف ، وقد سأله عن خبره فقال[1] : [من الطويل]

أَبو دُلَـــف إن تلقـــه تلقَ ماجداً   جواداً كريماً راجـحَ الحلم سيّدا
أَبو دُلَـــف الخَيراتِ أَنداهـــمُ يداً   وأَبسط معروفـــاً وأَكـــرم محتِدا
تـــراثُ أَبيه عـــن أَبيه وجـــدِّه   وكلّ امرىء يجري على ما تعوّدا

1 شعره : 47 .

ولستُ بِشاكٍ غيرَه لِنقيصةٍ ... ولكنّما الممدوحُ مَن كان أمجدا

[قصيدة في مدح حميد الطُّوسيّ]

قال مؤلّف هذا الكتاب : والأبياتُ التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن عليّ بن جَبَلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطُّوسيّ ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء[1] : [من مجزوء الرمل]

ليس لي ذنب سوى أنّـ ... ـي أُسميكَ خليلا
وأُناديكَ عزيزاً ... وتناديني ذليلا
أنا أهواك وحالَيـ ... ـك صَروماً ووَصولا
ثِقْ بوُدٍّ ليس يفنى ... وبعهدٍ لن يحولا
جعل اللهُ حُمَيداً ... لبني الدُّنيا كفيلا
مِلكٌ لم يجعلْ اللـ ... ـه له فيهم عديلا
فأقاموا في ذَراه ... مطمئنّين حُلولا
لا ترى فيهم مُقِلاً ... يسأل المُثري فُضولا
جادَ بالأموالِ حتى ... علَّم الجُودَ البخيلا
وبنى الفخرَ على الفخـ ... ـرِ بناءً مستطيلا
صار للخائف أمناً ... وعلى الجُودِ دليلا

[رثاء الطُّوسيّ]

ولمّا مات حُميد الطُّوسيّ رثاه بقصيدته العينيّة المشهورة ، وهي من نادر الشعر وبديعه ، وفي أوّلها غناء من الثقيل الأوّل ، يقال : إنّه لأبي العَنْبَس ، ويقال : إنّه للقاسم بنِ زُرْزُور[2] : [من الطويل]

أَلِلدَّهر تبكي أم على الدَّهر تجزعُ ؟ ... ومـا صاحب الأيّـام إلاّ مفجّعُ
ولو سَهَّلَت عنك الأسى كان في الأسى ... عزاءٌ مُعَزٍّ للبيب ومقنَعُ
تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنّها ... سهام المنايا حائمات ووُقّعُ
أُصبنا بيوم في حُمَيدٍ لو انّه ... أَصاب عروشَ الدَّهرِ ظلت تضعضعُ

---

1 شعره : 93–94 .

2 شعره : 81–83 .

وأدَّبَنا ما أدّب النّاسَ قبلنا ... ولكنّه لم يَبْقَ للصبر موضعُ
ألم تَرَ للأيّام كيف تصرَّمت ... به وبه كانت تُذادُ وتُدْفَعُ[1]
وكيف التقى مثوًى من الأرض ضيق ... على جبل كانت به الأرض تُمنعُ
ولّما انقضَت أيّامه انقضت العلا ... وأضحى به أنفُ النَّدى وهو أجدعُ
وراحَ عدوّ الدِّين جَذلانَ ينتحي ... أمانيّ كانت في حَشاه تقطعُ
وكان حُمَيد معقِلاً ركَعت به ... قواعدُ ما كانت على الضَّيمِ تَركعُ
وكنتُ أراه كالرزايا رُزِئتُها ... ولم أدْرِ أنّ الخلقَ يبكيه أجمعُ
حِمامٌ رماه من مواضع أمنه ... حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدعُ[2]
وليس بِغَزْوٍ أن تصيبَ منية ... حِمى أختها أو أن يذِلَّ المُمنَّعُ
لقد أدركتْ فينا المنايا بثأرها ... وحلَّت بخطب وَهْيُه ليس يُرقَعُ
نَعاء حُمَيداً للسرايا إذا غدت ... تذاد بأطراف الرِّماح وتوزعُ[3]
وللمُرهَق المكروبِ ضاقت بأمرِه ... فلم يَدرِ في حَوماتها كيف يصنعُ
وللبِيض خلَّتها البُعول ولم يَدع ... لها غيرَه داعي الصباح المفزَّعُ
كأن حُميداً لم يقُدْ جيش عسكر ... إلى عسكر أشياعه لا تُروَّعُ
ولم يبعثْ الخيلَ المغيرةَ بالضّحا ... مِراحاً ولم يرجع بها وهي ظُلَّعُ
رواجع يحملنَ النِّهابَ ولم تكن ... كتائبه إلاّ على النّهبِ ترجعُ
هوى جبلُ الدُّنيا المنيعُ وغيثها الـ ... ـمَريع وحاميها الكمّيّ المشيعُ[4]
وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظعُ
فأقنعه من مُلكِه ورِباعه ... ونائِله قفرٌ من الأرض بلقعُ
على أيِّ شجوٍ تشتكي النفسُ بعده ... إلى شجوه أو يَذخَرُ الدَّمعَ مَدمعُ
ألَم تَرَ أنَّ الشمسَ حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهو أسفعُ
وأوحشت الدُّنيا وأودى بهاؤها ... وأجدبَ مرعاها الذي كان يُمرِعُ

---

1 تصرَّمت في ل : تصرفت .
2 يقدع : يدفع ويكف .
3 نعاء حميداً : انعه .
4 المشيع : الشجاع .

وقــد كانت الدُّنيـا بــه مطمئنّةً | فقــد جعلــت أُوتادهـــا تتقلّعُ
بكـــى فقدَه رَوح الحيـــاة كما بكى | نَــداه النَّــدى وابنُ السبيلِ المدفّعُ
وفارقت البيضُ الخــدور وأبرزت | عواطـــلَ حسرى بعــده لا تَقنّعُ
وأيقـــظ أجفانـــاً وكان لها الكرى | ونامت عيـــون لم تكن قبلُ تَهجعُ
ولكنّـــه مقـــدارُ يـــومٍ ثوى بـه | لكلّ امرىء منــه نِهــال ومَشرَعُ
وقـــد رأَبَ اللهُ المَــلا بمحمــدٍ | وبالأَصل يَنمـــي فرعُـــه المتفرّعُ[1]
أغـــرّ على أسيافـــه ورماحـــه | تُقسَّم أَنفـــال الخميسِ وتُجمعُ
حوى عــن أَبيه بذلَ راحته النَّدى | وطعــنَ الكُــلى والزاعبيّـــة شرَّعُ[2]

[أبو تمّام والبحتريّ يأخذان من معانيه]

وإنّما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أَخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه ، وجعله في قصيدتيه اللّتين رثى بهما أبا سعيد الثغريّ :

انظر إلى العلياء كيف تضامُ[3]

و :

بأيّ أَسى تثنى الدموع الهواملُ[4]

وقد أَخذ الطائيّ أَيضاً بعض معانيها ، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة . وإذا تأمّل ذلك منتقد بصير عرفه .

[كرم حُميد سبب تجديده في مديحه]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثني أَبو وائلة قال : قال رجل لعليّ بن جَبَلة : ما بَلغتَ في مديح أحد ما بَلغتَه في مديحك حُمَيداً الطُّوسيّ . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليّ منه أنّي أهديت له قصيدة في يوم نَيروزٍ فسُرَّ بها ، وأمر أن يحمل إليّ كلّ ما أُهديَ لـه ، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأُهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك .

---

1 الملا في ل : الثأى . ورأب الثأى : إصلاح الفساد .
2 الزاعبية : نوع من الرماح .
3 عجز البيت : ومآتم الأحساب كيـف تقـام
(ديوان البحتري : 1949) .
4 عجز البيت : وترجى زيال من جوى لا يزايل
(ديوان البحتري : 1862) .

[وصف جيش عظيم]

قال أبو وائلة : وقد كان حُمَيد ركب يوم عيد في جيش عظيم ولم يُرَ مثله ، فقال عليّ بن جَبَلة يصف ذلك[1] : [من الطويل]

غَـدا بـأمير المؤمنين ويُمْنِـه أبـو غانـم غَدْوَ النَّدى والسحائبِ[2]
وضاقت فِجاج الأرض عن كُلِّ موكب أحـاط بـه مستعليـاً للمواكبِ
كأن سُمـوّ النَّقـع والبَيضُ فوقهم سماوة ليـل قُرِّنَـت بالكواكبِ[3]
فكانَ لأهـل العِيد عيـدٌ بنُسكهم وكان حُمَيـد عيدَهـم بالمواهبِ
ولولا حُمَيـد لم تَبَلَّـج عن النَّدى يمينٌ ولم يُدرِك غنًى كسبُ كاسبِ
ولـو ملَك الدُّنيـا لما كان سائل ولا اعتام فيها صاحبٌ فضلَ صاحبِ[4]
له ضِحكة تستغرق المـالَ بالنَّدى على عبسةٍ تُشجي القَنا بالترائبِ[5]
ذهبتَ بأيّام العـلا فـارداً بهـا وصرَّمتَ عن مسعاكَ شأو المَطالِبِ
وعَدَّلت مَيـل الأرض حتى تعدّلت فلم يَنـأ منهـا جانب فوق جانِبِ
بَلغتَ بأدنـى الحـزم أبعدَ قُطرها كأنّك منهـا شاهـد كلَّ غائِبِ

[قصيدة في يوم نيروز]

قال : والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها[6] : [من البسيط]

حُمَيدُ يـا قاسِمَ الدُّنيـا بِنائله وسيفِه بـين أهلِ النّكثِ والدِّينِ
أنتَ الزّمان الذي يجري تصرّفه على الأنـامِ بتشديـد وَتَليـينِ
لو لم تكن كانت الأيّام قد فَنِيت والمكرماتُ وَماتَ المجد مُذ حينِ
صوَّرَك اللهُ من مجدٍ ومن كرمٍ وصوَّر النَّاسَ مـن ماءٍ ومن طينِ

[أبيات في أبي دُلَف]

نسختُ من كتاب بخطّ محمد بن العبّاس اليزيديّ : قال أحمد بن إسماعيل بن الخصيب

1 شعره : 41-42 .
2 ل : غدو الردى .
3 مجموع شعره :
كأن سمو النقـع والبيض تحتـه سماوات ليل أسفرت عن كواكب
4 اعتام : طلب أو أخذ . والأصل فيه أخذ العيمة ، وهي خيار المال .
5 تشجي : تغص .
6 شعره : 111 .

الكاتب : دخل عليٌّ بن جَبَلة يوماً إلى أبي دُلَف فقال له : هات يا عليٌّ ما معك . فقال : إنّه قليل . فقال : هاتِه ، فكَم من قليل أجودُ من كثير فأنشده[1] : [من البسيط]

اللهُ أجرى مـــن الأرزاقِ أكثرَها على يديك فشكراً يـــا أبا دُلَفِ
أعطـــى أبو دُلَــف والرِّيحُ عاصفةٌ حتى إذا وَقَفَت أعطى ولم يقِفِ

[أبو دُلَف يتطيّر من شعره]

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلمّا كان بعد مدّة دخل إليه ، فقال له : هات ما معك فأنشده[2] : [من السريع]

مِـن مَلَكِ المـوتِ إلى قاسم رسالــةٌ في بطــنِ قِرطاسِ
يا فارسَ الفُرسانِ يوم الوغى مُرْني بمَنْ شئتَ مـن النّاسِ

قال : فأمر له بألفي درهم ، وكان قد تطيّر من ابتدائه في هذا الشعر ؛ فقال : ليست هذه من عطاياك أيّها الأمير ، فقال : بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعُنا من تحمّلك ، رسالةَ ملك الموت إلينا .

[هجاء الهيثم بن عديّ]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزِيُّ قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله قال : حدَّثني عليّ بن جَبَلة العكَوَّك المروزيّ قال : جاءني أبو يعقوب الخُرَيميّ فقال لي : إن لي إليك حاجة . قلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهَيثم بنَ عدِيّ . فقلت : وما لك أنتَ لا تهجوه وأنت شاعر ؟ فقال : قد فعلت ، فما جاءني شيء كما أريد . فقلت له : كيف أهجو رجلاً لم يتقدّم إليّ منه إساءة ، ولا له إليّ جرم يُحفِظْني ؟ فقال : تُقرضني ، فإنّي مليّ بالقضاء . قلت : نعم ، فأمهلْني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته : [من البسيط]

لِلهَيثم بـنِ عـديٍّ نِسبة جمعت آبـــاءه فأراحتنـا مـــن العـددِ
اعدُد عدِيّـاً فلو مـدّ البقـاء لـه مـا عُمِّر النّاسُ لم يَنقصْ ولم يزدِ
نفسي فداء بني عبد المدان وقد تَلُّـوه للوجـه واستعلَوه بالعمدِ
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم وعرّفوه بذُلٍّ أين أصل عدي ؟
يا ابنَ الخبيثةِ مَن أهجو فأفضحَه إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحدِ ؟

---

1 شعره : 84 .

2 شعره : 73 .

[هجاؤه يسبب طلاق امرأة الهيثم]

قال : وكان الهيثم قد تزوّج إلى بني الحارثِ بنِ كعب ، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيد الله بن عبد المَدان الحارثيُّ ، أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرّق بينهما . فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر : [من البسيط]

إذا نسبتَ عديّاً في بني ثُعَلٍ فقدّم الدالَ قبل العينَ في النّسبِ

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . قال فهذا الشعر مَن قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهلِ الكوفة من بني شَيبان يقال له : ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيدُ داودَ بنَ زيدَ أن يُفرّقَ بينهما . فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصيّ حتى طلّقها .

[مدحه عبد الله بن طاهر واستئذانه في الرحيل]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال : شخَص عليّ بنُ جَبَلة إلى عبدِ الله بن طاهر والي خراسان ، وقد مدحه فأجزل صلته ، واستأذنه في الرّجوعِ ، فسأله أن يقيم عنده ، وكان بِرّه يتّصل عنده ، فلمّا طال مقامه اشتاق إلى أهلِه ، فدخل إليه فأنشده[1] : [من مجزوء الخفيف]

راعه الشيبُ إذ نزلْ وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدّة الصّبا فانقضى اللهوُ والغزلْ
قد لعمري دَمَلْتُه بخضابٍ فما اندملْ
فابكِ للشيبِ إذ بدا لا على الرَّبعِ والطللْ
وصَلَ اللهُ للأمـ ـير عُرى الملك فاتصلْ
ملك عزْمُه الزما نِ وأفعاله الدولْ
كِسرويّ بمَجده يَضرب الضاربُ المثلْ
وإلى ظِلّ عزّه يلجأُ الخائف الوجِلْ
كلُّ خَلق سوى الإما مِ لإنعامه خَولْ
ليته حين جادَ لي بالغنى جادَ بالقَفَلْ

قال : فضحك وقال : أبيت إلاّ أن توحشنا . وأجزل صلته ، وأذِن له .

[مدح حميد في أوّل رمضان]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدَّثني أبو وائلة

1 شعره : 89 .

السدوسيُّ قال : دخل عليٌّ بن جَبَلة العَكَوَّكُ على حُمَيد الطُّوسيّ في أوَّل يوم من شهر رمضان ، فأنشده[1] : [من الخفيف]

جعل اللهُ مَدخل الصوم فوزاً لحُميد وَمُتْعَةً في البقاء
فهْو شهرُ الرَّبيع للقُرّاء وفراقُ النَّدمانِ والصَّهباء
وأنا الضَّامنُ المليُّ لِمَن عا قرها مفطراً بطولِ الظَّماء[2]
وكأنّي أرى النَّدامى على الخسـ ـفِ يُزجون صبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارة بعض واستعاضوا مصاحفاً بالغناء

يقول فيها :

بِحُميدٍ وأين مثلُ حميد فخرَت طيّئٌ على الأحياء
جوده أظهر السماحةَ في الأر ضِ وأغنى المُقوِي عن الإقواء[3]
ملِكٌ يأمُل العباد نداه مثلَ ما يأمُلون قَطْر السماء
صاغه اللهُ مطعِمَ النّاس في الأر ضِ وصاغَ السحابَ للإسقاء

[يمدحه في شوال]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك . ثم دخل إليه ثانيَ شوال ، فأنشده[4] : [من الخفيف]

علّلاني بصفو ما في الدّنانِ واتركا ما يقوله العاذِلانِ
واسبقا فاجع المنيّة بالعيـ ـشِ فكلٌّ على الجَديدين فاني
علّلاني بشَربةٍ تُذهب الهَمّ وتنفي طوارقَ الأحزانِ
وانفُثا في مسامعٍ سدّها الصو مُ رُقى الموصليّ أو دَحْمانِ
قد أتانا شوال فاقتبل العيـ ـشَ وأعدى قسراً على رمضانِ[5]
نِعم عون الفتى على نُوَب الدهـ ـرِ سماعُ القِيانِ والعِيدانِ
وكؤوسٌ تجري بماء كُرومٍ ومطيُّ الكؤوس أيدي القيانِ

---

1 شعره : 30 .
2 المليٌّ في ل : الكفيل .
3 المقوي : الفقير .
4 شعره : 112–114 .
5 أعدى : أعان .

من عُقـار تُميت كلّ احتشامٍ وتَسُرّ النّدمـانَ بـالنّدمانِ
وكأنّ المِـزاجَ يقـدحُ منهـا شرراً في سبائـك العِقيـانِ
فاشرب الرّاحِ واعصِ مَنْ لام فيها إنّهـا نعـم عُـدّة الفِتيانِ
واصحب الدّهر بارتجال وحَلّ لا تخـف مـا يجُـرّه الحادثانِ
حسْب مستظهِرٍ على الدّهرِ ركناً بِحُميـد رِدءاً مـن الحدثانِ[1]
ملـك يقتني المكـارم كنزاً وتـراه مـن أكـرم الفتيانِ
خُلقـت راحتـاه للجود والبأ س وأمواله لشكـر اللسانِ
ملّكتْـه على العبـادِ معـدٌّ وأقـرّت لـه بنـو قحطانِ
أريحـيٌّ النّـدى جميـل المحيّا يـده والسّمـاح معتَقدانِ[2]
وجْهـه مشرق إلى معتَفيـه ويـداه بـالغيث تنفجـرانِ
جَعل الدّهر بين يوميـه قسمـ ـن بعُرفٍ جـزلٍ وحَـرٌّ طعانِ
فـإذا سارَ بالخميسِ لحـرب كَلّ عن نصّ جَرْيـه الخافقانِ
وإذا مـا هززتَـه لنـوال ضاق عن رحب صدره الأُفقانِ
غَيث جـدب إذا أقـامَ ربيعٌ يتغشّـى بـالسّيبِ كلّ مكـانِ
يا أبـا غانـم بقيتَ على الدّهـ ـرِ وخُلّدتَ مـا جرى العصرانِ
مـا نُبـالي إذا عـدَتك المنايا مَن أصابـت بكَلْكَـل وجِرانِ
قـد جعلنـا إليكَ بعثَ المطايا هرَبـاً مـن زماننـا الخوّانِ
وحَملنا الحاجات فـوق عتاق ضامنـاتٍ حوائـج الرُّكبانِ[3]
ليس جُـودٌ وراء جـودك يُنتـا ب ولا يَعتَفـي لغيـرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال : تلك كانت للصوم ، فخَفَّفت وخفّفنا ، وهذه للفطر ، فقد زدتنا وزدناك .

[أحبته جارية رغم قبحه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا أحمدُ بنُ الطيّب السَّرَخْسيّ قال : حدّثنا ابنُ أخي عليّ بنِ جَبَلة

1 الردء : العون .
2 معتقدان : معقودتان .
3 وحملنا في ل : وجعلنا .

العَكَوَّكِ ، قال أحمد : وكان عليّ جارنا بالرَبَض[1] هو وأهله ، وكان أعمى وبه وضَح . وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح ، حدَّثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظُ .

قال عمرو : وحدَّثني العَكَوَّك أنّ هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها . قال ، وذلك عنيت في قولي : [من المديد]

ودمٍ أهـدرت من رشإٍ ... لم يُـرِد عقلاً على هَدَرِهْ

[حُميد يمنعه ثم يأذن له]

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلَف ، يعني بالدّم : دم البُضع . قال : ثم قصدتُ حُمَيداً بقصيدتي التي مدحته بها ، فلمّا استؤذن لي عليه أبى أن يأذَن لي ، وقال : قولوا له : أيَّ شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيا أبو دُلَف ... بـين مَبْداه ومحتضرِهْ

فإذا ولّـي أبـو دُلَف ... ولَّتْ الدُّنْيا على أثرِهْ

فقلت للحاجب : قُل له : الذي قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصَّلتَني سمعته ، فأمر بإيصالي ، فأنشدت قولي فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

إنّمـا الدُّنيـا حُمَيد ... وأياديـــه الجسامُ

فـإذا ولّــى حُمَيد ... فعـلى الدُّنيا السَّلامُ

فأمر لي بمائتي دينار ، فنثرتها في حجر عشيقتي ، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها[3] : [من السريع]

دجلــةُ تسقي وأبو غانمٍ ... يُطعمُ مَن تسقي منْ النّاسِ

فأمر لي بمائتي دينار .

[تغيّر الجارية التي أحبّته]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بن الطيّب قال : حدَّثني ابن أخي عليّ بن جَبَلة أيضاً : أنّ عمّه عليّاً كان يهوى جارية ، وهي هذه القينة ، وكانت له مساعدة ، ثم غضبت عليه ، وأعرضت عنه ، فقال فيها[4] : [من الطويل]

---

1 الربض : ربض حرب ويعرف بالحربية ، محلة ببغداد .

2 شعره : 105 .

3 شعره : 74 .

4 شعره : 85 .

تُسيءُ ولا تستنكرُ السوءَ إنّها ... تُـدلّ بما تبلوه عندي وتَعرِفُ
فمِن أين ما استعطفتها لم ترقّ لي ... ومن أين ما جربتُ صبريَ يضعفُ

[في ترك الضيافة]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : تذاكرْنا يوماً أقبح ما هُجي به النّاس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف ، فأنشدنا عليٌّ بن جَبَلة لنفسه[1] : [من الوافر]

أقامـوا الدَّيدَبــان على يَفاعٍ ... وقالــوا لا تنَـم للدّيدَبــانِ
فإن آنستَ شخصاً من بعيد ... فصفّق بالبنــانِ على البنــانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرساً ... ويأتــونَ الصلاةَ بـلا أذانِ

[حميد يعطيه مالاً خصّصه للصدقة]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني وهب بن سعيد المَرْوزيُّ ، كاتب حُمَيد الطُّوسيّ ، قال : جئت حُمَيداً في أوّل يوم من شهر رمضان ، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار ، وقال : تصدَّقوا بهذه . وجاءه ابنه أصرمُ فسلَّم عليه ودعا له ، ثم قال له : خادمك عليٌّ بن جَبَلة بالباب ، فقال : وما أصنع به ؟ جئتني بأعمى تقابلني بوجهه في أوّل يوم من هذا الشهر . فقال : إنّه يجيد فيك القول . قال : فأنشدني بيتاً ممّا تستجيد له : فأنشده قوله[2] : [من الكامل]

حِيدي حَيادِ فإنّ غـزوةَ جيشه ... ضمنَت لجائلـةِ السّباعِ عِيالها[3]

فقال : أحسن . ائذنوا له ، فدخل فسلَّم ، ثم أنشده قوله[4] : [من المنسرح]

إن أبــا غانــم حُميـداً ... غيث على المعتفين هامي
صوَّره اللهُ سيفَ حَتـف ... وبــاب رزق على الأنامِ
يـا مانعَ الأرضِ بالعوالي ... والنِّعـم الجمـــة العظامِ
ليس مــن السّوء في مَعاذ ... من لم يكن منك في ذِمامِ
وما تعمّدتُ فيكَ وصفاً ... إلاّ تقدَّمْتـــه أمـــامي
فقــد تناهتْ بِــكَ المعالي ... وانقطعــتْ مــدّةُ الكلامِ

1 شعره : 108 .
2 شعره : 99 .
3 حيدي حياد : أمر للخيل المغيرة بالروغان .
4 شعره : 107 .

أَجِدَّ شهـراً وأَبِـل شهراً　　　واسلم على الدَّهرِ أَلفَ عامِ

قال : فالتفت إليَّ حُميد ، وقال : أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره .

[يتشفّع بحميد إلى أبي دُلَف]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يعقوبُ بن إسرائيل قال : حدَّثني أَبو سُهيل عن سالم مولى حُميد الطوسيّ قال : جاءَ عليّ بنُ جَبَلة إلى حُمَيد الطُّوسيّ مستشفعاً به إلى أبي دُلَف ، وقد كان غضب عليه وجفاه ، فركب معه إلى أبي دُلَف شافعاً ، وسأله في أمره ، فأجابه واتّصل الحديث بينهما وعليٌّ بن جَبَلة محجوب ، فأَقبَل على رجل إلى جانبه وقال : أَكتبْ ما أقول لك ، فكتب[1] : [من البسيط]

لا تتركَـــي ببابِ الدّارِ مطّرَحاً　　　فالحُرُّ ليسَ عن الأَحرارِ يَحتجبُ
هبنا بـلا شافع جئنا ولا سبب　　　أَلستَ أَنت إلى معروفك السببُ ؟

قال : فأمر بإيصاله إليه ، ورضي عنه ووصله .

[المخزومي يتحرج من الإنشاء في حضرته]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَحمد بنُ مروان قال : حدَّثني أبو سعيد المخزومي قال : دخلت على حُمَيد الطُّوسيّ ، فأَنشدتُه قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير ، فجعل لا يمرّ ببيت إلاّ قال : أحسن قاتله الله ! أحسن ويحه ! أحسن لله أبوه ! أحسن أيّها الأمير . فأمر لي حُمَيد بِبَدرة ، فلمّا خرجتُ قام إليَّ البوّابون ، فقلت : كَم أنتم ؟ عرِّفوني أوّلاً مَن هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : عليُّ بنُ جَبَلة العَكَوَّكُ . فارفضضْتُ عرَقاً ، ولو علمتُ أنّه عليّ بن جَبَلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه .

[رواية أخرى في شروط المأمون لقبول مدحه له]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال : كلّم حُمَيد الطُّوسيّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جَبَلة ، فيسمعَ منه مديحاً مدحه به ، فقال : وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّمـا الدُّنيا أبـو دُلَفٍ　　　بـين مَغـزاه ومحتضرِهْ
فـإذا وَلّى أبـو دُلَف　　　ولّتْ الدُّنيـا على أَثرِهْ

وبعد قوله فيك : [من مجزوء الرجز]

يا واحد العرَب الذي　　　عـزّتْ بعزّتـه العَرَبْ

---

1 شعره : 45 .

أُحسن أَحواله أَن يقول فيَّ مثل ما قاله في أَبي دُلَف ، فيجعَلني نظيراً له . هذا إن قدَر على ذلك ولم يقصر عَنْه ، فخيِّروه بين أن أسمع منه ، فإن كان مدحُه إيّاي أفضل من مدحِهِ أبا دُلَف وصلته ، وإلاّ ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه ، وبين أن أُقيله وأعفيه من هذا وذا . فخيَّروه بذلك ، فاختار الإقالة .

[يمدح حميداً الطُّوسيّ بخير من مدحه أبا دُلَف]

ثم مدح حُمَيداً الطُّوسيّ ، فقال له : وما عَساك أَن تقول فيَّ بعدما قلته في أَبي دُلَف ، فقال : قد قلتُ فيك خيراً من ذلك قال : هات ، فأَنشده : [من السريع]

دجلــة تَسقي وأَبــو غانــمٍ   يُطعمُ مَــن تسقي من النَّاسِ
النَّــاسُ جسمٌ وإمــامُ الهُدى   رأْس وأَنــتَ العينُ في الرأْسِ

فقال له حُمَيد : قد أجدتَ ، ولكن ليس هذا مثل ذلك ، ووصلَه .

[لا يبلغ شأو الخريميّ في الرثاء]

قال أحمد بن عُبَيد ، ثم مات حُميد الطُّوسيّ ، فرثاه عليّ بن جَبَلة ، فَلقيتُه ، فقُلت له : أنشدني مرثيتك حُمَيداً ، فأنشدني : [من الطويل]

نَعاء حُمَيداً للسرايــا إذا غدَتْ   تُذاد بأَطــرافِ الرِّمــاحِ وتوزعُ

حتى أتى على آخرها ، فقُلت له : ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أَبا الحسن ، وقد قاربته وما بَلغته . فقال : وما هو ؟ فقُلت : أردتُ قول الخُرَيمي في مرثيته أبا الهَيْذام : [من الطويل]

وأَعددتُه ذخراً لكــلّ مُلمــة   وسهم المَنايا بالذخائــرِ مُولعُ

فقال : صدقت والله ، أَما والله لقد نحوتُه وأَنا لا أُطمع في اللَّحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة .

[غضب المأمون عليه]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثني ابنُ أَبي حرب الزعفرانيّ ، قال : لمّا بلغ المأمونَ قول عليّ بن جَبَلة لأبي دُلَف : [من المديد]

كلُّ مَن في الأَرضِ من عَرَب   بــين باديــه إلى حضــرهْ
مستعير منــكَ مكرمــةً   يكتسيهــا يــومَ مفتخَــرهْ

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فطُلِب فلم يُقْدَر عليه ، وذلك أَنّه كان بالجَبَل ، فلمّا اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة ، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه . فهرب من الجزيرة أيضاً ، وتوسّط الشّام فظفروا به ، فأَخذوه ، وحملوه إلى المأْمون ، فلمّا صار إليه قال له : يا ابن اللَّخْناء ، أنتَ القائل للقاسم بن عيسى : [من المديد]

كلُّ مَن في الأرضِ من عَرَب ... بين باديه إلى حضرهْ
مستعير منكَ مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخَرهْ

جعلتنا مِمّن يستعير المكارم منه ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد ، لأنّ الله جلَّ وعزَّ فضَّلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه . وإنّما عنَيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانَه . فقال : واللهِ ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ ، سُلّوا لسانه من قَفاه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بن موسى قال : وحدَّثني أحمد بنُ أبي فَنَن : أنَّ المأمون لمّا أُدخِل عليه عليّ بنُ جَبَلة قال له : إنّي لست أستحلُّ دمَك لتفضيلك أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ، وهم آل رسول الله ﷺ وعترتُه ، ولكنّي أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أُشركت فيه[1] : [من البسيط]

أنتَ الذي تنزل الأيّامَ منزلها ... وتَنقل الدهرَ من حال إلى حالِ
وما مددْتَ مَدى طَرف إلى أحدٍ ... إلاّ قضيتَ بأرزاق وآجالِ

كذبتَ يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ، ما يقدر على ذلك أحد إلاّ الله ، عزَّ وجلَّ ، الملك الواحد القهّار . سُلّوا لسانَه من قفاه .

صوت

[من المنسرح]

لا بدَّ من سَكرةٍ على طرَبِ ... لعلَّ رَوْحاً يُدال من كُرَبِ

ويُروى :

لعلَّ روحاً يُديلُ من كربِ

وهو أصوب .

فعاطنيها صهباءَ صافيةً ... تَضحكُ من لؤلؤ على ذهبِ
خليفةَ اللهِ أنتَ منتخَب ... لِخير أُمٍّ من هاشمٍ وأبِ
أكرِمْ بأصلَيْنِ أنتَ فرعهما ... من الإمامِ المنصورِ في النسبِ

الشعر للتيميّ ، والغناء لسُلَيم بنِ سلاّم ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، وفيها لنظم العمياء خفيفُ رمَل بالبِنصر عن الهِشاميّ .

* * * *

1 شعره : 95 .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد العشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

20

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[413] ـ أَخبار التيميّ ونسبه

[أحد الخلعاء المجان]

هو عبدُ الله بنُ أَيّوب ، ويكنى أَبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سُلَيم . ذكر ذلك ابن النّطاح ، وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحان ، وكلاهما كان شاعراً ، وهما من أهل الكوفة ، وهما من شعراء الدّولة العبّاسيّة ؛ أحدُ الخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر ؛ وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، ونديماً لهما ، ثم اتَّصل بالبرامكة ومدحهم ، واتَّصل بيزيدَ بن مَزْيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد .

[أكثر شعره في الخمر]

واستنفد شعره أَو أَكثره في وصفه الخمر ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

شَرَبتُ من الخمرِ يوم الخميـ ـس بالكأسِ والطّاسِ والقَنْقَلِ[1]
فمـا زالتْ الكأس تغتالنـا وتَذهـبُ بـالأَوَّل الأَوّلِ
إلى أَن توافَـت صلاة العشا ونحـن مـن السُّكرِ لم نعقلِ
فمَن كان يعرفُ حقَّ الخميس وحـقَّ المُـدام فـلا يجهلِ
وما إن جـرَت بيننا مَزحـة تهيـج مِـراءً على السلسلِ

وهو القائل : [من الطويل]

ولن أَنتهي عن طيِّب الرَّاحِ أَو يَرى بَوادي عظامي في ضريحيَ لاحدُ
أَضعتُ شبابي في الشرابِ تلذّذاً وكنتُ امـرءاً غِرّ الشّباب أَكابدُ

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني أبو العيناء عن محمد بن عمر ، قال : أبو محمد التيميُّ اسمه عبدُ الله بنُ أيّوب مولى بني تَيم .

[رثاؤه ابنه]

أَخبرني أَحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار عن محمد بن داود بنِ الجرّاح قال : قال دعبل : كان للتيميّ أبي محمد ابنٌ يقال له حيّان ، ومات وهو حديث السِنّ ، فجزع عليه ، وقال يرثيه : [من البسيط]

صوت

أُودى بحَيّـانَ مـا لم يتركْ النّاسا فامنح فؤادَكَ من أحبابك الياسا

---

1 الخمر في ل : الراح . والقنقل : المكيال الضخم .

لمـــا رَمته المنايـــا إذ قصدن له أُصبن منِّي سواد القلب والراسا
وإذ يقــول لي العُوَّاد إذ حضروا لا تأس أَبشر أَبــا حيان لا تاسى
فبتُّ أَرعى نجومَ الليـــل مكتئباً إخال سُنَّتـــه في الليـــلِ قرطاسا[1]

غنَّى في الأَوَّل والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي ، ولحنُه رمَل مطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة : [من البسيط]

يا دَيرُ هند لقد أَصبحت لي أَنسا وما عهدتكِ لي يــا دَيرُ مِئْناسا

وهي مشهورة من شعره .

[يجيز بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه]

أَخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : قلت :

وُصف الصدُّ لِمَن أُهوى فَصَدَّ

ثم أَجْبَلْتُ ، فمكثت عدّة ليال لا يستوي لي تمامه . فدخل عليٌّ التيميّ فرآني مفكّراً ، فقال لي : ما قصَّتُك ؟ فأَخبرتُه ، فقال :

وبـــدا يمزح بالهجـــر فجَدّ

ثم أَتممتها . فقلت : [من الرمل]

ما لَـــهُ يَعدلُ عنِّي وجهَه وهو لا يعدِله عندي أَحدْ

وخرجْت إلى مدح الفضل بن الرَّبيع ، فقلت :

قــد أَرادوا غِرّة الفضل وهل تُطلب الغِرّة في خِيس الأَسدْ[2]
مِلِكٌ ندفَــع مـــا نخشى به وبِــه يَصلُح منّــا مــــا فسدْ
يفعل النّاسُ إذا مـــا وعــدوا وإذا مـــا فعـــل الفضلُ وعدْ

لإسحاق في هذا الشعر صَنْعَة ، ونِسْبتُها :

صوت

وُصف الصدُّ لِمن نهوى فصدْ وبـــدا يمــــزحُ بالهجرِ فجَدْ
مـــا لَـــهُ يَعدِلُ عنِّي وجهَه وهـــو لا يعدِلـــه عندي أَحدْ

الشعر والغناء لإسحاق ، خفيفُ رمل بالبِنصر ، وله فيه أَيضاً ثقيل أَوَّل ، وفيه لزكريّا بن

1 سنته : وجهه أو جبهته .

2 من المثل «كمبتغي الصيد في عريسة الأسد» : جمهـرة العسكري 2 : 150 ، 175 وفصل المقال : 363 .

يحيى بنِ معاذ هزَج بالبِنصر عن الهشاميّ وغيره . قال الهشاميّ : وقيل إنّ الهزَج لإسحاق ، وخفيف الرمَل لزكريّا .

أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجّم عن إسحاق قال : اشتركت أنا وأبو محمد التيميّ في هذا الشعر : [من الرمل]

وُصف الصد لِمَن نهوى فصدْ

وذكر البيتين .

[يطلب الرشيد إنشاء مرثيته في يزيد بن مزيد]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ طَهمان قال : حدَّثني محمد الرّاوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدَثين على الرشيد ، قال : قال لي الرّشيد يوماً : أَنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدة التي يقول فيها[1] : [من الوافر]

كأَن الشمس يوم أُصيب معنٌ ... من الإظــلامِ مُلْبَسة جِلالا
هو الجبل الذي كانت معــدّ ... تَهُــدّ مــن العَدُوّ بــه الجبالا
أَقمنا باليمامــةِ بعــدَ معــنٍ ... مُقامــاً لا نريــدُ بــه زِيالا
وقلنا أَين نذهبُ بعــد معنٍ ... وقد ذهب النَّوالُ فــلا نَوالا

قال : فأَنشدته إيّاها ، ثم قال لي : أَنشدني قصيدة أَبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ بن مَزْيد ، فهي والله أحبّ إليَّ من هذه ، فأنشدته[2] : [من الوافر]

أَحــقٌ أَنّــه أُودى يَزِيــدُ ... تبيّــن أَيّها النّاعــي المُشيدُ
أَتدري مَن نعيتَ وكيف فاهتْ ... به شفتاك ، كان بِكَ الصعيدُ
أَحامي المجد والإسلام أَودى ... فما للأَرض ويحكَ لا تميدُ
تأَمَل هل ترى الإسلام مالت ... دعائمــه وهــل شابَ الوليدُ
وهل شِيمت سيوف بني نزار ... وهل وُضعَتْ عن الخيلِ اللُّبودُ
وهل تسقي البلادَ عِشارُ مُزنٍ ... بِدِرّتها وهل يخضرُّ عودُ[3]
أَمــا هُــدت لِمصرَعه نِزارٌ ... بَلى وتقــوّض المجــد المَشيدُ

---

1 ديوان مروان بن أَبي حفصة : 270–271 .

2 نسبت القصيدة إلى مسلم بن الوليد (انظر ترجمته وديوانه : 147–149) .

3 العشار : النوق الحديثات النتاج ، ونقله مجازاً إلى الغيم .

وحَلَّ ضريحَــه إذ حَــلَّ فيه طريفُ المجدِ والحسبُ التَّليدُ
أمــا والله مــا تنفــكّ عَيني عليك بدمعهــا أبــداً تجودُ
فإن تجمُــد دموع لئيم قومٍ فليس لدمع ذي حسب جُمودُ
أبعد يزيــد تَختَزنُ البواكي دموعاً أو تُصانُ لها خدودُ ؟
لِتبكِــك قبّــةُ الإسلام لمــا وهت أطنابُها ووهَى العمودُ
ويبكك شاعــرٌ لم يُبقِ دهرٌ له نَشَباً وقــد كسَد القصيدُ
فمَنْ يدعو الإمامُ لكلِّ خطبٍ ينــوبُ وكلِّ معضلةٍ تئودُ ؟
ومَن يحمي الخميسَ إذا تعايا بحيلــة نفسه البطــلُ النجيدُ
فإن يهلك يزيــد فكلّ حيٍّ فَريسٌ للمنيَّــةِ أو طريــدُ
ألم تعجب لــه أنّ المنايــا فَتكْنَ بــه وهُــنَّ له جنودُ
قصدن لــه وهنّ يحِدن عنه إذا ما الحرب شبَّ لها وقودُ
لقــد عــزَّى ربيعــةَ أنَّ يوماً عليها مثــلَ يومــك لا يعودُ

قال : فبكى هارون الرّشيد بكاء اتّسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[1] لملأها من دموعه .

[يجيز أبياتاً للأمين]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال حدَّثنا أبو العيناء قال حدَّثنا محمدُ بن عمرَ قال : خرج كوثرٌ خادمُ محمدِ الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رَجْمة في وجهه ، فجلس يبكي ، فوجَّه محمدٌ مَن جاءَه به ، وجعل يمسح الدَّم عن وجهه ، وقال : [من مجزوء الرمل]

ضربوا قُــرّة عيني ومن آجلِـي ضربوهُ
أخــذ الله لِقلبــي مــن أُنــاس أحرقوهُ

قال : وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الرَّبيع : من هاهنا من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بنَ أيّوبَ التيميَّ ، فقال : عليَّ به . فلمّا أُدخل أنشده محمد هذين البيتين ، وقال : أجِزهما ، فقال : [من مجزوء الرمل]

مــا لِمــن أهوى شبيهٌ فبِــه الدُّنيــا تتيــهُ
وصْلُه حلــو ولكــن هجــره مُــرّ كريــهُ
مَن رأى الناسُ له الفضـ ـــلَ عليهــم حسدوهُ

---

1 السكرجة : الصَّحْفة .

مثلَ ما قــد حسد القا ئــمَ بــالملك أخــوهُ

فقال محمد : أَحسنتَ ، هذا والله خير ممّا أَردنا ، بحياتي عليك يا عبّاسيّ[1] إلاّ نظرت ، فإن جاء على الظَّهر ملأتَ أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته . فأوقرتُ له ثلاثة أبغلٍ دراهم .

[يمدح المأمون فيعفو عنه]

قال محمد بن يحيى : فحدَّثني الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني محمد بن إدريس قال : لمّا قُتِل محمدُ الأمين خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المأمون ، فلمّا سلَّم عليه قال له المأمون : إيه يا تيميّ . [من مجزوء الرمل]

مثلَ ما قــد حسد القا ئــمَ بالملــك أخــوهُ

فقال التيميّ : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين : [من مجزوء الرمل]

نُصر المأمون عبـدُ اللــ ــهِ لمــا ظلمــوهُ

نقضوا العهــدَ الذي كا نــوا قديمــاً أكَّدوهُ

لم يعاملــه أخـــوه بــالذي أوصى أبــوهُ

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أوّلها : [من الطويل]

جزِعتَ ابنَ تيم أن أتاك مشيبُ وبــانَ الشبابُ والشبابُ حبيبُ[2]

قال : فلمّا أنشده إيّاها وفرغ منها قال : قد وهبتك لله ، عزَّ وجلَّ ، ولأخي العبّاسيّ ، يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

[الأمين يأمر له بمائتي ألف درهم]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني عونُ بن محمد الكنديّ قال : حدَّثني عبّاد بنُ محمد الكاتب عن أبي محمد التّيميّ الشاعر قال : أنشدتُ الأمين محمداً أوّل ما وَلي الخلافة قولي : [من المنسرح]

لا بُـدَّ من سَكرةٍ على طربِ لعلَّ رَوحاً يُديلُ مـن كُرَبِ

الأبيات المذكورة في الغناء . قال ، فأمر لي بمائتي ألف درهم ، صالحوني منها على مائة ألف درهم .

1 يا عباسي : المقصود هو الفضل بن الربيع .

2 أتاك في ل : علاك ، وبان الشباب في ل : وبان شبابُ .

[تمنّى عليه الأمين مديحاً]

وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني محمدُ بنُ يحيى المنجّم قال : وحدَّثني حسين بن الضّحاك قال : قال لي أبو محمد التّيميّ : دخلتُ على محمدٍ الأمين أوّل ما وَلي الخلافة ، فقال : يا تيميّ ، ودِدت أنّه قيل فيّ مثل قول طُريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد : [من المنسرح]

طوبى لفرعَيك مـن هنا وهنا   طوبى لأعراقـك التي تَشجُ

فإنّي واللهِ أحقُّ بذلك منه . فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين ، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي : [من المنسرح]

لا بُـدَّ من سَكرةٍ على طـربِ   لعلَّ رَوحـاً يُدِيل من كُربِ

حتى انتهيت إلى قولي :

أَكرِمْ بفرعـين يَجريـان بـه   إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

فتبسَّم ، ثم قال لي : يا تيميّ قد أَحسنت ، ولكنّه كما قيل : مرعى ولا كالسَّعدان[1] ؛ ثم التفتَ إلى الفضلِ بنِ الرَّبيع فقال : بحياتي أوقِرْ له زورقَه مالاً . فقال : نعم يا سيِّدي . فلمّا خرجت طالبت الفضل بذلك ، فقال : أنتَ مجنون ؟ مِن أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم .

[الفضل بن يحيى يجيزه]

أخبرني وَكيع قال : حدَّثني ابنُ إسحاق قال : حدَّثني أَبي قال : كنت على بابِ الفضل بن يحيى ، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس ، وسألني أن أوصلها إلى الفضل ، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس ؛ فغضب أبو محمد وقال لي : أما كفاك أن استخفَفْت بحاجتي حتى منعتَني أن أدفعها إلى غيرك ؟ فقلت له : أنا خير لك من القِرطاس ، ثم دخلت إلى الفضل ، فلمّا تحدَّثنا قلت له : مَعي هديّة وصاحبها بالباب ؛ وأَنشدته ؛ فقال : كيف حفِظتها ؟ قلت : الساعةَ دفعها إليَّ على الباب ، فحفِظتها . فقال : دع ذا الآن . فقلت له : فأدخله ، فأُدخِل ، فسأله عن القصّة فأخبره . فقال : أنشدني شيئاً من شِعرك ففعل ، وجعلت أُردد أَبياته ، وجعلت أُشيّعها بالاستحسان . ثم خرج التيميّ فقلت : خُذ في حاجة الرجل ، فقال : أمّا إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : أمّا إذ أقللتَها فعجِّلها ، فأمر بها فأُحضرت . فقلت له : أليس لإعناتك إيّاي ثمن ؟ قال : نعم . قلت : فهاتِه . قال : لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح . فقلت : فهات ما شئت ، فأمر بثلاثة

1 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وفصل المقال : 199 وجمهرة العسكري 242:2 .

آلاف درهم ، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف ، ووجَّهتُ بها إليه .

[سكرة شنعاء]

وذكر أَحمدُ بنُ طاهر عن أَبي هِفّان عن إسحاق قال : كان التيميّ وأَخوه أَبو التَّيَّحان وابن عمٍّ له يقال له : قَبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد ، فقال التيميّ يذكر ذلك ويتشوّق مثله : [من الخفيف]

صوت

هل إلى سَكرةٍ بناحيــةِ الحـ ـيرةِ شنعاءَ يـا قَبيصُ سبِيلُ
وأَبــو التَّيَّحانِ في كَفِّــه القر عــةُ والرأس فوقــه إكليلُ
وعَرار كأنّه بيـذق الشِّطرنـ ـج يفتنُّ فيــه قــالٌ وقيلُ

الشعر للتيميّ والغناء لمحمد بن الأشعث ، رَمل بالوسطى .

[يشتري ضيعة بجائزة الأمين]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا أَبو العيناء عن أَبي العالية ، قال : أَمر محمدٌ الأَمينُ لعبد الله بنِ أَيّوبَ بجائزةٍ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه ، فاشترى بها ضيعة بالبصرة ، وقال بعد ابتياعه إيّاها : [من الكامل]

إنِّي اشتريتُ بما وهبتَ لِيَـهْ أَرضاً أَمــونُ بهــا قرابَتِيَهْ[1]
فبحسن وجهك حين أَسأَل قُل يــا ابن الرَّبيع احمل إليه مِيَهْ

فغُنِّيَ بها الأمين ، فقال للفضل : بحياتي يا عبّاسيّ ، احمل إليه مائة ألف . فدَعا به فأَعطاه خمسين ألفاً ، وقال له : الخمسون الأُخر لك عليّ إذا اتسعَت أيدينا .

[المأمون يعطيه ثمن جارية]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثني أَبو العيناء ، عن أَبي العالية قال : عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين ، فشكا وجده بها إلى أَبي عيسى بن الرّشيد ، فقال أَبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ التيميَّ يجد بجارية لبعض النخاسين ، وقد كتب إليّ بيتين يسألني فيهما ثمنها ، فقال : وما هما ؟ فقال : [من الرمل]

يــا أَبا عيسى إليك المُشتَكى وأَخــو الصبرِ إذا عيــل شكا
ليس لي صبر على فقدانِهــا وأعــــاف المَشربَ المشتركا

قال : فأَمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .

1 أمون : أوفر المؤنة .

[يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد]

أخبرني الحسن قال : حدَّثني أبو العيناء عن أبي العالية قال : دخل التيميّ إلى الفضل بن الرَّبيع في يوم عيد فأنشده : [من الطويل]

ألا إنّما آلُ الرَّبيع ربيعٌ وغيثُ حَيَاً للمرمِلين مَريعُ
إذا ما بدا آل الرَّبيع رأيتَهم لهم دَرَج فوق العبادِ رفيعُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[ثلاثة آلاف على ثلاثة أبيات]

أخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : مدح أبو محمد التيميّ الفضلَ بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصليّ ، فعرضها على الفضل بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات : [من الطويل]

لعمركَ ما الأشرافُ في كلِّ بلدة وإن عظموا للفضل إلاّ صَنائِعُ
تَرى عظماء النّاسِ للفضلِ خُشَّعاً إذا ما بدا والفضلُ للهِ خاشِعُ
تواضَع لمّا زادَهُ اللهُ رفعةً وكلُّ جليلٍ عندَه متواضِعُ

[ينظم في معنى للحجّاج]

أخبرني جَحظةُ قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المنجّم قال : حدَّثني إسحاقُ الموصليُّ عن محمد بن سلاّم قال : كتب الحجّاجُ إلى قُتَيبة بنِ مسلم : إنّي قد نظرت في سِنِّي ، فإذا أنا ابنُ ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لِدة عام . وإنّ امرءاً قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقريب أن يَرِده ، والسلام .

فسمع هذا أبو محمد التيميّ منّي فقال : [من الطويل]

إذا ذهب القَرْن الذي أنتَ فيهمُ وخُلِّفتَ في قَرن فأنت غريبُ
وإن امرءاً قد سار خمسين حِجّةً إلى منهل مِن وِرده لقريبُ

[إجازة المأمون على شعر في الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : حدَّثني أبو دِعامة عليُّ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني التيميُّ أبو محمد قال : دخلتُ على الحسنِ بنِ سهل ، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه ، وعنده طاهر بن الحسين ، فقال له طاهر : هذا واللهِ أيّها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع : [من المنسرح]

لا بُدَّ مِن سَكرةٍ عَلى طرَبِ لعلَّ رَوحاً يُديل من كُرَبِ

خليفــةُ الله خير منتجَــبِ ... لِخيــر أُمّ مــن هاشمٍ وأَبِ
خلافــة الله قــد تَوارثهــا ... آبــاؤه في سوالــف الكُتُبِ
فهْــي لــه دونكــم مورَّثــة ... عــن خاتــم الأَنبياء في الحِقبِ
يا ابن الذُّرى من ذوائب الشرف الـ ... ـأقدم أَنتــم دعائــم العــربِ

فقال الحسن : عرَّض والله ابن اللَّخناء بأمير المؤمنين ، والله لأعلِّمنَّه . وقام إلى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه في ذلك ؟ رجل أمَّل رجلاً فمدحه ، والله لقد أحسن بنا ، وأساءَ إليه إذ لم يتقرّب إليه إلاّ بشرب الخمر ؛ ثم دعاني فخلْع عَلَيّ وحملني ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم .

[أوّل شعر له وصل به إلى الخليفة]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو الشّبل البُرجُميّ عن أبيه قال : قال لي أبو محمدٍ التيميُّ : أوّل شعر عُرِفت به فشاع فيه ذِكري ووصَلْت به إلى الخليفة قولي : [من مجزوء الرمل]

صوت

طاف طَيــفٌ في المنـامِ ... بِمحــبٍّ مستهــامِ
زَورة أَبقــت سَقامــاً ... وشفــت بعض السَّقامِ
لم يكــن مــا كان فيها ... مــن حــرامٍ بِحرامِ
لم تكــن إلاّ فُواقــاً ... وهْــي في ليــل التِّمامِ

الغناء لإسحاق . فقال : فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنّى به الرشيد ، فسأَله عن قائل الشعر ، فقال له : صديق لي شاعر ظريف ، يُعرف بالتيميّ ، فطُلبت وأُمرت بالحضور ، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته ، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون . ودخلت إليه فأنشدته إيّاها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وصرتُ في جملة مَن يدخل إليه بنَوبة وأمر أن يدوَّنَ شعري .

[إسحاق يطعمه ويسقيه ويغنيه]

أُخبرني محمد بنُ مَزْيدِ بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثني عمِّي طَيّابِ بنُ إبراهيمَ الموصليُّ قال : حدَّثني أبو محمد التيميّ الشاعر قال : اجتزتُ يوماً بأخيك إسحاق فقال : ادخل حتى أُطعِمَك طعاماً صِرْفاً ، وأُسقيَك شراباً صِرفاً وأُغنِّيَك غِناء صِرفاً ، فدخلتُ إليه ، فأطعمني لحماً مكبّباً ، وشواء حارّاً وبارداً مبزّراً ، وأسقاني شراباً عتيقاً صِرفاً ، وغنّاني وحده مرتجلاً : [من الطويل]

ولـــو أنّ أنفاسي أصابت بحرِّها ... حديداً إذاً كاد الحديدُ يذوبُ
ولــو أنّ عيني أُطلقَت من وِكائها ... لَما كان في عام الجُدوبِ جُدوبُ[1]
ولو أنَّ سلمى تطلع الشمس دونها ... وأُمسي وراء الشمس حين تغيبُ
لحدَّثْتُ نفسي أن تَريع بها النَّوى ... وقلتُ لقلبـي إنّهـا لقريبُ[2]

فلم تَزَل تلك حالي حتى حُمِلتُ من بيتِه سكران .

[عمرو بن مسعدة يعطي حق الإذن للموصلي]

أُخبرني جَحظةُ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه ، قال : دخلتُ يوماً على عمرو بنِ مَسعدة ، فإذا أبو محمدٍ التيميُّ واقف بين يديه يستأذنه في الإنشادِ ، فقال : ذاك إلى أبي محمد ، يعنيني ، وكان عَلى التيميّ عاتباً ، فكَرِه أن يمنعه لِعِلمِهِ بما بيننا من المودَّة ، فقلت له : أنشد إذ جعل الأمر إليَّ ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إليَّ . فتبسّم عمرو ، وأنشده التيميّ : [من الخفيف]

يـا أبا الفضل كيف تغفُل عنّي ... أم تخلِّي عنـد الشدائـدِ منّي ؟
أنسيتَ الإخاءَ والعهدَ والودَّ حـ ... ـديثاً مـا كان ذلـك ظنّـي
أنا مَن قد بلوتَ في سالف الدَّهـ ... ـرِ مضَت شِرّتي ولم تفنَ سنّي
فاصطنعني لمـا ينوب بـه الدَّهـ ... ـر فإنّـي أجـوز في كلِّ فنِّ
أنا ليـثٌ على عـدوّك سِلْـمٌ ... لكَ في الحربِ فابتذلني وَصُنِّي
أنا سيفٌ يـوم الوَغى وسنانٌ ... ومجِـنٌّ إن لَـم تَثـق بمِجنِ
أنا طَبٌّ في الرأْيِ في موضع الرأْ ... ي معـين على الخصيمِ المِعَنِّ
وأمـينٌ عـلى الودائـع والسـ ... ـرِّ إذا مـا هويت أن تأتمني
ونديـمٌ إذا أردت نديمـاً ... ومغـنٍّ إن لم يـزُرك مغـنِّ

قال : فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك ، وقال : أتعلَّم هذا الغناء منك أم كان يَعلمهُ قديماً ؟ فقلت له : لم يكذب ، أعزَّك الله . فقال : أفي هذا وحده أو في الجميع ؟ فقلت : أما في هذا فأنا أحُقُّ كذبَه ، والله لأعلم بالباقي . ثم أنشدَه : [من الخفيف]

وإذا مـا أردتَ حجّاً فرحّا ... لٌ دليـلٌ إن نـام كلّ ضِفَنِّ[3]

---

1 الوكاء في الأصل : رباط القربة ، فأطلقه مجازاً على العين .

2 تريع : ترجع .

3 الضفنّ : الأحمق العظيم الخَلق .

فقال له : إذا عزمنا على الحجِّ امتحنّاك في هذا ، فإنّي أَراك تصلح له ، ثم أَنشده :

ولبيبٌ على مقال أَبي العبـ ـاس إنّي أَرى به مسَّ جِنِّ

فقال : ما أراه أبعد ، فقال :

وهو النّاصح الشفيق ولكن خاف هَيْجَ المرارِ فازورّ عنّي
وظريفٌ عندَ المزاحِ خفيفٌ في الملاهي وفي الصِّبا متثنِ
كيف باعدتَ أَو جفوتَ صديقاً لا ملولا ، لا لا ولا متجنِّ
صرتُ بعد الإكرام والأنس أَرضى منك بالتّرهاتِ ما لم تُهنِّي
لم تخُنِّي ولم أَخنك ولا واللـ ـهِ ربِّي لا خنتُ من لم يخنّي
إن أَكن تُبتُ أَو هجرت الملاهي وسُلافاً يُجنُّها بطنُ دَنِّ
فحديثي كالدّرِّ فُصِّل باليا قوت يجري في جيد ظبي أَغنِّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال له : هذا شيء تطوّعتَ به ، فأين موضع حُكمي ؟ فقال : مثلها ، فانصرف بعشرة آلاف درهم .

[حنين إلى الشراب]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال : مرَّ التيميّ بالحِيرة على خَمّار كان يألفه ، وقد أسنَّ التيميّ وأُرعش ، وترك النبيذ . فقال له الخمّار : ويحك ! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى ؟ فقال : نعم واللهِ ، لولا ذلك لأكثرتُ عندك ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

صوت

هل إلى سَكرةٍ بناحية الحـ ـيرة يوماً قبل المماتِ سبيلُ ؟
وأَبو التَّيَّحانِ في كفِّه القر عةُ والرأْسُ فوقَه الإكليلُ
وعَرارٌ كأَنّه بَيذق الشِّطـ ـرنج يفتنّ فيه قالٌ وقيلُ

في هذه الأبيات لمحمدِ بنِ الأشعث رَمل بالوسطى عن الهشاميّ .

[يهوى غلاماً يهوى جاريته]

أَخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل قال : كان أَبو محمد التيميّ يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان ، فكان بها مشغولاً عنه ، وكانت القَينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه ، فقال التيميّ : [من السريع]

ويلي على أَغيدَ ممكورِ وساحرٍ ليس بمسحورِ

تؤثـره الحُـور علينا كما نؤثـره نحـنّ على الحورِ
عُلّق مَن علّق فيه هوى منتظـم الألفـة مغمورِ
وكلُّ مَن تهواه في أمره مقلِّـبٌ صفقـة مقمورِ

[الأمين يأمر بملء زورقه دراهم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ أبي سعد قال : حدَّثني أحمدُ بن محمدِ الفارسيُّ قال : حدَّثنا غسّان بنُ عبد الله عن أبي محمدٍ التيميّ قال : لمّا أنشدت الأمين قولي فيه : [من المنسرح]

خليفـــةُ اللهِ خيرُ منتجـبِ لِخيـر أُمّ مـن هاشم وأبِ
أكـرمْ بعِرقيْنِ يجريانِ بـه إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

طرب ، ثم قال للفضل بن الرَّبيع : بحياتي أُوقرْ له زَورقه دراهم ، فقال : نعم يا سيِّدي : فلمّا خرجنا طالبته بذلك ، فقال : أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم ، فقبضتها .

[الخضوع لله]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلبيُّ ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله المدنيُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أحمد التيميُّ ابن أُخت أبي محمد التيميّ الشاعر ، قال : أنشدني خالي لنفسه قوله : [من البسيط]

لا تخضعنّ لمخلـوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مُضرٌّ منـكَ بالدِّينِ[1]
وارغبْ إلى اللهِ ممّـا في خزائنه فإنّمـا هـو بـين الكافِ والنونِ
أما تـرى كلَّ مَن ترجو وتأملُه من الخلائقِ مسكينُ ابن مسكينِ

صوت

[من الوافر]

ألَـم تَـرَ أنّني أفنيتُ عُمـري بمَطلَبهـا ومطلبُهـا عسيرُ ؟
فلمّـا لم أجِـدْ سبباً إليهـا يُقرّبنـي وأعيتنـي الأمـورُ
حججْتُ وقلْت قد حَجَّت جِنان فيجمعُنـي وإياهـا المسيرُ

الشعر لأبي نواس[2] ، والغناء للزبير بن دَحْمان ، رمَلٌ بالوُسطى من روايةِ أحمدَ بنِ المكّيّ وبَذْل ، وغنّاني محمدُ بنُ إبراهيم قريضَ الجرّاحي ، رحمه الله ، فيه لحناً من خفيف الثقيل ، فسألته عن صانعه فلم يَعرف .

---

1 لا تخضعن في ل : لا تضرعن .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

[414] ـ أخبار أَبي نُواس وجنان خاصة
إذ كانت أَخباره قد أُفردت خاصة

[أبو نُواس صادق في حبّ جنان]

كانت جِنانُ هذه جاريةَ آل عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ المجيد الثّقَفيِّ المحدِّث الذي كان ابنُ مُناذِرٍ يصحب ابنَه عبدَ المجيد ، ورثاه بعد وفاته ، وقد مَضت أخبارهما .

وكانت حُلوةً جميلةَ المنظرِ أديبة ، ويقال : إنّ أبا نواسٍ لم يَصدُق في حبّه امرأةً غيرَها .

[حجّت فحجّ]

أخبرني محمدُ بنُ خلَفِ المَرْزُبان قال : حدَّثني إسحاقُ بن محمدٍ عن أَبي هِفّان عن أَصحابِ أبي نُواس قالوا : كانت جِنانُ جاريةً حسناءَ أديبةً عاقلةً ظريفةً ، تعرف الأخبار ، وتَرْوي الأشعار . قال اليؤيؤ خاصة : وكانت لبعض الثقَفيِّين بالبصرة ، فرآها أبو نُواسٍ فاستحلاها ، وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فقلتُ له يوماً : إنَّ جِنانَ قد عزمَتْ على الحجّ ، فكان هذا سببَ حَجّه ؛ وقال : أما والله ، لا يفوتني المَسِير معها والحجُّ عامي هذا إن أقامت على عزيمتها ، فظننتُه عابثاً مازحاً ؛ فسبَقها والله إلى الخروج بعد أن علِم أنّها خارجة ، وما كان نوى الحجّ ، ولا أحدث عزمَه له إلاّ خروجُها ، وقال وقد حجّ وعاد : [من الوافر]

أَلَم تَـرَ أَنَّني أَفنيتُ عُمري ... بمطلَبِها ومطلبُها عسيرُ ؟
فلمّا لم أَجِدْ سبباً إليها ... يقرِّبني وأَعيتني الأُمورُ
حججْت وقلتُ قد حجَّت جِنان ... فيجمعُني وإيّاها المسيرُ

قال اليُؤيؤ : فحدَّثني مَن شهِده لّما حجّ مع جنانَ وقد أحرم ، فلمّا جنّه الليل جعل يلبي بشعر ويَحدو به ويُطرِّب ، فغنّى به كلّ مَن سمِعه ، وهو قوله[1] : [من مجزوء الرجز]

إلهنا ما أَعدلَكْ ! ... مليك كلِّ مَن ملكْ
لبَّيكَ قد لبَّيتُ لكْ ... لبَّيك إنَّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريك لكْ ... والليلَ لما أن حلَكْ
والسابحاتِ في الفلك ... على مجاري المُنْسَلَكْ

1 ديوان أبي نواس : 623 مع اختلاف في الرواية .

ما خـاب عَبدٌ أمَّلك أنتَ لـه حيثُ سلَكْ
لولاك يـا ربِّ هلك كلُّ نبـيّ وملَكْ
وكلُّ مَـن أهـلّ لك سبَّح أو لبَّى فلَكْ
يا مخطئاً مـا أغفلك ! عجِّل وبـادرْ أجَلَكْ
واختِـمْ بخيرٍ عملك لبَّيك إنّ المُلـكَ لَكْ
والحمـدَ والنعمةَ لك والعـزَّ لا شريك لكْ

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهريُّ قالا : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : كانت جنانُ التي يذكرها أبو نواس جاريةً لآل عبدِ الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيِّ ، وفيها يقول[1] : [من مجزوء الخفيف]

جَفنُ عيني قد كاد يَسْـ ـقُط من طُولِ ما اختلَجْ
وفؤادي مـن حَرِّ حُبْـ ـك والهجرِ قـد نَضِجْ
خبِّرينـي فدَتـك نفـ ـسي وأهلي : متى الفرجْ ؟
كان ميعادُنـا خـرو جَ زيـاد فقـد خرجْ
أنتَ مِـنْ قتـل عائذ بـكِ في أضيق الحرجْ

[رآها منصرفة من عرس فارتجل شعراً]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيد اللهِ بن عَمّار قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ محمدٍ النخعيُّ قال : حدَّثني الجَمّاز ، قال ابن عَمّارٍ : وحدَّثني به قُلَيبُ بنُ عيسى قال : كانت جِنانُ قد شَهِدت عُرْساً في جِوارِ أبي نُواسٍ ، فانصرَفتْ منه وهو جالس معنا ، فرآها فأنشدَنا بديهاً قولَه[2] : [من الخفيف]

شَهِدتْ جَلْوةَ العَروس جِنانٌ فاستمالـت بِحُسنِها النظارَهْ
حسِبوها العَروسَ حين رأوها فإليهـا دون العَروسِ الإشارَهْ
قال أهلُ العروسِ حينَ رأوها ما دهانـا بهـا سواكِ عُمارَهْ

قال : وعمارة زوجُ عبد الرحمن الثقفيِّ ، وهي مولاة جِنان .

[يعتذر لها فكان ردّها جافياً]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ومحمدُ بنُ خلَف قالا : حدَّثنا يزيدُ بنُ محمد المُهلبيُّ عن

1 ديوانه : 230 .
2 ديوانه : 241 .

محمدِ بن عمر ، قال : غضِبتْ جِنانُ من كلامٍ كلّمها به أَبو نُواسٍ ، فأَرسل يعتذرُ إليها ، فقالت للرسول : قُل له : لا بَرِح الهِجْرانُ رَبْعَك ، ولا بَلغْتَ أملك من أحبَّتِك ، فرجع إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره فقال[1] : [من الوافر]

فدَيتُكَ فيمَ عَتبُك مِن كلامٍ   نَطقت بـه على وجهٍ جميلِ ؟
وقولُك للرسولِ عليكَ غَيري   فليس إلى التواصلِ من سبيلِ
فقـدْ جاءَ الرسولُ له انكسارٌ   وحـالٌ مـا عليهـا من قَبولِ
ولـو رَدَّت جِنانُ مَردَّ خيرٍ   تَبيَّنَ ذاكَ في وجـهِ الرّسولِ

[عتاب واستمالة]

قال أَبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ : وكان أَبو نواسٍ صادقاً في محبّتِه جِنانَ مِن بين مَن كان يَنسُب بـه من النساء ويداعبه ، ورأيت أصحابَنا جميعاً يُصحِّحون ذاك عنه ، وكان لها مُحِبّاً ، ولم تكن تُحبّه ، فمِمّا عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبِّهِ لها فصارت تُحِبّه بعد نُبُوِّها عنه قوله[2] : [من المنسرح]

جِنـانُ إنْ جُدتِ يا منايَ بما   آمـلُ لم تَقطُـرِ السماءُ دَمـا
وإن تَمـادَيْ ، ولا تَمادَيـت في   منعِـك ، أُصبحْ بِقَفْـرةٍ رمِما[3]
عَلِقْتُ مَن لو أَتى على أَنفُس المـ   ـاضين والغابريـن مـا نَدِما
لـو نظـرَتْ عينُـه إلى حجَرٍ   وَلَّـدَ فيـه فُتورُهـا سَقَما

[رحمته من إلحاحه]

أَخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم عن أَبي هِفّانَ عن الجَمّاز ، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني عَوْن بن محمدٍ قال : حدَّثني الجمّاز قال : كنت عند أبي نُواس جالساً إذ مرّت بنا امرأةٌ مِمّن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جِنانَ وألحف في المسألة واستقصى ، فأخبرَتْه خبرَها وقالت : قد سمعتُها تقول لصاحبة لها من غيرِ أن تعلَمَ أنّي أسمَع : وَيْحك ! قد آذاني هذا الفتى ، وأبرمَني ، وأحرج صدري ، وضيّق عليَّ الطرقَ بِحدةِ نظرِه وتَهتّكِه ؛ فقد لهج قلبي بذِكْره والفكرِ فيه من كثرة فِعله لذلك حتى رحمته ، ثم التفتت فأمسكَت عن الكلام ؛ فسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلمّا قامت المرأة أنشأ يقول[4] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 249 .
2 ديوانه : 233 .
3 رمم : عظام بالية .
4 ديوانه : 248 .

يا ذا الذي عن جِنانٍ ظَلَّ يُخبِرنا ... باللهِ قُلْ وأَعِدْ يا طيِّبَ الخبَرِ
قال اشتكتكَ وقالت ما ابتُليتُ به ... أَراه مِن حَيثُما أَقبلتُ في أَثَري
ويُعمِل الطرفَ نحوي إن مررتُ به ... حتى لَيُخجلني من حِدّة النظرِ
وإن وقفْتُ له كيما يكلِّمُني ... في الموضع الخِلْو لم ينطِقْ من الحَصَرِ
ما زال يفعلُ بي هذا ويُدْمِنه ... حتى لقد صار من همِّي ومن وَطري

[رسالة إلى القاضي الناصح]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني عليُّ بن محمدٍ النَّوْفليُّ وأَحمدُ بن سليمانَ بن أبي شيخٍ قالا : قال ابن عائشة : وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عمَّار عن الغَلابيّ عن ابن عائشةَ : قال ابن عمَّار : وحُدِّثت به عن الجمَّاز ، وذكَره لي محمدُ بن داودَ الجرّاح عن إسحاقَ النَخعيِّ عن أحمدَ بنِ عُمَير[1] : أنَّ محمدَ بن حَفصِ بن عُمَر التميميّ ، وهو أبو ابن عائشة ، انصرفَ من المسجدِ وهو يتولَّى القضاء ، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يُكلِّمها . وقال أحمدُ بن عُمَير في خبره : وكانت المرأةُ قد جاءته برسالة جِنانَ جاريةِ عُمارةَ امرأة عبدِ الوهّابِ بن عبدِ المجيدِ ، فمرَّ به عُمرُ بنُ عثمانَ التيميُّ وهو قاضي البصرة ، هكذا ذكر دحمدُ بن عُمَير وحده ، وذكر الباقون جميعاً أنّه محمدُ بنُ حَفصٍ .

قال الجمّاز : وكانت عليه ثياب بَياض ، وعلى رأسِه قَلَنْسُوة مُضَرَّبة فقال له : اتَّقِ اللهَ ، قال : إنّها حرمتي ، قال : فصُنْها عن هذا الموضع . وانصرف عنه ، فكتب إليه دبو نُواس[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّ التي أَبصرْتَها ... بِكْراً أُكلّمها رسولُ[3]
أَدَّت إليّ رسالةً ... كادت لها نَفْسي تسيلُ
مِن ساحرِ العينين ... يَجذِب خَصرَه رِدْفٌ ثقيلُ
متقلِّد قَوسَ الصِّبا ... يَرْمي وليس له رَسيلُ[4]
فلو انّ أُذْنَكَ بيننا ... حتى تَسمَّع ما تقولُ

1 انظر «أخبار أبي نواس» لأبي هفان ، (فراج) .
2 ديوانه : 270 .
3 بكراً أكلمها في الديوان : سحراً أكلمها .
4 الرسيل : الموافق في النضال .

لرأيتَ ما استقبحتَ من أمري هو الأمرُ الجميلُ[1]

في هذه الأبيات لحنان من الرملِ وخفيفِه ، كلاهما لأبي العَنْبَس بنِ حمدونَ .

قال ابنُ عُمَير : ثم وجَّه بها فأُلقِيت في الرِّقاع بين يدي القاضي ، فلمّا رآها ضحك ، وقال : إن كانت رسولاً فلا بأسَ .

وقال ابنُ عائشة في خبره : فجاءَني برُقعة فيها هذه الأَبيات ، وقال لي : ادفعها إلى أَبيك ، فأوصلتها إليه ، ووضعتُها بين يديه ، فلمّا قرأها ضحك ، وقال : قُل له : إنّي لا أتعرّضُ للشعراء .

[التعمية عنها لا تنطلي]

حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أَبو عثمان أَخا مولى جِنانَ ، وكان مولاها أبو مَيَّة زوج عُمارةَ وهي مولاتها ، وكانت له بحَكمان ضَيعةٌ كان ينزلها هو وابنُ عمٍّ له يقال له : أبو مَيَّة ، فقال أبو نواس فيه قوله : [من الخفيف]

أَسأَلُ القادِمَين من حَكَمانِ كيف خلَّفتما أَبا عثمانِ

وأَبا مَيَّةَ المهذَّب والما جدَ والمرتَجى لِرَيب الزّمانِ

فيقولان لي : جِنانٌ كما سرَّ كَ في حالها فَسَلْ عن جِنانِ

ما لَهمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ كيف لم يُغنِ عندَهمْ كِتماني

[عبث لا عشق]

فأَخبرني ابنُ عمّار قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الملكِ بن مروان الكاتبُ قالا : كنت جالساً بِسُرَّ مَنْ رأى في شارع أبي أحمد ، فأنشدني قول أبي نُواس : [من الخفيف]

أَسأَلُ المقبِلَيْن من حَكَمانِ كيف خَلَّفتما أَبا عثمانِ ؟

وإلى جانبي شيخٌ جالسٌ فضحك ، فقلت له : لقد ضحكتَ من أمر ، فقال : أجلْ ، أنا أبو عثمان الذي قال أبو نُواس فيه هذا الشعر ، وأبو مَيَّة ابنُ عمِّي ، وجِنانُ جاريةُ أخي ، ولم تكن في موضع عِشْق ، ولا كان مذهَبَ أبي نواسٍ النساءُ ، ولكنّه عَبَثٌ خرج منه .

[سبقه النابغة الجعديّ إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبته]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : قال لي أَبو العبّاسِ محمدُ بنُ يزيدَ : قال النّابغة الجَعديّ : [من الخفيف]

---

1 أمري في الديوان : أمرنا .

أُكْني بِغَير اسمها وقد عَلِم الله ـــهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

وهو سَبق النّاسَ إلى هذا المعنى ، وأخذوه جميعاً منه ، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول : [من الخفيف]

أسألُ المُقبلَينَ من حكمانٍ كيف خلَّفتُما أبا عثمانِ ؟

فيقولان لي جنانٌ كما سرّ كَ في حالِها فَسَلْ عن جنانِ

ما لَهمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ كيف لم يُغْنِ عندَهمْ كِتماني

[أنست المأتم أشجانه]

أُخبرني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمَّار ، أنشدني أحمدُ بنُ محمدٍ بن صَدقةَ الأنباريُّ لأبي نواسٍ يذكر مأتماً بالبصرة ، وحضرتْه جِنان[1] : [من السريع]

يا مُنسيَ المأتمِ أشجانَه لمَّا أتاهمْ في المُعزِّينا

سَرَتْ قِناعَ الوشيِ عن صُورة ألبسها اللهُ التّحاسينا[2]

فاستفتَنتهنّ بتمثالها فهنّ للتكليفِ يبكينا

حَقٌّ لِذاك الوجهِ أن يزدهي عن حزنه مَنْ كان محزوناً

[أبرزها له المأتم]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ محمدِ النخَعيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ أبان النخعيِّ ، وكان صديقاً لأبي نواس : أنّ أبا نُواسٍ أشرفَ مِن دارٍ على منزل عبدِ الوهّاب الثقفيِّ ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم ، وجِنانُ واقفة مع النساء تَلطِم وجهها وفي يدها خِضاب ، فقال[3] : [من السريع]

يا قَمراً أبرزَه مأتَمٌ يَندُب شجواً بين أتراب

يَبكي فيُذري الدُّرَّ من عينِهِ ويَلْطِمُ الوردَ بعُنابِ[4]

لا تَبْكِ ميْتاً حلَّ في حُفرةٍ وابْكِ قتيلاً لَكَ بالبابِ

أبرَزه المأتمُ لي كارهاً برَغْمِ داياتٍ وحجّابِ

لا زال موتاً دَأبُ أحبابه ولا تَزَل رؤيتَه دابي

1 ديوانه : 242 .

2 سرت في الديوان : حلّت ، وسرت : ألقت .

3 ديوانه : 242 .

4 يذري : ينشر .

[سفيان بن عيينة يستحسن هذا الشعر]

فحدَّثني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عَمَّار ، قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم ، حدَّثني محمد بنُ عائشة قال : قال لي سفيانُ بن عُيَيْنَةَ : لقد أحسن بَصْرِيُّكم هذا أبو نُواسٍ حيث يقول ، وشدّد الواو وفتح النون : [من السريع]

يــا قَمَراً أَبصرْتُ في مأتــمٍ يَنــدُب شَجْواً بــين أَترابِ
يَبكي فيُذري الدُّرَّ مــن عينِهِ ويلْطِــم الــوردَ بعُنّــابِ

قال : وجعل يعجَب من قوله : ويلطِم الوردَ بعُنَّابِ .

وأَخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي سعدٍ قال : حدَّثني محمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني حسَينُ بنُ الضَّحّاك قال : أنشد ابنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبي نواس : [من السريع]

يَبكي فيُذْري الدُّرَّ من طَرْفِه ويلْطِــمُ الــوَرْدَ بعُنَّــابِ

فعجبتُ منه ، وقال : آمنت بالذي خلَقه . وقد قيل : إنّ أبا نواس قال هذا الشعر في غير جِنان .

[ربّما كانت أبياته في غير جنان]

أَخبرني بذلك الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني بعض الصيارف بالكَرْخ ، وسمّاه ، قال : كان حارسُ دَرْبِ عَوْن يقال له : المبارَك ، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سَرِّيةً ، ويركَب حماراً ، فيطوف عليه السوق بالليل ويَكريه بالنّهار ، فإذا رآه مَن لا يَعرفه ظنَّ أنّه من بعض التجار ، وكان يصل إليه في كلّ شهر من السُّوق ما يسَعُه ويفْضُل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء ، فمات مبارَكٌ وحضره النّاس ، فلمّا أُخرجَت جَنازته خرجَتْ بنتُه هذه حاسرةً بين يديه ، فقال أبو نواس فيها : [من السريع]

يا قمراً أَبــرَزه في مأْتمٍ يندُبُ شَجْواً بين أَترابِ

وذكر الأَبيات كلَّها .

[تطلب ألاَّ يزورها أيّاماً]

أَخبرني محمدُ بن جعفر قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسم عن أَبي هَفّان عن الجَمّاز واليؤيؤ وأصحابِ أبي نُواسٍ أنّ جِنانَ وجَّهتْ إليه : قد شَهَرتني ، فاقطع زيارتَك عَنِّي أيّاماً لينقطعَ بعضُ القالَةِ ، ففعل ، وكتب إليها[1] : [من المنسرح]

1 ديوانه : 290 .

إنّا اهتجرنا للنّاسِ إذ فَطِنوا ... وبينَنا حينَ نلتقي حَسَنُ[1]
نُدافِعُ الأمرَ وهْوَ مُقتبِلٌ ... فشبَّ حتى عليه قد مَرنوا
فليس يُقذي عيناً مُعايَنَةٌ ... لـه وما إنْ تمُجُّه أُذنُ
ويحَ ثَقيفٍ ماذا يَضرُّهمُ ... أنْ كان لي في ديارهمْ سكَنُ[2]
أُرَيْبُ ما بيننا الحديثُ فإن ... زِدنا فزيدوا وما لِذا ثَمنُ

[رسالة لجنان من بغداد]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني ابنُ أبي سَعْدٍ قال : بلغني أنَّ أبا نُواس كتب إلى جِنان من بغداد[3] : [من الطويل]

كَفى حَزناً ألاّ أرى وجهَ حِيلةٍ ... أزورُ بها الأحبابَ في حَكَمانِ
وأُقسِمُ لولا أن تَنالَ مَعاشرٌ ... جِناناً بما لا أشتهي لِجنانِ
لأصبحتُ منها دانيَ الدارِ لاصقا ... ولكنّ ما أخشى ، فُدِيتِ ، عداني
فواحَزناً حُزْناً يؤدِّي إلى الرّدى ... فأصبحَ مأثوراً بِكلٍّ لِسانِ
أُراني انقضَتْ أيّامُ وصليَ منكمُ ... وآذَن فيكم بالوَداعِ زماني

[شتمته وتنقصته]

أخبرني الحسنُ قال : حَدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن يحيى بنِ محمدٍ عن الخُرَيْميّ قال : بلغ أبا نُواسٍ أنَّ امرأةً ذَكَرت لِجنانَ عِشقَه لها ، فشتمته جِنانُ وتنقصته وذكرَتْه أقبحَ الذِّكر ، فقال[4] : [من المنسرح]

وا بأبي مَنْ إذا ذُكرتُ له ... وطولُ وَجدي به تنقّصني
لَوْ سألوه عن وَجهِ حُجَّته ... في سبِّه لي لقال : يَعشقني
نَعم إلى الحشرِ والتّنادِ نَعَمْ ... أعشقُه أو أُلفَّ في كفَني
أصبحُ جَهراً لا أستَسِرُّ به ... عَنّفَني فيه مَن يُعنفُني
يا معشرَ النّاسِ فاسمعوه وعُوا : ... أنَّ جِناناً صديقةُ الحَسَنِ

---

1 اهتجرنا : تقاطعنا .
2 السكن : ما يسكن إليه .
3 ديوانه : 254 .
4 ديوانه : 291 .

[رآها في المنام بعد الهجر]

فبلغها ذلك . فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليلة في منامه وأنّها قد صالحته ، فكتب إليها[1] : [من السريع]

إذا التقى في النّوم طَيفانا عاد لَنا الوصلُ كما كانا
يا قرَّةَ العينِ فما بالنا نَشقى ويلتذُّ خيالانا
لو شئتِ إذ أحسنْتِ لي في الكرى أتمَمْتِ إحسانك يقظانا
يا عاشقَين اصطَلحا في الكرى وأصبَحا غَضبى وغضبانا
كذلك الأحلامُ غَدّارةٌ وربّما تَصْدقُ أحيانا

الغناء في هذه الأبياتِ لابنِ جامعٍ ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

وقال الخُريميّ : ورآها يوماً في ديار ثقيف فجَبَهَتْه بما كَرِه ، فغضب وهجرها مدّة ، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فردّه ، ولم يصالحها ، ورآها في النّوم تطلب صلحَه ، فقال[2] : [من السريع]

دَسَّتْ له طَيفها كيما تصالِحُه في النَّومِ حين تأبَّى الصلحَ يقظانا
فلم يَجدْ عند طَيفي طَيفُها فَرَجاً ولا رثى لتشكّيه ولا لانا
حَسبتِ أنّ خيالي لا يكون لِما أكون من أجلِه غضبانَ غضبانا
جِنانُ لا تَسألِيني الصلحَ سُرعةَ ذا فلم يكن هيِّناً منك الذي كانا

وأنشدني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبي نُواس في جِنان[3] : [من الوافر]

أما يَفنى حديثُك عن جِنانِ ولا تُبقي عَلى هذا اللسانِ
أكُلَّ الدَّهرِ قلتُ لها وقالت فكَمْ هذا أما هذا بِفانِ
جعلْتَ النّاسَ كلَّهمُ سواءً إذا حدَّثْتَ عنها في البيانِ
عدوُّك كالصديق وذا كهذا سواءٌ ، والأباعدُ كالأداني
إذا حدَّثتَ عن شأنٍ توالتْ عجائبُه أتيتَهمُ بشانِ[4]

1 ديوانه : 244 .
2 ديوانه : 283 .
3 ديوانه : 288 .
4 عن شأن توالت في الديوان : عن شيء فولت .

فلــو مَوَّهت عنها بآسم أُخرى　　علِمنا إذ كَنَيتَ مَن انتَ عانِ ؟

[بيعت ورحلت]

أَخبرني الحسنُ بن عَليٍّ قال : حدَّثني يحيى بنُ محمدٍ السُّلَميّ قال : حدَّثني أَبو عِكرمةَ الضَّبِّيُّ : أنّ رَجلاً قدِم البصرةَ فاشترى جِنانَ من مواليها ، ورحل بها ، فقال أبو نُواس في ذلك[1] : [من الكامل]

أَمَّا الدِّيـارُ فقلَّما لبثوا بهـا　　بين استياق العِيسِ والرُّكْبانِ[2]

وضَعوا سِياطَ السَّوْق في أَعناقها　　حتى اطّلعْن بِهم على الأَوطانِ

أَخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدَّثني أَبو عثمان الأشناندانِي قال : كتب أبو نُواس إلى جِنان[3] : [من الخفيف]

أَكثري المَحْوَ في كتابك وامحيـ　　ـه إذا مـا محَوْتـه باللسانِ[4]

وأَمِـرِّي السحاة بـين ثنايا　　كِ العذابِ المُفلَّجات الحسانِ[5]

إنّنـي كلّمـا مـررتُ بِسَطرٍ　　فيــه مَحــوٌ لطعتــه بلِساني

تلك تَقبيلةٌ لكــمْ مــن بَعيد　　أُهدِيتْ لي وما بَرِحتُ مكاني[6]

صوت

[من الطويل]

تجَنَّــى علينـا آلُ مكتوبةَ الذَّنبا　　وكانوا لنا سِلْما فأَضحَوْا لنا حَرْبا

يقولون عــزِّ القلبَ بعـد ذَهابه　　فقلت أَلا طُوبــايَ لو أَنَّ لي قلبا

عروضه من الطويل . الشعر لابن أَبي عُيَيْنَةَ ، والغناء لسليمانَ أخي جَحْظَةَ ، رمَل بالوُسطى عن عمرو بن بانة .

1 ديوانه : 292 .

2 الركبان في الديوان : بالركبان .

3 ديوانه : 277 .

4 الديوان :

كثّري السهو في الكتاب ومجّـ　　ـيه بريــق اللسان لا بــالبنان

5 في الديوان : وأمرّي الحزام .

6 الديوان :

فـأرى ذاك قبلــة مــن بعيــد　　أهديــت لي ومـا برحت مكان

[415] ـ نسب ابن أَبي عُيينة وأَخباره[1]

[من المقصود بالاسم]

أَبو عُيَيْنَة ، فيما أَخبرنا به عليٌّ بن سليمانَ الأخفشُ عن محمدِ بن يزيدَ ، اسمُه وكنيتُه أبو المِنهال ، وكلٌّ مَن يدعى أبا عُيَيْنَةَ من آل المهلَّب فأبو عُيَيْنَةَ اسمُه وكنيته أبو المنهال ، وكلٌّ مَن يدعى أبا رُهمْ من بني سَدُوس فكنيتُه أبو محمدٍ .

وابنُ أبي عُيَيْنَةَ هو محمّدُ[2] بن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّبِ بن أبي صُفرة . وقال أَبو خالدٍ الأسلميُّ : هو أبو عُيَيْنَةَ بن المِنجابِ بن أَبي عُيَيْنَةَ ، وهو الذي كان يهجو ابن عمِّه خالداً .

واسم أبي صُفرةَ ظالمُ بن سَرَّاقٍ ، وقيل : غالبُ بن إسراق بن صبح بن كِنديٍّ بن عمرو بن عديّ بن وائل بن الحارثِ بن العَتيك بنِ الأسدِ بن عِمرانَ بن الوضَّاحِ بن عمرو بن مُزَيْقياء بن حارثةَ الغِطْريفِ بن امرىء القيس البِطْريقِ بن ثعْلَبَةَ البُهلول بن مازنٍ زادِ الرَّاكب بن الأزْد .

هذا النسب الذي عليه آل المهلَّب ، وذكر غيرهم أنَّ أصلهم من عجم عُمان[3] وأنَّهم تولّوا الأزدَ ، فلمّا ساد المهلَّب وشرُف وعلا ذِكْرُه استلْحَقوه . وممَّن ذكَرَ ذلك الهيثَمُ بن عديّ وأبو عُبَيْدة وابن مَزْرُوع وابن الكَلبيّ وسائر مَن جَمَع كتاباً في المثالب وهجتهم به الشّعراء فأكثرت .

[أبو المهلّب ليس عربيّاً]

أَخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال : أَخبرني الحسن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني أَبو عبد الله أحمدُ بن محمدٍ بن حميدِ بن سُلَيمان العَدَويّ قال : أخبرني الهيثَمُ بن عَدِيّ ، عن

1 ترجمة أبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة في طبقات ابن المعتزّ (288–294) ومعجم المرزباني (110–111) . وفي الشعر والشعراء (750–755) ترجمة لأخيه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة . ويورد المبرّد في الكامل (516–554) شعراً كثيراً للأخوين . وجميع المصادر المذكورة تتطرق إلى الأخ الآخر وتورد شيئاً من شعره ، ولكنها تشير إلى أبي عيينة باسمه وإلى عبد الله باسم «ابن أبي عيينة» . غير أن أبا الفرج يشير إلى الأوّل باسمه وبابن أبي عيينة ، وكذلك يفعل عندما يتطرق إلى عبد الله ، مما سبّب اضطراباً في عائدية الخبر والشعر . وللإيضاح بصورة عامة نقول إنّ ما نسب إلى ابن أبي عيينة وكان في دنيا (فاطمة) أو في هجاء خالد بن يزيد بن حاتم أو قبيصة بن روح بن حاتم فهو لأبي عيينة بن محمد ، وما كان في طاهر بن الحسين مدحاً أو ذمّاً فهو لعبد الله بن أبي عيينة ما لم يكن واضحاً بصريح التسمية .

2 محمد بن أبي عيينة هو والد أبي عيينة ، فينبغي أن تكون العبارة «هو ابن محمد . . .» .

3 انظر معجم البلدان (خارك) في أصل أبي صفرة وتسميته .

عبد الله بن عيّاش الهَمْدانيّ قال : وفَد ابن الجلندى في الأزْد ، أُزْدِ عُمان ومواليهم وأحلافِهم ، فكان فيمَن وفَد منهم أبو صُفرة ، وكان يُلقَّب بذلك ، لأنّه كان يُصفِّر لِحْيَتَه ، فدخل على عمر مع ابن الجلندى ولحيته مَخْضُوبةٌ مُصْفرَّة ، فقال عمر لابن الجلندى : أكُلُّ مَنْ معك عَرَبيّ ؟ قال : لا ، فِينا العَربيّ وفينا غَيرُ ذلك ، فالتفت عُمرُ ، رحمه الله ، إلى أبي صُفْرة ، فقال له : أعَربيّ أنتَ ؟ قال : لا ، أنا مِمَّن مَنَّ الله عليه بالإسلام .

[ختن أبي صفرة وهو شيخ]

قال : وقدِم الحكَمَ بن أبي العاصي الثَّقَفِيّ أخو عُثمان بأعلاج من شهرك[1] في خلافة عمر قد أسْلَمُوا ، فأمر عُمَرُ عثمان بن أبي العاصي أن يَخْتِنُهم ، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال : ما هؤلاء ؟ يُطَهَّرون ليُصلّوا ؟ قال : إنّهم يختنون .

قال : إنّا والله هكذا مِثلُهم ؛ قال : فسَمِع ذلك عثمانُ بن أبي العاصي ، فأمر بأبي صُفْرة فأُجلس عَلى جَفْنةٍ فخُتِن وإنّه لشيخٌ أشمَط فكان بها مَنْ قال : لسنا نشُكّ في أنّ زوجته كذلك ؛ فأُحضِرت وهي عجوز أدماء ، فأمر بها القابلةَ فنظرت إليها وكشفتها ، وإذا هي غير مختونة ، وذلك منها قد أحشَفَ[2] ، فأمر بها فخُفِضت .

وقال في ذلك زياد الأعجم ، وقد غضب عَلى المهلّب[3] : [من السريع]

نحن قطعنا مـن أبي صُفْرةٍ ... قُلْفَته كي يدخـلَ البَصْرَهْ
لّمــا رأى عُثمانُ غُرمولَـه ... أحنـى عَلى قُلْفَتـه الشَّفْرَهْ

[كتاب المثالب]

وليس هذا من الأقوال المعوَّل عليها ، لأنَّ أصلَ المثالب زِيادٌ لعنه الله ، فإنّه لَمَّا ادُّعي إلى أبي سُفيان ، وعَلِم أنَّ العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهـم ، عمل كتاب المَثالـب ، فألصقَ بـالعَرب كلِّهـا كلَّ عَيْب وعار ، وحق وباطل ، ثم بنى على ذلك الهَيثَمُ بن عَديّ ، وكان دَعِيّاً ، فأراد أن يَعُرّ[4] أهلَ البيوتات تَشَفِّياً منهم ؛ وفعل ذلك أبو عُبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنّى ، وكان أصلُه يهوديّاً ، أسلم جدُّه عَلى يَدَي بعض آل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، فانتمى إلى ولاء بنـي تَيْم فجدَّد كِتابَ زِياد وزاد فيه ؛ ثم نشأ غَيْلان الشُّعُوبيّ لَعنه الله ، وكان زِنْدِيقاً ثَنَوِيّاً لا يُشَكُّ فيه ، عُرِف في حياته بعضُ مذهبه ، وكان يورِّي عنه في

1 لعلّها بلدة فارسية حرف اسمها .
2 أحشف : تقبّض وصار كالحشف .
3 شعر زياد بن الأعجم (بكار) : 71 .
4 يعر : يسوء .

عوراته للإسلام بالتشعّب والعصبيّة ؛ ثم انكشف أمرُه بعد وفاته ، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديدَ التَّشعُّب والعَصَبيّة ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأُمّهاتِهم وصَنائعهم ، وبدأ منهم بالطّيّب الطّاهر ، رسول الله ﷺ فغَمَصه[1] وذكره ؛ ثم والى بين أهلِ بَيْته الأذْكياء النجباء عليهم السلام ، ثم ببطون قريش على الوِلاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كلّ كذب وزور ، ووضع عليهم كلّ خبر باطل ، وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني .

وإنّما جرَّ هذا القول ، ذكرُ المهلّب وما قيل فيه ، وأنّي ذكرتُه فلم أَجِد بُدّاً من ذكر ما رُوي فيه ؛ وفيما مرَّ عن أهل النسب ، ثم قُلتُ ما عِنْدي .

[عبد الملك يحرق كتاب المثالب]

أَخبرني حبيبُ بن نَصْر قال : أَخبرني عُمر بن شَبَّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى أَبو عُثمان عن أبيه قال : دخل بعضُ النّاس عَلى عبدِ الملك بن مروان فقال له : هل عِنْدك كتابُ زِياد في المَثالب ؟ فتلكَّأ ، فقال له : لا بأس عليك ، وبحقِّي إلاّ جئتَني به . فمضى فجاء به ، فقال له : اقرأْ عليَّ ، فقرأه ، وجعَلَ عبد الملك يتغيَّظ ويَعْجَب ممَّا فيه من الأَباطيل ، ثم تَمَثَّل قولَ الشاعر . [من الوافر]

وأجرأُ مَنْ رأَيتُ بظَهْر غَيْبٍ عَلى عَيْب الرّجال أُولُو العُيُوبِ

ثم أَمَر بالكتاب فأُحْرِق .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار ابن أَبي عُيَيْنَةَ

[شاعر مطبوع غَزِل هجّاء]

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غَزِل هَجّاءٌ . وأنفدَ أَكثرَ أَشعارِه في هجاءِ ابن عمِّه خالد . وأَخبارهما تُذكر على أثر هذا الكلام وما يَصْلُح تصديرُ أخباره به . وكان من شعراء الدّولة العبّاسيّة من ساكني البصرة .

حدَّثني عمِّي والصُّوليُّ قالا : حدَّثنا أَحمدُ بن يزيدَ المهلّبيُّ قال : حدَّثني أَبي قال : أَبو عُيَيْنَةَ اسمه كنيته ، وهو ابنُ محمدِ بنِ أبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب بن أَبي صفرة .

[أَبوه تولّى الريّ ثم قبض عليه]

وأَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنزيّ قال : حدَّثني أَبو خالد الأسلميُّ قال : أبو عُيَيْنة الشاعرُ هو أبو عُيَيْنة بنُ المِنجابِ بن أَبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب ، وكان محمدُ بن أَبي عُيَيْنَةَ أبو أبي عُيَيْنَةَ الشاعر يتولّى الرَّيّ لأَبي جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه وغرّمه .

1 غمصه : قلل من شأنه وتهاون بحقّه .

وأخبرني محمدُ بن خلَفِ بن المَرزُبانِ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلَّبيُّ قال : قال وَهبُ بن جرير : رأيتُ في منامي كأن قائلاً يقول لي : [من الهزج]

ما يلقى أبــو حربِ تعالى اللهُ مــن كربِ

فلم أَلبَث أن أخذ المنصورُ أبا حرب محمد بن أبي عُيَيْنةَ المهلّبي فحبسه ، وكان ولاّه الرَّيّ فأقام بها سنين .

[يتغزَّل بفاطمة ويكني بدنيا]

أخبرني عيسى بن الحُسين الورَّاقُ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا الحَزَنْبَلُ الأصبهانيّ قال : حدَّثني الفَيضُ بن مخلَّد مولى أبي عُيَيْنةَ بن المهلَّب قال : كان أبو عُيَيْنةَ بن محمدِ بن أبي عُيَيْنة يهوى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بن حفصٍ الملقَّبِ هَزارَ مَرْدَ ، وكانت امرأة نبيلة شريفة ، وكان يخاف أهلَها أن يذكرَها تصريحاً ، ويَرهبُ زوجَها عيسى بن سليمانَ ، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها : دُنيا ، وكانت قيِّمة دارها ، ووالية أُمورها كلِّها . وأنشدنا لابنِ أبي عُيَيْنةَ فيها ، ويَكنى باسم دنيا هذه : [من الخفيف]

مــا لِقَلْبي أرقَّ مـــن كلِّ قلبِ ولحُبِّي أَشدَّ مـن كلِّ حبِّ !
ولدنيــا على جُنونـــي بدنيا أَشتَهي قُربَهــا وتكرهُ قُربي
نَزلَتْ بي بليّـــةٌ مِــن هواها والبلايا تكون من كلِّ ضَربِ
قُل لدنيا إن لم تُجبك لِما بي رَطبةً مِن دمــوع عينيّ كُتْبي
فعــلامَ انتهرتِ بــالله رسْلي وتهددتِهــم بحبس وضــربِ
أيُّ ذنبٍ أذنبتُه ليتَ شِعري كان هــذا جزاءه أيُّ ذنبِ ؟

أخبرني عليُّ بن سليمانَ قال حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال : كان أبو عُيينة من أطبع النّاس وأقربهم مأخذاً ، من غير أدب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة ، وكان يقرِّب البعيد ، ويحذِف الفضول ، ويُقِلّ التكلّف . وكان أصغرَ من أخيه عبدِ الله ومات قبله .

[مَن التي كان يعشقها]

وقيل لعبد الله : أنت أَشعرُ أَم أَخوك ؟ فقال : لو كان له عِلمي لَكان أَشعرَ منِّي . وكان يَتعشَّق فاطمةَ بنتَ عُمرَ بن حفص هزارَ مَرْدَ التي تَزوَّجها عليُّ بن سليمان ، ويُسِرُّ عشقها ، ويلقِّبها دُنيا كتماناً لأمرها . وكانت امرأة جليلة نبيلة سَرِيّة من النساء ، وكان أبوها من أشدِّ الفُرسان وشُجعانِهم . فذكر عيسى بن جعفرٍ أنّ عيسى بن موسى قال للمهلّب بن المغيرةِ بن المهلّب : أكان يزيدُ بن خالدٍ أشجعَ أم عُمرُ بن حفص هَزارَ مَرْدَ ؟ فقال المهلّب : لم أشهد من يزيد ما شهِدته ، من عُمَر بن حفص ، وذلك أنّي رأيته يركُض في طلب حمارٍ وحشيٍّ حتى إذا

حاذاه جمع جَراميزَه[1] وقفز فصار على ظهره ، فقمص الحمار ، وجعل عُمر بنُ حفص يَحُزّ مَعرفتَه إمّا بسيفٍ وإمّا بسكّين معه حتى قتله .

قال محمد بن يزيدَ : وحُدِّثتُ عن محمدِ بن المهلّب أنّه أنكر أن يكون أبو عُيينةَ يهوى فاطمة ، وقال : إنّما كان جنديّاً في عِدادِ الشُّطّار ، وكانت فاطمة من أنبلِ النِّساء وأسراهنّ ، وإنّما كان يتعشّق جاريةً لها ، وهذه الأبياتُ التي فيها الغِناءُ من قصيدةٍ له جيّدةٍ مشهورةٍ من شعره ، يقولها في فاطمةَ هذه أو جاريتِها ، ويَكني عنها بدُنيا ، فممّا اختير منها قوله : [من الطويل]

وقالــوا تَجنّبْنا فقلت أَبْعدَ مـا ... غَلبتُمْ على قلبي بسُلطانكم غصبا
غِضابٌ وقـد مَلّوا وقوفي ببابهمْ ... ولكنّ دنيـا لا ملولاً ولا غضبى
وقــد أَرسلَتْ في السرِّ أنِّي بريَّة ... ولم تَـرَ لي فيما تَـرى منهمُ ذَنبا
وقالت لكَ العُتبى وعِندي لك الرِّضا ... وما إنْ لهمْ عندي رضاءٌ ولا عُتبى
ونُبئتهـا تلهــو إذا اشتدَّ شوقُها ... بشعري كما تُلهي المغنِّيــةُ الشَّربا
فأَحببتُهـا حُبّـاً يقَـرُّ بعينِهـا ... وحُبِّي إذا أَحببتُ لا يشبه الحبا
فيـا حسرتا نَغَّصتُ قُربَ ديارها ... فـلا زُلفَـةً منها أرجِّي ولا قُربا
لقد شَمِتِ الأَعداءُ أن حِيل بينها ... وبينــي أَلا للشامتين بنـا العُقُبى

ومِمّا قاله فيها وغُنِّي فيه : [من الكامل]

صوت[2]

ضيَّعتِ عهدَ فتىً لِعهدكِ حافظٍ ... في حفظِـهِ عَجَـبٌ وفي تضييعكِ
ونأيت عنــه فما لــه من حِيلة ... إلاّ الوقـوفُ إلى أَوانِ رجوعكِ
متخشِّعاً يُــذْري عليكِ دموعَه ... أَسفاً ويَعجَب من جُمودِ دموعكِ
إن تقتليــه وتذهبــي بفــؤادِه ... فبِحُسن وجهك لا بحسن صنيعكِ[3]

عروضه من الكامل ، الغناء في هذه الأَبيات من الثقيل الأَوّل بالوُسطى . ذكَر عَمرو بنُ بانةَ أنّه له ، وذكر الهشاميُّ أنّه لمحمدِ بن الحارث بن بسخنّر ، وذكر عبدُ الله بنُ موسى بن محمدِ بن إبراهيم الإمامُ أنّه لإبراهيمَ المَوصليّ .

فذَكر العتّابيُّ ومحمدُ بن الحسنِ جميعاً ، أَنَّ محمدَ بن أَحمدَ بن يحيى المكِّيَّ حدَّثهما قال :

---

1 جراميزه : أطرافه .

2 في الشعر والشعراء : 754 والمرزباني : 111 لعبد الله .

3 إن تقتليه في الشعر والشعراء والمرزباني : إن تفتنيه .

حدَّثني عمرُو بنُ بانةَ قال: ركبت يوماً إلى دارِ صالح بن الرّشيد، فاجتزتُ بمحمدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادي، وكان مُعاقِراً للصَّبوح، فألفيتُه في ذلك اليوم خالياً منه؛ فسألته عن السبب في تعطيله إيّاه، فقال: نيرانُ عليّ غضبى، يعني جارية لبعض النخّاسين ببغداد، وكانت إحدى المحسنات، وكانت بارعةَ الجمال ظريفةَ اللسان، وكان قد أفرط في حبّها حتى عُرِف به، فقلت له: فما تحبّ؟ قال: تجعل طريقَك على مولاها فإنّه يستخرجها إليك، فإذا فعل دفعتَ رقعتي هذه إليها ــ ودفع إليَّ رقعة فيها: [من الكامل]

ضيعتِ عهــدَ فتًى لعهدِك حافظٍ ... في حفظِــه عَجَب وفي تضييعكِ

إن سُمتِــه أن تذهبــي بفؤادِه ... فبِحُسن وجهِك لا بِحُسنِ صنيعكِ

فقلت له: نعم، أنا أتحمّل هذه الرسالةَ وكرامةً، على ما فيها، حفظاً لروحك عليك، فإنّي لا آمَن أن يتمادَى بك هذا الأمر. فأخذتُ الرّقعة وجعلتُ طريقي على منزلِ النخّاس، فبعثتُ إلى الجارية: اخرجي، فخرجت، فدفعت إليها الرقعةَ، وأخبرتها بخبري فضحكت، ورجعت إلى الموضع الذي أقبلَتْ منه فجلستْ جِلسةً خفيفةً، ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة، فيها: [من الطويل]

صوت

وما زلت تَعصيني وتُغري بيَ الرّدى ... وتهجُـرني حتــى مَرنــتَ على الهجرِ

وتَقطــع أسبابــي وتنســى مودّتــي ... فكيف تَرى يا مالِكي في الهوى صبري

فأصبحــتُ لا أدري أيأساً تصبُّري ... على الهجرِ أم جِــدَّ البصيرة لا أدري

غنّى في هذه الأبياتِ عمْرو بنُ بانةَ، ولحْنه ثقيل أوّلُ بالبِنصر، ولِمقاسةَ بنِ ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى. لحن عمرو في الأوّل والثالث بغير نشيد.

قال: فأخذتُ الرّقعة منها وأوصلْتها إليه، وسرت إلى منزلي، فصنَعْتُ في بَيتَي محمدِ بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً، ثم صرتُ إلى الأمير صالحِ بنِ الرشيد، فعرّفته ما كان من خبَري، وغنّيته الصوتين. فأمر بإسراج دوابه فأُسرجت، وركب فركبت معه إلى النخّاس مولى نِيرانَ، فما بَرِحْنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار، وحملها إلى دار محمد بن جَعفر فوهبها له، فأقمنا يومنا عنده.

أخبرنا محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ قال: حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلَّبيُّ قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خليفةٌ ورَبابُ[1] في حِجره جالسة، وهي صبيّة، وهو يلقي عليها قوله: [من الكامل]

1 بيروت: زرياب.

ضيّعتِ عهدَ فتًى لِعهدكِ حافظٍ في حفظه عجَب وفي تَضييعكِ

وهي تغنّيه ويردّده عليها ، فما سمعت غناء قطّ أحسن من غنائهما جميعاً ، وما زال يردّده عليها حتى حفظته .

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

[عبد الله يذمّ زواج فاطمة]

أُخبرني عليٌّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : قال عبد الله بن محمد بن أُبي عُيَيْنةَ أُخو أَبي عُيَيْنَةَ في فاطمة ، التي كان يُشبّب بها أُخوه ، بنتِ عمرَ بن حفص لمّا تزوّجها عيسى بن سليمانَ بن عليّ ، وكان عيسى مبخّلاً ، وكانت له محابسُ يَحبس فيها البِياح ويبيعه ، وكانت له ضيعة تُعرف بِدالية عيسى يبيع منها البقولَ والرياحينَ ، وكان أوّلَ مَن جمع السَّمادَ بالبصرة وباعه ، فقال فيه أبو الشمقمق[1] : [من الوافر]

إذا رُزق العبادُ فـإنّ عيسى لـه رِزقٌ مـن استاه العِبادِ

فلمّا تزوّج عيسى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفص قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنةَ في ذلك[2] : [من الطويل]

أَفاطمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأَبشري لديه بِـذُلٍّ عاجـلٍ غيرِ آجلِ[3]

فإنّكِ قد زُوّجْتِ عن غير خبرةٍ فتًى مـن بني العبّاسِ ليس بعاقلِ

فإن قُلـتِ مِن رَهط النبيّ فإنّه وإن كان حرَّ الأصلِ عبدُ الشمائلِ

وقـد قـال فيـه جعفرٌ ومحمد أَقاويـلَ حتـى قالهـا كلُّ قائلِ

ومـا قلتُ مـا قالا لأنّكِ أُختُنا وفي البيتِ منّا والذُّرا والكواهلِ

لعَمرِي لقـد أُثبتِّـه في نِصابِه بأن صرْتِ منـه في مَحلِّ الحلائلِ

إذا مـا بَنُو العبّاسِ يومـاً تنازعوا عُرا المجد واختاروا كرامَ الخصائلِ[4]

رأيتَ أُبا العبّـاس يسمو بِنفسِه إلى بَيـع بَيّاحاتـه والمبـاقلِ[5]

قال مؤلّف هذا الكتاب : وكان عبدُ الله ، أخو أبي عُيَينةَ شاعراً ، وكان يقدَّم على أخيه ،

---

1 شعراء عباسيون (غرونباوم) : 134 .

2 في الكامل عشرة أبيات منها .

3 الكامل : فأيقني بذلٌ لديه .

4 في الكامل :

إذا مـا بنـو العباس يومـاً تبادروا عرى المجد وابتاعوا كرام الفضائل

5 البياح : نوع من السمك .

فأخبرني جَحْظَةُ قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّمُ قال : قال إسحاق الموصليّ : شعرُ عبدِ الله بن أبي عُيَينةَ أحبُّ إليَّ من شِعرِ أبيه وأخيه . قال : وكان عبدُ اللهِ صديقاً لإسحاق .

[تصريح بالقرابة]

قال محمدُ بن يزيدَ : ومِمّا قاله في فاطمة وصرَّح بذكر القرابة بينهما ، وحقَّق على نفسه أنّه يعنيها قوله[1] : [من الوافر]

دعَوتُكِ بالقرابةِ والجِوارِ ... دعاءَ مصرِّحٍ بادي السِّرارِ
لأَنِّي عنكِ مشغولٌ بنفسي ... ومحترقٌ عليكِ بغيرِ نارِ
وأنت توَقَّرين وليس عندي ... على نارِ الصَّبابةِ مِن وقارِ
فأنتِ لأَن ما بكِ دونَ ما بي ... تُدارين العدوَّ ولا أُداري
ولَوْ واللهِ تشتاقين شوقي ... جَمحْتِ إليَّ خالعةَ العِذارِ
ألا يا وهبُ فيمَ فضحْتِ دُنيا ... وبُحتِ بسِرِّها بين الجواري
أَما والراقصات بِكلِّ وادٍ ... غوادٍ نحوَ مكّةَ أو سَواري
لقد فضلتْكِ دنيا في فؤادي ... كفضل يَدي اليمين عَلى اليسارِ
فقُولي ما بدا لكِ أن تقولي ... فإنّي لا أَلومَكِ أن تضاري

[من ظريف شعره فيها]

قال وقال فيها ، وهو من ظريف أشعاره : [من الخفيف]

رَقَّ قلبي لكِ يا نورَ عَيني ... وأَبى قلبُكِ لي أن يَرِقَّا
فأَراكِ اللهُ موتي فإنّي ... لستُ أَرضى أن تموتي وأَبقى
أَنا مِن وجدٍ بدنيايَ منها ... ومِنَ العُذّالِ فيها مُلَقَّى

صوت

زعموا أَنّي صديقٌ لدُنيا ... ليت ذا الباطلَ قد صارَ حقّا

في هذا البيت ثُمّ الذي قبله ، ثم الأوّل لإبراهيم لحنٌ ماخوريّ بالوُسطى عن الهِشاميّ .

قال : وقال فيها أيضاً في هذا الوزن ، وفيه غناء محدَث رَمل طُنبوريّ[2] : [من الخفيف]

عَيشُها حُلو وعيشُك مُرُّ ... ليس مسرورٌ كمَن لا يُسَرُّ

---

1 في الكامل خمسة أبيات منها منسوبة إلى ابن أبي عيينة .

2 الثالث والرابع في الشعر والشعراء : 753 لعبد الله بن أبي عيينة .

كمَـدٌ في الحـبِّ تَسخُن فيه عينُـهُ أكثرَ مِمّـا تَقَـرُّ
قلتُ للاّئِم فيهـا ٱلّـهُ عنْها لا يَقَـعْ بينـي وبينك شَرُّ
أتُراني مُقْصراً عـن هواهـا كلُّ مملـوكٍ إذاً لِيَ حـرُّ

وقال فيها أيضاً ، وأنشدَناه الأخفشُ عن المبرِّد ، وأنشدَناه محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : أنشدني عمِّي عُبَيد الله لأبي عيينة : [من الخفيف]

حين قالت دنيـا عَلامَ نهارا زُرتَ هلا انتظرتَ وقت المساءِ
إن تكن مُعْجَباً برأيكَ لا تَفْـ ـرَق فاستحْي يـا قليلَ الحياءِ
ذاك إذ رُوحها ورُوحي مِزاجا نِ كأصفى خمرٍ بأعذَب ماءِ

[البحتريّ يأخذ معنى له]

قـال محمـدُ بنُ يزيـدَ : وقـد أخذ هـذا المعنى غيرُه منه ولم يسمّه ، وهو البحتريّ ، فقـال[1] : [من البسيط]

صوت

جَعلتُ حبَّكِ من قلبي بمنزلةٍ هي المصافاةُ بين المـاءِ والرّاحِ
تهتزّ مثلَ اهتزاز الغصنِ حرّكه مرورُ غيثٍ من الوَسْمي سَحّاحِ

الغناء في هذين البيتين لِزَذاذٍ ثقيل أوّلُ مطلَق في مجرى البِنصَر .

[غزل وفخر]

ومِمّا قاله أبو عُيَيْنةَ في فاطمة هذه ، وكَنى فيه بدنيا قوله[2] : [من المتقارب]

صوت

أَلَـمْ تَنْـهَ قلبَـك أن يعشَقا وما لَـكَ والعشقَ لولا الشَّقا
أمِن بَعـدِ شُربِك كأسَ النُّهى وشَمِّـك ريحـانَ أهـلِ التُّقى
عشِقتَ فَأصبحتَ في العالمِيـ ـنَ أشهرَ مِـن فـرسٍ أبلقا
أدُنيايَ من غَمر بَحْـر الهوى خذي بِيدي قبـلَ أن أغرقا
أنـا ابـنُ المهلَّب مـا مثلـه لو انَّ إلى الخلـدِ لي مرتقى

غنّى فيه أبو العَنْبَس بنُ حمدونَ ، ولحنُه ثاني ثقيلٍ مطلقٌ ، وفيه لِعَرِيبَ ثقيل أوّل ، رواه أبو العَنْبَس عنها .

---

1 ديوان البحتري : 442 .
2 في الكامل اثنا عشر بيتاً منها منسوبة لأبي عيينة .

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخر بعَقِبِ النسيب بأَبيه ، ويذكر مآثر المهلَّب بالعراق ، ولكن ممّا قاله في دنيا منها قوله : [من المتقارب]

أَدُنياي من غَمـر بحـرِ الهوى خُـذي بِيدي قبـل أَن أَغرَقا
أَنـا لـكِ عبـدٌ فكوني كمَن إذا سرّه عبـــدُه أَعتَقـــا
أَلَم أَخدعِ النّاسَ عن وصلِها وقـد يَخـدعُ العاقلُ الأَحمقا
بـــلى فسبقتُهـــمُ إنّنـــي أُحـبّ إلى الخيرِ أَن أَسبقا
ويـومَ الجَنـازةِ إذ أَرسلَتْ على رُقعـةٍ أَن جُـزِ الخَندقا
وعُجْ ثَـمَّ فانظر لنا مجلِساً بِرِفـق وإيّـاكَ أَن تَخـرَقا
فجئنا كغُصنَين مِـن بانـةٍ قِرينَيْنِ خِدْنَيْنِ قـد أَورَقا
فقالت لأُختٍ لهـا استنشديـ ـه من شِعرِه المحكَمِ المنتَقى
فقلْـتُ أَمـرتِ بكتمانِــه وحذَّرتِ إن شاعَ أَن يُسرَقا
فقالـت بِعيشِكِ قولي لـه تمنَّع لعلّـكَ أَن تنفُقـا

ومن مشهور قوله في دنيا ، وهو ممّا تهتك فيه وصرَّح وأفحش ، وهي من جيِّد قوله قصيدتُه التي يقول فيها : [من الطويل]

أَنا الفارغُ المشغولُ والشوقُ آفتي فلا تسألوني عن فَراغي وعن شُغلي
عجبْتُ لِترك الحُبّ دنيـا خليّةً وإعراضـه عنهـا وإقبالـه قَبْلي
وما بالُهـا لمـا كتبْتُ تهاونت بكُتْبي وقد أرسلْتُ فانتهرَتْ رُسلي
وقـد حلفَـتْ أَلاّ تَخُطّ بكفّها إلى قابـلٍ خطـاً إليّ ولا تُملي
أَبخْـلاً علينـا كلُّ ذا وقطيعـةً قضيتِ لدَينـا بالقطيعـة والبخلِ
سلُوا قلبَ دنيا كيف أَطلقَه الهوى فقد كان في غُلٍّ وثيقٍ وفي كَبْـلِ[1]
فإن جَحَدَتْ فاذكر لها قصرَ مَعبَد بمَنْصَفِ مـا بين الأُبُلّة والحبلِ[2]
ومَلعَبنا في النهـرِ والمـاءُ زاخرٌ قَرينَين كالغصنَين فَرْعين في أَصلِ
ومِن حولِنا الرّيحانُ غَضّاً وفوقنا ظِلالٌ من الكَرْمِ المعرَّش والنخلِ
إذا شئتُ مالت بـي إليها كأنّني إلى غصن بانٍ بين دِعْصَين من رَملِ

---

1 الكبل : القيد .

2 منصف : منتصف . والأبله : بلدة على شاطىء دجلة . والحبل : موضع بالبصرة .

ليالِيَ أَلقاني الهوى فاستضفتُها — فكانت ثناياها بلا حِشمة نُزْلي
وكم لذّةٍ لي في هواها وشهوةٍ — ورَكْضي إليها راكباً وعلى رِجلِ
وفي مأتمِ المهديّ زاحمْتُ ركنَها — برُكني وقد وطَّنتُ نفسي على القتلِ
وبتنا عَلى خوفٍ أُسكّن قلبها — بيُسرايَ واليُمنى على قائم النَّصلِ
فيا طِيبَ طعمِ العيش إذ هي جارةٌ — وإذ نفسُها نَفْسي وإذ أَهلُها أَهلي
وإذ هي لا تعتلّ عنّي برِقبَةٍ — ولا خوفِ عينٍ من وُشاة ولا بَعلِ
فقد عَفَت الآثارُ بيني وبينها — وقد أَوحشَت منّي إلى دارِها سُبْلي
ولمّا بلوتُ الحبَّ بعد فِراقها — قضَيتُ عَلى أُمّ المحبِّين بالثُّكلِ
وأَصبحْتُ معزولاً وقد كنتُ والياً — وشتانَ ما بين الولايةِ والعَزلِ

[غزل ووصف لقصر]

وممّا قاله فيها وفيه غناء[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا في سبيل اللهِ ما حلَّ بي منكِ — وصبرُكِ عنّي حين لا صبرَ لي عنكِ
وتركُكِ جِسمي بعد أَخذكِ مهجتي — ضئيلاً فهلاّ كان من قَبْل ذا تركي
فهل حاكِمٌ في الحبِّ يَحكمُ بيننا — فيأْخذَ لي حقّي ويُنصفَني منكِ

لسُلَيم في هذه الأبيات هزَج مطلَق في مجرى الوُسطى ، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه ، وهي من عجيب شعره : [من الطويل]

لقد كنتُ يومَ القَصرِ مِمّا ظَننْت بي — بريئاً كما أَنّي بريءٌ من الشِّرْكِ
يذَكِّرني الفِردَوسَ طوراً فأَرعَوي — وطَوراً يواتيني إلى القَصفِ والفتكِ
بغَرسٍ كأَبكار الجواري وتُرْبةٍ — كأَن ثراها ماءُ وَردٍ على مسكِ
وسِرْبٍ من الغِزلانِ يَرتعْنَ حولَه — كما استُلَّ منظومٌ من الدُّرِّ من سِلكِ
وورقاءَ تحكي المَوصليّ إذا غَدت — بتغريدها أَحببْ بها وبِمَن تحكي
فيا طِيبَ ذاك القصرِ قصراً ومنزلاً — بأَفيحِ سهلٍ غيرِ وَعْر ولا ضَنْكِ
كأَن قصورَ القومِ ينظرن حولَه — إلى مَلِكٍ مُوف عَلى مِنبر المُلكِ
يُدِلّ عليها مستطيلاً بظِلّه — فيَضحك منها وهْي مُطرقةٌ تبكي

1 في الشعر والشعراء أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي التاسع والسادس والعاشر والحادي عشر .

[أشعر أهل زمانه]

أُخبرني أحمد بن عُبيدِ الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بنُ عمرو الأَنصاريّ ، قال : سمِعت الأصمعيّ يذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال لجلسائه : مَن أشعر أهل عصرِنا ؟ فقالوا فأكثروا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعَر أهلِ زماننا الذي يقول في قصرِ عيسى بن جعفر بالخُرَيْبة[1] ، يعْني أبا عُيَيْنَةَ : [من البسيط]

زُرْ واديَ القَصرِ نِعم القَصرُ والوادي ... وحبّذا أَهلُـه مـن حاضرٍ بادي

تُرْفـا قَراقيـرُه والعِيسُ واقفـةٌ ... والضبُّ والنُّونُ والملاّحُ والحادي

[يحذر من الزواج لأجل المال]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بن مُجمع قال تزوَّج سَعيد بن عَبادِ بن حبيب بن المهلَّب بنتَ سفيانَ بن معاويةَ بن المهلّب ، وقد كان تزوَّجها قبله رجلان فدفنتهما ، فكتب إليه دبو عُيَيْنَةَ[2] : [من الوافر]

رأيـتَ أثاثَهـا فرغبتَ فيـه ... وكم نَصبتْ لغيرِك بالأثاثِ[3]

إلى دار المنـونِ فجهَّزَتْهـم ... تَحُثّهـم بأَربعـةٍ حِثـاثِ

فَصَيِّرْ أَمرَهـا بيـدَيْ أبيهـا ... وعَيشِك من حِبالِك بالثَّلاثِ[4]

وإلاّ فالسلامُ عليـك منّـي ... سأَبدأ مـن غدٍ لكِ بالمراثي

[يعاتب إسحاق لتأخره عن دعوته]

أُخبرني محمد بنُ مَزْيد الصُّوليُّ قال : حدَّثنا حَماد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : كان عليُّ بن هشام قد دعاني ودَعا أبا عُيَينة وتأخّرْتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلْتُ برجُل كان عندي من الأعراب ، وكان فصيحاً لأكتبَ عنه ، وكان عنده بعضُ من يعاديني ، قال حماد : كأنّه يومىء بهذا القول إلى إبراهيمَ بنِ المهديّ ، فسأل أبا عُيَيْنَةَ أن يعاتبني بشعرٍ يَنسُبني فيه إلى الخُلف فكتب إليّ : [من الخفيف]

يـا مليئاً بالوعـد والخُلف والمَطْـ ... ـلِ بطيئاً عن دَعوةِ الأصحابِ

لَهِجـاً بالأَعـرابِ إنَّ لدينـا ... بعضَ مَـن تشتهي مـن الأعرابِ

---

1 الخريبة : موضع بالبصرة .

2 في الشعر والشعراء عدا الثاني .

3 فرغبت فيه في الشعر والشعراء : فطمعت فيه .

4 وعيشك في الشعر والشعراء : وسرح .

قـد عرفنا الذي شُغلتَ به عـــ ـنَّا وإن كان غير مـا في الكِتابِ

قال : فكتبْت إلى الذي حَمل أبا عُيَيْنةَ على هذا ، يعني إبراهيم بن المهديّ : [من الخفيف]

قد فهِمْتُ الكتابَ أُصلحك اللـ ـــهُ وعندي إليـكَ ردُّ الجوابِ

ولَعَمري مـا تُنصفـونَ ولا كا نَ الذي جاءَ منكمُ في حِسابي

لَسْتُ آتيـك فاعلَمَـنّ ولا لي فيك حظٌّ مِن بَعدِ هـذا الكتابِ

[نسب إليه شعر منقوش على حجر]

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقيّ قال حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سعد قال : حدَّثني إبراهيمُ بن إسحاق العُمَريّ قال : حدَّثنا أبو هاشم الإسكندرانيُّ ، عن ابن أبي لَهِيعة قال : حُفِر حَفرٌ في بعضِ أفنيةِ مكّةَ ، فوُجد فيه حَجرٌ عليه منقوش : [من الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبـداً ومـا هـو كائنٌ فيكونُ

سيكون مـا هو كائنٌ في وقتِه وأخو الجهالــةِ مُتعَبٌ محزونُ

يَسعى القويُّ فلا يَنالُ بسعيه حظّاً ويحظـى عاجـزٌ ومَهينُ

قال ابنُ أبي سعدٍ : هكذا في الحديث ، وقد أنشدني هذه الأبياتَ جماعةٌ لأبي عُيَيْنة .

[أشعر من أبي نواس]

حدَّثني عمِّي قال ، حدَّثني عمرُ بن محمدِ بنِ عبد الملك ، قال : حدَّثني عليّ بن عمروس الأنصاريُّ عن الأصمعيّ قال : قال لي الفضلُ بنُ الرَّبيع : يا أصمعيّ ، مَن أشعرُ أهل زمانك ؟ فقلت : أبو نُواس قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت : حيث يقول[1] : [من المنسرح]

أَما تَرى الشمسَ حَلَّت الحَملا وقـام وزنُ الزّمـانِ فاعتدلا

فقال : والله إنّه لَذِهِنٌ فطِن ، وأَشعر عندي منه أَبو عُيَيْنةَ .

[حاله عند زواج دنيا]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني فضلٌ اليزيديُّ : عن إسحاق أنّه أَنشده لأَبي عُيَيْنة في دُنيا التي كان يُشبِّب بها ، وقد زوِّجت وبلغه أنـّها تُهْدَى إلى زوجِها ، وكان إسحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده : [من الطويل]

أَرى عهدَهـا كالورْد ليس بِدائـمٍ ولا خيرَ فيمـن لا يدومُ لـه عهدُ

وعهدي لهـا كالآس حسناً وبهجةً له نَضْرةٌ تبقى إذا مـا انقضى الوردُ

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 63 .

فما وَجَـد العُذريُّ إذ طال وَجدُه ... بعَفْراء حتـى سَلَّ مهجتَـه الوجدُ[1]
كوَجدي غداة البـينِ عنـدَ التفاتها ... وقـد شفَّ عنها دون أترابها البُردُ
فقلْتُ لأَصحابي هي الشمس ضوؤها ... قريـبٌ ولكـن في تناوُلِهـا بُعدُ
وإنّـي لِمَـن تُهـدَى إليه لَحاسدٌ ... جرى طائري نَحساً وطائـره سعدُ

[دنيا هي فاطمة]

أخبرني عمّي قال حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ المهلَّبيُّ قال: سأَلتُ أَبي عن دُنيا التي ذَكَرها أَبو عُيَيْنَة بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة في شعرِه، وقلت: إن قوماً يقولون: إنها كانت أَمَة لبعض مُغنّي البصرة، فقال: لا، يا بنيّ، هي فاطمةُ بنتُ عُمرَ بنِ حفصٍ هَزارَ مرْدَ بنِ عثمانَ بنِ قَبيصة أخي المهلَّب، وكان عيسى بنُ سليمان بن عليٍّ أخو جعفرٍ ومحمدٍ ابني سليمان تزوّجها، وهجاه عبدُ الله بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة، أخو أبي عُيَيْنة فقال: [من الطويل]

أفاطمَ قد زُوِّجتِ عيسى فأَبشري ... لديـهِ بِـذُلٍّ عاجـلٍ غيرِ آجلِ
فإنّكِ قد زُوِّجتِ عـن غيرِ خِبرةٍ ... فتًـى مِن بني العبّاسِ ليس بعاقِلِ

وذكر باقيَ الأبيات، وقد مضَت متقدّماً.

قال أحمد بن يزيد: ثم أَنشدني أَبي لأَبي عُيَيْنة يُصرِّح بنَسبِه الجامع له ولفاطمةَ من أَبياتٍ له: [من الكامل]

ولأَنْتِ إن مُتُّ المصابةُ بـي ... فتجنَّبي قتـلي بـلا وِتْـرِ
فلئن هلكْـتُ لَتَلْطِمِنْ جزَعاً ... خدَّيـكِ قائمـةً على قبري

قال أحمد: وأَنشدني أَبي أيضاً في تصديق ذلك، وأنّه كان يَكني بدُنيا عن غيرها: [من الخفيف]

مـا لِدُنيـا تجفوكَ والذنْبُ منها ... إنَّ هـذا منهـا لَخَـبٌّ ومَكرُ
عرفَـتْ ذنبَهـا إليَّ فقالـت ... ابْدَءوا القـومَ بالصيـاحِ يَفرّوا
قـد أَمـرْتُ الفؤادَ بالصبرِ عنها ... غيرَ أَنْ ليس لي مـع الحبِّ أَمرُ
وكتمْتُ اسمَهـا حِـذاراً من النا ... سِ ومِن شرِّهم وَفي النّاسِ شرُّ
ويقولون بُـحْ لنـا باسم دُنيا ... واسمُ دنيـا سرٌّ على النّاس ذخرُ

1 العذري المعني هنا: عروة بن حزام صاحب عفراء.

ثم قالــوا لِيعلمــوا ذات نفسي أَعَــوانٌ دنيــاك أم هــيَ بِكرُ
فتنفسْت ثــم قلــتُ أبكــر شبّ يا إخوتي عن الطَّوق عمرو[1]

[ينصح جارة بترك الالحاح]

أخبرني جعفر بنُ قدامةَ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني أبو خالد الأسلميّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة المهلّبيّ صديقي ، وهو أبو عُيَيْنة بنُ المِنجاب بنِ أبي عُيَيْنة ، فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ، ثم سأله أُخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة فقال : [من الكامل]

خفّـف عَلى إخوانــك المُؤَنا إن شئت أن تَبْقى لهـم سكَنا
لا تُلحفنَّ إذا سألت ففي الـ ـإلحافِ إجحاف بهــم وعنا

فقام الرجل وانصرف .

[يطلب عزل أمير البصرة ويصرّ على الطلب]

أخبرني أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثني المبرِّد قال : وفَد ابن أبي عُيَيْنة إلى طاهر بنِ الحُسين يسأله أن يعزل أمير البصرة ، وكان من قِبَله فدافعه ، وعرض عليه عِوَضاً خطيراً من حاجته ، ووعده أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيلَه عمّا كرهه ، فأبى عزله وأجزل صلتَه ، فقال ابن أبي عيينة فيه : [من البسيط]

يــا ذا اليمينَين قــد أوقرتَني مِننا[2] تَترى هي الغايةُ القصوى من المَننِ
ولستُ أَستطيع مِن شكر أجيء به إلاّ استطاعةَ ذي رُوح وذي بدنِ
لو كنتُ أعرف فوقَ الشكر منزلة أَوفى مِن الشكر عند اللهِ في الثمنِ
أخلصتُها لــك مــن قلبي مهذَّبةً حَذْوًا عَلى مثل ما أُوليتَ من حسنِ

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي عن أبي عِكرمةَ عامرِ بن عمران ، وأخبرني به عمّي عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيّ عن أبيه قال : كان إسماعيلُ بن سليمانَ والياً على البصرة خَليفة لطاهرِ بنِ الحُسين ، فأساء مجاورةَ ابنِ أبي عُيَيْنة حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر إسماعيل تنقّصَه وعيبَه ، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ، ويسعى في عزله عن البصرة ، فبَعُد ذلك عليه بعض البُعد ، وسافر طاهرُ بن الحُسين إلى وجهٍ أُمر بالخروج إليه ، فصحِبه ابنُ أبي

1 المثل «شب عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 537 ومستقصى الزمخشريّ 2 : 126 وفصل المقال : 125 .
2 أوقرتني في ل : أوليتني .

عُيَيْنة في سفره ، فتَذمّم من ذلك ، وأمر بإيصاله إليه ، فلمّا دخل ابنُ أبي عُيَيْنة إليه سأله عن حوائجه وأدناه ، وأمره برفعها فأنشده[1] : [من المنسرح]

مَن أوحشَتْه البـلادُ لم يُقِمِ فيها ومَن آنَسَتْهُ لم يَرِمِ[2]

ومَن يَبتْ والهمومُ قادحة في صدرِه بالزِّنادِ لم ينمِ

وَمَن يَرَ النقصَ من مَواطئه يُزل عن النقصِ مَوطِيء القدمِ

والقربُ ممّن نأى بجانبه صدع عَلى الشعبِ غير ملتئمِ

ورُبّ أمرٍ يعيا اللبيبُ به يظلُّ منه في حيرة الظُّلمِ

صَبرٌ عليه كَظْمٌ عَلى مَضَضٍ وَتَرْكُهُ من مواقع الندمِ

يا ذا اليمينَيْنِ لم أَزرْك وَلَم آتك من خَلّة ومن عَدَمِ

إنِّي من اللهِ في مَراح غِنى ومُغتدًى واسعٍ وفي نِعمِ

زارتك بي هِمّةٌ مُنازِعة إلى العلا من كرائم الهِممِ[3]

وإنّني لِلجميلِ محتمِل في القَدْرِ مِن مَنصِبي ومِن شيمي

وقد تعلَّقْت منكَ بالذّمِ الـ ـكبرى التي لا تَخيبُ في الذّممِ

فإن أَنَلْ بُغْيتي فأَنت لها في الحقِّ حقِّ الرجاءِ والرَّحمِ[4]

وإن يَعُقْ عائقٌ فلستَ على جميلِ رأيٍ عندي بمتّهَمِ

في قدَرَ اللهِ ما أُحمِّلُه تعويقُ أَمري في اللّوحِ والقلمِ[5]

لم يَضق الصبرُ والفِجاجُ على حُرّ كريمٍ بالصبرِ معتصِمِ[6]

ماضٍ كحدِّ السنانِ في طَرفِ الـ ـعامِلِ أو حَدِّ مصلَت خَذِمِ[7]

إذا ابتلاه الزّمانُ كشَّفه عن ثوب حُرّيةٍ وعن كرمِ

---

1 في الشعر والشعراء اثنا عشر بيتاً من هذه القصيدة 1–3 ، 7–9 ، 12–17 .

2 الشعر والشعراء :

من آنسته البلاد لم يرِمِ عنها ومن أوحشته لم يقم

3 الشطر الثاني في الشعر والشعراء : إلى جسيم من غاية الهمم

4 الشعر والشعراء : أنل همتي . . . حق الإخاء

5 الشعر والشعراء : تعويق أمري واللوح والقلم

6 الشعر والشعراء : لم يطق السبل . . .

7 العامل : طرف الرمح مما يلي السنان . وخذم : قاطع . وفي الشعر والشعراء : أو حدّ مرهف .

مـا ساء ظنّـي إلاّ بِواحدةٍ في الصدرِ محصورةٍ عن الكلمِ
لَيَهْنَ قومٌ جُزْتَ المـدى بهمُ ولم تقصّـر فيهـم ولم تُلمِ
وليس كلُّ الـدّلاء راجعـةً بالنِّصف من مَلئها إلى الوَذمِ[1]
تَرجع بالحَمْـأة القليلة أحـ ـياناً ورَنْـق الصُّبابةِ الأَمَمِ[2]
ما تُنبتُ الأَرضُ كلَّ زَهرتهـا ولا تَعُـمُّ السمـاءُ بالدِّيَمِ
مـا فيّ نَقص عن كلِّ منزلةٍ شريفةٍ والأُمـورُ بالقِسَمِ

فأجابه طاهر : [من المنسرح]

مَن تستضِفْه الهمـومُ لم يَنَمِ إلاّ كَنومِ المريض ذي السّقَمِ[3]
ولا يـزَلْ قلبُـه يكابِد ما تُولِـد فيـه الهمومُ مـن أَلمِ
وقد سمعْـتُ الذي هتفْتَ به ومـا بأُذني عنك من صممِ
وقد عَلمنا أَنْ لستَ تَصحبنا لِفاقـةٍ فيـك لا ولا عَدمِ
إلاّ لِحَـقٍّ وحُرمـةٍ وعلى مثلك رَعيُ الحقوقِ والحُرَمِ[4]
أَنتَ امرُؤٌ لا تزول عن كرمٍ إلاّ إلى مثلِـه مـن الكرمِ
وأَنت مـن أُسرةٍ جَحاجِحة فازوا بحسنِ الفعـالِ والشِّيَمِ
فمـا تَـرُمْ مِن جسيم منزلةٍ فالحكم فيـه إليك فاحتكِمِ
إن كنـت مُستسقياً سَماحتنا منّـا تَجُدْكَ اليـدان بالدِّيَمِ
أَو تَـرْمِ في بَحرنا بدَلوك لا نُعدمْـك مَلئاً لهـا إلى الوَذمِ
إنّـا أُنـاس لنـا صنائعُنا في العُرْب معروفةٌ وفي العجمِ
مغتَنِمو كسبِ كلِّ مَحْمَـدةٍ والكسبُ لِلحمـدِ غيرُ مغتَنَمِ

[شعره في عزل والي البصرة]

فاحتكم عليه أَبو عُيَيْنة في عزلِ إسماعيلَ بنِ جعفر عن البصرة ، فعزله عنها وأَمر له بمائة أَلفِ درهم . فقال أَبو عُيَيْنة في عزله إسماعيل بنَ جعفر عن إمارة البصرة[5] : [من المنسرح]

---

1 الوذم : السيور بين آذان الدلو إلى الخشبتين .
2 الحمأة : الطين الأسود . والصبابة : بقية الماء . والأمم : اليسير .
3 المريض في ل : السليم .
4 الحُرَمِ في ل : والذمم .
5 القصيدة في الكامل (543) لابن أبي عيينة وهو الذي كانت تربطه علاقة بطاهر بن الحسين لا أخوه أبو عيينة .

لا تَعدَمِ العَزْل يا أَبا الحسنِ ولا هُزالاً في دولـة السِّمَنِ
ولا انتقـالاً مـن دارِ عافية إلى ديـارِ البـلاءِ والِمحنِ[1]
أَنا الذي إن كفـرْتَ نِعمته أَذاب ما في جنبَيك من عُكَنِ[2]

[ردّ ابن زعبل على هجائه لنزار]

حدَّثني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله الحَزَنْبَلِ الأَصبهانيّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة قد هجا نِزاراً بقصيدة له مشهورةٍ ، وفضَّل عليها قحطان ، فقال ابن زَعْبل يهجوه ويردّ عليه ، واسمه عمرُو بن زَعْبل : [من الهزج]

بُنَيّ أَبـي عُيَيْنة مـا نطقْتَ بـه مـن اللَّغطِ
على مـا أنـت ملتحِف من الأَوجاعِ في الوسطِ
لِما في الدُّبْرِ مـن نَغَلٍ وما في العِرْضِ من سَقَطِ
أَتتنـا الخَمسُ والمائتـا نِ بالنَّعمـاءِ والغِبَـطِ
أَميرٍ مـن هلالٍ مسـ ـتطيل البـاعِ منبَسِطِ
شريـفٍ ليس بالمدخـو لِ في عِرضٍ ولا رَهَطِ[3]
أَظنّك مِـن يديـه وا قعاً لا شكّ في وَرَطِ
ووالي الخَرجِ فياض الـ ـيَدَيْن بنائـل سَبِطِ[4]
لـه نِعَـم حباك بهـا فلـم تَحفظ ولم تَحُطِ
وقاضٍ مـن أَمير المؤ منـين يقـوم بالقِسَطِ
يَسرُّكَ أنّـه مـن آ لِ قحطانٍ على شحَطِ[5]
وأَنّك إن ذُكرتَ يقـا لُ شيخٌ فاسقُ الشمَطِ
أعبدٌ مـن عَبيد عُمـا ن عابَ مناقبَ السّبطِ
وتهجو الغرّ مـن مُضر كفى هـذا من الشَّططِ

1 المحن في الكامل : والفتن .
2 لم يرد هذا البيت في الكامل .
3 عِرض في ل : حسب .
4 سبط : ممتد .
5 آل في ل : حي .

تيمّـــمْ في مُقَيَّــرة مَسيراً غيــــر مغتبطِ[1]
مجوّفــــةٍ مزيّنــــة بِــوَدْع لاحَ كالـرَّقَطِ[2]
بنُــوك تَجرّهـــا بالقَلْـ ـــس مؤتزرين بالفُوَطِ[3]
متى غمسوا مَراديَهـــمْ لِجِـــدّ السير تَحتلِطِ[4]
وأنـــتَ بموضع السُّكا نِ يُمسِكه بـــلا غلطِ
عليــك عبـــاءةٌ مشكو كــةٌ بالشّوكِ لم تُخَطِ
فطيِّـــبَ ريحَ بلدتنـــــا فِـــرارُك خيفةَ الشُّرَطِ
وأنّك قد عُرفتَ بكثـ ـــرة التخليـط والغلطِ
ترى الخُسران إن لم تَزْ نِ في يـــومٍ ولم تَلُطِ

[نذر المأمون دمه]

قال : وكان ابنُ أبي عُيَيْنة لمّا هجا نِزاراً بلغ شعرُه المأمون ، فنذر دمَهُ ، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ ، فلم يزَل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون .

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عَمّار قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه عن أبيه بقِصّة ابنِ أبي عُيَيْنة مع ابنِ زَعْبَلٍ ، فذكر نحو الخبرِ المتقدّم .

[يشبّب بوهبة ثم بدنيا]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن يزيدَ المهلَّبيُّ ؛ قال : قال : حدَّثني أَبي قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة يشبّبُ بوَهبةَ جاريةِ القَرويّ ، وهي التي يقول فيها فروج[5] الزنى قوله : [من البسيط]

يا وهب لم يَبقَ لي شيء أُسَرّ به إلاّ الجلوس فتسقيني وأَسقيكِ

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دُنيا ، وذكرهما جميعاً في شعره فقال : [من الخفيف]

أرسلَتْ وَهبـــةُ لمـــا رأَتني بَعـد سُقْم مـــن هواهـا مُفيقا
أتغيّــرْتَ كأن لم تكـــن لي قبـل أن تعرفَ دُنيـا صديقا

---

1 المقيرة : سفينة مطلية بالقار . مغتبط : مغبوط .
2 الودع : خرز أبيض يخرج من البحر .
3 القلس : حبال السفينة .
4 مرادي : جمع مرادة ، وهي المجداف . تحتلط : تسرع .
5 في معجم المرزباني (495) : فروخ الطلحي المدني ، ويقال فرخ الزنا واسمه يعقوب بن إسماعيل . وقد تقدم ذكره في الأغاني باسم فروج الرفاء الطلحي .

قـد لَعَمري كان ذاك ولكن قَطعَتْ دُنيـا عليك الطريقا

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال : لمّا وُلِّي عُمر بنُ حفص هَزارَ مَرْدُ البصرة ، قـال ابن أبـي عُيَيْنة في ذلك وفي دنيا يكني بها عن فاطمة بنتِ عُمر بن حفص صاحبته : [من المتقارب]

هنيئـاً لِدنيـا هنيئاً لهـا قـدومُ أَبيها على البَصْرَهْ
على أنّها أَظهرتْ نَخْـوة وقالت لِيَ المُلكُ والقدرَهْ
فيا نورَ عَيني كذا عاجلاً عـليّ تطاولْـتِ بالإمرَهْ

قال : وهذا دليل على أنّه كان يَكني عن فاطمةَ بدُنيا ، لا أنّه كان يَهوى جاريتها دُنيا .

قال أَحمدُ بن يزيدَ : وفيها يقول أيضاً : [من البسيط]

يـا حسنَها يومَ قالت لي مُودِّعة لا تنسَ ما قلت ، مِن فيها إلى أُذني
كأنَّنـي لم أَصِلْ دُنيـا علانيَـةً ولم أَزُر أَهلَ دُنيـا زَورةَ الخَتَنِ
جِسمي معي غيرَ أَنّ الرُّوحَ عندَكُمُ فالرُّوحُ في وطنٍ والجسمُ في وطنِ
فلْيعجب النّاسُ منِّي أَنَّ لي جسداً لا رُوحَ فيه ولي رُوحٌ بلا بدَنِ

وفي هذه الأَبيات هزَج طُنبوريّ مُحدَث .

[رثاء أخيه داود]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ عن أَبيه قال : وَرد على ابنِ أَبي عُيَيْنة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد ، فمات بهَمذان ، فقال ابنُ أَبي عُيَيْنة عند ذلك يرثيه : [من الوافر]

أَنائحــةَ الحَمَــامِ قفـي فنوحـي عــلى داودَ رَهنــاً في ضريحِ
لدى الأَجيال من هَمذان راحت بــه الأَيّــام للمــوتِ المُريحِ
ولَم يشهـدْ جنازتَــه البواكي فتبكيَــه بمُنهَــلٍّ سَفــوحِ
وكوني مثلَــه إذ كان حيــاً جــواداً بالغَبــوقِ وبـالصَّبوحِ
أَنائحةَ الحَمــامِ فــلا تشحّي عليــه فليس بالرجـلِ الشحيحِ
ولا بمُثمِّــرٍ مــالاً لِدُنيــا ولا فيهــا بِمِغمــار طموحِ
يبيعُ كثير مــا فيهــا ببــاقٍ ثمــينٍ مــن عواقبــه ربيحِ
ومــن آل المهلّــب في لُبــابٍ لُبــابِ الخالـصِ المحْضِ الصريحِ

همو أبناءُ آخرةٍ ودُنيا ... وأهدافُ المراثي والمديحِ

[يحبّ قينة في الكوفة]

أخبرني عمّي، قال: حدَّثنا أحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال: قدِم أبو عُيَيْنة إلى الكوفةِ في بعض حوائجه، فعاشره جماعة من وجوه أهلها، وأقام بها مدّة، وأَلِف فيها قَينة كان يعاشرها وأحبَّها حُبّاً شديداً، فقال فيها: [من الطويل]

لَعَمري لقد أُعطيتُ بالكوفةِ المُنى ... وفوق المُنى بالغانياتِ النَّواعمِ
ونادمْتُ أُختَ الشمس حسناً فوافقت ... هواي ومثلي مثلَها فَلْيُنادمِ
وأَنشدْتُها شعري بدُنيا فعربَدَت ... وقالت: مَلولٌ عهدُه غيرُ دائمِ
فقلْتُ لها يا ظبيَة الكوفة اغفِري ... فقد تبْتُ مِمّا قلْتُ توبةَ نادمِ
فقالت قد استوجَبْتَ منّا عقوبة ... ولكن سنَرعى فيك رُوحَ ابنِ حاتمِ

[شعره في بستانه وضيعته]

قال أحمدُ بن يزيد، قال لي أبي: كان لابنِ أبي عُيَيْنة بُستانٌ وضَيعةٌ في بعض قطائع المهلَّب بالبصرة، فأوطَنَها[1] وصيَّرها منزلَه، وأقام بها، وفيها يقول[2]: [من المنسرح]

يا جنَّةً فاقت الجِنان فما ... تَبلغُها قيمةٌ ولا ثَمَنُ
أَلِفتُها فاتّخذْتُها وطناً ... إنَّ فؤادي لأَهلِها وطنُ
زُوِّج حيتانُها الضِّبابَ بها ... فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ
فانظرْ وفكِّر فيما نطقْتُ به ... إنَّ الأَريبَ المفكِّر الفطنُ
مِن سفنٍ كالنَّعامِ مُقبلة ... ومن نَعامٍ كأنّها سفنُ

أخبرني عيسى بنُ الحُسين قال: حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصليُّ، أنَّ أبا عُيينةَ أنشده لنفسه: [من الخفيف]

صوت

لا يَكنْ منكِ ما بدا لي بعينيـ ... ـكِ من اللَّحظِ حِيلةً واختداعا
إن يكن في الفؤادِ شيء وإلاّ ... فدَعِيني لا تقتليني ضَياعا
فلَعلّي إذا قربتُ تباعدْ ... تِ وأَظهرْتِ جَفوة وامتناعا

1 أوطنها: اتخذها وطناً.
2 الأبيات في الشعر والشعراء (755) لأبي عيينة.

حين نفسي لا تستطيع لِما قد	وقَعَت فيه مِن هواها ارتجاعا

في هذه الأبيات رمَل مطلَق محدَث .

[عبد الله يعاتب محمد بن خالد البرمكيّ]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني أبي قال : كان عبدُ الله بن محمدِ بن أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيينة شاعراً ، وهو القائل يعاتب محمدَ بنَ يحيى بنِ خالدٍ البرمكيِّ بأبيات رائية أوّلها : [من مخلّع البسيط]

اسلَمْ وإن كان فيك عنّي	قَبْضٌ لِكفَّيْك وازورارُ
تَلحظني عابساً قطوباً	كأنّما بي إليك ثارُ
لو كان أمر عتبتَ فيه	يجوز منه لِيَ اعتذارُ
أو كنتُ سآَّلة حريصاً	لحانَ مِنّي لك الفِرارُ
أو كنتُ نَذلاً عَديمَ عقل	لا مَنصِبٌ لي ولا نِجارُ
أوْ لَم أكُنْ حاملاً بِنفسي	ما تحملُ الأنفُس الكبارُ
وأنّني من خِيارِ قومي	وكلُّ أهلي فتى خيارُ
عذرْتُ إن نالني جفاءٌ	منك وإن نالني ضِرارُ
لكنّ ذنبي إليك أنّي	قحطانُ لي الجَدّ لا نِزارُ
عليكَ منّي السّلام هذا	أوانُ يَنأى بيَ المزارُ
ما كنتُ إلاّ كلَحم مَيْت	دَعا إلى أكله اضطرارُ
راحَت عَلى النّاس لابنِ يحيى	محمّدٍ ديمةٌ غِزارُ
ولم يَكُن ما أنلْتُ منه	بقدْر ما يَنجلي الغبارُ
قد أصبح النّاسُ في زمان	أعلامُه السِّفْلة الشِّرارُ
يستأخر السابقُ المُذَكّي	فيه ويَستقدِم الحِمارُ
وليس لِلمرء ما تمنّى	يوماً وما إنْ له اختيارُ
ما قدَّر اللهُ فهْو آت	وفي مقاديره الخيارُ

[يهجو قبيصة ابن روح المهلّبيّ ، ويمدح داود ابن عمّه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أبو هفَّان ، قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنَة قد قصد قَبيصة بن رَوحِ بن حاتمِ المهلَّبيَّ واستماحه ، فلم يجد عنده ما قدَّر فيه ، فانصرف مُغاضِباً ، فوجَّه إليه داودُ بن مَزْيدٍ بنِ حاتم بنِ قَبيصة ، فترضّاه ، وبلغ ما أحبّه ورضيه من برِّه ، ومعونته ،

فقال يمدحه ويهجو قبيصة[1] : [من الكامل]

أَقَبيصَ لستَ وإن جهَدَتَ بمُدرك ... سعيَ ابنِ عمِّك ذي العلا داودِ
شتان بينَك يا قبيصَ وبينه ... إن المذمَّمَ ليس كالمحمودِ
اختار داودٌ بناءَ محامد ... واخترتَ أكلَ شبارقٍ وثَريدِ[2]
قد كان مَجدُ أبيكَ لو أحييته ... رَوْحٍ أبي خَلَف كمَجد يزيدِ
لكن جرى داودُ جَريَ مبرِّز ... فحوى المَدى وجريتَ جريَ بليدِ
داودُ محمودٌ وأنتَ مذمَّم ... عجباً لذاك وأنتما من عودِ
ولرُبّ عُود قد يُشقّ لِمسجد ... نِصفاً وسائرُه لِحُشّ يهودِ[3]
فالحشُّ أنتَ له وذاك لِمسجد ... كم بين موضع مَسْلَحٍ وسجودِ
هذا جزاؤكَ يا قبيصَ لأنّه ... جادَتْ يداه وأنتَ قُفل حديدِ

[شعره في مجلس صاحب بستان الجارية]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنا حَماد بنُ إسحاقَ قال : حدَّثني أبي قال : كانت لأبي حُذَيفة مولى جعفرِ بن سليمانَ جاريةٌ مُغنِّية يقال لها : بُستانُ ، فبلغه أنّ أبا عُيَيْنة بنَ محمّدِ بنِ عُيَيْنة ذكر لبعض إخوانه محبّتَه لها ولاستماعِ غنائها ، فدَعاه ، وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه ، فأجابه إلى ذلك ؛ وقال لما سكِر وانصرف من عنده في ذلك : [من الوافر]

أَلم تَرَني على كَسَلي وفَتري ... أَجبت أبا حُذيفة إذْ دَعاني
وكنتُ إذا دُعيت إلى سماع ... أَجبْتُ ولم يكُن منّي توانِي
كأنّا من بشاشتِنا ظِلِلنا ... بِيومٍ ليس من هذا الزّمانِ

[يهجو مَن لم يعطه سماداً]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ عثمان قال : كانت لِعيسى بنِ موسى ضَيعةٌ إلى جانبِ ضَيعةِ ابن أبي عُيَينة بالبصرة ، وكان له إلى جانبِ ضَيعتِه سَماد كثير ، فسأله أن يعطيَه بعضَه لِيَعْمُرَ ابنُ أبي عُيَيْنة به ضَيعته ، فلم يفعل فقال فيه : [من الوافر]

1 الأبيات 1 و6–8 في معجم المرزباني : 110 و 6–8 في الشعر والشعراء : 755 وطبقات ابن المعتزّ .
2 محامد في ل : مكارم . والشبارق : جمع شِبرق ، وهو نبات منتن يلقيه البحر .
3 المرزباني : وباقيه لحش .

رأيتُ الناسَ هَمُّهـم المعـالي وعيسى همُّــه جمـع السَّمادِ
ورزق العالمين بِكَـفّ ربِّـي وعيسى رزقُه في اسْتِ العبادِ[1]

[هجاؤه ابن عمِّه خالد]

هكذا ذكره ابنُ مَهْرُوَيْه ، وهذا بيت فاسد ، وإنّما هو : [من الوافر]

إذا رُزق العبــادُ فإنّ عيسى لــه رِزق مـن استاه العبادِ

ولابن أبي عُيَيْنة مع ابن عمِّه خالدٍ أخبارٌ جَمّةٌ أذكرها هاهنا والسببَ الذي حَمله عَلى هجائه : أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأَخْفشُ ببعضِها ، عن محمدِ بنِ يزيـدَ المبرِّدِ ، وببعضها عـن أحمدَ بن يزيدَ المهلَّبيِّ عن أبيه ، وقد جمعتُ روايتهما فيما اتّفقا عليه ، ونسبْت كلَّ ما انفرد به أحدُهما أو خالفَ فيـه إليه ، وذكرْتُ في فُصولِ ذلك وخِلالِه ما لم يأتيا بـه مِمّا كتبْتُه عن الرّواة ، قـالا جميعاً : وَلِـيَ خالدُ بنُ يزيدَ بنِ حاتـمِ بنِ قَبيصة بنِ المهلَّـبِ جُرْجانَ ، فسأل يزيدُ بنُ حاتمٍ أبا عُيَيْنة أن يَصحبَه ويخرج معه ، ووعدَه الإحسانَ والولاية ، وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عُيَيْنة جنديّاً ، فجرَد اسمه في جريدته ، وأخرج رزقه معه ، فلمّا حصل لِجُرجان أعطاه رِزقه لشهر واحد ، واقتصر على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغه أنّه قد هجاه وطعَنَ عليه ، وبسط لسانه فيه ، وذكره بكلّ قبيح عند أهل عملِه ووجوهِ رعيّته ، فلم يقدِر على معاقبته ، لموضع أبيه وسنّه ومَحلّه في أهلِه ، فدَعا به ، وقال له : إنّه قد بلغني أنّك تريد أن تَهرُبَ فإمّا أن أَقَمْتَ لي كفيلاً برزقِكَ أو رددته ، فأتاه بكفيل فأعنتَه ، ولم يقبله ، ولم يَزَل يردِّده حتى ضجِر ؛ فجاءه بما قبض من الرزقِ فأخذَه ، ولجَّ أبو عُيَيْنة في هجائِه وأكثر فيه حتى فضحه . فقال في هذا عن أحمدَ بنِ يزيد المهلّبيّ : [من الكامل]

دُنيـا دعوتُــكِ مُسرِعاً فأَجيبي وبما اصطفَيْتُكِ في الهوى فأثيبي
دومي أُدُمْ لكِ بالصَّفاءِ على النَّوى إنِّــي بِعهدِكِ واثـقٌ فثقــي بي
ومِن الدَّليـلِ على اشتياقي عَبْرتي ومَشيبُ رأْسي قبلَ حينِ مشيبي
أَبْكي إليكِ إذا الحَمامةُ طَرَّبتْ يـا حسنَ ذاك إليَّ مــن تطريبِ
تبكي على فَنَـنِ الغصونِ حزينـةً حُـزنَ الحبيبةِ مــن فِراقِ حبيبِ
وأَنا الغريبُ فـلا أُلامُ على البُكا إن البُكــا حسَنٌ بكـلِّ غريبِ
أَفــلا يُنَــادى لِلقُفولِ برِحلةٍ تَشفي جَـوًى مــن أَنفسٍ وقلوبِ

---

1 تقدم هذا البيت بالرواية الأخرى لأبي الشمقمق في عيسى بن سليمان .

ما لي اصطفَيت على التعسّفِ خالداً   واللهِ مـا أنـا بعدَهـا بأريبِ
تبّـاً لصحبة خالـدٍ مـن صحبة   ولِخالدِ بـن يزيدَ من مصحوبِ
يـا خالدَ بنَ قبيصةٍ هيَّجتَ بي   حَرْباً فدُونـك فاصطبرْ لحروبي
لّمـا رأيتُ ضميرَ غِشّك قـد بدا   وأبَيْـتَ غير تَجَهُّـم وقُطوبِ
وعرفْتُ منكَ خلائقـاً جرّبْتُها   ظهَرَتْ فضائحُهـا على التجريبِ
خلَّيْتُ عنك مُفارقاً لك عن قِلًى   ووهبْتُ للشيطانِ منكَ نصيبي
فلئـن نظـرْتُ إلى الرُّصافةِ مرّة   نظراً يُفـرّجُ كُربـةَ المكروبِ
لأمزّقنّـك قائمـاً أو قاعـداً   ولأروين عليـك كلَّ عَجيبِ
ولتأتينَّ أبـاكَ فيـكَ قصائدٌ   حبَّرتهـا بَتَشكُّـرٍ مقلـوبِ
ولَيُنْشَدَنَّ بهـا الإمـامُ قصيدة   ولتُشْتَمَنَّ وأنـتَ غيرَ مهيـبِ[1]
ولأوذِينّـك مثلمـا آذيتَنـي   ولأُشليَـنَّ على نعاجِـك ذيبي[2]

قال أحمد بنُ يزيدَ في خبره : حدّثني أبي قال : أَعْرَس داودُ بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة أخـو أبي عُيَيْنة بالبصرة ، وأخـوه غائب يومئذٍ مع ابنِ عمِّه خالدٍ بِجُرجان ، فكتب داودُ إلى أخيـه يخبره بِسلامته وسلامةِ أهلِ بيتِه ، وبِخَبرٍ نقَلَه أهلَه إليه ، فقـال أبو عُيَيْنَة في ذلـك : [من الهزج]

ألا مـا لِعَيْنِـك معتلَّـهْ   ومـا لِدموعِـك منهلَّـهْ
وكيف بِجُرجان صبرُ امرىءٍ   وحيـدٍ بهـا غيرِ ذي خُلَّهْ
وأطْـولْ بلَيْلِك أطْـولِ بـه   إذا عسكـر القـوم بالأَثْلَهْ[3]
وراعَك مِـن خيلِـه حاشر   مِن القـومِ ليستَ لـه قِبلَهْ
يسوقـكَ نحوهـمُ مكرهـاً   وداودُ بـالمِصرِ في غفلَـهْ
عَـروس ينعَّـمُ مِـن تحتـه   سَريـرٌ ومِـن فوقـه كِلَّهْ
ومـا مُدْنَـفٌ بـين عُوّاده   ينـادى وفي سمعـه ثِقْلَـهْ
بأوجعَ منـّي إذا قيل لي :   تأهَّـبْ إلى الـريِّ بالرِّحْلَهْ

1 ل : وليسمعن بها الأنام . . .
2 أشلى : أغرى كما تغرى الدابة أو الناقة بالمخلاة .
3 الأثلة : قرية بالجانب الغربي لبغداد .

وما لي وللسرِّيّ لولا الشقا ... ءِ إن كنت عنها لفي عُزلَهْ
أُكلَّفُ أجبالَها شاتياً ... على فَرَس أَو على بَغْلَهْ
وأَهْونُ مِن ذاك لو سهَّلوه ... ركوبُ القَراقيرِ في دِجلَهْ[1]
تَروح إلينا بها طَرْبة ... رواحَ النّدامى إلى دلَّهْ
أَخالدُ خذْ مِن يدي لَطمة ... تَغيظُ ومن قدَمِي رَكْلَهْ
جمعْتَ خصالَ الرَّدى جملة ... وبعْتَ خصال النَّدى جملَهْ
فما لَك في الخيرِ مِن خلّة ... وكَم لك في الشرِّ مِن خلَّهْ
ولّما تَناضَل أَهلُ العلا ... نُضلْتَ فأَذْعنْتَ للنَّضلَهْ
فما لَكَ في المجدِ يا خالدٌ ... مُقَرْطَسة لا ولا خصلَهْ[2]
وأَسرعْتَ في هدمِ ما قد بَنى ... أَبوك وأَشياخُه قبلَهْ
وكانت من النَّبْعِ عيدانُهم ... نُضاراً وعودُك من أَثْلَهْ
فيا عجباً نَبْعةٌ أَنبَتتْ ... خِلافاً وريَحانةٌ بقَلَهْ[3]
ثيابُك لِلْعبدِ مطويّة ... وعِرضكَ للشتمِ والبِذلَهْ
أجعْتَ بَنيك وأَعرَيْتَهم ... ولم تُؤتَ في ذاك مِن قِلَّهْ
إذا ما دُعينا لِقبضِ العطاءِ ... وهيأت كيسَك للغلَّهْ
وجُلَّةُ تَمْرٍ تُغادى بها ... فتأتي على آخر الجلَّهْ[4]
وتُقصي بَنيك وهمُ بالعرا ... ءِ نُزْلُهمُ الملحُ والمَلَّهْ[5]
ولو كان خُبز وتَمر لَديك ... لَما طمِعوا منك في فَضلَهْ
وتُصبح تَقْلِس عن تُخمة ... كأَنَّ جُشَاءكَ عن فُجْلَهْ[6]
إذا الحيّ راعَهمُ رائع ... فأَوهَنُ من غادة طَفلَهْ

1 القراقير : نوع من السفن ، واحدها قُرقور .
2 المقرطسة : الرمية الصائبة .
3 الخلاف : شجر كالصفصاف .
4 الجلة : القفة الكبيرة .
5 أي طعامهم خبز الملة والملح . والملة : الرماد الحار .
6 القلس : خروج الطعام أو الشراب إلى الفم سواء أُلقي أو أعيد إلى المعدة .

وليــثٌ يصــول على قِرْنــه إذا مــا دُعيــتَ إلى أُكلَهْ
فللــهِ دَرّكَ عنــد الخُــوا نِ مِن فــارسٍ صادقِ الحملَهْ
وإن جــاءَك النّاسُ في حاجة تفكّــرْتَ يومــين في العِلَّهْ
وتلقاهُــــم أبــداً كالِحــاً كأنْ قد عَضَضْتَ على بَصْلَهْ
فهذا نصيبيــيَ مــن خالــدٍ لكــم هَنــة بَتّــةٌ بتلَهْ[1]
وإنّــي لِصحبتــهِ مبغــضٌ ولا خيــرَ في صحبــةِ السِّفْلَهْ

[مسلم بن الوليد يستكثر هجاءه لابن عمّه]

حدَّثني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار الثقفيُّ قال : حدَّثني أَبو الحسن بن المنجِّم قال : رأيت مسلمَ بنِ الوليد الأنصاريَّ يوماً عند أبي ، ثم خرج من عنده ، فلقيه ابنُ أبي عُيَيْنة ، فسلَّم عليه وتحفّى به ، ثم قال له : ما خبرُك مع خالد ؟ قال : الخبر الذي تعرفه ، ثم أنشده قوله فيه[2] : [من مجزوء الكامل]

يا حفصُ عاطِ أَخاك عاطِهْ كأساً تُهيّــج مــن نشاطِهْ

قال : ومسلمٌ يتبسم من هجائه إيّاه حتى مرَّ فيها كلّها ، ثم ختمها بقوله :

وإذا تطاولــتِ الــرؤو سُ فغطٌ رَأسكَ ثم طاطِهْ

فقال مسلم : مَه ، إنّا لله ! هتكته والله وأَخزيته ، وإنّما كنتُ أظنّ أنّك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجِدّ القبيح ، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه ، ثم مضى وهو يقول : فضحتَه والله ، هتكتَه والله !

[ودعبل يستكثره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني أَبي قال : لَقي دِعبلُ أَبا عُيَينةَ فقال له : أنشدني قولك في ابن عمِّك فأنشده : [من مجزوء الكامل]

يا حفصُ عاط أَخاكَ عاطِهْ كأساً تُهيّج مــن نشاطِهْ
صِرْفــاً يعــودُ لِوقعِهــا كالظّبي أُطلــق من رِباطِهْ
صَبّاً طــوَتْ عنــه الهمو مُ نَعيمــه بعــد انبساطِهْ

---

1 لكم هنة في بيروت : لكم هبة . وبتله : مقتطعة .

2 في معجم المرزباني : 110 البيت الأول من القصيدة الطائية وفي طبقات ابن المعتزّ : 289 الأبيات الثلاثة الأولى والخامس .

فبكــى وحــقّ لــه البكا لشقائــه بعـــد اغتباطِهْ
جَــزِع المخَنَّــثُ خالــد لمّـا وقعــتُ على قِماطِهْ
فانظـــرْ إلى نزواتـــه مــن مَنطقي وإلى اختلاطِهْ
دَعنـــي وإيّـا خالــدٍ فلأقطعــنّ عُـرى نِياطِهْ[1]
إنّــي وجـــدْتُ كلامَــه فيــه مَشابهُ مــن ضُراطِهْ
رجُـلٌ يَعـدّ لك الوعيــ ـد إذا وطئتَ عَلى بساطِهْ
وإذا انتظــرتَ غـــداءه فخَــفِ البوادر من سياطِهْ
يا خـــالِ صَدّ المجدُ عنـ ـك فلن تجوزَ عَلى صراطِهْ
وعَرِيتَ مــن حُلل النَّدى عُرْيَ اليتيم ومِن رياطِهْ[2]
فــإذا تطاولَـتْ الـرؤ وس فغَطٌ رأسَكَ ثم طاطِهْ

فقال له دِعبلٌ : أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت ، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلتَه وغضضت منه ، وإنّما استنشدْتك وأنا أظنّ أنّك قلتَ كما يقول النّاسُ قولاً متوسطاً ، ولو علمتُ أنّك بَلَغْتَ به هذا كلّه لما استنشدْتك .

أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بنُ عليٍّ وعمّي قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسين بنُ السريّ قال : لقي دِعبل أبا عُيَيْنَةَ فقال له : أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابن عمّك ، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيدَ ، وقال فيه : إنّما ظننتُ أنّك قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء ، ولو علمْتُ أنّك بَلَغْتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما استنشدتك ، وجعل يعيد «فغطٌ رأسَك ثم طاطه» ، ويقول : قتله والله !

[مزيد من هجائه في خالد]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : ومن مختار ما قاله في خالد قوله : [من البسيط]

قُــل لِدُنيــا بــالله لا تقطعينــا واذكرينا في بعضِ مــا تذكرينا
لا تَخوني بالغيبِ عهــدَ صديــقٍ لم تخافيــهِ ساعـــةً أن يخونا
واذكري عيشنا وإذ تنفض الرِّيـ ـحُ علينــا الخِيريّ والياسَمينا[3]

1 النياط : عرق يشد القلب فإذا قطع مات صاحبه .
2 الرياط : جمع ريطة ، وهي ثوب يشبه الملحفة .
3 الخيري : نبات أصفر الزهر ذو رائحة ذكية .

إذ جعلْنـــا الشاهِسْفَــرام فِــراشاً مِن أَذى الأَرض والظلالَ غصونا[1]
حفظ اللهُ إخوتـــي حيث كانــوا مـــن بِـلادٍ سارِيـن أم مُدْلجينا
فتيـــةٌ نازحـــون عـــن كلِّ عَيب وهـــمُ في المكـــارم الأوّلونا
وهـم الأكثرون يَعلمُ ذاك النّـ ـاسُ والأطيبـــون لـلأطيبينا
أزعجَتْني الأقدار عنهم وقد كنـ ـتُ بقُربي منهم شحيحاً ضنينا
وتَبدلْـــتُ خالـــداً لعنـةُ اللـ ـهِ عليـــه ولعنـــةُ اللاعنينا
رجـــلٌ يقهـــرُ اليتيـــمَ ولا يؤ تـــي زكـــاةً ويَنهـــرُ المسكينا
ويصونُ الثيابَ والعِرضُ بـالٍ ويرائـــي ويمنـــعُ المـــاعونا
نـزع اللهُ منـه صالح مـا أعـ ـطاه آمـين عاجـــلاً آمينا
فلَعَمـــر المبادِريـــن إلى مكـ ـةَ وفـــداً غاديـــن أو رائحينا
إنّ أضيـــافَ خالـــدٍ وبنيـــه لَيجوعـــون فوق مـــا يشبعونا[2]
وتراهمْ مـــن غير نُسْكٍ يصومو نَ ومـــن غيرِ عِلّـــةٍ يحتمونا
يـــا بنـــي خالدٍ دعُوه وفرُّوا كم على الجوعِ ويْحَكم تصبرونا

قال محمد بن يزيد : ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

ألا خبّـروا إن كان عندكُمُ خَبَرْ أنقفلُ أَم نَثوِي على الهمّ والضَّجَرْ ؟
نفى النومَ عن عيني تعرُّض رحلة بها الهمُّ واستولى بها بعده السهرْ
فإن أَشكُ من ليلي بجُرْجان طولَه لقد كنتُ أَشكو فيه بالبصرة القِصرْ
فيـا حبَّـذا بطـنُ الخَرير وظَهرُه ويا حسنَ واديه إذا ماؤه زَخرْ[3]
ويـــا حبّـــذا نهـــرُ الأُبُلّةِ مَنظراً إذا مَـــدَّ في إبّانه النهرُ أو جَزَرْ
وفتيانُ صدق همُّهـــم طلبُ العلا وسيماهمُ التحجيل في المجدِ والغَررْ
لعمري لقد فارقتُهـــم غيرَ طائعٍ ولا طيِّبٍ نفساً بـذاك ولا مُقِرْ
وقائلـــةٍ ماذا نـــأى بـك عنهمُ فقلتُ لهـا لا عِلمَ لي فَسَلي القدرْ
فيـــا سفَراً أودى بِلَهوي ولذّتي ونغّصني عيشي عَدِمتك مِن سفرْ

1 الشاهسفرام : الريحان .
2 هذا البيت والذي يليه في الشعر والشعراء : 753 .
3 الخرير : المكان المطمئن بين ربوتين .

دعـوني وإيّا خالدٍ بعـد ساعة   سيَحمله شِعري على الأَبلق الأغرّ
كأنّي بِصدقِ القـولِ لمّـا لقيتُه   وأَعلمته مـا فيـه أُلقمتُه الحجرْ
دنيء بـه عـن كلِّ خير بَلادةٌ   لِكلِّ قبيحٍ عن ذراعيه قـد حَسَرْ
لـه منظرٌ يُعمـي العيونَ سماجة   وإن يُختَبر يوماً فيا سوء مُختَبَرْ[1]
أبـوكَ لنـا غيثٌ يعاشُ بوَبْلِـه   وأَنتَ جَرادٌ ليس يُبقي ولا يذرْ
لـه أثـرٌ في المكرماتِ يسرّنا   وأَنتَ تُعفّـي دائمـاً ذلك الأثرْ
لقد قُنِّعَتْ قَحطانُ خزياً بخالد   فهل لكِ فيه يُخزك الله يا مضرْ

أُخبرني عيسى بنُ الحسين قال : حدّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمّي قال : أُنشد الرشيد قولَ ابن أبي عُيينة :   [من الطويل]

لقد قُنِّعتْ قحطانُ خزيـاً بِخالد   فهل لم فيـه يُخْزكَ اللهُ يا مضرْ

فقال الرشيد : بل يُوَقَّرون ويُشكرون .

أُخبرني محمدُ بن يحيى الصوليُّ قال : قال لنا أَبو العبّاس محمدُ بن يزيد : لم يجتمع لأَحد المحدَثين في بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله :   [من الطويل]

أبـوك لنـا غيثٌ نعيشُ بِوَبْلِه   وأَنتَ جرادٌ ليس يُبقي ولا يذرْ

وقال محمد بن يزيد : ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا :   [من الطويل]

على إخوتـي منّـي السلامُ تحيّةً   تحيّـةَ مُثـنٍ بالأخـوة حامِـدِ
وقُل لهـمُ بعـد التحيّـةِ أنتمُ   بِنفسي وما لي من طَريف وتالدِ
وعَـزَّ عليهـمْ أَن أُقيـمَ بِبَلدة   أخا سَقَمٍ فيهـا قليـلَ العوائدِ
لئن ساءهم ما كان مِن فِعل خالد   لقد سرَّهم ما قـد فعلْتُ بخالِدِ
وقد علموا أَن ليس منّي بمُفلت   ولا يومُـه المسكينِ منّـي بواحدِ
أخالـدُ لا زالـت مـن اللهِ لعنةٌ   عليكَ وإن كنتَ ابن عمّي وقائدي
أخالـدُ كانت صحبَتِيك ضلالةً   عَصيتُ بها ربِّي وخالفْتُ والدي
وأَرسل يَبغي الصلحَ لما تكنَّفت   عوارضَ جنبَيـه سيـاطُ القصائدِ
فَأرسلتُ بعـد الشرِّ أنّي مسالمٌ   إلى غيرِ مـا لا تشتهي غيرُ عـائدِ

1 وهذا البيت والبيتان بعده في الشعر والشعراء : 753 . وأضاف رابعاً لم يرد هنا :
تسيء وتمضي في الإساءة دائباً   فلا أنت تستحيي ولا أنت تعتذر

[أهجى شعراء عصره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : زعم القَحْذَميّ أنّ الرشيد قال للفضل بن الرّبيع : مَن أهجى المحدَثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا ؟ قال : الذي يقول في ابن عمِّه[1] : [من مجزوء الرمل]

لــو كما يَنقصُ يزدا دُ إذاً نـال السماءَ
خالـدٌ لولا أبــوه كان والكلبَ سواءَ
أنا مـا عشتُ عليه أسوأُ النّـاس ثناءَ
إنّ مَنْ كان مسيئاً لحقيــقٌ أن يُساءَ

فقال الرشيد : هذا ابن أبي عُيَينة ، ولعمري لقد صدقتَ .

[الهادي يرده من جيش خالد]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمِّه خالد بجُرْجانَ ، فأساء به وجفاه . وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُندِ خالدٍ من أهل البصرة ، أحدهما مُهلَّبيّ والآخرُ مَولى للأزْد ، وكلّهم شاعر ظريف ، فكانوا يمدحون السَّراة من أهلِ جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم . ووليَ موسى الهادي الخِلافةَ فكتب ابنُ أبي عُيَينة إلى مَن كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة : [من الخفيف]

كيف صَبري ومنزلي جُرْجانُ والعـراقُ البـلادُ والأوطانُ ؟
نحــنُ فيهـا ثلاثــةٌ حُلَفـاءُ ونَدامـى على الهــوى إخوانُ
نتساقى الهوى ونَطربُ لِلذّكـ ـرِ كما تُطرِبُ النشاوى القِيانُ
وإذا مـا بكــى الحمامُ بكَينا لِبُكـاه كأنّنـا صبيــانُ
يا زماني الماضي ببغدادَ عُدْ لي طالمـا قـد سَررْتَني يـا زمانُ
يا زماني المسيءَ أحسنْ فقِدْماً كان عندي مِن فعلك الإحسانُ
ما يريــدُ العُذّالُ منّي أمَا يُـ ـرَكَ أيضاً بِغَمــه الإنسانُ
ويقولون أملكْ هواك وأقصِر قلتُ ما لي على الهوى سلطانُ[2]
أيُّها الكاتِمُ الحديثَ وقد طا لَ بــه الأمرُ وانتهى الكتمانُ

1 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء : 754 مع عكس الترتيب ، وفي طبقات ابن المعتزّ : 289 سبعة أبيات آخرها البيتان الأولان وليس منها الثالث والرابع .

2 أملك في ل : أمسك .

قد لعَمري عرّضْتَ حيناً فبَيّنْ ليس بعـد التعريض إلاّ البيانُ
واتّخِـذ خالــداً عدوّاً مبيناً ما تَعادى الإنسانُ والشيطانُ
والْهُ عنـه فما يضـرّك منـه عَضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ
ولعَمْري لـولا أبــوه لنالَتـ ـه بسوءٍ منّـي يـدٌ ولسانُ
قـل لفِتياننـا المقيمين بـالبا ب ثِقـوا بالنجاح يـا فتيانُ
لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى فلكُمْ من ردَى الزّمـانِ أمانُ
أوَلَـم تأتـه الخلافـةُ طوعاً طاعــةً ليس بعدهـا عصيانُ
فهْــي منقادة لموسى وفيهـا عــن سواه تَقاعسٌ وحِرانُ
قُل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً بقِيـاد وفي يديـك العِنانُ
أنـت بحَر لنـا ورأيـك فينا خيرُ رأيٍ رأى لنـا سلطانُ[1]
فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخسـ ـفَ رمـاه لحتفـه الرحمنُ
كَمْ إلى كم يُغضى على الذلّ منه وإلى كم يكـون هـذا الهوانُ

قال : فلمّا قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة ، وأعطاه ما فات من رزقه ، وأقفله من جيش خالد إليه .

صوت

[من السريع]

أين محَـلُّ الحـيِّ يا وادي خبِّر سقـاك الرائـحُ الغادي
مُستصحِب لِلحـربِ خَيفانةً مثلَ عُقاب السَّرحة العادي[2]
بين خُـدور الظُّعْن محجوبـةٌ حَـدا بِقلبـي معها الحادي
وأسْمَـــراً في رأسه أزرق مِثـلُ لِسان الحيّـة الصادي[3]

الشعر لدِعبلِ بن عليّ الخُزاعيّ ، والغناء لأحمدَ بن يحيى المكّي ، خفيف ثقيل مطلَق في مجرى الوُسطى عن أبي عبد الله الهِشامي .

1 سلطان في ل : إنسان .
2 خيفانة : فرس أو ناقة خفيفة الحركة . والسرحة : الدوحة .
3 الأزرق : النصل الشديد الصفاء . ونصب أسمراً على العطف على خيفانة .

[416] ـ أخبارُ دِعبل بن عليّ ونسبه[1]

[هجّاء خبيث اللسان]

هو دِعْبلُ بنُ عليِّ بنِ رَزِين بنِ سليمان بنِ تميم بن نَهشلِ بنِ خِداشِ بن خالد بنِ عبدِ بنِ دِعْبلِ بنِ أنَسِ بنِ خزيمةَ بنِ سلامانَ بنِ أسلَم بنِ أفصى بنِ حارثةَ بنِ عمرٍو عامرِ بن مُزَيْقيا ، ويكنى أبا علي .

شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجاءٌ خبيثُ اللسان ، لم يَسلم منه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ ، أحسنَ إليه أو لم يحسن ، ولا أفلَت منه كبيرُ أحد . وكان شديد التعصّب على النِّزاريّة لِلقحطانيّة ، وقال قصيدة يردّ فيها على الكُميتِ بن زيد ، ويناقضه في قصيدته المُذهَبة التي هجا بها قبائل اليمن .

ألا حُيِّيتِ عنّا يا مرينا

فرأى النبيّ ﷺ في النوم ، فنهاه عن ذكر الكُميت بسوء .

وناقَضه أبو سعد المخزوميٌّ في قصيدته وهاجاه ، وتطاول الشرّ بينهما ، فخافتْ بنو مخزوم لسانَ دِعبل وأن يعمَّهم بالهجاء ، فنَفوا أبا سعد عن نسبهم ، وأشهَدوا بذلك على أنفسهم .

[خلع عليه علي بن موسى الرّضا من ثيابه]

وكان دِعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليّ ، صلواتُ اللهِ عليه ، وقصيدته : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهلِ البيت ، عليهم السلام ، وقَصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا ، عليه السلام ، بخُراسان ، فأعطاه عشْرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه ، وخلع عليه خِلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهلُ قُمٍّ ثلاثين ألفَ دِرهم ،

1 ترجمة دعبل الخزاعيّ في الشعر والشعراء : 727–730 ووفيات الأعيان 2 : 226–230 ومعاهد التنصيص 2 : 190 وتاريخ بغداد 8 : 382 والفهرست : 229 والموشح : 299 وطبقات ابن المعتز : 264–269 ومعجم الأدباء (عباس) : 1284–1287 وتهذيب ابن عساكر 5 : 227 وشذرات الذهب 2 : 11 والرجال للكشي : 313 وسير الذهبي 11 : 519 والوافي 14 : 12 ولسان الميزان 2 : 430 وروضات الجنات 3 : 306 وانظر بروكلمان 2 : 39–41 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد طبع ديوانه عدّة مرات ، ونحن نعتمد طبعة بيروت بتحقيق د . محمد يوسف نجم .

فلم يَبِعْها ، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنّها إنّما تراد لله عزّ وجلّ ، وهي محرّمة عليكم ، فدَفعوا إليه ثلاثين ألف دِرهم ، فحلفَ ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضَها ليكون في كفنه ، فأعطوه فَرْد كُمّ ، فكان في أكفانه .

وكتب قصيدتَه : «مدارسُ آياتٍ» فِيما يقال على ثوب ، وأحرَم فيه ، وأمر بأن يكون في أكفانه . ولم يزَل مرهوبَ اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء ، فهو دهرَه كلَّه هاربٌ مُتوارٍ .

[يحمل خشبته فلا يجد مَن يصلبه عليها]

حدَّثني إبراهيم بن أيّوبَ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيبة قال : رأيت دِعبلَ بنَ عليّ وسمعتُه يقول : أنا أحمل خشبَتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني عليها .

[هجاء إبراهيم بن المهديّ وأبي عباد]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا ميمونُ بن هارونَ قال : قال إبراهيمُ بن المهديّ للمأمون قولاً في دِعبل يحرّضه عليه ، فضحك المأمون ، وقال : إنّما تحرِّضني عليه لقوله فيك[1] : [من السريع]

يـــا معشرَ الأجنادِ لا تَقنطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوفَ تعطَــونَ حُنَيْنِيّــــة ... يلتذهـــا الأمــرَد والأشمطُ[2]
والمَعْبَديّـــــات لِقُـــــوّادِكم ... لا تَدخلُ الكِيس ولا تُربطُ[3]
وهكـــذا يَــرزق قُـــوّادَه ... خليفــةٌ مصحفُـــه البَرْبَطُ[4]

فقال له إبراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دَعْ هذا عنك فقد عفَوتُ عنه في هجائه إيّاي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد ، فلمّا رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم : دِعبلٌ يَجسُر على أبي عبّادٍ بالهجاء ويُحجم عن أحد ؟ فقال له : وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنّه حَديد جاهل لا يؤمنُ ، وأنا أحلُم وأصفَح . والله ما رأيتُ أبا عبّاد مقبلاً إلاّ أضحكني قول دعبل فيه[5] : [من الكامل]

أَوْلى الأُمــور بضَيعةٍ وفسادِ ... أمــرٌ يدبِّــره أبــو عبّـــادِ
وكأنّه مــن دَيرِ هِزْقَل مُفلِت ... حَرِدٌ يجــرُّ سلاسلَ الأَقيادِ[6]

---

1 ديوان دعبل : 97 .
2 حنينية : من أغاني حنين .
3 المعبديات : أغاني معبد .
4 البربط : العود .
5 ديوان دعبل : 71 .
6 دير هزقل : دير بقرية شرقي واسط . وحرد : غضبان .

[أبيات لأبيه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : أخبرني دِعبلُ بن عليٍّ قال : قال لي أبي عليُّ بنُ رَزِين : ما قلت شيئاً من الشعر قَطّ إلاّ هذه الأبيات : [من الطويل]

خليلَيّ ماذا أَرتجي مِن غد امرىء طوى الكشحَ عنّي اليومَ وَهْو مكينُ
وإنّ امرءاً قد ضَنَّ منه بمَنطقٍ يُسَدّ به فقرُ امرىء لضنينُ

وبيتين آخرين وهما : [من البسيط]

أَقولُ لَمّا رأَيتُ الموتَ يطلبني يا ليتني دِرهمٌ في كِيسِ ميّاحِ
فيا له درهماً طالت صيانتهُ لا هالك ضَيعةً يوماً ولا ضاحِ

[اشتقاق دعبل ومعناه]

أَخبرني عليُّ بنُ صالحِ بن الهيثم الكاتبُ قال : حدَّثني أَبو هَفّان قال : قال لي دِعبلٌ قال لي أَبو زيد الأنصاريّ : مِمَّ اشتق دِعبل ؟ قلت : لا أدري ، قال : الدِّعبل ، النّاقة التي معها ولدُها .

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنَزي قال : حدَّثني محمدُ بنُ أيّوبَ قال : دِعبلٌ اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعبل : لَقب لُقّب به .

وحدَّثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال : الدِّعبل ، البعير المُسِنّ .

[بمن ختم الشعر ؟]

أَخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : سمعتُ حُذَيفة بنَ محمد الطائيَّ يقول : الدِّعبل : الشيء القديم . قال ابن مَهْرُوَيْه : سمعت أبي يقول : خُتم الشعر بدِعبل ، قال : وقال أبي : كان أبو محلِّم يقول : خُتِم الشعر بعُمارة بنِ عقيل .

[نقيضة تحدث رد فعل]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حَدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : سمعْتُ أَبي يقول : لم يَزَل دِعبِل عند النّاس جليل القدر حتى رَدَّ على الكمَيت بنِ زيد :

أَلا حُيِّيت عنّا يا مرينا

فكان ذلك مِمّا وضعه . قال : وقال فيه أَبو سعد المخزوميّ : [من الوافر]

وأَعجبُ ما سمعنا أو رأَينا هجاءٌ قالَه حيّ لَميْتِ
وهذا دِعبل كَلِفٌ مُعَنّى بتسطير الأَهاجي في الكُمَيتِ
وما يهجو الكُميت وقد طواه الر دى إلاّ ابن زانية بزيتِ

[ظنّ لقبه شتماً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بن زَيد قال : حدَّثني دِعبل قال : كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يوم ، فلمّا قمتُ سأل رجل لَمْ يَعرفني أصحابَنا عنّي ، فقالوا : هذا دِعبل ، فقال : قولوا في جليسِكم خيراً ، كأنّه ظنَّ اللقب شتماً .

[إفاقة مصروع باسمه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال : حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال : حدَّثني دِعبل قال : صُرِع مجنون مرّة فصِحت في أذنه : دِعبلٌ ، ثلاث مرّات ، فأفاق .

وأخبرني بهذين الخبرين الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن محمد بنِ يزيدَ عن دِعبل ، وزاد فيه : قال دِعبل : وصُرِع مرّة مجنون بحضرتي فصِحْت به : دِعبل ، ثلاث مرّات فأفاق من جنونه .

[صحبته الشطار]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ أبو أحمدُ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال : حدَّثني عليُّ بن عمرو بن شيبان قال : حدَّثني أبو خالد الخُزاعيُّ الأسلَميُّ ، قال العَنزِيّ : وقد كتبْتُ عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر ، قال : كان سبب خروج دِعبل بن عليّ من الكوفة أنّه كان يَتَشطَّر ويصحب الشُّطار ، فخرج هو ورجل من أشجعَ فيما بين العِشاء والعتَمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كلّ ليلة بكيسه إلى منزله ؛ فلما طلع مقبلاً إليهما وثَبا إليه فجَرحاه ، وأخذا ما في كُمِّه ، فإذا هي ثلاث رُمّانات في خِرقة ، ولم يكن كيسُه ليلتئذٍ معه . ومات الرجلُ مكانَه واستتر دِعبلُ وصاحبُه ، وجَدَّ أولياء الرجل في طلبهما ، وجَدّ السلطان في ذلك ، فطال على دِعبل الاستتار ، فاضطُرّ إلى أن هرب من الكوفة . قال أبو خالد : فما دخلها حتى كتبْتُ إليه أُعلمه[1] أنّه لم يبقَ من أولياء الرجل أحد .

[يهجو الناس ليخافوه]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ قال : حدَّثني أبو خالدُ الخُزاعيُّ الأسْلميُّ قال : قلت لدِعبل : ويحَك ! قد هجَوْت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ النّاس جميعاً ، فأنتَ دهركَ كلَّه شَريدٌ طريدٌ هاربٌ خائفٌ ، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك ! فقال : ويحك ؟ إنّي تأمّلْتُ ما تقول ، فوجدْتُ أكثرَ النّاس لا يُنتَفعُ بهم إلاّ على الرهبة ، ولا يُبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه ، ولَمَنْ يتّقيك على عرضه أكثرُ مِمَّن يرغب إليك في تشريفه ، وعيوبُ النّاس أكثر من محاسنهم ، وليس كلّ مَن شَرَّفته بشعر شرُف ، ولا كلُّ مَن وصفتَه

1 ل : وكتب إليه أهله .

بالجُودِ والمجدِ والشجاعةِ ولم يكن ذلك فيه انتفَع بقولك ، فإذا رآك قد أُوجعْتَ عرضَ غيره وفضحتَه ، اتقاك على نفسه وخاف من مثلِ ما جرى على الآخر ؛ ويحك ، يا أبا خالد إنّ الهجاء المقذع آخذٌ بِضَبع الشاعر من المديحِ المضْرِع . فضحكْتُ من قوله ، وقلت : هذا والله مقالُ مَن لا يموت حَتْفَ أنفِه .

أُخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحمدويّ الشاعر قال[1] : سمعْت دِعبل بنَ عليّ يقول : أنا ابن قولي : [من الكامل]

لا تَعجبي يـا سلمَ مِن رجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

وسمعتُ أَبا تمّام يقول : أَنا ابن قولي : [من الكامل]

نَقّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى مـا الحـبُّ إلاّ للحبيبِ الأوَّلِ

قال الحمْدَويّ : وأَنا ابن قولي فِي الطَّيْلَسانِ : [من الخفيف]

طـال تَردادُه إلى الرَّفْو حتى لـو بعثنـاه وحـدَهُ لتهدّى

قال الحمْدَويّ : معنى قولِنا : أنا ابنُ قولِي ، أي أنِّي به عُرِفتُ .

[يسرقُ بيتاً ويتفوّق فيه على صاحبه]

أُخبرني عليُّ بنُ صالحٍ قال : حدَّثني أَبو هفَّان قال : قال مسلم بن الوليد[2] : [من السريع]

مستعبِرٌ يبكـي على دِمنـة ورأسه يضحك فيه المَشيبْ

فسرَقه دِعبل ، فقال : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سلمَ مـن رَجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِه فبكى

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحقَّ به منه .

قال أَبو هَفَّان : فأَنشدت يوماً بعض البصريين الحَمقى قول دِعبل .

ضحك المَشيب برأسِه فبكى

فجاءني بعد أَيّام ، فقال : قد قلتُ أَحسن من البيت الذي قاله دِعبل ، فقلت له : وأَيَّ شيء قلت ؟ فتمنّع ساعة ، ثم قال : قلت :

قهقَــه في رأسِك القَتيــرُ[3]

أُخبرني بهذه الحكاية الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي هفَّان ، قال : ذكر نحوه ،

---

1 انظر هذا الخبر برواية مغايرة في ترجمة محمد بن وهيب في الجزء 19 : 57 .

2 ديوان مسلم : 306 .

3 القتير : الشيب .

وزاد فيه ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني الحَمْدَوِيّ قال : سمع رجل قول المأمون : [من المجتثّ]

قبّلتُـــه مـن بَعيـــدٍ فاعتلَّ مـــن شفتيـــهِ

فقال : [من الخفيف]

رَقَّ حتى تورَّمَتْ شفتاه إذ توهّمْتُ أن أقبِّلَ فاه

[جارية تغنّي بشعر قاله قبل سبعين سنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو ناجية ، وزعم أنّه من وَلد زُهَير بن أبي سُلمى ، قال : كنتُ مع دِعبل في شَهْرَزُورَ[1] ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة محسنة فغنّت الجارية بشعر دِعبل : [من الكامل]

أَيـنَ الشبابُ وأيّـةً سَلكا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هَلكا

قال : فارتاح دِعبل لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الكامل]

أيـن الشبابُ وأيّـــةً سَلكا لا ، أين يُطلبُ ضلَّ ، بل هَلكا

لا تعجَبي يـا سَلمَ من رجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

يا ليتَ شِعْري كيف نَوْمُكما يـا صاحبيّ إذا دَمـي سُفِكا

لا تأخـــذوا بِظُلامتي أحداً قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا

قال : والغِناء لأحمدَ بن المكّيّ ، ثقيل أوّلُ بالوُسطى مطلقَ .

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو المثنّى أحمدُ بنُ يعقوبَ بن أختِ أبي بكرٍ الأصمِّ قال : كنّا في مجلس الأصمعيّ ، فأنشده رجل لدِعبل قوله : [من الكامل]

لا تَعجَبي يـا سَلم من رجلٍ ضحِك المشيبُ برأسه فبكى

فاستحسناه ، فقال الأصمعيّ : إنّما سرقه من قول الحُسَين بنِ مُطَير الأسَديّ[3] : [من الخفيف]

أيـن أهـــلُ القِبابِ بالدَّهناءِ ؟ أيـــن جيراننـــا عـــلى الأحساءِ

---

1 شهرزور : كورة في بلاد فارس أحدثها زور بن الضحاك . ومعنى شهر بالفارسية : مدينة .

2 ديوان دعبل : 117-118 .

3 شعر الحسين بن مطير (غياض) : 31 .

فارقونـا والأَرضُ مُلْبَسةٌ نَـوْ رَ الأَقاحـي تُجـادُ بالأَنـواءِ
كلَّ يـوم بأُقحُـوان جديـدٍ تَضحك الأَرضُ من بُكاء السماءِ

[يهجو جماعة أكلوا ديكاً له وقع لهم]

أَخبرني أَحمدُ بن العبّاسِ العسكريُّ قـال : حدَّثني الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ خالدٍ قال : كنّا يوماً بِدار صالح رجل من عبد القيس ببغدادَ ، ومعنا جماعة من أَصحابنا ، فسقط على كُنينة[1] في سطحه ديك طار من دار دِعبل ، فلمّا رأيناه قلنا هذا صَيدُنا ، فأَخذناه . فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه ، وشويناه . وخرج دِعبل فسأَل عن الديك فعَرف أنّه سقط في دار صالح ، فطلبه منّا ، فجحَدناه ، وشربنا يومنا ، فلمّا كان من الغدِ خرج دِعبل فصلّى الغداة ، ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجدُ مجمعَ النّاس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم النّاس ، فجلس دِعبل على المسجد وقال[2] : [من الكامل]

أَسرَ المـؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُه أَسْرَ الكميّ هفا خلال الماقِطِ[3]
بَعثـوا عليـه بَنيَّهـمُ وبناتِهم من بـين ناتفـةٍ وآخرَ سامطِ
يتنازعـون كأَنّهم قـد أُوثقوا خاقان أَو هزموا كتائبَ ناعطِ[4]
نهشوه فانتُزِعَت لـه أَسنانهم وتهشَّمَت أَقفاؤهـم بالحائِطِ

قال : فكتبها النّاس عنه ومضوا . فقال لي أَبي وقد رجع إلى البيت : ويحكم ، ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأْكلونه سوى ديك دِعبل ؟ ثم أَنْشدنا الشعر ، وقال لي : لا تدَع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلاّ اشتريته ، وبعثْتَ به إلى دِعبل ، وإلاّ وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك . قال وناعطُ قبيلة من هَمْدان ومُجالد بنُ سعيد ناعطيٌّ قال : وأَصله جَبَل نزلوا به ، فنُسِبوا إليه .

[ينظم الهجاء قبل أن يعرف من ينطبق عليه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي كامل قال : كان دِعبل يُنشدني كثيراً هجاء قاله : فأَقول له : فيمن هذا ؟ فيقول ما استَحقّه أَحدٌ بعَينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وَجِد على رجلٍ جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه في الشعر .

وقد أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُوَيْه عن أَحمدَ بنِ أَبي كامل بهذا الخبر بعَينه ، وزاد

1 كنينة : تصغير كُنّة ، وهي المظلة ، وفي طبعة بيروت : كنية .
2 ديوان دعبل : 99 .
3 الماقط : المضيق في الحرب .
4 الخاقان : ملك الترك . وناعط : قبيلة من همدان .

فيه ، فيما ذكر ابن أبي كامل ، أنّه كان عند صالح هذا في يوم أخْذِه ديكَ دِعبل ، قال : وهو صالح بنُ بِشرٍ بن صالحِ بنِ الجارودِ العَبْديُّ .

[أبو نضير الطوسيّ لم يرضه فهجاه]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي أيّوبَ قال : مدح دِعبلٌ أبا نَضيرِ بنِ حُمَيدٍ الطُّوسيَّ ، فقصَّر في أمرِه ، ولم يُرضه من نفسه ، فقال عند ذلك دِعبِل فيه يهجوه[1] : [من البسيط]

أبا نَضِير تَحلْحلْ عــن مجالسِنا ... فإنّ فيك لِمَن جــاراك منتَقَصا
أنت الحِمار حرونا إن وقعْتَ به ... وإن قصدْتَ إلى معروفه قَمَصا
إنّي هززتُــكَ لا آلوك مجتهِداً ... لو كنتَ سيفاً ولكنّي هززْت عصا

[أبو تمّام يهجوه ويتوعّده]

قال : فشكاه أبو نَضير إلى أبي تمّام الطائيِّ ، واستعان به عليه ، فقال أبو تمّام يجيب دِعبلاً عن قوله ، ويهجوه ويتوعّده[2] : [من الوافر]

أدِعبِــلُ إن تطاولَت الليــالي ... عليك فإن شِعري سمّ ساعَهْ
وما وَفـد المشيب عليك إلاّ ... بأخــلاق الدنــاءة والضّراعَهْ
ووجهُك إن رضيتَ به نَديماً ... فأنتَ نَسيجُ وحدِكَ في الرّقاعَهْ
ولــو بُدّلتَــه وجهــاً بوَجه ... لمــا صلَّيتَ يومــاً في جماعَهْ
ولكن قــد رُزِقْت به سِلاحاً ... لو استَعصيتَ ما أُعطيتَ طاعَهْ[3]
مَناسِب طيىءٍ قُسمَت فدعها ... فليسَتْ مثلَ نِسبتِك المُشاعَهْ
وروّح مَنْكِبيك فقــد أُعيـدا ... حُطاماً من زِحامك في خُزاعَهْ

قال العنزيّ : يقول إنّك تزاحم خُزاعة ، تدّعي أنّك منهم ولا يقبلونك .

[يردّ على هجاء الخاركي]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيّوبَ قال : تعرَّضَ الخارَكيّ[4] البصريّ ، وهو رجل من الأزد ، لدعبِل بن عليٍّ فهجاه ، وسبّه ، فقال فيه

1 ديوان دعبل : 95 .
2 ديوان أبي تمام (عزام) 4 : 387 . وفيه «أعتبة . . .» .
3 أعطيت في ل : أدّيت .
4 نسبة إلى جزيرة خارك بالخليج العربي .

دِعبل[1] : [من السريع]

وشاعـــرٍ عـــرَّض لي نفسَه لخـــارك آبـــاؤه تَنْمـــي
يَشتُم عرضي عند ذكري وما أمسى ولا أصبحَ مِـــن همِّـــي
فقلـــتُ لا بـــل حبّـــذا أمُّه خيِّـــرة طاهـــرة عِلمـــي
أكـــذِبُ واللهِ على أمِّـــه ككِذبـــه كان على أمِّـــي

[أجسر الناس]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني إبراهيم بنُ المدبّر قال : لقيتُ دِعبِلَ بنَ عليٍّ ، فقلت له : أنت أجسر النّاس عندي وأقدمهم حيث تقول[2] : [من الكامل]

إنّـــي مِـــن القوم الذين سيوفُهم قتلَتْ أخـــاك وشرّفتك بمقعدِ[3]
رَفعوا محلّك بعـــد طولِ خُموله واستنقذوك من الحَضيضِ الأوهدِ

فقال : يا أبا إسحاقَ ، أنا أحمِل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجِد مَن يصلِبْني عليها .

[رثاؤه ابن عمّه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن يزيدَ قال : قال دِعبِل بنُ عليٍّ يَرثي ابنَ عمٍّ له من خُزاعة نُعي إليه ، قال محمدُ بنُ يزيدَ : ولقد أحسن فيها ما شاءَ[4] : [من البسيط]

كانت خُزاعة مِلءَ الأرض ما اتّسَعت فقَصَّ مَـــرُّ الليـــالي مـــن حواشيها
هذا أبـــو القاسم الثـــاوي ببَلْقعة تَسفي الرِّياحُ عليه مـــن سوافيها
هبّت وقد علمَتْ أن لا هُبوب به وقـــد تكـــون حَسيراً إذ يباريها[5]
أضحى قِرًى للمنايا إذ نَزَلْنَ به وكان في سالـــفِ الأيّامِ يَقريها

حدَّثني الحسن بنُ مَهْرُوَيْه عن أبيه ، فذكر أنّ المَنعيّ إلى دِعبلٍ أبو القاسم المطَّلِبُ بنُ عبدِ الله بنِ مالك ، وأنّه نُعي إلى دِعبل ، وكان هو بالجَبل ، فرثاه بهذه الأبيات .

[يعيّر أمير الأهواز بالهرب]

أخبرني الأخفش قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ ، قال : بلغ إسماعيلَ بنَ جعفرِ بنِ سليمانَ أنّ دِعبلاً هجاه ، فتوعّده بالمكروه وشتمه ، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز ، فهرب من

1 الأبيات في ديوان دعبل : 194 ، برواية أخرى مختلفة في هجاء أبي تمام .
2 ديوان دعبل : 70 .
3 إشارة إلى طاهر بن الحسين الذي قتل الأمين ، وكان ولاؤه إلى خزاعة .
4 ديوان دعبل : 165 .
5 حسيراً : كليلاً .

زيدِ بنِ موسى بنِ جعفر بنِ محمد لما ظهر وبيّض في أيّام أبي السرايا ، فقال دعبلُ بن عليّ يعيّرُ إسماعيلَ بذلك[1] : [من الطويل]

لقد خلّف الأهوازَ من خلف ظَهره يريدُ وراء الزابِ من أرضَ كَسْكَرِ[2]
يهوِّلُ إسماعيــلُ بالبيضِ والقنــا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفرِ
وعاينتــه في يـــوم خلّـى حريمَه فيا قبحَها منه ويــا حسنَ منظرِ

[حكاية تشطره وهربه مرّة أخرى]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني ابنُ الأعرابيّ عن أبي خالدٍ الأسلميِّ قال : كان دِعبِل بنُ عليٍّ الخُزاعيِّ بالكوفة يتشطّر وهو شابّ ، وكانت له شَعرة جَعْدة ، وكان يَدْهنها ويُرجّلها حتى تكاد تَقطر دهناً ، وكان يُصلت[3] على النّاس بالليل ، فقَتل رجلاً صَيرفيّاً ، وظنَّ أنَّ كيسَه معه ، فوجد في كُمِّه رمّاناً ، فهرب من الكوفة ، وكنتُ إذا رأيتُ دِعبلاً يَمشي رأيت الشطارة في مِشيته وتبختُره .

[تطيّره من قبيح الوجه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهرُوَيْه قال : حدَّثني الحَسَنُ بنُ أبي السَّريّ قال : كان عُميرٌ الكاتب أقبحَ النّاس وجهاً ، فلقِي دِعبلاً يوماً بكْرةً وقد خرج لحاجة له ، فلمّا رآه دِعبل تَطيَّر من لقائه ، فقال فيه[4] : [من الوافر]

خَرجْتُ مبكراً من سُرَّ مَن را أُبــادرُ حاجــةً فــإذا عُمَيرُ
فلَم أَثنِ العِنان وقلتُ أَمضي فوجهكَ يــا عميرُ خَراً وخَيرُ

[لم يرض البرذون فهجا وتوعّد]

أخبرني الحسنُ قال حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسنُ بن أَبي السّريّ قال حدَّثني دعبلُ قال : مدحتُ عبد الرحمن ابنَ خاقان ، وطَلَبْت منه بِرْذوناً ، فبعث إليَّ بِبرْذَونٍ غامز ، فكتبت إليه[5] : [من المتقارب]

حملتَ على قــارحِ غامزٍ فلا لِلركوب ولا للثمَنْ[6]

1 ديوانه : 84–85 عن الأغاني .
2 كسكر : كورة من كور العراق قصبتها واسط .
3 يصلت : يرفع السيف .
4 ديوان دعبل : 83 عن الأغاني .
5 ديوانه : 138 .
6 القارح : الذي شق نابه من ذوات الحافر . والغامز : الذي يظلع في مشيه .

حمِلتَ على زَمِنٍ ظالع ... فسوف تُكافا بشُكر زَمِنْ

فبعث إليّ ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه ، وألفَي درهم .

قال ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم العُكْبَريّ عن دِعبلٍ أنّه مدح يحيى بنَ خاقان ، فبعث إليه بهذا البِرذَوْن .

[يهجو خريجه لأنّه عابه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : قال الحُسين بنُ دِعبل : كان أَبي يختلف إلى الفضل بن العبّاسِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعث ، وهو خرّجه وفهّمه وأدّبه ، فظهر له منه جفاء ، وبلغه أنّه يَعيبه ويذكره ، وينال منه ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

يا بؤسَ للفضلِ لو لَم يأتِ ما عابه ... يستفرغُ السُمَّ من صماءِ قرضابَهْ[2]

مـا إن يزال وفيه العيبُ يجمعه ... جهلاً لأعراضِ أهلِ المجدِ عيّابَهْ

إن عابنـي لم يَعِبْ إلاّ مؤدِّبَه ... ونفسَه عاب لَمّا عاب أدّابَهْ

فكـان كالكلبِ ضَرّاه مكلِّبُه ... لِصيده فعدا فاصطاد كَلاّبَهْ

[يهجو أحمد بن أبي دواد]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو جعفرٍ العِجليُّ قال : كان أحمدُ بنُ أبي دُوادٍ يَطعن على دِعبل بحَضرة المأمون والمعتصم ، ويسبّه تقرّباً إليهما لِهجاء دِعبل إيّاهما ، وتزوّج ابنُ أبي دُواد امرأتين من بَني عِجل في سنة واحدة ، فلمّا بَلغ ذلك دِعبلاً قال يهجوه : [من البسيط]

غَصبْتَ عِجـلاً على فَرجَـين في سنة ... أفسدْتَهمْ ثمّ مـا أَصلحْتَ من نَسبِكْ

ولـو خَطبْتَ إلى طَـوق وأُسرتِـه ... فزوّجـوك لمـا زادوك في حسَبِكْ

نِكْ مَن هَوِيت ونَلْ ما شئت من نَشَب ... أنتَ ابنُ زِرياب منسوباً إلى نَشبِكْ

إن كان قـوم أَرادَ اللّهُ خِزيهـمُ ... فزوّجوك ارتغابـاً منـك في ذهبِكْ

فذاك يوجـبُ أَن النَّبعَ تجمعـه ... إلى خلافكَ في العيـدانِ أَو غَرَبِكْ[3]

---

1 ديوانه : 15 .

2 صماء قرضابه : داهية تأكل كل شيء .

3 النبع : شجر تتخذ منه القسي . والخلاف : شجر يشبه الصفصاف . والغرب : نوع من النبت الضعيف .

ولو سكَتّ ولم تخطبْ إلى عربِ ... لما نبشْتَ الذي تطويه من سببكْ
عُدّ البيوتَ التي ترضى بخِطبتها ... تجد فَزارةَ العكليَّ من عرَبِكْ

قال : فلقيه فَزارة العُكليّ ، فقال له : يا أبا عليّ ، ما حملك على ذكري حتى فضحتني ، وأنا صديقك ؟ قال : يا أخي واللهِ ما اعتمدتُك بمكروه ، ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبّه اللهُ عزّ وجلّ عليك لم أعتمدك به .

[عبثت به جارية فهجاها]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتِ قال : حدَّثني أبو خالد الأسلميُّ الكوفيّ قال : اجتمعتُ مع دِعبل في منزل بعض أصحابنا ، وكانت عنده جارية مغنّية صفراء مليحة حسنة الغناء ، فوقع لها العَبث بدِعبل والعنَت والأذى له ، ونهيناها عنه ، فما انتهت ، فأقبل علينا فقال : اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة ، فَقُلنا : هات ، فقد نهَيناها عنك ، فلم تنته ، فقال[1] : [من الرجز]

تَخضِبُ كفّاً قُطعتْ من زَندِها ... فتخضِب الحنّاءَ من مُسودِّها
كأنّها والكحلُ في مِرْودها ... تَكحَلُ عينيها بِبعضِ جلدِها
أشبهُ شيء اسْتُها بخدِّها

قال : فجلست الجارية تبكي ، وصارت فضيحة ، واشتهرت بالأبيات ، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك .

[جنى جناية في الكوفة فضرب ثلاثمائة سوط]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني هارون قال : حدَّثني أبي وخالدٌ قالا : كان دِعبلُ قد جَنى جنايةً بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العَلاءُ بنُ منظور الأسديُّ ، وكان على شُرْطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى ، فحبسه ، فكلّمه فيه عمُّه سليمان بن رَزين ، فقال : أضربِه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطعَ يده ، فلعلّه أن يتأدَّبَ بضربي إيّاه ، ثم ضربه ثلثمائةِ سوط ، فخرج من الكوفة ، فلم يدخلها بعد ذلك إلاّ عزيزاً .

[الشراة والصعاليك لا يؤذونه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال : كان دِعبل يخرج فيغيب سنين ، يدور الدّنيا كلّها ، ويرجع وقد أفاد وأثرى . وكانت الشُّراة والصعاليك يلقَوْنه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويَبرّونه . وكان إذا لقيهم

1 ديوان دعبل : 74 عن الأغاني .

وضَع طعامَه وشرابه ، ودَعاهم إليه ، ودعا بغلاميه ثَقيف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يغنّيان ، وسقاهم وشربَ معهم ، وأنشدَهم ، فكانوا قد عرفوه ، وألِفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشدني دِعبل بنُ عليّ لنفسه في بُعْدِ أسفاره[1] : [من الطويل]

حللْتُ مَحلا يقصُر البرقُ دونَه ويعجِزُ عنه الطيفُ أن يتجشّما

[البحتريّ يعده أشعر من مسلم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُوَيْه قال : قال لي البحتريّ : دِعبل بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلمِ بنِ الوليدِ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ كلام دِعبلٍ أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصّب له .

[شيخ فان يدبّ على ضيفه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال : باتَ دِعبلُ ليلةً عند صديق له من أهل الشام ، وباتَ عندَهم رجلٌ من أهلِ بيت لَهياني يقال له حَويّ بنُ عمرو السكسكيّ جميلُ الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حينٌ ، فقال فيه دِعبلٌ[2] : [من السريع]

لولا حُـوَيٌّ لبيت لهياني ما قامَ أيرُ العزب الفاني
لــه دواةٌ في سراويلــه يَليقهــا النازحُ والدّاني[3]

قال : وشاع هذان البيتان ، فهرب حويّ من ذلك البلدِ ، وكان الشيخ إذا رأى دِعبلاً سبّه ، وقال : فضحتَني أخزاكَ اللهُ .

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بن الأشعث قال : سمعْتُ دِعبلاً يقول : ما كانت لأحد قطّ عندي مِنّةً إلا تمنّيتُ موتَه .

[دِعبل والثلج]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمدُ بن عُمر الجُرجانيُّ قال : دخل دِعبلُ بنُ عليٍّ الرّيّ في أيّام الرّبيع ، فجاءَهم ثَلج لم يَرَوا مثله في الشتاء ، فجاءَ شاعر من شعرائهم فقال شعراً ، وكتبه في رقعة هو : [من الخفيف]

جاءَنا دِعبل بِثلْج من الشعــ ـــرِ فجادت سماؤنــا بالثلوجِ

---

1 ديوان دعبل : 139 .

2 ديوان دعبل : 158 .

3 يليقها : يصلح مدادها ويجعلها ليقة .

نزلَ الرّيّ بعدَ مـا سكنَ البَر ... دُ وقد أينعَتْ ريـاضُ المروجِ
فكسانا بِبرده لا كساه اللـ ... ـهُ ثوباً من كُرْسُف محلوجِ[1]

قال : فألقى الرقعة في دِهليز دِعبِل ، فلمّا قرأها ارتحل عن الرّيّ .

[قصر صالح الأضجم عن حاجته فهجاه]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا أبو خالد الأسلميُّ قال : عرضَتْ لدِعبِل حاجةٌ إلى صالح بنِ عطيّة الأضجمِ ، فقصَّرَ عنها ، ولم يَبلغ ما أحبّه دِعبِل فيها ، فقال يهجوه[2] : [من السريع]

أحسنُ ما في صالحٍ وجهه ... فقِسْ على الغائبِ بالشاهِدِ
تأمَّلَتْ عينـي لـه خِلقةً ... تدعـو إلى تَزنيـة الوالدِ

فتحمل عليه صالحٌ بي وبجماعة من إخوانه حتى كفّ عنه ، وعَرض عليه قضاء الحاجة ، فأباها .

[يهجو بني مكلم الذئب]

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال حدَّثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبي قال : فَخرَ قوم من خُزاعة على دِعبِل بن عليّ يقال لهم : بنو مُكلِّم الذئب ، وكان جدّهم جاء إلى النبيّ ، ﷺ ، فحدَّثه أنّ الذئب أخذ من غنمِه شاة فتبعه ، فلمّا غشِيه بالسيف قال له : ما لي ولك تمنعني رزقَ الله ؟ قال : فقلت : يا عَجَباً لِذِئب يتكلّم ! فقال : أعجَبُ منه أنّ محمداً نبيّ قد بُعث بين أظهُركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئبِ جدَّهم ، فقال دِعبل بنُ عليّ يهجوهم[3] : [من البسيط]

تِهتُمْ علينا بـأنّ الذئبَ كلّمكمْ ... فقـد لَعَمـري أبوكم كلَّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليثَ الهصورَ إذاً ... أفنَيتم الناسَ مأكـولاً ومشروبا
هذا السُّنَيدي لا أصلٌ ولا طُرَفٌ ... يكلّـم الفيـلَ تصعيداً وتصويبا

[هجاؤه ابن الزيّات]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبي قال : كان دِعبل قد مدح محمد بن عبد الملكِ الزيّاتَ ، فأنشده ما قاله فيه ، وفي يده طُومارٌ[4] قد جعله على فمِه كالمتكىء

1 كرسف : قطن .
2 ديوان دعبل : 76 .
3 ديوانه : 168–169 .
4 طومار : صحيفة .

عليه وهو جالس ، فلمّا فرغ أَمَر له بشيءٍ لم يرضه ، فقال : يهجوه[1] : [من البسيط]

يا مَــن يُقلِّب طُومــاراً ويلثمــه ماذا بِقلبك مــن حُبِّ الطواميرِ
فيــه مَشابِه مــن شيءٍ تُسَرُّ به طُــولاً بطولٍ وتدويــراً بتدويرِ
لو كنْتَ تجمع أَموالاً كَجَمْعِكها إذاً جمعْــتَ بيوتــاً من دنانيرِ

[يهجو حمصيين قصرا في برّه]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : نزل دِعبلٌ بحِمص على قوم من أهلها ، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما : أشعث وللآخر أبو الصَّناع ، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما[2] : [من الوافر]

إذا نَزل الغريبُ بأَرض حِمصٍ رَأيتَ عليــه عِــزّ الإمتناعِ
سُموُّ المكرماتِ بآل عيسى أَحَلَّهــمُ على شرفِ التّلاعِ
هناكَ الخــزّ يلبَسه المُغالي وعيسى منهــمُ سَقَط المتاعِ
فَسدِّدِ لاستِ أَشعثَ أَيرَ بَغل وآخرَ في حِـرِ امّ أَبي الصناعِ
فليس بِصانــع مَجــداً ولكن أَضاعَ المجدَ فهْو أَبو الضياعِ

[شعره في الفضل بن مروان]

أَخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسمِ بن مَهْرُوَيْه عن الحسين بن دِعبل قال : قال أَبي في الفضل بنِ مروان[3] : [من الطويل]

نصحْتُ فأخلصْتُ النصيحةَ للفضلِ وقلتُ فسيَّرْتُ المقالــةَ في الفضلِ
أَلا إنَّ في الفضلَ بــن سهل لَعِبرة إن اعتبر الفضلُ بنُ مروان بالفضلِ
ولِلفضل في الفضل بنِ يحيى مواعظ إذا فكَّر الفضل بنُ مروان في الفضلِ
فأبقِ جميلاً مــن حديثٍ تَفُز بــه ولا تدَع الإحسان والأَخذَ بالفضلِ
فإنّك قــد أَصبحتَ للمُلكِ قَيِّماً وصرْتَ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ
ولم أَرَ أَبياتــاً مــن الشِّعرِ قبلهــا جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ
وليس لهــا عَيبٌ إذا هي أُنشدَتْ سوى أَن نصحي الفضلَ كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضلُ بنُ مروانَ بِدَنانيرَ ، وقال له : قد قبلْتُ نصحك ، فاكفني خيرَك وشرَّك .

1 ديوانه : 86 .
2 ديوانه : 106 .
3 ديوانه : 129 .

[نقد شاعر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال : حدَّثني أبو الطِّيب الحرّانيُّ قال : أنشد رجل دِعبِلَ بن عليّ شعراً له ، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً ، ويقول : أيَّ شيء صنعْتَ بنفسك ؟ ولِم تقول الشعر إذا لم تقدر إلاّ على مثل هذا منه ؟ إلى أن مَرَّ له بيت جيِّد ، فقال دِعبِل : أحسنتَ ، أحسنتَ ما شئت . فقال له يا أبا عليّ : أتقول لي هذا بعدما مضى ؟ فقال له : يا حبيبي لو أنَّ رجلاً ضرَط سبعين ضَرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتنبوية[1] واحدة .

[المأمون لا يعجب من هجائه إيّاه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني محمدُ بن حاتمٍ المؤدِّبُ قال : قيل للمأمون : إنَّ دِعْبل بنَ عليّ قد هجاك ، فقال : وأيّ عجب في ذاك ؟ هو يهجو أبا عبّاد ولا يهجوني أنا ! ومن أقدَمَ على جُنون أبي عبّاد أقدم على حِلمي ، ثم قال للجلساء : مَن كان منكم يحفظ شعره في أبي عبّاد فليُنشِدْنيه ، فأنشده بعضهم : [من الكامل]

أَولى الأمــورِ بضَيعةٍ وفسادِ ... أمــرٌ يدبِّــرِه أبــو عبــّادِ
خَــرِقٌ على جلسائِه فكأنّهم ... حضروا لمْلحَمَةٍ ويـومَ جِلادِ
يَسْطــو على كُتّابــه بِدواتــه ... فمُضَمَّخٌ بِــدَمٍ ونَضْحِ مدادِ
وكأنّه من دَيْــر هِزْقِلَ مُفلِت ... حَــرِدٌ يَجــرُّ سلاسلَ الأقيادِ
فاشدد أميرَ المؤمنــينَ وثاقَــه ... فَأَصَحُّ منــه بقيّـــةُ الحدادِ

قال : وكان بَقِيّة هذا مجنوناً في المارَسْتان ، فضحك المأمون . وكان إذا نظر إلى أبي عبّاد يضحك ، ويقول لِمَن يقرب منه : واللهِ ما كذب دِعبِل في قوله .

حدَّثني جَحْظةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه .

[الجنّ تستنشده تائيته]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار ومحمدُ بن أحمدَ الحكيمُ قالا : حدَّثنا أنسُ بنُ عبدِ الله النبْهانيُّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال : حدَّثني عبد الله بنُ سعيدٍ الأشقريُّ قال : حدَّثني دِعبِل بنُ عليّ قال : لمّا هَرَبْتُ من الخليفة بتّ ليلة بنَيْسابورَ وحدي ، وعزمْتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بنِ طاهر في تلك الليلةِ ، فإنّي لفي ذلك إذ سمِعْتُ والباب مردود عليّ : السلام عليكم ورحمة الله ، انج يرحمُك الله ، فاقشعَرّ بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم . فقال لي : لا تُرَع عافاك الله ؛ فإنّي رجل من إخوانك من الجنّ من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء

1 دستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر صغير مستطيل .

من أهلِ العراق فأنشدَنا قصيدتك : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ[1]

فأحببْت أن أسمَعها منك ، قال فأنشدتُه إيّاها ، فبكى حتى خرّ ، ثم قال : رحمكَ اللهُ ! ألا أحدثك حديثاً يَزيدُ في نِيّتِك ويُعينك على التمسّك بمذهبك ؟ قلت : بلى . قال : مكثْت حيناً أسمع بذِكر جعفرِ بنِ محمدٍ عليه السلام ، فصرْتُ إلى المدينة فسمعْتُه يقول : حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه أنّ رسول الله ، ﷺ ، قال : عليٌّ وشيعتُه هم الفائزون ، ثم ودَّعَني لينصرف . فقلت له : يرحمك الله ، إن رأيتَ أن تخبرني باسمك فافعل ، قال : أنا ظَبْيانُ بنُ عامر .

[دعا أعرابيّاً وأسمعه هجاءه في كلاب]

أخبرني الحسين بنُ القاسمِ الكوكبيُّ قال : حدَّثني إسحاق بنُ محمدٍ النخَعيُّ وأخبرني به الحَليميّ عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ عن إسحاق النخَعيّ قال : كنت جالساً مع دِعبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثَقيف ، فمرَّ به أعرابيّ يرفُلُ في ثيابِ خزّ ؛ فقال لغلامه : ادعُ لي هذا الأعرابيّ . فأومأ الغلام إليه ، فجاء . فقال له دِعبِلٌ : مِمّن الرّجل ؟ قال : من بني كِلاب . قال : من أيِّ ولَد كِلاب أنت ؟ قال : من ولد أبي بكر ، فقال دِعبِل : أتعرف القائل[2] : [من الطويل]

ونُبِّئْتُ كلباً من كلاب يسبّني ومحض كلاب يقطعُ الصلواتِ[3]
فإن أنا لم أعلمْ كلاباً بأنّها كلابٌ وأنّي باسلُ النَّقَماتِ
فكان إذاً من قيس عَيلان والدي وكانت إذاً أمّي من الحَبَطاتِ[4]

قال : وهذا الشعر لِدِعبِل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابيِّ ، فقال له الأعرابيّ : مِمّن أنت ؟ فكرِه أن يقول له من خُزاعة فيهجوَهم ، فقال : أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر[5] : [من الطويل]

أناس عليٌّ الخيرُ منهم وجعفرٌ وحمزةُ والسَّجَّادُ ذو الثَّفِناتِ[6]

---

1 انظر تائيته في مدح آل البيت في ديوانه : 35–44 .

2 ديوانه : 45 .

3 المحض : الخالص من كل شيء ، ويريد أن الكلابيّ الخالص النسب يقطع الصلاة بنجاسته .

4 الحبطات : أبناء الحارث بن مالك لقب بذلك لأنه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه أي ورم .

5 البيتان من تائيّته .

6 رواية الديوان للصدر : ديار علي والحسين وجعفر . وذو الثفنات هو علي بن الحسين . لقّب بالسجاد وذي الثفنات لأنّ مساجده كانت كثفنة البعير ، أي ركبته وما يمسّ الأرض من أعضائه .

إذا فخَروا يومـاً أَتَوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ

فوثب الأعرابيّ وهو يقول : ما لي إلى محمد وجبريلَ والفرقان والسُّورات مرتقى .

[هجاء بني بسام]

أَخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني ابن عبدوسٍ قال : سأَل دعبلٌ نصرَ بنَ منصورِ بنِ بَسّام حاجة ، فلم يَقضِها لشغلٍ عرضَ له دونها ، فقال يهجو بني بَسّام[1] : [من المنسرح]

حواجـبٌ كالجبالِ سودٌ إلى عثانـين كالمخـالي

وأوجُـهٌ جَهْمة غِـلاظٌ عُطْل من الحسنِ والجمالِ

أَخبرني الكوكبيُّ قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال : لما ولي أحمدُ بن أَبي خالدٍ الوزارة في أيّام المأمون قال دِعبلُ بنُ عليّ يهجوه[2] : [من المتقارب]

وكان أَبو خالـد مَـرَّة إذا باتَ متّخِماً عاقدا[3]

يضيقُ بـأَولادِهِ بطنُـه فيخراهـمُ واحداً واحدا

فقد ملأَ الأرضَ من سَلْحه خنافسَ لا تشبـه الوالدا

[هرب من المعتصم وهجاه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا أَبو ناجيةَ قال : كان المعتصمُ يُبغض دعبِلاً لطول لسانه ، وبلغ دِعبلاً أنّه يريدُ اغتياله وقتْلَه ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه[4] : [من الطويل]

بكـى لِشتاتِ الدِّين مكتئب صبّ وفاضَ بفَرْطِ الدمعِ من عينهِ غربُ[5]

وقـام إمـامٌ لم يكـن ذا هدايـةٍ فليس لـه ديـنٌ وليس له لبُّ

ومـا كانت الآبـاءُ تأتـي بمثلِه يُملَّك يومـاً أَو تَديـنُ لـه العُربُ

ولكـن كما قـال الذيـن تتابعوا مِن السلَف الماضين إذ عظُم الخطبُ

ملوك بني العبّاس في الكُتْبِ سبعـةٌ ولم تأتنـا عـن ثامنٍ لهمُ كُتْبُ

1 ديوانه : 130 .

2 ديوانه : 58 .

3 عاقدا في الديوان : قاعدا . والعاقد : الناقة التي أقرت باللقاح فهي تعقد ذنبها . وفي رواية حاقدا : من حقد المطر إذا انحبس .

4 ديوانه : 18–19 .

5 غرب : دلو عظيمة .

كذلك أَهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ خيــارٌ إذا عُــدّوا وثامنهمُ كلبُ
وإنّــي لأُعــلي كلبَهم عنــكَ رفعةً لأنّكَ ذو ذَنْبٍ وليس لــه ذَنْبُ
لقد ضاع ملكُ النّاسِ إذ ساسَ ملكَهم وَصيفٌ وأَشناسٌ وقد عظُم الكربُ[1]
وفضلُ بــنُ مـــروانٍ يُثلِّم ثَلمةً يظلُّ لها الإسلامُ ليس لــه شَعْبُ[2]

[معارضة ابن الزيّات في رثاء المعتصم]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : لمّا مات المعتصم قال محمدُ بنُ عبد الملك الزيّاتُ يرثيه[3] : [من المنسرح]

قــد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا في خَيرِ قبرٍ لِخَير مدفــونِ
لــن يَجبُر اللهُ أُمّةً فقدتْ مثلَك إلاّ بمثــلِ هــارونِ

فقال دعبلُ يعارضه[4] : [من المنسرح]

قــد قلْتُ إذ غيّبوه وانصرفوا في شرّ قبــرٍ لشرِ مدفــونِ
اذهبْ إلى النارِ والعذابِ فما خِلتُــك إلاّ مـــن الشياطينِ
ما زلْتَ حتى عقدتَ بيعة مَن أَضــرَّ بـــالمسلمينَ والدِّينِ

[يكتم رثاء محمد بن الزيّات]

قال عمّي حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيّ قال : أَنشد دِعبِلُ بنُ عليّ يوماً قول بعض الشعراء : [من المنسرح]

قــد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجوابَ ولم يُسمِّ قائل المرثيّةِ ولا نسبَه إلى محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات ولا غيره .

[ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العبّاس]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ قال : سأَلْت دِعبِلاً عن هذه الأَبيات : [من الطويل]

ملوكُ بنــي العبّاس في الكتْبِ سبعة

1 وصيف وأشناس : من الأتراك الذين جعلهم المعتصم قواداً وحكّاماً .
2 الشعب : إصلاح الصدع .
3 ديوان ابن الزيات (سعيد) : 76 ورواية البيت فيه :
أقول إذ غيّبوك وأصفقت عليك أيـدٍ باللبن والطين
4 ديوانه : 158 .

فأنكر أن تكون له ، فقلْتُ له : فمَن قالها ؟ قال : من حشا الله قبرَه ناراً ، إبراهيمُ بن المهديّ ، أراد أن يُغرِيَ بي المعتصمَ فيقتلني لهجائي إيّاه .

[ابن المدبر يعجبه هجاؤه ابن أبي دواد]

أخبرني عمّي والحسنُ بن عليّ جميعاً قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : كنتُ عند أحمدَ بنِ المدبَّر ليلة من الليالي ، فأنشدته لدِعبِل في أحمدَ بن أبي دُواد قوله[1] : [من الخفيف]

إنَّ هـذا الذي دُوادُ أبـوه ... وإيـاد قـد أكثرَ الأنبـاءَ
ساحقَتْ أمّه ولاطَ أبـوه ... ليتَ شعري عنه فمِن أين جاءَ !
جاء مِن بين صخرَتين صلودَيْـ ... ـنِ عَقامَـين يُنبِتان الهَباءَ
لا سِفاحٌ ولا نِكاح ولا ما ... يوجِـبُ الأمّهـاتِ والآباءَ

قال : فاستعادها أربعَ مرّات ، فظننت أنّه يريد أن يحفظها ، ثم قال لي : جئني بدِعبِل حتى أوصلَه إلى المتوكّل ، فقلت له : دِعبِل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيّع ، وإنّما غايته أن يُخمِلَ ذكره ، فأمسك عنّي ، ثم لقيتُ دِعبِلاً فحدّثْته بالحديث ، فقال : لو حضرْتُ أنا أحمدَ بنَ المدبِّر لما قدرْتُ أن أقولَ أكثر مِمّا قلْتَ .

[بيت في هجاء المتوكّل]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني محمدُ بنُ جَرير قال : أنشدَني عُبيد الله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعبِل يهجو به المتوكّل ، وما سمعتُ له غيره فيه[2] : [من الوافر]

ولستُ بقائـلٍ قَذْعاً ولكن ... لأمرٍ ما يُعَـدُّ لـكَ العبيدُ[3]

قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

[هجاء المعتصم والواثق]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : كنتُ مع دِعبِل بالصَّيْمَرة[4] وقد جاء نَعي المعتصم وقيامُ الواثق ، فقال لي دِعبِل : أمعَك شيء تكتب فيه ؟ فقلت : نعم ، وأخرجْتُ قِرْطاساً ، فأملى عليّ بديهاً[5] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 11 .

2 ديوانه : 62 .

3 الديوان : لأمر ما تعبّدك العبيد .

4 ل : بالبصرة . والصيمرة من ديار الجبل .

5 ديوانه : 59 .

الحمدُ للهِ لا صبرٌ ولا جلَدُ ولا عزاءٌ إذا أَهلُ البِلى رَقدوا
خليفةٌ ماتَ لم يَحزنْ له أَحدٌ وآخرٌ قـــام لم يَفرحْ به أَحدُ

[مزق قصيدة في الحسن بن وهب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عبيدَ الله بنِ ناصح قال : قلتُ لِدِعبِل ، وقد عرض عليّ قصيدة له يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب ، أوّلها :

أَعاذِلَتي ليس الهوى من هوائيا

فقلت له : ويحك ، أَتقول فيه هذا بعد قولك : [من السريع]

أَين مَحَلّ الحي ِ يـا حادي خبِّر سقاكَ الرائحُ الغادي

وبعد قولك[1] : [من البسيط]

قالت سلامةُ أَين المـالُ قلتُ لها المالُ ويحكِ لاقى الحمدَ فاصطحبا

وبعد قولك[2] : [من الرمل]

فَعَلى أيمانِنا يجري النَّدى وعلى أَسيافنا تجري المُهجْ

والله إنِّي أُراك لو أَنشدْتَه إيّاها لأَمر لك بصَفع قفاك ، فقال : صدقْتَ واللهِ ، ولقد نبّهتَني وحَذَّرتني ، ثم مزّقها .

[يهجو تلميذاً له فيهجو أباه]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني الحسينُ بنُ أَبي السّريّ قال : غضِب دِعبِل على أَبي نصرِ بن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ، وكان دِعبِلٌ مؤدبه قديماً ، لشيء بلغه عنه ، فقال يهجو أباه[3] : [من الكامل]

ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأَشعثِ عندي بخيرِ أُبوّةٍ من عَثعثِ
عبثاً تُمارسُ بي مُمارسَ حيّة سَوّارة إن هِجتَها لم تلبـــثِ
لم يَعلمْ المغرورُ ماذا حازَ مـن خـــزي لوالده إذاً لم يعبثِ

قال : فلقيه عثعث ، فقال له : عليك لعنةُ الله ، أَيُّ شيءٍ كان بيني وبينك حتى ضربْتَ بي المثل في خِسة الآباء ، فضحك ، وقال : لا شيءَ والله ، اتفاق اسمك واسمِ ابنِ الأشعث في القافية . أولا ترضى أن أجعلَ أباك ، وهو أسود ، خيراً من آباء الأشعث بنِ قيس ؟

---

1 ديوان دعبل : 13 .
2 ديوانه : 51 .
3 ديوانه : 51 .

[العيش الذي يريده]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ سهل القاري ، وكان يلقّب أَرُزة قال : حدَّثني دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ قال : كتبْتُ إلى أبي نَهْشَلِ بن حُمَيد الطوسيّ قوله[1] : [من الخفيف]

إنّما العَيشُ في مُنادمةِ الإخـ ـوان لا في الجلوسِ عندَ الكَعابِ
وبِصِرْفٍ كأنّها أَلسُن البرْ ق إذا استعرضَت رقيق السحابِ
إن تكونوا تركتمُ لذَّة العيـ ـش حِذار العِقابِ يومَ العقابِ
فدَعُوني وما ألذّ وأهوَى وادفعوا بي في صدر يومَ الحسابِ

[يثيبه علي بن موسى الرضا على تائيته]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزِيّ ، وكان منزله بالكوفة في رَحَبة طيّيء ، قال : سمعْت دِعبِلَ بنَ عليّ وأنا صبيّ يتحدّث في مسجد المَرْوَزية قال : دخلْتُ على عليِّ بن موسى الرّضا ، عليهما السلام ، فقال لي : أنشدني شيئاً ممّا أحدثت ، فأنشدته : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي : [من الطويل]

إذا وُتِروا مدّوا إلى واتريهمُ أَكفّاً عن الأَوْتارِ منقبضاتِ

قال : فبكى حتى أُغمِي عليه ، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه : أن اسكتْ ، فسكتُّ ساعة ؛ ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً ، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرّة الأولى ، وأومأ الخادم إليّ : أَن اسكت ، فسكتّ ؛ فمكث ساعة أُخرى ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها ، فقال لي : أحسنت ، ثلاث مرّات ؛ ثم أمَر لي بعشرة آلاف درهم مِمّا ضُرب باسمه ، ولم تكن دفعت[2] إلى أَحد بعدُ ، ثم أمَر لي مَن في منزله بحَلْي كثير أخرجه إليَّ الخادم . فقدِمْتُ العراق ، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم ، اشتراها مِني الشيعة ، فحصل لي مائةُ ألفِ درهم ، فكان أوّل مال اعتقدْتُه[3] .

---

1 ديوانه : 34 .

2 ل : وقعت .

3 اعتقدته : جمعته .

[ثوب الرضا لكفنه]

قال ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني حُذَيفةُ بنُ محمد[1] : أَنّ دِعبِلاً قال له : إنّه استوهَب من الرِّضا عليه السلام ثوباً قد لبِسه ليجعله في أكفانه فخلع جُبّة كانت عليه ، فأعطاه إيّاها وبلغ أُهلَ قمٍّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألفَ درهم ، فلم يفعل ؛ فخرجوا عليه في طريقه ، فأخذوها منه غصباً ، وقالوا له : إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل ، وإلاّ فأنت أعلَم . فقال لهم : إنّي والله لأُعطيكم إيّاها طَوعاً ، ولا تنفعكم غصباً ، وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السلام . فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين الألفَ الدرهمِ وفرْدَ كُمٍّ من بطانتها فرضي بذلك .

[هجاء إبراهيم بن المهديّ]

أُخبرني محمدُ بنُ مزْيدٍ قال حدَّثنا حمادُ بن إسحاق عن أُبيه قال : بويع إبراهيمُ بنُ المهديّ ببغدادَ ، وقد قلّ المالُ عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد النّاس ، فاحتبس عنهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوّفهم ولا يرَون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسولُه يوماً وقد اجتمعوا وضجُّوا فصرَّح لهم بأنّه لا مال عنده . فقال قوم من غوغاء أُهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّي لأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أُصوات ، ولأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات ، فتكونَ عطاءً لهم ، فأنشدني دِعبِل بعد ذلك بأيّام قوله : [من السريع]

يـا معشرَ الأجنـادِ لا تقنَطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تَسخطوا
فسوفَ تعطَـون حُنَيْنِيـةً ... يلتذّهـا الأَمـردُ والأَشمطُ
والمعبَدِيّـات لقـوّادكم ... لا تدخـل الكِيس ولا تُربطُ
وهكـذا يَـرزق قـوّاده ... خليفـةٌ مُصحفُـه البَرْبطُ

وزادني فيها جعفر بن قدامة[2] :

قـد خَتَـم الصكّ بأرزاقكم ... وصحّح العزمَ فـلا تسخطوا
بَيعـةَ إبراهيـم مشئومـة ... يُقتَل فيهـا الخلق أو يُقْحَطُ

[متخلف يقول الشعر]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو عليٍّ يحيى بنُ محمد بن ثَوابة الكاتبُ قال : حدَّثني دِعبِل قال : كان لي صديق متخلّف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أُمهاه عنه إذا أنشدني ، فأنشدني يوماً : [من مجزوء الرمل]

إنّ ذا الحُبَّ شديـدٌ ... ليس يُنجيـه الفِـرارُ

---

1 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة .

2 لم يرِد هذان البيتان في ديوانه .

ونجا مَن كان لا يعشـ ـق مـن ذلّ المخازي

فقلت له : هذا لا يجوز ، البيت الأوّل على الراء ، والبيت الثاني على الزاي . فقال : لا تَنقُطْه ، فقلت له : فالأوّل مرفوع ، والثاني مخفوض . فقال : أنا أقول له لا تَنقُطْه وهو يَشكُله .

[يستشهد بالحديث]

أَخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا محمدُ بنُ زكريّا بن ميمونٍ الفَرْغانيّ قال : سمِعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى : لَيْسَك ، فأنكرتُه عليه . فقال : دخل زيدُ الخيلِ على النبيّ ، ﷺ ، فقال له : يا زيدُ ما وُصِف لي رجل إلاّ رأيته دون وصفِه ليسك ، يريد غيرَك .

[يحسد شاعراً على معنى]

أَخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ سعدٍ قال : قال لي دِعبلٌ ، وقد أنشدته قصيدةَ بكرِ بنِ خارجة في عيسى بن البَراءِ النصرانيّ الحربيّ : [من الرجز]

زُنّارُه في خصره معقودُ كأنّه من كبدي مقدودُ

فقال : واللهِ ما أعلَمُني حسدْتُ أحداً على شعر كما حسدْتُ بَكراً على قوله : كأنّه من كبدي مقدود .

[يقول الشعر كلّ يوم خلال ستّين سنة]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : سمِعْتُ الجاحظ يقول : سمعتُ دِعبِل بن عليٍّ يقول : مكثْت نحوَ ستّين سنة ليس مِن يوم ذَرّ شارقُه إلاّ وأنا أقول فيه شعراً .

[يعجب لخفّة روح مفلوج عاده]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : سمِعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول : دخلْت على أبي الحارث جُمِّين ، وقد فُلجَ ، لأعوده ، وكان صديقي ، فقلت : ما هذا يا أبا الحارث ؟ فقال : أخذْتُ من شَعري ودخلت الحمّام ، فغلِط بي الفالجُ ، وظنَّ أنّي قد احتجمْتُ . فقلت له : لو تركْتَ خِفّة الرُّوح والمُجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال .

[المأمون يستنشد شعر دعبل]

أَخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيُّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بن صَدَقة قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني عمرُو بنُ مَسْعدة قال : حضرْت أَبا دُلَف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أيَّ شيء تَروِي لأخي خُزاعة يا قاسمُ ؟ فقال : وأيُّ أخي خُزاعةَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومَن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا مِنْ أنفُسِهم فأبو الشِّيص ودِعبل وابنُ أَبي الشِّيص وداودُ بن أبي رَزِين ، وأمّا مِن مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُ الله . فقال : ومَن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن

شعره سوى دِعبِل ؟ هات أيّ شيء عندك فيه . فقال وأيَّ شيء أقول في رجل لم يَسلمْ عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقَرن إحسانهم بالإساءة ، وبذْلهم بالمنع ، وجودَهم بالبخل ، حتى جعل كلّ حسنة منهم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطّلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق النّاس له ، وأقربهم منه ، وقد وفَد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة وولاّه ، ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه[1] : [من البسيط]

اضرِبْ ندى طلحةِ الطّلحاتِ متئداً ... بِلُؤمِ مطّلبٍ فينا وكن حكما
تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ ... فلا تُحسُّ لها لؤماً ولا كرما

قال : فقال المأمون : قاتلَه الله ! ما أغوصَه وألطفه وأدهاه ! وجَعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بنُ طاهر ، فقال له : أيَّ شيء تحفظ يا عبدَ الله لدِعبِل ؟ فقال : أحفظ أبياتاً له في أهلِ بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك . فأنشده عبدُ الله قولَ دِعبِل[2] : [من البسيط]

سَقياً ورَعياً لأيّام الصباباتِ ... أيّام أرفلُ في أثواب لذّاتي
أيّام غصني رَطيب من لَيانته ... أصبو إلى غيرِ جاراتٍ وكَنّاتِ
دعْ عنك ذكرَ زمان فاتَ مطلبُه ... واقذِف برِجلِك عن مَتن الجهالاتِ
واقصِدْ بكلّ مديحٍ أنتَ قائله ... نحو الهُداة بني بَيتِ الكراماتِ

فقال المأمون : إنّه قد وَجد واللهِ مقالاً فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سَفرٍ سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

ألَمْ يأنِ للسَّفْر الذين تَحملوا ... إلى وطنٍ قبل المماتِ رجوعُ
فقلتُ ولم أملِك سوابق عَبرة ... نطقنَ بما ضُمت عليه ضلوعُ
تبيّنْ فكم دار تفرّق شَمْلها ... وشملٍ شتيت عاد وهو جميعُ[4]
كذاك الليالي صرفُهنّ كما ترى ... لكلّ أناس جَدْبةٌ وربيعُ

ثم قال : ما سافرت قطّ إلاّ كانت هذه الأبيات نُصب عيني في سفري ، وهِجِّيراي[5] ومسلّيتي حتى أعود .

1 ديوانه : 139 .
2 ديوانه : 49 .
3 ديوانه : 104 .
4 الديوان : تأنّ .
5 هجيراي : دأبي .

[المكاريّ يتغنّى بشعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : حدَّثني المبرِّد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا : قال دِعبِل : خرجتُ إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير في بعض طريقي والمُكاري يسوق بي بغلاً تحتي ، وقد أتعبني تعباً شديداً ، فتغنّى المُكاريّ في قولي : [من الكامل]

لا تَعجبي يا سلمَ مـن رجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

فقلت له ، وأنا أُريد أن أتقرَّبَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثِّ للبغل لئلاّ يتعبني : تَعرِف لِمن هذا الشعرُ يا فتى ؟ فقال : لِمن ناك أُمّه وغرِم درهمين . فما أدري أيّ أُموره أَعجب : من هذا الجوابِ أم من قلة الغُرْم على عِظم الجناية !

[مغنّية حاضرة الجواب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن الطيِّب السرْخَسيّ قال : حضرْت مجلسِ محمدِ بن عليٍّ بنِ طاهرٍ وحضَرَتْه مغنّية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنّت : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

ثم غنَّت بعده :

لقد عَجبَتْ سلمى وذاك عجيب

فقلت لها : ما أَكثر تعجبَ سلمى هذه ! فعلِمَتْ أنّي أعبث بها لأَسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة : [من الطويل]

فهُلك الفتى أَلا يَراح إلى نَدًى وأَلا يَرى شيئاً عَجيباً فيعجبا

فعجبْتُ واللهِ من جوابها وحِدّته وسرعته ، وقلت لَمن حضر : والله لو أَجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الطويل]

لقد عجبَتْ سلمى وذاك عجيبُ رأَتْ بيَ شيباً عجّلته خُطوبُ
ومـا شيَّبَتْني كَبرةٌ غيرَ أَنّني بِدَهر بـه رأسُ الفطيم يشيبُ

الغناء ليحيى المكّيّ ، ثقيل أوّل بالوُسطى من كتاب أبيه أحمدَ .

---

1 ديوان دعبل : 22 عن الأغاني .

[صنعة أحمد المكّيّ في شعره]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثني محمدُ المرتجلُ بنُ أَحمدَ بن يحيى المكِّيُّ قال : كان أَبي صديقاً لدِعبِل ، كثيرَ العِشرة له ، حافظاً لِغَيبه ، وكلُّ شِعرٍ يُغَنَّى فيه لِدِعبل فهو من صنعة أبي ، وغنّاني من صنعة أبيه في شعر دِعبِل ، والطريقةُ فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر[1] .

صوت

[من الطويل]

سَرى طيفُ ليلى حين آن هُبوب   وقضَّيتُ شوقاً حين كاد يذوبُ
فلم أَرَ مطروقاً يُحَلّ برَحله   ولا طارقاً يَقري المنى ويُثيبُ[2]

وأَنشدني عمِّي هذيْن البيتين عن أحمدَ بنِ يحيى بنِ أبي طاهرٍ وابنِ مَهْرُوَيْه جميعاً لدِعبِل .

[يتنصل من أبياته في هجاء المعتصم]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : سأَلتُ دِعبلاً مَن الذي يقول : [من الطويل]

مُلوك بني العبّاس في الكُتْبِ سبعةٌ

فقال : مَن أضرم الله قبرَه ناراً ، إبراهيم بنُ المهديّ . قال ابن أبي سعد : وحدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل أنّه سأله عنها فاعترف بها .

[هجاء طاهر بن الحسين]

حدَّثني عمِّي قال : أَنشدني ابنُ أَخي دِعبل لعمِّه في طاهرِ بنِ الحسين ، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه[3] : [من الرجز]

وذي يمينَين وعين واحدهْ   نُقصانُ عَين ويمينٌ زائدَهْ
نَزْرُ العطياتِ قليلُ الفائدهْ   أَعضّه اللهُ بِبَظْرِ الوالدَهْ

[لم يرض فعلهما فهجاهما]

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : كان دِعبِل قد مدح دِينارَ بنَ عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يَرْضَ ما فعلاه ، فقال يهجوهما[4] : [من البسيط]

ما زالَ عصياننا للهِ يُرذِلنا   حتى دُفعنا إلى يحيى ودينارِ

---

1 ديوانه : 23 .

2 يحل برَحله في الديوان : يحل بطارق .

3 ديوانه : 172 .

4 ديوانه : 88 .

وَغْدَين عِلْجَين لم تُقطَعْ ثمارهـا قد طالَ ما سَجدا للشمسِ والنّارِ[1]

[هجاء بالجملة]

قال : وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دِعبِل يهجوهم ، والحسنِ بنِ رجاء وأبيه أيضاً[2] : [من الطويل]

أَلا فاشتروا منّي ملـوك المخزمِ أبِعْ حسَناً وابنَي رجـاء بدرهمِ[3]
وأُعطِ رجـاء فـوق ذاك زيـادة وأسمـحْ بدينـار بغيرِ تنـدُّمِ
فإن رُدّ مـن عيبٍ عليّ جميعُهم فليس يَردُّ العيبَ يحيى بنُ أكثمِ

[هجاء الطاهريين بعد إحسانهم إليه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الطيِّب الحرانيُّ قال : كان دِعبِل منحرفاً عن الطاهريّة مع ميلهم إليه وأياديهم عنده ، فأنشدني لنفسه فيهم[4] : [من الوافر]

وأبقـى طاهـر فينا ثلاثاً عجائبَ تُستَخَفّ لها الحلومُ
ثلاثـةَ أعبـد لأبٍ وأُمٍّ تُمَيّـز عـن ثلاثتِهم أُرومُ[5]
فبَعضٌ في قـريش منتمـاه ولا غَيرٌ ومجهـولٌ قديمُ[6]
وبعضهمُ يَهشّ لآل كسرى ويزعـمُ أنّه عِلْـج لئيمُ
فقـد كثُرَتْ مناسبهم علينا وكلُّهمُ عَلى حـال زنيمُ[7]

[عودة إلى قبيح الوجه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : كان صالحُ بن عطيّةَ الأضجم من أبناء الدّعوة ، وكان من أقبح النّاس وَجهاً ، وكان ينزل واسطاً ، فقال فيه دِعبِل : [من السريع]

أحسنُ مـا في صالح وجهُهُ فقِس على الغائـب بالشاهدِ

---

1 لم تقطع ثمارهما : لم يختنا .
2 ديوانه : 187 .
3 الديوان : المخرم .
4 ديوانه : 141 .
5 ثلاثة أعبد في الديوان : ثلاثة إخوة . والأروم : الأصول .
6 ولا غير في الديوان : ولاء غير مجهول قديم .
7 الزنيم : الملحق بالقوم وليس منهم .

تأمَّلَتْ عينــي لــــه خِلقةً تدعــو إلى تزنيـــة الوالدِ

قال : وقال فيه أيضاً ، وخاطب فيها المعتصم[1] : [من الكامل]

قـــلْ للإمامِ إمامِ آل محمد قولَ امرىء حَدِبٍ عليكَ مُحامِ
أنكرْتُ أن تفترّ عنك صنيعةٌ في صالحِ بنِ عطيّــةَ الحجّامِ
ليس الصنائعُ عنــدَه بِصنائع لكنّهـــــنّ طوائـــلُ الإسلامِ
اضرِبْ به جيشَ العدوّ فوجهُه جيش من الطاعون والبِرسامِ[2]

[يعرض شعره على مسلم]

أَخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال : أَخبرني إبراهيمُ بنُ محمدٍ الورّاقُ قال : حدَّثني الحسينُ بن أبي السّريّ قال : قال لي دِعبِل : ما زلتُ أقول الشعر وأعرضُه على مُسلِم ، فيقول لي : أكتمْ هذا حتى قلت : [من الكامل]

أيـــن الشبابُ وأيّـــةً سَلكا لا ، أَين يُطلب ضلّ ؟ بل هلكا

فلمّا أُنشدته هذه القصيدة قال : اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لَمن شئت .

قال إبراهيمُ : وحدَّثني الفتح غلامُ أبي تمام الطّائيِّ ، وكان أبو سعيد الثّغريّ اشتراه له بثلثمائةِ دينار ليُنشد شعره ، وكان غلاماً أديباً فصيحاً ، وكان إنشاد أبي تمّام قبيحاً ، فكان يُنشد شعره عنه ، فقال : سألت مولاي أبا تمّام عن نَسَب دِعبِل فقال : هو دِعبِل بنُ عليّ الذي يقول : [من الكامل]

ضحك المشيب برأسه فبكى

[تهاجر دِعبل ومسلم]

قال الفتح : وحدَّثني مولاي أبو تمّام قال : ما زال دِعبِل مائلاً إلى مُسلِم بن الوَليد مُقِرّاً بأستاذيته حتى وَرَد عليه جُرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دِعبِل وكتب إليه[3] : [من الطويل]

أبـــا مَخْلد كنّا عقيدَيْ مـــودّة هوانـــا وقلبانـــا جميعاً مَعاً مَعا
أحُوطك بالغيبِ الذي أنتَ حائطي وأيجــع إشفاقـــاً لأن تتوجّعا[4]

1 ديوان دعبل : 145 .
2 البرسام : التهاب يعرض للحجاب الحاجز .
3 تقدم هذا الشعر في ترجمة مسلم بن الوليد في الجزء 19 : 39 من الأغاني .
4 أيجع : أحس بالوجع .

فصيّرتَني بعــد انتكاسك متْهِما   لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا
غششْتَ الهوى حتى تداعت أصوله   بنا وابتذلْتَ الوصل حتى تقطَّعا
وأنزلتَ من بـين الجوانحِ والحشا   ذخيرةَ وُدٍّ طالمـا قــد تَمنعا
فلا تعذلَنّــي ليس لي فيك مطمع   تخرّقتَ حتى لم أجِد لك مَرْقعا
فهبك يمينــي استأكَلَتْ فقطعتُها   وجشَّمت قلبــي صبره متشجّعا

ويُروى : وحملت قلبي فقدها . قال ثم تهاجرا ، فما التقيا بعد ذلك .

[دِعبل خزاعة كلّها]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ محمد قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ عليٍّ قال : قلت لابن الكلبيّ : إن دِعبِلاً قُطَعيّ[1] ، فلو أخبرتَ النّاس أنّه ليس من خُزاعةَ ، فقال لي : يا فاعل ! مِثلُ دِعبلٍ تنفيه خُزاعة ! والله لو كان من غيرها لرغِبَت فيه حتى تدّعيَه . دِعبل واللهِ يا أخي خُزاعةُ كلّها .

[دِعبِل والمطّلب بن عبد الله]

أخبرني محمدُ بنُ المَرْزبان قال : حدَّثني إبراهيمُ بن محمدٍ الورّاقُ عن الحسين بن أبي السريّ عن عبد الله بن أبي الشِّيص قال : حدَّثني دِعبِل قال : حججْت أنا وأخي رَزين وأخذنا كُتباً إلى المطَّلب بنِ عبد الله بنِ مالك وهو بمصر يتولاّها ، فصِرنا من مكّةَ إلى مصرَ ، فصحبَنا رجل يُعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ ، نَسي عبد الله بنُ أبي الشِّيص اسم أبيه ؛ فما زال يحدّثنا ويؤانسنا طول طريقنا ، ويتولّى خدمَتنا كما يتولاّها الرفَقاء والأتباع . ورأيناه حسن الأدبِ ، وكان شاعراً ، ولم نعلمْ ، وكتَمنا نفْسَه . وقد علِمَ ما قصدنا له فعرَضْنا عليه أن يقولَ في المطّلب قصيدة نَنحَله إيّاها . فقال : إن شئتم ، وأرانا بذلك سروراً وتقبُّلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له : تُنشدها المطّلب فإنّك تنتفع بها . فقال : نَعم . ووردْنا مِصْرَ بِهِ ، فدخلْنا إلى المطّلب ، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا ، وأنشدناه . فسُرَّ بموضِعنا ، ووصْفنا له أحمد السراجَ هذا ؛ وذكرنا له أمره ، فأذن له ، فدخل عليه ونحن نظنّ أنّه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إيّاها ، فلمّا مثَل بين يديه عدَل عنها وأنشده : [من البسيط]

لم آتِ مطّلِبــاً إلاّ بمطّلب   وهمّةٍ بلَغت بــي غايــةَ الرُّتبِ
أفردتُــه برجـاءٍ أن تشاركه   فيّ الوسائل أو ألقاه في الكتبِ

قال : وأشار إلى كتبي التي أوصلْتُها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أشدّ من كلّ شيء مرَّ

1 قطعي : منسوب إلى قطيعة ، بطن من زبيد وقيس عيلان .

بي منه عليّ ، ثم أنشده : [من البسيط]

رحلْت عَنْسي إلى البيتِ الحرامِ على ... ما كان من وصَب فيها ومن نَصَبِ
أُلقى بها وبوجهي كلُّ هاجرة ... تكاد تقدحُ بين الجلدِ والعصَبِ
حتى إذا ما قضَتْ نُسْكي ثَنَيت لها ... عِطف الزّمام فأَمّت سيّدَ العربِ
فيمّمْتك وقد ذابت مفاصلها ... من طول ما تعَبٍ لاقت ومن نَقَبِ[1]
إنِّي استجرْت بإستارين مستلِماً ... رُكنَين : مطّلباً والبيتَ ذا الحُجُبِ
فَذاك للآجلِ المأمولِ أَلْمَسه ... وأَنت للعاجلِ المرجوّ والطلبِ
هذا ثنائي وهذي مصر سانحةً ... وأَنتَ أَنتَ وقد ناديْتُ من كثَبِ

[ولاّه المطّلب أسوان]

قال : فصاح مطّلب ، لبَّيك لبَّيك : ثم قام إليه فأخذ بيده ، وأُجلسه معه ، وقال : يا غلمان ، البِدَر ، فأُحضِرت ، ثم قال : الخِلَع ، فنُشرت ، ثم قال : الدوابّ ، فَقيدتْ ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورَنا وحسدناه عليه ؛ وكان حسدُنا له بما اتّفق له من القَبول وجودة الشعر ، وغيظُنا بكتمه إيّانا نفسَه واحتياله علينا أكثرُ وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخرجنا صِفْرا ، فمكثنا أيّاماً ، ثم ولّى دِعبلَ بنَ عليّ أُسوان ، وكان دِعبل قد هجا المطّلب غيظاً منه ، فقال[2] : [من المتقارب]

تُعَلِّق مصرُ بك المخزيات ... وتبصُق في وجهك المَوْصِلُ
وعاديتَ قوماً فما ضرّهم ... وشرّفتَ قوماً فلم ينبُلوا
شِعارك عند الحروبِ النجاء ... وصاحبُك الأخورُ الأفشلُ
فأنتَ إذا ما التقَوا آخرٌ ... وأنتَ إذا انهزموا أوّلُ

وقال فيه :

اضرِبْ نَدى طلحةِ الطلحاتِ متّئداً ... بِلؤمِ مطّلبٍ فينا وكن حكَما
تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ ... فلا تعدُّ لها لؤماً ولا كرما

قال : وكانت القصيدة التي مدح بها دِعبل المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول فيها[3] : [من المنسرح]

---

1 النقب : الحفا .

2 هذه الأبيات من قصيدة سترد فيما بعد برواية مختلفة ، وهي في ديوانه : 126–127 .

3 ديوانه : 33 .

أَبعــدَ مصرٍ وبعــدَ مطّلبٍ ترجو الغِنى إن ذا من العجبِ
إن كاثرونــا جئنــا بأسرتــه أَو واحدونــا جئنــا بمطّلبِ

[بلغ المطّلب هجاؤه فعزله]

قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إيّاه بعد أن ولاّه ، فعزله عن أُسوان ، فأنفذ إليه كتاب العَزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعدَ المِنبر يومَ الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأنزلْه عن المِنبر ، واصعد مكانه . فلمّا أن علا المِنبرَ وتنحنحَ ليخطب ناوله الكتاب ؛ فقال له دِعبِل : دَعني أخطب ، فإذا نزلتُ قرأته . قال : لا ، قد أمرني أن أمنَعَك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المِنبر معزولاً .

قال : فحدَّثني عبد الله بنِ أبي الشِّيص قال : قال لي دِعبِل قال لي المطّلب : ما تفكّرت في قولك قطّ : [من المنسرح]

إنْ كاثرونــا جئنا بأسرتِه أَو واحدونــا جئنا بمطَّلبِ

إلاّ كنتَ أَحَبّ النّاس إليّ ، ولا تفكّرْتُ واللهِ في قولك لي : [من المتقارب]

وعادَيْتَ قوماً فما ضرَّهم وقدَّمتَ قومــاً فلم ينبُلوا

إلاّ كنت أَبغضَ النّاس إلي .

[معنى إستارين]

قال ابنُ المَرْزبانِ حدَّثني مَن سأَل الرّياشيّ عن قوله : إستارين ، قال : يجوز على معنى إستار كذا ، وإستار كذا . وأنشدنا الرياشيّ : [من البسيط]

سعى عقالاً فلــم يترك لنا سَبَدا فكيف لو قد سَعى عمرو عِقالَينِ[1]
لأَصبَحَ القومُ أَوفاضا فلـم يجدوا يــوم الترحــلِ والهيجا جِمالينِ[2]

[هجاؤه المطّلب]

أَخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعدٍ قال : حدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال : لما قصد دِعبِل المطّلب بنَ عبد الله بنِ مالك إلى مصرَ ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه : [من المتقارب]

1 سعى : باشر جمع الصدقات . والعقال : زكاة عام من الإبل والغنم . والسَّبد : القليل من الشعر . يقال ماله سبد ولا لبد .
2 أوفاض : فقراء .

أمطَّلبٌ أنتَ مستعذِبٌ ... حُمَيّا الأفاعي ومستقبِلُ
فإن أشفِ منك تكن سُبّة ... وإن أعفُ عنك فما تعقلُ[1]
ستأتيك إمّا وردْتَ العراق ... صحائفُ يأثِرها دِعبلُ
منمَّقةٌ بين أثنائها ... مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرحلُ
وضعْتَ رجالاً فما ضرّهم ... وشرّفتَ قوماً فلم ينبُلوا
فأيُّهم الزَّينُ وسْط المَلا ... عطيّةُ أَمْ صالحُ الأحولُ
أَم الباذِجانيّ أُمّ عامرٍ ... أمينُ الحمام التي تَزْجُلُ
تُنَوِّط مصرُ بك المخزيات ... وتبصُق في وجهكَ الموصلُ
ويومَ السّراةِ تحسّيتَها ... يطيبُ لدى مثلِها الحنظلُ[2]
تولَّيتَ ركْضاً وفتياننا ... صدورُ القنا فيهمُ تعمَلُ[3]
إذا الحربُ كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يُقتَلوا
فمِنك الرؤوس غداةَ اللقاءِ ... ومِمَّن يحاربكَ المُنْصُلُ
شِعارك في الحرب يومَ الوغى ... إذا انهزَموا : عجِّلوا عجِّلوا
هزائمكَ الغُرُّ مشهورةٌ ... يُقرطِسُ فيهن من ينضُلُ[4]
فأنتَ لأوّلهم آخرٌ ... وأنتَ لآخرهم أوَّلُ

أخبرني عمّي قال أنشدنا المبرِّدُ لدِعبِل يَهْجو المطّلبَ بنَ عبد الله ويُعيِّره بغلامَين : عليٌّ وعمرٍو ، وكان يتّهم بهما[5] : [من المتقارب]

فأيرُ عليٌّ لـه آلـة ... وفَقْحة عمرو لـه دبَّهْ[6]
فَطوراً تصادفه جَعبةٌ ... وطوراً تصادفه حربَهْ

وأنشدني ابنُ عمّار عن أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ أبي شيخ لِدِعبِل يمدح المطَّلبَ بنَ عبدِ الله بنِ مالك ، وفيه غناء .

---

1 فما تعقل في الديوان : فما تفعل .
2 ويوم السّراة في الديوان : ويوم الشراة .
3 تعمل في ل والديوان : تعسل .
4 يقرطس : يصيب الغرض . وتقرطس الرجل : هلك . ينضل : يسبق في الرمي .
5 ديوان دعبل : 17 .
6 الدبة : ظرف الزيت وغيره .

صوت[1]

[من الكامل]

زَمَني بمطَّلب سُقِيتَ زمانـاً ... مـا كنْتَ إلاّ روضةً وجِنانا

كُلُّ النَّدى إلاّ نداكَ تكلُّف ... لم أرضَ بعدك كائناً مَن كانا

أُصلحتَني بالبرّ بـل أُفسدتَني ... فتركتَنـي أتسخّط الإحسانا

وقد أَخبرني بخبره الأوَّل الطويل مع المطّلب الحسنُ بن عليٍّ عن أحمدَ بن محمد حدّان عن أحمدَ بنِ يحيى العدَويّ أن سبب سخطه على المطلب أنّ رجلاً من العلويِّين كان قد تحرّك بطنجة ، فكان يَبُثّ دعاته إلى مصر ، وخافه المطلب ، فوكَّل بالأبواب مَن يمنع الغرباء دخولها .

فلمّا جاء دِعبِل مُنع فأغلظ لِلذي منعه ، فقنّعه بالسوط وحبسه . فمضى رَزِين فأخبر المطلّب ، فأمر بإطلاقه ، ودعا به فخلع عليه . فقال له : لا أرضى أو تقتلَ الموكَّل بالباب فقال له : هذا لا يمكن لأنّه قائد من قُوّاد السلطان . فغضب ثم أنشده الرّجل الأبيات المذكورة ، فأجازه ، وحَكى أن اسمَه محمدُ بنُ الحجّاج ، لا أحمد بن السراج . وسائر الخبر مثلُه .

[تهاجيه مع المخزوميّ]

وكان سبَب مناقضته أَبا سعد المخزوميَّ وما خرج إليه الأَمر بينهما قولُ دِعبِل قصيدته التي هجا فيها قبائل نِزار ، فحمي لذلك أبو سعد ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ، ولجَّ الهجاء بينهما .

ورُوي أنّه نَزل بقوم من بني مخزوم ، فلم يُضَيِّفوه ، فهجاهم ، فأَجابه أَبو سعد ولجّ الهجاء بينهما .

أَخبرني عمِّي والحسنُ بنُ علي الخفّافُ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ الأشعث قال : حدَّثني دِعبِل أنّه ورَزِينا العَروضيَّ نزلا بقوم من بني مخزوم ، فلم يَقْروهما ، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دِعبِل : فقلت فيهم[2] : [من البسيط]

عِصابةٌ من بني مخزومَ بِتُّ بهم ... بحيث لا تطمع المِسحاة في الطينِ

ثم قلت لرزين : أَجز فقال : [من البسيط]

في مَضغ أَعراضهم من خبزهم عِوَض ... بنـي النفـاق وأَبنـاءَ الملاعـينِ

1 ديوانه : 190 .

2 ديوانه : 90 .

قال ابن الأشعثُ : فكان هذا أوّلَ الأسباب في مهاجاته لأبي سعد .

أخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنَزيّ قال : حدَّثني عليُّ بن عمرٍو الشيبانيُّ أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودِعبِل قصيدته القحطانيّة التي هجا فيها نِزاراً ، فأجابه عنها أبو سعد ، ولجّ الهجاء بينهما .

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني أحمد بنُ أبي كامل قال : كان سببَ وقوع الهجاء بين دِعبِل وأبي سعد قولُ دِعبِل في قصيدة يفخر فيها بخُزاعةَ ، ويهجو نِزاراً ، وهي التي يقول فيها : [من الهزج]

أتانـــا طالباً وَغْرا فأعقبنـــاه بالوَعـــرِ
وتَرْنـــاه فلم يَرضَ فأعقبنـــاه بالوِتـــرِ

فغضب أبو سعد ، وقال قصيدته التي يقول فيها لِدِعبل ، وهي مشهورة : [من الهزج]

وبالكرخِ هوًى أبقى على الدهرِ من الدهرِ
هـــوًى والحمـــدُ للهِ كفاني كُلفـــةَ العذرِ

قال : ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك .

[جيد المخزوميّ لا يروى ويروى رديء دِعبل]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ هارونَ قال : دخلْتُ على أبي سعدٍ المخزوميِّ يوماً وهو يقول : وأيّ شيء ينفعني ؟ أجوِّد الشعر فلا يُروى ، ويُرذل فيُروى ، ويفضحني برديئه ، ولا أفضحه بجيّدي . فقلْتُ : مَن تَعني يا أبا سعد ؟ فقال : مَن تراني أعني إلاّ مَن عليه لعنةُ الله دِعبلاً ! فقلت فيه : [من مجزوء الخفيف]

لَيْسَ لُبْس الطيـــالِس مِـــن لِبـــاسِ الفوارسِ
لا ولا حَوْمَـــةُ الوغى كصُـــدورِ المجـــالسِ
ضَـــرْبُ أوتـــارِ نَفْنفٍ غيرُ ضَـــربِ القوانسِ[1]
وظُهـــورِ الجيـــادِ غيـــرُ ظهـــورِ الطنافسِ
ليس مَن ضارس الحرو ب كمَن لَـمْ يُضارسِ[2]
بِأبـــي غـــرسُ فِتيـــةٍ مِـــن كـــرام المغـــارسِ

1 نفنف : اسم غلام دعبل وكان مغنياً له . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى الخوذة .

2 ضارس في ل : مارس . وضارس : جرب .

فِتيــةٌ مــن بنــي المُغـ ــيرةِ شمّ المعــاطسِ
يُطعِمونَ السديــفَ في كلِّ شهبــاءَ دامسِ[1]
في جِفــانٍ كأنّهــا مــن جفـانِ العرائسِ
ثــم يمشونَ في السَّنَوْ رِ مشــيَ العنــابسِ[2]
ويخوضــونَ بــاللوا ءِ دمــاءَ الأبـالسِ
نحــنُ خيرُ الأنــامِ عنـ ــدَ قيــاس المُقـايسِ

فواللّهِ ما التفَت إليها في مصرنا هذا إلاّ علماء الشعر : وقال هو فيّ[3] : [من مجزوء الخفيف]

يــا أبا سعدَ قَوْصَرَهْ زانيَ الأختِ والمَرَهْ[4]
لــو تــراه مُحَنَّباً خلتـه عَقـدَ قنطرَهْ[5]
أوَ ترى الأيرَ في استِه قلـتَ ساقٌ بمِقطرَهْ[6]

قال : فواللهِ لقد رواه صبيان الكتاب ومارّة الطريق والسّفَل ، فما أجتاز بموضع إلاّ سمعته من سِفْلة يَهْذِرُون به ، فمنهم مَن يعرفني فيَعيبُني به ، ومنهم مَن لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه .

[المخزوميّ يدس عليه ما لم يقله]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني عليّ بن أبي عمرو الشيباني قال : جاءَني إسماعيلُ بنُ إبراهيم بنِ ضَمْرة الخُزاعيُّ ، فقال لي : إنّي سألت دِعبِلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت[7] : [من الوافر]

أفيقي مــن مَلامـك يا ظعينا كفاكِ اللــومَ مــرُّ الأربعينا

فقال لي إسماعيل : قال لي دعبِل : يا أبا الحسن فيها أخبار وغَرِيب ، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه ، فيكونَ أهونَ عليّ منك . فقلت له : لقد اخترْتُ صديقاً لي يقال له :

1 السديف : شحم السنام . والشهباء : السنة المجدبة .
2 السنور : جملة السلاح . والعنابس : جمع عنبس ، وهو الأسد .
3 ديوان دعبل : 80 .
4 قوصره : كناية عن المرأة ، والمنبوذ في لغة أهل البصرة .
5 محنب : الاحديداب في ظهر البعير ووظيفه .
6 المقطرة : خشبة مخروقة توضع في ساق المحبوس .
7 ديوان دعبل : 148–150 .

عليّ ؛ فقال : أَمِن العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : مِنْ أَيِّ العربِ ؟ قلتُ : مِن بني شيبانَ . قال : شيبانُ كندةَ ؟ فقلت : بل شيبانُ ربيعةَ . فقال لي : ويحك ! أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه ؟ فقلت له : إنّه رجلٌ يَحتملُ ، ويحبُّ أن يسمَع ما له وعليه . فقال : في مثل هذا رغبة فأتني به ، فصِرنا إليه ، فلمّا لقيه قال : قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررتُ به ؛ أن كنت رجلاً من العربِ تُحبّ أن تَسمع ما لك وعليك لكيلا تُغبَن . فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله : [من الوافر]

مِنَ آي ثَنِيّة طلعَت قريش وكانــوا معشراً متنبّطينــا

فقال دِعبِل : معاذ الله أن يكون هذا البيت لي ؛ ثم قال : لعنه الله وانتَقَم منه ، يعني أبا سعد المخزوميّ ، دَسّه واللهِ في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجَرَد البيت بحدها ؛ ثم قال لنا : أحدّثكم عنه بحديث طَريف :

[يصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي]

جاءَني يوماً ببغدادَ أَشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء ، وبين يدَيّ صحيفة ودواة ، وأنا أَهجوه فيها ، إذ دخل عليّ غلام لي فقال : أبو سعد المخزوميّ بالباب . فقلتُ له : كذبْت . فقال ، وهو عارف بأبي سعد : بلى واللهِ يا مولاي . فأمرته برفع الدواةِ والجلدِ الذي كان بين يَدَي ، وأَذِنت له في الدخول ، وجعلْتُ أحمد اللهَ في نفسي ، فأقول : الحمدُ للهِ الذي أصلح بيني وبينه من هَتْك الأعراض وذِكرِ القبيح ، وكان الابتداء منه . فقُمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديتُ له مثلَ ذلك من السرور به ، ثم قلت : أَصبحتُ واللهِ حاسداً لك . قال : على ماذا يا أبا عليّ ؟ فقلت : بسَبْقك إيّاي إلى الفضلِ .

فقال لي : أنا اليوم في دعوى عندك ، فقلت : قُل ما أَحببتَ . فقال : إن كان عندك ما نأكله ، وإلاّ ففي منزلي شيء مُعَدّ . فسألت الغلمان فقالوا : عندنا قِدْر أُمْسيّة[1] . فقال : غايةٌ واتّفاق جيّد . فهل عندك شيء نشرَبُه ، وإلاّ وجّهت إلى منزلي ففيه شراب مُعَدّ ؟ فقلت له : عندنا ما نَشرب ، فطَرح ثيابه ورَدَّ دابّته وقال : أحبّ ألاّ يكون معنا غيرُنا . فتغدَّينا وشرِبنا ، فلمّا أن أخذ الشراب منا قال : مُرْ غلامَيك يغنّياني . فأمرت الغلامَين فغنّياه ؛ فطرِب وفرح ، واستحسن الغناء حتى سرَّني وأطربني معه ، ثم قال : حاجتي إليك يا أبا عليّ أن تأمرَهما بأن يغنّياني في هِجائك لي ، وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه منّي في هجائي قد حفِظا منه أَشياء ولحّناها ، فقلت له : سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئت النائرة[2] ، وذهبت العداوة بيننا ، وانقطع

1 ل : مبيتة .

2 النائرة : الشحناء .

الشرّ . فما حاجتك إلى هذا ؟ فقال لي : سألتكَ بالله إلاّ فعلْتَ ، فليس يَشُقّ ذلك عليّ ، ولو كرهتُه لما سألته . فقلت في نفسي : أترى أبا سعد يتماجن عليَّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد ، فقال غنّوه : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبا سعد قَوْصَرَهْ زانيَ الأخـت والمرَهْ

فغنَّوه ، وهو يحرِّك رأسه وكتفيه ، ويطرب ويصفّق ، فما زِلنا يومنا مسرورَين . فلمّا ثَمِل ودَّعني وقام فانصرف ، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعةِ قرطاس ، وقال : دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ ، وأمرني أن أدفعها إليك . قال : فقرأتها ، فإذا فيها : [من المنسرح]

لِدِعبِلٍ مِنّــة يَمـنُّ بهـا فلست حتى الممات أَنساها
أَدخلَنــا بيتــه فأَكرمنا ودَسَّ بامراتـــه فنكناها

فقال : ويْلي على ابن الفاعلةِ ، هاتوا جِلداً ودَواةً . قال : فرَدُّوهما عليّ ، فعُدتُ إلى هجائه ، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة ، فما سلَّم عليّ ، ولا سلّمتُ عليه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حَدَّثنا عليّ بن عبد الله بن سعد ، أنّه سمع دِعبِلاً يحدّث بخبره هذا مع أبي سعد ، فذكر نحو ما ذكره العَنَزيّ .

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي كامل قال : رأيت دِعبِلاً قد لقيَ أبا سعد في الرُّصافة ، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما ، فشدَّ دِعبِل على أبي سعد فقنّعه ، فركض أبو سعد بين يديه هارباً ، وركض دِعبِل في أثره وهو يهربُ منه حتى غاب . قال : وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون ، فتظلّموا منه إلى المأمون ، وذكروا أنّـهم لا يعرفون له فيهم نسباً ، فأمرهم المأمون بنفيه ، فانتَفَوا منه ، وكتبوا بذلك كتاباً . فقال دِعبِل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة[1] : [من مجزوء الرمل]

غيرَ أَن الصَّيْـدَ منهـمْ قنّعــوه بخَزايَـــهْ
كتبوا الصّـكَّ عليــه فَهْــو بـين النّاس آيَـهْ
فــإذا أَقبــلَ يومـــاً قيلَ قـد جـاءَ النُّفايَـهْ

وقال فيه أَيضاً[2] : [من الطويل]

1 ديوان دعبل : 163 عن الأغاني .

2 ديوانه : 78 وفيه «الفقرا» بدل «القفدا» .

هـمُ كتبوا الصّكَّ الذي قد علمْتَه ... عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا[1]

قال : وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبهِ قال : أنا عبدُ ابنُ عبد . قال : ونظر دِعبِل فرأى على أبي سعد قَباء مَرَويّاً مصبوغاً بسواد ، فقال : هذا دعيّ على دعيّ .

[هجاؤه عندما اطّلع على دفتر المخزوميّ]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ مروانَ مولى الهادي قال : لقِيني أبو سعد المخزوميُّ على ظهر الطريق فقال لي : يا أحمد أنا أدرس شِكايتَك إلى أبيك ، قال فقلت : ولِمَ أبقاك الله ؟ قال : فما فعل دفتر البَزاريات ؟ قلتُ : هوذا أجيئك به . فلمّا صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده ، فمررْتُ بدِعبِل فدققتُ بابه ، فسمعته يقول لجارية له : يا دراهم ، انظري مَن بالباب . فقالت له : أحمدُ بنُ مروان . فقال : افتحي له . فلمّا دخلْتُ قلت له : أيشٍ هو دراهم من الأسماء ؟ قال : سمّيتم جواريكم دنانير ، فسمَّينا جوارينا بدراهم . ثم قال : ما هذا معك ؟ قلت : دفترٌ فيه شِعر أبي سعد في البزاريات ، فأخذه فنظر فيه وابنهُ عليُّ بنُ دِعبِل بنِ عليٍّ معه ، فلمّا بلغ من نظره إلى شِعره الذي يقول فيه : [من السريع]

مالـتْ إلى قلبكَ أحزانه ... فهـو مُجِمُّ الهـمِّ خزّانه

قال له ابنه عليّ : فما كان عليه يا أبتِ لو قال في شعره :

عادتْ إلى قلبكَ أحزانه ؟

فقال دِعبِل : صدقْتَ واللهِ يا بنيّ ، أنتَ واللهِ أشعر منه . قال : ثم إنّه أملى عليَّ دِعبِل إملاءً[2] : [من البسيط]

ما كنت أحسب أنّ الدَّهرَ يُمهلني ... حتى أرى أحداً يهجـوه لا أحدُ

إنّي لأعجـبُ مِمَّن في حقيبته ... من المنِـيِّ بُحـورٌ كيـف لا يلدُ

فإن سمِعت بـه بعْثُ القنا عبثاً ... فقـد أراد قَناً ليست لـه عُقَدُ

ثم صِرْت إلى أبي سعد ، فلمّا رآني من بعيد قال : يا أحمد ، مِن أين أقبلت ؟ قلت : من عند دِعبِل . قال : وما دعبَلْت عنده ؟ فأنشدته شِعر دِعبِل فيه ، وأخبرْتُه بما قال ابنه في شعره ، فقال : صدق والله ، في أيّ سنّ هو ؟ قلت : قد بلَغ . فدَعا بدواة وقرطاس وقال : اكتب فكتبت : [من البسيط]

1 القفد : الصَّفح .

2 ديوان دعبل : 60 .

لا والذي خلقَ الصهباءَ من ذهبٍ والماءَ من فِضَّةٍ لا سادَ مَن بَخِلا
يقولُ لي دِعبِــل في بطنِــه حبلٌ ولو أُصابت ثيابي دِعبِـلاً حَبِلا
ودِعبِلٌ رجلٌ ما شئتَ من رجلٍ لو كان أَسفلُه مِـــن خلفه رجُلا

قال : ثمّ هجاني أبو سعد ، فقال : [من الوافر]

عدُوٌّ راحَ في ثوبَــيْ صديق شريك في الصَّبوحِ وفي الغَبوقِ
لــه وجهانِ ظاهرهُ ابــنُ عمٍّ وباطنــه ابـنُ زانيـــة عتيقِ
يَسُرُّك معلِنــاً ويَسُوءِ سرّاً كذاك يكـــون أَبناءِ الطريقِ

[بنو مخزوم ينفون المخزوميّ عنهم]

أَخبرني عمّي والحسنُ بن عليٍّ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أَبو ناجية ، شيخٌ من ولد زُهَيرِ بن أبي سُلمى ، قال : حضرْتُ بني مخزوم وهم ببغدادَ ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمّا لجّ الهجاء بينه وبين دِعبِلٍ ، وقد خافوا لسان دِعبِل ، وأن يقطَعهم ويهجوَهم هجاء يعمّهم جميعاً ، فكتبوا عليه كتاباً ؛ وأشهدوا أنّه ليس منهم . فحدَّثني غيرُ واحد أنّه حينئذٍ أتى بخاتمه النقاشَ ، فنقَش عليه : أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد بَريء من بني مخزوم تَهاوُناً بما فعلوه .

[المأمون لا يستثار على دعبل]

أَخبرني علي بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أَبو سعد المخزوميُّ يستعلي على دِعبِل في أوّل أمره ، وكان يدخل إلى المأمون فيُنشده هجاء دِعبِل له وللخلفاء ، ويحرّضه عليه وينشده جوابه ، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه . وكان يقول : الحقّ في يدِك والباطل في يدِ غيرك ، والقول لك ممكن ، فقل ما يكذبه ، فأمّا القتل فإنّي لسْتُ أستعمله فيمن عظُم ذنبه ، أفأستعمله في شاعر ؟

[ابن أبي الشيص يهجو المخزومي]

فاعترض بينهما ابن أَبي الشيص ، فقال يهجو أَبا سعد : [من مجزوء الرمل]

أَنا بشّرتُ أَبـا سعـ ـد فأعطاني البشارَهْ
بِأَبٍ صيدَ لــه بالـ أَمس في دارِ الإمارَهْ
فَهْوَ يومــاً من تميم وهو يومـاً من فَزارَهْ
كلَّ يـوم لأَبـي سعـ ـد على الأَنسابِ غارَهْ
خزَمتْ مخزومُ فـاه فادعاهـــا بـالإشارَهْ

قال : وقال فيه ابن أَبي الشيص أيضاً : [من الهزج]

أَبـا سعـد بحـقٍّ الخمـ ... س ِ والمفروضِ من صومِكْ
أقلْـتَ الحـقَّ في النسبـ ... ـة أَم تحلـمُ في نومِكْ
أبِـنْ لي أَيُّها المَعْـرو ... رُ مِمَّـن أَنـتَ في قومِكْ[1]
فولّـى قائـلاً لـو شئـ ... ـتَ قد أَقصرْتَ من لومِكْ
ودعنـي أَكُ مَـن شئـتُ ... إذا لم أَكُ مَـن قومِكْ

[دعبل يهجوه]

وقال فيه دِعبِل[2] : [من السريع]

إنّ أَبا سعد فتـى شاعـرٌ ... يُعرَف بالكُنيـة لا الوالدِ
يَنْشُد في حـيِّ معدٍّ أَباً ... ضلَّ عن المنشودِ والناشدِ
فرحمـةُ اللهِ على مسلـمٍ ... أرشدَ مفقـوداً إلى فاقدِ

[الصبيان يصيحون بهجائه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدّثنا ابنُ مُهْرُوَيْه قال : حدّثني أحمدُ بن عثمانَ الطبريُّ قال : سمعْتُ دِعبِل بنَ علي يقول : لمّا هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزا ودعَوت الصبيان فأعطيتهم منه ، وقلت لهم : صيحوا به قائلين : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبـا سعـد قَوْصَرَهْ ... زانيَ الأخـت والمَـرَهْ

فصاحوا به ، فغلبْتُه .

[أبو سعد يحرض عليه المأمون مرّة أخرى]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ مروانَ قال : حدَّثني أبو سعد المخزوميُّ واسمه عيسى بنُ خالد بن الوليد قال : أنشدْت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دِعبِل قوله[3] : [من الكامل]

ويسومني المأمـون خطةَ عاجز ... أَوَما رأى بـالأَمس رأس محمـدِ

وأَوّل قصيدتي : [من الكامل]

أَخـذ المشيبُ من الشبابِ الأغيدِ ... والنائباتِ مـن الأَنـامِ بمرصَدِ[4]

---

1 المعرور : المصاب بالعر ، وهو الجرب ، أو هو الملطّخ بالشرّ .
2 ديوانه : 76 عن الأغاني .
3 ديوانه : 69 .
4 الأنام في ل : الرجال .

ثم قلت له : يا أَمير المؤمنين ، ائذن لي أَن أجيئك برأسه . قال : لا ، هذا رجل فَخر علينا فافخَر عليه كما فخر علينا ، فأمّا قتله بِلا حجّة فلا .

[يرى وجهه في المرآة فيذكر هجاء أبي سعد له]

أَخبرني عَمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ عن أَحمدَ بن أَبي طاهر قال : حدَّثني أَبو السَّريِّ عمرٌو الشيبانيُّ قال : نظر دِعبِل يوماً في المرآة ، فجعل يضحك ، وكانت في عَنْفَقَته[1] سَلْعة[2] ، فقلتُ له : مِن أيّ شيء تضحك ؟ قال : نظرتُ إلى وجهي في المرآة ، ورأيت هذه السَّلْعَةَ التي في عَنْفَقَتي ، فذكرتُ قول الفاجر أبي سعد : [من المتقارب]

وسَلْعَـة سَوء بــه سَلْعَةٌ ظلمتُ أبـاه فلم ينتصرْ

[ينشده أحدهم هجاء المخزوميّ له]

أَخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ قـال : حدَّثنـا الحسن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قـال : قـال عبدُ الله بنُ الحسن بن أَحمدَ مولى عمرَ بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ قـال : لقِيت دِعبِل بنَ عليّ ، فحدَّثني أن أبا عمرو الشيبانيَّ سأله : ما هـو دِعبِل ؟ فقلت لـه : لا أدري ، فقال : إنها النّاقة المسنّة . قال محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ : ثم تحدَّثنا ساعة ، فقلتُ : أما ترى لأبي سعد يا أبا عليّ وانهماكِه في هجائك ؟ فقال دِعبِل : لكنّي لم أقُل فيه إلاّ أَبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيانُ والإماء ، وأَنشدني قوله فيه : [من مجزوء الخفيف]

يـا أَبـا سعد قَوْصرَهْ زانيَ الأخـت والمـرَهْ
لــو تــراه مُحنَّبــاً خلتـه عَقــدَ قنطرَهْ
أو ترى الأَيرَ في استه قلـتَ ساقٌ بمِقطَـرَهْ

قال محمد ، فقلت لدِعبِل : دَعْ عنك ذا ، فقد واللهِ أَوجعك الرجلُ ، فإن أَجبته بجواب مثله انتصفْتَ ، وإلاّ فإنّ هذا اللغو الذي فَخرْتَ به يَسقط وتُفْضَح آخرَ الدَّهر ، قال : ثم أنشدته قول أبي سعد فيه : [من البسيط]

لم يبقَ لي لــذّةٌ من طِيَّـةٍ بدَدِ ولا المنازلِ من خَيْفٍ ولا سَنَدِ[3]
أَبعــدَ خمسينَ عـادتْ جاهليتُه يا ليت مـا عادَ منها اليومَ لم يَعدِ

1 ل : شعره .

2 السلعة : غدة في البدن تصغر وتكبر .

3 الطية : الحاجة والوطر . بدر : متفرقة . الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . السند : ما قابلك من الجبل .

وما تُريدُ عيونُ العِين من رجل كرَّ الجديدان في أيّامه الجُدُدِ
أبدى سرائرَه وَجْداً بغانية ولو أطاعَ مشيبَ الرأس لم يجدِ
واستمطرتْ عبراتِ العَين منْزلةٌ لم يبقَ منها سوى الآريِّ والوتدِ[1]
وما بكاؤك داراً لا أنيس بها إلاّ الخواضبُ من خيطانها الرُّبُدِ[2]
لِدِعبِل وطَرٌ في كلِّ فاحشةٍ لَوْ بادَ لؤم بني قحطانَ لم يَبِدِ
ولي قوافٍ إذا أنزلتُها بلداً طارتْ بهن شياطيني إلى بلَدِ
لم ينجُ من خيرِها أو شرّها أحد فاحذَر شآبيبَها إن كنت مِن أحدِ
إنّ الطِّرِمَّاحَ نالَته صواعقُها في ظلمةِ القبرِ بين الهامِ والصُّرَدِ[3]
وأنتَ أولى بها إذ كنت وارثه فابعُد وجهدُك أن تنجو على البُعدِ
تهجو نِزاراً وترعى في أرومتِها وتنتَمي في أُناس حاكةِ البُرُدِ
إنّي إذا رجُل دبَّت عقاربه سقيتُه سمَّ حيّاتي فلم يَعُدِ
زدني أزدك هواناً أنتَ موضعه ومَن يزيد إذا ما نحنُ لم نَزدِ
لو كنتَ متئداً فيما تُلفقه لكان حظك منه حظَ متئدِ
أو كنتَ معتمِداً منه على ثقةٍ من المكارمِ قلنا : طَوْل معتمدِ
لقد تقلدْتَ أمراً لستَ نائله بلا وليّ ولا مولى ولا عضُدِ
وقد رميتَ بياض الشمس تحسبه بياض بطنِك من لُؤم ومن نكَدِ
لا تُوعدنّي بقوم أنتَ ناصرهم واقعد فإنّك نَوْمانٌ من القعَدِ[4]
لله معتصم باللهِ ، طاعتُه قضية من قضايا الواحدِ الصمدِ

قال ، فلمّا أنشدتها دِعبلاً قال : أنا أشتُمه وهو يشتُمني ، فما إدخال المعتصم بيننا ؟ وشقّ ذلك عليه وخافه ، ثم قال نقيض هذه القصيدة :

منازلُ الحيِّ من غُمدانَ فالنَّضَدِ

وهي طويلة مشهورة في شعره ، هكذا قال العَنَزيّ في الخبر ، ولم يأتِ بها .

1 الآري : عود في حائط أو حبل بحلقة تربط بها الدابة .
2 الخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم . الخيطان : جماعات النعام ، واحدها خيط . الربد : الغبر .
3 الهام : نوع من البوم . والصرد : طائر ضخم الرأس يصيد العصافير .
4 النومان : الكثير النوم . والقعد : جمع قاعد .

[دعي على دعي]

حدَّثنا محمدٌ قال : حدَّثنا العَنَزِيّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحسين عن محمدِ بن عليٍّ الطالبيِّ قال : عَبَر دِعبِل الجَسر ببغداد ، وأبو سعد واقف على دابته عند الجَسر ، وعليه ثوبُ صوفٍ مشبَّه بالخزّ مصبوغ ، فضرب دِعبِل بيده عَلى فخذه ، وقال : دَعِيٌّ عَلى دَعِيّ .

[دعبل مدخول النسب]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدَلانيُّ صهر المبرِّد قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العَتَّابيّ ، وكان نديماً لعبدِ الله بن طاهر قال : بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهلِه وشعراء الجاهليةِ والإسلامِ إذ بلغ إلى ذِكر المحدَثين حتى انتهى إلى ذِكرِ دِعبِل ، فقال : ويحك يا ضَبّيّ ! ، إنّي أُريد أن أُحدّثك بشيءٍ عَلى أن تستره طول حياتي ، فقلت له : أصلحَك اللهُ أنا عندك في موضع ظِنة ؟ قال : لا ، ولكن أطيبُ لنفسي أن تُوثّق لي بالأيمان لأركن إليها ، ويسكنَ قلبي عندها ، فأُحدّثك حينئذٍ .

قال : قلت : إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سرّه إليّ ، واستعفيته مراراً فلم يُعفني . فاستحييت من مراجعته ، وقلت : فليرَ الأمير رأيه . فقال لي : يا ضبّيّ ، قُل : واللهِ . قلتُ : واللهِ ، فأمرّها عليّ غَموساً مؤكَّدةً بالبَيعةِ والطلاق وكلُّ ما يحلفُ به مسلمٌ . ثم قال : أشَعرْتَ أنّ دِعبلاً مدخول النسبِ ؟ وأمسك ، فقلت : أعزَّ اللهُ الأميرَ ، أفي هذا أخذْتَ العهودَ والمواثيقَ ومغلّظ الأيمانِ ؟ قال : إي والله ، فقلت : ولم ؟ قال : لأنّي رجل لي في نفسي حاجة ، ودِعبِل رجل قد حَمل نفسه عَلى المهالك ، وحَمَل جِذعه عَلى عنقه ، فليس يجد مَن يصلبه عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عَلَيّ عاره عَلى الدَّهرِ ، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمَته اليمنُ ، وما أراها تفعل ؛ لأنّه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها ، فأضربه مائة سوط ، وأُثقِله حديداً ، وأُصيّره في مُطْبِق[1] باب الشام .

وليس في ذلك عِوض ممّا سار فيّ من الهجاءِ وفي عقبي من بعدي . فقلت : ما أراه يفعل ويُقدِم عليك . فقال لي : يا عاجز ، أهوَنُ عليه ممّا لم يكن . أتراه أَقدَم عَلى الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ ؟ فقلت : فإذا كان الأمر كذا فقد وُفقَ الأميرُ فيما أخذَه عَلَيّ .

قال : وكان دِعبِلُ صديقاً لي ، فقلت : هذا شيء قد عرفتَه ، فمن أين ؟ قال الأميرُ : إنّه مدخول النسبِ وهو في البيت الرفيع من خزاعة ، لا يتقدّمهم غير بني أُهبانَ مكلّمِ الذئب . فقال : أسمع أنّه كان أيّامَ ترعرع خاملاً لا يُؤبه له ، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد ، لا يملكان غيره . ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمردُ يخدمه ، ودعبلٌ حينئذٍ لا يقول

1 المطبق : سجن تحت الأرض .

شعراً يفكر فيه حتى قال : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسِهِ فبكى

[بداية شهرته]

وغنّى فيه بعض المغنّين وشاع ، فغُنّي به بين يدي الرشيد ، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكّيّ ، فطرب الرشيد ، وسأل على قائل الشعر ، فقيل له : دِعبِل بن عليٍّ ، وهو غلام نشأ من خُزاعة . فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلْعة من ثيابه ، فأُحضر ذلك ، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته ، وقال له : اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعبِل بن عليٍّ ، فإذا دُللتَ عليه فأعطِه هذا ، وقُل له : لِيحضرْ إن شاء ، وإن لم يُجِبْ ذلك فدعه . وأمر للمغنّي بجائزة . فسار الغلام إلى دِعبِل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه .

فلمّا دخل عليه وسلَّم ، أمَرَهُ بالجلوسِ فجلسَ ، واستنشده الشعر فأنشده إيّاه ، فاستحسنه وأمرَه بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً ، فكان أوّلَ مَن حرَّضه عَلى قول الشعر . فوالله ما بلغه أنّ الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العَطاء السنيِّ ، والغِنى بعد الفقرِ ، والرفعةِ بعد الخمولِ بأقبح مكافأة . وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام ، وهجا الرشيد[1] : [من البسيط]

وليس حيٌّ من الأَحياءِ نعلمَه من ذي يمانٍ ومن بَكرٍ ومن مُضرِ
إلاّ وهمْ شركاءُ في دمائِهم كما تشارَكَ أَيسار عَلى جُزرِ[2]
قَتلٌ وأَسرٌ وتحريقٌ ومنهَبةٌ فعلَ الغُزاةِ بأَرضِ الرُّومِ والخَزرِ
أَرى أُميّةَ معذورين إن قَتلوا ولا أَرى لبني العبّاسِ من عذُرِ
اربع بطُوس عَلى القبرِ الزكيّ إذا ما كنت ترَبَع من دين عَلى وطَرِ
قبران في طُوسَ خيرُ النّاس كلِّهمُ وقبرُ شرِّهم هذا من العِبَرِ
ما ينفع الرِّجسَ من قُربِ الزكيّ ولا عَلى الزكيّ بقُربِ الرجسِ مِن ضررِ
هيهاتَ كلّ امرىء رهنٌ بما كسبتْ له يداه فخذْ ما شئتَ أَو فذَرِ

[المأمون يصفح عنه]

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام ، فهذه واحدة . وأمّا الثانية فإنّ المأمون لم يزَل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله[3] : [من الكامل]

1 ديوانه : 178–179 .
2 أيسار : جمع يسر ، وهم المجتمعون على الميسر .
3 ديوانه : 115–116 .

عِلْـم وتحكيـمٌ وشَيبُ مَفارق طمَّسْنَ رَيعـان الشباب الرائقِ
وإمـارةٌ في دولـةٍ ميمونـةٍ كانت على اللذاتِ أَشغَبَ عائقِ
أنّـى يكـون وليس ذاك بكائـنٍ يَـرِثَ الخلافةَ فاسقٌ عـن فاسقِ
إن كان إبراهيـمَ مضطلعاً بهـا فَلَتصْلُحَنْ مـن بعـده لُمخارقِ[1]

فلمّا قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صَفحْتُ عن كلّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة ، وولاّه عهدَه .

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان ، ويحمِل إليه مالاً ، وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل . فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واثقاً به ، فصار إليه ، فحمله وخلع عليه ، وأجازه وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعَل . فلمّا دخل وسلّم عليه تبسّم في وجهه ، ثم قال أنشدني : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخفْ ، وقد روَيتُها ولكني أحبّ سماعها من فيك . فأنشده إيّاها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَل لِحيته بدمعِه ، فوالله ما شعَرنا به إلاّ وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمونَ بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أوّلَ داخل ، وآخر خارج من عنده .

[هاشمي لا يرضيه فيهجوه]

أخبرني محمدُ بنُ خافِ بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني أبو بكرٍ العامريُّ ، قال : استَدعى بعضُ بني هاشمٍ دِعبِلاً وهو يتولّى للمعتصم ناحية من نواحي الشام ، فقصده إليها ، فلم يقعْ منه بحيث ظنّ وجفاه ، فكتب إليه دِعبِل[2] : [من الكامل]

دَلَّيتَني بغُـرور وعـدكَ في متلاطـمٍ مـن حَوْمة الغرقِ
حتى إذا شِمت العدوُّ وقـد شُهر انتقاصُك شهـرةَ البَلَقِ
أَنشأتَ تحلـفُ أنّ وُدَّك لي صافٍ وحبلكَ غيرُ منحذقِ[3]
وحسبتَني فَقْعـاً بِقَرْقَـرة فوطئتَني وَطئـاً عـلى حنَقِ[4]

---

1 مخارق : المغني المشهور .
2 ديوانه : 113–114 .
3 منحذق : منقطع .
4 تقدم المثل «فقع بقرقرة» أو «أذل من فقع بقرقرة» .

ونصبتَني علَمـاً على غَـرَضٍ ... تَرْمِينـيَ الأعـداءُ بالحدقِ
وظننـتَ أَرضَ اللهِ ضيِّقـةً ... عنّـي وأَرضُ اللهِ لم تضـقِ
مِن غيرِ مـا جُرمٍ سوى ثقة ... منّي بوعدك حـين قلتَ : ثِقِ
ومودّةٍ تحنـو عليـك بهـا ... نفْسي بـلا مـنٍّ ولا ملقِ
فمتى سألتـك حاجـةً أبداً ... فاشدُد بهـا قُفْـلاً على غَلقِ
وقفِ الإخاء على شَفا جُرُف ... هـارٍ فبِعْـه بيعـةَ الخَلقِ
وأعِـدّ لي قُفـلاً وجامعة ... فاشدد يدَيّ بهـا إلى عنقي
أُعفيك ممّـا لا تحـبُّ بها ... واسدُد عليّ مذاهـب الأُفقِ
مـا أَطولَ الدُّنيا وأَعرضها ... وأدلّنـي بمسالـك الطرقِ

[اتّهامه بشتم صفية بنت عبد المطلب]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : قدِم دِعبِل الدِّينورَ[1] ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزُّبير بنِ العوامِ كلام وعَرْبدة عَلى النبيذ ، فاستعدى عليه عمرَو بن حميد القاضي ، وقال : هذا شتم صفيّةَ بنتَ عبد المطّلب ، واجتمع عليه الغوغاء ، فهرب دِعبل ، وبعث القاضي إلى دارِ دِعبل فوكّل بها وختم بابه . فوجّه إليه برُقعة فيها : ما رأيتُ قطُّ أجهلَ منك إلاّ مَن ولاّك ، فإنّه أجهل ، يقضي في العَرْبدَة على النبيذ ، ويحكم عَلى خصم غائب ، ويقبَلَ عقلُكَ أنّي رافضيٌّ أشتمُ صفيّةَ بنتَ عبد المطّلب ؛ سخِنَتْ عينك ، أفمِن دِين الرافضة شَتْمُ صفيّة ؟ قال أبي : فسألني الزُّبيريُّ القاضي عن هذا الحديث فحدَّثته ، فقال : صدَق واللهِ دِعبِلٌ في قوله ، لو كنتُ مكانه لَوصلته وبررته .

[متنسك يعود إلى الندماء]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن سهل القارىء قال : حدَّثني دِعبِل قال : كتبتُ إلى أبي نَهشل بن حميد ، وقد كان نسك وترك شُرب النبيذ ، ولزِم دار الحرَم : [من الخفيف]

إنّمـا العَيشُ في منادمـة الإخـ ... ـوانِ لا في الجلوسِ عند الكَعابِ
وبصِـرْفٍ كأنّها أَلسُن البـر ... قِ إذا استعرَضَتْ رقيقَ السحابِ
إن تكونـوا تركتمُ لـذّة العيـ ... ـشِ حِذارَ العِقاب يـومَ العقابِ

---

1 الدينور : مدينة من أعمال الجبل .

فدعُوني وما ألذُّ وأهوى وادفعوا بي في نحر يوم الحسابِ

قال : فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي ، فنشرب بين يديه ، ويستمع الغناء ، ويقتصر على الأنس والحديث .

[قصيدة بالمشاركة]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا إبراهيم بنُ المدبِّر قال : كنت أنا وإبراهيمُ بنُ العبّاس رفيقَين نتكسَّبُ بالشعر قال : وأنشدني قصيدة دِعبِل في المطّلب بنِ عبد الله : [من المتقارب]

أمطّلِبٌ أنت مستعذِب سمامَ الأفاعي ومستقبِلُ

قال ، وقال لي دِعبِل : نِصفها لإبراهيمَ بنِ العبّاس ، كنتُ أقول مِصراعاً فيجيزُه ، ويقول هو مِصراعاً فأُجيزه .

[هجاء مالك بن طوق]

قال ابنُ مَهْرُوَيْه : وحدَّثني إبراهيم بنُ المدبّر أن دِعبِلاً قصد مالكَ بنَ طَوْق ومدحه ، فلم يرضَ ثوابه ، فخرج عنه وقال فيه[1] : [من السريع]

إنّ ابنَ طَوقٍ وبني تغلِبٍ لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْرَهْ[2]
لم يأخذوا من دِية درهماً يوماً ولا من أرْشِهِمْ بَعرَهْ[3]
دِماؤهم ليس لها طالبٌ مَطْلولةٌ مثلُ دم العُذْرَهْ
وجوهُهم بيضٌ وأَحسابُهم سودٌ وفي آذانهم صُفرَهْ

[شعره في عبد الله بن طاهر]

حدَّثنا محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ الحسن قال : حدَّثني عمرُ بنُ عبد الله أبو حفص النحويُّ مؤدّب آل طاهر قال : دخل دِعبِلُ بن عليٍّ على عبد الله بن طاهر ، فأنشده وهو ببغداد[4] : [من السريع]

جئتُ بلا حُرمة ولا سببٍ إليك إلاّ بحرمةِ الأدبِ[5]
فاقض ذِمامي فإنّني رجلٌ غيرُ ملحٍّ عليكَ في الطلبِ

---

1 ديوانه : 79 .
2 قصره : يقصرون عن إدراك الثأر .
3 الأرش : دية الجراحات .
4 ديوانه : 33 .
5 الديوان : أتيت مستشفعاً بلا سبب .

قال فانتعل عبد الله ، ودخل إلى الحُرَم ، ووجّه إليه بصُرّة فيها ألفُ درهم ، وكتب إليه : [من الكامل]

أَعجلتَنا فأَتاك عاجلُ برِّنا ولو انتظرْتَ كثيره لم يَقلِلِ
فخُذْ القليل وكن كأنّك لم تسَلْ ونكونُ نحنُ كأنّنا لم نفعلِ

[هجا مالك بن طوق وهرب]

أخبرني أحمدُ بن عاصمٍ الحُلْوانيُّ قال : حدَّثنا أبو بكر المدائنيُّ قال : حدَّثنا أبو طالب الجعفريُّ ومحمدُ بنُ أُميّة الشاعرُ جميعاً قالا : هجا دِعبِل بنُ عليٍّ مالكَ بنَ طوق فقال[1] : [من السريع]

سأَلتُ عنكمْ يا بني مالكٍ في نازح الأَرضين والدّانيَهْ
طُرّاً فلم تُعرفْ لكم نِسبة حتى إذا قلتُ بني الزانيَهْ
قالوا فدَع داراً على يَمْنةٍ وتلك ها دارُهمُ ثانيَهْ[2]
لا حدَّ أخشاه على مَن قال أُمّك زانيَهْ

وقال أيضاً فيه : [من مجزوء الكامل]

يا زانيَ ابنَ الزانِ ابـ ـن الزانِ ابنَ الزانيَهْ
أنتَ المردَّد في الزنا ء على السنينَ الخاليَهْ
ومردَّد فيه على كرِّ السنينَ الباقيَهْ

[يبلعه الوالي سلحه]

وبلغَت اَلأبيات مالكاً ، فطلبه ، فهرب فأَتى البصرة وعليها إسحاقُ بنُ العبّاس بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ العبّاس بنِ عبدِ المطّلب ، وكان بلغه هجاء دِعبِل وابن أبي عُيَينة نِزاراً .

فأمّا ابنُ أبي عُيَيْنة فإنّه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيّامه . وأمّا دِعبِل فإنّه حين دخل البصرة بَعث فقبض عليه ، ودَعا بالنِّطْع والسيف ليضربَ عنقه ، فجحد القصيدة وحلف بالطّلاق على جَحدها ، وبِكلّ يمين تبرّىء من الدم أنّه لم يقلها وأنّ عدواً له قالها ، إمّا أبو سعد المخزوميّ أو غيرُه ونسبها إليه ليُغريَ بدمه ، وجعل يتضرّع إليه ويقبّل الأَرض ويبكي بين يديه . فرقَّ له ، فقال : أمّا إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهَرَك ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سَلَح ، وأَمر به فأُلقيَ عَلى قفاه ، وفُتح فمُه فرُدّ سَلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه ، وهو

1 ديوان دعبل : 164 وقد جعل البيت الرابع أوّل المقطوعة التالية .

2 ثانيه في الديوان : فانية .

يحلف ألاّ يكفّ عنه حتى يستوفيَه ويبلعَه أو يقتله . فما رُفِعت عنه حتى بَلِعَ سلحه كلّه ، ثم خلاَّه ، فهرب إلى الأهواز .

[اغتياله]

وبعث مالكٌ بنُ طَوق رجلاً حَصيفاً مِقداماً ، وأعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، لم يَزلْ يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العَتمة ، فضَرب ظَهر قدمه بُعكازٍ لها زجٌّ مسموم فمات من غد ، ودُفِن بتلك القرية .

وقيل بل حُمل إلى السُّوس ، فدُفن فيها ، وأمر إسحاق بنُ العبّاس شاعراً يقال له : الحسنُ بنُ زيد ويُكنى أبا الذّلفاء ، فنَقض قصيدتَي دِعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أوّلها : [من الوافر]

أمـا تَنفـكّ متبـولاً حزينـاً ... تحبُّ البيضَ تَعصي العاذلينا

يهجو بها قبائل اليمن ، ويذكر مثالبهم ، وأمره بتفسير ما نظمه ، وذكرِ الأيّام والأحوال ، ففعل ذلك وسمّاها الدامغة ، وهي إلى اليوم موجودة .

صوت[1]

[من الوافر]

أتَهجرَ مَـن تُحِبّ بغيرِ جُرمٍ ... أسأتَ إذاً وأنتَ لـه ظلومُ

تؤرقني الهمـومُ وأنتَ خِلْوٌ ... لعمرُكَ مـا تؤرّقـكَ الهمومُ

الشعر لجعيفران الموسوسِ ، أنشدنيه عمّي عن عبدِ الله عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جدِّه ، وأنشد فيه جَحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له ، وأنشدنيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن سلَمة النحويّ له . ووجدته في بعض الكُتب منسوباً إلى أُمّ الضحاك المُحاربيّة ، والقول الأوّل أصحّ . والغناء لابن أبي قَباحة ، ثاني ثقيل بالوُسطى في مجرى البِنصر . وفي أبيات أُخَر من شعر جعيفران غناء ، فإن لم يصحّ هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح ، منها : [من السريع]

مـا يفعلُ المـرءُ فهْو أهلُه ... كلُّ امـرىءٍ يشبهـه فعلُهْ

ولا تـرى أعجز من عاجزٍ ... سكّتنـا عـن ذمّـه بذلُهْ

الشعر لجعيفران ، والغناء لمتيَّم ، ومِمّا وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء : [من الكامل]

قلبي بِصاحبةِ الشُّنوفِ مُعَلّقُ ... وتفِـرُّ صاحبةُ الشنوفِ وأَلحَقُ

---

1 في الأصوات الثلاثة . انظر شعراء عباسيون منسيون 4 : 371–372 عن الأغاني .

[417] ـ أخبار جعيفران ونسبه[1]

[نشأته]

هو جعيفرانُ بن عليٍّ بن أَصفرَ بنِ السريِّ بنِ عبدِ الرحمن الأَبناويّ[2] ، من ساكني سُرَّ مَن رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد . وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانيّة ، وكان يتشيّعُ ، ويُكثر لِقاء أبي الحسن عليٍّ بنِ موسى بنِ جعفر .

أَخبرني بذلك أَبو الحسن عليُّ بنُ العبّاسِ بنِ أَبي طلحة الكاتبُ عن أبيه وأَهلِه .

[شاعر مطبوع اختلط]

وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبَت عليه المِرّة السوداء ، فاختَلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه ، فقال الشعر الجيد . وكان أَهله يزعمون أنّه من العجم من ولد أُذين .

[أبوه يطرده ويحرمه من الميراث]

فأَخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفاف قال : حدَّثني محمدُ بنُ مَهرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ النّوفليُّ قال : حدَّثني صالحَ بن عطيّةَ قال : كان لجُعَيفران الموسوِس قبل أن يَختلِطَ عقلُه أبٌ يقال له : عليُّ بنُ أصفر ، وكان دِهقان الكَرْخ ببغداد ، وكان يتشيَّع ، فظهر على ابنِه جعيفران أنّه خالفه إلى جارية له سرِّيّة ، فطرده عن داره .

وحجَّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يَفقدَ عقلَه ، وإن كنت قد تحقّقتَ ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ، ولا تطعمْه شيئاً من مالِك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك .

فقدِم فطرده ، وأخرجه من منزله . وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهِد بها في ماله حتى يخرجَه عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلمّا مات الرجل حاز ميراثه ومَنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصيّ ، وسأل جعيفران البينة على نَسبه وتركه أبيه ، فأقام على ذلك بينة عِدّة ، وأحضر الوصيُّ بيّنة

---

1 ترجمة جعيفران الموسوس في الوافي 11 : 168–171 وفوات الوفيات 1 : 297–299 وطبقات ابن المعتز : 281–282 وتاريخ بغداد 7 : 163 ، وعقلاء المجانين : 101–105 . وقد ترجم له وجمع أشعاره د . إبراهيم النجار في شعراء عباسيون منسيون (النجار) 4 : 353–372 .

2 الوافي والفوات : الأنباري ، والنجار : الأنباوي .

عُدولاً على الوصيّةِ يشهدون على أَبيه بما كان احتال به عليه . فلم يَرَ أَبو يوسُف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورِّثه ، فدفعه الوصيّ عن ذلك مَرّات بعِلَل . ثم عزم أبو يوسُف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصيّ : أيّها القاضي ، أنا أدفع هذا بحجّةٍ واحدةٍ بقيتْ عندي ، فأبى أبو يوسُف أن يقبلَ منه ، وجعل جعيفران يُحَرّج عليه ، ويقول له : قد ثبت عندك أمري ، فبأيّ شيء تدافعني ؟ وجعل الوصيّ يسأله أن يسمع منه منفرداً ، فيأبى ، ويقول : لا أسمع منك إلاّ بحضرة خصمك . فقال له : أجّلني إلى غد ، فأجّله ، فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبّره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بنُ جعفر ، ودفعها إلى صديق لأبي يوسُف ، فدفعها إليه ، فلمّا قرأها دعا الوصيّ واستحلفه أنّه قد صدَق في ذلك ، فخلفَ باليمين الغَموس . فقال له : اغْدُ عليّ غداً مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسُف للوصيّ . فلمّا أُمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلَط منذ يومئذٍ .

وأُخبرني بجمل أَخباره المذكورة في هذا الكتاب عليٌّ بن العبّاسِ بنِ أَبي طلحة الكاتبُ ، عن شيوخ له أَخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب ، ولم أَرَ أَخباره عند أحد أَكثر مِمّا وجدتها عنده إلاّ ما أذكره عن غيره فأنسبُه إليه .

[يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً]

قال عليّ بنُ العبّاس : وذَكر عبد الله بنُ عثمان الكاتبُ أَنّ أَباه عثمانَ بنَ محمد حدَّثه قال : كنتُ يوماً بِرُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضَبٌ ، فوقف عليّ وقال :

استوجَبَ العالَم منِّــي القتلا

فقلت : ولِم يا أَبا الفضل ؟ فنظر إليّ نظرة منكَرة خِفْت منها ، وقال :

لّما شَعرت فـــرأوني فحلا

ثم سكتَ هنيهة ، وقال[1] : [من الرجز]

قالــوا عــليٌّ كذِبا وبُطْلا إنِّيَ مجنون فَقدتُ العقلا
قالوا المحال كذِبــا وجهلا أَقبحْ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف ، فخِفْت أن يؤذيَه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فدَيتكَ حتى أَقومَ معك ؛ فإنّك مغضَب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال . فرجع إليّ ، وقال : سبحان الله ، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل ، وأستقبح فعلهم ، وتتخوّف منّي مكافأتهم ؟ ثم

1 النجار : 363–364 عن الأغاني .

إنّه ولّى وهو يقول : [من الرجز]

لستُ بِراضٍ من جَهول جهلا ولا مجازيه بِفِعل فِعلا
لكنْ أرى الصفحَ لِنفسي فضلاً مَن يُرِد الخيرَ يجدْه سهلا

ثم مضى .

[يدور في الدار وحده وينشد رجزاً]

وقال عليُّ بنُ العبّاس ، وقال عثمان بنُ محمد : قال أبي : كنتُ أُشرِف مرّة من سطح لي على جُعَيفرانَ وهو في دار وحدَه وقد اعتلّ ، وتحرّكتْ عليه السوداء ، فهو يدور في الدّار طول ليلته ، ويقول[1] : [من الرجز]

طاف بـه طَيف من الوسواسِ نَفّـر عنـه لَـذّةَ النُّعاسِ
فمـا يُـرى يأنس بالأُناسِ ولا يلَـذّ عِشْرةَ الجُلاّسِ
فهو غريـب بين هذا النّاس

حتى أصبح وهو يردّدها ، ثم سقط كأنّه بَقْلة ذابلة .

[بيت بنصف درهم]

قال عليّ : وحدَّثني عليُّ بن رستمَ النحويّ ، قال : حدَّثني سَلَمة بن محارب قال : مررْت ببغداد ، فرأيتُ قوماً مجتمعِين على رجل ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جعيفران المجنون ، فقلت : قُل بيتاً بنصف درهم . قال : هاته ، فأعطيته ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ ذا الهـمُّ واعتلَجَ كلُّ هـمٍّ إلى فـرجِ

[يصيح الصبيان خلفه وهو عريان]

ثم قال : زِد إن شئت حتى أزيدَك .

قال عليّ : وحدَّثني عبد الله بن عثمان ، عن أبيه قال : غاب عنّا جُعَيفران أيّاماً ثم جاءنا والصبيان يَشُدون خلفه وهو عُريانٌ وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا في الدار . فلمّا بلغ إليّ وقف ، وتفرّقوا عنه فقال : يا أبا عبد الله[2] : [من الهزج]

رأيتُ النّاسَ يدعـوني بمجنـونٍ على حـالي
وما بـي اليومَ من جنٍّ ولا وِسواسٍ بَلبـالِ

---

1 النجار : 362 .
2 النجار : 365 .

ولكنْ قولُهم هذا لإفلاسي وإقلالي
ولو كنتُ أخا وَفْرٍ رَخيّاً ناعمَ البالِ
رأوني حسن العقلِ أُحُلُّ المنزل العالي
وما ذاك على خُبرٍ ولكن هيبةُ المالِ

قال : فأَدخلْتُه منزلي ، فأَكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلتُ له : تقدِر على أن تغيِّر تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف[1] : [من الهزج]

رأيتُ الناسَ يرمونـ ـيَ أحياناً بوِسواسِ
ومَن يَضبِطُ يا صاحِ مقالَ النّاسِ في النّاسِ
فدَعْ ما قاله النّاسُ ونازع صفوة الكاسِ
فتى حُرّاً صحيح الوُدّ ذا بِرٍّ وإيناسِ
فإن الخلْق مُغْرَون بأمثالي وأجناسي
ولو كنتُ أخا مالٍ أتَوني بين جُلاّسي
يُحِبُّوني ويَحْبُوني على العينينِ والراس
ويدعوني عزيزاً غيـ ـرَ أنّ الذلّ إفلاسي

ثم قام يبول ، فقال بعض مَن حضر : أيُّ شيء معنى عشرتِنا هذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سَكِر ؟ وفَطِن جُعَيفران للمعنى ، فخرج إلينا وهو يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

وندامى أكلوني إذ تغيّبْتُ قليلا
زعموا أنّيَ مجنو نٌ أرى العُرْي جميلا
كيف لا أعرى وما أُبـ ـصرُ في النّاسِ مثيلا
إن يكن قد ساءَكم قُر بي فخلُّوا لي سبيلا
وأتمّوا يومَكم سـ ـرَّكُمُ اللهُ طويلا

قال : فرقَقنا له ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذّ إلاّ بِقُربك ، وأتيناه بثوب ، فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

1 النجار : 361 .
2 النجار : 364 .

[يدعو على القاضي]

أخبرني جَحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال : تقدّم جُعَيفرانُ إلى أبي يوسُفَ الأعور القاضي بِسُرَّ مَن رأى في حكومة في شيء كان في يده من وَقفٍ له ، فدفعه عنه ، وقضى عليه . فقال له : أراني اللهُ أيُّها القاضي عينيكَ سواء ، فأمسَك عنه ، وأمر بردّه إلى داره .

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا بِه فقال له : ماذا أردتَ بدعائك ؟ أردتَ أن يَرُدّ الله على بصري ما ذهب ؟ فقال له : والله لئن كنْتَ وهبْتَ لي هذه الدراهم لأسخرَ منك لأنت المجنون لا أنا . أخبِرْني كم من أعورَ رأيتَه عَمي ؟ قال : كثيراً ، قال : فهل رأيتَ أعورَ صحّ قطُّ ؟ قال : لا . قال : فكيف توهّمْتَ عليّ الغلط ؟ فضحك وصرفه .

[مدحه أبا دُلَف]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسِمِ البرتيّ قال : حدَّثني علي بن يوسف قال : كنتُ عند أبي دُلَف القاسِمِ بنِ عيسى العِجْليّ فاستأذن عليه حاجبه لجُعَيفرانَ الموسوسِ ، فقال له : أيَّ شيء أصنع بمَوْسوس ؟ قد قضَينا حقوق العقلاء ، وبقي علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعلت فداء الأمير ! موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء ، وإن له لساناً يُتَّقى وقولاً مأثوراً يبقى ، فاللهَ اللهَ أن تَحجبه ، فليس عليك منه أذًى ولا ثِقَل ، فأذن له ، فلمّا مثَل بين يديه قال[1] : [من السريع]

يا أكرمَ العالمِ موجوداً ويا أعزّ الناسِ مفقودا
لما سألْتُ الناسَ عن واحدٍ أصبح في الأُمّةِ محمودا
قالوا جميعاً إنّه قاسِمٌ أشبهَ آباءً له صيدا
لو عَبدوا شيئاً سوى ربّهم أصبحْتَ في الأُمّةِ معبودا
لا زِلْتَ في نُعْمى وفي غِبطةٍ مكرَّماً في النّاسِ معدودا

قال ، فأمر له بِكُسوة وبألف درهم ، فلمّا جاء بالدراهم أخذ منها عشرة ، وقال : تأمر القَهْرمان أن يُعطِيَني الباقي مفرَّقاً كلّما جئت لئلاّ يضيع منّي ؛ فقال للقهرمان : أعطه المال ، وكلّما جاءَك فأعطِه ما شاء حتى يفرِّق الموت بيننا . فبكى عند ذلك جُعَيفران ، وتنفَّس الصعداءَ ، وقال[2] : [من المنسرح]

1 النجار : 370 .

2 لم يرد البيتان عند النجار.

يمـوتُ هـذا الذي أراه ... وكلُّ شيء لـه نفـادُ
لو غيرَ ذي العرشِ دام شيءٌ ... لـدامَ ذا المُفْضِلُ الجـوادُ

ثم خرج . فقال أبو دُلَفٍ : أنتَ أعلمُ به منّي . قال : وغَبَرَ عنّي مدّة ، ثم لقيني وقال : يا أبا الحسن ، ما فعل أميرُنا وسيِّدُنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشّوق إليك . فقال : أنا واللهِ يا أخي أشوقُ ، ولكنّي أعرِف أهلَ العسكر وشرَّههم وإلحاحَهم ، والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم ، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيَهم من العطيّة حتى يخرجَ فقيراً . فقلت : دَع هذا عنك وزُرْه ، فإن كثرةَ السؤال لا تضرُّ بماله . فقال : وَكيف ؟ أهو أيسرُ من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : والله لو يبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلَفٍ وأطمعهم في ماله كما يُطمعهم لأفقروه في يومَين ، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا . فقلت : هاته يا أبا الفضل ، فأنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

أبـا حسنٍ بلِّغَـنْ قاسمـاً ... بأنّـيَ لم أَجْفُـه عـن قِلى
ولا عـن مَـلال لإتيانـه ... ولا عن صُدود ولا عن غِنى
ولكـن تعفّفتُ عـن مالـه ... وأصفيتُـه مِدْحتـي والثنا
أبـو دُلَـف سيّدٌ ماجـد ... سنيّ العطيّـة رَحـب الفِنا
كريـمٌ إذا انتابـه المعتفـو ... نَ عمَّهـمُ بجزيـل الحِبا

قال : فأبلغتُها أبا دُلَف ، وحدَّثته بالحديث الذي جرى ، فقال لي : قد لقِيتُه منذ أيّام ؛ فلمّا رأيته وقفْتُ له ، وسلّمت عليه ، وتحفّيت به ، فقال لي : سِرْ أيّها الأمير على بركة اللهِ ، ثم قال لي[2] : [من الرجز]

يا مُعديَ الجود على الأموالِ ... ويـا كريمَ النفْس في الفعالِ
قـد صُنْتَني عن ذِلّة السؤالِ ... بِجُـودك المـوفي على الآمالِ
صانـكَ ذو العزّةِ والجلالِ ... مِـن غِيَرِ الأيّـام والليالي

قال : ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلَف ويَبَرّه حتى افترقا .

[يهجو نفسه]

سمعْتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ ، عمَّ أبي رحمه الله يحدّث فحفظت الخبر ، ولا أدري أذكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد ، قال : كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجّاء ، لا يسلم عليه أحد ،

1 النجار : 368 عن الأغاني .

2 ليست مما جمعه النجار .

فاطّلع يوماً في الحُبّ ، فرأى وجهه قد تغيّر ، وعفا شعره فقال[1] : [من المجتث]

ما جَعفرٌ لأبيه ولا له بشبيهِ
أضحى لقوم كثيرٍ فكلّهمْ يدعيهِ
هذا يقولُ بُنَيّي وذا يخاصمُ فيهِ
والأمُّ تضحكُ منهم لِعلمها بأبيهِ

[صحة حدسه في الجارية]

حدَّثني محمد بنُ الحسنِ الكِنديّ خطيب القادسيّة قال : حدَّثني رجل من كتّاب الكوفة قال : اجتاز بي جُعَيفرانُ مرّة فقال : أنا جائع ، فأيَّ شيء عندك تُطعمني ؟ فقلت : سَلْق بِخَرْدَل . فقال : اشتَرِ لي معه بطِّيخاً ، فقلت : أفعل ، فادخُل ، وبعثْت بالجارية تجيئه به ، وقدَّمتُ إليه الخبز والخَرْدل والسّلق ، فأكل منه حتى ضجِر ، وأبطأت الجاريةُ ، فأقبَل عليّ وقد غضب فقال[2] : [من مجزوء الخفيف]

[يهجو جارية مضيفه لتأخرها في شراء بطيخ له]

سَلَقتْنا وخَرْدَلتْ ثم ولَّت فأَدبَرَتْ
وأَراها بواحدٍ وافِرِ الأيرِ قدْ خلَتْ

قال فخرجْتُ ، يشهد اللهَ ، أطلبها ، فوجدتُها خالية في الدِّهليز بسائس لي على ما وصف .

صوت

[من الخفيف]

ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقَة خاخٍ ومَصِيف بالقصرِ قصرِ قُباءِ[3]
كفِّنوني إن مِتُّ في دِرع أَروى واجعلوا لي مِنْ بئر عُروة مائي[4]
سُخنةٌ في الشتاءِ باردة الصيـ ـفِ سراجٌ في الليلةِ الظلماءِ

الشعر للسّرِيّ بنِ عبد الرّحمن ، والغناء لمعبَد ، ثقيل أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ : قال : وفيهما ، يعني الثالث والأوّل ، رمَل مطلَق في مجرى الوسطى .

1 النجار : 367 .
2 النجار : 369 عن الأغاني .
3 برقة خاخ : موضع بين الحرمين . وقصر قباء : موضع قرب المدينة .
4 بئر عروة : بالعقيق ، نسبة إلى عروة بن الزبير .

[418] ـ أخبار السري ونسبه[1]

السريُّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيمِ بنِ ساعدة الأنصاريّ ، ولجدّه عويم بن ساعدةَ صحبة بالنبيّ ، ﷺ .

[شعره وشخصه]

والسريّ شاعر من شعراء أَهل المدينة ، وليس بمُكثِرٍ ولا فحلٍ ، إلاّ أَنّه كان أَحدَ الغزِلين والفتيانِ والمنادمين على الشراب . كان هو وعُتَير بن سهل بن عبد الرحمن بن عَوف ، وجُبَيرُ بنُ أيمنَ ، وخالدُ بن أبي أيوبَ الأنصاريّ يتنادمون . قال : وفيهم يقول : [من الطويل]

إذا أَنت نادمتَ العُتَيرَ وذا النَّدى جُبَيراً ونازعتَ الزّجاجةَ خالِدا
أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أَن تُقرعَ العصا وأَن يُنبِهوا من نومةِ السُّكْرِ راقدا[2]

غنّاه الغَريض ثقيلاً .

[هجا النصيب والأحوص فلم يجيباه]

وكان السريّ هذا هَجا الأحوصَ ، وهَجا نُصَيباً ؛ فلم يجيباه .

أَخبرني الحِرْميّ بنُ أَبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عمِّي ، وأَخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أَبيه عن ابنِ الكلبيِّ قالا : جلس النُّصيب في مسجد النبيّ ، ﷺ ، فأنشدَ ، وكان إذا أنشد لوى حاجبَيه ، وأشار بيده ، فرآه السريُّ بنُ عبدِ الرحمن الأنصاريُّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال : [من الوافر]

فقدتُ الشعرَ حين أَتى نُصيباً أَلَم تستَحي من مَقْتِ الكرامِ
إذا رَفَع ابنُ ثَوبةَ حاجبَيه حسبتُ الكلبَ يُضربُ في الكِعامِ[3]

قال : فقال نصيبٌ : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا ابنُ عُوَيم الأنصاريُّ ، قال : قد وهبتُه لله عزَّ وجلَّ ولرسولِه ، ﷺ ، ولعُوَيم بنِ ساعدةَ . قال : وكان لعُوَيم صحبةٌ ونصرةٌ .

[تشبيبه بزينب]

أُخبرني الحِرْميُّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ قال : حدَّثني عمِّي عن عبدِ الرحمنِ بن عبد الله العُمَريِّ

---

1 للسري بن عبد الرحمن ترجمة في الوافي 15 : 141–142 .

2 قَرع العصا لتنبيه الغافل كما في المثل «لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا» . ويروى من «سكرة النوم» .

3 الكعام : الكمامة .

قال : كان السريُّ قصيراً دميماً أزرقَ ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُشبِّب بها . فخرج إلى البادية فرآها في نِسوةٍ ، فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابَه ، وأخذ منه جُبّته وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النِّسوة فلم يحفِلن به ، وظنَنَّ أنّه أعرابيّ ، فأقبل يُقلِّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهنّ ، فقلن له : أذهَب منك يا راعيَ الغنمِ شيء فأنتَ تَطلبُه ؟ فقال : نعم . قال : فضربتْ زينب بكُمّها على وجهها وقالت : السريّ والله ، أخزاه اللهُ ! فأنشأ يقول : [من البسيط]

صوت

مــا زال فينا سقيمٌ يُستَطبُّ له ... مِــن ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأَحدِ
حُزْتِ الجَمالَ ونشراً طيِّباً أَرِجاً ... فمــا تُسمَّينَ إلاّ مِسكــةَ البلدِ
أمّا فؤادي فشيءٌ قد ذهبتِ بـه ... فما يضرُّكِ ألا تَحرُبي جسدي[1]

[المهدي يعجب بغزله]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا أَحمد بن أَبي خَيْثمةَ قال : حدَّثنا مُصعبٌ الزُّبيْريّ قال ، قال أبي : قال لي المهديّ : أنشدني شعراً غزِلاً ، فأنشدتُه قولَ السريِّ بنِ عبد الرحمن : [من البسيط]

ما زال فينا سقيمٌ يُستَطبُّ له ... من ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ

فأَعجبَتْه ، وما زال يَستعيدها مِراراً حتى حفِظها .

[يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم]

أَخبرني الحسنُ قال : حدَّثني أَحمدُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سلاّم الجُمحيُّ قال : كان السريُّ بنُ عبدِ الرحمن ينادم عُتيرَ بن سَهل بنِ عبد الرحمن بنِ عَوفٍ وجُبيرَ بنَ أيمنَ بن أُمِّ أيمن مولى النبيِّ ، ﷺ ، وخالدَ بنَ أبي أَيّوب الأنصاريِّ ، وكانوا يشربون النبيذَ ، وكلّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدرِ مستوراً ، فقال السريّ : [من الطويل]

إذا أَنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا النَّدى ... جُبَيراً ونازعتَ الزجاجــةَ خالدا
أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أَن تُقرَعَ العصا ... وأَن يُنْبهوا من نومةَ السُّكر راقدا

فقالوا : قبحَك اللهُ ! ماذا أَردت إلى التنبيه علينا والإذاعةِ لسرنا ؟ إنّك لحقيق ألاَّ نُنادمَك . قال : واللهِ ما أَردتُ بكم سوءاً ، ولكنّه شِعر طفح فنَفثته عن صدري ، قال : وخالدُ بن أَبي أَيّوب الأنصاريُّ الذي يقول : [من الطويل]

---

1 تحربي : تسلبي .

صوت

أَلا سقِّني كأسي ودعْ قولَ مَن لَحى ورَوِّ عظامــاً قَصْرُهــن إلى بِلى[1]
فإن بُطُوءَ الكأس مَوْتٌ وحبسَها وإنَّ دِراكَ الكأس عندي هو الحيا[2]

الغِناءُ في هذين البيتين هو لِعبدِ الله بنِ العبّاس الرّبيعيّ ، خفيف رمل بالبِنْصر عن عَمْرو بن بانةَ .

[التمثّل بشعره في طلب الشراب]

أَخبرني أَبو الحسنِ الأسديُّ قال : حدَّثني سليمانُ بن أَبي شيخٍ قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عبدالله الزُّبيريُّ قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عثمانَ قال : حدَّثني عُبَيدُ الله بن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال : خرجتُ وأنا غلام أَدُور في السككِ بالمدينةِ فانتهيتُ إلى فناءٍ مَرشوش وشابٌّ جميلِ الوجهِ جالسٍ ، فلمّا رآني دعاني ، ثم قال لي : مَن أنتَ يا غلامُ ؟ فقلت عُبيدُ اللهِ بنُ عروة بن الزُّبيرِ . فقال : اجلس ، فجلستُ ، فدَعا بالغَداء فتغدَّينا جميعاً ، ثم قال : يا جاريةُ ؛ فأقبلَتْ جاريةٌ تتهادى كأنّها مَهاةٌ ، وفي يدِها قِنِّينيةٌ فيها شرابٌ صاف وقلّةُ ماءٍ وكأسٌ ؛ فقال لها : اسقيني ؛ فصبّت في الكأسِ وسَكَبَتْ عليه ماءً وناولتْه ، فشرب ثم قال : سقّيه ؛ فصبَّتْ في الكأس وسكَبتْ عليه ماءً وناولتْني . فلمّا وجدتُ رائحتَه بَكيتُ ؛ فقال : ما يبكيك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنَّ أهلي إن وجدوا رائحةَ هذا منّي ضربوني ، فأقبل على الجاريةِ بوجههِ ، وقال لها يخاطبها : [من الطويل]

أَلا سقّني كأسي ودعْ عنكَ مَن أَبى ورَوِّ عظامــاً قَصْرُهــنَّ إلى بِلى

فأخذتْه من يدي وأعطتْه ؛ فشربه ، وقمتُ فلمّا جاوزتُه سألت عنه فقيل لي : هذا خالد بن أبي أيّوب الأنصاريّ الذي يقول فيه الشاعر : [من الطويل]

إذا أَنتَ نادمتَ العُتَيْر وذا النَّدى جُبَيْراً ونازعتَ الزجاجــةَ خالدا
أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أن تُقرعَ العصا وأن يوقِظُوا من سَكرةِ النَّومِ راقدا
وصرتَ بحمدِ اللهِ في خيرِ عُصبةٍ حسانِ النَّدامى لا تخاف العَرابدا

[ابن الماجشون يصرّ على إخراجه]

أُخبرنا وكيعٌ قال : حدَّثنا محمد بن عليٍّ بنِ حمزةَ قال : حدَّثني أَبو غَسانَ عن محمدِ بن يحيى بنِ عبد الحميد قال : كان السريُّ بن عبدِ الرحمن يختلف إلى قينة ، فجاء ابن الماجِشونِ

1 قصرهن : غايتهن .
2 البطوء : ضد السرعة .

فقال : لا أُدخل حتى يخرج السريّ ؛ فأُخرجتْه فقال السريّ : [من الخفيف]

قَبَّح اللهُ أُهــلَ بيتٍ بِسَلْعٍ أُخرجوني وأدخلوا الماجشونا
أَدخَلوا هِــرّةً تُلاعب قِرداً مــا نراهمْ يرَوْن مــا يصنعونا

[شعره في الأمتين]

أُخبرني الحسن قال : حدَّثنا أَحمد بن زهيرٍ قال حدَّثني مصعبٌ قال : أَنشدني أَبي لِلسّريّ بنِ عبد الرحمن في أَمَة الحميدِ بنتِ عبدِ الله بنِ عبّاس وفي ابنتها أَمةِ الواحد : [من مجزوء الكامل]

أَمَــةُ الحميــدِ وبنتُهــا ظَبيــانِ في ظــلِّ الأَراكِ
يتَتَبَّعــان بَريـــره وظلالَــه فهمــا كذاك[1]
حُــذيَ الجَمــالُ عليهما حَذْوَ الشِّراك على الشِراكِ

[يتمنى أن يكون مؤذناً]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني محمد بن الحسنِ بن مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثني يحيى بن عثمانَ بن أبي قَباحةَ الزُّهْريّ قال : أَنشدني أبو غسان صالح بن العبّاسِ بن محمدٍ ، وهو إذ ذاك على المدينة ، لِلسريّ بن عبد الرحمن : [من الخفيف]

ليتَنــي في المؤذِّنـين نَهــاراً إنّهم يبصرون مَن في السطوحِ
فيشيرون أو يُشار إليهـــمْ حَبّــذا كلّ ذات جيــد مليحِ

قال : فأَمر صالحٌ بِسَدِّ المنار ، فلم يقدرْ أحدٌ على أن يُطْلعَ رأسَه حتى عُزل صالح . أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني زُبير بن بكّار عن عمِّه : أَنّ السريّ بنَ عبد الرحمن وقف على عمرَ بنِ عمرو بنِ عثمانَ ، وهو جالسٌ على بابه والنّاس حولَه ، فأنشأ يقول : [من الخفيف]

يا ابن عثمانَ يا ابن خيرِ قريشٍ أَبْغنــي مــا يَكفُنــي بقُباء
ربّمــا بَلَّنــي نداكَ وجَلَّــى عــن جبيني عجاجةَ الغُرَماء

فأعمرَه أَرضاً بقُباء ، وجعلها طُعْمةً له أَيّامَ حياته ، فلم تَزلْ في يده حتى مات .

[معبد يغنّي بشعره]

أُخبرني وسواسة بن الموصليّ ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، عن عزيز بن طلحة ، قال : قال معبد : خرجت من مكّة أُريد المدينة ، فلمّا كنت قريباً من المنزل أُريت

1 البرير : ثمر الأراك .

بيتاً فعدلت إليه ، فإذا فيه أسود عنده حُبّان من ماء وقد جَهدني العطش ، فسلّمت عليه واستسقيت ، فقال : تأخّر عافاك الله ؛ فقلت : يا هذا ، اسقني جرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً ، فقال : والله لا تذوق منه جُرعة ولو مِتّ ، فرجعتُ القهقرى ، وأنختُ راحلتي واستظللت بظلّها من الشمس ، ثم اندفعت أغنّي ليبتلّ لساني : [من الخفيف]

كفّنوني إن مِتُّ في درعِ أَروى واستقوا لي من بئرِ عروةَ مائي

فإذا أنا بالأسودِ قد خرج إليّ ومعه قدح جيشانيّ[1] فيه سَويق ملت بماء بارد ، فقال : هل لك في هذا أرب ؟ قلت : قد منعتني ما هو أقلّ منه : الماء . فقال : اشرب ، عافاك الله ، ودع عنك ما مضى ، فشربت . ثم قال : أعد ، فديتك ، الصوت ، فأعدته ، فقال : هل لك ، بأبي وأمّي ، أن أحمل لك قربة من ماء ، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد عليّ هذا الصوت حتى أتزوّد منه ، وكلّما عطشت سقيتك ؟ قلت : افعل ، ففعل وسار معي ، فما زلت أُغنّيه إيّاه ، وكلّما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

صوت[2]

[من مجزوء الكامل]

سَلَبَ الشبابُ رِداءه عنّي ويتبعُه إزارُهْ
ولقد تحلُّ عليّ حلّـ ـته ويعجبني افتخارُهْ[3]
سائلْ شبابي هل مسكـ ـتُ بسَوْءَةٍ أو ذَلّ جارُهْ[4]
ما إن ملكتُ المالَ إلاّ كان لي وله خيارُهْ[5]

ويروى : هل أُسأت مساكه .

الشعر لمسكينٍ الدارميّ ، والغناء لِمقّاسة بن ناصح ، خفيف رملٍ بالبِنصر عن عمرو .

---

1 جيشاني : منسوب إلى جيشان ، مخلاف باليمن .
2 ديوان مسكين الدارمي : 36–37 .
3 الديوان : ولقد يحل عليّ حلّته فيعجبني فخاره
4 الديوان :
واسأل شبابي هل أهنـ ـت مساكه أو ذل جاره
5 الديوان : أم هل كسبت المال إلا عاد لي . . .

[419] ـ أخبار مسكين ونسبه[1]

[نسبه]

مسكينٌ لقبٌ غَلب عليه ، واسمُه ربيعةُ بنُ عامرِ بنِ أُنيفِ بن شُريح بن عمرٍو بنِ زيدِ بنِ عبد الله بن عُدُسِ بنِ دارمِ بنِ مالك بن زيدِ مناةَ بنِ تميم . وقال أبو عمرو الشيبانيُّ : مسكينُ بن أُنيفِ بن شُريحِ بنِ عمرٍو بنِ عُدُس بنِ زيدِ بن عبدِ اللهِ بنِ دارمِ بنِ مالكِ بنِ حنظلةَ بنِ مالكِ بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ .

[سبب تلقيبه بمسكين]

قال أبو عمرو : وإنّما لُقب مسكيناً لقوله[2] : [من الرمل]

أنــا مسكينٌ لمَــن أنكــرني ... ولِمَــن يَعرفنــي جِـدَّ نُطُقْ
لا أَبيعُ الناسَ عِرضي إنّنــي ... لـــو أَبيعُ الناسَ عِرضي لَنَفقْ

وقال أَيضاً[3] : [من الطويل]

سُمّيتُ مسكيناً وكانت لجاجةً ... وإنّي لمسكينٌ إلى اللهِ راغبُ

وقال أَيضاً[4] : [من الطويل]

إنْ أُدعَ مسكيناً فلستُ بمنكَرٍ ... وهل تُنكرَنَّ الشمسُ ذَرَّ شعاعُها
لَعَمرِكَ ما الأَسماءُ إلاّ علامــةٌ ... منارٌ ومن خيرِ المنارِ ارتفاعُها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه ، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلَت منها .

[تهاجيه مع الفرزدق]

حدَّثني حبيبُ بنُ أَوسِ بن نصر المهلبيُّ قال : حدَّثنا عُمر بن شَبَّة عن أَبي عبيدة قال : كان

---

1 ترجمة مسكين الدارمي في الشعر والشعراء : 455–456 والسمط : 186 وتهذيب ابن عساكر 5 : 303 والوافي 14 : 97 وخزانة البغدادي 3 : 69–73 ومعجم الأدباء (عباس) : 1299–1301 وله أشعار في أمالي المرتضى وأنساب الأشراف وشرح النهج والطبري . وقد جمع شعره خليل إبراهيم العطيّة وعبد الله الجبوري (بغداد 1970) وإليه نشير .

2 ديوان مسكين الدارمي : 56 .

3 ديوانه : 24 .

4 ديوانه : 53 .

زياد قد أَرْعى مسكيناً الدارميَّ حِمًى له بناحية العُذَيب[1] في عام قَحطٍ حتى أَخصب النّاسُ وأَحْيَوا ، ثم كتب له بِبُرٍّ وتَمر وكَساه . قال : فلمّا مات زيادٌ رثاه مسكين ، فقال[2] : [من الوافر]

رأَيتُ زيـادةَ الإسلامِ ولَّتْ ‏ ‏ ‏ ‏ جِهـاراً حـين وَدَّعَنا زيادُ

فعارضه الفرزدق ، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إيّاه وإخافته له ، فقال[3] : [من الطويل]

أَمسكينُ أَبكـى اللهُ عينَـك إنّما ‏ ‏ ‏ ‏ جـرى في ضلالٍ دَمْعُها فتحدّرا
بكيـتَ على عِلْـجٍ بمَيسان كافرٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ككسرى على عِدَّانِه أَو كقيصرا[4]
أَقولُ لـه لّمـا أَتاني نعيُّه : بـه ‏ ‏ ‏ ‏ لا بظبـي بالصريمـةِ أَعفرا[5]

فقال مسكين يجيبه[6] : [من الطويل]

أَلا أَيُّها المرءُ الذي لستُ قاعداً ‏ ‏ ‏ ‏ ولا قائماً في القومِ إلاّ انبرى ليَا
فجئني بعـمٍّ مثلَ عمّـيَ أَو أَبٍ ‏ ‏ ‏ ‏ كمثل أَبي أَو خالِ صدقٍ كخاليا
كعمرو بن عمرو أَو زرارةَ ذي النَّدى ‏ ‏ ‏ ‏ أَو البِشْر مِـن كلٍّ فرعتُ الروابيا

قال : فأَمسك الفرزدق عنه ، فلم يجبه ، وتكافّا .

أَخبرني ببعض هذا الخبر أَبو خليفة عن محمد بن سلاّم ، فذكر نحواً مّما ذكره أَبو عُبيدة وزاد فيه ، قال : والبشر خالٌ لمسكين من النَّمِر بن قاسِط ، وقد فخَر به ، فقال[7] : [من الوافر]

شُرَيحٌ فـارس النُّعمان عمّـي ‏ ‏ ‏ ‏ وخالي البِشرُ بشرُ بني هلالِ

---

1 العذيب : موضع قرب القادسية .
2 ديوانه : 30 .
3 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 201 .
4 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وعدانه : زمانه .
5 المثل «به لا بظبي (بالصرائم) أعفرا» : في الدرة الفاخرة 2 : 391 ومجمع الميداني 1 : 190 ومستقصى الزمخشري 2 : 16 وجمهرة العسكري 2 : 207 ، ويضرب للشماتة . والصريمة (الصرائم) : موضع . وأعفر : ليس بالشديد البياض أو في بياضه حمرة .
6 ديوانه : 68 .
7 الديوان :

وآبائـي بنـو عدس بن زيـد ‏ ‏ ‏ ‏ وخالي البشر بشر بني هلال
شريح فارس النعمان جـدي ‏ ‏ ‏ ‏ ونازلهـا إذا دعيـت نـزال
وقاتل خاله . . .

ديوانه : 60 ، 63 .

وقاتِــلُ خالِــه بأبيــه منّــا سماعَــةُ لم يبــع حسباً بمالِ

وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا الحزنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أبيه بمثل هذه الحكاية ، وزاد فيها ، قال : فتكافّا واتّقاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً ، واتّقاه مسكين أن يعين عليه عبدَ الرحمن بنَ حسّان بن ثابت . ودخل شيوخ بني عبد الله وبني مُجاشع ، فتكافّا .

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا أبو غسانَ دَماذُ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال : قال الفرزدق : نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً : نجوتُ من زياد حين طلبني ، ونجوتُ من ابني رُمَيلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطُّ ، ونجوتُ من مهاجاة مِسكينٍ الدارميِّ ؛ لأنّه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شَطر حسَبي وفخري ، لأنّه مِن بُحبوحَة نسبي وأشراف عشيرتي ، فكان جرير حينئذٍ ينتصف منّي بيدي ولساني .

[أشعر ما قيل في الغيرة]

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمود بن داودَ عن أبي عِكرمة عامِر بنِ عمران عن مسعودِ بنِ بِشر عن أبي عبيدة أنّه سمعه يقول : أشعرُ ما قيل في الغَيْرة قول مسكين الدارميّ[1] : [من المتقارب]

أَلا أيُّهــا الغائـــرُ المستشيـــ ـــطُ فيــمَ تغــارُ إذا لم تُغَرْ
فمــا خيرُ عِـرْسٍ إذا خفتَها ومــا خيرُ عِرسٍ إذا لم تُزَرْ[2]
تغــارُ على الناسِ أن ينظـروا وهــل يَفتِنِ الصالحاتِ النظَرْ
وإنّــي سأُخـلي لهــا بيتها فتحفــظُ لي نفسها أو تــذرْ
إذا اللهُ لم يُعطنــي حُبَّهـــا فلن يُعطيَ الحُبَّ سوطٌ مُمَرّ[3]

[معاوية يفرض له بعد تردد]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ عمرِو بن أبي سعدٍ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ مالك الخزاعيّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ بَشير قال : أخبرني أيّوب بن أبي أيّوب السعديُّ قال : لما قدِم مسكينٌ الدارميّ على معاوية فسأله أن يَفرض له فأبى عليه ، وكان لا يفرض إلاّ لليمن ، فخرج مِن عنده مسكين وهو يقول[4] : [من الطويل]

1 ديوانه : 40–41 .

2 الديوان : وما خير بيت إذا لم يزر .

3 حُبَّها في الديوان : ودها . وسوط ممر : سوط مفتول فتلاً شديداً .

4 ديوانه : 29 . وقد أصبحت أبيات مسكين الدارميّ هذه أمثالاً (انظر مجمع الميداني 1 : 23 و2 : 404 وفصل المقال : 269 ومستقصى الزمخشري 2 : 392 .

أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخاً له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرء فاعلم جَناحه ... وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَناحِ
وما طالبُ الحاجاتِ إلاّ مغرّرٌ ... وما نالَ شيئاً طالب كنجاحِ

قال السعديّ : فلم يزل معاوية كذلك حتى عَزَّت اليمنُ وكثرت ، وضُعضعتْ عدنانُ ، فبلغ معاويةَ أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً : لهَمَمْتُ ألاّ أدَعَ بالشام أحداً من مضَرَ ، بل همَمْتُ ألاّ أحُل حبوتي حتى أُخرج كل نِزاريّ بالشام ، فبلغَت معاويةَ ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِندف ، وقَدِمَ على تفئة[1] ذلك عُطارد بن حاجب عَلى معاوية ، فقال له : ما فعل الفتى الدارميُّ الصبيحُ الوجهُ الفصيحُ اللسان ؟ يعني مسكيناً ، فقال : صالح يا أمير المؤمنين . فقال : أعلمْه أنّي قد فرضت له في شرَف العطاء وهو في بلاده ؛ فإن شاء أن يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشِّره أنّي قد فرضتُ لأربعة آلاف من قومه من خِندِف ؛ قال : وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمنَ في البحر ، ويُغزي قيساً في البرّ ، فقال شاعر اليمن : [من الطويل]

ألا أيُّها القومُ الذينَ تجمّعوا ... بَعَكَّا أُناسٌ أنتمُ أم أباعرُ
أتُتْرك قيسٌ آمنينَ بدارهم ... ونركبُ ظَهر البحر والبحرُ زاخرُ
فواللهِ ما أدري وإنّي لسائل ... أهمدانُ يُحمى ضَيْمها أم يُحابرُ
أمِ الشرف الأعلى من آولادِ حِمير ... بنو مالك إذ تَستمر المرائرُ[2]
أأوصى أبوهم بينهم أن تَواصَلوا ... وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال ، ويقال : إن النجاشيّ قال هذه الأبيات .

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمدَ بنِ الحارثِ العدَويّ عن محمدِ بنِ عائد عن الوليدِ بنِ مسلمٍ عن إسماعيلَ بن عَيّاشٍ وغيرِه ، قالوا : فلمّا بلغَت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم ، وقال : ما أغزيتكمُ البحرَ إلا لأنّي أتيمن بكم ، وأنّ في قيس نَكَداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر ، وأنا عارف بطاعتكم ونُصحكم . فأمّا إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقَباً[3] بينكم ، فرضُوا فِعل ذلك فيما بعد .

---

1 تفئة ذلك : على حينه وزمانه .
2 تستمر المرائر : تستحكم العزائم .
3 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

[تمثل بشر بن مروان بأبياته]

حدَّثني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ زهير بن حرب قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عبد الله قال : وحدَّثنيه زُبيرٌ عن عمِّه قال : كان أصاغر ولَد مروان في حِجر ابنه عبد العزيز بن مروان ، فكتب عبد العزيز إلى بِشر كتاباً ، وهو يومئذٍ عَلى العراق ، فورد عليه وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمَر بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً ، فلمّا ورَد عليه عَلِم أنّه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً . وبلغ بشراً عَتْبه عليه ، فكتب إليه : لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر ، ولم يكن لك في قبوله منّي الفضل . ولو احتَمل الكِتابُ أكثر مِمّا ضمّنته لزدت فيه ، وبَقِيَّةُ[1] الأكابر عَلى الأصاغر من شيمِ الأكارم . ولقد أحسن مسكينٌ الدارميّ حين يقول : [من الطويل]

أَخاكَ أَخاكَ إنَّ مَن لا أَخاً له ... كساعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرءِ فاعلمْ جَناحُه ... وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناحِ

قال : فلمّا وصل كتابُه إلى عبد العزيز دَمَعت عينه ، وقال : إنّ أَخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى ، فسلُوا عمّن شهِد ذلك المجلس ؛ فسئل عنهم ، فأخبر بهم ، فقَبِل عذره ، وأقسم عليه ألاّ يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس ، وأن يعزلَ كاتبه عن كتابته ، ففعل .

[الثلاث التي نجا منها الفرزدق]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسين الكِنديُّ خطيبُ القادسيّة قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن أَبي عُبيدة عن أَبي عمرو قال : كان الفرزدق يقول : نجوتُ من ثلاث أرجو ألاّ يصيبني بَعدهن شرّ : نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُمَيلة أبي البَذال فلم تقع في رأْسي ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ . ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمّي ، وقطع لساني عن الشعراء .

[يفتخر بسواده ونسبه]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثنا أَبو العيناء عن الأصمعيّ قال : خطب مسكينٌ الدارميّ فتاةً من قومِه فكرِهَته لسواد لونه وقلّة ماله ، وتزوَّجَتْ بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين ، فمرَّ بهما مسكين ذات يوم ، وتلك المرأة جالسة مع زوجها ، فقال[2] : [من الرمل]

---

1 بقية : إبقاء .

2 ديوان مسكين : 22–24 .

أنـا مسكينٌ لِمَـن يعرفني ... لَونيَ السُّمـرة ألوانُ العَربْ
مَـن رأى ظبياً عليـه لؤلؤ ... واضحَ الخدّيْنِ مقروناً بضبْ
أكْسَبَتْـه الـورِقُ البيضُ أبـاً ... ولقـد كان ومـا يُدعى لأبْ
رُبَّ مهـزولٍ سمـينٌ بيتُـه ... وسمـينِ البيتِ مهزُولُ النسبْ
أصبحتْ تُرزَق مِن شحم الذُّرا ... وتخـال اللـؤم ذُرّا يُنتَهبْ[1]
لا تَلُمهـا إنّهـا مـن نِسوة ... صَخِباتٍ مِلْحُها فوق الرُّكبْ[2]
كشَموسِ الخيـلِ يبدو شَغْبُها ... كلّما قيـل لهـا هالٌ وَهَبْ[3]

[يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق الموصليُّ قال : حدَّثني أبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبد الله بن عيّاش قال : كان يزيد بن معاوية يُؤْثر مسكيناً الدارميّ ، ويَصِلِه ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلمّا أراد معاوية البيعةَ ليزيدَ تهيّب ذلك وخاف ألاّ يمالئه عليه النّاس ، لِحُسن البقيّة فيهم ، وكثرة مَن يُرَشَّحُ للخلافة ، وبلغه في ذلك ذَرْء[4] كلام كرهَهُ من سعيدِ بن العاص ومروانَ بنِ الحكم وعبدِ الله بن عامر . فأمَر يزيدُ مسكيناً أن يقولَ أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية ، فلمّا اتّفق ذلك دخل مسكين إليه ، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أُميّة حواليه وأشراف النّاس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول[5] : [من الطويل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فإنّي ابنُ معشَر ... مِـن النّاسِ أَحمـي عنهمُ وأذودُ
إليـكَ أميرَ المؤمنـين رَحْلتُهـا ... تُثيرُ القطـا ليـلاً وهـنَّ هُجودُ
وهاجرةٍ ظلّـتْ كأنَّ ظباءَهـا ... إذا مـا اتَّقَتْهـا بـالقرونِ سجودُ

صوت

ألا ليتَ شعري ما يقولُ ابن عامر ... ومروانُ أم مـاذا يقـول سعيدُ ؟

1 الذرى : أعلى السنام . وفي الديوان : تتفل من شحم الذرى .
2 المثل : «ملحه على ركبته» في مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 232 . وهو مثل يضرب للذي يغضب من كل شيء ويكون سيّء الخلق .
3 هال وهب : لفظان لزجر الخيل .
4 ذرء : الشيء .
5 ديوان مسكين : 31-34 .

بَنـــي خلفـــاءِ اللهِ مهـــلاً فإنّما يُبوِّئها الرحمـــنُ حيـــث يريـــدُ
إذا المِنبرُ الغربـــيّ خـــلاَّه ربُّـــه فـــإنَّ أَميرَ المؤمنـــين يزيـــدُ

الغناء لِمَعبَد ثقيلٌ أَوّلُ بالبِنصَر ، عن عمرو بن بانة :

على الطائرِ الميمونِ والجَدُّ صاعدُ لِكـــلِّ أُنـــاسٍ طائـــرُ وجُـــدودُ
فلا زلتَ أَعلى النّاس كعباً ولا تَزَلْ وفـــودٌ تُساميهـــا إليـــك وفودُ
ولا زالَ بَيت المُلك فوقَك عالياً تُشَيَّد أَطنـــاب لـــه وعَمـــودُ
قُدُور ابنِ حرب كالجوابي وتحتها أَثـــافٍ كأَمثـــال الرئالِ رُكودُ[1]

فقال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولَم يتكلّم أَحد من بني أُميّة في ذلك إلاّ بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أراده يزيد ليَعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

[مغن يغيّر شطر بيت]

أَخبرني محمدُ بن خلَفٍ قال : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا أَبو معاويةَ بنُ سعيدِ بنِ سالم قال : قال لي عَقيد : غنَّيت الرشيد :

إذا المِنبر الغربيّ خـــلاَّه ربّه

ثم فطِنْت لخطئي ، ورأَيتُ وجه الرشيد قد تغيّر ، قال : فتداركتها وقلت :

فـــإن أَميرَ المحسنـــينَ عقيدُ

فطرِب ، وقال : أَحسنتَ واللهِ ، بحياتي قلْ :

فـــإنّ أَميرَ المؤمنـــين عقيدُ

فواللهِ لأَنت أَحقّ بها مِن يزيدَ بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف لا أُغنِّيه إلاّ كما أَمَر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرطال ، ووصلني صلة سنيّة .

[عَلّقتْ امرأته على شعره فضربها]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أَخي الأصمعيّ قال : حدَّثني عمِّي قال : كانت لمسكينٍ الدارميّ امرأةٌ من مِنقر ، وكانت فاركاً[2] كثيرةَ الخصومةِ والمُماظَّةِ[3] ،

1 الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الذي يجمع فيه الماء للإبل . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النّعام .
2 الفارك : المبغضة زوجها .
3 المماظة : المنازعة والمشادة .

فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه[1] . [من الكامل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فما قَصَرَتْ قِدْري بيوتُ الحـيّ والجُدْرُ

فوقفَتْ عليه تَسمع حتى إذا بلغ قوله :

نـاري ونـارُ الجارِ واحـدةٌ وإليـه قَبـلي تُنزَلُ القِـدرُ

فقال له : صدقت والله ، يجلس جارُك فيطبُخ قدره ، فتصطلي بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب ، فإذا شبع أطعمك ، أَجَلْ واللهِ ، إن القدرَ لتَنزلُ إليه قبلكَ ، فأعرض عنها ، ومرَّ في قصيدته حتى بلغَ قوله : [من الكامل]

مـا ضرَّ جـاراً لي أُجاوره ألاّ يكـونَ لبيتـه سـترُ

فقالت له : أجل ، إن كان له ستر هتكته ، فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما . وهذه القصيدة من جيدِ شعره .

صوت

[من البسيط]

يا فرحتا إذ صرَفْنا أوجه الإبلِ نحوَ الأحبّةِ بالإزعاجِ والعجَلِ

نحثُّهنَّ ومـا يؤتَيْنَ من دأَبٍ لكنَّ للشوقِ حَثّاً ليس للإبلِ

الشعر لأبي محمد اليزيديّ[2] ، والغِناء لسليمانَ ، ثقيل أوّل بالبِنصَر عن عمرو ، والهشاميّ .

---

1 ديوان مسكين : 43–45 .

2 شعر اليزيديين (غياض) : 69 .

[420] ـ أخبار أبي محمد ونسبه[1]

أبو محمد يحيى بنُ المبارَك ، أَحَد بني عديٍّ بنِ عبد شمس بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم .

سمِعْتُ أبا عبد الله محمدَ بنَ العبّاس بنِ محمد بن أبي محمدٍ اليزيديَّ يذكر ذلك ، ويقول : نحنُ مِن رَهْط ذي الرُّمّةِ .

[تسميته اليزيديّ]

وقيل : إنّهم موالي بني عديّ ، وقيل لأبي محمدٍ : اليزيديُّ لأنّه كان فيمن خرج مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتى استَتر أمرُه ، ثم اتّصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصور خالِ المهديّ ، فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه . وأدَّب المأمونَ خاصةً من ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولادهُ منقطعين إليه وإلى ولده ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد .

[مكانته]

وكان أبو محمد عالِماً باللغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرفاً في علوم العرب . أخذ عن أبي عمرِو بنِ العلاء ويونُسَ بنِ حبيب النحويِّ وأكابرِ البصريين ، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء ، وجوّد قراءتَه ورواها عنه ، وهي المعوَّل عليها في هذا الوقت . وكان بَنُوه جميعاً في مثلِ منزلتِه من العِلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرّف في علوم العرب . ولسائرِهم عِلمٌ جيّد .

[أولاده الشعراء]

ونحن نَذكر بعْدَ انقضاء أخباره أخبارَ مَن كان له شعر وفيه غناء من ولَده ، إذ كنّا قد شرطنا ذِكْر ما فيه صنعة دون غيره .

فمنهم محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، وإبراهيم بن أبي محمد ، وإسماعيل بنُ أبي محمد . كلُّ هؤلاء

---

1 ترجمة أبي محمد اليزيديّ في طبقات ابن المعتزّ : 273–275 والورقة لابن الجرّاح : 27 ومراتب النحويين : 108 وطبقات الزبيدي : 61 وتاريخ بغداد 14 : 146 وتاريخ أبي المحاسن : 113 والمعارف : 544–597 وأخبار النحويين البصريين : 40 وتهذيب الأزهريّ 1 : 17 ومعجم المرزباني : 487 ومعجم الأدباء (عباس) : 2827–2828 ونور القبس : 80–87 والفهرست : 56 وإنباه الرواة 4 : 25–35 ونزهة الألباء : 53 وابن خلكان 6 : 183–191 وعبر الذهبي 1 : 38 وسير الذهبي 9 : 562 ومرآة الجنان 2 : 3 وطبقات ابن الجزري 2 : 375 والنجوم الزاهرة 2 : 173 وبغية الوعاة 2 : 340 والشذرات 2 : 4 والبلغة : 284 وخزانة البغدادي 11 : 73–76 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1549 وغاية النهاية 2 : 375 . وقد جمع د . محسن غياض شعر أبي محمد اليزيديّ وأولاده وأحفاده تحت عنوان «شعر اليزيديين» (بغداد ـ 1972) .

ولَده لصلبه ، ولكلِّهم شعر جيّد .

ومن وَلد ولَدِه أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي محمد ، وهو أكبرُهم ، وكان شاعراً راوية عالِماً .

ومنهم عُبَيد الله والفضلُ ابنا محمد بن محمدٍ ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة ، وحُمِل عنهما علم كثير . وآخِر مَن كان بقي من علماء أهل هذا البيتِ أبو عبدُ الله محمدُ بنُ العبّاس بنِ محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدّة التوقّي فيما ينقله .

وقد حمَلْنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العِلم ورواته عِلْماً كثيراً ، فسمعْنا منه سَماعاً جمّاً . فأمّا ما أذكر هاهنا من أخبارهم فإنّي أخذْته عن أبي عبد الله عن عمّيه عُبيد الله والفضل ، وأضفْت إليه أشياء أُخر يسيرة أخذتها عن غيره ، فذكرْتُ ذلك في مواضعه ، ورويته عن أهله .

[المأمون يُبينُ رأسي أسيرين]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن عمِّه إسماعيل بنِ أبي محمد قال : حدَّثني أبي قال : كان الرشيد جالساً في مجلسه فأُتيَ بأسير من الرّوم ، فقال لِدُفافةَ العبسيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه . فقال لابن فليح المدنيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه أيضاً . فقال : أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين ! تقدمَتْني ضربة عبسيّة . فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذٍ غلام : قم ، فداك أبوك ، فاضرب عنقه ، فقام فضرب العِلْج ، فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر إليّ المأمونُ نظر مستنطِق ، فقلت[1] : [من البسيط]

أبقـــى دُفافـةُ عـــاراً بعدَ ضربته ... عنـد الإمـــامِ لِعَبس آخـر الأبدِ
كـــذاك أُسرتُـــه تنبـــو سيوفهـــمُ ... كسيف ورقاء لم يقطع ولم يَكَدِ[2]
ما بال سيفِكَ قــد خانتك ضربتُه ... وقد ضربتَ بسيف غيرِ ذي أَودِ
هــلا كضَرْبةِ عبدِ الله إذ وقعَت ... ففرَّقَت بين رأس العلج والجسدِ

[الأحوزي يفضله على الكسائي]

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره : كان حَمّويه ابنُ أُخت الحسن الحاجب وسعيدٌ الجوهريُّ واقفين ، فذكرا أبا محمد ، يعني أباه والكسائيّ ، ففضّل حَمّويه الكسائيّ على أبي محمد ، وفضل سعيد الجوهريّ أبا محمد على الكسائيّ .

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برَجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أنّ مَن غَلب أخذ برْذَون صاحبه ، فجعلا الحكَم بينهما أبا صفوان الأحوزيّ ، فلمّا دخل سألاه فقال لهما : لو ناصح

1 شعر اليزيديين : 47 عن الأغاني .

2 هو ورقاء بن زهير العبسي ، وقد نبا سيفه عن خالد بن جعفر بن كلاب قاتل أبيه .

الكسائيُّ نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب ، فما رأيتُ أحداً أعلَم منه به ، فأخذ الجوهريّ دابّة حَمّويه . وبلغ أبا محمد اليزيديّ هذا الخبر فقال[1] : [من السريع]

يـا حَمَويـه اسمع ثَناً صادقاً ... فيك ومـا الصادق كالكاذبِ
يـا جالـبَ الخزي على نفسِه ... بُعْداً وسُحقاً لـكَ من جالبِ
إنْ فخَـر النّـاسُ بآبائهـم ... أتيتَهـم بالعجـبِ العاجبِ
قلـت وأدْغمتَ أبـاً خامـلاً ... أنا ابنُ أخت الحسن الحاجبِ

[يهجو سلم الخاسر]

قال إسماعيل : وحدَّثني أبي قال : كنتُ ذاتَ يوم جالساً أكتبُ كتاباً ، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلاً ، ثم قال[2] : [من الخفيف]

أيْر يحيى أخط من كفّ يحيى ... إنَّ يحيـى بأيـرِه لخَطُوطُ

فقال أبو محمد يحيى : [من الخفيف]

أمُّ سَلْم بـذاك أعلـمُ شيء ... إنّهـا تحـت أيـرِه لضَروطُ[3]
ولهـا تـارةً إذا مـا علاهـا ... أزْمَلٌ مِـن وِداقِهـا وأطِيطُ[4]
أمُّ سَلْم تُعلِّـم الشّعرَ سلمـاً ... حبّذا شِعـر أمـكَ المنقوطُ
ليتَ شعري ما بالُ سَلْم بنِ عمرو ... كاسفَ البالِ حين يُذكَر لوطُ
لا يصلّـي عليـه فيمن يصلّي ... بـل لـه عنـدَ ذكره تَثْبيطُ

فقال له سلم : ويحك ما لك خُبثت ؟ أي شيء دَعاك إلى هذا كلّه ؟ فقال أبو محمد : بدأتَ فانتصرْتُ ، والبادي أظلم[5] .

[يجيب سلم الخاسر إلى طلبه الهجاء]

قال أبو عبد الله محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ حدَّثني عُبَيد الله وعمِّي أبو القاسم عن أبي عليٍّ إسماعيل قال : قال لي أبي : قال سلمٌ الخاسر يوماً : يا أبا محمد ، قل أبياتاً على قول امرىء القيس :

رُبّ رامٍ من بني ثُعَلٍ

1 شعر اليزيديين : 34 .
2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .
3 شعر اليزيديين : 59 .
4 أزمل : صوت . ووداق : شبق . وأطيط : أنين .
5 المثل «البادي أظلم» في الدرة الفاخرة 2 : 454 وجمهرة العسكري 1 : 230 ومجمع الميداني 2 : 401 ومستقصى الزمخشري 2 : 388 .

ولا أبالي أن تهجوني فيها ، فقلت[1] :

رُبّ مغمومٍ بعافيةٍ غَمَط النّعماء من أشَرِهْ
مُوردٌ أمراً يُسَرّ به فرأى المكروه في صدَرِهْ
وامرىءٍ طالتْ سلامَتُهُ فرماه الدَّهرُ من غِيَرِهْ
بسِهام غيرِ مُشويةٍ نقضَتْ منه عُرا مِرَرِهْ[2]
وكذاك الدّهرُ مختلِف بالفتى حالَين من عُصُرِهْ
يخلِط العُسْرى بمَيسَرة ويَسارُ المرء في عُسُرِهْ
عقّ سَلم أمَّه سفهاً وأبا سلم على كِبَرِهْ
كلَّ يوم خلفَه رجل رامحٌ يسعى على أثرِهْ
يُولج الغُرْمولُ سبّتَهُ كوُلُوجِ الضّبِّ في جُحُرِهْ

فانصرف سلمٌ وهو يشتِمُه ويقول : ما يَحلّ لأحد أن يكلّمكَ .

[ينظم على قافية هائين]

قال : وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر : يا أبا محمد ، قُل أبياتاً قافيتها على هائيْن ، فقلتُ له : على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقلت[3] : [من المنسرح]

قلتُ ونفسي جَمٌّ تأوُّهها تصبو إلى إلفها وأندَهُها[4]
سقيا لصنعاء لا أرى بلداً أوطَنه المُوطنون يشبهُها
خِصْباً وحُسناً ولا كبهجتها أعذى بلادٍ عذاً وأنزهُها[5]
يعرفُ صنعاء مَن أقامَ بها أرغدُ أرض عيشاً وأرفهُها
أبلغْ حضيراً عنّي أبا حنَش عائرةً نحوَه أوجّهُها
تأتيه مثلَ السهام عامدة عليه مشهورةً أُدَهْدِهُها[6]

1 شعر اليزيديين : 57–58 .
2 غير مشوية : لا تخطىء وتصيب المقتل .
3 شعر اليزيديين : 88–89 .
4 أندهها : أزجرها .
5 أعذى : أطيب هواء .
6 دهده الحجر : دحرجه . والمعنى هنا : أرسلها .

كُنيتُه طرحُ نـون كنيتِـه إذا تهجيتَهـا ستفقهُهـا

يريد إسقاط النّون من أبي حنش حتى يكون أبا حشٍّ .

[شعر في مضيفه]

قال أبو عبد الله : وحدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الطَّلْحيّ ، وكان له عِلمٌ وأدبٌ ، قال : اجتمعت مع أبي محمدٍ عند يونسَ بنِ الربيع ، وكان قد عادنا فأقمنا عنده ، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد ؛ فقام يونُس لحاجته ، وكان جميلاً وسيماً ، فالتفتَ إليّ اليزيديٌّ فقال[1] : [من الخفيف]

وفتـى كالقناةِ في الطَّرْفِ منه إن تأمّلتَ طرفَـه استرخاءُ

فـإذا الرامحُ المُشيحُ تـلاه وضَع الرمحَ منـه حيثُ يشاءُ

[يهجو شخصاً يسأله بتعنّت]

قال : وحدَّثني عمِّي عن عمِّه إسماعيل عن أبي محمد قال : كان قُتيبة الخُراسانيّ صاحبُ عيسى بن عمرَ يأتيني فيسألني عن مسائل كالمتعنِّت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً ، وكان أفطس ، فقلت له يوماً[2] : [من المنسرح]

أمُخْبِري أنـت يـا قتيبةُ عن أنفِك أم أنـت كاتِمٌ خبرَهْ ؟

بأيِّ جُـرم وأيِّ ذنبٍ ترى سوَّت بخدَّيك أنفَك البَقَرَهْ

فصيَّرتْـهُ كفَيْشة نبتَـت في وجهِ قِرد مفضوضة الكمَرَهْ

قد كان في ذاك شاغِل لكَ عن تفتيشِ بابِ العرفانِ والنكرَهْ

وقلت فيه أيضاً[3] : [من الوافر]

إذا عافـى مَليكُ الناسِ عبداً فـلا عافـاكَ ربُّـك يا قُتَيْبَهْ

طلبتَ النحوَ مذ أن كنتَ طفلاً إلى أن جلّلتك قُبحْـتَ شيبَهْ

فمـا تـزدادُ إلاّ النقصَ فيـه وأنتَ لدى الإيابِ بِشَرّ أوبَهْ

وكنتَ كغائبٍ قد غابَ حيناً فطـالَ مُقامُـه وأتـى بخيبَهْ

[يلقن قتيبة غريباً فاحشاً]

قال أبـو محمـد : كان عيسى بنُ عمر أعلمَ النّاس بالغريب ، فأتاني قُتيبةُ الخُراسانيّ

---

1 شعر اليزيديين : 29 .

2 شعر اليزيديين : 56 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 40 .

هذا ، فقال لي : أَفِدْني شيئاً من الغريب أُعايي به عيسى بنَ عُمر ، فقلت له : أجوَدُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتْمئرّاً ، عُجارماً[1] جيّداً ، وقد قال الشاعر : [من الطويل]

إذا استكْتَ يوماً بالأراكِ فلا يَكن سواكَكَ إلاّ المتمئرَّ العُجارِما

يعني الأير . قال : فكتب قتيبة ما قلت له ، وكتب البيت ، ثم أتى عيسى بنَ عمرَ في مجلسه ، فقال : يا أبا عُمرَ ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ فقال : الأراك ، يرحمك اللهُ . فقال له قتيبة : أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمئرّاً عُجارماً ؟ فقال : أهدِه إلى نفسك ، وغضب ، وضحك كلُّ مَن كان في مجلسه ، وبقي قتيبة متحيّراً . فعلِم عيسى أنّه قد وقع عليه بلاءٌ ، فقال له : ويلك ! مَنْ فضحَك وسخِرَ منكَ بهذه المسألة ؟ ومَن أهلكك ودمَّر عليك ؟ قال : أبو محمد اليزيديّ . فضحك عيسى حتى فحص برجله ، وقال : هذه واللهِ من مَزَحاته وبلاياه . أراه عنك منحرفاً ، فقد فضحك . فقال قتيبةُ : لا أعاودُ مسألتَه عن شيء .

[الخليل يصفيه الود]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني عُبَيدُ اللهِ بنُ محمدٍ اليزيديّ قال : حدَّثني أخي أبو جعفر قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : صِرْت يوماً إلى الخليل بن أحمد ، والمجلس غاصٌّ بأهلِهِ ، فقال لي : هاهنا عندي ، فقلت : أضيِّق عليك ، فقال : إنّ الدُّنيا بحذافيرها تضيقُ عن متباغضَين ، وإنّ شِبراً في شِبرٍ لا يضيقُ عن متحابَّينَ . قال : وكان الخليل لأبي محمد صافيَ الوُدِّ .

[رأي عالمين أحدهما في الآخر]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيدُ الله قال : حدَّثني أخي أحمدُ قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : كنتُ ألقى الخليل بنَ أحمدَ ، فيقولُ لي : أُحبّ أنْ يُجمع بيني وبين عبدِ الله بنِ المُقفَّع ، وألقى ابنَ المُقفَّع فيقول : أُحبّ أنْ يُجمعَ بيني وبين الخليلِ بنِ أحمدَ . فجمعْتُ بينهما ، فمرَّ لنا أحسنُ مجلِس وأكثرُه علماً ، ثم افترقنا ، فلقيتُ الخليلَ فقلتُ له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ قال : ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلاّ أنّي رأيت كلامَه أكثرَ من عِلمه ، ثم لقيتُ ابنِ المُقفَّع فقلت : كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلاّ أنّ عقلَه أكثرُ من علمه .

[بينه وبين الكسائيّ]

حدَّثنا اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني أخي أحمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني أبي محمدُ بنُ أبي محمدٍ قال : قال لي أبو محمد : كنّا مع المهديّ بِبَلد في شهر رمضان قبل أن

---

1 متمئر : الذكر الصلب . والعجارم : الرجل الشديد ويكنى به عن الذكر .

يُستخْلَف بأربعة أشهر ، وكان الكسائيّ معنا ، فذكر المهديّ العربيّة وعنده شَيْبَةُ بن الوليدِ العبسيُّ عمُّ دُفافة . فقال المهديّ : نَبعث إلى اليزيديِّ والكِسائيِّ ، وأنا يومئذٍ مع يزيدَ بنِ المنصور خالِ المهديّ ، والكسائيّ مع الحسن الحاجب . فجاءنا الرسولُ ، فجئتُ أنا ، فإذا الكسائيُّ على الباب قد سبقني . فقال : يا أبا محمد ، أعوذُ باللهِ من شَرِّكَ ، فقلت : والله لا تُؤتى من قِبَلي حتى أوتى من قِبلك .

فلمّا دخلنا عليه أقبل عليّ ، وقال : كيف نسبوا إلى البَحْرَين فقالوا : بَحْرانيٌّ ، ونسبوا إلى الحِصنَين[1] فقالوا : حِصنيّ ولم يقولوا حِصنانيّ كما قالوا بَحرانيّ ؟ فقلت : أصلح الله الأميرَ ! لو أنّهم نسبوا إلى البحرين فقالوا : بحريّ لم يعرف أإلى البحرَين نسبوا أم إلى البحر ؟ فلمّا جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له : الحصن يُنسَب إليه غيرُهما[2] فقالوا : حصني .

قال أبو محمد ، سمعْتُ الكسائيّ يقول لعمرَ بن بَزِيع ، وكان حاضراً ، لو سألني الأمير لأخبرْته فيها بعِلّة هي أحسن من هذه . قال أبو محمد : قلت : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا يزعم أنك لو سألتَه لأجاب بأحسنَ مِمّا أجبْتُ به . قال : فقد سألْتُه . فقال الكسائيّ : لمّا نسبوا إلى الحصنَين كانت فيه نونان ، فقالوا : حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرَين إلاّ نون واحدة ، فقالوا : بَحرانيّ . فقلْتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ! فكيف تَنسب رجلاً من بني جنّان ؟ فإنّه يلزمه على قياسه أن يقول : جِنّي . إنّ في جنّان نونين ، فإن قال ذلك فقد سوّي بينه وبين المنسوب إلى الجنِّ .

قال : فقال لي المهديّ وله : تناظرا في غير هذا حتى نسمع . فتناظرْنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له : كيف تقول : إنّ من خير القوم أو خيرَهم نِيّةً زيد ؟ قال : فأطال الفكرَ لا يجيب . فقلتُ : لأن تجيبَ فتخطىء فتتعلّم أحسن من هذه الإطالة . فقال : إنّ من خير القوم أو خيرُهم نِيّةً زيداً . قال : فقلت : أصلح اللهُ الأمير ، ما رَضي أن يلحن حتى لحن وأحال . قال : وكيف ؟ قلتُ : لرفعه قبل أن يأتيَ باسم إنَّ ، ونصبه بعد رفعه .

فقال شَيْبَةُ بن الوليد : أراد بأوْ ــ بَلْ ، فرفع هذا معنى . فقال الكسائيّ : ما أردْتُ غير ذلك . فقلت : فقد أخطأَ جميعاً أيّها الأمير . لو أراد بأوْ ــ بَلْ رفع زيداً ؛ لأنّه لا يكون بل خيرُهم زيداً . فقال المهديّ : يا كسائيّ ، لقد دخلْتَ عليّ مع مَسْلَمة النحويّ وغيره ، فما رأيتُ كما أصابك اليوم . قال : ثُمَّ قال : هذان عالمان ، ولا يقضي بينهما إلاّ أعرابيّ فصيحٌ يُلقى عليه المسائلُ التي اختلفا فيها فيجيب . قال : فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب .

---

1 الحصنين : موضع وقلعة بنواحي الطائف .

2 هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم (ياقوت) .

قال أبو محمد : وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابيّ ، وكان المهديّ محبّاً لأخواله ، ومنصورُ بنُ يزيدَ بنِ منصورٍ حاضر ، فقلت : أصلح اللهُ الأمير ! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات[1] : [من المنسرح]

يا أيّها السائلي لأُخبِره عمَّن بصنعاءَ من ذوي الحسبِ
حِمْيرُ ساداتُها تقُرّ لها بالفضل طرّاً جحاجح العربِ
وإنَّ مِن خيرِهم وأكرمِهمْ أو خيرَهم نيّةً أبو كربِ

قال : فقال لي المهديّ : كيف تنشده أنتَ ؟ فقلت : أو خيرَهم نيّةً أبو كرب على إعادة إنّ ، كأنّه قال : أو إنَّ خيرَهم نيّةً أبو كَرَب . فقال الكسائيّ : هو واللهِ قالها الساعةَ . قال ، فتبسّم المهديّ ، وقال : إنّك لتشهد له وما تدري . قال : ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فأُلقيَتْ عليه المسائل ، فأجاب فيها كلِّها بقولي . فاستفزّني السرور حتى ضربْتُ بِقُلَنسِيَتي الأرض ، وقلت : أنا أبو محمد . فقال لي شيبة : أتتكَنّى باسم الأمير ؟ فقال المهديّ : واللهِ ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنّه فعل ما فعل للظَّفر ، وقد ، لَعَمري ، ظفر . فقلت : إنّ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، أنطقك أيّها الأمير بما أنت أهلُه ، وأنطق غيرك بما هو أهله .

[هجاء شيبة بن الوليد]

قال : فلمّا خرجنا قال لي شيبة : أتخطّئني بين يدَي الأمير ؟ أما لتعلَمنّ ! قلت : قد سمعْتُ ما قلت ، وأرجو أن تجد غبّها ، ثم لم أُصبح حتى كتبْتُ رِقاعاً عدّة ، فلم أدع ديواناً إلاّ دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتُها فيه ، فأصبح النّاس يتناشدونها ، وهي[2] : [من الخفيف]

عِش بِجَدٍّ ولا يضرُّك نَوك إنّما عَيش مَن تَرى بالجُدودِ
عِش بِجَدّ وكُن هَبنّقة القيـ ـسيّ نَوكا أو شيبَة بنَ الوليدِ[3]
شيب يا شيب يا جُدَيّ بني القعْـ ـقاع ما أَنت بالحليمِ الرشيدِ
لا ولا فيك خَلّةٌ من خلال الـ ـخيرِ أُحرزْتها لحزم وجودِ
غيرَ ما أنّك المجيد لتقطيـ ـع غناءٍ وضربِ دُفّ وعودِ
فعلَى ذا وذاك يحتمِلُ الدّهـ ـر مجيداً له وغيرَ مجيدِ

---

1 شعر اليزيديين : 35 .

2 شعر اليزيديين : 45–46 .

3 انظر المثل : «أحمق من هبنقة» في الدرة الفاخرة 1 : 135 ومجمع الميداني 1 : 217 وجمهرة العسكري 1 : 342 .

[هجاء خلف الأحمر]

قال : وقال أبو محمد اليزيديّ يهجو خَلَفاً الأحمر أستاذ الكسائيّ ، أنشدنيه عمّي الفضل[1] : [من الخفيف]

زعم الأحمرُ المَقيت علـيٌّ والذي أمّه تُقِـرّ بمقتِهْ
أنّه علَّـم الكسائيّ نحواً فلئن كان ذا كذاك فبِاستِهْ

[الغسانيّ لا يعينه فيستعين بجعفر]

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال : أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصَه إلى السِّنّ[2] ، فأتيت عاصماً الغسانيَّ ، وكان أثيراً عند يحيى بنِ خالد ، فقلت له : إنّ أمير المؤمنين قد أمر لي بمال ، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت ، فأحبُّ أن تذكِّر أبا عليّ يحيى بن خالد أمرَه ليعجّله إليّ . فقال : نعم ، ثم عدْتُ بعد ذلك بيومين ، فقال لي يتفخّم في لفظه : ما أصبتَ بحاجتك موضعاً . قال : قلت : فاجعلها منك ، أكرمكَ اللهُ ، ببال .

فلمّا خرجْتُ لحقني بعض مَن كان في المجلس ، فقال لي : يا أبا محمد ، إنّي لأربأ بك أن تأتيَ هذا الكلبَ أو تسأله حاجة . قلت : وكيف ؟ قال : سمعته يقول ، وقد ولّيْتَ ، لو أنّ بيدي دجلةَ والفراتَ ما سقَيْتُ هذا منهما شَربة ، فقيل له : ولِم ذاكَ ، أصلحك اللهُ ، فإن له قَدراً وعِلماً ؟ قال : لأنّه من مُضَرَ ، ما رأيت مُضرياً قطّ يحبّ اليمانيّة .

قال : فأحببْت ألاّ أعجَل ، فعُدت إليه من غد فقلت : هل كان منك ، أكرمك اللهُ ، في الحاجة شيء ؟ فقال : واللهِ لكأنّـك تطلبنا بِدَين . فتحقّق عندي ما بلغني عنه ، فقلت له : لا قضى اللهُ هذه الحاجةَ على يدك ، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها ، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً ، ولا ردَدتُ عليك السلام إن بدأتَني به . ونفَضْت ثوبي وخرجْت .

فإنّي لأسير وأُفكّر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يَرْكُض حتى لحقني ، فقال : بعثني إليك أبو عليّ يحيى بن خالد لِتقف حتى يلحقك ، فرجعْت مع رسوله إليه فلقيته ، وكان قريباً ، فسلّمْتُ عليه ثم سايرته ، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح ، فإنّي أُحدِّثـك حديثاً حدّثني به أبي خالدُ بنُ بَرْمكَ : أنّ الحجّـاج بنَ يوسف أراد مؤدّباً لولده ، فقيل له : هاهنا رجل نصرانيّ عالِم ، وهاهنا مسلم ليس علمه كعِلم النصرانيّ ، قال : ادعوا لي المسلم .

1 شعر اليزيديين : 41 . وقد ذهب جامع الشعر إلى أن البيتين في علي بن المبارك (علي بن الحسن الأحمر) . غير أنّ عليّاً هذا كان تلميذ الكسائيّ لا أستاذه (بغية الوعاة 2 : 158–159) ، وسيرِد أنّه كانت ثمة مهاجاة بين أبي محمد اليزيديّ وخلف الأحمر . ورواية صدر البيت الأول في معجم الأدباء (2487) : زعم الأحمر المقيت لدينا . . .

2 السن : مدينة على دجلة فوق تكريت .

فلمّا أتاه قال : ألا ترى يا هذا أنّا قد دللنا على نصرانيّ قد ذكروا أنّه أعلَم منك ، غير أنّي كرهْتُ أن أضمّ إلى ولدي مَن لا ينبّههم للصلاة عند وقتها ، ولا يدلّهم على شرائع الإسلام ومعالمه ؟ وأنت ، إن كان لك عقل ، قادر على أن تتعلّم في اليوم ما يُعلمه أولادي في جمعة ، وفي الجمعة ما يعلّمهم في الشهر ، وفي الشهر ما يعلّمهم في سنة . ثم قال لي يحيى : فينبغي يا أبا محمد أن نُؤثر الدِّين على ما سواه . فقلت له : قد أصبتُ مَن أرضاه ، وذكرت له الحسن بن المسوّر ، فضمّه إليه ، ثم سألني : من أين أقبلت ؟ فأخبرتُه بخبر عاصم وما كان منه ، فقلت له : قد حضر هذا المَسير ، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه ؟ فضحك وقال : ولِم لا تدري ؟ القَ صديقك جعفراً ، يعني ابنه ، حتى يكلّم أميرَ المؤمنين أو يذكرَني حاجتك ، فقد تركته على المضي الساعة ، فانثنيت إلى جعفر وقلت فيه في طريقي[1] : [من الكامل]

يـا سائـلي عمّـا أُخبِّرُهُ | عن جعفر كرماً وعن شيمِهْ
إن ابن يحيـى جعفراً رجل | سِيطَ السماحُ بلحمه ودمِهْ[2]
فعليـه «لا» أبـداً محرمـةٌ | وكلامـه وقـف على نَعَمِهْ
وتــرى مُسابقَــه ليدركه | بمكان حَذْو النّعل من قدمِهْ

فلمّا دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات ، وأعلمته ما أمرني به أبوه ، فقال لي : قُل بيتين تذكُره فيهما إلى أن أجدّد طُهراً واكتبهما حتى يكونا معي ، فأذكرَ بهما حاجتك ، فقلت : نعم يا سيِّدي ، وأخذت الدواة وكتبتُ[3] : [من السريع]

أحقُّ مَـن أنجـز موعودَه | خليفـةُ اللهِ عـلى خلقِـهِ
ومَن لـه إرث نبيّ الهُدى | بالحقِّ لا يُدفَـع عن حقِّهِ
يُنسب في الهَدْي إلى هَديِهِ | برّاً وفي الصدقِ إلى صدقِهِ
ومَن لـه الطاعَة مفروضة | لائحـة بالوحـي في رَقِّهِ
والراتقُ الفتقِ العظيم الذي | لا يقـدرُ النّاسُ على رتْقِهِ

قال : فأخذ الشعر ، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إيّاه ، فَصَكَّ إليَّ بالمالِ عليه ، وقبضته بعد ذلك بيوم ، وأنشأت أقول في الغسّانيّ[4] : [من الطويل]

1 شعر اليزيديين : 85 عن الأغاني .
2 سيط : خلط .
3 شعر اليزيديين : 62 عن الأغاني .
4 شعر اليزيديين : 78–79 عن الأغاني .

أَلا طَرَقَتْ أَسمـاء أم أَنتَ حالِـم فأَهـلاً بطيف زارَ والليـل عاتِمُ
إذا قيـل أَيُّ النّاسِ أَعظمُ جفوةً وأَلأَمُ قيـل الجرمقـانيُّ عاصِمُ[1]
دَعـيّ أُجاءتـه إلى اللـؤمِ دعوةٌ ومغـرِس سَوء لؤمـه متقادمُ
شَهِيدي على أَن ليس حرّاً صَلِيبةً صفيحةُ وجه ابنِ استِها واللهازِمُ
صفيحـةُ دَقّـاقٍ أَبـوه شبيهه وجدّاه سَمّـاكٌ لئيـمٌ وحاجِمُ
أَعاصِمُ خـلٌّ المكرمـاتِ لأَهلِها وأَغْضِ عَلى لـؤمٍ ووجهُك سالِمُ
فكيف تنال الدَّهر مجداً وسؤدَداً وفي كلِّ يـوم كوكبٌ لك ناجمُ
وأُصلك مدخول وفِسقك ظاهر وعَجْبك مهموز وعَـرْدك عارِمُ
تُصانعُ غسانـاً لِتُلحَقَ فيهـمُ ورُبّ دَعـيّ أَلحقتـه الدراهمُ
فإنْ رابَ رَيبٌ أَو أَصابَتْكَ شدّةٌ رجعـتَ إلى شَلْثى وأُنفك راغِمُ

قال : وكان اسم أَبيه شلثى ، فصيّره صلْتاً[2] .

إذا عاصمـاً يومـاً أَتيتَ لحاجةٍ فـلا تلقَـه إلاّ وأَيـركَ قائـمُ
وعرِّض لـه من قبلِ ذاكَ بأَمرَدٍ وضيءٍ وسِيـمٍ أَثقَلَتْـه المآكِمُ[3]
وإلاّ فـلا تسأَله ما عِشت حاجة ولا تبكـه إن أَعولَتْـه المآتمُ

[يعين الغسانيّ على استرداد ضيعته]

قال : فلمّا حدَث بِبَني بَرْمك ما حدث قُبضَت ضيعتُه في المقبوض من ضياع أَسبابهم ، فصار إليّ وكلّمني في أمرها ، وسأَلني كلامَ الجوهريّ في ذلكَ ، فقمت له حتى رُدّت الضيعة عليه ، فجاءَني يشكرني ، ويعتذر مِمّا جرى مِن فِعله المتقدّم ، فقلت له : تَناسَ ما مضى ، فلستُ مِمّن يكافىء على سوءٍ أحداً .

[هجاء أبي عبيدة]

قال أَبو محمد : كان أَبو عبيدةَ يجلس في مسجد البصرة إلى سارية ، وكُنت أَنا وخَلَفٌ الأَحمر نجلس جميعاً إلى أخرى ، وكان أبو عبيدة من أَعْضِه[4] النّاس لِلنّاس وأذكرِهم لَمثالبهم . فقال لأَصحابه : أَترون الأَحمر واليزيديّ إنّما يجتمعان عَلى الوقيعة لِلناس وذِكر

---

1 الجرمقاني : واحد الجرامقة ، قوم من العجم استقرّوا بالموصل .
2 الصلت : اللص .
3 المآكم : جمع مأكمة ، كنى بها عن الردف .
4 أعضه : كثير الأفك والبهتان .

مساويهم ؟ وبلغني ذلك وأنّه قد رمانا بمذهبه ، فقلت لِخَلفٍ : دَعه ، فأنا أكفيكه . فلمّا كان من الأذان جئت أنا وخَلفٌ إلى المسجد ، فكتبتُ عَلى الجصّ في الموضع الذي كان يجلسُ فيه أبو عبيدة : [من البسيط]

صلّى الإلهُ على لوط وشيعتِه ... أبا عبيدةَ قلْ باللهِ آمينا

قال : وأصبح النّاس ، وَجاءَ أبو عبيدة ، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً . وأقبل النّاس ينظرون إلى البيت ويضحكون ، ورفَع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه ، فخجل ، ولم يَزل منكّساً رأسه حتى انصرف النّاس وأنا وخَلَفٌ ناحيةً ننظر إلى ما به ؛ ثم قمنا حتى وقفنا عليه ، فقلنا له : ما قال صاحب هذا البيت إلاّ حقّاً ، نعم فصلّى الله على لوط ، فأقبل عَلَيَّ وقال : قد علمتُ مِن أين أُتيت ، ولن أُعاود التعرّض لتلك الجهة ، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك .

[عقاب يزيد بن منصور]

وقال أبو محمد : اعْتَلَلْتُ عِلّة من حمى رِبْع[1] طالت عَلَيَّ أشهراً ، فجفاني يزيد بن منصور ، ولم يمرّ بي في عِلّتي ، ولم يتفقّدني كما ينبغي ؛ فكتبتُ رقعةً إليه ضمنتها هذه الأبيات[2] : [من البسيط]

قُل للأَميرِ الذي يرجو نوافِلَه ... مَن جاءه طالباً للخيرِ منتابا

إنّي صحبتك دهراً كلَّ ذاك أرى ... مِنْ دونِ خَيرِك حُجّاباً وأَبوابا

وَكم ضريكٍ أَجاءَته شقاوَتُه ... إليك إذا أَنشَبتْ ضراؤها نابا[3]

فما فتحتَ له باباً لميسرة ... وَلا سددتَ له من فاقة بابا

كغائب شاهدٌ يخفى عليك كما ... من غابَ عنكَ فوافى حظُّه غابا

فلمّا قرأها قال : جفَوْنا أبا محمد ؛ وأحوجناه إلى استبطائنا . واللهُ المستعان ، وبعث إليه بصلة .

[عبث خلف الأحمر به]

أَخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ أَبو دُلَف قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الرحمن بنِ الفهم ، وكان من أصحاب الأصمعيّ ، قال : كان خَلف الأحمر يعبَث بأبي محمدٍ اليزيديّ عبثاً شديداً ، وربّما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح ، فقال فيه ينسبه إلى اللّواط : [من الكامل]

1 حمى الربع : حمى تنوب يوماً وتترك يومين .

2 شعر اليزيديين : 33 عن الأغاني .

3 الضريك : الفقير الهالك .

إنّي ومَن وَسَج المَطيُّ لـه حُدْبَ الذرى أذقانها رُجُفُ[1]
يَطْرحنَ بالبيد السِّحالِ إذا حثَّ النجاءَ الركبُ وازدَهفوا[2]
والمُحْرِمين لِصَوتهم زَجَلٌ بفِناء كعبتِهِ إذا هتفوا
وإذا قطَعْن مسافَ مَهْمَهَة قَذَفٍ تعرّض دونها شَرَفُ[3]
وافَتْ بهمْ خُوص مخزَّمة مثلُ القِسيِّ ضوامرٌ شُسُفُ[4]
مِنّي إليه غيرَ ذي كـذِبٍ ما إن رأى قوم ولا عَرَفوا
في غابر النّاسِ الذين بقُوا والفُرَّطِ الماضينَ إذ سَلفوا[5]
أحداً كيحيى في الطِّعانِ إذا افـ ـترش القنا وتضعضع الحَجَفُ[6]
في مَعركٍ يُلقى الكَميّ به للوجه منبطحاً وينحرفُ
وإذا أكبّ القِرن يُتبعه طعناً دُوَين صَلاه ينخسفُ[7]
للهِ دَرُّكَ أيّ ذي نُزُلٍ في الحربِ إذ همّوا وإذ وقفوا
لا تخطىء الوجعاءَ ألّته ولا تُصدّ إذا همُ زحفوا[8]
وله جيادٌ لا يُفرِّطها الـ إحلال والمضمار والعلفُ[9]
جُرْد يهان لها السَّويق وألـ بان اللِّقاح كأنّها نُزُفُ
مُرْد وأطفال تخالهمُ دُرّاً تَطابق فوقه الصَّدَفُ
فهمُ لديه يعكُفون به والمَرء منه اللِّين واللطفُ
ومتى يشا يُجنَبْ له جَذع نَهْدٌ أسيل الخدِّ مشترفُ[10]

1 وسج لمطي : أسرعت . ورجف : مضطربة .
2 السحال : اللجام . وازدهفوا : خفوا وعجلوا .
3 فلاة قذف : تتقاذف بالسالك .
4 خوص : غائرة العيون لضمورها . وشسف : ضامرة من الهزال .
5 الفرط : المتقدمون .
6 افترش القنا : وقع بعضها على بعض . والحجف : التروس من جلد .
7 الصلا : وسط الظهر .
8 الوجعاء : الدبر . والألة : الحربة العظيمة النصل .
9 لا يفرطها : لا يثيرها للسبق .
10 يجنب : يوضع إلى جنبه . والجذع : ولد الشاة أو البقرة ومشترف : مشرف .

يَمْشي العِرَضْنَةَ تحت فارسه عَبْلَ الشوى في متنِهِ قَطفُ[1]
رَبِــذٌ إذا عرِقــت مَغابِنــه ذَهَبَ السكونُ وأَقبل العُنفُ[2]
فأَعــدَّ ذاك لسرجِــهِ ولــه في كلِّ غاديــةٍ لهـــا عُرُفُ
في حَقْــوِه عَــرْدٌ تَقدّمُــه صلعاء في خرطومِها قَلَفُ[3]
جـــرداء تُشحَذ بـالبزاقِ إذا دُعيَت نزالِ وهبّ مرتدِفُ[4]
أَوفى على قِيــدِ الذراعِ شديـ ـدُ الجَلْز في يافوخه جَوَفُ[5]
خـــاظٍ مُمَـــرّ متنُـــه ضَرِم لا خانــه خَوَر ولا قَضَفُ[6]
عَــرْدُ المَجس بمتنه عُجَـــر في جِـذره عن فخْذه جنَفُ[7]
فلـــوَ آن فياضــاً تأمّلـــه نـــادى بجهد الويـلُ يلتهفُ
وإذا تمسّحـــه لِعادتـــــه ودنا الطّعان فمِدْعَس ثَقِفُ[8]
وإذا رأى نَفَقــاً رَبــا ونـزا حتــى يكــادُ لعابــه يكفُ
لا ناشئاً يُبقــي ولا رجـلاً فنِــداً وهــذا قلبــه كلِفُ[9]
يـــا ليتنـــي أدري أَمُنجيتــي وجناءُ ناجيــةٌ بهـا شَدَفُ[10]
مـــن أَن تعلقنـــي حبائلُـــه أَو أَن يواري هامتي لُجُفُ[11]
ولقـــد أَقــولُ حِـذارَ سطوته إيهــاً إليك تــوَقّ يـا خلَفُ
ولـــو آنّ بيتكَ في ذُرا علَـم مِن دون قلّــةِ رأسِهِ شَعَفُ[12]

---

1 العرضنة : النشاط في المشي . وعبل الشوى : ضخم الأطراف وقطف : أثر .
2 ربذ : خفيف سريع . والمغابن : جمع مغبن ، وهو الإبط وأصل الفخذ .
3 حقوه : خصره .
4 مرتدف : الذي يركب خلف الركب .
5 جلز الشيء : عصبه . والجوف : سعة .
6 خاظي : مكتنز . والقضف : النحافة .
7 العجر : العقد .
8 مدعس : شديد الطعن .
9 فند : خرف .
10 الشدف : سرعة الوثب .
11 لجف : حفرة .
12 الشعف : جمع شعفة ، وهي رأس الجبل .

زَلِــقٍ أعاليــــه وأسفلُــــه وعـر التنائف بينهـا قذفُ[1]
لَخشيت عَــرْدَك أن يُبيِّتني أن لم يكن ليَ عنه منصرَفُ

قال الأصمعيّ : فحدَّثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قـال : أنشدت قصيـدة خلفٍ الفائيّة هذه وأعرابيّ جالس يسمع ، فلمّا سمع قوله : [من الكامل]

فـإذا أكـب القرنَ أتبعـه طعنـاً دُوَين صَلاه ينخسفُ

قال الأعرابيّ : وأبيك لقد أحبّ أن يضعه في حاق مَقِيل[2] ضَرْطته .

[يغضب من هجاء خلف]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد قال : حدَّثني ابنُ الفهم قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : كنتُ مع خَلَفٍ جالساً ، فجرى كلام في شيء من اللغة ، وتكلّم فيه أبو محمدٍ اليزيديّ وجعل يَشغَب ، فقال لي خَلَفٌ : دَعْني من هذا يا أبا محمد ، وأخبرني من الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

فـإذا انتشيتُ فإنّنـي ربّ الخُرَيبة والرُّمَيحِ
وإذا صحـوتُ فإنّنـي ربّ الدُّوَيّــة واللوَيحِ

يعرِّض به أنّه معلّم ، وأنّه يلوط ، فغضب اليزيديّ ، وقام فانصرف .

[يهجو مواليه]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني طلحةُ الخُزاعيّ قال : حدَّثني أبو سعيد عثمانُ بنُ يوسفَ الحنفيُّ قال : غاضب أبو محمد اليزيديّ مواليَه بني عدِي رهْط ذي الرُّمّة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه ، فقعدوا عنه ، فقال يهجوهـم[3] : [من السريع]

يـا أيُّها السائلُ عن قومِنا لَمّـا رأى بِـــزَّةَ أحبـارِهِمْ
وحُسنَ سَمْت منهمُ ظاهراً إعلانُهــم ليس كإسرارِهِمْ
سائلْ بهم أحمـرَ أو غيرَه يُنبيكَ عن قومي وأخبارِهِمْ
قــومٌ كرامٌ ما عدا أنّهـم صولتهم منهم على جارِهِمْ
أُسد على الجيرانِ أعداؤهم آمنــة تخطــرُ في دارِهِمْ
لو جاءهم مقتبساً جارُهم ما قبسوه الدَّهر من نارِهِمْ

1 التنائف : جمع تنوفة ، وهي الأرض الواسعة .
2 حاق : وسط . ومقيل : موضع .
3 شعر اليزيديين : 76–77 .

وقد وترناهمْ فلم نخشَ مَن ... ينهضُ في سيرةِ أوتارِهِمْ
أحسنُ قوم لمواليهمُ ... إن أيسروا يوماً لأيسارِهِمْ
شهادةُ الزّور لهم عادة ... حقّاً بها قيمة أخبارِهِمْ
وما لهم مجد سوى مسجدٍ ... به تعدَّوا فوق أطوارِهِمْ
لو هُدِم المسجدُ لم يُعرفوا ... يوماً ولم يسمعْ بأخبارِهِمْ

[يهنىء الرشيد ويمدح المأمون]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أخبرني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني عمِّي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا : لمّا بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرَنا الرشيد أن نعملَ له خطبة يقوم بها يوم الجمعة ، فعمِلنا له خطبته المشهورة . وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة ، فلمّا خطب بها رَقَّت قلوب النّاس ، وأبكى من سمعه ، فقال أبو محمد اليزيديّ[1] : [من الطويل]

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ ... عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن وليّ العهدِ مأمونَ هاشم ... بدا فضلُه إذ قام وهو خطيبُ
ولمّا رماه النّاس من كلٍّ جانب ... بأبصارِهم والعُود منه صليبُ
رماهم بقول أنصتوا عجباً له ... وفي دونه للسامعينَ عجيبُ
ولمّا وعَت آذانُهم ما أتى به ... أنابَتْ ورقَّت عند ذاك قلوبُ
فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ ... أغرُّ بِطاحيُّ النِّجار نجيبُ[2]
مَهيبٌ عليه للوقارِ سكينة ... جريء جَنانٍ لا أكَعّ هيوبُ[3]
ولا واجبٌ فوق المنابرِ قلبُه ... إذا ما اعترى قلبَ النجيبِ وجيبُ
إذا ما علا المأمونُ أعوادَ منبرٍ ... فليس له في العالمين ضريبُ
تَصدَّع عنه النّاس وهو حديثهم ... تَحدَّث عنه نازحٌ وقريبُ
شَبيهُ أميرِ المؤمنين حَزامةً ... إذا وَرَدَتْ يوماً عليه خطوبُ
إذا طاب أصل في عُروق مِشاجِهِ ... فأغصانه من طِيبه ستطيبُ
فقل لأميرِ المؤمنين الذي به ... يقدَّمُ عبدُ الله فهو أديبُ

1 شعر اليزيديين : 29–31 عن الأغاني .
2 بطاحي النجار : من قريش البطاح .
3 أكع : جبان .

كأن لم تغبْ عن بلدة كان والياً ... عليها ولا التدبيرُ منك يغيبُ
تتبعَ ما يُرضيك في كلِّ أمره ... فسيرته شخص إليك حبيبُ
ورِثتم بني العبّاس إرثَ محمد ... فليس لحَيٍّ في التراثِ نصيبُ
وإنّي لأرجو يا ابن عمِّ محمد ... عطاياكَ والراجيكَ ليس يخيبُ
أثبني على المأمونِ وابني محمداً ... نوالاً فإيّاه بذاك تثيبُ
جنابُ أميرِ المؤمنين مُبارَكٌ ... لنا ولكلِّ المؤمنينَ خصيبُ
لقد عَمَّهمْ جُودُ الإمامِ فكلّهم ... له في الذي حازتْ يداه نصيبُ

صوت

فلمّا وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه محمدِ بنِ أبي محمد بمثله .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أحمد عن أبيه قال : استأذن أبو محمد الرشيدَ وهو بالرقّةِ في الحجّ ، فأذِن له ، فلمّا عاد أنشدنا لنفسه[1] : [من البسيط]

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل ... إلى الأحبّةِ بالإزعاجِ والعَجَلِ
نَحثّهنَّ ولا يُؤتَيْنَ من دأبٍ ... لكنَّ للشوقِ حثّاً ليس للإبلِ
يا نائياً قرُبَتْ منه وساوسه ... أمسى قرينَ الهوى والشوقِ والوجلِ
إن طالَ عهدكَ بالأحبابِ مغترباً ... فإن عهدكَ بالتسهيدِ لم يَطلِ
أما اشتفى الدّهرُ من حَرّانَ مُختبلٍ ... صبٍّ الفؤاد إلى حَرّانَ مُختَبَلِ
عِش بالرجاءِ وأمِّلِ قربَ دارهمُ ... لعلّ نفسكَ أنْ تبقى مع الأملِ

1 شعر اليزيديين : 69–70 .

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيديّ وولد ولده فمنهم

[421] ـ محمد بن أبي محمد[1]

[شعر له غنى فيه]

ومِمّا يُغنّى فيه من شعره قوله : [من مجزوء الوافر]

صوت[2]

أَتيتُكَ عائـذاً بِكَ منـ ـكَ لما ضاقتْ الحِيلُ
وصيَّرني هـواكَ وَبي لِحَينـي يُضْـرَبُ المثلُ
فإنْ سلِمَتْ لكم نفسي فمـا لاقيتـه جَلَـلُ
وإن قَتل الهـوى رجلاً فإنِّـي ذلـكَ الرجلُ

الشعر لمحمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ ، يُكنى أبا عبد الله ، والغناء لسُلَيم بنِ سَلام ، ثقيل أوّل بالبِنصر ، وله أيضاً فيه ماخوريٌّ . وكان سليم صديقَ محمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ ، كثيرَ العشرة له ، وليس في شيء من شعره صنعة إلاّ لهُ . وله يقول محمد بنُ أبي محمد اليزيديّ[3] : [من الخفيف]

صوت

بأَبـي أَنـتَ يـا سُلَيم وأُمِّي ضِقتُ ذَرعاً بهجرِ مـن لا أُسمِّي
صدَّ عنِّي أَقَـرُّ مَـن خلقَ اللـ ـه لعينـي فاشتدَّ غمِّـي وهمِّي
ما اختيالي إنْ كان في القدَر السا بق لِلحَـينِ أَن أَموتَ بسُقمي ؟

الغناء لسُلَيم ، خفيفُ رمل بالوُسطى عن عمرو .

[ثناء أبي ظبية العكليّ]

أَخبرني محمدُ بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن أَخيه أَبي جعفرٍ عن أَبيه محمدِ بن أبي محمد قال : قال لي أبي : نظر إليك أبو ظبية العُكْليّ ، وقد جاءَني ، فقال لي ، وقد أَقبلْتُ : [من الكامل]

يَلِـد الرجـالُ بَنيهمُ أُولادَهمْ وولدْتَ أَنتَ أَبـاً من الأولادِ

1 لمحمد بن أبي محمد اليزيديّ ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 327–329 وتاريخ بغداد 3 : 412 .
2 شعر اليزيديين : 108 .
3 شعر اليزيديين : 114 عن الأغاني .

قال أبو محمد : وكتب أبو ظبية يوماً : [من الطويل]

أيحيى لقد زُرناك نلتمسُ الجَدا وأنتَ امرؤ يرجَى جَداه ونائلُهْ
وما صَنع المعروفَ في الناسِ صانعٌ فيُحْمَدَ إلاّ أنت بالخيرِ فاضلُهْ
تخيركَ الناسَ الخليفةُ لابنه وأحكمْتَ منه كلَّ أمر يحاولُهْ
فما ظَنَّ ذو ظنٍّ من النّاسِ علمه كعلمكَ إلاّ مخطىءُ الظنِّ فائلُهْ[1]
إليكَ تناهتْ غايةُ النّاس كلِّهم إذا اشتبهَتْ عند البصيرِ مسائلُهْ

قال أبو محمد : فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أبا ظبيةَ اسمعْ ما أقولُ فَخيْرُ ما يقال إذا ما قيل صُدّق قائلُهْ
إذا شئتَ فانهَدْ بي إلى مَن أردتَه وأمَّلتَ جدواه فإنّي منازلُهْ[3]
فإن يكُ تقصيرٌ ولا يكُ عارفاً بحقِّك فاعذِ لَهُ فتكثرْ عواذلُهْ

[العبّاس بن الأحنف يتمنى بيتين له]

حدَّثني أبو عبد الله محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي قال : صِرْت إلى العبّاس بن الأحنف ، فقال لي ما حاجتكَ ؟ قلتُ : أمرني أخوكَ وأبي أن أصبر إليك وأستفيدَ منك . فقال لي : أتصير إليّ ؟ ودِدْت أنّي سبقتك إلى بيتين قلتَهما وأنّي لم أقلْ من الشعر شيئاً غيرهما . فدخلني من السرورِ ما اللهُ به عليم ، فقلت : وما هما ؟ فقال : قولك[4] : [من مجزوء الرمل]

يا بَعيدَ الدّارِ موصو لاً بقلبي ولِساني
رُبّما باعدكَ الدهـ ـرُ وأدنتك الأماني

[سرق معنيين من مسلم]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني محمدُ بنُ داودَ الجراحُ قال : حدَّثني أبو القاسمِ عُبَيد الله بنُ محمد اليزيديُّ قال : حدَّثني أحمد بنُ محمد قال : سمعتُ أبي يقول : ما سرقْتُ من الشعر شيئاً إلاّ معنيين : قال مُسلم بن الوليد[5] : [من الخفيف]

---

1 الفائل : الخاطىء الضعيف .
2 شعر اليزيديين : 65 .
3 نهد : نهض ومضى .
4 شعر اليزيديين : 120 .
5 ديوان مسلم : 342 .

ذاك ظبي تحيّر الحسنُ في الأر كانِ منه وحلَّ كلَّ مكانِ
عَرَضَتْ دونه الحِجالِ فما يلـ ـقاكَ إلاّ في النومِ أو في الأماني

فقلت :

يا بعيدَ الدارِ موصو لاً بقلبي ولساني
رُبَّما باعدكَ الدهـ ـرُ وأدنتكَ الأماني

وقال مسلم أيضاً[1] : [من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيلِ حُبٍّ أُصيب فإنّني ذاكِ القتيلُ

فقلت أنا :

أتيتكِ عائذاً بكِ منـ ـكِ لما ضاقتْ الحِيلُ
وصيّرني هواكِ وبي لِحَيْني يُضْرَب المثلُ
فإن سلمَتْ لكم نفسي فما لاقيته جَللُ
وإنّ قَتل الهوى رجلاً فإنّي ذلك الرجلُ

[يعتب على صديق له فيجيبه]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفر قال : عتَب أبي ، يعني محمدَ بن أبي محمد ، على يونس بنِ الرَّبيع ، وكان صديقَه فكتب إليه[2] : [من الطويل]

سأبكيكَ حيّاً لابكيتكَ ميّتاً بأربعة تجري عليك هُمولا
وأعفيك من طولِ اللقاءِ وإنّني أرى اليومَ لا أَلقاكَ فيه طويلاً
فكيف بصبري عنكَ لا كيف بعدما حللْتَ محلّاً في الفؤادِ جليلا

قال ، وكتب إليه يونس : [من الوافر]

إلى كَم قد بَلِيت وليس يَبلى عتاب منك لي أبداً طويلُ
إذا كثر التجنّي من خليل ولم تُذنبْ فقد ظَلم الخليلُ

[شعر في قنفذ]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الحسنُ بن الفهم قال : قال لي أبو سمير عبد الله بن أيّوبَ مولى بني أميّة : باتَ عندي ليلةً محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه

1 ديوان مسلم : 335 .
2 شعر اليزيديين : 110 عن الأغاني .

شيئاً ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وطارقِ ليـــل زارنــا بعد هَجْعة ... من الليــلِ إلاّ مــا تحدث سامرُ
فقلْتُ لعبدِ اللهِ مــا طارقٌ أتــى ... فقــال امــرؤ سبقَت إليه المقادرُ
قَرَينــاه صفو الزادِ حــين رأيته ... وقد جاء خفَّاقَ الحشا وهو سادرُ
جميلُ المحَيّـــا والرِّضا فإذا أُبي ... حَمَتْه مــن الضيمِ الرِّماح الشَّواجرُ
ولستَ تــراه واضعــاً لسلاحــه ... مدى الدهر موتوراً ولا هو واترُ

[حُجب عن المأمون ثم أُذن له]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : حدَّثني أبو صالح بن يزداد قال : حدَّثني أبي قال : جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر ، فاستأذن ، فقال الحاجب : قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد . قال : فأمَرك ألاّ توصل إليه رقعة ؟ قال : لا ، فدَفع إليه رقعة فيها[2] : [من الوافر]

هديَّتَـــي التحيّـــةُ للإمـامِ ... إمــامَ العــدل والملكِ الهمامِ
لأَنّــي لــو بذلْتُ لــه حياتي ... ومــا أحــوي لقــلاّ للإمامِ
أَراك مــن الدواء اللهُ نفعــاً ... وعافيــةً تكــون إلى تمامِ
وأَعقبكَ السلامةَ منـــه رَبٌّ ... يُريـك سلامـــةَ في كلِّ عامِ
أتــأذن في السّلامِ بِــلا كلامٍ ... سوى تقبيلُ كَفــكَّ والسلامِ

قال : فأوصلها ، وخرج فأذِن له ، فدخل وسلَّم وحُمِلَتْ معه ألفا دينارٍ .

[المعتصم يستحسن شعراً قاله]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الفضلُ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي : قال : دخلْتُ إلى المعتصِم وهو ولي عهد وقد طلع القمر ، فتنفّس ثم قال : يا محمد ، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر ، فإنّه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع ، فإن كان كما أُحِبّ فلكَ بكلِّ بيت مائة دينار ، فقلت[3] : [من المنسرح]

صوت

هذا شبيه الحبيبِ قد طلعا ... غابَ كما غابَ ثــم قد لمعا

---

1 شعر اليزيديين : 104 .
2 شعر اليزيديين : 115 .
3 شعر اليزيديين : 106 عن الأغاني .

وما أرى غيرَه يشاكلـه فاسأله باللهِ عنه ما صنعا
فـرَّقَ بيني وبينه قـدَر هـو الذي كان بيننا جمَعا
فهـل لـه عـودة فأرقبَها كما رأينا شِبهه رجعا

فقال : أحسنت وحياتي ، ثم قال لعَلّويه : غنِّ في هذه الأبيات ، وكان حاضراً ، فغنّى فيها ، وشرب عليها ليلته ، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعَلّويَه بمثلها .

لَحْن علّويَه في هذه الأبيات رَمَل .

[حكم المأمون له بثلاثة آلاف دينار]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني أخي عن أبي قال : شكوْت إلى المأمون دَيناً عليّ ، فقال : إنّ عبدَ الله بنَ طاهر اليوم عندي ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمْتَ بذلك فاستدعِ أن يكون دخولُك أو إخراجَه إليك ، فإنِّي سأحكم لك عليه بمال . فلمّا علمت أنّهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار ، وكتبتُ بهذين البيتين[1] : [من السريع]

يـا خيرَ ساداتٍ وأصحـابِ هـذا الطفيـليُّ على البابِ
فصيِّروا لي معكـمْ مجلساً أو أخرِجُوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه ، فلمّا قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسلوه أن يختار . فكُتِب إليّ : أمّا وصولك فلا سبيل إليه ، ولكن من تختار لِنخرجَه إليك فتَمضي معه . فكتبْت : ما كنتُ لأختار على أبي العبّاس[2] أحداً . فقال له المأمون : قُم إلى صديقك . فقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك ، أتُخرجُني عمّا شرفْتَني به من منادمتك وتُبدلُني بها منادمة ابن اليزيديّ ؟ قال : لا بدّ من ذلك أو ترضيَه . قال : فليحتكِم . قال : أخاف أن يشتطَ أو تقصِّرَ أنت ، ولكنِّي أحكم فأعدِل . قال : قد رضيتُ . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجَّلة . قال : قد فعلت ، فأمَر صاحبَ بيت المال أن يحملَها معي ، وأمر عبدُ الله برَدّها إلى بيت المال .

[حرم الجارية فعوضه المأمون بالمال]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد قال : كان محمدُ بنُ أَبي محمدِ اليزيديُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عُليا ، وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهنّ وجهاً وغناء ، فأُعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار ، وذلك في خلافة المأمون ؛ وكان عليُّ بنُ الهَيثم جونقاً صديقاً لمحمدِ بنِ أبي محمد اليزيديِّ . فبلغ المأمونَ

1 في شعر اليزيديين : 36 ثلاثة أبيات نسبت في المصادر إلى أبي محمد .

2 كنية عبد الله بن طاهر .

الخبرُ ، فدعا محمداً ، وقال : ما قصتك مع عُليّا ؟ قال : قد قلتُ في ذلك أبياتاً ، فإن أذِن أمير المؤمنين أنشدتها . قال : هاتها فأنشده[1] : [من البسيط]

أشكــو إلى اللهِ حُبِّــي للعَلّيينا ... وأنّنــي فيهــمُ ألقــى الأمرينا
حَسْبي عليّــاً أمير المؤمنين فقد ... أصبحتُ حقّاً أرى حبِّي له دِينا
وحبَّ خِلِّي وخُلصاني أبي حسن ... أعنــي عليّــا قريــعَ التغلَبيينا[2]
ورِقتــي لبُنَيٍّ لي أُصيبت بــه ... وَجْدي بـه فوق وجد الآدميينا[3]
ورابع قــد رمــى قلبي بأسهمه ... فجُـزْت في حبّــه حــدّ المحبّينا
وبعض مَــن لا أُسمِّي قــد تملَّكه ... فرُحْــتُ عنــه بما أعيا المداوينا
أتــاه بالدِّينِ والدُّنيــا تمكنُّــه ... فلم يــدَع ليَ لا دُنيـا ولا دِينا

قال : فقال المأمون : لولا أنّه أبو إسحاق لانتزعتُها منه ، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً ، ولقِيني المعتصم في الدّار فقال لي : يا محمد ، قد علمتُ ما آل إليه أمرُ فلانةَ ، فلا تذكرنّها . فقلت : السمعُ والطاعة لأمرك .

[المأمون يقترح عليه شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا أبو العبّاس محمد بنُ الحسنِ بنِ دينار مولى بني هاشم قال : حدَّثني جعفرُ بنُ محمد اليزيديُّ عن أبيه محمدِ بنِ أبي محمد قال : كنت عند المأمون فقال لي : يا محمد ، قل شعراً في نحو هذين البيتين : [من الطويل]

صحيحٌ يــودُّ السُّقمَ كيما تعُودهُ ... وإن لم تَعُده عـاد عنهــا رسولُها
لِيعلمَ هــلْ ترتــاعُ عندَ شَكاته ... كما قــد يروعُ المُشفقات خليلُها ؟

قال فقلت[4] : [من الوافر]

صحيحٌ وَدّ لو أمسى عليلاً ... لتكتبَ أو يرى منكم رسولا
رآك تسومُه الهجــران حتــى ... إذا ما اعتلّ كنتَ له وَصولا
فودَّ ضَنا الحياةِ بوصلِ يــوم ... يكــون على هواكَ لــه دليلا

---

1 شعر اليزيديين : 117 عن الأغاني .
2 خلصاني : صفيي ، للواحد والجمع . والمقصود هنا صديقه علي بن الهيثم .
3 يعني هنا ابناً له اسمه علي كان قد توفي .
4 شعر اليزيديين : 109 .

هما موتان موت هوى وهَجرٍ ... وموت الهجـر شرُّهمـا سبيلا

قال : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ عن أبيه قال : دخلت على المأمون وهو يشرب ، وعنده عَرِيب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنّر يغنّيانه ؛ فقال : أطعموا محمدًا شيئاً ، فقلت : قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين ؛ فقال : أما ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلاّ أقلّه ، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب ؟ فقلت : قول الحَكَميّ[1] : [من المديد]

عتقـت حتى لـو اتَصلتْ ... بلسـانٍ ناطـــقٍ وفـمِ

لاحتبتْ في القـومِ ماثلةً ... ثـم قصّت قصّـة الأُممِ

فقال : هذا كان في نفسي ، ثم قال : اسقُوا محمداً رطلَيْن ، وأعطوه عشرين ألف درهم ، ثم نكت في الأرض ورفع رأسَه ثم قال : يا محمّد : [من البسيط]

إنّي وأنت رضيعا قهوةٍ لطفتْ ... عن العِيان ودقّت عن مَدى الفَهمِ

لم نرتضعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ ... والكأسُ حُرْمتها أُولى من الرَّحمِ

قال : والشّعر له قاله في ذلك الوقت .

وممّا فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد ، أنشدناه محمد بن العبّاس عن عمّه عُبيد الله عن أخيه أحمد[2] : [من المجتث]

صوت

أنـــت امـرؤ متجـنٍّ ... ولسْت بـــالغضبانِ

أنت امـرؤ لك شأنٌ ... فيمـا أرى غير شانِي

صرِّحْ بما عنـه أكْني ... أكـفَّ عنـك لساني

حسْبي أسأتُ فهـلا ... مَنَنْـــتَ بـــالغفرانِ

ومنها[3] : [من السريع]

صوت

يـــا أحسنَ الأُمـة في ... عينـــي أمـــا ترحمُنـــي

---

1 ديوان أبي نواس : 41 .

2 شعر اليزيديين : 121 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 118 عن الأغاني .

أَما تـــراني كامــداً موكَـــلاً بـــالحزَنِ
أَمـــا تـــرى فيك مُدا راتـــي لأَهْــلِ الظَنِ
أصرفُ طَرْفي عنك خَوْ فــاً منــه أَن يَفْضَحَني
يَـــراني الله ومـــا ألْـ ـــغى وإنْ لَـــمْ تَـرَني

* * *

ومِمّن له شعر فيه صنعة من ولد أَبي محمد اليزيديّ لصلبه إبراهيم[1]

صوت

[من مخلع البسيط]

لا تلحَني إن منحتُ عِشقاً مَـن كان للعشق مستحِقا
ولم يقــدِّمْ عــليّ خَلقــا ولم أُقـــدّم عليـه خلقـا
يملكُ رقّـي ولستُ أَبغي من مِلكه ما حييت عتقا
لم أَرَ فيمـن هويت خلقا أعطــفَ منــه ولا أَرقّــا

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيديّ ، والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، خفيف ثقيل مطلق . وفيه لعريب رمل مزموم .

1 شعر اليزيديين : 137 عن الأغاني .

[422] ـ أخبار إبراهيم[1]

[مع عريب]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ قال : حدَّثنا أحمدُ عن عمِّه إبراهيمَ قال : كنت مع المأمون في بلد الرّوم ، فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذاتِ غيمٍ وريح وإلى جانبي قُبّة ، فبرقَت بَرْقةٌ وإذا في القبّة عَريب . قالت : إبراهيمُ بنُ اليزيديّ ؟ فقلت : لبيك ! فقالت : قُل في هذا البرق أبياتاً مِلاحاً لأغنِّي فيها ، فقلت[2] : [من الرجز]

ماذا بقلبي من أليم الخَفَقْ إذا رأيتُ لَمعانِ البرْقِ
مِن قِبَلِ الأُرْدُنِّ أو دمشقَ لأنَّ مَن أهوى بذاك الأُفْقِ
فارقتُه وهو أعزُّ الخلقِ عليّ والزُّورُ خلاف الحقِّ
ذاكَ الذي يملكُ منِّي رقي ولستُ أبغي ما حييتُ عتقي

قال : فتنفسَت نفساً ظننته قد قطع حيازيمها ؛ فقلت : ويحكِ على مَن هذا ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كلُّه للوطن ، فقالت : ويلك ! أفتراك ظننتَ أنّك تستفزّني ؟ والله لقد نظرتُ نظرة مُريبة في مجلس ، فادعاها أكثرُ من ثلاثين رئيساً ، والله ما علِم أحد منهم لَمن كانت إلى هذا اليوم .

[في سيحان]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي عن عمِّي إبراهيم بن أبي محمد : أنّه كان مع المعتصم لّما خرج إلى الغزو ، قال فكُتِب في رُفقه فيها فتى من أهلِ البصرة ، ظريفٌ أديبٌ شاعرٌ راويةٌ ، فكان لي فيه أُنس ، وكنّا لا نفترق حتى غزَونا وعدنا . فعاد إلى البصرة ، وكان له بستان حسن بسيحانَ ، فكان أكثرُ مُقامه به ، وعُزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عَرضت لي ، فكان أكثرُ نشاطي لها من أجله ، فوردْتُها ، ونظرتُ فيما وردتُ له ، ثم سألتُ عنه ، ومضيت إليه ، فكاد أن يُستطار بي فرحاً ، وأقمتُ بسيحانَ معه أيّاماً ، وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه[3] : [من البسيط]

---

1 ترجمة إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في معجم الأدباء (عباس) : 160–163 وتاريخ بغداد 6 : 209 ونور القبس : 89 ومصورة ابن عساكر 2 : 562 وتهذيب ابن عساكر 2 : 311 وإنباه الرواة 1 : 189 ونزهة الألباء : 114 وطبقات الجزري 1 : 29 والوافي 6 : 165 وبغية الوعاة 1 : 434 والمقفى 1 : 332 .

2 شعر اليزيديين : 138 .

3 شعر اليزيديين : 140 .

يـا مسعَديّ بسيحانٍ فدَيتكما حُثّا المدامـة في أكنافِ سيحانا
نَهْر كريم من الفِردوسِ مَخرجه بـذاك خبرنـا مـن كان أنبانا
لا تحسداني رَواحـاً أو مباكرة طِيبَ المسير على سيحان أحيانا
يشطّ سيحـان إنسان كلِفْتُ به نفسي تقي ذلك الإنسان إنسانا
ريّـاه ريحاننـا والكأسُ معملة لا شيء أطيبُ من ريّاه ريحانا
حُثا شَرابكما حتـى أرى بكما سُكراً فإنّيَ قد أمسيتُ سكرانا
ريّـا الحبيب وكأسٌ مـن معتّقه يُهيّجـان لنفس الصّبّ أشجانا
سَقيا لسيحانَ من نهر ومن وطنٍ وساكنيه مـن السكّان مَن كانا
هُـم الذيـن عقَدنـا الودَّ بينهمُ وبيننا وهُـمُ في دَيـرِ مُرّانا[1]

[دعوة إلى مجلس شراب]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن جماعة من أهلِنا : أنّ إبراهيمَ بنَ أبي محمدٍ اليزيديَّ كان يعاشر أبا غسان ، مولى منيرة ؛ وكانت لـه جارية مغنّية ؛ يقال لها جـاني ؛ فدَعاه يوماً أبو غسان وجلسنـا للشرب ، فقـال لـه : لو دعوْتَ ابنَ أخيك ، يعني أحمد بن محمدَ بنَ أبي محمد ، لنأنس به . فكتب إليه إبراهيم[2] : [من المجتث]

يا أكـرمَ الناسِ طُرّاً وأكـرم الفتيـانِ[3]
بـادرِ إلينـا لكيما تُسقى سُلاف الدِّنانِ
على غِنـاء غـزال مُهَفْهَـفٍ فتّـانِ
اشرَبْ على وجه جاني شرابَـك الخُسَرواني
فمـا لِجـانِ نظيـرٌ ومالُهـا مـن مُدانِ
إلاّ الذي هـو فَـرد ومالـه مـن ثـانِ
أعنـي الهلال لِستٍّ في شهـره وثمـانِ
للنّـاسِ بَـدرٌ منيرٌ يُـرى بكلِّ مكانِ
ومـا لنا غيرُ بـدر لـدى أبـي غسانِ

---

1 دير قرب دمشق مشرف على مزارع ورياض .
2 شعر اليزيديين : 141 عن الأغاني .
3 وأكرم في شعر اليزيديين : وأظرف .

ذِكْراه في كلِّ وقتٍ موصولةٌ بلساني
سبَيْتُه وسباني فحُبُّه قد براني
مِن ثم لستَ تَراني أصبو إلى إنسانِ

[في بعض إخوانه]

أنشدنا أبو عبد الله اليزيديُّ عن عمِّه الفضلِ لإبراهيمَ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ في بعض إخوانه، وقد رأى منه جفوة، ثم عاد واستصلحه، فكتب إليه[1]: [من الكامل]

مَن تاه واحدة فتِهْ عَشْرا كي لا يحوز بنفسه القدرا
وإذا زها أحدٌ عليكَ فكن أزهى عليه ولا تكن غُمْرا
أرأيتَ مَن لم ترجُ منفعةً منه ولم تحذرْ له ضَرا
لم يُستذَلّ وتُستذلّ له بل كن أشدّ إذا زها كِبرا[2]

[عربدة في مجلس الخليفة]

حدَّثني عمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ قالا: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني أبي عن جعفرِ بن المأمون قال: دخل إبراهيم بنُ أبي محمدٍ اليزيديُّ على أبي وهو يشرب، فأمره بالجلوس فجلس، وأمر له بشراب فشرب. وزاد في الشرب فسَكِرَ وعَرْبد، فأخذ عليُّ بنُ صالحٍ صاحبُ المصلَّى بيده، فأخرجه فلمّا أصبح كتب إلى أبي[3]: [من الطويل]

أنا المذنبُ الخطّاءُ والعفوُ واسعٌ ولو لم يكن ذنب لَما عُرِف العفوُ
ثمِلتُ فأبدتْ منّي الكأسُ بعض ما كرهتُ وما إن يستوي السكر والصحوُ
ولولا حُمَيّا الكأس كان احتمال ما بَدَهتُ به لا شكَّ فيه هو السَّرْوُ[4]
ولا سيما إذ كنتُ عند خليفةٍ وفي مجلس ما إن يجوزُ به اللغوُ
تنصلتُ من ذنبي تنصُّلَ ضارعٍ إلى مَن لديه يُغْفَرُ العمدُ والسهوُ
فإن تعفُ عنّي تُلْفِ خطويَ واسعاً وإلاّ يكن عفو فقد قصرَ الخطوُ

[حجبه هارون بن المأمون]

حدَّثني عمِّي قال: حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: جاء عمِّي إبراهيمُ إلى هارونَ

---

1 شعر اليزيديين: 132 عن الأغاني.
2 شعر اليزيديين: لم تسترك.
3 شعر اليزيديين: 143.
4 السرو: الفضل والسخاء في المروءة.

ابن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة . فلم يصل إليه وحُجب عنه ، فكتب إليه[1] : [من الكامل]

غلبَتْ عليكم هذه القَدَريّةْ — فعليكمُ منّي السَّلام تحيّةْ
آتيكمُ شوقاً فلا ألقاكمُ — وهمُ لدَيكم بُكرةً وعشيّةْ
هارونُ قائدُهم وقد حَفَّتْ به — أشياعه وكفى بتلك بليّةْ
لكنَّ قائدَنا الإمامُ ورأينا — ما قد رآه فنحنُ مأمونيّةْ

[في غلام ألفه ابنه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الفضلُ قال : كان لعمّي إبراهيمَ ابنٌ يقال له : إسحاق ، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي . فلمّا خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه ، وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر ، وعرف إبراهيم أنّه قد صحِب فتى من فتيان العسكر غير ابنه ، فكتب عمّي إبراهيم إلى ابنه[2] : [من السريع]

قُل لأبي يعقوب إنَّ الذي — يعرفه قد فعلَ الحُوبا[3]
كان محبّاً لكَ فيما مضى — فالآن قد صادفَ محبوبا
يركبُ هذا ذا وذا ذا فما — ينفك تصعيداً وتصويبا
فرأسُ إسحاقَ فدَيناه قد — أُظهر شيئاً كان محجوبا
أرى قروناً قد تجَلّلته — منصوبةً شُعِّبن تشعيبا
أظنّه يعجز عن حملها — إذ رُكّبت في الرأسِ تركيبا
يا رحمتا لابني على ضعفه — يحملُ منهنّ أعاجيبا

[ابن أخيه يستزيد عنايته]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني فضلٌ اليزيديُّ قال : كتبتُ إلى عمّي إبراهيمَ أستعين به في حاجة لي ، وأستزيده من عنايته بأموري ، وأطالبه أن يتوفّر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه ، فكتب إليّ[4] : [من المتقارب]

فدَيتك لو لم تكن لي قريباً — وكنتُ امرءاً أجنبيّاً غريبا

---

1 شعر اليزيديين : 145 عن الأغاني .
2 شعر اليزيديين : 127 عن الأغاني .
3 الحوب : الإثم .
4 شعر اليزيديين : 128–130 عن الأغاني .

مـع البرِّ منك ومـا يستجر　　بـه مستخفّـاً إليـك اللبيبا[1]
لمـا إن جعلْت لخلـق سوا　　ك مثـلَ نصيبك منّي نصيبا
وكنـتَ المقـدّم مِمّن أودّ　　وازداد حقّك عندي وُجوبا
تَلطّفْ لمـا قـد تكلّمتُ فيه　　فما زلتَ في الحاجِ شهماً نجيبا
وراوض أبـا حسن إن رأيـ　　ـتَ واحتل بِرِفقك حتى يجيبا
فإن هـو صار إلى مـا تريد　　وإلاّ استعنـتَ عليـه الحبيبا
ومـا لا يخالف مـا تشتهيه　　لِتلفِيَـه غيـرَ شكّ مجيبا[2]
يـودك خاقـان وُدّاً عجيباً　　كذاك الأديـب يحبُّ الأديبا
وأنتَ تكافيه بـل قـد تزيد　　عليـه وتجمـع فيـه ضروبا
تُثيب أخـاك على الودِّ منـه　　وذو اللـبِّ يأنـفُ ألاّ يثيبا
ولا سيّمـا إذ بَـراه الإلـ　　ـه كالبدر يدعو إليه القلوبا
يـرى المتمنّـي لـه رِدْفَه　　كثيباً وأعلاه يحكـي القضيبا
وقد فاقَ في العلمِ والفهمِ منه　　كما تـمَّ مِلْحاً وحسناً وطيبا[3]
ويبلـغ فيما يقولـون ليس　　يعـاف إذا ناولـوه القضيبا
ولكنّـه وافَـق الزاهديـن　　فخاب وقد ظَنَّ أن لن يخيبا
وإن ركِـب المـرء فيه هوا　　هُ عـاثَ فتطهيره أن يثوبا
إذا زارت الشاة ذئبـاً طبيباً　　فـلا تأمَـنَّ على الشاةِ ذيبا
وعند الطبيبِ شفـاءُ السقيمِ　　إذا اعتلَّ يومـاً وجاء الطبيبا
ولستَ تـرى فارساً في الأنا　　مِ إلاّ وَثُوبـاً يجيـد الركوبا

[رفقة سفر]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال: حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال: وحدَّثني أخي أحمد قال: زامل المأمونُ في بعض أسفاره بين يحيى بنِ أكثمَ وعبّادةَ المخنَّث، فقال عمِّي إبراهيم في ذلك[4]: [من السريع]

وحـاكِمٍ زامـلَ عبّـاده　　ولم يـزلْ تلـك لـه عادَهْ

---

1 ما يستجر في الشعر: وما تنجز.
2 تشتهيه في الشعر: أشتهيه.
3 الملح: الملاحة والحسن.
4 شعر اليزيديين: 131 عن الأغاني.

لو جاز لي حُكم لَما جاز أن ... يحكـم في قيمـةِ لُبّـادَهْ
كم مـن غلام عـزَّ في أهله ... وافـتْ قفـاه منـه سجادَهْ[1]

[قاضي القضاة يلوط]

وقال في يحيى أيضاً[2] : [من الطويل]

وكنّا نرجّي أنْ نرى العدلَ ظاهراً ... فأعقبنـا بعـدَ الرجـاءِ قُنوطُ
متـى تصلحُ الدُّنيا ويصلحُ أهلُها ... وقاضـي قضاةِ المسلمينَ يلوطُ !

[المأمون ويحيى بن أكثم]

وأخبرني عمِّي حدَّثنا أبو العيناء قال : نظر المأمون إلى يحيى بنِ أكثمَ يلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرضْ له إذا قمت ؛ فإنِّي سأقوم للوضوء ، وأمره ألاّ يبرحَ ، وعُدْ إليّ بما يقول لك ، وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلمّا غَمزه الخادم بعينه ، قال يحيى : ﴿لولا أنتم لَكنَّا مُؤمنينَ﴾[3] فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره ، فقال له : عُدْ إليه فقُل له : ﴿أَنَحْنُ صَدَدْناكم عَنِ الهُدى بعدَ إذ جاءَكم بَلْ كنتُم مُجرمينَ﴾[4] . فخرج الخادم إليه ، فقال له ما أمره به المأمون ، فأطرَق يحيى وكادَ يموتُ جزعاً ، وخرج المأمون وهو يقول : [من الطويل]

متى تصلحُ الدُّنيا ويصلحُ أهلُها ... وقاضي قضاةِ المسلمـين يلوطُ !

قُم وانصرفْ ، واتَّقِ اللهَ ، وأصلح نيَّتكَ .

[يرتجل في مجلس المأمون]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني ابن عمِّي إسحاق بن إبراهيم بنِ أبي محمد اليزيديّ عن أبيه إبراهيم قال : كنتُ عند المأمون يوماً وبحضرته عَريبُ ، فقالت لي على سبيل الوَلَع بي : يا سلعوس ، وكان جَواري المأمون يلقبنَني بذلك عبثاً ، فقلت لها[5] : [من الطويل]

قُلْ لعريـبٍ لا تكوني مسلعسه ... وكوني كتتريفٍ وكوني كمونسَهْ

فقال المأمون : [من الطويل]

فإن كثرَتْ منكَ الأقاويلُ لم يكن ... هنالكَ شكٌّ أنّ ذا منكَ وسوسَهْ

قال : فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردتُ أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون .

---

1 السجادة : أثر السجود في الجبهة ، وجعلها في قفاه .
2 شعر اليزيديين : 136 .
3 سورة سبأ ، الآية 31 .
4 سورة سبأ ، الآية : 32 .
5 شعر اليزيديين : 135 .

مِمَّن غُنِّيَ في شعره من ولد أبي محمد اليزيديّ

[423] ـ أبو جعفر أحمد بن محمد[1]

فمن ذلك[2] : [من البسيط]

صوت

شوقي إليكَ على الأيّامِ يــزدادُ والقلبُ مُذ غبْتَ للأحزانِ معتادُ
يا لهفَ نفسي على دهر فُجعتُ به كأنَّ أيّامــه في الحسنِ أعيـادُ

الشعر لأحمدَ بن محمدِ بنِ أبي محمد ، والغِناء لِبَحر هزج ، وفيه ثاني ثقيل مطلق . ذكر الهِشاميّ أنّه لإسحاق ، وما أراه أصاب ، ولا هو في جامع إسحاق ، ولا يشبه صنعته .

وكان أحمد راوية لعلم أهله ، فاضلاً أديباً ، وكان أسنّ وَلَد محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان إخوته جميعاً يأثِرون علوم جدِّهم وعمومتِهم عنه ، وقد أدرك أبا محمد ، وأظنّ أنّه قد روى عنه أيضاً ، إلاّ أنّي لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكري إيّاه فأحكيَه عنه .

[كتاب عمّه لما بات عند ابن المأمون]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أبو جعفر قال : كنتُ عند جعفرِ بنِ المأمون مقيماً ، فلمّا أردت الانصرافَ منعني ، فبتّ عنده ، وزارته لما أصبحنا عريبُ في جواريها ؛ وبتّ فاحتبسها من غدٍ ؛ فاستطبتُ المقام أيضاً فأقمت ، فكتب إليّ عمّي إبراهيم بن محمد اليزيديّ[3] : [من السريع]

شردْتَ يـا هذا شُرودَ البعيرْ وطالــت الغيبةُ عنــد الأميرْ
أقمــتَ يومَيْــنِ وليليهمــا وثالثــاً تُحبــى ببــرٍّ كثيرْ
يــومُ عَريــبٍ مــع إحسانها إن طالت الأيّامُ يــوم قصيرْ

---

1 ترجمة أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ في معجم الأدباء (عبّاس) : 434–436 وطبقات الزبيديّ : 82–86 وبغية الطلب 2 : 13 وتاريخ بغداد 5 : 117 وإنباه الرواة 1 : 127 والوافي 7 : 388 وطبقات ابن الجزري 1 : 133 وبغية الوعاة 1 : 386 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 82–83 ومختصر ابن منظور 3 : 289 .

2 شعر اليزيديين : 163 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 133–134 عن الأغاني .

لَهـــا أُغـــانٍ غيرُ مملولـــة ... منها ولا تخلُق عنــد الكرورْ
غيرُ مَلــوم يــا أَبــا جعفر ... أَن تؤثرَ اللهوَ ويـومَ السرورْ
فاجعل لنـا منك نصيباً فما ... إن كنتَ عن مجلسنا بالنَّفورْ
وصِر إلينا غير مـــا صاغر ... أَصارك الرحمـنُ خيرَ المصيرْ
إن لم يكن عندي غِنـاء ولا ... عُود فعندي القَمْر بالنردشيرْ[1]
والذّكر بالعلمِ الذي قد مضى ... بأَهلِه حادثُ صَرْفِ الدّهورْ
وهـــو جديــدَ عندنـا نهجه ... أَعلامــه تحويه منّـا الصدورْ
فالحمـــدُ للهِ عــلى كلِّ مـــا ... أُولى وأَبــلى ولِربِّي الشُّكورْ

[في غلام وسيم]

حدَّثنا محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ قال : سمعتُ أُخي أَبا جعفر أحمدَ بنَ محمد يقول : دخلتُ إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم ، فطلعَتْ عليه الشمس ، فما رأيت أحسن منها على وجهـه ؛ فقـال لي : يا أحمد ، قُل في هذا الخادم شيئـاً ، وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها ، فقلت[2] : [من السريع]

قد طلعَتْ شمسٌ على شمسٍ ... وطــابَ لي الهوى مع الأُنسِ
وكنتُ أَقلي الشمس فيما مضى ... فصرتُ أَشتــاقُ إلى الشمسِ

[جوابه عن اعتذار]

حدَّثني اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : كتب إلى أَخي بعض إخوانه مِمّن كان يألفه ويديم زيارته ، ثم انقطع عنه ، يعتذر إليه من تأخُّره عنه ، فكتب إليه[3] : [من السريع]

إنِّي امرؤ أعــذِر إخواني ... في تركهم برِّي وإتياني
لأنّه لا لهــوٌ عندي ولا ... لي اليومَ جاهٌ عند سلطانِ
وأَكثر الإخوان في دهرِنا ... أَصحاب تمييز ورُجحانِ
فمَــن أَتاني مُنْعماً مُفْضلاً ... فشكرُه عنــديَ شكرانِ
ومَن جَفاني لم يكن لومُه ... عنــدي ولا تعنيفُه شاني

1 القمر : الغَلَب في القمار . والنردشير : النرد .
2 شعر اليزيديين : 170 .
3 شعر اليزيديين : 176 .

أُعفو عن السيّيء من فِعلهم   وأُتبــع الحسنى بإحسانِ
حسْبُ صديقي أنّه واثقٌ   منِّــي بإسراري وإعلاني

[ينشد المأمون في حداثته]

حدَّثني اليزيديّ قال : حدَّثني أَبي عن عمِّي عن أَبي جعفرٍ أَحمدَ بنِ محمد قال : دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله ، وأنا يومئذٍ غلام ، فاستأذنت في الإنشادِ ، فأذِن ، فأَنشدته مديحاً لي مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلاّ بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمنشد : حسبُك ترفّعاً ، فأنشدته[1] : [من الكامل]

يـا مَنْ شكوتُ إليه مـا أَلقاهُ   وبذلــتُ مـن وَجدي له أَقصاهُ
فأَجابنـــي بخلافِ مـا أَمّلْتُه   ولربَّمـــا مُنع الحريـصُ مناهُ
أَترى جميلاً أَن شكا ذو صَبْوة   فهجرتَـه وغضبتَ من شكواهُ
يكفيك صَمتٌ أو جوابٌ مؤيسٌ   إن كنـتَ تَكـره وصله وهواهُ
موتُ المحبّ سعادةٌ إن كان مَن   يهـواه يزعـمُ أَن ذاك رضاهُ

فلمّا صرت إلى المديح قلت :

أَبقــي لنـــا اللّهُ الإمامَ وزادَه   عــزّاً إلى العــزِّ الذي أَعطاهُ
فـــاللّهُ مكرمنـا بأَنّـا معشر   عُتقاء مـــن نعم العباد سواهُ

فسرّ بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإيّاكم مِمّن يشكر النعمة ، ويحسن العمل .

[غضب المأمون ثم سكن غضبه]

أَخبرنا محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني أَبي عن أَخيه أَبي جعفر قال : دخلت يوماً على المأمون بقارا ، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه ؛ أوّله[2] : [من الكامل]

يـا قصرُ ذا النّخلات من بارا   إنّي حللتُ إليك مـن قارا[3]
أَبصـرتُ أَشجـاراً على نهـر   فذكــرتُ أَشجـاراً وأَنهـارا
للّهِ أَيّـــامٌ نعِمـــتُ بهـــا   بـالقُفْصِ أَحيانـــاً وفي بارا[4]

1 شعر اليزيديين : 177 .
2 شعر اليزيديين : 168–169 .
3 بارا : قرية كانت قريبة من بغداد .
4 القفص : قرية أخرى قريبة من بغداد كانت تقصد للنزهة ومجالس الفرح .

إذ لا أزال أزور غانيـــــة أَلهـو بهـــا وأزور خَمّـارا
لا أَستجيب لِمَن دَعا لهُدًى وأجيـبُ شطّـاراً ودُعّارا
أَعصي النصيحَ وكلَّ عاذلـة وأُطيـعُ أَوتـاراً ومـزمارا

قال : فغضب المأمون ، وقال : أنا في وجه عدو ، وأحضُ النّاسَ على الغزو ، وأنت تذكِّرهم نزهة بغداد ؟ فقلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوت بالمأمونِ عن سُكْري ورأيتُ خيرَ الأمـرِ ما اختارا
ورأيـتُ طاعَتَـهُ مؤديـةً لِلفَـرض إعلانـاً وإسرارا
فخلعتُ ثوبَ الهزلِ عن عنقي ورضِيتُ دارَ الجِدّ لي دارا
وظلِلتُ معتصماً بطاعتــهِ وجِـوارِه وكفـى بـه جارا
إنّ حَلَّ أرضاً فهْي لي وطنٌ وأسيرُ عنهـا حيثمـا سارا

فقال له يحيى بن أكثم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! أخبرَ أنّه كان في سكر وخَسار ، فترك ذلك وارعَوى ، وآثر طاعة خليفتِه ، وعلِم أنّ الرشد فيها ؛ فسكن وأمسك .

[يجيز بيتاً للمأمون]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يحيى بنِ أبي عباد قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملكِ الزيّاتُ عن أبيه قال : دعا المعتصمَ ذات يوم المأمونُ فجاءه ، فأجلسه في بيت على سَقْفِه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم ، وكان المعتصم أوجدَ النّاس به ، ولم يكن في عصره مثله ، فصاح المأمون يا أحمدُ بنَ محمد اليزيديِّ ، وكان حاضراً ، فقال : انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركيّ ، أرأيت أحسن من هذا قطّ ؟ وقد قلت : [من السريع]

قد طلعتْ شمسٌ على شمسٍ وزالــتْ الوحشةُ بـالأنسِ

أَجِزْ يا أحمدُ ، فقلت : [من السريع]

قد كنت أَشنا الشمس فيما مضى فصرتُ أَشتـاقُ إلى الشمسِ

قال : وفطِن المعتصم ، فعضَّ على شفته لأحمد . فقال أحمدُ للمأمون : واللهِ لئن لم يعلمْ الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنَّ معه فيما أُكره ، فدَعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم . فقال له المأمون : كثَّرَ اللهُ في غلمانك مثله ، إنّما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره .

[حقوقه على المأمون]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني عونُ بن محمدٍ قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمدٍ اليزيديُّ قال : كنّا بين يدي المأمون ، فأنشدتُه مدحاً ، فقال : لئن كانت حقوق أصحابي تجِب عليَّ لطاعتهم

بأنفسهم فإنّ أحمد مِمّن تجبُ له المراعاة لنفسه وصُحبته ، ولأبيه وخدمته ، ولَجَدِّه وقديم خدمته وحرمته ، وإنّه لَلْعَريق في خدمتنا . فقلت : قد علَّمْتَني يا أمير المؤمنين كيف أقول ، ثم تنحَّيتُ ورجعتُ إليه ، فأنشدته[1] : [من الكامل]

لي بالخليفــةِ أَعظــم السببِ فيــه أَمنتُ بوائــقَ العَطَبِ
ملِــك غذَتني كفّــه وأَبــي قَبــلي وجــدِّي كان قبلَ أَبي
قــد خصَّني الرحمنُ منــه بما أَسمو بـــه في العجمِ والعربِ

فضحك ، وقال : قد نظمتَ يا أحمد ما نثرناه .

هذا آخر أخبار اليزيديِّين وأَشعارهم التي فيها صنعة .

صوت

[من الطويل]

أَفي كُلِّ يومٍ أَنتَ مـن غُبُرِ الهوى إلى الشُّمِّ مـن أَعلامِ ميلاء ناظرُ
بعمشاءَ مــن طولِ البكاءِ كأنّما بهــا خَــزَرٌ أَو طرفُهـا مُتخازرُ

عروضه من الطويل ، والغُبْر : البقيّة من الشيء ، يقال : فلان في غبر من علته . وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه ، والشمّ : الطوال ، والأعلام جمع علم وهو الجبل ، قالت الخنساء[2] : [من البسيط]

وإنّ صخــراً لَتأتمّ الهداةُ بــه كأنّه عَلَــم في رأسِهِ نــارُ

والخزَر : ضيق العين وصغرها ، ومنه سُمِّي الخزر بذلك لصغر أعينهم ، قال الراجز : [من الرجز]

إذا تخازرت ومــا بــي من خَزَرْ ثم كسرت الطرفَ من غيرِ عورْ

والشعر لرجل من قيس يقال له كعب ، ويلقّب بالمخبل . والغناء لإبراهيم ، ثقيل أوّل بالوسطى . ومن النّاس مَن يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرُّمّة[3] ، ويجعل فيه ميّة مكان ميلاء ، ويقال : إنّ اللحن لابن المكيّ ، وقد نسب إلى غيرهما ، والصحيح ما ذكرناه أوّلاً .

1 شعر اليزيديين : 161 عن الأغاني .
2 ديوان الخنساء (صادر) : 49 .
3 ليسا في ديوانه .

[424] ـ أخبار المخبل القيسيّ ونسبه[1]

[تزوّج ابنة عمّه وأحبّ أختها]

قال عبدُ الله بنُ أبي سعد الورّاق ، فيما أخبرني به حبيبُ بنُ نصر المهَلَّبيّ ، إجازة عنه : حدَّثني عليُّ بن الصباح بن الفرات ، قال : أخبرني عليُّ بنُ الحسن بنِ أيّوب النبيل ، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسديّ ، قال : كانت عند رجل من قيس يقال له : كعب ، بنتُ عمٍّ له ، وكانت أحبَّ النّاس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال : يا أُمّ عمرو ، هل تَرَينَ أنّ الله خلق أحسنَ منك ؟ قالت : نعم ، أُختي مَيلاء ، هي أحسن منّي .

قال : فإنّي أُحبّ أن أنظر إليها ، فقالت : إنْ علمَتْ بِك لم تخرج إليك ، ولكن كُن من وراء السِّتر ، ففعل ، وأرسلَتْ إليها فجاءتها ، فلمّا نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحتْ إلى أهلِها ، فاعترضها فشكا إليها حبَّها ، فقالت : والله يا ابنَ عمٍّ ، ما وجدتَ من شيء إلاّ وقد وقع لك في قلبي أكثرُ منه . وواعدتَه مرّة أُخرى ، فأتتهما أُمّ عمرو وهما لا يعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى إخوتها ، وكانوا سبعة ، فقالت : إمّا أن تزوّجوا ميلاءَ كعباً ، وإمّا أن تُكْفوني أمرَها .

[رحيله عندما انكشف حبه]

وبلغهما الخبر ، ووقف إخوتها على ذلك ، فرمَى بنفسه نحو الشام حياءً منهم ، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ، فلم يدرِ أهلُه ولا بَنو عمِّه أين ذهبَ ، فقال كعبٌ : [من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ أنتَ من لاعجِ الهوى ... إلى الشُّمِّ من أعلامِ ميلاءَ ناظرُ
بعَمْشاءَ من طولِ البكاءِ كأنّما ... بها خَزَرٌ أو طرفُها متخازرُ
تَمنَّى المُنى حتى إذا ملَّت المنى ... جرى واكِفٌ من دمعِها متبادرُ
كما ارْفضّ عنها بعدَما ضمّ ضمّةً ... بخيط الفَتيل اللؤلؤُ المتناثرُ

[رواية شعره تدل عليه]

قال : فرواه عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج بعد ذلك الشاميّ يريد مكّةَ ، فاجتاز بأُمّ

---

1 ترجمة المخبل القيسي في المؤتلف والمختلف : 271 ، وقال صاحبه لا أعرف نسبه ، وأورد له خمسة أبيات رائية ؛ وفي معجم المرزبانيّ : 235 ، إذ ورد فيه : حجازيّ إسلاميّ أحد المتيمين المشهورين بالعشق وأورد له بيتين يائيّين وبيتاً من النونيّة ؛ وفي تزيين الأسواق : 170–173 ، وفيه : هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبدالله أو خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة ، طائي من عرب الحجاز ، وفيه أيضاً : وكان جواداً سخيّاً شجاعاً مألوف الصورة وأورد ابن حمدون في التذكرة (6 : 154–156) خبر وفاته قريباً ممّا في الأغاني ، وسمّاه كعب بن مالك ؛ وانظره أيضاً في مصارع العشاق (صادر) 2 : 140–143 .

عمرو وأُختها ميلاء ، وقد ضَلَّ الطريقَ ، فسلَّم عليهما ثم سأَلهما عن الطريق ، فقالت أُمّ عمرو : يا ميلاء ، صفي له الطريق ، فذَكر ، لما نادتْ : يا ميلاءُ ، شعر كعبٌ هذا ، فتمثّل به ، فعرفَت أُمّ عمرو الشعر ، فقالت : يا عبدَ الله ، مِن أين أنتَ ؟ قال : رجل من أهلِ الشام . قالت : مِن أين رويتَ هذا الشعر ؟ قال : رويته عن أعرابيّ بالشام . قالت : أوَ تدري ما اسمه ؟ فقال : سمعتُ أنّه كعبٌ ، فأَقسمَتْ عليه : لا تَبْرح حتى تعرّف إخوتنا بذلك فنُحسن إليك نحنُ وهم ، وقد أنعمتَ علينا . قال : أَفعل ، وإنّي لأَروي له شعراً آخر ، فما أدري أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألكَ باللهِ إلاّ أسمعتنا ، قال : سمعته يقول[1] : [من الطويل]

خليليّ قد قِسْتُ الأُمورَ ورُمتُها ... بِنَفْسي وبالفِتيانِ كلَّ زمانِ
فلم أُخفِ سُوءًا للصديقِ ولم أَجدْ ... خليّاً ولا ذا البَثّ يستويانِ
من النّاسِ إنسانان دَيني عليهما ... مليئانِ لو شاءا لقد قَضَياني[2]
خليليّ أَمّا أُمُّ عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني
بُلينا بهجران ولم أَرَ مثلَنا ... من النّاسِ إنسانَيْن يهتجرانِ
أَشدَّ مصافاةً وأَبعدَ من قِلًى ... وأَعْصى لِواشٍ حين يكتفيانِ
تحدَّث طرفانا بما في صدورنا ... إذا استعجَمَت بالمنطقِ الشفتانِ
فواللهِ ما أَدري أَكلُّ ذَوي الهوى ... على ما بِنا أَو نحن مبتَلَيانِ ؟
فلا تَعْجبا مِمّا بيَ اليومَ من هوًى ... فَبي كلَّ يوم مثلُ ما تريانِ
خليليّ عن أَيِّ الذي كان بيننا ... من الوصلِ أَم ماضي الهوى تسلانِ ؟
وكنّا كَريمَي معشرٍ حُمَّ بيننا ... هوى فحفِظناه بحسن صِيانِ
سلاه بأمّ العَمْرو مَن هي إذ بَدا ... به سقمٌ جَمٌّ وطول ضمانِ[3]
فما زادنا بُعدُ المدى نَقْضَ مِرَّةٍ ... ولا رجَعا مِن عِلْمنا ببيانِ[4]
خليليّ لا واللهِ ما لِيَ بالذي ... تريدان من هجرِ الحبيبِ يدانِ
ولا لِيَ بالبين اعتلاءٌ إذا نأَت ... كما أَنتما بالبينِ معتلِيانِ

1 هذا الشعر في تزيين الأسواق (28 بيتاً) ومصارع العشاق (18 بيتاً) والتذكرة الحمدونية (11 بيتاً) مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مليئان (مليان) : مقتدران .

3 ضمان : مرض ملازم .

4 المرة : فتل الحبل .

[وجد ميلاء قد توفيت فمات غماً]

قال : ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتها ، فأَخبروه الخبر ، وكانوا مهتمّين بكعب ، وكان كعب أظرفَهم وأشعرهم ، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودَلُّوه على الطريق ، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام ، فأَقبلوا به ، حتى إذا كانوا في ناحية ماءِ أهلِهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت . وكان كعب تَرك بُنيّاً له صغيراً ، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحكَ يا غلامُ ! مَن أَبوكَ ؟ فقال : رجل يقال له : كعب ، قال : وعَلى أيِّ شيء قد اجتمع النّاس ؟ وأحسّ قلبُه بالشرّ . قال : اجتمعوا على خالتي ميلاء . قال : وما قصّتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانَه ، فدُفِن حِذاء قبرها . قال : وقال كعب وهو بالشام : [من الطويل]

أَحقّاً عبادَ اللهِ أَن لستُ ماشياً ... بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلانِ
ولا لاهِياً يومـاً إلى الليلِ كلِّه ... ببيضٍ لطيفات الخصورِ رواني
يُمنِّيننا حتـى تَريـــعَ قلوبنا ... ويَخلِطنَ مَطْلا ظاهـراً بلَيانِ[1]
فعينيّ يـا عينيَّ حتّـام أَنتما ... بهجران أُمِّ العمرو تختلجانِ
أمـا أَنتمـا إلاّ عـليَّ طليعةٌ ... على قُـرْب أَعدائي كما تريانِ
فلو أَنّ أُمّ العمرو أَضحَتْ مقيمةً ... بمصرَ وجثماني بِشحْرِ عُمانِ
إذا لرجوتُ اللهَ يجمع شملَنا ... فإنّـا على مـا كان ملتقيانِ

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت

[من الطويل]

من الناسِ إنسانانِ دَيْني عليهما ... مليئانِ لـو شاءا لقد قضياني
خليليّ أمّا أُمُّ عمـرو فمنهما ... وأَمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني

عروضه من الطويل ، الشعر ، على ما في هذا الخبر ، لِكعب المذكورةِ قصّته ، ورَوى المفضلُ بنُ سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخَثْعميّ . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، خفيف رمل بالوسطى ، ذكره أبو العَنْبَس عنه ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لعَلُّويَه . والأبيات التي ذكرنا أنّ المفضلَ بنَ سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدُّمينة مع

---

1 تريع : ترجع .

البيتين اللذين فيهما الغناء هي[1] : [من الطويل]

مِـن النّاسِ إنسانان دَيْني عليهما ... مليئـان لـو شاءا لقد قضياني
خليـلـيّ أَمّا أُمّ عمـرو فمنهما ... وأَمَّا عـن الأُخرى فلا تَسَلاني
مَنُوعـان ظَلاَّمان مـا يُنْصفانني ... بِدَليهمـا والحُسنِ قـد خَلَباني
مِن البيض نجلاء العيـون غذاهما ... نعيـمٌ وعَيشٌ ضـاربٌ بِجِرانِ[2]
أَفي كلِّ يـومٍ أَنـت رامٍ بلادَها ... بعَيْنـين إنساناهُمـا غَرِقـانِ
إذا اغرَوْرقتْ عيناي قال صحابتي ... لقـد أُولِعـتْ عينـاكَ بالهَمَلانِ

وقد رُوي أيضاً أَنَّ هذا البيت :

أَفي كلِّ يـومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها

لعُروة بنِ حَزام : [من الطويل]

أَلا فاحملاني بارك اللهُ فيكما ... إلى حاضرِ الرّوحاءِ ثم ذراني[3]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ ، قال : حدَّثني أَبو سعيد القيسيّ ، قال : حدَّثني سليمان بن عبد العزيز ، قال : حدّثني خارجة المللي قال : حدّثني مَن رأى عُروةَ بنَ حِزام يطاف به حول البيت ، قال : فقلت له : مَن أنت ؟ قال : أَنا الذي أَقول : [من الطويل]

أَفي كلِّ يـومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها ... بعَيْنَيْـن إنساناهمـا غَرِقـانِ
أَلا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكما ... إلى حاضرِ الرّوحاءِ ثـمّ ذراني

فقلت : زِدني ، قال : لا ، ولا حَرْف .

[التغنّي بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق للإيقاع بشخصين]

ويقال : إنّ الذي هاج الواثقَ على القبض على أَحمدَ بنِ الخصيب وسليمان بن وهب أَنّه غنَّى هذا الصوت ، أَعني : [من الطويل]

مِن النّاسِ إنسانانِ دَيْني عليهما

فدعا خادماً كان للمعتصم ، ثم قال له : أَصْدِقْني وإلاَّ ضربتُ عنقك . قال : سلْ يا أَمير المؤمنين عمّا شئت . قال : سمعتُ أَبي وقد نَظر إليك يتمثَّل بهذين البيتين ، ويومىء إليكَ إيماءً تعرفه ، فمن اللذان عنى ؟ قال ، قال لي : إنّه وقف على إقطاع أَحمد بنِ الخصيب

1 في ديوان ابن الدمينة (168–172) قصيدة نونيّة تشترك مع شعر المخبل في أبيات متعددة .
2 الجران : مقدم عنق البعير .
3 الروحاء : موضع قريب من المدينة .

وسليمان بن وهب ألفَي دينار ، وأنّه يريد الإيقاع بهما . فكان كلّما رآهما يتمثّل بهذين البيتين . قال : صدقتني والله ، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه ، ثم أوقع بهما .

وأخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون ، قال : نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي ، فتمثّل : [من الطويل]

مِن الناس إنسانان دَيْني عليهما

وذكَر البيتين ، وأشار بقوله : [من الطويل]

خليليّ أمّا أمّ عمرو فمنهما

إلى أحمدَ بن الخصيب . فلمّا بلغ هذا سليمانَ بن وهب ، قال : إنّا لله ! أحمدُ بن الخصيب واللهِ أُمّ عمرو ، وأنا الأُخرى . قال : ونكبهما بعد أيّام . وقد قيل : إنّ محمدَ بن عبد الملك الزيّات كان السبت في نكبتهما .

[ابن الزيّات يحرض الواثق]

أخبرنا محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا عونُ بنُ محمد الكِنديّ ، قال : كانت الخلافة أيّام الواثق تدور على إيتاخ ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمدَ بن الخصيب ، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة ، وأوصلها إلى الواثق على أنّها لِبَعض أهل العسكر ، وهي[1] : [من البسيط]

يا ابنَ الخلائِف والأَملاكِ إن نُسبوا ... حُزْتَ الخلافة عن آبائـك الأُوَلِ
أَجُرْتَ أم رقَدتْ عيناك عن عَجب ... فيه البريَّةُ مِن خَوْف ومن وَهَلِ[2]
ولّيتَ أربعـةً أمـرَ العباد معـاً ... وكلُّهمْ حاطـبٌ في حَبْل مُحْتَبِلِ[3]
هـذا سليمانُ قـد ملَّكتَ راحتَه ... مشارقَ الأرضِ من سهلٍ ومن جبلِ
ملَّكته السندَ فالشِّحْرين من عَدنٍ ... إلى الجزيرةِ فالأطراف من مَلَلِ[4]
خلافةٌ قد حواها وحدَهُ فمضَت ... أحكامُه في دمـاء القـومِ والنَّفَلِ
وابنُ الخصيب الذي ملَّكت راحته ... خلافـةَ الشام والغازيـن والقفلِ
فَنِيل مصرٍ فبحر الشام قـد جريا ... بِمـا أرادَ مـن الأَمـوالِ والحُللِ

1 لم ترد في ديوانه أن فيه (زيادات من الأغاني) .

2 الوهل : الفزع .

3 المحتبل : من يمسك الصيد بالحبالة . وهو من المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 ، 398 .

4 ملل : موضع في طريق مكة .

كأنّهمْ في الذي قسَّمتَ بينهـمُ بَنُـو الرشيدِ زمانَ القَسْمِ للدُّوَلِ
حوَى سليمان ما كان الأمينُ حوى مـن الخلافـةِ والتبليـغِ للأَمَلِ
وأحمـدُ بـنُ خصيب في إمارته كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السبُلِ
أصبحتَ لا ناصحٌ يأتيك مستتراً ولا علانيـةً خوفـاً مـن الحِيَلِ
سَلْ بيتَ مالِكَ أين المال تعرِفه وسَل خَراجَك عن أموالِك الجُمَلِ
كم في حُبوسِكَ مِمّن لا ذُنوب لهمْ أسرى التكذُّب في الأقيادِ والكَبَلِ
سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتَضى فَبه قِسِ الأُمورَ التي تُنجي مـن الزَّلَلِ
عِشْ فيهمُ مثل ما عاشت يداه معاً على البرامـكِ بالتهديـم للقُلَلِ

فلمّا قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ، ونَكب سليمانَ بنَ وهب وأحمد بن الخصيب ، وأخذ منهما ومِن أسبابهما ألفَ ألفِ دينار ، فجعلها في بيت المالِ ، فقال أحمدُ بنُ أبي فَنَن[1] : [من المديد]

نزلَـتْ بالخائنـين سَنَهْ سَنَـةٌ للنّـاسِ ممتحِنَـهْ[2]
سوّغَت ذا النصحِ بغيته وأزالَـتْ دولـةَ الخونَهْ
فتَرى أَهلَ العفافِ بهـا وهـمُ في دولـةٍ حسنَهْ
وترى مَـن جار هِمّتُه أَن يُؤدِّي كلَّ ما احتجنَهْ[3]

وقال إبراهيم بن العبّاس لابن الزيّات : [من المنسرح]

إيهاً أَبا جعفرٍ وللدَّهر كَرّ راتٌ وعمّا يريبُ متَّسَعُ
أَرسلتَ ليثـاً على فرائسِه وأَنتَ منها فانظرْ متى تَقعُ
لكنّه قُوتُـه وفيـكَ لـه وقد تقضَّتْ أَقواتُه شِبعُ[4]

وهي أبيات ، وقد كان أحمد بن أبي دواد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيّات ، وأمر عليّ بنَ الجَهم فقال فيه[5] : [من الرجز]

لَعائِـنُ اللهِ مُوَفّـراتِ مُصَبّحـاتٍ ومهجّـراتِ

---

1 شعر ابن أبي فنن (شعراء عباسيون ، السامرائي) 1 : 185–186 .
2 السنة : الجدب ، وهنا يعني المحنة .
3 احتجنه : حازه لنفسه .
4 اللطائف : لمظنّة قوّته .
5 ديوان علي بن الجهم (صادر) : 81–82 .

عَلى ابنِ عبـد المَلِك الزيّاتِ   عرَّضَ شَملَ المُلـكِ للشتَاتِ
يَرمـي الدواويـن بتَوقيعاتِ   معَقَّـداتٍ غيرِ مفتوحـاتِ
أشبه شيء بُرقـى الحَيـاتِ   كأنّهـا بالزيـتِ مدهوناتِ
بعد ركوب الطوف في الفراتِ   وبَعـد بَيـعِ الزيتِ بالحباتِ
سبحانَ مَن جلَّ عن الصفاتِ   هارون يـا ابن سيِّد الساداتِ
أمَـا تَـرى الأمورَ مهملاتِ   تشكـو إليـكَ عدمَ الكُفاةِ

وهي أبيات . فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيّات ، وقال : لقد صدق قائل هذا الشعر ، ما بقي لنا كاتب . فطرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم ، وكانا مجتمعَين على عداوة ابن أبي دواد . فقال للواثق : أمِثلُ ابن الزيّات ، مع خدمته وكفايته ، يُفعل به هذا ، وما جنى عليك وما خانك ، وإنّما دَلَّك على خَوَنة أخذْتَ ما اختانوه ، فهذا ذنبه ؟ وبعد ، فلا ينبغي لك أن تَعزل أحداً أو تُعدِ مكانه جماعةً يقومون مقامه ، فمَن لك بِمَن يقوم مقامه ؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له .

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال له بعض كتّابه : إنّ هذا بينه وبين الوزير ما تعلم ، وهو يجيئك دائماً ، ولا تأمنُ أن يظنّ الوزير بك ممالأة عليه ؛ فعرَّفه ذلك . فلمّا دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى ، فقال : إنّي والله ما أجيئك متعزّزاً بك من ذِلّة ، ولا متكثّراً من قِلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتّبك رتبة أوجبت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخّرنا عنه فلنفسك ، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه .

وفي هذه القصّة أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ليس هذا موضعها ، وإنّما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه .

صوت[1]

[من الرمل]

عِشْ فَحُبِّيـكَ سريعـاً قاتلي   والضّنى إن لم تصلني واصلي
ظَفرَ الشوقُ بقلـبٍ دَنِـف   فيك والسُّقمُ بِجِسْمٍ ناحلِ[2]
فهُما بـينَ اكتئابٍ وضنًـى   تَـرَكاني كالقضيـبِ الذابلِ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء للمسْدُودِ ، رمل مطلق في مجرى الوسطى ، وذكر جَحْظة أنّ هذا الرمل أُخِذَ عنه ، وأنّه أوّل صوت سمعه فكتبه .

1 ديوان خالد الكاتب : 381–382 .

2 دنف في الديوان : مدنف . والدنف : الذي يلازمه المرض .

[425] ـ أخبار خالد الكاتب[1]

[وسوسته]

هو خالدُ بنُ يزيدَ ، ويكنى أبا الهَيْثم ، من أهلِ بغداد ، وأصله من خُراسان ، وكان أحد كتّاب الجيْش . وَوُسْوِسَ في آخر عمره ، قيل إنّ السَّوْداء غلبت عليه ، وقال قوم : كان يَهوى جارية لبعضِ الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وولاّه محمدُ بنُ عبد الملك الإعْطاء في الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد ، ومَغنِّية تغنّي : [من البسيط]

مَــن كان ذا شجَنٍ بالشام يطلبــه ... ففي سِوى الشامِ أمسى الأهلُ والشجنُ

[اتصاله بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهديّ]

فبكى حتى سَقَط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أفاق مختلِطاً . واتّصل ذلك حتى وُسْوِس وبطل . وكان اتصل بعليٍّ بن هشام وإبراهيم بن المهديّ . وكان سبب اتصاله بعليّ بن هشام أنّه صحبه في وقت خروجه إلى قمّ ، في جملة كتّابِ الإعطاء ، فبلغه وهو في طريقه أنّ خالداً يقول الشعر ، فأنِس به وسُرّ به ، وأحضره فأنشده قوله[2] : [من السريع]

يا تاركَ الجِسْمِ بلا قلبِ ... إنْ كنتُ أهواكَ فما ذَنبي ؟
يا مُفْرداً بالحسنِ أفردتَني ... منكَ بطولِ الهَجرِ والعتْبِ
إن تَكُ عَيْني أبصرتْ فِتْنةً ... فهلْ على قلبِـيَ من عَتبِ
حَسيبكَ اللهُ لمـا بـِـي كما ... أنّكَ في فِعلكَ بي حَسْبي

[اتصاله بالمعتصم]

للمسدود في هذه الأبيات رمل طُنْبوريّ مطلق من رواية الهشاميّ ، قال : فجعله علي بن هشام في نُدَمائه إلى أن قُتِل ، ثم صحِب الفضل بن مَرْوان ، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزَة[3] قبل أن يَبْني سُرّ مَن رأى ، فقال خالد[4] : [من مجزوء الكامل]

1 ترجمة خالد الكاتب في تاريخ بغداد 8 : 308 والمنتظم 5 : 35 وبغية الطلب 6 : 121 ومعجم الأدباء (عبّاس) : 1243–1245 وابن خلكان 2 : 232 والوافي 13 : 278 والفوات 1 : 401–402 وطبقات ابن المعتزّ : 404–406 . وقد حقق ديوانه د . يونس السامرائيّ (1981) .

2 ديوانه : 482–483 .

3 الماحوزة : موضع قرب سامرا .

4 ديوان خالد الكاتب : 533 .

عــزَم السرورُ على المُقا م بِسُرَّ مَــنْ را للإمامِ
بَلَــدُ المَسَرّة والفتـــو حِ المستنيراتِ العظـــامِ
وتـــراه أشبـــهَ منــزِلٍ في الأرضِ بالبلدِ الحــرامِ
فــاللهُ يعمُــرُهُ بِمَــن أضْحــى بــه عِزُّ الأنــامِ

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ في بناء سُرّ مَن رأى شيء ، فكانت أوّل ما أُنشد في هذا المعنى من الشعر ، فتبرَّكَ بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم .

وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب ، وذكر اليوسفيّ صاحب الرسائل أنّ خالداً قال أيضاً في ذلك[1] : [من المنسرح]

بيَّنَ صَفْوُ الزّمــان عن كَدرِهْ في ضَحِكاتِ الربيع عن زَهَرِهْ
يــا سُرَّ مَن را بورِكْت مِن بَلَدٍ بُــورِكَ في نَبْتــه وفي شجرِهْ
غَـرسُ جُـدود الإمــام ينبته بابَــكَ والمازِيــارُ مــن ثمرِهْ
فالفتحُ والنصرُ يَنزلانِ بـــه والخِصب في تُرْبه وفي شجرِهْ

فغنّى مخارقٌ في هذه الأبيات ، فسأله المعتصم : لِمَن هذا الشعر ؟ فقال : لخالد يا أمير المؤمنين ، قال : الذي يقول[2] : [من الخفيف]

كيفَ تُرْجى لذاذةُ الاغتماضِ لمريضٍ مــن العيــونِ المِراضِ

فقال محمد بنُ عبد الملك : نعم يا أمير المؤمنين ، هُوَ لَهُ ، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات . فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم . وبلغ خالداً الخبرُ ، فقال لأحمدَ بن عبد الوهاب صاحب محمد بنِ عبد الملك ، وقيل لأبي جعفر ، أعزّه الله : إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل .

[دِعبل ينصحه بأن يقتصر على المقطعات]

قال اليوسفيُّ : ولَمّا قال خالد في صفة سُرّ مَن رأى قصيدته التي يقول فيها[3] : [من الخفيف]

اسْقنــي في جرائــرٍ وزِقاقِ لتُلاقــي السرور يــوم التلاقِ
من سُلافٍ كأنَّ في الكأسِ منه عبراتٍ مـــن مقلَتي مشتاقِ

1 ديوانه : 512 .
2 ديوانه : 517 .
3 ديوانه : 521 .

في رياضٍ بسُرَّ مَن را إلى الكرْ خِ ودَعْني مــن سائرِ الآفاقِ
بــادِّكارّاتِ كل فتــح عظيــم لإمام الهــدى أبــي إسحاق

وهي قصيدة ، لقيه دِعبِلٌ فقال : يا أبا الهيثم ، كنتَ صاحبَ مُقطَّعات فداخلْتَ الشعراءَ في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك ، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلَب عليه . فقال له خالد : لو عرفتُ النُّصْحَ منك لِغيري لأطعتك في نفسي .

[هجاء الحلبيّ الشاعر]

قال اليوسفيّ : وحدَّثني أبو الحسن الشهْرَزانيّ : أنّ خالداً وقع بينه وبين الحلبيّ الشاعر الذي يقول فيه البحتريّ :

سل الحلبيّ عــن حلب

خلافٌ في معنى شعر ، فقال له الحلبيّ : لا تعدُ طَورَك فأُخرسَك ! فقال له خالد : لستَ هناك ، ولا فيك موضع للهجاء ، ولكن ستعلم أنّي أجعلك ضُحْكة سُرّ مَن رأى . وكان الحلبيّ من أوسخ النّاس ، فجعل يهجو جُبَّتَه وثيابه وطيلسانه ، فمن ذلك قوله[1] : [من السريع]

وشاعرٍ ذي منطــقٍ رائقٍ في جبّةٍ كالعارضِ البارقِ
قطعـــاءَ شلاّءَ رقاعِيَّــةً دَهْرِيَّةً مرقوعــةَ العاتِقِ[2]
قدّمها العُــرْيُ على نفسِه لفضلِها في القَــدَرِ السابقِ

وقوله[3] : [من السريع]

وشاعــرٍ مُقْــدِمٍ لــه قــومُ ليس عليهــمْ في نصرِهِ لَــومُ
قد ساعدوه في الجوعِ كلُّهمُ فَقْــرى فكــلٌّ غَداؤُه الصومُ
يأتيــكَ في جُبّــة مُرَقّعــةٍ أَطــولُ أَعمــار مثلِهــا يومُ
وطَيْلســانٍ كالآل يلبسُـــه على قميــص كأنّــه غَيْـــمُ
مِــن حَلَب في صميم سِفْلَتِها غِنــاه فقــرٌ وعــزُّه ضَيمُ

قال : وقال فيه[4] : [من المنسرح]

---

1 ديوانه : 520-521 .
2 شلاء : من الشلل ، وهو السواد الثابت .
3 ديوانه : 530-531 .
4 ديوانه : 510-511 .

تـاهَ على ربِّـه فأفْقـرهُ ... حتـى رآه الغِنى فأنكرَهُ
فصار من طول حِرفَةٍ علماً ... يقذفه الرزقُ حيثُ أبصرَهُ[1]
يـا حلبيّاً قضى الإلهُ لَـه ... بالتِّيه والفقرِ حـين صوَّرَهُ
لَوْ خلطوهُ بالمِسْكِ وسَّخَه ... أو طَرَحُوهُ في البحرِ كدَّرَهُ

[إبراهيم بن المهدي يستنشده]

حدَّثني جَحْظةُ ، قال : حدَّثني خالد الكاتب ، قال : دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني ، فقلت : أيّها الأمير ، أنا غلامٌ أقول في شُجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال : ذلك أشدّ لدواعي البَلاء ، فأنشدته[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

عاتبـتُ نفسي في هـوا ... كَ فلـم أَجِدْهـا تَقْبَلُ
وأَطعـتُ داعيَهـا إليـ ... ـكَ ولم أُطِعْ مَن يعذلُ
لا والذي جعـل الوجو ... هَ لحسنِ وجهـكَ تمثُلُ
لا قلـتُ إنّ الصبرَ عنـ ... ـكِ من التّصابي أجملُ

لجحظة في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى .

قال : فبكى إبراهيم وصاح : وَايْ عليك بإبراهيم ، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها[3] : [من الرمل]

وبكـى العاذلُ مـن رَحْمَتي ... فبُكائـي لِبُكـا العـاذلِ

وقال إبراهيم : يا رشيق ، كم معك من العَيْن ؟ قال : ستّمائةٌ وخمسون ديناراً . قال : اقسِمْها بيني وبين الفَتى ، واجعَل الكَسْر له صحيحاً . فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً ، فاشتريت بها منزلي بساباطِ الحسن والحسين ، فواراني إلى يومي هذا .

[المرء لا يهب ولده]

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني خالد الكاتب قال : قال لي عليّ بن الجهم : هب لي بيتَك الذي تقول فيه[4] : [من مجزوء الرمل]

---

1 الحرفة : بضم الحاء وكسرها : الحرمان وسوء الحظّ .
2 ديوانه : 524 .
3 ديوانه : 382 .
4 ديوانه : 500 .

ليتَ ما أُصْبحَ مِنْ رقّـ ـــة خدَّيــك بقَلْبكْ

فقلت : يا جاهل ، هل رأيتَ أحداً يهب ولده .

[سالمَ فحورب فاتّجه إلى الهجاء]

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب : لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديقٍ له ، وكان قد باعَدَهُ ولم أعلم ، فأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

ظَعَن الغريبُ لغيبة الأبدِ حــيَّ المخافة نائــيَ البلدِ
حيــرانَ يُــؤنسه ويكلؤه يــومٌ تَوَعَّــدَهُ بشرٍّ غدِ
سَنحَ الغُرابُ له بأنكرِ ما تغدو النحوسُ به على أحدِ
وابتاع أشأمــه بأيمنه الـ ـجَدُّ العَثورُ لــه يداً بيدِ
حتى يُنيخ بأرضٍ مَهْلكةٍ في حيثُ لم يولدْ ولم يَلدِ
جزعتْ حليلتُهُ عليه فما تخلو من الزفراتِ والكمدِ
نَزَل الزّمانُ بها فأهلكها منه وأهــدى اليُتَمَ للولدِ
ظفرتْ به الأيّامُ فانحسرت عنــه بناقِــرَةٍ ولم تَكَدِ[2]
فتركْنَ منــه بعـــد طِيَّتهِ مثل الذي أبقيْن من لُبَدِ[3]

قال ، فقلت له : يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء ؟ قال : مذ سالمتُ فحوربتُ ، وصافيتُ فتوقّفت .

[غزل في غلام]

وقال الرياشيّ . كان خالد مغرماً بالغلمان المُرْد ، يُنفِق عليهم كلّ ما يُفيد ، فَهوِيَ غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمّام الطائيّ يهواه ، فقال فيه خالد[4] : [من مخلع البسيط]

قضيبُ بــانٍ جناه وردُ تحملــه وَجْنَــةٌ وخَــدُّ
لَمْ أَثْنِ طَرْفي إليــه إلاّ مات عزاءٌ وعاش وجْدُ
مُلِّكَ طَوْعَ النفوسِ حتى علّمه الزهــوَ حين يبدُو

---

1 ديوانه : 505–506 .
2 الناقرة : الداهية .
3 لبد : آخر نسور لقمان .
4 ديوانه : 503–504 .

واجتَمَعَ الصدُّ فيـه حتّى   ليس لخَلْـقٍ سِواه صدُّ

فبلغ أبا تمّام ذلك فقال فيه أبياتاً منها : [من السريع]

شِعْرُكَ هـذا كلُّه مفرطٌ   في بَرْدِهِ يـا خالِدُ البارِدُ

فعَلِمها الصبيانُ ، فلم يزالوا يصيحون به : يا خالد يا بارد حتى وَسْوَس . قال : ومِن النّاس مَن يزعُمُ أنّ هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمّام ، وليس الأمر كذلك .

[هجاء أبي تمام]

وكان خالد قد هجا أبا تمّام في هذه القصّة فقال فيه[1] : [من البسيط]

يا معشَرَ المُـرْدِ إنّي ناصح لكمُ   والمرءُ في القولِ بَيْن الصدقِ والكذبِ

لا ينكِحَنَّ حبيباً منكـمُ أحـدٌ   فإنّ وجعاءَه أعدى مـن الجرَبِ

لا تأمنوا أن تَحوُلـوا بَعـدَ ثالثـةٍ   فتركبوا عُمُداً ليستْ من الخشبِ

[جد الأدب وهزله جد]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسن بن إسحاق قال : حدَّثني خالد الكاتب ، قال : لمّا بويع إبراهيمُ بن المهديّ بالخلافة طلبني ، وقد كان يعرفني ، وكنتُ متصلاً ببعض أسبابه . فأدخِلتُ إليه فقال : أنشدني يا خالد شيئاً من شعرك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «إنَّ من الشِّعر لَحِكماً» ، وإنّما أمزح وأهزِل ، فقال : لا تقل هذا ، فإنّ جِدَّ الأدب وهَزْلَه جِدّ ، هات أنشدني ، فأنشدته : [من الرمل]

عِش فَحُبِّيـكَ سريعـاً قاتِلي   والضَّنى إن لم تَصِلْني واصلي

ظفِرَ الشوق بقَلْـبٍ دَنِف   فيـك والسُّقمُ بجسمٍ ناحلِ

فهُمـا بـين اكتئاب وضنًى   تـركاني كالقضيـبِ الذابلِ

قال : فاستملح ذلك ووصلني .

[يركب قصبة فيصيح به الصبيان]

حدَّثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفيّ ، قال : دخلْتُ بغداد في بعض السنين فبينا أنا مارٌّ بِجُنينة إذا أنا برجلٍ عليه مبطنة نظيفة ، وعلى رأسه قُلَنْسية سوداء ، وهو راكب قصَبَة ، والصبيان خلفه يصيحون به : يا خالد يا بارد ! فإذا آذَوْهُ حمل عليهم بالقصبة ، فلم أزَل أطردهم عنه حتى تفرّقوا ، وأدخلته بستاناً هناك ، فجلس واستراح ، واشتريتُ له

1 ديوانه : 500–501 .

رُطَباً فأَكل ، واستنشدته فأَنشدني[1] : [من المنسرح]

قَـدْ حـازَ قلبي فصار يملِكُهُ فكيف أَسْلو وكيف أَتركُهُ !
رَطِيبُ جسمٍ كالمـاءِ تَحْسَبه يَخْطِرِ في القلبِ مِنْـه مسلَكُهُ
يكادُ يجري من القميصِ من النـ ـعمةِ لـولا القميص يُمسكُهُ

فاستزدتُه ، فقال : لا ، ولا حَرْف .

[حبّه لغلام مقامر]

وذكر عليُّ بنُ الحسين بن أبي طلحة عن أَبي الفضل الكاتب ، أنّه دَعا خالداً ذات يوم فأَقام عنده . وخلع عليه ، فما استقرَّ به المجلس حتى خرج ، قال : فأتبعتهُ رسولاً لِيعرف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبّه ، فسأل عنه فوجده في دار القمار ، فمَضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبَّله وعانقه وعاد إلينا . فلمّا جاء خالدٌ أعطيت الغلامَ الذي وجّهنا به دنانير ودَعاه فجاء به إلينا ، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجَمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه علينا ، فلمّا رآه خالد بكى ودَهِش . فقلنا له : لا تُرَعْ ، فإنّ من القصّة كَيْتَ وكيت ، وإنّما أردنا أن نعرفَ خبرَك لا أن نَسوءك . فطابت نفسُه وأجلسَه إلى جنبه ، وقال : قد بُلِيتُ بحبِّه وبالخوف عليه مِمّا قد بُلِيَ به من القمار ، ثم أنشد لنفسه فيه[2] : [من مجزوء الوافر]

مُحِـــبٌّ شَفَّـه أَلَمُـهْ وخامَرَ جِسْمَه سَقَمُهْ
وبـاحَ بمـا يُجَمْجِمهُ من الأسرارِ مكتَتِمُهْ
أمَـا تَرْثي لمكتئب يُحِبُّـك لحمُـه ودَمُهْ
يغارُ على قميصك حِيـ ـنَ تَلْبَسه ويتّهمُـهْ

[يدرك جنونه]

وذكر علي بن الحسين أيضاً أنّ محمدَ بنَ السريّ حدَّثه أنّه أَطال الغَيبة عن بغداد وقد وُسوِسَ خالد ، فمَرَّ به في الرُّصافة والصبيان يصيحون به : يا غلام الشرَيطيّ يا خالدُ البارد ! ويرجع إليهم فيضربهم ويزيدُ ويرميهم . قال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم ؟ قال : كما ترى ! فقلت له : فَمَنْ تُعاشِر اليوم ؟ قال : مَنْ أحذرُه ، فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلتَ بعدي من الشعر ؟ قال : ما حفظه النّاس وأُنْسيتُه ، وعلى ذلك قولي[3] : [من الخفيف]

---

1 ديوانه : 522 .
2 ديوانه : 530 .
3 ديوانه : 160 .

كَبِـدٌ شفهـا غليـلُ التصابي بـين عَتْـب وسَخْطَةٍ وعذاب[1]
كلَّ يـومٍ تَدْمى بجَرح من الشو قِ ونـوع مجـدَّدٍ من عذابِ[2]
يا سقيمَ الجفونِ أسْقَمْتَ جسمي فاشفني كيف شئت ، لا بِكَ ما بي
إنْ أكُنْ مذْنِبـاً فكُن حَسَنَ العفـ ـوِ أو اجعَلْ سوى الصُّدود عقابي

ثم قال : يا أبا جعفر ، جننت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً ؛ وهذا كلامك لي ونظمك .

حدَّثني محمدُ بن الطلاس أبو الطيِّب ، قال : حضرْتُ جنازة بعض جيراني ، فلقِيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه ، وقلت : أنشدْني ، فذهب ليهرُب منّي ، فغمزتُ على يده غمزة أوجعَتْه ، فقال : خَلِّ عنّي أُنْشِدْك ، فأرخيت يدي عن يده ، فأنشدني[3] : [من مجزوء الرجز]

لَمْ تَـرَ عـينٌ نَظرَتْ أحسنَ مـن منظرِهِ
النـورُ والنِّعمـةُ والنَّـ ـعمـةُ في مَخْبـرِه[4]
لا تَصِلُ الألسنُ بالـ ـوصفِ إلى أكثـرِهِ
كَيْف بمَن تَنْتَسبُ الشـ ـمسُ إلى جوهـرِهِ

[ينشد شعراً لأبي تمام ، ثم ينشد شعراً عارضه به]

حدَّثني عمِّي ، رحمه الله ، قال : مَرَّ بنا خالد الكاتب هاهنا والصبيان خلفه يصيحون به ، فجلس إليَّ فقال : فرِّق هؤلاء عنِّي ، ففعلتُ ، وألَحَّتْ عليه جارية تصيحُ : يا خالدُ يا باردُ ! فقال لها : مُرِّي يا منتنة الكُسّ ، ويا مَن كُسّها دُس . فقلت له : يا أبا الهيثم ، أيُّ شيء معنى «دس» هاهنا ؟ قال : تشتهي الأيرَ الصغير والكبير والوسط ، ولا تكره منها شيئاً . وأقبلَ الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهي ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنّا ، فأقبل عليَّ خالدٌ متمثّلاً فقال[5] : [من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضَم حَقّـي ولا قـارعٍ سنّي

1 وعذاب في الديوان : وعقاب .
2 الديوان : فكل الحشا بها في عذاب .
3 ديوانه : 228 .
4 النَّعمة بفتح النون : الترف .
5 البيت لأعشى بني ربيعة وقد تقدّم في ترجمته 18 : 105 .

فاحْتَبَسْتُهُ عندي يومي ذلك . فلمّا شرب وطابت نفسه ، أنشدنا لأبي تمّام[1] : [من الكامل]

أَحْبابَــه لِــمَ تفعلونَ بِقلْبِهِ ... مـا ليس يَفْعَلُه بـه أعداؤُهُ ؟
مَطَرٌ مِن العَبراتِ خَدِّي أرضُه ... حتى الصباحِ ومُقْلَتايَ سمـاؤُهُ
نفْسي فداءُ محمــدٍ ووِقاؤه ... وكذبتُ ، ما في العالَمِينَ فداؤُهُ
أزعمتَ أنَّ البدرَ يحكي وجهه ... والغصنُ حين يَميدُ فيه ماؤُهُ[2]
اسْكت فأين بهــاؤه وكمالـه ... وجمالُــه وحيــاؤه وضياؤُهُ[3]
لا تَقْــرَ أسمـاءَ المَلاحةِ باطلاً ... فيمــن سِواه فإنّهــا أسماؤُهُ[4]

ثم قال : وقد عارضه أبو الهيثم ، يعني خالد نفسَه ، فقال[5] : [من الوافر]

فديتُ محمــداً مــن كلِّ سوءٍ ... يحــاذِر في رَواحٍ أو غُــدوِّ
أيا قمرَ السماء سَفُلْتَ حتى ... كأنّك قـد ضَجِرْتَ من العُلوِّ
رأيتك مــن حبيبك ذا بِعادٍ ... وممّــن لا يُحِبّــك ذا دُنُـوِّ
وحسْبُك حسْرَةً لك من حبيبٍ ... رأيتَ زمامــه بيَدَيْ عَـدُوِّ

هكذا أخبرني عمّي عن خالد ، وهذه الأبيات أيضاً تُرْوى لأبي تمام .

[توجعه لصديق عليل]

وقال ابن أبي طلحة : حدَّثني الهلاليّ ، قال : مررْتُ بخالد وحوله جماعة يُنشدهم ، فقلت له : يا أبا الهيثم ، سلَوْتَ عن صديقك ، قال : لا واللهِ . قلت : فإنّه عليل وما عُدْتَه . فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليَّ ، وقال[6] : [من الخفيف]

زَعَمُوا أنّني صحــوتُ وكــلاّ ... أُشْهِــدُ اللهَ أنّني لــن أمَــلاّ
كيف صبري يا مَن إذا ازداد تِيهاً ... أبــداً زدتُــه خضوعــاً وذُلاّ

ثم قال : احفظه وأبلغه عنّي[7] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي تمّام (عطية) : 381 .

2 البدر في الديوان : الظبي .

3 الديوان :

اسكت فأين ضياؤه وبهاؤه ... وذكاؤه ووفـاؤه وحيـاؤه

4 الديوان : لا تغني أسماء الملاحة والحجى .

5 ديوان خالد الكاتب : 535–536 وديوان أبي تمام : 415 .

6 ديوان خالد الكاتب : 360 .

7 ديوانه : 354 .

بِجِسْمِيَ لا بِجِسمِك يـا عليـلُ ويكفينـي مـن الأَلَـمِ القليلُ
تَعَـدَّاك السَّقـام إليَّ إنّـي على مـا بـي لعادِيـه حَمولُ[1]
إذا مـا كنتَ يـا أملي صحيحاً فحالفنـي وسالَمَـكَ النحـولُ
أَلستَ شقيقَ ما ضمَّت ضُلوعي عَلى أنّـي لِعِلَّتِـكَ العليـلُ

[غزله بغلام]

قال : وحدَّثني العبّاس بنُ يحيى أنّهم كانوا عند عليّ بنِ المعتصم ، فغُنّي في شعر لخالد ، فأمر بإحضاره ، وطلب فلم يوجدْ ، فوجَّه إلى غلام كان يتعشّقه فأُحضِر ، وسأله عنه فدَلّ عليه ، وقال : كنّا نَشرب إلى السحَر ، وقد مضى إلى حمام فلان ، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعيّ ، ودكانُه مألَفٌ للغِلمان المُرْد والمغنِّين . فبعث إليه فأُحضر . فلمّا جلس أخرج عليُّ بنُ المعتصم الغلام ؛ وقال : هذا دلَّنا عليك ؛ وهو يزعم أنّك تعشقُه ، فقال له الغلام : نعم أيّها الأمير ، لو لم يكن من فضيحته إيّاي إلاّ أنّه إذا لم يوجد أُحْضِرْتُ وسُئلت عنه . فأقبل عليه خالد وقال : [من السريع]

يـا تـارِكَ الجسمِ بلا قلبِ إنْ كنتُ أهواكَ فمـا ذنبي
يـا مفـرَداً بالحُسنِ أَفْرَدتني مِنْك بطـولِ الشَّوقِ والحُبِّ
إنْ تَكُ عَينـي أبصَرَتْ فتنةً فهـلْ على قَلْبـيَ مـن عَتبِ
حَسيبُكَ اللهُ لمـا بـي كما أنَّكَ في فعلِـكَ بـي حَسبي

لجحظة فيه رمل ، فاستحْسَنَ عَلِيّ الشعرَ ، وأمر له بخمسين ديناراً .

[اعتذار لغلام]

قال : حدَّثني ابن أبي المدوّر أنّه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب ، وأنّه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكتّاب ، فلمّا رأى خالداً أعرضَ عنْه ، فقلت له : لِمَ أعرضْتَ عن أبي الهيثم ؟ فقال : والله لو علمتُ أنّه هاهنا ما دخلت إليكم ، ما يبالي إذا شَرِب هذين القدَحين ما قال ولا مَنْ هتَك . فقال لي خالد : ألا تُعينني على ظالمي ؟ فقلت : بلى واللهِ أعينُك ، فأقبل على الفتى وقال[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

هَبْني أسأتُ فكان ذَنْـ ـبِي مثلَ ذنْب أبي لَهَبْ

1 لعاديه في الديوان : لعادته .
2 ديوانه : 483 .

فأنـا أتـوبُ وكَم أساْ ت وكَم أسأتَ ولَم تَتُبْ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفُه له حتى أقبل عليه وكلَّمه وحادثه ، فطابت نفسه ، وسُرَّ بقيّةَ يومه .

في هذين البيتين لأبي العَنْبَس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولرذاذ خفيف رمل مطلق .

[تفاحة معضوضة]

وحدَّثني عبد الله بن صالح الطوسيُّ أنّ عليَّ بن المعتصم دَعا خالداً يوماً وهو يشْرَب ، وقد أخرجَتْ إليه وَصِيفَةٌ من وُصَفاءِ حَظِيّتِه تفاحة مَعْضوضة مُغلَّفة بعثت بها إليه ستُّها ، فقال[1] : [من البسيط]

تفاحةٌ خرجتْ بالدُّرِّ مِـن فِيها أشهى إليَّ مـن الدُّنيا ومـا فيها
بيضاءُ في حمـرة عُلَّـتْ بغاليَةٍ كأنّما قُطِفت مـن خَـدِّ مُهْدِيها
جاءَتْ بهـا قينةٌ مـن عندِ غانيةٍ رُوحي من السوءِ والمكروهِ تَفديها
لـو كنتُ ميْتـاً ونادتْني بنغمتها إذاً لأسرعتُ مـن لحدي ألبِّيها

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات ، وغُنّي فيها ، وأَمَرَ لهُ بتخت ثياب وخمسين ديناراً .

1 ديوانه : 536–537 .

[426] ـ أخبار المسدود[1]

[شجي الصوت حاضر البديهة]

المسدودُ من أهلِ بغدادَ ، وكان منزلُه في ناحية دربِ المفضّل ، في الموضع المعروف بِخَراب المسدود ، منسوبٌ إليه .

وأخبرني جحظة أنّ اسمه الحسن ، وكنيته أبو عليّ ، وأنّ أباه كان قَصّاباً ، وأنّه كان مسدودَ فَرْدِ مَنْخِرِ ومفتوحَ الآخر ، وكان يقول : لو كان مَنْخِرِي الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحُلُوم وذوي الألباب ، وشغَلْت مَن سمعه عن أمر دِينه ودُنياه ومعاشه ومعاده .

قال جحظة : وكان أشجَى الناسِ صوتاً وأحضرهم نادرة ، ولم يكتسب أحد من المغنّين بطُنبور ما كسبَه . وكان مع يساره وقلّة نفقته يُقرض بالعِينة[2] . وكانت له صنعة عجيبة ، أكثرها الأهزاج . قال جحظة : قال لي مُخارق غلامه : قال لي ، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هَزَج : [من المديد]

صوت

مَن رَأى العِيسَ عَلَيْها الرِّحال إضَمٌ قَصْدٌ لَها أم أُثالْ[3]
لستُ أَدري حيثُ حلّوا ولكن حيثما حلّوا فثَمَّ الجَمالْ

والآخر : [من مجزوء الرمل]

عُجْ بنا نَجْنِ بِطَرْف الـ ـعَينِ تُفّاحَ الخُدودْ
ونُسَلِّ القلبَ عمَّن حَظُّنا منه الكُدودْ[4]

ثم قال : واللهِ لا تركتُ بَعدي من يَهزِج . قال جحظة : واللهِ ما كذب !

[نفيه إلى عُمان]

أخبرني جحظة ، قال : كان الواثق قد أذِن لجلسائه ألا يرُدَّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه ، فغنّى الواثق يوماً[5] : [من الطويل]

1 انظر وفيات الأعيان 2 : 268 .
2 العينة : ضرب من الربا .
3 إضم : أسفل وادي المدينة . وأثال : بلدة وواد .
4 الكدود : الكثير الكد والبخيل .
5 ديوان مجنون ليلى : 135 .

نظرْتُ كأنّي مـن وراء زُجاجةٍ إلى الدّارِ مِـن مـاءِ الصبابة أنظرُ

وقد كان النبيذُ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال : أنت تنظر أبداً مِن وراء زجاجة ، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن . فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض ، ثم قال : خذوا برِجْل العاضِّ بَظْر أمّه ، فسُحِب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة . فنُفي مِن وقته وحُدِرَ ومعه المُوَكَّلون . فلمّا سلّموه إلى صاحبِ البصرة ، سأله أن يُقيم عنده يوماً ويغنّيه ، ففعل .

فلمّا جلسوا للشرابِ ابتدأ فقال : احذروني يا أهل البصرة على حُرَمكم ، فقد دخلْتُ إلى بلدكم وأنا أزنَى خلق الله . قال : فقال له الجمّاز : أما يعني أنّه أزنى خلقِ الله أمّاً ؟ فغضب المسدودُ ، وضرب بطُنبوره الأرضَ وحَلَفَ ألاّ يغنّي . فسأله الأميرُ أن يقيمَ عندَه وأمَرَ بإخراج الجماز وكلِّ مَن حَضَر ، فأبى ولجَّ فأحدره إلى عُمان .

[الواثق يطلب إحضاره]

ومكث الواثق لا يسأل عنه سنة ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلمّا جاءه الرسولُ ووصَل إلى الواثق قبّل الأرض بين يديه ، فاعتذر من هفوته وشكَر التفضّل عليه . فأمَره بالجلوس ثم قال له : حدِّثني بما رأيتَ بَعدي . فقال : لي حديث ليس في الأرض أظرف منه ، وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قَبَحك اللهُ ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سُوقةٌ وأنا ملك ، وكنتَ صاحياً وكنتُ مُنْتَشِياً وبدأتَ القوم فأجابوك . فبلغ بِك الغضب ما ذكرتَه وما بدأتك فتُجيبَني ، وبدأتَني ، من المزح ، بِما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك ! لا تعاود بعدها ممازحةَ خليفةٍ وإنْ أذِن لك في ذلك ، فليس كلّ أحد يَحضره حلمُه كما حضرني فيك .

[رقعة في هجاء الواثق ورقعة في حاجته]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني عَون بنُ محمد ، قال : سمعتُ حمدونَ بن إسماعيل يقول : لم يكن في الخلفاء أحَد أحلَمَ من الواثِقِ ، ولا أصبَرَ على أذى وخلاف . وكان يُعجبه غناء أبي حَشيشة الطُّنبوريّ . فوجَد المسدود من ذلك ، فكان يَبْلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه . وكان المسدودُ قد هجاه ببيتين ، فكانا معه في رقعةٍ ، وفي رقعة أُخرى حاجة له يريد أن يَرْفعها إليه ، فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشِّعر وهو يَرى أنّها رقعة الحاجة ، فقرأها وفيها : [من الهزج]

مِنَ المسدودِ في الأنفِ إلى المَسدودِ في العَيْـنِ
أنـا طَبْـلٌ لـه شِقٌّ فيـا طبـلاً بشِقَّيْنِ

فلمّا قرأ الرقعةَ علِم أنّها فيه ، فقال للمسدود : خلطت في الرقعتين ، فهات الأُخرى

وخُذ هذه واحترز من مثل هذا . والله ما زاده على هذا القول .

[أجوبة موجعة]

أخبرني جحظة ، قال : تحدّث المسدود في مجلس المنتصر بحديث ، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ قال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر ، يُعَرِّض له بلَيلةٍ قتل فيها المتوكّل ، فأغضى المنتصر واحتمله .

قال : وقالت الذكوريّة يوماً بين يدي المعتمد : غنٍّ يا مسدودُ ، قال : نعم يا مفتوحة ! وقالت له امرأة : كيف آخذ إلى شجرة بابك ؟ قال : قُدّامك ، أطعمكِ اللهُ من ثمرها .

قال : وغنّى بين يدَي المتوكّل ، فسكّته وقال لبكران الشيري : تَغَنَّ أنتَ . فقال المسدودُ : أنا أحتاج إلى مستمع ، فلم يفهم المتوكّل ما قال .

وقَدَّم إليه طَبّاخُ المتوكّل طبقاً وعليه رغيفان ، ثم قال له : أيَّ شيء تشتهي حتى أجيئك به ؟ قال : خبزاً . فبلغ ذلك المتوكّل ، فأمَر بالطبّاخ فضُرِب مائتي مِقْرعة .

قال جحظة : وحدَّثني بعض الجلساء أنّه لّما وَضع الطبّاخُ الرغيفَين بين يديه قال له المسدود : هذا حرز فأين النير ؟

قال ودَعاه بعضُ الرؤساء فأهدى له بِرْذَوْناً أشهب ، فارتبطه ليلته ، فلمّا كان من غدٍ نفَق . وبعث إليه يدعوه بعد ذلك ، فكتب : أنا لا أمضي إلى مَن يعرفُ آجال الدوابّ ، فيهب ما قرُب أجله منها .

قال : واستوهب من بعض الرؤساء وبراً ، فأعطاه سّموراً قد قَرِع بعضُه ، فردّه وقال : ليس هذا سّموراً ، هذا أشكر[1] .

صوت

[من الطويل]

أجــدَّك مــا تَعْفُو كُلومُ مُصيبَةٍ ... على صاحِبٍ إلاّ فُجعتُ بصاحبِ
تقَطَّع أحشائي إذا مــا ذكرتهمُ ... وتنهلّ عيني بالدّموعِ السواكبِ

عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عيّاش ، والغناء لحَكَم ، وله في لحنان : رمل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

1 أشكر : لعلّها أُشكُر . بضمّ الهمزة والكاف ، وهو الأديم الأبيض .

[427] ـ أخبار سلمة بن عيّاش [1]

سلمةُ بن عيّاش مولى بني حِسْل بنِ عامر بن لؤيّ . شاعرٌ بصريٌّ مِن مخَضْرَمي الدولتين ، وكان يتديَّن ويتصوَّن ، وانقطع إلى جعفر ، ومحمد ابنَيْ سليمانَ بنِ عليّ بنِ عبدالله بن عبّاس ، ومدَحَهما فأكثر وأجادَ . ومِمّا مدَحهما به وفيه غناء قوله : [من الطويل]

صوت

أَرِقْتُ وطالت ليلتي بأبانِ لِبرْقٍ سَرى بَعد الهدوءِ يَمانِ [2]
يُضيء بأعلامِ المدينةِ هُمَّدا إلى أُمجٍ فالطلح طلح قنانِ [3]

غنّى في هذين البيتين دحمان ، ولَحْنه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، قال : وفيه لحن لعطرّد يقول فيها : [من الطويل]

ورَدْتُ خَليجَي جعفرٍ ومحمدٍ وكلٌّ بَدِيءٍ من نَداه سقاني [4]
وإنّي لأرجو جعفراً ومحمداً لأفضلِ ما يُرْجى لـه مَلَكانِ
هُما ابْنا رسولِ اللهِ وابنا ابنِ عمِّه فقد كَرُم الجَدّانِ والأبوانِ

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجرّاح قوله : [من الطويل]

صوت

أَنارٌ بدَتْ وَهْناً لعينك تُرْمِضُ ببغدادَ أم سارٍ من البرقِ مُومِضُ [5]
يضيء سناه مكْفَهِرّاً كأنّه حناتِمُ سودٌ أو عِشارٌ تَمَخَّضُ [6]

غنّى فيهما عطرّد ثقيلاً أوّل ؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها : [من الطويل]

---

1 ترجمة سلمة بن عياش في الوافي 15 : 325 وانظر الحماسة الصغرى : 156 وابن الشجري : 80 وأعلام الزركلي .
2 أبان : جبل .
3 أمج موضع : والطلح : موضع بين المدينة وبدر ، وهناك موضع آخر بين مكة واليمامة .
4 بديء : عجيب .
5 ترمض : تشتعل .
6 الحناتم : جمع حنتم ، وهو السحابة السوداء .

ولَوْلا انتظـاري جعفراً ونَوالَه لَما كان في بغدادَ ما أتبرّضُ[1]

وقد وَجدتُ هذا الشعر لابنِ المولى في جامع شعره من قصيدة له ، وأظنّ ذلك الصحيحَ ، لا ما ذكر محمدُ بنُ داود من أنّها لسلمة بن عيّاش :

[أعطى الفرزدق بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة وغيره ، قال : قال سلمة بن عيّاش ، وذكر محمدُ بن داود ، عن عسلِ بنِ ذكوان ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن سلمة بن عيّاش مولى بني عامر بن لؤيّ ، قال : دخلت على الفرزدق السجن ، وهو محبوس ، وقد قال قصيدته[2] : [من الكامل]

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنَى لنا بَيْتــاً دعائمُـــه أغــرُّ وأطــوَلُ

وقد أُفحِمَ وأجبل ، فقلت له : ألا أَرفِدك ؟ فقال : وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت : [من الكامل]

بَيْـــتٌ زُرارةُ مُحْتَـــبٍ بفِنائِــه ومُجاشِع وأبــو الفوارسِ نَهْشَلُ

فاستجاد البيت وغاظه قولي له ، فقال لي : مِمّن أنت ؟ فقلت : من قريش ، فقال : كلُّ أَيْرِ حمار من قريش ! فَمِن أيِّها أنت ؟ قلت : من بني عامر بن لؤيّ ، قال : لئام والله رَضَعَة[3] ، جاورتُهم بالمدينة فمـا أحمدتُهـم . فقلت : أَلأمُ والله منهم قومُك وأرضع . جاء رسولُ مالكِ بنِ المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأُذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد ، ولا نصرك . فقال : قاتلك اللهُ ما أنكرك ! وأخذ البيت ، فأدخله في قصيدته .

[غزله ببربر المغنية]

أخبرنا وكيع ، قال : أَخبرني محمدُ بن سعد الكرّانيّ ، قال : حدَّثنا سهل بنُ محمد ، قال : حدَّثني العُتْبيّ ، قال : كان سلمة بن عيّاش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان ، وجارية تغنّيهم وتَسقيهم يقال لها : بربر ، فقال سلمة[4] : [من الطويل]

إلى اللهِ أَشكو مــا أُلاقي من القِلى لأَهلي وما لاقيتُ من حبِّ بَرْبرِ
على حينَ ودَّعتُ الصبابةَ والصِّبا وفارقتُ أَخْداني وشمَّرتُ مِئزَري

1 يتبرض : يتبلّغ بالقليل من العيش ، ويأخذ الشيء قليلاً قليلاً .
2 بيت الفرزدق والبيت الذي رفده به سلمة في ديوان الفرزدق .
3 رضعة : لئام .
4 أكثر الشعر المنسوب إلى سلمة في بربر سبق أن ورد لمطيع بن إياس في جوهر ضمن ترجمته 13 : 193 .

نــأى جعفــرٌ عنّــا وكان لِمِثْلِها ... وأنــتَ لنا في النائبــاتِ كجعفرِ

[رثاء محمد بن سليمان]

قال : فقال محمد بن سليمان لِسلمةَ : خذْها ، هي لَكَ ، فاستحيا وارتدع ، وقال : لا أريدها فألحَّ عليه في أخذها . فقال : أَعتِق ما أمْلِك إن أخذتُها ، فقال له أبو سفيان : يا سخينَ العين ، أعتِق ما تَمْلِك وخذها ، فهي خير من كلّ ما تملك ، فلمّا مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال : [من الطويل]

لَعَمْــرُك لا تعفُــو كلُــومُ مصيبةٍ ... على صاحبٍ إلاّ فُجِعتُ بصاحبِ
تَقَطعُ أحشائي إذا ما ذكرتكم ... وتَنْهلّ عيني بالدّموعِ السواكبِ
وكنتُ امــرءاً جلداً على ما يَنُوبني ... ومعترفــاً بالصبرِ عنــدَ المصائبِ
فهَدَّ أبُــو سفيانَ رُكني ولم أكُنْ ... جَزوعــاً ولا مستنكِراً للنوائبِ
غَنِينا مَعــاً بِضْعاً وستِّين حِجَّةً ... خَلِيلَيْ صفاءٍ وُدُّنــا غيرُ كاذبِ[1]
فَأصبحتُ لمّا حالت الأرضُ دونَه ... على قُرْبه مِنّــي كمَن لم أُصاحبِ

وذَكر محمدُ بن داود عن عسل بن ذَكوان أنّ محمدَ بنَ سليمان قال له : اختر ما شئت غيرها ، لأنّ أبا أيّوب قد وطئها .

[بينه وبين أبي حيّة النميريّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمدُ بن يزيد النحويّ ، قال : حُدِّثت من غير وجه عن سلمَة بنِ عيّاش أنّه قال : قلت لأبي حَيّة النُّميريّ أهْزأُ به : ويحك يا أبا حيّة ! أتدري ما يقول النّاس ؟ قال : لا ، قلت : يزعمون أنّي أشعر منك ، قال : إنّا للهِ ! هلَك واللهِ النّاس .

[شعر ينسب إليه في بربر]

وفي بَرْبَر هذه يقول سلمةُ بن عيّاش ، وفيه غناء ، وذَكرَ عمرُ بن شبّة أنّه لمطيع بن إياس : [من مجزوء الوافر]

صوت

أظنُّ الحبَّ من وجْدي ... سيقتُلُنــي عــلى بَربَــرْ

1 الوافي :

صحبت أبا سفيان عشرين حجة ... خليــلي صفــاء ودنا غير كاذب

وبَرْبَــرُ دُرَّةُ الغــوا ص مَــنْ يَمْلِكُها يُحْبَرْ
فخــافي اللهَ يــا بَرْبَــرْ فقد أَفتَنْتِ ذا العسكرْ
بِحُسْنِ الـدَّلّ والشكلِ وريـحِ المسك والعَنْبرْ
ووجــهٍ يُشْبه البَــدْرَ وعَيْنَــي جُــؤْذُر أَحورْ

فيه لحَكَم ثلاثة أَلحان : رمَل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وخفيف رمل عن هارون بن الزيّات ، وهزج عن أبي أيّوب المدنيّ .

[مطيع يهجو جوهر جارية بربر]

أَخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : بَرْبَرُ جارية آلِ سليمان أُعتِقتْ ، وكان لها جَوار مغنيات ، فيهم جارية اسمها جوهر ، وكان في البصرة فتى يُعرَف بالصحّاف ، حسن الوجه ، فبلغ مطيعَ بن إياس أنّه بات مع جوهرَ جارية بربرَ ، فغاظه ذلك ، فقال : [من الخفيف]

نــاكَ واللهِ جوهرَ الصحّافُ وعلَيهــا قَميصُهــا الأفوافُ[1]
شام فيهــا أَيراً له ذا صُلاع لم يَخُنْــه نَقص ولا إخطافُ[2]
زعموها قالت وقد غابَ فيها قائماً في قيامــه استِحْصافُ[3]
وهو في جــارة استها يتلظّى وبهــا شهــوةٌ لــه والتهافُ
بَعْضَ هــذا مهلاً ترفَّق قليلاً مــا كذا يا فتى تُناك الظِّرافُ

قال : وقال فيها ، وقد وجّهت بجواريها إلى عسكر المهدي : [من مجزوء الوافر]

خــافي اللهَ يــا بَرْبَرْ فقد أَفسدْتِ ذا العسكرْ
أَفضْتِ الفِسقَ في النّاسِ فصار الفسْقُ لا يُنْكرْ
ومَــنْ ذا يملِك النّاس إذا مــا أَقبلَــتْ بَرْبَرْ
وأَعطــافُ جواريهــا كريــح المسكِ والعنبرْ
وجوهــرُ دُرّةُ الغــوا ص مَنْ يَمْلِكهــا يُحبرْ
أَلا يــا جوهــرَ القلْبِ لقد زِدْتِ على الجوهرْ

---

1 الثوب الأفواف : الرقيق .
2 في ترجمة مطيع : ذا ضلوع . اخطاف : خطأ .
3 استحصاف : شدّة وانتصاب ، واستحصف الحبل : فتله .

وقــد أكملــكِ اللهُ بحُسن الــدّلِّ والمنظرْ
إذا غنّيتِ يــا أحسَــ ـنَ خلقِ اللهِ بالمِزهرْ[1]
فهــذا حَزَنــاً يَبْكي وهــذا طرَبــاً يكفُرْ
وهــذا يَشربُ الكأسَ وذا مــن فَــرَح ينعِرْ
ولا واللهِ مــا المهديُّ أولى منــك بــالمِنبرْ
فما عِشْتِ ففــي كفَّيـ ـك خَلْعُ ابن أبي جعفرْ

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فضحك وأمر لمطيع بصلة ، وقال : أنفق هذا عليها وسلها ألاّ تخلعنا ما عاشت .

قال : وفي جوهر يقول مطيع : [من السريع]

جاريةٌ أحسنُ مِن حَلْيِها وفيه فَضْلُ الدُّرّ والجوهرْ
وجِرمُها أطيب من طِيبها والطِّيب فيه المسكُ والعنبرْ
جاءت بها بربرُ مَمْكُورةً يا حبّذا ما جلَبتْ بَربَرْ[2]

قال : وقال فيها : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عِندي جَوْهَرَهْ في بيــاض الدرّة المشتهِــرَهْ
وإذا غنَّــت فنــارٌ أُضْرِمَتْ قَدَحَــتْ في كلِّ قلب شَرَرَهْ

صوت

[من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وجُودِ
إنَّ يومــاً أراكَ فيــه ليَــومٌ طلعتْ شَمسُه بسعدِ السعودِ

الشعر لأبي العتاهية[3] يمدح محمدَ الأمين ، والغناء لإسحاقَ ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق .

1 المزهر : العود .
2 ممكورة : ممتلئة الساقين .
3 ديوان أبي العتاهية : 526 .

[428] ـ أَخبار لأُمّ جعفر

[أبو العتاهية ينشدها]

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا العلائيّ ، قال : حدَّثني محمدُ بن أَبي العتاهية ، قال : لمّا جَلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية[1] : [من الخفيف]

يا ابنَ عمِّ النبيِّ خيرِ البَرِيّه إنّما أنتَ رحمَةٌ للرّعيَّهْ
يا إمامَ الهُدى الأَمينَ المصَفَّى بِلُبابِ الخلافةِ الهاشميَّهْ
لكَ نفسٌ أمّارةٌ لكَ بالخيـ ـرِ وكفٌّ بالمكرُماتِ نَدِيَّهْ
إنّ نفساً تحملَتْ منك ما حُمِّـ ـلتَ للمسلمينَ نفسٌ قَوِيَّهْ

قال : ثم خرج إلى دار أُمّ جعفر ، فقالت له : أنشدْني ما أنشدْتَ أمير المؤمنين ، فأنشدها .

فقالت : أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد ؟ فغضب وقال : إنّما أنشدتُ أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه : [من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
والذي فيه ما يُسَلّي ذوي الأحـ ـزانِ عن كلِّ هالكٍ مفقودِ
إنّ يوماً أراكَ فيه لَيَوْمٌ طلعَت شمسُه بسعدِ السعودِ

فقالت له : الآن وفيت المديحَ حقّه ، وأمرَت له بعشرة آلاف درهم .

[أبو العتاهية يستنجز أُمّ جعفر وظيفته]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى اليزيديّ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ الفضل ، قال : كان المأمون يوجِّه إلى أُمّ جعفر زُبَيدةَ في كلِّ سنة بمائة ألف دينار جُدُد وألفِ ألفِ درهم ، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم ، فأغفلَتْه سنة ، فَدَفع إليّ رقعةً وقال : ضَعْها بين يديها فوضعتُها ، وكان فيها[2] : [من الرمل]

خبَّروني أنَّ في ضَرْبِ السَّنهْ جُدُداً بيضاً وصُفْرا حَسَنَهْ
سِكَكاً قد أُحْدِثَتْ لم أَرَها مثلَ ما كنتُ أرى كلّ سَنَهْ

فقالت : إنَّا للهِ ! أَغفلناه . فوجّهت إليه بوظيفة على يَدي .

[استعطاف المأمون لأمّ جعفر]

حدَّثني محمد بن موسى ، قال ، حدَّثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب ، قال : أَحسّت زُبَيدة

1 ديوان أبي العتاهية : 680 .

2 ديوان أبي العتاهية : 649–650 .

من المأمون بجفاء ، فوجّهت إلى أَبي العتاهية تُعْلمه بذلك ، وتأمره أَن يعمل فيه أبياتاً تَعْطِفه عليها ، فقال[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا إنَّ ريبَ الدَّهْـرِ يُدني ويُبعدُ ويؤنس بـالأُلاّف طـوراً ويُفقدُ
أُصابَتْ لريْبِ الدَّهْرِ مني يَدي يَدي فسلّمتُ للأَقـدارِ واللهَ أَحْمَـدُ
وقلتُ لِرَيْبِ الدَّهرِ إنْ ذهبَتْ يَدٌ فقـد بقيتْ والحمـدُ للهِ لي يَدُ
إذا بَقـي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ولي جعفـرٌ لم يفقَـدا ومحمـدُ

الغناء لعلّويه .

قال : فحسُن موقع الأَبيات منه ، وعاد لها المأمون إلى أَكثر مِمّا كان لها عليه .

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتبِ :

حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : ظهرَتْ لأُمّ جعفر جَفْوة من المأمون ، فبعثت إليَّ بأَبيات وأمرتني أن أُغنّي فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأَسْنَتْ لي الجائزة ، وكان كاتبها قال الأبيات ، ففعلْت . فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته ، فبكى ورقَّ لها ، وقام من وقتِه فدخل إليها فأكبَّ عليها ، وقبلَتْ يديه ، وقال لها : يا أُمّه ، ما جفوتك تعمُّداً ، ولكن شُغِلْت عنكِ بما لا يمكن إغفالُه . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إذا حَسُنَ رأيك لم يُوحشني شُغلك ، وأَتمَّ يومَه عندها ، والأبيات : [من الطويل]

أَلا إنّ ريبَ الدهرِ يُـدْني ويُبعدُ ويُؤنس بالأُلاّف طـوراً ويُفْقِـدُ

وذكر باقي الأَبيات مثل ما في الخبر الأوّل .

[أبو العتاهية ينظم على لسانها]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحسن بن عليّ الرازيّ ، قال : حدَّثني أَبو سَهْل الرازقيّ عن أبيه ، قال : عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زُبَيْدة بأَمْرِها لّما قدِم المأمون بغداد ، أَوّلُه[2] : [من الطويل]

لخَيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصرٍ وأَفضلِ راقٍ فَوق أَعوادِ مِنْبرِ[3]

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتّاب السلطان : أنّ المأمون لّما قدِم مدينة السلام ، واستَقرَّت به الدار ، وانتظمت له الأُمور ، أمرَت أُمّ جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات ، وبعثَتْ بها

1 ديوان أَبي العتاهية : 518–519 .
2 ديوان أَبي العتاهية : 549 .
3 الديوان : وأفضل بسام على . . .

إلى عَلُّويَه ، وسألته أن يصنع فيها لحناً ، ويغني فيه المأمون ففعل ، وكان ذلك مِمّا عطفه عليها ، وأمرت لعلُّويَه بعشرين ألفَ درهم . وقد رُوي أن الأبيات التي أوّلها : [من الخفيف]

يـا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ

لعيسى بن زينب المراكبي .

[تنفس عيسى المراكبيّ]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب ، قال : حدَّثنا عليٌّ بن نجيح ، قال : حدَّثني صالح بن الرشيد ، قال : كنّا عند المأمون يوماً وعقيد المغنّي وعمرو بن بانةَ يغنّيان ، وعيسى بن زينب المراكبيّ حاضر ، وكان مشهوراً بالأُبْنَةِ ، فتغنّى عقيد بشعر عيسى : [من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجودِ
لكَ عندي في كلِّ يومٍ جَديدٍ طُرْفةٌ تستفادُ يـا ابنَ الرشيدِ

فقال المأمون لعقيد : أنشد باقي هذا الشعر ، فقال : أصونُ سَمْعَ أميرِ المؤمنين عنه ، فقال : هاتِه ويحك ! فقال : [من الخفيف]

كنتُ في مجلسٍ أَنيق ورَيْحا نٍ وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وَعُودِ
فتغنّى عمـرو بن بانـةَ إذ ذا كَ وهْـوَ ممسكٌ بأَيْـر عقيدِ
يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
فتنفّسْتُ ثـم قلـتُ كذا كلُّ محـبٍّ صبِّ الفـؤاد عميدِ

فقال المأمون لعيسى بن زينب : والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفّسك عند قبض عمرو على أيْر عقيد : لأيِّ شيءٍ هو ؟ لا بُدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه ، أو على أن تكون مثله ، لَعَنَ اللهُ تنفسَك هذا يا مُريبُ ! قال : وإنّما سُمِّيَ المراكبيّ لتولِّيه مراكب المنصور ، وأُمّه زينب بنت بشر ، صاحِب طاقاتِ بشر بباب الشام .

صوت

[من المتقارب]

لقيتُ مِـن الغانيـاتِ العُجابا لَـو ادرك منِّـي العذارى الشبابا
عـلامَ يُكحِّلْـنَ حُـورَ العيـون ويُحْدِثْنَ بَعد الخضابِ الخضابا
ويُبْرِقْـنَ إلاّ لِمـا تعلمـونَ فـلا تمنعُـنَّ النساءَ الضِّرابـا

الشعر لأيمنَ بنِ خُرَيم بنِ فاتك الأَسديّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشاميّ .

[429] ـ أخبار أَيمن بن خُرَيم[1]

[اعتزل حرب الجمل وصفّين]

وأَيمنُ بنُ خُرَيم بن فاتك الأسديّ لأَبيه صُحبة برسول الله ، ﷺ ، وروايةٌ عنه ، وينسب إلى فاتك ، وهو جدّ أبيه . وهو أَيمنُ بن خُرَيم بن الأخرم بنِ عمرو بنِ فاتك بنِ القليب بنِ عمرو بنِ أسد بنِ خزيمة بن مدركة بن إلياس بنِ مضر بنِ نزار . وكان أيمن يتشيّع ، وكان أبوه أحدَ من اعتزل حربَ الجَمل وصِفّين وما بعدهما من الأحداث ، فلم يحضرها .

[يهوّل قوته فيحسده عبد الملك]

أَخبرني الحسنُ بن علي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني النوشجانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديٍّ ، عن عبد الله بن عيّاش ، عن مجالد ، قال[2] : كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء ، فلمّا أسنَّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامُه بهنّ ، فدخل إليه يوماً أيمنُ بنُ خُرَيم فقال له : كيف أَنت ؟ فقال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قوّتُك ؟ قال : كما أُحبّ ، ولله الحمد ، إنّي لآكل الجَذَعَةَ[3] من الضأن بالصاع من البُرّ ، وأشرب العُسّ المَمْلوء ، وأرتحلُ البعيرَ الصعب وأُنْصِبُه[4] ، وأركب المُهر الأرِن[5] فأُذلِّلُه ، وأفترع العذراء ، ولا يُقْعِدُني عنها الكِبَرَ ، ولا يمنعني منها الحَصَر[6] ، ولا يُرْويني منها الغُمَر[7] ولا ينقضي منّي الوَطر . فغاظ عبد الملك قولُه وحسَدَه ، فمنعه العطاء وحجبه ، وقصدَه بما كَرِه حتى أثّر ذلك في حاله . فقالت له امرأته : ويحك ! أصْدِقْني عن حالِك ؟ هل لك جُرْم ؟ قال : لا والله ، قالت : فأيُّ شيء دارَ بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه ؟ فأخبرها ؛ فقالت : إنّا لله ! مِن هاهنا أُتيت . أنا أحتال لك في ذلك حتى أُزيل ما جرى عليك ، فقد حسَدَك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك . فتهيّأت ولبستْ ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألكِ أن تستَعْدي لي أمير المؤمنين على زوجي ، قالت : وما لَه ؟ قالت :

1 ترجمة أيمن بن خريم في الشعر والشعراء : 453–455 والإصابة 1 : 94 وتهذيب ابن عساكر 3 : 187 وانظر طبقات ابن سلام 6 : 38–39 والمختار من شعر بشار : 211 والتذكرة الحمدونية 8 : 230–231 .
2 وردت هذه الحكاية في المختار من شعر بشّار والتذكرة الحمدونية ، والخبر فيهما عن معاوية .
3 الجذعة : الصغيرة من الضأن .
4 أنصبه : أتعبه .
5 الأرن : النشيط .
6 الحصر : الضعف عن النساء .
7 الغمر : القدح الصغير .

والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائطٍ ؟ وإنّ له لسِنين ما يعرف فراشي ، فسليه أن يفرِّق بيني وبينه . فخرجتْ عاتكة إلى عبد الملك فذكرَت ذلك له ، وسألته في أمرها . فوجَّه إلى أيمنَ بنِ خُريم فحضرَ ، فسأله عمّا شكتْ منه فاعترفَ به . فقال : أوَلم أسألك عاماً أوّلَ عن حالك فوصفْتَ كَيْتَ وكيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجلَ ليتجمّل عند سلطانه ، ويتجلّدُ عند أعدائه بأكثر مِمّا وصفتُ نفسي به ، وأنا القائل[1] : [من المتقارب]

لَقيتُ من الغانياتِ العُجابا … لو ادْرَكَ منّي الغواني الشبابا
ولكنَّ جمعَ النساءِ الحسانِ … عناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا
ولو كِلْتَ بالمدِّ للغانياتِ … وضاعفْتَ فوقَ الثيابِ الثيابا
إذا لم تُنِلْهُنَّ مِن ذاك ذاك … جحدنْك عندَ الأميرِ الكتابا
يَذُدْنَ بكلِّ عصا ذائدٍ … ويصبحْنَ كلَّ غداة صِعابا
إذا لم يُخالَطْنَ كلَّ الخِلا … طِ أصبحَن مُخْرَنْطماتٍ غِضابا[2]
علامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ … ويُحدثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعرُكنَ بالمسْكِ أجيادَهنّ … ويُدْنِينَ عندَ الحِجالِ العيابا
ويُبْرِقْنَ إلاّ لِما تعلمونَ … فلا تحرموا الغانياتِ الضِّرابا

قال : فجعل عبدُ الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أُولى لك يا ابنَ خُرَيم ! لقد لقيتَ منهنّ تَرَحاً ، فما ترى أن تصنع فما بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنِّين ، وأُداريها لعليّ أستطيعُ إمساكَها . قال : أَفْعَلُ ذلك . وردَّها إليه ، وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى بِرِّه وتقريبه .

[يعتزل المتنازعين من بني أُميّة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثنا الرياشيّ ، قال : ذكر العُتْبيّ أنّ منازعةً وقعتْ بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان ، فتعصَّب لكلّ واحد منهما أخواله ، وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا ، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه ، يقال له : ابن كُوز ، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك ، فقال : [من الوافر]

أأُقْتَلُ بينَ حجّاج بن عمرو … وبين خصيمه عبدَ العزيزِ

---

1 الأبيات في الشعر والشعراء والمختار من شعر بشّار وعيون الأخبار 4 : 102 مع تفاوت في العدد واختلاف في اللفظ .

2 اخرنطم : رفع أنفه في استكبار وغضب .

أنُقتَــل ضَلَّــةً في غيرِ شيءٍ ويَبْقــى بعدَنــا أهــلُ الكنوزِ
لعمرُ أَبيكَ ما أُوتيتُ رشدي ولا وُفِّقــتُ للحِــرْزِ الحريزِ
فإنِّـــي تــاركٌ لهمـــا جميعاً ومعتزلٌ كما اعتــزل ابنُ كوزِ

[غضبه من يحيى بن الحكم]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : أصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غَزاة الصائفة[1] ، بها وضح[2] ، فقال : أعطوها أيمنَ بنَ خُريم ، وكان مُوضحاً ، فغضب وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

تركتُ بني مروان تندى أَكفُّهم وصاحبتُ يحيى ضَلّة من ضلاليا
فإنّكَ لو أَشبهتَ مـروان لم تَقُل لقوميَ هُجــراً أَنْ أَتوكَ ولا ليا

وانصرف عنه ، فأتى عبد العزيز بن مروان ، وكان يحيى مُحَمَّقاً .

[شعره في بني هاشم]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفضل ، قال : حدَّثني مُصْعَب الزُّبيريّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال : يا معشر الشعراء تُشَبِّهوننا مرّة بالأسد الأَبخر ، ومرة بالجبل الأوعَرِ ، ومرّة بالبحر الأُجاج ، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خريم في بني هاشم : [من الوافر]

نهارُكُــمُ مكابــدةٌ وصومٌ ولَيْلُكُــمُ صــلاةٌ واقتراءُ[4]
وَلِيتــم بالقُــرانِ وبالتزكّي فأَسرعَ فيكــمُ ذاكَ البلاءُ
بكــى نجدٌ غداةَ غدٍ عليكم ومكّــةُ والمدينــةُ والجِواءُ[5]
وحــقّ لكــلِّ أَرض فارقُوها عليكــم لا أَبــا لكمُ البكاءُ
أَأَجعلكــم وأَقوامــاً سواءً وبينكـــمُ وبينهــمُ الهــواءُ
وهــمْ أَرضٌ لأَرْجُلِكم وأَنتم لأَرؤوسهــم وأَعينهــم سمــاءُ

---

1 غزاة الصائفة : الغزوة في الصيف .
2 وضح : برص .
3 في الشعر والشعراء ثلاثة أبيات .
4 اقتراء : قراءة .
5 الجواء : اليمامة ، ويطلق على أماكن أخرى .

[عبد الملك يؤدّي عنه الدية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن زهير ، عن أبي همّام الوليد بن شجاع ، قال : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، قال : أصاب أيمنُ بنُ خُرَيم امرأةً له خطأ ، يعني قتلها ، فوداها عبد الملك بن مروان : أعطى ورثتها ديتها ، وكَفَّر عنه كفارةَ القتل ، وأعطاه عِدَّةَ جَوار ، ووهب له مالاً ، فقال أيمنُ : [من المتقارب]

رأيتُ الغوانيَ شيئاً عُجاباً ... لَوَ انسَ مِنِّي الغواني الشبابا
ولكنَّ جمعَ العذارى الحسانِ ... عناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا
ولو كِلتَ بالمُدِّ للغانياتِ ... وضاعفْتَ فوقَ الثيابِ ثيابا
إذا لم تُنِلْهنَّ من ذاك ذاك ... بَغَيْنَكَ عِنْدَ الأميرِ الكذابا
يَذُدنَ بكلِّ عَصا ذائدٍ ... ويُصبحنَ كلَّ غداةٍ صِعابا
إذا لم يُخالَطْنَ كلَّ الخِلاط ... تراهنّ مُخرَنْطِماتٍ غِضابا
عَلامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعرُكنَ بالمسكِ أجيادَهنّ ... ويدنينَ عندَ الحِجالِ العِيابا
ويغمِزنَ إلاّ لِمَا تعلمونَ ... فلا تحرموا الغانياتِ الضِّرابا

قال : فبلغني أنّ عبد الملك أُنشد هذا الشعر ، فقال : نعم الشفيع أيمَنُ لهنّ .

وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبّة وإبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، قال : قال له عبدُ الملكِ لمّا أنشده هذا الشعر : ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتكَ ، ولا عَرّفهنَّ أحد معرفتك . قال : فقال له : لئن كنتُ صدقتُ في ذلك لقد صدقَ الذي يقول[1] : [من الطويل]

صوت

فإن تسألوني بالنساءِ فإنّني ... خبيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُه ... فليس له في وُدِّهنّ نصيبُ
يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمنه ... وشَرْخُ الشبابِ عندَهنّ عجيبُ

فقال له عبد الملك : قد لعمري صَدقْتما وأحسنتما ، الشعر لعَلْقَمَة بن عَبَدة ، والغناء لبَسْباسَة ، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش . وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق أخيه شأس . وخبرهُ يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خُرَيم .

---

1 ديوان علقمة بن عبده (صادر) : 23 .

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

[يهجر عبد العزيز إلى بشر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة ، قال : حدَّثني المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ ، قال : دخل نُصَيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحَه بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خرَيم فقال : كيف ترى شِعرَ مولاي هذا ؟ قال : هو أشعرُ أهلِ جِلْدتِه . فقال : هو أشعرُ واللهِ منكَ . قال أَمِنّي أيُّها الأمير ؟ فقال : إي واللهِ ، قال : لا واللهِ ، ولكنّك طَرِفٌ[1] ملول . فقال له : لو كنت كذلك ما صبرْتُ على مؤاكلتِك منذ سنة وبك من البرص ما بك . فقال : ائذن لي أيّها الأمير في الانصراف ، قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال فيه : [من الوافر]

ركبتُ من المقطّم في جُمادى ... إلى بشرِ بـن مروان البَريدا
ولو أعطاكَ بشرٌ ألـفَ ألـفٍ ... رأى حقـاً عليـه أن يزيدا
أميـرَ المؤمنـين أقِـمْ ببشر ... عمودَ الدِّيـنِ إنّ لـه عمودا
ودَعْ بشراً يُقوّمهم ويُحْدِثْ ... لأهـل الزيـغ إسلاماً جديدا
وإنّـا قـد وجدنـا أمَّ بشر ... كأُمّ الأُسْد مِـذْكاراً وَلودا
كأنّ التّـاجَ تـاجَ أبي هِرَقْلٍ ... جَلَـوْهُ لأعظـمِ الأيـامِ عيدا
يُحالِـف لونُـهُ ديباجَ بشر ... إذا الألْوانُ حالفـت الخدودا

يُعرِّض بِنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز ، فقبَّله بشرُ بن مروان ووصله ، ولم يَزَل أثيراً عنده .

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني الكُرانيّ وأبو العيناء عن العُتْبيّ ، قال : لما أتى أيمنُ بن خريم بشرَ بن مروان نظر الناسَ يدخلون عليه أفواجاً ، فقال مَنْ يُؤْذِن لنا الأمير أو يستأذِن لنا عليه ؟ فقيل له : ليسَ على الأميرِ حِجابٌ ولا سِتر ، فدخل وهو يقول : [من الطويل]

يُـرى بـارزاً للنّاسِ بشرٌ كأنّه ... إذا لاحَ في أثوابـه قمَـرٌ بَدْرُ
ولـو شاء بشرٌ أغلق البابَ دونه ... طماطِـمُ سودٌ أو صقالبةٌ شُقْرُ[2]
أبى ذا ولكـن سهَّل الإذنَ للتي ... يكون له في غِبِّها الحمدُ والشكرُ

فضحِكَ إليه بشر ، وقال : إنّا قومٌ نحْجُبُ الحُرَمَ ، وأمّا الأموالُ والطّعامُ فلا ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

---

1 طرف : لا يثبت على صحبه .

2 طماطم : جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة .

[قلة غناء أهل العراق في الحرب]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثني الرياشيّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ عن المعتمدِ بن سليمان ، قال : لمّا طالت الحربُ بين غَزالة وبين أهل العراق وهمْ لا يُغنون شيئاً ، قال أيمنُ بن خُرَيم : [من المتقارب]

أَتـى منهـم مائتـا فـارسٍ ... مـن السافِكِين الحرامَ العَبيطا[1]

وخمسون من مارقاتِ النسا ... ءِ يَسْحَبْنَ لِلْمُندِيات المُرُوطا[2]

وهُـمْ مائتا ألفِ ذي قَوْنَسٍ ... يَئِـط العراقـان منهم أطيطا[3]

رأيتُ غزالــةَ إن طَرَّحَت ... بمكّـــةَ هَودَجهـا والغَبيطا

سَمَتْ للعراقـين في جمعها ... فلاقى العراقـان منها بطيطا[4]

أَلا يستحي اللهَ أهـلُ العِرا ... قِ إن قَلَّدوا الغانياتِ السُّموطا

وخيـلُ غزالـةَ تسبي النِّساءَ ... وتَحوي النِّهابَ وتحوي النبيطا[5]

ولـو أَنَّ لُوطـاً أَميرٌ لكـم ... لأَسْلَمْتُـمُ في المُلمّـاتِ لُوطا

صوت

[من الطويل]

تصابَيْتَ أَم هاجتْ لك الشوقَ زينَبُ ... وكيف تَصابي المـرء والرأسُ أَشيبُ

إذا قَرُبَـتْ زادتْـك شوقـاً بِقُرْبِها ... وإن جانبتَ لم يُسلِ عنها التجنّبُ

فلا اليأسُ إن أَلمتَ يبـدو فترعَوي ... ولا أَنـت مردودٌ بمـا جئتَ تطلبُ

وفي اليأسِ لو يبدُو لكَ اليأسُ راحةٌ ... وفي الأرضِ عمَّـنْ لا يؤاتيك مذهبُ

الشعر لحُجَيَّةَ بن المضرب الكنديّ ، فيما ذكره إسحاق والكوفيّون . وذكر الزُّبير بنُ بَكّار أنّه لإسماعيلَ بنِ يسار ، وذكر غيرُه أنّه لأخيه أحمد بن يسار . والغناء ليونسَ الكاتب ، ولحنُه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البِنصِر ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصِر . ذكر حَبَش أنّه لمالك ، وذكر غيره أنّه لمعبد .

---

1 العبيط : الدم الطري .

2 المنديات : المخزيات . والمروط : جمع مرط ، وهو كساء يؤتزر به .

3 القوس : أعلى الخوذة . ويئط : يصوت .

4 بط الجرح : شقه .

5 النهاب : الغنائم . والنبيط : النبط ، وهم قوم كانوا ينزلون أرياف الحيرة .

[430] ـ أَخبار حجية بن المضرب[1]

[مثال في تربية الأيتام]

حدَّثني ابن عمّار ، قال : حدَّثنا سعيد بن يحيى الأُمويّ ، وأُخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق ، عن سعيد بن يحيى الأُمويّ : قال : حدَّثني المجبر بن قَحْذم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لمّا قدِم القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر وأختُه من مصر ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عَوانَة ، قال : كان القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر يحدّث ، قال : لمّا قَتَلَ معاوية بن حُدَيج الكنْديّ وعمرو بن العاص أبي ، يَعْني محمد بن أبي بكر بمصر ، جاء عمِّي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر . وقد جمعتُ الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر ، وخبرُه أتمُّ قال .

فقدِم بنا المدينة ، فبعثَت إلينا عائشة ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأَيت والدةً قطّ ولا والداً أبَرَّ منها . فلم نَزَل في حِجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلستْ كلَّ واحدٍ منّا على فخذِها ، ثم بعثَتْ إلى عمِّي عبد الرحمن ، فلمّا دخلَ عليها تكلّمَتْ فحمِدت اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، وأَثنتْ عليه . فما رأيتُ متكلِّماً ولا متكلّمة قبلَها ولا بعدَها أبلغَ منها ، ثم قالت : يا أخي إنِّي لم أزَلْ أراكَ مُعْرِضاً عنِّي منذ قَبضتُ هذين الصبيَّيْن منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ، ولا تُهمَةَ لك فيهما ، ولا لشيء تكرهه ، ولكنّك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيَّين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيت أن يَرى نساؤُك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ أُلطَفَ لذلك وأحقَّ بولايته ، فقدْ قَوِيا على أنفسهما وشبا ، وعرفا ما يأتيان ، فهاهما هذان فَضُمَّهما إليكَ ؛ وكن لهما كحجيّة بن المضربَ أَخي كندة ، فإنّه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك أُصَيْبِيَةً صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرّ النّاس بهم وأُعطفهم عَلَيْهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنّه عرض له سفرٌ لم يجد بدّاً من الخروج فيه ، فخرجَ وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمِّه ، وكان يقال لها : زينب ؛ فقال : اصنَعي ببَني أخي ما كنتُ أصنعُ بهم . ثـم مضى لوجهه فغاب أَشهراً ، ثم رجع وقد ساءَت حال الصبيان وتغيّرت ؛ فقال لامرأته : ويلكِ ! مالي أرى بني معدان مهازيل ، وأرى بَنيّ سِماناً ؟ قالت :

1 ترجمة حجية بن مضرب في السمط : 204–205 وانظر خبره وأبياته في شرح الحماسة للمرزوقيّ : 1176–1177 والتبريزيّ .

قد كنت أُواسي بينهم ، ولكنّهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينبُ لكم ؟ قالوا : سيِّئَة ، ما كانت تعطينا من القوت إلاّ مِلْءَ هذا القَدَحِ من لبن ، وأَرَوْهُ قدحاً صغيراً ، فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها حتى إذا أراح[1] عليه راعيا إبلِه قال لهما : اذهبا ، فأنتما وإبلكما لبني معدان . فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته ، وضربت بينه وبينها حجاباً ؛ فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك .

[شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه]

[من الطويل]

لجِجْنا وَلَجَّتْ هذه في التغضّبِ ... ولطَّ الحجابِ بيننا والتجنُّبِ[2]
وخطتْ بفردَيْ إثمدٍ جفنَ عينها ... لتقتلَني وشَدَّ ما حُبُّ زينبِ
تلومُ على مالٍ شفاني مكانُه ... فَلُومي حياتي ما بدا لك واغضبي[3]
رحِمتُ بني مَعْدانَ أَنْ قَلَّ مالُهمْ ... وحقٌّ لهم مِنّي وربِّ المحصَّبِ[4]
وكان اليتامى لا يَسُدُّ اختلالهم ... هدايا لهم في كلِّ قَعْبٍ مشعَّبِ[5]
فقلتُ لعبدَيْنا : أريحا عليهمُ ... سأجعلُ بَيْتي بيتَ آخَرَ مُعْزِبِ
وقلتُ خذوها واعلموا أَن عمّكمْ ... هو اليومَ أَولى منكمُ بالتكسّبِ
عِيالي أحقُّ أَن ينالوا خصاصةً ... وأَن يشربوا رَنْقاً إلى حين مكسبي
أُحابي بها من لو قصدتُ لمالِه ... حَرِيباً لآساني على كلِّ موكِبِ[6]
أَخي والذي إن أَدْعُه لعظيمة[7] ... يُجِبْني وإن أَغضَب إلى السيفِ يَغْضَبِ

إلى هاهنا رواية ابن عمّار .

[يحاول رد زينب]

وفي خبر إسحاق قال : فلمّا بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتْ حتى أَتت المدينة فأَسلَمَت ، وذلك في ولاية عمر بن الخطّاب . فقدِم حُجَيَة المدينة فطلب زينب أن تُرَدَّ

---

1 أراح : رد الإبل في الرواح .
2 الحماسة (المرزوقي) : وشد . . . والتنقب . ولط : لزم .
3 إليك واغضبي في الحماسة : إليك فلومي .
4 المحصب : مكان رمي الجمار .
5 الحماسة : رأيت . . . لا تسد فقورهم . والمشعب : المجبور .
6 الحماسة : ذكرت بهم عظام من لو أتيته . . . كل مركب .
7 الحماسة : لملمة .

عليه ، وكان نصرانيّاً . فنزل بالزُّبير بن العوام فأَخبره بقصّته ؛ فقال له : إيّاك وأَنْ يَبْلُغَ هذا عنك عمر فتلْقَى منه أذى . وانتشر خبر حُجَيّة وفشا بالمدينة وعُلِم فيمَ كان مقدَمُه . فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير : قد بلغني قصّة ضيفك ، ولقد هممتُ به لولا تحرُّمه بالنّزول عليك .

[مدحه الزبير]

فرجع الزُّبيرُ إلى حُجَيَّةَ فأَعلمه قول عمر ، فقال حُجَيّة في ذلك : [من البسيط]

إنّ الزُّبيرَ بنَ عــوّامٍ تداركنــي ... منــه بسيْب كريــم سيْبُه عِصَمُ[1]
نفسي فــداؤك مأْخوذاً بحُجْزَتها ... إذ شاطَ لحمي وإذ زلّتْ بيَ القدمُ[2]
إذ لا يَقــومُ بهــا إلاّ فَــتًى أَنِفٌ ... عاري الأَشاجعِ في عِرْنينه شَمَمُ[3]

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده ، آيساً من زينب كئيباً حزيناً ، فقال في ذلك :

تصابيتَ أَمْ هاجَتْ لك الشوقَ زينبُ

الأَبيات المذكور فيها الغناء .

صوت

[من الطويل]

خليلي هُبَّــا نَصْطَبِحْ بسوادِ ... ونُروِ قُلوبــاً هامُهُــنَّ صوادِ
وقــولا لساقينا زيــادٍ يُرِقُّها ... فقد هَزَّ بعضَ القوم سقيُ زيادِ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالبنصر .

1 عصم : جمع عصمة ، وهي المنع والصيانة .
2 الحجزة : معقد الإزار . وشاط لحمي : استبيح قتلي .
3 الأشاجع : أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف .

[431] ـ خبر إسحاق مع غلامه زياد

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوكٍ خِلاسيٍّ[1] ، يقال له : زياد . كان مولَّداً من مولَّدي المدينة ، فصيحاً ظريفاً ، فجعله ساقيَه ، وذكره هو وغيره في شعره . فمِمَّن ذكره من الشعراء دِعبلٌ ، وله يقول :

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السُّكريّ قال : كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدّة مواضع ، منها قوله : [من الطويل]

وقـولا لِساقينا زيـادٍ يُرِقّها

وكان نظيفَ السَّقْيِ لَبقاً ، فقال فيه دِعبل[2] : [من الطويل]

يقـول زيـادٌ قِـفْ بصحبِكَ مَرَّةً ... على الرَّبعِ ، ما لي والوقوفَ على الربْعِ !

صوت

[من الطويل]

أَدِرْهـا على فَقْـدِ الحبيبِ فربَّما ... شربتُ على نَأيِ الأَحِبّةِ والفَجْعِ

فمـا بلغَتْنـي الكأسُ إلاّ شربتُها ... وإلاّ سَقيتُ الأَرضَ كأساً من الدمعِ

غنّى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العبّاس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالبِنصر .

[نسبة الصوت إلى غير إسحاق]

قال أبو الحسن : وقد قيل : إنّ هذين البيتين يعني :

خليليَّ هُبّا نصطبِحْ بسواد

للأخطل[3] .

[زياد لا يراجع]

أخبرني عليٌّ بن سليمان ، قال : حدَّثني أبي ، قال : قال لي جعفر بن معروف

---

1 الخلاسيّ : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 ديوان دعبل (نجم) : 105 عن الأغاني .

3 انظر حاشية القصيدة 136 في ديوان الأخطل ، وسيؤكّد إسحاق أن الشعر له ، وإنّما اختلط الأمر على الراوي لورود اسم زياد في قصيدة الأخطل .

الكاتب ـ وكان قد جاوز مائةَ سنة ـ : لقد شهِدتُ إسحاق يوماً في مجلس أُنس وهو يتغنّى هذا الصوت : [من الطويل]

خليلَيَّ هبّا نصطبحْ بسوادِ

وغلامُه زياد جالسٌ على مسْوَرة[1] يَسقي ، وهو يومئذٍ غلام أمرد أصفر ، رقيق البدن حلو الوجه . ثم أخذ يراجعه ولا أحدٌ يستطيع يقول له : زِدني ولا أنقصني .

[المغنّي يحبّ أن يقال له أحسنت]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنْباريّ ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم ، يعني جدَّ أبي ، رحمه الله ، قال : كنت ذات يوم جالساً في منزلي بسُرَّ مَن رأى وعندي إخوان لي ، وكان طريقُ إسحاق في مُضيِّه إلى دار الخليفة ورجوعِه منها على منزلي ؛ فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ بالباب ، فقلتُ له : قُلْ لَهُ ، ويلكَ ! يدخلُ ، أوَ في الخلْقِ أحدٌ يُسْتأْذَنُ عليه لإسحاق ؟

فذهب الغلامُ وبادرتُ أسعى في أثره حتى تلقيته ، فدخل وجلس منبسطاً آنساً ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب إلى الشُّرْب ، فأحضرناه نبيذاً مشمَّساً فشرب منه ، ثم قال : أتحبّون أن أُغنِّيكم ؟ قلنا : إي واللهِ أطالَ اللهُ بقاءك ، إنّا نحبُّ ذلكَ . قال : فلِمَ لم تسألوني ؟ قلنا : هِبْناكَ واللهِ ! قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بعُود فأحضرْناه ، فاندفع فغنّانا ، فشربنا وطرِبنا . فلمّا فرغ قال : أحسنتُ أم لا ؟ فقلنا : بلى والله ، جعلنا اللهُ فداءكَ ، لقد أحسنتَ . قال : فما منعكم أن تقولوا لي : أحسنتَ !

قلنا : الهيْبَةُ واللهِ لك . قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإنّ المغنِّيَ يُحبُّ أن يقال له : غَنِّ ، ويحبّ أن يقال له إذا غنّى : أحسنتَ ، ثم غنّانا صوتَه : [من الطويل]

خليلَيَّ هُبّا نصطبحْ بسوادِ

[إسحاق يعتق زياداً ويزوّجه]

فقلنا له : يا أبا محمد ، مَن هو زياد الذي عنيتَه ؟ قال : هو غلامي الواقف بالباب ، ادْعُوه يا غلمان . فأُدخِلَ إلينا ، فإذا غلام خِلاسيّ ، قيمته عشرون ديناراً أو نحوُها . فأمسكنا عنه ، فقال : أتسألوني عنه فأُعرِّفكم إياه ويخرجُ كما دخل ، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي ؟ أُشْهدكم أنّه حرٌّ لوجه الله ، وأنّي زوّجتُه أمَتي فلانةَ ، فأعينوه على أمره . قال : فلم يَخرج حتى أوصلْنا إليه عشرين ألفَ درهم ، أخرجْناها له من أموالنا .

1 المسورة : متكأ من الجلد .

[رثاء إسحاق لزياد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبي ، قال : توفّي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه : [من الطويل]

وقـولا لِساقينا زيـادٍ يُرِقّهـا

فقال إسحاق يرثيه : [من الطويل]

فَقَدْنا زياداً بعـد طـول صَحابة   فـلا زال يَسقي الغيثُ قبرَ زيادِ
ستبكيكَ كأسٌ لم تجدْ مَن يُديرُها   وظمآنُ يستَبْطي الزجاجـةَ صادِ

[إسحاق يغنّي الأمين في شعر الأخطل]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني ابن المكّيّ عن أبيه ، قال : اصطبح محمد الأمين ذات يوم ، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق ، فوُجِّه إليه عِدّةُ رسل ، كلّهم لا يصادفه ، حتى جاءَ أحدهم به ، فدخل منتشياً ومحمد مغضب . فقال له : أين كنت ويلك ؟ قال : أصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً ، فركبت إلى بعض المتنزهات ، فاستطبْت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد ، فذكرْتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني ، فدار لي فيها لَحْنٌ حسن فصنعته فيها ، وقد جئتك به . فتبسّم ، ثم قال : هات ، فما تزال تأتي بما يُرْضي عنك عند السخط ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

إذا مـا زيـادٌ علّني ثـم علّني   ثـلاثَ زجاجـات لهـنَّ هَدِيرُ
خرجْتُ أجُرُّ الذيلَ زهواً كأنّني   عليـك أميـرَ المؤمنـين أميرُ

قال : بلْ على أبيك ، قَبَّحَ اللهُ فِعلَكَ ، فما يزال إحسانُك في غنائك يمحو إساءَتك في فِعلك ، وأمر له بألف دينار .

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل[1] ، والغناء لإسحاق ، رمل بالبنصر . ورواية شعر الأخطل :

إذا مـا نديمـي عَلّني ثم علّني

وإنّما غيَّره إسحاق فقال : «إذا ما زياد» .

أخبرني عليّ بنُ سليمان عن محمد بن يزيد النحويّ : أَنّ عبدَ الملك بنَ مروان قال للأخطل : ما يدعوك إلى الخمر ؟ فوالله إنّ أوّلها لَمُرّ ، وإنّ آخرها لَسُكْر ! قال : أجل ، ولكن بينهما حالة ، ما مُلْكُك عندها بشيء ، وقد قلتُ في ذلك :

1 المقطوعة 154 في ديوان الأخطل .

إذا مــا نَدِيمـــي عَلَّني ثم عَلَّني ثــلاثَ زجاجــات لهــنّ هَديرُ
خرجْتُ أُجرُّ الذيــلَ زهواً كأنّني عليــكَ أَميــرَ المؤمنـــينَ أميرُ

قال : فجعل عبد الملك يضحك .

صوت[1]

[من الطويل]

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفــةَ أهلِها إشارةَ محـــزونٍ ولم تتكلَّـــمِ
فأيقنْت أن الطرفَ قــد قالَ مَرْحَباً وأهــلاً وسهـــلاً بــالحبيبِ المسلّمِ
هنيئاً لكـــم حُبِّــي وصَفوُ مَوَدّتي فقط سِيطَ مِن لَحْمي هواكِ ومن دَمي[2]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لدحمان ثقيل أوّل بالبنصر . ويقال : إنّه لابن سُرَيج ، وقيل : إنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة ، والثقيل الثاني لابن سُريج ، وفيه خفيف ثقيل أوّل ، ينسب إلى ابن سُريج وإلى عليّ بن الجواريّ .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 345 .
2 الديوان : هنيئاً لكم قتلي . . . ، وسيط : خلط .

[432] ـ خبر لحبابة مع ابن عائشة

[تحتال لتسمع غناءه]

أَخبرني الحسن بن يحيى وابنُ أبي الأَزهر ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، عن المدائنيّ ، قال : كانت حبابةُ جاريةُ يزيد بن عبد الملك مُعْجَبَةً بغناء ابن عائشة ، وكان ابن عائشة حديثَ السنِّ ، فلمّا طالَ عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه ، فلمْ تَدْرِ كيف تصنعُ ، فاختلفت هي وسلاّمةُ في صوت لَمعبد ، فأمر يزيد بإحضاره ووجَّه في ذلك رسولاً . فبعثت حبابة إلى الرسولِ سِرّاً فأَمرَته أن يأْتيَ ابنَ عائشة وأميرَ المدينةِ في خفاءٍ ، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سرّاً ، وقالت : قُل لهما يَسْتُران ذلك عن أُمير المؤمنين .

فلمّا قدِم الرسولُ إلى عاملِ المدينة أبلغه ما قالت حبابةُ ، فأَمرَ ابن عائشة بالرحلة مع معبد ، وقال لمعبد : انظر ما تأمرك به حَبابة فانتبِه إليه ، فقال : نعم . فخرجا حتى قدِما على يزيد ، وبلغ الخبرُ حَبابة فلم تدرِ كيف تصنع في أمر ابن عائشة . فلمّا حضر معبد حاكمت سَلاّمَةَ إليه ، فحكم لها ، فاندفعت فغنَّت صوتاً لابن عائشة ، وفيه لابن سُرَيج لحن ، ولحنُ ابن عائشة أشهرهما ، وهو : [من الطويل]

أَشارتْ بِطَرْفِ العينِ خيفــةَ أَهلها

فقال يزيد : يا حبيبتي ؛ أنّى لكِ هذا ولم أَسمعه منك ، وهو على غاية الحسن ؟ إنّ لهذا لَشأناً . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا لحن كنتُ أخذتُه عن ابنِ عائشةَ ، قال : ذلك الصبيّ ! قالت : نعم ، وهذا أُستاذُه ، وأشارت بيدها إلى معبد ، فقال لمعبد : أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلَه ؟ فقال معبَد : هذا ، أصلح اللهُ الأميرَ ، لَهُ . فقال يزيدُ : لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع مِنه ، فقال معبد : هو والله مَعي لا يفارقني ، فقال يزيدُ : ويلَك يا معبدُ ! احتملنا الساعة أَمرَكَ ، فزدتنا ما كرهنا ، ثم قال لِحَبابةَ : هذا والله عملُكِ ، قالت : أجل يا سيِّدي ، قال لها : هذه الشامُ ، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة . قالت : يا سيِّدي أنا والله أُحبّ أن أسمعَ من ابن عائشة . فأُحْضِرَ ، فلمّا دخل قال له : هاتِ صوتاً غنتْه حبابة : [من الطويل]

أَشارتْ بطرفِ العــينِ خيفةَ أَهلِها

فغنّاه ، فقال : هو والله يا حبابَةُ مِنْه أَحسنُ منْه منك : قالت : أَجل يا سيِّدي . ثم قال يزيد : هات يا محمدُ ما عندك ، فغنّى : [من الكامل]

صوت

قِفْ بالمنازلِ قبلَ أن نتفرّقا ... واستنطق الربعَ المُحيلَ المخلِقا
عن عِلْمِ ما فعلَ الخليطُ لعلّه ... بجواب رجْعِ حديثهم أنْ ينطقا
فيَبين مِنْ أخبارهم لِمُتيّم ... أمسى وأصبحَ بالرسومِ معلّقا
كلِفاً بها أبداً تَسُحُّ دموعُهُ ... وَسْطَ الدّيارِ مسائلاً مستنطقا
ذَرَفَتْ له عينٌ يُرى إنسانُها ... في لُجّةٍ من مائِها مغرورقا
تُذري محاجرُها الدموعَ كأنَّها ... دُرٌّ وَهي من سلكِه مستوسقا[1]

الغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى ، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : إنّ فيه لابن جندب وحُنين لحنين ، قال : فقال له يزيد : أهلاً وسهلاً بك يا ابن عائشةَ ، فأنت والله الحسنُ الوجه ، الحسن الغناء . وأحسنَ إليه ووصله .

ثم لم يرَه يزيد بعد هذا المجلس ، وبعثَت إليه حبابة بِبِرٍّ وألطافٍ واتّبعتْها سلاّمة في ذلك .

صوت[2]

[من الكامل]

لّما سمعتُ الديكَ صاحَ بسُحْرة ... وتوسَّطَ النسرانِ بَطْنَ العَقْرَبِ
وبدا سُهَيلُ في السماءِ كأنّه ... نورٌ وعارضه هِجانُ الرَّبْرَبِ
نبّهتُ نَدماني وقلتُ له اصطبحْ ... يا ابن الكرام من الشرابِ الطّيّبِ
صفراءُ تبرُقُ في الزجاجِ كأنّها ... حدقُ الجرادةِ أو لُعابُ الجُندبِ

الشعر لأبي الهنديّ ، والغناءُ لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عَمْرو .

1 مستوسق : مجتمع .
2 ديوان أبي الهندي : 15 .

[433] ـ أخبار أَبي الهنديّ ونسبه[1]

[شاعريته واستفراغ شعره في الخمر]

اسمه غالبُ بنُ عبد القُدُّوس بنِ شَبَث بنِ رِبْعيٍّ . وكان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدركَ الدولتين : دولةَ بني أُميّة ، وأوّل دولة ولد العباس . وكان جَزْل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني . وإنّما أخمله وأمات ذِكرَه بُعْدُه من بلاد العرب ، ومُقامَه بِسِجِسْتان وبخراسان . وشغفه بالشراب ومعاقَرته إيّاه ، وفِسْقه وما كان يتّهم به من فساد الدِّين . واستفرغ شِعرَه بصفة الخمر ، وهو أوَّل مَن وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وَكْدَه وقَصْده ، ومن مشهور قوله فيها ومختاره : [من الوافر]

سقَيتُ أبـا المُطرَّح إذ أَتاني ... وذو الرَّعثاتِ منتَصِبٌ يصيحُ[2]

شراباً يهـرُب الذبّـان منـه ... ويَلْثَغ حـين يشربـه الفصيحُ

[أبو نواس وغيره يأخذون معانيه في الخمر]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفش ، قال حدَّثني فضل اليزيديّ أنّه سمع إسحاق الموصليّ يوماً يقول : وأنشد شعراً لأبي الهنديّ في صفة الخمر ، فاستحسنهُ وقرّظه ، فذُكِر عنده أبو نواس ، فقال : ومِن أين أخذ أبو نواس معانيه إلاّ من هذه الطبقة ؟ وأنا أُوجدُكم سَلْخَه هذه المعاني كلَّها في شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهنديّ ؛ ثم يَستخرج المعنى والموضع الذي سَرقه الحسن فيه حتى أتى عَلى الأبيات كلِّها واستخرجها من شعره .

أخبرني الحسن بنُ عليّ : قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بن أبي سعد . قال : حدَّثني شيخٌ من أهلِ البصرة ، قال : كنّا عند أبي عُبيدة ، فأنشد منشد شعراً في صفة الخمر ، أُنْسِيه الشيخ ، فضحك ثم قال : هذا أخذه من قول أبي الهنديّ[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة أبي الهندي في الشعر والشعراء : 572–573 وطبقات ابن المعتزّ : 136–137 والفوات 3 : 169–171 والسمط : 168 و208 وفي اسمه خلاف فهو غالب بن عبد المؤمن (أو ابن عبد القدوس) أو عبد المؤمن أو عبد السلام أو عبد الملك أو أزهر بن عبد العزيز أو عبد الله بن ربعي بن شبث بن ربعي . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع عبد الله الجبوري شعره (بغداد ـ 1970) .

2 ذو الرعثات : الديك . والرعثة : عثنونه .

3 ديوان أبي الهندي : 29–32 .

سَيُغني أبا الهنديّ عن وَطْبِ سالم ... أَباريقُ لم يَعْلَقْ بهـا وَضَر الزُّبدِ[1]
مُفَدَّمــةٌ قُــزّاً كأن رِقابَهـــا ... رِقابُ بناتِ المـاءِ تَفزَعُ للرَّعدِ[2]
جَلَتها الجوالي حين طاب مِزاجها ... وَطَيَّبَتها بالمِسكِ والعنبرِ الوَرْدِ
تَمجّ سُلافاً في الأَباريـقِ خالصاً ... وفي كلّ كأس من مَهاً حسن القَدّ[3]
تَضَمّنهـــا زِقّ أَزَبّ كأنّـــه ... صريعٌ من السودانِ ذو شَعَر جَعْدِ[4]

[يسكر ثلاثة أيّام]

نسخت من كتاب ابن النطّاح ، حدَّثني بعض أَصحابنا : أَنَّ أَبا الهنديّ اشتهى الصّبوح في الحانة ذات يوم ، فاأتى خمّاراً بِسجِسْتان في محلّة يقال لها : كوه زيان ، وتفسيره : جبل الخُسران ، يباع فيها الخمر والفاحشة ، ويأْوي إليها كلّ خارِبٍ وَزانٍ وبغيّة ، فدخل إلى الخمّار فقال له : اسقِني ، وأعطاه ديناراً ، فكالَ له ، وجَعل يشرب حتى سَكِرَ ، وجاء قومٌ يسألون عنه فصادفوه عَلى تلك الحال . فقالوا للخمّار : أَلحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، فانتبه فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم ، فقال له : هذا الآن وقت السكر ، الآن طاب ، أَلحقني بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمّار : ويحك ! هذا نائم بعد ! فقال : لا ، ولقد انتبه ، فلمّا عرَف خبرَكم شرب حتى سكِر ، فقالوا : أَلحقنا بـه ؛ فسقاهم حتى سكِروا . وانتبـه فسأل عن خبرهم ، فعرَفه فقال : والله لأَلحقَنّ بهم ، فشرب حتى سكِر . ولم يزل ذلك دأْبَه ودَأبَهم ثلاثة أيّام لم يلتقوا وهم في موضع واحد ، ثم تركوا هُم الشرب عمداً حتى أفاق ، فلَقُوه .

وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحُباب مع أَبي نواس ، وقد ذُكِر في أَخبار والبةَ ، والصحيحُ أنّه لأبي الهنديّ ، وفي ذلك يقول[5] : [من الوافر]

نَدامـى بَعْــد ثالثةٍ تلاقَوْا ... يَضمُّهمُ بِكُوه زيـانَ راحُ
وقد باكرتُها فتُركتُ منها ... قتيلاً مــا أُصابتنــي جِراحُ

---

1 الوطب : سقاء اللبن . والوضر : وسخ الدسم .
2 مفدّمة : عليها الفدام ، وهو مصفاة صغيرة . والقز : البعد من كل ما يستقذر . وبنات الماء : الطير ونحوه .
3 رواية الديوان :
تمجّ سلافـاً من أباريق صفقت ... وطاسات صفر كلّها حسن القدّ
4 أزب : ذو شعر .
5 ديوان أبي الهندي : 20–22 .

وقالوا أيُّها الخمّارُ مَنْ ذا فقال أخٌ تَخوّنَـه اصطباحُ
فقالوا هاتِ راحَكَ أَلْحِقَنّا بـه وتَعلَّلوا ثُمَّ استراحوا[1]
فمـا إنْ لَبَّثَتهم أن رَمَتْهم بحَـدٍّ سلاحِها ولها سِلاحُ[2]
وحان تَنبُّهي فسأَلتُ عنهمْ فقـال أَتاحَهُمْ قَـدَر مُتاحُ
رأَوكَ مُجَدَّلاً فاستخبروني فحرّكهم إلى الشرب ارتياحُ
فقلْتُ بِهِـمْ فأَلحقني فهَبّوا فقالوا هل تَنَبّه حين راحوا[3]
فقـال : نعـم فقالوا أَلحقَنّا بـهِ قد لاحَ للرائي صباحُ
فما إن زالَ ذاكَ الدأْبُ مِنّا ثلاثـاً يُستغـبُّ ويستباحُ
نَبيتُ معـاً وليسَ لنا لقاءٌ ببيتٍ مـا لنـا فيـه بَراحُ

[مات مختنقاً أو من البرد]

أَخبرني عمِّي الحسنُ بنُ أَحمد ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيل العنَزيّ ، قال : قال صدقةُ بن إبراهيم البكريّ : كان أَبو الهنديّ يشرب معنا بمَرْو ، وكان إذا سكِر يتقلّب تَقَلُّباً قبيحاً في نومه ، فكنّا كثيراً ما نَشُدُّ رِجله لئلاّ يسقط من السطح . فسكر ليلة وشددنا رِجله بحبل . وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلَّب وسقط من السطح ، وأمسكه الحبل فبقيَ منكساً وتخنّق بما في جوفه من الشراب ، فأَصبحنا فوجدناه ميتاً . قال صدقة : فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً[4] : [من مخلع البسيط]

اجعلوا إنْ مِـتُّ يومـاً كفَني ورَقَ الكرْمِ وقبري مَعْصَرَهْ
إنَّنـي أَرجـو مـن اللهِ غـداً بَعْد شربِ الرَّاحِ حُسنَ المغفرَهْ

قال : فكان الفِتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ، ويشربون ويصبّون القدَح إذا انتهى إليه على قبره .

قال حمّاد بن إسحاق عن أَبيه في وفاة أَبي الهنديّ : إنّه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريّان ، فأَصابه ثلج فقتله ، فوُجِد من غدٍ ميتاً على الطريق .

---

1 الديوان : فقال هات أَلحقنا براح .
2 الديوان : فلم يتمهلوا حتى رمتهم ،
3 الديوان :
فقلت له فسرحني إليهم حثيثاً والسراح هو النجاح
4 ديوان أَبي الهندي : 34 .

[امتنع عن الخمر أيّام الحج]

ورَوى حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : حجَّ نصرُ بن سيّار وأَخرج معه أبا الهنديّ ، فلمّا حضَرَت أيّام الموسم قال له : يا أبا الهنديّ ، إنّا بحيث تَرى ، وَفْدُ الله وزُوّار بيته ، فهبْ لي النبيذَ في هذه الأيّام واحتكم عليَّ ، فلولا ما ترى ، ما منعتُك . فضَمِن له ذلك وغلّظ عليه الاحتكام ، ووكّل به نصر بن سيّار بعض نقبائه فلمّا انقضى الأجلُ مضى في السحَر قبل أن يلقَى نصراً ، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع ، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة ، وأقبل يشرب ويبكي ، ويقول[1] : [من الطويل]

أَدِيرا عليَّ الكأسَ إنِّي فقَدْتها ... كما فقـد المَفْطومُ دَرَّ المَراضعِ
حليفُ مُدامٍ فارقَ الرّاحُ روحَه ... فظلَّ عليهـا مستهِلَّ المَدامعِ[2]

قال : وعاتب قوم أبا الهنديّ على فِسْقه ومعاقرته الشراب ، فقال[3] : [من الوافر]

إذا صلَّيتُ خمساً كلَّ يـومٍ ... فـإنّ اللهَ يغفـرُ لي فُسُوقي
ولَم أُشركْ بِرَبِّ النّاسِ شيئاً ... فقـد أُمسكت بالدِّينِ الوثيقِ
وجاهدتُ العَدُوّ ونِلْتُ مـالاً ... يبَلِّغُنـي إلى البيـتِ العتيقِ
فهذا الدِّينُ ليس بـه خفاءٌ ... دَعُوني مـن بُنَيّات الطريقِ[4]

[لا يدفع للعواهر أجرهن]

قال إسحاق : وشرب يوماً أَبو الهنديّ بكوه زيان عند خمّارة هناك ، وكان عندها نِسْوةٌ عواهِر ، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئاً ، فجعلن يطالبنه بجُعْل فلم ينفعهنّ ، فقال في ذلك[5] : [من البسيط]

آلى يمينـاً أَبـو الهنْـديِّ كاذبةً ... لَيُعْطِـينَّ زواني لستِ مـاشينا[6]
وغرّهُـنّ فلمّـا أَن قضى وطراً ... قـال ارتَحِلْنَ فأَخزى اللهُ ذا دِينا

[سرعة جوابه]

أَخبرني عمِّي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، عن أَبي محلم ، قال : خطب أَبو الهنديّ

---

1 ديوانه : 44 بعكس الترتيب .
2 حليف مدام في الديوان : رضيع مدام .
3 ديوانه : 45–46 .
4 بنيات الطريق : الطرق المتشعبة من الجادة .
5 ديوانه : 53 .
6 لست : موضع بعينه .

غالبُ بنُ القُدُّوس بن شَبَث بنِ رِبعيّ إلى رجل من بني تميم ، فقال : لو كنتَ مثلَ أبيك لزَوَّجتك ، فقال له غالب : لكنّك لو كنتَ مثل أبيك ما خطبت إليك .

قال أبو محلّم : ومرَّ نَصر بن سيّار بأبي الهنديّ ، وهو سكرانٌ يتمايل ، فوقف عليه فعذَله وسبّه ، وقال : ضيّعت شرفكَ ، وفضحْتَ أسلافك . فلمّا طال عتابه التفَتَ إليه فقال : لولا أنّي ضيّعتُ شرَفي لم تكن أنت على خراسان ، فانصرف نصر خَجِلاً .

قال أبو محلم : وكان بسِجِسْتان رجل يقال له : برزين ناسكاً ، وكان أبوه صُلِب في خرابة[1] فجلس إليه أبو الهنديّ ، فطفِقَ يعذله ويُعرّض له بالشراب . فقال له أبو الهنديّ : أحَدُكم يَرى القَذاةَ في عين أخيه ، ولا يرى الخشبة في است أبيه[2] ! فأخجله .

قال أبو محلم : وكان أسرع النّاس جواباً .

صوت

[من المتقارب]

لقد قُلتُ حين قَـرَّ بتِ العِيسُ يـا نوارُ
قِفُوا فاربعوا قليلاً فلَم يربعوا وسارُوا
فنفسي لهـا حنينُ وقلبي لـه انكسارُ
وصدري بـه غليلُ ودمعـي لـه انحدارُ

الشعر لسعيد بن وهب ، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية .

1 الخرابة : سرقة الإبل .

2 من المثل : «كيف تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك» . انظر مجمع الميداني 2 : 155 .

[434] ـ أخبار سعيد بن وهب[1]

[نسبه]

سعيدُ بنُ وهب أبو عثمان مولى بني سلمةَ بن لؤيّ بن نصر ، مولده ومنشؤه بالبصرةِ ، ثم سار إلى بغدادَ فأقام بها . وكانت الكتابة صناعتَه ، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه ، وتقدّم عندهم .

[شغفه بالغلمان والشراب ثم توبته]

وكان شاعراً مطبوعاً ، ومات في أيّام المأمون ، وأكثرُ شعره في الغزل والتشبيب بالمذكَّر ، وكان مشْغُوفاً بالغلمانِ والشراب .

ثم تنسَّك وتاب ، وحجَّ راجلاً على قدمَيْه ، ومات على توبةٍ وإقلاعٍ ومذهبٍ جميل .

ومات وأبو العتاهية حيّ ، وكان صديقه فرثاه .

[رثاء أبي العتاهية له]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش . عن محمد بن مزيد . قال : حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية . قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ، ونحن عنده ، فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ فقال ، وهو يحدّثنا لا يريد أن يقول شعراً[2] : [من الخفيف]

قالَ لي ماتَ سعيدُ بن وهب رحـم اللهُ سعيـدَ بنَ وهبِ
يـا أبـا عثمانَ أبكيتَ عَيْني يـا أبـا عثمانَ أوجَعتَ قلبي

قال : فعجبنا من طبعه وأنّه تحدَّث ، فكان حديثه شعراً موزوناً .

[توبة وتزهّد]

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف . قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني سيبويه أبو محمد ، قال : كان سعيد بنُ وهب الشاعر البصريّ ، مولى بني سلمة قد تاب وتزهَّد ، وترك قول الشعر . وكان له عشرةٌ من البنين وعشرُ من البنات ، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خَرقه وأحرقَهُ . وكان امرءاً صدقٍ ، كثيرَ الصلاةِ ، يزكّي في كلِّ سنة عن جميع ما عنده ، حتى إنّه لَيُزكّي عن فضّة كانت على امرأته .

---

1 ترجمة سعيد بن وهب في طبقات ابن المعتزّ : 256–261 والوافي 15 : 272–273 والفهرست : 123 وتاريخ بغداد 9 : 73 والموشح 400–401 والنجوم الزاهرة 2 : 188 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان أبي العتاهية : 415 .

[غزله بالغلمان]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى ، قال : حدَّثني أبو عثمان الليثيّ ، قال : كان سعيد بن وهب يتعشّق غلاماً يتشطّر ، يقال له : سعيد ، فبلغه أنّه توعّده أن يَجْرَحَه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

مَنْ عذيـري مِـن سميِّي مَنْ عذيري من سعيدِ ؟
أنـا باللحـمِ أجـاه ويجـاني بـالحديدِ

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّابِ السُّلطان في أحوال جميلة ، فأنشأ يقول[1] : [من السريع]

مَـن كانَ في الدُّنيا له شارةٌ فنحـنُ مِـن نظَّـارَةِ الدُّنْيا
نَرْمُقهـا مـن كَتَـبٍ حَسْرَةً كأنّنـا لفـظٌ بـلا مَعْنـى
يَعْلُـو بهـا النّـاسُ وأيّامُنا تذهـب في الأرذَلِ والأَدْنى

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي العلاء المغنّي ، قال : نَظَرَ إليَّ سعيدُ بن وهب ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين اخضَرَّ شارِبي ، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فسلّمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد ، وقال : مَن هذا الغلام ؟ فتبسَّم ، وقال : هذا ابن صديق لي ، فأقبل عليَّ وقال : [من الكامل]

لا تخرجَـنَّ مـع الغزيِّ لمغنم إنّ الغـزيَّ يـراكَ أفضلَ مغنمِ[2]
في مثلِ وجهكَ يستحلُّ ذَوو التُّقى والدِّيـنُ والعلمـاءُ كلُّ محـرَّمِ
مـا أنـتَ إلاّ غـادةٌ ممكورةٌ لـولا شواربُـك المُطِلَّـةُ بالفمِ

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر ، عن أبي دعامة ، قال : مَرَّ سعيد بن وهب الكسائيّ ، فلقيا غلاماً جميل الوجه ، فاستحسنه الكسائيّ وأراد أن يستميله ، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلّم به ، فلم يملْ إليه . وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده ، فمال إليه الغلامُ ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه بالكسائيّ ، وقال له : حدّثه وآنِسْه إلى أن أجيء ، وتشاغل بحاجة له . فمضى به الكسائيّ ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته

1 الأبيات في الوافي 15 : 272 .

2 الغزي : الجيش الغازي .

وأرَبَه ، ثم قال له : انصرف ، وجاء سعيد فلم يره ، فقال[1] : [من المتقارب]

أَبو حَسَنٍ لا يَفـي فمَـن ذا يَفي بَعْدَهُ
أثَرْتُ لَـه شادِنـاً فصايَـدَهُ وحْـدَهُ
وأَظهـر لي غَـدْرَةً وأَخلفنـي وعْـدَهُ
سأَطلبُ مـا ساءه كما ساءَني جُهْـدَهُ

[جزعه على ابنه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقاً ، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطّاب ، من أكيَسِ الصبيان وأحسنِهم وجهاً وأدباً ، فكان لا يكاد يفارقه في كلّ حال ، لشدّة شغفه به ، ورقّته عليه . فمات وله عشرُ سنين ، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً ، وانقطع عن لذاته . فدخلْتُ إليه يوماً لأُعاتبه على ذلك ، وأستعطفهُ ، فحينَ رأى ذلك في وجهي فاضتْ دموعُه ، ثم انتحبَ حتى رحِمْتُه ، وأَنشدني : [من الخفيف]

عَينُ جُودي على أَبي الخَطّابِ إذ تَوَلّى غَضّاً بماءِ الشبابِ
لم يُقارِفْ ذَنباً ولم يَبْلُغْ الحنـ ـثَ مُرَجَّى مُطهَّـرَ الأَثوابِ
فَقَدتْه عَيْني إذا مـا سعى أَتـ ـرابه مِـنْ جماعةِ الأَترابِ
إنْ غَدا مُوحِشاً لِدارِي فقد أَصـ ـبَحَ أُنْسَ الثَّرى وزينَ التُّرابِ
أَحمـدُ اللهَ يـا حَبيبي فإنّي بِكَ راجٍ منـه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدني أَلاّ أُذَكِّرَه بشيء ، ممّا جئتُ إليه ، فقُمتُ ولم أُخاطبه بحرف .

وقد رأيت هـذه الأبيات بعينها بخطّ إسحاق في بعض دفاتره ، يقول فيه : أُنشدَني سعيد بن وهب لنفسه يَرْثي ابناً له صغيراً ، وهيَ على ما ذَكره جعفرُ بنُ قدامة عن حماد سواء .

[غلامان يحتكمان إليه]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدَّثني أَبو هِفّانَ ، قال : حدَّثني أَبو دعامة ، قال : كان سعيد بن وهب مأْلفةً لكل غلام أَمْرَدَ ، وفتًى ظريف ، وقَيْنة مُحْسنة . فحدَّثني رجل كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوماً وأنا عندَهُ غلامانِ أمردَان ، فقالا له : قد تحاكمنا إليك : أيُّنا أجمل وجهاً ، وأحسن جسماً ؟ وجعَلْنا لك أجْرَ حُكْمِكَ أن تختار أيُّنا حكَمْتَ له ، فتقضي حاجتكَ منه . فحكم لأَحدهما ، وقام فقضى حاجته واحتَبَسَهُما فشربا عنده

1 الأبيات في الوافي 15 : 272 .

نبيذاً ، ثم مالَ على الآخر أيضاً ، وقمتُ معه . فداخلتهما حتى فعلْتُ كفعلِه ، فقال لي سعيد : هذا يومُ الغاراتِ في الحارات ، ثم قال : [من المنسرح]

رئمــانِ جــاءا فحَكَّمـاني لا حُكْـمَ قـاضٍ ولا أميرِ
هـذا كشمسِ الضحى جمالاً وذا كبَـدْرِ الدُّجـى المُنِيرِ
وفضْـلُ هـذا كـذا على ذا فضـلُ خَمِيسٍ عـلى عَشيرِ
قـالا أَشِرْ بَينَنـا بـرأْيٍ ونجعـلُ الفضـلَ للمشيرِ
تبـاذلا ثُـمّ قمـتُ حتـى أخـذْتُ فضلي مـن الكبيرِ
وكان عيبـاً بـأنْ أراني أُحْـرَمُ حَظِّـي مـن الصغيرِ
فكان منِّـي ومِـنْ قرينـي إليهمـا وثْبَـةُ المُغيـرِ
فمَنْ رأى حاكِمـاً كحُكْمي أعظـمَ جـوراً بـلا نكيرِ

وقال : وشاعتْ الأبيات حتى بلغت الرشيدَ ، فَدَعا به فاستنشده إيّاها ، فتلكأ ، فقال له : أنشدْ ولا بأس عليك ، فأنشدَه . فقال له : ويلك ! اخترْتَ الكبير سنّاً أو قدراً ؟ قال : بل الكبيرَ قدراً . قال : لو قلت غير هذا سقطتَ عندي واستخْففتُ بك . ووصله .

[مديح الفضل بن يحيى]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جَلَسَ فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد . فالتفت إلى سعيدِ بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيّها الوزير ، إنّي ما كنت استعدَدْتُ لهذه الحال ، ولا تقدَّمَت لها عندي مقدِّمة فأعْرِفها ، ولكن قد حضَرَني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما فرُبّ قليلٍ أبلغَ من الكثير ، فقال سعيد : [من الخفيف]

مَـدحَ الفضلُ نفسَه بالفعـالِ فَعَـلا عـن مَدِيحنـا بالمقالِ
أَمرُوني بمدحِـه قلـتُ كلا كبُر الفضل عن مديحِ الرجالِ

قال : فطرب الفضلُ ، وقال له : أحسنتَ واللهِ وأجَدْتَ ! ولئن قلَّ القولُ ونَزَر لقد اتسعَ المعنى وكثُر .

ثم أمَر له بمثل ما أعطاه كلَّ مَن أنشده مديحاً يومئذٍ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ؛ وقام من المجلس وخرج النّاس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سِواهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : حُدّثت عن الخُريمي ، قال : كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أخاه جعفراً ، وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر ، ينادمُه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل .

فدخلت يوماً إلى جعفر ، ودخل إليه سعيد بن وهب ، فحدّثه وأنشدَه وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين ، وأتى بكلّ ما يَسرُّ ويُطرب ويُضْحك ، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك .

فلمّا خرج سعيد من عنده تجاهلْتُ عليه ، وقلت له : مَن هذا الرجل الكثير الهذيان ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العبّاس وخُلَصانه وعشيقه . قلت : وأيّ شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيءَ واللهِ إلاّ القَذَرُ والبرْدُ والغثاثةُ .

ثم دَخَلْتُ بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بنُ أَبي شيخ فحدَّث وندّر ، وحكى عن المضحكين وأتى بكلّ طريفة ، فكانت قصّة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد . فقلت له بعد أن خرج من حضرته : مَن هذا المُبرَّد ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته . قلت : وأيّ شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله ، إلاّ القَذر والبرْد وسوء الاختيار .

قال : وأنا والله أعرَفُ بسعيد وأَنَسٍ من الناس جميعاً ، ولكنّي تجاهلتُ عليهما وساعدتهما على هواهما .

[وفاء في النكبة]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : قال إبراهيم بن العبّاس : قال لي الفضل بن الرَّبيع ذات يوم : عرَّفَتْنا أيّامُ النّكبة مَن كنّا نجهله من النّاس ، وذلك أنّا احتجنا إلى أن نُودع أموالَنا ، وكان أمرُها كثيراً مفرِطاً ، فكنّا نُلْقيها على النّاس إلقاء ، ونُودعها الثقة وغير الثقة . فكان مِمّن أودَعته سعيدُ بنُ وهب ، وكان رجلاً صعلوكاً لا مالَ له ، إنّما صَحبنا عَلى البطالة : فظننت أنّ ما أودعته ذاهب ، ثم طلبته منه بَعْدَ حين ، فجاءَني واللهِ بخَواتيمه .

وأُودعتُ عليّ بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة ، وكان عندي أَوثق مَنْ أُودعتُه . فلمّا أَمنتُ طالبته بالوديعة ، فجحدنيها وبهتَني وحلف على ذلك . فصار سعيد عندي في السماء ، وبلغتُ به كلّ مبلغ ، وسقط عليّ بن الهيثم ، فما يصل إليّ ولا يلقاني .

[يحاجي جارية رجل من البرامكة]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، حدَّثني عمرو بن بانة . قال : كان في جواري رجلٌ من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة ظريفة ، يقال لها : حسناء ، يَدْخل إليها الشعراء ويَسألونها عن المعاني ، فتأتي بكلِّ مستحسنٍ من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وجَلس إليها فحادثها طويلاً ، ثم قال لها بعد ذلك : [من الهزج]

حاجَيْتــك يــا حَسْنا ءُ في جِنْسٍ مِن الشِّعْــرِ
وفيمــا طُولُـــه شِبرٌ وَقــد يُوفي عــلى الشِّبرِ
لـــه في رأسِه شَــقٌّ نَطُــوفٌ بالنَّدى يجري
إذا مــا جَــفَّ لم يَجْــرِ لَـدى بَــرٍّ ولا بَحْــرِ
وإنْ بُــلَّ أَتــى بالعــ ـجبِ العاجبِ والسِّحْرِ
أجيبِـــي لم أُردْ فُحْشاً وربِّ الشفــع والوتــرِ
ولكــن صُغْــتُ أبياتــاً لهــا حــظٌّ مــن الزَّجرِ

قال : فغضب مولاها وتغيَّر لونُه ، وقال أَتُفْحِشُ على جاريتي وتخاطبها بالخنا ! فقالت له : خَفِّض عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنّما يعني القلم ، فسُرِّيَ عنه ، وضحك سعيد وقال : هي أعلم منك بما سَمِعْت .

صوت[1]

[من الرجز]

دايَنْــتُ أَرْوى والديونُ تقضى فمطلَــتْ بعضــاً وأدَّتْ بعضا
يا ليتَ أَرْوى إذ لَوتْكَ القَرْضا جادتْ بقرض فشكَرْتَ القَرضا

الشعر لرؤبة بن العجّاج ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

1 البيت الأول في ديوان رؤبة : 76 .

[435] ــ أخبار رؤبة ونسبه[1]

[نسبه]

هو رؤبةُ بن العجّاج ، واسم العجّاج عبدُ الله بن رؤبة بن حنيفة ، وهو أبو جُذَيْمُ بن مالك بن قُدامة بنِ أُسامة بنِ الحارثِ بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . من رُجّاز الإسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدّمين منهم ، بدويّ نزل البصرة ، وهو من مُخَضْرَمي الدولتين .

مدح بني أُميّة وبني العبّاس ، ومات في أيّام المنصور ، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهلِ اللغة ، وكانوا يقتدون به ، ويحتجونَ بشعره ، ويجعلونَه إماماً ؛ ويكنى أبا الجَحَّاف وأبا العجّاج .

[رأي في فصاحته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عمّار ، واللفظ له ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : قال : حدَّثنا خلاّد بن يزيد ، قال : حدَّثني يونس بن حبيب ، قال : كنتُ جالساً مع أبي عمرو بن العلاء ، إذ مرَّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَة الضّبعيّ ، قال أبو يزيد : وكان علاّمةٌ ، فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنّي سألت رؤبة عن اسمه فلم يدرِ ما هو وما معناه ؟ قال يونس : فقلت له : والله لَرُؤْبةُ أفصح من معدٍّ بن عدنان ، وأنا غلام رؤبة ، أفَتَعْرِف أنت روبة وروبة وروبة وروبة ورؤبة ؟ قال : فضَرَب بغلَته وذهب ، فما تكلّم بشيء : قال يونس : فقال لي أبو عمرو : ما يسرّني أنّك نَقَصْتَني منها .

قال ابنُ عمّار في خبره : والرَّوْبَة : اللبن الخاثرُ ، والرَّوْبة : ماءُ الفحلِ ، والرُّوبة : الساعة تمضى من الليل ، والرُّوبةُ : الحاجةُ ، والرُّؤْبة : شَعب القَدح ، قال : وأنشدني بعد ذلك[2] : [من المتقارب]

فأمّا تميمٌ تميمُ بنُ مرٍّ فألفاهم القومُ رَوْبى نياما

حدَّثني ابن عمَّارٍ ، قال : حدَّثني عبد الله بنُ أبي سعد ، قال : حدَّثني يحيى بنُ محمد بنِ أعْيَنَ

---

1 ترجمة رؤبة بن العجّاج في طبقات ابن سلام : 761–767 والشعر والشعراء : 495–500 وخزانة البغدادي 2 : 42–47 والمؤتلف والمختلف : 175–177 ولسان الميزان 2 : 464 وابن خلكان 2 : 303–305 وبغية الطلب 7 : 114 وسير الذهبيّ 6 : 162 والوافي 14 : 147 ، وله أخبار منثورة في كتب الأدب كنثر الدرّ والبيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد والبصائر والتذكرة الحمدونية . . . إلخ . وقد نشر وليم بن الورد البروسي ديوانه سنة 1903 .

2 ديوان بشر بن أبي خازم : 190 .

المَرْوَزِيُّ ، قال : حدَّثني أَبو عبيدة ؛ قال : شهدت شُبَيْلاً الضُّبَعِيّ وأَبا عمرو ، فذكر نحوه .

أَخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ عَنْ محمدِ بن سَلاَّم ، قال : قلت ليونس : هل رأيتَ عربيّاً قطُّ أفصحَ من رؤبة ؟ قال : لا ، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه .

قال يونس : قال لي رؤبة : حتى متى أُزَخْرِف لك كلام الشيطان ؟ أَما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك !

[رواية الحديث]

وقد رَوى رؤبة بن العجّاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ ، ورواه أَبوه أَيضاً .

أَخبرني عبد الله بن أَبي داودَ السجستانيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ محمد بنِ خلاَّد ، قال : حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن إبراهيم ، عن يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجّاج ، عن أَبيه قال : أنشدتُ أبا هريرة[1] : [من الرجز]

الحمـدُ للهِ الـذي تَعَلَّـتِ ... بأَمـرِه السمـاءُ واستقلَّتِ
بإذنـه الأَرضُ ومـا تغيَّـتِ ... أَرسَى عليهـا بالجبال الثبَّتِ
الباعثِ الناسَ لِيـوم المَوْقت

قال أَبو هريرة : أَشهد أَنّك تؤمن بيوم الحساب .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبّة ، عن أَبي حرب البابيّ ، من آل الحجّاج بن باب ، قال : حدَّثنا يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجّاج ، عن أَبي الشعثاء ، عن أَبي هريرة ، قال : كنّا مع النبيّ ﷺ في سفر وحادٍ يَحْدُو : [من الرجز]

طافَ الخيالانِ فهاجا سَقَما ... خيـالُ لُبْنى وخيـالُ تَكتُما
قامتْ تريكَ خشيةً أَنْ تصرِما ... ساقاً بَخَنْداةً وكعبـاً أَدْرَما[2]

والنبيّ ﷺ يسمعُ ولا ينكرُ .

أَخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ عمرو ، عن محمد بن إسحاق السهميّ ، عن أَبي عبيدة الحدّاد ، قال : حدَّثنا رؤبة بن العجّاج عن أَبيه ، قال : سمعت أبا عبيدة يقول : السِّواكُ يُذْهِبُ وضَرَ[3] الطعام .

1 لم ترد في ديوان رؤبة ولا زياداته .
2 الساق البخنداة : الممتلئة . والأدرم : المستوي .
3 الوضر : وسخ الدسم .

[أبو مسلم يستنشده]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا محمدُ بن سعد الكَرّانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو حاتم والأشْنانْدانيُّ أبو عثمان ، عن أبي عبيدة ، عن رؤبة بن العجّاج ، قال : بعث إليَّ أبو مسلم لمّا أفضت الخلافة إلى بني هاشم ، فلمّا دخلْتُ عليه رأى منّي جَزَعاً ، فقال : اسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجزَعُ الذي ظهر منك ؟ قلت : أخافُك ، قال : ولِمَ ؟ قلتُ : لأنّه بلغني أنّك تقتل الناسَ ، قال : إنّما أقتل مَن يقاتلني ويريد قتلي ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلتُ : لا . فأقبلَ على جلسائه ضاحكاً ، ثم قال : أمّا ابن العَجَّاج فقد رخَّص لنا ، ثم قال : أنشدني قولك : [من الرجز]

وقاتِمِ الأعماقِ خاوي المخترَقْ[1]

فقلت : أو أُنشِدُك ، أصلحك اللهُ أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته[2] : [من الرجز]

قلتُ قولي مستجدٌّ حَوْكا لبّيك إذ دعوتني لَبّيْكا
أحمدُ ربًّا ساقني إليكا

قال : هات كلمتَكَ الأولى ، قلت : أو أُنشدك أحسن منها ؟ قال : هات ، فأنشدته[3] : [من الرجز]

ما زال يَبْني خَنْدقاً ويهدمُهْ ويَستجيشُ عسكراً ويَهزمُهْ
ومَغنَماً يَجْمَعُه ويقسمه مَرْوانُ لما أن تهاوتْ أنجُمُهْ
وخانه في حكمه مُنَجِّمُهْ

قال : دع هذا وأنشدني : وقاتم الأعماق ، قلت : أو أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته[4] : [من الرجز]

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بَيْتا وشِدْتَ رُكنَ الدِّينِ إذ بنيتا
في الأكرمينَ من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ، فأنشدته[5] : [من الرجز]

ما زالَ يأتي الأمْرَ من أقطارِهِ على اليمينِ وعلى يسارِهِ

1 الأعماق : البعيد وأطراف المفاوز . والمخترق : مكان اختراق المفازة .
2 ديوانه : 181 .
3 ديوانه : 186 .
4 ديوانه : 171 .
5 ديوانه : 174 .

مشمِّــراً لا يُصطَــلى بنــارِه حتى أقــرَّ الملــكَ في قَرارِهِ
وفَــــرَّ مــروانُ على حمــارِهِ

قـال : ويحَك ! هات ما دعوتُك له وأمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره ، فأنشدتـه : [من الرجز]

وقاتِم الأعماقِ خاوي المخترَق

فلمّا صرت إلى قولي :

يَرمي الجلاميدَ بجُلْمُودٍ مِدَق

قال : قاتلك الله ! لَشَدَّ ما استصلبتَ الحافر ! ثم قال : حسبك . أنا ذلك الجُلْمُود المدقّ .

قال : وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يديَّ ، فقال أبو مسلم : يا رؤبة ، إنّك أتيتنا والأموال مشفوهة[1] ، وإن لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوَّلا ، والدَّهر أطرقُ مُسْتَتِبٌ ، فلا تجعل بجَنْبَيْكَ الأَسِدَّة[2] .

قال رؤبة : فأخذت المِنديل منه ، وتاللهِ ما رأيتُ أعجميّاً أفصحَ منه ، وما ظننتُ أنّ أحداً يَعْرف هذا الكلام غيري ، وغيرُ أبي .

قال الكَرَّانيّ : قال أبو عثمان الأشنانداني خاصة : يقال : اشتفَّ ما في الإناء ، وشَفَهَهُ : إذا أتى عليه ، وأنشَدَ : [من الوافر]

وكادَ المــالُ يَشفَهه عِيــالي ومــا ذُو عَيْلتي مَنْ لا أعُولُ

[يفضل الفأر على الدواجن]

أخبرني عليّ سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني : محمد بن يزيد ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب ، قال : حدَّثني ابن قتيبة ، قال : كان رؤبة يأكل الفأر ، فقيل له في ذلك وعوتب ، فقال : هو واللهِ أنظَفُ من دَواجنكمْ ودَجاجكم اللواتي يأكلن القَذَر ، وهل يأكل الفأرُ إلاّ نَقيّ البرّ ولُباب الطعام ؟

[رحلة للقاء الوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن رؤبة ، قال : لمّا ولّي الوَليدُ بنُ عبد الملك الخلافةَ بَعث بي الحجّاجُ مع أبي لنلقاه ، فاسْتَقبلَنا الشّمال حتى صرنا بباب الفراديس[3] .

---

1 مشفوهة : نافده .

2 المثل «لا تجعلن بجنبك الأسدّة» في مجمع الميداني 2 : 233 . والأسدة : العيوب كالعمى والصمم والبكم . ومعنى المثل : لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم .

3 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

قال : وكان خروجنا في عامٍ مُخْصِب ، وكنت أُصَلِّي الغداة ، وأجتني من الكَمْأة ما شئت ، ثم لا أُجاوز إلاّ قليلاً حتى أرى خيراً منها ، فأرمي بها وآخذ الأُخَر ، حتى نَزَلْنا بعض المياه ، فأُهدي لنا حَمَل مُخَرْفَج[1] ووطب لبنٍ غليظٍ وزبدة كأنّها رأس نعجة حُوشِيّة[2] . فقطّعنا الحملَ آراباً[3] ، وكررْنا عَلَيهِ اللبن والزبدة ، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز .

ثم شربتُ من مرقه شَرْبة لم تزل لها ذِفْرَياي[4] ترشحان ؛ حتى رَجعنا إلى حَجْر .

فكان أوّل مَن لَقينا من الشعراء جريراً ، فاستَعْهدَنا ألاّ نُعين عليه . فكان أوّلَ مَن أَذَن له من الشعراء أبي ثم أنا . فأقبلَ الوليد على جرير فقال له : وَيلك ! ألا تكون مثل هذين ؟ عَقدا الشِّفاه عن أعراض النّاس ، فقال : إنّي أظلَمُ فلا أصبر .

ثم لقِينا بعد ذلك جرير فقال : يا بني أُمٍّ العجّاج ، واللهِ لئن وضعتُ كَلْكَلي عليكما ما أغنت عنكما مقطَّعاتكما ، فقلنا : لا والله ما بَلَغه عنّا شيء ، ولكنّه حَسدنا لما أذنَ لنا قبله ، واستُنشِدنا قبله .

[جرير يتوعّد بالهجاء]

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ ، قال : قال روح بن فلان الكلبيّ : كنتُ عندَ عبد الملك بن بشر بن مروان فدخَل جرير ، فلمّا رأى العجّاج أقبل عليه ثم قال له : واللهِ لئن سَهِرْتُ لك ليلة ليقِلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه ، فقال العجّاج : يا أبا حَزْرة ، والله ما فعلت ما بَلَغك ، وجعل يعتذرُ ويحلفُ ويخضَع ؛ فلمّا خرج قال له رجل : لشَدّ ما اعتذرت إلى جرير ؛ قال : والله لو علمتُ أنّه لا ينفعني إلاّ السُّلاح لسلَحْتُ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ ، عن سليمان بن أخضر ، عن ابن عون ، قال : ما شَبّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلاّ بلهجة رؤبة ، ولَم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قَطّ .

[أشعر النّاس]

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيُّ عن عمِّه ، قال : قيل ليُونُس : مَن أشعر النّاس ، قال : العَجّاجُ ورؤبةُ ؛ فقيل له لِمَ ولم نَعنِ الرُّجاز ؟ فقال :

1 الحمل المخرفج : السمين .

2 الحوشية : نسبة إلى الحوش ، وهو عندهم أرض الجنّ ، وإليه تنسب الإبل وغيرها .

3 الآراب : جمع إرب ، وهو العضو .

4 الذفرى : العظم البارز خلف الأذن .

هما أشْعر من أهل القصيد ، إنّما الشعرُ كلامٌ : فأجوده أشعَره ، قد قال العجّاج :

قـد جَبَرَ الدِّيـنَ الإلهُ فجبر

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أُطلقت قوافيها كانت كلّها منصوبة ، وكذلك عامّة أراجيزهما .

[اللغويّون يقعدون له]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمدِ بنِ سلاّم : عن أبي زيد الأنصاريّ والحكم بن قنبر : قالا : كنّا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رَحبة بني تميم : فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ، ومرَّت بنا عجوزٌ فلم تقدر عَلى أن تجوزَ في طريقها ، فقال رؤبة بن العجّاج[1] : [من الرجز]

تَنَحَّ للعجُـوزِ عـن طَرِيقهـا إذا أَقبلَتْ رائحـةً مـن سُوقِها

دَعْهـا فما النحويُّ من صديقِها

[يستعين بـالوالي على الصبيان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثنا أبو زيد سعيدُ بنُ أوس الأنصاريّ النحويّ ، قال : دخل رؤبة بن العجّاج السوق وعليه بَرْنَكانٌ[2] أخضر ، فجعل الصبيان يعبثون به ، ويَغرزون شَوك النخل في بَرْنَكانِه ويصيحون به : يا مَرْذُوم يا مرذوم ! فجاء إلى الوالي فقال : أرسل معي الوَزَعَة ، فإن الصبيان قدْ حالوا بيني وبين دخولِ السوق ، فأرسَلَ معه أعواناً فشدَّ على الصبيان ، وهو يقول[3] : [من الرجز]

أَنْحى على أمّكَ بالمرذُومْ أعورُ جَعْـدٌ مِـن بَني تميمْ

شَرّابُ أَلبـانِ خلايـا الكُومِ[4]

ففرّوا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة ، فقال له الشُّرَطُ : أينَ هُم ؟ قال : دخلوا دارَ الظالمين ، فسمِّيَت دار الظّالمين إلى الآن لقول رؤبة ، وهي في صيارفة سوق البصرة .

[الراجز المتحدي]

وذكر أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، قال : قدِم البصرة راجزٌ من أهلِ المدينة ، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجَز العرب ، أنا الذي أقول : [من الرجز]

1 ديوانه : 181 .

2 برنكان : كساء .

3 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

4 الخلايا : المخلاة للحلب . والكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام .

مَرْوانُ يُعْطـي وسعيـدٌ يمنعُ   مـروانُ نَبْعٌ وسعيدٌ خِرْوعُ[1]

وَدِدتُ أنّي راميت مَن أُحِبُّ في الرجز يداً بيد ، والله لأنّا أرجز من العجّاج ، فلَيْتَ البصرة جمعت بيني وبينه . قال : والعجّاج حاضر وابنه رؤبة معه . فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصَفَكَ الرّجل ، فأقبلَ عليه العجّاج وقال : هاأنذا العجّاجُ ، فهلمّ ! وزحف إليه ، فقال : وأيُّ العجّاجين أنت ؟ قال : ما خِلتُك تعني غيري ، أنا عبدُ الله الطويل ، وكان يُكْنى بذلك ، فقال له المدَنيُّ : ما عَنَيتك ولا أردتك ؛ فقال : وكيف وقد هتَفتَ بي ؟ قال : وما في الدُّنيا عجاجٌ سواك ؟ قال : ما علِمتُ ، قال : لكنّي أعلم ، وإيّاه عَنَيْتُ . قال : فهذا ابني رؤبة ، فقال : اللهمّ غَفراً ، ما بيني وبينكما عَمَلٌ : وإنّما مرادي غيرُكما ، فضحك أهل الحلقة منه ، وكفّا عنه .

[محاورة زائرين]

أخبرني أبو خليفة في كتابه ، عن محمد بن سلاّم : عن يُونُس ، قال : غَدَوْت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد العُطارديُّ على رؤبة : فخرج إلينا كأنّه نَسْرٌ ، فقال له ابن نوح : أصبحتَ والله كقولك[2] : [من الرجز]

كالْكرَّزِ المشدودِ بين الأوتادْ   ساقَطَ عنه الريشَ كَرُّ الإبرادْ[3]

فقال له رؤبة : والله يا ابن نوح ما زلتُ لك ماقِتاً ، فقلت : بل أصبحت يا أبا الجَحّاف كما قال الآخر : [من المتقارب]

فأبقـينَ منـهُ وأبْقـى الطرا   دُ بَطْناً خميصاً وصُلْباً سمينا

فضحك : وقال : هات حاجتَك .

[من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له]

قال ابن سلاّم : ووقف رؤبة على باب سليمان بن عليّ يستأذنُ : فقيل له : قد أخذ الإذْرِيطُوسَ[4] فقال رؤبة[5] : [من الرجز]

يـا مُنزلَ الوحي على إدريسِ   ومُنزلَ اللعـنِ عـلى إبليسِ
وخالـقَ الإثنَـين والخميس   بارِكْ له في شُربِ إذْرِيطُوسِ

1 النبع : شجر صلب تتّخذ منه القسي والسهام . والخروع : شجر ضعيف هش المكسر .
2 ديوانه : 28 .
3 الكرّز : البازي سقط ريشه . والإبراد : من أبرده : أي فتره .
4 الاذريطوس : دواء .
5 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

[يخطئه سلم بن قتيبة]

أخبرني الحسن بن يحيى قال : قال حمّاد : أخبرني أبي عن الأصمعيّ قال : أنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة في صفة خيل :

يَهْوِينَ شتَّى ويقعْنَ وُقَّفا

فقال له : أخطأت يا أبا الجَحّاف : جعلته مقيداً فقال : أدْنني أيّها الأمير ذنَب البعير أصِفه لك كما يجب .

[جاء الخوان فارفعوا]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلاّم ، عن عبد الرحمن بن محمد ، عن علقمة الضّبّيّ ، قال : خرج شاهين بنُ عبد الله الثقفيّ برؤبة إلى أرضه ، فقعدوا يَلعَبُون بالنّرْدِ فلمّا أتوْا بالخوان قال رؤبة[1] : [من الرجز]

يا إخوتي جاءَ الخِوانُ فارفعوا حنّانةً كِعابُها تُقَعْقِعُ
لم أدْرِ ما ثلاثُها والأربَعُ

قال : فضحكنا ورفعناها ، وقُدِّم الطّعام .

[بموته دفن الشعر واللغة والفصاحة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود ، قال : لقيتُ الخليلَ بنَ أحمدَ يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دَفَنّا الشعرَ واللغةَ والفصاحةَ اليوم ، فقلتُ : وكيف ذاك ؟ قال : هذا حين انصرفتُ من جنازةِ رؤبةَ .

صوت

[من الطويل]

لَعَمري لقد صاحَ الغرابُ ببينهم فأوجعَ قلبي بالحديثِ الذي يُبدي
فقلتُ له أفصحتَ لا طِرتَ بعدها بريش فهل للبَينِ ويحكَ مِن ردِّ

الشعر لقيس بن ذَريح[2] ، وقد تقدّمت أخباره والغناء لعمرو بن أبي الكَنّات ، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .
2 ديوان قيس لبنى (صادر) : 42 .

[436] ــ أخبار عمرو بن أبي الكنّات[1]

[أحسن النّاس غناء]

هو عمرُو بنُ عثمانَ بنُ أُبي الكنّات ، مولى بَني جُمَح ، مكي مغنٍ ، محسنٌ موصوفٌ بطيبِ الصوتِ من طبقة ابن جامع وأصحابِه ، وفيه يقول الشاعر : [من الخفيف]

أَحسنُ النّاسِ فاعلمــوه غِناء رجُل مــن بنــي أَبي الكَـنَّاتِ

وله في هذا الشعر غناء مع أَبيات قبله لَحنٌ ابتداؤه :

صوت

عفَــتِ الدّار بالهِضابِ اللواتي بِسَوارٍ ؛ فملتقــى عرفــاتِ[2]
فالجريّــان أُوحشا بعــدَ أُنس فدِيارٌ بالرّبــعِ ذي السَّلِماتِ
إنّ بالبِينَ مربعاً مــن سليمى فإلى محضريــن فالنخــلاتِ

وبعده البيت الأوّل المذكور .

الغناء في هذا الشعر لعمرو بنِ أُبي الكنّات ، وطريقته من الرمَل بالوسطى . وقيل : إنّه لابن سُرَيج ، وقيل : بلْ لحن ابن سُريج غيرُ هذا اللحن ، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابنُ أُبي الكنَّات .

ويكنى عمرُو بنُ أَبي الكنَّات أَبا عثمان ، وذكر ابنُ خرداذبه أَنّـه كان يكنى أَبا معاذ ؛ وكان له ابن يغنّي أيضاً يقال له : درّاج ؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء .

[الرشيد يفضله على سائر المغنّين]

فذكر هـارون بنُ محمـدِ بنُ عبد الملك الزيّاتُ في الخبر الذي حكـاه عنه من أَخبـاره أَنّ محمد بن عبد الله المخزوميّ حدَّثه قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن فروة قال : قُلت لابن جامع يوماً : هل غَلبك أحد من المغنّين قطّ ؟ قال : نعم ؛ كنتُ ليلة ببغدادَ إذ جاءَني رسولُ الرشيدِ

---

1 لعمرو بن أَبي الكنّات ترجمة في نهاية الأرب 4 : 308–312 وهي قريبة ممّا في الأغاني .

2 رواية في نهاية الأرب :

عفت الدار بالهضاب اللواتي بـين ثـور وملتقى عرفات

سوار : من قرى البحرين . وثور : جبل بمكّة . والباقي : أسماء مواضع . والسلمات : الحجارة .

يأمرني بالركوب ؛ فركبتُ حتى إذا صِرتُ إلى الدّار ، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيع معه زَلْزَلٌ العَواد وبَرْصوماً ؛ فسلمّتُ وجلستُ قَليلاً ، ثم طَلَع خادم فقال للفضل : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : فابعث إليه ؛ ولم يزَل المغنّون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنّا ستّة أو سبعة .

ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : قُم فابعث في طلبه ؛ فقام فغاب غير طويل ، فإذا هو قد جاء بعَمْرو بن أبي الكَنَّات ؛ فسلّم وجلس إلى جنبي فقال لي : مَن هؤلاء ؟ قلتُ مغنّون ؛ وهذا زَلْزَل ، وهذا بَرْصوماً . فقال : والله لأُغنينك غناء يخرِق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً . قال : ثم طلع الخصيّ فدَعا بكراسيّ ؛ وخرجت الجواري . فلمّا جلسنَ قال الخادم للمغنِّين : شدّوا[1] ، فشدُّوا عيدانهم ، ثم قال : تغنَّ يا ابنَ جامع ؛ فغنَّى سبعة أو ثمانية أصوات . ثم قال : اسكت ولْيُغنِّ إبراهيم الموصليّ ؛ فغنَّى مثل ذلك أو دونه . ثم سكت ؛ فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا .

ثم قال : لابن أُبي الكَنَّات : غنِّ ، فقال لِزَلْزَل : شدّ طبقتك ، فشدّ . ثم أَخذ العود من يده فجسّه حتى وقف عَلى الموضع الذي يريده ؛ ثم قال : على هذا وابتدأ بصوت أوّله : أَلا لا ؛ فوالله لقد خيِّل لي أنّ الحيطان تجاوبه ، ثمّ رجّع النغم فيه . فطلع الخصيّ فقال له : اسكت ، لا تتمّ الصوت ، فسكت .

ثم قال : يُحبس عمرُو بن أُبي الكَنَّات ، وينصرف باقي المغنِّين ، فقمنا بأَكسف حال وأَسوإِ بال ، لا والله ما زال كلّ واحد منّا يسأل صاحبه عن كلّ شعر يَرْويه من الغناء الذي أوّله : أَلا لا ، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه ، فما عرفه منّا أحد ، وبات عمرو ليلته عند الرشيد ، وانصرف مِن عنده بجوائز وصِلات وطُرف سنيّة .

[يزحم بغنائه الحاج في عرفة]

قال هارونُ : وأَخبرني محمدُ بنُ عبد الله عن موسى بنِ أَبي المهاجر قال : خرج ابنُ جامعٍ وابنُ أبي الكنّات حين[2] دفعا من عرفة حتى إذا كانا بين المأزمين جلس عمرو على طرفَ الجبل : ثم اندفع يغنِّي ، فوقف القِطارات ، وركِب الناسُ بعضَهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، اللهَ اللهَ . اسكت عنا يَجزُ النّاس ، فضبط إسماعيل بنُ جامع بيده على فيه حتى مضى النّاس إلى مُزْدلفة .

[يحتشد الناس على الجسور لغنائه]

قال هارون : وحدَّثني عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ عن عليِّ بن أَبي الجهم قال : حدَّثني مَن

---

1 ل : سووا .

2 نهاية الأرب : حين دفع الإمام .

أثق به قال[1] : واقفتُ ابنَ أبي الكنّات المدينيّ على جَسر بغداد أيّام الرشيد ، فحدَّثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنّه فعله أيّام هشام ، وهو أنّ بعض أصحابنا حدَّثني قال : وقف ابنُ عائشة في المَوسم فمرَّ به بعضُ أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال : إنّي لأعرف رجلاً لو تكلَّم لحبَس النّاسَ ، فلم يذْهب أحدٌ ولم يجيء . فقلت له : ومَن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يغنّي[2] : [من الوافر]

صوت

جَرتْ سُنُحاً فقلت لَها أَجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاءُ ؟
بنفسي مَن تذكُّره سَقام أُعالجه ومطلبُه عَناءُ

قال : فحبَس النّاس ، واضطربت المحامل ، ومَدَّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنةُ تقع . فأُتي به هشام فقال : يا عدوَّ اللهِ أردتَ أن تفتنَ النّاس ؟ فأمسك عنه وكان تيّاهاً . فقال له هشام : ارفُق بتيهك . قال : فقال ابن عائشة : حقٌّ لِمَن كانت هذه قدرتَه على القلوب أن يكون تيّاهاً . فضحك وأطلقه . قال : فنزق ابن أبي الكنّات ، وكان معجَباً بنفسه ، وقال : أنا أفعل كما فعل ، وقدرتي على القلوبِ أكثر من قدرته كانت ، ثم اندفع فغنّى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد .

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة ، فانقطعت الطرقُ ، وامتلأت الجسورُ بالنّاس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خيف عليها أن تتقطّع لثقل مَن عليها من النّاس . فأُخِذ فأُتِي به الرشيد ، فقال : يا عدوَّ الله أردتَ أن تفتنَ النّاس ؟ فقال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّه بلغني أنّ ابنَ عائشة فعَل مثل هذا في أيّام هشام ، فأحببت أن يكون في أيّامك مثلُه فأُعجب من قوله ذلك ، وأَمَرَ له بمال ، وأَمَرَه أن يغنّي ، فسمع شيئاً لم يسمعْ مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كلِّ يوم استأذنه فيه في الانصراف يوماً آخر حتى تمَّ له شهر . فقال هذا المخبر عنه : وكان ابن أبي الكنّات كثير الغِشيان لي : فلمّا أبطأ توهمتُه قد قتل ، فصار إليّ بعد شهر بأموال جسيمة ، وحدَّثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

[سمع غناؤه على بعد ثلاثة أميال]

قال هارونُ : وأخبرني محمدُ بنُ عبد الله المخزوميُّ عن عثمان بنِ موسى مولانا قال : كنّا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكنَّات ، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَن تحبّون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصورٌ الحجَبيّ . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي

1 تقدم خبر ابن عائشة وإيقافه الناس في الموسم في ترجمته 2 : 132 . ونقل ابن حمدون هذا الخبر وخبر إيقاف ابن أبي الكنات الناس على جسور بغداد في التذكرة الحمدونية 9 : 12–13 .
2 تقدم البيتان والشرح في ترجمة ابن عائشة ، والأول منهما لزهير في شرح ديوانه : 59 .

ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

أَحسنُ النّاس فاعلموه غنــاءً رجـــلٌ مـن بني أَبي الكَنّاتِ
عفتِ الدّار بالهضابِ اللواتي بسَوارٍ فملتقــى عرفـــاتِ

فلم نلبثْ أَن رأَينا منصوراً من بُعد قد أَقبل يركُض دابته نحونا ، فلمّا جلس إلينا قلنا له : من أَين علمتَ بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو يغنّي كذا وكذا وأنا في سوق البقر ، فخرجتُ أَركضُ دابتي حتى صرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أَميال .

قال هارون ، وأَخبرني محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني يحيى بنُ يَعلى بنِ سعيد قال : بينا أَنا ليلة في منزلي في الرمضة أَسفل مكّة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أَبي الكنّات كأنّه معي ، فأَمرتُ الغلامَ فأَسرجَ لي دابتي ، وخرجتُ أُريده ، فلم أَزَل أَتبع الصوت حتى وجدتُه جالساً على الكثيب العارض ببطن عُرَنَةَ[1] يغنّي : [من الطويل]

صوت

خـــذي العفوَ منّي تستديمي مودَّتي ولا تنطقي في سَورتي حينَ أَغضبُ
ولا تنقريني نَقــرةَ الدُّفِّ مـــرّةً فإنّــكِ لا تدريـــنَ كيــف المغيَّبُ
فإنِّي وجدتُ الحبَّ في الصَّدرِ والأَذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحـبُّ يذهبُ

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق . والشعر لأسماء بنِ خارجة الفزاريّ ، وقد قيل : إنّه لأبي الأسود الدّؤليّ ، وليس ذلك بصحيح . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، وفيه لحنٌ قديمٌ للغريض من رواية حمّاد عن أبيه .

1 بطن عرنة : واد بحذاء عرفة .

[437] ـ أسماء بن خارجة وابنته هند

[وصيته لابنته]

أُخبرني اليزيديّ عن أحمدَ بنِ زُهير عن الزُّبير بن بكّار قال[1] : زَوّج أَسماء بنُ خارجة الفزاريُّ بنته هنداً من الحجّاج بن يوسف ، فلمّا كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء بن خارجة : يا بنيّة ، إنّ الأُمّهاتِ يؤدِّبنَ البنات ، وإنّ أُمّكِ هلكَت وأنتِ صغيرة ، فعليك بأطيب الطيِّب الماء ، وأحسن الحُسن الكحل . وإيّاكِ وكثرةَ المعاتبةِ ، فإنّها قطيعة للوُدِّ ، وإيّاكِ والغَيرةِ فإنّها مفتاحُ الطلاقِ . وكوني لزوجكِ أمَةً يكن لكِ عَبداً ، واعلمي أنّي القائل لأُمّكِ : [من الطويل]

خذي العفوَ منّي تستديمي مودّتي

وذكر الأبيات . قال : وكانت هند امرأةً مجرِّبةً قد تزوّجها جماعة من أُمراء العراق ، فقبلَت من أبيها وصيّته . وكان الحجّاج يصفها في مجلسه بكلِّ خير ، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها[2] : [من الوافر]

جـزاكَ اللهُ يـا أسماءُ خيراً ... كما أرضيـتَ فَيْشلَـة الأَميرِ
بِصدعٍ قد يفوحُ المسكُ منه ... عليـه مثـل كِركرةِ البعيرِ[3]
إذا أخـذَ الأَميرُ بمَشعبيهـا ... سمعـتَ لهـا أَزيـزاً كالصريرِ
إذا لقحـتْ بـأرواحٍ تراهـا ... تجيدُ الزّهز مـن فوقَ السريرِ

[واحدة بواحدة]

قال مؤلّف هذا الكتاب : الشعر لعُقَيْبة الأَسديّ . أخبرني الجوهريُّ وحبيبُ المهلّبيُّ عن ابن شبّة قال[4] : لمّا قدِم الحجّاجُ الكوفةَ أشار عليه محمدُ بنُ عُمير بنِ عُطارد أن يخطبَ إلى أسماء ابنته هند ، فخطبها فزوّجه أسماءُ ابنته ، فأقبل عليه محمد متمثّلاً يقول : [من الوافر]

أَمِنْ حَذر الهُزال نكحتَ عبداً ... فصهرُ العبـدِ أدنـى للهزالِ

---

1 الوصية والشعر في التذكرة الحمدونية 3 : 339 .
2 التذكرة الحمدونية 4 : 75 .
3 كركرة البعير : القرص الصلب في صدره الذي يبرك عليه .
4 انظر الخبر مفصلاً في التذكرة الحمدونية 8 : 234–235 .

فاحتملها عليه أسماءُ وسكت عن جوابه . ثـم أَقبل على الحجّاج يوماً وهندٌ جالسةٌ ، فقال : ما يمنعك من الخِطبةِ إلى محمد بن عمير ابنتَه فإنّ من شأنها كيتَ وكيتَ . فقال : أتقولُ هـذا وهنـدٌ اسمعُ ؟ فقال : موافقتك أحبُّ إليّ من رضا هند . فخطبها إلى محمد بنِ عمير ، فزوّجه إيّاها ، فقال أسماءُ لمحمدِ بنِ عُمَير ، وضربَ بيده على منكبه : [من الطويل]

دونـكَ مـا أسديته يا ابنَ حاجبٍ سواء كعَينِ الديكِ أو قُـذّةَ النسرِ[1]
بقولِكَ للحجّاجِ إن كنتَ ناكِحاً فلا تعـدُ هنـداً مـن نساءِ بني بدرِ
فـإن أباهـا لا يـرى أنّ خاطباً كفـاءٌ لـه إلاّ المتـوجَ مـن فِهرِ
فزوجتُهـا الحجّـاج لا متكارهـاً ولا راغبـاً عنـه ونِعمَ أخو الصهرِ
أردتَ ضِراري فاعتمدتَ مسرّتي وقد يُحسِنُ الإنسانُ من حيثُ لا يدري
فإن تَرَهـا عـاراً فقد جئتَ مثلها وإن تَرَها فخراً فهل لـك من شكرِ

[حبّها لعبيد الله بن زياد]

قال المدائنيّ حدَّثني الحرمازيّ عن الوليد بن هشام القحذميّ وكان كاتَبَ خالداً القسريَّ ويوسُفَ بـنَ عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عُبيدِ الله بنِ زيادٍ ، وكان أبا عذرها ، فلمّا قتلَ ، وكانت معه ، لبِسَتْ قَباء ، وتقلّدت سيفاً ، وركِبت فرساً لعُبيد الله كان يقال لها : الكامل ، وخرجت حتى دخلَت الكوفة ليس معها دليلٌ ، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلق اللهِ جزعاً عليه ، ولقد قالت يوماً : إنّي لأشتاق إلى القيامةِ لأرى وجه عُبيدِ الله بنِ زياد .

[بشر بن مروان يتزوّجها]

فلمّا قـدِم بشرُ بنُ مـروان الكوفـة دُلَّ عليها ، فخطبها ، فزُوِّجها ، فولدت له عبدَ الملك بنَ بشر . وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك ، وكان إذا صلّى العصرَ خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلاّ أعينُ مولاه صاحبُ حمام أعينَ بالكوفة ، وأخذ في شأنه . فلم تزَل هندٌ تتجسّس خبره حتى عرفته . فبعثَت مولى لها ، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشدّه وأرقّه وأصفاه ، وأحضرَت له طعاماً علمت أنّه يشتهيه ، وأرسلَت إلى أخويها : مالكٌ وعيينةُ . فأتياها ، وبعثَت إلى بشر واعتلَّت عليه بعلّة ، فجاءَها فوضعَت بين يديه ما أعدّته ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدِّثه ، وهند تريه وجهها . فلم يزَل في ذلك حتى أمسى ، فقال : هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً ؟ فقالت : هذا دائم لك ما أردتَه ، فلزمها وبقي أعينُ يتتبّع الديار بوجهه

---

1 المثل «أصفى من عين الديك» في مجمع الميداني 1 : 417 والدرة الفاخرة 1 : 250 وجمهرة العسكري 1 : 538 ومستقصى الزمخشري 1 : 210 . وقذة النسر : ريشه . ولعلّه يشير إلى المثل «(جزيته) القذة بالقذة» .

ولا يرى بشراً ، إلاّ أن يبحث عن أمره فعرفه ، وعلِم أنّه ليس فيه حظّ بعدها . قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه ، فقال الفرزدق في ذلك[1] : [من الطويل]

فإنْ تَكُ لا هندٌ بكتهُ فقد بَكَتْ عليه الثريّا في كواكبها الزُّهرُ

[يخلف عليها الحجّاج]

ثم خَلَفَ عليها الحجّاجُ ، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائنيّ عن الجِرمازيّ عن القحذميّ ، وأخبرني به مَن هاهنا أحمدُ بنُ عبد العزيز عن ابن شبّة عن عثمانَ بنِ عبد الوهّاب عن عبدِ الحميد الثقفيِّ قالا : كان السبب في ذلك أنّه بعث أبا بُردةَ بنَ أبي موسى الأشعريّ ، وهو قاضيه ، إلى أسماء يقول له : إنّ قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أُقيم بموضع فيه ابنا أخيه بِشرٍ لا أضمّهما إليّ ، وأتولّى منهما مثلَ ما أتولّى من ولَدي . فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما .

وقال عمرُ بن شبّة في خبره : وأعلِمْها أنّه لا بدّ من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدّبهما . قال أبو بُردة : فاستأذنت فأُذِن لي وهو يأكلُ وهندٌ معه ، فما رأيتُ وجهاً ولا كفّاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفّها وذراعها ، وجعلَت تُتحفني وتضع بين يَديّ .

قال أبو زيد في خبره : فدَعاني إلى الطعام ، فلم أفعلْ ، وجعلَت تعبث بي وتضحك ، فقلت : أما والله لو علمتِ ما جئتُ له لبكيتِ . فأمسكت يدها عن الطعام فقال : أسماءُ : قد منعتَها الأكل فقُل ما جئت له . فلمّا بَلَّغْتُ أسماءَ ما أُرسلتُ به ، بكت ، فلَم أرَ واللهِ دموعاً قطّ سائلة من محاجرَ أحسنَ من دموعها على محاجرها . ثم قالت : نعم أُرسل بهما إليه ، فلا أحد أحقّ بتأديبهما منه .

وقال أسماءُ : إنّما عبد الملك ثمرة قلوبنا ، يعني عبد الملك بنَ بشر ، وقد أنِسنا به ، ولكن أمَرَ الأمير طاعة ، فأتيت الحجّاج ، فأعلمته جوابها وما رأيته من جوابها وهيئتها . فقال : ارجع فاخطبها عليّ فرجعْتُ وهما على حالهما . فلمّا دخلتُ قلت : إنّي جئتكَ بغير الرسالة الأولى . قال : اذكر ما أحببتَ . قلت : قد جئتُ خاطباً . قال : أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة ؟ قلت : لا ، على مَن هو خيرٌ لها منّي ، وأعلمتُه ما أمرني به الحجّاج . فقال : ها هي تسمع ما أدّيت ، فسكَتَتْ فقال أسماءُ : قد رضيَتْ ، وقد زوّجتها إيّاه .

فقال أبو زيد في حديثه : فلمّا زَوّجها أبوها قامت مبادِرة وعليها مُطْرَف ، ولم تستقلّ قائمة مِن ثقل عجيزتها حتى انثنتْ ومالَت لأحد شقيها مِن شَحمها ، فانصرفتُ بذلك إلى

1 ديوان الفرزدق 1 : 217 .

الحجّاج ، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً مِنْ ثياب وقال : يا أبا بردةَ ، إنِّي أُحِبُّ أن تسلمها إليها ، ففعلتُ ذلك وأرسلتُ من سلمه إليها ، فأرسلتْ إليّ : جئتَ قاضياً ورجعتَ دلالاً فأرسلت إليّ من المال بعشرين ألفاً ، ومن الثيابِ تختين . فقلت : ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير . ثم انصرفتُ إليه فأعلمتهُ ، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله .

وقال : أبو زيد في حَديثه : فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كلّ غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كلّ جارية تختٌ من ثياب ، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يَذكر عددَها . فلمّا وصل ذلك إلى هند أمَرت بمثل ما أمر لي به الحجّاج ، فأبيتُ قبوله ، وقلت : ليس الحجّاج مِمّن يُتَعَرَّضُ له بمثل هذا . وأتيت الحجّاج فأخبرته . فقال : قد أحسنتَ وأضعَف اللهُ لكَ ذلكَ ، وأمَر له بستينَ ألفاً ، وبضعفِ تلك الثياب ، وكان أوّلَ ما أصبته مع الحجّاج . وأرسلَ إليها : إنّي أكره أن أبيتَ خِلواً ولي زوجة . فقالت : وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها ، فَأصلحت من شأنها ، وأتته ليلاً .

قال : المدائنيّ : فسمعتُ أنّ ابن كناسة ذكر أنّ رجلاً من أهلِ العِلم حدَّثه عن امرأة من أهله قالت : كنتُ فيمَن زفّها . فدَخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة عَلى فرشه ، فلمّا أن دخَلت سلَّمتْ ، فأوْمأ إليها بقضيب كان في يده . فجلسَت عند رِجْليه ، ومكثت ساعة وهو لا يتكلَّم ونحن وقوف ، فضَرَبت بيدها على فخذه ، ثم قالت : ألم تَبعد من سوء الخلق ؟ قال : فتبسّم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً . فدعونا له وخَرجنا وأُرخيت الستور .

[طلاق هند]

قال : ثم قدِم الحجّاج البصرةَ ، فحملها معه . فلمّا بنى قصرَهُ الذي دون المحدثَة[1] الذي يقال لـه : قصرَ الحجّاج اليوم قال لها : هل رأيتِ قطّ أحسن من هذا القصر ؟ قالت : ما أحسنه ! قال : أصدقيني ، قالت : أمّا إذ أبيتَ فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر . وكان فيه عُبيد الله بنُ زياد ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر . فطلق هنداً غضباً بما قالته ، وبعث إلى القصر فهدمه ، وبناه بلبن . ثم تعهّده صالح بنُ عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجرّ ، ثم هُدِم بعد ذلك فأُدخل في المسجد الجامع .

[الحجّاج يحنّ إلى هند]

قال : القحذميّ عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ :فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر ، فسلّمنا عليه وعُدناه معه . ثم خرجنا وَتخلف الحجّاج ، فوقفنا

---

1 المحدثة : قرية بواسط .

ننتظره ، فلمّا خرجَ التفت فرآني ، فقال : يا محمدُ وَيحكَ ! رأيتُ هنداً الساعة فما رأيتها قطّ أجمل ولا أشبّ منها حين رأيتها ، وما أنا بمُمسٍ حتى أراجعها . فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ، امرأة طلّقتها على عتْب يرى النّاس أنّ نفسك تتبعها ، وتكون لها الحجّة عليك . قال : صدقت ، الصبر أحجى .

قال : محمدٌ : واللهِ ما كان منّي ما كان نظراً ولا نصيحةً ، ولكنّي أَنِفت لرجل من قريش أن تداس أمّه في كلّ وقت .

[الحيّة في النّار]

أخبرني الحسين بنُ يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جويريّةَ بن أسماء عن عمّه قال : حججتُ ، فإنّي لفي رُفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة ، فنامت وانتبهتُ وحيّةٌ مطويّةٌ عليها ، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها ، فهالنا ذلك وارتحلنا . فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرَم فانسابت ، فدخلنا مكّة وقضينا نُسكنا ، فرآها الغريض فقال : أيْ شقيّة ، ما فعلَت حيّتك ؟ فقالت : في النار : قال : ستعلمين مَن أهل النار ؟ ولم أفهم ما أراد ، وظننتُ أنّه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائه ، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك . فأتيتُ بعضَ أهلِه ، فسألتُه ذلك ، فقال : نعم ، فوجّه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا ، وقال لي : اركب بنا ، فركبنا حتى سِرْنا قدرَ مِيل ، فإذا الغريضُ هناك ، فنزلنا ، فإذا طعام مُعَدٌّ ، وموضع حسنٌ . فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد ، هات بعض طرائفك فاندفع يغنّي ، ويوقع بقضيب[1] : [من الطويل]

مرضتُ فلم تحفلْ عليّ جَنوبُ ... وأُدنفتُ والمَمشى إليّ قريبُ
فلا يُبعد اللهُ الشبابَ وقولَنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

فلقد سمعنا شيئاً ظننتُ أنّ الجبال التي حولي تنطق معه : شَجا صوت ، وحُسْن غناء . وقال لي : أتحبّ أن نَزيدك ؟ فقلت : إي واللهِ . فقال : هذا ضيفك وضيفنا ، وقد رغِب إليك وإلينا ، فأسعِفْه بما يريد . فاندفع يغنّي شعر مجنون بني عامر[2] : [من الطويل]

عفا اللهُ عن ليلى الغداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حكماً عليّ تجورُ
أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة ؟ إنّي إذاً لصبورُ

فما عقَلت لِما غنّى من حسنه إلاّ بقول صاحبي : نجور عليك يا أبا يزيد . فقلت : وما

1 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 8 .
2 ديوان مجنون ليلى : 139 وديوان أبي دهبل : 77–78 .

معناك في ذلك ؟ فقال : إنّ أبا يزيد عرَّضَ بأنّي لمّا وليت الحكم عليه جُرت في سُؤالي إيّاه أكثر من صوت واحد . فقلت له ، بعدَ ساعة ، سرّاً : جُعلتُ فداءك ، إنّي أُريدُ المضيّ وأصحابي يريدون الرحلةَ ، وقد أبطأْتُ عليهم ، فإن رأيت أن تسأله ، حاطه اللهُ من السوءِ والمكروه ، أن يزوّدني لحناً واحداً . فقال لي : يا أبا يزيد ، أتعلَم ما أنهى إلينا ضيفُنا ؟ قال : نعم ، أرادك أن تكلّمني في أن أُغنّيه قلت : هو واللهِ ذلك ، فاندفع يغنّي : [من الطويل]

خذي العفوَ منّـي تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَورتي حـينَ أغضبُ
فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصدرِ والأذى ... إذا اجتمعـا لم يلبثِ الحـبُّ يذهبُ

[نسبة وصية أسماء لابنته إلى أبي الأسود]

فقال : قد أخذنا العفو منك ، واستدَمْنا مودّتك ، ثم أقبل علينا فقال : ألا أُحدّثكم بحديث حسن ؟ فقلنا : بلى . قال : قال شيخ العلم وفقيه النّاس وصاحب عليٍّ ، صلواتُ اللهِ عليه ، وخليفة عبد الله بنِ العبّاسِ على البصرة أبو الأسود الدؤليّ لابنته ليلَة البناءِ : أيْ بُنَيّة ، النساء كنَّ بوصيّتك وتأديبك أحقَّ منّي ، ولكن لا بُدّ مِمّا لا بُدّ منه . يا بُنيّة ، إنّ أطيبَ الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل . يا بُنيّة ، لا تكثري مباشرة زوجك فيملَّك ، ولا تباعدي عنه فيجفوَكِ ويعتلَّ عليك ، وكوني كما قلتُ لأُمِّك : [من الطويل]

خُذي العفو منّي تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ

فقلت لـه : فدَتـكَ نفسي ، ما أدري أيّهما أحسن : أحديثك أم غِناؤك ؟ والسلام عليكم . ونهضتُ فركبتُ وتخلّف الغريضُ وصاحبه في موضعهما ، وأتيت أصحابي وقد أبطأتُ ، فرحَلنا منصرفين حتى إذا كنّا في المكان الذي رأيت فيه الحيّة منطوية على صدرِ المرأة ونحن ذاهبون ، رأيتُ المرأة والحيّةُ منطوية عليها ، فلم ألبث أن صفرَت الحيّة ، فإذا الوادي يسيل علينا حيّات فنهشنها حتى بقيت عظاماً . فطال تعجّبنا من ذلك ، ورأينا ما لَم نَرَ مثلَه قطّ . فقلتُ لجاريةٍ كانت معها : ويحِك ! أخبرينا عن هذه المرأة ، قالت : نعم أثقلت ثلاث مرّات ، كلَّ مرّة تلِد ولداً ، فإذا وضعته سجَرت التنور ثم ألقته فيه : فذكرتُ قول الغريض حين سألها عن الحيّة ، فقالت : في النار . فقال : ستعلمين مَن في النّار .

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

فمنها : [من الطويل]

صوت

مرِضتُ فلم تحفَلْ عليَّ جَنوبُ ... وأُدنفتُ والمَمشَى إليَّ قريبُ

فلا يُبعد اللهُ الشبابَ وقولَنا إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

عروضه من الطويل . الشعر لحُميدِ بنِ ثَورٍ الهلاليِّ ، والغناء لِلغريضِ من رواية حماد عن أبيه ، وفيه لِعَلُّويَه ثقيل أَوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها : [من الطويل]

صوت

عفا اللهُ عن ليلي الغداةَ فإنّها إذا وليتْ حكماً عليّ تجورُ
أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ !

عروضه من الطويل ، والشعر ، يقال : لأَبي دَهبلٍ الجُمَحيّ ، ويقال : إنّه لمجنون بني عامر ، ويقال : إنه لعمرَ بنِ أَبي ربيعةَ . والغناء لابن سُرَيج خفيف رمَل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة ، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى ، وفي الثاني والأوّل خفيف ثقيل أَوّل بالبنصر مجهول .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال : قال أَبو دِهبلٍ : [من الطويل]

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أَضلَّ بعيرَه له ذمّةٌ إنّ الذِمامَ كبيرُ
ولَلصاحب المتروك أَعظمُ حرمة على صاحبِ من أَن يَضلَّ بعيرُ

قال الزُّبير وقال عمّي : هذه الأَبيات لمجنون بني عامر .

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أَبي محمدٍ الشيبانيّ قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة : أَنت القائل : [من الطويل]

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ !

قال : نعم . قال فبئس المحبّ أنت : تركتها وبينها وبينك غُدوة . قال : يا أَمير المؤمنين ، إنّها من غُدوات سُليمانَ ، غدوُّها شهر ، ورواحها شهر .

أَخبرني اليزيديّ عن أَحمدَ بن يحيى وابن زهير قال حدَّثني عمرُ بنُ القاسم بنِ المعتمر الزهريُّ قال : قلت لأَبي السائب المخزوميّ : أما أَحسنَ الذي يقول : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصَبُورُ
هبوني امرءاً منكم أَضلّ بعيرَه له ذمةٌ إن الذِمامَ كبيرُ
ولَلصاحب المتروك أَعظمُ حُرمة على صاحبِ مِن أَنْ يضلَّ بعيرُ ؟

فقال : بأَبي أَنت ، كنتُ والله أُجنّبك وتثقل عليّ ، فأَنا الآن أحبّك وتخفّ عليّ ، حيث تعرف هذا .

صوت

[من الوافر]

مِن الخفِراتِ لم تفضحْ أُخاها ولم تَرفَـعْ لوالدهـا شَنارا
كأَنّ مَجامعَ الأَردافِ منهـا نقاً دَرجتْ عليـه الريحُ هارا
يعافُ وصالَ ذات البَذل قلبي ويتّبِـع الممنَّعـةَ النَّـوارا

الخفِرة : الحييةَ ، والخَفَر : الحياء . والشّنار : العار . والنقا : الكثيب من الرمل . درجت عليه الريح : مرّت . هار : تهافت وتداعى . قال الله تبارك وتعالى : ﴿على شفا جُرُفٍ هارٍ﴾[1] ويعاف : يكره . والنوار : الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء .

عروضه من الوافر : الشعر للسُّلَيك بنِ السُّلَكة[2] ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن الهِرْبِذ لحن من رواية بذل ، ولم يذكرْ طريقته . وفيه لابن طنبورة لحنٌ ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنّسه .

1 سورة التوبة ، الآية : 109
2 شعر السليك : 55 .

[438] ـ أخبار السُّليك بن السُّلكة ونسبه[1]

هو السُّلَيك بنُ عمرو ، وقيل : بنُ عميرِ بنِ يثربيّ ، أَحدُ بني مُقاعس ، وهو الحارثُ بنُ عمرِو بنِ كعب بنِ سعدِ بنِ زَيد مناةَ بن تميم . والسُّلَكة : أُمّه ، وهي أَمَةٌ سوداءُ .

[من الصعاليك العدائين]

وهو أَحد صعاليك العرب العدّائين الذين كانوا لا يُلحَقون ، ولا تعلَق بهم الخيل إذا عدَوا . وهم : السُّلَيك بنُ السُّلَكة ، والشَّنفَرى ، وتأبَّط شرّاً ، وعمرو بن برَّاق ، ونفيل بن براقة . وأخبارهم تذكر على تواليها هاهنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يُغنَّى فيها ؛ لتتصل أحاديثهم .

فأمّا السُّلَيك فأَخبرني بخبره الأَخفشُ عن السكريّ عن ابن حبيب عن ابن الأَعرابيّ ، قال : وقرىء لي خبره وشعره على محمدِ بنِ الحسنِ الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة . أخبرني ببعضه اليزيديّ عن عمّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، وقد جمعتُ رواياتهم ، فإذا اختلفت نسبتُ كلّ مرويٍّ إلى راويه .

[يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف]

قال أَبو عبيدة : حدَّثني المنتجعُ بنُ نَبْهان قال : كان السُّلَيك بنُ عميرٍ السعديُّ إذا كان الشتاءُ استَودع بِبَيض النّعام ماءَ السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعَت إغارة الخيل أغار . وكان أدلّ من قطاة[2] ، يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مُضَر ، وإنّما يغيرُ على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

وقال المفضل في روايته : وكان السُّلَيك من أَشدّ رجال العرب وأَنكرِهم وأَشعرِهم ، وكانت العرب تدعوه سلَيك المقانب[3] . وكان أدلّ النّاس بالأرض ، وأعلَمهم بمسالكها ، وأَشدَّهم عَدْواً على رجليه ، لا تعلَق به الخيل ؛ وكان يقول : اللهمّ إنّك تهيّيء ما شئت لما

1 ترجمة السليك بن السلكة في الشعر والشعراء : 281–285 والمؤتلف والمختلف : 202–203 وشرح مقامات الحريري للشريشي 1 : 388–393 وأمثال الضبي : 13–14 وفصل المقال : 270 ، 307 وكتب الأمثال الأخرى تحت الأمثال الواردة في قصته ، وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من الكامل للمبرّد والتذكرة الحمدونية .

2 المثل «أهدى من قطاة» في مجمع الميداني 2 : 409 وجمهرة العسكريّ 2 : 353 .

3 المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة من الخيل للغارة .

شئت إذا شئت . اللهمّ إنّي لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أَمَة . اللهمّ إنّي أَعوذ بك من الخَيبة ، فأَمّا الهَيبةُ فلا هيبةَ .

[غارة]

فذكروا[1] أنّه أَملقَ حتى لم يَبقَ له شيء فخرج على رِجليه رجاء أَن يصيب غِرّة من بعض مَن يَمرُّ به فيذهبَ بإبله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة ، مُقْمرةٍ فاشتمل الصماءَ ، ثم نام ، واشتمال الصماء : أن يَرُدّ فَضلة ثوبه على عضده اليمنى ، ثم ينام عليها ، فبينا هو نائم إذ جَثم رَجل فقعد على جنبه فقال : استأسر ، فرفع السُّليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر[2] . فأرسلَها مثلاً ، فجعل يَلْهَزه[3] ويقول : يا خبيثُ استأسر . فلمّا آذاه بذلك أخرج السُّليك يده ، فضمّ الرجل إليه ضَمّة ضرَط منها وهو فوقه ، فقال السُّليك : أضَرَطاً وأنت الأعلى[4] ؟ فأرسلها مثلاً ، ثم قال : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا رجل افتقرتُ ، فقلت : لأخرجَنَّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغنيَ ، فآتيَهم وأنا غنيّ ؛ قال : انطلق معي . فانطلقا ، فوجدا رجلاً قصّتُه مثل قصّتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجَوفَ : جوف مراد .

فلمّا أَشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كلَّ شيء من كثرته ، فهابوا أَن يُغِيروا فيَطردوا بعضها ، فيَلحقَهم الطلب . فقال لهما سُلَيك : كُونا قريبا منّي حتى آتي الرِّعاء فأعلمَ لكما عِلمَ الحيّ ، أَقَريب أم بعيد . فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولا أومىء[5] إليكما به فأغيرا . فانطلقَ حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزلْ يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحيّ ، فإذا هم بعيد ، إن طُلبوا لم يُدركوا . فقال السُّليك للرِّعاء : ألا أُغنّيكم ؟ فقالوا : بلى غنِّنا ، فرفع صوته وغنّى[6] : [من البسيط]

يا صاحبيّ أَلا لا حيّ بالوادي سوى عَبيد وآمٍ بين أَذوادِ[7]

---

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 136 .

2 المثل «الليل طويل وأنت مقمر» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 2 : 189 ومستقصى الزمخشري 1 : 344 وفصل المقال 339 وأمثال العرب للمفضل الضبّيّ : 62 .

3 يلهزه : يضربه بجمع يديه .

4 المثل «أضرطاً وأنت الأعلى» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 86 وأمثال الضبيّ : 13 وفصل المقال : 339 .

5 ل : أوحي إليكما .

6 شعره : 51 .

7 آم : جمع أمة .

أَتنظرانِ قريباً رَيثَ غفلتِهمْ أَمْ تغدوانِ فإنَّ الريحَ للغادي[1]

فلمّا سمعا ذلك أتيا السُّليك ، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصَّرِيخُ الحيّ حتى فاتوهم بالإبل .

[غارة أخرى]

قال المفضل : وزعموا أنّ سُلَيكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بنِ امرىء القيسِ بنِ زيدِ مناةَ بن تميم يقال لهما : عمرو وعاصم وهو يريد الغارة ؛ فمرَّ على حيّ بني شيبان في ربيع والنّاس مخصبون في عشيّة فيها ضباب ومطر ، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى . فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتيَ أهل هذا البيت ، فلعلّي أن أُصيب لكم خيراً ، أو آتيَكم بطعام . قالوا : افعل ، فانطلق وقد أمسى وجنَّ عليه الليلُ ، فإذا البيتُ بيت رُوَيم ، وهو جدّ حَوْشبِ بنِ يزيدِ بن رُوَيم ، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت .

فأتى السُّليك البيت من مؤخّره فدخله ، فلم يلبثْ أن راحَ ابنه بإبله . فلمّا أَراحها غضب الشيخ ، وقال لابنه : هلاّ عشيتَها ساعة من الليل . فقال له ابنه : إنّها أبت العَشاء . فقال : العاشية تهيج الآبية[2] ، فأرسلَها مثلاً . ثم غضب الشيخ ، ونفَض ثوبه في وجهها ، فرجعتْ إلى مراتِعها ومعها الشيخ حتى مالتْ بأدنى روضة ، فرتَعتْ ، وجلس الشيخ عندها لتتعشّى ، وغطّى وجهه بثوبه من البردِ ، وتبعه سُليك .

فلمّا وجد الشيخ مغتراً ختَله من ورائه ، فضربه فأَطار رأسه ، وصاح بالإبل فطردها ، فلم يشعر صاحباه ، وقد ساء ظنّهما وتخوّفا عليه ، حتى إذا هما بالسُّلَيك يطردها فطرداها معه ، وقال سلَيك في ذلك[3] : [من الطويل]

وعاشيةٍ راحــتْ بِطانـاً ذعَرتُها بسوط قتيـل وسْطهـا يُتسيّفُ[4]
كأَنّ عليـه لـونَ بُـرد محبَّر إذا مـا أَتـاه صارخٌ يتلهّفُ[5]
فبات لهـا أَهـلُ خلاءٍ فناؤهم ومرّت بهـمْ طير فلم يتعيّفوا[6]

---

1 الريح : الغلبة والفوز .

2 المثل «العاشية تهيج الآبية» في مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 2 : 57 ومستقصى الزمخشري 1 : 331 وفصل المقال : 516 وأمثال العرب : 63 . والعاشية التي ترعى ليلاً .

3 شعره : 59–60 .

4 الميداني : بصوت قتيل .

5 المبرد المحبر : الموشى . وهنا محبر بالدم .

6 فبات لها في ل : فقلت لها .

وباتوا يظنــونَ الظنونَ وصُحبتي إذا ما عَلوا نشزاً أَهلّوا وأَوجفوا
وما نلتُها حتى تصعلكتُ حِقبة وكِدتُ لأَسبابِ المنيّـةِ أعرِفُ[1]
وحتى رأَيتُ الجوعَ بالصيفِ ضرّني إذا قمتُ تغشاني ظلال فأَسدِفُ[2]

[حيلة للغارة]

وقال الأثرم في روايته عن أَبي عبيدة : خرجَ سُلَيك في الشهر الحرام حتى أَتى عُكاظ ، فلمّا اجتمع الناس أَلقى ثيابه ، ثم خرج متفضّلاً مترجّلاً ، فجعل يطوف الناسَ ويقول : مَن يصف لي منازل قومه ، وأَصِف له منازل قومي ؟ فلقيَه قيسُ بنُ مكشوحٍ المراديُّ ، فقال : أَنا أَصِف لك منازل قومي ، وَصِف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا أَلاّ يتكاذبا .

فقال قيسُ بن المكشوح : خذْ بين مَهَبِّ الجنوب والصَّبا ، ثم سِرْ حتى لا تدري أَين ظلّ الشجرة ؟ فإذا انقطعَت المياه فسِر أَربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقفٌ[3] بينها الطريق ، فإنّك ترد على قومي مراد وخثعم .

فقال السُّليك : خُذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أُفق السماء ، فثَمّ منازل قومي بني سعد بن زيدِ مناة .

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأَخبرهم الخبر ، فقال أَبوه المكشوح : ثكِلتْكَ أُمُّكَ . هل تدرِيَ مَن لقيت ؟ قال : لقيتُ رجلاً فُضُلاً[4] كأنّما خرج من أهله ، فقال : هو والله سُلَيك بن سعْد .

فاستعلق واستعوى السُّلَيك قومه فخرج أحماس[5] من بني سعد وبني عبد شمس ، وكان في الربيع يعمِد إلى بَيض النّعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز . قال : فإذا غزا في الصيف مرَّ به فاستثاره . فمرَّ بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سُلَيك أَهلكتنا ويحك ! قال : قد بلغتُم الماء ، ما أَقربكم منه ! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبّأَ الماءَ فيه طلبه فلم يجدْه ، وجعل يتردّدُ في طلبه . فقال بعضُ أَصحابه لبعض : أَين يقودكم هذا العبد ؟ قد والله هلكتُم ، وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنّهم ، فهمَّ السُّلَيكُ بقتلِ بعضِهم ، ثمّ أمسَكَ .

فانصرفَت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . قال : ومضى السُّليك في بني

1 أعرف : أصبر .
2 يسدف : تظلم عيناه من الجوع .
3 القفّ : المرتفع من الأرض .
4 فضل : رجل في ثوب واحد .
5 أحماس : شجعان .

مقاعس ومعه رجل مِن بني حرام يقال له : صُرَد . فلمّا رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيك ، حتى إذا دنَوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقةُ صُرَد في جوف الليل ، فخرج في طلبها ، فأصابه أناس حين أصبح ، فإذا هم مراد وخثعم ، فأسروه ، ولحقَه السُّليك فاقتتلوا قتالاً شديداً .

وكان أوّلَ مَنْ لقيَه قيسُ بن مكشوح ، فأسرَه السُّلَيك بعد أن ضربه ضربةً أشرفَت على نفسه ، وأصاب من نَعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه ، وأصاب أمّ الحارث بنتَ عوف بنِ يربوعٍ الخثعميّةَ يومئذٍ ، واستنقذ صُرَد من أيدي خثعم ، ثم انصرف مسرعاً ، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحيّ ، وهم أكثر من الذين شهدوا معه ، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السُّليك في ذلك[1] : [من الطويل]

بكى صُرَدٌ لمّا رأى الحيَّ أعرضَت ... مهامُــه رمــلٍ دونهمْ وسُهوبُ
وخوّفــه ريــبَ الزّمــانِ وفقرَه ... بــلادُ عــدو حاضر وجَدوبُ
ونــأيٌ بَعيدٌ عــن بلادِ مقاعس ... وأن مخاريــقَ الأُمــورِ تَريبُ
فقلتُ لَــه لا تُبكِ عينكَ إنّها ... قضيّةُ مــا يُقضى لهــا فتثوبُ[2]
سيكفيك فَقدَ الحيّ لحمٌ مغرَّض ... وماء قُـدور في الجِفانِ مشوبُ[3]
ألَـم تَــرَ أنّ الدهــرَ لونـان لونُه ... وطَـوران : بِشْر مــرّة وكَذُوبُ[4]
فما خير مَن لا يرتجي خيرَ أوبة ... ويُخشى عليــه مِريـة وحروبُ[5]
رددتُ عليــه نفسه فكأنّمــا ... تلاقــى عليــه منسِر وسَرُوبُ[6]
فما ذرَّ قرن الشمس حتــى أريته ... قُصـار المنايــا والغبــار يثوبُ[7]
وضاربتُ عنــه القومَ حتى كأنّما ... يصعّــد في آثارهــم ويصُوبُ[8]

1 شعره : 44–46 .
2 شعره : لنا فنؤوب .
3 فقد الحي : شراب الحيّ . ومغرض : طري .
4 طوران في ل : وثاران .
5 مرية في ل : سرية ، وهي جماعة الخيل .
6 المنسر : مقدمة الجيش . والسروب : جماعات الخيل .
7 ل : حتى رأيته مصاد المنايا . ومصاد وقصار : الغاية .
8 يصوب : ينحدر .

وقلتُ لــه خــذ هَجْمة حِميريّةً ... وأهلاً ولا يبعُــد عليك شَروبُ[1]
وليلــةَ جابــانٍ كررتُ عليهمُ ... على ساعــة فيها الإياب حبيبُ[2]
عشيّةَ كرّت بــالحراميِّ ناقــة ... بحــيٍّ هــلاً تُدعى به فتُجيبُ[3]
فضاربتُ أُولى الخيل حتى كأنّما ... أُميــل عليهــا أيــدَعٌ وصبيبُ

الأيدع : دم الأخوين ، والصبيب : الحِناء .

[ينذر قومه فيكذبونه]

قال أبو عبيدة[4] : وبلغني أنّ السُّليكَ بنَ السُّلَكة رأته طلائع جيش لبَكرِ بن وائل ، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد ، فقالوا : إن عَلم السُّلَيك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلمّا هايجاه خرج يمحَصُ كأنّه ظبيٌ ، وطارداه سحابة يومه ، ثم قالا : إذا كان الليل أعيا ، ثم سقط أو قَصَر عن العدْو ، فنأخذه .

فلمّا أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها[5] ، فندرتْ قوسُه فانحطمت ، فوجدا قِصْدة[6] منها قد ارتزّت[7] بالأرض ، فقالا : ما لَهُ ، أخزاه الله ؟ ما أشدّه ! وهمّا بالرّجوع ، ثم قالا : لعلّ هذا كان من أوّل الليل ثم فتر ، فتبِعاه ، فإذا أثره متفاج[8] قد بال فرَغا في الأرض وخدّها ؛ فقالا : ما لَهُ قاتله الله ؟ ما أشدّ متنَه ! والله لا نتبعه أبداً ، فانصرفا . ونمى[9] إلى قومه وأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فأنشأ يقول[10] : [من الطويل]

يكذّبني العَمْــران عمرُو بــن جندب ... وعمرو بــن سعد والمكذِّب أكذبُ
لعمرُكَ مــا ساعيتُ مَن سعى عاجز ... ولا أنــا بــالواني ففيــم أُكذَّبُ[11]

---

1 الهجمة : مجموعة من الإبل . وشروب : شراب .
2 جابان : مخلاف باليمن .
3 كرّت في ل : كدت .
4 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 345 والكامل : 738–739 والدرة الفاخرة 1 : 305 .
5 ل : فنزا عنها .
6 قصده : قطعة .
7 ارتزت : ثبتت .
8 متفاج : متباعد ما بين رجليه .
9 ل : وتمّ .
10 شعره : 47–48 .
11 رواية الشعر :
سعيت لعمري سعي غير معجز ... ولا نأنــيء لــو أننــي لا أكذب

ثكلتكما إنْ لم أَكُـن قـد رأيتُهـا ... كراديسَ يهديهـا إلى الحيِّ موكِبُ[1]

كراديسَ فيهـا الحَوْفَـزان وقومـه ... فوارس همَّام متـى يَـدْعُ يركبوا

يعني الحَوْفَزان بن شريك الشيبانيّ .

تفاقدتـمُ هـل أُنكـرنّ مغيـرة ... مـع الصبحِ يهديهـنَّ أَشقر مغربُ

تفاقدتم : يدعو عليهم بالتفاقد .

[يقتل زوجته]

قال ، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم . قال : وكان يقال للسُّلَيك : سُلَيك المقانب ، وقد قال في ذلك فرار الأسديّ ، وكان قد وجد قوماً يتحدّثون إلى امرأته من بني عمِّها فعقرها بالسيف ، فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

لَـزُوار ليـلى منكـم آل برثُن ... على الهولِ أمضى من سُلَيك المقانبِ

يزورونهـا ولا أزورُ نساءهـم ... أَلهفـى لأَولادِ الإمـاءِ الحواطبِ

[غارة على بني عوار]

وقال أَبو عبيدة : أَغار السُّلَيك على بني عَوار بطن من بني مالك بن ضُبَيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته .

فقال شيخ منهم : إنّه إذا عدا لم يُتعلّق به ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب وثقُل لم يستطع العَدْو ، وظفرتم به . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ، ثم بادروه ، فلمّا علِم أنّه مأخوذ خاتلهـم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولجَ على امرأة منهم يقال لها : فُكَيهة ، فاستجار بهـا ، فمنعته ، وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ، فكاثروها فكشفَت خِمارها عن شعرها ، وصاحت بإخوتها فجاءوها ، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل ، فقال السُّلَيك في ذلك[3] : [من الوافر]

لعمـرُ أَبيكِ والأَنبـاءُ تنمى ... لنعم الجار أُخـت بني عُوارا

من الخفِرات لم تفضحْ أَباها ... ولم تَرفَـعْ لإخوتهـا شَنارا

كأَن مجامـعَ الأردافِ منهـا ... نَقاً درَجت عليـه الريحُ هارا

1 الكراديس : القطع العظيمة من الخيل .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .

3 شعره : 55-56

يَعافُ وصال ذات البَذل قلبي ويتّبـــع الممنَّعـــة النَّــوارا
وما عجزت فُكَيهة يوم قامتْ بنصلِ السيفِ واستلبوا الخِمارا

[أطلق أسيره فأثيب]

أَخبرني الأخفشُ عن السكّريِّ عن أبي حاتمٍ عن الأصمعيّ أَنّ السُّلَيك أَخذ رجلاً من بني كنانةَ بنِ تَيم بن أُسامةَ بن مالكِ بنِ بكرِ بنِ حبيبِ بنِ غَنْمِ بن تغلبَ يقال له : النُّعمانُ بنُ عُقْفانَ ، ثم أطلقه وقال[1] : [من الوافر]

بنُعمــانَ بن عُقْفانَ بنِ عمرو سمعتُ بجمعهم فرضختُ فيهم
فــإنْ تكفرْ فإنِّــي لا أُبــالي وإن تشكــرْ فإنّي لستُ أَدري

قال : ثم قدِم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير ، وهُم بماء لهم يقال له : قُباقِبٌ ، خلف البِشْر ، فأتاه نعمان بابنيه الحكَمِ وعثمانَ ، وهما سيِّدا بني كنانة ، ونائلةَ ابنتِه ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم ؛ فقالوا : صدق ؛ فقال : قد شكرتُ لك وقد رددتُهم عليك .

[يسبق في شيخوخته الشباب]

فجمعَتْ له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأَيت أَن ترينا بعض ما بقي من إحضارك . قال : نعم ، وأبغوني أربعين شابّاً ، وأبغوني درعاً ثقيلة ، فأتوه بذلك ، فلبس الدّرع ، وقال للشبّان : الحقوا بي إن شئتم . وعَدا ، فلاث العدوَ لَوثاً ، وعَدوا جَنَبتَه فلم يلحقوه إلاّ قليلاً ، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحيّ هو وحده يُحضِر والدرع في عنقه تَضْرب كأنّها خِرْقة من شدّة إحضاره .

أُخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن عبد الرحمن بن أُخي الأصمعيّ ، عن عمِّه فذكر فيه نحو ما تقدّم .

[مقتله]

وقال السكّريّ في خبر مقتله : إنّه لقي رجلاً من خَثعم في أَرض يقال لها : فخة ، بين أُرض عُقَيل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل : مالكُ بنُ عُمير بن أبي ذراع بن جُشَمَ بنِ عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها : النَّوار ، فقال له الخثعمـيّ : أَنا أَفـدي نفسي منك ، فقال له : السُّلَيك : ذلك لك ، على أَلاّ تَخيس بي ، ولا تطلع عليّ أحداً من خَثعم . فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلّف امرأته رهينة معه ، فنكحها السُّلَيك ،

---

1 شعره : 58 .

وجعلَت تقول : احذر خثعم ؛ فإنّي أُخافهم عليك ، فأَنشأَ يقول[1] : [من الطويل]

تُحذِّرني كــي أُحذَرَ العام خثعماً وقد علمَت أنّي امرؤ غيرَ مُسلَمِ
ومــا خثعــمٌ إلاّ لئــامٌ أذلّـة إلى الذلّ والإسحاق تنمى وتنتمي[2]

قال : وبلغ ذلك شبلَ بنَ قلادةَ بنِ عمرَ بنِ سعد ، وأَنسَ بنِ مدرك الخثعميّين ، فخالفا إلى السُّلَيك ، فلم يشعر إلاّ وقد طرقاه في الخيل ، فأَنشأَ يقول[3] : [من الرجز]

مَـن مبلــغٍ جِذمـي بأنـّي مقتولْ
يـا رُبّ نَهب قد حويتُ عُثكولْ[4]
ورُبّ قِـرن قـــد تركتُ مجدولْ
وربَّ زوجٍ قـد نكحـتُ عُطبولْ[5]
وربَّ عـانٍ قـد فككتُ مكبولْ
وربَّ وادٍ قــد قطعــتُ مسبولْ

قال أنس للشبل : إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل ، وإن شئت اكفني القوم أكفِك الرجل . قال : بل أكفيك القوم ، فشدّ أنس على السُّلَيك فقتله ، وقَتل شبل وأصحابُه مَن كان معه .

وكاد الشرّ يتفاقم بين أَنس وبين عبد الملك ، لأنّه كان أجاره حتى وَداه أَنس لمّا خاف أن يخرج الأمر من يده ، وقال : [من البسيط]

كَم مِن أَخ لي كريمٍ قد فُجعتُ به ثـم بقيتُ كأنّي بعـدَه حَجَرُ
لا أَستكينُ على ريبِ الزّمانِ ولا أُغضي على الأَمرِ يأتي دونه القدرُ
مـِرْدَى حُروب أُدير الأَمرَ حابلَه إذ بعضُهم لأُمــور تعتري جَزَرُ
قــد أطعــنُ الطعنةَ النجلاء أُتْبعها طَرْفاً شديداً إذا ما يَشخَصُ البصرُ
ويومَ حمضة مطلوب دَلفتُ لــه بـذاتِ وَدْقــين لمـا يُعفها المطرُ

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه :

---

1 شعره : 67 .
2 الإسحاق : الابعاد . ويقال سحقاً لهم .
3 شعره : 63–64 .
4 العثكول : العذق .
5 العطبول : الفتية الجميلة الطويلة العنق .

إنّي وقتـلي سُلَيكـاً ثـم أَعقِلَه

كما ذَكَره مَن روينا عنه ذلك .

أَخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ عن عبد الرحمن بنِ أَخي الأَصمَعيّ عن عمِّه فذكر ما تقدّم .

[يجعل لعبد الملك ابن مويلك إتاوة ليجيره]

قال أَبو عبيدة وحدَّثني المنتَجعُ بنُ نَبهان قال : كان السُّلَيك يعطي عبدَ الملك بنَ مُوَيلكٍ الخثعميَّ إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوزَ بلاد خثعم إلى مَن وراءهم من أهلِ اليمن ، فيُغيرَ عليهم . فمرَّ قافلاً من غزوة فإذا بَيت من خثعم أهلُه خُلوف[1] وفيه امرأة شابّة بَضّة ، فسأَلها عن الحيّ فأخبرتْه ، فتسنمها ، أي علاها ، ثم جلس حَجْرةً[2] ، ثم التَقَم المَحجَّة[3] . فبادرَتْ إلى الماء فأخبرتْ القوم ، فركب أنس بنُ مُدركٍ الخثعميّ في طلبه فلحقه ، فقتله . فقال عبد الملك : والله لأقتلَنَّ قاتله أو لَيَدِينّه ، فقال أَنس : واللهِ لا أَدِيه ولا كرامة ، ولو طَلب في ديته عِقالاً لما أَعطيته . وقال في ذلك : [من البسيط]

إنّـي وقتـلي سُلَيكاً ثـم أَعقِلَه　　　كالثورِ يُضربُ لمـا عافتْ البقرُ[4]
غضبتُ للمرءِ إذ نيكـتْ حليلتُه　　　وإذ يُشَدّ على وَجعائهـا الثَّفَرُ[5]
إنّـي لتاركُ هامـات بمجزَرة　　　لا يزدهينـي سوادُ الليلِ والقمرُ
أَغشى الحروبَ وسِربالي مضاعَفة　　　تغشى البنانَ وسيفي صارمٌ ذكرُ

[غناء بشعره نبّه فتاة إلى وضعها]

أَخبرني ابنُ أَبي الأَزهر عن حمّادِ بنِ إسحاق عن أَبيه عن فُلَيح بن أَبي العوراء قال : كان لي صديق بمكةَ ، وكنّا لا نفترق ولا يكتم أحدٌ صاحبَه سرّاً ، فقال لي ذات يوم : يا فُلَيحُ ، إنّي أَهوى ابنة عمٍّ لي ولم أَقدر عليها قطّ ، وقد زارتني اليوم فأحبّ أن تَسُرّني بنفسك ، فإنّي لا أَحتشمك . فقلت : أفعلِ ، وصرت إليهما ، وأُحضر الطعام فأَكلنا ، ووُضع النبيذ فشربنا أقداحاً ، فسألني أن أُغنّيَهما ، فكأنَّ اللهَ ، عزَّ وجَلَّ ، أَنساني الغناء كلّه إلاّ هذا الصوت : [من الوافر]

---

1 خلوف : غياب الرجال وبقاء النساء في الحي .

2 حجرة : ناحية .

3 التقم المحجة : استقبلها .

4 المثل «كالثور يضرب لما عافت البقر» في مجمع الميداني 2 : 142 وجمهرة العسكري 1 : 288 ومستقصى الزمخشري 2 : 204 وفصل المقال : 387 .

5 الوجعاء : الدبر . والثفر : السير في مؤخر السرج .

من الخفِراتِ لم تفضحْ أباها ولم تُلحقْ بإخوتِها شَنارا

فلمّا سَمعته الجارية قالت أَحسنت يا أَخي ، أَعِد ، فأَعدتُه . فوثَبَتْ وقالت : أَنا إلى اللهِ تائبة ، واللهِ ما كنت لأفضح أبي ولا أرفعَ لإخوتي شناراً . فجَهَد الفتى في رجوعها فأبَت وخرجَت ، فقال لي : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ فقلتُ : والله ما هو شيء اعتمدتُه ، ولكنّه أُلقي على لساني لأمر أُريدَ بك وبها . هكذا في الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرتُه عن فُلَيح بن أبي العوراء ، فأخبرني اليزيديّ عن عمّه عبيد الله قال : كان إبراهيم بن سَعدان يؤدِّب ولد عليِّ بنِ هشامٍ ، وكان يغنّي بالعود تأدّباً ولعباً . قال : فوجّه إليّ يوماً عليّ بنُ هشام يدعوني ، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنَّرْد ، فرجعتُ عجِلاً ، فصاح بي : ادخل ، فدخلْت ، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه ، فقال : خذ عوداً وغنِّ لنا ، ففعلتُ ، ثم غنَّيتُ في وَسَط غنائي : [من الوافر]

مِن الخفِراتِ لم تَفضحْ أَباها ولم ترفَعْ لإخوتها شَنارا

فوثبت من بين يديه ، وغطّت رأسها ، وقالت : إنّي أُشهدُ اللهَ ، أنّي تائبة إليه ، ولا أَفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شَناراً . ففَتَر عليّ بن هشام ولم ينطقْ وخرجَتْ من حضرته ، فقال لي : ويلك ، مِن أين صبّك الله عليّ ؟ هذه مغنّية بغداد ، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلاّ اليوم ، فجئتني بهذا الصوت حتى هربَت . فقلت : والله ما اعتمدتُ مَساءتك ، ولكنّه شيء خطر على غير تعمّد .

صوت

[من الطويل]

أَمَسلَمَ إنّي يا ابنَ كلِّ خليفة ويا جبلَ الدُّنيا ويا ملِكَ الأَرضِ
شكرتُك إنَّ الشكرَ حظٌّ من التقى وما كلُّ مَن أوليتَه نعمة يَقضي

الشعر لأبي نُخَيلة الحِمانيّ ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ .

[439] ـ أخبار أبي نخيلة ونسبه[1]

[كنيته اسمه]

أبو نُخيلَة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجُنيد ، ذكر الأصمعيّ ذلك وأبو عمرو الشيبانيّ وابن حبيب ، لا يعرف له اسم[2] غيره ، وله كنيتان : أبو الجُنيد وأبو العِرماس ، وهو ابن حزن بن زائدةَ بن لقِيط بن هَرِم بن يَثرَبيّ ، وقيل : بن أثربي بنِ ظالِم بنِ مُجاسرِ بنِ حمّاد بنِ عبد العُزى بنِ كعبِ بن لُؤيّ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميم .

[عقوقه أباه]

وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

[اتصاله بمسلمة]

ولمّا خرج إلى الشام اتّصل بمَسْلَمة بن عبد الملك ، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بني هاشم ، ولَقّب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العبّاس ، وهجا بني أميّة فأكثر .

[يغري المنصور بخلع عيسى بن موسى]

وكان طامعاً نطفاً ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهديّ ، فوصله المنصور بألفي درهم ، وأمَره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى له ، فأدركه في طريق خراسان ، فذبحه وسلخ جلده[3] .

[يهجو عند المطل ويمدح عند الإجابة]

أخبرني هاشمٌ الخُزاعيّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال : رأى أبو نُخيلة على شَبيب حلّة فأعجبَته ، فسأله إيّاها ، فوعده ومطله ، فقال فيه : [من الرجز]

1 ترجمة أبي نخيلة الحماني الراجز في الشعر والشعراء : 501 والمؤتلف والمختلف : 296-297 وخزانة البغدادي 1 : 163-165 والسمط : 135 والموشح : 343-344 وطبقات ابن سعد : 63-64 وانظر أمالي اليزيدي : 198 وأمالي المرتضى 1 : 580 ، 582 وأعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 في الشعر والشعراء : يعمر ؛ وفي المؤتلف : يعمر بن حزن .

3 ل : وجهه .

يا قـومِ لا تُسوّدوا شبيباً الملذان الخائـنَ الكذوبا[1]
هل تلـدُ الذِّيبةُ إلاّ الذيبا

قال : فبلغه ذلك ، فبعث إليه بها فقال : [من الرجز]

إذا غدتْ سعـدٌ على شبيبِها على فتاهـا وعـلى خطيبِها
مِن مطلعِ الشمس إلى مغيبِها عجبتَ مـن كثرتها وطيبِها

[يخشى لسان خالد بن صفوان]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبيُّ عن عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني الرِّعل بن الخطّاب قال : بنى أبو نخيلة داره ، فمرَّ به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة ، ومودّة وكيدة ، فوقف عليه فقال أبو نخيلة : يا ابن صفوان ، كيف ترى داري ؟ قال : رأيتك سألتَ فيها إلحافاً ، وأنفقتَ ما جمعت إسرافاً . جعلتَ إحدى يديك سَطحاً ، وملأتَ الأُخرى سَلحاً ، فقلتَ : مَن وضع في سَطحي وإلاّ ملأتُه بسَلْحي ، ثم ولّى وتركه .

فقيل له : ألا تهجوه ؟ فقال : إذن واللهِ يركب بغلته ، ويطوفُ في مجالس البصرة ، ويصف أبنيتي بما يعيبها . وما عسى أن يضرَّ الإنسان صفةُ أبنيته بما يَعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة .

[تأدّب في البادية]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف عن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي مسلم المستملي عن الحِرمازيّ عن يحيى بن نجيم قال : لمّا انتفى أبو نُخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدّب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما ، وسار شعره في البدو والحضر ، ورواه الناسُ . ثم وفدَ إلى مَسْلَمة بنِ عبد الملك فرفع منه ، وأعطاه ، وشفع له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزلْ به حتى أغناه . قال يحيى بن نجيم : فحدَّثني أبو نُخيلة قال : وردت على مَسلمَة بن عبد الملك فمدحته ، وقلت له : [من الطويل]

أَمَسْلَمَ إنّـي يـا ابـنَ كلِّ خليفة ويـا فارسَ الهيجا ويا جبلَ الأرضِ
شكرتُك إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقى ومـا كلُّ مَـن أُوليتَه نعمة يَقضي
وأَلقيـتَ لمـا أن أتيتكَ زائـراً عليّ لحافـاً سابغَ الطـولِ والعرضِ
وأحييتَ لي ذكري وما كان خاملاً ولكـنّ بعض الذكر أنبهُ مِن بعضِ

[ينشد أرجوزة لرؤبة]

قال : فقال لي مسلمةُ : مِمّن أَنتَ ؟ فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وإنّما حظّكم في الرجز ؟ قال : فقلت له : أنا والله أرجز العرب ، قال : فأَنشدني من

---

1 الملذان : الذي لا يَصْدُقُ في مودته .

رجزك ، فكأنّي واللهِ لما قال ذلك لم أَقل رجزاً قطّ ، أنسانيه الله كلَّه ، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلاّ أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة ، فظننتُ أنّها لم تَبلغ مَسْلَمة ، فأَنشده ايّاها ، فنكس رأسه وتتعتعتُ ، فرفع رأسه إليّ وقال : لا تُتعبْ نفسَكَ ، فأنا أروَى لها منك . قال : فانصرفتُ وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطّفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفني وقرّبني . وما رأيتُ ذلك أثّر فيه ، يرحمه اللهُ ولا قرّعني به حتى افترقنا .

[مزيد من مدحه لمسلمة]

وحدَّثني أَبو نُخيلة قال : لّما انصرف مَسْلَمة من حرب يزيدَ بنِ المهلّب تلقيته ، فلمّا عاينته صحت به : [من الرجز]

مَسْلَم يـا مَسْلَمةَ الحـروبِ ... أَنت المصفَّى من أَذى العيوبِ
مُصاصةٌ مـن كَـرَم وطيب ... لـولا ثقاف ليس بالتدريبِ[1]
تفري به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمّـة شاءَ الذيبِ

فضحك وضمّني إليه ، وأَجزل صلتي .

[رجل من عشيرته يوصله إلى هشام]

حدَّثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا عبدُ الرحمن ابنُ أَخي الأَصمَعيّ عن عمّه ، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد النَّوفليّ عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعيّ ، قال : قال أبو نُخيلة : وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات ، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب ، فسألت عن أخص النّاس به ، فذُكِر لي رجلان : أحدهما من قيس ، والآخر من اليمن ، فعدلْتُ إلى القيسيّ بالنزارية فقلت : هو أقربهما إليّ ، وأجدرهما بما أُحب ؛ فجلست إليه ، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له : إنِّي مستثيبك لتمَسّني رحِمك .

أنا رجلٌ غريبٌ شاعرٌ من عشيرتك ، وأنا غيرُ عارفٍ بأخلاقِ هذا الخليفة ، وأَحببتُ أَن ترشدني إلى ما أعمل فينفعُني عنده ، وعلى أن تشفعَ لي وتوصلني إليه . فقال : ذلك كلُّه لك عليّ . وفي الرجل شِدّة ، ليس كَمَن عهدتَ من أهله ، وإذا سئل وخُلِط مدحه بطلبٍ حَرم الطالب ، فأخلص له المدح ، فإنه أجدَر أن ينفعَك ، واغد إليه غداً فإنِّي منتظرك بالباب حتى أوصلك ، واللهُ يعينكَ . فصرتُ من غد إلى باب هشام ، فإذا بالرجل منتظر لي ، فأدخلني معه ، وإذا بأبي النّجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله[2] : [من الرجز]

1 الثقاف : آلة تسوّى بها الرماح .

2 ديوان أبي النجم (صادر) : 275–276 .

إلى هشام وإلى مروانِ بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفّاكَ بالجودِ تباريان كما تبارى فرسا رِهانِ
مالَ عليّ حَدَثُ الزّمانِ وبيعَ ما يغلو من الغلمانِ[1]
بالثمنِ الوَكْسِ من الأثمانِ والمهر بعد المُهر والحصانِ[2]

قال : فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجرَ هشام ، وتبيّنتُ الكراهة في وجهه ، ثم استأذنتُ فأذِن لي : فأنشدته : [من الرجز]

لمّا أتتني نغيةٌ كالشّهدِ والعسلِ الممزوجِ بعد الرقدِ[3]
يا بَرْدَها لُمشْتَفٍ بالبَرْدِ رفعْت من أطمارِ مستعِدِّ
وقلتُ لِلْعِيسِ اعتلي وجِدّي فَهْي تَخدّى أبرح التخدّي[4]
كم قد تعسّفتُ بها من نجد ومُجْرَهِدّ بعد مُجْرَهِدِّ[5]
قد ادّرَعْنَ في مَسير سَمْد ليلاً كلَون الطيلسان الجَرْدِ[6]
إلى أميرِ المؤمنينَ المُجدي رَبِّ مَعَدّ وسوى معدِّ
مِمّن دَعا مِن أصيدٍ وعبد ذي المجدِ والتشريفِ بعد المجدِ
في وجهه بدرٌ بدا بالسّعدِ أنت الهُمام القَرْمُ عند الجدِّ
طُوِّقتها مجتمِع الأشُدّ فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعدِ

قال : حتى أتيت عليها وهممتُ أن اسأله ، ثم عزَفَتْ نفسي وقلت : قد استنصحتُ رجلاً ، وأخشى أن أخالفه فأخطىء ؛ وحانت منّي التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً . فلمّا فرغتُ أقبلَ على جلسائه فقال : الغلامُ السّعديّ أشعر من الشيخ العِجْليّ ، وخرجت . فلمّا كان بعدَ أيام أتتني جائزته ، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إيّاها فألقى عليّ جُبّةَ خزّ من جِبابه مبطنةً بِسَمّور ، ثم دخلت عليه يوماً آخر ، فكساني دُوّاجا[7] كان عليه من خزّ أحمر مبطنٍ بسَمّور ، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلمْ يأمرْ لي بشيء ، فحملتني

1 الديوان : حدب الزمان ، أي شدّته ومشقّته .
2 الوكس : البخس .
3 نغية : نغمة ، وفي رواية : لما سمعت . والرقد : الرقاد .
4 تخدّى : تسرع . وفي الخزانة : أحسن التخدي .
5 مجرهد : مكان لا نبات فيه .
6 سمد : مستمر . والجرد : الخلق .
7 الدواج : الثوب الواسع .

نفسي على أن قلت له : [من الرجز]

كسوتنيهـا فهـي كالتِّجفافِ   من خزكَ المصونـةِ الكِثافِ[1]
كأنّني فيهـا وفي اللِّحافِ   من عبدِ شمس أو بنـي منافِ
والخَزُّ مشتاقٌ إلى الأفوافِ[2]

قال ، فضحك ، وكانت عليه جبّة أفواف ، وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إليّ ، وقال : خُذها ، فلا بارك الله لك فيها .

[يغير أرجوزته ليجعلها في السفاح]

قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة : فلمّا أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيّرها وجعلها فيه ، يعني الأرجوزة الداليّة ، فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح .

[الفرزدق يفضل السجن على شفاعته]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثني أبو عمر الخصاف عن العتبيّ قال : لّما حبَس عمرُ بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يُشفّع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نُخَيلة في يوم فِطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول : [من الرجز]

أُطلقـتَ بـالأمس أسير بَكرِ   فهـل ، فَداك نَفَري وَوفْري
مِن سببٍ أو حُجّـة أو عذرِ   يُنْجي التميميَّ القليـلَ الشكرِ
من حَلَـق القَيدِ الثِّقالِ السُّمرِ   ما زالَ مجنوناً على استِ الدَّهرِ
ذا حسب ينمو وعقـل يحري[3]   هبـه لأخوالك يـومَ الفطرِ

قال : فأمر بإطلاقه ، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر[4] قد أفسد ، فشفعَتْ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه . وإيّاه عنى أبو نُخَيلة . فلمّا أُخرِج الفرزدق سأل عمَّن شفع له فأُخبر ، فرجع إلى الحبس وقال : لا أريمه ولو متّ . انطلق قَبلي بكري وأُخرجتُ بشفاعة دَعيّ ، والله لا أخرجُ هكذا ولو من النار . فأُخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه ، وقال : وهبتك لنفسك . وكان هجاه فحبسه لذلك ، فلمّا عُزِل ابن هُبيرة وحُبس مدحه الفرزدق ، فقال : ما رأيت أكرم منه ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

[كانت الشفاعة في غير الفرزدق]

وجدتُ هذا الخبرَ بخَطّ القاسمِ بنِ يوسف ، فذكر أنّ أبا القاسم الحضرَميّ حدَّثه أنّ هذه

1 التجفاف : آلة للحرب تلبسها الفرس والإنسان للوقاية .
2 الأفواف : البرود اليمانية والثياب الرقيقة .
3 يحري : ينقص .
4 عين التّمر : بلدة قريبة من الأنبار .

القصّة كانت لأبي نُخيلة مع يزيدَ بن عُمرَ بنِ هُبيرة ، وأنّه أُتي بأسيرين من الشُّراة أُخذا بعين التمر : أحدهما أبو القاسم بنُ بِسطام بن ضِرار بن القعقاع بن معبَد بن زُرارة ، والآخر رجل من بكر بن وائل . فتكلّم في البكريّ قومُه فأطلقه ، ولم يتكلّمْ في التميميّ أحدٌ ، فدخل عليه أبو نُخيلة فقال : [من الرجز]

الحمـــدُ للهِ وليِّ الأمـــــــرِ هـو الذي أخـرج كلَّ غِمْرِ[1]
وكلَّ عُـوّار وكلَّ وَغْــــرِ من كلِّ ذي قلب نقيِّ الصدرِ[2]
لّما أتــتْ مــن نحوِ عينِ التمرِ سِتُّ أثــاف ، لا أثافي القِدرِ
فظلّت القضبانُ فيهـم تجـري هَبْراً هـو الهبر وفـوق الهبرِ
إنِّــي لمهــدٍ للإمــامِ الغَمْرِ شعري ونُصحَ الحبّ بعد الشعرِ[3]

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذُكرت في الخبر المتقدّم .

[هجاء الضيف]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ أحمدُ بنُ محمد قال : حدَّثني محمد بن صالح بن النّطاح قال : ذكر عن العتبيّ أنّ أبا نُخَيلة حجّ ومعه جَرِيب من سَوِيق قد حلاّه بِقَنْد[4] ، فنزل منزِلاً في طريقه ، فأتاه أعرابيّ من بني تميم وهو يقلب ذلك السّويق ، واستحيا منه فعرض عليه ، فتناول ما أعطاه فأتى عليه ، ثم قال : زِدني يا ابن أخ ، فقال أبو نُخَيلة : [من الرجز]

لَـمّـا نزلنـا منـزلاً ممقوتـاً نُريــدُ أن نَرحــلَ أو نبيتـا
جئتَ ولم نَدْرِ مــن اينَ جيتا إذا سقيـــتَ المُزبـد السّحتيتـا
قلت ألا زِدني وقـد رَويتـا

فقام الأعرابيّ وهو يسبّه .

وحدَّثني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان أبو نُخَيلة إذا نزلَ به ضيف هجاه . فنزل به يوماً رجل من عشيرته ، فسقاه سويقاً قد حلاّه ، فقال له : زِدني ، فزاده . فلمّا رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها ، وقال في الخبر قال أبو عبيدة : السِّحتيت : السويق الدُّقاق .

---

1 الغمر : الحقد .
2 العوار : يعني هنا الفساد والشر . والوغر : الضغينة .
3 الغمر هنا : الكريم الخلق .
4 القند : عسل قصب السكر الجامد .

[اعتذاره من مدح الأمويين]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال : حدَّثني ابن عائشة قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس السفّاح فسلَّم ، واستأذن في الإنشاد ، فقال له أبو العبّاس : لا حاجة لنا في شِعرك ، إنّما تنشدنا فضلات بني مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

كنّـا أُناساً نرهـبُ الأملاكا إذ ركبوا الأعنـاق والأوراكا

قـد ارتَجَينـا زمنـاً أباكا ثُـمَّ ارتجينـا بعـدَه أخاكا

ثـم ارتجينـا بعـده إيّاكا وكان مـا قلتُ لِمَن سواكا

زُوراً فقـد كفّر هـذا ذاكا

فضحك أبو العبّاس ، وأجازه جائزةً سنيّة ، وقال : أجل ، إنّ التوبةَ لتكفرُ ما قبلها ، وقد كفّر هذا ذاك .

وأخبرنا أبو الفيّاض سَوّار بن أبي شراعة قال : حدَّثني أبي عن عبد الصمد بن المعذَّل عن أبيه قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس ، قال وكان لا يجترىء عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مَسْلمة إيّاه ، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علِم أنّه قد عفا عمّن هو أكبرُ محَلاً من القومِ وأعظم جرماً منه . فلمّا وقف بين يديه سلَّم عليه ، ودَعا له وأثنى ، ثم استأذنه في الإنشادِ ، فقال له : ومَن أنتَ ؟ قال : عبدك يا أميرَ المؤمنين أبو نُخيلة الحِمّانيّ . فقال : لا حيّاكَ اللهُ ، ولا قرَّب دارك يا نضْو السوء . ألستَ القائل في مَسْلمةَ بنِ عبد الملكِ بالأمس : [من الطويل]

أَمَسْلَم يـا مـن سادَ كلَّ خليفةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا قمرَ الأرضِ ؟

واللهِ لولا أنّي قد أمّنت نظراءك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أخضِبَك بدمِك . فقال أبو نُخيلة : [من الرجز]

كنّا أُناساً نرهب الأملاكا

وذكر الأبيات المتقدّمة كلَّها مثل ما مضى من ذكرها . فتبسّم أبو العبّاس ، ثم قال له : أنت شاعر وطالب خير ؛ وما زال النّاس يمدحون الملوك في دولهم ، والتوبة تكفرُ الخطيئةَ ، والظَّفرُ يزيلُ الحقدَ . وقد عفَونا عنك ، واستأنفنا الصنيعة لك . وأنتَ الآن شاعرنا فاتَّسِم بذلك فيزولَ عنك مِيسم بني مروان ، فقد كفّر هذا ذاك ، كما قلت . ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال : يا مرزوق ، أدخله دار الرقيق فخيّره جارية يأخذها لنفسه . ففعل واختار جاريةً وطفاءَ[1] كثيرةَ اللحمِ فلم يحمدْها ، فلمّا كان من غد دخل على أبي العبّاس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذبّ عنه ، فقال له : قد عرفتُ خبر الجارية التي أخذتَها بالأمس وهي

1 الوطفاء : الكثيرة شعر الحاجبين .

كذناكونه فاحتفظ بها ، فأنشأ يقول : [من الرجز]

إنِّـي وجـدتُ الكذناذَنُوَّكا غيرَ مَنيـك فابغنـي مُنَيَّكا
حتـى إذا حركتُـه تَحَرَّكا

فضحك أبو العبّاس ، وقال : خُذ هذه الوصيفة ، فإنّك إذا خلوتَ بها تَحرّك من غير أن تحرّكه .

[هرب من دين باليمامة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عُبيدة قال : ادّان أبو نُخيلة من بقّال له يقال له : ماعزٌ الكلابيُّ باليمامة ، وكان يأخذ منه أوّلاً أوّلاً ، حتى كثر ما عليه وثقل ، فطالبه ماعز فمطلَه ، ثم بلغه أنّه قد استعدى عليه عامل اليمامة ، فارتحل يريد الموصل ، وخرج عن اليمامة ليلاً ، فلم يعلم به ماعز إلاّ بعد ثلاث . وقد نجا أبو نُخَيلة وقال في ذلك : [من الرجز]

يا ماعزَ الكُرّاثِ قـد خزيتـا لقـد خدعت ولقـد هجيتا
كِـدتَ تَخصينا فقد خُصيتا وكنتَ ذا حظّ فقـد مُحيتا
ويحَـكَ لم تعلمْ بمَـن صُليتا ولا بـأيّ حَجَـر رُميتـا
إذا رأيـت المُزبـدَ الهَبوتـا يركب شِدْقاً شَدْقماً هَريتا[1]
طِـرْ بجناحيـك فقـد أُتيتا حَـرّان حـرّان فهيتاً هِيتا
والموصلَ الموصلَ أو تَكْريتـا حيـثُ تبيع النَبـطُ البيوتا[2]
ويأكلـونَ العـدَسَ المَـريتا[3]

وقال أيضاً لماعز هذا : [من الرجز]

يـا ماعـزَ القَمل وبَيتَ الذّلّ بِتْنا وباتَ البغـل في الإصطبلِ
وبـاتَ شيطانُ القوافي يُمْلي على امرىء فَحْلٍ وغيرُ فحلِ
لا خيرَ في عِلمي ولا في جهلي لو كان أُودَى ماعـز بنخلي
مـا زال يَقلِيني وعَيْمي يغلي حتى إذا العَيم رمَى بالجفلِ[4]

---

1 الهبوت : القاهر . الشدقم : الواسع وكذلك الهريت .
2 حران وهيت وتكريت : أسماء مدن .
3 المريت : المجروش .
4 العيم : شدّة العطش وشهوة اللبن . وفي بيروت : وعمّ يقلي . والجفل : الجرف والقشر . ومعناه أن الغضب جعله يقلي ويرمي بالقبيح .

طبّقـت تطبيق الجُراز النصلِ[1]

[يمدح الربيع وسائسه]

نسخت من كتاب اليوسفيّ . حدّثني المنمقُ بن جمّاع عن أبيه قال : كان أبو نُخَيلة نَذلاً يرضيه القليل ، ويسخطه ، وكان الربيع يُنزله عنده ، ويأمر سائساً يتفقّد فرسه ، فمدح الربيع بأرجوزة ، ومدح فيها معه سائسه فقال : [من الرجز]

لولا أبو الفضل ولولا فضلُه ما اسْطِيع باب لا يُسنّى قُفْلُهُ
ومـن صلاح راشد إصطبلُه نِعـمَ الفتى وخيرُ فعـل فعلُهُ
يَسْمَن منـه طِرفـه وبغلُهُ

فضحك الربيع ، وقال : يا أبا نُخَيلة أترضى أن تَقرِنَ بي السائس في مديح ؟ كأنّك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك .

[يمدح الخباز]

قال : ونزل أبو نُخَيلة بسليمان بن صعصعةَ ، فأمر غلامه بتعهّده ، وكان يغاديه ويراوحه في كلّ يوم بالخبز واللحم ، فقال أبو نخيلة يمدح خبّاز سُليمانَ بنِ صعصعة : [من الرجز]

بـارَك ربِّـي فيكَ من خبّازِ ما زلت إذ كنتَ على أوفازِ[2]
تنصبُّ باللحمِ انصباب البازِ

[شعره وقد رأى اجتهاد العمّال في أرض له]

أخبرني هاشم بنُ محمّدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المعذَّل عن عليّ بن أبي نُخَيلة الحِمانيّ قال : دخلتُ مع أبي إلى أرض له وقد قدِم من مكّة ، فرآها وقد أضرَّ بها جفاء القيِّم عليها وتهاونه بها ، وكلّما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعِمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف ، فقلت : الساعةَ يقول في هذا شعراً ، فلم ألبث أن التفت إليّ وقال : [من الطويل]

شاهـد مـالاً رَبُّ مـالٍ فساسَهُ سياسة شهم حـازم وابـن حازمِ
أقامَ بها العصْرينِ حينـاً ولم يكن كمَن ضنَّ عن عُمرانهـا بالدّراهمِ
كأنَّ نقيضَ الليـفِ عـن سعفاته نقيضُ رحـال المَيسِ فوق العياهمِ[3]

1 الجراز : السّيف القاطع .

2 على أوفاز : معجل . والوفز : المكان المرتفع .

3 نقيض الرحال : صوتها ، والميس : التبختر . العياهم : جمع عيهم ، وهو الناقة الشديدة السريعة .

وأضحتْ تغــالى بالنبــاتِ كأنّها على متنِ شيخ من شيوخ الأعاجمِ[1]

وما الأصل مــا روّيتَ مضرب عِرقه مــن الماء عــن إصلاح فرع بنائمِ

أخبرني بهذا الخبر محمدُ بنُ مزيد عن أبي الأزهر البُوشَنجيّ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق الموصليُّ عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس[2] بن أرطاة ، وهو ابن أُخت أبي نُخيلة ، فذكر قريباً مِمّا ذُكِر في الخبر الذي قبله .

[يهجو ويمدح]

وأخبرني عيسى بن الحسن الورّاق المَرْوَزيُّ قال : حدَّثنا عليُّ بنُ محمد النَّوفليّ قال : حدَّثني أبي قال[3] : ابتاع أبو نُخَيلة داراً في بني حِمّان ليصحّح بها نسبَه ، وسأل في بنائها ، فأعطاه النّاسُ اتّقاء للسانه وشرّه ، فسأل شبيب بن شبة فلم يعطِه شيئاً واعتذر إليه ، فقال : [من الرجز]

يا قــومِ لا تسوّدوا شبيباً المَلَــذانَ الخائــنَ الكذوبا

هل تلــدَ الذِّيبةُ إلاّ الذيبا

فقال شبيبُ : ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً ، فإنّه قد جعل إحدى يديه سطحاً ، وملأ الأُخرى سلحاً ، وقال : مَن وضع شيئاً في سطحي وإلاّ ملأته بسلحي ، من أجل دار يريد أن يصحّح نسبه بها ، فسفر بينهما مشايخ الحيّ حتى يعطيَه ، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئاً ، وحلف أبو نُخَيلة ألاّ يكفّ عن عِرضه أو يأخذَ منه شيئاً يستعين به . فلمّا رأى شبيب ذلك خافه ، فبعث إليه بما سأل . وغدا أبو نُخيلة عليه وهو جالس في مجلسِه مع قومه ، فوقف عليهم ، ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

إذا غــدَتْ سعــدٌ على شبيبها على فتاهــا وعــلى خطيبِهــا

مِن مطلعِ الشمسِ إلى مغيبِها عجبْــتُ مــن كثرتِها وطيبها

[حكاية انتحاله أرجوزة مرّة أخرى]

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُرَيد قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال : دخَلَ أبو نُخَيلة على عُمَر بنِ هبَيْرة ، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأنشد أبو نُخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أبا نُخيلة ، أيَّ شيء أحدثتَ بعدنا ؟ فاندفع يُنشده أرجوزة لرؤبة ، فلمّا توسّطها كشف رؤبة الستر ، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له : كيف أنتَ يا أبا نُخَيلة ؟ فقطع إنشاده وقال : بخير أبا العجّاج ، فمعذرة إليك ما علمتُ بمكانَك .

1 تغالى : ترفع إلى أقصى الغاية كما يغالى بالسهم .

2 ل : مخيس .

3 تقدّم خبر هجائه ومدحه شبيباً لمناسبة غير هذه .

فقال له رؤبةُ : ألم ننهَكَ أن تعرِض لشعري إذا كنتُ حاضراً ، فإذا ما غبتُ فشأنك به ! فضحك أبو نُخيلة ، وقال : هل أنا إلاّ حسنة من حسناتك ، وتابعٌ لك ، وحامل عنك . فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع ، ولم يراجعه حرفاً . والله أعلم .

[يريد صلة على المديح وأخرى على الشبه]

أخبرني هاشم بنُ محمد قال : حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة : أنّ أبا نُخَيلة قدِم على المهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ ، وكان أبو نُخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجِسماً وقامة ، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرّق بينه وبين الآخر ، فدخل عليه فأنشده قوله فيه : [من الرجز]

يـا دارَ أمّ مالك ألا اسلمي ... على التنائيّ من مُقام وانعَمي
كيف أنا إنْ أنتِ لم تَكلّمي ... بالوحْي أو كيف بأن تجمجمي
تقـولُ لي بنتي مـلامَ اللُّوَّم ... يـا أبتـا إنّـك يوماً مؤتمي
فقلت كلاّ فاعلمي ثم اعلمي ... أنّـي لِميقات كتـاب محكَم
لو كنتُ في ظلمة شَعب مظلم ... أو في السماءِ أرتقـي بسلَّم
لانصبَّ مقداري إلى مُجْرَنثَمي ... إنّي وربّ الراقصاتِ الرسَّم[1]
وربِّ حـوض زمزم وزمزم ... لأستبين الخيرَ عنـد مَقدَمي[2]
وعنـد تَرحاليَ عـن مُخيَّمي ... عَلى ابنِ عبد الله قَرْمِ الأقرمِ
فإنّنـي بالعِلـمِ ذو ترسُّم ... لم أدرِ مـا مهاجـرُ التكرّم
حتى تبيَّنت قضايـا الغشّم ... مُهاجرُ يـا ذا النّوال الخِضرِمِ
أنتَ إذا انتُجعتَ خيرُ مُغْنِـم ... مُشترَكُ النائـل جـمُّ الأنعُمِ
ولِتَميمٍ منـك خير مُقْسَم ... إذا التقوا شتـى معـاً كالهُيَّم
قـد عَلِـم الشام وكلُّ موسم ... أنّـكَ تحلو لي كحلو المعجَمِ
طوراً وطوراً أنتَ مثلَ العلقمِ

قال ، فأمر له المهاجر بناقة ، فتركها ومضى مغضباً ، وقال يهجوه : [من الرجز]

إنّ الكلابـيّ اللئيـم الأثرما ... أعطى على المِدْحَةِ نابا عِرْزِما[3]
مـا جبرَ العظـم ولكن تمّما

---

1 مجرنثمي : مستقري ، واجرنثم : سقط من علو إلى أسفل .

2 لأستبين في ل : لآتينّ الخير .

3 الناب العرزم : التي هزلها الكبر . وعلى المدحة في ل : على مدحيه .

فبلغ ذلك المهاجرُ ، فبعث فترضّاه ، وقام في أمره بما يحبّ ، ووصله ، فقال له أبو نُخَيلة : هذه صلة المديح ، فأين صلة الشَّبَه ؟ فإنّ التشابه في النّاس نسبٌ . فوصله حتى أرضاه ، فلم يزلْ يمدحه بعد ذلك حتى مات ، ورثاه بعد وفاته فقال : [من الطويل]

خليلَيّ ما لي باليمامةِ مقعدٌ ولا قُرَّةٌ للعينِ بعد المهاجرِ
مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا على ابنِ سبيل مزمِع البيْنِ عابرِ
فإن تكُ في مَلحودة يا ابنَ وائلٍ فقد كنتَ زينَ الوفدِ زينَ المنابرِ
وقد كنتَ لولا سَلُّك السيف لم ينَم مقيم ولم تأمنْ سبيلُ المسافرِ
لَعَزَّ على الحيَّين قيسٍ وخِندفٍ تَبكِّي عليٌّ والوليد وجابرِ
هوى قمرٌ من بينهم فكأنّما هوى البدر من بين النجوم الزواهرِ

[خاصمته أخته فهجاها]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : تزوَّجَت أخت أبي نُخيلة برجل يقال له ميار ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالِها مع مالِه ، ويرعى سَوامها مع سَوامه ، ويستبدّ عليها بأكثر منافعها ، فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك . فأنشأ يقول : [من الرجز]

أَظلُّ أرعى وتُراهِزينا مُلَملَما ترى له غضونا[1]
ذا أُبَنٍ مقوماً عُثنونا يطعنُ طعناً يقضبُ الوتينا[2]
ويهتك الأعفاجَ والرُّبينا يذهب ميّار وتقعدينا[3]
وتفسدين أو تُبَذِّرينا وتمنحين استك آخرينا
أَيرُ الحمارِ في استِ هذا دينا

[ولدت امرأته بنتاً فطلّقها ثم راجعها]

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : تزوّج أبو نُخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتاً ، فغمّه ذلك ، فطلّقها تطليقة ثم ندِم ، وعاتبه قومه فراجعها . فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأُمُّها تلاعبها ، فحرّكه ذلك ورَقَّ لها ، فقام إليها فأخذها ، وجعل ينزيها ويقول : [من الرجز]

يا بنتَ مَن لم يَكُ يهوى بنتا ما كنتِ إلاّ خمسة أو سِتا

---

1 ململم : مجتمع مدور .
2 أبن : عقد كالتي في العود . والوتين : عرق في القلب .
3 والرُّبينا في ل : الرئينا .

حتى حللتِ في الحشى وحتى ... فَتَتِّ قلبي مِـنْ جوًى فانفتّا[1]
لأُنــتَ خيرٌ مــن غلام أَنتى ... يُصبح مخموراً ويمسي سَبَتا[2]

[أحبّ النساء]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ قال : حدَّثنا أبو هِفان قال : حدَّثني أصحابنا الأهتميّون قالوا : دخل عِقال بنُ شَبّة المجاشعيّ على المهديّ فقال له : يا أبا الشَّيظم ، ما بقى من حبك بناتِ آدم ؟ وما يعجبك منهنّ ؟ التي عُصِبت عَصْب الجانّ[3] ، وجُدِلَت جَدْلَ العنان ، واهتزّتِ اهتزاز البان ، أم التي بَدُنت فعظمت وكمَلت فتمّت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحبُّهما إليَّ التي وصفها أبو نُخيلة ، فإنّه كانت له جاريةٌ صغيرةٌ وهبَها له عَمُّك أبو العبّاس السفاح ، فكان إذا غشيها صغرت عنه ، وقلَّتْ تحته ، فقال : [من الرجز]

إنّي وجــدتُ الكذناذَنوّكا ... غيرَ منيــك فابغنـي منيّكا
شيئـاً إذا حرّكتـــه تحرّكا

قال ، فوهب له المهديّ جارية كاملة فائقة متأدّبة بديعة ، فلمّا أصبح عِقال غدا على المهديّ متشكّراً ، فخرج المهديّ وفي يده مُشط يُسرّح به لحيته وهو يضحك . فدَعا له عِقال وقال له : يا أمير المؤمنينَ مِمَّ تضحك ؟ أدام اللهُ سرورك . قال : يا أبا الشيظم ، إنّي اغتسلت آنفاً من شيء إذا حرّكته تحرّك ، وذكرتُ قولك الآن لمّا رأيتك ، فضحكت .

[رثاء الجنيد المرّي]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسم العجليّ البرتيُّ قال : حدَّثني أبو هفّان قال : حدَّثتني رقيةُ بنت حَمَلٍ عَن أبيها قالت : كان أبو نُخيلة مدّاحاً للجنيدِ بن عبد الرحمن المـريِّ ، وكان الجنيدُ له محبّاً ، يكثر رفده ويقرّب مجلسه ، ويحسن إليه . فلمّا مات الجنيد قال أبو نُخيلة يرثيه : [من الطويل]

لعمري لئن رَكبُ الجنيد تحملوا ... إلى الشام من مرٍّ وراحَت ركائبُهْ[4]
لقد غادرَ الركبُ الشآمون خلفهم ... فتــى غطفانيّــاً يُعلــل جانبُـهْ

1 ل : فتت في القلب جوى فانفتا .
2 أنتى : تأخّر . السبت : النوّام .
3 الجان : ضرب من الحيات .
4 ركائبه في ل : كتائبه .

فتـــى كان يسري للعدوّ كأنّما سُروب القطا في كلِّ يوم كتائبُهْ[1]
وكان كأن البـــدرَ تحـــت لوائـــه إذا راحَ في جيشٍ وراحَتْ عصائبُهْ

[حبه لابنه علي]

أخبرنا محمدُ بنُ جعفرٍ قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسم قال : حدَّثني أبو هِفّانَ عن عبدِ الله بنِ داودَ عن عليِّ بن أبي نُخيلة ، قال : كان أبي شديد الرقة عليَّ معجباً بي ، فكان إذا أكل خصّني بأطيب الطعام ، وإذا نام أضجعني إلى جنبه ، فغاظ ذلك امرأته أمَّ حمّاد الحنفيةَ ، فجعلت تعذُله وتؤنبه ، وتقول : قد أقمتَ في منزلك ، وعكفتَ على هذا الصبيّ ، وتركت الطلب لولدك وعيالك . فقال أبي في ذلك : [من الوافر]

ولـــولا شهوتـــي شَفَتَيْ عليٍّ رَبعتُ على الصحابةِ والركابِ
ولكـــنّ الوسائـــلَ مـــن عليٍّ خلَصنَ إلى الفؤادِ من الحجابِ

قال ، فازدادت غضباً ، فقال لها :

وليس كأمّ حمّـــاد خليـــلٌ إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
منعمـــةً أرى فتقـــرّ عينـــي وتكفيني خلائقُهـــا عتـــابي

فرضيت وأمسكت عنّا .

[لولا أبان هلكت نمير]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بن عبد الملك قال حدَّثني سهلُ بنُ زكريا قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أحمدَ الباهليُّ قال : قال أبان بنُ عبدِ الله النميري يوماً لجلسائه ، وفيهم أبو نُخيلة : واللهِ لَوددتُ أنّه قيل فيَّ ما قيل في جرير بن عبد الله : [من الرجز]

لولا جريـرٌ هَلَكَتْ بجيلَهْ نِعمَ الفتى وبئست القبيلَهْ

وأنّني أثبت على ذلك مالي كلّه ، فقال له أبو نُخيلة : هَلُم الثواب ، فقد حضرني من ذلك ما تريد ، فأمر له بدراهم : فقال : اسمع يا طالب ما يخزيه : [من الرجز]

لـــولا أبانٌ هلكت نُمَيرُ نعم الفتى وليس فيهم خَيرُ

[لا يؤذن له على أبي جعفر]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنَ عُليل العنَزيُّ قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ خالدٍ المازنيُّ عن أبي عبيدة قال : وقف أبو نُخيلة على باب أبي جعفر واستأذن ، فلم يصلْ ، وجعلت الخراسانيّة تَدخل وتخرج ، فتهْزأُ به ، فيرون شيخاً أعرابيّاً جلفاً فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت أبا نُخيلة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

1 سُروب في ل : عجاج القطا .

أصبحتُ لا يملكُ بعضي بعضاً أَشكو العُروق الآبضات أَبضا[1]
كما تَشكّى الأرحبيُّ الغرْضا كأنّما كان شبابي قَرضا[2]

فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة ؟ فقال : [من الرجز]

أَكثرُ خلق اللهِ مَن لا يُدرى مِن أيّ خلق الله حين يُلْقى
وحُلّةٌ تُنشرُ ثم تُطوى وطيلسانٌ يُشتَرى فيُغْلى
لعبدِ عبدٍ أو لمولى مولى يا ويحَ بيتِ المالِ ماذا يَلقى

[هبات أبان بن الوليد]

وبهذا الإسناد عن أَبي عبيدة أنّ أَبا نُخيلة قدِم عَلى أَبانِ بنِ الوليد فامتدحه ، فكساه ووهب له جارية جميلة ، فخرج يوماً من عنده ، فلقيَه رجل من قومه ، فقيل له : كيف وجدتَ أبانَ بن الوليد يا أبا نُخيلة ؟ فقال : [من الرجز]

أَكثرَ واللهِ أَبانٌ مَيْري ومن أَبانِ الخيرِ كلُّ خيري
ثوبٌ لِجِلدي وحِرٌ لأَيري

[العسل والماء البارد دواء التخمة]

نسخت من كتاب اليوسفيّ حدَّثني خالدُ بنِ حميدٍ عن أَبي عمرٍو الشيبانيِّ قال : أَقحمت السنَة أَبا نُخَيلة فأَتى القعقاع بن ضِرار ، وهو يومئذٍ على شُرطة الكوفة ، فمدحه ، وأَنزله القعقاعُ بن ضِرار وابنَيه وعبدَيه وركابَهم في دار ، وأَقام لهم الأنزال ، ولِركابهم العُلوفَة . وكان طباخ القعقاع يجيئُهم في كلِّ يوم بأربع قصاع ، فيها أَلوان مطبوخة من لحوم الغنم ، ويأتيهم بتَمر وزُبد . فقال له يوماً القعقاع : كيف منزلك أَبا نُخيلة ، فقال : [من الرجز]

ما زال عنّا قَصَعاتٌ أَربعُ شَهرين دَأْبا ذُوِّد ورجعُ
عَبداي وابناي وشيخٌ يرفعُ كما يقومُ الجَملُ المطبَّعُ[3]

قال : وكان أَبو نُخيلة يكثر الأَكل فأصابته تُخَمَة ، فدخل على القعْقاع فسأَله : كيف أَصبحت أبا نخيلة ؟ فقال : أصبحتُ والله بشماً ، أمرْتَ خبازك فأتاني بهذا الرّقاق الذي كأنّه الثياب المبلولة ، قد غمسه في الشحم غمساً ، وأتبعه بزبد كرأس النعجةِ الخُرْسيّة ، وتمرٍ كأنّه عَنز رابضة ، إذا أخذْتُ التمرة من موضعها تَبِعها من الرُّبِّ كالسلوك الممدودة ؛

1 الآبضات : المتقبضة .
2 الأرحبي : النجيب ، نسبة إلى قبيلة أرحب . الغرض : حزام الرحل .
3 الجمل المطبع : المثقل بالحمل .

فأمعنت في ذلك ، وأعجبني حتى بَشِمتُ ، فهل من أَقداح جياد ؟ وبين يدي القعقاع حجّام واقف وسُفرةٌ موضوعة فيها المواسي ، فإذا أُتي بِشُرّاب النبيذ حلقَ رؤوسهم ولحاهم . فقال له القعقاع : أتطلب منّي النّبيذ وأنتَ ترى ما أَصنع بِشرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال : [من الرجز]

قــد علِـمَ المظَـــلّ والمبيتُ أنّي مِن القعقاع فيما شِيتُ
إذا أتــتْ مائــدةٌ أُتيــتُ بِبِـــدَع لست بهـــا غُذِيتُ
وُلِّيتُ فاستشفِعتُ واستُعدِيتُ كأنّنـــي كنـت الذي ولِّيتُ
ولـــو تمنّيــتُ الذي أعطيتُ ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقيتُ
أَيا ابـــن بيتٍ دونَه البيوتُ أقصرْ فقد فوق القِرى قُريتُ
مـا بين شرابي عسلٌ منعوتُ ولا فُـــرات صَـــرِد بيّوتُ[1]
لكنّني في النـــومِ قـــد أُريتُ رطـــلَ نبيذ مُخفِس سُقيتُ[2]
صلبـاً إذا جاذبتـه رويتُ

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه ، وأَوْمأ إلى إسماعيل ، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فسقاه حتى صلح .

[يمدح السفاح ويغضب الجالسين]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا قَعنبُ بنُ المحرزِ وأَبو عمرٍو الباهليُّ قالا : حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس السفاح ، وعنده أبو صفوانَ إسحاقُ بنُ مسلمٍ العُقيليُّ ، فأنشده قوله : [من الرجز]

صادتْك يــومَ الرملتين شَعْفَرُ وقــد يصيدُ القانصَ المزعفَرُ[3]
يـــا صورةً حسّنهـــا المصوّر لِلرِّيم منها جيدُهـا والمَحجَرُ

يقول فيها في مدح أبي العبّاس :

حتى إذا ما الأوصياءُ عسكروا وقام مِـــن تِبر النبيّ الجوهرُ
ومِن بنـــي العبّاس نَبع أُصفر ينميـــه فـــرعٌ طيّب وعنصرُ

1 الصرد : الخالص . والبيّوت : البارد .
2 مخفس : سريع المفعول .
3 شعفر : اسم امرأة .

أقبــلَ بالنّاسِ الهوى المستبهِر وصاح في الليــلِ نهـار أنورُ
أنــا الذي لو قيل إنّي أشعرُ جلّى الضبابَ الرجز المخبِّرُ[1]
لمّا مضت لي أشهر وأشهر قلــت لنفس تُزدَهـى فتصبرُ
لا يستخفنَّك ركــب يَصدرُ لا مُنجــد يَمضي ولا مُغوِّرُ
وحالفي الأنبار فهــي المحشرُ أو يسمعَ الخليفـــةُ المطهَّرُ
مِنّي فإنّــي كلَّ جنح أحضر وإن بالأنبــارِ غيثــاً يهمُرُ
والغيثُ يُرجى والديارُ تنضُرُ مــا كان إلاّ أن أتاها العسكرُ
حتى زهاهــا مسجـد ومِنبر لم يبقَ من مـروانَ عين تنظرُ
لا غائــبٌ ولا أنـاس حُضَّر هيهــاتَ أودى المنعم المعقرُ
وأمست الأنبــارُ داراً تُعمَـر وخربِــتْ مـــن الشآم أدوُرُ
حِمصٌ وبــابُ التِّبن والموقَّر ودمِّــرت بعــد امتناعٍ تدمرُ
وواسطٌ لم يبـــقَ إلاّ القرقر منها وإلاّ الديربان الأخضرُ[2]

(ومنها) :

أين أبو الورد وأين الكوثرُ

أبو الورد هذيل بن زفر ، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان .

وأين مروانُ وأين الأشقرُ وأين فَـلّ لم يَفُت محيّرُ
وأين عاديّكــم المُجَمْهَر وعامرٌ وعامـــر وأعصُرُ

قال : يعني عامرَ بنَ صعصعةَ ، وعامرَ بنَ ربيعةَ ، وأعصُرَ باهلةَ وغنيٍّ ، قال : فغضب إسحاق بن مسلم ، وقال : هؤلاء كلّهم في حِرِ أمّك أبا نُخيلة . فأنكر الخليفة عليه ذلك ، فقال : إنّي والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شرّاً من هذا في مجالس بني مروان . وما لَه عهد ، وما هو بوفيّ ولا كريم . فبان ذلك في وجه أبي العبّاس ، وقال له قولاً ضعيفاً : إنّ التوبةَ تغسل الحَوْبَةَ ، والحسناتِ يذهبنَ السيئاتِ ، وهذا شاعرُ بني هاشم . وقام فدخل ، وانصرف النّاس ، ولم يعطِ أبا نُخيلة شيئاً .

---

1 المخبّر في ل : المحبر .

2 القرقر : النواحي الظاهرة من البلد . والديربان : دير أبان من قرى غوطة دمشق وواسط : لعلّه يقصد بلدة بالجزيرة ، فجميع البلدان التي ذكرها في بلاد الشام .

[شعره في تولية المهدي]

وأخبرني أحمد بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفيُّ حدَّثنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ النّوفليُّ قال: حدَّثني أبي عن عبدِ الله بن أبي سُلَيم مولى عبد الله بنِ الحارث قال: بينا أنا أسيرُ مع أبي الفضل يَعني، سُليمانَ بنَ عبد الله، وحدي بين الحِيرةِ والكوفة، وهو يريدُ المنصورَ، وقد همَّ بتولية المهديّ العهدَ وخلْعِ عيسى بن موسى، وهو يَرُوض ذلك، إذا هو بأبي نُخَيلة الشاعرِ، ومعه ابنان لـه وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أبا نُخَيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بنِ معبَد أحدِ ولَد معبَد بن زُرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهديّ العهدَ ونزعِ عيسى بنِ موسى، فسألني التحوّل عنه، لئلاّ ينالَه مكروه من عيسى إذ كان صنيعته. فقال سليمان: يا عبدَ الله، اذهبْ بأبي نُخَيلة فأنزِله منزلا وأحسِنْ نُزُله وبِرّه، ففعلت. ودخل سليمانُ إلى المنصور فأخبره الخبر، فلمّا كان يوم البَيعة جاء بأبي نُخَيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها: [من الرجز]

بـل يـا أمينَ الواحدِ الموحَّدِ إنّ الذي ولاّكَ ربُّ المسجدِ
ليس وليّ عهدنـا بالأسعدِ عيسى فزحلفهـا إلى محمـدِ
من عند عيسى معهداً عن معهد حتـى تُؤدَّى مـن يدٍ إلى يدِ

قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله. قال: فحدَّثني داودُ بنُ عيسى بنِ موسى قال: جمعَنا أبي فقال: يا بَنيّ، قد رأيتم ما جرى، فأيُّما أحبُّ إليكم: أن يقال لكم: يا بَني المخلوع، أو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بَني المخلوع. فقال: وُفّقتم بَنيّ. وأوّل هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها: [من الرجز]

لم يُنسني يـا ابنةَ آل معبَدِ ذكراكِ تكـرارُ الليالي العُوّدِ
ولا ذواتُ العَصَب المـوَّرد ولـو طَلَبْنَ الـوُدّ بالتودّدِ[1]
ورُحنَ في الدُّرّ وفي الزبرجدِ هيهاتَ منهنّ وإن لم تَعهدي
نَجديّةٌ ذاتُ مَعـانٍ منجـد كأنّ ريّاهـا بُعَيـد المَرقَدِ[2]

---

1 العصب: نوع من البرود.

2 معان: منزل.

ريّا الخُزامى في ثرًى جَعْدٍ ندي كيفَ التصابي فِعلَ من لم يهتدِ
وقد علَتْني ذرأة بادي بَدِي وَرْثيــةٌ تنهــض في تشدّدي[1]
بعدَ انتهاضي في الشبابِ الأملدِ

يقول فيها : [من الرجز]

إلى أميرِ المؤمنـــينَ فاعمِـــد إلى الذي يُندي ولا يَندَى نَدي
سيري إلى بحـرِ البحارِ المزْبد إلى الذي إن نفِدت لم ينفَدِ
أو ثَمَّدَتْ أشراعها لم يَثمِد[2]

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر :

فقـد رضينا بالغـلامِ الأمردِ وقـد فَرغنـا غير أن لم نشهدِ
وغيرَ أنّ العَقــد لم يؤكـــد فلـو سمعنا قولكَ امدُدِ امدُدِ
كانت لنا كزعقة الوِرد الصدي فنـادِ للبيعة جمعـاً نَحشُدِ[3]
في يومنا الحاضر هـذا أو غـدِ واصنعْ كما شئـتَ ورُدّ يُردَدِ
وَردَّه منـــك رداء يرتــــدِ فهـو رِداء السابــق المقلَّدِ
وكان يروى أنّهـا كأن قـد عادت ولو قد نقِلَت لم تُرددِ
أقول في ذكرى أحاديثَ الغدِ للهِ دَري مـــن أخٍ ومنشدِ
لو نلتُ حظّ الحبشيِّ الأسودِ

يعني أبا دُلامة .

[خبر آخر عن أرجوزة العهد للمهدي]

فأخبرني عبدُ الله بنُ محمدٍ الرازيُّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارثِ قال : حدَّثنا المدائنيُّ ، أنّ أبا نُخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة ، وتناشدتها العامة . فبلغت المنصور فدعا به ، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه ، فأنشده إيّاها ، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها . قال أبو نخيلة : فجعلتُ أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى بن موسى : ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررتَ عمّك ، وبلغتَ من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السارّ . فقال

1 الذرأة : الشيب في ابتدائه .
2 ثمدت أشراعها : نزفت مواردها .
3 كزعقة في ل : كدعكة . والورد : القوم يردون الماء .

عيسى : لقد ضَلَلتُ إذاً وما أنا من المهتدين . قال : أبو نخيلة : فلما خرجتُ لحِقَني عِقالُ بنُ شبّة فقال : أمّا أنت فقد سررتَ أميرَ المؤمنين ، ولئن تمَّ الأمرُ فلعمري لتصيبنّ خيراً ، ولئن لم يَتم فابتغِ نَفقاً في الأرض ، أو سُلّماً في السماء . فقلت له :

عَلِقــت معالقَها وصرّ الجندُب[1]

[خبر ثالث عن هذه الأرجوزة]

قال المدائنيّ : وحدَّثني بعض موالي المنصور قال : لمّا أراد المنصور أن يعقِد للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك ، فحدَّثني عبدُ الجبّار بنُ عُبيد الله الحِمانيّ قال : حدَّثني أبو نُخيلة قال : قدمتُ على أبي جعفر ، فأقمتُ ببابه شهراً لا أصلُ إليه ، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثيّ : يا أبا نُخَيلة ، إنّ أميرَ المؤمنين يريد أن يقدّم المهديَّ بين يدَي عيسى بنِ موسى ، فلو قلتَ شيئاً تحثّه على ما يريد . فقلت : [من الرجز]

مـاذا على شَحْط النَّوى عناكا أم ما مَرى دمعَك من ذكراكا ؟
وقــد تبكّيتَ فمـــا أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها :

خليفـــةَ اللهِ وأنـــتَ ذاكا أسنِدْ إلى محمـــدٍ عصـــاكا
فأحفَظُ النّـــاس لهـــا أدناكا وابنُــك مـــا استكفيتَه كفاكا
وكلّنـــا منتظـــــر لـــــذاكا لـو قلتَ هاتوا قيل هاك هاكا

[مقتله وسلخ وجهه]

قال : فأنشدته إيّاها ، فوصلني بألفي درهم ، وقال لي : احذر عيسى بنَ موسى ، فإنّي أخافه عليك أن يغتالك . قال المدائنيّ : وخلَع أبو جعفر عيسى بنَ موسى ، فبعث عيسى في طلب أبي نُخيلة ، فهرب منه ، وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فجرّد خلفَه مولى له يقال له قَطَريّ ، معه عِدّة من مواليه ، وقال له : نَفْسَك نفسك أنْ يفوتَك أبو نُخَيلة . فخرج في طلبه مُغِذّا للسير ، فلحقه في طريقه إلى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه .

ونسختُ من كتاب القاسمِ بنِ يوسفَ عن خالدِ بنِ حَمَل أنّ عليّ بن أبي نُخيلة حدَّثه أنّ المنصور أمر أبا نُخيلة أن يهرُب إلى خراسان ، فأخذه قطريّ وكتفَه فأضجعه ، فلمّا وضع السكين على أوداجه قال : إيه يا ابن اللخناء ، ألست القائل :

---

1 المثل «علقت معالقها وصرّ الجندب» في مجمع الميداني 2 : 15 وجمهرة العسكري 2 : 32 ومستقصى الزمخشري 2 : 167 وأمثال العرب : 167 ، ومعناه : قد وجب الأمر ونشب فجزع الضعيف من القوم .

عِلقَت معالقَها وصرّ الجندب

الآن صَرّ جندُبُك . فقال : لعن اللهُ ذاك جندُباً ، ما كان أشأم ذكره ! ثم ذبحه ، قَطَري ، وسَلخ وجهه ، وألقى جسمه إلىالنّسور ، وأقسم لا يريم مكانَه حتى تمزّق السباعُ والطيورُ لحمَه ، فأقام حتى لم يبقَ منه إلاّ عظامه ، ثم انصرفَ .

[شماتة أبي الأبرش]

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيُّ قال : حدَّثني الأصمعيّ عن سعيد بنِ سَلْم عن أبيه قال : قلتُ لأبي الأبرش : مات أبو نُخَيلةَ ، قال : حتفَ أنفه ؟ قلتُ : لا ، بل اغتيلَ فقتلَ . فقال : الحمدُ للهِ الذي قطع قلبَه ، وقبض روحَه ، وسفكَ دمَه ، وأراحني منه ، وأحياني بعدَهُ . وكان أبو نُخيلةَ يهاجي الأبرش ، فغلبه أبو نُخَيلةَ .

صوت

[من مجزوء الكامل]

ولقد دخلْتُ على الفتا ... ةِ الخِدرِ في اليومِ المطيرِ
فدفعتُهـــا فتدافعـــتْ ... مشيَ القطاةِ على الغديرِ
فلثمتُهـــــا فتنفّسَتْ ... كتنفّسِ الظبـــي البهيرِ

الشعر للمنخَّل اليشكريّ ، والغناء لإبراهيم ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرٍو وأحمدَ المكيٍّ .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ﻫ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الحادي والعشرون

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

21

الطبعة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعة الثانية
1426هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429هـ - 2008م

تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[440] ـ أخبار المنخَّل[1] ونسبه

[نسبه]

هو المُنخَّل بنُ عمرو ، ويقال : المُنخَّل بنُ مسعودٍ ، بن أَفلَتَ بنِ عمرٍو بن كعبِ بن سُواءةَ بن غَنْم بن حبيب بن يشكُرَ بن بكرِ بن وائل . وذكر أبو محلِّم النسابة : أنّه المنخَّلُ بنُ مسعودِ بنِ أَفلَتَ بنِ قَطَنِ بن سُواءةَ بنِ مالك بن ثعلبة بنِ حبيبِ بن غَنْم بنِ حبيب بنِ كعب بن يشكُرَ . وقال ابنُ الأعرابيّ : هو المنخَّل بنُ الحارثِ بنِ قيسِ بن عمرٍو بن ثعلبة بنِ عَديٍّ بن جُشَمَ بنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يَشْكُرَ .

[اتهامه بالمتجرّدة]

شاعر مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية ، وكان النُّعمانُ بنُ المنذر قد اتّهمه بامرأته المتجرّدة ، وقيل : بل وجده معها ، وقيل : بل سُعيَ به إليه في أمرها فقتله ، وقيل : بل حبسه ، ثم غَمَض خبره ، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم . فيقال : إنّه دفنه حيّاً ، ويقال : إنّه غرّقه . والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العَنَزيّ وأشباهه مِمّن هلكَ ولم يُعلم له خبر . وقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

تُقَارِبُ حتى تُطمِعَ التابعَ الصّبا ... وليستْ بأدنى من إيابِ المنخَّلِ[2]

وقال النَّمِر بنُ تَوْلَب : [من الطويل]

وقَوْلِي إذا ما أُطلقوا عن بعيرِهم ... تلاقونَه حتى يؤوبَ المنخَّلُ

[قصة قتله]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : أَخبرني أَحمد بن زهير قال : أَخبرني عبدُ الله بن كُرَيم قال : أخبرني أبو عمرٍو الشيبانيُّ قال : كان سبب قتل المنخَّل أنَّ المتجرّدةَ ، واسمُها ماويّة وقيل : هند بنتُ المنذِر بن الأسود الكلبيّة ، كانت عند ابن عمّ لها يقال له : حُلْم ، وهو الأَسودُ بنُ المنذرِ بن حارثة الكلبيُّ ، وكانت أجملَ أهل زمانِها ، فرآها المنذر بن المنذر الملكُ اللّخميّ فعشِقها ، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلم وامرأته المتجرّدة ، فقال المنذر لِحُلم : إنّه لقبيح بالرجل أن يقيمَ على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسِه ولا لِحيته شعرة

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 404/1–405 والمؤتلف 178 وشرح الحماسة 102/2–108 وشعراء الجاهلية 421–424 .

2 مثل : انظر المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 341/1 ، 361 وفي كتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 58 وفي كتاب مجمع الأمثال للميداني 211/1 ، 212/2 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 346 .

بيضاء إلاّ عرفْتها ، فهل لك أن تُطلِّقَ امرأَتَك المتجرّدةَ وأُطلِّقَ امرأتي سلمى ؟ قال : نعم ، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه عهداً . قال : فطلَّق المنذرُ امرأته سلمى ، وطلَّق حُلم امرأتَه المتجرّدةَ ، فتزوَّجها المنذر ولم يُطلق لسلمى أأن تتزوَّج حُلماً ، وحجبها ، وهي أُمّ ابنه النُّعمانِ بن المنذر ، فقال النابغة الذبيانيّ يذكر ذلك : [من البسيط]

قـد خادعوا حُلماً عن حرّة خَرِدٍ حتى تبطَّنها الخـدّاعُ ذو الحُلُمِ

قال : ثم مات المنذر بن المنذر ، فتزوّجها بعده النُّعمان بنُ المنذر ابنُه ، وكان قصيراً دميماً أبرش ، وكان ممّن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذُّبيانيّ ، وكان جميلاً عفيفاً ، والمُنخَّل اليشكريّ ، وكان جميلاً ، وكان يُتَّهم بالمتجرّدة . فأمّا النابغة فإنّ النُّعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أوّلها : [من الكامل]

أَمِـن آلِ ميّـةَ رائحٌ أَو مغتدي عجـلانَ ذا زاد وغيرَ مـزوَّدِ

ووصفها فأفحش فقال :

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدِفٍ رابـي المَجسّة بـالعَبيرِ مُقَرمَدِ[1]

وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصِفٍ نـزعَ الحَـزَوّر بالرشاءِ المحصَدِ[2]

[تحريضه قومه على قاتله]

فغار المُنخَّل من ذلك ، وقال : هذه صفة مُعايِن ، فهمَّ النُّعمان بقتل النابغة حتى هرب منه ، وخلا المُنخَّل بمجالسته ، وكان يهوى المتجرّدة وتهواه ، وقد ولدت للنُّعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَّل ، وكانت العرب تقول : إنّهما منه . فخرج النُّعمان لبعض غزواته ، قال ابن الأعرابيّ : بل خرج متصيّداً ، فبعثت المتجرّدة إلى المنخل فأَدخلته قبتها ، وجعلا يشربان ، فأخذَت خَلخالها وجعلته في رجله ، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رجله من شدّة إعجابها به . ودخل النُّعمان بعقِب ذلك فرآها على تلك الحال ، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلِب يقال له : عِكَبّ ، وأَمَرَه بقتله ، فعذّبه حتى قتله . فقال المُنخَّل يحرّض قومه عليه : [من الوافر]

أَلا مَن مبلغ الحيّـين عنّي بأَنّ القومَ قـد قتلـوا أُبَيّا

فإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ فلا رَوّيتُـمُ أَبـداً صَدِيّا

وقال أَيضاً : [من الخفيف]

1 مقرمد : مطلي .

2 مستحصف : قليل البلولة ضيق . الحزوّر : الرجل القوي . المحصد : الحبل الشديد الفتل .

ظَلَّ وسْطَ النديّ قَتلى بِلا جُرْ م ٍ وقومي يُنتِّجون السِّخالا[1]

[من شعره في المتجرّدة]

وقال في المتجرّدة : [من الوافر]

دِيارٌ للّتي قتلتكَ غصباً بلا سيفٍ يُعَدّ ولا نِبالِ
بطَرْفٍ ميِّت في عين حَيٍّ له خَبَلٌ يزيدُ على الخَبالِ

وقال أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ولقد دخلتُ على الفتا ةِ الخِدرَ في اليومِ المطيرِ
الكاعبِ الحسناءِ تر فُلُ في الدِّمَقْس وفي الحريرِ
دافعتُها فتدافَعتْ مَشْيَ القطاةِ إلى الغديرِ[2]
ولثمتُها فتنفّست كتنفّس الظبي البَهيرِ[3]
ورَنَت وقالت يا مُنَخَّـ لُ هل بجسمك من فتورِ[4]
ما مسَّ جسمي غيرُ حُبّـ ـك فاهدئي عنّي وسيري[5]
يا هندُ هل من نائلٍ يا هندُ للعاني الأَسيرِ ؟[6]
وأُحبّها وتُحبّني ويُحِبّ ناقتَها بعيري
ولقد شربتُ من المدا مة بالكبيرِ وبالصغيرِ
فإذا سكرتُ فإنّني ربُّ الخورنق والسريرِ[7]
وإذا صحوتُ فإنَّني ربّ الشُّوَيهة والبعيرِ
يا رُبَّ يومٍ ـ للمنخَّـ ـل قد لها فيه ـ قصيرِ

---

1 في الشعر والشعراء : ظلّ وسط العباد قتلي . السخال : أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة يولد .

2 في الحماسة والشعر والشعراء : فدفعتها فتدافعت .

3 البهير : المتتابع الأنفاس .

4 في الحماسة :

فدنت وقالت يا منخـ ـلُ ما بجسمك من حرورِ

5 في الحماسة والشعر والشعراء : ما شف .

6 في الحماسة : هل لميتّم .

7 فإذا سكرت في الحماسة : فإذا انتشيت ، وفي ل : فإذا شربت . والخورنق : قصر للنعمان الأكبر . في الحماسة : والسدّير ، والسدّير : نهر بناحية الحيرة .

[رواية أخرى عن المنخَّل مع المتجرّدة]

وأَخبرني بخبر المُنخَّل مع المتجرِّدة أَيضاً عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : أَخبرني أَبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيب عن ابنِ الأعرابيّ قال : كانت المتجرّدةُ امرأةُ النعمان فاجرةً ، وكانت تُتّهم بالمُنخَّل ، وقد ولَدتْ للنعمان غلامين جميلين يشبهان المُنَخَّل ، فكان يقال : إنّهما منه ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان النُّعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً . وكان للنعمان يوم يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخَّل من ندمائه لا يفارقه ، وكان يأتي المتجرِّدَة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النُّعمان فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النُّعمان آذَنَتْها بمجيئه وليدة لها موكّلة بذلك فتُخرِجُه .

فركب النُّعمان ذات يوم وأَتاها المُنخَّل كما كان يأتيها فلاعبَته ، وأَخذت قيداً ، فجعلت إحدى حلقتيه في رِجْله والأُخرى في رجلها ، وغفَلت الولَيدةُ عن تَرقّب النُّعمان ؛ لأنّ الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعدُ ، وأقبل النُّعمان حينئذٍ ولم يُطِل في مكثه[1] كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجرِّدة ، فوجدها مع المُنخَّل قد قيَّدَت رجلها ورجلَه بالقيد ، فأخذه النُّعمان فدفعه إلى عكَبٍّ صاحبِ سجنه ليعذّبه ، وعِكَبٌّ رجل من لَخم ، فعذّبه حتى قتله . وقال المُنخَّل قبل أن يموتَ هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنيه : [من الوافر]

ألا مَن مبلِغ الحُرّينِ عنّي بأَنّ القومَ قـد قتلوا أُبيّا
وإن لم تثأَروا لي من عِكَبٍّ فـلا أُرويتما أَبـداً صَدِيّا
يُطوّفُ بي عِكَبٌّ في معدٍّ ويطعنُ بالصُّملّة في قَفَيّا[2]

[قاتله هو النُّعمان لا عمرو بن هند]

قال ابن حبيب : وزعم ابن الجَصّاص أَنّ عمرو بن هند هو قاتل المُنخَّل ، والقول الأَوّل أَصحّ .

[قصيدته في المتجرّدة]

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة ، وأَوّلها قوله : [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ عاذلتـي فسيري نحـوَ العراق ولا تَحوّري
لا تسأَلي عـن جُـلّ مـا لي واذكري كَرَمي وخِيري
وإذا الريـاحُ تناوحَـتْ بجوانـب البيت الكسيرِ[3]

---

1 ل : وجهه .

2 الصملة : الحربة .

3 الكسير : الذي له كسور ، وهي ما مسّ الأرض من هدابه .

ألفيتنـــي هشّ النـــــديِّ ‏ ‏ بِمــرّ قدِحـي أو شجيري[1]

الشجير : القِدح الذي لم يُصلَح حسناً ، ويقال : بل هو القِدح العاريّة .

ونَهَـى أبـو أفعــى فقلّــ ‏ ‏ ـدني أبو أفعــى جريري[2]
وجُلالـــــة خطّــــارة ‏ ‏ هوجاءَ جائلــةَ الضُّفورِ[3]
تعدو بأشعثَ قــد وَهــى ‏ ‏ سِربالُـــه باقـــي المسيرِ[4]
فُضُلا على ظهــرِ الطريـ ‏ ‏ ـقِ إليك علقمةَ بنَ صيرِ[5]
الواهــبُ الكــومِ الصّفا ‏ ‏ يا والأوانس في الخُدورِ[6]
يُصفيك حــين تجيئـه ‏ ‏ بالعَصْب والحَلْي الكثيرِ[7]
وفـــوارسٍ كأُوار حــرِّ ‏ ‏ النّــار أحــلاسِ الذُّكورِ[8]
شدُّوا دوابــرَ بيضهــم ‏ ‏ في كلِّ محكمــةِ القتيرِ[9]
فاستلأمــوا وتَلبَّبُــوا ‏ ‏ إنّ التلبّـــبَ للمغيرِ
وعــلى الجيــادِ المضمَرا ‏ ‏ تِ فوارسٌ مثل الصقورِ[10]
يَخرجن مـــن خَلَل الغبا ‏ ‏ رِ يَجِفْــن بالنَّعَمِ الكثيرِ
فشفيتُ نفسي مـــن أولـ ‏ ‏ ـئكَ والفوائـــحِ بالعبيرِ
يرفُلــن في المسك الذكيّ ‏ ‏ وصائـكٍ كــدَمِ النّحيرِ[11]

1 في حماسة أبي تمام : ألفيتنـــي هشّ اليديـــــ ـنِ بمري قدحي أو شجيري
والشجير : القريب .
2 الجرير : حَبْلُ الزِّمام .
3 جلالة : ناقة مسنّة . خطارة : تضرب بذنبها يميناً وشمالاً . الضفور : جمع ضَفْر ، وهو ما يشدّ البعير به من مضفور .
4 باقي المسير : لم يستنفد القدرة على المسير .
5 فضلاً : متفضّلاً في ثوب واحد .
6 الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام . الصفايا : النوق الغزيرة اللبن .
7 العصب : ضرب من البرود .
8 الحلس : الملازم .
9 القتير : رؤوس مسامير الدروع .
10 المضمرات في ل : المشنقات .
11 صائك : وصف من صاك به الطبيب يصيك : لزق .

يعكُفن مثــلِ أساود التَّـ ـنُّومِ لم تُعكَــف لِزورِ[1]
ولقــد دخلـــتُ على الفتا ةِ الخدرَ في اليــومِ المطيرِ
الكاعـــبِ الخنساءِ تـر فُلُ في الدِّمَقْس وفي الحريرِ
فدفَعْتُهــــا فتدافعـــــتْ مشيَ القطـاة إلى الغـديرِ
ولَثَمتُهـــــــا فتنفَّسَتْ كتنفّسِ الظبـــي البَهيرِ
فدنَـــتْ وقالت يـا منخَّـ ـلُ ما بجسمك من حَرورِ ؟
ما شفَّ جسمي غيرُ حبِّـ ـك فاهدئي عنّي وسيري
ولقــد شربــتُ من المُدا مــةِ بــالصغيرِ وبالكبيرِ
ولقــد شربتُ الخمرَ بالــ ـخيلِ الإنــاث وبالذُّكورِ
ولقــد شربتُ الخمرَ بالــ ـعبد الصحيح وبالأَسيرِ
فــإذا سكِــرتُ فإنّــي ربُّ الخَوَرْنَــق والسديرِ
وإذا صحـــوتُ فإنَّنـي ربّ الشّوَيهــة والبعيرِ
يــا رُبَّ يــوم للمنخَّـ ـل قــد لهــا فيه قصيرِ
يــا هنــدُ هــل من نائلٍ يــا هنــدُ للعاني الأَسيرِ

ومن الناس مَن يزيد في هذه القصيدة :

وأُحبّهــا وتُحبّنـــــي ويحــبّ ناقتَهـا بعيري

ولم أجده في رواية صحيحة .

صوت

[من الوافر]

لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا كتابَ الله لو قَبِــل الكتابا
أُناشده فيُعــرِض في إبــاءٍ فــلا وأَبي كلابٍ ما أَصابا

الشعر لأُميّة بنِ الأسكر الليثيّ ، والغناء لعبد الله بنِ طاهر ، رمَل بالوسطى . صنعه ونسبه إلى لَمِيسَ جاريته ، وذكر الهِشاميّ أنّ اللحن لها ، وذكره عُبيد الله بنُ عبد الله بن طاهِر في جامع أغانيهم ووقع إليّ ، فقال : الغناء فيه للدّار الكبيرة ، وكذلك كان يكنّي عن أبيه ، وعن إسحاق بن إبراهيمَ بن مُصعبٍ وجواريهم ، ويكنّي عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دُور إخوته بالدّار الصغيرة .

1 يعكفن : يمشطن أو يضفر . التنوّم : شجر يسود كله .

[441] ـ أخبار أُميّة بن الأَسكر ونسبه

[نسبه]

هو أُميّةُ بن حُرْثانَ بن الأَسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زُهرةَ بن زَبينةَ بن جُنْدُع بن ليثِ بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانةَ بن خُزَيمةَ بن مُدرِكةَ بن إلياس بن مُضرَ بن نزار .

شاعر فارس مخضرَم أدركَ الجاهليّة والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيـّام مأثورة مذكورة .

[استعمال ابنه كلاب على الأبلة]

وكان له أَخ يقال له : أَبو لاعق الدم ، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم ، وابنُه كِلابُ بنُ أُميّة أيضاً أدرك النبيّ ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبيّ ﷺ فقال أبوه فيه شعراً ، ذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّه هذا الشعر ، وهو خطأ ، إنّما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفُرس ، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا .

قال أَبو عمرو في خبره : فأَمره ﷺ بصلة أَبيه وملازمتِه طاعته .

وكان عمر بن الخطّاب استعمل كلاباً على الأُبلّة[1] ، فكان أَبواه ينتابانه ، يأتيه أحدهما في كلّ سنة ، ثم أبطأَ عليه وكبِرا فضعفا عن لقائه ، فقال أبياتاً وأنشدها عمرَ ، فرقّ له وردّه إليهما ، فلم يلبث معهما إلاّ مدّة حتى نهشَتْه أَفعى ؛ فمات وهذا أيضاً وَهْم من أبي عمرو ، وقد عاشَ كِلاب حتى ولي زياد الأُبُلّه ، ثم استعفَى ، فأعفاه . وسأذكر خبره في ذلك وغيرَه هاهنا إن شاء الله تعالى .

[شعره في ابنه كلاب لما طالت غيبته في الغزو]

فأمّا خبره مع عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليٍّ أَخبرني به ، قال : حدَّثني الحارثُ بنُ محمد قال : حدَّثني المدائنيُّ عن أبي بكر الهُذَليّ عن الزُّبيريّ عن عُروةَ بن الزُّبير قال : هاجر كِلابُ بن أُميَّة بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطّاب ، فأقام بها مدّة ، ثم لَقي ذات يوم طلحةَ بن عُبَيدالله والزُّبيرَ بنَ العوّام ، فسألهما : أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمرَ فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبِر وضعُف ، فلمّا طالت غيبة كلاب عنه قال : [من الوافر]

1 الأبلة : بلدة غربي البصرة .

لِمَن شيخان قد نشَدا كلابا — كتابَ الله إن قَبِلَ الكتابا[1]
أُناديه فيُعرض في إباء — فلا وأَبي كلابٍ ما أَصابا[2]
إذا سجعَتْ حمامةُ بطنِ وادٍ — إلى بَيْضاتها دَعوا كلابا[3]
أَتاه مهاجران تكنّفاه — ففارق شيخه خَطِئا وخابا[4]
تركتَ أَباك مُرعَشةً يداه — وأُمَّك ما تُسيغ لها شرابا
تُمَسّح مُهره شفقاً عليه — وتجنُبه أَباعرَها الصعابا[5]

قال : تجنُبه وتجنّبه واحد ، من قول الله عزّ وجلّ : ﴿واجنُبْني وبَنيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾[6] قال :

فإنّك قد تركت أَباك شيخاً — يطارق أَينُقاً شُزُباً طِرابا[7]
فإنّك والتماسَ الأَجرِ بَعدي — كباغي الماء يتّبع السرابا

[ينشد عمر شعراً فيرد كلاباً عليه]

فبلغَتْ أَبياتُه عمرَ ، فلم يردُد كلاباً وطال مقامه فأُهتِر أُميّة وخُلِط جزَعاً عليه ؛ ثم أَتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف عليه ثم أَنشأ يقول : [من الوافر]

أَعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ — ولا تدرين عاذلَ ما أُلاقي
فإمّا كنتِ عاذلتي فَرُدّي — كِلابا إذ توجَّه للعراقِ
ولم أَقضِ اللُّبانة من كِلابٍ — غداةَ غدٍ وأُذّن بالفِراقِ
فتى الفِتيان في عُسْرٍ ويُسرٍ — شديدُ الرُّكن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليتَ وَجدي — ولا شفَقي عليكَ ولا اشتياقي

---

1 ذكرت في الأمالي بترتيب مخالف وبرواية مخالفة في أكثر الأبيات .
2 في الأمالي : أناديه وولاني قفاه .
3 سجعت في الأمالي : هتفت . إلى في الأمالي : على .
4 أتاه مهاجران في الأمالي : فإنّ مهاجرين . ففارق في الأمالي : ليترك .
5 رواية البيت في الأمالي :
تنفّض مهره شفقاً عليه — ونجنبه أباعرنا الصعابا
6 سورة إبراهيم ، الآية : 35 .
7 يطارق : يطابق . شزباً : ضامرة . وفي الأمالي :
وإن أَباك حيث علمتماه — يُطارد أَيْنُقاً شسباً طرابا

وإبقائــي عليــكَ إذا شتَونا ... وضمَّك تحت نحري واعتناقي
فلو فَلَـق الفؤادَ شَدِيدُ وجْدٍ ... لَهــمَّ سوادُ قلبــي بانفلاقِ[1]
سأَستعدي على الفاروقِ ربّــاً ... لــه دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ[2]
وأَدعــو اللهَ مجتهــداً عليــه ... ببطــن الأَخشبَين إلى دُفاقِ
إنِ الفاروقُ لم يــردد كلابــاً ... إلى شيخــين هامُهما زَواقِ

[مبلغ برّه بأبيه]

قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة ، فلمّا قدِم دخل إليه ، فقال : ما بلغ من بِرّك بأبيك ؟ قال : كنتُ أُوثره وأكفيه أمره ، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلُب له لبناً أغزر ناقةٍ في إبله وأسمَنها فأُريحها وأتركها حتى تستقرّ ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيَه . فبعث عمرُ إلى أُميّة مَن جاء به إليه ، فأدخله يتهادى وقد ضعُف بصرُه وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أميرَ المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهي أن أرى كِلاباً فأَشَمَّه شَمّة ، وأَضُمَّه ضَمَّة قبل أن أموت . فبكى عمر ، ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى .

[عمر يأمره أن يلزم أبويه]

ثم أَمر كلاباً أَن يحتلبَ لأَبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعثَ إليه بلبنها ، ففعل فناوله عمرُ الإناء ، وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلمّا أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمر : والله يا أمير المؤمنين ، إنِّي لأَشمّ رائحة يدي كلاب من هذا الإناء ، فبكى عمر ، وقال : هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به ، فوثب إلى ابنه وضمَّه إليه وقبّله ، وجعل عمرُ يبكي ومَن حضَره ، وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنَك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرَفه مع أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه .

[يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام]

ونسختُ من كتاب أَبي سعيد السكريّ أَنّ أُميّة كانت له إبل هائمة ، أي أصابها الهُيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ، فأخرجَته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلَهم ، فقال لهم : يا بَني بكر ، إنّما هي ثلاث ليال : ليلة بالبقعاء[3] وليلة بالفُرْع[4] ، وليلة بِلَقْف في سامرٍ من

1 شديد في ل : حطام .
2 بُساق : موضع .
3 البقعاء : ماء لعبس ، وقيل : مياه لبني السليط على مبعدة 24 ميلاً من المدينة .
4 الفرع : قرية ناحية المدينة .

بني بكر ، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه ، فأتى مُزَينة فأجاروه ، وأقام عندهم إلى أن صحّت إبله ، وسكنت ، فقال يمدح مُزينة : [من الوافر]

تكنّفهـا الهُيـام وأخرجوهـا ... فمـا تـأوي إلى إبل صِحاحِ
فكـان إلى مُزَينـةَ منتهاهـا ... على مـا كان فيها من جُناحِ
ومـا يكـن الجُناحُ فإنّ فيها ... خلائـقَ ينتمـين إلى صلاحِ
ويوماً في بني ليث بن بكر ... تُراعـي تحـت قعقعة الرماحِ
فإمّـا أُصبِحَنْ شيخـاً كبيراً ... وراء الدار يُثقلنـي سلاحي
فقد آتـي الصريخَ إذا دعـاني ... على ذي مَنْعـة عَتِـدٍ وَقاحِ[1]
وشرُّ أخـي مؤامـرةٍ خَذولٌ ... على مـا كان مؤتِكلٌ ولاحِ[2]

[عمّر حتى خرف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن عبدِ الله الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيٍّ عن أبيه ، وأخبرني به محمد بن خلفِ بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أبو توبةَ عن أبي عمرو قال : عُمِّر أُميّةُ بن الأسكر عُمراً طويلاً حتى خَرِف ، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدّث نفسه ، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجّب منه ، فقام لينهض فسقط على وجهه ، فضحك الراعي منه ، وأقبل ابناه إليه ، فلمّا رآهما أنشأ يقول : [من البسيط]

يـا بْنَـي أُميّـة إنّي عنكمـا غـانِ ... ومـا الغِنـى غير أنّي مُرعَشٌ فـانِ
يـا بْنَـي أُميّـة إلاّ تحفظـا كِبَري ... فإنّمـا أنتمـا والثُّكـلُ سِيّـانِ
هـل لكمـا في تُـراثٍ تذهبان به ... إنّ التـراثَ لِهَيّـانِ بـنِ بَيّـانِ

يقال : هيانُ بن بَيان ، وهي ترى للقريب والبعيد .

أصبحتُ هُزْءاً لراعي الضأن يَسخَر بي ... مـاذا يَريبك مِنّـي راعيَ الضّانِ[3]
اعجَبْ لغيريَ إنّـي تابـع سلفي ... أعمـامَ مجـد وأجـدادي وإخواني
وانعَقْ بضأنك في أرضٍ تُطِيف بها ... بـين الأَساف وأنتجهـا بجِلْذان[4]

1 عَتِد : أي شديد تام الخلق . والوقاح : الصلب .
2 مؤتكل : غاضب هائج .
3 هزءاً في ل : قرداً .
4 الأساف : البقاع التي لا تنبت ، جمع أسافة . في الأمالي : بجُمدان ورواية البيت مختلفة :
انعق بضأنـك في نجم تحقَـره ... من الأباطح واحبسها بجُمدان
وجُمدان ، اسم لواد ، واسم جبل .

جِلذان : موضع بالطائف .

بلـــدة لا ينـــام الكالئـــان بهـــا ولا يَقَـرُّ بهـــا أَصحـــابُ أَلـــوانِ

[الإمام علي يتمثّل بشعرٍ له]

وهذه الأَبيات تمثّل بها أَمير المؤمنين عليّ بن أَبي طالب صلوات الله عليه ، في خطبةٍ له على المِنبر بالكوفة .

حدَّثنا بها أَحمدُ بن عُبيدِ الله بن عمّار وأَحمدُ بن عبدِ العزيز الجوهريُّ ، قالا : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : حدَّثنا محمدُ بن أبي رجاء ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بن سعد ، قال : قال عبدُ الله بن عديٍّ بن الخِيار : شهِدت الحكَمَين ، ثم أَتيت الكوفة وكانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة ، فدخلتُ عليه ، فلمّا رآني قال : مرحباً بك يا ابنَ أُمّ قتّال ، أَزائراً جئتنا أَم لحاجة ؟ فقلت : كُلٌّ جاء بي ؛ جئت لحاجة ، وأحببت أن أُجدِّد بك عهداً ، وسأَلته عن حديث فحدَّثني على ألاّ أُحدِّث به واحداً . فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليٌّ صلوات الله عليه متنكِّب قَرَناً[1] له ، فجعل يقول : الصلاة جامعة . وجلس على المِنبر ، فاجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المِنبر . فلمّا اجتمع الناس ، ورضي منهم قام فحمِد الله وأَثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّكم تزعمون أنّ عندي من رسول الله ﷺ ، ما ليس عند الناس ، ألا وإنّه ليس عندي إلاّ ما في قَرَني هذا ، ثم نَكَتَ كنانته ، فأخرج منها صحيفة فيها : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يَدٌ على مَن سواهم . مَن أحدث حدَثاً أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاس أجمعين» . فقال له الأشعث بن قيس : هذه والله عليك لا لك ، دَعْها تترحّل ، فخفَض عليّ ، صلوات الله عليهِ ، إليه بصره ، وقال : ما يدريك ما عَليَّ مِمّا لي ! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين ، حائكٌ ابنُ حائك ، منافقٌ ابنُ منافق ، كافرٌ ابنُ كافر . والله لقد أَسرَك الإسلام مرّة والكفرُ مرّة ، فما فَداك من واحدٍ منهما حَسَبُك ولا مالُك ، ثم رفع إليَّ بصرَه فقال : يا عبيد الله : [من البسيط]

أَصبحتُ قِنّاً لراعي الضأن يلعبُ بي ماذا يَريبك منّـي راعـيَ الضّانِ

فقلت : بأَبي أَنتَ وأُمّي ، قد كنتُ والله أُحبّ أَن أَسمع هذا منك . قال : هو والله ذلك ، قال : [من الطويل]

1 قرن : جعبة .

فما قِيلَ لي من بعدها من مقالة ولا عَلِقتْ منّي جديداً ولا دَرْسا

[عودة كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا الحارثُ ، عن المدائنيِّ قال : لمّا مات أُميّةُ بن الأُسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة ، فكان يغزو مع المسلمين ، منها مغازيهم ، وشهد فتوحات كثيرة ، وبقي إلى أيّام زياد ، فولاّه الأُبلّة ، فسمع كلابٌ يوماً عثمانَ بن أبي العاص يحدّث أنّ داود نبيَّ اللهِ ، عليه السلام ، كان يجمع أهلَه في السّحَر فيقول : ادعوا ربّكم فإنّ في السَّحَر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلاّ غُفِر له ، إلاّ أن يكون عَشّاراً[1] أو عَريفاً[2] . فلمّا سَمِع ذلك كلاب كتب إلى زياد ، فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنيّ : ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات ، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبةٌ إليه .

[شعر أُميّة وقد ظفر بنو ليث بقومه]

وقال أَبو عمرو الشيبانيُّ : كان بين بني غِفارٍ قومِه وبني ليث حربٌ فظفِرَتْ بنو ليث بغِفار ، فحالف رَحْضةُ بنُ خُزيمة بنِ خلافِ بنِ حارثة بن غِفار وقومُه ، جميعاً بني أسلمَ بنِ أفصى بنِ خُزاعة ، فقال أُميّة بن الأسكر في ذلك ، وكان سيدَ بني جندُعِ بنِ ليث وفارسَهم : [من الطويل]

لقد طِبتَ نفساً عن مواليك يا رَحْضا وآثرتَ أذناب الشوائل والحمضا[3]
تُعلِّلنا بالنّصر في كلِّ شَتوة وكلّ ربيع أَنت رافضنا رفضا
فلولا تأسّينا وحدُّ رماحنا لقد جرّ قومٌ لحمنا تَرِباً قَضّا

القضّ والقضيض : الحصا الصغار .

[عبد الله بن الزُبير يتمثّل بشعره]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني أَحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعَبُ بن عبدِ الله عن أَبيه قال : افتعل عمرو بن الزُّبير كتاباً عن معاويةَ إلى مروانَ بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً ، فدفعه إليه ، فلمّا عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عَمراً حتى يؤدِّيَ المالَ ، فحبسه مروانُ ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بنَ الزُّبير ، فجاء إلى مروانَ وسأله عن الخبر ، فحدَّثه به ، فقال : مالُكم في ذمّتي ، فأطلق عَمراً ، وأدّى عبدُ الله المالَ عنه ، وقال : والله إنِّي لأُؤدِّيه

1 العشار : جابي عشر الأموال .
2 العريف : الرئيس أو النقيب .
3 الشوائل : جمع شائلة ، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر . والحمض : نبت ترعاه الإبل .

عنه وإنّي لأَعلم أنّه غير شاكر ، ثم تمثّل قولَ أُميّة بن الأَسكر الليثيّ : [من الطويل]

فلـولا تأسّينا وحــدّ رماحنا لقد جـرّ قوم لحمنا تَربا قَضّا

[سيّدان يخطبان بنتاً له]

وقال ابنُ الكلبيّ : حدَّثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال : اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ وعامِرُ بنُ الطُّفَيـل بمَوسمِ عُكاظَ ، فقدِمَ أُميّةُ بن الأسكرِ ، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيدُ وعامرٌ ، فقالت أُمُّ كلابٍ امرأةُ أُميّةَ : مَن هذا الرجلان ؟ قال : قال : هـذا ابنُ الديّـان ، وهذا عامر بنُ الطُّفَيل . قالت : أَعرف ابنَ الديّـان ، ولا أَعرف عامـراً . قـال : هل سَمِعْتِ بمُلاعب الأَسنّة ؟ قالت : نعم والله . قال : فهذا ابنُ أَخيه .

وأَقبل يزيدُ فقال : يا أُميّةُ أَنا ابنُ الديان ، صاحبُ الكثيبِ ، ورئيسُ مَذْحِج ، ومكلّمُ العُقاب ، ومَن كان يَصُوب أصابعه فتنطِف دماً ، ويدلُك راحتَيْه فتخرجان ذهباً . قال أُميّة : بَخٍ بَخٍ .

فقال عامر : جدّي الأَحزمُ ، وعمِّي أَبو الأَصبع ، وعمِّي ملاعبُ الأَسنّة ، وجدِّي الرّحّال ، وأَبي فارس قُرْزُل . قال أُميّة : بَخٍ بَخٍ ، مَرْعى ولا كالسَّعْدانِ[1] ، فأَرسلها . مثلاً .

فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قومي رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك ؟ قال : لا ، قال : فهل تعلم أَنّ شعراءِ قومك يرحلون بمدحِهم إلى قومي ؟ قال : نعم . قال : فهل لك نجم يمانٍ أو برد يَمانٍ أو سيف يَمانٍ أو ركنٌ يمانٍ ؟ فقال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم ، فنهض يزيد وقام ، ثم قال : [من الرجز]

أُمَيّ يا ابنَ الأَسكر بنِ مُدلج لا تجعلَنْ هوازنـا كمَذْحِجِ
إنّك إن تلهـج بأَمـر تلجَجِ ما النّبع في مغرِسه كالعَوْسَجِ
ولا الصَّريحُ المحـضُ كالمُمزَّجِ

وقال مُرّةُ بنُ دُودان العُقَيليّ ، وكان عدوّاً لعامر بن الطُّفَيل : [من الرجز]

1 انظر المثل في جمهرة الأمثال للعسكري 275/2 ، 325 ، 242/4 وفصل المقال لأبي عبيد البكري 199 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 135 ، والفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 64 وكتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي 127 وكتاب الأمثال لمجهول 112 . السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل . مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه . وفي مجمع الأمثال للميداني : أنّه للخنساء . وهو في فصل المقال : 199 مثل يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى . وحكى المفضل أنّ المثل لامرأة من طيىء وكان تزوّجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفركاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأوّل : فقالت : «مرعى ولا كالسّعدان» .

يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ماذا الذي من عامـر تريدُ ؟
لكلّ قـوم فخرُهـم عتيـدُ أَمُطَلَقـون نحـن أم عبيدُ ؟
لا بـل عَبيدٌ زادُنـا الهَبيدُ[1]

فزوّج أُميّة يزيد فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يـا لَلرجـال لطارق الأَحزانِ ولِعامـر بـن طفيلٍ الوسنانِ
كانت إتاوةُ قومـه لمحـرِّق زمناً وصارت بعـدُ للنُّعمانِ[2]
عَـدَّ الفوارسَ من هوازن كلّها كَثْفا عـليّ وجئتُ بالديانِ[3]
فـإذا ليَ الفضلُ المبـين بوالدٍ ضخمِ الدَّسِيعة زانني ونماني[4]
يـا عـامِ إنّك فارسٌ متهوّرٌ غضٌّ الشباب أخو نَدًى وقيان
واعلم بأنّك يا ابن فارس قُرْزُل دون الذي تسمو له وتُداني
ليستْ فوارسُ عامـر بمُقِرَّةٍ لـك الفضيلة في بنـي عَيْلانِ
فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكاً وبني الضِّباب وحيَّ آل قنانِ
فاسأل مَـنِ المرءُ المُنَوَّه باسمه والدافعُ الأَعداء عن نَجران ؟
يُعطـى المَقادةَ في فوارس قومِه كرماً لعمـرك والكريم يمانِ

فقال عامر بن الطُّفيل مجيباً له : [من الكامل]

يـا للرجـال لطارق الأَحزان ولِمـا يجـيء بـه بنو الدّيانِ
فخـروا عليَّ بِحَبْوة لمَحـرِّق وإتـاوة سلفت مـن النُّعمانِ
مـا أنـت وابنَ محرقٍ وقبيله وإتاوةَ اللخمـيِّ في عَيْـلانِ ؟
فاقصِد بذَرْعِك قَصْدَ أُمرك قصده ودعِ القبائل من بنـي قحطانِ
إذ كان سالفُنا الإتـاوة فيهم أولى ففخـرك فخر كلّ يمانِ
وافخر برَهط بني الحَماس ومالك وابـن الضِّباب وزعبـل وقيانِ
وأَنا المُنخَّل وابنُ فـارس قُرْزُلٍ وأَبـو نـزار زاننـي ونماني

1 الهبيد : الحنظل .
2 ممن يلقبون بالمحرق : عمرو بن هند ، والحارث بن عمر .
3 الكثف : الكثرة والالتفاف .
4 الدسيعة : الجفنة والمائدة الكريمة .

وإذا تعاظمت الأُمور موازنا كنتُ المنوَّهَ باسمه والثاني

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرَّةَ بنِ دُودانَ ، فقالوا : أَنت شاعر بني عامر ولم تَهْجُ بَني الديان ، فقال : [من الوافر]

تكلّفني هوازنُ فخْرَ قومٍ يقولون الأَنامُ لنا عبيدُ
أَبوهم مَذْحِج وأَبو أَبيهم إذا ما عُدّت الآباءُ هودُ
وهل لي إن فخَرتُ بغير فخر مقالٌ والأَنام له شهودُ ؟
فإنّا لم نزلْ لهمُ قطينا تجيء إليهمُ منّا الوفودُ[1]
فإنّا نضرب الأَحلامَ صفحا عن العلياء أَو من ذا يكيدُ ؟
فقولوا يا بني عَيلان كنّا لكم قِنّاً وما عنكم محيدُ

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ ، والتوليد فيه بيِّن ، وشعره شعر ركيك غثّ ، لا يشبه أشعار القوم . وإنّما ذكرتُه لئلاّ يخلوَ الكتاب من شيء قد رُوي .

[شعره في يوم المريسيع]

وقال محمد بنُ حبيبَ فيما روى عنه أَبو سعيدٍ السكَّريّ ، ونسخته من كتابه ، قال أَبو عمرو الشيبانيُّ : أُصيب قوم من بني جُندعُ بن ليث بن بكرِ بن هوازنَ رهطِ أُميّةَ بن الأسكرِ يقال لهم : بنو زَبينةَ ، أَصابهم أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يوم المُرَيْسِيع[2] في غزوتِه بني المُصْطَلِق ، وكانوا جيرانَه يومئذٍ ، ومعهم ناسٌ من بني لِحْيانَ من هُذَيل ، ومع بني جُندُع رجلٌ من خُزاعةَ يقال له : طارق ، فاتّهمه بنو ليث بهم ، وأنّه دَلَّ عليهم . وكانت خزاعةُ مُسلمها ومشركُها يميلون إلى النبيّ ﷺ ، على قريش . فقال أُميّة بنُ الأسكر لطارقٍ الخُزاعيّ : [من الطويل]

لعمرك إنّي والخزاعيَّ طارقاً كنَعجة عادٍ حتفَها تتحفّرُ
أَثارت عليها شَفرةً بِكُراعها فظلّت بها من آخر الليل تُجزَرُ
شَمِتَّ بِقومٍ هم صديقك أُهلِكوا أَصابهمُ يومٌ من الدَّهرِ أَعسرُ
كأَنّك لم تُنبأْ بيوم ذُؤالة ويومِ الرّجيع إذ تنحّر حبترُ
فهلاّ أَباكم في هذيل وعمَّكم ثأرتُمْ وهمْ أَعدى قلوباً وأَوترُ

1 قطينا : أتباعاً .

2 المريسيع : بئر أو ماء لخزاعة .

ويوم الأَراك يـوم أُردِف سبيكم صميمُ سَراة الدِّيــل عبدٌ ويعمرُ
وسَعْد بــن ليث إذا تُسلُّ نساؤكم وكلب بن عوف نحرّوكم وعقّروا
عجبت لشيخ مــن ربيعةَ مُهْتَرٍ أُمِرّ لـه يــومٌ من الدَّهر منكَرُ[1]

[شعر طارق الخزاعيّ يجيبه فيه]

فأَجابه طارق الخزاعيّ فقال : [من الطويل]

لعمرك مـا أَدري وإنِّي لقائل إلى أَيِّ مَـن يَظنّني أَتعذَّرُ ؟[2]
أُعنَّف أَنْ كانت زِبينة أُهلكت ونال بنــي لحيانَ شرّ ونُفّروا

[ابن عبّاس ومعاوية يتمثّلان بشعره وشعر صاحبه]

وهذه الأبيات : الابتداء ، والجواب تَمثّل بابتدائها ابن عبّاس في رسالة إلى معاويةَ ، وتمثّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها .

حدَّثني بذلك أَحمد بنُ عيسى بن أَبي موسى العِجليُّ العطّارُ بالكوفة ، قال : حدَّثنا الحسينُ بن نصرِ بن مزاحم المِنقريّ قال : حدَّثنا زيد بن المعذّل النَّمريُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ شعيبِ الخرّاز ، قال : حدَّثنا أبو مِخْنف ، قال : لمّا بلغ معاويةَ مصابُ أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، دسّ رجلاً من بني القَيْن إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه ، فدُلّ على القينيّ بالبصرة في بني سُلَيم ، فأُخِذ وقتل .

وكتب ابن عبّاس من البصرة إلى معاوية :

أَمّا بعد ، فإنّك ودسَّك أَخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غَفَلات قريش مثل الذي ظفرتَ به من يمانيتِك لَكَما قال الشاعر : [من الطويل]

لعمــرك إنِّــي والخزاعيَّ طارقاً كنعجــة عــاد حتفَهــا تتحفّرُ
أَثارت عليهــا شَفــرةً بكُراعِها فظلّت بهــا مــن آخر الليل تُجزَرُ
شمِتَّ بقوم هم صديقك أُهلكوا أَصابهمُ يــوم مــن الدهرِ أَمعرُ[3]

فأَجابه معاوية : أَما بعد ، فإنّ الحسنَ قد كتب إليّ بنحوٍ ممّا كتبت به وأَنَّبني بمـا لم أَجْن ظنّـاً وسوءَ رأي ، وإنّـك لم تَصب مَثَلَنـا ، ولكـنْ مثلُنا ومثلُكم كما قال طارقٌ الخزاعيُّ : [من الطويل]

---

1 المهتر : الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .
2 يظنني : يتهمني .
3 الأمعر : القليل الخير ، وفي ل : أصعر .

فوالله مـا أَدري وإنّي لصادق   إلى أَيٍّ مـن يَظنّني أَتعذرُ ؟
أُعَنّف أَن كانتَ زبينةُ أُهلِكت   ونال بني لِحيان شرّ ونُفِّروا

صوت

[من الكامل]

أُبنيّ إنّـي قـد كبِرتُ ورابَني   بَصري وفيّ لِمُصْلحٍ مستمتَعُ
فلئن كبِرتُ لقد دنوتُ من البلى   وحَلَّت لكم منّـي خَلائقُ أَربعُ[1]

عروضه من الكامل ، والشعر لِعَبْدة بنِ الطبيب ، والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق ، وفيه لمعبَد خفيفٌ ثقيل أوّل بالبِنصر في مجراها عنه أيضاً .

1 في رواية المفضليات (146) :
فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعياً   تبقـى لكـم منهـا مآثر أربعُ

[442] ـ نسب عبدة بن الطبيب[1] وأَخباره

[نسبه]

هو فيما ذكر ابنُ حبيبَ عن ابن الأعرابيِّ ، وأَبو نصر أَحمدُ بنُ حاتمٍ عن الأصمعيِّ وأبي عمرٍو الشيبانيِّ وأبي فرْوة العُكليِّ : عَبْدَة بن الطبيب ، والطبيب اسمه يزيدُ بنُ عمرٍو بن وَعْلَةَ بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جُشَمَ بن عبد شمسٍ . ويقال : عَبْشَمْسُ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميم .

وقال ابن حبيب خاصةً : وقد أَخبرني أَبو عبيدة قال : تميم كلّها كانت في الجاهليّة يقال لها : عبدُ تَيمٍ ، وتَيمٌ ، صنم كان لهم يعبدونه .

[شاعر مجيد]

وعَبْدةُ شاعر مُجيد ليس بالمكثِر ، وهو مُخَضْرَم ، أَدرك الإسلام فأَسلم ، وكان في جيش النُّعمان بنِ المُقرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن . وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

هل حَبلُ خَوْلَةَ بعد الهَجرِ موصولُ ... أَم أَنت عنها بَعيدُ الدّارِ مشغولُ ؟
حلّت خُوَيْلة في دارٍ مجاوِرةً ... أَهلَ المدينة فيها الديك والفيلُ[2]
يقارعون رؤوس العُجْم ضاحيةً ... منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[3]

[أرثى بيت قالته العرب في شعره]

أَخبرني محمدُ بنُ العبّاسِ اليزيديُّ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ عن عمِّه قال : أُرثى بيتٍ قالته العرب قول عَبْدَةَ بنِ الطبيب : [من الطويل]

فما كان قيس هُلْكُه هُلكَ واحدٍ ... ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدَّما

1 انظر أخباره في : المفضليات (مفضلية 26 ص 134) ، والشعر والشعراء 727/2 ، واللآلي 69–70 والإصابة 101/5–102 .

2 في المفضليات : المدائن ووردت كذلك في شعر عبدة بن الطبيب : 58 .

3 ميل : جمع أميل ، وهو الجبان والسيء الركوب . أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح .

وتمام هذه الأبيات : أَنشدَناه عليُّ بنُ سليمان الأَخفشُ عن السكريّ والمبرِّد والأَحول لعَبْدَة يرثي قيساً : [من الطويل]

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتُه مـا شاء أَن يترحّما
تحيـةَ مـن أوليتَه منك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سلَّما[1]
وما كان قيسٌ هُلكهُ هلكَ واحد ولكنّـه بُنيـانُ قـوم تهدَّما

[يترفع عن الهجاء]

أَخبرني محمد بنُ الحسن بنِ دُريد قال : حدَّثنا أَبو عثمانَ الأُشناندانيّ عن التوّزيِّ عن أبي عبيدة عن يونس قال : قال رجل لخالد بن صَفوانَ : كان عبْدةُ بنُ الطبيب لا يُحسن أن يهجو ، فقال : لا تقل ذاك ، فوالله ما أُتيَ من عِيّ ، ولكنّه كان يترفّع عن الهجاء ويراه ضَعة ، كما يرى تركَه مروءة وشرفاً ، قال : [من الوافر]

وأجـرأ مَـن رأَيتُ بَظَهْرِ غيبٍ على عيب الرجالِ أولو العيوبِ

[عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعرٍ له]

أَخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريُّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ ، عن ابن الأعرابيّ : أنّ عبد الملك بنَ مروانَ قال يوماً لجلسائه : أيّ المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر ، كأنّها غِرْقىء[2] البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن ، كأنّها نَوْر الربيع . فقال عبد الملك : مناديل أخي بني سعد عَبدةَ بن الطبيب ، قال : [من البسيط]

لّمـا نزلنـا نصبنا ظلّ أَخبيةٍ وفارَ لِلقومِ باللحمِ المراجيلُ[3]
وَرْدٌ وأَشقرُ ما يؤنيه طابخُه ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكولُ[4]
ثُمّتَ قمنا إلى جُرْد مُسوَّمةٍ أَعرافُهـنَّ لأَيدينـا مناديلُ

يعني بالمراجيل : المراجل ، فزاد فيها الياء ضرورة .

---

1 في شعر عبدة بن الطبيب 88 : ألبسته .

2 الغرقىء : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

3 في المفضليات : 141 .

لما وردنا رفعنا ظِـلّ أرديـة وفارَ باللحم للقوم المراجيـل

وكذلك ورد في شعر عبدة بن الطبيب 73 .

4 في المفضليات :

ورداً وأشقر لم ينهئه طابخـه ما غيَّر الغلي منه فهو مأكول

وكذلك ورد في شعر عبدة 73 يؤنيه : يمهله . ولم ينهئه : أي ينضجه .

صوت

[من الرجز]

إنّ الليالي أُسرعَت في نقضي   أخذن بَعضي وتركـن بعضِي

حَنَيْنَ طُولي وطَوَين عَرْضي   أُقعدْنني مِن بعـد طولِ نهضِ

عروضه من الرّجز ، الشعر للأغلب العجليّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، هزَج بالبنصر .

[443] ـ أخبار الأَغلب[1] ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما ذَكر ابن قُتَيبة ، الأغلبُ بن جُشمَ بن سعدِ بن عِجلٍ بن لُجَيمٍ بن صعبٍ بن عليٍّ بن بكرِ بن وائلٍ .

[إسلامه واستشهاده]

وهو أَحمد المعمَّرين ، عُمِّر في الجاهليّة عمراً طويلاً ، وأَدرك الإسلام فأَسلم ، وحَسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بنِ أبي وقّاص ، فنزلها ، واستُشهد في وَقعةٍ بِنَهاوَنْدَ[2] ، فقبره هناك في قبور الشهداء .

[هو أوّل مَن رجز الأراجيز الطوال]

ويقال : إنّه أَوّل مَن رجّز الأَراجيز الطِّوال من العرب ، وإيّاه عَنى العجّاج بقوله مفتخراً : [من الرجز]

إنّي أَنا الأَغلبُ أَمسى قد نشد

قال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحُداءِ والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بأبيات يسيرة ، فكان الأغلب أوّلَ مَن قصّد الرجز ، ثم سلك الناسُ بعده طريقته .

[كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز]

أَخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ أَبو خليفة في كتابه إلينا ، قال : أخبرنا محمد بن سلاَّم ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ . وأَخبرنا أَحمدُ بنُ محمدٍ أبو الحسن الأَسديُّ ، قال : حدَّثنا الرياشيّ ، قال حدَّثنا مَعْمَر بنُ عبد الوارث عن أَبي عمرو بن العلاء ، قال : كانت للأَغلب سَرْحة يصعد عليها ، ثم يرتجز : [من الرجز]

---

1 انظر أخباره في : الجمحي : 148–149 والشعر والشعراء 613/2 . والاشتقاق 208 والمؤتلف 22 وأسد الغابة 105/1 والإصابة 56/1 واللآلي 801–802 والخزانة 332/1–333 .

2 نهاوند : من بلاد الجبل ، جنوبي همذان .

قــد عرَفَتْني سَرْحتي فأَطَّتِ وقد شَمِطتُ بعدها واشمطَّتِ[1]

فاعترضه رجل من بني سعد ، ثم أحدِ بني الحارث بن عمرِو بنِ كعب بنِ سعد ، فقال لـه : [من الرجز]

قَبُحتَ مـن سالِفةٍ ومن قفا عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا[2]
كما شِرار الرِّعْي أَطرافُ السَّفى[3]

[ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعره في الجاهلية]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثني محمدُ بن عباد بنِ حبيبٍ المُهلَّبيُّ ، قال : حدَّثني نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ ، قال : كتب عمرُ بنُ الخطّاب إلى المغيرة بن شُعبةَ وهو على الكوفة : أن استنشد مَن قِبَلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقـال : [من الرجز]

لقـد سألتَ هيِّنـا موجوداً أَرجَـزاً تريـدُ أَم قصيـدا ؟

ثم أَرسَلَ إلى لَبيد فقال له : إن شئتَ مِمّا عفا الله عنه ، يعني الجاهليّة ، فعلتُ . قال : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام . فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال : أبدلَني الله عزّ وجلّ بهذه في الإسلام مكانَ الشعر .

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فنقَص عمرُ من عطاء الأَغلب خمسمائة ، وجعلها في عطاء لبيد ؛ فكتب إلى عمرَ : يا أمير المؤمنين ، أتنقص عطائي أن أطعتك ! فردّ عليه خمسمائة وأَقرَّ عطاء لبيد على أَلفين وخمسمائة .

أَخبرني محمدُ بن عبد العزيز : قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن حاتم ، قال : حدّثنا عليُّ بنُ القاسم ، عن الشعبيّ قال : دخل الأَغلبُ على عمرَ ، فلمّا رآه قال : هِيهِ ، أَنت القائل : [من الرجز]

أَرجــزاً تريــدُ أَم قصيدا ؟ لقــد سألــتَ هيِّناً موجودا

فقال : يا أُمير المؤمنين إنّما أُطعتك ، فكتب عمر إلى المغيرة : أَن اردد عليه الخمسَ المائةِ ، وأَقِرّ الخمسَ المائة للبيد .

1 السرحة : الشجرة لا شوك فيها . أطّت : صوّتت .
2 أصل السّالفة : مقدم عنق الفرس .
3 الرِّعي : ما يُرعى .

[شعر في سجاح حين تزوّجت مسيلمة]

أَخبرنا أبو خليفةَ عن محمد بن سلاّم قال : قال الأغلب العجليّ في سجاح لمّا تزوّجت مُسيلمةَ الكذّاب : [من الرجز]

لقد لَقيتْ سجاح من بعد العمى مُلَوَّحــاً في العين مجلود القَرا[1]
مثــل الفنيق في شبابٍ قــد أَتــى مــن اللُّجَيْميّين أُصحابِ القِرى[2]
ليس بــذي واهنـــة ولا نَسا نشا بلحــم وبخُبز مــا اشترى[3]
حتــى شتا يَنتح ذِفــراه الندى خاظي البَضيع لحمُــه خَظا بَظا[4]
كأنّما جمّع مــن لحــم الخُصى إذا تمطّــى بــين بُرديــه صأى[5]
كأَنَّ عِــرق أَيـــره إذا ودى حَبلُ عجوز ضَفَّرت سبعَ قُوى[6]
يمشي عــلى قوائــمٍ خمس زَكا يرفع وُسطاهنّ من بَــرد النَّدى[7]
قالت : متى كنت أَبا الخير متى ؟ قــال حديثـــاً لم يغيِّرني البِلى
ولم أُفــارق خُلَّــة لي على قِــلَى فانتُسفَتْ فَيشتُــه ذاتُ الشَّوى[8]
كأَن في أَجلادهــا سبــعَ كُلى مــا زال عنهــا بالحديث والمُنى[9]
والخُلقِ السَّفسافِ يُردي في الردى قــال : أَلا تَرَينَه قالــت : أَرى
قــال : أَلا أَدخِلــه ؟ قالت : بلى فشام فيهــا مثلَ محراث الغضى[10]

---

1 القرا : الظّهر .

2 الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى للكرامته على أهله ولا يركب .

3 الواهنة : ريح تأخذ في المنكبين ، أو في العضد ، أو في الأخدعين عند الكبر . النّسا : عرق من الورك إلى الكعبين .

4 ينتح : يخرج . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . خاظي : مكتنز . البضيع : ما انماز من لحم الفخذ ، جمع بضيعة . خظا : اكتنز وبظا ، توكيد لخظا .

5 صأى : صوّت .

6 ودى : المراد نعظ .

7 خمس زكا : خمس عدداً .

8 انتُسف اللون : التمع . وانتسف الطائر الشيء : نقره . الشوى : قحف الرأس .

9 أجلادها : أصل الأجلاد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه ، وورد عند البكري : أجيادها . كُلى : من معاني الكلية : معقد حمالة القوس .

10 ورد في فصل المقال : قال ألا ألحمه . محراث : ما تحرك به النار .

يقول لما غـابَ فيها واستوى لِمثلها كنتُ أُحسِّيك الحَسا[1]

[من أخبار سجاح]

وكان من خبر سجاح وادّعائها النبوّة وتزويج مسيلمة الكذّاب إيّاها ما أُخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف: أنَّ سجاح التميميّة ادّعت النبوّة بعد وفاة رسول الله ﷺ، واجتمعَتْ عليها بنو تميم، فكان فيما ادّعت أنّه أُنزِل عليها: يا أيّها المؤمنون المتّقون، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكنَّ قريشاً قوم يبغون.

واجتمعت بنو تميم كلّها إليها لتنصرها. وكان فيهم الأحنف بن قيس، وحارثة بن بدر، ووجوه تميم كلّها.

وكان مؤذِّنَها شبث بن ربعيّ الرياحيّ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذّاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشرَ تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كلّ هامة، وأضرموا فيها ناراً مِلْهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة.

وقالتْ لبني تميم، إنّ الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، وإنّما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه كررتم على قريش. فسارت في قومها وهم الدّهم[2] الداهم. وبلغ مسيلمةَ خبرُها، فضاق بها ذرعاً، وتحصَّن في حجر حصن اليمامة. وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار.

وكان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إنّ الله، تبارك وتعالى، أنزل عليكِ وحياً، وأنزل عليّ. فهَلُمِّي نجتمع، فنتدارس ما أنزل الله علينا، فمَن عرف الحقّ تبعه، واجتمعنا فأكلْنا العرب أكلاً بقومي وقومك.

فبعثَت إليه: أفعل، فأَمَر بقُبّة أَدَم فضربَت، وأمر بالعُود المَندَليّ[3] فسُجر فيها، وقال:

---

1 مثل: ورد في باب «استعانة الرجل بإخوانه» «لمثل هذا كنت أُحسّيك الحسا». وفي فصل المقال اختلف ترتيب الأشطار فجاءت كما يأتي:

تقذف عينه بمثل المصطكى يقول لما غاب فيها واستوى

«لمثلها كنت أُحسّيكَ الحُسا»

ورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 178/2، 185، وكتاب الأمثال لمجهول 96، وفصل المقال 269 والمستقصى 295/2.

2 الدهم: العدد الكثير.

3 العود المندلي: منسوب إلى مندل، قرية بالهند.

أَكثِروا من الطيب والمِجْمر[1] ، فإنّ المرأة إذا شمّت رائحةَ الطيب ذكرت الباه ، ففعلوا ذلك .

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبَّة المضروبة للاجتماع ، فأَتته فقالت : هات ما أُنزِل عليك . فقال : أَلم تَر كيف فعل ربّك بالحبلى ، أخرج منها نُطْفة تسعى ، بين صِفاق[2] وحَشا ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربّهم يكون المنتهى . قالت : وماذا ؟ قال : أَلم ترَ أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنولج فيهنَّ الغراميل إيلاجاً ، ونخرجها منهنّ إذا شئن إخراجا . قالت : فبأيّ شيء أَمرك ؟ قال : [من الهزج]

ألا قومي إلى النَّيكِ فقد هُيِّي لك المضجعْ
فإن شئتي ففي البيت وإن شئتي ففي المُخدعْ
وإن شئتي سلقناك وإن شئتي على أَربعْ[3]
وإن شئتي بثلثيه وإن شئتي به أَجمعْ

قال : فقالت : لا ، إلاّ به أَجمع . قال : فقال : كذا أُوحى الله إليّ ، فواقعها . فلمّا قام عنها قالت : إنّ مثلي لا يجري أمرُها هكذا ، فيكون وصمة على قومي وعليّ ، ولكنّي مُسلِّمةٌ النبوّة إليك ، فاخطبني إلى أوليائي يزوِّجوك ، ثم أقودُ تميماً معك .

فخرج وخرجَت معه ، فاجتمع الحيّان مِن حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنّه قرأ عليّ ما أُنزِل عليه ، فوجدته حقّاً ، فاتبعتُه ، ثم خطبها ، فزوّجوه إيّاها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صلاة العصر ، فبنو تميم إلى الآن بالرَّمل لا يصلّونها ، ويقولون : هذا حقّ لنا ، ومهر كريمة منّا لا نردّه . قال : وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجاح في كلمةٍ له : [من البسيط]

أَضحَتْ نَبيّتنا أنثى نُطيف بها وأَصبحت أَنبياءُ اللهِ ذُكْرانا

قال : وسَمع الزبرقانَ بنَ بدرٍ الأَحنفُ يومئذٍ ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم ، فقال الأَحنف : والله ما رأيت أحمق من هذا النبيّ[4] قَطّ . فقال الزبرقان : والله لأخبرن بذلك مسيلمةَ . قال : إذاً والله أحلف أنّك كذبت فيصدّقني ويكذّبك . قال : فأمسك الزبرقان ،

1 المجمر : ما يوضع فيه الجمر .
2 الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشاعر .
3 سلقها : بسطها فجامعها .
4 ل : هذه الأنبياء .

وعلم أنّه قد صدق .

قال : وحُدِّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث ، فقال : أَمِن والله أَبو بحر من نزول الوحي . قال : فأسلمَت سجاحِ بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة ، وحسُن إسلامها .

صوت

[من السريع]

كَم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أَسهرهــا ولوعــةٍ مــن هواك أُضمِرُها
وحُرقــةٍ والدمــوعُ تُطفئها ثــم يعــودُ الجوى فيُسعِرها
بيضاء رُود الشباب قد غُمِسَت في خَجل دائــب يعصفرها[1]
الله جــار لهــا فما امتلأت عيناي إلاّ من حيثُ أُبصرُها

الشعر للبحتريّ ، والغناء لعَريب ، رمَل مطلق من مجموع أغانيها ، وهو لحن مشهور في أيدي الناس ، والله أعلم .

1 الرود : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .

[444] ـ أخبار البحتريّ[1] ونسبه

[نسبه]

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بنِ عبيد بن شِمْلال بن جابر بن سَلَمةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جَدْي بن تدول بن بُحتر بن عَتود بن عَثَمة بن سَلامان بن ثُعَلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طيِّىءِ بنُ أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

[شاعريته وندرة هجائه]

ويكنى أبا عُبادة ، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب ، نَقيّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرّف حسن فاضل نقيٌّ في ضروب الشعر ، سِوى الهجاء ، فإنّ بضاعته فيه نزْرة ، وجيّدُه منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أنّ السبب في قلّة بضاعته في هذا الفنّ أنّه لّما حضره الموتُ دعا به ، وقال له : اجمع كلّ شيء قلتُه في الهجاء . ففعل ، فأمره بإحراقه ، ثم قال له : يا بني ، هذا شيء قلتُه في وقت ، فشفيتُ به غيظي ، وكافأت به قبيحاً فُعل بي ، وقد انقضى أرَبي في ذلك ، وإن بقي رُوِي ، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودّة ، وأخشى أن يعودَ عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه ، قال : فعلمت أنّه قد نصحَني وأشْفق عليّ ، فأحرقته .

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغَوْث .

وهذا ، كما قال أبو الغوث ، لا فائدة لك ولا لي فيه ، لأنّ الذي وجدْناه وبقي في أيْدي الناس من هجائه أكثرُهُ ساقط ، مثل قوله في ابن شيرزاد : [من المتقارب]

نفقْتَ نُفُــوق الحمار الذَّكَرْ ... وبــان ضُراطُـك عنّــا فمرْ

ومثل قوله في عليِّ بن الجهم : [من الوافر]

ولو أَعطاك ربُّـك مـا تمَنَّى ... لزادك منــه في غِلَـظ الأَيورِ

1 انظر أخباره في الفهرست : 190 وتاريخ بغداد 13 : 476 والمنتظم 6 : 11 ومعجم البلدان (منبج) وابن خلكان 6 : 21 ومعجم الأدباء 6 : رقم (1216) : 2796 وعبر للذهبي 2 : 73 وسير الذّهبي 13 : 486 والبداية والنهاية 11 : 76 والنجوم الزاهرة 3 : 99 والشذرات 2 : 186 وأخبار البحتري للصولي (دمشق 1957) والموازنة للآمدي ، ويونس السامرائي : البحتري في سامراء (1−2) بغداد 1971 وخليفة الوقيان : شعر البحتري ، بيروت 1985 .

عَلامَ طَفِقْتَ تهجوني مليّاً بما لفَّقت من كذبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات ، ومثلها لا يُشاكل طبعَه ، ولا تليق بمذهبه ، وتنبىءُ بركاكتها وغَثاثة ألفاظها عن قِلَّة حَظّه في الهجاء . وما يُعرف له هجاءٌ جيّدٌ إلاّ قصيدتان إحداهما قولُه في ابن أبي قماش : [من المنسرح]

مرّت على عَزْمِها ولم تقفِ مُبدِيةً للشِّنان والشَّنَفِ

يقول فيها لابن أبي قماش :

قد كان في الواجبِ المُحقَّق أن تعرفَ ما في ضميرها النّطفِ
بما تَعاطيتَ في العيوبِ وما أُوتيت من حكمة ومن لَطَفِ
أمَا رأيت المرِّيخَ قد مازج الزّ هرة في الجدِّ منه والشَّرَفِ
وأخبرتك النّحوسُ أنّكما في حالتي ثابت ومُنْصَرَفِ
من أين أعملت ذا وأنت على التَّقويم والزِّيج جِدّ مُنْعكفِ
أما زجرتَ الطَّير العلا أو تَعَيَّـ ـفْت المها أو نظرت في الكَتِفِ
رذُلت في هذه الصناعةِ أو أكديتَ أو رمتَها على الخَرَفِ
لم تَخْطُ باب الدّهليز منصرِفاً إلاّ وخَلخالُها مع الشَّنَفِ[1]

وهي طويلةٌ ، ولم يكن مذهبي ذكرها إلاّ للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس ، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النصرانيّ ، فإنّها ، وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها ، تجري مجرى التَّهكمّ باللفظ الطيِّب الخبيث المعاني ، وهي : [من المتقارب]

تظنّ شُجُونيَ لم تَعْتَلِجْ وقد خلج البَيْنُ من قد خَلَجْ

وكان البحتريّ يتشبَّه بأبي تمّام في شعره ، ويَحْذو مَذْهَبَه ، ويَنْحو نحوَه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويُقدّمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ مُنصِف : إنّ جَيِّدَ أبي تمّام خيرٌ من جَيِّدِه ، ووسَطَه ورَدِيئَه خيرٌ من وسط أبي تمّام ورديئه ، وكذا حكم هو على نفسه .

[مع أبي تمام]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني الحسين بن علي الياقُطانيّ : قال : قلت للبحتريّ : أيُّما أشعر أنتَ أو أبو تمام ؟ فقال : جيّده خير من جيّدي ، ورَديئي خَيْر من رديئه .

1 الشَّنف : ما عُلّق بالأذن .

حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثني أبو الغوث يحيى بن البحتريّ : قال : كان أبي يُكنى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير عليّ في أيّام المتوكّل بأن أقتصر على أبي عبادة ، فإنّها أشهر ، فاقتصرت عليها .

حدَّثني محمد قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ ـ وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرّد في سنة ستّ وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله ـ : أنت واللهِ أشعرُ من أبي تمّام في هذا الشعر ، قال : كلاّ والله ، إنّ أبا تمام للرّئيسُ والأستاذُ ، واللهِ ما أكلتُ الخبزَ إلاّ به ، فقال له المُبرّد : لله دَرُّك يا أبا الحسن ، فإنّك تأبى إلاّ شرَفاً من جميع جوانِبك .

حدَّثني محمد : قال : حدَّثني الحسين بن إسحاق : قال : قلت للبحتريُّ : إنّ الناس يزعمون أنّك أشعر من أبي تمام ، فقال : والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضرّ أبا تمام ، والله ما أكلت الخبزَ إلاّ به ، ولَوَدِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا : ولكنّي والله تابعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به ، نَسِيمي يركدُ عند هوائه ، وأرضي تَنْخَفِض عند سمائه .

حدَّثني محمدُ بن يحيى : قال : حدَّثني سَوَّار بن أبي شراعة ، عن البحتريّ : قال : وحدَّثني أبو عبد الله الألوسيّ ، عن عليّ بن يوسف[1] ، عن البحتريّ : قال : كان أوّلَ أمري في الشعر ونباهتي أنّي صرتُ إلى أبي تمَّام ، وهو بِحمْص ، فعرضتُ عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليّ ، وترك سائرَ مَنْ حضر ، فلمّا تفرّقوا قال لي : أنتَ أشعرُ مَنْ أنشَدني ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خَلَّةً[2] فكتب إلى أهل مَعَرَّة النُّعمان ، وشهد لي بالحِذق بالشعر ، وشفع لي إليهم وقال : امتدحْهم ، فصرتُ إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظَّفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أوّلَ مالٍ أصبتُه . وقال عليّ بن يوسف في خبره : فكانت نسخة كتابه : «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عُبادَة الطائيّ ، وهو ، على بذاذته[3] ، شاعر ، فأكرموه» .

[يعشق غلاماً فيلتحي]

حدَّثني جَحظةُ : قال : سمعتُ البُحتريّ يقول : كنت أتعشَّقُ غلاماً من أهلِ مَنْبج يقال له شُقران ، واتفق لي سفرٌ ، فخرجت فيه ، فأطلت الغَيْبة ، ثم عُدتُ ، وقد التحى ، فقلت فيه ، وكان أوّلَ شعر قلتُه : [من مجزوء الرمل]

---

1 ل : علي بن سيف .

2 الخلة : الحاجة .

3 بذاذته : سوء حاله ، ورثاثة هيئته .

نَبتَتْ لِحْيةُ شُقْرا نَ شقيقِ النَّفْسِ بَعْدي
خُلِقت ، كيف أتته قبل أن يُنجِزَ وعدي !

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شنْدان .

[بدء التعارف بينه وبين أبي تمام]

حدَّثني عليّ بن سليمان : قال : حدَّثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه ، وحدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني علي بن العبّاس النُّوبَخْتيّ عن البحتريّ ، وقد جمعت الحكايتين ، وهما قريبتان : قال : أوّل ما رأيتُ أبا تمَّام أنِّي دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقال مدحته بقصيدتي : [من الكامل]

أأفاق صبٌّ من هَوًى فأُفِيقا أو خان عهداً أو أطاع شفيقا ؟

فسُرّ بها أبو سَعيد ، وقال : أحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ ، قال : وكان في مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه ، فوق كلّ من حضر عنده ، تكاد تمسُّ ركبتُه ركبتَه ، فأقبل عليَّ ثم قال : يا فتى ، أما تستحي منِّي ! هذا شِعْر لي تنتحله ، وتنشده بحضرتي ! فقال له أبو سعيد : أحقّاً تقول ! قال : نعم ، وإنّما عَلِقه منّي ، فسبقني به إليك ، وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة ، حتى شَكَّكني ، علمَ الله ، في نفسي ، وبقيت متحيِّراً ، فأقبل عليّ أبو سعيد ، فقال : يا فتى ، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا ، فجعلتُ أحلِف له بكلّ مُحْرِجَة من الأَيْمانِ أنَّ الشعر لي ما سبَقني إليه أحَدٌ ، ولا سَمعته منه ، ولا انتحلتُه ، فلم ينفعْ ذلك شيئاً ، وأطرَق أبو سعيد ، وقُطِع بي ، حتى تمنَّيت أنِّي سُخْتُ في الأرض ، فقمت منكسرَ البال أجرُّ رِجليَّ ، فخرجت ، فما هو إلاّ أن بلغتُ بابَ الدّارِ حتى خرج الغِلمان فردّوني ، فأقبل عليّ الرجل ، فقال : الشعرُ لك يا بنيّ ، والله ما قلتُه قطّ ، ولا سمعتُه إلاّ منك ، ولكنّني ظنَنتُ أنّك تهاونتَ بمَوْضعي ، فأقدمتَ على الإنشادِ بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تُريد بذلك مُضاهاتي ومُكاثَرتي ، حتى عرَّفَني الأميرُ نسبَك وموضعَك ، ولَوَدِدْت ألاّ تلد أبداً طائيَّةٌ إلا مثلَك ، وجعل أبو سعيد يضْحَك ، ودعاني أبو تمام ، وضَمَّني إليه ، وعانَقني ، وأقبل يُقرّظني ، ولَزِمْته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديتُ به ، هذه رواية مَن ذكرت .

[إشادته بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري]

وقد حدَّثني عليُّ بن سليمان الأَخفش أيضاً : قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحُسين بن سَندٍ القُطْرُبُّليّ : أنّ البحتريّ حدَّثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثَّغْريّ ، وقد مدحه بقصيدة ، وقَصَده بها ، فألفى عنده أبا تمّام وقد أنشده قصيدة له فيه ، فاستأذنه البحتريّ في الإنشاد وهو يومئذٍ حَديثُ السّنّ ، فقال له : يا غلام أتُنْشدني بحضرة أبي تمّام ؟ فقال : تأذن

ويستمع ، فقـام ، فأنشده إيّاها ، وأبو تمّام يسمع ويهتزّ من قَرْنه إلى قدمه استحساناً لها ، فلمّا فرغ منها قال : أحسنتَ والله يا غلام ، فممَّن أنت ؟ قال : من طيّيء ، فطَرِب أبو تمّام وقـال : من طيّيء ، الحمد لله على ذلك ، لَوَدِدْت أنَّ كلّ طائيةٍ تَلِدُ مِثلَك ، وقبّل بَين عينيه ، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف : قد جعلتُ له جائزتي ، فأمر محمد بها ، فضُمَّت إلى مثلها ، ودفِعت إلى البحتريّ ، وأعطى أبا تَمّام مثلها ، وخُصَّ به ، وكان مدّاحاً له طول أيّامه ولابنه بعده ، ورثاهما بعد مقتليهما ، فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروي أنّه قيل له في ذلك فقال : من تمام الوفاء أن تفْضُل المَراثي المدائحَ لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال : كنّا نَعْمَلُ للرَّجاء ، نحن نَعْمَل اليوم للوفاء . وبينَهما بُعْد .

[كان بخيلاً زري الهيئة]

حدَّثني حكم بن يحيى الكنتحي قال : كان البحتريّ من أَوسخ خلق الله ثَوْباً وآلة وأبخلهم على كلّ شيء ، وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوعُ أتياه يبكيان ، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مُضيَّقاً مُقتّراً ، ويقول : كُلا ، أجاعَ اللهُ أكبادكما ، وأعْرى أجلادَكما وأطال إجهادكما .

قال حكم بن يحيى : وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت ، فجعل يُحرّك رأسه ، فقلت له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ، ليس له طعم ولا معنى .

وحدَّثني أبو مسلم محمدُ بنُ بحر الأصبهانيّ الكاتب ، قال : دخلت على البحتريّ يوماً فاحتبسَني عنده ، ودعا بطعامٍ له ، ودعاني إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخٌ شاميٌّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطّعام ، فتقدّم ، وأكل معه أكلاً عنيفاً ، فغاظه ذلك ، والتفتَ إليّ ، فقال لي : أتعرف هذا الشيخَ ؟ فقلت : لا ، قال : هذا شيخ من بني الهُجَيْم الذين يقول فيهم الشاعر : [من الكامل]

وبَنـو الهُجَيْـم قبيلةٌ مَلْعونةٌ حُصُّ اللّحى مُتشابهو الألْوانِ[1]
لو يسمعون بأكلـة أو شَرْبَة بعُمانَ أصبح جَمعُهم بعُمانِ

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

[ماء من يد حسناء]

وحدَّثني جحظة : قال : حدَّثني عليّ بنُ يحيى المُنَجّمُ : قال : اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء ، وهي أحسنُ من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولِمَن هذا الماء ؟ قالت : لستّي قُبَيْحة ، قال : صُبّيه في حَلْقي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحتريّ : قُل

1 حصى اللحى : قليلو شعر اللحية .

في هذا شيئاً ، فقال البحتريّ : [من البسيط]

ما شَرْبَةٌ من رَحِيق كأسُها ذَهَبٌ جاءت بها الحُورُ من جَنَّاتِ رِضْوانِ
يوماً بأَطيبَ من ماءٍ بلا عَطَش شربتُه عبثاً من كفِّ بُرْهانِ

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفش ، وأحمدُ بن جعفر جحظة : قالا : حدَّثنا أبو الغوث بن البحتريّ : قال : كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ بنصف قِنِّينةِ دُرْديّ[1] ، وكتب إليّ : دونكها يا بنيّ ، فإنّها تكشف القَحْط ، وتضبطُ الرَّهط . قال الأخفش ، وتُقِيتُ الرَّهط .

[قصته مع أحمد بن عليّ الإسكافيّ]

حدَّثني أبو الفضل عبّاسُ بن أحمد بن ثوابةَ قال : قدِم البحتريُّ النَّيلَ[2] على أحمد بنِ عَليّ الإسكافيّ مادحاً له ، فلم يُثِبْه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

ما كسبنا من أحمدَ بنِ عَليٍّ ومن النِّيلِ غيرَ حُمَّى النَّيلِ

وهجاه بقصيدة أُخرى أوّلها : [من الخفيف]

قِصَّةُ النَّيـلِ فاسمعوهـا عُجابَه

فجمع إلى هجائه إيّاه هجاءَ أبي ثَوابة ، وبلغ ذلك أبي ، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فردَّه إليه ، وقال : قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رِفْدِكم ، فكتب إليه أبي : أمّا الإساءة فمَغفُورة وأمّا المعذرة فمشكورة ، والحَسناتُ يُذهِبْن السيئات ، وما يأسو جراحَك ، مثلُ يدك وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ ، وأضعفتُه ، فإن تلافَيْتَ ما فرط منك أثبنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل ما بعث به ، وكتبَ إليه : كلامُك واللهِ أحسنُ من شعري ، وقد أسلفْتَني ما أخجَلَني ، وحمَّلْتَني ما أثقلني ، وسيأتيك ثنائي . ثم غدا إليه بقصيدة أوّلها :

ضَلالٌ لهـا مـاذا أرادت إلى الصّدّ

وقال فيه بعد ذلك :

بـرقٌ أضـاء العقيـقَ مـن ضَرَمِهْ

وقال فيه أيضاً :

دانٍ دعـا داعـي الصِّبـا فأجابَهْ

قال : ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ، ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

---

1 الدُّرديّ : ما رسب أسفل من كلّ شيء مائع .

2 النِّيل : بليدة في سواد الكوفة ، ونهر من أنهار الرقة (ياقوت) .

[شعره في نسيم غلامه]

أخبرني جحظة قال : كان نسيمٌ غُلامُ البحتريّ الذي يقول فيه : [من الطويل]

دَعا عَبْرتي تجرِي على الجَور والقصد أظنُّ نسيماً قارفَ الهمَّ من بعدي[1]
خَلا ناظِري من طيفِه بعد شخصِه فيـا عجبـا للدَّهْـر فقـدٌ على فَقْدِ

غلاماً روميّاً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحَيَل على النّاس ، فكان يبيعُه ويعتمد أن يُصيّره إلى مِلْك بعض أهل المروءات ومَن ينفق عنده الأدب ، فإذا حصل في مِلْكِه شَبَّب به ، وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات نسيم ، فكُفي النَّاسُ أمرَه .

[خبره مع محمد بن علي القميّ وغلامه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : كتب البحتريّ إلى أبي محمد بن عَليٍّ القُمِّيّ يستَهديه نبيذاً ، فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أمرد ، فجَمَّشه[2] البحتريّ ، فغضب الغلامُ غضباً شديداً ، دلَّ البحتريَّ على أنّه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه : [من المتقارب]

أبـــا جعفـــرٍ كان تَجْميشُنا غلامَك إحدى الهَنـات الدَّنِيَّـهْ
بعثــتَ إلينـا بشمس المُـدامِ تضيء لنـا مـع شمس البرِيَّـهْ
فليــت الهديّـــة كان الرّسول وليــتَ الرسولَ إلينـــا الهَـدِيَّهْ

فبعث إليه محمدُ بنُ عَليّ الغُلامَ هَدِيّة ، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدّة ، خجلاً ممّا جرى ، فكتب إليه محمدُ بن عليّ : [من الطويل]

هجرتَ كأنّ البِرّ أعقب حِشمَةً ولم أرَ وَصْلاً قبل ذا أعقب الهَجْرا

فقال فيه قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

فتى مَذْحج غَفْراً فتى مذحجٍ غُفْرا[3]

وهي طويلة . وقال فيه أيضاً : [من الكامل]

أمواهــبٌ هاتيـــك أم أنـــواءُ هُطُـلٌ وأخـــذٌ ذاكَ أم إعطـاءُ
إن دامَ ذا أو بَعضُ ذا مَن فعل ذا ذهب السخاءُ فلا يُعَـدُّ سَخاءُ[4]

---

1 قارف في ل : قارن .
2 التجميش : المغازلة والملاعبة .
3 مذحج : أكمة ، ولدت مالكاً وطيئاً أمهما عندها ، فسمّوا مذحجاً .
4 فلا يعدُّ سخاءُ في الديوان : «فلا يُحسّ سخاء» .

ليس الذي حلّت تميمٌ وسْطَه الدَّهـ ـناء ، لكن صدرُكَ الدّهناءُ[1]
ملك أَغرّ لآل طَلحة مَجدُه كفّاه بحرُ سماحةٍ وسماءُ[2]
وشريف أَشراف إذا احتكّت بهم جُرْبُ القبائل أَحسنوا وأَساءوا[3]
أَمحمدُ بنَ عليٍّ اسمَعْ عُذْرَةً فيها شفاءٌ للمُسيء ودَاءُ
مالي إذا ذُكِر الكرامُ رَأَيتَني ما لي مع النّفر الكرام وَفاءُ ؟
يضفو عليَّ العَذْلُ وهو مُقاربٌ ويَضيق عنّي العُذْرُ وهْوَ فَضاءُ
إنّي هجرتُك إذا هجرتُك حِشْمةً لا العَوَدُ يُذهِبُها ولا الإبداءُ[4]
أَخجلتَني بنَدى يديْك فسوَّدَتْ ما بيننا تلك اليدُ البَيضاءُ
وقطعتَني بالبرّ حتى إنَّني متوهّمٌ أَن لا يكون لقاءُ[5]
صِلَةٌ غَدَت في النّاس وَهْي قطِيعَةٌ عجباً وبِرٌّ راح وَهْو جَفاءُ
ليواصِلَنَّك رَكْبُ شِعريَ سائراً تُهدى بِه في مدحك الأَعداءُ[6]
حتى يتمّ لك الثّناءُ مُخَلَّداً أَبداً كما دامت لك النّعماءُ[7]
فتظلَّ تَحسُدك الملوكُ الصيدُ بي وأَظَلَّ يَحْسُدني بك الشُّعراءُ

[موته بالسكتة]

أَخبرني عليُّ بن سليمانَ الأَخفش : قال : سأَلني القاسِم بن عبيد الله عن خبر البُحتريّ ، وقد كان أُسكت ، ومات من تلك العِلّة ، فأخبرتُه بوفاته ، وأنّه مات في تلك السّكتة ، فقال : ويحه رُمي في أحسَنِه .

[أبو تمّام يعلّم البحتريّ الاستطراد]

أَخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثني محمدُ بن عليّ الأَنباريّ : قال : سمعتُ البَحتريَّ يقول : أنشدني أبو تمّام يوماً لنفسه : [من البسيط]

وسابحٍ هطِلِ التَعداء هتّان على الجراء أَمينٍ غير خوَّانِ

---

1 وسطه الدّهناء ، لكن صدرُكَ في الديوان : وسطها الدهناء لكن صدرها .
2 مجدُه في الديوان : نَجْرُه .
3 وأساءوا في الديوان : دواء .
4 الشطر الأول في الديوان : إني هجرتُك إذ هجرتُك حشمة .
5 متوهّم في الديوان : متوهم .
6 الشطر الثاني في الديوان : تُهدى به في مدحك الأعداء .
7 كما دامت في الديوان : كما دافعت .

أَظْمى الفصُوصِ ولم تظمأ قوائِمهُ فخَلٍّ عينيك في ظمـآنَ رَيّانِ[1]
فلو تـراه مُشِيحاً والحصى زِيَمٌ بين السّنابك من مثْنًى ووُحدانِ[2]
أيقنـتَ إنْ لم تثَبَّتْ أَنّ حافـرَه من صَخْرِ تَدْمُر أو من وَجْه عثمانِ[3]

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أُدري ، قال : هذا هو المستطرد ، أو قال الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُريك أنّه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاءَ عثمان ، وقد فعل البحتريّ ذلك ، فقال في صِفة الفرس : [من الكامل]

ما إن يَعافُ قَذًى ولو أَوردتَه يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأَحْوَل

وكان حمدويه الأحولُ عدوّاً لمحمد بن علي القُمّيّ الممتدَح بهذه القصيدة فهجاه في عُرض مدحه محمداً . والله أعلم .

[أبو تمّام يشيد به]

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأَخفش : قال : حدَّثني أَبو الغَوْث بن البُحتريّ : قال : حدَّثني أبي : قال : قال لي أبو تمّام : بلغني أنَّ بني حميد أعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به ، فأنشدني شيئاً منه ، فأَنشدته بعضَ ما قلتُه فيهم ، فقال لي : كم أعطَوْك ؟ فقلت : كذا وكذا ، فقال : ظلموك ، والله ما وَفَوْك حقّك ، فلِمَ اسْتكثرتَ ما دفعوه إليك ؟

والله لَبيتٌ منها خيرٌ ممّا أخذْت ، ثم أطرق قليلاً ، ثم قال : لعَمْري لقد استكثرت ذلك ، واستُكثِر لك لمّا مات الناسُ وذهب الكرامُ ، وغاضت المكارمُ ، فكسدت سُوقُ الأدب ، أَنت والله يا بُنَيَّ أميرُ الشعراء غداً بعدي ، فقمتُ فقبّلت رأسَه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي ممّا وصل إليَّ من القوم .

[أبو تمّام ينعى نفسه]

حدَّثني محمد بن يحيى عن الحسن بن عليّ الكاتب : قال : قال لي البحتريّ : أَنشدتُ أَبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فتمثّل ببيت أَوس بن حجر : [من الطويل]

إذا مُقـرَمٌ منّـا ذرا حدُّ نابه تخمَّطَ فينا نـابُ آخَر مُقرَمِ[4]

ثم قال لي : نعيتَ واللهِ إليّ نفسي ، فقلتُ : أُعِيذك بالله من هذا القول ، فقال : إنّ عمري لن يَطول ، وقد نشأ في طيىء مِثلُك ، أمَا علمتَ أنّ خالدَ بن صفوان رأى شبيبَ بنَ شَيْبة ،

---

1 الفصوص : المفاصل . تظمأ : تَضْمر .

2 زيم : جمع زيمة ، وهي القطعة من الشيء .

3 عثمان بن إدريس .

4 المُقرم : السيّد المقدم ، تشبيهاً بالمقرم من الإبل . وذرا حدّ نابه : انكسر . والتخمّط : الأخذ والقهر بغلبة .

وهو من رَهْطه يتكلَّم ، فقال : يا بُنَيّ ، لقد نَعى إليّ نفسي إحسانُك في كلامِك ، لأنَّا أهلُ بيت ما نشأ فينا خَطِيبٌ قطّ إلاّ مات مَن قبله ، فقلت له : بل يُبقِيك الله ، ويجعلني فداءك . قال : ومات أبو تمّام بعد سنة .

[يضجر المتوكل من عُجبه بنفسه فيغري به الصيمري]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : حدَّثني أبو العَنْبَس الصَّيْمريّ قال : كنتُ عند المتوكّل والبُحتريّ يُنشِده : [من مجزوء الكامل]

عَـنْ أيِّ ثغـــر تبتَسِمْ ... وبـأيّ طـرفٍ تحتكمْ ؟

حتى بلغ إلى قوله :

قُـلْ للخلِيفَة جعفـر الـ ... ـمتوكّـلِ بـنِ المعتصِـمْ

المُبْتـــدي للمُجْتَـدي ... والمُنعِـم بـــنِ المُنْتقِـمْ

اسلَـــمْ لدِيــنِ محمـدٍ ... فـإذا سلمتَ فقـد سَلِـمْ

قال : وكان البحتريّ من أبغض النّاس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور[1] في مشيه مرّة جانباً ، ومرّة القَهْقَرى ، ويهزّ رأسَه مَرَّة ، ومنكبيه أُخرى ، ويشير بكُمِّه ، ويقف عند كلّ بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يُقبِل على المستمعين ، فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يُحسِن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجِر المتوكِّل من ذلك وأقبل عليَّ ، وقال : أما تسمع يا صَيْمَريّ ما يقول ؟ فقلت : بلى يا سيِّدي ، فمُرني فيه بما أحببتَ ، فقال : بحياتي اهجُه على هذا الرّويّ الذي أنشَدَنيه ، فقلت : تأمُر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول ، فدَعا بدواةٍ وقرطاسٍ ، وحضَرَني على البديهة أن قلت : [من مجزوء الكامل]

أدخلتَ رأسك في الرّحمِ ... وعلمـتَ أنَّـكَ تنهزمْ

يـا بحتريُّ حَـذارِ وَيْحَـ ... ـكَ من قُضاقِضةٍ ضُغُمْ[2]

فلقــد أَسَلْـتَ بواديَـ ... ـكَ من الهجا سَيْلَ العَرِمْ

فبـأيّ عِــرْضٍ تَعتَصِـمْ ... وبِهَتْكِـه جَـفَّ القَلَمْ ؟

والله حِلْفَـــةَ صـادقٍ ... وبقبـرِ أحمـد والحـرَمْ

وبحــقّ جعفـــرٍ الإمـا ... مِ ابــنِ الإمـام المعتَصِمْ

---

1 يتزاور : ينحرف .

2 القضاقض : الأسد ، وجمعه قضاقضة . وضغمه : عضه بملء فِيه . فهو ضاغم والجمع ضُغُم .

لأُصَيِّرَنَّـــك شُهـــرةً بـــين المَسِيـل إلى العَلَمْ
حَـــيِّ الطّلول بذي سلَمْ حيـث الأَراكـةُ والخِيَمْ
يـا ابنَ الثَّقِيلَـة والثقيـل على قُلوبِ ذَوِي النِّعَمْ
وعــلى الصغير مع الكبـير مــن المَوالي والحَشَمْ
في أيِّ سَلْـح ترتطـمْ وبــأيِّ كـفٍّ تلتَقِمْ ؟
يا ابـنَ المُباحـةِ للـوَرى أمِــن العفـاف أم التُّهَمْ
إذ رَحْـلُ أختك للعَجَم وفــراشُ أُمّك في الظُّلَمْ
وبـبــاب دارِك حانَــةٌ في بَيْتِـه يُؤْتَـى الحَكَمْ[1]

قال : فغَضِب ، وخرج يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمْ وعلمــتَ أَنَّك تَنْهَـزِمْ

والمتوكّل يضحك ، ويصفّق حتى غاب عن عينه .

هكذا حدَّثني جحظة عن أبي العَنْبَس .

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخطّ الشاهيني حكاية عن أَبي العَنْبَس ، فرأَيتُها قريبة اللفظ ، موافقةَ المعنى لما ذكره جحظةُ ، والذي يتعارفه الناس أنّ أبا العَنْبَس قال هذه الأبيات ارتِجالاً ، وكان واقفاً خلف البحتريّ ، فلمّا ابتدأ وأنشد قصيدته : [من مجزوء الكامل]

عن أيِّ ثغـــرٍ تبتسِمْ وبــأيِّ طــرْف تحتكِمْ

صاح به أَبو العَنْبَس من خلفه :

في أيٍّ سَلْـــح ترتَطِـم وبــأيِّ كَــفٍّ تَلْتَقِــمْ
أدخلتَ رأسَك في الرَّحِم وعلمــتَ أنّـك تنهـزِمْ

فغضب البحتريّ ، وخرج ، فضحك المتوكّل حتى أكثر ، وأمَر لأبي العَنْبَس بعشرة آلاف درهم والله أعلم .

وأَخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ ، وحدَّثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه : قال : وحدَّثني يحيى بن عليّ عن أبيه : أنّ البحتريّ أنشد المتوكّل ، وأبو العَنْبَس الصَّيْمريّ حاضر ، قصيدَتَه : [من مجزوء الكامل]

---

1 مثل ورد في فصل المقال 76 وكتاب الأمثال لأبي فيد 47 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 368/1 ، و89/2 ، 101 والدرّة الفاخرة لحمزة الأصبهاني 456/2 ، ومجمع الأمثال 72/2 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 183 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 54 وكتاب الأمثال لمجهول 80 .

عـــن أيّ ثَغْـــر تَبْتَسم وبـأيّ طَـرْف تحتكمْ ؟

إلى آخرها ، وكان إذا أُنشد يختال ، ويعجب بما يأتي به ، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأوّل ، فلمّا ردّه بعد فراغه منها . وقال :

عـــن أيّ ثغــر تبتسم وبـأيّ طــرف تحتكم

قال أبو العَنْبَس وقد غمزه المتوكّل أن يولع به :

في أيّ سَلْــحٍ تَرْتَطِـم وبـأيّ كَـــفٍّ تَلتَقِـمْ
أدخلتَ رأسكَ في الرّحم وعلمـتَ أنّـك تَنْهَزِمْ

فقال نصف البيت الثاني ، فلمّا سمع البحتريُّ قوله ولّى مُغْضَباً ، فجعل أبو العَنْبَس يصيح به :

وعلمـتَ أنّـك تَنهـزم

فضحك المتوكّل من ذلك حتى غُلِب ، وأمر لأبي العَنْبَس بالصّلة التي أُعِدّت للبحتريّ .

قال أحمد بن زياد : فحدَّثني أبي : قال : جاءني البحتريّ ، فقال لي : يا أبا خالد أنت عشيرتي وابنُ عمّي وصديقي ، وقد رأيتَ ما جرى عليَّ ، أفتأذنُ لي أن أخرج إلى مَنْبج بغير إذن ، فقد ضاع العِلْم ، وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعل من هذا شيئاً ، فإنّ الملوك تمزَح بأعظم ممّا جرى ، ومضيت معه إلى الفتْح ، فشكا إليه ذلك ، فقال له نحواً من قولي ، ووصله ، وخلع عليه ، فسكن إلى ذلك .

[الصيمريّ وسخريته بعد موت المتوكّل]

حدَّثني جحظةُ عن عليّ بن يَحْيى المُنجِّم : قال : لمّا قُتِل المتوكِّل قال أبو العَنْبَس الصَّيمريُّ : [من السريع]

يا وحشةَ الدُّنيـا عـلى جَعْفَرٍ عـلى الهمـامِ الملـكِ الأَزْهَرِ
على قتيـلٍ مـن بنـي هاشمٍ بـين سريـر المُلْـك والمِنْبَرِ
واللهِ ربّ البَيْـتِ والمَشْعَـر واللهِ أن لـو قُتِـلَ البُحْتُرِي
لثـارَ بـالشّامِ لـه ثائِـرٌ في ألف نَغْلٍ من بني عَضْخَري[1]
يقدُمهـم كُـلُّ أخـي ذِلّـة عـلى حمـارٍ دابِـرٍ أعـورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتريّ ، فضحك ثم قال : هذا الأحمق يرى أنّي أُجيبُه على مثل هذا ، فلو عاش امرؤ القيس ، فقال ، مَن كان يجيبه ؟

1 النّغل : ابن الزنا .

[445] ـ ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

[منزلتها في الغناء والأدب]

كانت عَرِيب مغنّيةً محسنةً ، وشاعرةً صالحة الشعر ، وكانت مليحةً الخطّ والمذهب في الكلام ، ونهايةً في الحسن والجمال والظّرف ، وحسن الصورة وجودة الضّرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار ، والرواية والشعر والأدب ، لم يتعلّق بها أحدٌ من نظرائها ، ولا رُؤي في النساء بعد القيانِ الحجازيّات القديمات ، مثل جميلة وعَزّة الميلاء وسَلاّمة الزرقاء ومَن جَرى مَجْراهن ، على قِلّة عَدَدهنّ ، نظيرٌ لها ، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ ممّا يكون لمثلها من جواري الخلفاء ، ومَنْ نشأ في قصور الخلافة وغُذّي برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيش الحجاز ، والنشء بين العامّة والعرب الجفاة ، ومن غلُظ طبعه ، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره .

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع ، عن حمّاد بن إسحاق : قال : قال لي أبي : ما رأيتُ امرأة أضربَ من عَرِيب ، ولا أحسنَ صنعة ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أخفّ رُوحاً ، ولا أحسنَ خِطاباً ، ولا أسرعَ جَواباً ، ولا ألعبَ بالشّطرنج والنّرد ، ولا أجمعَ لخَصْلة حَسَنة لم أرَ مثلَها في امرأة غيرها . قال حمّاد : فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قلت : أفسمعتها ؟ قال : نعم هناك ، يعني في دار المأمون ، قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحِذق ؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، فهو أعلم منّي بها ، فأخبرتُ بذلك أبي ، فضحك ، ثم قال : ما استحييْتَ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا .

[هي وإسحاق والخليفة المعتصم]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدّثني أبي ، قال : قال لي إسحاق : كانت عندي صَنّاجة[1] كنت بها مُعجباً ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ، فبينا أنا ذات يوم في منزلي ، إذ أتاني إنسان يَدُقّ الباب دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَن هذا ؟ فقالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبت صنّاجتي ، تجدُه ذكرها له ذاكرٌ ، فبعث إليّ فيها . فلما مضى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب ، وأنا مثخَن ، فدخلت ، فسلّمت ، فردّ عليّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي ، فقال لي : اسكن ، فسكنت ، فقال لي : غنّ صوتاً[2] وقال لي : أتدري لمَن هو ؟

1 الصناجة : آلة موسيقية ذات أوتار .

2 ل : فسألني عن صوت .

فقلت : أَسمعه ، ثم أُخبِرُ أَميرَ المؤمنين إن شاء الله بذلك ، فأمر جارية من وراء الستارة ، فَغَنَّته وضربت ، فإذا هي قد شبَّهته بالغناء القديم ، فقلت : زِدني معها عوداً آخر ، فإنّه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ، فقلت : هذا الصوت مُحَدث لامرأة ضاربة ، قال : من أين قلت ذاك ؟ قلت : لمّا سمعت لِينَه عرفت أنّه مُحدَث من غناء النساء ، ولمّا رأيت جَودَة مقاطِعِه علمت أنّ صاحبته ضاربة ، وقد حَفِظت مقاطِعَه وأجزاءَه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ، فلم أشكَّ ، فقال : صدقت ، الغناء لعَرِيب .

قال ابن المعتزّ : وقال يحيى بن عليّ : أَمرني المعتمد على الله أَن أَجمع غناءَها الذي صنعَتْه ، فأخذت منها دفاترها وَصُحُفَها التي كانت قد جمعت فيها غِناءَها فكتبتُه فكان أَلفَ صوت .

[أصواتها]

وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرْداذْبه : أنّه سأَل عَرِيب عن صَنْعتها ، فقالت : قد بلغتْ إلى هذا الوقت أَلفَ صوت .

وحدَّثني محمد بن إبراهيم[1] قريض أَنّه جمع غناءَها من ديوانَي ابن المعتزّ ، وأَبي العَنْبَس بن حمدون ، وما أُخذه عن بِدعة جاريتها التي أعطاها إيّاها بنو هاشم ، فقابل بعضَه ببعض ، فكان أَلفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً .

وذكر العتَّابيّ أنّ أحمد بن يحيى حدّثه : قال : سمعت أبا عبد الله الهِشاميّ يقول ، وقد ذُكِرت صنعةُ عَرِيب : صَنْعتُها مثلُ قول أبي دُلَف في خالد بنِ يزيدَ حيث يقول : [من مجزوء الكامل]

يـا عـينُ بَكِّي خالِداً أَلْفا ويُدعَـى واحدا

يريد أنّ غِناءَها أَلف صوت في مَعْنى واحد ، فهي بمنزلة صَوْت واحد .

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابنُ المعتزّ .

وهذا تحامُلٌ لا يَحِلّ ، ولعمري إنّ في صنعتها لأشياءَ مرذولة لَيِّنة ، وليس ذلك ممّا يَضَعُها ولا عَرِي كبيرُ أحدٍ من المغنِّين القدماء والمتأخّرين من أن يكون في صَنْعَتِه النادرُ والمتوسّطُ سِوى قَوْم معدودين مثلِ ابن محرز ومَعْبد في القدماء ، ومثلِ إسحاق وحده في المتأخّرين ، وقد عِيبَ بمثل هذا ابنُ سُرَيج في محلّه ، فبلغه أنّ المغنِّين يقولون : إنّما يغنّي ابنُ سريج الأرْمال والخفاف ، وغناؤه يَصلُح للأعراس والولائم ، فبلغه ذلك فتغنّى بقوله : [من الطويل]

---

1 ل : القاسم .

لقــد حبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائِرِ فالنَّقْعِ[1]

ثم توفّي بعدها ، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه ، وهذا إسحاق يقول في أبيه : على عظيم محلّه في هذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ، ولأبي سُتّمائة صوت ، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم ، وأتى بها في نهاية من الجودة ، ومائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس ، ومائتان فلسية ودِدْتُ أنّه لم يُظهِرها ويَنْسُبها لنفسه ، فأسترها عليه ، فإذا كان هذا قولَ إسحاق في أبيه فمَن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء ، وما عَرِي أحد في صناعة من الصناعة من حال يَنقُصه عن الغاية ، لأنّ الكمالَ شيء تفرّد الله العظيم به ، والنقصانَ جبلَّةٌ طَبَعَ بني آدم عليها ، وليس ذلك إذا وُجِد في بعض أغاني عَرِيب ممّا يدعو إلى إسقاط سائرها ، ويلزمه اسم الضّعف واللّين ، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها ، وقلّما شهِد لأحد ، أو سَلِم خَلْق ، وإن تَقدَّم وأُجْمِع على فضله ، من شَيْنه[2] إيّاه وطعنِه عليه ، لنفاسته في هذه الصناعة ، واستصغاره أهلَها ، فقد تقدّم في أخباره مع علّويَه ، ومُخارق ، وعمرو بن بانة ، وسليم بن سلام ، وحسين بن محرز ، ومن قبلهم ، ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إيّاهم ، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنعوه ممّا يُستغنى به عن الإعادة في هذا الموضع ، فإذا انضاف فِعلُه هذا بهم ، وتفضيلُه إيّاها ، كان ذلك أدلَّ دليل على التحامل مِمّن طعن عليها ، وإبْطالِه فيما ذكرها به ، ولقائل ذلك ، وهو أبو عبد الله الهشاميّ ، سببٌ كان يصطنعه عليها ، فدعاه إلى ما قال ، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وممّا يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاقَ في المعرفة بالغناء القديم والحديث ، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها ، فكاد يجوز عليه ، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستَثبت ، مع علمه بالمذاهب في الصنعة ، وتقدُّمِه في معرفة النّغم وعِلَلِها ، والإيقاعات ومجاريها .

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدَّثني أبي عن إسحاق : فأمّا السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشاميّ : فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال : ذُكِر لأبي أحمدَ عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر عَميّ أنَّ الهشاميّ زعم أنّ أحسنَ صوت صنعته عَرِيب : [من مجزوء الخفيف]

1 الوتائر : موضع بين مكّة والطائف .

2 ل : ثلبه .

صاحِ قـد لمـتَ ظالما

وأَنّ غناءها بمنزلة قول أَبي دُلفٍ في خالد :

يـا عـينُ بكّـي خالدا ألفـاً ويُدعـى واحِـدا

فقال : ليس الأمر كما ذكر ، ولعَرِيب صنعةٌ فاضلةٌ متقدّمة ، وإنّما قال هذا فيها ظلماً وحَسَداً ، وغَمطها ما تستحقّه من التّفضيل ، بخبر لها معه طريف ، فسألناه عنه ، فقال : أخرجتُ الهشاميَّ معي إلى سُرَّ مَنْ رأى ، بعد وفاة أخي ، يعني أبا محمدَ بن عبد الله بن طاهر ، فأدخلتُه على المعتزّ ، وهو يشرب ، وعَرِيب تغنّي ، فقال له : يا ابن هشام ، غَنِّ ، فقال : تُبتُ من الغناءِ مذ قُتِل سَيِّدي المتوكّل ، فقالت له عَرِيب : قد واللهِ أحسنتَ حيث تُبتَ ، فإنّ غناءَك كان قليلَ المعنى ، لا مُتْقَنٌ ولا صحيح ولا مُطْرِب ، فأضحكَت أهلَ المجلس جميعاً منه ، فخجِل ؛ فكان بعد ذلك يَبسُط لسانَه فيها ، ويَعِيبُ صنعتَها ، ويقول : هي ألفُ صوتٍ في العددِ ، وصوتٌ واحد في المعنى .

وليس الأمرُ كما قاله ، إنّ لها لصنعةً تَشبَّهت فيها بصنعة الأوائل ، وجوّدت ، وبرزت فيها ، منها : [من الطويل]

أئن سكنت نَفْسي وقَلَّ عَويلُها

ومنها : [من السريع]

تقـول هَمّـي يـومَ وَدَّعتها

ومنها : [من البسيط]

إذا أَردت انتصافاً كان ناصركم

ومنها : [من مجزوء الرمل]

بأَبـي مـن هـو دائـي

ومنها : [من المديد]

أَسلموهـا في دمشـقَ كما

ومنها : [من الوافر]

فـلا تتعنّـي ظلمـاً وزورا

ومنها : [من الطويل]

لقد لام ذا الشوق الخَلِيُّ من الهوى

ونسختُ ما أذكره من أخبارها ، فأنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليَّ محمدُ بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريض ، وأخبرني أنّ عبد الله بن المعتزّ دفعه إليه ، من جمعه وتأليفه ،

فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها ، إذ كان فيها حشو كثير ، وأضفت إليه ما سمعتُه ووقع إليَّ غير مسموع مجموعاً ومتفرّقاً ، ونسبت كلّ رواية إلى راويها .

[برمكيّة النسب]

قال ابنُ المعتزّ : حدَّثني الهشاميّ أبو عبد الله وأخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرداذْبه قالا : كانت عَرِيبُ لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكب الرّشيد ، وهو الذي ربّاها ، وأدَّبها ، وعلَّمها الغناء .

قال ابنُ المعتزّ : وحدَّثني غيرُ الهشاميّ ، عن إسماعيل بن الحسين خالِ المعتصم : أنّها بنتُ جعفرِ بن يحيى ، وأنَّ البرامكة لمّا انتُهبوا سُرِقت وهي صغيرة .

قال : فحدَّثني عبدُ الواحدِ بنُ إبراهيم بن محمد بن الخَصِيب : قال : حدَّثني مَنْ أثِق به ، عن أحمدَ بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : أنّ أُمَّ عَرِيب كانت تسمَّى فاطِمة ، وكانت قيِّمةً لأُمِّ عبد الله بن يحيى بن خالد ، وكانت صبيّة نظيفة ، فرآها جعفرُ بن يحيى ، فهويَها ، وسأل أُمَّ عبد الله أن تُزوِّجه إيّاها ، ففعلت ، وبلغ الخبرُ يَحْيى بنَ خالد ، فأنكره ؛ وقال له : أتتزوّج مَن لا تُعرف لها أُمٌّ ولا أب ؟ اشْترِ مكانها مائة جارية وأخرِجها ، فأخرجها ، وأسكنَها داراً في ناحية باب الأنبار سرّاً من أبيه . ووكَّل بها مَنْ يحفَظها ، وكان يتردّد إليها ، فولدَت عَرِيب في سنة إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سِنُوها إلى أن ماتت ستّاً وتسعين سنة ، قال : وماتت أُمُّ عَرِيب في حياة جَعْفر ، فدَفعها إلى امرأة نصرانيّة ، وجعلها دايةً لها ، فلمّا حَدَثت الحادِثة بالبرامكة باعَتْها من سِنْبِسٍ النخّاس ، فباعها من المراكبيّ .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني يوسفُ بنُ يعقوب : أنّه سمع الفضل بنَ مَرْوان يقول : كنتُ إذا نظرتُ إلى قدمي عَرِيب شبَّهتُهما بقدَمَي جعفر بن يحيى ، قال : وسمعت مَنْ يحكي أنّ بلاغتها في كتبها ذُكِرت لبعض الكُتّاب فقال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى ؟

وأخبرني جحظة قال : دخلتُ إلى عَرِيب مع شروين المغنّي وأبي العَنْبَس بنِ حمدون ، وأنا يومئذٍ غلام عليَّ قِباء ، ومِنْطقة ، فأنكرتني وسألت عنّي ، فأخبرها شَروين ، وقال : هذا فتى من أهلِك ، هذا ابنُ جعفر بن مُوسى بن يحيى بن خالد ، وهو يغنّي بالطُّنْبور ، فأدنَتْني ، وقرّبت مجلسي ، ودعَت بطُنْبور ، وأمَرَتْني بأن أُغنّي ، فغنّيت أصواتاً ، فقالت : قد أحسنتَ يا بُنَيَّ ولتكونَنَّ مغنّياً ، ولكن إذا حَضرت بين هَذين الأسدين ضِعْتَ أنتَ وطنبورُك بين عُودَيْهما ، وأمَرَتْ لي بخمسين ديناراً .

قال ابن المعتزّ ، وحدَّثني مَيمونُ بنُ هارون : قال : حدَّثتني عَرِيب قالت : بعثَ الرشيد إلى أهلها ، تَعْني البرامكة ، رسولاً يسألهم عن حالهم ، وأمره ألاّ يعلمهم أنّه من قبله ، قالت : فصار إلى عمّي الفضل ، فسأله ، فأنشأ عمّي يقول : [من الخفيف]

صوت

سألُونا عن حالنا كيف أنتمُ ... مَنْ هَوى نَجمهُ فكيفَ يكونُ ؟
نحن قومٌ أُصابنا عَنَتُ الدَّهـ ... ـرِ فَظَلْنـا لريبـه نَسْتكِينُ

ذكرت عَرِيب أنّ هذا الشعر للفَضْل بنِ يَحيى ، ولها فيه لحنان : ثاني ثقيل وخفيف ثقيل ، كلاهما بالوُسْطى ، وهذا غَلَط من عَرِيب ، ولعلّه بلغها أنّ الفضل تمثّل بشعرٍ غير هذا ، فأُنسِيَتْه وجعلت هذا مكانه .

فأمّا هذا الشعر فللحُسَيْن بنِ الضحّاك ، لا يُشكّ فيه ، يَرثي به محمداً الأَمينَ بعد قوله : [من الخفيف]

نحن قوم أُصابنا حادثُ الدَّهـ ... ـر فظلْنـا لرَيْبـه نَسْتكِينُ
نَتمنّـى مـن الأمـين إيابـاً ... كلَّ يـوم وأَينَ منّا الأَمينُ ؟

وهي قصيدة .

[تهرب إلى معشوقها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني الهِشاميّ : أنّ مولاها خرج إلى البصرة ، وأدَّبها وخرّجها وعلّمها الخطَّ والنّحوَ والشّعر والغناءَ ، فبرعت في ذلك كلّه ، وتزايدت حتى قالت الشعر ، وكان لمولاها صَديقٌ يُقال له حاتم بن عديٍّ من قُوّاد خُراسان ، وقيل : إنّه كان يكتب لُعَجيْف على ديوان الفرض ، فكان مولاها يَدعوه كثيراً ، ويخالطه ، ثم ركبه دَيْنٌ فاستَتَر عنده ، فمدّ عينَه إلى عَرِيب ، فكاتبها ، فأجابَتْه ، وكانت المُواصَلة بينهما ، وعَشِقَته عَرِيب ، فلم تزَل تَحْتال حتى اتخذتْ سُلَّما من عَقَب[1] ، وقيل : من خيوط غلاظ ، وسَترته ، حتى إذا همَّت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدّه ، وقد أعدّ لها موضعاً ، لفَّت ثيابَها وجعلَتْها في فراشها بالليل ، ودثَّرَتْها بدِثارِها ، ثم تسوَّرَت من الحائط ، حتى هربَت ، فمَضَت إليه ، فمكثت عنده زماناً ، قال : وبلغني أنّها لمّا صارت عنده بعث إلى مولاها يستَعير منه عُوداً تُغنّيه به ، فأعاره عودَها ، وهو لا يعلم أنّها عنده ، ثقةً به ، ولا يتّهمه بشيء من أمرها ، فقال

1 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

عيسى بنُ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ ، وهو عيسى ابنُ زَيْنب يهجُو أباه ويُعَيّره بها ، وكان كثيراً ما يهجوه : [من مجزوء الرمل]

قاتـــلَ الله عَرِيبـا فعَلـت فِعْـلاً عَجِيبا
رَكِبـت والليـلُ داجٍ مركبـاً صَعْبـا مهـوبا
فارتقَت مُتّصِـلا بالنَّجـ ـم أو منـه قريبـا
صبرت حتـى إذا مـا أقصـد النّـومُ الرَّقيبا[1]
مَثَّلـت بـين حَشايا ها لِكَيْـلا تَسْتريبـا
خَلفـاً منهـا إذا نـو دِيَ لم يُلـفَ مُجيبا
ومضت يحملهـا الخو فُ قَضِيبـاً وكَثِيبـا
مُحَّةً لـو حُرِّكت خِفْـ ـتَ عليهـا أن تَذوبا[2]
فتدلّـت لُمِحِـبّ فتلقّاهـا حَبِيبـا
جَذِلاً قـد نال في الدُّنْـ ـيا مـن الدُّنيا نصيبا
أيّها الظَّبْي الذي تَسْحَـ ـرُ عينـاه القلُوبا
والذي يـأكل بعضا بَعضُـه حُسنـاً وطِيبا
كُنـتَ نَهْبـاً لذئاب فَلَقَـد أطعمْـتَ ذِيَبا
وكـذا الشاةُ إذا لم يَـكُ راعيهـا لَبيبا
لا يُبـالي وَبـأَ المَرْ عـى إذا كان خصِيبا
فلقـد أصبح عبـدُ الله كشخـانَ حَريبـا[3]
قـد لعمري لَطَم الوَجهَ وقـد شَـقَّ الجُيوبـا
وجـرت منـه دُموعٌ بلّـت الشَّعْـر الخَضِيبا

وقال ابن المعتزّ : حدَّثنا محمد بن موسى بن يُونُس : أنّها مَلَّته بعد ذلك ، فهربت منه ، فكانت تُغنَّى عند أقوام عَرَفْتهم ببَغْداد ، وهي متسترّة متخفّية ، فلمّا كان يوم من الأيّام اجتاز ابنُ أخ للمراكبيّ ببُستان كانت فيه مع قوم تُغنّي ، فسمع غناءها ، فعرفه ،

1 أقصده : أي أصابه سهمه .
2 المحّة : صفرة البيض .
3 الكشخان : الديوث ، والحريب : المسلوب المال .

فبعث إلى عمّه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، فلم يبرح حتى جاءَ عمه ، فلبَّبها[1] وأخذها ، فضربها مائة مِقْرعة ، وهي تصيح : يا هذا لِمَ تقتلني ! أنا لستُ أُصبر عليك ، أنا امرأة حُرَّة إن كنتُ مملوكةً فبِعني ، لست أُصبر على الضِّيقة ، فلمّا كان من غد ندم على فعله ، وصار إليها فقبَّلَ رأسَها ورِجْلَها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم ، ثم بلغ محمَّداً الأمينَ خبرُها ، فأخذها منه ، قال : وكان خبرُها سَقَط إلى محمد في حياة أبيه ، فطلبها منه ، فلم يجبه إلى ما سأل ، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده ، فاضطغَن لذلك عليه ، فلمّا وَلِيَ الخلافةَ جاء المراكبيّ ، ومحمد راكب ، ليُقبِّل يدَه ، فأمر بِمَنْعِه ودفعه ، ففعل ذلك الشّاكريُّ ، فضربه المراكبيّ وقال له : أتمنعني من يدِ سيِّدي أنْ أقبِّلَها ؟ فجاء الشّاكريُّ لَمّا نزل محمد فشكاه ، فدَعا محمدٌ بالمراكبيّ ، وأمر بضرب عنقه ، فسُئل في أمره ، فأعفاه ، وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم ممّا اقتطعه من نفقات الكُراع ، وبعث ، فأخَذَ عَرِيب من منزله مع خَدَم كانوا له ، فلمّا قُتِل مُحمد هَرَبت إلى المراكبيّ ، فكانت عنده ، قال : وأَنشَدني بعض أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لمَّا هرَبَت إليه ، ثم ملّتْه فهربت منه ، وهي أبيات عدّة ، هذان منها : [من الطويل]

ورُشُّوا على وَجْهي من الماء واندُبُوا قتيلَ عَرِيب لا قتيلَ حُروبِ
فليتكِ إنْ عجَّلتني فقتَلتني تكونين من بعد الممات نصيبي

قال ابن المعتزّ : وأمّا رواية إسماعيل بن الحُسين ، خالِ المعتصم فإنّها تخالف هذا ، وذكر أنّها إنّما هربت من دارِ موْلاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن ، أحدِ قوّاد خُراسان قال : وكان أشقر أصهب الشعر أزرق ، وفيه تقول عَرِيب ، ولها فيه هزج ورَمل من روايتَي الهشامي وأبي العبّاس : [من مجزوء الخفيف]

بأبي كلّ أزرقٍ أصهبِ اللّون أشقرِ
جُنّ قلبي به وليـ ـس جُنوني بمُنْكَرِ

[تذكر ناسيا]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني ابن المدبَّر قال : خرجتُ مع المأمون إلى أرض الروم ، أطلُب ما يطلبه الأحداث من الرزق ، فكنّا نسير مع العَسْكر ، فلمّا خرجنا من الرّقّة رأينا جماعة من الحَرَم في العمارِيّات على الجمّازات[2] وكنّا رُفْقَةً ، وكُنّا أترابا ، فقال لي أحدهم : على بعض

1 لبّبها : أخذ بتلابيبها ، وهي مجتمع ثيابها عند العنق . وفي ل : فكبسها .
2 العماريات : الهوادج . والجمازات جمع جماز وتوصف بها النّياق السّريعة .

هذه الجمّازات عَرِيب ، فقلت : مَن يراهنني أُمُرُّ في جنبات هذه العمارِيّات ، وأُنشد أبيات عيسى بن زينب : [من مجزوء الرمل]

قاتـــل الله عَرِيبــا فعلــت فعــلاً عجيبا

فراهنني بَعضُهم وعُدِّل الرِّهانِ[1] وسِرت إلى جانبها فأنشدْتُ الأبيات رافعاً صَوْتي بها ، حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسَها فقالت : يا فتى أنسِيتَ أجودَ الشعر وأطيبه ؟ أنسيت قوله : [من مجزوء الرمل]

وعَرِيبٌ رَطْبــةُ الشَّفْــرَيْنِ قد نِيكت ضُروبا

اذهبْ فخُذ ما بايَعْت فيه ، ثم ألقت السّجْف ، فعَلِمت أنّها عَرِيب ، وبادرتُ إلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم .

[رقيب يحتاج إلى رقيب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : قال لنا عمر بن شبّة : كانت للمراكبيّ جاريةٌ يقال لها مظلومة ، جميلةُ الوجه ، بارعةُ الحسن ، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمّام ، أو إلى مَن تزوره من أهله ومعارفه ، فكانت ربّما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه ، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده : [من الوافر]

لقــد ظلموكِ يـــا مظلومَ لّما أقامــوكِ الرَّقيبَ على عَرِيبِ
ولـــو أَوْلَوكِ إنصافــاً وعَدْلا لما أَخْلَوْكِ أَنتِ مــن الرّقيبِ
أتَنْهَين المُرِيبَ عــن المعاصي فكيف وأنتِ من شأنِ المُرِيبِ
وكيف يُجانِبُ الجــاني ذنوباً لديــك وأنت داعِيَةُ الذُّنوبِ
فإن يَسْتَرقِبُوكِ عــلى عَرِيــب فما رَقَبُوكِ مــن غيب القلوبِ

وفي هذا المعنى ، وإن لم يكن من جنسِ ما ذكرته ما أنشدنيه عليُّ بنُ سليمان الأَخْفَش في رَقِيبَة مُغنِّيةٍ استُحسِنَت وأظنّه للنّاشِيء : [من المتقارب]

فديتُــكِ لــو أنّهـــم أَنصَفُوا لقــد منعوا العينَ عن ناظرَيْكِ
أَلَم يقـــرءوا ويحهم مــا يرو نَ من وحي طَرْفك في مُقْلَتَيْكِ
وقـــد بعثــوك رَقِيباً لنـــا فمــن ذا يكــون رَقيباً عليكِ
تصُدِّيــن أعْيُنَنا عـــن سواكِ وهل تنظـــر العــينُ إلاّ إليكِ

1 عُدِّل الرهنان : سوّي بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان .

[من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني عبد الواحد بن إبراهيم ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، وعن محمد بن إسحاق البغويّ ، عن إسحاق بن إبراهيم : أنّ خبر عَرِيب لمّا نُميَ إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مَوْلاها ، فأحضِرا ، وغنَّت بحضرة إبراهيمَ بنِ المهديّ تقول : [من الطويل]

لكـلّ أُناسٍ جَوْهَـر متنافسٌ وأنتِ طرازُ الآنساتِ المَلائحِ

فطَرِب محمد ، واستَعادَ الصوتَ مِراراً ، وقال لإبراهيم ، يا عمّ كيف سمعت ؟ قال : يا سيِّدي ، سمعتُ حسناً ، وإن تطاولت بها الأيّام ، وسكن رَوْعها ازدادَ غِناؤُها حُسْناً ، فقال للفضل بن الرَّبيع : خُذْها إليك ، وساوِمْ بها ، ففعل ، فاشتَطَّ مولاها في السَّوْم ، ثم أوجَبَها له بمائة ألف دينار ، وانتَقَض أمرُ مُحمّد ، وشُغِل عنها ، وشُغِلت عنه ، فلم يأمُر لمَوْلاها بثَمَنها حتى قُتِل بعد أن افتَضَّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هربت منه إلى حاتم بن عديّ ، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدّم .

وقال في خبره : إنّها هَرَبت من مولاها إلى ابن حامد ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد ، فتظلّم إليه المراكبيّ من محمد بن حامد ، فأمر بإحضارِه فأُحضِر ، فسأله عنها فأنكر ، فقال له المأمون : كذبت قد سقط إليَّ خبرُها . وأمر صاحبَ الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة ، ويضع عليه السّياط حتى يردّها ، فأخذه ، وبلغها الخبرُ فركبت حمارَ مُكارٍ ، وجاءت وقد جُرِّد ليُضْرب ، وهي مكشوفة الوجه ، وهي تصيح : أنا عَرِيب ، إن كنتُ مملوكةً فَليبعْني ، وإن كنتُ حرَّة فلا سبيل له عليَّ ، فرُفِع خبرها إلى المأمون ، فأمَر بتعْدِيلها[1] عند قتيبة بن زياد القاضي ، فعُدِّلَتْ عنده ، وتقدَّم إليه المراكبيّ مطالباً بها ، فسأله البيِّنة على ملكِه إيّاها ، فعاد متظلّماً إلى المأمون ، وقال : قد طولبت بما لم يُطالِبْ به أحد في رَقيق ، ولا يوجد مِثْلُه في يد مَن ابتاع عبداً أو أَمَة .

وتظلّمَت إليه زُبيدةُ ، وقالت : من أَغلَظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هُجومُ المراكبيّ على داري ، وأخذُه عَريباً منها . فقال المراكبيّ : إنما أُخذتُ مِلْكي ، لأنّه لم يَنقُدْني الثَّمَن ، فأمَر المأمونُ بدَفْعِها إلى محمد بن عمر الواقديّ ، وكان قد ولاّه القضاء بالجانب الشرقيّ ، فأخذها من قتيبة بن زياد ، فأمر ببيعها ساذجة ، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم ، فذهبت به كُلَّ مذهب ميلاً إليها ومحبّة لها .

1 عدل الشيء أو الحكم : أقامه وسوّاه .

قاال ابن المعتزّ : ولقد حدَّثني علي بن يحيى المنجم أنّ المأمون قبَّل في بعض الأيّام رِجلَها ، قال : فلمّا مات المأمونِ بِيعت في ميراثه ، ولم يُبَع له عبدٌ ولا أَمَة غيرها ، فاشتراها المعتصم بمائة ألفِ درهم ، وأعتقها ، فهي مولاته .

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنـّها لمّا هربت من دار محمد حِين قتل تدلَّت من قصْر الخُلْد بحَبْل إلى الطريق ، وهربت إلى حاتم بن عديّ .

وأخبرني جحظةُ ، عن ميمون بن هارون : أنّ المأمونَ اشتَراها بخمسة آلاف دينار ، ودعا بعبد الله بن إسماعيل ، فدفعها إليه ، وقال : لولا أنـّي حلفتُ ألاّ أشترِي مملوكاً بأكثرَ من هذا لزِدْتك ، ولكنّي سأولّيك عَمَلاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتَمَين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خِلَعاً سَنِيّة ، فقال : يا سيِّدي ، إنّما يَنْتَفع الأحياء بمثل هذا ، وأمّا أنا فإنِّي ميِّت لا محالة ، لأنّ هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته ، فاختلط وتغيَّر عقلُه ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال ابن المعتزّ : فحدَّثني عليّ بن يحيى قال : حدَّثني كاتب الفضل بن مروان : قال : حدَّثني إبراهيمُ بن رباح قال : كنت أتولّى نفقاتِ المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عَرِيب ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أُخرى ، ففعلتُ ذلك ، ولم أدرِ كيف أثبتها ، فحكيت في الدّيوان أنّ المائةَ الألف خرجت في ثمن جَوْهرة ، والمائة الألف الأُخرى خرجت لصائِغها ودلاّلها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره ، وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسال المأمونَ عن ذلك ، وقال : أَوَجبَ وهب لدلاّل وصائغ مائة ألفِ درهم ، وغَلّظ القصّة ، فأنكرها المأمون ، فدَعاني ، ودنوت إليه ، وأخبرته أنّه المال الذي خرج في ثمن عَريب وصلة إسحاق ، وقلت : أيـّما أصوبُ يا أمير المؤمنين : ما فعلتُ أو أُثبتُ في الدّيوان أنـّها خرجت في صلة مُغَنّ وثمن مُغَنّية ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فَعلتَ أصوبُ ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نَبطيّ ، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء .

وقال ابن المكّيّ : حدَّثني أبي عن نَحرير الخادم : قال : دخلتُ يوماً قصر الحرم ، فلمحت عَرِيب جالسةً على كرسي ناشرة شعرها تغتسل ، فسألت عنها ، فقيل : هذه عَرِيب دعا بها سيّدُها اليومَ ، فافتَضَّها .

قال ابن المعتزّ : فأخبرني ابن عبد الملك البصريّ : أنـّها لمّا صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ، ثم احتالت في

الخروج إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، حتى حَبلت منه وولدت بنتاً ، وبلغ ذلك المأمون فزوَّجه إيّاها .

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور ، عن أَبيه ، وحدَّثني به المظفّر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور ، قال : لمّا وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبَّة صوف وختْم زِيقها[1] وحَبَسها في كَنِيف مظلم شهراً لا ترى الضوء ، يُدْخَل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب في كلّ يوم ، ثم ذكرها ، فرَقَّ لها ، وأمَر بإخراجها ، فلمّا فُتح البابُ عنها ، وأُخرِجَت لم تتكلّم بكلمة حتى اندفعت تغنّي : [من الكامل]

حجبوه عن بصري فمُثِّل شَخصُه ... في القلبِ فهْو محجَّبٌ لا يُحجَبُ

فبلغ ذلك المأمونَ ، فعجب منها ، وقال : لن تَصْلُح هذه أبداً ، فزوَّجها إيّاه .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لـو كان يَقـدرُ أَن يَبُثَّك ما به ... لرأيـتَ أَحسن عاتـب يتعَتَّبُ

حجبوه عن بَصَري فمُثِّل شَخصُه ... في القَلْبِ فهو مُحجَّب لا يُحجبُ

الغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالوسطى .

[رقعة منها في تركة]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني لؤلؤٌ صديقُ عليّ بن يحيى المنجّم : قال حدَّثني أَحمدُ بنُ جعفر بنِ حامدٍ : قال : لمّا توفّي عَمِّي محمدُ بن حامد صار جدِّي إلى منزله ، فنظر إلى تركَتِهِ ، وجعل يُقلّب ما خَلَّف ، ويُخرَج إليه منها الشيءُ بعد الشيء إلى أن أُخرِج إليه سَفَطٌ مختوم ، ففَضَّ الخاتمَ ، وجعل يَفْتحه ، فإذا فيه رِقاع عَرِيب إليه ، فجعل يتصَفّحها ويَبْتَسم ، فوقعت في يده رقعةٌ ، فقرأها ، ووضعها من يده وقام لحاجة ، فقرأتُها فإذا فيها قوله : [من المجتث]

صوت

ويـلي عليـكَ ومِنْكـا ... أُوقعت في الحـقّ شَكّا

زعمتَ أنّـي خئـونٌ ... جَـوْراً علـيّ وإفْكا

1 زيق القميص : ما أحاط منه بالعنق .

[ولم يكــن ذاك مني إلاّ مجونــاً وفتــكا]
إن كان مــا قلتَ حقّاً أو كنــت أزمعتُ تَرْكا
فـأبدلَ الله مــا بـــي مــن ذِلّة الحبّ نُسْكا

لعَرِيب في هذه الأبيات رمل وهزج ، عن الهِشاميّ والشعر لها .

[تجيب على قبلة بطعنة]

قال ابنُ المعتزّ : وحدَّثني عبد الوهّاب بن عيسى الخراسانيّ ، عن يعقوب الرّخاميّ : قال : كنّا مع العبّاس بن المأمون بالرقّة وعلى شرطته هاشم ، رجل من أهل خراسان ، فخرج إليّ ، وقال : يا أبا يوسُف ، أُلقِي إليك سِرّاً لثقتي بك ، وهو عندك أمانة ، قلت : هاتِه ، قال : كنت واقفاً على رأس الأمين وبي حَرٌّ شديد ، فخرجت عَرِيب ، فوقفت معي ، وهي تنظر في كتاب فما ملكتُ نفسي أن أومأتُ إليها بقُبْلة ، فقالت : كحاشيَة البُرد . فوالله ما أُدري ما أرادت ، فقلت ، قالت لك : طعنة .

قال : وكيف ذاك ؟ قلت : أرادت قول الشاعر : [من الطويل]

رَمى ضرعَ ناب فاستمرّ بطعنةٍ كحاشية البُرْد اليمــانيّ المُسهّم[1]

وحكى هذه القصّة أحمد بن أبي طاهر ، عن بشر بن زيد ، عن عبد الله بن أيّوب بن أبي شمر ، أنّهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد ، وعَرِيب تغنّيهم ، فغنّت تقول : [من الطويل]

رمى ضَرع نابٍ فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليمانيّ المسهّم

فقال لها المأمون : مَن أشار إليك بقبلة ، فقُلتِ له طعنة ؟ فقالت له : يا سيِّدي ، مَن يشير إليّ بقبلة في مجلسك ؟ فقال : بحياتي عليك ! قالت : محمد بن حامد ، فسكت .

[تحبّ أميراً وتتزوّج خادماً]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني محمد بنِ موسى : قال : اصطَبح المأمونُ يوماً ومعه ندماؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعةٌ من المغنين ، وعَرِيب معه على مُصَلاّه ، فأومأ محمدُ بنُ حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغنّي ابتداء : [من الطويل]

رَمى ضَرْع نابٍ فاستَمَرَّ بطَعْنةٍ كحاشية البرد اليماني المسهّم

تريد بغنائها جوابَ محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة ، فقال لها المأمون ، أمسكي ، فأمسكت ، ثم أقبل على النّدماء ، فقال : مَن فيكم أومأ إلى عَرِيب بقبلة ؟ والله لئن لم يَصدُقني

1 الناب : الناقة المسنّة .

لأضربنّ عُنقَه ، فقام محمد ، فقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى ، فقال : قد عفوتُ .

فقال : كيف استدلّ أميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتْ صوتاً ، وهي لا تغنّي ابتداء إلاّ لمعنى ، فعلمتُ أنّها لم تبتدىء بهذا الصوت إلاّ لشيء أومىء به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة ، فعلمت أنّها أجابت بطعنة .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني عليّ بن الحسين : أنَّ عَرِيبَ كانت تتعشّق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيرُه أنّها كانت لا تضرب المَثَل إلاّ بحُسْنِ وجه أبي عيسى وحسنِ غنائه ، وكانت تزعم أنّها ما عَشِقت أحداً من بَني هاشم وأصْفَته المحبّة من الخُلفاء وأولادِهم سِواه .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني بعضُ جوارينا : أنَّ عَرِيبَ كانت تتعشّق صالِحاً المنذريّ الخادمَ ، وتزوّجته سرّاً ، فوجَّه به المتوكّل إلى مكان بعيد في حاجة له ، فقالت فيه شعراً ، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أمّا الحبيبُ فقد مضى بالرغم منّيَ لا الرّضا
أخطأتُ في تركي لمَن لم ألقَ منه مُعوّضا

قال : فغنّته يوماً بين يدي المتوكّل ، فاستعاده ، وجعل جواريه يتغامَزْن ويضحكن ، فأصغَتْ إليهنّ سِرّاً من المتوكّل ، فقالت : يا سَحّاقات ، هذا خير من عملكنّ .

قال : وحُدِّثْت عن بعض جواري المتوكّل ، أنّها دخلت يوماً على عَرِيب ، فقالت لها : تعالَيْ ويحك إليّ ، فجاءت . قال : فقالت : قبّلي هذا الموضع منّي فإنّك تجدين ريح الجَنَّة فأومأتْ إلى سالفِتها[1] ، ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب في هذا ؟ قالت : قبّلني صالح المنذريّ في ذلك الموضع .

[ليس وقت ملام]

قال ابن المعتزّ : وأخبرني أبو عبد الله الهشاميّ قال : حدَّثني حمدون بن إسماعيل ، قال : حدَّثني محمد بن يحيى الواثقيّ ، قال : قال لي محمد بن حامد ليلة : أحبُّ أن تُفرِغ لي مَضرِبَك ، فإنّي أريد أن أجيئك ، فأُقيمَ عندك ، ففعلتُ ، ووافاني ، فلمّا جلس جاءت عَرِيب ، فدخلت .

وقد حدَّثني به جحظة : قال : حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون : أنَّ عَرِيب زارت

1 السّالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة .

محمد بن حامد ، وجَلَسا جميعاً ، فجعل يُعاتِبها ، ويقول : فعلتِ كذا ، وفعلتِ كذا ، فقالت لي : يا محمد ، هذا عندكَ رأي ؟ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عاجز خُذْ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه .

وقال جحظة في خبره : اجعل سراويلي مِخْنَقتي ، وألْصِق خَلْخالي بقُرْطي ، فإذا كان غدٌ فاكتب إليَّ بعِتابك في طومارٍ حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ، ودع هذا الفضولَ ، فقد قال الشاعر : [من الوافر]

صوت

دَعي عَـدَّ الذّنوب إذا التقينا تعـاليْ لا أعـدُّ ولا تعدِّي

وتمام هذا قوله :

فأقسِمِ لو هممتِ بمدّ شعري إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدِّي

الشعر للمؤمّل ، والغناء لعَرِيب ، خفيف رمل ، وفيه لعلّويه رَمَل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانة .

[مع ثمانية من الخلفاء]

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخَصِيب : قال : حدَّثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن الفُرات قال : كنت يوماً عند أخي أبي العبّاس ، وعنده عَرِيب جالسة على دَسْت مفرد لها ، وجواريها يغنّين بين يدينا وخلف ستارتنا ، فقلت لأخي ، وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت لي عَرِيب : ناكَني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلاّ المعتزّ ، فإنّه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد . قال ابن الفرات : فأصغيت إلى بعض بني أخي ، فقلت له : فكيف ترى شهوتها الساعة ، فضحك ولَمَحَتْه ، فقالت : أيَّ شيء قلتم ؟ فجحدتُها . فقالت لجواريها : أمسكن ، ففعلن ، فقالت : هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لَينصرفْنَ جميعاً ، وهنّ حرائر إن حرِدْتُ من شيء جرى ، ولو أنّها تسفيل ، فصَدقتُها . فقالت : وأيّ شيء في هذا ؟ أمّا الشهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بَطَلت أو قالت : قد كَلَّت ، عودوا إلى ما كنتم فيه .

[شرطان لها]

وحدَّثني الحسنُ بن عليّ بن مودّة : قال : حدَّثني إبراهيمُ بن أبي العَنْبَس : قال : حدَّثنا أبي : قال : دخلنا على عَرِيب يوماً مُسلِّمين ، فقالت : أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صَنَعتْها بِدْعة بيدها من لوز رطب ، وما حضر من الوظيفة ، وأُغنِّيكم أنا وهي ، قال : فقلت لها على شريطة ، قالت : وما هي ؟ قلت : شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين ، وأنا أهابُك ، قالت : ذاك لك ، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل ، فقد علمت ما

هو ، فعجبت لها ، وقلت : فقولي ، فقالت : تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو ؟ فقلت : إي والله ذاك الذي أردت . قالت : شرطي أيْرٌ صُلْب ، ونَكْهَة طيِّبة ، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف ، وجمال يُحْمد فقد زادَ قَدرُه عندي ، وإلاّ فهذان ما لا بدّ لي منهما .

[حبيبها والهديّة]

وحدَّثني الحسنُ بنُ عليّ ، عن محمد بن ذي السَّيفين إسحاق بن كنداجيق ، عن أبيه : قال : كانت عَرِيب تولع بي وأنا حديث السنّ ، فقالت لي يوماً : يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دَعْوة فابعث إليّ نَصيبي منها ، قال : فاستأنَفْتُ طعاماً كثيراً ، وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً ؛ فأقبل رسولي من عندها مُسرِعاً ، فقال لي : لمّا بلغتُ إلى بابها ، وعرفَتْ خبري أَمَرتْ بالطعام فأُنْهب وقد وَجَّهَتْ إليك برسول ، وهو معي ، فتحيَّرت وظننتُ أنّها قد استقصَرَتْ فِعْلي ، فدخَل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة ، فقرأتها ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا عجميّ يا غبيّ ، ظننتَ أنّي من الأتراك وَوَخْش[1] الجند ، فبعثتَ إليّ بخبز ولَحم وحلواء ، الله المستعانُ عليك ، يا فَدَتْك نفسي ، قد وجّهت إليك زلّة[2] من حضرتي ، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ، ولا تستعمل أخلاق العامّة ، في ردّ الظّرف ، فيزداد العيبُ والعَتْبُ عليك إن شاء الله ، فكشفت المنديل ، فإذا طبق ومكبّة من ذهب منسوج على عمل الخلاف ، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق ، وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوي ونقل وطَلْع[3] وملح ، وانصرف رسولها .

[خذ الخلافة واعطني الصاحب]

قال ابن المعتزّ : حدَّثني الهشاميُّ أبو عبد الله ، عن رجل ذكره ، عن علّويَه قال : أمرني المأمونُ وسائرَ المغنّين في ليلة من اللّيالي أنْ نَصير إليه بُكرةً ليصطبحَ ، فغدونا ولَقِيَني المراكبيُّ مولى عَرِيب ، وهي يومئذٍ عنده ، فقال لي : يا أيّها الرجل الظالم المعتدي ، أما تَرِقّ ولا ترحم ولا تَستحي ؟ عَرِيب هائمة تَحْلم بك في النوم ثلاث مرّات في كلّ لَيْلة ، قال علّويَه : فقلت : أُمُّ الخلافة زانية . ومضيت معه ، فحين دخلت قلت : استوثِق من الباب ، فإنّي أَعرَف خلق الله بفضول البَوّابين والحُجّاب ، وإذا عَرِيب جالسةٌ على كرسيّ تطبخ ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج ، فلمّا رأتني قامت تعانقني وتقبّلني ، ثم

1 الوخش : الرديء من كل شيء .

2 الزلة : ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه .

3 الطّلع : ثمر النخل أوّل ظهوره .

قالت : أيما أحبّ إليك أن تأكل من هذه القدور ، أو تشتهي شيئاً يُطْبَخ لك ، فقلت : بل قِدْر من هذه تكفينا ، فغرفت قِدْراً منها ، وجعلتها بيني وبينها ، فأكلنا ودَعَوْنا بالنبيذ ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا ، ثم قالت : يا أبا الحسن ، صَنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية ، فقلت : وما هو ؟ فقالت هو : [من الطويل]

عَذِيري من الإنسانِ لا إن جفوته   صَفا لي ولا إن كنت طوعَ يديهِ

وقال لي : قد بقي فيه شيء ، فلم نزل نردّده أنا وهي حتى استوى ، ثم جاء الحُجَّاب فكسروا باب المراكبيّ واستخرجوني ، فدخلتُ على المأمون ، فلمّا رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق ، وأنا أغنّي الصوت ، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه ، وسألني المأمون عن خبره ، فشرحتُه له . فقال لي : ادنُ ورَدِّدْه ، فردَّدْته عليه سبع مرّات . فقال في آخر مرّة : يا علّويَه . خذ الخلافة واعْطني هذا الصاحب .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

عَذِيري من الإنسانِ لا إن جَفَوتُه   صفا لي ولا إن كُنتُ طَوعَ يديهِ
وإنّي لمشتاقٌ إلى قُـربِ صاحِبٍ   يَـرُوق ويَصْفُو إن كَدرْتُ عليهِ

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية ، والغناء لعَرِيب ، خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى ، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى عَلُّويَه .

[لماذا غضب الواثق والمعتصم عليها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني القاسمُ بن زُرْزور : قال : حدَّثتني عَرِيب قالت : كنت في أيّام محمد ابنةَ أربع عشرة سنة ، وأنا حينئذٍ أصوغ الغناء .

قال القاسم : وكانت عَرِيب تكايد الواثق فيما يَصُوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجودَ من لحنه ، فمن ذلك : [من البسيط]

لم آتِ عامـدةً ذَنْبـاً إليك بَلى   أُقِرّ بالذنبِ فاعفُ اليوم عن زلَلي

لَحنُها فيه خَفِيف ثقيل ، ولحن الواثق رَمَل ، ولحنها أجود من لحنه ، ومنها : [من البسيط]

أَشكو إلى اللهِ ما أَلْقى من الكمَدِ   حَسْبي بِربِّي ولا أَشكو إلى أَحَدِ

لحنُها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأوّل ، ولحنها أَجوَدُ من لَحْنِه .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى ... أُقِرّ بالذّنبِ فاعفُ اليوم عن زللي
فالصّفح مــن سَيِّدٍ أولى لمُعتَذرٍ ... وقاكَ رَبُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ

الغِناء للواثق رمل ، ولعَرِيب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لِطالب بن يزداد فيه هزجاً مطلقاً .

صوت

[من البسيط]

أشكو إلى اللهِ ما ألقى من الكَمَدِ ... حَسْبي بربِّي ولا أشكُو إلى أحَدِ
أين الزّمان الذي قــد كنت ناعمةً ... في ظِلّه بدنُوِّي منــك يا سَنَدي
وأسألُ الله يومــاً منك يُفْرحني ... فقد كحلتُ جفونَ العينِ بالسَّهَدِ
شوقاً إليك وما تدري بما لقيت ... نفسي عليك وما بالقلبِ من كَمَدِ

الغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالوسطى ، وللواثق ثقيل أوّل بالبنْصر .

قال ابن المعتزّ : وكان سببَ انحرافِ الواثق عنها ، وكيادها إيّاه ، وانحراف المعتصم عنها أنّه وجد لها كِتاباً إلى العَبّاس بن المأمونِ ببلد الرُّوم : اقتُلْ أنت العِلْج ثَمَّ ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا . تعني الواثق ، وكان يَسْهَر بالليل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

[تغضب على جارية تشبهها في شبابها]

قال : وحدَّثني أبو العَنْبَس بنُ حَمدون قال : غَضِبَت عَرِيب على بَعْض جواريها المذكورات ، وسمّاها لي ، فجئتُ إليها يوماً ، وسألتُها أن تعفو عنها ، فقالت في بعض ما تقوله ، ممّا تعتد به عليها من ذنوبها : يا أبا العَنْبَس إن كنت تشتهي أن تَرى زِنايَ وصَفاقةَ وَجْهي وجراءَتي على كلّ عظيمة أيّام شبابي فانظر إليها ، واعرف أخبارها .

[كانت تجيد ركوب الخيل]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني القاسم بن زُرْزُور قال : حدَّثني المعتمد ، قال : حدَّثتني عَرِيب أنّها كانت في شبابها يُقدَّم إليها بِرْذَوْن ، فتَطفِر عليه بلا ركاب .

[لا تُبالي بلدغ العقرب وهي في الصوت]

قال : وحدَّثني الأسديّ : قال : حدَّثني صالح بن عليّ بن الرشيد المعروف بزعفرانة : قال :

تمارى خالي أبو عليّ مع المأمون في صوت ، فقال المأمون : أين عَرِيب ؟ فجاءت وهي محمومة ، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنّيه ، فولّت لتجيء بعود ، فقال لها : غنّيه بغير عود ، فاعتمدت على الحائط للحُمّى وغنّت ، فأقبلت عقرب ، فرأيتُها قد لسعت يدها مرّتين أو ثلاثاً ، فما نَحَّت يدها ، ولا سكتت ، حتى فرغت من الصوت ، ثم سقطت وقد غُشي عليها .

[كيف تغسل رأسها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أبو العبّاس بنُ الفرات : قال : قالت لي تحفة جارية عَرِيب : كانت عَرِيب تجد في رأسها بَرْداً ، فكانت تغلّف شعرها مكان العلّة بستّين مِثْقالاً مِسْكاً وعَنْبَراً ، وتغسله من جُمْعةٍ إلى جمعة ، فإذا غَسلَتْه أعادته ، وتتقسّم الجواري غُسالةَ رأسها بالقوارير وما تُسرِّحه منه بالمِيزان .

[ترتجل معارضة لصوت]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة ، عن عليّ بن يحيى المنجّم : قال : دخلتُ يوماً على عَرِيب مسلِّماً عليها ، فلمّا اطمأننتُ جالساً هطلت السماء بمَطَر عظيم ، فقالت : أقم عندي اليوم حتى أُغَنّيك أنا وجواريَّ ، وابعثْ إلى مَنْ أحببتَ من إخوانِكَ ، فأمرتُ بدوابي فرُدَّت ، وجلسنا نتحدَّث ، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ، ومَن كان يغنّينا ، وأيّ شيء استحسنا من الغناء ، فأخبرتها أنَّ صوتَ الخليفة كان لَحْناً صنعه بنانٌ من الماخوريّ ، فقالت : وما هو ؟ فأخبرتها أنّه : [من مجزوء الوافر]

صوت

تُجـافي ثـم تَنطَبِقُ ... جفونٌ حَشوُها الأرقُ
وذي كَلَفٍ بكى جَزَعاً ... وسَفْـرُ القـوم مُنطلِقُ
بـه قَلَـقٌ يُمَلْمِلُـه ... وكان ومـا بـه قَلَقُ
جوانحُـهُ عـلى خَطَرٍ ... بنـارِ الشَّوق تَحترِقُ

فوجَّهتْ رسولاً إلى بنان ، فحضر من وقته . وقد بلّته السماءُ ، فأمرت بِخِلَع فاخرة ، فخُلِعَت عليه ، وقُدِّم له طعام فاخر ، فأكل وجلس يشرب معنا ، وسألتْه عن الصوت ، فغنّاها إيّاه فأخذَت دَواةً ورُقْعَة وكتبت فيها : [من مجزوء الوافر]

أجـابَ الوابِـلُ الغَدِقُ ... وصاح النّرجسُ الغَرِقُ
وقـد غنّى بنـان لَنا : ... جُفـونٌ حَشوُها الأَرَقُ
فهـاتِ الكأسَ مُترعـةً ... كـأنَّ حُبابَهـا حَدَقُ

قال عليّ بن يحيى : فما شربنا بقيّة يومنا إلاّ على هذه الأبيات .

[رموز برموز]

حدَّثني محمد بن خلف بنُ المرزبان ، عن عبد الله بن محمد المروزيّ : قال : قال لي الفضل بن العبّاس بن المأمون : زارتني عَرِيب يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها ، فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعة ، وسألتها أن تُقيم عندي ، فأبَت وقالت : دَعاني جماعة من إخواني من أهلِ الأدب والظَّرف ، وهم مجتمعون في جَزيرة المُؤيّد ، فيهم إبراهيمُ بن المُدَبّر وسَعِيدُ بن حُمَيد ويحيى بن عيسى بن منارة ، وقد عزمتُ على المسير إليهم ، فحلفت عليها ، فأقامت عندنا ، ودعَت بدواة وقرطاس فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أَحرفٍ متفرّقة لم تزِد عليها ، وهي :

أردتُ ، ولولا ، ولعلّي .

ووجّهت به إليهم ، فلمّا وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها ، فأَخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعةَ ، فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعلّي : أرجو . ووجّهوا بالرقعة فصفَّقَت ونَعَرت[1] وشربت رَطلاً وقالت لنا : أأَترك هؤلاء وأقعد عندكم ؟ إذاً تركني الله من يديه ، ولكنّي أُخلِّف عندكم من جواريّ مَنْ يكفيكم ، وأَقوم إليهم ، ففعلت ذلك وخلَّفت عندنا بعضَ جواريها ، وأخذت معها بعضَهن ، وانصرفت .

[بلاغتها]

أَخبرنا محمد بن خلف ، عن سعيد بن عثمان بن أَبي العلاء ، عن أَبيه قال : عتَب المأمون على عَرِيب ، فهجرها أيّاماً ، ثم اعتلَّت فعادها ، فقال لها : كيف وجدت طعم الهَجْر ؟ فقالت : يا أَميرَ المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ما عُرِفَت حَلاوةُ الوَصْل ، ومَن ذَمَّ بدءَ الغضب أحمد عاقبةَ الرضا ، قال : فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدَّثهم بالقصّة ، ثم قال : أتُرى هذا لو كان من كلام النظام أَلَم يكن كبيراً ؟

[لا تريد مَن يتدخّل بينها وبين المأمون]

حدَّثني محمد بن خلف ، عن أَبي العيناء ، عن أَحمد بنِ أَبي داوُد ، قال : جرى بين عَرِيب وبين المأمون كَلامٌ ، فكلَّمها المأمون بشيءٍ غَضِبَت منه ، فهجرته أيّاماً ، قال أحمد بن أبي داوُد : فدخلتُ على المأمونِ ، فقال لي : يا أحمد ، اقضِ بيننا ، فقالت عَرِيبُ : لا حاجة لي في قضائِه ودخوله فيما بيننا ، وأنشأت تقول : [من المنسرح]

1 نعرت نعيراً ونعاراً : صاحت وصوّتت بخيشومها .

وتخلِـط الهجـرَ بالوِصالِ ولا　　　يَدْخُـــل في الصُّلحِ بينَنا أَحدُ

[خلوتها مع محمد بن حامد]

حدَّثني محمد بن خلف قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الرحمن ، عن أَحمد بن حمدون ، عن أَبيه ، قال : كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الرُّوم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذاتِ رُعود وبُروق ، فقال لي المأمون : اركب الساعة فرسَ النَّوْبة وسِرْ إلى عَسْكَر أَبي إسحاق ، يعني المعتصم ، فأَدِّ إليه رِسالتي في كيت وكيت ، قال : فركبتُ ولم تَثبُت معي شمعة ، وسمعت وقع حافر دابة ، فرهبْت ذَلِك ، وجعلت أتوقّاه ، حتى صَكَّ ركابي رِكابَ تلك الدّابة ، وبَرقت بارقة فأَضاءَت وَجْه الراكب ، فإذا عَرِيب ، فقلت : عَرِيب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من أَين أقبلتِ في هذا الوقت ؟ قال : من عند محمد بن حامد ، قلتُ : وما صنعتِ عنده ؟ قالت عَرِيب : يا تَكش ، عَرِيب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه ، تقول لها : أَيّ شيء عَمِلت عنده ؟ صَلَّيتُ معه التراويح ؟! أَو قرأتُ عليه أجزاءً من القرآن ، أَو دارسته شيئاً من الفقه ، يا أَحمق تعاتَبنا ، وتحادَثنا ، واصطلحنا ، ولَعِبنا ، وشرِبنا ، وغنَّينا ، وتنايَكنا ، وانصرفنا ، فأخجلتْني وغاظَتني ، وافترقنا ، ومضيتُ فأدّيت الرّسالة ، ثم عدتُ إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتَناشُد الأشعار ، وهَممتُ والله أن أُحَدّثَه حديثها ، ثم هِبْتُه فقلت : أقدّم قبل ذلك تعريضاً بشيءَ من الشعر ، فأَنشدته : [من الطويل]

أَلا حَـــيٍّ أَطلالا لواسعة الحبل　　　أَلوفٍ تسوّي صالح القوم بالرَّذْلِ[1]

فلـو أَنّ مَـن أَمسى بجانب تلعَة　　　إلى جبـلَيْ طـيٍّ فساقطة الحَبْلِ

جلوسٌ إلى أَن يَقْصر الظّلّ عندها　　　لراحوا وكُلّ القوم منها على وَصْلِ

فقال لي المأمون : اخفِض صوتَك لا تَسمعُك عَرِيب فتَغْضَب ، وتظنّ أنَّا في حديثها ، فأَمسكتُ عمّا أَردت أَن أُخبره ، وخار الله لي في ذلك .

حدَّثني محمد بن أَحمد الحكيمي ، قال : أَخبرني ميمون بن هارون : قال : قال لي ابن اليزيديّ : حدَّثني لأبي قال : خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرُّوم ، فرأيت عَرِيبَ في هودج ، فلمّا رأتني قالت لي : يا يزيديّ ، أنشدني شعراً قلتَه حتى أصنع فيه لحناً فأنشدتها : [من الرجز]

مــاذا بقلبي من دوامِ الخفْق　　　إذا رأَيـــتُ لمعـانَ البَـــرْقِ

---

1 واسعة الحبل : أي لا تردّ يد لامس .

مـن قِبَـلِ الأردُنّ أو دِمشْق　　لأنّ مَـن أهـوى بذاك الأُفْقِ
فإنَّ فيـه وهـو أعـزّ الخَلْقِ　　عـليَّ والزّورُ خـلاف الحَقّ
ذاك الذي يَملِك منّـي رِقّي　　ولست أبغِـي ما حَيِيتُ عِتْقِي

قال : فتنفَّستُ تنفّساً ظننتُ أنّ ضُلوعَها قد تقصَّفت منه ، فقلْت : هذا والله تنفّس عاشق ، فقالت : اسكت يا عاجز أنا أعشَق ، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس ، فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً .

[بيتا عبّاس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها]

حدَّثني محمد بن خلف : قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ حَمدون : قال : وقَعَ بين عَرِيب وبين محمد بن حامد شرّ ، وكان يَجِد بها الوَجْد كلّه ، فكادا يَخرُجان من شرّهما إلى القَطيعة ، وكان في قلبها منه أكثرُ ممّا في قلبه منها ، فلقيته يوماً ، فقالت له : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى والله ما كان وأقرحُه ، فقالت له : استبدل تسْلُ ، فقال لها : لو كانت البلوى باختيار لفَعلت ، فقالت : لقد طال إذاً تعبك ، فقال : وما يكون ؟ أصْبِر مُكْرَهاً ، أما سَمعتِ قَولَ العبّاسِ بن الأحنف : [من الكامل]

تَعَبٌ يطول مع الرجاء بذي الهَوى　　خَيرٌ لـه مـن راحـةٍ في الياسِ
لـولا كرامتكـمُ لمـا عاتَبتكُم　　ولكنّتُـم عنـدي كبَعْضِ النّـاسِ

قال : فذرفَت عيناها ، واعتذرت إليه وأعتَبَتْه ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضلِ ما كانا عليه .

[اختلاف في فن عَرِيب]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : قال لي أبو العبّاس بن حمدون ، وقد تجاذبنا غِناء عَرِيب : ليس غناؤها مِمّا يعتدّ بكثرته ، لأنّ سقطه كثير ، وصنعتها ساذجة ، فقلت له : ومَن يُعرَف في النّاسِ كُلّهم من مُغنّي الدولة العبّاسيّة سَلِمت صنعتُه كلّها حتى تكون مثلَه ! ثم جعلتُ أعدّ ما أعرفه من جَيِّد صَنْعتها ومُتَقدّمها وهو يعترف بذلك ، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في : [من البسيط]

يا عـزّ هـل لك في شيخٍ فتًى أبدا

و : [من الطويل]

سيسليك عمّـا فـات دولةَ مفضل

و : [من مجزوء الخفيف]

صـاح قـد لمـت ظالمـا

و : [من مجزوء الكامل]

ضحــك الزمــان وأشرقــت

ونحو هذا ، ثم قال لي : ما خَلّفتْ عَرِيبُ بعدها امرأةً مثلَها في الغِناءِ والرّواية والصَّنْعة ، فقلت له : لا ، ولا كثيراً من الرجال أيضاً .

[قصّة لحن في بيت يتيم]

ولعَرِيب في صنعتها : [من البسيط]

يا عـزّ هـل لكِ في شيخٍ فتى أبدا

خبرٌ أخبرني ببعضِهِ أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار ، عن ميمون بن هارون .

وذكر ابن المعتزّ أنّ عبد الواحد بنَ إبراهيم بن الخصيب حدَّثه عَمَّن يثِق به ، عن أحمد بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : قال : قالت لي عَرِيب : حجَّ بي أبوكَ وكان مضعوفاً ، فكان عديلي ، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدُهم الأشعارَ ، وأكتب عنهم النوادر وسائرَ ما أسمعه منهم ، فوقف شيخٌ من الأعرابِ علينا يسأل ، فاستنشدتُه ، فأنشدني : [من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخ فَتًى أبدا وقد يكون شَبابٌ غَيرُ فِتيانِ

فاستحسنتُه ، ولَم أكُن سمعته قبل ذلك ، قلت : فأنشدني باقي الشعر ، فقال لي : هو يتيم ، فاستحسنتُ قوله وبرَّرتُه ، وحفِظت البيت وغنَّيت فيه صوتاً من الثقيل الأوّل ، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه . فلمّا كان في ذلك اليوم عَشِيّاً قال لي : ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدَك إيّاه الأعرابيّ ، وقال لك : إنّه يتيم . أنشدينِيه إن كنت حَفظْته ، فأنشدتُه إيّاه ، وأعلمته أنّي قد غَنَّيت فيه ، ثم غنَّيته له ، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب ، وفرح بالصوت فرحاً شديداً .

قال ابن المعتزّ : قال ابن الخصيب : فحدَّثني هذا المحدِّث أنّه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكّل ، ومَن هاهنا تَتصل روايةُ ابن عَمَّار ، عن ميمون ، وقد جَمعتُ الرّوايتين ، إلاّ أنّ مَيْمون بنَ هارون ذَكَر أنّهم كانوا عِنْد جَعْفَر بنِ المأمون ، وعندهم أبو عيسى ، وكان عندهم عليُّ بنُ يَحْيى ، وبِدعة جاريةُ عَرِيب تغنّيهم ، فذَكَر عليُّ بنُ يحيى أنّ الصَّنعةَ فيه لِغَير عَرِيب ، وذكر أنّها لا تدّعي هذا وكابَرَ فيه ، فقام جعفرُ بنُ المأمون ، فكتب رُقْعَة إلى عَرِيب ، ونحن لا نعلم ، يسألُها عن أمرِ الصوت وأن تكتب إليه بالقصّة ، ففعلت ، فكتبت إليه بخطِّها :

بسم الله الرحمن الرحيم : [من الطويل]

هَنِيّاً لأَربابِ البيوت بُيوتُهم وللعَزَب المسكين ما يَتَلَبَّسُ

أنا المسكينة ، وحيدة فريدة بغير مؤنس ، وأَنتم فيما أَنتم فيه ، وقد أَخذتم أنسي ومَن كان يُلهيني ، تعني جاريتيها : بِدعة وتحفة ، فأَنتم في القصف والعزف ، وأَنا في خلاف ذلك ، هناكم الله وأَبقاكم ، وسأَلتَ ، مدّ الله في عمرك ، عمّا اعتَرَضَ فيه فلان ، والقِصَّةُ في هذا الصوت كذا وكذا ، وقصَّتْ قصَّتها مع الأعرابيّ كما حدَّثت به ، ولم تَخْرُم حرفاً منها ، فجاء الجواب إلى جَعْفر بن المأمون فقرأه وضحك ، ثم رمى به إلى أبي عيسى ، ورمى به أبو عيسى إليّ ، وقال : اقرأْه ، وكان عليّ بن يحيى جالساً إلى جَنْبي ، فأَراد أن يَسْتَلِب الرقعة ، فمنعتهُ وقمتُ ناحية ، فقرأْتُها : فأَنكر ذلك ، وقال : ما هذا ؟ فورَّينا الأمرَ عنه لَئلاّ تقع عربدة ، وكان ، عفا الله عنّا وعنه ، فعّالاً لها .

[قصة غراميّة عن أبي محلم]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أَبو الخَطّاب العَبّاسُ بنُ أَحمدَ بنِ الفُرات ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : كنّا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعَرِيبُ حاضرةٌ إذ غنَّى بعضُ مَن كان هناك : [من الكامل]

يـا بدرُ إنّك قد كُسيت مشابِهاً من وجــهِ ذاك المستنير اللاّئحِ
وأَراك تمصَح بالمحاقِ ، وحسنُها بـاقٍ على الأيّـام ليس ببارحِ[1]

فضحكت عَرِيب وصفَّقَت وقالت : ما على وجه الأَرض أَحدٌ يعرف خبر هذا الصوتِ غيري ، فلم يُقدِم أحدٌ منّا على مسألتها عنه غيري ، فسأَلتها ، فقالت : أنا أُخبركم بقصّته ، ولولا أنّ صاحب القِصَّة قد مات لَما أخبرتكم ، إنّ أبا مُحلّم قدِمَ بغداد ، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خانٍ هناك ، فاطّلعت أُمُّ محمد ابنةُ صالح يوماً ، فرأته يبول ، فأَعجبها مَتاعُه ، وأَحبَّت مواصلتَه ، فجعلت لذلك علّة بأَن وَجَّهتْ إليه تَقترض منه مالاً ، وتُعلِمُه أنّها في ضِيقَة وأنّها تَردُّه إليه بعد جُمْعَة ، فبَعَث إليها عَشرةَ آلافِ دِرْهم ، وحلَف أنّه لو مَلَك غيرَها لبَعَث به ، فاستحسنتْ ذلك وواصلته ، وجعلت القرضَ سبباً للوُصْلة ، فكانت تُدخلُه إليها ليلاً ، وكنت أنا أُغنّي لهم ، فشربنا ليلة في القمر ، وجعل أبو مُحلِّم ينظر إليه ، ثم دعا بدواة ورقعة ، وكتب فيها قوله : [من الكامل]

1 مصح : ذهب وانقطع .

يا بدرُ إنّك قد كُسيتَ مشابها   من وَجْهِ أُمِّ محمد ابنةِ صالِحِ

والبيت الآخر ، وقال لي : غَنِّي فيه ، ففعلتُ واستحسنّاه وشربنا عليه ، فقالَتْ لي أُمّ محمد في آخر المجلس : يا أختي ، قد تنبّلت في هذا الشعر إلاّ أنّه سيبقى عليَّ فَضيحة آخر الدّهر ، فقال أبو مُحلّم : وأنا أغيّره ، فجعل مكان أُمّ محمد ابنة صالح ، «ذاكَ المستنير اللائح» . وغَنَّيتُه كما غيَّره ، وأخذه الناسُ عنّي ، ولو كانت أُمُّ محمد حيَّة لما أخبرتكم بالخَبَر .

[فأمّا نِسْبة هذا الصوت]

فإنَّ الشعر لأبي مُحَلّم النَّسَّابة ، والغِناء لعَرِيب ثَقيل أَوَّل مُطلق في مَجْرى الوُسْطى من رواية الهِشاميّ وغيره ، وأبو مُحلّم اسمه عوف بنُ مُحلّم .

[تطلب من حبيبها أن يزورها]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن ميمونِ بن هارون : قال : كتبتْ عَرِيب إلى محمد بن حامد ، الذي كانت تَهواه ، تستزيرهُ ، فكتب إليها : إنِّي أخاف على نفسي ، فكتبت إليه : [من المتقارب]

صوت

إذا كنتَ تحـذرُ ما تحذرُ   وتزعـمُ أنّك لا تَجسُرُ
فما لي أُقيمُ على صَبْوَتي   ويَـومُ لِقائِـك لا يُقدَرُ

فصار إليها من وقته .

لعَرِيب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رَمَل ، ولشارية خَفِيف رمل ، جُمِعا من رواية ابن المعتزّ ، والبيتان الآخران : [من المتقارب]

تبيَّنتَ عـذري وما تَعذِر   وأَبليتَ جسمي وما تشعرُ
أَلِفْـتَ السُّرورَ وخَلَّيْتَنـي   ودَمْعـي من العينِ ما يَفترُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أَنّ محمدَ بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَه ، فكتبت إليه تعتذر ، فلم يقبل ، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت : [من البسيط]

صوت

أُحببتُ مـن شعرِ بَشّار لحبّكمُ   بَيْتـاً ، كلِفتُ به من شِعْرِ بَشّارِ
يـا رحمـةَ اللهِ حُلِّي في مَنازِلنا   وجاوِرِينا فدَتْكِ النَّفسُ من جارِ[1]

1 رحمة : محبوبة بشار .

إذا ابتهلتُ سألتُ اللهَ رحمتَه كَنيتُ عنك وما يَعدُوك إضماري

الشعرُ لأبي نواس منه البيت الأوّل ، والثاني لبشّار ضمّنه أبو نواس ، والغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالبنصر ، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل .

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عَمّ نجاح بن سَلَمة الكاتب .

[رحمة حبيبة بشّار ورحمة حبيب أبي نواس]

أخبرني بخبره عليٌّ بنُ سليمان الأخفَشُ ، عن محمد بن يزيد النحويّ : قال : كان بَشَّار يُشبِّب بامرأة يقال لها رحمة ، وكان أبو نواس يتعشّق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح ، عَمّ نَجاحِ بنِ سَلَمَة الكاتب ، وكان متقدّماً في جماله ، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً مدنيّاً ، وكان معهم كأحدهم ، وأكثر أبو نواس التّشبيبَ برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها ، وكان بشّار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها : [من البسيط]

يا رحمةَ الله حُلّي في منازلنا حَسْبي برائحة الفِرْدَوس من فِيكِ
يا أَطيبَ النّاسِ ريقاً غيرَ مُخْتَبَرٍ إلاّ شِهادةَ أَطرافِ المساويكِ

فقال أبو نواس ، وضمَّن بيت بَشّار : [من البسيط]

أحببت من شعر بشّار لحُبِّكم بَيْتاً كَلِفْت به من شِعْرِ بَشّارِ

الأبيات الثلاثة . . .

وقال فيه : [من الكامل]

يا مَن تأهَّب مُزْمِعاً لِرواحِ مُتَيَمِّماً بغدادَ غيرَ مُلاحِ
في بَطْن جاريةٍ كَفَتْك بسَيْرِها رَمَلاً وكلَّ سِباحةِ السَّبّاحِ[1]
بُنيت على قَدَرٍ ولاءم بينها صِنفانِ من قارٍ ومن أَلواحِ
وكأنّها ، والماء ينضح صدرَها والخَيزُرانةُ في يَدِ المَلاَّحِ[2]
جُونٌ من الغِربانِ يبتدِر الدّجى يَهْوي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ
سلّم على شاطىء الصّراةِ وأَهلِها واخصُص هناك مَدِينةَ الوَضَّاحِ[3]
واقصدْ ، هُدِيت ، ولا تكن متحيّراً في مقصِدٍ عن ظَبْيِ آلِ نَجاحِ

1 جارية : أي السفينة . والرَّمَل : ضرب من السير وهو الهرولة .
2 الخيزرانة : مجداف السفينة .
3 الصّراة : نهر بالعراق .

عن رحمة الرحمن واسأل مَنْ تَرى سيماه سيما شارِبٍ للرّاحِ
فإذا دُفِعْتَ إلى أغنَّ وألثغٍ ومُنَعَّم ومُكَحَّل ورَداحِ[1]
وكشَمْسِنا وكبدرِنا حاشى التي سَمَّيْتها منه بنَوْر أقاحي
فاقصِد لوقت لِقائه في خَلْوة لِتَبوح عنّي ثَمَّ كلّ مباحِ
واخبر بما أحبَبْت عن حالي التي ممساي فيها واحدٌ وصَباحي

قال : فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذِكر ابنه بأن عَقَد بينه وبينه حُرْمَة ، ودعاه إلى منزله ، فجاءه أبو نواس والمدينيّ لا يعرفه ، فمازحه مِزاحاً أسرف عليه فيه ، فقام إليه رحمة ، فعرفه أنّه أبو نواس ، فأشفق المدينيّ من ذلك ، وخاف أن يهجوه ويشَهّر اسمه ، فسأل رحمةَ أن يكلّمه في الصّفح له والإغضاء عن الانتقام ، فأجابه أبو نواس وقال : [من الكامل]

اذهبْ سلمتَ من الهجاءِ ولذعِه وأما ولُثغةِ رحمةَ بنِ نجاحِ
لولا فُتورٌ في كلامِك يُشتَهى وتَرفُّقي لك بعدُ واستِملاحي
وَتكَسُّرٌ في مقلتيك هو الذي عَطَف الفُؤاد عليكَ بعد جِماحِ
لَعَلِمتَ أنّك لا تمازِح شاعِراً في ساعةٍ ليست بحين مُزاحِ

صوت

[من المتقارب]

أأبكاكَ بالعُرُف المنزلُ وما أنتَ والطَّلَلُ المُحولُ ؟
وما أَنتَ ويْك ورسمُ الدّيارِ وسِنُّكَ قد قاربت تَكمُلُ ؟

عروضه من المتقارَب ، والشعر للكميت بنِ زيد الأَسديّ ، والغناء لمعْقِل بن عِيسى أخِي أبي دُلَفٍ العِجليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبدَ الرحمن بنَ عَنْبسة بنِ سَعِيد بنِ العاصي بن أُميّة .

أخبرني الحسنُ بن عليّ : قال : حدَّثني الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، عن عليّ بن هشام ، عن محمد بنِ عبد الأعلى بن كناسة : قال : كان بين بني أسد وبين طيىء بالحُصّ ، وهي قريبة من قادِسيّة الكوفة ، حربٌ ، فاصطلحوا وبقي لطيىء دماءُ رَجُلَين ، فاحتمل ذلك رَجُلٌ من بني أسد ، فمات قبل أن يؤدّيه ، فاحتمله الكميت بن زيد ، فأعانه فيه عبدُ الرحمن بنُ عَنْبسة ، فمدحه بقوله : [من المتقارب]

---

1 الرداح : الثقيل الأوراك .

أَأَبكاكَ بالعُرُفِ المنزلُ ... وما أَنتَ والطَّلل المحوِلُ

فأَعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ ، فمدحه بقصيدته التي أوّلها : [من المتقارب]

رأَيتُ الغوانيَ وحشا نَفُورا

وأَعانه زيادُ بن المُغفّل الأَسديّ ، فمدحه بقصيدته التي أَوّلها : [من البسيط]

هل للشباب الذي قد فات من طلب ؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء ، فأَقبل الرجل يعطي الكميت المائتين ، والثلاث المائة ، وأَكثر وأَقلّ ، قال : وكانت دِيَةُ الأَعرابيّ حينئذٍ أَلفَ بَعِيرٍ ودِيةَ الحَضرِيّ عَشْرَة آلافِ دِرهم ، وكانت قيمة الجمل عَشرة دراهم ، فأَدّى الكميتُ عِشْرين أَلفاً عن قيمة أَلفَي بَعِير .

نسبة ما في أَشعار الكميت هذه من الأَغاني

منها :

صوت

[من البسيط]

هل للشبابِ الذي قد فات من طلبِ ... أَم ليس غابرُه الماضي بمُنقلبِ

دَعِ البكاء على ما فات من طلب ... فالدّهر يأْتي بأَلوان من العَجَبِ

غنّاه إبراهيمُ الموصليّ خَفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق .

[446] ـ ذكر معقل بن عيسى

[شاعر مغن]

كان معقِلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَواداً ، مغنّياً فَهماً بالنّغم والوتر ، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وتَقريظِه في المعرفة بالنَغَم ، وقال : إنّه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صَنْعةً ؛ إذ سلّم ذلك له أخوه مَعْقِل ، وإنّما أخملَ ذكرَه ارتفاعُ شأن أخيه ، وهو القائل لأبي دُلَف في عَتْب عَتَبه عليه : [من البسيط]

أُخَــيَّ ما لَـكَ ترميني فتُقصِدَني وإن رَمَيتُك سهماً لم يجُزْ كبدي
أُخَــيَّ ما لَـكَ مجبولاً على تِرتي كأنّ أَجسادنا لم تُغْـذَ من جسدِ

وهو القائل لمخارق ، وقد كان زار أبا دُلَف إلى الجبل ، ثم رجع إلى العراق ، أَخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سَعيدٍ السكريّ : [من الطويل]

صوت

لعمري لئن قَـرَّتْ بقُربك أَعينٌ لقـد سَخِنت بالبَيْنِ منك عُيونُ
فَسِرْ أَو أَقِم وقـفٌ عليك محبَّتي مكانُكَ مـن قلبي عليك مَصونُ
فما أَوحشَ الدُّنيا إذا كنتَ نازِحاً ومـا أَحسنَ الدُّنيـا بحيثُ تكونُ

عروضه من الطويل ، والشعر لمعقل بن عيسى ، والغناء لمخارق ، ولحنه من الثَّقيل الأَوّل بالوسطى ، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل ، وفيه ثاني ثقيل يقال : إنّه لمخارق ، ويقال : إنّه لمعقل .

ومن شعر معقل قولُه يمتدح المعتصمَ ، وفيه غِناء للزُّبير بن دَحْمان من الثقيل الأَوّل بالبنصر : [من الكامل]

الدّارُ هاجَـك رسمُهـا وطلولُهـا أم بَيْنُ سُعْدى يوم جَـدَّ رحيلُها
كُلٌّ شجاك فقل لعينك أَعولـي إن كان يُغنـي في الدِّيـارِ عَوِيلُها
ومحمدٌ زيـنُ الخَلائِـف والذي سَنَّ المكـارمَ فاستَبـان سَبِيلُها

صوت

[من الطويل]

أَليسَ إلى أَجبال شمخٍ إلى اللّوى لِوى الرَّمل يوماً للنُّفوس مَعادُ ؟

بِلادٌ بهــا كُنّا ، وكُنّا مِنَ آهلِها إذِ النّــاسُ نــاسٌ والبلادُ بلادُ

الشعر لرجل مَن عاد فيما ذكروا ، والغناء لابن محرز ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكّيّ ، وقيل : إنّه من منحوله إليه .

[رجل من عاد]

أخبرني ابن عمّار عن أبي سعد ، عن محمد بن الصَّبّاح : قال : حدَّثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيميّ عن الهيثم بن عديّ : قال : أخبرني حمّاد الرّاوية : قال : حدَّثني ابنُ أُخت لنا من مراد : قال : وليتُ صدقاتِ قوم من العرب ، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم : ألا أريك عجباً ؟ قلت : بلى ، فأدخلني في شِعب من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عاد ، من فتى قد نشب في ذِروة الشّعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب : [من الطويل]

أَلا هَلْ إلى أَبياتِ شمخٍ إلى اللّوى لِوى الرّمل يوماً للنّفوس معادُ ؟

بــلادٌ بهــا كُنّا وكُنّا مِنَ آهلِها إذِ النّــاسُ نــاسٌ والبِلادُ بلادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر ، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً ، ويظهر تارة ، وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم يا ابن عبدِ ربّه ، اتّقِ الله ، ولا تعجل في أمرِك ، فإنّك لن تسبق رزقَك ، ولن تُرزق ما ليس لك ، ومن البصرة إلى الديل ستّمائة فرسخ ، فمَن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريقَ على الساحل حتى يتحقّقَه ، فإن لم يَقدِر على ذلك فلينْطَحْ برأسه هذا الحجر .

صوت

[من الكامل]

يا بيت عاتكَــة الذي أَتَعزَّل حَذَر العِدا وبه الفُؤادُ موكَّلُ

إنِّي لأَمنحُكَ الصّدودَ وإنَّني قَسماً إليك مع الصّدودِ لأَميَلُ

أَتعزله : أَتجنّبه واكون بمعزل عنه . العِدا : جمع عدوّ ، ويقال عُدا بالضمّ وعِدا بالكسر ، وأَمنحك : أعطيك . والمنيحة : العطيّة . وفي الحديث أنّ رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله ، فقال له النبيّ ﷺ : أَكلَّ ولد منحتَ مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فارجعه .

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاريّ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، والغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ويونس وغيرهما ، وفيه لابن سُرَيج خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ وابن المكّيّ وعلي بن يحيى .

[447] ـ الأحوص[1] وبعض أخباره

[الأحوص يعارض ابن أبي دُباكل]

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحِرْميّ عن الزُّبير قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي ، وأخبرنا به الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن مُصْعَب الزُّبيريّ ، عن المؤمّلي ، عن عمر بن أبي بكر الموصليّ ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمّار بن ياسر : قال : خرجت أنا والأحوصُ بنُ محمد مع عبدِ الله بن الحسن بن الحسن إلى الحجّ ، فلمّا كنّا بقُدَيْد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمانَ بن أبي دُباكل ، فأنشدَنا شيئاً من شعره ، فأرسل إليه فأتانا ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يــا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّهـا لا يَذْهبُ
أُصبحت أَمنَحُكِ الصدودَ وإنّني ... قَسماً إليك مع الصّدودِ لأجنُبُ
مــا لي أحنّ إلى جمالِكِ قُرِّبت ... وأَصُدُّ عنك وأنت مِنِّـيَ أقربُ
لله دَرُّك هــل لديــك مُعوَّلٌ ... لَمتيَّم أم هــل لـوُدّك مَطلبُ ؟
فلقــد رأيتــك قبــل ذاكَ وإنّني ... لَمُوكَّــل بهــــواكِ أو مُتَقَرّبُ
إذ نحــن في الزمن الرخيّ وأنتمُ ... متجــاورون كلامُكــم لا يُرقَبُ[2]
تبكي الحمامــةُ شَجوها فتَهيجُني ... ويــروح عــازبُ همِّيَ المتأوِّبُ
وتَهبُّ جاريةُ الرياحِ مِنَ ارضكم ... فأرى البلادَ لهـا تُطِلُّ وتُخصِبُ
وأرى السّميّة باسمكــم فيزيدُني ... شوقاً إليــك رجــاؤكِ المُتَنَسّبُ
وأرى العــدوَّ يــودّكم فــأودّه ... إن كان يُنسب منك أولا يُنسبُ
وأُخالِف الواشِينَ فيــكِ تجمُّلاً ... وهــمُ عــليَّ ذوُو ضغائنٍ دُؤَّبُ
ثــم اتّخذتِهــم عــليَّ وَليجة ... حتى غَضِبت ومثلُ ذلك يُغضِبُ[3]

قال : فلمّا كان من قابل حجّ أبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان ، فقدِم المدينة ، فدخل عليه

1 انظر أخباره في : الجمحي 137–140 والشعر والشعراء 1/518–521 والمؤتلف 47–48 واللآلي 73 والخزانة 1/231–234 .

2 كلامكم في ل : كلاكم .

3 وليجة : أصدقاء وأعوان .

الأحوصُ ، واستصحبه فأَصحبه ، فلمّا خرج الأحوصُ قال له بعض مَن عنده : ماذا تريد بنفسك ؟ تقدُم بالأحوص الشام ، وبها مَن يُنافسك من بني أبيك ، وهو من الأفَن والسَّفَه على ما قد علمت فَيعِيبُونك به . فلمّا رجع أبو بكر من الحجِّ دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال ، إنّي نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه ، فيجبهكَ فيشمَتَ بك عدوّي من أهل بيتي ، ولكن خُذْ هذه الثيابَ والدنانير ، وأنا مستأذن لك أميرَ المؤمنين ، فإذا أذِن لك كتبت إليك ، فقدمتَ عليّ ، فقال له الأحوص : لا ولكن قد سُبِعْتُ[1] عندك ، ولا حاجة لي بعطيّتك ، ثم خرج من عنده ، فبلغ ذلك عمرَ بنَ عبد العزيز ، فأَرسل إلى الأحوص ، وعمر يومئذٍ أميرُ المدينة ، فلمّا دخل عليه أعطاه مائة دينار ، وكساه ثياباً فأخذ ذلك ، ثم قال له : يا أخي هَبْ لي عِرْض أَبي بكر ، قال : هو لك ، ثم خرج الأحوص ، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أَبي دُباكل قصيدةً مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

وقال حمّاد : قال أبي : سرق أبيات سليمان بأعيانِها ، فأدخلها في شِعره ، وغيَّر قوافِيَها فقط ، فقال : [من الكامل]

يــا بيتَ عاتكــة الذي أَتعــزَّل ... حــذَر العِدا وبــه الفؤاد موكَّلُ
أَصبحتُ أَمنحُكِ الصّدودَ وإنَّني ... قَسَماً إليك مــع الصّدود لأَمْيَلُ
فصددتُ عنك وما صددتُ لِبغْضةٍ ... أَخشى مقالـــةَ كاشحٍ لا يَعْقِلُ
هل عيشُنا بك في زمانك راجعٌ ... فلقــد تفاحش بعـــدك المتعلّلُ[2]
إنِّــي إذا قُلــتُ استقام يحُطُّـه ... خُلْفٌ كما نظــر الخِلافَ الأَقبَلُ[3]
لــو بــالذي عالجت لِينَ فؤاده ... فأَبــى يُــلانُ بِــه لَلانَ الجَنْدَلُ
وتَجنُّبــي بَيــتَ الحبيــبِ أودُّه ... أُرضي البغيضَ به ، حديثٌ مُعْضِلُ
ولئن صددتُ لأَنتِ لولا رِقبتي ... أَهــوى من اللائي أَزورُ وأَدْخُلُ
إنّ الشَّبابَ وعيشَنا اللــذَّ الذي ... كُنّــا بـــه زمناً نُسرُّ ونَجذَلُ[4]
ذهبــت بشاشتُهُ وأَصبحَ ذكــرُه ... حُزْنــاً يعُــلُّ بــه الفؤاد وينهلُ

1 سبع فلان فلاناً : شتمه ووقع فيه .
2 تفاحش في الديوان 167 : تقاعس .
3 القبل : الحول ، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .
4 اللذّ : اللذيذ .

إلاَّ تَذكُّرَ ما مضى وصبابةً ... مُنِيَتْ لقلْب متيَّمٍ لا يَذْهلُ
أودَى الشبابُ وأخلقَتْ لذّاتُه ... وأنا الحزينُ على الشبابِ المُعْوِلُ
يبكي لما قَلَب الزمانُ جديدَه ... خَلَقاً وليس على الزّمانِ مُعوَّلُ
والرأس شامِلُه البَياضُ كأنّه ... بعد السّوادِ به الثَّغامُ المُحْجِلُ[1]
وسفيهةٍ هبَّت عليَّ بسُحْرةٍ ... جَهْلاً تلوم على الثّواء وتَعْذِلُ[2]
فأجبتُها أن قلتُ لستِ مُطاعةً ... فذري تنصُّحكِ الذي لا يُقبَلُ
إنّي كَفاني أن أعالج رِحْلَةً ... عُمَرٌ ونبْوَةُ مَن يضنّ ويبخلُ
بِنوال ذي فجرٍ تكون سِجالُه ... عَمَماً إذا نزل الزّمانُ الممحلُ
ماضٍ على حدث الأمورِ كأنّه ... ذو رَوْنق عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقَلُ
تُبدي الرجال إذا بدا إعظامه ... حذَرَ البُغاث هَوى لهنّ الأَجْدَلُ[3]
فيرون أنّ له عليهم سورةً ... وفضيلةً سَبَقَت له لا تُجْهَلُ
مُتَحمِّل ثِقَلَ الأُمورِ حوى له ... سبقَ المكارم سابقٌ مُتَمَهّلُ
وله إذا نُسِبَت قريشٌ منهم ... مجدُ الأُرومة والفَعالُ الأَفضلُ
وله بمكّة إذْ أميّة أَهلُها ... إرثٌ إذا عُدَّ القديمُ مُؤَثّلُ
أعيت قرابَتُه وكان لُزومُه ... أَمْراً أَبانَ رَشادَه مَنْ يَعْقِلُ[4]
وسموتَ عن أخلاقهم فتركتهم ... لنداك إنّ الحازمَ المتحوّلُ
ولقد بدأتُ أريدُ وُدَّ معاشرٍ ... وَعَدُوا مواعِدَ أخلفت إن حُصِّلوا
حتى إذا رجع اليقينُ مطامِعي ... يأساً وأخلَفَني الذين أُؤمِّلُ
زايلتُ ما صَنَعوا إليك برِحْلَةٍ ... عَجْلى وعندك عنهمُ مُتَحوَّلُ
ووعدتَني في حاجةٍ فصَدَقْتَني ... ووفيتَ إذ كَذَبوا الحديثَ وبَدَّلوا
وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملتَه ... عَنّي وأنت لمثلِهِ مُتَحمِّلُ

---

1 الثغام : نبت أبيض ، وأثغم الرأس : صار كالثغام بياضاً . والمحجل من الحجل ، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه ، وفي الديوان 168 وفي ل : المحول .

2 سُحرة : في وقت السّحر .

3 الأجدل : الصقر .

4 أعيت في الديوان 169 : أغنت . قرابته في ل : قرائنه . أمراً في ل : أثراً .

فلأشكرنَّ لـــك الذي أوليتَني شُكراً تُحـلُّ بــه المطِيُّ وتُرحَلُ
مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها مَبْذُولَـــةً ولغيـــرِكم لا تُبـــذَلُ
فـــإذا تَنَحَّلْــتُ القريضَ فإنّه لكم يكـــون خِيـــارُ ما أَتَنحَّلُ
ولعمرُ مَــن حَــجَّ الحجيجُ لِبَيْته تَهْوِي بـــه قُلُص المَطــيّ الذُّمَّلُ
إنَّ امــرءاً قـــد نالَ منك قرابةً يَبْغـــي منافِـــعَ غيرهـــا لُمضَلَّلُ
تَعْفُو إذا جَهِلُـــوا بحلمك عنهم وتُنِيل إن طلبـــوا النّوالَ فتُجزِلُ
وتكون مَعْقِلَهـــمْ إذا لم يُنجِهم من شَرّ مـــا يخشون إلاّ المَعْقِلُ
حتى كأنّك يتّقى بـــك دونهمْ من أُسْدِ بيشة خـــادِرٌ مُتَبَسِّلُ[1]
وأراكَ تفعلُ مـــا تقول وبَعضُهم مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفْعَلُ[2]
وأرى المدينةَ حين صِرْت أميرَها أَمِنَ البَرِيءُ بهـــا ونـــام الأعزلُ

فقال عمر : ما أراك أعفيتني ممّا استُعْفيت منه ، قال : لأنّه مَدَحَ عمر وعَرَّض بأخيه أبي بكر .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الكامل]

مـــا لي أَحِـــنُّ إذا جمالُك قُرِّبت وأصدّ عنك وأنت مِنّـــيَ أقربُ ؟
وأرى البـــلادَ إذا حللتِ بغيرها وَحْشاً وإن كانت تُظَلّ وتُخصِبُ
يـــا بيـــت خنساءَ الذي أتجنَّب ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهَبُ
تبكي الحمامةُ شجوَهـــا فتَهيجُني ويَرُوحُ عـــازب هَمِّـــيَ المتأوِّبُ

الشعر لسليمان بن أبي دُباكل ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوَّل بالبنصر ، عن عمرو . وقال ابن المكّيّ : فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز ، وأوّله :

تبكـــي الحمامـــة شجوها فتهيجني

---

1 بيشة : مكان اشتهر بأسده . والخادر : الذي لزم عرينه . ومتبسّل : عابس غضباً أو شجاعة . وقد تضمن البيت مثلاً هو : من أسد بيشة خادِرٌ .

2 مذق الحديث : مخلوط غير خالص . من مذق اللبن : إذا خلطه بالماء .

[التعريف بعاتكة]

أَخبرني الحسينُ بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي ، وقال محمدُ بن كُناسة : حدَّثني أبو دُكين بنُ زكريّا بن محمد بن عمّار بن ياسر : قال : رأيتُ عاتكةَ التي يقول فيها الأحوص :

يـــا بيت عاتكة الذي أَتعزّل

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج[1] تَتَملَّح به .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير ، عن محمد بن محمد العمريّ : قال : عاتكة التي يُشبّب بها الأحوصُ عاتكةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن إسحاق بن عبد الملك : أَنّ الأَحوص كان ليِّناً ، وأَنّ عاتكة التي يَنْسِب بها ليست عاتكةَ بنتَ عبد الله بن زيد بن معاوية ، وإِنّما هو رجل كان ينزل قُرًى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبيريّ عن يعقوب بن حكيم : قال : كان الأحوص لَيِّناً ، وكان يلزم نازِلاً بالأشراف ، فنهاه أخوه عن ذلك ، فتركه فَرَقاً من أخيه ، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول : [من الكامل]

يـــا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل حذرَ العِدا وبــه الفؤادُ مُوكَّل

يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أَن يدخل عليه .

[الفرزدق وكثير يزوران الأحوص]

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبيريّ ، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم : قال : حدَّثني عبد العزيز بن عمران : قال : قدِم الفرزدق المدينة ، فقال لكُثَيِّر ؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدّث عنده ؟ فقال له : وما نصنع به ؟ إذاً والله نجد عنده عبداً حالِكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا ، ويَبِيتُ مُضاجِعه ليلته حتى يصبح ، قال الفرزدق : فقلت : إنّ هذا من عداوة الشعراء بَعضِهِمْ لبعض ، قال : فانهَضْ بنا إليه إذاً ، لا أبَ لغيرك ، قال الفرزدق : فأردفْتُ كُثَيِّراً ورائي على بَغْلَتي ، وقلت : تلفّف يا أبا صخر ، فمثلُك لا يكون رَدِيفاً ، فخَمَّر رأسَه وألصقَ فيَّ وجهه ، فجعلتُ لا أجتاز بمجلس قوم إلاّ قالوا : مَن هذا وراءك يا أبا فراس ؟ فأقول : جاريـة وَهبَهـا لي الأمير ، فلمّا أكثرت عليه من ذلك ، واجتاز على بني زُرَيق ، وكان يُبغِضهم ، فقلتُ لهم ما كنت أقول قبل ذلك ، كشف عن رأسه وأومَض[2] وقال : كذَب ،

---

1 النيلج : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .

2 أومض : أشار إشارة خفيّة رمزاً أو غمزاً .

ولكنّي كرهتُ أن أكونَ له رديفاً وكان حديثُه لي مُعجباً ، فركِبت وراءه ، ولم تكن لي دابة أركبُها إلاّ دابّته ، فقال : لا تعجل يا أبا صَخر ، ههنا دَوابُّ كثيرة تركَبُ منها ما أردت ، فقال : دوابكم والله أبغضُ إليَّ من رِدْفه ، فسَكَتُوا عنه . وجعل يتغشّم[1] عليهم ، حتى جاوز أبصارهم ، فقلت : والله ما قالوا لك بأساً ، فما الذي أغضبك عليهم ؟ فقال : والله ما أعلم نفراً أشدَّ تعصّباً للقرشيِّين من نفر اجتزتُ بِهم ، قال : فقلت له : وما أنتَ ، لا أُمَّ لك ولقريش ، قال : أنا والله أحدهم ، قلت : إن كنتَ أحدَهم فأنت والله دَعيُّهم ، قال : دَعِيُّهم خيرٌ من صَحيح نسب العرب ، وإلاّ فأنا والله من أكرم بيوتهم ، أنا أحد بني الصَّلت بن النضر ، قلت : إنّما قريش ولد فهرْ بن مالك ، فقال : كَذَبت . فقال : ما عِلمُك يا ابن الجعْراء بقريش ؟ هم بنو النَّضْر بنِ كنانة ، ألم تَرَ إلى النبيّ ﷺ انتسب إلى النَّضْر بن كنانة ، ولم يكن ليجاوز أكرمَ نسبه ، قال : فخرجنا حتى أتينا الأحوص ، فوجدناه في مشربة له ، فقلنا له : أنرقى إليك أم تنزل إلينا ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، عندي أُمّ جعفر ، ولم أرَها منذ أيّام ، ولي فيها شُغل ، فقال كُثيِّر : أُمّ جعفر والله بعضُ عبيد الزَّرانِيق[2] فقلنا له : فأنشِدنا بعضَ ما أحدثتَ به ، فأنشدنا قوله : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكـةَ الذي أتعزَّل حذرَ العِدا وبـه الفُؤادُ مُوكَّلُ

حتى أتى على آخرها ، فقلت لكثير : قاتَلَه الله ، ما أشعره ، لولا ما أفسد به نَفسَه ، قال : ليس هذا إفساداً ، هذا خَسْفٌ إلى التّخُوم ، فقلت : صدقت ، وانصرفنا من عنده ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : إن شئت فمنزلي ، وأحملُك على البغلة ، وأهب لك المِطْرف ، وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئاً ، فقال : بل منزلي ، وأبذُلُ لك ما قَدرت عليه ، وانصرفنا إلى منزله ، فجعل يحدِّثني ويُنشدني حتى جاءت الظّهر ، فدَعا لي بعشرين ديناراً وقال : استعِن بهذه يا أبا فراس على مقدمك ، قلت : هذا أشدّ من حُمْلان بني زُرَيق ، قال : والله إنّك ما تأنف من أخذ هذا من أحـد ، غير الخليفة ، قال الفرزدق : فجعلت أقول في نفسي : تـالله إنّه لمن قريش ، وهممتُ ألاّ أقبل منـه . فدعتني نفسي ، وهي طَمِعَةٌ ، إلى أخذِها منه ، فأخذتها .

[من هي الجعراء ؟]

معنى قول كُثَيِّر للفرزدق : يا ابن الجعراء : يُعَيِّره بِدُغَة ، وهي أُمّ عمرو بن تميم ، وبها

1 يتغشّم : يتجنّى .

2 الزرنوق : النهر الصغير ، وتزرنق : استقى على الزرنوق بالأجرة .

يُضرب المثل في الحماقة ، فيقال : هي أَحمق من دُغَةَ[1] ، وكانت حاملاً ، فدخلت الخلاء ، فولدت ، وهي لا تعلم ما الولد ، وخرجت وسَلاها[2] بين رجليها ، وقد استهلَّ ولدها ، فقالت : يا جارتا ، أيَفتَح الجعر[3] فاه فقالت جارتها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فبنو تَميم يُعَيَّرُون بذلك ، ويقال للمنسوب منهم : يا ابن الجعراء .

[ملاحاة بينه وبين السرّي]

أَخبرني الحِرْميُّ ، عن الزُّبير قال : حدَّثني سليمانُ بن داود المجمعيّ : قال : اجتاز السّريّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عُتبة بن عُوَيْمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأَحوص وهو ينشد قوله :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّل

فقال السّريّ : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكـةَ المُنوَّهَ باسْمِهِ ... اقعُد على مَنْ تحتَ سَقْفِك واعْجَلِ

فواثَبه الأَحوصُ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فأَنت وشتمي في أَكاريسِ مالك ... وسَبّي به كالكَلْبِ إذ يَنبح النَّجْما[4]
تَداعَى إلى زَيْد وما أنتَ منهم ... تَحُـقُّ أَبـاً إلاَّ الولاءَ ولا أُمَّا
وإنَّك لو عَدَّدْتَ أَحسابَ مالك ... وأَيّامها فيهـا ولم تنطقْ الرَّجْما
أَعادتْكَ عَبْـداً أو تَنَقَّلتَ كاذِباً ... تَلمَّسُ في حيٍّ سوى مالك جِذْما
وما أَنا بالمحْسوسِ في جِذْمِ مالك ... ولا بـالمُسَمَّى ثـم يلتزم الاسما
ولكن أَبي لَـوْ قد سأَلتَ وجدتَه ... توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَب الضَّخْما

فأَجابه السّريُّ فقال : [من الوافر]

سأَلتُ جميعَ هـذا الخلق طُرّاً ... متـى كان الأُحيَوْص من رِجالي

1 مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 219/1 والأمثال للمفضل بن محمد الضبي 172 وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبّي 29 والدرة الفاخرة للأصبهانيّ 133/1 ، 145 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 54/1 ، 342 ، 389 ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري 79/1 ، وفي فصل المقال 183 ، 485 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 366 .

2 السّلا : جلدة يكون فيها الولد من النّاس والمواشي .

3 الجعر : ما يبس من العذرة .

4 الأكاريس : جمع أكراس . وهي جمع كرس بمعنى الجماعة .

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة ، فألغَيْتُ ذكرها .

[شعره يسعف دليل المنصور]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطّلاّس أبو الطّيّب ، عن أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، وأخبرني به الحِرْميّ ، عن الزُّبير : قال : حدَّثني عمِّي ، وقد جمعت روايتيهما ، أنّ المنصورَ أمَرَ الرّبيع لما حجَّ أن يُسايره برجل[1] يعرف المدينة وأهلَها وطرقَها ودُورَها وحيطانها ، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الرَّبيع زماناً ، وهو رجل من الأنصار ، فقال له : تهيّأ فإنّي أظنّ جَدَّك قد تحرَّك ، إنّ أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلَها وطرقها وحيطانها ودورها فتَحسَّسْ موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ، ولا تكتُمه شيئاً ، ولا تسأله حاجة ، فغدا عليه بالرجل ، وصَلّى المنصورُ الفجر فقال : يا ربيعُ ، الرجل ، فقال : ها هو ذا ، فسار معه يخبره عمّا سأل حتى ندر[2] من أبيات المدينة ، فأقبل عليه المنصور ، فقال : مَن أنتَ أوّلاً ؟ فقال : مَن لا تبلُغه معرفتُك ، هكذا ذكر الخرّاز وليس في رواية الزُّبير ، فقال : ما لَكَ من الأهل والولد ؟ فقال : والله ما تزوّجتُ ، ولا لي خادمٌ ، قال : فأين منزلك ؟ قال : ليس لي منزل ، قال : فإنّ أمير المؤمنين قد أمَرَ لك بأربعة آلاف درهم ، فرمى بنفسه فقبَّلَ رِجله ، فقال له : اركب ، فركِب ، فلمّا أراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أبا الفضل ، قد أمَرَ لي أمير المؤمنين بصلة ، قال : إيه ، قال : إن رأيت أن تنجِّزَها لي ، قال : هيهات ، قال : فأصنع ماذا ؟ قال : لا أدري والله ، وفي رواية الخرّاز أنّه قال : ما أمَرَ لكَ بشيء ، ولو أمَرَ به لدَعاني ، فقال : أعْطِه أو وَقِّعَ إليّ ، فقال الفتى : هذا همٌّ لم يكن في الحساب ، فلبِثتُ أيّاماً ، ثم قال المنصور للرَّبيع : ما فعلَ الرجل ؟ قال : حاضر ، قال : سايرنا به الغداة ، ففعل ، وقال له الرَّبيع : إنّه خارج بعد غد ، فاحتلْ لنفسك ، فإنّه والله إن فاتك فإنّه آخرُ العهد به ، فسار معه ، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره ، ثم رجع وهو كالمُعْرِض عنه ، فلمّا خاف فوتَه أقبل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكة ، قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذي يقول فيه الأحوصُ : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل

قال : فَمَهْ ، قال : إنّه يقول فيها :

إنَّ امـرءاً قـد نال منك وسيلَةً يرجُـو منافـعَ غَيرِهـا لمضلّلُ

---

1 ل : يبغيه رجلاً .

2 ندر : خرج .

وأَراكَ تفعَلُ مـــا تقول وبَعضُهم مَذِقُ الحديثِ يقــول ما لا يَفْعَلُ

فقال الزُّبير في خبره : فقال له : لقد رأَيتُك أذكرتَ بنفسك ، يا سليمان بنَ مخلد ، أعطِه أَربعة آلاف درهم ، فأعطاه إيّاها ، وقال الخرّاز في خبره : فضحك المنصور ، وقال : قاتلك الله ، ما أَظرفك ، يا ربيعُ أعطِه أَلف درهم ، فقال : يا أَمير المؤمنين إنّها كانت أربعةَ آلاف درهم ، فقال : أَلفٌ يُحَصَّل خير من أربعة آلاف لا تُحَصَّل .

[ابن المقفّع يتمثّل بمطلع لاميته]

وقال الخرّاز في خبره : حدَّثني المدائنيّ : قال : أُخِذَ قومٌ من الزنادقة ، وفيهم ابنٌ لابنِ المقفّع ، فمَرَّ بهم على أصحابِ المدائن ، فلمّا رآهم ابنُ المقفّع خَشي أَن يُسَلّم عليهم فيُؤْخَذ ، فتمثّل : [من الكامل]

يـــا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّلُ حذَر العِدا وبــه الفؤادُ مُوكَّلُ

الأَبيات ، ففَطِنوا لِما أَراد ، فلم يُسلّموا عليه ، ومضى .

[الأحوص ومعبد وجارية]

أَخبرني أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّة : قال : بلغني أَنّ يزيدَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله أَن يُجَهّز إليه الأَحوصَ الشاعر ومعبداً المُغنّي : فأَخبرنا محمـد بن خلف وكيع : قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ شبيب : قال : حدَّثني إسماعيل بن أبي أويس : قال : حدَّثني أَبي : قال : حدَّثنا سلمة بن صفوان الزّرقيّ ، عن الأَحوص الشاعر ، وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقيّ : أنّ الزُّبير بن بكّار حدَّثه عن ابن أَبي أُويس ، عن أبيه ، عن مسلمة بن صفوان ، عن الأَحوص ، وأخبرني به الحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه ، عن جرير المدينيّ المغنّي ، وأبو مسكين : قالـوا جميعاً : كتب يزيدُ بن عبد الملك في خلافته إلى أَمير المدينة ، وهو عبدُ الواحـد بن عبد الله النَصريّ ، أن يحمـل إليـه الأَحوص الشاعر ومَعْبَداً المغنّي مولى ابن قَطَن قال : فجُهِّزنا وحُمِلنا إليه ، فلمّا نزلنا عُمانَ أبصرنا غديراً وقصوراً ، فقعدنا على الغدير وتحدَّثنا وذكرْنا المدينة ، فخرجتْ جارية من بعض تلك القصور ، ومعها جرّة تريد أَن تَستقي فيها ماء ، قال الأَحوص : فتغنَّت بمدحي في عُمَر بن عبد العزيز : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكَة الذي أَتعزّل

فتغنَّت بأَحسن صوت ما سمعْتُه قطّ ، ثم طرّبت ، فأَلقت الجرّة فكسرتها ، فقال مَعبد : غنائي والله ، وقلت : شعري والله ، فوثبنا إليها ، وقلنا لها : لَمن أنتِ يـا جاريـة ؟ قالت : لآل سَعِيد بن العاص ، وفي خبر جرير المغنِّي : لآل الوليد بن عقبة ، ثم اشتراني رجل من آل الوَحيد بخمسين أَلفَ درهم ، وشُغِف بي ، فَغَلَبَتْه بنتُ عمٍّ له طرأت عليه ، فتزوّجها على أَمري ،

فعاقَبتْ منزِلتُها منزلتي ، ثم عَلا مكانُها مكاني ، فلم تزدها الأيّامُ إلاّ ارتفاعاً ، ولم تزِدني إلاّ اتضاعاً ، فلم ترضَ منه إلاّ بأن أخدمها ، فوكّلتني باستقاء الماء ، فأنا على ما ترَيان ، أخرُج أُستقي الماء ، فإذا رأيت هذه القصورَ والغُدرانَ ذكرتُ المدينة ، فطربت إليها ، فكسَرْتُ جرّتي ، فيعذلني أهلي ، ويلومونني . قال : فقلت لها : أنا الأحوص ، والشعر لي ، وهذا مَعْبد ، والغناء له ، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين ، وسنذكرُك له أَحسنَ ذكر . وقال جرير في خبره ووافقه وكيع ، ورواية عمر بن شبّة : قالوا : فأنشأت الجارية تقول : [من الخفيف]

إن تروني الغداةَ أُسعى بجرٍّ ... أَستَقي المـاءَ نحو هذا الغديرِ
فلقد كنتُ في رخاء من العيـ ... ـش وفي كلّ نعمةٍ وسُرورِ
ثم قـد تُبصِران ما فيه أَمْسَيْـ ... ـتُ وماذا إليه صار مَصِيري
فـإلى الله أَشتكي مـا أُلاقـي ... من هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَمِيري
أَبلغـا عَنّيَ الإمـامَ ومـا يعـ ... ـرف صِدقَ الحَديث غيرُ الخَبيرِ
أَنَّني أُضرَبُ الخَلائِـق بالعُو ... د وأَحْكاهُـم بِبَـمٍّ وزِيـرِ
فلعـلَّ الإلـهَ يُنقِـذ مِمّـا ... أَنـا فيـه فإنَّنـي كالأَسيرِ
ليتني مِتّ يوم فارقتُ أَهلي ... وبلادي فزُرت أَهـلَ القُبورِ
فاسمعـا مـا أَقـول لقّاكما ... الله نجاحاً في أَحسن التيسيرِ

فقال الأحوص من وقته : [من الخفيف]

صوت

إنّ زيـنَ الغدير من كسر الجرْ ... رَ وَغَنّى غِنـاء فحلٍ مُجِيدِ
قلتُ : مَن أَنتِ يا ظعينُ فقالت : ... كنتُ فيما مضـى لآل الوليدِ

وفي رواية الدّمشقيّ :

قلت : من أَيْنَ يا خَلوبُ فقالت : ... كنتُ فيمـا مضى لآل سعيدِ
ثم أصبحْتُ بعد حَـيٍّ قريشٍ ... في بني خالد لآل الوحيـد
فغِنائـي لَمعبـد ونَشيـدي ... لفتى الناس الأَحْوَص الصِّنديدِ
فتباكيْتُ ثم قلـت : أَنا الأَحْـ ... ـوص والشيخ مَعْبَدٌ فأَعِيدي
فأَعـادت لنـا بصوتٍ شجيٍّ ... يتركُ الشيخَ في الصِّبا كالوَليدِ

وفي رواية أَبي زيد :

فأعادت فأحسنَتْ ثم ولَّتْ تَتهادى فقلتُ قولَ عميدِ
يعجزُ المالُ عن شِراكِ ولكن أنتِ في ذِمّة الهُمام يزيدِ
ولكِ اليومَ ذِمَّتي بوفاءٍ وعلى ذاك من عِظام العهودِ
أَنْ سيَجْري لكِ الحديثُ بصوت مَعبديّ يَرُدُّ حَبْلَ الوريدِ[1]
يفعلُ الله ما يشاء فَظُنّي كُلَّ خير بنا هناكَ وزيدي
قالت القَينةُ الكَعابُ : إلى الـ ـلهِ أُموري وأرْتَجي تَسْديدي

غنّاه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشاميّ وغيرِهما ، وهي طريقة هذا الصوت ، وأهلُ العِلْم بالغناء لا يصحّحونه لمعبَد .

قال الأحوص : وضع فيه معبَدٌ لحناً فأَجادَه ، فلمّا قَدِمنا على يزيد قال : يا مَعْبَد أَسْمِعني أَحدثَ غناء غنَّيتَ وأطْراه ، فغنّاه معبد : [من الخفيف]

إنّ زَينَ الغدير مَن كَسَرَ الجرْ رَ وغنَّى غِناء فحْلٍ مُجيدِ

فقال يزيدُ : إنّ لهذا لَقِصَّة فأخبِراني بها ، فأخْبراه ، فكتب لعامِله بتلك الناحية : إنَّ لآل فلان جاريةً ، من حالها «ذيت وذيت» ، فاشْتَرِها بما بَلَغَت ، فاشتراها بمائة أَلف درهم ، وبعث بها هديَّة ، وبعث معها بألطافٍ كثيرة ، فلمّا قَدِمَتْ على يزيدَ رأَى فضلاً بارِعاً فأُعْجِبَ بها ، وأجازها ، وأخدَمَها ، وأقطَعَها ، وأفرَدَ لها قصراً ، قال : فوالله ما برحنا حتى جاءَتنا منها جوائز وكُساً وطُرَف .

[يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثّل بشعره]

وقال الزُّبير في خبره عن عَمِّه ، قال : أَظنّ القصّة كلَّها مصنوعة ، وليس يشبه الشِّعرُ شعرَ الأَحوص ، ولا هو من طرازِه ، وكذلك ذَكَرَ عمرُ بن شبّة في خبره .

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبير قال : سمعت هشامَ بنَ عبد الله بن عِكْرِمة يحدّث عن عتبة بنِ عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : قال : كنتُ مع يزيد بن عُمَرَ بن هبيرة ليلة الفرات ، فلمّا انهزم الناسُ التفتَ إليّ فقال : يا أبا الحارث ، أَمسَيْنا والله وهم كما قال الأحوص : [من الكامل]

أَبْكي لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه خَلَقاً وليس على الزّمانِ مُعَوَّلُ

---

1 يردُّ في ل : يدر .

[يتأوّل النّاس شعره بزوال دولة الأمويين]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن محمد العُمَريّ : أنَّ عاتكةَ بنتَ عبد الله بن يزيدَ بن معاوية رُئيتُ في النّوم قبل ظُهورِ دَوْلة بَني العبّاس على بني أُميّة كأنّها عُريانة ناشِرة شعرَها تقول : [من الكامل]

أين الشَّبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي كُنّا بـه زَمَناً نُسَرُّ ونُجذَلُ
ذهبتْ بَشاشتُه وأُصبَح ذِكرُه حُزْناً يُعَلُّ بـه الفؤادُ ويُنْهَلُ

فتأول النّاس ذلك بزَوال دنيا بني أُميّة ، فكان كما قالوا .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الجمحيّ ، عن شيخ من قريش : أنّه رأى في النّوم امرأة من ولد عثمان بن عفّان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد ، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغنّي : [من الكامل]

أينَ الشبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي كنّا بـه يومـاً نُسرُّ ونُجذلُ
ذهبتْ بشاشتَه وأُصبح ذِكرُه حُزناً يُعلُّ بـه الفؤادُ ويُنهلُ

قال : فما لبثنا إلاّ يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم ، وقتل مروان .

قال إسحاق : المنامة : الدكان[1] وجمعها منايم .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا هندُ إنَّكِ لو علمـ ـتِ بعاذلَيْـنِ تَتابعـا
قالا فلـمْ أَسَمَعْ لِما قـالا وقلتُ بل اسْمَعا
هندٌ أحـبُّ إليَّ من مالي وروحـيَ فارْجِعا
ولقـد عَصَيْتُ عَواذلي وأَطْعتُ قلبـاً مُوجَعا

الشعر لعبد الله بن الحسن بنِ الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سُرَيْح ، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل ، الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، ذكر أبو العَنْبَس أنّه لابن سريج وذكر الهشاميّ وابنُ المكّيِّ أنّه للغريض ، وذكر حَبَش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر ، وقال أحمد بن عُبَيْد : الذي صحّ فيه ثقيل الأوّل وخفيفه ورمله ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لابن عبّاد .

---

1 ل : البرنكان .

[448] ـ ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن
عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

[نسبه]

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وقد مضى نسبُه في أخبار عمِّه الحسين صلواتُ الله عليه في شِعرِه الذي يقول فيه : [من الوافر]

لعمرُكَ إنَّني لأُحِبُّ دارا   تَحلُّ بِهـا سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

ويُكنى عبدُ الله بنُ الحسن أبا محمد ، وأُمُّ عبدِ الله بنِ الحَسَن بن الحَسَن فاطمةُ بنتُ الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، وأُمُّها أُمّ إسحاق بنتُ طلحَةَ بن عبيد الله ، وأُمُّها الجرباء بنت قُسامةَ بن رومان من طيِّىء .

[سميت الجرباء لحسنها]

أخبرني أحمد بن سعيد : قال : حدَّثنا يحيى بنُ الحسن قال : إنّما سُمِّيت الجَرباء لِحُسنها ، كانت لا تقف إلى جنبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلة إلاّ استُقْبِحَ منظرُها لجمالها ، وكان النساء يتحامَيْنَ أن يَقِفْنَ إلى جنبها ، فشُبِّهت بالنّاقة الجَرباء التي تتوقّاها الإبلُ مخافةَ أن تُعْدِيَها .

وكانت أُمّ إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئِهنّ خُلُقاً ، ويقال : إنّ نساء بني تَيْم كانت لهنّ حُظْوَةٌ عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ ، ويروى أنّ أُمَّ إسْحاقَ كانت ربّما حملت وولدَت وهي لا تُكلِّمُ زَوْجَها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمِّه بذلك : قال : وقد كانت أُمّ إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام ، فلمّا حضرتْه الوفاةُ دَعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له : يا أخي إنِّي أرضى هذه المرأة لك . فلا تَخرُجَنَّ من بيوتكم ، فإذا انقضت عِدَّتُها فتزَوَّجها . فلمّا توفي الحَسَن عنها تزوَّجها الحسين عليه السلام ، وقد كانت ولدَت من الحسن عليه السلام ، ابنَه طلحة بن الحسن ، فهو أخو فاطمة لأُمِّها وابن عمّها ، وقد درج طلحة ولا عقب له .

[جمال وسوء خلق]

ومن طرائف أخبار التَّيْميَّات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن محمد بن عبد الله ، قال : كانت أُمُّ سلمة بنتُ

محمد بنِ طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغْلِظ له ، ويَفْرَق منها ولا يخالفها ، فرأى يوماً منها طيبَ نَفْس ، فأراد أن يشكو إليها قسوتها ، فقال لها : يا بنتَ محمد ، قد أُحرِق والله قلبي . . . فَحَدَّدَتْ له النَّظَر ، وجمعت وجهها وقالت له : أَحرقَ قلبَك ماذا ؟ فخافَها فلم يقدر على أن يقول لها : سوءُ خُلقك ، فقال لها : حُبُّ أَبي بَكْر الصِّدّيق ، فأمسكتْ عنه .

وتزوَّجَ الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحُسَيْن في حَياة عَمِّه ، وهو ـ عليه السلام ـ زوَّجَهُ إيّاها .

[زواجه فاطمة بنت الحسين]

أَخبرني الطّوسيّ والحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه بذلك ، وحدَّثني أَحمدُ بنُ محمد بنِ سعِيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن إسماعيلَ بن يعقوبَ : قال : حدَّثني جدِّي عبدُ الله بنُ مُوسى بن عبد الله بن الحسن ، قال : خطب الحسن بن الحسن إلى عمِّه الحُسَيْن ، صلوات الله عليه ، وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين عليه السلام . اختَرْ يا بُنَيَّ أَحبَّهما إليك ، فاستَحْيا الحسن ، ولم يُحْرِ جواباً ، فقال له الحسين عليه السلام : فإنِّي اخترت منهما لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثر شبهاً بأمِّي فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ عن الزُّبير عن عمِّه مصعب : أَنَّ الحسن لمّا خَيَّره عمُّه اختار فاطمة ، وكانوا يقولون : إنّ امرأةً ، سُكَيْنة مردودتها ، لمنقطعةُ القَرين في الجَمال .

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ بن أَبي العلاء ، عن الزُّبير بن بكّار ، وأَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن أحمد بن يحيى وأحمدَ بن زهير ، عن الزُّبير ، وأخبرني أحمدُ بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن الزُّبير بن بكّار واللفظ للحَسَن بن عليّ ، وخبرُه أتمّ : قال : قال الزُّبير : حدَّثني عمِّي مصعب ولم يذكر أحداً .

[ليس لمخضوب البنان يمين]

وأَخبرني محمدُ بن يحيى عن أَيّوبَ ، عن عمر بن أَبي المَوالي قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يُوسف بن الماجِشون ، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين : أَنَّ الحسن بن الحسن لمّا حضرته الوفاةُ جَزِع ، وجعل يقول : إنِّي لأَجِد كَرْباً ليس إلاّ هو كربَ الموت ، وأعاد ذلك دفعات ، فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ، تَقدِم على رسول الله ﷺ وهو جدُّك وعلى عَلِيّ والحسن والحسين ، صلوات الله عليهم ، وهم آباؤُك ؟ فقال : لعمري إنّ الأمرَ لكذلك ، ولكن كأنّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أَموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن [1] أَو

1 ضرج الثوب : صبغه باللّون الأحمر .

مُمَصّرَتين وهو يُرجّل جُمَّتَه يقول : أَنا من بني عبد مناف جئتُ لأَشْهَد ابنَ عمِّي ، وما به إلاّ أَن يخطُب فاطمة بنتَ الحُسَين ، فإذا جاء فلا يَدْخُلْ عليَّ ، فصاحت فاطمة : أَتسمع ؟ قال : نعم ، قالت : أَعْتقت كلّ مملوك لي ، وتصدّقت بكلّ مِلك لي إن أنا تزوّجتُ بعدك أحداً أبداً ، قال : فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قَضى ، فلمّا ارتفع الصّياح أقبل عبد الله على الصِّفَةِ التي ذكرها الحسن ، فقال بعضُ القوم : نُدخِله ، وقال بعضهم : لا يدخُل ، وقال قوم : لا يضرّ دُخولُه ، فدخل وفاطمة تَصُكُّ وجهها ، فأَرسل إليها وصيفاً كان معه ، فجاء يتخطّى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها : يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أرَباً ، قال : فأرسلت يدَها في كُمّها واختمرتْ وعُرِف ذلك منها ، فما لَطَمَتْ وجهَها حتى دُفِن صلوات الله عليه . فلمّا انقضت عِدَّتُها خَطَبَها فقالت : فكيف لي بِنَذْري ويميني ؟ فقال : نخلف عليك بكلّ عبد عبدَين ، وبكلّ شيء شيئين ، ففعل وتزوّجته ، وقد قيل في تزويجه إيّاها غيرُ هذا .

أَخبرني به أَحمدُ بن محمد بنِ إسماعيل الهمدانيّ ، عن يحيى بن الحسن العلويّ ، عن أَخيه أبي جعفر ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الله البكريّ : أَنّ فاطمة لمّا خطبها عبدُ الله أَبَت أَن تتزوَّجه ، فحلفتْ عليها أُمُّها لتتزوجنَّه ، وقامَتْ في الشّمس ، وآلت لا تَبْرَح حتى تتزوّجه ، فكرِهت فاطمةُ أن تُحْرَج ، فتزوّجته .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أَهلِه وسيّداً من ساداتهم ومقدَّماً فيهم فَضْلاً وعلماً وكرماً ، وحبسه أبو جَعْفَر المنصور في الهاشميّة بالكُوفة لمَّا خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيمُ فمات في الحبس ، وقيل : إنَّه سقط عليه ، وقيل غير ذلك .

[كان أجمل الناس وأفضلهم]

أَخبرني أَحمدُ بنُ محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن عن عليِّ بن أَحمد الباهليّ : قال : سمعتُ مُصعَباً الزُّبيريَّ يقول : انتهى كلّ حُسْنٍ إلى عبدِ الله بنِ حسن ، وكان يقال : مَنْ أحسنُ النّاس ؟ فيقال : عبدُ الله بنُ الحسن ، ويقال : مَن أَفضلُ النّاس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن .

حدَّثني محمد بن الحسن الخَثْعَمِيُّ الأُشنانيّ والحسن بن عليّ السلوليّ قالا : حدَّثنا عبّاد بن يعقوب قال : حدَّثنا تلميذُ بن سليمان ، قال : رأَيت عبدَ الله بن الحسن ، وسمعتُه يقول : أَنا أَقربُ الناس إلى رسول الله ﷺ ، ولدتْني بنتُ رسول الله ﷺ مرّتين .

حدَّثني أَحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن عبد الله بن موسى ، قال : أوّلُ مَن اجتَمَعتْ له وِلادةُ الحسن عليه السلام والحسين ، صلوات الله عليهما ، عبدُ الله بن الحسن عليه السلام .

حدَّثني محمد بن الحسن الأُشنانيّ ، عن عبد الله بن يعقوبَ ، عن بُندقة بن محمد بن حِجازة الدّهان قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، فقلت : هذا والله سيّدُ الناس ، كان مكسُوّاً نوراً من قَرْنه إلى قَدَمه .

قال عليُّ بن الحسين ، وقد رُوِي ذلك في أَخبار أَبي جعفر محمد بن عليٍّ عليه السلام ، وأُمُّه أُمُّ عبد الله بنتُ الحسن بن عليّ عليه السلام .

حدَّثني أَحمدُ بن محمد بن سَعِيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن القاسم بن عبد الرزّاق : قال : جاء منظورُ بنُ زبّانَ الفَزاريُّ إلى حسن بن حسن ، وهو جدُّه أبو أُمّه ، فقال له : لعلّك أحْدَثْتَ بعدي أهلاً ، قال : نعم ، تزوّجت بنت عَمِّي الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ــ قال : بِئْسما صنعتَ ، أما علمت أنّ الأرحام إذا الْتَقَت أَضْوَت[1] ، كان ينبغي أن تتزوّج في الغُرُبِ ، قال : فإنّ الله جلّ وعزّ قد رزقني منها ولداً ، قال : أرنيه ، فأخرج إليه عَبدَ الله بن الحسن فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، هذا والله ليثُ غاب ومعدوّ عليه ، قال : فإنّ الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال : فأرنيه ، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن ، فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، وهذا دون الأوّل ، قال : فإنّ الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً ، قال : فأرنيه . فأراه إبراهيمَ بنَ الحسن .

[عمر بن عبد العزيز يرجو شفاعة الرّسول]

حدَّثني أَبو عُبيدٍ محمد بن أَحمد الصيرفيّ : قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلَف قال : حدَّثنا عمر بن عبد الغفار قال : حدَّثنا سعيد بن أبانٍ القُرشيُّ قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عبد الله بن الحسن عليه ، وهو يومئذٍ شابٌّ في إزارٍ ورِدَاء ، فرحَّبَ به وأدناه وحيّاه ، وأجلسه إلى جنبِه وضاحكه ، ثم غمز عُكْنة من بطنه ، وليس في البيت حينئذٍ إلاّ أمَوِيّ ، فقيل له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى ؟ قال : إنّي لأرجو بها شفاعةَ محمد ﷺ .

[ينالُ جائزة]

حدَّثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ ، عن عمرَ بن شبّة ، عن إسماعيلَ بن جعفر الجعفريّ : قال : حدَّثني سعيد بن عقبة الجُهَنيّ قال : إنّي لِعندَ عبدِ الله بن الحسن إذ أَتاني آتٍ ، فقال : هذا رجل يدعوك ، فخرجت ، فإذا أنا بأبي عَديٍّ الشاعرِ الأمويّ ، فقال : أعْلِم أَبا محمد ، فخرج إليه عبدُ الله ، وهم خائفون ، فأمر له بأربعمائة دينار ، وهِنْدٍ[2] بمائتي دينار ، فخرج بستّمائة دينار . وقد روى مالكُ بن أنس عَنْ عبدِ الله بنِ الحَسنِ الحديث .

1 أضوت : دقّت وضعفت .

2 الهند : المائة من الإبل .

[كان يسدل شعره]

حدَّثني أحمدُ بن محمد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بن الحسن قال : حدَّثنا عليُّ بنُ أحمد الباهليُّ عن مُصْعَبِ بنِ عبد الله قال : سئل مالكٌ عن السَّدْل[1] قال : رأيت مَنْ يَرْضى بفِعْله ؛ عبد الله بن الحسنِ يفعلُه ، والسبب في حَبْس عبدِ الله بنِ الحسن وخروج ابْنَيه وقتلِهما يَطولُ ذِكرُه . وقد أتى عُمَرُ بن شَبَّة منه بما لا يَزيدُ عليه أحدٌ إلاّ اليَسِير ، ولكن من أخباره ما يَحسُن ذكره هاهنا فنذكرُه .

[السبب في حبسه وقتل ابنيه]

أخبرني عُمرُ بن عبد الله العتكيّ عن عُمرَ بنِ شَبّة ، قال : حدَّثني موسى بن سَعِيد بن عَبْد الرحمن وأيّوبُ بن عُمرٍ عن إسماعيلَ بن أبي عَمْرو قالوا : لمَّا بنى أبو العبّاس بناءه بالأنبار الذي يُدعى الرُّصافةَ : رصافة أبي العبّاس قال لعبدِ الله بن الحسن : ادخل فانظر ودخل معه ، فلمّا رآه تمثّل : [من الوافر]

أَلَم تَرَ حَوْشَباً أَمْسى يُبَنّي ... بِنـاءً نَفعُـه لبنـي نُفَيْلَهْ[2]

يُؤَمّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْـرَ نُوحٍ ... وأَمرُ اللهِ يحـدُثُ كلَّ لَيْلَهْ

فاحتَملَه أبو العبّاس ولم يُبَكّتْه بها .

أخبرني عمِّي عن ابن شبّة عن يعقوب بنِ القاسم عن عَمْرو بن شهاب ، وحدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن سعيدٍ عن يحيى بن الحسن عن الزُّبير عن محمد بنِ الضَّحّاكِ عن أبيه قالوا : إنّ أبا العبّاس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيُّب ابنَيْه : [من الوافر]

أُريـد حَياتَـه ويُريـد قَتـلي ... عَذيرَك مـن خَليلِك من مُرادِ

قال عُمرُ بنُ شبّة : وإنّما كتب بها إلى محمد ، قال عمر بن شَبَّة : فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مَوْلى أبي حنين ، فأجابه : [من الوافر]

وكيف يُريـدُ ذاكَ وأَنتَ منه ... بمنزلـة النِّيـاط مـن الفُؤادِ

وكيف يُريد ذاكَ وأَنتَ منه ... وزَنْدُك حـين تقدح من زِنادِ

وكيف يُريـد ذاك وأَنتَ منه ... وأَنـتَ لِهـاشمٍ رأسٌ وَهـادِ

أخبرني عُمرُ بن عبد الله بن شَبّة عن عِيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال : بينا أنا في سَمَر أبي

---

1 السّدل : إرخاء الشّعر .

2 حوشب : اسم رجل .

العبّاس ، وكان إذا تَثاءب أو ألقى المِرْوحة من يده قمنا ، فألقاها ليلة فقمنا ، فأمسَكني فلم يبقَ غيري ، فأدخل يده تحت فراشه ، وأخرج إضْبارةَ كُتُب وقال : اقرأ يا أبا محمد ، فقرأت فإذا كتابٌ من محمّد بن هِشام بن عمرو التّغلبيّ يدعوه إلى نفسِه ، فلمّا قرأتُه قلت له : يا أمير المؤمنين ، لك عهدُ الله وميثاقُه ألاّ ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدُّنيا .

أخبرنا العتكيّ عن ابن شَبَّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر ، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال : لمّا استُخلِف أبو جعفر ألحَّ في طلب مُحمَّد والمسألةِ عنه ، وعمّن يُؤوِيه ، فدعا بَني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول : قد عَلِم أمير المؤمنين أنّك قد عَرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ، إلاّ الحسن بن زيد فإنّه أخبره خبرَه ، فقال : والله ما آمنُ وثوبَه عليك ، وأنّه لا يَنامُ فيه فَرَ رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة : فأيقَظَ مَنْ[1] لا ينام .

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبّة عن عيسى بن عبدِ اللهِ بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران بن عُقبة بن سَلْم : أنَّ أبا جَعْفر دعاه ، فسأله عن اسمه ونسبه ، فقال : أنا عُقبة بن سَلْم بن نافع من الأَزْد ، قال : إنِّي أرى لك هيئةً وموضعاً ، وإنِّي لأرِيدك لأمرٍ أنا به معنيّ ، قال : أرجو أن أُصدِّقَ ظنَّ أميرِ المؤمنين ، قال : فأخفِ شخصَك ، وائتني في يوم كذا وكذا ، فأتيتُه ، فقال : إنّ بَني عَمّنا هؤلاء قد أَبَوْا إلاّ كَيْداً بمُلكِنا ، ولهم شِيعَةٌ بخراسانِ بقرْية كذا وكذا ، يُكاتبونهم ، ويرسلون إليهم بصدقات وألْطاف ، فاذهب حتى تأتيَهم مُتَنكِّراً بكتاب تكتبه عن أهلِ تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا على رأيهم علمت ذلك ، وكنتَ على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشّعاً ، وإن جَبَهَك ، وهو فاعل ، فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنسَ بك ، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليّ ، ففعل ذلك ، وفُعِل به حتى أنِس عبد الله بناحِيته ، فقال له عقبة : الجواب ، فقال له : أمّا الكتاب فإنّي لا أكتُب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرئهم السلام ، وأخبرهم أنَّ ابنَي خارج لوقت كذا وكذا ، فشخص عُقبَةُ حتى قدِم على أبي جعفر ، فأخبَره الخبر .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق ، قال : سأل أبو جعفر عبدَ الله بن الحسن عن ابنَيه لمّا حَجَّ ، فقال : لا أعلم بهما حتى تغالظا ، فأمضّه[2] أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأيّ أمّهاتي تُمِضُّني ؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمةَ

---

1 أيقظ من لا ينام : أي سلط عليه الخليفة العيون والأرصاد .

2 أمضه : أحزنه وأحفظه .

بنتِ رسول الله ﷺ ، أم بفاطمة بنت الحسين ، عليهم السلام ، أم بأُمّ إسحاق بنت طلحة ؟ قال : لا ولا بواحدة منهنّ ، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المُسيَّب بنُ زهير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زيادُ بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هبه لي ، فأنا المستخرج لك ابنَيه ، فتخَلَّصَه منه .

قال ابنُ شَبَّة : وحدَّثني بكر بنُ عبد الله مولى أبي بكر ، عن عليّ بن رباح أخي إبراهيم بن رباح ، عن صاحبَ المُصلَّى : قال : إنّي لواقِفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتغذّى بأوطاس[1] ، وهو مُتوجّه إلى مكّة ، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجَعْفَرِيّ وجماعة من بني العبّاس ، فأقبل على عبد الله بن الحسن ، فقال : يا أبا محمد ؛ محمدٌ وإبراهيمُ أراهما قد استوحشا من ناحيتي ، وإنّي لأُحِبّ أن يأنسا بي ويأتِياني فأَصِلَهُما ، وأُزَوِّجهما ، وأخلطهما بنفسي ، قال : وعبد الله يطرق طويلاً ، ثم يرفع رأسه ويقول : وحَقِّك يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم ، ولقد خرجا عن يَدي ، فيقول : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى مَن يُوصّل كتابك إليهما ، قال : وامتنع أبو جعفر عن عامّة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله ، وعَبدُ الله يحلف أنّه لا يعْرف موضِعَهما ، وأبو جَعْفر يكرّر عليه : لا تَفْعل يا أبا محمد .

قال ابن شبّة : فحدَّثني محمد بن عباد عن السّنديّ بن شاهك : أنّ أبا جعفر قال لعقبه بن سَلْم : إذا فرغنا من الطَّعام فلحَظْتُك فامثُل بَيْن يدي عبد الله ، فإنّه سيصرف بصره عنك ، فَدُرْ حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبُك وإيّاك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عُقبةُ ، فلمّا رآه عبدُ الله وثب حتى جثا بين يَدَي أبي جعفر ، وقال : يا أمير المؤمنين أقِلني أقالك الله ، قال : لا أقالني الله إن أَقَلْتُك ، ثم أمر بحَبسِه .

قال ابن شبّة ، فحدَّثني أيُّوبُ بنُ عمر : عن مُحمّد بن خلف المَخْزوميّ قال : أخبرني العبّاسُ بن محمد بن علي بن عَبْد الله بن عبّاس قال : لمّا حَجَّ أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حَسَن ، فإنّهما وإيّاي لعِنْده ، وهو مَشغولٌ بكتاب ينظر فيه إذ تكلَّم المهديُّ فلَحَن ، فقال عبدُ الله : يا أمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يُعدِّل لِسانَه ، فإنّه يفعل فِعْل الأمَة ، فلم يَفْهَم ، وغمزتُ عبد الله فلم ينتبه ، وعاد لأبي جعفر فأُحْفِظ من ذلك ، وقال له : أين ابنك ؟ قال : لا أدري ، قال : لتأتيني به ، قال : لو كان تحت قدميّ ما رَفعْتُهما عنه ،

1 أوطاس : اسم ولد .

قال : يا رَبيعُ فمُرْ به إلى الحبس .

[زوجته هند بنت أبي عبيدة]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن قال : توفّي عبد الله في مَحْبسه بالهاشميّة وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عَناها عبدُ الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ، وأمّها قرينة بنتُ يزيد بن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمَدَّحاً ، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تَحْت عَبدِ الله بن عَبْد الملك بن مروان ، فمات عنها .

فأخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال : لّما توفّي أبو عبيدة وَجدَتْ ابنَتُه هند وجْداً شديداً ، فكَلَّم عبدُ الله بن الحسن مُحمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل على هندَ بنتِ أبي عُبيدة ، فيُعَزّيها ويُؤسِّيها عن أبيها ، فدخل معه عليها ، فلمّا نظر إليها صاح بأبعد صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيْ أبـاً مثلَـه تسمُو إليـه المَفاخِرُ

وكنت إذا أسبَلت أسبلت والدا يزيـنُ كما زان اليديـن الأساورُ

فصكَّت وجهَها ، وصاحت بحَرَبها وجهدها ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دخلت ؟ فقال الخارجيّ : وكيف أُعَزّي عن أبي عُبَيْدة وأنا أُعَزَّى به !

أخبرني العَتَكيّ ، عن ابن شَبَّة : قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان ، عن عليّ بن صالح ، قال : زوّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبد الله هِنداً بنتَ أبي عُبيدة وريطةَ بنت عبد الله بن عبد المدان لِما كان يقال إنّه كائِنٌ في أولادهما ، فمات عنهما عبد الله أو طلّقهما ، فتزوّج هنداً عبدُ الله بن الحسن ، وتزوّج ريطة محمدُ بن عليّ ، فجاءت بأبي العبّاس السفّاح .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شبّة عن ابنِ داحة عن أبيه قال : لّما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هِند بميراثها منه ، فقال عبد الله بن حسن لأُمّه فاطمة : اخطُبي عليّ هنْداً ، فقالت : إذاً تَرُدَّك ، أتطمع في هند وقد وَرِثت ما وَرِثته ، وأنت تَرِبٌ لا مالَ لك ؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند ، فخطبها إليه ، فقال : في الرُّحْبِ والسَّعَة ، أمّا منّي فقد زوّجتك ، مكانك لا تَبْرَحْ ، ودخل على هند ، فقال : يا بنيّة ، هذا عبد الله بن حسن ، أتاك خاطباً ، قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجته . قالت : أحسنت . قد أجزتُ ما صنعْتَ ،

وأَرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخلَ على أَهلك . قال : فتزيّنَتْ[1] له فبات بها مُعَرّساً من ليلته ، ولا تشعر أُمّه ، فأقام سبعاً ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أُمّه وعليه رَدْع[2] الطيب ، وفي غير ثيابه التي تَعرف ، فقالت له : يا بنيّ ، من أين لك هذا ؟ قال : من عند التي زَعمْتِ أنّها لا تريدني .

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ وعَمِّي عبدُ العزيز بنُ أَحمد بن بَكَّار : قالا : حدَّثنا الزُّبير : قال : حدَّثتني ظبية مولاة فاطمة : قالت : كان جدّك عبدُ الله بنُ مُصْعَب يستنشدني كثيراً أَبيات عَبْدِ الله بن حسن ويُعْجَب بها : [من الخفيف]

إنّ عينــي تعوّدت كُحْل هِنْدٍ ... جَمَعَــت كَفُّها مع الرِّفق لِينا

صوت

[من البسيط]

يا عِيـدُ ما لكَ من شوقٍ وإيراقِ ... ومـرٍّ طَيْفٍ على الأَهـوالِ طَرَّاقِ
يَسْرِي على الأَيْنِ والحيَّاتِ مُحْتفِياً ... نفسي فِداؤُك من سارٍ على ساقِ[3]

عروضه من البسيط . العيد : ما اعتاد الإنسانَ من هَمّ أَو شوق أُو مرض أَو ذِكْر . والأَين والأَيم : ضرب من الحيّات . والأَين : الإعياء أَيضاً ، وروى أَبو عَمْرو :

يا عيد قلبُك من شوق وإيراق

الشعر لتأبط شَرّاً ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكّيّ وحَبَش ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى إلى ابن محرز .

1 ل : فتيسرت .
2 الرّدع : أثر الطيب في الجسد .
3 محتفياً في ل : محتفلاً .

[449] ـ أخبار تأبّط[1] شرّاً ونسبه

[نسبه ولقبه]

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثل بن عديّ بن كعب بن حزن . وقيل : حرب بن تميم بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

وأُمّه امرأة يقال لها أُميمة ، يقال : إنّها من بني القَيْن بَطْن مَن فَهْم ، ولدت خمسةَ نَفَر : تأبّط شرّاً ، ورِيش بِلَغْب ، وريش نسر ، وكعب جُدِر ، ولا بَواكِي له[2] ، وقيل : إنّها ولدت سادساً اسمه عمرو .

وتأبّط شرّاً لقب لُقِّب به ، ذكر الرّواة أنّه كان رأى كبشاً في الصحراء ، فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يَبول عليه طُولَ طريقه ، فلمّا قَرُب من الحَيّ ثَقُل عليه الكَبْش ، فلم يُقِلّه فرمى به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما تأبّطت يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا : لقد تأبّطت شرّاً فسمّي بذلك .

وقيل : بل قالت له أُمّه : كلّ إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرَك ، فقال لها : سآتيك الليلة بشيء ، ومضى فصاد أفاعيَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلمّا راح أتى بهنّ في جراب متأبِّطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعَيْن في بيتها ، فوثبت ، وخرجت ، فقال لها نساء الحيّ : ماذا أتاكِ به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاعٍ في جراب . قُلن : وكيف حَمَلَها ؟ قالت : تأبّطها . قلن : لقد تأبّط شرّاً ، فلزمه تأبّط شرّاً .

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي مُحلِّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها : أنّ أمّه قالت له في زمن الكمأة : ألا تَرى غِلمانَ الحيّ يجتنون لأهليهم الكمأة ، فيروحون بها ؟ فقال أعطيني جرابَك ، حتى أجتني لك فيه ، فأعطته ، فملأه لها أفاعي ، وذكر باقي الخبر مثلَ ما تقدّم .

ومَن ذكر أنّه إنّما جاءها بالغول يحتجّ بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنّه يصف لقاءه إيّاها في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله : [من المتقارب]

1 انظر أخباره في : المفضليات : 27 والشعر والشعراء 1/312–314 ، والأنباري 1–2 و195–196 ، والاشتقاق 162–163 والخزانة 1/66–67 واللآلي 158–159 .

2 ولا بواكي له : هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبّط شرّاً .

فأَصبحت الغُــولُ لي جــارةً فيــا جارتــا لك ما أَهولا[1]
فطالبتُهــا بُضْعَهــا فالتــوَت عــليَّ وحاولــتُ أَن أَفعلا[2]
فمَن كان يسأَل عــن جارتي فــإنّ لهــا باللِّــوى مَنْزلا[3]

[كان أعدى ذي رجلين]

أَخبرني عمِّي عن الحَزنبل عن عمرو بن أَبي عمرو الشيبانيّ قال : نزلت على حيّ من فهم إخوة بني عدوان من قيس ، فسأَلتهم عن خبر تأبّط شرّاً ، فقال لي بعضُهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصّاً ؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدَّائين ، فأتحدَّث بها ، فقالوا : نحدّثك بخبره : إنّ تأبّط شرّاً كان أعدى ذي رِجْلَيْن وذي ساقَيْن وذي عيْنَين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظِّباء فينتقي على نظره أسمَنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته ، حتى يأخذه ، فيذبَحَه بسَيْفه ، ثم يَشْويه فيأكله . وإنّما سُمِّي تأبَّط شرّاً لأنّه ، فيما حُكيَ لنا ، لَقيَ الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له رَحى بَطْحان في بلاد هُذَيل ، فأخذت عليه الطريق فلم يَزل بها ، حتى قَتلَها ، وبات عليها ، فلمّا أصبَحَ حَمَلها تحت إبطِه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : لقد تأبّطتَ شرّاً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

تأَبَّط شرّاً ثم راح أَو اغْتَدى يُوائم غُنْماً أَو يَشِيف على ذَحْلِ

يوائم : يوافق ، ويشيف : يقتدر . وقال أيضاً في ذلك : [من الوافر]

أَلا مَــنْ مُبلــغٌ فِتيــانَ فَهــمٍ بمــا لاقيتُ عنــد رَحى بطانِ[4]
وأنِّي قــد لقيــتُ الغولَ تهوي بسَهْــب كالصحيفة صحصحانِ[5]
فقلــت لهــا : كلانــا نِضْوُأَيْنٍ أَخــو سفــر فخلّــي لي مكاني
فشدَّت شدَّةً نحــوي فأَهْــوى لهــا كفــيِّ بمصقولٍ يَمــانِي
فأَضربهــا بــلا دَهَشٍ فَخَرَّت صريعــاً لِلْيَدَيــن وللجِــرانِ[6]

1 لك في الديوان 164 : أنت .
2 البضع : الفرج . الشطر الثاني في الديوان 164 : بوجه تهوّل فاستغولا .
3 الشطر الأول في الديوان : فمن سال : أين ثوت جارتي .
4 فهم : قبيلة الشاعر ، وحي بطان : اسم موضع .
5 السهب : الفلاة . والصحصحان : ما استوى من الأرض .
6 الدهش : التحير . والجران : مقدّم العنق .

فقالت : عُـد ؛ فقلت لها : رُوَيْداً   مكانَـكِ إنَّنـي ثَبْـتُ الجنانِ
فلـم أنفـكَّ مُتّكِئـاً عليهـا   لأنظـر مُصبِحـا مـاذا أتاني[1]
إذا عينـان في رأسٍ قبيـح   كرأس الهِـرِّ مَشْقـوق اللِّسانِ
وساقـا مُخْـدجٍ وشواةُ كلْب   وثـوب مـن عَبـاءٍ أو شِنانِ[2]

[لا تنهشه الحيّات]

أخبرنا الحسين بن يحيى : قال : قرأت على حمّاد : وحدَّثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللِّهبيّ : قال : قيل لتأبَّط شرّاً : هذه الرجال غلبتَها ، فكيف لا تنهشك الحيّات في سُراك ؟ فقال : إنّي لأسري البَرْدَين . يَعْني أوّلَ الليل وآخره ، لأنّها تمور[3] خارجة من جُحْرتها ، وآخرَ الليل تمُورُ مُقبِلة إليها .

[يبيع أحمق اسمه بطيلسانة]

قال حمزةُ : ولقي تأبّط شرّاً ذات يوم رَجُلاً من ثَقيف يقال له أبو وَهْب ، كان جَباناً أهوجَ ، وعليه حُلّة جَيّدة ، فقال أبو وَهْب لتأبَّط شَرّاً ، بِمَ تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دَميمٌ ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنّما أقول ساعة ما ألقى الرَّجُل : أنا تأبَّط شرّاً ، فينخلع قلبُه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفيّ : أقط[4] قال : قَطّ ، قال : فهل لك أن تبيعني اسمَك ؟ قال : نعم ، فبِمَ تبتاعُه ؟ قال : بهذه الحُلّة وبكنيتك قال له : أفعل ، ففعل ، وقال له تأبّط شرّاً : لك اسمي ولي كنيتك ، وأخذ حُلَّته وأعطاه طِمْرِية ، ثم انصرف ، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثّقفيّ : [من الطويل]

ألا هـل أتـى الحسناء أنّ حَلِيلَها   تأبَّـطَ شَرّاً واكتنيـتُ أبـا وَهْبِ
فهبه تَسمَّى اسْمي وسُمِّيتُ بـاسمِه   فأين له صبري على مُعْظَمِ الخطبِ ؟[5]
وأيـن لـه بأْسٌ كَبَأْسي وسَوْرتـي   وأيـن لـه في كلّ فادحـةٍ قَلْبِي ؟

[يعجز عن الجماع]

قال حمزة : وأحبّ تأبَّط شرّاً جارية من قومه ، فطَلَبها زماناً لا يقدر عليها ، ثم لقِيتْه

---

1 أتاني في ل : دهاني .
2 أخدجت الناقة : ألقت ولدها لغير تمام . والشواة : قحف الرأس وفي ل : وسراة كلب . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية .
3 ل : تدبّ .
4 أقط : أي بهذا فقط ، وقط هنا بمعنى فحسب .
5 في الديوان 64 : وسمّاني اسمه .

ذاتَ ليلة فأجابته وأرادها ، فعجز عنها ، فلمّا رأت جزَعه من ذلك تناومت له فآنسته وهداً ، ثم جعل يقول : [من الرجز]

مالكَ من أَيْرٍ سُلِبْتَ الخلَّهْ عجَزْت عن جارية رِفَلَّهْ[1]
تمشي إليك مشيةً خوزلَّهْ كمشية الأَرخِ تريد العلَّهْ[2]

الأَرخ : الأنثى من البقر التي لم تُنتَج . العلّة تريد أن تُعل بعد النهل ، أي أنّها قد رويت فمِشيتها ثَقِيلة . والعلّ : الشّرب الثاني .

لــو أنّها راعِيةٌ في ثُلَّهْ تحمل نعلين لها قبَلَّهْ[3]
تضرب كالهــراوة العبلَّهْ

العبل : ورق الأرطى .

[قصته مع بجيلة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعيّ قال : أغار تأبّط شرّاً ، وهو ثابت بن العميثل الفهميّ ، ومعه عمرو بن براق الفهميّ على بَجيلة ، فأطْرَدا لهم نَعَماً ، ونَذَرت بهما بجيلة ، فخرجت في آثارهما ومضيا هارِبَين في جبال السّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بَجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوَهط ، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ، فأدخلوا لهما في قصبة العين ، رجلاً وجاءا ، وقد بلغ العَطَش منهما ، إلى العَيْن ، فلمّا وقفا عليها قال تأبّط شرّاً لابن برّاق : أقِلّ من الشّراب فإنّها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أعدو بطيره ، إنّي لأسمع وجيبَ قلوب الرّجال تحت قدميّ . وكان من أسمَع العرب وأكيدِهم . فقال له ابنُ برّاق : ذلك وجيب قلبك . فقال له تأبّط شرّاً : والله ما وَجَب قطّ ، ولا كان وجّاباً ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال : والذي أعدو بطيره ، إنّي لأسمع وَجِيبَ قلوبِ الرّجال ، فقال له ابنُ برّاق : فأنا أنزل قبلك ، فنزل فبرك وشرب وكان أكَلَ القوم عند بجيلة شوكة[4] ، فتركوه وهم في الظّلمة ، ونزل ثابت ، فلمّا توسّط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيه لِما يَعْلمون من عَدْوه ، فقال لهم ثابت : إنّه من أصْلَف النّاس وأشدّهم عُجْباً بعدْوِه ، وسأقول

1 رفلة : سمينة .
2 الخيزلى : نوع من المشي . وفي الديوان 199 : هِروَلّة .
3 الثلة : جماعة الغنم . وقبلّة : مأخوذة من القبل بمعنى الحول .
4 أكل القوم عند بجيلة شوكة ، يريد صغر شأنه عند بجيلة .

له : استأسرْ معي ، فسيدعوه عُجبه بعَدْوه إلى أن يَعْدُو من بين أيدِيكم ، وله ثلاثة أطلاق : أوّلها كالرِّيح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإنّي أُحِبّ أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونُصحي له ، قالوا : فافعل ، فصاح به تأبّط شرّاً : أنت أُخي في الشدّة والرّخاء ، وقد وعدني القومُ أن يَمُنّوا عليك وعليَّ ، فاستأسِرْ ، وَواسني بنفسك في الشدّة ، كما كنتَ أُخي في الرّخاء ، فضحك ابنُ برّاق ، وعلم أنّه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأثر مَن عنده هذا العَدْو ؟ ثم عدا فعدا أوّل طَلَق مثل الريح الهابة كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويَعْثُر ويقع على وجهه . فقال ثابت : خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلمّا أن نَفَّسَهم عنه شيئاً عدا تأبّط شرّاً في كتافه ، وعارضه ابن بُرّاق ، فقطع كتافه ، وأفلتا جميعاً ، فقال تأبّط شرّاً قصيدتَه القافية في ذلك ، وذكرها ابن أبي سعد في الخبر إلى آخرها : [من البسيط]

يـا عيدُ ما لك من شوقٍ وإبراقِ ... ومَـرّ طيفٍ على الأَهـوالِ طرّاقِ
يسرى على الأَيْن والحيّاتِ محتفياً ... نفسي فداؤُك من سارٍ على ساقِ[1]
طيْف ابنـة الحُرِّ إذ كنّا نواصلُها ... ثم اجْتُنِبْتُ بهـا مـن بعد تَفراقِ[2]
لَتقرِعنَّ عـليَّ السِّنَّ مـن نَـدَمٍ ... إذا تذكّرتِ يومـاً بعضَ أَخلاقي
تالله آمـنُ أُنثى بعدمـا حَلَفَـتْ ... أَسمـاءُ بالله مـن عهـدٍ وميثاقِ
ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرَمَتْ ... الأَوَّلُ اللّذْ مَضى والآخِـر الباقِي
فالأَوّلُ اللّـذْ مضى قال مودَّتَها ... واللّـذُ منهـا هُذاءٌ غير إحقاقِ[3]
تُعْطِيك وعـدَ أَمانيٍّ تغـرُّ بــه ... كالقَطْـرِ مَـرَّ على صَخْبانَ برّاقِ[4]
إنّـي إذا خُلّـةٌ ضَنَّـتَ بنائلهـا ... وأَمْسَكَت بضعيف الحَبْل أَحذاقِ[5]
نجَوْتُ منها نجائي من بجيلةَ إذْ ... أَلقَيْتُ للقوم يوم الرّوع أَرواقي[6]

---

1 الأين : الحية أو الذكر من الحيات . ومحتفياً : حافياً .
2 بعد تفراق في الديوان 127 : بعد التِّفراق .
3 اللذ : بمعنى الذي . والهذاء : الهذيان .
4 الصخبان : الشديد الصخب وفي الديوان 128 : ضجنان وهو جبل بناحية مكّة .
5 حبل أحذاق : قطع وفي المفضليات 28 : ضعيف الوصل .
6 ألقى أرواقه : أسرع في عدوه وفي المفضليات 28 : أَلقيت ليلة خبّ الرّهط ، وفي الديوان أيضاً 129 .

وذكرها ابن أَبي سعيد في الخبر إلى آخرها .

وأمّا المفضّل الضبّيّ فذكر أنّ تأبّطَ شرّاً وعمرو بن بَرّاق والشَّنْفَرى ، وغيره يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السَّلَكَة ، غَزَوا بَجيلة فلم يظفروا منهم بغِرّة ، وثاروا إليهم فأَسروا عمراً ، وكَتَّفوه ، وأفلتهم الآخران عَدْواً ، فلم يقدروا عليهما ، فلمّا علِما أنّ ابنَ برّاق قد أُسِر قال تأبَّط شرّاً لصاحبه : امضِ فكُن قريباً من عمرٍو ، فإنّي سأتراءى لهم وأُطْمِعُهم في نفسي حتى يَتباعَدُوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحُلّ كِتافَه وانْجُوا ، ففعل ما أَمَرَه به ، وأقبل تأبَّط شرّاً ، حتى تراءى لبَجيلة ، فلمّا رأوْه طمعوا فيه ، فطلبوه ، وجعل يُطمِعهم في نفسه ، ويعدو عدْواً خفيفاً يُقَرِّبُ فيه ، ويسألهم تخفيف الفِدْية[1] وإعطاءه الأمانَ ، حتّى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ، ويطلبونه وهو يُحضِر إحضاراً خفيفاً ، ولا يتباعد ، حتى علا تَلْعَة أَشرف منها على صاحبَيْه ، فإذا هما قد نَجَوا ، ففَطِنت لهما بَجيلة ، فأَلحقتهما طلباً ففاتاهم ، فقال : يا معشر بَجيلة أأَعجبكم عَدوُ ابن برّاق اليوم ، واللهِ لأعدونَّ لكم عَدْواً أُنسيكم به عَدْوَه ، ثم عدا عدْواً شديداً ، ومضى وذلك قوله : [من البسيط]

يا عِيدُ ما لَكَ من شَوقٍ وإبراقِ

وأَمّا الأصمعيّ فإنّه ذكر فيما أَخبرني به ابنُ أَبي الأَزهر عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن عمِّه : أنّ بَجيلة أمهلتْهُم حتّى وَرِدُوا الماءَ وشربوا وناموا ، ثم شدُّوا عليهم ، فأخذوا تأبَّط شرّاً ، فقال لهم : إنّ ابن بَرَّاق دَلاَّني في هذا ، وإنّه لا يقدر على العَدْوِ لعقرٍ في رجليه ، فإن تبعتموه أخذتموه ، فكتّفوا تأبَّط شرّاً ، ومضوا في أثر ابن برّاق ، فلمّا بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ، ورجعوا .

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا أَبو سَعِيد السكريّ قال : حدَّثنا ابنُ الأَثرم ، عن أَبيه . وحدَّثنا محمدُ بن حَبِيب ، عن أَبي عمرو ، قالا : كان تأبَّطَ شرّاً يَعدُو على رِجليه ، وكان فاتِكاً شديداً ، فبات ليلة ذات ظلمة وبَرْق ورعد في قاع يقال له رَحى بِطان ، فلقيَتْه الغُولُ فما زال يُقاتلها ليلَته إلى أن أصبَح وهي تَطلُبه ، قال : والغول : سَبُعٌ من سِباع الجنّ ، وجعل يراوغها ، وهي تَطلبه ، وتلتمس غِرَّة منه ، فلا تَقدِر عليه ، إلى أن أصبح ، فقال تأبَّطَ شرّاً : [من الوافر]

أَلا مَــنْ مُبلــغٌ فِتيانَ فَهمٍ   بما لاقيتُ عنــد رَحى بِطانِ

1 ل : البهر به .

بأنّي قد لقيت الغولَ تَهوِي بسهْبٍ كالصحيفة صَحصَحانِ
فقلت لها : كلانا نِضْوُ أينٍ أخو سَفَر فخَلِّي لي مكاني
فشدّت شدّةً نحوي فأهوى لها كفّي بمصقولٍ يماني
فأضربها بلا دهشٍ فخَرَّت صريعاً لليدينِ وللجِرانِ
فقالت عُدْ ، فقلتُ لها : رويداً مكانَكِ إنّني ثَبْتُ الجَنانِ
فلم أنفكَّ متّكئاً عليها لأنظُرَ مُصبحاً ماذا أتاني
إذا عينان في رأسٍ قبيحٍ كرأْس الهرِّ مشقوق اللّسانِ
وساقا مُخْدجٍ وشواةُ كلب وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنانِ

[يفرّ من أعدائه]

قالوا : وكان من حديثه أنّه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يَغْترّهم ، فيصيب حاجَته ، فأتى ناحية منهم ، فقتل رجلاً ، ثم استاق غنماً كثيرة ، فَنَذروا به ، فتبِعه بعضُهم على خيل ، وبعضُهم رَجّالة ، وهم كثير ، فلمّا رآهم ، وكان من أبصَر النّاس عرف وجوههم ، فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ، ولن يُفارِقونا اليوم حتى يُقاتِلونا أو يَظْفَروا بحاجتهم ، فجعل صاحبُه ينظر ، فيقول : ما أتبيّن أحداً ، حتى إذ دهموهما قال لصاحبه : اشتدّ فإنّي سأمنعك ما دام في يدي سَهْم ، فاشتدّ الرجل ، ولقيهم تأبَّط شرّاً ، وجعل يَرْميهم حتى نَفِدَت نبلُه ، ثم إنّه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شدَّه ، فقتل صاحِبَه ، وهو ابن عمٍّ لزوجَته ، فلمّا رجع تأبَّط شرّاً وليس صاحبُه معه عرفوا أنّه قد قُتِل ، فقالت له امرأته : تركتَ صاحِبَك وجئت مُتباطِئاً ، فقال تأبَّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكما عرسي منيعةُ ضُمِّنت من اللهِ إثماً مُستسِرّاً وعالِنا
تقول : تركتَ صاحباً لك ضائعاً وجئت إلينا فارقاً مُتباطنا[1]
إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة أو اثْنَيْن مِثْلَينا فلا أُبْتُ آمِنا
وما كنت أبّاء على الخِلّ إذ دَعا ولا المرءِ يدعوني مُمِرّاً مُداهِنا[2]
وكَرّي إذا أُكْرِهتُ رهطاً وأَهلَه وأَرضاً يكون العَوْصُ فيها عُجاهِنا[3]

---

1 فارقاً متباطناً : فارقته وجئت متخفياً .

2 إمرار الحبل : إحكام فتله . والمداهن : من دهنه بمعنى ضربه .

3 رهط : اسم موضع . والعوص : اسم قبيلة . والعجاهن : من معانيه القنفذ .

ولمّا سمعت العوصَ تدعو تنفّرت عصافيرُ رأسي من غُواةٍ فَراتِنا[1]
ولم أَنتظـر أن يَدهموني كأنّهـم ورائيَ نَحْـل في الخليّة واكِنا[2]
ولا أن تُصيب النّافذاتُ مقاتِلي ولم أَكُ بـالشدِّ الذلِيـق مُدايِنا[3]
فأرسلتُ مثنيّاً عـن الشدّ واهِناً وقلتُ تزحزحْ لا تكوننّ حائِنا[4]
فأدبرت لا ينجـو نجائي نقنـق يبادر فرخيـه سِمـالاً وراجنا[5]
مـن الحُصِّ هِزْروفٌ يطير عِفاؤه إذا استدرج الفَيْفا ومَـدَّ المغابنا[6]
أزجُّ زَلـوجٌ هـذرفٍّ زفـازفٌ هِـزَفٌ يبذُّ الناجيات الصَّوافِنا[7]
فزحزحت عنهم أو تجِئْني مَنِيَّتي بغبراءَ أَو عرفاءَ تَفْرِي الدَّفائنا[8]
كأنّي أَراها الموتَ لا درّ دَرُّها إذا أَمكنَـتْ أَنيابَهـا والبراثنا
وقالت لأُخـرى خلفهـا وبناتها حتوف تُنَقِّي مخّ مَنْ كان واهِنا
أَخاليـجُ ورَّادٍ على ذي محافـل إذا نزعوا مدّوا الدِّلاءَ الشّواطِنا[9]

وقال غيره : بل خرج تأبَّطَ شرّاً هو وصاحبان له ، حتى أَغاروا على العوص من بجيلة ، فأخذوا نعماً لهم ، واتبعتهم العَوْص ، فأدركوهم ، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة ، فلمّا رأى تأبَّطَ شرّاً ألاّ طاقة لهم بهم شمَّر وتركهما ، فقُتِل صاحباه ، وأُخِذت النعم ، وأفلَتَ ، حتى أتى بني القَيْنَ من فَهْم ، فبات عند امرأة منهم يتحدَّث إليها ، فلمّا أراد أن يأتي قومه دهنتْه ورجَّلته ، فجاء إليهم وهم يبكون ، فقالت له امرأتُه : لعنك الله

1 تنفرت عصافير رأسي : كناية عن الغضب والثورة . غواة في ل : بواء ؛ وفي الديوان 214 : بَوًى فغوا بنا . والفراتن : جمع فرتنى وهي المرأة الزانية أو الأَمَة .
2 وكن الطائر : دخل عشّه .
3 الشد الذليق : الحديد الماضي .
4 الشطر الأول في الديوان 215 : فأرسلت منبتاً من الشدّ والهاً . حائن : هالك .
5 السمال : ماء في الحوض وفيه دود . راجنا : ماءٍ مختلطاً .
6 الحص : جمع أحص ، وطائر أحص : قليل الريش . هزروف : سريع . العفاء : الشعر والوبر . يطير عفاؤه في ل : كأن عفاءه . المغابن : بواطن الأفخاذ .
7 أزج : بعيد الخطو . زلوج : سريع العدو . هزرفي : كثير الحركة . زفازف : جمع زفزف بمعنى الريح . الهزف : السريع أو النافر ، وفي ل : وقارب . الناجيات : الجياد السّريعة . الصوافن : جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم .
8 غبراء : اسم أنثى الذئب . وعرفاء : اسم الضبع .
9 أخاليج : جمع أخلج وهو الحبل . ذو المحافل : البئر . والشوطن : الحبال .

تركت صاحبيك وجئت مُدّهناً . وإنّه إنّما قال هذه القصيدة في هذا الشأن ، وقال تأبّط شرّاً يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً : [من الطويل]

أبعد قتيل العَوْص آسى على فتًى ... وصاحِبه أو يأمُلُ الزّادَ طارقُ ؟
أأطْرُد فَهماً آخرَ الليل أبتغي ... عُلالةَ يوم أن تَعُوقَ العوائقُ[1]
لَعَمرُو فتًى نِلتم كأنّ رداءه ... على سرحةٍ من سرح دومة سامقُ[2]
لأطرُد نَهْباً أو نرودَ بفِتْيةٍ ... بأيمانهم سُمْر القَنا والعقائقُ[3]
مَساعَرةٌ شُعْثٌ كأنّ عيونهم ... حريقُ الغضا تُلْفى عليها الشّقائقُ[4]
فعُدُّوا شهورَ الحُرمِ ثم تعرّفوا ... قتيلَ أُناسٍ أو فتاةً تعانقُ

[تعرض لمحاولة قتله بالسم]

قال الأثرم : قال أبو عمرو في هذه الرواية : وخرج تأبّطَ شرّاً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط ، فنزل على الأحلّ بن قنصل ، رَجُلٍ من بجيلة ، وكان بينهما حِلْف ، فأنزلهم ورحّب بهم ، ثم إنّه ابتغى لهم الذّراريح[5] ليسقيهم فيستريح منهم ، ففطن له تأبّط شرّاً ، فقام إلى أصحابه ، فقال : إنّي أحبّ ألاّ يعلم أنا قد فطنّا له ، ولكن سابُّوه حتى نحلِف ألاّ نأكل من طعامه ، ثم أغترُّه فأقتله لأنّه إن علِم حَذِرني ، وقد كان مالأ ابنَ قنصل رجلٌ منهم يقال له لُكَيْز قتلت فَهْمٌ أخاه ، فاعتلّ عليه وعلى أصحابه فسبُّوه وحلفوا ألاّ يذوقوا من طعامه ولا من شرابه ، ثم خرج في وَجْهه ، وأخذ في بَطْن وادٍ فيه النّمور ، وهي لا يكاد يسلم منها[6] أحد ، والعرب تسمّي النمر ذا اللونين ، وبعضهم يسمِّيه السَّبنتى ، فنزل في بطنه وقال لأصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيّدوا ، فهذا الوادي كثير الأرْوى ، فخرجوا وصادوا ، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده ، وغزا هُذَيلاً فغَنِم وأصاب ، فقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشُنا ... صنيع لُكَيْزٍ والأحلّ بن قنصلِ
نزلنا به يوماً فساءَ صَباحُنا ... فإنّكَ عَمْري قد ترى أيّ منزلِ

---

1 طرد القوم : أتاهم ، وفي ل : أأطرد نهباً .
2 لعمرو في ل : لنعم . السرحة : الشجرة . دومة : مكان . سامق : طويل ، وسامق في الديوان شانق .
3 نرود في ل : أروّي ، وفي الديوان 123 : نزور . العقائق : جمع عقيقة بمعنى السيف الشبيه بالبرق ، وفي ل : العتائق .
4 مساعرة : جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب ، وشعث : جمع أشعث بمعنى أغبر .
5 الذراريح : جمع ذِرّاح كزنّار : دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السّموم .
6 ل : عليها .

بَكَـــى إذ رآنـا نازلـين ببابه وكَيف بُكاءُ ذي القليـل المُعَيَّلِ[1]
فـلا وأبيك مـا نَزَلنـا بحاتمٍ ولا عامـر ولا الرئيس ابن قَوقلِ[2]

عامر بن مالك أبو براء مُلاعِب الأسِنَّة ، وعامر بن الطُّفَيل ، وابن قَوْقَل[3] مالك بن ثَعْلَبة أحد بني عوف بن الخزرج .

ولا بالشَّليل ربّ مـروان قاعداً بأحسن عَيْش والنُّفاثـيّ نَوْفَـلِ

رَبّ مروان : جرير بن عبد الله البَجلي . ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الدِّيْل بن بكر .

ولا ابن وَهيب كاسبِ الحمدِ والعُلا ولا ابـن ضُبَيْعٍ وسط آل المُخبَّلِ
ولا ابنِ حُلَيْسٍ قاعـداً في لِقاحِهِ ولا ابن جُزَيٍّ وسط آل المغفّلِ[4]
ولا ابن ريـاحٍ بالزُّليفات دارُه رِياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِلِ
أولئِك أَعطـى للوَلائـد خِلْفَـةً وأَدْعى إلى شحم السَّديفِ المُرَعْبَلِ[5]

[يتّخذ من العسل مزلقاً على الجبل فينجو من موت محقق]

وقال أيضاً في هذه الرواية : كان تأبَّط شرّاً يَشْتار عَسَلاً في غار من بلاد هذيل ، يأتيه كلّ عام ، وأنّ هذيلاً ذكرته ، فرصدوه لإبّانِ ذلك ، حتى إذا جاءَ هو أصحابُه تدلّى ، فدخل الغار ، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم ، فسبقوهم ووقفوا على الغار ، فحرّكوا الحبل ، فأطلع تأبّط شرّاً رأسه ، فقالـوا : اصعد ، فقال : ألا أراكم ، قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلام أصعد ، أعلى الطَّلاقة أم الفداء ؟ قالوا : لا شرط لك ، قال : فأراكم قاتليّ وآكلي جَنايَ ، لا والله لا أفعل ، قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعدّه للهرب ، فجعل يُسيل العسل من الغار ويُهريقه ، ثم عمد إلى الزّقّ فشدّه على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليماً وفاتهم ، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث ، فقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أَقول للحيانٍ وقد صَفِرت لهم وِطابي ويَوْمي ضَيّق الحَجْر مُعورُ[6]

1 المعيّل : ذو العيال .

2 قوقل في ل : نوفل .

3 قوقل : أبو بطن من الأنصار .

4 اللقاح : النوق الحوامل .

5 السديف : لحم السنام . والمرعبل : المقطع .

6 صفرت : خلت . والوطاب : جمع وطب ؛ وهو سقاء يتّخذ من الجلد . ومعور أي بيّن العور . والحجر : الناحية .

همـا خُطَّتـا إمّـا إسارٌ ومِنَّـةٌ ... وإمّـا دَمٌ والقتـلُ بالحُـرِّ أجدَرُ[1]
وأُخرى أصادِي النّفسَ عنها وإنّها ... لمورِدُ حَزْم إن ظَفِرت ومَصدَرُ[2]
فرَشْتُ لها صدري فزَلَّ عن الصّفا ... بـه جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ[3]
فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصَّفا ... بـه كَدْحَـةً والموتُ خَزيانُ يَنْظُرُ
فأُبْتُ إلى فَهـمٍ وما كنتُ آئباً ... وكم مثلها فارقتُها وهـي تَصْفِرُ[4]
إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَـدَّ جِدّه ... أضاع وقاسى أمـرَه وهـو مُدبِرُ
ولكن أَخُو الحزْم الذي ليس نازلاً ... بـه الأمرُ إلاّ وهْو للحزمِ مُبْصِرُ
فذاك قَرِيعُ الدَّهرِ مـا كان حوَّلا ... إذا سُدَّ منـه مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ
فإنّك لـو قايَسْت باللِّصب حِيلَتي ... بلُقْمان لم يُقصِر بي الدهرَ مُقْصِرُ[5]

[غارة ينتصر فيها على العوص]

وقال أيضاً في حديث تأبَّط شرّاً : إنّـه خرج في عِدَّة من فَهْم ، فيهم عامر بن الأخنس ، والشّنفرى ، والمُسيَّب ، وعمرُو بن برّاق ، ومُرَّة بن خليف ، حتي يبيتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة ، فقتلوا منهم نفراً ، وأخذوا لهم إبلاً ، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة ، فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز ، وهو رئيس القوم ، وهم يومئذٍ نحو من أربعين رجلاً ، فلمّا نظرت إليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس : ماذا ترى ؟ قال : لا أرى لكم إلاّ صدق الضِّراب ، فإن ظفرتم فذاك ، وإن قُتِلْتُم كنتم قد أخذتم ثأركم ، قال تأبّط شرّاً : بأبي أنت وأمّي ، فنعم رئيسُ القوم أنتَ إذا جدّ الجدّ ، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإنّي أرى لكم أنْ تحملوا على القوم حملةً واحدة فإنّكم قليل والقوم كثير ، ومتى افترقتم كثركم القومُ ، فحملوا عليهم فقَتلوا منهم في حملتهم ، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت ، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز ، فقال تأبّط شراً في ذلك : [من الطويل]

جَزى اللهُ فِتياناً على العوْص أَمطرت ... سَماؤُهُـم تحـت العَجاجـة بـالدَّمِ

---

1 في الديوان 89 : لكم خصلة إمّا فداء ومنّة . بالحر في الديوان 89 : المرء .
2 أصادي النفس عنها : أي أحدثها بها . لمورد في ل : لفرصة . وفي الديوان 141 : لخُطّة حزم إن فعلت .
3 زلّ : انزلق . والجؤجؤ : عظام الصدر .
4 وهي تصفر : كناية عن النّدم .
5 اللصب : الشعب في الجبل . لقمان : صاحب قصة النسور المشهورة ، وفي ل وفي الديوان 88 : لحيان .

وقد لاحَ ضَوءُ الفجرِ عَرْضاً كأنّه ... بلَمْحته إقراب أبْلَق أدْهَمِ[1]
فإنَّ شِفاءَ الدّاء إدراك ذَحْلةٍ ... صباحاً على آثارِ حوم عَرَمْرَمِ[2]
وضاربْتُهم بالسفحِ إذ عارَضْتُهُمُ ... قبائلُ من أبناءِ قسرٍ وخثعمِ[3]
ضِرابا عَدا منه ابنُ حاجزَ فارتقى ... ذُرا الصَّخر في جوف الوجين المُديَّمِ[4]

وقال الشَّنفرى في ذلك : [من الطويل]

دَعيني وقُولي بَعدُ ما شئتِ إنّني ... سَيُغدَى بنَعْشي مرّةً فأُغيَّبُ
خرجنا فلم نعهدْ وقَلَّت وصاتنا ... ثمانيةٌ ما بعدها مُتَعَتَّبُ
سراحِينُ فتيانٍ كأنّ وُجوهَهم ... مصابيحُ أو لونٌ من الماءِ مذهبُ
نَمُرّ برَهْوِ الماءِ صَفْحاً وقد طَوَتْ ... ثمائلُنا والزّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ[5]
ثلاثاً على الأقدامِ حتى سما بنا ... على العَوْص شَعْشاعٌ من القومِ مِحْرَبُ[6]
فثاروا إلينا في السوادِ فهَجْهَجُوا ... وصَوَّت فينا بالصّباح المُثوّبُ[7]
فشنَّ عليهم هِزَّةَ السيف ثابتٌ ... وصَمَّم فيهم بالحُسام المُسيِّبُ
وظَلْتُ بفتيانٍ معي أتّقيهمُ ... بهنّ قليلاً ساعة ثم جنّبوا[8]
وقد خَرّ منهم راجلان وفارسٌ ... كميٌّ صرعناه وحَومْ مسلّبُ[9]
يَشُقُّ إليه كلّ رَبْعٍ وقَلْعَةٍ ... ثمانيةٌ والقوم رَجْلٌ ومِقْنبُ[10]
فلمّا رآنا قومنا قيل أفلَحُوا ... فقلنا : اسألوا عن قائلٍ لا يُكَذَّبُ

1 أقرب المهر : دنا وفي الديوان 208 أقراب أي الخواصر . والأبلق : ما فيه بياض وسواد ، والأدهم : الأسود .
2 الذحلة : الثأر . الحوم : الجماعة . والعرمرم : الكثير .
3 قسر وخثعم : قبيلتان .
4 الوجين : شط الوادي . المديم : الممطور وفي الديوان 208 : حَذْر الرجيل بدل : جوف الوجين .
5 رهواً : يسير سيراً هيّناً . والثمائل : جمع ثميلة ، وهي الحبّ أو السويق أو التّمر .
6 الشعشاع : الطويل . والمحرب : المدرب على الحرب .
7 الهجهجة : صياح الجيش عند القتال . وثوّب : رجع .
8 جنبوا : انكشفوا .
9 حوم : جمع . ومسلب : عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح .
10 يشق إليه في الطرائف الأدبية وديوان الشنفرى 32 : يُشَنُّ إليه . ورجل : جمع راجل . والمقنب : الخيل يبلغ عددها أربعين .

وقال تأبَّط شرّاً في ذلك : [من الوافر]

أرى قدمَـيَّ وقعهُما خَفيفٌ كتحليل الظَّليم حَـدا رِئالَه[1]
أرى بهما عذابـاً كلَّ يـومٍ بخَثْعَم أو بَجيلَـةَ أو ثُمالَه[2]

فَفرَّق تأبَّطَ شرّاً أصحابَه ، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم ، وساق تأبَّط شرّاً وأصحابُه الإبلَ حتى قدم بها عُلْيَا مكّة .

[عود إلى سبب تسميته]

وقال غيره : إنّما سمِّي تأبّط شرّاً ببيت قاله ، وهو : [من الطويل]

تأبَّطَ شرّاً ثم راح أو اغتدَى يُوائم غُنْما أو يَشِيفُ على ذَحْلِ

[غارته على مراد]

قال : وخرج تأبَّط شرّاً يوماً يريدُ الغارةَ ، فلقيَ سَرْحاً لمراد فأطرده ، ونذرت به مراد ، فخرجوا في طلبه ، فسبقهم إلى قومه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فاربَع عليـه ولا يَهمّك يـومُ سَوِّ
على أنّي بِسَرْح بنـي مرادٍ شجوتُهـم سِباقـاً أيَّ شجوِ
وآخـر مثلـه لا عيبَ فيـه بَصَرتُ بـه ليـوم غيرِ زوِّ[3]
خَفَضتُ بساحةٍ تجري علينا أباريـق الكرامـة يـومَ لَهْوِ[4]

[مع غلام من خثعم]

أغار تأبَّط شرّاً وحده على خثعم ، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرانبَ ، معه قوسُه ونبلُه ، فلمّا رآه تأبّط شرّاً أهوى ليأخذه ، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى وضربه تأبّطَ شرّاً فقتله ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وكادت وبيتِ الله أطناب ثابت تقوّضُ عـن لَيْلى وتبكي النَّوائحُ
تمنّى فتـى منّـا يلاقي ولم يَكد غلامٌ نَمَتْه المُحْصنات الصَّرائحُ[5]

---

1 التحليل : ضرب من المشي . والرأل : ولد النعامة . وفي البيتين في الديوان 198 رأى بدل أرى ودعا بدل حدا .
2 خثعم وبجيلة وثمالة : قبائل . وكل عام في الديوان 198 بدل كل يوم .
3 الزوّ : القرينان .
4 الكرامة : غطاء رأس الحب .
5 الصرائح : الخالصات النسب .

غلام نَمى فوق الخماسيِّ قدره ودون الذي قد تَرْتَجيه النَّواكحُ[1]
فإن تكُ نالته خطاطِيف كفِّه بأبيض قصّال نمى وهو فادِحُ[2]
فقد شد في إحدى يديه كِنانه يُداوى لها في أسود القلب قادحُ[3]

هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبّط شرّاً .

[قالوا لها لا تنكحيه]

قال : وخطب تأبَّط شرّاً امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنّه لأوّل نصل غداً يُفقَد فقال تأبّط شراً : [من الطويل]

وقالوا لها : لا تَنكَحِيه فإنّه لأوّل نَصْل أن يُلاقي مَجْمَعا
فلم تَرَ مِنْ رأيٍ فتيلاً وحاذرت تأيّمها من لابس الليل أَرْوَعا[4]
قليلِ غِرارِ النّوم أكبرُ همّه دَمُ الثّأر أو يلقى كَمِيّا مُقَنَّعا[5]
قليلِ ادّخارِ الزّادِ إلاّ تَعِلَّة وقد نشَزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعى[6]
تُناضِله كلٌّ يشجّع نفسَه وما طبُّه في طرْقه أن يُشجَّعا
يبيت بمغنى الوحش حتى أَلِفْنه ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا
رأين فتًى لا صَيْدُ وحش يهمّه فَلَوْ صافحت إنساً لصافَحْنَه معا
ولكنّ أربابَ المخاض يشقّهم إذا افتقدوه أو رأوه مُشيّعا[7]
وإنّي ، ولا عِلمٌ ، لأَعلَمُ أنّني سألقى سِنانَ الموت يرشُق أضلعا[8]
على غِرّةٍ أو جَهْرةٍ من مُكاثِرٍ أطال نِزالَ الموت حتى تَسَعْسَعا[9]

تسعسع : فنى وذهب . يقال : قد تسعسع الشَّهْر ، ومنه حديثُ عُمَر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال : «إنّ هذا الشهر قد تَسَعْسَع» .

---

1 الخماسي : الغلام طوله خمسة أشبار .
2 الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة الحجناء . والقصّال : السيف القاطع .
3 الكنانة : جعبة السهام .
4 الفتيل : الخيط في شق النواة . ولابس الليل : كثير الغارات ليلاً . وأروع : ذكي الفؤاد .
5 غرار النوم : النوم الخفيف .
6 الشرسوف : الطرف الليّن من الضلع ممّا يلي البطن .
7 يشقّهم : يؤرّقهم .
8 يرشق أضلعاً : كناية عن الموت .
9 مكاثر : كثير الغارات .

وكنتُ أظنّ الموت في الحيّ أو أرى ... ألَذّ وأُكرى أو أموتَ مُقَنَّعا[1]
ولست أبيتُ الدّهرَ إلاّ على فتى ... أُسلّبه أو أُذعِرُ السِرْبَ أجمَعا
ومَن يَضربُ الأبطالَ لا بدّ أنّه ... سيَلْقى بهم مِنْ مَصْرع الموت مَصْرَعا

[فراره بعد أن خلف صاحبيه]

قال : وخرج تأبَّطَ شرّاً ومعه صاحبان له : عمرو بن كلاب أخو المسيّب ، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذِروا بهم ، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطَّريق ، فقاتلوهم فَقُتِل صاحبا تأبّطَ شرّاً ونجا ، ولم يكد حتى أتى قومه . فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح : هَرَبْتَ عن أخي وتركتَه وغررته ، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمته ، فقال تأبّطَ شرّاً في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكما عِرْسي مَنيعة ضُمِّنَت ... من اللهِ خِزْياً مُسْتَسِرّاً وعاهنا

وذكر باقي الأبيات .

وإنّما دعا امرأتَه إلى أن عَيَّرَتْه أنّه لمّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدّث عندها ، وهي من بني القَيْن بن فهم ، فبات عندها ، فلمّا أصبح غدا إلى امرأته وهو مُدَّهن مُتَرجّل ، فلمّا رأته في تلك الحال علمت أين بات ، فغارت عليه فعيّرته .

[يغير على خثعم]

وذكروا أنّ تأبّط شرّاً أغار على خثعم ، فقال كاهن لهم : أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه ، فكفأوا على أثره جَفْنة ، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلمّا رأى أثره قال : هذا ما لا يجوز في صاحبه الأُخَذ ، فقال تأبّط شرّاً : [من الوافر]

ألا أبلغ بني فَهْم بن عمرو ... على طولِ التّنائي والمَقالَهْ
مَقال الكاهن الجامِيّ لمّا ... رأى أثري وقد أُنهِبتُ مالَهْ
رأى قدمَيّ وقعُهما حثيثٌ ... كتحليل الظليم دعا رئالهْ
أرى بهما عذاباً كلَّ عام ... لخثعمَ أو بجيلةَ أو ثُمالَهْ
وشرٌّ كان صُبَّ على هذيل ... إذا علِقت حِبالهُمُ حِبالَهْ
ويَومُ الأزد منهم شرّ يوم ... إذا بَعُدوا فقد صَدَّقتُ قالَهْ

1 أكرى : أزيد . المقنّع : مَن يلبس البيضة على رأسه .

فزعموا أنّ ناساً من الأزد ربئوا لتأبّط شرّاً ربيئة[1] وقالوا : هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره ، فأقيموا فيه حتى يأتيَكم ، فلمّا دنا من القوم توجّس ، ثم انصرف ، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز ، ومرّ قريباً فطمعوا فيه ، وفيهم رجل يقال له حاجز ؛ ليث من ليوثهم سريع ، فأغروه به فلم يلحقه ، فقال : تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

تَتعتعتُ حِضْنَيْ حاجزٍ وصحابِه ... وقد نبذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا[2]
أظنُّ وإن صادفتُ وعثاً وأنْ جرى ... بيَ السهلُ أو متنٌ من الأرض مَهْيَعُ
أُجاري ظلالَ الطير لو فات واحدٌ ... ولو صدقوا قالوا له هو أسرعُ
فلو كان من فتيان قيسٍ وخِنْدفٍ ... أطاف به القُنّاصُ من حيث أُفزِعوا
وجاب بلاداً نصفَ يوم وليلة ... لآبَ إليهم وهو أشوسُ أرْوَعُ[3]
فلو كان منكم واحدٌ لكُفِيتُه ... وما ارتجعوا لو كان في القومِ مطمعُ

فأجابه حاجز : [من الطويل]

فإن تكُ جارَيْتَ الظلال فربّما ... سُبِقْتَ ويومُ القِرْن عُريان أَسْنَعُ[4]
وخلَّيْتَ إخوان الصفاء كأنّهم ... ذبائحُ عَنزٍ أو فَحِيلٌ مُصرَّعُ[5]
تبكِّيهمُ شجوَ الحمامة بعدما ... أَرحْتَ ولَم تُرفَع لهم منك إصْبَعُ
فهذي ثلاثٌ قد حويت نجاتَها ... وإن تنجُ أخرى فهي عندك أربعُ

[خير أيّامه]

أخبرني عمّي قال : حَدَّثنا عَبدُ الله بن أَبي سَعْد قال ذكر عليُّ بن محمد المدائنيُّ ، عن ابن دأْب قال : سئل تأبّط شرّاً : أيّ يوم مرَّ بك خير ؟ قال : خرجت حتى كنت في بلاد بَجيلة ، أَضاءَت لي النّارُ رجلاً جالِساً إلى امرأة . فعَمَدتُ إلى سيفي فدَفَنْتُه قريباً ، ثم أقبلتُ حتى استأْنَسْت ، فنبحني الكَلبُ ، فقال : ما هذا ؟ فقُلتُ : بائِس . فقال : ادنُه ، فدَنَوْتُ ، فإذا رَجُلٌ جِلْحاب آدم[6] ، وإذا أَضْوى[7] النّاس إلى جانبه ، فشكوتُ إليه الجوعَ والحاجةَ ، فقال :

---

1 ربئوا ربيئة : أقاموا عليه جاسوساً .
2 شنّع الخرقة : شعثها .
3 أشوس هنا أي ينظر بمؤخّر عينه غيظاً .
4 القرن : القرين المنافس . عريان : صحو لا غيم فيه . أسنع : أفضل .
5 الفحل : فحل الإبل إذا كان كريماً .
6 جلحاب : ضخم ، آدم : أسمر .
7 أضوى : الضوى دقّة العظم وقلّة اللحم .

اكْشِف تلك القَصْعة ، فأتيت قَصْعَة إلى جَنْب إبله ، فإذا فيها تَمْر ولبن ، فأكلتُ منه حتى شَبِعْت ، ثم خَررتُ مُتناوماً ، فوالله ما شئت أن أضْطَجع حتى اضْطَجع هو ورفع رِجله على رِجْله ثم اندفع يُغنِّي وهو يقول : [من الكامل]

خَيرُ اللَّيـالي إن سألت بليلة ليـل بخيْمة بين بِيشَ وعَثَّرِ[1]
لِضَجيـعِ آنسةٍ كأنَّ حَدِيثَها شَهدٌ يُشاب بمزجةٍ من عَنْبَرِ
وضجيعِ لاهيةٍ ألاعِـب مِثلَها بيضاءَ واضحـةٍ كَظِيظ المِئْزَرِ
ولأنْـتَ مثلُهما وخَيْرٌ منهما بعد الرُّقاد وقبل أن لم تُسْحِرِي

قال : ثم انْحَرَف فَنام ، ومالَت فَنامَت : فَقلتُ : ما رأيتُ كاللَّيلةِ في الغِرَّة ، فإذا عَشْر عُشْراوات[2] بين أثلات فيها عبد واحد وأَمَة ، فوَثبتُ فانْتضَيت سَيْفي ، وانتَحَيْت للعَبْد فَقَتَلْته وهو نائم ، ثم انحَرَفْت إلى الرَّجل فوضَعْت سَيفي على كَبِده حتى أخرجتُه من صُلْبه ، ثم ضَرَبْت فَخِذ المرأة فجَلَستْ ، فلمّا رأتْه مَقْتُولاً جَزِعَت ، فقلت : لا تَخافي ، أنا خير لك منه . قال : وقُمْت إلى جُلّ متاعها فرحلْته على بعض الإبل أنا والأمَة فما حللتُ عَقْده حتى نزلت بصَعْدة بَني عَوْف بن فِهْر ، وأعرستُ بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنِّيت : [من الكامل]

بحَليلة البجـليّ بِـتْ مـن ليلِها بين الإزارِ وَكَشْحِها ثم الصَقِ
بأنيسةٍ طُويـت على مَطْويّهـا طيَّ الحمالـةِ أو كطيّ المِنْطَقِ[3]
فـإذا تقـوم فصَعدةٌ في رَمْلَة لبَدَت بريّـق دِيمـة لم تُغدِقِ[4]
وإذا تجيءُ تجيء شحب خلفها كالأيْم أصْعَـدَ في كَثِيبٍ يَرْتَقِي[5]
كَـذَب الكَواهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا أن لا وفـاء لعاجِـزٍ لا يَتَّقِي

قال : فهذا خَيْرُ يوم لَقِيتُه .

[شر أيّامه]

وشَرُّ يوم لَقيت أنِّي خَرجتُ ، حتى إذا كنتُ في بلاد ثُمالَة أطوف ، حتى إذا كُنتُ

1 خيمة وبيش وعثر : أماكن .
2 عشراوات : جمع عَشْراء .
3 الحمالة : حمالة السيف ، والمنطق : ما يتمنطق به .
4 الصّعدة : القناة المستوية . لبدت : تلبدت .
5 الشحب : العمود .

من الفقير[1] عشيّاً إذا أنا بسبع خلِفات[2] فيهن عَبْد ، فأقبلْت نحوَه وكأنّي لا أُريدُه وحذرني فجعل يَلُوذُ بناقة فيها حمراء ، فَقلتُ في نَفسي : والله إنّه لَيَثِق بها . فأفوّق له ، ووضع رِجلَه في أَرْجُلِها وجعل يدور معها ، فإذا هو على عَجُزها . وأرميه حين أشْرف فوضعتُ سَهْمي في قلبه فَخرَّ ، وندَّت الناقةُ شيئاً وأتبعتُها فرجَعَت فسقتهنَّ شيئاً ثم قلت : واللهِ لو رَكِبْت الناقَة وطردتهنّ ، وأخذت بعُثُنون[3] الحمراء فوثبت ، فساعة استويت عليها كرَّت نحو الحيّ تريع وتَبِعَتها الخِلفات ، وجَعلتُ أُسَكِّنها وذهبت ، فلمّا خَشيت أن تطرحَني في أيدي القوم رَميتُ بنَفْسي عنها ، فانكسَرَت رِجْلي ، وانطلقتْ والذَّودُ[4] معها . فخرجْتُ أعرّج ، حتى انْخَنَسْتُ في طرف كثيب وجازني الطَّلب ، فمكثْت مكاني حتى أظْلمت ، وشَبَّت لي ثلاثةُ أنوار فإذا نار عَظِيمة ظَنَنْت أنّ لها أهلاً كثيراً ، ونارٌ دُونَها ، ونُويْرة صغيرة ، فهَويت للصُّغْرى ، وأنا أجمِز[5] ، فلمّا نبحني الكلبُ نادى رجل فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : بائِس ، فقال : ادنُهْ ، فدَنَوتُ وجلست وجَعل يُسائِلُني ، إلى أنْ قال : والله إنِّي لأَجِد منك ريح دم . فقلت : لا واللهِ ، ما بي دَمٌ . فوثب إليَّ فنفضني ، ثم نَظَر في جعبتي فإذا السهم ، فقُلت : رمَيت العشيّةَ أرنباً فقال كذبت ، هذا ريحُ دم إنسان ، ثم وَثَب إليَّ ولا أدفَعُ الشَّرَّ عن نفسي فأوثَقني كِتافاً ، ثم علَّق جعبتي وقوسي ، وطرحَني في كِسْر البَيْتِ ونام ، فلمّا أسحرتُ حرَّكْت رِجْلي ، فإذا هي صالِحة وانْفَتَل الرِّباط فحلَلْته ، ثم وثبت إلى قوسي وجعْبتي فأخذتُهما ثم هَممْت بقَتْله فَقلت : أنا[6] ضَمِنُ الرِّجل ، وأنا أخشى أن أُطلَب فأدرَك ولم أقتُلْ أحداً أحبّ إليّ ، فولَّيت ومَضَيت . فوالله إنّي لَفِي الصَّحراء أُحدِّثُ نفسي إذا أنا به على ناقَةٍ يتبعُني ، فلمّا رأيتُه قد دنا منّي جلست على قوسي وجعْبتي وأمنته ، وأقبل فأناخ راحِلَته ثم عقلها ، ثم أقبل إليَّ ، وعهدُه بي عهدُه ، فقلت له : ويلك ، ما تُريد مِنّي ؟ فأقبل يَشتُمُني ، حتى إذا أمكَنَني ، وثَبَتُ عليه فما ألبَثْتُه أن ضَربتُ به الأرض ، وبَركت عليه أربطه ، فجعل يصيح : يا لثمالة ، لم أرَ كاليوم . فجَنَبْتُه إلى ناقته وركبْتُها ، فما نزعت حتّى أحللتُه في الحيّ ، وقلت : [من الطويل]

---

1 الفقير : علم على الماء .

2 الخلفات : جمع خلفة ، وهي الناقة الحامل .

3 العثنون : شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير .

4 الذود : جماعة الإبل .

5 يجمر : يثب كالجواد في القيد .

6 يقال جواد ضمن : أي متلكىء لا يسير إلاّ بالضرب .

أغرَّكَ منّي يا ابنَ فَعْلة عِلَّتي … عَشيَّةَ أن رابت علَيَّ روائِبي[1]
ومَوْقِد نيران ثَلاثٍ فشَرُّها … وألأَمُها إذ قُدْتُها غير عازِبِ[2]
سلبتَ سِلاحي بائِساً وشَتَمْتَني … فيا خَيْر مَسْلُوب ويا شَرَّ سالِبِ
فإن أَكُ لم أَخْضِبك فيها فإنَّها … نُيوبُ أساوِيد وشَوْل عَقارِبِ[3]
ويا رَكْبة الحَمراء شَرَّة رَكْبَةٍ … وكادَتْ تكون شَرّ ركبةِ راكِبِ[4]

قال : وخرج تأبَّط غازِياً يُريد الغارةَ على الأَزْدِ في بعض ما كان يُغِير عليهم وحده ، فنذرت به الأزْد ، فأهمَلوا له إبلاً ، وأمروا ثلاثةً من ذوي بأْسِهم : حاجزَ بن أُبيّ ، وسَوادَ بن عمرو بن مالك ، وعَوْف بن عبد الله ، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذُوه أخْذاً ، فكمنوا له مَكْمَناً ، وأقبل تأبَّطَ شرّاً فبصُرَ بالإبلِ ، فطردها بعضَ يومِه . ثم تركها ونهض في شِعْب ليَنْظُر : هل يطلُبه أحدٌ ؟ فكمن القومُ حين رأوْه ولم يرهُم ، فلمّا لم يَرَ أحداً في أثره عاود الإبل فشَلَّها[5] يومه ولَيْلَتَه والغد حتى أمسى ، ثم عَقَلها ، وصنع طعاماً فأكله ، والقومُ يَنْظُرون إليه في ظلّه ، ثم هيّأ مُضْطَجعاً على النّار ، ثم أخمَدَها وزحف على بطنِه ومعه قوسُه ، حتى دَخَل بين الإبل ، وخَشي أن يكونَ رآه أحد وهو لا يَعْلَم ، ويأْبى إلاّ الحذر والأخْذ بالحَزْم ، فمَكَث ساعة وقد هيّأ سَهْماً على كَبدِ قَوسِه ، فلمّا أحَسُّوا نومَه أقبفوا ثَلاثَتُهم يؤمّون المِهادَ الذي رأواه هيّأه ، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتلُه ، وجال الآخران ، ورَمى آخَر فقتَله ، وأفْلَتَ حاجزٌ هارِباً ، وأخذ سَلَب الرَّجُلَين ، وأطلق عقل الإبل وشلَّها حتى جاء بها قومه ، وقال تأبَّطَ في ذلك : [من الطويل]

تُرَجِّي نِساءُ الأَزْدِ طلعةَ ثابتٍ … أَسِيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلي[6]
فإنّ الأُلى أوصَيْتُم بَيْن هارِبٍ … طَرِيدٍ ومَسْفُوح الدِّماء قَتِيلِ
وخدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم … ورابَ عليهم مَضْجَعِي وَمَقِيلي[7]

---

1 الروائب : جمع رائبة أي الحادثة المؤذية .
2 غير عازب : غير منصرف عنها .
3 الأساويد : الحيّات . وشول العقارب : العقارب التي ترفع أذنابها .
4 الحمراء : يشير إلى ناقة . شرّة في الديوان 63 : يا شرّ .
5 شلّ الإبل : طردها .
6 الحويل : الاحتيال والمهارة .
7 الوخد : ضرب من السير ، وراب عليهم : التبس عليهم .

مَهدتُ لهم حتى إذا طاب رَوعُهم ... إلى المَهْـدِ خاتلْـت الضِّيا بِخَتِيلِ
فلمّا أَحسُّوا النَّوم جاءوا كأنَّهم ... سِباعٌ أَصابـت هجمـةً بِسَلِيلِ[1]
فقلَّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرو بنِ مالِكٍ ... بـأَسْمَرَ جَسْرِ القُذَّتَـين طَمِيلِ[2]
فخَـرَّ كأَنَّ الفِيلَ أَلقـى جِرانَه ... عليـه بريّـان القِـواءِ أَسيلِ[3]
وظل رعاع المَتْن من وقع حاجزٍ ... يخـرُّ ولـو نَهْنَهْتَ غَيْر قَلِيلِ[4]
لأبتَ كما آبـا ولـو كُنتَ قارِناً ... لجئتَ وما مالكتَ طول ذَمِيلي[5]
فَسرَّكَ نَدْمانـاك لَمّـا تَتابَعـا ... وأَنَّك لم تَرْجِـع بعَوْص قَتِيلِ[6]
سَتأتي إلى فَهْـمٍ غَنِيمَـةُ خلْسَة ... وفي الأزد نَـوْحُ وَيْلـةٍ بِعَوِيلِ[7]

فقال حاجِز بن أبيّ الأزديّ يُجيبُه : [من الوافر]

سألتُ فلـم تُكلِّمني الرُّسوم

وهي في أَشعار الأزد .

فأَجابَه تأبَّطَ شَرّاً : [من الوافر]

لقـد قـال الخليُّ وقال خَلْساً ... بظهـر الليـل شُدَّ به العُكومُ[8]
لِطَيفٍ مـن سُعادَ عَناك منها ... مُراعاةُ النُّجوم ومَـنْ يَهِيمُ
وتلك لئن عُنِيتَ بهـا رَداحٌ ... من النّسوان مَنْطِقُهـا رَخِيمُ[9]
نِيـاقُ القُرطِ غَـرَّاءُ الثَّنايا ... ورَيْداءُ الشَّباب ونِعْم خِيمُ[10]
ولكن فاتَ صاحبُ بَطْن رَهْوٍ ... وصاحبـه فأَنـتَ بـه زَعِيمُ

---

1 السّليل : وسط الوادي .

2 الأسمر : يريد السهم . والجسر : الضخم . والقذة : ريش السهم . والطميل : العريض النصل .

3 الجران : المقدم العنق . وفي الديوان 189 : فتى شهم الفؤاد . والقواء : الأرض القفر . والأسيل : المستوي الأملس .

4 الرعاع : مَن لا فؤاد له . حاجز : اسم رجل . غير في الديوان 189 سوق .

5 المقارن : حامل النبل أو السيف . والذميل : نوع من السير .

6 العوص : الشدّة أو الداهية .

7 ويلة في الديوان 190 : خلة .

8 الشطر الأول في الديوان 201 : يقول لي الخليُّ وباتَ جَلْساً . العكوم : ما تشدّ به الرحال .

9 الرداح : الممتلئة الجسم .

10 نياق في الديوان 202 : نياف . وخيم : الصِّفات .

أُؤَاخِـذُ خُطَّـةً فيهـا سواء ... أَبِيتُ وَلَيْـلُ واترهـا نَؤُومُ
ثأرتُ بـه وما اقْتَرفَت يَداه ... فظَلَّ لهـا بنا يـومٌ غَشُومُ[1]
نَحِـزُّ رِقَابَهـم حتـى نَزَعْنا ... وأنـفُ المَـوْت مَنْخِرُه رَمِيمُ
وإن تَقـع النّسورُ عليَّ يوْماً ... فلَحْم المعْتفِـي لَحْـم كَريمُ[2]
وَذِي رَحمٍ أُحالَ الدَّهْر عنـه ... فلَيْسَ له لـذي رَحِمٍ حَرِيمُ[3]
أصاب الدَّهـرُ آمـنَ مَرْوَتَيْه ... فألقـاه المصاحِـب والحَمِيمُ[4]
مَددتُ لـه يَميناً من جَناحي ... لهـا وَفـرٌ وكافِيَـةٌ رَحُومُ[5]
أُواسِيـه على الأَيَّـام إنِّي ... إذا قَعَـدت بـه اللُّؤما أَلومُ

[موت أخيه عمرو]

ذكروا أنّه لّما انصرف الناس عن المُستَغَلّ ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها ، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبَّطَ شرّاً لَمن حضر من قومه : لا واللات والعُزّى لا أرجع حتى أغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلاً لبني عُتَير فأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كارٌّ على القوم ومُنَهْنِهم عنكما ، فامْضيا بالإبل . فكَرَّ عليهم فنهنهم طويلاً ، فجَرَح في القوم رئيساً ، ورماه رجل من بني عُتَيْر بسهم فقتله ، فقالت بنو عُتَير : هذا عمرو بن جابر ، ما تَصْنَعُون أن تلحقوا بأصحابه ؟ أبعدها اللهُ من إبل ، فإنّا نخشى أن نَلحقهم فيقتل القومُ منّا ، فيكونوا قد أخذوا الثّأر ، فرجعوا ولم يُجاوِزوه . وكانوا يَظنّون أنّ معه أُناساً كثيراً ، فقال تأبَّطَ لّما بلغه قَتلُ أخيه : [من الوافر]

وحرّمتُ النساءَ وإن أُحلّت ... بشَور أَو بمـزج أَو لِصابِ[6]
حياتـي أَو أَزور بنـي عُتَير ... وكاهلها بجَمْع ذي ضَبابِ
إذا وَقعـت لكَعْب أَو خثيمٍ ... وسيار يَسُوغ لهـا شَرابي[7]

1 اليوم الغشوم : الظلوم لكثرة من مات فيه .
2 المعتفي : الرائد ، أو طالب الفضل .
3 أحاله الدهر عنه : تحول عنه .
4 أمن مروتيه : يعني آمن حصنيه .
5 وكافية رحوم في الديوان 204 : وخافيةٌ رخومُ .
6 وحرّمتُ النساء في الديوان 68 : وحرّمت السِّباءَ . الشّور : العسل . والمزج : نوع منه أيضاً . واللصاب : شجر مرّ .
7 خثيم في الديوان 70 : قُرَيْم . في الديوان : وسيّار فقد ساغ الشّراب .

أظُنّـــي مَيِّتـــاً كَمـــداً ولَمّا ... أُطالِعْ طلعــةً أهــلَ الكِرابِ[1]
ودُمْتُ مُسَيَّراً أُهــدي رعيلاً ... أؤُمُّ سوادَ طَـوْدٍ ذِي نِقابِ[2]

فأجابه أنسُ بنُ حذيفةَ الهُذَلِيُّ : [من الوافر]

لعلّـــك أن تَجِيء بك المَنايا ... تُساق لِفِتيــة منّـــا غضابِ
فتنزلَ في مَكَرِّهـــمُ صريعـــاً ... وتنزلَ طُرْقَةَ الضَّبُع السّغابِ[3]
تأبّــطَ سَوْأَةً وحملــتَ شرّاً ... لعلّكَ أن تكون من المُصابِ[4]

[أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو]

ثم أنّ السِّمع بن جابر أخا تأبَّطَ شرّاً خرج في صَعاليك من قومه يريد الغارة على بني عُتير ليثأر بأخيه عَمْرو بن جابر ، حتى إذا كان ببلاد هذيل لَقِي راعياً لهم ، فسأله عنهم ، فأخبره بأهل بَيْت من عُتَير كثيرٍ مالُهم ، فبيّتهم ، فلم يُفلِت منهم مُخبِر ، واستاقوا أموالَهم ، فقال في ذلك السِّمع بنُ جابر : [من الوافر]

بأعلى ذي جماجم أهلُ دارٍ ... إذا ظَعَنت عشيرتُهــم أقاموا[5]
طرقْتُهُـــم بفتيـــانٍ كِـــرامٍ ... مَساعِيرٍ إذا حَمِـي المُقـــامُ
متى مـا أدعُ من فَهْم تُجِبْني ... وعـــدوان الحمـاةِ لهـم نِظامُ

[إصابته في غارة على الأزد]

ذكروا أنَّ تأبَّطَ شرّاً خرج ومعه مُرّة بن خُلَيف يريدان الغارة على الأزد ، وقد جعَلا الهِداية بينهما ، فلمّا كانت هداية مُرّة نعس ، فجار عن الطريق ، ومضيا حتى وَقَعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب ، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها ؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكَم ، فقال تأبَّطَ شرّاً : هلكنا واللاّتِ يا مرّة ، ما وَطِيء هذا المكان إنسٌ قبلنا ، ولو وَطِئَتْه إنسٌ ما باضَتْ الطَّيرُ بالأرض ، فاختَر أيّة هاتين القُنَّتين شئْت ، وهما أطول شيء يُرَيان من الجبال ، فأصعدُ إحداهما وتصعد أنت الأخرى ، فإن رأيت الحياة فألِحْ بالثوب وإن رأيت الموت فألِح بالسيف ، فإنّي فاعل مِثلَ ذلك ، فأقاما يومين . ثم إنَّ تأبّطَ شرّاً ألاح بالثّوب ، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل ، فقال مرَّة : ما رأيتَ يا ثابت ؟ قال : دخاناً أو جراداً . قال مرّة : إنّك إن جزِعت

1 الكراب : مجاري الماء في الوادي .
2 رعيلاً : أي جماعة من الفرسان .
3 المكر : موضع الكر ، أي الميدان .
4 السوأة : العورة .
5 أعلى ذي جماجم : الجبل الذي ينزلون به .

منه هلكنا ، فقال تأبَّطَ شرّاً : أما أنا فإنّي سأخرُم بك من حيث تَهْتدي الريح ، فمكثا بذلك يومين وليلتين ، ثم تَبِعا الصَّوت ، فقال تأبّطَ شرّاً : النّعَمُ والنّاس . أما والله لئن عُرِفنا لنُقتَلنّ ، ولئن أغرنا لنُدْرَكنّ ، فأتِ الحيّ من طرف وأنا من الآخر ، ثم كُنْ ضيفاً ثلاثاً ، فإن لم يرجع إليك قلبُك فلا رَجَع ، ثم أغِر على ما قِبَلك إذا تدلّت الشمس فكانت قدرَ قامة ، وموعِدُك الطريق . ففعلا ، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كلّ واحدٍ منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطردا يوماً وليلة طرداً عنيفاً حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شِعْباً ، فنَحرا قَلوصاً ، فبينا هما يَشْويان إذ سمعا حسّاً على بابِ الشِّعب ، فقال تأبّطَ : الطَّلبُ يا مُرّة ، إن ثبتَ فلم يدخل فهم مُجيزون ، وإن دخل فهو الطلب ، فلم يلبث أن سَمِع الحِسَّ يدخل ، فقال مُرّة : هلكنا ، ووضع تأبّطَ شرّاً يده على عضد مُرَّة ، فإذا هي تُرْعد ، فقال : ما أُرْعِدت عضدك إلاّ من قِبَل أمّك الوابشيّة من هذيل ، خذ بظهري ، فإن نجوتُ نجوتَ ، وإن قُتِلتُ وقيتُك . فلمّا دنا القوم أخذ مُرَّة بظهر تأبّطَ ، وحمل تأبّطَ فقتل رجلاً ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما ، فلمّا أَمِنا وكان من آخر الليل ، قال مُرّة : ما رأيت كاليوم غنيمة أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا ، وعضّ مُرَّةُ عضده ، وكان الحيّ الذينَ أغاروا عليهم بجيلة ، وأتى تأبّطَ امرأته ، فلمّا رأت جراحَتَه وَلْوَلَت ، فقال تأبّطَ في ذلك : [من الطويل]

وبالشِّعب إذ سدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومِن خَلفه هَضبٌ صغار وجاملُ[1]

شدَدْتُ لنفس المرءِ مُـرَّةَ حَزْمَه ... وقد نُصِبت دون النَّجاء الحبائلُ

وقلت له : كن خلفَ ظهري فإنّني ... سأفديك وانظر بعدُ ما أَنتَ فاعِلُ

فعـاذ بحَدّ السيف صاحبُ أَمرهم ... وَخلَّوْا عن الشيءِ الذي لم يحاولوا

وأخطأهـم قَتلي ورفَّعتُ صاحبي ... على الليل لم تُؤخـذ عليه المخاتلُ

وأخطـأَ غُنْم الحَـيّ مُـرَّة بعدما ... حوتـه إليـه كفُّـه والأَناملُ

يعض عـلى أُطرافـه كيف زَوْلُـه ... ودون الملا سهلٌ من الأرض ماثلُ[2]

فقلت لـه : هذي بتلك وقد يَرى ... لها ثَمَناً مـن نفسه مـا يُزاوِلُ

تُوَلْول سُعدى أن أَتيتُ مُجرَّحاً ... إليهـا وقـد مَنَّت عليّ المَقاتِلُ[3]

وكائِنْ أَتاها هارِباً قبـل هـذه ... ومن غانمٍ فأَيـن مِنْكِ الوَلاوِلُ

---

1 هضب في الديوان 157 : صعاب . الجامل : الجمال .

2 الزول : بمعنى الذهاب . والملا : السير الشديد .

3 منت علي المقاتل : أخطأتني المقاتل .

[يثبت مع ثلة من أصحابه]

فلمّا انقضت الأَشهرُ الحُرمُ خرج تأبَّطَ والمُسَيَّب بنُ كلاب في ستّة نفر يريدون الغارةَ على بَجيلَة ، والأَخذ بثأر صاحِبَيْهم عَمْرو بنِ كِلاب وسَعْدِ بن الأشرس . فخرج تأبَّطَ والمُسيَّب بن كلاب وعامرُ بن الأخنس وعمرو بن برّاق ومُرَّةُ بن خليف والشَّنفرى بنُ مالك ، والسِّمع وكَعْبُ حِدار ابنا جابر أخَوا تأبَّطَ . فمضَوْا حتى أغاروا على العَوْص ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر : فارسين وراجلاً ، وأطردوا لهم إبلاً ، وأخذوا منهم امرأتين ، فمضوا بما غَنِموا ، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خَثْعَم في نحو من أربعين رجلاً ، فيهم أبيُّ بنُ جابر الخثعميّ ، وهو رئيس القوم ، فقال تأبّطَ : يا قوم ، لا تُسلِموا لهم ما في أيديكم حتى تُبلُوا عُذْراً ، وقال عامر بن الأخْنَس : عليكم بصدق الضِّراب وقد أدركتم بثأركم ، وقال المُسَيَّب : اصدُقُوا القوم الحملةَ ، وإيّاكم والفَشَل ، وقال عَمرُو بنُ برَّاق : ابْذُلوا مُهَجَكم ساعة ، فإن النَّصر عند الصّبر . وقال الشّنفرى : [من الرجز]

نحن الصَّعاليكُ الحُماةُ البُزَّلُ إذا لَقِينا لا نُرى نُهَلّلُ[1]

وقال مُرَّة بن خُلَيف : [من الرجز]

يا ثابتَ الخَيْرِ ويا ابنَ الأَخنسِ ويا ابنَ بَرّاق الكَريمِ الأَشْوسِ[2]
والشَّنفرى عند حُيودِ الأنفسِ أَنا ابن حامي السِّربِ في المغمَّسِ[3]
نحن مساعِيرُ الحُروبِ الضُّرَّسِ

وقال كعب حِدار أخو تأَبَّطَ : [من الرجز]

يا قوم أَمَّا إذ لَقِيتم فاصْبِروا ولا تَخيمُوا جزَعاً فتُدْبِروا[4]

وقال السِمْعُ أَخُو تأبَّطَ : [من الرجز]

يا قوم كونوا عندها أَحْرارا لا تُسلِموا العُونَ ولا البِكارا[5]
ولا القَناعيسَ ولا العِشارا لخَثْعمٍ وقد دَعَوْا غِرارا[6]

---

1 البزل : جمع بازل ، وهو البعير طلع نابه .
2 الأشوس : مَن ينظر بمؤخر عينه تكبراً .
3 المغمس : الأمر الشديد البالغ الشدّة .
4 خام : نكص وجبن .
5 العون : جمع عوان ، وهي من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر .
6 القنعاس من الإبل : العظيم وجمعه قناعيس . والعشار : جمع عشراء .

ساقوهمُ المَـوْتَ معاً أَحرارا وافتخِرُوا الدَّهر بهـا افْتِخارا

فلمّا سَمِع تأَبَّطَ مَقالَتهم قال : بأَبي أَنتم وأُمِّي ، نِعْم الحماة إذا جَدَّ الجِدّ ، أَما إذا أَجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرَّقوا ، فإنّ القوم أكثر منكم ، فحَمَلُوا عليهم فقتلوا منهم ، ثم كرُّوا الثانيةَ فقتلوا ، ثم كرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خَثْعم وتفرّقت في رؤُوس الجِبال ، ومضى تأبَّطَ وأصحابُه بما غَنِموا وأسلابِ مَنْ قتلوا ، فقال تأبَّطَ من ذلك : [من الطويل]

جَزى اللهُ فِتْياناً على العَوْصِ أَشرقت سيوفهـــم تحـتَ العَجاجَةِ بالدَّمِ

الأَبيات . . .

وقال الشَّنفرى في ذلك : [من الطويل]

دَعِيني وقُولِي بعد مـا شئتِ إنّني سيُغـدى بنَفْسي مَـرَّةً فأُغيَّبُ

الأَبيات . . .

وقال الشَّنفرى أيضاً : [من الطويل]

أَلا هـــل أَتــى عَنَّا سُعادَ ودُونَها مهامِــهُ بِيــدٍ تَعْتَـلي بالصَّعالِكِ

بأَنَّا صَبَحْنا القوم في حُرِّ دارِهِم حِمامَ المنايا بالسُّيوفِ البَواتِكُ[1]

قَتَلْنا بعمرو منهـــمُ خيْرَ فـارس يزيدَ وسعداً ، وابنَ عوفٍ بمالكِ

ظَلَلْنا نُفَرِّي بالسّيوف رُؤُوسَهم ونَرشُقهم بالنَّبْـل بـين الدَّكادِكِ[2]

[ينهزم أمام النساء]

قال : وخرج تأَبَّطَ في سَرِيّة من قومه ، فيهم عَمْرُو بن برّاق ، ومُرَّة بن خُليف ، والمُسَيَّب بن كلاب ، وعامر بن الأَخنس ، وهو رأسُ القوم ، وكعب حِدار ، وريش كعب ، والسِّمع وشريس بَنو جابر إخوةُ تأَبَّطَ شرّاً ، وسعد ومالك ابنا الأَقرع ، حتى مرّوا ببني نفاثة بنِ الدِّيل وهم يريدون الغارة عليهم ، فباتوا في جبل مُطِلٍّ عليهم ، فلمّا كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسَه ، فوجد وتَرَها مُسْتَرخياً ، فجعل يوترها ويقول له تأَبَّطَ : بعض حطيط وَتَرك[3] يا عامِر ، وسَمِعه شَيخٌ من بَني نُفاثة ، فقال لبنات له : أنصتْن فهذه والله غارة لبني ليث ، وكان الذي بينهم يومئذٍ متفاقماً في قتل

1 البواتك : القواطع .

2 الدكادك : جمع دكدك ، وهو ما غلظ من الأرض .

3 بعض حطيط وترك : خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعوه .

حُمَيْصة بن قيس أخي بلعاء ، وكانوا أصابوه خطأ ، وكانت بنو نُفاثة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طُباخ[1] بهم ، فقالت امرأة منهم : اجهروا الكلام ، والبَسُوا السّلاح ، فإنّ لنا عِدّةً ، فواللاتِ ما هُم إلاّ تأبَّطَ وأصحابه . فبرزن مع نوفل وأصحابه . فلمّا بصُرَ بهم قال : انصرفوا فإنّ القوم قد نذروا بكم ، فأبوا عليه إلاّ الغارة فَسلّ تأبَّطَ سيفه وقال : لئن أغرتم عليهم لأتّكِئن على سيفي حتى أنفذه من ظهري ، فانْصَرَفُوا ولا يحسبون إلاّ أنّ النساء رجال ، حتى مرّوا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها ، فلَحِقهم غلام من بني جُنْدع بن ليث ؟ فقال : يا عامر بن الأخنس ، أتهاب نِساءَ بني نُفاثَة وتُغِير على رجال بَنِي لَيْث ؟ هذه والله إبلٌ لبلعاءَ بن قيس . فقال له عامر : أوَ كان رجالهم خلوفا ؟ قال : نعم ، قال : أقرِىء بَلْعاء منّي السّلام ، وأخبره برَدّي إبله ، وأعْلِمه أنّي قد حبست منها بَكراً لأصحابي ، فإنّا قد أرملنا[2] فقال الغلام : لئن حبست منها هُلبة[3] لأعلمنّه ، ولا أطرد منها بعيراً أبداً . فحمل عليه تأبَّطَ فقتله ، ومَضَوا بالإبل إلى قومهم ؛ فقال في ذلك تأبَّطَ : [من الطويل]

ألا عَجِبَ الفِتْيانُ من أُمّ مالك ... تقول : أراك اليوم أشعثَ أغبرا[4]
تَبوعاً لآثار السَّرِيَّة بعدما ... رأيتُك بَرّاق المَفارق أيْسَرا[5]
فقلتُ لها : يَوْمان يَومُ إقامة ... أهزّ به غُصْناً من البانِ أخضرا
ويومٌ أهزّ السَّيفَ في جيد أغيد ... له نِسوةٌ لم تلق مثلي أنكرا
يخفن عليه وهو ينزع نفسَه ... لقد كنت أبّاء الظلامة قَسْوَرا
وقد صِحْت في آثارِ حَوْم كأنّها ... عَذارى عُقيل أو بَكارةُ حِمْيرا[6]
أبعد النّفاثيّين آمل طرقةً ... وآسى على شيء إذا هو أدْبرا[7]
أُكفكِف عنهم صُحْبَتي وإخالهم ... من الذلّ يَعْراً بالتّلاعة أعْفَرا[8]

1 الطّباخ : الإحكام والقوّة .
2 أرمل القوم : نفد زادهم .
3 الهُلبة : شعرة من شعر الذئب .
4 اراك اليوم في الديوان 98 : لقد أصبحت .
5 تبوعاً لآثار السرية في الديوان 99 : قليل الإناء والحلوبة . الأيسر : اللين السهل .
6 الحوم : القطيع من الإبل .
7 آمل طرقة : أتجه إلى طريق وفي الديوان 164 : أزجر طائراً .
8 في الديوان : أنهنه رجلي عنهم . اليعر : الجدي . والتلاعة : ماء لبني كنانة . والأعفر : ما خالط بياضه حمرة .

فلـــن نالت الكَفَّان أُصحابَ نوفـــل   بمهمهةٍ من بطـــن ظَـرْء فعَرْعَرا[1]
ولّمـــا أبـــى الليثِـــيُّ إلاّ تَهَكُّماً   بعِرضي وكان العِرضُ عِرضي أوفرا[2]
فقلـت لــه : حـــقَّ الثناءِ فإنّنـــي   سأذهب حتـــى لم أجِـــد متـأخَّرا
ولّمـا رأيــتُ الجَهْـــلَ زاد لَجاجةً   يقول فـــلا يألـــوك أن تَتَشَوَّرا[3]
دنوت لـــه حتــــى كأنَّ قَميصَه   تَشرَّب من نضح الأَخادِعِ عُصْفُرا[4]
فمــن مُبْلـغٌ ليثَ بــنَ بكرٍ بأنَّنا   تركنــا أخاهــم يــوم قِرْنٍ مُعَفَّرا[5]

قال : غزا تأبَّطَ بني نفاثة بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلوفٌ ، ليس في دارهم رَجُل ، وكان الخبر قد أتى تأبّطَ ، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحيِّ وهم أسفلَ منه ، فرأتْه امرأة فطرح نفسه ، فعلمت المرأة أنّه تأبَّطَ ، وكانت عاقِلةً ، فأمرت النساء فلبسْنَ لِبْسَة الرّجال ، ثم خرجن كأنّهنّ يَطْلُبْنَ الضّالَّة ، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون : اغزُ ، وإنّما كان في سَرِيّة من بين السّتّة إلى السبعة ، فأبى أن يدعهم ، وخرج يُرِيد هذيلاً ، وانصرف عن النّفاثيّين ، فبينا هو يتردّد في تلك الجبال إذ لقي حَليفاً له من هذيل ، فقال له : العجبُ لك يا تأبَّط ، قال : وما هو ؟ قال : إنّ رجال بني نفاثة كانوا خُلوفاً فمَكَرت بك امرأة ، وأنّهم قد رجعوا .

ففي ذلك يقول : [من الطويل]

ألا عَجِـــب الفِتيان من أُمّ مالك   تقول : لقد أصبحت أشعثَ أغبرا

وذكر باقي الأبيات المُتَقَدِّمة .

وقال غيره : لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهميّ ، وكان من حديث عامر بن الأخنَس أنّه غزا في نَفَر ، بضعةٍ وعِشْرين رجلاً ، فيهم عامرُ بن الأخنس ، وكان سيِّداً فيهم ، وكان إذا خرج في غزو رَأَسَهُم ، وكان يقال له سَيّدُ الصعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بَني نُفاثة بنِ عَدي بن الدِّيل مُمْسِين ، ينتظرون أن ينام الحيُّ ، حتى إذا كان في سواد الليل مرّ بهم راعٍ من الحيّ قد أُغدِر ، فمعه غديرته[6] يسوقها فبَصَر بهم

1 ظرء ، وعرعر : مكانان وفي الديوان 101 : ظرّ .
2 إلا تهكّماً في الديوان 164 : إلاّ انتهاكنا .
3 تشوّر الرجل : فعل فعلاً قبيحاً .
4 الأخدع : عرق متصل بالوريد ، والعصفر : نبت أحمر .
5 قرن : مكان .
6 الغديرة : الناقة يتركها الراعي .

وبمكانهم ، فخلّى الغَديرة وتَبع الضَّراءَ ضَراء[1] الوادي ، حتى جاء الحيّ فأخبرهم بمكان القوم وحَيْث رآهم ، فقاموا فاختاروا فتيانَ الحيّ فسلحوهم ، وأقبلوا نحوهم ، حتى إذا دنَوْا منهم قال رجل من النّفاثيّين : والله ما قوسي بمُوتَرَة . فقالوا : فأوتِرْ قَوسَك ، فوضع قَوْسَهُ فأوتَرَها ، فقال تأبَّطَ لأصحابه : اسكُتوا ، واستَمَع فقال : أُتِيتُم والله ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا والله أسمع حَطِيطَ وتَر قَوْس . قالوا : والله ما نسمعُ شيئاً ، قال : بلى والله إنّي لأسمعه ، يا قوم النَّجاءَ ، قالوا : لا والله ما سَمِعْت شيئاً ، فوثب فانطلق وتركهم ، ووثب معه نفر ، وبيَّتهم بَنُو نفاثة فلم يُفلِت منهم إنسان ، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه ، وقُتِل تلك الليلةَ عامِرُ بنُ الأخنس .

قال ابنُ عُمَيْر : وسألت أهلَ الحجاز عن عامرِ بن الأخنس ، فزعموا أنّه مات على فِراشه .

فلمّا رجع تأبَّطَ قالت له امرأته : تركتَ أصحابَك ، فقال حينئذٍ : [من الطويل]

أَلا عَجِب الفِتيان مِن أُمِّ مالِك ... تقول : لقد أُصبحْتَ أَشعثَ أَغْبَرا

[يصرعه غلام]

فلمّا رجع تأبَّط وبلغه ما لَقِي أَصحابُه قال : والله ما يَمَسُّ رأسي غُسْل ولا دُهْن حتى أثأر بهم . فخرج في نَفَر من قَومه ، حتى عَرَض لهم بَيْتٌ من هذيل بَيْن صُوى[2] جبل ، فقال : اغنَموا هذا البيت أوّلاً ، قالوا : لا والله ، ما لنا فيه أرَب ، ولئن كانت فيه غَنِيمة ما نستطيع أن نَسُوقَها . فقال : إنّي أتفاءل أن أنزل ، ووقف ، وأتت به ضَبُع من يساره ، فكرهها ، وعاف[3] على غَيْر الذي رأى ، فقال : أَبشري أُشْبِعك من القوم غداً . فقال له أصحابه : ويحك ، انطلق ، فوالله ما ترى أن نقيم عليها . قال : لا والله لا أريم حتى أصبح . وأتت به ضَبُع عن يساره فقال : أُشبِعك من القوم غَداً . فقال أحدُ القوم : والله إنّي أرى هاتين غداً بك ، فقال : لا والله لا أريم حتى أصبح . فبات ، حتى إذا كان في وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وَعَدَّهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المُحْتَلم ، وَغَدوْا على القوم ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جاريَتَيْن وإبلاً . ثم قال تأبَّطَ : إنّي قد رأيت معهم غلاماً ؛ فأين الغلامُ الذي كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتّبعه ، فقال له أصحابه : ويلك دعه فإنّك لا تريد منه شيئاً ، فاتَّبعه ، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة ، وأقبل تأبَّط يَقُصّه[4] وفوّق الغلامُ سهماً حين

1 الضراء : الشجر الملتفّ في الوادي ، أو أرض مستوية تأوي إليها السباع .

2 الصوى : جمع صوة ، وهي علامة يهتدى بها في الطريق ، أو ما غلظ وارتفع من الأرض .

3 عاف الطير : زجرها .

4 يقصه : يقتفي أثره .

رأى أنّه لا يُنْجيه شيء ، وأمهله حتى إذا دنا منه قَفَز قفزة ، فوَثَب على الصَّخرة ، وأرسل السهم ، فلم يسمَع تأبَّط إلاّ الحَبْضة[1] فرفع رأسه ، فانتظم السهمُ قَلبَه ، وأقبل نحوه وهو يقول : لا بأْس ، فقال الغلام : لا بأْسَ ، والله لقد وضعتُه حيث تكره ، وغشيه تأبَّطَ بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتادة ، ويضربها تأبَّطَ بحُشاشَته ، فيأخذ ما أصابت الضَّربةُ منها ، حتى خلص إليه ، فقتَله ، ثم نزل إلى أصحابه يَجُرّ رجله ، فلمّا رأوه وَثبوا ، ولم يدروا ما أصابه ، فقالوا : ما لك ؟ فلم ينطق ، ومات في أيديهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سَبُع ولا طائر إلاّ مات ، فاحتَمَلته هُذَيل ، فألقته في غارٍ يقال له غارُ رَخْمان ، فقالت ريطةُ أخته وهي يومئذٍ متزوّجة في بني الدِّيل : [من الرجز]

نِعْمَ الفَتى غادَرتُم برُخْمانْ ثابتٌ بنُ جابرِ بنِ سُفْيانْ

وقال مُرَّة بن خُلَيْف يَرْثِيه : [من البسيط]

إنّ العَزيمةَ والعَزَّاءَ قد ثَوَيا أكفانَ ميت غدا في غار رُخْمانِ[2]
إلاّ يَكُن كُرسفٌ كُفِّنتَ جَيّدَه ولا يكن كَفَنٌ من ثَوْبِ كَتَّانِ[3]
فإنّ حُرّاً من الأنْساب ألبسه ريشَ الندى ، والنَّدى من خير أكفانِ
وليلةٍ رأسُ أفعاها إلى حجرٍ ويومِ أورٍ من الجوزاء رنَّانِ[4]
أمضيتَ أوَّلَ رهطٍ عند آخره في إثرِ عاديةٍ أو إثرِ فتيانِ

وقالت أمّ تأبَّطَ تَرْثِيه : [من الرجز]

وابناهُ وابنَ اللَّيْل

[مقتله]

قال أبو عمر الشَّيبانيّ : لا بل كان من شَأن تأَبَّطَ وهو ثابتُ بن جابر بنِ سُفْيان ، وكان جريئاً شاعراً فاتِكاً أنّه خرَج من أهلِه بغارة من قومِه ، يُريدون بَني صاهلة بنِ كاهل بن الحارث بن سَعِيد بن هُذَيل ، وذلك في عقب شَهْر حرام مِمّا كان يُحرِّم أهلُ الجاهليّة ، حتى هبط صدر أدَم[5] ، وخفض عن جماعة بني صاهلة ، فاستَقْبل التّلاعة ، فوجد بها داراً من بني نُفاثة بن عدي ، ليس فيها إلاّ النساء ، غير رجل واحد ، فبصُر الرجل بتأبَّطَ وخَشِيَه ، وذلك

1 الحبضة : نبضة السهم عند انطلاقه .
2 العزّاء : السنة الشديدة .
3 الكرسف : القطن .
4 أور : جمع أوار بمعنى الحر الشديد .
5 أدم : اسم موضع .

في الضُّحى ، فقام الرجل إلى النساء ، فأمرهنَّ فجَعَلْن رؤوسهنّ جُمَماً وجَعَلْن دروعهن أردِيَة ، وأخذن من بيوتهنّ عُمُداً كهيئة السيوف فجَعَلن لها حَمائل ، ثم تأبطنها ثم نَهَض ونهضنَ معه يغريهنّ كما يُغرِي القوم ، وأمرهنّ أن لا يُبْرزن خدّاً ، وجعل هو يَبرُز للقوم ليَروه ، وطفق يُغرِي ويَصيح على القوم ، حتى أفزع تأبَّطَ شرّاً وأصحابه وهو على ذلك يُغري في بقيّة ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام ، فنهضوا في شِعب يقال له شِعْب وَشَل[1] ، وتأبَّطَ يَنْهض في الشِّعب مع أصحابه ، ثم يقف في آخرهم ، ثم يقول : يا قوم لكأنّما يطرد كم النساء ، فيصيح عليه أصحابه فيقولون : انجُ أدركك القوم ، وتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبَّطَ في ذلك : [من الطويل]

أَبعد النفّاثيين أَزجر طائراً ... وآسى على شيء إذا هو أَدبرا
أُنهنِه رِجلي عنهم وإخالهم ... من الذّلّ يعراً بالتّلاعة أعفرا
ولو نالت الكَفَّان أَصحابَ نوفل ... بمَهْمَهَة من بين ظَرْءٍ وعرعرا

قال : ثم طلعوا الصدر حين أَصبحوا فوجدوا أَهل بيت شاذّ من بني قُرَيْم ذنب نمار[2] فظلّ يراقبهم حتى أمسوْا ، وذلك البيت لساعدةَ بنِ سفيانَ أحدِ بني حارثةَ بنِ قُرَيْم ، فحصرهم تأبَّطَ وأصحابُه حتى أمسَوْا . قال : وقد كانت قالت وليدةٌ لساعدةَ : إنّي قد رأيت اليومَ القَوم أو النفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حَذِراً قائماً بسيفه بساحة أهله . وانتظر تأبَّطَ وأصحابُه أن يغفلَ الشيخ ، وذلك آخرَ ليلة من الشهر الحرام فلمّا خشُوا أن يفضَحهم الصبحُ ، ولم يقدروا على غِرّة مشَوْا إليه وغرُّوه ببقيّة الشهر الحرام ، وأعطَوْه من مواثيقهم ما أقنعه ، وشكَوْا إليه الجوع ، فلمّا اطمأنّ إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى . قال : ومضى تأبَّطَ شرّاً إلى ابنٍ له ذي ذؤابةٍ ، كان أبوه قد أمره فارتبأ[3] من وراء ماله ، يقال له : سُفيانُ بنُ ساعدةَ . فأقبل إليه تأبَّطَ شرّاً مستتراً بِمَجنّة ، فلمّا خَشِي الغلام أن يناله تأبَّط بسيفه وليس مع الغلام سَيْف ، وهو مُفَوِّق سهماً ، رمى مجنَّ تأبَّطَ بحَجَر ، فظنّ تأبَّط أنّه قد أرسل سهمه ، فرمى مِجَنّه عن يده ، ومشى إليه فأرسل الغلامُ سهمَه فلم يُخْطِ لَبَّتَه حتى خرج منه السهم ، ووقع في البطحاء حَذْوَ القوم ، وأبوه ممسك ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أخاطئهُ سفيانُ ؟ فحرَدَ[4] القوم ، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ، ومات تأبَّطَ .

---

1 وشل : اسم جبل .

2 نِمار : اسم جبل ، ونُمار : اسم واد .

3 ارتبأ : اختبأ وراء ربيئة ؛ هضبة مرتفعة .

4 حرد القوم : اعتزلوا .

فقالت أُمُّه ، وكانت امرأةً من بني القَيْن بن جَسْرِ بنِ قُضاعَة ، ترثيه : [من الوافر]

قتيلٌ ما قتِيلُ بني قُرَيْمٍ إذا ضَنَّت جُمادى بالقِطارِ
فتى فَهْمٍ جميعاً غادَرُوه مقيماً بالحُرَيْضَةِ من نُمارِ[1]

وقالت أُمُّه ترثيه [أيضاً] : [من الرجز]

ويلُ امِّ طِرف غادروا برُخْمانْ بثابت بن جابر بن سفيانْ
يجدِّل القِرنَ ويُروِي النَّدمانْ ذو مأْقِطٍ يحمي وراء الإخوانْ[2]

وقالت ترثيه أيضاً : وابناه وابنَ اللَيلْ ، ليس بزُمَّيْلْ[3] ، شَرُوبٍ للقَيْل[4] ، رقودٍ باللَّيلْ ، وَواد ذي هَوْل ، أجزتَ باللَّيلْ ، تضرب بالذَّيْل ، برَجْلٍ[5] كالثَّوْلْ .

قال : وكان تأَبَّطَ شرّاً يقول قبل ذلك : [من مجزوء الكامل]

ولقد علمتُ لتعدُوَنَّ م عليّ شتْمٌ كالحساكلْ[6]
يأكلنَ أوصالاً ولحـ ـماً كالشَّكاعِي غيرَ جازِلْ[7]
يا طيرُ كُلْنَ فإنَّني سُمٌّ لَكُنَّ وذو دَغاوِلْ[8]

وقال قبل موته : [من الوافر]

لعلّي ميِّتٌ كمداً ولمّا أطالع أهلَ ضيم فالكرابِ
وإن لم آتِ جمع بني خُثيم وكاهلها برَجْل كالضّبابِ
إذا وقعتْ بكعب أو قُرَيْمٍ وسيَّارٍ فيا سَوْغَ الشَّرابِ

فأجابه شاعر من بني قريم : [من الوافر]

تأبَّطَ سَوْأَةً وحملْتَ شرّاً لعلّك أن تكونَ من المُصابِ

1 الحريضة : موضع في بلاد هذيل .
2 المأقط : مكان الحرب .
3 الزُّميل : الجبان .
4 القيل : شراب اللبن في القيلولة .
5 الرجل : جمع راجل . والثّول : جماعة النحل .
6 الشتم : جمع شتيم ، وهو الأسد الكريه المنظر . والحساكل ، جمع حسكل وهو ما تطاير من شرر الحديد المحمّى .
7 الشكاعي : جمع شُكاعة ، شوكة تملأ فم البعير ، غير جاذل : ما عظم من أصول الشجر .
8 الدغاول : الدواهي .

لعلّك أن تجــيءَ بك المنايا تُساقُ لفتيــةٍ منّــا غِضابِ
فتُصْبحَ في مَكَرِّهــمُ صريعاً وتصبحَ طرفة الضَّبُعِ السِّغابِ
فزلتم تهربــون ولو كرهتم تسوقــون الحَرائــمَ بالنِّقابِ
وزال بأرضكم منّــا غــلامٌ طليعــةُ فتْيَةٍ غُلْــبِ الرقابِ[1]

ونَذْكُر هاهنا بعد أخبار تأَبَّطَ شرّاً أخبار صاحِبيه عَمْرِو بن بَرَّاق والشَّنفرى ونبدأُ بما يُغنَّى فيه من شعريهما ، ونُتبِعُه بالأخبار .

فأمّا عمرو بنُ برَّاقٍ فممّا يغنّى فيه من شعره قولُه : [من الطويل]

صوت

متى تَجْمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنفــاً حَمِيّــاً تجتنبْكَ المَظالِمُ[2]
وكنت إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوتهم فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالِمُ !
كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها مراغمــةً مــا دام للسيف قائِمُ
ولا صُلْحَ حتى تعثُر الخَيلُ بالقَنا وتُضرَبَ بالبِيضِ الرّقاقِ الجَماجِمُ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن برّاق وقيل ابن برّاقة . والغِناء لمحمدِ بنِ إسحاقَ بنِ عمرِو بنِ بَزِيعَ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

1 زال : نهض . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق : جمع أغلب .
2 القلب الذكي : المتوقد حماسة . والأنف الحمي : كناية عن الأنفة وإباء الضّيم .

[450] ـ عمرو بن برّاق

[يسلبه حريم ماله فيستردّه منه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفش قال : حدَّثنا السّكريُّ عن ابنِ حبيبَ قال : وأخبرنا الهَمدانيّ ثعلب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المُفَضَّل ، قالا : أغار رجل من هَمْدان يقال له حُرَيم على إبل لعمرو بن برّاقٍ وخيل ، فذهب بها ، فأتى عمرو امرأةً كان يتحدَّث إليها ويزورها فأخبرها أنّ حريماً أغار على إبله وخَيلِه فذهب بها ، وأنّه يريد الغارة عليه ، فقالت له المرأة : ويحك لا تَعْرضْ لتَلَفات حُرَيم فإنِّي أخافُه عليك ، قال : فخالفَها ، وأغار عليه ، فاستاق كلَّ شيء كان له ، فأتاه حُرَيم بعد ذلك يطلب إليه أن يردَّ عليه ما أخذه منه ، فقال : لا أفعل ، وأبى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو في ذلك : [من الطويل]

تقــول سُلَيمى لا تعَــرَّضْ لتَلفةٍ ... وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ
وكيف ينامُ الليلَ من جُــلّ مالِهِ ... حُسامٌ كلون المِلح أَبيضُ صارمُ
صَمُوتٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمعاً طوعُ اليَمِــينُ ملازمُ[1]
نقَدتُ بــه أَلفاً وسامحتُ دونه ... على النقدِ إذ لا تُستطاع الدراهمُ
أَلَم تَعلمــي أنّ الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نــام الدَّثُــور المُسالِمُ[2]
إذا الليل أَدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراطِ هامٌ جواثمُ[3]
ومال بأَصحاب الكرى غالباتُه ... فإنّي عــلى أَمــر الغَوايـة حازمُ
كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونهـا ... مُراغمــةً مــا دام للسيف قائمُ
تَحالفَ أَقــوامٌ عــليّ ليسمَنُوا ... وجروا عليَّ الحَرْبَ إذا أَنا سالِمُ[4]
أَفالآن أُدْعــى للهَــوادة بعدما ... أُجيل على الحيّ المَذاكيّ الصَّلادمُ[5]
كأَنّ حُريماً إذ رجا أَن يَضُمَّها ... ويُذْهِبَ مالي يا ابنةَ القوم حالِمُ

1 صموت : صفة للسيف .

2 الدثور : الرجل البطن الخامل النؤوم .

3 أدجت نجومه : غابت ، أو غطاها السحاب .

4 سالم : بمعنى مسالم .

5 الهوادة : الملاينة والمسالمة . المذاكي الصلادم : الجياد الشديدة الصلبة .

متى يجمعِ القلبَ الذَّكِيَّ وصارِماً وأنفــاً حَمِيّــاً تَجْتَنِبْك المظالِمُ
ومَن يَطلبِ المــالَ المُمَنَّع بالقَنا يَعِشْ ذا غِنًى أَو تَخْتَرِمْه المَخارِمُ[1]
وكنتُ إذا قــومٌ غَزوني غَزَوْتُهم فهــل أَنــا في ذا يالَهمْدان ظالمُ
فــلا صُلْحَ حتى تعثرَ الخيل بالقنا وتُضْرب بالبِيض الرِّقاقِ الجَماجِمُ

وأَمّا الشنفرى فإنّه رجل من الأَزد ثم من الأَواس بن الحجر بن الهنو بن الأَزد . وممّا يُغَنَّى فيه من شِعره قولُه : [من الطويل]

صوت

أَلا أُمُّ عَمْرو أَزمعــت فاستقَلَّت وما ودَّعَت جِيرانها إذ تولَّتِ[2]
فوانَدَما بانَــت أُمامــةُ بعدمــا طَمِعتُ فهَبْها نِعْمَــةً قــد تولَّتِ
وقد أَعجبَتْني لا سَقُوطاً خِمارُها إذا ما مَشَت ولا بِــذاتِ تَلَفُّتِ[3]

غنَّى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبِنصر عن عمرو بن بانة .

1 تخترمه المخارم : تهلكه المهالك .
2 أزمعت : عزمت على الرحيل .
3 لا سقوط خمارها : يصفها بالتصوّن والتحشّم .

[451] ـ أَخبار الشَّنفرى ونسبه[1]

[نسبه ونشأته]

وأَخبرني بخبره الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا أَبو يحيى المُؤدّب وأَحمد بن أَبي المنهال المُهلّبيّ ، عن مؤرّج عن أَبي هشامٍ محمد بنِ هشامٍ النُّميريّ : أنّ الشَّنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شبابة بن فهم بنِ عمرِو بن قيسِ بن عَيْلانَ ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بنِ مفرِّج بن عوفِ بن ميدعان بن مالكِ بن الأزدِ رجلاً من فهم ، أحدَ بني شبابة فَفَدَته بنو شبابة بالشّنفرى قال : فكان الشّنفرى في بني سلامانَ بنِ مفرِّج لا تحسبه إلاّ أحدَهم حتى نازعتْه بنتُ الرجل الذي كان في حِجره ، وكان السُّلاميّ اتّخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشَّنفرى : اغسلي رأسي يا أُخيّة وهو لا يشكّ في أنّها أخته ؛ فأَنكرت أَن يكون أَخاها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشَّنفرى : اصدقني ممّن أنا ؟ قال : أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أمَا إنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني ، ثم إنّه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً ، وقال الشَّنفرى للجارية السّلاميّة التي لطمته وقالت : لست بأخي : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْـري والتَّلَهّفُ ضَلّةٌ ... بما ضَرَبتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها[2]
ولو علمت قُعسوسُ أَنساب والدي ... ووالِدهــا ظَلّت تقاصَرُ دونها[3]
أَنا ابن خيار الحُجْر بيتا ومَنْصِبا ... وأمي ابنةُ الأَحرار لَـوْ تعْرِفينها[4]

قال : ثم لزم الشَّنفرى دار فَهْم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تَبِعه من فَهْم ، وكان يغير وحده أكثر من ذلك ، وقال الشَّنفرى لبني سلامان : [من الطويل]

---

1 انظر أخباره في : الطرائف الأدبية 27 ، ومقصورة حازم للشريف الغرناطي 22/2 ونسخة المغتالين لابن حبيب وغ ج 21 ، والأنباري الرقمان 1 و20 وخ .

2 الهجين : اللئيم ، أو العربي الذي أُمّه أَمَة . وفي الديوان [الطرائف الأدبية] 41 :

ألا هل أتى فتيان قومي جماعة ... بما لطمت كف الفتاة هجينها

3 في الديوان 41 :

ولو علمت تلك الفتـاة مناسبي ... ونسبتها ظلّت تقاصر دونهـا

والقعوس : اسم الفتاة .

4 وفي الديوان 41 :

أليس أبي خير الأواس وغيرها ... وأمي ابنة الخيرين لـو تعلمينها

وإنّي لأهوى أن أَلُفَّ عجاجتي على ذي كساء من سَلامانَ أو بُردِ[1]
وأُصبحَ بالعضْداءِ أبغي سَراتَهم وأَسلكَ خَلاًّ بين أَرباعِ والسَّردِ[2]

[إحدى غاراته]

فكان يقتل بني سلامان بنِ مُفرّج حتى قعد له رَهْط من الغامديّين من بني الرّمداء فأعجزهم فأَشلَوْا عليه كلباً لهم يقال له حُبَيش ولم يضعوا له شيئاً ، ومَرَّ وهو هارب بقرية يقال لها دَحِيس برجُلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال : [من الطويل]

قتيلَــيْ فِجــارٍ أَنتُمــا إن قُتِلتُما بجوف دَحِيس أو تبالةَ يــا اسمعا[3]

يريد : يا هذان اسمعا ، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان :

فــإلاّ تــزرني حَتْفتي أو تُلاقني أُمشِّ بدَهْــرٍ أو عــذافَ فنوَّرا[4]
أمشي بأطراف الحمــاطِ وتــارةً تُنفِّضُ رجــلي بُسْبُطاً فَعَصَنْصَرا[5]
وأَبغي بني صَعب بن مُرٍّ بلادَهم وسوف أُلاقيهـــم إنِ اللهُ يسّرا[6]
ويوماً بذاتِ الرّأس أو بطن مِنجَلٍ هنالــك تَلْقــى القاصيَ المُتَغَوِّرا[7]

[مقتله]

قال : ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بن جابر السلامانيّ وخازم الفهميّ بالناصف من أَبيدةَ ومع أُسَيْد ابن أخيه ، فمرّ عليهم الشَّنفرى ، فأبصر السواد بالليل فرماه ، وكان لا يرى سواداً إلاّ رماه كائناً ما كان ، فشكّ ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده ، فلم يتكلّم ، فقال الشَّنفرى : إن كنتَ شيئاً فقد أصبتُك وإن لم تكن شيئاً فقد أمِنْتُك ، وكان خازمٌ باطحاً : يعني مُنْبَطحاً بالطريق يرصده ، فنادى أُسيد : يا خازم أصلِت ، يعني اسْلُلْ سيفَك . فقال الشَّنفرى : لكلٍّ

---

1 في الديوان 34 : وإني زعيم . لفّ العجاجة : كناية عن الغارة .
2 في الديوان 34 :
وأمشي لدى العضداء أبغي سراتهم وأسلك خــلاًّ بــين أرفاع والسّردِ
والعضداء : أرض لبني سلامان .
3 دحيس ، وتبالة : مكانان .
4 في الديوان 35 : في عِداف بَنوَّرا . وعِداف مكان وبَنوَّر : جبل .
5 الحماط : ضرب من النبات . وبسبط ، وعصنصر : مكانان .
6 ورد البيت في الديوان 36 كما يأتي :
أبغّي بني صعب بــن مُــرٍّ بلادَهــم وسوف أُلاقيهـــم إنْ الله أَخّـــرا
7 ذات الرأس ومنجل : مكانان . تَلْقى في الديوان 36 : نبغي . المتغوّر : الموغل في الأرض ، أو الموغل في الغارة .

أصلت ، فأَصلت الشَّنفرى . فقطع إصبعين من أصابع خازمٍ الخِنصَر والبِنصَر ، وضبطه خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة ، فأخذ أسيد سلاح الشَّنفرى وقد صرع الشَّنفرى خازماً وابنَ أخي أسيدٍ ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أسيدٌ برجل ابن أخيه ، فقال أسيد : رِجْل مَنْ هذه ؟ فقال الشَّنفرى : رِجْلي ، فقال ابن أخي أسيد : بل هي رِجلي يا عمّ فأسروا الشَّنفرى ، وأدّوْه إلى أهلهم ، وقالوا له : أنشدنا ، فقال : إنّما النشيد على المَسَرَّة[1] ، فذهبت مَثَلاً ، ثم ضربوا يدَه فتعرّضت ، أي اضطربت فقال الشَّنفرى في ذلك : [من الرجز]

لا تَبْعَدي إمّا ذَهَبْتِ شامَهْ فرُبّ وادٍ نَفَرَتْ حَمامَهْ[2]
ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلتْ عِظامَهْ

ثم قال له السُّلاميّ : أأَطرِفُك[3] ؟ ثم رماه في عينه فقال الشَّنفرى له : كأنّ كُنّا نفعل أي كذلك كنّا نَفْعل ، وكان الشَّنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال له : أأَطرِفُك ؟ ثم يرمي عينه . ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أين نَقبُرك ؟ فقال : [من الطويل]

لا تَقبُروني إنّ قَبري مُحرَّم عليكم ولكن أبشِري أُمَّ عامرِ[4]
إذا احْتَمَلَتْ رأسي وفي الرأسِ أكثَري وغُودِر عند المُلْتَقى ثَمَّ سائِري
هنالك لا أرجو حياةً تَسُرُّني سَمِيرَ الليالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[5]

[تأبّط شرّاً يرثيه]

وقال تأبَّطَ شَرّاً يرثي الشَّنفرى : [من الطويل]

على الشَّنفرى ساري الغمام ورائحٌ غزيرُ الكُلى ، وَصَيِّبُ الماءِ باكرُ[6]
عليك جزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبا وقد أُرغِفتْ منك السُّيوفُ البواترُ[7]

1 مثل ورد في جمهرة الأمثال للعسكري 304/2 «النشيد مع المسرة» .
2 ذهبت في الديوان هلكْتِ . والشامة : شامة سوداء كانت في يده .
3 طرف العين : أدخل فيها ما جعلها تدمع .
4 انظر المثل في مجمع الأمثال للميداني 225/1 ، 238 ، 239 ، والدرة الفاخرة للأصفهانيّ 150/1 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 411/1 ، 416 ، والمستقصى للزمخشري 71 وفصل المقال 187 والأمثال لأبي فيد 46 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 126 .
5 سمير الليالي : طول الليالي . مبسلاً بالجرائر : مرهوناً بآثاري وجرائمي .
6 الكُلى : جمع كلوة ، وتطلق على أسفل السّحاب .
7 الجبا : مكان .

ويومِكَ يــومِ العَيْكَتَيْــنِ وعطفةٍ عطفتَ وقد مَسَّ القُلوبَ الحناجرُ[1]
تجول ببزّ المــوت فيهــم كأنّهم بشوكتك الحُــدّى ضَئِينٌ نوافرُ[2]
فإنّك لــو لاقيتني بعدمــا ترى وهــل يُلقَيْن مَــنْ غَيَّبته المقابِرُ
لألفيتني في غــارة أنتمي بهــا إليــك وإمّــا راجعــاً أنا ثائِرُ[3]
وإن تَكُ مأسوراً وظلّت مُخَيَّماً وأبْليت حتــى مــا يكيدك واتِرُ
وحتى رماك الشَّيبُ في الرأس عانساً وخيرُك مبسوطٌ وزادك حاضرُ[4]
وأجملُ موتِ المرءِ إذ كان ميتاً ولا بدّ يومــاً مَوتُــه وهو صابرُ
فلا يَبعَدنّ الشَّنفرى وسِلاحُه الْـ ـحَديــدُ وَشدٌّ خَطْــوُه متواتِرُ[5]
إذا راع رَوْعُ الموت راع وإن حَمى حَمى معــه حُــرٌّ كريــم مُصابِرُ

[رواية أخرى في مقتله]

قال : وقال غيره : لا بل كان من أَمر الشَّنفرى وسَببِ أَسره ومقتله أَنَّ الأَزد قتلت الحـارثَ بن السّائـب الفَهْمـيّ ، فأبـوا أن يبوءوا بقتله[6] ، فباء بقتله رَجُلٌ منهم يقال له حزام بن جابرْ قَبلَ ذلك ، فمات أخو الشَّنفرى ، فأنشأت أُمّه تبكيه ، فقال الشَّنفرى ، وكان أوّل ما قاله من الشعر : [من المتقارب]

ليس لوالــدة هوءُ هــا ولا قولُهــا لابنهـا دَعْدَعِ[7]
تُطيــفُ وتُحــدِثُ أَحوالَــه وغيْـرُكِ أملــكُ بـالَمصْرَعِ

قال : فلمّا ترعرع الشَّنفرى جعل يُغِير على الأزد مع فَهْم : فيقتل مَنْ أدرك منهم ، ثم قدم مِنًى وبها حزامُ بن جابر ، فقيل له : هذا قاتل أبيك ، فشَدَّ عليه فقتله ، ثم سبق الناسَ على رجليه فقال : [من الطويل]

1 العيكتان : جبلان .
2 البزّ : السلاح ، والحُدّى : مؤنّث الأحدّ بمعنى المرهف الحدّ . والضئين : جمع ضائن ، الضأن .
3 أنتمي في الديوان 83 : أغتزي .
4 العانس : الرجل السمين .
5 الشدّ : الحملة على الأعداء . ومتواتر : يتلو بعضه بعضاً .
6 باء بقتله : أقرّ به .
7 الهوء : الهمة والرأس . وفي الديوان 37 : همّها .

قتلتُ حزاماً مُهْدِياً بمُلَبِّدٍ ببطن مِنًى وسْطَ الحجيج المُصَوِّتِ[1]

قال : ثم إنّ رجلاً من الأزد أتى أُسيدَ بن جابر ، وهو أخو حزام المقتول فقال : تركتُ الشَّنفرى بسوق[2] حُباشة ، فقال أسيد بنُ جابر : والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكلَ من جَنى أليفِ أبيدة[3] ، فقعد له على الطريق هو وابنا حَزام ، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفَى وطأه ، فلمّا سمع الغلامان وطأه قالا : هذه الضَّبُع ، فقال أسيد : ليست الضَّبُعَ ، ولكنّه الشَّنفرى ، ليضَعْ كلّ واحد منكما نعلَه على مَقْتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليّاً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أبصَرَنا ، فقال عمّهما : لا والله ما أبصركما ، ولكنّه أطرد ؛ لكيما تتبعاه ، فليضَعْ كلُّ واحد منكما نعلَه على مقلته . فرماهم الشَّنفرى فخسق[4] في النعلِ ولم يتحرّك المَرْميّ . ثم رمى فانتظم ساقَيْ أُسيد ، فلمّا رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشدُّوه وَثاقاً ، ثم إنّهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتماروْا بينهم في قتله ، فبعضهم يقول : أخوكم وابنكم ، فلمّا رأى ذلك أُحدُ بني حزام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامةٌ سوداء ، فقال الشَّنفرى حين قُطِعتْ يده : [من الرجز]

لا تَبعَدي إمَّا هلكت شامَهْ فربَّ خَرقٍ قَطَعتْ قتامَهْ
وربَّ قِرْنٍ فصَلت عظامَهْ

وقال تأبَّطَ شرّاً يرثيه : [من الطويل]

لا يبعَدنَّ الشَّنفرى وسلاحُه الـ ـحديدُ وشَدٌّ خَطْوُه مُتواترُ
إذا راع رَوْعَ الموتِ راعَ وإن حَمى حَمى معه حُرٌّ كريمٌ مُصابرُ

قال : وذُرِع خَطوُ الشَّنفرى ليلة قتل فوُجِد أوّل نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوةً ، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خطوةً .

قال : وقال ظالم العامريّ في الشَّنفرى وغاراتِه على الأزد وعَجْزهم عنه ، ويَحْمَدُ أُسَيْدَ بن جابرٍ في قتله الشَّنفرى : [من الطويل]

---

1 حزاماً في المفضليات 111 : قتيلاً . مهدياً : مقدماً الهدي في الحجّ . ببطن في المفضليات : جمار . المصوّت : الذي يجهر بالدّعاء ونحوه .

2 سوق حباشة : سوق كانت معروفة عند العرب .

3 أبيدة : اسم مكان .

4 خسق في النعل : أصاب السّهم النعل ، وأخطأ الهدف .

فما لَكُم لم تدركوا رِجْلَ شنفرى وأنتم خِفاف مثلُ أَجنحة الغُرْبِ[1]
تعاديتُم حتى إذا ما لحقتُم تباطأ عنكم طالبٌ وأَبو سَقْبِ[2]
لعمركَ لَلسَّاعي أُسَيدُ بن جابرٍ أَحقُّ بها مِنْكم بَني عقبِ الكلبِ

قال : ولمّا قُتِل الشَّنفرى وطُرِح رأسُه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشَّنفرى بقدمه ، فعُقِرت قدمُه فمات منها ، فتَمَّت به المائةُ .

[من شعر الشنفرى]

وكان مِمّا قاله الشَّنفرى فيهم من الشعر وفي لطمة المرأة التي أَنكرته الذي ذكرتُه واستغني عن إعادته مِمّا تقدّم ذكره من شعر الشَّنفرى ، وقال الشَّنفرى في قتله حزاماً قاتل أبيه : [من الطويل]

أَرى أُمَّ عمرو أَجمعت فاستقلَّتِ وما وَدَّعت جيرانَها إذْ تولَّتِ[3]
فقد سبقتنا أُمُّ عمرو بأَمرها وقد كان أَعناقُ المَطيِّ أَظلَّتِ[4]
فواندَما على أُميمةَ بعدما طمِعتُ فَهبْها نِعمةَ العيش ولَّتِ[5]
أُميمةُ لا يُخزِي نَثاها حلَيلها إذا ذُكِر النسوان عَفَّت وجَلَّتِ[6]
يَحُلّ بمنجاةٍ من اللّوم بيتُها إذا ما بُيوتٌ بالَملامة حُلَّتِ[7]
فقد أعجبتني ، لا سَقُوطٌ قِناعُها إذا ما مَشت ولا بذات تَلَفُّتِ
كأَنَّ لها في الأَرضِ نِسْياً تَقُصُّه إذا ما مشت وإن تُحدِّثْك تَبْلتِ[8]

النِّسْيُ : الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو ؛ يصفها بالحياء ، وأنّها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج . ويروى :

تقصه على أُمّها وإن تُكلِّمك

1 الغُرب : جمع غُراب .
2 طالب وأبو سقب : رجلان .
3 أرى في المفضليات 108 : ألا .
4 أظلت : إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل .
5 فواندما في المفضليات 108 : فواكبدا .
6 وجلّت في المفضليات 108 : زلّت . النثا : الحديث .
7 بالملامة في المفضليات 109 : بالمذمّة .
8 تبلت الكلام وتقطعه بما يعتريها من البهر .

نَدَقَّت وجلَّت واسْبَكَرَّت وأُكملَتْ   فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْن جُنَّتِ[1]
تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهدي غَبُوبَها   لجاراتِها إذا الهديّة قَلَّتِ[2]

الغبوب : ما غبّ عندها من الطعام أي بات ويروى : غبوقها .

فبِتنا كأنَّ البيت حُجِّر حولنا   بريحانةٍ راحت عِشاءً وطُلَّتِ
بريحانةٍ من بطن حلْيةَ أُمْرِعت   لها أرجٌ مِنْ حَولِها غيْرُ مُسْنتِ
غدوتُ من الوادي الذي بين مِشْعَل   وبين الجَبا هيهات أنْساتُ سُربتي[3]
أمشِّي على الأرض التي لن تضيرَني   لأكسِبَ مالاً أو أُلاقيَ حُمَّتِي[4]
إذا ما أتتني حَتْفتي لم أُبالِها   ولم تُذْرِ خالاتي الدموع وعَمَّتي
وهُنِّىءَ بي قومٌ وما إن هنَأْتُهم   وأصبحت في قوم وليسوا بمنبِتي
وأُمِّ عيالٍ قد شهدتُ تَقُوتُهم   إذا أُطْعَمَتْهم أو تَحَتْ وأَقلَّتِ[5]
تخاف علينا الجوعَ إن هيَ أكثرت   ونحن جياعٌ ، أيَّ أَلْيٍ تألَّتِ[6]
عُفاهيَةٌ لا يقصرُ السّترُ دونها   ولا تُرتَجى للبَيْت إن لم تُبَيَّتِ[7]
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَماً   إذا ما رأت أُولى العَديِّ اقْشَعَرَّتِ[8]
وتأْتي العَديَّ بارزاً نصفُ ساقِها   كعَدْوِ حِمار العانةِ المتفلِّتِ[9]
إذا فُزِّعت طارت بأبيضَ صارمٍ   وراحت بما في جُفرها ثم سَلَّتِ[10]

1 اسبكرت : اعتدلت واستقامت .
2 غبُوبها في المفضليات 109 : غبوقها . والغبوق : ما يشرب بالعشي .
3 في المفضليات 110 رواية البيت كما يأتي :

خرجنا من الوادي الذي بين مشعلٍ   وبين الجَبا هيهاتَ أنشأت سربتي

مشعل والجبا : جبلان . والسّربة : الجماعة .
4 الشطر الثاني في المفضليات 110 : لأنكي قوماً أو أصادف حُمّتي . والحمّة : المنية .
5 أوتحت : قلّلت طعامهم .
6 الجوع في المفضليات 110 : العيل . والألتة : المجاعة .
7 عفاهية : ضخمة ، وفي المفضليات 111 مُصَعكِلة : أي صاحبة صعاليك فقراء .
8 رأت في المفضليات 111 : آنست . والوفضة : جعبة السهام . والسَّلجم : السهم العريض النّصل . العدي : جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ونحوه . واقشعرت : تهيأت للقتال .
9 كعدو حمار في المفضليات 111 : تجول كعير .
10 الجفر : جمع جفير بمعنى جعبة السّهام .

حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُه — جُرَازٍ من اقطار الحديد المنعَّتِ[1]
تَراها كأذناب المَطِيّ صوادراً — وقد نهلتْ مِنَ الدِّماءِ وعلَّتِ[2]
سنجزى سَلامانَ بنَ مُفْرجَ قرضَهم — بما قَدَّمت أيديهمُ وأَزَلَّتِ[3]
شفَيْنا بعبد الله بعضَ غليلِنا — وعوفٍ لدى المَعْدى أوانَ استهلَّتِ[4]
قتلنا حزاماً مُهدِياً بمُلَبِّدٍ — محلّهما بين الحجيجِ المصوِّتِ
فإن تُقبلوا تُقبِل بِمَنْ نِيلَ منهمُ — وإن تُدبروا فأُمّ مَنْ نِيلَ فُتَّتِ
ألا لا تزرني إن تشكّيت خُلَّتي — كفاني بأعلى ذي الحُمَيرةِ عُدْوَتي[5]
وإنّي لحُلوٌ إن أُريدت حلاوتي — ومُرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استَمَرَّتِ
أبيّ لما آبى وشيكٌ مَفِيئَتي — إلى كُلِّ نفس تَنْتَحي بمودّتي[6]

وقال الشَّنفرى أيضاً : [من الطويل]

ومرقبةٍ عَنْقاء يَقصُرُ دونها — أخو الضَّرْوة الرّجْل الخفيُّ المخَفَّفُ[7]
نَميتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا — من الليل ملتَفُّ الحديقةِ أسدَفُ[8]
فبِتُّ على حَدّ الذّراعين أحدباً — كما يَتَطَوَّى الأرقمُ المُتَعَطِّفُ[9]
قليلٌ جَهازِي غيرُ نعلين أُسحقَت — صُدورُهما مخصورةً لا تُخصَّفُ[10]
ومِلحَفَةٍ دَرْسٍ وجَرْدِ مُلاءةٍ — إذا أُنهجت من جانب لا تَكفَّفُ[11]

---

1 أقطار الحديد في المفضليات 111 : كأقطاع الغدير . والجراز : القاطع .
2 المطي في المفضليات 111 : الحسيل .
3 سلامان بن مفرج : قبيلة . أزلت : من الزلل .
4 عبد الله وعوف : قبيلتان . المعدى : مكان . واستهلت : برزت للقتال .
5 الشطر الثاني في المفضليات 112 : شفاني بأعلى ذي البُرَيقين غَدْوَتي . والخلة : الحاجة . ذو الحميرة : مكان .
6 مفيئتي في المفضليات 112 : سريع مباءتي .
7 مرقبة : مرتفع من الهضاب ونحوها ، عنقاء : طويلة العنق . الضّروة : من ضرا بمعنى استخفى . والرّجل : الساعي على رجليه . وفي الديوان 37 الرجل الحفيّ .
8 نميت في الديوان 37 : نعبت .
9 أحدبا في الديوان 37 : مجذياً .
10 قليل جهازي في الديوان 37 : وليس جهازي . أسحقت : بليت . مخصورة : دقيقة الوسط . لا تخصف : لا تقبل الخرز .
11 في الديوان 37 : وضنيّة جُردٍ وأخلاق رَيْطة
الجرد : البالي . أنهجت : بليتْ .

وأبيضُ مـن مـاء الحديـد مهنّدٌ مِجذٌّ لأطرافِ السّواعِدِ مِقطفُ[1]
وصفراءُ مـن نبعٍ أَبيٌّ ظَهيرةٌ تُـرِنّ كإرنـان الشّجيّ وَتَهْتِفُ[2]
إذا طال فيها النّزعُ تأبى بعَجْسها وترمي بذَرْوَيْهـا بهـنّ فتَقْذِفُ[3]
كأنَّ حفِيفَ النّبل من فوق عَجْسها عوازبُ نحلٍ أخطأَ الغارَ مُطْنِفُ[4]
نـأَت أُمُّ قيسِ المرْبَعَـين كليهما وتحـذَر أن يَنأى بهـا المتصيّفُ
وإنّـكِ لو تَدرينَ أنْ رُبَّ مشربٍ مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوفُ
وردتُ بمأثـورٍ ونبـلٍ وضالـةٍ تخيَّرتهـا مِمّـا أَريش وأَرصُفُ[5]
أُركّبهـا في كلِّ أحمـر عاتِـرٍ وأقذف منهـنّ الذي هو مقرِفُ[6]
وتابعتُ فيـه البَرْيَ حتـى تركتُه يَـزِفُّ إذا أَنفذتُـه ويزفزفُ[7]
بِكفّـي منهـا للبغيض عُراضَـةٌ إذا بعـتُ خـلاًّ ما له مُتَخَوَّفُ[8]
ووادٍ بعيـدِ العُمق ضنكٍ جِماعُه بواطِنُـه للجـنّ والأسْدِ مأْلَفُ[9]

---

1 مجذ : قطاع ، ومقطف : قطاع .

2 صفراءُ في الديوان 38 : وحمراء . وصفراء : قوس صفراء . النبع : شجر صلب تتّخذ منه القسيّ . ظهيرة : معينة .

3 الشطر الأول في الديوان 38 : إذا آل فيها النّزع تأبى بعجزها . والعجس : مقبض القوس . ذروا القوس : طرفاها .

4 عجسها في الديوان 38 : عجزها . عوازب في الديوان 38 : غوارب . عوازب نحل : ذواهب نحل . مطنف : من الطنف .

5 المأثور : السيف المؤثر . الضالة : السلاح عامة ، أو السهام خاصة . رصف السهم : شدّ على مدخل سنخ نصله العقبة .

6 في الديوان 38 :

أركبهـا في كل أحمـر غائـرٍ وأنسج للولـدان ما هـو مقرفُ

العاتر : الشديد ، المقرف ، غير الحسن .

7 يزف : يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه ، وبسط جناحيه ، والزفزفة : شدّة الجري ، أو تحريك الريح للعشب وصوتها فيه . وفي الديوان138 : يرنّ إذا أنزفته .

8 العراضة : الهدية .

9 في الديوان 38 :

ووادٍ بعيد العمق ضنكٍ جُماعـه مراصد أيـم مَانت الرأس أخوف
وحوش موى زاد الذئاب مضلّة بواطنه للجـنّ والأسد مألـف

تعسَّفتُ منه بعدما سقط الندى ... غَماليلَ يخشى غِيلَها المُتعسِّفُ[1]
وإنّي إذا خامَ الجبانُ عن الرّدى ... فلي حيث يُخشى أن يُجاوزَ مخسَفُ[2]
وإن امرءاً أجار سعدَ بنَ مالكٍ ... عليّ وأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعْنُفُ[3]

وقال الشَّنفرى أيضاً : [من الطويل]

ومُستبسلٍ ضافي القميصِ ضَغَتُّه ... بأزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعَوِّجِ[4]
عليه نُساريٌّ على خُوطِ نَبْعةٍ ... وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرَجِ[5]
وقاربتُ من كفَّيَّ ثم فَرَجتها ... بنزع إذا ما استُكرِه النزعُ مُخْلِجِ[6]
فصاحت بكفّي صيحةً ثم رجَّعَت ... أنينَ الأَمِيم ذي الجراح المُشجَّجِ[7]

وقد روى : فناحت بكفّي نوحة .

[رواية ثالثة في مقتله]

وقال غيره : لا بل كان من أمر الشَّنفرى أنّه سَبَتْ بنو سَلامان بنُ مُفَرِّج بنِ مالِكِ بنِ هَوازن بن كعب بن عبدِ الله بن مالكِ بن نصرِ بن الأزد الشَّنفرى ، وهو أحدُ بني ربيعةَ بن الحِجْرِ بن عمرانَ بن عمرو بن حارثةَ بن ثعلبةَ بن امرىءِ القيسِ بن مازنِ بن الأزدِ ، وهو غلام ، فجعله الذي سَباه في بَهْمة يرعاها مع ابنة له ، فلمّا خلا بها الشَّنفرى أهوى ليقبّلها ، فصكَّت وَجْهَه ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقتلَه ، فوجده وهو يقول : [من الطويل]

ألا هل أتى فِتيانَ قومي جَماعةً ... بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها ؟
ولو علمتْ تلك الفتاةُ مَناسبي ... ونِسبتُها ظلَّت تقاصَرُ دونها

---

1 الغماليل : الدوابي . الغيل : الأشجار الكثيفة .

2 الشطر الأول في الديوان 39 :

وآب إذا أجرى الجبان وظنّه

خام : جبن وضعف . مخسف : من خسف الطريق بمعنى ذلّله وقطعه .

3 الأقيصر : صنم مقدس .

4 ضغت الشيء : لاكه بالأنياب والنواجذ .

5 نساري : ريش نسر الخوط . النبعة : شجرة صلبة تتّخذ منها السهام . الفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه . والمحدرج : الأملس .

6 مخلج : من أخلج الشيء بمعنى انتزعه .

7 المشجج : مَن شجّ رأسه .

أليس أبي خيرَ الأَواسِ وغيرِهــا وأمِّي ابنةُ الخَيْرِينَ لــو تَعلمينَها
إذا مــا أَرُومُ الــودَّ بيني وبينها يــؤمُّ بياضُ الوجــه منّي يمينَها

قال : فلمّا سمع قوله سأله : مِمَّن هو ، فقال : أَنا الشَّنفرى ، أَخو بني الحارثِ بنِ ربيعةَ ، وكان من أقبح النّاس وجهاً ، فقال له : لولا أنِّي أخاف أن يقتلني بنو سَلامان لأنكحتُكَ ابنتي . فقال : عليَّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم ، فأنكحه ابنته ، وخَلّى سبيله ، فسار بها إلى قومه ، فشدّت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه ، فلمّا بلغه ذلك سكت ولم يُظهِر جزعاً عليه ، وطفق يصنع النبل ، ويجعل أَفواقَها من القُرون والعظام ، ثم إنّ امرأتَه بنتَ السلامانيّ قالت له ذات يوم : لقد خِسْتَ[1] بميثاق أَبي عليك ، فقال : [من الطويل]

كأَنْ قَدْ ، فلا يغْرُرْكِ منِّي تَمَكُّثي ، سلكتُ طريقاً بين يَرْبَغ فالسَّردِ
وإنِّــي زعيــمٌ أَن تثـور عَجاجتي على ذي كِساءٍ من سَلامان أَو بُردِ
هــمُ عرفــوني ناشئاً ذا مَخِيلة أُمشّي خلال الدّار كالفرس الوَرْدِ[2]
كأَنّي إذا لم يُمسِ في الحيّ مالك بتيهاء لا أُهدى السَّبيلَ ولا أَهدي

قال : ثم غزاهم فجعل يقتُلهم ، ويعرفون نَبلَه بأفواقها في قَتْلاهم ، حتى قتلَ منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ثم غزاهم غزوة ، فنذَرُوا به ، فخرج هارباً ، وخرجوا في إثره ، فمرّ بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفَتْه ، فأطعمته أَقِطاً ليزيد عَطَشاً ، ثم اسْتَسقى فسقته رائباً ، ثم غيّبت عنه الماء ، ثم خرج من عندها ، وجاءها القوم فأخبرتهم خبرَه ، ووصفت صفته وصِفَةَ نبله ، فعرفوه ، فرصدوه على رَكيٍّ لهم ، وهو ركيّ ليس لهم ماء غيره ، فلمّا جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء ، فلمّا دنا منه قال : إنّي أراكم ، وليس يرى أحداً إنّما يريد بذلك أن يُخرِج رَصَداً إن كان ثمّ ، فأصاخ القوم وسكتوا . ورأى سواداً ، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتِلَ منهم قتيل أن يُمسكَه الذي إلى جنبه لئلاّ تكون حركةٌ ، قال : فرمى لَمّا أبصر السواد ، فأصاب رجلاً فقتله ، فلم يتحرّك أحد ، فلمّا رأى ذلك أَمن في نفسه وأقبل إلى الرَّكيِّ ، فوضع سلاحه ، ثم انحدر فيه ، فلم يَرُعْه إلاّ بهم على رأْسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج . فضرب بعضهم شِماله فسقطت ، فأخذها فرمى بها كبد الرجل . فخرّ عنده في القليب[3] ، فوطىء على رقبته فدقّها . وقال في قطع شِماله : [من الرجز]

1 خست بالميثاق : لم تف به .
2 الفرس الورد : الأحمر .
3 القليب : البئر .

لا تبعَــدي إمّا ذهبتِ شامهْ فــرُبَّ وادٍ نَفَــرتْ حَمامَــهْ
وربّ قِــرْنٍ فَصَلَتْ عظامَــهْ وربَّ حــيٍّ فرَّقَــت سَوامَــهْ

قال : ثم خرج إليهم ، فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل ، قال : فجاء رجل منهم كان غائباً ، فمرّ به وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيها عظم من رأسه فعلَّت عليه فمات منها ، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة .

صوت

[من المتقارب]

أَلا طرقَتْ في الدّجــى زينبُ وأحببْ بزينـــبَ إذ تَطْـرُقُ
عجبتُ لزينـــبَ أَنَّى سَرَت وزينـــبُ مـــن ظلّها تَفـرَقُ[1]

عروضه من المتقارب ، الشعر لابن رُهَيْمة ، والغناء لخليل المعلّم رمل بالبنصر ، عن الهشاميّ وأبي أيوبَ المدنيّ .

1 تفرق : تخاف .

[452] ـ أخبار الخليل ونسبه

[نسبه]

هو الخليلُ بنُ عمرو ، مكّيٌّ ، مولى بني عامِرِ بنِ لؤيٍّ ، مُقِلٌّ لا تُعرَف له صنعة غيرُ هذا الصوت .

[يشتري لهو الحديث]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمد بنُ القاسم ، بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ قال : حدَّثني القَطرانيّ المغنِّي ، عن محمد بنِ حسين ، قال : كان خَلِيلِ المعلّم يلقّب خليلانَ ، وكان يؤدّب الصِّبيان ويلقنهم القرآن والخطّ ، ويعلّم الجواري الغِناء في موضع واحد ، فحدّثني مَنْ حضره قال : كنت يوماً عنده وهو يردّد على صبيّ يقرأ بين يديه ﴿ومن النَّاس مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الحَدِيثِ ليُضِلَّ عن سَبِيل الله بغَيْرِ عِلْم﴾[1] ثم يلتفت إلى صَبِيّة بين يديه فيردّد عليها : [من السريع]

اعتـادَ هـذا القلبَ بلبالُهُ　　　أن قُرِّبَـتْ للبَيْـنِ أجمالُهُ

فضحِكتُ ضحكاً مفرطاً لِمَا فعلَه ، فالتفت إليّ فقال : ويلك ما لك ؟ فقلت : أتنكر ضَحِكي ممّا تَفعَل ؟ والله ما سَبَقك إلى هذا أحد ! ثم قلت : انظر أيَّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن ، وأيَّ شيء هوذا تُلقي على الصبيّة ، والله إنِّي لأظنّك مِمَّن يشتري لهو الحديث ليُضِلّ عن سبيل الله ، فقال : أرجو ألاّ أكون كذلك إن شاء الله .

[يسيء الأزدي فهم غنائه]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرِّدُ قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذّل قال : كان خُلَيلانُ المعلّم أحسَنَ الناس غناء ، وأفتاهم وأفصحهم ، فدخل يوماً على عُقبةَ بن سَلْم الأزديِّ الهنائيّ فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب ، وحانت منه التفاتة ، فرأى عوداً معلّقاً ، فعلِم أنّه عَرَّضَ له به ، فدعا به وأخذه فغنّاهم : [من الخفيف]

يا ابنةَ الأزديّ قلبي كَئِيبُ　　　مُستَهام عندهـا ما يُنِيبُ[2]

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بن سلم متغيّراً ، وقد ظنّ أنّه عرّض به ، ففطن لمّا أراد

1 سورة لقمان ، الآية : 6 .

2 ينيب : يرجع .

فغنّى : [من مجزوء الوافر]

أَلا هَزِئَــت بِنا قُرَشِـ ـيَّــة يهتــزُّ موكِبُهــا

فسُرِّي عن عقبةَ وشرب ، فلمّا فرغ وضع العود من حجره ، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنّه لا يغنّي بعد يومه ذلك إلاّ لَمن يجوز حكمُه عليه .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

يــا ابنةَ الأَزْدِيِّ قلبي كئيبُ مستهـام عندهـا مـا يُنِيبُ
ولقـد لاموا فقلتُ : دعوني إنّ مَنْ تَنهوْنَ عنــه حَبِيبُ
إنّما أَبـلى عِظامي وجِسْمي حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجِيبُ
أيــُّها العائِــبُ عندي هَواها أَنتَ تَفدي مَــن أَراك تَعِيبُ

عروضه من المديد ، والشعر لعبد الرحمنِ بنِ أَبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاقَ ، وفيه لمالكٍ خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عنه ، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسُبْه إسحاقُ إلى أحد ، ووجدتُه في روايات لا أثِق بها منسوباً إلى حُنَين ، وقد ذكر يُونس أنّ فيه لَحنين ولمالكٍ كلاهما ، ولعلّ هذا أحدهما ، وذكر حَبَش أنّ خفيف الرمل لابن سُرَيج ، وذكر الهِشاميّ وعليّ بن يحيى أنّ لحن مالك الآخر ثاني ثقيل ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لطويسٍ هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لمالك فيه ثقيلاً أوّل وخفيفه ، ولمعبد خفيف ثقيل آخر : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلا هزِئَــت بنا قُرَشِيَّةٌ م يهتــــــزُّ موكِبُهــــــا
رأَت بــي شَيْبَةً في الـرأ سِ منّــي مـــا أُغَيِّبُهــا
فقالت لي : ابنُ قَيْسٍ ذا ؟ وبَعــضُ الشيــب يُعجبها
لهـا بعـــلٌ خَبِيثُ النَّفْس يحصُرُهــــا ويحْجُبُهـــــا
يــــراني هكـــذا أَمشي فيُوعِدُهـــا ويَضْرِبُهـــا

عروضه من الوافر ، الشعرُ لابن قَيْس الرقيات ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيه ليونُس ثقيل أوّل عن إسحاق بن إبراهيم والهشاميّ .

صوت

[من البسيط]

هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ أم حَبلُها إذ نأتك اليومَ مَصرومُ
أم هل كئيبٌ بكى لم يقضِ عبرتَهُ إثْر الأَحِبَّة يـــوم البين مَشْكومُ[1]
يَحملن أُترُجَّةً ، نَضْخُ العبير بها كأَنَّ تَطيابَها في الأنف مَشْمومُ
كأَنَّ فَـــأْرةَ مسكٍ في مفارقها للباسط المُتعاطي وَهْـــو مزكومُ
كأَنَّ إبريقَهم ظبـــيٌ على شرف مُفَـــدَّمٌ بسَبا الكتّـــانِ ملثُومُ[2]
قد أَشْهدُ الشَّربَ فيهم مِزْهرٌ صَدِحٌ والقومُ تصرعهم صهباءُ خُرطومُ[3]

الشعر لعلقمة بن عَبَدَةَ ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان أحدهما في الأَوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأربعة الأبيات الأُوَل المتوالية لمالك خفيفَ ثقيل بالوسطى ، وفيها ثقيل أوّل نسبه الهِشاميّ إلى الغَريض ، وذكر حَبَش أنَّ لحن الغَرِيض ثاني ثقِيل بالبنصر ، وذكر حبش أنّ في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج .

1 كئيب في شرح ديوان علقمة 33 : كبير . مشكوم : من شكيمة الفرس .
2 مفدّم : مسدود . وسبا الكتان : خرقة .
3 صدح في شرح ديوان علقمة 45 : رَنِمٌ . الخرطوم : السريعة الإسكار .

[453] ـ أخبار علقمة ونسبه[1]

[نسبه]

هو علقمة بن عَبَدَة بن النُّعمان بنِ ناشرةَ بن قيس بن عُبَيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار .

[الملك ينتقم من زيد مناة]

وكان زيدُ مناةَ بن تميم وَفَد هو وبكر بن وائل ، وكانا لِدَةَ عصر واحد ، على بعض الملوك ، وكان زيدُ مناة حسوداً شرهاً طعَّاناً ، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقلّ معها حظُّه ، فقال له : يا بكر لا تلقَ الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهَّبْ للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ، ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك ، فسأله عن بكر ، فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهنّ ، وقد حدّث نفسه بالتعرّض لبنت الملك ، فغاظه ذلك ، وأمسك عنه ، ونَمى الخبرُ إلى بكر بن وائل ، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ، وصَدَقه عنه ، واعتذر إليه ممّا قاله فيه عذراً قبله ، فلمّا كان من غد اجتمعا عند الملك ، فقال الملك لزيد مناة : ما تحبّ أن أفعل بك ، فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلاّ فعلتَ بي مثلَيْه ، وكان بكر أعورَ العين اليمنى ، قد أصابها ماء فذهب بها ، فكان لا يعلم مَن رآه أنّه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له : ما تحبّ أن أفعل بك يا بكر ، قال : تفقأُ عيني اليمنى ، وتُضعفُ لزيد مناة ، فأمر بعينه العوراء ففُقِئت ، وأمر بعينَيْ زيدِ مناة ففقئتا ، فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

[سبب تسميته]

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة .

ويقال لعلقمة بنِ عَبَدة عَلْقَمَةُ الفَحل ، سُمِّي بذلك لأنّه خلف على امرأة امرىء القيس لما حكمت له على امرىء القيس بأنّه أشعَر منه في صفة فرسه ، فطلّقها ، فخالفه عليها ، وما زالت العرب تسمِّيه بذلك ، وقال الفرزدق : [من الكامل]

والفحلُ عَلقمةُ الذي كانت له ... حُلَـلُ الملوك كلامُـــه يُتَنَحَّلُ

---

1 انظر أخباره في شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ـ رواية الأعلم الشنتمري تحقيق حنّا نصر الجتي دار الكاتب العربي 7–14 ، والشعر والشعراء 1 : 218–222 ، والمفضليات : المفضلية 119 ، والأنباري 762–765 ، والموشح 28–30 وطبقات ابن سلاّم 30 ، 31 والخزانة 1 : 565–566 .

[قصيدتاه سمطا الدهر]

أَخبرني عَمِّي قال : حَدَّثني النَّضرُ بن عمرو قال : حدَّثني أَبو السوّار ، عن أَبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى ، عن حَمَّادٍ الراويةِ قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردّوه منها كان مردوداً ، فَقَدِم عليهم علقمةُ بن عَبَدة ، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم ... أم حَبْلُها أَنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذه سِمطُ الدّهر ، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأَنشدهم : [من الطويل]

طحا بك قلب في الحِسان طروبُ ... بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حان مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سِمْطا الدهر .

[يسرقون شعره]

أُخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، عن حمّاد بن إسحاق قال : سمعت أبي يقول : سرق ذو الرُّمّة قوله : [من البسيط]

يطفو إذا مـا تلقَّتـه الجراثيمُ[1]

من قول العجّاج : [من الرجز]

إذا تلقَّتْـه العقاقيـلُ طفـا[2]

وسرقه العجّاج من علقَمَة بن عَبَدة في قوله : [من البسيط]

يطفو إذا مـا تلقتـه العقاقِيل

[أيّهما أوصف للفرس هو أو امرؤ القيس]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن لَقيط ، وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال : حدَّثني أبو عُبيدة قال : كانت تحت امرىء القيس امرأةٌ من طيىء تزوّجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمةُ الفَحْل بن عَبَدة التَّمِيميّ ، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحاكما إليها ، فأنشد امرؤ القيس قوله : [من الطويل]

خليليَّ مُـرَّا بي على أُمّ جُنْدُب

حتى مرَّ بقوله :

---

1 الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر .

2 العقاقيل : جمع عقال ، وهو داء يصيب رِجل الدابة .

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ ... وللزَّجر منه وَقْعُ أَخْرجَ مُهذِبِ[1]

ويروى : أُهوجَ مِنعَبِ[2] .

فأنشدها علقمة قوله : [من الطويل]

ذَهَبْتَ من الهِجرانِ في غير مَذْهَب

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركه حتى ثنى من عِنانه ... يمُرُّ كغيثٍ رائحٍ مُتَحَلِّب[3]

فقالت له : علقمةُ أشعرُ منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنّك زجرت فرسَك ، وحرّكته بساقك ، وضربتَه بسوطك . وأنّه جاء هذا الصيد ، ثم أدركته ثانياً من عِنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال : ليس كما قلتِ ، ولكنّك هَويتِه ، فطلّقها ، فتزوّجها علقمة بعد ذلك ، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفَحْل .

[ربيعة بن حذار يحكم له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن لقيط قال : تحاكم علقمةُ بن عبدة التميميّ والزبرقانُ بن بَدْر السعديّ ، والمُخَبَّل ، وعمرو بن الأهتم ، إلى ربيعة بن حُذار الأسديّ ، فقال : أما أنت يا زبرقان فإنّ شعرك كلحم لا أُنضِج فيُؤْكلَ ، ولا تُرِك نَيِّئاً فيُنتفعَ به ، وأمّا أنت يا عمرو فإنّ شعرك كبُرْد حبَرة يتلألأ في البصر ، فكلّما أعدّته فيه نقص ، وأمّا أنت يا مُخبّل فإنّك قصّرت عن الجاهليّة ولم تدرك الإسلام ، وأمّا أنت يا علقمة فإنّ شعرك كمزادة[4] قد أُحكِم خَرْزُها فليس يَقْطر منها شيء .

[عمر يجلد من تمثل بشعره]

أخبرني محمدُ بن الحسنِ بن دُريد قال : حدَّثني عمّي ، عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه قال : مرَّ رجل من مُزينَة على باب رجل من الأنصار ، وكان يُتَّهم بامرأته ، فلمّا حاذى بابَه تنفَّس ثم تمثَّل : [من البسيط]

---

1 الألهوب : اجتهاد الفرس في العدو . الدرة : حث الفرس على العدو . الأخرج : ما خالط بياضه سواده . مهذب : مسرع .

2 مِنعَب : الجواد يمدّ عنقه عند عدوه كالغراب .

3 في شرح ديوان علقمة 62 :

فأدركهن ثانياً من عنانه ... يمر كمرّ الرائح المتحلّب

4 المزادة : إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء .

هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ   أَم حبلُها إذ نأتك اليوم مصرومُ ؟

قال : فتعلَّق به الرجل : فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه ، فاستعداه عليه ، فقال له المُتمثِّل : وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك لم تُنْشِده قبل أن تبلغ بابه ؟ ولكنّك عَرَّضت به مع ما تعلم من القالَة فيه ، ثم أمر به فضُرِب عِشْرين سَوْطاً .

صوت

[من الطويل]

فـوالله لا أَنسى قتيـلاً رُزِيتُـه   بجانب قَوسَى ما حييتُ على الأرضِ [1]
بـلى إنّهـا تَعْفُو الكلُـومُ وإنّما   نُوكَّلُ بالأَدنى وإن جَلَّ ما يَمضي [2]
ولم أَدرِ مَـن أَلْقى عليـه رداءَه   ولكنّـه قـد بُـزَّ عن ماجدٍ محضِ

الشعر لأَبي خراش الهذليّ ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكّيّ أنّه لابن مسجح وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّيّ ، نحله ابن مسجح ، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً .

1 قَوسى : بلدة بالسراة وبها قتل عروة أخو أبي خراش .

2 تعفو الكلوم : تندمل .

[454] ـ ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره[1]

[نسبه]

أبو خراش اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة ، أَحدُ بني قِرْد ، واسمُ قرد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء ، مخضرم ، أُدرك الجاهلية والإسلامَ فأَسْلَم وعاش بعد النبيّ ﷺ مدّة ، ومات في خلافةِ عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه ، نَهَشَتْه أُفعى فمات ، وكان مِمّن يَعْدو فيسبِقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي والحسن بن عليٍّ قالوا : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عُمَيْر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : حدَّثني أَبو بركة الأشجعيُّ من أنفُسهم قال : خرج أبو خِراش الهُذليّ من أرض هُذَيل يريد مكّة ، فقال لزوجته أمّ خِراش : ويحك إنّي أُريد مكّة لبعض الحاجة ، وإنّك من أَفَكّ[2] النساء ، وإنّ بني الدِّيل يطلبونني بتراتٍ فإيّاكِ وأنْ تذكُريني لأَحد من أَهل مكّة حتى نصدر منها ! قالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مكّة وأنا أعرف السبب .

[يتربصون به فيفلت منهم]

قال : فخرج بأُمّ خراش وكَمَن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتريَ عِطْراً أَو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهنّ ، فجلستْ إلى عطّار فمرّ بها فتيانٌ من بني الدِّيل ، فقال أَحدُهما لصاحبه : أُمّ خِراش وربِّ الكعبة وإنّها لَمن أفكّ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه ، قال : فوقفا عليها فسلّما وأَحْفيا[3] المسألة والسلام ، فقالت : مَن أَنتما بأبي أنتما ؟ فقالا : رجلان من أهلِكِ من هذيل ، قالت : بأبي أَنتما . فإنّ أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشيَّة ، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأَخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدْواً ، فكمنوا في عَقَبة على

---

1 انظر أخباره في الاشتقاق 11 والكامل للمبرد 528–530 ، 1186 وفي الشعر والشعراء 663–664 ، وفي الاستيعاب 659–661 وأسد الغابة 5 : 178–179 والإصابة 2 : 152 واللآلي 216–217 والخزانة 1 : 211–212 .

2 أفك النساء : أكذبهنّ .

3 أحفيا : أبديا الحفاوة .

طريقة ، فلمّا رآهم قد لاقوْه في عين الشمس قال لها : قَتَلْتني وربِّ الكعبة لِمَنْ ذكرتني ؟ فقالت : والله ما ذكرتك لأحد إلاّ لِفَتَيَيْنِ من هذيل ، فقال لها : والله ما هما من هذيل ولكنّهما من بني الدِّيل وقد جلسا لي وجمعا عليَّ جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جُزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لكِ لئلاّ أسْتَوحِشَ فأفوتَهم ، فاركُضي بعيرَكِ ، وضعي عليه العَصا ، والنجاءَ النجاءَ .

قال : [فانطلقَت] وهي على قَعُودٍ عُقَيْلي يسابق الريح ، فلمّا دَنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمْراً على طريقه على كساء ، فوقف قليلاً كأنّه يُصلِحُ شيئاً ، وجازت بهم أُمّ خِراش فلم يَعرِضُوا لها لئلاّ ينفِرَ منهم ، ووضعت العصا إلى قعودها ، وتواثبوا إليه ووثب يعدُو .

قال : فزاحمه على المحجَّةِ[1] التي يَسْلُكُ فيها على العقبة ظَبْيٌ ، فسبقه أبو خراش ، وتصايح القومُ : يا مخلد أَخْذاً أَخْذاً .

قال : ففات الأخذ . فقالوا : ضرباً ضرباً ، فسبق الضرب ، فصاحوا : رَمْياً رَمْياً فسبق الرمي ، وسَبَقَت أُمُّ خراش إلى الحيِّ فنادت : أَلا إنَّ أَبا خراش قد قُتِل ، فقام أهلُ الحيِّ إليها ، وقام أبوه وقال : ويحك ما كانت قصَّتُه ، فقالت : إنّ بني الدِّيْل عرضوا له الساعة في العقبة ، قال : فما رأيتِ ، أو ما سمعتِ ؟ قالت : سمعتهم يقولون : يا مخلد أخذاً أخذاً ، قال : ثم سمعْتِ ماذا ؟ قالت : ثم سمعتُهم يقولون : ضرباً ضرباً ، قال : ثم سمعت ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون : رمياً رمياً ، قال : فإن كنتِ سمعتِ رمياً رمياً فقد أفلت ، وهو منّا قريب ، ثم صاح : يا أبا خراش ، فقال أبو خراش : يا لبَّيْكَ ، وإذا هو قد وافاهم على أثرها . وقال أبو خراش في ذلك : [من الطويل]

رَفَوْني وقالــوا يا خُوَيْلدُ لم تُرَعْ فقلت وأَنكرتُ الوجوهَ همُ همُ[2]

رَفَوْني بالفاء : سكّنوني وقالوا : لا بأس عليك .

فغـارَرْتُ شيئاً والدّريسُ كأنّـما يزعزعُـه وعْـكٌ من المُومِ مُرْدِمُ[3]

غاررت : تلبثت . والدّريس : الخَلَق من الثياب ، ومثلُه الجرْدُ والسَّحق والحَشيف . ومُرْدِم : لازم .

1 المحجّة : الطريق .

2 لم تُرَعْ في ديوان الهذليين 144/2 : لا تُرَعْ .

3 فغاررْت في ديوان الهذليين : 144/2 : فعدّيت . الوعك : أذى الحمى ، وعكٌ في ديوان الهذليين 144/2 : وِرْدٌ . والموم : الحمى الشديدة .

تذكّـرتُ مـا أينَ المفـرُّ وإنّني بحبل الذي يُنْجي من الموتِ مُعْصِمُ[1]
فواللهِ مـا ربْداءُ أو عِلْجُ عانَةٍ أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمِّمُ[2]
بأسرعَ منِّي إذ عرفت عَديَّهُم كأنّي لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأَمُ[3]
وأجودَ منِّي حينَ وافَيْتُ ساعياً وأخطـأني خلْـف الثَّنِيَّةِ أسهُمُ[4]
أوائِـلُ بالشَّدِّ الذَّليـقِ وحَثَّني لدى المتن مشبوح الذراعين خَلْجَمُ[5]
تَذَكَّرَ ذَحْـلاً عندنا وهْو فاتكٌ من القومِ يَعرُوه اجتراءٌ ومَأثمُ
تقول ابنتي لمّـا رأتني عشيَّةً : سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمس تَسلمُ
فقلتُ وقد جاوزت صارَى عشيَّةً : أجاوزتُ أولى القوم أم أنا أحلمُ[6]
فلـولا دِراكُ الشدّ آضتْ حليلَتي تخيَّر في خُطَّابِهـا وَهْـيَ أيِّمُ[7]
فتسخَطُ أو ترضى مكاني خليفةً وكادَ خِـراشٌ عنـد ذلك يَيْتَمُ[8]

[يسبق الخيل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا : حدَّثنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : حدَّثني رجل من هذيل قال : دخل أبو خراش الهُذَليُّ مكّةَ وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسانِ يريد أن يُرسِلَهُما ، في الحلْبة ، فقال للوليد : ما تجعلُ لي إنْ سبقتُهما ؟ قال : إن فعلت ، فهما لك ، فأُرسِلا ، وعَدا بينهما فسبقهما فأخذهما .

قال الأصمعيّ : إذا فاتك الهُذليُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .

وأخبرني بما أذكُره من مجموع أخبار أبي خراش عليُّ بن سُلَيْمان الأخفش ، عن أبي سعيد

1 تذكرت في ديوان الهذليين 144/2 : تذكرَ ما . بحبل : في ديوان الهذليين 144/2 : بِغُرْزِ . مُعْصِم : مستمسك .
2 العلج : حمار الوحش . أقب : دقيق الخصر ضامر البطن ؛ رَمْلٍ في ديوان الهذليين 145/2 : رَبْلٍ وهو ضرب من الشجر . مصمم : جاد في سيره .
3 لأولاهم : لأولى سراياهم .
4 في ديوان الهذليين 147/2 : يوم كفَتُّ عادياً .
5 واءل : طلب النجاة . الشد الذليق : الجري السريع . مشبوح الذراعين : عظيمها . الخلجم : الجسم العظيم .
6 صارى : جبل جنوبي المدينة .
7 آضت في ديوان الهذليين 148/2 : قاظتْ ، أي أتتْ عليها قيظة أي صَيْفة .
8 فتسخط وعند في ديوان الهذليين 148/2 : على التوالي : فتقعد ، يوم .

السكريّ ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيبَ عن أبي عمرو .

[يمدح دبية حياً ويرثيه ميتاً]

وأخبرني ببعْضه محمدُ بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، وقد ذكرتُ ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كلّ واحد منهم عن أصحابه في مواضعه ، قال السكريّ : فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال : نزل أبو خِراش الهذليّ على دُبَيَّة السُّلميّ ، وكان صاحبَ العُزَّى التي في غطفان وكان يَسْدُنها ، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لمّا بعثه رسول الله ﷺ إليها فهدَمَها وكسرها وقتل دُبَيَّةَ السُّلميِّ ، قال : فلمّا نزل عليه أبو خراش أحسَنَ ضيافَتَه . ورأى في رجله نَعْلين قد أخلقتا ، فأعطاه نعلين من حذاء السِّبْت[1] فقال أبو خراش يمدحه : [من الوافر]

حذانيَ بعد ما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّـةُ إنَّـه نِعـمَ الخليلُ[2]
مُقابَلَتين مـن صَلَوي مُشِبٍّ ... من الثيرانِ وصلُهما جميلُ[3]
بمِثلِهما يـروح المـرءُ لَهواً ... ويقْضي الهمَّ ذو الأَربِ الرَّجيلُ[4]
فنعم مُعرَّسُ الأَضياف تُذْحي ... رحالَهُـم شآميّـةٌ بَليـلُ[5]
يُقاتِـل جوعَهـم بمكلَّلاتٍ ... مـن الفُرْنيِّ يَرْعَبُها الجميلُ[6]

قال أبو عمرو : الجَميلُ : الإهالة ، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب إهالَةً كانت أو شَحْماً . وقال أبو عمرو : ولّما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم عُزَّى غطفان ، وكانت ببطن نَخْلَة ، نَصَبَها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرّة وقتل دُبَيَّة فقال أبو خراش الهذليّ يرثيه : [من البسيط]

---

1 السِّبْت : الجلد المدبوغ .

2 خَذِم الحذاء : انقطع .

3 مقابلتين في ديوان الهذليين 140/2 : بموركتين ، أي من الورك . الصَّلوان : ما فوق الذنب من الوركين ، وهو تثنية صلا ، والصّلا : الظّهر . من الثيران وصلهما جميل : في ديوان الهذليين 140/2 : بصرّافين عقدهما جميل أي بشراكين يصرفان ، أي يصوّتان .

4 ورد البيت في ديوان الهذليين 140/2 :

بمثلهما نروح نريد لهواً ... ويقضي حاجة الرّجل الرّجيل

والرجيل : القوي على المشي .

5 الشآمية البليل : الريح التي تهبّ من جهة الشام رطبة ليّنة . تُذحي : تسوق وتطرد وفي الديوان تَذْحى .

6 مكلّلات : مملوءات ، الفرنيّ : نوع من الخبز . يرعبها : يملؤها . الجميل : الإهالة ، وهي الشَّحم .

مــا لِدُبَيَّــةَ منــذُ اليــــوم لم أَرَهُ وسْطَ الشُّرُوبِ ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ[1]
لــو كان حيّـــاً لغاداهــم بمُترعَةٍ فيها الرّواوِيق من شِيزى بني الهَطِفِ[2]

بنو الهَطِفِ : قوم من بني أَسد يَعْملون الجِفان .

كابــي الرمــاد عظيــمُ القِدْرِ جَفْنَتُه حين الشتاء كحَوْضِ المُنْهَلِ اللَّقِفِ[3]

المنهلُ : الذي إبله عطاش . واللقفُ : الذي يضربُ الماءُ أَسفلَه فيتساقط وهو ملآن .

أَمسى سَقامٌ خَــلاءً لا أَنيسَ به إلاّ السِّباعُ ومَــرُّ الريح بالغَرَفِ[4]

[يرثي زهير بن العجوة]

وقال الأَصمعيّ وأَبو عمرو في روايتهما جميعاً : أُخِذ أَصحابُ رسول الله ﷺ في يوم حُنَين أُسارى ، وكان فيهم زهيرٌ بن العَجْوةِ أخو بني عمرو بن الحارث ، فمرَّ به جميلُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حبيبِ بنِ وهبِ بن حُذافَةَ بن جُمَحَ ، وهو مربوطٌ في الأسرى ، وكانت بينهما إحنةٌ في الجاهليّة ، فضرب عُنقَه ، فقال أبو خراش يرثيه : [من الطويل]

فَجَّع أُصحابي جميلُ بــن معْمَرٍ بذي فَجَــرٍ تأوي إليه الأَرامِلُ[5]
طويلُ نِجادِ السيف ليس بجَيْدَرٍ إذا قام واستنَّت عليــه الحمائِلُ[6]
إلى بَيْتِهِ يــأوِي الغريبُ إذا شتا ومُهتَلِكٌ بـــالي الدّريسَيْن عائِلُ[7]
تروَّحَ مقروراً وراحـــت عشيّة لهــا حَــــدَبٌ تحتُّــه فيُوائِلُ[8]
تكـــاد يـــداه تُسْلِمـــان رداءَه من القُرِّ لمّــا استقبلتْه الشمائلُ[9]

1 الشُّروب : القوم الذين يشربون . ودبيّة : كان سادناً لبعض الأصنام فضرب خالد بن الوليد عنقه .
2 الرواويق : جمع الراووق وهو الخمر وإناؤها ، وقيل المصافي . والشيزى : الجفنة . بنو الهطف : بنو أسد بن خزيمة ، كانوا حلفاء لبني كنانة ، وكانوا يعملون الجفان .
3 كابي الرماد : عظيم الرماد .
4 سَقام : وادٍ بالحجاز ، والغَرف : الشجر .
5 أصحابي في ديوان الهذليين 148/2 : أضيافي .
6 في ديوان الهذليين 149/2 :

طويــل نجــاد البزّ ليس بجيـدرٍ إذا اهتزّ واسترخت عليه الحمائلُ

البزّ : السيف ، والجيدر : القصير . والحيدر : الغليظ السمين ، واستنت : اهتزّت .
7 المهتلك : لا همّ له إلاّ أن يتضيّفه الناس . والدريسان : مثنّى دريس ، وهو الثوب الخلق .
8 الحدب : شدّة البرد . تحتّه : تسرع به ، يوائل : يطلب النجاة .
9 القر في ديوان الهذليين 149/2 : الجود .

فما بالُ أَهلِ الدّار لم يتصدَّعوا   وقد خفَّ منها اللّوذعيُّ الحُلاحلُ[1]
فأُقسِمُ لـو لاقيتَـه غيرَ موثَقٍ   لآبك بالجِزْع الضّباعُ النّواهِلُ[2]
لظلّ جميـلٌ أسوأ القـوم تَلَّةً   ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْءِ شاغلُ[3]
فليس كعهدِ الدّار يـا أُمَّ مالكٍ   ولكنْ أَحاطت بالرِّقابِ السلاسلُ
وعاد الفتى كالكهـل ليس بقائلٍ   سوى الحقِّ شيئاً فاستراح العواذلُ
ولم أَنْسَ أيّامـاً لنـا ولياليـاً   بِحَلْيَةَ إذ نلقـى بهـا ما نحاولُ[4]

وقال أَيضاً يرثيه : [من الطويل]

أَفي كلِّ مَمْسى ليلـةٍ أَنا قائل   من الدَّهـرِ لا يبعَدْ قتيلُ جميلِ
فما كنتُ أَخشى أَن تصيبَ دماءَنا   قريشٌ ولمـا يقتلـوا بقتيلِ
فأَبـرحُ مـا أُمِّرْتُمُ وعَمَرتُمُ   مدى الدّهـرِ حتى تُقْتَلُوا بِغَليلِ[5]

[يستنقذ أسرى بني ليث]

وقال أَبو عمرو في خبره خاصة : أَقبل أَبو خراش وأَخوه عروة وصهيب القِرْديّ في بضعةَ عشر رجلاً من بني قِرْد يطلبون الصيد فبينا هم بالمجمعةِ من نخلة لم يَرُعْهم إلاّ قومٌ قريبٌ من عدّتهم فظنّهم القِرْدِيُّون قوماً من بني ذُؤَيبة أحدِ بني سعدِ بن بكرِ بن هوازنَ أَو من بني حبيب أحدِ بني نصرٍ ، فعدا الهذليُّون إليهم يطلبونَهم وطَمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً ، وإذا هم قومٌ من بني ليْثِ بنِ بكرٍ ، فيهم ابنا شَعوب أسرهما صُهَيْبٌ القِرديّ ، فهمَّ بقتلهما ، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأَطلقَهم ، فقال أبو خراش في ذلك يمُنُّ على ابنَي شَعُوبَ أحد بني شِجْعٍ بنِ عامر بنِ ليث فعلَه بهما : [من الوافر]

عدونـا عـدوةً لا شكَّ فيها   وخِلناهـمْ ذُؤَيبـةَ أَو حَبيبا[6]

1 يتصدّعوا في ديوان الهذليين 149/2 : يتحمّلوا . اللوذعي : الخفيف الذكيّ ، أو الحديد الفؤاد والنفس ، أو اللسن الفصيح . الحلاحل : السيد في قومه ، أو الكريم الجواد .
2 الجزع : منعطف الوادي .
3 تلّة : صرعة .
4 حلية : مكان .
5 وعمَرتم في ديوان الهذليين 157/2 : وملكتم .
6 ذؤيبة وحبيب : قبيلتان .

فنُغـرِي الثائريـــن بهم وقلنا شفاءُ النفس أَنْ بَعَثوا الحروبا
مَنَعْنا مـن عديٍّ بني حُنَيفٍ صِحابَ مضرّسٍ وابني شَعوبا[1]
فأَثْنُوا يــا بنـي شِجْعٍ علَيْنا وحقٌّ ابني شَعُوب أَنْ يُثِيبا
وسائلْ سَبرةَ الشِّجعِـيَّ عنّا غــداة نخالهم نَجْـواً جَنيبا[2]
بــأنَّ السابقَ القِرْديَّ أَلقـى عليـــه الثوبَ إذ ولّى دبيبا
ولـولا ذاكَ أرهقَــه صُهيبٌ حسامَ الحَدِّ مطروراً خشيبا[3]

[يزهد زهد الهنود]

أَخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا الرياشيّ : قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : أَقفر أَبو خراش الهذليّ من الزَّادِ أيّاماً ، ثم مرَّ بامرأةٍ من هذيل جزلةٍ شريفةٍ ، فأَمرت له بشاة فَذُبِحَت وشُوِيَتْ ، فلمّا وَجَدَ بطنه ريحَ الطّعام قرقر[4] ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنّكَ لتقرقر لرائحة الطعام ، والله لا طعِمْتَ منه شيئاً ثم قال : يا ربّة البيت ، هل عندك شيء من صَبِرٍ أو مُرٍّ ؟ قالـت : تصنع بـه مـاذا ؟ قـال : أريدُه ، فأَتَتْه منـه بشيء فاقتمحَه ، ثـم أهوى إلى بعيرِه فركِبَه ، فناشدتْه المرأةُ فأَبَى ، فقالتْ له : يا هذا ، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ، ثم مضى وأَنشأ يقول : [من الطويل]

وإنِّي لاثْوِي الجوعَ حتى يمَلَّني فأَحيا ولم تدنَس ثيابي ولا جِرمي[5]
وأَصْطَبِح المــاءَ القَراحَ فأَكتفي إذا الزادُ أُضحى للمزلَّجِ ذا طَعْمِ[6]
أَردُّ شجاعَ البطـن قـد تَعلمِينه وأُوثر غيري من عِيالكِ بالطُّعْمِ[7]

---

1 عدي بني حنيف : جماعة العادين منهم . ومضرس : اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم . وشعوب : اسم رجل .

2 نخالهم في ديوان الهذليين 134/2 : تخالنا . النجو : ما أُهمل من قطع الخشب ، أو ما خرج من البطن . والجنيب : المبعد .

3 ذاك في ديوان الهذليين 135/2 نحن . مطروراً : مسنوناً . خشيباً : مسلولاً .

4 قرقر بطنه : صوّت من الجوع

5 لأثوي الجوع : أطيل حبسه عندي حتى يملّني . الجرم : الجسد .

6 صدر البيت في ديوان الهذليين 127/2 :

وأغتبق الماءَ القراح فأنتهي

المزلّج : الرجل الذي لا قدرة له على احتمال المكروه .

7 الشجاع : الثعبان .

مخافةَ أَن أَحيــا برَغــمٍ وذِلَّةٍ فَلَلْمَوْتُ خيرٌ مــن حياةٍ على رَغْمِ

[يفتدي أخاه عروة فيلطمه]

وأخبرني عمِّي عن هارون بن محمد الزيّات ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ بنحو مما رواه الأصمعيُّ ، وقال أبو عمرو : أسرتْ فَهْمٌ عروة بن مرّة أخا أبي خراش ، وقال غيره : بل بنو كنانة أسرتْه ، فلمّا دخلتْ الأشهرُ الحرمُ ، مضى أبو خِراش إليهم ومعه ابنُهُ خراش ، فنَزل بسيّد من ساداتهم ولم يعرِّفْهُ نَفْسَه ولكنّه استضافه فأنْزله وأحسن قِراه ، فلمّا تحرَّم به انتسب له ، وأخبره خبرَ أخيه ، وسأله معاونتَه حتى يشتريَهُ منهم ، فوعده بذلك ، وغدا على القوم مع ذلك الرجل ، فسألهُمْ في الأسير أن يهبُوه له ، فما فعلوا ، فقال لهم : فبيعُونيهِ ، فقالوا : أما هذا فنعم ، فلم يزل يساومُهُم حتى رضُوا بما بذله لهم ، فدفع أبو خراش إليهم ابنَه خِراشاً رهينَةً ، وأطلق أخاه عُروةَ ومضيا ، حتى أخذ أبو خراش فِكاكَ أخيه ، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إيّاه وأخذ ابنه . فبينما أبو خراش ذات يوم في بيتِه إذ جاءَه عبدٌ له فقال : إنّ أخاكَ عروةَ جاءَني وأخذ شاة من غنمِك ، فذبحها ، ولطمني لّما منعتُه منها ، فقال له : دعْه ، فلمّا كان بعد أيّام عاد ، فقال له : قد أخذ أخرى : فذبحها ، فقال : دعه ؛ فلمّا أمسى قال له : إنّ أخاكَ اجتمع مع شَرْب من قومه ، فلمّا انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلِك ، لينحرَها لهم فعاجلْه ، فوثب أبو خراش إليه ، فوجده قد أخذ الناقة ، لينحرَها ، فطردها أبو خِراش ، فوثب أخوه عروةُ إليه فلَطم وجهه ، وأخذ الناقةَ ، فعقَرها ، وانصرف أبو خِراش ، فلمّا كان من غدٍ لامه قومُه ، وقالوا له : بئست لعمرُ الله المكافأة ، كانت منكَ لأخيك ؛ رهَنَ ابنَه فيك ، وفداك بماله . ففعلتَ به ما فعلتَ ، فجاء عروة يَعْتذر إليه ، فقال أبو خِراش : [من الوافر]

لَعلَّكَ نافعــي يــا عُروَ يوماً إذا جاورْتُ مَنْ تحتَ القبورِ
أَخذتَ خُفارَتي ولطمتَ عَيْني وكيف تُثِيبُ بالمــنِّ الكبيرِ[1]
ويومٍ قد صبرْتُ عليكَ نفسي لدى الأَشْهاد مُرْتَديَ الحرورِ[2]
إذا مــا كان كَسُّ القوم رَوْقاً وجالت مقلتا الرجل البصيرِ[3]
بمــا يممتُه وتركْــتُ بِكْري وما أُطْعِمتَ من لحم الجَزُورِ[4]

قال معنى قوله بِكري أي بِكْرُ ولدي أي أوَّلُهم .

1 خُفارتي : المال الذي أحرسه .
2 الأشهاد : جمع شهد ، وشهد جمع شاهد . ومرتدي الحرور : لابساً الحرّ .
3 الكس : الدق الشديد . روقاً : زائداً .
4 بما يممته : بما قصدته من إحساني إليك .

[خبر أخويه الأسود وأبي جندب]

وقال الأصمعيُّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابنُ الأعرابيّ : كان بنو مرّة عَشَرة ، أبو خراش ، وأبو جُندَب ، وعروة ، والأبحّ ، والأسوَد ، وأبو الأسود ، وعمرو ، وزهير ، وجنّاد ، وسفيان ، وكانوا جميعاً شعراءَ دهاة سِراعاً لا يُدْرَكُونَ عَدْواً ، فأمّا الأسود بن مرّة فإنّه كان على ماءٍ من داءَةَ[1] وهو غلام شابّ ، فوردت عليه إبلُ رِئاب بن ناضِرَةَ بن المؤمَّل من بني لَحيان ، ورئابٌ شيخ كبير ، فرمى الأسودُ ضَرْعَ ناقة من الإبل فعقرها ، فغَضِب رئابٌ ، فضربه بالسيف ، فقتله ، وكان أشدَّهم أبو جندب ، فعرف خبر أخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأَسف ، فاجتمعت رجالُ هذيل إليه يكلّمونه وقالوا : خذ عَقْلَ[2] أخيك ، واستبقِ ابنَ عمّك ، فلم يزالوا به حتى قال : نعم ، اجْمَعُوا العقل ، فجاءُوه به في مرَّة واحدة ، فلمّا أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا لَهُ ، أُرِحنا : اقبضْه منّا ، فقال : إنِّي أريد أن أعتمِر فاحبسُوه حتى أرجع ، فإن هلِكت فَلِأمٍّ[3] ما أنتم ، هذه لغة هذيل يقولون : إمّ بالكسر ، ولا يستعملون الضمّ ، وإن عشتُ فسوف ترون أمْري ، وولَّى ذاهباً نحو الحَرَم ، فدَعا عليه رجال من هذيل ، وقالوا : اللهمّ لا تَرُدَّه ، فخرج فقدم مكّة فواعَدَ كلَّ خَلِيع وفاتِك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيبَ بهم قومه ، فخرج صادراً ، حتى أخذتْهُ الذُّبحة في جانبِ الحرم ، فمات قبل أن يرجع ، فكان ذلك خبره .

[خبر أخيه زهير]

قالوا : وأمّا زهيرٌ بن مرّة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحَرَم حتى ورد ذاتَ الأُقَيْر[4] من نعمان ، فبينا هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثُمالة ، فقتلوه ، فله يقول أبو خراش ، وقد انبعث يغزو ثُمالَة ويُغِير عليهم ، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارَيْنِ ، أي حِلَّتين من ثُمالة : [من الطويل]

خذوا ذلكم بالصُّلحِ إنِّي رأيتُكُم ... قتلتم زُهيراً وهو مهْدٍ ومُهْمِلُ

مهدٍ أي أهدى هدياً للكعبة . ومهمَل : قد أهمَلَ إبلَه في مراعيها .

قتلتم فتى لا يفجُرُ الله عامداً ... ولا يجتويه جارُه عامَ يُمْحِلُ[5]

1 داءَة : موضع لهذيل .
2 العقل : الدية .
3 فلأمٍّ ما أنتم : أنتم تنتمون إلى أصل عظيم .
4 ذات الأقير : جبل بنعمان .
5 لا يفجر الله : لا يفجر بالله .

ولهم يقول أبو خِراش : [من الرجز]

إنِّـــي امـــرؤٌ أسْأَلُ كيما أعلَما مَنْ شَرُّ رَهْطٍ يَشْهَدُونَ الموسِما ؟

وجدتُهــم ثُمالــةَ بنَ أَسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول : [من الرجز]

إليـــكِ أُمَّ ذِبَّـــــان مـا ذاكِ من حلْبِ الضَّانْ

لكــن مِصــاع الفِتيـانْ بكـــلّ لِيْــنٍ حَــرَّانْ

[خبر أخيه عروة وابنه خراش]

قال : وأمّا عروةُ بنُ مرّة وخراشُ بن أَبي خراشٍ فأَخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال ، وكانوا متجاورين ، فخرج عروة بن مرّة وابن أبي خراش أخيه مغيرَيْنِ عليهم طمعاً في أن يظفروا من أَموالهم بشيءٍ ، فظفِرَ بهما الثماليون ، فأمّا بنو رِزام فنهوْا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلاّ قتلَهما ، حتى كاد يكون بينهم شرّ ، فأَلقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عروة ، ثم قال له : انجُ ، وانحرَفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل ، وكانوا أسلموه إليه ، فقالوا : أيْنَ خِراش ؟ فقال : أفلتَ منّي فذهب ، فسعى القوم في أثره ، فأعجزهم ، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عُروةَ ، ويذكر خَلاصَ ابنه : [من الطويل]

حمدتُ إلَهي بعــد عُــروةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشر أَهونُ من بعضِ

فــواللهِ لا أَنسى قتيـــلاً رُزِيتــه بجانب قَوْسَي ما حييتُ على الأرضِ[1]

بـــلى إنّهـــا تَعفـــو الكلــومُ وإنّما نُوكَّلُ بالأَدْنى وإن جلَّ مـا يَمضي

ولم أَدرِ مَـــن أَلْقـــى عليـــه رداءَهُ سوى أَنّه قــد سُلَّ عن ماجِد محضِ[2]

ولم يَـــكُ مثلـــوجَ الفـــؤاد مهبَّلاً أَضاع الشبابَ في الرَّبيلَةِ والخفضِ[3]

ولكنّـــهُ قـــد نازعتـــه مَجاوِع على أَنّه ذو مــرّة صادق النهضِ[4]

قال : ثم إنّ أَبا خراش وأَخاه عروة استنفرا حيّاً من هذيل يقال لهم بنو زُلَيْفَة بن صَبيح ليغزوا ثُمالَة بهم طالبَين بثأر أخيهما ، فلمّا دَنوَا من ثمالة أصاب عروةَ وِرْدُ حُمَّى ، وكانت به

1 حييت في ديوان الهذليين 158/2 : ما مشيت .

2 أنه في ديوان الهذليين 158/2 : ولكنّه .

3 مهبلاً في ديوان الهذليين 158/2 مهبّجاً والمهبَّج : المثقل . والمهبّل من القول : هبَلتك أُمّك أي ثكلتك . ومثلوج الفؤاد : ضعيف الفؤاد . الربيلة والخفض : معناهما واحد أي الدعة ؛ والربيلة ، كثرة اللحم وتمامه .

4 مجاوع في ديوان الهذليين 158/2 مخامص .

حُمَّى[1] الرِّبْع فجعل عروة يقول : [من الرجز]

أَصبحتُ مـوروداً فقرِّبـوني إلى سواد الحـيِّ يَدْفِنـوني

إنَّ زهيـراً وسطَهـم يَدعـوني رَبَّ المخـاض واللِّقاحِ الجُونِ

فلبِثوا إلى أن سكنتْ الحمّى ، ثم بَيَّتوا ثُمالةَ ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال ، فقتلوا مَن وجدوا من الرجال ، وساقوا النساء والذراريَّ والأموال ، وجاء الصائح إلى ثُمالةَ عشاء ، فلحقوهم ، وانهزم أبو خراش وأصحابُه ، وانقطعت بنو زُليفة ، فنظر الأَكنَعُ الثُّماليّ ، وكان مقطوعَ الأصبع ، إلى عروة فقال : يا قوم ، ذلك والله عروة ، وأنا والله رام بنفسي عليه ، حتى يموت أحدنا ، وخرج يمعج[2] نحو عروةَ ، فصاح عروة بأبي خراش أخيه : أي أبا خراش ، هذا والله الأَكنعُ وهو قاتِلِي ، فقال أبو خراش : أُمضِه[3] ، وقعد له على طريقه ، ومرّ به الأَكنع مصمّماً على عروة ، وهو لا يَعْلَم بموضع أبي خراش ، فوثب عليه أبو خراش ، فضربه على حبْل عاتقه حتى بلغت الضَّرْبة سَحَرَه[4] ، وانهزمت ثُمالةُ ، ونجا أبو خراش وعروة . وقال أبو خراش يرثي أخاه ومَن قتلته ثمالةُ وكنانةُ من أهله ، وكان الأصمعيّ يفضّلها : [من الطويل]

فَقَدْتُ بنـي لُبْنى فلمّـا فقدتُهم صبَرتُ فلم أَقطعْ عليهم أَباجلي[5]

الأَبجَل : عرق في الرِّجل .

رماحٌ مـن الخطِّيِّ زُرْقٌ نِصالُها جِـدادٌ أَعاليهـا شِدادُ الأَسافلِ

فلَهفي على عمرٍو بن مُـرَّة لهفةً ولَهْفي على مَيْـتٍ بقَوسى المعاقلِ

حِسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجُزاتُهُم كريمٌ نَثاهم غيرُ لُـفٍّ مَعازِلِ[6]

قتلـتَ قتيـلاً لا يُحالِفُ غَدْرَةً ولا سُبَّةً لا زِلـتَ أَسفلَ سافلِ

وقـد أَمِنُوني واطمأنَّت نفوسُهم ولم يعلموا كلَّ الذي هـو داخلي

1 حمّى الربع : التي تُصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود إليه في اليوم الرابع .
2 يمعج : يسرع .
3 أُمضه : اجعله يمضي خلفك .
4 السّحر : ما اتصل بالحلقوم من رئة وغيرها .
5 بني لُبنى : إخوته لأنّ اسم أمهم جميعاً لبنى ما عدا سفيان .
6 حُجزات : جمع حُجزة وهي موضع التكة من السراويل . والنثا : الحديث . لف : جمع ألف ، وهو الثقيل البطيء ، أو ألفه العييّ ، المعازل ، المجردون من السلاح .

فمَن كان يرجو الصلْحَ مِنِّي فإنّه كأَحمرِ عـاد أَو كُلَيْبِ بـن وائلِ
أُصيبتْ هُذيلٌ يا ابن لُبْنى وجُدِّعت أُنوفُهُـــمُ باللَّوْذعـيِّ الحُلاحِلِ
رأَيتُ بنـي العَلاَّتِ لَمّـا تضافروا يَحوزون سَهْمي دونَهمْ بالشَّمائلِ

[أخبار إخوته]

قالوا : وأمّا أَبو الأَسود فقتلته فَهْمٌ بَياتاً تحت الليل ، وأَمّا الأَبحُّ فكان شاعراً ، فأَمسى بدار بَعْرَعَرَ من ضِيمٍ ، فذكر لسارية بن زنيمٍ العبديّ أحدِ بني عبد بن عَديٍّ بن الدِّيل ، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومَن معه ، فوجدوهم قد ظعنوا . وكان بينَ بني عبدِ بن عديّ بن الدِّيل وبينهم حرب ، فقال الأَبَحُّ في ذلك : [من الوافر]

لعمرُكَ سارِيَ بْـنَ أَبي زُنَيْمٍ لأَنْـتَ بعَرْعَـرَ الثأْرُ المنيمُ[1]
تركتَ بني معاويةَ بنِ صخرٍ وأَنت بمربَعٍ وهُـمُ بضِيمِ
تُساقيهمْ على رَصَفٍ وظُـرٍّ كدابغـةٍ وقـد حَلِم الأَديمُ[2]

رَصَفٌ وظُرٌّ : ماءان ، ومربع وضِيم ، موضعان .

فلـم نتركهُمُ قصداً ولكنْ فرِقْتَ من المصالِتِ كالنّجومِ
رأَيتَهمُ فـوارسَ غيرَ عُـزْلٍ إذا شَرِقَ المُقاتِـلُ بالكُلومِ

فأَجابه سارية ، فقال : [من الوافر]

لعلّك يا أَبَـحُّ حسِبْتَ أَنّي قتلتُ الأَسودَ الحسَن الكريما
أَخذتُـمْ عقلَـه وتركتُمُـوه يسوق الظُّمْيَ وَسْطَ بني تميما[3]

عيَّرهم بأخذ دية الأسود بن مرّة أخيهم ، وأنّهم لم يدركوا بثأْره ، وبنو تميم من هذيل .

قالوا : وأمّا جُنادة وسفيان فماتا ، وقتل عمرو ، ولم يُسَمَّ قاتِلُه . قالوا : وأمّهم جميعاً لُبْنى إلاّ سُفيان بن مرّة ، فإنّ أُمّه أُمّ عمرو القِرْدِيَّة ، وكان أَيْسَرَ القوم وأكثرَهم مالاً .

وقال أبو عمرو : وغزا أبو خراش فهماً ، فأصاب منهم عجوزاً ، وأتى بها منزل قومه ،

1 ساري : ترخيم سارية . عرعر : مكان . الثأر المنيم : الثأر الذي أدركه أهله استراحوا وناموا . في هذا البيت والثالث إقواء .

2 المساقاة : المسالمة والمصافاة . وحلم : أصابته الحلمة وهي دودة تأكل الجلد ، فإذا دبغ وهى موضع الأكل . وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 150/2 وجمهرة الأمثال للعسكري 35/2 ، 158 ، والمستقصى للزمخشري 216 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 343 .

3 عقله : ديته . الظُّمي : جمع ظمياء ، وهي الناقة القليلة لحم الفخذين .

فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيَك ، وانطلق لحاجته ، فأدخلتْهُ بيتاً صغيراً ، وأغلقت عليه ، وانطلقت ، فجاء أبو خراش ، وقد ذهبت ، فقال : [من الطويل]

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثُمَّ يَمَّمتَ بني فالج بالليث أهلَ الخزائمِ

الدولج : بيت صغير يكون للبُهْم ، والليث : ماء لهم ، والخزائم البقر واحدتها خَزُومَة .

وقالت له : دَنِّخْ مكانَكَ إنّني سألقاكَ إن وافيتَ أهلَ المواسمِ

يقال : دَنَّخَ الرجلُ ودَمَّخَ إذا أكبَّ على وجهه ويديه .

وقال أبو عمرو : دخلت أُميمةُ امرأةُ عروَة بن مرّة على أبي خِراش وهو يلاعب ابنه فقالت له : يا أبا خراش تناسَيْتَ عُروةَ ، وتركت الطلبَ بثأرِه ، ولهوتَ مع ابنك ، أما والله لو كنتَ المقتول ما غَفل عنك ، ولطلب قاتلكَ حتى يقتلَه ، فبكى أبو خِراش ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

لعمري لقد راعتْ أُميمةَ طلعَتي وإنّ ثَوائـي عندهـا لقليـلُ
وقالـت : أُراه بعد عُـرْوة لاهِياً وذلك رُزْءٌ لـو علمْـت جليلُ
فـلا تحسبي أنِّي تناسيْتُ فقْدَهُ ولكـنَّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ[1]
أَلم تعلمي أنْ قَـدْ تفرّق قبلَنا نديمـاً صفـاءٍ مالكٌ وعَقيلُ[2]
أَبى الصبرَ أَنّي لا يزال يَهيجُني مبيتٌ لنـا فيمـا خـلا ومَقيلُ
وأنِّي إذا ما الصُّبحُ آنَسْتُ ضوءَه يعـاودني قُطْـعٌ عـليّ ثقيلُ[3]

قال أبو عمرو : فأمّا أبو جُندب أخو أبي خراشٍ فإنّه كان جاور بني نُفاثةَ بن عديّ بن الدِّيل حيناً من الدهر ، ثم إنّهم همُّوا بأن يغدِروا به ، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة ، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة ، وإذا به كُلُومٌ ، فقال له أبو جندب : ما لك ؟ فقال : ضربني رجل من جيرانك ، فأقبل أبو جندب ، حتى أتى جيرانَه من بني نفاثة ، فقال لهم : يا قوم ، ما هذا الجِوار ؟ لقد كنت أرجو من جوارِكم خيراً من هذا ، أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا ؟ .

فقالوا : أَو لم يكن بنو لحيان ، يقتلوننا ، فواللهِ ما قَرتْ دماؤنا ، وما زالت تَغلي ، والله إنّك

---

1 صدر البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : ولا تحسبي أنّي تناسيت عهده

2 عجز البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : خليـلا صفـاء مالـكٌ وعقيل
ومالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش .

3 القُطع : انقطاع النفس وضيقه .

للثّار المُنيم ، فقال : أما إنّه لم يُصِبْ أخي إلاّ خَيْر ، ولكنّما هذه معاتبة لكم ، وفَطِن للذي يريد القومُ من الغدر به ، وكان بأسفل دفاق[1] ، فأصبحوا ظاعنين ، وتواعَدُوا ماء ظَرٍّ[2] ، فنَفَذ الرجالُ إلى الماء ، وأخرّوا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا ، واتّخذوا الحِياضَ للإبل ، فأمر أبو جندب أخاه جُنادةَ وقال له : اسْرَح مع نَعَم القوم .

ثم توقَّفْ ، وتأَخَّرْ ، حتى تمرّ عليك النَّعَم كلُّها ، وأنت في آخرها سارحٌ بإبلك ، واتركها متفرقة في المرعى ، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك ، واطرُدها نحو أرضنا ، ومَوعدُك نجد أَلْوذَثَنِيّة ، في طريق بلاده ، وقال لامرأته أُمّ زِنباع وهي من بني كلب بن عوف : اظعَني وتمكَّثي ، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء .

ثم تَوجَّهي ، فموعدُك ثَنيَّة يَدعانَ من جانب النخلة ، وأخذ أبو جندب دَلوه ، وَورد مع الرجال ، فاتّخذ القومُ الحياض ، واتّخذ أبو جندب حوضاً ، فملأه ماء ، ثم قعد عنده ، فمرّت به إبل ثمّ إبل ، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون : قد بلغتْ ، تركناها بالضَّجْن[3] .

ثم قدمت النساء كلّما قدمت ظعينة سألها عن أهله ، فيقولون : بَلَغَتْكَ تركناها تظعن ، حتى إذا وَرد آخرُ النَّعم وآخرُ الظّعن قال : والله لقد حَبَس أهلي حابسٌ ، أبصِرْ يا فلان ، حتى أستأنِس أهلي وإبلي ، وطرح دلوه على الحوض . ثم ولّى ، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم ، فقال أبو جندب في ذلك : [من الوافر]

أَقــول لأُمِّ زِنْبــاعٍ أَقيمي ... صُدورَ العِيسِ شطرَ بني تميمِ
وغَرَّبْــتُ الدّعاءَ وأَيْنَ منِّي ... أُنــاسٌ بـين مـرَّ وذي يَدومِ

غربت الدُّعاء : دعوت من بعيد .

وَحَيٍّ بالمناقب قـد حَمَوْهـا ... لدى قُرَّانَ حتى بطنِ ضِيمِ
وأَحياءٍ لـدى سعْدِ بن بكر ... بأَمــلاحٍ فظاهــرةِ الأَديمِ[4]
أولئِكَ معشري وهُمُ أُرومي ... وبعض القوم ليس بذي أُرومِ[5]
هنالِكَ لو دَعَوْت أتاك منهم ... رجــالٌ مثــل أَرمِيةِ الحميمِ

الأَرْمِيَةُ : السحاب الشديد الوقع ، واحدها رَمِيّ ، والحميم : مطر القيظ .

---

1 دفاق : مكان .
2 ظرّ : ماء .
3 الضجن : واد في بلاد هذيل بتهامة .
4 المناقب ، وقُرّان ، وبطن ضيم ، وأملاح ، وظاهرة الأديم : أمكنة بها آله وأنصاره .
5 الأروم : أصل الشجرة .

أَقَــلَّ اللهُ خَيْرَهُــم أَلَمَّــا ... يَدَعْهُم بعضُ شرِّهُـم القديمِ
أَلَمَّــا يَسلم الجيرانُ منهــم ... وقد سال الفِجاج من الغميمِ[1]
غـداةَ كأنَّ جنَّادَ بـن لُبنى ... بـه نضخُ العبيرِ من الكُلومِ[2]
دعــا حَوْلي نُفاثةُ ثم قالوا : ... لعلّــك لسْتَ بالثّـأرِ المنيمِ

المنيم : الذي إذا أُدْرِكَ استراح أهله وناموا .

نعْوا مَــنْ قَتَّلَتْ لِحَيانُ منهم ... ومــن يغترُّ بالحــرْبِ القرومِ

قالوا جميعاً : وكان أبو جندب ذا شرٍّ وبأْس ، وكان قومه يسمّونه المشئوم ، فاشتكى شكوى شديدة ، وكان له جار من خزاعة يقالُ له حاطِم ، فوقعت به بنو لحيان ، فقتلُوه قبلَ أن يَسْتَبِلَّ[3] أبو جندب من مرضه ، واستاقوا أموالَه ، وقتلوا امرأته ، وقد كانَ أبو جُنْدب كلّم قومَه ، فجمعوا لجاره غنماً ، فلمّا أفاق ابو جندب من مرضه خرج من أهله ، حتى قدِم مكّة ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن ، وقد شقَّ ثوبَه عن استْه ، فعرف النّاس أنّه يريد شرّاً ، فجعلَ يصيح ويقول : [من الرجز]

إنّي امــرؤٌ أبكي على جاريَّــهْ ... أبكـــي على الكعبيِّ والكعبيَّهْ
ولــو هَلكـــتُ بَكَيــا عليَّــهْ ... كانا مكانَ الثوب من حَقْوِيَّهْ[4]

فلمّا فرغ من طوافه ، وقضى حاجتَه من مكّة خرج في الخُلَعاء من بكر وخزاعة ، فاستجاشهم على بني لحيانَ ، فقتل منهم قتلى ، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبَايا ، وقال في ذلك : [من الوافر]

لقــد أَمسى بنو لِحْيان منّي ... بحمـد الله في خِـزْيٍ مُبِـينِ
تركتهمُ على الرّكَباتِ صُعْراً ... يُشيِبُون الذّوائــب بــالأنينِ

[يشكو إلى عمر فراق ابنه]

أخبرني هاشِم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأَصمعيّ قال : حدَّثني عمِّي قال : هاجر خِراشُ بن أبي خراش الهذليّ في أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وغزا مع المسلمين ، فأوغل في أرض العدوّ ، فقدِم أبو خراش المدينة ، فجلس بين يدي عمر ،

1 الغميم : نوع من اللبن ، أو من النبات .
2 العبير : الكثير .
3 يستبل : يتم شفاؤه .
4 الحقو : الخصر .

وشكا إليه شوقَه إلى ابنه ، وأنّه رجل قد انقرضَ أهلُه ، وقُتِل إخوته ، ولم يبقَ له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش ، وقد غزا وتركه ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَلا مَن مُبلغٌ عنّي خِراشاً ... وقد يأْتيك بالنّبأ البعيدُ
وقد يأتيكَ بالأَخبارِ مَنْ لا ... تُجَهِّزُ بالحِذاءِ ولا تُزِيدُ

تُزيد وتُزوِّد واحد ، من الزاد .

يُناديه ليَغْبِقَه كَلِيبٌ ... ولا يأتي ، لقد سَفُه الوليدُ[1]
فردَّ إناءَه لا شيءَ فيه ... كأنّ دموعَ عينيه الفَريدُ[2]
وأَصبحَ دون غابِقِه وأمسى ... جبالٌ من حِرارِ الشام سُودُ
أَلا فاعلم خِراشُ بأنَّ خيرَ المها ... جر بعد هجرته زهيدُ
رَأيتكَ وابتغاءَ البرِّ دوني ... كمحصور اللَّبان ولا يصيدُ[3]

قال : فكتب عمر رضي الله عنه بأن يُقبِل خراش إلى أبيه ، وألاّ يغزوَ مَن كان له أَب شيخ إلاّ بعد أن يأذَنَ له .

[مصرعه]

أَخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّةَ : قال : حدَّثنا الأَصمعيّ ، وأَخبرني حبيبُ بن نصر ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا عليّ بن الصبّاح ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه .

وأَخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أُبو غسّانَ دَماذُ : قال أَبو عبيدة : وأَخبرني أَيضاً هاشم ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأَصمعيّ ، عن عمِّه ، وذكره أبو سعيد السكريّ في رواية الأَخفش عنه عن أصحابه ، قالوا جميعاً : أسلم أبو خراش فحسُن إسلامه ، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدِمُوا حُجَّاجاً ، فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد ، فقال : يا بني عمِّي ، ما أمسى عندنا ماء ، ولكن هذه شاة وبُرمة وقِربة ، فرِدُوا الماء ، وكلوا شاتكم ، ثم دَعُوا بُرْمتَنا وقِربتنا على الماءِ ، حتى نأخذها ، قالوا : والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه ،

---

1 يغبقه : يسقيه الماء .
2 الفريد : اللؤلؤ .
3 في ديوان الهذليين 2/171 :
فإنك وابتغاء البر بعدي ... كمخضوب اللبان ولا يصيد
واللّبان : الصدر . والمحصور : المشدود .

وما نحن ببارحين حيث أمسينا ، فلمّا رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استَقى ، ثم أقبل صادراً ، فنهشتْه حيّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبلَ مُسْرِعاً حتى أعطاهم الماء ، وقال : اطْبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلِمهم بما أصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، وقال وهو يعالج الموت : [من الوافر]

لعمـرُكَ والمنايـا غالبـاتٌ ... على الإنسانِ تطلُع كلَّ نجدِ
لقد أهلكْتِ حيّـةَ بطنِ أنفٍ ... على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فقدِ[1]

وقال أيضاً : [من الوافر]

لقد أهلكتِ حيّةَ بطن أنفٍ ... على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فضلِ
فما تركتْ عدوّاً بين بُصْرى ... إلى صنعـاءَ يطلبُـهُ بذَحْلِ[2]

قال : فبلغ عُمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه خَبَرُه ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تكون سُبَّة لأمَرْتُ ألاّ يُضافَ يمانٍ أبداً ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إنّ الرجل لَيَضيف أحدَهم ، فيبذل مجهودَه فيسخطَهُ ولا يقبله منه ، ويطالبُه بما لا يقدر عليه ، كأنّه يطالبه بدين ، أو يتعَنّته ليفضَحَه ، فهو يكلفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً ، وقتله ، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغَرِّمَهم دِيَتَه ، ويؤدِّبهم بعد ذلك بعقوبة تمسّهم جزاءً لأعمالهم .

صوت

[من الطويل]

تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا يُنسيك نَأْيٌ ولا شُغلُ
كبيضةِ أُدحـيٍّ بِميثِ خميلةٍ ... يحفّفهـا جَـوْنٌ بجؤجؤه صَعْلُ[3]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى ، عن ابن المكّيّ .

1 أنف : مكان . وفي ديوان الهذليين 2 : 172 : ساقاً بعد فقد .
2 الذَّحل : الثأر .
3 الأدحي : مبيض النعام . وميث خميلة : خميلة ممطورة . والصعل : الطويل .

[455] ـ أخبار ابن داره ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن مُسافِع بن دارة ، وقيل : بل هو عبد الرحمن بن رِبْعيّ بن مسافع بن دارة ، وأخوه مسافع بن دارة ، وكلاهما شاعر ، وفي شعريهما جميعاً غناء يُذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين . فأمّا سالم فمخضرم قد أدرك الجاهليّة والإسلام . وأمّا هذان فمن شعراء الإسلام ، ودارة لقب غلب على جدّهم ، ومسافع أبوهم ، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقّب بدارةَ بنِ كعب بن عديّ بن جُشَمَ بن عوف بن بُهْثَةَ بن عبد الله بن غطفان بن سعيد بن قيس عيلان بن مضر . وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللصّ وقتلِه وكان نديماً له وأخاً .

[يستعدي قومه على بني أسد]

أخبرني بخبره هاشمُ بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسانَ دماذٌ ، عن أبي عبيدة قال : لمّا أُخِذ السمهريّ العكليّ وحُبِس وقُتِل ، وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع ابن دارة ، فقُتِل بعد طول حبس ، فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويُحرّض عليهم عُكْلاً .

صوت

[من الطويل]

إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أَتى ... لعينيكَ من طولِ البكاء على جُمْلِ
تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تُسْلى بنأْيٍ ولا شُغْلِ
كبيضة أُدحيٍّ بميْثٍ خميلةٍ ... يُحَفِّفها جَوْن بجؤجؤه الصَّعلِ
وما الشمسُ تبدو يومَ غيم فأَشرقَتْ ... على الشّامة العنقاء فالنِّير فالذبلِ[2]
بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجب ... بأَحسن منها يوم زالت على الحمْلِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 401–403 ، والمؤتلف : 116 والحماسة 1 : 366–372 ، والإصابة 3 : 161–162 والخزانة 1 : 289–294 ، 557–558 .

2 الشامة : أرض بها علامة سوداء ، وعنقاء : طويلة العنق . النير والذّبل : من جبال ضرية .

يقولـون : إزْلٌ حُبُّ جُمْـلٍ وقُرْبُها ... وقـد كذبوا مـا في المودّة من إزلِ
إذا شحَطتْ عنّـي وجـدتُ حرارة ... على كبِدي كادت بهـا كَمداً تغلي
ولم أرَ محزونـيـنَ أجمـلَ لوعـةً ... على نائبات الدّهرِ منّي ومن جُملِ
كلانا يـذود النفسَ وهْـي حزينـة ... ويُضمِرُ وجـداً كالنوافـذِ بالنبلِ[1]
وإنّي لَمُبلِـي اليأسِ من حُبِّ غيرها ... فأمَّا على جُمْـلٍ فإنّـيَ لا أُبلي[2]
وإنَّ شفاءَ النفسِ لو تُسْعِفُ المنى ... ذواتُ الثنايا الغُـرّ والحَـدَقِ النُّجلِ
أُولئـك إن يَمْنَعْـنَ فالمنعُ شِيمـةٌ ... لهنَّ وإنْ يُعْطِـينَ يُحْمـدن بالبذلِ
سأَمسِك بالوصلِ الذي كان بيننا ... وهل تركَ الواشون والنأْيُ من وصلِ
ألا سَقِّيـاني قهـوةً فارسيّـةً ... من الأَوَّل المختوم ليست من الفضلِ[3]
تُنسِّي ذوي الأَحلامِ واللبِّ حلمَهم ... إذا أزبدت في دَنِّهـا زَبـدَ الفحلِ
ويـا راكبـاً إمَّـا عرضت فبلِّغَنْ ... عَلى نأْيهـم منّـي القبائلَ من عُكْلِ
بـأَنَّ الذي أُمست تجمجم فقعَسٌ ... إسارٌ بـلا أَسْرٍ وقتـلٌ بـلا قتلِ
وكيف تنـام الليلَ عُكلٌ ولم تَنَل ... رِضى قَودٍ بالسمْهريِّ ولا عقلِ ؟[4]
فلا صلحَ حتى تَنْحِط الخيلُ في القنا ... وتوقدَ نارُ الحربِ بالحطب الجزلِ[5]
وَجُـرْدٍ تَعـادى بالكمـاة كأَنّهـا ... تُلاحِـظ مـن غيظٍ بأَعينَها القُبْلِ[6]
عليهـا رجـال جالدوا يوم مَنْعِجٍ ... ذوي التاج ضرّاً والملوكِ على الوَهْلِ[7]
بضربٍ يُزيـل الهـامَ عن مستقرِّه ... وطعـنٍ كأَفـواه المفرّجة الهُدْلِ[8]
عـلامَ تُمشِّي فقعسٌ بدمائكـم ... وما هي بالفَرع المُنيفِ ولا الأَصلِ ؟[9]

---

1 النوافذ : السهام النوافذ .
2 إبلاء اليأس يعني الرجاء .
3 الأوّل المختوم : الدنّ المعتق .
4 عكل : قبيلة . والعقل : الدية .
5 نحطت الخيل : زفرت وصاتت من الإعياء .
6 القُبْل : الحول .
7 الوهل : الفزع .
8 المفرجة الهدل : القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها .
9 نمشي بدمائكم : نذهب بها بلا قود . المنيف : العالي المرتفع .

وكنّا حسبنا فقعساً قبل هذه … أذلَّ على وقع الهوان من النّعلِ
فقد نظرتْ نحو السماءِ وسلَّمَتْ … على النّاس واعتاضت بخِصْبٍ من المحلِ
رمى الله في أكبادكم أن نجت بها … شِعابُ القِنان من ضعيفٍ ومن وَغْلِ[1]
وإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكم … فكونوا نِساءً للخَلوقِ وللكُحْلِ[2]
وبيعوا الرّدينياتِ بالحَلْي واقْعدُوا … على الذلّ وابتاعوا المغازل بالنّبلِ
ألا حبّذا من عندَهُ القلبُ في كَبْلٍ … ومَنْ حُبّه داءٌ وخَبْلٌ من الخبلِ
ومَن هو لا يُنسى ومَنْ كلُّ قَولِه … لدينا كطعم الراح أو كجَنى النّحلِ
ومن إن نأى لم يحدث النأيُ بُغْضَه … ومن إن دنا في الدارِ أُرْصِدَ بالبَذْلِ[3]

[خبر السمهريّ مع نديمه ومصرعه]

وأمّا خبر السمهريّ ومقتلُه فإنّ عليَّ بنَ سليمانَ الأخفشَ أخبرني به قال : حدَّثنا أبو سعيد السّكَّرِيُّ قال : حدَّثنا محمدُ بن حبيبٍ ، عن أبي عمْرِو الشيبانيِّ قال : لقِي السّمهريُّ بن بشر بن أُقَيْشَ بن مالك بن الحارث بن أقيشَ العكليّ ويكنى أبا الديل هو وبهدلٌ ومَروانُ بن قرفة الطائيان عونَ بن جعدةَ بن هبيرة بن أبي وَهْبِ بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ومعه خالُه : أحدُ بني حارثةَ بن لأم من طيىء بالثعلبيّة ، وهو يريد الحجّ من الكوفة ، أو يريد المدينة ، وزعم آخرون أنّهم لقُوه بين نخل والمدينة ، فقالوا له : العُراضة ، أي مر لنا بشيء فقال : يا غلامُ ، جَفِّنْ هم[4] ، فقالوا : لا والله ، ما الطعام نريد ، فقال : عرِّضْهم[5] ، فقالوا : ولا ذلك نريد ، فارتاب بهم ، فأخذ السيف فشدّ عليهم ، وهو صائم ، وكان بَهْدَل لا يسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده ، فلما قتلوه ندموا ، فهربوا ، ولم يأخذوا إبلَه ، فتفرّقت إبلُهُ ، ونجا خالُه الطائيّ ، إمّا عرفوه فكفّوا عن قتله ، وإمّا هرب ولم يعرف القَتَلة ، فوجد بعضَ إبله في يدي شافع بن واتر الأسديّ .

وبلغ عبدَ الملك بن مروانَ الخبرُ فكتب إلى الحجّاج بن يوسف ، وهو عاملُه على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتَلَة عَوْن ،

1 القِنان : جمع قُنّة . والوغل : النذل الساقط .
2 الخلوق : نوع من الطيب .
3 أرصد بالبذل : كوفيء . ببذل الود ونحوه .
4 جفّن لهم : املأ الجفنة لهم طعاماً .
5 عرضهم : من العراضة بمعنى الهدية .

ويبالغوا في ذلك ؛ وأن يأخذوا السُّعاة به أشدّ أخذ ، ويجعلوا لمَن دَلَّ عليهم جُعلَه ، وانْشام[1] السمهريّ في بلادِ غطفان ما شاء الله .

ثم مرّ بنخلٍ ، فقالت عجوز من بني فزارة : أظنّ والله هذا العكليَّ الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه ، فأخذوه ، ومرَّ أيّوب بن سلمة المخزوميّ بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العُكليّ قاتل عون ابن عمِّك ، فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزوميّ عاملَ عبد الملك على المدينة ، فجحد وأبى أن يقرّ ، فرفعه إلى السجن فحبسه .

وزعم آخرون أنّ بني عُذرة أخذوه فلمّا عُرِفت إبلُ عون في يدي شافع بن واترٍ اتّهموه بقتله ، فأخذوه ، وقالوا : أنت قِرفَتُنا[2] ، قتلتَ عوناً ، وحبسوه بصلّ : ماء لبني أسد ، وجَحَد ، وقد كان عرف مَنْ قتله ، إمّا أن يكون كان معهم ، فورّى عنهم ، وبرأ نفسه ، وإمّا أن يكون أودعوها إيّاه ، أو باعوها منه ، فقال شافِعٌ : [من الطويل]

فإنَّ سرَّكم أن تعلموا أين ثأرُكم … فسلمى معانٌ وابن قِرفة ظالِمُ
وفي السجن عُكْليٌّ شَريك لبهدل … فولُّوا ذُبابَ السّيفِ مَن هو حازمُ
فواللهِ ما كنّا جُناةً ولا بنا … تأوّب عوناً حتفُه وهو صائمُ[3]

فعرفوا مَن قتَلَه ، فألحُّوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهريّ في القيود والسجن ، وجَحَد ، فلمّا كان ذلك من إلحاحهم على السمهريِّ أيقنت نفسُه أنّه غير ناج ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلمّا كان يوم الجمعة والإمام يخطب ، وقد شُغِل النّاس بالصلاة فكَّ إحدى حلقَتَيْ قيده ، ورمى بنفسه من فوق السجن ، والنّاس في صلاتهم ، فقصد نحو الحرّة ، فولج غاراً من الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه ، وغلقوا أبوابهم ، وقال لهم الأمير : اتّبعوه فقالوا : وكيف نتبعه وَحْدَنا ، فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأبُلّيّين ؛ وهم حرس وأعوان من أهلِ الأُبُلّة ، فأعجزهم الطلبُ ، فلمّا أمسى كسر الحلقة الأُخرى ، ثم هَمَس[4] ليلته طَلقا ، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينا هو يمضي إذ نَعب غراب عن شماله ، فتطيَّر ، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشْنِش[5] ريشَه ، ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى ، وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لقي راعياً

---

1 انشام في بلاد غطفان : دخل فيها .

2 القرفة : من تتهمه بشيء .

3 تأوّبه حتفه : أصابته منيته .

4 همس : سار بالليل بلا فتور .

5 نشنش الطائر ريشه : نتفه نتفاً خفيفاً بمنقاره .

في وجهه ذلك ، فسأله : مَن أَنت ؟ قال : رجل من لِهْب من أَزْد شنوءة أَنتجع أَهلي ، فقال له : هلْ عندَك شيءٌ من زَجْر قومِك ؟ فقال : إنّي لآنس من ذلك شيئاً أي لأبصر ، فقصّ عليه حاله غير أنّه وَرَّى الذَّنْبَ على غيره والعيافة ، وخبَّرَه عن الغراب والشجرة ، فقال اللّهبيّ : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يَطرحُ ريشه سَيُصْلَب ، فقال السمهريّ : بفيك الحجر ، فقال اللهبيّ : بل بفيك الحجر ، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضَب . ثم مضى حتى اعترز في بلاد قضاعة ، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنّه توقّف يومه وليلته فيما يعمله ؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار . حتى أتى أرضَ عُذرةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلِب الرعيان اللبنَ ، فيحلبون له ، ولَقِيَه عبدُ الله الأَحدب السعديّ : أَحدُ بني مخزوم من بني عبد شمس ، وكان أَشدَّ منه وأَلصَّ ، فجنى جناية ، فَطَلِبَ ، فترك بلادَ تميم ، ولحق ببلاد قضاعة ، وهو على نجيبة لا تُسايَرُ ، فبينا السمهريّ يماشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ، ويسأله السمهريُّ عن ذلك ، وإنّما يسأله عن أَنْجاهُنَّ ليركبها ، فيهربَ بها ، لئلاّ يفارق الأحدب ، أشار له إلى ناقة ، فقال السمهريّ : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تجارى ، فتحيّن الغفلة ، فلمّا غفل وثب عليها ، ثم صاح بها فخرجت تَطير به ، وذلك في آخر الليل ، فلمّا أَصبحوا فقدُوها ، وفقدوه ، فطلبوه في الأثر . وخرجا حتى إذا كان حَجْرٌ عن يسارهما ، وهو واد في جبل ، أو شِبه الثقب فيه استقبلتهما سَعَةٌ هي أوسع من الطريق ، فظنّا أنّ الطريق فيها ، فسارا مليّاً فيها ، ولا نجم يأْتمان به ، فلمّا عرفا أنّهما حائِدان ، والتفت عليهما الجبال أمامهما ، وجدَّ الطلبُ إثر بعيريْهِما ، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنّه سيرجع ، فقعدوا له بفم الثقب ثم كرّا راجعَين ، وجاءت الناقة ، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامِها ، فلمّا أبصر القومَ همَّ أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ، ونزل الأحدب ، فقاتلهما القومُ ، حتى كادوا يغشَوْن السّمهريُّ فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم ، حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله : [من الطويل]

وما كنتُ مِحْياراً ولا فزِعَ السُّرى ... ولكن حِذا حجْرٍ بغيرِ دليلِ[1]

وقال الأَحدب في ذلك : [من الطويل]

لَمّا دعاني السمهريُّ أَجبتُه ... بأَبيضَ من ماءِ الحديد صقيلِ

وما كنتُ ما اشتدّتْ على السيْفِ قبضتي ... لأُسْلِمَ من حُبٍّ الحياة زميلي

وقال السمهريّ أيضاً : [من الطويل]

---

1 حذا حجر : مشيت بجانبه فأضلّني .

نجوتُ ونفسي عند ليلى رهينة وقد غمَّني داجٍ من الليل دامسُ
وغامسْتُ عن نفسي بأخلقَ مِقصلٍ ولا خيرَ في نفس امرىءٍ لا تُغامِسُ[1]
ولو أنَّ ليلى أبصرتنيَ غدوة ومَطْوايَ والصفَّ الذين أمارسُ
إذاً لبكت ليلى عليَّ وأعولت وما نالت الثوبَ الذي أنا لابسُ

فرجع إلى صحراء مَنعِج ، وهي إلى جنب أُضاخَ ، والحلّة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردّد ولا يقرب الحلّة ، وقد كان أكثر الجُعْلُ فيه ، فمرّ بابنَي فائد بن حبيب من بني أسد ، ثم من بني فَقعس فقال : أجيرا متنكّراً ، فحَلبا له ، فشرب ومضى لا يعرفانه ، وذهبا ، ثم لبث السمهريّ ساعة ، وكرَّ راجعاً فتحدث إلى أخت ابنَي فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدَّحة[2] ، وإذا كدوحٌ طريَّةٌ ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر ، فرأى ما أخبره أخوه ، فارتابا به ، فقال أحدهما : هذا والله السمهريّ الذي جُعِل فيه ما جعل ، فاتفقا على مضابرته[3] ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهريّ ، فألقى الذي على ظهره ، وقال : أتلعبان ؟ وقد ضبطَ رأسَ الذي كان على ظهره تحت إبطه ، وعالجه الآخر ، فجعل رأسَه تحت إبطه أيضاً ، وجعلا يعالجانه ، فناديا أُختَهما أن تعينهما ، فقالت : أَليَ الشِّرْك في جُعْلكما ؟ قالا : نعم ، فجاءت بجرير[4] فجعلته في عنقه بأُنشوطة ثم جذبته ، وهو مشغول بالرَّجُلين يمنعهما ، فلمّا استحكمت العقدة ، وراحت من عَلابِيِّهِ[5] خلى عنهما ، وشدَّ أحدُهما ، فجاء بصِرارٍ[6] ، فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر ، والأخرى تخنقه ؛ فخرَّ لوجهه ، فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المُرِّيّ ، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذِه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون : عدي ، فدُفِعَ إليه ، فقال السمهريّ : أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمّك أنا أم لا ؟ ادنُ أُخبرْك ، فأراد الدّنوَّ منه ، فنودِي : إيّاك والكلبَ ، وإنّما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله بعمّه . ولّما حبسه ابن حيّان في السجن تذكر زَجْر اللِّهْبِيّ وصدقَه ، فقال : [من الطويل]

1 غامست : خضت الحرب . وأخلق مقصل : سيف قاطع .
2 مكدحة : ذات خدش وسمجات .
3 مضابرته : جمعه وشدّه .
4 بجرير : بحبل .
5 العلاّبيّ : أعصاب العنق .
6 الصّرار : ما يشد به خلف النّاقة .

ألا أيّها البيتُ الذي أنا هاجِرُه فلا البيتُ منسيٌّ ولا أنا زائرُهْ
ألا طرقت ليلى وساقي رهينةٌ بأشهبَ مشدودٍ عليّ مَسامرُهْ
فإن أنجُ يا ليلى فربّ فتًى نجا وإن تَكنِ الأخرى فشيءٌ أحاذرُهْ
وما أصْدَق الطيْر التي بَرِحت لنا وما أعيفَ اللِهبيّ لا عزَّ ناصرُهْ
رأيتُ غُراباً ساقطاً فوق بانة ينشنشُ أعلى ريشه ويُطايرُهْ
فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى وبانٌ بِبَيْنٍ من حبيبٍ تُحاذرهْ
فكان اغترابٌ بالغراب ونِيةٌ وبالبانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لك طائرُهْ[1]

وقال السمهريّ في الحبس يُحرض أخاه مالكاً على ابنَي فائد : [من الطويل]

فمن مُبلغٌ عنِّي خليليَ مالكاً رسالة مشدود الوَثاق غريبِ
ومن مبلغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالكاً وأربابَ حامي الحفر رهطِ شبيبِ
ليُبْكوا التي قالت بصحراء مَنْعِج ليَ الشِّركُ يابني فائدِ بن حبيبِ
أتضرب في لحمي بسهم ولم يكن لها في سهام المسلمين نَصيبُ[2]

وقال السمهريّ يرقّق بني أسد : [من الطويل]

تمنّتْ سُليمى أن أقيلَ بأرضها وأنّى لسَلْمى ويْبها ما تَمَنَّتِ[3]
ألا ليتَ شعري هل أزورَنّ ساجراً وقد رَوِيَت ماءَ الغوادي وعلّتِ[4]
بني أسد هل فيكمُ من هَوادةٍ فتَغْفِرَ إن كانتْ بي النعل زَلَّتِ

وبنو تميم تزعم أنّ البيت لمرّة بن مَحْكان السعديّ .

وقال السمهريّ في الحبس يذمّ قومه : [من الطويل]

لقد جمع الحدّادُ بين عِصابة تسائل في الأقياد ماذا ذُنوبُها ؟
بمنزلة أمّا اللئيمُ فشامِتٌ بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها
إذا حَرَسيٌّ قَعقَعَ البابَ أُرْعِدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارت قلوبُها
ألا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي ولم أدرِ ما شُبّانُ عُكلٍ وشيبُها ؟

---

1 نيّة : من نوى بمعنى انتقل .
2 في البيت إقواء .
3 ويبها : ويحها .
4 ساجر : مكان باليمامة .

نبيلة «مَنْ» لا يقرع البابَ وفدُها   لخير ولا يَهْدي الصوابَ خطيبُها
نرى الباب لا نَسطيع شيئاً وراءه   كأنّا قُنِيٌّ أَسلَمَتْها كُعوبُها[1]
وإن تَكُ عُكلٌ سرَّها ما أَصابني   فقد كنتُ مصبوباً على ما يَرِيبها

وقال السمهريُّ أيضاً في الحبس : [من الطويل]

أَلا حيِّ ليلى إذ أَلَمَّ لِمامُها   وكان مع القوم الأعادي كلامُها
تعلَّلْ بليلى إنما أنتَ هامَةٌ   من الغدِ يدنو كلَّ يوم حِمامُها[2]
وبادرْ بليلى أَوجهَ الركب إنّهم   متى يرجعوا يَحْرُمْ عليك كلامُها
وكيف ترجِّيها وقد حِيلَ دونها   وأُقسم أَقوامٌ مَخوفٌ قِسامُها
لأَجْتَنِبَنْهَا أو لَيَبْتَدِرُنِّي   ببيضٍ عليها الأَثْرُ فَعْمٌ كِلامُها[3]
لقد طرقتْ ليلى ورِجْلي رهينةٌ   فما راعني في السجن إلاّ لِمامُها
فلمّا انتبهتُ للخيال الذي شرى   إذا الأَرضُ قَفْرٌ قد علاها قَتامُها
فإلاّ تكن ليلى طَوتْك فإنّه   شبيهٌ بليلى حُسنُها وقوامُها
أَلا ليتَنا نَحْيا جميعاً بغِبْطَةٍ   وتَبلى عظامي حين تبلى عِظامُها

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلا طرقتْ ليلى وساقي رَهينةٌ   بأَسمَر مشدودٍ عليّ ثقيلُ[4]
فما البينُ يا سلْمى بأَن تَشْحَطَ النّوى   ولكن بيناً ما يُريد عقيلُ
فإن أَنجُ منها أَنْجُ من ذي عظيمةٍ   وإن تكن الأُخرى فتلك سبيلُ

وقال أيضاً وهو طريد : [من الطويل]

فلا تيأسا من رحمةِ الله وانظُرا   بوادي جَبُونا أَن تَهُبَّ شَمالُ[5]
ولا تيأَسا أَن تُرْزَقا أَرِيحيّةً   كعِين المها أَعناقُهنَّ طِوالُ[6]

---

1 قُنيّ : جمع قناة ، وقناة الرمح أعلاه ، وكعبه : أسفله .
2 هامة الغد : قصير العمر .
3 الأَثْر : بريق السيف ورونقه .
4 الأسمر : القيد .
5 بوادي جبونا : مكان . تهب الشمال : تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج .
6 أريحية : خيلاً أريحية .

مِـــن الحارِثِيِّـــينَ الذين دِماؤهم حَـــرامٌ وأمّا مـا لَهُـم فحلالُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

أَلم تَـرَ أنّي وابنَ أَبيضَ قد جفت بنا الأَرضُ إلاّ أَنْ نَـوُمَّ الفَيافيا
طَريدَيْـن من حيَّيْنِ شتى أَشَدَّنا مخافَتُنـا حتـى نخلْنـا التّصافيا
وما لُمْتُـه في أَمـرِ حَزمٍ ونجدةٍ ولا لامني في مِرَّتـي واحتياليا
وقلتُ لـه إذْ حلَّ يسقى ويَسْتَقي وقد كان ضوءُ الصبح لِلَّيْلِ حاديا
لعمري لقد لاقت ركابُك مشْرَباً لئنْ هيَ لم تَضْبَـحْ عليهنَّ عاليا

[بعض أخباره]

وأُخِذتْ طَيِّيء ببهدلٍ ومروانَ أَخيه أَشدَّ الأَخْذ ، وحُبِسوا ، فقالوا : إن حُبِسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ، ولكن خلُّوا عنّا ، حتى نتجسَّسَ عنهما ، فنأتِيَكمْ بهما ، وكانا تأبّدا مع الوحش يَرْمِيان الصَّيْدَ فهو رزقهما . ولمّا طال ذلك على مروانَ هبط إلى راعٍ ، فتحدَّث إليه فسقاه ، وبسطه ، حتى اطمأنَّ إليه ، ولم يُشْعِرهُ أنّه يعرفه ، فجعل يأتيه بين الأيّام ، فلا ينكره ، فانطلق الراعي ، فأخبره باختلافه إليه ، فجاءَ معه الطلب ، وأكْمَنَهُم ، حتى إذا جاءَ مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه ، وحدَّثه فلم يشعُر حتى أطافوا به ، فأخذوه ، وأتَوْا به عثمانَ بنَ حيّان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فأعْطى الذي دلَّ عليه جُعْلَه ، وقتله .

[نهاية بهدل]

وأمّا بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغَ ذلك سَيِّداً من سلْمَى ، من طيىء ، فقال : قد أُخيفت طيِّىءٌ ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب ، فجاء حتى حَلَّ بأهله أَسفل تلك الهضبة ومعه أهْلاتٌ[1] من قَومه ، فقال لهم : إنّكم بعَيني الخبيث ، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ، وليُخلوا النساء ، فإنّه إذا رأى ذلك انحدرَ إلى القِباب ، وطلب الحاجة والعَلّ[2] فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أيّاماً ، فظَنَّ بهدل أنّهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم ، فانحدر إلى قُبّة السَّيِّد ، وقد أمَر النساء : إن انحَدَرَ إليكن رجل فإنّه ابنُ عمّكن ، فأطعمنه وادهنّ رأسَه .

وفي قبّة السيِّد ابنتان له ، فسألهما : مَن أنتما ؟ فأخبرتاه ، وأطعمتاه ، ثم انصرف فلمّا راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمّكما ، فجعل ينحدرُ إليهما ، حتى اطمأنَّ ،

1 أهلات : جمع أهل .
2 العل : الشراب .

وغسلتا رأسه ، وفَلَّتاهُ ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : أفلياه ، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرّة ، واعقدا خُصَلَ لِمَّتِه إذا نَعِس رويداً بخمْل القطيفة .

ثم إذا شدَدْتما عليه فاقلبا القطيفة على وجهه ، وخذا أنتما بشَعره من ورائه فَمُدَّا به إليكما ، ففعلتا ، واجتمع له أصحابه ، فكرّوا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها ، وشدّوا عليه ، فربطوه ، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان ، فقتله ، فقالت بنت بَهْدَل ترثيه : [من الطويل]

فيــا ضَيْعــةَ الفِتيــانِ إذ يَعتِلونه ... ببطن الشّرى مثل الفنيق المسدَّمِ[1]
دعا دعوة لّما أتــى أرضَ مالك ... ومَن لا يُجَبْ عند الحفيظة يُسلمِ[2]
أَما كان في قيسٍ من ابن حفيظةٍ ... من القوم طَلاَّبِ التِّرات غَشمْشمِ[3]
فيقتُل جَبراً بامـرىءٍ لم يكن بـه ... بــواءٍ ولكِــنْ لا تكايُلَ بالدّمِ[4]

وكان دَعا : يا لَمالك لِيَنتَزِعوه ، فلم يجبه أحد .

[مساجلة بينه وبين الكميت]

قال : ولّما قال عبدُ الرحمن بنُ دارة ابن عمّ سالم بن دارة هذه القصيدة يَحُضُّ عُكْلاً على بني فَقْعَس اعترض الكميت بن معروف الفقعسيّ ، فعيّره بقتل سالم حين قتله زُميل الفزاريّ ، فقال قوله : [من الطويل]

فلا تُكثِروا فيــه الضَّجاج فإنّـه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة : [من الطويل]

فيــا راكباً إمّا عرضْتَ فبلّغَـنْ ... مُغَلْغَلَــةً عنّي القَبائــلَ من عُكلِ
جلت حمماً عنها القِصافُ وما جلتْ ... قُشَيْرٌ وفي الشدّاتِ والحربِ ما يُجلي[5]
فإن يَكُ بـاع الفَقعسيُّ دماءَهم ... بوَكسٍ فقــد كانت دماؤكم تَغلي
وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم يكن ... لهـا قَــوَدٌ بالسّمْهريّ ولا عَقْلِ
رمى اللهُ في أكبادِهم إن نجتْ بها ... حروفُ القِنانِ من ذليلٍ ومن وغلِ

---

1 يعتلونه : يقتادونه بغلظة . الفنيق : فحل الإبل . والمسدّم : الهائج .
2 الحفيظة : الحرب .
3 الغشمشم : المقدام الذي يقتحم الحروب غير هيّاب .
4 جبر بن عبيد الذي دفع بهدلاً إلى السلطان فقتله . بواء : كفء . لا تكايل في الدم : لا تقدر الدماء بالكيل .
5 القصاف : فرس مشهورة لبني قشير . الحمم : ما خمد من النيران .

وكنّا حسبْنا فَقْعَساً قبل هـذه أذلَّ على طـولِ الهوانِ من النَّعلِ
فـإن أنتـمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا بَغايا للخَلُوق وللكُحلِ
وبيعوا الردينيّاتِ بالحلْي واقعدوا على الوِتْرِ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبلِ
فإنّ الذي كانت تُجمجمُ فَقْعَسٌ قتيلٌ بـلا قَتْـلى وَتَبْلٌ بـلا تَبْلِ
فـلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا وتُوقَدَ نارُ الحَرْب بالحَطَب الجَزْلِ

[يقتلون ابن سعدة وأمّه]

فلمّا بلِغ قوله مالكاً أَخا السمْهريِّ بخراسان ، انحطَّ من خراسان ، حتى قدِم بلاد عُكلٍ فاستجاش نفراً من قومه ، فعلِقوا[1] في أرض بني أسد يطلبون الغِرَّة فوجدوا بثادقٍ[2] رجلاً معه امرأة من فقْعَس ، فقتلوه ، وحزّوا رأسه ، وذهبوا بالرأس ، وتركوا جسده ، كما قتلوها أيضاً ، وذُكِرَ لي : أنَّ الرجلَ ابنُ سِعْدَة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمُّه ، فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الرجز]

مـا لقتيلِ فَقْعَسٍ لا رَأْسَ لـهْ هلاَّ سأَلْتَ فقعَساً من جَدَّلَهْ
لا يتْبَعَـنَّ فَقْعَسيٌّ جملَـهْ فـرداً إذا ما الفقعسيُّ أعملَهْ
لا يلقَيَـنَّ قاتـلاً فيقتلَـه بسيفه قـد سَمَّـهُ وصقَلَهْ

وقال عبد الرحمن أيضاً : [من الكامل]

لمّـا تَمالى القومُ في رأْدِ الضُّحى[3] نَظراً وقـد لَمَعَ السّرابُ فجالا
نظر ابنُ سعْدَةَ نظرةً ويَـلاً لها[4] كانت لصحبك والمطـيِّ خَبالا
لَمْحاً رَأَى من فـوق طودٍ يافعٍ بعضَ العُـداة وجُنّـةً وظِلالا[5]
عيَّرتَني طَلَبَ الحُمُول وقـد أرى لم آتهـنَّ مكفِّفـاً بَطّـالا[6]
فانظر لنفسِكَ يا ابن سَعْدَةَ هل ترى ضُبُعـاً تجـرُّ بثـادِقٍ أَوْصالا[7]

1 علقوا : طفقوا .
2 ثادق : اسم واد في ديار عقيل .
3 تمالى القوم : ساروا سيراً حثيثاً .
4 ابن سعدة : هو القتيل الذي قتلوه .
5 الجنة : السلاح ونحوه .
6 الحمول : الديات .
7 سعدة : هي أمّ الكميت التي قتلوها مع ابنها .

أَوصالَ سَعْدةَ والكميتِ وإنّما كان الكُميتُ على الكُميتِ عِيالا

وقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أُصبحتُمُ ثَكْلى لِئامـاً وأُصبحتْ شياطينُ عُكْلٍ قـد عَراهُنَّ فَقْعَسُ

قَضى مالكٌ ما قد قَضى ثم قلَّصت به في سواد الليل وجناءُ عِرْمِسُ[1]

فأَضحتْ بأَعلى ثادقٍ وكأنّها مَحالَةُ غَرْبٍ تستَمِرُّ وتمْرُسُ[2]

[مصرعه]

وحدَّثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أَسد ظَفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبِّهم وهجائهم وتآمروا في قتله ، فقال بعضهم : لا تقتلوه ، ولتأخذوا عليه أن يمدَحَنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلَف من هجائه ، فعزموا على ذلك ، ثم إنّ رجلاً منهم كان قد عضَّه بهِجائه ، اغتفله فضربه بسيفه ، فقتله وقال في ذلك : [من الكامل]

قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سَبَّنا وزعمتَ أَن سِبابَنا لا يَقْتُلُ

قال عليّ بن سليمان : وقد رُوي أَنّ البيت المتقدّم :

فلا تكثروا فيه الضّجاج فإنّه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أَجمعا

لهذا الشاعر الذي قَتَلَ ابنَ دارة ، وهو من بني أَسد ، وهكذا ذكر السكّريّ .

صوت

[من الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ونَجْمَ الثريا والمـزارُ بعيدُ

فكيف بكم يا جملُ أَهلاً ودونكم بحورٌ يُقمِّصْن السَّفينَ وبيدُ[3]

إذا قلتُ : قد حان القفول يَصُدُّنا سليمانُ عن أَهوائنا وسعيدُ[4]

الشعر لمسعود بن خَرَشَة المازنيّ ، والغناء لبحر ، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

---

1 مالك : فقعسيّ هارب . والعرمس : الصلبة . وقلصت به : نجت به .

2 المحالة : البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو . والغرب : الكبيرة من الدلاء . وتمرس : من أمرس الحبل : أعاده إلى مكانه .

3 قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب .

4 سليمان وسعيد : واليان .

[456] ـ أخبار مسعود بن خرشة

[نسبه وهواه]

مسعودُ بنُ خَرَشَة أَحدُ بني حُرقُوصِ بن مازن بنِ مالك بن عمرِو بنِ تميم ، شاعرٌ إسلامي بدويٌّ من لصوص بني تَميم ، قال أَبو عمرو : وكان مسعودُ بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها : جُمْلٌ بنتُ شَراحيل ، أُختُ تَمّامِ بنِ شراحيلَ المازنيِّ الشاعر ، فانتجع قَومُها ونأَوْا عن بِلادِهم ، فقال مسعود : [من الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُمْلُ إذ بدتْ ونَجْمَ الثّريّا والمَزارُ بعيدُ
فكيف بكم يا جُمْلُ أَهلاً ودونَكم بُحورٌ يُقَمِّصْنَ السَّفينَ وبِيدُ[1]
إذا قلت : قد حان القُفولُ يصدُّنا سليمانُ عن أَهوائنا وسعيدُ[2]

قال أَبو عمرو : ثم خطبها رجل من قومها ، وبلغ ذلك مسعوداً فقال : [من الطويل]

أَيا جملُ لا تشقَيْ بأَقْعَسَ حَنْكلٍ قليلِ النَّدى يسعى بكِيرٍ ومِحْلَبِ[3]
لـه أَعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأَنّما يراهنّ غُرّ الخيل أَو هُنَّ أَنجبِ

[يسرق إبلاً]

وقال أَبو عمرو : وسرق مسعودُ بن خرشَة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ ، هو ورفقاءُ له ، وكان معه رجلان من قومه ، فأَتوْا بها اليمامة ليبيعوها ، فاعترض عليهم أَميرٌ كان بها من بني أُسد ، ثم عُزِلَ ووُلِّي مكانَه رجلٌ من بني عُقَيْل فقال مسعود في ذلك : [من الوافر]

يقول المرجفون : أَجاءَ عهدٌ كفى عهداً بتنفيذ القِلاصِ
أَتى عهدُ الإمارة من عُقيلٍ أَغرَّ الوجه رُكّب في النواصي

---

1 قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب .
2 سليمان وسعيد : واليان .
3 الأقعس : من برز صدره ودخل ظهره في جسمه . الحنكل : القصير القامة ، أو اللئيم النذل .

حُصونُ بني عُقيلٍ كلُّ عَضْبٍ إذا فَزِعــوا وسابغةٍ دِلاصِ[1]
وما الجارات عند المَحْل فيهم ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ[2]

قـال : وقـال مسعـود «وقـد» طلبـه والي اليمامـة ، فلجأ إلى موضـع فيـه مـاء وقصـب : [من الطويل]

ألا ليـت شعري هـل أبيتنّ ليلةً بوعثاءَ فيهـا للظبـــاء مكانسُ،[3]
وهل أَنجُوَنْ من ذي لَبيدِ بن جابرٍ كأَنَّ بنـاتِ المـاء فيــه المُجالسُ
وهل أَسمَعَنْ صوتَ القَطا تندب القطا إلى المـــاء منه رابـع وخوامسُ

1 العضب : السّيف القاطع . والسّابغة الدلاص : الدّرع الصافية اللينة .
2 الروازح : جمع رازحة ، وهي الناقة الهزيلة ونحوها . الخماص : الجياع .
3 الوعثاء : الأرض ذات الصخور .

[457] ـ أخبار بحر ونسبه[1]

هو بحرُ بن العلاء ، مولى بني أُمَيَّةَ ، حجازيٌّ ، أَدركَ دولةَ بني هاشم ، وعُمِّرَ إلى أيّام الرشيد ، وقد هَرِمَ ، وكان له أخٌ يقال له عبّاس ، وأخوه بحر أصغر منه ، مات في أيّام المعتصم ، وكان يلقَّب حامضَ الرأس ، وله صنعة ، وأَقدَمَهُ الرشيدُ عليه ، ثم كرهه ، فصرفه .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي خالد الأَحول ، عن عليّ بن صالح صاحب المصلَّى : أنّ الرشيد سمِع من عَلُّويَه ومخارقٍ وهما يومئذٍ مِنْ صِغار المغنِّينَ في الطبقة الثالثة أَصواتاً استحسنها ، ولم يكن سمعها ، فقال لهما : مِمَّن أخذتما هذه الأصواتَ ، فقالا : من بَحْرٍ ، فاستعادها ، وشرب عليها ، ثم غنّاه مخارق بعد أيّام صوتاً لبَحْر ، فأمر بإحضاره ، وأمره أن يغنِّي ذلك الصوت ، فغنّاه ، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يُعْجِبه ، واستثقله لولائِه لبني أُميّة ، فوصله ، وصرفه ، ولم يصل إليه بعد ذلك .

صوت

[من الطويل]

أَلا يـا لَقومِـي لِلنّوائب والدّهر ... ولِلمرءِ يُردي نفسه وَهْو لا يَدري
وللأَرض كم من صالح قد تودَّأت ... عليـه فوارتْـهُ بلمّاعـةٍ قَفْرِ

عروضه من الطويل ، قال الأصمعيّ : يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم : يالَ كذا «بفتح اللام» وإذا دعوت للشيء . قلت بالكسرة ، تقول : يالَلرجال وياللقوم . وتقول : يـا للغنيمة ويـا لِلحادثة ، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة ، فكأنّه قال : يا قوم اعجلوا للغنيمة . وروى الأصمعيّ وغيره مكان قد تودّأت : قد تلمّأت عليه ، وتلاءمت ، أي وارته ، ويروى : تأكّمت أي صارت أكمة .

الشعر لهدبة بن خشرم ، والغناء لمعبد ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 انظر أخباره في الاشتقاق 320 والكامل 1246–1249 والشعر والشعراء 2 : 691–695 والمرزباني 483 واللآلي 249–250 ، 639–640 والتبريزي 2 : 43–52 والخزانة 4 : 81–87 .

[458] ـ أخبار هدبة بن خشرم ونسبه
وقصته في قوله هذا الشّعر وخبر مقتله

[نسبه]

هو هُدْبةُ بنُ خَشْرَم بن كُرْزِ بن أُبي حيَّة بن الكاهن ، وهو سلمة ، بن أَسحمَ بن عامر بن ثعلبةَ بن عبد الله بن ذبيان بنِ الحارثِ بن سعد بن هُذَيم ؛ وسعد بنِ هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ؛ ويقال : بل هو سعد بن أَسلم ، وهذيم عبدٌ لأَبيه رباه ، فقيل : سعد بن هذيم ، يعني سعداً هذا .

وهدبة شاعر فَصِيح من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، كان يروي للحُطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثيّر راوية جميل ، فلذلك قيل : إنّ آخر فحل اجتمعت له الراوية إلى الشعر كثير .

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلّهم شاعر : حَوطٌ وسَيْحانُ والواسع ، أُمّهم حيَّةُ بنتُ أبي بكر بن أبي حيّة من رهطهم الأدْنَيْن ، وكانت شاعرة أَيضاً .

وهذا الشعر يقوله هُدْبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّةَ بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم .

أَخبرني بالخبر في ذلك جماعةٌ من شيوخنا ، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض ، واقتصرتُ على ما لا بدّ منه من الأشعار ، وأتيتُ بخبرهما على شرح ، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان .

فممّن حدَّثني به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ : تِينةُ قال : حدَّثنا خلف بن المثنى الحُدانيّ ، عن أبي عمرو والمدينيّ .

وأَخبرني الحسن بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجيّ ، عن حمّاد بن إسحاق الموصليّ عن أَبيه .

وأَخبرني إبراهيم بن أَيّوبَ الصائغ ، عن ابن قتيبة .

[الحرب بين قومه وقوم زيادة بن زيد]

وأَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ ، عن أَبيه عن عمِّه . وقد نسبتُ إلى كلّ واحد منهم ما انفرد به من الرواية ، وجمعت ما اتّفقوا عليه ، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصّة : كان أوّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن

ذبيان وبين بني رَقاش ، وهم بنو قُرَّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان ، وهم رهط زيادة بن زيد ، وبنو عامر رهط هدبة ، أنّ حَوْطَ بن خشرم أخا هدبةَ راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مُطْلَقَهُما[1] من الغاية على يوم وليلة ، وذلك في القيظ ، فتزوّدوا الماء في الروايا والقِرَب ، وكانت أُختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهَّنت أوعية زيادة ، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه ، فقال زيادة : [من الرجز]

قــد جعلــت نَفْسيَ في أَدِيم   مُحَـرّمِ الدّبـاغ ذِي هُزُومِ
ثمّ رَمَت بِي عُرُضَ الدَّيْمومِ   في بارحٍ من وَهَج السَّمومِ[2]
عند اطّلاع وعــرة النجوم[3]

قال اليزيديّ في خبره : المُحَرَّم : الذي لم يُدبغ ، والهُزوم : الشقوق .

قال : وقال زِيادَةُ أيضاً : [من الرجز]

قــد عَلِمَتْ سلمةُ بالعَميسِ   ليلَـــة مَرْمــارٍ ومَرْمَرِيسِ
أَنَّ أَبـــا المِسْور ذو شَرِيس   يَشفي صُداع الأَبلَجِ الدِّلْعِيسِ[4]

العَمِيسُ : موضع ، والمرمار والمَرمِريس : الشدّة والاختلاط ، وأبا المسور يعني زيادة نفسه ، وكانت كنيته أبا المسور .

[هدبة وزيادة يشبب كل منهما بأخت الآخر]

قال : فكان ذلك أوَّلَ ما أثبت الضغائن بينهما . ثم إنّ هدبة بن خَشْرَم وزيادة بن زيد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام ، في رَكْبٍ من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوْق بالإبل ، وكان مع هدبة أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال : [من الرجز]

عُوجي علينا واربَعي يا فاطما   ما دون أن يُرى البَعيرُ قائِما

أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه .

أَلا تَريــن الدمعَ منّي ساجما   حِــذارَ دارٍ منك لــن تُلائما

---

1 مطلقهما : موضع إطلاقهما .
2 العرض : الجانب . الديموم : الصحراء المترامية الأطراف . البارح : الريح الحارة صيفاً . السموم : الحر الشديد .
3 النجوم : جمع نجم وهو ما لا ساق له من النبات .
4 الشريس : الشراسة ، وهي سوء الخلق . الدلعيس : الضخمة المترهلة من الإبل .

فعَرَّجَـتْ مطَّـرداً عُراهِما فَعْمـاً يبـذّ القُطُفَ الرَّواسما

مُطَّرد : متتابع السير ، وعُراهم : شديد ، وفَعْم ، ضخم ، والرسيم : سير فوق العَنَق ، والرّواسم : الإبل التي تسير هذا السيْرَ الذي ذكرناه .

كأنَّ في المثناة منـه عائمَـا إنَّـكَ والله لأنْ تُباغِمـا[1]

المثناة : الزمام ، وعائم : سائح ، تباغم : تكلّم .

خَـوْداً كأنّ البُوْصَ والمآكما منهـا نقـاً مُخالطٌ صَرائما

البُوْص : العجز ، والمأكمتان : ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا : ما عظم من الرمل . والصرائم : دونه .

خيرٌ مـن استقبالك السَّمائما ومـن مُنـادٍ يبتغي مُعاكِما

ويروى : ومن نداء ، أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عَكمك حتى تشدّه .

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأُخت زيادة ، وكانت تُدعى ، فيما روى اليزيديّ ، أُمَّ حازم ، وقال الآخرون : أُمَّ القاسم ، فقال هُدْبة : [من الرجز]

لقـد أَراني والغُـلامَ الحازما نُزجي المَطـيَّ ضُمَّراً سَواهِما[2]
متـى تَظُـنّ القُلُصَ الرّواسما والجِلَّـةَ النّاجيـةَ العَياهِما[3]

العَياهم : الشّداد .

يُبلِغْـن أُمَّ حـازم وحازمـا إذا هَبَطـن مُسْتَحيراً قاتِما[4]
ورجَّع الحادي لهـا الهَماهِما ألا تَريْنَ الحُـزنَ منّي دائما[5]
حِـذارَ دارٍ منك لن تُلائما والله لا يَشفي الفـؤادَ الهائما
تَمساحُكَ اللَّبّـاتِ والمـآكما ولا اللِّمامُ دون أن تُلازِما[6]

1 تباغم : من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت ليّن .
2 الضمر السواهم : النياق الصلبة .
3 القلص : جمع قلوص : الفتية من الإبل . والرواسم : التي تمشي الرسيم . الجلة : جمع جليل وهي الناجية : السريعة . العياهم : جمع عيهم وهي الناقة السريعة .
4 المستحير : الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي .
5 الهمهمة : الصوت تنوم المرأة به طفلها .
6 المآكم : رؤوس الأفخاذ .

ولا اللِّئـــام دون أَن تُفاقما ولا الفِقـــامُ دون أَن تفاغَما[1]
وتَعلُوَ القوائمُ القوائما

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابّا طويلاً ، فصاح بهما القوم اركبا ، لا حملكما الله . فإنّا قوم حُجّاج ، وخَشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما ، حتى أمسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه ، وهدبة أشدّهما حنقاً ، لأنّه رأى أن زيادة قد ضامَه ، إذ رجز بأُخته وهي تسمع قولَه ، ورجز هو بأُخته ، وهي غائبة لا تسمع قوله ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة ، حتى قضيا حجّهما ، ورجعا إلى عشيرتيهما .

[هجائهم هدبة]

قال اليزيديّ خاصة في خبره : ثم التقى نفر من بني عامر ، من رهط هدبة ، فيهم أَبو جَبْر ، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه ، وخَشْرَمٌ أبو هدبة ، وزُفَر عمّ هدبة ، وهو الذي بعثَ الشرّ ، وحجّاج بن سلامة ، وهو أبو ناشِبٍ ، ونفر من بني رَقاش رهط زيادة ، وفيهم زيادة بن زيد ، وإخوته : عبد الرحمن ونفَّاع وأدرَعُ بواد من أودية حرَّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسَّانية ، وهو أدرع ، وكان زفر عمّ هدبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش ، فقام له أدرع فرجز به فقال : [من مجزوء الرجز]

أَدُّوا إلينـــا زُفَــرا نعرفُ منــه النَّظَرا
وعينَــه والأَثَرا

قال : فغضب رَهْط هُدبة ، وادَّعوا حَدّاً على بني رقاش ، فتداعَوْا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَع إليهم أدرعُ ، فيخلو به نَفَرٌ منهم ، فما رأوه عليه أمضَوْه ، فلمّا خَلَوا به ضربوه الحدّ ضرباً مبرِّحاً ، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغَضِبوا ، فقال عبد الرحمن بن زيد : [من الوافر]

أَلا أَبلــغ أَبـــا جَبْرٍ رسولاً فما بينـــي وبينكـُم عِتابُ
أَلم تعلـــمْ بـــأَن القوم راحوا عشيّةَ فارقوك وهـم غِضابُ

فأَجابه الحجّاج بن سلامة فقال : [من الطويل]

إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغِماً رقاشَ فـزاد اللهُ رَغْمـاً سِبالَها[2]

---

1 الفقام : المباضعة . والفغام : التقبيل .
2 ابن كنعاء : أدرع . السبال : طرف الشارب ، أو مقدم اللحية .

منعنا أَخانا إذ ضربنـــا أَخاكُم وتلك مـــن الأَعــداء لا مِثْلَ مالها

[هو وزيادة يتهاديان الأشعار]

قال اليزيديّ في خبره : وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ، ويتفاخران ، ويطلب كُلُّ واحدٍ منهما العُلُوَّ على صاحبه في شعره ، وذكر أشعاراً كثيرة ، فذكرتُ بعضها ، وأَتيتُ بمختار ما فيه ، فمن ذلك قولُ زيادة في قصيدة أَوّلها : [من الطويل]

أَراك خليلاً قَــد عزمت التّجنبا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأَصحبا[1]

اخترت منها قوله :

وأَنّك للنّاس الخليـــلُ إذا دنــتْ بـــه الدارُ ، والباكي إذا ما تغيَّبا
وقد أَعذَرَتْ صرفُ الليالي بأَهلها وشَحْطُ النَّوى بيني وبينك مَطلبا
فلا هي تأْلو مـا نـأَتْ وتباعَدَتْ ولا هــو يأْلــو مــا دنا وتقرَّبا
أَطعتُ بها قول الوشاة فلا أَرى الـ ـوشاةَ انتهوا عنه ولا الدهر أَعتبا
فهــلاّ صَرَمْــتِ والحبــالُ متينةٌ أُميمـــةُ إن واشٍ وشى وتكذَّبا
إذا خفتَ شكَّ الأَمرِ فارمِ بعزمة غَيابَتَه يركب بك الدهــرُ مركبا
وإن وِجهةٌ سُدَّتْ عليك فُرُوجُها فإنّــك لاقٍ لا محالـــة مذهبا
يُلامُ رجــالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم وكيــف يُــلام المرءُ حتى يُجرَّبا
وإنّي لِمعــراضٌ قليـــلٌ تعرُّضي لوجــه امرىء يوماً إذا ما تجنَّبا[2]
قليلٌ عِثاري حين أُذعَرُ ، ساكنٌ جَناني إذا ما الحرب هرَّت لتكْلَبا[3]
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل قِــراهُ ونَوِّبْــه إذا مــا تنوّبا[4]
ولا تَنتجع شَرّاً إذا حيل دونــه بِسِترٍ وهَــبْ أَسبابَه مــا تهيّبا
أَنا ابن رَقاشٍ وابــنُ ثعلبةَ الذي بنى هاديــاً يعلــو الهواديَ أَغلبا[5]
بَنى العِزُّ بنياناً لقومي فماصَعُوا بأَسيافهم عنــه فأَصبح مُصعَبا[6]

1 أصحب الفؤاد : أصابه خبل .
2 معراض : كثير الإعراض .
3 هرت : كشرت عن أنيابها . لتكلب : لتشتدّ .
4 نوّبه : حفظ حقّه في النوبة عند الركوب نحوه .
5 الهادي : العنق . الأغلب : الغليظ العنق .
6 ماصع : جالد .

فما إنْ ترى في النّاس أُمّاً كأُمّنا ... ولا كأبينـا حـين ننسُبُه أبا
أتـمَّ وأنمى بالبنـين إلى العلا ... وأكرمَ منّـا في المناصب مَنصَبا
مَلَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... كأنَّ لنا حقّـاً على النـاس تُرتَبا

قال اليزيديّ : تُرتَب : ثابت لازم .

بآيـةِ أنّا لا نـرى مُتَتَوِّجـاً ... من الناسِ يعلونا إذا مـا تعصَّبا
ولا مِلكـاً إلاّ اتّقانـا بمُلكـه ... ولا سُوقَةً إلاّ على الخَرْجِ أُتعِبا[1]
ملكنـا ملوكاً واستبحْنا حِماهمُ ... وكنّا لهم في الجاهليّـة موكِبا
نَدامـى وأردافاً فلم تَـرَ سُوقةً ... توازننـا فاسأل إيـاداً وتَغلِبا[2]

فأجابه هدبة ، وهذا مختار ما فيها فقال : [من الطويل]

تَذَكَّرَ شَجواً مـن أُميمةَ مُنصِبا ... تليداً ومُنتاباً مـن الشوقِ مُجْلِبا[3]
تَذَكَّر حبّـاً كان في مَيْعة الصِّبا ... ووجداً بها بعـد المشيب مُعتِّبا[4]
إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذكرتُها ... فيا لـكِ مـا عَنّى الفؤادَ وعذّبا
غَـدا في هواهـا مستكيناً كأنّه ... خليعُ قِـداحٍ لم يجـد مُتنشَّبا[5]
وقـد طال ما عُلِّقتَ ليلى مُغمّرا ... وليـداً إلى أن صار رأسُكَ أشْيَبا

المغمّر : للغمر أي غير حدث .

رأيتك في لَيلى كذي الدّاءِ لم يجد ... طبيباً يداوي مـا بـه فَتَطَبَّبا
فلمّا اشتفى ممّـا بـه كـرَّ طِبُّه ... على نفسه من طول ما كان جرَّبا

[يقتل زيادة فيسجن]

فلم يزل هدبة يطلبُ غِـرَّةَ زيـادة حتى أصابها فبيَّته فقتله ، وتنحّى مخافة السلطان ، وعلى المدينة يومئذٍ سعيدُ بن العاص ، فأرسل إلى عمّ هدبة وأهلِه فحبسهم بالمدينة ، فلمّا بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نَفسه وتخلّص عمَّه وأهلَه ، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقِيد منه إذا قامت البينة ،

1 الخرج : الضريبة ونحوها .
2 أرداف : جمع ردف ، وهو خليفة الملك في الجاهلية .
3 منصب : متعب . مجلب : من أجلب الجرح : علته القشرة .
4 معتب : مستوجب للعتاب واللوم .
5 الخليع : من غلب في القمار . المنتشب : من النشب ، وهو النبل .

فأقامها ، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن ، فسألوه قبول الدية فامتنع ، وقال : [من الطويل]

صوت

أنختُم علينا كَلْكَلَ الحرب مرَّة فنحن مُنيخوها عليكم بكلكَلِ
فلا يدْعُني قومي لزيدِ بن مالك لئن لم أُعجِّـل ضربـةً أو أعجَّلِ
أبعد الذي بالنَّعْف نعفِ كُوَيْكِبٍ رهينةِ رمسٍ ذي تراب وجندلِ[1]
كريـمٌ أصابتـه ديـاتٌ كثيرة فلم يدرِ حتى حين من كل مدخلِ
أُذكَّـر بالبُقيـا على مَـن أُصابني وبُقياي أنّي جاهـدٌ غيرُ مؤتلي[2]

غنّاه ابن سُرَيْج رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وقيل : إنّه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر .

رجع الخبر إلى سياقته

وأمّا عليّ بن محمد النوفليّ ، فذكر عن أبيه : أنّ سعيدَ بن العاص كره الحكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية ، فنظر في القصّة ، ثم ردّها إلى سعيد . وأمّا غيره فذكر أنّ سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية .

قال عليّ بن محمد عن أبيه : فلمّا صاروا بين يَدَيْ معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له : يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دُفِعْتُ إليه ، وجرى عليَّ وعلى أهلي وقُربايَ وقتلَ أخي زيادة ، وترويعَ نسوتي ، فقال له معاوية : يا هُدبة قُل . فقال : إنّ هذا رجل سَجَّاعة ، فإن شئت أن أقصّ عليك قصّتنا كلاماً أو شعراً فعلتُ ، قال : لا بل شعراً ، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً : [من الطويل]

ألا يـا لَقومي لِلنّوائـب والدّهر ولِلمرءِ يُردِي نفسه وهْو لا يدري
وللأرض كم من صالحٍ قد تأكَّمَت عليـه فوارتْـهُ بلمّاعـةٍ قَفْرِ
فـلا تتّقـي ذا هَيْبة لجلالِـه ولا ذا ضياعٍ هـنّ يُتْركْن للفقرِ

حتى قال :

رُمِينا فَرامَينـا فصادف رَمْيُنـا مَنايـا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وأنـت أميرُ المؤمنين فمـا لنـا وراءك من مَعدًى ولا عنك من قَصْرِ

---

1 النعف : المكان المرتفع . وكويكب : موضع في ديار سعد بن هزيم .

2 غير مؤتل : غير مقصر في طلب الوتر .

فإن تَكُ في أموالنـا لم نَضِق بهـا ذِراعاً ، وإن صبرٌ فنصبِرُ للصَّبرِ

فقال له معاوية : أَراكَ قد أُقررت بقتل صاحبهم ، ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولَدٌ ؟ قال : نعم ، المسوَر ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمّه ووليُّ دم أبيه ، فقال : إنّك لا تؤمَن على أخذ الديَة أو قتلِ الرجل بغير حق ، والمِسور أحقُّ بدم أبيه فَرَدَّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسوَر .

[بينه وبين جميل بن معمر]

أَخبرني الحِرْميّ بن العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : نسخت من كتاب عامر بن صالح قال : دخل جميلُ بن مَعْمَرٍ العُذْريُّ على هدبة بن خَشْرمٍ السجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بن زيد ، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إيّاها سعيدُ بن العاص ، وجاءه بنفقة ، فلمّا دخل إليه عرض ذلك عليه ، وسأله أن يقبله منه ، فقال له هدبة : أأنت يا ابن مَعْمرٍ الذي تقول : [من الطويل]

بنـي عامـرٍ أَنَّى انتجعْتُـم وكنتـمُ إذا عُدِّد الأَقـوامُ كالخُصْية الفَرِدِ ؟

أَما والله لئن خلّص اللهُ لي ساقي لأمدنّ لك مضمارك[1] ، خذ بُرديك ونفَقَتَك ، فخرج جميلٌ ، فلمّا بلغ باب السجن خارجاً قال : اللهمّ أغْنِ عنّي[2] أجدعَ بني عامر ، قال : وكانت بنو عامر قد قلّت ، فحالَفت لإياد .

[من شعر أمّه فيه]

قال أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : فقالت أُمّ هُدبة فيه لما شَخَص إلى المدينة فَحُبِسَ بها : [من الطويل]

أيـا إخوتـي أهـلَ المدينة أكرموا أسيركُـمُ إنّ الأَسيـرَ كريـمُ
فَـرُبَّ كريـمٍ قـد قَـراه وضافَه ورُبَّ أُمـورٍ كلُّهـن عظيـمُ
عَصـى جلُّهـا يومـاً عليـه فراضَه مـن القـوم عَيّافٌ أَشمُّ حليـمُ

[يتوسّطون له فترفض وساطتهم]

فأرسل هدبةُ العشيرةَ إلى عبد الرحمن في أوّل سنة فكلّموه ، فاستمع منهم ثم قال : [من الطويل]

1 لأمدن لك مضمارك : لأوسعن الميدان الذي ألاقيك فيه .
2 أغنِ عنّي : اكفني شرّه .

أبعْــدَ الذي بالنَّعف نعــفِ كُوَيْكِبِ رهينَــةِ رمس ذي تُــراب وجندَلِ
أُذكَّــر بالبُقْيــا عــلى مَــنْ أصابني وبُقْيــايَ أَنّي جاهــدٌ غيرُ مُؤْتلي

فرجعوا إلى هدبةَ بالأبيات فقال : لم يُوئسُني بعدُ ، فلمّا كانت السنة الثالثة بلغ المِسور ، فأرسل هدبةُ إلى عبد الرحمن مَنْ كلَّمه فأنصت حتى فرغوا ، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول : [من الطويل]

سأُكْذِب أقوامــاً يقولون : إنَّنــي سآخــذُ مــالاً مــن دم أنا ثائرُهْ[1]
فباسْتِ امرىءٍ واسْتِ التي زَحَرت به يسوق سَوامــاً مــن أخٍ هــو واترُهْ

ونهض ، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال : الآن أيستُ منه ، وذهب عبد الرحمن بالمِسور ، وقد بلغ إلى والي المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فأخرج هدبة .

[لقاؤه الأخير بزوجته]

قالوا : فلمّا كان في الليلة التي قُتِل في صباحها أُرسلَ إلى امرأته ، وكان يحبّها : إيتيني الليلة أَستَمتع بك وأودِّعك ، فأتته في اللِّباس والطيّب ، فصارت إلى رجل ، قد طال حبسُه ، وأنتنت في الحديد رائحتُه ، فحادَثها ، وبكى ، وبكت ، ثم راودها عن نفسها ، وطاوَعته ، فلمّا عَلاها سمعَتْ قَعقعةَ الحديد فاضطربت تحته ، فتنحّى عنها وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأدْنَيْتني حتــى إذا مـــا جعلتِني لَدى الخصْرِ أو أدنى استَقَلَّك راجفُ[2]
فــإن شئتُ واللهِ انتهيــتُ وَإنَّنــي لئـــلاّ ترَيْني آخــرَ الدّهــر خائفُ
رأت ساعــدَيْ غُــولٍ وتحت ثيابه جآجــىء يدْمى حدُّهــا والحراقفُ[3]

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويلٌ جداً وفيه يقول :

صوت

فلم تَــرَ عيني مثْــلَ سرب رأيتُــه خرجْنَ علينا من زقــاق ابنِ واقفِ[4]
تضمَّخْن في الجاديِّ حتــى كأنَّما الأ نــوفُ إذا استَعْرَضْتَهُــنَّ رَواعِفُ[5]

1 أنا ثائره : أنا طالب ثأره .
2 استقلك راجف : أصابك ما أفزعك .
3 جآجىء : جمع جؤجؤ ، وهو عظم الصدر . الحراقف : جمع حرقفة ، وهو أعلى الورك .
4 في هذا البيت إقواء .
5 الجادي : الزعفران .

خرجن بأعناق الظباء وأعيُن الـ ـجآذرِ وَارتجَّت لهن السَّوالفُ[1]
فلو أنَّ شيئاً صاد شيئاً بطَرفه لصِدْن ظباء فوقهنَّ المطارفُ

غنّى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حَبَش ، وفيه لحن خفيف ثقيل ، وذكر إسحاق أنّ فيه لحناً ليونس ، ولم يذكر طريقته في مجرده .

[يفضل السمكات على سربه]

أخبرنا الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير عن عمِّه قال : مَرَّ أبو الحارث جُمَّيْن يوماً بسوق المدينة ، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاثُ سمكات قد شقَّ أجوافَها : وقد خرج شحمُها ، فبكى أبو الحارث ، ثم قال . تَعِس الذي يقول : [من الطويل]

فلم تَـرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيته خرجن علينا من زُقاقِ ابنِ واقفِ

وانتكس وَلا انجبر ، والله لهذه السمكات الثلاث أَحسَنُ من السرب الذي وصف .

وَأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع لأنّه ليس بالمدينة زُقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف ، ولا بها سَمَك ، ولكن رويت ما رُوي .

[حُبّى ترثي لحاله وهو أسير]

وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كُناسة قال : مُرَّ بهُدْبَةَ على حُبّى ؛ فقالت : في سبيل الله شبابُك وجلَدُك وَشِعْرُك وكرمُك ؛ فقال هدبة : [من الطويل]

تَعَجَّبُ حُبَّى من أسير مُكبّلٍ صَلِيبِ العَصا باقٍ على الرَّسَفانِ[2]
فلا تَعْجَبي مِنّي حَليلَة مالكٍ كذلك يأتي الدهرُ بالحَدْثانِ

[يبين لزوجته أوصاف من يتزوجها بعده]

وقال النوفليُّ عن أَبيه : فلمّا مُضِيَ بهِ من السجن للقتل ، التفتَ فرأى امرأته ؛ وكانت من أجمل النساء فقال : [من الطويل]

أقِلّي عليّ اللَّومَ يا أمّ بَوزَعا ولا تَجزَعي ممّا أصابَ فأوجعا
ولا تنكَحي إن فرّق الدهرُ بيننا أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[3]
كَليلاً سوى ما كان من حَدّ ضِرْسه أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشيّاتِ أرْوَعا[4]

1 السوالف : جمع سالفة ، وهي جانب العنق .
2 حبّى : اسم امرأة . الرسفان : المشي الوئيد الذي يمشيه الرجل في القيد .
3 الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه .
4 مبطان العشيات : كثير الأكل ليلاً . أروع : من الروع ، أي الخوف .

ضَروباً بلَحييْه على عَظْمِ زَوره ... إذا النّاس هَشُّوا للفَعال تَقَنَّعا[1]
وحُلّي بذي أُكرومة وحَمِيّةٍ ... وَصبْرٍ إذا ما الدّهر عَضَّ فأَسرَعا

[زوجته تشوه جمالها بسكين]

وقال حَمَّاد عن أبيه عن مُصْعَب بن عبد الله قال : لمّا أُخرِج هُدبةُ من السجن ليُقتل ، جعل الناسُ يتعرَّضون له ويَخْبُرون صَبْره ، ويَسْتَنْشِدونه ، فأدرَكَه عبدُ الرحمن بنُ حسّانَ ، فقال له : يا هدبةُ ، أتأمُرني أن أتزوّج هذه بَعْدَك ، يعني زوجتَه ، وهي تمشي خلفَه فقال : نعم ، إن كنتَ من شَرْطِها ، قال : وما شَرْطُها ؟ قال : قد قُلتُ في ذلك : [من الطويل]

فلا تنكَحِي إنْ فَرَّق الدهرُ بيننا ... أُغمَّ القفا والوجهِ ليس بأَنزعا
وكُوني حَبِيساً أَو لأَروعَ ماجدٍ ... إذا ضَنَّ أَعشاشُ الرّجال تَبرَّعا[2]

فمالت زوجتُه إلى جزّار وأخذت شَفْرته ، فجَدَعت بها أنفَها ، وجاءته تَدْمى مجدوعة فقالت : أتخاف أن يكون بَعد هذا نِكاح ؟ قال : فرسَف في قُيُودِه وقال : الآن طابَ الموت .

وقال النوفليُّ عن أبيه : إنّها فعلت ذلك بحَضْرة مَرْوان وقالت له : إنّ لهُدْبة عندي وَدِيعة ، فأمهِلْه حتى آتِيَه بها ، قال : أسرِعي ، فإنّ الناس قد كَثُروا ، وكان جلس لهم بارزاً عن دارِه فمضت إلى السُّوق ، فانتَهت إلى قصّاب وقالت : أعطني شَفرتك ، وخُذ هذين الدرهمين وأنا أردُّها عليك ، ففَعل ، فَقَربت من حائط ، وأرسلت مِلْحَفَتها على وَجهها ، ثم جدعت أنفها من أصْله ، وقطعت شَفَتَيْها ، ثم ردَّت الشفرَة ، وأَقبلت حتى دَخَلَت بين الناس وقالت : يا هُدْبةُ ، أتُراني متزوّجةً بعدما تَرى ؟ قال : لا ، الآن طابت نَفْسي بَعْد بالموت ، ثم خَرَج يرسُف في قيودِه ، فإذا هو بأبوَيْه يتوقّعان الثّكل ، فهما بسُوء حال ، فأقبل عليهما وقال : [من الرمل]

أَبلِياني اليومَ صبراً منكما ... إنّ حُزْناً إن بدا بادىءُ شرّ
لا أُراني اليومَ إلاّ ميِّتاً ... إنَّ بعدَ الموت دارَ المستَقَرّ
اصبِرا اليوم فإنّي صابِرٌ ... كلُّ حَيٍّ لقَضاءٍ وقَدرْ

[زوجته تنكث بعهدها]

قال النوفليّ : فحدَّثني أَبي قال : حدَّثني رجلٌ من عُذرةَ عن أَبيه قال : إنّي لبِبلادنا يوماً في بعض المِياه ، فإذا أنا بامرأة تَمشي أمامي وهي مدبرة ، ولها خَلْق عجيب من عَجُز وهَيْئة ،

1 الناس في الشعر والشعراء : القوم . اللحيان : العظمان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية .

2 أعشاش الرجال : من عش معروفة بمعنى قلّله .

وتمام جسم ، وكمال قامَة ، فإذا صَبِيَّان قد اكتنفاها يمشيان ، قد ترعرعا ، فتقدّمتُها ، والتفتُّ إليها ، فإذا هي أقبحُ مَنْظر ، وإذا هي مجدوعةُ الأنف ، مقطوعةُ الشفتين ، فسألتُ عنها فقيل لي : هذه امرأة هُدْبة ، تزوَّجت بعده رَجُلاً ، فأولدَها هذين الصَّبِيَّين .

[أخو زيادة يرفض الدية]

قال ابنُ قُتيبة في حديثه : فسأَل سعيدُ بن العاص أخاً زيادَة أن يَقْبَل الدية عنه ، قال : أُعطيك ما لم يُعطه أَحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاء[1] ولا ذاتُ داء ، فقال له : والله لو نَقَبْت لي قُبّتك هذه ، ثم ملأْتَها لي ذهباً ، ما رضيت بها من دم هذا الأَجدع ، فلم يزل سعيد يسأله ، ويعرض عليه فيأْبى ، ثم قال له : والله لو أَرَدتُ قبول الدّية لمنعني قوله : [من البسيط]

لَنجدَعَنَّ بأَيدينا أُنوفَكم ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه حينئذٍ ليقتله بأَخيه .

[يعرض بحبّى وهو في طريقه إلى الموت]

قال حمّاد : وقرأْتُ على أَبي عن مصعب بن عبد الله بن الزُّبيريّ قال : ومَرَّ هُدبةُ بحُبَّى ، فقالت له : كنتُ أعدّك في الفتيان ، وقد زَهِدْتُ فيك اليوم ، لأنّي لا أنكر أن يَصْبِر الرّجال على الموت ، لكن كيف تَصْبِر عن هذه ؟ فقال : أما والله إنَّ حُبّي لها الشديد ، وإن شِئْتِ لأصفَنَّ لك ذلك ، ووقف الناس معه ، فقال : [من الطويل]

وَجِدت بها ما لم تَجِد أُمّ واحدٍ ولا وجدُ حُبّى بابن أُمّ كِلابِ
رأَته طويل السّاعدين شمَرْدَلا كما تَشْتَهي من قوّة وشبابِ[2]

فانقمعت[3] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه . قالوا : فدُفع إلى أخي زيادة ليقْتُلَه ، قال : فاستأذن في أن يُصَلّي ركعتين ، فأُذِن له ، فصلاّهما وخفّف ، ثم التفَتَ إلى مَنْ حضر فقال : لولا أن يُظَنّ بي الجزعُ لأَطَلْتُهُما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ، ثم قال لأهله : إنّه بلغني أنّ القَتِيل يَعقِل ساعة بعد سُقوط رأسه ، فإن عَقَلتُ فإنّي قابضٌ رجلي وباسطُها ثلاثاً ، ففعل ذلك حين قُتِل ، وقال قبل أن يُقتَل : [من الطويل]

إن تقتُلوني في الحديد فإنّني قتلتُ أخاكم مُطْلقاً لم يُقيَّدِ

---

1 الجدّاء : القليلة اللبن من مرض أصابها .
2 الشمردل : الجميل الخلق .
3 فانقمعت : ولّت هاربة .

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : والله لا قَتَلْتُه إلاّ مُطلقاً من وَثاقه ، فأُطلق له ، فقام إليه وهزّ السيف ثم قال : [من الرجز]

قد علِمتْ نفسي وأنت نعلمُهْ   لأَقتلَنَّ اليومَ مَن لا أَرحمُهْ

ثم قتله .

فقال حمّاد في روايته : ويقال : إنّ الذي تولّى قتلَه ابنه المِسْور ، دفع إليه عَمُّه السيفَ وقال له : قم فاقتل قاتل أبيك ، فقام ، فضَرَبَه ضربتين قتله فيهما .

[كاهنة تتنبأ بقتله صبرا]

أخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي قال : بلغني أَنّ هدبة أَوّل مَن أُقِيد منه في الإسلام .

قال أحمد بن الحارث الخرّاز : قال المدائنيّ : مرّت كاهنة بأُمّ هُدْبة وهو وأَخوته نِيامٌ بين يديها ، فقالت : يا هذه ، إنّ الذي معي يُخبرني[1] عن بنيك هؤلاء بأمر . قالت : وما هو ؟ قالت : أمّا هُدبة وحَوْطٌ فيُقتلان صَبْرا[2] ، وأمّا الواسع وسَيْحان فيموتان كَمَداً ، فكان كذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي : أَخبرك مروان بن أَبي حفصة قال : كان هُدبة أَشْعَر النّاس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقِيد منه ، قال الخرّاز عن المدائنيّ : قال واسعُ بنُ خَشْرم يرثي هُدْبَةَ لمّا قُتِل : [من البسيط]

يا هُدْبَ يا خَيْرَ فتيان العشيرةِ مَنْ   يُفجَعْ بمثلك في الدُّنيا فقد فُجِعا
الله يعلم أَنّي لو خشيتهمُ   أَو أَوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أُسلِم أَخي لهمُ   حتى نَعيش جَميعاً أَو نَمُوت معا

وهذه الأبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنهم ، لمّا بلغه قَتلُ أخيه محمد .

[أخبار هدبة وزياد]

أَخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حَدَّثنا أَحمد بن أَبي خَيْثَمَة قال : حدَّثني مصعبٌ الزُّبيريُّ قال : كنَّا بالمدينة أَهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أَحدنا خبرُ هدبة وزيادة وأَشعارهما ازدَريناه ، وكنّا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها .

1 تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي تزعم مؤاخاته .
2 يقتل صبراً : يحبس حتى يموت .

[جميل بن معمر راوية له]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيّين قالوا: كان جميلُ بن معمر العُذْريّ راويةَ هُدْبة، وكان هُدبة راويةَ الحطيئة، وكان الحطيئةُ راوية كعب بن زهير وأبيه.

[عائشة أمّ المؤمنين تدعو له بعد موته]

حدّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المُهَلّبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدّثني أبو مُصعَب الزُّبيريّ قال: حدّثني المُنكَدِرُ بنُ محمد بنِ المُنْكَدِر، عن أبيه قال: بعث هُدبةُ بنَ خَشْرم إلى عائشةَ زوج النبيّ ﷺ يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قُتِلْتَ استغْفَرْتُ لك.

صوت

[من الطويل]

أَلم تَـرَ أنّي يـومَ جوّ سُوَيْقَةٍ بكيتُ فنادتني هُنيـدةُ ما لِيـا؟
فقلتُ لهـا: إنّ البكاء لراحـةٌ بـه يشتفي مَنْ ظنّ أن لا تلاقيا
قفي ودّعينـا يـا هُنَيْدَ فإنّني أرى القوم قد شاموا العَقِيقَ اليمانيا

ويروى: أرى الركبَ قد شاموا[1].

إذا اغرورقت عَيناي أَسبَلَ منهما إلى أن تغيب الشِّعْريان بكائيا[2]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً، وهي فيما قيل أوّلُ قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشاميّ، قال الهشاميّ: وفيه لمالك ثقيل أوّل، وابتداء اللحنين جميعاً.

أَلم تَـرَ أَنّي يوم جوّ سُوَيْقَة

ولعلُّويَه فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه:

قفي ودعينا يـا هنيدَ فإنّني

1 شام السحاب والبرق ونحوها: نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا، والمراد هنا النجعة والرحيل.

2 الشعريان: نجمان.

[459] ـ نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته[1]

[نسبه]

الفرزدق لقب غَلَب عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفِّفه النساءُ للفَتوت ، وقيل : بل هو القطعة من العجين التي تبسط ، فيُخبَز منها الرغيف ، شُبِّه وجهه بذلك ؛ لأنّه كان غليظاً جهماً . واسمه همّام بن غالبِ بن صَعصعةَ بن ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناةَ بن تميم .

قال أبو عبيدة : اسم دارم بحر ، واسم أَبيه مالكٍ عوف[2] ويقال عرف . وسُمِّي دارمٌ دارماً لأنّ قوماً أتوا أباه مالكاً في حَمالة[3] فقال له : قُم يا بحر فأْتني بالخريطة ، يعني خريطة كان له فيها مال ، فحملها يدرِم عنها ثِقلاً ، والدّرمان : تقارب الخطو ، فقال لهم : جاءَكم يَدْرِم بها ، فسُمِّي دارماً ، وسُمِّي أبوه مالِكٌ غَرفاً لجوده .

وأمّ غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع .

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم ، ويلقّب الأَخطل ، ليست له نباهة ، فأَعقب ابناً يقال له محمد ، فمات والفرزدق حيّ فرثاه ، وخبرُه يأتي بعد . وكان للفرزدق من الولد خَبطةٌ ولَبطةٌ وسَبطة ، هؤلاء المعروفون ، وكان له غيرهم فماتوا ، ولم يُعرفوا . وكان له بنات خمس أو ستّ .

وأُمّ الفرزدق ، فيما ذكر أَبو عبيدة ، لينة بنت قرظة الضَّبِّيَّة .

[صعصعة محيي الموءودات]

وكان يقال لصعصعة محيي الموءودات ؛ وذلك أَنّه كان مرّ برجلٍ من قومه ، وهو يحفِر بئراً ، وامرأته تبكي ، فقال لها صعصعة : ما يبكيك ؟ قالت : يريد أن يئد ابنتي هذه ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الفقر . قال : فإنّي أشتريها منك بناقتين

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1 : 471–482 وطبقات ابن سلاّم : 299–379 والموشّح 156 والسمط 44 وابن خلكان 6 : 86 والخزانة 1 : 105 والشذرات 1 : 141 والشريشي 1 : 142 وشرح شواهد المغني : 4 وأمالي المرتضى 1 : 43 ومرآة الجنان 1 : 234 وعبر الذهبيّ 1 : 236 وسير الذهبي 4 : 590 ومعاهد التنصيص 1 : 45 والنجوم الزاهرة 1 : 268 وسرح العيون : 389 ، 464 . والبداية والنهاية 9 : 265 ، ومعجم الأدباء 2785/6–2788 .

2 ل : غرف .

3 الحمالة : الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية .

يتبعهما أولادهما ، تعيشون بألبانهما ، ولا تئد الصبية ، قال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً ، وقال في نفسه : إن هذه لمكرُمةٌ ما سبقني إليها أحد من العرب ، فجعل على نفسه ألاّ يسمع بموءودة إلاّ فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة ، وقيل : أربعمائة .

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة : خرجتُ باغياً ناقتين لي فارقتين ، والفارق : التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها ، حتى تُنْتِج ، فرُفعت لي نار فسرت نحوها ، وهممت بالنزول ، فجعلت النار تضيء مرّة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهمّ لك عليّ إن بلّغتني هذه النار ألاّ أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد النّاس أن يفرِّجها إلاّ فرّجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلاّ قليلاً حتى أتيتها ، فإذا حيٌّ من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادر[1] أشعر يوقدها في مقدّم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض ، قد حبستهنّ ثلاث ليال . فسلّمت فقال الشيخ : مَن أنت ؟ فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحباً بسيِّدنا ، ففيمَ أنت يا ابن أخي ؟ فقلت : في بغاء ناقتين لي فارقتين عُمِّيَ عليّ أثرُهما ، فقال : قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجناهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ، وهما تانك في أدنى الإبل . قال : قلت : ففيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض[2] قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلّمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها ، أي أقتلنها ، فقلت : يا هذا ذرها فإنّها ابنتك ، ورزقها على الله ، فقال : اقتُلْنها ، فقلت : أنْشُدك الله ، فقال : إنّي أراك بها حفيّاً ، فاشترها منّي ، فقلت : إنّي أشتريها منك ، فقال : ما تعطيني ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتيّ قال : لا ، قلت : فأزيدك الأُخرى ، فنظر إلى جملي الذي تحتي ، فقال : لا ، إلاّ أن تزيدني جملَك هذا ، فإنّي أراه حسن اللون شابّ السّنّ ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين[3] وجمل ، وأخذت عليه عهدَ الله وميثاقه ليُحسنَنَّ برّها وصلتَها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو

1 حادر : سمين الجسم غليظ .

2 ماخض : أدركها المخاض .

3 بلقوحين : بناقتين حاملتين .

يدركها الموت ، فلمّا برزتُ من عنده حدَّثتني نفسي وقلت : إنّ هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فآليت ألاّ يئد أحد بنتاً له إلاّ اشتريتها منه بلَقوحين وجمل ، فبعث الله عَزَّ وجلَّ محمداً عليه السلام ، وقد أحييتُ مائة موءودة إلاّ أربعاً ، ولم يشاركني في ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمَه في القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد من شعره ، ومنها قصيدتُه التي أوّلُها : [من الطويل]

أبي أحـدُ الغَيْثَين صعصعةُ الذي ... متى تُخْلفِ الجوزاءُ والدّلْوُ يُمْطِرِ [1]
أجارَ بنـاتِ الوائِدينَ ومن يُجِرْ ... على الفقـر يُعْلمْ أنّه غيرُ مُخْفِرِ [2]
على حينَ لا تُحيا البناتُ وإذ هُمُ ... عكوف على الأَصنام حول المدَوَّرِ [3]

المُدَوَّر : يعني الدّوّار الذي حول الصنمْ ، وهو طوافهم .

أنـا ابـن الذي ردّ المنيّةَ فضلُه ... فما حسبٌ دافعتُ عنـه بمُعْوِرِ [4]
وفـارقِ ليلٍ من نساءٍ أتتْ أبي ... تُمـارس ريحـاً ليلُها غير مُقْمِرِ [5]
فقالت : أَجِرْ لي ما ولدتُ فإنّني ... أتيتك مـن هزلى الحَمولـةِ مُقْترِ [6]
هِجفٌ من العُثْو الرؤوس إذا بدت ... لـه ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكرِ [7]
رأى الأَرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُـدَدٍ منها إلى شرّ مخفرِ [8]
فقـال لهـا : فِيئـي فإنّي بذمّتي ... لبنتك جـارٌ مـن أبيها القَنَوَّرِ [9]

[إسلام أبيه على يد الرسول]

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبيّ ﷺ فأسلم وقد كان وَفَدهُ أبوه صعصعةُ إلى النبيّ ﷺ فأخبره بفعله في الموءودات ، فاستحسنه وسأله : هل له في ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم وعمّر غالبٌ ، حتى لحق أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه بالبصرة ، وأدخل إليه الفرزدق ،

---

1 والدلو في الديوان ص 379 : والنجم .
2 غير مخفر : غير ناقض للعهد .
3 الأصنام في الديوان 379 : الأنصاب .
4 معور : المعيب .
5 الفارق : الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض .
6 هزلى الحمولة : من هزل الرجل إذا ماتت ماشيته . مقتر : فقير مقلّ .
7 الهجف : الجافي . العثو : الكثير الشّعر . في الديوان 380 : ضغتْ أي بكت .
8 خدد : شقوق .
9 القنوّر : الشرس الخلق .

وأظنّه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ ، وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قالوا : حدَّثنا الرّياشيّ قال : حدَّثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية ، قال : حدَّثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبريّ ، قال : حدَّثني الطُّفيل بن عمرو الربعيّ ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، عن صعصعة بن ناجيةَ المجاشعيِّ جدِّ الفرزدق قال : قدمت على النبيّ ﷺ ، فعرض عليّ الإسلام ، فأسلمت ، وعلّمني آياتٍ من القرآن ، فقلت : يا رسول الله إنّي عملت أعمالاً في الجاهليّة هل لي فيها من أجر ؟ فقال : وما عمِلت ؟ فقلت : إنّي أضللتُ ناقتين لي عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ قال : وما نارهما ؟ ، يعني السِّمة ، فقلت : ميسم بني دارم ، فقال : قد أصبت ناقتيك ونتجناهما ، وظأرتا على أولادهما ونَعش الله بهما أهلَ بيت من قومك من العرب من مضر ، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر : قد ولدت ، فقال : وما ولدتِ ؟ إن كان غلاماً فقد شرِكنا في قُوتنا ، وإن كانت جارية فادفنوها ، فقالت : هي جارية : أفأئدها ؟ فقلت : وما هذا المولود ؟ قالت : بنت لي ، فقلت : إنّي أشتريها منك ، فقال : يا أخا بني تميم ، أتقول لي : أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أنّي من العرب من مضر ؟ فقلت : إنّي لا أشتري منك رقبتها ، إنّما أشتري دَمَها لئلاّ تقتلها ، فقال : وبِم تشتريها ؟ فقلت : بناقتي هاتين وولديهما . قال : لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه ، قلت : نعم ، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغتُ أهلي ردَدْتُ إليك البعير ففعل ، فلمّا بلغت أهلي رددتُ إليه البعير ، فلمّا كان في بعض الليل فكّرت في نفسي فقلت : إنّ هذه مكرمة ما سبقني إليها أحدٌ من العرب ، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائةٍ وستّين موءودة ، أشتري كُلَّ واحدة منهنّ بناقتين عُشراوين وجمل ، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام : هذا باب من البرّ ، ولك أجره إذ مَنَّ الله عليك بالإسلام ، قال عباد : ومِصداقُ ذلك قولُ الفرزدق : [من المتقارب]

وجـدِّي الذي منع الوائداتِ وأَحيـا الوئيد فلـم يُـوأَدِ

أخبرني محمد بن يحيى ، عن الغِلاّبيّ ، عن العبّاس بن بكّار ، عن أبي بكر الهذليّ قال : وفد صعصعة بن ناجية جَدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم ، وكان صعصعةُ قد منع الوَئيد في الجاهلية ، فلم يدع تميماً تَئِد ، وهو يقدر على ذلك ، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية ، فقال للنبيّ ﷺ : أوصني ، فقال : أُوصيك بأُمِّك وأَبيك وأَخيك وأُختك وإمائك ، قال : زدني ، قال : احفظ ما بين لحييك ، وما بين رجليك .

ثم قال له عليه السلام : ما شيءٌ بلغني عنك فعلتَه ؟ قال : يا رسول الله رأيت النّاس يموجون على غير وجه ، ولم أدرِ أين الوجه ، غير أنّي علمت أنّهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يئدون بناتهم ، فعلمتُ أنّ ربّهم لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يئدون ، وفديت من قدرت عليه .

وروى أبو عبيدة أنّه قال للنّبيّ ﷺ : إنّي حملتُ حَمالات في الجاهليّة والإسلام ، وعليّ منها ألفُ بعير ، فأدَّيتُ من ذلك سبعمائة ، فقال له : إنّ الإسلام أمَرَ بالوفاء ، ونهى عن الغدر ، فقال : حسبي حسبي ، ووفّى بها .

ورُوِي أنّه إنّما قال هذا القول لعمر بن الخطّاب ، وقد وفد إليه في خلافته .

وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذي يقول : أُنشدنيه محمد بن يحيى له : [من الطويل]

إذا المرء عـادى من يودُّك صدرُه　　　وكان لِمَن عاداك خِدْنـاً مُصافِيا

فـلا تسألَنْ عمّـا لديـه فإنّـه　　　هـو الدّاءُ لا يخفى بذلـك خافيا

[كرم أبيه]

أخبرني محمد بن يحيى ، عن محمد بن زكريّا ؛ عن عبد الله بن الضحّاك ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عوانة قال : تَراهَن نَفرٌ من كلب ثلاثةٌ على أن يختاروا من تميم وبكر نَفَراً ليسائلوهم ، فأيّهم أعطى ، ولم يسألهم عن نسبهم مَن هم ؟ فهو أفضلهم ، فاختار كلّ رجل منهم رجلاً ؛ والذين اختيروا عميرُ بنُ السليك ، بن قيس بن مسعود الشيبانيّ ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وغالب بن صعصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق ، فأتوا ابن السُّليك فسألوه مائة ناقة ، فقال : مَن أنتم ؟ فانصرفوا عنه .

ثم أتوا طلبة بن قيس ، فقال لهم مثل قول الشيبانيّ ، فأتوا غالباً ، فسألوه ، فأعطاهم مائةَ ناقة وراعيها ، ولم يسألهم مَن هم فساروا بها ليلة ، ثم ردّوها ، وأخذ صاحبُ غالب الرَّهنَ ، وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الطويل]

وإذا ناحبَت كَلبٌ على النّاسِ أيُّهم　　　أَحـقُّ بتـاج الماجـدِ المتكرِّمِ[1]

على نفرٍ هُم من نزار ذوي العلا　　　وأهـل الجراثيـم التي لم تهدَّمِ[2]

فلم يُجزِ عن أحسابهم غيرُ غالبٍ　　　جرى بعنـان كلِّ أبيضَ خِضرمِ[3]

1 ناحبت في الديوان 199/2 : نحبت .

2 نزار ذوي في الديوان 199/2 : نزار ذؤابة . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي الأصل .

3 فلم يجز في الديوان 200/2 : فلم يَجْلُ . الخضرم : الكريم المعطاء .

[سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن جهم السليطيّ ، عن إياس بن شبّة ، عن عقال بن صَعصعة ، قال : أجدبت بلاد تميم ، وأصابت بني حنظلة سنةٌ[1] في خلافة عثمان ، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعتها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادي ، وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ، فنَحر ناقته فأطعمهم إيّاها ، فلمّا وردت إبل سحيم بن وثيل الرِّياحيّ حبس منها ناقة ، فنحرها من غد ، فقيل لغالب : إنّما نحر سُحيم مواءمةً لك ، أي مساواة لك ، فضحك غالب ، وقال : كلا ، ولكنّه امرؤ كريم ، وسوف أنظر في ذلك ، فلمّا وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما ، فأطعمهما بني يربوع ، فعقر سُحَيم ناقتين ، فقال غالب : الآن علمت أنّه يوائمني ، فعقر غالب عشراً ، فأطعمها بني يربوع ، فعقر سحيم عشراً ، فلمّا بلغ غالباً فعلُه ضحك ، وكانت إبله ترد لخمس ، فلمّا وردت عقرها كلّها عن آخرها ، فالمكثر يقول : كانت أربعمائة ، والمُقِلّ يقول : كانت مائة ، فأمسك سحيم حينئذٍ ؛ ثم إنّه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكُناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير ، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ، ورآهم عليٌّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس لا يحل لكم ، إنّما أُهِلّ بها لغير الله عزَّ وجلَّ . قال : فحدَّثني مَن حضر ذلك قال : كان الفرزدق يومئذٍ مع أبيه وهو غلام ، فجعل غالب يقول : يا بنيّ ، ارددْ عليّ ، والفرزدق يردُّها عليه ، ويقول له : يا أبت اعقِر ، قال جهم : فلم يُغنِ عن سحيم فعله ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطِق فعلَه .

[يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن]

حدَّثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ، يعني أبا العيناء ، عن أبي زيد النحويّ ، عن أبي عمرو قال : جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة ، فقال : إنّ ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال : علّمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق ، فقيّد نفسَه في وقت ، وآلى : لا يَحُلُّ قيدَه حتى يحفظ القرآن .

[عريق في قرض الشعر]

قال محمد بن يحيى : فقد صحّ لنا أنّ الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة ، وندع ما قبل ذلك ، لأنّ مجيئَه به بعد الجمل ، على الاستظهار ، كان في سنة ستّ وثلاثين ، وتوفّي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أوّل خلافة هشام هو وجرير والحسن

---

1 سنة : جدب .

البصريّ وابن سيرين في ستّة أشهر ، وحُكِي ذلك عن جماعة ، منهم الغِلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغِلابيّ ، عن ابن عائشة أيضاً ، عن أبيه قال : قال الفرزدق أيضاً : كنت أُجيد الهجاء في أيّام عثمان ، قال : ومات غالب أبو الفرزدق في أوّل أيّام معاوية ودُفِن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

لقد ضمّت الأكفانُ من آل دارمٍ ... فتًى فائِضَ الكفَّين محضَ الضَّرائبِ[1]

[الفرزدق أشعر أم جرير]

أخبرني حبيب المهلّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عمران الضبّيّ ، قال : حدَّثني جعفر بن محمد العنبريّ ، عن خالد بن أُمّ كلثوم ، قال : قيل للمفضل الضبّيّ : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق : قال : قلت : ولِمَ ؟ قال : لأنّه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال : [من الطويل]

عجبتُ لِعجلٍ إذ تُهاجِي عَبِيدَها ... كما آلُ يربــوع هَجَـوْا آلَ دارِمِ

فقيل له : قد قال جرير : [من الكامل]

إنَّ الفــرزدقَ والبَعِيــثَ وأُمّــه ... وأبــا البَعِيــث لشرّ مــا إستارِ[2]

فقال : وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والنّاس كلّهم بنو الفاعلة !

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة مَعمرُ بنُ المثنّى : كان الشعراء في الجاهلية من قيس ، وليس في الإسلام مثلُ حظِّ تميم في الشعر ، وأشعر تميمٍ جرير والفرزدق ، ومن بني تغلِب الأخطلُ .

قال يونس بن حبيب : ما ذُكِر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتَّفَق المجلسُ على أحدهما ، قال : وكان يونس فرزدقيّاً .

[بيتين لابن ميادة]

أخبرني عمّي ، عن محمد بن رستم الطبريّ ، عن أبي عثمان المازنيّ قال : مرّ الفرزدق بابن مَيّادة الرمّاح والنّاسُ حوله وهو ينشد : [من الطويل]

1 الضرائب : جمع ضريبة أي الطبيعة والسجية .

2 إستار : لفظ معرّب بمعنى أربعة .

لــو انّ جميعَ النّاس كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي ظـالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلّت رقـابُ النّاس خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنـــا بالجماجمِ

فسمعه الفرزدق ، فقال : أما والله يا ابنَ الفارسيّة لَتدعنّه لي أو لأنبشَنَّ أمَّك من قبرها ، فقال له ابن ميّادة : خذه لا بارك الله لك فيه ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لــو انّ جميعَ النّاس كانـــوا بربوة وجئتُ بجـــدِّي دارمٍ وابنِ دارمِ
لظلّت رقابُ النّـــاسِ خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنـــا بالجماجمِ

[عود إليه هو وجرير]

أخبرني عمّي ، عن الكرانيّ ، عن أبي فراس الهيثم بن فراس ، قال : حدَّثني ورقة بن معروف ، عن حمّاد الرّاوية قال : دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بُنيّةٌ له يَشمّها فقال جرير : ما هذه يا أمير المؤمنين عندك ؟ قال بُنَيَّة لي ، قال : باركَ اللهُ لأمير المؤمنين فيها . فقال الفرزدق : إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب ، ثم أقبل يزيد على جرير فقال : ما لك والفرزدق ؟ قال : إنّه يظلمني ويبغي عليّ ، فقال الفرزدق . وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم ، قال جرير : وأما والله لتُردَّنَّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم ، فقال الفرزدق : أمّا بك يا حمار[1] بني كليب فلا ، ولكن إن شاء صاحب السرير ، فلا والله ما لي كفء غيرُه ، فجعل يزيد يضحك .

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن حمّاد الراوية قال : أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي : أتيتَ الكلبَ ، يعني جريراً ، قلت : نعم .

قال : أفأنا أشعَر أم هو ؟ قلت : أنتَ في بعض وهو في بعض ، قال : لم تناصحني ، قال : قلت : هو أشعَر منك إذا أرخيَ من خناقه ، وأنتَ أشعَر منه إذا خفت أو رجوت ، قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلاّ في الخير والشرّ .

قال : وروى عن أبي الزّناد عن أبيه قال : قال لي جرير : يا أبا عبد الرحمن : أنا أشعَر أم هذا الخبيث ، يعني الفرزدق ، وناشدني لأخبرنّه[2] ، فقلت : لا والله ما يشاركك ولا يتعلّق بك في النسيب قال : أوْه قضيت والله له عليّ ، أنا والله أخبرك : ما دَهاني ، إلاّ أنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً ، فسمّى عدداً كثيراً ، وأنّه تفرّد لي وحدي .

1 ل : عيّار .
2 ل : إلاّ أخبرته .

[خبره مع النوار]

أخبرني عبد الله قال : قال المازنيّ : قال أبو علي الحرمازيّ : كان من خبر الفرزدق والنَّوار ابنةِ أعيَن بن صعصعة[1] بن ناجية بن عقال المجاشعيّ ، وكانت ابنة عمِّه ، أنّه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليّها ، فأرسلت إليه أنَّ زَوِّجْني من هذا الرجل ، فقال : لا أفعل أو تُشهدِيني أنّك قد رضيت بمَن زوّجتك ، ففعلت ، فلمّا توثّق منها ، قال : أرسلي إلى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أنّ النّوار قد ولّتني أمرَها ، وأُشهدكم أنّي قد زَوَّجتُها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة . فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزُّبير حين أعياها أهلُ البصرة ألاَّ يطلِّقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود ، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق ، وابنُ الزُّبير يومئذٍ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد مَن يحملها ، وأتت فتيةً من بني عديّ بن عبد مناة بن أُدّ ، يقال لهم بنو أُمّ النُّسَيْر ، فسألتهم برحم تجمعهم وإيّاها ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أُمّها : ليحملنّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه ، وأوقروا له عدّة من الإبل ، وأُعين بنفقة ، فتبع النَّوار ، قال : [من الطويل]

أطاعت بني أُمّ النُّسَيْر فأَصبحت ... على شارفٍ ورقاءَ صعبٍ ذلولُها[2]
وإنّ الذي أَمسى يخبِّب زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْد الشّرى يَستبيلُها[3]

فأدركها وقد قَدِمت مكّة ، فاستجارت بخَولَةَ بنتِ منظورِ بنِ زبَّان بن سيّار الفزاريّ ، وكانت عند عبد الله بن الزُّبير ، فلمّا قدِم الفرزدق مكّة اشرأبَّ النّاس إليه ، ونزل على بني عبد الله ابن الزُّبير ، فاستنشدوه ، واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر ، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فمال إلى النوّار ، فقال الفرزدق في ذلك : [من البسيط]

صوت

أَمّا بنوه فلم تُقْبل شفاعتُهم ... وشُفّعت بنتُ منظورِ بن زبّانا
ليس الشّفيع الذي يأتيك مُؤْتَزِراً ... مثلَ الشفيع الذي يأتيكَ عُرْيانا

لَعِريب في هذا البيت خفيف رمل .

---

1 ل : ضبيعة .

2 الشارف : الناقة المسنة ، والورقاء : ما في لونها بياض إلى سواد .

3 وإن الذي أمسى في الديوان 61/2 فإن امرأ يسعى . يخبِّب : يفسد . يستبيلها : يطلب بولها .

قال : وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمكّة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما ظلّ ولا كِنٌّ حتى يَجْمَعا في أمرهما ذلك بني تميم ، ويصيرا على حكمهم . ففعلا ، فلمّا صارا إلى البصرة رجعت إليه النّوار بحكم عشيرتها .

قال : وقال غير الحرمازيّ : إنّ ابن الزُّبير قال للفرزدق : جئني بصداقها وإلاّ فرّقت بينكما ، فقال الفرزدق : أنا في بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له : عليك بسلم بن زياد ؟ فإنّه محبوس في السجن يطالبه ابن الزُّبير بمال ، فأتاه فقصّ عليه قصّته قال : كم صداقها ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمَر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

دعي مُغلقي الأبواب دون فَعالهم ... ولكن تمشَّيْ بي ، هُبِلْت ، إلى سَلْمِ[1]

إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سَبِيلُه ... ويفعلُ أفعالَ الرّجال التي تَنمي[2]

قال : فدفعها إليه ابن الزُّبير ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

هلمّـي لابن عمّـك لا تكـوني ... كمختـارٍ على الفـرس الحمـارا

قال : فجاء بها إلى البصرة ، وقد أحبلها ، فقال جرير في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكـمُ عِرسُ الفرزدق جامحاً ... ولـو رضِيَتْ رُمح استِهِ لاستقرَّتْ

فأجابه الفرزدق ، وقال : [من الطويل]

وأُمُّـك لـو لاقيتُهـا بِطِمرَّةٍ ... وجاءت بها جوف استِها لاستقرَّت[3]

وقال الفرزدق وهو يخاصم النَّوار : [من الوافر]

تُخاصمنـي وقـد أولجتُ فيهـا ... كـرأس الضَّبّ يلتمس الجـرادا

قال الحِرمازيّ : ومكثت النَّوار عنده زماناً ، ترضى عنه أحياناً ، وتخاصمه أحياناً ، وكانت النَّوار امرأة صالحة ، فلم تزل تشمئزٌ منه ، وتقول له : ويحَك ! أنت تعلم أنّك إنّما تزوَّجت بي ضُغطة[4] وعلى خُدعة ، ثم لا تزال في كلٍّ ذلك ، حتى حلفت بيمين مُوثَّقة ، ثم حِنثتَ . وتجنَّبَتْ فراشَه ، فتزوَّج عليها امرأة يقال لها جُهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمُّها الخميصة من بني الحارث بن عبّاد ،

1 ولكن تمشي بي في الديوان 221/2 ولكن تمضَّيْ لي .

2 أفعال في الديوان 221/2 أخلاق . تنمي : ترفع القدر .

3 الطمرة : الفرس السريعة العدو .

4 ضغطة : اضطراراً .

فنافرته الخميصة ، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق ، وقال : إنّها منّي بريء طالق وطلّق ابنتَها ، وقال : [من البسيط]

إنّ الخميصةَ كانـت لي ولابنتها   مثل الهَراسةِ بـين النّعل والقَدَمِ[1]
إذا أتـت أهلَهـا منّـي مُطَلَّقة   فلـن أُردَّ عليهـا زَفـرَةَ النَّدمِ

جعل يأتي النَّوارَ وبه رَدْع الخَلوق[2] وعليه الأثر فقالت له النَّوار : هل تزوّجتها إلاّ هُداديّة ، تعني حيّاً من أزد عُمان ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

تُريك نجومَ الليل والشَّمسُ حَيَّةٌ   كـرامُ بنات الحـارث بن عُبادِ[3]
أبوهـا الذي قـاد النّعامة بعدما   أَبت وائـلٌ في الحرب غير تمادِ
نساءٌ أبوهـنّ الأعـزُّ ولم تكن   مـن الأزد في جاراتهـا وهَدادِ
ولم يَـكُ في الحيِّ الغموضِ محلُّها   ولا في العُمانيِّـين رهـطِ زيادِ[4]
عَدلتُ بها مَيلَ النَّوار فأَصبحتْ   وقـد رَضيت بالنّصف بعد بعادِ

قال : فلم تزل النَّوار ترققه ، وتستعطفه ، حتى أجابها إلى طلاقها ، وأخذ عليها ألاّ تفارقَه ولا تبرح من منزله ، ولا تتزوَّجَ رجلاً بعده ، ولا تمنعَه من مالِها ما كانت تبذله له ، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها ، ففعل ذلك .

قال المازنيّ : وحدَّثني محمد بن روح العدويّ عن أَبي شَفْقَل راوية الفرزدق قال : ما استصحَبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر ، وقد صحِب النوارَ رجالٌ كثيرة ، إلاّ أنّهم كانوا يلوذون بالسّواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق ، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق : يا أبا سعيد ، قال له الحسن : ما تشاء ؟ قال : اشهد أنّ النّوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن : قد شهدنا ، فلمّا انصرفنا قال : يا أبا شفقل ، قد ندمتُ ، فقلت له : والله إنّي لأظنّ أنّ دمك يترقرق ، أتدري مَنْ أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجمنّ بأحجارك ، فمضى وهو يقول : [من الوافر]

ندمـتُ ندامـةَ الكُسَعيّ لّما   غـدت منّـي مُطَلَّقةً نوارُ[5]

1 الهراسة : نوع من الشوك .
2 ردع الخلوق : ريح الطيب .
3 الحارث بن عباد : فارس النعامة في حرب البسوس .
4 الحيّ الغموض : القبيلة التي تخفى مكانتها .
5 الكسعي : رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه ، وكان جربها في عدة ظباء ، فظنّ أنها لم تصبهن ، ثم اتّضح أنّها أصابتهن جميعاً .

ولــو أنّي ملكتُ يدي وقلبي ... لكــان عــليٌّ للقَــدرِ الخيارُ
وكانت جَنّتي فخرجتُ منها ... كآدم حين أُخرجـه الضّرارُ[1]
وكنتُ كفاقيءٍ عينيــه عمداً ... فأصبح ما يضيء لــه النهارُ

[خصومته لكلّ من يساعد النّوار]

وأخبرني بخبره مع النَّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا عمر بن شبّة، قال: حدَّثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن عليّ بن حميد: أنَّ النّوار لمّا كرهت الفرزدق حين زوَّجها نفسَه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقريّ ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم: [من الطويل]

بني عاصم لا تجنبوهــا فإنّكم ... ملاجِيءُ للسوآت دُسم العَمائِمِ[2]
بَني عاصمٍ لو كان حَيّــاً أبوكم ... للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ[3]

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك غيلة، وخلَّوه والنَّوار وأرادت منافرتَه إلى ابن الزُّبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِيَها[4] خوفاً منه. ثمّ إنّ قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أُمّ النُّسَير أكروها، فقال الفرزدق: [من الوافر]

ولــولا أن يقــول بنو عَديٍّ ... أَلم تَــكُ أُمَّ حَنظلــة النَّوارُ
أتتكم يــا بنــي مِلْكان عنّي ... قــوافٍ لا تُقسِّمهــا التِّجارُ

وقال فيهم أيضاً: [من الطويل]

لعمري لقــد أردى النَّوارَ وساقها ... إلى البــورِ أحلامٌ خِفــافٌ عقولُها[5]
أطاعت بنــي أمّ النُّسَير فأصبحت ... على قَتبٍ يعلــو الفــلاةَ دليلُها[6]
وقد سَخِطَت مِنّي النّوارُ الذي ارتضَى ... بــه قبلَهــا الأزواجُ خــاب رحيلُها
وإنّ امــرءاً أمسى يُخبِّب زوجتــي ... كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلُها
ومــن دون أبــواب الأسود بَسالةٌ ... وبَسْطَة أيــدٍ يمنع الضَّيمَ طُولُها[7]

1 أخرجه في الديوان 294/1 حين لج به.
2 دسم العمائم: من الدنس.
3 قيس بن عاصم كان مضرب المثل في الحلم تعلم منه الحلم أحنف بن قيس.
4 يكري: يعطي دابة بالكراء.
5 البور أحلام خفاف في الديوان 60/2 الغور أحلام قليل.
6 الشطر الثاني في الديوان 61/2 على شارف ورقاء صعب ذلولها.
7 ومن دون أبواب في الديوان 61/2: ومن دون أبوال. وبسطة في الديوان 61/2 وصولة.

وإنَّ أميـــرَ المؤمنـــين لعالِـــمٌ بتأويل مـــا وَصَّى العِبادَ رَسُولُها[1]
فَدُونَكَهـــا يـــا ابنَ الزُّبير فإنّهـــا مُوَلَّعَـــة يُوهـــي الحجـــارةَ قِيلُها
ومـــا جادل الأقوامَ من ذي خصومة كورهـــاء مَشْنوءٍ إليهـــا حليلُها[2]

فلمّا قدمت مكّة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زبّان زوجة عبد الله بن الزُّبير ، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، ومدحه بقوله : [من الكامل]

أَمسيتُ قد نزلتْ بحمزة حاجَتي إن المنـــوَّه باسمِـــه الموثـــوقُ
بأبي عمارةَ خيرِ من وَطِيء الحصا وجرت له في الصالحـــين عُروقُ
بـــين الحـــواريِّ الأعزّ وهاشمٍ ثـــم الخليفـــةُ بعـــدُ والصِّدِّيقِ[3]

غنَّى في هذه الأبياتُ ابنُ سريج رملاً بالبنصر .

قال : فجعل أَمرُ النَّوار يقوى ، وأَمرُ الفرزدق يضعفُ ، فقال : [من البسيط]

أمّا بنوه فلم تُقْبل شفاعتُهم وَشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ بنِ زِبّانا

[ملاحاة بينه وبين ابن الزُّبير]

وقال ابن الزُّبير للنَّوار : إن شئت فرّقت بينكما ، وقتلته ، فلا يَهْجُونا أَبداً ، وإن شئت سيَّرته إلى بلاد العدوّ ، فقالت : ما أريد واحدة منهما ، فقال لها : فإنّه ابن عمّك وهو فيك راغب ، فأُزوِّجُك إيّاه ، قالت : نعم ، فزوّجها منه ، فكان الفرزدق يقول : خرجنا ونحن متباعضان ، فعدنا متحابين .

قال : وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزُّبير ، وقد توجّه الحكم عليه ، إنّما تريد أَن أُفارقها فتَثِب عليها ، وكان ابن الزُّبير حديداً[4] ، فقال له : هل أنت وقومك إلاّ جالية[5] العرب ؟

ثم أَمر به فأُقيم ، وأَقبل على مَن حضر ، فقال : إنّ بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة ، فاستلبوه ، فاجتمعت العرب عليها لّما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط ، فأجلتها من أرض تِهامة ، قال : فلقي الفرزدق بعضَ النّاس ، فقال : إيه يعيرنا ابن الزُّبير بالجلاء ! اسمع ، ثم قال : [من الوافر]

---

1 الشطر الأول في الديوان 62/2 : فإنّ أبا بكر إمامك عالم .
2 وما جادل في الديوان 62/2 : وما خاصم . ورهاء : حمقاء ، مشنوء : مبغض .
3 في هذا البيت إقواء .
4 حديد : سريع الغضب .
5 الجالية : الذين أجلوا : أي أبعدوا عن أوطانهم .

فإن تغْضَبْ قريشٌ أَو تَغَضَّبْ ... فـإنّ الأَرضَ تُوعبُهـا تميمُ
هُـمُ عَـددُ النّجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهـمْ لا تُعـدُّ لـه نجومُ
ولـولا بيت مكّـةَ ما ثويتم ... بهـا صحَّ المنابتُ والأرومُ[1]
بهـا كثُر العديدُ وطاب منكم ... وغيرُكم أخيـذُ الريش هِيمُ[2]
فمهلاً عَنْ تعلّل مَـن غَدَرْتُم ... بخونتـه وعذَّبـه الحَميمُ
أَعبـدَ اللهِ مهـلاً عـن أَذاتي ... فإنّـي لا الضعيفُ ولا السئومُ
ولكنِّـي صفـاةٌ لم تُدَنَّس ... تـزِلُّ الطيرُ عنها والعُصومُ[3]
أَنـا ابن العاقِر الخُورَ الصّفايا ... بضوّى حين فُتِّحت العُكومُ[4]

قال : فبلغ هذا الشعرُ ابنَ الزُّبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه ، فغمز عنقَه ، فكان يدقّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أَصبحت عِرسُ الفرزدق ناشزاً ... ولـو رَضَيت رُمحَ استِه لاستقرّتْ

وقال : هذا الشعر لجعفر بن الزُّبير .

وقيل : إنّ الذي كان تقرَّر عليه عشرةُ آلاف درهم ، وإنّ سَلْمَ بنَ زيادٍ أَمر له بعشرين أَلف درهم مهْراً ونفقة ، فقبضها ، فقالت له زوجته أُمّ عثمان بنتُ عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة : أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس ؟ فقال : [من الطويل]

أَلا بَكَـرَتْ عِرسي تلومُ سفاهةً ... على مـا مضى منِّي وتأمرُ بالبُخْلِ
فقلتُ لهـا ، والجودُ مِنِّي سجيَّةٌ : ... وهل يمنع المعروفَ سُؤَّالَه مِثلي ؟
ذَرِيني فإنِّي غيرُ تـارك شِيمتي ... ولا مُقصرٍ طول الحياة عن البذْلِ
ولا طاردٍ ضيفي إذا جاءَ طارقاً ... وقد طرقَ الأَضيافُ شيخيَ من قبلي
أَأَبخَلُ ؟ إن البُخْل ليس بمُخْلِدي ... ولا الجودُ يدنيني إلى الموت والقتلِ
أَبيعُ بني حرب بـآلِ خويلدٍ ! ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدلِ[5]

---

1 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .
2 أخيذ الريش : مهيض الجناح . الهيم : النوق العطاش .
3 العصوم : الأوساخ .
4 الخور : النوق الغزر ، جمع خوارة . الصفايا : المنتقاة . العكوم : جمع عِكم وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام .
5 خويلد : أبو العوام جد عبد الله بن الزُّبير .

وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهاً لفحل بَني العوّام ، قُبِّح من فحلِ
فإن تُظهرُوا ليَ البخلَ آلَ خُوَيْلد فما دأْبكم دأْبي ولا شكلُكم شكلي
وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي فمن عجبِ الأَيّام أَن تقهروا مِثلي

فلمّا اصطلحا ، ورضيت به ، ساق إليها مهرها ، ودخل بها ، وأحبلها قبل أن يخرج من مكّة .

ثم خرجا وهما عديلان في محمل .

[يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزُّبير]

وأَخبرني أَبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، عن إبراهيم بن حبيب الشَّهيد بنحو من هذه القصّة .

قال عُمَر بنُ شبّة : قال الفرزدق في خبره : [من البسيط]

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرضت أَنضــاؤه بمكــان غيرِ ممطــورِ[1]
فأَنــت أَحرى قريش أَن تكون لهــا وأَنــت بــين أَبي بكــرٍ ومنظورِ[2]
بين الحــواريّ والصدّيــق في شُعَبٍ ثَبَتْــنَ في طُنُــب الإسلام والخِيرِ[3]

[يتّقون لسانه]

أَخبرنا أَبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السّريّ السلميّ ، قال : كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق ، قال : فأخذناهُ ، فأتينا به الفرزدق وقلنا : هذا بين يديك فإن شئت فاضْرب ، وإن شئت فاحلق ، فلا عَدْوى عليك ولا قصاص ، قد برئنا إليك منه ، قال : فخلّى سبيله وقال : [من الوافر]

فمن يَكُ خائفاً لأذاة شعري فقد أَمِنَ الهجاءَ بَنُو حـــرامِ
هم قـــادوا سَفيهَهم وخافوا قلائـــدَ مثـــل أَطواق الحمامِ

قال ابن سلام : وحدَّثني عبد القاهر قال : مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام معنا عنبسة مولى عثمان بن عفّان ، فقال : يا أبا فِراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال : وما حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟ قال : أكتب معك إلى أبي ، قال : أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ، أبوك في النّار ، اكتب إليه مع ريالويه واصطفانوس .

1 أنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول من الإبل .
2 يعني منظور بن زبّان جدّه لأُمّه .
3 طنب الإسلام في الديوان 252/1 طيّب الإسلام . الخِير : الكرم والشرف .

[يغضب على ابن الكلبيّ لعدم روايته شعره]

أُخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه قال : أُخبرني مخبر ، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ ، قال : مررتُ بالفرزدق ، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير ، وبلَغه ذلك ، فاستجلسني ، فجلست إليه ، وعذت بالله من شرّه ، وجعلت أحدّثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه ، ثم قلت له : إنّي لأذكر يوم لقَّبَك بالفرزدق ، قال : وأيّ يوم ؟ قلت : مررت به وأَنت صبيّ ، فقال له بعضُ مَن كان يجالسه : كأنَّ ابنَك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأُبَّهته ، فسمَّاك بذلك ، فأَعجبه هذا القول ، وجعل يستعيد ، ثم قال : أنشدني بعضَ اشعار ابن المراغة فيّ ، فجعلت أنشده ، حتى انتهيت ، ثم قال : فأَنشد نقائضها التي أجبته بها ، فقلت : ما أحفظها ، فقال : يا خالد ، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضَه ؟ والله لأهجوَنّ كلباً هجاء يتّصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة ، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها ، فقلت : أفعل فلزمته شهراً ، حتى حفظت نقائضها ، وأنشدته إيّاها خوفاً من شرّه .

[يكايد النّوّار بحدراء فتستعدي عليه جريراً]

أَخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ قال : تزوّج الفرزدق حَدْراء بنت زِيقِ بنِ بِسْطامِ بن قيس الشيباني ، وخاصمته النّوار وأخذت بلحيته ، فجاذبها وخرج عنها مُغضَباً وهو يقول : [من الكامل]

قامَتْ نوارُ إليَّ تَنتِف لِحيتي ... تَنْتافَ جعدةَ لحيةَ الخشخاشِ[1]
كلتاهما أَسدٌ إذا ما أُغْضِبت ... وإذا رَضينَ فهنَّ خير معاشِ[2]

قال : والخشخاش : رجل من عَنَزة ، وجعدةُ امرأته ، فجاءت جعدةُ إلى النّوار ، فقالت : ما يريد منّي الفرزدق ؟ أما وجد لامرأته أُسوة غيري .

وقال الفرزدق للنَّوار يفضّل عليها حدراءَ : [من الطويل]

لعمري لأَعْرابيَّةٌ في مظَلَّةٍ ... تظلُّ برَوقيْ بيتِها الرّيحُ تخفُقُ[3]

---

1 في الديوان 388/1 :
بكرت عليّ نَوار تنتف لحيتي ... نتف الجعيدة لحية الخشخاش
2 وفي الديوان 388/1 :
كلتاهما أسد إذا حرّبتها ... ورضاهما وأبيك خير معاش
3 روقي : تثنية روق ، ومن معانيه رواق البيت .

أحبُّ إلينا مــن ضِنــاكٍ ضِفِنَّةٍ إذا وُضعت عنها المراويحُ تَعْرَقُ[1]
كريــمٍ غــزالٍ أو كدُرَّةِ غائصٍ تكاد ، إذا مرّت ، لها الأرض تُشرقُ[2]

فلمّا سمعت النّوار ذلك أرسلت إلى جرير ، وقالت للفرزدق : والله لأخزينَّك يا فاسق فجاء جرير ، فقالت له : أما ترى ما قال الفاسق ، وشكته إليه ، وأنشدته شعرَه ، فقال جرير : أنا أكفيك ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ولَسْت بمعطي الحكمِ عن شَفٍّ منصبٍ ولا عــن بنــات الحنظليّين راغِبُ[3]
وهــنّ كماء المزن يُشْفى بــه الصَّدى وكانت مِلاحــاً غيرَهُنَّ المشارِبُ[4]
لقــد كنتَ أهلاً أن يسوق دياتكم إلى آل زيــق أن يعيبَــك عائــبُ
ومــا عدلــتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةً عُتَيْبةُ والرّدفــان منهــا وحاجِبُ[5]
أأَهْديتَ يــا زِيــقُ بن بَسْطامَ ظَبيةً إلى شرٍّ مــن تُهْـدى إليه القرائبُ
ألا رُبَّمــا لم نُعْــطِ زِيقــاً بحُكمِهِ وأدّى إلينــا الحكــمَ والغُلُّ لازبُ[6]
حَوَينــا أبــا زِيــقٍ وزِيقــاً وعمَّه وجَــدَّةُ زِيــق قــد حَوَتْها المقانِبُ[7]

فأجابه الفرزدق فقال : [من الطويل]

تقــول كليبٌ حــين مثَّت سِبالهــا وأعشَبَ مــن مرُوتِها كلُّ جانبِ[8]
لسوّاقِ أغنــام رعتهــنّ أمّــه إلى أن علاها الشيبُ فوق الذوائبِ[9]
ألستَ إذا القعساءُ مــرّت براكبٍ إلى آل بِسطامِ بــن قيس بخاطبِ[10]

---

1 الضناك : الموثق الخلق الشديد . الضفنة : الحمقاء الكثيرة اللحم .

2 في الديوان 55/2 :
كأمّ غــزالٍ أو كــدرة غائص إذا ما بدتْ مثل الغمامة تُشْرقُ

3 الشفّ : الفضل .

4 ملاحاً : من الملوحة .

5 ذات الصليب : حدراء . عتيبة : هو ابن الحارث بن شهاب . الردفان هما عتاب بن هرمي ، وعوف بن عتاب بن هرمي . وحاجب : هو ابن زرارة .

6 زيق : أبو حدراء ، والغلّ : القيد .

7 المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل .

8 مثت : أخصبت . سبالها : سنابل زرعها . مرّوت : جمع مرت ، وهو القفر لا نبات به .

9 في الديوان 96/1 لسؤبان أغنام وهو الحسن القيام على المال .

10 مرت براكب في الديوان 96/1 أنسل ظهرها .

وقالوا : سمعنا أنّ حدراءَ زُوِّجَتْ على مائَةٍ شُمِّ الذُّرى والغوارب[1]
فلو كنتَ من أَكفاء حدْراء لم تلُمْ على دارِميٍّ بين ليلى وغالبِ
فنل مثلَها من مثلهم ثُمّ أُمَّهم بمِلكك من مال مُراح وعازب[2]
وإنّي لأخشى إن خطبتَ إليهمُ عليك الذي لاقى يسارُ الكَواعِبِ
ولو تنكِحُ الشّمسُ النجومَ بناتِها نكحنا بناتِ الشمسِ قبل الكواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق ، قال جرير أبياته التي أوّلها : [من البسيط]

يا زيقُ أَنكحتَ قَيناً في استه حَمَمٌ يا زيقُ ويْحَكَ مَن أَنكحتَ يا زيقُ[3]
أين الألى أنزلوا النُّعمان ضاحيةً أَم أَين أَبناءُ شيبانَ الغرانيقُ ؟[4]
يا رُبّ قائلةٍ بعد البناء بها : لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ
غاب المثنّى فلم يشهد نَجِيَّكُما والحوفَزانُ ولم يشهدْك مفروقُ[5]

والفرزدق يقول لجرير : [من البسيط]

إن كان أنفُك قد أَعياك مَحمِلُه فاركب أَتانك ثم اخطُب إلى زِيقِ

[خبران عن ولديه]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن زكريا بن ثباة الثقفيّ قال : أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه ، فلمّا انتهى إلى قوله : [من الطويل]

بِفي الشَّامِتِين الصَّخْر إن كان مسَّني رزيّةُ شِبْل مُخْدِرٍ في الضَّراغمِ

قال : يا أبا يحيى ، أرأيت ابني ؟ قلت : لا ، قال : والله ما كان يساوي عباءته .

[بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة]

قال إسحاق : حدَّثني أبو محمد العبديّ ، عن اليربوعيّ ، عن أبي نصر قال : قدِم لبطةُ بن الفرزدق الحيرة ، فمرّ بقوم من بني تغلب فاستَقْراهم فَقَرَوْه ، ثم قالوا له : مَن أنت ؟ قال : ابن شاعركم ومادِحِكم ، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم : [من الكامل]

---

1 شمّ الذرى والغوارب : عالية الأسنمة والظهور .
2 ثم أمهم بملكك في الديوان 97/1 ثم لمهم بمالك .
3 القين : الحداد . والحم : الفحم .
4 الغرانيق : جمع الغرنوق : الشاب الممتلىء الناعم .
5 الحوفزان : هو الحارث بن شريك بن الصلب ، ومفروق : هو النُّعمان بن عمرو الأصم .

أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعِرٌ يرمي الأعـاديَ بالقريض الأثقَلِ
إن غاب كعبُ بني جُعَيلٍ عنهم وتَنَمَّر الشعـراء بعـد الأخطلِ[1]
يتباشرون بموتِـه ووراءهـم مِنّي لهـم قِطَعُ العذابِ المُرْسَلِ

فقالوا له : فأنت ابن الفرزدق إذاً ، قال : أنا هو ، فتنادَوا : يا آل تغلب ، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه ، فجعلوا له مائة ناقة ، وساقوها إليه ، فانصرف بها .

[عمرو بن عفراء يتحدّاه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم قال : أتى الفرزدق عبدَ الله بن مُسلِم الباهِليّ فسأله فثَقُلَ عليه الكثير ، وخَشِيَه في القليل ، وعنده عمرو بن عفْراء الضَّبّيُّ راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله : [من الطويل]

ونُبِّئْـتُ جوَّابـاً وسَلْمـاً يسبّنـي وعمرو بن عِفْرى ، لا سلامٌ على عمرِو

فقال ابنُ عفراءَ للباهليّ : لا يهولنّك أمره ، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هَمّ له به ، فأعطاه ثلثمائة درهمٍ ، فقبلها الفرزدق ورضي عنه ، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال : [من الطويل]

ستعلم يا عمرو بن عفْرى مَن الذي يُـلام إذا مـا الأمـر غَبَّـتْ عواقبُه[2]
نهيـتُ ابنَ عِفـرى أن يعقّـر أُمّه كعفْـر السّلا إذ جرَّرَتْـه ثعـالبُهْ[3]
فلو كنتَ ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سَرتْ عـلى قَدَمِـي حيّاتُـه وعقـاربُهْ
ولكـن دِيـافيٌّ أبـوه وأُمّـه بحـوْران يعصِـرْن السليـط أقاربُهْ[4]
ولّمـا رأى الدّهنـا رمتـه جبالُهـا وقالـت دِيـافيٌّ مـع الشّام جـانبُهْ
فإن تغضبَ الدّهنـا عليك فما بها طريـقٌ لمرتـاد تُقـاد رَكائبُهْ[5]
تضـنُّ بمـال الباهـليِّ كأنّمـا تضِنُّ على المـالِ الذي أنت كاسِبُهْ[6]

---

1 كعب بني جُعيل والأخطل : شاعران تغلبيان .
2 غبّت عواقبه : بلغ مداه .
3 السّلا : غشاء يحيط بالجنين عند ولادته . في الديوان 46/1 عفّرته ثعالبه .
4 دياف : بلد بالشام ، السليط : ما يستخرج من الحبوب من الزيوت .
5 طريق لمرتاد في الديوان 46/1 طريق لربّات . والرِبة : الجماعة الكثيرة .
6 في الديوان 46/1 :
تشمّر مـال الباهـليّ ، كأنّما تهرّ على المال الذي أنت كاسبُه

وإنّ امــرءاً يَغْتابُنــي لم أَطــأْ لَه حَرِيمــاً ولا يَنْهــاهُ عنِّــي أَقــارِبُهْ
كمحتَطِــبٍ يومــاً أساودَ هَضْبة أَتاه بهــا في ظلمة الليــل حاطِبُهْ[1]
أَحينَ التقى نابــاي وابيضَّ مِسْحَلي وأَطرق إطراق الكرى مَــن يُجانِبُهْ[2]

فقال ابن عفراء ، وأتاه في نادي قومه : اجهَد جهدك ، هل هو إلاّ أن تسبّني ، والله لا أَدع لك مساءة إلاّ أتيتُها ، ولا تأمرني بشيء إلاّ اجتنبتُه ولا تنهاني عن شيءٍ إلاّ ركبتُه ، قال : فاشهدوا أنّي أنهاه أن ينيك أُمّه ، فضحك القوم وخجل ابن عِفْرى .

[يتطفّل فيجاز]

أَخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا شعيب بن صخر قال : تزوّج ذبيان بن أَبي ذبيان العَدَويّ من بَلْعُدَوية ، فدعا الناس في وليمته ، فدعا ابن أبي شيخ الفُقيميّ ، فألقى الفرزدق عنده ، فقال له : يا أبا فراس ، انهض ، قال : إنّه لم يدعني ، قال : إنّ ابن ذبيان يُؤتى وإن لم يَدْعُ ، ثم لا تخرج من عنده إلاّ بجائزة فأتياه ، فقال الفرزدق حين دخل : [من البسيط]

كَم قال لي ابنُ أَبي شيخ وقلت له : كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيانِ
إنّ القلوصَ إذا أُلقت جآجئها قُــدَّام بابــك لم نرحل بجِرمانِ[3]

قال : أَجل يا أَبا فراس فدخل فتغدّى عنده ، وأَعطاه ثلثمائة دِرْهم .

أَخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : حدَّثني أبو بكر المدنيّ قال : دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ ، وكان سيّداً سَخِيّاً شريفاً ، فقال : يا أهل المدينة ، أنتم أذلّ قوم الله ، قالوا : وما ذاك يا أبا فراس ؟ قال : غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم .

[يعطى عروضاً بدل النقد]

وأَتى مكّة ، فأَتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أُميّة بن خلف الجمحيّ ، وهو سيّد أَهل مكّة يومئذٍ ، وليس عنده نقد حاضر ، وهو يتوقّع أعطيته وأعطية ولده وأهله ، فقال : والله يا أبا فراس ، ما وافقت عندنا نقداً ، ولكن عُروضاً[4] إن شئت ، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ[5] ، فإن شئت أخذتهم ، قال : نعم ، فأرسل له بوُصَفاءٍ من بنيه وبني أخيه ، فقال : هم لك عندنا

1 الأساود : جمع أسود وهو الحية العظيمة .
2 المسحل : جانب اللحية . في الديوان 47/1 من أحاربه .
3 الجآجيء : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر .
4 العروض : جمع عَرْض وهو ما سوى النقد من المتاع .
5 أي عبيداً وجواري حساناً .

حتى تشخص ، وجاءه العطاء ، فأخبره الخبر وفداهم ، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر : [من البسيط]

تمْشي تَبَخْتُر حولَ البيتُ منتخَياً لو كنتَ عمرَو بنَ عبد الله لم تزدِ

[يحتج بشعره]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا عامر بن أبي عامر ، وهو صالحُ بن رستم الخرّاز ، قال : أخبرني أبو بكر الهذليّ قال : إنّا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطّى حتى جلس إلى جنبه ، فجاء رجل ، فقال : يا أبا سعيد : الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله في كلامه ، قال : لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أوما سمعتَ ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

ولستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقولـه إذا لم تعمَّدْ عاقـداتِ العزائمِ

قال : فلم ينشب أن جاء رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد . نكون في هذه المغازي فنُصيب المرأة لها زوج ، أفيحِلّ غِشيانُها وإن لَمْ يُطَلِّقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلتُ في ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

وذات حَليلٍ أَنكحْتنا رِماحُنا حلالاً لِمَن يَبْني بهـا لم تُطَلَّق

[يهجو إبليس]

قال أبو خليفة : أخبرني محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن جعفر قالا : أتى الفرزدقُ الحسن ، فقال : إنِّي هجوتُ إبليس فاسمع ؟ قال لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لَتسمعنّ أو لأخرجنّ ، فأقول للناس : إنّ الحسنَ يَنهى عن هجاء إبليس ، قال : اسكت فإنّك بلسانه تنطق .

[الحسن يتمثّل بالشعر]

قال محمد بن سلاّم : أخبرني سلاّم أبو المنذر ، عن عليّ بن زيد قال : ما سمعت الحسن متمثلاً شِعراً قطّ إلاّ بيتاً واحداً وهو قوله : [من البسيط]

الموتُ بـابٌ وكُلُّ النّاسِ داخلُه فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدَّارُ ؟

قال : وقال لي يوماً : ما تقول في قول الشاعر : [من السريع]

لـولا جريـرٌ هلكتْ بَجيلَهْ نِعْمَ الفتـى وبئسَت القبيلَهْ

أهَجاه أم مدَحَه ؟ قلت : مدحه وهجا قومه ، قال : ما مُدِحَ مَن هُجِيَ قومُه .

وقال جرير بن حازم : ولم أسمعه ذكر شِعراً قطّ إلاّ : [من الخفيف]

ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ إنّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحياءِ

[الشعر ونقض الوضوء]

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبِّر : أَيُتَوَضّأُ من الشعر ؟ فانصرف بوجهه إليه فقال : [من الطويل]

أَلا أَصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضِيتْ رُمحَ استه لاستَقَرَّتْ

ثم كبر .

[من أبياته السيارة]

قال ابنُ سلاّم : وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقَلَّداً ، والمُقَلَّد : المُغْني . المشهورُ الذي يضرب به المثل ، من ذلك قوله : [من الطويل]

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني كأَنّ أَباها نَهْشَلٌ أَو مُجاشِعُ[1]

وقوله : [من الكامل]

ليس الكرام بناحِليك أَباهمُ حتى يُردَّ إلى عطيّة نَهْشَلُ

وقوله : [من الطويل]

وكنّا إذا الجبّار صَعَّر خَدّه ضربناه حتى تستقيم الأَخادعُ[2]

وقوله : [من الطويل]

وكنتَ كذئب السوء لمّا رأى دَماً بصاحبه يوماً أَحال على الدَّمِ[3]

وقوله : [من الطويل]

تُرجِّي رُبيعٌ أن تجيء صغارُها بخير وقد أَعيا رُبيعاً كبارُها

وقوله : [من الكامل]

أَكلتْ دوابرَها الإكامُ فمشيها ممّا وَجِئْن كمِشية الإعياءِ[4]

وقوله : [من الطويل]

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيَفعَمُ

وقوله : [من الكامل]

1 كليب : قبيلة جرير . نهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق .

2 صعّر خدّه : آماله تكبّراً . الأخادع : جمع أخدع ، وهو أحد عرقين في جانب العنق .

3 أحال على الدم : أقبل عليه . ويضرب هذا البيت مثلاً لَمن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلّها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه .

4 دوابر : جمع دابرة ، وهي العرقوب .

أَحلامُنا تـزِن الجبـال رَزانةً وتخالنـا جِنّـا إذا مـا نجهلُ

وقوله : [من الطويل]

وإنّك إذ تسعى لتدرك دارماً لأنت المُعَنَّى يـا جرير المُكَلّفُ

وقوله : [من الطويل]

فإن تنجُ منّي تنجُ من ذي عَظيمةٍ وإلاّ فإنّـي لا إخالـك ناجيا

وقوله : [من الطويل]

تـرى كلّ مظلوم إلينا فِـرارُه ويهرَبُ منّا جهـدَه كُلُّ ظالمِ

وقوله : [من الطويل]

ترى النّاس ما سِرْنا يسيرون حولَنا وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

وقوله : [من الطويل]

فسَيف بني عبسٍ وقد ضربوا به نَبا بيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأْسِ خالدِ

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويَقطعـن أَحياناً مَناط القَلائدِ

وكان يُداخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو ، من ذلك قَولُه يمدح هِشامَ بنَ إسماعيل المخزوميّ خالَ هشام بن عبد الملك : [من الطويل]

وأَصبَح مـا في النّاس إلاّ مُمَلَّكاً أَبـو أُمِّه حَـيٌّ أَبـوه يُقارِبُهْ

وقوله : [من الكامل]

تـالله قـد سَفِهَتْ أُميّةُ رأْيَـها فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها[1]

وقوله : [من الوافر]

أَلستـم عائجـين بنـا لعنّـا نـرى العَرصاتِ أَو أَثَـر الخيامِ

فقالـوا : إن فعلتَ فأغنِ عنّـا دُموعـاً غيرَ راقِئـة السّجامِ[2]

وقوله : [من الطويل]

فهل أَنتَ إن ماتت أَتانُكَ راحِلٌ إلى آل بِسطام بن قيس فخاطِبُ

وقوله : [من الطويل]

فَنَلْ مثلَها مـن مِثلهم ثم دُلَّـهم على دارمـيّ بين ليلى وغالبِ

---

1 سفه رأيه : حمله على السفه .

2 غير راقئة السجام : دائمة الحملان .

وقوله : [من الطويل]

تعالَ فإن عاهدتني لا تخونُني نكنْ مثلَ مَنْ ، يا ذئبُ ، يَصْطحبانِ

وقوله : [من البسيط]

إنّا وإيّاك إن بلّغْنَ أرحُلَنا كمَنْ بِواديه بعد المَحْل مَمْطورُ

وقوله : [من الوافر]

بني الفاروق أُمّك وابن أروى به عثمان مروان المصابا[1]

وقوله : [من الطويل]

إلى مَلِك ما أُمُّه من مُحاربٌ أبوه ولا كانت كليب تصاهِرُه

وقوله : [من الطويل]

إليك أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا هموم المنا والهَوْجَل المتعسّف[2]

وعضّ زمانٌ يا ابن مروان لم يدعْ من المالِ إلاّ مُسحتاً أو مُجلَّفِ[3]

وقوله : [من الكامل]

ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دَنَت منها بلا بَخَلٍ ولا مبذولِ

وكأنّ لونَ رُضابِ فيها إذ بدا بَرَدٌ بفرع بَشامةٍ مصْقولُ[4]

وقوله فيها لمالك بن المنذر : [من الكامل]

إنّ ابن ضبّاري ربيعةَ مالِكاً لله سيف صنيعةٍ مَسْلولُ

ما نال من آل المُعلّى قبلَه سيفٌ لكلّ خليفة ورسُولُ

وقوله : [من الكامل]

ما من يَديْ رَجُلٍ أحقُّ بما أتى من مكرمات عطاية الأخطارِ

من راحتين يزيدُ يقدح زندَه كفّاهما ويشدّ عقد جوارِ

وقوله : [من الطويل]

1 في الديوان 82/1 :

هو السيف الذي نصر ابن أروى به مروانُ عثمانَ المصابا

2 الهوجل المتعسف : الدليل المتعسف .

3 المسحت : الكسب الخبيث ، المجلف : الموقع صاحبه في الجدب .

4 البشام : نوع من الشجر ، وفي البيتين إقواء .

إذا جئتَــه أَعطاك عفواً ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائلُهْ
لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقَه ... أَجل لا ، وإن كانت طُوالاً حمائلُهْ[1]

وقوله : [من الكامل]

والشيب يَنْهَضُ في الشبابِ كأنّه ... ليــــل يسير بجانبيــــه نهــارُ

[لا يكذب في مدحه]

قال أَبو خليفة : أَخبرنا محمد بن سلاّم قال : حدَّثني شعيب بن صخر ، عن محمد بن زياد ، وأَخبرني به الجوهريّ وجَحْظة عن ابن شَبّة ، عن محمد بن سلاّم ، وكان محمد في زمام الحجّاج زماناً قال : انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجّاج بالرّدَم وهو قائم والنّاس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك : [من الطويل]

وكم أُطلقتْ كفّاك من غــلّ بائس ... ومن عُقدةٍ مــا كان يُرجى انحلالُها
كثيراً من الأَيدي التي قد تكتَّفَتْ ... فَككْتَ وأَعناقــاً عليهــا غِلالُها[2]

قال : قلت : أنا والله أحدُهم ، فأَخذ بيدي وقال : أيّها النّاس سلوه عمّا أَقول والله ما كذبت قطّ .

[يأبى حين يريد]

أَخبرني جحظة قال : حدَّثني ابن شبّة ، عن محمد بن سلاّم فذكر مثلَه وقال فيه : والله ما كذبت قطّ ولا أَكذب أبداً .

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول : كتب يزيدُ بن المهلّب لمّا فتح جُرْجان إلى أخيه مدركَة أو مروان : احمل إليَّ الفرزدق ، فإذا شخص فأعطِ أهله كَذا وكذا ؛ ذكر عشرة آلاف درهم ، فقال له الفرزدق : ادفعها إليّ ، قال : اشخص وأدفَعُها إلى أهلِك ، فأبى ، وخرج وهو يقول : [من الطويل]

دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه ... لآتِيَــهُ إنّــي إذاً لــــزءورُ
لآتيَ مــن آل المهلَّب ثائراً ... بأَعراضِهم والدّائــرات تدُورُ
سآبى وتَـأْبى لي تميمٌ وربّما ... أَبيْتُ فلـم يقـدرْ عـليّ أَميرُ

[لم يمنعه أهله فدخل السجن]

قال أَبو خليفة : قال ابن سلاّم : وسمعت سلمة بنَ عيَّاش قال : حُبِسْت في السجن ، فإذا

---

1 لا تنصف النعل ساقه : لا تبلغ نصفها .

2 الغلال : جمع غل ، وهو الطوق .

فيه الفرزدق قد حبسه مالكُ بن المنذر بن الجارود ، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر ، فقال لي : مِمّن أنت ؟ قلت : من قريش قال : كُلُّ أيْرِ حمارٍ من قريش ؛ من أيِّهم أنتَ ؟ قلت : من بني عامر بن لؤيّ ، قال : لئام والله أذلة ، جاورتهم فكانوا شرّ جيران ، قلت : ألا أُخبرك بأذَلّ منهم وألأم ؟ قال : مَن ؟ قلت : بنو مُجاشع ، قال : ولِمَ ويلك ! قلت : أنت سيِّدهم وشاعرهم وابنُ سيِّدهم ، جاءك شرطي مالك ، حتى أدخلك السجن ، لم يمنعوك ، قال : قاتلك الله .

[يهجو عمر بن هبيرة]

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلّب فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساءَ عَزْل مسلمة ، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس : [من الكامل]

ولــت بمسلمَة الركابُ مُودَّعاً ... فارعَــيْ فــزارةُ لا هَنــاكِ المَرْتَعُ
فسدَ الزمـــانُ وبُدِّلــت أعلامُه ... حتــى أُمَيّــةُ عــن فزارةَ تِنْزِعُ[1]
ولقــد علمــتُ إذا فزارةُ أُمِّرت ... أن سوف تطمع في الإمارة أشجعُ
وبحقّ ربّــك مـا لهــم ولمثلهم ... في مثل مـــا نالت فَزارةُ مطمعُ
عُزِل ابنُ بشر وابنُ عَمْرو قبلَـه ... وأخــو هَــراةَ لمثلهـــا يتوقَّعُ

ابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمَّرَه عليها مسلمة . وابن عمرو : سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، وأخو هراة : عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي .

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة : [من الوافر]

أمِير المؤمنـــين وأنـــتَ عَفٌّ ... كريمٌ لستَ بالطَّبعِ الحريصِ[2]
أولَّيتَ العِـــراقَ ورافِدَيْــه ... فزاريّـــاً أحـــذَّ يدِ القَميصِ[3]
ولم يـكُ قبلها راعي مخاضٍ ... لتأمنَـــه على وَرِكَـيْ قَلُوصِ
تفنَّـــن بالعـــراقِ أبــو المُثَنّى ... وعَلَّم أهلَــه أكْلَ الخَبِيصِ[4]

1 تنزع : تكف أذاها عنها وتجاملها .
2 عفّ كريم في الديوان 389/1 : والٍ شفيق . الطّبع : الدنيء اللئيم .
3 أوليت في الديوان 389/1 أأطعمت . أحذّ : مقطوع .
4 تفنّن : في الديوان 389/1 : تفيهق .

وأنشدني له يونس : [من البسيط]

جَهّـز فإنّك ممتـارٌ ومُبتعثٌ إلى فزارةَ عِيْراً تحمِلِ الكَمَرا[1]
إنَّ الفزاريَّ لـو يعمى فأَطعَمَه أيرَ الحِمارِ طبيبٌ أَبرأَ البَصَرا
إنّ الفزاريّ لا يشفيه مـن قَرَمٍ أُطايبُ العَيْر حتى ينهش الذّكرا
يقول لّما رأى ما في إنائهم : للهِ ضيف الفزاريين ما انتَظَرا

فلمّا قدِم خالد بن عبد الله القسريّ والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن ، فنُقِب له سَرَبٌ ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام ، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه : [من الطويل]

ولّما رأيتَ الأَرضَ قـد سُدَّ ظهرُها ولم تَـرَ إلاّ بطنَهـا لـك مخرجا
دعـوت الذي نـاداه يونُسُ بعدما ثـوى في ثـلاث مظلمات ففرّجا
فَأصبحت تحت الأَرض قد سِرْتَ ليلةً ومـا سار سارٍ مثلهـا حـين أَدلجا
خرجتَ ولم تمنُـنْ عليـك شفاعةٌ سوى رَبذِ التقريب من آل أعوجا[2]
أَغرّ من الحُـوِّ اللهاميم إذ جـرى جرى بِكَ محبوكُ القِرى غير أَفحجا[3]
جـرى بِـك عُريان الحماتين ليلَهُ به عنك أَرخى الله مـا كان أَشرجا[4]
ومـا احتال مُحتالٌ كحيلتـه التي بهـا نفسه تحـت الصّريمـة أَولجا[5]
وظَلماء تحت الأَرض قد خُضت هولَها وليـلٍ كلـون الطَيلسانيّ أَدْعجا[6]
همـا ظُلْمتا ليـل وأَرض تلاقتـا على جامع مـن هَمِّـه مـا تعوَّجا

[يهجو خالد بن عبد الله القسريّ أيضاً]

فحدَّثني جابر بن جندل قال : فقيل لابن هبيرة : مَن سيِّد العراق ؟ قال : الفرزدق هجاني

1 ممتار : طالب ميرة . الكمر : جمع كمرة ، وهو رأس القضيب .
2 شفاعة في الديوان 117/1 طلاقة . ربذ التقريب : خفيف الجري . أعوج : حصان عتيق تنسب العرب إليه جياد الخيل .
3 الحوّ : السمر . اللهاميم في الديوان 117/1 : الجياد ، واللهاميم : جمع لهموم ، وهو السريع العدو . وفي الديوان أيضاً : جرى جري عريان . القرى : الظهر . أفحج : من الفحج ، وهو تداني صدور قدمي الفرس وتباعد عقبيه .
4 الحماتان : لحمتان في ساقي الفرس . أشرج ، من أشرج العيبة : أحكم شدّها ، وفي الديوان 118/1 : أشنجا ، وأشنج : تقبض وتقلّص .
5 الصريمة في الديوان : الضريحة .
6 الطيلساني : فيه طلسة ، وهي السواد . أدعج : شديد الظلمة .

أميراً ومدحني سوقة. وقال الفرزدق لخالد القسريّ حين قدِم العراق أميراً لهشام: [من الطويل]

ألا قطـع الرحمن ظهرَ مطيَّةٍ　　أتتنا تَمَطَّى من دمشقٍ بخالدِ
وكيف يـؤمّ المسلمين وأمُّه　　تديـن بـأنّ اللهَ ليس بواحدِ
بَنى بَيْعَةً فيها الصَّليبُ لأُمِّه　　وهَدَّم من كُفرٍ مَنارَ المساجِدِ

وقال أيضاً: [من الكامل]

نزلت بجيلَةُ واسطاً فتمكَّنتْ　　ونَفَتْ فزارةَ عن قرارِ المنزلِ[1]

وقال أيضاً: [من الطويل]

لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها　　جَريرٌ لقد أخزى بجيلةَ خالِدُ

فلمّا قدِم العِراقَ خالدٌ أميراً أمّر على شرطة البصرة مالِكَ بن المنذر بن الجارود، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدَّعِي على مالك قَرْيَة، فأبطلها خالد، وحفر النهر الذي سمّاه المبارَك، فاعترض عليه الفرزدق، فقال: [من الطويل]

أهلكتَ مـالَ اللهِ في غيرِ حقِّه　　على النَّهَـرِ المشؤومِ غيرِ المباركِ
وتَضرِبُ أقواماً صِحاحاً ظهورهم　　وتتركُ حـقَّ اللهِ في ظَهْرِ مالكِ[2]
أإنفـاقَ مـالِ اللهِ في غير كُنهِـه　　ومَنْعاً لحَقِّ المرمِلاتِ الضرائكِ[3]

[مهر حدراء ومصرعها]

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدَّثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ قال: قال أعْيَن بن لبطة: دخل الفرزدق على الحجّاج لمّا تزوّج حدراء يستميحه مهرها، فقال له: تزوّجتُ أعرابيّةً على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد: إنّما هي فرائض قيمتُها ألفا درهم، الفريضة عشرون درهماً، فقال له الحجّاج: ليس غيرَها، يا كعب، أعطِ الفرزدق ألفَي درهم.

قال: وقدِم الفُضيل العَنَزيّ بصدقات بكر بن وائل، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصلَّيت مع الحجّاج الظهر حتى إذا سلّم، خرجت فوقفت في الدّارِ فرآني، فقال مَهْيَمْ[4]، فقلت: إنّ الفُضيل العَنَزيّ قدِم

---

1 بجيلة: قبيلة خالد.

2 وردت رواية البيتين في الديوان 58/2 كالآتي:

أتتك رجـال من تميـم فشهدوا　　فضيعت حق الله في ظلم مالك
وأنفقت مـال الله في غير حقّـه　　على نهرك المشؤوم غير المبـاركِ

3 الضرائك في الديوان 59/2: الضوانك، والضرائك: جمع ضريكة، وهي الفقيرة.

4 مهيم: كلمة استفهام بمعنى ما شأنك.

بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان ، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل ، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ، ونسي ما كان أمر له به ، قال : فلمّا جاءَ الفرزدق بالإبل قالت له النَّوار : خسرت صفقتك ، أتتزوّج أعرابيّة نصرانيّة سوداء مهزولة حمشاء[1] الساقين على مائة من الإبل ؟ فقال يُعرِّض بالنَّوار وكانت أمّها وليدة : [من الطويل]

لَجاريةٌ بين السَّليل عروقُها ... وبين أَبي الصَّهباء من آل خالدِ[2]
أحقّ بإغلاءِ المهورِ من التي ... رَبَتْ وهي تنزو في حجور الولائدِ

فأبت النّوار عليه أن يسوقها كلّها ، فحبس بعضَها ، وامتار[3] عليه ما يحتاج إليه أهلُ البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، قال أعين : فلمّا كان في أدنى الحيّ رأوا كبشاً مذبوحاً ، فقال الفرزدق : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ، قال : وما عِلمُك بذلك ؟ قال : ويقال : إن أوفى قال للفرزدق : يا أبا فراس لن ترى حدراء ، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق ، وهو جالس ، فرحّب به ، وقال له : انزل فإنّ حدراءَ قد ماتت ، وكان زيق نصرانيّاً فقال : قد عرفنا أنّ نصيبك من ميراثها في دينكم النصف ، وهو لك عندنا ، فقال له الفرزدق : والله لا أرزؤك منه قطميراً ، فقال زيق : يا بني دارم ، ما صاهرنا أكرمَ منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

عَجِبت لحادينا المقَحِّم سيرَه ... بنا مُوجِعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعا[4]
ليُدنِينا ممّن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أَردنا لتجمعا
ولو نعلمُ الغيبَ الذي من أَمامنا ... لكرَّ بنا الحادي المطيّ فأَسرعا[5]
يقولون : زُرْ حدراءَ والتُّربُ دونها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تَقَطَّعا
يقول ابن خِنزير : بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إخال لتدمعا
وأهونُ رزء لامرىءٍ غير جازعٍ ... رزيئةُ مرتج الروادفِ أَفرعا
ولست ، وإن عزّت ، عليّ بزائرٍ ... تُراباً على مرموسةٍ قد تَضعضعا[6]

1 حمشاء الساقين : مشوهتها
2 السَّليل وأبو الصهباء : من أجداد حدراء .
3 امتار : طلب الميرة .
4 موجعات في الديوان 422/1 مُزْحِفات .
5 الغيب في الديوان 422/1 العلم . والمطي في الديوان : الركاب .
6 مرموسة في الديوان : مرسومة .

وقيل إنّ النَّوار كانت استعانت بأُمّ هاشم لا بتُماضر ، وأُمّ هاشم أُخت تُماضرَ ؛ لأَنّ تُماضرَ ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خُبَيْباً وثابتاً ابنَي عبد الله بن الزبير ، وتزوّج بعدها أُختها أُمّ هاشم ، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّاداً ، وفي أُمّ هاشم يقول الفرزدق : [من الطويل]

تروّحتِ الرّكبانُ يا أُمَّ هاشمٍ وهنَّ مُناخاتٌ لهنّ حنينُ
وحُبِّسْن حتى ليس فيهنّ نافِقٌ لبيعٍ ولا مركوبُهنّ سمينُ

[نشوز زوجة أخرى]

أَخبرنا عبد الله قال : حدَّثنا محمد بن حبيب قال : حدَّثني الأَصمعيّ قال : نشزت رُهَيمة بنت غنيّ بن درهم النَّمريّة بالفرزدق فطلّقها ، وقال يهجوها بقوله : [من الطويل]

لا ينكحنْ بعدي فتًى نَمريّةً مُرَمَّلةً من بعلها لبعادِ[1]
وبيضاء زَعراء المفارق شَخْتَةً مولّعةً في خُضرة وسوادِ[2]
لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأَن مَضَمَّه إذا عانقت بَعْلاً مَضَمُّ قتادِ[3]
قرنتُ بنفسي الشؤمَ في وِرد حوضها فَجُرِّعتُه مِلحاً بماءِ رمادِ
وما زلتُ ، حتى فرّق الله بيننا له الحمدُ ، منها في أَذًى وجهادِ
تُجدِّد لي ذكرى عذابِ جهنّمٍ ثلاثاً تُمسّيني بها وتغادي

[يبكي ولداً له من سفاح]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني الحسين بن موسى قال : قال المدائنيّ : لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت له : ما لك تنظر ؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍ ما طمعتَ في واحدٍ منها ، قال : ولِمَ يا لخناء[4] ؟ قالت : لأَنّك قبيح المنظر سيىء المخبر فيما أرى ، فقال : أما والله لو جربتني لعفّى خُبري على منظري ، قال : ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر ، فتضبّعت[5] له عن مثل سنام البكر فعالجها ، فقالت : أَنِكاح بنسيئة ؟ هذا شرّ القضيّة ، قال : ويحك ، ما معي إلاّ جبّتي ، أفتسلبينني إيّاها ثم تسنّمها ، فقال : [من الرجز]

1 مرمّلة في الديوان 179/1 مزملة .
2 شختة في الديوان : شجنة ، أي الغصن الملتف المشتبك ، وشختة : نحيفة .
3 شثن : جلد خشن .
4 اللخناء : القبيحة الكلام .
5 تضبّعت : تكشفت .

أولجتُ فيهـا كذِراع البَكرِ مُدملَكَ الرأس شديـدَ الأَسْرِ[1]
زاد عـلى شِبْرٍ ونصفِ شِبْرِ كأنّنـي أُولجتُـه في جَمـرِ
يُطيـر عنـه نَفَيـانَ الشّعْـرِ نفي شُعور النّاس يَوْمَ النحرِ[2]

قال : فحملتْ منه ، ثم ماتت ، فبكاها وبكى ولده منها . [من الطويل]

وغِمْدِ سلاحٍ قد رزئتُ فلم أَنُح عليـه ولم أَبعثْ عليه البواكِيا
وفي جَوفِه من دارمٍ ذو حفيظةٍ لـو آنّ المَنايـا أنسأَتـه لياليا
ولكنَّ ريب الدّهرِ يعْثُر بالفتى فلم يستطعْ رَدّاً لما كان جائيا
وكم مثلِـه في مثلِها قد وضعته ومـا زلت وثّاباً أجرُّ المخازيا

فقال جرير يعيّره : [من الطويل]

وكم لَكَ يا ابنَ القَيْن إنْ جاء سائلٌ من ابنٍ قصير الباع مثلُك حاملُهْ
وآخر لم تشعُر بـه قـد أَضعتَه وأوردتـه رِحمـاً كثيراً غوائِلُهْ

[يتزوّج ظبية فيعجز عنها]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثني محمد بن سليمان الكوفيّ عن أَبيه قال : تزوّج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشِع بعد أن أسنّ ، فضعف ، وتركها عند أُمّها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى أبان بن الوليد البَجَلِيّ ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْريّ ، فأعطاه ما سأل وأرضاه ، فقال يمدحه : [من الوافر]

فلـو جمعوا من الخِلاّنِ أَلفا فقالـوا : أَعطِنـا بهـمُ أَبانا
لقلتُ لهـم : إذاً لغبنتموني وكيف أَبيع من شرَط الزمانا[3]
خليـلٌ لا يـرى المائةَ الصّفايا ولا الخيـلَ الجيادَ ولا القيانا
عَطـاءً دون أَضعـاف عليها ويُطعمُ ضَيفَه العُبُطَ السِّمانا

العُبُط : الإبل التي لا وجع بها .

فما أَرجـو لظبيةَ غيرَ ربِّـي وغيرَ أَبـي الوليد بمـا أَعانا[4]

---

1 مدملك الرأس : رأسه كالثدي الناهد . وشديد الأسر : قوي محكم .
2 نفيان الشعر : ما طار منه .
3 شرط الزمانا في الديوان 337/2 شرط الضمانا : التزم به وهو المهر .
4 وأبي الوليد في الديوان : ابن الوليد .

أَعـان بهجمــة أَرضَتْ أَباها وكانــت عنــده غَلَقاً رِهانا[1]

وقال أَيضاً في ذلك : [من الطويل]

لقد طال مـا استودعتُ ظبيةَ أُمَّها وهـذا زمـان رُدّ فيـه الودائعُ

وقال حين أَراد أَن يبني بها : [من الطويل]

أُبـــادِر سُؤَّالاً بظبيـــة أَنّنــي أَتتني بهـا الأَهوالُ من كلِّ جانبِ

بمالِئـةِ الحِجْلَيْــنِ لــو أَنَّ مَيِّتــاً ولو كان في الأَمواتِ تحت النصائبِ

دعته لألقــى التُّربَ عنــد انتفاضِه ولو كان تحت الراسيات الرواسبِ

فلمّا ابتنى منها عجز عنها فقال : [من البسيط]

يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ[2]

وقال جرير : [من الكامل]

وتقول ظبيــةُ إذ رأَتك محوقِلاً ـ حَوْقَ الحمار ـ من الخبالِ الخابلِ[3]

إنَّ البليَّــة وهْــيَ كلُّ بليَّـــةٍ شيخٌ يُعَلّــل عِرْسَه بــالباطِلِ

لو قــد عَلقتِ من المهاجرِ سُلَّما لنجوتِ منـــه بالقضاءِ الفاصِلِ

قال : فنشزت منه ، ونافرته إلى المهاجر ، وبلغه قولُ جرير فقال المهاجر : لو أَتتنى بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها .

[يشيد بابنته مكيّة وأُمّها الزنجيّة]

قال : وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكّيّة ، وكانت زنجيّة ، وكان إذا حَمي الوطيسُ ، وبلغ منه الهجاء يكتني بها ، ويقول : [من الرجز]

ذاكُمْ إذاً مــا كنتُ ذا محميَّهْ بدارِمـــــيٍّ أُمُّـــه ضَبِّيَّـــهْ

صمحمح يُكنى أَبا مكِّيّة[4]

وقال في أُمِّها : [من الرجز]

---

1 بهجمةٍ في الديوان 337/2 بدفعة ، والهجمة عدد كبير من الإبل . وغلق الرهن : استحقّ لِمَن هو عنده بعد ما مضى ميعاده .

2 الرّكب : العانة أو أصل الفرج .

3 محوقل : من حوقل بمعنى ضعف وأعيا .

4 الصمحمح : القوي الشديد المجتمع الألواح .

يا ربَّ خوْدٍ من بناتِ الزّنجِ تحمل تُّوراً شديـدَ الوهْجِ
أَقعبَ مثْـلَ القدَحِ الخَلَنجِ يزداد طيباً عند طـول الهرجِ[1]
مَخَجْتُها بالأَيـر أيَّ مخجِ[2]

فقالت له النَّوار : ريحُها مثل ريحك .

وقال في أُمِّ مكّيّة يخاطب النَّوار : [من الوافر]

فإن يَكُ خالها من آل كسرى فكِسرى كان خيراً من عِقالِ
وأَكثرَ جزيـةً تُهـدَى إليـه وأَصبرَ عنـد مختلِف العوالي

قال : وكانت أُمّ النَّوار خُراسانيّة ، فقال لها في أُمّ مكّيّة : [من الطويل]

أَغـرّك منهـا أُدْمَـةٌ عربيّةٌ علت لونَها إن البِجادِيَّ أَحمرُ[3]

[يمدح سعيداً فيغضب مروان]

حدَّثني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبيّ قال : دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده : [من الوافر]

ترى الغرّ الجحاجحَ من قريش إذا ما الخطب في الحدثانِ غالا[4]
وقُوفـاً ينظـرون إلى سعيـد كأنّهـمُ يـرون بـه هِلالا

وعنده كعب بن جُعيل ، فلمّا فرغ من إنشاده قال كعب : هذه والله رؤياي البارحة ، رأيتُ كأنّ ابن مُرّة في نواحي المدينة وأنا أضمّ ذلاذلي[5] خوفاً منه ، فلمّا خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال : لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك :

قِيامـاً ينظـرون إلى سعيـد كأنّهـمُ يـرون بـه هِلالا

فقال له : يا أَبا عبد الملك إنّك من بينهم صافن[6] ، فحقد عليه مروان ذلك ، ولم تطل الأيّام حتى عُزِل سعيد ، ووَلِّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدّماً حتى قال قصيدته التي

---

1 أقعب : شبيه بالقعب ، وهو القدح الكبير . والهرج : كثرة النكاح .
2 مخجتها : أتيتها .
3 الأدمة : الجلد الأحمر . البجادي : نوع مخطط من الأكسية العربية .
4 الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم .
5 الذلاذل : أسافل القميص الطويل .
6 صفن الرجل : صف قدميه .

قال فيها : [من الطويل]

هما دَلّتاني من ثمانين قامةً كما انقضَّ باز أقتمُ الرِّيش كاسرُهْ
فلمّا استوت رجلاي في الأرضِ قالتا أحَيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نُحاذرُهْ
فقلت : ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا وأقبلتُ في أعقابِ ليل أُبادِرُهْ[1]
أُبادِر بوَّابين لم يشعروا بنا وأحمرَ من ساجٍ تلُوح مسامرُهْ[2]

فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله ﷺ ، اخرج عن المدينة فذلك قول جرير : [من الطويل]

تدلَّيتَ تزني من ثمانينَ قامةً وقَصَّرت عن باع النّدى والمكارمِ

[رواية أُخرى للخبر السابق]

أُخبرنا ابن دُرَيد ، قال : أُخبرنا الرياشيّ ، عن محمد بن سلاَّم ، قال : دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، وعليها سعيدُ بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية ، فدخل على سعيد ، ومَثَلَ بين يديه ، وهو معتم ، وفي مجلس سعيد الحُطيئةُ وكعب بن جُعَيل التغلبيّ ، وصاح الفرزدق : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، أنا عائذ بالله وبك ، أنا رجل من تميم ، ثم أحَد بني دارم ، أنا الفرزدق بن غالب ، قال : فأطرق سعيدٌ مليّاً ، فلم يجبه ، فقال الفرزدق : رجل لم يصب دماً حراماً ، ولا مالاً حراماً ، فقال سعيد : إن كنت كذلك فقد أمنت ، فأنشده : [من الوافر]

إليك فررتُ مِنك ومن زيادٍ ولم أُحسب دمي لكما حَلالا
ولكنّي هجوتُ وقد هجاني معاشرُ قد رضخْتُ لهم سِجالا[3]
فإن يكن الهجاء أحلَّ قَتلي فقد قلنا لشاعرهم وقالا
أرقتُ فلم أنَم ليلاً طويلاً أُراقب هل أرى النَّسريْنِ زالا[4]
عليك بني أُميّة فاستجرهم وخُذ منهم لما تخشى حِبالا
فإنّ بني أُميّة في قريش بَنَوْا لبيوتهم عَمَداً طوالا
ترى الغرَّ الجحاجح من قريشٍ إذا ما الأَمر في الحدثانِ غالا[5]

---

1 الأمراس : الحبال .
2 أحمر بن ساج : أي الباب .
3 رضخت لهم : رضخت التيوس إذا أخذت النطاح .
4 النسريْن في الديوان 70/2 : النسران : كوكبان .
5 الغر في الديوان 70/2 : الشم . غالا : في الديوان 70/2 : عالا : عال : فدح وثقل .

قيامـاً ينظـرون إلى سعيد كأنّهـمُ يـرون بـه هِلالا

قال : فلمّا قال هذا البيت ، قال الحطيئة لسعيد : هذا والله الشعر ، لا ما كنت تَعَلَّلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جُعيل : فضلته على نفسك ، فلا تفضله على غيرك ، قال : بلى والله إنّه ليفضلني وغيري ، يا غلام ، أدركت مَنْ قَبلك ، وسبقت مَن بعدك ، ولئن طال عمرك لتبرُزَنَّ .

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق ، فقال : يا غلام ، أَنْجَدَتْ أُمُّك ؟ قال : لا بل أَبي ، أَراد الحطيئة : إن كانت أُمُّك أنجدَت فقد أصبتُها فولدَتك إذ شابهتني في الشعر ، فقال الفرزدق : لا بل أبي ، فوجده لَقِناً .

[مع مخنث]

أَخبرني ابن دريد قال : قال لنا أَبو حاتم : قال الأصمعيّ : ومن عبثات الفرزدق أَنّه لقي مُخَنَّثاً فقال له : من أين راحت عمّتنا ؟ فقال له المخنَّث : نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير : [من المتقارب]

نفاك الأغـرّ ابن عبد العزيز وحقُّـك تُنفى مـن المسجدِ

[جرير يعترف له بالغلبة]

أَخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ ، عن النضر بن شميل قال : قال جرير : ما قال لي ابن القين بيتاً إلاّ وقد اكتفأته ، أي قلبته إلاّ قوله : [من الكامل]

ليس الكِرامُ بناحليك أَباهـم حتـى يـرد إلى عطية تُعْتَلُ

فإنّي لا أَدري كيف أَقول فيها .

[جرير يلقّبه بالعزيز]

وأَخبرني ابن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبيّ ، عن عَوانة بن الحكم ، قال : بينما جرير واقف في المِرْبد وقد ركبه النّاس وعمر بن لجأ مواقفه فأَنشده عمر جواب قوله : [من البسيط]

يـا تَيْمُ تَيْمَ عـديٍّ لا أَبا لكم لا يقذفنَّكُـم في سَوأَةٍ عمـرُ
أَحين صِرْتُ سِماماً يا بني لجأ وخاطرَتْ بيَ عن أَحسابها مُضرُ[1]

---

1 خاطرت : رافعت .

فقال عمر جواب هذا : [من البسيط]

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ما خاطرَتْ بِكَ عن أحسابها مُضَرُ
أَلَسْتَ نَزوَة خوّارٍ على أمة ؟ لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة ، فقال جرير لمّا سمعها : قبحاً لك يا ابن لجأ ، أهذا شعرك ، كذبت والله ولو مِتَّ ، هذا شعر حنظليّ ، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جواباً .

[يلقب جريراً بالقرم]

وخرج غنيم بن أبي الرَّقراق حتى أتى الفرزدقَ ، فضحك ، وقال : إيه يا ابن أبي الرَّقراق ، وإن عندك لخبراً ، قلت : خُزِيَ أخوك ابن قتب ، فحدَّثته ، فضحك ، حتى فحص برجليه ، ثم قال في ساعته : [من الطويل]

وما أنت إن قَرْما تَميم تساميا أَخا التّيم إلاّ كالوشِيظة في العَظمِ[1]
فلو كنت مولى الظّلم أو في ثِيابه ظلمتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظُّلْمِ

فلمّا بلغ هذان البيتان جريراً قال : ما أنصفني في شعر قطّ قبل هذا يعني قوله :

. . . إنْ قرْما تميم تساميا

[يغتصب الشعر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشيّ قال : كان الفرزدق مَهيباً تخافه الشعراء ، فمرَّ يوماً بالشمردل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حزّ الغَلاصمِ[2]

قال : والله لتتركنَّ هذا البيت أو لتتركَنَّ عرضَك ، قال : خذه على كرهٍ منّي ، فهو في قصيدة الفرزدق التي أوّلها قوله :

تحنّ بزوراءِ المدينة ناقتِي

قال : وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يجبّ فيه القطع يعني سرقة الشعر .

أخبرنا ابن دريد عن حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْميّ قال : بينما أنا بكاظمة وذو الرُّمّة ينشد قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

1 الوشيظة : شظية زائدة في أصل العظم .
2 الغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعظم .

أَحينَ أَعاذت بــي تميمٌ نساءَها وجُرِّدتُ تجريدَ اليَمانيّ من الغِمدِ

إذا راكبان قد تدلّيا من نَعفٍ كاظمة متقنعان ، فوقفا ، فلمّا فرغ ذو الرُّمّة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال : يا عُبَيد ، اضممها إليك ، يعني راويته ، وهو عبيد أخو بني ربيعة بن حنظلة ، فقال ذو الرُّمّة : نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت ، قال : دع ذا عنك ، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات : [من الطويل]

أَحــين أَعاذت بــي تميمٌ نساءها وجُرِّدت تجريدَ اليماني مــن الغِمدِ
ومــدت بضَبْعيَّ الرّبــابُ ومالكٌ وعمرٌو ، وشالت من ورائي بنو سعدِ[1]
ومــن آلِ يربــوعٍ زُهـــاءٌ كأنّه دُجى الليـــل محمود النِّكايةِ والوِردِ[2]
وكنّــا إذا الجبّــارُ صَعَّرَ خــدَّه ضربناه فــوق الأُنثَيَيْن على الكَرْدِ[3]

[يحوز السبق في الفخر]

أَخبرنا ابن دريد قال : أَخبرنا أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة قال : اجتمع الفرزدق وجرير وكثيّر وابن الرّقاع عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : أَنشدونا من فخرِكم شيئاً حسناً ، فبدرهم الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

وما قــوم إذا العلماء عَدّت عروقَ الأَكرمين إلى الترابِ
بمختلفــين إن فضَّلتمونـــا عليهم في القَديم ولا غِضابِ
ولو رَفــع السحابُ إليه قوماً عَلَوْنا في السماءِ إلى السحابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا ، فوالله ما ترك لكم مقالاً .

[يتعصّب لابنته مكيّة]

أَخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن عمرانَ الضبّيّ ، عن سليمانَ بنِ أَبي سليمانَ الجوزجانيّ قال : غاب الفرزدق فكتبت النَّوار تشكو إليه مكّيّة وكتب إليه أهله يشكون سوء خُلُقها وتبذّيها عليهم فكتب إليهم : [من الطويل]

كتبتــم عليهــا أَنّها ظلمتكم كذبتم وبيتِ الله بل تظلمونَها

1 بضبعي : مثنى ضبع ، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها ، ومدت بضبعي : أعانَتْني . والرباب ومالك وعمره وبنو سعد : قبائل .
2 الزهاء : العدد الكثير .
3 الشطر الأول في الديوان 178/1 «وكنا إذا القيسيّ نَبّ عتوده» . ونبّ عتوده : تكبّر . صعّر خده : أماله صلفاً وتكبراً . الأنثيان : الأذنان . الكرد : العنق .

فإلاّ تعدُّوا أنّها من نسائكم ... فإنّ ابنَ ليلى والدٌ لا يشينَها
وإنّ لها أعمامَ صدق وأخوة ... وشيخاً إذا شاءت تَنَمّر دونَها

[عقوق ابنه]

قال : وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لَبطة ، والآخر حَبَطَة ، والثالث ، سبطة ، وكان لبطة من العَقَقة فقال له الفرزدق : [من الطويل]

أإن أرعِشتْ كفّا أبيك وأصبَحتْ ... يداك يَدَيْ ليثٍ فإنّك جاذِبُهْ
إذا غالَبَ ابنٌ بالشّبابِ أباً له ... كبيراً فإنّ الله لا بُدَّ غالبُهْ
رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي ... من ابن امرىء ما إن يزال يُعاتبُهْ
ولمّا رآني قد كبِرتُ وأنّني ... أخو الحيّ واستغنى عن المسح شاربُهْ
أصاخ لغربان النّجيّ وإنّه ... لأزورُ عن بعض المقالة جانبُهْ[1]

قال أبو عبيدة في كتاب النقائض : قال رؤبة بن العجّاج : حجّ سليمان بن عبد الملك ، وحجّت معه الشعراء ، فمرَّ بالمدينة منصرفاً ، فأُتِي بأسرى من الرّوم نحو أربعمائة ، فقعد سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن ، عليهم السلام ، وعليه ثوبان مُمَصّران[2] ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدنَوا إليه بطريقَهم ، وهو في جامعة[3] ، فقال لعبد الله بن حسن : قُم ، فاضرب عنقه فقام ، فما أعطاه أحد سيفاً ، حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً ، فضربه ، فأبان عنقه وذراعه ، وأطنّ[4] ساعده وبعض الغلّ ، فقال له سليمان : والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه ، فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم ، فدسّت إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه ، فأبان رأسه ، ودُفِع إلى الفرزدق أسير ، فدسّت إليه القيسيّة سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان وضحك النّاس معه . وقيل : إنّ سليمان لّما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً ، وقال : اقتله به ، فقال : لا ، بل أقتله بسيف مجاشع ، واخترط سيفه ، فضربه ، فلم يُغنِ شيئاً ، فقال سليمان : أما والله لقد بقي عليك عارُها وشَنارها ، فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها ، وأوّلها : [من الطويل]

---

1 غربان النجي : قرناء السوء .
2 ممصران : مصبوغان : بصبغ أصفر .
3 جامعة : قيد يجمع اليدين إلى الرجلين .
4 أطن : قطع .

أَلا حــيِّ ربــعَ المنزل المُتقــادِمِ ... وما حُــلَّ مُذ حَلَّت بــه أُمُّ سالمِ

منها :

أَلم تشهد الجَوْنَيْن والشِّعب ذا الغَضى ... وكَرَّاتِ قيسٍ يومَ دَيْر الجماجم ؟[1]

تُحرِّضُ يا ابنَ القَيْن قيساً ليجعلوا ... لقومـك يوماً مثلَ يـومِ الأَراقمِ[2]

بسيفِ أَبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ[3]

ضربتَ بـه عند الإمام فأُرْعِشتْ ... يداك وقالوا : مُحَدَثٌ غيرُ صارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله : [من الطويل]

وهل ضربــةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم ... أَبــاً عن كُلَيْبٍ أَو أَباً مثلَ دارمِ[4]

كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها ... وتقطــعُ أَحيانـــاً مَنــاطَ التمائمِ

ولا نقتلُ الأَسرى ولكن نفكُّهُم ... إذا أَثقل الأَعنــاقَ حمــلُ المغارمِ

وقال يعرِّض بسليمانَ ، ويعيّره نُبُوَّ سيف ورقاءِ بنِ زهير العبسيّ خالد بن جعفر ، وبنو عبس هم أَخوال سليمان : [من الطويل]

فإَن يــكُ سيفٌ خان أَو قَدَرٌ أَبى ... بتعجيلِ نفسٍ حتفُهـــا غيرُ شاهدِ

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نبــا بيَدَيْ وَرقاءَ عن رأسِ خالدِ

كذاك سيوفُ الهنــدِ تنبو ظُباتُها ... وتقطــعُ أَحيانــاً مَنـــاط القلائدِ

وأَوّلها :

تباشَرُ يربــوعٌ بنبـــوةِ ضربــةٍ ... ضربتُ بها بــين الطُّلا والمحاردِ[5]

ولو شئْتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه ... إلى عَلَــق بــين الحِجابَيْن جامِدِ[6]

وقيل : إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أَمير المؤمنين ، هب لي هذا الأَسير ، فوهبه له ،

1 الجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية وجيوش بني أمية .

2 يوم الأَراقم كان بين قيس وبني تغلب .

3 أبو رغوان : كنية مجاشع جد الفرزدق . مجاشع : أحد أجداد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين .

4 كليب : جد جرير . ودارم : جد الفرزدق .

5 الطّلا : الأعناق . والمحارد : مفاصل الأعناق .

6 العلق : ما تجمد من الدم .

فأعتقه ، وقال الأبيات التي منها : [من الطويل]

ولا نقتُل الأَسرى ولكن نفكُّهم   إذا أُثقِـلَ الأَعنـاقَ حملُ المغارمِ

ثم أقبل على راويته ، فقال : كأنّي بابن المراغة ، وقد بلغه خبري ، فقال :

بسيفِ أبي رَغوانَ سيفِ مجاشعٍ   ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ

ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشت   يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارمِ

فما لبثنا إلاّ أيّاماً يسيرة ، حتى جاءتنا القصيدة ، وفيها البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق ، وقال أيضاً في ذلك : [من البسيط]

أيعجبُ النَّاسُ أن أضحكتُ خيرَهُم   خليفـةَ الله يُستسقى بـه المطـرُ

فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ   عنـد الإمـامِ ولكـن أُخِّر القدرُ

ولـو ضربـتُ بـه عمـداً مُقَلَّدَهُ   لخـرَّ جثمانُـه مـا فوقـه شَعَرُ[1]

ومـا يُقـدِّم نفساً قبـل مِيتَتِها   جمعُ اليدين ولا الصَّمْصامة الذكرُ[2]

[من شعره في السجن]

وأخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة ، قال : هجا الفرزدق خالداً القَسريّ وذكرَ المباركَ : النهرَ الذي حفره بواسط ، فبَلَغه ذلك ، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احْبس الفرزدقَ فإنّه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله : [من الطويل]

وأهلكتَ مـالَ اللهِ في غير حقّه   على نهـرك المشؤومِ غير المُبارَكِ

الأبيات ، فأرسل مالك إلى أيّوبَ بنِ عيسى الضّبيّ ، فقال : ائتني بالفرزدق ، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يمرّوا به على بني حنيفة ، فقال الفرزدق : ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة ، فلمّا قيل لمالك : هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك غضباً ، فلمّا أُدخِل عليه قال : [من الطويل]

أقول لنفسي حـين غصَّت بريقهـا   ألا ليتَ شعري ما لها عنـد مالكِ ؟

لهـا عنـده أن يَرجعَ اللهُ رُوحَها   إليهـا وتنجـو مـن جميع المهالِكِ

وأنت ابـنُ جَبَّارَيْ ربيعةَ أدركت   بك الشمس والخضراءَ ذاتَ الحبائكِ[3]

---

1 عمداً في الديوان 291/1 على عمد .

2 صدر البيت في الديوان 291/1 : ما يجعل السيف نفساً قبل ميتتها . الصمصامة : السّيف الذي لا يثنيه الضّراب .

3 الخضراء : السماء . والحبائك : جمع حبيكة ، وهي مسير النجم .

فسكّن مالك ، وأمر به إلى السجن ، فقال يهجو أَيّوبَ بنَ عيسى الضّبيّ : [من الطويل]

فلـو كنتَ قَيْسِيّاً إذا ما حبستني ... ولكـنَّ زنجيّـاً غليظـاً مشافِرُهْ
مَتَـتُّ لـه بالرِّحْـم بَيْني وبينه ... فأُلفيتُـه منِّـي بَعيـداً أَواصِرُهْ
وقلت : امرؤ من آل ضبّةَ فاعتزى ... لغيرهم لـونُ استِه ومَحاجِرُهْ
فسوف يرى النوبيّ ما اجترحَت له ... يَداه إذا مـا الشِّعر عَيَّتْ نَوافرُهْ
ستُلقِي عليك الخنفساء إذا فست ... عليك من الشعر الذي أَنت حاذِرُهْ
وتَـأتي ابنَ زُبٍّ الخنفساء قصيدةٌ ... تكـون لـه منِّـي عَذاباً يُباشِرُهْ
تعذرتَ يا ابن الخنفساء ولم تكن ... لتُقْبَـلَ لابْـنِ الخنفساء معاذرُهْ
فإنّكما يـا بنـي يسار نزوْتما ... على ثُفرها ما حنّ للزيت عاصرُهْ[1]
لزِنجيَّـة بظـراءَ شقَّق بظرَهـا ... زحيرٌ بأَيّوبٍ شديـدٌ زوافرُهْ[2]

ثم مدح خالدَ بنَ عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً ، فأَنشدني يُونُس في كلمة له طويلة : [من الكامل]

يا مالِ هـل هو مُهلكي ما لم أَقل ... وليُعلَمـنَّ مـن القصائـد قيلي
يا مالِ هل لك في كبير قد أَتـتْ ... تسعون فـوق يديـه غير قليلِ[3]
فتجيرَ ناصِيَتـي وتُفْـرجَ كُربتي ... عنِّي وتطلقَ لي يـداك كُبُولِي[4]
ولقد بنـى لكـم المُعَلّى ذِروةً ... رَفعـتْ بنـاءَك في أَشَمَّ طويلِ[5]
والخيلُ تعلـم في جَذِيمة أَنّها ... تَـرْدى بكـلّ سَميدَعٍ بُهلُولِ[6]
فاسقُوا فقد ملأَ المعلّي حوضَكم ... بذَنوبِ مُلتَهِـم الرَّبـابِ سجيلِ[7]

وقال يمدح مالكاً وكانت أُمّ مالك هذا بنت مالك بن مسمع : [من الوافر]

وقِـرْمٍ بـين أَولاد المُعلّـى ... وأولاد المَسامِعَـةِ الكـرامِ

---

1 الثفر : المهبل .
2 الزحير : أنين المرأة عند المخاض .
3 كبير في الديوان 122/2 : أسير .
4 فتجير في الديوان 122/2 : فتجُزّ .
5 الشطر الأول في الديوان 121/2 : ولقد نمْت بك للمعلّى سورة .
6 تردى في الديوان 123/2 : تَعْدو .
7 الرباب في الديوان 123/2 : الذّناب .

تخمَّـط في ربيعة بـين بكر وعبد القيس في الحسبِ اللُّهامِ[1]

فلمّا لم تنفعه مديحة مالك ، قال يمدح هشام بن عبد الملك ، ويَعتذر إليه : [من الطويل]

أَلِكْني إلى راعـي البريَّةِ والذي له العَدلُ في الأَرضِ العريضة نوّرا[2]
فإن تُنكِروا شعري إذاً خرجت له بـوادرُ لـو يُرمـى بهـا لتَفَقَّرا[3]
ثبير ولـو مسّت حِراءً لحرّكت بـه الرّاسيات الصُّمَّ حتى تكوّرا[4]
إذا قال غاوٍ مـن مَعَـدٍّ قصيدةً بها حَـرَبٌ كانت وبالا مُدَمِّرا[5]
أَينطِقُها غيري وأُرمـى بجُرمها فكيـف أَلـوم الدَّهـرَ أن يتغيّرا
لئن صَبَرتْ نفسي لقد أُمِرت به وخيرُ عباد الله مَـن كان أَصبرا
وكنت ابنَ أَحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً لكنت من العصماء في الطودِ أَحذرا[6]
ولكـنْ أَتـوْني آمنـاً لا أَخافهم نهـاراً وكان اللهُ مـا شاءَ قدّرا

أَخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم قال : حدَّثني أَبو يحيى قال : قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخصْ إلى هشام ، وامدحْه بقصيدة ، وقال : استعن بالقيسيّة ، ولا يمنعك قولي فيهم فإنّهم سيغضبون لك وقال : [من الطويل]

بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها وطالت ليـالي ساهـر لا ينامُها[7]
فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أَتى بها الدَّهر والأيّام جَمٌّ خِصامُها
ولكنّمـا تبكـي تَهتّـكَ خالد محـارمَ مِنّـا لا يحـل حَرامُها[8]
فقُل لبني مروان : مـا بال ذمَّة وحرمَةِ حَقٍّ ليس يُرْعى ذمامُها[9]
أَنُقْتَل فيكـم أَن قَتلْنـا عـدوَّكم على دينكم والحرب بـاقٍ قتامُها

1 الحسب اللهام : الذي يلتهم كل حسب غيره ، ويغطي عليه .
2 أَلكني : احمل عني ألوكة ؛ رسالة .
3 تفقر : تقسم فقرا .
4 تكور : تهدم .
5 الحَرَب : الويل والهلاك .
6 العصماء : الطيور العصماء : التي في جسمها بياض .
7 ل ، وفي الديوان 239/2 : حادث لا .
8 تهتك في الديوان 240/2 : تنهّك .
9 حق في الديوان 240/2 : حلّ .

أتاك بقتل ابن المُهَلَّب خالِدٌ وفينا بَقيّاتُ الهدى وإمامُها[1]
فغيِّر ، أمير المؤمنين ، فإنّها يمانيةٌ حَمْقَاءُ أنت هشامُها
أرى مُضَرَ المِصْرين قد ذَلَّ نصرُها ولَكنْ عسى أن لا يَذِلّ شآمُها[2]
فمَنْ مُبلغ بالشام قيساً وخِندِفاً أحاديثَ ما يُشْفى ببرءٍ سَقامُها
أحاديثَ منّا نشتكيها إليهمُ ومظلمةً يغشى الوجوهَ قتامُها
فإن مَنْ بها لم يُنكرِ الضَّيمَ منهمُ فيغضبَ منها كهلُها وغلامُها
نمَتْ مثلُها من مِثلهم وتُنكِّلوا فيعلمَ أهلُ الجَوْر كيف انتقامُها[3]
بغلباءَ من جُمهورنا مضريَّةٍ يُزايل فيها أذرعَ القوم هامُها[4]
وبيْضٍ على هام الرّجال كأنّها كواكب يحلوها لسار ظلامُها[5]
غضبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا عسى أنَّ أرواحاً يسوغُ طَعامُها
ولا تقطعوا الأرحامَ منّا فإنّها ذُنوبٌ من الأعمالِ يُخشى أثامُها
ألَم تكُ في الأرحامِ منّا ومنكمُ حواجزُ أيّام عزيزٍ مَرامُها
فترعى قريشٌ من تميمٍ قرابةً ونَجْزى بأيّامٍ كريمٍ مَقامُها
لقد علمَتْ أبناءُ خِندَف أنّنا ذُراها وأنا عزُّها وسَنامُها
وقد علِم الأحياء من كلِّ موطن إذا عُدَّت الأحياء أنا كرامُها
وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرَّمت نَليها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها
قِوامُ قُوى الإسلام والأمرِ كلّه وهل طاعة إلاّ تميم قوامُها[6]
تميمُ التي تخشى معدٌّ وغيرُها إذا ما أبى أن يستقيم هُمامُها
إلى الله تشكو عزَّنا الأرضُ فوقَها وتعلم أنا ثِقْلُها وغَرامُها
شكتنا إلى اللهِ العزيز فأسمعتْ قريباً ، وأعيا مَنْ سِواه كلامُها

1 أتاك في الديوان 240/2 : وثار .
2 عسى في الديوان 240/2 ولكن قيْساً .
3 نمت في الديوان 240/2 يَعُدْ .
4 هامها في الديوان 240/2 : لامها .
5 وبيض على هام الرجال في الديوان 240/2 : وبيض علاهن الدَّجَال ، وهو فرند السيف . يحلوها في الديوان : يجلوها .
6 قوى : في الديوان 241/2 : عُرى .

نَصولُ بحول الله في الأَمــرِ كلّه إذا خيف من مصدوعةٍ ما التئامُها

فأعانته القيسيّة وقالوا : كلّما كان ناب من مُضَر أَو شاعر أَو سيِّد وثب عليه خالد وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأَبرش وكلم له هشاماً : [من الطويل]

إلى الأَبرشِ الكلبيّ أَسندتُ حاجةً تواكلَهـــا حَيّـــا تميـــمٍ ووائلِ

على حين أَن زلّت بي النّعل زَلّـةً فأَخلف ظنّـي كُلُّ حافٍ وناعلِ

فدونكها يـــا ابن الوليـــد فإنّها مفضَّلـــة أَصحابَهـــا في المحافلِ

ودونكها يـــا ابن الوليد فقم بها قيــام امرىء في قومه غيرِ خاملِ

فكلّم هشاماً وأَمَر بتخليته فقال يمدح الأبرش : [من الطويل]

لقـــد وثـــب الكلبيُّ وَثبةَ حازمٍ إلى خير خلـقِ الله نفساً وعُنصرا

إلى خير أَبنـــاء الخليفة لم يجد لحاجتـــه مـــن دونهـــا مُتأخّرا

أَبى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها كما سنَّـــت الآبـــاء أَن يتغيَّرا

وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهليّة ، وذلك قولُ جرير بن الخَطَفى في الحِلف : [من الطويل]

تميـــمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهـــمُ أَحــقُّ وأَدنـــى من صُداءَ وحِميَرا

وقال الفرزدق : [من الطويل]

أَشدُّ حبـــالٍ بـــين حيَّين مِـــرّةً حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ[1]

وليس قُضاعـــيٌّ لدينـــا بخائـفٍ ولو أَصبَحتْ تغلي القدورُ من الحربِ

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلَم ترَ قيساً قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ لنَصرِي وحاطتني هنـــاك قُرومُها

فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم تميماً فهـــم منهـــا ومنها تَميمُها

وعادتْ عَدوّي إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما النّاس عُـدَّ صميمُها

[شرطيان يعبثان به]

أَخبرني ابن دريد : قال حدَّثني أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة ، قال : بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيّام زياد في سِكّةٍ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة

1 المِرّة : إحكام الفتل .

وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن أفزّعه ، وكان جباناً ، فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر مُولّياً فعثر في طرف برده فشقّه ، وانقطع شِسعُ نعلِه ، وانصرفا عنه ، وعرف أنّهما هَزِئا منه فقال : [من الطويل]

لقد خار إذ يُجـري عليَّ حمارَه ضِرارُ الخنا والعنبريُّ بن أخوقا
ومـا كنتُ لـو خوَّفتماني كلاكما بأُمَّيكُمـا عُرْيانتَيْـن لأَفـرَقا
ولكنّمـا خوَّفتُمـاني بخـادر شَتيمٍ إذا ما صادف القِرن مزَّقا[1]

[حديثه مع توبة وليلى الإخيلية]

أخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا القحذميّ عن بعض ولد قتيبة بن مسلم بن ابن زالانَ المازنيّ ، قال : حدَّثني الفرزدق ، قال : لمّا طردني زيادٌ أتيت المدينةَ وعليها مرْوانُ بن الحكم ، فبلغه أنّي خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنّه الدّجال ، فليس يكلّمه أحد ، ولا يجالسه أحد ، ولم أكن عرفتُ خبرَه ، فأرسل إليَّ مروانُ فقال : أتدري ما مَثَلُك . حديث تحدّث به العرب : أن ضبُعاً مرّت بحيّ قوم ، وقد رحلوا ، فوجدتْ مرآة ، فنظرت وجهَها فيها ، فلمّا نظرت قُبْح وجهها ألقتها ، وقالت : من شرّ ما اطّرحك أهلك[2] ، ولكن من شرّ ما اطّرحك أميرُك ، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيّام ، قال : فخرجتُ أُريد اليمن ، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قَسيّ ، وهو طريق اليمن من البصرة ، فإذا رجل مقبل ، فقلت : من أين أوضع الراكب[3] ؟ قال : من البصرة ، قلت : فما الخبر وراءك ؟ قال : أتانا أنّ زياداً مات بالكوفة ، قال : فنزلتُ عن راحلتي ، فسجدتُ ، وقلت : لو رجعت ، فمدحت عُبيدَ الله بن زياد ، وهجوت مروان بن الحكم ، فقلت : [من الطويل]

وقفتُ بأعلى ذي قسيٍّ مطيّتي أُميِّل في مـروانَ وابنِ زيادِ
فقلت : عُبَيْدُ الله خيرُهمـا لنا وأدناهمـا مـن رأفـةٍ وَسَدادِ

ومضيت لوجهي ، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياههم فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أرَ كحسنها وهيئتها قطّ ، فدنوتُ ، فقلت : أتأذنين في الظلّ ؟ قالت : انزِل فلَكَ الظِّلّ والقِرى ، فأنختُ ، وجلست إليها ، قال : فدعَت جاريةً لها سوداءَ كالرّاعية ، فقالت : ألطِفيه[4] شيئاً واسعَي إلى الرّاعي ، فرُدِّي عليَّ شاة ، فاذبحيها له ،

---

1 الخادر الشتيم : الأسد .
2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 310/2 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبيّ 215 .
3 أوضع الراكب الدابة : حملها على المسير .
4 ألطف فلان فلاناً : أتحفه وبرّه .

وأخرجَت إليَّ تمراً وزبداً ، قال : وحادثتها فوالله ما رأيت مثلَها قطّ ، ما أنشدتها شعراً إلاّ أنشدتني أحسنَ منه ، قال : فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بُردين ، فلمّا رأته رمَت ببرقعها على وجهها ، وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها ، فدخلني من ذلك غيظ ، فقلت للحِين : هل لكَ في الصراع ؟ فقال : سوأة لك[1] ، إنّ الرجل لا يصارع ضيفَه ، قال : فألححت عليه ، فقالت له : ما عليك لو لاعَبْتَ ابنَ عمّك ؟ فقام ، وقمت ، فلمّا رمى ببرده ، إذا خلْقٌ عجيب ، فقلت : هلكتُ وربِّ الكعبة ، فقبض على يدي ، ثم اختلجني[2] إليه ، فصرت في صدره ، ثم حملني ، قال : فوالله ما اتّقيت الأرض إلاّ بظهر كبدي وجلس على صدري ، فما ملكت نفسي أن ضرطتُ ضَرْطة منكرة ، قال : وثُرت إلى جملي فقال : أنشدك الله ، فقالت المرأة : عافاك الله الظلّ والقِرى ، فقلت : أخزى الله ظلَّكم وقِراكم ، ومضيت ، فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نَجيب يجنب بُخْتِيّاً[3] برحله وزمامه ، وكان رحله من أحسن الرحال ، فقال : يا هذا ، والله ما سرّني ما كان ، وقد أراك أبدعت أيّ كلّت ركابُك ، فخذ هذا النجيب ، وإيّاك أن تُخدَع عنه ، فقد والله أُعطِيْتُ به مائتي دينار قلت : نعم آخذه ، ولكن أخبرني مَن أنتَ ؟ ومَن هذه المرأة ؟ قال : أنا توبةُ بنُ الحُميِّر ، وتلك ليلى الأخيليّة ، وقد أخبرني بهذا الخبر عمِّي .

[رواية أخرى في الخبر السابق]

قال : حدَّثني القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثني أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، قال : كانت امرأة من عُقَيل يقال لها ليلى ، يتحدّث إليها الشباب ، فدخل الفرزدق إليها ، فجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها ، كانت تألفه ، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها ، وتركت الفرزدق ، فغاظه ذلك ، فقال للرَّجل : أتصارعني ؟ قال : ذلك إليك ، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذَ الفرزدق مثل الكرة فصرعه ، وجلس على صدره ، فضرَط الفرزدقُ ، فوثب عنه الرجل خجلاً ، وقال له الرجل : يا أبا فِراس ، هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت بك ما جرى ، فقال : ويحك ، ما بي أن صرعتني ، ولكن كأنّي بابن الأتان جرير ، وقد بلغه خبري هذا ، فقال يهجوني : [من الطويل]

جلستَ إلى ليلى لتحظى بقُربها فخانك دُبْـرٌ لا يـزال يَخونُ

---

1 سوأة لك : أتيت ما يشين .

2 اختلجه : جذبه .

3 البختي : واحد البخت ، وهي الإبل الخراسانية .

فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءَها كما شدَّ خَرْتــاً للدِّلاص قُيونُ[1]

قالوا : فوالله ما مضت أيّام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين .

[يقضي يوماً كيوم دارة جلجل]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذميّ ، قال : حدَّثني بعض أًصحابنا ، عن عبد الله بن زالان التميميّ راوية الفرزدق ، أنّ الفرزدق قال : أصابنا بالبصرة مطر[2] جَوْدٌ ليلاً ، فإذا أنا بأثر دوابٍّ قد خرجت ناحية البريّة ، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة ، فقلت : خليقٌ أن تكون معهم سُفرةٌ وشرابٌ ، فقصصتُ أثرَهم ، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأغْذذت السير نحو الغدير ، فإذا نسوة مستنقَعات في الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قطّ ، ولا يوم دارة جُلْجُل ، وانصرفتُ مستحيياً منهن ، فنادَيْنني : بالله يا صاحب البغلة ، ارجع نسأَلك عن شيء ، فانصرَفتُ إليهن ، وهنّ في الماء إلى حلوقهنّ ، فقلن : بالله إلاّ ما خبرتنا بحديث دارة جلجل[3] ، فقلت : إنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له يقال لها عُنيزة ، فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان في طلب غِرَّة ، من أهلها ؛ ليزورها ، فلم يُقض له ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، وذلك أنّ الحيّ احتملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخدم والثَّقَل[4] ، فلمّا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعدما سار مع قومه غَلوة ، فكمن في غَيابَةٍ من الأرض ، حتى مرَّ به النساء فإذا فتيات ، وفيهنّ عُنيزة ، فلمّا وردنَ الغدير قلن : لو نزلنا فذهب عنّا بعضُ الكَلال ، فنزلْنَ إليه ، ونحّينَ العبيدَ عنهنّ ، ثم تجرّدن فاغتمسن في الغدير ، كهيئتكنّ الساعة ، فأتاهنّ امرؤ القيس محتالاً كنحو ما أتيتكنّ ، وهنّ غوافل ، فأخذ ثيابهنّ ، فجمعها ، ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ أثوابِهنّ ، فجمعها ، ووضعها على صدره ، وقال لهنّ كما أقول لكنّ : والله لا أُعطي جارية منكنّ ثوبها ، ولو أقامت في الغدير يومَها ، حتى تخرج مجرّدةً ، قال الفرزدق : فقالت إحداهنّ ، وكانت أمجنهنّ : ذلك كان عاشقاً لابنة عمّه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ قال : لا والله ، ما أعشق منكنّ واحدة ، ولكن أشتهيكنّ ، قال : فنعرن[5] ، وصفّقن

---

1 الوكاء : الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما . الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع اللينة . قيون : جمع قين ، وهو الحداد .

2 المطر الجود : المطر الغزير .

3 دارة جلجل : مكان أشار إليه امرؤ القيس في معلّقته .

4 الثّقل : المتاع .

5 نعرن : صوّتن بخياشيمهنّ أصواتاً فيها غنّة .

بأيديهنّ ، وقلن : خذ في حديثك ، فلست منصرفاً إلاّ بما تحبّ ، قال الفرزدق في حديث امرىء القيس : فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، ثم خشين أن يُقصِّرن دون المنزل الذي أردنه ، فخرجت إحداهنّ ، فوضع لها ثوبها ناحية ! فأخذته فلبسته ، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيَتْ عُنيزة ، فناشدته الله أن يَطرح إليها ثوبَها ، فقال : دعينا منك ؛ فأنا حرام إن أخذتِ ثوبكِ إلاّ بيدك ، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرة ، فوضع لها ثوبها ، فأخذته ، وأقبلن عليه يلُمنه ، ويعذُلنه ، ويقلن : عرَّيْتَنا ، وحبستنا ، وجَوَّعتنَا ، قال : فإن نحرتُ لكنّ مطيّتي أتأكلن منها ؟ قلن : نعم ، فاخترط[1] سيفه ، فعقرها ، ونحرها ، وكشطها ، وصاح بالخدم ، فجمعوا له حطباً ، فأجّج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطّع لهنّ من سَنامها وأطايبها وكبدها ، فيُلقيها على الجمر ، فيأكلن ، ويأكل معهن ، ويشرب من رَكوة[2] كانت معه ويغنّيهنّ ، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب ، حتى شبعن ، وطربن ، فلمّا أراد الرّحيل قالت إحداهنّ ، أنا أحمل طنفسته[3] ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله ، وقالت الأخرى : أنا أحمل حَشِيَّتَه وأنساعه[4] ، فتقسّمن متاعَ راحلته بينهنّ ، وبقيت عُنيزة لم يُحمِّلها شيئاً ، فقال لها امرؤ القيس : يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك أن تحمليني معك ؛ فإنّي لا أطيق المشي ، وليس من عادتي ، فحملته على غارب بعيرِها ، فكان يُدخلُ رأسَه في خِدرها ، فيقبّلها ، فإذا امتنعت مالَ حِدْجُها[5] ، فتقول : يا مرأ القيس ، عقرت بعيري ، فانزل ، فذلك قوله : [من الطويل]

تقول وقد مـال الغَبيط بنا معاً : عقرتَ بعيري يا مرأ القيس فانزلِ

فلمّا فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أُحسنَ حديثَك يا فتى وأظرفك ، فمَنْ أنت ؟ قال : قلتُ : من مُضَر ، قالت : ومن أيّها ؟ فقلت : من تميم ، قالت : ومن أيّها ؟ قلت : إلى ههنا انتهى الكلام ، قالت : إخالُك والله الفرزدق قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية ، قالت : دعنا من توريتك على نسبك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قال : أنا هو والله ، قالت : فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلاّ عن رِضاً ، قلت : أَجل ، فاصرف وجهك عنّا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه ، فغطَطْنَ في الماء ، فتوارين ، وأبدين رؤوسهنّ ، وخرجن ، ومع كلّ واحدة منهنّ ملء كفّيها طيناً ، وجعلت

---

1 اخترط سيفه : سلّه من غمده .

2 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، أو الدلو الصغير .

3 الطُنفُسة : الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرحل .

4 الأنساع : سيور طويلة عريضة تشدّ بها الحقائب والرّحال .

5 الحدج : مركب من مراكب النساء .

يتعادين نحوي ، فضربْنَ بذلك الطين والحمأة[1] وجهي ، وملأْن عيني وثيابي ، فوقعتُ على وجهي ، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها ، وشددن على ثيابهنّ ، فأخذنها ، وركبت الماجنة بغلتي ، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول : زعم الفتى أنّه لا بدّ أن يَنِيكنا ، فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي ، وجفّفتها ، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي ، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهنّ ، وقُلن : قُل له تقول لك أخواتك : طلبتَ منّا ما لم يمكننا ، وقد وجّهنا إليك بزوجتك ، فنِكها سائرَ ليلتك وهذا كِسْرُ[2] درهم لحمّامك إذا أصبحت ، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول : ما مُنِيت بمثلهنّ .

[يهجو مَن يرثي زياداً]

أُخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدَّثنا أَبو مسلم الحرّانيّ ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ ، قال : حدَّثنا العلاء بنُ أسلم ، قال : لمّا مات زياد رثاه مسكين الدارميّ ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أَمسكينُ أَبكى اللّهُ عينيك إنّما ... جرى في ضلالٍ دَمعُها إذ تحدَّرا
بكيتَ امرءاً من آل مَيْسان كافراً ... كِكسرى على عِدّانِه أَو كقَيصرا[3]
أَقولُ له لمّا أَتاني نَعِيُّه : ... بهِ لا بظبيٍ بالصَّريمةِ أَعفرا[4]

[يهجو ويمدح آل المهلب]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أَبي مسلم الحرّانيّ ، قال : حدَّثنا الأَصمعيّ ، قال : حدَّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما أراد المهلّب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدقُ جريراً ، فقال له : يا أبا فراس ، هل لك أن تكلّم المهلّب ، حتى يضع عنّي البحث ، وأعطيكَ أَلف درهم ، فكلّم المهلّب ، فأجابه فلامه جُذَيع ، رجل من عشيرته ، وشكا ذلك إلى خيرةَ امرأةِ المهلّب وقال لها : لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه ، فلامته خيرة بنت ضَمرةَ القُشَيريّة ، فقال المهلّب : إنّما اشتريتُ عِرضي منه ، فبلغ ذلك

1 الحمأة : الطين الأسود الكريه الرائحة .

2 الكسر : القليل .

3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . العِدّان : العهد والزمان .

4 الصريمة : القطعة المنعزلة من الرمل ، والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة . والمثل «به لا بظبي أعفر» في مجمع الأمثال 90/1 وفي المستقصى 16/2 وفي فصل المقال 100 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 78 وفي رواية أخرى : «به لا بظبي بالصرائم أعفرا» في جمهرة الأمثال 203/1 ، 207 والأمثال لمجهول 49 .

الفرزدق ، فقال يهجو جُذَيعاً : [من الكامل]

إن تَبْن دارك يا جُذَيع فما بنى ... لك يا جذيع أبوك من بُنْيانِ
وأبوك ملتزم السفينة عاقدٌ ... خُصْيَيْه فوق بنائق التُّبّانِ[1]
ويظلّ يدفَع باستِه متقاعِساً ... في البحر معتمداً على السُّكّانِ[2]
لا تحسبنَّ دراهماً جمَّعتَها ... تمحو مَخازِيَك التي بِعُمانِ

وقال يهجو خيرة : [من الوافر]

ألا قشَر الإلهُ بني قُشَيرٍ ... كقَشْر عصا المنقِّح من مُعالِ[3]
أرى رهطاً لخيرة لم يَؤُوبوا ... بسهم في اليمين ولا الشمالِ
إذا رُهِزَت رأيت بني قُشَيرٍ ... من الخُيَلاء مُنتفشي السِّبالِ

فغضب بنو المهلّب لمّا هجا جُذَيعاً وخَيرة ، فنالوا منه ، فهجاهم ، فقال : [من الوافر]

وكائِن للمهلَّب من نَسيبٍ ... يُرى بلَبانه أثَرُ الزِّيارِ[4]
بِخارَكَ لم يُقد فرساً ولكن ... يقود السّاج بالمَسد المغارِ[5]
عمِيٌّ بالتَّنائف حين يُضحي ... دَليلَ اللّيل في اللججِ الغِمارِ
وما للهِ يسجُد إذ يصلّي ... ولكن يسجدون لكلّ نارِ

فلمّا ولِّي يزيدُ بن المهلّب خراسان والعراق بعد أبيه ، ولاّه سليمان بن عبد الملك ، خافَ الفرزدقُ من بني المهلّب ، فقال يَمدحُهم : [من الكامل]

فلأمدحنَّ بني المهلَّب مِدحةً ... غَرّاءَ قاهرة على الأشعارِ[6]
مثل النجوم أمامها قَمْراؤها ... تجلو العَمى وتضيء ليلَ السَّاري
ورِثوا الطّعان عن المهلّب والقِرى ... وخلائقاً كتدفُّقِ الأنهارِ

---

1 بنائق : جمع بنيقة ، وهي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار . التبان : سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم .
2 التقاعس : بروز الصدر ودخول الظهر في الجسم .
3 نقح العود : قشره . مُعال : أعلى .
4 الزِّيار : ما يشد به الرحل إلى صدر البعير ، وفي ل : الدّبار .
5 خارك : جزيرة فارسية كان منها أبو المهلب . الساج : شجر تتّخذ منه المراكب . والمغار : المحكم الفتل .
6 قاهرة في الديوان 303/1 : ظاهرة .

كان المهلّب للعراق وقايةً — وحَيا الرَّبيعِ ومَعقِلَ الفُرَّارِ[1]
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتَهم — خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصارِ
ما زال مُذ شَدّ الإزار بكفِّه — ودنا فأدرك خمسة الأشبارِ[2]
أيزيدُ إنّك للمهلّب أدركت — كفّاك خيرَ خَلائِقِ الأخيارِ

[يخشى بأس يزيد بن المهلّب]

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدَّثنا محمد بن حبيب، قال: حدَّثني الأصمعيّ، قال: لمّا قَدِم يزيدُ بن المهلّب واسطاً قال لأُميّةَ بنِ الجعدِ، وكان صديقَ الفرزدق: إنّي لأُحِبّ أن تأتيَني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ماذا فاتك من يزيدَ أعظمِ النّاس عفواً، وأسخى النّاس كفّاً، قال: صدقت، ولكن أخشى أن آتيَه فأجد العمانيّةَ ببابه فيقومَ إليّ رجل منهم فيقولَ: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضربَ عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضربَ عنقه، ويبعث إلى أهلي ديتي، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال: لا والله لا أفعل، فأُخْبرَ يزيدَ بما قال، فقال: أمّا إذ وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

[ماجن يعبث به]

قال ابنُ حبيب: وحدَّثنا يعقوبُ بن محمد الزهريّ[3] عن أبيه عن جدّه قال: دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلّب في بركة يتبرّدون فيها، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماجن، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق، فيقولُ: دعوني أنكحْه، حتى لا يهجُونا أبداً، وكان الفرزدق من أجبن النّاس، فجعل يستغيث، ويقول: ويلكم! لا يمسَّ جلدُه جلدِي، فيبلغَ ذلك جريراً، فيوجِبَ عليّ أنّه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كَفَوْه عنه.

[يفخر بالمضرية أمام حاكم يمانيّ]

أخبرني عبيد الله قال: حدَّثني محمد بن حبيب قال: حدَّثني موسى بن طلحة قال: لمّا وَلِي خالدُ بن عبد الله العراق، فقدِمها وكان من أشدّ خلق الله عَصَبيّة على نزار فقال لبطةُ بن الفرزدق: فلبس أبي من صالح ثيابه؛ وخرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبتِ، إنّ هذا الرجلَ يمانيٌّ، وفيه من العصبيّة ما قد علمت، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن

1 وقاية في الديوان 304/1: سكينة.
2 الشطر الأول في الديوان 305/1: ما زال مذ عقدت يداه إزاره.
3 ل: الزّبيري.

لعلّ اللهَ أن يأتيَك منه بخير ، فإنّك قد كبرت على الرحلة ، فجعل لا يردُّ عليّ شيئاً ؛ حتى دُفِعْنا إلى البّواب ، فأذِن له ؛ فدخل ؛ وسلَّم ؛ فاستجلسه ؛ ثم قال : إيه يا أبا فراس ، أنشدنا ممّا أحدثت ، فأنشدتُه : [من البسيط]

يختلف الناسُ مــا لم نجتمعْ لهمُ ... ولا خلاف إذا ما أَجمعت مُضرُ[1]

فينا الكواهــلُ والأَعناقُ تقدُمها ... فيها الرؤوسُ وفيها السَّمعُ والبصرُ[2]

ولا نخالــف غيرَ الله مــن أَحد ... إلاّ السيوفَ إذا ما اغرَوْرَق النظرُ

ومَــن يَمــلْ يُمــلِ المأثورُ قُلّتَه ... بحيث يَلقى خِفافَيْ رأسه الشعرُ[3]

أمــا الملــوكُ فإنّا لا نلين لهم ... حتى يلينَ لضرسِ الماضِغ الحجرُ[4]

ثم قام ، فخرجنا ، قلت : أهكذا أوصيتك ؟ قال : اسكت ، لا أُمَّ لك فما كنتُ قطُّ أملأَ لقلبه مني الساعة .

[يفحم المنذر بن الجارود]

أَخبرني عبد الله : قال حدَّثني محمد بن حبيب ، عن موسى بن طلحة قال : كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع ، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبديّ ، فقال المنذر : مَن الذي يقول : [من الوافر]

وجدنا في كتاب بنــي تميم ... أحقُّ الخيــلِ بالركضِ المعارُ

فقال الفرزدق : يا أَبا الحكم هو الذي يقول : [من الوافر]

أَشاربُ قهــوةٍ وخدينُ زِيرٍ ... وعَبْــديٌّ لفَسْوَتــه بُخــارُ

وجَدنا الخيــلَ في أَبناء بكرٍ ... وأَفضلُ خيلهــم خشبٌ وقارُ

قال : فخجل المنذر ، حتى ما قدرَ على الكلام .

[خليفة أمويّ يفضله ويصله]

أَخبرني عبد الله بن مالك : قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : حدَّثنا الأَصمعيّ قال : دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول : [من البسيط]

ما حملَتْ ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفَّتني على الكُورِ[5]

---

1 أجمعت في ل : استجمعت .

2 في الديوان 200/1 : والرأس منّا وفيه .

3 قلّته في الديوان 200/1 : ذروته .

4 الملوك في الديوان 200/1 : العدُوّ .

5 لفّتني في ل : ألقتني . الكور : الرحل .

أعـزَّ قوماً وأوفى عند مكرمةٍ لمعْظَمٍ من دماء القوم مهجورِ

فقال له : إيه ، فقال :

إلاّ قُريشاً فـإنّ الله فضَّلها على البريّـةِ بالإسلامِ والخيرِ
تلقى وجوهَ بني مرْوانَ تحسبُها عند اللقاءِ مشُوفاتِ الدَّنانيرِ[1]

ففَضَّله عليهم ، ووصله .

[عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد]

قال ابن حبيب : وكان الفرزدق يهاجي الأَشهبَ بن رميلةَ النهشليَّ وبني فُقَيْم ، فأرفث بهم[2] ، فاستعدوا عليه زياداً ، فحدَّثني جابر بن جندل : قال : فأتى عيسى بن حُصَيْلَة بن مغيث[3] بن نصر بن خالد السُّلميّ ثم من بني بَهْزٍ ، فقال : يا أبا حُصَيلة ، إنّ هذا الرجل قد أخافني ؛ وقد لَفَظني جميع مَن كنت أرجو ، قال : فمرحباً بك يا أبا فِراس ، فكان عنده ليالي ، ثم قال : إنّي أريد أن ألحقَ بالشام ، قال : إن أقمت ففي الرَّحب والسَّعة ، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيّة[4] أمتِّعك بها ، وألف درهم ، فركب النّاقة ، وخرج من عنده ليلاً ، فأرسل عيسى معه مَن أجازه من البيوت ؛ فأصبح وقد جاوز مسيرةَ ثلاث ، فقال يمدحه : [من الطويل]

كفـاني بهـا البَهْزيُّ حُملانَ مَنْ أَبى مـن الناسِ ، والجاني تُخاف جرائمُهْ[5]
فتـى الجـودِ عيسى والمكارمِ والعُلا إذا المال لم ينفـعَ بخيـلاً كرائمُهْ[6]
ومَـن كان يـا عيسى يُؤنِّب ضَيْفَه فَضَيْفُـكَ يـا عيسى هنيءٌ مطاعمُهْ
وقـال : تَعلَّـمْ أنّها أَرحبيَّـةٌ وأَنَّ لك الليـلَ الذي أَنت جاشمُهْ[7]
فأَصْبَحتُ والمُلْقـى ورائـي وحَنبَلٌ وما صَدَرَتْ حتى علا النجمَ عاتمُهْ[8]
تَـزاورَ في آل الحقيـق كأنّهـا ظليـمٌ تباري جُنـح ليـل نعائمُهْ

1 مشوفات الدنانير : الدنانير المجلوة اللامعة .
2 أرفث : أفحش .
3 ل : معتب .
4 أرحبية : نسبة إلى أرحب ، وهو فحل أو مكان قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة .
5 البهزيّ : لقب عيسى بن حصيلة ، الحُملان : الدواب تحمل عليها الهدايا .
6 ذو المكارم والعلا .
7 جاشمه : متكلّف السير فيه .
8 الملقى وحنبل مكانان . في الديوان 205/2 حتى تلا الليل .

رأت دون عينيهـا ثويّـة فانجـلى لها الصبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مخاطمُهْ[1]

وقال : [من الطويل]

تدارَكني أسبابُ عيسى مـن الرَّدى ومـن يَـكُ مـولاه فليس بواجِدِ
نمتْـه النواصي مـن سُلَيْمٍ إلى العلا وأعـراقُ صـدق بـين نَصْرٍ وخالِدِ
سأُثنـي بمـا أُوليتَنـي وأرُبُّـه إذا القوم عـدُّوا فضْلَهم في المشاهِدِ

فلمّا بلغ زياداً شخوصُه أتْبَعَه عليَّ بن زهدمٍ الفقيميَّ : أحدَ بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق : [من الطويل]

فإنّـك لـو لاقيتَني يـا ابنَ زهدمٍ لأَبـت شعاعيّـاً على غير تمثـالِ[2]

[يلجأ إلى بكر بن وائل]

فأتى بكر بن وائل ، فجاورهم ، فأَمن ، فقال : [من الطويل]

وقـد مَثَلَتْ أَيـنَ المسيرُ فلم تجد لعَوذَتهـا كالحـيّ بكـر بن وائلِ[3]
وسارت إلى الأَجفانِ خمساً فأَصبحت مكـان الثريـا مـن يـد المتناولِ
وما ضرّهـا إذ جـاورت في بلادِها بني الحِصن ما كان اختلاف القَبائلِ

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل .

[يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص]

وهرب الفرزدق من زياد ، فأتى سعيدَ بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أُميّة ، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، فأمنه سعيد ، فبلغ الفرزدق أنّ زياداً قال : لو أتاني أمّنتُه ، وأعطيتُه ، فقال في كلمة له : [من الطويل]

دعـاني زيـادٌ للعطاءِ ولَـم أكُـنْ لآتِيَـهُ مـا ساق ذو حسبٍ وَفْرا
وَعنـد زيـادٍ لـو أَراد عطاءَهم رجـالٌ كثيرٌ قـد يـرى بهمُ فقرا
قعودٌ لدى الأَبوابِ طـلابُ حاجة عوانٍ من الحاجاتِ أَو حاجةً بكرا
فلمـا خشيتُ أَن يكـون عطـاؤه أَداهـمَ سوداً أَو مُحَدْرَجَةً سُمرا[4]

1 الشطر الأول في الديوان 205/2 : رأت بين عينيها رويّة فانجلى . وروية ماء . وثوية : مكان . الصعل : ما دق رأسه من النعام . أسيل : ناعم ، مخاطم : جمع مخطم ، وهو مقدم الأنف .
2 شعاعياً : نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق .
3 مثلت : زالت عن موضعها .
4 أداهم : جمع أدهم ، يريد القيد ، المحدرجة : السياط .

نميْـتُ إلى حَـرْف أضرَّ بَنيِّهـا ... سُرى الليل واستعراضُها البلد القفْرا[1]

فلمّا اطمأنّ عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال : [من الوافر]

ألا مَـنْ مبلـغٌ عنّي زِياداً ... مُغلغلةً يخُـبُّ بهـا البَريدُ[2]
بأنّي قـد فـررتُ إلى سعيدٍ ... وَلا يُسْطاعُ مـا يَحْمي سعيدُ
فررتُ إليه مـن ليثٍ هِزبْرٍ ... تفـادى عـن فريسته الأُسودُ
فإن شئتُ انتميْت إلى النصارى ... ونَاسَبَنـي وناسبَـتِ اليهـودُ
وإن شئـت انتسبت إلى فُقَيْمٍ ... ونَاسَبَنـي وناسبـتِ القرودُ
وأَبغضُهم إليَّ بَنـو فُقَيـم ... ولَكـن سوف آتي مـا تُرِيدُ

فأَقام الفرزدق بالمدينة ؛ فكان يدخل بها على القيان . فقال : [من الطويل]

إذا شئتُ غنَّاني من العاجِ قاصفٌ ... على معصم ريّـان لم يتخدَّدِ[3]
لبيضاءَ من أَهلِ المدينـة لم تعِش ... ببؤس ولم تتبعْ حُمولـة مُجْحدِ[4]
وقامت تُخشِّيني زيـاداً وأجفلت ... حواليَّ في بُردَيْ يمانٍ ومُجسَدِ[5]
فقلتُ : دعينـي من زيـاد فإنّني ... أَرى الموتَ وَقّاعاً على كلِّ مَرْصَدِ

[بينه وبين مسكين الدارميّ]

فلمّا هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عديّ بن عدس بن عبد الله بن دارم ، فقال[6] : [من الوافر]

رأَيتُ زيـادةَ الإسلامِ وَلّتْ ... جهـاراً حـين فارقَهـا زِيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أَمسكينُ أَبكـى الله عينيك إنّما ... جرى في ضلالٍ دَمعُهـا فتحدَّرا
أَتبكي امرءاً من آل مَيسان كافراً ... ككِسرى على عِدَّانـه أَو كقَيصرا

---

1 الحرف : الناقة . والنيّ : الشحم .
2 مغلغلة : أي رسالة مغلغلة : محمولة من بلد إلى بلد .
3 قاصف من العاج : مزهر أو نحوه من آلات الغناء التي تتخذ من العاج .
4 المجحد : القليل الخير .
5 مجسد : مطلي بالجساد وهو الزعفران أو العصفر ونحوهما ممّا تُطلى به الثياب .
6 تقدّمت هذه الأبيات في هذه الترجمة ص 241 .

أقول لـــه لمّـا أتـاني نَعِيُّـه : بِـه لا بظبـيٍ بالصّرِيمة أعفرا[1]

فقال مسكين : [من الطويل]

ألا أيّها المرءُ الذي لَسْتُ قائماً ولا قاعداً في القوم إلاّ انبرى لِيا
فجئني بعَـــمٍّ مثل عَمِّي أو أبٍ كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا
بعَمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي النَّدى سموتُ بـــه حتى فَرعتُ الرّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه ، وكان يقول : نجوتُ من أن يهجوني مسكين ، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري ، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدَّهرِ .

[تعوذ بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة ، فقال : أخبرنا ابن سلاّم ، قال : حدَّثني الحكم بن محمد المازنيّ ، قال : كان تميم بن زيد القضاعيّ ، ثُـمَّ أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش ، فجمّرهم[2] ؛ وفي جيشه رجل يقال له حُبَيْش ، فلمّا طالت غيبتُه على أُمِّه اشتاقته ، فسألت عمَّن يكلّم لها تَميمَ بن زيد أن يُقْفلَ ابنها ، فقيل لها : عليك بالفرزدق ، فاستجيري بقبر أبيه ، فأتت قبر غالب بكاظمةَ ، حتى علِم الفرزدق مكانها .

ثمّ أتته ، وطلبت إليه حاجتها ، فكتب إلى تَميمٍ بن زيد هذه الأبيات : [من الطويل]

هَبْ لي حُبَيشاً واتّخذْ فيه مِنَّةً لغُصَّةِ أمٍّ مـــا يَسوغُ شرابُها
أتتني فعاذَت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفْرةِ السافي عليهـــا تُرابُها
تَميمُ بن زَيدٍ لا تكونَنَّ حاجتي بظَهرٍ فـلا يخفى عليَّ جَوابها

فلمّا أتاه كتابُه لم يدرِ ما اسمه حُبَيْشٌ أو حُنَيْشٌ ، فأَخْرَجَ ديوانه ، وأقفل كلّ حبيْش وحُنَيْش في جَيْشِه ، وهم عدّة ، وأنفذهم إلى الفرزدق .

[مُكاتب يعوذ بقبر غالب]

قال أبو خليفة : قال ابن سَلاّم : وحدَّثني أبو يحيى الضّبيّ ، قال : ضرب مكاتب لبني مِنْقر بساطاً على قبرِ غالب أبي الفرزدق ؛ فقدِم النّاس على الفرزدق ، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه .

ثم قدِم عليه فقال : [من الطويل]

---

1 مثل : أشرنا إليه ص 241 .

2 جمّرهم : أطال مدّة غزوهم .

بقبر ابن لَيْلى غالب عُذْتُ بعدما ... خَشِيت الرَّدى أو أن أُرَدَّ على قَسْرِ
فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلى فقال لي : ... فِكاكُكَ أن تأتي الفرزدقَ بالمِصْرِ

فقال الفرزدق : صدق أبي ؛ أَنِخْ ؛ ثمَّ طاف له في النَّاس ؛ حتى جمع له مكاتبَته وفضلاً .

[عائذة أخرى بقبر غالب]

وكان نُفَيْعُ ذو الأهدام : أحد بني جعفر بن كلاب يتعصّب لجرير بمدحه قيساً ؛ فهجاه الفرزدق ، فاستجارت أُمّه بقبر غالب ؛ وعاذت من هجاء الفرزدق ؛ فقال : [من الطويل]

ونُبِّئتُ ذا الأهدامِ يعوي ودونه ... من الشَّام زُرَّاعاتُها وَقُصُورُها
على حينَ لم أتركْ على الأرْض حيَّةً ... ولا نابحاً إلاّ استقرّ عقورُها
كلابٌ نَبَحن الحيّ من كلِّ جانبٍ ... فعاد عُواءً بعد نَبْحٍ هريرُها
عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالِبٍ ... فلا والذي عاذت به لا أُضيرُها
لئن نافعٌ لم يرعَ أرحامَ أُمِّهِ ... وكانت كدَلوٍ لا يزال يعِيرُها[1]
لبئس دمُ المولودِ بلَّ ثيابَها ... عشيَّةَ نادى بالغلامِ بشيرُها
وإنّي على إشفاقها من مخافتي ... وإن عَقَّها بي نافعٌ لمجيرها
وَلَو أنَّ أُمَّ النّاس حوّاءَ جاوَرت ... تميمَ بن مُرٍّ لم تجد مَن يجيرها

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة .

[جرير يبزه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا أحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر ، عن الأصمعيّ ، قال : كان عبد الله بنُ عطيّةَ راوية الفرزدق وجرير ، قال : فدَعاني الفرزدق يوماً ، فقال : إنّي قلت بيت شعر والنّوّار طالق إن نقضَه ابن المراغة[2] ، قلت : ما هو ؟ قال : قلت : [من الطويل]

فإنّي أنا الموتُ الذي هو نازلٌ ... بنفسك فانظر كيف أنتَ تُحاولهُ

ارحل إليه بالبيت ، قال : فرحلت إلى اليمامة ، قال : ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل ، فقلت : إنّ الفرزدق قال بيتاً ، وحلف بطلاق النّوّار أنّك لا تنقضه ، قال : هيه ، أظَنَّ واللهِ ذلك ؟ ما هو ؟ ويلك ، فأنشدته إيّاه ، فجعل يتمرّغ في الرمل ، ويحثوه

1 عار : عاب أو أتلف .
2 المراغة : الأتان .

على رأسه وصدره ، حتى كادت الشمس تغرب ، ثم قال : أنا أبو حزرة ، طَلَقَت امرأةُ الفاسق ، وقال : [من الطويل]

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدّهرُ خالدٌ فجئني بمثل الدّهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسقِ ، قال : فقدمت على الفرزدق ، فأنشدته إيّاه ، وأعلمته بما قال ، فقال : أقسمت عليك لَما سترتَ هذا الحديث .

[هناك مَن هو أجفى منه]

أخبرني عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ وأبو عبيدة ، قال : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا فقال : يا أبا فِراس أتدري مِمَّ ضحكوا ؟ قال : لا ، قال : من جفائك ، قال : أصلح الله الأمير ، حججت ؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبيّ ، وعلى عاتقه الأيسر صبيّ ؛ وإذا امرأة آخذة بمئزرِه ؛ وهو يقول : [من الرجز]

أنتَ وهبتَ زائداً ومزْيَدا وكهلةً أُولجُ فيها الأجردا

والمرأة تقول من خلفه : إذا شئت ، فسألت : مِمّن هو ؟ فقيل : من الأشعريين ، أفأنا أجفى أم ذلك ؟ فقال بلال : لا حيّاك الله ، قد علمت أنّهم لن يفلتوا منك .

[تهزمه امرأة]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا موسى بن طلحة ، عن أبي زيد الأنصاريّ ، قال : ركب الفرزدق بغلته ، فمرّ بنسوة ؛ فلمّا حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرَطت ، فضحكن منه ، فالتفت إليهنّ ، فقال : لا تضحكن ، فما حملتني أنثى إلاّ ضرطَت ، فقالت له إحداهنّ : ما حملتك أُنثى أكثر من أمّك ، فأُراها قاست منك ضُراطاً كثيراً ، فحرّك بغلته ، وهرب منهنّ ، وبهذا الإسناد قال :

[يهجو إبليس]

أتى الفرزدق الحسنَ البَصريّ فقال : إنّي قد هجوتُ إبليس ، فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تنطق ؟

[يسأل سائله فيفحمه]

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق : يا أبا فراس ، أسألك عن مسألة ، قال : سل عمّا أحببت ، قال : أيّما أحبُّ إليك ؟ أتسبق الخير أم يَسْبِقُك ؟ قال : إن سبقني فاتني ، وإن سبقتُه فتُه ، ولكن نكونُ معاً ، لا يسبِقني ، ولا أسبقه ، ولكن أسألك عن مسألة . قال ابن بيض : سَل ، قال : أيما أحبُّ إليك ؟ أن تنصرف إلى منزلك ، فتجدَ امرأتَك قابضة على أير

رجل ، أم تراه قابضاً على هَنِها ، قال : فتحيّر ، وكان قد نُهي عنه ، فلم يَقْبَل .

[لا صلح بينه وبين جرير]

أخبرني عبد الله قال : حدَّثني محمد بن عمران الضّبيّ ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ ، قال : اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِحَ بينهما حتى يتكافَّا ، فقال لهما : ويحكما ! قد بلغتما من السنّ ما قد بلغتما ، وقربت آجالُكما ؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ واحد منكما لصاحبه ذنبَه ، فقال جرير : أصلح الله الأمير ، إنّه يظلمني ، ويتعدّى عليّ ، فقال الفرزدق : أصلح الله الأمير ، إنّي وجدت آبائي يظلمون آباءه . فسلكتُ طريقَهم في ظلمه ، فقال بشرٌ : عليكما لعنة الله ، لا تصطلحان واللهِ أبداً .

[يهزأ به وبهجائه]

وأخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضّبيّ ، قال : حدَّثنا الأَصمعيّ : قال الفرزدق : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرّة قال لي : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : أفأَموت إن هجوتني ؟ قلت : لا ، قال : أفتموت عَيْشُونةُ ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلي إلى عنقي في حرِ أُمِّكَ ، قال : قلتُ : ويلك ! لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع ؟

[يأمره مجنون فيطيع]

أخبرني عبد الله ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن الأَصمعيّ ، قال : مرَّ الفرزدقُ بمأجل[1] فيه ماء ، فأشْرَعَ بغلته فيه ، فقال له مجنون بالبصرة : يقال له حريبش : نحِّ بغلتك ، جذ الله رجليك ، قال : ولِمَ ؟ ويلك ، قال : لأنّك كذوب الحنجرة ، زاني الكَمَرة ، فقال الفرزدق لبغلته : عَدَسْ ومضى ، وكره أن يسمع قولَه الناسُ .

[هو وغيره يؤثرون القصائد القصار]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل للفرزدق : ما اختيارك في شعرك للقِصار ؟ قال : لأنّي رأيتها أثبتَ في الصدور ، وفي المحافلِ أجْوَلَ ؛ قال : وقيل للحُطيئة : ما بالُ قِصارك أكثرَ من طوالك ؟ قال : لأنّها في الآذان أوْلَجُ . وفي أفواه النّاس أعْلَقُ .

أخبرني عبد الله بن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل لعقيل بن عُلَّفة : ما لكَ تُقَصِّر في هجائك ؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة[2] .

---

1 المأجل : كلّ ماء في أصل جبل أو واد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى للزمخشري 62/2 والأمثال لمجهول 57 .

[يتندّر باسمه فيلقمه حجراً]

أخبرني عبد الله ، عن محمد بن عليّ بن سعيد الترمذيّ ، عن أحمد بن حاتم : أبي نصر ، قال : قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرْميّ للفرزدق : أمَا وجدتْ أمُّكَ اسماً لك إلاّ الفرزدق الذي تكسره النساءُ في سُويقِها[1] ؟ قال : والعربُ تسمِّي خبْزَ الفَتُوت الفرزدق فأقبل الفرزدقُ على قوم معه في المجلس ، فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسْمِه ، فقال : والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلّكم ، قال : الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر ، فقال الفرزدق : أحقُّ النّاس ألا يتكلَّمَ في هذا أنت ؛ لأنّ اسمك اسمُ متاعِ المرأة ، واسم أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدّك اسم الكلب .

[بيتان يثيرانه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن الزُّبير عن عمِّه عن بعض القرويين ، قال : قدِم علينا الفرزدق ، فقلنا له : قدِم علينا جرير ، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ، ومضى يريدهم ، فقال : أنشدونيها ، فأنشدناه قصيدة كثيِّر التي يقول فيها : [من الوافر]

وما زالت رُقاك تسُلُّ ضِغْني ... وتخرجُ من مكامنها ضِبابي[2]
ويَرقيني لك الحــاوون حتى ... أجابك حيّةٌ تحــت الحِجابِ

قال : فجعل وجهه يتغيّر ، وعندنا كانون ، ونحن في الشتاء ، فلمّا رأينا ما به قلنا : هوِّنْ عليك يا أبا فراس ، فإنّما هي لابن أبي جمعة[3] ، فانثنى سريعاً ليسجد ، فأصاب ناحية الكانون وجْهه فأدماه .

[مع الحسين بن عليّ]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : أخبرني القحذميّ ، قال : لقي الفرزدق الحسين بن عليّ عليهما السلام متوجّهاً إلى الكوفة خارجاً من مكّة في اليوم السادس من ذي الحجّة فقال له الحسين ، صلوات الله عليه وآله : ما وراءك ؟ قال : يا ابنَ رسول الله ، أنْفُس النّاسِ معك ، وأيديهم عليك ؛ قال : ويحك ، معي وِقْر بعير من كتبهم يدعونني ، ويناشدونني الله ، قال : فلمّا قتل الحسين ، صلوات الله عليه ، قال الفرزدق : انظروا فإن غضبت العرب لابن سَيِّدها وخيْرها فاعلموا أنّه سيدوم عزُّها ، وتبقى هيبتها ، وإن صبرت عليه ، ولم تتغيّر لم يزدها الله إلاّ ذُلاًّ إلى آخر الدّهر ، وأنشد في

1 السويق : طعام يتّخذ من مدقوق الحنطة والشعير .
2 ضباب : جمع ضبّ ، والمقصود الحقد الكامن .
3 إشارة إلى كثيّر نفسه .

ذلك : [من الطويل]

فإن أنتُـم لم تثأروا لابـن خيركم فألقـوا السلاح واغزِلـوا بالمغازلِ

[حافظة الفرزدق]

أخبرنا عبد الله بن مالك : قال : أخبرني أبو مسلم ؛ قال : حدَّثني الأصمعيّ ، قال : أنشد الرّاعي الفرزدق أربع قصائد ، فقال له الفرزدق : أعيدُها عليك ، لقد أتى عليَّ زمان ، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عنّي .

[يشرب الخمر ممزوجة باللبن]

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدَّثني أبو مسلم الحرانيّ عن الأصمعيّ ، قال : تَغَدّى الفرزدق عند صديق له . ثم انصرف فمرّ ببني أسد ، فحدَّثهم ساعة ثم استسقى ماء ، فقال فتى منهم : أو لبناً ، فقال : لبناً ، فقام إلى عُسٍّ[1] ، فصبَّ فيه رطلاً من خمر ، ثم حلب عليه ، وناوله إيّاه ، فلمّا كرع فيه انتفخت أوداجه[2] ، واحمرّ وجهه ثم ردّ العُسَّ ، وقال : جزاك الله خيراً ، فإنّي ما علمتك تحبّ أن تُخْفي[3] صديقك ، وتُخفي معروفك ثم مضى .

[النَّوار تحتال عليه]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، وتهدّدها بالهجاء والفضيحة ، فاستغاثت بالنَّوار امرأته ، وقصَّت عليها القصّة ، فقالت لها : واعديه ليلة ، ثم أعلميني ، ففعلت ، وجاءت النَّوار ، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلمّا دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية ، فأطفأت السراج ، وغادرت المرأة الحجلة ، واتبعها الفرزدق ، فصار إلى الحجلة ، وقد انسلّت المرأةُ خلف الحجلة ، وبقيت النَّوار فيها ، فوقع بالنَّوار وهو لا يشكّ أنّها صاحبته ، فلمّا فرغ قالت له : يا عدوّ الله ، يا فاسق ، فعرف نغمتها ، وأنّه خدع ، فقال لها : وأنتِ هي يا سبحان الله ! ما أطيبك حَراماً ، وأردأكِ حلالاً .

[يضنّ عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه]

أخبرني عبد الله بن مالك . قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذميّ قال : استعمل الحجّاج الخيارَ بن سبرة المجاشعيّ على عُمان ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية

1 العسّ : القدح الكبير .
2 الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح .
3 تخفي : تحتفي .

فكتب إليه الخيار : [من الوافر]

كتبت إليّ تستهدي الجواري لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيدِ

فأجابه الفرزدق : [من الوافر]

ألا قال الخيارُ وكان جهلاً قد استهدى الفرزدقُ من بعيدِ
فلولا أنّ أُمّك كان عمّي أباها كنتَ أخرس بالنشيدِ
وأنّ أبي لَعَمٌّ أَبيك لحّا وأنّك حين أغضبُ من أُسودي[1]
إذاً لشددتُ شدّةَ أعوجيٍّ يدقّ شكيمَ مجدول الحديدِ[2]

[لا يستسيغ خطأ في القرآن]

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعيّ قال : سمع الفرزدق رجلاً يقرأ : والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نَكالاً من اللهِ واللهُ عفورٌ رحيمٌ فقال : لا ينبغي أن يكون هذا هكذا ، قال : فقيل له : إنّما هو ﴿عزيز حكيم﴾ قال : هكذا ينبغي أن يكون .

[يمدح أسماء بن خارجة]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا أبو مسلم ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال : مرَّ أسماءُ بن خارجة الفزاريّ على الفرزدق ، وهو يهنأ[3] بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء : يا فرزدق كسد شعرك ، واطرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك ، فقد أمرت لك بمائة بعير ، فقال الفرزدق فيه يمدحه : [من البسيط]

إنَّ السّماحَ الذي في الناسِ كلّهمُ قد حازه اللهُ للمفضَال أسماءِ
يُعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ يكدّره عفواً ويُتْبِع آلاءً بنعماءِ
ما ضَرَّ قوماً إذا أمسى يجاورهم ألاّ يكونوا ذوي إبلٍ ولا شاءِ

[ضعف شعره عندما شاخ]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة ، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها : [من الطويل]

1 لحا : من لحت القرابة إذا دنت ، والتصقت .
2 الأعوجي : الجواد المنسوب إلى أعوج ، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول البعيدة .
3 يهنأ بعيرا : يطليه بالهناءة ، وهي القار .

فإنّ أبا موسى خليـــلُ محمدٍ وكفَّاه يُمْنى للهدى وشِمالُها

فقال ابن أبي بردة : هلكت واللهِ يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ ، وقال : كيف ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثلُ شعرك في سعيد ، وفي العبّاس بن الوليد ، وسمّى قوماً فقال : جئني بحَسبٍ مثل أحسابِهم ، حتى أقول فيك كقولي فيهم ، فغضب بلال حتى دَرَّت أوداجه ودُعي له بطست فيه ماء بارد ، فوضع يده فيها ، حتى سكن ، فكلّمه فيه جلساؤه وقالوا : قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت ، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات .

[قواد له من أصحابه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن سعيد بن همام اليماميّ ، قال : شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق ، فقال لصاحبٍ له : إنَّ الغُلمة قد آذتني فأكسبِني بَغِيّاً ، قال : من أين أُصيب لك هاهنا بغيا ؟ قال : فلا بدّ لك من أن تحتال ، قال : فمضى الرجل إلى القرية ، وترك الفرزدق ناحية ؛ فقال : هل من امرأة تُقَبِّل[1] ، فإنّ معي امرأتي وقد أخذها الطّلق فبعثوا معه امرأة ، فأدخلها على الفرزدق ، وقد غَطّاه ، فلمّا دنت منه واثبها . ثمَّ ارتحل مبادراً ، وقال : كأنّي بابنِ الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال : [من الوافر]

وكنتَ إذا حَللتَ بدارِ قــومٍ رحلتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا

قال : فبلغ جريراً الخبر ، فهجاه بهذا الشعر .

[يغتصب بيتاً]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : قال أبو نهشل : حدَّثنا بعض أصحابنا : قال : وقف الفرزدق على الشمردل ، وهو ينشد قصيدة له ، فمرَّ هذا البيت في بعض قوله : [من الطويل]

وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعة وبين جرير غير حـــزِّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق : يا شمردل ، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركنّ عرضك ؛ قال : خذه ، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم ، وهي التي أوّلها قوله : [من الطويل]

تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتــي حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ[2]

1 تقبل : تشتغل قابلة .

2 زورا اليمامة في الديوان 307/2 : لزوراء المدينة . البوّ : جلد يحشى تبناً على هيئة الحوار لتدرّ اللبن حين تراه . رائم : عطوف .

[تستعيذ بقبر أبيه]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيبَ ، عن الأَصمعيّ ، قال : جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق ؛ فضربت عليه فسطاطاً . فأتاها فسألها عن أمرها . فقالت : إنّي عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي ، قال لها : وما هو ، قد ضَمِنت خلاصك منه ، قالت : إنّ ابناً لي أغزِي إلى السِّند مع تميم بن زيد ؛ وهو واحدي قال : انصرفي ، فعليّ انصرافُه إليك إن شاء الله ، قال : وكتب من وقته إلى تَمِيم بقوله : [من الطويل]

تَميمَ بنَ زيد لا تكوننَّ حاجتي بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابُها
وهب لي حُبيشاً واتّخِذْ فيه مِنَّةً لحرْمة أمٍّ مـا يسوغُ شَرابُها
أتتني فعاذت يا تَمِيمُ بغالبٍ وبالحفْـرة السّافي عليها ترابُها

قال : فعرض تميم جميع مَن معه من الجند ، فلم يدع أحداً اسمه حُبَيْش ، ولا حُنَيش إلاّ وصله ، وأذِن له في الانصراف إلى أهله .

[ما يشتهي]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ ، قال : مرَّ الفرزدق بصديق له ، فقال له : ما تشتهي يا أبا فراس ؟ قال : أشتهي شواءً رَشْراشاً ، ونَبيذاً سعيراً[1] ، وغناءً يفتق السمع .

الرشراش : الرَّطْب ، والسعير : الكثير .

[يتبرم بمحبّي شعره]

أخبرنا عبد الله بن مالك . قال : حدَّثنا محمد بن حبيب : قال : حدَّثني السعديّ ، عن أبي مالك الزيديّ . قال : أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً ؛ فجلسنا ببابه ننتظر ، إذ خرج علينا في مِلْحفة . فقال لنا : يا أعداء الله ، ما اجتماعُكم ببابي ؟ والله لو أردت أن أزني ما قدَرت .

[يعاني في صنع الشعر]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا أبو مسلم ، قال حدَّثنا الأصمعيّ عن هشام بن القاسم ، قال : قال الفرزدق : قد علِم النّاس أنّي فحل الشعراء . وربّما أتت عليّ الساعة لَقَلْع ضرسٍ من أضراسي أهونُ عَلَيّ من قولِ بيت شعر .

1 ل : سعبراً .

[يهجو راويته فلا يخالفه]

حدَّثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم ، عن الأَصمعيّ ، قال : كان الفرزدق وأبو شَقْفَل راويته في المسجد ؛ فدخلت امرأة ، فسألت عن مسألة ، وتَوسّمت ؛ فرأت هيئة أبي شَقْفَل ، فسألته عن مسألتها ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أَبو شَقْفَل شيخ عن الحقِّ جائرٌ ببابِ الهدى والرّشد غيرُ بصيرِ

فقالت المرأة : سبحان الله ؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ ؟ فقال أبو شقفل : دعيه فهو أعلم بي .

[سكينة بنت الحسين تنقده وتهبُه جاريتها]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : خرج الفرزدق حاجّاً ، فمر بالمدينة ، فأتى سُكَيْنَةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله ، فقالت : يا فرزدق . مَنْ أشعَر النّاس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسي مَن تجنُّبُه عزيزٌ عليَّ ومَنْ زيارتُه لِمامُ
ومَن أُمسي وأُصبح لا أَراه ويطرُقني إذا هجعَ النيامُ

فقال : والله لو أذِنتِ لي لأسمعتك أحسن منه . فقالت : أقيموه . فأُخرِج . ثم عاد إليها في اليوم الثاني . فقالت له : يا فرزدق . مَن أشعر النّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت : أشعرُ منك الذي يقول : [من الكامل]

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ولَزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ
لا يلبث القُرناءُ أن يتفرّقوا ليلٌ يكرّ عليهمُ ونهارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كُتِمَ الحديثُ وعَفَّت الأَسرارُ

قال : أَفأُسْمِعكِ أحسن منه ؟ قالت : اخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنّها ظبيةٌ ، فاشتدّ عجبه بها . فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر النّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعَر منك الذي يقول : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ قَتَلْننا ثم لم يُحيين قَتْلانا
يَصرعْن ذا اللُّبّ حتى لا حَراكَ له وهُنَّ أَضعفُ خلق الله أَركانا

ثم قالت : قُم فاخرج . فقال لها : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك لحقّاً . إذ كنتُ إنّما جئتُ مسلّماً عليك ، فكان من تكذيبك إيّاي وصنيعك بي حين أردتُ أن أُسمعك شيئاً من

شعري ما ضاق به صدري . والمنايا تغدو وتروح ، ولا أدري ، لعلّي لا أُفارق المدينةَ حتى أموت . فإن مِتُّ فمُرِي مَن يدفِنني في حِرِ هذه الجارية التي على رأسك ، فضحكت سُكَيْنةُ ، حتى كادت تخرج من ثيابها ، وأمَرت له بالجارية ، وقالت : أحسِن صحبَتها ؛ فقد آثرتك بها على نفسي ، قال : فخرج وهو آخذ برَيْطتها[1] .

[يطالب معاوية بتراث عمّه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : وفد الحُتاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية ، فخرجت جوائزهم ، فانصرفوا ، ومرض الحتاتُ ، فأقام عند معاوية حتى مات ، فأمر معاوية بماله ، فأُدخِلَ بيتَ المال ، فخرج الفرزدق إلى معاوية ، وهو غلام ، فلمّا أُذِنَ للنّاس دخل بين السماطين[2] ، ومَثَل بين يدَي معاوية ، فقال : [من الطويل]

أبوك وعمِّي يا معاويَ ورَّثا تراثاً فيحتازُ التّراثَ أقاربُه[3]
فما بال ميراثِ الحتات أكلتَهُ وميراثُ حرب جامدٌ ليَ ذائبُه ؟[4]
فلو كان هذا الأمرُ في جاهليّةٍ علمتَ مَن المولى القليلُ حلائبُه[5]
ولو كان هذا الأمر في مِلك غيركم لأدّاه لي أو غَصَّ بالماءِ شاربُه[6]

فقال له معاوية : مَن أنت ؟ قال : أنا الفرزدق قال : ادفعوا إليه ميراث عمِّه الحتات ، وكان ألف دينار ، فدفع إليه .

[امرأة تهجوه فتوجعه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي حمزة الأنصاريّ ، قال : أخبرنا أبو زيد ، قال : قال أبو عبيدة .

انصرف الفرزدق من عند بعض الأُمراء في غداة باردة ، وأمر بجزور . فنُحِرت ثمَّ قُسِّمَت ، فأغفل امرأة من بني فُقيم ، نسيها ، فرجزت به ، فقالت : [من الرجز]

---

1 الريطة : الملاءة كلّها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب ليّن رقيق .
2 السماطين : الصفين .
3 يحتاز : يحوز .
4 في الديوان 45/1 : أتأكل ميراث الحتات ظلامةً .
5 الأمر في الديوان 45/1 : الدين . حلائب : جمع حلوب .
6 أدّاه لي في الديوان 45/1 : لأبديته .

فيْشلةٌ هـدْلاءِ ذات شِقْشقِ ... مشرفةُ اليافـوخ والمحـوَّقِ[1]
مُدمجَةٌ ذاتُ حِفـافٍ أخلقِ ... نِيطت بحَقْـوَيْ قَطِمٍ عَشنّقِ[2]
أُولجتهـا في سَبّـة الفرزدق[3]

قال أبو عبيدة : فبلغني أنّه هرب منها ، فدخل في بيت حمّاد بن الهيثم ، ثم إنّ الفرزدق قال فيها بعد ذلك : [من الطويل]

قتلـتُ قتيـلاً لم يَـرَ الناسُ مثلَه ... أُقلِّبـه ذا تَوْمَتـين مُسَوَّرا[4]
حملـتُ عليـه حملتـين بطعنةٍ ... فغادرتـهُ فـوق الحشايا مكوّرا
ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته ... يفوح كمثل المسك خالطَ عنبرا
وما هو يـوم الزحف بارزَ قِرنَه ... ولا هـو ولّى يـوم لاقى فأُدبرا
بني دارم مـا تأمرون بشاعرٍ ... برود الثّنايا مـا يـزال مزعفرا
إذا مـا هو استلقى رأيت جهازه ... كمقطع عُنق الناب أسود أحمرا[5]
وكيف أُهاجي شاعراً رمحُهُ استُه ... أعـدَّ ليـوم الرّوع دِرْعاً ومَجْمرا

فقالت المرأة : ألا لا أرى الرجال يذكرون منّي هذا ، وعاهدت الله ألاّ تقول شعراً .

[كأنّه يريد أن يؤتى]

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم ، عن الأصمعيّ قال : مرّ الفرزدق يوماً في الأزد ، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه ، وأعانه على ذلك سفهاؤهم ، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النُّهى منهم ، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبي علقمة : ويلكم ! أطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ؛ هذا شاعرُ مضَر ولسانها ، قد شتم أعراضَكم ، وهجا ساداتِكم ، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً ، فحالوا بينه وبينه ، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : قاتله الله . إي والله ، لقد كان أشار عليهم بالرأي .

[أنصاريّ يتحدّاه بشعر حسّان بن ثابت]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : قال الكلبيّ : قال

---

1 هدلاء : طويلة . مشرفة اليافوخ : طويل أعلاها . المحوق : من الحوق ، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافيها .
2 أخلق : صلب . الحقو : الخصر . قطم : مجيد للنكاح مشته له . عشنق : طويل .
3 السبّة : الإست .
4 التّومة : لؤلؤة تتحلّى بها المرأة . مسوّراً : لابساً أساور .
5 يريد بالجهاز بضع المرأة . والناب : الناقة المسنة .

إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص . وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ والأخفش جميعاً ، عن السكريّ ، عن ابن حبيب ، عن أبي عبيدة والكلبيّ : قال : وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قالوا جميعاً : قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبان بن عثمان ، فأتى الفرزدق وكثيِّر عزّة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما شخت[1] رقيق الأدمة ، في ثوبين ممصرين ، فقصد نحونا ، فلم يسلّم ، وقال : أيّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق : مَن أنتَ لا أمَّ لك ، قال : رجل من الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنَّا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنّك تزعم أنّك أشعر العرب ، وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردتُ أن أعرضه عليك ، وأؤجّلكَ سنة ، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب ، كما قيل ، وإلاّ فأنت منتحِلٌ كذّاب ، ثم أنشده : [من الطويل]

ألم تسألِ الرَّبــعَ الجديـدَ التكلُّما

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأبقى لنا مَـــرُّ الحروب ورزؤُها — سيوفاً وأدراعــاً وجمّاً عرمرما
متى مـا تُردْنا مــن مَعدٍّ عِصابةٌ — وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما
لنـا حاضر فعْـمٌ وبـادٍ كأنّه — شماريخُ رَضْوى عِـزّةً وتكرُّما[2]
أبى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا — وقائلُنــا بالعُــرف إلاّ تَكلُّما
بكلِّ فتًى عـاري الأشاجع لاحَه — قِراعُ الكماةِ يرشح المِسكَ والدَّما[3]
ولدنا بنــي العنقـاء وابنَيْ محرِّقٍ — فأكرم بذا خالا وأكرم بذا ابْنما
يُسوِّدُ ذا المـالِ القليل إذا بدت — مروءتُــه فينــا وإن كان مُعدِما
وإنا لَنقْري الضيفَ إن جاءَ طارقاً — من الشحم ما أمسى صحيحاً مُسلَّما
لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضّحى — وأسيافُنا يقطرن مــن نجدةٍ دَما

فأنشده القصيدة ، وهي نَيِّف وثلاثون بيتاً ، وقال له : قد أجَّلتك في جوابها حولا ، فانصرف الفرزدق مغضباً ، يسحَب رداءه ، وما يدري أيّة طرقه حتى خرج من المسجد ،

1 الشخت : الضامر النحيف خلقة .
2 فعم : ممتلىء .
3 الأشاجع : أصول الأصابع ، أو عروق ظاهر الكف .

فأَقبل على كثيِّر ، فقال له : قاتل الله الأنصار ما أَفصحَ لهجتهم ، وأَوضحَ حُجّتهم ، وأَجودَ شعرهم ، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقيّة يومنا ، حتى إذا كان من الغدِ خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس ، فأتى كثيِّر ، فجلس معي ، وإنَّا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعري ما صنع ؟ إذ طلع علينا في حُلّة أفوافٍ[1] ، قد أرخى غديرته ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاريّ ؟ فنلنا منه ، وشتمناه ، فقال : قاتله الله : ما مُنيت بمثله ، ولا سمعتُ بمثل شعره ، فارقته ، وأَتيتُ منزلي ، فأقبلت أُصعِّدُ وأصوِّب في كلّ فن من الشعر ، فكأنّي مفحَم لم أقل شعراً قطّ ، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحَلتُ ناقتي ، وأخذت بزمامها حتى أتيت رَيّانا ، وهو جبل بالمدينة ، ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أخاكم ، يعني شيطانه ، فجاش صدري كما يجيش المرجل ، فعقلت ناقتي وتوسّدت ذراعها ، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً ، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاريّ ، حتى إذا انتهى إلينا سلَّم علينا ، ثم قال : إنّي لم آتِك لأعجلَك عن الأجل الذي وقّتُّه لك ، ولكنّي أحببتُ ألاّ أراك إلاّ سألتك : إيش صنعت ؟ فقال : اجلس ، وأنشده قوله : [من الطويل]

عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ ... وأَنكرتَ من حدراءَ ما كنت تعرفُ
ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأنّما ... ترى الموتَ في البيتِ الذي كنت تألفُ

في رواية ابن حبيب : تَيْلُف حتى بلغ إلى قوله :

تَرى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أَومأنا إلى النّاسِ وقَّفوا

وأَنشدها الفرزدق ، حتى بلغ إلى آخرها ، فقام الأنصاريّ كئيباً ، فلمّا توارى طلع أَبوه أَبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار ، فسلَّموا عليه ، وقالوا : يا أبا فراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله ﷺ ، وقد بَلَغنا أنّ سفيهاً من سفهائنا ربّما تعرّض لك ، فنسأَلك بحقّ الله وحقّ رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله ﷺ ، ووهبتنا له ، ولم تفضحنا .

قال محمد بن إبراهيم : فأَقبلتُ عليه أكلّمه ، فلمّا أَكثرنا عليه ، قال : اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشيّ .

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أَنشِدني أَجودَ شعر عملته ، فأَنشده : [من الطويل]

عزفتَ بأَعشاش وما كدت تعزفُ

1 أفواف : ثياب رقاق موشاة مخطّطة .

فقال : زِدني : فأَنشده : [من الوافر]

ثـلاثٌ واثنتانِ فتلك خمس ... وواحـدة تميل إلى الشِّمام[1]
فبِتْـنَ بجانبـيّ مصرَّعـاتٍ ... وبـتُّ أفضُّ أَغـلاق الخِتام[2]

فقال له سليمان : ما أراك إلاّ قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزّنى عندي ، وأنا إمام ، ولا تريد منّي إقامة الحدّ عليك ، فقال : إن أخذت فيّ بقول الله عزَّ وجلَّ لم تفعل . قال : وما قال ؟ . قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿والشّعراء يتَّبعُهم الغاوون ، أَلم تَرَ أنّهم في كلِّ وادٍ يهيمون ، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ ، فضحك سليمان وقال : تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازَه .

[يجتمع وهو وجرير بالشام]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ ، قال : قدِم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفى ، فقال له جرير : ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق : إنّي طالما أخلفتُ ظنّ العاجز .

[الفرزدق لعنة وجرير شهاب]

أُخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن طلحة : قال : قال أَبو مِخْنف : كان الفرزدق لُعَنَة ، أَي يتلعّن به كأنّه لُعَنَة على قوم ، وكان جرير شهاباً من شهب النار .

[يتندّر بمحمد بن وكيع]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا الأزديّ : قال : حدَّثنا عمرو بن أَبي عمرو عن أبيه ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء : مرّ الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سُود ، وهو على ناقة فقال له : غدِّني ، قال : ما يحضرني غَداء ، قال : فاسقني سَوِيقاً ، قال : ما هو عندي ، قال : فاسقني نبيذاً ، قال : أو صاحبَ نَبيذٍ عهدتَني ، قال : فما يُقعدك في الظلّ ؟ قال : فما أصنع ؟ قال أطْلِ وجهك بدِبْس[3] ، ثم تحوّل إلى الشمس ، واقعد فيها ، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه ، قال أبو عمرو : فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى .

[هاشم بن القاسم يتجاهله]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن موسى بن طلحة ، عن أَبي عبيدة ،

---

1 الشمام : القبل والترشف وما إليها .
2 فضّ الأغلاق : أي المضاجعة .
3 الدبس : الأسود من كل شيء .

عن أبي العلاء : قال : أخبرني هاشم بن القاسم العنزيّ أنّه قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : مَن أنت ؟ قال : أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : فأنا أبو فراس ، قلت : ومَن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق ، قلت : ومَنِ الفرزدق ؟ قال : أوما تَعْرف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدقَ أنّه شيء يتّخذه النساء عندنا ، يتّسمّنَّ به وهو الفَتُوت ، فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم .

[الكلبيّون يعبثون به]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن النضر بن حديد ، قال : مرَّ الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً ، فأخذوه ، وكان جباناً ، فقالوا : والله لتلقيَنَّ منّا ما تكره ، أو لتنكحَنَّ هذه الأتان ، وأتوه بأتان ، فقال : ويلكم ! اتّقوا الله ، فإنّه شيء ما فعلتُه قطّ ، فقالوا : إنّه لا ينجيك والله إلاّ الفعل قال : أمّا إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية[1] ، فضحكوا ، وقالوا : اذهب لا صحبك الله .

[أسود يستخفّ به]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة ، وفي صدر مجلسهم فتى أسودُ ، وعلى رأسه إكليل ؛ فلم يحفَل بالفرزدق ولم يُخْفِ به تهاوناً ، فغضب الفرزدق من ذلك وقال : [من الطويل]

جلوسُك في صدر الفراش مَذَلَّةٌ ورأسك في الإكليل إحدى الكبائرِ
وما نَطَفَتْ كأسٌ ولا لَذَّ طعمُها ضربْتَ على حافاتها بالمشافرِ[2]

[يرثي وكيعاً]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : لمّا مات وكيعُ بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أُخرِج ، وعليه قميص أسود ، وقد شقّه إلى سرته وهو يقول : [من الطويل]

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من النّاس إلاّ قد أباءت على وترِ
وإنّ الذي لاقى وكيعاً وناله تناول صِدِّيق النبيّ أبا بكرِ

قال : فعَلق الناسُ الشعر ، فجعلوا ينشدونه ، حتى دُفِنَ ، وتركوا الاستغفار له .

1 عطية : والد جرير .
2 نطفت الكأس : قطرت .

[ميميّته المشهورة في علي بن الحسين]

أخبرنا عبد الله بن عليّ بن الحسن الهاشميّ ، عن حيان بن عليّ العنزيّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ قال : حجّ الفرزدق بعدما كبر ، وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشامُ بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام فرأى عليَّ بنَ الحسين في غمار النّاس في الطواف ، فقال : مَن هذا الشاب الذي تَبرُق أسرة وجهه كأنّه مرآة صينيّة تتراءى فيها عذارى الحيّ وجوهَها ؟ فقالوا : هذا عليّ بنُ الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق : [من البسيط]

هذا الذي تَعرِف البطحاءُ وطأَتَه ... والبَيْتُ يَعْرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهِرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَه ... بجدِّه أَنبياءُ اللهِ قد ختِموا
وليس قولُك : مَن هذا بضائرِه ... العُرْبُ تعرِف مَنْ أَنكرتَ والعجمُ
إذا رأَته قريشٌ قال قائلها : ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
يُغْضي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكَلَّمُ إلاّ حين يَبْتسِمُ
بكَفّه خيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أَروعَ في عِرْنينه شممُ[1]
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته ... رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
اللهُ شرَّفه قِدْماً وعَظَّمه ... جَرى بذاك له في لوحِه القلمُ
أيُّ الخلائقِ ليست في رقابهم ... لأَوَّلِيَّة هذا أَوْلَهُ نِعَمُ
مَنْ يشكرِ اللهَ يشكرْ أَوَّلِيَّة ذا ... فالدِّين من بيت هذا ناله الأممُ
يَنْمي إلى ذِروة الدِّين التي قَصُرَت ... عنها الأَكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأَنبياءِ له ... وفَضْلُ أُمَّته دانت له الأممُ
مُشتقَّةٌ من رسول الله نَبعتُه ... طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ[2]
ينشقُّ ثَوبُ الدّجى عن نُورِ غُرَّته ... كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَمُ
مِنْ معشرٍ حبُّهم دينٌ ، وبغضهمُ ... كُفْرٌ وقُرْبهمُ مَنْجًى ومُعْتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكرُهمُ ... في كلِّ بدْءٍ ومختومٌ به الكَلِمُ

1 العرنين : الأنف .

2 النبعة : شجرة صلبة الألياف تتّخذ منها القسيّ . الخيم : الأصل والشرف .

إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمّتهم أو قيل مَنْ خيرُ أهلِ الأرض قيلَ : همُ
لا يستطيع جوادٌ كنه جودهمُ ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرموا[1]
يُسْتَدفَع الشرُّ والبلوى بحبِّهمُ ويستربُّ به الإحسانُ والنِّعمُ[2]

وقد حدَّثني بهذا الخبر أحمدُ بنُ الجعد ، قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم البرتيّ ، قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد النخعيّ ، فذكر أنّ هشاماً حجَّ في حياة أبيه ، فرأى عليَّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم ، يطوف بالبيت والنّاسُ يُفْرجون له . فقال : مَنْ هذا ؟ فقال الأبرش الكلبيّ : ما أعرفه ، فقال الفرزدق : ولكنّي أعرفه ، فقال : مَن هو ؟ فقال :

هـذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطأته

وذكر الأبيات . . . إلخ .

قال : فغضب هِشامٌ فحبَسه بين مكّة والمدينة فقال : [من الطويل]

أتحبِسني بين المدينة والتي إليها قلوب النّاس يَهْوي مُنِيبُها
يقلِّبُ رأساً لم يكن رأس سيِّد وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها

فبلغ شعرُه هِشاماً ، فوجّه ، فأطلقه .

[مع مالك بن المنذر]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : أخبرنا أبو روح الراسبيّ ، قال : لمّا وليَ خالدُ بن عبد الله العراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطَة البصرة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

يُبَغِّض فينا شرطةَ المصر أنّني رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ

قال ، فقال مالك : عَلَيَّ به ، فمضوا به إليه ، فقال : [من الطويل]

أقول لنفسي إذ تَغَصُّ بريقها ألا ليت شعري ما لها عند مالِكِ ؟

قال : فسمع قولَه حائكٌ يطلع من طرازه ، فقال : [من الطويل]

لها عنده أن يَرجعَ اللهُ ريقها إليها وتنجُو من عظيم المهالكِ

فقال الفرزدق : هذا أشعرُ النّاس ، ولَيعودَنَّ مجنوناً ، يصيح الصبيان في أثره فقال : فرأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره .

---

1 كنه في الديوان 181/2 : **بعد** .

2 يستربّ : يستزاد وينمى .

أخبرنا عبدُ الله بنُ مالك قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن سعيد ، قال : حدَّثنا القَحْذميّ : قال : فلمّا أتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق قال : هيه عَقِب الكلب ، قال : ليس هذا هكذا قلت ، وإنّما قلت : [من الطويل]

أَلم تَرَني ناديتُ بالصوت مالكاً ليسمعَ لما غصَّ من ريقه الفمُ
أَعوذ بقبر فيه أَكفانُ مُنْذرٍ فهن لأَيدي المستجيرين مَحرَمُ[1]

قال : قد عذتَ بمعاذ[2] ، وخلّى سبيلَه .

أخبرنا عبد الله قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : كتب خالدٌ القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ، ويذكر أنّه بلغه أنّه هجاه ، وهجا نهرَه المبارك ، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره ، فاشتدّ مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومرُّوا به على بني مجاشع ، فقال : يا قوم ، اشهدوا أنّه لا خاتم بيدي ، وذلك أنّه أخذ عمرَ بنَ يزيدَ بن أسَيْد ، ثم أمَر به فلُوِيَتْ عنقُه ، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلّب ، والأعوان يقولون له : قوِّمْ رأسك ، فلمّا أتَوْا السجّانَ قال : لا أتسلّمه منكم ميتاً ، فأخذوا المفاتيح منه ، وأدخلوه الحبس ، وأصبح ميتاً ، فسمَّعوا أنّه مصّ خاتمه وكان فيه سمّ ، فمات ، وتكلّم النّاس في أمره ، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أبيه ، فقال : يا بنيّ ، هل كان من خبر ؟ قال : نعم ، عُمَرُ بنُ يزيدَ مصَّ خاتمه في الحبس ، وكان فيه سمّ ، فمات ، فقال الفرزدق : والله يا بنيّ لئن لم تلحق بواسط ليمصنّ أبوك خاتَمَه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

أَلَم يَكُ قَتْلُ عبد الله ظُلماً أَبا حفص من الحُرَم العظامِ
قتيلُ عداوة لم يجنِ ذنباً يُقَطَّعُ وهو يهتف للإمامِ

[جرير يشفع له]

قال : وكان عُمَرُ عارضَ خالداً وهو يصف لهشام طاعةَ أَهل اليمن وحسنَ موالاتهم ونصيحتهم ، فصفّق عَمرُو بن يزيد إحدى يديه على الأُخرى ، حتى سمع له في الإيوان دَويٌّ ، ثم قال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، ما أطاعت اليمانيّة ، ولا نصحت ، أليس هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلّب وابن الأشعث ؟ والله ما ينعَقُ ناعق إلاّ أسرعوا الوثبة إليه ، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال : فتبيّن ذلك في وجه هشام ووثب رجل من

1 منذر : أبو مالك .
2 بمعاذ : بذي حرمة .

بني أُميّة ، فقال لعمرو بن يزيد : وصل الله رحمك وأَحسن جزاءك ، فلقد شددتَ من أَنفس قومك ، وانتهزْتَ الفرصة في وقتها ، ولكن أحسَبُ هذا الرجل سَلِي العراقَ ، وهو منكِرٌ حسود ، وليس يَخارُ لك[1] إن وَلِي ، فلم يرتدعْ عمر بقوله ، وظنّ أنّه لا يُقدم عليه ، فلمّا وَلِيَ لم تكن له همّة غيْرُه ، حتى قتله ، قال : ثم إنّ مالكاً وجّهَ الفرزدق إلى خالد ، فلمّا قدِم به عليه وجده قد حجّ ، واستخلف أخاه أسدَ بنَ عبد الله على العراق ، فحبسه أسد ، ووافق عنده جريراً ، فوثب يشفع له ، وقال : إن رأى الأمير أن يَهَبه لي ، فقال أسد : أتشفع له يا جرير ؟ فقال : إنّ ذلك أذلُّ له ، أصلحك الله ، وكلّم أسداً ابنهُ المنذِرُ ، فخلّى سبيله ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لا فضلَ إلاّ فضلُ أمٍّ على ابنها   كفضل أَبي الأَشبال عند الفرزدقِ
تداركني من هُوَّةٍ دون قعرِها   ثمانون باعاً للطُّوال العَشَنَّقِ[2]

وقال جرير يذكر شفاعته له : [من الطويل]

وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ   فتطلقَ عنه عضَّ مَسِّ الحدائدِ ؟[3]
يعودُ وكان الخبثُ منه سجيّةً   وإن قال : إنِّي مُنْتَهٍ غَيْرُ عائدِ

[يهجو بني فقيم]

أَخبرني عبيد الله ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان سببَ هرب الفرزدق من زياد ، وهو على العراق ، أنّه كان هجا بني فقيم ، فقال فيهم أبياتاً منها : [من الوافر]

وآب الوفدُ وفدُ بني فُقَيمٍ   بأخبث ما تئوب به الوفودُ
أَتَوْنا بالقرود مُعادليها   فصار الجَدُّ للجدِّ السعيدُ

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيْميّ والأشهب بن رميلة بأَبيات ، منها قوله : [من الطويل]

تمنّى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً   لقد قال مَيْناً يوم ذاك ومنكرا
غناءٌ قَلِيلٌ عن فُقَيمٍ ونهْشَلٍ   مَقامُ هَجِينٍ ساعةً ثم أَدْبَرا[4]

يعني الأَشهبَ بنَ رُمَيْلة ، وكان الأَشهبُ خطب إلى بني فُقَيم ، فردّوه ، وقالوا له : اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجَك ، فرجز به الأشهب ، فقال : [من الرجز]

1 يخار لك : يختار لك .
2 الطوال والعشنق : الطويل .
3 الحدائد : القيود .
4 الهجين : غير صريح النسب .

يا عجباً هل يركبُ القَيْنُ الفرس   وَعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نَجَسْ[1] ؟
وإنّمـا سلاحُـه إذا جَلَـسْ   الكَلْبتـان والعَـلاةُ والقَبَسْ[2]

[يهرب من زياد]

فلمّا بلغ الفرزدق قولُه هجاه ، فأرفث[3] له ، وألحّ الفرزدق على النهشليين بالهجاء ، فشكوه إلى زياد ، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد ، فطلبه زياد ، فهرب ، فأتى بكرَ بن وائل ، فأجاروه ، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات : [من الطويل]

إنّـي وإن كانت تميمٌ عِمارتي   وكنتُ إلى القُرْمُوسِ منها القُماقِمِ[4]
لَمُثْنٍ على أبنـاء بكـرِ بن وائلٍ   ثنـاءً يوافي ركبهـم في المواسمِ
همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا   برأسٍ بـه تَدْمى رؤوسُ الصّلادمِ[5]

وهرب ، حتى أتى سعيد بن العاصي ، فأقام بالمدينة يشرب ، ويدخل إلى القيان ، وقال : [من الطويل]

إذا شئتُ غنّاني من العاجِ قاصف   على معصم ريّـانَ لم يتخـدَّدِ
لبيضاءَ مـن أهلِ المدينةِ لم تعِشْ   ببؤس ولم تتبـعْ حمولـةَ مُجْحَدِ
وقامت تخشّيني زيـاداً وأجفلت   حـواليَّ في بُـرْدٍ يمانٍ ومَجْسَدِ
فقلـتُ : دعيني مـن زياد فإنّني   أرى الموتَ وقّافاً على كلِّ مَرْصَدِ

[مروان ينفيه ثم يجيزه]

فبلغ شعرُه مروانَ ، فدعاه ، وتوعّده ، وأجّله ثلاثاً ، وقال : اخرج عنّي ، فأنشأ يقول الفرزدق : [من الوافر]

دعانـا ثـم أجلّنـا ثلاثـاً   كما وُعِـدَتْ لمَهْلَكِها ثمـودُ

قال مروان : قولوا له عنّي : إنّي أجبته ، فقلت : [من الكامل]

قـل للفرزدق والسّفاهةُ كاسْمِها   إن كنت تاركَ ما أمرتُكَ فاجلِسِ

---

1 القين : الحداد .
2 الكلبتان : آلة من آلات الحداد ، والعلاة : السندان .
3 أرفث : أفحش .
4 العمارة : الحي دون القبيلة . القرموس : السيد الرئيس . القماقم : الجواد ذو الفضل الغزير .
5 الصلادم : جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب .

ودعِ المدينـــةَ إنّهـــا محظـورةٌ   والحَـقْ بمكّــةَ أو ببيتِ المقدسِ

قال : وعزم على الشخوص إلى مكّة ، فكتب له مروان إلى بعض عمّاله ، ما بين مكّة والمدينة بمائتي دينار ، فارتاب بكتاب مروان ، فجاء به إليه وقال : [من الكامل]

مـــروانُ إنّ مطيّتي معقولـةٌ   ترجو الحباءَ وربُّهـا لم ييأسِ
آتيتني بصحيفـــةٍ مختومـــةٍ   يُخشى عليَّ بها حِباءُ النّقرسِ[1]
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن   نكراء مثـلَ صحيفةِ المُتَلَمِّسِ

قال : ورمى بها إلى مروانَ ، فضحك ، وقال : ويحك ! إنّك أُمّيٌّ ، لا تقرأ ، فاذهب بها إلى مَن يقرؤها ، ثم ردَّها ، حتى أختمها ، فذهب بها ، فلمّا قُرئت إذا فيها جائزة ، قال : فردَّها إلى مروان ، فختمها ، وأمر له الحسينُ بنُ عليّ عليهما السلام بمائتي دينار ، قال : ولمّا بلغ جريراً أنّه أخرج عن المدينة قال : [من الوافر]

إذا حـــلَّ المدينـــةَ فارجُمُوهُ   ولا تُدْنوهُ من جَدَث الرسولِ
فما يُحْمـــى عليه شرابُ حدٍّ   ولا وَرْهـــاءُ غائبـــةُ الحليلِ[2]

فأجابه الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

نعتّ لنـــا مـــن الورْهاء نَعْتاً   قعـــدتُ بـــه لأمِّك بالسبيلِ
فلا تبْغي إذا ما غـــاب عنها   عطيّـــةُ غيرَ نَعْتِك من حَليلِ

[يموت بذات الجنب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا أبو عكرمة الضّبّيّ عن أبي حاتمٍ السجستانيّ ، عن محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال أبو عكرمة : وحُكِيَ لنا عن لَبطَة بنِ الفرزدق أنّ أباه أصابته ذات الجنب ، فكانت سببَ وفاته .

قال : ووُصِف له أن يشرب النِّفط الأبيض ، فجعلناه له في قدح ، وسقيناه إيّاه ، فقال : يا بنيّ عجّلت لأبيك شراب أهل النّار ، فقلت له : يا أبتِ ، قُل : لا إله إلاّ الله ، فجعلت أُكرِّرها عليه مراراً ، فنظر إليّ وجعل يقول : [من الطويل]

فظَلَّـتْ تَعـــالى باليَفاعِ كأنّها   رماح نحاها وِجْهة الرِّيح راكزُ

فكان ذا هجِّيراه حتى مات .

---

1 النقرس : الهلاك أو الداهية ، أو وجع في مفاصل الكفين .

2 الورهاء : الحمقاء .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني شُعَيب بن صخر ، قال : دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه ، وهو يقول : [من الوافر]

أَروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمر جلَّ عن الخطابِ

البيتين ، فقال بلال : إلى الله ، إلى اللهِ .

[يتمرّد في مرض موته]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الأصمعيّ ، قال : كان الفرزدق قد دَبَّر عبيداً له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ، وبدفع شيء من ماله إليهم ، فلمّا احتُضِر جمع سائرَ أهل بيته ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى مَن تفزعون إذا حَثَوْتم بأَيديكم عليَّ من التَّرابِ

فقال له بعض عبيده ، الذين أمر بعتقهم : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيَّته فيه ، والله أعلَم .

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، عن بشر بن مروان ، عن الحميديّ ، عن سفيان ، عن لَبَطَة بن الفرزدق قال : لّما احتُضِر أبو فراس قال ، أيْ لَبطَةَ : أَبغِني كتاباً أكتبْ فيه وصيَّتي ، فأتيته بكتاب فكتب وصيَّته :

أَروني مَن يقومُ لكم مقامي

البيتين ، فقالت مولاة له ، قد كان أوصى لها بوصيّة : إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال : يا لبطة ، امحها من الوصيّة .

قال سفيان : نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس .

[ينظم وصيّته شعراً]

وقال عَوانة : قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أُوصِ ، فقال : [من الطويل]

أُوصِّي تميماً إن قضاعةَ ساقها نَدى الغيث عن دارٍ بدومةَ أو جدْبِ
فإنَّكم الأكفاءُ والغيث دُولةٌ يكون بشرق من بلاد ومن غَرْبِ[1]
إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسِّعوا لها الدارَ في سهل المَقامَة والرَّحبِ
فأعظمُ من أَحلام عادٍ حُلومُهم وأَكثرهم عند العديد من التُّرْبِ

1 دولة : متداولة ، لا تستقرّ على حال .

أشدُّ حبالٍ بعد حَيَّيْن مِرَّةً حِبالٌ أُمِرَّتْ من تميم ومن كلبِ[1]

[غلام له يموت قبله]

قال : وتوفِّي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيّام ، وصلّى عليه ، ثم التفت إلى النّاس ، فقال : [من الطويل]

وما نَحْن إلاّ مِثْلُهم غير أَنَّنا أَقَمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا

[أنشد عند موته]

قال : فلم يلبث إلاّ أيّاماً حتى مات : وقال المدائنيّ : قال لَبَطَةُ : أُغميَ على أَبي ، فبكينا ، ففتح عينيه ، وقال : أعليَّ تبكون ؟ قلنا : نعم ، أَفعلى ابن المراغة نبكي ؟ فقال : ويحكم ! أَهذا موضع ذكره ؟ وقال : [من الوافر]

إذا ما دبَّت الأَنقاءُ فوقي وصاح صدًى عليَّ مع الظلامِ[2]
فقد شَمِتَتْ أعاديكم وقالت : أَدانيكم مِن أينَ لنا المحامي ؟

[وقع نعيه على جرير]

أَخبرني أَبو خليفة الفضلُ بنُ الحُباب إجازة ، قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا أبو الغرَّاف ، قال : نُعيَ الفرزدق لجرير ، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد ما جرَّعتُهُ ليْتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا[3]

فقال له المهاجر : بئس ما قلت ، أَتهجو ابن عمِّك بعد ما مات ! ولو رثيته كان أحسن بك . فقال : والله إنِّي لأَعلمُ أنَّ بقائي بعده لقليلٌ ، وأنّ نجمي لموافق لنجمه ، أفلا أرثيه ؟ قال : أبعد ما قيل لك : ألو كنت بكيته ما نسيَتْك العربُ .

قال أَبو خليفة : قال ابن سلاّم : فأنشدني معاوية بن عمرو ، قال : أَنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها : [من الطويل]

فلا ولَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بعل من نِفاسٍ تعَلَّتِ[4]

---

1 المرة : إحكام الفتل .

2 النقا : الكثيب من الرمل . والصدى : رجع الصوت من الجبل أو نحوه ، أو هو طائر أسطوري يخرج من رأس القتيل طالباً الثأر .

3 جرعته : سقيته المرّ ونحوه .

4 تعلت المرأة من نفاسها : انقضت عنها مدته .

هو الوافد المأمونُ والرَّاتِقُ الثَّأى إذا النعلُ يوماً بالعشيرةِ زَلَّتِ[1]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة بخبر جرير لمّا بلغه وفاة الفرزدق ، وهو عند المهاجر ، فذكر نحواً ممّا ذكره ابن سلاّم ، وزاد فيه ، قال : ثم قام ، وبكى ، وندِم ، وقال : ما تقارب رجلان في أمرٍ قطّ ، فمات أحدهما إلاّ أوشك صاحبُه أن يتبعه .

[في أيّ سنة مات]

قال أبو زيد : مات الحسنُ وابنُ سيرينَ والفرزدق وجريرٌ في سنة عشرٍ ومائةٍ ، فقبْر الفرزدق بالبصرة ، وقَبرُ جرير وأيّوب السّختيانيّ ومالك بن دينار باليمامة في موضعٍ واحد .

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبّة ، لأنّ الفرزدق مات بعد يوم كاظمة ، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً ، وذكره في مواضع من قصائده ، ويُقوِّي ذلك ما أخبرنا به وكيع ، قال : حدَّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدَّثني ابن النطّاح ، عن المدائنيّ ، عن أبي اليقظان وأبي هَمّام المجاشعيّ : أنّ الفرزدق مات سنة أربعَ عشرةَ ومائةٍ .

[جرير ينعى نفسه ويرثيه]

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو أيّوب بن كسيب من آل الخطفى ، وأمّه ابنة جرير بن عطيّة ، قال : بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين أوضَح الراكب[2] ؟ قال : من البصرة ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدق بعد ما جرّعته ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة ، فظنناه يقول شعراً ، فدمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق ! فقال : والله ما أبكي إلاّ على نفسي ، أما والله إنّ بقائي ؛ خلافَه[3] لقليل ، إنّه قلّ ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شرّ إلاّ كان أمدُ ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فُجِعنا بحمَّالِ الدِّياتِ ابنِ غالبٍ وحامي تميم كلِّها والبَراجِمِ

1 الثأي : الفتق .
2 من أين أوضح الراكب ؟ : من أين طلع .
3 خلافه : بعده .

بكيناكَ حِدْثــانَ الفِــراقِ وإنّما بكيناك شجْواً للأُمــورِ العظائمِ[1]
فلا حمَلت بعــدَ ابنِ ليلى مَهيرَةٌ ولا شُدَّ أَنساعُ المطــيِّ الرَّواسمِ[2]

[يموت بالدبيلة]

وقال البلاذريّ : حدَّثنا أَبو عدنان ، عن أَبي اليقظان ، قال : أَسنَّ الفرزدق حتى قارب المائة فأَصابته الدُّبَيْلة[3] ، وهو بالبادية فقدِم إلى البصرة ، فأُتيَ برجل من بني قيس متطبّب ؛ فأشار بأن يُكوى ، ويشربَ النّفط الأبيض ، فقال : أتعجِّلون لي طعام أهل النّار في الدنيا ؟ وجعل يقول : [من الوافر]

أَروني مَــنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمرُ جلَّ عن الخطابِ

[أبو ليلى المجاشعيّ يرثيه]

وقال أَبو ليلى المجاشعيّ يرثي الفرزدق : [من الطويل]

لعمري لقد أَشجى تميماً وهَدَّها على نكباتِ الدَّهرِ موتُ الفَرزدقِ
عشيَّــةَ قُدْنــا للفــرزدق نعشَه إلى جَدَثٍ في هُوّة الأَرض مُعْمَقِ
لقد غيَّبوا في اللَّحدِ مَنْ كان ينتمي إلى كلِّ بــدرٍ في السماءِ مُحَلِّقِ
ثَوى حاملُ الأَثقالِ عن كلِّ مُثقَلٍ ودفّاعُ سلطانِ الغشومِ السَّمَلَّقِ[4]
لسانُ تميــمٍ كلِّهــا وعِمادُهــا وناطقُها المعــروف عند المُخَنَّقِ[5]
فمن لتميمٍ بعد مــوت ابن غالبٍ إذا حَلَّ يــومٌ مظلمٌ غَيرُ مُشرِقِ
لتبكِ النِّساءُ المعْوِلاتُ ابنَ غالبٍ لجانٍ وعانٍ في السلاسلِ مُوثَقِ

[أعلام ماتوا سنة موته]

وقال ابن زكريّا الغلابيّ ، عن ابن عائشة ، قال : مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة ، ومات جرير بعده بستّة أشهر ، ومات في هذه السنة الحسنُ البصريّ وابنُ سيرين ، قال : فقالت امرأة من أهل البصرة : كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه في سنة ؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة ، وقبر جرير باليمامة ، وبها مات ، وقبر

1 حدثان الفراق : أوّل الفراق وابتداؤه .
2 المهيرة : من غولي في مهرها .
3 الدبيلة : داء من الأدواء التي تصيب الجوف .
4 السملّق : الشرس السيىء الطبع .
5 عند المخنّق : عندما يعيا المرء عن الكلام كأنّه مختنق .

الأعشى أيضاً باليمامة : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم : وقال جرير لمّا بلغه موتُ الفرزدق : قلّما تصاول فحلان ، فماتَ أحدهما إلاّ أسرع لحاق الآخر به .

ورثاهما جماعة ، فمنهم أبو ليلى الأبيض ، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما : [من الطويل]

لعمري لئنْ قَرْما تَميمٍ تتابعا مُجيبَيْن للدّاعي الذي قد دَعاهُما
لرُبّ عَدُوٍّ فرّق الدَّهرُ بينه وبَيْنهما لم تُشْوِه ضَغْمتاهما[1]

[يتراءى في المنام]

أخبرني ابن عمّار ، عن يعقوب بن إسرائيل ، عن قعنب بن المحرز الباهليّ ، عن الأصمعيّ ، عن جرير يعني أبا حازم قال : رُئي الفرزدقُ وجرير في النّوم ، فرئي الفرزدق بخير ، وجرير مُعَلّق .

قال قعنب : وأخبرني الأصمعيُّ ، عن روح الطائيّ ، قال : رئي الفرزدق في النّوم ، فذكر أنّه غُفِر له بتكبيرة كبّرها في المقبرة عند قبر غالب .

قال قَعنَب : وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحويّ ، عن لَبَطَة بن الفرزدق ، قال : رأيت أبي فيما يرى النائم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : نفعَتْني الكلمةُ التي نازَعنيها الحسنُ على القبر .

[الحسن البصري في جنازة النَّوار]

أخبرني وكيع ، عن محمد بن إسماعيلَ الحسانيّ ، عن عليّ بن عاصم ، عن سفيان بن الحسن ، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ، والرواية قريب بعضها من بعض : أنَّ النَّوار لّما حَضَرها الموت أوصت الفَرزدقَ ، وهو ابنُ عمّها ، أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ ، فأخبره الفرزدقَ ، فقال : إذا فرغتم منها فأعلمني ، وأُخرِجت ، وجاءها الحسن ، وسبقهما النّاس ، فانتظروهما ، فأقبلا ، والنّاسُ ينتظرون ، فقال الحسن : ما للنّاس ؟ فقال : ينتظرون خيرَ النّاس وشرَّ النّاس ، فقال : إنّي لستُ بخيرهم ، ولستَ بشرِّهم ، وقال له الحسن على قبرها : ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله منذ سبعين سنة .

هذا لفظ محمد بن سَلاّم . وقال وكيع في خَبَره : فتشاغل الفرزدق بدفنها ، وجلس

1 أشوى الصائد الصيد : أخطأه . والضغمة : العض العنيف .

الحسنُ يعظ النّاس ، فلمّا فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وقال : [من الطويل]

لقد خاب من أُولاد آدمَ مَنْ مَشى إلى النّـارِ مغلولَ القِـلادةِ أزرقا[1]
أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافنـي أشدَّ مـن القبرِ التهابـا وأضيقا
إذا جاءَني يـومَ القيامـة قائدٌ عَنِيـفٌ وسَوّاقٌ يَقُـود الفرزدقا

[رواية أخرى له مع الحسن]

أخبرنا أحمد : قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا حيان بن هلال : قال : حدَّثنا خالد بن الحرّ : قال : رأيت الحسنَ في جِنازة أبي رجاء العُطارِديّ ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله منذ بضع وتسعين سنة ، قال إذاً تنجوَ إن صدقت . قـال : وقال الفرزدق : في هذه الجِنـازة خيرُ النّاس وشرّ النّاس ، فقال الحسن : لستُ بخير النّاس ولستَ بشرِّهم .

[يذكر ذنوبه فينشج]

أخبرنا ابن عمّار ، عن أحمد بن إسرائيل ، عن عبيد الله بن محمد القرشيّ بطُوس ، قال : حدّثني يزيدُ بنُ هاشم العبديّ : قال : حدَّثنا أبي : قال : حدَّثنا فُضَيلٌ الرّقاشيّ قال : خرجت في ليلة باردة ، فدخلتُ المسجدَ ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً ، فلم أعلَم مَنْ صاحبُ ذلك ، إلى أن أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس ، تركت النَّوار ، وهي لَيّنة الدّثار دَفئة الشِّعار ، قال : إنِّي والله ذكرت ذُنُوبي ، فأقلقَتني ، ففزعت إلى الله عزَّ وجلَّ .

[في المنام تنجيه شيبته من النار]

أخبرني وكيع ، عن أبي العبّاس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال : حدّثني هلال بن يحيى الرازيّ : قال : حدّثني شيخ كان ينزل سكة قريش : قال : رأيت الفرزدق في النوم فقلتُ : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذّبتك بالنّار .

[رواية أخرى في لقائه مع الحسين]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَماذ ، عن أبي عبيدة ، عـن لَبَطة بن الفرزدق ، عن أبيه : قـال : لقيت الحسين بن عليّ ، صلوات الله عليهما ، وأصحابَه بالصِّفاح ، وقد ركبوا الإبل ، وجَنَّبوا الخيـل ، متقلّدين السيوفَ ، متنكبين القِسيَّ ، عليهم يلامق[2] من الديباج ، فسلمت عليه ، وقلت : أين تريد ؟ قال : العراق ، فكيف تركت النّاس ؟ قال : تركتُ الناسَ قلوبُهم

1 مغلول القلادة : مطبق الطوق .
2 يلامق : جمع يلمق وهو القباء ، فارسي معرّب .

معك ، وسيوفُهم عليك ، والدُّنيا مطلوبة ، وهي في أَيدي بني أُميّة ، والأَمر إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، والقضاء ينزل من السماء بما شاء .

[أبو هريرة يعظه]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وأَحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة قال : حدَّثني هارون بن عمر ، عن ضمرة بن شوذب قال : قيل لأَبي هريرة : هذا الفرزدق ، قال : هذا الذي يقذف المحصناتِ ، ثم قال له : إنِّي أرى عظمَك رَقيقاً وعِرْقَك دقيقاً ، ولا طاقةَ لك بالنّار ، فتُب ، فإنّ التّوبةَ مقبولةٌ من ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابه[1] .

أَخبرني هاشم بن محمد ، عن الرياشيّ ، عن المنهال بن بحر بن أَبي سلمة ، عن صالح المرّيّ ، عن حبيب بن أبي محمد ، قال : رأيت الفرزدق بالشام ، فقال : قال لي أبو هريرة : إنّه سيأتيك قوم يوئِسُونك من رحمة الله ، فلا تيأسْ .

[موازنة بينه وبين جرير والأخطل]

قال أَبو الفرج : والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومَحلُّه في الشعر أكبر من أن يُنبَّه عليه بقول ، أو يُدلَّ على مكانه بوصف ، لأنّ الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تَقدُّمَه بالخبر الشائع علماً يستَغْنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلَّم النّاس في هذا قديماً وحديثاً ، وتعصّبوا ، واحتجّوا بما لا مزيد فيه ، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيُّهم أحقُّ بالتقدّم على سائرها ، فأمَّا قدماءُ أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل ؛ لأنّه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه ، ولا تصرَّفَ كتصرّفهما في سائره ، وزعموا أنّ ربيعة أفرطت فيه ، حتى ألحقته بهما ، وهم في ذلك طبقتان ، أمّا مَن كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدّة أسرِه ، فيُقدّم الفرزدق ، وأمّا مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السَّمح السهل الغزِل فيُقدِّمُ جريراً .

أَخبرنا أَبو خليفة : قال حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : ما شهدت مشهداً قطّ ذكر فيه الفرزدق وجريرٌ ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . قال ابن سلاّم : وكان يونس يقدّم الفرزدق تقدمة بغير إفراط ، وكان المفضل يقدّمه تقدمة شديدة .

قال ابن سلاّم : وقال ابن دأب ، وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أَشعر خاصَّةً وجرير أَشعرُ عامَّةً .

---

1 طيران الغرب : كناية عن الشيب .

أخبرني الجوهريّ وحبيب المهلّبيّ عن ابن شبّة ، عن العَلاء بن الفضل : قال : قال لي أبو البيداء : يا أبا الهُذَيل ، أيّهما أشعر ؟ أجرير أم الفرزدق ؟ قال : قلت : ذاك إليك ، ثم قال : ألَم تسمعهُ يقول : [من البسيط]

مـا حُمِّلت ناقـةٌ مـن معشرٍ رجلاً مثـلي إذا الرّيح ألْقَتْنـي على الكُورِ
إلاّ قـريشاً فـإنّ الله فضّلهـا مـع النبـوّة بـالإسلام والخِيرِ

ويقول جرير : [من البسيط]

لا تحسَبَنَّ مِراسَ الحرب إذ لَقِحَتْ شُرْبَ الكسِيس وأكلَ الخبز بالصِّيرِ[1] ؟

سلح والله أبو حزرة .

[ثلث اللغة من شعره]

أخبرني هاشم الخزاعي ، عن أبي حاتم السجستانيّ ، عن أبي عبيدة ، قال : سمعت يونس يقول : لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

[يقرض الشعر في خلافة عثمان وعليّ]

أخبرني هاشم الخزاعيّ ، عن أبي غسّان ، عن أبي عبيدة قال : قال يونس أبو البيداء : قال الفرزدق : كنت أُهاجي شعراءَ قومي ، وأنا غلام في خلافة عثمانَ بن عفّان ، فكان قومي يخشون مَعَرّة لساني منذ يومئذٍ ، ووفد بي أبي إلى عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامَ الجمل ، فقال له : إنّ ابني هذا يقول الشعر ، فقال : علّمه القرآن ، فهو خير له .

[خمس وسبعون سنة في مباراة الشعراء]

قال أبو عبيدة : ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وقد نيّف على التسعين سنة ، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ، ويهجو الأشراف فيغضّهم ، ما ثبت له أحد منهم قطّ ، إلاّ جريراً .

[يرث الشعر عن خاله]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصّيرفيُّ : قال : حدَّثنا الحسن بن عليل العَنزيّ ، قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ ، قال : حدَّثنا ابن الرازيّ ، عن خالد بن كلثوم قال : قيل للفرزدق : ما لك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعةُ شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قِبَل خالي ، قيل : أيُّ أخوالك ؟ قال : خالي العَلاءُ بن قرظة الذي يقول : [من الوافر]

---

1 الكسيس : شراب يتّخذ من الشعير والذرة . الصير : السمكات المملوحة .

إذا ما الدّهر جرَّ على أُناسٍ بكلكلِه أناخ بآخرينا[1]
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

[يؤنّبه أخواله فيمنّ عليهم]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، وأخبرني هاشم الخزاعيّ : قال : حدَّثنا دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له : قبّحك اللهُ من ابن أخت ! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفيه ، يعنون جريراً ، حتى يشتم أعراضَنا ، ويذكر نساءنا ، فغضب الفرزدق ، وقال : بل قبَّحكم الله من أخوال ! فوالله لقد شرَّفكم من فخري أكثرُ ممّا غَضَّكم من هجاء جرير ، أفأنا ويلكم عَرَّضتكم لسُوَيد بن أبي كاهل حيث يقول : [من الطويل]

لقد زَرِقَتْ عيناك يا ابن مُكَعْبَرٍ كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ
ترى اللؤمَ فيهم لائحاً في وجوههم كما لاح في خيل الحلائب أَبلقُ[2]

أو أنا عرّضتكم للأغلب العِجْليّ حيث يقول : [من الرجز]

لن تجدَ الضبِّيَّ إلاّ فَلاّ عبداً إذانا ولقومٍ ذَلاّ[3]
مثل قَفا المُديةِ أو أكلاّ حتى يكون الألأمَ الأقلاّ

أو أنا عرَّضتكم له حيث يقول : [من الرجز]

إذا رأيتَ رجلاً من ضبَّهْ فنِكه عمداً في سَواء السَّبَّهْ[4]
إنّ اليَمانيَّ عِقاصُ الزَّبَّهْ[5]

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول : [من الطويل]

ولو يُذبَح الضَّبِّيُّ بالسيف لم تجدْ من اللؤمِ للضَّبِّيّ لحماً ولا دما !

والله لَما ذكرتُ من شرَفكم ، وأظهرتُ من أيّامكم أكثرُ ، ألستُ القائلَ : [من الكامل]

وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرُّ وإنّني في آل ضبَّة للمُعِمّ المُخْوِلُ

---

1 الكلاكل : عظام الصدر .
2 الحلائب : خيول السباق . والأبلق من الخيل ونحوها : ما اجتمع فيه سواد وبياض .
3 الفلّ : المنهزم .
4 السواء : الوسط ، السبّة : الدبر .
5 العقاص : خيط تربط به الضفيرة . الزبة : ربما جمع زُبّ .

فرعان قد بلغ السّماءَ ذُراهما وإليهما من كلِّ خوف يُعْقَلُ[1]

[بنو حرام يخشون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا : كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأتينا به الفرزدق ، وقلنا : هو بين يديك ، فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لا عدوى عليك ولا قصاص ، فخلّى عنه وقال : [من الوافر]

فمن يـكُ خائفاً لأذاة قولي فقـد أمِنَ الهجـاءَ بنو حَرامِ
هـمُ قـادوا سفيهَهُمُ وخافوا قلائـدَ مثـلَ أطـواق الحمامِ

[عائذة بقبر غالب]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني الحكم بن محمد ، قال : كان رجل من قضاعة ثم من بني القَين على السّند ، وفي حبسه رجل يقال له حُبَيْشٌ ، أو خُنَيْسٌ ، وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أمُّه قبرَ غالب بكاظمة ، فأقامت عليه ، حتى علِم الفرزدق بمكانها ، ثم إنّها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها ، فكتب إلى تميم القضاعيّ : [من الطويل]

هَب لي خُنَيْساً واتّخذْ فيه منّةً لغُصَّة أمٍّ ما يَسوغ شرابُها
أتَتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السَّافي عليـه ترابها
تميمُ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي بظهرٍ فـلا يخفى عليَّ جوابُها

فلمّا أتاه الكتابُ لم يدرِ : أخنيس أم حبيش ! فأطلقهما جميعاً .

[مُكاتبٌ يعوذُ بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة : قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم : قال : حدَّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال : ضرب مكاتب لبني مِنْقَر خيمةً على قبر غالب ، فقدِم النّاس على الفرزدق فأخبروه أنّـهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ، ثم قدِم عليه ، وهو بالمِرْبد فقال : [من الطويل]

بقبرِ ابن ليلى غالبٍ عُذْتُ بعدما خشيتُ الرَّدى أو أن أُردَّ على قسرِ
فخاطبني قبرُ ابن ليلى وقال لي : فَكاكُك أَن تَلْقى الفرزدقَ بالمِصْرِ

فقال له الفرزدق : صدق أبي ، أنخْ أنخْ ، ثم طاف في الناس ، حتى جمع له كتابته وفضلا .

1 يُعقل : يُلجأ ويُفزع .

[يعتذر عن مناقضته نفسه]

أخبرني ابنُ خلف وكيع ، عن هارونَ بن الزيّات ، عن أحمد بن حمّاد بن الجميل ، قال : حدَّثنا القحذميّ ، عن ابن عيّاش : قال : لقيتُ الفرزدق فقلتُ له : يا أبا فراس ، أنت الذي تقول : [من الطويل]

فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ   يُقطَّعْن إذ غيَّبْن تحت السقائِفِ

فقال : نعم ، أنا ، فقلتُ له : ثم قلتَ بعد ذلك له : [من الطويل]

لئن نفرُ الحجّاج آلُ مُعَتِّب   لَقُوا دَوْلَةً كان العدوُّ يُدالُها[1]
لقد أصبح الأحياءُ منهم أذلّةً   وفي النّاسِ موتاهم كلوحاً سبالُها[2]

قال : فقال الفرزدق : نعم ، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فإذا تخلّى منه انقلبنا عليه .

[هل أجاز إيّاس شهاته ؟]

أخبرنا هاشم بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، عن بعض أشياخه قال : شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية ، فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس ، وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقيل له : أما والله ما أجاز شهادتك قال : بلى ، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبي فراس ، قالوا : أفما سمعتَه يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال : وما يمنعه ألا يقبلَ شهادتي ، وقد قذفتُ ألفَ محصنة !

[يستردّ هبته]

أخبرنا ابن دُرَيد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : كان عطيّة بنُ جُعال الغدانيّ صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أنّ رجلاً من بني غُدانةَ هجاه وعاون جريراً عليه ، وأنّه أراد أن يهجو بني غُدانة ، فأتاه عطيّة بن جُعال فسأله أن يصفح له عن قومه ، ويهبَ له أعراضَهم ، ففعل ، ثم قال : [من الكامل]

أبني غُدانة إنّني حَرّرتكم   فوهبتكم لعطيّةَ بنِ جُعالِ
لولا عطيّةُ لاجتَدَعْتُ أنوفكم   من بين ألأم آنفٍ وسبالِ

فبلغ ذلك عطيّة ، فقال : ما أسرع ما أرتجع أخي هبَته ، قبّحها الله من هبة ممنونة مرتجعة .

1 يُدالها : تتاح للعدو .
2 السبال : جمع سبلة ، وهي طرف الشارب ، أو طرف اللحية .

[مجنون يعبث به]

أُخبرني وكيع ، عن هارون بن محمد : قال : حدَّثني قبيصة بن معاوية المهلّبيُّ ، عن المدائنيّ ، عن محمد بن النضر : أنّ الفرزدق مرَّ بباب المفضَّل بنِ المهلَّب ، فأرسل إليه غِلمة ، فاحتملوه ، حتى أُدخِل إليه بواسط ، وقد خرج من تيّار ماء كان فيه ، فأمَر به ، فأُلقيَ فيه ، بثيابه ، وعنده ابنُ أبي علقمة اليَحمَديّ المجنونُ ، فسعى إلى الفرزدق ، فقال له المفضل : ما تريد ؟ قال : أريد أن أنيكه وأفضحه ، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد ، فصاح الفرزدق : اللهَ اللهَ أيُّها الأمير فيّ ، أنا في جوارك وذمّتك ؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة ، فلمّا خرج قال : قاتل الله مجنونَهم ؛ والله لو مسَّ ثوبُه ثوبي لقام بها جرير وقعد ؛ وفضحني في العرب فلم يبقَ لي فيهم باقية .

وأُخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبيُّ ، عن ابن شبّة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن جدِّه : قال أبو زيد : وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار ، قال : قال لي الفرزدق : ما مرَّ بي يوم قطّ أشدَّ عليّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلّب ، وكان يوماً شديد الحرّ ، فما منّا أحد إلاّ جلس في أبزَن[1] . فقلنا له : إن أردتَ أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة ، فقال : لا تريدوه ؛ فإنّه يكدّر علينا مجلسنا ، فقلنا : لا بدّ منه ، فأرسل إليه ، فلمّا دخل فرآني ؛ قال الفرزدق واللهِ . ووثب إليّ ، وقد أنعظ أيره ، وجعل يصيح : والله لأنيكنّه ؛ فقلت لأبي عيينة : اللهَ اللهَ فيَّ ، أنا في جوارك ، فوالله لئن دنا إليّ لا تبقى لي باقية مع جرير ؛ فلم يتكلّم أبو عيينة ؛ ولم تكن لي همّة إلاّ أن عدَوْتُ حتى صعِدتُ إلى السطح ، فاقتحمت الحائط ، فقيل له : ولا يوم زياد كان مثل يومئذٍ ، فقال : ولا مثل يوم زياد .

[عمر بن عبد العزيز يجيره ، ثم ينفيه]

أُخبرني عمّي ، عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له : كوزا الراوية ؛ قال أحمد بن عمر : وأُخبرني عثمان بن خالد العثمانيّ : أنّ الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدبة حصَّاء[2] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيّها الأمير ، إنّ الفرزدق قدِم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامّة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فلو أنّ الأمير بعث إليه ، فأرضاه ، وتقدّم إليه ألاّ يَعرِض لأحد بمدح ولا هجاء ؛ فبعث إليه عمر : إنّك يا فرزدق قدِمت مدينتنا

1 الأبزن : حوض ماء يتّخذ من المعدن للاستحمام وهو معرّب .

2 الحصّاء : السنة الجرداء لا خير فيها .

هذه في هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ؛ فخذها ، ولا تعرِضْ لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، وعليه مُطْرَف[1] خزّ أحمر وجُبّةُ خزّ أحمر ، فوقف عليه ، وقال : [من الوافر]

أعبدَ الله أنت أحقُّ ماشٍ وساعٍ بالجماهير الكبارِ
نما الفاروقُ أُمَّك وابنُ أروى أبوكَ فأنت مُنصَدَعُ النّهارِ
هما قَمَرا السماء وأنتَ نجمٌ به في الليل يُدْلجُ كُلُّ سارِ

فخلع عليه الجبّة والعمامة والمِطْرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ، ورأى ما أعطاه إيّاه ، وسمع ما أمره عمر به من ألاّ يعرض لأحد ، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز ؛ فأخبره ، فبعث إليه عمر : ألَم أتقدّم إليك يا فرزدقُ ألا تعرضَ لأحد بمدح ولا هجاء ؟ أُخرج ، فقد أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتك بعد ثلاث نكَّلت بك ؛ فخرج وهو يقول : [من الوافر]

فأجّلني وواعدني ثلاثاً كما وُعِدَت لَمهْلكِها ثَمُودُ

قال : وقال جرير فيه : [من المتقارب]

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيزِ ومثلُك يُنفى من المسجدِ
وشَبَّهْتَ نفسَكَ أشقى ثَمُودَ فقالوا : ضَلَلْتَ ولم تهْتَدِ

[يهجو من يستكثر عليه الجائزة]

أخبرني حبيب المهلّبيّ ، عن ابن أبي سعد ، عن صباح ، عن النوفليّ بن خاقان ، عن يونس النحويّ قال : مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهليّ ، فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عَفراء الضّبيّ صديقاً لعمر ، فلامه ، وقال : أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهمٍ ، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً ، فبلغه ذلك فقال : [من الطويل]

نهيتُ ابنَ عِفْرى أن يعفِّرَ أمَّهُ كعَفْرِ السَّلا إذ جرّرَتْه ثعالبُهْ
وإنّ امرءاً يَغْتابني لم أطأْ له حريماً فلا ينهاهُ عنّي أقاربُهْ
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضْبةٍ أتاه بها في ظلمةِ الليلِ حاطبُهْ

---

1 المطرف : رداء من خزّ مربع ذو أعلام .

أَلَمّا استوى ناباي وابيضَّ مِسْحلي ... وأطرقَ إطراقَ الكرى مَنْ أُحاربُهْ ؟
فلو كانَ ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سرت ... على قدمي حيّاتُه وعقاربُهْ
ولكن دِيافيٌّ أَبوه وأُمّه ... بحَورانَ يعصِرنَ السَّليطَ قرائبُهْ

صوت

[من الطويل]

ومقالها بالنّعف نعف مُحَسَّرٍ ... لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا[1] ؟
ذاك الذي أُعطى مواثقَ عَهدهِ ... أَلاّ يخونَ وخِلتُ أَن لن يَنْقُضا
فلئن ظفرتُ بمثْلِها من مثلِه ... يوماً لَيَعترفَنَّ ما قد أَقْرَضا[2]

الشعر لخالد القَسْريّ ، والنّاس ينسبونه إلى عمر بن أَبي ربيعة ، والغناء للغريض ، ثقيل أوّلُ بالوسطى ، عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحبش . وقبل أن أذكر أخبارَه ونسبَه فإنّي أُذكر الرواية في أنّ هذا الشعرَ له .

[قصّة تتعلّق بأبيات هذا الصوت]

أَخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : أَخبرني عبد الواحد بن سعيد ، قال : حدَّثني أَبو بشر ، محمد بن خالد البجلّي : قال : حدَّثني أبو الخطَّاب بن يزيد بن عبد الرحمن : قال : سمعت أبي يحدّث : قال : حدَّثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ ، قال : ركب خالد عبد الله ، وهو أمير العراق ، وهو يومئذٍ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكْرَخةُ ، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ ، وركبت معه في زورق ، فقال لي : نشدتك الله بابن جحوشٍ ، هل سمعت غريضَ مكّة يتغنّى : [من الطويل]

ومقالها بالنّعفِ نعفِ مُحَسَّرٍ ... لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا

قال : قلت : نعم ، قال : الشعر والله لي ، والغناء لغريض مكّة ، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمرَ بنِ أبي ربيعة التي رواها المدنيّون والمكّيّون ، وإنّما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة ، ثم نرجع الآن إلى ذكره .

* * * *

1 النعف ومحسر : مكانان .

2 أقرض : أسلف .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين
الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الثاني والعشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

22

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[460] ـ أخبار خالد بن عبد الله

[نسبه]

هو خالدُ بنُ عبد الله بنِ يزيدَ بن أسدِ بن كُرْزِ بن عامرِ بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمغمةَ بن جرير بن شِقٍ بن صَعْب ، وشقٌ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ، بن يشكرَ بن رُهم بن أفزل ، وهو سعدُ الصبح ، بن زيد بن قَسْر بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيانَ بن الغوث بن القرز ، ويقال : الفرز بن نَبْتَ بن مالك بن زيد بن كَهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُبَ بن قحطانَ .

فأما غَلبةُ بجيلَة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلةَ ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختُلِف في نسبها ، فقال ابن الكلبي : يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصُهَيْبَة وجَذِيمَة وأشهل وشهلاءَ وطريفاً والحارث ومالكاً وفهْماً وشيبة . قال ابنُ الكلبي : ويقال : إن بجيلةَ إمرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خَثعَم ، فإنه انفرد ، فصار قبيلة على حِدَتِه ، ولم تحضنْهُ بجيلةُ ، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم : [من الوافر]

وما قَرُبت بجيلةُ منك دوني ... بشيء غيرِ ما دُعِيَتْ بجَيلَهْ
وما للغوثِ عندك أن نُسِبْنا ... علينا في القرابة من فضيلَهْ[1]
ولكنَّا وإيَّاكم كثُرنا ... فصِرنا في المحلِّ على جَديلَهْ

جَدِيلة ها هنا موضع لا قبيلة ، وهم أهلُ بيت شرف في بجيلةَ ، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد ؛ فإن أصحابَ المثالب ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ، إن شاء الله ، وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود .

[جده كرز]

وكان يقال لكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة ، وإياه عنى قيسُ بن الخطيم بقوله ، لما خرج يطلب النصر على الخزرج : [من الوافر]

فإن تنزِلْ بذي النَّجدَاتِ كُرْزٍ ... تُلاقِ لديه شَرْباً غيرَ نَزْرِ

1 الغوث : من أجداد خالد .

لــه سَجْلانِ سَجْلٌ من صريحٍ وسجلُ رثيئــةٍ بعتيق خمرِ[1]
ويمنــعُ مــن أراد ولا يُعايـا مُقاماً في المَحَلــة وسطَ قسرِ[2]

[جده أسد بن كرز]

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى في الجاهلية رَبّ بجيلة ، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزُّهاً عنها ، وله يقول القتّال السُّحَميّ : [من الوافر]

فأبلِغ ربَّنــا أسَدَ بن كُــرْزٍ بأنّ النأيَ لم يــكُ عن تَقالي

وله يقول القتّال يعتذر : [من الوافر]

فأبلغ ربَّنــا أسدَ بنَ كُــرْزٍ بأنّي قد ضَلَلْت وما اهتديْتُ

وله يقول تأبّط شرّاً : [من الطويل]

وجدتُ ابنَ كُرْز تستهلُّ يمينُه ويُطلق أغــلالَ الأسير المكَبَّلِ[3]

[جده أسد وبنو سحمة]

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فأطْرَدوا إبلاً له ، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية ، وتتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتَّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه ، ويستقيله فعلَهم[4] بجاره ، ولم أذكرها ههنا لطولها ، وأنَّ ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكر ها هنا لُمَعاً[5] وسائِرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابَها وأخبارها ، وسَمَّيته كتاب التعديل والانتصاف . ولبني سُحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً : [من الطويل]

ألا أبلِغــا أبنــاءَ سُحْمَةَ كلَّهــا بنــي خثعــمٍ عنّــي وذلَّ لخثعمِ
فمــا أنتُــم منّــي ولا أنــا منكم فراش حريــقِ العَرْفَــجِ المتضرِّمِ[6]

1 سجلان : مثنى سجل ، وهو الدلو العظيمة . صريح : لبن صريح . الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، وفي رواية أخرى الربيلة : الخفض والنعمة .
2 لا يعايا : من المعاياة بمعنى لا يضار . قسر : بطن من بجيلة .
3 تستهلُّ يمينه : تجود .
4 يستقيله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم .
5 لمعاً : جمع لمعة : بلغة من العيش .
6 العرفج : شجر يتخذ منه الوقود .

فلستُ كمن تُزري المقالةُ عِرضَه دنيئاً كعــودِ الدوحــةِ المترنِّمِ[1]
ومــا جــارُ بيتي بالذليل فَتُرْتَجى ظُلامَتُــــه يومــــاً ولا المتهضَّمِ
وَأقْــزَلُ آبائــــي وقسرٌ عَمارتي همِــا ردَّياني عِزَّتــــي وتكرُّمي
وأحمسُ يومـاً إن دعوتُ أجابني عرانينُ منهــم أهــل أيدٍ وأنعمِ
فمن جار مَوْلىً يدفعُ الضيمَ جارُهُ مع الشمس ما إن يستطاع بسلَّمِ
وكيف يخافُ الضيمَ من كان جاره إذا ضاع جاري يا أميمةُ أوْ دمي

وهي قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها ها هنا لأن تعلم إعراقَهم في العلم والشعر ، وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

[إسلام جده أسد وابنه يزيد]

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلِه رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسدُ بن كرز ، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ﷺ قوساً ، فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النَّبْعَةُ ؟ فقال : يا رسول الله تنبُتُ بجبلنا بالسراة ، فقال الثقّفيّ : يا رسول الله ، الجبلُ لنا أم لهم ؟ فال : بل الجبل جبل قسْرٍ ، به سمي أبوهم قسْر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادْعُ لي . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصرَ دينك في عقب أسد بن كُرْز . وما أدري ما أقول في هذا الحديث ، وأكره أن أكذِّب بما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ ، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله ﷺ دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفّين على عليٍّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعنه ، على المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ، قبحه الله ولعنه ، إلا أني أذكر الشيءَ كما رُوي ، ومَن قال على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يَقُل فقد تبوّأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

[منافرة بين جده جرير وقضاعة]

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ قضاعة ، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه ، أعني

1 المترنم : من الرنمة ، وهي نبات دقيق .

جريراً ، تباعدٌ ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه ، فرآه جرير ، ورأى أصحابَه في السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جرير : ليت لي بكل بلد ابن عمّ عاقّاً مثلَ أسد ، فقال جعدةُ بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد : [من الطويل]

تدارك رَكْضُ المرء من آل عبقر ... جريراً وقد رانت عليه حلائبُهْ
فنفَّسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما ... تغشَّاه يوم لا تَوارى كواكبُهْ[1]
وقاك ابن كُـرْزٍ ذو الفَعَال بنفسه ... وما كنتَ وَصَّالاً له إذ تحاربُهْ
إلى أسدٍ يأوي الذليلُ ببيتِه ... ويلجَأُ إذ أعيت عليه مذاهبُهْ
فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعْظَماً ... إذا المجتدَى المسؤول ضَنَّت رواجِبُهْ[2]

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبي ﷺ ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبي الحكم قال : سمعتُ خالدَ بن عبد الله القسريّ ، وهو على المنبر يقول : حدثني أبي عن جدّي يزيدَ بن أسد ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا يزيد ، أحبِبْ للناس ما تُحبُّه لنفسك . وخرج يزيدُ بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيم الشأن .

[جده ينتصر لعثمان]

ولما كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمانَ قد قُتِل .

[خطبة جده يزيد في صفين]

فانصرف إلى معاويةَ ، ولم يُحْدِثْ شيئاً ، ولما كان يوم صفِّينَ قام في الناس فخطب خطبة مذكورة ، حرضهم فيها . فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خَزٍّ سوداء ، وهو متكيءٌ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا في هذه الرقعة من الأرض ، واللهُ يعلم أني كنت لذلك كارها ، ولكنهم لم يُبْلِعُونا ريقنا ، ولم يدعونا نَرْتاد لديننا وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا[3] . وقد علمنا أنَّ بالقوم حلماء وطَغاماً . فلسنا نأمن طَغامهم على

1 نَفَّس : تنفّس .
2 الرواجب : أصول الأصابع . معظماً : عظيماً من الأعطية والدِّيات . ضنت رواجبه : بخلتْ يده .
3 البيضة : الحوزة والحمى .

ذرارينا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا ، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيّةً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والذي بعث محمداً بالحق لودِدتُ أنّي مِتّ قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ ردّه ، فنستعين بالله العظيم ، ثم انكفأ .

[خمول أبيه عبد الله]

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهةُ من ذكرت من آبائه ، وأهلُ المثالب يقولون : إنه دعيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قُتِل عمرو هرَبَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمَّن من الناس عامَ الجماعة ، فأمّنه .

[تخنثه في حداثته]

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان في حداثته يتخنّث ، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمرَ بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن ، وكان يقال له خالد الخرِّيت[1] فقال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره ، فقال : أرسلت الخرِّيت أو قال : أرسلت الجَرِيّ[2] فإنما يعني خالداً القسريّ ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

[يظلل ابن أبي ربيعة وعشيقته]

أخبرني بذلك الحِرْميّ ومحمد بن مزيْد وغيرُهما ، عن الزبير ، عن عمه ، وأخبرني عمي : قال : حدثني الكراني ؛ عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري ، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما مليّاً ، فأخذتهم السماء ، ومُطِروا ، فقام خالد وجاريتان للمرأتين ، فظللوا عليهم بمِطرفة[3] وبردين له ، حتى كفّ المطر وتفرقوا ، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

أفي رسم دارٍ دمعُـكَ المترقـرقُ سفَاهاً وما استِنطاق ما ليس ينطِقُ ؟
بحيثُ التقى جَمعٌ ومُفْضَى مُحسّرٍ معالمُ قد كادت على الدهر تَخْلُقُ[4]

---

1 الخريت : الدّليل الماهر في أمر الدلالة .
2 الجري : الرسول ، أو الوكيل .
3 المطرفة : رداء من خز مربع فيه أعلام .
4 محسر : اسم مكان .

ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا   وذكـرُك رسمَ الدّار ممّـا يشوِّقُ
مُقاما لنا عنـد العشاء ومَجْلسا   لنـا لم يكـدِّره علينـا مُعوِّقُ
وممشَى فتـاةٍ بالكساء يَكُنُّهـا   بـه تحـت عـين ٍ برقُهـا يتألَّقُ
يُبِلُّ أعالي الثـوب قطـرٌ وتحتـه   شُعاعٌ بدا يُعشي العيونَ ويُشرِقُ
فأحسنُ شيء بـدء أولِ ليلـةٍ   وآخرُهـا حُـزْنٌ إذا نَتَفَرقُ

الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أنه منحول .

[خالد وابن أبي عتيق يستنجزان ابن أبي ربيعة وعده]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو العباس المرْوَزِيّ ، قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عُمَرَ بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله : [من الطويل]

ومـن كان محروباً لإهْراق دمعة   وَهَـى غربُهـا فليأتنا نَبْكِهِ غدا[1]
نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكـلاً   وإن كان محزوناً وإن كان مُقْصَدا[2]

قال : فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخرِّيت ، وقال : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكِه غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنَّك غير صادق ، ثم مضى وتركه .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسري .

[يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته]

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم : قال : حدثنا أبو هِفّان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مزْيَد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزاميِّ والمثّنى ومحمد بن سلام ، قالوا : خرجت هند والرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثان مليّاً ، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسريُّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمخنّثين ، ويترسّل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبي ربيعة ، وتشوقتاه ، فقالتا لخالد : يا خِرِّيت ، وكان يعرف بذلك ، لك عندنا حُكمُك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم

1 الغرب : مسيل الدمع من العيون .
2 المقصد : من أقصد فلان فلاناً : طعنه فلم يخطىء مقاتله .

أنا بعثنا بك إليه ، فقال : أفعل فكيف تريان أن أقول له ؟ قالتا : تُؤذنه[1] بنا ، وتُعلمه أنا خرجنا في سرٍّ منه ، ومُرْهُ أن يتنكر ، ويلبس لِبسة الأعراب ، ليرانا في أحسن صورة ، ونراه في أسوأ حال ، فنمزح بذلك معه ، فجاء خالد إلى عمر ، فقال له : هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَر منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما ؟ قال : والله إني إلى لقائهن لمشتاق ، قال : فتنكر ، والبِس لِبْسة الأعراب ، وهلمّ نمض إليهن ، ففعل ذلك عمر ، ولبس ثياباً جافيةً ، وتعمّم عمّة الأعراب ، وركب قعوداً له على رحل غير جيد ، وصار إليهن ، فوقف منهن قريباً ، وسلّم ، فعرفنه ، فقلن : هلُمّ إلينا يا أعرابيّ ، فجاءهن ، وأناخ قعوده ، وجعل يحدثهن ، وينشدهن ، فقلن له : يا أعرابي : ما أظرفك ، وأحسن إنشادَك ! فما جاء بك إلى هذه الناحية ؟ قال : جئتُ أنْشُدُ ضالّة لي ، فقالت له هند : انزل إلينا ، واحسِرْ عمامتك عن وجهك ، فقد عرفنا ضالّتك ، وأنت الآن تُقَدِّرُ أنَّك قد احتلت علينا ، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخِرّيت ، حتى قال لك ما قال ، فجئتنا على أسوأ حالاتك ، وأقبح ملابسك ، فضحك عمرُ ، ونزل إليهن ، فتحدّث معهن ، حتى أمسوا ، ثم إنهم تفرقوا ، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

صوت

ألم تعـرفِ الأطـلالَ والمتربَّعا ... ببطـن حُليَّـات دوارسَ بَلقعا[2]
إلى السَّرْح من وادي المغمَّس بُدِّلَت ... معالمـه وبـلا ونكبـاءَ زعزعا[3]
فيَبْخَلنَ أو يُخبرن بالعلم بعد ما ... نَكَـأنَ فؤادا كان قِدْمـاً مفجَّعا
لهندٍ وأتـرابٍ لهنـد إذ الهوى ... جميـع وإذ لم نَخْشَ أن يتصدّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد :

تبَالَـهْـنَ بالعِرفـان لمّـا رأينني ... وقُلْنَ امـرؤ بـاغٍ أكلَّ وأوضعَا[4]
وقرّبن أسبابَ الهـوى لمتيّـمٍ ... يقيس ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبعَا

[جده كان عبداً آبقاً]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل

---

1 تؤذنه : تعلمه .
2 حليات : جمع حلية ، وهو نبت سبط من أجود المراعي .
3 المغمس : مكان النكباء . الزعزع : الريح العاتية .
4 أكل : أرهق دابته . أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها .

ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن كُرزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله عبدٌ كان آبقاً عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تَيْماءَ ، وكان أبَقَ ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمةَ بن شِقٍّ الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأخذَتْه بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنَب ، ويقال : إنها كانت بغيّاً ، فأصابها ، فولدت له أسدَ بن كُرْز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لرِقَّةٍ كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نَفراً من أهل هجر مرّوا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبته ، فاشترى نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادّعى إليهم وعاونه على ذلك حيٌّ من أحمس يقال لهم : بنو مُنَبّة ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ، سُمِّي بذلك لأن عينَه أُصيبت . فكان يغطيها بخرقة ، وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ ، فنزل كرز في بني سُحْمة هارباً من ذي الرُّقعة ، ثم وثب على ابن عم للقتّال بن مالك السُّحميّ فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدّعي في بَجِيلة ، ولا تُلحِقُه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وكتب له ، وكان كاتباً مُفوَّها ، وذلك في إمارة عثمان بن عفان .

[أبوه خطيب الشيطان]

فنال حظاً وشرفاً ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسَم خيلَه : القسريّ ، ثم تَدَسَّسَ ليملك خيلاً في بلاد قسر ، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع ، فلم يقدر عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد في مرتبته ، ثم ولي العراق ، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى : [من الوافر]

ومن سَمَّاك باسمك يا ابن كــرز ؟ وأين المولــد المعروف تــدري ؟

وقال بُجير بن ربيعة السُّحْميُّ : [من الطويل]

نفتــه مــن الشِّعبين قَسر بِعزّهــا إلى دارِ عبــد القيس نَفْيَ المُزَنَّم[1]

[بين أبيه وأبي موسى بن نصير]

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال :

1 المزنّم : الدّعي في قوم ليس منهم .

اسكت ، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسد بن كرز ، نحن الذين نضْمَن الشَّهر ، ونُطعِم الدهر ، فقال له : تلك قَسْرٌ ، ولستَ منهم ، وإنَّما أنت عبدٌ آبِقٌ ، قد كنتُ أرَاك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حبيب ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أتراك منهم وأنت عَبْدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك ، ولم يسرّه ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير : [من البسيط]

جاريــت غيرَ سَؤومٍ في مطاولة يا ابنَ الوشائط من أبناء ذي هجر[1]
لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم سوى عبيدٍ لعبــد القيس أو مُضر

[الكذب متوارث في أسرته]

وقال أبو عبيدة : فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال : كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان ، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنُه عبد الله فسلك منهاجَه في الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره .

قال عُمَر بن زيد : فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا ابن أخي ؟ قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسريّ . فقلت : يا ابن أخي . لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبَك فجعل يضحك .

[يطلب على المنبر أن يطعموه ماء]

أخبرني اليزيديُّ ، عن سليمانَ بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة ، واللفظ له ، قالا : كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحيّر ، فقال : أطعموني ماء ، فقال الكميْتُ في ذلك ، ومدح يوسفَ بن عمر : [من الطويل]

خرجتَ لهم تمشي البَراحَ ولم تكن كمن حِصْنُه فيه الرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[2]

1 الوشائط : الدّخلاء . ينتمون إلى قوم ليسوا منهم.

2 البراح : البيّن الواضح . والرتاج المضبب : غلق الباب المصنوع من الحديد .

ومـــا خالـــدٌ يستطعم الماءَ فاغراً بِعْدِلِكَ والداعي إلى الموت ينعَبُ[1]

[أولى كذبات ابن الكلبي]

وقال ابن الكلبي : أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغيّاً لبني أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فَسُرَّ بذلك ، ووصلني .

[بنو أسد ينكرونه]

قال : قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي : يا أبا الصباح ، قد ولدتمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقيل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك ، قال : أأفسُد وأستنبط ما ليس مني ، وأقرّ بالكذب على قومي ؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكنديَّ ، وكان عاملَهُ ، بضرب مولًى لعبّاد بن إياس الأسدّي ، فقتله ، فرُفِع إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله ، وقال : [من الطويل]

لعمـــري لئن جـــارتْ قضيةُ خالدٍ عن القصد ما جارت سيوفُ بني نَصْر

[يتطاول على السماء]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن سحيم بن حصين قال : قتل خِداش الكِنديّ رجلاً من بني أسد ، وكان الكنديّ عاملاً لخالد القسري ، فطُولِب بالقَوَد ، وهو على دَهْلَك[2] فقال : والله لئن أقدتُ من عاملي لأقيدنّ من نفسي ، ولئن أقدتُ من نفسي لَيُقيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، لَيُقيدَنّ رسول الله ﷺ من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ ! يعرِّض بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

[أمه نصرانية]

أخبرني الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان ، قالوا : كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنِيسةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضُربَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم .

[أعشى همدان يفحش في هجائه]

فقال أعشى همدان يهجوه ، ويعيّره بأمه ، وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك

1 العِدل : المعادل .

2 الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب .

الوقت قالوا ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهي كارهة ، فعَيَّره الأعشى بذلك حين يقول : [من الطويل]

لعمرُكَ مــا أدري وإني لسائلٌ أبظــراءُ أم مختونــةٌ أمُّ خالدِ
فإن كانت الموسى جرتْ فوق بَظرها فمــا خُتِنــت إلا وَمَصَّانُ قاعدِ[1]
يرى سوأة من حيث أطلع رأسه تمــرّ عليهــا مرهفــاتُ الحدائِدِ

وقال أيضاً فيه ، يرميه باللّواط : [من الوافر]

ألم تَــرَ خالــداً يَختارُ مِيماً ويترِكُ في النِّكاح مَشَقَّ صادِ
ويُبغِض كلَّ آنسةٍ لعـــوبٍ ويَنكِـح كلَّ عبــدٍ مستقادِ[2]
ألا لعــن الإلهُ بنــي كُرَيْــزٍ فكرزٌ مــن خنازيــر السوادِ[3]

[يكره مضر ، ويسب علي بن أبي طالب]

قال المدائني في خبره : وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتبْ لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً ، ثم أتيته . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : بدأت بنسب مضر وما أتممته . فقال : اقطعْه ، قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنه يمرّ بي الشيء من سَيرِ علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، فأذكُره ، فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم . لعن الله خالداً ومَن ولاّه ، وقبّحهم ، وصلوات الله على أمير المؤمنين .

[من مظاهر زندقته]

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاّف ، قال : صعِدَ خالدٌ القسري المنبر ، فقال : إلى كم يغلبُ باطلنا حقَّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقاً ، أمه نصرانية ، فكان يولِّي النصارى والمجوسَ على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضَرْبهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجواريَ المسلماتِ ويطئونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغيِّر عليهم .

وقال المدائني : كان خالد يقول : لو أمرني أمير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجراً حجراً ، ونقلتها إلى الشام .

قال : ودخل عليه فراسُ بن جعدةَ بن هبيرةَ وبين يديه نبقٌ ، فقال له : العَن عليَّ بن أبي

1 مصّان : أي ماص بظر أمه .
2 مستقاد : تابع مقود .
3 كريز : تصغير كرز جد خالد . والسواد : اسم يطلق على العراق .

طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة ديناراً .

قال المدائني : وكان له عامل يقال له : خالدُ بن أُمَيّ . وكان يقول : والله لخالد ابنُ أُميّ أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

وقال له يوماً : أيّما أعظم ركيتنا[1] أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير : من يجعل الماء العذب النُّقَاخ[2] مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمي زمزم أم الجعلان[3] .

[بينه وبين الفرزدق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا أبو غسّانَ دَماذُ ، عن أبي عبيدة ، قال : أتى الفرزدقُ خالد بن عبد الله القسري ، يَستحمِله في ديات حَمَلها ، فقال له : إيه يا فرزدق ، كأني بك قد قلتَ : آتي الحائكَ بن الحائك ، فأخدعَه عن ماله إن أعطاني ، أو أذمّه إن منعني . فأنا حائكٌ ابن حائك . ولستُ أعطيك شيئاً . فاذممني كيف شئت ، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها : [من الخفيف]

ليتني مِـن بَجيلةِ اللؤم حتـى ... يُعْزَلَ العامــلُ الذي بالعراقِ
فـإذا عامـل العراقـين ولّـى ... عدت في أسرة الكرام العتاقِ

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائكَ بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن ، والانتفاء من العبودية لأهل هجر .

[يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله]

وكان خالد شديدَ العصبية على مضر . وبلغ هشاماً أنه قال : ما ابني يزيدُ بن خالدٍ بدون مسلمةَ بن هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .

[يتطاول على مقام النبوّة]

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين ، فحبسه في دور آل الحضرمي ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبةَ حجراً حجراً لنقضتُها ، واللهِ لأميرُ المؤمنين أكرمُ على الله من أنبيائه عليهم السلام ، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه .

أخبرني أبو عبيدة الصيّرفي ، قال : حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصريّ ، قال : حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عبيد الله بن حُباب ، قال : حدّثني عطاءُ بنُ مسلم قال : قال

1 الركية : البئر غير مطوية .
2 النقاخ : الماء العذب الصافي المورد .
3 الجعلان : جمع جعل .

خالدُ بنُ عبد الله ، وذكر النبي ﷺ ، فقال : أَيُّما أُكرم عندكم على الرجل : رسوله في حاجته أو خليفته في أهله ؟ يُعرِّض بأنَّ هشاماً خيرٌ من النبي ﷺ .

[يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة]

قال أبو عبيدة : خطب خالد يوماً ، فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء ، فسقاه الله ملحاً أجاجاً ، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاه الله عَذباً نُقاخاً ، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذي طُوى وثنيّة الحَجون ، فكان خالد ينقل ماءها ، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم . ليرى الناسُ فضلها . قال : فغارت تلك البئر ، فلا يُدْرَى أين هي إلى اليوم ؟

[ينال من علي بن أبي طالب]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ : قال حدثنا العباس بن ميمون طايع ، عن ابن عائشة ، قال : كان خالد بن عبد الله زِنْديقاً ، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه فرأى يوماً عِكرمةَ ، مولى ابن عباس ، وعلى رأسه عمامةٌ سوداءُ ، فقال : إنه بَلَغني أنَّ هذا العبَدَ يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامُه ، وإني لأرجو أن يسَوِّد اللهُ وجهَه كما سوّد وجه ذاك .

قال : حدثني مَنْ سمعه ، وقد لعن علياً ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال في ذكره : عليٌّ بن أبي طالب بنُ عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وزوجُ ابنته فاطمةَ ، وأبو الحسن والحسين ، هل كَنَّيْتُ . اللهم اَلْعن خالداً واخْزِه ، وجدِّد على روحه العذابَ .

[إسماعيل بن خالد يسب بني أميّة في مجلس السفاح]

وقال أبو عبيدة : ذكر إسماعيل بن خالد بنُ عبد الله القسريُّ بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين : أيُسبُّ بني عمك وعُمَّالَهم وعماتِك رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ في نسب ؟ إن بني أمية لحمُك ودمُك ، فكلْهم ولا تؤكّلهم . فقال له : صدقتَ . وأمسك إسماعيل فلم يُحرْ جواباً .

[سليمان يضربه مائة سوط]

وقال ابن الكلبي : كان خالدُ بن عبد الله أميراً على مكةَ فأمر رأس الحجبة[1] أن يفتح له الباب وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشَّيْبيُّ[2] إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه

1 رأس الحجبة : رأس حجبة الكعبة .

2 الشيبي : نسبة إلى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

فصادف الفرزدقَ بالباب ، فاسترفده[1] . فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبيُّ ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

سلُوا خالداً لا أكـرم الله خالـداً متى وليَتْ قسرٌ قريشاً تَدينُها[2]
أقبلَ رسول الله أم ذاك بعـدَه ! فتلك قريشٌ قـد أغـثَّ سمينُها[3]
رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً فما أمُّـه بـالأم يُهْدَى جنينُها

فحميَ سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيدُ بن المهلَّب عنده ، فما زالَ يُفَدِّيه ، ويقبِّل يدَه ، حتى أمر بضربه مائةَ سوط ، ويُعفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لعمري لقد صُبَّتْ على ظهر خالد شآبيبُ ما استَهْلَلْنَ من سَبَل القَطرِ
أيُضْرَبُ في العِصيان من كان طائعاً ويَعصي أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ ؟
فنفسَك لُمْ فيمـا أتيـتَ فإنما جُزِيت جزاءً بالمُحَدْرَجَةِ السُّمرِ[4]
وأنتَ ابنُ نصرانيَّةٍ طال بظَرْهـا غَذَتْـك بأولاد الخنازير والخمرِ
فلولا يزيدُ بـن المهلَّـب حَلَّقَتْ بكفك فتخاءُ إلى الفرخ في الوكرِ[5]
لَعمري لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسري

[يحبس الفرزدق]

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّي ، وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها : [من الطويل]

وأهلكتَ مالَ اللهِ في غيرِ حقِّـهِ على النَّهَـر المشئوم غيرِ المباركِ
وتضربُ أقواماً صِحاحاً ظهُورُهم وتتركُ حـقَّ الله في ظهر مالِكِ

وقال ، ويقال : إنها للمفرج بن المرقع . [من الوافر]

كأنَّـك بالمباركِ بعـدَ شهـرٍ يخـوضُ غمـارَهُ بُقْعُ الكلابِ[6]

1 استرفده : استعان به .
2 تدينها : تخضعها وتذلها .
3 أغث سمينها : هزل ما كان سميناً من إبلها وشائها .
4 المحدرجة السمر : السياط .
5 الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين .
6 بقع الكلاب : جيف الكلاب المنقوعة في الماء .

كذبت خليفـةَ الرحمـن عنـه   وكيف يرى الكذوبُ جَزا الكِذابِ

فأخذ خالد الفرزدق ، فحبسَه ، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك ، فقال الفرزدق في السجن : [من الطويل]

أبلـغْ أميـرَ المؤمنـين رسالـةً   فعجِّـل هـداكَ اللهُ نزعَك خالدًا

بَنَـى بِيعـةً فيهـا الصَّليبُ لأمّه   وهـدَّم مـن بغض الإله المساجدَا

فبعث هشامٌ إلى خالدِ بنَ سويد يأمره بإطلاق الفرزدق ، فأطلقه ، فقال الفرزدقُ يهجو خالداً القَسْريّ : [من الطويل]

ألا لعَـن الرحمـنُ ظهـرَ مطيـةٍ   أتتْنـا تَخَطَّـى مـن بعيد بخالدِ

وكيـف يـؤمُّ المسلمين وأمُّه   تديـنُ بـأنّ اللهَ ليس بواحـدِ ؟

[ابن عيّاش يشتمه]

أخبرنا الحسن ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث ، قال : حدّثنا المدائني ، قال : شتم عبد الله بن عيّاش الهمذانيّ خالدَ بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور ، فسمِعه رجل من لَخم ، فقدَّمه إلى منصور واستعداه عليه ، فقال له منصور : ما تريدُ ؟ فقال ابنُ عيّاش : أمرنا أيها الأمير برقية العقرب . وفيه عجب ، لخميٌّ يستنصر كلبيّاً على هَمَذَانيٍّ لبَجَليٍّ دَعِيّ[1] .

[يدل على هشام]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكِيناً عنده فأدَلَّ ، وتمرَّغ[2] عليه ، حتى إنه التفت يوماً إلى ابنه يزيدَ بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف بك يا بنيَّ إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أُواسيهم ولو في قميصي . فتبين الغضب في وجه هشام ، واحتملها .

[يلقب هشاماً بابن الحمقاء]

قال المدائني : حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ، فسمع هذا من خالد ، قال : وكان إذا ذُكر هشامٌ قال له : ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا البَطِر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمةِ أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول قال : لا والله ، ولكن ما لا تنشق به الشفتان قال : فلعله قال : ابنُ الحمقاء ، فأمسك الشاميّ ، فقال : قد بلغني كل ذلك عنه .

---

1 اللخمي هو الواشي . والكلبي هو منصور بن جمهور ، والهمذاني هو المتكلم . والبجلي الدعي هو خالد .

2 تمرّغ عليه : تلبّث عنده ، وأطال الترداد عليه .

[يجمع مالاً كثيراً]

واتخذ خالدٌ ضيعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمَك ، وأنا أحِبُّ جسمك وروحك ، قد بلغت غَلةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخي أسدَ بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعْه ، فرُبَّ يومٍ كان يَطلُب فيه الدرهم ، فلا يجده .

[كان بخيلاً بطعامه]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله بخيلاً على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم ، وحَضر الطعامُ ، فأُتِيَ به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض عليّ صكّه ، فعرَّفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشتري غداً كل ما يُحتاجُ إليه في مَطْبخه ، وتهَبُ الطبّاخَ دراهم ، حتى لا يشتري شيئاً ، وتسأله إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليومَ في ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطبَ ، فبلغَ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ؛ فاستطاب ما صُنِعَ له . فقال له الطبَّاخ : إنك كنتَ اليومَ في ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبرَه ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه ، فصيَّره ثلاثين ألفاً ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .

[حيلة تاجر]

قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استعداءَ خالدٍ عليه ، فلاذَ الرجلُ ببواب خالد ، وبرَه ، فقال له : سأحتال لك في أمر هذا بحيلة ، لا يُدخِلْه عليه أبداً ، قال : فافعل ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلا شنيعاً كثيراً ، فغاظ ذلك خالداً ، فلمّا خرج قال لبوابه : فيم أتاني هذا ؟ قال : يستعدي على فلان في دَين يدعيه عليه . قال : والله إني لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلنّ عليّ . وتقدَّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه ، وقال المدائني في خبره :

[يعرف لغة الحمير]

كان خالدُ يوماً يخطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رَهمة الكلبيّ ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك في شيء أومأ إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته ، وقال : قد حضرتني مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه في عيني ، يعني حُسينا ، قال : لا بد والله منها ، قال : هاتها ، قال : أخبرني ، قَلمسانُ إذا

ساف[1] ، ثم رفع رأسه وكرف[2] أي شيء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أطيبه يا رباه ، قال : صدقتَ ما كان ليستشهدَ على هذا سوى ربه .

[رأيه في حفظة القرآن]

قال المدائني : وقال خالد يوماً على المنبر : هذا كما قال الله عز وجل : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ثم أُرتجَ عليه ، فقال للتغلبي : قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خفِّضْ عليكَ أيها الأمير ، لا يهولنَّك ذلك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال ، قال : صدقتَ ، يرحمُك الله .

[يهب المغنية للقصاص]

وقال المدائنيّ : حدثني أبو يعقوب الثقفيّ ، قال : قال خالد بن عبد الله للعُريان : يا عُريَانُ ، أعجزتَ عن الشرَط ، حتى أوَلّي غيرَك ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال : لم أعجزْ ، وإن شئت فاعزِلني ، فقال له : خذ لي المغّنيات ، فأحضرهُ خمساً منهن أو ستّاً ، فأدخلهُنّ إليه ، فنظر إلى واحدة منهن بيضَاءَ دعجاءَ ؛ كأنـَّها أُشرِبتْ ماءَ الذهب ، فدعا لها بكرسيٍّ ، فجلست . ثم قال لها : أين البَرْبط[3] الذي كانت تضرب به ؟ فأُحضِر ، ثم سوّته ، فغنت : [من الطويل]

إلى خالدٍ حتّى أنخـنَ بخالدٍ فنعمَ الفتى يُرجَى ونعم المؤمَّلُ

فقال : اعْدلي عن هذا إلى غيره ، فغنّت : [من الطويل]

أروحُ إلى القصَّاص كل عَشيَّةٍ أرجِّي ثوابَ الله في عدد الخُطَا

قال : وأقبل قاصٌّ المِصر . فقال له خالد : أكانت هذه تروح إليك ؟ قال : لا ، وما مثلها يروحُ إليَّ ، قال : خذ بيدها فهي لك ، ومولاها بالباب ، فسأل عنها فقيل : وهبَها للقاصِّ ، فتحمّل[4] عليه بأشراف الكوفة ، فلم يردُدْها ، حتى اشتراها منه بمائتي دينار .

[هشام يضيق به ذرعاً فيقرعه]

وقال المدائني : قال خالد في خطبته : والله ما إمارة العِراق مما يشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً ، فغاظه جدّاً ، وكتب إليه : بلغني يا ابنَ النَّصرانية أنك تقول : إن إمارةَ العراق ليست مما يشرفك ، صدقتَ والله ، ما شيءٌ يشرفك ، وكيف تشرُف وأنت دَعيٌّ إلى

1 ساف : شم .

2 كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفلته .

3 البربط : العود .

4 تحمّل : توسّل .

بجيلةَ القبيلةِ القليلةِ الذليلةِ ، أما والله إني لأظنُّ أن أولَ ما يأتيكَ ضَغِنٌ[1] من قيس ، فَيُشد يديك إلى عنقك .

[هشام ينكل به]

وقال المدائني : حدثني شَبيبُ بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال : لم تزل أفعالُ خالد به ، حتى عزلَه هشام ، وعذّبه ، وقتل ابنَه يزيد بن خالد ، فرأيتُ في رِجْلِهِ شريطاً قد شُدَّ به ، والصبيان يجرونه ، فدخلتُ إلى هشام يوماً ، فحدثته ، وأطلت ، فتنفس . ثم قال : يا خالدُ ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إليَّ قربا ، وألذَّ عندي حديثا منك ، قال : يعني خالداً القسري ، فانتهزتها ، ورجوت أن أشفَع له فتكون لي عند خالدٍ يدٌ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدَّبْته بما فَرَطَ منه ، فقال : هيهاتَ ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدلّ فأملّ ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة ، فَحلِم الأديمُ[2] ، ونغل الجرح[3] ، وبلغ السيلُ الزُّبى[4] والحزام الطُّبيَيْن[5] ، فلم يبق فيه مُسْتَصْلح ، ولا للصنيعة عنده موضع عُد إلى حديثك .

[عود إلى تخنثه ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة]

فأمَّا أخباره في تخنثه وإرسال عمرَ بن أبي ربيعة إياه إلى النساء ، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هِفّان ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، وأخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكّار ، قال : حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي ، عن إبراهيم بن قُدَامة الحاطبيّ ، عن أبيه ، واللفظ لعلي بن صالح في خبره ، قالا : قال الحاطبي : أتيتُ عمرَ بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين ، فانتظرته في مجلس قومه ، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه ، ومعي صاحب لي ، فقال لي صاحبي : هل لك في أن تُرِيغَه[6] عن الغزل ، فننظر هل بقي منه شيء عنده ؟

1 ضَغِن : حاقد .

2 الأديم : الجلد . حلم : كثر دوده ، حتى تثقب وفسد . وهنا مثل : «كدابغة وقد حلم الأديم» ورد في مجمع الأمثال 150/2 والمستقصى للزمخشري 216/2 والأمثال للقاسم بن سلام 343 والجمهرة للعسكري 137/2 ، 158 .

3 نغل الجرح : تعفن وفسد .

4 الزّبى : جمع زبية ، وهي الربوة التي لا يصل إليها الماء وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 91/1 ، 93 ، 96 و142/12 والجمهرة للعسكري 203 ، 220 والمستقصى للزمخشري 14/2 وفصل المقال 472 .

5 الطبي : حلمة ثدي الناقة . وهنا مثل : يضرب به في تفاقم الأمر .

6 تريغه : من أراغه عن الأمر وعليه : طلبه منه .

فقلت له : دونك . فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسان العذري ، قاتله الله ، قال : وفيمَ أحسن ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودَّتها ... لمالَ لا شك يَهوي نحوَها رأسي

فقال : نعم أحسن ، فقلت : يا أبا الخطاب ، وأحسنَ واللهِ تحيَّةُ بنُ جنادة العذريّ ، قال : في ماذا ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

سرت لعينيك سَلْمى بعد مغْفاها ... فبِتُّ مستوهناً من بَعْدِ مسراها
فقلتُ : أهلاً وسهلاً من هَدَاكِ لنا ... إن كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيَّاها

وفي رواية الزبيري خاصة :

تأتي الرياحُ التي من نَحْوِ أرضكم ... حتى أقولَ : دنَتْ منّا برَيّاها
وقد تراخت بها عنّا نوىً قَذَفٌ ... هيهاتَ مُصْبَحُها من بعدِ مُمساها[1]
من حُبِّها أتمنّى أن يلاقيَني ... من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاءَ له ... وتُضمرَ اليأسَ نفسي ثم تَسْلاها
ولو تموت لراعتْني وقلتُ لها : ... يا بؤسَ للدهر ليت الدهرَ أبقاها

ويروى :

. . . . . . لراعتني مِنيَّتُها ... وقلتُ يا بؤسَ ليت الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسن والله ، لقد هيجتما عليَّ ما كان ساكناً مني فلأحَدِّثنّكما حديثاً حُلواً : بينا أنا أوَّل أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال : مررت بأربع نسوة قبيلٍ[2] ، يَرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أرَ مثلهن قط ، فيهن هند ، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمَع من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لي بأن يخفى ذلك ؟ قال : تلبس لِبسةَ الأعراب ، ثم تقعدُ على قَعود ، كأنك تَنشُدُ ضالة ، فلا يَشْعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن ، قال : فجلست على قعود . ثم أتيتُهنَّ فسلّمت عليهن ، فآنَسْنني ، وسألنني أن أنشدَهن ، فأنشدتهن لكُثّير وجميل وغيرهما ، وقلن : يا أعرابي ، ما أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت ، فأنختُ قعودي ، وجلستُ معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّتْ يدها ، فجذَبت عِمامتي ،

---

1 قَذَف : بعيدة تتقاذف بمن تصيبه .

2 قبيل : متشابهات .

فألقتها عن رأسي ، ثم قالت : تالله لظننتَ أنك خدعتنا ، نحن والله خدَعْناك ، أرسلنا إليك خالداً الخِرّيتَ في إتياننا بك على أقبح هَيئتِك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنَ بنا في الحديث ، فقالت إحداهن : يا سيدي لو رأيتني منذ أيام ، وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبي ، فنظرت إلى حِري ، فرأيته ملءَ العُسّ[1] والقَسّ فصِحتُ : يا عمراه ! فصحتَ : لبيك لبيك ، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا ، فتفرقنا ، عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول : [من الطويل]

ألم تعـرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطنِ حُليّــات دوَارسَ بلقعا

وذكر الأبيات .

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

صوت

[من الطويل]

أنائــلُ مــا رؤيا زعمتِ رأيْتِها لنا عجبٌ لـو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

أنائــلُ مــا للعيشِ بعدكَ لذةٌ ولا مشربٌ نلقــاه إلا مُرَنَّقُ[2]

أنائــلُ إني والذي أنــا عبــدُه لقد جعلتْ نفسي من البينِ تُشفِقُ

لعمرُك إن البـينَ منـك يشوقني وبعض بُعادِ البـين والنأي أشوقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضرِيّ .

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد ، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل ، ولم يأتِ ذلك من وجه يصحّ ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين .

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي ، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

1 العس : القدح الكبير .

2 مشرب مرنّق : مشوب غير صاف .

[461] ـ أخبار صخر بن الجعد ونسبه

[نسبه]

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْريّ ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر ، وصخر أحد بني جِحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف ، قال : وسُمِّي ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم ، وكان مالك شديد الأُدْمة[1] . وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر ، والعربُ تسمي الأسودَ الأخْضَرَ .

[ابن ميادة يترفع عن مهاجاته]

وهو شاعر فصيحٌ من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقد كان يَعْرِض لابن ميادة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخُضْريّ من المهاجاة ، ورام أن يهاجيَه ، فترفّع ابنُ ميّادة عنه .

أخبرني بخبره عليٌّ بن سليمان الأخفش ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن الزبير بن بكار مجموعاً ، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحِرْميٌّ بن أبي العلاء ، عن الزبير ابنِ بكار .

وحدثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير ، فذكرت كلَّ شيء من ذلك مفرداً ، ونسبته إلى راويه .

[قصته مع كأس]

قال الزبير فيما رواه هارون عنه : حدثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَون قال : كان صخرُ بن الجعد مُغرماً بكأسٍ بنت بُجَيْر بن جُنْدب ، وكان يشبب بها ، فلقيه أخوها وقّاصٌ ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخرُ ، إنك تشبب بابنة عمك ، وشَهَرْتَها ، ولعمري ما بها عنك مذهبٌ ؛ ولا لنا عنك مرغَب ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوّجْكَها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمَنْ ما عرضت لها بذكر ، ولا أسمعَنّه منك . فأقسمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطنَّك سيفي ، فقال له : بل والله إن لي لأشدَّ الحاجة إليها ، فوعده موعداً وخرج صخرٌ لموعِدِه ، حتى نزل بأبياتِ القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقّاصٌ فذَبَح ، وجمع أصحابَه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه : أن هلمَّ لحاجتك ، فأبطأ ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله ، فغضِب . وعمِدَ إلى رجل من الحيِّ ليس يُعْدَلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو مُغضَب لما صنع ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، وزوَّجه كأسَ ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ،

---

1 الأدمة : السواد .

فأعلَموه تزويجَ كأسٍ بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبياتِ التي قذَفها فيها فيما قذفَها ، وذلك قوله حين يقول : [من الطويل]

وأنكحَها حصناً لِيَطْمِسَ حَملَهـا ... وقد حملَتْ من قبلِ حصنٍ وجرَّتِ

أي زادت على تسعة أشهر ، قال : وترافع القومُ إلى المدينة ، وأميرُها يومئذٍ طارق مولى عثمان ، قال : فتنازعوا إليه . ومعهم يومئذ رجل يقال له حَزْمٌ ، وكان من أشد الناس على صخر شرّاً . فقال : وفيه يقول صخر : [من الطويل]

كفى حَزَناً لـو يعلمُ النّاسُ أنني ... أدافعُ كأساً عند أبـوابِ طارقِ[1]
أتنسيْنَ أيامـاً لنــا بسُوَيْقَــةٍ ... وأيامَنا بالجزعِ جِـزْعِ الخلائقِ
ليالِيَ لا نخشى انصِداعاً من الهوى ... وأيــامَ حـزمٌ عندنـا غيرُ لائقِ
إذا قلت لا تَفْشي حديثي تعجرفَت ... زياداً لِوُدٌّ هـا هنـا غير صادقِ[2]

قال : فأقاموا عليه البيِّنة بقَذف كأس ، فضُرِبَ الحَدَّ ، وعاد إلى قومه ، وأسِف على ما فاته من تزويج كأس ، فطفِق يقول فيها الشعر .

[مطولته في كأس]

قال الزُّبير : فأنشدني عمّي وغيرُه لصخر قوله : [من الطويل]

لقد عـاود النفسَ الشقيَّةَ عِيدُها ... نعم إنَّهُ قـد عادَ نحساً سُعودُها[3]
وَعاوَدَهُ من حُـبِّ كأسٍ ضَمانةٌ ... على النأي كانت هيضةً تستقيدُها[4]
وأنَّى ترجِّيهـا وأصبحَ وصلُها ... ضعيفاً وأمستْ هَمَّـه لا يكيدُها
وقد مَـرَّ عَصْرٌ وهي لا تستزيدُني ... لما استُوْدِعتْ عندي ولا أستزيدُها
فما زلتَ حتـى زَلَّتِ النعلُ زَلَّةً ... برِجْلك في زوراءَ وعثٍ صعودُها[5]
ألا قـلْ لكأسٍ إن عرضتَ لبيتِها ... فأينَ بُكا عيني وأين قصيدُها ؟
لعل البُكا يا كأسُ إن نفعَ البُكا ... يُقـرِّب دنيانـا لنـا فيعيـدُها

1 المدافعة : المقاضاة .
2 تعجرفت : تكبّرت .
3 العيد : العادة .
4 الضمانة : العلة . والهيضة : المرض بعد المرض .
5 زوراء : أرض بعيدة . وعث صعودها : من وعث الطريق وعثاً : تعسّر سلوكه .

وكانت تناهتْ لوعــةُ الودِّ بيننا ... فقد أصبَحَتْ يُبْساً وأُذبل عودُها

ويروى : وقد ذَاء عودُها يقال : ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

ليالِيَ ذاتُ الرمْسِ لا زال هيْجُها ... جنوباً ولا زالتْ سحابٌ تجودُها[1]

وعيشٌ لنا في الدهرِ إذ كان قَلْبُه ... يطيبُ لديه بُخْلُ كأسٍ وجودُها[2]

تذكَّرْتُ كأساً إذ سَمِعْتُ حمامةً ... بكت في ذُرَا نخلٍ طِوالٍ جريدُها

دعت ساقَ حُرٍّ فاستَجبتُ لصوتها ... مولَّهَــةً لم يبــقَ إلا شريدُها[3]

فيا نفسُ صبراً كلُّ أسبابِ واصلٍ ... ستنمي لهـا أسباب هَجْـرٍ تُبيدُها

قال أبو الحسن الأخفش : ستنمي لها أسباب صَرْم تُبيدها أجود .

وليلٍ بَــدَتْ للعين نــارٌ كأنّها ... سنا كوكبٍ للمستبين خُمودُها

فقلت : عساها نــارُ كأسٍ وعلَّها ... تَشكَّى فأمْضِي نحوَهــا وأعودُها

فتسمع قولي قبل حتف يَصيدُني ... تُسَرُّ بِه أو قَبْــلَ حتفٍ يصيدُها

كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلفَي مَودةٍ ... إذِ الناسُ والأيامُ تُرْعَـى عهودُها

[من شعره في تجواله]

أخبرني عبدُ الله بن مالك النحويّ ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : لما ضُرِبَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ ، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه ، واستحيا من الناس للحدّ الذي ضُرِبَه ، فلحِقَ بالشام ، فطالتْ غيبتُه بها ، ثمّ عادَ فمرَّ بنخلٍ كانَ لأهلِه ولأهلِ كأْسٍ ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمرَّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يَصرِمونها[4] ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

مررتُ على خَيماتِ كأسٍ فأسبلتْ ... مدامــعُ عينــي والرياحُ تُميلُها

وفي دارهمْ قومٌ سواهم فأسبلتْ ... دموعٌ من الأجفانِ فاضَ مسيلُها

كذاكَ الليالي ليسَ فيهــا بسالمٍ ... صديقٌ ولا يبقــى عليهـا خَليلُها

وقال وهو بالشام : [من الطويل]

1 ذات الرمس : مكان . الهيج : الريح .

2 قلبه في ل : فلتة .

3 ساق حرّ : ذكر القماري .

4 صرم النخلة : جذّها .

ألا ليتَ شعري هل تغيَّرَ بَعدَنا ... عن العهدِ أم أمْسَى على حالِه نجدُ ؟
وعهدي بنجدٍ منذ عشرينَ حِجَّةً ... ونحنُ بِدُنيا ثَمَّ لم نَلقهَا بعدُ
بـه الخوصَةُ الدهماءُ تحتَ ظلالِها ... رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعدُ[1]

قال : ومرَّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه ، فوقف طويلاً عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخرُ : [من الطويل]

بَلِيتُ كما يَبْلَى الرّداءُ ولا أرَى ... جَناناً ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ[2]
ألوِّي حيازيمي بِهِنَّ صبابةً ... كما تتلوَّى الحيَّةُ المُتَشَرِّقُ[3]

[تموت كأس فيرثيها]

أخبرني عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السّعيديّ : حدّثني سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام ، قال : كان صخر بن الجعد المحاربي خِدْنًا لعوَّام بن عقبة ، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومِه ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمعَ صخرُ بن الجَعْد المرثية ، قال : ودِدتُ أن أعيش حتى تموتَ : كأس ، فأرثيَها ، فماتت كأس ، فقال : [من الطويل]

على أمِّ داودَ السلامُ ورحمةٌ ... من اللهِ يجري كلَّ يوم بشيرُها
غداةَ غد الغادون عنهـا وغُودِرَتْ ... بلمَّاعةِ القِيعان يستنُّ مورُها[4]
وغُيِّبتُ عنهـا يـومَ ذاكَ وليْتَني ... شهِدتُ فيحوي مَنْكِبيَّ سريرُها

ويروى : فيعلو منكبي .

نـزَت كبـدي لمـا أتاني نِعيُّها ... فقلتُ : أدانٍ صدعُها فمُطيرُها ؟

[أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير ، قال : حدثني خالد بن الوضاح قال : قال عَبدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبد الله بن مصعب : سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه : مَنِ الذي يقول : [من الوافر]

ألا يا كأسُ قد أفنيتُ شِعْري ... فلستُ بقائلٍ إلا رجيعا ؟

---

1 الخوص : ورق النخل والمقل والنارجيل . الحوذان : نبات عشبي . النفل : نبت طيب الرائحة أصفر الزهر .
2 جنان ، وذروة : مكانان .
3 الحيزوم : الصدر أو وسطه . الحية المتشرق : التي تحاول الدفء عند شروق الشمس .
4 لمّاعة القيعان : فلاة يلمع السراب أو البرق في قيعانها . يستن : يسرع . المور : الغبار الذي تطير به الريح .

ولم أدرِ لمن الشعر ؟ فقال عبدُ الله بن مصعب : هو لصخرٍ الخُضْرِيِّ ، وأنشدَ باقيَ الأبيات ، وهي :

تُرجِّــي أن تلاقــيَ آلَ كأسٍ كما يرْجو أخو السَّنةِ الربيعا[1]
فلستَ بنائمٍ إلا بحُــزْنٍ ولا مستيقظــاً إلا مَرُوعــا
فإنَّكَ لــو نظــرتَ إذا التقينا إلى كبدي رأيتَ بها صُدوعا

[من شعره حينما ندم على عدم زواجها]

قال ابنُ حبيب في رواية عبد الله بن مالك : لما زُوِّجَتْ كأسٌ جزع صخرُ بن الجعد لما فرط منه وندِم وأسِفَ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

هنيئاً لكأسٍ قطعُها الحبــلَ بعدما عقدْنــا لكأس موثقــاً لا نخونُها
وإشماتُها الأعــداءَ لــمّــا تألَّبوا حــواليَّ واشتدَّت عــليَّ ضُغُونُها
فإن حَراماً أن أخونَــك مادعا بيَلْيَلَ قُمْــرِيُّ الحمــام وجُونُها[2]
وقد أيقَنَت نفسي لقد حِيل دونها ودونكَ لــو يأتــي بيــأسٍ يَقينُها
ولكن أبتْ لا تستفيقُ ولا تَــرى عَــزَاءً ولا مجلودَ صَبْرٍ يُعينُها[3]
لــوَ انَّــا إذ الدّنيــا لنــا مطمئنّةٌ دَحَا ظِلُّها ثم ارجحنَّت غُصونُها[4]
لهونــا ولكنــا بغــرَّة عيشِنا عجبنا لدُنيانــا فكِدنــا نُعينُها
وكنا إذا نحــنُ التقيْنا ومــا نُرى لعينين إلا مــن حجابٍ يَصونُها
أخذنا بأطرافِ الأحاديــث بيننا وأوساطِهــا حتى تُمَــلَّ فنونُها

[تراه كأس في النوم]

قال ابنُ حبيب : أرسلتْ كأسٌ بعد أن زُوِّجَت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم : كأنه يُلبِسُها خماراً ، وأنَّ ذلك جدّد لها شوقاً إليه وصَبابة ، فقال صخر : [من الطويل]

أنائــلُ مــا رؤيا زعمتِ رأيتِها لنا عجَب لــو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

1 السنة : الجدب والمحل .
2 يَلْيَل : اسم موضع . الجون جمع جوناء : وهي الناقة السوداء .
3 مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه .
4 دحا الظلّ : استرخى وامتد . ارجحنّت : تمايلت .

أنائلُ لـولا الودُّ مـا كان بيننا ... نضاً مثل ما ينضو الخضابُ فيخلُقُ[1]

[يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع]

أخبرنا حبيب بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن عبد الله البكري ، قال : قدم صخر بن الجعد الخُضْريّ المدينة ، فأتى تاجراً من تجارها ، يقال له سَيَّارٌ فابتاع منه بُرّاً وعِطراً ، وقال : تأتينا غُدوة فأقضيك ، وركب من تحت ليلته ، فخرج إلى البادية ، فلما أصبح سيَّار سأل عنه ، فعُرف خبرُه ، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه ، حتى أتوا بئرَ مُطَّلِب ، وهي على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحرِّ ، فنزلوا عليها ، فأكلوا تمراً كان معهم ، وأراحوا دوابَّهم وسَقَوْها ، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين ، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد ، فقال : [من البسيط]

أهْـونْ علـيَّ بسيّارٍ وصفوتــه ... إذا جعلـتُ صِـراراً دون سيَّارِ[2]

إن القضاءَ سيأتــي دونــه زمن ... فاطوِ الصّحيفةَ واحفَظهَا من العارِ[3]

يسائلُ الناسَ هـل أحْسَسْتُمُ جَلباً ... محاربيّـاً أتـى مِـن نحـو أظفارِ[4]

ومـا جَلَبْتُ إليهـمْ غيرَ راحلة ... وغيرَ رحـل وسيف جَفنةُ عارِ

ومـا أُريـتُ لهـم إلا لأدفعهم ... عني ويخرجُني نقضي وإمراري[5]

حتى استغاثُوا بأروَى بئرِ مُطّلب ... وقـد تحـرَّق منهـم كلُّ تَمّارِ[6]

وقال أوّلُهم نُصحـاً لآخرهم : ... ألا ارجِعُوا واتركوا الأعرابَ في النارِ

[جاريته تخدعه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابي ، قال : كان الجعد المحاربيّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِف ، وكان يكنى أبا الصَّموت ؛ وكانت له وليدة[7] يقال لها سمحاء[8] ، فقالت له يوماً : يا أبا الصَّموت ، زعم بَنُوكَ أنك إن مِتَّ

1 نضا : نصل .
2 صرار : موضع قرب المدينة .
3 قضاء : قضاء الدين .
4 الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك . أظفار : طائفة من الكواكب .
5 الإمرار : فتل الحبل ونحوه . النقض : ضد الفتل .
6 الأروى : أنثى الوعل . وبئر مطلب : المكان الذي نزل فيه سيار ورفقته .
7 وليدة : جارية .
8 ل : سحماء .

قَتَلُوني ، قال : ولِمَ ؟ قالت : ما لي إليهم ذنب غير حبّي لك ، فأعتَقَها على أن تكونَ معه ، فمكثت يسيراً ، ثم قالت له : يا أبا الصَّمُوت ، هذا عَرابة من أهل المعدِن يَخطُبني ، قال : أين هذا مما قلت لي ؟ قالت : إنَّه ذو مال ، وإنّما أردتُ مالَهُ لك ، قال : فأتني به ، فأتته فزوّجه إياها ، فولدت له أولاداً ، وقوَّتْهُ بما كانت تصيبُه من الجَعْد ، وكانت تأتي الجعدَ في أيّام ، فتخضب رأسه ، ثم قطعته ، فأنشأ الجعْدُ يقول : [من البسيط]

أمْسَى عَرابــةُ ذا مــال وذا ولدٍ ... من مــالِ جَعْدٍ وجعدٌ غيرُ محمودِ
تظــل تُنشِقُــه الكافــورَ متكئــاً ... على السريرِ وتعطينـــي على العُودِ

[من قوله لامرأته]

قال والجَعْدُ هو القائل لامرأته : [من الطويل]

تُعالجنـــي أُمّ الصَّموت كأنّمـــا ... تُدَاوي حِصاناً أوهنَ العظمَ كاسِرُهْ
فـلا تعجبـــي أمَّ الصَّموتِ فإنه ... لكـــلّ جــواد مَعْثَرٌ هــو عاثِرُهْ
وقـــد كنتُ أصطاد الظباءَ مُوَطِّئا ... وأضربُ رأسَ القِرن والرمحُ شاجِرُهْ[1]
فأصبَحتُ مثل العشّ طارَتْ فراخُه ... وغــودر في رأسِ الهشيمةِ سائرُهْ[2]

[أولاده يرثونه حيّاً]

فلما كبر حَمَلَهُ بنوه ، فأتوا به مكة ، وقالوا له : تعبَّدْ ها هنا ، ثم اقتسموا المال ، وتركوا له منه ما يُصلِحُه ، فقال : [من الوافر]

ألا أبلــغْ بنـــي جَعْـــدٍ رسولاً ... وإن حالــتْ جبــالُ الغَوْرِ دُوني
فلـــم أرَ مَعْشَراً تركـــوا أباهُم ... مـــن الآفــاقِ حيـــثُ تركتموني
فــإني والرَّواقِص حـــول جَمْـــعٍ ... ومَحْطِمُهُنّ مــن حَصْبا الحجونِ[3]
لـــو آني ذو مدافعـــةٍ وحـــولي ... كما قـــد كنــت أحيانـــاً كمُوني
إذا لَمَنَعْتُكـــمْ مـــالي ونفسي ... بنصـــلِ السّيـــف أو لقتلتُموني

[يعيا وعبده حاضر البديهة]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قـال : حدَّثنـا الزّبير بن بكّار ، قـال : حدَّثنا محمدُ بن

1 موطئاً : منحدراً . شاجره : داخل فيه مشتبك به .
2 الهشيمة : الشجرة البالية . سائره : باقيه .
3 الرواقص : الإبل التي تحمل الجحيج . جمع : علم على المزدلفة . الحجون : جبل بمعلاة مكة .

عبد الله بن عثمان البكريّ ، عن عروة بن زيد الخضري ، عن أبيه قال : كنتُ في رَكب فيهم صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الخضريين معنا ، ونحن نريد خيبر ، فنزلنا منزلاً تعشّينا فيه ، فهيّجنا إيلَ صخر ، فلمّا ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُز ، ويقول : [من الرجز]

لقـد بعثت حاديا قراصِفا[1]

فردَّده قِطْعاً من الليل لا يُنْفِده ، ولا يقول غيرَه ، ثم قال لنا : إنّي نسيت عِقالا ، فرجع يطلبه في المَتعشَّى ، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز دَرَن ببيت صخر ، وقال : [من الرجز]

لقـد بعثـتُ حاديـاً قُراصِفَا مـن منزلٍ رَحَلْـتُ عنه آنفا
يسوقُ خُوصاً رجَّفاً حواجفا مثلَ القسيّ تقذفُ المقاذفا[2]
حتـى تـرى الرَّباعِيَ العُتارِفا من شدّةِ السيرِ يُزَجّي واجفا[3]

قال : فأدركه صخر ، وهو في ذلك ، فقال له : يا ابن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتاً أعياني ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

صوت

[من الطويل]

إذا سَرَّها أَمرٌ وفيــه مَساءتي قضيْتُ لها فيما تُحِبُّ على نفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي منــه راحةً فأَذكُرَه إلاّ بكيتُ على أَمْسي

الشعر لأبي حفصٍ الشّطرنجيّ ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو .

---

1 قراصفا : مسرعا .
2 خوصاً : جمع خوصاء ، وهي الناقة ونحوها غارت عينها . رجفاً : مهتزة .
3 الرّباعي : من ربعت الإبل : سرحت في المراعي . واجفا : مسرعا .

[462] ـ أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

[نشأته]

أبو حفص : عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العبّاس ، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال ، وكان اسمه اسماً أعجميّاً ، فلمّا نشأ أبو حفص وتأدَّب ، غيَّرهُ وسمّاه عبد العزيز .

أخبرني بذلك عمّي ، عن أحمد بن الطّيب ، عن جماعة من موالي المهديّ .

ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدِهم ، وتأدَّب ، وكان لاعباً بالشِّطرنج مشغوفاً به ، فلُقِّب به لغلَبته عليه .

[انقطاعه إلى عليّة بنت المهديّ]

فلمّا مات المهديّ انقطع إلى عُليّة ، وخرج معها لّما زوِّجت ، وعاد معها لّما عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأُمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء ، فتَنتحِل بعض ذلك ، وتترك بعضه ، وممّا ينسب إليها من شعر . ولها فيه غناء ، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارِها : [من الطويل]

تَحَبَّبْ فإنّ الحــبَّ داعيــةُ الحبّ

وهو صوت مشهور لها .

[يخلعون عليه أحبّ الأوصاف]

حدَّثني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدَّثني أحمد بن الطيب السَّرَخسي قال : حدَّثني الكنديّ ، عن محمد بن الجهم البرمكيّ ، قال : رأيت أبا حفص الشطرنجيّ الشاعر ، فرأيت منه إنساناً يُلهيك حضورُه عن كلّ غائب وتُسليك مجالستُه عن هموم المصائب ، قُرْبُهُ عُرْس ، وحديثُه أُنْس ، جِدُّه لَعِب ، ولَعِبه جد ، ديِّن ماجد ، إن لبستَهُ على ظاهره لبِسْتَ موموقاً لا تملّه ، وإن تتبَّعتَه لتستبطِنَ خبرتَه وقفتَ على مُرُوَّة لا تطير الفواحشُ بجَنباتها ، وكان فيما علمته أقلّ ما فيه الشعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

تَحبَّبْ فإنّ الحُبَّ داعيــةُ الحبِّ ... وكم من بعيدِ الدّار مُسْتَوجِب القُربِ
إذا لم يكن في الحبِّ عَتبٌ ولا رضاً ... فأين حلاوات الرسائل والكُتبِ ؟

تفكَّرْ فإن حُدِّثتَ أنَّ أخا هوًى نجا سالماً فارجُ النّجاة من الكربِ[1]
وأَطيبُ أيّامِ الهوى يومُك الذي تُرَوَّعُ بالتّحريشِ فيه وبالعَتْبِ[2]

قال : وفي هذه الأبيات غناء لعُلَيَّةَ بنتِ المهديّ ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها ، فيقولها ، وتغنّي فيها .

قال وأنشدني لأبي حفص أيضاً : [من الخفيف]

صوت

عَرِّضَنْ للذي تُحِبّ بحبٍّ ثمّ دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ
فلعَلَّ الزّمانَ يُدْنيك منه إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ
صابِرِ الحبَّ لا يُصرِّفْكَ فيه من حبيب تجهُّمٌ وعبوسُ
وأقِلَّ اللَّجاجَ واصبرْ على الجهـ ـدِ فإنَّ الهوى نعيمٌ وبُوسُ

في هذه الأبيات للمَسْدُودِ هزج ذكره لي جحظة وغيرُه عنه .

وأمّا قوله :

تحبَّب فإنّ الحبّ داعية الحبّ

فقد مضت نسبته في أخبار عُلَيَّة .

[مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أبو العبّاس الكاتب قال : كان الرشيد يحبّ ماردةَ جاريتَه ، وكان خلَّفها بالرَّقّة ، فلمّا قدم إلى مدينة السلام اشتاقها ، فكتب إليها : [من المتقارب]

صوت

سلامٌ على النازحِ المغتربْ تحيّةَ صَبٍّ به مكتئبْ
غَزالٌ مراتعُه بالبليخِ إلى دَيْرِ زكّى فقَصرِ الخشبْ
أيا مَنْ أعان على نفسه بتخليفه طائعاً مَنْ أحبْ

---

1 الكرب في ل : الحب .
2 التحريش : الحك والدلك بمشط ونحوه .

سأستر والسَّترُ مــن شيمتي هوى مَن أُحِبُّ بمَنْ لا أُحِبْ

فلمّا ورد كتابُه عليها أمرت أبا حفص الشِّطرنجيّ صاحب عُلَيَّة ، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات ، فقال : [من المتقارب]

أتــاني كتابُــك يــا سيِّدي وفيــه العجائــبُ كلّ العجَبْ
أتزعــمُ أنّــك لي عاشقٌ وأنّــك بــي مُستهامٌ وصبّ
فلــو كان هــذا كذا لم تكنْ لتتركنــي نُهْــزَةً للكُرَبْ
وأنــتَ ببغدادَ ترعــى بهــا نبــاتَ اللَّذاذةِ مَـعْ مَنْ تُحِبّ
فيــا مَــن جفاني ولم أجفُه ويا مَن شجاني بما في الكتبْ
كتابُك قــد زادني صَبــوةً وأسْعَرَ قلبــي بحَــرّ اللّهبْ
فهَبني نَعَمْ قـد كتمتُ الهوى فكيف بكتمانِ دَمْعٍ سَرَبْ
ولــولا اتّقــاؤك يــا سيِّدي لوافتك بي النّاجيات النُّجُبْ[1]

فلمّا قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حَدَرَها[2] إلى بغداد في الفرات ، وأمر المغنِّين جميعاً ، فغنَّوْا في شعره .

قال الأصفهانيّ : فمِمَّن غنَّى فيه إبراهيم الموصليّ ؛ غنَّى فيه لحنَيْنِ ، أحدهما ماخوريّ ، والآخر ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وغنّى يحيى بن سعد بن بكر بن صَغِير العين فيه رملاً . ولابن جامع فيه رمل بالبنصر ، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى ، وللمعلّى خفيف رمل بالوسطى ، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى ، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر ، هذه الحكايات كلّها عن الهشاميّ ، وقال : كان المختار من هذه الألحان كلّها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم .

[يصلح بين الرشيد وعليّة بشعره]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : حدَّثنـي محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدَّثني جماعة من كتّاب السلطان : أنَّ الرشيد غضب على عُلَيَّة بنت المهديّ ، فأمرت أبا حفص الشِّطرنجيَّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد ، ويسأله الرضا عنها ، فيستعطفه لها فقال : [من البسيط]

1 الناجيات النُّجب : الإبل الأصيلة المسرعة .
2 حدر الشيء : دحرجه من علو إلى أسفل .

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحِبَه من أَن يكونَ له ذنبٌ إلى أَحدِ
كانت عُلَيَّـةُ أَبـرا الناس كلِّهمُ من أَن تُكافا بسوءٍ آخـرَ الأَبدِ[1]
ما لي إذا غِبتُ لم أُذكَـر بواحدةٍ وإن سَقِمْتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه قد كنتُ أَحسبُ أَنّي قد ملأتُ يدي

فأتاها بالأبيات ، فاستَحسَنتها ، وغنَّت فيها ، وألقَت الغناء على جماعة من جواري الرشيد ، فغنَّيْنَه إيّاه في أوّل مجلس جلس فيه معهن ، فطرِبَ طرباً شديداً ، وسألهن عن القصّة ، فأخبرنه بها ، فبعث إليها ، فحضرت ، فقبَّل رأسَها ، واعتذرت ، فقَبِل عُذرَها ، وسألها إعادةَ الصوت ، فأعادته عليه ، فبكى ، وقال : لا جرم أنّي لا أَغضب أبداً عليك ما عشت .

[بيتان في دنانير بمائتي دينار]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى ، عن عمرو بن بانة ، قال : دخل أبو حفص الشِّطرنجيّ على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقي على دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبي حفص : قُل في دنانير بيتين يغنّي فيهما ابنُ جامع ، ولك بكلّ بيت مائة دينار إن جاءت كما أُريد ، فقال أبو حفص : [من السريع]

صوت

أَشبَهكِ المسكُ وأَشبهتِه قائمـةً في لونـه قاعدَهْ
لا شكَّ إذْ لونُكما واحدٌ أَنّكما مـن طينةٍ واحدَهْ

قال : فأَمر له يحيى بمائة دينار ، وغنّى فيهما ابنُ جامع .

قال الأصفهانيّ : لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج .

[صديق حميم لأسرة الخليفة]

أَخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان أَبو حفص الشِّطرنجيّ ينادم أَبا عيسى بنَ الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأُخته ، وكذلك بعُليَّة عمّتهم .

---

1 أبرا : من البراءة .

[يُعاتب عيسى بن الرشيد]

وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأْنسون به ، فمرض ، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه : [من الطويل]

إخاءُ أبي عيسى إخاءُ ابنِ ضَرَّةٍ ووُدِّيَ وُدٌّ لابـنِ أُمٍّ ووالـدِ
ألَـم يأْتِـه أنّ التـأدّبَ نِسبةٌ تلاصق أهـواءَ الرّجـالِ الأباعدِ
فَما بالُـه مُستعذباً مـن جفائِنا مـواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ
أقمتُ ثلاثـاً حِلْفَ حُمًّى مُضِرَّةٍ فلم أَرَه في أهـلِ ودِّي وعائدي
سلامٌ هـي الدُّنيـا قروضٌ وإنّما أخوك مُديمُ الوصلِ عند الشدائدِ

[بيتان ليسا له]

حدَّثني جعفر بن الحسين ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : حدَّثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجيّ : قال : قال لي الرشيد يوماً : يا حبيبي ، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قلتَهما ، قلت : ما هما يا سيِّدي ؟ فمِنْ شرفهما استحسانُك لهما ، فقال : قولك : [من الكامل]

صوت

لم أَلْقَ ذا شَجَنٍ يبوح بحُبِّـه إلاّ حَسِبْتُـكِ ذلـك المحبوبا
حذراً عليكِ وإنّني بكِ واثقٌ ألاّ ينـالَ سوايَ منـكِ نصيبا

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ليسا لي ، هما للعبّاس بن الأحنف ، فقال : صِدْقُك والله أعجبُ إليَّ ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول : [من الطويل]

إذا سرَّها أمرٌ وفيـه مساءَتي قضيْتُ لها فيما تريدُ على نَفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيـه راحةً فأذْكُرَه إلاّ بكيتُ على أمْسي

في البيتين الأوّلين اللذين للعبّاس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصليّ ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشاميّ ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس .

[ينعى نفسه قبل أن يموت]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسين بن يحيى ، قال ، حدَّثني عبد الله بن الفضل ، قال : دخلت على أبي حفص الشّطرنجيّ شاعِرِ عُلَيّة بنتِ المهديّ أعوده في عِلّته التي مات فيها ، قال : فجلست عنده فأنشدني لنفسه : [من المتقارب]

صوت

نَعى لك ظلَّ الشَّبابِ المشيبُ ونادَتك باسمٍ سِواكَ الخطوبُ
فكُن مستعِدّاً لداعـي الفنـاء فـإنّ الذي هـو آتٍ قريبُ
ألسنا نـرى شهواتِ النفـو س تَفْنى وتبقى عليها الذنوبُ
وقبلَك داوى المريضَ الطبيبُ فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
يخافُ على نفسِهِ مَـن يتوبُ فكيف ترى حال مَن لا يتوبُ ؟

غنَّى في الأوّل والثاني إبراهيم هزجا .

انقضت أخباره .

صوت

[من الهزج]

أبـى لَيْـلِيَ أن يذهبْ ونيطَ الطرْفُ بالكوكبْ
ونجـمٍ دونـه النَّسرا نِ بين الدَّلْـوِ والعقَربْ[1]
وهـذا الصُّبحُ لا يأتـي ولا يدنـو ولا يَقـرُبْ

الشعر لأُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى .

[تسرق لحن إسحاق وهو سكران]

أُخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحويّ ، قالا : حدَّثنا محمد بن حمّاد ، قال : التقيتُ مع دِمَنَ جارية إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً ، فقلت لها : أسمعيني شيئاً أخذتِه من إسحاق ، فقالت : والله ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتاً قطّ ولا ألقى علينا شيئاً قطّ وإنّما كان يأمر مَن أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويَه ووجه القرعة الخزاعيّ وجواري الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون من أغانيهم ، وأمّا عنه فما أخذت شيئاً قطّ إلاّ ليلة ، فإنّه انصرف من عند المعتصم ، وهو سكران ، فقال للخادم القيِّم على حُرَمه : جئني بدِمَن ، فجاءَني الخادم ، فدَعاني ، فخرجت معه ، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه ، وهو يصنع في هذا الشعر : [من الهزج]

أبـى لَيْـلِيَ أن يَذْهَبْ ونِيط الطَّرْفُ بالكوكَبْ

---

1 النسران : مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية .

وهو يتزايد فيه ، ويقومه ، حتى استوى له ، ثم قام إلى عُودٍ مصلَح معلَّق كان يكون في بيت منامه ، فأخذه ، فغنَّى الصوت ، حتى صحَّ له ، واستقام عليه ، وأخذته عنه ، فلمّا فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقلت : هو ذا أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أنتِ هاهنا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدِك ، فقال : خذي العود ، فغنّيه ، فأخذته ، فغنَّيته ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً ، ثمّ قال : قد بقي عليك فيه شيء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقلت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلِحه لنفسك ، فاضطجع في فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أيّاماً إذا رآني قطّب وجهه .

وهذا الشعر تقوله أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به مَن قُتِلَ في حروب الفِجار [1] من قريش .

1 الفِجار : جمع فجرة ، وإنّما سمّيت بذلك لأنّها كانت في الأشهر الحرم ، ولأن قيساً لما انهزمت فيه قالت : «قد فجرنا» .

[463] ـ ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أُميمة بنت عبد شمس

[نسب أميمة]

أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأمّها تفخَرْ بنت عبيد بن رواس بن كلاب ، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرّة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلميّ ، فولدت له أُميّةَ بنَ حارثة .

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات ، ولم يكن لقريش في أوّلها مدخل ، ثم التحقتْ بها .

فأمّا الفِجار الأوّل فكانت الحرب فيه ثلاثة أيّام ، ولم تسمَّ باسم لشهرتها .

وأمّا الفِجار الثاني فإنّه كان أعظمهما ؛ لأنّهم استحلوا فيه الحرم ، وكانت أيّامه يوم نخلة ، وهو الذي لم يشهده رسول الله ﷺ منها ، وشهد سائرها ، وكان الرؤساء فيه حربَ بن أُميّة في القلب ، وعبدَ الله بن جُدْعان ، وهشام بن المُغيرة في المَجْنَبَتَيْن ثم يوم شمطة ، ثم يوم العبلاء ، ثم يوم عكاظ ، ثم يوم الحرة .

[ما الذي أدى إلى حرب الفجار]

قال أبو عبيدة : كان أوّل أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغِفاريّ أحد بني غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بِمَنَعَته على مَن ورد عكاظ ، فاتّخذ مجلساً بسوق عكاظ ، وقعد فيه وجعل يَبذخ[1] على الناس ويقول : [من الرجز]

نحن بنو مدركةَ بنِ خِنْدِف مَن يطعنوا في عينه لا يَطْرِفِ[2]
ومَنْ يكونوا قومَه يُغطرِف كأنّهم لُجَّةُ بحرٍ مُسدِفِ[3]

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه ، يقول أنا أعزّ العرب ، فمن زعم أنّه أعزُّ منّي فليضرب هذه بالسيف ، فهو أعزّ منّي ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة ، فضربه بالسيف على ركبته ، فأنْدَرَها[4] ، ثم قال : خذها إليك

1 يبذخ : يفخر ويغالي في فخره .
2 لا يطرف : من طرف البصر : تحرك جفناه .
3 يغطرف : من الغطرفة بمعنى التيه والخيلا . مسدف : مظلم .
4 أندرها : فصلها .

إيّها المخندِف ، وهو ماسك سيفه ، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ ، فقال : [من الرجز]

أَنا ابنُ هَمْدانَ ذوي التَّغطرفِ بحرُ بحورٍ زاخرٌ لم يُنْزَفِ
نحنُ ضربنا ركبةَ المخندِف إذ مدَّها في أَشهرِ المُعَرَّفِ[1]

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها .

[اليوم الثاني من أيّام الفجار الأوّل]

ثم كان اليوم الثاني من أيّام الفِجار الأوّل ، وكان السبب في ذلك أنّ شباباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام ، فرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمةً ، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فُضُل[2] عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب ، وهي تحدّثهم ، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش ، فأطافوا بها ، وسألوها أَن تُسفِر فأَبت ، فقام أَحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف ردائها ، وشدَّهُ إلى فوق حُجْزَتها[3] بشوكة ، وهي لا تعلم ، فلمّا قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعتِنا النظر إلى وجهكِ ، وجُدْتِ لنا بالنظرِ إلى دبركِ ، فنادَتْ يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسّط حربُ بنُ أُميّة ، واحتمل دماء القوم ، وأرْضَى بني عامر من مَثُلَةِ صاحبتهم .

[اليوم الثالث من أيّام الفجار الأوّل]

ثم كان اليوم الثالث من الفِجار الأوّل ، وكان سبَبَه أنّه كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هوازنَ دَيْن على رجل من بني كنانة فلواه[4] به ، وطال اقتضاؤه إيّاه ، فلم يُعطِه شيئاً ، فلمّا أَعياه ، وافاه الجشميّ في سوق عكاظ بِقِرْدٍ ، ثم جعل ينادي : مَن يبيعني مثل هذا الرُّبّاح[5] بما لِيَ على فلان بن فلان الكنانيّ ؟ مَن يعطيني مثل هذا بما لِيَ على فلان بن فلان الكناني ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلمّا طال نداؤه بذلك وتعييرُه به كنانةَ مرَّ به رجل منهم ، فضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشميّ : يا آل هوازنَ ، وهتف الكناني : يا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلَى ، ثم كفوا : وقالوا : أفي رُبّاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ، وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك في ماله بين الفريقين .

1 في أشهر المعرف : في أشهر الوقوف بعرفات .
2 فضل : امرأة فُضُل أي مختالة تُسبل من طرف ردائها .
3 الحجزة : معقد تكة السراويل .
4 لواه : ماطله .
5 الرُّباح : الذكر من القرود .

[اليوم الأوّل من أيّام الفجار الثاني]

قال : ثم كان يوم الفِجار الثاني ، وأوّل يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبيّ ﷺ ستّ وعشرون سنة ، وشهد النبي ﷺ ذلك اليوم مع قومه ، وله أربعَ عشرةَ سنةً ، وكان يناول عمومتَه النَّبل ، هذا قول أبي عبيدة . وقال غيره : بل شهِدَها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

قال أبو عبيدة : كان الذي هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخرَ ، أنّ البراض بن قيس بن رافع ، أحدَ بني ضَمرةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكِّيراً فاسقاً ، خلعه قومُه ، وتبرءوا منه فشرب في بني الدِّيل ، فخلعوه ، فأتى مكّة ، وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أُميّة ، فحالفه فأحسن حربٌ جِواره ، وشرب بمكّة ، حتى همَّ حربٌ أن يخلعَه ، فقال لحرب : إنّه لم يبق أحد ، ممّن يعرفني إلاّ خلعني سواك ، وإنّك إن خلعتني لم ينظر إليَّ أحد بعدك ، فدَعني على حِلْفِك ، وأنا خارج عنك ، فتركه ، وخرج ، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

[لطيمة النعمان]

وكان النُّعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة[1] يُجيزُها له سيِّدُ مُضر ، فتباع ، ويُشترى له بثمنها الأدَمُ والحريرُ والوِكاءُ والحِذاءُ والبُرودُ من العَصب[2] والوشي والمُسيَّر[3] والعَدَني ، وكانت سوق عكاظ في أوّل ذي القعدة ، فلا تزال قائمة يُباع فيها ويُشترى إلى حضور الحجّ ، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النُّعمان لطيمة له ، وقال : مَن يجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أُجيزها على بني كِنانة ، فقال النُّعمان : إنّما أُريد رجلاً يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذٍ رجل من هوازن : أنا أجيزها ـ أبيت اللعن ـ فقال له البرّاض : مِنْ بني كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى النّاس جميعاً أفكلْبٌ خليع يجيزها !

[البراض يقتل عروة]

قال : ثم شخص بها ، وشخص البرّاض ، وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ، حتى إذا كان بين ظهْرَيْ غطفان إلى جانب فَدَك ، بأرض يقال لها أُوارةُ قريب من الوادي الذي يقال له تَيْمَنٌ نام عروة في ظلّ شجرة ، ووجد البرّاضُ غفلتَه ، فقتله وهرب في عضاريط[4] الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض في ذلك : [من الوافر]

1 اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .

2 قد يكون العصب من الخرز في القلادة ، أو البرود اليمانية .

3 المُسيّر : ثوب به خطوط من القزّ والحرير ونحو ذلك .

4 العضاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .

وداهيـةٍ يُهـال الناسُ منهـا شددتُ لها بني بكر ضلوعي
هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب وأرضعتُ المـوالي بالضروعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ أفلّ فَخرَّ كالجِـذْع الصَّريعِ[1]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

نقَمْتُ على المرء الكلابيّ فخرَه وكنت قديمـاً لا أُقِرُّ فَخارا
علوتُ بحدّ السيف مفرِقَ رأسه فأسمع أهــلَ الواديين خُوارا

قال : وأُمُّ عروة الرّحال نُفَيْرَةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْكِ بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحضّ على الطلب بدمه : [من الوافر]

فأبلغْ إن عرضتَ بنـي نُمَيْرٍ وأخـوالَ القتيـلِ بنـي هِلالِ
بأنَّ الوافدَ الرحَّـال أَضحى مقيماً عنـد تَيْمَنَ ذي الظِّلالِ

قال أبو عبيدة : فحدَّثني أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقي البرّاضُ بشرَ بن أبي خازم ، فقال له : هذه القلائِص لك على أن تأتي حربَ بن أُميّة وعبد الله بن جُدْعانَ وهِشاماً والوليد ابني المغيرة ، فتخبرَهـم أنّ البرّاض قتل عروة ، فإنِّي أخـاف أن يسبق الخبرُ إلى قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وَما يؤمِنّك أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طرِيداً من بني ضَمْرَةَ ، قال : ومرّ بهما الحُلَيْس بنُ يزيدَ أحدُ بني الحارث بن عبد مناةَ بن كِنانة ، وهو يومئذٍ سيدُ الأحابيش من بني كنانة . والأحابيشُ من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نُفاثة بن الدِّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أثيـع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل بن دَمَس بن محلِّم بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة ، فقال لهم الحليس : ما لي أراكم نَجِيّاً[2] ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكتموا الخبر على اتّفاق منهم .

[وفاء ابن جدعان]

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجّهم ثم يردَّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيّداً حكيماً مثرياً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ ، وأخبروا حربَ بن أُميّة وهشاماً والوليد ابنَي المغيرة ، فجـاء حـرب إلى عبد الله بن جُدْعان ، فقـال لـه : احتبس قِبلَك سلاح

1 أفل : به فلول من كثرة الصراع .
2 نجيّاً : من النجوى أي متناجين .

هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أَبِالْغَدْر تأمرني يا حرب ؟ والله لو أعلم أنّه لا يبقى منها سيفٌ إلاّ ضُرِبتُ به ، ولا رمحٌ إلاّ طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدعان في النّاس مَن كان له قِبَلي سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أسلحتهم .

[عدم جدوى خداع هوازن]

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أُميَّة وهشامٌ والوليدُ إلى أَبي بَراء : إنّه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خِفنا تفاقم الأمر ، فلا تُنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكّة ، فلمّا كان آخرَ النهار بلغ أبا بَراء قتلُ البراض عُرْوَة ، فقال : خدعني حربٌ وابنُ جُدعان ، وركب فيمَن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم ، وجنّ عليهم الليل ، فكفّوا ، ونادى الأَدْرَمُ بن شعيب ، أحدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حربُ بن أُميَّة في القلب ، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين ، وهشامُ بنُ المغيرة في الأُخرى ، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك ، ملاعبُ الأسِنَّة على بني عامر ، وكدّامُ بن عُمَير على فَهم وعدوان ، ومسعودُ بن سهم على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية ، والصِّمّةُ بن الحارث ، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصِّمّة على بني جُشم ، وكانت الراية مع حرب بن أُميَّة ، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب .

[ما قاله خداش بن زهير في هذه الحرب]

فقال في ذلك خِداشُ بن زهير : [من البسيط]

يـا شَدَّةً مـا شددْنا غيرَ كاذبةٍ ... على سَخينةَ لـولا الليلُ والحرَم[1]
إذ يَتَّقِينـا هشامٌ بالوليـد ولـو ... أنَّا ثَقِفنـا هشاماً شالت الخَدَم[2]
بين الأَراكِ وبين المـرج تبطحُهم ... زُرقُ الأَسِنَّة في أَطرافها السُّهُمُ[3]
فإن سمعتم بجيش سالـكٍ سَرِفاً ... وبطَن مُرّ فأخفوا الجرس واكْتَتِمُوا[4]

[عبد الملك يستنشد شعر خداش]

وزعموا أنّ عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد عن

1 الشدّة : يريد بها الهجوم . سخينة : لقب يطلق على قريش ، وهو في الأصل طعام كانت تتخذه .
2 هشام : هشام بن المغيرة ، والوليد : أخوه . شالت : ارتفعت . الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلعة المحكمة .
3 السُّهُم : الحرارة الغالبة .
4 سرف ، وبطن مر : مكانان .

قوله : «سخينة» ، فقال عبد الملك : إنّا قوم لم يزل يعجبنا السُّخْن ، فهات ، فلمّا فرغ قال : يا أخا قيس ، ما أرى صاحبَك زاد على التمنّي والاستنشاء .

[البراض يقدم باللطيمة]

قال : وقَدِمَ البرّاض باللطيمة مكّةَ ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوَّح بن يعمُرَ الكِنانيُّ نازلاً في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمت بنو كلاب بقتله ، فمنعته بنو نمير ، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه ، واستَغْوَتْ[1] كنانةُ بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم ، فلم تغثهم ، ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحيَّين .

[اليوم الثاني من الفجار الثاني]

ثم كان اليوم الثاني من الفِجار الثاني ؛ وهو يوم شمطة ، فتجمّعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة ، والأحابيش ، وأعطت قريشٌ رُؤوسَ القبائل أسلحةً تامة وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامّة وأداة ، وجَمَعَتْ هوازن ، وخرجت ، فلم تخرج معهم كلابٌ ولا كعبٌ ، ولا شهد هذان البطنان من أيّام الفِجار إلاّ يومَ نخلة مع أبي براء عامرِ بن مالك ، وكان القوم جميعاً متساندين ، على كلّ قبيلة سيِّدُهم .

[قوّاد قريش ومَن معهم]

فكان على بني هاشم وبني المطَّلب ولَفِّهِم[2] الزُّبيرُ بن عبد المطَّلب ، ومعهم النبيّ ﷺ ، إلاّ أنّ بني المطَّلب ، وإن كانوا مع بني هاشم ، كان يرأسهم الزُّبير بن عبد المطَّلب بن هاشم ورجل منهم ، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مناف ، وأُمّ الزُّبير الشَّفَّاء بنت هاشم بن عبد مناف ، وكان على بني عبد شمس ولِفِّها حربُ بن أُميّة ومعه أخواه أبو سُفيان وسفيان ، ومعهم بنو نوفلٍ بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب مُطعمُ بن عديّ بن نوفل ، وكان على بني عبد الدار ولِفِّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث ، وكان على بني زُهرةَ ولفّها مَخْرمةُ بنُ نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان ، وكان على بني تيم بن مرة ولِفِّها عبدُ الله بنُ جُدْعان ، وعلى بني مخزوم هشامُ بن المغيرة ، وعلى بني سَهمٍ العاصي بن وائل ، وعلى بني جُمَح ولِفِّها أُميّةُ بن خلف ، وعلى بني عديٍّ زيدُ بن عمرو بن نفيل ، والخطابُ بن نفيل عمّه ، وعلى بني عامر بن لؤيّ عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو سَهْلٍ بن عمرو ، وعلى بني الحارث بن فِهْر عبدُ الله بن الجَرّاح أبو أبي عبيدة عامر بن

1 استغوت كنانة بني أسد : أغوتهم بجرهم إلى الحرب .

2 اللف : الجماعة والأخلاط من الناس .

عبد الله بن الجرّاح ، وعلى بني بكر بَلْعاءُ بن قيس ، ومات في تلك الأيّام ، وكان جثّامة بن قيس أخوه مكانَه ، وعلى الأحابيش الحُلَيسُ بن يزيد .

[قوّاد هوازن ومَن معهم]

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطيةُ بن عفيف النَّصْريّ على بني نصر بن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أسماء بن الضَّريبة ، وكان الخُنيسق الجشميّ على بني جُشم وسعدِ ابنَي بكر ، وكان وهب بن مُعَتِّب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمةُ بن إسماعيل : أحد بني البكّاء ، ومعه خالد بن هوذَةَ : أحدُ بني الحارث بن ربيعة ، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نُهيْك بن هلال بن عامر .

[هوازن تسبق قريشاً وترجح كفّتها]

قال : فسبقت هوازنُ قريشاً ، فنزلت شَمْطَةَ من عكاظ ، وظنّوا أن كنانة لم توافهم ، وأقبلت قريش ، فنزلت من دون المسيل ، وجعل حربٌ بني كنانة في بطن الوادي ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أُبيحت[1] قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أبو عبيدة : فحدّثني أبو عمرو بنُ العلاء : قال : كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين ، وفي الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب في القَلْب ، وكانت الدائرة في أوّل النهار لكنانة ، فلمّا كان آخر النّهار تداعت هوازن ، وصبروا واستَحرَّ القتل في قريش ، فلمّا رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة ، وهم في بطن الوادي ، مالوا إلى قريش ، وتركوا مكانهم ، فلمّا استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه : ألحقوا برَخَم ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس .

[الرسول ﷺ يحضر هذه الحرب]

وكان رسول الله ﷺ لا يصير في فئة إلاّ انهزم مَن يحاذيها ، فقال حرب بن أُميّة وعبد الله بن جُدعان : ألا ترون إلى هذا الغلام ما يَحمِل على فئة إلاّ انهزمت ؟

[شعر خداش في المعركة]

وفي ذلك يقول خِداشُ بن زهير في كلمة له : [من الوافر]

فأبلغ إن عرضْتَ بنا هِشاماً ... وعبدَ الله أبلغْ والوَلِيدا
أولئكَ إن يكن في الناسِ خيرٌ ... فإن لديهمُ حَسَباً وجُودا

1 ولو أبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .

هـــمُ خير المعاشرِ من قريشٍ وأَوْراها إذا قُدِحـــت زنودا
بأنّا يـــومَ شَمطةَ قـــد أُقمنا عمودَ المجدِ إنَّ لـــه عمودا
جلَبنا الخيـــلَ ساهمـــةً إليهم عوابسَ يَدَّرِعْـــنَ النقَع قودا[1]
فبِتنا نعقِـــدُ السِّيما وباتـــوا وقلنا : صبِّحوا الأُنسَ الحديدا[2]
فجـاؤوا عارضاً بَـــرِداً وجئنا كما أضرمتَ في الغاب الوقودا
ونادوا : يـــا لعمرٍو لا تفِـــرّوا فقلنا : لا فِـــرارَ ولا صُدُودا

قوله : نعقد السِّيما أي العلامات .

فَعاركْنا الكُمـــاةَ وعاركونـــا عِراكَ النُّمْر عاركتِ الأسودا
فولَّوْا نضْربُ الهامـــاتِ منهم بما انتهكوا المحارِمَ والحُدودا
تركنا بطنَ شَمْطَةَ مـــن علاءٍ كأَنَّ خلالهـــا معَـــزًا شريدا
ولم أَرَ مثلَهـــم هزِموا وفُـــلُّوا ولا كذِيادِنَـــا عَنَقـــاً مذودا[3]

قوله : يا لعمرو ، يعني عمرَو بن عامرِ بنِ ربيعة بنِ عامرِ بن صعصعة .

[اليوم الثالث يوم العبلاء]

ثم كان اليوم الثالث من أيّام الفِجار ، وهو يوم العَبْلاء ، فجمع القوم بَعضُهم لبعض ، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعَبْلاء ، وهو موضع قريب من عكاظ ، ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليه يوم شَمْطَةَ ، وكذلك مَنْ كان على المجنَبتين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت كنانة .

[شعر خداش في المعركة أيضاً]

فقال خداشُ بن زهير في ذلك : [من الوافر]

أَلم يَبلغْـــك بالعبـــلاء أَنّـــا ضَرَبْنا خِنْدِفاً حتى استقادوا[4]
نُبَنِّـــي بـــالمنازل عِـــزَّ قيسٍ وودُّوا لـــو تَسِيخُ بنا البلادُ[5]

وقال أيضاً : [من الوافر]

1 ساهِمة : ضامرة . قودا : جمع أقود ، وهو السلس القياد ، أو الطويل العنق والظهر .
2 صَبِّحوا القوم الحديد : أي عاجلوهم بالحديد بدل شرب اللبن أو الخمر .
3 العنق : الجماعة من الناس .
4 استقادوا : انقادوا وخضعوا .
5 تسيخ : تخسف .

أَلَم يبلغْكَ مـا لاقَتْ قريشٌ   وحيٌّ بنـي كنانة إذ أُثيرُوا
دهمناهـم بأرعَـنَ مكفهـرٍّ   فظـلَّ بنـا بعَقْوَتِهم زئيرُ[1]
نقـوِّمُ مـارِنَ الخطِّيّ فيهم   يجـيء على أسنّتِنا الخريرُ[2]

[اليوم الرابع يوم عكاظ]

ثم كان اليوم الرابع من أيّامهم ، يوم عُكاظَ ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول ، وفيه جمع بعضُهم لبعض ، واحتشدوا ، والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذٍ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير .

[العنابس من أولاد أميّة]

وخَشِيت قريش أن يجرَى عليها مثلُ ما جَرى يومَ العَبْلاء ، فقيّد حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان بنو أُميّة بنِ عبد شمس أنفسهم ، وقالوا : لا نبرح حتى نموتَ مكاننا ، وعلى أبي سفيان يومئذٍ دِرعانِ قد ظاهر بينهما[3] ، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان بن أُميّة خاصة قيَّد نفسه ، فسُمِّي هؤلاء الثلاثةُ يومئذٍ : العَنابس ، وهي الأُسودُ واحدها عَنْبَسةُ ، فاقتتل النّاس يومئذٍ قتالاً شديداً ، وثَبَت الفريقان ، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناةَ وسائرُ بطون كنانة بالهرب ، وكانت بنو مخزوم تَلي كِنانة ، فحافظت حِفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذٍ بَنُو المغيرة ، فإنّهم صَبَرُوا ، وأبلَوْا بلاءً حسناً ، فلمّا رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا[4] فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول : [من المنسرح]

إنَّ عُكاظَ مأوانـا فخلُّوهْ   وذا المجاز بعد أن تَحُلُّوهْ[5]

[مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش]

وخرج الحُلَيسُ بن يزيد : أُحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو رئيس الأحابيش يومئذٍ ، فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصريّ ، فطعنه الحدثان ، فدقّ عضده وتحاجزا .

[الدائرة تدور على قيس]

واقتتل القوم قتالاً شديداً ، وحَمَلت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كلّ وجه ، فانهزمت

1 جيش أرعن : عظيم جرار . العقوة : المكان المنفسح أمام المحلة .
2 مارن الخطّيّ : الرماح اللدنة . الخرير : خرير الدم المنبثق من الطعنة .
3 ظاهر بينها : جعل كلاًّ منهما مقوية للأخرى .
4 تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .
5 عكاظ وذو المجاز : مكانان مشهوران في الجاهلية .

قيسٌ كلّها إلاّ بني نصر فإنّهم صبروا ، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان ، فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا ، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبي ربيعةَ ، أحدُ بني دُهْمان ، فعقَل نفسه ونادى : يا آل هَوازن ، يا آل هَوازن ، يا آل نصر ! فلم يعرج عليه أحد ، وأجفلوا منهزمين ، فكرّ بنو أُميّة خاصة في بني دُهمان ومعهم الخُنيسِقُ وقشعة الجشميّانِ ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا .

[من المستجير بخباء سبيعة]

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفيّ قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتِ عبد شمس بن عبد مناف خِباء ، وقال لها : مَنْ دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت تُوصِل في خبائها ، ليتّسع ، فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك فإنّي لا أمضي لك إلاّ مَن أحاط به الخباء ، فأحْفَظَها[1] فقالت : أما والله إنّي لأظنّ أنّك ستودّ أن لو زدتُ في توسعته ، فلمّا انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أُميّة جيرانها ، وقال لها : يا عمّة ، مَن تمسّك بأطناب خبائك ، أو دار حولَه فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها ، حتى كثروا جدّاً ، فلم يبقَ أحد لا نجاة عنده إلاّ دار بخبائها فَقِيلَ لذلك الموضع : مَدارُ قيس ، وكان يُضرب به المثلُ ، فتغضب قيس منه ، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو من ثقيف ، قد أخرج معه يومئذٍ بنيه من سُبَيعة ، وهم عروة ولوجة ، ونُوَيْرَة ، والأسود ، فكانوا يدورون ، وهم غلمان ، في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمّهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمّهم أن يفعلوا .

[رواية أخرى لخبر خباء سبيعة]

فأخبرني الحِرْميّ والطوسيّ : قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن المحرز بن جعفر وغيره : أنّ كنانة وقيساً لما تَوافَوْا من العام المُقْبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعةَ بنت عبد شمس أُمّ بنيه خِباءً ، فرآها تبكي حين تدانى النّاس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما يُصاب غداً من قومي ، فقال لها : مَن دخل خباءك فهو آمن ، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَة والشيء ليتّسع ، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلاّ ربطتُ به رجُلاً من بني كنانة ، فلمّا صُفَّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها : إنّ وهباً يأتلي ويحلف ألاّ يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلاّ ربط به رجلاً من كنانة ، فالجِدّ الجِدّ ، فلمّا هُزِمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حَربُ بن أُميّة .

---

1 أحفظها : أغضبها ، وأوغر صدرها .

[قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أميّة]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : لمّا هُزِمت قيس لجأت إلى خباء سُبَيْعة ، حتى أخرجوها منه ، فخرجت ، فنادت : مَن تعلَّق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمّتي ، فداروا بخبائها ، حتى صاروا حلقة ، فأمضى ذلك كلَّه حربُ بن أميّة لعمّته ، فكان يضرب في الجاهليّة بمدار قيس المثل ، ويُعيّرُون بمدارهم يومئذٍ بخباء سُبَيْعة بنت عبد شمس ، قال :

[شاعران يتحدّثان عن الموقعة]

وقال ضرار بن الخطّاب الفهريّ قوله[1] : [من المتقارب]

ألَم تسألِ الناسَ عن شأننا ... ولم يُثبتِ الأمـرَ كالخابرِ
غداةَ عُكاظ إذ استكملَتْ ... هوازنُ في كفِّهـا الحاضرِ
وجـاءَتْ سُلَيمٌ تَهزّ القَنا ... على كلِّ سَلْهَبـةٍ ضامرِ[2]
وجئنا إليهم على المضمراتِ ... بأرْعَـنَ ذي لَجبٍ زاخِرِ[3]
فلمّـا التقينـا أذقناهـمُ ... طِعاناً بِسُمْرِ القنـا العائرِ[4]
ففـرّت سُلَيمٌ ولم يصبروا ... وطارت شَعاعاً بنو عامرِ[5]
وفـرت ثقيفٌ إلى لاتِها ... بمُنقَلب الخائبِ الخاسرِ[6]
وقاتلت العَنْسُ شَطْرَ النها ... رِ ثم تولّـت مع الصادرِ[7]
على أنّ دُهمانَهـا حافظت ... أخيراً لـدى دارةِ الدائرِ

وقال خِداشُ بن زُهير : [من الطويل]

أتتنـا قريش حافلـينَ بجمعهم ... عليهم مـن الرحمنِ واقٍ وناصرُ
فلمّا دنونـا للقِبـابِ وأهلِهـا ... أُتيـحَ لنا ريبٌ مع الليل ناجرُ[8]

1 ديوانه : 63 ، طبعة دار صادر ، 1996 .
2 السلهبة من الخيل : العظيم الطويل العظام .
3 جيش أرعن : عظيم جرّار .
4 العائر : الذي يصيب العين بالعور .
5 الشعاع : المتفرق المنتشر .
6 إلى لاتها : أي إلى اللات الصنم المعبود .
7 العنس : إحدى القبائل .
8 ناجر : شديد الحرارة .

أُتيحت لنا بكرٌ وحول لوائها كتائبُ يخشاها العزيزُ المكاثرُ
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ كأنّهمُ بالمشرفيّة سامرُ
وما برحت خيلٌ تثورُ وتُدَّعى ويَلْحقُ منهم أولون وآخرُ
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عَمايَةُ يومٍ شرُّه متظاهرُ[1]
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازنُ وارفضّت سُلَيمٌ وعامرُ
وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدُّها إذا أُوهنَ الناسَ الجدودُ العواثرُ

[اليوم الخامس يوم حريرة]

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحُرَيْرَةَ[2] ، وهي حرَّةٌ إلى جانب عُكاظَ ، والرؤساء بحالهم إلاّ بلعاءَ بن قيس ؛ فإنّه قد مات فصار أخوه على عشيرته ، فاقتتلوا ، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذٍ أبو سُفيانَ بنُ أُميّة وثمانيةُ رَهْطٍ من بني كنانة ، قتلهم عُثمان بن أسدٍ من بني عمرو بن عامر بن ربيعة ، وقتل ورقاءُ بنُ الحارث : أحدُ بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر .

[خداش يسجل هذه الموقعة]

وقال خداش بن زهير ، في ذلك : [من البسيط]

لقد بَلَوْكُمْ فأَبلَوْكم بلاءهمُ يوم الحُرَيرة ضرباً غيرَ تكذيبِ
إن تُوعدوني فإنّي لابنُ عمِّكمُ وقد أُصابوكُمُ منه بشُؤْبوبِ[3]
وإن ورقاءَ قد أُردى أبا كنَفٍ وابنَيْ إياسٍ وعمراً وابنَ أيّوبِ
وإنّ عثمانَ قد أُردى ثمانيةً منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

[يتحدث عن مقتل والد خداش]

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلّ ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضُهم بعضاً . فلقي ابن مَحْمِيَةَ بن عبد الله الديلي زهيرَ بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إنّي حَرامٌ جئت معتمراً ، فقال له : ما تُلقى طِوالَ الدّهر إلاّ قلتَ : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر الليثيّ ، واسمه ربيعةُ بن عَلَس : [من الوافر]

1 شره متظاهر : هجومه قوي .
2 الحريرة : الأرض ذات حجارة سود كأنّها أحرقت .
3 الشؤبوب : الدفعة من المطر وهنا الدماء .

تركنا ثاويــاً يزقو صداهُ زهيراً بالعوالي والصِّفاحِ[1]
أُتيح له ابنُ مَحميَةَ بن عبدٍ فأعجلـه التسوُّم بالبطاحِ[2]

[صلح لا يتمّ]

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يَدِي مَنْ عليه فضلٌ في القتلى ، الفضلَ إلى أهله ، فأبى ذلك وَهْب بن مُعتِّب ، وخالف قومه ، واندسّ إلى هوازن ، حتى أغارت على بني كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمةُ بن سُعْدى البكائيّ ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظَبْيان الهلاليّ ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالكُ بن عوف ، وهو يومئذٍ أمْرَدُ ، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم ، فكانت لبني ليث أوّل النّهار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائيّ ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمّل الجسريّ حليف بني عامر ، ثم كانت على بني ليْث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحر القتل في بني الملوِّح بن يعمُرَ بن ليث ، وأصابوا نعماً ونساءً حينئذٍ ، فكان ممّن قُتِل في حروب الفِجار من قريش العوّامُ بنُ خويلد ، قتله مُرّةُ بن مُعتِّب ، وقُتل حزام بن خويلد ، وأحيحةُ بن أبي أُحَيْحَةَ ، ومعمر بن حبيب الجُمَحيّ ، وجُرِح حرب بن أميّة ، وقُتل من قيس الصِّمّة أبو دريد بن الصمَّة ، قتله جعفر بن الأحنف .

[صلح يتمّ برهائن]

ثم تراضَوا بأن يعدُّوا القتلى ، فيَدُوا مَن فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألاّ يعرضَ بعْضُهم لبعض ، فرهن حربُ بن أُميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلَدةَ العبديّ ابنَه النضْرَ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بني الحارث بن عبد مناة ابنَه الحارث ، حتى وُديت الفضولُ ، ويقال : إنّ عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذٍ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام ، والصلح ، قالوا : وما صلحكم هنا ، فإنَّا موتورون ؟ فقال : عَلَى أن نَدِيَ قتلاكم ، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضُوا بذلك ، وساد عتبة مذ يومئذٍ ، قال : فلمّا رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم .

[النبيُّ يشهد الفجار]

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجار من بني هاشم غيرُ الزُّبير بنِ عبد المطلب ، وشهد النبيّ ﷺ وآلِه سائرَ الأيّام إلاّ يومَ نخلة ، وكان يناول عمَّه وأهله النّبلَ ، قال :

1 يزقو : يصوت . الصدى : طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل . الصفاح : السيوف .
2 التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .

وشهدها ﷺ وهو ابن عشرين سنة ، وطَعَن النبيّ ﷺ وآلِه أبا بَراء مُلاعِبَ الأسنّة ، وسئل صلّى الله عليه وآلِه عن مشهده يومئذٍ ، فقال : ما سرَّني أنّي لم أشهده ، إنّهم تعدَّوْا على قومي ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاضَ صاحبهم ، فأبوا .

[عدد القتلى]

قال : وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن ، فوداهم حرب بن أُميّة فيما تروي قريش ، وبنو كنانة تزعم أنّ القتلى الفاضِلين قتلاهم ، وأنّهم هم وَدَوْهم .

[أعمام النبي يشهدون هذه الموقعة]

وزعم قوم من قريش أنّ أبا طالبٍ وحمزةَ والعبّاسَ بني عبد المطّلب ، عليهما السلام ، شهدوا هذه الحروب ، ولم يردَّ ذلك أهلُ العِلم بأخبار العرب .

[سبيعة تجير بعلها]

قال أبو عبيدة : ولمّا انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعتّب لا يُعرّجِ على شيء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفه بين ثدييها ، وقال : أنا بالله وبك ، فقالت : كلا ، زعمت أنّك ستملأ بيتي من أسرى قومي ، اجلس فأنت آمن .

[عود إلى الصوت وبقيته]

وقالت أُميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أُميّة ومَن قُتِل من قومها ، والأبيات التي فيها الغناء منها : [من الهزج]

أبى لَيلُكَ لا يذهبْ ... ونيط الطَّرفُ بالكوكبْ
ونجم دونه الأهْوا ... لُ بين الدَّلو والعقربْ
وهذا الصبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقربْ
بعَقرِ عشيرةٍ منّا ... كرام الخِيم والمنصِبْ[1]
أحالَ عليهمُ دهرٌ ... حديدُ النّابِ والمِخلبْ
فحلَّ بهم وقد أمِنوا ... ولم يُقْصِرْ ولم يَشْطُبْ[2]
وما عَنْهُ إذا ما حـ ... ـلّ من مَنجًى ولا مَهربْ
ألا يا عينُ فابكِيهم ... بدمعٍ منك مستغرِبْ[3]

1 الخيم : الخصال والطباع .
2 يشطب : من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه .
3 مستغرب : غزير .

فإن أبــكِ فهــم عِزّي وهم ركني وهم مَنكِبْ
وهم أصلي وهــم فرعي وهــم نسبي إذا أُنْسَبْ
وهم مجدي وهم شرفي وهــم حِصني إذا أَرْهَبْ
وهم رُمحي وهــم تُرسي وهــم سيفي إذا أغضبْ
فكم مــن قائــلٍ منهم إذا مــا قــال لم يكذِبْ
وكم مــن ناطــقٍ فيهم خطيــبٍ مِصقَــعٍ مُعْرِبْ
وكم مــن فــارسٍ فيهم كمِــيٍّ مُعْلَــمٍ مِحْرَبْ[1]
وكم مــن مِدرَهٍ فيهم أريــبٍ حُــوَّلٍ قُلَّبْ[2]
وكم مــن جَحفــلٍ فيهم عظيــمِ النّــارِ والموكِبْ
وكم مــن خِضْــرمٍ فيهم نجيبٍ ماجــدٍ مُنجِبْ[3]

صوت

[من الطويل]

أُحِبُّ هبوطَ الواديَين وإنّني لمشتهــرٌ بالواديــين غريبُ
أحقّاً عبادَ الله أَنْ لستُ خارجاً ولا والجــاً إلاّ عــليّ رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة من النّاس إلاّ قيل : أَنت مُرِيبُ
وهــل ريبةٌ في أَن تحِنَّ نَجِيبةٌ إلى إلفهــا أو أَن يَحِنّ نَجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيبانيّ في أشعار بني جعدة ، وذكره أبو الحسن المدائنيّ في أخبار رواها لمالك بن الصّمصامة الجَعْديّ ، ومن النّاس مَن يرويه لابن الدُّمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية ، والرويّ والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو .

1 المعلم من الفرسان : مَن يتّخذ لنفسه في الحرب علامة تميّزه . المحرب : الخبير المطّلع بأمور الحرب .
2 المدره : خطيب القوم ، أو سيّدهم .
3 الخضرم : السيد الجواد . المنجب : مَن ينجب أولاده .

[464] ـ أخبار مالك ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك : أحد بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر بدويّ مُقِلّ .

[يحول أخو جنوب دون حبّها]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان ، قالا : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيبانيّ ، قالوا : كان مالك بن الصَّمصامة الجعديُّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه ، وكان يَهوى جنوبَ بنت مِحصَن الجعديَّة ، وكان أخوها الأصبغ بن مِحصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، فنَمى إليه نُبَذٌ من خبر مالك ، فآلى يميناً جزْماً : لئن بلغه أنّه عَرَضَ لها أوْ زارها ليقتلنه ، ولئن بلغه أنّه ذكرها في شعر أو عرّض بها ليأسرنه ، ولا يطلقُه إلاّ أن يجُزَّ ناصيته في نادي قومه ، فبلغ ذلك مالكَ ابنَ الصَّمصامة ، فقال : [من الطويل]

إذا شئتَ فاقرِنّي إلى جَنْب عيهب ... أجبٌّ ونضوي للقلوص جنيبُ[1]
فما الحلْق بعد الأسر شرٌّ بَقِيّةً ... من الصَّدِّ والهجرانِ وهي قريبُ
ألا أيّها الساقي الذي بلّ دَلوَه ... بقُربان يَسْقي هل عليك رقيبُ[2]
إذا أنتَ لم تشربْ بقُريان شربةً ... وحانيةِ الجدران ظَلْتَ تَلوبُ[3]
أحبّ هبوطَ الواديين وإنّني ... لمشتهر بالواديين غريبُ
أحقّاً عِبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ... ولا والجا إلاّ عليَّ رقيبُ !
ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ ... من النّاس إلاّ قيل : أنتَ مُريبُ

1 العيهب : الكساء من الصوف . أجبٌّ : مقطوع . النضو : الثوب الخلق .
2 قربان : موضع .
3 تلوب ، من لاب : دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه .

وهـل ريبـة في أن تَحِنَّ نجيبةٌ　　إلى إلفهـا أو أن يحِـنَّ نجيبُ

[يراها فلا يستطيع مخاطبتها]

وقال أبو عمرو خاصة : حدَّثنا فتيان من بني جعدة أنّها أقبلت ذات يوم ، وهو جالس في مجلس فيه أخوها ، فلمّا رآها عرفها ، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها ، فأغمي عليه ، وفَطِن أخوها لما به ، فتغافل عنه ، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره ، فما تحرّك ، ولا أحار جواباً ساعة من نهاره ، وانصرف أخوها كالخجِل ، فلمّا أفاق قال : [من الطويل]

أَلَمَّتْ فما حيّت وعاجتْ فأسرعت　　إلى جرعـة بين المخارمِ فالنّحرِ[1]

خليليَّ قـد حانَتْ وفاتيَ فاحفِرا　　برابيـةٍ بـين المخافـر والبُترِ

لكيما تقـول العبدليَّـةُ كلّما　　رأت جدثي : سُقِّيت يا قبرُ من قبرِ

[جنوب ترعى عهده]

وقال المدائنيّ في خبره : انتجع أهل بيت جنوب ناحية حِسْيٍ والحِمى ، وقد أصابها الغيث ، فأمرعت ، فلمّا أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصَّمصامة ، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بِخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أَرِيْتُـكِ إن أزمعتـمُ اليوم نِيَّـةً　　وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابعُهْ[2]

أترعَيْن ما استُودِعْتِ أم أنتِ كالذي　　إذا مـا نأى هانت عليـه ودَائعُهْ

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودِعْت ، ولا أكونُ كمَن هانت عليه ودائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشيّاً عليه ، وهي واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

ألا إنَّ حِسْياً دونـه قُلَّةُ الحِمى　　مُنى النفس لو كانت تُنال شرائعهْ[3]

وكيف ومِن دونِ الورودِ عوائقٌ　　وأصبغُ حامي مـا أُحِبُّ ومانعُهْ[4]

فـلا أنـا فيما صدَّني عنه طامعٌ　　ولا أرتجي وصلَ الذي هو قاطعُهْ

---

1 عاجت : رجعت . الجرعة : الأرض ذات الحزونة . المخارم والنحر : مكانان .

2 نيّة : رحلة وبعداً . غالك : أخفاك عنّي .

3 قلّة كل شيء : أعلاه . شرائع : جمع شريعة ، وهي مورد الماء كالغدير ونحوه .

4 يريد الأصبغ أخا جنوب .

صوت

[من البسيط]

يــا دارَ هنْدٍ عفاهــا كلُّ هطّالِ بالخَبتِ مثلُ سحيقِ اليَمْنَةِ البالي[1]

أربَّ فيهــا وليٌّ مــا يغَيِّرها والريحُ ممّــا تعفّيهــا بأذيالِ

دارٌ وقفتُ بهــا صَحبي أُسائلها والدمع قد بلَّ منّي جَيْبَ سِرْبالي

شوقاً إلى الحــيِّ أيّامَ الجميعُ بها وكيف يطربُ أو يشتاق أمثالي ؟

قوله . أَرَبَّ فيها أيّ أقام فيها وثبت ، والوليّ : الثاني من أمطار السنة ، أوّلها الوسْميّ ، والثاني الوليّ ، ويروى :

جرت عليها رياح الصيف فاطَّرقت

واطَّرَقَتْ : تلبدت .

الشعر لعَبيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحنُ إبراهيم إليه .

1 عفاها : محاها . الخبت : مكان . اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .

[465] ـ أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه[1]

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : هو عَبيدُ بن الأبرص بن حَنْتَمِ بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية ، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرَن به طَرَفَة وعلقمة بن عَبَدة وعديَّ بنَ زيد .

[شاعر ضائع الشعر]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال : عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشِعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلاّ قوله في كلمته :

أَقْفَرَ مِـن أَهْلِـهِ مَلْحُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك .

[يتّهم بأخته]

أخبرنا عبد الله بن مالك النحويّ الضرير ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيبَ ، عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، قالا : كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلاً محتاجاً ، ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة له ، ومعه أخته ماوِيّة ؛ ليوردا غنمهما الماءَ ، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبَهه[2] ، فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكيّ ، حتى أتى شجراتٍ فاستظلّ تحتهنّ ، فنام هو وأخته ، فزعموا أنّ المالكي نظر إليه وأُختُه إلى جنبه ، فقال : [من الرجز]

ذاك عبيدٌ قد أصاب مَيّا ... يـا ليتَـه ألقحها صبيّا

فحملت فوضعت ضاويّا[3]

1 انظر ترجمته في مقدمة ديوانه 5–16 وفي الشعر والشعراء 1 : 267–269 والأمالي 3 : 195–196 وأمثال العسكري 93 ومختارات ابن الشجري 2 : 33–35 والخزانة 1 : 321–324 و4 : 164–165 والبلدان 6 : 282–286 والاقتضاب 348 وشعراء الجاهلية 596–615 .

2 جبهه : صك جبهته ، أو قابله بما لا يحبّ .

3 ضاوياً : مهزولاً نحيفاً .

فسمعه عَبيد ، فرفع يديه ، ثم ابتهل ، فقال : اللهمّ إن كان فلان ظلمني ، ورماني بالبهتان فأَدِلْني منه ، أي اجعل لي منه دَوْلَة ، وانصُرني عليه ، ووضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

[يهبط عليه الشعر من السماء في النوم]

فذُكِر أنّه أتاه آت في المنام بكُبَّةٍ[1] من شَعْر ، حتى ألقاها في فيه ، ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز : يعني بني مالك ؛ وكان يقال لهم بنو الزنْية يقول : [من الرجز]

أيـا بني الزنّية مـا غرّكُمْ فلكمُ الويلُ بسربال حَجَرْ

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر ، وكان شاعرَ بني أسد غير مدافَع .

[بينه وبين امرىء القيس]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ ، قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْرَ بن عمرو والدَ امرىء القيس إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ؛ أو يُقِيدوه من أيّ رجل شاء من بني أسد ، أو يُمهلَهم حولاً ؛ فقال : أما الدية فما ظننت أنّكم تعرضونها على مِثْلي ، وأما القَودُ فلو قِيد إليَّ ألفٌ من بني أسد ما رَضيتُهم ؛ ولا رأيتهم كفوًا لِحُجْر ، وأمّا النَّظِرة[2] فلكم ، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان ، أحكِّم فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنَّة ، حتى أشفيَ نفسي ، وأنالَ ثأري ، فقال عبيدُ بنُ الأبرص في ذلك[3] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا ذا المخوِّفُنـا بقتـ ـلِ أبيـه إذلالا وحَيْنا[4]
أزعمـتَ أنّك قـد قَتَـ ـلْتَ سَراتنا كذباً ومَيْنا ؟
هـلاَّ على حُجْـرِ ابن أُمّ مِ قطامٍ تبكـي لا علينا[5]
إنّـا إذا عَـضَّ الثِّقـا فُ برأس صَعْدتِنا لَوَيْنا[6]

---

1 الكبّة : مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة .
2 النَّظِرة : المهلة .
3 ديوانه : 141 .
4 الحين : الهلاك .
5 حجر ابن أم قطام : هو أبو امرىء القيس .
6 الثقاف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة . الصعدة : الرمح .

نحمـــي حقيقتنـــا وبعــ ـــضُ النّاس يسقط بين بينا[1]
هلاَّ سألتَ جمـوع كِنـ ـــدةَ يوم ولَّـوْا أين أينا ؟

الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشاميّ ، وفيه ليَحيى المكّيّ خفيف ثقيل : قال : وتمام هذا الأبيات :

أيّــامَ نضربُ هامَهــم ببواتـــرٍ حتـــى انحنينا
وجمـــوعَ غسَّانَ الملــو ك أتينَهم وقـــد انطوَيْنا
لُحُقــاً أيــا طِلُهــنّ قــد عالجــن أسفـاراً وأَينا[2]

والأياطل : الخواصر أي هنّ ضوامرها ؟

نحن الأُولى فاجمع جمو عَـك ثـم وجِّههم إلينا[3]
واعلــمْ بــأنَّ جيادَنــا آلَيْــنَ لا يقضِيــن دينا
ولقـد أبحْنـا مـا حَميـ ـتَ ولا مُبيحَ لما حَمينا
هذا ولــو قَـدَرَتْ عليـ ـكَ رماحُ قومي ما انتهينا
حتـــى تنـــوشَك نَوْشَةً عاداتِهـــنَّ إذا انتـــوَيْنا[4]
نُغْــلي السِّباءَ بكــلِّ عــا تقةٍ شمولٍ مــا صحَوْنا[5]
ونُهِـــينُ في لذّاتنـــــا عُظْمَ التّلادِ إذا انتشينا
لا يبلُــغ البــاني ولــو رفـــعَ الدّعائـــمَ ما بَنَيْنا
كم مـــن رئيسٍ قــد قَتلـ ـناهُ وضَيـــمٍ قــدْ أَبينا
ولــــربَّ سَيِّـــدِ معشرٍ ضخمِ الدّسيعة قد رمينا[6]
عِقْبانُـــه بظلالِ عِقــــ ــبانٍ تُتَمِّـــمُ مـــا نوينا
حتـــى تركنـــا شِلْـوَه جَزَرَ السّبـاعِ وقد مضينا[7]

---

1 الحقيقة : ما ينبغي حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .
2 الأين : التعب والمشقة .
3 فاجمع جموعك في الديوان 142 جمِّع جموعاً .
4 تنوشك : تتناولك .
5 العاتقة الشمول : الخمر المعتقة .
6 الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة .
7 الشّلو : بقية اللحم ونحوه . جزر السّباع : ما تأكله السباع من اللحم .

إنّا لعُمـرك مـا يُضا ... مُ حليفُنـا أبـداً لدينا
وأوانِس مثـلِ الدُّمـى ... حُورِ العيون قـد استبينا

[الشعر على ألسنة الأفاعي]

وقرأت في بعض الكتب ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ؛ يتبين التوليد فيه : أنَّ عبيدَ بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد ، فبينا هم يسيرون إذا هم بشجاعٍ يَتَمعَّك[1] على الرمضاء فاتحاً فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِيَ وانتَعَشَ ، فانساب في الرمل ، فلمّا كان من الليل ، ونام القوم ندّت رواحلهم ، فلم يُرَ لشيءٍ منها أثَر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، فتفرّقوا ، فبينا عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهَلَكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به : [من الرجز]

يا أيُّها الساري المضِلُّ مذهبُهْ ... دونكَ هذا البَكرَ منّا فاركبُهْ
وبكْرُكَ الشارد أيضاً فاجنُبُه ... حتـى إذا الليلُ تَجَلّى غيهبُهْ
فَحُطّ عنه رحلَه وسَيّبْه

فقال له عبيد : يا هذا المخاطِبُ ، نشدتُك الله إلاَّ أخبرتني : مَن أنت ؟ فأنشأ يقول : [من البسيط]

أنا الشّجاع الذي ألفيْتَه رَمِضاً ... في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ[2]
فَجُدْتَ بالماءِ لما ضَنَّ حاملُه ... وزِدتَ فيه ولم تبخلْ بإنكادِ
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشرُّ أخبثُ ما أوْعيتَ من زادِ[3]

فركب البكرَ وجنَب بكرَه ، وسار فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عنه ، وحلّ رحله ، وخلاّه ، فغاب عن عينه ، وجاء من سلِمَ من القوم بعد ثلاث .

[يومان للمنذر بن ماء السماء]

أخبرني محمد بن عمران المؤدّب وعمّي ، قالا : حدّثنا محمد بن عبيد : قال : حدَّثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ ، عن الشرقي بن القطامي : قال : كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد ، أحدهما خالد بن المضلّل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكلّ واحد حَفِيرةٌ بظَهر الحِيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ، ويدفنا في الحفرتين ، فَفُعِلَ ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ،

1 يتمعّك : يتمرّغ في التراب ، ويتقلب عليه .
2 الشجاع : الثعبان . رمضاً : حار الجوف من شدّة العطش .
3 أوعيت : حملت في وعائك .

فأُخبِر بهلاكهما ، فندِم على ذلك ، وغَمَّه ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل الأسديين يقول شاعر بني أسد : [من الكامل]

يا قبرُ بـيـنَ بيوتِ آل محرّقٍ جادت عليك رواعـدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فقلَّ عنـك كثيرُه ولئن بُكِيـتَ فَلَلْبُكـاء خَليقُ

ثم ركب المنذر ، حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيّيْن[1] عليهما ، فبُنِيا عليهما ، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن ، يُسمّى أحدهما يوم نعيم ، والآخر يوم بؤس ، فأوّلُ مَن يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل شُوما[2] أي : سودا ، وأوّل مَن يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبانٍ[3] أسود ، ثمّ يأمرُ به ، فيذبح ويغرّى بدمه الغريان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

[يقتل في يوم بؤس المنذر]

ثم إنَّ عبيدَ بنَ الأبرص كان أوّل من أُشرف عليه في يوم بؤسه ، فقال : هلا كان الذبح لغيركَ يا عَبيد ؟ فقال : أَتَتْك بحائنٍ[4] رجلاه[5] ، فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجَلٌ بلغ إناه ، فقال له المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : حال الجريض[6] دون القريض ، وبلغ الحِزام الطُّبيين[7] . فأرسلها مثلاً ، فقال له النُّعمان : أَسمعني ، فقال : المنايا على الحوايا[8] ، فأرسلَها مثلاً ، فقال له آخر : ما أشدَّ جزعَك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلَك

1 الغريان : بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما .
2 شوما : لعلّه جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة .
3 الظربان : حيوان أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم ، منتن الرائحة .
4 الحائن : الهالك .
5 مثل ورد في مجمع الأمثال 21/1 ، 360 و206/2 والجمهرة للعسكري 10/1 ، 119–120 والأمثال للقاسم بن سلام 328 ، والمستقصى للزمخشري 37/1 .
6 الجريض : الغصة . مثل ورد في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبّيّ 250 ومجمع الأمثال للميداني 191/1 ، 204 والجمهرة للعسكري 341/1 ، 359 والمستقصى للزمخشري 55/2 وفصل المقال 44 والأمثال للقاسم بن سلام 319 ، 341 .
7 الطبيان : تثنية طبي ، وهو حلمة الضرع أو الضرع كلّه ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حدّه ، ورد في الجمهرة للعسكري 220/1 ، 360 و25/2 ، وفي المستقصى 13/2 ومجمع الأمثال للميداني 42 وورد جاوز الحزام الطبيين في مجمع الأمثال 166/1 و124/2 .
8 الحوايا : ما استوى عليه بطن الإنسان والحيوان وهو مثل وفي الجمهرة 197/1 و308 وفي غيرها وورد بصيغة : البلايا على الحوايا ، والمنايا على السوايا ويروى على الحوايا : مجمع الأمثال 303/2 والجمهرة للعسكري 359/1 و226/2 ، 275 والمستقصى 350/1 والأمثال لأبي القاسم بن سلام 341 .

مَنْ ليس معك[1] فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : قد أَمْلَلْتني ، فأرحني قبل أن آمر بك ، فقال عبيد : من عَزَّ بَزَّ[2] فأرسلها مثلاً ، فقال المنذر : أنشدني قولك :

أقفرَ مِـن أهله مَلحوبُ

فقال عبيد : [من السريع]

صوت

أقفرَ مـن أهلِهِ عَبِيدُ فليس يُبدِي ولا يُعِيدُ
عَنتْ لـه عَنَّـةٌ نكُودٌ وحان منها لـه ورودُ

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك ، أنشدني قبل أن أذبحك ، فقال عبيد : [من السريع]

والله إن مِـتُّ لمـا ضرّني وإن أعشْ ما عشتُ في واحدَهْ

فقال المنذر : إنّه لا بدّ من الموت ، ولو أنّ النُّعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئتَ الأكحلَ[3] ، وإن شئتَ الأبجلَ[4] ، وإن شئتَ الوريدَ[5] ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شَرُّ ورَّاد ، وحاديها شرُّ حاد ، ومعادها شرُّ معاد ، ولا خير فيه لمرتاد ، وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلي ، وذهلت لها ذواهلي فشأنَك وما تريد ، فأمر المنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أخذت منه ، وطابت نفسه ، دعا به المنذر ، ليقتله ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول : [من الطويل]

وخيَّرني ذُو البؤس في يـوم بؤسه خِصالاً أرى في كلها الموتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرت عـادٌ من الدَّهْرِ مَرّةً سحائبَ ما فيها لذي خِيرة أَنَقْ[6]
سحائـب ريح لم تُوكَّـل ببلـدةٍ فتتركهـا إلاّ كما ليلـةِ الطَّلَقْ[7]

فأمر به المنذر ، فَفُصِد ، فلمّا مات غُرِّي بدمه الغَرِيَّان .

---

1 مثل : ويروى «مَن لا يرحّل رحلك» . ورد في مجمع الأمثال 237/2 والجمهرة للعسكري 360/1 و376/2 ، 396 ، والمستقصى 269/2 .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 307/2 والجمهرة 226/2 ، 257 ، 288 ، 360 والمستقصى 357/2 والأمثال للمفضل بن محمد الضبّيّ 124 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبّيّ 89 .

3 الأكحل : وريد في وسط الذراع .

4 الأبجل : عرق في الرجل ، أو في اليد بإزاء الأكحل .

5 الوريد : عرق في العنق .

6 الأنق : الحسن الرائع .

7 الطلق : البعد .

[طائيّ يفد على المنذر في يوم بؤسه]

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به رجل من طيّيء ، يقال له : حنظلةُ بن أَبي عفراء ، أو ابن أَبي عُفْر ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك زائراً ، ولأَهْلي من خيرك مائرا[1] فلا تكن ميرتَهم قتلي ، فقال : لا بدّ من ذلك فاسأل حاجة أقضينَّها لك ، فقال : تؤجّلُني سنة أرجع فيها إلى أهلي ، وأُحكِم من أمرهم ما أُريد ، ثم أصيرُ إليك ، فأنفِذْ فيَّ حكمَك ، فقال : ومَن يكفُلُ بك حتى تعود ؟ فنظر في وجوه جلسائه ، فعرف منهم شرِيكَ بن عمرو : أبا الحَوْفزانِ بن شريك ، فأَنشد يقول : [من مجزوء الرمل]

يا شريكٌ يا ابنَ عمرٍو ما مـن الموتِ مَحالَهْ
يا شريكٌ يا ابنَ عمرو يـا أَخا مـن لا أَخالَهْ
يا أَخا شَيْبان فُـكَّ اليـ ـوم رهنـاً قـد أَنالَهْ
يا أَخـا كلِّ مُضـافٍ وحيـا مـَنْ لا حَيا لَهْ
إنَّ شَيْبـانَ قبيـلٌ أَكـرمَ اللهُ رجـالَهْ
وأَبـوك الخيرُ عمـرٌو وشراحيـلُ الحَمـالَهْ
رَقيَّاك اليـوم في المجـ ـدِ وفي حُسنِ المقـالَهْ

[شريك بن عمرو يضمن الطائيّ]

فوثب شريك ، وقال : أَبيت اللعن ، يدي بيده ، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أَجله ، فأطلقه المنذر ، فلمّا كان من القابل جلس في مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك ، فقُرِّب ، ليقتله .

[الطائيّ يفي بعهده]

فلم يشعر إلاّ براكب قد طلع عليهم ، فتأمّلوه ، فإذا هو حَنْظلة قد أقبل متكفِّنا متحنِّطا معه نادِبتُه تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلمّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنَّة .

[رواية أُخرى لقصّة مصرع عبيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام بن الكلبيّ ، قال : كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنَّ المنذرَ بن ماء المساء بنى الغريّين ، فقيل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أَسد كانا

1 مائراً : طالباً الميرة : القوت .

نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسيّ ، والآخر عمرو بن مَسْعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف النّاس أمري ، لا يَمُرَّنَّ أحد من وفود العرب إلاّ بينهما ، وكان له يومان في السنة يوم يسمِّيه يوم النعيم ، ويوم يسمِّيه يوم البؤس ، فإذا كان في يوم نعيمه أُتي بأوّل مَن يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، ونادمه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتي بأوّل مَن يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظَرِبانٍ أسودَ ، ثم أمر به فذبح وغُرِّيَ بدمه الغَرِيَّان ، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقيّ ؟ فقال له : هذا عبيدُ بن الأبرص الأسَديّ الشاعر ، فأُتيَ به فقال له الرجل الذي كان معه : اتركه ، أبيتَ اللعن ، فإنّي أظنّ أنّ عنده من حُسن القريض أفضلَ ممّا تدرك في قتله فاسمعْ منه ، فإن سمعت حسناً استزدته ، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله . فإذا نَزَلْتَ فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين النّاس حجابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رَدِيفُه[1] : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أَتَتْك بحائن رجلاه[2] ، فأرسلها مثلاً ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض[3] ، فقال : أنشدني :

أقفرَ مِـن أهلِه مَلحوب

فقال : [من السريع]

أَقْفَرَ مِـن أَهلِـهِ عبيدُ فليس يُبدي ولا يعيدُ
عنَّت لـه خُطَّةٌ نكودُ وحان منها لـه ورودُ

فقال أنشدْنا : [من المتقارب]

هِيَ الخمرُ تُكنى بأمِّ الطِّلَى كما الذئبُ يكنى أبا جَعْدَه[4]

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا ، فأُمِر به ، فقتل .

[خبر نديمي المنذر]

فأمّا خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل ومقتلهما فإنّهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فيما ذكره خالدُ بن كلثوم ، فراجعاه بعض القول على سُكْرِه ، فغضب ، فأمر بقتلهما ، وقيل : بل دفنهما حيَّين ، فلمّا أصبح سأل عنهما ، فأُخبِر خبَرهما فندِم على

1 الرديف : نديم السلطان الذي يشاربه .
2 راجع الحاشية رقم 5 ، ص 62 .
3 راجع الحاشية رقم 6 ، ص 62 .
4 الطلى : من أسماء الخمر .

فعله ، فأمر بإبل ، فنُحرت على قبريهما ، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما وحزن عليهما ، وبنى الغَرِيَّين فوق قبريهما ، وأمر فيهما بما قدَّمتُ ذكره من أخبارهما ، فقالت نادبةُ الأسديين : [من الطويل]

أَلا بَكَــرَ الناعي بخير بني أسدْ بعمرِو بن مسعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ

وقال بعض شعراء بني أَسد يرثي خالد بن المُضَلَّل وعمرو بن مسعود ، وفيه غناء : [من الكامل]

صوت

يا قبرُ بـينَ بيوتِ آل مُحرّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أَمّا البُكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ ولئــن بُكِيتَ فبِالبكاءِ خليقُ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه .

وممّا يغنى به أيضاً من شعر عبيد : [من البسيط]

صوت

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادي من أُمِّ عمـرو ولم يُلْمِمْ لميعادِ[1]
أنّى اهتديت لِركبٍ طال سيرهمُ في سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأَعقادِ[2]
اذهب إليك فإنّي مــن بني أَسد أَهلِ القباب وأَهل الجردِ والنّادي[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسْحاقَ ، وفيه ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لأبي زكار الأعمى ، وذكر حبش أنّه لابن سريج .

وفي هذه القصيدة يقول : يخاطبُ حجر بن الحارث أَبا امرىء القيس ، وكان حُجْرٌ يتوعّده في شيء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه : [من البسيط]

أبلــغ أَبا كَـربٍ عنّى وإخوتَه قولاً سيذهب غَـوْراً بعد إنجادِ[4]

1 أمّ عمرو في الديوان : 62 . لآل أسماء لم .

2 السبسب : المفازة . الدكداك : ما غلظ من الأرض ، أو فيها رمل متلبّد . أعقاد : أرض شجراء .

3 الجرد : بدل الجود .

4 الغور : ما انخفض من الأرض . والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة .

لا أعرفنَّك بعـد المـوتِ تَندُبني وفي حياتـيَ مـا زوَّدتَني زادي[1]
إنَّ أمامَكَ يوماً أنـتَ مدركُهُ لا حاضرٌ مفلتٌ منـه ولا بادي
فانظر إلى ظلّ مُلْكٍ أنْت تاركُهُ هـل تُرسِيَنَّ أواخيـه بأوتادِ[2]
الخيرُ يبقى وإن طالَ الزمانُ به والشَّرّ أخبث ما أوعيتَ من زادِ

[عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته]

أخبرنا عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاعيّ ، عن المدائنيّ ، عن أبي بكر الهذليّ قال : سمع عمرُ بنُ الخطّابُ نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد ، فبكى ، وقال : لِيقُلْ نساءُ بني مخزوم في أبي سليمان ما شِئن ، فإنّهنّ لا يكذبن ، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي ، فقال له طلحةُ بنُ عبيد الله ، إنّك وإيّاه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص : [من البسيط]

لا أُلْفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبني وفي حياتـيَ ما زوّدتني زادِي

[كلب في ضيافة كلب]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد : قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبديّ ، قال : حدَّثني سيفٌ الكاتبُ ، قال : وَلِيتُ وِلايةً ، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل ، فنزلت به ، قال : فنِلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ ، فنِمنا ، فانتبهتُ من نومي ، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يَبَشّ به ويسلّم عليه لا أُنكِر من كلامهما شيئاً ، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره ، وقال له : هل عندك شيء تُطْعِمنيه ؟ قال : نعم ، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام ، وليس عليه شيء ، فذهبا إليه ، فكأنّي أسمع وُلوغَهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه ، ثم سأله نبيذاً ، فقال : نعم ، لهم نبيذ في إناء آخَر ليس له غطاء ، فذهبا إليه فشربا .

[الكلاب تتغنّى بشعره]

ثم قال له : هل تطربني بشيء ؟ قال : إي وعيشك ، صوت كان أبو يزيد يغنّيه ، فيجيده ، ثم غنّاه في شعر عبيد بن الأبرص .

---

1 أعرفنك في الديوان : 62 لأعرفنّك .

2 الأواخي : جمع الآخية وهي عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشدّ فيها الشيء . والأواخي هنا : الأواصر .

صوت

[من البسيط]

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادي لآل أسمـاءَ لم يُلمِـمْ لميعـادِ
أنّى اهتديت لركبٍ طال سيرهُم في سَبسبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ

قال : فلم يزل يغنيه هذا الصوت ، ويشربان مليّاً ، حتى فنِيَ ذلك النبيذ ، ثم خرج الكلبُ الداخل ، فَخِفْتُ واللهِ على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل ، فأمسكتُ ، وما أذكر أنّي سمعت أحسن من ذلك الغناء .

وممّا يغنّى فيه من شعره قوله : [من البسيط]

صوت

لمن جِمالٌ قُبيلَ الصّبح مزمُومَه ميمّماتٌ بـلاداً غيرَ معلومَهْ
فيهنَّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها بيضاءُ آنسةٌ بالحسن موسومَهْ[1]

الغناء لابن سريج رمل عن يونُس والهشاميّ وحبش .

ومنها قوله : [من الخفيف]

صوت

دَرَّ دَرُّ الشباب والشعرِ الأسـ ـود والضّامراتِ تحت الرِّحالِ[2]
فالخناذيذِ كالقداحِ مـن الشّو حط يحملن شِكّـةَ الأبطالِ[3]
ليس رسمٌ على الدّفـين ببالٍ فَلِوى ذرْوةٍ فجنْبَـيْ أُثالِ[4]
تلك عِرسي قد عيّرتني خِلالي ألِبـينٍ تريـدُ أم لـدلالِ[5]

الغناء لطويس خفيف رمل لا شكّ فيه ، وفيه ثقيل أول ، ذكر علي بن يحيى أنّه لطويس أيضاً ، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر ، عن عبد الله بن موسى والهشاميّ .

---

1 وقد في الديوان 135 : التي .

2 الضامرات في الديوان 115 : والراتكات ومفردها : راتكة : التي تعد في خطو متقارب .

3 الخناذيذ في الديوان 115 : والغناجيج ، والخناذيذ : جمع خنذيذ : الشجاع البهمة من الفرسان ، والعناجيج : الواحدة عنجوج : الطويل العنق . الشوحط : شجر تتّخذ منه القسي والسهام . والشكة : السّلاح .

4 أُثال : اسم جبل .

5 الشطر الأول في الديوان 113 : تلك عرسي تروم قِدْماً زيالي .

صوت

[من الكامل]

لَمَــن الدّيــارُ كأنّها لم تُحْلَــلِ بجنــوبِ أُسنمــةٍ فَقُــفٍّ العُنْصُلِ
درَسَتْ معالُمهــا فباقــي رَسْمِهـا خَلَــقٌ كعنوانِ الكتــابِ المُحْولِ[1]
دارٌ لسُعــدى إذ سعــادٌ كأنّهــا رشأ غضيضُ الطّرف رَخْصُ المِفْصلِ[2]

عروضه من الكامل ، جنوب أسنمة : أودية معروفة . والقُفّ : الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتدّ . والعنصل : بصل معروف .

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبّيّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشاميّ .

1 محول : أتت عليه أحوال أي سنون .

2 رخص المفصل : لينة المفاصل .

[466] ـ أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه[1]

[نسبه]

هو ربيعةُ بنُ مقروم الضّبيٌّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمرِو بن عبد الله بنِ السيِّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أُدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار .

شاعِرٌ إسلاميّ مخضرم ، أُدرك الجاهليّة والإسلام ، وكان ممّن أُصفَق[2] عليه كسرى ، ثم عاش في الإسلام زماناً .

[يهجو ضابىء بن الحارث]

قال أُبو عمرو الشيبانيّ : كان ربيعةُ بن مقرومٍ باع عَجْردَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم ، لِقْحةً[3] إلى أجل ، فلمّا بايعه وجد ابنُ مقروم ضابىءَ بن الحارث عند عَجْرد ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابنُ مقروم يُعرّض بضابىء إنّه أعان عليه وكان ضِلعَه معه[4] : [من الوافر]

أَعَجْـرُ ابن المليحـة إنَّ همِّي … إذا مـا لَـجَّ عُـذَّالي لَعـانِ

قوله : لعان أي عان من العناء ، عناني الشيء يَعنِيني ، وهو لي عانٍ .

يَرى مـا لا أُرى ويقول قولاً … وليس على الأُمـورِ بمستعانِ
ويحلِف عنـد صاحبـه لَشاةٌ … أحبُّ إليَّ مـن تلك الثّمانِ
وحامل ضبّ ضِغنٍ لم يَضِرْني … بعيـدٍ قلبُـه حلـوِ اللسانِ[5]
ولـو أنّـي أشاء نقَمتُ منه … بِشَغْبٍ مـن لسانٍ تَيَّحانِ[6]
ولكنّي وصلـتُ الحبل منـه … مواصلـة بحبـلِ أبـي بيانِ

1 انظر ترجمته في المفضليات : 180 والاشتقاق 123 والإصابة 2 : 220 والخزانة 3 : 566 .
2 أصفق عليه : أطبق عليه وحبسه في المشقّر .
3 اللقحة : الناقة ذات لبن .
4 ل : لعمر أبي المليحة .
5 الضب : الضغن .
6 الشّنب : الشرّ في الخصام . والتيّحان : من يتعرّض للشداد والمكرمات .

ترفَّع في بنـــي قَطَنٍ وحلّت بيوتَ المجـدِ يبنيهـنّ باني

يعني حلَّت بنو قطن بيوتَ المجد .

وضَمرة إن ضمرةَ خيرُ جارٍ إلى قطَـنٍ بـأسبابٍ مِتانِ

هجانُ الحيِّ كالذهب المصفّى صبيحةَ ديمـةٍ يجنيه جانِ[1]

قال أبو عمرو : الذهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غد عند طلوع الشمس فيُتتبّع ويُؤخذ .

[يمدح مخلصه من الأسر]

قال أبو عمرو : وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واستِيقَ مالُه ، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى بن ذُبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيّد ، فقال ربيعة بن مقروم فيه قولـه : [من المتقارب]

كَفاني أبو الأشْوسِ المنكراتِ كفـاهُ الإلـهُ الذي يَحْـذَرُ

أعـزُّ مـن السيِّدِ في منصِبٍ إليـه العَـزازة والمفخـرُ[2]

وقال يمدحه أيضاً : [من البسيط]

بانَ الخليطُ فأمسى القلبُ معموداً وأخلفتْـك ابنةُ الحـرِّ المواعيدا[3]

كأنّها ظبيـةٌ بِكْـرٌ أطاع لهـا من حَوملٍ تَلعاتُ الحـيِّ أو أُودا[4]

قامت تريك غداةَ البين مُنسدِلاً تجللت فـوق متنيهـا العناقيدا[5]

وبـارداً طَيِّبـاً عذبـاً مَذاقتُـه شربتُه مَزِجـاً بالظلمِ مشهودا[6]

وجَسْرةٍ أُجُـد تَدمَـى مناسمُها أعْمَلتُها بِـيَ حتى تَقطعَ البيدا[7]

1 الهجان : الكريم الحسب .

2 السيّد : يطلق على الذئب والأسد . والأسد هو المراد .

3 في المفضليات (رقم 43) 213 : بانت سعاد ، والخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك . معموداً : مضنى مريضاً .

4 أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحيّ : روابيه العالية . حومل وأود : مكانان .

5 متناها : جانباها . والعناقيد ، عناقيد الشعر .

6 في المفضلية رقم 43 ص 213 : مقبّله . الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

7 أجد في ل : حَرج . والجسرة : الضخمة . الأجد : الناقة المتينة الأضلاع . والحرج : الطويلة على وجه الأرض . وأعملتها : سرت عليها .

كلّفتُها ، فــرأت حتمــاً تكلُّفها ظهيرةً كأجيــج النّار صَيخودا[1]
في مهمهٍ قُذُفٍ يُخشى الهلاكُ به أُصداؤه لا تَنــي بالليــل تغريدا[2]
لمّا تشكّت إليَّ الأيــنَ قلتُ لها : لا تستريحِنَّ مــا لم ألقَ مسعودا[3]
ما لم ألاقِ امــرءاً جَــزْلاً مواهبُه رحبَ الفِناء كريمَ الفِعْلِ محمُودا
وقد سمعتُ بقــوم يُحمَدون فلم أَسمع بمثلِك لا حِلْماً ولا جودا
ولا عفافــاً ولا صبراً لنائبـــة ولا أُخبِّرُ عنــك الباطــلَ السيِّدا[4]

السيّد : قبيل الممدوح من آل ضبّة .

لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا يُلْفى عَطاؤُك في الأقوامِ منكودا[5]
وقد سبقتَ لغاياتِ الجوادِ وقد أَشبهتَ آبــاءَك الشُّمَّ الصناديدا[6]
هذا ثنائي بمــا أوليتَ من حَسنٍ لا زلــت برّاً قريرَ العينِ محسودا[7]

[يتقاضى دينه بشعره]

قال أبو عمرو : كان لضابِىء بن الحارث البُرجُميّ ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَماً ، واسْتخار الله في ذلك ، وبايعه ربيعة بن مقروم ، ولم يستخر الله تعالى ، ثم خافه ضابىء فاستجار بربيعةَ بن مقروم في مطالَبته إيّاه ، فضمن له جواره ، فوفّى عَجْرَدٌ لضابىء ، ولم يفِ لربيعة ، فقال ربيعة : [من الطويل]

أَعَجْــرُد إنِّي مــن أُمانيَّ باطلٍ وقــولِ غــداً شيخٌ لذاك سؤومُ
وإنَّ اختلافي نصف حولٍ مجرَّم إليكم بنــي هنــدٍ عــليَّ عظيمُ
فلا أُعرفنّي بعــد حــولٍ مجرَّم وقــولٍ خــلا يُشكُونَني فألومُ[8]

1 ظهيرةً : في المفضلية 43 ص 214 : وديقة وهي أشدّ الحر . الصيخود : الشديدة .
2 القذف : مترامي الأطراف . أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القتيل لا يفتأ يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره .
3 الأين : التعب .
4 في المفصلية 214/43 : وما أُبنّيء .
5 موجود عليه : أي لم يطش حلمك فيوجد عليك ، أي يغضب . عطاء منكود : نزر قليل .
6 لغايات في المفضلية 214/43 : بغايات .
7 برّاً في ل وفي المفضلية 214/43 عوضُ .
8 يشكونني : من أشكاه : أزال سبب شكواه .

ويلتمسوا وُدِّي وعطفيَ بعد ما تناشدَ قــولي وائـــلٌ وتميمُ
وإن لم يكن إلاّ اختــلافي إليكم فإنِّي امــرؤٌ عِرضي عــليَّ كريمُ
فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم بنــي قَطَــنٍ إنَّ المُليـــم مُليمُ[1]

فاجتمعت عشيرةُ عَجْرَدٍ عليه ، وأخذوه بإعطاث ربيعة مالَه ، فأعطاه إيّاه .

[حماد الراوية يثري على حسابه]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عَديّ ، عن حمّاد الرّاوية ، قال : دخَلتُ على الوليد بن يزيدَ ، وهو مُصطبِح ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي يُغنُّونه ، وعلى رأسِه وصيفة تَسقيه ، لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً . فقال لي : يا حمّاد ، أمرتُ هؤلاء أن يغنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتُها لمَن وافق صفتها نِحْلةً[2] . فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك ؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضّبّيّ : [من الكامل]

دارٌ لسُعْــدى إذ سُعــاد كأنَّها رَشأٌ غضيض الطَّرفِ رخصُ المِفْصَلِ
شَمَّاءُ واضحةُ العــوارضِ طَفلَةٌ كالبدرِ من خَلَل السحابِ المنجلي[3]
وكأنّمـــا ريحُ القَرَنفُــلِ نَشرُهــا أو حَنْوَةٌ خُلِطَتْ خزامى حَوْملِ[4]
وكأنّ فاها بعــد مــا طرَق الكرى كأسٌ تُصَفَّــق بــالرحيقِ السّلسلِ
لو أنّها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ في رأس مُشرفـــةِ الذُّرا متبتّلِ[5]
جــأّرٍ ساعــاتِ النّيــامِ لربِّــهِ حتــى تخــدَّدَ لحمُــه مُستعملِ[6]
لصَبا لبهجتها وحُسنِ حَدِيثها ولهـــمَّ مـــن ناموسه بتَنَـــزُّلِ[7]

فقال الوليدُ : أصبتَ وصفَها ، فاخترها أو ألفَ دينار ، فاخترتُ الألفَ الدينار ، فأمرها ، فدخلتْ إلى حرمِهِ ، وأخذتُ المالَ .

1 المليم : من أتى عملاً يستحقّ عليه اللوم .
2 نحلة : عطاء .
3 العوارض : جمع عارضة : الثنيّة من الأسنان ، أو صفحة الخد . طفلة : ناعمة رخصة .
4 الحنوة : الريحانة . الخُزامى : نبات عطري الرائحة . حومل : اسم مكان .
5 الأشمط : المختلط سواد شعره ببياض . في رأس مشرفة الذّرا : في رأس قمة عالية . متبتّل : متعبّد .
6 جآر : مبالغة من جأر : رفع صوته . تخدد لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل . مستعمل : مستعمل أعضاءه في أعمال التعبّد .
7 الناموس : بيت الراهب .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّدِه ، وحسَنِه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

صوت

بـل إنْ تَرَيْ شَمَطاً تفرَّعَ لِمّتي ... وحَنا قناتي وارتقى في مِسْحَلي[1]
ودَلَفْتُ مـن كبَرٍ كأنّيَ خاتـلٌ ... قَنَصاً ومن يدبِـبْ لصيـدٍ يخْتِلِ
فلقد أُرى حَسَنَ القَنـاة قويمَها ... كالنَّصْل أُخلصه جَـلاءُ الصَّيقَلِ
أزمانَ إذْ أنا والجديدُ إلى بلًـى ... تُصبِي الغـواني مَيْعَتـي وتنقُّلي[2]

غنى بذلك معبد ثقيلاً أوّل :

ولقد شهِدْتُ الخيل يوم طِرادها ... بِسَليمِ أُوظفـةِ القوائـم هَيكَلِ[3]
متقاذفٍ شَنِجٍ النَّسا عَبْلِ الشَّوى ... سبَّاقِ أندية الجيـاد عَمَيْثلِ[4]
لولا أكفكِفُـه لكان إذا جـرى ... منه العزيم يـدقُّ فأسَ المِسحلِ[5]
وإذا جـرى منـه الحميـمُ رأيتَـه ... يهـوِي بفارسِه هُوِيَّ الأجدلِ[6]
وإذا تَعلَّـلُ بالسّياط جيادُهـا ... أعطـاك نائيـه ولم يتعلّـلِ
ودَعَـوْا : نزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ ... وعـلامَ أركبُـه إذا لم أنـزلِ ؟
ولقد جمعتُ المالَ من جَمْع امرىءٍ ... ورفعتُ نفسي عـن لَئِيمِ المأكلِ
ودخلـتُ أبنيـةَ الملـوك عليهمُ ... ولَشَرُّ قولِ المـرءِ مـا لم يُفعَلِ
وألـدَّ ذي حَنَـقٍ عـليَّ كأنّما ... تَغـلي عـداوةُ صَدْرِهِ كالمِرْجلِ
أزجَيْتُه عنّـي فأبصرَ قصـدَه ... وكويتُه فـوق النَّواظر مـن عَلِ[7]

1 تفرّع لِمّتي : انتشر ، وتفشّى فيها . حنا قناتي : قوس ظهري . المسحل : جانب اللحية .

2 الميعة من كلّ شيء : أوّله . تنقلي في ل : وتبتلي .

3 أوظفة : جمع وظيف . مستدق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هيكل : ضخم .

4 متقاذف : سريع . شنج : منقبض . النّسا : عصب الورك يمتدّ منه إلى الكعب . عبل الشّوى : مندمج الأطراف . عميثل : ضخم قوي . آبدة الجياد : أي سباق الجياد الشاردة .

5 في مجموع شعر ربيعة بن مقروم بن ضبّة ص 373 لكاد . مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد عدد 11 ، حزيران 1968 . العزيم : الجري . المسحل : اللجام ، فأس المسحل : حديدته التي في حنك الفرس .

6 الحميم : العرق . الأجدل : الصقر .

7 أزجيته : دفعته .

وأخـي مُحافظـةٍ عَصى عُذَّاله ... وأطـاع لذّتـه مُعِـمٍّ مُخوِلِ
هشٍّ يـَراحُ إلى النَّـدى نبّهتُه ... والصبحُ ساطِعُ لونـه لم يَنْجَلِ[1]
فأتيـتُ حانوتـاً بـه فصبَحْته ... من عاتـقٍ بمزاجهـا لم تُقتلِ[2]
صهبـاءَ إلْياسيَّةٍ أُغـلى بهـا ... يَسرٌ كريـمُ الخِيـم غيرُ مُبخَّلِ[3]
ومُعَـرَّسٍ عُـرْضِ الرداء عَرَسْتُهُ ... من بعـد آخـرَ مثلِه في المنزِلِ[4]
ولقد أُصبتُ مـن المعيشة لينَها ... وأصابني منـه الزمـانُ بكلكلِ
فـإذا وذاك كأنّـه مـا لم يكن ... إلاّ تذكُّـره لمَـن لم يجهلِ
ولقـد أتتْ مائـةٌ علـيَّ أعدُّها ... حَـوْلاً فحـولاً لا بَلاها مُبتلِ
فإذا الشّبـاب كمِبْـذَلٍ أنضيتُه ... والدَّهرُ يُبلِـي كلَّ جِـدَّةٍ مِبْذَلِ[5]
هلاّ سألتِ وخُبْرُ قـوم عندَهم ... وشفاءُ غَيِّـكِ خابـراً أَن تسألي
هـل نُكرم الأضْيافَ إنْ نزلوا بنا ... ونسودُ بالمعـروفِ غيـرَ تنحُّلِ[6]
ونحُـلّ بالثغْر المخُـوفِ عَدوُّه ... ونـردُّ حـالَ العارض المتهلِّلِ[7]
ونُعـين غارمَنـا ونمنع جارَنا ... ونَزينُ مولى ذِكْرِنـا في المحفِلِ[8]
وإذا امـرؤ منّـا حَبـا فكأنَّه ... مِمّا يُخافُ على مناكـبِ يَذْبُلِ[9]
ومتى تَقُمْ عنـد اجتماعِ عشيرةٍ ... خطباؤها بـين العشيرة يُفْصَلِ[10]
ويرى العـدوُّ لنـا دُروءاً صعبةً ... عنـد النجـوم منيعـةَ المتأوّلِ[11]

---

1 يراح إلى الندى : يرتاح إليه .
2 العاتق : الخمر المعتقة .
3 إلياسية : لعلّها منسوبة إلى الخمّار . وفي الخزانة 566/3 صهباء صافية القذى أغلى بها . يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر .
4 المعرّس : مكان التعريس : الإقامة ليلاً .
5 المبذل : الثوب يلبس في المهنة .
6 غير تنحّل : غير ادّعاء وكذب وفي ل : غير تبخّل .
7 العارض المتهلّل : السّحاب المعترض في الأفق .
8 المولى : من معانيه الصديق .
9 يذبل : اسم جبل .
10 يفصل في ل : تفصل .
11 الدروء : جمع درء ، وهو النتوء في الجبل . المتأوّل : من تأوّل الأمر : توسمه وتحرّاه .

وإذا الحَمالــةُ أُثقلــت حُمَّالَها فعلى سوائمنـا ثقيــلُ المحمِلِ[1]
ونُحـــقّ في أموالِنـــا لحليفنـــا حقّاً يبـــوء بـــه وإن لم يَسْأَلِ[2]

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغانيَ من أشعار اليهود ، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة ، فمن ذلك : [من الكامل]

صوت

أنَّى تَذَكَّــر زينبَ القلبُ وطِلابُ وصلِ عزيزةٍ صَعْبُ
مــا رَوْضَةٌ جاد الرَّبيع لها مَوْليــة مــا حولهـا جدْبُ
بألَــذَّ منهــا إذ تقول لنا سيراً قليــلاً يَلْحقِ الرّكبُ

الشعر لأَوْس بن ذبّى القرظيّ ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وزعم عمرو أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى لمالك ، وأنّ فيه صنعة لابن محرز ، ولم يجنّسها .

---

1 الحمالة : ما يحمل في الديات ونحوها . السائمة : الماشية .

2 في الخزانة 565/3 : أموالنا لحريبنا . . حق تنوء به .

[467] ـ أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن دَبّي اليهوديُّ رجل من بني قُرَيْظة ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلّى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولاً بنَواحي يثربَ بعد وفاة موسى بن عمرانَ عليه السلام ، وقبل تفرّق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب .

[العمالقة في المدينة]

أخبرني بذلك عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ ، عن جعفر بن محمد العاصي عن أبي المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبيّ ، عن أبي سليمان : جعفر بن سعد ، عن العِماريّ ، قال : كان ساكنو المدينة في أوّل الدّهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية ، يقال لهم : العماليق ، وكانوا قد تفرّقوا في البلاد ، وكانوا أهل عزّ وبغي شديد ، فكان ساكني المدينةِ منهم بنُو هفّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له : الأرقم ، ينزل ما بين تَيْماءَ إلى فَدَك ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجُبابرة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم ، ولا يَستبِقُوا منهم أحداً ، فقدِم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم الله عزَّ وجلَّ على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلاّ ابناً للأرقم ؛ فإنّه كان وضيئاً جميلاً ، فضنوا به على القتلِ ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ، فوجدوا موسى ، عليه السلام ، قد توفّي ، فقالت لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا : أظهرنا الله جلَّ وعزَّ عليهم ، فقتلناهم ، ولم يبقَ منهم أحد غيرُ غلام كان شابّاً جميلاً ، فنَفِسْنا به عن القتل ، وقلنا : نأتي به موسى عليه السلام ، فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية : قد أُمِرْتم ألاّ تَسْتَبْقُوا منهم أحداً ، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً .

[أوّل سكنى اليهود المدينة]

فلمّا مُنِعوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم ، فنقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوها ، وكان ذلك الجيش أوّل سكنى اليهود المدينة ، فانتشروا في نواحي المدينة كلّها إلى العالية ، فاتّخذوا

بها الآطام[1] والأموال والمزارع ، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً .

[بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم]

ثم ظهرت الرّوم على بني إسرائيل جميعاً بالشام ، فوطئوهم ، وقتلوهم ، ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النَّضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لَمّا غلبتهم الرّوم على الشام ، فلمّا فَصَلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الرّوم في طلبهم ؛ ليردّهم ، فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوزَ ، فلما بلغ طلبُ الرّوم الثمد انقطعت أعناقهم عطشاً ، فماتوا ، وسمّي الموضع ثمد الروم ، فهو اسمه إلى اليوم ، فلمّا قدِم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابَة ، فوجدوها وَبِيَّة[2] فكرهوها ، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً سواها ، فخرج حتى أتى العالية ، وهي بُطحانُ ومَهْزُورٌ : واديان من حَرَّة على تلاع أرض عَذِيّة ، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشجر ، فرجع إليهم ، فقال : قد وجدتُ لكم بلداً طيّباً نَزِهاً على حَرّة يصبّ فيها واديان على تلاع عذية ومَدرةٍ[3] طيبة في مُتأخَّر الحرّة ، ومدافع الشَّرْج ، قال : فتحوَّل القومُ إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتّخذوها أموالاً ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومَن معهم على مهزور ، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقي من بُعاثَ وسمرات ، فكان مِمّن يسكن المدينة ، حين نزلها الأوس والخزرج ، من قبائل بني إسرائيل بنو عكرة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زغورا ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو الفصيص ، فكان يسكن يثربَ جماعةٌ من أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعزّ على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ، ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال له : الخال .

[بطون من العرب بالمدينة]

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم : بنو الحرمان : حي من اليمن ، وبنو مَرْثد حي من بليّ ، وبنو أنيف من بليّ أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بَهْثَةَ ، وبنو الشطية : حي من غسّان ، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود : الكاهنان ، نُسِبوا بذلك إلى جدِّهم الذي يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمَران والحسنان والقمران[4] ، قال كعبُ بن سعد القرظيّ : [من البسيط]

---

1 الآطام : جمع أُطُمُ أو أُطْم : الحصون ، أو كلّ بناء مرتفع .

2 وبية : تخفيف وبيئة بمعنى كثر فيها الوباء .

3 مدرة : تربة .

4 العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين . والقمران : الشمس والقمر .

بالكاهِنيْــن قررتــمْ في ديارِكُــمُ   جمّاً ثواكم ومــن أجلاكم جَدُبا[1]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلميّ يردّ على خوّات بنِ جبير لمّا هجاهم : [من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهِنَيْنِ وفيكمُ   لهم نِعَمٌ كانت مدى الدَّهر تُرْتُبا[2]

[هجرة القبائل بعد سيل العرم]

فلمّا أرسل الله سيلَ العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : مَن كان ذا جَمَل مِفَنّ ووطب[3] مدنّ وقربَة وشنّ ، فلينقلب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يومُ همّ وليلحق بالثِّني من شنّ ، قال وهو بالسراة ، فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومَن كان ذا فاقة وفقر ، وصبر على أزمات الدَّهر فليلحق ببطن مُرّ ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال لهم : مَن كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير ، فليلحق ببُصْرى والحفير ، وهي من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم : ومَن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عُمان الجديد ، فكان الذين نزلوه أزد عُمان ، ثم قال : ومَن كان يريد الرّاسخاتِ في الوَحْل ، المطعمات في المَحْل ، فليلحق بيثرب ذات النخل .

[الأوس والخزرج يعانون شظف العيش بالمدينة]

فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج ، فلمّا توجّهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صِرار[4] ثم تفرّقوا ، وكان منهم مَن لجأ إلى عَفاء[5] من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به ، ومنهم مَن لجأ إلى قرية من قُراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ لأنّ المدينة ليست بلاد نَعَم ، وليسوا بأصحاب نخل. ولا زرع ، وليس للرجل منهم إلاّ الأعْذاقُ[6] اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حيناً .

[أبو جبيلة يفتك باليهود]

ثم إنّ مالكَ بن العجلان وفد إلى أَبي جُبيلة الغَسّانيّ وهو يومئذٍ مَلِك غسان ، فسأله عن

1 جمّا ثواكم : كثيرة إقامتكم .
2 ترتبا : أمراً ثابتاً .
3 المفن : ذو الفن ، فلعلّه يعني تفنن الجمل في ضروب السير . الوطب : الإناء يُسقى فيه اللبن .
4 صرار : موضع على قرب من المدينة .
5 عفاء : يباب .
6 الأعذاق : جمع عَذْق وهو النخلة بحملها .

قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منّا بلداً قطّ إلاّ غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه ، وقال له : أعلِمهم أنّي سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبي جُبَيْلة ، ثم قال لليهود : إنّ الملكَ يريد زيارتكم فأعِدّوا نُزُلاً نزلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف ، حتى قدِم المدينة ، فنزل بذي حُرُض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذي قدِم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسَهم وأشرافهم ، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم ، فيُمْنَعوا منه حتى يطول حصاره إيّاهم ، فأمر ببنيان حائرٍ[1] واسع ، فبُني ، ثم أرسل إلى اليهود : أنّ أبا جبيلة الملكَ قد أحبّ أن تأتوه ، فلم يبقَ وجهٌ من وجوه القوم إلاّ أتاه ، وجعل الرجل يأتي معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبُوَهم ، فلمّا اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بُني ثم يقتلوا كل مَن يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حجّابه أن يأذنوا لهم في الحائر[2] ويدخلوهم ، رجلاً رجلاً ، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلُهم الجند الذين في الحائر ، حتى أتوا على آخرهم .

[سارة القريظية ترثي قومها]

فقالت سارة القريظيّة ترثي مَن قَتَلَ منهم أبو جُبَيْلة ، تقول : [من الوافر]

بنفسي أمَــةٌ لم تُغْنِ شيئاً بذي حُرُضٍ تُعفّيها الرياحُ
كُهولٌ مــن قُريظةَ أتلفَتْها سيوفُ الخزرجيَّة والرّماحُ
رُزِئنا والرزيّــةُ ذات ثِقْلٍ يَمُــرُّ لأهلِها المــاءُ القَراحُ
ولو أُرِبُــوا بأمرهمُ لجالت هنالك دونهم جَأْوا رَداحُ[3]

[الرمق يمدح أبا جبيلة]

وقال الرّمق ، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغسانيّ : [من مجزوء الكامل]

لم يُقْــضَ دينُك في الحسا نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا[4]

---

1 الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحيّر ، ولا يخرج .
2 الذي . . . . . . الحائر زيادة من ل .
3 أربوا : كانوا من ذوي الأرب بمعنى الفطنة والحذق . جأوا : أي جأواء . رداح : كثيرة العدد .
4 غنيت ، غنين : أقمت وأقمن .

الرّاشقـــاتِ المرشقـــا   تِ الجازياتِ بما جُزينا[1]
أمثـــال غـــزلانِ الصرا   ئـــمِ يأتـــزرن ويرتدينا[2]
الرَّيْــــطَ والدِّيبـــاجَ   والزَّردَ المضاعف والبُرِينا[3]
وأبـــو جُبيْلـــة خيرُ مَن   يمشي وأوفاهـــم يَمينا
وأبـــرُّه بِـــرّاً وأعْلَـــ   ـــمهُ بعلـــم الصالحينا
أبقت لنـــا الأيّامُ والحَر   بُ المهمَّـــةُ تعترينـــا
كبشاً لنـــا ذَكَراً يفُـــلُّ   حسامُه الذكـــرَ السَّنِينا[4]
ومعاقـــلاً شُمّـــاً وأسيـــ   ـــافـاً يَقُمـــن وينحنينا
ومحلّـــة زوراء تُـــــر   جِفُ بالرِّجالِ المُصلِتينا[5]

فلمّا أُنشدوا أبا جُبيلة ما قال الرّمق ، أُرسل إليه ، فجيء به ، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء ، فلمّا رآه قال : «عسل طيِّب ووعاء سوء»[6] ، فذهبت مثلاً ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد مَن قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل إلى الشام .

[بقية خبر أبي جبيلة]

وقال الصامت بن أُصرم النّوْفليّ يذكر قَتْل أبي جُبيلة اليهود : [من الكامل]

سائل قُريظَـةَ مَـن يُقَسِّم سَبْيَها   يوم العُرَيْض ومن أفاء المغنما ؟
جاءتهمُ الملحـاءُ يخفِـق ظلُّها   وكتيبـةٌ خشناءُ تدعـو أسلما[7]
عمِّي الذي جلـب الهمامَ لقومه   حتى أحـلَّ على اليهودِ الصَّيْلَما[8]

[مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة]

يعني بقوله : «مَن يقسِّم سبيَها» نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة ، وكان رآهن

1 الراشقات : الراميات بسهام العيون . المرشقات : من أرشق الظبي : مدّ عنقه .
2 الصرائم : جمع صريمة : القطعة من الرمل .
3 الريط : الثياب اللينة الرقيقة . والبرين ، جمع برة : الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك .
4 الكبش : سيد القوام المدافع عنهم . الذكر السنين : السيف المسنون .
5 زوراء : بعيدة . المصلتين : المجردين سيوفهم .
6 مثل : وردت صيغة المثل في مجمع الأمثال 133/2 كلام كالعسل وفعل كالأسل .
7 الملحاء : الكتيبة العظيمة . الخشناء : كثيرة السّلاح .
8 الصيلم : الداهية الشديدة ، أو اسم من أسماء السّيف .

فأعجبنه ، وأعطى مالك بن العجلان منهنّ امرأة .

قال أبو المنهال أحدُ بني المعلَّى : إنّهم أقاموا زمناً بعد ما صنع ، ويهود تعترض عليهم ، وتُناوِئهم ، فقال مالك بن العجلان لقومه : والله ما أثخنّا يهودَ غلبةً كما نريد ، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً ، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً ، فقالوا : نفعل ، فلمّا جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قَتَل أبو جُبَيْلة منّا مَن قتل ، فقال لهم مالك : إنّ ذلك كان على غير هوًى منّا ، وإنّما أردنا أن نمحوَه ، وتعلموا حالَكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلّما دخل عليه رجل منهم أمَرَ به مالك فقُتِل ، حتى قَتَل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، ثم إنّ رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك ، فتَسمَّعَ فلم يسمع صوتاً فقال : أرى أسرَعَ وِردٍ وأبعدَ صَدَرٍ ، فرجع وحَذَّر أصحابه الذين بَقُوا ، فلم يأتِ منهم أحدٌ ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان : [من المتقارب]

فَسفَّهْــتَ قَيْلَــةَ أحلامَهــا ففيمَن بقيتَ وفيمن تَسودْ[1] ؟

فقال مالك : [من المتقارب]

فإنّي امرؤ مــن بني سالم بْـ ـنِ عَوْفٍ وأنت امرؤٌ من يهودْ

قال : وصَوَّرت اليهود مالكاً في بِيَعهم وكنائِسهم ، فكانوا يلعنونه كلّما دخلوها ، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله : [من المتقارب]

تَحامِــي اليهــودِ بتَلْعانهــا تَحامِــي الحميــرِ بــأبوالها[2]
فمــاذا عــليَّ بــأن يلْعَنــوا وتأتــي المنايــا بــأذلالها[3]

[اليهود يذلّون]

قال : فلمّا قَتل مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا ؛ وقلّ امتناعُهم ؛ وخافوا خوفاً شديداً ؛ وجعلوا كلّما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمشِ بعضُهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهوديّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول : إنّما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كلّ قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعزّزون بهم .

1 قيلة : أم الأوس والخزرج .
2 تحامى ، من طلب الحماية باللّعن .
3 أذلال : جمع ذَلّ : بمعنى الطريق الممهد .

[يهودية تعتنق الإسلام]

وذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّ أوسَ بنَ دَبَّى القرظيّ كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه في الإسلام ، فقال فيها : [من الطويل]

دَعتني إلى الإسلامِ يومَ لقِيتُها ... فقلت لها : لا بل تعالَيْ تهوَّدِي
فنحنُ على توراة موسى ودينِه ... ونِعم لعمري الدينُ دِينُ محمدِ
كلانا يرى أنّ الرّسالةَ دينُهُ ... ومن يُهْدَ أبوابَ المراشدِ يَرْشُدِ

ومن الأغاني في أشعار اليهود : [من الوافر]

صوت

أعاذلتي ألا لا تَعذِليني ... فكم من أمرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعيني وارشُدي إن كنتُ أغْوى ... ولا تغوَيْ زعمتِ كما غوَيتُ
أعاذلَ قد أطلتِ اللّومَ حتّى ... لَو انّي مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ
وحتى لو يكونُ فَتى أُناسٍ ... بكى من عَذل عاذلةٍ بكَيْتُ
وصفراءَ المعاصِمِ قد دعتني ... إلى وصلٍ فقلتُ لها : أبَيْتُ
وزِقٌّ قد جررتُ إلى النَّدامى ... وزِقٌّ قد شَرِبت وقد سَقَيتُ

الشعر للسموءل بن عاديا ، فيما رواه السكريّ عن الطوسيّ ، ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأوّل والثاني والرابع والخامس من الأبيات ؛ وزعم ابن المكّيّ أنّه لمعبد ، وزعم عمرة بن بانة أنّه لمالك ، ولدَحْمان أيضاً في الأوّل والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكّيّ أنّ هذا الرمل لابن سريج ، وفي الأوّل والثاني والسادس رمل بالوسطى ، لأبي سعيد مولى فائِد ثاني ثقيل عن يحيى المكّيّ ، وزعم الهشاميّ أنّ الرمل لعبد العزيز الدفاف .

[468] ـ أخبار السموءل ونسبه[1]

[نسبه]

هو السموءل بن عُرَيض بن عاديا ، بن حباء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكريّ عن الطوسيّ وابن حبيب ، وذكر أنّ النّاس يُدرِجون عُرَيضاً في النسب ، وينسبونه إلى عاديا جدّه ، وقال عمر بن شبّة : هو السموءل بن عاديا ، ولم يذكر عريضاً .

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال ، وهو من ولد السموءل ، أنّ عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، وهذا عندي محال ؛ لأنّ الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشْرَة إلاّ أكثر ، والله أعلم .

[من مفاخر السموءل]

وقد قيل : إنّ أُمّه كانت من غسان ، وكلّهم قالوا : إنّه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجدّه عاديا ، واحتفر فيه بئراً رَوِيَّة عذبة ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، قال السموءل : [من المتقارب]

فبِالأبلـقِ الفَـردِ بيتي بـه وبيتُ النضير سوى الأبلـقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصن : [من الوافر]

بنى لي عاديـا حِصناً حصيناً ومـاءً كلّما شئتُ استقيْتُ

وكانت العربُ تنزل به ، فيضيفها ، وتمتارُ من حصنه ، وتقيم هناك سوقاً .

وبه يُضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِل ، ولم يخن أمانته في أَدْراع أُودِعَها .

[امرؤ القيس يفِد عليه]

وكان السبب في ذلك ، فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبيّ ، أنّ امرأ القيس ابنَ حُجْر لّما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموءل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه

1 انظر أخباره في : محاضرات الراغب 1 : 285 والمحاسن والأضداد : 47 والبيهقي 108 والشريشي 3 : 172 ونهاية الأرب 3 : 240 والعقد الفريد للملك السعيد : 86 والتذكرة الحمدونية 3 : 12–13 ، وشعر السموأل في هذه المصادر وفي حماسة البحتري : 141 وغرر الخصائص : 32–33 .

بني كنانة على أنّهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله ، وتفرّقهم عنه ، حتى بقي وحده ، واحتاج إلى الهرب ، فطلبه المنذر بن ماء السماء ، ووجَّه في طلبه جيوشاً من إياد وبهراءَ وتنوخ وجيشاً من الأساورة أمده بهم أنو شروان ، وخذلته حِمْيَر ، وتفرّقُوا عنه : فلجأ إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأمّ الذيول ، وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملكٌ عن ملك ، ومعه بنته هند ، وابن عمّه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال كان بقي معه ، ورجل من بني فزارة يقال له : الربيعُ بن ضَبُع شاعر ، فقال له الفزاريّ : قل في السموءل شعراً تمدحه به ، فإنّ الشعر يعجبه ، وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله : [من الكامل]

ولقد أتيتُ بني المُصاصِ مُفاخراً   وإلى السموءل زرتُـه بـالأبلقِ
فأتيتُ أفضلَ مَـن تحمَّل حاجةً   إنْ جئتَـه في غـارمٍ أو مُرهَقِ
عَرَفتْ لـه الأقـوامُ كلَّ فضيلةٍ   وحـوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَقِ

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته : [من الكامل]

طرقتْكَ هنـدٌ بعـد طول تجنُّبٍ   وَهْناً ولم تَـكُ قبل ذلك تطرُقُ

قال : وقال الفزاريّ : إنّ السموءل يمْنَع منك حتى يرى ذاتَ عينك ، وهو في حصن حصين ومال كثير ، فقدِم به على السموءل ، وعرفه إيّاه ، وأنشداه الشعر ، فعرف لهما حقَّهما ، وضرب على هند قُبَّة من أَدَم ، وأنزل القوم في مجلس له بَراح ، فكانت عنده ما شاء الله .

[امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرحل]

ثم إنّ امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسَّانيّ أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق ، وأودع بنيه وماله وأدراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلَّف ابن عمّه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق ؛ ويقال : بل الحارث بن أبي شَمِر الغسانيّ ؛ ويقال ، بل كان المنذر وجَّه بالحارث بن ظالم في خيل ، وأَمَرَهُ بأخذ مال امرىء القيس من السموءل .

[يضحي بابنه وفاء بعهده]

فلمّا نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفَع وخرج إلى قَنص له ، فلمّا رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابني ، قال : أفتسلّم ما قِبَلك أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلستُ أخفِر ذمّتي ، ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارثُ وسَط الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل في ذلك : [من الوافر]

وفيْتُ بأدرُعِ الكِنديّ إنّي إذا ما ذُمَّ أقوامٌ وفيْتُ
وأوصى عاديـاً يومـاً بألاّ تُهدّم يا سموءلُ ما بنيتُ
بنى لي عاديـاً حِصناً حَصيناً وماءٍ كلّما شئتُ استقيتُ

[الأعشى يستجير بابنه فيجيره]

وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح بن السموءل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه ، ثم ظفر به ، فأسره ، وهو لا يعرفه ، فنزلَ بشريح بن السموءل ، وأحسن ضيافته ، ومَرَّ بالأسْرَى ، فناداه الأعشى : [من البسيط]

شُريحُ لا تُسلِمنّي اليومَ إذ علِقت حبالُك اليوم بعد القيد أظفاري
قد سرتُ ما بين بلقاء إلى عدنٍ وطال في العُجم تَكراري وتَسياري
فكان أكرمَهم عهداً وأوثَقهم عَقْداً أبوك بعُرفٍ غير إنكارِ
كالغيثِ ما استمطَرُوه جاد وابلُه وفي الشدائدِ كالمستأسِد الضاري
كُنْ كالسَّموءل إذ طاف الهمامُ به في جحفلٍ كسواد الليل جرّارِ[1]
إذ سامه خُطَّتَيْ خسفٍ فقال له : قُل ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ
فقال : غَدرٌ وثُكلٌ أنت بينَهما فاخترْ ، وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له : اقتُل أسيرَك إنّي مانعٌ جاري
وسوف يُعْقبُنيه إن ظفِرتَ به ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هدَراً وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسراري
فاختار أدْراعَه كَيْلا يُسبَّ بها ولم يكن وعْدُهُ فيها بختّارِ[2]

فجاء شريحُ إلى الكلبيّ فقال له : هب لي هذا الأسيرَ المضرور فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقِم عندي ، حتى أكرمك ، وأحْبُوكَ ، فقال له الأعشى : إنّ تمام إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية[3] ، وتُخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي أن الذي وَهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح ، ابعَث إليَّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه ، وأعطيَه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه .

1 يقصد بالهمام الحارث بن ظالم .
2 ختّار : غدّار .
3 ناجية : سريعة .

[469] ـ سعية بن غريض[1]

سَعيةُ بن غُرَيض بن عاديا أخو السموءل شاعر ، فمن شعره الذي يُغنّى فيه قولُه : [من البسيط]

صوت

يا دارَ سُعْدى بمفْضى تلعةِ النَّعم حُيِّيتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ
عُجْنا فما كلَّمتنا الدارُ إذ سُئِلت وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صممِ
وما بِجزعكِ إلاّ الوحش ساكنةٌ وهامدٌ من رمـاد القدر والحُمَمِ[2]

الشعر لسعْيَةَ بن غُريضَ ، والغنـاء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، ويقال : إنّه لمالك ، وفيه لابن جُؤذرةَ رمل عن الهشاميّ : وسَعْية بن غَريض القائل ، وفيه غناء : [من السريع]

صوت

لُبابُ هلْ عندكِ من نائلٍ لعاشقٍ ذي حاجـةٍ سائلِ
عَلّلتِه منـك بمـا لم يَنَلْ يـا ربَّمـا عَلَّلتِ بالباطلِ

الغناء لابن سُريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لمتَيَّم رمل آخر من جامعها ، وفيه لحن ليونس غير مجنّس ، وأوّل هذه القصيدة :

لُبابُ يا أختَ بَني مالكٍ لا تشتري العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ داوِينـي ولا تَقتُلي قد فُضِّل الشافي على القاتلِ
إن تسألي بي فاسألي خابراً والعِلْم قد يُلْفَى لدى السائلِ
يُنْبيكِ مَـن كان بنا عالِماً عنّا ومـا العالِمُ كالجاهلِ

1 وردت ترجمته في الجزء 3 : 90 .
2 الجزع : منعطف الوادي ، أو وسطه . والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلّف ممّا أحرقته النار .

أنّا إذا حارت دواعي الهوى ... وأنصتَ السامــع للقائلِ
واعتلج القــومُ بــألبابهم ... في المنطق الفاصل والنائلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقّــاً ولا ... نَلُــظُّ دون الحــقّ بالباطلِ[1]
نخاف أن تَسفَــه أحلامُنا ... فنُخْملَ الدهــرَ مع الخاملِ

[معاوية يتمثّل بشعره]

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدَّثني أحمد بن الهيثم الفراسيّ: قال: حدَّثني العمريّ، عن العتبيّ، قال: كان معاوية يتمثّل كثيراً إذا اجتمع النّاس في مجلسه بهذا الشعر:

إنّا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السامــع للقائلِ
لا نجعل الباطلَ حقّــاً ولا ... نَلُــظُّ دون الحــقّ بالباطلِ
نخاف أن تسفَــهَ أحلامُنا ... فنُخْملَ الدهرَ مــع الخاملِ

[عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء: قال: حدَّثنا الزّبير بن بكّار: قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني خالي يوسف بن الماجِشون، قال: كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده: [من السريع]

إنّا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصــت السّامعُ للقائلِ
واصْطـرعَ القـومُ بألبابهم ... نقضي بحُكْمٍ عادل فاصلِ
لا نجعلُ الباطـل حقّاً ولا ... نُلِـظُّ دون الحــقّ بالباطلِ
نخاف أن تسفَهَ أحلامُنـا ... فنُخْملَ الدَّهـرَ مع الخاملِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحقّ بين الخصمين.

[أصحابه يميلون مع الريح]

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا: حدَّثنا أبو قلابة: قال: حدَّثنا الأصمعيّ، عن أبي الزّناد، عن أبيه، عن رجال من الأنصار: أنَّ سَعْيَةَ بن غريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج، ويأتونه، فيقيمون عنده، ويزورونه في أوقات قد ألِف زيارتَهم فيها، فأغار عليه بعض ملوك اليمن، فانتسَفَ[2] من ماله حتى افتقر، ولم يبقَ

---

1 لظ الشيء وألظّ به: تمسك به، ولزمه.

2 انتسف ماله: اقتُلع من أصله.

له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانُه ، وجَفَوه ، فلمّا أخصب ، وعادت حاله ، وتراجعت راجعوه ، فقال في ذلك : [من الوافر]

أرى الخُلاَّن لما قلَّ مالي وأجحفَتِ النوائبُ وَدَّعوني
فلمّا أن غَنِيتُ وعاد مالي أراهم لا أبا لك راجعوني
وكان القوم خُلاّنا لمالي وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني
فلمّا مَرَّ مالي باعدوني ولما عاد مالي عاودوني

ومن أشعار اليهود ويُغنّى به :

صوت

[من المنسرح]

هل تعرِف الدارَ خفَّ ساكنُها بالحِجْرِ فالمُستَوى إلى ثمدِ
دار لبهنانةٍ خَدَلَّجَّةٍ تضحك عن مثل جامد البرَدِ[1]
نِعمَ ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ وغارت كواكبُ الأسدِ
يا مَن لقلبٍ متيَّم سَدِمٍ عانٍ رهينٍ أُحيط بالقفدِ[2]
أزجرُه وهْو غيرُ مُزدجرٍ عنها وطرفي مقارِنُ السُّهُدِ
تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلاً مشي النزيفِ المبهورِ في صَعَدِ[3]
تظلّ من زَوْرِ بَيْتِ جارتها واضعةً كفّها على الكبِدِ

الشعر لأبي الزّناد اليهوديّ العديمي ، والغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول ، عن الهشاميّ ويحيى المكّي ، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، وقال : أظنّه من منحول يحيى بن المكيّ ، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ، ولابن محرز في «يا من لقلب» . وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّ فيها لحناً لمعبد لم يذكر طريقته ، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنّس ، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم ، وذكر ذلك عمر بن شبّة : ومن الغناء في أشعار اليهود من قُريظة والنّضير : [من البسيط]

1 البهنانة : الطيبة النفس والريح ، والضحوك الخفيف الروح . الخدلّجة : الممتلئة الساقين والعضدين .
2 سدم : عاشق سدم : شديد العشق .
3 فضل : مختالة في مشيتها ، تفضل من ذيل ردائها . النزيف : المنثني من السكر ونحوه . المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء .

صوت

دورٌ عَفَتْ بِقُرى الخابورِ غَيَّرَها ... بعــدَ الأَنيسِ سَوافي الرِّيح والمطرُ
إن تُمسِ دارُكَ مِمَّنْ كان ساكنَها ... وحشا فَذَلِكَ صَرفُ الدَّهر والغِيَرُ
وقــد تحُــل بهـــا بيض ترائبُها ... كأنّها بـــين كُثْبانِ النَّقــا البقرُ[1]

الشعر للربيع بن أبي الحُقيق ، روى ذلك السكريّ ، عن الطوسيّ ، وعن محمد بن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد .

1 الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردها تريبة .

[470] ـ أخبار الربيع بن أبي الحقيق

[الربيع رئيس لبني قريظة]

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة ، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رياسة بني قريظة للربيع ، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضيِّ ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذٍ سلامُ بن مشْكَمٍ .

[يلتقي بالنابغة الذبيانيّ]

أخبرني عمّي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدّثني الحسن بن موسى ؛ مولى بني مازن بن النجّار عن أبي عبيدة قال : أقبل النابغة الذبيانيّ يريد سُوقَ بني قَيْنُقاعَ ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أُطُمِه ، فلمّا أشرفا على السوق سمعا الضَّجّة ، وكانت سوقاً عظيمة ، فَحاصَتْ[1] بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

كادت تُهال من الأصوات راحلتي[2]

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق : أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

والنَّفْرُ منهـا إذا مـا أَوجَسَتْ خُلُق

فقال النابغة : ما رأَيتُ كاليوم شِعراً ، ثم قال : [من البسيط]

لـولا أُنَهْنِهُهـا بالسَّوطِ لاجْتَذَبتْ[3]

أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

منِّـي الزمـام وإنِّـي راكـبٌ لَبِق

فقال النابغة : [من البسيط]

قـد ملَّتِ الحَبْسَ في الآطامِ واسْتَعفَتْ

أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

1 حاصت ناقته : نفرت ، وحادت .

2 تهال : يعتريها الهول .

3 أنهنهها : أزجرها

إلى مناهِلِهـا لـو أنّهـا طُلُق

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر النّاس .

[أبان بن عثمان يتمثّل بأبياته]

حدَّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال : حدَّثني الحِزاميُّ قال : حدَّثني سعيد بن محمد الزُّبيريّ ، قال : حدَّثنا ابن أبي الزّناد ، عن أبيه قال : قَلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبانَ بن عثمان إلاّ سمعتُه يتمثَّل بأبيات ابن أبي الحُقَيق : [من المتقارب]

سئِمْتُ وأَمْسَيْتُ رهـنَ الفِرا ... ش ِ منْ جُرْمِ قومي ومن مَغْرَمِ
ومن سَفَهِ الرّأي بعـد النُّهى ... وغَيْـبِ الرشادِ ، ولم يُفْهَمِ
فلـوْ أنَّ قومـي أطاعوا الحلـ ... ـيمَ لم يتَعـدَّوْا ولم نُظْلَمِ
ولكنّ قومـي أطاعُوا الغُوا ... ةَ حتى تعكّص أهـلُ الدمِ[1]
فأودى السّفيهُ بـرأي الحلـ ... ـيم وانْتَشَرَ الأَمـرُ لم يُبْرَمِ

[يعاتب قوماً من الأنصار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا مُعاذ ، عن أبي عبيدة قال ، قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه : [من الطويل]

رأيتُ بني العنقاء زَالُوا ومُلْكُهُمْ ... وآبُوا بأَنْفٍ في العشيرة مُرْغَمِ
فإن يُقْتَلُوا نَنـدمْ لذاك وإن بقُوا ... فـلا بـدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأثَمِ
وإنَّا فُويـقَ الرأسِ شؤبوبُ مُزْنَةٍ ... لها بَرَدٌ ما يغشَ مِ الأرضِ يَحْطِمِ[2]

صوت

[من الرمل]

ولنـا بئـرٌ رَواءٌ جَمَّـةٌ ... مَـن يردْهـا بإنـاءٍ يغتَرِفْ[3]
تُدْلِـجُ الجـونُ على أكنافها ... بدِلاءٍ ذاتِ أمـراسٍ صُدُفْ[4]

---

1 تعكص أهل الدم : ضنوا .
2 الشؤبوب : الدفعة من المطر .
3 الرواء : الماء العذب ، أو الكثير الذي يرتوي منه .
4 تدلج : تسير ليلاً . الجون : الإبل السوداء . أكنافها : جوانبها ونواحيها . أمراس : حبال . صدف : جمع صدوف ، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك .

كلّ حاجاتــيَ قَــد قَضَّيتها غيرُ حاجاتيَ من بطن الجُرُفْ[1]

الجرف : موضع لهم ، بالجيم معجمة .

الشعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ ، والغناء لمالك ثقيل أوّل عن يحيى المكّيّ ، قال : وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل ، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى في كتابه : وقد خلط الرّواة في ألحانهم ، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لابن جامع خفيفَ رمل بالبنصر ، وفيه لجُعْدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

1 بطن الجرف : موضع قرب المدينة .

[471] ـ أخبار كعب ونسبه ومقتله

[اسمه ونسبه]

كعبُ بنُ الأشرف مُختلَفٌ في نسبه ، فزعم ابن حبيب أنّه من طيّىء ، وأمّه من بني النَّضير ، وأنّ أباه توفّي وهو صغير ، فحملته أمّه إلى أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد ، وكبر أمره ، وقيل : بل هو من بني النَّضير .

وكان شاعراً فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيرِه في الحروب التي كانت بين الأَوْس والخزرج ، تُذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى ـ وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح ، وكان عدوّاً للنبيّ ﷺ يهجوه ، ويهجو أصحابَه ، ويُخَذِّل عنه العربَ ، فبعث النبيّ ﷺ نفراً من أصحابه ، فقتلوه في داره .

[ذكر خبره في ذلك]

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ ﷺ ، ويُحرِّض عليه كُفّارَ قريش في شعره ، وكان النبيّ ﷺ قدِم المدينة ، وهي أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمَعُهم دعوةُ النبيّ ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأَوْثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة[1] والحصون ، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج ، فأراد النبيّ ﷺ ، إذ قدم ، استصلاحَهم كلَّهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، ويكون مسلماً وأَخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود حين قدِم النبيّ ﷺ يؤذونه وأصحابَه أشدّ الأذى ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفوِ عنهم ، وأنزل في شأنهم : ﴿ولَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكم﴾[2] الآية . وأنزل فيهم : ﴿وَدَّ كثيرٌ من أَهلِ الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم﴾[3] إلى قوله : ﴿ واصفحوا﴾ فلمّا أبى كعبُ بنُ الأشرف أن ينزِع عن أذى النبيّ ﷺ وأصحابه أمر النبيّ ﷺ سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْسِ بنَ جُبير ، والحارث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشيّة ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلمّا رآهـم كعب أنكر شأنَـهم ، وكان يُـذْعَر منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟

1 الحلقة : يراد بها حلقة القوم ، أو حلقة البئر .

2 سورة آل عمران ، الآية : 186 .

3 سورة البقرة ، الآية : 109 .

فقالوا : جئنا لنبيعَكَ أدراعاً نسْتَنفِق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتُم[1] مُذْ نـزل بكـم هذا الرجل ، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ النّاس ، فجاؤوا ، فناداه رجل منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتَهم هذه بشيءٍ ممّا تحبّ ، فقال : بلى إنّهم قد حدّثوني حديثَهم ، وخرج إليهم ، فاعْتَنَقَهُ أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعِبَتْ اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبيّ ﷺ ، فقالوا : قد طُرِق صاحبنا الليلة ، وهو سيِّد من سادتنا ، فقتل ، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤذَى به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً ، فكُتِبت الصحيفة بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبيّ ﷺ عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

[من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحدِ   باقٍ فيسمَعَ صَوتَ المُدْلج الساري
تلك المنازلُ من صَفراءَ ليس بها   نـارٌ تضيء ولا أُصوات سُمَّارِ

ويروى : «ليس بها حَيٌّ يُجيب» .

الشعر لبيهسٍ الجرْميّ ، والغناء لأحمدَ بن المكيّ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وقال عمرو بن بانة : فيه ثاني ثقيل بالبنصر ، يقال : إنّه لابن محرز ، وقال الهشاميّ : فيه لطياب بن إبراهيم خفيف ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء .

[من الكامل]

ارفع ضعيفكَ لا يَحُرْ بك ضعفُهُ[2]

---

1 جهدتم : افتقرتم ، وساءت حالكم .

2 لا يحر بك ضعفه : لا يرجع بك ضعفه عن نصرته .

[472] ـ أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

بَيْهسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عَديّ بن بَيهس بن طَرُود بن قدامة بن جَرم بن الديان بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو[1] بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاءٌ حسن ، وبَعضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

[من هي صفراء]

وقد اختلف الرّواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القَحْذَميّ أنّها كانت زوجتَه وولدت له ابناً ، ثم طلّقها ، فتزوّجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها . وذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّها كانت بنتَ عمّه دِنْيَةً[2] ، وأنّه كان يهواها فلم يُزَوَّجْها ، وخطبها السديُّ ، وكان مُوسِراً ، فزُوِّجَها .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صُهيب الجرميّ يهوى امرأة من قومه ، يقال لها ، صفراءُ بنتُ عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنتُ عمّه دِنْيَةً ، وكان يتحدّث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وَجْدَهُ بها ، ولا يُظهِره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنّه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثْرِيَ ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشِعراً ، فكان نساء الحيّ يتعرّضْنَ له ، ويجلسْن إليه ويتحدّثن معه ، فمرّت به صَفْراء ، فرأته جالساً مع فتاة منهن ، فهجرته زماناً لا تُجِيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوّجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهسُ بنُ صُهيب : [من الطويل]

1 يبدو : يسكن البادية .

2 دنية : قريب لاصق .

سقى دمنةً صفراءِ كانت تَحلُّها ... بنــوء الثُّريّــا طلُّهــا وذِهابُها[1]
وصابَ عليهــا كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مخضرّاً مَرِيعــاً جنابُها[2]
أَحَبُّ ثَرى أرضٍ إليَّ وإن نأت ... مَحلُّـكِ منهــا نَبْتُهــا وترابُها
على أنّها غضبــى علــيّ وحبّـذا ... رِضاها إذا مــا أُرضِيَتْ وعتابُها
وقد هــاج لي حيناً فراقُك غُدوَةً ... وسعيُك في فيفاءَ تعْـوي ذئابُها[3]
نظرتُ وقـد زال الحمُولُ ووازنوا ... بِركوةَ والوادي وخفَّـتْ رِكابُها
فقلتُ لأصحابي : أبِالقــرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى ببينٍ غرابُها ؟

[يرثي صفراء]

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهسٌ يرثيها : [من البسيط]

هل بالديار التي بالقاعِ مــن أحدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلِجِ الساري
تلك المنازل من صفراءَ ليس بها ... نــارٌ تضيء ولا أصواتُ سُمّارِ
عَفَّـتْ معارفَهــا هُــوجٌ مُغبَّرَةٌ ... تَسفي عليها ترابَ الأَبطَحِ الهاري[4]
حتــى تنكَّرتُ منهــا كلَّ مَعْرِفَةٍ ... إلاّ الرَّمادَ نخيــلاً بــين أحجارِ
طال الوقوفُ بها والعينُ تسبِقُني ... فوقَ الرّداء بَوادي دَمْعِها الجاري[5]
إن أُصْبحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... ألْهو لديهم ولا صفراءُ في الدّارِ[6]
أُرعــى بعيني نجــومَ الليل مرتقباً ... يا طُولَ ذلك مــن هَمٍّ وإسْهارِ[7]
فقد يكونُ ليَ الأَهلُ الكِرامُ وقد ... أَلْهُو بصفراءَ ذاتِ المنظرِ الواري[8]
مــن المَواجدِ أعْراقــاً إذا نُسِبَتْ ... لا تَحْرِم المالَ عن ضَيفٍ وعن جارِ[9]

1 بنوء في ل : نجاء . ونوء الثريا : مطرها .
2 صاب المطر ونحوه : انصب . اسحم : أسود .
3 الفيفاء : القفراء . وفي ل : خشناء .
4 هوج في ل : هوجاء . والهاري : تخفيف الهارىء .
5 بوادي دمعها : ظواهره .
6 اللطف : اليسير من الطعام .
7 مرتقباً في ل : مرتفقاً .
8 الواري : السمين .
9 المواجد : جمع ماجده .

لم تَلقَ بؤساً ولم يَضْرر لها عَوَزٌ ولم تُزخّفْ مع الصّالي إلى النّارِ[1]
كذلك الدَّهرُ إنّ الدَّهرَ ذو غِيَرٍ على الأنـــامِ وذو نقضٍ وإمْرارِ[2]
قد كاد يعتادني من ذكرِها جَزَعٌ لولا الحيـــاءُ ولولا رهبــةُ العارِ
سقى الإلهُ قبــوراً في بني أسدٍ حول الرُّبيعة غَيْثاً صوبَ مدرارِ[3]
مَنِ الذي بعدكم أرضى بــه بدلاً أو مَنْ أُحَدِّثُ حاجاتي وأسْراري ؟

[يقف وصحبه على قبرها وينشد]

قال أبو عمرو : واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أسد ، فمرَّ بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأحَصُّ ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صِهرٌ وحِلْف ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ، فقال : أما والله ، حتى أظلّ نَهاري كلَّه عنده ، وأقضيَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو يبكي : [من الطويل]

ألِمَّـــا على قَبرٍ لصفراءَ فاقـــرآ السّلام وقـــولا حَيِّنـــا أيُّها القبرُ
وما كان شيئاً غير أن لستُ صابراً دعاءَكَ قبراً دونـــه حِجَجٌ عَشْرُ
برابيـــةٍ فيهـــا كِـــرامٌ أحِبّـــةٌ على أنّهـــا إلاّ مضاجعَهـــم قَفرُ
عشيَّةَ قال الرّكبُ من غَرَضٍ بنا تروّحْ أبا المقدام قد جنَح العصرُ[4]
فقلتُ لهـــمُ : يـــومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراءَ قد طال التجنُّبُ والهَجرُ
وبِتُّ وبـــات الناسُ حَوليَ هُجّداً كأنَّ عليَّ اللَّيلَ مـــن طوله شهرُ
إذا قلتُ هـــذا حين أُهجَع ساعة تطاول بـــي ليـــلٌ كواكبُهُ زُهرُ
أقولُ إذا ما الجنبُ مَـلَّ مكانَه أشوكٌ يُجافي الجَنْب أم تحته جمْرُ ؟
فلو أنَّ صَخْراً مـــن عَمايةَ راسياً يقاسي الذي ألْقى لقد مَلَّه الصخرُ[5]

قال : وأمّا القحذميّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن عيسى بن إسماعيل تينَةَ عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوّجها رجل من بنـي أسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً ممّا تقدّم ذكره .

1 لم تزخَف : من زخفت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه وفي ل : ترجّف .
2 النقض والإمرار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثاني فتله .
3 الربيعة : مكان قبر صفراء ، صوب مدرار . مطر سحابة هطّالة .
4 الغرض : الضجر والملال .
5 عماية : اسم جبل

وذكر أنّ بيْهسَ بن صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام .

[يتّهم في قتيل]

قال : أبو عمرو : ولمّا هدأت الفتنة بعد مرج راهط ، وسكن النّاس مرَّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إنّ بعض أحداثهم نخس «بيْهسٌ» به ناقتَه فألقته ، فاندقّت عنقُه ، فمات ؛ فاستعدى قومُه عليهم عبد الملك ، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجَرْميّ ، وكان قد اتّهم أنّه هو الذي نَخَس به ، فنزل عَلى محمد بن مروان فعاذَ به ، واستجاره ، فأجاره إلاّ من حدٍّ توجبه عليه شَهادة ، فرضي بذلك ، وقال هو متوارٍ عند محمد : [من الوافر]

لقد كانتْ حوادثُ معْضلاتٌ وأيّـــامٌ أغصَّت بـالشّرابِ
ومـا ذنـبُ المعاشرِ في غلامٍ تقطّر بـين أُحواض الجِباب[1]
على قَـوْداء أفرطهـا جِلالٌ وغضٌّ فهـي باقيـةُ الهباب[2]
ترامـت باليديـن فأرهقتـه كما زلَّ النَّطيح مـن القبابِ[3]
فإنّي والعِقابَ ومـا أُرجّـي لكالسَّاعِي إلى وَضَحِ السَّرابِ
فلمّا أن دَنـا فـرجٌ بربِّي يكشِّف عـن مُخفَّقَةٍ يتبابِ
من البُلدانِ ليس بهـا غَريبٌ تَخُبّ بأرضهـا زُلُّ الذّئابِ[4]
فظنِّـي بالخليفـةِ أنَّ فيـه أمانـاً للبـريء وللمصابِ
وأنَّ محمـداً سيعـود يومـاً ويرجعُ عن مراجَعةِ العِتابِ[5]
فيجبر صِبْيَتي ويَحوط جاري ويُؤْمِن بعدهـا أبـداً صِحابي
هـو الفرعُ الذي بُنِيَتْ عليه بُيوتُ الأطيبين ذوي الحِجابِ

1 تقطر : وقع على قطره من علو . الجباب : اسم مكان .
2 القوداء : الطويلة العنق والظهر . أفرطها جلال : ضخمة .
3 القباب في ل : الحقاب .
4 زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين .
5 ويرجعُ في ل : ويعجل .

قال : فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه ، حتى أمَّن بيهسَ بن صهيب وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

صوت

[من الكامل]

نزل المشيبُ فما لـه تحويلُ ومضى الشّبابُ فما إليه سبيلُ
ولقد أُراني والشَّبابُ يقودُني ورداؤه حسنٌ عـلـيَّ جميلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسديّ ، والغناء لمعبد خفيف ، ولحنه من القدْر الأوسط ، من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[473] ـ أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[نسبه]

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكُميت بن ثعلبةَ بن ربابِ بن الأَشْتر بن جحوانَ بن فقعسِ بن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر من شعراء الإسلام بدَويّ ، أمّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة .

[في أسرته شعراء وشواعر]

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر ، أَبوه معروف شاعر ، وأمّه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر ، وابنه معروف بن الكميت شاعر .

فأمّا أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساوِر بن هند : [من الطويل]

إنَّ مُناخي أَمسِ يـا ابنَ مُساورٍ إليك لَمِنْ شُرْب النُّقاخ المُصَرَّدِ[1]

تباعدتَ فوق الحقّ من آل فقعسٍ ولم ترجُ فيهم رِدَّةَ اليومِ أو غدِ[2]

وقلتَ غِنًى لا فقرَ في العَيْشِ بعدَه وكلُّ فَتًـى للنائبـاتِ بمَرْصَدِ

كأنّك لم تعلـمْ محـلَّ بيُوتِكم مـع الحـيّ بـين الغور والمُتَنَجَّدِ

فلولا رجال مـن جَذيمة قَصْرَةً عَدَدْت بلائي ثم قلت له اعدُدِ[3]

[أمه تؤنبه وترثيه]

وأُمُّه سُعدةُ القائلة له ، وقد تزوَّج بنتَ أَبي مَهْوش على مراغمة لها ، وكراهة لذلك ، فغضبت سُعدةُ وقالت فيه : [من الطويل]

عليكَ بأنقاضِ العراقِ فقـدْ عَلَتْ عليكَ بتَخديـن النّساء الكرائمِ[4]

لعمري لقد راش ابنُ سُعدةَ نَفسَه بريش الذُّنابـى لا بريش القَوادمِ[5]

1 النّقاخ : الماء العذب البارد . المصرد : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفي للشرب .

2 آل فقعس : قبيلة الشاعر .

3 قصرة : داني النسب .

4 بتخدين النساء : باتخاذهنّ أخدانا .

5 القوادم : ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر .

بَنى لـك معروفٌ بنـاءً هدمتَهُ ... ولِلشَّرف العـاديِّ بـانٍ وهادِمُ[1]

وهي القائلة ترثي ابنَها الكُمَيْت : [من الطويل]

لأُمِّ البلادِ الويــلُ ماذا تضمَّنت ... بأَكْناف طورى من عَفافٍ ونائلِ

ومن وَقَعـاتٍ بالرِّجـالِ كأَنَّها ... إذا عَنَّت الأَحداثُ وقْعُ المناصلِ[2]

يُعزِّي المُعزِّي عـن كُمَيْتٍ فتنتهي ... مقالتُـه والصَّـدرُ جـمٌّ البَلابِلِ

[أخوه يرثيه]

وأَعشى بَني أَسد أَخو الكميت ، واسمُه خَيْثَمةُ ، الذي يقول يرثي الكُمَيت غيرَه من أَهل بيته : [من البسيط]

هوِّن عليك فإنَّ الدَّهرَ منجدبٌ ... كلُّ امرىءٍ عن أَخيه سوفَ ينْشَعِبُ[3]

فـلا يُغرَّنْـكَ مِـن دهرٍ تقلُّبُه ... إنَّ اللَّيـالي بالفتيـانِ تنقلِبُ

نـام الخليُّ وبـتُّ الليلَ مُرتفِقاً ... كما تزاور يخشى دفّـه النَّكِبُ[4]

إذا رجعــتُ إلى نفسي أُحدِّثُها ... عمَّن تضمَّن من أَصحابيَ القُلُبُ[5]

من إخـوةٍ وبنـي عـمٍّ رُزِئْتُهُمُ ... والدَّهْرُ فيـه على مستعتِبٍ عَتَبُ

عاودتُ وجداً على وجدٍ أُكابِدُه ... حتى تكاد بناتُ الصَّدْرِ تلتهبُ[6]

هل بعدَ صخرٍ وهل بعد الكميتِ أَخٌ ... أَم هل يعودُ لنا دهرٌ فنصطحبُ ؟

لقد علمتُ ولـو مُلِّيت بعدَهُم ... أَنِّي سأَنهل بالشِّربِ الذي شربوا[7]

[ابنه معروف يتغزّل]

ومعروف بن الكميت القائل : [من البسيط]

قـد كنت أحسبني جَلْداً فهيَّجني ... بالشيبِ منزِلـةٌ مـن أُمِّ عمَّارِ

1 معروف : أبو الكميت . العادي : العتيق .

2 عنَت في ل : عَيَّتِ .

3 منجدب : مطاوع جدبه : ذمّه ، وعابه .

4 مرتفقاً : متكئاً على مرفقي . تزاور : مال وانحرف . دفه : جنبه . النكب : المصاب في منكبه .

5 القلب : جمع قليب بمعنى البئر .

6 أُكابده في ل : أكيد به . بنات الصدر : كناية عن الضلوع .

7 ولو مليت : ولو أمهلت .

كانت منازلَ لا ورهــاءَ جافيــةٍ   على الحــدوجِ ولا عُطْلاً بمقفارِ[1]
ومــا تَجاوُرُنـا إذ نحــنُ نسكنها   ولا تَفَرُّقُنـــا إلاّ بمقـــدارِ

صوت

[من الطويل]

أرقــتُ لبرق دُونَــه شَذَوانِ   يمانٍ وأهـوى البرَقَ كلَّ يماني[2]
فليت القِلاصَ الأُدْمَ قد وخدَت بنا   بــوادٍ يمــانٍ ذي رُباً ومَحاني[3]

الشعر ليعلى الأحولِ الأزديّ ، وجدت ذلك بخطّ أبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد في شعر الأزد ، وقال عمرُو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه : هي ليعلى الأحْول ، كما رَوى غيرُه ، قال : ويقال : إنّها لعمرو بن أبي عمارة الأزديّ من بني خُنَيس ، ويقال : إنّها لجوّاس بن حيانَ من أزد عمان .

وأوّل هذه القصيدة ، في رواية أبي عمرو ، أبيات فيها غناء أيضاً وهي :   [من الطويل]

صوت

أوَيْحكما يا واشِيَيْ أُمّ مَعْمَرٍ   بمَن وإلى مَنْ جئْتما تَشيانِ ؟
بمَن لــو أراه عانيــاً لفدَيْتُهُ   ومَن لـــو رآني عانيــاً لفَداني

لِعَريب في هذين البيتين ثَقِيل أوّل ، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته ، وقال ابنُ المكّيّ : لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كُلّها .

1 الورهاء : المرأة الكثيرة الشحم . الحدوج : جمع حِدج وهو مركب من مراكب النّساء كالهودج .
2 شذوان : مثنى شذا : شجر تتخذ من المساويك .
3 القلاص الأدم : النوق السمراء .

[474] ـ أخبار يعلى ونسبه

[نسبه]

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أبي قيس ، أحدُ بني يَشكُر بن عمرو بن رالان ، ورالانُ هو يشكر ، ويشكر لقب لُقِّب به ، بن عمران بن عمرو بن عديّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ، هكذا وجدته بخَطّ المبرِّد ، بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

[شاعر فاتك خليع]

شاعر إسلاميّ لصّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكّة عند نافع بن عَلْقَمَة الكِنانيّ في خلافة عبد الملك بن مروان .

قال أبو عمرو : وكان يعلى الأحولُ الأزديُّ لِصّاً فاتكاً خارباً ، وكان خليعاً ، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم ، فيغيرُ بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السَّابلة ، فَشُكي إلى نافع بن علقمةَ بن الحارث بنِ محُرَث الكنانيّ ثم الفقيميّ ، وهو خال مروان بن الحكم ، وكان واليَ مكّة ، فأخَذ به عشيرته الأزْدِيِّين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحَيّ فعَرفّوه أنّه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنّه لو أخَذَ به سائِرَ الأزِد ما وضع يده في أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم ، وألزمهم إحضارَه ، وضَمَّ إليهم شُرَطاً يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئوه به .

[يسلّمه قومه إلى الحاكم]

فلمّا اشتَدَّ عليهم في أمره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأُتوا به ، فقيّده وأودعه الحبس .

[قصيدته في سجنه]

فقال في محبِسه : [من الطويل]

أرقتُ لبرقٍ دونه شَذَوانِ ... يَمانٍ وأهوى البرقَ كلَّ يمانِ
فبِتُّ لدى البيت الحرام أشيمُهُ ... ومِطْوايَ من شوقٍ له أرِقانِ[1]

المِطْو : الصاحب .

إذا قلتُ : شيماه يقولان والهوى ... يصادف منّا بعض ما تريانِ
جرى منه أطرافُ الشرى فمشيَّعٌ ... فأُبيانُ فالحَيَّانِ من دَمرانِ[2]

1 أشيم من شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره .
2 مشيّع وأُبيان ، ودمران : أماكن .

فمرّانُ فالأقْباصُ أقبــاصُ أُملَجٍ فماوانِ مــــن واديهما شَطِنانِ[1]
هنالك لـــو طَوَّفْتمـــا لوجدتما صديقاً مـــن اخوانٍ بها وغوانِ
وعزْفُ الحمامِ الوُرْقِ في ظلِّ أيكةٍ وبالحيِّ ذي الرَّوْدَين عزفُ قيانِ[2]
ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَني لدى نافـــعٍ قُضِّينَ منـــذ زمانِ
ومــا بِـــيَ بغضٌ للبلادِ ولا قِلًى ولكـــنَّ شوقـــاً في سواه دَعاني
فليتَ القِلاصَ الأُدم قد وخَدت بنا بوادٍ يمـــانٍ ذي رُبـــاً ومحاني
بـــوادٍ يمانٍ يُنبِت السَّدرَ صدرُه وأسفلـــه بالمــــرخِ والشَّبَهانِ[3]
يدافعنـــا مـــن جانبيـــه كليهما عزيفـــان مـــن طرفائه هَدِبانِ[4]
وليت لنا بـــالجوز واللوز غيلـــة جناها لنا مـــن بطن حلية جاني

الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى في موضع : من بطن حلية : من حبٍّ جيحة .

وليتَ لنا بالدِّيـــك مُكَّـــاءَ روضةٍ على فِنَنٍ مـــن بطن حليةَ داني[5]
وليت لنا مـــن مـــاء حزنة شربةً مبردةً باتـــت عـــلى طهمانِ[6]

ويروى : من ماء حمياء .

صوت

[من الكامل]

إنّ السلامَ وحُسنَ كلِّ تحيّـــةٍ تغـــدو على ابن مجـــزٍّ وتروحُ
هلا فَدى ابنَ مجـــزٍّ متفحّشٌ شَنِجُ اليدين على العطاءِ شَحِيحُ[7]

الشعر لجَوَّاسٍ العُذْرِيّ ، والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ والهشاميّ من رواية حمّاد عن أبيه ، في أخبار سائب خاثر وأغانيه .

---

1 مران وأملح : مكانان . أقباص : جمع قَبِص : مجتمع الرمل الكثير . ماوان : تثنية ماء . شطنان : بعيدان .
2 الرَّودين : تثنية رود : الريح اللينة .
3 المرخ والشبهان : مكانان .
4 عزيفان : تثنية عزيف : صوت الرياح حين تسفي الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل .
5 المكاء : طائر .
6 طهمان : مكان .
7 شنج اليدين : مقبوضهما ، كناية عن البخل .

[475] ـ نسب جواس وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

هو جَوَّاس بن قُطْبَةَ العُذريُّ ، أحدُ بن الأحبِّ رهطِ بُثَيْنَةَ ، وجَوَّاسٌ وأخوه عبد الله الذي كان يهاجي جَميلاً ابنا عَمِّها دِنْيَةً ، وهما ابنا قُطبةَ بن ثعلبةَ بن الهون بن عمرو بن الأحبّ بنُ حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة .

[ينافر جميل بن معمر فترجح كفّته]

وكان جوّاس شريفاً في قومه شاعراً ، فذكر أبو عمرو الشيبانيّ : أنَّ جميلَ بن عبدِ الله بنِ مَعْمَرٍ لَمّا هاجى جَوَّاساً تنافرا إلى يهود تَيْماء ، فقالوا لجميل : يا جميل ، قُلْ في نفسك ما شئت ، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف ، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئْت ، ولا تذكرنَّ أنت يا جميل أباك في فخر ؛ فإنّه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء ، عليه شملةٌ لا تُواري استَه ، ونفَّروا[1] عليه جوّاساً ، قال : ونَشِب الشرُّ بين جَمِيل وجوّاس ، وكانت تَحته أمّ الجُسَيْرِ أختُ بثينةَ التي يذكرها جميل في شعره ، إذ يقول : [من الخفيف]

يـــا خَليـــليَّ إنّ أُمَّ جُسَيْرٍ حين يدنو الضَّجيع مـن عَلَلِهْ
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزامـى جـادَ فيها الرَّبيعُ مـن سَبَلِهْ[2]

[قوم جميل يثأرون منه]

فغضب لجميل نَفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلاً وهو في بيته ، فضربوه وعَرَّوْا امرأته أُمَّ الجُسَير في تلك الليلة ، فقال جَميل : [من الطويل]

مـا عَـرَّ جوَّاسَ استُها إذ يسبُّهم بصَقْريْ بني سُفيانَ قَيْسَ وعاصمِ[3]
همـا جـرّدا أُمَّ الجُسَيْرِ وأوقعا أمَـرَّ وأدهـى مـن وَقيعةِ سالِمِ

يعني سالم بن دارة .

---

1 نفّروا : نصروا ، وفضلوا .

2 الحنوة : بنات سهل أو الريحان ، أو نوع من الآذريوان . الخزامى : نبت طيب الرائحة . السبل : المطر .

3 عرّ : ساء وضرّ .

فقال جوّاس : [من الطويل]

مــا ضَرِبَ الجَوَّاسُ إلاّ فُجاءةً على غفلــةٍ مــن عَيْنِه وهْو نائمُ
فإلاَّ تُعجِّلْنــي المنيَّــةُ يصْطبـح بكأسِك حِصْناكم حُصَيْن وعاصِمُ
ويُعطِي بنو سفيان ما شئتُ عَنْوةً كما كنــت تُعطِيني وأنفُك راغِمُ

[جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : حجَّ مروانُ بن الحَكَم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَر ، وجوَّاسُ بن قطبة ، وجوَّاس بن القَعْطَل الكلبيّ ، فقال لجَميل : انزل فسُقْ بنا ، فنزل جميل فقال : [من الرجز]

يا بُثْن حَيّــي وَدِّعينا أوْصِلِي وهوِّني الأَمرَ فزُورِي واعْجَلي
ثُمَّت أَيّــاً مــا أردتِ فافْعَلي إنِّي لآتــي مــا أتيتُ مُؤْتلي[1]

فقال له مروان : عَدِّ عن هذا ، فقال : [من الرجز]

أَنا جميــلٌ والحِجــازُ وطني فيه هَوى نَفْسي وفيه شَجَني
هــذا إذا كان السّياق دَدَني[2]

[جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان]

فقال لجوَّاس بن قطبة : انزل أنت يا جوّاس فسُق بنا ، فنزل فقال : وقد كان بلغه عن مروان أنّه توعّده إن هاجى جميلاً : [من الطويل]

لستُ بعبــدٍ للمطايــا أسوقها ولكنّنــي أرمــي بهــنّ الفَيافِيا
أَتانِيَ عَــن مــرْوانَ بالغيبِ أنّه مُبِيحٌ دمــي أو قاطِعٌ من لسانيا[3]
وفي الأرضِ مَنجاة وفُسحَةُ مذهبٍ إذا نحــن رقفنــا لهــنّ المثانيا[4]

فقال له مروان : أما إنّ ذلك لا ينفعُك إذا وجب عليك حقّ ، فاركب لا ركبتَ .

[جواس بين القعطل يحدو ركاب مروان]

ثم قال لجَوَّاس بن القَعْطل ، ويقال بل القصّة كلّها مع جوّاس بن قطبة : انزل فارجز

1 مؤتلي : من ألا الشيء ألوا : استطاعه .
2 الددن : اللهو .
3 مبيح في ل : مقيد .
4 رقفنا في ل : رفعنا . المثاني ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، وهنا أناشيد الحداء .

بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات : [من الطويل]

يقول أميري : هل تسوقُ ركابَنا فقلــتُ : اتّخذ حادٍ لهــنّ سوائِيا
تكرّمتُ عن سَوْقِ المَطيِّ ولم يكن سِياقُ المطايــا هِمَّتــي ورَجائِيا
جعلتَ أبي رِهْناً وعِرْضيَ سادراً إلى أهلِ بيتٍ لم يكونوا كِفائيا[1]
إلى شرِّ بيت مــن قُضاعَة منصِباً وفي شرِّ قــوم منهمُ قــد بَدا لِيا

فقال له : اركب لا ركبتَ .

[عود إلى الصوت وخبر بن مجزز]

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جوَّاس بنُ قُطْبَة العذريُّ علقمةَ بن مجزٌز قال أبو عمْرٍو الشيبانيُّ : وكان عُمَر بنُ الخطّاب رضي الله عنه بعث علقمةَ بن مجزّز الكنانيَّ ثم المدلجيَّ في جيش إلى الحبشة ، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلاّ بإذن الملك ، وإلاّ قوتلوا عليه ، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمّاً ، فوردوه مغترين ، فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً ، فنبت ذلك النّوى الذي ألقوه نخلاً في بلاد الحبشة ، وكان يقال له نخل ابن مجزز ، فأراد عمر أن يجهّز إليهم جيشاً عظيماً فشُهِد عنده أنّ رسول الله ﷺ قال : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وقال : وددت لو أنّ بيني وبينهم بحراً من نار ، فقال جوّاس العذريّ يرثي علقمةَ بن مجزٍّز : [من الكامل]

إنّ السّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيّـةٍ تغدو على ابن مجزٌز وتَروحُ
فإذا تجرّد حافِراك وأصبحت في الفجرِ نائحــةٌ عليك تنوحُ
وتخيّروا لك من جيادِ ثيابهم كفناً عليك من البَياضِ يلوحُ
فهناك لا تُغنــي مودّةُ ناصحٍ حذراً عليك إذا يُسَدُّ ضريحُ
هلا فَدى ابنَ مجزِّز متفحّشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شحيحُ
متمرِّعٌ ورِعٌ وليس بماجدٍ متملّــح وحديثُــه مقبوحُ[2]

وفيمن هلك مع ابن مجزٍّز يقول جوّاس : [من الطويل]

أَلَهْفي لِفتيانٍ كأنّ وجوهَهم دنانيرُ وافت مهْلِكَ ابنِ مُجززٌ

1 الرِّهن : هو رهن مال ونحوه ، أي سائس .
2 المتمرع : طالب المرع : الخصب . ورع : جبان . متملح : يتكلّف الملاحة .

صوت

[من المتقارب]

أُحَبَّتَنـــا بأَبـــي أَنْتُـــمُ وسَقْياً لكـــم حيثما كُنْتُمُ
أَطلتمْ عَذابـــي بميعـــادِكم وقلتُم نـــزورُ فمـــا زرتُمُ
فأُمسك قلبِي على لوعتـــي ونَمَّتْ دموعي بمـــا أَكتُمُ
ففيمَ أسأتـــم وأخلفتُـــمُ وقِدْمـــاً وفَيْتُـــمْ وأَحسنتُمُ

الشعر لإبراهيم بن المدبر ، والغناء لِعَريب خفيف ثقيل .

[476] ـ أخبار إبراهيم بن المدبِّر

[نشأته]

أبو إسحاق إبراهيم بن المُدَبِّر شاعرٌ كاتب متقدّم من وجوه كتّاب أهل العراق ومتقدّميهم وذوي الجاه والمتصرِّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكّلُ يقدّمه ويؤثره ، ويفضله ، وكانت بينه وبين عَريبَ حالٌ مشهورة ، كان يهواها ، وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عَريبَ ، وأذكر باقيها هاهنا .

[بين يدي المتوكل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةَ قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكّل مرضة خِيف عليه منها ثم عوفي ، وأُذِن للنّاس في الوصول إليه ، فدخلوا عَلى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم ، فلمّا رآني استدناني ، حتى قُمتُ وراء الفتح ، ونظر إليَّ مُسْتَنطِقاً فأنشدته : [من مجزوء الكامل]

يــومٌ أتانــا بـالسرورِ فالحمــد لله الكبيــرِ
أخلصــتُ فيــه شُكـرَه وَوَفيْــتُ فيــه بالنُّذورِ
لمّــا اعتَللــتَ تَصدَّعتْ شُعَبُ القلوب من الصدورِ
مــن بــين ملتهب الفؤا دِ وبــين مكتئبِ الضميرِ
يا عُدَّتــي للدِّينِ والدُّنْيـ ـــا وللخَطْــبِ الخطيرِ
كانت جُفونــي ثَــرَّةَ الْـ ـــآماق بالدَّمْــعِ الغَزيرِ
لِمْ لَـمْ أمت جزعـاً لعمـ ـرُكَ إنّنــي عــينُ الصبورِ
يومــى هنالـك كالسِّنيـ ـنَ وساعتي مِثلُ الشُّهورِ
يــا جعفــرُ المتوكّلُ الـ ـــعالي عَلى البــدرِ المُنيرِ
اليــومَ عــاد الديــن غـ ـضَّ العود ذا وَرَقٍ نَضيرِ
واليــومَ أُصبحت الخِـلا فة وهي أرسى من ثَبيرِ[1]

1 ثبير : جبل .

قـد حالَفَتْـكَ وعاقَدَتْـ ـكَ عَلى مطاولَةِ الدُّهُورِ
يـا رحمـةً للعالميـ ـنَ ويـا ضياء المستَنيرِ
يـا حجَّـةَ اللهِ التـي ظَهَرَتْ لـه بهُدًى ونُورِ
للهِ أنـتَ فمـا نشا هِدُ منكَ مـن كَرَمٍ وخيرِ
حتـى نقـول ومَـنْ بِقُر بِـكَ مـن وليٍّ أو نَصيرِ
البـدرُ ينطِـق بيننـا أَمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ !
فـإذا تواتَـرتِ العَطا ئـمُ كُنتَ منقطعَ النَّظيرِ
وإذا تعـذَّرت العَطـا يـا كُنتَ فيَّاضَ البُحورِ
تُمضي الصوابَ بلا وزيـ ـرٍ أو ظهيـرٍ أو مُشيرِ[1]

فقال المتوكّلُ للفتح : إنّ إبراهيمَ لينطق عن نيّة خالصة ، وودٍّ مَحْض ، وما قضينا حقّه ، فتقدَمْ بأن يُحملَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهَمٍ ، وتُقدمْ إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُولِّيه عملاً سَرِيّاً يَنتفع به .

[المتوكّل ينتقض عليه ويودعه السجن]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال : كان أحمد بن المدبِّر وليَ لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يَحمَد أثرَه فيه ، وعمل عَلى أن يَنْكُبَه . وبلغ أحمدَ ذلك فهـربَ ، وكان عُبيد الله منحرِفاً عـن إبراهيم ، شديدَ النَّفاسة[2] عليه برأي المتوكّل فيه ، فأغـراه بـه ، وعرّفه خبرَ أخيه ، وادَّعى عليه مـالاً جليلاً ، وذكر أنّه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدرَه عليه حتى أذِن له في حَبْسه ، فقال وهو محبوس : [من الوافر]

تسليْ ليس طولُ الحبس عـاراً وفيـه لنـا مـن اللهِ اختيارُ
فلولا الحبس مـا بُلِي اصطبارٌ ولولا الليـلُ مـا عُرِفَ النّهارُ
ومـا الأيّـامُ إلاّ مُعْقِباتٌ ولا السلطـانُ إلاّ مستعـارُ[3]
وعن قدرٍ حُبِسْتُ فَلا نَقِيضٌ وفيمـا قَـدَّرَ اللهُ الخَيـارُ
سيُفْرَجُ مـا ترينَ إلى قليلٍ مقـدره وإن طـال الإسارُ

1 ظهير : معين .
2 النفاسة : نفست عليه الشيء إذا ضننت به ، ولم تحب أن يصل إليه .
3 معقبات : يعقب بعضها بعضاً بالخير والشرّ أو بالنور والظلام .

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حِسانٌ مختارة ، منها قولُه في قصيدة أَوّلها : [من الكامل]

أَدموعُها أَم لؤلؤٌ متناثرٌ   يندى به وَردٌ جنيٌّ ناضرُ

يقول فيها :

لا تؤيسَنَّكَ من كريم نَبوةٌ   فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ[1]
هذا الزمانُ تسومُني أيّامُه   خَسْفاً وهأَنذا عليه صابرُ
إن طالَ ليلي في الإسارِ فَطالما   أَفنيتُ دهراً ليلُه متقاصرُ
والحبسُ يحجبُني وفي أَكنافِه   منّي عَلى الضرَّاء ليثٌ خادِرُ[2]
عجباً له كيف التقت أَبوابُه   والجودُ فيه والربيعُ الباكرُ ؟
هلا تقطَّع أَو تصدَّع أَو وَهى   فَعَذَرْتُه ؛ لكنّه بيَ فاخرُ

ومنها قوله في قصيدة أوّلها : [من الطويل]

أَلا طرقتْ سَلْمى لَدى وَقْعَةِ السَّاري   فريداً وحيداً موثَقاً نازحَ الدارِ[3]
هو الحبْسُ ما فيه عَلَيَّ غَضاضَةٌ   وهل كان في حبس الخليفةِ من عارِ !

يقول فيها :

أَلستِ ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها   وبهجتُها بالحبس في الطينِ والقارِ![4]
وما أَنا إلاّ كالجوادِ يصُونه   مقوِّمه للسَّبْقِ في طَيٍّ مضمارِ
أو الدُّرّةِ الزهراء في قعر لُجَّةٍ   فلا تُجتَلى إلاّ بهَولٍ وأَخطارِ
وهل هو إلاّ منزِلٌ مثلُ منزلي   وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتيَ أَو داري ؟
فلا تنكري طولَ المَدى وأَذى العِدى   فإنَّ نهاياتِ الأُمورِ لإقْصارِ
لعلَّ وراءَ الغَيبِ أمراً يسرُّنا   يقدِّرُه في علمِه الخالِقُ الباري
وإنّي لأَرجو أَن أَصُولَ بجعفرٍ   فأَهضمَ أعدائي وأُدْرِكَ بالثّارِ

[يثني على من خلّصه من سجنه]

فأَخبرني عمِّي عن محمدِ بنِ داودَ : أَنّ حبسه طال ، فلم يكن لأَحد في خلاصه منه حيلة

1 ينبو : يبعد في ضربه .
2 أكنافه : نواحيه جمع كنف . الضرّاء : الشدّة والضيق . خادر : ملازم لأجمته .
3 الطرق : الضرب على الباب ليلاً . وقعة الساري : نومته آخر الليل . نازح : بعيد .
4 القار : ما يدهن به سداد الدنان .

مع عَضْل[1] عبيد الله وقصدِه إيّاه ، حتى تخلَّصَه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجَوَّد المسألة في أمره[2] ، ولم يلتفت إلى عُبَيد الله ، وبذل أن يحتملَ في ماله كلَّ ما يطالبُ به ، فأعفاه المتوكّل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استَغاثَ به ومدَحَهُ ، فقال : [من الطويل]

دعوتك من كَرْب فلبَّيتَ دعوتي ... ولم تعترِضْني إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلّئتُ أوردْتُ هِمَّتي ... وقد أعجزتني عن هُمومي المَصادرُ[3]
نمى بـك عبدُ الله في العزِّ والعُلا ... وحـاز لك المجدَ المؤثَّـلَ طاهرُ
فأنتم بَنو الدُّنيـا وأملاكُ جوِّها ... وساسَتُهـا والأعظَمـون الأكابرُ[4]
مآثرُ كانــتْ للحُسَيْنِ ومُصعَبٍ ... وطلحةَ لا تحوِي مَداهـا المفاخِرُ
إذا بذلــوا قيـلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غَضِبوا قيل الليوثُ الهواصرُ[5]
تطيعكُمُ يَـوْمَ اللقـاءِ البـواترُ ... وتزهو بكـمْ يـوم المقامِ المنابرُ
ومـا لكُـمُ غيرَ الأسرَّة مجلِسٌ ... ولا لكُـمُ غيرَ السيوفِ مخاصرُ[6]
ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرَّكَ منهـا أوّلٌ ثـم آخـرُ
كـلام أميرِ المؤمنـين وعطفُـه ... فمـا ليَ بعـد الله غيـرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ فالنُّجح واقع ... وإلاّ فإنِّـي مخلـص الودِّ شاكِرُ

[عريب تكاتبه وتشفع له]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال : كتبتْ عَريبُ مِنْ سُرَّ مَن رأى إلى إبراهيمَ بنِ المدبِّر كتاباً تتشوَّقُه فيه ، وتخبره باستيحاشها له ، واهتمامها بأمره ، وأنّها قد سألت الخليفةَ في أمره ، فوعدها بما تُحِبُّ ، فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الكتاب : [من الطويل]

لعمرك مـا صوتٌ بديـعٌ لمعبَدٍ ... بأحسنَ عندي من كتاب عَريبِ
تأمّلـتُ في أثنائِـه خَـطَّ كاتبٍ ... ورقَّـةَ مشتاقٍ ولَفـظَ خَطيبِ

1 عضل : منع .
2 جوّد المسألة في أمره : أحسن الشفاعة فيه .
3 حلئت : منعت الماء .
4 جوّها في ل : شرقها .
5 الهواصر : الكواسر المحطمة .
6 المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

وراجَعَني من وصلها ما استرقَّني وزهَّــدني في وصلِ كلٍّ حَبيبِ
فصرتُ لهـا عبداً مُقــرّاً بمِلكِها ومستمسِكاً مــن وُدِّها بنصيبِ

[يُحبُّها وهي مشغولة بمظفّر]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : كان عليّ بنُ يحيى المنجِّم وإبراهيم بن المدبِّر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسُرَّ مَن رأى على حال أُنْس ، وكانت تغنّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكريّة المغنّية من جواري القِيان ، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبِّر بنظره ومَزْحه وتجميشه[1] ، وهي مقبلة على فتًى كان أمرَدَ من أولاد الموالي يقال لهُ مُظَفَّر ، كانت تهواه ، وكان أحسن النّاس وجهاً ، ولم يزل ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا ، فكتبَ إليه عليُّ بنُ يحيى يقول : [من الطويل]

لقد فتنَتْ نبتٌ فتى الظَّرف والنَّدى بمقلةِ رِيـمٍ فاتـرِ الطَّـرفِ أحورِ
وشدوٍ يروقُ السامعين ويملأُ الـ ـقلوب سروراً مُونِـــقٍ متخيَّرِ
فأَصبحَ في فـخٍّ الهـوى متقنَّصا عزيـزٌ على إخوانـه ابنُ المدبِّرِ
ولم تدرِ مـا يَلْقى بهـا ولـو أنَّها دَرَتْ روَّحتْ مـن ـنَزْوِهِ المُتَسعِّرِ
وذاكَ بهـا صبٌّ ونَبتٌ خليَّـةٌ ومشغولـةٌ عنـه بوجـه مُظَفَّرِ
ولــو أنصفتْ نبتٌ لما عدلتْ به سواهُ وحازت حُسْنَ مرأًى ومَخْبَرِ

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر : [من الطويل]

طَرِبْــتُ إلى قطربّــلٍ وبَلَشْكُرِ وراجعتُ غَيّاً ليس عنّي بمُقصِرِ[2]
وذكَـرني شعرٌ أتــانيَ مونِــقٌ حبائبَ قَلبي في أَوائِـلِ أعصُري
فنَهنَهتُ نفسي عن تذكُرِ ما مضى وقلتُ : أفيقي لاتَ حـينَ تذكُّرِ[3]
أَبا حَسَنٍ مـا كنتَ تُعْرَفُ بالخَنا ولا بِعُلُـوٍّ في المكــانِ المؤَخَّرِ
وما زِلْتَ محمود الشمائل مرتضى الخـ ـلائقِ معروفــاً بعُرْفٍ ومنكَرِ
أترمي بنَبْتٍ مـن جفاهـا تَخَيُّراً وباعدهــا عنــه بـرأْيِ موقَّرِ ؟
ودافَعها عـن سرِّها وهي تَشْتَكي إليـه تبــاريحَ الهـــوى المتسعِّرِ

1 التجميش : المغازلة بالقرص واللعب .
2 قطربّل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر . بلشكر : من قرى بغداد .
3 نهنهت : كفت وزجرت .

ولــو كان تبَّاعــاً دواعيَ نفسِه إذاً لقضى أُوطــارَه ابــنُ المدبّرِ
على أنَّه لو حصحَصَ الحقُّ باعَها ولــو كان مشغوفــاً بها بمُظَفَّرِ
بلؤلؤةٍ زهــراءَ يشرُق ضوءُهــا وغُــرَّةِ وجــهٍ كالصباحِ المشهَّرِ
إلى اللهِ أشكــو أنَّ هــذا وهــذِه غــزالا كثيبٍ ذي أقــاحٍ مُنوِّرِ
وأنــتَ فقــد طالبتَهــا فوجدتَها لها خُلُــقٌ لا يرعَــوِي ذو توعُّرِ
وحاولتَ منها سلوة عــن مُظَفَّرٍ فما لان منها العِطْفُ عند التَّخَيُّرِ
نصحتُك عــن وُدٍّ ولم أَكُ جاهداً فإن شئتَ فاقبل قولَ ذي النصح أوْذَرِ

فكتب إليه عليُّ بنُ يحيى المنجّم : [من الطويل]

لعمري لقد أحسنتَ يا ابنَ المدبّر وما زلت في الإحسان عين المشهَّرِ
ظَرفْتَ ومن يجمعْ من العلم مثلَ ما جمعت أَبا إسحاق يَظْرُفْ ويُشْهَرِ

ولإبراهيم في نبتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله : [من البسيط]

نَبْتٌ إذا سكتَت كان السكوتُ لها زَينــاً وإن نطقت فــالدرُّ يَنْتَشِرُ
وإنّمــا أَقصدتْ قلبــي بمُقلَتِها مــا كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَتَرُ[1]

وقوله : [من البسيط]

يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤادُ بكم وأنــتِ واللهِ أحلى الخلقِ إنسانا
أَلا صِليني فإنّي قد شُغِفْتُ بِكُمْ إن شئتِ سرّاً وإن أحببتِ إعلانا

[خاتما عريب]

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال : كان في إصبع إبراهيم بن المدبِّر خاتمان وهبْتهما له عَريب ، وكانا مشهورين لها ، فاجتمع مع أبي العَنبَس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب ، فلمّا سكرا اتّفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العَنْبس ، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال ، وأخذ الخاتَمين منه رهناً . ورُئِي الهلالُ في تلك الليلة ، وأصبح النّاس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبي العَنْبَس يطالبه بالخاتمين ، فدافَعَه ، وعبث به ، فكتب إليه من غدٍ : [من الخفيف]

كيف أصبحتَ يا جعلتُ فِداكا إنّــي أشتكي إليــك جَفاكا

---

1 أقصدت : أصابت فلم تخطىء .

قد تَمادى بك الجفاءُ وما كنـ ـتَ حقيقـاً ولا حَرِيّاً بذاكا
كُن شبيهاً بمَن مضى جعل اللـ ـهُ لكَ العُمرَ دائمـاً ورَعاكا
إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فكاكٍ أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفَكاكا
فاردِدِ الخاتَمـينِ ردّاً جَميلاً قد تنعَّمت فيهما مـا كفاكا[1]
يـا أبـا عبدِ اللهِ دعوةَ داعٍ يرتجي نُجحَ أمره إذْ دَعاكا

يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العَنْبَس المخاطب بهذا الشعر :

خاتمايَ اللذانِ عند أبي العبّـ ـاسِ قـد شارفَا لديه الهلاكا
وهـو حُـرٌّ وقد حكاك كما أنـ ـك في المكرُماتِ تحكِي أباكا

فبعث بالخاتَمين إليه .

[عريب تزوره ؛ وتستزير أبا العنبس]

وأخبرني جعفر قال : زارت عَريبُ إبراهيم بنَ المدبّر وهو في داره على الشاطىء في المُطَيْرة[2] واقترحت عليه حضور أبي العَنْبَس فكتب إليه إبراهيم : [من المتقارب]

قـل لابنِ حمدونَ ذاك الأريبِ وذاك الظريفِ وذاك الحسيبِ
كتابي إليكَ بشكوى عَريبِ لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ
وشَوْقي إليكَ كشوقِ الغريبِ إلى أرضِهِ بعـد طولِ المغيبِ
ويوْمِـيَ إن أنـتَ تَمّمتَـه بقُربِكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ
حَبـاني الزمـانُ كما أشتَهي بقرب الحبيب وبُعْـدِ الرقيبِ
فما زلـتُ أشربُ مـن كفِّه وأسقيه سقيَ اللطيف الأديبِ
ويشكو إليَّ وأشكـو إليـه بقـولٍ عفيفٍ وقـولٍ مريبِ
إلى أن بـدا ليَ وجـهُ الصباحِ كوجهك ذاك العجيبِ الغريبِ
فلا تُخلِنا يـا نظـامَ السرو ر منك فأنـت شفاءُ الكَئيبِ
وغـنٍّ لنـا هَزَجـاً مُمْسِكاً تَخِـفّ لـه حركاتُ اللبيبِ
فإنّكَ قد حُزتَ حسنَ الغناء وقد فُزتَ منه بأوفى نصيبِ

---

1 تنعمت : تمتعت . وفي ل : تولّعت .

2 المطيرة : قرية من متنزهات بغداد وسامراء .

وكن بأبي أنتَ رَجْعَ الجوابِ فِـداؤك أنفُسُنا مـن مُجيبِ

[يعجبه اللحن فيكمله]

أخبرني جعفر قال : غنّى أبو العَنْبَس بنُ حَمْدون يوماً عند إبراهيم : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّـي سألتـكَ بـالذي أدنـى إليكَ مـن الوريدِ
إلاّ وصلـتَ حبالَنـا وكَفَيْتَنـا شرَّ الوعيـدِ

فزاد فيه إبراهيم قوله : [من مجزوء الكامل]

الهجـرُ لا مستحَسَنٌ بعـد المواثِـقِ والعهـودِ
وأراكِ مغـراةً بـه أفما غرِضت من الصدودِ[1]
إنّـي أُجـدِّدُ لَذَّتـي مـا دمت في يومٍ جديدِ
شُربـي معتّقـة الكُرو مِ ونُزهَتـي وَرْدُ الخُدُودِ

فغنّى هذه الأبيات أبو العَنْبَس متّصلة باللحن الأوّل في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبّر والأوّلان لَيْسا له .

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل مزموم[2] لأبي العَنْبَس ، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

[يكمل لحناً آخر]

قال جعفر : وغنته يوماً كُراعةُ بسُرَّ مَن رأى ونحنُ حضور عنده : [من السريع]

يـا معشَرَ النـاسِ أمـا مُسلمٌ يشفعُ عنـد المذنِبِ العاتبِ ؟
ذاك الذي يهـرُب من وصلِنا تعلَّقـوا بـالله بـالهاربِ

فزاد فيهما قولَه : [من السريع]

ملَّكتُـه حَبْـلي ولكنَّـه ألقـاهُ مـن زُهدٍ عَـلى غاربي

---

1 مغراة : مولعة من أغرى بالشيء أولع به . غرضت : ضجرت ومللت .

2 مزموم من الزم وهو شدّ الأوتار .

وقال إنّي في الهوى كاذبٌ فانتقمَ اللهُ من الكاذبِ

[عود إلى حبس المتوكّل له]

حدَّثني عمِّي، قال: حدَّثني محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبّر إلى أبي عبد الله بن حمدون[1] في أيّام نكبته يسأله إذكارَ المتوكِّل والفتحِ بأمره: [من الرمل]

كَم تُرى يبقى على ذا بدني قد بَلي من طول هَمٍّ وضَني[2]!
أنا في أسرٍ وأسبابِ رَدًى وحديدٍ فادحٍ يكْلِمُني
يا ابن حمدونَ فتى الجودِ الذي أنا منه في جَنًي وردٍ جَني
ما الذي ترقُبُه أم ما ترى في أخٍ مضطَهدٍ مرتَهَنِ!
وأبو عمرانَ موسى حنقٌ حاقدٌ يطلُبني بالإحَنِ[3]
وعبيدُ اللهِ أيضاً مثلُه ونجاحٌ بي مُجِدٌّ ما يَني
ليس يشفيه سوى سفكِ دمي أو يراني مُدرَجاً في كَفَني
والأميرُ الفتحُ إن أذكرتَه حُرْمَتي قام بأمري وعُني
فألُ صدقٍ حين أُدعو باسمِه وسرور حين يَعْرُو حَزَني
قل له: يا حُسْنَ ما أوليتَني ما لِما أوليتَني من ثَمنِ
زاد إحسانَك عندي عِظَماً أنَّه بادٍ لمن يعرفُني
لستُ أدري كيفَ أجزيكَ به غيرَ أنّي مُثقَلٌ بالمِنَنِ
ما رأى القومُ كذنبي عندَهمْ عُظْمُ ذنبي أنَّني لم أخُنِ
ذاكَ فِعلي وتُراثي عن أبي واقتدائي بأخي في السُّنَنِ
سنّةٌ صالحةٌ معروفةٌ هي منّا في قَديم الزمَنِ
ظَفِر الأعداءُ بي عن حيلةٍ ولعلَّ اللهَ أن يُظفِرني
ليتَ أنّي وهُمُ في مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للفَطِنِ
فترى لي ولهُمْ ملحمَةً يَهلِكُ الخائنُ فيها والدَّني

---

1 حمدون: أحد ندماء المتوكل.
2 ضني: تعب.
3 أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قوّاد المتوكّل.

والــذي أسألُ أن يُنصِفَنــي حاكِــمٌ يَقضي بمــا يلزمُني
قُــل لحمدونَ خليــلي وابنِــه ولعيسى حرِّكــوه يــا بني[1]

يعني يا بني الزانية ، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه .

[هل جرب الخمر من فمها ؟]

حدَّثني محمد بن يحيى الصولي : قال : كان إبراهيم بن المدبّر يحبّ جارية للمغنِّية المعروفة بالبكريّة بسُرَّ مَن رأى فقال فيها : [من السريع]

غادرتِ قلبي في إسار لديك فويلتــا منــكِ وويلي عليكِ
قــد يعلــمُ اللهُ عَــلى عرشِه أنّي أُعاني الموتَ شوقاً إليكِ
مُنّــي بفكّ الأَسرِ أو فاقتُــلي أيّهما أحببتِ مــن حُسْنَيَيْكِ
قــد كنتُ لا أُعدي على ظالم فصرتُ لا أُعدي على مُقلتيكِ
الخمــرُ مــن فيــكِ لِمَن ذاقَهُ والوردُ للناظِـرِ مــنْ وجنتيْكِ
يا حسرتا إن مُتُّ طوعَ الهوى ولم أنَــلْ مــا أَرتجيه لديكِ

وأنشدها أبو عبدِ الله بن حَمدونَ هذه الأبيات ، وغنَّت بها ، وجعل يكرِّر قوله :

الخمرُ مــن فيكِ لِمَن ذاقه

ويقول : هذا والله قولُ خبير مجرّب ، فاستحيتْ من ذلك ، وسبَّت إبراهيم ، فبلغه ذلك ، فكتب إلى أبي عبدِ الله يقول : [من البسيط]

أَلَـم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ في السحَرِ ؟ بَلى وهَيَّج مــن وَجْــدٍ ومن ذِكَرِ
ما زال دمعــي غزيرَ القَطْر مُنسجماً سَحّاً بأَربعــةٍ تَجـري مــن الدُّررِ
وقلتُ للغيثِ لمــا جــادَ وابِلُــه ومــا شجاني مــن الأَحزانِ والسَّهَرِ
يا عارضاً ماطِـراً أَمطِـرْ على كبدي فإنّهــا كَبِــدٌ حَــرَّى مــن الفِكَرِ
لشدَّ مــا نــالَ منّي الدَّهرُ واعتلقَتْ يدُ الزّمانِ وأَوهتْ من قُوى مِرَري[2]
يا واحِــدي مــن عبادِ اللهِ كلِّهم ويــا غنــاي ويــا كَهْفي ويا وَزَري
أَحينَ أنشدتَ شِعــري في مُعذِّبَتي أَمــا رثَيْتَ لهــا من شدّة الحَصَرِ ؟

1 يقصد عيسى بن إبراهيم النصرانيّ كاتب سعيد بن صالح ، وكان يسعى على ابن المدبر .
2 مرري : قواي ، جمع مرّة .

وما شفعتَ بهـا شِعري وقلت به | في ريقها البارِدِ السلسالِ ذي الخَصَرِ[1]
لبئس مستَنصحاً في مثـل ذلـك يا | نفسي فِـداؤكَ من مستنصح غَدِرِ
واليـوم يـومٌ كريـم ليس يُكرَمُه | إلاّ كريـمٌ مـن الفتيـانِ ذُو خَطَرِ
نشدتُـكَ اللهَ فاصْبَحْـه بصُحبتـه | مُباكِـراً فألَـذُّ الشُّرب في البُكَرِ
واجمعَ نداماكَ فيـه واقترحْ رَمَـلاً | صوتاً تغنِّيـه ذاتُ الـدَّلّ والخَفَرِ
يرتاح للدَّجْنِ قَلبـي وهـو مقتَسَمٌ | بـين الهمومِ ارتياحَ الأرضِ للمطَرِ
يا غـادراً يـا أحبَّ النّاسِ كلّهمُ | إليَّ واللهِ مـن أُنْثـى ومـن ذَكَرِ
ويا رجائـي ويا سُؤْلي ويـا أَمَلي | ويـا حياتـي ويا سَمعي ويا بَصري
ويا مُنـايَ ويـا نوري ويا فَرَحي | ويا سروري ويا شَمسي ويا قمري
لا تقبلي قـولَ حسَّادي علـيّ ولا | واللهِ مـا صدقـوا في القولِ والخَبَرِ
أدالني اللهُ مـن دهـرٍ يُضَعْضِعُني | فقـد حُجِبتُ عـن التسليمِ والنظَرِ[2]
إن يحجُبُوا عنك في تقديرهم بصَري | فكيف لم يحجُبُوا ذِكري ولا فِكَري ؟
يا قوم قَلبـي ضعيفٌ من تذكُّرها | وقلبُهـا فـارغٌ أَقسى مـن الحجَرِ
اللهُ يعلـمُ أنـّي هائـمٌ دَنِـفٌ | بغـادَةٍ ليتَهـا حَظّـي مـن البَشَرِ

[مجلس من مجالسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني عبد الله بن محمد المرْوَزي ، قال : حدَّثني الفضل بن العبّاس بن المأمون ، قال : زارتني عَريبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها ، فوافتنا ونحن عَلى شرابنا ، فتحدّثت معنا ساعة ، وسألتُها أن تقيمَ عندنا ، فأبَتْ ، وقالت : قد وعدتُ جماعة من أهلِ الأدب والظَّرف أن أصيرَ إليهـم ، وهم في جزيرة المربد ، منهم إبراهيم بن المدبّر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى بن منارة ، فحلفت عليها ، فأقامت . ودعَت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أردتُ ، ولولا ، ولعلّي .

ووجَّهت الرقعة إليهم ، فلمّا وصلت قرؤوها ، وعَيُوا بجوابها ، فأخذها إبراهيم بن المدبّر ، فكتب تحت أردت «ليتَ» وتحت لولا «ماذا» ؟ وتحت لعلّي «أرجو» ووجَّه

1 الخصر : البرد .
2 أدالني : نصرني .

بالرقعة إليها ، فلمّا قرأتْها طربت ونعرَت[1] ، وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم ؟ تركني الله إذاً من يديه ، وقامت فمضتْ وقالت لكمْ فيمن أتخلّفُه عندكم من جواريّ كفاية[2] .

[عريب تتدله في حبّه عند مكاتبتها]

أخبرني محمد بن خلَف : قال : حدَّثني عبد الله بن المعتزّ ، قال : قرأت في مكاتبات لعَريب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر مكاتبة بديعة بعيادة : قد استبطأتُ عيادتكَ ، قُدِّمتُ قبلكَ ، وعَذَرْتك ، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به . فأستديم الله نعمه عندك .

قال وكتبت إليه أيضاً : أستوهب الله حياتَك ، قرأت رقعتَك المسكينة التي كلّفتَها مسألتك عن أحوالنا ، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّد نفسكَ ، جعلني الله فداءها ، هذا الجفاءَ ، والثقةَ منّي بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتبْت إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء : قَبِل الله صومَكَ وتلقّاه بتبليغَكَ ما التمست ، كيف ترى نفسك ؟ ، نفسي فداؤك ، ولم كدّرت جسمَك في آب ، أخرجه الله عنك في عافية ، فإنّه فظّ غليظ وأنت محرور[3] ، وإطعامُ عشْرة مساكين أعظمُ لأجرك ، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتكَ دوني ، لأنّ نيّتي في الصوم كاذبة .

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : اتّصلت لعريب أشغال دائمة في أيّام تركوا رسى ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدّة ، فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

إلى اللهِ أشكو وحشتي وتفجُّعي ... وبعدَ المَدى بيني وبين عَريبِ
مضى دونها شَهْرانِ لم أحلَ فيهما ... بعيشٍ ولا مـن قُربها بنصيبِ
فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي ... ولستُ إذا أبصرتُهـا بغريبِ
وإنّ حبيباً لم يَـرَ النّاسُ مثلَه ... حقيقٌ بأن يُفْدى بكلّ حبيبِ

لعَريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتزّ ، وهو من مشهور غنائها .

---

1 نعرت : صوتت بخيشومها .
2 تخلّف فلان فلاناً : جعله خليفته .
3 محرور : يجد بصدره حرارة .

[عود إلى مكاتبات عريب]

وقال ابن المعتزّ في ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبّر ، وقد كتب إليها يشكو علّته : كيف أصبحتَ أنعم الله صباحكَ ومبيتَك ؟ وأرجو أن يكون صالحاً ، وإنّما أردتَ إزعاجَ قلبي فقط .

وكتبتْ إليه تدعو له في شهرِ رَمضان : أُفديك بسمعي وبصري وأَهلَّ اللهُ هذا الشهرَ عليك باليُمن والمغفرةِ ، وأعانك على المفترَض فيه والمتنفّل ، وبلَّغك مثلَه أعواماً ، وفرَّج عنك وعنّي فيه :

قال وكتبت إليه : فداؤك السمعُ والبصرُ والأُمُّ والأَبُ ومَن عرفني وعرفتُه . كيف ترى نفسَك وُقّيتَها الأذى ؟ وأعمى الله شانِئَك ، ومقَّه[1] الله عند هذه الدّعوة ، وأرجو أن تكون قد أُجيبت إن شاء الله ، وكيف ترى الصوم ؟ عرَّفك الله بركَته ، وأعانك على طاعتِه ، وأرجو أن تكون سالِماً من كلِّ مكروه بحول الله وقوّته ، وواشَوقي إليكَ وواحشتي لَك ، ردَّك الله إلى أحسنِ ما عوّدك ، ولا أشمتَ بي فيك عدوّاً وَلا حاسداً . وقد وافاني كتابُكَ لا عدمتُه إلاّ بالغنى عنه بك ، وذكرت حامله ، فوجّهتُ رسولي إليه ليدخله ، فأسألَه عن خبرك ، فوجدتَه منصرفاً ، ولو رأيته لفرشت خدّي له ، وكان لذلك أهلاً .

وكتبتْ إليه وقد عَتَبَتْ عليه في شيء بلَغها عنه : وَهب الله لنا بقاءَكَ ممتَّعاً بالنّعم ، ما زلتُ أمس في ذكرك ، فمرّة بمدحكَ ، ومرّة بشكركَ ، ومرّة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً . اجحدْ ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتّاب ونفاقَهم ، فأمّا خبرنا أمس فإمّا شربنا من فَضلة نبيذك على تذكارك رطلاً رطلاً ، وقد رفعنا حُسباننا إليك ، فارفع حُسبانك إلينا ، وخبِّرْنا من زاركَ أمس وألهاكَ ، وأيّ شيء كانت القصَّةَ على جهتها ؟ ولا تُخطرف ، فتحوجَنا إلى كشفِك والبحثِ عنك ، وعن حالك ، وقُل الحقَّ ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنَّكَ لا تُحسن أن تؤدّبه ، والحقّ أقولُ إنّه يعتريك كُزاز[2] شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولي عقوبة ، وإن عدت سمعتَ أكثرَ من هذا ، والسلام .

[شماتة]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني محمد بن داود قال : كان عيسى بن إبراهيم النَّصراني

---

1 مقّه : أي أهلكه .

2 الكُزاز هنا : الانزواء ، والانقباض ، والكزاز أصله من شدّة البرد .

المكنى أبا الخير كاتب سعيدَ بنْ صالح يسعى على إبراهيم بن المدبّر في أيّام نكبته ، فلمّا زالت ، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبس ونُهبت دارهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبّر : [من المنسرح]

قل لأبي الشرِّ إنْ مررتَ به مقالةً عُرِّيتْ من اللَّبَسِ
أَلبَسكَ اللهُ من قوارعه آخذةً بالخُناقِ والنَّفَسِ
لا زلتَ يا ابنَ البظراء مرتهَنا في شرِّ حالٍ وضيقِ محتَبَسِ
أقول لما رأيتُ منزلَه منتَهباً خالياً من الأُنسِ[1]
يا منزلاً قد عَفا من الطَّفس وساحةً أُخليتْ من الدَّنسِ[2]
من لاقترافِ الفحشاء بعد أبي الشـرّ ومن للقبيح والنجِسِ ؟

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : وليَ إبراهيمُ بنُ المدبّر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية ، فكان أكثر مقامه بمَنبج[3] ، فخرج في بعض أيّام ولايته إلى نواحي دَلوك[4] ورعبان[5] ، وخلّف بمنبج جاريةً كان يتحظّاها مغنّية يقال لها غادِر ، فحدّثني بعضُ كتّابه أنّه كان معه بدَلوك ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دَيْر يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزَهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب : [من الطويل]

أيا ساقيَينا وسْطَ دَيْر سليمانِ أديرا الكُؤوسَ فانهلاني وعُلاَّني[6]
وخُصَّا بصافيها أبا جعفر أخي وذا ثقتي بين الأَنامِ وخُلصاني
وميلاَ بها نحو ابنِ سَلاَّمٍ الذي أودُّ وعُودا بعد ذاك لنعمانِ
وعُمَّا بها الندمان والصحبَ إنَّني تَنَكَّرتُ عيشي بعد صحبي وإخواني
ولا تتركا نفسي تمُتْ بسَقامها لذِكْرى حبيب قد شجاني وعنَّاني[7]

1 الأنس : المؤانسين : جمع أنيس .
2 الطفس : الدنس .
3 منبج : من أعمال حلب شمالي الشام .
4 دلوك : بليدة من نواحي حلب .
5 رعبان : مدينة بين حلب وسميساط .
6 دير سليمان : قرب دلوك مطل على مرج العين .
7 لذكرى حبيب في ل : لذكري حبيباً .

ترحّلتُ عنه عن صدود وهِجرة … وأقبل نحوي وهو باكٍ فأبكاني
وفارقتُه واللهُ يجمع شملَنا … بلَوعة محزون وغُلَّة حَرَّانِ
وليلة عين المَرْج زار خيالُه … فهيَّج لي شوقاً وجدَّد أشجاني[1]
فأشرفت أعلى الدَّيْر أنظر طامحاً … بألمح آماقٍ وأنظَرِ إنسانِ
لعلّي أرى أبياتَ مَنبج رؤية … تُسَكّنُ من وجدي وتكشفُ أحزاني
فقصَّر طرفي واستهلَّ بعَبرة … وفدَّيتُ من لو كان يدري لفدَّاني
ومثَّلَه شوقي إليه مقابلي … وناجاهُ قلبي بالضمير وناجاني

[يهدي شعره إلى أخيه]

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبّر أهداه مجموعاً إلى أخيه أحمد ، فلمّا وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطّه : [من الوافر]

أبا إسحاقَ إن تكن الليالي … عطفنَ عليكَ بالخطبِ الجسيمِ
فلم أرَ صرْفَ هذا الدَّهرِ يجري … بمكروه على غيرِ الكريمِ

[وفاء عريب له]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني ميمونٌ بنُ هارون قال : اجتمعتُ مع عريب في مجلس أنس بسرَّ مَن رأى عند أبي عيسى بن المتوكّل ، وإبراهيمُ بن المدبّر يومئذٍ ببغداد ، فمرَّ لنا أحسنُ يوم ، وذكرتْهُ عريب فتشوَّقته وأحسنت الثناء عليه والذكر له ، فكتبتُ إليه بذلك من غد ، وشرَحتُه له ، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره : [من الطويل]

أتعلَمُ يا ميمونُ ماذا تُهيجُه … بذكركَ أحبابي وحِفظِهم العَهْدا
ووصفِ عريبٍ في كريم وفائها … وإجمالها ذكري وإخلاصها الوُدَّا ؟
عليها سلامي إن تكن دارُها نأتْ … فقد قرَّب الله الذي بيننا جدّا
سقى الله داراً بعدَنا جمعْتكُمُ … وسكَّن ربُّ العرش ساكنَها الخُلدا
وخصَّ أبا عيسى الأميرَ بنعمة … وأسعد فيما أرتجيه له الجَدَّا
فما ثَمَّ من مجدٍ وَطَوْلٍ وسُودَد … ورأي أصيلٍ يصدَع الحجَرَ الصَّلْدا

[يصلحون بينه وبين عريب]

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني عبد الله بن حمدون قال : اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبّر

1 عين المرج : قرية من نواحي سامراء .

وابن منارة والقاسم وابن زُرزُور في بستان بالمُطَيرة وَفي يوم غيم يُهريق رذاذه ويَقطر أحسن قَطْر ، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلاّ بعرِيبَ قد أقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم بن المدبّر من بيننا ، فخرج حافياً ، حتى تلقّاها وأخذ بركابها[1] ، حتى نزلتْ وقبَّل الأرضَ بين يديها ، وكانتْ قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه ، فجاءتْ وجلست وأقبلتْ عليه مبتسمة ، وقالتْ : إنّما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ . فاعتذرَ وَشيَّعْنا[2] قوله ، وشفعنا له . فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ وباتَتْ ، واصطبحنا من غد ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم : [من الرمل]

صوت

بأبي مـــن حقّقَ الظنّ به   فأتانـــا زائـــراً مُبتدِيـــا
كان كالغَيثِ تراخى مُدّةً   وأتـــى بعـــد قُنوط مُرويا
طاب يومـــانِ لنا في قُربه   بعـــد شهرين لهجرٍ مضَيا
فأقرَّ اللهُ عَينـــي وشَفـــى   سَقَماً كان لجسمي مُبليا

لعريب في هذا الشعر لحنان : رَمَل وَهزج بالوسطى .

[من شعره في عريب]

أنشدني الصوليّ رحمه الله لإبراهيم بن المدبّر في عريب : [من المديد]

زعمـــوا أنّي أُحـــبُّ عَريبا   صدقـــوا واللهِ حبّـــاً عجيبا
حلَّ من قلبـــي هواهـــا مَحلاً   لم تَـــدَعْ فيـــه لخَلْق نصيبا
ليقلْ من قَدْ رأى الناس قِدْماً :   هل رأى مثلَ عَريب عَريبا ؟
هـــي شمسٌ والنساءُ نُجـــومٌ   فـــإذا لاحـــتْ أفلـــن غُيوبا

وأنشدني الصوليّ أيضاً له فيها . [من المتقارب]

ألا يـــا عريبُ وُقيتِ الرَّدى   وجنَّبـــكِ اللهُ صَـــرْف الزَّمنْ
فإنَّـــك أصبحتِ زينَ النساءِ   وواحـــدة النّـــاس في كلِّ فَنّ
فقربُـــكِ يُدني لذيـــذَ الحياةِ   وبعـــدُك ينفـــي لذيذَ الوَسَنْ

1 الركاب : حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب ، والجمع رُكبُ .
2 شيّعنا : قوينا .

فنِعم الجليسُ ونعـم الأَنيسُ ونعـم السَّميرُ ونِعمَ السَّكَنْ

وأَنشدني أيضاً له : [من السريع]

إنّ عريباً خُلقتْ وحدَهـا في كلِّ ما يحسُنُ من أَمرِها
ونعمــة للهِ في خَلقِــهِ يقصِّر العـالم عن شكرها
أَشهـدُ في جاريتَيهـا على أَنّهمـا مُحْسِنَتـا دَهرِها
فبدعةٌ تُبـدعُ في شَدْوها وتُحْفَةٌ تُتحـف في زَمْرِها
يـا ربِّ أَمتعْها بما خوَّلَت وامدُد لنا يا ربِّ في عمرِها

[أبو شراعة يودّعه]

أَخبرنا أَبو الفيّاض سوار بن أَبي شُراعة القيسيّ البصريّ قال : كان إبراهيمُ بنُ المدبّر يتولّى البَصَرة ، وكان محسناً إلى أهلِ البلد إحساناً يعمّهم ، ويشتمل على جماعتهم نفعُه ، ويخصُّنا من ذلك بأوفر حظّ وأجزلِ نصيب ، فلمّا صُرِفَ عن البصرة شيَّعه أهلُها ، وتفجّعوا لفراقه وساءهم صَرْفُه ، فجعل يردّ الناسَ من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به ، حتى لم يبقَ معه إلاّ أبي ، فقال له : يا أبا شراعة ، إنّ المشيِّع مودِّع لا محالة ، وقد بلغت أقصى الغايات ، فبحقّي عليك إلاّ انصرفتَ ، ثم قال : يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به ، فأَحضر ثياباً وطيباً ومالاً ، فودَّعه أَبي ثم قال : [من الرمل]

يـا أَبـا إسحاق سرْ في دَعَـة وامضِ مصحوباً فمـا منك خَلفْ
ليت شعـري أيُّ أَرض أجدبتْ فأُغيثت بك من جهد العَجَفْ ؟[1]
نـزل الرُّحْـمُ مـن الله بِهِـم وحُرِمنـاكَ لذنـب قـد سلفْ[2]
إنّمـا أنـت ربيـعٌ باكِـر حيثُمـا صرَّفـه الله انصـرفْ

[قلبه عند عريب]

أَخبرني عليّ بن العبّاس بن طلحة الكاتب قال : قرأتُ جواباً بخطّ إبراهيمَ بن المدبّر في أَضعاف رقعة كتبتْها إليه عريبُ ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره : [من الطويل]

وساءلتموه بعـدَكم كيـف حالُـه وذلك أمـر بيّـنٌ ليس يُشكلُ

1 العجف : الهزال الشديد .
2 الرّحم : الرحمة .

فلا تسأَلوا عن قلبــه فَهْو عندكم ولكن عن الجسم المُخلَّف فاسأَلوا

[لا سرور في غيابها]

أَخبرني عليّ بنُ العبّاس قال : حدَّثني أَبي قال : كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر ، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأخرجتا إليه رقعةً من عريب فقرأناها فإذا فيها : بنفسي أنت وسمعي وبصري ، وقلّ ذلك لك ، وأصبح يومنا هذا طيّباً ، طيَّب الله عيشَك ، قد احتجبت سماؤه ورقّ هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنّه أنت في رقّة شمائلك وطيب محضَرك ومخبرك ، لا فقدتُ ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنُه وطيبُه مني نشاطاً ولا طرباً لأُمور صدَّتْني عن ذلك ، أكره تنْغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها . وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنساك وتُسَرَّ بهما . سرَك الله وسرَّني بك !

فكتب إليها يقول : [من المنسرح]

كيــف السرورُ وأنــتِ نازحــةٌ عنّي وكيف يسوغُ لي الطربُ !
إن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ أسبابـــهُ وألحَّـــت الكُـــرَبُ

وأَنفذ الجواب إليها ، فلم يلبث أَن جاءَت ، فبادر إليها ، وتلقاها حافياً حتى جاءَ بها عَلى حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه ، يطأُ الحمارُ عَلى بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها ، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها ، ثم قال : [من الطويل]

أَلا ربّ يــوم قصَّر اللهُ طولَــه بقرب عريبٍ حبَّذا هو من قُرَبِ
بهــا تحسُن الدُّنيا وينعَــم عيشُها وتجتمع السرَّاءُ للعيـن والقَلْبِ

[من شعره في جاريتي عريب]

حدَّثني عليّ بن سليمان قال : أَنشدني أَبي قال : أَنشدني إبراهيم بن المدبِّر ، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما ، فتأخّرتا عنه فكتب إليهما : [من مجزوء الكامل]

قُــل يــا رسول لهــذه ولهــذه بأَبــي هُمــا
قــد كان وصلكما لنا حَسَناً ففيــم قَطعْتُما ؟
أَعريــبُ سيّدةُ النسا ء بهجرنــا أُمرتْكُمــا ؟
كــلاً وبيــت الله بل هــذا جفــاءٌ منكما

[صوت له غنّته عريب]

وأَنشدني عليّ بنُ العبّاس لإبراهيم بن المدبّر ، وفيه لعَريبَ هَزَج ، وقال : [من الهزج]

أَلا يــا بأَبــي أَنتمْ نأَت دارٌ بنا عنكمْ

فإن كنتُــم تبدلتُمْ فما مِنْ بَدَل منكمْ
وإن كنتُم عَلى العَهدِ فأَحسنتُم وأَجملتمْ
ويا ليتَ المنى حَقَّت فنَبديهــا ولا نَكتُمْ
فكنتُــم حيثمــا كنّا وكنّــا حيثما كنتمْ

[من شعره في سجنه]

وحدَّثني عليّ قال : حدَّثني أَبي قال : دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبّر في أيّام نكبته ببغداد في ليلة غَيم ، فلاح برقٌ من قطب الشمال ونحن نتحدّث ، فقطع الحديثَ ، وأمسك ساعة مفكّراً ، ثم أقبل عليّ فقال : [من مجزوء الخفيف]

بــارقٌ شرَّد الكــرى لاح مــن نحوِ ما تَرى
هــاج للقلــبِ شجوَه فاعْتَرى منه مــا اعترى
أيّهــا الشادنُ الــذي صاد قلبي ومــا درَى[1]
كــن عليمــاً بشِقْوَتي فيك من بين ذا الوَرى

[عود إلى جاريتي عريب]

وحدَّثني عن أَبيه قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر فزارتْه بِدعةُ وتُحفةُ وأَقامتا عنده ، فأَنشدنا يومئذٍ : [من الخفيف]

أيّها الزائــران حيّــاكما اللـ ـــه ومــن أنتما لــه بالسَّلامِ
ما رأَينا في الدَّهرِ بدراً وشمساً طَرَقــا ثــم رجّعــا بالكلامِ
كيف خلَّفتما عَريباً سقاها اللـ ـــه ربُّ العباد صوبَ الغَمامِ
هي كالشَمس والحسانُ نجوم ليس ضوءُ النّهارِ مثلَ الظلامِ
جمعتْ كلّ مــا تفرّق في النا سِ وصارت فريدةً في الأَنامِ

[شعره في سجنه]

وأنشدني عن أَبيه لإبراهيم بن المدبّر وهو محبوس : [من الطويل]

وإنّــي لأستنشي الشّمال إذا جــرتْ حنينــاً إلى أُلاَّفِ قلبــي وأَحبابي[2]
وأُهــدي مــع الريح الجنوب إليهمُ سلامي وشَكوى طولِ حُزني وأَوصابي

---

1 الشّادن : ولد الظبي .
2 أستنشي : أشمّ .

فياليت شعـري هـل عريبٌ عليمةٌ   بذلـك أَو نـام الأحبّـة عمّا بي ؟

[يعاتب صديقه أبا الصقر]

حدَّثني عمِّي ، عن محمد بن داود قال : كان إبراهيم بن المدبّر صديقَ أَبي الصقر إسماعيل بن بُلبُل فلم يرضَ فعله لمّا نكب ولا نيابتُه عنه فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

لا تُطِـل عـذلي عنـاء   إن في العـذلِ بـلاءَ
لست أَبكي بطـن مرٍّ   فكديًّـا فكَـداءَ[1]
إنّمـا أَبكـي خليـلا   خـانَ في الودِّ الصفاءَ
يـا أَبا الصقرِ سقاك اللـ   ـه تَهتانـا رواءَ[2]
وأَدامَ الله نُعمـا   ك وَمـلاَّك البقـاءَ[3]
لِـمْ تجاهَلـتَ وِدادي   وتَناسيـتَ الإخـاءَ ؟
كنـت بَـرًّا فعـلى رأ   سي تعلّمـت الجفـاءَ
لا تميلنَّ مـع الريـ   ـح إذا هبَّـتْ رُخاءَ
ربَّمـا هبَّـتْ عقيمـاً   تتـرك الدُّنيـا هَباءَ[4]

[حلم يتحقق]

أُخبرني عليّ بن العبّاس قال : حدَّثني أَبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر وزارته عَريبُ . فقال لها : رأيت البارحة في النوم أبا العَنْبَس وقد غنّى في هذا الشعر وأنتِ تراسلينه فيه : [من الرمل]

يـا خليليَّ أَرِقْنا حَزَنـا   لِسَنا بَرقٍ تبدَّى مَوْهنا[5]

وكأنّي أُجزته بهذا البيت وسألتكما أَن تضيفاه إلى الأوّل : [من الرمل]

وجلا عن وجهِ دعدٍ مَوْهِنا   عجباً منه سَناً أَبدى سَنا

فقالت : ما أَملح والله الابتداءَ والإجازة ! فاجعل ذلك في اليقظة ، واكتب إلى أبي العَنْبَس

---

1 بطن مر : من نواحي مكّة يجتمع عنده وادي النخلتين . فكدياً : بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين . فكداء : بأعلى مكة عند المحصب .
2 تهتانا : مطراً متتابعاً . رواء : كثيراً مرويّاً .
3 ملاّك : أمتعك .
4 عقيماً : لا خير فيها .
5 موهن ، نحو نصف الليل .

وسَله عنّي وعنكَ الحضورَ ، فكتب إليه إبراهيم : [من الرمل]

يا أَبا العبّاسِ يا أُفتى الورى زارنا طيفُك في سُكْرِ الكَرى
وتغنَّـــى ليَ صوتـــاً حسناً في سَنا برقٍ على الأُفْقِ سَرى
وعريــــبٌ عندنــا حاصلـةٌ زينُ مَنْ يمشي على وجه الثَّرى
نحـن أَضيافُــكَ في منزِلنا نتمنَّاكَ فكُــن أَنـتَ القِرى

قال : فسار إليهما أبو العَنْبَس ، وحدَّثه إبراهيم برؤياه ، فحفظا الشعر ، وغنَّيا فيه بقية يومهما : [من الطويل]

صوت

أَلا حَيِّ قبل البين من أَنتَ عاشقُهْ ومن أَنـتَ مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومَـــن لا تواتي دارَه غيرَ فَينَـةٍ ومَن أَنتَ تبكي كلَّ يوم تُفارقُهْ[1]

الشعرِ لقَيْس بن جَروَة الطائيّ الأَجَئِيّ ، قاله في غارة أغارها عمرُو بنُ هند على إبلٍ لطيّىء فحرَّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طيّىء وقال له : إنّهم يتوعّدونَك ، فغزاهم واتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أُوارة[2] وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلُّق بعض أَخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ومن مجموع غناء إبراهيم .

---

1 الفينة : الحين .

2 أوارة : اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين .

[477] ـ ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

[يوم أوارة]

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات بخطّه ، وذكر أنّ أحمدَ بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمريّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّىء . قال : وحدّثني محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبيّ قالوا : كان من حديث يوم أُوارة أنّ عمرَو بنَ المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند يعرف باسم أُمّه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار[1] الكنديّ وهو الذي يقال له مُضَرِّط الحجارة ، أنّه كان عاقد هذا الحيّ من طيّىء على ألاّ ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، وأنَّ عمرو بنَ هند غزا اليمامةَ ، فرجع مُنفِضاً[2] فمرَّ بطيّىء ، فقال له زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظليّ : أَبيتَ اللعن ! أُصِبْ من هذا الحيّ شيئاً ، قال له : ويلك ! إنّ لهم عَقْدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذْواداً[3] .

[قيس بن جروة يتهدّده عمرو بن هند]

فقال في ذلك الطائيّ ، وهو قَيس بن جَروة أحد الأجئيّين قال : [من الطويل]

ألا حيِّ قبل البين من أنت عاشقُهْ … ومَن أنتَ مشتاقٌ إليـه وشائقُهْ
ومَـن لا تُواتـي دارَه غيرَ فَينةٍ … ومَن أنت تبكـي كلَّ يـومٍ تُفارقُهْ
وتعـدو بصحـراء الثويّـةِ ناقتي … كعدو النَّحوص قَدْ أمخَّت نواهِقُهْ[4]
إلى الملك الخيْر ابن هنـد تزوره … وليس من الفوْت الذي هو سابقُهْ
وإنَّ نساءً هُـنَّ مـا قـال قائلٌ … غنيمـةُ سَوء بينهـنّ مَهارِقُهْ[5]
ولـو نيل في عهدٍ لنا لحمُ أرنب … رَدَدْنا وهـذا العهد أنت مُعالقُهْ[6]

1 المرار : شجر تأكله الإبل .
2 منفضاً : نافذ الزاد .
3 الذود : جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلاّ في الإناث .
4 الثوية : موضع قرب الكوفة . النحوص : الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها . أمخت : صار لها مخ . النواهق : عظام شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع ، أي سمينة .
5 المهرق : ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر .
6 معالقه : متعلق بذمتك .

فهبك ابنَ هنـد لم تعُقْك أمانـةٌ ... ومـا المـرء إلاّ عَقده ومَواثِقُهْ
وكنّـا أُناساً خافضـين بنعمـةٍ ... يسيل بنـا تلْـع المَـلا وأبارقُهْ[1]
فأقسمتُ لا أحتـلُّ إلاّ بصهوةٍ ... حـرامٌ عـليَّ رَملُـه وشقائِقُهْ[2]
وأقسم جَهـداً بالمنازلِ من مِنًى ... وما خبّ في بطحائِهنَّ دَرادِقُهْ[3]
لئن لم تغيَّر بعضَ مـا قـد فعلتُم ... لأنتحينّ العظـم ذو أنـا عارقُهْ[4]

فسمّي عارقاً[5] بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمرَو بنَ هند، فقال له زُرارة بن عُدَس: أبيت اللعن، إنّه يتوعّدك. فقال عمرو بن هند لتُرملة بن شُعاث الطائيّ، وهو ابن عمّ عارق: أيهجوني ابن عمّك ويتوعّدني! قال: والله ما هجاك، ولكنّه قد قال: [من الكامل]

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارَكمْ ... لَكَسا الوجوه غضاضة وهوانا[6]
وسلاسلا يبرقن في أعناقكـم ... وإذاً لقطَّـع تلكـم الأقرانا[7]
ولكـان عادتُـه على جيرانه ... ذهبـا ورَيطـا رادِعـا وجِفانا

قالوا: الرادع: المصبوغ بالزعفران، وإنّما أراد ترملة أن يُذهبَ سَخيمته، فقال: والله لأقتلنّه. فبلغ ذلك عارقاً، فأنشأ يقول: [من الطويل]

مـن مبلـغٌ عَمرو بنَ هنـدٍ رسالةً ... إذا استحقبتها العِيس تُنْضى على البعدِ[8]
أيوعـدُني والرمـل بينـي وبينـه ؟ ... تبـينْ رويـداً مـا أُمامة مـن هندِ
ومـن أجـإٍ دوني رِعـانٌ كأنَّها ... قنابل خيـل مـن كميت ومن وَرْدِ[9]

1 تلع: جمع تلعة. الملا: الصحراء. أبارق: جمع أبرق: أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين.
2 أحتل: أنزل. صهوة: برج يتّخذ في أعلى الرابية. شقائق: جمع شقيقة؛ وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.
3 الخبب: سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه. درادق: جمع دردق كعسكر: صغار الإبل.
4 لأنتحين: لأقصدن، يريد لأصيبن هذا العظم.
5 عرق العظم: أخذ اللحم الذي عليه كلّه.
6 الشطر الثاني في ل: ما إن كساكم غصة وهوانا.
7 الأقران: جمع قَرَن: حبل.
8 استحقبتها: حملتها على حقيبة الرجل. الإبل العيس: البيضاء جمع أعيس. تنضى: تهزل.
9 رعان: جمع رعن، وهو أنف يتقدّم الجبل. قنابل: جمع قنبل، جماعة من الخيل، وفي ل: قبائل. كميت: تصغير كمت، وهو من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص. ورد: أحمر ضارب إلى الصفرة.

غدرتَ بأمــر أنــت كنتَ اجتذبْتنا عليــه وشرُّ الشيمة الغــدرُ بالعهدِ[1]
فقد يتركُ الغــدرَ الفتــى وطعامُه إذا هو أمسى حَلبــةٌ مــن دمِ الفصدِ[2]

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا ، فغزا طيئاً ، فأسر أسرى من طيّيء من بني عديّ بن أخزم ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، فيهم رجلٌ من الأجئيِّين يقال له قيسُ بن جَحدر ، وهو جدّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند ، وكذلك كان يصنع ، فسأله إيّاهم ، فوهبهم لـه إلاّ قيس بن جحدر ، لأنّـه كان من الأجئيِّـين من رهط عارق ، فقال حاتم : [من الطويل]

فككت عديّــاً كلّها من إسارها فأنعِمْ وشفِّعني بقيسِ بنِ جَحْدَرِ
أبــوه أبــي والأُمّهــاتُ امّهاتنا فأنعم فدتْكَ اليوم نفسي ومعْشري

فأطلقه .

[مالك بن المنذر]

قال : وبلغنـا أنّ المنذرَ بن ماء السماء وضع ابناً لـه صغيراً ، ويقـال : بـل كان أخاً له صغيراً ، يقال لـه : مالِك عند زُرارة ، وإنّه خـرج ذات يـوم يتصيَّـدُ ، فأخفق ، ولم يصب شيئاً ، فرجع ، فمرَّ بإبلٍ لرجل من بني عبد الله بن دارِم ، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان عند سويد ابنـةُ زُرارة بن عُـدَس ، فولدت لـه سبعةَ غِلمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويدٌ نائم ، فلمّا انتبه شدَّ على مالك بعصاً فضربه بها ، فأمَّه[3] . ومات الغلامُ ، وخرج سويدٌ هارباً حتى لحق بمكّة وعلم أنّـه لا يأمن ، فحالـف بني نوفل بن عبـد مناة واختطّ[4] بمكّـة ، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن قيس بن سويد ، وكانت طيّيء تطلب عثرات زُرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقَط الطائيّ يقول : [من مجزوء الكامل]

من مبلغٌ عمراً بأنَّ المــر ءَ لم يُخلــقْ صُبارَهْ[5]
وحــوادث الأيّــام لا تبقــى لهــا إلاّ الحجارَهْ

1 اجتذبتنا في ل : احتذيتنا .
2 حلبة : مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه .
3 أمّه : شجَّ رأسه .
4 اختطّ : نزل خطّة بمكّة .
5 صُبارة : الحجارة الملس .

أن ابـــن عِجزةٍ أُمّــه ... بالسَّفح أسفلَ من أُوارَهْ

قال هشام : أوّل ولد المرأة يقال له : زُكمة ، والآخر : عِجزة .

تسفي الرياحُ خلاله سَحْياً ... وقـــد سَلَبُـــوا إزارَهْ[1]

فاقتـــل زُرارةَ لا أرى ... في القوم أفضلَ من زُرارَهْ

[هرب زرارة وعودته]

فلمّا بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى ، حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبرُ زرارة ، فهَرَب ، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حُبلى فقال : أذَكَرٌ في بطنك أم أنثى ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، قال : ما فعل زُرارة الغادر الفاجر ؟ فقالت : إن كان ما علمتُ لطيِّبُ العَرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد ، ولا يسأل عمّا فَقَد ، لا ينام ليلةَ يَخافُ ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ . فبَقر بطنها .

فقال قوم زُرارة لزرارة : والله ما قتلتَ أخاه ، فأتِ الملك ، فاصدقه الخبر ، فأتاه زرارة ، فأخبره الخبر فقال : جئني بسويد ، فقال : قد لحق بمكّة ، قال : فعليّ ببنيه السبعة ، فأُتي ببنيه وبأمّهم بنت زُرارة وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه ، وتعلّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرارة : يا بعضي دع بعضاً[2] ، فذهبت مثلاً . وقتِلوا .

[عمرو ينكل ببني تميم]

وآلى عمرو بن هند بأليَّة ليحرِقَنَّ من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدهم وبعث على مقدَّمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن عَتَّاب بن مِلقط ، فوجدوا القوم قد نَذِروا ، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أوارة من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ، حتى انتهى إلى أوارة ، فضُرِبت فيه قبّتُه ، فأمر لهم بأُخدود فحفِر لهم ، ثم أضرمه ناراً ، فلمّا احتدمت وتلظَّت ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

[إنّ الشقي وافد البراجم]

وأقبل راكب من البراجم ، وهم بطن من بني حنظلة ، عند المَساء ، ولا يدري بشيء ممّا كان يُوضع له[3] بعيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد

---

1 سحياً في ل : كشحيه . وسحياً : قشراً .

2 مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام ، ورد في مجمع الأمثال 410/2 والجمهرة للعسكري 420/2 ، 423 والمستقصى 405/2 وفصل المقال 209 والأمثال للقاسم بن سلام 139 .

3 الإيضاع : حمل الدواب على العدو السّريع .

أُقويْتُ[1] ثلاثاً لم أذق طعاماً ، فلمّا سطع الدّخان ظننته دخانَ طعام ، فقال له عمرو بن هند : مِمّن أنتَ ؟ قال : من البراجم ، قال عمرو : إنّ الشقيّ وافدُ البراجم[2] فذهب مثلاً ، ورمى به في النار ، فهجت العرب تميماً بذلك ، فقال ابن الصَّعقِ العامريّ : [من الوافر]

ألا أَبلغْ لديكَ بني تميم بآيــة مــا يُحبُّون الطعاما

[مثل من شجاعة المرأة]

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللعن ! لو تحلّلت بامرأة منهم ، فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً . فدَعا بامرأة من بني حنظلة ، فقال لها : مَن أنت ؟ قالت : أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشلَ بن دارم ، فقال : إنّي لأظنّك أعجميّة ، فقالتْ : ما أنا بأعجميّة ولا ولدْتني العجم . [من الرجز]

إنّي لبنتُ ضمرةَ بــن جابر سادَ معــدّاً كابــراً عن كابرِ
إنّي لأختُ ضَمرة بنِ ضَمرهْ إذا البــلاد لُفّعَــت بجمرهْ

قال عمرو : أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصَرَفتكِ عن النّار ، قالت : أما والذي أسألُه أن يضع وسادَك ، ويخفِض عمادَك ، ويسلبك مُلكك ، ما قتلتَ إلاّ نساء أعاليها ثُدِيّ وأسفلها دُمِيّ قال : اقذفوها في النّار ، فالتفتت ، فقالت : ألا فتًى يكون مكان عجوز ! فلمّا أبطؤوا عليها قالت : صار الفتيانُ حُمماً[3] ، فذهبت مثلاً فأحرِقت ، وكان زوجها يقال له هَوذة بن جرول بن نهشل بن دارم .

[لقيط يعيّر بني مالك]

فقال لقيط بن زرارة يعيّر بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إيّاهم ونزولهم معه : [من المتقارب]

لمــن دمنــةٌ أقفرتْ بالجنابِ إلى السفحِ بين المَلا فالهضابِ[4]
بكيــتَ لعرفــــان آياتهــــا وهاج لك الشوقَ نعبُ الغرابِ

---

1 أُقويت : نفد زادي .

2 مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة . ويُروى راكب البراجم . ورد في مجمع الأمثال 29/1 والدرر الفاخرة 259/1 ، 260 والجمهرة 10/1 ، 121 ، 122 والمستقصى 405/1 وفصل المقال 452 .

3 مثل ورد في مجمع الأمثال 394/1 والمستقصى 137/2 .

4 الجناب، والسّفح والملا والهضاب : مواضع .

فأَبلـغ لديــك بنـــي مالك مغلغلــةً وسراةَ الرّبــابِ[1]
فــإن امـــرءاً أَنتـمُ حولَـه تحِفُّــون قبَّتَــه بـالقِبابِ
يُهـينُ سراتكـمُ عامــداً ويقتلكم مثـلَ قتـلِ الكلابِ
فلـــو كنتـمُ إبـلاً أُملَحَت لقــد نزَعَتْ للمياهِ العذابِ[2]
ولكنَّكـــم غنـمٌ تُصطَفـى ويُتـــرك سائرُهـــا للذئابِ
لعمر أَبيـكَ أَبــي الخير مـا أَردتَ بقتلهـمُ مـن صوابِ
ولا نعمـــةً إن خيرَ الملـو كِ أفضلهم نعمــةً في الرقابِ

[شعر الطرماح في أوارة]

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا : [من البسيط]

واسأل زُرارة والمأمور مـا فعلت قَتْلى أُوارةَ مـن رعلان واللُّددِ[3]
ودارِمــاً قــد قذفنا منهمُ مائـة في جاحِم النارِ إذ يُلقونَ بالخُدَدِ[4]
ينزون بالمشتوي منهــا ويوقدُها عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تَقِدِ

[زرارة يريد الثأر من ابن ملقط]

قال : فحدَّثني الكلبيّ عن المفضل الضبّيّ قال : لمّا حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأَهل بيته ثم قال : إنّه لم يبقَ لي عند أحد من العرب وِتْر ، إلاّ قد أدركته ؛ غير تحضيض الطائيّ ابن ملقطِ الملك علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأيّكم يضمن لي طلب ذلك من طيّىء ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عم . ومات زرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة من طيّىء ، ففاتوهم ، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تمامة وقال في ذلك شعراً .

[لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين]

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خُيَلاءَ ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذٍ شابّ . فقال له زرارة : لقد أُصبحت تصنع صنيعاً كأنّما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحتَ بنت ذي

1 مغلغلة : أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد .
2 أملحت : وردت ماء ملحاً .
3 رعلان : حصن . واللدد : موضع .
4 جاحم : شديد الاشتعال . الخدد : جمع خدة أي حفرة .

الجدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليَّ ألا يمس رأسي غَسْل ، ولا آكُلَ لحماً ، ولا أشرب خمراً ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له : يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسلَّما على ناديهم ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذو الجدَّين ؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذٍ ، قالوا : نعم ، قال : فأيّكم هُو ؟ قال قيس : أنا قيسٌ ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتَك ، وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلاّ أصابه بشَرٍّ وسمَّع به ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بنُ زُرارة بن عُدَس بن زيد ، قال قيس : عجباً منك يا ذا القُصَّة ! هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : ولم يا عمّ ؟ فوالله إنّك لرُغْبة[1] وما بي من نَضاة ، أي ما بي عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك ، فأعجَب قيساً كلامُه ، وقال : كفء كريم ؛ إنِّي زوّجتُكَ ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر[2] ولا ناب[3] ولا كَزُوم[4] ؛ ولا تبيت عندنا عَزبا ولا محروما . ثم أرسل إلى أُمّ الجارية : أنِّي قد زوّجت لقيطَ بن زُرارة ابنتي القَدور ، فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق[5] ، فإن لقيطُ بنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزبا . وجلس لقيط يتحدّث معهم ، فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأردُّها للقاح وأهزِلُها للجمال ، وأمّا المقام فأسمنها للجِمال ، وأحبُّها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً ، فذهب إلى البَلَق فجلس فيه ، وبعثت إليه أُمُّ الجارية بِمجمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي بها إليه ، فوالله لئن ردّها ما فيه خير ، ولئن وضعها تحته ما فيه خير ، فلمّا جاءته الجارية بالمجمرة بخَّر شعره ولحيته ثم ردَّها عليها ، فلمّا رجعت الجاريةُ إليها ، خبَّرتها بما صنع ، فقالت : إنّه لخليقٌ للخير ، فلمّا أمسى لقيط أُهدِيت الجارية إليه . فمازحها بكلام اشمأزّت منه ، فنام وطرح عليه طرفَ خَميصة[6] ، وباتت إلى جنبه ، فلمّا استثقل انسلَّتْ فرجَعَت إلى أُمّها ، فانتبه لقيط ، فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك[7] وإيّاك أن يُسمع رُغاؤها .

---

1 رغبة : يرغب فيك الناس .
2 مظائر : ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظئار .
3 الناب : الناقة المسنة .
4 الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هرماً .
5 البلق : الفسطاط .
6 الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .
7 البعير يطلق على الناقة أيضاً .

[لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى]

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذي ذهب به . ومضى لقيط ، حتى أتى المنذرَ فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر ، ثم انصرف لقيط من عند كسرى ، فأتى أباه ، فأخبره خبره .

[لقيط يعود إلى زوجته ثم تتيم منه]

وأقام يسيراً ، ثم خرج هو وقرادٌ حتى جاءا محلّة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل ، فقال لقيط : [من البسيط]

انظر قـرادُ وهاتا نظرةً جزعا عُرضَ الشقائق هل بيَّنْتَ أظعانا
فيهن أترجّـة نضخ العبير بها تكسى ترائبها شَذْرا ومَرجانا[1]

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلمّا أرادت الرحيل قال لها : يا بنيَّة كوني لزوجكِ أمةً يكن لكِ عبداً ، وليكن أكثرُ طيبِك الماء ، فإنّك إنّما يُذهَب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدتِ فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمي أنّ زوجَك فارسُ مضر ، وأنّه يوشك أن يُقتلَ أو يموت ، فلا تخمِشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً ، قالت له : أما والله لقد ربيتَني صغيرة ، وأوصيتني كبيرة ، وزوّدتني عند الفراق شرَّ زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلتْ لا تمرّ بحيّ من العربِ إلاّ قالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومُكَ ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلّة بني عبد الله بن دارم ، فرأت القبابَ ، والخيل العَرابَ[2] ، قالت : يا لقيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعمْ ، فأقام أيّاماً يُطعِم ويَنحر ، ثم بنى بها ، فأقامت عنده حتى قُتِل يوم جَبَلة[3] ، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحُمِلت ، فلمّا ركِبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أُوصيكم بالغرائب خيراً[4] ، فوالله ما رأيت مثلَ لقيط ، لم تخمِش عليه امرأة وَجْهاً ولم تحلِق عليه شَعراً ، فلولا أنّي غريبة لخَمَشْت وحلقت ، فحبب الله بين نسائكم ، وعادى بين رعائكم ، فأثنوْا عليها خيراً .

1 الأترجة : ثمر شجر من فصيلة الليمون . نضخ : أثر طيب يبقى في الثوب وغيره . شذراً : قطعاً من الذهب .
2 العراب : خلاف البراذين واحدها عربي .
3 يوم جبلة : يوم بين بني عبس وذبيان ابني بغيض .
4 ل : شرّاً .

[زوجة لقيط في عصمة غيره]

ثم مضت حتى قدمتْ على أبيها ، فزوّجها من قومه ، فجعل زوجُها يسمعُها تذكر لَقيطاً ، وتحزن عليه ، فقال لها : أيَّ شيء رأيت من لقيط أحسنَ في عينك ؟ قالت : خرج يوم دَجْن وقد تطَيَّب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضحُ دماء ، فضمّني ضمّة ، وشمَّني شمّة ، فليتني مِتُّ ثَمَّة ، فلم أرَ منظراً كان أحسنَ من لَقيط ، فمكث عنها حتى إذا كان يومُ دَجن شَرب ، وتطيّب ، ثم ركب ، فطرد البقر ، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطيبُ وريح الشراب ، فضمّها إليه وقبّلها ، ثم قال لها : كيف ترينَ ؟ أأنا أم لَقيط فقالت : ماءٌ ولا كصَدَّاء ، ومرعى ولا كالسَّعدان[1] فذهبت مثلاً ، وصَدَّاء : ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها ، وقد ذكرها التميميّ في شعره : [من الطويل]

إنِّـي وتهيامـي بزينبَ كالذي ... يُخالس من أحواض صَدَّاءَ مَشربا
يرى دونَ برد الماء هَـولاً وذادةً ... إذا اشتدَّ صاحوا قبـل أن يتحببا[2]

يقول : قبل أن يروى يقال : تحبَّبتُ من الشراب أي رَويتُ ، وبضعْت منه أيضاً أي رويت منه ، والتحبُّبُ : الرَّيّ .

صوت

[من الطويل]

وكاتبةٍ في الخدِّ بالمسك جعفرا ... بنفسي مَخطُّ المسك من حيث أثَّرا[3]
لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكفِّها ... لقد أودعتْ قلبي من الحُبِّ أسطُرا
فيا مـن لمَمْلوك لملكِ يمينـه ... مطيـعٌ لهـا فيمـا أسرَّ وأظهرا
ويا من هواها في السريرة جعفرٌ ... سقى الله مـن سُقْيا ثَناياكِ جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل ، والغناء لعريب خفيف رَمَل مطلق .

1 السعدان : أطيب المراعي للإبل . وهنا مثل ويُروى كصدى : ورد في مجمع الأمثال 277/2 وفصل المقال 199 ، 201 والجمهرة للعسكري 91/2 ، 241 ، 255 والمستقصى 339/2 وورد مرعى ولا كالسعدان في مجمع الأمثال 225/2 ، 242 ، 275 والمستقصى 344/2 وفصل المقال 199 والقاسم بن سلام 135 ومواطن أخرى .
2 اشتد في ل : شدّ .
3 المخطّ : القلم يخطّ به المسك .

[478] ـ أخبار محبوبة

[محبوبة أجمل من فضل]

كانت محبوبة موَلَّدة من مولدات البصرة ، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليماميّة أن تتقدّمها ، وكانت محبوبة أجملَ من فَضْل وأعفَّ ، ومَلَكها المتوكّل وهي بكر ، أهداها لهُ عبدُ الله بنُ طاهر ، وبقيت بعده مدّة ، فما طمع فيها أحد ، وكانت أيضاً تغنّي غِناءً ليس بالفاخر البارع .

[حاضرة البديهة]

أخبرني بذلك جحظةُ عن أحمد بن حَمدون . وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عليّ بن يحيى المنجم : كان عليّ بنُ الجهم يُقرَّب من أنس المتوكّل جدّاً ، ولا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرمه وأحاديث خَلواته ، فقال له يوماً : إنّي دخلت على قبيحةَ ، فوجدتُها قد كتبتْ اسمي على خدِّها بغالية[1] ؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ ، فقل في هذا شيئاً . قال : وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء السِّتر ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكّل ، قال : فدَعا عليّ بن الجهم بدواة ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكِّر ، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويَّة : [من الطويل]

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخــدِّ جعفرَا ... بنفسي مَخطُّ المسكِ من حيث أثَّرا
لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكَفِّها ... لقد أودعتْ قلبي من الحبِّ أسطرا
فيــا مَــنْ لمملــوك لِملكِ يمينه ... مطيــعٍ لــه فيمـا أسرَّ وأظهرا
ويا مَن مناها في السريرةِ جعفرٌ ... سقى الله مــن سُقيا ثَناياك جعفرَا

قال : وبقيَ عليّ بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف . وأمر المتوكّل بالأبيات ، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنّي فيها ، قال عليّ بن يحيى ، قال علي بن الجهم بعد ذلك : تحيّرتُ والله ، وتقلّبتُ خواطري ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

[شعرها في تفّاحة]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني ابن خُرْداذبه قال حدَّثني عليّ بنُ الجهم : قال :

1 الغالية : أخلاط من طيب .

كنتُ يوماً عند المتوكّل وهو يَشربُ ونحن بين يديه ، فدفع إلى محبوبة تُفّاحة مغلَّفة فقبّلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرِب ، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكّل فقرأها ، وضحك ضحكاً شديداً ، ثم رمى بها إلينا ، فقرأناها وإذا فيها : [من المنسرح]

يـا طيبَ تُفاحـة خلوتُ بهـا — تُشعل نـارَ الهـوى على كَبِدي
أبكـي إليهـا وأشتكـي دَنَفي — ومـا أُلاقـي من شدَّة الكَمَدِ
لـو أنَّ تفاحـةً بكـت لبكت — مـن رحمتـي هـذه التي بيدي
إن كنـتِ لا ترحمين مـا لقيتْ — نفسي من الجهدِ فارحمي جسدي

قال : فوالله ما بقيَ أحد إلاّ استظرفها ، واستملحها ، وأمر المتوكّل فغُنّي في هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقيّة يومه .

[وفاؤها للمتوكّل بعد موته]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بنُ يحيى المنجم : أن جواريَ المتوكّل تفرّقن بعد قتله ، فصار إلى وصيف عدّة منهنّ ، وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطبح يوماً وأمر بإحضار جواري المتوكّل ، فأحضِرن ، عليهنّ الثياب الملونة ، والمذهبة والحُليّ ، وقد تزيَّنّ وتعَطَّرن إلاّ محبوبة فإنّها جاءت مَرْهاء[1] متسلِّبة[2] ، عليها ثيابُ بياضٍ غير فاخرة ، حزناً على المتوكّل . فغنّى الجواري جميعاً ، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب ، ثم قال لها : يا محبوبة غنِّي فأخذت العود ، وغنَّت وهي تبكي ، وتقول : [من مجزوء الخفيف]

أيُّ عيش يطيـبُ لي — لا أرى فيـه جعفَـرا
ملكاً قـد رأتـه عَيْـ — ـني قتيـلا معفَّـرا[3]
كلُّ مَـن كان ذا هُيـا — مٍ وحـزن فقـد بـرا[4]
غيـر محبوبـةَ التـي — لـو ترى الموتَ يُشترى
لاشترتـه بملِكهـا — كُـلُّ هـذا لتُقبَـرا

---

1 مرهاء : غير مكتحلة .
2 متسلبة : لابسة ثياب الحداد .
3 معفراً : ممروغاً في التراب أو مضروباً به الأرض .
4 برا : تخفيف من برأ ، أي شفي من المرض .

إن مَوْتَ الكئيبِ أَصْـ ـلَحُ مـن أَن يعمَّرا

فاشتدّ ذلك على وصيف ، وهمَّ بقتلها . وكان بُغا حاضرا ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فأعتقها ، وأمر بإخراجها ، وأَن تكونَ بحيث تختارُ من البلاد ، فخرجت من سُرَّ مَن رأَى إلى بغداد ، وأُخْمِلَتْ ذكرها طولَ عمرِها .

خصام وصلح في المنام ؛ ثم في اليقظة]

أَخبرني جعفر بن قُدامة ، قال : حدَّثني ملاوي الهَيْثَميّ قال : قال لي عليُّ بنُ الجهم : كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكّل ، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعةَ الحسن والظَّرف والأَدب مغنّيةً محسنة ، فحَظِيتْ عند المتوكّل ، حتى إنّه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيُدخلُ رأسَه إليها ، ويحدّثها ، ويراها في كلّ ساعة . فغاضبها يوماً ، وهجرها ومنع جواريَه جميعاً من كلامِها ثم نازعتْه نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعته العزّةُ ، وامتنعت من ابتدائه إدْلالاً عليه بمحلّها منه . قال عليُّ بنُ الجهم : فبكَّرْتُ إليه يوماً فقال لي : إنّي رأَيت البارحة محبوبة في نومي كأنّي قد صالحتها ، فقلت : أقرّ الله عينَك يا أمير المؤمنين ، وأنامَك على خير ، وأَيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة ، فبينا هو يحدّثني وأُجيبه إذا بوصيفة قد جاءته ، فأسرّت إليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرّتْ هذه إليَّ ؟ قلت : لا ، قال : حدَّثتني أنّها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهي في حجرتها تغنّي ، أفلا تعجب من هذا ؟ إنّي مغاضبها ، وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها ، قم بنا يا عليُّ حتى نسمع ما تُغْني . ثم قام ، وتبعتُه ، حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هي تغنّي وتقول : [من المنسرح]

أَدُور في القصر لا أَرى أَحـداً أَشكـو إليـه ولا يكلّمُني
حتـى كأنّي ركبتُ معصيةً ليستْ لهـا توبـةٌ تُخلِّصُني
فهـل لنـا شافعٌ إلى مَلِكٍ قد زارني في الكَرى فصالحني
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا عـاد إلى هجـره فصارمني

فطرب المتوكّلُ ، وأحستْ بمكانه . فأمرت خدَمَها ، فخرجوا إليه ، وتنحّينا وخرجتْ إليه ، فحدَّثته أنها رأته في منامها ، وقد صالحها ، فانتبهتْ ، وقالت هذه الأبيات ، وغنَّت فيها . فحدَّثها هو أيضاً برؤياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كلِّ واحد منّا بجائزة وخِلْعة .

ولمّا قُتِل تسلّى عنه جميعُ جواريه غيرها ، فإنّها لم تزل حزينة متسلّبة هاجرة لكلّ لذة حتى ماتتْ . ولها فيه مراثٍ كثيرة .

صوت

[من البسيط]

يـــا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرا هل أنــت إلاّ مليكٌ جارَ إذ قَدَرا
لـــولا الهوى لتجازيْنا على قَدَرٍ وإن أُفِقْ منه يوماً ما فسوفَ تَرى

الشعر يقال إنّه للواثق ، قاله في خادم له غضب عليه ، ويقال : إنّ أبا حفص الشَّطرنجي قاله له .

والغناء لعُبَيدة الطنبوريّة رمَل مطلق ، وفيه لحن للواثق آخر ، قد ذكر في غنائه .

[479] ــ أخبار عبيدة الطنبورية

[نشأتها]

كانت عُبيدةُ من المحسِنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسْبها بشهادته . وكان أبو حَشيشة[1] ، يعظّمها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذيّة ، وكانت من أحسنِ النّاس وجهاً ، وأطيبِهم صوتاً . ذكرها جحظة في كتاب الطُّنبوريين والطُّنبوريّات ، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال : كانت من المحسِنات ، وكانت لا تخلو من عِشْق ، ولم يُعرف في الدُّنيا امرأة أعظمُ منها في الطنبور ، وكانت لها صنعةٌ عجيبة ، فمنها في الرمَل : [من المجتث]

كُــن لي شفيعاً إليكا إن خــفَّ ذاك عليكا
وأعفِنــي مــن سؤالي سواكَ مــا في يديكا
يــا مَــنْ أُعِزُّ وأُهوى مــالي أُهــونُ عليكا ؟

[تغنّي بحضرة إسحاق وهي لا تعرفه]

أُخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قال ، لي عليّ بن الهيثم اليزيديّ : كان أبو محمد ، يعني أبي رحمة الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ، يألفني ويدعوني ، ويعاشرُني ، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرَّ بي ، وأنا مشرف من جَناح لي ، فوقف وسلَّم عليَّ . وأخبرني بقصتّه ، وقال : هل تنشطُ اليومَ للمسير إليَّ ؟ فقلت له : ما على الأرض شيء أحبّ إليَّ من ذلك ، ولكنّي أُخبِرُك بقصَّتي ، ولا أكتمُك . فقال : هاتِها ، فقلت : عندي اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مَسعدة وهارون بن أُحمد بن هشام ، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبوريّة ، وهي حاضرة ، والساعةَ يجيء الرجلان ، فامض في حفظ الله ، فإنّي أجلسُ معهم حتى تنتظمَ أمورُهم ، وأروح إليك ، فقال لي : فهلاّ عرضتَ عليَّ المُقام عندك ؟ فقلت له : لو علمتُ أنّ ذلك ممّا تنشَط له والله لرغبتُ إليك فيه ، فإن تفضّلتَ بذلك كان أعظمَ لِمنّتك ، فقال : أفْعلُ ، فإنّي قد كنت أشتهي أن أسمَع عُبيدة ، ولكن لي عليك شريطَة ، قلت : هاتِها ، قال : إنّها إن عرفتني وسألتموني أن أُغنّي بحضرتها لم يَخْفَ عليها أمري وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جبِلّتها ، فقلت : أفعلُ

1 أبو حشيشة : محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء ، وله كتاب في الطنبوريين .

ما أُمرتَ به ، فنزل وردَّ دابته وعرَّفتُ صاحبيَّ ما جرى ، فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر ، وقُدِّم النبيذ ، فغنَّت لحناً لها تقول : [من مجزوء الوافر]

قريـــبٌ غيرُ مقتـــرِبِ ومؤتلِـــفٌ كمجتنِبِ
لـــه وُدِّي ولي منـــه دواعي الهـــمّ والكُرَبِ
أواصلـــه على سَبَـــبٍ ويهجُرني بـــلا سببِ
ويظلمنـــي على ثقـــةٍ بـــأنَّ إليـــهِ مُنْقَلَبي

فطرب إسحاق ، وشرب نِصفاً ، ثم غنَّت وشرب نِصفاً ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف ، وشربناها معه ؛ وقام ليصلّي ، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام : وَيحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى متّ ، قالت : ولِم ؟ قال : أتدرينَ من المستحسنُ غناءَكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فلا تعرِّفيه أنّك قد عرفته . فلمّا جاء إسحاق ابتدأتْ تغنّي ، فلحقتها هيبَةٌ له ، واختلاط ، فنقصتْ نقصاناً بيِّناً ، فقال لنا : أعرّفتُموها من أنا ؟ فقلنا له : نعم ، عرَّفها إيَّاكَ هارونُ بنُ أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذاً ، فننصرف ، فإنّه لا خيرَ في عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لي ولا لكم ، فقام فانصرف .

حدّثني بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العبّاس بن أبي العَنْبَس ، فذكر مثله وقال فيه : إنّ الصوت الذي غنّته : [من البسيط]

يـــا ذا الذي بِعذابـــي ظلَّ مفتخرا

[المسدود يأبى أن يغنّي قبلها]

حدّثني جحظةُ قال : حدَّثني محمد بن سعيد الحاجب قال : حدَّثني ملاحِظٌ غلام أبي العبّاس بن الرشيد . وكان في خدمة سعيد الحاجب ، قال : اجتمع الطُّنبوريُّون عند أبي العبّاس بن الرشيد يوماً ، وفيهم المسدودُ وعُبيدة ، فقالوا للمسدود : غنِّ ، فقال : لا والله ، لا تقدَّمتُ ، عُبيدة ، وهي الأستاذة ، فما غنَّى حتى غنَّتْ .

[لم تدخل عليه بعد أن تزوّج]

وحدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني شرائح الخزاعيُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال : كانت عُبيدة تعشقُني فتَزَوَّجتُ فمرَّت بي يوماً فسألتها الدُّخولَ إليّ فقالت يا كشخانُ[1] ، كيف أدخل إليك وقد أقعدتَ في بيتك صاحب مصلحةٍ ! ولم تدخلْ .

---

1 الكشخان : مَن لا يغار على حريمه .

[ما كتب على طنبورها]

وحدَّثني جحظة قال : وهب لي جعفرُ بنُ المأمونُ طُنبورَها فإذا عليه مكتوب بأبنوس : [من مجزوء الخفيف]

كلّ شيء سوى الخيا نـة في الحُـبّ يُحْتَمَلْ

[لا تردّ يد لامس]

وحدَّثني جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة ، وخبر جعفر أتمّ ، إلاّ أنّي قرأتُه على جحظة ، فعرفه ، وذكر لي أنّه سَمِعه ، قالا جميعاً : حدَّثنا أحمد بن الطيّب السرخسيّ قال : كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ ، وهو ابن بنت شبيب بن واج ، وَشبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبّته يوم قتلَ أبا مُسلم ؛ وقال لهم : إذا صفّقتُ فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم . ففعل وفعلوا ، فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشّقُ عُبيدة الطُّنبوريّة وهو شابّ وأنفَقَ عليها مالاً جليلاً ، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي ؟ ومن أين خرجَت ؟ فكتب إليَّ : كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسَّانيّ ، نديم عبد الله بن طاهر ، وأبو السمراءِ أحدُ العِدَّة الذين وَصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكلّ رجل منهم مائةُ ألفِ دينار ، وكان الزبيديّ الطُّنبوريّ أخو نظم العمياء ، يختلف إلى أبي السمراء ، وكان صباح صاحب أبي السمراء ، فكان الزبيديّ إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وباتَ ، وشربَ ، وغنَّى وأَنِس ، وكان لعُبيدة صوت حسن وطبع جيِّد ، فسمعت غناءَ الزُّبيديّ ، فوقع في قلبها واشتهتْه ، وسمع الزُّبيديّ صوتها ، وعرفَ طبعَها فعلَّمها ، وواظبَ عليها ، ومات أبوها ، ورقَّت حالُها ، وقد حَذِقت الغِناء على الطُّنبور ، فخرجت تغنّي ، وتقنع باليسير ، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح ، فلم يزل أمرها يزيد ، حتى تقدّمتْ وكبُر حظّها ، واشتهاها النّاس . وحلَّتْ تِكّتَها ، وسَمحت ، ورغب فيها الفتيانُ ، فكانَ أولَ مَن تعشَّقها علي بن الفرج الرُّخّجيّ أخو عمر ، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال ، فكنت أراها عنده ، وكنّا نتعاشر على الفروسيّة ، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً ، فحَجَبها لأجل ذلك ، فكانت تحتال في الأوقات بعلّة الحمَّام وغيره ، فتلُمُّ بمَن كانت تودُّه ويودُّها ، فكنت ممّن تلُمُّ به ، وأنا حينئذٍ شابّ قد ورثتُ عن أبي مالاً عظيماً وضياعاً جليلة ، ثم ماتت بنتُها من عليّ بن الفرج ، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ حال عليّ بن الفرج ، فطلّقها فخرجت ، فكانت تخرج بدينارين للنهار وبدينارين لليل ، واعترّت[1] بأبي السمراء ، ونزلت في بعضِ دوره .

1 اعترّتْ بفلان : اعترضت للمعروف .

وتزوّجت أُمّها بوكيل له ، فتعشَّقت غلاماً من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد ، وكان يغنّي بالمعرفة غناء مليحاً ، وكان حسنَ الوجه ، لا عيب في جَماله إلاّ أنّه كان متغيّرَ النَّكْهَـة ، وكانت شديدة الغُلمة لا تحرِم أحداً ولا تكرهه ، من حدٍّ الكهول إلى الطفل ، حتى تعلَّقت شابّاً يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطّاب ، مشرط الوجه أفطس قبيحاً شديد الأدْمة ، فقيل لها : أيّ شيء رأيت في أبي كرب ؟ فقالتْ : قد تمتّعت بكلّ جنسٍ من الرّجـال إلاّ السودان ، فإنّ نفسي تبشعهم ، وهذا بينَ الأسود والأبيض ، وبيته فارغ لما أُريد ، وهو صفعاني[1] إذا أردت ووكيلي إذا أردت . قال : وكان لها غُلام يَضْرِب عليها يقال له عليّ ويلقّب ظئر عُبيدة ، فكانت إذا خلت في البيت وشَبَقت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغْلِ الطحَّان يصلح للحَمْل والطَّحْن والركوب .

وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه ، وإنّما عرفها من داري ، لأنّه بعث يدعوني ، فدخل غلامُه ، فرآها عندي ، فوصفها له فكتب إليّ يسألني أن أجيئَـه بها معي . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقيّ وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلاّ وقد عقدت بين الجماعة مودّة ، وكان جواري عمرو بن بانة يشتقْن إليها ، فيسألنه أن يدعوها ، فيقول لهنّ : ابعثْن إلى عليّ حتى يبعثَ بها إليكنّ ، فإنّه يميل إليها ، وهو صديقي وأخشى أن يظنّ أنّي قد أفسدتها عليه ، ولم يكن به هذا إنّما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما ، وكان عمرو من أبخل النّاس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها : [من البسيط]

يـــا ذا الذي بعذابـــي ظلَّ مفتخراً

وكان صوتُ عَلّويه ومُخارق عليها : [من مجزوء الوافر]

قريـــبٌ غير مقترب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتها .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبَرْمكته وتوقّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شيء يعيبه ، وماتت عُبيدة من نَزْف أصابها ، فأفرط حتى أتلفها .

1 صفعاني : يصفع .

[إسحاق يحبها حية ويرثيها ميتة]

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن النّاس مَن ينسبه إلى إسحاق : [من البسيط]

أمست عُبيدةُ في الإحسانِ واحـدةً فاللهُ جـارٌ لهـا مـن كلِّ محذورِ
من أحسَنِ النّاس وجهاً حين تُبصرُها وأحـذقِ النّاس إن غنّـت بطُنبورِ

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : سمعت إسحاق يقول : الطُّنبور إذا تجاوز عُبيدةَ هَذَيان .

صوت

[من السريع]

سَقِمتُ حتـى ملّنـي العائدُ وذبـتُ حتى شمِتَ الحاسدُ
وكنتُ خِلواً من رسيسِ الهوى حتى رمـاني طرفُك الصائدُ

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُه في شعر محمد بن أُميَّة له ، والغناء لأحمد بن صَدقة الطُّنبوريّ ، رمل مطلق .

وقد مضت أخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أُميّة ونذكر هاهنا أخبارَ أحمدَ بن صدقة .

[480] ـ أخبار أحمد بن صدقة

[اسمه ونسبه ونشأته]

هو أحمدُ بن صدَقة بن أبي صدقة ، وكان أبوه حجازيّاً مغنّياً ، قدِم على الرشيد ، وغنّى له ، وقد ذَكرْتُ أخبارَه في صدر هذا الكتاب .

وكان أحمدُ بنُ صدقة طُنبوريّاً محسناً مقدَّماً حاذقاً حَسَنَ الغناء مُحكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطُّنبوريّين ، وكان ينزل الشام ، فوُصف للمتوكّل ، فأمر بإحضاره ، فقدِم عليه وغنّاه ، فاستحسن غناءه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناسُ وكَثُر مَن يدعوه ، فكسب بذلك أكثر ممّا كسبه مع المتوكّل أضعافاً .

[جحظة يشيد به]

أخبرني بذلك جحظةُ وقال : كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوتَ المتقدِّمَ ذكرُه ووصفَه وقرَّظه ، وذكر بعده هذا الصوت : [من السريع]

وشادنٍ ينطِـــق بالظَّـــرفِ حُسنُ حبيبي منتهى الوصفِ
هام فؤادي وجـــرت عَبْرتي لا بَعُـــدَ الإلْـــفُ مـــن الإلفِ

قال : وهو رَمَل مطلق ، ولو حلفْتُ أنّهما ليسا عند أحد من مغنّي زماننا إلاّ عند واحد ما حَنِثت ، يعني نفسه .

[خبره مع خالد بن يزيد]

حدّثني محمد بنُ مزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أحمد بن صدَقة قال : اجتزت بخالد بن يزيدَ الكاتب ، فقلت له : أنشدْني بيتين من شعركَ حتى أُغنّي فيهما . قال : وأيُّ حظّ لي في ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأُحصِّل أنا الإثم !

فحلفت له أنّي إن أفدتُ بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظّاً ، أو أذكرتُ به الخليفة ، وسألته فيك ، فقال : أمّا الحظّ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ، ولكن عسى أن تفلحَ في مسألة الخليفة ، ثم أنشدني : [من المتقارب]

تقولُ سلا فمـــن المدْنَفُ ومَنْ عينُه أبـــداً تَذْرِفُ ؟
ومـــنْ قلبُه قَلِـــق خافقٌ عليك وأحشاؤه ترجُفُ ؟

فلمّا جلس المأمون للشرب دعاني ، وقد كان غضب على حَظِيَّة له ، فحضرتُ مع المغنّين ، فلمّا طابت نفسه وَجَّهتْ إليه بتفّاحة من عنبر ، عليها مكتوب بالذهب : يا

سيِّدي ، سلوتَ . وعلم الله أنّي ما عرفتُ شيئاً من الخبر .

[غضب المأمون]

وانتهى الدور إليَّ ، فغنَّيتُ البيتين ، فاحمرَّ وَجه المأمون ، وانقلبت عيناه وقال لي : يا ابن الفاعلة ، ألك عليَّ وعلى حرمي صاحب خبر ! فوثبت ، وقلت : يا سيدي ما السبب ؟ . فقال لي : من أين عرفتَ قصّتي مع جاريتي ؟ فغنَّيتَ في معنى ما بيننا ، فحلفتُ له أنّي لا أعرف شيئاً من ذلك ، وحدّثته حديثي مع خالد ، فلمّا انتهيتُ إلى قوله ، «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك ، وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف ، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد مثلها .

[دخوله على المأمون في يوم السعانين]

أخبرني محمد قال : حدَّثنا حمّاد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ صدقة قال : دخلت على المأمون في يوم السعانين[1] ، وبين يديه عشرون وَصيفة ، جَلباً روميات مزنّرات[2] ، قد تزينَّ بالدِّيباج الروميّ ، وعَلّقن في أعناقهنّ صُلْبانَ الذهب ، وفي أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لي المأمون : وَيلك يا أحمد ! قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنّني فيها .

ثم أنشدني قوله : [من الهزج]

ظبــاءٌ كالدنانيــر مِــلاحٌ في المقاصيرِ
جَلاهُــنَّ السعانينُ علينــا في الزنــانيرِ
وقــد زَرَّفن أصداغاً كأذنــابِ الزرازيرِ
وأقبلــنَ بــأوساطٍ كأوساط الزنــابيرِ

فحفظتها ، وغنّيته فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقُص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند[3] ، إلى الإيلا حتى سكر ، فأمر لي بألفِ دينار ، وأمر بأن يُنثرَ على الجواري ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ ، فانتهبتُها مَعهنَّ .

[يغضب فيسترضيه الفضل]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني جعفر بن المأمون قال : اجتمعنا عند الفضل بن العبّاس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلَق في ذلك اليوم رأسَه ، فاستعجلوا بسُلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سُكُرّجة[4] خردَل ، فصبّها على رأس أحمد بن

---

1 يوم السّعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع .

2 مزنّرات : لابسات الزنّار وهو خاص بالنصارى ، والمجوس يتزيّنون به .

3 الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدي في حلقات وهو معرّب .

4 سكرجة : صحفة للطعام .

صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجيء تلك . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولمّا كان من غد جمعهما الفضل بن العبّاس ، فتقدّم المسدودُ ، ودخل أحمد وطُنبور المسدود موضوع ، فجسَّه ، ثم قال : مَن كان يسبح في هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه ، على أن الفضل قد خلع عليهما ، وحَملهما .

[نهايته على أيدي الأعراب]

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنيَّة له بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

[كان أبخر]

قال جحظة : وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكانت له صديقة فقطعتْه فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنّها هربت منه لأنّه أبخر : [من الكامل]

هربتْ صديقــة أحمــدٍ هربتْ مــن الرِّيقِ الرّدِي
هربت فإن عــادت إلى طُنبــورِه فاقطــعْ يدي

صوت

[من الطويل]

ألم تعلَمــوا أنّي تُخاف عَرامتي وأن قَناتــي لا تلـينُ على القَسْرِ
وإنّــي وإيّاكم كمَن نبَّــه القَطا ولو لم تُنبَّه باتت الطيرُ لا تسْري
أنــاةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بالواني ولا الضَّرَع الغُمرِ[1]
أظُنُّ صروفَ الدَّهرِ والجهلِ منكمُ ستحملكم منّي على مَركَب وَعْرِ

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرميّ ، والغناء لابن جامع ثقيل بالبِنصر عن عمرو ، وفيه لسِياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنّسْه ، وقيل إنّ الشعر لوعلةَ نفسِه .

1 الضَّرَع : الجبان . والغُمر : الغبي ، والذي لا يجرّب الأمور .

[481] ـ أخبار الحارث بن وعلة

[نسبه]

الحارث بن وعْلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جَرْم بن زبان ، وهو علافٌ ، وإليه تنسبُ الرِّحال العِلافِيّة ، وهو أوّل مَن اتّخذها ، بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة . وقد ذكرت متقدّماً الاختلاف في قضاعة ، ومن نسبَه مَعَدِّياً ، ومَنْ نَسَبه حِميريّاً .

والرِّحال العِلافيَّة[1] مَشْهُورَة عند النّاس ، قد ذكرتْها الشعراءُ في أشعارها ، قال ذو الرُّمّة : [من الطويل]

وليلٍ كجلباب العَروس ادَّرعتُـه بأربعة والشَّخصُ في العين واحدُ
أحَـمٌّ عِـلافيٌّ وأبيضُ صـارمٌ وأعيسُ مَهْـرِيٌّ وأروعُ ماجدُ

وكان وَعلةُ الجرميّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعلةُ الكُلاب الثاني[2] ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقريّ ، وطلبه ، ففاته ركْضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

[ابن الأشعث وعبد الملك يتمثّلان بشعره وشعر أبيه]

فأخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا العمريّ عن العُتبيّ قال : كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج مبتدئاً : أمّا بعد ، فإن مَثَلي ومَثَلُكَ كما قال القائل : [من البسيط]

سائلْ مُجاورَ جَـرْم هـل جنيتُ لها حَرْبـاً تفرّق بـين الجيرة الخُلُطِ ؟
أم هـل دلفتُ بجـرَّار لـه لَجَبٌ يَغشى الأماعِزَ بين السَّهل والفُرُطِ ؟[3]

والشعر لوَعْلَة الجَرمِيّ ، هذا مَثَلي ومَثَلُك ، فسأحملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

1 علاف : رجل من الأزد وهو زيان أبو جرم من قضاعة .
2 الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثاني وثانيهما لتميم على مذحج .
3 الفُرُط : واحد الأفراط : وهي آكام شبيهات بالجبال .

فكتب الحجّاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أمّا بعد ؛ فإنّي قد أجبت عدوَّ الرحمن بلا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله ، ولعمرُ الله لقد صدق ، وخلع سلطانَ اللهِ بيمينه ، وطاعتَه بشماله ، وخرج من الدِّين عُرياناً ، كما ولدتْه أُمُّه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدعَ جوابَه بشعر فقال : وعلى أن مَثَلي ومَثَلَه ما قال الآخر : [من الطويل]

أَنــاةً وحِلْماً وانتظاراً بكُــم غدا — فما أنا بألواني ولا الضَرَعِ الغَمْرِ
أَظُنّ صروفَ الدَّهرِ والجهلَ منهمُ — ستحمِلُهم منّي على مَركَـب وعْرِ

فليت شعري أسَما عَدوٌّ الرّحمن لدعائم دين اللهَ يهدُّمُها ؟ أم رام الخلافةَ أن ينالها ؟ وأوشك أن يُوهن اللهُ شوكتَه ، فاستعنْ بالله ، واعلم أنّ اللهَ مع الذين اتَّقوْا والذين هم مُحسنون .

قال مؤلّف هذا الكتاب : الشعر الذي تمثَّل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلَة الجرميّ ، والشعر الذي تمثَّل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة .

[يخذله قومه وينصره آخرون]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حدَّثني طلحة بن عبد الله الطَّلحيّ ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبيدة قال : قتلَتْ نَهدٌ أخا وعلة الجرميّ ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بحُلفاء [من] بني نمير ، وكانوا له حلفاء وإخواناً ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك : [من البسيط]

سائل مُجاورَ جَـرم هل جنيتُ لها — حرباً تُزيِّل بـين الجيرة الخُلُطِ[1]
أم هــل علوتُ بجرَّار له لَجبٌ — يغشى المخارمَ بين السهل والفُرُطِ[2]
حتى تركتُ نساءَ الحيّ ضاحيةً — في ساحة الدّار يستوقدْنَ بالغُبُطِ[3]

[يفرّ من قيس بن عاصم عند غزوه لليمن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا الرياشيّ قال : خرج رجل من بني تميم ، يقال إنّه قيسُ بن عاصم قال الرياشيّ : وحقق أبو عبيدة أنّه قيس ، يوم الكُلاب ، يلتمس أن يصيبَ رجلاً من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وَعلَة

1 الخلط : خليط وهم القوم الذين أمرهم واحد .
2 المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .
3 ضاحية : بارزة .

الجَرْميّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يساري أقصَدُ لي ، قال : هيهاتَ منك اليمن ، قال : العراقُ منّي أبعد ، قال : إنّك لن ترى أهلَك العامَ ، ولا أهلك تراهم ، وجعل وعلةُ يركضُ فرسه ، فإذا ظنَّ أنّها قد أعيت وَثَب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجري وهو يُجارِيها ، فإذا أعْيا وثب فركِبَها ، حتى نجا . فسأل عنْه قيس ، فعرف أنّه وَعْلَةُ الجرميّ ، فانصرف وتركه ، فقال وعلة في ذلك : [من الطويل]

فِدًى لكما رحْليَّ أُمّي وخالتي ... غداةَ الكُلابِ إذ تُحَزُّ الدَّوابرُ
نجوتُ نجاء لم يَرَ النّاسُ مثلَه ... كأنّي عقابٌ عند تَيْمَن كاسِرُ[1]
ولّما رأيت الخيلَ تدعو مُقاعِساً ... تنازعني من ثُغرةِ النحر جائِرُ
فإن أستطع لا تلتبسْ بي مُقاعسٌ ... ولا يرَني ميدانهم والمحاضرُ
ولا تَكُ لي جرّارة مضريّةٌ ... إذا ما غدت قوتَ العيالُ تُبادرُ

أمّا قوله : «تحزّ الدوابر» فإنّ أهل اليمن لّما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتّبِعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابَهم من أعقابهم ودعُوهم في مواضعهم ، فإذا لم يبقَ أحد رجعتم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذٍ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون ، وهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المأمورِ ويزيد بن مخرَّم . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقّاص ، فقُتِل اليزيدون أربعتهم في الوقعة ، وأُسِر عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته الرِّباب برجل منها ، وقد ذُكِر خَبَرُ مقتله متقدّماً في صوت يغنى فيه وهو : [من الطويل]

أَلا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا

وأمّا قوله : [من الطويل]

ولّما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً

فإنّ بني تميم لّما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب ! فتنادى أهلُ اليمن : يا آل كعب ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهل اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميّزوا بها من أهل اليمن .

---

1 تيمن : أرض بين بلاد تميم ونجران .

صوت

[من البسيط]

وَاللهِ لا نظرتْ عينـي إليكَ ولو سالت مَسارِبُها شوقاً إليكَ دَما
إن كنتُ خنتُ ولم أُضمرْ خيانتكمْ فاللهُ يأخـذُ مِمَّن خـانَ أو ظَلَما
سماجـة لُمحبٌّ خـان صاحبَـه مـا خان قطُّ محبٌّ يعرفُ الكَرَما

الشعر لعليّ بن عبد الله الجعفريّ ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثقيل أوّل مطْلق ابتداؤه نشيد ، وكان إبراهيم بن أبي العَنْبَس يذكر أنّه لأبيه .

[482] ــ أخبار عليّ بن عبد الله بن جعفر ونسبه

[نسبه]

هو عليُّ بنَ عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ، وأُمّه وَلاّدة بنت الحجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أُميّة : شاعر ظريف حجازيّ ، كان عمر بن الفرج الرُّخّجيّ حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبيِّين فحبسَه المتوكّل معهم .

[يحبسه المتوكّل]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا عمر بن عثمان الزُّهريّ المعروف بابن أبي قُباحَة قال : رفع عمر بن الفرج عليّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكّل أيّام حَجِّ المنتصر ، فحبسه المتوكّل لأنّه كان شيخَ القوم وكبيرَهم ، وكان أغلظ لعُمَر بن الفرج .

[يتديّث في شعره]

قال عليّ بن عبد الله : مكثت في الحبس مدّة ، فدخل عليَّ رجل من الكتّاب يوماً فقال : أريد هذا الجعفريَ الذي تديَّث في شعرِه فقلت له : إليَّ فأنا هو ، فعدل إليّ وقال : جعلت فداك ! أُحبّ أن تنشدني بيتيك اللذين تديّثت فيهما ، فأنشدته : [من الطويل]

ولما بدا لي أنّها لا تودُّني ... وأن هواها ليس عنّي بمُنجَلِ
تمنَّيتُ أن تهوى سواي لعلّها ... تذوقُ حراراتِ الهوى فترقَّ لي

قال : فكتبهما ، ثم قال لي : اسمع ، جعلتُ فداك ، بيتين قلتهما في الغيْرة ، فقلت : هاتِهما فأنشدني : [من الخفيف]

ربّما سرَّني صدودُك عنّي ... في طلابيكِ وامتناعكِ منّي
حذراً أن أكون مِفتاحَ غيري ... فإذا ما خلوت كنتِ التَّمَنّي

[لا يخفض جبينه إلا لله]

حدَّثني اليزيديُّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أُخبرني العبّاس بن عيسى العُقَيليّ أنّ عليّ بن عبد الله الجعفريّ أنشده : [من المجتث]

والله والله ربّـــي   وتلكَ أقصى يَمِيني
لو شئتُ ألا أُصلّي   لما وضعت جَبيني

[أيّهما يدع]

حدَّثنا اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العبّاسُ بن عيسى قال: حدَّثني عليّ بن عبد الله الجعفريّ قال: مرّت بي امرأة في الطواف، وأنا جالس أُنشدُ صديقاً لي هذا البيتَ: [من البسيط]

أهوى هَوى الدِّين واللذاتُ تُعجبني   فكيفَ لي بهوى اللذات والدِّين؟

فالتفتت المرأةُ إليَّ وقالت: دع أيَّهما شئت وخُذ الآخرَ.

[عود إلى الصوت]

حدَّثنا اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن الحسن الزُّرقيّ قال: حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدني عليٌّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ لنفسه: [من البسيط]

والله لا نظرتْ عيني إليكَ ولو   سالت مساربُها شوقاً إليكَ دَما
إلاّ مفاجأة عند اللقاء ولا   نازعتكِ الدَّهرَ إلاّ ناسيا كلِما
إنْ كنتُ خُنتُ ولم أُضمرْ خيانتكمْ   فاللهُ يأخذُ مِمَّن خانَ أو ظلما
سماجَةٌ لمحبٍّ خان صاحبَه   ما خان قطُّ محبٌّ يَعرفُ الكَرَما

قال عبد الله بن شبيب وأنشدني عليٌّ بن عبد الله لنفسه: [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنت فليس لي   متأخَّر عنه ولا مُتقدَّمُ
أجد الملامةَ في هواكِ لذيذةً   حُبّاً لذكركِ فلْيلُمْني اللوَّمُ
وأهَنْتِني فأهنت نفسيَ جاهداً   ما من يهون عليك مِمّن يُكرمُ
أشبهتِ أعدائي فَصِرتُ أُحِبُّهم   إذ صار حظّي منكِ حظّيَ منهمُ

صوت

[من الطويل]

أتعرفُ رسمَ الدّارِ من أُمّ معبدِ   نعم فرماكَ الشوقُ قبل التجلُّدِ

فيا لكَ مِنْ شوقٍ ويا لكِ عبرَةً سوابقُها مِثْــلَ الجُمــانِ المبدَّدِ

الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فَسْوة ، والغِناء لجميلة ، خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكّيّ .

وذكر الهشاميّ أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّه يظنّه من منحول يحيى إليه .

[483] ـ أخبار عتيبة ونسبه

[نسبه]

عُتَيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، لم يقع إليَّ من نسبه غيرُ هذا ، وهو شاعر مُقلٌّ غيرُ معدود في الفحول ، مُخضرم ممّن أدرك الجاهلية والإسلام هجَّاء خبيث اللسان بَذِيٌّ .

وابنُ فسْوة لَقب لزِمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقّب بفسوة ، إنّما لُقب هو بهذا ، وقد اختُلِف في سبب تلقيبه بذلك ، فذكر إسحاق الموصليّ عن أبي عمرو الشَّيبانيّ : نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطّه .

[لماذا لقّب بابن فسوة]

أنّ عتيْبةَ بن مِرداس كان فاحشاً كثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليّة ، فأقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ ، وكان من أهلِ بيت منهم يقال لهم : بنو فَسْوة ، فقال لهم عتيبة : كيف كُنْتَ يا ابن فسوة ؟ فوثب مغضباً ، فركب راحلته وقال : بئس لعمر الله ما حيَّيْتَ به ابن عمِّك ، قدِم عليك من سفر ، ونَزل دارَك ! فقام إليه عُتيبة مُسْتَحيياً ، وقال له : لا تغضب يا ابن عمّ ، فإنّما مازحتُكَ ! فأبى أن ينزل ، فقال له : انزِل وأنا أشتري منك هذا الاسمَ فأتسمَّى بـه ، وظـنَّ أنّ ذلك لا يضرّه ، قال : لا أفعلْ أو تشتريه منّي بمحضَرٍ من العشيرة . قال : نعم فجمعهم وأعطاه بُرداً وجملاً وكبشين ، وقال لهم عتيبةُ : اشهدوا أنّي قد قبلت هذا النَّبزَ وأخذت الثمن ، وأنّي ابنُ فسوة ، فزالت عن ابن عمِّه يومئذٍ ، وغَلَبتْ عليه وَهُجيّ بذلك ، فقال فيه بعض الشعراء : [من البسيط]

أودى ابنُ فسوة إلاّ نَعْتَه الإبلا

وعُمِّر عُمراً طويلاً ، وإنّما قال : [من البسيط]

أودى ابنُ فسوة إلاّ نَعْتَه الإبلا

لأنّه كان أوصفَ النّاس لها ، وأغراهم بوَصفها ، ليس له كبير شعر إلاّ وهو مُضَمَّن وَصفها .

[سبب آخر للتسمية]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : إنّما سُمِّي عتيبةُ بنُ مرداس ابن فسوة ، لأنّه كان له جارٌ من عبد القيس ، فكان يتحدّثُ إلى ابنته ، وكان

لها حظٌّ من جمال ، وكانت تُعجبُه ويَهيم بها ، فكان أحداثُ بني تميم ، إذا ذكروا العبديّ ، قالوا : قال ابن فسوة ، وفعل ابن فسوة ، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ فعمِل على التحوُّل عنهم ، وبلغ ذلك عتيبةَ ، فأتاهُ فطلب إليه أن يقيم ، وأن يحتمل اسمه ، ويشتريه منه ببعير ، فلم يفعل ، قال : العبديّ : فتحوّلتُ عنهم وشاع في النّاس أنّه قد ابتاع منّي وغلب عليْهِ ، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له : [من الطويل]

وحَوَّلَ مولانـا علينا اسمَ أُمّه ... ألا رُبَّ مولًى ناقصٍ غير زائدِ

[ابن عبّاس ينهره]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دأْب وابن جُعْدَبَة ، قالوا : أتى عُتيبةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة ، عبدَ الله بن العبّاس عليهما السلامُ وهو عامل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة ، وتحته يومئذٍ شُمَيلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانيّة ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلميّ ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدَحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلمّا دخل على ابن عبّاس قال له : ما جاء بكَ إليَّ يا ابنَ فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مَقصَرٌ أو وراءَك مَعْدًى ؟ جئتك لتعينَني على مروءتي ، وتَصِلَ قرابتي ، فقال له ابن عبّاس : وما مروءة مَنْ يعصِي الرحمنَ ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ ؟ والله لئن أعطيتك لأعيننَّكَ على الكفرِ والعصيان ، انطلق فأنا أُقسِم بالله لئن بلغني أنّك هجوت أحداً من العرب لأُقطعنَّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه مَنْ حضر ، وحبسه يومَه ذلك ، ثم أخرجه عن البصرة .

[الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه]

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليٍّ عليه السلام ، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خَبَره مع ابن عبّاس عليه السلام فأخبرهما ، فاشتريا عرضَه بما أرضاه ، فقال عتيبة يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عبّاس رضي الله عنهما : [من الطويل]

أتيتُ ابنَ عبّاس فلم يقضِ حاجتي ... ولم يَرْجُ معروفي ولم يَخشَ منكَرِي
حُبستُ فلم أُنطق بعذر لحاجةٍ ... وسَدَّ خَصاص البيت من كلِّ منظرِ[1]

---

1 خصاص الباب : ثقبه .

وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه ... كصوت الحمام في القَليب المغوَّرِ[1]
ومـــا أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه ... بذي صَوْلَـة ضارٍ ، ولا بحَزَوَّرِ[2]
فلو كنتُ مِن زهرانَ لم ينس حاجتي ... ولكنَّني مــولى جميل بنِ مَعْمَرِ

وكان حليفاً لجَميل بن مَعْمر القُرشيّ :

وباتَتْ لعبد الله مِن دون حاجتي ... شُمَيلةُ تلهــو بالحديـــث المفتَّرِ
ولم يَقتربْ مــن ضوء نارٍ تحثُّها ... شُميلة إلاّ أن تَصلَّــى بمِجْمَرِ
تُطالع أَهلَ السوق والبابُ دونَها ... بمستفلِكِ الذِّفـرى أَسيل المدثَّرِ[3]
إذا هـي هَمَّتْ بالخروجِ يردُّها ... عن البابِ مصراعــاً مُنيف مجَيَّرِ

وجدت بخطّ إسحاق الموصليّ مُجَيَّر : محير . والمحيّر : المصهرج[4] . والحيار : الصهروج .

فليت قَلوصي عُرِّيتْ أو رحلتُها ... إلى حَسن في داره وابنِ جعفرِ
إلى ابنِ رسول الله يأمـرُ بالتّقى ... وللدِّين يدعــو والكتابِ المطهَّرِ
إلى معشَر لا يخصِفــون نعالهـم ... ولا يلبسون السِّبتَ ، ما لم يُخَصَّرِ[5]
فلمّا عرفتُ البأسَ منه وقد بدتْ ... أَيــادي سَبا الحاجـاتِ للمتذكِّرِ
تَسنَّمتُ حُرجوجـاً كأن بُغامَها ... أُحيحُ ابنِ مـاء في يراعٍ مُفَجَّرِ[6]
فما زلتُ في التَّسيارِ حتى أنختُها ... إلى ابـــنِ رسول الأُمَّــةِ المتخيَّرِ
فلا تَدَعُنِّـــي إذْ رحلـتُ إليكمُ ... بَنــي هاشم أن تُصْدروني بِمَصدرِ

وهي قصيدة طويلة ، هذا ذكر في الخبر منها .

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار ، عن عمر بن شَبَّة ، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريباً منه ، ولم يتجاوز عمر بن شبّة المدائنيّ في إسناده .

1 القليب : البئر البعيدة الغور .
2 حزور : رجل قوي .
3 مستفلك : مستدير . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
4 مصهرج : أي معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض ، والبيوت ونحوها .
5 يخصفون : يخرزون . السبت : الجلد المدبوغ . يخصر : يدقق وسطه .
6 الحرجوج : الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج . أحيح : المراد الصوت . ابن ماء : طائر يكثر وجوده حول الماء .

[عامر بن الكريز يُهينه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسَن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابيّ : كان عتيبة بن مرداس السُّلَميّ شاعراً خبيثَ اللسان مَخُوف المعرَّة في جاهليّته وإسلامه ، وكان يَقدُم على أُمراء العراق وأشرافِ النّاس ، فيصيب منهم بشعره ، فقدِم على ابن عامر بن كُرَيْز ، وكان جواداً ، فلمّا استؤذن له عليه أرسل إليه : إنّك والله ما تسألُ بحسب وَلا دين ولا منزلة ، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيَك شيئاً ، وأمر به فلُكِزَ وأُهينَ فقال ابنُ فَسْوة : [من الطويل]

وكائــن تخطَّت ناقتــي وزَميلُها إلى ابن كُريز مِنْ نُحوسٍ وأَسْعُدِ
وأغبرَ مَسْحولِ الترابِ تَـرى لـه حيا طردَتْه الريحُ من كلِّ مَطْرَدِ[1]
لعمرك إنّي عند بـاب ابنِ عامر لكالظَّبـي عنـد الرَّمْيَـةِ المَتردِّدِ[2]
فلم أرَ يومـاً مثلـه إذ تكشَّفتْ ضبابتُـــه عنّـــي ولمّــا أُقـيَّدِ

[ثم يطيب خاطره]

فبلغ قولُه ابنَ عامر ، فخاف لسانَه وما يأتي به بعد هذا ورجع له ، وأحسن القومُ رِفْدَه ، وقالـوا : هـذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليَسير يرضيه ، فقال : رُدُّوه فرُدّ ، فقـال لـه : إيه يا عتيبة ، أردد عليّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلاّ خيراً قال : هاته فقـال : قلت[3] : [من الطويل]

أتعرفُ رسمَ الدّارِ مــن أُمِّ معبَدِ نعم فرمـاك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ
فيا لكَ مــن شوقٍ ويا لكِ عَبرةً سوابقُهــا مِثْـل الجُمــانِ المبدَّدِ
وكائــنْ تخطَّتْ ناقتــي وزميلُها إلى ابن كُريز مِــن نُحوسٍ وأسعُدِ
فتى يشتري حُسنَ الثَّنــاءِ بماله ويعلــم أنَّ المــرءَ غيرُ مخلَّدِ
إذا مــا ملمّــاتُ الأُمــورِ اعتريْنَه تجلَّى الدُّجى عن كوكَب مُتوقِّدِ[4]

فتبسَّم ابن عامر وقال : لعمري ما هكذا قلت ، ولكنّه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رَضي وانصرف .

1 مسحول : ناعم .
2 عند في ل : بعد .
3 ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد في المجمهرات .
4 اعترينه في ل : اعتلينه .

[ابن الأعرابيّ يستحسن أبياتاً له]

قال : وأنشدنا ابن الأعرابيّ له بِعقب هذا الخبر ، وكان يَستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجيدُها : [من الطويل]

منعّمـــةٌ لم يغذهـــا أهـــلُ بلدةٍ ولا أهلُ مصرٍ فهْـيَ هيفاءُ ناهِدُ
فَرِيعتْ فلم تخبـا ولكن تأوّدتْ كما انتصَّ مكحولُ المدامعِ فارِدُ[1]
وأهوت لتنتاشَ الرِّواق فلـم تَقُم إليــه ولكــن طأطأتْــه الولائدُ[2]
قليلــةُ لحــم الناظرَيــنِ يَزينها شبابٌ ومخفوضٌ من العيش بارِدُ
تَناهى إلى لهــو الحديــثِ كأنّها أخــو سَقَمٍ قــد أسلمتــه العوائدُ
ترى القُرطَ منهــا في قناة كأنّها بمهلكــة لــولا البُــرا والمَعاقِدُ[3]

[يرثي صريعاً في بئر]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : أغار رجل مِنْ بني تَغلب يقال له الهُذَيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نَعَماً كثيراً ، فورد بها ماءً لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال لـه سَفارِ[4] ، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعْنب بن الحارث بن عمرو بن همّام بن رباح في إبل لهما قد أورداها ، فأراد الهذيل أخذَها ، فتفرّقت ، فتفرّق أصحابُه في طلبها ، وهو قائم على رأس رَكيَّة من سَفار ، فرماه أحدهما فقتَله فوقع في الرَّكيَّة فكانت قَبرَه . ويقال : بل رماه عبدٌ أسود لمالك بن عروة المازنيّ ، فقال عتيبة بن مِرداس الذي يقال له ابنُ فَسْوة في ذلك : [من الطويل]

مَـنْ مبلــغٌ فِتيــانَ تغلبَ أنّه خــلا للهُذيل من سفارٍ قَلِيبُ ؟
إذا صوَّت الأصداءُ صوَّت وسطَها فتى تغلبــيٌّ في القَلِيــبِ غريبُ
فأعددتُ يربوعــاً لِتَغلــبَ إنّهم أنــاسٌ غذتهــم فتنــةٌ وحروبُ
حويتَ لقاحَ ابني نُعيم بن قَعنب وإنّــك إن أحرزتَهـــا لكسوبُ

[بشر بن كهف يمنعه]

وقال أبو عمرو أيضاً : كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد

---

1 انتصّ : سار .
2 الرّواق : مقدم البيت أو الفسطاط . وتنتاش : تتناول .
3 البُرا : جمع برة ، وأصلها بروة : الخلخال . المعاقد : جمع معقاد ، وهو خيط فيه خرزات تعلّق في عنق الصبيّ .
4 سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .

بني خُزاعة بن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيَه فأبى ، ومنعه ، وطرد إبله ، فقال في ذلك : [من الطويل]

مَـنْ يـكُ أُرْعــاه الحمى أخواتُه ... فما ليَ من أُختٍ عَوانٍ ولا بِكرِ
وما ضرَّها أن لم تكن رَعتِ الحِمى ... ولم تطلب الخيرَ الممنَّع مـن بشرِ
متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي ... يجد قَبض كفٌ غير ملأى ولا صِفْرِ
يجـد مُهـرة مثـل القَنـاةِ طِمرَّة ... وعضْبٌ إذا ما هُزَّ لم يرضَ بالهَبْرِ[1]
فإن تمنعـوا منهـا حِمـاكم فإنّه ... مُباحٌ لهـا مـا بين إنبط فالكدْرِ[2]
إذا ما امرؤٌ أثنى بفضل ابـن عمّه ... فلعنــةُ ربٍّ العالمــين عَـلى بشرِ

[يسرقون ثيابه]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ ، ونسخته أيضاً من خطّ إسحاقَ الموصليّ ، وجمعت الروايتين : إنّ ابن فسوةَ نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عَيْبَةً له فيها ثيابُه وثياب جاريته ، فرحل عنهم ، فلمّا عاد إلى قومه أعلمهمْ ما فعله به بَنو سعد بن مالك . فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها صِرْمة[3] ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بَني سعدٍ بقوله : [من الطويل]

جزى اللهُ قومي من شفيعٍ وشاهدٍ ... جــزاء سليمــانَ النَّبــيِّ المكرَّمِ
همُ القومُ لا قـومُ ابنِ دارةَ سالمٍ ... ولا ضابىءٍ إذ أُسْلِما شَرَّ مُسلَمِ
وما عيبة الجوزاء إذ غدرتْ بها ... سَراةُ بنــي قيس بسرٍّ مكتَّــمِ
إذا ما لَقِيت الحيَّ سِعدَ بنَ مالك ... على زَمّ فانـــزل خائفاً أو تقدّمِ[4]
أُناسٌ أجارونــا فكــان جِوارُهمْ ... شَعاعــاً كلحــم الجازرِ المتقسَّمِ
لقد دنِستْ أعراضُ سعدِ بن مالك ... كما دَنِسَتْ رجـلُ التقيِّ من الدَّمِ
لهم نِسوة دُسْمُ الثياب مَواجِـنٌ ... ينادين مَــن يبتاعُ عـوداً بدِرهمِ
إذا أيِّمٌ قيسيَّةٌ مــات بعلُهـــا ... وكان لهــا جــارٌ فليستْ بأيِّمِ

1 الطمرة : الفرس الجواد . الهبر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .
2 إنْبِط : موضع ببلاد كلب بن وبرة . الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبني سليم .
3 الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .
4 زم : بئر لبني سعد بن مالك .

يُمشّي ابـنُ بشر بينهنّ مقابَلا   بأيسر كأيْسرِ الأرجحيّ المخرَّمِ
إذا راحَ مـن أبياتِهـنّ كأنّما   طليْتَ بتنوُّم قَفـاه وخِمخِمِ[1]

وفيه رواية إسحاق :

تسوق الجواري مَنْخَراه كأنّما   دَلَكنَ بتنوُّم قفـاه وخمخمِ

صوت

[من المنسرح]

قد طالَ شَوقي وعادني طربي   من ذكر خَوْدٍ كريمةِ النسبِ
غرّاءَ مثـلِ الهـلالِ صُورَتها   أو مثلِ تمثالِ صُورة الذهبِ

ويروى : «بيعة الرُهُب» الشعر لعبد الله بن العجلان النَّهديّ ، والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن مسْحج .

1 التنوم : شجر مثمر ورقه مع الخل يقلع التآليل . خمخم : نبت له شوك دقيق .

[484] ـ أخبار عبد الله بن العجلان

[نسبه]

هو عبد الله بن العَجْلان بن عبد الأَحَبّ بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر جاهليٌّ أحد المتيّمين من الشعراء ومَنْ قتله الحبّ منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلّقها ، ثم ندِم على ذلك ، فتزوّجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

[قصته تشبه قصة قيس ولبنى]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ قال : كان عبد الله بن العجلان النهديّ سيِّداً في قومه وابنَ سيِّد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً ، وكانت هند امرأة عبد الله بن العَجْلان ، التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نَهْدٍ ، وكانت أحبَّ النّاس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلِد ، فقال له أبوه : إنّه لا ولد لي غيرُك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلّقها ، وتزوّج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلى ألاّ يكلّمه أبداً حتى يطلّقها فأقام على أمره ، ثمّ عمدَ إليه يوماً ، وقد شرِب الخمر حتى سكِر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صِرْ إليَّ ، فقالت له هند : لا تمضِ إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنّما يريدك لأنّه بلغه أنّك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلّقني ، فنمْ مكانك ، ولا تمضِ إليه . فأبى وعصاها ، فتعلّقت بثوبه ، فضربها بمسواك ، فأرسلته ، وكان في يدها زعفران ، فأثّر في ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده في أمرها ، وأنّبه ، وضعّفه ، وجمع عليه مشيخة الحيّ وفتيانهم ، فتناولوه بألسنتهم ، وعيَّروه بشغفه بها وضَعْفِ حَزْمه ، ولم يزالوا به حتى طلّقها . فلمّا أصبح خبِّر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها ، فأسِف عليها أسفاً شديداً ، فلمّا رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير ، فزوَّجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن العَجْلان دَنِفاً سقيماً ، يقول فيها الشعر ، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهنّ ، وقال في طلاقه إيّاها : [من مجزوء الكامل]

فارقـــتُ هنداً طائعــاً ... فندمــت عنــدَ فراقِها
فالعينُ تـــذْري دمعــةً ... كالــدُّرِّ مـــن آماقِها
متحلِّياً فـــوق الردا ... ء يجول مــن رَقْراقِها
خَــوْدٌ رَداحٌ طَفْلَــةٌ ... ما الفحش من أخلاقِها
ولقــد أَلَــذُّ حديثَهــا ... وأُسَرُّ عنــد عنــاقِها

وفي هذه القصيدة يقول :

إن كنتِ ساقيــةً ببُزْ ... لِ الأُدْمِ أو بحِقــاقِها
فاسقي بني نهــدٍ إذا ... شربــوا خيــار زِقاقِها
فالخيل تعلم كيف نُلْـ ... ـحِقها غـــداة لحاقِها
بأسِنَّةٍ زُرْق صبَحْـــ ... ـنا القَوْمَ حــدَّ رقاقِها
حتى تــرى قِصَد القنا ... والبِيـــضَ في أعناقِها

[شعره في غارة شنّها قومه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا طلّق عبد الله بن العَجْلان هنداً أُنكِحَت في بني عامر ، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات ، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحَريش وبنو قُشَيْر ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهدٌ أموالهم ، وقتل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له ، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحُسين بن عمرو بن معاوية ومَسْحَقة بن المجمَّع الجعفيّ ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك : [من الوافر]

أَلا أبلغ بنـــي العجلان عنّي ... فـــلا يُنْبيك بالحَدثانِ غيري
بأنّـــا قـــد قتلنا الخير قُرْطا ... وَجُرنـــا في سَراةِ بنـــي قشيرِ
وأَفلتَنا بنـــو شَكَـــلٍ رجـــالاً ... حُفــاةً يربئـــون على سُمَيْرِ

[قيسية ترثي قتلى قيس]

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم : [من الوافر]

أَصبتم يا بنـــي نهــدِ بن زيد ... قُرومـــاً عنـــدَ قعقعةِ السلاحِ
إذا اشتدَّ الزّمـــانُ وكان محلاً ... وحاردَ فيــه إخْوانُ السماحِ

أهانـوا المالَ في اللَّزباتِ صبراً   وجـادوا بالمتـالي واللقاحِ
فبكِّي مالكـاً وابْكـي بجيراً   وشدّاداً لمشتجِـرِ الرِّمـاحِ
وكَعباً فاندبيه معـاً وقُرطـا   أولئك معشري هدُّوا جناحي
وبكِّي إن بكَيْتِ على حُسَيْلٍ   وَمِـرداس قتيلِ بنـي صباحِ

[حسيل يغدر به أسيره]

قال : وأسَرَ عبد الله بن العَجلان رجلاً من بني الوَحيد ، فمنَّ عليه ، وأطلقه ، ووعده الوحيديّ الثوابَ فلم يَفِ فقال عبد الله : [من الوافر]

وقالوا لـن تنالَ الدَّهـر فقراً   إذا شكرتْك نعمتَك الوحيدُ
فيا ندما ندمـت عـلى رِزام   وَمُخْلِفِـهِ كما خُلِـع العَتُـودُ

قال أبو عمرو : ثم إنّ بني عامر جمعوا لبني نهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العَجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر : لك خمسَ عَشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعَل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ ، وزوّدته تمراً وَوَطْباً من لبن ، فركب فجدَّ في السير ؛ وفَنيَ اللبنُ ، فأتاهم والحيّ خلوف في غزو ومِيرَةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانه ، فلمّا كلّموه لم يقدر على أن يجيبهـم ، وأومأ لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إيّاه ، فابتلّ لسانه ، وتكلّم ، وقال لهم : أتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذركم ، فاجتمعت بنو نهد واستعَدّت ووافتهم بنو عامر فَلَحِقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العَجلان في ذلك : [من الطويل]

عـاوَدَ عيني نصبُهـا وَغرورها   أهَـمٌّ عَناهـا أم قَذاهـا يعورُها
أم الدّار أمستْ قـد تعفَّت كأنَّها   زبـورُ يمـانٍ رقشتـه سطورُها
ذكرت بهـا هنداً وأترابَها الألى   بها يكذب الواشي ويُعْصى أميرُها
فمـا مُعْـوِلٌ تبكـي لفقد أليفها   إذا ذكرتـه لا يكـفُّ زفيرُها
بأغـزر منِّـي عبرة إذ رأيتهـا   يحـث بهـا قبـل الصباحِ بَعيرُها
ألَم يأتِ هنداً كيفما صُنْعُ قومِها   بني عامـر إذ جاء يسعى نَذِيرُها
فقالوا لنـا إنّـا نحـبّ لقاءكم   وإنّـا نحيِّـي أرضَكـم ونزُورُها
فقلنا : إذا لا نَنْكُل الدَّهرَ عنكمُ   بصُمٍّ القنا اللائيّ الدمـاءَ تُميرُها

فـلا غرو أَنَّ الخيل تَنْحِط في القنا تمطُّرُ مـن تحت العوالي ذكُورُها[1]
تـأوَّهُ ممّـا مَسَّها مـن كريهةٍ وتُصفي الخدود والرِّماحُ تَصورُها[2]
وأربابها صرعى بِبُرْقَـةِ أخرب تُجَرِّرُهُـمْ ضُبْعانهـا ونُسورُها
فأبلـغ أبـا الحجاج عنّي رسالةً مغلغلـة لا يَغْلِبَنْـك بُسُورُها
فأنت منعـتَ السلم يومَ لقيتنا بكفّيـكَ تُسْدي غيَّـةً وتنيرُها
فذوقوا على ما كان من فرط إحْنَة حلائبنـا إذْ غـابَ عنّا نصيرُها

[نهاية حبّه]

قال أبو عمرو : فلمّا اشتدَّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرّاً من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشرِّ والتِّراتِ ، حتى نزل ببني نمير ، وقصد خباء هند ، فلمّا قارب دارها رآها وهي جالسة على الحوض ، وزوجها يسقي ، ويذود الإبلَ عن مائه ، فلمّا نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشتدّ إليه ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند ينظر ما حالُهما ، فوجدهما ميتين .

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض بني نهد أنَّ عبد الله بن العَجلان أراد المضيّ إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكّة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحجّ ، وحجَّ أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثَرُ كفّها في ثوبه بخَلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات . هذه رواية أبي عمرو .

وقد أخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال حدَّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن قال : حدَّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيّوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهليّة فقال : [من الطويل]

ألا إنَّ هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حُمُوَّتِها حَما
وأصبحت كالمقمورِ جفْن سلاحه يقلّب بالكفَّـينِ قوساً وأسهما

ثم مدَّ بها صوته فمات .

1 تنحط : تزفر . تمطر : تسرع .
2 تصورها : تميلها .

[الشعر له أم لمسافر]

قال ابن سيرين : فما سمعت أنّ أحداً مات عشقاً غير هذا . وهذا الخبر عندي خطأ لأنّ أكثر الرّواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أميّة ، قالهما لمّا خرج إلى النُّعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقدِم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكّة ، وهل حدث بعده شيء ، فقال : لا ، إلاَّ أنّي تزوّجتُ هنداً بنت عتبة ، فمات مسافرٌ أسفاً عليها ، ويدلّ على صحّة ذلك قوله :

وأصبحت من أدنى حموَّتِها حما

لأنّه ابن عمّ أبي سفيان بن حرب لحّاً وليس النميريّ المتزوّج هنداً النهدية ابن عمّ عبد الله بن العجلان فيكون من أحْمائها ، والقول الأوّل على هذا أصحّ .

[من شعره في هند]

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند : [من الطويل]

أَلا أبلغا هنداً سلامي فإن نأَتْ ... فقلبيَ مذ شطَّتْ بها الدارُ مدنَفُ
ولم أرَ هنداً بعد موقِف ساعة ... بأنْعَمَ في أهلِ الدِّيارِ تطوَّفُ
أَتَتْ بين أتراب تَمايَسُ إذ مشتْ ... دبيبَ القطا أو هنَّ منهنّ أقْطَفُ
يباكِرْنَ مِرآةً جليّاً وتارةً ... ذكيّاً وبالأَيْدي مَداكٌ ومِسْوَفُ
أشارت إلينا في خَفاءٍ وراعَها ... سراةُ الضُّحى منّي على الحيِّ موقفُ
وقالت : تباعد يا ابن عمِّي فإنّني ... مُنيت بذي صَوْلٍ يَغار ويَعْنُفُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أنشدنا فضل اليزيديّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهديّ قال إسحاق وفيه غناء : [من الطويل]

خليليَّ زورا قبل شحْط النّوى هنداً ... ولا تأمنا مِنْ دارِ ذِي لَطَفٍ بُعْدا
ولا تعجلا ، لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيّاً يلاقي في التعجُّل أم رُشْدا
ومرَّا عليها باركَ اللهُ فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصْدا
وقولا لها ليس الضلال أجازَنا ... ولكنّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا

صوت

[من مجزوء الوافر]

أَلا يا ظبيةَ البلَدِ ... براني طولُ ذا الكمدِ

فــردِّي يــا معذِّبتي فؤادي أو خُذي جسدي
بُليتُ لشِقوتــي بكُــمُ غلاماً ظاهِـــرَ الجلَدِ
فشَيَّبَ حُبُّكــم رأْسي وبيّضَ هجــرُكم كبِدي

الشعر للمؤمّل بن أميل ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[485] ـ أخبار المؤمّل ونسبه

[نسبه]

المؤمّل بن أُميل بن أُسيد المحاربيّ . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفيٌّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعبّاسيّة ، وكانت شهرته في العبّاسيّة أكثر ، لأنّه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذُولين ، وفي شعره لِينٌ ، وله طبع صالح .

[يتمنّى العمى فيعمى]

وكان يهوى امرأةً من أُهل الحِيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدَتَه المشهورة : [من البسيط]

شفَّ المؤمِّلَ يوم الحيرة النظرُ ليت المؤملَ لم يُخلق له بَصَرُ

يقال : إنّه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه ، وقال : هذا ما تمنّيت ، فأصبح أعمى .

[المهدي يغدق ويردّ ما استعاده المنصور]

أُخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ : قال : حدَّثنا عبد الله بن أُبي سعد قال : حدَّثنا عبد الله بن الحسن الحرّاني ، قال : حدَّثني أبو قُدامة ، قال : حدَّثني المؤمّل قال : قدِمت على المهديّ وهو بالرّيّ ، وهو إذ ذاك وليّ عهد ، فامتدحتُه بأبيات ، فأمر لي بعشرين ألفَ دِرْهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخْبره أنّ الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يَعذِله ويلومه ، ويقول له : إنّما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهديّ أن يوجِّه إليه بالشاعر ، فطُلبَ ، ولم يَقدر عليه ، وكتب إلى أبي جعفر أنّه قد توجّه إلى مدينة السلام ، فأجلَس قائداً من قوّاده على جِسر النهـرَوان ، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلاً ، فجعل لا يمرّ به قافلة ، إلاّ تصفَّح من فيها ، حتى مرّت به القافلةُ التي فيها المؤمِّل ، فتصفحهم ، فلمّا سأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمِّل بنَ أميل المحاربيّ الشاعر ، أحدُ زوار الأمير المهديّ ، فقال : إيّاك طلبتُ ، قال المؤمّل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر .

فقبضَ عليَّ ، وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، وقال له : هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً ، قد ظَفرنا به ، فقال : أدخلوه إليَّ ، فأُدخلتُ إليه ، فسلَّمت تسليم فزع ، مرَوّع ، فردَّ السلام ، وقال : ليس لك هاهنا إلاَّ خَيْر ، أنتَ المؤمّل بن أُميل ؟ قلت : نعم ، أُصلح الله أمير المؤمنينَ أنا المؤمّل بن أُميل ، قال : أَتيتَ غلاماً غِرّاً كريماً ، فخدعته فانخدع ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً ، فخدعتُه فانخدعَ قال : فكأنّ ذلك أعجبَه ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه : [من الوافر]

هـو المهـديُّ إلاّ أن فيـه ... مشابـهَ صورة القمـر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهمـا إذا مـا ... أنـارا مُشكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلامِ سراجُ ليـلٍ ... وهـذا في النّهارِ ضياءُ نُورِ
ولكـن فضَّـل الرحمن هـذا ... عـلى ذا بالمنابـرِ والسَّريرِ
وبالمُلْك العزيـزِ فـذا أميرٌ ... ومـاذا بالأميـرِ ولا الوزيرِ
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا ... مُنير عنـد نقصـانِ الشهورِ
فيـا ابن خليفـةِ الله المصفَّى ... بـه تعلـو مفاخـرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقـد توافَوْا ... إليكَ مِنْ السهولـةِ والوُعورِ
لقد سبق الملـوك أبُوك حتَّى ... بقوا من بين كابٍ أو حَسيرِ[1]
وجئتَ مصلياً تجري حثِيثاً ... وما بك حين تجري من فُتورِ[2]
فقال الناس مـا هـذان إلاّ ... كما بـينَ الخليق إلى الجديرِ
لئن سبق الكبيرُ لأَهْـلُ سَبْقٍ ... له فضلُ الكبير عـلى الصَّغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَـدى كبيرٍ ... فقد خلِق الصغيرُ مـن الكَبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، قال : يا ربيع ، امض معه ، فأعطِه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي . قال المؤمِّل : فخرج معي الربيع ، وحَطّ ثِقْلي ، ووَزنَ لي من المال أربعةَ آلاف درهم ، وأخذَ الباقي .

فلمّا وَلِيَ المهديُّ الخلافة ولَّى ابن ثوبانَ المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُّصافة ، فإذا

1 كاب : عاثر من كبا يكبو .
2 مصلياً : تالياً للسابق .

ملأً كساءه رِقاعاً رفعها إلى المهديّ ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة ، فلمّا دخل بها ابن ثَوبان جعل المهديُّ ينظر في الرقاع ، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضَحِك ، فقال له ابنُ ثوبان : أَصلَحَ الله أميرَ المؤمنين ! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شيءٍ من هذه الرّقاع إلاّ من هذه الرُّقعة ، فقال : هذه رقعة أعرفُ سببها ، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم ، فردّوها إليَّ وانصرفْت .

[يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفاً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال : حدَّثني الحكم بن موسى السلوليّ ، قال : حدَّثني سعد بن أخي العوفيّ قال : قدِم على المهديّ في بيعة ابنيه موسى وهارون المُؤمِّل بنُ أميل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السَّلوليّ وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيريّ من الكوفة ، فقدِما على المهديّ في عسكره ، فأنشده المؤمّل : [من الوافر]

هـاكَ بِياعَنـا يـا خير والٍ فقـد جُدْنـا بـه لكَ طائعينا
فإن تفعلْ فأنـت لذاك أهلٌ ففضلك يا ابنَ خير النّاس فينا
وعَدلُكَ يا ابن وارث خَيرِ خَلْق نبـيٌّ الله خَيْـرِ المرسلينا
فـإن أبـا أبيكَ وأنتَ منه هـوَ العبّـاسُ وارثـهُ يقينا
أبان بـه الكتابُ وذاك حقٌّ ولسنـا للكتـابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأنتم غير شكٍّ لهـا بالعَـدلِ أكرمُ خاتمينا
فدونَكَهـا فأنـتَ لهـا محلٌّ حَباكَ بهـا إلـهُ العالَمينا
ولـو قِيدَتْ لغَيرِكُم اشمأزَّت وأعْيَـتْ أن تُطيـعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثينَ ألفَ درهم ، فجيء بالمال ، فأُلقي بينهما ، فأخذ كلّ واحد منهما بَدرة[1] ، وصدَعَ الأخرى بينهما ، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً .

[يتلف في ضحكه كل مال]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ ، عن المؤمِّل بن أميل قال : صِرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحتُه بقولي : [من المتقارب]

تعزَّ ودعْ عنكَ سَلمى وسِرْ حثيثـاً على سائـراتِ البِغالِ

---

1 البدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

وكلّ جـوادٍ لـه مَيْعَـةٌ يَخُبُّ بسرجِكَ بعدَ الكَلالِ[1]
إلى الشمسِ شمسِ بني هاشمٍ وما الشمسُ كالبَدْرِ أو كالهِلالِ
ويُضحكه أن يـدومَ السؤالُ ويُتلف في ضحكـه كلَّ مالِ

فاستحسنَها المهديُّ ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوْسات ، يُغنّي ، فغنّى في الشعر لرُفقائه ، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّاً ، فدخل عليه ، فغنّاه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أُخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثُمّ ذكر باقي الخبر على ما تقدَّم قبله ، وزاد فيه : أنّ المنصور قال له : جئتَ إلى غلام حَدَث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ مالاً يملكه ، وأعطاك من الكُراعِ والأثاثِ ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خُذ منه ثمانية عشر ألف درهم ، وأعطِه ألفين ، ولا تعرض لشيء من الأثاث والدّواب والرقيق ، ففي ذلك غناؤه . فأُخِذَتْ والله منّي بخَواتِمها ، ووُضِعتْ في الخزائن ، فلمّا وليَ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلّمين . فلمّا رآني ضحك وقال : مَظلمةٌ أعرفها ، ولا أحتاج إلى بيّنة عليها ، وجَعل يضحك ، وأمر بالمالِ فرُدَّ إليَّ بعينه ، وزاد فيه عشرَة آلاف .

[لا لحم فيه ولا دم]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني حُذيفة بن محمد الطائيّ قال : حدَّثني أبي قال : رأيت المؤمّل شيخاً مُصفرّاً نحيفاً أعمى ، فقلت له : لقد صدقت في قولك : [من الطويل]

وقـد زعموا لي أنّها نذرتْ دَمي وما لي بحَمـدِ الله لحـمٌ ولا دمُ

فقال : نعم ، فديتك ، وما كنت أقول إلاّ حقّاً .

قال محمد بن القاسم : وحدَّثني عبد الله بن طاهر أنّ أوّل هذا الشعر :

حلمتُ بكـم في نَوْمتي فغضبتُمُ ولا ذنب لي إن كنتُ في النّومِ أحلُمُ
سأطردُ عنّـي النـومَ كيلا أراكُمُ إذا مـا أتاني النّـومُ والنّاس نُوَّمُ
تُصارِمُنـي والله يعلـمُ أنّنـي أبَـرُّ بهـا من والديْها وأرحَمُ

---

1 ميعة الفرس : أوّل جريه .

صوت

وقد زعموا لي أنّها نذرتْ دمي ... ومـا لي بحمـدِ اللهِ لحمٌ ولا دمُ
برى حبُّها لحمي ولم يُبق لي دَماً ... وإن زعمـوا أنّي صحيحٌ مسلَّمُ
فلم أرَ مثـلَ الحُبّ صحَّ سَقيمهُ ... ولا مثل مَن لا يعرف الحبُّ يسقُمُ
ستقتُلُ جِلداً باليـاً فـوقَ أعظُمٍ ... وليس يُبـالي القتلَ جلـدٌ وأعظُمُ

في هذه الأبيات التي أوّلها :

وقَـد زعموا لي أنّها نذرت دمـي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى عن ابن المكّيّ .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن أحمد بن عليّ ، قال : لّما قال المؤمّل : [من البسيط]

شفَّ المؤمّل يوم الحيرةِ النظرُ ... ليت المؤمِّل لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

عَمي ، وأُرِي في منامه : هذا ما تمنيتَ .

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ : قال : رأى المؤمّل في منامه قائلاً يقول : أنت المتألّي على الله ألاّ يعذِّبَ المحبِّين حيث تقول :

يَكفي المحبِّينَ في الدُّنيا عذابُهمُ ... واللهِ لا عذَّبَتْهم بعدهـا سَقَرُ

فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوَّ الله ، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له : أنت القائل :

شفّ المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ ... ليت المؤمّل لم يُخْلَقْ لـه بصرُ

هذا ما تمنّيت ، فانتبهَ فزعاً ، فإذا هو قد عَمي .

[لا ترضى مضر بقتله]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعب الزُّبيريّ قال : أُنشِدَ المهديُّ قولَ المؤمِّل :

قتلتِ شاعرَ هذا الحيِّ من مُضرٍ ... واللهُ يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ

فضحك ، وقال : لو علمنا أنّها فعلت ما رَضينا ، ولَغَضبنا له وأنكرنا .

صوت

[من الطويل]

بكيتُ حذارَ البين علماً بما الذي إليـه فؤادي عنـد ذلك صائرُ
وقال أُنـاس لـو صبرتَ وإنَّني على كلِّ مكروه سوى البين صابرُ

الشعر لأبي مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشاميّ .

قال الهشاميّ : وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل ، ولسليم ثقيل أوّل .

[486] ـ أخبار أبي مالك ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو مالك النَّضر بن أبي النضر التميميّ ، هذا أكثر ما وجدتُه من نسبه ، وكان مولده ومنشؤه بالبادية .

ثم وفد إلى الرشيد ، ومدحه ، وخَدمه فأُحمِدَ مذهبه ، ولحظتْه عنايةٌ من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أُحبَّ ، وهو صالح الشعر ، متوسّط المذهب ، ليس من طبقةِ شعراء عصره المجيدين ، ولا من المرذولين .

[يرثي أباه]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أحمد بن الهَيثم بن فراس قال : كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميميّ مع الرشيد ، وكان أبوه مقيماً بالبادية ، فأصاب قوم من عشيرته الطريقَ ، وقطعُوه عن بعض القوافل ، فخرج عامل دِيارِ مضر ، وكان يقال له جَيَّال ، إلى ناحيةِ كانت فيها طوائف من بني تميم ، فقصدَهم وهم غارُّون[1] ، فأخذَ منهم جماعةً فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج ، وكان ذا مال ، فطلبه فيمن طلَب من الجناة ، وطمع في ماله ، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه ، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه : [من الخفيف]

فيمَ يُلحى على بكائي العذولُ والذي نابنــي فَظيــعٌ جليلُ
عدّ هــذا الملام عنّي إلى غيـ ـرى فقلبــي ببَثّــه مشغولُ
راعَني والدي جَنتْ كفُّ جَيّا لِ عليــه فــراح وهــو قَتيلُ
أيّها الفاجعي برُكني وعزّي هبلَتْني إن لم أَرُعـك الهُبولُ[2]
سُمْتَني خُطَّةَ الصَّغار وأُظلمْـ ـتَ نَهـاري عليَّ غالتْك غولُ
مـا عداني الجفاءُ عنكَ ولكنْ لم يُدلني مـن الزمان مُديلُ[3]

1 غارُّون : غافلون .
2 هبلتني الهبول : ثكلتني أمّي .
3 لم يدلني : لم ينصرني .

زال عنّا السرورُ إذ زُلتَ عنّا وازدهانــا بكاؤنــا والعويلُ[1]
ورأينــا القريــبَ منّا بعيداً وجفانــا صديقُنــا والخليلُ
ورمانا العدوُّ مــن كلِّ وجه وتجنّــى على العزيــزِ الذليلُ
يا أبا النضر سوفَ أبكيك ما عشـ ـتُ سويّا وذاك منّــي قليلُ
حملتْ نعشَك الملائكةُ الأبـ ـرارُ إذ ما لَنـا إليك سبيلُ
غير أنّي كذبتُــكَ الودَّ لم تقْـ ـطُر جفوني دمــاً وأنت قَتيلُ
رضِيتْ مقلتي بإرسال دَمعي وعلى مثلــك النفــوسُ تَسِيلُ
أسِواكَ الذي أجــودُ عليــه بدمــي إنّنــي إذاً لبخيــلُ
عثر الدهرُ فيــك عثرةَ سَوْءٍ لم يقُــلِ مثلَهــا المعينُ المقيلُ
قُل إن ضنَّ بالحيــاةِ فإنّــي بعــده للْحيــاةِ قــالٍ مَلولُ
إنَّ بالسفحِ من ضباعةَ قومي ليسَ منهم ، وهم أداني ، وَصولُ[2]
لا يزورون جارَهم من قريب وهمُ في الترابِ صَرعى حلولُ
حفرة حَشْوُها وفــاءٌ وحِلمٌ وندًى فاضــلٌ ولُــبٌّ أصيلُ
وعفافٌ عمّــا يَشين وحِلـمٌ راجحُ الوزنِ بالرّواسي يَميلُ
ويمــين بنانُهــا غيرُ جَعــد وجبينٌ صَلت وخــدٌّ أسيلُ[3]
وامرؤ أشرقتْ صُفَيحهُ خدَّيـ ـهِ عليـــه بشاشةٌ وقَبولُ

صوت

[من الطويل]

لئن مصرُ فاتتني بما كنتُ أرتجي وأخلفني فيهــا الذي كنتُ آملُ
فما كلّ ما يخشى الفتى بمُصيبِه ولا كلُّ ما يرجــو الفَتى هو نائلُ

الشعر لأبي دُهمان ، والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . انتهت أخبار مالك ونسبه .

1 ازدهانا : استخفّنا وأذهب وقارنا .
2 ضباعة : اسم جبل من جبال طيىء .
3 جعد : قصير . صلت : واضح .

[487] ـ أخبار أبي دهمان

أبو دُهمان الغِلابيّ شاعر من شعراء البصرة ممّن أدرك دولتَي بني أُميّة وبني العبّاس . ومدح المهديّ ، وكان طيّباً ظريفاً مليحَ النادرة .

[لا يبوح باسم محبوبته]

وهو القائل لمّا ضَرب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتبة : [من المنسرح]

لولا الذي أحدثَ الخليفةُ في الْـ ـعُشاق مـن ضربهم إذا عَشِقُوا
لَبُحْــتُ باسم الذي أُحِبُّ ولـ ـكنّي امــرؤ قــد ثَنانيَ الفَرَقُ

[يجيد التقليد]

حدّثني بذلك الصوليّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية . وأخبرني جَحْظةُ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأبي دهمان : ألا أحدّثك بظريفة ؟ قال : بَلى ، قال : كنّا عند فلان ، فمدّ رجله هكذا ، فضَرَط ، ومدّ المحدِّث رجله يحكيه فضرَط ، فقال له أبو دُهمان : يا هذا أنتَ أحذَقُ خلق الله بحكاية .

[رجل يتيه عليه وهو أمير]

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون : بلغني أنّ أبا دُهمان مرَّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ ، فقام النّاس إليه ودعَوْا له إلاّ ذلك الرجل ، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره : أما ترى ذلك الرجلَ في النَّظارة وترى تيهَه عليّ ؟ فقال له : وكيف يتيه عليك وأنتَ الأمير ! قال : لأنّه قد ناكَني وأنا غلام .

[غلامه يتعجّل موته]

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، قال : مرض أبو دُهمان مرضاً أشْفى منه على الموت ، فأوصى وأملى وصيّته على كاتبه ، وأوصى فيها بعِتق غلام كان له واقفاً ، فلمّا فرغ غدا الغلامُ بالرقعة ، فأترَبها ، ونظر إليه أبو دُهمان ، فقال له : نعم أتربِها يا ابنَ الزّانية ، عسى أن يكونَ أنجَحَ للحاجة ، لا شفاني الله إن أنجحتَ ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبيع .

صوت

[من الطويل]

يكُــرُّ كما كــرَّ الكُليبيّ مُهــرَه وما كــرَّ إلاّ خيفةً أن يُعيَّرا

فلا صُلح حتى تزحف الخيلُ والقنا ... بِنا وبِكمْ أَوْ يَصْدُرَ الأَمـرُ مَصْدَرا

الشعر لأَبي حُزابة التميميّ ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر .

وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابةَ رجلاً من بني كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبوعيّ ، قُتِل بسجستان في فتْنة ابن الزُّبير ، وكان سيِّداً شُجاعاً .

[يرثي ناشرة اليربوعيّ]

أنشدنيه جَعفرُ بن قُدامة قال : أَنشدني أَبو هِفَّان وأَحمد بن أَبي طاهر قالا : أَنشدنا عبدُ الله بن أَحمد العدويّ لأَبي حُزابة يرثي ناشرةَ اليربوعيّ وقُتِل بسجستان في فتنة ابن الزُّبير قال : [من الطويل]

لعَمري لقد هدَّتْ قريشٌ عروشَنا ... بأَبيضَ نفَّـاح العَشِيَّـات أَزهرا

وكان حَصاداً للمَنايـا زَرعْتَـهُ ... فهلاَّ تركنَ النَّبتَ ما كان أَخضرا

لحا اللهُ قوماً أَسلموكَ وجرّدوا ... عناجِيج أعطتْها يمينُك ضُمَّرا[1]

أَما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ ... يرى الموت في بعض المواطنِ أَفخرا

يكـرّ كما كَـرَّ الكُليبيّ مُهـره ... ومـا كـرَّ إلاّ خشية أَن يُعَيَّرا

يُرِيد ما كان في هؤلاء القَوم مَنْ يكرُّ كما كرَّ ناشرة الكُلَيْبيّ مُهرَه ؟

1 العناجيج : جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور .

[488] ـ أخبار أبي حزابة ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . شاعر من شعراء الدولة الأمويّة بَدَوِيٌّ حَضَرٍ[1] وسكن البصرة ، ثم اكْتُتِب في الديوان ، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وأظنُّه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجَّاء .

[أبطأت عليه جائزة طلحة]

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدَّثنا محمد الهيثم الشاميّ قال : حدَّثني عمّي أبو فراس عن العذريّ قال : دخل أبو حُزابة على طلحةِ الطلحات الخُزاعي ، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سِجِستان ، وكان أبو حُزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته ، ورأى ما يُعطى غَيرُه من الجوائز ، فأنشده : [من الطويل]

وأدليتُ دَلْــوِي في دِلاء كثيرةٍ فجئن مِـلاءً غير دَلْـوي كما هِيا
وأَهلكنــي ألاّ تــزالَ رَغيبـــةٌ تُقصِّــر دوني أو تَحُــلُّ وَرائيـا
أراني إذا استمطرتُ منكَ سحابةً لِتُمطِرني عــادتْ عَجاجاً وسافِيا

قال : فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدرَه ، ووقعت في حجره ، ويقال : بل أعطاه أربعةَ أحجارٍ ، وقال له : لا تُخدعْ عنها ، فباعها بأربعين ألفاً . ومات طلحةُ بسِجِستان .

[بخيلٌ يخلف كريماً]

ثم وَلِيَ من بعده رجل من بني عبدِ شمس يقال له عبدُ الله بن عليّ بن عَدِيّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة[2] : [من الرجز]

يا ابنَ عليٍّ بَـرَحَ الخفاءْ قد علِم الجيرانُ والأكفاءْ

---

1 حضير وحضري بمعنى واحد .

2 الأبيات في الحيوان 1 : 255 برواية فيها اختلاف :

يا ابنَ عـليٍّ بَـرِح الخِفـاءْ أنت لغير طلحـة الفـداءْ
قد علم الأشرافُ والأكفاءْ أنّك أنـت الناقص اللّفّـاءْ
. . . . .
بنــو عـليٍّ كلّهـــم سواءْ كأنّهـم زينيّــة جِــراءْ

أنّك أنت النذلُ واللفّاء ... أنت لعَيْنِ طَلْحَةَ الفِداءُ[1]
بنو عَدِيٍّ كلّهم سواءُ ... كأنّهم زينيّةٌ جِراءُ[2]

[رثاء وهجاء]

قال ثم وليَها بعدَ عبد الله بن عليّ عبدُ العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُريز أيّام الفتنة ، فاستأذنَه أبو حزابة أنْ يأتيَ البَصرة ، فأذِن له ، فقدمها ، وكان الناس يحضُرون المِرْبد ، ويتناشدون الأشعار ، ويتحادثون ساعة من النهار ، فشهدهم أبو حُزابةَ ، وأنشدهم مَرْثية له في طَلحةِ الطلحات يضمنها ذمّاً لعبدِ الله بن عليٍّ وهي قوله : [من الرجز]

هيهاتَ هيهاتَ الجنابُ الأخضر ... والنائلُ الغمرُ الذي لا يُنْزَرُ
وَاراهُ عنّا الجَدثُ المغوَّرُ ... قد علِم القومُ غداة استعبَرُوا[3]
والقَبرُ بين الطلحاتِ يُحفر ... أنْ لَنْ يروا مثلَك حتى يُنشروا
أنّا أتانا جَرزٌ محمّرُ ... أنكَرَه سَرِيرُنا والمِنْبَرُ
والمسْجد المُحْتَضر المُطَهَّر ... وخَلفٌ يا طلح منك أعْوَرُ
بليَّة يا ربَّنا لا نَسخَر ... أقلُّ من شبرين حِينَ يُشبَرُ
مثل أبي القعواء لا بل أقْصرُ

قال : وأبو القَعْواءِ حاجبٌ لطلحة كان قصيراً .

[بئس العقاب]

فقال عون بن عبد الرحمن بن سَلامة ، وسلامة أمُّهُ ، وهو رجل من بني تميم بن مرّة قيس : بئسَما قلت ! أتشاهر الناسَ بشَتْم قريش ؟ فقال له ، إنّي لم أعُمّ ، إنّما سَمَّيت رجلاً واحداً ، فأغلظ له عونٌ حتى اتصرفَ عن ذلك الموضع ، ثم أمر عَوْن ابن أخ له ، فدعا أبا حُزابة فأطعمه ، وسَقاه ، وخلط في شرابه شُبرُما[4] فسلّحه ، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه ، فسلَح على بابهم وَفي طريقه ، حتى بلغ أهلَه ، ومرض أشهراً ، ثم عُوفي ، فركب فرساً له ، ثم أتى المِرْبد فإذا عونُ بن سلامة واقف ، فصاح به ، فوقف ، ولو لم يقفْ كان أخفَّ لهجائه ، فقال له أبو حُزابة : [من الرجز]

1 اللفاء : الخسيس .
2 زينية : كلاب .
3 المغوّر : البعيد الغور .
4 الشبرم : شراب مسهل .

يـا عون قفْ واستمع الملامَةْ لا سلَّـم اللهُ عـلى سلامَهْ
زنجيّـة تحسبُهـا نَعامَـهْ شكّـاء شانَ جسمَها دَمامَهْ
ذاتِ حِـرٍ كريشتَي حمامَـهْ بينهمـا بَظْـرٌ كـرأس الهامَهْ
أعلمتُهـا وعالِـمِ العَلامَـهْ لـو أن تحت بَظرها صِمامَهْ
لدفعتْ قُدُما بها أمامَـهْ

فكان الناس يصيحون به :

أعلمتها وعـالم العلامَـهْ

[أبو حزابة ينشد طلحة]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدَّثني عمِّي أبو فراس ، عن الهيثم بن عديّ قال : كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتِل معها يومئذٍ ، وعلى بني خلف نزلتْ عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصرِ بني خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أمَويّاً ، وكانت بنو أُميّةُ مكرِمين له .

فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة : [من الرجز]

يا طلحَ يَأبى مجدُك الإخلافا والبخـلَ لا يُعترفُ اعترافا[1]
إن لنـا أحمـرةً عِجافـاً يأكُلْـن كلَّ ليلـة إكافا[2]

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهمَ ، وقال له : هذه مكانُ أُحمرتك .

[يأبى الوقوف بباب يزيد]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني العمريّ ، عن لَقيط قال : قيل لأبي حُزابة : لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لفرض لك ، وشرَّفكَ ، وألحقكَ بعِلْية أصحابه ، فلست دونَهم ، وكان أبو حُزابة يومئذٍ غلاماً حَدَثاً ، وكان معاوية حيّاً ، ويزيدُ أميراً يومئذٍ ، فلمّا أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم : إنّك ستَشرفُ بمصيرك إليه قال : [من الطويل]

يُشرّفنـي سيفـي وقلـبٌ مُجانبٌ لكـلّ لئيـم باخـلٍ ومعلهَجِ[3]

---

1 اعترفه : سأل عن حاله .
2 الإكاف : برذعة .
3 معلهج : أحمق لئيم .

وكَــرّي على الأبطال طِرْفــاً كأنّه ظَليمٌ وضربـي فـوق رأسِ المدَجَّجِ
وقَولِي إذا ما النفسُ جاشتْ وأجهشت مخافــةَ يــومٍ شَرُّه متــأجِّجِ
عليكِ غمارَ المــوت يـا نفسُ إنّني جريءِ على درء الشجاع المُهَجْهَجِ[1]

[ثم يقف ؛ فلا يصل إليه]

فلمّا أكثر عليه قومُه ، وعنَّفوه في تأخّره أتى يزيدَ بن معاوية ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليـه فرجـع ، وقـال : والله لا يراني مـا حملت عيناي المـاءَ إلاّ أسيراً أو قتيـلاً ، وأنشأ يقـول : [من الطويل]

فوالله لا آتــي يزيــدَ ولـو حوتْ أناملُــه مــا بــين شرقٍ إلى غربِ
لأنَّ يزيــداً غيَّر الله مــا بِــه جَنوحٌ إلى السُّوءى مُصِرٌّ على الذنبِ
فقل لبني حــرْب تَقُـوا الله وحدَه ولا تُسعــدوه في البِطالــة واللعبِ
ولا تأمنــوا التغييرَ إن دام فعلُــه ولم ينهَه عن ذاك شيخُ بَني حربِ
أيشربُها صِرفــاً إذا الليــل جنَّــه معتَّقةً كالمسكِ تختــالُ في العُلبِ
ويَلْحــى عليهــا شاربيهــا وقلبُــه يَهيمُ بها إن غاب يوماً عن الشَّربِ[2]

[يرهن سرجه ليبيت]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبَّة ، عن المدائنيّ قال : لمّا خرج عبد الرحمن بن محمدِ بن الأشعث على الحجَّاج ، وكان معه أبو حُزابة فمرّوا بدَسْتَبى[3] وبها مستراد[4] الصَّنّاجـة[5] ، وكانت لا يبيت بهـا أحـدٌ إلاّ بمائة درهم ، فبات بها أبو حُزابة ورهن عندها سرجَه ، فلمّا أصبحَ وقف لعبد الرحمن ، فلمّا أقبل صاح به وقال : [من الرجز]

أمرٌ عضال نابني في العَجِّ كأنّنــي مطالَبٌ بخَرْجِ[6]
ومسترادٌ ذهبتْ بالسَّرْج في فتنة الناسِ وهذا الهَرْجِ

فعرف ابنُ الأشعث القصَّةَ ، وضحك ، وأمر بأن يُفتكَّ له سرجهُ ، ويُعطى معه ألفَ

1 المهجهج : الداهية .
2 الشّرب : جماعة الشّاربين .
3 دستبى : كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري وهمذان .
4 مستراد : موضع كمراد .
5 الصناجة : اللاعبون بالأوتار أو المغنّون .
6 العجّ : الصياح والضوضاء .

درهم ، وبلغت القصّةُ الحجّاجُ فقال : أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك ، ولا ينكِر ! ظفرتُ به إن شاء الله .

[لا يثيبه على المدح فيهجوه]

أخبرني عمّي ، قال حدَّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ ، عن العُتبيّ قال : مدح أبو حُزابة عبد الله بن علي العَبْشَميّ وهو على سِجِستان فلم يُثِبْه فقال يهجوه : [من مجزوء الكامل]

هَبَّتْ تُعاتِبْني أُما ... مةُ في السماحة والفِضالِ
وأَبيتُ عند عِتابها ... إلاّ خلائقَ ذي النَّوالِ
أُعْطي أخي وأَحُوطُه ... جُهدي وأبذُل جُلَّ مالي
وأَقِيه عند تشاجُر الأبطا ... ل بالأَسَلِ النِّهالِ
حِفْظاً له ورعايةً ... للخالياتِ من الليالي
إذ نحنُ نشربُ قَهوة ... دِرياقة كدم الغَزالِ[1]
حمراءَ يُذهِبُ رِيحُها ... ما في الرؤوس من الخَبالِ
وإذا تشعشع في الإنا ... ء رمتْ أخاها باغتيالِ[2]
وعلا الحَبابُ فخلتَه ... عِقْداً يُنظَّم من لآلي
تَشفي السقيمَ بريحها ... وتُميتُه قبل الإجالِ[3]
تلك التي تركتْ فؤا ... د أبي حُزابةَ في ضَلالِ
لا يستفيق ولا يُفيـ ... ـق نزيفها في كلّ حالِ
وإذا الكماةُ تنازلوا ... ومشى الرجالُ إلى الرجالِ
وبدت كتائبُ تَمتري ... مُهجَ الكَتائبِ بالعوالي[4]
فأَبو حُزابةَ عند ذا ... ك أخو الكريهة والنِّزالِ
يمشي العرضنةَ مُعلِماً ... بالسيف مشياً غير آلِ[5]

1 درياقة : شفاء .
2 تشعشع : تمزج وتخلط .
3 الإجال : جمع أجل .
4 تمتري : تستخرج .
5 جاعلاً لنفسه علامة ليتحدّى الأبطال في النزال .

كالليــث يتــرك قِرنَــه مُتجــدِّلا بــين المجالِ
إنّي نذيــرُ بنــي تميـ ـم مــن أخي قيلٍ وقالِ
مَن لا يجــود ولا يسو د ولا يُجير مــن الهُزالِ
وتراه حــين يجيئه السؤّا ل يُولَــع بــالسُّعالِ
متشاغــلاً متنحنِحــاً كالكلب جَمَّحَ للعِظالِ[1]
فــارفضْ قريشاً كُلَّهــا من أجل ذي الداء العُضالِ

يعني عبد الله بن عليّ العبشَميّ .

[يشيد بشجاعة التميميِّين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال : حدَّثني عمِّي أبو فِراس ، عن العذريّ قال : دخل ابو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجّاج ، وقد قَدِما سِجِستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن لمّا قدماها هرَب ، ولم يبقَ بسِجِستان من أصحابه إلاّ سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حُزابة : إنّ الرّجل قد هرب منكما ، ولم يبقَ من أصحابه أحد ، وإنّما بسِجِستان مَن كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له : ما لهم عندنا أمان ، لأنّهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطّاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنّه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقَة . فلم يُجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصرهم أهل الشام ، فاستقتلت بنو تميم ، فكانوا يخرجون في كلّ يوم إليهم ، فيواقعونهم ، ويَكْبسونهم بالليل ، وينهبون أطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلمّا رأى عمارة فِعلَهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلمّا رأى قلّتهم قال : أما كنتم إلاّ ما أرى ! قالوا : نعم ، فإن شئت أن نُقيلك الصلح أقلناك ، وعُدْنا للحرب ، فقال : أنا غنيّ عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حُزابة في ذلك : [من الطويل]

لله عينــاً مَــن رأى من فوارس أكرَّ على المكـروه منهم وأصبَرا
وَأكــرمَ لــو لاقَوْا سواداً مُقاربا ولكن لقُوا طَمّاً من البحرِ أخضرا[2]

---

1 جمّح : الجمح : الكبر والفخر ويبدو أن معناها هنا : الانتصاب . العظال : الملازمة في السفاد للكلاب ونحوها .
2 طمّاً : غمراً .

فما برحـوا حتى أعضُّوا سيوفَهم ذُرى الهام منهم والحديدَ المُسمَّرا
وحتى حسبناهم فوارسَ كهَمْسٍ حيوا بعد ما ماتوا من الدّهرِ أعصرا[1]

صوت

[من المتقارب]

إذا اللهُ لم يسَق إلاّ الكـرامَ فسَقَّى وُجـوه بَنـي حَنبلِ
وسقَّـى ديارَهـمُ باكـراً من الغيث في الزّمن المُمْحِلِ
تُكفكفـه بـالعَشيّ الجنوبُ وتُفْرِغُـهُ هـزّة الشَّمألِ[2]
كأنَّ الرَّبابَ دويْنَ السحابِ نَعـامٌ تعلَّـقُ بـالأَرجلِ[3]

الشعر لزهير السكب التميميّ المازنيّ ، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبِنصر عن الهشاميّ وحبش .

1 كهمس : أبو حي من ربيعة .
2 تفرغه في ل : وتقرعه .
3 الرباب : السّحاب الأبيض .

[489] ـ نسب زهير السكب وأخباره

[نسبه]

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعَيّ ، شاعر جاهليٌّ . وإنّما لقّب السَّكب ببيت قاله وقال فيه : [من البسيط]

بَرقٌ يُضيء خلالَ البيتِ أُسْكوبُ[1]

[يتشوّق إلى أبناء عمومته]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدَّثنا أبو هِفَّان عن سَعِيد بن هُرَيم عن أبيه قال : كان زُهير بن عروة المازنيّ الملقّب بالسَّكْب جاهليّاً ، وكان من أشراف بني مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم ، فغاضب قومه في شيء ذمّه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحِقَه فيهم ضيم ، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته ، فأبَتْ نفسُه ذلك عليه ، فقال يتشوّق ناساً منهم كانوا بني عمّه دِنْية يقال لهم بَنُو حَنْبل : [من المتقارب]

إذا الله لم يَسْقِ إلاّ الكـرامَ فسقَّـى وجـوهَ بنـي حَنْبلِ
مُلِثّاً أحـمَّ دوانـي السَّحاب هَزيـم الصلاصـل والأزملِ[2]
تكركره خضخضاتُ الجنوب وتفرغـه هِـزّة الشَّمألِ[3]
كأنّ الربابَ دُوينَ السحابِ نَعـام تعلَّـق بـالأرجُلِ
فنعـم بَنـو العمّ والأقربون لدى حُطْمـة الزمن المُمْحلِ[4]
ونعـم المواسونَ في النائبـا ت للجـار والمعتفـى المُرْمِلِ[5]

1 أُسكوب : المطر .
2 ملثا : دائم المطر لا ينقطع . أحم : أسود . صلصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل : صلصلة . الأزمل : الصوت المختلط .
3 تكركره : تجمعه بعد تفرّقه . خضخضات : جمع خضخضة : وهي تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشّمال . وتفرغه في ل : تقرعه .
4 حطمة : الشدة .
5 المعتفي : السّائل . المرمل : الذي نفد زاده .

ونعـــم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ إذا غائِــظُ الأمــرِ لم يُحلَلِ[1]
ميامينُ صُبُرٌ لـدى المعضلاتِ على مُوجــع الحدَثِ المعضِلِ
مباذيلُ عفــواً جزيــلَ العطاء إذا فَضلــةُ الــزّاد لم تُبذَلِ[2]
همُ سبقوا يــوم جَرْيِ الكرامِ ذَوي السبق في الزمــنِ الأوَّلِ
وسامَوْا إلى المجدِ أهلَ الفَعال فطالـــوا بفعلهــم الأطوَلِ

[أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره]

أخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعيّ : قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمَعيّ ، عن عمّه قال : سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّبابِ فقال : أما تراه معلقاً بالسحابِ كالذيل له ، أما سمعت قول صاحبنا السَّكب : [من المتقارب]

كأن الرَّبابَ دُوَيْنَ السحاب نَعـــامٌ تعلَّـــق بـــالأرجلِ

صوت

[من المتقارب]

سلا عـــن تذكُّـــره تُكتَما وكان رَهِينــا بهـــا مُغرَمـــا
وأقصـــرَ عنهـــا وآثارُهـــا تُذكِّـــره داءَهـــا الأقدمـــا

الشعر للنَّمِر بن تولَب ، والغناء لخزَرج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 غائظ الأمر : الأمر المجهد الشاق .
2 عفواً : فضلاً وزائداً .

[490] ـ أخبار النمر بن تولب ونسبه[1]

[اسمه ونسبه]

هو النَّمِر بن تَولَب بن أُقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل ، واسم عكل عوف بن عبد مناف ، بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر مقلٌّ مخضرم أدركَ الجاهليّة ، وأسلم ، فحسُن إسلامه ، ووفد إلى النبيّ ﷺ ، وكتبَ له كتاباً ، فكان في أيدي أهلِه ، ورَوى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه ، وكان النمرُ أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم .

[أبو عمرو بن العلاء يسمّيه الكيس]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أخبرنا محمد بن حبيب قال : قال الأصمعيّ : كان أبو عمرو بن العلاء يُسمِّي النمرَ بن تولب الكَيِّسَ لجَوْدة شعره وحُسْنه .

أخبرنا محمد بن خلف المرزُبان قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد قال : أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحيّ ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلاَّم قال : كان النّمر بن تولب جواداً لا يُليق[2] شيئاً ، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسمِّيه الكَيِّس لحُسن شعره .

أخبرني هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخزاعيّ قال : أخبرنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال حدَّثنا قُرَّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أخي مُطرِّف ، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : وفد النَّمِر بن تولَب على النبيّ ﷺ وكتب له كتاباً ، أخبرناه قُرّة بن خالد السَّدوسيّ وسعيد بن إيّاس الجريريّ ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخّير أخي مُطرّف .

[يحظى بكتاب نبوي]

وأخبرني عمِّي عن القاسم عن محمد الأنباريّ عن أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، عن

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 309 وفي كتب الصحابة وطبقات ابن سعد ج7 ق1 ص 26 والمعمرين 63 والجمحي 36–38 واللآلي 284–285 والخزانة 1 : 152–156 ، وله ترجمة ضافية في شعر النمر بن تولب صنعة نوري حمودي القيسيّ . مطبعة المعارف بغداد ص 5–22 .

2 لا يُليق : لا يبقي شيئاً لجوده وسخائه .

قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخي مُطرف ، واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض ، قال : بينما نحنُ بهذا المِربد جلوس ، يعني مِربَد البصرة ، إذ أتى علينا أعرابيّ أشعثُ الرأس ، فوقفَ علينا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، قال : أجَلْ ، وإذا معه قِطعة من جِراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبهُ لي رسول الله ﷺ ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله لبني زُهَير ، هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ، وقال الباقون : لبني زُهَير بن أُقيش ، حيٌّ من عُكْل ، إنّكم إن شهدتم أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله ، وأقمتم الصلاةَ ، وآتيتم الزكاةَ ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمْس من الغنائم وسهم النبيّ والصَّفيّ[1] فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله .

[يشكون في روايته ، فيغضب]

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة : «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» . وقالوا جميعاً في الخبر : فقال له القومُ : حدِّثنا رَحِمَك اللهُ ، ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «صَومُ شهر الصَّبر ، وصومُ ثلاثة أيّام من كلّ شَهر يُذهِبْن كثيراً من وَحَرَ[2] الصدر» . فقال له القوم : أأنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : أراكُم تخافون أن أكذبَ على رسول الله ﷺ ، لا حدّثْتُكم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصحيفة ، وانصاع[3] مُدبراً . قال يزيد بن عبد الله : فقيل لي بعد ما مضى : هذا النمر بن تولب العُكليّ الشاعر .

[مثل من كرمه]

أخبرني محمد بن خَلَف قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : خرج النمرُ بنُ تولب بعد ما كبر في إبله ، فسأله سائل ، فأعطاه فحلَ إبله ، فلمّا رجعت الإبل إذا فحلُها ليس فيها ، فهتفت به امرأتهُ ، وعذَلَتْه ، وقالت : فهلاَّ غيرَ فحل إبلك ؟ فقال لها : [من المتقارب]

دَعِينــي وأمــري سأكفِيكهِ وكُوني قعيــدةَ بيت ضُباعا[4]
فإنّــك لــن تَرْشُدي غاويــاً ولن تدركي لك حظّاً مُضاعا

وقال أيضاً في عذلها إيّاه : [من المديد]

1 الصفي : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا .
2 وحر : حقد وغيظ .
3 انصاع : انفتل راجعاً .
4 ضباع : يرجح أنها مرخم «ضباعة» زوجته .

بَكَرتْ باللَّوم تَلحانــاً   في بعير ضلَّ أو حــانا
عَلِقَتْ لــوّاً تُكرّرهــا   إنَّ لــوّاً ذاكَ أعيــانا

قال : وأدرك الإسلام فأسلم .

[تخدعه زوجه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قـال : حدَّثنا أحمدُ بن زهير ، قال : حدَّثنا محمد بن سلام قال : كان للنَّمِر بن تولَب أخ يقال له الحارث بن تولَب ، وكان سيِّداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأةً منهم ، يقال لها جَمرة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففرِكته[1] ، فحبسها ، حتى استقرّتْ ، وولدت له أولاداً ، ثم قالت له في بعض أيَّامها : أزِرني أهلي فإنِّي قد اشتقتُ إليهم ، فقال لها : إنِّي أخـافُ إن صرتِ إلى أهلك أن تَغْلِبيني على نفسك ، فواثقته لتَرْجعنَّ إليه . فخرج بها في الشهر الحرام ، حتى أقدَمها بلادَ بني أسد ، فلمّا أطلَّ على الحيّ تركتْه واقفاً ، وانصرفتْ إلى منزل بَعلِهـا الأوّل ، فمكثت طويلاً ، فلم ترجع إليه ، فعَرف ما صنعت وأنّها اختدَعتْه فانصرف وقال : [من الطويل]

جزى الله عنّـا جَمرةَ ابنة نوفَلٍ   جــزاء مُغِــلٍّ بالأمانــةِ كاذبِ[2]
لهان عليها أمسِ موقــفُ راكبٍ   إلى جانب السَّرْحات أخيبِ خائبِ
وقــد سألتْ عنّي الوشاة ليَكذِبوا   عــليَّ وقــد أبليتها في النوائبِ[3]
وصدَّت كأنَّ الشمسَ تحتَ قِناعها   بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ

وقال فيها أيضاً : [من المتقارب]

كلّ خليــلٍ عليــه الرعا   ثُ والحُبَلاتُ كَذوبٌ مَلِقْ[4]

الحبَلات : واحدتها حَبَلة ، وهي جنس من الحلي قَدرُ ثَمر الطَّلْح .

وقامــتْ إليَّ فأحلفتُهــا   بهَـدْيٍ قلائــده تختفقْ[5]
بأن لا أخونَكَ فيما علمت   فإن الخيانَــةَ شرُّ الخُلقْ

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها .

---

1 فركته : أبغضته .
2 مغل : خائن .
3 أبليتها : أحسنت إليها .
4 الرعاث : مفردها رعثة .
5 تختفق : تتحرّك وتضطرب .

[يشبه حاتماً في شعره]

أخبرني اليزيديّ ، عن محمد بن حبيب قال : كان أبو عمرو يُشبِّه شِعْر النمر بِشعرِ حاتم الطائيّ .

[أفتى الشعراء]

أخبرني الحُسين بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا مُصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : بلغني أنّ صالحَ بنَ حسان قال يوماً لجلسائه : أيُّ الشعراء أفتى ؟ قالوا : عمر بن أبي ربيعة ، وقالوا : جميل ، وأكثروا القول ، فقال : أفتاهم النمر بن تولَب حين يقول : [من الطويل]

أهيمُ بدَعد ما حييتُ وإن أمُتْ ... فواحزنا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعدي !

[جمرة توصيه بولده منها]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زُهير ، عن محمد بن سلام قال : حجَّ النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بمِنًى ، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه ، فعرفته ، فبعثت إليه بالسلام ، وسألته عن خبره ، ووصَّتْه خيراً بولده منها فقال : [من الطويل]

فحُيِّيتِ عن شَحطٍ بخيرٍ حَديثنا ... ولا يأمـنُ الأيّـامَ إلاّ المُضَلَّلُ

يودُّ الفتى طولَ السلامة والغِنى ... فكيف يرى طولَ السَّلامة يفعلُ !

[شعره بين يدي الرسول]

أخبرني ابنُ المرزُبان قال : حدَّثنا أبو محمد اليزيديّ ، عن الأصمعيّ . وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال : لما وفد النمر بن تولب على النبيّ ﷺ أنشده : [من الرجز]

يـا قـوم إنّي رجل عندي خَبَرْ ... لله مـن آياتـه هـذا القَمَـرْ

والشمسُ والشعرى وآياتٌ أُخَرْ ... من يتسامَ بالهدى فالخبثُ شَرّْ[1]

إنّـا أتينـاك وقـد طال السفَرْ ... نَقودُ خَيـلاً رُجُعـاً فيها ضَرَرْ[2]

نُطعِمُها اللحـمَ إذا عـزَّ الشَّجَرْ

قال اليزيديّ ، عن ابن حبيب خاصة ، قال الأصمعيّ : أطعمها اللحم : أسقيها اللبن ، والعرب تقول : اللبن أحد اللحميْنِ . وقال ابن حبيب : قال ابن الأعرابيّ : كانت العرب إذا لم تجد العَلَف دقّتِ اللحمَ اليابسَ ، فأطعَمَتْه الخيل .

1 الشعرى : نجم في السماء وهما شعريان : الكبير والغميصاء ، ويعدونهما أختي سهيل .

2 رجعاً : كليلة .

[يتسلّى عن جمرة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، وأخبرنا ابنُ المرزُبان قال : أخبرني عيسى بنُ يونس قال : حدَّثني محمد بن الفضل قال : حدَّثنا الهيثمُ بن عديّ ، عن ابن عبَّاس قال : لمّا فارق النمر بن تولب ، امرأتَه الأسديّة جزع عليها ، حتى خيفَ على عَقلِه ومكث أيّاماً لا يَطعمُ ، ولا ينام ، فلمّا رأت عشيرَتُه منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونَه ، ويصبّرونه ، وقالوا : إن في نساء العرب مندوحةً ومتَّسَعاً ، وذكروا له امرأة من فَخذه الأَدنَين يقال لها دَعْد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جَمْرةَ وفيها يقول : [من الطويل]

أُهِيمُ بدَعد ما حيِيتُ فإن أَمُتْ أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَن يَهيمُ بها بَعدِي

والنّاسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب وهو خطأ .

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه . وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ ، عن ابن قتيبة ، عن عبد الرحمن ، عن عمِّه ، عن حماد بن ربيعة أنّه قال : أظرف النّاس النَّمر بن تولَب حيث يقولُ : [من الطويل]

أُهيمُ بدعـد مـا حييتُ فإن أَمت أُوكِّلْ بدعـد مَنْ يهيم بها بعدي

[يرثي جمرة]

أخبرني ابن المرزُبان قال : أخبرني عبد الله بن محمد قال : أخبرني محمدُ بنُ سلاّم قال : لمّا بلغ النَّمرَ بنَ تَولَب أن امرأته جَمرة تُوفِّيت ، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزام أو حَرام ، فقال : [من الوافر]

أَلَـم تَـرَ أَنَّ جمرةَ جاء مِنها بيانُ الحقِّ إنْ صدقَ الكلامُ
نَعاهـا بالنـديِّ لنا حِـزامٌ حَديث مـا تحدثُ يـا حَرامُ
فـلا تبعَد وقد بعِدَتْ وأُجرى على جَـدَثٍ تضمَّنَها الغَمامُ

قال الأصمعيّ : يقال بَعِد وأبْعَد .

[يهذي في كبره]

أخبرني أَبو الحَسَن الأسديّ قال : حدَّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أَبي عمرو ، وأخبرني بـه هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، أبي عمرو قـال : أدركَ النَّمرُ بن تولب النبيّ ﷺ ، فأسلم وَحسن إسلامه ، وعُمِّـر ، فطال عمره ، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وَهَّاباً لمالِه ، فلمّا كبر

خَرِف وأُهتِر[1] ، فكان هِجِّيراه[2] : اصبَحوا الرَّاكبَ ، اغبقوا الرَّاكب اقرُوا ، انحروا للضيف ، أعطوا السائل ، تحملوا لهذا في حِمالته كذا وَكذا ، لعادته بذلك ، فلم يزل يَهذي بهذا وشبههِ مدّة خَرَفة حتى ماتَ .

[خرق أفضل من خرف]

قال : وخَرِفتْ إمرأةٌ مِنْ حَيّ كرام عظيم خطرُهم وخطرُها فيهم ، فكان هِجِّيراها : زَوِّجوني ، قولوا لزوْجي يدخل ، مهِّدوا لي إلى جانِب زوجي ، فقال عمرُ بن الخطاب ، وَقد بلغه خبرُها : ما لهِجَ به أخو عُكل النمِر بن تولب في خرَفه أفخرُ وأسْرى ، وأجملُ ممّا لَهِجتْ به صاحبتُكم . ثم ترحَّم عليه .

[يرثي أخاه]

أُخبرني ابن المرزُبان قال : حدَّثني أُبو بكر العامريُّ ، قال : حدَّثني عليّ بنُ المغيرة الأثرم ، عن أبي عبيدة قال : مات الحارث بن تولَب ، فرثاه النمر فقال : [من الطويل]

لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصيِّف ... يجودُ على حِسْي الغميم فيثرِبِ[3]
فـوالله مـا أُسقي البـلادَ لحبِّها ... ولكنّما أُسقيكَ حـار بن تولَبِ
تضمَّنْـتَ أُدواء العشيرة بينهـا ... وأنت على أعـواد نَعش مُقلَّبِ
كأن امرءاً في النّاس كنتَ ابنَ أمه ... على فَلَج من بطن دجلة مطنبِ[4]

[يتمثّل بأبياته]

قال حمّاد الراوية : كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثَّل به ، فمن ذلك قوله : [من الكامل]

لا تغضبنَّ على امرىءٍ في مالـه ... وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضَبِ
وإذا تصبك خصاصة فارجُ الغِنى ... وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ[5]

وقوله : [من المتقارب]

تلبَّسْ لدهـــركَ أثوابَـــه ... فلـــن يبتنـي النّاسُ مـا هُدِّما

1 أُهتر : فقد عقله من الكبر .
2 هجيراه : ديدنه وعادته .
3 صيف : مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع . الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .
4 فلج : نهر صغير .
5 وإذا في الشعر والشعراء 310/1 ومتى .

وأحبب حبيبك حبّاً رويدا فليس يعولُك أن تصْرِما
وَأبغِضْ بغيضَك بُغضاً روَيداً إذا أنت حاولتَ أن تحكما

وقاله : [من الطويل]

أعاذلُ إن يصبحْ صداي بقَفَرةٍ بعيدٍ نآني ناصري وقريبي
تَرَيْ أن ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه وأن الذي أفنيت كان نَصيبي

[يعفى صديقه من الدية ويتحمّلها]

نسخت من كتاب بخطّ السّكريّ أبي سَعيد قال : محمدُ بن حبيب : كان للنَّمرِ بن تولَب صديق فأتاه النمرُ في ناس من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها ، فلمّا رآهم ، وسألوه تبسَّم ، فقال النمر : [من الوافر]

تبسم ضاحكاً لما رآني وأصحابي لدى عُنَنِ التُّمامِ

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ، ونفساً تأمرني ألاّ أفعل ، فقال النمر : [من البسيط]

أمّا خليلي فإنّي غيرُ معجِله حتى يؤامرَ نفسيْه كما زَعما
نفسٌ له من نفوسِ النّاس صالحةٌ تعطى الجزيلَ ونفس ترضع الغَنَما

ثم قال النَّمرُ لأصحابه : لا تسألوا أحداً ، فالديةُ كلُّها عليَّ .

[قصة سيف كالذي وصف النمر]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال : حدَّثنا أبي قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبد الله بن حسن بن عليّ قال : جاءَ أعرابيّ إلى أبي ، وهو مستتر بسُوَيقة[1] قبل مخرجه ، ومعه سيف قد علاه الصَّدأ ، فقال : يا ابن رسول الله ، إنّي كنت ببطن قُدَيد[2] ، أرعى إبلي وفيها فحل قَطِم[3] ، قد كنتُ ضربتُه ، فحقد عليَّ وأنا لا أدري ، فخلا بي فشدَّ عليّ يريدُني ، وأنا أُحْضِر ، ودنا منّي حتى أن لغامه ليسقط على رأسي لقربه منّي . فأنا أشتدُّ ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلّي أرى شيئاً أذبّه عنّي به ، إذ وقعتْ عيني عَلى هذا السيف قد فَحصَ عنه السيل ، فظننته عوداً بالياً ، فضربتُ بيدي إليه ، فأخذته فإذا سيفٌ ، فذبَبْت به البعيرَ عنّي ذبّاً ، والله ما أردتُ به الذي بلغتُ منه ، فأصبتُ خيشومَه

1 سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب .
2 قديد : موضع قرب مكّة .
3 القطم : الصَّؤول .

فرميت بفَقْمِه[1] ، فعلمتُ أنّه سيف جيّد ، وظننتُه من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُديد[2] ، وها هوذا قد أهديتُه لك يا ابن رسولِ الله قال : فأخذه منه أبي ، وسُرَّ به . وجلس الأعرابيّ يُحادثه ، فبينا هو كذلك إذ أقبلت غنمٌ لأبي ثلاثمائة شاةٍ فيها رِعاؤها ، فقال له : أبي : يا أعرابيُّ هذه الغنم والرُّعاة لك مكافأةً لك عن هذا السيف ، قال : ثم أُرسل به إلى المدينة ، أو أُرسل إلى قَيْن[3] فأُتي به من المدينة ، فأمر به فحُلِّيَ ، فخرجَ أكرَم سيوفِ الناس ، فأمر فاتُّخِذ له جَفن ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد . فلمّا كان اليوم الذي قُتِل فيه ، قاتل بغيرِ ذلك السيف ، قال : وبقيَ ذلك السيف عند أختي فاطمة بنت محمد . فزرتها يوماً وهي بينبُع في جماعة من أهل بيتي ، وكانت عند ابن عمّها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلامُ ، فخرجتْ إلينا ، وكانت بَرْزة[4] تجلس لأهلها كما يجلس الرجال ، وتحدِّثهم ، فجلست تحدِّثُنا ، وأمرت مولًى لها ، فنحرَ لنا جزوراً[5] ليهيىء لنا طعاماً .

فنظرت إليها ، والجَزورُ في النخل باركة ، وقد بردت وهي تُسلَخُ ، فقالت : إنّي لا أرى في هذه الجزور ، مضرِباً حسَناً . ثم دعتْ بالسيْف ، وقالت : يا حسنُ ، فدتك أُختُك ، هذا سيف أبيك ، فخذه واجْمَع يديك في قائمه ، ثم اضرب به أثناءها من خلفها ، تريدُ عراقيبها ، وقد أثبتُّها للبُروك ، وهي أربعة أعظم ، قال : فأخذتُ السيفَ ثم مضيتُ نحوها ، فضربت عراقيبَها فقطعتُها ، والله ، أربَعتَها وسبقني السيف ، فدخل في الأرض ، فأشفقْتُ عليه أن ينكسِرْ إن اجتذبته فحفرتُ عنهُ ، حتى استخرجتُه ، قال : فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب : [من البسيط]

أبقى الحوادثُ والأيّامُ من نَمرٍ　　أسباد سيفٍ كريم أثرُه بادي[6]
تظلّ تحفِر عنه الأرضَ مُدفعاً　　بعد الذراعين والقَيدين والهادِي[7]

ويروى : تظلُّ تحفر عنه إن ظفرتَ به

1 الفقم : اللحي وطرف الخطم .
2 وقعة قديد : وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة .
3 القين : الحداد والصيقل .
4 برزة : متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة .
5 جزور : بعير أو ناقة تجزر .
6 أسباد : مفرده سبد وهو البقية .
7 في شعر النمر بن تولب 53 : إن ضربت به . الهادي : العنق وجمعه هواد .

[يشكو المشيب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ ، عن أبي عُبيدة قال : قيل للنمِر بن تولَب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

أُصبحت لا يَحملُ بعضي بعضاً أَشكو العروقَ الآبضات أبضا[1]
كما تَشَكّى الأرحَبيُّ الغَرْضا كأنّما كان شبابي قرضاً[2]

[من توسلاته]

أخبرني هاشِم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال : حدَّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أنشدني حمّاد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدِّه : [من الوافر]

أَعِذْني ربّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفسٍ أعالجُها علاجا
ومن حاجات نفسٍ فاعصِمنّي فإن لمضْمرات النفسِ حاجا
فأنت وليُّها وبرئتُ مِنها إليك فما قضيتَ فلا خِلاجا[3]

[عود إلى فتوته]

ثم قال : كان النمر أفتى خلقِ الله ، فقلت : وما كانت فتوّته ؟ قال : أوليس فتًى من يقول : [من الطويل]

أهيمُ بدَعد ما حييتُ فإن أمتْ فواحزَنا مَن ذا يهيم بها بَعْدي

صوت

[من الطويل]

أيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا
وخُطَّا بأطراف الأسِنَّةِ مضجَعي ورُدَّا علَى عَيْنيَّ فضلَ رِدائيا
ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما من الأرض ذات العَرض أن تُوسِعا لِيا
لعمري لئن غالتْ خراسانَ هامتي لقد كنتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائيا[4]

---

1 الآبضات : الشادات . وفي شعر النمر بن تولب 70 : النابيات .
2 الأرحبيّ : كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب .
3 خلاجاً : نزاعاً وشكاً .
4 هامتي : رأسي .

فيـا ليتَ شِعري هــل أبيتَنَّ ليلــةً بجنبِ الغضا أُزْجي القِلاصَ النواجِيا[1]

الشعر لمالك بن الريب ، والغناء لمعبد ممّا لا يشكُّ فيه من غنائه ، خفيف ثقيل أوّل بالوُسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى ، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخِنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ ، وفيه لإبراهيم رَمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأوّل والثالث من الأبياتِ ، ولإبراهيم ثقيل أوّل في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ ، وقيل : إنّ الرَّمَل المنسوب إليه لنبيه .

1 النواجي : جمع ناجية أي سريعة .

[491] ـ أخبار مالك بن الريب ونسبه[1]

[نسبه]

هو مالك بن الريب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

[لص قاطع طريق]

وكان شاعراً فاتكاً لصّاً ، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شُعراء الإسلام في أوّل أيّام بني أُميّة .

[الوالي يريد استصلاحه]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأَخفش قال : أَخبرنا أَبو سعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وعن هشام ابن الكلبيّ وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصَّاص وحَمَّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً ممّا حكاه الآخرون قالوا : استعمل معاوية بن أبي سُفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفّان عَلى خراسان ، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس ، فلقيَه بها مالك بن الريب المازنيّ ، وكان من أجمل النّاس وجهاً ، وأُحسنهم ثياباً فلمّا رآه سعيد أعجبه ، وقال له : ما لكَ ، ويحَكَ تُفسد نفسَك بقطع الطريق ! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العَبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعوني إليه العَجْز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيتُك واستصحبتك ، أتكفُّ عمّا كنتَ تفعل ؟ قال : إي والله أيّها الأمير ، أكفُّ كفّاً لم يكفَّ أحدٌ أحسنَ منه ، قال : فاستصحبه ، وأُجرى له خمسمائة دِرهم في كلّ شهر .

[داود بن الحكم يتعقبه وأصحابه]

قالوا : وكان السبب الذي من أُجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنّه كان يقطع الطريق هو وأصحابٌ له ، منهم شِظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حرْدَبة ، أحد بني أُثالة بن مازن ، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز : [من الرجز]

اللهُ نجــاكَ مــن القصيم وَبطنِ فَلْج وبنــي تميمِ

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 353/1 ، والخزانة 1 : 317–321 وشواهد المغني 215–216 واللآلي 8 : 41–419 وذيله 64 .

ومن أبي حردبة الأثيم ومالكٍ وسيفه المسمومِ
ومن شِظاظ الأحمرِ الزَّنيم ومن غويث فاتح العُكومِ[1]

فساموا[2] الناسَ شرّاً ، وطلبهم مروانُ بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهرَبوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه .

[يتوعد من يتوعده]

وبلغ مالكَ بنَ الريب أنّ الحارث بن حاطب يتوعّده فقال : [من الوافر]

تألّى حِلفةً في غير جُرْمٍ أميري حارث شِبهُ الصّرارِ[3]
عليّ لأجْلدَنْ في غيرِ جُرم ولا أُدنى فينفعني اعتذاري
وقلتُ وقد ضممتُ إليَّ جأشي تحلَّلْ لا تألَّ عليَّ حارِ
فإنّي سوف يكفينيكَ عَزمي ونصٌّ العيسِ بالبلدِ القفارِ[4]
وعنسٌ ذات معجمة أمونٌ علنداة موثَّقَة الفَقارِ[5]
تَزيف إذا تواهقتِ المطايا كما زاف المشرِّف للخِطارِ[6]
وإن ضربتْ بلَحييها وعامت تفصَّم عنهما حلقُ السِّفارِ[7]
مِراحاً غير ما ضغْنٍ ولكنْ لَجاجا حين تشتبهُ الصحاري
إذا ما استقبلتْ جَوْنا بَهيما تفرَّج عن مخيَّسة حِضارِ[8]
إذا ما حال روض رُباب دوني وَتَثليثٍ فشأنُكَ بالبكارِي[9]

---

1 الزنيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه . العكوم : جمع عكم وهو الحمل .
2 ل : فسعروا .
3 الصرار : ما يشدّ فوق خلف الناقة من خيط .
4 نص العيس : إجهادي النوق على السير الشديد وفي ل : ونصّي .
5 العنس : الناقة الصلبة القوية . ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير . أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال . علنداة : ضخمة شديدة طويلة .
6 تزيف : تسرع في تمايل . تواهقت : تبارت وتنافست .
7 تفصم : تكسر من غير انفصال . السفار : حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .
8 مخيسة : مذللة منقادة . حضار : جمعت قوة وجودة سير .
9 رباب : أرض بين ديار بني عامر والحارث بن كعب . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكّة .

وأنيــابٌ سيُخلفُهــنّ سَيفي ... وشدّاتُ الكميِّ عَلى التِّجارِ[1]
فإن أسطَعْ أُرِحْ منــه أُناسي ... بضربــة فاتــك غيرِ اعتذارِ
وإن يُفلتْ فإنّي سوفَ أبغــي ... بنيــهِ بالمدينـــة أو صِرارِ[2]
ألا مــن مبلغٌ مــروانَ عنّي ... فإنّي ليسَ دهــري بالفِرارِ
ولا جـــزِع من الحدَثانِ يوماً ... ولكنّــي أرود لكـــم وبارِ

وبار : أرض لم يطأ أحد ثراها .

بهزمــار تــرادُ العِيس فيها ... إذا أشفقنَ من قَلَق الصِّفارِ[3]
وهنَّ يحشْن بالأعناق حَوْشا ... كأن عظامهــنَّ قِـداحُ بارِ[4]
كأنَّ الرحْـل أسأرَ من قَراها ... هــلالَ عشيّة بعـد السِّرارِ[5]
رأيتُ وقد أتى بُحْرانُ دُوني ... لليــلى بالغُميِّم ضــوء نارِ[6]
إذا ما قلتُ : قد خمدَتْ زَهاها ... عُصيٌّ الرند والعصْف السواري[7]
يُشَبُّ وقودهــا ويلوحُ وَهْنا ... كما لاح الشَّبوب من الصِّوارِ[8]
كأن النَّارَ إذْ شُبتْ لليــلى ... أضاءتْ جيدَ مُغزلــة نَوارِ[9]
وتصطادُ القلوبَ على مطاهــا ... بلا جَعْـد القرون ولا قِصارِ[10]
وتبسم عن نقيّ اللون عَذْب ... كما شِيفَ الأقاحــي بالقطارِ[11]
أتجزعُ أن عرفــتَ ببطن قَوٍّ ... وصحراء الأدَيهم رسمَ دارِ[12]

---

1 أنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة .
2 صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .
3 بهزمار في ل : بموماة . الصّفار : تلتصق بالضلوع فتعضّها عند الجوع .
4 يحشن : يرمين .
5 أسأر : أبقى . والقرا : الظهر . السرار : آخر الشهر .
6 الغميم : ماء لبني سعد .
7 الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور . العصف : جمع عصوف وهي الريح الشديدة .
8 الشبوب : الشاب من البقر . الصوار ، كغراب : القطيع من البقر .
9 مغزلة : ذات غزال . نوار : نفور .
10 القرون الجعدة : القصيرة ، والقرون : الضفائر . قصار : اسم من قصر .
11 شيف : جليّ ، ومنه درهم مشوف مجلو .
12 بطن قو : واد بين البصرة والمدينة .

وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم مرابع بين دحْــلَ إلى سَرَارِ[1]
إذا حلُّــوا بعائجــةٍ خــلاءٍ يُقطِّفُ نـوْرَ حَنْوتِها العذاري[2]

[يقتل حارسه ويخلص صديقه]

فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه ، وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاريّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم ، وأمر غلاماً له ، فجعلَ يسوق مالكاً . فتغفَّلَ مالكٌ غلامَ الأنصاريّ ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدَّ على الأنصاريّ ، فضربه بالسيفِ حتّى قتله ، وجعل يقتل مَن كان معه يميناً وشمالاً .

ثم لحق بأبي حرْدبة ، فتخلّصه ، وركِبا إبلَ الأنصاريّ ، وخرجا فراراً من ذلك هاربين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمعَ إليهما أصحابُهما ، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ ، فلم يزل بفارس ، حتى قدِم عليه سعيد بن عثمان ، فاستصحبه .

[شعره في مهربه]

فقال مالك في مهربه ذلك : [من الطويل]

أحقّـاً على السلطان أمّا الذي لَهُ فيُعطِي وأمّا مـا يـرادُ فيمنعُ
إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينَهُ وأعرضَ سهبٌ بين يبرين بلقَعُ[3]
من الأُدمى لا يستجمُّ بها القَطا تكــلُّ الريـاحُ دونَـه فتقطَّعُ[4]
فشأنكم يـــا آل مَروانَ فاطلبُوا سِقاطي فما فيــه لباغيه مَطمعُ[5]
وَمــا أنــا كالعير المقيــم لأهلِه على القَيْد في بُحبوحة الضَّيم يَرتعُ
ولــولا رسولُ اللهِ أن كان منكمُ تبيَّن مَن بالنَّصف يَرضى ويقنعُ

وقال أيضاً : [من البسيط]

لو كنتمُ تنكرونَ الغدرَ قلت لكم يا آل مروانَ جاري منكم الحكمُ
وَاتَّقيكــم يمـينُ الله ضاحيــةً عند الشهودِ وَقد توفي بـه الذممُ

---

1 مرابع : موضع قريب من حزن بني يربوع . سرار : واد .
2 الحنوة : نبت طيّب الريح .
3 يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الأحساء .
4 الأدمى : موضع ببلاد سعد .
5 سقاطي : عثاري وسقوطي .

لا كنتُ أحدث سوْءا في إمارتكم وَلا الذي فات منّي قبل ينتقمُ
نحنُ الذين إذا خفتُم مجلّلةً قلتم لنا : إنّنا منكم لتَعتصِمُوا[1]
حتى إذا انفرجَتْ عنكم دجُنّتُها صرتم كجَرَمٍ فلا إلٌّ وَلا رَحِمُ

وقال مالكٌ حين قَتل غلام الأنصاريّ الذي كان يقودُه : [من الطويل]

غلامٌ يقول السيف يُثقل عاتقي إذا قادني وَسْطَ الرجال المجَحْدلُ[2]
فلولا ذُبابُ السيفِ ظلَّ يقودُني بنِسعتِه شثْنُ البنان حَزنْبلُ[3]

[أراد اغتيال مالك فاغتاله]

قالوا : وبَينا مالك بن الريب ذاتَ ليلة في بعض هناته وهو نائم ، وَكان لا ينام إلاّ متوشّحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جَثم عليه لا يدري ما هو ، فانتَفضَ به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك : [من البسيط]

أدلجتُ في مهمهٍ ما إن أرى أحداً حتى إذا حان تعريسٌ لمَن نَزلا
وضعتُ جنبي وقلتُ : الله يكلؤني مهما تنم عنكَ من عينٍ فما غَفلا[4]
والسيفُ بيني وبين الثوب مُشعِرَه أخشى الحوادث إنّي لم أكن وَكِلا[5]
مـا نمـتُ إلاّ قليلاً نمتُه شئِزاً حتى وجدتُ على جُثمانيَ الثّقلا[6]
داهية من دواهي الليلِ بيّتني مُجاهداً يبتغي نفسي وما ختَلا
أهويتُ نفحاً لـه والليل ساترُه إلاّ توخيتُه والجرس فانخزَلا[7]
لمّا ثنى اللهُ عنّي شرَّ عَدْوته رقدت لا مُثْبَتاً ذُعْراً ولا بَعِلا[8]
أما ترى الدّار قَفراً لا أنيسَ بها إلاّ الوحوشَ وأمسى أهلُها احتمَلا

---

1 مجللة : نازلة عامة .
2 جحدل فلاناً : صرعه .
3 النسعة : قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال . شثن : غليظ . حزنبل : قصير وثيق الخلق .
4 عين في ل : ليلٍ .
5 مشعره : جاعله شعاري .
6 شئزاً : قلقاً .
7 نفحاً : ضرباً . انخزل : انقطع .
8 بعلاً : دهشاً فرقاً .

بين المُنيفةِ حيث استنَّ مَدفعُها ... وبين فردةَ من وحشيِّها قبلا[1]
وقد تقولُ وما تخفى لجارتها ... إنِّي أُرى مالكَ بنَ الريب قد نَحَلا
من يشهد الحربَ يصلاها ويسعرُها ... تراه ممّا كسته شاحباً وجِلا
خذها فإنِّي لضرَّاب إذا اختلفت ... أيدي الرِّجال بضرب يختِلُ البطَلا[2]

وقال مالك في ذلك أيضاً : [من الكامل]

يا غاسلاً تحتَ الظلام مطيّةً ... متخايِلاً لا بلْ وغير مخايلِ
أنَّى أُنِخْتُ لشابكٍ أنيابَه ... مستأنس بدُجى الظلام مُنازلِ[3]
لا يستريع عظيمةً يُرمى بها ... حصَّاءَ تحسر عن عظام الكاهلِ
حرباء تنصّبه وبيت هواجر ... عاري الأشاجع كالحسام الناصِلِ[4]
لم يدرِ ما غرفُ القُصور وفيؤها ... طاوٍ بنخل سوادِها المتمايلِ
يقظ الفؤادِ إذا القلوب تآنست ... جزعاً ونُبِّهَ كلُّ أروع باسلِ
حيث الدُّجى متطلِّعاً لغفوله ... كالذئب في غلَس الظلام الخاتِلِ
فوجدته ثَبْتَ الجنان مُشيَّعا ... ركَّابَ مَنسِج كلِّ أمر هائلِ[5]
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ... ذا رَونق يغشى الضريبة فاصلِ[6]
فركبتَ رَدعك بين ثنيي فائزٍ ... يعلو به أثر الدّماء وشائلِ[7]

[رجل حرب لا سائس إبل]

قال : وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجدوه ، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غِلمان سعيد : أُدْنِ منِّي فلانة ، لناقة كانت لسَعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبسَّ[8] بها حتى

---

1 المنيفة : ماء لتميم على فلج بين نجد واليمامة . استنّ : وضح . مدفعها : مسيلها ومجراها . فردة : جبل في ديار طيىء . قبلاً : عياناً .
2 يختل البطلا : أي ينزع أعلى البيضة .
3 شابك : الأسد المشتبك الأنياب .
4 عاري الأشاجع : رؤوس الأصابع ، جمع أشجع .
5 مشيعاً : شجاعاً .
6 العقيقة : البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسّيف .
7 الردع في الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خرّ لوجهه على دمه . فائز : المراد به السيف .
8 أبس : مسح ضرعها .

درَّت ، ثم حَلَبها ، فإذا أحسن حلب حلبه النّاس وأغزره دِرَّة ، فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي ، فتكونَ فيها ، وأُجزلَ لك الرزقَ إلى ما أرزقُك ، وأضع عنك الغَزْو ؟ فقال مالك في ذلك : [من الطويل]

إنّي لأستحيي الفوارسَ أن أُرى بأرض العدا بوَّ المخاضِ الروائمِ[1]
وإنّي لأستحيي إذا الحربُ شَمَّرَتْ أن ارْخِيَ دون الحرب ثوبَ المُسالمِ
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا المتّقي في السلمِ جَرَّ الجرائمِ
ولا المتأنّي في العواقب للذي أهمُّ به من فاتكاتِ العزائمِ
ولكنني مستوحدُ العزم مِقدَمٌ على غمرات الحادث المتفاقمِ
قليلُ اختلاف الرأْي في الحربِ باسلٌ جميعُ الفؤاد عند حلِّ العظائمِ

فلمّا سمع ذلك منه سعيدُ بنُ عثمان ، علِم أنّه ليس بصاحب إبل ، وأنّه صاحب حرب ، فانطلق به معه .

[مالك والذئب]

قالوا : وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مغازاته إذ بيَّته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد ، فلم يبرح ، فوثب إليه بالسيف ، فضربه ، فقتله ، وقال مالك في ذلك : [من الطويل]

أذئبَ الغضا قد صرتَ للنّاس ضُحكة تُغادى بك الركبانُ شرقاً إلى غربِ
فأنتَ وإن كنتَ الجريءَ جنانُه مُنيتَ بضِرغام من الأُسُد الغُلْبِ
بمَن لا ينامُ الليلَ إلاّ وسيفُه رهينةُ أقوام سِراعٍ إلى الشَّغْبِ
ألَم ترني يا ذئبُ إذ جئتَ طارقاً تخاتِلُني أنّي امرؤ وافرُ اللُّبِّ
زجرتكَ مرّاتٍ فلمّا غلبتَني ولم تنزجرْ نهنهتُ غربَك بالضربِ[2]
فصرت لَقًى لمّا علاكَ ابنُ حرَّة بأبيض قطّاع يُنَجّي من الكَرْبِ
ألا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنتَ شاهداً لهالك كرّي عند مَعمعمة الحربِ
ولستَ ترى إلاّ كَمِيًّا مجدَّلاً يداه جميعاً تَثبتانِ من التُّربِ
وآخر يهوِي طائرَ القلبِ هارباً وكنتُ امرءاً في الهَيْجِ مجتمعَ القلبِ

---

1 الروائم : جمع رائم ورائمة : عطوف على ولدها .
2 نهنهت : كفكفت .

أصولُ بذي الزرِّين أمشي عِرضْنةً إلى الموتِ والأقرانُ كالإبلِ الجُربِ[1]
أُرى المـوتَ لا أنحاشُ عنـه تكرّما ولو شئتُ لم أركَب على المركَب الصعبِ
ولكـن أبتْ نفسي وكانت أبيَّـةً تَقاعَسُ أو ينصاعَ قـومٌ من الرعبِ

[ابنته تخشى فراقاً لا لقاء بعده]

قال أبو عبيدة : لمّا خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بثوبه ، وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطولَ سفرُكَ أو يحول الموتُ بيننا فلا نلتقي ، فبكى وأنشأ يقول : [من الخفيف]

ولقـد قُلْتُ لابنتي وهـي تبكـي بدخيـلِ الهُمـوم قلبـاً كئيبا
وهي تُذري من الدّموع على الخدّيـ ـن مـن لوعـة الفراقِ غُرُوبا
عَبَرات يكِدن يجرحْن مـا جُزْ ن بـه أو يدعْـنَ فيـه نُدوبا
حـذرَ الحتفِ أن يصيب أباهـا ويلاقـي في غير أهـلٍ شَعوبا[2]
اسكُتي قـد حزَزتِ بالدَّمعِ قلبي طالمـا حـزَّ دمعُكـنَّ القلوبا
فعسى اللهُ أن يدافـع عنّـي ريبَ مـا تحذريـن حتى أءُوبا
ليس شيءٌ يشاؤه ذُو المعـالي بعزيـزٍ عليـه فادْعـي المُجيبا
ودَعـي أن تُقَطِّعـي الآن قَلبي أو تُرينـي في رحلتـي تَعذيبا
أنـا في قبضـةِ الإلـه كَنْـ ـتُ بعيداً أو كنتُ منـكِ قَريبا
كم رأينـا امـرءاً أتى مـن بعيدٍ ومقيمـاً على الفـراشِ أُصيبا
فدعينـي مـن انتحابِـكِ إنّي لا أُبـالي إذا اعتزمـتُ النَّحيبا
حسبيَ اللهُ ثـم قرّبـتْ لِلسَّـ ـيْرِ عـلاةً أنجِبْ بهـا مَركُوبا[3]

[خروجه من أجل ضرطة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان سببُ خروج مالك بن الريب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان ، هَرباً من ضرطَةٍ ، فسألته كيف كان ذلك ؟ قال : مرَّ مالك بليلى الأخيليّة ، فجلس إليها يحادثُها طويلاً ، وأنشدَها . فأقبلت

1 الزرين : الحدين . عرضنة : أي أمشي بقوّة .
2 شعوب : علم على المنية .
3 علاة : ناقة مُشرفة .

عليه ، وأُعجبتْ به حتى طَمِع في وصلها ، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها ، كأنّه نصلُ سَيف ، فجلس إليها ؛ فأعرضتْ عن مالك وتهاونَتْ به ، حتى كأنّه عندها عُصفور ، وأقبلت على صاحبها مليّاً من نَهارها ، فغاظهُ ذلكَ من فعلها ، وأقبل على الرجل ، فقال : مَن أنتَ ؟ فقال : توبةُ بن الحُمَيِّر ، فقال : هل لك في المصارعةَ ؟ قال : وما دعاكَ إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا ؟ قال : لا بدَّ منه ، فظنَّ أنّ ذلك لخوفِه منه ، فزداد لَجاجاً ، فقام توبةُ فصارعه ، فلمّا سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة ، فضحكت ليلى منه . واستحيا مالك ، فاكتتب بخُراسان وقال : لا أُقيم في بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثتْ عنّي بهذا الحديثِ ، فلم يزل بخُراسان حتى مات ، فقبره هناك معروف[1] .

[يتذاكر مع أصحابه ماضيهم]

وقال المدائنيّ ، وحدَّثني أبو الهيثم : قال : اجتمع مالكُ بن الريب وأبو حَردبة وشِظاظ يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سَرِقتنا ، فقال أبو حَردبة : أعجب ما صنعت ، وأعجَبُ ما سرقت أني صحبتُ رُفقةً فيها رجل على رَحْل ، فأعجبني ، فقلت لصاحبي ، والله لأسرقنَّ رَحْلَه ، ثم لا رضيتُ أو آخذَ عليه جُعالة ، فرَمقْته ، حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بخِطام جَمله ، فقدته ، وعَدَلْتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيّرتُه في مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث ، أنخت البعيرَ وصرعته ، فأوثقت يدَه ورجلَه ، وقدتُ الجمل ، فغيّبتُه ثم رجعت إلى الرُّفقة ، وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يسترجعون ، فقلتُ : ما لكمُ ؟ فقالوا : صاحبٌ لنا فقدناه ، فقلتُ : أنا أعلم النّاسِ بأثره ، فجعلوا لي جُعالة ، فخرجت بهم أتبع الأثرَ ، حتى وقفوا عليه ، فقالوا : ما لك ؟ قال : لا أُدري ، نَعست ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ، فقاتلتهم ، فغَلَبُوني .

قال أبو حَردبة ؛ فجعلت أضحَكُ من كذبه ، وأعطوني جُعالَتي ، وذهبوا بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت أنّه مرَّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل ، وهو على الناقة ، فقلت : لآخذنَّهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خَفَق برأسه ، فدرت ، فأخذتُ الجملَ ، فحللتُه ، وسقته ، فغيبتُه في القَصيم ، وهو الموضع الذي كانوا يسرِقون فيه ، ثم انتبه ، فالتفت ، فلم يَرَ جملَه ، فنزل وعقَلَ راحلته ، ومضى في طلب الجمل . ودُرْت فحللت عِقال ناقته ، وسقتُها .

فقالوا لأبي حَردَبة : ويحك ! فحتّام تكون هكذا ! قال : اسكتوا ، فكأنّكم بي وقد تبت ، واشتريتُ فرساً ، وخرجتُ مجاهداً ، فبينا أنا واقف إذ جاءَني سهمٌ كأنّه قطعة

---

1 يُروى هذا الخبر فيما سبق مع رجل آخر .

رِشاء ، فوقع في نحري ، فمتُّ شهيداً . قال : فكان كذلك : تابَ ، وقدِم البصرةَ ، فاشترى فرساً ، وغزا الرّوم ، فأصابه سهم في نحره فاستُشهد .

ثم قالوا لشِظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ في لصوصيّتك ، ورأيت فيها ، فقال : نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عمّ ذاتُ مال كثير ، وهو وليُّها ، وكانت له نِسوة ، فأبت أن تتزوَّجَه ، فحلف ألاّ يزوِّجَها من أحد ضراراً لها ، وكان يخطبُها رجل غنيّ من أهل البصرة ، فَحرِصَت عليه ، وأبى الآخر أن يزوِّجَها منه ، ثم إنَّ وليّ الأمر حجَّ ، حتى إذا كان بالدوّ[1] ، على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سَنام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرتْ ، أو وردتْ ، مات الوليّ ، فدُفِن برابية ، وشُيِّد على قبره ، فتزوّجت الرجلَ الذي كان يخطبها . قال شِظاظ :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزّ ومتاع ، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتُهم حتى نزلوا ، فلمّا ناموا بيَّتُّهم ، وأخذتُ من متاعهم . ثم إنّ القوم أخذُوني ، وضربوني ضرباً شديداً ، وجرَّدوني ، قال : وذلك في ليلة قَرَّة ، وسلبوني كلَّ قليل وكثير ، فتركوني عُرياناً ، وتماوتُّ لهم ، وارتحل القومُ ، فقلت : كيفَ أصنعُ ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه ، فنزعتُ لوحَه ، ثم احتفرتُ فيه سَرَبا ، فدخلت فيه ، ثم سددتُ عليّ باللوح ، وقلت : لعلّي الآنَ أدفأ فأتبعَهم . قال : ومرَّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرُّفقة ، فمرَّ بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظرَ هل يحمي الآن بُضْعَ فلانة ؟ قال شِظاظ : فعرفت صوتَه فقلعتُ اللوحَ ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القَبر ، وقلت : بلى وربِّ الكعبة لأحمينَّها ، فوقع والله على وَجهه مَغشيّاً عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل . فسقط من يده خِطام الراحلة ، فأخذْت وعهد الله بخطامها فجلستُ عليها ، وعليها كلُّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من النّاس ، فنجوتُ بها ، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أنّ الميّت الذي كان منعَه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسَلَبِه وكَفنه . فبقي يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجَبون منه فعاقلُهم يكذّبه ، والأحمقُ منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصَّةَ ، فأضحَكُ منهم كالمتعجّب .

[مغامرة أخرى لشظاظ]

قالوا : فزدنا ، قال : فأنا أزيدكم أعجَبَ من هذا وأحمقَ من هذا ؛ إنّي لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أَسْرِقه ، قال : فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، قال : وكان هناك شجرةٌ ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظِلٌّ غيرَها ، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له ، فقلت له : أتسمعُ ؟

1 الدوّ : أرض ملساء بين مكّة والبصرة .

قال : نعم ، قلتُ : إنّ المقيل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابّ فيه ، فاحذره ، فلم يلتفت إلى قولي . قال : ورمقتُه ، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره ، فاستقتُه ، حتى إذا برزْت به ، قطعتُ طَرَف ذَنَبه وأُذنيه ، وأخذتُ الحمارَ ، فخبأتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه ، فقام بطلب الحمارَ ، ويقفو أثرَه ، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طَرَف ذَنَبه وأُذنيه ، فقال : لعمري لقد حُذِّرتُ لو نفعني الحذر ، وأستمرّ هارباً خوف أن يُخسَف به ، فأخذتُ جميع ما بقيَ من رحله فحملتُه على الحمار ، واستمرّ فألحق بأهلي .

[الحجاج يصلب شظاظاً]

قال أبو الهيثم : ثم صلب الحجّاجُ رجلاً من الشُّراة بالبصرة ، وراح عشيّاً ، لينظر إليه ، فإذا برجل بإزائه مُقبِل بوجهه عليه ، فدنا منه ، فسمعه يقول للمصلوب : طال ما ركبتَ فأعقِبْ ، فقال الحجّاج : مَن هذا ؟ قالوا : هذا شِظاظٌ اللِّصّ قال : لا جرَمَ ! والله ليُعقِبَنَّك ، ثم وقف ، وأمر بالمصلوب ، فأنزِل وصَلَبَ شِظاظاً مكانَه .

[مات مالك حتف أنفه]

قال ابنُ الأعرابيّ : مَرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه ؛ فلمّا أشرف على الموت تخلَّف معه مُرّةُ الكاتب ورجل آخرُ من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما : [من الطويل]

أيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموتُ فانزلا برابية إنِّـي مقيـمٌ لياليـا

ومات في منزله ذلك ، فدفناه ، وقبرُه هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسَه .

قال أبو عبيدة : الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ، ولَّدهُ الناس عليه .

صوت

[من الطويل]

فما بيضةٌ بـات الظليمُ يَحفُّها ويرفـعُ عنهـا جُؤجُؤا مُتجافيا
بأحسنَ منها يوم قالتْ : أظاعنٌ مع الرَّكب أم ثاوٍ لدينا لياليا ؟[1]
وهبَّتْ شمالٌ آخـر الليـل قَرّةٌ ولا ثـوب إلاّ بُرْدُهـا وردائيا[2]

1 أظاعن في الديوان : أراحل .

2 الشطر الأول في الديوان : وهبت لنا ريح الشّمال بقرة .

رما زال بُردى طيِّباً مـــن ثيابِها إلى الحولِ حتى أنهَجَ الثوبُ باليا[1]

الشعر لعبد بني الحَسحاس ، والغناء لابن سُريج في الأوّل والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفي الثالث والرابع لُمخارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق في :

أماويَّ إن المـــال غادٍ ورائحُ

وكادَه بذلك ليقال إنّ لحنه أخذه منه ، وألقاه على عجوز عُمير ، فألقته على النّاس ، حتى بلغ الرشيدَ خبره ، ثم كشفه فعلِم حقيقته ؛ ومَن لا يعلم بنسبه إلى غيره ، وقد ذكر حَبْش أنّه لإبراهيم ، وذكر غيره أنّه لابن المكّيّ .

وقد شرحتُ هذا الخبر في أخبار إسحاق .

1 أنهج : خلق وبلي . الثوب في الديوان : البرد .

[492] ـ أخبار عبد بني الحسحاس

[نسبه]

اسمه سُحَيم ، وكان عبداً أسودَ نوبيّاً أعجميّاً مطبوعاً في الشعر ، فاشتراه بنو الحَسحاس ، وهم بطن من بني أسد ، قال أبو عبيدة : الحَسحاسُ بن نُفاثة بن سَعيد بن عمرو بن مالك بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

قال أبو عبيدة ، فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن أبي حاتم عنه : كان عبدُ بني الحَسحاس عبداً أسودَ أعجميّاً ، فكان إذا أنشد الشعر ، استحسنه أم استحسنَه غيرُه منه ، يقول : أهشَنْتُ والله ، يريد أحسنتُ والله ، وأدرك النبيّ ﷺ ، ويقال : إنّه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة .

[يستشهد الرسول ببيت له]

أخبرني محمد بن خَلف بن المرزُبان قال حدَّثنا أحمد بن منصور قال حدَّثنا الحسنُ بن موسى قال حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن الحسن أنّ النبيّ ﷺ تمثّل :

كفـى بـالإسلام والشيبِ ناهيـا

فقال أبو بكر : يا رسولَ الله : [من الطويل]

كفـى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فجعلَ لا يطيقُه ، فقال أبو بكر : أشهد أنّك رسولُ الله ﴿وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾ .

قال محمد بن خلف وحدَّثني أحمدُ بن شداد عن أبي سلمة التّبوذكي عن حمّاد بن سلمة ، عن رجل ، عن الحسن مثله ، وروي عن أبي بكر الهذليّ أنّ اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة .

[كان أسود الوجه]

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال : كان عبدُ بني الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشي ، وفي سواده يقول : [من الطويل]

وما ضَرَّ أثوابي سوادِي وإنَّني ... لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقُهْ

كُسيتُ قَميصاً ذا سواد وتحتَه ... قميصٌ من القُوهيّ بيض بنائقُهْ[1]

ويروى : وتحته قميص من الإحسان .

---

1 القوهيّ : منسوب إلى قوهستان ، ويطلق القوهي على الثوب الأبيض . البنائق : جمع بنيقة أي ما يحيط بالعنق من الثوب .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة قال : أنشدني مُصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ لعبد بني الحسحاس ، وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ، قال : [من البسيط]

أشعارُ عبد بني الحسحاس قُمْنَ له عند الفخارِ مَقام الأصلِ والورِقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرّةٌ كَرَماً أو أسودَ اللونِ إنّي أبيضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم : حدَّثني السَّرِيُّ بنُ صالح بن أبي مِسهِر قال : أخبرني بعضُ الأعراب ، أن أوّل ما تكلّم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنّهم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول : [من الرجز]

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه كالحَبَشيّ حولَه بناتُه

فقالوا : شاعرٌ والله ، ثم انطلق[1] بالشعر بعد ذلك .

[بيت له يستحسنه عمر]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطّاب قوله : [من الطويل]

عُميرة ودّع إن تجهَّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر : لو قلتَ شعرَك كلّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه .

[لا حاجة لعثمان به]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : حدّثني خالي يوسف بن الماجِشون قال : كان عبد الله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفّان على الجند ، فكتب إلى عثمانَ : إنّي قد اشتريتُ غلاماً حَبشيّاً يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : «لا حاجة لي إليه ، فاردده ، فإنّما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه ، إن شَبعَ أن يتشبَّب[2] بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوَهم» ، فردَّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

وروى إبراهيم بن المنذرِ الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجِشون قال : كان عبدُ الله بن أبي ربيعة ، مثل ما رواه الزُّبير ، إلاّ أنّه قال فيه : إن جاع هَرَّ ، وإن شَبع فَرَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَر قولَه : [من الطويل]

1 ل : نطق .

2 ل : ينسب .

تُوسِّدُني كفّـاً وتَثني بمِعْصَمٍ ... عليَّ وتحوي رِجلَها من ورائيا

فقال عمر : ويلكَ إنَّك مقتول .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال : حدَّثني أحمد بن القاسم قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ ، عن ابن أبي عائشة قال : أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله : [من الطويل]

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً

فقال له عمر : لو قدَّمتَ الإسلام على الشيب لأجزتك .

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا معاذُ بن معاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف ، أنّ عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله .

[كان قبيح الوجه]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد قال : حدَّثنا عبد الرحمن ، ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان عبد بني الحسحاس قَبِيحَ الوجه ، وفي قبحه يقول : [من الطويل]

أتيتُ نساء الحارثيِّين غُدوةً ... بوجهٍ بَراه اللهُ غيرَ جَميلِ
فشبَّهْنَني كلباً ولستُ بِفوقِه ... ولا دونه إن كان غيرَ قليلِ

[كان يشبب بنساء مواليه]

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، قال : أُتي عثمانُ بن عفّان بعبد بني الحسحاس ليشتريَه فأعجب به فقالوا : إنّه شاعر وأرادوا أن يرغّبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي به ؛ إذ الشاعرُ لا حريم له ، إن شبع تشبَّب[1] بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيرُه ، فلمّا رحل قال في طريقه : [من الطويل]

أشوقاً ولَمّاً تمضِ لي غيرُ ليلة ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا شَهْرا ؟
وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعَني ... بشيء ولو أمست أناملُه صِفرا
أخوكم ومولى مالِكم وحليفُكم ... ومن قد ثَوى فيكم وعاشرَكُم دَهْرا

فلمّا بلغهم شعرُه هذا رَثوا له ، فاستردّوه .

1 ل : نسب .

فكان يشببُ بنسائهم ، حتى قال : [من الكامل]

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضِكم عرَقٌ على متن الفِراش وطِيبُ[1]

قال : فقتلوه .

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجِشون بمثلِ هذه الرواية وزاد فيها : فلمّا استردّوه نَشِب يقولُ الشعر في نسائهم ، فأخبرني مَن رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبِّب بأخت مولاه وكانت عَليلَة ، ويقول : [من المنسرح]

مـاذا يريـدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جَمـال لوجهـه تَبَـعُ
ما يَرْتجي خاب من محاسِنها أمـا لَـهُ في القِبـاح مُتَّسَعُ
غيَّر مـن لونهـا وصفرهـا فارتـدَّ فيـه الجمال والبِدَعُ
لو كان يبغي الفداءَ قلتُ له : ها أنـا دونَ الحبيبِ يا وجعُ

أخبرني محمد بنِ خَلَف قال : حدَّثنا أبو بكر العامريّ ، عن عليّ بن المغيرة الأُثْرَم قال : قال أبو عبيدة : الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبدِ بني الحسحاس أنّه جالسَ نِسوةً من بني صُبَيْر بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشِدّة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحَيم : [من الطويل]

كأن الصُّبيريّاتِ يـومَ لقينَنا ظباءٌ حنَت أعناقهنَّ في المكانِسِ
فكم قد شقَقْنا من رداء مُنَيَّر ومن برقع عن ناظرٍ غيرِ ناعسِ
إذا شُقَّ بردٌ شُقَّ بالبرد بُرقُعٌ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ[2]

فيقال : إنّه لما قال هذا الشعرَ اتّهمه مولاه ، فجلس له في مكان كان إذا رَعى نام فيه ، فلمّا اضطجع تنفَّس الصُّعداءِ ، ثم قال : [من السريع]

يا ذِكرةً ما لكَ في الحاضرِ تذكُرُها وأنتَ في الصادرِ
من كلّ بيضاءَ لهـا كعثبٌ مثلُ سنام البكـرة المائرِ

قال : فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً ، وقال له : ما لَكَ ؟ فلجلَج في منطقه ، فاستراب به ، فأجمعَ على قتله ، فلمّا وردَ الماءَ خرجت إليه صاحبتُه ، فحادثتْه ، وأخبرتْه بما

---

1 الشطر الأول في الديوان : فلقد تحدّر من جبين فتاتكم . متن في الديوان : على ظهر .

2 على ذاك في الديوان : دواليك .

يرادُ به ، فقام ينفض ثوبَه ويُعفي أثره ، ويلقُط رضاً[1] من مَسَكِها[2] كان كَسرَها في لِعبِه معها ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

أتُكتَم حييتُم على النأي تُكتَما ... تحيةَ مَن أمسى بحبِّكِ مُغرَما
وما تُكتَمين إن أتيتِ دَنِيَّةً ... ولا إن ركبنا يا ابنةَ القوم مَحْرَما
ومثلِكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمِّها ... إلى مجلسٍ تجرُّ بُرداً مسَّهما

الغناء للغريض ثقيل أوّل بالوسطى وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيل ، قال : [من الطويل]

وماشيةٍ مَشْيَ القطاة اتَّبعتُها ... من السترِ تخشى أهلَها أن تَكلَّما
فقالتْ : صهٍ يا ويحَ غيرك إنّني ... سمعت حديثاً بينهم يَقطُر الدَّما
فنفضتُ ثوبيها ونَظَّرت حولها ... ولم أخشَ هذا الليلَ أن يتصرَّما
أُعفّي بآثار الثياب مبيتَها ... وألقط رضّاً من وقوف تحطَّما[3]

قال : وغدوا به ليقتلوه ، فلمّا رأته امرأة كانت بينها وبينه مودَّةٌ ثم فسدت ، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال : [من الطويل]

فإن تضحكي منّي فيا رُبَّ ليلةٍ ... تركتُكِ فيها كالقَباء المفرَّجِ

فلمّا قدّم ليقتل قال : [من الكامل]

شُدُّوا وثاقَ العبد لا يُفْلِتْكُم ... إن الحياةَ من المماتِ قريبُ
فلقد تحدَّر من جبين فَتاتِكم ... عَرَقٌ على مَتْنِ الفراش وَطِيبُ

[يحرق في أخدود]

قال : وقُدِّم فقُتِل . وذكر ابن دَأْب أنّه حُفِر له أُخدود ، وأُلقيَ فيه ، وأُلقيَ عليه الحطَبُ فأُحرِق .

[أصابهن كلهن إلاّ واحدة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهرَ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال : كان عبدُ بني الحسحاس يسمَّى حيَّة ، وكان لسيِّده بنتٌ

1 رضا : كسراً .
2 مسكها : من سوارها أو خلخالها .
3 وقوف : جمع وقف أي ، سوار من ذبل أو عاج .

بِكر ، فأعجبها ، فأمرته أن يتمارضَ ، ففعل وعصب رأسه . فقالت للشيخ : أسرِحْ أيّها الرجُل إبلكَ ، ولا تَكِلْها إلى العبد ، فكان فيها أيّاماً ، ثم قال له : كيف تجدُك ؟ قال : صالحاً ، قال : فَرُحْ في إبلك العشيّة ، فراح فيها ، فقالت الجاريةُ لأبيها : ما أحسبُك إلاّ قد ضيَّعتَ إبلك العشيّةَ ، أن وَكلْتها إلى حيّة ، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقياً في ظلّ شجرةٍ ، وهو يقول :

يا رُبَّ شجوٍ لك في الحاضر   تذْكُرهـا وأنـتَ في الصادرِ
مـن كلِّ حمـراءَ جُماليَّـةٍ   طيِّبـةِ القـادم والآخـرِ[1]

فقال الشيخ : إنّ لهذا[2] لشأناً ، وانصرف ، ولم يُرِه وجهَه . وأتى أهل الماء ، وقال لهم : تعَلَّموا والله أنّ هذا العبدَ قد فضحنا ، وأخبرهم الخبر ، وأنشدهم ما قال ، فقالوا : اقتله ، فنحنُ طوعُك ، فلمّا جاءهم وثبوا عليه ، فقالوا له : قلتَ وفعلتَ ، فقال : دعوني إلى غد حتى أُعْذِرَها[3] عند أهل الماء ، فقالوا : إنّ هذا صواب فتركوه ، فلمّا كان الغد اجتمعوا فنادى : يا أهل الماء ، ما فيكم امرأةٌ إلاّ قد أصبتُها إلاّ فلانةَ فإنّي على موعد منها ؛ فأخذوه فقتلوه .

وممّا يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس ، وقال : إنّ من النّاس مَن يرويها لغيره : [من الطويل]

تجمَّعْنَ من شتَّى ثلاثاً وأربعاً   وواحـدةً حتـى كَمَلْنَ ثَمانيا
وأَقبلن من أقصى الخيام يَعُدنَني   بقيَّة مـا أَبقـينَ نَصلاً يمانيا
يعُدْن مريضاً هنَّ قد هِجن داءَهُ   أَلا إنّمـا بعضُ العوائـدِ دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأوّل ، والذي ابتداؤه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنان .

والذي أوّله : «وأَقبلن من أقصى الخيام» . ذكر الهشاميّ أنّه لإسحاق وليس يشبه صَنعتَه ولا أُدري لِمَن هو ؟

[مخارق يكيد لإسحاق]

أَخبرني جحظة عن ابن حمدون أنّ مخارقاً عملَ لحْناً في هذا الشعر : [من الطويل]

وَهبَّتْ شمالاً آخرَ الليل قَـرَّةً   ولا ثـوبَ إلاّ بردُها ورِدائيا

1 جمالية : جميلة .
2 لهذا في ل : لهذين .
3 أعذرها : أثبت لها عذراً .

على عمل صنعة إسحاق في :

أماويَّ إن المـال غاد ورائح

ليكيد به إسحاق ، وأَلقاه على عجوز عُمَير الباذ عيسى ، وقال لها : إذا سئلتِ عنه فقولي : أخذتُه من عجوزٍ مدنية ، ودار الصوت حتى غنّيَ به الخليفة ، فقال لإسحاق : ويلك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنّيه كلّه ، فحلف لـه بكلّ يمين يرضاه أنّه لم يفعَلْ وتضمَّن له كشفَ القصّة ، ثم أقبل على مَنْ غنّاهم الصوتَ فقال : عمّن أخذتَه ؟ فقال : عن فلان ، فلقيه ، فسأله عمّن أخذه فَعَرفه ، ولم يزل يكشف عن القصّة ، حتى انتهت من كلّ وجه إلى عَجوز عمير ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أخذتُه عن عجوز مدنية ، فدخل إسحاق على عُمَير ، فحلف له بالطلاق والعِتاق وكلِّ مُحرِجٍ من الأَيْمان ألاّ يكلمَه أبداً ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يصْدقَه عن حال هذا الصوت وقصّتِه ، فصدَقه عُمير عن القصّة ، فحدَّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق ، فلم يمكن مُخارقاً دفعُ ذلك ، وخجل خجلاً بان فيه ، وبطل ما أراده بإسحاق .

صوت

[من الطويل]

ثلاثـةُ أَبيـات فبيتٌ أُحبُّـه وبيتان ليسا من هوايَ ولا شَكلي
ألا أيّهـا البيتُ الذي حيلَ دونَه بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

الشعر لجميل ، والغناء لإسحاق ماخوريّ بالبِنصر من جامع أغانيه ، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعُلّويه ولم أَجِد طريقته .

[493] ـ متمم العبدي والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المراديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدَّثني متمم العبديّ قال : خرجت من مكّة زائراً لقبر النبيّ ﷺ ، فإنّي لَبِسُوق الجُحْفَةِ[1] إذا جُوَيريّة تسوقُ بعيراً ، وتترنّم بصوت مليح طيِّب حُلْو في هذا الشعر : [من الطويل]

ألا أيّـها البيتُ الذي حِيل دونـه   بنا أنت من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ
بنـا أنت من بيت وحولك لَذَّةٌ   وظِلُّكَ لو يُسْطاعُ بالبارد السهلِ
ثلاثـةُ أبيـات فبيتٌ أُحِبُّـه   وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي

فقلت : لَمَن هذا الشعر يا جُويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكُوَّة الموقّاةَ بالكِلَّة الحمراء ؟ قلت : أراها ، قالت : من هناكَ نهض هذا الشعرُ ، قلت : أو قائلهُ في الأحياء ؟ قالت : هيهات ، لو أنَّ لميّت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورقّةُ ألفاظِها ، فقلت لها : أَلَكِ أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرَهما وأجلَّهما ، ولي أمٌّ ، قلت : وأين أمُّكِ ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع ، قال : فإذا امرأة تبيعُ الخَرَزَ على ظهر الطريق بالجُحْفَة ، فأتيتُها ، فقلتُ : يا أمَّتاه ، استمعي منّي ، فقالتْ لها : يا أمَّهْ ، فاستَمعي من عمّي ما يلقيه إليكِ ، فقالتْ : حيّاكِ الله ، هيه ، هل من جائية خبر[2] ؟ قلتُ : أهذه ابنتُك ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلتُ : أفتزوِّجينها ؟ قالت : أَلِعلَّةٍ رغبتَ فيها ؟ فما هي والله مَنْ عندها جمالٌ ، ولا لَها مـال ، قلتُ : لحلاوة لسانِها وحُسن عقلِها ، فقالت : أيُّنا أملَكُ بها ؟ أنا أمْ هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها ، قالت : فإيّاها فخاطِبْ ، فقلتُ : لعلّها أن تستحيَ من الجواب في مثل هذا ، فقالت : ما ذاكَ عندها ، أنا أخبر بها ، فقلتُ : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أُمُّكِ ؟ قالت : قد سمعت ، قلت : فما عندكِ ؟ قالت : أَوَليس حسبك أنْ قلت : إنّي أستحيي من الجواب في مثل هذا ، فإن كنتُ أستحيي في شيء فلِمَ أفعلُه ؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطكَ ، لا واللهِ لا يشُدُّ عليّ رجل حِواءه وأنا أجدُ مَذْقَةَ[3] لبن أو بقلةً ألين

---

1 الجحفة : قرية كانت على طريق المدينة من مكّة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام .

2 مثل : ويروى : هل من مغربة خبر . ورد في مجمع الأمثال 404/2 ، والمستقصى 390/2 ، والأمثال لمجهول 119 .

3 مذقة : لبن مخلوط بالماء .

بها مِعاي ، قال : فورد والله عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوّجكِ والإذنُ فيه إليكِ ، وأعطي اللهَ عهداً أنّي لا أقربكِ أبداً إلاّ عن إرادتِك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتزوّجتها ، وحملتها وأُمَّها معي إلى العراق ، وأقامت معي نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضممتُ عليها حِواي قطُّ ، وكانت قد عَلِقتْ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربّما ترنَّمت بها ، فأشتهيها ، فقلت : دَعيني من أغانيكِ هذه فإنّها تبعثني على الدُّنُوِّ منك . قال : فما سمعتها رافِعةً صوتها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقَتِ الدُّنيا ، وإن أُمّها عندي حتى الساعة ، فقلت : ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

صوت

[من الخفيف]

أيّها النــاسُ إن رأيـي يُرينـي ـ وهــو الرأيُ ـ طوفَةً في البلادِ
بالعــوالي وبالقنابــل تَــرْدي بالبطاريــق مِشيَــةَ العُــوَّادِ[1]
وبجيش عرمـــرَمٍ عربـــيٍّ جَحْفل يستجيبُ صوتَ المنادي
مــن تميــم وخندِفٍ وإيــاد والبهالِيــلِ حِمْيَــرٍ ومُـــرادِ
فإذا سرتُ سارت النّــاسُ خَلفي ومَعــي كالجبــالِ في كلِّ وادِ
سَقّني ثــم سقِّ حميرَ قومــي كأسَ خمــرٍ أُولي النُّهى والعِمادِ

الشعر لحسَّان بن تُبَّع ، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

1 تردي : تُسْرِع . البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل .

[494] ـ أخبار حسان بن تبع

[يطوف الأرض كلّها]

أخبرني بخبر حسّان الذي من أجله قال هذا الشعر عليّ بن سليمان الأخفش عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ. وعن أبي عبيدة وأبي عمرو، وابن الكلبيّ وغيرهم، قال: كان حسّانُ بن تُبَّع أحوَل أعسَر[1]، بعيدَ الهمّة شديدَ البطش، فدخل إليه يوماً وجوهُ قومه، وهم الأقيالُ مِنْ حِمير، فلمّا أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم: [من الخفيف]

أيّها النـاسُ إن رأيي يُريني ... وهْـوَ الرأي طوفةً في البلادِ
بالعـوالي وبالقنابـل تَـرْدي ... بالبطاريـقِ مِشيـةَ العُـوّادِ

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً، ثم قال لهم: استعدّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلمّا كان بعد ثلاثة خرج، وتبعه الناسُ، حتى وطىء أرض العَجم، وقال: لأبلغنَّ من البلاد حيث لم يبلُغ أحدٌ من التبابعة، فجال بهم في أرض خُراسان، ثم مضى إلى المغرِب، حتى بلغ رُومية[2]، وخلف عليها ابنَ عمّ له، وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطىء الفُراتِ، قالت وجوهُ حِمير: مالنا نُفني أعمارَنا مع هذا! نطوفُ في الأرضِ كلّها، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادِنا وعيالنا وأموالنا! فلا ندري من نُخلْفُ عليهم بعدَنا!

فكلّموا أخاه عَمْراً، وقالوا له: كلّم أخاكَ في الرجوع إلى بلده، ومُلكه. قال: هو أعسرُ من ذلك وأنكر، فقالوا: فاقتلْه، ونملّكُك علينا، فأنت أحقُّ بالملك من أخيك، وأنت أعقل وأحسنُ نظراً لقومك، فقال: أخاف ألاّ تفعلوا، وأكونُ قد قتلتُ أخي، وخَرج الملك عن يدي، فواثقوه، حتى ثَلِج[3] إلى قولهم، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلاّ ذا رُعيْن، فإنّه خالفهم، وقال: ليس هذا برأيي، يذهب المُلْك من حِمير. فشجّعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رعين: إن قتلتَه باد ملكُك.

فلمّا رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومةٍ، فقال: يا عمرو: إنّي مستودِعكَ هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حَريز، وكتب فيه: [من الوافر]

---

1 أعسر: يعمل بيده اليسرى.
2 رومية: مدينة بالمدائن بنيت وسميت بأحد الملوك.
3 ثلج إلى قولهم: استراح.

أَلا مَــنْ يشتري سهراً بنومٍ سعيد مَــنْ يبيتُ قَريـرَ عَينِ
فإن تكُ حِميرٌ غَدَرَتْ وخانتْ فمعذرةُ الإلــهِ لــذي رُعيْنِ

[قتله أخوه فامتنع منه النوم]

ثم إنّ عَمْراً أتى حسَّانَ أخاه وهو نائم على فراشِه ، فقتله ، واستولى على مُلكه . فلم يبارَكْ فيه ، وسلَّط الله عليه السهر ، وامتنع منه النومُ ، فسأل الأطباء والكهَّان والعُيّاف ، فقال له كاهن منهم : إنّه ما قتل أخاه رجل قطُّ إلاّ مُنِع نومَه ، فقال عمرو : هؤلاء رؤساء حِمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ، ولم ينظروا إليَّ ولا لأخي .

فجعل يقتل مَن أَشار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ، حتى خَلَص إلى ذي رُعين وأيقنَ بالشرّ ، فقال له ذو رعين : ألم تعلم أنّي أعلمتك ما في قتله ، ونهيتك وبيّنت هذا ؟ قال : وفيمَ هو ؟ قال : في الكتاب الذي استودعتُك .

فدَعا بالكتاب ، فلم يجدْه ، فقال ذو رعين : ذهـب دمـي على أخْذِي بالحزم ، فصرت كمَن أشار بالخطأ ، ثم سأل الملك أن يُنعم في طلبه ، ففعل ، فأُتِـيَ به فقرأه ، فإذا فيه البيتان ، فلمّا قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم ، قال : إنّي خشيت ما رأيتك صنعتَ بأصحابي .

[ذو شناتر وذو نواس]

قال : وتشتَّت أَمرُ حِمير حِينَ قُتِل أَشرافُها ، واختلفت عليه ، حتى وثب على عمرو لَخنيعةُ يَنوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، فقتله ، واستولى على ملكه ، وكان يقال له ذو شَناتر[1] الحميريّ ، وكان فاسقاً يعمـل عمـل قـوم لوط ، وكان يبعثُ إلى أولاد الملوك فيلوط بهم ، وكانت حِمير إذا ليطَ بالغلام لم تملّكه ، ولم ترتفع به ، وَكانت له مَشرَبة[2] ، يكون فيها يشرف على حرسه ، فإذا أُتِيَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فيه السواكُ ، فيقْطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها ، فإذا خـرجَ صيح بـه : أرطْبٌ أَم يباس[3] ؟ فمكث بذلك زماناً .

حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس ، وكانت له ذُؤابة ، وبها سمِّي ذا نُواس ، وهو الذي تهوَّد ، وتسمى يوسف ، وهو صاحب الأخدود بنَجران ، وَكانوا نصارى ، فحرقهم ، وحرقَ الإنجيلَ ، وهدَّم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن ، لأنـّهم نَصارى ، فلمّا غلبوا على اليمن اعترضَ البحرَ ، واقتحَمه على فرس فغَرِق .

1 شناتر : أصابع بلغة حمير .
2 مشربة : عزفة مرتفعة .
3 يباس : يابس أو يبيس .

فلمّا نشأ ذو نواس قيل له : كأنّك وَقد فُعِل بكَ كذا وكذا ، فأخذ سِكِّيناً لطيفاً خفيفاً وسمَّه ، وجعل له غلافاً ، فلمّا دَعا به لخنيعة جعله بين أخمصه ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال لها : سرابٌ ، فأناخها ، وصَعِد إليه ، فلمّا قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعة ، فأخذ السكين فوَجأ بها بطنَه ، فقتله ، واحتزّ رأسه ، فجعل السواك في فيه ، وأطلعه من الكُوّة ، فرفع الحرسُ رؤوسهم ، فرأوه ، ونزل زُرعةُ ، فصاحوا : زُرعةُ يا ذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس استُ ذي نُواس ، رَطب أم يباس ؟ وجاءَ إلى ناقته ، فركبَها ، فلمّا رأى الحرس اطّلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قتل . فأتوا زُرعة ، فقالوا : ما ينبغي أن يملِكنا غيرُك بعد أن أرحْتنا من هذا الفاسق ، واجتمعتْ حميرٌ إليه ، ثم كان مِنْ قصتّه ما ذكرناه آنفاً .

صوت

[من البسيط]

يا ربـةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ضُمِّي إليكِ رحالَ القوم والقُرُبا[1]
في ليلـة مِنْ جُمادى ذاتِ أنديةٍ لا يُبصر الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا[2]
لا ينبحُ الكلبُ فيها غَير واحدةٍ حتى يَلُـفَّ على خيشومه الذَّنبا

الشعر لمُرَّة بنَ محكان السَّعديّ ، والغناء لابن سُريج ، رَمَل بالوسطى ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو ، وذكر حَبَش أنّ فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوُسطى ، والله أعلم .

1 القُرُب : جمع قراب وهو غمد السيف .
2 الطنب : الحبل الطويل يشد به السّرادق وجمعه أطناب .

[495] ـ أخبار مرّة بن محكان

[نسبه]

هُو مُرَّة بن مَحكان ولم يقع إلينا باقي نسبه ، أَحدُ بني سعد بن زيد مناة بن تَميم . شاعر مُقِلّ إسلاميّ من شُعراء الدولة الأمويّة ، وكان في عصر جرير والفرزدق ، فأَخملا ذكره ، لنباهتهما في الشعر .

[ينحر مائة بعير]

وكان مُرَّة شريفاً جواداً وهو أَحد من حُبِس في المناحَرةِ والإطعام . أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز ، عن المدائنيّ ، قال : كان مُرَّة بن مَحكان سخيّاً ، وكان أبو البكراء يوائمهُ في الشرف ، وهما جميعاً من بني الرُّبيع ، فأنهب مُرَّةُ بنُ محكان مالَهُ الناسَ ، فحبسَه عبيد الله بن زياد ، فقال في ذلك الأُبيرِد الرّياحيّ : [من الطويل]

حبستَ كريماً أَن يجودَ بماله سعى في ثأي من قومهِ متفاقمِ
كأنَّ دماءَ القوم إذ عَلقوا به على مكفَهِرٍّ من ثَنايا المخارمِ
فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في النَّدى فعاقب هداك اللهُ أعظُمَ حاتمِ

قال : فأطلقه عُبيد الله بن زياد ، فذبحَ أبو البكراءَ مائة شاة ، فنَحَرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير ، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مُرّة : [من الوافر]

شرى مائةً فأنهبها جواداً وأَنتَ تناهب الحذَف القِهادا

الحذف : صغار الغنم . والقهاد : البيض .

أَخبرني أحمدُ بنُ محمد الأسديّ أبو الحسن ، قال : حدَّثنا الرياشيّ قال : سئل أَبو عبيدة عن معنى قول مُرّة بن مَحكان :

ضمِّي إليك رحالَ القوم والقُرُبا

ما الفائدة في هذا ؟ فقال : كان الضيفُ إذا نزل بالعرب في الجاهليّة ضموا إليهم رَحلَه ، وبقي سِلاحُه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته : ضمِّي إليكِ رحال هؤلاء الضّيفان وسلاحَهم ، فإنّهم عندي في عزّ وأَمْن من الغارات والبَيات ، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابساً سلاحه .

[مصعب بن الزبير يقتله]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة ، عن يونس ، قال : كان الحارث بن أَبي ربيعة على البصرة أَيّام ابن الزُّبير ، فخاصم إليه رجلٌ

من بني تميم ، يقال له مُرّة بن مَحكان ، رجلاً ، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّة بنُ مَحكان يقول : [من الطويل]

أحــارِ تثبّــتْ في القَضاء فإنّـه ... إذا ما إمامٌ جار في الحكم أقصَدا[1]

وإنّكَ موقوف على الحكم فاحتفظْ ... ومهما تصبْه اليومَ تُدرِكْ به غدا

فإنّيَ مِمَّا أُدرِكُ الأَمـرَ بالأنـى ... وأَقطـع في رأس الأَميـر المُهنَّدا[2]

فلمّا وُلِّيَ مُصعبُ بنُ الزُّبير دعاه ، فأنشده الأبياتَ ، فقال : أَما والله لأقطعنّ السيف في رأسك قبل أن تقطعَه في رأسي ، وأمر به فحُبِس ، ثم دسَّ إليه من قتله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد عن أبيه ، عن ابن جامع ، عن يونس قال : جاءَ رجل من قريش إلى الغَريض فقال له : بأبي أنتَ وأُمي إنِّي جئتُك قاصداً الطائف أسألك عن صوت تُغنِّيني إيّاه ، قال : وما هو ؟ قال : لحنك في هذا الشعر : [من الطويل]

تشرَّبَ لــونَ الرازقــيّ بياضُه ... أو الزعفرانَ خالط المسكَ رادعُهْ

فقال : لا سبيل إلى ذلك ، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه ، ولكنّي أغنيك في شِعر لِمُرَّة بنِ مَحكان ، وقد طرقـه ضيفٌ في ليلـة شاتِيةٌ ، فأنْزَلهم ، ونَحَر لهم ناقته ، ثم غنّاه قوله : [من البسيط]

يا رَبَّة البيت قومـي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمّي إليك رحالَ القَوْمِ والقُرُبا

فأطربه ، ثم قال له الغريض : هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج ، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر وَرويّه للحطيئة ، ثم غنّاه : [من البسيط]

ما نَقَمــوا مــن بغيضٍ لا أبا لهـمُ ... في بائس جــاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا

جاءَتْ به مـــن بلاد الطُّور تحملُه ... حصَّاءُ لم تتركْ دون العصا شَذَبا

فقام القرشيّ ، فقبَّلَ رأسه ، فقال له : فدتك نفسي وأهلي ، لو لم أقدُم مكّة لعمرة ولا لبِرّ وتقوى ، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلكَ قليلاً . ثم انصرف .

وحدَّثني بعض مشايخ الكتَّاب أنّه دخل على أبي العَنْبَس بن حَمدون يوماً ، فسأله أن يُقيم عنده فأقام ، وأتاهم أبو العَنْبَس بالطعام ، فأكلوا ، ثم قُدِّم الشراب فشَرِبوا ، وغنَّاهم أبو العَنبس يومئذٍ هذا الصوتَ : [من الطويل]

أَلا مُــتَّ لا أُعطيتَ صبراً وعزمةً ... غداة رأيــتَ الحـيَّ للبين غاديا

1 أقصد : قتل مكانه .

2 بالأنى : الحلم .

ولم تعتصرْ عينيك فَكهـةُ مازحٍ كأنّك قد أبدعتَ إذ ظلتْ باكيا

فأحسن ما شاء ، ثم ضرب ستارتَه وقال :

يـا ربّـةَ البيتِ غَنّي غير صاغرة

فاندفعت عِرفانُ ، فغنّت : [من البسيط]

يا ربّـةَ البيت قومي غيرَ صاغرة ضُمّي إليك رِحـال القوم والقُرُبا

قال : فما سمعت غناءً قطّ أحسن ممّا سمعتُه من غنائهما يومئذٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ألا متَّ لا أُعطِيتَ صبراً وعزمةً غـداة رأيـتَ الحيّ للبين غاديا

ولم تعتصر عينيك فَكهـةُ مازح كأنّك قد أبدعت إذ ظلتَ باكيا

فصيّرتَ دمعـاً أن بكيتَ تَلَدُّداً بـه لفـراقِ الألف كفوًا مُوازيا

لقد جلَّ قدر الدَّمع عندكَ أنْ ترى بكـاءك للبـين المُشتٌ مُساويا

الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناريّ عن إسحاق الموصليّ لأعرابيّ .

قال الديناريّ : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب ، وهو قائله وأظنّ هذا الشعر له ، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أوّل بالبنصر من كتابه .

صوت

[من الطويل]

فإن تـكُ من شيبانَ أُمّي فإنني لأَبيضَ من عجل عريض المَفارقِ

وكيف بذكرى أُمَّ هارون بعدما خبطنَ بأيديهـنَّ رمـلَ الشقائقِ

كأنّ نَقـاً مـن عالـج أُزّرَتْ به إذا الزُّلّ أُلهاهـنَّ شَدُّ المناطقِ

وإنّا لتَغـلي في الشِّتاء قُدُورُنا ونصبرُ تحتَ اللاّمعـاتِ الخوافِقِ

عروضه من الطويل والشعر للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه ، عن يونس وإسحاق ، وفيه لهشام بن المرِّيّة لحن من كتاب إبراهيم ، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش ، وقال حبش خاصة : فيه للهذليّ أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى .

[496] ـ أخبار العديل ونسبه

[نسبه]

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمى بن الحارث ، وهو العُكابة[1] ، بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلةَ بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

وقال أبو عبيدة : كان العُكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل ، فلقب باسم كلبه ، وغَلَب عليه . قال : وكان عِجل من مُحمّقي العرب ، قيل له : إن لكلّ فَرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابق جواد ، فسمِّه ، ففقأ إحدى عينيه وقال : قد سمّيته الأعور ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

رمتْني بَنــو عجــل بــداء أَبيهـمُ   وهل أَحدٌ في النّاسِ أَحمقُ من عجلِ ؟
أَليسَ أَبوهــمْ عــارَ عــينَ جواده   فصارتْ به الأَمثالُ تضرب بالجهلِ

[هو ودابغ]

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان له ثمانيةُ إخوة ، وأُمّهم جميعاً امرأة من بني شيبان ، ومنهم مَن كان شاعراً فارساً : أسود وسوادة وشَملة ، وقيل سلمة ، والحارث ، وكان يقال لأمّهم درماء .

وكان للعُديل وإخواته ابنُ عمّ يسمّى عَمْراً ، فتزوّج بنت عمّ لهم بغير أَمرهم ، فغضِبوا ورصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمّى دابغاً ، فوثب العُديلُ وإخوتُه ، فأخذوا سُيوفَهم ، فقالت أمّهم : إنّي أعوذ بالله من شرّكم ، فقال لها ابنها الأسود : وأيَّ شيءٍ تخافينَ علينا ؟ فوالله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحِنْوِ حِنو قُراقر[2] لما قاموا لنا فانطلقوا حتى لقوا عَمْراً ، فلمّا رآهم ذُعِر منهم وناشدهم ، فأبوا ، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْراً ضربة بالسيف ، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة : [من الوافر]

أَلا مَن يشتري رِجلاً برجْل   تأَبَّـى للقيـام فـلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : اضربْ وأنت حرّ ، فحمل دابغ ، فقتل منهم رجلاً ، وحمل عمرو ، فقتل آخر ، وتداولاهم ، فقتلا منهم أربعةً ، وضُرِب العُدَيل على رأسِه ، ثم تفرّقوا ، وهـربَ

1 ل : العباب .

2 قراقر : موضع ، معجم البلدان 4 : 317 .

دابغ ، حتى أتى الشام ، فداوى[1] ربضةُ بن النُّعمان الشيبانيّ للعُدَيل ضربتَه ، ومكث مدة . ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجّاً ، فقيل له إنّ دابغاً قد جاء حاجّاً ، وهو يرتحل ، فيأخذُ طريقَ الشام ، وقد اكترى ، فجعل العُدَيلُ عليه الرصدَ ، حتى إذا خرج دابغ ركِب العديلُ راحلتَه وهو متلثّم ، وانطلق يتبعه ، حتى لقيه خلفِ الرّكاب يحدو بشعر العُدَيل ويقول : [من الرجز]

يا دارَ سلمى أُقفرتْ من ذي قارْ وهــل بإقفــارِ الديارِ مــن عارْ
وقــد كسينَ عرَقــاً مثل القارْ يخرجْن من تحت خلال الأوبارْ

فلحقه العديل ، فحبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، ويسير رويداً ، ودابغ يمشي رُويداً ، وتقدّمت إبلُه فذهبت ، وإنّما يريدُ أن يباعده عنها بوادي حُنَين ، ثم قال له العديل : والله لقد استرخى حَقَبُ[2] رحلي ، أنزِلْ فأغيّر الرّحْلَ ، وتُعينُني . فنزل فغيَّر الرّحْلَ ، وجعل دابغٌ يُعينه ، حتى إذا شدَّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السيف ، فضربه حتى بَرَدَ ، ثم ركب راحلتَه فنجا ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ألَمْ تَرَني جلّلتُ بالسيفِ دابغاً وإن كان ثأراً لم يُصبه غليلي
بوادي حنينٍ ليلةَ البدر رعتُه بأبيض من ماء الحَديد صَقيلِ
وقلتُ لهم : هذا الطريقُ أمامَكم ولَم أكُ إذ صاروا لَهم بدَليلِ[3]

[جرثومة العنزي يعير العديل]

وقال أبو اليقطان : كان العُديلُ هجا جرثومة العَنَزيّ الجلاَّنيّ فقال فيه : [من االطويل]

أهاجي بني جِلاَّن إذ لم يكنْ لها حديثٌ ولا في الأولين قديمُ

فأجابه جرثومة فقال : [من الطويل]

وإنّ امرءاً يهجو الكرام ولم ينَل مــن الثــأرِ إلاّ دابغاً للئيمُ
أتطلُب في جِلاّنِ وتراً ترومُه وفاتــك بالأوتــارِ شَرُّ غريمِ[4]

[العديل يهرب من الحجّاج]

قالوا : واستعدى مولى دابغ على العُديل الحجّاجَ بن يوسُف ، وطالبه بالقَوَد فيه ، فهرب العُديلُ من الحجّاج إلى بلد الروم ، فلمّا صار إلى بلد الروم ، لجأ إلى قيصرٍ ، فأمّنه ، فقال في الحجّاج : [من الطويل]

أُخَــوَّفُ بالحّجاج حتَّــى كأنّما يُحرَّكُ عظــم في الفؤادِ مَهيضُ

---

1 ل : فودى .

2 الحقب : الحزام يلي حقو البعير .

3 أك في ل : آل .

4 في هذا البيت إقواء .

ودون يد الحجّاج من أن تنالَني | بِساط لأيدي الناعجاتِ عَريضُ[1]
مهامُــه أشبــاه كأن سَرابَهــا | مُلاءٌ بأيدي الراحضات رَحيضُ[2]

فبلغ شعرهُ الحجّاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثَنَّ به أو لأُغْزِينّك جيشاً يكون أوّله عندكَ وآخره عندي ، فبَعث به قيصر إلى الحجّاج ، فقال له الحجّاج لمّا أُدخِل عليه : أأنت القائل : ودون يد الحجّاج من أن تنالَني . . . فكيف رأيتَ اللهَ أمكَنَ منك ؟ قال : بل أنا القائل أيّها الأميرُ : [من الطويل]

فلو كنتُ في سلمى أَجاً وشعابِها | لكــان لحجّــاجٍ عــليّ سبيلُ
خليــلُ أميرِ المؤمنــين وسيفُه | لكــلٌ إمــام مُصطَفًى وخليلُ
بَنــى قُبَّــةَ الإسلامِ حتى كأنّما | هَدى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ

فخلَّى سبيله ، وتحمل دِيَةَ دابغ في ماله .

[الحجّاج يعفو عن العديل]

أخبرني عمّي وحبيب بن نصر المهلّبيّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن منصور بن عَطيّة الغنويّ قال : أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطُريّ قال : خرج العُدَيل بن الفَرخ يريد الحجّاج ، فلمّا صار ببابه حجبه الحاجبُ ، فوثب عليه العُديلُ ، وقال : إنّه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أكبرُ منّي ولا أَولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجّاج إلى يزيدَ بن المهلّب ، فلمّا دخل إليه أنشأ يقول : [من الطويل]

لئــن أرتــج الحجاجُ بالبخلِ بابَه | فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفتحُ
فتًى لا يبالي الدَّهرَ مــا قَلَّ مالُه | إذا جعلتْ أيــدي المكارمِ تسنَحُ
يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ما حوتْ | وأخرى على الأعداءِ تَسطو وتجرحُ
إذا مــا أتــاه المرمِلــون تيقَّنوا | بأن الغِنى فيهم وَشيكاً سَيسرَحُ[3]
أقــام على العافــين حُرَّاسَ بابِه | يُنادونهم والحُــرُّ بالحُــرّ يَفرحُ
هلمّوا إلى سَيْبِ الأمير وَعُرفِــه | فإنَّ عطايــاه على النّــاس تَنْفَحُ

---

1 الناعجات : السارعات .
2 الراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .
3 المرملون : من نفذ زادهم .

وليس كعِلجٍ مِن ثمودَ بكَفِّه من الجودِ والمعروف جِذم مطوَّحُ

فقال له يَزيدُ : عرَّضْتَ بنا وَخاطرْتَ بدمِك ، وبالله لا يصلُ إليك وأنتَ في حيِّزي ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله على أفراس ، وَقال له : الحقّ بعلياء نَجد ، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجّاج أو تحتجنَك محاجِنُهُ ، وابعث إليَّ في كلّ عام ، فلك عليّ مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجّاجَ خَبرُه ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُدَيلَ ، ففاته ، وقال لمّا نجا : [من الطويل]

ودونَ يـد الحجّاج من أن تنالَني بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

قال : ثم ظَفِر به الحجّاج بعد ذلك ، فقال : إيه ، أنشدني قولَكَ :

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال : لم أقل هذا أيّها الأمير ، ولكنّي قلت : [من الطويل]

إذا ذُكِر الحجّاجُ أضمرتُ خيفة لهـا بـين أحناء الضلوع نَفيضُ

فتبسم الحجّاجُ ، وقال : أولى لك ! وعفا عنه ، وفرضَ له .

[سادات بكر يشفعون له عند الحجّاج]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا لجَّ الحجّاج في طلب العُدَيل لفظتْه الأرض ، ونَبا به كلُّ مكان هربَ إليه ، فأتى بكرَ بنَ وائل ، وهم يومئذٍ بادُون جميعٌ ، منهم بَنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكُر ، فشكا إليهم أمرَه ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتُسلمونني ، هكذا وأنتم أعزُّ العرب ؟ قالوا : لا والله ، ولكنَّ الحجّاجَ لا يُراغَم ، ونحن نستوهِبُك منه ، فإن أجابنا فقد كُفِيتَ ، وأن حادَّنا في أمرك منعناكَ ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهبكَ لنا . فأقام فيهم ، واجتمعتْ وجوه بكرِ بن وائل إلى الحجّاج ، فقالوا له : أيّها الأميرُ ، إنّا قد جَنَيْنا جميعاً عليكَ جنايةً لا يُغفر مثلُها ، وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت ، وإمَّا عاقبتَ ، فكنتَ المسلَّطَ الملك العادل . فتبسَّم ، وقال : قد عفوت عن كلّ جرم إلاّ جُرْمَ الفاسق العُديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا : مثلُك أيّها الأميرُ لا يَستثني على أهلِ طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيتَ ألاّ تكدِّر مِنَنك باستثناء ، وأن تهبَ لنا العُدَيل في أوّلِ مَن تَهَبَ ! قال : قد فعلت فهاتوه قبَّحه الله ، فأتوه به ، فلمّا مَثَل بين يديه أنشأ يقولُ : [من الطويل]

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابِها لكـان لحجَّـاجٍ عـليَّ دليلُ
بنـى قُبـة الإسلامِ حتى كأنّما هَدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
إذا جار حُكْم النَّاس ألجأ حكمَه إلى اللهِ قـاضٍ بالكتاب عقولُ

خليـــلُ أَمير المؤمنـين وسيفُـه ... لكلّ إمـام صاحـبٌ وخليلُ
بـــه نصرَ اللهُ الخليفــةَ منهمُ ... وثبَّـتَ مُلكـاً كادَ عنـه يَزُولُ

ويروى : به نَصرَ اللهُ الإمامَ عليهم .

فأنت كسيفِ اللهِ في الأرضِ خالدٍ ... تصولُ بعـون الله حـين تصولُ
وجازيْتَ أَصحابَ البلاء بلاءَهم ... فَمـا منهـمُ عمَّا تُحِبُّ نُكولُ
وصُلتَ بمرّاقِ العراقِ فأصبحتْ ... مَناكِبُهـا للوطء وهـي ذَلولُ[1]

أَقام الواحد مقامَ الجمع في قوله : ذلول .

أذقت الحِمامَ ابني عُبادٍ فأَصبحوا ... بمنزل موهـونِ الجَنـاح ثكولِ[2]
ومن قَطريٍّ نلــتَ ذاك وحوله ... كتائــبُ مــن رجَّالــة وخُيولُ
إذا ما أَتت بابَ ابن يوسُف ناقتي ... أَتــتْ خيرَ منزول بـــه ونَزيلِ[2]
وما خفتُ شيئاً غيرَ ربِّيَ وحدَه ... إذا ما انتحيتُ النفسَ كيفَ أَقولُ ؟
ترى الثقلينِ الجنّ والأنسَ أَصبحا ... على طاعــة الحجَّاج حينَ يقولُ

فقال له الحجّاجُ : أولى لك فقد نجوتَ ! وفرض له ، وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح سائر قبائلَ وائل ، ويذكر دفعَها عنه ، ويفتخرُ بها : [من الكامل]

صَرَمَ الغواني واستراح عــواذلي ... وصحوتُ بعـد صَبابـة وتمايُلِ
وذكرت يـــوم لوى عتيقٍ نسوةً ... يخطِـرْن بـين أَكِلَّـةً ومراحلِ
لعــب النعيمُ بهــنّ في أَظلاله ... حتـى لبِسنَ زمـانَ عيش غافلِ

صوت

يأخــذْن زينتهُنّ أحسنَ ما ترى ... وإذا عَطِلــن فهـــنَّ غيرُ عواطلِ
وإذا خبــأن خدودَهـــنّ أريْنَنا ... حدَقَ المها وأَجَدْنَ سهـم القاتلِ
ورمينني لا يستترن بجُنَّـــة ... إلاّ الصِّبـا وعَلمْـــن أَين مَقاتلي
يلبَسن أَرديـــةَ الشباب لأَهلِها ... ويجـــرُّ باطلُهـــنَّ حبـلَ الباطلِ

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثاني ثقيل بالوُسطى من رواية يحيى المكّيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يَحيى المكّيّ إلى ابن سُريج .

1 مراق : قرية كثيرة النخيل والآبار والعيون على طريق البصرة .

2 في هذا البيت إقواء .

بيضُ الأنوق كأنّهـنّ ، ومن يُرِدْ بَيْضَ الأنـوق فوكرُهـا بمعاقلِ[1]
زعم الغواني أن جهلك قد صحا وسوادَ رأسك فضلُ شَيب شاملِ
ورآك أهلُـكَ منهـمُ ورأيتَهم ولقد تكونُ مع الشباب الخاذلِ
وإذا تطاولـتِ الجبـالُ رأيتَنـا بفـروع أرعَـنَ فوقها مُتطاولِ
وإذا سألت ابنَـيْ نـزارٍ بيّنا مَجْدي ومنزلتي مـن ابنَيْ وائلِ
حدِبَـتْ بنو بكـر عـليٍّ وفيهمُ كلُّ المكـارِمِ والعديـدِ الكاملِ
خَطروا ورائـي بالقنا وتجمَّعتْ منهـم قبائـلُ أُردِفـوا بقبائلِ
إنّ الفوارسَ مـن لُجَيمٍ لم تزَل فيهـم مهابـةُ كلُّ أبيضَ ناعلِ[2]
متعمِّمٍ بالتّـاجِ يسجـدُ حولَـه مِـنَ آل هَـوذة للمكارمِ حاملِ[3]
أو رهط حنظلة الذيـن رماحُهمْ سُمُّ الفوارسِ حتْف موتٍ عاجلِ[4]
قوم إذا شَهَرُوا السيوف رأَوْا لهـا حقّـاً ولم يَـكُ سَلُّها للباطلِ
ولئن فخرْتُ بهـم لمثلِ قَديمهم بسَطَ المُفاخـر للسّان القـائلِ
أولاد ثعلبـة الذيـن لِمثلِهـم حِلْم الحليم وردُّ جهـلِ الجاهلِ
ولَمَجْـدُ يشكرَ سَوْرةٌ عاديَّـةٌ وأب إذا ذكـروه ليس بخاملِ
وبَنـو القدارِ إذا عددْتَ صنيعَهم وضَح القديمُ لهـم بكـلّ محافلِ
وإذا فخـرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائل فاذكر مكارمَ من ندًى وشمائلِ[5]
ولتغلبَ الغلبـاء عـزٌّ بيِّـنٌ عاديَّـة ويزيـد فـوقَ الكاهلِ
تسطو على النُّعمان وابـنِ محرِّق وابنـي قَطـامِ بعِـزّة وتناوُلِ
بالمقربات يبِتْنَ حـول رحالِهـم كالقـدِّ بعـد أَجلّـة وصواهلِ
أولاد أعـوجَ والصريح كأنَّهـا عِقبـانُ يـوم دُجُنَّـةٍ ومَخايلِ
يلقِطنَ بعـد أُزومِهـنَّ على الشبّا عَلَق الشكيـمُ بألسُن وجحافلِ

---

1 الأنوق : العقاب .
2 لجيم بن صعب بن وائل .
3 آل هوذة: هو هوذة بن علي وفد على كسرى وقاتل المندر بن ماء السماء يوم عين أباغ .
4 رهط : من بني عجل بن لجم .
5 وشمائل في ل : وأوائل .

قــوم هــم قتلوا ابن هندٍ عَنْوة　　وقنــا الرّماح تذودُ وِرْدَ الناهلِ
منهم أَبــو حَنَشٍ وكان بكفّــه　　رِيُّ السِّنان وريُّ صــدرِ العاملِ
ومُهلهِل الشعراء إن فَخــروا بــه　　ونَدى كُلَيْــبٍ عنـد فضلِ النائلِ
حَجَب المنيَّةَ دون واحــد أُمِّــه　　مــن أن تبيتَ وصدرُهـا ببلابِلِ
وأَبى مجالسةَ السِّبابِ فلم يكنْ　　يُستبُّ مجلسُه وحــــقٌّ النازلِ
حتى أَجــارَ على الملوكِ فلم يدعْ　　حَرِبــاً ولا صَعــراً لرأس مائلِ
في كلّ حــيّ للهُذيــل ورهطِه　　نَعَــم وأخــذُ كريمــةٍ بتناولِ
بيضٌ كرائــمُ ردَّهــن لعَنوة　　أَسلُ القَنــا وأُخــذَنَ غيرَ أراملِ
أَبناؤهنَّ مــن الهُذيــل ورهطِه　　مثلُ الملــوك وعشنَ غيرَ عواملِ

وقال أبو عمرو أيضاً : قال العُدَيل لرجل من موالي الحجّاج كان وجّهه في جيش إلى بني عِجْل يطلب العُدَيل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إبلَه ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناتِه وأخذ حُليَّهن ، فدخل العُدَيلُ يوماً على الحجّاج ومولاه هذا بين يديْه واقِف فتعلّق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

سلبتَ بناتــي حَلْيَهنّ فلــم تدَعْ　　سِواراً ولا طوْقاً على النَّحر مُذهبا

هكذا في الشعر : سلبتَ بناتي ، والغناءُ فيه : سلبتَ الجواري حَلْيهنّ .

ومــا عــزَّ في الآذان حتى كأنّما　　تُعطّــل بــالبيض الأوانسَ رَبربا
عواطــلُ إلاّ أن تــرى بخدودها　　قسامَة عِتــق أَوَ بنانــا مُخضّبا[1]
فككتَ البُرينَ عن خِـدال كأنها　　بَــراديُّ غِيـلٍ ماؤه قـد تنضّبا[2]
من الدُّر والياقوتِ عن كلّ حُرَّةٍ　　ترى سِمطَها بين الجُمانِ مُثَقّبا
دَعَوْن أَميرَ المؤمنين فلــم يُجب　　دعــاءً ولم يُسمعنَ أُمّاً وَلا أَبا

غنّى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبيّ الهَمذانيّ ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيهما ثقيل أوّل بالسبّابة والوُسطى ، نسبه ابن المكّي إلى عبد الرحيم الدّفّاف ، ونسبه الهشاميّ إلى عبد الله بن العبّاس .

---

1 قسامة : حُسْن .

2 البرين : جمع برة ، وهي هنا الخلخال . خدال : السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة . برادي : جمع بَردي ، وهو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفّت . غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .

[رجل من قوم العديل يُصيب أنف عجليّ]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : أُصاب رجل من رهط العُديل من بني العكابة أُنف رجل من بني عِجل يقال له جَبّار ، فقال العُدَيلُ في ذلك ، وكان عَدُوّاً له : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ جَبّـاراً ومـارِنَ أُنفه ... لـه ثُلَـمٌ يهويْـن أَن يتنخّعا
ونحـنُ جَدَعْنـا أُنفَـه فكأَنّما ... يَرى الناسَ أعداءً إذا هـو أُطلَعا
كُلُـوا أنـفَ جَبّار بِكاراً فإنّما ... تركناه عن فَرطٍ من الشَّرِّ أَجدعا[1]
معاقـدُ مـن أيديهـمُ وأُنوفهمْ ... بِكارا وثِيباً تركـبُ الحَزْن ظُلَّعا

قال : وكان رجلٌ من رَهط العُدَيل أيضاً ضربَ يد وكيع أَحدِ بني الطاغية ، وهما يشربان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العُدَيلُ وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأوّل يفخَر بقطع أنف جبّار ويد وكيع ؛ لأنّهم حلفوا أن يقطعوا أنفَه ويدَه دَون من فَعلَ بهم ، فلجأ إلى عُفَير بن جُبَير بن هلال بن مُرّة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العُديلُ في ذلك : [من الطويل]

تركتُ وكيعاً بعدما شاب رأسُه ... أشلَّ اليمـين مستقيمَ الأُخادِعِ
فَشَرِّب بها وُرْقَ الإفال وكُلْ بها ... طعامَ الذليل وانجَحِرْ في المَخادعِ[2]

فقالتْ بنو قَيسِ بن سعد للفَرخِ أبي العُدَيل : يا فرخُ ، أنصفْ قَومك ، وأعطِهم حقَّهم ، فركبَ إليهم الفرخُ ، ومعه حسّانُ بن وقّاف ودينار (رجلان من بني الحارث) فأسرتْه بنو الطاغية ، وانتزعوه من الرجلين ، وتوجَّهوا به نحو البصرة ، فرجع حسّان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم ، فركب النفير في طلب بني الطاغية ، فأدركوا منهم رجلاً فأسروه بدل الفرخ . ثم إنّ عُفَيْراً لَحِقَ بهم ، فاشترى منهم الجراحةَ بسبعين بعيراً ، وأخذ الفرخ منهم فأطلَقه ، فقال العُدَيلُ في ذلك : [من الطويل]

مـا زال في قيسِ بن سعد لجارِهمْ ... على عَهدِ ذي القرنين مُعْطٍ ومانعُ
هم استنقذوا حسّانَ قسراً وأُنتمُ ... لِئام المقـام والرّمـاحُ شوارعُ
غدرتـم بدينارٍ وحسّان غَدرةً ... وبالفَرخ لمـا جاءَكم وهْو طائعُ
فلولا بنو قيسِ بن سعد لأَصبحَتْ ... علـيَّ شداداً قَبضُهـنَّ الأَصابعُ

---

1 بكاراً : مبادرين مسرعين .

2 وُرق : جمع أورق وهو ما في لونه بياض إلى سواد . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

أَلا تسأَلون ابـــن المشَتَّم عنهمُ ... جُعامــةَ والجيرانُ وافٍ وظالعُ[1]

وأَخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا الرّياشي عن الأَصمعيّ قال : قال أَبو النجم للعُديل بن الفرخ : أرأيت قولك : [من الطويل]

فــإن تــكُ من شيبانَ أُمِّي فإنَّني ... لأَبيضُ عجــليٌّ عريضُ المَفارقِ ؟

أَكنتَ شاكّاً في نسبك حين قلتَ هذا ؟ فقال له العُدَيْل : أَفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت : [من الرجز]

أنا أَبو النجم وشعري شعري ... للهِ دَرِّي مــا يُجِــنُّ صدري

فأَمسك أَبو النَّجم واستحْيا .

[العديل و**مالك** بن مسمع]

أخبرني أَبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدّثنا الرياشيّ عن العُتبيّ قال : حَمَل زيادٌ إلى معاويةَ مالاً من البصرة ، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسمَع ، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب في حياته ، واستغاثوا به ، وقالوا : يَحمِلُ المال ، ونبقى بلا عطاء . فركب مالك في ربيعة ، واجتمع الناسُ إليه ، فلحِق بالمال فردّه ، وضرب فُسطاطاً بالمِربد ، وأنفق المالَ في النّاس حتى وفّاهم عطاءَهم ، ثم قال : إن شئتم الآن أَن تحملوا فاحملوا ، فما راجعه زياد في ذلك بحرف ، فلمّا ولِيَ حمزةُ بن عبد الله بن الزُّبير البَصرة جمع مالاً ؛ ليحمَلَه إلى أَبيه ، فاجتمع النّاس إلى مالك ، واستغاثوا به ، ففعل مثل فعلِه بزياد ، فقال العُديلُ بنُ الفَرخ في ذلك : [من الطويل]

إذا مــا خَشينا مــن أَميرٍ ظُلامة ... دعونــا أَبــا غسَّانَ يوماً فعسكرا
ترى الناسَ أَفواجاً إلى باب دارِه ... إذا شاءَ جاؤُوا دارِعِينَ وحُسَّرا[2]

وأَوَّلُ هذه القصيدة :

أَمــن منزلٍ مـــن أُمّ سَكْن عشيَّةً ... ظلِلْــتُ بــه أَبكــي حزيناً مُفكِّرا
معي كلّ مُسترخــي الإزار كأَنّه ... إذا ما مشى من جنّ غِيل وعَبقَرا[3]
يُزجِّي المَطايــا لا يبــالي كلالها ... مُقلّصة خُوصا مــن الأَيْن ضُمَّرا[4]

1 ظالع : غامز في مشيه .
2 حسّر : جمع حاسر : مَن لا سلاح معه .
3 غيل وعبقر : مكانان تزعم العرب أنّهما من مساكن الجنّ .
4 خوص : جمع خوصاء أي غائرة العين . من الأين : من التعب .

[العديل شاعر بكر بن وائل]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثَنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ قال : حدَّثَني عبدة بن عِصْمة بن معبد القَيسيّ قال : حدَّثني جدِّي أبو أُمِّي فِراس بن خِنـدِف ، عن أبيه ، عن جدِّه عليّ بن شَفيع قال : لقيتُ الفرزدقَ منصرفَه عن بكر بن وائل ؛ فقلت له : يا أبا فِراس : مَنْ شاعرُ بكر بن وائل مِمّن خلفْتَه خلفك ؟ قال : أميم بني عِجل ، يعني العديلَ بنَ الفرخ ، على أنّه ضائع الشعر ، سروقٌ للبيوت .

[مدح أو تحريض]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية قال : لّما قدِم الحَجّاجُ العراقَ قال العُدَيل بنُ الفَرخ : [من الطويل]

دعوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنّما ... يُهان ويُسبى كلُّ مَن لا يقاتلُ
لقد جـرَّد الحجّاجُ لِلحقِّ سيفَه ... أَلا فاستقيموا لا يميلَنَّ مائلُ
وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم ... كَنَزْوِ القطا ضُمَّتْ عليه الحبائلُ
وأَصبح كالبـازي يقلِّبُ طرفَـه ... على مرقب والطيرُ منه دواحلُ[1]

قال : فقال الحجّاج ، وقد بَلَغتْه ، لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نَقُول : إنّه مدحك ، فقال : كلاّ ولكنّه حرَّض عليّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرَب وقال : [من الطويل]

أُخـوَّفُ بالحجّـاج حتى كأنّما ... يُحـرَّكُ عَظْم في الفؤادِ مَهيضُ
ودون يَدِ الحَجّاج مـن أن تنالَني ... بِساطٌ لأيدي الناعجات عَرِيضُ
مهامُـه أشبـاه كأنَّ سَرابَها ... مُلاءٌ بأيـدي الغاسلات رَحيضُ

فجد الحجَّاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ ، فأتى واسطاً ، وتنكَّر ، وأخذ رُقعةً بيده ، ودخل إلى الحجَّاج في أصحاب المظالم ، فلمّا وقف بين يديه أنشأ يقولُ : [من الطويل]

هأنذا ضاقتْ بـيَ الأرض كلُّها ... إليـكَ وقـد جوَّلْتُ كلَّ مكانِ
فلو كنتُ في ثَهلان أو شُعبَتَيْ أجاً ... لخلتُـكَ إلاّ أن تَصُـدَّ تَراني[2]

فقال له الحجّاج : العديلُ أنتَ ؟ قال : نعم ، أيّها الأمير ، فَلَوى قضيبَ خيزُران كان في يده في عنقه ، وجعل يقول : إيه .

---

1 دواحل : معناها فارة ومستترة .

2 ثهلان : جبل لنمير .

بساط لأيـــدي الناعجات عريض

فقال : لا بِساط إلاّ عفوُك ، قال : اذهب حيث شئتَ .

[حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف]

أخبرني محمدُ بنُ خَلف بن المرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عدِيّ ، عن ابن عيّاش قال : كان حوشب بن يَزيد بن الحُوَيْرث بن رُوَيْم الشيبانيّ وعِكرِمَة بن ربعيّ البكريّ ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجُزُر في عسكر مصعب ، وكاد حوشَب يغلب عِكرِمَة لسَعة يده . قال : وقَدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسار مولى بُجَير ، قال : وهو زوج أُمّ شُعْبَة الفقيه ، بسفائنِ دَقيق ، فأتاه عِكرِمة فقال له : اللّهَ اللّهَ فيَّ ، قد كاد حوشَبٌ أن يستعليَني ، ويغلبَني بماله ، فَبِعْني هذا الدقيقَ بتأخير ، ولك فيه مثلُ ثمنه رِبْحاً ، فقال : خذه ، وأعطاه إيّاه ، فدفعه إلى قومه ، وفرَّقَه بينَهم ، وأمرهم بعَجنه كلِّه ، فعجنوه كلَّه ، ثم جاء بالعجين كلِّه ، فجمعه في هُوَّة عظيمة ، وأمر به ، فغُطِّيَ بالحشيشِ ، وجاء بَرمكةَ[1] ، فقرّبوها إلى فرس حوشب ، حتى طلَبها ، وأفلت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يَتبعُها ، حتى ألقوها في ذلك العجين وتبِعها الفرس ، حتى تورَّطا في العجين وبقيا فيه جميعاً ، وخرج قومُ عِكرِمة يصيحون في العسكر : يا معشر المسلمين ، أدركوا فرسَ حوشبَ ، فقد غرق في خميرة عكرِمة ، فخرج النّاس تعجُّباً من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس ، فلم يبق في العسكر أحدٌ إلاّ ركبَ ينظر ، وَجاؤوا إلى الفرس ، وهو غريق في العجين ما يبين منه إلاّ رأسُه وَعنقُه ، فما أُخرج إلاّ بالعُمُد والحِبال ، وغلب عليه عِكرِمة ، وافتضح حوشَب ، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ، ويفخر بهما : [من الطويل]

همـا فتيا النّاسِ اللّذا لم يغمَّرا ... وعكرِمةُ الفيّاضُ فينا وَحوشَبٌ
رئيسٌ ولا الأقيالُ من آلِ حمْيَرا ... هما فتيا النّاسِ اللذا لم يَنَلْهما

قال : وفي حوشَب يقولُ الشاعر :

وأَجــوَدُ بالمـــالِ من حاتمِ[2] ... وأنحــرُ للجزْر من حَوشَبِ

[شعر العديل بين السهل والفحل]

أُخبرني محمد بن يونس الكاتب قال : حدَّثنا أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ قال : دخلتُ على الرشيد يوماً وهو مَحموم فقال : أنشدني يا أصمعيّ شعراً مَليحاً ، فقلت :

---

1 الرمكة : الفرس والبرذونة تتّخذ للنسل .

2 مثل : ورد في الدرر الفاخرة 107/1 ، 126 وجمهرة الأمثال للعسكري 298/1 و336 ، ومجمع الأمثال للميداني 182/1 ، والمستقصى للزمخشري 53/1 .

أرصيناً فحلاً تُريده يا أميرُ المؤمنين أم شجيّاً سهلاً ؟ فقال : بل عَزَلاً بين الفحْل والسَّهل ، فأنشدتُه للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ : [من الطويل]

صحا عن طِلاب البِيض قبل مَشيبه وراجع غَضَّ الطرف فهو خَفيضُ
كأنِّيَ لم أرعَ الصِّبا ويروقُني من الحيّ أحْوى المقلتين غَضيضُ
دَعاني له يوماً هوًى فأجابَه فُؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ
لُمستأنساتٍ بالحديثِ كأنَّه تهلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهنَّ وَميضُ

فقال لي : أعدْها ، فما زلتُ أكررها عليه ، حتى حفِظها .

[موته ورثاء الفرزدق له]

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال : حدَّثني الرياشيّ ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال : قدِم العُدَيل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدريّ ، فوصله ، فأقام بالبصرة ، واستطابها ، وكان مقيماً عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادمُ الفرزدق ، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

وما وَلَدتْ مثلَ العُدَيلِ حليلةٌ قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائلِ
وما زال مذ شَدَّتْ يداه إزاره بـه تَفتَح الأبوابَ بكرُ بن وائلِ

صوت

[من المنسرح]

إنِّي بدَهماء عزَّ ما أجدُ عاودني من حِبابها زُؤدُ
عاودني حبُّها وقد شَحَطَتْ صرفُ نواها فإنَّني كَمِدُ

قوله : «عزَّ ما أجد» أي : شدَّ ما أجد . وحبابُها : حبّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛ والزُّؤدُ : الفزع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذي تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأت . والكمد : شِدّة الحُزن .

الشعر لصخر الغَيِّ الهُذَليّ ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ ، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنّه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصَخْر الغَيِّ ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب ، وأنّ الهيثم بن عديّ حدَّثه عن حمّاد الراوية أنّها لعَمْرو ذِي الكلب .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث والعشرون

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

23

الطبعَـة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[497] ـ أخبار صخر الغيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو صخرُ بن عبد الله الخَيثميّ ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل . هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، ولقب بصخر الغيّ لخلاعته ، وشدّة بأسه ، وكثرة شرّه .

فمَن روى هذه القصيدة له ، ذكر أنّ السبب فيها أن جاراً لبني خُناعة بن سعد بن هُذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مُزينة ، وقيل : إنّه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر ، وهو أخوهم ، فقتله صخر الغيّ فمشى أبو المثلم إلى قومه ، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزنيّ والإدراكِ بثأره ، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلَّم وما فعله ، فأوّلها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول : [من المنسرح]

وَلستُ عبداً للموعِدِينَ ولا أَقبلُ ضَيماً أتى به أحدُ
جاءت كبيرٌ كيما أخفِّرَها والقوم صِيدٌ كأنّهم رَمِدوا
في المزنيّ الذي حششتُ به مالَ ضَريك تِلادُهُ نَكِدُ[2]
إن أمتسِكْه فبالفِداء وإن أُقتل بسيفي فإنّه قَوَدُ

ولصخرْ وأبي المثلّم في هذا مناقضات وقصائدُ قالاها ، وأجاب كلٌّ واحد منهما صاحبه ، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب .

[الأعلم العداء]

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنّه حدَّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمَحيّ قال : كان الأعلم أخو صَخْر الغيّ أحدَ صعاليك هُذيل ، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يُلحق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَير ، حتى أصبحوا تحت جبل يقالُ له السِّطاع[3] ، في يوم من أيّام الصيف شديد الحرِّ ، وهو متأبّط قِربة لهم فيها ماء ،

1 انظر أخباره في : الإصابة : 3 : 259 .
2 ضريك : الفقير السيء الحال .
3 سِطاع : جبل بينه وبين مكّة مرحلة ونصف من جهة اليمين .

فأيبستْها السَّموم ، وعَطِشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا مِنْ العَطش ، فقال الأعلم لصاحبيه : أشرب من القربة لعلي أن أرِد الماءَ فأروى منه وانتظراني مكانكما ، وكانت بنو عديّ بن الدّيل على ذلك الماءِ وهو ماء الأطواء ، يتفيّؤون بنخل متأخّر عن الماء قدرَ رَمية سهم . فأقبل يمشي مُتَلثِّماً ، وقد وضع سيفَه وقوسَه ونَبله فيما بَينه وبينَ صاحبه ، فلمّا برز للقوم مَشى رُويداً مشتملاً ، فقال بعض القوم : مَن تَرون الرجلَ ؟ فقالوا : نراه بعْضَ بني مُدلج بن مرّة .

ثم قالوا لبعضِهم : القَ الفتى ، فاعرفْه ، فقال لهم : ما تريدون بذلك الرجلِ ؟ هو آتيكم إذا شَرِب ، فدعوه فليسَ بمفيتَنا ، فأقبل يمشي حتى رمى برأسِه في الحوض مُدْبراً عنهم بوجهه ، فلمّا رَوى أفرغ على رأسه من الماء ، ثم أعاد نِقابه ، ورجع في طريقه رُويداً ؟ فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء : هل عرفت الرجل الذي صَدر ؟ قال : لا ، فقالوا : فهل رأيت وجهَه ؟ قال : نعم ، هو مشقوق الشَّفة ، فقالوا : هذا الأعلَم ، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهْم آخر ، فعَدَوْا في أثره ، وفيهم رجل يقال له : جُذَيمة لَيس في القوم مثلُه عدواً ، فأغروه به ، وطردوه فأعجزهم ، ومرَّ على سَيفِه وقوسه ونَبله ، فأخذه ، ثم مرَّ بصاحبَيه فصاح بهما فضبرا[1] معه ، فأعجزوهم ، فقال الأعلم في ذلك : [من مجزوء الكامل]

لمــا رأيــتُ القومَ بالْـ ـعَلْياء دون قِدى المناصبْ[2]
وفَرِيــتُ مــن فــزعٍ فلا أرْمي ولا ودَّعتُ صاحبْ[3]
يُغــرون صاحبهـــم بِنا جَهداً وأُغري غيرَ كاذبْ
أُغري أخـــي صخراً ليُعْـ ـجِزهم ومَدُّوا بالحلائبْ[4]
وخشيتُ وقـــعَ ضريبةٍ قد جُرِّبتْ كلَّ التجاربْ[5]
فأكـــونُ صيدَهُم بهـــا للذيب والضّبع السَّواغبْ

1 ضبرا معه : عدوا معه .
2 قِدى : قدر . المناصب : الأغراض والمرامي .
3 فريت : تحيرت ودهشت .
4 أخي صخراً في الديوان : «أبا وهب» . الحلائب : الجماعات جمع حلبة .
5 ضريبة : سيف .

جَــزَراً وللطيــر المُربَّـــ ـــة والذئــابِ وللثَّعالِبْ[1]

وهي قصيدة طويلة .

صوت

[صخر يرثي أخاه أبا عمرو]

وقالوا جميعاً : خـرج صخْرٌ الغـيّ وأُخوه أُبو عمرو في غَزاة لهما ، فباتا في أُرض رَملة ، فنهشت أخاه أبا عمرو حيّة ، فمات ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لعمرُ أَبـــي عمرو لقد ساقه المنا إلى جَدَثٍ يُوزَى لـهُ بالأَهاضِبِ
لحيّـــةِ جُحــرٍ في وجار مقيمةٍ تنمَّى بها سوقُ المنا والجوالبِ[2]
أَخي لا أَخـا لي بعْده سبقتْ به منيَّتُه جمــعَ الرُّقــى والطبائبِ
وذلك ممّـــا يُحــدث الدهرُ إنّه لــه كلّ مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ

يوزى له : يمنى له . والإزاء : مهراق الدلو . والأهاضب : الجبال .

وقال الأَثرمُ عن أبي عبيدة . خرج صَخرٌ الغيّ في طائفة من قومه يقدُمها خوفاً من أَبي المثلّم ، فأَغار على بَني المصطلق من خُزاعة ، فانتظر بقيّة أَصحابه ، وَنَذَرَت به بَنو المصطلق ، فأَحاطوا به فقال : [من الرجز]

لـــو أَن أَصحابي بَنُو معاويَهْ أَهلُ جُنوب النخلـة الشّآمِيَهْ[3]
ورهطُ دُهمانٍ ورَهطُ عاديَهْ مـــا تركوني للذئاب العاويَهْ

وجعل يَرميهم ويَرتجز ويقول : [من الرجز]

لـــو أَنّ أصحابي بنُو خُناعَهْ أَهــلُ النَّدى والمجدِ والبَراعَهْ
تحـــتَ جلـود البَقر القرَّاعه لمنعــوا مـــن هــذه اليراعَهْ[4]

وقال أيضاً وهو يقاتلهم : [من الرجز]

---

1 المربّة : المقيمة الملازمة .

2 الوجار : كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض . تنمّى : ارتفع .

3 جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية .

4 القراعة : الصلبة . اليراعة : الضعيف ، وفي الديوان : «المراعة» .

لـو أنّ حولي من قُريم رَجْلاً بيضَ الوجوه يحملونَ النَّبلا[1]
لمنعـوني نَجـدة وَرِسْلا سفع الوجوه لم يكونوا عُزْلا

[مقتل صخر ورثاؤه]

يقول : منعوني بنَجدة وشِدَّة وَعلى رِسْلهم بأهونِ سَعي . قال : فلم يزلْ يُقاتلهم حتى قَتلوه .

[رثاء أبي المثلّم له]

وبلغ ذلك أبا المثلّم ، فقال يَرثيه : [من البسيط]

لـو كان للدهـر مـالٌ عند مُتلده لكان للدَّهـرِ صخرٌ مـالَ قُنْيانِ
آبـي الهضيمـة آت بالعظيمة متْـ ـلافُ الكريمة لا سِقْـطٌ ولا واني
حامـي الحقيقـة نسّالُ الوديقة مِعـ ـتاقُ الوسيقـة جَلْـدٌ غير ثِنْيانِ[2]
رَقّـاء مرقَبـة ، منّـاعُ مَغلبـةٍ ركّابُ سلهَبـة ، قطـاعُ أقـرانِ[3]
هبـاطُ أوديـةٍ شهّـادُ أنديـةٍ حمّـالُ ألويـةٍ سِرحـانُ فِتيـانِ

السرحان : الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب .

يحمي الصحابَ إذا جدَّ الضِّرابُ ويكْـ ـفي القائلينَ إذا مـا كُبِّـلَ العاني
فيتـرك القِـرنَ مصفرّاً أناملُـه كأنَّ في رَيْطتَيـه نضـخَ إرقانِ

الإرقان : اليَرقان ، يعني صُفرتَه .

يعطيكَ مـا لا تكاد النفسُ تسلِمُـه مـن التّـلادِ وهـوبٌ غيرُ مَنّـانِ[4]

1 قريم : حي من هذيل .
2 نسّال : مسرع . الوديقة : شدّة الحر . الوسيقة : الطريدة .
3 رقاء في ل والديوان : «ربّاء» بمعنى علا وارتفع . سلهبة : جسيمة طويلة . أقران : جمع قرن ، وهو الحبل .
4 تسلِمُه في الديوان : ترسله .

[498] ـ نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

[نسبه]

هو عَمرو بن العَجلان بن عامر بن بُرد بن مُنَبِّه ، أحد بني كاهل بن لَحيان بن هُذيل .

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ : إنّما سُمِّي ذا الكلب لأنّه كان له كلبٌ لا يفارقه .

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنّه قال : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، إنّما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتتْ عليه .

قال : ومن النّاس مَن يقول له عَمرو الكلب ، ولا يقول فيه : «ذو» .

قال : وكان يغزو بني فَهْم غزواً متّصلاً ، فنام ليلة في بعضِ غزواته ، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادَّعت فهمٌ قتلَه ، هكذا في هذه الرواية .

[عمرو ذو الكلب وأمّ جليحة]

وقد أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل وغيرِهم من الرّواة قالوا : كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ ، وكان من رجالهم ، أنّه كان قد علِقَ امرأة من فَهْم يقال لها : أُمّ جُلَيْحة ، فأحبَّها وأحبَّتْه ، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، وطلبوا دمَه ، إلى أن جاءها عاماً من ذلك ، فنذِرُوا به ، فخرجوا في أثره ، وخرج هارباً منهم فتبِعوه يومَهم ذلك ، وهم على أثره ، حتى أمسى ، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلْماء ، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريقِ إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ واللهِ الطريقَ وإن النارَ لعلى الطريق ، فحار وَشكّ ، وقصد للنّار ، حتى أتاها ، وقد كان يصيحُ ، فإذا رجل قد أوْقَدَ ناراً ليس معه أحدٌ ، فقال له عمرو ذو الكلب : مَن أنت ؟ قال : أنا رجل من عَدْوان ، قال ، فما اسم هذا المكان ؟ قال السَّدُّ ، فعلِم أنّه قد هلك وأخطأ ، والسدُّ شيء لا يجاوَز ، قال : ويلك ! فلمَ أوقدتَ ، فوالله ما تشتوي ، ولا تصطَلي ، وما أُوقدتَ إلاّ لمنيّة عمرو الشَّقيّ ، هل عندك شيءٌ تُطعمني ؟ قال : نعم ، فأخرج له ثَمرات قد نقَّاها في يده ، فلمّا رآها قال : ثمرات ، تتبعها

عبرات من نساء خَفرات ، ثم قال : اسقِني ، قال : ماذا ؟ ألبناً ؟ قال : لا ، ولكن اسقِني ماء قَراحاً ، فإنّي مقتول صباحاً ، ثم انطلق ، فأسند في السَّدِّ ، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره ، حيث أخطأ ، فاتبعوه ، حتى وجدوه فدخل غاراً في السّدّ ، فلمّا ظهروا للسّدّ عَلِموا أنّه في الغار فنادوْه ، فقالوا : يا عمرو ، قال : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج ، قال : فلِمَ دخلت إذن ؟ قالوا : بلى ، فاخرجُ ، قال : لا أخرُج ، قالوا : فأنشِدْنا قولك : [من الوافر]

وَمقعدِ كُربــةٍ قــد كنتُ مِنها مكان الإصبعـين من القِبالِ[1]

قال : ها هي ذه أنا فيها . قال : وعنَّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله ، فقالوا : أقتلته يا عدوَّ الله ؟ فقال : أجَلْ ، ولقد بقيتْ معي أربعةَ أسهم كأنّها أنيابُ أُمِّ جُلَيْحة لا تصلون إليَّ أو أقتُـلَ بكـل سَهم مِنها رجُلاً منكم ، فقالوا لعبدهم : يا أبا نِجاد ، ادخُلْ عليـه ، وأنت حُرّ ، فتهيّأ للدخول أبـو نِجاد عليه ، فقال لـه عمرو : ويلك ! يا أبا نجاد ، ما ينفعك أن تكون حرّاً إذا قتلتك ؟ فنكصَ عنه ، فلمّـا رأوا ذلك صعـدوا ، فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سَلَبه ، فرجعوا به إلى أُمّ جُلَيحةَ وهي تَتَشَوّفُ ، فلمّا رأوْها قالوا لها : يا أُمَّ جُلَيحة ، ما رأيكِ في عَمرو ، قالـت : رأيي والله أنّكم طلبتموه سريعاً ، ووجدتموه مَنِيعاً ، ووضعتموه صَريعاً ؟ فقالوا : والله لقد قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتُم ، ولئن كنتم فعلتُم ، لربّ ثَدي منكم قد افترشَه ، وضَبٍّ قد احترشه[2] ، فطرحوا إليها ثيابَه ، فأخذتْها ، فشمَّتْها ، فقالت : ريحُ عِطْر وثوبُ عَمرو ، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[3] جافية ، ولا عانة وافية ، ولا ضالّة[4] كافية .

[أخته ترثيه]

وقالت رَيطة أختُ عمرو ذي الكلب ترثيه : [من البسيط]

كلُّ امرىءٍ لمحال الدهـر مكروبُ وكلّ مـــن غالـبَ الأيّامَ مغلوبُ[5]

1 القبال : الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها .
2 احترشه : صاده .
3 الحجزة : موضع التكّة من الإزار .
4 الضلة : المراد بها السّلاح .
5 محال : قوة .

وكلُّ حيٍّ وإن عزوا وإن سَلِموا يومــاً طريقُهمُ في الشَّرِّ دُعبوبُ[1]
أبلغْ هذيــلاً وأَبلغ مَـــنْ يُبلِّغُها عنِّي رَسولاً وبعضُ القول تكذيبُ[2]
بأنَّ ذا الكلبِ عَمْراً خيرهم نسباً ببطن شِريان يعوي حولَـه الذيبُ[3]
الطاعنُ الطعنــةَ النجــلاءَ يتبَعُها مُثْعنجِرٌ من نَجيع الجوفِ أُسكوبُ[4]
والتــاركُ القِــرنَ مصفرّاً أناملُـه كأنّه من نقيع الوَرْس مخضوبُ[5]
تَمشي النسورُ إليه وهــي لاهيةٌ مَشْيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ
والمخــرجُ العاتقَ العذْراء مُذعنةً في السَّبي ينفحُ من أَرْدانها الطيبُ

صوت

[من البسيط]

يا دارَ عمرةَ مِن مُحْتَلِّها الجرَعا هاجتْ لِيَ الهمَّ والأَحزانَ والوجَعا[6]
أَرى بعينـــي إذا مالت حَمولَتُهمْ بطن السلَوْطَح لا ينظرن من تبعا[7]
طوراً أَراهــم وطـــوراً لا أَبِينُهُمُ إذا تَرَفَّــع حِــدْجٌ ساعــة لمعا

الشعر للقيط الإياديّ يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم ، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبنصر من روايتي حَبَش والهشاميّ .

1 دُعبوب : الطريق الموطوءة .
2 القول في ل : الغيّ .
3 بطن شريان : موضع أو واد باليمن يُقال إنّ به قبر عمرو .
4 مثعنجر : سائل . أُسكوب : منسكب أو مسكوب .
5 نقيع في ل : نجيع .
6 الجرع : الرملة لا تنبت شيئاً ، وهي موضع هنا .
7 السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .

[499] ـ خبر لقيط ونسبه[1]
والسبب في قوله الشعر

[نسبه]

هو لقيطُ بن يعمَر[2] . شاعر جاهليّ قديم مُقلّ ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقِطعٍ من الشعر لطافٍ متفرّقة .

[غزو كسرى لإياد]

أخبرني بخبر هذا الشعر عمّي قال : حدَّثني القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدَّثني أحمد بن عبيد قال : حدَّثني الكَلبيّ عن الشرقي بن القُطاميّ قال : كان سبب غزوِ كسرى إياداً أنّ بلادهم أجدبتْ ، فارتحلوا حتى نزلوا بسِنداد[3] ونواحيها ، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثُروا ، وكانوا يَعبدون صنماً يقال له : ذو الكَعبين ، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم ، فانتشروا ما بين سِنْداد إلى كاظِمَة وإلى بارق[4] والخَورْنق ، واستطالوا على الفُرات ، حتى خالطوا أرضَ الجزيرة ، ولم يزالوا يُغيرون على ما يليهم من أرض السواد ، ويَغزون ملوكَ آل نصر ، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عَروساً قد هُدِيت[5] إلى زَوجها ، فولِيَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثُهم ، فسار إليهم مَن كان يليهم من الأعاجم ، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبُرون إبلهم في القراقير[6] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول : [من الرجز]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 199/1 ، 201 والاشتقاق لابن دريد 104 والمؤتلف 175 .

2 في الشعر والشعراء : ابن معمر وأورد محمود محمد شاكر أنّ مختارات ابن الشجريّ وجمهرة اللغة لابن دريد أوردته «يعمر» كما في الأغاني وكذلك في ديوانه في حين ورد في مصادر أخرى «معبد» .

3 سنداد : منازل لإياد ، أسفل الكوفة .

4 بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة .

5 هديت : زفت إلى بعلها .

6 القراقير : جمع قُرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

بئس مناخُ الحلَقات الدُّهْمِ ... في ساحة القُرقور وسط اليَمّ[1]

وعَبروا الفراتَ ، وتبعَهم الأعاجمُ ، فقالت كاهنة من إياد تسجعُ لهم : [من الرجز]

إن يقتلوا منكم غلاماً سِلْما ... أو يأخذوا ذاك شَيخاً هِمّا[2]

تُخضِّبوا نحورَهم دَمّا ... وتُرووا منهم سُيوفاً ظُمّا

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحْجن بإبل لأبيه فلقيتْه الأعاجم ، فقتلوه ، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ في آخر النهار ، فهزمت الأعاجم .

قال : وحدَّثني بعض أهل العِلم أنّ إياداً بيَّتَتْ ذلك الجَمع حين عبروا شطَّ الفرات الغَربيّ ، فلم يفلِت منهم إلاّ القليلُ ، وجمعوا به جِماجمَهم وأجسادهم ، فكانت كالتلّ العظيم ، وكان إلى جانبهم دَيْر ، فسمِّي ديرَ الجَماجم ، وبلغ كسرى الخبر ، فبعث مالكَ بنَ حارثة : أحد بني كعب بن زُهير بن جُشَم في آثارهم ، ووجَّه معه أربعة آلاف من الأساورة . فكتب إليهم لَقيط : [من البسيط]

يا دارَ عمرةَ من مُحتلّها الجرَعا ... هاجتْ لي الهمَّ والأحزانَ والوجعا

وفيها يقول ، قال الشَّرقي بن القطاميّ أنشدَنيها أبو حمزة الثماليّ :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتمُ غُيُراً ... على نسائكُمُ كِسرى وما جَمَعا
هو الجلاءُ الذي تبقى مذلّتُه ... إن طار طائرُكم يوماً وإن وقَعا
هو الفَناء الذي يجتثُّ أصلكمُ ... فمَن رأى مثلَ ذا رأيا ومَنْ سَمِعا
فقلِّدوا أمركم لله دَرُّكُم ... رَحْبَ الذراع بأمر الحَرْب مُضْطَلِعا
لا مترَفاً إن رخاءُ العيش ساعده ... ولا إذا حلَّ مكروه به خَشَعا
لا يَطعَم النومَ إلاّ ريثَ يبعثُه ... همٌّ يكادُ حَشاه يقطَع الضِّلَعا
مسهَّدُ النوم تَعنيه ثُغورُكُمُ ... يرومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلَعا
ما انفكَّ يحلُبُ هذا الدهرَ أشطرَه ... يكون متَّبِعاً طوراً ومتَّبَعا
فليس يشغلُه مالٌ يُثَمِّره ... عنكمْ ولا ولد يَبغي له الرِّفَعا

---

1 الحلقات : جمع حلقة : الإبل الموسومة بالحلقات .

2 ذاك في ل : ذلك .

حتى استمرَّتْ على شزْرٍ مريرتُه مستحكِمَ السنّ لا قحْما ولا ضَرَعا[1]
كمالِـكِ بـن قِنان أو كصاحبه زيدِ القنا حين لاقى الحارثَيْنِ مَعا[2]
إذ عابه عائـبٌ يوماً فقال له : دَمِّث لجنبكَ قبلَ الليل مُضطَجَعا[3]
فساوَرُوه فألفَـوْه أخـا عَلَـلٍ في الحرب يَخْتِلُ الرئبال والسَّبُعا
عبـلَ الذراع أبِيّـاً ذا مُزابنَـةٍ في الحربِ لا عاجزاً نكْساً ولا وَرَعا[4]
مستنجداً يتحـدّى الناسَ كلَّهمُ لو صارعوه جميعاً في الوَرى صَرَعا
هذا كتابـي إليكُمْ والنذير لكمْ لَمن رأى الرأي بالإبرامِ قد نَصَعا
وقد بذلتُ لكم نُصْحي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إن خيرَ العِلـم ما نَفَعا

وجعل عنوان الكتاب : [من الوافر]

كتـاب في الصَّحيفةِ مـن لَقيطٍ إلى مَـن بالجزيـرة مـن إيادِ
بـأن الليثَ كسرى قـد أتاكُمْ فـلا يحبسكُـمُ سوقُ النِّقادِ[5]

[موقعة مرج الأكم]

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبيّ بالأعاجم حتى لقيَ إياداً ، وهم غارُّون لم يلتفتوا إلى قول لَقيط وتحذيرِه إيّاهم ثِقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في مَوضع يقال له مَرْج الأكَم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفِر بهم ، وهزَمهم ، وأنقذَ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات ، ولحقت إيادٌ بأطراف الشام ولم تتوسَّطْها خوفاً من غسّان يوم الحارثين ، ولاجتماع قُضاعة وغسّان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم ، فأقاموا ، حتى أمِنوا . ثم إنّهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الرّوم بناحية أنقرة ، ففي ذلك يقول الشاعر : [من الكامل]

1 استمرت : استحكمت وقويت . شزر : ما يفتل على غير وجهه ، أي من اليسار . المريرة : طاقة الحبل ، أي أنّه متين . قحماً : شيخاً فانياً عجوزاً . ضرعاً : ضعيفاً ذليلاً مستكيناً .
2 الحارثين : الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المريّين .
3 مثل : ويروى دمث لنفسك . ورد في : مجمع الأمثال 265/1 ، والجمهرة للعسكري 443/1 ، 444 وفصل المقال 31 ، والمستقصى للزمخشري 81/2 .
4 الورع : الجبان الضعيف .
5 النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد .

حلُّــوا بأَنقــرةٍ يسيــل عليهـــمُ ... مــاءُ الفُرات يجــيءُ مِن أَطوادِ

صوت

[من الطويل]

اللبينِ يــا ليــلى جِمالُكِ تُرحَلُ ... ليَقْطَعَ منّا البينُ ما كان يوصَلُ
تُعلّلُنــا بالوعــد ثُمَّــت تلتوي ... بموعودهــا حتــى يموتَ المعلَّلُ
أَلَم تَــرَ أَنَّ الحَبْــلَ أَصبحَ واهناً ... وأَخلف من ليلى الذي كنت آمُلُ
فلا الحبلُ من ليلى يُواتيك وصلُه ... ولا أنت تنْهى القلب عنها فيَذهَلُ

عَروضه من الطويل ، الشعرُ لنُصيب الأصغر مولى المَهديّ ، والغناء ليحيى المكّيّ خفيف رَمَل بالبنصر ، وكذا نَسَبَتْهُ بذل إليه .

وذكر عَمرو بن بانة في نسخته أنّ خفيف الرَّمل لمالك وأنّه بالوسطى ، والصحيح أنّه لابن المكّيّ .

[500] ـ أخبار نُصيْب الأصغر

[نشأته]

نُصيب مولى المهديّ ؛ عبدٌ نشأً باليمامة ، واشتُريَ للمَهديّ في حياة المنصور : فلمّا سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصيب مولى بني مَروان ، فأعتقه ، وزوَّجه أمةً له يقال لها : جعفَرَة . وكناه أبا الحَجْناء ، وأقطعه ضيعةً بالسواد ، وعُمِّر بعدَه .

[يمدح الرشيد]

وهذه القصيدةُ يمدحُ بها هارون الرشيد ، وهي من جيّد شعره وفيها يقول : [من الطويل]

خليــلَيَّ إنِّـي مـا يزالُ يشوقُني ... قَطينُ الحِمَـى والظاعـنُ المتحمِّلُ
فأقسمتُ لا أنسى ليــاليَ مَنعِجٍ ... ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحيّ مأسَلُ[1]
أمــن أجـل آياتٍ ورسم كأنّه ... بَقيـة وحْـيٍ أو رداءٌ مُسَلسَلُ[2]
جرى الدّمعُ من عينيكَ حتى كأنّه ... تحــدُّر دُرٍّ أو جُمـــانٌ مُفصَّلُ
فيا أيُّها الزنجيُّ ما لـكَ والصِّبا ... أفقْ عن طِلابِ البِيض إن كنت تعقِلُ
فمثلكَ من أُحبوشة الزَّنج قُطِّعت ... وسائــلُ أسبـابٍ بهــا يُتَوَسَّلُ[3]
قصدنــا أميرَ المؤمنــين ودونَــه ... مهامُه مَوماةٍ مــن الأرضِ مَجْهَلُ
على أرحبيّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ ... شمائلُهـا ممّـا تُحَـلُّ وتُرْحَلُ[4]
إلى ملـكٍ صَلْت الجَبـين كأنّه ... صَفيحَةُ مَسنون جلا عنه صَيقلُ[5]

1 منعج : واد يدفع في بطن فلج ، حدثت به واقعة من أيّام العرب . مأسل : دارة من دارات العرب ، ذكرت في شعر لبيد .

2 مسلسل : رديء النسج .

3 أحبوشة : جماعة الناس ليسوا من قبيلة .

4 أرحبيات : نجائب منسوبة إلى أرحب ، فحل من فحولهم .

5 صلت : واضح .

إذا انبلَج البابـانِ والسترُ دونَـه ... بَـدا مثـلَ ما يبدو الأغرُّ المحجَّلُ
شريكانِ فينـا منـهُ عينٌ بَصيرة ... كَلوءٌ وقلبٌ حافظ ليسَ يغفُلُ
فمـا فـاتَ عينيْـه وعـاهُ بقلبه ... فآخِـرُ مـا يرعـى سواءٌ وأوَّلُ
وما نازعـت فينـا أُمورَك هفْوةٌ ... ولا خَطلة في الرأي والرأْي يَخطَلُ
إذا اشتبهتْ أعناقُـه بيَّنت لـه ... معارفُ في أعجازِهِ وهْـو مُقبلُ
لئـن نـالَ عبدُ اللهِ قبلُ خِلافـةً ... لأنتَ من العهدِ الذي نِلتَ أفضلُ
وما زادكَ العهدُ الذي نلتَ بسطةً ... ولكن بتقـوى الله أنـتَ مُسربَلُ
وريثَ رسولَ الله عُضْواً ومَفصِلاً ... وذا من رسول اللهِ عُضوٌ ومَفصِلُ
إذا مـا دهتْنا مـن زمانٍ مُلمَّةٌ ... فليس لنـا إلاّ عليـكَ المعـوَّلُ
على ثقـةٍ منّـا تَحِـنُّ قلوبنـا ... إليـكَ كما كُنّـا أبـاكَ نُؤمِّلُ

وهي قصيدة طويلة ، هذا مختار من جميعها .

[يبذر في مال المهدي فيوثقه بالحديد]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني أبي ، قال : وجَّه المهديُّ نُصَيْباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلٍ مَهرِيَّة ، ووجَّه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألفَ دينار ، قال : فمدَّ أبو الحجناء يدَه في الدّنانير يُنفقها في الأكل والشرب ، وشراءِ الجواري والتزويج ، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديّ ، فكتب المهديُّ في حَمْلِه مُوثَقاً في الحديد .

[يتشفع بشعره إلى المهدي]

فلمّا دخل على المهديّ أنشده شعْرَه : وقال : [من الطويل]

تأوَّبنـي ثِقـلٌ مـن الهـمِّ مُوجِـعُ ... فـأرَّق عَيْنـي والخَلِيُّـون هُجَّـعُ
هُموم تَوالتْ لـو أطافَ يَسيرُهـا ... بسَلْمـى لظلَّـتْ شُمُّهـا تتصدَّعُ
ولكنَّهـا نيطـتْ فَنـاءَ بحملهـا ... جَهيرُ المنايـا حائـنُ النَّفس مجزعُ
وعـادتْ بـلادُ الله ظلماءَ حِندِساً ... فخِلتُ دُجـى ظلمائهـا لا تَقشَّعُ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

إليــكَ أميرَ المؤمنين ولم أجِـدْ ... سواك مُجيـراً منـكَ يُدني ويَمنعُ
تلمّستُ هـل من شافع لي فلم أجِدْ ... سوى رحمـةٍ أعطاكهـا اللهُ تَشفعُ
لئـن جلّـت الأجْرامُ منّي وأفظعتْ ... لَعفوُكَ عـن جُرمـي أجـلُّ وأوسعُ
لئن لم تسعْنـي يا ابنَ عـمِّ محمـد ... لَمـا عجـزتْ عنّـي وسائـلُ أربعُ
طبِعت عليهـا صبغـةً ثـم لم تَزَلْ ... على صالح الأخـلاقِ والدِّينُ تُطبَعُ
تغابيكَ عن ذي الذنبِ ترجو صلاحَهُ ... وأنـت تـرى مـا كان يأتي ويصْنَعُ
وعفوكَ عمَّـن لـو تكـونُ جريمةٌ ... لطارتْ بـه في الجـوِّ نكباءُ زَعزَعُ
وأنَّـكَ لا تنفـكُّ تُنعِش عاثِـراً ... ولم تعترضْه حـين يكبو ويخْمَعُ[1]
وحلمكَ عن ذي الجهل من بعدما جرى ... بـه عَنَـقٌ مـن طائش الجهل أشنعُ[2]
ففيهـنَّ لي إمَّـا شَفَعْـن منافـعٌ ... وفي الأربـع الأولى إليهـنَّ أفزَعُ
مُناصحتي بالفعـلِ إن كنـت نائياً ... إذا كان دانٍ منـك بالقولِ يَخدَعُ
وثانيـةٌ ظنّـي بـك الخيرَ غائبـاً ... وإن قلـتَ عبـدٌ ظاهر الغشِّ مُسبَعُ[3]
وثالثـةٌ أنّـي على مـا هَوِيتَـه ... وإن كثَّـر الأعـداءُ فيَّ وشنَّعـوا
ورابعـةٌ أنّي إليـكَ يسوقُني ... ولائـي فمـولاكَ الذي لا يُضيَّعُ
وإنّـي لمولاكَ الـذي إن جفوتَـه ... أتـى مستكينـاً راهبـاً يَتضرَّعُ
وإنّـي لمـولاكَ الضعيفُ فأعْفنـي ... فإنّـي لعفـوٍ منـكَ أهـلٌ وموضعُ

[المهدي يقبل الشفاعة ويجيزه ويزوّجه]

فقطع المهديُّ عليه الإنشادَ ، ثم قال له : ومَنْ أعتقك يا ابن السوداء ! فأومأ بيده إلى الهادي ، وقال : الأمير موسى يا أمير المؤمنين ، فقال المهديُّ لموسى : أعَتقْته يا بُنيَّ ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، فأمضى المهديُّ ذلك وأمر بحديده ، ففُكَّ عنه ، وخلعَ عليه عِدّةً من

1 يخمع : يعرج في المشي .
2 العنق : ضرب من السّير .
3 مسبع : خبيث .

الخِلَع الوشْي والخزّ والسوادِ والبياضِ ، ووصله بألفيْ دينار ، وأمر له بجارية يقال لها : جعفرة جميلة فائقةٍ من رُوقة[1] الرقيق .

فقال له سالم قيِّمُ الرقيق : لا أُدفعها إليكَ أو تعطِيَني ألف دِرهم ، فقال قصيدته : [من البسيط]

أآذنَ الحيُّ فانصاعوا بتَرحالِ فهاج بينهمُ شوقي وبلبالي

وقام بها بين يديّ المهديّ فلمّا قال :

ما زلتَ تبذل لي الأموالَ مجتهداً حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذا مالِ
زَوَّجْتَني يا ابنَ خير النّاس جاريةً ما كان أمثالُها يُهدَى لأمثالي
زوَّجتَني بضَّةً بيضاءَ ناعمةً كأنَّها دُرَّة في كفِّ لآلِ
حتى توهَّمتُ أن اللهَ عجَّلَها يا ابنَ الخلائفِ لي من خيرِ أعمالي
فسالَني سالِمٌ ألفاً فقلتُ له أنَّى ليَ الألفُ يا قُبِّحتَ مِن سالِ

أراد : من سائل ، كما قالوا : شاكي السلاح وشائك .

هيهات أُلفُكَ إلاّ أن أجيء بها من فضل مولًى لطيفِ المَنِّ مِفْضالِ

فأمر له المهديُّ بألف دينار ولسالم بألف دِرهم .

[ابنته تبكي حين رأته مقيداً]

قال ابن أبي سعد : وحدَّثني غير محمد بن عبد الله ؛ أنّه حُبس باليمن مدةً طويلةً ، ثم أُشخِص إلى المهديّ ، فقال وهو في الحبس ، ودخلتْ إليه ابنتُه حَجْناءُ ، فلمّا رأت قيوده بكت ، فقال : [من الطويل]

لَقد أصبحَتْ حَجناءُ تبكي لوالدٍ بِدَرَّة عَين قلَّ عنه غناؤها
أحجناءُ صبراً ، كلُّ نفس رهينةٌ بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤها
أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصدٍ فإلاَّ يعاجلْ غَدْوُها فمسَاؤها
أحجناءُ إن أُفلِتْ من السجنِ تَلْقَني حُتوفُ منايا لا يُرَدُّ قَضاؤها

---

1 روقة الرقيق : جمع رائقة ، أي حسان الرقيق .

أحجناءٌ إن أضحى أبوكِ ودلوُه   تعرّتْ عُـراً منها ورثَّ رِشاؤها
لقد كان يُدْلي في رجالٍ كثيرة   فيمتَح مَلأى وهي صفرٌ دِلاؤها
أحجناء إن يصبحْ أبوكِ ونفسُه   قليلٌ تَمنِّيها قصيرٌ عَزاؤها
لقد كان في دنيا تفيّأ ظِلُّها   عليه ومجلوبٌ إليه بَهاؤها

[يمدح ثمامة العبسي]

قال ابن أبي سعد : ولمّا دخل نُصَيْب على المهديّ مُقيَّداً رَفَدَه ثمامةُ بن الوليد العبسيّ عنده واستعطفه له ، وسوَّغ عذره عنده ، ولم يزل يرفُقُ به ، حتى أمر بإطلاقه ، وكان نُصَيب في متقدّم الأيّام منقطعاً إلى أخيه شَيبة فقال فيه : [من الكامل]

أثُمامُ إنّكَ قد فككت ثُماما   حَلَقاً بريْن من النُّصيبِ عظاما
حَلَقاً توسَّطها العمودُ فلزَّها   لولا ثمامةُ والإلهُ لداما[1]
اللهُ أنقذني به من هُوَّةٍ   تيهاءَ مُهلكةٍ تكونُ رِجاما
فلأشكرنَّك يا ثمامةُ ما جرتْ   فِرقُ السحاب كَنَهْورا ورُكاما[2]
ولأشكرنَّك يا ثمامةُ ما دعتْ   وُرقُ الحمام على الغُصون حَماما
وخلفْتَ شيبةَ في المقامِ ولا أرى   كمقام شيبةَ في الرِّجالِ مَقاما
أغنى إذا التمس الرجالُ غَناءه   في كلِّ نازلةٍ تكون غَراما
وأعمُّ منفعةً وأكرمُ حائطاً   تهدِي إليه تحيَّةً وسلاما
لا يبعدَنَّ ابنُ الوليد فإنّه   قد نال من كلِّ الأُمورِ جِساما[3]
لو مِن سوى رَهطِ النبيِّ خليفةٌ   يُدعى لكان خليفةً وإماما

[يبكي شيبة أخا ثمامة]

قال ابن أبي سعد : ودخل نُصيب على ثُمامة بعد وفاة أُخيه شيبة ، وهو يفرِّق خيلَه على النّاس ، فأمر له بفرس منها ؛ فأبى أن يقبله ؛ وبكى ، ثم قال : [من البسيط]

---

1 لزّها : ألصقها .

2 كنهوراً : قطعاً من السحاب . ركاما في ل : جهاما وهو سحاب لا يمطر ، والركام : المتراكم المتجمع .

3 نال من كل الأمور في ل : قد كان نال من الأمور .

يا شيبةَ الخيرِ إمَّا كنتَ لي شَجَناً آليتُ بعـدك لا أُبكي على شَجنِ
أُضحَتْ جيادُ أبي القعقاعِ مُقْسَمةً في الأقربـين بـلا مَنٍّ ولا ثَمنِ[1]
ورَّثْتهـم فتعزَّوا عنـك إذ وَرِثوا ومـا ورِثْتُـك غيرَ الهـمّ والحَزَنِ

فجعَل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أهله وإخوانه يبكون .

وشَيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهديّ .

[اليزيديّ يهجو شيبة]

وفي شَيبة يقول أبو محمد اليزيديّ يهجوه ، وكان عارضَه في شيء من النحو بحضرة المَهديّ : [من الخفيف]

عِشْ بِجَـدٍّ فلن يضرَّك نَوْكٌ إنّما عيشُ مَن ترى بالجُدودِ
عِشْ بجَـدٍّ وكن هبنَّقَةَ القيـ ـسيَّ جهلاً أو شَيبةَ بنَ الوليدِ

أُخبرنا بذلك محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ عن عمِّه عن أبيه .

[يهجو مَن لا يجيزه]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن بشر البَجَليّ عن النضْر بن طاهر قال : أُتى نُصيبٌ مولى المهديّ عبدَ الله بن محمد بن الأشعث ، وهو يتقلَّد صنعاء للمهديّ ، فمدحه ، فلم يُثِبه ، واستكساهُ بُرداً فلم يَكسُه ، فقال يَهجوه : [من الطويل]

سأكسوكَ من صنعاءَ ما قد كسوتَني مقطَّعـــةً تَبقـى على قِـدم الدَّهـرِ
إذا طُويـتْ كانـتْ فُضوحُك طَيَّها وإن نُشرتْ زادتْك خِزياً على النَّشرِ[2]
أغـرّك أن بيَّضْتَ بيـتَ حمامـةٍ وقلت : أنـا شبعانُ منتفجُ الخَصْرِ[3]
لقد كنتَ في سَلْحٍ سَلَحْتَ مخافةَ الـ ـحرُوريّة الشّاريـن داعٍ إلى الضرّ[4]

---

1 مَنّ في ل : حمل .
2 خزياً في ل : طيّاً .
3 منتفج : مرتفع .
4 الحرورية : طائفة من الخوارج في اليمن ، كانت من أتباع نجدة بن عويمر .

ولكنّـهُ يأبـى بـك البهـرُ كُلَّمـا جريتَ مع الجاري وضيقٌ من الصدرِ[1]

[مساجلة حول فرس]

قال النضْر : وكان النُّصيب مَلعوناً ، هَجّاء ، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثيّ فَرساً فَقبِله ، ثم ندِم خوفاً منْ ثِقَل الثواب ، فجعل يَعِيب الفرس ، ويذكر بُطأه وعجْزه ، فبلغ ذلك النُّصيب ، فقال : [من الوافر]

أعبتَ جوادنـا ورغبتَ عنـه وما فيـه لعمرُكَ مِن مَعابِ
ومـا بجوادنـا عجـزٌ ولكن أظنُّك قد عجزتَ عن الثوابِ

فأجابه الربيعُ فقال : [من الوافر]

رُوَيدَك لا تكـن عَجِلاً إلينا أتـاك بما يسوءك من جوابِ
وجدتُ جوادَكم فَدْمـا بَطيئا فما لَكُمْ لَدينـا مـن ثَوابِ[2]

فلمّا كان بعد أيّام رأى النُّصيبُ الفرسَ تحتَ الربيع فقال له : [من الوافر]

أخذتَ مُشَهَّرا في كلّ أرض فعجِّـلْ يـا ربيعُ مشهَّراتي
يمانيَـةً تخيَّرهـا يَمـانٍ منمنَمـةَ البيـوت مُقطَّعاتِ
وجاريَـةً أُضلَّـت والدَيْهـا مولَّـدةً وبيضـاً وافيـاتِ
فعجِّلْهـا وأَنفِذْهـا إلينـا ودَعْنـا مـن بَناتِ التُّرَّهاتِ[3]

فأجابه الربيعُ فقال : [من الوافر]

بعثْـتَ بمقـرِفٍ حَطِـمٍ إلينا بطيء الحُضْر ثم تقولُ : هاتِ[4]

فقال النُّصيب : [من الرمل]

في سبيـل الله أودى فَرَسي ثـم عُلِّـتُ بـأبيات هَـزَجْ
كنتُ أرجو مـن ربيع فرجاً فإذا مـا عندَه لي مـن فَرَجْ

1 البهر : تتابع النفس من شدّة الجري وانقطاعه من الإعياء .
2 الفدم : الغليظ الجافي الأحمق .
3 الترهات : الأباطيل ومفردها ترهة .
4 المقرف : ليست أمّه عربيّة ولا أبوه . حطم : متكسر ، والحطم داء في قوائم الدابة والحضر : شدّة عدو الفرس .

[بيض الدراهم بدل بيض الغواني]

قال : ثم خرج الرَّبيعُ إلى مكّة ، وقد كان وعد النُّصيبَ جاريةً ، فلم يعطه ، وأمر ابنه أن يدفع إليه أَلفَي دِرهم ففعل ، فقال النُّصيب : [من الطويل]

أَلا أَبلغـا عَنِّـي الربيعَ رِسالـةً ربيعَ بنـي عبـد المَدانِ الأَكارمِ
أَعــزَّتْ عليكَ البيضُ لمّا أرغتُها فرُغتَ إلى إعدادِ بِيض الدراهمِ[1]
ألم تَرَ أنِّـي غيرُ مستطرَفِ الغِنى حديث وأنِّي من ذُؤابـة هاشِمِ
وأنّك لم تهبطْ مـن الأرضِ تَلعةً ولا نجـوةً إلاّ بعهدي وخاتَمي

[شعر حول طبق تمر]

قال : ثم قدِم الربيعُ فأهدى إلى دُفافَة بن عبد العزيز العَبسيّ طبق تمر ، فقال فيه دُفافة : [من الطويل]

بعثـتَ بتَمـرٍ في طُبيـقٍ كأنّما بعَثـت بياقـوتٍ توقَّـدَ كالجَمْرِ
فلـو أن مـا تُهدِي سنيّاً قَبِلتُـه ولكنّما أهديـتَ مثلَك في القَدرِ
كأنّ الذي أهديتَ من بُعدُ شُقَّةٍ إلينا مـن المُلْقى على ضِفَّة الجِسْرِ

فأجابه الربيعُ فقال : [من الطويل]

سَلِ الناسَ إما كنتَ لا بـدَّ طالباً إليهـم بـألاّ يحملوك على القَدْرِ
فإنّك إن تُحْمَلْ على القَدْرِ لا تَنل يَـدَ الدَّهرِ مِن بَـرٍّ فَتيلا ولا بَحرِ
لقد كنتَ منِّي في غَدير وروضة وفي عَسل جَمٍّ وما شئتَ من خمرِ
وما كنتُ منَّانـاً ولكنْ كفَرْتني وأظهرتَ لي ذَمّاً فأظهرتُ من عذري
لعَمْري لقد أُعطِيتَ ما لستَ أهلَه ولا أَهلَ ما يُلْقى على ضِفَّة الجِسْرِ

فبلغتْ أبياتهُما نُصيباً ، فشمت بالربيع ، وقال فيه هذه القصيدة : [من الطويل]

رضيتُكما حِرصاً وَمنعاً ولم يكن يَهيجُكمـا إلاّ الحقيرُ مـن الأمرِ
متى يجتمعْ يومـاً حريصٌ ومانع فليس إلى حمـدٍ سبيلٌ ولا أجـرِ

---

1 أرغتها : طلبتها . رغت : مِلْت وحُدْتَ .

أحارِ بن كعبٍ إنَّ عبساً تغلغلَتْ   إلى السرِّ من نَجران في طلب التَّمْرِ
فكيفَ تَرى عبساً وعبسٌ حريصةٌ   إذا طمِعَتْ في التَّمرِ من ذلك العُبْرِ[1]
لقــد كُنتمــا في التَّمــرِ لله أنتُما   شبيهيْن بالمُلقى على ضِفَّــة الجِسرِ

[يرتجل مطولة في مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يزيد النحويّ، قال: حُدِّثت من غير وجه: أنَّ النُّصيب دخل على الفضْل بن يحيى بن خالد مسلِّماً، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه، فهم يُنشِدونه، ويأمر لهم بالجوائز، ولم يكن امتدحه، ولا أعدَّ له شيئاً. فلمّا فرغوا، وكان يُرَوّي قولاً في نفسه، استأذن في الإنشاد، ثم أَنشدَ قصيدته التي أوّلها قَولُه: [من الكامل]

طرقَتْك ميَّةُ والمزار شَطِيب   وتُثيبكَ الهجرانَ وهْي قريبُ
لله ميــةُ خُلَّــةً لــو أنَّهــا   تجزي الوِداد بوُدِّها وتُثيبُ
وكأنّ ميَّةَ حين أتلـع جيدُها   رشأ أغنُّ مــن الظِباء ربيبُ
نصفان مـا تحت المؤَزَّر عاتِكٌ   دِعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ[2]
مــا للمنازل لا تكـــاد تجيبُ   أنى يُجيبكَ جَنــدلٌ وجَبُوبُ[3]
جادتْك من سَبَل الثريا دِيمةٌ   ريًّا ومن نَوءِ السِّماكِ ذَنوبُ
فلقد عهدتُ بك الحِلال بِغبطة   والدَّهر غضٌّ والجَنابُ خصيبُ
إذ للشباب عليَّ من وَرق الصِّبا   ظِلٌّ وإذ غُصْن الشبابِ رطِيبُ
طرِبَ الفؤادُ ولاتَ حين تطرُّبِ   إن الموكَّلَ بالصِّبــا لَطروبُ
وتقول ميَّــةُ ما لِمثلكَ والصِّبا   واللون أسودُ حالكٌ غِرْبيبُ
شاب الغرابُ وما أَراكَ تَشيبُ   وطلابُكَ البيضَ الحسانَ عجيبُ
أعلاقَـــةٌ أَسبابهُــنَّ وإنَّمــا   أفنانُ رأسِكَ فُلفُـل وزَبيبُ

1 العُبْر من الشيء: الكثير.
2 العاتك: الخالص من الألوان المحمر من الطيب.
3 جبوب: وجه الأرض الصلب.

لا تَهزئي منّي فَرُبّتَ عائبٍ ... ما لا يعيبُ الناسَ وهو معيبُ
ولقد يصاحِبُني الكرامُ وطالَما ... يسمـو إليَّ السيّـدُ المحجُوبُ
وأجُرُّ مـن حُلَل الملوكِ طَرائفا ... منها عليَّ عصائبٌ وسَبيبُ[1]
وأُسالبُ الحسناءَ فضلَ إزارها ... فأصورُها وإزارُها مسلوبُ[2]
وأقـول منقوح البـدِيّ كأنّه ... بـردٌ تَنافسه التّجارُ قَشيبُ[3]

يقولُ فيها في مدح الفضل :

والبرمكــيُّ إذا تقـارب سنُّه ... أو باعدَتـه السنُّ فهو نجيبُ
خرِقَ العطاء إذا استهلَّ عطاؤُه ... لا مُتبعٌ منّـاً ولا مَحسوبُ
يا آل برمكَ مـا رأينا مثلَكمْ ... مـا منكـمُ إلاّ أغرُّ وَهوبُ
وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هِبْتُهُ ... لِجلالـه إنَّ الجليـلَ مَهيبُ
قاد الجيادَ إلى العِـدا وكأنّها ... رَجْلُ الجراد تَسوقهنَّ جَنُوبُ
قُبّـاً تُباري في الأعنَّـةِ شُزَّبا ... تَدَعُ الحُزونَ كأنّهنَّ سُهوبُ[4]
من كلّ مضطرِب العِنان كأنّه ... ذِئْـب يبادرُه الفريسةَ ذِيبُ
تهـوِي بكـلِّ مغاورٍ عاداتُـه ... صِدقُ اللقاء فما لَـه تكذيبُ
حتى صَبَحن الطالبيَّ بعارضٍ ... فيـه المنايـا تَغْتَدِي وتَئوبُ
خاف ابنُ عبد الله مـا خوَّفتَه ... فجفاكَ ثـم أتاك وهو مُنيبُ
ولقـد رآك المـوتُ إلاّ أنَّه ... بالظنِّ يُخْطِيء مـرّة ويُصيبُ
فرمى إليكَ بنفسه فنَجـا بها ... أجـلٌ إليـه يَنتهـي مكتوبُ
فكسوتَه ثـوبَ الأمان وإنَّه ... لا حبلُـه واهٍ ولا مقضوبُ
شِمنا إليكَ مَخيلـةً لا خُلَّبـاً ... في الشَّيمِ إذ بعضُ البروق خَلوبُ

---

1 سبيب : جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الثياب ، وقيل من الكتان خاصة .

2 أصورها : أميلها .

3 البدي : البديهة . ومنقوح الكلام ، مهذبه ومحرره وفي ل : مقترح .

4 قبا : ضوامر ، مفرد أقب أو قباء . شزباً : خشنة يابسة ، جمع شازب .

إنّا علـى ثِقـةٍ وظنٌّ صادقٍ　　مِمّـا نؤمّلـه فليسَ نَخيبُ

[يجيزه الفضل فيشكره]

قال : فاستحسنها الفضلُ ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرهم ، فقبضَها ، ووَثب قائماً ، وهو يقول : [من البسيط]

إنّي سأمتدحُ الفضلَ الذي حُنِيَت　　منّـا عليـه قُلـوبُ البِرّ والضّلَعُ
جـاد الربيـعُ الذي كنّـا نؤمّلُه　　فكلّنـا بربيـع الفضْـلِ مـرتَبعُ
كانت تطولُ بنا في الأرضِ نجعتُنا　　فاليوم عنـد أبـي العبّاس نَنْتَجعُ
إن ضاق مذهبُنا أو حـلَّ ساحتَنا　　ضَنكٌ وأزْم فعند الفضلِ متّسَعُ[1]
ما سلَّم اللهُ نفسَ الفضل من تلَفٍ　　فما أبالي أقـام النّاسُ أم رَجعُوا
إن يمنعوا مـا حوتْ منّا أكفّهمُ　　فلن يضرَّ أبـا الحجناء ما مَنَعُوا
أو حلأّونا وذادوا عـن حياضِهِم　　يومَ الشروع ففي غُدْرانِكَ الشّرَعُ[2]
يا ممسكاً بِعُرا الدُّنيـا إذا خُشِيَت　　منهـا الزلازلُ والأمرُ الذي يقعُ
قد ضرَّسَتْك الليالي وهـي خاليةٌ　　وأحْكَمَتْك النهى والأزلَمُ الجَذَعُ[3]
فغادرا منك حَزنـاً عن مُعاسرةٍ　　سهلَ الجنابِ يسيراً حـين يتّبَعُ
لم يفتلِتْـك نقيراً عـن مُخادعة　　دَهْـيُ الرّجال وللسوّالِ تَنخدعُ[4]
فأنـت مضطلِعٌ بـالملكِ تَحملـه　　كما أبـوك بِثقل المُلك مُضطلِعُ

[يمدح زبيدة في موسم الحج]

قال ابن أبي سعد : لمّا حجّتْ أمّ جعفر زُبيدةُ لَقِيَها النُّصيب ، فترجّل عن فرسه وأنشأ يقول : [من الطويل]

سيستبشر البيتُ الحـرامُ وزمـزَمٌ　　بـأمٍّ وليِّ العهـدِ زيـنِ المـواسمِ

---

1 أزم : شدة .

2 حلأّونا : منعونا الشرب .

3 الأزلم الجذع : معناهما الدهر الكثير البلايا الذي لا يهرم .

4 دهي : أي الدهاء ، وهو جودة الرأي والبصر بالأمور .

ويعلم مَـنْ وافـى المحصَّب أنّها ستحمل ثِقل الغُرم عن كلّ غارِمِ[1]
بنـو هاشم زيـنُ البريـة كلّها وأُمٌّ وليٍّ العهـد زيـنٌ لهاشمِ
سلِيلةُ أمـلاكٍ تفرَّعـت الذُّرى كـرامٍ لأبنـاء الملـوك الأكارِمِ
فوالله مـا نَدري : أفضلُ حديثِها عليهـم بـه تَسمـو أم المُتقادمِ
يظـنّ الذي أعطتْه منهـا رغيبةً يقصّ عليـه النـاسُ أحلامَ نائمِ

فأمرتْ لـه بعشْرة آلاف درهـم وفـرس ، فأعطيَه بلا سرج ؛ فتلقَّاها لَمّا رحلتْ وقـال : [من الوافر]

لقـد سادتْ زُبيدةُ كلَّ حـيٍّ وميْتٍ مـا خلا الملكَ الهُماما
تُقًى وسماحـةٌ وخلوصُ مَجد إذا الأنسابُ أُخلصتِ الكراما
إذا نزلـتْ منازلَهـا قريشٌ نزلـتِ الأنفَ منها والسَّناما
بلغْتِ من المفاخـر كلَّ فخرٍ وجاوزْتِ الكلامَ فـلا كلاما
وأعطيتِ اللُّهـى لكـنَّ طِرْفي يريـدُ السَّرجَ منكم واللِّجاما

فأمرت له بسَرج ولِجام .

[الحجناء ابنته تنشد المهدي]

قال ابنُ أبي سعد : خرج المهديّ يتنزّه بعيسى باذ[2] ، وقدِم النُّصيبُ ، ومعه ابنتُه حجْناء ، فدخل على المهديّ ، وهي معه ، فأنشدته قولَها فيه : [من الخفيف]

رُبَّ عيش ولـذّةٍ ونعيـم وبهـاءٍ بمشرق المَيْـدانِ
بسط اللهُ فيـه أبهـى بِساط مـن بَهـار وزاهـر الحَوْذانِ[3]
ثم من ناضرٍ من العُشُب الأخْـ ـضَرِ يزهـو شقائقَ النُّعمانِ
مـدَّه اللهُ بـالتَّحاسين حتـى قَصَرت دون طولـه العَينانِ[4]

1 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .
2 عيسى باذ : محلة كانت بشرقي بغداد .
3 بهار : نبت طيب الرائحة . الحوذان : بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر طيب الرائحة أيضاً .
4 التحاسين : جمع تحسين وهو ما وضع للزينة .

خُفِّفَتْ حافتاه حيثُ تَناهى بخيامٍ في العَين كالظُّلْمانِ
زيَّنوا وسطَها بطارمةٍ مِثْـ ـلِ الثريَّا يَحفُّها النَّسرانِ[1]
ثم حَشْوُ الخيام بيضٌ كأَمْثا لِ المَها في صَرائمِ الكُثْبانِ[2]
يتجاوبْنَ في غِناءٍ شَجِيٍّ «أَسْعِداني يا نخلَتيْ حُلوانِ»[3]
فبقصر السلام من سَلَّم اللـ ـهُ وأبقى خليفةَ الرحمنِ
ولديه الغِزلانُ بل هنَّ أبهى عنده من شَوادِنِ الغِزْلانِ
يالَه منظراً ويومَ سرورٍ شهدتْ لذّتيه كلُّ حَصانِ

فأمر لها المهديّ بعشرة آلاف دِرهم ، وله بمثلها .

[الحجناء تمدح العباسة بنت المهدي]

قال : ثم دخلت الحَجناءُ على العبَّاسة بنت المهديّ ، فأنشدتها تقول : [من الطويل]

أتيناكِ يا عبّاسةَ الخير والحيا وقد عَجَفَتْ أُدْمُ المهاري وكَلَّتِ[4]
وما تركتْ منّا السُّنونَ بقيّةً سوى رِمَّةٍ منّا من الجَهدِ رَمَّتِ
فقال لنا مَن ينصحُ الرأيَ نفسَه وقد ولَّت الأموالُ عنّا فقلَّتِ
عليكِ ابنةَ المهديّ عُوذي ببابها فإن محلَّ الخير في حيث حلَّتِ

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطِيب ، فقالت : [من البسيط]

أغنيتني يا ابْنةَ المهديِّ أيَّ غِنًى بأَعجرين كثيرٌ فيهما الوَرَقُ

أي : اغنيتِني على عقب ما أغناني أخوكِ . بأَعجَرين : بكيسين .

من ضرب تسع وتسعين مُحَكَّكَةٍ مثلِ المصابيح في الظَّلماء تأتَلِقُ

---

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 صرائم الكثبان : جمع صريمة ، وهي قطعة من الرمل .

3 نخلتا حلوان : يطلق هذا الاسم على جملة قرى ، والمراد هنا حلوان العراق . وهذا الشطر في مطلع قصيدة مطيع بن إياس التي يقول فيه :

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكياني من ريب هذا الزمان

4 أدم : جمع أدماء ، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً .

أمّـا الحسودُ فقـد أمسى تغيُّظه غمّـاً وكادَ برَجْع الرِّيـق يَخْتَنِقُ
وذو الصداقة مسرورٌ بنـا فَرِحٌ بادي البِشارة ضاحٍ وجهُه شَرِقُ

[يمدح إسحاق بن الصباح]

وقال ابن أبي سعد : كان إسحاق بن الصباح الأشعثيّ صديقاً للنُّصيب ، وقدِم قدمة من الحجاز ، فدخل على إسحاق ؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرّاً وتَمراً ، فيحملونه على إبلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناءَ يقال لها : مَسرورة ، فأردفها خلفَه ، ومضى وهو يقول : [من الطويل]

إذا احتقبوا بُـرّاً فأنـتِ حَقِيبتي من البشَريَّـاتِ الثقال الحَقائبِ[1]
ظفرتُ بهـا مـن أشعثيٍّ مهذَّبٍ أغرَّ طويـلِ الباع جـمٍّ المواهبِ
فدًى لكَ يـا إسحاق كلُّ مبخَّلٍ ضجورٍ إذا عضَّت شِدادُ النوائبِ
إذا مـا بخيـلُ القوم غيَّب مالَه فمالُـك عِـدٌّ حاضرٌ غيرُ غائبِ[2]
إذا اكتسب القـومُ الثَّراء فإنَّما ترى الحمدَ غُنماً من كريمِ المكاسبِ

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

فتًى من بنـي الصَّبَّاح يهتزُّ للنَّدى كما اهتزَّ مَسنـونُ الغِـرار عتيقُ
فتى لا يذُمّ الضيفُ والجارُ رِفْدَه ولا يجتويـه صاحـبٌ ورَفيقُ[3]
أغـرُّ لأبنـاء السبيل مَـوارِدٌ إلى بيتـه تَهديهـمُ وطـريقُ
وإن عُـدَّ أنسابُ الملوك وجدتَه إلى نَسب يعلوهُـمُ ويَفـوقُ
فما في بني الصَّبَّاح إن بَعُد المَدى علـى النّـاس إلاّ سابـقٌ وعَريقُ
وإنّـي لِمَـنْ شاحَنْتُمُ لُمشاحِنٌ وإنّـي لِمَـنْ صادقتُـمْ لصَديقُ

[يمدح خزيمة بن خازم]

قال : وكان النُّصيبُ إذا قَدِم على المَهديّ استهداه القوّادُ منه ، وسألوه أن يأمره بزيارتهم ،

---

1 البشريات في ل : المسريات .

2 القوم في ل : المال . مالك عد : أي كثير ، ولعل تشبيه بالماء العد وهو الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

3 يجتويه : يكرهه .

فكان فيمن استزاره خُزَيمة بن خازم ، فوصله وحمله ، وقال فيه : [من الوافر]

وجدتُـك يـا خُزَيمةُ أريحيّاً بما تحوي وذا حَسَبٍ صَمِيمِ
تميمٌ كانَ خيرَ بنـي معـدٍّ وأنتَ اليـومَ خيرُ بنـي تميمِ
سوى رهط النبيِّ وهـم أديمٌ وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديمِ

وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا أفضلَ الناسِ عُودا عند مَعْجَمِه إذا تَفاضلَ يومـاً مَعْجَـمُ العُودِ
إنّي لواحدُ شعرٍ قـد عُرفتُ بـه وذا خزيمةُ أضحى واحدَ الجودِ
إن يعطكَ اليوم معروفاً يعِدك غداً فأنـت في نائـل منـه وموعودِ
وقـد رأينـا تميمـاً غير مُكْرهَـةٍ ألقَـتْ إليـك جميعـاً بالمقاليدِ
فأنـت أكرمُهـا نفساً وأفضَلُها إنّ الصناديـدَ أبنـاءُ الصناديدِ

قال : وكان في غزاة سَمالو[1] مع المهديّ ، فوقف به فرسُه ، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبد الله بن هشام بن عمرو ، وبين يديه فرس يُجنَب[2] فقال له : قد تَرى قيام فرسي تحتي ، فارددْ إليَّ جَنِيبَك حتى يتروَّح فرسي ساعة ، فسكَتَ ، ولم يُجِبْه فقال فيه : [من الطويل]

أُنادي بأعلى الصوتِ جَعْدا وقد يَرى مكاني ولكن لا يُجيبُ ويَسْمَعُ
ولم يَـرَني أهـلاً لحُسْنِ إجابـة ولا سُوئِهـا إنّـي إلى اللهِ أرجعُ
فلو أنَّنـي جازيـتُ جَعْداً بِفِعله لقد لاح لي فيه من الشعرِ مَوضعُ
ولكنّنـي جافيـتُ عنـهُ لِغيره بحُسْن الذي يأتـي إليَّ ويَصْنَعُ
رأيتـك لم تحفـظْ قرابَـةَ بيننـا وما زالتِ القُربى لدى الناسِ تَنْفَعُ

[لا يريد شريكاً]

قال : وسألَ عُبيدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً ، فأعطاه إيّاه ، وجعل معه شريكاً له فيه ، فقال : [من البسيط]

لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعتُ بِه وقـد تملَّقتُـه لـو ينفـعُ الملَقُ

---

1 سمالو : من ثغور الشام قرب المصيصة وطرسوس .
2 فرس يجنب : يُقاد إلى آخر .

فعاد يسأل ما أَصبحتُ سائلَه فكلُّنا سائلٌ في الحِرْص مُتَّفِقُ
أحينَ سار مديحي فيكمُ طُرُقاً وحيث غنَّتْ به الرُّكبانُ والرُّفَقُ
قطعتَ حبلَ رجاءٍ كنتُ آملُه فيما لديكَ فأضحى وهو مُنْحَذِقُ[1]
قد كان أورَقَ عودي من أبيك فقد لَحيْتُ عُودي فجفَّ العُودُ والوَرَقُ
من نازع الكلبَ عَرْقاً يرتجي شِبَعاً كمصطلٍ بحريقٍ وهو يَحترِقُ[2]

[الفضل بن يحيى يستقلّ ما أعطاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزبير بن بكّار قال: كتب إليَّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول: أنشدتُ الفضلَ بن يَحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْب: [من الكامل]

عند الملوكِ مَضرَّةٌ ومنافعُ وأرى البرامِكَ لا تضرُّ وَتَنْفَعُ
إنّ العُروقَ إذا استسرَّ بها الثَّرى أَشِرَ النباتُ بِها وطابَ المَزْرَعُ[3]
فإذا نَكِرتَ من امرىءٍ أعراقَه وقديمَه فانظرْ إلى ما يَصْنَعُ

قال: فأعجبه الشعرُ، فقال: يا أبا محمد، كأنّي واللهِ لم أَسمعْ هذا القول إلاّ الساعة، وما له عندي عيب إلاّ أنّي لم أكافئْه عليه. قال: قلتُ: وكيفَ ذلك أصلحكَ اللهُ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألفَ دِرهم! فقال: لا والله ما ثلاثُون ألفَ دينار بمكافِئة له، فكيفَ ثلاثون ألفَ درهم!

[جود الفضل جعل الناس كلّهم شعراء]

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال: أخبرني أحمدُ بنُ سليمان بن أبي شيخ قال: كان أبي يستملح قولَ نُصيب وقد رأى كثرةَ الشعراء على باب الفضل بن يحيى. فلمّا دخل الناس إليه قال له: [من الطويل]

ما لقينا من جودِ فضلِ بن يحيى تركَ الناسَ كلّهم شُعراءَ

1 منحذق: منقطع. وفي ل: منخرق.
2 عَرْقاً: عظماً.
3 أشر النبات: ازدهر.

ويقول : ما في الدُّنيا أحسنُ من هذا المعنى ، وعلى أنّه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ولكنْ قلّما سمعتُ بطبقته مثلَه .

صوت

[من الكامل]

طاف الخيالُ ولات حينَ تَطرُّبِ   أن زار طيف موهِناً من زَينبِ
طرقَتْ فنفَّرتِ الكَرى عن نائمٍ   كانتْ وسادَتُه ذِراعَ الأرحبي[1]
فبكى الشبابَ وعهدَه وزمانَه   بعد المشيبِ وما بُكاءُ الأشيبِ

عَروضه من الكامل ، الشعر لأبي شُراعةَ القَيسيّ ، والغناء لدَعامة البَصريّ خفيف رَمَل بالبنصر من كتاب الهشاميّ .

1 الأرحبيّ : الجمل المنسوب إلى أُرحب ، وهي قبيلة من همدان .

[501] ـ أخبار أبي شراعة ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما كتب به إلينا ابنُه أبو الفيَّاض سوَّار بن أَبي شُراعة من أخباره ونسبه ، أَحمدُ بن محمد بن شُراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نُعَيم بن خالد بن عَبدة بن مالك بن مُرّة بن عبَّاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل : شاعرٌ بصْريّ من شعراء الدولة العبّاسيّة جيِّدُ الشعر جزلُه ، ليس برقيق الطبع ، ولا سهل اللَّفظ ، وهو كالبدويّ الشعر في مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطَب مع شعره ، وكانت به لُوثة وهَوَج .

وأُمّه من بني تميم من بني العنبر ، وابنه أبو الفيَّاض سوَّار بن أَبي شُراعة أَحدُ الشعراء الرّواة ، قدِم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة ، فكتب عند أصحابُنا قِطعاً من الأخبار واللّغة ، وفاتني فلم أَلقه ، وكتب إليَّ وإلى أبي ، رحمه الله ، بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا ، فكانت أخبار أبيه من ذلك .

[يهب نعله ويمشي حافياً]

فمنها ما حكاه عنه أنّه كان جواداً لا يُليـقُ[1] شيئاً ، ولا يُسأَلُ ما يقدر عليه إلاّ سَمحَ بـه ، وأنّه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنَعْلِه وانصرف حافياً ، فعَثَر فَدَمِيتْ إصبعُه فقال في ذلك : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي في العُـلا مـا أَصابني ... وإن نَقِبت نَعلاي أو حَفِيتْ رِجْلي[2]

فلم تَرَ عَيْني قَـطُّ أَحسنَ منظَراً ... من النكْبِ يدمى في المواساةِ والبذلِ[3]

ولستُ أُبالي مَـنْ تـأَوَّبَ منزلي ... إذا بقيتْ عندي السراويلُ أَو نَعْلي[4]

1 لا يُليق : لا يمسك .

2 نقبت نعلاي : رقّت أو ثقبت .

3 من النكب يدمى : وهو صدم الحجارة الرِّجل .

4 تأوب منزلي : زارني ليلاً .

[أخوه يقول إنّه مجنون فينشد شعراً]

قال : وبلغه أنّ أخاه يقول : إنّ أخي مجنون ، قد أفقرَنا ونفسَه ، فقال : [من الطويل]

أأُبْزَ مَجنوناً إذا جُدتُ بالذي ... ملكتُ وإن دافعت عنه فعاقِلُ
فداموا على الزُّورِ الذي قُرِفوا به ... ودمتُ على الإعطاء ما جاءَ سائلُ[1]
أبيتُ وتأبى لي رجالٌ أشحَّةٌ ... على المجدِ تنمِيهم تميمٌ ووائلُ[2]

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

أئِنْ كنتُ في الفتيانِ آلوت سيدا ... كثيرَ شحوب اللون مختلِفَ العَصْبِ
فما لَكَ من مولاك إلاّ حفاظُهُ ... وما المرءُ إلاّ باللسان وبالقلبِ
هما الأصغران الذائدانِ عن الفتى ... مكارِهَه والصاحِبانِ على الخَطْبِ
فإلاّ أُطِقْ سعيَ الكرام فإنّني ... أفكُّ عن العاني وأُصْبِرُ في الحَرْبِ

[قصة لحن]

أخبرني عمِّي قال : أخبرني مَيمونُ بنُ هارون قال : حدَّثني إبراهيم بن المدَبِّر قال : كان عندي أبو شُراعةَ بالبَصرة ، وأنا أتولاَّها ، وكان عندي عمير المغنِّي المدنيّ ، وكان عُمير بنُ مرّة غَطَفانيّاً ، وكان يغنِّي صوتاً يُجيدُه ، واختاره عليه وهو : [من الطويل]

أتحسِبُ ذاتَ الخالِ راجيةً رَبّاً ... وقد صدعتْ قلباً يُجَنُّ بها حُبّا

فاقترحه أبو شُراعةَ على عُمَير ، فقال : أعطِني دَراهمَ ، حتى أُقبلَ اقتراحكَ ، فقال له أبو شُراعةَ : أخْذُ المغنى من الشاعر يدلُّ على ضعف الشاعر ، ولكنّي أعرضُك لأبي إسحاق ، فغنّاه إيّاه ثلاث مرّات وقد شَرِبَ عليه ثلاثةَ أرطال . وقال : [من الطويل]

عدوْتُ إلى المُريِّ عدوةَ فاتِكٍ ... مِعنٍّ خليع للعواذل والعُذْرِ[3]
فقال لشيء ما أرى قلتُ : حاجةٌ ... مُغَلغلة بين المخنَّق والنَّحرِ[4]

1 قرفوا به : وصموا .
2 رجال أشحة : جمع شحيح ، أي بخيل .
3 مِعنّ : مبالغ في العناء والتجشّم .
4 مغلغلة : داخلة ممعنة . المخنق : موضع الخناق .

فلمّا لواني يَسْتثيب زَجرتُه وقلت : اعْتَرِفْ إنَّا كلانا على بَحْرِ
أليس أبو إسحاقَ فيه غِنًى لَنا فَيُجدي على قَيسٍ وأُجدِي على بكرِ
فغنَّى بذات الخالِ حتى استخفَّني وكاد أديمُ الأرض مَن تحتنا يَجرِي

[ابن المدبّر يعطيه عشرة آلاف درهم]

حدَّثني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كان أبو شُراعةَ صديقاً لابن المدبّر أيّامَ تقلّده البصرة ، وكان لا يُفارقه في سائر أحواله ، ولا يمنعه حاجة يسأله إيّاها ، ولا يشفَع لأحد إلاّ شفَّعه ، فلمّا عُزِلَ إبراهيم بن المدبّر شيَّعه النّاس ، وشيَّعه أبو شُراعةَ ، فجعل يردُّ الناسَ ، حتى لم يبقَ غيرُه ، فقال له : يا أبا شُراعةَ غايةُ كلّ مودٍّع الفراقُ ، فانصرفْ راشداً مكْلُوءا من غير قِلًى واللهِ ولا مَلَلٍ ، وأمرَ له بعشْرة آلاف دِرهم ، فعانقه أبو شُراعة ، وبكى ؛ فأطال ، ثم أنشأ يقول : [من الرمل]

يا إسحاقَ سِرْ في دَعةٍ وامضِ مصحوباً فما منك خَلَفْ
ليتَ شعري أيُّ أرض أجدبتْ فأُغيثَتْ بك من جَهد العَجَفْ
نزل الرُّحْم من الله بهِمْ وحُرِمناك لِذنبٍ قد سَلَفْ
إنّما أنت ربيعٌ باكرٌ حيثُما صرَّفه اللهُ انصرَفْ

[خلاف حول هلال رمضان]

قال أبو الفيّاض سَوَّار بن أبي شُراعة : دخل أبي على إبراهيم بن المدبّر وعنده مُنَجِّم ، فماراه[1] بن المدبِّر في رؤية الهِلال لشهر رمضان ؛ فحكم المنجِّم بأنَّه يُرى ، وحَلَف إبراهيم بعِتْقِ غِلمانه أنَّه لا يُرى ، فرئيَ في تلك الليلة ، فأعتق غِلمانه ، فلمّا أصبح دخل الناسُ يهنّئونه بالشهر ، فأنشدَه أبو شُراعةَ يقول : [من الخفيف]

أيّها المكثر التَّجنّي على المالِ إذا ما خلا من السُّؤّالِ
أفتِنا في الذين أعتقْتَ بالأمْسِ مواليكَ أم موالي الهِلالِ
لم يكن وَكْدُك الهلالَ ولكنْ تتألَّى لِصالِح الأعمالِ
إنّما لذّتاك في المالِ شَتَّى صونُك العِرْضَ وابتذالُ المالِ

1 ماراه بمعنى : عارضه .

مـا نُبـالي إذا بقيتَ سَليما ... مَن تولَّتْ بـه صروفُ اللَّيالي

[لا يدعى فيغضب]

قال أَبو الفيَّاض : وكان أَبو شُراعة صديقَ السِّدْري ، فدَعا يوماً إخوانَه ، وأَغفل أَبا شُراعةَ . فمرَّ به الرياشيّ ، فقال : يا أَبا شُراعة ، أَلست عِنْدَ السِّدرِي معنا ؟ فقال : لم يدعُنا . ومرَّ به جماعة من إخوانه ، فسأَلوه عن مثل ذلك ، ومرَّ به عيسى بنُ أَبي حرب الصَّفار ، وكان ممّن دُعيَ ، فجلس وحَلَف أَلاّ يبرَحَ حتى يأتيَه السِّدْرِي ، فيَعتَذِرَ إليه ، ويدعوه ، فقال أبو شُراعةَ : [من الرجز]

أَيْر حمـارٍ في حِـرِ أَمِّ شِعْري ... وخُصيتاه في حِـرِ امِّ قَدْرِي

إن أَنـا لم أَشْفَعْهمـا بِوَفـرٍ ... لو كنتُ ذا وفرٍ دَعاني السِّدْري

أَو كان مـن همّ هشامٍ أَمري ... أَو راح إبراهيمُ يُطري ذِكري

وابن الرياشيّ الضعيفُ الأسر ... يخافُ إن أَردَفَ أَلاَّ يَجري

وأَنتَ يا عِيسى سقاكَ المُسْري ... نعـمَ صديـقُ عُسرةٍ ويُسرِ

[لا يستعين بإخوانه في بناء داره]

قال أَبو الفيَّاض : سقطتْ دارنا بالبصرة ، فعوتِبَ أَبي على بنائها ، وقيل له : استعن بإخوانِك إن عجزتَ عنه فقال : [من الطويل]

تَلوم ابنـةُ البكـريِّ حين أَؤُوبها ... هَزيـلاً وبعض الآئبـين سَمينُ

وقالـتْ : لحاكَ اللهُ تستحسنُ العَرا ... عـن الدار إنَّ النائبـاتِ فُنونُ

وحولـك إخوانٌ كرامٌ لهمْ غِنًى ... فقلت لإخـواني : الكـرامُ عُيونُ

ذَرينـي أَمُتْ قبـلَ احتلالِ محلَّةٍ ... لهـا في وُجـوه السائلين غُضونُ

سأَفدِي بمالي مـاءَ وجهيَ إنَّني ... بما فيـه مـن ماءِ الحياء ضَنينُ

[في ليالي شهر رمضان]

قال سوَّار بن أَبي شُراعة : كان إخوانُ أَبي يجتمعون عند الحُسين بن أَيّوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهرِ رمضان ، فيهم الرياشيّ والجمَّاز ، فقال أَبي في ذلك : [من البسيط]

لو كنتُ من شيعة الجمَّاز أَقعدني ... مقاعداً قُربُهنَّ الريـفُ والشَّرفُ

لكنّني كنتُ للعبّاس متّبعاً — وليس في مَركب العبّاس مرتَدَفُ
قد بقيتْ من ليالي الشهر واحدةٌ — فعاودوا مالحَ البقّال وانصرفُوا

[طلاقه ليلة عرس نديمه]

قال : وتزوّج نديمٌ لأبي شُراعة يقال له بَيّانُ امرأةً ، فاتّفق عرسُه في ليلة طلّق فيها أبو شراعة امرأته ، فعوتِبَ في ذلك ، وقيل : بات بيّانُ عَروساً ، وبتَّ عَزَباً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأتْ عُرسَ بَيّانٍ فهبَّتْ تلومني — رويدَكِ لوماً فالمطَلّق أحوطُ
رويدكِ حتى يرجَع البرُّ أهله — ويرحمُ رُبُّ العِرْس من حيث يُغْبَطُ
إذا قال للطحّان عند حسابه — أعِدْ نظراً إنّي أظنّك تغلِطُ
فما راعه إلاّ دعاءُ وليدةٍ — هلُمَّ إلى السّواق إن كنت تَنْشَطُ
هنالك يدعو أمَّه فيسبّها — ويلتبس الأجرَ العَقوق فيحبَطُ
فياذا العُلا إنّي لفضلك شاكرٌ — أبيتُ وحيداً كلّما شئت أضرَطُ

[يشمت في بيان]

قال : ثم بلغه عن بيّان هذا أنّه عجز عن امرأته ، ولم يَصِلْ إليها ، ولقي منها شرّاً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رمى الدّهرُ في صَحبي وفرّق جُلاّسي — وباعدهم عنّي بظَعنٍ وإعراسِ
فكلّهمُ يبغي غِلافاً لأيره — وأقعدَني عن ذاك فَقري وإفلاسي
فشكراً لربّي خان بيّانَ أيرُه — وأسعى بأيري في الظّلام على النّاسِ
يمسحه بالكفّ حتى يقيمه — وهل ينفع الكفّانِ من ثقل الرّاسِ

[أولادنا أكبادنا]

وقال أبو الفياض سوّار : نظر إليّ أبي يوماً وقد سألتُ عمّي حاجة فردّني ، فبكى ، ثم قال : [من البسيط]

حُبّي لإغناء سوّارٍ يُجشّمني — خَوضَ الدُّجى واعتساف المَهمَهِ البِيدِ
كي لا تهونَ على الأعمامِ حاجَتُه — ولا يعلّل عنها بالمواعيدِ
ولا يولّيهمُ إن جاءَ يسألُها — أكتافَ مَعرضة في العِيس مردودِ

إذا بكى قال منهمْ ذُو الحِفاظ له لقــد بُليــت بخلْــقٍ غيرِ محمودِ

[يصف صنع النبيذ]

قال : وتَمارى أَبو شُراعة ورجلٌ من أَهل بَغداد في النبيذ ، فجعل البغداديُّ يذُمّ نبيذ التمر والدِّبْس ، فقال أبو شُراعة : [من الرجز]

إذا انتخبــتَ حبــَّه ودِبسَه ثم أجدْت ضَربــه ومَرْسَهُ[1]

ثــم أَطلْتَ في الإنــاء حَبسهُ شربــتَ منــه البابــليَّ نفسَه

[دراهمه تغني عن سؤال بخيلين]

قال : وأعوز أَبا شُراعة يومئذٍ النبيذُ ، فطلبَ من نديمين كانا له ، فاعتلَّ أُحدهما بحلاوة نبيذه ، والآخرُ بحُموضته ، فاشترى من نبّاذ يقال له : أبو مَظْلُومة دَسْتيجة[2] بدِرهمين ، وكتب إليهما : [من الوافر]

سيُغني عن حلاوة دِبْسِ يحيى ويُغني عــن حُموض أبي أُميَّهْ

أَبــو مَظلومــةَ الشيخُ المولّــي إذا اتَّزنــتْ يــداه دِرْهَمَيَّهْ

أُخبرني عليٌّ بن سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان أَبو شُراعة قبيحَ الوجه جدّاً ، فنظر يوماً في المرآة ، فأطالَ ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يحمدُ على الشرِّ غيرُه .

[يوثر النبيذ على امرأته]

قال سوَّار بن أَبي شُراعة : حلفَ أَبي أَلاّ يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عندَه ، فهجره حولَين ، ثم حَنِث ، فشرِب ، وطلَّق امرأته وأَنشأَ يقول : [من الطويل]

فمَــن كان لم يسمعْ عجيباً فإنَّني عجيبُ الحديث يا أُميمَ وصادقُهْ

وقد كان لي أُنسانِ يــا أُمَّ مالكٍ وكلٌّ إذا فتَّشتَنــى أَنــا عاشقُهُ

عزيزةُ والكأسُ التي مــن يُحلّها تُخادعــه عــن عقلــه فتصادقهُ

تحارَبَتــا عنــدي فعطَّلــتُ دَنَّهــا وأَكوابَها والدَّهــر جَــمٌّ بَوائقهُ[3]

وحرَّمتُها حولَيــنِ ثــم أَزلَّنــي حديثُ النَّدامى والنشيدُ أُوافقهُ

---

1 انتخبت حبه : دنه وزيره . ضربه ومرسه : نقعه من الماء ودعكه باليد .

2 دستيجة : إناء من زجاج .

3 بوائقه : جمع بائقة بمعنى مصيبة .

فلمّا شربتُ الكأس بانتْ بأُختِها فبـان الغـزال المستحبّ خلائقهُ
فما أُطيب الكأس التي اعتضت منكمُ ولكنَّهــا ليست بريـمٍ أُعانقهُ

[في مجلس الحسن بن رجاء]

قال أَبـو الفيّـاض : قـال أَبي : قصدتُ الحسنَ بن رَجاء بالأَهواز ، فصادفتُ ببابه دِعبل بن عليٍّ الخُزاعيّ وجماعةً من الشعراء ، وقد اعتلَّ عليهم بديْن لزمه ومصادرة[1] فكتبَ إليه : [من البسيط]

المـالُ والعقـلُ شيءٌ يُستعانُ به على المَقـامِ بأَبـواب السلاطينِ
وأَنـت تعلَـمُ أَنِّي مِنهمـا عَطِلٌ إذا تأَملْتَني يـا ابـنَ الدَّهاقينِ
هل تعلم اليومَ بالأَهواز من رَجلٍ سواك يصلُـح للدُّنيـا وللدِّينِ

قال : فوعدَنا وعداً قرَّبه ، ثم تدافعَ ، فكتب إليه : [من الخفيف]

آذنَـتْ جُبَّـتي بأَمـرٍ قبيح مـن فِراقٍ للطيلسان الفسيحِ
فكأَنِّي بمَن يزيـدُ على الجُبَّـ ـةِ في ظلٍّ دار سهلِ بنِ نوحِ
أَنت رُوح الأَهواز يا ابنَ رجاء أَيّ شيء يعيشُ إلاَّ بـرُوحِ

فأَذِن لي وللجماعة ، وقضى حوائجَنا .

[يخدع أبناء سعيد بناقة عجفاء]

قال أَبو الفيَّاض وحدَّثني أَبي قال : حجَجْتُ ، فأَتيت دار سعيد بن سلم ، فنحرتُ فيها ناقةً ، وقلت : [من البسيط]

وردت دارَ سعيـد وهـي خاليةٌ وكان أَبيضَ مِطعامـاً ذُرى الإبلِ
فارتحتُ فيها أُصيلاً عند ذُكرتـه وصُحْبتي بِمِنًى لاهُونَ في شُغُلِ
فابتعتْ مـن إبل الجمَّال دهشرَةً موسومةً لم تكنْ بالحِقَّـةِ العُطُلِ[2]
نحرتُها عن سعيد ثـم قلت لهـمْ : زوروا الحَطِيمَ فإنِّـي غير مرتَحِلِ

قال : وبلغت الأَبيات وفِعْلي ولدَه ، فأَحسنوا المكافأَة ، وأَجزلوا الصِّلة ، قال : فقال له

1 مصادرة : مطالبة .

2 دهشرة : ناقة كبيرة وفي ل : دوسرة . الحقة : الناقة التي دخلت في السنة الرابعة . والعطل : هي التي لا سمة لها ولا قلائد .

صديق له : وأَنت أَيضاً قد استجدتَ لهم النَّحيرةَ ! فضحك ، ثم قال : أَغرَّكَ وصفي لها ؟ أُشهدُ الله أَنِّي ما بلغتُ بها دار سعيد إلاّ بين عَموديْن .

[هو خير ممن تعوله أمّه]

وقال أَبو الفيّاض : كان أَبو أُمامة محمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم ، وأُمّه سُعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ، صديقاً لأَبي شُراعة ، وكانت أُمُّه سُعدى تعولُه ، فكان أبو شراعة لا يزال يعبَث به ، وبلغه أنّ أَبا أُمامة يقول : إنّما معاشُ أبي شُراعة من السلطان ورِفْده ، ولولا ذاك لكان فقيراً ؛ فقال فيه :

عَيَّرتَنـي نائـلَ السلطـان أَطلُبـه ... يـا ضلَّ رأيُك بـين الخُرق والنَّزَقِ
لـولا امتنانٌ مـن السلطان تَجهلُه ... أُصبحتُ بالسَّودفى مُقعوْعِسٍ خلَقِ[1]

السَّود : موضع تنزلُه باهلَةُ بالبادية .

رثُّ الرِّدا بـين أَهدام مرقَّعَةٍ ... يبيتُ فيها بليلِ الجائعِ الفَرِقِ
لا شيء أَثبتُ بالإنسانِ معرفةً ... من التي حزمت جَنبيه بالخِرَقِ
فأَين دارُك منهـا وهي مؤمنة ... بالله معروفةُ الإسلام والشَّفَقِ
وأَين رزقُك إلاّ من يَدَيْ مَرَةٍ ... ما بِتَّ من مالها إلاّ على سَرَقِ
تبيت والهـرَّ ممدوداً عيونكما ... إلى تطعُّمِها مخضرّة الحَدَقِ
ما بين رزقيكما إن قاس ذُو فِطَنٍ ... فرقٌ سوى أنّه يأتيكَ في طَبَقِ
شارِكْهُ في صيدِه للفأر تأكلُهُ ... كما تُشاركُه في الوجْهِ والخُلُقِ

[أبو أمامة يفحمه في برمة طفشيل]

قال أَبو الفيّاض : وزاره أَبو أمامة يوماً فوجد عنده طَفْشِيلاً فأَكله كلَّه ، فقال أَبو شُراعة يمازحه : [من الطويل]

عين جودي لبُرمةِ الطَّفْشِيل ... واستهلّـي فالصبرُ غيرُ جميلِ[2]
فجعتْني بهـا يـد لم تَدَعْ للذّ ... رّ في صَحن قِدرها مـن مَقيلِ

---

1 مقعوعس خلق : بال قديم .

2 الطفشيل : نوع من المرق .

كان واللهِ لحمُهـا مـن فَصيل — راتعٍ يرتعـي كَريـمَ البُقولِ
فخلطنا بلحمـه عَدَسَ الشَّا — مِ إلى حِمَّـصٍ لنـا مَبلُولِ
فأتتنـا كأنّها روضةٌ بالحَـزْ — نِ تدعـو الجيـرانَ للتَّطْفيلِ
ثم أكفأتُ فوقَها جفنةَ الحـيّ — وعلّقتُ صَحفتـي في زَبـيلِ[1]
فَمَنى اللهُ لي بفـظٍّ غليـظٍ — مـا أراه يُقِـرُّ بالتَّنزيـلِ
فانتحـى دائبـاً يُدَبِّـلُ منها — قلـتُ : إن الثريـدَ للتَّدبيلِ[2]
فتغنَّى صوتـاً ليوضِحَ عِندي — حـيٌّ أُمَّ العلاء قبـلَ الرّحيلِ

[نبيذ مُزج بالماء]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدّثني سوَّار بن أبي شُراعة قال : كتب أبي إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قُتَيبة يستهديه نَبيذاً ، فكتب إليه سعيد : إذا سألتني ، جعلني اللهُ فِداءك ، حاجة فاشطُط ، واحتكم فيها حُكْمَ الصَّبِيٌ على أهله[3] ، فإن ذلكَ يسرُّني ، وأُسارع إلى إجابتك[4] فيه . وأمر له بما التَمس من النبيذ ، فمزَجه صاحِبُ شرابه ، وبعثَ به إليه . فكتب إليه أبو شُراعة : أسْتَنْسىءُ[5] اللهَ أجلَك ، وأستعيذُه من الآفات لكَ ، وأستعينُه على شكر ما وهَب من النِّعمة فيك ، إنّه لذلك وليّ ، وبه مليّ . أتاني غلامُك المليحُ قدُّه ، السعيدُ بملكك جَدُّه بكتابٍ قرأْتُه غيرِ مستكرَه اللفظ ، ولا مُزْوَرٍّ عن القصد ، ينطق بحكمتِك ، ويَبينُ عن فضلك ، فواللهِ ما أُوضحَ لي خفيّاً ، ولا زادني بكَ عِلماً ، وإذا أنت تسألُ فيه أن تَهب ، وتحبّ أن تُحمد ، ولا غروَ[6] أن تفعل ذلك ، ومن كَتَبٍ أخذتَه ، وعن كَلالة وغير كلالة ورثتَه ، موسى أبوك ، وسعيدٌ جدُّك ، وعمرو عمّك ، ولك دار الصِّلَة ، ودار الضيافة ، وصاحب البَغْلةِ الشَّهباء[7] وحصينُ بنُ

1 زبيل : قفة أو جراب .
2 يدبّل : يكبر اللقمة للفم .
3 مثل .
4 ل : محبتك .
5 أستنسيء : أسأل الله أن يطيل أجلك .
6 لا غرو : لا عجب .
7 الشهبة : بياض يخالطة سواد .

الحُمام وعروة بن الوَرد ، ففي أيّ غلواتِ[1] المجدِ يطمع قَرينُك أن يستولي على المدى ، والأمدُ دونَك . وكتابك إليَّ أن أتحكَّم عليك تحكّم الصبيّ على أهله ، فلشدّ ما جررت إليَّ معروفَك ، ودللتَ على الأُنس بِك ، وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسَب العَتيق ، والمنظر الأنيق الذي يسرّ القلبَ ، ويلائم الرُّوحَ ، ويطردُ الهَمَّ : [من المتقارب]

تـدِبّ خـلال شؤون الفَتى ... دبيبَ دَبـى النَّملة المنتعش[2]

إذا فُتِحـت فَغَمَـتْ ريحُهـا ... وإن سيلِ خَمَّارها قال : خُشْ

خُشْ : كلمة فارسية تفسيرها : طَيِّب .

فإن كنتَ رعيتَ لها عهداً ، وحفظتَ لها عندَك يداً ، فانظر ربَّ الحانوت فامطُله ديْنَه ، واقطع السبب بينَك وبينَه ، فقد أساء صُحبتَها ، وأفسد بالماءِ حِسَّها ، وسلِّط عليها عدُوَّها ، واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله : [من الطويل]

يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها ... فيقعـد وسْطَ القـوم لا يتكلّمُ

وقد بسطتْ قدرتك لسانَك ، وأكثرتْ لك الحمد ، فدونك نُهزةَ البديهة منه : [من الطويل]

وبادرْ بمعروف إذا كنت قـادراً ... زوال افتقار أو غنًى عنك يُعقبُ

وقد بعثتُ إليك بقرابة مع الرسول ، وأنشأتُ في أثرها أقول : [من الطويل]

إليك ابن موسى الجودِ أعمَلْتُ ناقتي ... مجلَّلـةً يضفـو عليهـا جلالُها[3]

كتومُ الوَجى لا تشتكي ألَمَ السُّرى ... سواء عليهـا موتُهـا واعتلالُها

إذا شَرِبَتْ أبصرتَ ما جوفُ بَطنها ... وإن ظَمِئَت لم يبد منهـا هُزالُها

وإن حَملتْ حِملاً تكلّفتُ حِملها ... وإن حُطَّ عنها لم أَقل كيف حالُها[4]

بعثنا بهـا تسمو العيـونُ وراءها ... إليك وما يُخشى عليهـا كَلالُها

وغنّـى مُغنِّيـاً بصوتٍ فشاقني ... «متى راجعٌ من أُمّ عمرو خيالُها»

1 غلوات : جمع غلوة ، أي قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه .

2 دبى النملة : أصغر النمل والجراد .

3 مجللة : لابسة جلها وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

4 لم أقل في ل : لم أَتَلْ .

أُحِبُّ لكم قيسَ بن عيلان كلَّها ويعجبنــي فُرسانهــا ورجــالُها
ومــاليَ لا أهــوى بقــاء قَبيلة أبــوكَ لهــا بــدرٌ وأنت هلالُها

قال : فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، واستملحه في شِعره ، وبصاحب شرابه ، وكل ما كان في خِزانته من الشَّراب وبثلاثمائة دِينار .

[مساجلة حول جارية]

أخبرني الأخفش عن المبرّد وسوَّار بن أبي شُراعة جميعاً : أنّ أبا الفيَّاض سوار بن أبي شُراعة كان يَهوى قينةً بالبصرة يقال لها : مَليحَة ، فدُعِيتْ ذاتَ يوم إلى مجلس لم يكن حاضرَه ، وحضر أبو عليٍّ البصير ذلك المجلس ، فجمَّشها بعضُ مَن حضر ، فلم تَلْتَفِتْ إليه ، وعرف أبو عليّ ذلك فكتب إلى أبي الفيّاض : [من الخفيف]

لــكَ عندي بِشارة فاستمعها وأجِبنـي عنهـا أبـا الفيَّاضِ
كنتُ في مجلسٍ مَليحــةُ فيــه وهي سُقْمُ الصِّحاح برءُ المِراضِ
وقديماً عهدتَني لستَ في حقِّ لكَ والذبِّ عنك ذا إغماضِ
فتغفَّلتُهـــا تغفُّــلَ خَصْــمٍ وتأمّلتُهـــا تأمُّــل قــاضِ
ورمَتْها العيونُ مــن كلِّ أُفْقٍ وتشاكَوْا بالوَحْي والإيماضِ
مــن كهــولٍ وسادةٍ سُمَحاءٍ باللُّهــا باخلــينَ بالأعراضِ[1]
وصفاتُ القيانِ أوّلها الغــد رُ عليــهِ في وَصلهنَّ التَّراضي
فتشوّفتُ ذاكَ منهــا وأعــدد تُ نكيري وسَوْرتي وامتِعاضي
فحمتْ جانبَ المُزاحِ وعمَّتهـ ـم جميعــاً بالصَّدِّ والإعراضِ
وكفــاني وفاؤهــا لــكَ حتَّى آذنَ الليلُ جمعَهم بارفِضاضِ

فأجابَه أبو الفيّاض : [من الخفيف]

ليتَ شعري مــاذا دَعاك إلى أن هجتَ شوقي وزدتَ في إمراضي
ذكَّرتنــي بُشراك داءً قديمــاً مــن سَقام علــيٍّ لا شكَّ قاضي
إن تكنْ أحسنتْ مليحةُ في وصْـ ـلي وعاصَت رِياضــة الرُّوَّاضِ

1 اللُّها : العطايا .

وأقامتْ على الوفاءِ ولم تَـرْ ... عَ لوحيٍ منهم ولا إيماضِ
فعلى صحَّةِ الوفاءِ تعاقدْ ... نَا وصونِ النُّفوس والأعراضِ
وعلينا من العفافِ ثيابٌ ... هنَّ أبهى من حالياتِ الرياضِ
ليس حظِّي منها سوى النظر الختْـ ... ـلِ وإنِّي به لجذلانُ راضِ
لحظاتٌ يقعنَ في ساحة القلـ ... ـب وُقوع السهامِ في الأغراضِ
وابتسامٌ كالبرق أو هو أخفى ... بين سِتريْ تحرُّزٍ وانقباضِ
لا أخافُ انتقاضَها آخرَ الدَّهـ ... ـرِ بِغَدر ولا تخافُ انتقاضي
فأبِنْ لي ألستَ تحمَد ذا الـ ... ـودَّ وقاكَ الرّدى أبو الفيّاضِ

[يهجو بني سدوس]

قال أبو الفيَّاض : اتصل بأبي شُراعة أنّ أبا ناظرة السّدوسيّ يغتابه ، وكان مع آل أبي سُفيان بن ثَوْر فقال يهجوهم : [من الكامل]

لعن الإلهُ بني سدوسٍ كلَّهمْ ... ورمى بمنجوفٍ وَريّة قافِ[1]
قد سَبَّني عُضروطُهم فسببتُهم ... ذنبُ الدَّنِيء يُناط بالأشرافِ[2]

[لا يخرج من شتيمة إلى وليمة]

قال أبو الفيّاض : وكان بَيْن بعض بني عَمّنا وبينَ أبي شُراعة وحشَة ، ثم صالحوه ، ودعوه إلى طعامهم ، فأبى ، وقال : أمِثلي يَخرجُ من صوم[3] إلى طُعم ، ومن شَتيمة إلى وليمَة : وما لي ولكم مَثَلٌ إلاّ قول المُتَلمِّس . [من الطويل]

فإن تُقبلوا بالودّ نُقبلْ بِمثِله ... وإلاّ فإنّا نحن آبى وأشمَسُ[4]

وقال فيهم : [من الوافر]

بني سَوّارَ إن رثَّتْ ثيابي ... وكَلَّ عن العشيرة فضلُ مالي

---

1 منجوف : سهم عريض . قاف : اسم جبل والمراد داهية نكراء .
2 عضروطهم : لئيمهم .
3 ل : صرم .
4 وأشمَس في ل : وأشوس .

فمطَّــرَحٌ ومتروك كلامـــي وتجفُوني الأَقــاربُ والموالي
أَلَم أَكُ مــن سَراة بنــي نُعَيمٍ أَحلُّ البيتَ ذا العَمَد الطِّوالِ
وحــولي كلُّ أَصيــدَ تَغْلَبــيٍّ أَبــيُّ الضيْـم مشتركُ النوالِ
إذا حضر الغَــداءُ فغيرُ مغــنٍ ويُغْني حــين تَشتجرُ العوالي
وأُبقــوْني فلستُ بمستكين لصاحب ثَــروة أُخرى الليالي
ولا بممسِّح المُثريــن كيْمــا أُمسِّحُ مَــن طعامهمُ سِبالي[1]
أَنا ابــنُ العنبريّـــة أَزَّرتني إزار المكرمــات إزار خالي
فإن يكــن الغِنى مجداً فإنِّي سأَدعُــو الله بــالرزق الحَلالِ

صوت

[من الطويل]

إذا أَبصرتْكَ العينُ من بُعد غايــة وأَوْقعتُ شكّاً فيك أَثبَتك القلبُ
ولــو أَنّ رَكبْــاً يمَّموك لقادَهم نسيمُك حتى يستدلَّ بكَ الرّكبُ

الشعر لعبدِ الله بنِ محمد بن البوّاب ، والغناء لأحمد بن صَدَقة الطُّنبوريّ ، رَمَل مطلق في مجرى البِنصر رواية الهشاميّ .

1 السِّبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة وسط الشفة العليا ، أو طرف الشارب .

[502] ـ أخبار ابن البوّاب

[نشأته]

هو عبدُ الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق ، من أهل بخارى . وجّه بجدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجّاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطَعهم سِكَّة بها ، فاختطُّوها ونزلوها طولَ أيّام بني أُميّة ، ثم انقطعوا من الدولة العبّاسيّة إلى الربيع ، فخدموه .

وكان عبدُ الله بن محمد هذا يخلُفُ الفضلَ بن الربيع على حجبة الخلفاء ، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلُفُ الربيع في أيّام أبي جعفر ، وكان معَه فرآه أبو جعفر مع أبيه ، فسأله عنه فأخبره ، فكساه قَباء خزٍّ ، وكساه تحتَه قباءَ كَتَّان مرقوع القَبِّ ، وقال له : هذا يَخْفى تحت ذاك .

ذكر لي أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البوّاب عن أبيه .

وكان عبد الله صالحَ الشعر قليلَه ، وراوية لأخبار الخلفاء عالِماً بأُمورهم ، روى عنه أبو زيد عُمَرُ بن شبَّة ونظراؤه ، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته .

[يمدح المأمون بعد أن نال منه]

قال أحمد بن القاسم اليوسُفيّ : حدَّثني محمد بن عبد الله البوّاب قال : حدَّثني أبي قال : حجبت موسى وهارون خليفةً للفضلِ بن الربيع .

وخدم محمداً الأمينَ فأغناه وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرَّض به ، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال : حدَّثني الحسين بن الضحّاك قال : لمّا أُتي المأمون بشعر ابن البّواب الذي يقول فيه : [من الطويل]

صوت

أَيبخَل فردُ الحسن فردُ صفاته ... عليَّ وقد أفردته بهَوًى فَردِ
رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده ... فملَّكه والله أعلم بالعَبْدِ
ألا إنّما المأمون للنّاس عِصمةٌ ... مُمَيِّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشدِ

لعلّويه في هذه الأبيات رَمَل بالوسطى .

قال : فقال المأمون : أليسَ هو القائل : [من الطويل]

أعينــيَّ جـودا وابكيــا لي محمَّدا ولا تدْخَــرا دَمعــاً عليه وأَسْعِدا

فلا فــرِحَ المأمونُ بالمُلْكِ بعــدَه ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هيهات ، وواحدةٌ بواحدة ! ولم يَصِلْه بشيء .

[بينه وبين إسحاق]

هكذا روي عن الحُسَين بن الضّحاك . وقد روي أنّ هذين الشعرين جميعاً للحسين ، وأنّ قولَ المأمون هذا بعينه فيه .

وقال أحمد بن القاسم حدَّثني جَزء بن قَطَن . وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، قالا جميعاً : وقع بين إسحاق وبين ابن البّواب شرٌّ فقال ابن البوّاب شعراً ذَميماً رَديئاً ، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليُعيّره به وهو : [من الخفيف]

إنّما أنــتِ يــا عنانُ سراج زيتُه الظَّــرف والفَتيلــةُ عقلُ

قاده للشقاء منّــي فُــؤادي رِجْل حُبٌّ لكم وللحبِّ رِجلُ

هَضَم اليوم حبُّكم كلَّ حُــبٍّ في فؤادي فصار حُبُّـكِ فُجْلُ

أنــت ريحانــةٌ وراحٌ ولكن كلُّ أنثـى سواكِ خَــلٌّ وبَقلُ

وقال حمّاد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له : [من الكامل]

الشعر قــد أعيــا عليك فخلّه وخُذ العَصا واقعدْ عَلى الأبوابِ

فجاء ابنُ البواب إلى إبراهيم جدِّي فشكا أبي إليه فقال له : ما لكَ ولَه يا بُنيّ ؟ فقال له أبي : تعرَّضَ لي فأجبته ، وإن كفَّ لم أرجع إلى مساءته . فَتَتاركا .

[يهوى جارية اسمها عبادة]

قال أحمد بن القاسم ، أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال : أخبرني : إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال : كان بالكَرخ نخَّاس يُكْنى أبا عُمَير ، وكان له جوارٍ قيانٌ لهنّ ظَرف وأدب ، وكان عبد الله بن محمد البوّاب يألف جارية منهنَّ يقال لها : عبّادة ، ويكثُر غِشْيان منزل أبي عُمَيرٍ من أجلها ، فضاق ضيقة شديدةٌ ، فانقطع عن ذلك ، وكره أن يقصّر عمّا كان يستعملُه من برّهم فتعلم بضيقته ، ثم نازعتْه نفسُه إلى لقائها وزيارتها ، وصعُبَ عليه الصبرُ عنها ، فأتاه فأصاب في منزله جماعةً ممّن كان يألفُ جواريه ، فرحّب به أبو عمير والجارية والقومُ جميعاً ،

واستبطأوا زيارته ، وعاتبوه على تأخّره عنهم ، فجعل يجمجم في عذره ، ولا يصرّح ، فأقام عندهم ، فلمّا أخذ فيه النبيذُ أنشأ يقول : [من الخفيف]

لو تشكّى أبو عُمير قليلاً لأتيناه من طَريق العِيادَهْ
فقضيْنا من العيادة حقّاً ونظرنا في مُقْلَتيْ عبّادَهْ

فقال له أبو عمير : مالي ولك يا أخي ؟ انظر في مُقلتي عبّادة متى شئتَ غيرَ ممنوع ، ودَعْني أنا في عافية ، لا تتمنَّ لي المرضَ لتعودَني .

[شعره في صديق مدمن]

وقال أحمد بن القاسم : كان عبد الله بن إسماعيل بن عليّ بن رَيْطة يألف ابن البوّاب ، ويعاشرُه ، فشربَ عندَه يوماً حتى سكر ونام ، فلمّا أفاق في السَّحَر أراد الانصراف ، فحَلف عليه واحتبسه ، وكان عبد الله يهوى جارية له من جواري عَمرو بن بانة ، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه وسأله إحضار الجارية ، فأحضرها ، وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه ، وهو يَتململ خُماراً . فلمّا رآها نَشِط ، وجلس فشرب ، وتمّمُوا يومهم ، فقال عبد الله بن محمد بنُ البوّاب في ذلك : [من المديد]

وكريمِ المجدِ محضٍ أبوه فهو الصفْو اللُّبابُ النُّضارُ
هاشميٌّ لقُروم إذا ما أظلمتْ أوجهُ قومٍ أناروا
رمت القهوةُ بالنومِ وهْنا عينَه فالجَفنُ فيه انكسارُ
فهو من طَرفٍ يُفدِّيك طَوْرا ويُعاطيكَ اللواتي أداروا
ساعةً ثم انثنى حين دبَّتْ ومشتْ فيه السُّلاف العُقارُ
وأبتْ عَيني اغتماضاً فلمّا حان من أخرى النجومِ انحدَارُ
قلت : عبدَ الله حاذرتَ أمرا ليس يُغني خائفيه الحِذارُ
فاستوى كالهُنْدَوانيِّ لمّا أن رأى أنْ ليس يُغني الفِرارُ
قلتُ : خذْها مثلَ مصباحِ ليل طُيِّرتْ في حافتَيه الشِّرارُ
أقبلتْ قَطْراً نِطافا ولمّا يُتعب العاصرَ منها اعتصارُ
هي كالياقوت حمراءُ شِيبتْ وعَلا الحُمرةَ منها اصفرارُ

كالدنانيرِ جــرى في ذُراهـا   فِضّــةٌ فالحسنُ منهـا قُصارُ[1]
تُنطِقُ الخُرس وبالصمتِ تَرمي   مَعشرا نُطْقـا إذا ما أحاروا

[يمدح المأمون]

قال أحمد : وحدَّثني يعقوبُ بنُ العبّاس الهاشميّ أبو إسماعيل النقيب قال : لمّا طال سخط المأمون على ابن البوّاب قال قصيدة يمدحُه بها ، ودسَّ مَن غنّاه في بَعضها ، لمّا وجد فيه نشاطاً . فسأل مَن قائلُها ؟ فأخْبِرَ به فرضِيَ عنه ، وردّه إلى رسْمه من الخِدمة ، وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة ، وهي قوله : [من المجتث]

هــل للمحبِّ مُعينُ   إذ شطَّ عنه القريــنُ
فليس يَبكي لَشجو الـ   ـحزيــنِ إلاّ الحــزينُ
يا ظاعناً غــاب عنّا   غَـداةَ بـانَ القطـينُ
أبكى العيونَ وكانتْ   بــه تَقَـــرُّ العيـــونُ
يــا أيّهـــا المأمون الـ   ـمبـــارَك الميمـــونُ
لقد صفتْ بك دُنيا   للمسلمــين وديـــنُ
عليكَ نُــور جــلالٍ   ونُــور مُلــك مبـينُ
القــول منــكَ فِعالٌ   والظـــنُّ منـك يقينُ
مــا مِن يديك شِمال   كلتــا يديـك يَمينُ
كأنّما أنتَ في الجُو   دِ والتُّقــى هــارونُ
مَنْ نالَ من كلِّ فضلٍ   مــا نالــــه المأمــونُ
تألَّــف النّاسَ منـــه   فضلٌ وجــودٌ ولـينُ
كالبدر يبـدو عليــه   سكينــــةٌ وسكُــونُ
فالرزقُ مـــن راحتيه   مقسَّمٌ مَضْمــــونُ
وكلّ خَصلـــةِ فضلٍ   كانتْ ، فمَنــه تكونُ

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفاً أربعة أبيات ، أنشدنيها الأخفش وهي

1 قصار : غاية ونهاية .

قولـه : [من الطويل]

أَفِـقْ أيّـها القلب المعـذَّبُ كَمْ تَصبو فلا النأيُ عن سلماك يُسلِي ولا القرْبُ
أَقــولُ غــداة استخبرَت مِمَّ علَّتي مــن الحبِّ كربٌ ليس يشبهُه كَربُ
إذا أَبصرتك العــين مــن بُعــد غايةٍ فأَدخلتُ شكا فيــك أَثبتَك القلبُ
ولــو أَن رَكبــا يمموك لقادَهــم نَسيمُك حتــى يَستدلَّ بِكَ الرّكبُ

فقال الأَخفش مثل هذا البيتِ الأخيرِ قول الشاعر : [من المنسرح]

واستَودَعَت نشرَها الديارُ فما تَــزدادُ طيباً إلاّ عــلى القِدَم

[يخشى العين على ساقيه]

أَخبرني الحسنُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق : قال : رأَيتُ محمد بن عبد الله البوّاب وقد جاء إلى أَبي مسلّماً فاحتبسه ، ورأَيته وهو شيخ كبير ، وكان ضخماً طويلاً عظيمَ الساقين كأَنّهما دَنّان ، وكان يشدّ في ساقيه خرزا أَسود لئلاّ تصيبهما العينُ .

[يملق فيغنّيه أبو دلف]

وقال محمد بن القاسم : أَملق عبدُ الله بن محمد البوّاب حين جفاه الخليفة ، وعلت سِنُّه عن الخِدمة ، فرحل إلى أَبي دُلَف القاسم بن عيسى ، ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين ألفَ درهم ، وعاد بها إلى بَغداد ، فما نَفِدتْ حتى مات وهي قوله : [من الكامل]

طرقتْك صائــدةُ القلوبِ رَبــابُ ونــأَتْ فليس لهــا إليــك مآبُ
وتصرَّمتْ منها العهودُ وغُلِّقتْ من دون نيــلِ طِلابِها الأبوابُ
فَلأَصدِفنَّ عــن الهــوى وطِلابِه فالحــبُّ فيــه بَلِيَّــةٌ وعذابُ
وأَخصُّ بــالمدح المهــذَّب سيِّدا نفحاتُــه للمُجْتديــن رغابُ[1]
وإلى أَبي دُلَـف رحلْــتُ مطيَّتي قــد شفَّهــا الإرقالُ والإتعابُ[2]
تعلــو بنــا قُلَلَ الجبــال ودونَها ممّــا هــوتْ أهويَّــة وشِعابُ[3]

1 رغاب : جمع رغيبة ، بمعنى واسعة .
2 الإرقال : الإسراع .
3 أُهويّة : هوة .

فـإذا حللتَ لـدى الأمير بأرضه نلـتَ المُنــى وتقضَّــت الآرابُ
مَلِكٌ تأثَّــل عــن أبيــه وجدِّه مَجْــدا يُقصِّــر دونــه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به خضعتْ لفضلِ قديمه الأحسابُ
قــومٌ علَوْا أمــلاكَ كلِّ قبيلـة فالنّــاس كلّهــمُ لهــم أذْنابُ
ضرَبَتْ عليــه المكرمـاتُ قِبابَها فعلا العمــودُ وطالَتِ الأطنابُ
عَقِم النساءُ بمثلــه وتعطَّلــتْ مــن أنْ تُضَمَّن مثلَــه الأطلابُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

صغيرُ هــواكَ عذَّبني فكيف به إذا احْتُنِكا
وأنت جمعت من قلبي هَوًى قد كان مشترَكا
وحبسُ رضاك يقتُلني وقتــلي لا يَحــلُّ لكا
أمّا تَرْثــي لمكْتئِبٍ إذا ضحك الخليُّ بَكى

الشعر لمحمَّد بن عبد الملك الزيّات والغناءُ لأبي حشيشةَ رَمل بالوُسطى عن الهشاميّ .

[503] ـ أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

[نسبه]

هو محمدُ بن عبد الملك بن أبان بن أَبي حمزة الزيات ، وأصله من جَبُّل[1] ويكنى أبا جعفر . وكان أبوه تاجراً من تجّار الكرْخ المياسير ، فكان يحثُّه على التجّارة وملازمتها ، فيأبى إلاّ الكتابةَ وطلبَها ، وقصد المعالي ، حتى بلغَ منها أن وزر ثَلاثَ دفعات ، وهو أوّل مَنْ تولّى ذلك وتمَّ له .

أَخبرني الأخفشُ عليٌّ بن سليمان قال : حدَّثني عمرُ بن محمد بن عبد الملك قال : كان جدِّي موسراً من تجّار الكَرخ ، وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغَل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدبَ وطلبَه ، ويخالطُ الكُتّاب ، ويلازم الدّواوين ، فقال له ذاتَ يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمُه ينفعك ؛ وليضُرَّنّك ، لأنّك تَدَع عاجلَ المنفعة . وما أنت فيه مكفيٌّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجلَ الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلَمنَّ أيُّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أأنا أم أنت ؟ ثم شخَصَ إلى الحسن بن سهل بفم الصِّلح[2] ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّها حينَ تناءى خطوُها أَخْنَسُ مَوشيّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[3]

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا أَلومك بعدها . على ما أنتَ فيه .

---

1 جبلٌ : قرية مقابلة لقرية دسكرة غربي بغداد .

2 فم الصِّلح : موضع على نهر الصلح وهو نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبل عليه عدة قرى . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

3 أخنس : ثور وحشي ، مَوْشي الشوى : ملون الأطراف .

[دخوله على الحسن بن سهل]

أُخبرني جحظة والصُّوليّ ، قالا : حدَّثنا ميمون بن هارون : قال : لَمّا مدح محمد بن عبد الملك الحسن بنَ سهل ، ووصله بعشرة آلاف درهم مَثَلَ بين يديه وقال له : [من البسيط]

لم امتدحْك رجــاء المــالِ أَطلُبه لكنْ لتُلبِسَني التَّحجيــلَ والغُررا
وليس ذلــك إلاّ أنَّني رجــلٌ لا أُطلب الوِرْدَ حتى أَعرِفَ الصَّدَرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً ، لا يقاس به أَحد من الكتّاب ، وإن كان إبراهيم بن العبّاس مثله في ذلك ، فإنّ إبراهيمَ مقلّ وصاحب قِصار ومقطّعات ، وكان محمدٌ شاعراً يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حَسَن اللفظ إذا تكلّم وإذا كتب .

[ينصف خصمه من نفسه]

فحدَّثني عمّي رَحمه الله قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال : جلس أَبي يوماً للمظالم ، فلمّا انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً ، فقال له : أَلكَ حاجة ؟ قال : نعم تدنيني إليك ؛ فإنّي مظلوم . فأدناه ، فقال : إني مظلوم ، وقد أعوزني الإنصاف ، قال : ومن ظَلَمك ؟ قال : أنتَ ، ولست أَصل إليكَ ؛ فأَذكر حاجتي ؟ قال : ومَنْ يحجبك عنّي وقد ترى مجلِسي مبذولاً ؟ قال : يحجبني عنك هَيْبتي لك وطول لسانك ؛ وفصاحَتُك ، واطّراد حُجّتك ، قال : ففيم ظلمتُك ؟ قال : ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غَصْباً بغيرِ ثَمن ، فإذا وجب عليها خراجٌ أدّيته باسمي لئلاّ يثبتَ لك اسم بملكها ، فيبطل مِلكي ، فوكيلك يأْخذ غلّتها ، وأَنا أؤدّي خراجها ، وهذا ممّا لم يسمعْ في الظلم مثله ، فقال محمد : هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بَيِّنَةٍ وشهود وأَشياء ، فقال له الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه ، حتى أُجيبَ ؟ قال : قد أَمَّنْتك ، قال : البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليسَ يحتاج معهم إلى الشيء ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأَشياء ، أيش هذه الأَشياء إلاّ العيّ والحَصر والتغطرس[1] ؟ فضحك ، وقال : صدقتَ ، والبلاء موكّلٌ بالمنطق ، وإنّي لأَرى فيك مصطنَعا ، ثم وقّع له بردّ ضَيعته وبأَن يطلق له كُرُّ حِنطة[2] وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عِمارة ضَيعته ، وصيَّره من أَصحابه ، واصطَنَعه .

1 التغطرس : التعامي عن الشيء .
2 كر حنطة : أربعون أردباً .

[يهدد إبراهيم بن المهدي]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني أحمد بن محمد الطالَقانيّ قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : لمّا وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة ، اقْترضَ من مياسير التُّجَّار مالاً ، فأخذ من جدِّي عبد الملك عشرَة آلاف دِرهم ، وقال له : أنا أردُّها إذا جاءني مال ، ولم يتمّ أمرُه فاستخفى ، ثم ظهر ورَضيَ عنه المأمونُ ، فطالبَه الناسُ بأموالهم ، فقال : إنّما أخذتُها للمُسلمين ، وأردتُ قَضاءها من فيئهم ، والأمرُ الآن إلى غيري ، فعمل أبي محمدُ بنُ عبد الملك قصيدَةً يخاطبُ فيها المأمونَ ، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، فأقرأه أيّاها وقال : والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضتْه من أبي لأوصلنّ هذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون ، فيتدبَّر ما قاله ، فيُوقع به ، فقال له : خذ منِّي بعضَ المال ، ونجِّم عليَّ بعضه ، ففعل أبي ذلك بعد أن حَلَّفه إبراهيمُ بأوكد الأيمان ألاَّ يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفَّى له أبي بذلك ، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كلّه .

والقصيدة قوله : [من الطويل]

ألَـم تَـرَ أن الشيءَ للشيء علَّـةٌ ... تكـونُ لـه كالنّارِ تُقـدَح بالزَّندِ
كذلـكَ جرّبْـتُ الأُمـورَ وإنّما ... يدُلُّك مـا قـد كان قبلُ على البَعْدِ
وظنّـي بإبراهيـم أنّ مكانَـه ... سيُبعث يومـاً مثـلَ أيّامه النُّكْدِ
رأيت حُسَيْناً حـين صار محمـد ... بغيـر أمـانٍ في يديـه ولا عَقدِ
فلـو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ ... فصيَّره بالقـاع مُنعفِـر الخَـدِّ
إذا لم تكـنْ للجنـد فيـه بقيّـةٌ ... فقد كان مـا خُبِّرتُ من خبرِ الجُندِ
هُـمُ قَتلـوه بعـد أن قَتلـوا لـه ... ثلاثـين ألفـا من كهول ومن مُرْدِ
ومـا نصروه عـن يَـدٍ سلفَتْ له ... ولا قتلـوه يـوم ذلكَ عـن حِقدِ
ولكنّـه الغـدرُ الصُّراح وخِفّةُ الـ ... ـحُلوم وبعدُ الرأي عـن سَنَنِ القَصدِ
فذلـك يـوم كان للنّـاس عبرةً ... سيبقى بقاءَ الوَحْي في الحَجر الصَّلدِ[1]

1 الوحي : الكتابة .

وما يـوم إبراهيـم إن طال عمرُه بأبعـد في المكـروه من يومه عِنْدي
تذكَّـر أميرَ المؤمنـين مقامَـه وأيمانـه في الهـزلِ منـه وفي الجَدِّ
أمـا والذي أمسيتَ عبـداً خليفـةً لـه شرُّ أيمـان الخليفـة والعبدِ
إذا هـزّ أعـوادَ المنابـر بـاستهِ تغنّـى بليـلى أو بميَّـةَ أو هِنْـدِ
فوالله مـا مـن تَوبـةٍ نزعتْ بـه إليـك ولا مَيـلٍ إليـك ولا وُدِّ
ولكـنَّ إخـلاصَ الضمير مقـرِّبٌ إلى الله زُلْفـى لا تَخيبُ ولا تُكدي
أتاكَ بهـا طوعـاً إليـكَ بأنفه على رغمـه واستأثَـر اللهُ بالحَمْدِ
فـلا تترُكنْ للناسِ موضعَ شُبهـة فإنّك مَجْزِيّ بحسْب الذي تُسدي
فقد غَلِطوا للنّـاس في نَصْب مثلِه ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المَهدي
فكيف بمَن قـد بايع الناسَ والتقتْ ببيعتـه الركبـانُ غَـوْرا إلى نَجدِ
ومـن سكَّ تسليمُ الخلافـة سَمْعَهُ ينادى بـه بـين السِّماطينِ من بُعْدِ
وأيّ امرىءٍ سمَّـى بهـا قطُّ نفسَه ففارقهـا حتـى يُغيَّـبَ في اللَّحدِ
وتزعـمُ هـذي النابتيّـة أنّـه إمـامٌ لهـا فيما تُسِرُّ ومـا تُبدِي[1]
يقولـون سُنِّـيٌّ وأيّـةُ سُنَّـة تقومُ بجَوْن اللون صَعْل القفا جَعْدِ[2]
وقـد جعلـوا رُخْصَ الطعام بعَهده زعيماً لـه باليُمنِ والكوكَب السَّعْدِ
إذا مـا رأوا يومـاً غـلاءً رأيتَهم يَحِنّـون تَحنانـا إلى ذلـك العَهدِ
وإقبالـه في العيـد يوجَف حولَـه وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْدِ[3]
ورجّالـةٍ يمشون بـالبيضِ قبلـه وقـد تَبعـوه بـالقضيبِ وبالبُردِ
فإن قلـتَ قـد رام الخلافةَ غيرُهُ فلم يـؤتَ فيما كان حاول من جَدِّ
فلَـمْ أجـزه إذ خيَّـبَ اللهُ سعيَه على خطإٍ إذ كان منـه ولا عَمَدِ[4]

1 النابتية : طائفة من الحشوية أحدثوا بدعاً غريبة في الإسلام .
2 صعل القفا : كناية عن لؤم الحسب . وجعد : بخيل .
3 يوجف حوله : يسرع . وفي الديوان اصطكاك وهي بمعنى الاصطفاق .
4 على خطإٍ في الديوان : على عمد .

ولم أرضَ بعــد العفــوِ حتّى رفعته ... ولَلْعَـــمُّ أولى بالتَّعَهُّـــد والرِّفْدِ[1]
فليس سواءٌ خارجـــيٌّ رمـــى بـــه ... إليكَ سفاهُ الرأي والرأيُ قــد يُرْدي
تعاوتْ لـــه مـــن كلّ أَوْبٍ عِصابـةٌ ... متى يُورِدُوا لا يُصدروه عــن الوِرْدِ
ومَـــن هـــو في بيتِ الخلافة تَلْتقي ... بـــه وبـــك الآبـــاءُ في ذِروة المجدِ
فمـــولاكَ مـــولاه وجنــدُك جنــدُه ... وهل يجمع القينُ الحُسامين في غِمْدِ ؟[2]
وقـــد رابنـــي مـــن أهل بيتك أنَّني ... رأيتُ لهـــم وجـــدا بـــه أيَّما وَجِدِ
يقولـــون لا تبعـــدَ مـــن ابن مُلمَّةٍ ... صبورٍ عليها النفسَ ذي مِـــرَّة جَلْدِ
فَدانـــا وهانتْ نفسُه دونَ مُلكنـا ... عليه لذي الحال التي قلَّ من يفدي[3]
على حين أعطى الناسَ صَفْقَ أكفِّهم ... عليُّ بـــنُ موسى بالولايـــة والعَهدِ
فما كان فينا مَـــن أبى الضَّيْم غيرُه ... كريمٌ كفى مـــا في القبولِ وفي الرَّدِّ
وجـــرَّد إبراهيـــمُ للمـــوتِ نفسَه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي مَيعةٍ نَهْدِ[4]
وأبلى ومَـــن يبلغْ مـــن الأمر جُهدَه ... فليسَ بمذمـــومٍ وإن كان لم يُجْدِ
فهذي أمـــورٌ قـــد يخافُ ذَوُو النُّهى ... مَغَبَّتَهـــا واللهُ يهديـــكَ للرّشْدِ

[يزري بيحيى بن خاقان]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين القَطربلي ، عن جعفر بن محمد بن خلَف قال : قال لي المعلّى بن أيّوب : كيف كان محلُّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقدارُه ؟ فقلت له : سمعتُ محمداً يذكره ، فقال : هو مهـولُ الألفاظ ، عليلُ المعاني سخيف العقل ، ضعيفُ العقدة[5] ، واهي العزْم مأفونُ الرأي .

[لا يلبس القباء]

قال عبدُ الله : ولما تولّى محمد بن عبد الملك الوزارة ، اشترط ألاّ يلبس القَباء ، وأن

1 رفعته في الديوان : رفدته .
2 مثل .
3 الشطر الثاني في الديوان : عليه على الحين الذي قل من يفدي .
4 ذو ميعة : أوّل جري الفرس ونشاطه . نهد : جسيم مشرف .
5 العقدة : الولاية .

يلبس الدُّرَّاعة[1] ويتقلّدَ عليها سيفاً بحمائل ، فأجيب إلى ذلك .

[من لا يرحم لا يرحم]

أُخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني أُبو ذَكْوان ، قال : حدَّثني طمَّاس ، قال ميمونُ بنُ هارون : كان محمد بن عبد الملك يقول : الرَّحْمة خَوَرٌ في الطبيعة ، وضَعفٌ في المُنَّة ، ما رحمتُ شيئاً قطّ . فكانوا يطعَنون عليه في دينه بهذا القول ، فلمّا وُضع في الثّقْل والحديد قال : ارحَموني ، فقالوا له : وهل رحمتَ شيئاً قَطُّ فتُرحَم ! هذه شهادتُك على نفسِك وحكْمُك عليها .

أُخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني أُبو ذَكوان ، قال : حدَّثني طماس ، قال : جاء أُبو دَنْقش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضرُ ، فدخل ليَلْبَس ثيابه ، ورأى ابن دَنْقَش الحاجب غِلماناً لهم رُوقة[2] فقال : وهو يظنُّ أنّه لا يسمع : [من الكامل]

وعلى اللواط فـلا تلومَنْ كاتِباً إنّ اللّـواط سَجِيَّـة الكُتّابِ

فقال محمد له : [من الكامل]

وكما اللّواطُ سجيّـةُ الكُتَّابِ فكذا الحُلاقُ سَجِيَّة الحُجَّابِ[3]

[لا اعتذار مع القصاص]

فاستحيا ابن دَنْقَش ، واعتذرَ إليه ، فقال له : إنّما يقع العُذْر لو لم يقع الاقتصاص فأمّا وقد كافأتك فلا .

[يرثي سكرانة]

أُخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : أُنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً ، يرثي بها سكرانَةَ أُمَّ ابنه عُمَر ، وجعل الحسنُ يتعجّب من جودتها ، ويقول : [من الطويل]

يقول لِيَ الخِلاَّنُ لو زرتَ قبرها فقلتُ : وهـل غيرُ الفؤاد لها قبرُ

---

1 الدُّرّاعة : ثوب كالجبة مشقوق المقدم يعمل من الصوف خاصة .

2 غلمان لهم روقة : حسان .

3 الحُلاق : داء الأبنة .

على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرَها ولم أُبلـغ السنَّ التي معهـا الصبرُ

[اعتذاره إلى عبد الله بن طاهر]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقيّ ، قال : استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أُموره ، واتَّهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه ، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك ، وكتبَ في آخر كتابه يقول : [من الوافر]

أتزعُـم أنَّني أهْـوى خليلاً سواكَ على التّـداني والبِعادِ
جحـدتُ إذاً مُوالاتـي عليّاً وقلـت بأنَّني مـولى زيادِ

[واحدة بواحدة]

قرأت في بعض الكتب : كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصفهانيّ يخلُفُ عمرَو بنَ مَسعدة على ديوان الرسائل ، فكتب إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مزيد : إنّ المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فَحْم ، ويخاطب امرءاً غير ذي فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط سخيف ؛ جعل أميرَ المؤمنين ينفُخُ بالزِّقّ كأنّه حدَّاد ، وأبطل الكِتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجري أمرَك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى بنقصان ، ولا تميل برجحان ، فقال عبدُ الله الأصبهانيّ : الحمد لله ، قد أظهرَ من سخافة اللفظ ما دلَّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره رِبح السِّلع ، ورُجحان الميزان ، ونُقصان الكيل ، والخُسران من رأس المال . فضحك المعتصِمُ ، وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهانيّ من محمد ، وحَقدها عليه ابن الزيات ، حتى نكبه .

[أدعاء له أم عليه]

أخبرني الأخفشُ عن المبرِّد قال : نظر رجل كان يُعادى يونس النحويّ إليه وهو يُهادى بين اثنين من الكِبَر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغْتَ ما أرى ؟ فعلم يُونس أنّه قال له ذلك شامتاً ، فقال : هذا الذي كنتُ أرجو فلا بلغته ، فأخذه محمدُ بنُ عبد الملك الزيّات : فجعله في شعر فقال : [من مخلع البسيط]

وعائـبٍ عابني بِشيْبٍ لم يعْـدُ لّمـا ألـمَّ وقتَهْ

فقلتُ إذ عابني بشَيْبي : يا عائبَ الشيبِ لا بلَغْتَهْ

[منديل تحت عمامته]

وذكر أَبو مَروان الخُزاعيّ أَنّ أَبا دُهمان المغنِّيَ سَرَق من محمد بن عبد الملك مِنديلاً دَبَقِيّاً[1] فجعلَه تحتَ عِمامته ، وبلغ محمداً ، فقال فيه : [من الرمل]

ونديـــــمٍ سارقٍ خاتلَنـــي وهو عندي غيرُ مذموم الخُلُقْ
ضاعفَ الكَــوْرَ على هامتـه وطوى منديلَنا طــيَّ الخِرَقْ
يــا أَبــا دُهمانَ لـو جاملْتَنا لكفينــاكَ مَـؤونــاتِ السَّرَقْ

[ترجوه فتحرمه]

أَخبرنا أَبو مسلم محمد بن بَحر الأَصبهانيّ ، قال : كنتُ عند أَبي الحسين بن أَبي البغْل لمّا انصرف عن بَغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبُطْلانِ ما نَذَره من ذلك ورجوعه ، فجعل يحدِّثُنا بخبره ، ثم قال : لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيّات حيث يقول : [من البسيط]

ما أَعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحرَمُه قد كنتُ أَحسبُ أَنّي قد ملأْتُ يدي
ما لي إذا غبتُ لم أُذكَرْ بصالحةٍ وإن مَرِضتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ

[يتبادلان المدح]

أَخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني عوْن بن محمد الكِنْديّ ، قال : حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع ، قال : وصفَني محمدُ بنُ عبد الملك للمعتصم ، وقال : ما له نظيرٌ في ملاحة الشعر والغِناء والعِلم بأُمورِ الملوكِ ، فلقيتُه فشكرتُه ، وقلت : جُعِلْتُ فِداءك ! أَتَصِف شِعري وأَنت أَشعرُ الناس ؟ أَلستَ القائلَ : [من الوافر]

أَلـم تعجـب لمكتئِبٍ حزينٍ خَدين صَبابة وحليفِ صَبرِ
يقولُ ، إذا سأَلتَ به ، بخَيْرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخَيْرِ

قال : وأَين هذا ، من قولك ؟

يقـــولُ لي كيـــفَ أَصبـــ ـحتَ كيـــفَ يُصبح مِثلي

1 دبقياً : نسبة إلى دبيق . قرية كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر مشهورة بالثياب الدبقية ، وهي ثياب رقيقة تكور عمائم ، وقد ترقم بأسلاك الذهب .

ماءٌ ولا كصدَّاء[1] ، ومرعى ولا كالسَّعدان[2] .

أخبرني الصولي ، قال : حدَّثني عَون بن محمد : قال : لقي الكنجيُّ محمد بن عبد الملك فسلَّم عليه فلم يجبه ، فقال الكنجيّ : [من البسيط]

هـذا وأنت ابنُ زيـاتٍ تُصغِّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابن عطَّارِ

[لا ينتصف من ساقط أحمق]

فبلغ ذلكَ محمداً ، فقال : كيفَ يُنتصفُ من ساقط أحمق ، وَضْعُه رَفْعُه ، وعقابُه ثوابُه .

[أضيع ميتة]

أخبرني الصوليّ ، قال : أخبرني عبدُ الله بن محمد الأزديّ ، قال : حدَّثني يعقوبُ بن التَّمار ، قال : قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخَّرك عنّا ؟ قال : موتُ أخي ، قال : بأيّ علّة ؟ قال : عضَّت إصبعَه فأرة ، فضربتْه الحُمْرة[3] ، فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً ، ولا أنذلُ قاتلاً ، ولا أضيَعُ مِيتةً ، ولا أظرفُ قِتلة من أخيك .

[خمسون بيتاً في بيت]

أخبرني عمِّي عن أبي العيناء ، قال : كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دواد ، ويهجوه ، فكان أحمدُ يجمع الشعراء ، ويُحرّضهم على هجائه ، ويَصلُهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين ، كانا أجودَ ما هُجِيَ به ، وهما[4] : [من السريع]

أحسن من خَمسين بيتاً سُدًى جمعُـك إيَّاهُـنَّ في بيتِ
مـا أحوجَ الناس إلى مَطْرة تُذهـبُ عنهم وَضَرَ الزيتِ

---

1 مثل : يضرب في باب الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضيلة الآخر والصداء : ركية ليس أعذب منها . وهو يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى .
وهو عن قصة لامرأة تزوجت من رجل آخر فسألها زوجها عن زوجها الأول .

2 مثل : وهو شبيه في قصته ومغزاه بالمثل الأول . والسعدان : نبت من أفضل ما يُرعى .

3 الحمرة : ورم من جنس الطواعين ينشأ من اتساخ جرح .

4 وردت في الخزانة برواية مختلفة قليلاً هي :

أحسن من تسعين بيتاً شذى جعلـك معناهـن في بيـت
ما أحـوج الملك إلى مطـرة تغسل عنـه وضـر الزيـت

وكان ابن أبي دواد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلاّ وهو يقدرُ على قول الشعر ، طبعاً رُكِّب فيهم ، قَلّ قولُه أو كثُر .

[أبو تمام يمدحه]

أُخبرنا الصوليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى عن الحَسَنْ بن وَهْب ، قال : أُنشد أبو تمّام محمد بن عبد الملك قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

لهـان علينا أَن نقولَ وتفعلا[1]

فأثابه عليها ووقَّع عليه : [من الطويل]

رأيتك سهلَ البيع سمحاً وإنّما يُغالَى إذا ما ضَنَّ بالشيء بائعُهْ
فأَمّا الذي هانتْ بضائعُ بيعِه فيُوشك أن تَبقى عليه بضائعُهْ
هو الماءُ إن أُجمَمْتَه طاب وِردُه ويُفسدُ منـه أن تباحَ شرائعُهْ

فأَجابه أبو تمام وقال : [من الطويل]

أَبا جعفر إن كنْتُ أَصبحتُ شاعراً أُسامِحُ في بيعـي لـه مَـن أُبايعُهْ
فقـد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً بـه تُساهل مـن عادتْ عليك منافعُهْ
فصرتَ وزيراً والوزارة مَكْـرَعٌ يَغصّ بـه بعـدَ اللـذاذة كارعُهْ
وكَمْ مـن وزير قـد رأينا مُسلَّطاً فعـاد وقـد سُدَّتْ عليه مطالعُهْ
ولله قـوسٌ لا تطيش سهامُهـا ولله سيـفٌ لا تُفـلُّ مقـاطعُهْ

[راشد الكاتب يطلب منه هدية]

حدَّثنـي الصُّوليّ ، قـال : حدَّثني محمد بن يحيى بن عباد ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حجَّ محمد بن عبد الملك في آخر أيّام المأمون ، فلمّا قَدِم كتب إليه راشدٌ الكاتبُ قولَه : [من المنسرح]

لا تنسَ عهـدي ولا مودَّتِيَـهْ واشتَـقْ إلى طَلعتـي ورُؤْيتِيَـهْ
إن غبتَ عنّا فلم تغب كثرة الـ ـذكـر فـلا تَغْفُلَـن هديتِيَـهْ
التَّمر والنقـل والمساويك والقسـ ـب وخير النعـال حُسْنَ شِيَـهْ

---

1 عجز البيت : ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

وإن تجاوزتَ ما أقول إلى العَصْـ ـبِ فـذاك المأمـولُ منك لِيَـهْ[1]

فأجابه محمد بن عبد الملك : [من المنسرح]

إنّك مِنّـي بحيثُ يطّردُ الناظـ ـرُ مـن تَحت مـاء دَمْعَتِيَهْ
ولا ومَـــن زادنـــي توَدُّدُه على صِحابــي بفضـل غَيْبَتِيَهْ
ما أحسن التركَ والخلافَ لما تريـدُ منّـي ومـا تقولُ لِيَهْ
يـا بأبي أنتَ مـا نسيتُك في يـوم دُعائـــي ولا هَدِيَّتِيَهْ
ناجيتُ بالذكر والدُّعاء لك اللَّـ ـهُ لـدى البيت رافعاً يَدِيَهْ
حتى إذا ما ظننتُ بالملكِ القـ ـادر أن قـد أجاب دَعْوَتِيَهْ
قمتُ إلى موضع النعالِ وقد أقمت عشرينَ صاحبـاً مَعِيَهْ
وقلـتُ لي صاحبٌ أريـدُ له نَعْـلاً لـو مـن جلود راحتيهْ
فانقطـع القـولُ عنـد واحدةٍ قال الذي اختار يـا بِشارَتِيَهْ
فقلتُ عندي لك البشارةُ والشُّكـ ـرُ وقَـلاً في جَنب حاجَتِيَهْ
ثم تخيّرتُ بعد ذاك من العَصْـ ـب اليَمـاني بفضـل خِبْرَتِيَهْ
موشيَّـــةً لم أزلْ بِبائعهـــا أرغِـبُ حتـى زهـا عليَّ بِيَهْ
يرفَـعُ في سومِـه وأُرغِبُـه حتـى التَقـى زهدُه ورَغْبَتِيَهْ
وقـد أتـاكَ الذي أمرتَ به فاعـذِرْ بكُثر الإنعـام قِلَّتِيَهْ

[المعتصم يأخذ برذونه فيقول في ذلك شعراً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قـال : حدَّثنـا محمـدُ بنُ يزيد المبرِّد ، قال : كان لمحمد بن عبد الملك برذونٌ أشهب لم يُرَ مثلُه فراهةً وحسناً ، فسعى به محمدُ بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم ، ووصف له فراهته[2] ، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه ، فقال محمد بن عبد الملك يَرثيه : [من الكامل]

كيف العَزاء وقـد مضى لسبيلهِ عنّـا فودَّعنـا الأحـمُّ الأشهبُ[3]

1 العصب : ضرب من البرود .
2 فراهته : حسنه ونشاطه .
3 الأحم الأشهب : الأسود .

دبَّ الوشاةُ فأبعدوك وربَّما بَعُدَ الفتى وهو الأَحبُّ الأَقربُ
لله يومَ نأيتَ عنِّي ظاعنا وسُلبتُ قربَك أيَّ عِلْق أُسلَبُ
نفسٌ مفرَّقةٌ أَقام فريقُها ومضى لِطِيَّته فريقٌ يُجنَبُ
فالآن إذ كُملت أَداتُك كلُّها ودعا العيونَ إليك لونٌ معجبُ
واختيرَ من سرِّ الحدائد خيرُها لك خالصاً ومن الحُليِّ الأَغرَبُ
وغدَوتَ طَنّان اللُّجام كأَنّما في كلِّ عُضو منك صَنْجٌ يُضرَبُ
وكأَنَّ سرجَك إذ علاك غَمامةٌ وكأنَّما تحتَ الغمامةِ كَوكَبُ
ورأى عليَّ بك الصديقُ جلالةً وغدا العدوُّ وصدرُه يتلهّبُ
أنساكَ لا زالت إذاً منسيَّةً نفسي ولا زالت يَمينيَ تُنكبُ
أُضمرتُ منك اليأسَ حين رأَيْتُني وقُوى حبالي من قُواك تقضَّبُ
ورجعتُ حين رجعتُ منكَ بحسرة لله ما فعل الأحمُّ الأَشهبُ

[ناظر ضعيف البصر]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان، رضوانُ الله عليه، قال: حدَّثني محمدُ بنُ ناصح رحمةُ الله عليه، قال: لحقتْ غلاَّتِ أَهلِ البَتِّ[1] آفةٌ في أيّام محمد بن عبد الملك من جَراد وعَطَش، فتظلَّم إليه جماعة منهم، فوجَّه ببعض أَصحابه ناظراً في أمرهم، وكان في بصره ضَعْف، فكتب إليه محمد بن عليٍّ البَتِّي: [من السريع]

أَتيتَ أمراً يا أَبا جعفرٍ لم يأته بَرٌّ ولا فاجرُ
أَغثتَ أَهل البتِّ إذ أُهلِكوا بناظرٍ ليس له ناظرُ

فبلغه، فضحِك وردّ الناظرَ ووقَّع لهم بما سألوا بغير نَظر.

[مساجلة بينه وبين علي بن جبلة]

أَخبرني الصوليّ رضي الله عنه قال: حدَّثني محمدُ بن يحيى بن أَبي عبّاد عن أَبيه رضي الله عنهما قال: قال عليّ بن جَبَلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيّات، وكان قد قصدَ أَبا دُلَف القاسم بن عيسى في بعض أَمره: [من البسيط]

1 البتّ: قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان.

يـا بائعَ الزيتِ عرِّج غيرَ مرموقِ لتُشغلَنَّ عـن الأرطالِ والسوقِ
مَن رام شتمكَ لم ينزِع إلى كَذبٍ في مُنتمـاك وأبـداه بتَحقيقِ
أبـوك عبـدٌ وللأُمِّ التي فلقت عن أُمِّ رأسك هَـنٌ غيرُ محلوقِ
إن أنتَ عدَّدت أُصلالاً تُسَبُّ به يومـاً فأُمُّك منِّي ذاتُ تَطليقِ
ولن تطيقَ بحـولٍ أن تُزيل شَجاً أثبتُّـه منـك في مستنزَلِ الرِّيقِ
الله أنشاك من نَوْكٍ ومن كَذِبٍ لا تعطفـنَّ إلى لـؤمٍ لمخلوقِ
مـاذا يقـول امرؤ غشَّاك مِدحتَه إلاّ ابنُ زانية أو فـرخُ زِنديقِ

فأجابه محمد : [من البسيط]

اشمخْ بأنفك يـا ذا السيِّىء الأدبِ ما شئتَ واضربْ قذال الأرضَ بالذنَبِ
وارفع بصوتك تدعو مَن بذي عَدَنٍ ومَن بقالي قَـلا بالويـلِ والحَرَبِ[1]
ما أنتَ إلاّ امـرؤٌ أُعطـى بلاغتَه فَضْلَ العِـذار ولم يربـعْ عَلى أدبِ[2]
فاجمَحْ لعلّك يومـاً أن تعضَّ على لُجْـمٍ دِلاصيَّةٍ تَثنيكَ مـن كَثَبِ[3]
إنِّي اعتذرت فما أحسنتَ تسمعُ مِن عُذري ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطَّلَبِ
صَبْراً أبـا دُلَـفٍ في كلِّ قافيـة كالقِدْر وَقْفاً على الجارات بالعُقَبِ[4]
يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبٍ شَرْوى أبي دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ[5]
إنَّ التعصُّبَ أبـدى منـك داهيَـةً كانَتْ تُحَجَّبُ دونَ الوهم بالحُجُبِ

فأجابه علي بن جَبَلة : [من البسيط]

نبَّهتَ عـن سِنَةٍ عينيـكَ فاصطبرِ واسحبْ بذيلك هل تَقْفُو عَلى أثرِ[6]

1 قالي قلا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط ، بلد أبي علي القالي صاحب الأمالي .
2 يربع : يقف .
3 لجم دلاصية : ملساء براقة .
4 العقب : جمع عقبة ، أي شيء من المرق يرده مستعير القدر .
5 شروى : مثل .
6 تقفو : تمحو .

إن يَرحَضِ اللهُ عنّـي عـارَ مُطَّلِبي ... إليك رِفـداً ألا فانجِـد بـه وغِرِ
إنّي ودعـواكَ أن تأتـي بمكرُمةٍ ... كمُنبضِ القوْسِ عـن سَهمٍ بلا وَتَرِ
فاردد جُفونَك حَسْرى عن أبي دُلَفٍ ... ولا ملامَـةَ أن تعْشى عـن القَمرِ
لا يسخطنَّ امـرؤ إن ذلّ من حَسبٍ ... فـالله أنزلَـه في مُحكَـم السُّورِ
لم آتِ سَوْءا ولم أُسخَط عَلى أحـدٍ ... إلاّ على طَلَبـي في مُجْتَدًى عَسرِ[1]
أقصِرْ أبـا جعفرٍ عن سَطْوةٍ جمحَت ... إن لم تُقصِّر بهـا مالتْ إلى القِصَرِ

فأجابه محمد بنُ عبد الملك : [من المنسرح]

يا أيُّها العائبي ولم يَـرَ لي ... عيباً أمـا تنتهي فتزدجِرُ
هـل لكَ وتـرٌ لديَّ تطلبُه ... فأنت صَلدٌ مـا فيك معتَصَرُ
فالحمـدُ والمجـدُ والثناءُ لنا ... وللحسودِ التُّـرابُ والحَجَرُ

وهي طويلة يقول فيها :

تعيشُ فينـا ولا تلائِمُنـا ... كما تعيشُ الحَميـرُ والبقَـرُ
تُغلي علينا الأشعار منكَ وما ... عندكَ نَفْعٌ يُرجى ولا ضَرَرُ

[غزل بغلام]

أخبرني عمِّي ، رحمه الله ، قال : حدَّثني عمرُ بنُ نصر الكاتب ، قال : حدَّثني عمِّي عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى ، قـال محمـد : اجتاز بديع غلامُ عُمير المأمونيّ بمحمد بن عبد الملك الزيّات ، وكان أحسنَ خلق الله وجهاً ، وكانَ مُحمَّد يحبُّه ويُجنُّ به جنوناً فقـال : [من السريع]

راح علينـا راكبـاً طِرفَـهُ ... أغْيَـدُ مثـلُ الرشإِ الآنسِ
قد لَبِس القُرطُقَ واستمسكتْ ... كفَّاه مـن ذي بُرَقٍ يابِسِ[2]
وقُلِّـد السيفَ على غُنْجِـه ... كأنّـهُ في وقعـة الدّاحِسِ
أقـول لمّـا أن بـدا مُقْبِلاً ... يـا ليتني فـارسُ ذا الفارسِ

1 اجتدى : سأل حاجته .

2 القرطق : القباء .

[سماء تعوقني عن سماء]

أخبرني الأخفشُ ، قال : حدَّثني محمدُ بنَ يزيد قال : دامت الأمطارُ بسُرَّ مَنْ رأى ، فتأخّر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيّات ، وهو يومئذٍ وزيرٌ ، والحسن يكتبُ له ، فاستبطأه محمد بن عبد الملك ، فكتب إليه الحسنُ يقول : [من الخفيف]

أوجبَ العذرَ في تراخي اللقاء ... ما توالَى من هذه الأنواء
لست أدري ماذا أقولُ وأشكو ... من سماءٍ تعوقُني عن سماء
غير أنّي أدعو على تلكَ بالثُّكْـ ... ـلِ وأدعو لهـذِه بالبقاء
فسلام الإلـه أُهدِيـه غضّاً ... لك منّي يا سيِّد الوُزَراء

[عتاب]

أخبرني الصُّوليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى ، قال : اعتلّ الحسنُ بن وهب ، فتأخّر عن محمد بن عبد الملك أيّاماً كثيرةً ، فلم يأته رسولُه ، ولا تعرَّف خبره ، فكتب إليه الحسنُ قولَه : [من الخفيف]

أيُّهـذا الوزيـرُ أيَّدك اللـ ... ـهُ وأبقاك لي بَقاءً طويلا
أجميلاً تـراه يـا أكرمَ النا ... س لكيما أراه أيضاً جميلا
إنّني قـد أقمتُ عَشراً عليلا ... ما ترى مرسِلاً إليَّ رسولا
إن يكن موجب التعمّد في الصِّحّـ ... ـه مَنّاً علـيَّ منكَ طويلا
فهو أولى يـا سيدَ النّاس برّاً ... وافتقاداً لمَن يكون عليلا
فلماذا تركتَنـي عُرضة الظّنّ ... من الحاسدينَ جِيلا فجِيلا
ألِذَنْبٍ فما علمتُ سوى الشكـ ... ـر قرينـا لنيَّتي ودَخِيلا
أم ملالٍ ، فما علمتك للصا ... حبِ مثلي على الزمانِ مَلولا
قد أتـى اللهُ بالشفاء فما أعْـ ... ـرفُ ممّا أنكرتَ إلاّ قليلا
وأكلتُ الدُّرّاج وهـو غِـذاءٌ ... أفَلَتْ علّتـي عليـهِ أفولا[1]
بعدما كنتُ قد حملتُ من العلّـ ... ـةِ عِبْئاً على الطِّباعِ ثَقِيلا

1 الدُّرّاج : طائر أرقط .

ولعلّـــي قَدِمـــتُ قبلَك آتيـ ـلكَ غَداً إن وجدتُ فيه سَبيلا

فأَجابه محمدُ بنُ عبد الملك : [من الخفيف]

دفع اللهُ عنـكَ نائبةَ الدَّهــ ــر وحاشاكَ أَن تكونَ عَليلا
أُشهِدُ اللهَ مـا علمتُ ومـاذا كَ مـن العُـذرِ جائزاً مقبولا
ولعَمري أَن لَو علمتُ فلازمتُـ ـك حولاً لكان عِندي قَليلا
إنّني أَرتَجي وإن لم يكنْ مـا كان ممّـا نَقَمـتُ إلاّ جليلا
أَن أَكونَ الذي إذا أُضمر الإخـ ـلاصَ لم يلتَمِسْ عليـه كَفيلا
ثـمّ لا يبـذُلُ المـودَّة حتى يجعـلَ الجهدَ دُونها مَبذولا
فإذا قال كانَ مـا قال إذْ كا نَ بعيداً مـن طَبعـه أَن يَقولا
فاجعلَنْ لي إلى التعلُّق بالعُذْ رِ سَبيلاً إن لم أَجِـدْ لي سَبيلا
فقديماً ما جادَ بالصفْح والعفْـ ــوِ وما سامحَ الخَليلُ الخَليلا

قال : وكتبَ محمدُ بن عبد الملك إلى الحَسَن بن وهْب وقد تأَخّر عنه : [من البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبَرٌ ماذا تراه دَهاه قلت : أَيْلولُ
شهرٌ تجذُّ حبالُ الوصلِ فيه فما عقدٌ من الوصل وهو محلولُ

[مساجلة بينهما]

قال : وكان محمد قد ندبه لأَن يخرجَ في أَمر مُهِمّ فأَجابَه الحسَنُ فقال : [من البسيط]

إنّي بحـولِ امرِىءٍ أَعليتَ رُتبتَه فحظُّـه منـكَ تعظيـم وتبجيلُ
وأَنـت عُدّتـه في نَيـل هِمّته وأَنـت في كلِّ مـا يهواه مأمولُ
مـا غالنـي عنـك أَيلولٌ بلذَّتِه وطيبِـه ولنعـمَ الشهـرُ أَيلولُ
الليلُ لا قِصَرٌ فيـه ولا طـولُ والجو صافٍ وظهر الكأسَ مَرحولُ
والعود مستنطَقٌ عـن كلِّ معجبةٍ يُضحي بها كلُّ قلب وهو مَتْبولُ
لكن توقُّعُ وشْك البين عن بلدٍ تحلُّـه فـوكاءُ العـين محلولُ
ما لي إذا شمَّرتْ بـي عنك مبتكِراً دُهمُ البِغـال أَو الهوجُ المراسيلُ[1]

---

1 الهوج المراسيل : النوق المسرعة سهلة السير .

إلاّ رعاياتُـك اللاَّتي يعـودُ بها حـدُّ الحوادثِ عنّي وهو مفلولُ

قال : وكان الحسنُ بن وهب يساير محمداً على مُسَنَّاة[1] ، فعدل عن المسنّاة لئلاّ يضيق لمحمد الطريقُ ، فظنّ محمد أنّه أشفقَ على نفسه من المسنّاة ، فعدل عنها ، ولم يساعده على طريقه ، وظنَّ بنفسه أن يصيبَها ما يصيبه ، فقال له محمد : [من الخفيف]

قـد رأيناكَ إذ تركتَ المُسنّا ةَ وحاذَيْتَنـي يَسارَ الطـريقِ

ولعمري ما ذاك منكَ وقد جدَّ بـك الجِـدُّ من فِعال الشَّفيقِ

[مساجلة أخرى]

فقال له الحسَنُ : [من الخفيف]

إن يكنْ خوفي الحُتُوفَ أراني أن تـراني مشبَّهـا بالعَقُوقِ

فلقد جارتِ الظنونُ على المُشـ ـفقِ والظَّنُّ مولـعٌ بالشفيقِ

غرَّر السيدُ الأجلُّ وقـد سا رَ على الحَرْفِ من يَمين الطريقِ

فأخذتُ الشِّمالَ بُقيا عَلى السيـ ـد إذ هالني سُلوكُ المَضيقِ

إنَّ عندي مـودَّةً لك حازتْ مـا حوى عاشقٌ من المَعشوقِ

طودُ عـزّ خصصتُ منـه ببرٍّ صار قَدْري بـه مع العَيُّوقِ[2]

وبنفسي وإخوتـي وأبي البـ ـرّ وعَمِّي وأُسرتي وصَديقي

من إذا ما رُوِّعْتُ أمَّن رَوْعي وإذا مـا شَرِقْتُ سوَّغَ رِيقي

[يفتخر]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش والصوليّ ، قالا : حدَّثنا المبرِّد ، قال : استسقى الحسنُ بنُ وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم ، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب إليه : [من مجزوء الكامل]

لم تلـقَ مِثـلي صاحبا أندى يـداً وأعمَّ جودا

يسقـي النديـمَ بقفـرةٍ لم يُسْق فيها الماءَ عُودا

1 مسناة : سدّ يعترض به الوادي .

2 العيّوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

صفــراءَ صافيــةً كأنّ   بكــأْسها دُرّاً نَضيــدا
وأجودُ حــين أُجودُ لا   حَصِراً بــذاكَ ولا بليدا
وإذا استقــلّ بشكرهــا   أوجبــتُ بالشُّكْر المزيدا
خُذهــا إليــكَ كأنّما   كُسِيتْ زُجاجَتُها عُقودا
واجعل عليــكَ بأَن تقو   مَ بشكرهــا أبداً عهودا

[يوم سرور لا يكمل]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد الأنصاريّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسنَ بن وهب في آخر أيّام المأمون ، فجاءهُ ودخلا حمّاماً له ، وأقاما على لهوهما ، ثم طُلِب الحسنُ بن وهب لعمل احتيج فيه إليه ، فمضى ، وبطل يومهم ، فكتب الحسن إليه : [من السريع]

سقيــاً لنَضرِ الوجـهِ بَسَّامِهِ   مُهــذَّبِ الأخـلاق قَمقامِهِ[1]
تكسبــه شُكــراً على أنّها   مُطبقـــةُ السِّنِّ لِلوّامِـــهِ[2]
زُرْناه في يــوم عـلا قدرُه   مــن سائـرِ الأيّام في عامِهِ
أسعــده الله وأحظـى بــه   وجــاده الغيــث بإرهامِهِ[3]
فكــان مسروراً بنــا بــاذلاً   لرحْلِــهِ الرحــبِ وحمّـامِهِ
نخدمــه وهــو لنــا خــادم   بفضلــه مـــن دون خُدَّامِهِ
ثــم سقانا قَهــوةً لم يــدَعْ   أطيــبَ منهــا بقُـرى شامِهِ
صهباء دَلَّتْ عــلى دَنِّهــا   وحدَّثَتْ عـن ضعف إسلامِهِ

فأجابه محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى : [من السريع]

وزائــرٍ لــذَّ لنــا يومُـهُ   لــو ساعد الدهرُ بإتمامِهِ
مــاذا لقينا مــن دواوينه   وخطّــه فيهــا بأقلامِهِ

---

1 القماقم : السيّد .

2 إطباق السن : كناية عن الصمت .

3 الإرهام : الغيث .

أسرّ ما كنّا فمن مازحٍ أو شارب قد عَبَّ في جامِهِ
فارقنا فالنَّفس مطروفة بواكف الدَّمع وسجَّامِهِ
وعاد بالمدح لنا منعِماً به إلى سالف إنعامِهِ
ليت ـ وأنَّى لي بها مُنْيةٌ ـ لو كنت فيه بعضَ قُوَّامِهِ
يَشْكر ما نال على أنّه لا يُشكرُ الحرُّ لحمَّامِهِ
أُمسحه فيه وأُدنو له من خلفه طوراً وقُدَّامِهِ
جعلت نفسي جُنَّة للصِّبا وبِعت إسلامي بإسلامِهِ
فصار ما يشرب حِلاً له وصرت مأخوذاً بآثامِهِ

[ابن الزيات في قيوده]

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب، قال: سمعت القاسم بن ثابت يحدّث عن أبيه، قال: قال أحمد الأحول: لما قُبِض على محمد بن عبد الملك الزيّات تلطَّفتُ في الوصول إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلت له: أعْزِزْ عليّ ما أرى، فقال: [من الرمل]

سَلْ ديارَ الحيّ ما غيَّرَها ومحاها ومحا منظرَها
وهي اللاتي إذا ما انقلبت صَيَّرت مَعروفَها مُنكرَها
إنّما الدُّنيا كظِلٍّ زائلٍ نحمد الله كذا قدَّرَها

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أُدري لِمَن هو؟

ومّما يغنَّى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيّات: [من مجزوء الرمل]

صوت

ظالمي ما علمتُهْ مُعتدٍ لا عدمتُهْ
مُطْمِعي بالوصال ممـ ـتنعٌ حين رُمتُهْ
مُرْصِدٌ بالخلاف والـ ـمَنْع من حيثُ سمتُهْ[1]
هاجرٌ إن وصلتُهُ صابرٌ إن صَرَمتُهْ
كم وكم قد طويتُ ما بي وكم قد كَتمتُهْ

1 أرصد له شيئاً: أعدّه له.

رُبَّ همٍّ طويت فيـ ـك وغيظٍ كظمتُـهْ
وحيـاةٍ سئمتهـا والهـوى ما سئمتُـهْ
رُمـتُ شيْئاً هَوِيتُـه ليس لي مـا حُرِمتُـهْ
قـال إذ صرَّح البكا ءُ بمـا قـد سترتُـهْ
لـو بكى طول دهرِه بـدمٍ مـا رَحِمْتُـهْ

الغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر .

صوت

[من الهزج]

إذا أُحببـتُ لم أَسْلُ وإن واصلـتُ لم أَقطَعْ
وإن عاتبنـي النـاسُ تصاممْتُ فلـم أَسْمَعْ
وقـد جرّبت مـا ضرّ وقـد جرّبت مـا ينفعْ
فمـا مثـل الهوى أَنهَـ ـكُ للجسم ولا أَضْرَعْ
ولا كالهجـرِ في القربِ إلى المـوتِ ولا أَسْرَعْ
وإن أوجعنـي العَـذْل فنِيرانُ الهـوى أَوجعْ
وهـذا عَـدَمُ العقـلِ فمـا أَسْطِيع أن أَصنَعْ
ولا والله مـا عنـدي لما قـد حلَّ بـي مَدْفَعْ
ولا فـيّ لهجرانـ ـك لولا ظلمكمْ موضعْ

الغناء لعريب لحنان : خفيف ثقيل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

[يمدح الحسن بن وهب]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : حدّثني الحسن بن رجاء ، قال : قدِم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلح ، وامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّهـا حـين تنـاءى خَطْـوُهُ أخْنس مَوْشيٌّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[1]

1 الأخنس : ذكر البقر الوحشي . موشي الشوى : منقوش الأطراف .

وقال فيها :

إلى الأمير الحسن استنجدْتها　　　أيّ مرادٍ ومَناخٍ ومَحلّ
سيف أمير المؤمنين المنتَضى　　　وحصن ذي الرياستين المُقْتَبلْ
آباؤك الغرّ الألى جدُّهمُ　　　كِسرى أنو شروان والناس هَمَلْ
من كلّ ذي تاجٍ إذا قال مضى　　　كلُّ الذي قال وإن همّ فَعَلْ
فأيْنَ لا أيْنَ وأنّى مِثلُكمْ　　　أنتم الأملاك والنّاس خَوَلْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يتنكّر للحسن بن سهل فيخجله]

قال : ومرض الواثق ، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ، ومحمد بن عبد الملك يومئذٍ وزيره ، والحسن بن سهل متعطّل ، فجعل الحسن بن سهل يتكلّم في العلّة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام ، قال : فحسده محمد بن عبد الملك ، وقال له : مِنْ أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إنّي كنت أستصحب من أهل كلّ صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلّم منهم ، ثم لا أرضى إلاّ ببلوغ الغاية ، فقال له محمد ، وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : في زمان قلت فيّ : [من الرجز]

فأين لا أين وأنّى مثلكم　　　أنتم الأملاك والناس خوَلْ

فخجل محمد بن عبد الملك ، وأطرق ، وعَدَل عن الجواب .

[عسى أمور بعد ذلك تكون]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : حدّثني ميمون بن هارون بن خلف قال : كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيّات ، وهو يريد يومئذٍ منزله ، حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح ، فرأى فيها قبّة مشيدة ، فقال : [من الكامل]

أمّا القبابُ فقد أراها شُيِّدَتْ　　　وعسى أُمورٌ بعد ذاك تكون
عبدٌ عرَتْ منه خلائقُ جهلِهِ　　　إذ راح وهو من *الثّراء سمينُ*

فما كان إلاّ أيّام حتى أُوقع به .

[ابن أبي دواد يكيد له]

أخبرني عمّي قال : حدّثني الحسن بن عليّ بن عبد الأعلى عن أبيه ، قال : كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيّات وبين أحمد بن أبي دواد ، فكفّ محمد عن ذكره ، وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق ، ويغريه به ، حتى قبض عليه وكان فيما بلغه عنه أنّه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه . فقبض الواثق عليه ، ثم أطلقه بعد مدّة ، ثم وزر للمتوكّل ، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق ، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكّل ، وقام وقعد في أمره حتى وُلّي ، وعمّمه بيده ، وألبسه البُردة ، وقبّل بين عينيه ، وكان المتوكّل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيَتجهّمه محمد ، ويُغلظ له الردّ ، إلى أن قال يوماً بحضرته : ألا تعجبون إلى هذا العاصي ، يعادي أمير المؤمنين ، ثم يسألني أن أصلح له قلبه ! اذهب ، ويلك فأصلح نفسَك له ، حتى يصلح لك قلبه . فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق ، فدخل إليه يوماً وقد كان قال للواثق : إنّ جعفراً يدخل إليّ وله شعر قفاً وطُرّة مثل النساء ، فقد ضحك فأمره بأن يحلقهما ، ويضرب بشعرهما وجهه ، فلمّا دخل إليه المتوكّل فعل ذلك به ، وتجهّمَه بالقبيح ، فلمّا ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه ، فاستوزره وخلع عليه ، وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويَجِد عنده لذلك موقعاً واستماعاً ، حتى قبض عليه وقتله ، فلم يجد له من أملاكه كلّها من عين وَوَرِق وأثاث وضيعة إلاّ ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندِم على ذلك ، ولم يجِد منه عوضاً ، وكان أمره ممّا يُعتدُّ على أحمد بن أبي دواد ، ويقول : أطمعتَني في باطل ، وحملتَني على أمر لم أجِد منه عوضاً .

[دندن الكاتب يتنبأ بما حدث له]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : زعم محمد بن عيسى الفساطيطيّ ، أنّ محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب ، وعليه خلع الوزارة للمتوكّل لّما وزر له ، فقال دندن : [من الكامل]

راح الشقيّ بخلعة النُّكْرِ   مثل الهدِيِّ لليلة النَّحْرِ[1]

1 الهدي : الضحية ونحوها .

لا تمَّ شهر بعــد خِلْعَتــه حتى تــراه طافيَ الجَمْرِ
ويُرى يُطامن من إساءته يَهْوي لَـهُ بِقَواصم الظهْرِ

فكان الأمر كما قال .

[في التنور]

قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى : فلمّا قبض عليه المتوكّل استعمل له تُنورَ حديد ، وجعل فيـه مسامير لا يقـدر معها أن يتحرّك إلاّ دخلت في جسده ، ثم أُحماه له وجعله فيه ، فكان يصيح : ارحموني ! فيقال له : اسكت ، أنت كنت تقول : ما رحمت أحداً قطّ ، والرحمة ضعف في الطبيعة ، وخَوَرٌ في المُنّة ، فاصبر على حكمك ! وخرج عليه عبادة ، فقال : أردت أن تَشْوِيَني ، فَشَوَيْتك .

[موت ومكايدة]

أُخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشميّ : قال : قال العبّاس بن طومار : أُمر المتوكّل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيّات ، وقد أحمي تنّور حديد ، وجعله فيه ، فيكايده ، فدخل إليه فوقف بإزائه . ثم قال : اسمع يا محمد ، كان في جيراننا حفّار يحفر القبور ، فمرضت مخنّثة من جيراني ، وكانت صاحبةً لي ، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم ، فبرأت هي ومرض هو بعد أيّام ، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع ، فقالت : ويْ يا فلان ؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية ، أوَ ما علمت أنه مَن حفر بئر سوء وقع فيها ، وحياتك يا محمد ، لقد دفنّاه في ذلك القبر ، والعقبى لك . قال : فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ، ويكايده إلى أن مات .

[الحسن بن وهب يرثيه]

قال الصوليّ : وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك ، وكان في حياته ينتفي[1] منها ، ويجحدها ، ثم شاعت بعد ذلك ، ووجدت بخطّه : [من الوافر]

يكــاد القلب مــن جزعٍ يطيرُ إذا مـا قيـل قـد قُتِل الوزيرُ
أميرَ المؤمنـين هَدَمْـتَ ركناً عليــه رَحـاكُمُ كانـت تدورُ

1 ينتفي منها : يتنصّل منها .

سيُبلى الملك مـن جزعٍ عليه ويخرب حين تَضْطرب الأُمورُ
فمهلاً يـا بنـي العبّاس مهلاً فقـد كُوِيَتْ بفعلكمُ الصدورُ
إلى كم تَنْكُبُـون النـاسَ ظلماً لكـم في كلِّ ملحمـة عقيرُ
جزيتـم ناصراً لكـمُ المنايا وليس كذلِكُمْ يُجْزَى النَّصيرُ
فكنتم سائقـاً أرسا إليكـم وذلك مـن فعالكـمُ شهيرُ
وكانَ صلاحـه لـو شئتموه قريبـاً لا يحاولـه البصيرُ
كأَنَّ اللهَ صيَّركـم ملـوكاً لئـلاَّ تعدلـوا ولأنْ تجوروا

[504] ـ أخبار أبي حشيشة

[نسبه]

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه ، وهو محمدُ بن أُميّة بن أبي أُميّة ، يكنى أبا جَعفر ، وكان أهله جميعاً متَّصلين بإبراهيمَ بن المهديّ ، وكان هو من بينهم مَعنِيّاً بالطُّنبور ، يُغنّى أحسن غِناء وخَدَم جماعة من الخلفاء أوّلهم المأمونُ ، ومَن بعدَه إلى المعتمِد .

[أبو صالح يكتب له في استتاره]

وله يقول أبو صالح بن يَزداد وكتب بها في استتاره : [من الوافر]

جُعِلْتُ فِداك يا ابنَ أبـي أُمَيّهْ ... أرى الأيّامَ قد حكمتْ عليَّهْ
وملّنيَ الصديقُ وخانَ عهدي ... فما أَقْرا لكـمْ كتُبـا إليّهْ
فإن كان الضميرُ كما بـدا لي ... فهـذا والإلـهِ هـو البَلِيَّهْ

وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبي أحمد بنِ الرشيد أيّامَ حياته ، وكان أبوه وجده وأخواله كُتّاباً .

وقرأت على أحمد بن جعفر جَحظةَ ما ذكره عن أبي حشيشةَ في كتابه الذي ألّفه في أخبار مراتب الطُّنبوريين والطُّنبوريّات وكان من ذلك أنه قال : شاهدت أبا حشيشةَ مدّة ، وكان يتغنَّى في أشعار خالد الكاتب وبني أُميّة ، وكانت معه فِقَرٌ من الأحاديث يضعُها مواضعَها ، وكانت له صنعة تقدَّمَ فيها كلَّ طُنبوريّ ، لا أحاشي من قولي ذلك ، فَمِنها : [من الطويل]

كأنَّ همومَ الناس في الأرض كُلِّهـا ... عليَّ وقلبـي بينهم قلـب واحـدِ
ولي شاهـدا عـدلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ ... وكم مُـدَّعٍ للحُبّ من غيرِ شاهدِ

وهو خفيف رَمَل مطلق . قال جَحظةُ : ورأيته في القَدْمةِ التي قدِمها مع ابن المدبّر بين يدي المعتمد ، وقد غنّاه من شعر عليّ بن محمد بن نصر .

صوت

[المجتث]

حُرِمتُ بـذلَ نوالك ... واسوأتا مـن فِعالِكْ

لمـا مَلَلْـتَ وصـالي آيسْتِني مـن وِصالِكْ

فوهبَ له مائتي دينار .

واللحن رَمَل مطلق .

[عريب تفضله على علويه ومخارق]

أخبرني جَحظة فيما قرأتهُ عليه ، قال : حدَّثني ابن نُوْبخت : يعني عليَّ بنَ العبّاس قال : رأيتُه وقد حضرتْ عَريبُ عند ابن المدبر ، وهو يُغنّي ، فقالت له عَريب : أحسنتَ يا أبا جعفر ، ولو عاش الشَّيْخان ما قلتُ لهما هذا ، تَعني عَلّويَه ومُخارقاً .

[يُهدَّدُ بالجلد إنْ تكلّم]

حدَّثني أبو حشيشةَ ، قال : هجم عليَّ خادمٌ أسودُ ، فقال لي : البِسْ ثيابَك ، فعلمتُ أنّ هذا لا يكون إلاّ عن أمر خليفة أو أميرٍ ، فلم أُراجعه ، حتى لبستُ ثيابي ، فمضيت معه فعبَر بي الجسرَ ، وأدخلني إلى دارٍ لا أعرفها ، ثم اجتاز بي في رِواق فيه حُجَرٌ تفوح منهنَّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ ، فأدخِلتُ منهنَّ إلى حجرة مفروشة ، وجاءني بمائدة كأنّها جَزْعة يمانية قد نشرت في عراصها الحِبَرة[1] ، فأكلتُ وسقاني رِطْلين وجاءني بصندوق ففتحه فإذا فيه طَنابر ، فقال لي : اخترْ ، فاخترتُ واحداً ، وأخذ بيدي ، فأدخلني إلى دار فيها سَمّاعة وفيها رجلان على أحدهما قَباء غليظ ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلحَم[2] وخَزّ ، فقال لي صاحب الخزّ : اجلس ، فجلست ، فقال : أكلتَ وشربتَ ؟ فقلت : نعم . قال : عندنا ؟ قلتُ : نعم ، قال : تُغنّي ما نقول لك ؟ فقلت له : قل ، فقال : تُغنّي بصنعتك : [من الخفيف]

يـا كثيرَ الإقبالِ والإنصرافِ ومَلولاً ولـو أشا قلت خافِ

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيتهُ إيّاه ، وجعلَ يطلبُ منّي صوتاً بعد صوت من صَنعتي ، فأُغنّيه ، ويستعيده ، ويشرب هو والرجُل ، وأُسقى بالأنصاف المختونة[3] إلى أن صلّوا العشاءَ الآخرة ، وهم لا يشربون إلاّ على الصوتِ الأوّل لا يريدون غيره ، ثم أوْمأَ إليَّ الخادم : قم ، فقمت ، فقال لي صاحبُ القَباء منهما : أتعرفني ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، وهذا محمد بن راشد الخنّاق ، واللهِ لئن بلغني أنّك تقولُ : إنّك رأيتني لأضربنّك

1 الحبرة : كناية عن ألوان الطعام الشهية البراقة .

2 مُلْحَم : جنس من الثياب .

3 المختونة : الناقصة .

مائتيْ سَوط ؛ انصرف . فخرجتُ ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار ، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرّ ، فما فعَل .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة : قال : وجّه إليّ إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، فصرتُ إليه وهو في داره التي على طرَف الخَندق ، فدَعا بجُونة[1] ، فأكل وأكلتُ من ناحية ، ودَعا بستارة وقال : تغنَّ بصنعتِك : [من مجزوء الكامل]

عـادِ الهَوى بالكأسِ بردا   فأَطِعْ إمـارة مـن تبدَّى

وهو خفيف رَمَل مطلق .

فغنَّيتُه مراراً ، ثم ضرب السِّتارة ، وقال : قولوه ، فقالَتْه جاريةٌ فأحسنت غاية الإحسان ، فضحِك ثم قال : كيف تَراه ؟ فقلت : قد والله بغَّضُوه إليَّ ، فازداد في الضحِك ، وأنا أرمقُ جُبّةَ خزٍّ خَضراء كانتْ عليه ، فقال : كم ترمُقُ هذه الجُبَّة ؟ يا غلامُ كانت عشرة أثواب خزّ فقطعت منها هذه الجبّة ، فهاتِ التسعةَ فجيء بها ، فدفعها إليَّ فكنت أبيعَ رُذالَها بستِّينَ دِيناراً .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة أنّ بَني الجنيد الإسكافِيِّينَ كانوا أوّل مَن اصطنعه ، وأنّهم كانوا يسمّونه الظَّريف ، وأنّ أوّل منزل ابْتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبرُه ، وتفاقم أمرُه . قال : وكانوا آكلَ الناس ، رأيتُ رجلاً منهم ، وقد أكل هو وابن عمّ له اثنينِ وعشرين رأساً كباراً ، وشَرِبا ، فسكِرا وناما ، ثم انتبها في وقت الظُّهر ، فدعَوا بالطعـام ، فعادا إلى الأكل ، ما أُنكر مِنْهما شيئاً .

[المأمون أوّل خليفة سمعه]

ونسختُ من كتاب ألّفه أبو حشيشةَ ، وجمع فيه أخباره مع مَن عاشره ، وخدمَ من الخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال : أوّل مَن سمِعني من الخُلفاء المأمونُ ، وهو بدمشق ، وصفَني له مُخارق ، فأمر بإشخاصي إليه ، وأمر لي بخمسين ألفَ دِرهم أتجهَّزُ بها ، فلمّا وصلتُ إليه أدناني ، وأُعجِبَ بي ، وقال للمعتصِم : هذا ابنُ مَن خدمك وخدم آباءك وأجدادكَ يا أبا إسحاق ، جَدُّ هذا أُميّة كاتب جدِّكَ المهديّ على كتابة السرِّ وبيتِ المال والخاتمَ ، وحجَّ المهديُّ أربعَ حِجَج كان جدّ هذا زميلَه فيها .

---

1 جونة : سلة صغيرة .

[يضرب لغنائه بشعر فيه ذكر الشيب]

واشتهى المأمونُ من غنائي : [من الرمل]

صوت

كان يُنْهى فَنَهى حـينَ انتهى وانجلتْ عنـه غياباتُ الصِّبا
خلع اللهـوَ وأضحى مُسْبِلا للنُّهـى فَضـلَ قميصٍ ورِدا
كيف يرجـو البيضُ مَنْ أوَّلُه في عيـون البيض شَيْبٌ وجلا
كان كحـلا لمآقيهـا فقـدْ صار بـالشيب لعينيها قَذى

الشعر لدِعبِل ، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحرز رمَل بالوسطى .

قال أبو حشيشة : وكان مُخارق قد نَهاني أن أُغنِّيَ ما فيه ذكرُ الشيبِ من هذا الشعر ، وأن أقتصر على البيتين الأوّلين ؛ لأنّ المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب ، ويكرهه جدّاً من المغنِّين ، وأمر ألاّ يغنِّيَه أحدٌ بشعر قيل في الشيْب أو فيه ذكر له ، فسكرتُ يوماً ، فمررتُ في الشعرِ كلِّه ، فقال : يا مُخارق ، ألا تحسنُ أدبَ هذا الفتى ! فَنقَفني[1] مُخارق نَقْفة صلبة ، فما عُدتُ بعدها لذكر شيء فيه الشيب .

[لكلّ خليفة صوت يحبه]

وذكر أبو حشيشةَ في كتابه هذا ممّا كان يشتهيه عليه المأمونُ وغيره من الخلفاء أصواتاً كثيرةً ، ولا فائدة في ذكرها هاهنا لأنّها طويلة ، فذكرت ممّا كان يختاره عليه كلُّ خليفة صوتاً . قال أبو حشيشةَ : كان المعتصم يَشتهي عليَّ : [من مجزوء الكامل]

صوت

أسرفْـتَ في سوء الصنيعِ وفتكتَ بـي فتكَ الخليعِ
وولِعـتَ بـي مُتمـرِّداً والعـذر في طرف الوَلُوعِ
صبّـرتُ حبَّـك شافعـاً فأُتيتُ مـن قِبَـل الشَّفيعِ

الشعرُ لأصرَم بن حُميد ، والغناء لأبي حَشيشَة .

قال : وكان الواثق يختارُ من غنائي : [من مجزوء الكامل]

---

1 النقف : أشد الضرب بعصا ونحوها .

يـا تاركي متَلدِّد العُـ ـوَّاد جَـذلانَ العُداةِ[1]
انظُـر إليّ بعـين را ضٍ نظـرةً قبل المماتِ
خلَّيتنـي بـين الوعيـ ـدِ وبين ألْسِنَةِ الوُشاةِ
مـاذا يُرَجِّـي بالحيـا ةِ مُنَغَّصٌ روحَ الحيـاةِ

الشعر لمحمد بن سعيد الأسديّ ، والغناء لأبي حَشيشَة خفيف رَمَل .

قال : وكان المتوكِّل يحبُّني ، ويستخفُّني ، وكانت أغانيه التي يشتهيها عليّ كثيرةً منها : [من المتقارب]

صوت

أطعتُ الهوى وخلعتَ العِذارا وباكرتَ بعد القَراح العُقارا[2]
ونازعكَ الكأسَ مـن هاشم كريـمٌ يحـبُّ عليها الوَقارا
فتـى فـرّق الحمـدُ أمواله يَجُرّ القميصَ ويُرخي الإزارا
رأى اللهُ جعفـرَ خيرَ الأنـام فملَّكـه ووقـاهُ الحِـذارا

الشعرُ والغناءُ لأبي حَشيشَة .

قال : وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ : [من الكامل]

صوت

قالوا عشقتَ فقلتُ أحسنَ من مَشى والعشقُ ليس على الكريـمِ بعارِ
يا مَن شكوتُ إليه طول صبابتي فأجابنـي بتجَهُّـمِ الإنكـارِ

قال : وكان المستعين يشتهي عليّ : [من المتقارب]

صوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعَ وفيضَ الدّمـوع وغَمزَ اليدِ
وخَـدّي مُضافاً إلى خدِّهـا قيامـاً إلى الصُّبـح لم نرْقُدِ

الشعر لمحمدِ بن أبي أُميّة والغناءُ لأبي حشيشة .

---

1 متلدد العواد : متحير الزائرين .

2 العقار : الخمر .

قال : وأخبرني محمد بن عليّ بن عِصْمة ، وكان إليه الزهدُ في الدُّنيا كلِّها ، قال : حضرتُ المعتزَّ وقد ورد عليه جوابُ كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان كتب إليه يطلُبني منه ، فكتب إليه محمد : إنّي عَليلٌ ، لا فضلَ فيّ للخدمة ، قال أبو عِصمة : فقال لي المعتزّ : يا أبا محمد ، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر ، فقلتُ له : يا سيِّدي ، أنا أعلم الناس بخَبرِه ، هو والله عليل : ما فيه موضع لخدمةِ أمير المؤمنين ، قال : ثم ذكرني المعتمد . وحرّضَه عليّ ابنُ حَمدون ، فكتب إلى أيّوب سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذٍ أمير بَغداد ، في إشخاصي ، فشخَّصني إليه من ساعتي ، فأكرمني ، وأدْنى في مجلسي ، وأمر لي بجائزة ، واشتهى عليّ : [من الكامل]

قلبي يُحبُّكِ يا مُنى ... قلبي ويُبغضُ من يُحبُّكْ
لأكونَ فرداً في هوا ... كِ فليتَ شِعري كيفَ قَلبُكْ

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والصنعةُ لأبي حشيشة رمل .

[مع إبراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة : سمع إبراهيم بن المهديّ أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخُنَّر وعمرو بن بانة ، فاستحسنها وأخذها جواريه ، وقال : الطُّنبور كُلُّه باطل ، فإن كان فيه شيء حقّ فهذا . وأشتهي أن يسمعني . فهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن رضيَني لم يزِد ذلك في قَدري ، وإن لم يرضَنِي بقيتُ وصمةً آخرَ الدّهر ، وكان يطلُبني من محمد بن الحارث بن بسخُنّر خاصة ، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع ، فكنتُ أفرُّ منهما ، حتى صِرتُ بسُرَّ مَن رأى ، وأنا في تلك الأيّام منقطعٌ إلى أبي أحمد بن الرشيد ، ونحن في مضاربَ لم نكن سكنّا المنازل بعدُ ، فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسولُ إبراهيم بن المهديّ فأبلغه السلامَ ، وقال : يقول لك عَمُّك : قد أعْيَتْنيَ الحِيَلُ في هذا الخبيثِ ، وأنا أحبُّ أن أسمعه ، وهو يهرُبُ منّي ، فأحبُّ أن تبعثَ به إليَّ ، وتكون رَبْربُ معه تُؤْنسه . فقال لي : أبو أحمد : لا بدَّ أن تمضيَ إلى عمِّي ، فجهدتُ كلَّ الجَهد أن يُعفِيَني ، فأبى ، فلمّا رأيت أنّه لا بدّ لي منه لبستُ ثيابي ، ومضيتُ إليه ، وهو نازل في دسْكرة ، فرحّب بي وقرّب ، وبسطَني كلَّ البسط ومعي رَبْربُ ، ودَعا بالنبيذ ، وأمر خَدَماً له كباراً ، فجلسوا معي وشربوا وسقَوْني . وعرض لي بكلِّ حيلة أن أُغنّيَ ، فهبتُه هيبة شديدة ، وحَصِرتُ . وشرِبَ ، ودعا بثلاث جوار ، فخرجن

وجلسن ، وقال لهنَ : قُلنَ : [من المنسرح]

صوت

كيفَ احتيالي وأَنتَ لا تصلُ ... عِيل اصطباري وقلَّتِ الحيلُ
إن كان جِسمي هواكَ يُنحِله ... فإن قلبي عليك يتَّكِلُ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء لأبي حشيشةَ رمل . وكان يسمِّيه الرُّهبانيّ ، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهبانٍ في الليل يردِّدُونه ، فغنَّاه عليه .

فقالتْه إحداهنّ ، فذهب عقلي ، وسمعت شيئاً لم أَسمع مثلَه قطُّ ، فقال : يا خليلي ، أهذا لك ؟ فقلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، وأخذتني رِعْدة ، ثم قال لهنّ : إيهِ ، قُلن : [من مجزوء الخفيف]

صوت

رَبِّ ما لي وللْهوى ... ما لهذا الهوى دَوا
حازَ طَرْفي الذي هوى الـ ... ـحُسْنُ قَلبي وما حوى

الشعرُ لخالدٍ ، والغناء لأبي حشيشةَ رَمَل .

فَغَنَّتْهُ فسمعتُ ما هو أَعجبُ من الأوّل ، فقال : يا خليلي ، هذا لك ؟ قلت : نعمْ يا سيِّدي ، قال : هكذا أُخذناهما من محمد بن الحارث ، ثم شربَ رِطلاً آخر ، فقلت : يا نفس ، دعاكِ الرجُل يَسْمعكِ ، أو يُسمعكِ ، وقوّيت عزمي ، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب ، وهو هذا : [من المتقارب]

صوت

لئنْ لجَّ قلبُك في ذكره ... ولجَّ حبيبُكَ في هَجرِهْ
لقد أورث العينَ طولَ البُكا ... وعزّ الفؤادُ على صَبرِهْ
فإن أذهبَ القلبَ وجدٌ به ... فجسمُكَ لا شكَّ في إثْرِهْ
وأيُّ مُحبٍّ تجافى الهَوى ... بطُولِ التفكُّرِ لم يُبْرِهْ

فجعل يُردّد البيتَ الأوّلَ والبيتَ الأخير ، وقال لي : لا تَخرجنَّ يا خليلي من هذا إلى غيره ، فلم أَزل أردده عليه ، حتى شَرِب ثلاثاً ، واسترحتُ ساعةً ، وشربتُ وطابت نفسي ، ثم استعادني فغنّيته ، فأَعجِبَ به خلافَ الأوّل ، فنظر إليّ وضَحِك ، ولم يقُل شيئاً ، وشرب رِطلاً رابعاً وجاءت المغرب ، فقال لي : يا خليلي ، ما أَشكّ في أنّك قد أُوحشت ابني منكَ ،

فامضِ في حفظ الله تعالى . فخرجت أطير فرحاً بانصرافي سالماً ، فلمّا وافيتُ أبا أحمد ، وبصَر بي من بعيد قال : حِنطة ، أو شعير ؟ فقلت ، بلِ سِمْسِم وشَهْدٌ ، انْجُ على رغم أنفِ مَن رغم ، فقال : ويحكَ ، أتُراني لا أعرفُ فضلَك ، ولكن أحببتُ أن أستعينَ برأيه على رأيي فيك ، وقصصتُ عليه القصة ، فسرّه ذلك ، ولم يرضَ حتى دسَّ إليه محمدَ بن راشد الخناق ، فسأله عني ، فقال : ما ظننت أن يكون في صناعته مثله .

[إسحاق يزكيه]

قال أبو حشيشة : وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ غنائي فاستحسنه ، فسأل عني ، فقال : غناء الطُّنبور كله ضَعيف ، وما سمعتُ فيه قطُّ أقوى ولا أصحَّ من هذا .

[موت أبي حشيشة]

حدّثني جحظةُ ، قال : كان سببُ موت أبي حشيشة بسُرّ مَن رأى ، أنّ قلماً غلام الفضلِ بن كاووس صار إليه في يوم بارد ، فدعاه إلى الصّبوح ، فقال له : أنا لا آكل إلاّ طعاماً حاراً ، وليس عندكَ إلاّ فُضَيلة من مجليّة ، قال : تساعدني ، وتأكل معي ، فأكلَ منها ، فجمّدَتْ دمَ قلبه ، فمات ، فحملَه إبراهيمُ بنُ المدبّر إلى بناتِه وما كسبه بِسُر مَن رأى معه ، فاقتسمْنَه بينهُنَّ .

صوت

[من المنسرح]

سَقياً لقاطولَ لا أرى بلَداً ... أوْطَنَهُ الموطِئون يُشْبِهُها
أمنا وخفضا ولا كَبهْجَتِها ... أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهُها

البيت الأول من البيتين لِعنان جارية الناطفيّ ، والثاني يقال : إنّه لعمْرو الوراق ، ويقال إنّه لأبي نُواس ، ويقال بل هو لها .

والغناء لعَريب خفيف رَمَل . وكان الشعر : «سَقْيا لبغداد» فغيّرته عريب وجعلت مكانه «سقيا لقاطول» .

[505] ـ أخبار عنان

كانتْ عِنان مولّدةً من مولّدات اليمامة ، وبها نشأتْ وتأدّبتْ ، واشتراها الناطفيّ ، وربّاها ، وكانت صفراءَ جميلةَ الوجه ، شَكِلة[1] مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة . وكان فحول الشعراء يساجلونها ، ويقارضونها ، فتنتصف منهم .

[مساجلة فاحشة بينها وبين أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ صهرُ المبرِّد النحويّ وعليُّ بنُ صالح بن الهيثم قال : حَدَّثنا أبو هِفَّان عن الجمّاز قال : دخل أبو نواس يوماً على عِنان جاريةِ الناطفيّ ، فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت شعراً ، فقالت : هاتِ فقال : [من مجزوء الرمل]

إن لي أَيْــراً خبيثاً ... لونُه يَحكي الكُميتا
لو رأى في الجوّ صَدْعاً ... لنْــزا حتّــى يموتا
أو رآه فــوق سقفٍ ... لتحــوَّل عنكَبُــوتا
أو رآه جــوفَ بحرٍ ... خِلتَه في البحرِ حُوتا

قال : فما لبثَتْ أن قالت : [من مجزوء الرمل]

زوّجوا هــذا بألْفٍ ... وأَظُــنُّ الألــف قُوتا
إنّــي أخشى عليــهِ ... إن تَمادى أن يمُوتا
بادروا ما حلَّ بالمسـ ... ـكين خوفاً أن يَفُوتا
قبــل أن يَنْتكس الدّ ... اءُ فلا يأتــي ويُوتى

قال : ودخل إليها يوماً ، فقال : [من المجتث]

مــاذا تريــنَ لِصَبٍّ ... يريدُ منــك قُطَيرَهْ

---

1 شكلة : ذات غنج ودلال .

فأجابته : [من المجتث]

إيــايَ تَعنــي بهــذا عليــك فاجْلدْ عُمَيرَهْ

فقال لها : [من المجتث]

أُريدُ هــذا وأُخْشى على يدي منكِ غَيْرَهْ

قال : فخجِلتْ وقالت : تَعِستَ ، وتعِس مَنْ يَغارُ عليك .

[تطارح أبا حنش]

أخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ : قال : حدَّثنا عمر بن شبَّة : قال : حدَّثني أبو أحمد بن معاوية : قال : سمعت أبا حَنَشٍ يقول : قال لي الناطفيّ : لو جئتَ إلى عِنان فطارحتَها ، فعزمتُ على الغدوّ ، فبتُّ ليلتين أحوكُ بيتين ، ثم غدوتُ عليها فقلتُ : [من الطويل]

أُحَــبُّ المِلاحَ البيضَ قلبــي وربَّما أُحَبُّ المِلاحَ الصُّفْر من وَلَد الحَبَشْ
بكيــتُ على صفــراء منهنّ مــرّةً بكاءً أصاب العــينَ مِنّيَ بالعَمَشْ

فقالتْ : [من الطويل]

بكيــتُ عليهــا أنَّ قلبــي يحبُّها وأن فُؤادي كالجَناحين ذُو رَعَشْ
تَعَنَّيتَنــا بالشِّعْــرِ لمــا أَتَيْتَنــا فدونَك خذْه محكماً يا أَبا حنَشْ

[هي أشعر الجن والإنس]

أخبرني أحمدُ : قال : حدَّثني عمر بن شبّة : قال : حدَّثني أحمد بنُ مُعاوية : قال : سمعتُ مروان بن أبي حفصة يقول : لَقِيَني الناطفيّ ، فدعاني إلى عِنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال لها : قد جئتُكِ بأشعر الناس ، مروان بن أبي حَفْصة ، فوجدها عليلةً ، فقالتْ له : إنّي عن مروانَ لفي شُغل ، فأهوى إليها بسوْط فضربها به ، وقال لي : ادخُل ، فدخلتُ وهي تبكي ، فرأيت الدموع تَنْحدِر من عينيها فقلتُ : [من السريع]

بكتْ عنانٌ فجرى دمْعُها كالدُّرِّ إذ يسبقُ مــن خَيطِهْ

فقالت وهي تَبكي : [من السريع]

فليت مَــن يَضربُهــا ظالماً تَيْبَس يُمنــاهُ عــلى سَوطِهْ

فقلت : أعتق مروانُ ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أشعر منها .

[تجيز ما لا يجاز]

أُخبرني الجوهريّ ، قال : حدَّثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية : قال : قال لي رجل : تصفَّحتُ كُتُباً ، فوجدت فيها بيتاً جَهدت جهْدِي أن أجد مَن يُجيزه ، فلم أجد ، فقال لي صديق : عليك بعِنان جارية الناطفيّ ، فجئتُها فأنشدتُها : [من الطويل]

صوت

وما زالَ يشكُو الحبّ حتى رأيتهُ ... تنفّسَ في أحشائـــه وتكلَّما

فما لبثت أن قالت : [من الطويل]

ويَبكي فأبكــي رحمــةً لبُكائه ... إذا ما بكى دمْعاً بكيتُ له دَما

في هذين البيتين لحن من الرَّمَل ، أظُنُّه لجحظةَ أو لبعض طبقته .

[تعايي شاعراً]

قرأتُ في بعض الكتب : دخل بعضُ الشُّعراء على عِنان جارية الناطفيّ ، فقال لها مولاها عايـيه ، فقالتْ : [من المنسرح]

سَقياً لبغداد لا أرى أبداً ... يسكنه الساكنون يُشبهها

فقال : [من المنسرح]

كأنّها فِضَّـــةٌ مُمَوَّهــــةٌ ... أخْلَصَ تمويهَهـا مُمَوِّهُها

فقالتْ : [من المنسرح]

أمنٌ وخفض ولا كَبَهجَتِها ... أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفَهُها

فانقطع .

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار ، قال : حدَّثني ابن أبي سَعيد قال : حدَّثني مسعودُ بن عيسى ، قال : أخبرني موسى بن عبد الله التَّميميّ ، قال : دَخَل أبو نُواس على الناطفيّ ، وعنانُ جالسةٌ تبكي ، وخَدُّها على رَزَّة من مِصراعِ الباب ، وقد كان الناطفيّ ضربها ، فأومأ إلى أبي نواس أن يحرّكها بشيء ، فقال أبو نُواس : [من المنسرح]

عنان لو جُدْتِ لي فإنّيَ من ... عمريَ في آمَنَ الرسول بما

فردّتْ عليه عِنانُ : [من المنسرح]

فإن تمادى ولا تمادَيْـتَ في قطعك حَبلي أكُنْ كمَن ختَما

فردَّ عليها أبو نُواس فقال : [من المنسرح]

علقتُ مـن لو أتـى على أنفُـ ـسِ الماضِينَ والغابرينَ ما نَدِما

فردَّتْ عليه : [من المنسرح]

لـو نظـرتْ عينُها إلى حَجَرٍ ولَّـد فيـه فُتُورهـا سَقَما

[لا بديل لخاتمها]

أُخبرني ابنُ عمّار ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مهروَيْه : قال : حدَّثني محمد بن أبي مروان الكاتب : قال : أخذ أبو نُواس من عِنان جارية الناطفيّ خاتماً فَصُّه أحمر ، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نُواس ، فطلبته منه عِنان ، فبعث إليها مكانه خاتماً فَصُّه أخضر ، فاتَّهمتْه في ذلك ، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد ، فقال : [من السريع]

فدتْكَ نفسي يـا أبا جعفرٍ جاريـةٌ كالقمـر الأزهـرِ

تعلقتْنـي وتعلَّقتُهـا طِفلينِ في المهـدِ إلى المكْبرِ

كنتُ وكانت نتهادى الهوى بخاتمينـا غيرَ مستنكـرِ

حنَّت إلى الخاتم منِّي وقد سلَبتني إيّـاه مـذ أشهُرِ

فأرسلـتْ فيـه فغالطتُها بخاتَـمٍ في قَـدّه أخضرِ

قالت : لقـد كان لنا خاتَمٌ أحمـرُ أهـداه إلينا سرِي

لكنّـه عُلِّـق غَيري فقـدْ أهدى لـه الخاتَم لا أمتَري

كفـرتُ بـالله وآياتِـه إن أنـا لم أهجـرْه فليصبرِ

أو فأتِ بالمخرجِ من تُهمَتي إيّـاه في خاتَمِنـا الأحمرِ

فارْدُدْه تَرْدد وصلَها إنّهـا قُـرّةُ عَيني يـا أبا جَعْفَرِ

فإنّنـي متَّهَـمٌ عندهـا وأنت قـد تعلَم أنِّي برِي

قال : فردّ إليه الخاتم ، وبعث إليه معه بألفي درهم .

[الرشيد أشعر منها]

أُخبرني ابن عمّار وعليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد ، عن

المازنيّ عن الأصمعيّ ، وقال ابن عمّار في خبره عن بعض أصحابه ، أظنُّه المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، قال : ما رأيتُ أثر النبيذ في وجه الرشيد قطُّ إلاّ مرَّةً واحدة ، فإنّي دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشَّطْرَنْجي ، فرأيت التّختُّر[1] في وجهه ، فقال لنا : استبقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف دِرهَم ، قال : فأشفقتُ ، ومنعتني هيبته ، قال : فقال أبو حفص : [من الخفيف]

كلَّما دارتِ الزجاجةُ زادتـ ـه اشتياقاً وحُرقةً فبكاكِ

فقال : أحسنتَ فلك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالتِ الهيبة عنّي ، فقلتُ : [من الخفيف]

لم ينلْكِ الرجاءُ أن تحضُريني وتجافتْ أمنيَّتي عن سواكِ

فقال : لله درُّكَ ! لك عشرون ألف دِرهم ، قال : فأطرقَ مليّاً ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال : أنا والله أشعرُ منكما ، ثم قال : [من الخفيف]

فتمنّيتُ أن يَغَشِّيَني اللـ ـهُ نُعاسا لعلَّ عَيْني تَراكِ

[الأصمعي يصرف الرشيد عنها]

أخبرني ابنُ عمّار والأخفشُ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازنيّ : قال : قال الأصمعيّ : بعثتْ إليّ أمُّ جَعفر أنّ أمير المؤمنين قد لَهِج بذكر هذه الجارية عِنان ، فإن صرفتَه عنها فلك حكمك . قال : فكنتُ أُريغ[2] لأن أجد للقول فيها موضعاً ، فلا أجدُه ، ولا أقدمُ عليه هيبةً له ، إذ دخلتُ يوماً فرأيتُ في وجهه أثر الغضب ، فانخزلْتُ ، فقال : ما لك يا أصمعيُّ ؟ قلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين أثَرَ غضبٍ ، فلعنَ اللهُ مَنْ أغضَبه ! فقال : هذا الناطِفيّ والله ، لولا أنّي لم أجُرْ في حكم قطُّ متعَمِّداً لجعلتُ على كلّ جبلٍ منه قطعةً ، وما لي في جاريته أرَبٌ غير الشعر ، فذكرت رسالة أُمّ جعفر ، فقلت لَهُ ، أجلْ والله ما فيها غير الشعر ، أفيسرّ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدَقَ ؟ فضحِكَ حتى استلقى ، واتَّصل قولي بأُمّ جعفر فأجزلَتْ لي الجائزةَ .

---

1 التختّر : غثيان النفس .

2 أريغ : أطلب .

[الرشيد يلح في طلبها]

أخبرني عَمّي والحسنُ بن عليّ ، قالا : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بنِ عبد الملك الزيات ، قال : حدَّثني محمد بن هارون ، عن يعقوبَ بن إبراهيم : أن الرشيد طلب من الناطفيّ جاريتَه ، فأبى أن يبيعَها بأقلَّ من مائة ألْف دينار ، فقال : أُعطيك مائةَ ألْفِ دينار على أن تأخذ بالدينار سبعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تُحمَلْ إليه ، فذكروا أنّها دخلتْ مجلسه ، فجلستْ في هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك ! إنّ هذا قد اعتاصَ عليَّ في أمركِ ، قالت : وما يمنعك أن توفيَه وتُرضيَه ؟ فقال : لَيْس يقنعُ بما أُعطيه ، وأَمرها بالانصراف . فبلغني أنّ الناطفيّ تصدَّقَ بثلاثين ألْف درهم حين رجعتْ إليه ، فلم تزلْ في قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلمّا مات بعث مسروراً الخادم ، فأخرجها إلى باب الكرْخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيديّ قد جلَّلَها ، فنوديَ عليها : مَن يزيد ؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كَبِدٌ رطْبة ، وعلى الرجل ديْنٌ ، فأشاروا ببيعها ، قال : فبلغني أنّها كانت تقولُ ، وهي في المصطَبة : أهان الله مَن أهانني ، وأَذَلَّ مَن أذلَّني ، فَلكزها مسرورٌ بيده ، وبلغ بها مسرورٌ مائتيْ ألْف درهم ، فجاءَ رجل ، فقال : عليّ زيادةُ خمسةٍ وعشرين ألف درهم ، فلكزه مسرورٌ ، وقال : أتزيد على أمير المؤمنين !

ثم بلغ بها مائتين وخَمْسينَ ألْفا ، وأخذها له قال : ولم يكن فيها شيء يعاب ، وطلبوا لها عيباً لئلاّ تصيبها العينُ ، فأوقعوا بخنصرَ رجلها شيئاً . وأولدها ابنين ، قال : أظُنّهما ماتا صغيرين ، ثم خرج بها إلى خُراسان ، فمات هناك وماتت عِنان بعده .

[أبو نواس يُشَبِّبُ بها]

قال : وأنشدنا لأبي نُواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد ويذكُر عِنان في تشبيبها : [من السريع]

عِنان يا مَن تُشبه العِينا … أَنتِ على الحُبِّ تلومينا
حُسنكِ حُسْنٌ لا أرى مثلَه … قد ترك الناس مَجانينا

[بينهما وبين العبّاس بن الأحنف]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزيّ : قال : حدَّثني أحمد بن القاسم العِجليّ : قال : حدَّثني أبو القاسم النخعيّ قال : كان العبّاس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفيّ ، فجاءَني يوماً ، فقال : امض بنا إلى عِنان جارية الناطفيّ ، فصرنا إليها ، فرأيتها

كالمهاجرةِ له ، فجلسنا قليلاً ، ثم ابتدأ العبّاس فقال : [من مجزوء الرمل]

قال عبّاسٌ وقَـد أُجْـ ـهِد من وجدٍ شديدِ
ليس لي صبرٌ على الهَجْـ ـرِ ولا لَذْعِ الصُّدُودِ
لا ولا يَصْبِر للهجْـ ـرِ فـؤادٌ من حَديدِ

فقالت عنان : [من مجزوء الرمل]

مَن تـراهُ كان أغنى منكَ عن هذا الصدودِ
بعد وصلٍ لـكَ منّي فيـه إرغامُ الحَسودِ
فاتّخذ للهَجْرِ إن شئـ ـتَ فؤاداً من حديدِ
مـا رأينـاكَ على مـا كنت تَجني بجَليدِ

فقال العبّاس : [من مجزوء الرمل]

لـو تجودينَ لصَبٍّ راح ذا وجدٍ شديدِ
وأخي جهلٍ بما قدْ كان يَجْني بالصدودِ
ليس مَن أحدثَ هَجْراً لصديـقٍ بسَديـدِ
ليسَ منه الموتُ إن لَمْ تَصليـه ببَعيـدِ

قال : فقلتُ للعبّاس : ويحكَ ! ما هذا الأمرُ ؟ قال : أنا جنيت على نفسي بِتتايُهي عليها ، فلم أبرحْ حتى ترضَّيتُها له .

[أبو نواس يبغض الرشيد فيها]

أخبرني الحسنُ بن عليّ : قال : حدَّثنا الحارثُ بن يحيى بن حَمَد بن أبي ميَّة : قال : حدَّثني يحيى بن محمد : أنّ الرشيد كان يساوم بعِنان جارية النَّطافيّ ، فبلغ ذلك أُمَّ جعفر ، فشقَّ عليها ، فدسَّت إلى أبي نواس أن يحتالَ في أمرِها فقال يَهجوها : [من السريع]

إن عِنـانَ النطّافيّ جاريةٌ أصبح حِرُّها للنَّيْكِ مَيدانا
ما يشتريهـا إلاّ ابنُ زانية أو قَلْطَبانٌ يكون مَن كانا[1]

---

1 القرطبان والقلطبان : الديوث الذي لا غيرة له .

فبلغ ذلكَ الرشيدَ ، فكان يقولُ : لعن اللهُ أبا نواس ، وقبَّحه فلقد أفسدَ عليّ لذَّتي في عِنان بما قال فيها ، ومنعني من شِرائها .

صوت

[من السريع]

ما لي وللخمرِ وقــد أُرعشَت   مِنّي يَميني هــاتِ باليُسرى
حتــى تَــراني مائـلاً مُسنَدا   لا أَستطيعُ الكـأسَ بالأخرى

الشعر للحسن بنِ وَهْب ، والغناء لعبدِ الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ، خفيف ثَقيل بالوُسطى ، وفيه أيضاً له خفيف رَمل بالبنصر .

[506] ـ أخبار الحسن بن وهب[1]

[نسبه]

هو الحسنُ بنُ وَهْب بن سعيد ، كاتب شاعر مترسِّلٌ فصيح أُديب ، وأُخوه سُليمان بنُ وهب فَحْل من الكتَّاب ويكنى أبا عليّ ، وهو عريق في الكتابة ، ولأولاده نَجابةٌ مشهورة تستغني عن وصف ذلك ، وكانوا يقولون إنّهم من بَني الحارث بن كعب ، وأصلُهم نَصارى ، وفي بني الحارث نَصارى كثير .

[قول البحتري فيه]

وفي الحسن بن وهبْ يقول البُحْتريّ : [من الخفيف]

يا أَخا الحارثِ بنِ كعب بن عمرو　　أَشُهوراً تَصومُ أَم أَيّاما

وكان البُحتُريّ مدَّاحاً لهم ، وله في الحسن ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته : [من الوافر]

أَناةً أَيُّها الفَلَكُ المُدارُ　　أَنهبٌ ما تطرَّق أَم جُبارُ

نزلنا منزلَ الحسنِ بن وهبٍ　　وقد دَرَستْ مغانيهِ القِفارُ

يقول فيها يصف صَبوحاً كانوا قد اصطَبحوه :

أَقمنا ، أَكْلُنا أَكلُ استلابٍ　　هُناكَ وشربُنا شُربٌ يُدارُ

تنازعْنا المدامةَ وهي صِرْفٌ　　وأعجلْنا الطبائخَ وهْي نارُ

ولم يكُ ذاك سُخْفاً غيرَ أَنّي　　رأَيت الشَّرْب سُخْفُهمُ الوَقارُ

أَخبرني الصوليّ ، وذكر ذلك عن جماعةٍ من الكتاب : أَنّ الحسنَ بنَ وهب كان أَشدّ تمسكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أُخيه سُليمان ، وكان سليمان يُنكر ذلك ، ويعاتبُ عليه أَخاه الحَسْن وابنَه أَحمد بنَ سليمان . وأَصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها «سارَقيقا» .

1 أنظر أخباره في : الفهرست : 136 ، والسمط 506 وابن خلكان 2 : 15—18 ومصورة ابن عساكر 4 : 604 وتهذيب ابن عساكر 4 : 256 والوافي 12 : 297 والفوات 1 : 367 وفي معجم الأدباء 1019—1022 .

[يتباهون بحفظ أشعاره]

أَخبرني عمِّي : قال : حدَّثني عمر بن نصر الكاتب ، وكان من مشايخ الكتَّاب بِسُرَّ مَن رأى ، قال : كنّا نتهادى ونحن في الديوان أَشعارَ الحسن بن وهب ، ونتباهى بحِفْظها ، قال : وأنشدني له ، وكتب بها إلى أَخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيّام الواثق : [من الكامل]

خطبٌ أَبا أَيوبَ جلَّ محلُّه ... فإذا جزعتَ من الخطوب فمن لَها
إنّ الذي عَقَد الذي انعقَدتْ به ... عُقَدُ المكاره فيكَ يُحْسِن حلَّها
فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتِق ما ترى ... وعسى بها أَن يَنْجَلي ولعلَّها

قال : وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بسُرَّ من رأى : [من الطويل]

خليلَيَّ من عبدِ المَدان تروَّحا ... ونُصَّا صدورَ العيس حَسْرى وطُلَّحا[1]
فإنَّ سليمان بن وهب ببلدةٍ ... أَصابَ صميمَ القلب منّي فأقْرَحا
أُسائلُ عنه الحارسينَ لحَبْسه ... إذا ما أَتوني : كيف أَمسى وأَصبحا
فلا يُهنِىء الأعداءَ أَسْرُ ابن حُرّةٍ ... يَراه العِدا أَندى يميناً وأَسمحا
وأَنهضَ للأَمر الجليلِ بعَزْمَةٍ ... وأَقرعَ للباب الأصمِّ وأَفتحا

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد : قال : وجّه الحسن بن وهب إلى أَبي تمّام وهو بالوصل خِلَعاً فيها خَزٌّ وَوَشْيٌ ، فامتدحه بقصيدة أَوّلُها : [من المنسرح]

أَبو عَليّ وَسْمِيُّ منتجعَهْ ... فاحْلُلْ بأَعلى واديه أَو جَرَعِهْ

ثم وصف الخِلْعة فقال :

وقد أَتاني الرسولُ باللبس الفَخْـ ... ـم لصَيف امرىءٍ ومُرتَبعِهْ
لو أَنّها جُلِّلتْ أُوَيْساً لقد ... أسرعتِ الكِبرياءُ في وَرَعِهْ
رائقُ خزٍّ أُجيدَ سابِرُه ... سَكْبٌ تدين الصِّبا لمدَّرِعِهْ
وسرُّ وشْيٍ كأَنَّ شِعريَ أَحْيا ... نًا نسيبُ العيونِ من بِدَعِهْ

1 النص : استخراج جهد الناقة في السير . وحسر وطلح البعير : أعيا وتعب .

تركتْني ساهــر الجفونِ على ... أزْلمِ دهــرٍ بحُسنهـــا جذَعِهْ

يعني الدهرَ ، والدهر يقال له : الأزْلم الجذَع ، والأزلم : الطويل ، والجذَع : الجديد : يقول : هو قديم سالِف ، ويومُه جديد ، قال لقيطٌ الإياديّ : [من البسيط]

يــا قــوم بيضتُكم لا تفضحنَّ بها ... إنّي أخاف عليها الأزلَم الجذَعا[1]

[موقفه من سجن أخيه]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : لما حَبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمانَ بن وهب ، وطالبه بالأموال وقْت نكبته قال الحسن بنُ وهب : [من الطويل]

خليــليّ مــن عبد المــدان تروَّحا ... ونُصّا صدورَ العِيسِ حَسْرى وطُلَّحا

فإنَّ سليمان بــن وهــبٍ بمنزلٍ ... أصاب صميم القلب منّي فأقرحا

أُسائــل عنــه الحــارسيْن لحبسه ... إذا مــا أتوني كيفَ أمسى وأصبَحا

فلا يُهنىء الأعداءَ حبسُ ابنِ حرّة ... يــراه العِــدا أندى يميناً وأسمحا

وقُــولا لهمْ صَبراً قليلاً وأصبِحوا ... فما أقرب الليلَ البهيمَ من الضُّحا

قــال : وقيل لــه وسُليمــانُ محبوسٌ : كيف أصبحْتَ ؟ قال . أصبحتُ والله قليلَ النّشاط ، كالَّ القريحةِ ، صَدِىء الذهْنِ ، ميّت الخاطرِ من سوء فعل الزّمان ، وتَوارُد الأحزان ، وتَغَيُّر الإخوان ، قال : وآلى ألاَّ يذوقَ طعاماً طيِّباً ، ولا شرب ماء بارداً ، ما دام أخوه محبوساً ، فوفَّى بذلك .

[من قوله في حاج]

أخبرني الصوليّ : قال : أخبرني أبو الأسود : قال : كان للحسن بن وهب جارٌ هاشميّ ، يلقَّب بالطيْر ، فحجّ سنةً من السنين ، ورجع آخر الناس ، فقال فيه الحسنُ : [من الوافر]

أينقصُ أم يزيــدُ مــن الرقاعهْ ... أخــو حُمْقٍ لــه الدُّنيا مشاعَهْ

يحــجّ على الجِمالِ ولـو تجلّى ... لمكّــة جاءَهــا في بعْضِ ساعَهْ

[الدمع حزن محلول]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا الطالقانيّ : قال : حدّثنا أحمد بن سليمان بن وهب . قال : رآني عمِّي الحسن ، وأنا أبكي لِفراقِ بعض الألآفِ فقال : [من السريع]

1 بيضة البلد : السيِّد وبيضة القوم : أصلهم .

ابكِ فما أَنْفَع ما في البكا لأنَّه للوجْــد تَسهيــلُ
وهــو إذا أَنــتَ تأمَّلتَــه حزن على الخَدّين مَحْلولُ

[لا تنه عن خُلق]

أَخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا علي بن الصبَّاح : قال بلغ الحسنَ بن رجاء أَنْ الحسن بنَ وهب عابه بحُبِّ الغِلْمان ، وكان الحسن بن وهب أشدَّ حبّاً لهم منه ، فقال : مَثَلي ومثَلُه كما قال حسان بن ثابت : [من الطويل]

وإنّي لأغنى الناسِ عن فضلِ صاحبٍ يـرى النّاس ضُلاّلاً وليس بمُهْتَدِ

[المسؤول أحوج من السائل]

أَخبرنا محمد : قال : حدَّثنا الحَزَنْبل : قال : كتب رجل إلى الحسنِ بنِ وهب يستميحه ، فوقّع في رُقعته : [من البسيط]

الجودُ طَبعي ولكن ليس لي مالُ فكيف يحتالُ مَـنْ بالرَّهْن يحتالُ

[تكره النار]

أَخبرني الحسنُ بن عليٍّ : قال : حدَّثني محمدُ بن موسى بن حمَّاد : قال : كنت أَكتُبُ في حداثَتي بين يدي الحسن بنِ وهب ، وكان شديد الشَّغَف ببنات جارية محمد بن حمّاد كاتب راشدٍ ، فكنّا يوماً عنده ، وهي تُغَنّى ، وبين أَيدينا كانُونُ فحم ، فتأذّت به ، فأَمرتْ أَن يباعَدَ ، فقال الحسن : [من الكامل]

بأَبــي كرهتِ النارَ حتى أُبعِدتْ فعلمتُ مـا معنــاكِ في إبعادِها
هي ضرةٌ لــك بالتماع ضِيائِها وبحسن صُورتهـا لـدى إيقادِها
وأَرى صنيعَكِ في القلوبِ صَنيعَها في شَوكهـا وسَيالِهـا وقَتادِها[1]
شَرِكتْكِ في كلِّ الجهاتِ بحسْنِها وضِيائهـا وصَلاحهـا وفَسادِها

[تفاجئه بنات]

أَخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني الحسيْنُ بن يحيى : قال : كنّا عند الحسن بن وهب ، فقال : لو ساعدنا الدّهر لجاءتنا بناتُ ، فما تكلَّم بشيء حتى دخلتْ ، فقال : إنّي وإيّاكِ لَكَما قال علي بن أُميّة : [من الكامل]

1 السيّال : شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض ، وقيل إنّه ما طال من السّمر .

وفاجأتني والقلب نحوَكِ شاخِص وذكرُكِ ما بين اللسانِ إلى القَلبِ
فيا فرحــةً جاءت على إثْر تَرْحةٍ ويا غفلتا عنها وقــد نزلَتْ قُربي

[تخونه شجاعته أمام بنات]

قرأتُ في بعض الكتب : دخلتْ يوماً بناتُ على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ، فسلّمتْ عليه ، وقبّلتْ يدَه ، فأراد تقبيلَ يدها ، فمنعتْه فرُعِشَ ، فقال : [من الطويل]

أقولُ وقــد حاولــت تقبيلَ كَفِّها وبي رِعــدةٌ أهتزُّ منهــا وأسكُنُ
فديتُكِ إنِّــي أشجعُ النّاس كلِّهِم لدى الحربِ إلاّ أنَّني عنكِ أجبُنُ

[بنات داؤه ودواؤه]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني محمدُ بن موسى : قال : جاءت بناتُ تسأل الحسن بن وهب من علّةٍ نالتْه ، فحين رآها دعا برطْلٍ ، فشَرِبه على وَجْهها ، وقال : قد عوفيتُ ، فأقيمي اليوم عندي ، فأبت وقالتْ : عند مولاي دَعوةٌ ، فأمر بإحضار مائتي دينار ، فأحضِرتْ فقال : هذه مائة لمولاك ، فابعثي بها إليه ومائة لكِ ؛ فقالت : أمّا هو فأبعث بمائة إليه ؛ وأمّا أنا فوالله لا أخذتُ المائةَ الأخرى ، ولأتصدَقنّ بمثلها لعافيتِكَ ولكن أكتبُ إليه رقعةً تقوم بعذري ؛ فأخذ الدواةَ ؛ وكتب إلى مولاها : [من الخفيف]

ضرَّةَ الشمس والقمرْ متِّعينــي مــن النَّظرْ
مَتِّعينــــي بجــلْسةٍ منك يا أحسن البَشَرْ
أشتريهــا إن بعتنــ ـيها بسمْعي وبالبَصرْ
أذهبَ السقمَ سُقمُ طر فِكِ ذي الغُنْج والحَورْ
فأديمــي السرورَ لا تَمزِجي الصفوَ بالكَدَرْ
ليس يُبقي عــليَّ حُبُّـ ـكِ هــذا ولا يذرْ
وأنــا منــه فأنعَمــي بمُقــامٍ عــلى خَطرْ
وتَغنَّــيْ فــداك كلٌّ مُغــنٍّ لكــي أسَرّ
ربع سَلمى بذي بقر عرضــة الريح والمَطرْ[1]

1 ذو بقر : واد .

[عمه يحبّ بنات]

حدَّثني أَبو إسحاق بن الضحاك عن أَحمد بن سليمان ، والحكايتان متفقتان متقاربتان ، أَخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني الحسيْن بن يحيى : قال : حدَّثني أَحمدُ بن سليمان بن وهب قال : قال لي أَبي : قد عزمت على معاتبة عمِّك في حبّه لبنات ، فقد شهَّر بها وافتضَح ، فكُن معي ، وأَعنّي عليه ، وكان هواي مع عمّي ، فمضيْتُ معه فقال له أَبي ، وقد أَطال عتابه : يا أَخي ، جُعِلْتُ فداك ! الهوى أَلذُّ وأَمتع ، والرأي أَصوبُ وأَنفَع ، فقال عمِّي متمثّلا : [من الطويل]

إذا أمرتْك العاذلاتُ بهَجرِها أبتْ كبدٌ عمّــا يقلنَ صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحبُّها يُؤرِّقُــي والعــاذلاتُ هُجوعُ

فالتفت إليّ أَبي يَنظُر ما عندي ، فتمثّلت : [من الطويل]

وإنّي ليلحاني على فرط حُبِّها رجالٌ أطاعتْهم قلوب صَحائحُ

فنهض أَبي مُغضباً وضمَّني عمِّي إليه ، وقَبَّلَني ، وانصرفتُ إلى بناتِ ، فحدَّثْتُها بما جرى وعمِّي يسمع ، فأخذتِ العُودَ ، فغنَّتْ : [من الوافر]

يلومُــك في مودّتها أُناسٌ لوَ انَّهُمُ برأيــكَ لم يلوموا

فيه ثقيل أوّل .

[عجوز لا تعود إلى لومه]

قال أَحمدُ بن سليمان ، وعَذلتْه عجوزٌ لنا ، يقال لها : مُنى ، فقال لها : قومي ، فانظري إليها ، واسمَعي غناءها ، ثم لُومِيني ، فقامت معه ، فرأَتْها ، وسمعت غناءها فقالت له : لستُ أعاودُ لومَك فيما بعدَ هذا ، فأَنشأ يقول : [من الطويل]

ويــومٍ سها عنــه الزمانُ فأَصبحتْ نواظرُه قــد حــار عنهــا بَصيرُها
خلوتُ بمــن أَهــوى بــه فتكاملتْ سُعــودٌ أَدارَ النحسَ عنّــا مُديرُها
أَمــا تعذريني يــا منــى في صَبابتي بمَن وجْهُها كالشمس يلمَع نُورُها

[تعممت الوسيلة بنات]

قال أَحمد بن سليمان : كان لعمِّي كاتب يعرف بإبراهيم : نَصْرانيٌّ يأنس به ، فسأَل بناتَ مَسأَلتَها عمِّي أَن يجعل رزقَه أَلفَ دِرهم في الشَّهر ، فلمّا شرب أَقداحاً ، وطربَ وثبَتْ قائمةً

وقالت : يا سيِّدي ليَ حاجة ، فوثب عَمِّي ، فقام لقيامِها ، فقالت : تجعلُ رزقَ إبراهيم ألفَ درهم في الشهر ، فقال : سمعاً وطاعة ، فجلستْ فأنشأ يقول : [من الكامل]

قامت فقمتُ ولم أكن لو لم تقمْ ... لأُجلّ خلقاً غيرَها فأقوما
شفعت لإبراهيمَ في أرزاقه ... فوددتُ أنِّي كنتُ إبراهيما
فأجبتُها إنِّي مطيعٌ أمْرَها ... وأراه فرضاً واجباً محتُوما
ما كان أطيبَ يومَنا وأسَرَّه ... لو لم يكن بِفراقها مَختْوما

قال : ثم إنّ عمِّي صار إلى أبي ، فأخبره الخبرَ ، فأمر أن يجعلَ لإبراهيمَ من ماله ألفَ دِرهم أخرى لشفاعتها .

[بنات لا تزوره في علّته]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثَني إسماعيل بن الخصيب : قال : اعتلَّ الحسن بن وهب فلم تعلم بناتُ بذلك ، وتأخّرتْ عن عيادته ، فكتب إليها : [من الهزج]

عليلٌ أنتِ أعْلَلْتِهْ ... فلَو أنّك علَّلتِهْ
بوعْدٍ أن تَزوريه ... إذا ما مُمكنٌ نلتِهْ
قريباً لنفيت الدَّا ... ءَ عنه حينَ واعدتِهْ
وما ضرّكِ لو جاء ... رسولٌ منك أرسلتِهْ
فيحكي لَكِ ما قال ... كما يحكي الذي قُلتِهْ
أما واللهِ لو أنّ الـ ... ـذي يُحمَل حُمِّلتِهْ
لما احتاج إلى التعلـ ... ـيم فيما قد تجاهَلْتِهْ

[في الشفانين الشفاء]

أخبرني الصّولي : قال أحمد بن إسماعيل : قال : حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن جميل : قال : أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علّة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين[1] ، وكتب إليها : [من الطويل]

شفاءٌ أنينٍ بالشفانين أملَّتْ ... لكم نفسُ مَن أهدى الشفانين عامدا

1 الشفانين : ضرب من الحمام جميل الصوت بهي المنظر .

كُلُوها يَكِلُّ الداءُ عنكـم فإنّني ... أزورُكُمُ للشوق لا زرتُ عـائدا

[يهجو سيّدها]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني ميمون بن هارون : قال : كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها ، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاءَ له ، وقد منعها من المسير إليه ، فكتب إليها ثانياً يقول : [من الخفيف]

يومنـا يـوم جُمعـة بأبي أنـ ... ـتِ وعندَ الوضيع لا كانَ قوْمُ
سَفَلٌ مثله يسومونَـه الخَسْـ ... ـفَ ويَرضاه وهو للوغْدِ سَوْمُ
فامنعيهمْ منكِ البشاشةَ حتى ... يتغَشَّاهـمُ مـن البَـرْد نَومُ
وليكنْ منك طول يومكِ لِلّـ ... ـه صلاةٌ إلى المَساء وصومُ
وارفعـي عنهم الغِناء وإن نـا ... لك عـذلٌ مـن الوضيع ولَوْمُ
واذكري مُغرماً بحبِّك أمسى ... همُّـه أن يُدِيلَـه منـكِ يومُ[1]

[يصف البرق]

أخبرني عمّي قال حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : كان الحسنُ بن وهب يشربُ عند محمد بن عبد الله بن طاهر ، فعرضَت سحابة ، فبَرَقـتْ ورعـدَت ، وقَطَرت ، فقال الحسنُ : [من الخفيف]

هطلتنا السماءُ هَطْـلا دِراكاً ... عارض المرزمانِ فيها السِّماكا[2]
قلـت للبرق إذ تألّق فيهـا ... يـا زِنادَ السماء من أوراكا
أحَبيبـاً نأيْـتَـه فبكـاكا ... فهـو العارضُ الذي استْبكاكا
أم تشبهتَ بالأمير أبي العبّـ ... ـاس في جُوده فلسْتَ كذاكا

[بينه وبين ابن الزيات]

أخبرني عمي ، قال : حدَّثنا أبو العَيناء ، قال : طلبَ محمدُ بن عبد الملك الزياتِ الحسنَ بنَ وهبِ ، وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه : يا سيدي ، أنا في مجلس بَهِيٍّ ، وطعام هَنيٍّ ، وشرابٍ شَهيّ ، وغناء رضيٍّ ، أفأتحوّلُ عنه إلى كدٍّ الشقيّ ، ووثبت بناتُ لتقوم ، فردّها

1 أدالنا من عدونا : غلبنا عليه .

2 المرزمان : نجمان في السماء مع الشعريين .

وكَتَب : [من المجتث]

ما بانَ عنكَ الذي بِنْـ ـتَ عنه لا عاشَ بَعْدَكْ
إن لم يكن عنده الصبـ ـرُ والسُّلُوُّ فعندَكْ
وما وجدتَه إلاّ عبدَ الرجاء وعبدَكْ

فاستلمها الرسولُ ، ومضى بها إلى محمد ، فوقّع فيها : [من المجتث]

أبا عليٌّ أراك الإله في الأمرِ رُشدَكْ
إن لم تكن عنديَ اليو مَ كنتُ بالشوق عندَكْ
فاهدم مَحلَّك عندي واجهَدْ لذلك جَهدَكْ
فلستُ أزدادُ إلاّ رعايةً لك وُدَّكْ
وانعَمْ بمَن قُلتَ فيها عبدَ الرجاء وعبدَكْ
أُزيلَ نحسُك فيها وأُطلَعَ الله سَعدكْ

وردّ الرقعةَ إلى الحسن ، فلمّا قرأها خَجِل ، وحلفَ ألاّ يشرب النبيذَ شهراً ، ولا يفارق مجلسَ الوزير .

[آخر عهده ببنات]

أخبرني عمّي عن إبراهيم بن المدبّر ، قال : ولدَت بناتُ من مولاها ولَداً وسمّته بإبراهيم ، فأبغضها الحسنُ بن وهب ، وكتبَ إليها : [من الخفيف]

نُتِج المُهرةَ الهجانُ هجيناً ثم سَمّى الهجينَ إبراهيما
بخليلِ الرحمنِ سَمَّيتَ عَبداً أم قريعَ الفِتيانَ ذاك الكريما

وبعثَ بالبيتين إليها ، وكان آخر عهدِه بها .

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصوليّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً روميّاً لأبي تمام ، وكان أبو تمام يعشقُ غلاماً خَزريّاً للحسن ، فرأى أبو تمام يوماً الحسنَ يعبثُ بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقت إلى الروم لنركُضنّ إلى الخزر ، فقال له الحسنُ : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : ما أشبّهك إلاّ بداود ، ولا أشبّهُ نفسي إلاّ بخصميْه ، فقال له : لو كان هذا منظوماً حفِظناه ، فأمّا المنثور فهو عارضٌ لا حقيقة له ، فقال

أبو تمّام : [من البسيط]

أَبـا عــليٍّ لصرْف الدّهر والغِيَرِ ... وللحـــوادث والأيّـــامِ والعِبَرِ
أعندكَ الشمسُ لم يخطَ المغيب بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمرِ
أذكرتَني أمــر داود وكنت فتى ... مُصرَّف القلب في الأهواء والذّكَرِ
إن أنت لم تترك السيرَ الحثيث إلى ... جــآذر الرّوم أعْنقْنا إلى الخزَرِ[1]
إن الغزال لــه منّــي محلُّ هوًى ... يحلّ منّــي محــلَّ السمع والبصرِ
ورُبَّ أمنَع منـــه جانبـاً وحِمًى ... أمسى ولكنّـه منّــــي على خَطَرِ
جرَّدتُ منه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منـــه غيابتُهــا عــن تِكّة هَدَرِ
سبحانَ مــن سبّحتْه كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمحانِ الأَيْر والنظرِ
أنت المقيم فمــا تعــدو رواحلُه ... وأيـــرُه أبــداً منــه عــلى سَفَرِ

[غلامه وغلام أبي تمام]

قال الصوليّ : فحدَّثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : قلتُ لأبي تمّام : غلامُكَ أطوعُ للحسنِ بن وهب من غلام الحسن لكَ ، قال : أجلْ والله ؛ لأنَّ غلامي يجد عندَه ما لا يجدُه غلامه عندي ، وأنا أعطي غُلامه قِيلاً وقالاً ، وهو يعطي غُلامي ثياباً ومالاً .

[ابن الزيات يتجسّس عليه]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو الحسن الأنصاريّ ، قال : حدَّثني أبي . وحدَّثني الفَضْلُ الكاتبُ المعروف بفنجاخ : أنّ الحسنَ بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهو وزيرُ الواثق ، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسنِ بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما ، فتقدّم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهـب ، بأن يُعلموه بخبرهما ، وما يكون بينهما . قال : وعزم غلامُ أبي تمام على الحِجامة ، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ، ويسأله التوجيه إليه بنبيذٍ مطبوخ ، فوجَّه إليه بمائة دنّ ومائة دِينار ، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير ، وكتب إليه : [من الخفيف]

---

1 الجوْذر : ولد الظبي .

ليتَ شعري يا أملحَ الناسِ عندي ... هــل تداويــتَ بالحِجامة بَعدي
دفــعَ الله عنــك لي كُـلَّ سَوءٍ ... باكرٍ رائحٍ وإن خنــتَ عهدي
قــد كتمتُ الهوى بمبلغِ جُهدي ... فبـدا منـه غيرُ مـا كنتُ أبدي
وخلعــتَ العِـذارَ فليعلـم النا ... س بأنِّــي إيّـاك أُصفي بوُدِّي
وليقولوا بمـا أحبُّـوا إذا كنـ ... ـتَ وَصـولا ولم ترُعنـي بصدٍّ
مَنْ عذيري من مُقلتيكَ ومن إشـ ... ـراق وجهٍ من دون حُمرة خَدٍّ

قال : ووضع الرّقعةَ تحتَ مُصلاّه ، وبلغ محمد بن عبد الملك خبرُ الرّقعة ، فوجَّه إلى الحسن ، فشغله بشيءٍ من أمره ، وأمر مَن أخذَ الرقعة من تحت مُصلاّه ، وجاءه بها ، فقرأها ، وكتب في ظَهرِها : [من الخفيف]

ليت شِعري عن ليت شِعركَ هذا ... أبِهــزلٍ تقولــه أم بِجــدٍّ
فلئـن كنــتَ في المقـال مُحِقّاً ... يا ابنَ وهبٍ لقـد تَغَيَّرتَ بعدي
وتشبَّهْتَ بــي وكنتُ أرى أنّي ... أنـا العاشقُ المتيَّـم وحْـدي
أتركُ القصدَ في الأمــورِ ولـولا ... غمراتُ الهَوى لأبصرت رُشدي
وأحبّ الأخ المشارك في الحـبِّ ... وإن لم يكـن بـه مثلُ وجدي
كنديمــيْ أبــي عـليّ وحاشا ... لنديمــي مثــل شِقـوة وَجْدي

صوت

إنَّ مـولايَ عبـد غيري ولـولا ... شُؤم جَدِّي لكان مولايَ عَبْدي
سيِّدي سيِّدي ومـولايَ مـن أوْ ... رَثَني ذِلّـةً وأضـرَعَ خَـدِّي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل ، أظنّه لِجحظة أو غيره من طَبقته .

قال : ثم وضع الرقعة في مكانها ، فلمّا قرأها الحسنُ قال : إنّا لله ! افتضحْنا عند الوزير ، وحَدَّثَ أبا تمّام بما كان ، ووجَّه إليه بالرقعة ، فلقيا محمدَ بن عبد الملك ، وقالا له : إنّما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة ، فتضاحَكَ وقال : ومَنْ يظنّ بكما غير هذا ! فكان قولُه أشدَّ عليهما من الخبرة .

[يتشاغل عن أبي تمام]

قرأتُ في بعض الكتب : كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمّام عِشرةً متّصلة ، فنُدب الحسنُ بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي ، فتشاغلَ عن عِشرة أبي تمام ، فكتب إليه أبو تمّام : [من البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خَبرٌ ماذا تراه دهاه ؟ قلتُ : أيلولُ
شهرٌ كأنّ حِبالَ الهَجر منه فلا عَقْدٌ من الوصلِ إلاَّ وهْو مَحلولُ

فأجابه الحسن : [من البسيط]

مــا عاقَني عنكَ أيلولٌ بلذَّته وطِيبِهِ ولنعــمَ الشهــرُ أيلولُ
لكن توقّعَ وَشْك البينِ عن بَلدٍ تحتلُّــه ووِكاء العــينِ مَحلولُ

[يهجو الغنوي وابن أبي دواد]

وقرأت فيه : كان بين الحسنِ بن وهب وبين الهيثم الغَنَويّ وأحمد بن أبي داود تباعدٌ ، فقال يهجوهما : [من الوافر]

سألت أبــي وكان أبي خبيراً بسُكّان الجزيــرة والسّوادِ
فقلت لهم : أهيثَمُ من غَنيٍّ فقال كأحمــدَ بــن أبي دُوادِ
فإن يكُ هيثَمٌ من جَذْم قَيس فأحمــدُ غير شَكٍّ مــن إيادِ

[مجاملة]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثني عُمر بن نصر الكاتب ، قال : كتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطيّ يسأله أن يصيرَ إليه فكتب إليه محمد : [من الوافر]

وقيتُكَ كلَّ مكــروهٍ بنفسي وبالأدْنينَ مــن أهلي وجِنسي
أتأذن في التأخُّــرِ عنــك يومي على أن ليس غيرُكَ لي بــأُنْسِ

فأجابه الحسنُ بن وهب ، فقال : [من الوافر]

أَقِــم لا زلت تُصبحُ في سرورٍ وفي نِعَــمٍ مواصلــة وتُمسي
فما لي راحةٌ في حبس مَن لا أراهُ يكونُ مَحبوساً بحَبسي

وكان الحسنُ يومئذٍ معتقلاً في مُطالبة يُطالب بها .

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسناد .

[صاحب غير مؤتمن]

كان الحسنُ بنُ وهب يعشق بناتَ ، جاريةَ محمد بن حمّاد الكاتب ، وكان له معها أخبارٌ كثيرة ، وكان لا يصبرُ عنها ، فقَدِم الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح من البصرة ، واتصل به خبرُها ، ووصفها له الحسنُ بن وهب ، وصار به إليها ، فأتمَّ ليلتَه معها ، ومرَّت بينهما أعاجيب ، ثم خالفه الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح ، وخاتلَه في أمرها ، فكتب إليه الحسنُ بنُ وهب : [من مجزوء الخفيف]

لا جميـلٌ ولا حَسَنْ ... خُنتَ عهدي ولم أخُنْ
كملتْ إذ فعلـتَ هـ ... ـذا أعاجيب ذا الزَّمنْ
فـإلى اللهِ أشتكِـي ... مـا بقلبـي مـن الحَزنْ
رُبَّ شكوى من الصديـ ... ـقِ إلى غير ذي شَجَنْ
بأبـي أنـتَ يا حسنْ ... يـا أخـا الطوْل والمِنَنْ
أيُّ رأيٍ أراك خَتْـ ... ـلي في الشادِنِ الأغَنْ
يتخطّـى إليـه دُو ... نيَ في حالِـكِ الدُّجُنْ
فتـرى منـه سُنَّـةً ... تَتعـالى عـن السُّنَنْ
مَع كشفي لك الحديـ ... ـثَ الذي عنكَ لم يُصَنْ
واعتمادي زعمتُ مِنـ ... ـكَ على أحصَنِ الجُنَنْ
وعـلى خيرِ صاحـبٍ ... وعـلى خيرِ مـا سكَنْ
خَجِـلي مـنْ إساءةٍ ... فَضحَتْ حُسنَ كلِّ ظَنّ
ثـم مِمّـن جرّتْ إلى ... مَن وفيمَن وعند مَنْ
إن تكـنْ تِلك هفوةً ... فهـي كالشيء لم يكُنْ
أو تكن بِعـتَ خُلّتي ... بمـوافٍ مـن الثَّمنْ
دُرّة البحرِ مـن عدَنْ ... ذُخْر سيفِ بن ذي يَزَنْ
لم يكـن قـطُّ مثلُها ... في معـدٍّ ولا عَـدَنْ

فتغافل عن جوابه ، وأقام على مُواصلتها وسماعها وحَظر عليها ، فلم يكن الحسنُ بنُ وهب يلقاها ، فغَلُظ ذلك عليه ، وكتب إليها بهذه الأبيات : [من الكامل]

أنكرتِ معرفتي جُعلتُ لك الفدا إنكــارَ سيّــدةٍ تُلاعِــبُ سَيِّدا
أنــا ذو منْعتِ جفونَــه أن ترقُدا وتركتِــه ليــلَ التّمــام مُسهَّدا
وبريــتِ لحــمَ عِظامــه فتجرَّدا وأَزَرْتِ مضجعَــه النساءَ العُوَّدا
أنا ذا فــإن لم تعرِفيني بعــدَ ذا فأنا ابنُ وهبٍ ذو السماحة والنَّدى
أشكُو إلى اللهِ الفــؤاد المُقْصَــدا وجوًى ثَوى تحــتَ الحَشا مُتلدِّدا
وغريــرة مــا كنتُ من إشفاقها يومــاً وإن بَعُــد التلاقي مُسْعِدا
يــا ظبيــة في روضــةٍ مَوْلِيَّــةٍ جــادَ الربيــعُ تُرابَهــا فتلبَّدا
هل تجزيــنَّ الوُدَّ منّــي مثلَــه أو تَصدُقين من المواعِدِ موعدا
إنّي وإنْ جَعلَ القريضُ يجولُ بي حتَّى يغُــورَ بمــا أقــولُ ويُنجِدا
لَعلَــى يقــينٍ أنّ قلبــكِ موجَــعٌ عندي المثالُ أنا الحِمى ولك الفِدا
وكما علمــتِ إذا لبستِ المُجْسَدا وثَنَيْتَ خَلفِ الأُذْنِ حاشيةَ الرِّدا[1]
وحَبَوتِ جيدكِ من حُلَيِّكِ عَسْجداً ونظمتِ ياقوتــاً بــه وزَبَرْجَدا
وشكوتِ وجدكِ في الغِناء شِكايةً تُنسي حُنَيْنــا والغَريــضَ ومَعْبَدا
سِيمــا إذا غَنَّيتنــي بتعمُّــدٍ بأبــي وأُمِّي ذاك منــكِ تَعمُّدا
أَثْــوى فأقصرَ ليلــةً ليــزوّدا ومضى وأخلفَ من قُتيْلةَ موْعِدا

[صاحبه يرثي لحاله]

فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها ، وعلم أنَّه قد بلغ منه . فكتب إليه : [من الطويل]

فِدًى لكَ آبائي وحقٌّ بأن تُفدى فِدًى لك قَصْداً من ملامكَ لي قَصْدا
ولا تَلْحَنــي في عَثرة إن عَثرتُها فلا والذي أمسيتُ أُدعى له عَبدا
وعهدُك يا نفسي يَقيك من الرّدى فأعظمْ به عندي وأكرمْ به عَهْدا
يمــينَ امــرىءٍ بَرٍّ صَدوقٍ مُبرَّإٍ من الإثمِ ما حاولتُ هَزْلاً ولا جِدًّا
سِوى مــا بــه أزدادُ عندكَ زُلفةً ويُكسبني منك المودَّة والحَمْدا

1 المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .

أرى الغيّ إن أومأت للغيّ طاعةً لأمركَ فضلاً عن سِوى الغيّ لي رُشدا
وأسعى لمـا تسعى وأتبعُ ما ترى وفي كلّ ما يُرضيك أستغرِقُ الجُهدا
إذا أنـا لم أمْنَحك صفوَ مودّتي فمن ذا الذي أُصفي له غيرَك الوُدَّا
ومن ذا الذي أرعى وأشكُرُ والذي يُـؤمِّل خيراً بعـدُ منِّـي أو رِفْدا
وأنـت ثِمـالي والمعـوّل والذي أشدّ بـه أزرى فيعصِمُني شَدَّا
وآثـرُ خلـقِ الله عندي ومَن له أيادٍ ووُدٌّ لستُ أحصيهمـا عدَّا
فلا تحسبنّى مائـلاً عـن خَليقتي لك الدهرَ حتى أسكنَ القبرَ واللَّحْدا
معاذ إلهـي أن أرى لـك خاذِلاً ولكنَّ عذري واضحٌ أنّ بي وَجْدا
بأحسنِ مَن أبصرتُ شخصاً وصُورةً وأملـحِ خلـقِ الله كلِّهـمُ قَدّا
بمالكةٍ أمري وإن كنـتُ مالكاً لَها ففؤادي ليس من حُبِّهـا يَهْدا
إذا سألتْنـي أن أُقيـم عَشيَّـةً لأونِسهـا لا أستطيـعُ لهـا رَدَّا
تُراشِفُنـي صفـوَ المـودَّة تارةً وأجني إذا ما شئتُ من خدِّها وَردا
قنعتُ بهـا لّمـا وثِقـتُ بحبّها فـلا زينبا أبْغي سواها ولا هِنْدا
ولو بُذِلَتْ لي جنّـةُ الخُلد منزِلاً وقلتَ: اجتنبْها لاجتنبتُ لها الخُلْدا

[الحسن يكتب إليها]

فلمّا قرأها الحسن بن وهب علم أنّه ندِمَ فكتب إليه: [من مجزوء الخفيف]

حسنٌ يشكو إلى حسنِ فقْـدَ طَعم النّوم والوَسَنِ
وهَـوًى أمستْ مَطالِبُـهُ قُرِنَـتْ بـاليأس في قَرَنِ
وحبيـبٌ في محلَّتِـه معـه في الـدّارِ لمْ يَبِنِ
فـإذا مـا رام زَورتُـه فهو كالغاديـن في الظُّعُنِ
عجباً للشمس لم تَرَهـا مُقلَتي حَـولاً ولم ترِني
أتراها بعدَنـا صَرَمـتْ حبَّنـا هـذا مـن اليَمنِ
فقديمـاً كان مطلعُهـا بيدي سَيف بن ذي يزَنِ

فكتب إليه ابن رَباح: [من المديد]

حسنٌ يَفــدي بمُهجتــه حسناً مــن حــادث الزّمنِ
ويَقِيــه مــا تضمَّنــه مــن دَخيـل الهـمّ والحزَنِ
هاكَ عينــي فابــكِ واقيةً عينــك العَبْرى على الشَّجَنِ
وفــؤادي فامْلَــهُ حَزَنــاً مــن صُروف الهــمّ والفتنِ
إن تكن شمسُ الضُّحا حُجِبت عـن سليل المجد مــن يَمنِ
فهْــي حَيرى عــن مَطالعها في سوى قــوم ابن ذي يَزَنِ

[رواية عن عشقه]

ثم اعتذر إليه ، ورجع إلى معاشرته ، وكان لا يحضُر دار محمد بن حمّاد ، ولا يسمع غناء بناتَ جاريته إلاّ مع الحسنِ بن وهب لا يستأثرُ بها عليه .

وقال محمد بن داود الجراح : حدَّثني بعض أُصحابنا : أنّ الحسنَ بنَ وهب ، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العبّاس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حمّاد ، وكان الحسنُ بن وهب يتعشّقها ، فأفسدها عليه الحسنُ بن مخلد ، ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا . وإنّما ذكرت هذه القصة على قلّة الفائدة فيها ليتَّضح خبرهُ مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إليّ بروايته .

[أبو تمام يستسقيه]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن أحمد ، قال : وجدت بخطّ محمد بن يزيد : كتب أبو تمّام إلى الحسن بن وهبٍ يستسقيه نبيذاً : [من الوافر]

جعلتُ فِداكَ عبد الله عندي بعقْــبِ الهَجــر منــه والبعادِ
لــه لُمَــةٌ مــن الكتّاب بيضٌ قَضوْا حــقَّ الزيــارة والوِدادِ
وأحسِبُ يومَهم إن لم تجدهم مُصادِفُ دَعــوةٍ منهم جَمادِ
فكــم يــومٍ من الصهباء سارٍ وآخــرَ منــكَ بالمعروف غادِ
فهــذا يستهِــلُّ على غَلِيــلي وهــذا يَستهــلُّ عــلى تِلادي
فيسقي ذا مَذانبَ كُلِّ عِرْق ويَنــزع ذا قــرارةَ كُلِّ وادِ
دعوتهمُ عليكَ وكنــتَ مِمَّنْ نُعيِّنُــه على العُقَــدِ الجيادِ

[هو وأبو تمام يزوران أبا نهشل]

قال : فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنٍّ نبيذاً .

قال محمد بن داود بن الجراح : زار الحسنُ بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد ، فبدأ أبو تمّام ، فقال : [من السريع]

أَغصَّك اللهُ أَبـا نَهشلِ

ثم قال للحسن أَجِزْ : فقال : [من السريع]

بخدٍّ ريم شادِنٍ أَكحلِ

ثم قال : أَجزْ يا أَبا نهشل ، فقال : [من السريع]

نَطمعُ في الوصـلِ فإن رمتَه صار مـعَ العيّوق في مَنزلِ[1]

[من كتبه إلى أبي تمام]

أَخبرني جعفر بن محمد بن قُدامة بن زياد الكاتب : قال : كتب الحسنُ بنُ وهب إلى أَبي تمام ، وقد قدِم من سفَر : جُعِلت فِداءك ووقاءك وأَسعدني الله بما أُوفى عليَّ من مقدمك ، وبلَغَ الوَطرُ كلُّ الوطَر بانضمام اليدِ عليك . وإحاطة الملك بِك ، وأَهلاً وسهلاً ، فقرَّب الله داراً قرَّبَتْك ، وأَحيا رِكاباً أَدَّتك ، وسقى بلاداً يلتقي ليلُها ونهارُها عَليك ، وجعلكَ اللهُ في أَحصن معاقِله ، وأَيقظِ محارسِه وأَبعدِها على الحوادث مراماً برحمته .

[يدافع عن أبي تمام]

أَخبرني الحسنُ بن علي : قال : حدَّثنا محمد بن موسى : قال : قال رجل للحسن بن وهب : إنّ أَبا تمام سَرَق من رجل يقال له مُكنَف من ولد زهير بن أَبي سُلمى ، وهو رجل من أَهلِ الجزيرة قصيدَته التي يقول فيها : [من الطويل]

كأَنّ بنـي القعقـاع يومَ وفاته نُجومُ سماء خـرَّ من بينها البدْرُ
تُوفِّيـت الآمـالُ بعـدَ محمـدٍ وأَصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَر السَّفْرُ

فقال الحسن : هذا دِعبل حكاه ، وأَشاعَه في النّاس ، وقد كذبَ ، وشعرُ مكنِف عِندي ، ثم أَخرجه ، وأَخرج هذه القصيدة بعينها ، فقرأَها الرجل فلمْ يَجد فيها شيئاً ممّا قاله أَبو تمام في قصيدته : ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب ، فقال له : يا أَبا عليّ ، بلغني أَنّك قلتَ في أَبي

1 العيوق : نجم أحمر في طرف المجرة الأيمن .

تمّام كيتَ وكيتَ ، فهبه سَرق هذه القصيدة كُلَّها ، وقبلنا قولَكَ فيه ، أسرق شعرَه كلَّه ؟ أتحسنُ أنت أن تقول كما قال : [من الطويل]

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بَعدي ومَحَّتْ كما مُحَّتْ وشائعُ من بُردِ[1]
وأنْجَدتمُ من بَعد إتّهام دارِكُمْ فيا دمعُ أَنجِدْني على ساكِني نجْدِ

فانخزل دِعبل واستحيا ، فقال له الحسنُ : الندمُ توبة ، وهذا الرجل قد توفِّي ، ولعلّك كنتَ تُعاديه في الدُّنيا حسداً على حظِّه منها ، وقد مات الآن ، فحسبُك من ذكره ، فقال له : أصدقك يا أبا عليٍّ ، ما كان بيني وبينه شيء قطّ إلاّ أنِّي سألتُه أن ينزل لي عن شيء استحسنتُه من شعره ، فبخِلَ عليّ به ، وأمّا الآن فأمسكُ عن ذكره ، فجعل الحسنُ يضحَك من قوله واعترافه بما اعترف به .

[اليزيدي يهجو محمد بن حماد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء : قال : حدَّثَنا إسحاق بن محمد النَّخعيّ : قال كتب إبراهيمُ بنُ محمد بن أبي محمد اليزيديّ إلى محمد بن حمّاد الكاتب يهجوه ، ويعيره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايُرهما عليها : [من الخفيف]

لي خليطان مُحكمان يُجيدا نِ لِما يعمَلانِه حاذقانِ
واحد يعملُ القِسيَّ فيأتيـ ـلكَ بها في استقامةِ المِيزانِ
وفتًى يعمَل السكاكينَ في القَرْ نِ مقرٌّ بحذقه الثَّقَلانِ
وهما يطلبان قَرْناً على رأسـ ـكَ فانظر في بعضِ ما يسألانِ
قلت : هلْ يُؤلِم الفتى قطعُ ما فيـ ـه تريدان أيّها الفَتيانِ
فأجابا بلُطفِ قولٍ وفَهْمٍ قم فإنّا إذاً لنَوْكى مَدانِ[2]
فاقطع الآن ما برأسكَ مِنها إن فيما ترى لمحضُ بيانِ
ذاك خيرٌ من أن يُسمّى اسمَ سوء فيقالُ انظُروا إلى القَرْنانِ[3]

1 الوشيعة : المكوك .
2 نوكى : جمع أنوك .
3 القرنان : الديوث .

صوت

[من الكامل]

قــد كان عتبـك مــرَّةً مكتوما فاليــوم أُصبــحَ ظاهــراً معلوما
نــال الأعادي سُؤْلَهــم لا هُنِّئوا لَّمــا رأونـــا ظاعنـــاً ومُقيما
والله لــو أبصرتَنــي لأَدَيْتَ لي والدّمع يَجري كالجُمانِ سُجُوما[1]
هبني أسأتُ فعادةٌ لك أن تُــرى مُتجــاوِزاً مُتطــاولا مَظْلـــوما

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والغناء لعُبيد بن الحَسن الناطفيّ اللَّطَفي ، ثاني ثقيل بالوسَط ، وفيه خفيف رمل يقال : إنّه لرَذاذ ، وفيه ثقيل أوّل مجهول .

1 أديت : أشفقت ورفقت .

[507] ـ أخبار أَحمد بن يوسف[1]

[اسمه ونسبه]

هو أَحمدُ بن يوسف بن صبيح الكاتب ، وأُصله من الكوفة ، وكان مذهبه الرسائلَ والإنشاء ، وله رسائل معروفة ، وكان يتولّى ديوان الرسائل للمأمون ، ويُكنى أَبا جعفر ، وكان موسى بن عبدُ الملك غلامَه وخرِّيجَه ، فذكر محمدُ بن داود بن الجراح أَنّ أَحمد بن سَعيد حدَّثه عن موسى بنِ عبد الملك : قال : وهب لي أَحمد بن يوسف أَلفي أَلف درهم تفاريق عن ظهر يَدٍ .

[أخوه القاسم يمدح البهائم ويرثيها]

وأُخوه القاسم بن يوسف أَبو محمد شاعر مليح الشعر ، وكان ينتمي إلى بني عِجْل ، ولم يكن أُخوه أَحمد يدَّعي ذلك .

وكان القاسم قد جعل وَكْده[2] في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أَكثر شعرِه في ذلك ، منها قوله يرثي شاة : [من الخفيف]

عــينُ بكّــي لعنزنا السوداء ... كالعروس الأَدماء يوم الجلاءِ[3]

وقوله في الشاهَمُرك[4] : [من مجزوء الرمل]

أَقفــرت منــك أَبا سَعْـ ... ـدٍ عِــراص وديــارُ

وقوله في السِّنَّوْر : [من المتقارب]

أَلا قُــل لُمجَّةَ أَو ماردة ... تبكّي على الهِرَّة الصائدَهْ

1 انظر أخباره في : كتاب بغداد لابن أبي طاهر : 128 وتاريخ بغداد 5 : 216 والجهشياري : 304 والفهرست : 139 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 287 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 ومختصر ابن منظور 2 : 330 وبغية الطلب 2 : 148 والوافي 8 : 279 وفي معجم الأدباء 2 : 560–569 .

2 الوكد : المراد والهم .

3 الأدماء : البيضاء .

4 الشَّاهَمُرك : الدجاج قبل أن يبيض .

وقوله في القُمْرِيّ : [من المجتث]

هـل لامرىء من أمانِ ... مـن طارق الحَدَثـانِ

[يتبنى جارية للمأمون]

أخبرني محمدُ بن خَلف وكيع : قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد : قال : حدَّثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أنّ الهشاميّ قال : كان أحمدُ بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمُها مُؤْنِسة ، فأراد المأمونُ أن يسافر ويحمِلَها ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وأمر بعض المغَنِّين ، فغنَّاه به ، فلمّا سمعَه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو : [من الكامل]

قد كان عَتْبُكَ مرّة مكتوما

[يعتب على جارية]

وقال محمد بن داود : حدَّثني أحمد بن أبي خيثمة الأطرُوش قال : عتب أحمد بنُ يوسف على جارية له ، فقال : [من المنسرح]

وعامـلٍ بالفُجـور يأمـرُ بالـ ... ـبِرّ كهادٍ يخُوض في الظُّلَمِ
أو كطبيبٍ قـد شفَّـه سَقَمٌ ... وهْو يُداوي من ذلكَ السَّقَمِ
يـا واعـظَ الناسِ غير متَّعظ ... نفسَك طهِّـر أوْ لا فـلا تلُمِ

[يقول شعراً على لسان مؤنسة]

ووجدتُ في بعض الكتب بلا إسناد : عَتَب المأمون على مؤنسةَ ، فخرج إلى الشَّمَّاسيّة[1] متَنزِّهاً ، وخلَّفها عند أحمد بن يوسف الكاتبَ فرجَتْ أن يذكرها إذا صار في مُتنزَّهه ، فيرسلَ في حملها ، فلم يفعلْ ، وتمادى في عتبه ، فسألتْ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعُه فقال : [من البسيط]

يا سيدا فقدُه أغـرى بيَ الحَزَنا ... لا ذقتُ بعدكَ لا نوماً ولا وَسَنا
لا زلتُ بعدك مَطويّـاً على حُرَقٍ ... أشنا المُقامَ وأشنا الأهلَ والوطَنا
ولا التذذتُ بكـأس في مُنادمةٍ ... مذ قيل لي : إن عبد الله قد ظَعَنا

---

1 الشماسية : موضع .

ولا أرى حَسنــاً تبــدو محاسنُه ... إلاَّ تذكَّرتُ شوقاً وجهَك الحَسَنا

وبعثتْ به إلى إسحاق الموصليّ ، فغنّاه به ، وقيل : بل بعثتْ به إلى سُندُس ، فغنَّتْه به ؛ فاستحسن ذلك ، وقال : لَمن هذا الشعر ؟ . فقال أحمد بن يوسف : لمؤنسة يا سيِّدي تترضّاك ، وتشكو البعد منك ، فركب من ساعته ، حتى ترضَّاها ، ورضيَ عنها .

ووجدت في هذا الكتاب قال : كنّا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس ؛ وعندنا قَيْنة ، فتحلاّها[1] أحمدُ بنُ يوسف ، فكتب إلى صاحب المنزل : [من مجزوء الرمل]

أنــا رهــنٌ للمنايــا ... بـين إبــرامٍ ونَقْضِ

من هَوى ظبي غريرٍ ... مونَـق المنظــرِ غَضٌ

ليتها جــادتْ بتقبيــ ... ــلٍ لخدَّيهــا وعَضٌ

إن عجزتُم عن شِراها ... لي بفَـرْضٍ أو بقَرْضِ

فتمنَّــوا لي جميعــاً ... أنّهــا قَبـــرٌ لبعْضي

[يستسقي الفضل]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُليل : قال : ذكر مسعود بن أبي بِشر أنّ أحمدَ بنَ يوسف دخلَ يوماً على الفضْل بن سَهـل أو أخيـه في يـوم دجْن ، فأطال مُخاطبته ، وكان أحمد بن يوسف آنساً به ، ففتح دواتَه وكتبَ إليه : [من الوافر]

صوت

أرى غَيْماً تؤلِّفُــه جَنُوبٌ ... وأحسِبُــه سيأتينــا بهَطْلِ

فوجْهُ الرأي أن تدعو برَطلٍ ... فتشربه وتدعُو لي برَطلِ

ودفعها إليه فقرأهما ، وضحِك ، وقال : إن كان هذا عينَ الرأي قبِلناه ، ولم نردّه ، ثم دعا بالطعام والشراب ، فأتموا يومَهم .

الغِناء في هذين البيتين للقاسم بن زُرزُور ثاني ثقيل بالوسطى .

[يعشق محمد بن سعيد]

ومّما يغنّى فيه من شعره : [من الخفيف]

---

1 تحلاّها : أي وجدها حلوة .

صوت

صدَّ عنِّي محمدُ بنُ سعيدِ أَحسنَ العالمين ثانيَ جِيدِ
ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكِنْ يتجنّى لحُسْنه في الصُّدودِ

الغناء فيه لزُرزور خفيف رَمَل ، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زُرزور عن أبيه ، ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتّاب بسُرَّ مَن رأى ، وكان أحمدُ يتعشَّقه .

ومن شعره الذي يُغَنَّى فيه : [من المنسرح]

صوت

كم ليلـةٍ فيـكَ لا صباحَ لها أحببتُها قابضـاً عـلى كَبِدي
قد غَصَّت العينُ بالدّموع وقدْ وضعتُ خدِّي على بَنانِ يَدي
كأنّ قلبـي إذا ذكرْتُكُـم فريسةٌ بـين ساعِـدَيْ أَسدِ

الغناء لشارية من رواية طبَّاع ، وفيه خفيف رَمَل ، ذكر حَبش أنّه لأحمد النُّصيبيّ ، وهو خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صَدَقة أو بعضِ طَبقَته .

صوت

[من الكامل]

الراحُ والنّدْمانُ أَحسنُ منظراً في كلِّ ملتفِّ الحدائـق رائِقِ
فإذا جمعتَ صفاءَه وصفاءَها فارْجُمْ بكلّ مُلمة مـن حالِقِ

الشعر للعَطَوي ، والغناء لبَنان ثقيل أوّل بالوُسطى ، وفيه لذكاء وجه الرزّة خفيف ثقيل .

[508] ـ أخبار العطوي

[نسبه]

هو محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، ويكنى أبا عبد الرحمن بَصريٌّ المولد والمَنشأ .

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العبّاسيّة ، واتصل بأحمد بن أبي دواد ، وتقرَّبَ إليه بمذهَبه وتقدّمِه فيه بقوّة جِدالِه عليه ، فلمّا تُوفِّيَ أحمد نقصت حاله . وله فيه مدائح يسيرة ، ومراثٍ كثيرة .

[يرثي ابن أبي دواد]

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرةَ أخي العَطَويّ :

أَحنطْتَه يا نصرُ بالكافورِ ... وزففتَه للمنزلِ المهجورِ
هلاّ ببعض خِصاله حَنَّطتَه ... فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقُبورِ
تاللهِ لو من نشرِ أخلاقٍ له ... يُعزى إلى التقديسِ والتطهيرِ
حنّطتَ مَن سَكَن الثّرى وعلا الرُّبا ... لِتُزَوِّدُوه عُدَّةً لنُشورِ
فاذهبْ كما ذهبَ الوفاءُ فإنّه ... ذهبتْ به ريحا صباً ودَبُورِ
واذهبْ كما ذهب الشبابُ فإنّه ... قد كان خير مُصاحِب وعَشيرِ
والله ما أَبَّنتُه لأزيدَه ... شَرفاً ولكن نفثةُ المَصدورِ

وأنشدني الأخفش للعَطويّ أيضاً يرثي أحمدَ بنَ أبي دُواد قال :

وليس صريرُ النعش ما تسمعونَه ... ولكنّه أصلابُ قومٍ تقصَّفُ
وليسَ نسيمُ المسكَ ريّا حَنُوطِه ... ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلَّفُ

[جعله الكتّاب إماماً]

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء ، فقال : كان له فنٌّ من الشعر لم يُسبَق إليه ، ذهب فيه إلى مذهب أصحابِ الكلام ، ففاقَ جميعَ نظرائه ، وخفّ شعرُه على كل لسان ، ورُوِي ، واستعمله الكتّابُ ، واحتَذَوْا معانيَه ، وجعلوه إماماً .

[قذارة وإدمان]

قال ابن داود : وحدَّثني المبرِّد : قال : كان العَطَويّ ، وهو عندنا بالبصرة ، لا ينطق بالشعر ، ثم ورد علينا شعرُه لمّا صار إلى سُرّ مَنْ رأى ، وكنّا نتهاداه ، وكان مقتّراً عليه رزقه ، دَفِراً[1] وسِخاً ، منهوماً بالنبيذِ ، وله فيه في وصف الصّبوح وذِكر النّدامى والمجالس أُحسَنُ قول ، وليس له قولٌ يَسقط ، فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرجز]

فِيئــي إلى أهدى السُّبلْ ... قــولاً وعلمــاً وعَمَلْ
قاتلهـــا اللهُ لقـــدْ ... سامتكُما إحدى العُضَلْ[2]
تقــول هــلا رِحلَــة ... تنقُلُنــا خيــرَ نُقَــلْ
أُخشى على جائلةِ الآمـ ... ـالِ جــوّالَ الأَجَـلْ

[في جمع المال ونفاد العمر]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش : قال : حدَّثني محمد بن يزيد : قال : سمع العَطويُّ رجلاً يحدّث أنّ رجلاً قال لعمر بن الخطّاب : إنّ فلاناً قد جمعَ مالاً ، فقال عمر بن الخطّاب : فهل جمعَ له أيّاماً ؟ فأخذ العطويّ هذا المعنى فقال : [من البسيط]

أَرفِهْ بعيش فتًى يغـدو على ثِقَـةٍ ... إنَّ الذي قسم الأرزاقَ يــرزُقُهُ
فالعِرْضُ منــه مَصون لا يُدنِّسه ... والوجه منــه جَديد ليس يخلُقُهُ
جمعتَ مالاً ففكّرْ هل جمعتَ له ... يــا جامعَ المــال أيّاماً تُفَرِّقُــهُ
المــالُ عنـدَكَ مخزونٌ لوارثـه ... مــا المــالُ مالُك إلاّ حـين تُنفِقُهُ

[يتمنى كأساً وندمانا]

ومن قوله في النُّدمان والنّبيذ ممّا يغنى فيه ما أُنشدنيه الأُخفش وغيرُه من شيوخنا :

صوت

فكم قالـوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ ... يطوفُ بها قضيبٌ في كثيبِ
وَنُدْمــانٌ تُساقطُنـــي حديثاً ... كلحظ الحِبِّ أَو غضِّ الرقيبِ

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزّة خفيف رَمَل .

1 دفر : نتن .

2 العضل : جمع عضلة وهي الداهية .

[يستسقي نبيذاً]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني كَوْثرة أخو العَطَوي قال : كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكُتّاب ، ومعهم قَيْنَة يقال لها : مِصْباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا في قَصْف وعَزفٍ إلى أن انقطع نبيذهم ، فبقوا حَيارى ، وكانوا قريباً من منزلِ أبي العبّاس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلويّ ، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه : [من الخفيف]

يا ابن مَن طاب في المواليدِ مذ آ ... دم جَرًّا إلى الحُسين أبيهِ
أنا بالقرب منكَ عندَ كريم ... قد ألحّتْ عليه شُهبُ سِنيهِ[1]
عندَه قينةٌ إذا ما تغنَّتْ ... عاد منّا الفقيهُ غيرَ فَقيهِ
تزدَهيني وأينَ مثليَ في الفهـ ... ـم تُغنِّيه ثم لا تَزْدَهيهِ
مجلسٌ كالرياض حُسناً ولكن ... ليس قطبُ السرور واللهو فيهِ
فأقمه بما به يمتري دنّ عجـ ... ـوز خمارة ممتريهِ
وبأشياخِك الكرامِ إلى السُّؤْ ... دَد موسى بن جعفرٍ وأبيهِ
إن تَحشَّمْتَني وإن كان إلاّ ... مثلَ ما يأنس الفتى بأخيهِ

قال : فلمّا وصلت الرقعةُ إلى أبي العبّاس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نَفِدتْ في أخفَض عيش .

[كأس وقينة]

حدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب الكاتب : قال : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العَطَويّ بعد وفاة عمّي أحمد بن الخصيب بسنتين ، وكان صديقَه وصنيعتَه ، فجلس عندي يحادثُني حديثَه ، ويبكي ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت ، فسألته أن يقيم عندي ، فحلف ألاّ يفعلَ إلاّ بعد أن أُحْضِرَه من وقتي ما راج من الطعام ، ولا أتكلّفُ له شيئاً ، ففعلت وجئتُه بما حضر ، فقال لي : ما فعلتْ عُقَدُ ؟ قلتُ : باقية ، وهي في يومنا هذا مقيمةٌ عندي ، والساعةَ تسمع غناءَها ، فقال لي : عجِّل إذن فإنّ النهار قصيرٌ ، ثم أنشا يقول : [من الخفيف]

أدرِ الكأسَ قد تعالى النّهارُ ... ما يُميتُ الهمومَ إلاّ العُقارُ

---

1 سنة شهباء : مجدبة .

صاحِ هذا الشتاء فاغدُ عليها إنّ أيّامــه لِــذاذٌ قِصارُ
أيّ شيء ألذّ مــن يوم دَجْنٍ فيــه كأس على النّدامــى تُدارُ
وقيــانٌ كأنّهــنّ ظِبــاءٌ فــإذا قُلْــنَ قالــتِ الأوتارُ

[أحسن يوم وأطيبه]

حدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني كوثرة : قال : كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء ، وكان يتعشّق جارية من جواري القيان يقالُ لها : عَثْعَث ، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير ، واجتماعٍ يسير ، فأرسل إليها يوماً ، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه ، واتّفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطِّيب والحُسن ما الله به عليم ، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعرٍ ، فقال : [من المتقارب]

يــوم مطيــرٌ وعيش نضيــرُ وكأسٌ تــدورُ وقِــدرٌ تفــورُ
وعثْعــثُ تأتــي إذا جئتَنا فتسمع منهــا غِنــاء يَصُورُ[1]
وعندي وعنــدك مــا تشتَهيــه شعــرٌ يمــرُّ وعِلمٌ يدورُ
وإذ كان هذا كما قــد وصفتُ فــإن التفــرّق خطبٌ كبيرُ
فقم نصطبحْ قبل فوتِ الزَّمانِ فــإنّ زمــانَ التلهِّي قصيرُ

قال : فسار إليه صاحبُه فمرّ لهما أحسنُ يوم وأطيبُه .

[أعرابي يصف مجلس شراب]

وهذا الشعر أخذه العَطويّ من كلام إسحاق ، أخبرني به وَسْواسَة بن الموصليّ عن حمّاد عن أبيه : قــال : كان يألفُنــي بعضُ الأعراب وكان طيباً ، فجاءني يوماً ، فقلت له : لم أرك أمسِ ، فقال : دعاني صديق لي ، فقلتُ : صف لي ما كنتمُ فيه ، فقال لي : كنّا في مجلسٍ نِظامُه سرور بين قُدور تَفور ، وكأسٍ تدور ، وغِناء يصور ، وحديثٍ لا يجور ونَدامى كأنّهم البُدور .

قال إسحاق : وقلت لأعرابيّ : كان يألفني : أين كنت بالأمس ؟ قال : كنت عند بعض ملوك سُرّ مَن رأى ، فأدخلني إلى قُبّة كإيوان كسرى ، وأطعمني في قِصاع تَتْرى ، وغنّتْني جاريةٌ سَكْرى ، تلعب بالمضرابِ كأنّه مِدْرى ، فيا ليتَني لقيتها مرّة أخرى .

قال إسحاق : وقلت لبعض الأعراب : طلبتُك أمس فلم أجدْكَ فأين كنتَ ؟ قال : كنتُ

---

1 يصور : يميل .

عند صديقٍ لي ، فأطعمني بناتِ التّنانير ، وأطعمني أُمّهات الأبازير[1] وحلواء الطّناجِير[2] ، وسقاني زُعاف القوارير ، وأسمعني غناءَ الشادِنِ الغَرير ، على العيدانِ والطّنابير ، قد مُلِكتْ بأوقار الدراهمِ والدّنانير .

[في مجلس شراب وغناء]

قرأت في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أنّ العطويّ كان يوماً جالساً في منزله ، وطرقه صديقٌ له ممن كان يغنّي بِسُرّ مَن رأى ، فقال له : قد أهديتُ إليك جواريَّ اليوم ونبيذاً يكفيك ، وحسبُك بالكفاية . وأقام عنده ، فدخل عليه غلام أمردُ أحسنُ من القمر ، فاحتَبسوه وكتب العَطويّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب : [من الخفيف]

يومنا طيّب بـه حسنُ القَصْـ ... ـف وحثُّ الأرطال والكاساتِ
ما ترى البرقَ كيف يلمعُ فيه ... ورشاشاً يبـلُّ في الساعاتِ
ولديْنا ظبـيٌ غريـرٌ ظَريفٌ ... قـد غَنِينـا بـه عَنِ القَيْناتِ
إن تخلّفتَ بعد ما تصلُ الرّقعـ ... ـعةُ عَنّـا فأنتَ في الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال : [من الخفيف]

أنا في إثـر رُقعتي فاعلمَنْ ذا ... كَ علـى أنّنـي مـن البيّاتِ
فافهم الشّرطَ بيننا لا تقل لي ... قد تثاقَلْت فانصرفْ بحياتي
لا لسَوء لكن لأمتعَ نَفسي ... بحديثِ الظبي الغريـرِ المواتي

صوت

[من الطويل]

أيا بيتَ ليـلى إنَّ ليلى مريضةٌ ... براذان لا خالٌ لديْها ولا ابنُ عمّ
ويا بيتَ ليلى لو شَهِدتك أعولَتْ ... عليكَ رجالٌ من فَصيح ومن عَجَمْ
ويا بيت ليلى لا يَبِسْتَ ولا تزَل ... بلادُك سُقياها من الواكِفِ الدِّيَمْ

الشعر لمرّة بن عبد الله النّهديّ ، والغناء لأحمد النُّصَيبيّ ثقيل أوّل بالوسطى ، يقال إنّه لحُنَين .

1 الأبازير : جمع أبزار وهي التوابل .

2 الطناجير : القدور .

[509] ـ أخبار مرّة ونسبه

[نسبه]

هو مُرّة بن عبد الله بن هُليل بن يسار : أحد بني هِلال بن عَصَم بن نصر بن مازن بن خُزيمة بن نَهد ؛ وليلى هذه من رهطه ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد بن خالد بن عمرو بن سَلَمة .

[يهجو مَن يخطبها]

نسختُ خبرَها من كتاب ابن أبي السَّرِيّ قال : حدَّثني ابن الكلبيّ عن أبيه : قال : كانت امرأة من بني نَهد ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد ، وكان لها ابن عمّ يقال له مرّة بن عبد الله بن هليل يهواها ، واشتدّ شغَفُه بها فخطَبها ، وأبوْا أن يزوِّجوه ، وكان لا يخطبها غيرُه إلاّ هجاه ، فخطبها رجل من بني نَهْشَل ، يقال له : إران ، فقال مرّة يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ أخشى أن تصيرَ بمَرَّةٍ ... من الدَّهر ليلى زوجةً لإرانِ
لِمَن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حفيظةٍ ... لعِرس ولا ذا منطِق وبَيانِ
لقد بُلِيتْ ليلى بشرٍّ بَليَّةٍ ... وقد أُنزلتْ ليلى بدار هَوانِ

[تنعى إليه فيرثيها]

قال : فتزوّجها المِنجابُ بن عبد الله بن مسروق ين سَلَمة بن سعد ، من بني زُوي بن مالك بن نَهد ، فخرج إلى البعْثِ براذان ، وهي إذ ذاك مَسْلَحةٌ لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت براذان ودُفِنتْ هناك . فقدِم رجُلان من بَجيلة من مكتبهما براذان من بني نهد ، وكانتْ بجيلة جيرانَ بني نهد بالكوفة ، فمرَّا على مجلسهم ، فسألوهما عمَّن براذان من بني نهدٍ ، فأخبراهم بسلامتهم ، ونعيا إليهم ليلى ومُرّة في القوم ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

أيا ناعِيَيْ ليلى أما كان واحدٌ ... من النّاس ينعاها إليّ سواكما
ويا ناعييْ ليلى ألم نك جيرَة ... ندامى ذوي حقٍّ فألاّ نَهاكما

ويا ناعييْ ليلى لقد هجتُما لنا ... تجاوبَ نَوْحٍ في الدّيار كلاكُما
ويا ناعييْ ليلى لجلَّتْ مُصيبةٌ ... بنا فقدُ ليلى لا أُمِرَّت قواكا[1]
ولا عشتما إلاّ حليفَيْ بَلِيّـةٍ ... ولا مِتُّ حتى يُشترى كَفناكا
فأشْمَتَ والأيّـام فيهـا بوائِقٌ ... بموتِكما إنّـي أُحِـبُّ رَداكا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

كأنّك لم تُفجَـع بشَيْءٍ تعـدُّه ... ولم تصطبرْ للنائباتِ مـن الدهرِ
ولم تَر بؤساً بعـد طـول غضارةٍ ... ولم ترمِكَ الأيّامُ من حيثُ لا تدري
سقى جانبيْ راذان والساحَة التي ... بها دَفَنـوا ليلى مُلِثٌّ من القَطرِ[2]
ولا زال خِصْبٌ حيث حلَّتْ عظامها ... براذانَ يُسقى الغيث من هَطِلٍ غَمْرِ
وإن لم تكلمنـا عظـام وهامَـةٌ ... هناك وأصداء بَقِـينَ مع الصخرِ

وقال فيها : [من الطويل]

أيا قبر ليلى لا يَبِسْتَ ولا تَـزَلْ ... بلادُكِ تَسقيها من الواكفِ الدِّيمْ
ويا قبر لَيلى غُيِّبَتْ عنك أُمّهـا ... وخالَتُها والناصحـون ذَوو الذّمْ
ويا قبر ليلى كم جمـالٍ تُكِنُّـه ... وكم ضُمّ فيكَ من عَفافٍ ومن كرمْ

وساق باقي الأبياتِ التي فيها الغناءُ .

[هل كان تزوّجها]

وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد : أنّ مرّة كان تزوّجَها ، وكان مكتبه براذان ، وأخرجها معه ، ثم ضُرِب عليه البعث إلى خراسان ، فخلّفها عند شيخ من أهل منزله هناك ، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ، ومضى لبَعثه ، ثم قدِم بعد حول ، فلقيَ فتى من أهل راذان قبلَ وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبرَ الذي بِفناء الدّار ؟ قال : نعم ، قال : هو والله قبرها ، فجاء ، فأكبّ عليه يَبكي ، ويندُبُها ، وترك مكتبَه ، ولزِم قبرَها يغدو ويروح إليه ، حتى لحِق بها .

1 أُمِرَّتْ : اشتدّت .

2 مُلِث : دائم ، شديد الهطل .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

بأَبي أَنتَ يـا ابن مَن لا أُسمّـي لبعضٍ ما
يا شبيهَ الهـلالِ مثـ ـلُك في الأُفـق أَنجُما
راقـبِ اللهَ في أَسـ ـيرك إن كنت مُسْلِما

الشعر لعليّ بن أُميّة والغناء لعمر المَيْدانيّ رَمَل مطلق .

[510] ـ أخبار علي بن أُميّة

[نسبه]

علي بن أُميَّة بن أَبي أُميَّة ، وكان أَبوه يكتبُ للمهديِّ على ديوان بيت المال وديوانَيْ الرسائل والخاتَم ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهديّ ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدَّم خَبَرُ أَخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب .

[لحن يثير ضجة]

فحدَّثني أَحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار : قال : حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات : قال : حدَّثني محمد بنُ عليّ بن أُميّة : قال : لمّا قدِم عليُّ بنُ أُميَّة ، وقال : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا ريحُ مـــا تصنَعينَ بالدِّمَنِ ؟ كم لك مـن محوِ منظَرٍ حَسَنِ
محـوتِ آثارنـــا وأحدثـتِ آ ثـــاراً بربْـــع الحبيبِ لم تكنِ
إن تك يا ربعُ قـد بَليتَ من الرِّيحِ فـإني بـالٍ مـن الحَزَنِ
قد كان يا ربعُ فيك لي سَكَنٌ فصرت إذ بانَ بعـدَه سَكَني
شبّهتُ ما أَبلتِ الرياحُ مِن آ ثـار حبيبي التَّـأى بلا بَدَنِ
يا ريحُ لا تطمسي الرموسَ ولا تمحي رسومَ الدّيـار والدّمنِ
حاشاك يا ريح أَن تكوني على العاشق عونـاً لحـادث الزَّمنِ

كثر الناسُ فيه ، وغنّاه عمرو الغزال ، فقال أَبو موسى الأَعمى : [من مجزوء البسيط]

يا ربّ خُذني وخذ عَلِيّاً وخُذْ يـا ريح مـا تصنعين بالدِّمَنِ
عَجِّل إلى النّار بالثلاثـةِ والرا بـع عمـرو الغَـزال في قَرَنِ

ثم ندم ، وقال : هؤلاء أَهلُ بيت ، وهم إخوتي ، ولا أُحبّ أَن أُنشِب بيني وبينهم عداوةً وشرّاً ، فأَتى أُميَّة فقال : إنّي قد أَذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً ، وقد جئتك مُستجيراً بك من

فتيانك ، فدَعا بعليّ بن أُميّة ، فقال : يا هذا ، عمُّك أَبو موسى قد أَتاك معتذراً من الشعر الذي قاله ، قال : وما هو ؟ فأَنشده ، فقال : قد ضَجِرنا نحن والله منه كما ضَجِرتَ أَنت وأَكثر ، وأَنت آمِنٌ من أَن يكون منّا جوابٌ ، وأَتى محمد بن أُميَّة ، فقال له مثل ذلك ، ومضى أَبو موسى ، فأَخذ عليٌّ بن أُميَّة رقعة فكتب فيها : [من مجزوء البسيط]

كم شاعرٍ عند نفسه فَطِنِ ليس لدينا بالشاعر الفَطِنِ
قد أُخرَجَتْ نفسَه بغُصَّتها يا ريحُ ما تَصنَعين بالدِّمنِ

ودفع الرقعةَ إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أَبي موسى ، وقُل له : يقول لكَ مولاك : اذكرني بهذا إذا انصرفتَ إلى المنزل ، فلمّا انصرف إلى المنزل أَتاه غلامُه بالرقعة ، فقال : ما هذه ؟ فقال : التي بعثت بها إليَّ ، فقال : والله ما بعثتُ إليك رقعة ، وأَظنّ الفاسق قد فعلها ، ثم دعا ابنه ، فقرأها عليه ، فلمّا سمع ما فيها قال : يا غلام ، لا تنزع عن البغلة . فرجع إلى عليّ بن أُميّة ، فقال : نشدتك الله أَن تزيد على ما كان ، فقال له : أَنت آمن .

لحن عمرو الغزال في أَبيات عليّ بن أُميّة رمل بالوسطى .

[بئس المغني عمرو الغزال]

وقال يوسف بن إبراهيم : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : قال : حدَّثني محمد بن أَيّوب المكّيّ : أنّه كان في خدمة عُبيدِ الله بن جعفر بن المنصور ، وكان مستخِفّاً لعمرو الغزال ، محبّاً لـه ، وكان عمـرو يستحقّ ذلك بكلّ شيء ، إلاّ ما يدَّعيه ويتحقّقُ به من صناعة الغناء ؛ وكان ظريفاً أَدِيباً نظيفَ الوجه واللباس ، معه كلُّ ما يحتاج إليه من آلة الفتُوّة ، وكان صالح الغناء ، ما وقف بحيث يستحقّ ، ولم يدَّع ما لا يستحقّه ، وأَنّه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما ، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشكّ في أَنَّ صنعتهم مثلُ صنعتِه ، وكان عبد الله قليـلَ الفهـم بالصناعـة ، فكان يظنّ أنّه قد ظفِر منه بكنز من الكنوز ، فكان أَحظى الناس عنده مَن استحسن غناء عمْرو الغَزال وصنعته ، ولم يكن في ندمائه مَن يفهم هذا ، ثم استزار عبيدُ الله بن جعفر أَخاه عيسى ، وكان أَفهَم منه ، فقلت له : استعن برأي أَخيك في عمرو الغزال ؛ إنّه أَفهَمُ منك ، وكانت أُمُّ جعفر كثيراً ما تَسأل الرشيد تحويل أَخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به ، فكان عيسى أَخوه يُعرّف الرشيد أنه

ضعيف عاجز لا يستحقّ ذلك ، فلمّا زاره عيسى أسمعه غناء عمرو ، فسمع منه سُخْنَةَ عين[1] ، فأظهر من السرور والطّرب أمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عُبيدَ الله بصيرةً فيه ، ويجعلَه عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله ، وعلمتُ ما أراد ، وعرفت أن عمراً الغزال أوّل داخل على الرشيد ، فلمّا كان وقت العصر من اليوم الثاني ، لم نشعر إلاّ برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال ، فوجّه إليه وأقبل يلومني ويقول : ما أظنّك إلاّ قد فرقتَ بيني وبين عمرو ، وكنتَ غنيّاً عن الجمع بينه وبين عيسى ، واتفق أن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته : [من مجزوء البسيط]

يـا ريح ما تصنعين بالدِّمنِ كَم لك مـن محوِ منظرٍ حَسنِ

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه ، ووصله بألف دينار ، وصار في عِداد مُغَنّي الرشيد ، إلاّ أنّه كان يلازم عبيدَ الله إذا لم يكن له نوبة ، فأقبلتُ أتعجّب من ذلك ، واتّصلت خدمته إيّاه ثلاث سنين ، ثم انصرفا يوماً من الشّمّاسية مع عبيد الله بن جعفر ، فلقيَه الخضر بنُ جبريل ، وكان في الناس في العسكر ، فعاتبه عبيدُ الله على تركه وانقطاعه عنه ، فقال : والله ما أفعل ذلك جَهلاً بحقّك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكنّا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع ، قال : وما هما ويحَكَ ؟ قال : أنت على نهاية السَّرف في مَحبَّة عمرو الغزال ، وأنا على نهاية السّرف في بغضه وأنت تتوهّم أنّه لا يطيب لك عيش إلاّ به ، وأنا أتوهّم أنّي إن عاشرتُه ساعة متّ ، وتقطّعتْ نفسي غيظاً وكمداً ، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً ، فقال له عبيدُ الله : إذا كان هذا هكذا فأنا أُعفيك منه إذا زرتَني ، فصِرْ إليَّ آمناً ، ففعل ، ولم يجلس عبيدُ الله حتى قال لحاجبه لا تُدخِلِ اليومَ أحداً ، ولا تستأذن عليَّ لخلق بتةً ودخلنا ، فلمّا وُضِعَت المائدة لم يأكل ثلاث لُقَم ، حتى دخل الحاجبُ فوقف بين يديه ، وأقبل عمرو الغزال خلفَه ، فرآه من أقصى الصحن ، فقال له عبيدُ الله : ثكلتْكَ أُمُّك ! ألم أقل لك لا تُدخلْ عليّ أحداً مِن خلقِ الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالقٌ ثلاثاً إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو جاء جبريل وميكائيل وكلّ مَن خلق الله لم يَدخلوا عليك إلاّ بإذن سوى عمرو ؛ فإنّك أمرتَني أن آذن له خاصة وأن يدخُلَ متى شاء ، وعلى كلّ حال . قال : ولم يفرغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو ، فجلس على

---

1 سخنة عين : ضد القُرّة والارتياح .

المائدة وتغيّر وجهُ الخِضر ، وبانت الكراهةُ فيه ، فما أَكل أَكلاً فيه خيرٌ ، وتبيَّن عبيد الله ذلك ، ورُفعت المائدة وقُدِّم النبيذ ، فجعل الخِضر يشرب شرباً كثيراً لم أَكن أَعهده يشرب مثلَه ، فظننت أنّه يريد بذلك أَن يستتر من عمرو الغزال ، وعمرو يتغنَّى ، فلا يقتصر وكلّما تغنَّى قال له عبيد الله : لَمن هذا الصوتُ يا حبيبي ؟ فيقول : لي وعندنا يومئذٍ جوارٍ مطربات محسنات ، وهو يقطع غناءهنّ بغنائه ، وتبيّنت في وجه الخضر العربدة إلى أَن قال عمرو بعقب صوت : هذا لي ، فوثب الخِضر وكشف استَه وخَرِي في وسط المجلس على بساط خزٍّ لم أَرَ لأَحد مثلَه ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك ، فهذا الخراء لي ، فغضب عبيد الله ، وقال له : يا خِضرُ أَكنت تستطيع أَن تفعل أَكثر من هذا ؟ قال إي والله أَيّها الأمير ، ثم وضع رجليه على سلحه ، ثـم أَخرَجَهما فمشى على البساط مُقْبلاً ومُدبراً ، حتى خرج وقد لوَّثه ، وهو يقول : هذا كلّه لي ، وتفرَّقنا عن المجلس على أَقبح حال وأَسوئها ، وشاع الخبر ، حتى بلغ الرشيد ، فضحِك حتى غُلِب عليه ، ودَعا الخضر ، وجعله في نُدمائه منذ يومئذٍ ، وقال : هذا أَطيب خلـق الله ، وانكشف عنده عُوارُ عمرو الغزال واسترحنا منه ، وأَمر أَن يُحْجَبَ عنه ، فسقط منذ يومئذٍ ، وقد كان الجواري والغِلمانُ أَخذوه ولَهِجوا به ، وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصليّ وابن جامع قبـل ذلك فسقط غِنـاؤه أيضاً منذ يومئذٍ ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلاّ صنعتَه في : [من مجزوء البسيط]

يا ريحُ مـــا تصنعين بالدِّمَنِ

ولولا إعجابُ الرشيد به لسقط أَيضاً .

[أية ريح يعني]

حدَّثني الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم عن أَبي هِفّان : قال : كنّا في مجلس ، وعندنا قَينة تغنّينا ، وصاحبُ البيت يهواها ، فجعلت تكايده ، وتومىء إلى غيره بالمزح والتَّجْميش[1] ، وتغيظُه بجَهدها ، وهو يكاد يموت قلقاً وهمّاً وتَنَغَّص عليه يومُه ، ولجَّتْ في أَمرها ، ثم سقط المِضرابُ عن يدها ، فأَكبَّت على الأَرض لتأخذه ، فضرَطت ضَرطةً سمعها جميعُ مَن حضر ، وخَجِلت ، فلم تَدْرِ ما تقول فأَقبلت على عشيقها فقالت : أَيش

1 التجميش : الملاعبة .

تشتهي أَن أُغنّي لك ؟ فقال : غَنّي : [من مجزوء البسيط]

يا ريحُ مــا تصنعين بالدِّمنِ

فخجلت وضحك القوم وصاحبُ الدار : حتى أَفرطوا ، فبكتْ وقامتْ من المجلس ، وقالت : أَنتم والله قوم سِفَل ، ولعنة الله عليَّ مَن يُعاشركم ، وغضِبَتْ وخَرَجَتْ ، وكان ، عَلِم الله ، سببَ القطيعة بينهما وسلوّ ذلك الرجل عنها .

[من الرسول]

أَخبرني ابن عمّار وعمّي الحسن بن عليّ ، قالوا : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا الحسين بن الضحاك : قال : كنت في مجلس قد دعينا إليه ، ومعنا عليّ بن أُميَّة ، فعلقتْ نفسُه بقَيْنة دعيتْ لنا يومئذٍ ، فأَقبل عليها فقال لها : أَتُغنّين قوله : [من الخفيف]

خبريني مَــن الرسولُ إليكِ ؟ واجعليـه مَـــن لا ينـمُّ عليكِ
وأَشيري إليَّ مــن هــو باللحـ ـظ ليَخفى على الذيــن لَديكِ

فقالت : نعم ، وغنَّته لوقتها وزادت فيه هذا البيت ، فقالت :

وأَقلّي المُزاحَ في المجلس اليو مَ فــإن المُـــزاحَ بين يديكِ

ففطن لِمـا أَرادتْ وسُرّ بذلك ، ثـم أَقبلـت على خادم واقف فقالت له : يا مسرور ، اسقني ، فسقاهـا ، وفطِـن بـنُ أُميّة أَنّها أَرادت أَن تعلمـه أَنّ مسروراً هو الرسول ، فخاطبه ، فوجده كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردَّد في الرسائل بينهما .

[511] ـ أخبار عمر الميداني

[متقدم في الصنعة والأداء]

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل المَيدان[1] فعرف به ، وكان لا يفارق محمداً وعليّاً ابنيْ أميّة وأبا حشيشة ، ينادمهم ويغنّي في أشعارهم ، وكان منزله قريباً منهم ، وهو أحد المحسنين المتقدّمين في الصنعة والأداء .

حدَّثني جحظةُ : قال : سمعتُ ابنَ دقاق في منزل أبي العَنْبَس بن حَمدون يقول : سمعت أبا حَشيشة والمسدود ، ومَن قبلَهما من الطُّنبوريين ، فما سمعتُ منهم أصحَّ غناء ولا أكثرَ تصرّفاً من عُمر الميداني .

[مائدة إسحاق وجائزته]

حدَّثني جحظةُ : قال : حدَّثني علي بن أُميّة : قال : دخلتُ يوماً على عمر الميدانيّ ، وكان له بقّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ، ويقارضه إذا أعسر ، ويتصرّفُ في حوائجه ، فإذا حصلتْ له دراهمُ دفعها إليه يقبض منها ما رأى ، لا يسأله عن شيء ، فوجدتُ عنده يومئذٍ هذا البقالَ ، فقال لنا عمر : معي أربعة دراهم تُعطوني منها لعلف حماري دِرهماً ، والثلاثة لكم ، فكلوا بها ما أحببتم . وعندي نبيذٌ ، وأنا أغنّيكم ، والبقال يُحضِرنا من الأبقال اليابسةِ ما في حانوته . فوجّهنا بالبقّال . فاشترى لنا بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم فاكهةً وريحاناً . وجاءنا من حانوته بحوائج السِّكباج[2] ونُقْل . فبينا نحنُ نتوقّع الفراغَ من القِدر إذا بفُرانق[3] يدقّ الباب . فأدخله عمر : فقال له : أجب الأمير إسحاق بنَ إبراهيم . فحلف علينا عمرُ بالطلاق ألاَّ نبرح ، ومضى هو ؛ وأكلنا السِّكباج وشربنا وانصرف عِشاء . وبَكَر إليَّ رسولُه في السَّحَر أن صِرْ إليَّ ، فصرت إليه ، فقلت : أعطِني خبرك من النَّعل إلى النَّعل[4] . قال : دخلتُ فوُضِعَتْ بين يديّ مائدة

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 السكباج : لحم يطبخ بخل .

3 الفرانق : الرسول .

4 من النعل إلى النعل : أي القصة من البداية إلى النهاية .

كأنّها ـجَزْعـة[1] يمانيّة قـد فُرِشت في عِراصِها الحِبَرُ فأَكلتُ وسُقيتُ رطلين ، ودُفِع إليَّ طُنبورٌ . فدخلت إلى إسحاق ، فوجدته في الصدر جالساً ، وخلفه ستارة . وعن يمينه مُخارق وعن يساره علّويه . فقال لي : أَنت عُمر الميدانيّ ؟ فقلت : نعم . فقال : أأكلت ؟ فقلت : نعم قال : هاهنا أو في منزلك ؟ فقلت : بل هاهنا ، قال : أَحسنت ، فغنّ بصوتك الذي صنعته فيَّ : [من مجزوء الخفيف]

يا شبيه الهلال كُلّـ ـــل في الأفْق أَنجُما

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيته فضربَ الستارةَ . وقال : قولوه أَنتم ، فقالوه ، فقال : لمخارق وعلّويه : كيف تسمعانِ ؟ فقالا : هذا والله ذا ، وذا ذاك . فرددتُه مراراً . وشرب عليه . وقال لي : أَنا اليوم على خلوة ولك عليّ دعوات ، فانصرف اليومَ بسلام . فخرجت ودفع إليَّ الغلام خمسة آلاف درهم . فهي هذه ، والله لا استأثرتُ عليكمُ منها بدرهم . فلم نزل عنده نقصِفُ حتى نَفِدَت .

صوت

[من الهزج]

أَمينَ الخالــق الباري وراعــي كلّ مخلوقِ
أَدِرْ راحَك في المعشو ق من راحة معشوقِ

الشعر لأَبي أَيّوب سُليمان بن وهب . والغناء للقاسم بن زُرزور ثقيل أَوّل بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أَبيه أَبي القاسم عبيد الله بن القاسم .

1 الجزع اليماني : من الأحجار الثمينة .

[512] ـ أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب[1]

[ينكر الانتساب إلى الحارث]

قد تقدّم نسبُه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كَعب . وأن أصلهم من قرية يقال لها : سار قرمقا من طَسُّوج[2] خُسْروسابور من سواد واسط ، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتسابَ إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدّة تعلّقهما به ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتّاب .

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني الحسن بن يحيى وعَوْن بن محمد الكِنديّ ، أنّ جعفر بن محمد كان وزير المهتدي في أوّل أمره ، فبلغه عنه تشيُّعٌ فكرهه ، وقال : هذا رافضيّ لا حاجةَ لي فيه ، واستوزر جعفر بن محمد بن عمّار ، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي ، ثم قدِم موسى بن بَغا من الجبل ، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فاستوزر المهتدي سليمانَ بن وهب ولقب الوزير حقّاً ؛ لأنّ مَن كان قبلَه كان غيرَ مستحقّ للوزارة ، ولا مستقلاً بها .

[ينصفه ويعطيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسنُ بن يحيى بن الجمّاز : قال : لمّا استُوزرَ سليمانُ بن وهب جلس للنّاس ، فدخل عليه شاعر يقال له : هارون بن محمد البالسيّ ، فذكر مظلمةً له ببلده ، ثم أنشده : [من الخفيف]

زِيــدَ في قــدرك العـليّ علــوٌّ ... يا ابن وهــبٍ من كاتبٍ ووزيرِ

---

1 انظر أخباره في ترجمة الحسن بن وهب التي مرّت آنفاً ولسليمان بن وهب ترجمة ضمن ترجمة الحسن بن وهب في معجم الأدباء 3 : 1019–2022 .

2 طَسُّوج : الناحية .

أسفَر الشرق منك والغرب عن ضو ... ء مـن العدل فاق ضوءَ البدورِ
أنشر النـاسَ غيثُكـمْ بعدما كا ... نوا رُفاتـاً مـن قبلِ يومِ النّشورِ
شرَّد الجـورَ عدلُكـم فسرحْنا ... بينكـم بـين رَوْضـةٍ وغديرِ
[أنت عَيْن الإمام والقِـرْم مو ... سى بـك تفترّ عابسات الأُمورِ]

فوقع في ظلامته [بما أَراد] ووصله بمائتيْ دِينار .

[يزيد المهلبيّ يمدحه فيزيد جائزته]

أخبرني محمدُ بن يحيى : قال : حدَّثنا أَحمد بن الخصيب : قال : لعهدي بيزيد بن محمد المهلّبيّ عند سليمان بن وهب بعد ما استوزرَه المهتدي ، وقد أَجلسه إلى جانبه ، وهو ينشده قولَه : [من الطويل]

وهبتم لنـا يـا آلَ وهب مودَّة ... فأَبقـت لنا جاهـاً ومجداً يؤثَّلُ
فمَـن كان للآثـام والذلُّ أَرضُه ... فأَرضُكُم للأجْـر والعِـزِّ منزلُ
رأَى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدِكم ... فقد سألوكم فوقَ ما كانَ يُسْأَلُ
يقصِّر عـن مسعاكُمُ كلُّ آخـرٍ ... ومـا فاتكـم ممّـن تقـدَّمَ أَوَّلُ
بلغتُ الذي قـد كنتُ أَمّلتُه لكم ... وإن كنتُ لم أَبلغ بكم مـا أُؤمِّلُ

فقطع عليه سليمان الإنشاد ، وقال له : يا أَبا خالد ، فأَنت واللهِ عندي كما قال عُمارة بن عَقيل لابنه : [من الطويل]

أُقهقهُ مسروراً إذا أبتَ سالماً ... وأَبكي من الإشْفاق حين تغيبُ

فقال له يزيد : فيسمعُ منّي الوزيرُ آخرَ الشّعر لا أَوَّلَه ، وتمّم فقال : [من الطويل]

ومـاليَ حـق واجبٌ غيرَ أَنّني ... بجـودكُمُ في حاجتـي أَتوسَّلُ
وأَنّكـمُ أَفضلتـمُ وبَررْتـمُ ... وقـد يستَتِمُّ النّعمـةَ المتفضِّلُ
وأَوليتـمُ فِعـلاً جميـلاً مقدَّما ... فعـودوا فإنّ العَوْدَ بالحـرّ أَجملُ[1]
وكم مُلحفٍ قد نال ما رام منكمُ ... ويمنعنا مـن مثلِ ذاكَ التجمُّلُ

1 فعودوا في ل : فعودا .

وعوّدتمونا قبـلَ أن نسألَ الغِنى ... ولا بذلَ للمعروف والوجهُ يُبذَلُ

فقال له سليمانُ : لا تبرح والله إلاّ بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت ، ولو لم أستفد من كَتَبَة أمير المؤمنين إلاّ شكرَكَ لرأيت جنابي بذلك مُمرِعاً ، وغرسي مُثمِراً ، ثم وقّع له في رِقاع كثيرةٍ كانت بين يديه .

[رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً]

أخبرني محمد : قال : حدَّثنا الحَزَنْبَل : قال : لمّا وَلّى المهتدي سليمانَ بن وهب وزارتَه قام إليه رجل من ذوي حِرفته ، فقال : أنا ، أعزّ الله الوزير ، خادمُك ، المؤمِّل دولتَك ، السعيدُ بأيّامك ، المطويُّ القلب على ودّك ، المنشورُ اللسان بمدحِك ، والمرتهَنُ بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر : [من البسيط]

وفَّيْـتُ كلَّ أديب ودَّني ثَمناً ... إلاّ المؤمِّـلَ دَولاتـي وأيَّامي

فإنَّنـي ضامـنٌ ألاَّ أُكافئـه ... إلاّ بتسويغه فَضْـلي وإنعامي

وإنّي لَكَما قال القَيْسيُّ : ما زلت أمتطي النهارَ إليك ، وأستدِلُّ بفضلك عليك ، حتى إذا جنَّني الليلُ ، فَقَبَض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بَدَني ؛ وسافر أملي ، والاجتهادُ [عذر] ، وإذا بلغتُك فهو مرادي فقط . فقال له سليمان : لا عليكَ : فإنّي عارف بوسيلتِكَ ، محتاج إلى كفايتِكَ ، ولستُ أؤخّرُ عن أمري النظر في أمرك وتَوليتَكَ ما يحسن أثرُه عليك .

[القاضي أحد شهودها]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال : ما رأيتُ أظرفَ من سليمان بن وهب ، ولا أحسنَ أدباً : خرجنا نتلقّاه عند قُدومه من الجبل مع موسى بن بَغا ، فقال لي : هات الآن يا أبا الحسن ، حدِّثني بعجائبكم بعدي ، وما أظنّك تحدِّثني بأعجبَ من خبرِ ضَرطة أبي وهب بحضرة القاضي ، وما سُيِّر من خبرها ، وما قيل فيها ، حتى قيل : [من الكامل]

ومن العجائب أنّها بشهادَة الْـ ... ـقاضي فليس يُزيلُها الإنكارُ

وجعل يضحك .

[يعترف بفضل ابن ثوابة]

قال علي بن الحسين الأصفهاني : حضرت أبا عبد الله الباقطانيّ ، وهو يتقلّد ديوانَ المشرق ، وقد تقلَّد ابن أبي السلاسل ماسَبذان ومِهْرجان قُذُف[1] ، وجاءه يأخذ كتبه ،

1 ماسبذان ومهرجان قذف : كورتان من نواحي الجبل في طريق القاصد من حلوان العراق إلى همذان .

فجعل يرصيه كما يوصي أصحابُ الدواوين العُمَّالَ ، فقال ابن أبي السلاسل : كأنَّك استكثرتَ لي هذا العمل أنت أيضاً ! قد كنتَ تكتب لأبي العبّاس بن ثوابة ، ثم صرتَ صاحب ديوان ، فقال له الباقطانيّ : يا جاهل يا مجنون ، لولا أنّه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعتُ الوزير ، أيده الله ، في أمرك ، حتى أُزيلَ يدَك ، ومَن لي أن أجِد مثل ابن ثوابة في هذا الوقت ، فأكتب له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل علينا يحدِّثنا ، فقال : دخلت مع أبي العبّاس بن ثوابة إلى المهتدي ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمّال والكتّاب ، فيعملون بحضرته ، فيوقع إليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتبَ عنه عشرةَ كتب مختلفة إلى جماعةٍ من العمّال ، فأخذ سليمان بيد أبي العبّاس بن ثوابة ، ثم قال له : أنت اليوم أحدُّ ذهناً منّي فهلمّ نتعاون ، فدخلا بيتاً ، ودخلتُ معهما ، وأخذ سليمان خمسةَ أنصاف وأبو العبّاس خمسةَ أنصاف أُخَر ، فكتبا الكتب التي أُمر بها سليمانُ ما احتاج أحدهما إلى نسخة ، وقد أكمل كلٌّ واحد منهما ما كتب به صاحبه ، فاستحسنَه وقرّظَه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي ، فقال له وقد قرَأها : أحسنتَ يا سليمانُ ، ونعم الرجلُ أنتَ لولا المعجَّل والمؤجَّل ، وكان سليمان إذا ولَّى عاملاً أخذ منه مالاً معجَّلاً ، وأجَّل له مالاً إلى أن يتسلَّم عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقّاً أو باطلاً ، فإن كان باطلاً فليس مثلُكَ مَن يقوله ، وإن كان حقّاً ، وقد علمت أنّ الأصول محفوظة ، فما يضرّ مَن يساهمني من عمّالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ ؛ من غير تحيُّف للرعيّة ولا نقص للأموال ؟ فقال : إذا كان هكذا فلا بأسَ ، ثم قال له : اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتَقَل في يده ، بباقي ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العبّاس بن ثوابة : كلُّنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك ، وكلّنا حاطب في حبلك ، وساع فيما أرضاك وأيَّد ملكَك ، أفنمضي ما تأمر به على ما خيَّلْتَ أم نقول بالحقّ ؟ قال : بل قُل الحقَّ يا أحمد فقال : يا أمير المؤمنين ، المِلْك يقين ، والمصادَرة شكٌّ ، أفترى أن أُزيلَ اليقين بالشكّ ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدتَ للرجل بالملك ، وصادَرته عن شكّ فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فتجعل المصادرة صُلحاً ! فإذا قبضتَ ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقينَ بالشكّ ، فقال له : صدقت ، ولكن كيف الوصول إلى المال ؟ فقال له : أنت لا بدّ لك من عُمّال على أعمالك ، وكلّهم يرتزق ، ويرتَفِق ، فيحوز رِفقَه ورزقَه إلى منزله ، فاجعله أحد عمّالك ؛ ليصرف

هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه ، فيتخلّصَ بنفسه وضيعته ويعودَ إليك مالك ، فأمر سليمانَ بن وهب بأن يفعلَ ذلك ، فلمّا خرجا من حضرة المهتدي قال له سليمان : عهدي بهذا الرجلِ عدوّك ، وكلّ واحد منكما يسعى على صاحبه ، فكيف زال ذلك ، حتى نُبْتَ عنه في هذا الوقت نيابةً أُحييته بها ، وتَخَلَّصتَ نفسَه ونعمته ؟ فقال : إنّما كنت أُعاديه ، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منّي ، فأمّا وهو فقير إليّ فلا . فهذا ممّا يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال له سُليمان : جزاك الله خيراً ، أما والله ، لأشكرن هذه النيّةَ لك . ولأعتقدنّك من أجلها أخاً وصديقاً . ولأجعلنَّ هذا الرجل لك عبداً ما بقي . ثم قال الباقطانيّ : أفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب مَن كان يكتُبُ له ؟

[من شعره في نكبته]

أخبرني محمد بن يحيى الباقطانيّ : قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى الباقطانيّ قال : كنت آلف سليمانَ بن وهب كثيراً ، وأخدمه وأُحادثه . وكان يخصّني ويأنس بي . فأنشدَني لنفسه يذكر نكبتَهُ في أيّام الواثق : [من مخلع البسيط]

صوت

نوائبُ الدّهر أدَّبْتني ... وإنّما يُوعظُ الأريبُ
قد ذقتُ حُلواً وذقتُ مُرّاً ... كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ
ما مَرَّ بؤسٌ ولا نَعيمٌ ... إلاّ وَلي فيهما نصيبُ

فيه رمل محدَث لا أعرف صانعه .

[بينه وبين علي بن يحيى]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى أنَّ جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه : [من الطويل]

جفاني أبو أيّوب نَفسي فداؤه ... فعاتبتُه كيما يَريعَ ويُعتِبا
فوالله لولا الضنُّ منّي بوُدّه ... لكان سُهيلٌ من عِتابِه أقرَبا

فكتب إليه سليمان : [من الطويل]

ذكرتَ جَفائي وهْو من غير شيمتي ... وإنّي لدانٍ من بعيد تَقرَّبا
فكيف بخِلٌّ لي أضِنّ بوُدِّه ... وأُصفيه وُدّاً ظاهراً ومُغَيَّبا

عليّ بن يحيى لا عدمتُ إخاءه فما زال في كلّ الخصال مهذّبا
ولكنّ أشْغالاً عَرَتْ وتواتَرت فلمّا رأيت الشغلَ عاق وأتعبا
وكنتُ إلى عذر الأخلاّء إنّهم كِرامٌ وإن كان التواصلُ أوجبا
فإن يطّلبْ منّي عتابُك أوبةً ببرٍّ تجدْني بالأمانة مُعتِبا

[قبلة بقبلة]

أخبرني محمدُ بن العبّاس اليزيديّ عن عمِّه : قال : كان سليمان بن وهب ، وهو حَدَث ، يتعشَّق إبراهيم بن سوَّار بن شداد بن ميمون ، وكان من أحسنِ النّاسِ وجهاً وأملحِهم أدباً وظَرفاً ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق جاريةً مُغنّية ، يقال لها رُخاص ، فاجتمعوا يوماً فسكِر إبراهيم ، ونام ، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبّله ، فلمّا انتبه لامته ، وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيتُ سليمانَ يُقبّلك ؟ فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان : [من المجتث]

قل للذي ليس لي مِن جوى هواه خَلاصُ
أئِنْ لثمتُك سرّاً وأبصرتْني رُخاصُ
وقال لي ذاكَ قوم على اغتيابي حِراصُ
هجَرتَني وأَتَتْني شَتيمةٌ وانتقاصُ
وَسرَّ ذاك أُناساً لهم علينا اختِراصُ
فهاكَ فاقتصَّ منّي إنَّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

[مساجلة بينه وبين أحد أصحابه]

أخبرني الصوليّ عن أحمد بن الخصيب : قال : حضرتُ سليمان بن وهب ، وقد جاءته رُقعة من بعض مَن وعده أن يصرّفه من أصحابه ، وفيها : [من الرجز]

هَبنِي رضيتُ منكَ بالقليل أكانَ في التأويل والتنزيلِ
أو خبرٍ جاء عن الرّسول أو حُجّةٍ في فِطَر العقولِ
مستحسَنٌ من رجلٍ جليلِ عالٍ له حظٌّ من الجميلِ

ينقصُ مـا أشاع بالتطويـل والقول دونَ الفعل بالتحصيلِ
ليس كذا وصف الفتى النّبيل

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأنفذ إليه مائتيْ دينار وكتب في رقعة : [من الرجز]

ليس إلى الباطل من سبيلِ إلاّ لَمـن يَعدِل عن تعديلِ
وقد وَفَيْنا لكَ بالتحصيلِ فاطْوِ الذي كان عن الخليلِ
فضلاً عن الخليط والنزيلِ وَعُدْ من القول إلى الجميلِ
وعـفٌّ في الكثير والقليلِ تَحظَ مـن الرتبة بالجزيلِ

[هل كان مرتشياً]

أخبرني محمدُ بن يَحيى عن عبد الله بن الحُسَين بن سعد عن بعض أهله أنّه كتب إلى سليمان بنِ وهب ، وهو يتولّى شيئاً من أعمال الضِّياع : [من الهزج]

أطـال اللهُ إسعـادَ ك في الآجـل والعاجلْ
أمـا ترعـى لمَـن أمَّـ ـل فضلاً حُرمة الآملْ
وعندي عاجـل من رشـ ـوةٍ يتبعهـا آجـلْ
وأنـت العـالمُ الشاهـ ـدُ أنّي كاتـب عاملْ
فـولِّ الكافـلَ البـاذ لَ دون العاجز الباخلْ
فمـا أُفشي لـك السرَّ فِعالَ الأخـرقِ الجاهلْ

قال : فضحك وأجلسه وكتب في رقعته : [من الهزج]

أبِن لي مـا الذي تخطـ ـبُ شرحاً أيّها الباذِلْ
ومـا تُعطـي إذا وُلِّيـ ـتَ تعجيلاً ومـا الآجلْ
أفي الإسلافِ تَنقيـص أم الـوزنُ لـه كامـلْ
وفي الموقـوفِ تضمينٌ أم الوعـدُ بـه حاصِـلْ
وهـل ميقاتـه الغَلَّـ ـةُ في العـامِ أو القابلْ
أبِنْ لي ذاك وارددْ رُقْـ ـعتـي يـا كاتبـاً عاملْ

[مع سلّة رطب]

فلمّا قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه ، وردَّ الرقعة عليه ، وولاّه سليمانُ ما التمس . أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربريّ قال : أهدى سليمانُ بنُ وهب إلى سُليمان بنِ عبد الله بن طاهر سِلالَ رُطب من ضَيعته وكتب إليه يقول : [من مجزوء الكامل]

أذِن الأميرُ بفضلـه وبجـوده وبنَيْلِـهِ
لوليِّـــه في بِـرِّه بجَناه سُكَّـرَ نَخلِـهِ
فبعثْـتُ منـه بسَلَّةٍ تحكِي حـلاوةَ عَدلِهِ

[قلمه يصم السَّمع]

أخبرني محمد الباقطاني : قال : كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلْب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ القلمُ في يده ، فقال : [من الطويل]

إذا مـا حَدَدْنـا وانتضيْنا قواطعـاً أصمّ الذكيَّ السمع منهـا صريرُها
تظـلّ المنايـا والعطايـا شوارعـاً تدورُ بمـا شِئنا وتمضـي أمُورُها
تَساقَطُ في القرطـاس منهـا بدائعٌ كمثـل الـلآلي نَظمُهـا ونَثيرُها
تَقُـودُ أبِيّـاتِ البيـان بفطنـةٍ تَكَشَّفَ عـن وجـه البلاغـة نورُها
[إذا ما خطوبُ الدهر أرخت ستورَها تجلَّـت بنـا عمّـا تُسِرّ ستورُها]

[يرثي أخاه الحسن]

قال : وأنشدَني له يَرثي أخاه الحسن : [من الطويل]

مضى مذ مضى عِزُّ المعالي وأصبحت لآلي الحجا والقول ليس لهـا نظمُ
وأضحى نجيُّ الفِكر بعـدَ فراقه إذا همّ بالإفصاح مَنْطِقـه كَظْمُ

وذكر ابن المسيّب أنَّ جماعة تذاكروا لمّا قَبَض الموفّق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله : أنّه إنّما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بَغا وودائعه ، فلمّا استقصى ذلك نكبَهما لكثرة ما لهما ، فقال ابن الروميّ وكان حاضراً : [من الطويل]

ألَـم تَـرَ أنّ المـالَ يُتلِف ربَّه إذا جـمَّ آتيـه وسُدَّ طريقُه
ومَن جاور الماء الغزير مَجمُّه وسُدَّ مفيضُ المـاء فهو غَريقُه

[البحتري يرثيه]

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالَب ، فرثاه جماعة من الشعراء ، فممّن جوَّد في مرثيته البحتريّ حيث يقول : [من الكامل]

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعدما ... طالتْ مساعيه النجومَ سُمُوكا
وتنصَّف الدُّنيـا يُدبِّـر أمرَها ... سبعين حولا قد تَمَمْن دكيكا[1]
أغْرت به الأقدارُ بَغْتَ مُلِمَّةٍ ... مـا كان رسُّ حديثِها مأفوكا
أبلغ عُبَيدَ الله فـارعَ مَذْحِجٍ ... شرفاً ومُعطي فَضْلَها تَمليكا
إن الرزيَّةَ في الفقيدِ فإن هَفا ... جَزِعٌ بلُبِّك فالرزيَّـةُ فِيكا
ومتى وجدتَ الناس إلاّ تاركاً ... لحميمه في التُّرب أو مَتروكا
بلغَ الإدارة إذ فـداك بنفسه ... وتودُّ لـو تفديـه لا يفديكا
لو يَنجلي لكَ ذخرُها من نَكبةٍ ... جَلَلٍ لأضحككَ الذي يَبكيكا

صوت

[من الطويل]

لقد برّزَ الفضلُ بن يحيى ولم يزلْ ... يُسامي من الغاياتِ ما كان أرفَعا
يـراه أميـرُ المؤمنـين لملكـه ... كَفيلاً لِما أعطى مـن العهد مَقْنَعا
قضى بالتي شدّتْ لهارونَ مُلكه ... وأحيـت ليحيـى نفسَه فتمتّعا[2]
فأمست بنو العباس بعد اختلافها ... وآل علـيّ مثـل زَنْدىْ يـدٍ معا
لئن كان من أسدى القريضَ أجاده ... لقـد صاغَ إبراهيم فيـه فأوقعا

الشعر لأبانِ بنِ عبد الحميد اللاحقيّ يقوله في الفضلِ بن يحيى لمّا قدِم يحيى بن عبد الله بن الحسين على أمان الرشد وعهده . والغِناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكّيّ ، وكان الرشيدُ أمره أن يغنّي في هذا الشعر ، وإيّاه عنى أبان بقوله :

لقـد صاغَ إبراهيمُ فيه فأوقعا

---

1 دكيكاً : تاماً .

2 نفسه في ل : ملكه .

[513] ـ أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

[نسبه]

أَبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عَفير مولى بني رَقاش ، قال أَبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثةُ نفر يُنسبون إلى أُمّهم ، واسمها رَقاش ، وهم : مالك ، وزيد مَناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

[صنيعة البرامكة]

أَخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسين بن عُلَيل العَنَزيّ : قال : حدَّثني أَحمد بن مَهران مولى البرامكة : قال : شكا مروانُ بن أَبي حفصة إلى بعض إخوانه تَغيّر الرشيد عليه وإمساكَ يدِه عنه ، فقال له : ويحك ! أَتشكو الرشيدَ بعد ما أَعطاك ؟ قال : أَوَ تعجبُ من ذلك ؟ هذا أَبان اللاحقيّ ، قد أَخذَ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أَخذتُه من الرشيد في دهري كلّه ، سوى ما أَخذه منهم ومن أَشباههم بعدَها ، وكان أَبان نقَل للبرامكة كتابَ كليلةَ ودِمنَة ، فجعله شعراً ، ليسهل حفظُه عليهم ، وهو معروف ، أوّله : [من الرجز]

هـذا كتـابُ أَدبٍ ومحنـهْ وهو الذي يُدعى كليلة ودمنهْ
فيـه احتيالاتٌ وفيـه رُشدُ وهـو كتـابٌ وضعتْـه الهِندُ

فأَعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأَعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال : أَلا يكفيك أَن أَحفظه فأَكونَ راويتَك ؟ وعمل أَيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأَ الخلق وأَمر الدنيا وشيئاً من المنطق ، وسمّاها ذاتَ الحُلَل ، ومن الناس مَن يَنسبُها إلى أَبي العتاهية ، والصحيح أَنّها لأَبان .

[بينه وبين أبي نواس]

أَخبرني محمدُ بنُ جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد : قال : حدَّثنا أَبو هِفَّان : قال : حدَّثني الجمَّاز ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد جعل امتحان الشعراء وترتيبَهم في الجوائز إلى أَبان بن عبد الحميد ، فلم يرضَ أَبو نواس المرتبة التي جعلَه فيها أَبانُ ، فقال يهجوه

بذلك : [من المجتث]

جالستُ يومـاً أبانـاً لا درَّ درُّ أبـانِ
حتى إذا ما صلاةُ الأ ولى دَنـتْ لأوانِ
فقـام ثَـمَّ بهـا ذو فَصاحـة وبَيـانِ
فكلّمـا قـال قُلنـا إلى انقضـاء الأذانِ
فقال : كيف شَهِدتم بـذا بِغيـر عِيـانِ
لا أشهدُ الدَّهـرَ حتى تعايـنَ العينـانِ
فقلت : سبحانَ رَبِّي فقـال : سبحانَ ماني

فقال أبانُ يجيبه : [من مجزوء الرمل]

إن يكن هـذا النُّواسيّ بـلا ذنـبٍ هَجانا
فلقـد نِكنـاهُ حينـاً وصفعنـاهُ زمـانا
هانـىء الجَرْبى أبوه زادَه اللهُ هَـوانا
سائل العبـاسَ واسمعْ فيـه من أمِّك شانا
عجنوا مـن جُلَنّـارٍ لِيَكيـدُوك عِجـانا

جُلّنار أمّ أبي نُواس ، وتزوجَها العبّاسُ بعد أبيه .

[هو والمعذل يتهاجيان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ : قال : حدَّثنا أبو قُلابة عبدُ الملك بن محمد : قال : كان أبان اللاحقيّ صديقاً للمعذَّل بن غَيْلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعذَّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم ، ويهجوه أبان ، وينسبه إلى الفُساء الذي تُهجى به عبدُ القيس ، وبالقِصَر ، وكان المعذَّل قصيراً ، فسعى في الإصلاح بينهما أبو عُيَيْنة المهلَّبيّ ، فقال له أخوه عبد الله ، وهو أسنّ منه : يا أخي إن في هذين شرّاً كثيراً ولا بدّ من أن يُخرجاه ، فدعهما ؛ ليكون شرُّهما بينهما ، وإلاّ فرّقاه على النّاس ، فقال أبان يهجو المعذَّل : [من الطويل]

أحاجيكُمُ مـا قـوس لحم سِهامُها من الريح لم توصَلْ بقِـدٍّ ولا عَقَبْ[1]

---

1 قد : سير من جلد . عقب : عصب يعمل منه الأوتار .

وليست بشَريانٍ وليست بشَوْحَطٍ ... وليستْ بنبْعٍ لا وليستْ من الغَرب[1]
ألا تلك قــوسُ الدَّحْدحِيّ معــذَّلٍ ... بها صار عبديّــاً وتمَّ لــه النسَبْ[2]
تصكُّ خياشيمَ الأنــوفِ تعمُّــداً ... وإن كان راميهــا يريد بهــا العُقَبْ
فإن تفتخــر يومــاً تميــمٌ بحاجبٍ ... وبالقوس مضموماً لكسرى بها العربْ
فحَيُّ ابــن عمرٍو فاخــرون بقَوْسه ... وأسهمــه حتــى يغلّــب مَــن غلبْ

قال أبو قلابة : فقال المعذَّل في جواب ذلك : [من الطويل]

رأيــتُ أبانــاً يــوم فِطْرٍ مصلّياً ... فقُسِّمَ فكــري واستفزنيَ الطرَبْ
وكيف يصلّي مظلمُ القلب ، دِينُه ... على دين ماني إنَّ ذاك من العجبْ

[يهجو أبا النضير]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا عَوْن بن محمد الكنديّ : قال : كان لأبي النَّضِيرِ جوارٍ يغنّين ، ويخرجن إلى جِلَّة أهل البصرة ، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك ، فمن ذلك قوله : [من الرمل]

غضِب الأحمـقُ إذ مازحتُـه ... كيف لو كنا ذكرنا المَزدغَةْ
أو ذكرنــا أنّــهُ لاعبَهــا ... لعبة الجِــدّ بِمزحْ الدغدغهْ[3]
سوَّد الله بخمسٍ وجهَــه ... دُغــنٍ أمثالِ طــين الردَغَهْ[4]
خُنفُساوان وبنتــا جُعَــلٍ ... والتــي تفتــرُّ عنهــا وزغَهْ
يكسر الشّعــرَ وإن عاتبتَــه ... في مجالٍ قــال : هذا في اللغَهْ

وأنشدني عمّي : قال : أنشدني الكُرانيّ : قال : أنشدني أبو إسماعيل اللاحقيّ لجدِّه أبان في هجاء أبي النَّضِير ، [وأخبرني الصوليّ أنّه وجدَها بخطّ الكُرانيّ] : [من الهزج]

إذا قامــت بواكيــكَ ... وقــد هَتَّكْــنَ أستارَكْ

1 الشريان والشوحط والنبع . أشجار تصنع منها القسي .
2 الدحدحي : القصير .
3 الدغدغة : الزغزغة .
4 دغن : سود ، جمع دغناء .

أَيُثنـــينَ عــلى قبــر ك أم يلعــنَّ أحجارَكْ
ومــا تترك في الدُّنيــا إذا زرتَ غــداً نــارَكْ
تــرى في سَقَرَ المَثْوى وإبليس غـــداً جــارَكْ
لَمَــنْ تَتــرك زِقَّيْــك ودنَّيْــك وأُوتــارَكْ
وخمساً من بنات الليـ ـــل قد أُلبِسْنَ أطمارَكْ
تعــالى اللهُ مــا أَقبحَ إذ وَلَّيــتَ أدبــارَكْ

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

قيــانُ أَبــي النضير مثلَّجاتٌ غناءٌ مثــل شعر أَبــي النضيرِ
فلا هَمَذَانَ حين نصيف نبغِي ولا الماهَيْـــنِ أيّــام الحَرورِ[1]
ولا نبغـــي بقرمِيسينَ رَوحا ولا نُبــلي البغالَ مــن المسيرِ
فإن رمت الغناء لديه فاصبر إذا مـــا جئتـــه للزَّمهـــريرِ

[يهجو المعذل]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا أَبو خليفة وأَبو ذَكْوان والحسن بن عليّ النَّهديّ : قالوا : كان المعذّل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور ، وهو يلي حينئذٍ إمارة البصرة من قِبَل الرشيد ، فوهب للمُعذّل بن غَيْلان له بيضةَ عنبر وزنها أَربعة أَرطال ، فقال أَبان بنُ عبد الحميد : [من السريع]

أَصلحكَ اللهُ وقــد أَصلحـا إنِّــيَ لا آلــوك أن أَنصَحا
عــلام تُعطــي منــوَيْ عَنبرٍ وأَحسِبُ الخازن قــد أَرجحا
مَن ليس من قِــرد ولا كَلبة أبهــى ولا أَحْــلى ولا أَملحا
[رسول يأجــوج أَتى عنهم يخبــر أَنّ الروم قــد أَقبحا]
مـــا بـــين رجليـه إلى رأسه شِبْرٌ فـــلا شبَّ ولا أَفلحـا

[على باب الفضل بن يحيى]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا أَبو العَيْناء : قال : حدَّثني الحرمازيّ : قال : خرج أَبانُ بن

---

1 همذان والماهين وقرميسين : بلاد فارسية معروفة .

عبد الحميد من البصرة طالباً للاتّصال بالبرامكة ، وكان الفضلُ بنُ يحيى غائباً ، فقصده ، فأقام ببابه مدّة مديدة لا يصل إليه فتوسَّلَ إلى مَن وصَّل له شعراً إليه ، وقيل : إنّه توسّل إلى بعض بني هاشم ممّن شخص مع الفضل ، وقال له : [من الخفيف]

يا غزيـر النّدى ويا جوهرَ الجو ... هـر مـن آل هاشمٍ بالبطاحِ
إنَّ ظَنّـي وليس يُخلِـفُ ظَنّي ... بـك في حاجتـي سبيلُ النّجاحِ
إن مـن دونهـا لُمصمَتُ بـابٍ ... أنـت مـن دون قفْله مِفتاحي
تاقـت النفسُ يـا خليلَ السَّماح ... نحو بحـرِ النّدى مُجارِي الرّياحِ
ثم فكّرتُ كيف لي واستخرتُ اللـ ... ـه عنـد الإمساء والإصبـاحِ
وامتدحـتُ الأميرَ أصلحَه اللـ ... ـه بشعـرٍ مشهَّـر الأوضـاحِ

فقال : هاتِ مديحَك ، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزنِ وقافيته : [من الخفيف]

أنـا مَـن بُغيـةُ الأميرِ وكنـزٌ ... مـن كُنـوزِ الأميـر ذُو أرباحِ
كاتـبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديـبٌ ... ناصـحٌ زائـدٌ عـلى النُّصّاحِ
شاعـرٌ مُفلِقٌ أخفُّ مـن الرّيشـ ... ـة مِمّا يكـون تَحت الجَنـاحِ

وهي طويلة جدّاً يقول فيها :

إن دَعـاني الأميرُ عايـن منّي ... شَمَّرِيّـاً كالبُلبُـل الصَّيّـاحِ[1]

قال : فدعا به ، ووصله ، ثم خُصّ بالفضل ، وقُدِّم معه ، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم .

[يصل إلى الرشيد على حساب آل علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ : قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ : أنّ أبانَ بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصالَه إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه ، فقالوا له : وما تريدُ من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ بنُ أبي حفصة ، فقالُوا له : إنّ لمروانَ مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمّهم ، به يحظى وعليه يُعطى ، فاسلُكه حتى نفعل ، قال : لا أستحلّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا يجيء طلبُ الدُّنيا إلاّ بما لا

1 شمريا : ماضياً مجرباً .

يحلّ ، فقال أبان : [من الطويل]

نشَدتُ بحـقِّ الله مَن كان مسلماً أَعُمُّ بما قد قلته العُجمَ والعرَبْ
أعَـمُّ رسولِ الله أقـربُ زلفـةً لديه أم ابنُ العمّ في رتبة النسبْ
وأيُّهمـا أولى بـه وبعهــده ومَن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ
فـإن كان عبّـاسٌ أحـقّ بتلكمُ وكان عليٌّ بعـد ذاكَ على سَببْ
فأبنـاءُ عبّـاسٍ هُـمُ يرثونـه كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حَجَبْ

وهي طويلة ، قد تركت ذكرها لما فيه ، فقال له الفضل : ما يَرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك ، فركب فأنشدها الرَّشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد ، وخُصَّ به .

[بينه وبين عنان]

أخبرنا أبو العبّاس بن عمار عن أبي العيناء عن أبي العبّاس بن رستم قال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عِنانَ جاريةِ النّاطفيّ ، وهي في خيش ، فقال لها أبان : [من المجتث]

العيشُ في الصيف خَيشُ

فقالت مُسرعة : [من المجتث]

إذ لا قتـالٌ وجيشُ

فأنشدتُها أنا لجرير قولَه : [من الطويل]

طللتُ أُواري صاحبيَّ صَبابتي وهل عَلِقتْني من هواك عَلوقُ

فقالت مُسرعة : [من الطويل]

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتْ بأسراره عـينٌ عليـه نَطوقُ

[مائدة بطيئة]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عُثمان بن لاحق : قال : أولَمَ محمد بن خالد ، فدَعا أبانَ بن عبد الحميد والعتبيّ ، وعبيدَ الله بن عمرو ، وسهلَ بن عبد الحميد ، والحكَم بن قَنبر ، فاحتبس عنهم الغداءُ ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال : ألكم أعزّكم اللهُ حاجةٌ ؟

يمازحهم بذلك ، فقال أبان : [من السريع]

حاجَتُنا فاعْجَل علينا بها مِن الحَشاوي كلَّ طُردِينِ[1]

فقال ابن قنبر بعد ذلك : [من السريع]

ومن خبيصٍ قد حكَت عاشقاً صُفرتُه زِينَ بتلوينِ

فقال عُبَيْد الله بنُ عمرو : [من السريع]

وأتبِعوا ذاك بأبِّيَّةٍ فإنّكم آيينُ آيينِ[2]

فقال سَهْل : [من السريع]

دَعنا من الشعر وأوصافِه واعجَلْ علينا بالأخاوينِ[3]

فأحضر الغَداءَ ، وخلع عليهم ووصلَهم .

[يشبّب بغلام تركي]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا محمد بن زياد : قال : حدَّثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد : قال : اشترى جارٌ لجدِّي أبان غلاماً تركيّاً بألف دينار ، وكان أبان يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ليتني ، والجاهلُ المغـ ـرورُ مَن غُرَّ بلَيْتِ
نلتُ مِمّن لا أُسَمّي وهو جاري بَيْتَ بَيْتِ
قُبلةً تُنعِش ميْتاً إنّني حَيٌّ كمَيْتِ
نتساقى الريقَ بعد الشـ ـرب من راحٍ كُمَيتِ
لا أُسَمِّيه ولكنْ هو في كَيْتَ وكَيْتِ

وكان اسمه يتك .

[يحض عمارة على الهرب من زوجها]

وقال أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة : كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد ، وكان عدوّاً لأبان ، فتزوَّج بعمَّارة بنت عبد الوهّاب الثقفيّ ، وهي

1 الحشاوي : لم ترد في المعاجم ، ولعلّها ما يُحشى . وطردين : طعام للأكراد .

2 الآيين : العادة ، والعرف المتبع في جماعة من الناس .

3 الأخاوين : جمع إخوان .

أُخت عبد المجيد الذي كان ابن مُناذر يهواه ، ورثاه ، وهي مولاة جِنان التي يُشَبِّبُ بها أَبو نواس ، ويقولُ فيها : [من الخفيف]

خرجتْ تشهدُ الزفافَ جِنانٌ فاستمالتْ بحُسنها النُّظَّارَهْ
قال أَهلُ العَروس لمّا رأَوْها ما دهانا بها سِوى عمَّارَهْ

قال : وكانت موسرة ، فقال أَبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذِّرها منه : [من السريع]

لَمّا رأَيت البَزَّ والشارهْ والفرشَ قد ضاقتْ به الحارهْ
واللوزَ والسّكّرَ يُرمَى به من فوق ذي الدار وذي الدارهْ
وأَحضروا المُلهِين لم يتركوا طبلاً ولا صاحبَ زَمّارَهْ
قلت : لماذا ؟ قيل أعجوبةٌ محمد زُوِّج عَمَّارهْ
لا عَمَّرَ اللهُ بها بيتَه ولا رأَته مُدرِكاً ثارَهْ
ماذا رأَتْ فيه وماذا رجَتْ وهي من النِّسوان مُخْتارَهْ
أَسودَ كالسَّفُّود يُنسَى لدى التَّنّـور بل محراكُ قَيَّارَهْ[1]
يُجرِي على أَولاده خمسةً أَرغفةً كالرِّيش طيَّارَهْ
وأَهله في الأَرض من خَوفه إن أَفرطوا في الأَكل سيَّارَهْ
ويحكِ فِرِّي وأَعصبي ذاكَ بي فهذه أختُك فرَّارَهْ
إذا غَفا بالليل فاستيقظي ثم اطْفِري إنّك طفَّارَهْ
فصعَّدَت نائلةٌ سُلَّما تخافُ أَن تصعدَه الفارَهْ
سُرورُ غَرَّتْها فلا أُفلحتْ فإنّها اللّخناء غَرَّارَهْ
لو نلتَ ما أَبعدْتَ من ريقها إن لها نَفثةَ سحَّارَهْ

قال : فلمّا بلغتْ قصيدتُه هذه عمّارة هربتْ فحُرِم الثقفيّ من جهتها مالاً عظيماً ، قال : والثلاثة الأَبيات التي أَوّلها :

فصعّدت نائلةٌ سلما

زادها في القصيدة بعد أَن هربتْ .

1 القيّارة : أَصله القير وهو الزفت .

[ابن مناذر يهجوه]

أخبرني الأخفش عن المبرّد عن أبي وائلة ، قال : كان أبان اللاحقيّ يُولَع بابن مُناذر ، ويقول له : إنّما أنت شاعر في المراثي ، فإذا متّ فلا ترْثني ، فكثر ذلك من أبان عليه ، حتى أغضبه ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

غُنجُ أبانٍ ولينُ منطقه   يخبر النّاس أنّه حَلَقي[1]
داء به تُعرَفونَ كلّكمُ   يا آل عبدِ الحميد في الأُفُقِ
حتّى إذا ما المساء جلّلهُ   كان أطِبّاؤه على الطُّرُقِ
ففرِّجوا عنه بعضَ كربته   بمسبطِرٍّ مُطوَّق العُنُقِ

قال : وهجاه بمثل هذه القصيدة ، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه ، وسُعِيَ بينهما ، فأمسك عنه .

[أكان يهودياً]

أخبرني الصُّوليّ ، عن محمد بن سعيد ، عن عيسى بن إسماعيل : قال : جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة في قوم ، فثلب أبا عبيدة فقال : يقدحُ في الأنساب ولا نَسَب له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطانُ كلَّ شيء حتى أغفل أخْذَ الجِزية من أبان اللاحقيّ ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسْفار التوراة ، وليس فيها مُصحف ، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أنّ أكثرهم يدّعي حفظَ التوراة ، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصلّي به ، فبلغ ذلك أباناً فقال : [من الخفيف]

لا تَنِمَّنَّ عنْ صديقٍ حديثاً   واستعِذْ من تسرُّر النمّامِ
واخفضِ الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ   والتفِتْ بالنّهارِ قبلَ الكَلامِ

[أكان كافراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة : قال : كنّا في مجلسِ أبي زيد الأنصاريّ ، فذكروا أبانَ بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافِراً ، فغضب أبو زيد ، وقال : كان جاري ، فما فقدتُ قرآنه في ليلة قطُّ .

1 حلقي : مأبون .

[يقضي على جاره المريض]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن دَماذ: قال: كان لأبان جارٌ، وكان يعاديه، فاعتلّ علّة طويلة وأرجف أبانٌ بموته، ثم صَحّ من عِلّته، وخرج، فجلس على بابه، فكانت علّته من السُّلّ، وكان يكنى أبا الأطول، فقال له أبان: [من الهزج]

أبـا الأطـولِ طوَّلْتَ ... ومـا يُنجيـك تطويلُ
بـك السُّلُّ ولا واللّـ ... ـهِ ما يبرأ مسلـولُ
فـلا يغررْكَ مـن طِبِّـ ... ـك أقـوالٌ أباطيلُ
أرى فيـكَ علامـاتٍ ... وللأسبـاب تأويـلُ
هُـزالاً قـد بَرى جسـ ... ـمَك والمسلولُ مهزولُ
وذِبَّانـاً حواليْـكَ ... فموقـوذٌ ومقتـولُ[1]
وحُمَّى منكَ في الظّهر ... فأنـت الدّهـرَ مَمْلولُ
وأعْلامـاً سِوى ذاك ... تُواريهـا السّراويـلُ
ولـو بالفيـلِ ممّا بـ ... ـك عُشرٌ ما نجا الفيلُ
فمـا هـذا على فيـكَ ... قُـلاعٌ أم دَماميـلُ[2]
ومـا زال مُناجيـك ... يُولِّـي وهْـو مَبْلُولُ
لئن كان مـن الجَوْف ... لقـد سالَ بِـك النِّيلُ
وذا داء يُزَجِّيـك ... فـلا قـالٌ ولا قِيـلُ

فلمّا أنشده هذا الشعرَ أُرعِد، واضطرب، ودخل منزلَه، فما خرج منه بعد ذلك، حتى مات.

صوت

[من الخفيف]

ما تزال الدّيارُ في بُرقةِ النَّجـ ... ـد لسُعدى بقرْقرى تُبكِيني[3]

---

1 الموقوذ: الصريع.

2 القلاع: داء يصيب الفم.

3 قرقرى: موضع باليمامة.

قد تحيّلتُ كي أَرى وجهَ سُعدى فـإذا كلّ حيلــة تعيينـــي
قلتُ لما وقفتُ في سُدَّة البا ب لسُعـدى مَقالـةَ المِسكينِ
افعلي بي يا ربَّــةَ الخِدرِ خَيراً ومــن المــاء شَربةً فاسقيني
قالتِ : الماءُ في الرَّكيِّ كثيرٌ قلتُ : مـاءُ الركيّ لا يُرويني
طرحتْ دونيَ الستورَ وقالتْ : كلَّ يـــوم بعلّـــةٍ تــأتيني

الشعر لتُويت اليماميّ ، والغناء لأبي زَكار الأَعمى ، رَمَل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد من رواية الهِشاميّ .

[514] ـ أخبار تويت ونسبه

[نسبه]

تُوَيْت لقب ، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلوليّ من أهل اليمامة ، لم يقع لي غير هذا وجدتُه بخطّ أبي العبَّاس بن ثَوابة ، عن عبد الله بن شَبيب من أخبار رواها عنه .

وتُويْت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حَفْصة وذويهم ، ولم يَفِد إلى خليفة ، ولا وجدْتُ له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكرَه ، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتُوفّي بها .

[حبيبته تضربه]

قال عبد الله بن شَبيب : كانت تُويت يهوى امرأةً من أهل اليمامة يقال لها : سُعدى بنتُ أزهر ، وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعرُه من وراء وراءَ ، ولم تره ، فمرَّ بها يوماً ، وهي مع أتراب لها ، فقلن : هذا صاحبك ، وكان دَميماً ، فقامت إليه وقُمن معها ، فضربْنَه ، وخَرَّقْن ثيابَه ، فاستعدى عليهِنَّ فلم يُعدِه الوالي ، فأنشأ يقول : [من المنسرح]

إنّ الغواني جرَحْنَ في جسدي من بعد ما قد فَرَغْنَ من كَبِدي
وقد شقَقْن الرِّداءَ ثُمَّـتَ لم يُعـدِ عليهِـنّ صاحِبُ البلدِ
لم يُعدِني الأحولُ المشومُ وقد أبصرَ ما قد صَنَعن في جَسدي

[ترقّ له]

قال : فلمّا جرى هذا بينَه وبينَها عقدَ له في قلبها رِقّة ، وكانت تتعرَّضُ له إذا مرَّ بها ، واجتاز يوماً بِفنائها فلم تتوارَ عنه ، وأرته أنّها لم ترَه ، فلمّا وقفَ مَليّاً سترتْ وجْهها بخِمارها ، فقال تُوَيْت : [من الطويل]

ألا أيّها الثـارُ الذي ليسَ نائماً على تِرةٍ إن مُـتَّ من حُبِّها غَدا
خذُوا بدمي سُعدى فسعدى منِيتُها غداةَ النَّقا صادتْ فُؤاداً مُقصَّدا[1]

---

1 مقصّداً : مكسّراً .

بآيةِ ما ردَّت غداةَ لقِيتُها ... على طَرفِ عَيْنَيْها الرداءَ المورَّدا

[قاتلته تحجّ]

قال ابن شَبيب : ولقيها راحلةً نحوَ مكّة حاجَّةَ ، فأخذ بخِطام بَعيرِها وقال : [من الكامل]

قُل للتي بكَرتْ تريدُ رَحيلا ... للحجّ إذ وجدتْ إليهِ سبيلا

ما تصنعين بحَجّةٍ أو عُمْرةٍ ... لا تُقْبَلانِ وقد قَتلتِ قَتيلا

أَحيِي قتيلَكِ ثم حُجّي وانسُكي ... فيكون حجُّكِ طاهراً مَقبولا

فقالتْ له : أرسل الخِطام ، خيّبكَ اللهُ وقبحك ، فأرسلَه ، وسارت .

[يهجو زوجها]

قال عبد الله بن شبيب : ثم تزوَّجها أبو الجنوب يَحيى بنُ أبي حَفصة ، فحجبها ، وانقطع ما كان بينها وبين تُوَيت ، فطفِقَ يَهجو يحيى فقال : [من الوافر]

عَناءٌ سِيقَ للقلب الطروبِ ... فقد حُجِبتْ معذِّبةُ القُلوبِ

أقول وقد عرفتُ لها مَحَلاًّ ... ففاضت عبرةُ العينِ السَّكوبِ

ألا يا دارَ سُعدى كَلِّمينا ... وما في دار سُعدى من مُجيبِ

ولمّا ضمَّها وحوى عليها ... تركتُ له بعاقبةٍ نَصيبي

وقلت : زِحامُ مثلكِ مثلَ يَحيى ... لعمركِ ليس بالرأي المُصيبِ

فما لك مثلُ لَمِّتِه تُدرَّى ... وما لك مثلُ بُخل أبي الجنوبِ[1]

إذا فقد الرغيفَ بكى عليه ... وأتبع ذاك تَشقيقَ الجُيوبِ

يعذّب أهلَه في القُرْصِ حتى ... يظلّوا منهُ في يومٍ عصيبِ[2]

وقال أيضاً : [من الطويل]

ألا في سبيل اللهِ نفسٌ تقسَّمتْ ... شَعاعاً وقلبٌ للحسانِ صديقُ

أفاقت قلوبٌ كُنَّ عُذِّبْن بالهوى ... زماناً وقلبي ما أراهُ يُفيقُ

سَرَقْتِ فؤادي ثم لا ترجعينَه ... وبعضُ الغواني للقلوب سَروقُ

---

1 لمته تدرَّى في ل : ما جنيت بُدّاً .

2 القرص : أي قرص العجين .

عَروفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتْ ببَيْنِـك غِربــانٌ لهـن نَعيــقُ
ورُدَّت جِمالُ الحيّ وانشقَّتِ العَصا وآذنَ بالبــين المُشِتُّ صَــدوقُ
ندمــتِ على ألاّ تكـوني جَزيْتني زَعمــتِ وكلُّ الغانيـاتِ مَذُوقُ
لعلّــك أن ننـأى جميعاً بغُلّـة تذوقِين مــن حَرِّ الهوى وأذوقُ[1]
عصيتُ بكِ الناهين حتى لوَ انَّني أمــوتُ لمــا أرعـى عليَّ شَفيقُ

[من مختار قوله في سعدى]

ومن مختار قول تُويت في سعدى هذه ممّا أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أوّلها : [من الوافر]

سنُرضِـي في سُعيـدى عاذليْنا بعاقبــة وإن كُرِمـــتْ علَيْنا

يقول فيها :

لقيتُ سُعَيدَ تمشي في جَوارٍ بجرعـاءِ النَّقــا فلقيتُ حَيْنا
سلبنَ القلبَ ثـم مضينَ عنّي وقــد ناديتُهـنَّ فمــا لَوَيْنا
فقلتُ وقد بقِيتُ بغير قَلب بقلبي يــا سُعَيدى أيـن أيْنا
فما تجزينَ يــا سُعدى مُحِبّاً يهيم بكــم ولا تَقضينَ دَيْنا
وقالت إذ شكوتَ المطلَ منها لعمركَ مَـن سمعتَ لــه قَضَيْنا
ومَن هذا الذي إن جاء يشكُو إلينا الحبَّ مــن سَقَمٍ شَفيْنا
فهــنَّ فواعــلٌ بـي غيرَ شكٍّ كما قبــلي فَعلْــنَ بصاحِبَيْنا
بعــروةَ والذي بسهامِ هِنــدٍ أُصيب ، فما أقدْنَ ولا وَدَيْنا[2]

ومن مختار قوله فيها :

سلِ الأطلالَ إن نفع السُّؤالُ وإن لم يربَع الركبُ العِجالُ
عن الخَوْدِ التي قتلتكَ ظلماً وليس بهــا إذا بَطَشت قِتالُ
أصابــك مُقلتانِ لهــا وجيدٌ وأشنبُ بــاردٌ عــذبٌ زُلالُ

---

1 ننأى في ل : بنّا .

2 يقصد عبد الله بن عجلان وصاحبته هند .

أَعارَكِ مـا تبَلْتِ بـه فُؤادي ... مـن العينَينِ والجيـدِ الغَزالُ
أَيـا ثاراتِ مَن قتلتْه سُعدى ... دَمي ، لا تطلُبُوه ، لها حَلالُ
أرِقُّ لهـا وأُشفِق بعـد قَتلي ... على سُعدى وإن قَـلَّ النَّوالُ
ومـا جادتْ لنا يومـاً ببذلٍ ... يمينٌ مـن سُعادَ ولا شِمالُ

ومن قوله فيها أيضاً : [من الكامل]

يا بنت أَزهـرَ إنّ ثأري طالبٌ ... بدمي غـداً والثّأرُ أَجهدُ طالبِ
فـإذا سَمعـتِ براكبٍ مُتعصِّبٍ ... ينعى قتيلَك فافْزَعِـي للراكبِ
فلأنــتِ من بـين الأَنامِ رميتني ... عن قَوس مَتْلَفَـةٍ بسهمٍ صائبِ
لا تأمنــي شُمَّ الأُنوفِ وتَرْتِهم ... وتركتِ صاحبَهم كأَمسِ الذاهبِ
مَن كان أَصبحَ غالباً لهـوى التي ... يهوى فإن هـواكِ أَصبحَ غالِبي
قالت وأَسبلتِ الدّمـوع لِتِربها ... لمـا اغتررتُ وأومأتْ بالحاجبِ
قولي لــه : بـاللهِ يُطلِقُ رحلَـه ... حتى يُــزَوَّدَ أَو يَـروحَ بصاحبِ

وقال فيها أَيضاً : [من الكامل]

أَرَّق العـينَ مـن الشَّوقِ السَّهَرْ ... وصبـا القلـبُ إلى أُمِّ عُمَـرْ
واعتَرتْنــي فكـرةٌ مـن حُبِّها ... ويح هذا القلبِ من طُولِ الفِكَرْ
قَــدَرٌ سِيــقَ فمـن يَملكـه ... أين مَـن يملكُ أَسبابَ القَدَرْ
كلُّ شيءٍ نالنـي مـن حُبّهـا ... إن نَجتْ نفسي من الموتِ هَدَرْ

وقال أيضاً : [من الكامل]

يــا لَلرِّجـالِ لِقَلبكِ المتطرِّفِ ... والعينُ إن تَرَ بـرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
ولحاجــةٍ يـومَ العبير تعرَّضَتْ ... كبرتْ فـرُدَّ رسولُها لم يُسعفِ
يـا بنت أزهر مـا أَراكِ مُثِيبَتي ... خيراً على وُدّي لكـم وتلطُّفي
إنّــي وإن خُبِّرتِ أَنَّ حياتَنـا ... في طرف عينك هكذا لم تطرفِ
ليظلُّ قَلبــي مـن مخافة بَيْنِكمْ ... مثـلَ الجنـاح معلَّقاً في نَفْنَفِ[1]

1 نفنف : مهوى بين جبلين .

وليَظَلّ في هَجـر الأَحبَّـة طالِباً لرضاكِ مِمّا جـار إن لم تُسعفي
كأخي الفَـلاة يَغُرّه مـن مائِها قِطعُ السرابِ جَرى بقاعٍ صَفْصَفِ
أهـراقَ نُطفتَـه فلمـا جاءها وجـدَ المَنِيَّـةَ عندَهـا لم تُخلِفِ

صوت

[من الطويل]

أَمِنتَ بـإذن الله من كلّ حادثٍ بقربِكَ من خير الورى يا ابنَ حارثِ
إمـامٌ حـوى إرثَ النبيّ محمدٍ فأَكـرِمْ بـه من ابنِ عَمٍّ ووَارثِ

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنّر، خفيف رَمَل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه وعن الهِشاميّ.

[515] ـ أخبار محمد بن الحارث

[مروءة أبيه]

مولى المنصور ، وأصله من الرّيّ من أولاد المَرازبة ، وكان الحارث بن بسخنّر أبوه رفيع القَدْر عند السلطان ، ومن وُجوه قواده وولّاه الهادي ، ويقال الرشيد ، الحربَ والخراجَ بكُوَر الأهوازِ كلِّها .

فأخبرني حبيب المهلَّبيّ : قال حدَّثني النَّوفليّ عن محمد بن الحارث بن بسخنَّر : قال : كنت بالدَّيْر ، وكان رجل من أهلها يَعرِض عليّ الحوائجَ ويخدمني فيُكْرِمُني ، ويذكر قديمنا ، ويترحَّم على أبي ، فقال لي رجلٌ من أهلِ تلكَ الناحية : أتعرفُ سببَ شكرٍ هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : فإن أباه حدَّثني ، وكان يُعرف بابن بانة ، بأن أباك الحارث بن بسخنّر اجتاز بهم يُريد الأهواز فتلقاه بدِجلة العوراء ، وأهدى له صُقوراً وبَواشق صائدةً ، فقال له : الحقْ بي بالأهواز ، فقال له يوماً : إنِّي نظرتُ في أُمور الأعمال بالأهواز ، فلم أجِدْ شيئاً منها يرتفق منه بما قَدَّرتُ أن أبرَّك به ، وقد ساومني التُّجَّار بالأهواز بالأُرز ، وقد جعلتُه لك بالسعر الذي بذَلوه ، وسيأتونني ، فأعلمُهم بذلك ، فقلتُ : نعم ، فجاءوا ، وخلصوه منه بأربعين ألفَ دينار ، فصرتُ إلى الحارث فأعلمتُه ، فقال لي : أرضيتَ بذلك ؟ فقلت : نعم ، قال : فانصرف .

ولّما قَفل الحارث من الأهواز مرَّ بالمدائن ، فلقيَه الحُسينُ بن مُحرِز المدائنيّ المَغنّي فغنّاه : [من السريع]

قد علِم اللهُ عـلا عرشُه أنِّي إلى الحارثِ مُشتاقُ

فقال له : دعْني من شوقك إليَّ ، وسلني حاجةً فإنِّي مُبادر ، فقال له : عليَّ دين مائةُ ألف درهم ، فقال : هي عليّ ، وأمر له بها ، وأصعد .

[كان من أصحاب إبراهيم بن المهديّ ويسير على منهاجه]

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهديّ والمتعصِّبين له على إسحاق ، وعن إبراهيم بن المهديّ أخذ الغِناء ، ومن بحره استقى ، وعلى منهاجه جَرى .

[جاسوس غير أمين]

أخبرَني عيسى بن الحسين الورّاق ، عن محمد بن هارون الهاشميّ ، عن هِبَةِ الله بن إبراهيم بن المهديّ : قال : كان المأمونُ قد أَلزم أَبي رجلاً ينقل إليه كلَّ ما يسمعه من لفظ جِدّاً وهَزلاً شِعراً وغِناء ، ثم لم يثق به ، فأَلزمه مكانَه محمد بن الحارث بن بسخنر ، فقال له : أيّها الأمير ، قُل ما شئتَ واصنع ما أَحببتَ ، فوالله لا بلَّغتُ عنك أَبداً إلاّ ما تحِبّ ، وطالت صحبته له ، حتى أَمِنه وأَنِس به ، وكان محمد يغنّي بالمِعْزَفة فنقلَه أَبي إلى العود ، وواظب عليه حتى حَذِقَه ، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً : أَنا عبدُك وخرِّيجُك وصنيعتُك ، فاخْصصني بأَن أَرويَ عنك صنعتَك ، ففعل ، وأَلقى عليه غِناءه أَجمعَ ، فأَخذه عنه ، فما ذهب عليه شيء منه ولا شَذَّ .

[يغنّي للواثق]

وقال العتّابيّ : حدَّثني محمد بن أَحمد بن المكّيّ : قال : حدَّثني أَبي : قال : كان محمد بن الحارث قليلَ الصنعةِ ، وسمعتُه يغنّي الواثق في صنعته في شعر له مدَحه به وهو : [من الطويل]

أَمِنتَ بـــإذنِ الله من كلِّ حادثٍ بقربك من خير الورى يا ابنَ حارثِ

فأَمر له بأَلفي دينار .

وذكر عليّ بن محمد الهشاميّ ، عن حمدون بن إسماعيل ، قال : كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر : [من مجزوء الكامل]

صوت

أَصبحـــتُ عبـــداً مُسترَقاً أَبكِي الأُلى سكنُوا دِمَشْقا
أَعطيتُهـــم قلبـــي فَمَـــنْ يَبْقى بـــلا قلـــبٍ فأَبقى

[يهب لحنه لغيره]

وطرحه على المَسْدود ، فغنَّاه ، فاستحسنه محمدُ بنُ الحارث منه لطِيب مسموع المسدود ، ثم قال : يا مسدود ، أَتحبُّ أَن أَهَبَه لك ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، فكان يُغنِّيه ، ويدَّعيه ، وهو لمحمد بن الحارث .

وقال العتّابيّ : حدَّثني شَرْوين المغنِّي المداديّ . أَنّ صَنعةَ محمدِ بنِ الحارث بلغت عشرةَ أَصوات ، وأَنّه أَخذها كلَّها عنه ، وأَن منها في طريقة الرَّمَل ، قال : وهو أَحسَنُ ما صنعه .

[من ألحانه العشرة]

صوت

[من المتقارب]

أيا مَــن دَعــاني فلَبَّيتُه ... ببذْل الهوى وهو لا يَبذُلُ
يُــدِلُّ عــليَّ بِحُبِّي لــه ... فمَن ذاك يفعَلُ مـا يَفعَلُ

لَحْنُ محمدِ بنِ الحارث في هذا الصوت رَمَلٌ مطلق ، وفيه ليزيدَ حوراء ثقيل أوّل وفيه لسُلَيم لحن وجدته في جميع أغانيه غير مُجنّس .

[مع ابن العبّاس الربيعي]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ : قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد : قال : حدَّثني أبو تَوبة صالحُ بنُ محمد ، عن عمرو بن بانَة : قال : كنت عند محمد بن الحارث بن بسختَّر في منزله ، ونحن مُصطبحون في يوم غيْم ، فبينا نحنُ كذلك إذ جاءتنا رُقعة عبد الله بن العبّاس الربيعيّ ، وقد اجتاز بنا مُصعِداً إلى سُرَّ مَن رأى ، وهو في سفينة ، ففضَّها محمدٌ ، وقرأها ، وإذا فيها : [من الطويل]

محمدُ قــد جادتْ علينـا بوَدْقِها ... سَحائـبُ مُـزنٍ برقُهـا يتهلَّلُ
ونحنُ مــن القاطــول في مُتَربَّعٍ ... لــه مسرحٌ سَهــلُ المحلَّة مُبْقِلُ[1]
فَمُرْ فائـزاً تَفديك نفسي يُغَنِّني ... أعَنْ ظُعُنِ الحيّ الألى كنتَ تسألُ
ولا تسقِنــي إلاّ حــلالاً فإنّني ... أعــافُ مــن الأشياء ما لا يُحَلَّلُ

فقام محمدُ بنُ الحارث مستعجِلاً حافياً ، حتى نزلَ إليه فتلقَّاه ، وحلفَ عليه حتى خرج معه ، وسار به إلى منزله ، فاصطبَحا يومئذٍ ، وغنَّاه فائزٌ غلامُه هذا الصوتَ ، وكان صوته عليه ، وغنَّاه محمد بن الحارث وجواريه وكلّ مَن حضَر يومئذٍ ، وغنَّانا عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ أيضاً أصواتاً وصنَعَ يومئذٍ هذا الهَزَج ، فقال : [من الكامل]

يا طيبَ يَوْمِي بالمَطيرة مُعمِلاً ... للكأس عندَ محمدِ بنِ الحارثِ[2]

---

1 القاطول : موضع على دجلة .

2 المطيرة : قرية من نواحي سامراء وكانت من منتزهات بغداد .

في فِتيــةٍ لا يسمعونَ لعاذلٍ قــولاً ولا لمسوِّفٍ أو رائثِ

[عجائز أبيه أساتذة مخارق]

حدَّثني وسواسه[1] : قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق : قال : كان أبي يستحسنُ غناء جواري الحارث بن بسخنَّر ، ويعتمدُ على تعليمِهنَّ لجَواريه ، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنّ أو على غيرهنّ صوتٌ ، أو وقع فيه اختلاف ، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنّ . ولقد غنَّى مُخارقٌ يوماً بين يديه صوتاً ، فتزايد فيه الزوائدُ التي كان يستعملُها ، حتى اضطرب . فضحك أبي ، وقال : يا أبا المُهَنّأ ، قد ساء بعدي أدبُك في غِنائِك فالزم عجائز الحارث بنِ بسخنَّر يُقوِّمْنَ أَوَدَك .

صوت

[من الوافر]

بنــانُ يــدٍ تُشير إلى بَنــانِ تَجاوبَتــا ومــا يتكلَّمــانِ
جرى الإيماءُ بينَهما رَسولاً فأحكم وحْيَــهُ المتناجيــانِ
فلو أبصرتَه لغضضْتَ طَرْفــاً عــن المُتناجِيَيْن بــلا لسانِ

الشعر لِماني المُوَسْوِس ، والغِناء لعُمر المَيْداني هَزَج ، وفيه لعَريب لَحنٌ من الهَزَج أيضاً .

1 وسواسة : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ .

[516] ـ أخبار ماني الموسوس

[نسبه]

هو رجلٌ من أهلِ مِصر ، يكنى أَبا الحسن واسمه محمدُ بنُ القاسم ، شاعر ليّن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلاّ في الغزل ، وماني لقب غَلَب عليه ، وكان قدِم مدينةَ السلام ، ولقيَه جماعةٌ من شيوخنا ، منهم أَبو العبّاس محمد بن عمَّار وأَبو الحسن الأَسديّ وغيرهما .

[ينشد للعريان البصري]

فحدَّثني أَبو العبّاس بن عمّار ، قال : كان ماني يألفُني ، وكان مليحَ الإنشاد حلوه ، رقيقَ الشعر غزلَه ، فكان يُنشدني الشيءَ ، ثم يُخالَط ، فيقطعُه ، وكان يوماً جالساً إلى جنبي ، فأَنشدني للعُريان البصريّ : [من المنسرح]

مـا أَنصفتْك العُيونُ لم تكِفِ ... وقــد رأَيتَ الحبيبَ لم يَقِفِ
فابكِ دياراً حـلَّ الحبيبُ بها ... فَباعَ منْهـا الجَفـاءَ باللُّطَفِ
ثم استعارَتْ مسامعاً كَسد اللـ ... ـومُ عليها مــن عاشِقٍ كَلِفِ
كأَنّهـا إذْ تقنَّعَــتْ بِبِلًــى ... شَمطاءُ ما تستقلُّ من خَرَفِ
يــا عــينُ إمّا أَريْتني سَكَناً ... غضبانَ يَزوي بوجهِ مُنْصرِفِ
فمثِّلِيــه للقلــبِ مُبتسمــاً ... في شَخص راضٍ عليَّ مُنعطِفِ
إن تَصفيــه للقلـب مُنقَبضاً ... فأَنتِ أَشقى منــه بــه فَصفي
يُقال بالصّبرِ قتـلُ ذي كَلفٍ ... كيف وصبري يموت من كَلَفي
إذا دعا الشوقُ عَبرةً لِهــوًى ... فأَيّ جَفْــنٍ يقــول لا تَكِفي
ومُستراِدٍ لِلَّهْــوِ تنفسح الْـــ ... ـــمُقْلَةُ في حافتيــه مؤتَلفِ
قَصَرْتُ أَيّامَــه على نَفَــرٍ ... لا مُنِنٍ بالنَّــدى ولا أُسُفِ
بحيث إن شئتَ أَن ترى قمراً ... يسعى عليهم بالكأسِ ذا نُطَفِ[1]

---

1 نطف جمع نطفة وهي القليل من الماء .

قال : فسألتُه أن يمليها عليَّ ، ففعل ، ثم قال : اكتب ، فعارضه أبو الحسن المصري : يَعني «ماني» نفسَه فقال : [من المنسرح]

أقفــرَ مَغْنــى الديار بالنَّجَفِ ... وحُلْت عمّا عهدتُ من لَطفِ
طويــتُ عنهــا الرِّضا مذمّمةً ... لّما انطوى غضُّ عيشِها الأُنُفِ
حَللتُ عن سَكرة الصَّبابة من ... خوفِ إلهــي بمعــزلٍ قُذُفِ[1]
سَئِمتُ وِرْدَ الصِّبا فقد يَئستْ ... منّي بناتُ الخدور والخَزَفِ[2]
سلوتُ عــن نُهَّــدٍ نُسِبْنَ إلى ... حسنِ قَوامٍ واللحظ في وَطَفِ
يمددنَ حَبل الصِّبا لَمن أَلِفَتْ ... رجلاه قِــدَّ المُحول والدَّنَفِ
ومُدنَفٍ عادَ في النحول من الوَجـ ... ـــد إلى مثــلِ رِقَّــة الأَلِفِ
يشاركُ الطيرَ في النَّحيب ولا ... يَشركنَه في النُّحول والقَضَفِ[3]
ومُسمِعاتٍ نَهكْــنَ أعظُمَــهُ ... فهو مــن الضيم غيرُ منتَصِفِ
مفتخراتٍ بالجَــوْر عُجْبــاً كما ... يفخر أهــلُ السّفاه بالجَنَفِ
وقهوةٍ مــن نِتــاج قُطْرُبُّلٍ ... تخطف عقلَ الفتى بلا عُنُفِ
ترجعُ شَرخَ الشباب للخَرِفِ الـ ... ـفاني وتُدني الفتى من الشَّغَفِ

[يصفع المؤذن]

قال : فبينا هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنّا بإزائه قد صَعِد المئذنة ليؤذِّن فأمسك عن الإنشاد ، ونظر إليه ، وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت ، فأذَّن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتَعِش ، فصعِدَ إليه ماني مُسرعاً ، حتى صار معه في رأس الصَّوْمَعة ، ثم أخذ بلحيتِه ، فصفَعَه في صَلْعَتِه صفعةً ظننتُ أنَّه قد قلع رأسَه ، وجاء لها صوتٌ منكرٌ شديد ، ثم قال له : إذا صَعِدت المنارَة لتؤذِّن ، فعَطْعِط[4] ، ولا تُمَطْمِط ، ثم نزل ومضى يعدُو على وجهه . ولقيتُ عنتاً منَ عتْب الشيخ وشكواه إيّاي إلى أبي ومشايخ الجيران ،

---

1 بمعزل : بمعرك

2 الخزف : هزّ اليدين في تبختر .

3 القضف : النحافة .

4 عطعط من العطعطة وهي تتابع الأصوات واختلافها ، وهي أيضاً حكاية صوت .

يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين ، فيكتُبُ هَذَيانَهم ، ويسلِّطهم على المشايخ فيصفَعونهم في الصوامع إذا أذَّنوا ، حتى صرتُ إلى منزله ، فاعتذرت وحلفت أنّي إنّما أكتب شيئاً من شعره ، وما عرفت ما عَمِله ولا أُحيطُ به علماً .

[الجارية تغنّي وهو يضيف]

ونسخت من كتاب لابن البَراء : حدَّثني أبي قال : عزم محمد بنُ عبد الله بن طاهر على الصَّبوح ، وعنده الحسنُ بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كنّا نحتاج أن يكون معنا ثالثٌ نأنَسُ به ونلذُّ في مجاورته فمَن ترى أن يكونَ ! فقال ابنُ طالوت : لقد خَطَر ببالي رجل ليسَ علينا في منادمته ثِقَل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبَرِىء من ثِقَل المؤانسين ، خفيفَ الوطأة إذا أدنيته ، سريع الوثبة إذا أمرتَه ، قال : مَن هو ؟ قال : ماني المَوْسوس ، قال : ما أسأتَ الاختيار ، ثم تقدّم إلى صاحب الشُّرطةِ بطلبه وإحضاره ، فما كان بأسرعَ من أن قبض عليه صاحبُ الشرطة بربع الكَرْخ فَوافى به بابَ محمد بن عبد الله ، فأُدخل ، ونُظِّف ، وأُخِذ من شَعْره ، وأُلبِسَ ثِياباً نِظافاً ، وأدخل على محمد بن عبد الله ، فلمّا مَثَل بين يديه سلَّم ، فردَّ عليه ، وقال له : أما حان لك أن تزورَنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعزَّ اللهُ الأميرَ : الشوق شديد ، والوُدُّ عَتيد ، والحجابُ صعب ، والبواب فَظٌّ ، ولو تسهّل لنا الإذنُ لسهُلتْ علينا الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطُفتَ في الاستئذان ، وأمره بالجلوس . فجلس ، وقد كان أُطعِم قبل أن يدخل ، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المَهديّ ، يقال لها : مَنُوسة ، وكان يحبّ السماعَ منها ، وكانت تُكثر أن تكونَ عنده ، فكان أوَّل ما غنَّتْه : [من الطويل]

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمَّلوا دُموعي على الخدَّينِ من شدَّة الوجْدِ
وقولي وقد زالتْ بعيني حُمولُهمْ بواكرُ تُحدى لا يكُنْ آخرَ العهدِ

فقال ماني : أيأذَنُ لي الأمير ؟ قال : في ماذا ؟ قال : في استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال : أحسنْتِ والله ، فإن رأيتِ أن تزيدي مع هذا الشعر هذين البيتين : [من الطويل]

وقمتُ أداري الدمعَ والقلبُ حائرٌ بمقلةِ موقوفٍ على الضَّرِّ والجَهْدِ
ولم يُعدِني هذا الأميرُ بعدْله على ظالمٍ قد لَجَّ في الهَجرِ والصَّدِّ

فقال له محمد : ومن أيّ شيء استعديتَ يا ماني ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظلم أيّها الأمير ، ولكن الطّربَ حرَّك شوقاً كان كامناً ، فظهر . ثم غنَّتْ : [من الخفيف]

حَجبوها عـن الريـاح لأنّي قلت : يا ريحُ بلِّغيها السّلاما
لو رضُوا بالحجاب هان ولكنْ منعوهـا يـوم الرياحِ الكَلاما

قال : فطرِب محمد ، ودعا برِطل فشربه فقال ماني : ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين : [من الخفيف]

فتنفَّستُ ثـم قلـتُ لطَيفي : ويـكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما
حَيِّهـا بـالسلام سرّاً وإلاّ منعوهـا لشِقْوَتـي أن تَناما

فقال محمد : أحسنت يا ماني ، ثم غنَّت : [من الخفيف]

يـا خليليَّ ساعـةً لا تَرِيما وعَـلى ذي صبابـةٍ فأقيما
مـا مررْنـا بقصرِ زينَبَ إلاّ فضح الدَّمعُ سِرَّكَ المكتُوما

قال ماني : لولا رهبةُ الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَرِدان على سمع سامع ذي لُبّ فيصدران إلاّ عن استحسانٍ لهما ، فقال محمد : الرغبةُ في حُسْن ما تأتي به حائلةٌ عن كلّ رهبة ، فهاتِ ما عندكَ ، فقال : [من الخفيف]

ظَبيةٌ كالهلال لـو تلحظ الصخْرَ بطَـرفٍ لغادَرتْـه هَشيمـا
وإذا ما تبسَّمتْ خِلتَ مـا يبدُو مـن الثَّغـر لؤلـؤاً مَنظومـا

[اللحن الحسن يطيّب الشعر]

فقال محمد : إن أحسنَ الشعر ما دام الإنسان يشرَبُ ما كان مكسوًّا لحناً حسناً تُغنّي به مَنُوسة وأشباهها ، فإن كسيتَ شعرَك من الألحان مثلَ ما غنَّتْ قبلَه طاب ، فقال : ذلك إليها .

[يصف منوسة]

فقال له ابن طالوت : يا أبا الحُسَين ، كيف هي عندكَ في حسنها وجمالها وغِنائها وأدبها ؟ قال : هي غاية يَنتهي إليها الوصفُ ، ثم يقِف ، قال : قُل في ذلك شعراً ، فقال : [من السريع]

وكيفَ صبرُ النفس عـن غادةٍ تَظلمُهـا إن قلـتَ طاووسَهْ

وجُـرتَ إن شبّهتَها بانـةً في جنَّـةِ الفردوسِ مَغروسَةْ
وغيرُ عـدْلٍ إن عَدَلْنا بها لؤلـؤةً في البحْـرِ منفوسَةْ
جلَّتْ عن الوصفِ فما فِكرةٌ تلحَقُها بالنعـتِ مَحسوسَةْ

فقال له ابنُ طالوت : وجب شكرُك يا ماني ، فساعدَك دهرُك ، وعطف عليك إلفُك ، ونلتَ سرورَك ، وفارقْتَ محذورَك ، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملُنا ، وطاب يومُنا .

[إذا زرت فخفف]

فقال ماني : [من المديد]

مُدْمِـنُ التخفيف مَوصولُ ومُطِيـلُ اللَّبـثِ مَمْلولُ

فأنا أَستودعُكمُ الله ، ثم قام فانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصِلَة ، ثم كان كثيراً ما يبعث يطلبه إذا شَرِب ، فيبرُّه ، ويصلُه ، ويقيمُ عنده .

[يشبب بغلام]

أخبرني جعفر بن قُدامة ، قال : حدَّثني المبرّد ، قال : حدَّثني بعض الكتاب ممَّن كان ماني يلزمه ، ويكثُرُ عنده ، قال : لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عنّي ، فقال : ما قطعني عنـك إلاّ أنّي هائـم ، قلت : بِمَنْ ؟ قال بمَن إن شئتَ أن تراه الساعةَ رأيتَه فعذرْتَني ، قلتُ : فأنا معك ، فمضى ، حتى وافى بابَ الطّاق ، فأراني غُلاماً جميلَ الوجه بين يدي بزّاز في حانوتِه ، فلمّا رآه الغلام عدا ، فدخل الحانوتَ ، ووقف ماني طويلاً ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

ذَنبي إليه خضوعي حين أُبْصِرُه وطولُ شوقي إليه حـينَ أذكُرُهْ
وما جرحْتُ بطرف العَين مُهجتَه إلاّ ومـن كَبدي يقتصُّ مَحجرُهْ
نفسي على بُخله تَفديه مـن قَمرٍ وإن رمـاني بذنبٍ ليسَ يغفِرُهْ
وعاذلٍ باصطبارِ القلـبِ يأمرُني فقلتُ : من أينَ لي قلبٌ أُصبِّرُهْ[1]

ومضى يعدو ويصيح : الموت مخبوءٌ في الكتب .

1 قلبٌ أُصبِّرُه في ل : صبر فأهجره .

صوت

[من الرجز]

وشادنٍ قلبي بـــه مَعمودُ شِيمتُه الهِجــرانُ والصُّدودُ
لا أسأَمُ الحِرصَ ولا يجودُ والصبرُ عـــن رؤيته مفقودُ
زُنّــارُه في خَصرِه مَعقودُ كأنّـه مـــن كَبِدي مَقْدودُ

عروضه من الرجز ، والشِّعْرُ لبكرِ بن خارجة ، والغِناء للقاسم بن زُرْزُور ، خفيف رَمَل بالوسطى .

[517] ـ أخبار بكر بن خارجة

[كان وراقاً]

كان بكرُ بن خارجة ، رجلاً من أهل الكوفة ، مولًى لبني أسد ، وكان ورّاقاً ضيّقَ العيش ، مقتصراً على التكسّب من الوِراقة ، وصرفَ أكثرَ ما يكسبُه إلى النبيذ ، وكان مُعاقراً للشُّرب في منازل الخمَّارين وحاناتهم ، وكان طيّبَ الشّعر مليحاً مطبوعاً طَبْعاً ماجناً .

[يتعشّق هدهداً]

فذكر أبو العَنْبَس الصَّيْمريّ أنّ محمد بن الحجّاج حدَّثه قال : رأيتُ بكرَ بنَ خارجةَ يبكّر في كلّ يوم بقِنّينتين من شراب إلى خراب من خراباتِ الحِيرة ، فلا يزال يشربه فيه على صوت هُدْهُد كان يأوي إلى ذلك الخراب ، إلى أن يَسْكر ، ثم ينصرف ، قال : وكان يتعشّق ذلكَ الهُدْهُدَ .

وحدَّثني عمِّي عن ابن مَهرويه عن عليّ بن عبد الله بن سعد ، قال : كان بكرُ بنُ خارجة يتعشّق غلاماً نصرانيّاً ، يقالُ له : عيسى بن البَراء العِباديّ الصَّيْرفيّ ، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكُرُ فيها النَّصارى وشرائعَهم وأعيادَهم ، ويُسمِّي دياراتِهم ، ويفضّلُهم .

[دعبل يحسده على بيتين قالهما]

قال : وحدَّثني [من شَهِد دِعبِلاً] وقد أُنشدني قوله في عيسى بن البراء النصرانيّ العِبادِيّ : [من الرجز]

زُنّارُه في خَصره معقـودُ كأنّه مـن كبِدي مقدودُ

فقال دِعبل : ما يعلمُ اللهُ أنّي حسدتُ أحداً قطُّ كما حسدت بَكراً على هذين البيتين .

[الجاحظ يكتب أبياتاً له وهو قائم]

وحدَّثني عمِّي عن الكُرانيّ ، قال : حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة بيعَ الخمر على خماري الحِيرة ، وركب فكسر نَبيذَهم ، فجاء بَكر يشربُ عندهم على عادته ، فرأى الخمرَ مصبوبة في الرِّحابِ والطرق ، فبكى طويلاً ، وقال : [من الخفيف]

يـا لَقومـي لِمـا جَنـى السلطانُ　　لا يكونـنْ لمـا أهـانَ الهـوانُ
قهـوةٌ في التراب مـن حَلَب الكَرْ　　م عُقـاراً كأنَّهـا الزعفـرانُ
قهـوةٌ في مكـان سَوء لقـد صا　　دف سعـدَ السعـود ذاكَ المكـانُ
مـن كُميـتٍ يُبدي المِزاجُ لها لؤْ　　لـؤَ نظـمٍ والفصـلُ منهـا جُمانُ
فإذا مـا اصطبحتُها صغُرت في الـ　　ـقَدْرِ تختالُهـا هـي الجرذانُ
كيفَ صبري عن بعض نفسي وهل يصْـ　　ـبرُ عـن بعض نفسِه الإنسانُ

قال : فأنشدتُها الجاحظ ، فقال : إن من حقّ الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلاّ أن تَعْمِدني ، وقد كان نقرسَ ، فعمَدتُه ، فقام ، فكتبها قائماً .

[الخمر تفسد عقله]

وقال محمد بن داود بن الجرَّاح في «كتاب الشعراء» : قال لي محمد بن الحجّاج : كانت الخمرُ قد أفسدتْ عقلَ بكر بن خارجة في آخر عمره ، وكان يمدح ويهجو بدِرهم وبدِرهمين ونحو هذا فاطَّرِح ، وما رأيت قطّ أحفظَ منه لكلّ شيء حسن ، ولا أروَى منه للشعر .

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا له في حال فساد عقله :　　[من مجزوء الكامل]

هبْ لي فديتُـك دِرهماً　　أو دِرهَمَـين إلى الثّلاثَـهْ
إنّي أحِـبُّ بنـي الطفيـ　　ـل ولا أحبُّ بَني عُلاثَهْ[1]

قال ابنُ الجرّاج حدَّثني محمد بن القاسم بن مهروَيْه قال : حدَّثني بعض أصحابنا الكوفيِّين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبِتنا عنده ، فنمت فما أنبهني إلاّ صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : ما لك ؟ فاشرب فالدّار مليئة ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أي شيء ؟ قال : في الدار كلب كبير ، فأخاف أن يظنّني غزالاً فيثب عليّ ويقطّعني ويأكلني ، فقلت له : ويحك يا بكر ! فالحمير أشبه منك بالغزال ، قُم فاشرب إن كنت عطشان وأنتَ آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب .

قال : وأنشدني له ، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها : [من البسيط]

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي　　إلاّ امرؤ قلبه مـن صخرة قاسي

---

1 بنو الطافيل : نسبة إلى عامر بن الطفيل ، وبنو علاثة نسبة إلى علقمة بن عُلاثة .

إنّ القراطيسَ مــن قلبي بمنزلة تحويه كالسمع والعينين في الرأسِ

ومما يغنّى فيه من شعر بَكر بن خارجة : [من السريع]

صوت

قلبــي إلى مــا ضرَّني داعي يُكْثِــر أحــزاني وأوجــاعي
لقَلَّ مــا أبقــى على ما أرى يوشك أن ينعــانيَ النــاعي
كيفَ احتراسي من عدوِّي إذا كان عدوِّي بــين أضلاعــي
أسلمني الحــبُّ وأشياعــي لمّا سعى بــي عندها الساعي
لمّــا دَعــاني حبُّهــا دعــوةً قلــت لــه : لبَّيْكِ مــن داعِ

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثقيل أوّل ، وفيه لعبدِ الله بنِ العبّاس هَزَج ، جميعاً عن الهشاميّ ، وقيل : إن فيه لحناً لابن جامع .

وقد ذكر الصوليّ في أخبار العبّاس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعبّاس بن الأحنف ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح عن أبي هفّان أنّها لبكر بن خارجة .

صوت

وَيلي على ساكن شَطّ الصَّراهْ من وجنتيه شِمتُ برْقَ الحياه[1]
ما ينقضي من عجب فِكْرتي في خَصلة فــرّط فيهــا الوُلاه
تــركُ المحبِّــينَ بــلا حــاكمٍ لم يُقعــدوا للعاشقين القُضاهْ

الشعرُ لإسماعيل القراطيسيّ والغناءُ لعبّاس بنِ مَقام خفيف رَمَل بالوسطى .

1 الصّراة : يطلق على نهرين ببغداد .

[518] ـ أخبار إسماعيل القراطيسي

[كان مألفاً للشعراء]

هو إسماعيلُ بن مَعْمَر الكوفيّ ، مولى الأشاعثة ، وكان مَألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومُسلم وطبقتهم يقصدون منزلَه . ويجتمعون عنده ، ويقصِفون ، ويدعو لهم القيانَ وغيرَهن من الغلمان ، ويساعدُهم .

وإيّاه يعني أبو العتاهية بقوله : [من الهزج]

لقــد أمسَى القراطِيسي رئيساً في الكَشاخين[1]

[وجهه في المرآة]

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيسيّ : [من السريع]

وقــد أتــاني خبــرٌ ساءني مقالهــا في السرِّ واسَوْأتــاهْ
أمثــلَ هــذا يبتغـي وصلَنا أما يَرى ذا وجهَــه في المِراهْ

[وجه أبي العتاهية أيضاً]

أخبرني ابنُ عمَّار عن ابن مَهرُويه ، عن عليّ بنِ عمران ، قال : قال القَراطيسيّ : قلت للعبّاس [بن الأحنف] : هل قلتَ في معنى قولي :

وقــد أتــاني خبــرٌ ساءني مقالهــا في السرِّ : واسوأتاه

قال : نعمْ ، وأنشدَني : [من السريع]

جاريــة أعجبَهــا حسنُهــا فمثلُهـــا في النّـاس لم يُخْلَقِ
خبَّرتُهــا أنّي مُحِــبٌّ لهـا فأقبلــتْ تضحكُ من منطقي
والتفتــتْ نحــو فتــاةٍ لهـا كالرشأ الوَسنانِ في قُـرطُقِ[2]

---

1 الكشاخين : جمع كشخان وهو الديوث .

2 قرطق : القباء .

قالت لهـا : قُولي لهذا الفَتى انظرْ إلى وجهكَ ثـم اعشَقِ

[يهجو الفضل]

أخبرني الحسنُ بن مَهرُويه ، قال . حدَّثني أحمد بن بِشر المَرْثديّ ، قال : مدح إسماعيلُ القراطيسيّ الفضلَ بن الربيع ، فحرمَه فقال : [من الهزج]

ألا قــلْ للّذي لم يَهـد ه اللّهُ إلى نفـــعِ
لئن أخطأتُ في مدحيــ ـكَ ما أخطأتَ في منعي
لقد أُحلَلْتُ حاجاتــي بــوادٍ غيـر ذي زَرْعِ

[بيته منتدى العابثين]

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ صهر المبرِّد عن أبي هفَّان عن الجمّاز ، قال : اجتمع يوماً أبو نواس وحُسينُ الخليع وأبو العَتاهية في الحَمّام وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع ؟ فقال القراطيسيّ : [من الهزج]

ألا قومــوا بأجمعكم إلى بيـتِ القَراطيسي
لقـد هيَّـا لنا النَّزْلَ غـلامٌ فـارهٌ طُوسي
وقد هيّـا الزُّجاجاتِ لنا مـن أرضِ بِلْقيسِ
وألوانـاً مــن الطيْرِ وألوانـاً مـنَ العِيسِ
وقينـاتٍ مــن الحُورِ كأمثـالِ الطـواويسِ
فنيكوهُـــنَّ في ذاكم وفي طاعـــة إبليسِ

صوت

[من البسيط]

أبكي إذا غضبتْ حتى إذا رضيَتْ بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغَضَبِ
فالويلُ إن رضِيت والعوْلُ إن غَضِبَتْ إن لَم يتمَّ الرّضا فالقلب في تَعَبِ

الشعر لأبي العِبَر الهاشميّ ، أنشَدنيه الأخفش وغيرُه من أصحابنا ، وذكره له محمد بن داود بن الجرّاح ، والغناءُ لعُلَيَّة بنتِ المهديّ ثاني ثقيل بالوسطى عن الهِشاميّ .

[519] ـ أخبار أبي العبر ونسبه

[نسبه]

هو أَبو العبّاس محمد بنُ أَحمد ، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصَّمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعرَ المستوِي في أوّل عمره منذ أيّام الأَمين وهو غلام ، إلى أَن وليَ المتوكّل الخلافة ، فترك الجِدّ ، وعاد إلى الحُمق والشهرة به ، وقد نيَّف على الخمسين ، ورأَى أَنّ شعره مع توسّطه لا ينفقُ مع مشاهدته أَبا تمّام الطائيّ والبحتريّ وأَبا السمط بن أَبي حفصة ونظراءهم .

[شاعر هازل]

حدَّثني عمّ أَبي عبد العزيز بن أَحمد ، قال : سمعت حمدون الحامض يذكر أَن ابنه أَبا العِبَر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعُمِّر إلى خلافة المتوكّل ، وكسب بالحُمق أَضعافَ ما كسبه كلُّ شاعر كان في عصره بالجِدّ ، ونَفَقَ نَفاقاً عظيماً ، وكسب في أَيّام المتوكّل مالاً جليلاً ، وله فيه أَشعارٌ حميدة ، يمدحه بها ، ويصف قصرَه وبرجَ الحمام والبِرْكة كثيرة المحال ، مُفرِطة السقوط ، لا معنى لذكرها ، سيما وقد شهرت في النّاس .

فحدَّثني محمد بن أَبي الأَزهر ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار ، قال : قال لي عمِّي : ويحك ! أَلا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا قد شهَّر به نفسه وفضحَ عشيرته ! والله إنّه لَيَعُرُّ بني آدم جميعاً ، فضلاً عن أَهله والأَدنَيْن ! أَفلا يردَعُه ويمنعه من سوء اختياره !

فقلت : إنّه ليس بجاهل كما تعتقد ، وإنّما يتجاهل ، وإن له لأَدباً صالحاً وشعراً طيِّباً ، ثم أَنشدتُه : [من المديد]

لا أَقــول اللهُ يَظلِمنــي كيف أَشكو غيرَ مُتَّهمِ
وإذا ما الدَّهرُ ضَعْضعني لم تجِدْني كافــرَ النِّعمِ
قَنعتْ نفسي بما رُزِقَتْ وتناهَتْ في العلا هِمَمي

لَيس لي مالٌ سوى كرَمي وبــه أمْنــي مـن العَدَمِ

فقال لي : ويْحكَ ! فلم لا يلزَمُ هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله يا عمّ لو رأيتَ ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرتَه ، فإن ما استملحتَ له لم يَنفُق به ، فقال عمِّي ، وقد غضِب ، أنا لا أعذره في هذا ولو حازَ به الدُّنيا بأسرها ، لا عذرني اللهُ إن عذرتُه إذَن !

[الهزل ينفق]

وحدَّثني مُدرِك بن محمد الشيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو العَنْبَس الصّيمريّ ، قال : قلتُ لأبي العِبَر ونحن في دار المتوكّل : ويحك ! أيش يحملُك على هذا السُّخف الذي قد ملأتَ به الأرض خُطباً وشعراً وأنت أديب ظَريف مليحُ الشعر ؟ فقال لي : يا كشخانُ ، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت ؟ أنت أيضاً شاعر فَهِمٌ متكلِّم فلِمَ تركتَ العِلمَ ، وصنعت في الرّقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً ، أُحبُّ أن تخبرني لو نفق العقلُ أكنتَ تُقدِم على البُحتريّ ، وقد قال في الخليفة بالأمس : [من مجزوء الكامل]

عـن أي ثَغـرٍ تبْتسم وبأيّ طَـرف تَحْتكمْ

فلمّا خرجتَ أنتَ عليه وقلت : [من مجزوء الكامل]

في أيّ سَلْــح تَرتطِمْ وبــأيّ كـفـّ تلتطمْ
أدخلتَ رأسَكَ في الرَّحِم وعلمتَ أنّــك تَنْهزِمْ

فأُعطِيتَ الجائزة وحُرِم ، وقُرِّبتَ وأُبعد ، في حِرِ أُمّكَ وحِرِ أُمّ كلّ عاقل معك ! فتركتُه ، وانصرفْتُ .

[لا خير في الشعر الفاتر]

قال مدركُ : ثم قال لي أبو العَنْبَس : قد بلغني أنّك تقول الشعر ، فإن قدرتَ أن تقوله جيّداً ، جيّداً ؟ وإلاّ فليكن بارداً ، بارداً ، مثلَ شعر أبي العِبَر وإيّاك والفاتر فإنّه صفعٌ كلُّه .

[مذهبان متناقضان]

حدَّثني جعفر بن قُدامــة ، قـال : حدَّثنــي أبـو العينـاء ، قــال : أنشدتُ أبا العِبـر : [من مجزوء الكامل]

مـا الحـبُّ إلاّ قُبلَة أو غمزُ كفٍّ وعَضُدْ
أو كُتُبٌ فيهـا رُقىً أنفذُ مـن نَفْث العُقَدْ

مَن لم يكــن ذا حُبِّه ... فإنّمــا يبغِــي الولَدْ
ما الحــبُّ إلاّ هكذا ... إن نُكِح الحبُّ فسَدْ

فقال لي : كذب المأبونُ : وأكل من خَراي رِطلين ورُبعاً بالميزان ، فقد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلتُ : [من الهزج]

باضَ الحــبُّ في قلْبي ... فواويــلي إذا فَــرَّخْ
ومــا ينفعُني حُبِّــي ... إذا لم أكنس البرْبَخْ
وإن لم يطرحْ الأصلَ ... ـعُ خُرجيه عَلى المَطْبَخْ

ثم قال : كيف ترى ؟ قلتُ : عجباً من العَجب ، قال : ظننت أنّك تقول : لا ، فأبلُّ يدي وأرفعها . ثم سكت ، فبادرتُ ، وانصرفتُ خوفاً من شرِّه .

[يُملي على من معه]

حدَّثني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي ، قال : كان أبو العِبر يجلس بسُرَّ مَن رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجّان يكتبون عنه ، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلاّعة فيها ماء ، وحَمْأة ، وقد سُدَّ مَجراها ، وبين يديه قصبةٌ طويلة ، وعلى رأسه خُفٌّ ، وفي رجليه قَلَنْسِيّتان ، ومُستمليه في جوف بئر ، وحوله ثلاثةُ نفرٍ يدُقُّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلَبةُ ، ويقلّ السماع ، ويَصيح مُستمليه من جوف البئر من يكتب[1] ، عذَّبك الله ، ثم يملي عليهم ، فإن ضحك أحد ممّن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاَّعة إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مُروءة رشَّشَ عليه بالقصبةِ من مائها ، ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفضَّ المجلسُ ، ولا يخرج منه حتى يغرم دِرْهمين . قال : وكانت كنيتُه أبا العبّاس ، فصيرها أبا العِبر ، ثم كان يزيد فيها في كلّ سنة حرفاً ، حتى مات ، وهي أبو العِبر طرد طيل طليري بك بك بك .

[أبوه يحلف ألاّ يكلمه أبداً]

حدَّثني جحظةُ ، قال : رأيت أبا العبر بسُرّ مَن رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يكلِّمُه ، فقال له بعض إخوانه : لم هجرتَ ابنك ؟ قال : فضحني ، كما تعلمون ، بما يفعلُه بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك ، حتى يُهَجِّنَني ويُؤذيني ، ويُضحك الناسَ منّي ، فقالوا له : وأيّ

---

1 ل : نسيت .

شيء من ذاك ؟ وبماذا هجّنك ؟ قال : اجتاز عليّ منذ أيّام ومعه سُلَّم ، فقلت له : ولأيّ شيء هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك ، فأخجلني ، وأضحك بي كلّ مَن كان عندي ، فلمّا أن كان بعد أيّام اجتاز بي ومعه سَمَكة ، فقلت له : إيشٍ تعمل بهذه ؟ فقال : أنيكُها ، فحلفتُ لا أكلِّمه أبداً .

[مذهبه في الكتابة]

أخبرني عمّ أبي عبد العزيز ، قال : سمعتُ رجلاً سأل أبا العِبَر عن هذه المُحالات التي لا يُتكلّم بها : أيُّ شيء أصلها ؟ قال : أُبكِّر ، فأجلِسُ على الجسر ، ومعي دواة ودَرْج ، فأكتب كلَّ شيء أسمعُه من كلام الذاهب والجائي والملاَّحين والمُكارين ، حتى أملأ الدَّرج من الوجْهين ، ثم أقطعه عَرضاً وطولاً وأُلصقه مخالفاً ، فيجيء منه كلام ليس في الدُّنيا أحمقُ منه .

[مذهبه في الصيد]

أخبرني عمّي ، قال : رأيت أبا العِبَر واقفاً على بعض آجام سُرّ مَن رأى ، وبيده اليسرى قوس جُلاهق[1] ، وعلى يده اليمنى باشق ، وعلى رأسه قطعة رِئة في حبل مشدود بأنشوطَة ، وهو عُريان ، في أيرِه شعر مفتول مشدود فيه شِصّ قد ألقاه في الماء للسَّمك ، وعلى شفته دُوشاب[2] مُلطَّخ ، فقلت له : خَرِب بيتُك ، أيشٍ هذا العمل ؟ فقال : أصطادُ يا كَشخان يا أحمقُ بجميع جوارحي ، إذا مرَّ بي طائر رميته عن القوس ، وإن سقط قريباً منّي أرسلتُ إليه الباشَق ، والرئة التي على رأسي يجيء الحِدأ ليأخذها فيقع في الوَهَق[3] والدُّوشاب أصطاد به الذُّبابَ ، وأجعله في الشِّص ، فيطلبه السمك ، ويقع فيه ، والشصّ في أيري ، فإذا مرّتْ به السمكة أحسستُ بها ، فأخرجتُها .

[عبث]

قال : وكان المتوكّل يَرمي به في المنْجَنيق إلى الماء ، وعليه قميصُ حرير ، فإذا علا في الهواء صاح : الطريقَ الطريقَ ، ثم يقع في الماء ، فتخرجه السُّبَّاح ، قال : وكان المتوكّل يُجلسه على الزّلاّقة ، فينحدرُ فيها ، حتى يقع في البِركة ، ثم يطرح الشبكة ، فيُخرجه كما يُخرج السمك ،

1 الجلاهق : بندق يرمى به .

2 دوشاب : عصير عنب .

3 الوهق : حبل يرمى به في أنشوطة للدابة ، مفرد أوهاق .

ففي ذلك، يقول في بعض حماقاته : [من مجزوء الرجز]

ويأمـــر بـــي المَلِـــكْ فيطرحُنـــي في البِـرَكْ
ويصطـــادُني بالشّبـــكْ كأنّـــي مـــن السَّمـــكْ
ويضحك كك كك ككك ككك كك ككك كك ككك

[عيثه مع إسحاق]

وحدَّثني جعفر بن قدامة ، قال : قدم أبو العِبرَ بغداد في أيّام المستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاقُ بن إبراهيم ، فأخذه ، وحبسه ، فصاح في الحبْس ، لي نصيحة ، فأُخرِج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتَك ، قال : على أن تؤمِّنني ؟ قال : نَعَم ، قال : الكَشْكية ، أصلحك الله ، لا تَطيب إلاّ بالكشك ، فضحك إسحاق وقال : هو ، فيما أُرى ، مجنون ، قال : لا ، هو أمتخط حوت ، قال : أيش هو أُمتخط حوت ؟ ففهم ما قاله ، وتبسّم ثم قال : أظنُّ أنِّي فيك مأثوم ، قال : لا ، ولكنّك في ماء بَصل ، فقال : أُخرجوه عني إلى لعنة الله ، ولا يقيم ببغداد ، فأردَّه إلى الحبس ، فعاد إلى سُرَّ مَن رأى .

[من شعره في غلام]

وله أشعار مِلاح في الجِدّ ، منها ما أُنشدَنيه الأخفش له يخاطب غلاماً أمردَ : [من الخفيف]

أيّها الأمـــردُ المولّـع بالهجـ ـــر أفِق ما كذا سبيلُ الرشادِ
فكأنِّي بحُسن وجهكَ قـد أُلـ ـبس في عارضيْك ثوبَ حِدادِ
وكأنّي بعاشِقيك وقـــد بُدِّلْـ ـتَ فيهـم مـن خُلطة بِبِعادِ
حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقبـ ـضُ السّمعُ عن حديثٍ مُعادِ
فاغتنم قبـل أن تصيرَ إلى كا نَ وتُضحِي في جُملة الأضْدادِ

وأنشدني محمد بن داود بن الجرّاح له ، وفيه رَمَلٌ طُنبوريّ محدَث أظنُّه لجحظةَ .

[من غزله المستملح]

صوت

[من السريع]

داء دفـينٌ وهــوًى بادي أظْلِـم فَجازيـك بمِرصادِ
يـا واحــدَ الأُمّة في حُسنه أشمتَ بـي صدُّك حُسَّادي

قـد كدتُ مما نال منّي الهوى أخْفـى على أعـين عُوّادي
عبـدُكَ يُحْيي موتَـه قُبلةٌ تجعلهـا خاتمـةَ الـزّادِ

[الحماقة أنفق]

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهروَيْه ، قال : حدَّثني أحمد بن عليٍّ الأنباريّ : قال : كنّا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلّبيّ بسُرَّ مَن رأى ، فجرى ذكر أبي العِبر ، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطَه ، فقلت ليزيد : كيف كان عندَك ، فقد رأيته ؟ فقال : ما كان إلاّ أديباً فاضلاً ، ولكنّه رأى الحماقةَ أنفقَ وأنفعَ له ، فتحامق .

[يهجو قاضيين أعورين]

فقلت له : أُنشدُك أبياتاً له أُنشدَنيها ، فانظر لو أُراد دِعبِل ، فإنّه أهجى أهل زماننا ، أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيدَ على ما قال ، قال : أنشِدْنيها ، فأنشدته قوله : [من الوافر]

رأيتُ مـن العجائبِ قاضيَيْن همـا أُحدوثـةٌ في الخافِقَيْنِ
هما اقتسما العمى نصفين قَدّاً كما اقتسما قضـاءَ الجانِبَيْنِ
هما فألُ الزّمانِ بِهُلك يَحيى إذا افتُتِح القضـاءِ بأعورَيْنِ[1]
وتحسب منهما مـن هزَّ رأساً لينظـرَ في مواريـثٍ ودَيْنِ
كأنّك قـد جعلتَ عليه دَنّـاً فتحت بِزالَـه مـن فَردِ عَيْنِ[2]

فجعل يضحكُ من قوله ، ويعجب منه ، ثم كتب الأبيات .

[نصيحة]

أخبرني الحسنُ بن عليٌّ قال : حدَّثنا محمد بن مهروَيْه : قال : حدَّثني ابن أبي أحمد ، قال : قال لي أبو العِبر : إذا حدَّثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعَه فاشتغل عنه بنَتْف إبطك ، حتى يكون هو في عمل وأنتَ في عمل .

[بغضه لعلي قتله]

وقال محمد بن داود : حدَّثني أبو عبد الله الدوادي ، قال : كان أبو العِبر شديدَ البغضِ لعليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، وله في العلويين هجاءٌ قبيح ، وكان سببَ ميتته

1 الأعوران : حيان بن بشر وسوار بن عبد الله .
2 البِزال : موضع ثقب الدف .

أنّه خرج إلى الكوفة ليرميَ بالبُنْدق مع الرماة من أهلها في آجامهم ، فسمِعه بعض الكوفيين يقول في عليّ ، صلوات الله عليه ، قولاً قبيحاً استحلّ به دمَه ، فقتله في بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

صوت

[من الطويل]

لقــد طــال عهــدي بالإمام محمدٍ ... وما كنت أخشى أن يَطولَ به عهدي

فأصبحتُ ذا بُعْـــدٍ وداري قريبةٌ ... فواعجبا من قُرب داري ومن بُعدي

فيا ليــت أنّ العِيــدَ لي عــادَ مــرّةً ... فإنّي رأيت العِيــدَ وجهَك لي يُبْدِي

رأيتُــك في بُــرْدِ النبــيّ محمــد ... كبدر الدُّجــى بــين العِمامة والبُردِ

الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر ، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر .

[520] ـ أَخبار مروان بن أَبي حفصة الأَصغر

[كنيته]

هو مروان بن أَبي الجنوب بن مروان الأَكبر بن أَبي حفصة . قد تقدَّم خبره ونسبه ، ويكنى مروان الأَصغر أَبا السّمط ، وكان يتشبّه بجدّه في شِعره .

[كان يتقرّب إلى المتوكّل بهجاء آل أَبي طالب]

ويمدح المتوكّل ، ويتقرّبُ إليه بهجاء آل أَبي طالب ، فتمكَّن منه وقَرُب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً ، فلمّا أَفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهبَ أَبيه في كلّ أَمر ، فطرده وحلف أَلاّ يدخل إليه أَبداً لِما كان يسمعه منه في أَمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه .

فأَخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعَمّي قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العَبديّ قال : دخل مروان بن أَبي الجنوب على المتوكّل فأَنشده قوله : [من الطويل]

سلام على جُملٍ وهيهات من جُملِ ويا حَبَّذا جُملٌ وإن صرمت حَبْلي

وهي من مشهور شعره ، وفيها يقول :

أَبوكم علـيٌّ كان أَفضلَ منكـمُ أَباه ذوو الشورى وكانوا ذَوِي عَدْلِ
وساءَ رسولَ الله إذ ساءَ بنتَـه بخِطْبته بنـتَ اللعيـنِ أَبي جهلِ
أَراد عَلى بنـت النبـيّ تزوُّجـاً ببنت عدوّ الله ، يا لك من فِعْلِ
فذمّ رسولُ الله صِهـرَ أَبيكـمُ على منبرِ الإسلام بالمنطق الفَصلِ
وحكّم فيهـا حاكمَيْن أَبوكُـمُ هما خلعاه خلعَ ذي النَّعل للنَّعلِ
وقد باعها مـن بعده الحسنُ ابنُه فقد أَبطلا دعواكُما الرَّثَّـةَ الحبلِ
وخلَّيتُموها وهْـيَ في غير أَهلها وطالبتُمُوها حيث صارتْ إلى الأَهلِ

فوهب له المتوكّل مائة أَلف درهم .

وقال محمد بن داود بن الجَرَّاح : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبو هاشم الجُبَّائيُّ ، قال : دخل أبو السِّمط على المتوكّل فأنشده قوله : [من مجزوء الكامل]

الصّهرُ ليس بــوارثٍ والبنتُ لا ترِثُ الإمامَهْ
لــو كان حقّكــمُ لهمْ قامت على النّاس القيامَهْ
أصبحت بــين مُحبّكمْ والمبغِضين لكــم عَلامَهْ

فَحشا المتوكّل فمه بجوهر لا يُدْرى ما قيمته .

وحدَّثني أحمدُ بنُ جعفر جَحْظة قال : أنشد أبو السَّمط المتوكّل قوله : [من الكامل]

إنّــي نَزلــتُ بساحة المتوكّلِ ونزلتُ في أقصى دِيارِ المَوْصِلِ

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول ؟

[أبو العَنْبس ينقد شعره]

فقال أبو العَنْبس الصَّيْمريّ : كانت له طيورٌ هُدًّى[1] تحمل إليه كتبه ، فضحك المتوكّل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصَّيْمريّ ولم يعط أبا السّمط شيئاً ، فماتا متهاجرين .

[مدح المتوكّل وولاة عهده]

أخبرني عمّي والحسن بن علي قالا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا حمّاد بن أحمد البتيّ قال : أخبرني أبو السّمط مروان بن أبي الجنوب قال : لمّا صرتُ إلى المتوكّل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك في قولي : [من الطويل]

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ويا حبّذا نجدٌ على النَّــأي والبعدِ
نظرتُ إلى نجــدٍ وبغــدادُ دونها لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
بلادٌ بهــا قــوم هَواهُمْ زِيارتي ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلمّا استَتْممتُها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه .

[بين المتوكل وخالد بن يزيد الكاتب]

أخبرني عليّ بن أبي العبّاس بن أبي طلحة قال : حدَّثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال : حدَّثني خالد بن يزيد الكاتب قال : دعاني المتوكّل ليلة وقد غنّى بين يديه عمر الطنبوريّ في

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرب على السفر من مكان إلى مكان .

قولي : [من مجزوء الكامل]

يـا مقلتيّ قتلتماني فبقيتُ رحمةَ مَنْ يراني
مَـنْ ذا ألـوم وأنتما بِيَدِ الهـوى أسلمتُماني

قال : ولم يغنّه البيت الثالث ، وهو :

لعبت بنـا أيدي الخطو ب وغالنا رَيبُ الزمانِ

كراهةَ أن يَتطيَّر منه ، فجعل ينظر إليَّ وأنا واقف ، ثم قال لي : ويلك يا خالد ، تهرب منّا ونحنُ نطلبك ، وأنت في غياباتِ صبواتك وغَزلك . يا غلام اسقِه ثلاثة أقداح في القدح المُبْرم ، وهو الذي لا قرار له ، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه مِنْ يَدِه ، فقلت : [من مجزوء الرمل]

سيِّـدي لا تَسْقنـي أكثر مِـن رِطْـل نبيذِ
إنَّ شُرْبـي للَّـذي يؤلمنـي غير لذيـذِ

فقال : يا غلام ، إن لم يشرب فاصفعْه ، فقلت : [من مجزوء الرمل]

سيِّـدي حوصَلتي ضَيْـ ـيقَةٌ عـن شربِ رطلٍ
فمتـى زدتُ عليـه خفت أن يذهب عقلي

فقال الفتح : هو كما قال يا سيِّدي لا يُطيق الشرْب .

وحضر ابن أبي حفصة ، فقال لنا المتوكّل ، قولا على البديهة ، فقلت له : هو يا سيِّدي شيخ الشعراء ومادحُك ، وآباؤه مُدَّاح آبائك ، فأنشأ يقول : [من المجتث]

يا ليت [لي] ألفَ عينٍ عينـاي لا تكفِيـانِ

فقلت له : سَخُنت عينك ، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستِّين سنة ، أقول : [من مجزوء الكامل]

يـا عـين أنت بليتني فأراحني الرحمـن منكِ

وأنت تتمنّى ألفَ عين . ثم قال لي المتوكّل : اهجُه ، فقلت : إنّ الرجل لم يعرِض لي ، فأقبل هو عليَّ وقال : قُل ما شئتَ ، وما عسى أن تقول ؟ فقلت : [من الهزج]

زاد البَـردُ يومـين فقال الناس : ما القصَّهْ

فقلنـــا : أُنشدونـا شعــ ـر مروان بن أبي حفصَهْ
فتــى مـــن شهوة النَّيْكِ بحلقــوم استِـــه غصَّهْ
ولـــو يُرْمـــى بِبَطِّيـخٍ لوافـــى دُبْـــرَهُ رَصَّهْ

قال : فضحك المتوكّل حتى صفّق برجليه الأرض ، وأفحم مروان ، ثم أُمر لي بجائزة فأُخذْتُها وانصرفت .

[يستدعيه المتوكّل من اليمامة]

قال ابن أبي طاهر : حدَّثني مروان بن أبي الجنُوب قال : لمّا استُخْلِف المتوكّل بعثْتُ إلى ابن أبي دُواد بقصيدة مدحتُه فيها وذكرتُ فيها ابن الزيّات ببيتين وهما : [من الطويل]

وقيـــلَ لي : الزياتُ لاقى حِمامَه فقلــت : أُتاني الله بالفَتْح والنصْرِ
لقـــد حفر الزيّاتُ بالبغي حُفرة فألقاه فيهـــا الله بالكفر والغَدْرِ

قال : فذكرني ابن أبي دُواد للمتوكّل ، فأُمر بإحضاري ، فقيل له : نفاه الواثق إلى اليمامة ، وذلك لميله إليك . فقال : يُحْمل ، فقال له ابنُ أبي دُواد : عليه ستّة آلاف دينار دَيْن ، فقال : يكتب له بها إلى عامل اليمامة ، فكتب لي بها وبالحُملان والمعُونة ، فقدمت عليه وأنشدتُه قولي : [من الكامل]

صوت

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ والشيبُ حَـــلَّ وليتَه لم يَحْلُلِ

فلمّا بلغتُ إلى هذا البيت :

كانت خلافـــةُ جعفــر كنبوّةٍ جاءت بلا طَلَبٍ ولا بتمَحُّلِ
وهبَ الإلهُ لكَ الخلافة مثلَ ما وهـــب النبـــوّة للنبيِّ المُرسَلِ

فأُمر لي بخمسين ألف درهم .

وفي أوّل هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

والصوت المذكور في أوّل هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السّمط في المنتصر لمّا ولي الخلافة .

[يستأذن على المنتصر فلا يؤذن له]

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا ، منهم محمد بن جعفر النحويّ صِهْر المبرِّد ،

والحسن بن عليّ قالا : حدَّثنا محمد بن موسى قال : حدَّثني القاسم بن محمد الكاتب قال : حدَّثني المرزيان بن الفَروران حاجب المنتصر قال : إنّ مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السّمط استأذن على المنتصر لمّا ولي الخلافة ، فقال : والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية ، أليس هو القائل : [من الطويل]

وحكَّــم فيهــا حاكمين أبوكُمُ   هما خَلَعاه خلْع ذي النَّعْلِ للنَّعْلِ

قولوا له : والله لا وصلتَ إليَّ أبداً ، فلمّا بلغه هذا القول عَمِل هذا الشّعر : [من الطويل]

لقــد طــال عهدي بالإمام محمد   وما كنتُ أخْشى أن يطول به عَهْدي

وذكر الأبيات كلّها .

قال : وسأل بنانَ بن عمرو ، فصنع فيه لحناً وغنَّى به المنتصر ، فلمّا سمعه سأل عن قائلها ، فأخبرتُه ، فقال : أما الوصول إليَّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة .

[حرّضه المتوكّل على علي بن الجهم فأعنته وهجاه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني جعفر بن هارون بن زياد قال : حدَّثني أحمد بن الفضل الكاتب قال : لمّا قال عليّ بن الجهم هذه القصيدة في المتوكّل : [من الخفيف]

اغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمــان الجديدِ   واجعل المهرجــان أيمنَ عِيدِ

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر ، فغمزه المتوكّل على عَليٍّ بن الجَهْم وأمَرَه أن يُعْنِتَه . فقال له : يا عليّ ، أخبرني عن قولك :

واجعل المهرجــان أيمن عيد

المهرجان عيد أمْ يومُ لهو ، إنّما العيد ما تَعَبَّد اللهُ به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيّام التشريق . فأمّا المهرجان والنيروز فإنّما هما أعياد المجوس ، لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته : اجعل المهرجان عيداً .

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله : [من الخفيف]

نحن أشياعكمْ من آل خراسا   ن أُولو قُــوّة وبـأسٍ شديدِ

نحن أبناء هـذه الخِرَق السُّو دِ وأهـل التَّشَيُّـع المَحْمُودِ

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التَّشيّع المحمود ما قَتَل قحطبةُ جدَّك وصَلَبه في عداوة بني العبّاس . فقال له المتوكّل : ويلك ، أقتل قحطبةُ جدَّك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال له : بحياتي الأمرُ كما قال مروان ؟ فقال له محمد : وإن كان كما قال ، فأيُّ ذنب لعليٍّ بن الجهم ؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكّل وقال : شهدتَ والله بها عليه ، فقال مروان في ذلك : [من الرمل]

غَضِب ابنُ الجَهْم من قولي له إنّ في الحـقّ لِقَـوْمٍ مَغْضَبَهْ
يا ابنَ جهمٍ كيف تهوى مَعْشراً صلبوا جَدّك فـوق الخشبَهْ
يا إمـام العدل نصحي لكمُ نُصحُ حَـقّ غير نُصح الكَذَبَهْ
إن جدِّي مـن رفعتم ذِكْرَه بكرامـاتٍ لشكري مُوجِبَهْ
وابنُ جهـم مَـن قتلتم جَدَّه وتولّـى ذاك منـه قَحْطَبَهْ
فخراسانُ رأَتْ شِيعَتُكُـمْ أنّـه أهـلٌ لضرب الرّقَبَهْ
أتُراه بعدهـا ينصحكـمْ لا وربٌ الكعبـةِ المحتجبَهْ

[هجا علي بن الجهم فلم يجبه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال : حدَّثني جعفر بن هارون قال : حدَّثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال : بلغ المتوكّلَ أنّ عليّ بن الجهم خطب امرأةً من قريش فلم يزوِّجوه ، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصّته ، وعن نسب سامَةَ بن لؤي ، فحُدِّث بها ، ثم انتهى حديثُهم بأنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش ، وأنّ عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه ، وأنّ عليّاً رضي الله عنه أخرجهم منه ، فارتدُّوا مع الحارث ، وأنّه قتل مَن ارتدَّ منهم ، وسبى بقيتهم ، وباعهم من مَصْقلة بن هبيرة ، فضحك المتوكّل ، وبعث إلى عليّ بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال . هذه الدعوى من الرافضة ، وشتم القوم . وكان منهم أبو السَّمط فقال له : [من المديد]

إنَّ جَهْماً حـين تنسبه ليس من عُجْمٍ ولا عَرَبِ
لجَّ في شتمي بلا سَبَبٍ سارقٌ للشِّعر والنَّسبِ

مــن أنــاسٍ يدَّعون أبا ماله في الأرض من عقبِ

فغضب عليّ بن الجهم ولم يجبه ؛ لأنّه كان يحتقره ويَسْترِكُه[1] ، وأومأ إليه المتوكّل أن يزيده فقال : [من الوافر]

أأنتم من قريش يا ابن جَهْم وقــد باعوكُمُ في مَنْ يزيدُ
أترجو أن تكاثرنــا جِهاراً بنسبتكم وقد بِيع الجدودُ

قال : وما زال مروان يهجو عليّ بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه .

[مدح ابن أبي دواد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا إسحاقُ بن محمد النخعيّ قال : حدَّثني الجمَّاز أبو عبد الله قال : دخل مروان الأصغَر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتَماثَل قليلاً ، فأنشده : [من البسيط]

لسانُ أحمــدَ سيفٌ مَسَّه طَبَـعٌ مــن عِلَّــةٍ فجلاه عنــه جاليها[2]
ما ضرَّ أحمدَ باقــي عِلَّةٍ دَرَسَتْ واللهُ يُذْهِــبُ عنــه رسْم باقيها
قد كان موسى على عِلاّت منطقه رسائــلُ الله إذ جــاءت يُؤَدِّيها
موسى بن عمران لم يَنْقص نبوَّتــه ضعفُ اللسانِ وقِدْماً كان يُمضِيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه .

[رثى ذا اليمينين]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني مُتوِّج قال : قال أبو السمط : دخلت على عبد الله بن طاهر فقال : إنِّي تذكّرت في ليلتي هذه ذا اليمينين ، فبتّ أرقاً حزيناً باكِياً ، فارْثِهِ في مقامِك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء عِلَّتي ولك حُكمُك ، فَفكّرت هنيهة ثم قلت : [من الكامل]

إنّ المكارم إذ تولَّــى طاهرٌ قطَع الزمانُ يمينَهـا وشِمالَها
لو كافحتْه يــدُ المنون مُجاهراً لاقــت لوقع سيوفـه آجالَها

1 يستركه : يستضعفه .

2 الطّبع : الدنس وغيره وللسيف الصدأ .

أَرْسى عِمادَ خليفةٍ في هاشم ورمى عمادَ خلافةٍ فأزالها
بكت الأعِنّةُ والأَسِنَّة طاهراً ولطالما روّى النَّجيعُ نِهالَها
ليتَ المنون تجانبت عن طاهرٍ ولوت بذِرْوَة مَن تشاءُ حِبالها
ما كنت لو سَلِمَتْ يمينا طاهرٍ أَدري ولا أَسلُ الحوادث مالها

فقال : أَحسنت والله فاحتكِم ، فقلت له : خمسون ألف درهم أقضي منها ديناً ، وأَصلح حالي ، وأَبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي . فأَمر لي بها وقال : ربحنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا عَدٌّ وعَدٌّ بعد عَدٍّ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لا تلمْنيَ أَن أَجْزعا سَيِّدي قد تمنَّعا
وا بلائي إن كانَ ما بيننا قد تَقَطَّعا
إنَّ مُوسى بِفَضْله جمَّع الفضْلَ أَجمَعا

الشعر ليوسف بن الصَّيْقل والغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بالبِنْصَر .

[521] ـ أخبار يوسف بن الحجّاج ونسبه

[نسبه]

هو يوسفُ بن الحجَّاج الصَّيقل ، يقال : إنّه من ثَقيف ، ويقال : إنّه مولًى لهم ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح أنّه كان يلقب لَقوة[1] وأنّه كان يصحَب أبا نواس ، ويأخذ عنه ، ويروي له ، وأبوه الحجَّاج بن يوسف محدث ثقة ، وروى عنه جماعة من شيوخِنا ، منهم ابن منيع ، والحسن بن الطيب الشجاع ، وابن عفير الأنصاريّ ، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً ، ومولده ومنشؤه بالكوفة .

[قصة هذا الصوت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ ، عن ابن شَبَّة ، قال : قال أحمدُ بنُ صالح الهِشاميّ : قال لنا يوسف بنُ الصَّيقل يوماً ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : صنع اللهُ لكم ، ثم أقبل على إبراهيم الموصليّ ، فقال له : كنّا نهزِل ، فنأخذ الرغائبَ ، وهؤلاء المساكينُ الآن يَجدُّون ، فلا يُعطونَ شيئاً ، ثم قال لإبراهيم : أتذكر ونحن بجُرجان مع موسى الهادي ، وقد شرب على مستشرف عالٍ جدّاً وأنت تُغنّيه هذا الصوت : [من مجزوء الخفيف]

واستدارت رحالُهم بالرُّدَينيِّ شُرَّعا

فقال : هذا لحن مليح ، ولكنّي أُريد له شعراً غير هذا ، فإن هذا شعر بارد ، والتفت إليّ فقال : اصنع في هذا الوزن شعراً ، فقلتُ : [من مجزوء الخفيف]

لا تلمنيَ أن أجزعا سيِّدي قد تمنّعا

فغنَّيتُه فيه بذلك اللحن ، ومرَّت به إبل يُنقَل عليها ، فقال أوقِروها لهما مالا ، فأُوقِرَتْ مالاً وحُمِلِ إلينا ، فاقتسمناه ، فقال إبراهيم : نعم ، وأصاب كلَّ واحد منّا ستّينَ ألفَ درهم .

---

1 اللقوة : داء يعوج منه الوجه . ومن معانيها لعُقاب أيضاً .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه

صوت

[من مجزوء الخفيف]

فـارسٌ يضرِب الكتـ ـيبةَ حتّـى تصـدَّعا
في الوغى حينَ لا يَرى صاحبُ القوسِ مَنزعا
واستـدارتْ رحالُهـمْ بالرُّدَينـيِّ شُرَّعـا
ثـم ثـارتْ عَجاجَةٌ تحتَهـا المـوتُ مُنْقَعـا

في هذه الأَبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيج وإلى سِياط ، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر .

[الهادي أم الرشيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، عن محمد بن عبد الله العَبْديّ ، فذكر مثل هذه القصّة إلاّ أنّه حكى أنّها كانت بالرقّة ، لا بجُرجان ، وأَنّ الرشيد كان صاحبَها لا موسى .

[يفاجىء الرشيد بمدحه فيجيزه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ العَنَزيّ ، عن محمد بن يونس الربيعيّ ، قال : حدَّثني أَبو سعيد الجنديسابوريّ ، قال : لمّا ورد الرشيد الرَّقَّة خرج يوسُفُ بن الصيْقل ، وكمن له في نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خدم صغارٌ يسمِّيهم النّمل يتقدّمونه ، بأيديهم قِسيُّ البندُق ، يرمون بها مَن يعارضه في طريقه ، فلم يتحرّك يوسف ، حتى وافته قُبَّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأَقبل الخدمُ الصغارُ يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كُفُّوا عنه ، فكفُّوا ، وصاح به يوسف يقول : [من الهزج]

صوت

أَغيثـاً تحمـلُ النـا قـةُ أم تحملُ هرونا
أَم الشمسُ أَم البدرُ أَم الدُّنيـا أَم الدِّينا
أَلا كلَّ الـذي عـدّدْ تُ قد أَصبح مَقرونا

على مَفــرِقِ هارون فَــداه الآدمِيُّــونا

فمدَّ الرشيدُ يدَه إليه ، وقال له : مرحباً بك يا يوسفُ ، كيف كنتَ بعدي ؟ ادْنُ منّي ، فدَنا ، وأمر له بفرسٍ ، فركِبه ، وسار إلى جانب قبّته يُنشده ، ويحدّثه ، والرشيد يضحَك ، وكان طيِّبَ الحديث ، ثم أمر له بمال ، وأمر بأن يُغَنَّى في الأبيات : الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ :

[نواسيّ المذهب]

وقال محمد بن دواد : كان يوسف فاسقاً مُجاهِراً باللّواطِ ، وله فيه أشعار ، فمنها قوله : [من مجزوء الكامل]

لا تَبخلَــنَّ عــلى النديــ ـــم برِدْف ذي كَشْحٍ هَضِيمِ
تعلُـــو وينظُـــر حَسْرةً نَظَـرَ الحمـارِ إلى القَضِيمِ[1]
وإذا فرغْــتَ فــلا تقــم حتـى تُصَــوِّتَ بــالنَّديمِ
فــإذا أَجـابَ فقـلْ هلُــ ـــمَّ إلى شهـادةِ ذي الغريمِ
واتبـــعْ للذّتـــك الهــوى ودعِ الملامــــةَ للمُلِيــمِ

قال : وهذا الشعر يقولُه لصديق له رآه قد علا غلاماً له ، فخاطبه به .

ومن مشهور قوله في هذا المعنى :

لا تَنيكَنَّ ما حييتَ غُلامــاً مكابَــرَهْ
لا تمــرَّنَّ باستــه دُون دَفْــعِ المؤامرَهْ
إنّ هذا اللّواطَ دِينٌ تـــــراه الأَساورَهْ[2]
وهــمُ فيــه منصِفو ن بحُسنِ المعـاشرَهْ

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات : [من الرمل]

ضع كذا صدرَك لي يا سيِّدي واتَّخذْ عنــدي إلى الحشر يَدا

---

1 القضيم : شعير الدابة .

2 الأساورة : جمع إسوار وأُسوار من الفرس وهو الفارس المقاتل أو القائد أو جيّد الرمي بالسهام .

إنَّما رِدفُك سرْجٌ مُذهَبٌ كُشِفَ البِزْيونُ عنه فبدا[1]
فأعِرنيه ولا تبخلْ به ليس يُبليه رُكوبي أبدا
بل يصفّيه ويَجلوه ولا أثرٌ تراه فيه أبدا
فادْنُ يا حِبُّ وطِبْ نفساً به إنّ ذاك الدَّينَ تُقضاه غدا

[لا يحبّ القيان]

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدَّثني عُمر بن شبَّة عن أحمد بن صالح الهاشميّ، قال: هجا يوسف بن الصيقل القِيان، فقال: [من مجزوء الكامل]

احذر فديتُك ما حييـ ـتَ حبائلَ المَتَشاكلاتِ
فلهُنَّ يُفلِسْن الفتى وكفى بهنَّ مُفْلساتِ
وبل امرئٍ غِرٌّ تَجيـ ـه رقاعُهنَّ مُختَّماتِ
ورقاعُهُنَّ إليهمُ بُرقى القِحابِ مُسَطَّراتِ
وعلى القيادة رُسْلُهـ ـنَّ إذا بُعِثْن مدرَّباتِ
يهدمْنَ أكياسَ الغنيّ من المؤنةِ والهِباتِ
حفرَ العلوجُ سَواقياً للماء في الأرضِ المَواتِ
فيصيرُ من إفلاسه ومن الندامةِ في سُباتِ

قال: وشاعت هذه الأبيات وتَهاداها الناس، وصارت عَبَثاً بالقِيان لكلِّ أحد، فكانت المغنِّية إذا عثَرتْ قالت: تَعِس يوسُف!

[الموالي يتعصبون له]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ، قال: أخبرني عيسى بنُ الحسن الآدميّ: قال: حدَّثني أحمدُ بنُ أبي فَنَن، قال: أحضر الرشيدُ عشرَة آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرَّقَها، حتى بقيت منها ثلاثةُ آلاف دينار، فقال: ائتوني شاعراً أهَبُها له، فوجدوا منصوراً النَّمَريّ ببابه، فأُدخِل إليه، فأنشدَه، وكان قبيح الإنشاد، فقال له الرشيد: أعانك الله على نفسك، انصرفْ، فقال: يا أمير المؤمنين، قد دخلت إليك دَخلَتين، لم تُعطني فيهما شيئاً، وهذه الثالثةُ، ووالله لئن حرمتني لا رفعتُ رأسي بين الشعراء أبداً. فضحك

1 البزيون: السندس من الديباج.

الرشيد ، وقال : خذْها ، فأخذها ، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضُهم بعضاً ، فقال : كأنّي قد عرفتُ ما أردتم إنّما أردتم : أن تكونَ هذه الدنانير ليوسف بن الصَّيْقل ، وكان يوسُفُ منقطعاً إلى الموالي ينادِمُهم ، ويمدَحهم ، فكانوا يتعصّبون له ، فقالوا : إي واللهِ يا أمير المؤمنينَ ، فقال : هاتوا ثلاثة آلاف دينار ، فأُحضِرَتْ ، فأقبل على يُوسُف ، فقال : هاتِ ، أنشِدْنا ، فأنشدَه يُوسُف : [من الطويل]

تصدَّتْ له يوم الرُّصافَة زينبُ

فقال له : كأنَّكَ امتدحْتنا فيها ، فقال : أجلْ ، واللهِ يا أمير المؤمنين فقال : أنتَ ممّن يوثَقُ بنِيَّته ، ولا تُتَّهم مُوالاتُه ، هاتِ من مُلحك ، ودع المديح ، فأنشدَه أفولَه : [من المجتث]

صوت

العفوُ يا غَضبانُ ... ما هكذا الخِلاّنُ
هَبْني ابتُليتُ بذَنبٍ ... أما لَه غُفْرانُ
وإن تعاظَمَ ذَنْبٌ ... ففوقَه الهِجرانُ
كم قد تقرَّبْتُ جَهدي ... لو ينفَع القُرْبانُ
يا ربّ أنتَ على ما ... قد حَلَّ بي المستَعانُ
ويْلي ألستَ تَراني ... أهْذي بها يا فلانُ

فقال الرشيدُ : ومَن فُلان هذا ويلك ؟ فقال له الفضل بن الربيع : هو أبانُ مولاك يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : وَلِمَ لَمْ تُنْشِدني كما قلتَ يا نَبَطيّ ؟ فقال : لأنّي غَضبان عليه . قال : وما أغضبك ؟ قال : مدّت دِجلة ، فهدمتْ داري وداره ، فبنى داره ، وعلاَّها ، حتى سترت الهواءَ عنّي ، قال : لا جرمَ ، ليعطينَّك الماصُّ بظرَ أُمِّه عشرةَ آلاف درهم ، حتى تبني بناءً يعلو على بنائه ، فتستُر أنتَ الهواءَ عنه ، ثم قال له : خُذ في شعرك ، فأنشده نحواً من هذا الشعر ، فقال للفضل بن الربيع : يا عبّاسيّ ، ليس هذا بشعر ما هو إلاّ لَعِب ، أعطوه ثلاثةَ آلافِ درهم مكان الثلاثة الآلافِ الدينار ، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن ، فقالوا له : أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أوّلاً ، فقال : أستأمرُه ، ثم أفعل ، فقالوا له : أعطِه إيّاها بضماننا ، فإن أُمضيَتْ له وإلاّ كانت في أموالنا ، فدفعها إليه بضمانهم ، فأمضيتْ له ، فكان يوسف يقول بعد ذلك : كنّا نلعب ، فنأخذُ مثل هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ، فلا تأخذونَ شيئاً !

صوت

[من الكامل]

هبَّــتْ قُبيــل تبلُّــجِ الفجـرِ هنــدٌ تقــولُ ودمعُهــا يَجري
أنَّى اعتراك وكنت في عهديَ لا سَرِبَ الدّمـوع وكنتَ ذا صَبْرِ

الشعرُ لرجل من الشُّراة يقال لَه : عَمرو بن الحصين مولَى بني تميم ، يقولُه في عبد الله بن يحيى الذي تسمّيه الخوارجُ طالبَ الحقّ ، ومن قُتِلَ من أصحابه معه يَرثيهم . والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

[522] ـ خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

[كان مجتهداً عابداً]

أخبرني بذلك الحسنُ بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن محمد بن أبي محمد الخزامي ، وخلاّد بن يزيد ، وعبد الله بن مصعب ، وعمرو بن هِشام ، وعبد الله بن محمد الثّقفيّ ، ويَعقوب بن داود الثقفيّ ، وحُريم بن أبي يحيى : أنّ عبد الله بن يحيى الكِنْديّ أحد بني عمرو بن معاوية كان من حَضْرَمَوْت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان يقولُ قبل أن يخرجَ : لقيني رجل ، فأطال النظرَ إليّ ، وقال : ممّن أنت ؟ فقلت : من كِندة ، فقال : من أيِّهم ؟ فقلت : من بني شيطان ، قال : والله لتملكَنَّ ، ولتبلُغنَّ خيلُك وادي القُرى[1] ، وذلك بعد أن تذهَب إحدى عينيكَ .

[إلى حضرموت]

فذهبتُ أتَخوّفُ ما قال ، وأستخيرُ الله ، فرأى باليمن جَوْراً ظاهراً ، وعَسْفاً شديداً ، وسيرةً في النّاس قَبيحه ، فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المقامُ على ما نرى ، ولا يسعُنا الصبرُ عليه ، وكتب إلى عُبيدة بن مُسلم بن أبي كَريمة الذي يقالُ له : كُودين مولى بَني تميم ، وكان ينزل في الأزْدِ ، وإلى غيره من الإباضيّة بالبصرة يُشاورُهم في الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألا تقيمَ يوماً واحداً فافعلْ ، فإن المبادرةَ بالعملِ الصالح أفضلُ ، ولستَ تدري متى يأتي عليكَ أجلُك ؟ ولله خيرَةٌ من عباده يبعثُهم إذا شاء لنُصرة دينه ، ويخُصُّ بالشهادة منهم مَن يَشاء . وشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عَوف الأزديّ أحدُ بني سلمة ، وبلْجُ بن عُقبة السّقُوريّ في رجالٍ من الإباضية ، فقدِموا عليه حَضْرَمَوت ، فحثُّوه على الخروج ، وأتوْه بكتُب أصحابه : إذا خرجتم فلا تَغُلُّوا ، ولا تغدِروا ، واقتدُوا

1 وادي القرى : بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

بسلفكم الصالحين ، وسيرُوا سِيرَتَهم ، فقد علمتم أنّ الذي أخرجَهم على السلطان العيثُ لأعمالهم .

فدَعا أصحابه ، فبايعوه ، فقصدوا دار الإمارة ، وعلى حَضْرَمَوت إبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِنديّ ، فأخذوه ، فحَبسوه يوماً ، ثم أطلقوه ، فأتى صَنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحَضرَمَوت ، وكثُرَ جمعه ، وسمّوْه «طالب الحقّ» .

[ثم إلى صنعاء]

فكتب إلى مَن كان من أصحابه بصنعاء : إنّي قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حَضْرَمَوت عبدَ الله بن سعيد الحَضرميّ ، وتوجّه إلى صَنعاء سنة تسعٍ وعشرين ومائة في ألفين ، وبلغ القاسمَ بنَ عمر أخا يوسفَ بن عمر ، وهو عامل مَرْوان بنِ محمد على صَنعاء ، مسيرُ عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك بن زَمْل ، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعُدّة وجمعٍ كثير ، فعسكر على مسيرة يوم من أبيْن[1] وخلّف فيها الأثقالَ ، وتقدّمت المقاتِلة ، فلَقِيَهُ عبد الله بن يحيى بلَحْج ، قرية من أبيْن ، قريباً من الليل ، فقال الناسُ للقاسم : أيّها الأمير ، لا تقاتل الخوارج ليلاً ، فأبى ، وقاتلَهم ، فقَتَلوا من أصحابه بشراً كثيراً ، وانهزموا ليلاً ، فمرّ بعسكره ، فأمرهم بالرحيل ، ومضى إلى صنعاء ، فأقام يوماً ، ثم خرج فعسكر قريباً من صَنعاء ، وخندقَ وخلّف بصنعاء الضحاك بن زَمْل ، فأقبل عبد الله بن يحيى ، فنزلَ جُوَين[2] على ميلين من عسكر القاسم ، فوجّه القاسمُ يزيدَ بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن ، فكانت بينَهم مناوشةٌ ثم تحاجزوا ، فرجع يزيدُ إلى القاسم ، فاستأذنه في بياتِهم ، فأبى أن يأذنَ له ، فقال يزيد : والله لئن لم تُبَيِّتْهم ليَغمنَّك ، فأبى أن يأذَن له ، وأقاموا يومين لا يلتَقُون ، فلمّا كان في الليلة الثالثة أقبل عبدُ الله بن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناسُ على الخندق ، فغلبتهم الخوارج عليه ، ودخلوا عسكرَهم ، والقاسمُ يُصلّي ، فركب ، وقاتَلَهم الصَّلْتُ بنُ يوسف ، فقُتِل في المعركة ، وقام بأمْرِ الناس يزيدُ بنُ الفيض ، فقاتلهم ، حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم أهلُ صنعاء فأراد أبرَهَةُ بن الصبّاح اتّباعهم ،

1 أبين : مخلاف باليمن .

2 جوين : كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور ، تسميها أهل خراسان كُويان فعربت فقيل جوين .

فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى ، واتَّبع يزيدُ بن الفيض القاسمَ بن عمر ، فأخبره الخبر فقال للقاسم[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري هل أذودَنَّ بالقَنا ... وبالهُنْدوانيّاتِ قَبْل مماتي

وهل أُصبِحنّ الحارثَين كِلَيهما ... بطعنٍ وضربٍ يَقطعُ اللهَواتِ

قال : ودخل عبد الله بن يحيى صنعاءَ ، فأخذ الضَّحاكَ بن زَمْل وإبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة ، فحبسَهما ، وجمع الخزائنَ والأموال ، فأحرزها ، ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم ، فأرسلَهما ، وقال لهما : حبستُكما خوفاً عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شئتُما أو اشخصا ، فخرجا .

[خطبته بعد فتح اليمن]

فلمّا استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناسَ ، فحمد الله جلّ وعزّ وأثنى عليه وصلّى على نبيّه ﷺ ، ووعظ ، وذكّر ، وحذّر ، ثم قال : إنّا ندعوكُم إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه وإجابة مَن دعا إليهما : الإسلامُ ديننا ، ومحمدُ نبيُّنا ، والكعبةُ قِبْلتُنا ، والقرآنُ إمامُنا ، رضينا بالحلالِ حلالاً لا ينبغي به بديلاً ، ولا نشتري به ثمناً قليلاً ، وحرَّمنا الحرامَ ، ونبذناه وراء ظهورِنا ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، وإلى الله المُشْتكى ، وعليه المُعَوَّل . من زَنى فهو كافر ، ومن سَرق فهو كافر ، ومن شَرِب الخمر فهو كافر ، ومن شكّ في أنّه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائضَ بيّنات ، وآياتٍ مُحْكَمات ، وآثارٍ مُقتدًى بها ، ونشهد أنّ الله صادق فيما وعد ؛ عَدْلٌ فيما حكم وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقينِ بالوعيد والوعدِ ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولايةِ لأهل وِلاية الله ، والعَداوةِ لأعداء الله . أيّها الناس إنَّ مِن رحمة الله أن جعل في كلّ فَترة بقايا من أهل العِلم يَدْعون من ضلّ إلى الهدي ، ويَصبُرون على الألَم في جَنْب الله تعالى ، يُقتَلون على الحقّ في سالفِ الدّهور شُهداء ، فما نَسِيَهم ربُّهم ، وما كان ربُّك نَسيًّا . أوصيكم بتقوى الله ، وحسنِ القيام على ما وكّلكم اللهُ بالقيام به ، فأبلوا للهِ بلاءً حسناً في أمره وزجره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

1 ورد البيتان في معجم الشعراء على النحو الآتي :

ألا ليت شعري هل أدوسن بالقنا ... تبالة أو نجران قبل مماتي

وهل أصبحن الحارثَين كليهما ... بسم زعاف يقطع اللهوات

[يوجه أتباعه إلى مكّة]

قالوا : وأقام عبدُ الله بنُ يحيى بصنعاء أشهراً ، يُحسنُ السِّيرة فيهم ويُلينُ جانبَه لهم ويكفُّ عن النّاس ، فكثر جمعه ، وأتته الشّراة من كلّ جانب ، فلمّا كان وقتُ الحجّ وجّه أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلْج بن عُقبة ، وأبرَهة بن الصَّبّاح إلى مكّة في تسعمائة ، وقيل : بل في ألف ومائة ، وأمره أن يقيمَ بمكّة إذا صدَر الناسُ ، ويُوَجِّه بلْجا إلى الشام ، وأقبل المختار إلى مكّة ، فقدِمها يومَ التّرْوية ، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمُّه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم .

[هدنة بين المختار وعبد الواحد]

وحدَّثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة محمدُ بنُ جرير الطّبريّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن عيسى العَقيلي ، قال : حدَّثنا هارون بن موسى العواري ، قال : حدَّثنا موسى بن كثير مولى الساعدِيِّين ، قال : كان أوّل أمر أبي حمزة ، وهو المختار بن عوف الأزديّ ثم السُّلميّ من أهلِ البصرة أنّه كان يوافي في كلّ سنة يدعو إلى خلافةِ مَرْوان بن محمد وآل مروان ، فلم يزل يختلفُ كلَّ سنة حتى وافى عبدُ الله بنُ يحيى في آخر سنة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، إنّي أسمع كلاماً حسناً ، وأراكَ تدعو إلى حق ، فانطلقْ معي ، فإنّي رجلٌ مطاعٌ في قومي ، فخرج به ، حتى ورد حَضْرَمَوْت ، فبايعه أبو حمزة على الخِلافة ، قال : وقد كان مرَّ أبو حمزة بمعدِن بني سُليم ، وكثير بن عبد الله عامل على المَعْدِن ، فسمع بعضَ كلامه ، فأمَر به فجُلدَ أربعين سوطاً ، فلمّا ظهر أبو حمزة بمكّة تغيَّب كثيرٌ حتى كان من أمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعِه ، قال : فلمّا كان في العام المقبل تمامَ سنةَ تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفةَ إلاّ وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ خُرَّميّة في رؤوس الرّماح ، وهم سبعمائة ، هكذا قال : هذا وذكر المدائنيّ أنّهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة ، ففزع الناسُ منهم حين رأوْهم ، وقالوا لهم : ما لكم ؟ وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرِّي منهم .

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان ، وهو يومئذٍ على المدينة ومكّة والموسم ، ودعاهُم إلى الهدْنة ، فقالوا : نحن بحجّنا أضَنَّ وعليه أشحُّ ، فصالحهم على أنّهم جميعاً آمنون بعضُهم من بعْض ، حتى ينفِر الناس النَّفْر الأخير ، وأصبحوا من غدٍ ، فوقفوا على حِدَةٍ بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالنّاس ، فلمّا كانوا بمنًى قالوا لعبد الواحد : إنّك قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملتَ عليهم

الحاجَّ ما كانوا إلاّ أُكلَةَ رأس[1] ، فنزل أبو حمزة بقرن الثّعالب من مِنًى ، ونزل عبد الواحد منزِلَ السلطان ، فَبعثَ عبدُ الواحد إلى أبي حمزة عبدَ الله بنَ حسن بن حسن بن عليّ ، عليهم السلام ، ومحمدَ بنَ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبدَ الرحمن بنَ القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بنَ عمرو بن حفص العمريّ ، وربيعةَ بنَ عبد الرحمن ، في رجال من أمثالهم ، فلمّا دَنَوْا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة ، فأخذوهم ، فدُخِلَ بهم على أبي حمزة ، فوجدوه جالساً ، وعليه إزار قطَواني[2] ، قد ربطه الحَوَرة في قَفاه ، فلمّا دَنَوْا تقدّم إليه عبدُ الله بنُ حسن ومحمدُ بن عبد الله بن عمرو ، فنَسَبهما ، فلمّا انتسبا له عبَسَ في وَجْهَيْهما وبَسَر ، وأظهر الكراهة لهما .

ثم تقدّم إليه بعدهما البكْريّ والعمريّ فنَسبَهما ، فلمّا انتسبا له هشّ إليهما ، وتبسّم في وُجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلاّ لنَسيرَ بسيرة أبويكما ، فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن : والله ما جئناك لتفاضلَ بين آبائنا ، ولكن بعثَنا إليك الأميرُ برسالة ، وهذا ربيعةُ يخبركَها ، فلمّا ذكر ربيعةُ نَقْضَ العهد ، قال بلج وإبراهيم ، وكانا قائدين له : الساعةَ الساعةَ ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، وقال : معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيسَ به ، والله لا أفعل ولو قُطِعتْ رقبتي هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنةُ بيننا وبينكم . فلمّا أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد .

[المختار يدخل مكّة]

فلمّا كان النَّفْرُ الأوّل نَفَر عبد الواحد ، وخلّى مكّةَ لأبي حمزة ، فدخلها بغير قِتال . قال هارونُ : وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثيّ أبياتاً هُجِيَ بها عبد الواحد لشاعر لم نحفِلْ به : [من الكامل]

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا ... دِينَ الإلـه ففرّ عبدُ الواحدِ
تـرك الإمارةَ والحلائلَ هارباً ... ومضى يُخَبِّطُ كالبعيرِ الشاردِ
لـو كان والدُه تخيَّر أُمَّـه ... لَصَفَتْ خلائقُـه بعِرْق الوالدِ
ترك القتال ومـا بـه من عِلّةٍ ... إلاّ الوهون وعرقةٌ من خالدِ

1 مثل يضرب للقلة .

2 قطواني : نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة تتخذ منه الأكسية .

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدَعا بالدّيوان ، وضرب على الناس البعث ، وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً .

[انتصاره في قديد]

قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضَمرة أنسُ بنُ عِياض أنّه كان فيمن اكتَتَب ، قال : ثم محوتُ اسمي .

قال هارون : وحدَّثني غير واحد من أصحابنا أنّ عبد الواحد استعمل عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على النّاس ، فخرجوا ، فلمّا كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، فمضَوْا ، فلمّا كانوا بالعقيق تعلّق لواؤهم بسَمُرة ، فانكسر الرمحُ ، وتشاءم الناسُ بالخروج ، ثم ساروا ، حتى نزلوا قُديدا[1] ، فنزلوها ليلاً ؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمِنبر اليوم ، وكانت الحياضُ هناك ، فنزل قوم مغتَرُّون ليسوا بأصحاب حرْب ، فلم يرُعْهم إلاّ القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل ، فزعم بعض الناس أنّ خزاعةَ دلَّتْ أبا حمزة على عورتهم ؛ وأدخلوهم عليهم ، فقتلوهم ، وكانت المقتلةُ على قريش ، وهم كانوا أكثرَ الناس ، وفيهم كانت الشوكة ، فأُصيب منهم عدد كثير .

[اليمانيون يشمتون بقريش]

قال العبّاس : قال هارون : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أنَّ رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذي أقرَّ عيني بمقتل قُريش ، فقال له ابنه : الحمد لله أذلّهم بأيدينا ، فما كانت قريش تظنُّ أنّ من نزل على عمانَ من الأزْد عربيّ ، قال : وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشيّ لابنه : يا بني ، هلُمّ نبدأ بهذين الرجلين ، قال : نعم يا أبتِ ، فحَملا عليهما ، فقتلاهما ، ثم قال لابنه : أيْ بُنيّ تقدّم ، فقاتَلا . حتى قُتِلا .

وقال المدائنيّ : القرشيّ كان عمارةَ بن حَمزة بن مصعب بن الزُّبير ، والمتكلِّم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار . قال : ثم ورد فُلاّل[2] الجيش المدينةَ ، وبكى الناسُ قتلاهم ، فكانت المرأة تقيمُ على حَميمها النُّواحَ ، فلا تزال المرأة يأتيها الخبرُ بمقتل حميمها ، فتنصرِف ، حتى ما يبقى عندها امرأة ، فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قُدَيد الذين أُصيبوا من قومه لبعضِ أصحابه : [من البسيط]

---

1 قديد : موضع قرب المدينة .

2 فلال : جمع فل ، وهم المنهزمون ويجمع على فلول .

يـا لهفَ نفسي ولهفٌ غير نافعةٍ على فــوارسَ بالبطحـاءِ أنجـادِ
عمرٌو وعمرٌو وعبدُ الله بينَهما وابناهما خامسٌ والحارث السادِي[1]

[جيش من الأغمار يحارب الخوارج]

قال المدائنيّ في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكّة ، فكتب مروانُ إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكّة ، فوجّه ثمانيةَ آلافِ رجل من قريش والأنصار والتجّار ، أغمار لا عِلمَ لهم بالحرب ، فخرجوا في الصبَّغات والثياب الناعمة واللهوِ ، لا يظنُّون أنّ للخوارج شوكةً ولا يشكون أنّهم في أيديهم .

[يبيع سبي الطائف فينهزم]

وقال رجل من قريش : لو شاء أهلُ الطائفِ لكفوْنا أمرَ هؤلاء ، ولكنّهم داهنوا في أمر الله تعالى ، والله إن ظَفِرنا لنسيرنَّ إلى أهل الطائفِ ، فلنسْبِينّهم ، ثم قال : مَنْ يشتري منّي سبيَ أهلِ الطائف ؟ فلمّا انهزم الناسُ رجع ذلك الرجلُ القائلُ : مَن يشتري منّي سبي أهلِ الطائف في أوَّلِ المنهزمين ، فدخل منزلَه ، وأراد أن يقول لجاريته : أغلقي البابَ ، فقال لها : غاقِ باقِ دَهَشا ، ولم تفهم الجاريةُ قولَه ، حى أومأ إليها بيده ، فأغلقتِ البابَ ، فلقَّبَهُ أهلُ المدينة بعد ذلك «غاقِ باقِ» .

[أموي وقريشي]

قال : وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرِض الجيشَ بذي الحُلَيفة ، فمرَّ به أُميَّةُ بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاص ، فرحَّب به ، وضَحِك إليه ، ومرَّ به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزُّبير ، فلم يكلِّمه ، ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ، وكان ابن خالته ، أُمّاهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد : سبحان الله ! مرَّ بك شيخٌ من شيوخ قريش ، فلم تنظرْ إليه ، ولم تُكلِّمه ، ومرَّ بك غلام من بني أُميّة ، فضَحِكْتَ إليه ولاطفتَه ! أما والله لو قد التقى الجمعانِ لعلمتَ أيُّهما أصبرُ ؟ قال : فكان أُميّة بن عَنْبَسة أوَّل مَن انهزم ، ونكَّب فرسه ومَضى ، وقال لغلامه : يا مجيب ، أما والله لئن أحرَزْتُ نفسي هذه الأَكلُبَ من الشُّراة إنِّي لعاجز . وقاتلَ يومئذٍ عمارة بن حَمزة بن

1 السادي : السادس .

مصعب ، حتى قُتِل ، وتمثّل : [من الطويل]

وإنّـي إذا ضـنَّ الأميرُ بإذنـه على الأذنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ

والشعر للأغرّ بن حمَّاد اليَشْكُريّ .

[أبو حمزة يحمس أصحابه]

قال : ولمّا بلغَ أبا حمزة إقبالُ أهل المدينة إليه استخلَف على مكّة إبراهيم بن الصبَّاح ، وشَخَص إليهم ، وعلى مقدّمته بَلْجُ بن عُقْبة ، فلمّا كان في الليلة التي وافاهم في صَبيحَتها ، وأهلُ المدينة نُزُولٌ بقُدَيد ، قال لأصحابه : إنّكم لاقُو قومِكم غداً ، وأميرهم ، فيما بلغني ، ابن عثمان أوّل مَنْ خالفَ سيرة الخلفاء ، وبدَّل سنة رسول الله ، ﷺ ، وقد وَضَح الصبحُ لذي عَيْنَين ، فأكثروا ذكرَ الله تعالى ، وتلاوةَ القرآن ، ووطّنوا أنفسكم على الصَّبرِ . وصبَّحَهم غداة الخميس لتسعٍ أو لسبعٍ خلونَ من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز لغلامه : أبغِنا عَلَفاً . قال : هو غالٍ ، قال : ويحَك ! البواكي علينا غداً أغلى .

[رسول أبي حمزة إلى أهل المدينة]

وأرسل إليهم أبو حمزة بلْجَ بنَ عقبة ؛ ليدعوهم ، فأتاهم في ثلاثين راكباً ، فذكّرهم الله ؛ وسألاهم أن يكُفُّوا عنهم ؛ وقال لهم : خَلُّوا لنا سبيلَنا ؛ لنسير إلى مَن ظلمكم ؛ وجار في الحكْم عليكم ؛ ولا تَجعَلوا حدّنا بكم ؛ فإنّا لا نريد قتالكم ؛ فشتَمهم أهلُ المدينة ، وقالوا : يا أعداءَ اللهِ ، أنحن نُخَلِّيكم ونَدَعُكم تُفسدون في الأرض ! فقالت الخوارجُ : يا أعداء الله ، أنحن نُفسدُ في الأرض ! إنّما خرجنا لنكُفَّ أهلَ الفساد ، ونقاتل مَن قاتلنا واستأثر بالفيء ، فانظروا لأنفسِكم ، واخلعوا مَن لا يجعل اللهُ له طاعةً ، فإنّه لا طاعةَ لِمَن عَصى اللهَ ، وادخلوا في السِّلم ، وعاونوا أهل الحَقِّ ، فقال له عبد العزيز : ما تقولُ في عثمانَ ؟ قال : قد برىء المسلمون منه قبْلي ، وأنا متّبع آثارَهم ، ومقتَدٍ بهم ، قال : فارجعْ إلى أصحابك ، فليس بيننا وبينهم إلاّ السيفُ .

[الآن حلت لكم دماؤهم]

فرجع إلى أبي حمزة ، فأخبره ، فقال : كُفُّوا عنهم ، ولا تقاتلوهم . حتى يبدَءوكم بالقتال ، فواقفوهم ، ولم يُقاتلوهم . فرمى رَجلٌ من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسَهم ، فجرحَ رجلاً ، فقال أبو حمزة : شأنكم الآن بهم ، فقد حلَّ قتالهم ، فحملوا عليهم ، وثبت بعضُهم لبعْض ، ورايةُ قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع .

ثم انكشف أهل المدينةِ ، فلم يَتْبعوهم ، وكان على مُجنَّبتهم[1] ضميرُ بن صخر بن أبي الجَهْم بن حُذيفة ، فكرّ وكرّ الناسُ معه ، فقاتلوا قليلاً ، ثم انهزموا ، فلم يُبعدوا . حتى كرُّوا ثالثةً ، وقاتلهم أبو حمزة ، فهزمهم هزيمة لم تُبق منهم باقية ، فقال له عليّ بن الحُصَين : أتبعِ القوم . أو دَعْني أتبعهم ، فأقتلَ المدْبر ، وأُذَفِّف[2] على الجريح ، فإن هؤلاء شَرٌّ علينا من أهل الشام ، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال : لا أفعلُ ، ولا أخالفُ سيرةَ أسلافِنا . وأُخِذ جماعةً منهم أُسَراء ، فأراد إطلاقهم ، فمنعه عليّ بن الحصين ، وقال له : إنَّ لأهل كُلِّ زمان سيرةً ، وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هُرَّاب ، وإنّما أُسِروا وهم يقاتلون ، ولو قُتِلوا في ذلك الوقت لم يحرُم قتلهُم ، وكذلك الآن قتلُهم حَلال ، فدَعا بهم ، فكان إذا رأى رجلاً من قريش قتله ، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه ، فأُتِيَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبه ، فقال : أنا رجل من الأنصار ، فسأل الأنصارَ عنه ، فشهدوا له ، فأطلقه ، فلمّا ولّى قال : واللهِ إنّي لأعلم أنّه قرشيّ وما حُذاوة[3] هذا حُذاوةَ أنصاريّ ، ولكن قد أطلقتُه .

قال : وبلغتْ قتلى قُدَيد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون ، ومن القبائل والموالي ألفٌ وسبعمائة ، قال : وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العُزّى أربعونَ رجلاً ، وقُتل يومئذٍ أُميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، خرج يومئذٍ مقنّعاً ، فما كلَّم أحداً ، وقاتل حتى قُتِل ، وقُتل يومئذٍ سُمَيّ مولى أبي بكر الذي يَروي عنه مالكُ بنُ أنس ، ودخل بلْجٌ المدينة بغير حرب ، فدخلوا في طاعته ، وكفّ عنهم ، ورجع أبو حمزةَ إلى مكّة ، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة من بني عَدِيّ ، فكان أهل المدينة يقولون : لعن اللهُ السُّراقيّ ، ولعن بلْجاً العراقيّ .

[نائحة المدينة تبكي قتلى قديد]

وقالت نائحةُ أهل المدينة تبكيهم : [من مجزوء الكامل]

مـا للزمـان وما لِيَـهْ أفنـت قُدَيْـدُ رِجالِيَهْ

1 ل : حاميتهم .

2 أذفف : أجهز .

3 حذاوة : شبه .

فلأَبكِيَـنَّ سَرِيـرَةً ولأَبكـينَّ عـلانِيَهْ
ولأَبكيَـنَّ إذا خلـو تُ مع الكلاب العاوِيَهْ
ولأُثنـينَّ عـلى قُدَيْـ ـدَ بسوء مـا أبلانِيَهْ

في هذه الأبيات هزَج قديم يشبه أن يكون لطُوَيس أو بعض طبقته .

[عمرو بن الحسن يذكر وقعة قديد]

وقال عمرو بن الحسن الكوفيّ مولى بني تميم يذكر وقعة قُديد وأَمرَ مكّة ودخولهم إيّاها ، وأَنشدنيها الأخفش عن السُّكريّ والأَحول وثعلب لعمرٍ وهذا ، وكان يستجيدُها ويُفضِّلُها : [من الكامل]

مـا بالُ همِّك ليسَ عنك بعازبِ يَمري سوابقَ دمعِك المتساكبِ
وتبيتُ تَكتلِـيء النجـومَ بمقلةٍ عبْرى تُسَرّ بكـلِّ نجـمٍ دائبِ
حـذرَ المنيّـةِ أَن تَجـيء بداهةً لم أَقِض مـن تَبـع الشُّراةِ مآربي
فأَقودُ فيهـم للعِـدا شَنِجَ النّسا عَبْلَ الشَّوى أُسوان ضمر الحالِبِ[1]
متحـدِّراً كالسِّيد أَخلصَ لونَـه ماءُ الحسيك مع الحِلال اللاّتِبِ[2]
أَرمي بـه من جَمْع قومي مَعْشراً بُـورا إلى جَبْرِيّـةٍ ومَعـايبِ
في فِتيـةٍ صُبُرٍ أَلُفُّهُـمُ بـه لَفَّ القداح يَدَ المُفيض الضاربِ
فندور نحـنُ وهُـم وفيمـا بينَنا كأسُ المَنونِ تقول : هلْ من شاربِ
فنظلُّ نسقيهم ونشرَب مـن قَناً سُمْر ومُرهفةِ النُّصولِ قواضبِ
بينا كذلكَ نحـنُ جالـتْ طعنةٌ نجلاءُ بـينَ رُهائـب وترائبِ[3]
جوفـاءُ منهَـرةٌ تـرى تامورَها ظُبَتَـا سِنانٍ كالشِّهابِ الثاقبِ[4]
أَهوى لهـا شِقَّ الشِّمال كأنَّنـي حَفَضٌ لقًى تحتَ العَجاج العاصبِ
يـا ربّ أُوجبهـا ولا تتعلَّقَـنْ نفسي المنـون لَدى أَكُفٍّ قرائبِ

1 شنج النسا : لم تسترخ رجلاه . وعبل الشوّى : ضخم الأطراف .
2 اللاتب : اللازق مثل اللازب .
3 لعلّ رهائب جمع رُهابة وهي عُظيم في الصدر مشرف على البطن وقد ورد جمعها في لسان العرب على رَهاب .
4 منهرة : واسعة . وتامور : الدم وله معنى الخمر والإبريق .

كَم من أُولي ثِقــةٍ صحْبتُهم شَرَوْا فخذلتُهمْ ولبئسَ فعلُ الصاحبِ
متأوِّهــين كأنّ في أَجْوافِهـــم نــاراً تُسعِّرهـا أَكُفُّ حَواطبِ
تَلقاهمُ فتراهــمُ مــنْ راكــعٍ أو ساجــدٍ متضــرّعٍ أو ناحبِ
يتلو قــوارعَ تمتري عَبراتِـــه فيجودُهــا مـَرْيَ المـريّ الحالبِ
سُيُرٍ لجائفــةِ الأُمــورِ أَطبَّـةٌ للصَّدع ذي النبأ الجليـل مذائبِ
ومُبرّئــينَ مــن المعايبِ أُحرزوا خُصَــل المكــارم أتْقياء أُطايبِ
عَــرّوْا صَوارمَ للجلاد وباشَروا حــدَّ الظبــاةِ بآنُفٍ وحواجبِ
ناطــوا أُمورَهُــم بأَمْرِ أَخٍ لهــم فرمى بهــم لَقَمَ الطريقِ اللاحبِ[1]
مُتسربِلي حَلَـق الحديـدِ كأنّهم أُسْدٌ على لُحُق البطون سلاهبِ[2]
قِيدت مِن آعلى حضرموتَ فلم تزل تَنفــي عداهــا جانبــاً عن جانبِ
تحمــي أعنّتَهــا وتحــوي نَهْبَها للهِ أكــــرمُ فتيـــةٍ وأَشائبِ
حتى وردنَ حِياضَ مكّــة قُطَّنا يحكِــينَ واردةَ اليمام القاربِ[3]
مــا إن أَتــينَ على أَخــي جَبْريةٍ إلاّ تركنَهــــمُ كأَمسِ الذاهبِ
في كلِّ معترَكٍ لهــا مــن هامهم فِلَــقٌ وأَيــدٍ عُلِّقــتْ بمناكبِ
سائلْ بيوم قُدَيـدَ عــن وقعاتها تُخبرْك عــن وقعاتِهــا بعجائبِ

[خطبة أبي حمزة في أهل المدينة]

وقال هارونُ بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبريّ عن العبّاس بن عيسى عنه : ثم دخل أبو حمزة المدينةَ سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام ، فرقِيَ المِنبرَ ، فحمد الله ، وأَثنى عليه : وقال : يا أَهل المدينة ، سأَلناكم عن وُلاتكم هؤلاء ، فأسأتم ، لعمرُ الله ، فيهم القولَ ، وسألناكم : هل يَقتلون بالظَّن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم : هل يستحلُّون المال الحرام والفرْجَ الحرامَ ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأَنتُم ، فنناشدهم اللهَ أَن يتنحّوا عنّا وعنكم ، ليختار المسلمونَ لأَنفسهم ؛ فقلتُم : لا تفعلون ،

1 لَقَم الطريق : وسطه .
2 السلهب من الخيل : ما طالت عظامه .
3 القارب : طالب الماء ليلاً

فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهرْ نحنُ وأنتم نأتِ بمَن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنَّةَ نبيه ، وإن نَظفَر نعدلْ في أحكامكم ، ونَحملُكم على سنّة نبيكم ، ونقسِم فيئكم بينَكم ، فإن أبيتُم ، وقاتلتمونا دونَهم ، فقاتلناكم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررتُ بكم في زمان الأحول هِشامِ بن عبد الملك ، وقد أصابتْكم عاهةٌ في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجَكُم عنكم ، فكتب بوضعها عنكمُ ، فزاد الغَنيّ غِنًى ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتُم : جزاكم الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ، ولا جزاكم .

[خطبة أخرى جامعة مانعة]

قال هارون : وأخبرني يَحيى بنُ زكريّا : أنّ أبا حمزة خَطب بهذه الخُطبة : رقى المِنبَر ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أتعلمونَ يا أهلَ المدينة ، أنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَراً ولا بَطراً ولا عَبثاً ولا لهْواً . ولا لدولة مُلك نُريد أن نخوضَ فيه ، ولا ثأرٍ قديم نِيلَ منّا ، ولكنّا لمّا رأينا مصابيحَ الحقّ قد عُطِّلت ، وعُنِّف القائل بالحقّ ، وقُتِل القائمُ بالقِسط ، ضاقتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن ، فأجَبْنا داعيَ الله ﴿ومَن لا يُجِب داعيَ اللهِ فليس بمُعجزٍ في الأرض﴾[1] فأقبلْنا من قبائِلَ شتّى ، النفرُ منّا على بعير واحد ، عليه زادُهم وأنفسُهم ، يتعاورُون لِحافاً واحداً ، قليلُون مستضعَفون في الأرض ، فآوانا الله ، وأيّدَنا بنصره ، وأصبحنا ، واللهِ ، بنعمتِه إخواناً ، ثم لقِينا رجالَكم بقُدَيْد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمنِ ، وحُكْم القرآن ودعَوْنا إلى طاعةِ الشيطان ، وحُكْم مَروان ، وآلِ مَرْوان ، شَتَّان ، لعمرُ الله ، ما بينَ الغَيّ والرُّشد ، ثم أقبلوا يُهْرعون ، ويَزِفُّون ، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجِرانه ، وغَلَت بدمائهم مراجلُه ، وصَدَق عليهم ظَنَّه ، وأقبل أنصارُ الله عصائبَ وكتائب بكلّ مهنّد ذي رونَق ، فدارتْ رحانا واستدارت رحاهم ، بضربٍ يرتابُ منه المبطلون . وأنتم يا أهلَ المدينة ، إن تنصروا مروانَ وآل مَروان يُسْحِتْكم اللهُ بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشْفِ صدورَ قومٍ مُؤمنين ، يا أهل المدينة : إن أوَّلكم خيرُ أوّل ، وآخركم شرّ آخر ، يا أهل المدينة ، الناسُ منّا ونحن مِنهم إلاّ مشركاً عابدَ وَثن ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهل المدينة ، مَن زعم أنّ اللهَ تعالى كلَّف نفساً فوق طاقَتِها ، أو سألها عمَّا لم يُؤتِها فهو لله عدوّ ، ولنا حَرْبٌ . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضَها الله تعالى في

1 سورة الأحقاف ، الآية : 32 .

كتابه على القويِّ للضَّعيف فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعَها لنفسه مُكابِراً مُحارباً لربّه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فِعله ؟ يا أهل المدينة ، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ، قلتم : هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحابُ رسول الله ﷺ ، إلاّ شباباً أحداثاً ! شَباب والله مكْتَهِلون في شَبابهم ، غَضيضةٌ عن الشرِّ أعيُنهم ، ثقيلَةٌ عن الباطل أقدامُهم ، قد باعوا أنفُساً تَموتُ غداً بأنفسٍ لا تموتُ أبداً ، قد خَلطوا كَلالهم بكَلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نَهارهم ، مُنحنية أصلابُهم على أجزاء القرآن ، كلّما مرّوا بآيةِ خوفٍ شَهِقوا خوفاً من النّار ؛ وإذا مرّوا بآية شوقٍ شَهِقوا شوقاً إلى الجنّة ، فلمّا نظروا إلى السيوف قد أُنضِيتْ ؛ وإلى الرِّماحِ قد أُشرِعَتْ وإلى السهام قد فُوِّقَتْ ؛ وأُرعدت الكتيبةُ بصواعِقِ الموت استخَفُّوا وعيد الكتيبةِ عند وعيد الله ، ولم يستَخِفّوا وعيدَ الله عند وعيد الكتيبة ؛ فَطُوبى لهم وحُسنُ مآب ! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بَكى بِها صاحِبُها من خَشْيةِ الله ، وكم من يدٍ قد أُبينَتْ عن ساعدها طالما اعتمدَ عليها صاحبُها راكِعاً وساجداً . أقولُ قولي هذا ، وأستغفرُ اللهَ من تَقصيرنا ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيب .

[مرتكب الكبيرة كافر]

قال هارون : وحدَّثني جدّي أبو عَلْقمة ، قال : سمعت أبا حَمزة على مِنبر النبيّ ﷺ يقولُ : «مَن زَنى فهو كافر» ، ومَن سَرَق فهو كافر ، ومَن شكَّ أنّه كافر فهو كافر : [من الكامل]

بَرِح الخفاءُ فأينَ ما بِكَ يذهبُ

[خطبة له في أهل المدينة]

قال هارونُ : قال جدِّي : كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهلِ المدينة ، حتى استمالَ الناسَ ، وسمع بعضُهم كلامَه في قوله : مَن زَنى فهو كافر ، قال هارون : قال جدِّي : وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهلَ المدينةِ ؛ ما لي رأيت رسمَ الدِّين فيكم عافياً ، وآثارَه دارِسَة ! لا تَقبلون عليه عِظَة ، ولا تفقَهون من أهلِه حُجَّة ، قد بَليتْ فيكم جِدَّتُه ، وانطمست عنكم سنّته ، ترون معروفه مُنكراً ، والمُنكرَ من غيرِه مَعروفاً ، إذا انكشفت لكم العِبَر ، وأُوضحتْ لكم النُّذُر ، عميتْ عنها أبصارُكم ، وصُمّت عنها أسماعكم ، ساهينَ في غَمرة ، لاهينَ في غَفْلة ، تَنْبسطُ قلوبُكم لِلْباطل إذا نُشِر ، وتنقبضُ عن الحقِّ إذا ذُكِر ، مستوحِشةً من العلم ، مستأنِسةً بالجهل ، كلّما وقعت عليها موعِظَةٌ زادَتْها

عن الحقّ نُفوراً ، تحمِلون منها في صدوركم كالحجارة أو أشدَّ قسوة من الحجارة ، أوَلم تَلِنْ لكتاب الله الذي لو أُنْزِلَ على جَبَل لرأيتَه خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خَشيةِ الله ! يا أهلَ المدينةِ ، ما تُغني عنكم صحَّةُ أبدانِكم إذا سَقِمت قلوبُكم إن الله قد جعل لكلّ شيء غالباً يُقادُ له ، ويطيعُ أمرَه ، وجعل القلوبَ غالبةً على الأبدانِ ، فإذا مالت القلوبُ مَيلاً كانت الأبدانُ لها تَبَعاً ، وإنَّ القلوبَ لا تلين لأهلِها إلاّ بِصِحَّتها ، ولا يصحِّحُها إلاّ المعرفةُ باللهِ وقوّةُ النِّيّة ، ونفاذُ البصيرة . ولو استشعرتْ تقوى الله قلوبُكم لاستعملتْ بطاعة الله أبدانكم . يا أهلَ المدينة ، دارُكم دارُ الهِجرة ، ومَثْوى رسول الله ﷺ ، لمّا نَبَتْ به دارُه ، وضاق به قرارُه ، وآذاه الأعداءُ ، وتجهَّمَتْ له ، فَنَقله إلى قوم ، لعَمْري لم يكونوا أمثالكم ، مُتوازرين مع الحقِّ على الباطلِ ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ ، يصبرون للضَّرّاء رجاءَ ثوابِها ، فنَصروا اللهَ ، وجاهدوا في سبيله ، وآوَوْا رسول الله ﷺ ، ونصروه ، واتَّبعوا النورَ الذي أُنْزِل معه ، وآثروا اللهَ على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصَةٌ ، قال الله تعالى لهم ولأمثالِهم ولِمَن اهتدى بهُداهم : ﴿ومَن يوقَ شُحّ نفسِه فأولئك هم المفلحون﴾[1] وأنتم أبناؤهم ، ومَن بَقِي من خَلفهم ، تَتْركون أن تَقتَدوا بهم ، أو تأخذُوا بسنّتِهم ، عُمْي القلوب ، صُمّ الآذان ، اتّبعتُم الهوى ، فأرداكم عن الهُدى وأسْهاكم ، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكُمْ فتزدَجروا ، ولا تعِظُكم فتعتَبروا ، ولا تُوقظكم فتَستيقظوا ، لبئس الخَلفُ أنتم من قوم مَضَوْا قبلَكم ، ما سِرتُم بسيرتهم ، ولا حَفِظتم وصيتَهم ، ولا احتذيتُم مثالَهم ، لو شُقّت عنهم قبورُهم ، فعُرِضَت عليهم أعمالُكم لعَجِبوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم . قال : ثم لَعَن أقواماً .

[خطبة أخرى]

قال هارون : وحدَّثني داود بن عبد الله بن أبي الكِرام ، وأخرَجَ إليَّ خطّ ابن فَضالة النحويّ بهذا الخبر : أنّ أبا حمزةَ بلغه أنَّ أهلَ المدينة يَعيبون أصحابَه لحداثة أسنانهم ، وخفّة أحلامهم ، فبلَغه ذلك عنهم ؛ فصَعِد المِنبر ؛ وعليه كِساء غليظٌ ؛ وهو متنكِّبٌ قوساً عربيّة فحمد الله ، وأثنى عليه وصلّى على نبيه ﷺ وآله ، ثم قال : يا أهلَ المدينة ، قد بلغتْني مقالتُكم في أصحابي ، ولولا معرفَتي بضعفِ رأيكم وقلّةِ عقولكم لأحسنتُ أدبكم ، ويحكم ! إنّ رسول الله ﷺ أُنزِل عليه الكتابُ ، وبُيّنَ له فيه السُّنَن ، وشرع له فيه الشرائع ، وبُيّنَ له فيه ما

1 سورة الحشر ، الآية : 9 .

يأتي وما يذَر ، فلم يكن يتقدّمُ إلاّ بأمر الله ، ولا يُحجم إلاّ عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، ﷺ ، وقد أدَّى الذي عليه ، لم يدعْكم من أمركم في شُبهة ، ثم قام من بعده أبو بكر ؛ فأخذ بسُنّته ، وقاتل أهلَ الرِّدّة ؛ وشمّر في أمر الله ؛ حتى قبضه الله إليه والأُمّة عنه راضُون ، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه ؛ ثم وَلي بعده عُمر ، فأخذ بسنّة صاحبَيْه ، وجنّد الأجنادَ ؛ ومصَّر الأمصارَ ؛ وَجَبى الفَيء ؛ فقسَّمه بين أهله ؛ وشمَّر عن ساقه ، وحَسَر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثَمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدُوَّ في بلادهم ؛ وفتح المدائنَ والحُصونَ ؛ حتى قَبضهُ الله إليه والأُمّة عنه راضُون ، رحمةُ الله عليه ورضوانُه ومغفرته ، ثم وَلي من بعده عُثمانُ بنُ عفّان فعَمِل في ستٍّ سنين بسُنّة صاحبيه ؛ ثم أحدثَ أحداثاً أبطل آخرٌ منها أوّلاً ، واضطرب حبلُ الدِّين بعدها ، فطلبها كلُّ امرىءٍ لنفسه ، وأسرّ كلُّ رجل منهم سريرةً أبداها الله عنه ؛ حتى مَضَوْا على ذلك ، ثم وَلِيَ عليّ بنُ أبي طالب ، فلم يبلغ من الحقّ قَصْداً ؛ ولم يرفع له مناراً ومضى ؛ ثم وَلِي معاويةُ بنُ أبي سفيان لعينُ رسول الله ﷺ وابنُ لعينه ، وجِلْف من الأعراب ، وبقيةٌ من الأحزاب ، مؤلَّف طليق ، فسفك الدمَ الحرامَ ، واتَّخذ عباد الله خَوَلاً ، ومالَ اللهِ دُوَلا ، وبغى دينه عِوَجاً ودَغلاً[1] ، وأحلَّ الفرج الحرام ، وعَمِل بما يشتهيه ؛ حتى مَضى لسبيله ، فعل اللهُ به وفَعَل ، ثم ولي بعده ابنُه يزيدُ : يزيدُ الخمور ، ويزيدُ الصّقور ، ويزيدُ الفهود ، ويزيد الصَّيود ، ويزيدُ القُرود ، فخالف القرآنَ ، واتّبع الكهَّان ، ونادم القِردَ ، وعَمِل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعَنَهُ الله ، وفعلَ به وفعلَ ، ثم وَلِيَ مروانُ بنُ الحكم طريدٌ لعينُ رسول الله ، ﷺ وآله ، وابنُ لعينه ؛ فاسقٌ في بطنه وفرْجِه ، فالعنُوه والعنُوا آباءه ثم تداولها بنو مروان بعده ؛ أهلُ بيتِ اللعنة ، طُرَداءُ رسولِ الله ، ﷺ وآله ، وقومٌ من الطلقاء ليسوا من المهاجِرينَ والأنصارِ ولا التابعين لهم بإحسان ، فأكلوا مالَ الله أكلاً ، ولَعِبوا بدين الله لَعِباً ، واتَّخذوا عبادَ الله عبيداً ، يُورّث ذلك الأكبرُ منهم الأصغرَ . فيا لها أُمّةً ، ما أضيعَها وأضعفَها ! والحمد لله ربِّ العالمين ، ثم مَضَوا على ذلك من أعمالهم واستخفافِهم بكتاب الله تعالى ؛ قد نَبذوه وراءَ ظهورهم ، لعنَهم الله ؛ فالعنوهم كما يستَحِقُّون ؛ وقد وَلي منهم عمرُ بن عبد العزيز ؛ فبلغ ؛ ولم يَكدْ ؛ وعجَزَ عن الذي أظهرَه ، حتى مَضى لسبيلِه ، ولم يذكُرْه بِخَير ولا شرٍّ ، ثم وَلِيَ يزيدُ بنُ عبد الملك ، غلامٌ ضعيفٌ

1 دغلاً : فساداً .

سفيه غيرُ مأمونٍ على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أَشدَّه ، ولم يُؤانِسُ رُشدهُ ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿فإن آنسْتُم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالَهم﴾[1] فأَمرُ أُمّة محمدٍ في أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كلّه ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً ، مأبونٌ في بطنه وفَرجه ، يشربُ الحرام ، ويأكلُ الحرام ، ويلبسُ الحرامَ ، ويلبسُ بردتين قد حِيكَتا له ، وقُوِّمتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقلّ ، قد أُخِذَتْ من غيرِ حِلّها وصُرِفتْ في غير وجهها ، بعد أن ضُرِبتْ فيها الأبشار[2] ، وحُلِقتْ فيها الأشعار ، واستُحلَّ ما لم يُحلَّ اللهُ لعبدٍ صالح ، ولا لنبيّ مُرسَل ، ثم يُجلسُ حَبابة عنْ يمينه ، وسَلاّمة عن شِماله تُغنّيانه بمزامير الشَّيطانِ ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصّاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذَها فيه ، وخالطت روحَه ولحمُه ودَمه ، وغلبتْ سَوْرتُها على عَقله مزَّق حُلّتَيْه ، ثم التفت إليهما فقال : أتأذنانِ لي أن أطيرَ ؟ نَعَم ، فَطِرْ إلى النارِ ، إلى لعنةِ الله وناره حيث لا يردُّك الله .

ثم ذكر بني أُميّة وأعمالَهم وسيرَهم فقال : أصابُوا إمرة ضائعةً وقوماً طَغاماً جُهَّالاً ، لا يقومون لله بحقّ ، ولا يفرّقون بين الضلالة والهُدى ، ويروْن أنّ بني أُميّة أربابٌ لهم ، فملكوا الأمرَ ، وتسلَّطوا فيه تسلُّطَ رُبوبيّة ، بطشُهم بطشُ الجبابرة ، يحكمون بالهَوى ، ويقتُلُون على الغضب ، ويأخُذون بالظنّ ، ويُعطِّلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمِّنُون الخَونةَ ويُقْصُونَ ذَوي الأَمانـةِ ، ويأخذون الصدقَةَ في غير وقتها على غير فَرضِها ، ويضعونَها في غيرِ موضِعها ، فتلك الفرقَةُ الحاكمةُ بغير ما أنزل اللهُ ، فالعَنوهم ، لعنَهُم اللهُ !

وأمّا إخوانُنا من هذه الشيعَة فليسوا بإخواننا في الدِّين ، لكن سمعتُ اللهَ عزَّ وجلَّ قال في كتابه : ﴿يا أيـّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذَكر وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لتعارفُوا﴾[3] شيعةٌ ظاهرتْ بِكتاب الله ، وأعلنت الفِريةَ على الله لا يرجِعون إلى نَظَر نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغ في الفِقه ، ولا تفتيشٍ عن حقيقةِ الصّواب ، قد قلّدوا أمرهم أهواءَهم ، وجعلوا دينَهم عصبيَّة لحزبٍ لزموه ، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم ، غَيّاً كان أو رُشداً ، أو ضَلالةً أو هُدًى ، ينتظرون الدُّوَل في رَجْعةِ الموتـى ، ويؤمنـونَ بالبعث قبلَ الساعةِ ، ويدّعون عِلم الغيب

---

1 سورة النساء ، الآية : 6 .

2 الأبشار : الجلود .

3 سورة الحجرات ، الآية : 13 .

لمخلوق ، لا يعلم أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبُه أو يحويه جسمه ، يَنقمون المعاصيَ على أهلها ، ويُعلَمُون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرجَ مِنها ، جُفاة في الدِّين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلّدوا أهلَ بيتٍ من العرب دينَهم ، وزعموا أنَّ موالاتِهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عِقاب الأعمال السيئة ﴿قاتلهم الله أنّى يُؤفكون﴾[1] فأيّ هؤلاء الفِرق يا أهل المدينة تَتْبعون ؟ أو بأيِّ مذاهِبهم تَقتَدون ؟ وقد بلغني مقالَتُكم في أصحابي ، وما عبتموه من حَداثة أسنانهم ، ويحكمُ ! وهل كان أصحابُ رسول الله ، ﷺ وآله ، المذكورون في الخَير إلاّ أحداثاً شَباباً . شبابٌ والله مكتَهلون في شبابهم ، غَضيضَةٌ عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنضاءُ عبادة قد[2] نظر اللهُ إليهم في جَوْف الليل مُنحنِيةً أصلابُهم على أجزاءِ القرآن ، كلّما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الجنّة بكى شَوقاً ، وكلّما مَرَّ بآية من ذكر النّار شَهِق خوفاً ، كأنّ زفيرَ جهنَّمَ بين أُذُنيه ، قد أكلت الأرضُ جباهَهم ورُكَبهم ، ووصلوا كَلالَ الليـل بكلال النّهار مصفرَّةً ألوانُهم ، ناحلةً أجسمُهم من طول القيامِ وكثرة الصيامِ ، أنضاءُ عبادةٍ ، مُوفُون بعهد الله ، مُنْتَجِزُون لوعد الله ، وقد شَرَوْا أنفسهم ، حتى إذا التقت الكتيبتانِ وأبرقت سُيوفُها وفُوّقت[3] سِهامُها ، وأُشرِعَتْ رماحُها لقُوا شَبا الأسنّة ، وشائكَ السهام ، وظُباةِ السيوفِ بنُحورهم ووُجوههم وصُدورهم ، فمضى الشابُّ منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، واختضَبَتْ محاسنُ وجهِه بالدِّماء ، وعُفِّر جبينُه بالثّرى ، وانحطَّتْ عليه الطير من السماء ، وتمزقتْه سِباعُ الأرض ، فكم من عين في مِنقار طائر ، طالما بكى بها صاحبُها في جَوْفِ الليل من خوف الله ! وكم من وجهٍ رقيق وجَبين عتيق قد فُلِق بِعَمَد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فِراق الإخوان ! رحمةُ الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أراوحَهم الجِنان .

[مروان يغزوهم]

قال هارون : بلغني أنّه بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُذَليّ ، وإنسان سُراقي وبشكسْتُ الذي كان معلمَ النحو ، ثم خرج ، وخلَّف بالمدينة بعضَ أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي ، وكان مروان قد بعثَ ابن عطيّة .

1 سورة التوبة ، الآية : 30 .

2 بهم نحافة وهزال من العبادة ، والنضو في الأصل : البعير المهزول .

3 الفوق : موضع السهم من الوتر .

قال هارون : حدَّثني أبو يحيى الزُّهْريّ أنّ مروانَ انتخَبَ من عسكره أربعةَ آلاف استعمل عليهم ابن عطيّة ، فأمره بالجدِّ في السير ، وأعطى كلَّ رجل من أصحابه مائةَ دينار وفرساً عربيّاً ، وبَغلاً لِثقله ، وأمره أن يَمضي ، فيقاتِلَهم .

[يتفاءل بغلام]

وقال المدائنيّ : بعث عبد الملك بن عطيّة السعديّ ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلافٍ ، معه فرسانٌ من أهل الشام ووجوهِهم ، منهم شُعَيب البارقيّ ، وروميّ بن ماعز المُرّي ، وقيل : بل هو كِلابيّ ، وفيهم ألفٌ من أهل الجزيرة ، وشَرطوا على مروانَ أنّهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه ، رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز ، فأجابهم إلى ذلك ؛ قالوا : فخرج ؛ حتى إذا نزل بالمعَلَّى . فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له : العلاء بن أفلح مولى أبي الغَيْث يقول : لقِيَني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطيّة ؛ فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ فقلت : العلاء ، فقال : ابنُ مَن ؟ فقلت : ابنُ أفلح ، قال : أعربيٌّ أم مولى ؟ قلت : بل مولى ، قال : مولى مَن . قلت : مولى أبي الغَيْث ، قال : فأينَ نحنُ ؟ قلتُ : بالمعلّى ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلتُ : بغالبٍ ، قال : فما كلَّمني ، حتى أردفَني خلفَه ، ثم مضى بي ، حتى أدْخَلَني على ابن عطيّة ، فقال : سَل هذا الغلام : ما اسمه ؟ فسألني ، فرددت عليه القولَ الذي قلت ، فسُرَّ بذلك ؛ ووهب لي دراهم .

[أبو صخر الهذليّ يستبشر بابن عطيّة]

وقال أبو صخر الذهليُّ حين بلغه قدوم ابن عطيّة : [من الرجز]

قُل للذين استُضعِفوا لا تعجَلوا ... أتـاكُمُ النصرُ وجيشٌ جَحْفَلُ
عشرونَ ألفـاً كلّهـم مُسربَلٌ ... يقدُمهم جَلْد القُوى مُستَبسِلُ
دونَكـمُ ذا يَمَـنٍ فأقبِلُـوا ... وواجهوا القومَ ولا تستَخْجِلوا
عبدُ المليـكِ القُلَّبِـيُّ الحُوّلُ ... أقسمَ لا يُفْـلى ولا يُـرَجَّلُ
حتـى يبيدَ الأعـورُ المضلَّل ... ويقتـلَ الصَّبّـاح والمفضَّلُ

الأعورُ عبد الله بن يَحيى رئيسُهم .

[ابن عطيّة ينتصر على بلج]

قال المدائنيّ عن رجاله : وبعثَ أبو حمزةَ بلجَ بن عقبة في ستّمائة رجل ليقاتلَ عبدَ الملك بنَ

عطيّة ، فلقيه بوادي القُرى لأيّام خلتْ من جُمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ، ودعاهم بلْجٌ إلى الكتاب والسنّة ، وذكَر بني أُميّة وظُلمَهم ، فشتَمهم أهلُ الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله أحقّ بهذا ممّن ذكرتُم وقلتم ، فحمل عليهم بلْجٌ وأصحابُه ، فانكشف طائفة من أهل الشام ، وثبت ابن عطيّة في عصبةٍ صبروا معه ، ونادى يا أهلَ الشام يا أهلَ الحِفاظ ناضِلوا عن دينكم وأميرِكم ، فكرُّوا ، وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قِتالاً شديداً ، فقُتِل بلْجٌ وأكثرُ أصحابه ، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به ، فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيّام فقتَلَ منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابنُ عطيّة رأسَ بلْجٍ على رُمحٍ ، قال : واغتمّ الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القُرى إلى المدينة ، وهم الثلاثون ، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم ، وقالوا : ما فررنا من الزَّحف ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فِئَة وإليّ انصرفتم .

[أهل المدينة ينقضون على الخوارج]

قال المدائنيّ : وخرج أبو حمزةَ من المدينة إلى مكّة ، واستخلف رجلاً يقال له : المفضّل عليها ، فدعا عمرُ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطّاب الناسَ إلى قتالهم ، فلم يجد كبيرَ أمرٍ ؛ لأنّ القتل قد كان شاع في النّاس ، وخرج وجُوه أهل البلدِ عنه ؛ فاجتمع إلى عمرَ البربرُ والزّنجُ وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشُّراة ؛ فقُتِل المفضَّلَ وعامةُ أصحابه ؛ وهرب الباقون ؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد ؛ فقال في ذلك سُهيْل أبو البيضاء مولى زينب بنتِ الحكم بن العاصي : [من مجزوء الرمل]

ليت مروانَ رآنا يوم الاثنين عَشِيَّهْ
إذ غسلنا العارَ عنّا وانتضيْنا المَشْرَفِيّهْ

قال : فلمّا قدِم ابنُ عطيّة المدينةَ أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد ؛ فقال له : أصلحك اللهُ ! إنّي جمعتُ قَضّي وقَضيضي[1] ؛ فقاتلت هؤلاء ؛ فقتلنا مَن امتنعَ من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين ، فلقيه أهل المدينة بقَضِّهم وقضيضِهم .

[مصرع أبي حمزة وزوجته]

قال : وأقام ابنُ عطيّةَ بالمدينة شهراً ؛ وأبو حمزة مقيم بمكّة ؛ ثم توجَّه إليه فقال له عليّ بنُ

1 مثل : يقال إذا جاء القوم كلهم «جاءوا قضهم بقضيضهم» ، فصل المقال 198 .

حُصين العنبريّ : إنّي قد كنت أشرتُ عليك يوم قُدَيد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلّهم ، فلم تفعل ، وعرّفتُك أنّهم سيغدِرون فلم تقبل ؛ حتى قتلوا المفضّل وأصحابَنا المقيمين بالمدينة ؛ وأنا أشيرُ عليك اليومَ أن تضع السيفَ في هؤلاء ؛ فإنّهم كَفَرة فجرَة ؛ ولَو قدِم عليك ابن عطيّة لكانوا أشدَّ عليك منه ؛ فقال : لا أرى ذلك ؛ لأنّهم قد دخلوا في الطاعة ؛ وأقروا بالحكْم ؛ ووَجب لهم حقُّ الولاية ؛ قال : إنّهم سيغدِرون ؛ فقال : أبعدهم اللهُ ، ﴿فمن نكثَ فإنّما ينكُث على نفسِه﴾[1] . قال : وقَدِم عبد الملك بن عطيّة مكّةَ ، فصيّر أصحابه فِرقتين ، ولقيَ الخوارج من وجهين ؛ فصيّر طائفةً بالأبطح ؛ وصار هو في الطائفةِ الأخرى بإزاء أبي حمزة ؛ فصار أبو حمزة أسفلَ مكّة ؛ وصيّر أبرهةَ بن الصَّبّاح بالأبطح في ثمانين فارساً ، فقاتلهم أبرهة : فانهزم أهل الشام إلى عَقَبة مِنى ؛ فوقفوا عليها ؛ ثم كرُّوا ؛ وقاتلهم ؛ فقُتل أبرهةُ : كمَن له هبَّار القُرشيّ ؛ وهو على خيل دمشق عندَ بئر ميمون ؛ فقتله ؛ وتَفرّق الخوارجُ ؛ وتَبعهم أهلُ الشام يقتلونهم ؛ حتى دخلوا المسجد ، والتقى أبو حمزة وابن عطيّة بأسفل مكّة ؛ فخرج أهل مكّة مع ابن عطيّة ؛ فقُتِل أبو حمزة على فَم الشِّعب وقُتِلتْ معه امرأته ؛ وهي ترتجز وتقول : [من الرجز]

أنـا الجُعَيـداءُ وَبنتُ الأعلمْ … من سال عن إسميَ فإسمي مَريمْ
بعتُ سِواريّ بسيفٍ مِخذَمْ[2]

[صلب أبي حمزة وأبرهة]

قال : وتَفرَّقتِ الخوارجُ فأسر أهلُ الشام منهم أربعمائة ؛ فدَعا بهم ابنُ عطيّة ؛ فقال : ويلَكم ! ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن لنا الكَنّة : يريدون الجَنَّة ، وهي لغتُهم ، فقتلهم ، وصلَبَ أبا حمزة وأبرهةَ بنَ الصباح ورجلَين من أصحابهم على فَمِ الشّعب : شِعب الخَيْف ، ودخل علي بن الحصين داراً من دُور قريش ، فأحدق أهل الشام بالدّار فأحرقوها ، فلمّا رأى ذلك رمى بنفسه من الدار ، فقاتلَهم وأُسِر فقُتِل ، وصُلِب مع أبي حمزة ، ولم يزالوا مصلَّبين حتى أفضى الأمرُ إلى بني العبّاس ، وحجَّ مهلهِل الهُجَيميّ في خلافة أبي العبّاس ، فأنزل أبا حمزة ليلاً ، فدفنه ، ودفن خشبته .

1 سورة الفتح ، الآية : 10 .

2 مخذم : قاطع .

[مصرع مخنثين]

قال المدائنيّ : وكان بمكّة مُخنَّثان ، يقال لأحدهما : سبكت ، وللآخر : صَقرة ، فكان صقرة يرجُف بأهل الشام ، وكان سبكت يرجُف بالإباضية ، فعرف الخوارجُ أمرهما ، فوجّهوا إلى سبكت ، فأخذوه فقتلوه ، فقال صقرة : يا ويله هو والله أيضاً مقتول ، وإنّما كنتُ أنا وسبكت نتكايد ونتكاذَب ، فقتلوه ، وغداً يجيء أهل الشام ، فيقتلونَني ، فلمّا دخل ابنُ عطيّة مكّة عرف خبرَهما ، فأخذ صقْرةَ ، فقتله .

[مذهب ابن عطيّة]

وقال هارون في خبره : أخبرني عبد الملك بنُ الماجِشون ، قال : لمّا التقى أبو حمزة وابن عطيّة قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم : ما تقولون في القرآن والعملِ به ؟ فصاح ابن عطيّة : نضعه في جرف الجوالق[1] ، قال : فما تقولونَ في مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ؛ ونفجُر بأمّه ، [ثم أجاب] في أشياء بلغني أنّه سأله عنها ؛ فلمّا سمعوا كلامَهم قاتلوهم ؛ حتى أمسَوا ؛ فصاحت الشُّراةُ : ويحك ، يا ابن عطيّة ! إنّ الله ، جلَّ وعزَّ ، قد جعل الليلَ سكَناً ؛ فاسكن ونسكن ؛ فأبى وقاتَلهم ؛ حتى قتلَهم جميعاً .

[أهل المدينة يجهزون على من بقي منهم]

قال هارون : أخبرني موسى بن كَثير أنّ أبا حمزة خطب أهلَ المدينة ؛ وودَّعهم ؛ ليخرجَ إلى الحرب ؛ فقال : يا أهل المدينة ؛ إنّا خارجون لحرْب مرْوان ؛ فإن نظهرْ نعدِلْ في أحكامكم ؛ ونحمِلْكم على سنّةِ نبيكم ، ونقسِم بينكم ، وإن يكن ما تَمنَّوْن لنا فسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون ، قال : ووثب الناسُ على أصحابه حين جاءهم قتلُه ، فقتلوهم ، فكان بشكسْت ممّن قُتلوا ، طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أذينة ، فلحقوه فأنزلوه منها ، وهو يصيح : يا عباد الله ، فيم تقتلونني ؟

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا : [من المتقارب]

لقد كان بشكسْتُ عبد العزيز ... مــنَ اهــل القراءةِ والمسجدِ
فبُعداً لبشكسْتِ عبـد العزيز ... وأمّا القُــرانُ فــلا يَبعدِ

1 الجوالق : الوعاء .

[القتل للشاري والشامي معاً]

قال هارون : وأُخبرني بعض أُصحابنا أنّه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل : ويلَك ! أتدري مَن ترمي مع اختلاط النّاس ؟ قال : والله ما أُبالي مَن رميت ؟ إنّما هو شامٍ وشارٍ ، والله ما أُبالي أيُّهما قتلتُ !

[مصرع طالب الحق]

وقال المدائنيّ : لمّا قَتَلَ ابنُ عطيّة أبا حمزة بعث برأسه مع عُروة بن زيد بن عطيّة إلى مَروانَ ، وخرج إلى الطائف ، فأقام بها شهرين ، وتزوّج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفيّ ؛ واستعمل على مكّة روميَّ بنَ عامر المُرّي . وأتى فَلُّ أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه أصحابُه . وقد لقّبوه طالبَ الحقّ ، يريد قتالَ ابنِ عطيّة ، وبلغ ابنَ عطيّةَ خبرُه ، فشَخَصَ إليه ، فالتقوا بكسة ، فأكثر أهل الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالهم وأموالَهم ، وتشاغلوا بالنَّهب ، فركِب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، فقتَل منهم نحو مائة رجل ، وقتلَ قائداً من قوّادهم يقال له : يزيد بن حَمل القُشَيريّ من أهل قِنّسْرين ، فذمرهم[1] ابن عطيّة ، فكرُّوا ، وانضمّ بعضهم إلى بعض . وقاتلوا حتى أمسَوْا ، فكفَّ بعضُهم عن بعض ، ثم التَقوْا من غد في موضع كثيرِ الشجر والكَرْم والحيطان ، فطال القتالُ بينهم ، واستحرّ القتلُ في الشُّراة ، فترجَّل عبدُ الله بنُ يحيى في ألف فارس ؛ فقاتلوا ، حتى قُتِلوا جميعاً عن آخرهم ؛ وانهزم الباقون ؛ فتفرّقوا في كلّ وجه . ولَحِق مَن نجا منهم بصنعاء ؛ وولّوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهُذَليّ : [من الطويل]

قتلنا دُعيساً والذي يكتَني الكُنى ... أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليَمانيا
وأبرهةَ الكِنديَّ خاضتْ رماحُنا ... وبلْجاً صبحناه الحُتوفَ القَواضيا
وَما تركت أسيافُنا منذ جُرِّدَتْ ... لمروانَ جبّاراً على الأرض عاديا

[مطولة في رثاء الشراة]

قال المدائنيّ : وبَعث عبدُ الملك بن عطيّة رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيدَ بنِ عبد الملك إلى مروان . وقال عمرو بن الحصين ، ويقال : الحسن العنبريّ ، مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة . وهذه القصيدة التي في أوّلها الغناء المذكور أوّل هذه الأخبار : [من الكامل]

1 ذمرهم : عنّفهم .

هبّتْ قُبيلَ تبلُّج الفجرِ هنـدٌ تقـول وَدمْعها يَجري
أن أبصرتْ عينـي مَدامعهـا ينهـلّ واكِفُهـا عـلى النَّحرِ
أنَّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا سَرِبَ الدّموع وكنتَ ذا صبْرِ
أقـذًى بعينـك مـا يُفارقها أَم عائـرٌ أَم ما لهـا تُذرِي[1]
أَم ذِكرُ أَخوان فُجعتَ بهـم سلكـوا سبيلَهُـمُ عـلى خُبْرِ
فأَجبتُها بـل ذكـرُ مصرَعِهم لا غيرُه عبراتُهـا تَمـرِي
يـا ربِّ أَسلِكنـي سَبيلَهمُ ذا العرش واشْدُد بالتُّقى أَزرِي
في فِتيـةٍ صبروا نفوسَهـمُ للمشرفيّـة والقَنـا السُّمْرِ
تاللهِ أَلقـى الدَّهـرَ مثلَهـمُ حتـى أَكـونَ رهينـةَ القَبرِ
أوفـى بذمّتهـم إذا عَقَـدُوا وَأَعِـفّ عنـد العُسر واليُسرِ
متأَهِّلـينَ لكـلِّ صالحـةٍ ناهـين مَـنْ لاقَوْا عن النُّكْرِ
صُمتٌ إذا احتضروا مجالِسَهم وُزُن لقـول خَطيبهـم وُقْرِ
إلاّ تجيبهـمُ فإنّهـمُ رُجُف القلوب بحضْرة الذُّكْرِ
متأَوِّهـون كأَنّ جمـرَ غَضاً للخوف بين ضلوعِهم يَسري
تلقاهـمُ إلاّ كأَنّهـمُ لخشوعهم صَدَروا عن الحَشْرِ
فهمُ كأَنَّ بهم جَـوى مرضٍ أو مسَّهمْ طَـرْفٌ من السَّحْرِ
لا ليلُهـم ليـلٌ فيلبَسُهـم فيـه غَواشي النـومِ بالسُّكْرِ
إلاّ كـذا خُلساً وآونـةً حذرَ العقابِ وهم على ذُعْرِ
كم من أَخ لك قد فُجعتَ بـه قـوّامُ ليلتِـه إلى الفجْرِ
متـأَوِّهٍ يتلـو قـوارعَ مِـن آي القُـرانِ مفـزَّع الصَّدْرِ
نَصِبٍ تَجيشُ بنـاتُ مُهجته بالموتِ جَيْش مُشاشةِ القِدْرِ[2]
ظمـآن وقـدة كلِّ هاجرةٍ تـرّاكُ لذّتـه عـلى قَدْرِ

1 عائر : ما أعل العين كالعوار .

2 مشاشة القدر : العظم الهش في أطراف المفاصل .

تَرّاك مـــا تهوى النفوسُ إذا رُغَبُ النفوس دَعتْ إلى النَّذْرِ
ومبـــرّأً مـــن كلِّ سَيئـــةٍ عـــفٌ الهوى ذي مِرّة شَزْرِ[1]
والمصطلي بـــالحربِ يسعَرُها بغبارهـــا وبِفتيـــةٍ سُعْـــرِ
يجتاحها بأفـــلّ ذي شُطَبٍ عضبِ المضاربِ قاطعِ البَتْرِ[2]
لا شيءَ يلقـــاه أسرَّ لـــه مـــن طعنـــةٍ في ثُغْرةِ النَّحرِ
نجـــلاء مُنهَـــرة تَجيشُ بما كانت عواصي جَوفِه تَجري
كخليلـــكَ المختـــارِ أُذْكِ بـــه مـــن مقتـــدٍ في الله أو مُشْرِ
خـــوّاض غمـــرةٍ كلِّ مَتلفة في الله تحـــت العِثْيَرِ الكُدْرِ[3]
ترّاك ذي النَّخوات مُختَضِباً بنجيعـــه بالطَّعنـــة الشَّزْرِ
وابن الحصين وهـــل لـــه شَبَهٌ في العرفِ أنَّى كان والنُّكْرِ
بسَّامـــةٍ لم تُحـــنَ أَضلُعـــه لـــذوي أُخَوَّتـــه عـــلى غِمْرِ
طلـــق اللسانِ بكلِّ مُحكمة رآبُ صدع العَظم ذِي الوقْرِ
لم ينفِكـــك في جوفـــه حَزَنٌ تغـــلي حرارتُـــه وتستَشْري
ترقـــى وآونـــةً يُخفِّضُهـــا بتنفّس الصُّعَـــداء والـــزَّفْرِ
ومُخالطـــي بَلْـــجٍ وخَالصتي سُمُّ العـــدوِّ وجابـــر الكَسْرِ
نِكْلِ الخصومِ إذا هُمُ شَغِبوا وسِداد ثَلمـــة عـــورة الثَّغْرِ
والخائضُ الغمراتِ يخطِـــر في وسط الأَعـــادي أيَّما خَطْرِ
بمشطَّـــبٍ أو غير ذي شُطَب هـــامَ العِـــدا بِذُبابِـــهِ يَفْري
وأخيكَ أبرهةَ الهجان أخي الْـ ـــحَرب العَـــوانِ مُلقِّح الجَمْرِ
بمُرِشَّةٍ فَـــرْعٍ تَثُـــجُّ دَمـــاً ثـــجَّ الغويِّ سُلافَـــةَ الخَمْرِ
والضارب الأخدودِ ليس لهـــا حَـــدٌّ ينهنهـــا عـــن السَّحْرِ

---

1 الشّزر : من الفتل وتعني القوة والشدة .

2 العضب : القاطع .

3 العثير : الغبار .

وولِيٌّ حكمهــم فجعتُ بــه عمرو فَواكَبِـدي على عَمرِو
قَــوَّالُ مُحكَمَــةٍ وذي فَهَمٍ عَـفٌ الهــوى متثبّتِ الأَمْرِ
ومسيَّبٍ فاذكــرْ وصيّتَــه لا تنسَ إمّــا كنتَ ذا ذُكْرِ
فكلاهُمــا قــد كان مُحْتَسِباً للهِ ذا تقــوى وذا بِــرٍّ
في مُخْبِتــين ولم أُسمّهـــمُ كانوا يدي وهمُ أُولو نَصري
وهمُ مساعرُ في الوَغـى رُجُحٌ وخِيارُ مَن يَمشي على العَفْرِ[1]
حتى وَفــوْا لله حيث لَقُوا بعهــودِ لا كذبٍ ولا غَدْرِ
فتخالَسوا مُهجــاتِ أَنفسهم وعُداتهــم بقواضــبٍ بُتْـرِ
وأَسنَّــةٍ أُثْبِتْــن في لُــدُنٍ خَطّيــةً بأَكفّهــم زُهْــرِ
تَحتَ العَجاج وفوقَهم خِرَقٌ يخفِقْنَ مــن سُودٍ ومن حُمْرِ
فتفرّجــتْ عنهــم كُماتُهُــمُ لم يُغمِضوا عينــاً على وِتْرِ
فشعارُهــم نِيــرانُ حربِهِــمُ مــا بين أَعلى الشَّحْر فالحِجْرِ[2]
صرعــى فَحاجِلــةٌ تنوشُهُم وخَوامِعٌ لُحمانَهــمْ تَفْـري[3]

[ابن عطية يتوجّه إلى صنعاء]

قال المدائنيّ : وكتب مروانُ إلى ابن عطيّة يأمره بالمسير إلى صنعاء ، ليقاتل مَن بها من الخوارج ، فاستخلفَ ابنَه محمد بن عبد الملك على مكّة ، وعلى المدينة الوليدَ بنَ عروة بن عطيّة ، وتوجَّه إلى صنعاءَ ، ورجع أَهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم ، وكذلك كان مروان شَرَط لهم ، فلمّا قُرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها ، فأَخذ أَهلُ صنعاء أَثقاله وحملين من مالٍ كان معه ، فسَلّموا ذلك إلى ابن عطيّة ، وتتبع أَصحابَ عبد الله بن يحيى في كلّ موضع يقتُلهم ، وأَقام بصنعاء أَشهراً ، ثم خرج عليه رجل من أَصحابِ عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع ، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السبّاق في جمع كثير بالجند ، فبعثَ إليه ابنُ عطيّة بنَ أَخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطيّة ، فلقيه بالحرب ، فهزمه ، وقتل عامة أَصحابه ،

1 العفر : التراب .
2 الحجر : بلد بأعلى المدينة .
3 فحاجلة : جمع فحجل وهو الأفحج . خوامع : ضباع جمع خامعة .

وهرب منه فنجا ، وخرج عليه يحيى بن كرْب الحميري بساحل البحر ، وانضمّت إليه شُذّاذُ الإباضية ، فبعث إليه أبا أمية الكِندِيّ في الوضاحية ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرَمَوت ، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له : عبد الله بن معبد الجرْمي ، فصار في جيش كثير ، واستفحل أمرُه ، وبلغ ابنَ عطيّة الخبرُ ، فاستخلف ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطيّة على صنعاء ، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبدَ الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعامَ وكلَّ ما يحتاجون إليه في مدينة شبام . وهي حصن حضرموت مخافة الحِصار . ثم عزموا على لقاء ابن عطيّة في الفلاة ، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، في عدد كثير في فلاة . وأتاهم ابن عطيّة ، فقاتلهم يومه كلّه ، فلمّا أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حَدَر عسكرَه في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً . ثم أصبح ، فقاتلَهم حتى انتصف النهارُ . ثم تحاجزوا ، فلمّا أمسوا ، تبع عسكرَه . وأصبح الخوارج ، فلم يرَوْا للقوم أثراً . فاتّبعوهم وقد سبقوهم إلى الحِصْن ، فأخذوا جميعَ ما فيه ومَلَكوه ، ونصب ابنُ عطيّة عليهم المسالِح ، وقطع عنهم المادّة والمِيرَة ، وجعل يقتل مَن يقدر عليه ويَسبي ويأخذُ الأموال .

[مصرع ابن عطيّة]

ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجّل إلى مكّة ، ليحُجّ بالنّاس ، فصالح أهل حضرموت على أن يردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم . ويولي عليهم مَن يختارون ، وسالَموه ، فرضي بذلك ، وسالَمهم وشخَص إلى مكّة متعجّلاً مُخِفّاً . ولّما نفَذ كتابُ مروان ندِمَ بعد ذلك بأيّام ، وقال : إنّا لله ! قتلت واللهِ ابنَ عطيّة ؛ هو الآن يخرج مُخِفّاً مُتعجّلاً ، ليلحق الحجّ ، فيقتُلَه الخوارجُ . فكان كما قال : تعجَّل في بضعة عشر رجلاً ، فلمّا كان بأرض مُراد تلفَّفت عليه جماعةٌ ، فمَن كان من تلك الجماعة إباضيّاً عرفه ، فقال : ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ، ومن لم يكن إباضياً ظنّه من الإباضية ، وأنّه منهزم ، فلمّا علِم أنّهم يريدونَه قال لهم : ويحكم ! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجّ ، فلم يلتفِتوا إلى ذلك . وقتلوه ، ونصبتِ الإباضية رأسَه ، فلمّا فتشوا متاعه ، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحَجّ ، فأخذوا من الإباضية رأسَه ، ودفنوه مع جسده .

قال المدائنيّ : خرج إليه جُمانة وسَعيد ابنا الأخْنَس ، في جماعةٍ من قومهما من كِندة ، وعرفه جُمانة لّما لقِيَه ، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من هَمدان ، يقال له : رُمّانة .

وثلاثة من مُراد ، وخمسة من كِندة ، وقد توجّه في طريق مع أربعة نفرٍ من أصحابه . وتوجّه باقيهم في طريق آخر ، فقصدوا حيث توجّه ابن عطيّة ، ووجّهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم ، فأدركوهم فقتلوهم ، وأدرك سعيدٌ وجُمانة وأصحابُهما ابنَ عطيّة ، فعطف عبد الملك على سعيد ، فضربه وطعنه جُمانة ، فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد ، فقعد على صدره ، فقال له ابنُ عطيّة : هل لك يا سعيدُ في أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال : يا عدوَّ الله ، أترى اللهَ كان يمْهلك ؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقّ وأبا حمزة وبلْجا وأبرَهة ! فقتله وقتل أصحابَه جميعاً . وبعثوا برأسه إلى حضرموت ، وبلغ ابنَ أخيه ، وهو بصنعاء ، خبرُه . فأرسل شُعيباً البارقيّ في الخيل . فقتل الرجال والصِّبيان . وبقر بطونَ النساء ، وأخذ الأموالَ ، وأخربَ القُرى ، وجعل يتتبع البرِيء والنَّطِف[1] . حتى لم يَبْقَ أحدٌ من قتلة ابن عطيّة ولا من الإباضية إلاّ قتله ، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأَمرُ إلى بني هاشم ، وقام بالأمر أبو العبّاس السفّاح .

* * * *

1 النّطف : النجس والمريب .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبرهيم السّعافين	الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الرّابع والعشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

24

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[523] ـ خبر عبد الله بن أَبي العلاء

عبدُ اللهِ بنُ أَبي العلاء ، رجلٌ من أَهلِ سُرَّ مَن رأى . وكان يأخُذُ عن إسحاقَ وطبقتِه فبَرع ، وله صنعةٌ يَسيرةٌ جيِّدةٌ .

[حسن الوجه والزي]

وابنُه أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بن أَبي العلاء ، أَحدُ المُحْسِنين المتقدِّمين ، أَخذ عن مُخارقٍ وعلُّويَه وطَبَقتِهما . وعُمِّرَ إلى آخرِ أيّام المعتضدِ . وكانت فيه عرْبدةٌ .

وكان عبدُ الله بن أبي العَلاء حَسَنَ الوجهِ والزِّيِّ ، ظريفاً شَكِلاً .

حدَّثني ذَكاءُ وجهُ الرُّزّة قال : قال لي ابنُ المكّي المُرْتَجِلُ : كان يُقوِّم دابة عبدِ الله بن أَبي العلاءِ وثيابَه إذا ركب ألفَ دينارٍ .

[يعتذر عن البقاء عند إسحاق]

قال : وقال لي ابنُ المكِّيّ : حدَّثني أَبي ، قال : نظر أحمدُ بن يُوسُفَ الكاتبُ إلى عبد الله بنِ أبي العلاء عند إسحاقَ ، وهو يُطارِحُه ، فأقام عند إسحاقَ ، وسأَلَه احتباسَ عبدِ الله عندَه ، فأَمَرَه بذلك ، فاعْتلَّ عليه . وقال : أُرِيدُ أن أُشَيِّع غازياً يخرُجُ من جيراننا ، فقال له أحمدُ بن يوسُفَ : [من الكامل]

لا تَخرُجَـنَّ مـع الغُزاةِ مُشَيِّعاً   إنَّ الغَـزِيَّ يـراكَ أَفضلَ مَغْنَمِ
ودَع الحَجيجَ ولا تُشيِّع وَفْدَهُمْ   أَخْشى عليكَ من الحَجيجِ المُحرِمِ
مـا أَنـتَ إلاَّ غـادَةٌ مَمْكُورةٌ   لـولا شَوارِبُـكَ المُحيطةُ بالفَمِ

وقد رُوِي أنَّ هذا الشعرَ لسعيدِ بن حُمَيدٍ[1] في عبد الله بن أَبي العلاء . وهو الصَّحيح .

فأقسمَ عليه إسحاقُ أن يُقيمَ ، فأقامَ .

وقال لي جعفرُ بن قُدامةَ ، وقد تجاذبْنا هذا الخبرَ : حدَّثني حمّادُ بن إسحاقَ ، عن أبيه : أنّ العِشْرةَ اتّصلتْ بينَ عبدِ الله وبين أحمدَ بن يوسفَ ، وتَعشَّقَهُ وأنفَقَ عليه جُملةً من المالِ ، حتّى اشتهرَ به ، فعاتبَه محمدُ بن عبدِ المَلِكِ الزيّاتِ ، في ذلك ، فقال له : [من السريع]

1 تقدمت هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة سعيد بن وهب منسوبة إليه في الجزء 20 : 215 .

لا تعذِلنّي يـا أبا جَعْفرٍ عَذْلُ الأخِلاّءِ مـن اللُّومِ
إنَّ استَهُ مُشْرَبَـةٌ حُمرةً كأنَّها وَجْنَـةُ مَكْظُومِ

وقد قيل : إنَّ هذين البيتين لأحمدَ بن يوسُف في موسى بن عبد الملك .

[أبوه سقاء]

وكان بعضُ الشعراء قد أُولِعَ بعبد الله بن أبي العلاء ، يهجوه ويذكرُ أنَّ أباه أبا العلاء هو سالم السَّقّاء ، وفيه يقول هذا الشعرَ : [من الخفيف]

كنتُ في مَجْلسٍ أنيقٍ جَميلٍ فأتانـا ابـنُ سالمٍ مُخْتالا
فتَغنَّى صَوتـاً فأخطأَ فيـهِ وابتَـدا ثانيـاً فكان محالا
وابتغى خِلْعةً على ذاكَ مِنّا فخَلَعْنا على قَفـاهُ النِّعالا

وفيه يقولُ هذا الشاعرُ ، أُنشدناه ابنُ عمّارٍ وغيرُه : [من الوافر]

إذا ابنُ أبي العـلاء أُقيمَ عَنّا فأهــلاً بـالمُجالسِ والرَّحيقِ
قَفاهُ على أكُفِّ الشَّرْبِ وَقْفٌ وجِلْـدةُ وَجْهِـهِ مَيدانُ رِيقِ

صوت

[من المتقارب]

أفاطِـمَ حُيِّيـتِ بـالأسعُدِ مَتـى عهدُنا بـكِ لا تبعُدِي
تبارَكَ ذو العَرشِ ، ماذا نَرى من الحُسْنِ في جانِبِ المسْجِدِ
فإنْ شِئْتِ آليتُ بـينَ المقا مِ والرُّكـنِ والحَجَرِ الأسودِ
أنْساكِ مـا دامَ عَقْـلي مَعي أمُـدُّ بـه أمَـدَ السَّرْمَدِ

الشعر لأُميَّة بنِ أبي عائذٍ[1] . والغناء لحَكَمٍ الوادي ، هَزَجٌ خفيفٌ ، بإطلاق الوَتَر في مجرى الوُسْطى ، عن إسحاقَ . وفيه للأبجر ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى ، عن عمرٍو . وقال ابنُ المكّي[2] : فيه هزَجٌ ثقيلٌ بالبِنصر لعمر الوادي . وفيه لفُليح لحنٌ من رواية بَذل . ولم يذكر طريقته .

1 شرح أشعار الهذليين : 493 ، وفيه في البيت الأخير : «نسيتك» .
2 ل : ابن الكلبي

[524] ـ نسب أَميّة بن أَبي عائذ وأَخباره[1]

أُميّةُ بنُ أَبي عائذٍ العَمْريُّ ، أَحدُ بني عمرٍو بن الحارثِ بن تميمٍ بن سَعْد بن هُذَيْل . شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعراء الدّولةِ الأُمويّة . وهذا أَكثرُ ما وجدتُه من نسبه في سائرِ النُّسَخِ .

[مداح لبني مروان]

وكان أُميّةُ أَحد مَدّاحِي بني مروان ؛ وله في عبدِ الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروانَ قصائِدُ مشهورةٌ .

فذكر ابنُ الأعرابيّ وأَبو عبيدةَ جَميعاً : أنّه وَفَد إلى عبدِ العزيز إلى مصر قاصداً له وقد امتدحَه بقصيدتِه التي أَوّلُها[2] : [من المتقارب]

أَلا إنَّ قَلبي مَعَ الظاعِنينا حَزِينٌ فمَن ذا يُعَزِّي الحَزِينا
فيا لكِ من رَوْعةٍ يومَ بانُوا بمَن كنتُ أَحسَبُ أَلاَّ يَبِينا

في هذين البيتين للحُسَين بن مُحْرِزٍ خفيف ثقيل ، عن الهشاميِّ .

وفي هذه القصيدة يقول :

إلى سيِّد الناسِ عبدِ العزيـ ـزِ أَعْملتُ للسَّيْر حَرْفاً أَمُونا[3]
صُهابيّةً كعَلاةِ القُيو نِ من ضَرْبِ جَوهرٍ ما يُخْلِصُونا[4]
إذا أَزبَدَتْ من تَبارِي البطيّ خِلتَ بها خَبَلاً أَو جُنُونا[5]
تَؤُمُّ النّواعِشَ والفَرْقدَيْـ ـنِ تُنصِّب للقَصْدِ منها الجَبِينا[6]

1 ترجمة أمية بن أبي عائذ في الشعر والشعراء : 558 والإصابة 1 : 117 والخزانة 2 : 435-436 والسمط : 482 .

2 شرح أشعار الهذليين : 515-520 .

3 الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . الأمون : التي أمن أن تكون ضعيفة .

4 صهابية : في بياضها حمرة . والعلاة : السندان . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد . ومن ضرب جوهر : أي من خالصه .

5 بها خبلاً في شرح أشعار الهذليين : بها أخيلاً .

6 النواعش : بنات نعش .

إلى مَعــدِنِ الخيرِ عبــدِ العزيزِ تُبلِّغُنــا ظُلَّعــاً قــد حَفِينا[1]
تَـرى الأُدْمَ والعِيسَ تحـت المسُو حِ قد عُدنَ من عَرَقِ الأَيْنِ جُونا[2]
تَسيِـرُ بمدحِـيَ عبـدَ العزيـ ـزِ رُكبـانُ مكَّـةَ والمُنجِدُونا[3]
مُحَبَّـرةٌ مـن صَرِيحِ الكـلا مِ ليس كما لَفَّـقَ المُحْدثـونا[4]
وكان امـرءاً سيِّـداً ماجـداً يُصَفِّـي العَتِيقَ ويَنفـي الهَجِينا[5]

[تشوّقه إلى أهله]

قال : وطال مُقامُه عند عبدِ العزيز ، وكان يأنَسُ به ، ووصلَه صِلات سَنِيَّةً ، فتشوَّق إلى الباديةِ وإلى أهلِهِ ، فقال لعبدِ العزيز[6] : [من الطويل]

مَتى راكبٌ من أَهْلِ مصرَ وأَهْلُه بمكَّـةَ مـن مصرَ العَشيَّةَ راجعُ
بَلى إنَّها قـد تقْطعُ الخرْقَ ضُمَّرٌ تُبارِي السُّرى والمُعْسِفون الزعازِعُ
متى ما تُجزْهـا ابنَ مروانَ تَعْترف بلادَ سُلَيْمَى وهي خَوصاءُ ظالِعُ[7]
وباتَتْ تؤُمُّ الدَّارَ من كلِّ جانبٍ لتخرُجَ واشتدَّت عليها المَصارِعُ[8]
فلمّـا رأَتْ ألاّ خُـروجَ وأنَّما لها مـن هَواها ما تُجِنُّ الأَضالِعُ
تَمطَّـتْ بمجدولٍ سِبَطرٍ فطالَعَتْ وماذا مـن اللَّوحِ اليَماني تُطالِعُ[9]

فقال له عبدُ العزيز : اشتقتَ ، واللهِ ، إلى أَهلِكَ يا أُميَّةُ . فقال : نعم ، والله ، أيُّها الأَميرُ ، فوَصَله وأَذِن له .

وممَّا يُغنَّى فيه من شعرِ أُمَيَّةَ : [من المتقارب]

---

1 ظلعاً في شرح أشعار الهذليين : ظلّماً .
2 جون : سود .
3 شرح شعر الهذليين : وسار بمدحة . . .
4 شرح أشعار الهذليين : كما لصّق . . .
5 شرح أشعار الهذليين :
وأنت امرؤ ماجد سيد تصفي . . . . وتنفي
6 شرح أشعار الهذليين : 531 .
7 الشطر الأول في ل وشرح أشعار الهذليين : متى ما يجوزها ابن مروان . والخوصاء : الغائرة العينين . وفي شرح أشعار الهذليين : بلاد سليم .
8 وباتت تؤم في شرح أشعار الهذليين : وباتت تروم .
9 بمجدولٍ سبطر في ل : بمجد مسبطر . والسبطر : السريع .

صوت

تَمُــرُّ كجَنْدلــةِ المنْجَنِيــ ـقِ يُرْمى بها السُّورُ يومَ القتالِ
فمــاذا تُخَطْرِفُ مــن قُلَّــةٍ ومــن حَــدَبٍ وإكامٍ تَــوالي
ومــن سَيْرِهــا العَنَقُ المسْبَطِرُّ والعَجْرفيَّــةُ بعــد الكلاَلِ

الغناءُ لابن عائشة[1] . وقد ذُكر في أخباره مع غريبِه ، وأحادِيثَ لابن عائشةَ في معناه .

صوت

[من الطويل]

أأُمَّ نُهَيكٍ ارْفَعي الطَّرْفَ صاعِداً ولا تيأسي أن يُثريَ الدَّهرَ بائسُ
سيُغْنِيكِ سَيْري في البِلادِ ومَطْلَبي وبَعلُ التي لم تَخطَ في الحيِّ جالسُ
سأكسِب مــالاً أو تَبيتنَّ لَيلــةً بصدرِكِ من وَجْـدٍ عليَّ وساوِسُ
ومــن يَطْلبِ المــالَ الممنَّعَ بالقَنا يَعِشْ مُثْرِياً أو يُــودِ فيما يمارسُ

الشعر : لعبدِ الله بن أبي مَعْقِلِ الأنصاريّ[2] . والغناء : لسُلَيم ، خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى ، عن عمرو . وقد ذكر ابن المكّيّ أن فيه لإبراهيمَ لحناً من الهزَج بالوُسْطى ، وذكر الهاشميُّ وحَبَشٌ أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لإسحاقَ .

---

1 تقدمت الأبيات وشرح أبي الفرج في ترجمة ابن عائشة في الجزء 2 : 142 .

2 ورد بعض هذه الأبيات في التذكرة الحمدونية 8 : 124 وهي في السمط 2 : 46 وأبيات من القصيدة نفسها سترد بعد قليل ، وفي الشعر والشعراء : 123 ، ويشار في المرجعين إلى الشاعر باسم : عبد الله بن نهيك وهو اسم جده .

[525] ـ أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ أَبي معقل بن نُهيك بن إسافِ بن عديٍّ بن زَيد بن جُشَمَ بن حارثةَ بن الحارِث بن الخَزْرَج بن عمرو ، وهو النَّبيتُ ، بن مالك بن الأوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرٍو بن عامرِ بن حارثةَ بن امرىء القَيْس بن ثَعْلبة بن مازنِ بن الأزْدِ بن الغَوْثِ بن نَبْتِ بن مالكِ بن زيد بن كهلانَ بن سَبَأ بن يَشجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان .

شاعر مُقِلٌّ حجازيٌّ من شُعراءِ الدّولة الأُمويّة .

وكان يقال لأبيه : مُنهِب الوَرِق . وقيل : بل جَدُّه المسمَّى بذلك ، لأنّه كسَب مالاً ، فعجب أهلُ المدينة من كثْرتِه ، فأباحَهُمْ إيّاه فنهبوه .

[البيتان الأوّلان ليسا لجدّه]

أَخبَرني الحِرْميُّ بنُ أَبي العَلاءِ قال : حدَّثني أَبو بكر عبدُ الله بن جعفر بن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : حدَّثني جدِّي مُصْعَب[1] بن عبد الله ، عن ابن القدّاح أنّه قال : هذان البيتان ، يعني قوله : [من الطويل]

أَأُمَّ نُهَيْكٍ ارفعي الطرف صاعداً . . .

والذي بعدَه لعبدِ الله بن أبي مَعْقِل بن نُهيك بن إساف ، والناس يروونهُما لجدِّه . وليس ذلك بصحيحٍ ؛ هما لعبدِ الله .

وكان عبّادُ بن نُهيك بن إساف ، عمُّه ، أَدرك النبيَّ ﷺ ، وصَحِبَه ، وصلَّى معهُ إلى القِبلَتين ، وصلّى معه الظهرَ ، وصلَّى معه ركعتين منها إلى بيتِ المَقْدِس ، وركعتيْن إلى الكعبةِ .

وأدرك النبيَّ ، ﷺ وآلِه ، وهو شيخٌ كبيرٌ لا فضل فيه ، فوضع عنه الغَزْوَ .

وكان نُهيك بن إساف يُهاجي أبا الخَضراء الأشهليَّ في الجاهليّة . وأشعارُهما موجودةٌ في أشعارِ الأنصار .

[قومه يعادونه ليساره]

أَخبرني الحِرْميُّ بن أَبي العلاء قال : قال : حدَّثني عبدُ الله بن جعفرٍ عن جدِّه مُصْعَب ، عن ابنِ القدَّاح قال : كان ابنُ أَبي مَعْقِل مَحْسوداً في قومِه ، يُجاهرُونه بالعداوةِ ، ليساره

1 هذه الأبيات هي أبيات الشعر والشعراء التي أشرنا إليها : 123 .

وسعةِ مالِه ، ويحسدونه . وكان بَنى قصراً في بني حارثة ، وسمّاه : «مُرْغَماً» وقال له قائل : ما لَكَ ولقومِكَ ؟ فقال : ما لي إليهم ذَنْبٌ إلاّ إنّي أثريتُ وكنتُ مُعدِماً ، وبَنيْتُ مُرغَماً ، وأنكحتُ مريمَ ومريمَ ، يعني ابنتَه مريم وبنت ابنِه مريم .

فأمّا ابنتُه مريم فتزوَّجها حبيبُ بن الحكَم بن أبي العاصي بن أُميّة ، وبنتُ ابنِه مسكينِ بن عبدِ الله بن أبي مَعْقِل ، وهي مريم ، تزوَّجها محمد بن خالد بن الزُّبيرِ بن العوّام .

[مريم الكبرى والصغرى]

أخبرني الحِرْميُّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال : حدَّثني عمّي مُصْعَبٌ قال : خَطَب محمدُ بن خالد بن الزُّبير وحَبيبُ بن الحكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي مَعْقِل ابنته مريم ، فأرْغَبه حبيبٌ في الصَّداقِ فزوَّجَه إيّاها ، ثم شبَّت مريمُ بنتُ مِسكينِ بن عبد الله بن أبي معقل ، فبَرعت في الجمال . ولَقيَ محمدَ بن خالد يوماً فقال له : يا ابن خالدٍ ، إن تكن مريمُ قد فاتَتْك فقد يفعتْ مريمُ بنتُ أخيها ، وما هي بدونها في الجمال ، وقد آثرتُك بها . قال : فتزوَّجَها على عشرين ألفاً .

[يرحل طلباً للغنى]

وقال ابنُ القدَّاح : كان ابنُ أبي معقل كثيرَ الأسفارِ في طَلَبِ الرِّزْق ، فلامَتْه امرأتُه أُمُّ نُهَيكٍ ، وهي ابنة عمّه ، على ذلك ، وقد قَدِم من مصر ، فلم يلبثْ أن قال لها : جهِّزيني إلى الكوفة ، إلى المُغيرةِ بن شُعْبَةَ ، فإنّه صديقي وقد وليَها . فجهَّزته ثم قالت : لن تزالَ في أسفارِكَ هذه تتردَّدُ حتى تموتَ ، فقال لها : أو أُثْريَ . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أأُمَّ نُهيْكٍ ارْفَعي الطَّرْفَ صاعِداً ولا تيأسي أن يُثْرِيَ الدَّهرَ بائِسُ

وهي قصيدةٌ فيها ممّا يُغنّى فيه قولُه : [من الطويل]

صوت

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشةِ الفَتى وجَدِّك لم أحفِلْ متى قام رامسُ
فمِنهنَّ تحريكُ الكُمَيْتِ عِنانَهُ إذا ابتدَر النَّهبَ البعيدَ الفوارسُ
ومِنهُنَّ سَبْقُ العاذِلاتِ بشَربةٍ كأنَّ أخاها ، وهو يقْظانُ ، ناعِسُ
ومنهنّ تجريدُ الأَوانِس كالدُّمَى إذا ابتزَّ عَنْ أكفالِهِنَّ الملابِسُ

الغناءُ في هذه الأبياتِ : لمقاسة بن ناصِح ، ثقيل أوّل بالبِنصَرِ . وفيها للحُسَين بن مُحْرِز خفيفُ ثقيل من جامع أغانيه . وهو لحنٌ معروفٌ مشهورٌ .

قال ابن القدّاح : ثم قَدِم المدينةَ ، فلم يزل مُقيماً بها حتى وليَ مُصعبُ بنُ الزُّبير العراقَ ، فوفَد إليه ابن أبي مَعْقِل ، ولَقِيَه ، فدخل إليه يوماً وهو يندبُ الناسَ إلى غزوة زَرَنج ويقول : مَن لها ؟

[يصيب مالاً من غزوة زرنج]

فوَثَب عبد الله أبي مَعْقِل وقال[1] : أَنا لها : فقال له : اجْلس ، ثم ندَب الناس ، فانتَدبَ لها مرّةً ثانيةً ، فقال له مُصْعَبٌ : اجلس ، ثم ندَبهم ثالثةً ، فقال له عبدُ الله : أنا لها ، فقال له : اجلس . فقال له : أدْنني إليكَ حتى أُكلِّمَكَ ، فأدناه ، فقال : قد علمت أنّه ما يمنعُكَ منّي إلاَّ أنّكَ تعرفُني ، ولو انتدَب إليها رجلٌ ممّن لا تعرفه لبعثته ، فلعلَّك تحسُدني أن أُصيبَ خيراً أو أستشْهِد فأستريح من الدُّنيا وطلبِها . فأعجبَه قولُه وجزالتُه فولاّه ، فأصابَ في وجهِه ذلكَ مالاً كثيراً ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : أَلَم أُخْبِرك في شعري أنّه : [من الطويل]

سيُغنِيكِ سَيْري في البلادِ ومَطلَبي ... وبَعلُ التي لم تَحْظَ في الحيِّ جالسُ

فقالتْ : بلى واللهِ ، لقد أخبرتني وصدَق خبرُك .

قال : وفي هذه الغَزاةِ يقول ابنُ قيس الرقيّات[2] : [من الخفيف]

صوت

إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحنُ بخير قد ... أَتانـا من عيشِنا مـا نُرَجّي
مَلِكٌ يُطعِـمُ الطّعـامَ ويَسقِي ... لَبَن البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ
جَلَب الخيلَ مـن تِهامَة حَتَّى ... بلغَتْ خَيْلُـه قُصورَ زَرنجِ[3]

صوت

[من البسيط]

يَقتُلْنَنا بحَديـثٍ ليس يَعلمُـه ... مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكْنونُـهُ بادِي
فهُنَّ ينبِذْنَ مـن قولٍ يُصِبْن به ... مواقعَ الماءِ من ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي

الشعر : للقُطاميّ[4] . والغناء : لإسحاق . خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى وفيه رمل مجهول .

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 8 : 124–125 .
2 ديوان ابن قيس الرقيات : 180 .
3 زرنج : قصبة سجستان .
4 ديوان القطامي : 81 .

[526] ـ ذكر نسب القطامي وأخباره[1]

[نسبه]

القُطاميّ لَقَبٌ غَلَب عليه ، واسمُه عُمَيْر بن شُيَيم ، وكان نصرانيّاً ، وهو شاعر إسلاميٌّ مُقِلّ مُجِيدٌ .

[الأخطل يفضله على نفسه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثَنا الكرانيّ قال : حَدَّثنا العُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عَديٍّ ، عن عبد الله بن عيّاش ، عن مُجالد ، عن الشَّعبيّ قال : قال عبدُ الملِكِ بن مروان ، وأنا حاضرٌ ، للأخطل : يا أخطلُ ، أتُحِبُّ أنّ لكَ بشعرِك شعرَ شاعر من العربِ ؟ قال : اللهمَّ لا ، إلاّ شاعراً منّا مُغْدَفَ القناع[2] ، خامِلَ الذِّكر ، حديث السِّنّ ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولودِدْتُ أنّي سبَقْتُه إلى قوله : [من البسيط]

يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعْلمُه ... مَنْ يتَّقينَ ولا مَكنونُه بادِي
فهُنَّ ينبذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ به ... مَواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصَّادي

[تلقيبه بصريع الغواني]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال : القُطاميُّ أوَّلُ مَن لُقِّب «صريع الغواني» بقوله : [من الطويل]

صَرِيعِ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَه ... لَدُنْ شبَّ حتى شابَ سُودُ الذَّوائبِ

[هجاء محاربيه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : نزل القطاميُّ في بعضِ أسفارِه بامرأةٍ من مُحاربِ قيسٍ ، فنسَبها ، فقالت : أنا من قوم يشتَوُون القَدّ من الجُوع ، قال : ومَن هؤلاء ويحَكِ ؟ قالت : مُحارِبٌ ، ولم تَقْرِه ، فبات عندها بأسوأ ليلةٍ ، فقال فيها قصيدةً أوّلُها[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة القطامي في الشعر والشعراء : 609 وخزانة البغدادي 12 : 370–371 والمؤتلف : 251 ومعجم المرزباني : 73–74 وطبقات ابن سلام : 534–540 وانظر بروكلمان 1 : 236–237 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه بارت (ليدن ـ 1902) وطبع مرة أخرى بتحقيق السامرائي ومطلوب ، وإلى هذه الطبعة نشير .

2 مغدف القناع : قناعه مرسل على وجهه .

3 ديوان القطامي : 42–47 .

نأتْكَ بليلى نِيَّةٌ لم تُقارِبِ   وما حُبُّ ليلى من فُؤادِي بِذاهِبِ

يقول فيها :

ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ يُخبِرُ ما رأى   مُخَبِّرُ أهلٍ أو مُخَبِّرُ صاحِبِ
سأُخبِرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ منزلٍ   تَضيَّفتُها بين العُذَيبِ فراسِبِ[1]
تَلفَّفْتُ في طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّني   وفي طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ[2]
إلى حَيْزبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدَما   تَلَفَّعَتِ الظَّلْماءُ من كلِّ جانبِ
تَصلَّى بها بَرْدَ العِشاء ولم تَكُنْ   تَخالُ وَمِيضَ النَّارِ يَبْدُو لراكبِ[3]
فما راعَها إلاّ بُغامُ مَطِيَّةٍ   تُريحُ بمحْسُورٍ من الصَّوتِ لاغِبِ[4]
تقولُ وقد قرَّبْتُ كُورِي وناقتي   إليكَ فلا تَذْعَرْ عَلَيَّ ركائِبي
فلمّا تنازَعْنا الحديثَ سألْتُها :   مَن الحيُّ قالت : مَعْشَرٌ من مُحارِبِ
من المُشْتَوِينَ القِدَّ مِمَّا تَراهُمُ   جِياعاً وريفُ النّاسِ ليس بِعازِبِ[5]
فلمّا بَدا حِرْمانُها الضَّيفَ لم يكنْ   عليَّ مُناخُ السَّوْءِ ضَرْبَةَ لازِبِ

[قصيدة رفعت ذكره]

قال أبو عمرو بن العَلاء : أوّل ما حَرَّك من القُطاميّ ورفَع من ذِكرِه أنّه قَدِم في خلافةِ الوليدِ بن عبد الملِك دمشقَ ليمدَحه ، فقيل له : إنّه بخيلٌ لا يُعطي الشُّعراءَ . وقيل : بل قَدِمَها في خلافة عُمَر بن عبد العزيز ، فقيل له : إنّ الشعر لا ينْفُق عند هذا ولا يُعطي عليه شيئاً ، وهذا عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك فامتدِحْه ، فمدَحَه بقصيدته التي أوّلها[6] : [من البسيط]

إنَّا مُحيُّوكَ فاسلمَ أيُّها الطَّلَلُ   وإنْ بَليتَ وإن طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ[7]

فقال له : كم أمَّلْتَ من أميرِ المؤمنين ؟ قال : أمَّلْتُ أن يُعطِيَني ثلاثين ناقةً . فقال : قد

---

1 سأُخبرُك في الديوان : لمخبرك . والعذيب وراسب : موضعان .
2 الطرمساء : الظلمة الشديدة .
3 وميض في الديوان : وبيص . والوبيص : البريق .
4 مطية في الديوان : مطيتي .
5 القد : جلد ولد الناقة ساعة يولد ويشوى ويؤكل في الجدب . الديوان : وريف الناس ليس بناضب .
6 الديوان : 23–30 .
7 الطيل : الدهر .

أمرتُ لكَ بخمسين ناقةً مُوقَرةً بُرّاً وتمراً وثياباً ، ثم أَمَرَ بدفع ذلك إليه .

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نسبته : [من البسيط]

صوت

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ
يَمْشِينَ رَهواً فلا الأَعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصُّدورُ على الأَعجازِ تَتَّكِلُ[1]

الغناء لسُليم ، هزج بالبِنصر . وقيل : إنّه لغيره .

[أشعر الناس]

أخبرني ابنُ عَمَّار قال : حدَّثنا محمد بن عبَّاد قال : قال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : لو قال القُطاميُّ بيتَه : [من البسيط]

يَمْشِينَ رَهواً فلا الأَعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ عَلى الأَعجازِ تَتَّكِلُ

في صفة النساء لكان أشْعَرَ الناس .

ولو قال كُثَيِّرٌ[2] : [من الطويل]

فقلتُ لها : يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

في مرثية أو صفةِ حَرْب لكان أشعر النَّاس .

[بيد الابطاء والعجلة]

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظة قال : حدَّثني مَيْمونُ بن هارون قال : حدَّثني رجلٌ كان يُديم الأَسفارَ ، قال : سافرتُ مَرَّةً إلى الشَّام على طريق البَرَّ ، فجعلتُ أتمثَّل بقول القُطاميِّ : [من البسيط]

قد يُدرِكُ المُتأنِّي بعضَ حاجَتِهِ ... وقد يكونُ مع المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ

ومعي أعرابيٌّ قد استأجرت منه مَرْكَبي ، فقال : ما زاد قائلُ هذا الشعرِ على أن ثَبَّطَ النَّاسَ عن الحَزْم ، فهلاَّ قال بعدَ بيته هذا :

ورُبَّما ضَرَّ بعضَ الناسِ بُطْؤُهُمْ ... وكان خيراً لَهُمْ لو أَنَّهُمْ عَجِلُوا

[غارة زفر على المصيخ]

وكان السببُ في أَسْر القطاميّ ، على ما حَكاه مَن ذكَرْنا ، وذكر ابن الكلبيّ عن عُرامِ بن

---

1 رهواً : برفق . والبيت في وصف الإبل .

2 ديوان كثير : 97 .

حازمِ بن عطيَّة الكلبيِّ قال : أغار زُفَرُ بن الحارث على أهل المُصَيَّخ ، وبه جماعةٌ من الحاجّ وغيرِهم ، وقد أصابَ أوّل النّهارِ أهلَ ماءٍ يقال له : حَصْف ، وفيه سيِّدُ بني الجُلاحِ مَصاد بنُ المُغيرة بن أبي جَبلة ، فأسره . فأتى به قَرْقيسيا ، ثم مَنَّ عليه ، وقتَل عفيفَ بن حسَّان بن حُصَيْن من بني الجُلاحِ . ثم مضى زُفَر إلى المُصيّخ فاجتمع مَن بها إلى عُمَير بن حسّان بن عُمر بن جَبلة فامتنعوا . فقال لهم زُفَرُ : إنّي لا أُريد دماءَكم ، فأَعْطُوا بأيديكم . فأبَوْا وقاتلوا فقُتل منهم جماعةٌ كثيرةٌ ، وقُتِلَ معهم رجُلانِ من تَغْلِبَ ، يقال لأحدهما : جسَّاس ، والآخر غَنيّ ، وهو أبو جسَّاسٍ . وقد قالت له امرأتُه : يا أبا جسَّاسٍ ، هؤلاء قومُكَ فأْتِهم حين اجتمعوا وامتنعوا ، فقال : اليومَ نزاريٌّ وأمس كلبيٌّ ! ما أنا بمُفارقهم . فقاتَل حتّى قُتِل ، فكانت القتلى يوم المُصيّخ من كلْبٍ ثمانيةَ عشر رجلاً والتّغلَبيِّين ، وبقي الماءُ ليس فيه إلاّ النّساء . فلمّا انصرفَ عنهمُ زُفَرُ أراد النساءُ أن يجرُرْنَ القتلى إلى بئرٍ يقالُ لها : كوكب . فلمّا أردْنَ أن يجرُرْنَ رجُلاً قالت وليّتُه من النّساء : لا يكونُ فلانٌ تحت رجالِكُنَّ كلِّهم . فأتَتْ أُمُّ عميرِ بن حسّان ، وهي كيِّسةُ بنتُ أُبيٍّ ، فأعْلقت في رِجْلِه رداءَها ، ثم قالت : اجسُر عُميرُ فإنّ أباك كان جَسُوراً ؛ ثم أَلقَتْ عليه التّرابَ والحَطَبَ ليكونَ بينَه وبين أصحابه شيءٌ . ثم جعلْن كلّما ألقَيْن رجلاً ألقَيْن عليه التّرابَ والحَطَب حتى وارتهم القليب . ولمّا بلغَ حُميدَ بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ما لَقِيَ قومُهُ أقبل حتى أتى تدْمُر ليجمع أصحابه ، وليغير على قيس . فلمّا وقعت الدِّماء نهض بنو نُميرٍ ، وهم يومئذٍ ببطن الجبل ، وهو على مياهٍ لهم ، إلى حُميد بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ، حتى قدِمَ وراءَهُ يتهيَّأُ للغارة ، واجتمعت إليه كلبٌ ، وقالوا له : إن كنت تُبْرِئُنا ببراءَتِنا ، وتعرف جوارنا أقَمْنا ، وإن كنت تتخوّفُ علينا من قومِكَ شيئاً لحِقْنا بقومِنا . فقال : أتُريدون أن تكونوا أدِلاَّءَهُمْ حتى تنجليَ هذه الفِتْنَةُ ؟ فاحتبسهُمْ فيها ، وخليفتُه في تَدْمُر رجلٌ من كلبٍ يقال له : مَطَر بن عوص ، وكان فاتِكاً ؛ فأراد حُمَيداً عَلى قتلِهم ، فأبى وكَرِهَ الدِّماءَ . فلمّا سار حُميدٌ ، وقد عاد زُفَرُ أيضاً مُغِيراً ، لِيَرُدَّه عمَّا يريدُه ، فنزل قريةً له ، وبلغهُ مَسيرُ زُفَر فاغتاظ وأخذ في التّعبئة . فأتاه مطرٌ وكان خرج معه مُشيِّعاً له انتهازاً لدماءِ الذين في يده من النُّميريِّين ، فقال : ما أصْنَعُ بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قُتِلَ أهل مُصيخ ؟ فقال وهو لا يَعْقِلُ من الوَجْدِ : اذهَبْ فاقتُلْهم . فخرج مطرٌ يركضُ إلى تدمر ، تخوُّفَ ألاّ يبدوا له ، فلمّا أتى تدمر قتلَهُم . وانتبه حُميدٌ بعد ذلك بساعةٍ فقال : أينَ مطرٌ حتى أُوصيَهُ ؟ قالوا : انصرف ، قال : أدْرِكُوا عدوَّ الله ، فإنّي أخافُ على مَن بيده من النُّميريِّينَ .

وبعث فارساً يركُضُ يمنعُ مَطراً عن قتلِهم ، فأتاه وقد قَتَل كلَّ مَن كان في يدِهِ من الأسْرى

إلاَّ رجُلَيْن ، وكانوا ستِّين رجُلاً ، فلما بلَّغه الرّسول رسالةَ حُميدٍ قال النُّميريّان الباقيانِ : خلِّ عنّا فقد أُمِرتَ بتخْلِيةِ سَبِيلنا . فقال : أبعد أهل المصيَّخ ! لا والله لا تُخبِّرانِ عنْهُمْ ، ثم قتَلَهما . فلمّا بلغ زُفرَ قتلُ النُّميريّيْن بسط يدَه على كلِّ مَن أدرك من كلْبٍ ، واستحلَّ الدِّماء ، وأخذ في وادٍ يقال له وادي الجيوشِ ، وقد انتشرتْ به كلبٌ للصَّيد ، فلم يُدْرِك به أحداً إلاّ قتلَهُ ، فقتَل أكثر من خمسمائةٍ ، ولَم يلقه حُميد . ثم انصرف إلى قرقيسياء .

وذكر بعضُ بني نُمَيرٍ أنّ زُفَر أغار على كلْبٍ يوم حَفِير ويوم المُصيَّخ ويوم الفَرْس ، فقَتل منهم أكثر من ألفِ رجُلٍ . قال : وأغار عليهم زفرُ في يوم الإكلِيل فقتل منهم مَقْتلةً عظيمةً ، واستاق نعماً كثيرةً .

وذكر عرّام قال : قتَل زُفَر يوم الإكْليل جُبَيْر بن ثَعلَبة من بني الجُلاح ، وحَسَّان بن حُصَين من بني الجُلاح ، ومحمد بنَ طُفَيْل بن مُطَير بن أبي جَبَلة ، وعمرو بن حسَّان بن عَوْف من بني الجلاح ، ومحمد بن جَبَلة بن عَوْف ، أخوان لأُمّ . وقالت امرأة من بني كلب تَرْثيهم : [من السريع]

أبعدَ مَن دَلَّيْتِ في كَوْكَبٍ يا نفسُ تَرْجِين ثَواءَ الرِّجالْ

[غارات ابن الحباب]

قال لقيط : أخبرني بعضُ بني نمير قال : أغار عُمَيرُ بن الحُباب على كلْبٍ فأصابهُمْ يومَ الغُوَيْر ويَوم الهُبل ويوم كآبة . فأمّا يومُ الغُوير فإنَّه أرسل رجُلاً من بني نُمَيْرٍ يقال له كُلَيب بن سَلَمة عيناً له ، ليعْلم له عِلْمَ ابن بَحْدَل ، وكانت أُمُّ النمَيْريّ كلبيّةً ، فكانت تتكلَّم بكلامِهم ، فكان الحُسام بن سالم طريداً فيهم فنذِروا به فقَتلُوه وأخذوا فرسه ، فلَقِيَ كُلَيبُ ابن سَلمة رجلاً من بني كلبٍ فعَرفه ، فقال : مِن أين جئتَ ؟ فقال : من عندِ الأميرِ حُمَيد بن حُرَيث ، قال : وأينَ تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا ، قال كليبٌ : كذبتَ ! أنا أحدَثُ به عهداً منكَ ، قال : فأين تركته أنتَ ؟ قال بغُوير الضبع ، قال : لكنّي فارقته أمس ، فخرج النُّميريُّ يسوقُ الكلبيَّ إلى أصحابه ، قال : فوالله إنّي لو أشاءُ أن أقتله لقتلْتُه ، أو آخذَه لأخذتُه ، فخرجَ يسوقُه ، حتّى إذا نظر إلى القوم أنكرهم ، فقال : والله ما أرى هؤلاء أصحابنا . قال : ويستدبرهُ النُّميْريّ فيَطْعنُه عند ناغض[1] كتفِه اليمنى ، حتى أخرج السّنانَ من حَلمَة الثّدْي ، وأخطأ المقتَلَ ، وحرَّكَ الكلبيُّ فرسَه مُوَلِّياً ، فاتّبَعتْه الخيلُ حتى يدفع إلى ابن بَحْدلٍ فانهزم . فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة ، واتّبع عُمَيرٌ بن بَحدل فجعل يقول لفرسِه : [من الرجز]

1 ناغض : أصل العنق .

أَقْدِمْ صِدامُ إِنّــهُ ابنُ بَحْدَلْ[1]
لا تُدْرِكِ الخيلَ وأنتَ تَدْأَلْ[2]
أَلاَّ تمــرَّ مثــلَ مَــرِّ الأَجدلْ[3]

قال : فمضى حُمَيْدٌ حتى يَدفَع إلى الغُوَيرِ[4] ، وقد كاد الرُّمْح ينالُه ، فانطَلَقَ يُريدُ الباب ، فطعَـن عميرٌ البابَ وكسر رُمْحَه فيه ، فلم يُفْلِت من تلك الخيلِ غيرُ حُمَيدٍ وشبلِ بن الخيتار . فلمّا بلغ ذلك بشرَ بنَ مروانَ قال لخالدِ بن يزيدَ بن معاوية : كيف ترى خالي طَرَدَ خالَك ؟ .

وقال عُمَيْرٌ : [من الطويل]

وَأفلتَنا ركْضاً حُمَيدُ بن بَحْـدلٍ   عـلى سابحٍ غَـوْج اللَّبانِ مُثابرِ[5]
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ قُبّـاً شَوازِباً   دِقاقَ الهوادِي داميـاتِ الدَّوابرِ[6]
إذا انتقصَتْ من شأْوِه الخيلُ خلفَه   تَرامى بــه فوقَ الرِّماح الشواجِرِ
تُسائلُ عــن حَيَّــيْ رُفيدةَ بعدَما   قَضَتْ وَطــراً من عَبْد وُدٍّ وعامِرِ

وقال شِبْل بن الخَيتار : [من البسيط]

نجَّــى الحُساميَّــةَ الكَبْداءَ مُبْتَرِكٌ   من جَريها وحَثِيثُ الشدِّ مَذعورُ[7]
من بعدِ مــا التثَق السِّربالَ طَعْنَتُه   كأنَّــه بنَجيــع الوَرْسِ ممكـــورُ[8]
ولَّــى حُمَيــد ولم يَنْظُــرْ فوارسَهُ   قَبْـــل التَّقِــرَّة والمغــرورُ مغرورُ[9]
فقد جَزِعتُ غَداةَ الروْع إذ لَقِحتْ   أَبطالُ قيسٍ عليها البَيضُ مَشْجورُ[10]
يَهـــدِي أَوائِلَهـــا سمـــحٌ خلائِقُـــهُ   ماضي العِنانِ على الأَعداءِ منصورُ

---

1 صدام : اسم الفرس .
2 يدأل : يقارب الخطو بتثاقل .
3 والأجدل : الصقر .
4 الغوير : ماء لبني كلب في السماوة .
5 غوج اللبان : واسع جلدة الصدر .
6 قب : ضامرة البطون . والشوازب : الضامرة من غير هزال .
7 مبترك : سريع .
8 التثق : ابتل . وممكور : مصبوغ .
9 التقرة : الثبات والسكون .
10 مشجور : مربوط .

يَخْرُجْنَ من بَرَض الإكْليل طالِعةً كأنَّهـنَّ جَـرادُ الحَـرَّةِ الزُّورُ[1]

وذكر زِيادُ بن يزيد بن عُمَيرِ بن الحُباب ، عن أشياخ قومِه ، قال : أغار عميرُ بن الحُباب على كَلْبٍ ، فلقِيَ جمعاً لهم بالإكْليل في سِتّمائة أو سبعمائة ، فقتل منهم فأكثرَ ، فقالت هند الجُلاحيّةُ تُحرِّضُ كلباً : [من الوافر]

أَلا هـل ثائِـرٌ بدمـاء قـومٍ أصابَهُـمُ عُميرُ بـن الحُبابِ
وهَـل في عامِرٍ يومـاً نَكيرٌ وحَيّـيْ عَبْـدِ وُدٍّ أو جَنابِ
فإن لم يَثأَرُوا مَنْ قـد أصابُوا فكانُـوا أَعْبُداً لبنـي كِلابِ
أَبعدَ بني الجُلاحِ ومَن تركتُمْ بجانِبِ كوكبٍ تحتَ الترابِ
تطِيبُ لغائـرٍ منكـم حيـاةٌ أَلا لا عيشَ للحـيِّ المُصابِ

فاجتمعوا فقاتلهم عُمَيْرٌ ، وأصاب فيهم ، ثم أغار فلقِيَ جمعاً منهم بالجوْفِ فقتلهم ، ثم أغار عليهم بالسّماوةِ فقتل منهم مَقتلة عظيمة ، فقال عُمَيرٌ : [من الوافر]

أَلا يـا هِنْدُ هندَ بنـي الجُلاحِ سُقِيتِ الغيثَ من قُلَلِ السَّحابِ
أَلَمّـا تُخبِري عنّـا بأنّـا نرُدُّ الكبشَ أَعْضبَ في تَبابِ
أَلا يـا هنـدُ لـو عاينْتِ يوماً لقَومِكِ لامْتَنَعْتِ من الشَّرابِ
غَداةَ نَدُوسُهُم بالخيلِ حتّى أَبادَ القتـلُ حَـيَّ بني جَنابِ
ولـو عَطَفَـتْ مواساةٌ حُميداً لغُـودِرَ شِلْوُهُ جَـزَرَ الذِّئابِ

وذكر زيادُ بن يزيد بن عُمَيْرِ بن الحُباب ، عن أشياخِ قومه ، قال : خرج عُميرٌ فأغار على قومه أيضاً يومَ الغُوَيْر ، فلمّا دنا من الغُوَيْرِ وصار بين حُمَيد ودمشقَ دعا رجلاً من بني نُمَيْرٍ ، وقال له : سِرِ الآنَ حتى تأتي حُميدَ بن بَحْدَلٍ ، فقُل له : أجِبْ ، فإن قال : مَن ؟ فقل : صاحِب عَقْدٍ خرجَ قبل ذلك بيومين من دمشق ، فإن جاءَ معك فلا تَهِجْهُ حتى تأتيَني به ، فنكونَ نحن الذين نلي منه ما نريدُ أن نَليَ ، فإنّه إن رَكِب الحُساميَّة لم يُدْرك . فأتاه النميريُّ فقال : أجِبْ ، فقال : ومَنْ ؟ قال : فلانَ بن فلانٍ صاحبَ العَقْدِ . قال : فركِب ابنُ بَحْدَل الحُساميّةَ . ثم خرج يسيرُ في أثَرِ النُّميريِّ ، حتى طَلَع النُّميريُّ على عُمَيْرٍ ، فقال النُّميريُّ في نفسِه : أقتُلُه أنا أحبُّ إليَّ من أن يقتُلَه عمَيرٌ لقتلِه الحُسامَ بنَ سالمٍ . فعطف عليه ، وولّى حُميدٌ ، واتّبعَهُ عميرٌ وأصحابه ، وتَرَكَ العسكر ، وأمرهُم عميرٌ أن يميلوا إلى القوم ، فذلك

1 البرض : ما يخرج قليلاً . والزور : مائلة الرقاب .

حيثُ يقول لفرسِهِ :

أَقدم صِدامُ إنَّه ابنُ بحدلْ

فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف .

ثم أغار عليهم يومَ دهمان كما ذكر عَوْنُ بن حارثة بنِ عديّ بنِ جَبَلة أحد بني زُهَيْرٍ عن أبيه ، قال : أغارَ عُميرٌ على كَلْبٍ ، فأخذ الأموالَ ، وقتل الرِّجالَ ، وبلغ ابنَ بحدلٍ مخرجُه من الجزيرة ، فجمع له ، ثم خرج يعارضُه ، حتى إذا دنا منهم بعث العينَ يأخُذُ لهم أثرَ القوم . فأتاهُ العينُ فأخبره أنّ عميْراً قد أتى دُهمانَ فاستباح فيهم ، ثم خلَّف عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم ، فقال حميدٌ لأصحابه : تهيّئوا للبياتِ ، وليكن شِعارُكم : «نحن عِبادُ اللهِ حقّاً حقّاً» . فبيَّتَهُم فقتل فيهم فأوجَعَ . وانقلب عُميرٌ حين أصبحَ ، إلى عسكره ، حتى إذا أشرف على عسكرِهِ رأى ما أنكرهُ من كَثْرةِ السَّوادِ ، فقال لأصحابِه : إنِّي أرى شيئاً ما أعرفُه ، وما هو بالذي خلَّفنا ، فلمّا رآهم ابنُ بَحْدلٍ قال لأصحابه : احملوا عليهم ، فقتل من الفريقين جميعاً ، فقال ابن مِخْلاة : [من الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بحْدَلٍ حُمَيْداً شَفى كلباً فقرَّت عيونُها

وقال مُنْذِر بن حسّان : [من الوافر]

وباديــةِ الجواعِــرِ مــن نُمَيرٍ تُنــادي وهْــيَ سافرةُ النِّقابِ
تنادِي بالجزيرةِ : يــا لقَيْسٍ وقيسٌ بئْسَ فِتيــانُ الضِّرابِ
قَتَلنا مِنْهُــم مائتَــينِ صَبْراً وألفــاً بالتِّــلاعِ وبالرَّوابي
وأَفلَتَنا هَجِـينُ بنــي سُليـمٍ يُفَدِّي المُهْرَ من حُبِّ الإيابِ
فلــولا اللهُ والمُهْــرُ المُفَـدَّى لغُودِرَ وَهْــو غِربالُ الإهابِ

ثم سار عُمَيرٌ ، وجمعَ لهم أكثر ممّا كان تجمَّع ، فأغار عليهم ، فقتَل منهم مَقْتَلةً ، واستاق الغنائمَ وسَبى . فلمّا سَمِعت كلبٌ بإيقاعِهِ تحمَّلت من منازِلها هاربةً منه ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ في موضع يقْدِر عُميرٌ على الغارة عليه إلاّ أن يخوضَ إليهم غيرَهم من الأحياء ، ويخلِّفَ مدائِنَ الشامِ خلفَ ظهرِه ، وصارُوا جميعاً إلى الغُوَيْر ، فقال عُميرٌ في ذلك : [من الرجز]

بَشِّرْ بنــي القَيْنِ بطعنٍ شَرْجِ يُشْبعُ أُولادَ الضِّباعِ العُرْجِ[1]
مــا زال إمرارِي لهمْ ونَسْجِي وَعُقْبتي للكُــورِ بعــد السَّرْجِ

1 طعن شرج : طعن يسيل الدماء .

حتّـى اتَّقَوْني بالظُّهورِ الفُلْـجِ　　هــل أُجْزِيَنْ يوماً بيوم المَرْجِ
ويــومِ دُهمانَ ويــومِ هَرْجِ

وقال رجلٌ من نُمَيْرٍ : [من الوافر]

أَخذتُ نِساءَ عبدِ اللهِ قهــراً　　وما أعفيتُ نِسوةَ آلِ كلبِ
صَبَحْناهــم بِخَيْـلٍ مُقْرَباتٍ　　وَطَعْنٍ لا كِفاءَ لـه وضَرْبِ[1]
يُبَكِّينَ ابنَ عمرو وهـو تَسْفي　　عليـهِ الرِّيحُ تُرْبـاً بعـد تربِ
وسعدٌ قـد دَنـا منـه حِمامٌ　　بأسمرَ من رماحِ الخَطِّ صُلْبِ
وَقـد قالَـتْ أُمامةُ إذ رأَتْني　　بُلِيتُ وَما لُقيتُ لِقاءَ صَحْبِ
وَقـد فقَـدَتْ معانقَتي زَماناً　　وَشَدَّ المِعْصمَينِ فُوَيْـقَ حَقْبِ
لقـد بُدِّلتَ بَعْدِي وَجْهَ سَوْءٍ　　وآثـاراً بجِلْدِكَ يـا ابنَ كعْبِ
فقلْتُ لهـا كذلكِ مِنْ يُلاقي　　عِتاقَ الخيْلِ تحملُ كلَّ صَعْبِ

وقال المُجير بن أَسْلم القُشَيْريّ : [من الخفيف]

أَصبَحـتْ أُمُّ مَعْمـرٍ عَذَلَتْني　　في رُكوبي إلى مُنادي الصَّباحِ
فدَعِيني أُفيــدُ قوْمَكِ مَجْداً　　تَندُبيـنـي بــه لَـدى الأنواحِ
كلَّ حَيٍّ أَذقْتُ نُعمى وَبُؤسى　　بنـي عامِـرِ الطِّـوالِ الرِّماحِ
وصَدمنا كلْبــاً فَبِنَّ قتيــلٍ　　أو سلِيبٍ مُشَرَّدٍ مـن جراحِ
وأَتوْنا بكــلِّ أَجــردَ صافٍ　　ورجـالٍ مُعَـدَّةٍ وسلاحِ

وقال أيضاً : [من الوافر]

أَبْلِغْ عامِـراً عنِّـي رسولاً　　وأَبْلغْ إن عَرَضْتَ بَني جَنابِ
هَلُــمَّ إلى جيـادٍ مُضْمراتٍ　　وَبيضٍ لا تُفَـلُّ مـن الضِّرابِ
وسُمْرٍ في المَهَزَّةِ ذاتِ لِــينٍ　　نُقيمُ بهِنَّ مِـنْ صَعَرِ الرِّقابِ
إذا حَشَدَتْ سُليمٌ حَولَ بيتي　　وَعامِرُها المركَّبُ في النِّصابِ
فمَن هــذا يُقاربُ فخرَ قومِي　　وَمنْ هذا الذي يَرْجُو اغْتصابي؟

وقال زُفَرُ بن الحارثِ : [من الكامل]

1 الخيل المقربات : التي تقرب معالفها ومرابطها لكرامتها .

يا كلبُ قد كَلِب الزَّمانُ عليكمُ ... وَأَصابكُم منِّي عذابٌ مُرسَلُ
أَيَهُولُنا يا كلبُ أَصْدقُ شِدَّةٍ ... يومَ اللِّقاء أَم الهُوَيلُ الأَوَّلُ
إنَّ السَّماوَةَ لا سَماوَة فالْحقي ... بالغَوْرِ فالأفحاصِ بِئْسَ المَوْئِلُ
فجَنُوب عَكَّا فالسَّواحِل إنَّها ... أَرضٌ تَذُوبُ بها اللِّقاحُ وَتُهزَلُ
أَرْضُ المذلَّةِ حيثُ عَقَّتْ أُمُّكم ... وأَبُوكُمُ أَوْ حيثُ مُزِّع بحْدَلُ[1]

وقال عُمير بن الحُباب : [من الوافر]

وردْنَ على الغُوَير غُويرِ كلْبٍ ... كأَنَّ عُيونَها قُلُبُ انتزاحِ
أَقَرَّ العَيْنَ مَصْرعُ عبدِ وُدٍّ ... وَما لاقَتْ سَراةُ بني الجُلاحِ
وقائمةٍ تُنادِي يا لَكلْبٍ ... وكَلْبٌ بئْسَ فِتْيانُ الصَّباحِ

وقال عُمَيْر أيضاً : [من الطويل]

وكَلْبٌ تركْنا جمعَهمْ بينَ هاربٍ ... حِذارَ المَنايا أَوْ قَتيلٍ مُجَدَّلِ
وأَفلَتنا لَمَّا التقَينا بعاقِدٍ ... على سابحٍ عند الجِراء ابنُ بحْدلِ
وأُقْسِمُ لو لاقَيتُه لعَلَوْتُه ... بأَبيَضَ قَطَّاعِ الضَّريبةِ مِقْصَلِ

وقال عُمير أيضاً : [من الطويل]

وكلْباً تركْناهمْ فلُولاً أذِلَّةً ... أَدرْنا عليهمْ مثلَ راغيةِ البَكْرِ[2]

وقال جهمٌ القُشَيريّ : [من السريع]

يا كلْبُ مَهْلاً عن بني عامرٍ ... فليس فيها الجَدُّ بالعاثِرِ
وَلَّى حُمَيدٌ وَهو في كُرْبةٍ ... على طويلٍ متنُهُ ضامِرِ
بالأُمِّ يَفْدِيها وَقد شَمَّرَتْ ... كاللَّبْوةِ المَطْرُولةِ الكاسِرِ
هَلاَّ صَبَرْتُم للقَنا ساعةً ... وَلَم تكُنْ بالماجِدِ الصابِرِ

وقال عُمَيرٌ[3] : [من الطويل]

وَأَفلتنا رَكْضاً حُمَيدُ بنُ بَحْدلٍ ... على سابح غَوْجِ اللبَانِ مُثابِرِ

---

1 عقت : حملت . مزع : تقطع وتفرق .

2 المثل «كراغية البكر» في جمهرة العسكري 2 : 156 وانظر مجمع الميداني 2 : 141 وفصل المقال : 458 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 .

3 تقدمت هذه الأبيات عدا الثالث منها .

إذا انتقصتْ مِنْ شأْوِهِ الخيلُ خلفَهُ ... تَرامَى بــه فوقَ الرِّماحِ الشّواجرِ
لدُنْ غـدوةٍ حتـى نَزَلنـا عَشيَّةً ... يَمـرُّ كمِرِّيــخ الغُــلامِ المُخاطِرِ

وقال عُمَيرٌ : [من الكامل]

يا كلْبُ لم تترُكْ لكــم أرْماحُنا ... بِلــوى السَّماوةِ فالغُوَيْــرِ مَــرادا
يا كلبُ أحرَمْنا السماوةَ فانظري ... غير السَّماوةِ في البــلادِ بِـلادا
ولقد صككنا بالفوارسِ جَمْعكم ... وَعَديدَكم يــا كلــبُ حتــى بادا
ولقــد سبقــتُ بوَقْعــةٍ تركَتْكُمُ ... يــا كلبُ بالحَـرْبِ العَوانِ بِعادا

وقال زُفر بن الحارث : [من الطويل]

جزى اللهُ خَيْراً كلّما ذَرَّ شارقٌ ... سَعيــداً ولاقتْــهُ التحيَّة والرُّحْبُ
وحَلْحلــــةُ المغْــوارُ للهِ جَــدُّهُ ... فلو لَم يَنَلْهُ القتلُ بادتْ إذنْ كلبُ
بنــي عَبْــدِ وُدٍّ لا نطالبُ ثأرنا ... من الناسِ بالسُّلطانِ إن شَبَّتِ الحربُ
ولكــنَّ بِيضَ الهِنْــدِ تُسْعِرُ نارَنا ... إذا ما خَبَتْ نارُ الأَعادِي فما تخْبُو
أَبادتكمُ فُرسانُ قيسٍ فمــا لَكُــمْ ... عَدِيدٌ إذا عُدَّ الحصى لا ولا عَقْبُ
بأَيديهــمُ بيضٌ رِقــاقٌ كأنَّهــا ... إذا ما انتضَوْها في أَكُفِّهِمُ الشُّهْبُ
فسُبُّوهُمُ إن أَنْتُــم لم تُطالِبــوا ... بثأرِكُمْ قــد ينفعُ الطالبَ السَّبُّ
ومــا امتَنعَ الأَقــوامُ عنّا بنأْيِهم ... سواءٌ علينا النأيُ في الحربِ والقُرْبُ

وقال عُمير : [من الطويل]

شَفَيتُ الغليلَ مــن قُضاعةَ عَنْوةً ... فظــلَّ لهــا يــومٌ أَغَــرُّ مُحَجَّلُ
جزيْناهــم بالمَـرجِ يومــاً مُشَهَّراً ... فلاقَوْا صَباحــاً ذا وَبــالٍ وقُتِّلُوا
فلم يَبْقَ إلاّ هــاربٌ من سُيُوفِنا ... وإلاّ قتيــلٌ في مَكَــرٍّ مُجدَّلُ[1]

وقال ابنُ الصَّفّار المحارِبيّ : [من الكامل]

عَظُمَتْ مصيبةُ تَغْلــبَ ابنةِ وائلٍ ... حتى رأَتْ كلبٌ مَصيبَتَها سُوى
شَمتُوا وكان اللهُ قــد أَخْزاهــمُ ... وتُريدُ كلــبٌ أن يكونَ لها أُسا
وبكُمْ بدأْنــا يــالَ كَلْبٍ قَتْلَهُمْ ... ولعلّنا يومــاً نَعُــودُ لكم عَسى

1 المكر : موضع الحرب . ومجدل : صريع .

أخنَتْ على كلبٍ صُدُورُ رِماحِنـا ... مـا بينَ أَقْبِلَـةِ الغُويرِ إلى سُوا[1]
وعركْنَ بَهـراءَ بن عمرٍو عَركةً ... شَفَتِ الغليـلَ ومَسَّهُمْ مِنَّـا أذى

وقال الرّاعي[2] : [من الطويل]

متى نفترشْ يومـاً عُلَيمـاً بغارةٍ ... يكونوا كعَوْصٍ أو أَذَلَّ وأَضرعا[3]
وحَيَّ الجُلاحِ قـد تركْنا بدارِهمْ ... سَواعِـدَ مُلقـاةً وهامـاً مُصَرَّعا
ونحن جَدَعْنا أنفَ كلبٍ ولم نَدَعْ ... لِبَهراءَ في ذكـرٍ من النّاسِ مَسْمَعا
قَتَلْنا لَـوَ انَّ القتلَ يَشْفي صُدورَنا ... بتدمُـرَ ألفاً مِـن قُضاعةَ أَقْرَعا[4]

وقال زُفَر بن الحارث ، وذكر أبو عُبَيدة أنّها لعقِيل بن عُلَّفَة[5] : [من الطويل]

أقرَّ العُيونَ أنَّ رهطَ ابنِ بحدَلٍ ... أُذِيقُوا هَواناً بالذي كان قُدِّما
صَبَحناهمُ البيضَ الرِّقاقَ ظُباتُها ... بجانب خَبْتٍ والوشيجَ المقَوَّما
وجَرْداءَ مَلَّتْها الغُزاةُ فكلُّها ... تَرى قَلِقاً تحت الرِّحالةِ أهضَما
بكلّ فتًـى لم تأبُرِ النّخـلَ أُمُّه ... ولم يُدْعَ يوماً للغرائر مِعْكَما[6]

وهذه الحروب التي جرت : ببنات قَيْن[7] . فلمّا ألحَّ عميرٌ بالغارات على كلب رحَلت حتى نزلت غَوْريّ[8] الشام ، فلمّا صارت كلب بالموضع الذي صارت قيس ، انصرفت قيس في بعضِ ما كانت تنصرف من غَزْوِ كلب ، وهم مع عمير ، فنزلوا بِثنيٍ من أثناءِ الفُرات بين منازل بني تَغلب ، وفي بني تَغْلب امرأةٌ من تميم يقال لها : أم دُوَيل ناكحةٌ في بني مالك بن جُشَم بن بكرٍ ، وكان دُوَيَلْ من فرسانِ بني تَغْلب ، وكانت لها أعنزٌ بمَجْنبة[9] ، فأخذوا من أعْنزِها ، أخذها غلامٌ من بني الحَرِيش ، فشكَوْا ذلك إلى عُميرٍ فلم يُشْكِهم ، وقال : مَعَرَّة

1 الغوير وسُوا : ماءان .
2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 168 .
3 نفرش : نصيب ونستبيح . عليم : أبو بطن . وعوص : قبيلة من كلب .
4 ألف أقرع : تامة .
5 في ترجمة عقيل بن علفة أبيات على نفس الوزن والروي للحصين بن همام . وانظر ترجمة الحصين والحماسة رقم 41 في شرح المرزوقي .
6 المعكم : المكتنز اللحم .
7 بنات قين : موضع .
8 الغوري : ما انخفض من الأرض .
9 ل : بمحنية .

الجُنْد ، فلمَّا رأى أصحابُه أنّه لم يَقدَعْهم وثَبوا على بقيّة أعنزِها فأخذُوها وأكلُوها ، فلمّا أتاها دُوَيل أخبرتْه بما لَقِيت ، فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش ، فلقي جماعةً منهم فقاتلوه ، فخرج رجلٌ من بني الحريش ، زعمتْ تغلبُ أنّه مات بعد ذلك ، وأخذَ ذوْداً[1] لامرأةٍ من بني الحريش يقال لها : أُمُّ الهيثم ، فبلغ الأخطل الوقعةُ ، فلم يَدْرِ ما هي ، وقال وهو بِراذان[2] : [من الطويل]

أتاني ودُوني الزَّابيـانِ كلاهما ودِجْلةُ أنباءٌ أمـرُّ مـن الصَّبْرِ
أتاني بـأن ابنـي نـزارٍ تهادَيا وتَغْلِب أُولى بالوفـاء وبالغَدْرِ

فلمّا تبين الخبرَ قال[3] : [من الطويل]

وجاءوا بجَمْعٍ ناصِري أُمِّ هيثمٍ فمـا رَجَعُوا مـن ذَوْدِها ببعيرِ

فلمّا بلغ ذلِكَ قيساً أغارتْ عَلى بني تَغلب بإزاء الخابُور ، فقتلوا منهم ثلاثةَ نَفَرٍ ، واستاقُوا خمسةً وثلاثين بعيراً . فخرجت جماعة من تغلب ، فأتوا زُفَر بن الحارث وذكروا له القرابةَ والجوارَ ، وهم بَقَرْقيسيا ، وقالوا : ائتنا برحالنا ورُدَّ علينا نعَمنا . فقال : أما النَّعمُ فنردُّها عليكم ، أو ما قدرنا لكم عليه ، ونكمل لكم نعمكم من نَعَمِنا إن لم نصبها كلَّها ، ونَدِي لكم القتلى . قالوا له : فدَع لنا قَرَيات الخابور ، ورحِّل قيساً عنها ، فإنَّ هذه الحروب لن تُطْفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زفرُ ، وأَبَوْا هم أن يرضَوْا إلاّ بذلك . فناشدَهم اللهَ وألحَّ عليهم ، فقال له رجلٌ من النَّمِر كان معهم : واللهِ ما يسرُّني أنّه وَقاني حربَ قيسٍ كلبٌ أبقعُ تركتُه في غنمي اليومَ . وألحَّ عليهم زفرُ يطلب إليهم ويُناشِدهم ، فأبَوْا فقال عميرٌ : لا عليكَ ، لا تُكْثر ، فواللهِ إنّي لأرى عيونَ قومٍ ما يريدون إلاّ محاربتك . فانصرفوا من عندِه ، ثم جمعوا جمعاً ، وأغاروا على ما قرُب من قَرْقيسيا من قُرى القَيْسيّة . فلقيهم عُميرُ بن الحُباب ، فكان النُّميريُّ الذي تكلَّم عند زفر أوّلَ قتيل ، وهَزَم التغلَبيِّين ، فأعظم ذلك الحيّان جميعاً قيسٌ وتغلِبُ ، وكرهوا الحربَ وشماتة العدُوّ .

فذكر سليمانُ بن عبد الله بن الأصَمِّ : أنَّ إياس بن الخرّازِ ، أحدَ بني عُتَيْبَة بن سعد بن زُهَير ، وكان شريفاً من عيونِ تغلِبَ ، دخل قَرْقيسيا لينظُرَ ويُناظِر زفَر فيما كان بينهم ، فشدَّ عليه يزيدُ بن بحزن القرشيّ فقتَلَه . فتذمَّم زفرُ من ذلك ، وكان كريماً مجمِّعاً لا يُحبّ

---

1 الذود : قطيع من الإبل من ثلاث إلى خمس عشرة .
2 راذان : منطقة في سواد العراق . والبيتان في ديوان الأخطل : المقطوعة 301 .
3 ديوان الأخطل : المقطوعة 36 .

الفرْقَة . فأرسل إلى الأمير ابنِ قَرْشة بن عَمرو بن رِبْعيّ بن زُفَر بن عُتَيْبة بن بعْج بن عُتَيْبة بن سعد بن زُهير بن جُشم بن الأرْقم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلب ، فقال له : هل لك أن تَسُود بني نزار فتقبلَ منّي الدِّيَةَ عن ابن عمِّك ؟ فأجابه إلى ذلك . وكان قَرْشة من أشراف بني تغلب ، فتلافى زفر ما بين الحيّيْن ، وأصلح بينهم ، وفي الصدورِ ما فيها . فوفَد عمير على المُصْعَبِ بن الزُّبير ، فأعلمه أنّه قد أوْلَجَ قضاعة بمدائِنِ الشام . وأنّه لم يبقَ إلاّ حيٌّ من ربيعةَ أكثرُهم نصارى ، فسأله أن يولِّيَه عليهم . فقال : اكتب إلى زُفر ، فإن هو أراد ذلك وإلاّ ولاّك . فلمَّا قَدِم على زُفر ذكر له ذلك فشقَّ عليه ذلك ، وكَرِه أن يليَهُم عميرٌ فيحيِف بهم ويكون ذلك داعيةً إلى منافرتِه . فوجَّه إليهم قوماً ، وأمَرَهُمْ أن يرفُقُوا بهم . فأتَـوْا أخلاطاً من بني تغلِبَ من مشارقِ الخابورِ فأعلمُوهم الذي وُجِّهوُا به ، فأبَـوْا عليهم ، فانصرفوا إلى زُفر ، فردَّهم وأعلَمهم أنّ المصعب كتب إليه بذلك ، ولا يجدُ بُـدّاً من أخذِ ذلك منهم أو محارَبتِهم ، فقتلوا بعضَ الرسُل .

وذكر ابن الأصمّ : أنّ زُفر لمّا أتاه ذلك اشتَدَّ عليه ، وكره استفْسادَ بني تغلب ، فصير إليهم عُميرُ بن الحُباب فلقِيَهم قريباً من ماكِسِين على شاطىء الخابور ، بينه وبين قَرْقِيسِيا مسيرةُ يوم ، فأعظم فيها القتل .

[أسر القطامي]

وذكر زيادُ بن يزيدَ بن عُمير بن الحُباب : أنّ القتل استحرَّ ببني عَتّاب بن سَعْد ، والنَّمِر ، وفيهم أخلاطُ تَغْلِب ، ولكنَّ هؤلاءِ معظمُ النّاس ، فقَتلوهم بها قتلاً شديداً ، وكان زفرُ بن يزيد أخو الحارث بن جُشَمٍ له عشرون ذكراً لصُلْبِهِ ، وأُصِيب يومئذٍ أكثرُهم ، وأُسِر القطاميُّ الشاعرُ وأُخِذَت إبلُه . فأصاب عميرٌ وأصحابُه شيئاً كثيراً من النَّعَم ، ورئيس تَغْلب يومئذٍ عبد الله بن شُرَيح بن مُرّة بن عبد الله بن عمْرو بن كلثوم بن مالِك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم . فقُتِل ، وقُتِل أخوه ، وقُتِل مُجاشِعُ بن الأجلح ، وعمرو بن معاويةَ من بني خالدِ بن كعب بن زُهير ، وعبدُ الحارث بن عبد المسيح الأوسيُّ ، وسَعْدان بن عبدِ يسوعَ بن حرب ، وسعد وُدّ بن أوْس من بني جُشَم بن زُهير . وجعلَ عُمَيرٌ يصيحُ بهم : «وَيْلَكمْ لا تَسْتَبْقُوا أحداً» . ونادى رجلٌ من بني قُشَيْر يقال له النّدّار : «أنا جارٌ لكلِّ حاملٍ أتتني ، فهي آمِنَةٌ» ، فأتته الحبالى ، فبلغني أنّ المرأة كانت تشُدُّ على بطنها الجَفْنة من تحتِ ثوبِها تشبيهاً بالحُبْلى بما جَعَل لهُنَّ . فلمَّا اجتمعْنَ له بَقَر بطونهُنَّ فأفظع ذلك زُفَرَ وأصحابَه ، ولام زفرُ عُميراً فيمن بُقِر من النّساء ، فقال ما فعلتُه ولا أمرتُ به ، فقال في ذلك الصفّارُ المحاربيُّ : [من الوافر]

بقَرْنا مِنكـمُ ألْفَـيْ بَقِيرٍ فلـم نَتْرُكْ لحاملـةٍ جَنِينَا

وقال الأخطلُ يذكر ذلك[1] : [من الوافر]

فليتَ الخيلَ قد وَطِئَتْ قُشَيْراً سَنابكُهـا وقـد سَطَع الغبارُ
فنجْزِيهـمْ ببَغْيِهـمُ علَينـا بنـي لُبنى بمـا فَعـلَ الغُدارُ

وقال الصّفّار : [من الطويل]

تمنّيتُ بالخابُور قيساً فصادَفَتْ مَنايـا لأسباب وِفاقٍ إلى قَدْرِ

وقال جَرير[2] :

نُبِّئْـتُ أَنَّك بالخابورِ مُمْتَنعٌ ثم انْفَرَجْتَ انفراجاً بعدَ إقرارِ

فقال زُفرُ بنُ الحارِث يُعاتِبُ عُمَيراً بما كان منه في الخابُور : [من الوافر]

ألا مَـن مُبلـغٌ عنّـي عُميراً رسالة عاتِـبٍ وعليكَ زارِي
أتترُكُ حَـيَّ ذي كلَعٍ وَكلبٍ وتجعـلُ حَـدَّ نابِكَ في نزارِ
كمُعتمـدٍ على إحـدى يديـهِ فخانَتْـهُ بِوهْـيٍ وانكسارِ

[زفر يفك أسر القطامي]

ولّما أُسِر القُطاميُّ أُتي زفر بقرقيسيا فخلّى سَبيله ، وردّ عليه مائة ناقةٍ ، كما ذكر أدهمُ بن عِمران العبديّ ، فقال القطاميُّ يمدحه[3] : [من الوافر]

قِفِـي قَبْلَ التفرُّقِ يـا ضُباعا ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَداعا
قِفي فادِي أَسيرك إنَّ قَوْمـي وقومـكِ لا أُرى لهم اجتماعا
أَلَـم يَحزُنْـكِ أنَّ حِبالَ قَيسٍ وتغلبَ قـد تَبايَنَـت انقِطاعا
فصارا مـا تُغِبُّهمـا أمـورٌ تزيـدُ سَنا حريقتِها ارتفاعا[4]
كما العظْمُ الكَسِيرُ يُهاضُ حتى يَبِتَّ وإنّمـا بـدأ انصداعا[5]
فأُصبح سبلُ ذلِك قـد تَرَقى إلى مَـن كان منزلُـه يَفاعا

---

1 لم يرد البيتان في ديوان الأخطل .
2 ديوان جرير (صادر) : 242 .
3 ديوان القطامي : 31–38 .
4 الديوان : وصاروا . . . . حريقهما .
5 يهاض : يكسر بعد جبر . ويبت : ينقطع . أي أن الكسر بدأ صدعاً ثم أصبح كلّما جبر انكسر .

فـلا تبْعَـد دمـاءُ ابني نزارٍ ولا تَقْـرَر عيونُكِ يا قَضاعا
ومَـن يكن استَلامَ إلى ثَوِيٍّ فقـد أُحسنتَ يا زفرُ المَتاعا[1]
أَكُفْـراً بعـد رَدِّ الموتِ عنّي وبعد عَطائِكَ المائـةَ الرِّتاعا[2]
فلو بيدَيْ سِواكَ غـداةَ زَلَّتْ بـيَ القدَمانِ لم أُرْجُ اطِّلاعا[3]
إذن لهلكتُ لـو كانَتْ صِغارٌ من الأَخْلاق تُبْتدَعُ ابتِداعا[4]
فَلَـم أرَ مُنعِمـينَ أقـلَّ مَنّاً وأكرمَ عِندَما اصطُنِعُوا اصْطناعا
مِن البِيضِ الوُجُوهِ بنـي نُفَيلٍ أبـتْ أخلاقُهـمْ إلاَّ اتّساعا
بَنِي القَـرْمِ الذي عِلِمتْ مَعدٌّ تفضَّـلَ قومَهـا سعـةً وباعا

وقال أيضاً[5] : [من الرجز]

يا زفرُ بنَ الحارثِ ابن الأكرم قد كنتَ في الحربِ قديمَ المُقْدَمِ[6]
إذْ أَحجم القومُ ولمّـا تُحجِمِ إنّـكَ وابنيكَ حفِظتمْ محْرَمي
وحقَـنَ اللهُ بِكفَّيـكَ دمـي مِن بعدِ ما جَفَّ لِساني وفمي[7]
أنقذتني مـن بطـلٍ مُعمَّـم والخيـلُ تحت العارضِ المُسَوَّمِ
وَتغلبٌ يَدعونَ يـا لَلأَرْقمِ

وقال أيضاً[8] :

يـا نـاقُ خُبِّـي خبَباً زِوَرَّا وقلِّبـي مَنْسِمَـكِ المُغْبَرّا[9]

1 استلام : فعل ما يلام عليه . والثوي : الضيف والمقيم . وفي الديوان : فقد أكرمت .
2 الرتاع : التي ترعى كيف شاءت في خصب وسعة .
3 لم أرج اطلاعاً : لم أرج نجاة .
4 تبتدع ابتداعاً في ل : تنتزع انتزاعاً ، وهي رواية .
5 ديوان القطامي : 122–123 .
6 قديم المقدم في الديوان : كريم المقدم .
7 الديوان :

بعذ العوالي بعدما ذب فمي وحقـن الله بأيديكـم دمـي

8 ديوان القطامي : 120–121 .
9 زورّ : شديد .

وعارضي اللَّيلَ إذا ما اخضرَّا سوف تُلاقين جَواداً حُرَّا[1]
سيّدَ قيسٍ زُفَرَ الأَغَرَّا ذاكَ الذي بايعَ ثُمَّ بَرَّا
ونقَضَ الأقوامُ واستمرَّا قد نفعَ اللهُ بهِ وضَرَّا[2]
وكانَ في الحرْبِ شِهاباً مُرَّا

وقال أيضاً[3] : [من الرجز]

كأَنَّ في المركَبِ حينَ راحا بدراً يزيدُ البصرَ انفِضاحا[4]
ذا بلَجٍ ساواكَ أنَّى امْتاحا وَقَرَّ عيناً ورَجا الرَّباحا
ألا ترى ما غَشيَ الأَرْكاحا وغشيَ الخابورَ والأَملاحا[5]
يُصفِّقُون بالأَكُفِّ الرَّاحا

وقال فيه أيضاً هذه القصيدةَ التي فيها الغناءُ المذكورُ بذكر أخبارِ القُطاميّ[6] : [من البسيط]

ما اعتادَ حُبُّ سُليمى حينَ معتادِ ولا تَقَضَّى بَواقي دَيْنِها الطادِي[7]
بيضاءُ مَحْطُوطةُ المتْنَيْن بَهْكَنَةٌ رَيَّا الرّوادفِ لم تُمغِلْ بأَولادِ[8]
ما لِلكواعبِ ودَّعْنَ الحياةَ كما ودَّعْنَني واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ ميعادي
أَبصارُهُنَّ إلى الشُّبّانِ مائلةٌ وقدْ أَراهُنَّ عَنِّي غيرَ صُدّادِ
إذْ باطِلي لم تَقشَّع جاهليَّتُهُ عنّي ولم يَترُكِ الخُلاّنُ تَقوادِي
كنِيّة الحيِّ منْ ذي القَيضةِ احتَملوا مُسْتَحْقِبين فُؤاداً مالَه فادِي[9]

---

1 الديوان : وعارضي الليل إذا ما اخضرّا أخبرك البارح حين مرا
إذ سوف تلقين جواداً حرّا سيد قيس زفر الأغرا

2 نقض في الديوان : وتقض .

3 ديوان القطامي : 173–174 .

4 الديوان :

كأن في الموكب حين لاحا بدراً يزيد النظر انفساحا
أفلح ساق بيديك امتاحا

5 الأركاح : الأفنية .

6 ديوان القطامي : 78–87 .

7 الطادي : الثابت القديم .

8 محطوطة المتنين : ممدودتهما . الممغل من النساء : التي تحمل كل سنة قبل فطام الصبي .

9 مستحقب : محتمل . وفي الديوان : ذي الغضبة ويروى : ذي الغيضة ، وهو مكان .

بانُوا وكانوا حياتي في اجتِماعِهِمُ ... وفي تفرُّقِهِمْ قَتْلي وإقصادي[1]

يَقْتُلننا بحديثٍ ليْسَ يعلمُه ... مَن يَتَّقِينَ ولا مكنُونُه بادِي

فهنَّ ينْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بِهِ ... مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصَّادِي

يقول فيها في مدح زُفَر بن الحارث :

مَنْ مُبلغٌ زُفرَ القَيسيَّ مِدْحَتَه ... من القُطاميِّ قوْلاً غيرَ إفنادِ[2]

إنّي وإن كان قَوْمي ليسَ بينهُم ... وبينَ قومِكَ إلاَّ ضَربةُ الهادِي[3]

مُثنٍ عليكَ بما استبْقيتَ مَعرِفتي ... وقد تَعرّض منّي مَقتلٌ بادِي[4]

فلن أُثيبَك بالنَّعماء مَشتَمةً ... ولن أُبدِّل إحساناً بإفسادِ[5]

فإن هجوتُكَ ما تَمَّت مكارَمَتي ... وإن مَدحتُ فقد أُحسنتَ إصفادي[6]

وما نسيتُ مَقامَ الوَرْدِ تحبِسُه ... بيني وبينَ خَفيفِ الغابةِ الغادي[7]

لولا كتائِبُ من عمرٍو تصول بها ... أُرْدِيتُ يا خيرَ مَن يَنْدُو له النَّادي[8]

إذْ لا ترى العينُ إلاَّ كلَّ سَلْهبةٍ ... وسابحٍ مثل سِيدِ الرَّدْهةِ العادي[9]

إذ الفَوارسُ من قيسٍ بِشِكَّتِهِمْ ... حَوْلي شُهودٌ وما قَوْمي بشُهَّادي

إذ يَعتريكَ رجالٌ يسأَلونَ دَمي ... ولو أطعتَهمُ أَبكيتَ عُوَّادي

فقد عَصَيتَهمُ والحربُ مقبلةٌ ... لا بل قَدَحْتَ زناداً غيرَ صلاَّدِ[10]

والصِّيدُ آلُ نُفَيْلٍ خيرُ قومِهمُ ... عند الشتاء إذا ما ضُنَّ بالزَّادِ

المانِعُونَ غداةَ الرَّوْعِ جارَهمُ ... بالمشْرَفِيَّةِ من ماضٍ ومُنْآدِ[11]

---

1 وكانوا حياتي في الديوان : وكانت حياتي .
2 إفناد : كذب .
3 الهادي : العنق .
4 استبقيت معرفتي : استبقيتني لمعرفتك إيّاي .
5 الديوان : ولن أكافيء .
6 إصفادي : إعطائي .
7 الورد : فرس كان للزفر بن الحارث والغابة هنا : الرماح .
8 يندو : يجتمع .
9 سلهبة : الفرس الطويل . والسيد : الذئب . الردهة : أكمة كثيرة الحجارة أو نقرة في الجبل .
10 الصلاد : الزند الذي لا يوري .
11 المنآد : المعوج .

أيَّامَ قومـي مكاني مُنْصِبٌ لهـمُ   ولا يظنُّـونَ إلاَّ أنَّنـي رادِي[1]
فانتاشَني لـكَ مـن غمّاءَ مظلمةٍ   حبلٌ تضمَّن إصدارِي وإيرادِي[2]
ولا كردِّكَ مالِـي بعدَمـا كرَبَتْ   تُبْدِي الشماتَةَ أعدائي وحُسَّادي
فإنْ قَدَرتُ على خَيرٍ جَزَيتُ بـه   واللهُ يجعـلُ أقوامـاً بمِرْصادِ

قال ابنُ سلاَّم : فلمّا سمع زفرُ هذا قال : لا أَقْدرَكَ اللهُ على ذلك .

وقال أيضاً[3] : [من الوافر]

ألا مَـن مُبلغٌ زُفَرَ بـن عمرٍو   وخيرُ القـولِ مـا نَطَقَ الحكِيمُ
أبـيٌّ مـا يُقادُ الدَّهـرَ قَسْراً   ولا لِهَـوى المصرِّف يَسْتقيمُ
أنُوفٌ حـينَ يغضبُ مُسْتَعِزٌّ   جَنـوحٌ يَسْتبِدُّ بـه العزيمُ[4]
فمـا آلُ الحُبـابِ إلى نُفَيلٍ   إذا عُـدَّ المُمهَّـلُ والقديمُ[5]
كأَنَّ أبـا الحُبـابِ إلى نُفَيلٍ   حِمـارٌ عَضَّهُ فـرسٌ عَذُومُ[6]
بَنى لك عامـرٌ وبنـو كلابٍ   أرُومـاً مـا يُوازيـه أُرومُ

[أحسن الناس ابتداء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة ، قال : حدَّثني علي بن يحيى المنجِّم ، قال : سمعت مَن لا أُحصى من الرُّواة يقولون : أَحسنُ النّاسِ ابتداءً قصيدٍ في الجاهليَّة امرؤ القيس حيثُ يقولُ :

ألا عِـم صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي

وحيث يقول :

قفا نبْكِ مـن ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلاميِّين القطاميُّ ، حيث يقول :

إنّـا مُحيُّـوكَ فاسْلم أيُّهـا الطَّلَلُ

وفي المحدثين بَشَّارٌ ، حيث يقول :

1 منصب : متعب . ورادي : هالك .
2 غنّاء في الديوان : غبراء .
3 ديوان القطامي : 113–115 .
4 مستعز : عزيز النفس . والعزيم والعزيمة واحد .
5 آل الحباب : آل عمير بن الحباب . ونفيل : الرهط الذين ينتسب إليهم زفر بن الحارث . والممهل : المتروك المنسي .
6 الفرس العذوم : العضوض .

أَبى طَلَلٌ بالجَزْعِ أَن يَتكلَّما ... وماذا عليه لو أَجابَ مُتيَّما
وبالفُرْعِ آثارٌ لِهندٍ وباللِّوى ... مَلاعِبُ ما يُعْرَفْنَ إلاَّ تَوَهُّما

[الشعبي يفضله على الأخطل]

نسختُ مِنْ كتابِ أحمد بن الحارث الخرَّاز ، ولم أَسمعه من أحدٍ ، وهو خبرٌ فيه طولٌ اقتصرتُ منه على ما فيه من خَبرِ القُطاميّ ، قال أحمد بن الحارث الخرّاز : حدَّثني المدائنيّ ، عن عبد الملك بن مُسلم ، قال[1] : قال عبدُ الملك بن مَرْوان للأخطل ، وعنده عامر الشّعبيّ : أتحبّ أن لك قياضاً[2] بشعرك شعرَ أحدٍ من العَرب أم تحبّ أنّك قلته ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، إلاّ أنّي وَدِدتُ أنّي كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا مُغدَفُ القِناع ، قليلُ السَّماع ، قصِيرُ الذِّراع ، قال : وما قال ؟ فأنشد قول القُطاميّ : [من البسيط]

إنَّا مُحيُّوكَ فاسْلَمْ أَيُّها الطَّلَلُ ... وإن بَليتَ وإن طَالتْ بِكَ الطِّيَلُ
ليسَ الجديدُ بِه تبقى بَشاشَتُه ... إلاّ قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يَصِلُ
والعيشُ لا عَيْشَ إلاّ ما تَقَرُّ به ... عَيْنٌ ولا حالَ إلاّ سوفَ تَنْتقلُ
إن تَرْجِعي من أَبي عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يهُونُ على المستَنْجِحِ العَمَلُ[3]
والناسُ مَنْ يلْقَ خيراً قائلونَ له ... ما يَشتهِي ولأُمِّ المخطِىءِ الهَبَلُ
قد يُدْرِكُ المتأَنّي بعضَ حاجَتِهِ ... وقد يكونُ مع المسْتعجل الزَّلَلُ

حتى أَتى على آخرها : قال الشّعبيُّ : فقلتُ له : قد قال القُطاميُّ أَفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قلت : قال[4] : [من الكامل]

طرقتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ ... ما كنت أَحْسِبُها قريبَ المُعْنَقِ[5]
قَطعتْ إليكَ بمثلِ جِيدِ جَدايةٍ ... حَسَنٍ مُعلَّقُ تُومَتَيْه مُطوَّقِ[6]
ومُصرَّعينَ من الكَلالِ كأَنّما ... بكَروا الغَبوقَ من الرَّحيقِ المُعتِقِ[7]

---

1 تقدم هذا الخبر والشعر في ترجمة النابغة الذبياني في الجزء 11 : 17 .
2 قياضاً : مقايضة .
3 الخطاب للناقة .
4 ديوان القطامي : 105–112 .
5 أعنق : سار سيراً سريعاً . ويعني أنّ المكان الذي أعنقت منه قريب .
6 الجداية : الغزال . والتومة : اللؤلؤة . ويعني هنا الحبّة في القرط .
7 الرحيق : الخمر .

مُتوسِّديـــن ذراعَ كلِّ شِمِلَّـــةٍ ومُفــرّجٍ عُــرَقِ المَقَــذِّ مُنَوَّقِ[1]
وجَثَتْ على رُكَبٍ تهُدُّ بهـا الصَّفا وعلى كلاكِــلَ كالنَّقِيل المُطرَقِ[2]
وإذا سمِعْــنَ إلى هَماهــمِ رُفْقَةٍ ومــن النُّجُومِ غوابــرٌ لم تخفقِ[3]
جعلــتْ تُميــلُ خُدودَها آذانُها طرَبــاً بهــنَّ إلى حُـداء السُّوَّقِ
كالمُنْصِتِـات إلى الزَّميرِ سَمِعْنَــه مــن رائــعٍ لقلوبهــنَّ مُشَوِّقِ[4]
فإذا نَظَـرْنَ إلى الطَّريــقِ رأيْنَــهُ لَهَقاً كَشاكلـةِ الحِصانِ الأبلقِ[5]
وإذا تخلَّــفَ بعدهُــنَّ لحاجــةٍ حــادٍ يُشَسِّعُ نَعلَــه لم يَلحقِ
وإذا يُصيبُك ، والحوادثُ جمَّةٌ ، حدثٌ حَداكَ إلى أخيكَ الأوثقِ[6]
ليتَ الهُمُومَ عــن الفؤادِ تفرَّجَتْ وخــلا التَّكلُّــم للِّسان المُطلَقِ[7]

قال : فقال عبدُ الملك بن مروانَ : ثكِلت القطاميَّ أمُّه ، هذا واللهِ الشِّعرُ . قال : فألتفتَ إليَّ الأخطلُ فقال لي : يا شعْبيُّ ، إن لكَ فنوناً في الأحاديث ، وإنَّما لنا فنٌّ واحدٌ ، فإن رأيتَ ألاّ تحملني على أكتافِ قوْمِكَ فأدَعهم حَرْبى فقلت : وكرامةً ، لا أعرِضُ لك في شِعرٍ أبداً ، فأقِلني هذه المرَّة .

ثم التفتُّ إلى عبد الملك بن مروان ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين : أسألُكَ أن تستغفرَ لي الأخطل ، فإنِّي لا أعاودُ ما يَكره . فضَحِك عبدُ الملك بن مروان وقال : يا أخطلُ إنَّ الشعبيَّ في جواري . فقال : يا أميرَ المؤمنين : قد بدأته بالتحذير ، وإذا ترك ما نكره لم نَعرض له إلاّ بِما يُحبّ . فقال عبد الملك بن مروان للأخطل : فعليَّ ألاّ يعْرِضَ لك إلاّ بما يحبُّ أبداً . فقال له الأخطلُ : أنت تتكفَّل بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال عبدُ الملك بن مروان : أنا أكفُل به ، إن شاء الله تعالى .

1 الرواية السابقة : كل نجيبة . الشملة : الناقة الخفيفة . المفرج : ما بان مرفقه عن إبطه . والمقذ : ما بين الأذنين . والمنوق : الجمل الذي أحسنت رياضته .
2 النقيل : رقاع النعل والخف . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض .
3 هماهم رُفْقةٍ في الديوان : هماهماً من رفقة . والهماهم : الكلام الخفي . غوابر : بواق . وتخفق : تغيب .
4 إلى الزمير في الديوان : إلى الغناء .
5 اللهق : البياض دون لمعان . والشاكلة : الخاصرة .
6 وإذا يُصيبُك في الديوان : وإذا أصابك .
7 ليتَ في الديوان : لئن .

صوت

[من البسيط]

يا ابنَ الذين سَما كِسْرى لجمْعِهِمُ   فجلَّلوا وَجْهَه قاراً بِذِي قارِ[1]
دوِّخْ خُراسانَ بالجُرْدِ العِتاقِ وبالْبِـ   ـيضِ الرِّقاق بأَيْدِي كلِّ مِسعارِ

الشِّعر لأبي نجدة ، واسمه لُجيم بن سعد ، شاعِرٌ من بني عِجْلٍ .

أخبرني بذلك جماعةٌ من أهلِه . وكان أبو نجدةَ هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلفٍ ، منقَطعاً إليه .

والغناء لكُنيز دبَّة ، ولحنه فيه خفيفٌ بالبنْصر ، ابتداؤه نشيد .

[مناسبة هذا الشعر]

وكان سَببُ قوله هذا الشعر أنَّ قائداً من قُوَّاد أحمد بن عبد العزيز التجأ إلى عمرو بن اللَّيث ، وهو يومئذٍ بخُراسانَ ، فغمَّ ذلك أحمدَ وأقْلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، فأنْشده هذين البيتين ، وبعدهما : [من البسيط]

يا مَنْ تيمّم عَمراً يستجيرُ به   أَما سَمِعْتَ ببيْتٍ فيهِ سيّارِ
المسْتجيرُ بعمْرو عند كُرْبته   كالمسْتجير من الرَّمْضاءِ بالنَّارِ[2]

فسُرَّ أحمد بذلك ، وسُرِّي عنه ، وأمر لأبي نجدة بجائزةٍ ، وخَلعَ عليه وحمله ، وغنَّى فيه كُنيزٌ لحنه هذا ، وهو لحنٌ حسنٌ مشهورٌ في عصرنا هذا ، فأمر لكنيز أيضاً بجائزةٍ ، وخلع عليه وحمله .

سمعْتُ أبا عليٍّ محمدَ بن المَرْزبان يُحدِّثُ أبي ، رحمه الله ، بهذا على سبيل المذاكرة ، وكانت بيننا وبين آل المرْزُبانِ مودّةٌ قديمةٌ وصِهرٌ .

1 ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة .

2 المثل «كالمستجير (كالمستغيث) من الرمضاء في النار» في مجمع الميداني 1 : 375 ، 2 : 149 وجمهرة العسكري 2 : 160 وفصل المقال : 377 . وعمرو في البيت الأول هو عمرو بن الليث المذكور في الخبر ، وفي البيت الثاني هو عمرو بن الحارث الذي طلب منه كليب أن يغيثه بشربة ماء فنزل وأجهز عليه .

[527] ـ خبر وقعة ذي قار[1]
التي فُخِر بها في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها عليُّ بن سليمانَ الأخفش ، عن السّكريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الكلبيّ ، عن خِراش بن إسماعيل . وأضفتُ إلى ذلك رواية الأثْرَم عن أبي عبيدةَ ، وعن هشامٍ أيضاً ، عن أبيه ، قالوا : كان من حديث ذي قار أنّ كِسْرى أَبَرْويز بن هُرْمُز لمّا غضِبَ على النُّعمانِ بن المنذر أتى النُّعمانُ هانىء بن مَسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذُهْل بن شَيبان[2] ، فاستودعه مالَه وأهلَه وولَده ، وألفَ شِكّةٍ ، ويقال : أربعة آلاف شِكّة ، قال ابنُ الأعرابيّ : والشِّكّةُ : السّلاحُ كلّه ، ووضع وضائعَ عند أحياء من العرب ، ثم هرَبَ وأتى طيِّئاً لصهره فيهم .

وكانت عنده فَرعةُ بنتُ سعيد بن حارثةَ بن لأمٍ ، وزينبُ بنتُ أوس بن حارثة . فأَبوْا أن يُدخلُوه جَبَلهم ، وأتتْهُ بنو رواحة بن ربيعةَ بن عنبس ، فقالوا له : «أبيتَ اللَّعنَ ، أقمْ عندنا ، فإنّا مانِعوكَ ممّا نَمنعُ منه أنفسنا» . فقال : ما أُحِبُّ أن تهلِكوا بسببي ، فَجُزِيتم خيراً .

ثم خرج حتى وضع يدَه في يدِ كسرى ، فحبسه بساباط[3] ، ويقال بخانِقين ـ وقد مضى خبرُه مشروحاً في أخبار عديّ بن زيد ، قالوا : فلمّا هَلكَ النُّعمانُ جعلتْ بكرُ بن وائلٍ تُغيرُ على السَّوادِ . فوفد قيس بنُ مسْعودِ بن قيس بن خالدِ ذي الجدَّيْن ، بن عبدِ الله بن عمرٍو إلى كسْرى ، فسأله أن يجعل له أُكُلاً وطُعْمةً ، على أن يضْمنَ له على بكر بن وائلٍ ألاّ يدخلوا السّوادَ ولا يُفسدُوا فيه ، فأقطَعه الأُبُلّة وما والاها .

وقال : هل تكْفيكَ وتكفي أعْرابَ قومِك ؟ . . وكانتْ له حُجْرة[4] فيها مائةٌ من الإبل للأضياف ، إذا نُحرَتْ ناقةٌ رُدَّت مكانها ناقةٌ أُخرى وإيّاه عَنى الشمّاخُ بقوله : [من البسيط]

---

1 خبر وقعة ذي قار في كتب التاريخ كالطبريّ وابن الأثير والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي وفي الخزانة والعقد والنقائض وأيام العرب في الجاهلية وغيرها . وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 15–18 .

2 في الطبري عن أبي عبيدة أنّ هانىء بن مسعود لم يدرك هذا الأمر ، إنّما هو هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود .

3 ساباط : بلد قرب سمرقند .

4 الحجرة : حظيرة الإبل .

فادْفعْ بألْبانها عنكـمُ كما دَفعت عنهم لِقاحُ بني قيس بن مَسعودِ[1]

قال : فكان يأتيه مَنْ أتاه منهم فيُعطيه جُلَّة تمر وكِرْباسةً[2] ، حتى قدِم الحارثُ بن وَعلة بن مجالد بن يَثربيٍّ بن الدَّيّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، والمكسِّر بن حنظلةَ بن حُيَيّ بن ثعلبة بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطبة بن الأسعد بن جَذِيمة بن سَعْد بن عجل بن لُجَيم ، فأعطاهما جُلَّتي تَمْرٍ وكِرْباستَيْن ، فغَضبا وأبيا أن يَقْبلا ذلك منه ، فخرجا واسْتَغويا ناساً من بكر بن وائلٍ ، ثم أغارا على السّواد ، فأغار الحارثُ على أسافل رُودمَيسان[3] وهي من جِرْد ، وأغار المكسِّر على الأنبار ، فلقيهُ رجل من العِباديِّين من أهل الحيرة ، قد نُتِجتْ بعض نُوقهم ، فحملوا الحُوار على ناقةٍ ، وصرّوا[4] الإبل .

فقال العِباديُّ : لقد صبَّح الأنبارَ شرٌّ ، جَمَلٌ يحملُ جَمَلاً ، وجملٌ بُرَتُهُ[5] عودٌ ، فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل .

قال : وأغار بُجيرُ بن عائذ بن سُوَيد العجليّ ، ومعهُ مَفْرُوق بن عمرٍو الشَّيبانيّ على القادسيّة وطِيرناباذ ، وما والاهما ، وكلُّهم ملأَ يَديْهِ غنيمةً . فأمّا مَفْرُوقٌ وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فموَّت منهم خمسةَ نفرٍ مع مَن موّت من أصحابهم ، فدُفِنُوا بالدُّجَيل ، وهو رِحله[6] من العُذيب يسيرةٌ ، فقال مفروقٌ : [من الطويل]

أتـاني بأنْباطِ السَّوادِ يَسُوقُهـمْ إليَّ وأوْدَتْ رَجْلَتـي وفَوارِسي[7]

فلمّا بلَغ ذلك كِسرى اشتدَّ حَنَقُه على بكرِ بن وائلٍ ، وبلغه أن حَلْقَةَ[8] النُّعمانِ وولَدَه وأهلَه عندَهم ، فأرسل كِسْرى إلى قيسِ بن مَسْعودٍ ، وهو بالأُبُـلَّة فقـال : غررتَنـي من قومِكَ ، وزعمتَ أنّك تكفينيهم ، وأمَر به فحُبِس بساباطَ ، وأخذ كسرى في تعبئةِ الجيوشِ إليهم ، فقال قيسُ بن مسعود ، وهو محبوسٌ ، من أبيات : [من الوافر]

ألا أبلـغْ بَني ذُهْـلٍ رَسُولاً فمن هذا يكونُ لكـم مكاني

1 ديوان الشمّاخ : 119 .
2 الجلة : القفة الكبيرة . والكرباسة : ثياب خشنة .
3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وروذ : من أسماء بعض القرى .
4 صروا الإبل : شدّوا ضروعها فلا ترضعها أولادها .
5 البرة : حلقة تجعل في أنف البعير .
6 ل : مروحة .
7 الرجلة : جمع رجل .
8 الحلقة : الدروع والسلاح .

أيأْكُلُها ابـنُ وعْلَة في ظَليفٍ ويأمَـنُ هَيْثَـمٌ وابنـا سِنانِ[1]
ويأمَـنُ فيكمُ الذُّهْليُّ بَعْدي وقـد وسَموكمُ سِمـةَ البيانِ
ألا مَـنْ مُبلغٌ قَوْمي ومَن ذا يبلِّـغُ عـن أسيرٍ في الإوانِ

يعني الإيوان .

تطاوَلَ ليلُـه وأصاب حُزْنـاً ولا يَرْجُـو الفِكاك مع المِنانِ

يعني بالهَيْثم وابني سِنان : الهيثمَ بن جَرِير بن يساف بن ثَعلبة بن سَدوس بن ذُهْل بن ثَعلبة ، وأبو عِلباءَ بن الهيثم .

وقال قيس بن مسعود يُنذِرُ قومَه[2] : [من الطويل]

ألا لَيتَني أَرشُو سِلاحِـي وبَغْلَتي لِمَن يُخبِرُ الأنباءَ بكرَ بن وائلِ[3]

ويروى : لَمن يُعلم الأنباءَ .

فأُوصِيهِـمُ باللهِ والصُّلح بينهـمْ لينصأَ معـروفٌ ويُزْجَرَ جاهِلُ[4]،
وصاةَ امرىءٍ لو كان فيكم أعانَكُم على الدَّهرِ والأيّامُ فيهـا الغوائِلُ
فإيّـاكمْ والطّـفَّ لا تقْرَبُنّـهُ ولا البحرَ إنَّ الماءَ للبحرِ واصِلُ[5]،
ولا أُحْبِسَنْكم عن بُغا الخَيْرِ إنَّني سَقَطتُ عَلى ضِرغامةٍ فهـو آكِلُ[6]،

رواه ابن الأعرابيِّ فقال :

. . . . إنّ الماءَ للقَوْدِ واصِلُ

أي أنّه مُعِينٌ لهم ، يقُود الخَيل إليكم .

قال : وقال قيسٌ أيضاً يُنْذِرُهم : [من الطويل]

تَعنَّاك مـن ليـلى مع اللَّيلِ خائِلُ وذِكرٌ لهـا في القَلبِ ليس يُزايِلُ
أُحبّك حُبَّ الخَمرِ ما كان حُبُّها إلَـيَّ وكُـلٌّ في فـؤادِيَ داخِلُ
ألا لَيتَني أَرْشُو سِلاحي وبَغلتـي فيُخْبرَ قومـي اليومَ مـا أنا قائِلُ

1 في ظليف : بغير حقّ .
2 الأبيات في معجم المرزباني : 201 .
3 عجز البيت في المرزباني : لأن تعلم الأنباء والعلمَ وائلُ ، وبه يزول الإقواء .
4 المرزباني : لينطق معروف .
5 المرزباني : للقود واصل .
6 لم يرد هذا البيت عند المرزباني .

فإنّا ثَوَيْنا في شُعوبٍ وإنَّهُمْ غَزَتْهُمْ جنودٌ جَمَّةٌ وقبائِلُ
وإنَّ جُنودَ العُجْمِ بيْني وبَينكم فيا فَلَجي يا قومُ إن لم تقاتلوا[1]

قال : فلمّا وضَح لكسرى واستبانَ أنّ مال النُّعمانِ وحلْقته وولَدَه عند ابن مَسْعود ، بعث إليه كسرى رجلاً يخبره أنّه قال له : إنَّ النُّعمانَ إنّما كان عاملي ، وقد استودَعَك مالَه وأهلَه والحلقةَ ، فابْعث بها إليَّ ولا تكلِّفني أن أبعثَ إليك ولا إلى قومِكَ بالجنودِ ، تقْتُلُ المقاتِلَة وتَسْبي الذُّرِّية . فَبَعث إليه هانىءٌ : إنَّ الذي بلغك باطلٌ ، وما عِندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمرُ كما قِيل فإنّما أنا أحدُ رجُلَين ؛ إمّا رجلٌ استُودِعَ أمانة ، فهو حقيق أن يردَّها على مَن استْودَعَه إيّاها ، ولن يُسَلِّم الحُرُّ أمانته أو رجلٌ مكذوبٌ عليه ، فليس ينبغي للملِكِ أن يأخذه بقول عدوٍّ أو حاسدٍ .

قال وكانت الأعاجمُ قوماً لهم حِلْم ، وقد سمِعوا ببعض عِلم العرب ، وعَرفوا أَنَّ هذا الأَمر كائنٌ فيهم .

فلمّا ورد عليه كِتابُ هانىء بهذا حملته الشَّفَقةُ أن يكونَ ذلك قد اقتربَ ، فأَقْبل حتى قطع الفُراتَ ، فنزل غَمْر بني مُقاتل . وقد أَحْنَقَهُ ما صنعتْ بكرُ بن وائل في السَّوادِ ومَنْعُ هانىء إيّاه ما مَنَعَهُ .

قال : ودَعا كِسرى إياسَ بنَ قبيصَةَ الطائيَّ ، وكان عاملَه على عين التَّمر وما والاها إلى الحِيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قريةً على شاطىء الفرات ، فأتاه في صَنائِعِه من العَربِ الذين كانوا بالحِيرةِ فاستشارَهُ في الغارةِ على بكرِ بن وائلٍ ، وقال : ماذا تَرى ؟ وكم ترى أن نُغْزِيَهم من الناس ؟ فقال له إيّاسٌ : إن الملِكَ لا يَصْلُح أن يَعْصِيَه أحدٌ من رَعِيّته ، وإن تطِعني لم تُعلم أحداً لأيّ شيء عبرتَ وقطعتَ الفُراتَ ، فيَرَوْا أنّ شيئاً من أمر العرب قد كَرَبك ، ولكن تَرجعُ وتُضْرِبُ عنهم ، وتَبعث عليهم العُيونَ حتى ترى غِرَّةً منهم ثم ترسل حَلْبة من العجم فيها بعضُ القبائل التي تَلِيهم ، فيُوقِعونَ بهم وقعةَ الدَّهرِ ، ويأتونَك بطِلبَتِكَ . فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكرُ بن وائل أخوالك ، وكانت أُمُّ إياس ، أُمامةُ بنتُ مسعودٍ ، أختَ هانىء بن مسعود ، فأنت تتعصَّبُ لهم ، ولا تألُوهُم نُصحاً . فقال إياسٌ : رأيُ الملك أفضل . فقامَ إليه عمرو بن عديٍّ بن زيدٍ العِبادِيُّ ، وكان كاتبَه وتُرجُمانَه بالعربيّة في أُمور العربِ ، فقال له : أقمْ أيُّها الملكُ ، وابْعث إليهم بالجُنودِ يَكْفُوك . فقامَ إليه النُّعمانُ بن زُرْعَةَ بن هَرَميٍّ ، من ولد السَّفّاح التَّغْلبيِّ ، فقال : أيُّها الملِكُ ، إنَّ هذا الحيَّ من

1 الفلج : الإصابة بالفالج .

بكرِ بن وائلٍ إذا قاظوا بذي قارٍ تهافَتُوا تهافُتَ الجرادِ في النّارِ . فعَقد للنُّعمانِ بن زُرعةَ على تغلِبَ والنّمِرِ ، وعقد لخالدِ بن يزيد البهرانيِّ على قُضاعةَ وإيادٍ ، وعَقَد لإياسِ بن قَبيصة على جميع العرَب ، ومعه كَتِيبتاهُ الشَّهْباءُ والدَّوْسَرُ ، فكانت العربُ ثلاثةَ آلافٍ . وعقد للهامُرْزِ على ألفٍ من الأساوِرةِ[1] ، وعقد لخُنابِرين على ألفٍ ، وبعث معهم باللَّطيمةِ ، وهي عِيرٌ كانت تخرُج من العراقِ فيها البَزّ والعِطْر والألطافُ ، تُوصَل إلى باذامَ عامِلِه باليمين ، وقال : إذا فَرَغْتم من عدوِّكم فسيروا بها إلى اليَمن ، وأمر عمرو بن عديٍّ أن يسيرَ بها ، وكانت العربُ تخفِرهم وتجيرهم حتى تبلغَ اللَّطيمةُ اليمينَ . وعَهِدَ كسرى إليهم إذا شارفُوا بلاد بَكْرِ بن وائلٍ ودنَوا مِنها أن يبعثوا إليهم النُّعمانَ بن زُرعةَ ، فإن أتَوْكُم بالحلقة ومائةِ غلامٍ منهم يكونون رَهْناً بما أحدث سُفهاؤُهم ، فاقبلوا منهم ، وإلاّ فقاتِلوهم . وكان كِسرى قد أوقع قبلَ ذلك ببني تميمٍ ، يومَ الصَّفْقةِ[2] ، فالعرَبُ وَجِلةٌ خائفة منه . وكانت حُرَقةُ بنتُ حسَّانَ بن النُّعمانِ بن المنذرِ يومئذٍ في بني سِنانٍ ، هكذا في هذه الرِّواية .

وقال ابنُ الكلبيِّ : حُرَقةُ بنت النُّعمانِ ، وهي هندُ ، والحرَقة لقبٌ ، وهذا هو الصحيح . فقالتْ تُنْذِرُهم : [من الوافر]

ألا أبلِـغْ بنـي بكـرٍ رَسُولاً ... فقـد جَـدَّ النَّفيرُ بعَنْقَفِيرِ[3]
فَلَيتَ الجيشَ كُلَّهـمُ فِداكُمْ ... ونَفسيَ والسَّريرَ وذا السَّريرِ
كأنِّـي حـينَ جَـدَّ بهم إليكُمْ ... مُعَلَّقَـةُ الذَّوائـبِ بالعُبُورِ[4]
فلـو أنِّي أطقتُ لِذاكَ دَفْعاً ... إذَنْ لَدَفَعْتُـهُ بدَمِـي وريِري[5]

فلمّا بَلَغ بكرَ بن وائلٍ الخبرُ سار هانيء بنُ مسعودٍ حتى انتهى إلى ذي قارٍ ، فنزل به . وأقبل النُّعمانُ بن زُرْعة ، وكانت أُمُّه قِلْطِفَ بنت النُّعمان بن معديكرِب التّغلبيِّ ، وأمّها الشَّقيقة بنتُ الحارث الوصّاف العِجْليّ ، حتى نزلَ على ابن أُختِه مُرَّةَ بنِ عمرو بن عبدِ الله بن مُعاويةَ بن عبد الله بن قيس بن سعدِ بن عِجْل ، فحمِد الله النُّعمان وأثنى عليه ثم قال : إنّكم أخوالي وأحدُ طرَفيَّ ، وإنَّ الرائِدَ لا يَكذِبُ أهلَه[6] ، وقد أتاكُم ما لا قِبَل لكم به من أحرار

1 الأساورة : جمع أسوار ، وهو الفارس من الفرس .
2 تقدم خبر يوم الصفقة في الأغاني 17 : 228 .
3 عنقفير : داهية .
4 العبور : تعني الشعرى العبور .
5 الرير : مخ العظام وفي رواية : وزيري ، وهو ما أحكم فتله من الأوتار ، وتعني بذلك عروقها .
6 المثل «الرائد لا يكذب أهله» في مجمع الميداني 2 : 233 وجمهرة العسكري 1 : 472 .

فارسَ ، وفُرسانِ العرب ، والكتيبتان : الشَّهباءُ والدَّوْسَرُ ، وإن في هذا الشّرِّ خِياراً . ولأن يفتديَ بعضُكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطلموا[1] ، فانظُروا هذه الحلقةَ فادفعوها وادفعوا رهناً من أبنائِكُم إليه بما أحدث سُفهاؤُكم . فقال له القومُ : ننظرُ في أمرِنا . وبعثوا إلى مَن يَلِيهمْ من بكر بن وائل ، وبَرزوا ببطحاء ذي قار بين الجهلتَيْن .

قال الأثرم : جَلْهة الوادي : ما استقبلَكَ منه واتّسع لك . وقال ابنُ الأعرابيِّ : جَلْهةُ الوادِي : مُقدَّمُه ، مثل جَلْهة الرأسِ إذا ذهب شعره ، يقال : رأس أَجْلَهُ .

قال : وكان مرداسُ بن أبي عامر السُّلَميّ مُجاوِراً فيهم يومئذٍ ، فلمّا رأى الجيوشَ قد أقبلتْ إليهم حَمَل عِيالَه فخرج عنهم ، وأنشأ يقولُ يحرّضُهم بقوله : [من البسيط]

أبلِـغْ سَراةَ بنـي بكـرٍ مُغَلْغَلَةً ... إنّي أخافُ عليهم سُرْبةَ الدَّارِ[2]
إنّي أرى المِلكَ الهامُرْزَ مُنْصَلِتاً ... يُزْجِي جِياداً وركباً غير أبرارِ[3]
لا تَلْقُطُ البَعَر الحَـوْليَّ نِسْوَتُهُمْ ... للجائزين عَلى أعطـانِ ذِي قارِ[4]
فإن أَبَيْتُمْ فإنّـي رافِـعٌ ظُعُني ... ومُنْشِبٌ في جِبال اللُّوبِ أظْفاري[5]
وجاعِـلٌ بينَنا وِرداً غَوارِبُـه ... تَرْمي إذا مـا ربـا الوادي بتيَّارِ

ربا : ارتَفَع وطال ، وقوله : ورداً غوارِبُه : أراد البحرَ .

قال علي بن الحسين الأصفهانيّ : هذه الحكايةُ عندِي في أمر مِرداسِ بن أبي عامرٍ خطأ ؛ لأن وقعَةَ ذِي قارٍ كانت بعد هجرةِ النبيِّ ، ﷺ وآله ، وكانت بين بَدْرٍ وأُحُد ومرداس بن أبي عامرٍ وحربُ بن أُميّة أبو أبي سفيان ماتا في وقتٍ واحدٍ ، كانا مرَّا بالقريّة ، وهي غَيْضة مُلتفّةُ الشَّجر ، فأحْرَقا شَجَرها ليتخذاها مزرعةً ، فكانت تخرجُ من الغَيْضة حيّاتٌ بِيضٌ فتطِيرُ حتى تغيبَ . ومات حربٌ ومرداسٌ بعِقب ذلك ، فتحدَّث قومُهما أنّ الجنّ قتلتْهُما لإحْراقِها منازِلَهمْ من الغَيْضَةِ ، وذلك قبل مَبْعَث النبيِّ ، ﷺ ، بحينٍ . ثم كانت بين أبي سُفيانَ وبين العبّاسِ بن مِرداس مُنازَعةٌ في هذه القُرية ، ولهما في ذلك خبرٌ ليس هذا مَوْضعَه . وأظنُّ أنّ هذه الأبياتَ للعبّاسِ بن مرداس بن أبي عامرٍ .

---

1 اصطلموا : استؤصلوا .

2 السربة : جماعة الخيل المغيرة ، أو السرعة في قضاء الأمر .

3 في رواية : غير أعيار أو أعرار ، والأولى جمع عير وهو الحمار الوحشي ، والثانية : جمع عر وهو الغلام .

4 أعطان : مبارك الإبل .

5 جبال اللوب : موضع .

رجع الحديث إلى سياقته في حديث ذي قار .

قال : وجعلتْ بكر بن وائل حين بَعَثُوا إلى مَن حَولَهمْ من قبائلِ بكرٍ لا تُرْفَعُ لهم جَماعةٌ إلاَّ قالوا : سيدُنا في هذه . فرُفِعت له جماعةٌ ، فقالوا : سيِّدُنا في هذه ، فلمَّا دنَوا إذا هم بعبدِ عمرو بن بِشْر بن مَرْثَد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعَت لَهُم أُخْرى ، فقالُوا : في هذه سيِّدُنا ، فإذا هو جَبَلةُ بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُريّ ، فقالوا : لا .

فرفِعت أُخرى ، فقالوا : في هذه سيّدُنا ، فإذا هو الحارثُ بن وعْلَة بن مُجالِدٍ الدُّهْليّ فقالوا : لا . ثم رُفِعت لهم أُخرى ، فقالوا : في هذه سيّدُنا ، فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيميُّ ، من تيم الله ، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أُخرى أكبر ممّا كان يجيءُ ، فقالوا : لقد جاءَ سيّدنا ، فإذا رجلٌ أصلَعُ الشعر ، عظيمُ البَطْنِ ، مُشْرَبٌ حُمرةً ، فإذا هو حَنْظلةُ بن ثعلبةَ بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطِبة بن الأسْعد بن جذيمة بن سَعد بن عجل . فقالوا : يا أبا مَعْدانَ ، قد طال انتظارُنا ، وقد كرِهْنا أن نقطع أمراً دونَكَ ، وهذا ابن أختِكَ النُّعمانُ بن زُرعةَ قد جاءَنا ، والرائِدُ لا يكذبُ أهلَه . قال : فما الذي أجمعَ عليه رأيكم ، واتّفق عليه ملؤُكم ؟ قالوا : قال : إنّ اللّخْي أهْوَنُ من الوَهْي [1] وإنّ في الشرِّ خياراً ، ولأنْ يفتديَ بعضكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطَلَموا جميعاً .

قال حنظلةُ : فقبّح اللهُ هذا رأياً ، لا تَجرُّ أحرارُ فارس غُرَلَها [2] ببطحاءِ ذي قارٍ وأنا أسمعُ الصوتَ .

ثم أمر بقُبَّتِه فضُرِبَتْ بوادي ذي قار ، ثم نزَلَ ونزلَ الناسُ فأطافُوا به ، ثم قال لهانىء بن مَسْعود : يا أبا أُمامةَ ، إن ذمَّتَكم ذمّتُنا عامةً ، وإنّه لن يوصلَ إليك . حتى تفنى أرواحُنا ، فأخرِجْ هذه الحلقة ففرِّقْها بين قومِكَ ، فإن تَظْفر فستُرَدُّ عليكَ ، وإن تهلِكْ فأهونُ مفقودٍ .

فأمر بها فأُخرِجتْ ، ففرقها بينَهُم . ثم قال حنظلة للنُّعمانِ : لولا أنَّكَ رسولٌ لما أُبْتَ إلى قومكَ سالماً . فرجع النُّعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردَّ عليه القَومُ ، فباتُوا ليلتَهُم مستعدِّين للقتال ، وباتت بكرُ بن وائل يتأهّبون للحرب .

فلمّا أصبحوا أقبلت الأعاجمُ نحوهم ، وأمر حنظلةُ بالظعن جميعاً فوقفها خلفَ النَّاسِ ، ثم قال : يا معشرَ بكرِ بن وائل ، قاتِلوا عن ظُعُنكم أو دَعُوا ، فأقبلتْ الأعاجمُ يسيرونَ على تعبئةٍ ، فلمّا رأتْهُم بنو قيس بن ثعلبةَ انصرفوا فلحِقُوا بالحيّ فاستخفَّوْا فيه ، فسمِّي : «حيّ

1 اللخي : العطاء . والوهي : الوهن والهلاك .

2 الغرل : جمع غرلة ، وهي القلفة .

بني قيس بن ثعلبة» قال : وهو على موضع خفيٍّ فلم يشْهدُوا ذلك اليومَ .

وكان ربيعةُ بنُ غزالة السَّكونيّ ، ثم التُّجيبيُّ ، يومئذٍ هو وقومُهُ نُزولاً في بني شيْبانَ ، فقال : يا بني شَيبانَ ، أما لو أنِّي كنتُ منكم لأشرتُ عليكم برأيٍ مثلِ عُروةِ العِكْم[1] . فقالوا : فأنت والله من أوسطنا ، فأَشِرْ علينا . فقال : لا تُسْتهدَفُوا لهذه الأعاجم فتُهْلِككم بِنُشَّابها ، ولكن اتكردَسُوا لهم كراديس[2] ، فيُشدّ عليهم كُردوسٌ ، فإذا أقبلوا عليه شدَّ الآخرُ ، فقالوا : فإنَّكَ قد رأيتَ رأياً ، ففعلوا .

فلمّا التَقى الزحفانِ ، وتقارَبَ القَوْمُ قام حَنظلةُ بن ثعلبة فقال : يا معشرَ بكْرِ بنِ وائل ، إنَّ النُّشَّاب الذي مع الأعاجم يعرِفُكم ، فإذا أرْسَلوه لم يُخْطِئكم ، فعاجلوهم باللِّقاء ، وابدءوهم بالشِّدَّة .

ثم قام هانىءُ بنُ مسعودٍ فقال : يا قومُ ، مَهلِكٌ مَعْذُورٍ خيرٌ من نجاء معرورٍ[3] وإن الحذَر لا يدفع القَدَرَ ، وإنَّ الصَّبر من أسباب الظَّفر ، المنيّةُ ولا الدَّنيّةُ[4] ، واستقبالُ الموت خيرٌ من استدبارهِ ، والطَّعنُ في الثَّغر خيرٌ وأكرمُ من الطعن في الدُّبر ، يا قوم ، جِدُّوا فما من الموت بدٌّ ، فتحٌ لو كان له رجالٌ ، أسمعُ صوتاً ولا أرى قوماً ، يا آلَ بكرٍ ، شُدُّوا واستعدُّوا ، وإلاّ تشُدُّوا تُرَدُّوا .

ثم قام شَرِيك بن عمرو بن شراحيل بن مُرَّة بن همَّام فقال : يا قوم ، إنّما تهابُونهم أنّكم ترونْهمْ عند الحفاظِ أكثرَ منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم ، فعليكم بالصبر ، فإنّ الأسنّة تُرْدِي الأعنّة ، يا آلَ بكرٍ قُدُماً قُدُماً .

ثم قام عمرو بن جَبَلَة بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُرِيُّ فقال : [من الرجز]

يا قَـوْمُ لا تغرُرْكم هذِي الخِرَقْ وَلا وَميضُ البَيْضِ في الشَّمْسِ برقْ
مَـنْ لم يقاتِلْ مِنْكمُ هذِي العُنُق فجنِّبُـوه الرَّاح واسقُـوه المَرَقْ[5]

---

1 العكم : ما جمع وشدّ لإحكام الربط . وهذا من الأمثال .

2 الكردوس : الجماعة الكبيرة من الخيل .

3 النجاء المعرور : الفرار الذي يلحق العار .

4 من المثل «لا ينفع حذر من قدر» في مجمع الميداني 2 : 237 . والمثل «المنية ولا الدنية» في مجمع الميداني 2 : 303 وجمهرة العسكري 2 : 225 وأمثال القاسم بن سلام : 197 . أمّا باقي أقواله فهي في حكم الأمثال ولكن لم ترِد في كتب الأمثال .

5 العنق : الجماعة . وفي رواية : فجنبوه اللحم . . .

ثم قام حنظلةُ بن ثعْلبة إلى وَضين[1] راحلةِ امرأتِه فقطَعَهُ ، ثم تتبّع الظُّعُنَ يقْطعُ وُضُنَهنّ لئلاّ يفرَّ عنهن الرجال ، فسُمِّيَ يومئذٍ : مُقطِّع الوَضين» .

والوَضِين : بِطانُ الناقةِ .

قالوا : وكانت بنو عِجل في الميمنةِ بإزاء خُنابِرين ، وكانت بنو شَيبان في الميسرةِ بإزاء كتيبة الهامُرْز ، وكانت أفناءُ بكر بن وائل في القَلب . فخرج أُسوارٌ من الأعاجم مُسوَّرٌ ، في أُذنيه دُرَّتان ، من كتيبة الهامُرْز يتحدّى الناسَ للبِراز ، فنادى في بني شيبان فلم يبرزُ له أحدٌ ، حتى إذا دنا من بني يَشْكُرَ برز له يزيدُ بن حارثةَ أخو بني ثعلبةَ بن عمرو فشدَّ عليه بالرُّمح ، فطعنه فدقَّ صُلْبَه ، وأخذ حِلْيته وسلاحَه ، فذلك قولُ سُوَيْدِ بن أبي كاهل يفتخر[2] : [من الطويل]

ومنَّا يَزيدُ إذْ تحـــدَّى جُموعَكم ... فلـم تَقْرَبــوه ، المَرْزُبانُ المشهَّرُ[3]
وبــارَزَهُ مِنَّـــا غُـــلامٌ بِصارمٍ ... حُسامٍ إذا لاقـى الضَّرِيبَةَ يَـبترُ

ثم إنَّ القومَ اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتالٍ رآهُ الناسُ ، إلى أن زالت الشمس . فشدّ الحوْفزانُ ، واسمه الحارث بن شَريك ، على الهامُرْز فقتَلهُ ، وقتلَتْ بنو عجلٍ خُنابِرين ، وضرب اللهُ وجُـوهَ الفُـرْسِ فانهَزَمـوا ، وتَبِعتْهم بكرُ بن وائل ، فلحِق مَرْثَدُ بنُ الحارث بن ثوْر بن حرْملة بن علقمة بن عمرو بن سَدُوس ، النُّعمانَ بن زرعةَ ، فأهوى له طعناً ، فسبقَهُ النّعمانُ بصدرِ فرسِهِ فأفْلَتَهُ ، فقال مَرْثدٌ في ذلك : [من الطويل]

وَخَيْــلٍ تَبـــارى للطِّعانِ شَهِدتُها ... فأغرقتُ فيها الرُّمْحَ والجمعُ مُحجِمُ
وأفلتَني النُّعمانُ قـــابَ رماحِنـــا ... وفوقَ قَطــاةِ المُهْـرِ أَزْرقُ لهذَمُ[4]

قال : ولحِق أسودُ بن بُجَير بن عائذ بن شَرِيك العجْليّ النُّعمانَ بن زُرعةَ ، فقال له : يا نعمانُ ، هلمّ إليَّ ، فأنا خير آسرٍ لك ، وخير لك من العطش ، قال : ومَنْ أنتَ ؟ قال : الأسودُ بن بُجيرٍ ، فوضع يدَهُ في يدِه ، فجزّ ناصيَته ، وخلّى سبيله ، وحَمَلهُ الأسودُ على فرسٍ له ، وقال له : انجُ على هذه ، فإنّها أجودُ من فَرَسِكَ . وجاء الأسودُ بن بُجير على فرس النُّعمانِ بن زُرعة . وقُتِلَ خالد بن يزيدَ البهراني ، قتله الأسودُ بن شَرِيك بن عمرو ، وقُتِل يومئذٍ عمرو بن عديّ بن زَيْدِ العباديُّ الشاعر ، فقالت أمُّه تَرْثيهِ : [من الرمل]

---

1 الوضين : حزام الرحل .

2 تقدمت ترجمة سويد بن أبي كاهل في الأغاني وفيها بعض أبيات هذه القصيدة في الجزء 13 : 72 .

3 عجز البيت في ترجمة سويد : فلم تفرحوه المرزبان المسور . وفي الطبري : فلم تقربوه المرزبان المسورا .

4 قطاة المهر : عجزه . واللهذم : القاطع .

وَيْحَ عمرو بن عديٍّ من رجُلْ حانَ يومـاً بعدما قيل كَمَلْ
كان لا يعقِـلُ حتى مـا إذا جاءَ يـومٌ يأكلُ الناسَ عَقلْ
أيُّهـم دَلاَّكَ عمْرٌو للرَّدى وقديمـاً حَيَّنَ المـرْءَ الأجلْ
ليـت نُعمـانَ علينـا مَلِكٌ وبُنَـيٌّ لِيَ حَـيٌّ لم يَزَلْ
قد تنظَّرْنـا لغـادٍ أوْبـةً كان لو أغنى عـن المرء الأمَلْ
بانَ منـهُ عَضدٌ عَـنْ ساعدٍ بؤسَ للدَّهـر وبؤسى للرجلْ

قال: وأفلتَ إيّاسُ بن قَبيصَةَ على فرس له كانت عند رجل من بني تَيْم الله يقال له: «أبو ثَوْر» فلمّا أراد إياسٌ أن يغزُوهم أرسَل إليه أبو ثور بها، فنهاهُ أصحابه أن يفعلَ، فقال: واللهِ ما في فرس إياسٍ ما يُعِزُّ رجلاً ولا يُذلّه، وما كنتُ لأقطعَ رحِمَه فيها، فقال إياس: [من الطويل]

غَذاهـا أبو ثـوْرٍ فلمّا رأيتُها دَخِيسَ دواءٍ لا أُضيعَ غِذاؤها[1]
فأعددتُها كفـؤاً ليَوْمِ كريهـةٍ إذا أقبلتْ بكرٌ تُجَـرُّ رشاؤها

قال: وأتْبعَتْهم بكرُ بن وائل يقتلونهم بقيَّةَ يومهم وليلتهم، حتى أصبحوا من الغدِ، وقد شارفُوا السّوادَ ودخلوه، فذكروا أنَّ مائةً من بكر وائل، وسَبْعين منْ عِجْل، وثلاثينَ مِن أفناء بكر بن وائلٍ، أصبَحوا وقد دَخلوا السّوادَ في طَلَبِ القومِ، فلم يُفلِت منهم كبيرُ أحدٍ وأقبلتْ بكرُ بنُ وائلٍ على الغَنائم فقسَّموها بينهم، وقسَّموا تلك اللَّطائمَ بين نِسائهم. فذلك قولُ الديّان[2] بن جَندل: [من البسيط]

إن كنتِ ساقيةً يومـاً على كَرمٍ فاسْقي فوارسَ من ذُهلِ بن شيبانا
واسْقِي فوارسَ حامَوْا عن ديارهمُ واعْلِي مَفارِقَهمْ مِسكاً ورَيْحانا

قال: فكانَ أوّلَ مَن انصرَف إلى كسرى بالهزيمةِ إياسُ بن قَبيصةَ. وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمةِ جيشٍ إلاّ نزعَ كتفيه، فلمّا أتاهُ إياسٌ سأله عن الخبرِ، فقال: هَزمْنا بكرَ بن وائلٍ، فأتيناك بنسائهمْ، فأعجَب ذلك كسْرى وأمر له بكُسوة، وإنَّ إياساً استاذنهُ عند ذلك، فقال: إنَّ أخي مريضٌ بعين التَّمر، فأردتُ أن آتيَه، وإنّما أرادَ أن يتنحَّى عنه. فأذِنَ له كسرى، فترك فَرسَه «الحمامة» وهي التي كانت عند أبي ثورٍ بالحيرةِ، ورَكِب نجيبةً فلحق بأخيه. ثـم أتى كسْرى رَجلٌ من أهلِ الحِيرة وهو بالخَوَرْنَق، فسأل: هلْ دخَلَ على الملكِ

1 دخيس: مكتنزة.
2 ل: الدهان.

أحدٌ ؟ فقالوا : نعَمْ ، إياسٌ ، فقال : ثكِلتْ إياساً أُمُّه ! وظَنَّ أنّه قد حدَّثه بالخبر ، فدَخلَ عليه فحدَّثه بهزيمةِ القوْم وقتلِهِمْ ، فأمَر به فنُزِعتْ كتِفاه .

[الرسول عليه السلام يشيد بنصر العرب]

قال : وكانت وقعة ذي قار بعد وقعةِ بدْرٍ بأشهرٍ ، ورسولُ الله ، ﷺ ، بالمدينة ، فلمّا بَلغهُ ذلك قال : «هذا يومٌ انتصفتْ فيه العربُ من العجم ، وبي نُصِروا» .

قال ابنُ الكلبيّ : وأَخبرني أبي ، عن أَبي صالح ، عن ابن عبّاسٍ ، قال : ذُكِرت وَقْعةُ ذي قارٍ عند النبيّ ، ﷺ ، فقال : «ذلك يومٌ انتصفَت فيه العربُ من العجَم وبِي نُصِرُوا» .

ورُوِي أنّ النبيّ ، ﷺ ، مُثِّلت له الوقعةُ وهو بالمدينة ، فرفع يديه فدعا لبني شيبان ، أو لجماعة ربيعةَ بالنَّصرِ ، ولم يزَلْ يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمةَ الفُرْسِ .

ورُوِي أنّه قال : «إيهاً بني ربيعةَ ، اللهُمَّ انْصر بني ربيعة» فهم إلى الآنَ إذا حاربوا دَعوْا بشِعار النبيِّ ، ﷺ ، ودعوتِه لهم ، وقال قائلهم : «يا رسول الله وَعْدَك» ، فإذا دَعوْا بذلك نُصِرُوا .

[الفخر بعد النصر]

وقال أَبو كلبة التّيميّ يفخر بيوم ذي قارٍ[1] : [من البسيط]

لولا فــوارِسُ لا مِيـلٌ وَلا عُزُلٌ ... من اللّهازِم مـا قِظْتُم بذي قارِ[2]
مـا زِلتُ مُفترِساً أجسادَ أفْتيةٍ ... تُثِيـرُ أَعطافَهـا منهـا بـآثارِ
إنَّ الفَوارسَ مـن عِجلٍ هُمُ أَنِفُوا ... من أَن يُخَلّوا لكِسْرى عَرْصةَ الدَّارِ
لاقَوْا فَوارِسَ مـن عِجْلٍ بشكَّتِها ... ليسوا إذا قَلَّصَتْ حربٌ بأَغمارِ
قد أُحسنَتْ ذُهلُ شيبانٍ وما عدَلَتْ ... في يومِ ذِي قارَ فُرْسانُ ابنِ سيَّارِ
همُ الذيـن أَتَوْهُمْ عنْ شمائلهمْ ... كما تـلبَّس وُرَّادٌ بصُـدَّارِ[3]

فأَجابه الأَعشى فقال[4] : [من البسيط]

أَبلغْ أَبـا كلْبــةَ التَّيميَّ مأْلُكةً ... فأَنتَ مـن مَعْشرٍ ، واللهِ ، أَشْرارِ
شيبانُ تَدْفعُ عنك الحربَ آونـةً ... وأَنتَ تنبَح نبْحَ الكلْبِ في الغارِ

---

1 في الطبري أربعة أبيات من هذه القصيدة منها البيتان الأوّل والأخير هنا .

2 الطبري : ما قاظوا .

3 الطبري : نحن أتيناهم من عند أشملهم .

4 لم يرد البيتان في ديوان الأعشى .

وقال بُكَيْرٌ الأَصَمُّ[1] : [من الكامل]

إن كنتِ ساقيةَ المُدامــةِ أهْلَها فاسقي على كَــرَمٍ بني همَّامِ
وأبــا رَبيعــة كلَّهــا ومُحلَّماً سبَقُوا بأَنْجَــدِ غايـةِ الأيّامِ[2]
زَحفُوا بجمْعٍ لا تُـرى أَقْطارُه لقِحَتْ بِـــه حرْبٌ لغيرِ تمامِ
عَرَبٌ ثلاثـــةُ آلُفٍ وكتيبةٌ أَلْفانِ عُجْمٌ مِــن بني الفَدَّامِ[3]
ضربُوا بني الأَحرارِ يومَ لَقُوهُمُ بالمشرفيِّ عـــلى شُؤون الهامِ[4]
وغدا ابنُ مَسعُودٍ فأوقعَ وَقْعةً ذَهَبَتْ لهــمْ في مُعرِقٍ وشآمِ[5]

وقال الأعشى[6] :

فِدًى لبني ذُهْلٍ بن شَيبان ناقتي وراكبُهــا يــومَ اللِّقاءِ وقلَّتِ
هُمُ ضَربُوا بالحِنْوِ حِنوِ قُراقِرٍ مُقدِّمــةَ الهامُرْز حتــى تولَّتِ

وقال بعْضُ شعراء ربيعةَ في يوم ذِي قار : [من الطويل]

أَلا مَن لليــلٍ لا تغُورُ كواكبُه وهمٍّ سَرى بين الجوانحِ جانبُهْ
أَلا هَلْ أتاها أنّ جيْشاً عَرَمْرَماً بأسفلِ ذي قارٍ أُبيدتْ كتائبُهْ
فما حلْقةُ النُّعمانِ يومَ طلبتَها بأقربَ من نجم السماءِ تراقبُهْ

وقال الأعشى[7] : [من البسيط]

حَلفْتُ بالمِلْح والرَّمادِ وبالعُزَّ ى وبــاللاَّتِ تُسْلَــم الحلقَهْ
حَتّى يظــلَّ الهمــامُ مُنجدِلاً ويقْــرَعَ النَّبــلُ طُرَّةَ الدَّرَقَهْ

1 هذه الأبيات في الطبري مع اختلاف في الترتيب .
2 الطبري : سبقاً بغاية أمجد الأيام . وفي ل : سبقاً لغاية أفضل الأقسام .
3 الطبري :

عربــاً ثلاثــةَ آلــفٍ وكتيبة ألفـين أعجـمَ من بني الفدام

وفيه البيت التالي قبل هذا البيت فنصب . وقيل : كان سقاة الأعاجم إذا سقوا فدموا (أي غطوا) أفواههم (اللسان) .
4 الطبري : على مقيل الهام .
5 الطبري :

شد ابن قيس شدة ذهبت لهـا ذكـرى لــه في معـرق وشآم

6 البيتان في الطبري وديوان الأعشى (صادر) : 33 .
7 لم يرِد البيتان في ديوانه .

وقال ابن قِرْدِ الخنْزِيرُ التَّيْمِيُّ : [من الوافر]

أَلا أَبلِغْ بنــي ذُهْــلٍ رسُولاً ... فــلا شَتماً أَردتُ ولا فسادا
هزرتُ الحامِلِينَ لكـي يَعُودُوا ... إذا يــومٌ مــن الحَدثانِ عادا[1]
وجدتُ الرِّفْدَ رِفْدَ بني لُجَيْمٍ ... إذا مــا قَلَّــت الأَرفادُ زادا
هُم ضَرَبُوا الكتائبَ يومَ كِسْرى ... أمامَ النّاسِ إذْ كَرِهُــوا الجِلادا
وهُمْ ضَرَبُوا القِبابَ ببَطْنِ فَلْجٍ ... وذادُوا عــن محارِمنــا ذِيادا

وقال الأعشى في ذلك[2] : [من البسيط]

لــو أنَّ كلَّ معــدٍّ كان شارَكَنا ... في يوم ذي قارَ ما أُخطاهُمُ الشَّرَفُ
لَّمــا أتَوْنــا كأنَّ الليلَ يقدُمُهم ... مُطَبِّق الأَرض تغشاها لهم سَدَفُ
بطَارِقٌ وبنــو مُلْــكٍ مرازِبَــةٌ ... من الأَعاجِــمِ في آذانِها النُّطَفُ[3]
من كلِّ مَرْجانةٍ في البَحْرِ أَحْرَزَها ... تَيَّارها ووقاها طينَهــا الصَّدَفُ[4]
وظُعْنُنا خَلْفَنــا تَجْــرِي مَدامِعُها ... أَكبادُها وَجَلاً مِمَّا تَــرى تَجِفُ[5]
يَحْسِرْنَ عن أَوجهٍ قد عايَنَتْ عِبَراً ... ولاحهــا غُبْرَة أَلوانُهــا كِسَفُ[6]
ما في الخُدودِ صُدودٌ عن وُجُوهِهِمُ ... ولا عن الطَّعْنِ في اللبَّاتِ مُنحَرِفُ[7]
عَوْداً على بَدْئِهــم مــا إنْ يُلبِّثُهمْ ... كرَّ الصُّقُورِ بناتِ المــاءِ تَختَطِفُ
لَّما أَمالُــوا إلى النُّشَّابِ أَيديَهــمْ ... مِلْنا بِبيضٍ فظَــلَّ الهامُ يُقْتَطفُ[8]
وخيلُ بكرٍ فمــا تَنْفَكُّ تطحنُهُمْ ... حتــى تولَّوْا وكادَ اليومُ يَنْتَصِفُ

وقال حُرَيم بن الحارث التَّيميّ : [من الطويل]

1 هزر : ضرب ضرباً شديداً .
2 ديوان الأعشى : 112 مع اختلاف في الترتيب والرواية .
3 بطارق في الديوان : جحاجح .
4 أحرزها تيارها في الديوان : أخرجها غواصها .
5 وجلاً في الديوان : وجف .
6 الديوان :

حواسر عن خدود عاينت عبراً ... ولاحها وعلاها غبرة كسف

7 لم يرد هذا البيت والذي يليه في الديوان .
8 لما في الديوان : إذا .

وإنَّ لُجَيمـاً أَهـلُ عزٍّ وَثَرْوَةٍ ... وأَهـلُ أيـادٍ لا يُنالُ قَديمُها
همُ مَنَعُوا في يـومِ قارٍ نِساءَنا ... كما مَنَع الشَّولَ الهِجانَ قُرومُها[1]
إذا قِيلَ يومـاً أَقدِمُوا يتقَدَّموا ... وهل يمنعُ المخْزاةَ إلاّ صَمِيمُها

قال : ولم يزل قيسُ بن مسعود في سِجْن كسرى بساباطَ ، حتى مات فيه .

صوت

[من الطويل]

خليلَيّ ما صَبْرِي على الزَّفَراتِ ... ومـا طاقتـي بالهمِّ والعَبَراتِ
تَساقَطُ نفسي كلَّ يـومٍ وليلةٍ ... على إثْر ما قـد فاتَها حَسَراتِ

الشعر : للقُحَيفِ العُقَيْليّ . والغِناء : لإبراهيمَ الموصليّ ، رمَل بالوُسْطى ، عن عمرو بن بانة ، وذكر الهِشاميُّ أنّ الرّمل لعَلّويَه ، وأنّ لحنَ إبراهيم من الثّقيلِ الأوّل بالوُسْطى .

1 القروم : السادة .

[528] ـ أخبار القُحَيف ونسبه[1]

القُحَيف بن حُميِّر ، أَحَد بني قُشَير بن مالك بن خَفاجة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعةَ بن عامرِ بن صَعْصَعة . شاعر مُقِلّ من شعراء الإسلام .

[تشبيه بخرقاء]

وكان يشبِّب بخرقاءَ التي كان ذو الرُّمَّة يُشَبِّب بها[2] .

فأخبرني محمد بن خَلَف بن وكيع ، وعمِّي ، قالا : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبدِ الملِك ، عن العَدَويّ ، عن أبي الحَسَنِ المدائنيّ ، عن الصّباح بن الحجَّاج عن أبيه[3] ، قال : مررتُ بخرقاءَ وهي بفَلْج فقالت : أقضَيتَ حجَّك وأتْمَمْتَه ؟ فقلتُ : نعم ، فقالت : لم تفعل شيئاً ، فقلت : ولِمَ ؟ فقالت : لأنّك لم تُلْمِم بي ولا سَلَّمتَ عليّ ، أو ما سمِعتَ قولَ ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

تمــامُ الحــجّ أَن تَقِفَ المَطايا ... على خَرقــاءَ واضِعــةِ اللِّثامِ

فقال : هيهات يا خرقاءُ ، ذهب ذاك منك ، فقالت : لا تَقُلْ ذاكَ ، أما سمعتَ قولَ القُحَيْفِ عمِّك : [من الطويل]

وخَرقاءُ لا تَـزْدادُ إلاَّ مَلاحــةً ... ولــو عُمِّرتْ تَعْميرَ نُوحٍ وجلَّتِ

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العَلاءِ قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّارٍ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : حدّثني أبو الشّبلِ المعَدِّي قال : نَسَب ذو الرُّمَّةِ بخرقاءَ البكّائيّةِ ، وكانت أُصبحَ من القَبس ، وبقيتْ بقاءً طويلاً ، فنَسب بها القُحَيفُ العُقيليّ فقال :

وخَرقـــاءُ لا تـــزدادُ إلاَّ مَلاحــةً ... ولــو عمِّــرتْ تعمير نُوحٍ وجَلَّتِ

أخبرني حَبِيبُ بن نَصرٍ المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : حدَّثني أبو غسّان دَماذ قال : كبِرتْ خرقاءُ حتى جاوزتْ تسعين سنة ، وأحبَّت أن تنفقَ ابنتَها وتُخطَبَ ، فأرسَلَتْ إلى القُحَيفِ العُقيليّ ، وسألتْهُ أن يشبِّب بها ، فقال : [من الطويل]

---

1 ترجمة القحيف العقيلي في طبقات ابن سلام : 791–797 وذكره باسم القحيف بن سليم العقيلي ومعجم المرزباني : 211 وفيه القحيف بن حميّر (بالحاء) والمؤتلف : 129 وفيه القحيف بن خمير (بالخاء) وكذلك في الخزانة 10 : 139 .

2 تقدم الخبر وشعره في خرقاء في ترجمة ذي الرمة جزء 18 : 28 .

3 في ترجمة ذي الرمة هو الحجاج بن عمير بن يزيد .

لَقد أُرسلَتْ خَرْقاءُ نحوِي جَرِيَّها لِتَجعَلني خرقاءُ مِمّن أَضَلَّتِ[1]

وخرقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ولو عُمِّرت تَعمِير نوحٍ وجَلَّتِ

[عشق عبسية ثم رحل حياء من كذبه]

وقال عمرو بنُ أَبي عَمْرو الشيبانيّ : كان القُحَيف العُقَيْليّ يتحدّث إلى امرأةٍ من عَبْس ، وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عِشْقاً ، وكان يخبرها أنّ له نَعَماً ومالاً ، وهويته العَبْسيّةُ ، وكان من أجمل الرجالِ وأشطِّهم[2] ، فلمّا طال عليها واستحْيا من كَذِبه إيّاها في مالِه ارتحلَ عنهمُ ، وقال : [من البسيط]

تَقُولُ لي أُختُ عَبْسٍ : ما أرى إبلاً وأَنـتَ تزعمُ مَن والاك صِنْدِيدُ

فقلتُ يكْفـي مكانُ اللَّوْمِ مُطَّرِدٌ فيـه القَتِير بسَمْرِ القَيْنِ مَشْدُودُ[3]

وشِكَّةٌ صاغَهـا وَفْـراءَ كامِلـةً وصارمٌ مـن سُيُوفِ الهِنْدِ مَقْدُودُ

إنِّي لَيَرْعـى رجـالٌ لي سَوامَهُمُ لِيَ العقائِـلُ منهـا والمَقاحِيدُ

[شعره حول عدوان المهير]

وقال أَبو عمرو : كان الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك ولَّى عليَّ بن المهاجِر بن عبد الله الكلابيُّ اليمامةَ . فلمّا قُتِل الوليدُ بن يزيدَ جاءه المهيْرُ بن سلمى الحنفيّ فقال له : إنّ الوليد قد قتِل ، وإنّ لكَ عليَّ حقّاً ، وكان أبوك لي مُكرِماً ، وقد قُتِل صاحِبك ، فاختر خَصلةً من ثلاثٍ : إن شئتَ أن تُقيمَ فينا وتكونَ كأحدِنا فافْعَلْ ، وإن شئت أن تتحوّلَ عنّا إلى دارِ عمِّك ، فتنزِلَها أنتَ ومَن معك إلى أن يَرد أمرُ الخليفة المُولَّى فتعملَ بما يأمُرُ به ، فافعل . وإن شئتَ فخُذ من المال المجتمع ما شئتَ والْحق بدار قومِكَ . فأَنِفَ عليّ بن المهاجِر من ذلك ولم يقْبَله ، وقال للمُهَيْر : أنت تعزلني يا ابن اللَّخْناء ؟ فخرج المُهَير مُغضَباً ، والتفَّ معه أهلُ اليمامةِ ، وكان مع عليَّ سِتُّمائةِ رجل من أهل الشام ومثلُهم من قومِهِ وزُوّاره . فدعاهم المُهَيرُ وذكر لهم رأيه ، فأبوْا عليه وقاتلوه . وجاء سهمٌ عائِرٌ فوقع في كبِدِ صانعٍ من أهل اليمامة . فقال المَهير : احمِلوا عليهم ، فحملوا عليهم فانهزموا ، وقُتِل منهم نَفَرٌ ، ودخلوا القصر وأغلقوا البابَ وكان من جُذوعٍ . فدعا المُهَير بالسَّعف فأحرقه ، ودخل أصحابُه فأخذوا ما في القَصْر ؛ وقامَ عبدُ الله بنُ النُّعمان القَيْسيّ في نفرٍ من قومه فحمَوْا بيتَ المالِ ومنعُوا منه ، فلم يَقْدر عليه المُهَير ، وجمع المُهَير جيشاً يريد أن يغزوَ بهم بني عُقيل وبني كِلابٍ ، وسائرَ بطون

1 جريها : رسولها .

2 أشطهم : أطولهم وأكثرهم اعتدال قامة .

3 القتير : رؤوس المسامير . وسمر : شد الشيء بالمسمار : والقين : الحداد .

بني عامرٍ ، فقال القُحيف بن حُمِّير لمّا بلَغَهُ ذلك : [من الوافر]

صوت

أَمِن أَهْـلِ الأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعُ ... نَعَـمْ سَقْياً لهـم لو تَستطيعُ[1]
زيارتَهــم ، ولكـنْ أَحْضَرَتْنا ... هُمــومٌ مـا يزالُ لهــا مُشِيعُ

غنَّى في هذين البيتين إبراهيم ، فيما ذكره هو في كتابه ، ولم يذكر طريقته :

كأنَّ البَيْنَ جَرَّعَنــي زُعافــاً ... مــن الحيَّــاتِ مَطعَمُه فَظِيعُ
وماءٍ قـــد ورَدتُ على جِباهُ ... حمــامٌ حائــمٌ وقطاً وُقوعُ[2]

ومِمّا يغنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الوافر]

صوت

جعلتُ عِمامتي صِلةً لدَلْوي ... إليهِ حــينَ لم تَــرِدِ النُّسُوعُ[3]
لأَسْقــيَ فِتيــةً ومُنَقَّبــاتٍ ... أضرَّ بنقْيِهــا سَفَــرٌ وَجِيعُ[4]

قال أبو الفرج : غنَّى في هذين البيتين سُليمٌ ، خفيف رملٍ بالوسطى ، ذكر ذلك حَبَش : [من الوافر]

لقــد جَمَــع المُهَيْرُ لَنا فقُلْنا : ... أتحسَبُنــا تروِّعُنــا الجُمُوعُ
سَتَرْهَبُنا حَنِيفــةُ إن رأَتْنــا ... وفي أَيمانِنــا البِيضُ اللّمُــوعُ
عُقَيْــلٌ تَعْتَزِي وبَنُــو قُشَيرٍ ... تَوارى عن سواعِدِها الدُّرُوعُ
وجَعْدَةُ والحَرِيشُ لُيوثُ غابٍ ... لهــم في كلِّ مَعْركَــةٍ صَرِيعُ
فنعمَ القَوْمُ في اللَّزَباتِ قومي ... بنُو كَعْــبٍ إذا جَحد الرَّبيعُ[5]
كُهولٌ مَعْقِــلُ الطَّرَداءِ فيهِمْ ... وفتيــانٌ غَطارفــةٌ فُروعُ
فمهلاً يــا مُهَيرُ فأَنت عَبْدٌ ... لِكَعْــبٍ سامِــعٌ لهــمُ مُطِيعُ

قال : وبعثَ المُهَيْرُ رجُلاً من بني حنيفةَ يقال له : المُنْدَلِف بن إدريس الحنفيّ ، إلى الفَلْج ،

---

1 عفت ربوع في ل : هوى يريع .
2 قد وردت في ابن سلام : قد يظل .
3 ابن سلام : لتبلغ إذ تقاصرت النسوع . وصلةً لدلوي في ل : صلة لبردي .
4 منقبات في ابن سلام : منفهات أي متعبات وأضر بنيِّها سفر رجيع . والنيّ : الشحم والنقي : مخ العظام . والسفر الرجيع : السفر المتتابع .
5 اللزبات : الشدائد . وجحد الربيع : لم يطل .

وهو منزلٌ لبني جَعْدَةَ ، وأمَرهُ أن يأخُذَ صَدَقاتِ بني كَعْبٍ جميعاً . فلمّا بلغهم خبرُه في أطرافهم يستصرِخُون عليه . فأتاهم أبو لطيفة بن مَسْلَمة العُقَيليّ في عالمٍ من عُقيل ، فقتلوا المندَلِفَ وصلبوه ، فقال القُحَيفُ في ذلك : [من الوافر]

أتانا بالعَقِيقِ صَرِيخُ كعْبٍ فحنَّ النَّبْعُ والأَسَلُ النِّهالُ[1]
وحالَفْنا السُّيوفَ ومُضمَراتٍ سواءٌ هُنَّ فينا والعِيالُ[2]
تعادَى شُزَّباً مثلَ السَّعالي ومِن زُبَرِ الحَديدِ لها نِعالُ[3]

وقال أيضاً ، ويروى لنَجْدة الخَفاجيّ : [من الوافر]

لقد منعَ الفرائِضَ عن عُقَيلٍ بِطَعْنٍ تحتَ ألْوِيةٍ وضَرْبِ
ترى مِنْهُ المُصَدِّق يومَ وافى أطلَّ على مَعاشِرِه بصَلْبِ

[نظرة فاسقة في الحجّ]

قال أبو عمرو في أخباره : ونَظر بعضُ فُقَهاء أهل مكَّةَ إلى القُحَيف ، وهو يُحِدّ النظر إلى امرأةٍ ، فَنَهاهُ عن ذلك ، وقال له : أما تَتّقي الله ؟ تنظر هذا النَّظَر إلى غير حُرْمة لك وأنت مُحْرِمٌ ؟ فقال القُحَيفُ : [من الطويل]

أقْسمتُ لا أنْسى وإن شَطَّت النَّوى عَرانِينَهنَّ الشُّمَّ والأعينَ النُّجْلا
ولا المِسْكَ من أعطافِهِنَّ ولا البُرى ضَمَمْنَ وقد لوَّيْنَها قُضُباً خُدْلا[4]
يقول ليَ المُفْتي وهُنَّ عَشيَّةً بمكّةَ يُلْمِحْن المهدَّبَةَ السُّحْلا[5]
تَقِ اللهَ لا تَنظرْ إليهنَّ يا فَتى وما خِلتُني في الحجّ مُلْتَمِساً وَصْلا
وإنَّ صِبا ابنِ الأربعينَ لَسُبَّةٌ فكيف مع اللائي مَثَلْنَ بنا مَثْلا[6]
عَواكِفَ بالبيتِ الحرام وربَّما رأيتَ عيونَ القَوْم من نحوها نُجْلا

---

1 العقيق هنا : واد باليمامة . والصريخ : المستغيث . والنبع : شجر تعمل منه القسي . والأسل : شجر كثير الأغصان دقيقها وبلا ورق . والنهال : جمع نهل ، وهي العطاش (إلى الدم) .
2 ومضمرات في ابن سلام : وصافنات .
3 ابن سلام :

شعير زادها وفتيت قت ومن ماء الحديد لها نعال

وشزباً في ل : في الوغى ، والشزب : الضامرة .
4 البرى : جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال . والخدل : الممتلئة الساق .
5 المهدبة السحل : الثياب الرقيقة ذات الأهداب .
6 مثلن بنا : نكلن بنا .

صوت[1]

[من الهزج]

كَفَفْنا عن بَنـي ذُهْلٍ   وقُلنـا القومُ إخوانُ[2]
عَسى الأيّامُ أن يَرجِعْـ   ـن قوماً كالذّي كانُوا
فلمّـا صَـرَّحَ الشَرُّ   وأَمسَى وهْـو عُرْيانُ[3]
ولم يبـقَ سِوى العُدْوا   نِ دِنَّاهُـمْ كما دانُـوا

الشعر : للفِند الزِّمَّانيّ ، والغِناء : لعبدِ الله بن دَحْمان ، خفيفٌ رمَل بالبِنْصَر ، عن بَذْل والهشاميِّ وابن المكّيّ .

وتمامُ هذا الشعرِ :

شَددنا شدَّةَ اللّيـثِ   غَـدا واللّيثُ غَضْبانُ[4]
بضَرْبٍ فيـه تَفْجيعٌ   وتأْيِيـمٌ وإرْنـانُ[5]
وطَعْـنٍ كفَـمِ الزِّقِّ   غَـذا والـزِّقُّ ملآنُ[6]
وفي العُـدْوانِ للعُدْوا   نِ تَوهـينٌ وإقْـرانُ[7]
وبعضُ الحِلْم عِنَدَ الجهْـ   ـلِ للذلّـةِ إذْعانُ
وفي الشَّرِّ نَجـاةٌ حِيـ   ـنَ لا يُنْجِيك إحسانُ

قوله : دِنّاهم كما دانُوا ، أي جَزَيْناهُم .

ومثلُه قولُ الآخر :

إنَّا كذاكَ نَدِينُ الناسَ بالدِّينِ

والتأْيِيمُ : تركُ النساءَ أَيامى . والإرْنان والرَّنَّةُ : البُكاءُ والعَويل .

والإقران : الطَّاقةُ للشَّيء ، قال اللهُ عَزَّ وجلَّ : ﴿وما كُنَّا لَه مُقْرِنينَ﴾ أي مُطِيقينَ .

1 هذه هي القصيدة الثانية في حماسة أبي تمام (انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 32–38) .
2 كففنا في الحماسة : صفحنا .
3 الحماسة : فأمسى .
4 الشطر الأول في الحماسة : مشينا مشية الليث .
5 الحماسة :

بضرب فيـه توهـ   ـين وتخضيع وإقران

6 غذا : سال .
7 لم يرِد هذا البيت في الحماسة .

[529] ـ أخبار الفند الزّمّاني ونسبه[1]

[نسبه]

الفِنْدُ : لَقبٌ غَلبَ عليه ، شبّه بالفِنْد من الجَبَل ، وهو القطعةُ العظيمةُ ، لعِظَم خَلْقه .

واسمه : شهْل بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائِلٍ .

وكان أحدَ فرسان ربيعةَ المشهورين المعدودينَ ، وشهد حربَ بكْر وتغلبَ وقد قاربَ المائة السنةِ . فأبْلى بلاءً حسناً ، وكان مشهدُه في يومِ التحالُقِ[2] الذي يقولُ فيه طرفة[3] : [من الرمل]

سائلوا عنَّــا الذي يَعرِفُنــا بقوانــا يــومَ تَحلاقِ اللِّمَمْ
يومَ تُبدي البِيضُ عن أسوُقِها وتَلُفُّ الخَيْــلُ أعْراجَ النَّعَمْ[4]

[هو والشيطانتان في بني شيبان]

وقد مضى خبرُه في مقتل كُلَيْب : فأخبرني محمد بن الحسنِ بن دُرَيْد قال : حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : أرسلتْ بنو شيبانَ في محاربتِهم بني تغلبَ إلى بني حنيفة يستنجدونَهُمْ ، فوجَّهُوا إليهِم بالفِنْد الزِّمّانيّ في سبعينَ رجلاً ، وأرسلوا إليهِمْ : إنَّا قد بعثْنا إليكمُ ألفَ رجُلٍ[5] .

وقال ابنُ الكلبيّ : لمّا كان يومُ التحالُقِ أقبل الفِنْدُ الزِّمانيُّ إلى بني شيبان ، وهو شيخٌ كبيرٌ قد جاوز مائة سنةٍ ، ومعه بنتانِ له شيطانتانِ من شياطين الإنسِ ، فكشفَتْ إحداهُما عَنها وتجرَّدَتْ ، وجعلت تصيحُ ببني شيبان ومَن معهم من بني بكرٍ : [من الرجز]

وَعا وَعا وَعا وَعا
حَــرَّ الجُوادُ والتَظى[6]
ومُلِئَــتْ منــه الرُّبى

1 ترجمة الفند الزماني في خزانة البغدادي 3 : 434–435 و7 : 119–120 والسمط : 578–579 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

2 المثل «يوم التحالق» أو «يوم تحلاق اللمم» في مجمع الميداني 2 : 439 وهو اليوم الذي حلقت فيه بنو بكر رؤوسها استبسالاً للموت وليكون ذلك علامة بينهم وبين نسائهم .

3 ديوان طرفة : 90 (صادر) .

4 أسوُق : جمع ساق ، وهو لغة في أسوق . والأعراج : جمع عرج ، وهو قطعة من الإبل نحو ثمانين أو أكثر .

5 لذلك سمّي الفند الزماني : عديد الألف .

6 حر الجواد : بضم الجيم : جهده العطش من الحر . وفي رواية : «حر الجياد والمطا» ، والمطا : الظهر .

يــا حَبَّذا يــا حَبَّذا
المُلْحِقُــون بالضُّحَى

ثم تجرَّدت الأُخرى وأَقبلتْ تقول[1] : [من مجزوء الرجز]

إن تُقْبِلُوا نُعانِــقْ ونَفْرِشِ النَّمارِقْ
أَو تُدْبِروا نُفارِقْ فِـراقَ غيرِ وامِقْ

قال : والتَقى الناسُ يومئذٍ ، فأَصْعَدَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعْلَبة ابنتَه على جَمل له في ثنيّةِ قِضَةَ[2] ، حتى إذا توسَّطَها ضرب عُرقوبي الجمل ، ثم نادى : [من الرجز]

أَنا البُرَكْ أَنا البُرَكْ أَنزِلُ حيثُ أُدْرَكْ

ثم نادى : ومحلوفةٍ لا يَمُرُّ بي رجلٌ من بكر بن وائلٍ إلاّ ضربتُه بسَيفي هذا ، أَفي كلِّ يومٍ تفِرُّونَ فيعطف القومُ ؟ فقاتَلُوا حتى ظَفِرُوا فانهزمت تغلبُ .

قال ابنُ الكلبيِّ : ولحِقَ الفِنْد الزِّمّاني رجلاً من بني تغلِب يقال له : مالِك بن عَوْف ، قد طعَن صبيّاً من صبيان بكرِ بن وائل ، فهو في رأس قناتِه ، وهو يقول : يا وَيْسَ أمِّ الفرْخ[3] ، فطعنَه الفِنْد وهو وراءه ردفٌ[4] له فأنفذهما جميعاً ، وجعل يقول[5] : [من الهزج]

أَيــا طعنــةَ ما شَيْخٍ كبيرٍ يَفَــنٍ بــالي[6]
تفتَّيتُ بهــا إذ كــ ــرِهِ الشِّكّةَ أَمثالي[7]
تُقيــمُ المأْتَــمَ الأعــلى على جُهــدٍ وإعْوالِ[8]
كجَيبِ الدِّفْنسِ الوَرْها ءِ رِيعَتْ بعدَ إجفالِ[9]

ويروى : قد رِيعَتْ بإجفال .

---

1 نسب هذا الرجز في الطبري إلى امرأة من بني عجل في وقعة ذي قار .
2 قضة : موضع .
3 ويس : بمعنى ويح .
4 يعني أنه عندما طعن الرجل كان وراء الرجل ردف فانتظمهما .
5 هذه الأبيات وردت في الحماسة 176 وبعضها في خزانة البغدادي 7 : 119 .
6 ما هنا زائدة . وكأنّه يعجب من هول الطعنة (انظر شرح الحماسة والخزانة) . اليفن : الفاني .
7 الشكة : السلاح كلّه ، وفي رواية «السّكة» بفتح السين فيكون معناها الطعنة .
8 المأتم الأعلى : الأفظع شأناً .
9 الدفنس : الحمقاء . والورهاء : المتساقطة العقل الضعيفة التماسك .

[530] ـ أخبار عبد الله بن دحمان

عبدُ الله بن دَحمان الأشْقر المُغَنّي . وقد تقدَّم خبرُ أبيه وأخيه الزُّبير[1] .

[يتعصب لإبراهيم بن المهدي]

وكان عبدُ الله في جَنَبة إبراهيمَ بن المهديّ ومتعصِّباً له ، وكان أخوه الزُّبير في جَنَبةِ إسحاقَ الموصليّ ومتعصِّباً له ، فكان كلٌّ واحدٍ منهما يرفع من صاحبه ويُشيدُ بذكره . فعلا الزُّبيرُ بتقديم إسحاقَ له ، لتمكُّن إسحاقَ وقبول النَّاس منه ، ولم يرتفعْ عبدُ اللهِ بذكر إبراهيم له ، مَع غضٍّ إسحاقَ منه ، وكان الزُّبير على كلِّ حالٍ يتقدَّم أخاهُ عبد اللهِ .

فأخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : كان أبي كثيراً ما يقولُ : ما رأيتُ أقلَّ عقلاً ومعرفةً ممّن يقولُ : إنّ دَحمانَ كان فاضلاً ، واللهِ ما يساوي غناؤه كلّه فَلْسَين ، وأشبهُ الناسِ به صوتاً وصنعةً وبلادةً وبرداً ابنه عبدُ الله ، ولكنَّ المحسنَ ، واللهِ ، المُجمِلَ المؤدِّيَ الضاربَ المطربَ : ابنهُ الزُّبيرُ .

وقال يوسفُ بن إبراهيم : كان أبو إسحاقَ يؤثِرُ عبدَ الله بن دَحْمان ويقدِّمهُ ، وإذا صنع صوتاً عرضهُ على أبي إسحاق فيقوِّمُه له ويُصلحُه ، مضادّةً لأخيه الزُّبير في أمره ؛ لميل الزُّبير إلى إسحاق وتعصُّبِه له ، وأوصلهُ إلى الرشيدِ مع المغنِّينَ عدّة مرّاتٍ ، أخرج له في جميعها جائزةً .

صوت[2]

[من البسيط]

أقُــولُ لَمّــا أتاني ثَــمَّ مَصْرَعُهُ لا يبْعَدِ الرُّمْحُ ذو النّصليْنِ والرَّجُلُ[3]
التــاركُ القِــرْنَ مُصفــرًّا أنامِلهُ كأنّهُ مــنْ عُقــارٍ قَهْــوةٍ ثمِلُ[4]

1 في الجزئين 6 : 19 و18 : 219 .
2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : من قصيدته في الجزء 3 : 1280–1285 .
3 أشعار : أقول لما أتى الناعيان به .
4 مصفراً أنامله : أي نزف دمه كله .

ليس بعَــلٌّ كبيرٍ لا شَبابَ لَــهُ لكــنْ أُثيلةُ صافي الوَجــهِ مُقْتَبَلُ
يُجيبُ بعــدَ الكرى لبَّيكَ داعِيَهُ مِجْذامـــةٌ لهــواهُ قُلْقــلٌ عجِلُ

قوله : لا يَبْعَد الرُّمْح ، يَعني ابنهُ الذي رَثاه ، شبَّههُ بالرُّمْح في نفاذِه وحِدَّته . والنَصلانِ : السِّنانُ والزُّجُّ . والرجُلُ : يعني به ابنه أيضاً من الرُّجْلة ، يصفُه بها ، أو أنّه عَنى : لا يبعد الرجلُ ورمحُه . والعلُّ : الكبير السِّنِّ الصّغيرُ الجسم ، ويقال أيضاً للقُرادِ : عَلٌّ . والمُقْتبَل : المقبِل . وقولُه : مِجْذامةٌ لهواهُ ، يَعني أنّه يقطعُ هواهُ ولا يتَّبعُه فيما يغُضُّ من قَدْره . وقُلقُل : خفيفٌ سريعٌ ، والمتقلْقل ، الخفيفُ .

الشعر للمتنخِّل الهُذليّ . والغناءُ : لمعبَد ، وله فيه لحنان : أُحدُهما من القَدْر الأوسطِ من الثقيلِ الأوّل ، بإطلاقِ الوتر في مَجرى البِنصر ، عن إسحاقَ ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ، عن عمرٍو .

وذكر الهِشاميُّ أنَّ فيه للغريض لحناً من الثقيل الأوّل ، ابتداؤه :

ليسَ بِعَلٍّ كبيرٍ لا شبابَ له

والذي بعده : وأن لجميلةَ فيه خفيفَ ثقيلٍ . وفيه ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى ابن سُرَيج ، وأظنُّه ليَحيى المكِّيِّ .

وقال حبَشٌ : فيه لعبدِ الله بن العبّاس ثقيل أوّل بالبِنصر .

[531] ـ أخبار المتنخِّل ونسبه[1]

[نسبه]

المُتَنَخِّلُ لَقَبٌ ، واسمُه مالكُ بنُ عُوَيْمر بن عثمانَ بن سُوَيدِ بن حُبَيْش[2] ، بن خُناعةَ بن الدِّيلِ بن عادِيةَ بن صَعْصعة بن كعب بن طابِخة بن لِحْيان بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزار . هذه رواية ابن الكلبيِّ وأبي عمرٍو .

وروى السُّكّريُّ عن الرياشيِّ عن الأصمعيِّ ، وعن ابن حبيب ، عن أَبي عُبيدةَ وابن الأعرابيِّ : أنّ اسمَه مالكُ بنُ عُوَيمر بن عثمانَ بن حُبيش بنِ عاديةَ بن صعصعَةَ بن كعب بن طابخةَ بن لحيان بن هُذَيلٍ ، ويكنّى أبا أُثَيْلة . من شُعراء هُذيلٍ وفُحُولهم وفُصَحائِهم .

وهذه القصيدةُ يرثي بها ابنَه أُثيلةَ ، قتلَتْه بنو سعد بن فَهم بن عَمرو بن قيس بن عَيْلانَ بن مُضَر .

[مقتل ابنه أثيلة]

وكان من خَبَرِ مقتلِهِ فيما ذكر أَبو عمرٍو الشيبانيُّ : أَنَّه خَرج في نفرٍ من قومِه يُريد الغارةَ على فَهْم ، فسلكوا النجديّة ، حتى إذا بلغوا السَّراةَ أتاهُ رجلٌ فقال : أين تريدونَ ؟ قالوا : نُريد فهماً . فقال : ألا أدُلّكم على خيرٍ من ذَلكم ، وعلى قومٍ دارهُم خيرٌ من دار فَهْم ؟ هذه دارُ بني حَوْفٍ عندكم ، فانصبُّوا عليهم على الكداءِ حتى تُبَيِّتوا بني حَوْفٍ . فقبلُوا منه وانحرفوا عن طريقهم ، وسَلكوا في شِعب في ظهر الطريق حتى نفَذوه ، ثم سَلكوا على السَّمُرةِ ، فمرُّوا بدار «بني قُرَيم» بالسَّرو ، وقد لصقَتْ سيوفُهم بأغمادِهم من الدّمِ . فوجَدوا إياسَ بن المُقْعَد في الدار ، وكان سيداً ، فقال : من أينَ أقبلتُم ؟ فقالوا : أتينا بني حَوْفٍ ، فدعا لهم بطعامٍ وشرابٍ ، حتى إذا أكلوا وشَرِبوا دلَّهُم على الطريق وركبَ معهم ، حتى أخذوا سَنَنَ قصدهم . فأتَوا بني حَوف ، وإذا هُم قد اجتمعوا مع بطنٍ من فَهم للرّحيل عن دارهم ، فلقِيهم أوّلٌ من الرّجال على الخيل فعرفوهم ، فحملوا عليهم وأطردوهم ورمَوْهم ، فأثبتوا أُثيلةَ جريحاً ومضَوْا لطِيّتهم ، وعاد إليه أصحابُه فأدرَكوه ولا تحامُلَ به ، فأقاموا عليه حتى مات ، ودفنوه في موضعه .

1 ترجمة المتنخل الهذلي في الشعر والشعراء : 552–553 والمؤتلف : 129 والسمط : 724 والعيني 3 : 517 وشعره في الجزء الثالث من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين : خنيس .

فلمّا رجعوا سألهم عنه المتنَخّل ، فدامَجوه[1] وستَرُوه .

ثم أُخبره بعضهم بخبَره ، فقال يرثيه[2] : [من البسيط]

مـا بالُ عينك تبكي دَمْعُها خضِلُ ... كما وهى سَرِبُ الأخرابِ مُنبزِلُ[3]
لا تَفتأُ الدَّهــرَ مِـن سَحٍّ بأَربعةٍ ... كأَنَّ إنسانَها بالصَّاب مُكتحِلُ[4]
تبكي على رجُــلٍ لم تَبـلَ جِدَّتُه ... خلّى عليها فِجاجـاً بينها خلَلُ[5]
وقد عجبتُ وهل بالدَّهْرِ من عَجَبٍ ... أنَّى قُتِلتَ وأَنــتَ الحازِمُ البطَلُ
وَيــلُ أمِّــهِ رجلاً تأبى بــه غَبَناً ... إذا تجــرَّدَ لا خــالٌ ولا بَخَلُ

خالٌ : من الخُيلاء ، ويروى : خَذِل .

السالكُ الثُّغْــرةَ اليقظـانَ كالِئُها ... مشْيَ الهَلوك عليْها الخيعَلُ الفُضُلُ[6]
والتاركُ القِــرنَ مُصفـرًّا أَناملُـه ... كأَنَّه مــن عُقــارٍ قهـوةٍ ثَمِلُ
مُجــدَّلاً يتسقَّى جلــدُهُ دَمَــهُ ... كما يُقطَّرُ جِذْعُ الدَّومـةِ القُطُلُ[7]
ليس بعَــلٍّ كبيرٍ لا شَبابَ بــهِ ... لكِــن أُثيلةُ صافي الوجـهِ مُقتَبلُ
يُجيبُ بعـد الكَرى لبَّيكَ داعِيَه ... مِجْذامــةٌ لهــواهُ قُلْقُــلٌ عَجِلُ
حُلوٌ ومُــرٌّ كعَطفِ القِدْحِ مِرَّتُه ... في كلِّ آنٍ أَتــاهُ الليــلُ ينتعِلُ[8]
فاذهبْ فأيُّ فتًى في النَّاسِ أَحرزَهُ ... من حتْفِه ظُلَمٌ دُعْــجٌ ولا جَبَلُ[9]
فلو قُتِلْتَ ورِجلي غيرُ كارهــةِ الـ ... ـإدْلاج فيها قَبيضُ الشَّدِّ والنسَلُ[10]

---

1 دامجوه : كتموا أمره .

2 هذه هي القصيدة التي أُشرنا إليها من قبل .

3 الأخراب : عرى المزادة ، واحدتها خُربة . وفي الديوان : الأخرات ، جمع خرت ، وهو الثقب .

4 الصاب : شجرة إذا ذبحت يخرج منها لبن إذا أصاب شيئاً أحرقه .

5 لم تبل جدته : أي مات شاباً . وخلى عليك فجاجاً : أي كان يسد كل مكروه فلمّا مات خلى فجاجاً ينفذ منها الشر . وعليها في الديوان «عليك» .

6 الثغرة والثغر واحد ، وهو مكان الخوف . والهلوك : الغنجة المتكسرة . والخيل : درع يخاط أحد شقّيه ويترك الآخر . والفضل : التي ليس لثوبها إزار . فالخيعل : ثوب . الفضل امرأة ، ورفعه على المجاورة .

7 الدَّومة في الديوان : النخلة . والجذع القطل : العود المقطوع .

8 الديوان : بكل إنْي حذاه الليل ينتعل . ومعناه أنه يسري في كل ساعة من الليل .

9 أحرزه من حتفه : منع حتفه .

10 عدو قبيص : شديد . والنسل : من نسلان الذئب ، وهو ضرب من المشي نحو الهَدَج .

إذنْ لأَعملتُ نفسي في غزاتهم ... أو لابتَعثْتُ بـهِ نَوْحاً لـهُ زَجَلُ[1]
أقـولُ لَمّا أتـاني الناعِيان بهِ : ... لا يَبعَد الرمحُ ذو النّصْلَيْنِ والرجُلُ
رُمحٌ لنـا كان لم يُفلَلْ تنوءُ بـهِ ... تُوفَى بهِ الحرْبُ والعزّاءُ والجُلَلُ[2]
ربَّـاءُ شمَّاءُ لا يدنُـو لِقُلّتهـا ... إلاّ السَّحابُ إلاّ النُّوبُ والسَّبَلُ[3]

[يرثي أباه]

وقال أَبو عمرٍو الشيبانيُّ : كان عمرُو بن عثمان ، أَبو المتنخِّل يُكنى أَبا مالكٍ ، فهلك ، فرثاهُ المتنخِّل فقال[4] : [من المتقارب]

أَلا مَـن يُنادي أَبا مالكٍ ... أَفي أَمْرنـا أُمرُهُ أَم سِواهْ
فواللهِ مـا إنْ أَبو مالكٍ ... بـوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ[5]
ولا بأَلَـدَّ لـه نـازعٌ ... يُعادي أَخاهُ إذا ما نهاهْ[6]
ولكنّـه هَيِّـنٌ ليِّـنٌ ... كعاليةِ الرُّمْح عَرْدٌ نَساهْ[7]
إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً ... ومهما وكَلْتَ إليهِ كفاهْ
أَبو مالـكٍ قاصرٌ فقـرَهُ ... على نفسِه ومُشيـعٌ غِناهْ

[تمثل بشعره]

حدَّثني أَبو عُبيد الصَّيرفيُّ قال : حدَّثنـا الفضلُ بـن الحسن البصريُّ قـال : حدَّثنا أَحمد بن راشِدٍ قال : حدَّثني عَمِّي سعيد بن خَيْثَم قال : كان أَبو جعفرٍ محمدُ بن عليٍّ ، عليهما السلامُ ، إذا نظر إلى أَخيهِ زيدٍ تمثّلَ :

لعمرُكَ ما إنْ أَبُو مالكٍ ... بـواهٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ
ولا بأَلَـدَّ لَـهُ نـازعٌ ... يُعادِي أَخاهُ إذا مـا نهاهْ

1 لأعملتُ في الديوان : إذن لأعلمت .
2 ل : الحرب والضراء . والجلل : الأمور العظيمة ، جمع جلّى .
3 الديوان : لا يأوي لقلّتها . . . وإلاّ الأوب . والأوب : رجوع النحل . والسبل : المطر وفي رواية «إلا العقاب وإلاّ . . .» . والمعنى أنّ هذه الهضبة لا يعلوها لارتفاعها إلاّ العقاب والنحل والمطر .
4 شرح اشعار الهذليين : 1276–1277 مع اختلاف في الترتيب .
5 الديوان : لعمرك ما .
6 يعادي أخاه في الديوان : يغاري أخاه .
7 عرد نساه : شديد ساقه .

ولكنّــه هيّــنٌ ليّــنٌ كعاليةِ الرُّمْحِ عَردٌ نَساهْ
إذا سُدتَه سُدتَ مِطْواعةً ومهما وكَلتَ إليهِ كفاهْ
أبُو مالكٍ قاصرٌ فقــرَهُ على نفسهِ ومُشيعٌ غِناهْ

ثم يقول : «لقد أنجبتْ أُمٌّ وَلَدتْك يا زيدُ ، اللَّهُمَّ اشدُدْ أزْرِي بزَيْدٍ» .

[أجود طائية]

أخبرني محمدُ بن العبّاسِ اليَزيديُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ ، عن الأصمعيِّ قال : أجودُ طائيةٍ قالتها العربُ قصيدةُ المُتَنَخِّل[1] : [من الوافر]

عَرفتُ بأجْدُثٍ فنِعافِ عِرْقٍ عَلامــاتٍ كتَحْبيرِ النِّمــاطِ
كأنَّ مَزاحِــفَ الحيَّاتِ فيهــا قُبيــلَ الصُّبحِ آثــارُ السِّياطِ

في هذين البيتين غِناء : [من الطويل]

صوت[2]

عَجبتُ لِسعْي الدَّهر بيني وبينها فلمّا انقضَى ما بيننا سكَن الدَّهْرُ
فيا هجْرَ ليلى قد بلغْتَ بيَ المدى وزدتَ على ما لم يكنْ بَلَغَ الهَجْرُ[3]
ويا حُبَّها زِدْني جَوًى كُــلَّ ليْلةٍ ويــا سَلْوةَ الأيّامِ موعدُكِ الحَشرُ
أما والذي أبكى وأضحَكَ والذي أماتَ وأحيــا والذي أمرُهُ الأمْرُ
لَقد تركَتني أحسُدُ الوحشَ أن أرَى أليفَيْن منهــا لا يَرُوعُهُما الزجْرُ[4]

الشعر : لأبي صخرٍ الهُذَليِّ . والغِناء : لَمعبَد في الأوّل والثاني من الأبيات ، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرٍو ، ولابن سُرَيجٍ في الرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ ولعريبَ فيهما أيضاً ثقيلٌ أوّلُ آخرُ ، وهو الذي فيه استهلال . وللواثق فيهما رمَلٌ ، ولابن سُريجٍ أيضاً ثاني ثقيل في الثالثِ وما بعدَه ، عن أحمدَ بن المكّيّ ، وذكرَ ابن المكّيّ أنّ الثقيلَ الثاني بالوسطى لجدّه يحيى المكِّيّ .

1 هذان البيتان من قصيدة تتألف من أربعين بيتاً ، وهما الأول والتاسع والعشرون في شرح أشعار الهذليين : 1266–1277 .
2 هذه الأبيات من رائية أبي صخر الهذلي المشهورة (شرح أشعار الهذليين 2 : 956–959 وأمالي القالي 1 : 148–150) وقد نسب بعض أبياتها إلى مجنون ليلى (ديوانه : 130–132) .
3 الأمالي : فيا حب ليلى .
4 شرح أشعار الهذليين : أغبط الوحش .

[532] ـ أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبدُ الله بن سَلْم[2] السَّهميّ ، أحد بني مُرمِضٍ[3] وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبهِ في نسخةِ السُّكريّ ، وهي أتمُّ النسخِ مِمّا يأثُرُه عن الرّياشي عن الأصمعيّ ، وعن الأثرمِ عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ . وهو شاعر إسلاميّ من شعراءِ الدولةِ الأمويّة ، وكان مُوالياً لبني مروانَ ، متعصّباً لهم ، وله في عبدِ الملك بن مروان مدائحُ ، وفي أخيه عبد العزيز ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيدٍ . وحَبَسَه ابنُ الزُّبير إلى أن قُتِل .

[كان أموي الهوى غاضباً على ابن الزُّبير]

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجوْن ، مولى بني أُميَّة ، لقيته بالرّقَّة ، قال : حدَّثني الفيض بن عبدِ الملِك قال : حدَّثني مولايَ عن أبيهِ ، عن مَسلَمة بن الوليدِ القرشيّ ، عن عبد العزيز بنُ عمر بن عبد العزيز قال : لمّا ظَهر عبدُ الله بن الزُّبير بالحجاز وغلب عليها ، بعد موت يزيدَ بن مُعاويةَ ، وتشاغل بنو أُميَّة بالحرب بينهم في مرْج راهِط وغيره ، دخل عليه أبو صَخْرٍ الهذليُّ ، في هُذيـلٍ . وقد جاءوا ليقْبِضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواهُ في بني أُميّة ، فمنعه عطاءه ، فقال : علامَ تمنعني حقّاً لي ؛ وأنا امرؤ مُسلمٌ ، ما أحدثتُ في الإسلام حدَثاً ، ولا أخرجْتُ من طاعةٍ يداً ؟ قال : عَليكَ بني أُميّة فاطلبْ عندهم عَطاءَك .

قال : إذن أجدهـم سباطاً[4] أكُفُّهم ، سَمحةً أنفسهُم ، بُذَلاءَ لأموالهم ، وهّابين لمجتَدِيهم ، كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أصولهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريباً من رسولِ اللهِ ، ﷺ ، نسبُهم وسَبَبهم ؛ ليسوا إذا نُسِبوا بأذنابٍ ولا وشائظَ[5] ولا أتباعٍ ، ولا هم في قُرَيشٍ

---

1 ترجمة أبي صخر الهذلي في الشعر والشعراء : 467 (الحاشية) وخزانة البغدادي 3 : 261–263 والسمط : 399 والعيني 1 : 62 وأمالي القالي 1 : 146 وشعره في الجزء الثاني من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : سلمة .

3 أشعار : أحد بني مُرَمَّض بفتح الراء وأضاف الشارح : وفي موضع آخر بكسر الميم والكسر الصواب .

4 سبط الكف : سمح سخي .

5 وشائظ : دخلاء .

كفِقعَةِ القاع[1] ، لهُم السؤدُدُ في الجاهليّة ، والمُلكُ في الإسلام ، لا كمَن لا يُعدُّ في عِيرها ولا نفيرها[2] ، وَلا حُكّم آباؤه في نقيرِها ولا قِطميرها[3] ، ليسَ من أحلافها المطيَّبين ، ولا من ساداتها المطعِمين ، ولا من جُوَدائها الوهّابين ، ولا من هاشمها المنتخَبين ، ولا عبد شمسها المسوَّدين . وكيف تُقابلُ الرؤوسُ بالأذنابِ ؟ وأين النَّصْلُ من الجفن ؟ والسِّنانُ من الزُّجِّ ؟ والذُّنابى من القُدامى ؟ وكيف يُفضَّل الشَّحيحُ على الجوادِ ، والسُّوقةُ على الملكِ ، والمُجيعُ بُخلاً على المطعِم فضلاً ؟ فغضِبَ ابنُ الزُّبير حتى ارتعدتْ فرائصُه ، وعَرِقَ جبينه ، واهتز من قَرنه إلى قدمِه وامتُقِع لونُه ، ثم قال له : يا ابن البوّالة على عقبيها ، يا جِلفُ ، يا جاهلُ ، أما واللهِ لولا الحرماتُ الثّلاثُ : حُرمةُ الإسلام ، وحُرْمة الحَرَمِ ، وحُرمةُ الشهر الحرامِ ، لأخذتُ الذي فيه عيناكَ .

ثمَّ أمَرَ به إلى سجن عارمٍ ، فَحُبِس به مُدّةً ، ثم استوْهبته هُذيلٌ ومنْ له بين قريشٍ خُؤولةٌ في هُذيل ، فأطلقه بعد سنةٍ ، وأقسم ألاّ يُعطيَه عطاء مع المسلمينَ أبداً .

[عبد الملك يقربه ويصله]

فلمّا كان عام الجماعةِ ووُلّي عبدُ الملك وحجَّ ، لقيهُ أبو صخر ، فلمّا رآه عبدُ الملك قرّبه وأدناه ، وقال له : إنّه لم يخفَ عليَّ خبرُك «مع الملحدِ» ولا ضاع لكَ عندي هَواكَ وموالاتُك ؛ فقال : أما إذ شفى اللهُ منه نفسي ، ورأيتُه قتيل سيفك ؛ وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتوك السِّتر ، مفرَّق الجمع ، فما أُبالي ما فاتني من الدُّنيا .

ثـم استأذنـه أبـو صخـر في الإنشاد ، فـأذِن لـه ، فمثـل بين يديـه قائمـاً ، وأنشأ يقـول[4] : [من الطويل]

عفَت ذاتُ عِرْقٍ عُصلُها فرِئامُها فدهناؤها وَحْشٌ وأجلى سَوامُها[5]
على أنَّ مَرسى خَيمةٍ خَـفَّ أهلُها بأبْطحَ مِحلالٍ وَهَيهـاتَ عامُها[6]
إذا اعتلَجَتْ فيها الرِّياحُ فأدْرجتْ عَشيّاً جـرى في جانبيها قُمامُها

---

1 تقدم هذا المثل الذي يضرب في الذلة جزء 18 : 82 .

2 المثل «لا في العير ولا في النفير» في الفاخر : 177 ومجمع الميداني 2 : 221 وجمهرة العسكري : 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .

3 النقير : نقرة في النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة على النواة ، وكلاهما حقير .

4 أشعار : 953–956 مع اختلاف في الترتيب .

5 عصل ورئام ودهناء : أسماء مواضع .

6 في أشعار الهذليين «سوى» بدل «على» وبأبهر بدل بأبطح ، والأبهر : اللين من الأرض .

وإنَّ مَعاجي في الدِّيــار وموقِفي   بدارسة الرَّبعــين بــالٍ ثُمامُها[1]
لجهــلٌ ولكنّـــي أُسلِّي ضَمانةً   يُضعِّفُ أسرارَ الفــؤاد سَقامُها[2]
فأقصِرْ فلا ما قد مَضى لكَ راجع   وَلا لــذَّةُ الدُّنيا يَدُومُ دوامُها[3]
وَفــدٌ أميرَ المؤمنين الذي رَمــى   بجأواءَ جُمهــورٍ تَسيلُ إكامُها[4]
مِن أرض قُرى الزيتون مكّة بعدما   غُلِبْنــا عليهــا واستُحِلَّ حرَامُها

يقول : رَمى مكّةَ بالرِّجال من أهل الشام ، وهي أرضُ الزَّيتون .

وإذ عاثَ فيها النَّاكِثون وأفسدُوا   فخِيفَتْ أقاصِيها وطــار حَمامُها
فشَجَّ بهــم عَــرضَ الفَلاةِ تعَسُّفاً   إذا الأرضُ أخْفى مُستَواها سَوامُها[5]
فَصبَّحُهم بالخيلِ تزحَــفُ بالقَنا   وبَيْضاءَ مثلِ الشَّمْس يبْرُق لامُها[6]
لهمْ عسكَرٌ ضافي الصُّفوفِ عَرَمْرَمٌ   وجُمهورَةٌ يَثني العــدوَّ انتقامُها[7]
فطهَّر منهمْ بطــنَ مكّــةَ ماجِــدٌ   أبى الضَّيْمَ والميلاءَ حينَ يُسامُها[8]
فدَعْ ذا وبشِّر شاعِرَيْ أُمِّ مالكٍ   بأبياتِ مــا خِزي طوِيل عُرامُها[9]

شاعرَيْ أُمِّ مالكٍ : رجلان من كنانة كانا مع ابن الزُّبير ، يمدحانه ويحرِّضانه على أبي صخر ، لعداوةٍ كانَتْ بيْنهما وبينه .

---

1 أشعار : بوانية البندين بال ثمامها . والبندان : شرط الخيام التي تشد بها ، واحدها بند .
2 أشعار : أسلي زمانة .
3 أشعار : تمور إكامها .
4 أشعار :

وألحــد فيهــا الفاسقون وأفسدوا   فخافــت فواشيهــا وطار حمامهــا

الفواشي : المال الراعي .
5 أشعار :

يشج . . . .   وأما إذا يخفى مــن أرض علامهــا

6 لم يرد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . ولامها : مخفف لأمها ، وهي أداة الحرب .
7 أشعار :

له عسكر طاحي الصفاف عرمرم   وجمهورة يزهــى العدو احتدامها

8 أشعار : أبيٌّ شباةِ الضيم حين يسامها .
9 لم يرِد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . وشاعرا أم مالك هما رجلان من كنانة كانا يمدحان ابن الزُّبير ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه .

فإنْ تَبـدُ تُجدَعْ مَنْخِراكَ بمُدْيةٍ ... مُشَرْشرةٍ حَرَّى حَديدٍ حُسامُها[1]
وإن تخْفَ عنَّا أو تخفَ منْ أذاتِنا ... تَنُوشُكَ نابـا حَيَّـةٍ وسِمامُها[2]
فلـولا قريشٌ لاسْتُرِقَّت عَجُوزُكُم ... وطالَ على قُطْبَي رَحاها احتِزامُها

قال : فأمرَ له عبدُ الملك بما فاتهُ من العطاء ، ومثلِه صِلةً من مالِه ، وكَساهُ وحمَلَه .

[رثاء حيّ]

ونَسَخْتُ منْ كتاب أبي سَعيدٍ السُّكَّريِّ ، عن مُحمد بن حبيبٍ ، عن ابن الأعرابيّ وأبي عبيدة قالا : كان أبو صخر الهذليُّ مُنقطعاً إلى أبي خالدٍ عبدِ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ؛ مدّاحاً له ، فقال له يوماً : ارْثني يا أبا صخر وأنا حيٌّ ، حتى أسمع كيف تقول ، وأين مراثيك لي بعدِي من مديحك إيّايَ في حياتي ؟ .

فقال : أُعِيذُكَ باللهِ أيُّها الأميرُ من ذلك ، بل يُبقيكَ اللهُ ويقدِّمني قبلك ، فقال : ما مِنْ ذلك بُـدٌّ . قال : فرثاهُ بقصيدته التي يقولُ فيها[3] : [من الطويل]

أبا خالدٍ نفسي وقتْ نَفْسَك الرَّدى ... وكانَ بها من قبـلِ عَثرتك العَثْرُ
لتبكِك يـا عبـدَ العزيـز قلائصٌ ... أضرَّ بهـا نصُّ الهواجر والزَّجرُ[4]
سَمونَ بنـا يَجْتَبْن كلَّ تَنُوفـةٍ ... تضِلُّ بها عنْ بَيْضِهِنَّ القطا الكُدرُ
فما قدِمَتْ حتـى تواتـرَ سَيرُها ... وحتى أُنِيخَتْ وهي ظالعةٌ دُبْرُ[5]
فَفَرَّجَ عنْ رُكْبانِها الهَم والطّوى ... كريمُ المحيَّـا ماجـدٌ واجدٌ صَقْرُ
أخو شَتواتٍ تَقْتُـل الجوعَ دارُهُ ... لَمَـنْ جاءَ لا ضَيْقُ الفِناءِ ولا وعرُ
ولا تَهنِـيء الفِتْيـانَ بعدَك لذَّةٌ ... ولا بلَّ هامَ الشامتين بِكَ القطْرُ[6]
وإن تُمسِ رمساً بالرُّصافةِ ثاويـاً ... فما مات يا ابنَ العِيصِ نائلُك الغَمْرُ[7]

1 أشعار :

وإن تبد تَجـدع منخريـك بمديـة ... مشرشرة حـرى رميض حسامهـا

2 أشعار :

فـإن تبدُ أو تستخفِ تغض على أذى ... ويخطفـك نابـا حيـة وسمامهـا

3 أشعار : 950–953 .

4 أشعار : أضر بها طول المنصة والزجر .

5 أشعار : وهي داهفة دبر .

6 أشعار : فلا نفع الفتيان .

7 أشعار : أيامك الزهر .

وذي ورقٍ من فضلِ مالِكَ مالُه ... وذي حاجةٍ قد رِشْتَ ليس له وفرُ
فأَمْسى مُرِيحاً بعدَ ما قد يؤوبه ... وكَلٌّ بـه المَوْلى وضاقَ به الأَمرُ

قال : فأضْعَفَ لهُ عبدُ العزيز جائِزَتَه ووصَلَه ، وأمر أَولاده فرَووا القصيدة .

[رثاء ابنه]

وقال أبو عَمرو الشيبانيُّ : كان لأَبي صَخرٍ ابنٌ يقالُ له داوُد لم يكن له ولدٌ غيرُه ، فماتَ ، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى خُولِط ، فقال يرثيه[1] : [من الطويل]

لقد هاجَني طيفٌ لداوُد بعدما ... دَنتْ فاستقلَّتْ تالياتُ الكواكبِ
وما في ذُهولِ النفس عن غيرِ سَلوةٍ ... رَواحٌ من السُّقم الذي هو غالبي[2]
وعندكَ لو يحيا صداكَ فنَلتَقي ... شِفاءٌ لِمَنْ غادرتَ يومَ التّناضبِ
فهلْ لَكَ طِبٌّ نافعي من عَلاقةٍ ... تُهيِّمُني بين الحشا والتَّرائبِ
تشكَّيتها إذْ صدَّع الدَّهرُ شَعْبنا ... فأَمستْ وأَعيت بالرُّقى والطَّبائبِ[3]
ولولا يقيني أَنَّما الموتُ عزمةٌ ... مِنْ الله حتى يُبعثُوا للمَحاسبِ[4]
لقلتُ له فيما أُلِمُّ برمْسِه : ... هلَ آنتَ غداً غادٍ مَعي فَمُصاحبي
وماذا ترى في غائبٍ لا يُغِبُّني ... فلستُ بناسيه وليس بآئبِ[5]
سأَلتُ مليكي إذ بَلاني بفقدِه ... وفاةً بأيدِي الرُّوم بين المقانبِ[6]
تَنوبُني وقد قدَّمْتُ ثأري بطعْنةٍ ... تجيشُ بَموَّارٍ من الجوفِ ثاعِبِ[7]
فقد خِفْتُ أَن أَلقى المَنايا وإنَّني ... لَتابعُ مَنْ وافى حِمامَ الجوالبِ
ولَمَّا أُطاعِنْ في العدُوِّ تنفُّلاً ... إلى اللهِ أَبغي فضْلَهُ وأُضاربِ
وأعطِفْ وراءَ المُسْلِمينَ بِطَعْنةٍ ... على دُبُرٍ مُجْلٍ من العيشِ ذاهِبِ[8]

---

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 916–923 .
2 النفس في أشعار : الناس .
3 أشعار : فأمست قد آعيت .
4 أشعار : ولولا يقين .
5 لا يغبني : لا يزورني غبا .
6 المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل للغارة .
7 أشعار : تجيش بقلاص . والقلاص والموار بمعنى ، وهو الجرح الذي يفيض بشدّة . وثاعب : جارٍ .
8 بطعنة في أشعار : بشدة .

[رده على من عابه]

وقال أبو عمرٍو : بلغ أبا صخرٍ أنَّ رجلاً من قومه عابَهُ وقدح فيه ، فقال أبو صخرٍ في ذلك[1] : [من الكامل]

ولقد أتاني ناصحٌ عَنْ كاشحٍ بعَداوةٍ ظهرتْ وقُبْحِ أقاوِلِ[2]
أفَحِينَ أحكمني المشيبُ فلا فتًى غُمْرٌ ولا قَحْمٌ وأعصلَ بازِلي[3]
ولبِسْتُ أطوارَ المعيشةِ كُلَّها بمُؤَبَّداتٍ للرِّجالِ دَواغِلِ[4]
أصْبَحْتَ تَنقُصُني وتَقْرَعُ مَرْوَتي بَطِراً ولم يرْعَبْ شِعابَك وابلي[5]
وتنلكَ أظفارِي ويبرِكَ مِسْحَلي بَرْيَ الشَّسِيبِ من السَّراءِ الذَّابِلِ[6]
فتكونَ للباقين بعدكَ عِبرةً واطَأْ جَبِينكَ وَطأَةَ المُتثاقِلِ

[شعره في امرأة تزوجت ورحلت]

وقال أبو عمرٍو : وكان أبو صخرٍ الهذليُّ يهوى امرأةً من قُضاعة ، مجاورةً فيهم ، يقال لها ليلى بنتُ سَعْد ، وتكنى أُمَّ حَكيم ، وكانا يتواصلانِ بُرهةً من دهرِهما ، ثم تزوَّجت ورحَل بها زوجُها إلى قومِهِ ، فقال في ذلك أبو صخرٍ[7] : [من الطويل]

أَلَمَّ خَيالٌ طارقٌ متأوِّبُ لأُمِّ حكيمٍ بعدما نِمتُ مُوصِبُ[8]
وقد دَنَت الجوْزاءُ وَهْيَ كأنَّها ومِرْزَمَها بالغَوْرِ ثَوْرٌ ورَبْربُ[9]
فباتَ شَرابي في المنامِ مع المُنى غَريضُ اللَّمى يَشْفي جَوى الحُزْنِ أشنَبُ[10]

---

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 927–930 .
2 أشعار : «بل قد» بدل من «ولقد» و«زَغْر» بدل و«قبح» .
3 أعصل بازلي : اشتد نابي .
4 أشعار :

ولبست أطوار المعيشة كلها وعرفت من حق وراع عواذلي
وذببت عن أفناء خندف كلها بمؤبدات للرجال عداملي

مؤبدات : وحشيات ، يعني شعره . وعدامل : قديمة .
5 لم يرعب : لم يملأ .
6 الشسيب : القوس . والسَّراء : شجر تتّخذ منه القسي . والمسحل : مثل المبرد .
7 من قصيدة في «شرح أشعار الهذليين» 936–938 .
8 موصب : من الوصب ، وهو الوجع والألم .
9 المرزم : نجم من نجوم المطر ، وهما مرزمان .
10 الغريض : ماء المطر وكل أبيض طري .

قُضاعِيَّـةٌ أَدنـى دِيـارٍ تَحُلُّهـا ... قَنـاةُ وأَنَّى مـن قنـاة المُحَصَّبُ[1]
سراجُ الدُّجـى تَغْتَلُّ بالمسك طَفْلَةٌ ... فـلا هـي مِتْفالٌ ولا اللَّونُ أَكْهبُ[2]
دَمِيثـةُ مـا تحـت الثِّيـابِ عَمِيمةٌ ... هَضيمُ الحشا بِكْـرُ المجسّةِ ثَيِّبُ[3]
تعلَّقْتُهـا خَـوْداً لذيـذاً حديثُهـا ... ليالِيَ لا تُحْمـى ولا هِـيَ تُحْجَبُ[4]
فكانَ لهـا وُدِّي ومَحْـضُ عَلاقتـي ... وَليـداً إلى أَنْ رأْسِيَ اليـومَ أَشْيبُ[5]
فلم أَرَ مثلي أَيْأَسَتْ بعـد عِلْمِهـا ... بِـوُدِّي ولا مِثْـلي على اليأسِ يَطْلُبُ
ولـو تلتقي أصداؤُنـا بعـدَ موْتِنا ... ومِن دُونِ رَمْسَيْنا من الأرضِ سَبْسبُ[6]
لظلَّ صَدى رمسي ولـو كنتُ رِمَّةً ... لِصوتِ صَدى ليلى يَهَشُّ ويطرَبُ[7]

[الرائية المشهورة]

وقصيدة أَبي صخر التي فيها الغناءُ المذكورُ من مختار شعر هُذَيلٍ، وأَوَّلُها[8] : [من الطويل]

لِلَيلى بـذاتِ الجيش دارٌ عرفتُهـا ... وأُخرى بـذات البَـين آياتُها سطْرُ[9]
وقفـتُ برسميْهـا فلمَّـا تنكَّـرا ... صدفْتُ وعينـي دمعُها سرِبٌ هَمْرُ
وفي الدَّمْعِ إن كَذَّبتُ بالحبِّ شاهدٌ ... يُبيِّنُ مـا أُخْفـي كما بَيَّـن البَدْرُ
صبرتُ فلمّـا غـالَ نفْسي وشفَّها ... عجاريفُ نأي دُونها غُلِـبَ الصَّبْرُ[10]
إذا لم يكُـنْ بـينَ الخليلـينِ رِدَّةٌ ... سِوى ذِكْرِ شيءٍ قد مضى درسَ الذِّكْرُ[11]

وهذا البيت خاصّةً رواه الزُّبيرُ بن بكّار لنُصَيْبٍ :

---

1 وأنّى في أشعار : وأدنى .
2 تغتلّ : تتعطر ، من الغالية . ومتفال : منتنة الريح . وأكهب : أغبر .
3 عميمة : طويل . وبكر المجسة : حسنة الجسم لم تتغير ، فكأنّها بكر وهي ثيب .
4 خوداً في أشعار : بكراً . و«لا تعدى» بدل «لا تحمى» ، أي لا تشغل .
5 أشعار : فكان لها أدّي وريَقةَ ميعتي . وأدّي : لغة هذيل في ودي . وريقة ميعتي : أولها .
6 سبسب في أشعار : منكب .
7 رمسي في أشعار : صوتي .
8 هذه هي القصيدة التي أشرنا في أوّل الترجمة ، وفيها اختلاف كبير في الرواية والترتيب عما في شرح أشعار الهذليين والأمالي .
9 أشعار : عكس موضعي الجيش والبين . وعفر بدل سطر .
10 أشعار : عجاريف ما تأتي . وعجاريف الدهر : حوادثه .
11 الخليلين في أشعار : الحبيبين .

إذا قلتُ هـذا حينَ أُسلو يَهيجُني ... نسيمُ الصَّبا مـن حيثُ يَطْلُعُ الفجرُ
وإنّـي لتَعْـروني لِذكـراكِ فَتْـرةٌ ... كما انتَفَضَ العُصفـورُ بَلَّلَـهُ القَطْرُ[1]
هجرتُكِ حتَّى قِيل لا يعرِفُ الهوى ... وزُرْتُكِ حتـى قيـل ليسَ لـهُ صبرُ
صَدقْتِ أنا الصَّبُّ المصابُ الذي به ... تباريحُ حُبٍّ خامـرَ القلبَ أو سِحْرُ
أَمَـا والذي أبكـى وأَضْحكَ والذي ... أَمـاتَ وأَحيـا والذي أمـرُه الأَمْرُ
لَقـد تركَتني أَحسُدُ الوحشَ أن أرى ... أَليفَـينِ منهـا لم يُروِّعْهُمـا الزَّجْرُ[2]
فيا هجْرَ لَيلى قـد بلغتْ بِـيَ المَدى ... وزدتَ على مـا لم يكـنْ بلغ الهجْرُ
ويـا حُبَّهـا زِدْني جَـوًى كلَّ ليلةٍ ... ويـا سلوةَ الأيَّـامِ موعِدُكِ الحشْرُ
عجِبتُ لسَعيِ الدَّهـرِ بينـي وبينها ... فلمّا انقَضى مـا بيْننا سَكَـن الدَّهرُ
فليستْ عَشيّاتُ الحِمـى برَواجـعٍ ... لنا أبـداً مـا أوْرَق السَّلَمُ النَّضرُ[3]

صوت

وإنّـي لآتيهـا لكيمـا تُثيبَنـي ... وأُوذُنُها بالصُّرْم مـا وَضح الفَجْرُ
فمـا هُـو إلاّ أن أراهـا فُجـاءَةً ... فأُبْهتَ لا عُـرْفٌ لـديَّ ولا نُكرُ[4]
تكاد يَـدي تنْدى إذا مـا لَمسْتُها ... ويَنبتُ في أَطرافهـا الوَرقُ الخُضرُ[5]

في هذه الأبياتِ ثقيلٌ أوّل قديمٌ مجهولٌ ، وفي البيت الأخير لعريب خفيفُ ثقيلٍ ، وقد أضافت إليه بيتاً ليس من الشعر ، وهو :

أَبـى القَلـبُ إلاّ حُبَّهـا عامريّـةً ... لهـا كنيةٌ «عمرٌو» وليس لها «عمرُو»[6]

[الهادي يشقّ ثيابه طرباً]

أخبرني محمد بن مزيَد قال : حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أَبي عن جدِّي قال : دخلتُ يوماً على موسى الهادي وهو مصطَبحٌ ، فقال لي : يا إبراهيمُ غنّني ، فإن أطربتَني فلكَ

1 الشطر الأول في أشعار : إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها .
2 أشعار : لا يروعهما الزعر .
3 فليست في أشعار : أليس .
4 فجاءة في أشعار : بخلوة .
5 لمستها في أشعار : مسستها .
6 لم يرد هذا البيت في شرح أشعار الهذليين ، وهو مما نسب إلى المجنون .

حكمُك ، فغنَّيتُه : [من الطويل]

وإنِّـي لتَعْروني لذكـراكِ فتـرةٌ ... كما انْتَفضَ العُصْفورُ بلَّلَـهُ القَطْرُ

فضرب بيده إلى جنْب دُرَّاعتِه فَشَقَّها حتى انتهى به إلى صدره .

ثمَّ غنَّيته : [من الطويل]

أَما والذي أَبكى وأَضحَكَ والذي ... أَماتَ وأَحْيـا والذي أمـرُه الأَمرُ

لقد تَركتْني أَحسُدُ الوحْشَ أَنْ أَرى ... أَليفيْنِ منهـا لا يَرُوعُهمـا الزَّجرُ

فشق دُرَّاعتَه حتى انتهى إلى آخرها .

ثم غنَّيتُه : [من الطويل]

فيا حُبَّها زِدني جَـوًى كلَّ لَيْلـةٍ ... ويـا سَلوةَ الأيَّامِ موعدُكِ الحَشْرُ

فشَقَّ جبَّةً كانت تحت الدُّرَّاعةِ حتى هتكها .

ثمَّ غنَّيتُه : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْي الدَّهرِ بَيْني وبينها ... فلمّا انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ

فشقَّ قميصاً كان تحتَ ثيابه حتى بَدا جِسمُه . ثم قال : أَحسنتَ واللهِ فاحتكِمْ . فقلتُ : تهَب لي ، يا أميرَ المؤمنينَ ، عينَ مروان بالمدينةِ ، فغضِبَ حتى دارتْ عيناه في رأسِه ، ثم قال : لا ، ولا كرامةَ ، أردتَ أن تجعلَني أُحدوثةً للنّاسِ ، وتقول : أطربتُه فحكَّمني ، فحكمتُ ، فأمضى حُكمِي .

ثم قال لإبراهيم الحرّانيّ : خُذ بيد هذا الجاهلِ وأدخِله بيتَ مالِ الخاصَّة فإنْ أَخذَ كلَّ شيءٍ فيه فلا تمنعْه منه ، فدخلتُ معه فأخذْتُ مالاً جليلاً وانصرفتُ .

وممّا يُغنّى فيه من شعر أَبي صخر الهذليَّ قولُه من قصيدةٍ له[1] : [من الكامل]

صوت

بيَدِ الذي شَغفَ الفؤادَ بكُم ... فـرَجُ الذي أَلْقى مِـن الهمِّ

هَمٌّ مِـنَ اجلكِ لَيْس يكْشِفهُ ... إلاّ مَليـكٌ جائِـزُ الحُكمِ[2]

فاستَيقِني أَنْ قـد كلِفْتُ بكم ... ثمَّ افعَلي مـا شِئتِ عنْ عِلْمِ

1 هذه الأبيات من قصيدة له في شرح أشعار الهذليين مع اختلاف في الترتيب : 972–972 .

2 أشعار : كرب من أجلك . . . مليك الناس . . . .

قــدْ كان صُرْمٌ في المَماتِ لنا فعجِلت قبــل المـوْتِ بالصُّرْمِ

الشعر لأبي صخرٍ الهذليّ . والغناء للغَريض ، ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى ، عن عمرو . وفيه لسياط ثقيلٌ أوّل آخر بالبِنصر ، ابتداؤه نشيدٌ :

فاستَيقنــي أَنْ قــد كَلِفْتُ بكُم

وهكذا ذكر الهشاميُّ أيضاً ، وذكر أنّ لحن الغريض ثاني ثقيلٍ ، وأنّ فيه لابن جامعٍ خفيفَ رملٍ .

[النظام والغلام]

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسن الحرون قال : حدَّثني الكِسْرَويُّ قال : لَقيَ إبراهيم النَّظّام غلاماً أمردَ فاستحسنه ، فقال له : يا بُنيَّ ، لولا أنّه قد سَبق من قول الحُكماء ما جعلوا به السَّبيلَ لمثلي إلى مثلِك في قولهم : «لا ينبغي لأحدٍ أن يكبَرَ عن أن يسألَ ، كما لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُرَ عن أن يقول» لما أنِستُ إلى مخاطبتك ، ولا هَشِشْتُ لمُحادَثتِكَ ، ولكنّهُ سببُ الإخاءِ ، وعقْدُ المودَّةِ ، ومحلُّلكَ من قلبي[1] محلُّ الرُّوح من جَسدِ الجبان . فقال له الغُلامُ وهو لا يعرفُه : لَئِن قلتَ ذاك أيُّها الرجلُ لقد قال الأستاذ إبراهيمُ النّظّام : «الطبائِعُ تُجاذبُ[2] ما شاكَلَها بالمجانسةِ ، وتميلُ إلى ما يُوافقُها بالمؤانسَةِ» وكِياني مائِلٌ إلى كيانِك بكليَّتي ، ولو كان ما أنطوي لك عليه عَرَضاً ما اعتددتُ به وُدّاً ، ولكنَّه جوهرُ جسمي ، فبقاؤه ببقاء النفْس ، وعدمُه بعَدمها ، وأقولُ كما قال الهُذليُّ : [من الكامل]

فاسْتَيقني أَن قد كَلِفْتُ بِكم ثم افعلي ما شِئتِ عن عِلمِ

فقال له النظّامُ ، إنّما خاطبتُكَ بما سمعتَ ، وأنتَ عندي غلامٌ مستحسَنٌ ، ولو علمتُ أنّك بهذه المنزلة لرفعتُك إلى رتبتها .

قال أبو الحسن الأخفشُ : فأخذ أبو دُلَف هذا المعنى فقال[3] : [من الوافر]

أُحبّك يــا جِنانُ وأنتِ منّي محلُّ الرُّوحِ من جسدِ الجبانِ
ولو أنّي أقــولُ مكانَ نفسي لخفتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ[4]

1 ل : مسألتي .

2 ل : توافق .

3 تقدمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دُلَف جزء 8 : 177 .

4 ل : من ريب الزمان .

لإقدامي إذا مـا الخيلُ خامتْ ... وهـابَ كُماتُها حَـرَّ الطِّعانِ[1]

وتمام أبيات أبي صخرٍ الميميّةِ التي ذكرتُ فيها الغناءَ الأخيرَ وخبرَه أنشدنيها الأخفشُ عن السّكريّ عن أصحابه : [من الكامل]

ولَمّـا بقيـتِ لَيَبْقَيَنَّ جَـوًى ... بينَ الجوانحِ مُضرِعٌ جِسْمِي[2]
ويُقِرُّ عينـي وهْـي نازحـةٌ ... مـا لا يُقِـرُّ بعـينِ ذي الحلمِ
أطْلالُ نُعْـمٍ إذْ كَلِفْتُ بهـا ... يـا دِينَ هذا القَلْبَ من نُعْمِ[3]
ولو انَّنـي أُسْقى على سَقَمي ... بِلَمى عَوارِضِها شَفى سُقْمي
ولقد عَجِبْـتُ لِنَبْـلِ مُقتدرٍ ... يَسِطُ الفؤادَ بهـا ولا يُدْمي[4]
يَرْمـي فيجْرَحُنـي برمْيتـهِ ... فلـوَ انّني أَرْمـي كما يرمي[5]
أو كان قلـبٌ إذ عَزمتُ لهُ ... صُرْمي وهَجرِي كان ذا عَزْمِ[6]
أو كان لي غُنْـمٌ بِذكرِكُـمُ ... أمسيتُ قـد أُثريتُ مـن غُنْمِ

[العجوز التي تحسن الغناء]

أخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمّادٍ عن أبيه ، عن أبي عبدِ اللهِ الأنصاريِّ ، عن غُرَير بن طلحةَ الأرقميِّ قال : قال لي أبو السّائِبِ المخزوميُّ ، وكان من أهلِ الفضل والنُّسكِ : هل لك في أحسنِ النّاس غناءً ؟ قلت : نعم . وكان عليَّ يومئذٍ طيلسانٌ لي أُسمّيه من غِلَظه وثقَلِه «مُقطِّع الأزرار» . فخرجنا حتـى جئنا إلى الجبّانةِ ، إلى دارِ مُسلم بن يحيـى الأرَتِّ صاحب الخمر ، مولى بني زُهْرةَ فأذِن لنا . فدخلنا بيتاً طولُه اثنتا عشرةَ ذراعاً في مِثلها ، وسَمْكُه في السماءِ ستَّ عشرة ذراعاً ، ما فيه إلاّ نُمرقتانِ قد ذَهبتْ منهما اللُّحمـةُ وبقـيَ السَّدَى ، وفـراشٌ محشوٌّ ليفـاً[7] ، وكُرسيّان من خشب قد تقلّع عنهُمـا الصِّبْغُ من قِدَمهما[8] وبينَهما مِرفَقتانِ محشوّتانِ باللِّيف . ثم طلعتْ علينا عجوزٌ

1 خامت : نكصت .
2 مضرع في ل : مسقم .
3 دين : عادة .
4 يسط : يحل في وسطه .
5 الشطر الأول في أشعار : يرمي فلا تشويك رميته .
6 أشعار : ولو ان قلبي .
7 ل : ريشاً .
8 ل : فوقهما .

كَلْفاء[1] عَجْفاءُ ، كأَنَّ شعرَها شعرُ ميِّتٍ ، عليها قَرقَل[2] هَرَوِيٌّ أَصفرُ غَسيلٌ[3] ، كأَنَّ وَركَيْها في خيطٍ من رسَحها[4] حتى جَلَست . فقلتُ لأبي السّائبِ : بأبي أنتَ وأُمِّي ما هذه ؟ قال : اسكتْ : فتناولتْ عوداً فضرَبتْ ، وغنّتْ :

بِيـدِ الـذي شغَفَ الفُـؤادَ بكمْ ... فَـرَجُ الذي أُلْقَـى مـن الهمِّ

قال غُريرٌ : فحسُنَتْ ، واللهِ ، في عَيْني ، وَجاء نقاءٌ وَصفاءٌ ، فأُذْهبَ الكلَف منْ وجهها ، وزَحفَ أبو السَّائبِ وزحفْتُ معه . ثمّ غنَّت : [من الكامل]

صوت

بَرِح الخَفاءُ فأَيَّ ما بك تَكتُم ... وَلسوْف يظْهرُ مـا يُسَرُّ فيُعلَمُ
ممّا تضمّنَ مـن غُريرةَ قلبُـهُ ... يـا قلبُ إِنَّكَ بالحِسانِ لَمُغْرَمُ
يا ليتَ أَنّك يا حُسامُ بأَرْضنا ... تُلْقـي المراسيَ دائمـاً وتُخيِّمُ
فتذوقَ لـذَّةَ عيشِنا ونعيمَـهُ ... ونكـونَ أَجـواراً فماذا تنقِمُ

الغناء لحكم ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن الهشاميِّ .

فقال أَبو السائب : إن نَقِمَ هذا فيَعضّ بظْرَ أُمِّه . وزحف وزحفتُ معهُ ، حتى قاربتُ النُّمرقَةَ وَربَتِ العجفاءُ في عيني كما يربُو السَّويقُ شِيبَ بماء قِربَةٍ .

ثم غنّتْ : [من المنسرح]

صوت

يا طُولَ ليْـلي أُعالجُ السَّقَما ... إذ حـلَّ دُون الأَحبَّةِ الحرَما
ما كنتُ أَخشى فِـراقَ بينكمُ ... فاليومَ أَضحى فراقُكـم عَزَما

الغناء للغريض ، ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها ، وله أيضاً فيه خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر جميعاً ، عن إسحاقَ .

قال غُرَير : فألقيتُ طيْلَسان وتناولتُ شاذكونة[5] ، فوضعتها على رأسي وصِحتُ كما

---

1 كلفاء : في وجهها حمرة كدرة أو نمش كالسمسم .
2 قرقل : قميص بلا كمين .
3 غسيل : مغسول .
4 الرسح : قلة لحم العجز ، والمرأة رسحاء .
5 الشاذكونة : مضربة النجّاد .

يُصاحُ بالمدينة : الدَّخن[1] بالنَّوى ، وقام أبو السائبِ ، وتناوَلَ رَبْعةً[2] فيها قوارير دُهْنٍ كانتْ في البيت ، فوضعَها على رأسِهِ ، وصاح ابنُ الأرَتّ صاحبُ الجارية ، وكان ألْثغَ : «قواليلي قواليلي» ، يريد : قواريري قواريري ، أسألكَ بالله . فلم يلتفتْ أبو السّائب إلى قوله ، وحَرَّك رأسه مَرَحاً فاضطربت القواريرُ وتكسَّرتْ ، وسال الدُّهن على وجه أبي السائب وظهره وصدره ؛ ثم وضع الرّبعة وقال لها : لقد هِجْتِ لي داءً قديماً .

قال : ومكثنا نختلفُ إليها سنين ، في كلِّ جُمعةٍ يومين ، وقال : ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلُس ، فاشتُرِيت له العجفاءُ وحُمِلت إليه .

صوت

[من الطويل]

ألا هل إلى ريح الخُزامى ونظرةٍ إلى قرقَرى قبلَ الممات سبيلُ[3]
فيا أثلاتِ القاعِ من بطْن تُوضِحٍ حَنيني إلى أطلالكُنَّ طويلُ
ويا أثْلاتِ القاعِ قلبي مُوكَّلٌ بكنَّ ، وَجدْوَى خيركنّ قليلُ
ويا أثلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحبتي وقوفي ، فهلْ في ظلِّكُنَّ مَقِيلُ ؟

الشعر : ليحيى بن طالبِ الحنفيِّ ، والغناءُ لعلُّويه ، خفيفُ رمَل بالوسطى ، عن عمرٍو . وفيه لإبراهيم لحنٌ ماخوريّ بالوسطى ، وفيه لعَرِيبَ رملٌ ، ولمتيم خفيفُ رمَل آخر عن الهشاميِّ . وفيه لابن المكِّيّ خفيفُ ثقيل من كتابه وذكر ابنُ المعتزِّ أن لحن عريب ومتيَّم جميعاً من الرمل .

1 ل : الدجر ، وهو اللوبياء .
2 الربعة : جونة العطار .
3 قارن بديوان مجنون ليلى : 221 وهي في السمط : 363 وأمالي القالي 1 : 123 ومصارع العشاق 1 : 294 ومعجم البلدان (قرقرى) ليحيى بن طالب . قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخل كثير .

[533] ـ أخبار يحيى بن طالب[1]

يحيى بن طالب : شاعِرٌ من أَهلِ اليمامةِ ، ثم من بني حنيفةَ . لم يقعْ إليَّ نسبُه . وهو من شُعراء الدّولةِ العبّاسيّة مُقِلٌّ ، وكان فصيحاً شاعراً غزِلاً فارساً .

[هربه من دين]

وركِبَه دَيْنٌ في بلدِهِ فهرب إلى الرّيّ ، وخرج مع بَعْثٍ إليها ، فمات بها ، وقد ذَكَر ذلك في هذه القصيدة فقال : [من الطويل]

أُرِيدُ رجُوعـاً نحوَكُمْ فَيُصدُّني إذا رمْتُـهُ دَيْـنٌ عـليَّ ثقِيلُ

حدَّثني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أَبيه قال : غَنَّى أَبي الرشيدَ في شعر يحيى بن طالبٍ :

أَلا هل إلى شَمِّ الخُزامى ونَظْرةٍ إلى قَرقرى قبل المماتِ سَبِيلُ

فأَطربَهُ ، فسأله عن قائل الشعر ، فذكَره له وأعلمه أنّه حيٌّ ، وأنّه هرب من دَيْنٍ عليه ، وأنشده قولَه :

أُرِيدُ رجوعـاً نحوَكُمْ فَيَصُدُّني إذا رُمْتُـه دَيْـنٌ عـليَّ ثقِيلُ

فأمر الرشيدُ أن يُكتب إلى عامل الريّ بقضاءِ دَيْنِه ، وإعطائِه نفقةً ، وإنفاذه إليه على البريد ، فوصل الكتاب يومَ مات يحيى بن طالب .

[شاعر ظريف غزل]

أَخبرنا محمد بن خَلَف وكيع وعَمِّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن شَبِيب قال : حدَّثني الجَهْمُ بن المغيرةِ قال : كنّا عند حُتْرُش[2] بن ثُمال القُرَيْظيّ بضَرِيَّة[3] فمرَّت بنا جارية صفراءُ مُولَّدةٌ ، فقال لي حُتْرُش : استفتِحْ كلامَها فانظُر فإنّها ظَرِيفةٌ ، فقلتُ لها : يا جاريـة ، أين نَشأْتِ ؟ قالت : بقَرْقرى ، فقلتُ لها : أَين مِن شَعْبَعَب[4] ؟ فضحِكت ثم

1 ليحيى بن طالب الحنفي أخبار في أمالي القالي 1 : 123 ومعجم البلدان (قرقرى) وانظر التذكرة الحمدونية 1 : 247 و6 : 71 .
2 ل : جرش .
3 ضرية : قرية كانت عامرة على طريق مكة من البصرة .
4 شعبعب : اسم ماء باليمامة ، انظر معجم البلدان (شعبعب) وفيه أبيات يحيى مع اختلاف في الرواية .

قالت : بينَ الحَوْضِ والعَطَن ، قلتُ : فمن الذي يقول : [من البسيط]

يا صاحِبَيَّ فَدَتْ نفسي نُفُوسَكما عُوجا عليَّ صُدورَ الأَبْغُلِ السُّنُنِ[1]
ثم ارفعا الطَّرفَ نَنْظُرْ صُبْحَ خامسةٍ لقَرقَرى يـا عناءَ النفسِ بالوَطَنِ
يا ليت شعريَ والإنسانُ ذو أَمَلٍ والعَيْنُ تَذْرِفُ أَحيانـاً من الحَزَنِ
هل أَجعَلَنَّ يَـدي للخَـدِّ مِرْفَقَةً على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ

فالتَفتَتْ إلى حُترش بـن ثمـالٍ فقالـت : أَخبِره بقائِلها ، فقال : ما أَعْرِفُهُ ، فقالتْ : بَلى ، هذا يقوله شاعِرنا وظريفُ بلادِنا وغَزِلُها . فقال لها حُتْرشٌ : وَيْحكِ ، ومَن ذلك ؟ فقالت : أشهد إن كنتَ لا تعرفُه وأنتَ من هذا البلدِ إنّها لسوْأَةٌ ، ذلك يحيى بن طالب الحنفيُّ ، أقسم بالله ما مَنَعكَ من معرفته إلاّ غِلَظُ الطبعِ ، وجفاءُ الخُلُق . فجعل يضحَكُ من قولها وتعجّبنا منها .

[يرفض ركوب البحر]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا أَبو غسَّان دَماذ ، عن أَبي عُبيدةَ قال : قال رجل ليحيى بن طالب الحنفيِّ : لو ركبتَ معي في البحر ، وشَغَلْت مالَكَ في تجاراتِه لأَثْـريتَ وحسُنَتْ حالُكَ ، فقال يحيى بن طالب[2] : [من الطويل]

لشُرْبُـــكَ بالأَنقـاءِ رنْقـاً وصافِيـاً أَعَفُّ وأَعْفَى من ركوبِكَ في البحْرِ
إذا أَنــت لم تنظُــرْ لنفسِكَ خالِيـاً أَحاطَت بك الأَحزانُ من حيثُ لا تدري

[وفاته مرّة أخرى]

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعدٍ قال : حدَّثني أَبو علـيّ الحنفـي ؛ قـال : حدَّثـني عمِّي عن عليّ بن عمر قـال : غُنِّـيَ الرشيدُ يومـاً بشعر يحيى بن طالب : [من الطويل]

أَلا هَل إلى شَمِّ الخُزامَى ونَظْرةٍ إلى قَرقَرى قبلَ المماتِ سَبِيلُ

وذكر الخبر كما ذكره حمّادُ بن إسحاقَ ، إلاّ أنّه قال : فوجَده قد مات قبل وصولِ البريدِ بشهر .

أَخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بن أَخي الأصمعيّ ، عن عمّه قال : كان يحيى بن طالبٍ يُجالسُ امرأةً من قومه ويأْلَفُها ، ثم خرجَ مع والي اليمامةِ إلى مكّة ،

1 السنن : التي تسير سيراً شديداً .
2 قارن الأبيات بما في معجم البلدان (قرقرى) وأمالي القالي 1 : 123 .

وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخير ، فلمَّا صار إلى مكّةَ عُزِل الوالي ، فَلَوى يحيى بماله مدّة ، فضاق صدرُه ، وتَشوَّقَ إلى اليمامةِ وصاحبتِه التي كان يتحدَّث إليها ، فقال : [من الطويل]

تصبَّرتُ عنهـا كارهـاً وهجرتُها وهِجْرانُها عندي أَمَرُّ من الصَّبْرِ

صوت

إذا ارتَحَلـتْ نحـو اليمامـة رُفْقةٌ دعاني الهوى واهتاجَ قلبيَ للذِّكْرِ
كأَنَّ فؤادي كُلَّمـا عَـنَّ ذِكْرُها جَناحا غُرابٍ رامَ نهضاً إلى وَكْرِ

الغناء للزفـّ ، ثقيلٌ أَوّلُ عن الهشاميّ في هذين البيتين .

وقال فيها :

مُدايَنَـةُ السُّلطـانِ بـابُ مَذَلَّـةٍ وأَشبـهُ شَيءٍ بالقَناعـةِ والفَقْـرِ
إذا أَنـتَ لم تنظُـرْ لنفسِكَ خالِيـاً أَحاطتْ بِكَ الأَحزانُ من حيث لا تَدْري

[أمنية المتمني]

أَخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حَمَّادٍ عن أَبيه ، قال : قال أَبو الذَّيَّال الحَنَفيّ : خرج يحيى بن طالب الحنفيّ من اليمامة يُريد خُراسان على البريد ، فقال وهو بقُومِس[1] : [من الطويل]

أَقولُ لأَصحابي ونحـن بقُومِس نُـراوِحُ أَكتافَ المحذَّفـةِ الجُرْدِ
بعُدنـا وعهدِ اللهِ من أَهلِ قرقرى وفيها الأُلى نَهوى وزِدْنا على البُعْدِ

أَخبرنا الحسنُ بن عليٍّ قـال : حدَّثنـا محمـدُ بن موسى بن حمّادٍ قال : حدَّثني عبد الله بنُ بِشْر ، عن أَبي فراسٍ الهيثَم بن فراسٍ الكِلابيّ قال : كنتُ مع أَبي ونحن قاصِدُون اليمامةَ ، فلمّا رأيناهـا لَقِينـا رجـلٌ ، فقال له أَبي : أين قرقرى ؟ قال : وراءَك ، قال : فأَين شَعَبْعَب ؟ قـال : بإزائِه ؛ قال : أرني ذلكَ ، فأَراه إيّاها حتى عَرَفه ، فقال لي : ارجع بنا إلى الموضِع ، فقلت له : يا أَبتِ قد تَعِبنا وتعبت ركائِبُنا ، فما لك هناك ؟ قال : إنّكَ لأَحمقُ ، ارجع ويْلك ، فرجعتُ معه حتى أَتـى شَعَبْعب ، وصار إلى الحـوض والعَطَن ، وأَناخ راحِلتَه ، وقال لي : أَنِـخ ، فأَنَخْت ؛ ونزل فنظَر إلى شَعَبْعَب وقرقرى ساعةً ، ثم اضطجع بين الحوضِ والعَطَن اضطِجاعةً ، ويده تحت خدِّه ، ثم قام فركِب ، فقُلت : يا أَبتِ ما أَردتَ بهذا ؟ فقال : يا جاهلُ ، أَما سمعتَ قولَ يحيى بن طالب : [من البسيط]

---

1 البيتان في معجم البلدان (قومس) مع اختلاف في الرواية .

هـــل أجعَلَنَّ يَـدِي للخدِّ مِرفقةً ... على شَعَبْعَبَ بين الحَوْضِ والعَطَنِ

أفليسَ عجزاً أن نكونَ قد أتينا عليهما وهما أُمنية المتمنّي فلا ننال ما تَمنّاه منهما ، وقد قدرتُ عليه ؟ فجعلتُ أعجبُ من قوله وفعلِه .

[يحمل مغارم قومه]

أخبرنا محمدُ بن جعفر النحويّ قال : حدَّثني طلحةُ بن عبدِ الله الطَّلحيُّ قال : حدَّثنا أبو العاليةِ عن رجل من بني حنيفة قال : كان يحيى بن طالبٍ جواداً ، شاعراً ، جميلاً ، حَمَّالاً لأثقالِ قومِهِ ومغارمِهم ، سمحاً يَقْرِي الأضيافَ ، ما تشاءُ أن ترى في فتًى خَصلةً جميلةً إلاّ رأيتها فيه . فدخلتُ عليه وهو في آخر رَمَقٍ ، فسألتُه عن خبرِه ، وسلَّيته وقلتُ له ما طابَتْ به نفسُه ، ثم أنشدني قولَه[1] : [من الطويل]

ما أنــا كالقولِ الذي قلتَ إن زَوَى ... مَحَلِّـيَ عـن مـالي حِذارَ النَّوائبِ

بمنزلــةٍ بـين الطريقَيْـــنِ قابَلَتْ ... بِـوادِي كُحَيْـلٍ كُلَّ مـاشٍ وراكِبِ

حللــتُ على رأسِ اليَفـاعِ ولم أكُـنْ ... كمَن لاذَ من خَوفِ القِرى بالحواجِبِ

فلا تَسأَلِ الضِّيفانَ مَـن هُـمْ وأدْنِهم ... هُمُ النَّاسُ من معروفِ وَجْهٍ وجانِبِ

وقُولُوا إذا مـا الضَّيفُ حَـلَّ بِنَجْوةٍ ... ألا في سبيـلِ اللهِ يَحيـى بن طالبِ

قال أبو العاليةِ : كُحَيْل : نخل بناحية قَران دون قَرقرى ، وهناك كان منزلُ يحيى بن طالب .

صوت[2]

وقد جمع معه كلّ ما يُغنّى فيه من القصيدة : [من الطويل]

لعمرُكَ إنِّي يــومَ بُصْرى وناقَتي ... لَمُخْتَلِفـا الأَهـــواءِ مُصْطحبانِ

متى تَحملي شَوْقي وشوقَكِ تظْلَعي ... ومـا لَكِ بالحِمْـلِ الثَّقيلِ يَدانِ

ألا يا غُرابَـيْ دِمْنـةِ الدَّارِ خبِّرا ... أبـالبَيْنِ مـن عفـراءَ تنتَحِبانِ

---

1 انظر معجم البلدان (قرقرى) .

2 هذه الأبيات من نونية عروة بن حزام وهي من مجموع شعره 9–27 ، وقد كثرت الإضافات والروايات في هذه القصيدة واختلف ترتيب أبياتها في المصادر التي أوردتها أو اقتبست منها . وقد نسب بعضها إلى ابن الدمينة والمجنون وغيرهما .

فإن كان حقّاً ما تقُولانِ فانهَضا بلحمِي إلى وَكْرَيْكُما فكُلاني
ولا يَعْلَمَنَّ النّاسُ ما كان مِيتَتي ولا يأكُلَنَّ الطَّيْرُ ما تَذَرانِ
جَعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ وعَرَّافِ حَجْرٍ إنْ هُما شَفَياني
فما تَركا من حِيلةٍ يَعلمانِها ولا رُقْيةٍ إلاَّ وقَدْ رَقَياني
وقالا : شَفاكَ اللهُ واللهِ ما لَنا بما حُمِّلَتْ مِنكَ الضُّلوع يدانِ
كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها على كَبدي من شِدَّةِ الخَفَقانِ

الشعر لِعُروةَ بن حِزام ، والغناء لإبراهيم الموصليٍّ في الأربعة الأبياتِ الأول ؛ ثقيلُ أوَّلُ بالوُسطى ، ولعَريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هَزَجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاقَ ، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقيلٌ أوّلُ ينسب إلى أبي العَنْبَس بن حَمدون ، وإلى غيره .

[534] ـ أخبار عروة بن حزام[1]

[نسبه]

هو عُروةُ بن حزام بن مُهاصِرٍ ، أحدُ بني حِزام بن ضَبَّة بن عبد كَبِير بن عُذْرةَ . شاعِرٌ إسلاميٌّ ، أحدُ المتيَّمِينَ الذين قتلَهم الهوى ، لا يُعْرَفُ له شعرٌ إلاّ في عَفْراءَ بنتِ عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر ، وتَشْبيبِه بها .

[عروة وعفراء]

أخبرني بخبرها جماعةٌ من الرُّواةِ ؛ فمنهُ ما أخبرَني به الحسنُ بن عليٍّ بن محمد الآدميٌّ قال : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدَّثني مُوسى بن عيسى الجَعْفَريُّ ، عن الأسباطِ بن عيسى العُذْريّ .

وأخبرني الحسينُ بن يحيى المِرداسيُّ ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهَرِ ، عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن رجالِه .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمر بن شبَّةَ . وأخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّارٍ عمّن أسنَد إليه . وأخبرني إبراهيم بن أيّوبَ الصائغ عن ابن قُتيبةَ . وقد سُقتُ رواياتِهم وجمعتُها .

قال الأسباط بن عيسى ، وروايتُه كأنّها أتمُّ الروايات وأشدُّها اتّساقاً ، أدركتُ شيوخَ الحيِّ يذكرون أنّه كان من حَدِيثِ عُروةَ بنِ حِزام وعفراءَ بنت عقال : أنّ حزاماً هلَك وترك ابنَه عروةَ صغيراً في حِجْر عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر . وكانت عفراءُ تِرْباً لعروةَ ، يلعبان جميعاً ، ويكونانِ معاً ، حتى أَلِفَ كلٌّ واحدٍ منهُما صاحبه إلفاً شديداً . وكان عقالٌ يقول لعروةَ ، لما يرى من إلْفِهما : أبْشِرْ ، فإن عفراءَ امرأتُك[2] ، إن شاءَ اللهُ . فكانا كذلك حتى لَحِقَتْ عفراءُ بالنِّساء ، ولحق عُروةُ بالرجال . فأتى عُروةُ عمّةً له يقالُ لها : هندُ بنتُ مُهاصر ، فشكا إليها ما به من حبِّ عفراءَ ، وقال لها في بعضِ ما يقولُ لها : يا عمّةُ ، إنِّي لأُكلِّمُك وأنا منكِ مُسْتحٍ ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقْتُ ذَرْعاً بما أنا فيه ، فذهبتْ عمّتُه إلى أخيها فقالت له :

1 ترجمة عروة بن حزام في الشعر والشعراء : 519–523 وذيل الأمالي : 157–162 وخزانة البغدادي 3 : 215–218 والفوات 2 : 447–450 ومصارع العشاق 1 : 317–321 وتزيين الأسواق 1 : 46 وقد جمع شعره إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد (1961) ونشرا فصلة منها .

2 ل : أمَتَك .

يا أخي ، قد أتيتُكَ في حاجةٍ أُحبُّ أن تُحْسِن فيها الردَّ ، فإنَّ اللهَ يأجُرك بصلة رحمكَ فيما أسألُكَ . فقال لها : قولي ، فلن تسألي حاجةً إلاّ رددْتُك بها . قالت : تُزوّجُ عُروة ابنَ أخيكَ بابنتك عفراءَ . فقال : ما عنه مذهبٌ ، ولا هو دونَ رجُلٍ يُرغَبُ فيه ، ولا بنا عنه رغبةٌ ؛ ولكنّه ليس بذي مالٍ ، وليست عليه عَجَلةٌ . فطابتْ نفسُ عُروةَ ، وسكَن بعضَ السُّكونِ .

[أم عفراء تريد رجلاً موسراً]

وكانت أُمُّها سيِّئةَ الرأي فيه ، تريدُ لابنتها ذا مالٍ ووفْرٍ ، وكانت عُرضةَ ذلك كمالاً وجمالاً ، فلمّا تكامَلَتْ سنُّه وبَلَغ أشُدَّهُ عَرَفَ أنَّ رَجُلاً من قومِه ذا يسار ومال كثيرٍ يخطبُها ، فأتى عمَّه ، فقال : يا عمّ ، قد عَرفتَ حقّي وقرابتي ، وإنّي ولَدُكَ وربّيتُ في حِجْرِكَ ، وقد بلغني أنّ رجلاً يخطب عفراءَ ، فإن أسعَفْته ، بطلبَته قتلتني وسَفكتَ دمي ، فأنشُدكَ اللهَ ورحمي وحقّي . فرقَّ له وقال له : يا بُنيّ ، أنت مُعْدِم ، وحالُنا قريبةٌ من حالِكَ ، ولستُ مُخْرجَها إلى سِواكَ ، وأُمُّها قد أبتْ أن تزوِّجها إلاّ بمهرٍ غالٍ ، فاضطرِبْ واسترْزِقِ اللهَ تعالى .

فجاءَ إلى أُمّها فألطفَها وداراها ، فأَبَتْ أن تُجيبه إلاّ بما تَحْتَكِمُه من المَهْرِ ، وبعد أن يَسُوقَ شَطْره إليها ، فوعدها بذلك .

وعلم أنّه لا يَنفَعُهُ قرابةٌ ولا غيرُها إلاَّ بالمالِ الذي يطلبونه ، فعَمل على قَصْدِ ابن عمٍّ له مُوسِرٍ كان مُقيماً باليمنِ[1] . فجاء إلى عمِّه وامرأتِه فأخبرهما بِعَزْمِهِ ، فصوّباهُ ووعداه ألاّ يُحْدِثا حدَثاً حتى يعودَ .

[ابن عمّه يعينه]

وصار في ليلةِ رَحيله إلى عَفراء ، فجلس عندها ليلةً هو وجَواري الحيّ يتحدَّثون حتى أصبحوا ، ثم ودّعَها وودّ ع الحيّ وشدَّ على راحِلته ، وصَحِبَه في طريقِه فَتَيانِ من بني هِلالِ بنِ عامرٍ كانا يألفانِه ، وكان حيّاهُم متجاوِرَين ، وكان في طولِ سفَره ساهياً يكلِّمانِه فلا يفْهمَ ، فِكرهُ في عفراء ، حتى يُرَدَّ القولُ عليه مِراراً ، حتى قدِم على ابن عمِّه . فلقيه وعرَّفَه حالَه وما قَدِمَ له ، فوصَلَه وكَساه ، وأعطاهُ مائةً من الإبل ، فانصرفَ بها إلى أهلِه .

[زواج عفراء]

وقد كان رجلٌ من أَهل الشَّام من أَسبابِ بني أُميَّة نزل في حيّ عفراءَ ، فَنحَر وَوَهب وأَطْعم ، وكان ذا مالٍ عظيم . فرأى عفراءَ ، وكان منزلُه قريباً من منزلِهم ، فأَعجبَتْهُ وخطبها إلى أبيها ، فاعتذَرَ إليه وقال : قد سمّيتُها إلى ابنِ أخٍ لي يَعْدِلُها عِندي ، وما إليها لغيره سبيلٌ .

---

1 ل : بالري .

فقال له : إنّي أرغبكَ في المهرِ ، قال : لا حاجة لي بذلك . فعَدَل إلى أُمِّها ، فوافقَ عندَها قبولاً ، لبذله ورغبةً في مالِه . فأجابته ووعدته ، وجاءت إلى عقالٍ فآدته[1] وصخِبَت معه ، وقالت : أيّ خير في عُروة حتى تُحبَسَ ابنتي عليه وقد جاءها الغنيُّ يطرُقُ عليها بابَها ؟ والله ما ندري أعروةَ حيٌّ أَمْ ميِّتٌ ؟ وهل ينقلبُ إليك بخيرٍ أمْ لا ؟ فتكون قد حَرمْت ابنَتَك خيراً حاضراً ورزقاً سنيّاً . فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاد لي خاطباً أجبتُه . فوجَّهتْ إليه أن عُد إليه خاطباً . فلمّا كان من غدٍ نَحَر جُزُراً عِدَّةً ، وأطعم ووهب وجمعَ الحيَّ معهُ على طعامه ، وفيهم أبو عفراءَ ، فلمّا طعِموا أعاد القولَ في الخِطْبة ، فأجابه وزوَّجه ، وساق إليه المهر ، وحُوِّلت إليه عفراءُ وقالت قبل أن يدخُلَ بها : [من الكامل]

يا عُرْوَ إنَّ الحيَّ قد نَقضوا عَهْدَ الإلهِ وحاوَلُوا الغَدْرا

في أَبيات طويلة .

فلمّا كان اللّيلُ دخَل بها زَوجُها ، وأقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتَحل بها إلى الشام ، وعمد أَبوها إلى قبرٍ عتيقٍ ، فجدَّدهُ وسوّاهُ ، وسأل الحيَّ كتمانَ أَمرها .

[يعرف الحقيقة فيرحل إليها]

وقدِم عُروةُ بعد أَيّام ، فنعاها أَبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القَبرِ ، فمكث يختلفُ إليه أيّاماً ، وهو مُضنًى هالكٌ ، حتى جاءته جاريةٌ من الحيِّ فأخبرتْه الخبر . فتركهُم وركب بعضَ إبله ، وأخذ معه زاداً ونفقةً ، ورحل إلى الشَّام فقدمها ، وسأل عن الرجل فأُخبِر به ، ودُلَّ عليه ، فقصدهُ وانتسب له إلى عدنان ، فأكرمَه وأحسن ضيافتَه . فمكث أيّاماً حتى أَنِسُوا به ، ثم قال لجاريةٍ لهم : «هل لكِ في يدٍ تولينيها ؟» قالت : نعم . قال : تدفَعين خاتمي هذا إلى مولاتك . فقالت : سَوْأة لك ، أما تستحي لهذا القول ؟ فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها وقال لها : ويحك ! هي والله بنتُ عمِّي ، وما أحدٌ منّا إلاّ وهُو أعزُّ على صاحِبِه من النّاس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحِها[2] ، فإذا أنكرتْ عليكِ فقولي لها : اصطبح ضيفُك قبلَك ، ولعلَّه سَقَطَ مِنهُ . فرقّت الأَمَةُ وفعلتْ ما أمَرها به .

فلمّا شَرِبَتْ عفراءُ اللبنَ رأت الخاتمَ فعرفَتْه ، فشَهَقَت ، ثم قالت : اصدُقيني عن الخبر ، فصدَقتْها . فلمّا جاءَ زوجُها قالت له : أتدري مَن ضيفُك هذا ؟ قال : نعم ، فلان بن فلان ، للنَّسب الذي انتَسَبَ له عُروة . فقالت : كلا والله يا هذا ، بل هو عُروة بن حِزام ابنُ عمِّي ، وقد كَتم نفسَه حَياءً مِنكَ .

---

1 ل : فآذنته واستصحبت معه .

2 ل : في صحنها .

وقال عمرُ بن شَبَّة في خبره : بل جاءَ ابنُ عمٍّ له فقال : أَتَركتُمْ هذا الكلب الذي قد نَزَل بِكم هكذا في دارِكم يفضَحُكم ؟ فقال له : ومَن تعني ؟ قال : عُروةُ بن حزام العُذْريُّ ضيفُك هذا . قال : أوَ إنّه لعروةُ ؟ بل أنتَ واللهِ الكلبُ ، وهو الكَريمُ القَريبُ .

قالوا جميعاً : ثم بعَث إليه فدَعاه ، وعاتَبهُ على كتمانِه نفسه إيَّاه ، وقال له : بالرحْب والسَّعَةِ ، نشدتُك اللهَ إن رِمْتَ[1] هذا المكان أبداً ، وخرج وتركَهُ مع عفراءَ يتحدَّثان . وأوصى خادِماً له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما تسمَعُه منهُما عَليه ، فلمّا خَلَوا تشاكَيا ما وَجَدا بعد الفِراقِ ، فطالت الشّكوى ، وهو يبكي أحَرَّ بكاءٍ ، ثم أتَتْه بشرابٍ وسألَتْه أن يشربَه . فقال : واللهِ ما دَخل جَوفي حَرامٌ قطُّ ، ولا ارتكبتُه منذُ كنتُ ، ولو استحلَلْتُ حراماً لكنتُ قد استحللتُه منكِ ، فأنتِ حظّي من الدُّنيا ، وقد ذَهَبْتِ منّي ، وذَهَبتُ بعدَكِ فما أعِيشُ ! وقد أجملَ هذا الرجلُ الكريمُ وأحسنَ ، وأنا مستحيي منه ، وواللهِ لا أُقيمُ بعد علمِهِ مكاني ، وإنّي عالِمٌ أنّي أرحلُ إلى مَنيَّتي . فبكتْ وبكى ، وانصرف .

[حمل نفسه على اليأس]

فلمّا جاءَ زوجها أخبره الخادم بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء ، امْنعي ابن عمِّك من الخروج . فقالت : لا يمتنع ، هو واللهِ أكرمُ وأشدُّ حياءً من أن يُقيمَ بعدَ ما جَرى بينكما ، فدعاهُ وقال له : يا أخي ، اتّقِ اللهَ في نفسِك ، فقد عرَفتُ خَبركَ ، وإنّكَ إن رَحَلت تلِفْتَ ، وواللهِ لا أمنعُكَ من الاجتماع معها أبداً ، ولئنْ شئتَ لأفارقَنَّها ولأنزلَنَّ عنها لك . فجزاهُ خيراً ، وأثنى عليه ، وقال : إنّما كان الطّمعُ فيها آفتي ، والآن قد يئِستُ وقد حملتُ نفسي على اليأس والصّبر ، فإنَّ اليأس يُسْلي ، ولي أمورٌ ، ولا بُدَّ لي من رجوعي إليها ، فإن وَجدتُ منْ نفسي قوّةً على ذلكَ ، وإلاّ رَجعتُ إليكم وزُرتكم ، حتى يقضيَ اللهُ من أمري ما يشاءُ . فزوَّدوه وأكرمُوه وشيَّعوه ، فانصرفَ . فلمّا رَحَل عنهم نُكِسَ بعد صلاحِهِ وتماثُلِه ، وأصابَهُ غَشْيٌ وخفقانٌ ؛ فكان كلّما أُغميَ عليه أُلْقِي على وجهِهِ خِمارٌ لعفراءَ زوَّدتْه إيَّاهُ ؛ فيُفيق .

[هو وعرّاف اليمامة]

قال : وَلقيهُ في الطريق ابنُ مكحولٍ عَرَّافُ اليمامة ، فرآه وجلس عنده ؛ وسأله عمّا به ؛ وهل هو خَبَلٌ أو جُنونٌ ؟ فقال له عُروةُ : أَلكَ عِلمٌ بالأوجاع ؟ قال : نعمْ ؛ فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

---

1 رمت المكان : بارحته .

2 هذه الأبيات من القصيدة الثانية في مجموع شعره : 28–31 .

وما بيَ من خَبْلٍ ولا بِي جِنَّةٌ … ولكنَّ عمِّي يا أُخَيَّ كَذُوبُ[1]
أقولُ لعَرَّافِ اليمامة داوِني … فإنَّكَ إنْ داويتني لَطبيبُ[2]
فواكَبِدا أمْسَت رُفاتاً كأنَّما … يلذِّعُها بالمُوقِداتِ طبيبُ
عَشيَّةَ لا عَفراءُ منْكَ بعيدةٌ … فَتَسْلو ولا عَفْراءُ مِنكَ قريبُ[3]
عشيّةَ لا خلفي مَكَرٌّ ولا الهوى … أمامي ولا يَهوَى هوايَ غَريبُ
فواللهِ لا أنساكِ ما هبَّت الصَّبا … وما عقَّبتْها في الرِّياحِ جَنُوبُ
وإنِّي لتَغْشاني لذِكراكِ هِزَّةٌ … لها بينَ جلدِي والعِظامِ دَبيبُ[4]

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهلاليّين بقصَّته : [من الطويل]

خليلَيَّ من عُليا هلالِ بن عامرٍ … بصَنْعاءَ عُوجا اليومَ وانتظِراني
ولا تزْهَدا في الذُّخْرِ عندي وأَجمِلا … فإنَّكما بي اليومَ مُبتليانِ
أَلِمّا على عفراءَ إنَّكما غداً … بوَشْكِ النَّوى والبَيْنِ معترفانِ
فيا واشِيَي عَفراءَ ويحكما بمَنْ … وما وإلى مَنْ جِئتما تشِيانِ
بمَنْ لو أَراهُ عانياً لفدَيتُه … ومَنْ لو رآني عانياً لفَداني
مَتى تكشِفا عنِّي القميصَ تَبيَّنا … بِيَ الضُّرَّ من عفراءَ يا فتَيانِ
إذن تَرَيا لحماً قليلاً وأَعظُماً … بَلِينَ وقلباً دائمَ الخفقانِ
وقد تركَتني لا أَعي لمحدِّثٍ … حديثاً وإن ناجيتُه ونجاني
جعلتُ لعرّاف اليمامةِ حُكمَه … وعرّافِ حَجْرٍ إن هما شفياني
فما تَرَكا من حِيلةٍ يعرفانها … ولا شَرْبةٍ إلاّ وقد سَقياني
ورَشّا على وجْهي من الماء ساعةً … وقاما مع العُوّاد يبتدِرانِ
وقالا : شفاكَ اللهُ واللهِ ما لنا … بما ضُمِّنت منكَ الضّلوعُ يدانِ
فوَيْلي على عفراءَ ويلاً كأنَّهُ … على الصَّدْرِ والأَحشاءِ حدُّ سِنانِ

---

1 شعره : عمي الحميري .
2 شعره : وقلت . . . فإنك إن أبرأتني .
3 شعره :
عشية لا عفراء دان مزارها … فترجى ولا عفراء منك قريب
4 شعره : لتغشاني لذكراك رعدة .

أُحِبُّ ابنةَ العُذريِّ حُبّاً وإن نأتْ ودانيتُ فيهــا غيرَ مـــا مُتداني

صوت

إذا رامَ قلبي هجْرَها حال دُونه شَفيعانِ مـــن قلبي لهـــا جَدِلانِ

غنَّته شاريةُ ؛ ولحنُه من الثقيل الأوّل :

إذا قُلْتُ : لا ، قالا : بَلى ، ثمّ أصْبَحا جَميعــاً على الــرأي الذي يَريَانِ
تحمَّلتُ من عَفراءَ ما ليسَ لي به ولا للجبـــال الرَاسيـــاتِ يَدانِ
فيا رَبِّ أنتَ المستعانُ على الذي تحمَّلتُ مـــن عفـــراءَ منذُ زمانِ
كأنَّ قَطـــاةً عُلِّقَـــتْ بجَناحِهـــا على كَبِدي مـــن شِدَّةِ الخفقانِ

في : تحمَّلتُ من عَفراءَ . . . .

والذي بعده ، ثقيلٌ أوَّل ، يقال إنّه لأبي العنبس بن حَمدون .

[عفراء ترثيه]

قال : فلم يزلْ في طريقِه حتى ماتَ قبلَ أن يصِلَ إلى حيِّه بثلاثِ ليالٍ . وبلغ عفراءَ خبرُ وفاته ، فجَزِعَتْ جزعاً شديداً ، وقالت ترْثيه : [من الطويل]

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ ويحكم بحـــقٍّ نَعَيْتُم عُروةَ بـــنَ حِزامِ
فلا تهنـــأ الفِتيانَ بعدكَ لذَّةٌ ولا رجعُوا مـــن غَيْبةٍ بسَلامِ
وقل للحَبالى لا تُرجِّـــينَ غائباً ولا فَرِحـــاتٍ بعـــدَهُ بغُلامِ

قال : ولم تزلْ تردِّدُ هذه الأبياتَ وتندُبه بها ، حتى ماتت بعده بأيّامٍ قلائلَ .

وذكَر عُمَر بن شَبَّة في خَبَره : أنّه لم يعلمْ بتزويجها حتى لقي الرُّفقةَ التي هي فيها ، وأنّه كان توجَّه إلى ابن عمٍّ له بالشّام ، لا باليمن[1] ، فلمّا رآها وقَف دَهِشاً ، ثم قال : [من الطويل]

فمـــا هـــيَ إلاّ أن أراهـــا فجاءَةً فأُبْهَـــتَ حتـــى مـــا أكادُ أجيبُ
وأَصْدِفُ عن رأيي الذي كُنت أرتأي وأنسى الذي أزْمَعتُ ، حين تغيبُ[2]
ويُظهـــرُ قلبـــي عُذرَهـــا ويُعينُهـــا علـــيَّ فمـــا لي في الفـــؤادِ نَصيبُ
وقـــد علِمتْ نفسي مكـــانَ شِفائها قريباً ، وهـــل مـــا لا يُنالُ قريبُ ؟

1 ل : لا بالري .
2 شعره : وأصرف .

حَلفتُ بربِّ السَّاجدينَ لربِّهم ... خُشوعاً ، وفوقَ السَّاجدينَ رَقيبُ
لئن كان بَردُ الماءِ حرَّانَ صادياً ... إليَّ حَبيباً إنَّها لحبيبُ

وقال أبو زيد في خبره : ثم عادَ من عندِ عفراءَ إلى أهله ، وقد ضَني ونَحَل . وكانت له أخواتٌ وخالةٌ وجدَّة ، فجعلنَ يعِظْنهُ ولا ينْفعُ ، وجئن بأبي كُحيلةَ رباح بن شدَّاد مولى بني ثُعَيْلة ، وهو عرّاف حَجْر ، ليداويَه فلم ينفعْهُ دواؤه .

وذكر أبو زيد قصيدتَه النُّونيّة التي تقدَّم ذكرُها وزاد فيها : [من الطويل]

وعينانِ ما أُوفيتُ نشْزاً فتنظُرا ... مآقيهما إلاّ هما تكِفانِ
سِوى أنَّني قد قلتُ يوْماً لصاحبي ... ضُحًى وقَلُوصانا بنا تخدِانِ
ألا حبّذا من حُبُّ عفراءَ وادياً ... نَعامٌ وبُزْلٌ حيْثُ يلتقيانِ

وقال أبو وزيد : وكان عُروةُ يأتي حِياضَ الماء التي كانت إبلُ عفراءَ ترِدَها فيُلصِقُ صدرَه بها ، فيقال له : مَهلاً ، فإنَّكَ قاتِلٌ نفسَك ، فاتَّقِ الله . فلا يقبل ، حتى أشرفَ على التَّلفِ ، وأحسَّ بالموتِ .

فجعل يقول[1] : [من الطويل]

بِيَ اليأسُ والدَّاءُ الهُيامُ سُقِيتُه ... فإيَّاكَ عنِّي لا يكُنْ بك ما بِيا

[روايات أخرى في وفاته]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون ، عن أبي السَّائبْ قال : أخبرني ابنُ أبي عَتِيق قال : واللهِ إنِّي لأسيرُ في أرض عُذْرة إذا بامرأةٍ تحمل غلاماً جَزْلاً ، ليس يُحمَلُ مثلُه ، فعجبتُ لذلك ، حتى أقبلَتْ به ، فإذا له لحيةٌ ، فدعوتُها فجاءَت ، فقلتُ لها : ويحكِ ! ما هذا ؟ فقالت : هل سمعتَ بعروةَ ابن حزام ؟ فقلت : نعم ، قالت : هذا واللهِ عروةُ . فقلت له : أنت عروة ؟ فكلّمني وعيناه تذرِفان وتدوران في رأسه ، وقال : نعم أنا واللهِ القائل : [من الطويل]

جَعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكمَهُ ... وعرَّافِ حَجْرٍ إن هما شفَياني
فقالا : نعم نَشفي من الدَّاء كُلِّه ... وقاما مع العُوَّادِ يَبْتدِرانِ
فعَفْراءُ أحظى النّاسِ عندي مَوَدَّةً ... وعَفْراءُ عنِّي المُعرِضُ المُتواني

---

1 لم يرِد البيت في مجموع شعره .

قال : وذهبت المرأةُ ، فما بَرِحتُ من الماء حتى سمعتُ الصَّيحةَ ، فسألتُ عنها ، فقيل : ماتَ عُروةُ بنُ حزامٍ .

قال عبدُ الملك : فقلت لأبي السائب : ومن أيِّ شيءٍ مات ؟ أظنُّه شرِق ، فقال : سخُنت عيناك ، بأيِّ شيءٍ شرِق ؟ قلت : بريقه ، وأنا أُريد العبثَ بأبي السائب ، أفترى أحداً يموتُ من الحبِّ ؟ قال : واللهِ لا تُفلحُ أبداً ، نعم يموتُ خوفاً أن يتوبَ اللهُ عليه !

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا الكرانيُّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديٍّ ، عن هشام بن عروةَ ، عن أبيه ، عن النعمانِ بن بشير قال : ولاّني عثمانُ ، رضي الله عنه ، صَدقاتِ سعد هُذَيْمٍ ، وهم : بليٌّ ، وسَلامانُ وعُذرةُ ، وضَبّةُ بن الحارثِ ، ووائلٌ : بنو زيد ، فلمّا قبضتُ الصدقَة قسّمتُها في أهلها ، فلمّا فرغتُ وانصرفتُ بالسهمين إلى عثمان ، رضي الله عنه ، إذا أنا ببيتٍ مُفرَدٍ عن الحيِّ ، فمِلتُ إليه ، فإذا أنا بفتًى راقدٍ في فناء البيت ، وإذا بعَجُوزٍ من ورائه في كِسْرِ البيتِ ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ بصوتٍ ضعيفٍ ، فسألتُه : ما لك ؟ فقال[1] : [من الطويل]

كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجناحها ... على كَبِدي من شدَّةِ الخَفقانِ

وذكر الأبيات النونيّة المعروفةَ ، ثم شهَق شَهقةً خفيفةً كانت نفسُه فيها . فنظرتُ إلى وجهه فإذا هو قد قَضى فقلت : أيّتُها العجوزُ ، مَن هذا الفتى منكِ ؟ قالت : ابني ، فقلت : إنِّي أراه قد مضى . فقالت : وأنا واللهِ أرى ذلك . فقامت فنظرتْ في وجهه ثم قالت : فاظ وربِّ محمدٍ ، فقلت لها : يا أُمَّاه ، مَن هو ؟ فقالت : عُروةُ بن حزام ، أحدُ بني ضبَّة ، وأنا أُمُّه . فقلت لها : ما بلغ به ما أرى ؟ قالت : الحبُّ ، واللهِ ما سمعتُ له منذ سنَةٍ كلمةً ولا أنّةً إلاّ اليومَ ، فإنَّه أقبل عليّ ثم قال : [من البسيط]

مَــن كان مِن أُمَّهاتي باكيــاً أبداً ... فاليومَ إنِّي أُراني اليــومَ مَقبوضا
يُسْمِعْنَنيهِ فإنِّـــي غيرُ سامعـــهِ ... إذا علوتُ رقابَ القـومِ مَعْروضا

قال : فما بَرِحتُ من الحيِّ حتى غسَّلتُه ، وكفَّنتُه ، وصلَّيتُ عليه ، ودفَنتُه .

[رواية أخرى في وفاة عفراء]

وذكر أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره ، هذه القصَّةَ عن عُروة بن الزُّبير ، فقال هذين البيْتين بحضرته :

---

1 شعره : 32 .

مَن كان من أَخواتي باكياً أَبداً ....

قال : فحضرنَه فبرزْنَ ، واللهِ ، كأنّهنّ الدُّمى ، فشققْنَ جُيوبَهُنَّ ، وضرَبنَ خُدودهُنَّ ، فأبكَين كلَّ مَن حضَر . وقضى من يومه .

وبلغ عفراء خبرُه ، فقامتْ لزوجها فقالتْ : يا هَناه ، قد كان من خيرِ ابن عمِّي ما كان بَلَغك ، وواللهِ ما عرفتُ منه قطُّ إلاّ الحسنَ الجميلَ ، وقد مات فيَّ وبِسَبَبي ، ولا بُدَّ لي من أن أندُبَه وأُقيمَ مأتماً عليه . قال : افْعلي . فما زالت تندُبَه ثلاثاً ، حتى تُوُفِّيت في اليوم الرابع .

وبلغ معاويةَ بن أَبي سُفيانَ خبرهُما ، فقال : لو علمتُ بِحال هَذيْن الحُرَّيْن الكريمَيْنِ لجمعتُ بينَهُما .

ورُوِي هذا الخبر عن هارونَ بن موسى القرويّ ، عن محمد بن الحارث المخزوميّ ، هم هشام بن عبدِ الله ، عن عِكرمة ، عن هشام بن عروةَ عن أبيه ، أنّه كان شاهداً ذلك اليومَ . ولم يذكر النُّعمانَ بن بشير في خبره .

[طلب عفراء بعد أن رفضها]

وذكر هارون بن مسلمة عن غُصَيْن بن بَرَّاق ، عن أُمّ جميلٍ الطائيَّةِ : أَنّ عفراءَ كانت يتيمةً في حِجْرِ عمِّها عمِّه ، فعرَضَها عليه فأباها ، ثم طال المَدى ، وانصرف عروةُ في يوم عيدٍ ، بعد أن صلَّى صلاةَ العيدِ ، فرآها وقد زُيِّنَت ، فرأى منها جمالاً بارعاً ، وقدَّمَت له تُحفةً فنال منها وهو ينظر إليها ، ثم خطبها إلى عمِّه فمنَعه ذلك ، مكافأةً لما كان من كراهَتِهِ لها لّما عرضها عليه ، وزوَّجها رجلاً غيره فخرج بها إلى الشام ، وتَمادى في حبِّها حتى قتله .

حدَّثنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدَّثنا عبدُ الله بن شَبيب قال : حدَّثنا أَبو بكر بن أَبي شَيْبة وغيرُه ، عن سليمانَ بن عبد العزيز بن عمران الزُّهريِّ قال : حدَّثني خارجةُ المكِّيُّ : أنّه رأى عُروةَ بن حزامٍ يُطافُ به حولَ البيت . قال : فدَنَوتُ منه ، فقلت : مَن أنتَ ؟ فقال : الذي أقول : [من الطويل]

أَفي كلِّ يومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها ... بعينينِ إنساناهُما غَرِقانِ
أَلا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكُما ... إلى حاضر الرَّوْحاء ثم ذَراني

فقلتُ له : زِدني ، فقال : لا واللهِ ولا حرفاً .

[يقتله الحبّ عند ابن عبّاس]

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريُّ قال : حدَّثني محمدُ بن حبيب قال : ذكر الكلبيُّ ، عن أبي صالح ، قال : كنتُ مع ابنِ عبّاسٍ بعرفَة ، فأتاه فِتيانٌ يحملون بينهم فتًى لم يبقَ منه إلاّ خيالُه ، فقالوا له : يا ابنَ عمِّ رسولِ الله ، ادْعُ له ! فقال : وما به ؟ فقال الفتى : [من الطويل]

بِنا من جَوى الأَحزانِ في الصدرِ لوْعةٌ ... تَكـادُ لهـا نَفْسُ الشَّفِيـق تذوبُ
ولكنَّمـا أَبقـى حُشاشةَ مُعْـولٍ ... على مـا بـه عُـودٌ هناكَ صَلِيبُ

قال : ثم خَفَتَ في أيديهم فإذا هو قد مات .

فقال ابنُ عبّاسٍ :

هـذا قتيلُ الحـبِّ لا عَقْلٌ ولا قَود

ثم ما رأيتُ ابن عبّاس سأل الله ، جلَّ وعزَّ ، في عشيَّته إلاّ العافيةَ ، ممّا ابتُلِيَ به ذلك الفَتى . قال : وسألْنا عنه فقيل : هذا عُروةُ بنُ حزام .

صوت[1]

[من الطويل]

أَعالِـيَ أَعْـلى اللهُ جَـدَّكِ عاليا ... وأَسقى بَريَّـاكِ العِضـاهَ البوالِيا
أَعاليَ مـا شمسُ النّهارِ إذا بَدَتْ ... بأَحسنَ مِمَّا تحـتَ بُرْدَيْكِ عالِيا
أَعـاليَ لـو أَنَّ النساءَ ببَلْـدَةٍ ... وأَنـتِ بأُخـرى لاتَّبعتُكِ ماضِيا
أَعاليَ لو أَشْكو الذي قـد أَصابني ... إلى غُصُنٍ رَطْـبٍ لأَصبح ذاوِيا[2]

الشعر للقتَّال الكِلابيّ .

وقد أَدخل بعضُ الرُّواة الأَوَّلَ من هذه الأَبياتِ مع أَبياتِ سُحَيم عَبْدِ بني الحَسْحاس التي أوّلُها :

فما بيضةٌ بات الظَّليمُ يحُفُّها[3]

في لحنٍ واحدٍ . وذكرتُ ذلك في موضِعِه ، وأَفردتُه على حِدَتِه ، وأَتيتُ به على حقيقَتِه .

1 ديوان القتال الكلابي : 94 .
2 ذاويا في الديوان : باليا .
3 تمام البيت : ويرفع عنها جؤجؤاً متجافياً وقد تقدم شعر سحيم في ترجمته .

والغناءِ لابن سُرَيج ، ثاني ثقيل بالسبّابةِ في مجرى الوُسْطى . وذكر الهِشاميُّ أنّ فيه لأبي كامل ثانيَ ثَقيل ، لا أدري أهذا يعني أم غيره . ووافَقَه إبراهيمُ في لحن أبي كامل ولم يُجَنِّسه ، وزعَم أنّ فيه لحناً آخر لابن عبّاد ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ ، ذكر ابن المكّيّ أنّه لمعْبَدٍ . وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى منحولٌ إلى مَعْبدٍ . وذكر حَبَشٌ أنّه لطُوَيس .

وفي هذه القصيدةِ يقول القتّالُ : [من الطويل]

أعــالِيَ أخــتَ المالكيّــين نَوِّلي ... بمــا ليس مَفقوداً وفيــه شفائيا
أصارِمَتــي أمُّ العَلاء وقــد رَمى ... بــيَ النّاسُ في أمِّ العــلاءِ المراميا
أيــا إخوتــي لا أصبِحَنْ بمُضِلَّةٍ ... تُشيبُ إذا عُــدَّتْ عليَّ النَّواصيا
فرادِ لذَيْكَ القومَ واشعبْ بحقِّهم ... كما كنتَ لــو كنتَ الطَّرِيدَ مُرادِيا[1]
وشمِّرْ ولا تجعلْ عليكَ غَضاضةً ... ولا تنسَ يــا ابنَ المَضرحيّ بلائيا

ولهذه القصيدةِ أخبارٌ تُذكَر في مواضِعها هاهُنا إن شاء الله تعالى .

1 الديوان : وأتبعته فيكم إذا كان حقهم . وراد : فعل أمر من راد بمعنى راود .

[535] ـ أخبار القتال ونسبه[1]

[نسبه]

القتّال لقَبٌ غَلَب عليه ، لتمرُّدِه وفَتكِه . واسمه : عبد الله بن المُضَرَّحِيّ بن عامر الهَصَّان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة . ويكنى أبا المُسيَّب ، وأُمّه عَمْرة بنتُ حُرَقة بن عوف بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . وقد ذكرها في شعره وفَخَر بها ، فقال : [من الطويل]

لقــد وَلَدَتْنــي حُــرَّةٌ رَبَعيَّــةٌ ... من اللاءِ لم يحضُرْنَ في القَيْظِ دِبْذِبا[2]

[قتل أخا عالية وهرب]

نسختُ من كتاب لمحمد بن داوُد بن الجَرَّاح خبره ، وذكر أنَّ عبد الله بن سليمان السِّجِستانيّ دَفَعَه إليه وأخبره أنّه سَمِعَه من عُمَر بنِ شَبّةَ وأجاز له روايتَه ، وأخبرني بأكثرِ روايةِ عمر بن شَبَّة هذه الأخفشُ عن السّكريِّ عنه في أخبار اللُّصُوص وجمعتُ ذلك أجمع .

قال عمر بن شبَّة : حدَّثني حُمَيد بن مالِك بن يسار المِسْمعيّ قال : حدَّثني شدَّاد بن عُقبة بن رافع بن زَمْل بن شُعَيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلابٍ . وكانت أُمُّ رافع جنوبَ بنتَ القتّال .

وحدَّثني شيخٌ من بني أبي بكر بن كِلاب ، يكنى أبا خالد ، أيضاً بحديث القتّال ، قال أبو خالد : كان القتّالُ ، قتّالُ ربيعةَ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، يتحدَّث إلى ابنة عمٍّ له يقال لها العاليةُ بنت عبيد الله . وكان لها أخٌ غائِبٌ يقال له : زياد بن عُبَيد الله . فلمّا قَدِمَ رأى القتّالَ يتحدَّث إلى أُختِه ، فنهاهُ وحلف : لئن رآه ثانيةً ليقتُلنَّه . فلمّا كان بعد ذلك بأيّامٍ رآهُ عندها ، فأخذ السيف وبَصُرَ به القتّال ، فخرج هارباً ، وخرج في إثره ، فلمّا دنا منه ناشده القتّالُ باللهِ والرحمِ ، فلم يلتفت إليه . فبينا هو يسعى ، وقد كاد

1 ترجمة القتال الكلابي في الشعر والشعراء : 594–595 والمؤتلف : 252 وخزانة البغدادي والسمط : 12 وأسماء المغتالين : 303 وألقاب الشعراء : 312 والمحبر لابن حبيب : 213 ، 226 ونسب قريش : 219 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقق إحسان عبّاس ديوانه (بيروت ، 1961) بمقدمة ضافية وتخريج كثير ، وإليه نشير .

2 دبذبا في الديوان : دندنا . ودندن : الخشب اليابس إذا اسودّ من القدم . وذبذب : ركية في ديار أبي بكر بن كلاب .

يلحَقُه ، وَجد القتال رُمْحاً مَرْكوزاً ، وقال السكريّ : وجد سَيفاً ، فأَخذه وعطف على زيادٍ فقَتَلَه ، وقال[1] : [من الطويل]

نَهَيــتُ زيــاداً والمَقامةُ بيننا وذكرتُه أَرحامَ سِعْرٍ وهَيْثَمِ[2]
فلمَّا رَأيــتُ أَنَّه غيرُ مُنتــهٍ أَمَلْــتُ لــه كفِّي بلَدْنٍ مُقَوَّمِ
ولَمّـا رأَيــتُ أَنَّني قد قَتَلْتُه نَدِمْــتُ عليــه أَيَّ ساعةِ مَندمِ

وقال أَيضاً[3] : [من الطويل]

نَهيــتُ زيــاداً والمَقامــةُ بيننــا وذكرتُـــه باللهِ حَــوْلاً مُجَرَّمــا
فلمَّـــا رأَيــتُ أَنَّهُ غيرُ مُنْتَـهٍ ومــولايَ لا يَـــزْدادُ إلاّ تقدُّما
أَمَلــتُ لــه كفِّــي بأَبيضَ صارمٍ حُسامٍ إذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّما
بكفِّ امرىءٍ لم تَخْدُمِ الحيَّ أُمُّه أَخي نجــداتٍ لم يكنْ مُتَهضِّما[4]

ثم خرج هارباً ، وأَصحاب القَتيل يطلبُونه ، فمرَّ بابنة عمٍّ له تُدْعَى زينب ، مُتَنَحِّيةٍ عن الماء ، فدخل عليها ، فقالت له : وَيْحَكَ ! ما دَهاك ؟ قال : أَلقي عليَّ ثيابَكِ ! فأَلْقَتْ عليه ثيابَها ، وأَلبسَتْه بُرْقُعَها ، وكانت تمسُّ حِنَّاءً ، فأَخذ الحِنّاءَ فلطَّخ بها يَدَيْه وتنحَّتْ عنه ، ومَرَّ الطَّلَبُ به ، فلمّا أَتوا البيت قالوا وهم يظنُّونَ أنّه زينب ؟ : أَين الخَبيثُ ؟ فقال لهم : أَخَذَ هاهنا ، لغير الوجهِ الذي أَراد أن يأخُذه . فلمّا عرف أن قد بَعُدوا أَخَذَ في وجهٍ آخرَ ، فلَحِقَ بعَمايةَ ، وعمايةُ جَبلٌ ، فاستَتَرَ فيه ، وقال في ذلك[5] : [من الطويل]

فمــنْ مُبْلِغٌ فِتيانَ قومــيَ أَنَّني تسمَّيْتُ لَمّـا شبَّت الحَرْبُ زَيْنَبا[6]
وأَرخيتُ جِلْبابي على نبْت لِحْيتي وأَبديتُ للنَّـاسِ البَنـانَ المخضَّبا

وقال أَيضاً[7] : [من الطويل]

---

1 ديوان القتال : 89 .
2 نهيت في الديوان : نشدت ، أي استحلفت . والمقامة بيننا : وأهل المجلس بيننا حاضرون (عن التبريزي) . وسعر وهيثم : رجلان .
3 ديوانه : 90 .
4 متهضما : تهضم حقوقه وهو ساكن .
5 ديوان القتال : 35 .
6 الديوان : ألا هل أتى فتيان قومي .
7 ديوانه : 45 .

جَزى اللهُ عَنَّا والجزاءُ بكفِّهِ عَمايــةَ خيراً أُمَّ كلِّ طَرِيدِ[1]

فما يزدهِيها القومُ إنْ نزلُوا بها وإن أُرسلَ السُّلطانُ كلَّ بَرِيدِ

حَمَتْنيَ منها كلُّ عَنقاءَ عَيْطَلٍ وكلُّ صفاً جَمّ القِلاتِ كَؤُودِ[2]

فمكث بعمايةَ زماناً يأتيه أخٌ له بما يحتاجُ إليه ، وألِفَه نَمِرٌ في الجبَلِ كان يأوي مَعه في شِعْبٍ .

[مصاحبة النمر]

وأَخبرني عبدُ الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمدُ بن حَبيب ، عن ابن الكلبيّ ، قال : كان القتّالُ الكِلابيُّ أصابَ دماً ، فطُلِب به ، فهرب إلى جبَل يقال له عَماية ، فأقام في شعبٍ مِن شِعابِهِ ، وكان يأوي إلى ذلك الشِّعب نَمِرٌ ، فراح إليه كعادتِه ، فلمّا رأى القتّالَ كشَرَ عن أنيابِه ، ودلع لسانَه فجرد القتّال سيفَه من جَفنِه ، فردَّ النمرُ لسانه ، فشام القتّال سيفَه ، فربَض بإزائـه ، وأخرج براثنـه ، فَسَلَّ القتّـالُ سهامَه من كِنانتِه ، فَضَرَب بيدهِ وزأر ، فأوْتـر القتّالُ قوسَه ، وأنبض وترها ، فسكن النَّمِرُ وألِفَه .

فقال ابنُ الكلبيِّ في هذا الخبر ، ووافقه عمر بن شبَّة في روايته : كان النمر يصْطادُ الأَرْوى فيجيءُ بما يَصْطاده ، فيُلقيه بين يدي القتّال ، فيأخذ منه ما يقُوته ، ويُلقي الباقي للنَّمر فيأكلُه . وكان القتّال يخرجُ إلى الوحْش فيرمي بنبْله ، فيُصيب منه الشيءَ بعد الشيءَ ، فيأتي به الكهف ، فيأخُذُ لِقُوته بعضَه ، ويلقي الباقي للنَّمر . وكان القتّالُ إذا وَرَدَ الماءَ قام عليه النَّمرُ حتى يشْربَ ، ثم يتَنَحَّى القتّالُ عنه ويَرِدُ النَّمِرُ ، فيقُومُ عليه القتّالُ حتى يشْرب . فقال القتّال في ذلك من قصيدة له[3] : [من الطويل]

ولي صاحبٌ في الغارِ يعْدِلُ صاحباً أَبــا الجـوْن إلاَّ أَنَّــه لا يُعَلَّلُ

أَبو الجوْن : صديق له كان يأنس به ، فشبهه به . وفي رواية عمر بن شَبَّة : أَخي الجون ، فإنَّ القتّال كان له أخ اسمه الجوْنُ ، فشبَّهَهُ به :

كِلانــا عــدُوٌّ لا يَرى في عَدُوِّه مَهَزّاً وكُــلٌّ في العَداوةِ مُجمِلُ[4]

1 عماية : جبل بنجد .

2 عنقاء : صفة للهضبة لارتفاعها . والعيطل : الهضبة الطويلة . والصفا : الصخر الأملس والقلات : جمع قلت ، وهي النقرة في الجبل .

3 ديوان القتال : 77–78 مع اختلاف في الترتيب .

4 مهزّاً في الديوان : محزاً .

إذا مـا التَقَيْنا كان أُنْسُ حَدِيثنا — صِماتاً وطَرْفٌ كالمَعابِـلِ أَطْحَلُ[1]
لنـا مَـوْرِدٌ قَلْتٌ بأرْضٍ مَضَلَّةٍ — شَرِيعَتُنـا : لأَيِّنـا جـاءَ أوَّلُ[2]
تَضَمَّنَت الأَرْوى لنـا بِشِوائِنـا — كِلانا لـه منها سَديفٌ مُخَرْدَلُ[3]
فأَغْلِبُـه في صَنْعَـةِ الزَّادِ إنَّنـي — أُمِيطُ الأَذى عنـه ومـا إنْ يُهَلِّلُ

أي ما يسمِّي الله تعالى عند صَيْدِه .

[وليمة كاذبة]

أخبرني اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ عن إسحاقَ الموصليّ ، وأخبرني به محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ ، عن الفضل ، عن إسحاق . وأخبرني به وَسواسة بن الموصليّ عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : قال أبو المجيب أو شدّاد بن عقبة : دعا رجلٌ من الحيّ يقال له أبو سفيان القتّالَ الكلابيَّ إلى وَليمةٍ ، فجلس القتّال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتصف النّهار ، وكانت عنده فِقرة من حُوار ، فقال لامرأته[4] : [من الطويل]

فـإنَّ أَبا سُفيانَ ليس بمُـولِمٍ — فقُومي فهاتي فِقْرةً من حُوارِكِ

قـال إسحاق : فقلتُ لـه : ثمَّ مَـهْ ؟ قال : لم يأتِ بعده بشيءٍ ، إنّما أرسَلَه يتيماً . فقلتُ له : لِمَـهْ ؟ أفلا أزِيدُكَ إليه بيتاً آخرَ ليس بدونِه ؟ قال : بلى ، فقلتُ : [من الطويل]

فبيتُكِ خيْرٌ مـن بيوتٍ كثيرةٍ — وقِدْرُكِ خيْرٌ من وليمة جارِكِ

فقال : بأَبي أنتَ وأُمِّي ، والله لقد أرسلتَه مثلاً ، وما انتظرتَ به العربَ ، وإنكَ لبَزُّ طرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثله ، وما يُلام الخليفةُ أن يُدنيكَ ويؤثِرَك ويتملَّحَ بِك ، ولو كان الشَّبابُ يُشترَى لابْتَعتُه لك بإحدى يدَيَّ ويُمنى عينيَّ ، وعلى أنّ فيكَ بحمد الله بقيّةً تَسُرُّ الوَدُودَ ، وتُرغمُ الحسُود .

[كبر وشبّ ولداه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني عمر بن شَبَّة قال : كان للقتّال ابنان ، يقال لأحدهما المسيَّب ، وللآخر عبد السلام ، ولعبد السلام يقول[5] : [من البسيط]

1 المعابل : جمع معبل ، وهو النصل الطويل العريض . وأطحل : بلون الطحال .
2 الديوان : وكانت لنا قلت بأرض مضلة .
3 الديوان : بطعامنا بدل بشوائنا . . . نصيب ومأكل . والسديف : الشحم .
4 ديوان القتال : 72 .
5 ديوان القتال : 53 .

عبدَ السَّلام تأمَّلْ هـل تَرى ظُعُناً ... إنِّي كَبِرتُ وأَنت اليومَ ذو بَصَرِ
لا يُبعِـدُ اللهُ فِتيانـاً أَقـولُ لهمْ ... بالأبرقِ الفَرْدِ لَمّـا فاتني نَظَري[1]
أَلا تـروْنَ بأَعــلى عاصمٍ ظُعُنـاً ... نكَّبْنَ فَحْلَـينِ واستقْبَلن ذا بَقَرِ[2]

[يغيظه عدم الطلب بالثأر]

وقال أَبو زيد عُمَر بن شَبَّة من رواية ابن داوُد عنه : حدَّثني سَعِيد بنُ مالك قال : حدَّثني شدّاد بن عُقْبة قال : اقتَتل بنـو جَعْفَر بن كِلاب وبنـو العَجْلان بن كَعْب بن ربيعة بن صَعْصَعة ، فقتلت بنو جَعفر بن كلاب رَجُلاً من بني العَجْلان . قال شدّاد : وكانت جـدَّة القتّالِ أُمُّ أبيه عجلانيّةً ، وهي خَوْلة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان . فاستبطأ القتّال أخوالَه بني العجلان في الطَّلَبِ بثأرِهِم من بني جعفر ، وجعل يحضُّهم ويُحرِّضُهم ، فقال في ذلك ، وقد بلَغَهُ أنّهم أخذُوا من بني جعفر دِيَةَ المقتول ، فعيَّرهم بما فعلوا وقال[3] : [من الطويل]

لعَمْـرِي لحَـيٌّ من عُقَيْلٍ لقيتُهُم ... بخَطْمـةَ أو لاقيتُهُـم بالمناسِكِ[4]
عليهمْ مـن الحَـوْكِ اليمانيِّ بِزَّةٌ ... على أرْحَبِيَّاتٍ طِـوالِ الحَوارِكِ[5]
أَحَبُّ إلى نفسي وأَملحُ عندَهـا ... منَ السَّرَواتِ آل قيس بنِ مالِكِ
إذا مـا لقيتُمْ عُصْبةً جعفريَّـةً ... كرِهتُم بني اللَّكْعاء وقْعَ النيازِكِ[6]
فلستُمْ بأَخْـوالي فـلا تصْلُبُنِّي ... ولكنَّما أُمِّي لإحـدى العواتِكِ[7]
قِصارُ العِمادِ لا تَـرى سَرَواتِهم ... مع الوفـد جَثَّامُونَ عنـد المبارِكِ
قُتِلتُم فلمَّـا أَن طلبتُـمْ عُقِلْتُـم ... كذلـك يُؤْتـى بالذَّليـلِ كذلكِ

[حكاية اغتيال السجّان]

وقال ابن حبيب : خرج ابنُ هبَّار القُرشيُّ إلى الشام في تجارة أَو إلى بعض بني أُمَيَّة ،

1 فاتني في الديوان : فاتهم .
2 الديوان : يا هل تراءى بأعلى عاصم ظعنٌ .
3 ديوان القتال : 71 .
4 خطمة : جبل يصب رأسه في واد .
5 أرحبيات : نوق منسوبة إلى أرحب . والحوارك : جمع حارك ، وهو الظهر .
6 اللكعاء : الحمقاء . وفي الديوان : وقع السنابك .
7 في الحديث «أنا ابن العواتك بن سليم» . ولعل القتّال يعني أنّ أخواله من سليم وينفي أن يكونوا من بني العجلان (انظر الفائق 3 : 113 واللسان : عتك) .

فاعترضه جماعةٌ فيهم القتّال الكلابيُّ وغيره ، فقتلوه وأخذوا مالَه . وشاع خبره ، فاتُّهم به جماعةٌ من بني كِلاب وغيرهم من فُتّاك العرب ، فأُخِذوا وحُبِسوا ، أخذهم عامل مروانَ بن الحكم ، فوجَّههُم إليه وهو بالمدينة ؛ فحبَسهم ليبحث عن الأمر ، ثم يقْتل قتَلةَ ابن هبّار . فلمّا خَشيَ القتّال أن يُعلم أمرُهُ ، ورأى أصحابه ليس فيهم غَناء ، اغتال السَّجّان فقتله ، وخرج هو ومنَ كان معه من السِّجن فهربوا ، فقال يذكر ذلك[1] : [من الطويل]

أُمَيْــمَ أثيبــي قبــل جِــدِّ التَّزيُّــل ... أثيبي بوصْــلٍ أو بِصُــرْمٍ مُعَجَّلِ[2]
أُمَيْم وقد حُمِّلْتُ مـا حُمِّــلَ امْـرُؤٌ ... وفي الصُّــرْمِ إحْسانٌ إذا لم تُنَوِّلي[3]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

وإنِّي وذكــري أُمَّ حَسّانَ كالفتــى ... متى مــا يذُقْ طَعْمَ المُدامة يَجْهلِ[4]
أَلا حبّــذا تلــك البــلادُ وأهلهــا ... لــو انَّ عذابــيَّ بالمدينــة ينْجلي[5]
برزْتُ لهــا من سِجْن مرْوان غُدوةً ... فآنستُهــا بالأَيْــم لم تتحــوَّلِ[6]
وآنستُ حَيّــاً بالمطــالي وجامِــلاً ... أبابيــلَ هَطْلى بــين راعٍ ومُهملِ[7]
نظرتُ وقد جَلَّى الدُّجى طامِسَ الصُّوى ... بسِلْــعٍ وقَــرْنُ الشمسِ لم يترجَّلِ[8]
وشُبَّتْ لنا نــارٌ للَيْــلى صباحــه ... يُذَكَّــى بعُــودٍ جَمْرُهــا وقَرَنْفُلِ[9]
يُضيء سَناهــا وجــهَ ليــلى كأنَّما ... يُضيءُ سَناهــا وَجْــهَ أَدْماءَ مُغْزِلِ
علا عظمُهــا واستعْجَلَتْ عن لِداتِها ... وشَبَّتْ شباباً وهْــيَ لَمّــا تُسَرْبَلِ[10]
ولمّــا رأيــتُ البابَ قــد حِيل دُونَهُ ... وخِفْــتُ لِحاقــاً مــن كتابٍ مُؤَجَّلِ

---

1 ديوان القتّال : 73–76 .
2 التزيل : الرحيل .
3 لم تنوِّلي في الديوان : لم ينول .
4 أم حسّان في الديوان : أم حيان .
5 البلاد في الديوان : الديار .
6 لها في الديوان : بها ، أي بالمدينة .
7 المطالي : أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب . والجامل : القطيع من الجمال . وقيل الحي العظيم . هطلى : جماعات متفرقة : وأبابيل : جماعات .
8 طامس في الديوان : طاسم ، أي طامس . ولم يترجل : لم يرتفع .
9 صباحه في الديوان : شيافة .
10 غلا عظمها : سمنت . وفي الديوان : وتربّل : يربو جسمها .

حملتُ عَلى المكروهِ نفساً شريفةً   إذا وُطِّئَتْ لم تستقِدْ للتَّذَلُّلِ[1]
وكالئِ بابِ السِّجْنِ ليس بِمُنْتَهٍ   وكان فِراري منه ليس بمُؤْتَلِي
إذا قلتُ رفِّهني من السِّجْنِ ساعةً   وتمِّمْ بها النُّعْمى عَلَيَّ وأَفْضِلِ[2]
يَشُدُّ وَثاقاً عابِساً ويَغُلُّني   إلى حَلَقاتٍ من عمودٍ مُوَصَّلِ[3]
فقُلتُ له والسَّيفُ يَعْضِبُ رأْسَهُ   أنا ابنُ أَبي التَّيماءِ غيرُ المنحَّلِ[4]
عرفتُ نِدايَ من نِداهُ وشيمتي   وريحاً تَغشَّاني إذا اشتَدَّ مِسْحَلي[5]
تركتُ عِتاقَ الطَّيْرِ تحجِلُ حَوْلَهُ   على عُدَواءَ كالحُوارِ المجدَّلِ[6]

وقال أبو زيد في خبره : وأنشدني شدّادٌ للقتَّال الكلابيِّ يذكر قَتلَ ابنِ هَبّار[7] : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هَبّارٍ لَدى الباب مُسْنَداً   وأَصبحَ دُوني شابَةٌ وأُرومُها[8]
بسيفِ امرئٍ ما إن أُخبِّرُ باسمهِ   وإن حَقَرتْ نفسي إليَّ هُمومُها[9]

هكذا روى ابنُ حبيب وعمرُ بن شبَّة .

وَنسختُ مِن كتابٍ للشاهِينيِّ بخطِّه فيه شعر للقَتَّال وأَخبارٌ من أَخباره قال : حُبِس القتّال في دم ابن عمِّهِ الذي قتلَه ، فحُبِسَ زماناً في السِّجن ، ثم كان بينَ ابن هبّار القرشيّ وبين ابنِ عمٍّ له من قريشٍ إحْنة ، فبلغ ابن عمِّه أنّ القتّالَ محبوسٌ في سِجْنِ المدينة . فأتاه فقال له : أرأيتَ إنْ أنا أخرجتُك أتقتلُ ابن عمّي المعروفَ بابنِ هبّار ؟ قال : نعم ، قال : فإنّي سأُرسِلُ إليك بحديدةٍ في طعامِك ، فعالج بها قيدَك حتى تفكَّه ثم البَسه حتى لا تُنكَرَ ، فإذا خرجتَ إلى الوُضوءِ فاهْربْ من الحَرَس ، فإنّي جالسٌ لك ومخلِّصُك ومُعْطيك فرساً تنجُو عليه ، وسيفاً

---

1 الديوان : رددت . . . نفساً شريسة . وشريسة : ذات شراسة شديدة عسرة .
2 الديوان : تدارك بها نعمى .
3 الديوان :

يشدُّ وثاقي عابساً ويتلني   إلى حلقات في عمود مرمّل

مرمل : ملطخ بالدم .
4 الديوان :

أقول له والسيف يعصب رأسه   أنا ابن أبي أسماء غير التنحل

5 المسحل : العزم الصارم . والريح التي تغشاه هي ريح الأنفة .
6 عدواء : أرض صلبة .
7 ديوان القتال : 86 .
8 شابة : جبل بنجد . أروم : جبل لبني سليم .
9 الديوان : لن أخبر الدهر باسمه . وانظر حاشية محقق الديوان .

تمتنع به ، فإن خلّصك ذلك وإلاّ فأبعدكَ اللهُ ، فقال : قد رَضيتُ .

قال : وكان أهلُ المدينة يُخرِجون المحتَبسين إذا أمسَوا للوُضوء ، ومعهم الحرسُ ، ففعل ما أمره به ، وأتاه القُرَشيُّ فخلَّصه وآواه ، حتى أمسكَ عنه الطَّلبُ . ثم جاء به وأعطاه سيفاً ، فقتل ابنَ عمِّه المعروفَ بابنِ هبّار ، ووهب له نجيباً ، فنجا عليه وقال : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هبَّار لدى البابِ مُسنَداً وأَصْبَـح دُوني شابّـةٌ وأرومُها
بسَيف امرِئٍ لا أُخبرُ الناسَ باسمِهِ ولـو أُجهشَتْ نفسي إليَّ همُومُها

[هجاء علية بنت شيبة وقومها]

وقال : أبو زيدٍ عُمرُ بن شبَّة فيما رواه عن أصحابه : مَرَّ القتّال بعُلية بنتِ شيبة بن عامرِ بن ربيعةَ بنِ كَعْب بن عمرو بن عبد بن أبي بكر وأخويها : جَهمٍ وأُويس ، فسألها زِماماً فأبتْ أن تُعطيَه ؛ وكانت جدَّتهمُ أُمُّ أبيهم أَمةً يُقال لها أُمُّ حُدَيْر ، وكانت لقريظة بن حُذَيفة بن عمّار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر . فولدَتْ له أُمَّ هؤلاء ، واسمها نجيبة ، فولدت له عُليّةَ هذه ، فقال القتّالُ يهجوهُم[1] : [من البسيط]

يـا قَبَّحَ اللهُ صِبيانـاً تجـيءُ بهِم أُمُّ الهُنَيْبِر مـن زَنـدٍ لهـا واري[2]
مـن كلِّ أعلـمَ مُنشَقٍّ مَشافرُهُ ومؤذَنٍ ما وَفـى شِبْراً بمِشبارِ[3]
يا وَيْحَ شَيماءَ لم تَنْبِذْ بأَحـرارِ مثـلي إذا اعتراني بعْضُ زُوَّاري
إنَّ القُريطِينَ لم يَدْعُـوكِ كنَّتَهم فأقصِري آلَ مَسْعُـودٍ ودِينارِ[4]
أمَّا الإماءُ فمـا يَدْعونَني ولداً إذا تُحُدِّثَ عن نقضي وإمراري
يا بِنتَ أُمِّ حُدَيْرٍ لـو وهبتِ لنا ثنتين مـن مُحكَمٍ بالقِدِّ أُوتاري[5]
إمَّا جديـداً وإمَّـا باليـاً خَلَقـاً عـاد العـذارى لِقَطْعَيْهِ بأَسْيارِ
لكان رِدْءاً قليـلاً واعتجنتُ له صهْباءَ مقَّعَها حاجِي وأسفاري[6]

1 الأبيات من قصيدتين منفصلتين في ديوان القتال 54–58 . ثم جمعهما المحقق في رواية واحدة عن الأغاني : 59–60 .

2 أم الهنيبر : الضبع في لغة فزارة . وقال ابن دريد أم الهنيبر : أتان . وقيل أم الهنيبر في البيت امرأة من بني كلاب .

3 مؤذَن في الديوان : مؤدن (بالدال) ، وهو القصير العنق الضيق المنكبين .

4 الديوان : كنيتهم بدل كنتهم . وفانصر بني آل مسعود .

5 أوتاري في الديوان : أوباري .

6 مقّعها : شربها أشدّ الشرب .

أَنا ابــنُ أَسمــاءَ أَعمامي لها وأَبي ... إذا ترامــى بنــو الإمِوانِ بالعارِ[1]
قد جَرَّب النّاسُ عُودي يَقرعُون به ... وأَقْصَرُوا عــن صليبٍ غيرِ خَوَّارِ
ما أَرْضع الدَّهرَ إلاَّ ثَدْيَ واضِحةٍ ... لواضح الوَجْه يَحْمي حَوْزة الجارِ[2]
يَسْتلِب القِــرْنَ مُهريــهِ وصعْدَتَهُ ... حقّاً وينزعُ عنْــهُ ذات أَزْرارِ[3]
من آلِ سُفيــانَ أَو ورْقاءَ يمنَعُهــا ... تحتَ العَجاجَةِ طَعْــنٌ غيرُ عُوَّارِ[4]
يَمنعُهــا كلُّ مَــذْرورٍ ، بصَعْدَتِه ... نضْحُ الدِّباء ، على عُرْيــانَ مِغْوارِ[5]
تَسمعُ فيهمْ إذا استَسْمَعْتَ واعِيَةً ... عَــزْفَ القِيانِ وقولا يال عَرْعارِ
طِوالُ أنضيــة الأعنــاقِ لم يجِدُوا ... رَيحَ الإمــاء إذا راحَتْ بأَزفارِ[6]
والقومُ أَعلــم أَنَّا مــن خيارهِم ... إذا تقلَّــدت عَضباً غيرَ مِيشارِ[7]
فزّا بَسَيْري وبردُ اللَّيــلِ يضربني ... عُرض الفَــلاة بثُنيــانٍ وأَكوارِ[8]
أَمَّــا الرَّواسمُ أَطلاحــا فتعرفُني ... إذا اعتصبتُ عــلى رأْسي بأَطمارِ
ولم أُنازعْ بنــي السَّوداء فيئَهمُ ... والعِظلِميّــاتِ مــن يَعْــرٍ وأُمْهارِ
فكلُّ سوداء لم تُحلَــق عَقِيقتُهــا ... كأَنَّ أُصداغَهــا يُطلَــينَ بالقارِ
لقد شَرتني بنــو بَكرٍ فما رَبِحتْ ... ولا رأَيتُ عليهــا جَزأة الشّاري
إنّ العُرُوقَ إذا استَنزعتها نزَعَتْ ... والعِرْقُ يسْري إذا ما عَرَّسَ السَّاري

أُخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبَّة قال : أُنشدني الأصمعيُّ للقَتَّال رائيّةً يقولُ فيها :

إنّ العُروقَ إذا استنزعتَها نزعَتْ ... والعرقُ يسْري إذا ما عرَّس السّاري

1 الإموان : جمه أمة .
2 الديوان : لا أُرضع . . . لواضح الخد .
3 لم يرد هذا البيت في القصيدتين وورد في ما نقل عن الأغاني : 59 .
4 العوّار : الضعيف .
5 هذا البيت والذي بعده ما نقل عن الأغاني فقط . وفيه مدروء بدل مذرور .
6 أنضية : جمع نضو ، وهو عظم العنق . وأزفار : أحمال ، واحد زفر . ويضرب مثلاً للرجل فيقال : إنّه لزفر أي حمال أُثقال .
7 الديوان : قد يعلم القوم أنّي من خيارهم . . . وغير مشبار .
8 الأبيات الخمسة التالية مما لم يرد في الديوان في ما نقل عن الأغاني .

قد جرَّب النّاسُ عُودِي يَقرعُون بِهِ ... فأقصرُوا عــن صَليبٍ غيرِ خوّارِ

فقال : لقد أحسنَ وأجاد ، لولا أنّه أفسدَها بقوله إنّه طلَب جُعْلاً فلم يُعْطَه ، وكان في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة ، وكان فارساً شاعراً شجاعاً .

[هجاء قومه مرة أخرى]

وقال السكريّ في روايته : زوَّج القَتَّالُ ابنته أُمّ قيس ، واسمها قطاة ، رذاذَ بن الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ، فمكثتْ عنده زماناً ، وولدت له أولاداً . ثم أغارها[1] فشكت إلى أبيها ، فاستَعدى عليه ورماه بخادمها ، وجاء رَذاذُ بالبينة على قذْفه إيّاه بالأمةِ فأُقيم ليُضربَ ، فلم تنتصِرْ له عشيرتُه ، وقامَت عشيرةُ رذاذٍ فاستوهبوا حدَّه من صاحبهم ، فوَهبهُ لهم . وكانت عشيرة القتّال تُبغضهُ لكثرة جناياته ، وما يَلحقها من أذاهُ ، ولا تمنعهُ من مكروهٍ ، فقال يَهجو قومَهُ[2] : [من الطويل]

إذا مــا لَقِيتــم راكبــاً مُتعمِّماً ... فقولوا لــه : ما الرّاكبُ المتعمِّمُ
فإن يَكُ من كَعْبِ بن عَبْدٍ فإنَّه ... لئِيمُ المُحَيَّا حالِكُ اللَّــونِ أدهَمُ
دعوتُ أبــا كَعْــبِ رَبيعةَ دَعْوةً ... وفَوقي غَواشي المَوْتِ تُنْحى وتُنجُمُ[3]
ولَــم أَكُ أدرِي أنَّــهُ ثُكْلُ أُمِّهِ ... إذا قيلَ للأَحْرارِ في الكُرْبَةِ اقدُمُوا
فلو كنتَ مــن قــومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ ... لحاميتَ عنّي حِــينَ أَحمى وأُضْرَمُ
دعوتُ فكَمْ أَسْمَعتُ من كلّ مُؤْذِنٍ ... قَبيحِ المُحَيَّا شانَهُ الوجهُ والفَمُ[4]
سِوى أَنَّ آلَ الحارثِ الخيرِ ذبّبُوا ... بأعيــطَ لا وغْــلٌ ولا مُتَهَضَّمُ
أَلا إنَّهم قوْمي وقــومُ ابن مالِكٍ ... بنــو أُمّ ذِئب وابنُ كبشةَ خيثَمُ
ولكنَّما قَومــي قُماشةُ حاطــبٍ ... يُجمِّعُها بالكفِّ ، واللَّيْلُ مُظْلِمُ[5]

[وجد عند امرأته رجلاً فطلّقها]

قال أبو زيد : وحدَّثني شدَّادُ بن عُتْبةَ قال : كانَتْ عند القتّال بنتُ ورقاءَ بن الهيثم بن الهصَّان ، وكان جاراً لبني الحصين بن الحُوَيرِث بن كعب بن عبد بن أبي بكر ، وكانت لها

1 أغارها : تزوّج عليها فأثار غيرتها .
2 ديوان القتال : 85 .
3 الغواشي : حالات الإغماء .
4 مؤذن في الديوان : مؤدن (بالدال) .
5 قماشة : فتات الأشياء يطلق على أراذل الناس .

ضَرّةٌ عنده يقال لها أُمُّ رِياح بنتُ ميسرة بن نفير بن الهصَّان ، وهي أُمُّ جنوب بنت القتّال . فخرج القتّال في سَفَرٍ له ، فلمّا آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله ، فوجد عند بنت ورقاءَ جريرَ بن الحُصَين . فلمّا رأى جريرٌ القتّال نهض ، فسأل القتّالُ عنه ، فقالت له امرأتُه أُمّ رياح ، وهي صفيّة ويقال صُفَيفة بنت الحارث بن الهصَّان : إنّ هذا البيتَ لبيتٌ لا نزال نسمع فيه ما لا يُعجبنا فطَلّق القتّالُ بنتَ ورقاءَ ، وهي حامِلٌ ، فولَدَت له بعد طلاقها المسيَّبَ ابنه .

وقال السكَّريُّ في خبَرِه : فقال القَتَّال في ذلك[1] : [من الوافر]

ولَمَّا أنْ رأَيْتُ بنـي حُصَيْنٍ ... بِهِم جنَفٌ إلى الجاراتِ بادِ
خلَعْتُ عِذارهـا ولَهِيتُ عنها ... كما خُلِـعَ العِذارُ مـن الجوادِ
وقلت لها : عليكِ بني حُصَيْنٍ ... فما بيني وبينـكِ مـن عوادِ
أُنادِيهـا بأسفــلِ وارِداتٍ ... نَكِدتَ أَبا المُسَيَّب مَن تُنادِي[2]

وفي رواية السكريّ :

أُنادِيهمـا ومـا يـومٌ كيومٍ ... قضى فيـه امرؤٌ وَطَر الفُؤادِ
فرُحْتُ كأنَّنـي سيفٌ صَقيلٌ ... وعزَّت جـارةُ ابنِ أَبي قُرادِ

[يرفض قبول عقل ضربة أنفه]

قال : ثم إنَّ كلابَ بن ورقاءَ بن حُذيفة بن عَمّار بن ربيعة بن كعب بن عبْد بن أُبي بكر ، نحر جزوراً وصنَع طعاماً وجَمع القومَ عليه وقال : كلوا أيّها الفتيانُ ، فإنَّ الطّعام فيكم خيرٌ منهُ في الشُّيوخ . فقال القتّال : أنا والله خيرٌ للفتيان منك ، أرى المرأة قد أعجبتْ أحدَهُم فأُطلّقُها له . وفي القوم جريرُ بنُ الحُصَين الذي كان وَجَدهُ عند امرأتِهِ ، فرفع جريرٌ السَّوط فضرب به أنف القتّال .

ثم إنّهم أعطوا القتّال حقَّه فلم يقبله حتى أدرك ابناه : المُسَيَّبُ وعبدُ السلام .

وقال السُّكَّريُّ : حتى احتلم ولدُه الأربعةُ ، وهم : حبيب ، وعبد الرحمن ، وعبد الحيِّ وعُمَيْر ، وأُمُّهُم : ريّا بنتُ نَفَر بن عامر بن كعب بن أبي بكر . فحَمَلَهم على الخيل حين أظْلم اللّيلُ ، ثم أتى بهم بني حُصين فلقي لِقاحاً لهم ثمانين ، فأشْمَرها[3] وبات يسوقُها ، لا تتخلّفُ

1 ديوان القتال : 47 .

2 رواية الديوان تطابق رواية السكري .

3 أشمرها : أطلقها وأرسلها .

ناقةٌ إلاّ عقرها حتى حبسها على الحَصى ، حين طلعت الشَّمسُ ، والحَصى ماءٌ لعبدِ الله بن أبي بكر . فحبسها وزَجرهُم عنها ، حتى جاءَ بنو حُصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرةً وأهدِرت الضَّرْبَةُ ، وإنّما أخذ الأربعين بَكْرةً مُكرهاً ، لأنّ قومَه أُجبروه على ذلك .

قال شدّادُ : وفي ابنه عبد السّلام ، يقولُ : [من البسيط]

عبدَ السّلام تأمَّل هل تـرى ظُعُناً إنّي كبِرتُ وأنت اليوم ذو بَصرِ
لا يُبعِـد اللهُ فتياناً أقـولُ لهـم بالأبرقِ الفـردِ لمّا فاتني نظري
يا هَـلْ تَرَوْن بأعـلى عاصمٍ ظُعناً نكَّبْنَ فحْلَيْنِ واستقْبلْـن ذا بقرِ
صلَّى على عمـرةَ الرحمنُ وابنتِها ليلى وصلَّى عَلى جاراتها الأُخَرِ[1]
هُـنَّ الحرائِـرُ لا ربَّـاتُ أحمرةٍ سودُ المحاجـرِ لا يقـرأنَ بالسُّورِ

قال أبو زيد : وحدّثني شدّاد بن عُقبة قال : أتى الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عَبد بن أبي بكر ومُحْصن بن الحارث بن الهصّان في نفر من بني أبي بكر القتّال وهو مَحبوسٌ ، فشرطوا عليه ألاّ يذكر عاليةَ في شعره ، وهي التي ينسُبُ بها في أشعاره ، فضمِنَ ذلك لهم ، فأخرجُوه من السِّجْن عِشاءً . ثم راح القوْم من السِّجن ، وراحَ القتّال معهم ، حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوقُ بهم ويقول[2] : [من الرجز]

قلتُ لـه يـا أخرمُ بنَ مالِ
إن كنت لم تُزْرِ على وصالي[3]
ولم تجِدْني فاحِشَ الخلالِ
فارفعْ لنا مـن قُلُصٍ عِجالِ
مُستوسِقاتٍ كالقطـا عِبالِ
لعلّنـا نطـرُقُ أمَّ عـالِ
تخيَّري خُيِّرتِ في الرِّجالِ
بـين قصيرٍ باعُـهُ تِنبالِ[4]

1 لم يرد هذان البيتان فيما تقدّم ، وهما في شعر الراعي النميري (ديوانه (فايبرت) 122) وفيه عزّة بدل عمرة .
2 ديوان القتال : 83 .
3 وصالي في الديوان : الوصال .
4 تنبال : قصير .

وأُمُّـــهُ راعيـــةُ الجمـــالِ
تَبيتُ بين القِدْرِ والجِعالِ[1]
أذاكَ أم مُنْخرِق السِّرْبالِ[2]
كريـمُ عـمٍّ وكريـمُ خالِ
مُتلِـفُ مـالٍ ومُفيدُ مالِ[3]
ولا تـزالُ آخــرَ الليالي
قَلُوصُـهُ تعثـرُ في النِّقالِ[4]

النِّقال : المناقلةُ .

قال شَدّادٌ : فنزل القومُ فربَطوه ، ثم آلوْا ألاّ يَحُلُّوه حتى يُوثِّق لهم بيمين ألاّ يذكرها أبداً ، ففعل وحلّوه .

قال : وهي امرأةٌ من بني نصر بن معاوية ، وكانت زوجة رجلٍ من أشراف الحيِّ .

[قتل أمَة عمّه لئلاّ تحمل منه]

قال : وحدّثني أبو خالدٍ ، قال : كانت لعم القتّالِ سُرِّيّة ، فقال له القتّال : لا تطأْها ، فإنّا قومٌ نُبْغِض أن تَلِدَ فينا الإماءُ ، فعصاه عمُّه . فضربها القتّالُ بسيفِه فقتلها ، فادّعى عمُّه أنّه قَتلها وفي بطنها جنينٌ منه ، فمشى القتّالُ إليها فأخرجَها من قبْرِها ، وذهبَ معهُ بقومٍ عُدولٍ ، وشَقَّ بطنَها وأخرج رَحمها حتى رأوْه لا حمْل فيه ، فكذَّبوا عمَّه . فقال ، في ذلك[5] : [من الرجز]

أنا الذي انتَشلْتُها انتِشالاً ثمَّ دعوتُ غِلمـــةً أزْوالا
فصَدَعُوا وكذَّبوا ما قالا

وقال وأنشدني له أيضاً[6] : [من الرجز]

أنا الذي ضَرَبتُها بالمُنْصُلِ عِند القُرَيْنِ السائل المفضَّلِ[7]
ضَرْباً بكفّيْ بَطَلٍ لم يَنْكُلِ

1 ل : تبيت بين القت والحبال . والحبال في الديوان : والجعال .
2 الديوان : مخرّق .
3 مفيد مال : مستفيده .
4 النقال : الأرض ذات الحجارة .
5 ديوان القتال : 84 .
6 ديوان القتال : 84 .
7 القرين : تصغير قرن ، وهو حد ربوة تشرف على وهدة صغيرة .

[بنت المحلق تتزوّج غيره]

وقال السكريُّ في روايتِه : أَراد القتّال أَن يتزوَّج بنتَ المحلّق بن حنْتم ، فتزوَّجها عبدُ الرحمن بنُ صاغرٍ البكائيُّ . فلقي مولاةً لها يقال لها جَون ، فقالَ لها : ما فعلتْ ؟ قالت : تزوَّجها عبدُ الرحمن بن صاغر ؛ فقال : ما لَها ولعبدِ الرحمن ؟ فقالت له : ذاك ابنُ فارس عرّاد . قال : فأنا ابنُ فارس ذي الرَّحل ، وأنا ابنُ فارِسِ العَوْجاء ثمَّ انصرف وأنشأ يقولُ[1] : [من البسيط]

يا بنتَ جَونٍ أَبانَتْ بنتُ شدَّادِ نَعم لعمري لِغوْرٍ بعدَ إنجادِ
لَمطْلع الشَّمْسِ ما هذا بمُنْحَدَرٍ نحو الرَّبيع ولا هذا بإصعادِ
قالت فوارسُ عَرّادٍ ، فقلتُ لها : وفيم أُمِّيَ من فُرسانِ عَرّادِ[2]
فُرسانُ ذي الرَّحْل والعوجاء وابنَتِها فِدًى لهم رهطُ رَدَّادٍ وشدّادِ

[حض لقومه ولوم]

والقصيدةُ التي في أوَّلها الغِناء المذكورُ ، يقولُها القَتّالُ يحضُّ أَخاه وعشيرتَه على تخلُّصِه من المطالبة التي يُطالبُ بها في قَتْلِ زِيادِ بن عُبيد الله ، واحتمال العقْل عنه ، ويلُومهم في قُعودِهم عن المطالبةِ بثأرٍ لهم قِبَل بني جعفر بن كلاب .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمرُ بن شَبَّة ، عن حُمَيد بن مالك عن أَبي خالد الكلابيِّ ، قال : كان عمرو بن سَلَمة بن سكن بن قُرَيظ بن عبْد بن أبي بكر أسلم فَحسُن إسلامُه ، ووفد إلى النبيِّ ﷺ ، فاستقطعه حِمًى بين الشقراء والسَّعديَّة . والسعديّة : ماءٌ لعمرو بن سَلمة ، والشقراءُ : ماءٌ لبني قتادة بنِ سكن بن قُريظ ، وهي رَحْبة طولُها تسعة أميالٍ في ستّة أميال ، فأقطعه إيّاها ؛ فأحماها ابنه جَحَوَّش . فاسترعاه نفرٌ من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدرُ بنِ بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ، فأرْعاهم . فحملوا نَعَمَهم مع خيْلهم بغير إذنِه ، فأُخبر بذلك فغَضِبَ وأراد إخراجَهم منه ، فقاتَلوه . فكانت بينهم شِجاجٌ بالعِصيِّ والحجارةِ ، من غير رمي ولا طِعان ولا تَسايُفٍ . فظهَر عليهم جَحَوَّش ، ثم تداعَوْا إلى الصلح ومشَت السُّفراءُ بينهم على أن يدعُوا جميعاً الجراحاتِ . فتواعَدُوا للصُّلح بالغَداة ، وأخٌ لجحوَّشٍ يقال له سعيد في حلْقِه سِلعَة ، وهو شَنِجٌ مُتنحٍّ عن الحيّ عند امرأةٍ من بني أبي بكر تَرقِيه . فرجع إلى أخيه ومعه رَجُلان من قومه ، يقال

1 ديوانه : 46 .

2 عراد : اسم فرس .

لأحدهما : مُحْرز بن يزيد ، وللآخر : الأخدر بن الحارث . فلقيَهم قُراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك ، وابنُ عمِّه أبو ذرّ بن أشهل ، ورجلٌ آخر من الجعفريِّين . فحمل قُرادٌ على سَعيدٍ فطعنَهُ فقتله ، فحذف مُحرز بن يزيد فرَس قُراد فعَقرها ، فأردفه أبو ذرٍّ خلفَهُ ، ولحقُوا بأصحابهم الجعْفريِّين . وأوقد جَحَوَّش بن عمرو نارَ الحرْب في رأس جرعاءَ طويلةٍ ، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر ، وخرج قُرادٌ هارباً إلى بشر بن مَروان ، وهو ابنُ عمَّته ، حتّى إذا كان بالقنان ، حميت عليه الشمْسُ ، فأناخ إلى بيتِ امرأةٍ من بني أسدٍ ، فقال[1] في بيتها . فبينا هو نائمٌ إذْ نبَّهَتْه الأسديّة فقالتْ له : ما دهاكَ وَيْحكَ ؟ انظُر إلى الطّير تحُوم حولَ ناقتكَ . فخرَج يَمشي إلى ناقتِه ، فإذا هي قد خَدَجت ، والطيرُ تُمَزِّقُ ولدَها . فجاء فأخبرها ، فقال : إنَّ لكَ لخبراً فاصدِقني عنه ، فلعلّه أن يكون لكَ فيه فائدةٌ . فأخبرها أنّه مطلوبٌ بدَمٍ ، فهو هاربٌ طرِيدٌ . قالت : فهل وراءك أحدٌ تشفق عليه ؟ فقال : أخٌ لي يقال له جبأة وهو أحبُّ النّاسِ إليَّ . قالت : فإنّه في أيدي أعدائِكَ ، فارْجع أو امضِ ، فخرج لوجههِ إلى بشرٍ .

قال : ولّما حرّض القتّالُ قومَه على الطَّلبِ بثأرهم في الجعفريِّين وعيّرهم بالقُعودِ عنهم مضى جميعُهم لقِتال بني جعْفر ، فقال لهم الجَعفريُّون : يا قومنا ، ما لنا في قتالكم حاجةٌ ، وقاتِلُ صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة ، فاقتلوه . فرضُوا بذلك فأخذُوا جبأة ، فلمّا صاروا بأسود العينِ قدّمه جَحَوَّشٌ فضرب عنقه بأخيه سعيدٍ وممّا قاله القتّال في تحريضهم في قصيدةٍ طويلةٍ[2] : [من الطويل]

فيا لأبي بكر ويا لجَحَوَّشٍ ... ولله مَوْلى دَعوةٍ لا يُجابُها
أفي كلّ عامٍ لا تزالُ كتيبةٌ ... ذُؤيْبيَّةٌ تهفُو عليكم عُقابُها
لهم جَزَرٌ منكم عَبِيطٌ كأنَّه ... وقاعُ الملوك فتكُها واغتصابُها[3]
وأنتمُ عديدٌ في حديدٍ وشِكَّةٍ ... وغابِ رماح يوجِف القلبَ غابُها[4]
يُسقَّى ابن بشر ثم يمْسح بطنَه ... وحوْلي رجالٌ ما يسوغُ شرابُها
فما الشرّ كلّ الشرّ لا خير بعْده ... على النّاس إلاّ أن تذلَّ رقابُها

1 قال : قضى وقت القيلولة .

2 ديوان القتال : 33 مع اختلاف في الترتيب .

3 الجزر : ما يباح للذبح . وصاروا لهم جزراً : قتلوهم . الوقاع : الموافقة في الحرب .

4 يوجف القلب غابُها في الديوان : يكسف الشمس غابها .

نساء ابــن بِشرٍ بُــدَّنٌ ونساؤنا   بَلايـا عليهـا كلَّ يـوم سِلابُها[1]
تنام فتقضي نوْمـة الليــل عِرسُه   وأُمُّ سعيــدٍ مـا تنــامُ كلابُها[2]
فإن نحــن لم نغضب لهم فنُثِيبُهم   وكلّ يــدٍ مُــوفٍ إلينـا ثوابُها
فنحنُ بنــو اللائــي زعمتُم وأنتم   بنــُو مُحصنـاتٍ لم تدنّسْ ثِيابُها

صوت[3]

[من مجزوء الوافر]

أَلا للّهِ دَرُّك مِــنْ   فتــى قَــوْمٍ إذا رَهِبُوا
وقالوا : بمَنْ فَتًى للحَرْ   بِ يَرقُبنـــا ويَرْتقِبُ[4]
فكنتَ فتاهــمُ فيهــا   إذا يُدعــى لهـا يثِبُ[5]
ذكرتُ أُخــي فعاودَني   صُداعُ الرَّأْس والوَصبُ[6]
كما يعتــادُ ذاتُ البَــوِّ   بعــد سُلوّهـا الطّربُ[7]
فدمْعُ العيْن مــن بُرحا   ءِ ما في الصَّدرِ يَنسَكِبُ
كما أُودى بمـــاء الشَّنَّةِ   المخْـــروزَةِ السَّرَبُ[8]
على عَبْدِ بــن زُهرة طُو   لَ هــذا اللّيــلِ أكتئبُ

الشعر لأبي العِيال الهُذليّ والغناء لمعبد ثقيل أوّلُ بالخِنْصر في مجرى الوُسْطى عن إسحاقَ وابن المكّي وغيرهما ممّا لا يشكّ فيه من صنعته . وفي الثالث والرابع من الأبيات لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ ، ومن النّاس مَنْ ينسبُه إلى معبد أيضاً . وفي الأوّل والثّاني والثّالث لمعْبد أيضاً خَفيف رمل بالوسطى ، عن عمْرو بن بانة ، وذكر الهشاميُّ وحمّاد بن إسحاق أنّه لابن عائشة ، وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش .

1 بدّن : ضخام من السمنة . وبلايا : جمع بلية ، وهي النائحة . والسلاب : ثياب الحزن .
2 الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترِد في متن القصيدة في الديوان وأُلحقت في الزيادات .
3 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : 424–426 مع اختلاف في الترتيب .
4 للحرب في أشعار : للثغر .
5 الشطر الثاني في أشعار : إذا تدعى لها تثب .
6 أشعار : رداع السقم والوصب . والرداع : النُكس أو معاودة المرض . والوصب : التعب من المرض .
7 ذات البَوّ : الناقة التي مات ولدها فحُشي جلده لترأمه . والطرب : خفة وضيق في النفس .
8 الشنة : القربة الخلق الصغيرة . والسرب : ما سال من الماء .

[536] ـ أخبار أَبي العيال ونسبه[1]

أَبو العيال بنُ أَبي عَنترة ، وقال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : ابنُ أَبي عنبرَ بالباء[2] ، ولم أَجِدْ له نَسَباً يتجاوز هذا في شيء من الرِّوايات . وهو أحدُ بني خُناعةَ بن سعد بنِ هُذَيْل ، وهذا أكثر ما وجدتـه مِنْ نَسبه . شاعرٌ فصيحٌ مُقدَّم ، من شُعراء هُذَيْل ، مُخضرَم ، أدرك الجاهليّة والإسلام ، ثم أسلم فيمنْ أسلم من هذيل ، وعُمِّرَ إلى خِلافةِ معاوية .

وهذه القصيدة يرثي بها ابنَ عمِّه عبدَ بنَ زهْرة ، ويقال : إنّه كان أَخاه لأُمِّه أيضاً .

[يصف معركة فبكا معاوية]

أَخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ فيما قرأْتُه عليه من شِعر هُذَيْل ، عن الرِّياشيّ ، عن الأصمعيّ . ونَسَختُ أيضاً خبره الذي أذكره من نُسْخَةِ أَبي عمرو الشَّيبانيّ قالا : كان عبدُ بنُ زُهْرَةَ غزا الرّومَ في أيّامِ معاوية .

وقال أَبو عمرو خاصّةً : مع يزيد بن مُعاوية في غَزاتِه التي أغزاه أَبوه إيّاها ، فأُصيبَ في تلْك الغَزاةِ جماعةٌ من المسلمين من رؤسائِهم وحُماتهم ، وكان شوكةُ الرُّوم شديدةً ، قُتِل فيها عبدُ العزيز بنُ زُرارةَ الكلابيُّ ، وعبدُ بنُ زُهْرة الهذليُّ وخَلْقٌ من المسلمين ، ثم فتح الله عليهم . وكان أَبو العيال حاضراً تلك الغَزاة فكتب إلى مُعاوية قصيدة قَرأَها وقُرئَت على النّاس ، فبكى النّاسُ وبكى معاويةُ بكاءً شديداً جَزَعاً لما كتَب به .

والقصيدة[3] : [من الكامل]

مِنَ ابي العِيال أَخي هُذَيْلٍ فاعْلَموا ... قـولي ولا تتجمجَمُوا ما أُرسِلُ[4]
أَبلِغ مُعاويــةَ بــنَ صَخــْرٍ آيــةً ... يَهــوِي إليه بهــا البَرِيدُ الأَعجلُ
والمرءَ عَمــراً فأْتــهِ بصحيفةٍ ... مِنِّي يَلُــوح بهــا كتابٌ مُنْمَلُ

لا تتجمْجَمُوا : لا تكْتموا . والمُنْمَل : كأَنَّ سُطُورَه آثارُ نَمل .

1 ترجمة أَبي العيال الهذلي في الشعر والشعراء : 560 والإصابة 7 : 143 وشرح أشعار الهذليين 2 : 405 .
2 شرح أشعار الهذليين : ابن أَبي غثير ، وقال الأصمعيّ : ابن أَبي عثير .
3 أشعار : 433–435 مع اختلاف في الترتيب .
4 فاعلموا في أشعار : فاسمعوا .

وإلى ابنِ سَعْدٍ إنْ أُؤخِّرْه فقَد | أَزرَى بنا في قَسْمه إذْ يَعْدِلُ[1]
وإلى أُولي الأحْلام حيثُ لقيتَهُم | أهـلِ البَقِيَّةِ والكتابُ المُنْزَلُ[2]

في ديوان الرَّجل : حَيثُ البَقيّة والكتاب المُنزل .

أنَّا لقِينـا بعـدكم بدِيارنـا | من جانب الأمراجَ يوماً يُسأَلُ[3]
أمراً تَضيقُ به الصُّدُورُ ودُونَه | مُهَجُ النُّفوسِ وليس عنه مَعْدِلُ
في كلِّ مُعتَركٍ تَرى مِنّـا فتًى | يَهْـوي كعزلاءِ المَزادةِ تُزغِلُ[4]

تزغِل : تَدفع دَفْعاً .

أو سَيِّداً كَهْـلاً يَمُور دِماغُه | أو جانِحاً في رأس رُمْح يَسْعُلُ[5]

يَسْعل : يَشْرَقُ بالدَّم .

وتَرى النِّبالَ تَعِيرُ في أقْطارِنـا | شُمْساً كأنَّ نِصالَهُـنَّ السُّنْبُلُ
وتَرى الرِّماح كأنّما هي بَيْنَنا | أشْطانُ بئرٍ يُوغِلُـون ونُوغلُ
حتى إذا رَجَبٌ تولَّى فانْقَضى | وجُمادَيان وجاءَ شهْرٌ مُقْبلُ[6]
شعْبان قَدَّرْنـا لوَقْتِ رَحِيلِهم | تِسعاً يُعَدّ لهـا الوفاءُ وتَكمُلُ
وتَجرَّدت حرْبٌ يكونُ حِلابُها | عَلَقاً ويَمرِيها الغَوِيُّ المُبطِلُ[7]
فاستقْبَلُوا طرفَ الصَّعيدِ إقامةً | طوْراً وطوراً رِحْلَـةً فتحمَّلُوا[8]

[خصامه مع بدر بن عامر]

قال الأصمعيُّ وأبو عَمرو : وكان أبو العيال وبدرُ بنُ عامر ، وهما جميعاً من بني خُناعة بنِ سعْدِ بنِ هُذَيل يسكُنانِ مِصْرَ ، وكانا خرَجا إليها في خلافةِ عمرَ بنِ الخطّابِ رِضوانُ الله عليه ، وأبو العِيالِ معه ابنُ أخ له . فبينا ابن أخي أبي العيال قائِم عند قوم

1 يعدل : يحيد عن الحق .
2 البقية : المرجع الحسن في المروءة والدِّين .
3 يسأل : يسأل عنه لشدّته .
4 عزلاء المزادة : فمها . وتزغل : تدفع بالدم .
5 يمور : يذهب ويجيء . جانح : داني الصدر .
6 تولّى في أشعار : تجلى .
7 العلق : الدم . يمريها : يدرها حتى تحلب .
8 الصعيد : التراب . تعير تذهب كذا وكذا . وفي شرح أشعار الهذليين : فتنقلوا .

ينتَضِلونَ إذْ أصابَه سهْم فقتله ، فكان فيه بعضُ الهَيج ، فخاصَم في ذلك أبو العيال ، واتَّهَم بَدْرَ بن عامر ، وخشي أن يكون ضِلَعُه مع خُصَمائِه ، فاجْتَمعا في ذلك في مجلِسٍ فتناثًا فقال بدرُ بنُ عامر[1] : [من الكامل]

بَخِلت فُطَيْمـةُ بـالذي تُولِيني ... إلاّ الكـلامَ وقـلّ مـا يُجدِيني
ولقدْ تَناهى القلبُ حـين نهيتُـه ... عنهـا وقـد يَغـوي إذا بَعصِيني
أفُطَيْمُ هـل تدْريـن كم من مَتلفٍ ... جـاوزتُ لا مرعًى ولا مسكونِ

يقول فيها :

وأبُو العِيـال أخِي ومَنْ يَعْرِضْ له ... منكم بسُوءٍ يـؤْذِني ويَسُوني
إنِّي وجـدتُ أبا العِيالِ ورهْطَه ... كالحِصْنِ شُدَّ بجَنْـدَلٍ مَوْضُونِ[2]
أعْيـا الغَرانيقَ الدّواهـيَ دونه ... فتركْتَـهُ وأبَـرّ بـالتّحْصينِ[3]
أسدٌ تفِـرُّ الأُسْدُ مـن وثباتِه ... بِعـوارض الرُّجّـاز أو بِعُيـونِ[4]
ولِصَوْتِـه زَجَـلٌ إذا آنستَـه ... جَـرَّ الرّحـى بشَعيرِه المطْحونِ[5]
وإذا عدَدْتَ ذوي الثّقات وجدتَه ... مِمَّـنْ يَصُـولُ بـه إليَّ يميني

فأجابه أبو العيال فقال : [من الكامل]

إنّ البَـلاء لـدي المَقاوس مُعرِض ... مـا كان من غَيْبٍ ورجْم ظُنُونِ

في الديوان : لدى المقاوس مخرجٌ : والمِقْوَس الحبْلُ الذي يُمَدّ به على صُدُور الخيْل أي فَما كان عِنْدَه من خيْرٍ أو شرٍّ فسيَخْرُجُ عند الرِّهان والعدْوِ .

وإذا الجوادُ وَنى وأخلف مِنْسَراً ... ضُمُـراً فـلا تُوقِنْ لـه بيقين[6]
لـو كان عِنْدَك مـا تقُولُ جعلتَني ... كنزاً لرِيْبِ الدّهْـرِ غيرَ ضَنين[7]

1 أشعار : 407–423 .
2 أشعار : كالحصن شيد بآجر موضون . وموضون : مرصوص .
3 أبرّ : غلب . أي هذا الحصن أعيا المجانيق .
4 من وثباته في أشعار : من عروائه ، وهي القشعريرة من الحمى . الرجاز وعيون موضعان .
5 آنسته : رأيته . وفي أشعار الهذليين : بجرينها المطحون ، والجرين : ما طحنته .
6 ونى : ضعف . وأخلق منسراً : أي جماعة الخيل .
7 غير ضنين في أشعار : غير ظنين .

ولقد رمَقْتُك في المَجالس كلِّها فإذا وأَنت تُعِينُ مَنْ يَبغِيني[1]
هَلاَّ درأْت الخَصْم حين رأَيتَهم جَنَفاً عليَّ بأَلسُنٍ وعُيونِ
وزجرتَ عَنِّي كلّ أَشوَس كاشِح تَرِع المقالةِ شامِخ العِرْنِينِ[2]

فأَجابه بدْرُ بنُ عامر فقال : [من الكامل]

أَقسمتُ لا أَنسى مَنيحَةَ واحدٍ حتى تَخَيَّط بالبَياض قُروني[3]
حتى أَصير بمسْكنٍ أُثوي بهِ لِقرارِ مُلْحَدَةٍ العَداء شَطُونِ[4]
ومنَحْتَني جَدّاء حين منحتني شَحَصاً بمالِئَة الحِلاب لَبُونِ[5]

الشَّحَصُ : ما لَيْس فيه لبنٌ من المالِ .

وحبَوتُك النُّصْح الذي لا يُشْتَرى بالمالِ فانْظُر بعْدُ ما تَحبُوني
وتأَمَّلِ السِّبتَ الذي أُحذُوكه فانْظر بمثل إمامِه فاحذُوني[6]

فأَجابه أَبو العيال : [من الكامل]

أَقسمتُ لا أَنسى شبابَ قَصيدةٍ أَبداً فما هذا الذي يُنسيني[7]
وَلَسوف تَنْساها وتعلم أَنّها تَبعٌ لآبيةِ العِصابِ زَبُونِ[8]
ومَنَحْتَني فَرضِيتَ رأيَ مَنيحَتي فإذا بِها واللهِ طيفُ جُنُونِ[9]
جهراءُ لا تأْلو إذا هي أُظْهرَت بَصَراً ولا من حاجةٍ تُغْنِيني[10]
قَرِّب حِذاءَك قاحلاً أَو لَيِّنا فتمنَّ في التَّخْصِيرِ والتّلْسينِ[11]

1 رمقتك : رميتك ببصري خفية . والواو في «وأنت» مقحمة كقولهم : ربّنا ولك الحمد .
2 أشعار : كل أبلخ ، والأبلخ : الأهوج الفخور . وكاشح : مبغض . وترع : عجل بقول السوء ، أو كثير المقالة جاهل .
3 المنيحة : المعارة . ويقصد هنا القصيدة . وتخيط بالبياض قروني : يبدو الشيب في رأسي .
4 المسكن هنا : القبر . والعداء : الصخر . وشطون : معوج .
5 جداء : لا لبن فيها .
6 السِّبت : النعال المدبوغة .
7 أشعار : لا أنسى مقال .
8 زبون : تدفع برجليها ، أي تتبع أخرى .
9 أشعار : حين منحتني . . . فإذا بها وأبيك .
10 جهراء : لا تبصر في الشمس . وأشعار الهذليين : ولا من عيلة .
11 أشعار : قافلاً بدل قاحلاً . . . والتليين بدل والتلسين .

وارجع منِيحتَـك التي أَتْبعْتهـا هُوْعـاً وَحَـدَّ مُذلَّـقٍ مسْنُونِ[1]

ولهما في هذا المعنى نقائض طوالٌ يطولُ ذكرُها ، وليست لها طُلاوةٌ إلاّ ما يُستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة ، وإنّما ذكرتُ ما ذكرت هاهنا منها لأنّي لم أجِد لهذا الشاعر خبراً غير ما ذكرتُه .

صوت

[من الوافر]

أَلَـم تسأَل بعارمـةَ الدِّيـارا عـن الحَـيِّ المفارق أين سارا
بـلى ساءلتُهـا فأَبَـتْ جوابـاً وكيف سُؤالك الدِّمَن القفارا

الشعر للرّاعي[2] والغِناءُ لإسْحاق خفيف ثقيلٍ أوَّل بالبنصر عن عمرو بن جامع وإسحاق .

1 الهوع : القيء ، أو العداوة . والمذلق والمسنون : المحدد .
2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 140-151 .

[537] ـ نسب الراعي وأخباره وخبر ابنه جندل[1]

[نسبه]

هو عُبيد بنُ حُصين بنِ مُعاوية بن جنْدل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارِث بن نُمَير بن عامر بن صعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصفةَ بن قيْس بن عيْلان بن مُضَر . ويُكنى أبا جَنْدل ، والرّاعي لقب غلب عليه ، لكثرة وصفه الإبل ، وَجوْدة نعْته إيّاها . وهو شاعرٌ فحل من شعراء الإسلام ، وكان مُقدَّماً مُفضَّلاً حتى ، اعترض[2] بين جرير والفرزْدق ، فاستكفَّه جرير فأبى أن يكُفَّ ، فهجاه ففضحه .

وقد ذكرتُ بعضَ أخباره في ذلك مع أخبار جرير ، وأتْممتها هنا .

[يمدح سعيد بن عبد الرحمن]

وقصيدةُ الرّاعي هذِه يمدَح بها سعيدَ بنَ عبد الرّحمن بن عَتَّاب بن أُسيد بن أبي العِيص بن أُميَّة ، وفيها يقُول : [من الوافر]

تُرجِّـي مـن سَعيدِ بني لُؤيٍّ ... أخـي الأعْيـاص أنـواءً غِزارا
تلقَّـى نَوْأهُـنَّ سِرارَ شَهْرٍ ... وخَيرُ النَّوءِ مـا لقي السِّرارا
خَليـلٌ تعْـزُبُ العِـلاَّتُ عنه ... إذا مـا حـانَ يوماً أن يُزارا
متى مـا تأْتِـه ترجُـو نداهُ ... فلا بُخْلاً تَخافُ ولا اعْتِذارا
هو الرَّجلُ الذي نَسبت قُريشٌ ... فَصار المجدُ فيها حيْثُ صارا
وأنضـاءٍ أُنِخْـنَ إلى سَعيدٍ ... طُروقـاً ثـم عَجَّلن ابْتِكارا[3]
على أكْوارِهِـنَّ بنُـو سَبيلٍ ... قليـلٌ نَوْمُهـم إلاّ غِرارا[4]

---

1 ترجمة الراعي النميري في الشعر والشعراء : 320–327 وطبقات ابن سلام : 502–521 والمؤتلف : 177–178 وخزانة البغدادي 3 : 150–151 والسمط : 49 وحيث وردت ترجمة جرير ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع ديوانه راينهرت فايبرت (بيروت ـ 1980) كما جمعه نوري حمودي القيسي وهلال ناجي وعلى الأولى نعتمد .

2 ل : اعتن .

3 أنضاء : جمع نضو ، وهو البعير المهزول .

4 بنو السبيل : الغرباء .

حَمِدْنَ مَـزاره ولقِين منـه عَطاءً لم يكـنِ عِدَةً ضِمارا

[تفضيله الفرزدق على جرير]

أَخبرَني عليّ بن سُليمان الأَخْفش قال : حدَّثنا الحسن بن الحسين السكّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال : وذكره المغيرة بن حَجْناء قال : حدّثني أبي عن أبيه قال : كان راعي الإبل يقضي للفرزْدق على جرير ويُفضِّله ، وكان راعي الإبل قد ضَخُم أمرُه ، وكان من أشعَرِ النّاس ؛ فلمّا أكثرَ من ذلك خرج جريرٌ إلى رجال من قومه فقال : ألا تَعْجَبون لهذا الرّجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ويُفضِّله وهو يهجُو قومه وأنا أمدَحُهم ؟ قال جرير : ثم ضربتُ رأيي فيه ، فخرجتُ ذات يوم أُمشي إليه . قال : ولم يرْكَب جريرٌ دابَّته ، وقال : والله ما يسرّني أن يعلم أحدٌ بسيْري إليه . قال : وكان لراعي الإبل وللفرزْدق وجُلسائهما حلقةٌ بأعلى المِربد بالبصْرة يجْلسُون فيها . قال : فخرجتُ أتعرَّض لها لألقاه من حِيال حيثُ كنتُ أراه .

ثم إذا انْصرَف من مجلسه لقِيتُه ، وما يسُرّني أن يعلم أحدٌ ، حتى إذا هو قد مرَّ على بَغلة له ، وابنه جنْدل يسير وراءه راكباً مُهراً له أحْوى محذُوف الذَّنب وإنْسانٌ يمشي معه ويسأله عن بعض السَّبب . فلمّا استْقبلتُه قلت له : مرحباً بك يا أبا جنْدل . وضربتُ بشمالي إلى مَعرفة بغلته ، ثم قلتُ : يا أبا جنْدل ، إنَّ قولك يُستْمَع ، وإنّك تفَضِّل عليَّ الفرزْدق تفْضيلاً قبيحاً ، وأنا أمدحُ قومَك وهو يهجُوهم ، وهُو ابنُ عمِّي ، وليس منك ، ولا عليْك كُلفَة في أمري معه ، وقد يكْفيك منْ ذلك هيِّنٌ ، وأن تقُولَ إذا ذُكِرْنا : كلاهما شاعرٌ كريم ، فلا تحمل منه لائمة ولا منّي . قال : فبَينا أنا وهو كذلك ، وهو واقفٌ عليَّ لا يَردُّ جواباً لقولي ، إذ لحق بالرّاعي ابنُه جنْدل ، فرفع كرمانيّةً معهُ ، فضرب بها عجُز بَغْلته ، ثم قال : أراكَ واقفاً على كلْب بني كُلَيْب ، كأنّك تخشى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً ، فضرب البَغلة ضربةً شديدة ، فزحمتْني زحمةً وقعت منها قلنْسوتي . فوالله لو يَعُوج عليَّ الرّاعي لقلتُ : سَفيهٌ غويٌّ ، يعني جندلاً ابنه ، ولكنّه لا والله ما عاج عليَّ ، فأخذتُ قلنْسوتي فمسحْتُها وأعدتُها على رأسي وقلتُ : [من الوافر]

أَجندلُ مـا تَقـولُ بَنو نُمَيْر إذا ما الأَيرُ في اسْتِ أَبيك غابا

قال : فسمِعتُ الرَّاعي يقول لابنه : أَما والله لقد طرحتَ قلنسوتَه طَرْحةً مشؤومة . قال جرير : ولا والله ما كانت القلنْسُوةُ بأغْيظَ أمره إليَّ لو كان عاج عليَّ .

[معاناة جرير في النظم]

فانصرفَ جريرٌ مُغضَباً حتى إذا صلَّى العِشاء ومَنزلُه في عُلِّيَّة قال : ارفعوا إليَّ باطية من نَبيذِ ، وأسْرِجُوا لي ، فأسرَجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ فجعل يُهينم فسمعَتْه عجوزٌ في

الدّارِ . فطلعتْ في الدَّرجة حتى إذا نَظرتْ إليه فإذا هو على الفِراش عُريان لَما هُو فيه . فانحدرت فَقالتْ : ضيفُكم مجْنُون ، رأيتُ منهُ كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذْهبي لِطِيَّتِك ، نحْنُ أعلم به وبما يُمارس . فما زالَ كذلِك حتّى كان السَّحَرُ فإذا هو يُكبّر ، قد قالَها ثمانينَ بيتاً ، فلمّا بَلَغَ إلى قوله :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فـلا كَعْبــاً بَلغْتَ ولا كِلابا

فذاكَ حِين كَبَّر ، ثم قال : أخزَيْتُه واللهِ أخزَيْتُه ورَبِّ الكَعْبة ثم أصبح ، حتى إذا عَرَف أنَّ النّاسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبد . وكان جريرَ يعرِف مجلس الرّاعي ومجْلس الفرزدق . فدعا بِدهن فادّهن وأصلح وجهه وكشفَ رأسَهُ ، وكان حَسَن الشّعَر ، ثم قال : يا غلامُ أسرِجْ لي ، فأسرَجَ له حصاناً ، ثمّ قَصَدَ مَجْلِسَهم ، حتّى إذا كان بمَوْضع السّلام ، لم يُسلّم ، ثم قال : يا غُلام ، قُل لعُبَيْد الرّاعي : أبَعَثَتْك نِسْوتُك تُكْسِبُهنّ المال بالعراق ؟ والذي نفسُ جَرير بيده ، لترجِعَن[1] إليهنَّ بما يسوؤهنّ ولا يسرّهنّ . ثم اندفع في القصيدة فأنشدَها . فنكَّس الفرزدقُ رأسَهُ ، وأطرَقَ راعي الإبل ، فلو انشقَّتْ لهُ الأرضُ لساخَ فيها ، وأرَمّ القومُ[2] ، حتى إذا فرغ منها ، سار ، فوثب راعي الإبل من ساعته فركِبَ بغلَتَهُ بِشَرٍّ وعَرٍّ[3] . وتفرَّق أهلُ المجلس ، وصَعَد الرّاعي إلى منزله الذي كان ينزله ، ثم قال لأصحابه : رِكابَكم ركابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضحكم والله جَرير . فقال له بعضُهم : ذلك شؤمُك وشؤم جَنْدل ابنك . قال : فَما اشتغلوا بشيء غير تَرحّلهم . قالوا : فسِرْنا والله إلى أهلِنا سَيراً ما ساره أحد ، وهم بالشُّرَيْف[4] ، وهو أعلى دار بَني نُمَيْر ، فحلف راعي الإبلِ أنّهم وجَدُوا في أهلِهم قَوْلَ جَرير :

فغُضَّ الطَّرْف إنَّكَ من نُميرٍ

يَتناشَدُه النَّاس ، وأقسَمَ بالله ما بَلَغه إنسان قَطّ ، وإنَّ لجرير لأشياعاً من الجِنّ . فتشاءمت به بنو نُمَير ، وسَبّوه وسبُّوا ابنه ، فَهُم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم .

[أخزاه وفضحه]

وأخْبَرني بهذا الخبرَ عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ ، قال : حدَّثني النّضْر بنُ عَمْرو ، عن أبي

---

1 ل : لتؤوبن .

2 أرم القوم : سكتوا .

3 عر : شدّة .

4 الشريف : أرض بني نمير .

عُبيدةَ بمثله أو نَحْو منه ، وقال في خبره : أَجِئتَ تُوقِر إبلَكَ لِنِسائِكَ بُرّاً وتَمْراً ؟ واللهِ لأحملَنَّ إلى أعجازها كلاماً يبقى مِيسَمُه عليهنّ ما بقي اللّيلُ والنّهار يَسُوءك وإيّاهُنّ استماعُه .

وقال في خَبرِه أيضاً : فلمّا قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ

وثَبَ وثْبَةً دَقَّ رأسَهُ السَّقفُ ، فجاءَ له صوتٌ هائِلٌ ، وسمعت عجوزٌ كانت ساكِنَة في عُلْو ذلِكَ الموضع صوتَه ، فَصاحَتْ : يا قَوْم ، ضَيفُكم واللهِ مَجْنونٌ . فجئنا إليه وهو يَحبُو ويقول : غَضَضْتُه واللهِ ، أخزَيتُه واللهِ ، فضحتُه وربِّ الكعْبة ، فقلت له : ما لك يا أبا حَزرَة ؟ فأنشدَنا القصيدةَ ، ثم غَدا بها عليه .

[الحجاج يسأل جريراً : ما لك وللراعي]

وذَكَر ابنُ الكلبيّ ؛ عَنْ النَّهشليّ ، عَنْ مِسْحَل بنِ كُسيب ؛ عن جرير في خَبرِه مع الحجَّاج لمّا سأله عمّن هجاهُ من الشُّعراء قال : قال ليَ الحجّاج : ما لكَ وللرّاعي ؟ فقُلْتُ : أيـّها الأمير ، قَدِم البصرة ، وليس بيني وبينهُ عَمل ، فبلَغني أنّه قال في قصيدةٍ له : [من الكامل]

يا صاحبيّ دنا الرّواحُ فَسِيرا غَلَب الفرزْدقُ في الهِجاء جرِيرا

وقال أيضاً في كلمةٍ له : [من الوافر]

رأيتُ الجَحْشَ جَحْشَ بني كُلَيبٍ تَيَمَّـم حَـوْض دِجلة ثـم هابا

فأتيتُه وقُلتُ : يا أبا جَنْدَل ، إنّكَ شيخُ مُضَر ، وقد بلَغَني تَفضِيلُك الفرزدق عليّ ، فإن أنصفْتَني وفضَّلتني كنتُ أحقَّ بذلك ، لأنـّي مَدحتُ قومَك وهجاهم .

وذكر باقي الخبر نحواً ممّا ذكرهُ مَن تقدَّم ، وقال في خبره : فقلتُ له : إنَّ أهلَكَ بَعثُوكَ مائِراً ، وبئس واللهِ المائرُ أنت ، وإنّما بَعَثَني أهلي لأقعدَ لهم على قارِعَةِ هذا المِرْبد ، فلا يَسبُّهم أحدٌ إلاّ سببته ، فإنَّ عليَّ نَذْراً إنْ كَحَلْتُ عينيْ بغمْضٍ حتى أخزيَك ، فما أصبحتُ حتّى وفَيْتُ بيميني . قال : ثم غدوتُ عليه فأخذْتُ بعِنانِه ، فما فارقَني حتى أنشدتُه إيّاها ، فلمّا بَلَغت قولي :

أَجَنـدلُ مـا تَقولُ بَنُو نُمَيْرٍ إذا ما الأَيرُ في اسْتِ أَبيكِ غابا

قال : فأرسلَ يدي ثم قال : يقولون شَرّاً واللهِ .

[توقع الفرزدق لبيت جرير]

أَخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفش ؛ قال : حَدَّثَني محمد بنُ الحَسن بنِ الحَرُون قال : قال أَبو عُبيدة : أَنشد جريرٌ الرّاعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر ، فلمّا بَلغ فيها قوله :

بهــا بَرَصٌ بأسفل إسكَتَيْها

غَطّى الفرزدق عنْفَقَتَه بِيَدِه ، فقال جرير :

كَعَنْفقةِ الفَرَزْدَق حينَ شابا

فقال الفرزدق : أَخزاكَ الله ، والله لقد علمتُ أنّكَ لا تَقولُ غيرَها . قال : فسمع رجل كان حاضراً أبا عُبيدة يُحدِّث بها ، فحلفَ يميناً جزْماً أنَّ الفرزدق لقَّن جريراً هذا المِصْراع بتغطية عنْفَقته ، ولو لم يَفعل لما انتبه لذلك ، وما كان هذا بيتاً قاله مُتقدِّماً ، وإنّما انتبه لذلك .

[قتله الكمد من الهجاء]

أُخبرنا أَبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بنُ سَلاَّم قال : أُخبرني أَبو الغرّاف قال : الذي هاج التَّهاجي بين جرير والرّاعي أنَّ الراعي كان يُسْأل عن جرير والفرزدق . فيقول : الفرزْدَق أكرمُهُما وأشعرُهما ؛ فلقيه جرير فاسْتعْذره من نفسه .

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم ، وزاد فيه : أَنَّ الرّاعي قال لابنه جَنْدل لّما ضرب بغْلته : [من الوافر]

أَلَم تَــرَ أَنَّ كلبَ بَني كُليبٍ أُراد حِياضَ دِجلــةَ ثــم هابا

ونفرَتْ البغلةُ فزحمتْهُ حتى سقطتْ قلنْسُوة جرير . فقال الرّاعي لابنه : أَما والله لتكُونَنَّ فعلَةً مشؤومة عليك وليهجونِّي وإيّاك ، فليتهُ لا يُجاوزُنا ولا يذكر نِسْوتنا . وعَلِم الرّاعي أنّه قد أساءَ وندِم ، فتزعم بنو نمير أنّه حَلَفَ ألاّ يُجيب جريراً سنة غضباً على ابنه ، وأنّه مات قبل أن تمضي سنة . ويقول : غير بني نُمَير : إنّه كَمِد لّما سمعها فمات كمداً .

[معترف لجرير بالغلبة]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ وأَبو الحسن عليّ بن سُليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا أَبو سعيد السّكريّ ، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعْدان ، عن أبي عُبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل ، وأخبرنا به أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أَبي البيداء قالوا جميعاً :

مرَّ راكبٌ بالرّاعي وهو يَتَغَنَّى : [من الطويل]

وَعاوٍ عَوى من غير شيءٍ رميتُه بقافيــةٍ أُنفاذُهــا تقطرُ الدَّما
خَروجٍ بأَفْــواهِ الرُّواة كأَنّها قَرا هُندُوانيٌّ إذا هُــزَّ صمَّما

فسمعها الرّاعي فأتبعهُ رسُولاً ، وقال له : مَنْ يقول هذين البيتين ؟

قال جرير ، فقال الرّاعي ، أَؤلام أَن يغلبني هذا ؟ والله لو اجتمع الجنُّ والإنْسُ على صاحب هذين البيتين ما أَغنوا فيه شيئاً .

قال ابنُ سلام خاصَّة في خبره : وهذان البيتان لجرير في البَعيث ، وكذلك كان خبره معه ، اعترضه في غير شيء .

[لا يحتذي ولا يعارض]

أخبرنا أبو خليفة قال : أخبرنا محمد بنُ سلاّم ، قال : كان الرّاعي من رجال العَرب ووُجوه قومه ، وكان يُقالُ له في شعره : كأنّه يعتسِفُ الفلاةَ بِغَيرِ دليل ، أي أنّه لا يحتذي شعرَ شاعر ، ولا يعارضُه ، وكان مع ذلك بذِيّاً هجّاءً لعشيرته ، فقال له جرير : [من الوافر]

وَقَرْضُكَ في هَوازانَ شرُّ قرضٍ تهجُنُهـم وتَمْتَـدِح الوِطابا

[نسب بامرأة من بني عبد شمس]

أخبرنا أبو خليفة ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ سلاَّم قال : قال أبو الغَرّاف : جاوَرَ راعي الإبل بَني سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم ، فنَسَب بامرأةٍ منهم من بَني عبد شَمس ، ثم أحد بني وابشيّ ، فقال[1] : [من الطويل]

بَني وابِشيٍّ قد هَوِينا جوارَكُم وما جمَعتْنا نِيَّـةٌ قبلها معا
خَلِيطَيْن من حَيَّين شتَّى تجاورا جَميعاً وكانا بالتّفرّق أمتعا[2]
أَرى أهلَ ليـلى لا يبالي أميرُهم على حالة المحزُون أن يَتصدّعا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

صوت

تذكَّر هـذا القلبُ هِنـدَ بني سَعْدِ سَفاهاً وجَهْلاً مـا تَذكَّر مـنْ هِنْدِ
تذكَّـر عَهـداً كان بَيْنـي وبَيْنَهـا قديما وهل أبقت لك الحربُ من عَهدِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثَّقيل الأوّل بالوُسْطى ، وذكر الهشاميُّ أنّه لنَبيه ، وذكر قمري وذُكاء وَجْهِ الرَّزَّة أنّه لبنان .

قال ابنُ سَلاَّم : فلمّا بلغَهم شِعرُه أزعجُوه ، وأصابوه بأذًى ، فخرج عنهم وقال فيهم[3] : [من الوافر]

أَرى إبِـلي تكـالأ راعِياهـا مخافَةَ جارِها الدَّنِسِ الذَّميمِ[4]

1 ديوان الراعي : 165–166 .

2 من حيَّين في الديوان : من شعبين .

3 ديوان الراعي : 252 .

4 الشطر الثاني في الديوان : مخافة جارها طبق النجوم .

وقد جاورتُهم فرأيت سَعْداً شَعاعَ الأمرِ عازبةَ الحُلُومِ
مَغانيم القرى سَرقاً إذا ما أجنَّتْ ظُلمةُ اللَّيلِ البَهيمِ[1]
فأمّي أرضَ قوْمك إنَّ سعْداً تحمّلت المخازِيَ عن تَميمِ

[قدومه على عبد الملك]

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاَّم، عن عبدِ القاهر بنِ السَّريِّ، قال: وفَد الرّاعي إلى عبدِ الملك بنِ مرْوان، فقال لأهل بيته: تزوَّجُوا إلى هذا الشيخ فإنّي أراهُ مُنجباً.

[جندل يدافع عنه]

أخبرنا محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريْد قال: حَدَّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال: قدِم جَندلُ بنُ الرّاعي على بلالِ بن أبي بُرْدة، وقد مَدحهُ، وكان يُكثِر ذكرَ أبيه ووصفه، فقال له بلال: أليس أبوك الذي يقول في بِنْتِ عمِّه، وأُمُّها امرأةٌ من قومه[2]: [من الطويل]

فلمّا قضتْ من ذي الأراكِ لُبانَةً أرادَتْ إلينا حاجةً لا نُريدُها

وقد كان بعد هِجاء جرير إيّاه مُغلَّبا؟ فقال له جندل: لئن كان جريرٌ غلبه لما أمسك عنه عَجزاً، ولكنَّه أقسم غَضَباً عليَّ ألاّ يُجيبه سنةً، فأين أنت عن قوله في عديّ بنِ الرّقاع العامليّ[3]: [من البسيط]

لو كنتَ من أحدٍ يُهجى هجْوتُكم يا ابن الرّقاع ولكن لستَ من أحدِ
تأبى قُضاعةُ لم تعرِفْ لكم نسباً وابنا نِزارٍ وأنتم بيضةُ البَلدِ[4]

قال: فضَحِك بلالٌ وقال له: أمّا في هذا فقد صدقْت.

[لا يطلب حاجة لنفسه]

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ وعمِّي قالا: حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ، قال: حدَّثنا محمد بنُ عبد الرّحمن، عن ابن عائشةَ قال: لمّا أنشد عُبيدُ بنُ حُصين الرّاعي عبدَ الملك بنَ مرْوان قوله[5]: [من البسيط]

فإنْ رفعتَ بهم رأساً نَعْشتَهمُ وإن لَقوا مثلَها من قابلٍ فسدُوا

1 سرقاً في الديوان: سرفٌ.
2 ديوان الراعي: 94 وفيه «من ذي الإناء».
3 ديوانه: 79.
4 بيضة البلد: مثل. ورد في مجمع الأمثال للميداني (صادر) 1: 269.
5 ديوانه: 66.

قال له عبدُ الملك : فتريد ماذا ؟ قال : تَرُدّ عليهم صدقاتهم فتنعشَهُم ، فقال عبد الملك : هذا كثير ، قال : أنت أكثر منهُ ، قال : قد فعلتُ ، فسلني حاجةً تخصّك ، قال : قد قَضيْتَ حاجتي . قال : سل حاجَتَك لنفْسِك ؟ قال : ما كُنت لأفسد هذه المكرُمة .

[بنو سعد يعطونه مال العنبري]

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سَعِيد الهمذاني قال : حَدَّثنا يحيى بنُ الحسن العلوي ، قال حدَّثنا إسماعيل بنَ يعقوب ، عن عثمان بنُ نُمَيْر ، عن أبيه قال : كنتُ عند العبّاس بن محمد في يوم شاتٍ ، فدخل عليه مُوسى بنُ عبد الله بن حسن ؛ فقال له العبّاس بنُ محمد : يا أبا الحسن ، ما لي أراك مُتغَيّراً ؟ فقال له موسى : والله إنِّي لأعْرق ممّا كان اليوم ؛ قال : وما كان يا أبا الحسن ؟ فقال : ذاكَ أنّ أمير المؤمنين أخرج لي وللعبّاس بنِ الحسَن خمسين ألفاً : للعبّاس منها ثلاثون ألفاً ، والله ما أجد لي ولكُم مثلاً إلاّ ما قال أخو بني العنبَر ، وجاورَ هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مَناة ، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذُوا مالَ العنْبريّ فأعطوه الرّاعي ، فقال العنبرِيّ في ذلك : [من الطويل]

أَيُقطَع مَوْصولٌ ويُوصَل جانـب   أسعدُ بنَ زَيْدٍ عَمرَكِ اللهُ أجملي
فإنّا بـأَرْضٍ هاهُنـا غير طائـل   مَتى تَعلفوا بالرّغم والخسْف نأكُلِ

قال : فقال له العبّاس : إنّكم نازعتُم القوم ثوبَهم . وكان عبّاس وأهلُه أعواناً له على حذيَّةٍ منكم ، ومع ذلك فعبّاس الذي يقول لبنت حيدة المحاربيّة يرثيها : [من الوافر]

أتتْ دُونَ الفِـراش فأبشرَتْنا   مصيبتنا بأخـت بنـي حُدادِ
كأَنَّ المـوت لا يعني سِوانا   عشيّة نحوهـا يحـدُوه حادِي
فـإنَّ خليفــةَ اللهِ المُرَجَّـى   وغيثَ النّاس في الإزَم الشِّدادِ
تطـاول ليلــهُ فعداك حتَّى   كأنَّك لا تَثـوب إلى مَعادِ
يظَلّ ، وحقّ ذاك ، كأنَّ شَوْكاً   عليه العينُ تطْرِف من سُهادِ
فليتَ نُفوسَنا حَقّـاً فدَتْهـا   وكلّ طَرِيـف مـالٍ أو تِلادِ

وجندل بن الراعي شاعر ؛ وهو القائل ، وفي شعره هذا صنعة : [من الطويل]

صوت

طلبْت الهوى الغَوْرِيّ حتى بلغتُه   وسيّرت في نجديّـةٍ مـا كفانيا
وقلت لحِلمي لا تنزعنّي عن الصِّبا   وللشَّيبِ لا تذْعَـر علـيَّ الغَوانِيا

الشعر لجَنْدل بن الرّاعي ، والغِناء لإسحاق خَفيف ثقيل بالبِنْصَر ؛ عن عمرو من جامع إسحاق . وقال الهشاميّ : وله فيه أيضاً ثاني ثقيل ، وهو لحن مشهور ، وما وجدناه في جامعه ، ولعلّه شذَّ عنه أو غلط الهشاميّ في نسبته إليه ، وقال حبش : فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل .

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني أبو عبدِ الله الهشاميّ قال : قال إسحاق : قال أبو عبيدة : كانت لجَنْدل بن الرّاعي امرأةٌ من بني عُقَيل ، وكان بخيلاً ، فنظر إليها يوماً وقد هُزِلت وتخدَّد لحمها ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

عُقَيليَّــة أمَّا أعــالي عِظامِها فعُــوجٌ وأمّا لحمهــا فقليلُ

فقالت مُجيبةً له عن ذلك : [من الطويل]

عُقيلِيَّة حَسْناء أزرى بلَحْمِها طعامٌ لديــكَ ابنَ الرّعاء قليلُ

فجعل جندل يَسبّها ويَضربُها وهي تقول : قلتَ فأجبتُ ، وكذبتَ فصدَّقْتُ ، فما غضَبُك ؟

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أصبح الحبـلُ مــن سَلا مــةَ رَثّــاً مُجَـذَّذا
حَبَّـذا أنــتِ يــا سلا مــةُ ألفيْــن حبَّــذا
ثــم ألفيْــن مُضْعفيَــ ــن وألفَيْــن هكــذا
في صميم الأحشاء مِنّي وفي القلبِ قــد حَـذا
حــذوَةً مــن صَبابــةٍ تركتْـــه مُفلَّـــذا[1]

الشعر لعمَّار ذي كُبار والغِناء لحَكم الوادي هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ . قال الهشاميُّ وذكر يحيى المكي أنّه لسليم الوادي لا الحكم .

1 مفلذا : مقطعا .

[538] ـ أخبار عمار ذي كبار ونسبه[1]

هو عَمّار بن عَمْرو بن عبدِ الأكبر يُلَقَّب ذا كُبار ، هَمْدانيٌّ صَلِيبَةً ، كُوفيّ ، وجدتُ ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحَزَنْبل .

وكان لَيِّن الشِّعر ماجِناً خِمِّيراً مُعاقِراً للشراب ، وقد حُدَّ فيه مَرّات ، وكان يَقُول شعراً ظريفاً يُضحَك من أكثره ، شديد التّهافُت جَمّ السخف ، وله أشياء صالِحة نذكرُ أجودَها في هذا الموضع من أخباره ومُنْتَخب أشعاره ؛ وكان هو وحمّاد الراوية ومُطِيعُ بن إيّاس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترِقُون ، وكلّهم كان مُتَّهماً بالزَّنْدَقة .

[يلازم الكوفة]

وعمّار ممَّن نشأ في دولة بني أُميّة ، ولم أُسمع له بخبر في الدّولة العبّاسيّة ، ولا كان مع شَهْوة النّاس لشِعره ، واستطابتهم إيّاه ينتجع أحداً ولا يَبرح الكُوفةَ لعشاء بَصَره وضَعْف نظره .

فأخبرني محمدُ بنُ مزيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرّاوية ، وأُخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال : حدَّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية ، ولفْظ الرجلين كالمتقارب قال : استقدمني هشامُ بن عبد الملك في خِلافته ، وأمر لي بِصِلةٍ سنيّةٍ وحُمْلان[2] فلمّا دخلتُ عليه استنشدني قصيدةَ الأفوهِ الأوديّ[3] : [من البسيط]

لنــا معاشِرُ لم يَبْنُــوا لقومِهِــمُ وإن بَنى قومُهم ما أَفسَدُوا عادُوا

قال : فأَنشدتُه إيّاها ، ثم استَنْشَدَني قولَ أبي ذُؤَيْب الهُذَليّ :

أَمِنَ المَنون ورَيْبِـها تَتَوجَّعُ

فأَنشدتُه إيّاها ، ثم استَنْشَدَني قولَ عدِيّ بن زَيْد :

أَرواحٌ مودِّع أَم بُكور

1 لعمار ذي كبار ترجمة في الوافي 22 : 396 وذكره الأستاذ محمود محمد شاكر في حاشية طبقات ابن سلام (360) باسم عمار ذو كنار وفي فهرست الطبقات عمار ذو كناز .

2 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

3 ديوان الأفوه الأودي (صادر) : 64 .

فأنشدته إيّاها ، فأمر لي بمنزل وجراية ، وأقمتُ عنده شهراً ، فسالني عن أشعار العرب وأيّامها ومآثرها ومحاسنِ أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده ، ثم أمر لي بجائزة وخِلعة وحُملان ، وردَّني إلى الكوفة ، فعلِمْتُ أنّ أمرَه مُقبِل .ثم استقدمَني الوليد بن يزيد بعده ، فما سألني عن شيء من الجِدِّ إلاّ مرَّة واحدة ، ثم جعلتُ أُنشِده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه ، ولا يَهَشّ إلى شيء منه ، حتى جَرَى ذكر عمّار بن ذي كبار فتشوَّقه وسأل عنه ، وما ظننت أنّ شِعر عمّار شيء يُرادُ أو يُعبأُ به . ثم قال لي : هل عندكَ شيءٌ من شعْره ؟ فقلت : نعم أنا أحفظ قصيدة له ، وكنت لكثرة عبثي به قد حفِظتُها ، فأنشدتُه قصيدتَه التي يقولُ فيها : [من مجزوء الخفيف]

حَبّــذا أنتِ يــا سلا مــةُ ألفــين حَبّذا
أَشتَهِي مِنْكِ مِنْكِ مِنـ ـكِ مكانــاً مُجَنْبَذا[1]
مُفعَمــاً في قُبالــةٍ بــين رُكْنــين رَبَّذا
مُدغمــاً ذا مناكــب حسنَ القَدِّ مُحْتَذى
رابِيــــاً ذا مَجَسَّة أَخْنساً قـــد تَقَنْفَذا
لم تَـــرَ العــينُ مِثلَه في منــامٍ ولا كَــذا
تامِكــاً كالسّنـام إذْ بُـــذَّ عنـــه مُقَذَّذا[2]
مِلء كَفّــيْ ضَجيعِها نـــال منهـــا تَفَخُّذا
لــو تأَمَّلتَــه دُهِشْـ ـتَ وعايَنْتَ جِهْبِذا[3]
طيّب العَرف والمجَسّ ـــة واللّمس هِرْبِذا[4]
فأجـا فِيــه فيــه فيـ ـــه بأيــرٍ كمِثْل ذا[5]
ليتَ أيري ولَيْت حِـ ـــرْك جَميعــاً تآخَذا
فأَخذَ ذا بِشعْـــر ذا وأخـــذ ذا بقَعْــر ذا

قال : فضحِك الوليد حتى سقط على قَفاه ، وصَفّق بِيَدَيْه ورجْلَيه ، وأَمَر بالشراب فأُحضِر ، وأمرني بالإنشاد ، فجعلتُ أُنشدِه هذه الأبيات وأُكرّرها عليه ، وهو يَشرَب ويُصَفِّق

1 مجنبذ : مرتفع مستدير كالقبة .
2 تامك : ممتلىء مرتفع . ومقذذ : محلوق .
3 الجهبذ : الخبير بغوامض الأمور .
4 الهربذ : أحد القائمين على بيت النار عند المجوس .
5 أجا : مخفف وجأ بمعنى دفع .

حتى سَكِر ، وأمر لي بحُلَّتين وثلاثين ألف درهم ، فقبضتُها . ثم قال لي : ما فَعل عمّار ؟ فقلتُ : حيٌّ كميّت ، قد عَشي بَصَرُه ، وضَعُف جسمُه ، ولا حَراك به . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فقلت له : ألا أخبِر أميرَ المؤمنين بشيء يفعَلُه لا ضَرَرَ عليه فيه ، وهو أحبُّ إلى عمّار من الدُّنيا بحذافيرها لو سيقت إليه ؟ فقال : وما ذاك ؟ قلت : إنّه لا يزال يَنْصَرِف من الحانات وهو سَكْران ، فترفَعُه الشُّرَط ، فيُضرَب الحدَّ ، فقد قُطِّع بالسِّياط ، وهو لا يَدَع الشَّرابَ ولا يكُفُّ عنه ؛ فتكتُب بألاّ يُعرَض له . فكتب إلى عامِلِه بالعِراقِ ألاّ يَرفع إليه أحد من الحَرَس عمّاراً في سُكْر ولا غيرْه إلاّ ضُرِب الرافعُ له حدّين وأطلق عمّاراً .

فأخذتُ المالَ وجئته به ، وقُلتُ له : ما ظننْتُ أنَّ الله يُكسب أحداً بشعْرك نقِيراً ولا يسأل عنه عاقل ، حتى كَسبتُ بأوضع شيءٍ قُلتَه ثلاثين ألفاً . قال : عزَّ عليَّ فذلِك لقلّة شكْرك يا ابن الزّانية ، فهات نصيبي منها . فقلت : لقد استغنيتَ عن ذلك بما خُصصتَ به ، ودَفعت إليه العشرة آلاف درهم . فقال : وَصَلَك الله يا أخي وجَزاك الله خيراً ، ولكنّها سَبَبُ هلاكي وقَتْلي ، لأنّي أشرب بها ما دام مَعي منها درْهم ، وأُضرَب أبداً حتى أموت . فقلت له : لقد كفيتك ذلك ، وهذا عهد أمير المؤمنين ألاّ تُضرَب ، وأن يُضرَب كلُّ مَنْ يرْفعك حدَّين . فقال : والله لأنا أشدُّ فرحاً بهذا من فرحي بالمالِ ، فجُزيت خيْراً من أخ وصديقٍ ؛ وقبض المالَ ، فلم يزل يشربُ حتى ماتَ ، وبقِيّتُه عنده .

[خلافه مع امرأته]

نسختُ من كتابِ الحزَنْبل المُشتمِل على شعر عمّار وأخبارِه : أنّ عمّاراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دُومَة بنتُ رَباح ، وكان يُكنّيها أُمَّ عَمّار وكانت قد تخلّقت بخُلُقه في شُرب الشَّراب والمُجُون والسَّفه ، حتى صارت تُدْخِل الرجالَ عليها وتَجمعُهم على الفَواحِش ، ثم حجَّت في إمارة يوسف بن عُمر ، فقال لها عمّار : [من الخفيف]

اتَّقــي اللهَ قــد حَجَجْتِ وتُوبي ... لا يكونَــنَّ مــا صَنَعْــتِ خَبَالا
ويلكِ يا دُومُ لا تَدُومي على الخَمْـ ... ـرِ ولا تُدْخِـلي عليـكِ الرِّجالا
إنَّ بالمِصْــر يوسُفــاً فاحذَريـه ... لا تَصِيري للعالمــين نَــكالا
وثَقِيــفٌ إن تَثْقَفَنْــك بحــدٍّ ... لم يُساوِ الإهــابُ منك قِبالا[1]
قد مَضى ما مَضة وقد كان ما كا ... ن وأُودى الشَّبابُ منــكِ فَزالا

1 القبال : سير في النعل بين أصابع القدم .

قال : فضربته دُومَة وخرّقَت ثيابه ، ونتفت لحْيَته ، وقالت : أتجعلني غرضاً لشعْرِك ؟ فطلّقها واشْترى جاريةً حَسناء ، فزادت في أذاه وضرْبه غِيرةً عليه . فشكاها إلى يوسفَ بن عمَر ، فوجَّه إليها بخدَم من خَدَمه ، وأمرهم بضَربها وكسْر نبيذِها ، وإغرامِها ثيابَ عمّار ، فَفَعلوا ذلك ، وبلغُوا منها الرِّضا لعمّار ، فقال في ذلك عمَّار : [من مجزوء الرمل]

إنّ عِـرسي لا هَداها ... اللهُ بنـــتٌ لِرَبـــاحِ
كلَّ يـوم تُفزع الجُلاَّ ... س منهـا بالصِّيـاحِ
ورَبوخٌ حـين تُؤْتـى ... وتَهَيّـــا للنِّكـــاحِ
كلبُ دَبَّـاغ عَقُـورٌ ... هـرَّ مـن بعـد نُباحِ
ولها لونٌ كدَاجي اللّيـ ... ـل مـن غير صَباحِ
ولسانٌ صـارِمٌ كالسّيـ ... ـفِ مَشحوذ النَّواحي
يقطَع الصَّخـرَ ويَفْرِيـ ... ـه كما تَفْرِي المَساحي
عجِّـل اللهُ خلاصـي ... مـن يديهـا وسَراحي
تُتعِبُ الصّاحِبَ والجا ... رَ وتَبغِي مَـنْ تُلاحِي
زَعمـتْ أنّي بَخيـلٌ ... وقد آخنى بن سَماحي
ورأت كَفِّـي صِفْـراً ... مـن تِلادي ولِقاحي
كذبَت بِنـتُ رَبـاح ... حـين هَمَّت باطِّراحي
حاتمٌ لـو كانَ حَيّـاً ... عاش في ظِـلِّ جَناحي
ولقـد أُهلكتُ مـالي ... في ارتياحي وسَماحي
ثـم مـا أُبقيتُ شَيئاً ... غيرَ زادِي وسِلاحـي
وكُمَيْتٍ بـين أشطا ... نِ جَـوادٍ ذي مِراحِ
يسبِقُ الخيـلَ بتَقْريبٍ ... وشَدٍّ كالرِّيـــاحِ
ثـم غـارَتْ وتَجَنَّت ... وأُجـدَّت في الصِّياحِ
لابْتِياعـي أملَحَ النِّسـ ... ـوان مـن فَيْءِ الرِّماحِ
دُميةُ المِحْـرابِ حُسْناً ... وحكَت بَيضَ الأَداحي
هيَ أَشهى لِصَدَى الظَّمـ ... ـآن مـن بـرد القَراحِ
قلـتُ : يـا دُومَةُ بِيني ... إنَّ في البَيْنِ صَلاحي

فأَنــا اليــوم طَلِيــقٌ   من إساري ذُو ارتِياحِ
لستُ عمَّن ظَفِرت كَفُّـ   ـي بهـا اليوم بِصاحِ
أَنـــا مَجْنـــون بِرِيـمٍ   مُخْطَفِ الخصر رَداحِ
مُشبَع الدُّملُجِ والخَلْخا   ل جَـــوَّالِ الـــوِشاحِ
إنَّ عَمَّــارَ بْــنَ عَمْرٍو   ذا كُبــارٍ ذو امْتداحِ
وهِجــاءٍ سارَ في النَّـ   ـاسِ لا يَمحُـوه ماحي
أَبداً مــا عاش ذُو رُوحٍ   ونُـــودِي بالفَـــلاحِ

[هجاء بائع الرؤوس]

قال : وكان لعمّار جارٌ يبيع الرّؤوس يقال له غُلامُ أَبي داود ، فطَرقَ عمّاراً قَومٌ كانوا يعاشرونه ويَدْعُونه فقالوا : أطعمنا واسقنا ، ولم يكن عِنْده شيءٌ يومئذٍ ، فبعث إلى صاحب الرؤوس يسأله أن يوجِّه إليه بثلاثة أرْؤُسٍ لِيُعْطِيَه ثمنَها إذا جاءه شيء ، فلم يفعل . فباع قميصاً له واشْترى للقَومِ ما يُصلِحُهم وشَرِبُوا عنده ، فلمّا أصبحَ القوم خرج إلى المحلّة ، وأهلُها مُجْتمِعون ، فأنشأ يقول : [من الهزج]

غُــلامٌ لأَبــي داو   دَ يُدْعــى سالقَ الرُّوسِ
وفي حُجْزَتِــه قَمْــلٌ   كأَمثـــالِ الجَوامِيسِ
فمَنْ ذا يشتري الرُّوسَ   وقد عَشَّشَ في الرُّوسِ
رُؤوسٌ قَـــد أُراحــت   كَـرُؤوسٍ في النَّواوِيسِ
تُحاكي أوجُـهَ المَوتى   وريحــاً كالكَرابِيسِ[1]
يُنقِّــي القمــل مِنهنَّ   إذا بـــاع بتَــدلِيسِ

قال : فشاعت الأبياتُ في النّاس ، فلم يقرُب أحدٌ ذلك الرجل ، ولا اشترى منه شيئاً ، فقام من مَوْضِعِه ذلك ، وعطَّلَ حانوتَه .

[يعتذر للأمير عن فجوره بعجزه]

قال : وحَضَر عمّار ذو كُبار مع هَمْدان لقَبض عَطائِه ، فقال له خالِدُ بنُ عَبْدِ الله : ما كُنتُ لأعطِيك شيئاً . فقال : ولِم أيُّها الأمير ؟ قال : لأنـّك تُنفِق مالَكَ في الخُمُورِ والفُجُورِ ، فقال : هَيهاتَ ذلِك ، وهل بقي لي أَرَبٌ في هذا وأنا الذي أقول : [من مجزوء الخفيف]

1 الكرابيس : جمع كرباس وهو المرحاض .

أيـرُ عمّـارٍ اصبحَ الـ ـيوم رِخْـواً قد انْكَسَرْ
أَلِداءٍ يُـرى بـه أم مـن الهمِّ والضَّجَرْ
أم بـه أُخـذَةٌ فقد تُطلِق الأُخـذةَ النُّشَرْ
فلئِـن كان قَوَّسَ اليـ ـومَ أو عَضَّـه الكِبَرْ
فَلقِدْماً قَضى ونـا ل مـن اللّـذَّةِ الوَطَرْ
ولقـد كُنـتُ مُنعِظاً أبـداً قائـمَ الذَّكَرْ
وأنا اليومَ لو رأى الحُو رَ عنـدي لما انْتَشَرْ
ساقـطٌ رأسُه عـلى خُصْيَتَيـه بـه زَوَرْ
كلّمـا سُمْتُـه النُّهو ضَ إلى كُـوَّةٍ عَثَرْ

قال : فضَحِك خالدٌ ، وأمر له بعَطائه ، فلمّا قَبضَه قَضى منه دَيْنَه ، وأصلَح حالَه ، وعاد لشأنه ، وقال : [من مجزوء الخفيف]

أصبحَ اليومَ أيرُ عمّارَ قـد قـامَ واسبَطَرّ
أخَـذَ الرِّزْقَ فاستَشا طَ قِيامـاً مـن البَطَرْ
فَهُـو اليـومَ كالشِّظا ظ من النَّعْظ والأَشَرْ
يترُك القِرنَ في المَكـ ـرّ صريعـاً ومـا فَتَرْ
يُشرِعُ العُـودَ للطِّعان إذا انصاع ذو الخَوَرْ
سَلْم نِعْمَ الضَّجيعُ أنـ ـتِ لنـا ليلَـةَ الخَصَرْ
لَيلَةَ الرّعـد والبـرو قِ مـع الغَيم والمَطَرْ
ليتَني قـد لَقِيتُكُـم في خَـلاءٍ من البَشَرِ
فنَشرنـا حَديثَنـا عِنْـدكم كُـلَّ مُنْتَشَرْ
خاليـاً ليلـةَ التَّمـا م بسَلْمى إلى السّحَرْ
فهـي كالدُّرّة النَّقِيّـ ـةِ والوَجـهُ كالقَمَرْ

[صديقه تركه يغرق]

قال : وخَرج عمّار في بَعضِ أسفارِه ، ومعه رجُلٌ يُعْرف بدَنْدان ، فلمّا بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ ، وأرادا العُبور فلم يَجِدا مَعْبراً . فقال له دَنْدان : أنا أعبُرك ، فنزل معه فلمّا توَسَّطا الفرات خلّى عنه ، فبعد جهدٍ ما نَجا ، فقال عمّار في ذلك : [من الرمل]

كادَ دَنْـدانُ بـأَن يجْعلني يـوم نابـاذ طَعاماً للسَّمَكْ
قُلْتُ : دَنْدانُ أَغِثْني فمضى وأنا أعلُـو وأَهْوِي في الدَّرَكْ
ولقـد أَوقَعنـي في وَرطَـة شَيَّبَتْ رأْسي وعاينْتُ المَلَكْ
لَيْتَ دَنْـدانَ بِكَفَّـيْ أَسدٍ أو قَتيـلاً ثاوِيـاً فيمَن هَلَكْ

[عند خالد القسري]

أَخبرني أبو الحسَن الأَسَديّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ صالح بن النطّاح ، عن أَبي اليَقظان قال : دَخَل عمّار ذُو كُبار على خالِدٍ القَسْريِّ بالكوفة ، فلمّا مَثَل بَين يَدَيه صاح به : أيُّها الأَمير : [من الخفيف]

أَخلقَتْ رَيْطتِي وأَودى القَميصُ وإزاري والبَطنُ طاوٍ خَميصُ

قال : خالد : فنَصْنَع ماذا ؟ ما كُلّ مَنْ أَخلقت ثيابُه كسَوْناه ، فقال :

وخَـلا منزِلي فـلا شيءَ فيـهِ لستُ مِمَّن يُخشى عليه اللُّصوصُ

فقال له خالد : ذلك من سُوء فعلِك وشُرْبِك الخمر بما تُعطاه ، فقال :

واستحلَّ الأَميرُ حَبْسَ عطائي خالـدٌ إنَّ خالـداً لحريصُ

فقال خالد وقد غضِب : على ماذا ثكِلتك أُمُّك ؟ قال :

ذو اجتهاد على العبادة والخَيْـ ـرِ ولكـن في رزْقنا تعْويصُ[1]

فقال : على ماذا تقْبِض العطاءَ ولا غناءَ فيك عن المسلمين ؟ فقال :

رخَّص اللهُ في الكتاب لذي العُذْ ر ومـا عنْـد خالدٍ ترْخِيصُ

فقال : أَو لم نرخِّص لذي العُذْر أَن يقيمَ ويبعث مكانه رسولاً ؟ فقال :

كلَّـف البائسَ الفقيرَ بديـلاً هل لـه عنه معْدل أَو مَحيصُ
العليلَ الكبيرَ ذا العـرَج الظا لـعَ أَعْشى بعيْنـه تلْحيصُ[2]
يـا أَبا الهيثَم المباركَ جُدْ لي بعطاء مـا شانـه تنغيصُ
وبرزقـي فإنّنا قـد رزحْنـا مـن ضَياعٍ وللعيال بَصيصُ
كبصيصِ الفرْخين ضمَّهُما العُشُّ وغاذِيهمـا أَسيرٌ قنيـصُ

1 تعويص : صعوبة وشدة .

2 تلحيص : التصاق جفني العين من الرمد .

قال : فَدَمعَتْ عَينا خالد ، فأَمر له بعطائِه .

وهذه الأَبياتُ من قصيدة يقول فيها : [من الخفيف]

وتَــرى البيتَ مُقْشَعِرّاً قــواءً مــن نواحيــه دَوْرقٌ وأَصيصُ[1]
وبِجـــادٌ مُمَـــزَّقٌ وخِـــوانٌ نَدَرت رجْلُــه وأُخرى رَهيصُ[2]
ولقــد كان ذا قوائـــم مُلسٍ تُوكل اللَّحْــمُ فوقــهُ والخَبِيصُ
شَطَنتْ هكــذا شوارِدُ بالمِصْــ ــر وعَنّــي لم يُلهِـه التَّرْبيصُ[3]
وتولَّـى في كلِّ بَحْـرٍ وبَــرٍّ همُّـهُ العَرسُ فيــه والتَّحصيصُ[4]
مُتعــالٍ عــليَّ آخــرُ مَحْبُـو رٌ يُغادِيــه بطّـــةٌ ومَصُوصُ[5]
وشِواءٌ مُلَهْـــــوَجٌ ورؤوسٌ وصُيُــودٌ قــد حازَهــا التَّقنيصُ
ثمَّ لا بُـــدَّ يلتقي الوزْن بالقِسْـ ـطِ لدى الحشْر فاحذَروا أَن يبُوصُوا[6]
أَكثِروا الملـك جانبـــاً واجْمعُوه سوف يُــودِي بذلـك التنقِيصُ

[مديح جزاؤه جبة ومائتا درهم]

ونَسختُ من كتاب الحَزَنبل : أنَّ عمَّاراً وقف على عاصم بن عقِيل بن جعْدة بن هُبيرة المخزوميّ فقال له : [من مجزوء الرمل]

عاصمٌ يا ابن عَقِيلٍ أَفسحُ العـــالم باعاً
وارثُ المجــد قديماً سامياً يَنمي ارتفاعا
عن هُبَيْرٍ وابنه جَعْـ ـدةَ فاحتــلّ التّلاعا

فقال له عاصم : أَسمعتَ يا عمَّار فقُلْ فقد أَبلغْتَ في الثَّناء ، فقال :

اكْسُني أَصلحك اللـ ـهُ قميصاً وصِقاعا[7]

1 قواء : لا أنيس فيه .
2 رهيص : واهن .
3 التربيص : المكث والانتظار .
4 العرس : الإقامة في الفرح . التحصيص : البيان والظهور .
5 المصوص : لحم ينقّع في الخلّ ويطبخ .
6 يبوصوا : يهربوا ويستتروا .
7 صقاع : ما يقي الرأس .

وأرحْني مـن ثيابٍ بالـيـاتٍ تتـداعى
طال تَرْقيعي لها حتـ ـى لقد صارتْ رِقاعا
كلُّها لا شيءَ فيها غيْر قَمْـلٍ تَتساعى
لم تزلْ تُولي الذي يَرْ جوك بِرّاً واصطِناعا

فنزع عاصمٌ جُبَّة كانت عليه ، وأَمر غلامهُ فجعل تحتها قميصاً ودَفعها إليه ، وأَمر لهُ بمائتي دِرْهم .

[ذاليته مضحكة رغم مرذولها]

فأَمَّا القصيدة الذَّاليّة ، التي استَحْسنها الوليد ، وسأَل حمّاداً الرَّاوية عنها فإِنَّها كثيرةُ المرذُولِ ، ولكنّها مُضْحكة طيِّبة من الشِّعر المرذُول وفيها يقول : [من مجزوء الخفيف]

أنتَ وَجْداً بها كَمُغْضِـ ـي جُفونٍ على القَذى
لم يقل قائـلٌ مـن النَّـ ـاس قـولاً كنحْو ذا
تحـت حـرٌّ وصلتهُ صار شعـراً مُهـذَّذا[1]
قَـوْل عمّـار ذِي كُبا رِ فيا حُسْنَ ما احْتَذى
علِّـلاني بذِكْرهـا واسْقيـاني مُحـذِّذا[2]
تتـركُ الأذن سُخنـةً أُرجُوانـاً بهـا خَذا[3]

[من صالح شعره]

ومن صالح شِعره قولُه : [من الهزج]

شجا قَلبـي غـزالٌ ذُو دَلالٍ واضـحُ السُّنَّهْ
أَسيلُ الخـدّ مَرْبوبٌ وفي مَنْطِقـهِ غُنّـهْ
أَلا إنَّ الغَـواني قـد بَـرى جِسْمي هَواهنَّهْ
وقالـوا : شَفَّك الحورُ هَوًى قلتُ لهـم : إنَّهْ
ولكنّـي عـلى ذاكَ مُعنَّـى بـأُذاهنَّهْ
أَراحَ اللهُ عمّـاراً مـنَ الدُّنيـا وَمِنْهنَّهْ

1 مهذذ : من الهذ وهو السرعة في القراءة .
2 المحذذ : السريع النفاذ .
3 الخذا : الاسترخاء .

بَعيــــداتٍ قَرِيبــاتٍ فــلا كان ولا كُنَّــهْ
فقد أذهل مِنِّـي العَقلَ والقلـــبَ شَجاهُنَّــهْ
يُمنِّــينَ الأَباطِيـــلَ وَيجْحَـدْن الـذي قُلْنَهْ

وقوله أيضاً : [من الكامل]

يــا دُومُ دام لنا صَلاحُكُم وسقاكِ ربِّــي صَفْـوةَ الدِّيَمِ
مــن كلِّ دانٍ مُسْبَـل هطلٍ مُتتابـعٍ سَحٍّ مــن الرِّهَـمِ[1]
تَرِدُ الوحُوشُ إليــه سارعةً والطيرُ أفواجــاً مــن القُحمِ[2]
قَلْقَلْتِ من وجْدٍ بكم كبدي وصَدعتِ صَدْعــاً غيرَ مُلتئِمِ
وترَكتنــي لعـــواذلي غَرضاً كاللَّحـم مُتَّرَكاً على الوَضَمِ[3]
بَرِحَ الخفاءُ وقد علمتِ بــه إنِّــي لحُبِّـــك غيرُ مُكتتمِ
أخفيتُــهُ حتَّى وهَــي جَلَدي وبَرى فؤادي واسْتباحَ دمي
يـــا أَحسنَ الثّقَلــين كلِّهـــم وأتمَّ مَـــنْ يخطُــو على قدَمِ
يَصبُو الحليــمُ لحُسْنِ بهْجتها ويزيـــــدُه ألمـــاً إلى ألمِ
تفترُّ عـــن سِمْطَيْن من برَدٍ مُتفلِّـجٍ عـــن حُسن مبتَسمِ
كالأقحـــوانِ لغِـــبِّ ساريةٍ جُنــحَ العشاءِ يُنيرُ في الظُّلَمِ
حُــمّ اللِّثاتِ يَـــرُوقُ ناظِرُه ما عِيبَ من رَوَقٍ ولا قَصَمِ[4]
تومــي بكفٍّ رَطْبةٍ خُضِبَتْ وأنامـــلٍ ينطُفــــن كالعَنَمِ
وبمقلـــةٍ حَــوْراءَ ساجيــةٍ وبحاجــبٍ كالنُّـــونِ بالقَلَمِ
والجيــدُ منهــا جيــدُ مُغزِلَةٍ تحْنو إلى خِشْفٍ بذي سَلَمِ[5]
وكدُميــــة المحــرابِ ماثلــة والفرْعُ جثْلُ النبت كالحُمَمِ[6]

---

1 الرهم : المطر الدائم .
2 القحم : جمع قحمة ، وهي القحط أو السنة الشديدة .
3 الوضم : ما يدق عليه اللحم .
4 الروق : طول الأسنان . والقصم : انكسار الثنية .
5 المغزلة : الظبية التي لها غزال صغير هو الخشف .
6 الجثل : الكثير الملتف .

وكأنَّ ريقتَهـــا إذا رقـــدت　　　راحٌ يفُـــوحُ بأَطيب النَسَمِ

[رواية أخرى لإنشاء ذاليته]

أَخبرني الحِرْميّ بنُ أَبي العلاء قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ أَحمد بن طالب الدِّيناريّ قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم المَوْصليّ ، قال : قال حمّاد الراوية : أرسلَ الوليدُ بنُ يزيد إليَّ بمائتي دينار : وأمرَ يُوسفَ بن عمر بحمْلي ، على البريد ، فقلتُ : يسألني عن مآثر طَرفيْه قريْشٍ أو ثقيفٍ ، فنظرتُ في كتابَيْ ثقيف وقريْش حتى حفِظتهما . فلمّا قدِمْتُ عليه سألني عن أشعار بليّ ، فأنشدته منها ما حفظته ، ثم قال لي : أنشدني في الشّرابِ ، وعنده قومٌ من وُجوه أَهل الشام . فأنشدتهُ لعمّار ذي كُبار : [من مجزوء الخفيف]

أُصبحِ القوْمَ قهوةً　　　في أَباريقَ تُحتَذى
من كميْتٍ مُدامةٍ　　　حبّذا تلـك حبَّذا
تتْرك الأُذْنَ شربُها　　　أرجُواناً بهـا خَذا

فقال : أَعِدها ، فأَعدتُها ، فقال لخدمه : خُذوا آذانَ القَوْم ، قال : فأُتينا بالشراب فسُقِينا حتى ما دَريْنا متى نُقِلنا ، ثم حُمِلنا فطُرِحنا في دار الضّيْفان ، فما أيقظنا إلاّ حرُّ الشَّمس . وجعل شيخٌ من أهلِ الشَّام يشتمني ويقول : فَعل اللهُ بك وفعَلَ ، أنتَ صنعتَ بنا هذا .

صوت

[من مجزوء الكامل]

شَطَّتْ ولم تُثِبِ الرَّبابْ　　　ولعلَّ للكَلِفِ الثَّوابْ
نَعِب الغُرابُ فراعَني　　　بالبينِ إذْ نعَب الغُرابْ

عروضه من الضرْب الثالث من العروض الثالثة من الكامل .

والشعر : لعبد الله بن مُصعب الزُبيريّ ، والغناءُ لحَكَم الوادي ، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

[539] ـ أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه[1]

[نسبه]

عبدُ الله بن مُصعَب بنِ ثابت بنِ عبد الله بن الزُّبير بن العوَّام بنِ خُوَيْلد بن أُسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب .

شاعِرٌ فصيحٌ خطيبٌ ذو عارضَة وبيان واعتبار بين الرجال وكلامٍ في المحافل ؛ وقد نادم أوائلَ الخلفاء من بني العبّاس ، وتولّى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمَن خرج من آل الزُّبير ، فلمّا قُتل محمد استتر عنه ، وقيل : بل كان استتارُه مدّة يسيرة إلى أن حجَّ أبو جعفر المنصور وأمّن النّاسَ جميعاً فظهر .

[المهديّ يعجب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار ، قال : حدَّثنا عمّي وفُلَيْح بن إسماعيل ، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال : دخلتُ على المهدي ، وإذا هو يكتُبُ على الأرض بفَحمةٍ قولَ عبدِ الله بن مُصعَب : [من الطويل]

فإنْ يَحجبُوها أو يَحُلّ دُونَ وصْلِها ... مَقالــةُ واشٍ أو وعيـــدُ أميرِ
فلن يمنعُوا عينيَّ مــن دائم البكا ... ولم يُخرجُوا ما قد أجنَّ ضميري
وما بَرِح الواشون حتى بدت لنا ... بُطُون الهــوى مَقلوبـــةً لظهُورِ
إلى اللهِ أشكُو ما ألاقي من الجَوى ... ومـــن نَفسٍ يعتـــادُني وزفيرِ

ويقول أحْسنَ واللهِ عبدُ الله بن مصعب ما شاء .

وهذه الأبياتُ تُنسب إلى المجنون أيضاً[2] ؛ وفيها بيْتان فيهما غناءٌ ليزيد حَوراء خفيف رمَل بالوُسطى من رواية عَمْرو بن بانة . ويُقال : إنّه للزُّبيْر بن دَحْمان ، وذكر حَبَش أنَّ فيهما لإسْحاق خفيف ثقيل أوّل بالوُسْطى .

---

1 ترجمة عبد الله بن مصعب الزبيريّ في نسب قريش : 250 وجمهرة نسب قريش : 334 وجمهرة أنساب العرب : 125 والمحبر لابن حبيب : 189 والمعارف : 224 ونور القبس : 114 وتاريخ خليفة : 414 وتاريخ الإسلام 5 : 38 والنجوم الزاهرة 10 : 311 .

2 انظر ديوان مجنون ليلى : 169 وديوان قيس لبنى (صادر) : 51 .

[هوى مع عزوف عن اللهو]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شبَّة ؛ قال : حدَّثني مُحمدُ بنُ الحسن بن زياد . ونسختُ هذا الخبر من كتابِ أبي سعْد العدَويّ ، عن أبي الطِّرمّاح مولى آل مُصْعب بن الزُّبير من أهل ضريَّة ، وروايته أتمّ .

أنّ عبد الله بن مُصعب لمّا وَلي اليمامة مَرَّ بالحوْأب يوماً ، وهو ماءٌ لبني أبي بكْر بن كلاب ، وهو الذي ذكره النبيُّ ﷺ لعائشة ، فرأى على الماءِ جاريةً منهم ، فهَوِيَها وهوِيته ، وقال : [من البسيط]

يا جُملُ للوالِهِ المستعبر الوصِبِ ماذا تضَمَّن من حُزْنٍ ومن نَصَبِ
أنَّى أُتيحَت لــه للحَيْن جارية في غيرِ مـا أمِمٍ منها ولا صَقَبِ[1]
جاريةٌ مــن أبي بكر كلِفتُ بها ممَّنْ يَحِـلُّ عن الحصّاء والحَوَبِ[2]
مـــن غير معرِفـــة إلاّ تعرُّضَها حيناً لذلـك إن الحيْـن مُجْتَلِبي
قامت تعرَّضُ لي عمداً فقلتُ لها يا عَمْركِ الله ، هل تدرين ما حسبي
بين الحواريّ والصِّدِّيق في نَسَبٍ ينهى عن الفُحش مثْلي غيْر مُؤتَشَبِ[3]
ولا أَدِبُّ إلى الجارات مُنسرِباً تاللهِ إنِّي لعِزهـــاةٌ عـــن الرِّيَبِ[4]

فخطبها ، وكانت العرب لا تُنكِح الرجل امرأة شبَّب بها قبل خِطبَته ، فلم يزوّجُوها إيّاه ، فلمّا يئست منه قالت : [من الطويل]

إذا خَدِرت رجلي ذكرتُ ابنَ مُصعبٍ فـــإن قيـــل عبدُ الله ، خفَّ فُتورُها
ألا ليتَني صاحبتُ ركْبَ ابنِ مصعَبٍ إذا مـــا مطايـــاه اتلأبَّتْ صدُورُها[5]
لقـــد كنتُ أبكـــي واليمامةُ دونَه فكيـــف إذا التفّت عليـــه قصورُها

قال أبو الطِّرمَّاح في خبره : وكان لها إخوةٌ شُرُس غُيُرٌ فقتلوها .

أُخبرنا ببعْض هذه القصّة ابنُ عمّار ، عن أحمد بن سُليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن أبي عمر الزّهريّ ، وذكر الشِّعريْن جميعاً والألفاظُ قريبة .

---

1 الصقب : الجوار .
2 الحوب : مخفف الحوأب .
3 غير مؤتشب : غير مختلط النسب .
4 العزهاة : العازف عن اللهو .
5 اتلأبت : استقامت .

[ملاحاة في حضرة المهدي]

وأخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد النّوفليّ عن أبي عمر الزّهْريّ ، قال : حدَّثني أبي : أنَّ عبد الله بن مُصعبْ خاصمَ رجلاً من ولد عُمَر بن الخطّاب بحضْرة المهديّ ، فقال له عبدُ الله بنُ مُصعَب : أنا ابنُ صفيَّة ، قال ، هي أدنتك من الظّلّ ولولاها لكُنتَ ضاحياً وكُنتَ بين الفَرْث والحويَّة[1] . قال : أنا ابنُ الحواريّ . قال له العُمَريّ : بل أنتَ ابنُ ورْدان المُكاريّ . قال : وكان يُقال : إنَّ أُمّه كانت تهْوى رَجلاً يكري الحمير يقال لهُ ورْدان ، فكان مَنْ يسُبّهُ يَنسبه إليه ، وقال فيه الشاعر : [من الطويل]

أتُدْعى حَواريّ الرَسول سَفاهةً وأنـتَ لوَردانِ الحميرِ سَليلُ

فقال : والله لأنّا بأبي أشبهُ من التمرة بالتمرة والغُرابِ بالغراب . قال له العمريّ : كذبتَ ، وإلاّ فأخبرني ما بال آل الزّبير ثُطّ[2] اللّحى وأنت ألحى وما لُهم سُمراً جِعاداً وأنت أحمرُ سَبْط ؟ قال : أليَ تقول هذا يا ابن قتيل أبي لؤلُؤة ؟ قال العُمريّ : يا ابن قتيل ابن جُرْمُوز على ضلالة ، أتُعيّرني أنْ قتل أبي رجل نصرانيّ وهو أميرُ المؤمنين قائماً يُصلّي في محرابه وقد قتل أباكَ رجلٌ مسلمٌ بيْن الصفّين يدفعه عن باطل ، ويدعوه إلى حقّ ؟ فأنا أقول : رحم الله ابنَ جُرْموزٍ ، فقل أنت : رَحِم الله أبا لؤلؤة ، ثم أقبل على المهديّ فقال : ألا تَسْمع يا أميرَ المؤمنين ما يقولُ عائِدُ الكلبِ في عمر بن الخطّاب ، وقد عرفْتَ ما كان بينه وبين أبيك العبّاس بن عبد المطّلب وابنه عبدالله من المودَّة ، وتَعْلَم ما بين جَدّه عبد الله بن الزّبير وبين جَدّك عبد الله بن العبّاس من العَداوة . فأعِن يا أميرَ المؤمنين أولياءَك على أعدائك . فوثب رجلٌ من آل طلحة فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألا تكفُّ هذين السّفيهين عن تناول أعراض أصحاب رسول الله ﷺ وآله . وتكلَّم النّاسُ بينهما وتوسّطوا كلامَهُما وأكثروا ، فأمر المهديّ بكفّهما والتفريق بينهُما .

[لقب عائد الكلب]

قال النّوفليّ : وكان عبدُ الله بن مُصْعَب يُلقَّب عائِدَ الكلب لقوله : [من الكامل]

مـا لي مَرِضْتُ فلم يَعُدْني عائِدٌ منكم ويَمْـرضُ كَلبُكـم فأعودُ
وأشدُّ مـن مَرضي عَلَيَّ صُدُودُكم وصُدودُ عَبْـدِكم عَلَـيَّ شَديدُ

فلُقِّب عائدَ الكَلْب .

---

1 الفرث : بقايا الطعام في المعدة . والحوية : ما تحوي الأمعاء .

2 ثط : جمع أثط ، وهو الخفيف اللحية .

قال ابنُ عَمَّار : هكذا حِفظي عن النَّوفليّ ، وقد يزِيدُ القَوْلُ وينقص .

لحَكَم الوادي في هذين البيتين اللذين أوّلُهما :

ما لي مَرضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ   منكم ويمرض كلْبُكم فأَعُودُ

لحنان خفيفُ ثقِيل بالوُسْطى ، عن إبراهيم وحَبَش ، ورَمَل بالوُسْطى عن الهشاميّ .

[يحسد شاعراً أُقبل عليه المهدي]

أَخبرنا أَحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني أَحمدُ بن سليمان بن أَبي شيخ ، قال : أَنشد الأُحيحيُّ المهديُّ قصيدةً مدَحَه بها ، وكان عبد الله بن مُصْعب حاضراً ، فحسدَه على إقبال المهديّ عليه ، وكان المهديّ يُحبّه ، فجعَل يخاطب المهديّ ويحدِّثه ، فقال له : أَمسِك فما يَشْغَلني كلامُك عنه ، فقطع الأُحيحيُّ الإنشاد ، ثم أقبل على المهديّ فقال له : [من المنسرح]

عبدُ منافٍ أَبُو أُبوَّتِنا   وعَبدُ شمْس وهاشمٌ تَوَمُ

بَحران خَرّ العوَّامُ بَيْنَهُما   فالْتَطَما والبِحارُ تَلْتَطِمُ

فقال له المهديّ : كَذاكَ هو ، فدَع هذا المَعْنى وعُدْ إلى ما كنت فيه ، وخَجِل عَبدُ الله فما انتفع بنفسه يومئذٍ .

قال ابنُ عمّار : فحدَّثني بعضُ شُيُوخنا قال : كُنتُ عند مُصْعب بن عبد الله الزُّبيْريّ يوماً وقد جرى ذكرُ الأُحَيحيّ ، فأَنشدتُه هذين البَيتَين ، فتغيَّر لونُه ، ثم قال لي : نعم ، قد كان خاطب أَبي بهما فأَمضَّه ، فلمّا قمنا عنه قال لي : ويْحَك ، أَتنشد رجُلاً كنت تتعلّم منه وتأخذ عنه هِجاءً في أبيه ؟ فقلتُ له : دعْني فإنِّي أحببتُ أن أَغُضَّ من كِبرِه قال : وكان في مُصعب بعضُ ذلك .

صوت

[من البسيط]

زارتْ سُلَيمى وكان الحيُّ قد رقَدا   ولم تَخفْ من عدوٍّ كاشِحٍ رَصَدا

لقد وَفَت لك سَلمى بالذي وَعدَت   لكنَّ عُقْبةَ لم يُوفِ الذي وَعَدا

عروضه من البسيط ، الشعر لابن مُفرّغ الحمْيريّ[1] ، والغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن أحمد بن المكّيّ ، وفيه لعواد لحن من كتاب إبراهيم غير مُجنّس .

---

1 ديوان ابن مفرغ : 107 عن الأغاني .

وقد تقدّمت أخبار ابن مفرّغ مُسْتَقْصاة فيما قبل هذا من الكتاب ، فاستغْنى عن إعادتها هاهنا وإعادة شيء منها ، إذ كان قد مضى منها ما فيه كِفاية ولله الحمد .

صوت

[من الكامل]

ما شأنُ عَينِك طَلَّـةُ الأَجفانِ ... مِمّـا تَفيض مريضة الإنسانِ
مَطْروفَةٌ تَهمي الدّموعَ كأنّها ... وشَلٌ تَشَلْشَل دائِـمُ التَّهتانِ[1]

الشعر لعُمارة بن عقيل ، والغِناء لمتيّم ثاني ثقيل بالوسطى .

1 الوشل هنا : الماء الكثير . وتشلشل : تقطر .

[540] ـ أخبار عمارة ونسبه[1]

[نسبه]

عُمارةُ هو ابنُ عقِيل بن بلال بن جرير بن عطيّة بن الخَطَفى ، وقد تقدّم نَسبُه ونَسبُ جدّه في أوّل الكتاب . ويُكْنى عُمارة أبا عقيل ، شاعرٌ مُقدَّم فَصِيح ، وكان يسكن باديةَ البصرة . ويزور الخلفاء في الدولة العبّاسيّة فيُجزلون صلتَه ، ويمدح قوّادهم وكتّابهم فيَحْظى منهم بكلّ فائدة ، وكان النحويُّون بالبصرة يأخذون عنه اللُّغة .

[مكانته في الشعر]

أخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش قال : سمعتُ محمد بن يزيد يقول : خُتِمت الفصاحَةُ في شعْر المُحْدَثين بعُمارة بنِ عَقيل .

أخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيّ ، والحسنُ بن عليّ ، والصُّوليُّ قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال : سمعتُ سَلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول : كان جدّي أبو عمرو يقول : خُتِم الشِّعرُ بذي الرُّمَّة ، ولو رأى جدِّي عُمارةَ بن عقيل لعَلم أنّه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرُّمَّة . قال العنزيّ : ولعَمْري لقد صَدَق .

وسمعتُ سَلْماً يقول : هو أشدُّ استواءً في شعره من جرير ، لأنّ جريراً سَقَط في شعره وضَعُف ، وما وجَدُوا لعمارة سَقْطةً واحدةً في شعره .

قال العنزيّ : وحدَّثني أحمدُ بن الحَكَمُ بنِ بشْر بن أبي عَمْرو بن العلاء قال : أتيتُ عُمارةَ أسأله عن شيءٍ أكتبُه عنه ، فقال لي : مَن أنت ؟ فقلتُ أنا ابنُ الحكَم بن بِشْر بن أبي عمْرو بن العلاء فقال لي : كان أبوكَ صَدِيقي ، ثم أنشدني : [من الوافر]

بَنى لكـــم العَلاءُ بِناءَ صِدْقٍ وتَعْمُرُ ذاكَ يا حَكَمَ بنَ بِشْرِ
فما مَدْحي لكم لأُصيب مالاً ولكن مَدْحُكُم زَيْنٌ لِشعْري

---

1 ترجمة عمارة بن عقيل في الشعر والشعراء (ترجمة جرير) وطبقات ابن المعتز : 316–319 والمرزباني : 78 وجمهرة أنساب العرب : 226 وألقاب الشعراء 1 : 453 ونزهة الألباء : 136 وخزانة البغدادي وتاريخ بغداد 5 : 276 وكتاب بغداد : 154 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقّق ديوانه شاكر العاشور ولكن لم يتيسّر لنا .

[الهجاء لا يقتل أحداً]

حدَّثني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا أَبو ذَكْوان قال : حَدَّثنا أَبو مُحَلِّم قال : هَجا عمارةُ بن عَقِيل امرأةً ، ثم أتته في حاجة بعد ذلك ، فجعل يعتذر إليها ، فقالت له : خَفِّض عليك يا أخي ، فلو ضَرَّ الهِجاءُ أحداً لقتَلك وقتل أباك وجدّك .

قال مؤلِّف هذا الكتاب : وكان عُمارة هَجَّاءً خَبِيثَ اللِّسان ، فهجا فروةَ بن حَمِيصَةَ الأسديّ وطال التّهاجي بينهما ، فلم يغلب أحدُهما صاحبَه حتى قُتِل فَرْوة .

وأَخبرني محمدُ بن يَحيى قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : قال لي عُمارة : ما هاجَيت شاعراً قطُّ إلاّ كُفِيتُ مؤونَته في سنةٍ أو أقلّ من سنةٍ ، إمّا أن يموت ، أو يُقْتل ، أو أُفحِمه ، حتى هاجاني أبو الرُّدَينيّ العُكليّ ، فَخنَقَني [1] بالهِجاء ، ثم هجا بني نُمَير فقال : [من الوافر]

أَتوعِدُني لِتَقْتُلني نُمَيرٌ مَتى قَتلتْ نُمَيرٌ مَنْ هجاها

فكفانِيهِ بنو نُمَيْرْ فقتَلوه ، فَقَتلت بنو عُكْل ، وهم يَوْمَئِذٍ ثلاثمائة رَجل ، أُربعة آلاف رجُل من بني نُمَير . وقتلت لهم شاعِرَيْن : رأسَ الكلْبِ وشاعراً آخر .

[المأمون يقف على ما وقع بينه وبين فروة بن حميصة]

أَخبرني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العبْدِيّ قال : حدَّثني عُمارة بنُ عَقِيل قال : كنتُ جالساً مع المأمون ، فإذا أنا بهاتفٍ يَهتِف من خَلفي ويقول : [من البسيط]

نَجَّى عُمارةَ منّا أَنَّ مُدَّتَه فيها تراخٍ ورَكْضُ السَّابحِ النَّقِلِ
ولو ثقِفْناه أُوهَيْنا جَوانِحَه بذابلٍ من رِماح الخَطِّ مُعْتَدِلِ
فإن أَعناقَكم للسَّيفِ مَجْلَبَة وإنَّ مالَكم المرعيَّ كالهَمَلِ [2]
إذ لا يُوطِّن عبدُ الله مُهْجَتَه على النِّزالِ ولا لِصّاً بَني حَمَلِ

قال : وهذا الشِّعر لفَرْوة بن حميصة فيَّ . قال : فدَخَلني من ذلك ما اللهُ يَعْلَمه ، وما ظَننتُ أنّ شعرَ فروَة وقع إلى مَنْ هُنالِك . ثم خرَج عليٌّ بنُ هِشام من المجلس وهو يَضْحَك ، فقلتُ : يا أبا الحَسَن ، أتفعل بي مِثلَ هذا وأنا صديقُك ؟ فقال : ليس عليك في هذا شيء . فقلت : من أين وقع إليك شعر فروة ؟ قال : وهل بَقِي كِتاب إلاّ وهو عِنْدي ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أهجى في دارِك وبحضرتك ؟ فضحك ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنصِفْني ، فقال :

---

1 ل : فخبثني .

2 علبة في ل : مختلة .

دَعْ هذا وأخبرني بخَبر هذا الرجلِ ، وما كان بينك وبينه ، فأنشدتُه قصيدتي فيه ، فلمّا انتهيت إلى قولي : [من الكامل]

مـا في السَّوِيّة أن تَجُرَّ عليهم وتكُونَ يوم الرَّوعِ أوَّلَ صادرِ

أعجب المأمونَ هذا البيتُ فقال لي المأمونُ : أهذه القصيدة نقيضه ؟ قلت : نعم ، قال : فهاتها . فقلت له : أوُذِي سمعي بلساني ؟ فقال : عليّ ذلك ، فأنشدتُه إيّاها ، فلمّا بلغتُ إلى قوله : [من الكامل]

وابنُ المَراغَة جاحِرٌ من خَوْفِنا بـادٍ بمنزلَةِ الذَّليـلِ الصَّاغِرِ
يَخْشى الرِّياحَ بأن تكونَ طليعةً أو أن تَحُـلَّ بـه عقوبةُ قادِرِ

فقال لي : أوجعكَ يا عُمارة ، فقلت : ما أوجعتُه به أكثر .

[بيت له يقضي على فروة]

أخبرني محمد قال : حدَّثني الحَسَن قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن آدم قال : حدَّثني عمارة قال : إنّما قَتل فروةَ قَولي له :

مـا في السَّوِيَّة أن تَجُرَّ عليهم وتكونَ يومَ الرَّوع أوَّلَ صادِرِ

فلمّا أحاطت به طيِّىء وقد كان في مَعاذٍ وموئل ، وكان كَثِيرَ الظَّفر بهم كثيرَ العَفْو عمَّن قَدَر عليه منهم ، فقالوا له : والله لا عَرَضْنا لك ولا أوصَلْنا إليك سوءا فامْضِ لِطِيَّتِك[1] ولكنّ الوِترَ معك فإن لنا فيهم ثأراً . فقال فروة : فأنا إذاً كما قال ابنُ المراغة :

مـا في السَّوِيَّة أن تَجُرّ عليهمُ وتكُونَ يَومَ الرَّوع أوَّلَ صادِرِ

فلم يزل يَحمل أصحابه ويَنْكِي[2] في القوم حتى اضْطَرّهم إلى قَتلِه ، وكان جمعُهم أضعافَ جمعه .

[يبالغ في وصف نفسه بالكرم]

أخبرني محمدُ قال : حدَّثني الحسن قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم قال : قِيل لعمارة : أقَتَلْتَ فَرْوة ؟ فقال : والله ما قَتَلتُه ولكنّي أقتلتُه أي سَبّبت له سبباً قُتِل بهِ .

أخبرني محمد قال : حدَّثنا الحسن قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : حدَّثني عُمارة قال : رُحْتُ إلى المأمون ، فكان ربّما قرَّب إليَّ الشيءَ من الشَّراب أشرَبُه بين يديه ، وكانَ يأمر بكَتْب كَثِيرٍ ممّا أقولُه ، فقال لي يوماً : كيف قُلت : قالت مُفَدّاة ؟ ونظر إليّ نظراً مُنكراً . فقلت : يا أمير

1 ل : لكلمتك .

2 ينكي : يقهرهم بالقتل والجرح .

المؤمنين ، مفدّاة امرأتي ، وكانت نظرت إليّ وقد افْتقَرت وساءت حالي ، قال : فكيف قُلتَه ؟ فأنشدته : [من البسيط]

قالــت مُفــدّاةُ لَمّــا أَنْ رَأَت أَرَقي والهــمُّ يَعْتــادُني مــن طيفِــه لَمَمُ
أنهبْت مالــكَ في الأدنَــين آصِرةً وفي الأَباعــد حتــى حَفَّــكَ العَدَمُ
فاطلب إليهم تَجِد ما كُنْت من حَسَنٍ تُسْدِي إليهم فقد ثابتْ لهم صِرَمُ[1]
فَقُلْت : عاذلتــي ، أكثرتِ لائِمتي ولم يَمُــت حاتِــمٌ هُـزْلاً ولا هَرِمُ

قال : فنظر إليَّ المأمونُ مُغضَباً وقال : لقد عَلَتِ هِمّتك أن ترقى بنفسك إلى هرم وقد خرج من ماله في إصلاح قومِه .

[يوسط عمرو بن مسعدة ليؤذن له بالانصراف]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : حدَّثنا عمارة قال : استَشْفَعْت بِعَلِيّ بن هشام في أن يؤذَن لي في الانْصراف ، فقال : ما أفعلُ ذلك لأنّك تُنشِد أمير المؤمنين إذا خلوتَ به وتُخبره عن وقائعك وفِعالِك ثم تُخبره أنّك مَظْلوم ، وقد أخذ هذا أميرُ المؤمنين عليك . ثم تذاكرنا فقال : أما تذْكُر أبا الرّازي حين أوقَعَ بقومك وأوقعوا به ، ثم تدخل على أمير المؤمنين مُغْضَباً فتقول : [من الطويل]

عَلامَ نِزارُ الخَيْل تَفْأى رُؤوسَنا وقد أَسلَمَتْ مــع النَّبِيّ نِزارُ[2]

وهي أبياتٌ قالها حين قتلهم أَبو الرّازيّ ، وكان عُمارة قد خرج من عند المأمون فنظر إلى رؤوس أصحابه ، فدخل فأنشد هذا البيت ، قال : وأكرهُ أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فيَجدُ على مَنْ كلّمه فيك ، فَعَلَيْـك بعمرو بن مسعدة وأبي عبّاد فإنّهما يكتُبان بين يدي أمير المؤمنين ، ويخلوان معه ويُمازحانه ، فأتيتُ أبا عبّاد فذكرتُ له التشوُّقَ إلى العيال ، وسألته الاستئذان . فصاح في وجهي وقال : مُقامك أحبُّ إلى أمير المؤمنين من ظعْنك ، وما أفعل ما يكْرهـه . فذهبتُ من فوري إلى عمـرو بن مَسْعـدة ، فدخلتُ عليه وهو يختَضبُ ، فشكوتُ إليه الأمر فقال : يا أبا عقيل ، لقد أذِنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد ، ولي حاجة ، قلت : وما هي ؟ قال : ألفُ درهم تُجْعل لك في كيسٍ تَشْتري بها عبداً يؤنسك في طريقك ، ولستُ أقصِّر فيما تحبّ . فتلعثمتُ ساعةً وتلكّأت ، فقال : حقّاً ، لئن لم تأخُذْها لا كلمتك ، فأخذتها وانصرفت وأنا أقول : [من الكامل]

---

1 صرم : جمع صرمة ، وهي القطعة من الإبل أو النخل .

2 فأى رأسه : فلقه .

عمــرُو بنُ مسعدةَ الكريمُ فَعالُه ... خَيرٌ وأَمجــدُ مــن أبــي عبّادِ
مــن لم يُزَمْزِمْ والداه ولم يكُن ... بالــرَّيِّ عِلْــجَ بِطارةٍ وحَصادِ
بَصَّرتُه سُبُلَ الرّشادِ فمــا اهتَدى ... لسبيلِ مكرُمــةٍ ولا لَــرَشادِ[1]
وعرفت إذ عَلِقَت يــدِي بعَنانِه ... أنّــي عَلِقت عِنــانَ غيرِ جَوادِ
لــو كان يعلم إذ يُشيحُ تَحَرُّقي ... في كلِّ مكرمــةٍ ولــين قيادِي
عرف المُصَدَّقُ رأيُــه أنّي امــرؤٌ ... يُفنــي العطاءَ طَرائفــي وتِلادِي
وأَصُون عِرْضِي بالسَّخاءِ وإن غدت ... غُبْرَ المحاجــرِ شُعَّثــاً أولادي

[بينه وبين السِّجستاني في اللغة]

أخبرني محمد بنُ يحيى قال : حدَّثنا العنزيّ قال : حدَّثني سلْم بنُ خالد قال : أنشدَ عُمارة قصيدةً له ، فقال فيها : الأرياحُ والأمطار ، فقال له أبو حاتم السِّجستاني : هذا لا يجوز ، إنّما هو الأرواح ، فقال : لقد جذَبَني إليها طبعي ، فقال له أبو حاتم ، قد اعترضه علمي ، فقال : أما تسمعُ قولَهم : رياحٌ ؟ فقال أبو حاتم : هذا خلافُ ذلك ، قال : صدَقْت ، ورَجع .

[يريد الخلعة مع السيف]

حدَّثنا محمدُ بنُ يَحيى قال : حدَّثنا الحسنُ ، قال : حدَّثنا العنزيّ ، قال : قَدِم عُمارةُ البصرةَ أيّام الواثق ، فأتاهُ علماءُ البصْرة وأنا معهم ، وكُنتُ غلاماً ، فأنشدهم قصيدةً يمدَحُ فيها الواثقَ فلمّا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

وبقِيتُ في السَّبعين أنهضُ صاعداً ... فمَضى لذاتــي كلُّهــم فَتشعّبُوا

بكى على ما مَضى من عُمْره . فقالوا له : أملها علينا ، قال : لا أفعلُ حتى أُنشِدها أميرَ المؤمنين ، فإنّي مدحتُ رجلاً مرّةً بقصيدة فكتبها منّي رجل ثم سبقني بها إليه . ثم خرج إلى الواثق فلمّا قدِم أتوه وأنا معهم فأملاها عليهم .

ثم حدَّثهم فقال : أدخلَني إسحاقُ بنُ إبراهيم على الواثق ، فأَمَر لي بخلْعةٍ وجائزةٍ ، فجاءَني بهما خادِمٌ ، فَقلتُ : قد بقي من خِلْعتي شيءٌ قال : وما بقي ؟ قلت : خلعَ عليّ المأمون خِلعةً وسيفاً . فرجع إلى الواثق فأخبره ، فأمره بإدخالي ، فقال : يا عُمارة ، ما تَصْنع بسَيْف ؟ أتريدُ أن تقْتل به بقيّة الأعراب الذين قتلْتَهم بمقالك ؟ قلتُ : لا والله يا أميرَ المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي باليمامة ، ربّما خانني فيه فلعلّي أُجرِّبه عليه .

---

1 ل : فما انتهى .

فضحك وقال : نأمرُ لك به قاطعاً ، فدفع إليّ سيفاً من سُيوفه .

[اتصاله بالمأمون]

أَخبَرنا الصُّوليُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلّبيّ قال : حدَّثني النّخعيّ قال : لمّا قَدِم عُمارةُ إلى بغدادَ قال لي : كلّم لي المأمون ، وكان النَّخعيُّ من ندماء المأمون ، قال : فما زِلتُ أُكلّمهُ حتى أوصلتُه إليه ، فأنشَده هذه القصيدة : [من الكامل]

حتّــامَ قلبُك بالحِسانِ مُوكّل ... كلِفٌ بهِــنَّ وهنَّ عنهُ ذُهّلُ

[يقدم غلاماً من ربيعة على شيخ بني تميم]

فلمّا فرَغ قال لي : يا نَخَعيّ ، ما أُدري أُكثر ما قال إلاّ أَن أقيسَه[1] ، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم : حدَّثني الصُّوليّ ، قال : حدَّثني الحسن ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن آدم العبديّ قال : كانت بنو تميم اجتمعت ببغداد على عُمارة حين قال شِعْرَة الذي يُقدِّم فيه خالدَ بنَ يزيد على تميم بن خُزيمة ، فقالوا له : قطَع الله رَحِمك وأهانَك وأذلّك ، أتُقدِّم غلاماً من ربيعة على شيْخٍ من بني تَميم ، تَميمِ بنِ خُزَيمة ، وهو مع ذلك من بيت تَميم ؟ ولاموه ، فقال : [من الطويل]

صَهُوا يـا تَميمُ إنَّ شَيبانَ وائـلٍ ... بطرفِهـم عنكـم أضنُّ وأَرغَبُ

أَإن سُمْت بِرْذَوناً بطِرفٍ غَضِبْتُم ... عليّ وما في السُّوقِ والسَّوْم مَغضَبُ

فإن أُكرمَتْ أو أنجَبت أُمُّ خالدٍ ... فزنــد الرِّياحِيِّين أُورى وأَثقبُ[2]

قال : ثمّ حدَّثنا عُمارة قال : قال لي عليّ بنُ هشامٍ ، وفيه عصبيّةٍ على العرب : قد علمتَ مكانك منّي ، وقيامي بأمرك ، حتى قرّبك أميرُ المؤمنين المأمون ، والمائة الألف التي وصلتك أنا سببُها ، وهاهنا من بَني عمّك مَن هو أقربُ إليك ، وأجدرُ أن يُعينني على ما قَبَل[3] أميرُ المؤمنين لك . فقلت : ومَن هو ؟ قال : تميمُ بنُ خُزيمة ، قال : قلتُ : آتيه . قال : وخالدُ بنُ يَزيد بن مزيد ، قلت : سآتيهما . فبعث معي شاكريّاً ، من شاكريّته ، حتى وقف بي على باب تميم . فلمّا نظر إليّ غِلمانُه أنكرُوا أمري . فدَنا الشّاكريُّ فقال : أعلِموا الأمير أنّ على الباب ابنَ جريرٍ الشّاعر جاء مُسلِّماً فتوانَوْا ، وخرجَ غُلامٌ أعرِف أنّه غُلامُ الأمير ، فحَجبني ، فداخلني من ذاك ما الله به عالِم . فقلتُ للشّاكريّ : أين منزل خالد ؟ فقال :

---

1 ل : أفتشه .

2 الرياحيين في ل : الخصينيين .

3 قبل : كفل .

اتْبعني فما كان إلاّ قليلاً حتى وقف بي على بابه ، ودخل بعضُ غلمانه يطلبُ الإذن ، فما كان إلاّ قليلاً حتى خَرج في قميصِه وردائِه ، يتْبعه حَشَمُه . فقال لي بعضُ القوم : هذا خالد قد أقبل إليك . قال : فأردت أن أنزل إليه ، فوَثَب وثبةً فإذا هو معي آخِذٌ بعَضدِي يُريد أن أتّكيء عليه . فجعلت أقول : جعلني الله فِداكَ ، أنزِل ، فيأبى حتى أخذ بعَضُدي ، فأنزلني وأدخَلني ، وقرَّب إليَّ الطعامَ والشراب ، فأكلتُ وشربت ، وأخرج إليَّ خمسة آلافِ درهم وقال : يا أبا عقِيل ، ما آكل إلاّ بالدَّين ، وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين ، فإن صحَّت لي ، لم أدَعْ أن أغنيك ، وهذه خمسة أثوابِ خزٍّ قد آثرتك بها ، كنتُ قد ادَّخرتُها . قال عُمارة ، فخرجتُ وأنا أقول : [من الطويل]

أأتركُ إن قلّت دَراهمُ خالدٍ ... زِيارتَه إنّي إذاً للئيمُ
فَليت بثوْبيه لنا كان خالدٌ ... وكان لبكرٍ بالثَّراء تَميمُ
فيصبح فينا سابقٌ مُتمَهِّلٌ ... ويُصبح في بكرٍ أغمُّ بَهيمُ
فقد يُسْلِع المرءُ اللئيمُ اصطناعهُ ... ويعتلُّ نقدُ المرءِ وهو كريمُ

قال اليزيديُّ : يُسْلع : أي تكثر سِلعَته . والسِّلعة : المتاع .

أخبرني الصُّوليُّ ، قال : حدَّثني الحسَنُ قال : حدَّثني محمد بنُ عبد الله قال : حدَّثني عُمارة قال : لّما بلَغ خالدَ بن يزيد هذا الشِّعرُ قال لي : يا أبا عَقيل ، أبلغك انَّ أهلي يرتضُون منّي ببدِيل كما رَضِيت بنو تميم بتميم بنِ خُزَيمة ؟ فقلتُ : إنمّا طلبتُ حظَّ نفسي وسُقْت مكرمةً إلى أهلي لو جاز ذلك ، فما زال يُضاحكني .

[أشدّ ما هجي به]

أخبرني الصُّوليُّ قال : حدَّثنا الحسن قال : سَمعْتُ عبدَ الله بن محمد النّباجيّ يقول : سَمعتُ عُمارةَ يقول : ما هُجيت بشيءٍ أشدَّ عليَّ من بيت فَرْوة : [من الكامل]

وابنُ المراغَةِ جاحِرٌ مِنْ خَوْفِنا ... بالوَشْم منزلةَ الذَّليلِ الصَّاغرِ

[مدح يوجب حقاً]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال : حدَّثني الحسنُ بن عليل العنزيّ ، قال : حدَّثني النَّباجيّ قال : لّما قال عُمارةُ يمدَح خالداً : [من الكامل]

تأبى خَلائِقُ خالدٍ وفَعالُه ... إلاَّ تجنّبَ كلّ أمرٍ عائبِ
فإذا حضَرْتَ البابَ عند غدائهِ ... أذِنَ الغَداءُ لنا برَغْم الحاجبِ

لقِيهُ خالدٌ فقال له : أوجبْتَ والله عليّ حقّاً ما حييت .

[هجاء الأشراف]

قال العنزيُّ : وسمعتُ سلْم بن خالد يقول : قلتُ لعُمارة : ما أجودُ شِعْرك ؟

قال : ما هجوْتُ بِهِ الأشرافَ . فقلت : ومَنْ هُم ؟ قال : بنو أسد ، وهل هاجاني أشرفُ من بني أسد ؟

قال العنزيّ : وحدَّثني أُبو الأشهب الأسديّ من ولد بِشْر بن أُبي خازِمٍ قال : لمّا أُنشِد فَروةُ بنُ حميصةَ قولَ عُمارة فيه : [من الكامل]

مـا في السَّوِيّة أن تَجُرّ عليهمُ ... وتكونَ يومَ الرَّوعِ أَوَّلَ صادرِ

قال : والله ما قتلني إلاّ هذا البيت .

فلمّا تكاثرَت عليه الخَيْلُ يوم قُتِل قيل له : انجُ بنفسِك ، قال : كلاًّ والله ، لا حقَقتُ قولَ عُمارة ، فصبَرَ حتى قُتِل .

وكان فَرْوةُ من أحسَنِ النّاس وجْهاً وشِعْراً وقَدّاً ، لو كان امرأةً لانتَحَرت عليه بنو أسد .

[أكرم هجاء]

أُخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني العنزيّ ، قال : حدَّثني عليّ بنُ مُسلم قال : أُنشدتُ يعقوبَ بنَ السِّكيت قصيدة عمارة التي رَدَّ فيها على رَجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أوّلُها : [من الكامل]

حَـيِّ الدِّيـارَ كأنّـها أَسطارُ ... بالوَحْي يَدْرُس صُحْفَها الأَخْبارُ

لعِبَ البِلى بجديدها وتنفّسَتْ ... عرصاتِهـا الأَرْواحُ والأَمطارُ

قال أبو عليّ : وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال : الأرياح ، فردَّه عليه أبو حاتم السِّجستانيّ وهو يتَغيّظ ، فلمّا بلغ إلى قوله :

وجموع أَسْعد إذ تعَضُّ رؤوسَهم ... بِيـضٌ يَطِيـر لوِقعِهِـنَّ شَرارُ

حتى إذا عَزمُـوا الفِرارَ وأَسلموا ... بِيضاً حواصِنَ مـا بهـنَّ قرارُ

لحِقت حَفيظَتُنا بهـنّ ولم نـزَلْ ... دُونَ النِّساء إذا فزِعْـن نَغارُ

قال ابنُ السِّكِّيت : للهِ دَرُّه ، ما سمعت هِجاءً قطّ أكرمَ من هذا .

[عود إلى الدفاتر القديمة]

أُخبرني محمد بن يحيى قال : وفَدَ عُمارة على المتوكّل ، فعمل فيه شِعراً ، فلم يأتِ بشيء ، ولم يُقارب ، وكان عُمارة قد اختلَّ وانقطعَ في آخر عُمْره ، فصار إلى إبراهيم بن سَعدان المؤدِّب ، وكان قد روى عنه شعْرَه القديم كلّه ، فقال له : أُحِبُّ أن تخرج إليَّ أشعاري كلّها

لأنقلَ ألفاظَها إلى مدحِ الخليفة ، فقال : لا والله أو تُقاسِمني جائزتك . فحلف له على ذلك ، فأخرج إليه شِعرَه ، وقلب قصيدةً إلى المتوكّل ، وأخذ بها منه عشْرَةَ آلافِ دِرهم ، وأعطى إبراهيم بنَ سعدان نصْفها ، والله أعلم .

صوت[1]

[من الطويل]

تَفَرَّقَ أهلي من مُقيمٍ وظاعنٍ ... فللّهِ دَرّي أيَّ أهـْـلِيَ أَتْبَعُ
أقام الذيـنَ لا أُبـالي فِراقَهم ... وَشَطَّ الذيـن بَينَهـم أتوَقَّعُ

الشعر للمُتلمّس ، والغناء لمتيّم خفيف ثقيل بالوسطى .

1 ديوان المتلمس (صادر) : 119 .

[541] ـ أخبار المتلمس ونسبه[1]

[نسبه]

المتلمس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو[2] : [من الطويل]

فهذا أوانُ العِرض جُنّ ذُبابهُ زَنابيـــرُه والأزرقُ المتــلمِّسُ

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَيّ بن أحمَس بن ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار .

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحويّ عنه : ضُبَيْعات العرب ثلاثٌ كلُّها من ربيعة : ضُبَيْعة بن ربيعَة وهم هؤلاء ، ويقال : ضُبَيْعة أضجم ، وضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، وضُبيعة بن عِجْل بن لُجَيْم .

قال : وكان العزّ والشرف والرئاسة على ربيعة في ضُبيعة أضجم ، وكان سيّدها الحارث بن الأضجم ، وبه سُمِّيت ضُبَيْعة أضجم ، وكان يقال للحارث حارث الخَيْر بن عبد الله بن دَوْفَن بن حرب ، وإنّما لُقِّب بذلك لأنّه أصابته لقوةٌ[3] فصار أضجم ، ولُقِّب بذلك ، ولُقِّبت به قبيلتُه .

ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضُبَيْعة فصارت في عَنَزَة ، وهو عامر بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وكان يلي ذلك فيهم القُدار أحد بني الحارث بن الدُّول بن صُباح بن عَتِيك بن أسْلم بن يذكُر بن عَنَزَة .

ثم انتقلت الرئاسة عنهم ، فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكَلُ وهو عمرو .

هنا انقطع ما ذكره الأصفهانيّ رحمهُ اللهُ[4] .

* * * *

1 ترجمة المتلمس في الشعر والشعراء : 112–116 وطبقات ابن سلام : 131–132 وخزانة البغدادي 7 : 301–305 وانظر أيضاً ترجمة طرفة 2 : 419–422 ، ومجمع الميداني 1 : 270 ، ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية ومقدمة ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي (صادر – بيروت) .

2 ديوان المتلمس (صادر) : 105 .

3 اللقوة : داء يصيب الوجه فيعوج منه الشدق . والأضجم : الأعوج .

4 أجريت محاولات لاستيفاء ترجمة المتلمس من غير كتاب الأغاني . وقد آثرنا أن نبقي كتاب الأغاني كما وضعه أبو الفرج . وفي المراجع عنه وعن صحيفته ما يغني .

الفهارس العامة

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الجزء السابع

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

الجزء الحادي عشر

الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

الجزء الرابع عشر

الجزء الخامس عشر

الجزء السادس عشر

الجزء السابع عشر

الجزء الثامن عشر

الجزء التاسع عشر

الجزء العشرون

الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

الجزء الرابع والعشرون

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

الفهارس العامة

المجلد الخامس والعشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

25

الطبعَـة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعـة الثـانية
1426هـ - 2005م
الطبعـة الثـالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

فهرس
المائة الصوت المختارة

حَنَّتْ إلى بَـرْقٍ فقلتُ لها قِرِي بعضَ الحَنِين فـإن شَجْوَكِ شائِقي

غناء ابن عائشة في شعر عبد الرحمن بن أرطأة المحاربي [من الكامل] 2 : 157

يـا خليليّ هَجِّـر كَيْ تَرُوحا هِجْتُمـا للرَّواح قَلْبـاً قريحا

غناء حنين في شعر ابن ميادة [من الخفيف] 2 : 170

راعَ الفؤادَ تَـفَـرُّقُ الأحبابِ يـومَ الرحيلِ فهاجَ لي أطْرابي

غناء الغريض في شعر عمر بن أبي ربيعة [من الكامل] 2 : 233

لَقَـد حَثُّـوا الجِمالَ لِيَهـ ـرُبُوا منّـا فلـم يَئِلُـوا

غناء الغريض في شعر الحكم بن عبدل الأسدي [من مجزوء الوافر] 2 : 262

أجَــدّ بِعَمْــرَةَ غُنْيانُهــا فَتَهْجُــرَ أم شأنَنــا شانُها

غناء طويس في شعر قيس بن الخطيم [من المتقارب] 2 : 280

يـا لَقَومي قـد أرَّقَتني الهُمومُ ففـؤادي ممّـا يُجِـنُّ سَقيمُ

غناء طويس في شعر ابن قيس الرقيات [من الخفيف] 3 : 32

حُجِبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقُربِهم يـا ليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ

غناء قفا النجّار لشاعر مجهول [من الكامل] 3 : 33

أفِـقْ يـا دارِميُّ فَقَـد بُلِيتا وإنّك سَوف تُوشِك أن تَمُوتا

غناء وشعر سعيد الدارمي [من الوافر] 3 : 33

يا رَبْعَ سَلمى لَقَد هَيَّجتَ لي طرَبا زِدْتَ الفؤادَ على عِلاّتِه وصَبا

غناء عزّور الكوفي في شعر هلال بن الأسعر المازني [من البسيط] 3 : 37

وخِـلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه إذا نَظَـرَتْ ومُسْتَمِعاً سَمِيعا

غناء سياط في شعر عروة بن الورد [من الوافر] 3 : 50

أزرى بنـا أنّنا شالَتْ نَعامَتُنا فَخالني دُونـه بـل خِلْتُه دُوني

غناء قيل مولى العبلات في شعر ذي الإصبع العَدواني [من البسيط] 3 : 61، 79

تَبَلَتْ فؤادَك في المنامِ خَرِيدةٌ ... تَشْفي الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ

غناء موسى بن خارجة الكوفي في شعر حسان بن ثابت [من الكامل] 4 : 104

أيُّها القلبُ لا أراكَ تُفيقُ ... طالَما قدْ تعلَّقتْكَ العَلُوقُ

غناء بابَوَيه الكوفي في شعر عمر بن أبي ربيعة [من الخفيف] 4 : 153 ؛ 8 : 190

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ ... ـشِ أمْسى دارساً خَلَقا

غناء الدلال المخنَّث في شعر الأحوص [من الهزج] 4 : 159

يا دِينَ قَلْبكَ منها لستَ ذاكرَها ... إلاّ تَرَقْرَقَ ماءُ العينِ أو دَمَعا

غناء يحيى بن واصل المكي في شعر الأحوص [من البسيط] 4 : 210

كالبَيْضِ بالأُدْحِيّ يلمَعُ في الضُّحى ... فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيمُ نَعيمُ

غناء أبي سعيد مولى فائد في شعر طريح بن إسماعيل الثقفي [من الكامل] 4 : 211

ويَحيى غَداً إنْ غَدا عليَّ بما ... أُحْذَرُ من لَوْعَةِ الفِراقِ غَدُ

غناء ابن مِشعب الطائفي في شعر طريح بن إسماعيل الثقفي [من المنسرح] 4 : 224

لَقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... ألا لَيتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

غناء أبي سعيد مولى فائد في شعره أو شعر المجنون [من الطويل] 4 : 233

مُهاةٌ لَوَ انّ الذرَّ تَمشي ضِعافُه ... على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما

غناء فُليح بن أبي العوراء في شعر حُميد بن ثور الهلالي [من الطويل] 4 : 247

أفاطِمَ إنّ النأْيَ يسلي ذوي الهوى ... ونأْيُكِ عنّي زادَ قَلبي بكم وَجْدا

غناء يونس الكاتب أو غيره في شعر إبراهيم بن هرمة [من الطويل] 4 : 255

أَقصدَتْ زَينبُ قَلبي بعدما ... ذَهَبَ الباطلُ عنّي والغَزَلْ

غناء عمر الوادي في شعر ابن رهيمة المدني [من الرمل] 4 : 279

ألا يا لَقَوْمي لِلرُّقادِ المُسَهَّدِ ... ولِلماءِ مَمنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدى

غناء يونس في شعر إسماعيل بن يسار أو غيره [من الطويل] 4 : 284

أَلَمَّ بنا طَيْفُ الخيالِ المهجِّدُ ... وقد كادت الجوزاءُ في الجوِّ تَصْعَدُ

غناء الهذلي [من الطويل] 5 : 44

لَيسَتْ نَعَمْ منكَ للعافينَ مُسْجَلَةً ... من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ

غناء شهية مولاة العبلات في شعر ابن هرمة [من البسيط] 6 : 74

في حاضرٍ لَجِبٍ بالليل سامرُه ... فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ

غناء حنين في شعر ابن هرمة [من البسيط] 6 : 87

بزينب أَلْمِم قَبل أن يَرحلَ الركبُ ... وقُلْ إنّ تَملّينا فما ملَّك القَلبُ

غناء كردم بن معبد في شعر نصيب [من الطويل] 6 : 88

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دنا ... نيرٌ وأَطرافُ الأَكفّ عَنَمْ

غناء ابن عائشة في شعر المرقش الأكبر [من السريع] 6 : 92

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهي المُنى ... أَبى القلبُ إلاّ حبَّ أُمِّ حَكيمِ

غناء سياط في شعر صالح بن عبدالله أو غيره [من الطويل] 6 : 101

يا أُمَّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم ... جُهدي وأَعْذرتُ فيه كلَّ إعذارِ

غناء الرطاب [من البسيط] 6 : 113

تَصَدَّع الأُنسُ الجميعُ ... أَمْسى فَقَلبي به صُدُوعُ

غناء دُكَين [من مخلع البسيط] 6 : 113

يا أيُّها الرجلُ الذي ... قد زان منطقَه البيانُ

غناء نُبيه في شعر عبدالله بن هارون العروضي [من مجزوء الكامل] 6 : 114

وقفتُ عَلى رَبْعٍ لسُعْدى وعَبْرتي ... تَرَقْرَقُ في العينين ثم تَسيلُ

غناء سُلَيم [من الطويل] 6 : 116

عَتَقَ الفُؤادُ من الصِّبا ... ومن السَّفاهة والعَلاقِ

غناء ابن عبَّاد الكاتب في شعر سعيد بن عبدالرحمن [من مجزوء الكامل] 6 : 121 ؛ 8 : 192

يا طَلَلاً غَيَّره بَعدِي ... صوبُ رَبيع صادق الرعدِ

غناء يحيى المكّي [من السريع] 6 : 123

سُلَيمـــى تلـــك في العِيـــرِ قِفـــي نُخْبِـــرْكِ أو سِيري

غناء إسماعيل بن هربذ في شعر يزيد بن ضبَّة أو الوليد بن يزيد [من الهزج] 7 : 71

امـدَحِ الكأسَ ومن أَعْمَلَها واهْجُ قوماً قتلونـا بالعَطَشْ

غناء أبي كامل في شعر نابغة بني شيبان أو الوليد بن يزيد [من الرمل] 7 : 80

يـا عَمْـرُ حُـمَّ فراقُكم عَمْرا وعَزَمْتِ منّـا النـأيَ والهجرا

غناء فزار المكّي في شعر أبي دهبل الجمحي [من الكامل] 7 : 86

أَلا أَيُّها الشادنُ الأَكحـلُ إلى كم تَقـولُ ولا تَفعـلُ

غناء أبي زكّار الأعمى في شعر الحسين بن الضحّاك [من المتقارب] 7 : 110

مـا جَرَتْ خَطْرَةٌ على القلب منّي فيـكِ إلاّ استَتَرْتُ عن أَصحابي

غناء محمد نعجة الكوفي في شعر السيِّد الحميري [من الخفيف] 7 : 176 ؛ 8 : 198

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلـدٍ ناءٍ قليلِ الأَصادِقِ

غناء متيَّم مولاة علي بن هشام في شعر كثيِّر أو غيره [من الطويل] 7 : 212

إنّ العيونَ التي طَرْفهـا مرضَ قَتَلْنَنـا ثـم لم يُحْيِين قَتْلانا

غناء ابن محرز في شعر جرير [من البسيط] 7 : 232

أَتبَعْتُهم مقلـةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

وفي شعر جرير أيضاً [من البسيط] 7 : 232

رحَل الخَليـطُ جِمالَهم بسَوادِ وحَدا على إثْـرِ البَخيلة حادي

غناء إبراهيم الموصلي في شعر جميل [من الكامل] 8 : 65

أَمسى الشَّباب مُوَدَّعاً محمودا والشيبُ مُؤْتَنِفُ المحـلِّ جديدا

غناء إسحاق الموصلي في شعر يزيد بن الطَّثرية [من الكامل] 8 : 112

شأتْـكَ المنـازلُ بـالأَبرَقِ دوارسَ كالعـين في المُهْـرَقِ

غناء جميلة في شعر الأحوص [من المتقارب] 8 : 133

سَلا أُمَّ عمرٍو فيــم أَضحى أَسيرُها تُفادى الأسارى حَولـه وهو موثقُ

غناء دُقاق في شعر شبيب بن البرصاء [من الطويل] 12 : 194

تكاشرني كُرْهــاً كأَنّك ناصحٌ وعَيْنُك تُبْدِي أَنَّ صدرك لي دَوِي

غناء إبراهيم الموصلي في شعر يزيد بن الحكم الثقفي [من الطويل] 12 : 206

أَبى القلبُ إلاّ أُمَّ عَــوفٍ وحُبَّها عجوزاً ومَــن يَعشَقْ عجوزاً يُفنَّدِ

غناء علويه في شعر أبي الأسود الدؤلي [من الطويل] 12 : 214

فهرس القوافي

ـ قافية الألف المقصورة ـ

القافية	البحر	القائل	المجلد / الصفحة
أتَى	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	12 : 231
بلَى	الطويل	خالد بن أبي أيوب	20 : 118
ترَى	الطويل	شاعر تميمي سعدي	19 : 136
تهوَى	الطويل	أبو العتاهية	4 : 52
الخطا	الطويل	ـ	22 : 21
الصبا	الطويل	وضاح اليمن	6 : 164
قضَى	الطويل	دختنوس بنت لقيط	11 : 101
كالفتَى	الطويل	حنظلة بن أبي عفراء الطائي	10 : 160
متَى	الطويل	أبو العيص الجرمي	18 : 110
منَى	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	1 : 112 ؛ 9 : 49 ، 52
هوَى	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	1 : 180 ، 181 ، 185 ؛ 5 : 219 9 : 48 ، 50 ، 52
الهوَى	الطويل	مالك المزموم	18 : 85
نما	الكامل	السموأل أو غريض اليهودي أو سعية بن عريض أو زيد بن عمرو بن نفيل أو ورقة بن نوفل أو زهير بن جناب أو عامر بن المجنون مدرج الريح	3 : 79 ، 80 ، 92
النّوَى	الكامل	ورقة بن نوفل أو غريض اليهودي أو زهير بن جناب أو غيرهم	3 : 81 ؛ 19 : 21
الندَى	الكامل	ورقة بن نوفل أو غيره	3 : 82
المشتكَى	الكامل	ابن هرمة	4 : 261
المنَى	الكامل	أبو وجزة السعدي	12 : 181
ثوَى	الكامل	ـ	17 : 204
سوَى	الكامل	ابن الصفار المحاربي	24 : 23
أحوَى	الهزج	إسحاق الموصلي	5 : 222 ، 274
الثكلَى	مجزوء الوافر	جويرية بنت خالد	16 : 180
أتَى	الرجز	الشماخ	9 : 125 ؛ 12 : 152
النجا	الرجز	سويد بن أبي كاهل	13 : 69

ـ قافية الهمزة الساكنة ـ

ـ قافية الهمزة المضمومة ـ

وهوبِ	الكامل	حسان بن ثابت أو ضرار بن الخطاب أو عمرو بن شقيق أو مكرز بن حفص	16 : 39 ، 41 ، 45
محسوبِ	الكامل	ـ	19 : 125
فأثيبي	الكامل	ابن أبي عيينة	20 : 50
الكربِ	الكامل	أرطأة بن سيحان	2 : 158
منقلبِ	الكامل	علي بن الجهم	10 : 168
حسبِ	الكامل	سدوس بن شيبان	16 : 245
العطبِ	الكامل	أحمد بن محمد بن أبي محمد	20 : 164
والجلبابِ	الكامل	عمر بن أبي ربيعة	1 : 122 ؛ 17 : 116 ، 117
بجوابي	الكامل	جميل	2 : 150
أطرابي	الكامل	عمر بن أبي ربيعة	2 : 232 ، 234
أوابي	الكامل	بشار	3 : 140
المنتابِ	الكامل	بشار	3 : 172
كلابي	الكامل	ابن هرمة	5 : 169
الأعرابِ	الكامل	حارثة بن بدر الغداني	6 : 105
وركابي	الكامل	ـ	6 : 133
المنجابِ	الكامل	الوليد بن يزيد	7 : 39
بجوابي	الكامل	جميل	8 : 77
الانصابِ	الكامل	عمر بن أبي ربيعة	9 : 180
وضرابِ	الكامل	أبو دلامة	10 : 194
الاطرابِ	الكامل	العبلي	2 : 204 ؛ 11 : 203
خضابِ	الكامل	ـ	11 : 226 ، 231
الأسبابِ	الكامل	العتابي	13 : 80
شهابِ	الكامل	عبدالله بن الحجاج	13 : 116
صوابِ	الكامل	محمد بن حازم	14 : 64
الألبابِ	الكامل	لعله كثيّر	15 : 193
شهابِ	الكامل	العباس بن مرداس	15 : 236
الغلابِ	الكامل	كعب بن مالك الأنصاري	16 : 154
بكتابِي	الكامل	محمد بن أبي أمية	19 : 222
الأبوابِ	الكامل	إسحاق الموصلي	23 : 47
الحجابِ	الكامل	محمد بن عبدالملك الزيات	23 : 57
الكتابِ	الكامل	ابن دنفش الحاجب	23 : 57
الرطابِ	مجزوء الكامل	أبو العتاهية	4 : 38

ـ قافية الباء المفتوحة مع الكاف الساكنة ـ

ـ قافية الباء المفتوحة مع الهاء الساكنة ـ

ـ قافية الباء المفتوحة مع ها ـ

ـ قافية التاء الساكنة ـ

ـ قافية التاء المضمومة ـ

ـ قافية التاء المضمومة مع الهاء الساكنة ـ

ـ قافية التاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الثاء الساكنة ـ

ـ قافية الثاء المضمومة ـ

ـ قافية الثاء المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الثاء المكسورة ـ

ـ قافية الثاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الجيم الساكنة ـ

ـ قافية الجيم المكسورة مع ها ـ

ـ قافية الجيم المفتوحة ـ

ـ قافية الحاء المكسورة ـ

ـ قافية الدال المضمومة ـ

ـ قافية الدال المكسورة ـ

وليدِ	الوافر	خالد بن جعفر بن كلاب	65 : 11
الحديدِ	الوافر	أرطاة بن سهية	21 : 13
يزيدِ	الوافر	عبد الصمد بن المعذل	177 : 13
سودِ	الوافر	محمد بن بشير الخارجي	72 : 16
بعودِ	الوافر	أبو العباس الأعمى أو بشار بن برد	206 : 16
سعيدِ	الوافر	محمد بن صالح العلوي	253 : 16
دوادِ	الوافر	قيس بن زهير	257 : 16
الوليدِ	الوافر	عمرو بن العاص	91 : 18
والوليدِ	الوافر	عمارة بن الوليد	91 : 18
دوادِ	الوافر	حميد بن سعيد	111 : 18
صلودِ	الوافر	أشجع السلمي	185 : 18
بعيدِ	الوافر	الخيار بن سبرة	254 : 21
بعيدِ	الوافر	الفرزدق	254 : 21
كبدي	مجزوء الوافر	عمارة بن الوليد	27 : 3
كمدِ	مجزوء الوافر	عمر بن أبي ربيعة	160 : 1
أحدِ	مجزوء الوافر	محمد بن يسار	297 : 4
البردِ	مجزوء الوافر	ـ	253 : 18
الكمدِ	مجزوء الوافر	المؤمل بن أميّل	170 : 22
مبردِ	الكامل	مجنون ليلى	54 : 2
متعبدِ	الكامل	الدارمي سعيد	34: 3
حرمدِ	الكامل	أمية بن أبي الصلت	103 : 4
مزبدِ	الكامل	الحارث بن هشام	126 : 4
الأسعدِ	الكامل	الأحوص	183 ، 181 : 4
غدِ	الكامل	الأحوص	182 : 4
الملحدِ	الكامل	إسماعيل بن يسار	292 : 4
مفندِ	الكامل	حبيب بن وائل	6 : 5
محمدِ	الكامل	السيد الحميري	202 : 7
والأبعدِ	الكامل	أبو دلامة	202 : 10
مزودِ	الكامل	النابغة الذبياني	8 : 11
باليدِ	الكامل	النابغة الذبياني	10 : 11
كالمرودِ	الكامل	عبد القيس بن خفاف أو مرة بن سعد بن قريع أو للنابغة	11 : 11
يوجدِ	الكامل	الجحاف السلمي	140 : 12

ـ قافية الدال المفتوحة ومعها كاف ساكنة ـ

ـ قافية الراء المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الراء المضمومة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية الراء المضمومة ومعها هاء ـ

ـ قافية الراء المكسورة ـ

ـ لفظ قافية أخرى هو : (دهر) ـ

ـ قافية أخرى لقافية : عصر ـ

ـ قافية السين المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية السين المكسورة ـ

ـ قافية السين المكسورة ومعها هاء مكسورة ـ

ـ قافية السين المكسورة ومعها ها ـ

ـ قافية السين المفتوحة ـ

ـ قافية السين المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية السين المفتوحة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية السين المفتوحة ومعها ها ـ

ـ قافية الشين الساكنة ـ

رعشْ	الطويل	عنان	85 : 23
الحبشْ	الطويل	أبو حنش	85 : 23
بالعطشْ	الرمل	نابغة بني شيبان ونسب للوليد بن يزيد	84 ، 80 : 7
تطشْ	الرمل	نابغة بني شيبان	84 : 7
وطشْ	الرمل	نابغة بني شيبان	83 : 7
المنتعشْ	المتقارب	أبو شراعة	42 : 23

ـ قافية الشين المضمومة ـ

بَرَشُ	البسيط	أبو دلامة	203 : 10
حبيشُ	الوافر	عبدالله بن علقمة	213 : 7

ـ قافية الشين المضمومة ومعها ها ـ

رشاشُها	الطويل	بشار	128 : 3

ـ قافية الشين المكسورة ـ

الخشخاشِ	الكامل	الفرزدق	208 : 21
الخيشِ	الرجز	العماني	231 : 18
حشيشِ	مجزوء الرمل	حماد عجرد	232 : 14
الغشِ	السريع	بشار	150 : 3
العيشِ	السريع	عيسى بن زينب	205 : 12
بالنكاريشِ	السريع	الحسين بن الضحاك	164 : 7
كندشِ	المتقارب	إسماعيل بن عمار	249 : 11

ـ قافية الشين المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

خشَهْ	الهزج	مطيع بن إياس	198 : 13
عائشَهْ	المتقارب	الأقيشر	174 : 11

ـ قافية الصاد المضمومة ـ

تنكصُ	الطويل	عمر بن أبي ربيعة أو عبدالله بن قيس	61 : 5 ؛ 91 : 1
وينقصُ	الطويل	الزبير بن عبدالله بن الزبير	165 : 14
بصيصُ	الطويل	محمد بن كناسة	239 : 13
غفصُ	الكامل	أبو العتاهية	25 : 4
يرقصُ	السريع	الحسين بن الضحاك	153 : 7
خميصُ	الخفيف	عمار ذو كبار	127 : 24
واصيصُ	الخفيف	عمار ذو كبار	128 : 23

ـ قافية الضاد المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الضاد المضمومة ومعها هاـ

ـ قافية الضاد المكسورة ـ

ـ قافية الضاد المفتوحة ـ

ـ قافية العين المفتوحة ومعها كاف ساكنة ـ

ـ قافية الفاء الساكنة ـ

ـ قافية الفاء المضمومة ـ

ـ قافية الفاء المكسورة ـ

ـ قافية الفاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية القاف الساكنة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية القاف المكسورة ـ

ـ قافية القاف المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية القاف المفتوحة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية الكاف الساكنة ـ

ـ قافية الكاف الضمومة ـ

ـ قافية الكاف المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الكاف المضمومة ومعها ما ـ

ـ قافية الكاف المكسورة ـ

ـ قافية الكاف المفتوحة ـ

ـ قافية الكاف المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الكاف المفتوحة ومعها هاء ـ

ـ قافية اللام الساكنة ـ

ـ قافية اللام المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ومعها كاف ساكنة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ومعها هاء مكسورة ـ

ـ قافية الميم الساكنة ـ

ـ قافية الميم المضمومة ـ

ـ قافية الميم المكسورة ـ

ـ قافية الميم المكسورة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الميم المكسورة ومعها هاء مكسورة ـ

ـ قافية الميم المفتوحة ـ

ـ قافية الميم المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية النون المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية النون المضمومة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية النون المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية النون المكسورة ـ

ـ قافية الياء ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية الياء ومعها هاء مكسورة ـ

فهرس الشعراء

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ح ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ ش ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ن ـ

– ي –

فهرس الأمثال

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ح ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

فهرس المصادر والمراجع

آراب الفلاسفة لحنين بن إسحاق ، اختصره محمد بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري ، تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، ط1 ، الكويت 1985 .

الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ ، تحقيق د. رمضان ششن ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1983 .

إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن للغزي (مخطوط رقم 418ج) بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، ومنه ميكرو فيلم (رقم : 308) بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

الأجوبة المسكتة لابن أبي عون ، تحقيق د. وداد القاضي ، بيروت .

أحاسن المحاسن للإمام أبي الحسن الرخجي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .

إحياء علوم الدين للغزالي (1ـ4) ، القاهرة 1302 .

أخبار أبي تمام للصولي ، تحقيق محمد عبده عزام وخليل محمود عساكر ونظير الإسلام الهندي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1980 .

أخبار البحتري لأبي بكر الصولي ، تحقيق د. صالح الأشتر ، دمشق 1958 .

أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ، نشر القدسي ، دمشق 1347 .

أخبار الدولة العباسية لمجهول ، تحقيق د . عبد العزيز الدوري و د. عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بيروت 1971 .

أخبار الزجاجي أبي القاسم ، تحقيق د. عبد الحسين المبارك ، دار الرشيد ، بغداد 1980 .

أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ، دمشق 1347 .

أخبار القضاة لوكيع بن خلف (1ـ3) ، تحقيق عبدالعزيز المراغي ، القاهرة 1366ـ1369 .

الأخبار الموفقيات ، انظر : الموفقيات .

أخبار النساء لابن قيم الجوزية ، مصر 1307 .

أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان للعباس بن بكار الضبي ، تحقيق سكينة الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1983 .

(اختيار) **المنظوم والمنثور** لابن أبي طاهر طيفور ، مخطوطة دار الكتب المصرية .

أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، دمشق 1965 .

أدب الخواص للوزير المغربي ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض 1980 .

أدب الدنيا والدين للماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة 1955 .

الأدب الصغير لابن المقفع ، نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء ، ط3 ، القاهرة 1946.

الأدب الكبير لابن المقفع ، نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء ، ط3 ، القاهرة 1946 .

أدب الكتّاب للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة 1342 .

الأدب المفرد للبخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1375 .

أدب النديم لكشاجم ، القاهرة 1298 .

الأذكياء لابن الجوزي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1979 .

الإرشاد للشيخ المفيد ، مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1979 .

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (1–10) ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1305 .

الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (1–2) ، حيدر أباد الدكن 1322 .

أساس البلاغة للزمخشري ، دار صادر ، بيروت 1979 .

الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية 1958 .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1–4) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة .

أسد الغابة لابن الأثير (1–5) ، طهران 1342 .

الأسد والغواص ، تحقيق د . رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1978 .

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملاّ علي القاري ، تحقيق محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1972 .

أسماء المغتالين من الشعراء لمحمد بن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1972 .

الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي ، تحقيق د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1981 .

الأشباه والنظائر للخالديين (1–2) ، تحقيق د. السيد محمد يوسف ، القاهرة 1958–1965 .

أشجع السلمي : حياته وشعره ، د. خليل بنيان الحسون ، بيروت 1981 .

أشعار الخليع (الحسين بن الضحاك) ، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، بيروت 1960 .

أشعار النساء للمرزباني ، تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي ، بغداد 1976 .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (1–8) ، مصر 1323–1325 .

الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، 1955 .

الاعتبار لابن أبي الدنيا ، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف ، دار البشير ، عمان .

إعجاز القرآن للباقلاني ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة 1953 .

إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لمحمد بن علي بن طولون ، دمشق 1348 .

أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، تأليف عمر رضا كحالة ، بيروت 1977 .

الأعلام ، تأليف خير الدين الزكلي (1–10) ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1954–1959 .

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (1–25) ، دار الثقافة ، بيروت 1955–1960 ؛ (1–16) طبعة دار الكتب المصرية .

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي (1–3) ، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ، القاهرة 1983 .

ألف باء البلوي (1–2) ، القاهرة 1287 .

ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه لمحمد بن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1973 .

الإكليل ، لأبي محمد بن يعقوب الهمداني (1–3) حققه وعلق حواشيه محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1963 .

الإلمام للنويري (1–7) تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، حيدر أباد الدكن 1973–1976.

الاماء الشواعر لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. يونس أحمد السامرائي ، بيروت 1984 .

أمالي ابن الشجري (1–2) ، طبعة حيدر أباد الدكن .

أمالي الزجاجي ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1382 .

أمالي الشيخ الصدوق لابن بابويه القمي ، طهران 1380 .

أمالي الطوسي (1–2) ، بغداد 1964 .

أمالي القالي (والذيل) (1–3) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953 .

أمالي المرتضى (الدرر والغرر) (1–2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1967 ؛ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1954 .

أمالي اليزيدي ، حيدر أباد الدكن 1938 .

الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (1–2) ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، القاهرة 1967.

إمتاع الأسماع للمقريزي (جـ : 1) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1941 .

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (1–3) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة 1939–1944 .

الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، دار المأمون ، دمشق 1980 .

أمثال العرب للمفضل الضبي ، قدم له وعلق عليه د. إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت 1981 .

الأمثال والحكم للماوردي (نسخة ليدن) .

أمراء البيان (1–2) ، لمحمد كرد علي ، مصر 1937 .

أمل الآمل المنسوب للجاحظ ، تحقيق رمضان ششن ، بيروت 1968 .

الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ، تحقيق د. قاسم السامرائي ، ليدن 1973 .

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (1–4) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1950–1973 .

الانتقاء لابن عبر البر ، القاهرة 1350 .

أنس المحزون لصفي الدين أبي الفتح الحلبي ، (مخطوطة جامعة ييل) .

أنساب الأشراف للبلاذري :

جـ 1 (مخطوطة رئيس الكتاب رقم 597) .

جـ 3 تحقيق د. عبد العزيز الدوري ، سلسلة النشرات الإسلامية (رقم : 28) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1978 .

جـ 1/4 تحقيق د . إحسان عباس ، سلسلة النشرات الإسلامية (رقم : 28) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1979 .

أنساب الخيل لابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب ، القاهرة 1946 .

أنموذج الزمان لابن رشيق القيرواني ، جمع وتحقيق محمد البكوش والعروسي المطوي ، تونس 1986 .
الأوراق للصولي (أخبار الشعراء المحدثين) ، تحقيق ج. هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية) ، بيروت 1982 .
الأوراق للصولي (أشعار أولاد الخلفاء) ، تحقيق ج. هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية) ، بيروت 1982 .
أيام العرب في الجاهلية ، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1942 .
الإيجاز والإعجاز للثعالبي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
الإيناس في علم الأنساب للوزير المغربي ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض 1980 .
البخلاء للجاحظ ، تحقيق د. طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ، 1948 .
البخلاء للخطيب البغدادي ، تحقيق د. أحمد مطلوب وآخرين ، بغداد 1964 .
البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي (1–5) ، نشر كلمان هوار ، باريس 1899–1919 .
البداية والنهاية لابن كثير (1–14) ، مكتبة المعارف ، بيروت ومكتبة النصر ، الرياض 1966 .
البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد أحمد بدوي و د. حامد عبد المجيد ، القاهرة 1960 .
برد الأكباد في الأعداد للثعالبي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
البرصان والعرجان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بغداد 1982 .
البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي :
1 – نسخة الفاتح رقم 3695–3699 .
4 – (نسخة الأمبروزيانا) .
1–9 تحقيق د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت 1984 .
بغية الطلب لابن العديم (5) ، صورة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ؛ (1–10) + الفهارس ، تحقيق د. سهيل زكار ، دمشق .
بغية الوعاة للسيوطي (1–2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1964–1965 .
البلدان ، (مختصر كتاب) لابن الفقيه ، تحقيق دي غويا ، ليدن 1302 .
بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور ، صححه أحمد الألفي ، القاهرة 1908 .
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1–3) ، لمحمود شكري الآلوسي ، ط2 ، مصر 1924 .
بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر ، تحقيق محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
بهجة المجالس لابن عبد البر النمري (1–2) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
البيان المغرب لابن عذاري (1) ، تحقيق الأستاذين كولان وليفي بروفنسال ، ليدن 1948.
البيان والتبيين للجاحظ (1–4) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1961 .
البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني (1–2) ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1980 .
تاج العروس للزبيدي (1–10) ، المطبعة الخيرية بمصر ، 1306–1307 .

التاج في أخلاق الملوك (المنسوب للجاحظ) ، تحقيق أحمد زكي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1914 .
تاريخ ابن الأثير للجزري (1−3) ، تحقيق تورنبرج ، دار صادر ، بيروت 1965 .
تاريخ ابن الدبيثي = ذيل تاريخ مدينة السلام ، بغداد (1−2) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، بغداد 1974−1979 ؛ (ومخطوطة كيمبردج) .
تاريخ ابن عساكر (تراجم النساء) ، تحقيق سكينة الشهابي ، دمشق 1982 .
تاريخ أصفهان ، أبو نعيم ، طبعة بيروت .
التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لعز الدين بن الأثير ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة 1963 .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1−14) ومعه الذيل على تاريخ بغداد لابن النجار (15−17) ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت (مصورة عن طبعة الخانجي الأولى ، القاهرة) .
تاريخ الحكماء للقفطي ، تحقيق جوليوس ليبرت ، ليبسك 1903 .
تاريخ الخلفاء للسيوطي ، طبعة دار الثقافة ، بيروت .
تاريخ دمشق لابن عساكر (1−19) ، مخطوط .
تاريخ الردة للكلاعي ، تهذيب خورشيد أحمد فاروق ، معهد الدراسات الاسلامية ، دلهي 1970 .
تاريخ الطبري (1−15) طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية ، (1−10) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1960−1969 .
تاريخ الموصل للشيخ أبي زكريا الأزدي ، تحقيق د. علي حبيبة ، القاهرة 1967 .
تاريخ اليعقوبي (1−2) ، دار صادر ، بيروت 1960 ؛ وتحقيق هوتسما ، ليدن 1883 .
تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، مصر 1326 .
تتمة اليتيمة للثعالبي (1−2) ، عني بنشره عباس إقبال ، طهران 1353 .
تجارب الأمم لمسكويه (وذيله لأبي شجاع) (1−3) ، تحقيق آمدروز ، القاهرة 1914−1916 ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
تحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي ، تحقيق شاكر العاشور ، بيروت 1981 .
التحف والهدايا لأبي بكر وأبي عثمان ابني هاشم الخالديين ، تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1956 .
تحفة الأنفس لابن هذيل ، طبعة أوروبة .
التحفة الملوكية في الآداب السياسية (المنسوب للماوردي) تحقيق د. فؤاد عبد المنعم ، الاسكندرية .
تحفة الوزراء (المنسوب للثعالبي) تحقيق حبيب علي الراوي ود. ابتسام مرهون الصفّار ، بغداد 1977 .
تذكرة الحفاظ للذهبي (1−4 في مجلدين) ، طبعة حيدر أباد الدكن 1955−1957 .
التذكرة الحمدونية لابن حمدون (1−10) تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر ، بيروت 1996 .
تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ، تقديم محمد صادق بحر العلوم ، النجف 1964 .
التذكرة السعدية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي ، تحقيق عبدالله الجبوري ، النجف 1972 .
ترتيب المدارك للقاضي عياض (1−7) ، الرباط .

الترجمة والنقل عن الفارسية (1) جمع د. محمدي ، بيروت 1964 .
ترويح الأرواح لجراب الدولة ، نسخة المكتبة الوطنية ، باريس .
تزيين الأسواق للأنطاكي ، مصر 1302 ؛ (1–2) طبعة بيروت 1973 (عن الطبعة المصرية ؛ ومعه ديوان الصبابة) .
تسهيل النظر وتعجيل الظفر لأبي الحسن الماوردي ، تحقيق محيي هلال السرحان ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981 .
التشبيهات لابن أبي عون ، تحقيق د. عبد المعيد خان ، كمبردج 1950 .
التعازي للمدائني ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفّار وبدري محمد فهد ، بغداد 1971 .
التعازي والمراثي للمبرد ، تحقيق محمد الديباجي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1976 .
تعريف القدماء بأبي العلاء ، لجنة بإشراف د. طه حسين ، القاهرة 1944 .
تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (1–20) ، مصر 1354 .
تقييد العلم للخطيب البغدادي ، تحقيق أسعد طلس ، دمشق .
تكملة تاريخ الطبري للهمذاني ، تحقيق ألبير كنعان ، بيروت 1961 .
التكملة لوفيات النقلة للمنذري (1–4) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، بيروت 1981 .
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1969 .
التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة 1961 .
تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، انظر مجموعة ورّام .
التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه لأبي عبيد ، عبدالله بن عبد العزيز البكري ، مصر 1926 .
التنبيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات لأبي القاسم علي بن حمزة البصري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، مصر .
تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، وقف على طبعه الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1895 .
تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (1–7) ، صنعة الشيخ عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت 1979 .
تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (1–12) ، حيدر أباد الدكن 1325–1327 .
تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
التوفيق للتلفيق للثعالبي ، تحقيق إبراهيم صالح ، دمشق 1983 .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1965 .
ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (بهامش المستطرف للأبشيهي) .
جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1–2) ، دار الفكر ، بيروت ؛ تحقيق عبد الكريم الخطيب ، القاهرة 1982 .
الجامع الصغير للسيوطي (1–2) ، القاهرة 1954 .
الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريا النهرواني (1–2) تحقيق د. محمد مرسي الخولي ، بيروت 1981–1983 ؛ (3–4) تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1987 .
جمع الجواهر للحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1953 .

الجمهرة لابن دريد (1–4) ، ط. حيدر أباد الدكن .
جمهرة الإسلام للشيزري (مصورة عن مخطوطة ليدن ، فؤاد سيزكين ، فرانكفورت) .
جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (1–2) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ؛ طبعة دار صادر ، بيروت 1978 .
جمهرة الأمثال للعسكري (1–2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و د. عبد المجيد قطامش ، القاهرة 1964 .
جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة 1962 .
جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (1–3) ، جمع أحمد زكي صفوت ، البابي ، القاهرة 1933 .
جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (1–4) ، جمع أحمد زكي صفوت ، البابي ، القاهرة 1937–1938 .
جمهرة النسب للزبير بن بكار (1) تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1381 .
الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن منصور بن حبيش المعروف بابن الحداد (آيا صوفيا ، رقم 1/4824) ؛ وتحقيق ودراسة د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1983 .
حاشية على شرح بانت سعاد لعبد القادر البغدادي (ج : 1) تحقيق نظيف محرم خواجة ، فيسبادن 1980 .
الحكمة الخالدة (جاويدان خرد) لمسكويه ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، القاهرة 1952.
الحلة السيراء لابن الأبار (1–2) ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة 1963 .
حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (1–10) ، القاهرة 1938 .
حلية المحاضرة في صناعة الشعر لمحمد بن الحسن الحاتمي (1–2) ، تحقيق د. جعفر الكتاني، بغداد 1979 .
حماسة ابن الشجري ، حيدر أباد الدكن 1345 .
حماسة أبي تمام (شرح التبريزي) (1–4) ، بولاق 1296 .
حماسة أبي تمام (شرح المرزوقي) (1–4) ، تحقيق أحمد أمين و د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1951–1953 .
حماسة البحتري ، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1910 .
الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (1–2) ، تحقيق د. مختار الدين أحمد ، حيدر أباد الدكن 1964 .
حماسة الخالديين : انظر الأشباه والنظائر .
حماسة الظرفاء لأبي محمد العبدلكاني (1–2) ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، بغداد 1978 .
الحنين إلى الأوطان للجاحظ ، مطبعة المنار ، القاهرة 1333 .
حياة الحيوان الكبرى للدميري (1–2) ، مصر 1292 .
الحيوان للجاحظ (1–7) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1938–1945 .
خاص الخاص للثعالبي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1326 .
خريدة القصر (قسم العراق) (1–4) (ولها تكملة) ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، بغداد .
خزانة الأدب للبغدادي (1–4) بولاق 1299 ؛ تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة .

الخصال للشيخ الصدوق ، قم 1376 .
خطب خالد بن صفوان وأقواله وأخباره ، جمعها د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1990.
خلاصة الذهب المسبوك للأربلي ، بغداد 1964 .
خمس رسائل لابن بطلان وابن رضوان ، تحقيق يوسف شخت وماكس مايرهوف ، القاهرة 1937 .
خمس رسائل (من ضمنها الإيجاز والإعجاز وبرد الأكباد) ، الجوائب 1301 .
الدر المنثور للسيوطي (1–6) ، القاهرة 1314 .
الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الأصفهاني ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، القاهرة 1972 .
دعائم الإسلام للنعمان بن محمد بن منصور التميمي ، تحقيق آصف بن علي ، دار المعارف ، مصر 1951 .
دلائل النبوة لأبي نعيم ، حيدر أباد الدكن 1369 .
دلائل النبوة للبيهقي (جـ : 1) تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1970 ؛ (جـ : 3 ، جـ : 5) تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1985 .
الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد 1966 .
ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تصحيح عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1937.
ديوان ابن دريد ، دراسة وتحقيق عمر ابن مسالم ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1973 .
ديوان ابن الدمينة ، صنعة ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق راتب النفاخ ، مطبعة المدني ، نشر دار العروبة ، 1959 .
ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمع وتحقيق د. عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت .
ديوان ابن الرومي (1–6) ، تحقيق د. حسين نصار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1973–1981 .
ديوان ابن المعتز (3–4) ، تحقيق ب. لوين ، استانبول ، 1945–1950 .
ديوان ابن المعتز (1–3) ، تحقيق د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1978 .
ديوان ابن مفرغ ، جمع وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، بيروت 1975 ؛ (شعر ابن مفرغ) ، جمع وتقديم د. داود سلوم ، بغداد 1968 .
ديوان ابن نباتة السعدي (1–2) ، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، بغداد 1977 .
ديوان ابن هانيء الأندلسي ، ط. دار صادر ، بيروت 1952 .
ديوان ابن هرمة ، جمع محمد جبار المعيبد ، النجف 1969 ؛ وجمع د. حسين عطوان ومحمد نفاع ، دمشق 1969 .
ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بيروت 1975 .
ديوان أبي تمام (1–4) ، تحقيق محمد عبده عزام ، القاهرة 1951–1965 ؛ شرح وتعليق شاهين عطية ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت 1968 .
ديوان أبي دلامة ، جمع وتحقيق د. رشدي علي حسن ، بيروت 1985 .
ديوان أبي دهبل الجمحي ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، النجف 1972 .
ديوان أبي دواد الإيادي ، جمع غوستاف غرنباوم وأعاد تحقيقه د. إحسان عباس ، بيروت 1959 .
ديوان أبي ذؤيب ، انظر : ديوان الهذليين .

ديوان أبي الشيص ، جمع عبدالله الجبوري . بغداد 1967 .
ديوان أبي العتاهية ، تحقيق د. شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق 1965 ؛ تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
ديوان أبي الفتح البستي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، بيروت 1980 .
ديوان أبي فراس الحمداني (1–2) ، جمع وشرح د. سامي الدهان ، بيروت 1944 .
ديوان أبي قيس بن الأسلت ، دراسة وتحقيق حسن محمد باجودة ، القاهرة 1973 .
ديوان أبي النجم العجلي ، نشر وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايبزغ 1903 ؛ صنعه وشرحه علاء الدين أغا ، النادي الأدبي ، الرياض ، 1981 .
ديوان أبي نواس (1–3) تحقيق ايفالد فاغنر ، فيسبادن 1958–1982 ؛ وتحقيق د. بهجت الحديثي ، بغداد 1980 ؛ وتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت 1953 ؛ (جـ : 4) تحقيق غريغور شولر ، فيسبادن 1982 .
ديوان أبي الهندي وأخباره ، جمع عبدالله الجبوري ، بغداد 1969 .
ديوان الأخطل بعناية الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1891 ؛ شرح كارين صادر ، دار صادر ، بيروت 1999 .
ديوان الأعشى ، تحقيق غويار ، بيانه 1927 ، دار صادر ، بيروت .
ديوان أعشى باهلة ، تحقيق وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب)، لايبزغ 1903 .
ديوان أعشى همدان ، نشر رودلف غاير ، لندن 1928 (الصبح المنير في شعر أبي بصير) .
ديوان الأفوه الأودي (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1937 ؛ وتحقيق د. محمد ألتونجي ، دار صادر ، بيروت 1998 .
ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة 1958 ؛ دار صادر ، بيروت 1963 .
ديوان أمية بن أبي الصلت الأندلسي ، جمع وتحقيق محمد المرزوقي ، تونس 1974 ؛ جمع د . عبد الحفيظ السطلي ؛ بشير يموت ، بيروت 1937 .
ديوان أوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت 1960 .
ديوان البحتري (1–4) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1963–1965 ؛ وشرح كرم البستاني (1–2) دار صادر ، بيروت .
ديوان بشار بن برد (1–3) ، باعتناء محمد الطاهر بن عاشور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1955–1966 ؛ وجمع بدر الدين العلوي ، دار الثقافة ، بيروت ؛ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 2000 .
ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1960 .
ديوان بكر بن النطاح ، جمع وتحقيق غازي النقاش ، بغداد 1977 .
ديوان تأبط شراً ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1984 .
ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1962 .

ديوان جران العود النميري ، رواية السكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، 1931 .

ديوان جرير (1–2) ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة 1971 ؛ شرح وجمع كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .

ديوان جميل بثينة ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ، مكتبة نصر ، القاهرة ؛ تحقيق وشرح بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت 1966 .

ديوان الأحوص الأنصاري ، تحقيق وشرح د. سعدي ضنّاوي ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

ديوان الأقيشر الأسدي ، صنعه الدكتور محمد علي دقّة ، دار صادر ، بيروت ، 1997 .

ديوان حاتم الطائي ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، القاهرة ؛ ودار صادر ، بيروت .

ديوان الحارث بن حلزة ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق د. وليد عرفات ، لندن ودار صادر ، بيروت 1971 .

ديوان الحسين بن مطير الأسدي ، جمع وتحقيق د. محسن غياض ، بغداد 1971 ؛ جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مجلة المخطوطات العربية ، مجلد 15 ، الجزء الأول 1969 .

ديوان حسين بن الضحّاك ، جمع الأستاذ عبد الستّار فراح ، دار الثقافة ، بيروت 1960 .

ديوان الحطيئة ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، القاهرة 1958 ؛ طبعة دار صادر ، بيروت 1967 .

ديوان الحماني ، مجلة المورد 1974/2 .

ديوان حميد بن ثور الهلالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، 1951 ؛ إشراف د . محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت 1995 .

ديوان الحيص بيص (1–3) ، تحقيق مكي السيد جاسم وشادي هادي شكر ، بغداد 1972–1975 .

ديوان خالد الكاتب ، تحقيق د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1981 .

ديوان الخالديين ، جمع وتحقيق د. سامي الدهان ، دمشق 1961 .

ديوان الخريمي ، جمع وتحقيق علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد ، بيروت 1971 .

ديوان الخنساء (أنيس الجلساء) بعناية أحد الآباء اليسوعيين ، بيروت 1888 ؛ تحقيق أنور أبو سويلم ، دار عمان ، عمان 1988 ؛ دار صادر ، بيروت 1963 .

ديوان دعبل الخزاعي ، جمع د . محمد يوسف نجم ، بيروت 1962 ؛ وجمع د. عبد الكريم الأشتر (شعر دعبل بن علي الخزاعي) منشورات المجمع العلمي العربي ، دمشق 1964 .

ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري ، دار الثقافة ، بيروت 1964 .

ديوان ذي الإصبع العدواني ، تحقيق وجمع عبد الوهاب العدواني ومحمد الديلمي ، الموصل ، 1973 .

ديوان ذي الرمة (1–3) ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق 1972–1973 ؛ طبعة أوروبة تحقيق مكارتني ؛ وبتحقيق الشيخ زهير فتح الله ، دار صادر ، بيروت 1995 .

ديوان الراعي النميري ، جمع وتحقيق راينهرت فايبرت ، فيسادن 1980 ؛ وتحقيق د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، بغداد 1980 .

ديوان ربيعة بن مقروم الضبّي ، جمع وتحقيق تماضر عبد القادر فياض حرفوش ، دار صادر ، بيروت ، 1999 .

ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب) ، اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي ، برلين 1903 .

ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، دراسة وتحقيق سعود محمود الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .

ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ، 1944 .

ديوان زهير بن جناب الكلبي ، صنعه د . محمد شفيق البيطار ، دار صادر ، بيروت 1999 .

ديوان سحيم ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، 1950 .

ديوان السري الرفاء ، ط. القدسي ، القاهرة ؛ وط . بغداد .

ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، حلب 1968 ؛ وتحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1910 .

ديوان الشريف الرضي (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1961 .

ديوان الشريف المرتضى (1–3) ، تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة 1958 .

ديوان شعر الخوارج ، جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، ط4 ، دار الشروق ، بيروت 1982 .

ديوان شعر المثقب العبدي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1971 .

ديوان الشماخ بن ضرار ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، القاهرة 1968 .

ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .

ديوان الصمة بن عبدالله القشيري ، جمعه د. عبد العزيز محمد الفيصل ، الرياض ، النادي الأدبي ، الرياض 1981 .

ديوان الصاحب ابن عباد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد 1965 .

ديوان الصنوبري ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1970 .

ديوان ضرار بن الخطاب الفهري ، جمع د . فاروق أسليم بن أحمد . دار صادر ، بيروت ، 1996 .

ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق 1975 ؛ جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1953 .

ديوان الطرماح ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1968 .

ديوان الطغرائي أبي إسماعيل الحسين بن علي ، تحقيق د. علي جواد الطاهر و د. يحيى الجبوري ، الكويت 1983 .

ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1968 ؛ تحقيق كرنكو ، لندن 1927 ؛ تحقيق حسان فلاح أوغلي ، دار صادر ، بيروت 1997 .

ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ، بيروت 1959 .

ديوان عبد الصمد المعذل ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، دار صادر ، بيروت 1998 .
ديوان عبيد بن الأبرص ، جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .
ديوان عروة ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
ديوان العباس بن الأحنف ، جمع وتحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة 1954 ؛ جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1978 .
ديوان العباس بن مرداس ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد 1968 .
ديوان عبدالله بن رواحة ، تحقيق د. وليد قصاب ، دار العلوم ، الرياض 1982 ؛ دراسة وتحقيق د. حسن محمد باجوده ، القاهرة 1972 .
ديوان عبد المحسن الصوري (1–2) ، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ، بغداد 1980 .
ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت 1958 .
ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة 1957 ؛ تحقيق شارلس لايل ، سلسلة جيب التذكارية ، 1913 .
ديوان العجاج ، نشر وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايبزغ 1903 .
ديوان عدي بن الرقاع ، تحقيق الدكتورين القيس والضامن ، بغداد 1987 .
ديوان عدي بن زيد ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، بغداد 1965 .
ديوان العرجي ، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد 1956 .
ديوان عروة بن أذينة ، دار صادر ، بيروت 1996 .
ديوان عروة بن الورد ، شرح ابن السكيت ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق 1966 .
ديوان علقمة بن عبدة (الفحل) ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، ط1 ، مطبعة الأصيل بحلب ، 1969 ؛ وتحقيق سعيد نسيب مكارم ، دار صادر ، بيروت 1996 .
ديوان العلوي الكوفي ، مجلة المورد 1974/2 .
ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، دمشق 1946 .
ديوان عُليّة بنت المهدي . جمعه وحققه الدكتور سعدي ضنّاوي ، دار صادر ، بيروت 1997 .
ديوان عمارة بن عقيل ، تحقيق شاكر العاشور
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ، بيروت 1961 .
ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، دار صادر ، بيروت 1994 ؛ نشر لايل ، كيمرج ، 1919 .
ديوان عمرو بن كلثوم ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .
ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، جمع هاشم الطعان ، بغداد 1970 .
ديوان عنترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1964 .
ديوان الفرزدق (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1966 .
ديوان القتال الكلابي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1961 .
ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، بيروت 1960 ؛ وبنشر بارت ، ليدن 1902 .

ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .
ديوان قيس بن ذريح : شعر ودراسة ، صنعة حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة 1960 .
ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د. إحسان عباس ، بيروت 1971 .
ديوان كشاجم ، تحقيق خيرية محمد محفوظ ، سلسلة كتب التراث (رقم 17) ، بغداد 1970 .
ديوان كعب بن زهير ، شرح السكري ، دار الكتب ، القاهرة 1950 .
ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، بغداد 1966 ؛ تحقيق مجيد طراد ، دار صادر ، بيروت 1997 .
ديوان لقيط بن يعمر ، تحقيق د. عبد المعيد خان ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت 1971 .
ديوان ليلى الأخيلية ، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وجليل العطية ، الكويت 1971 .
ديوان المتلمس ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1970 ؛ وبتحقيق د. محمد ألتونجي ، دار صادر ، بيروت 1998 .
ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة 1944 ؛ شرح أبو البقاء العكبري ، القاهرة 1936 .
ديوان مجنون ليلى ، جمع عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر ، القاهرة ؛ شرح زكي درويش ، دار صادر ، بيروت 1994 .
ديوان محمد بن حازم الباهلي ، صنعة شاكر العاشور ، بغداد 1977 .
ديوان محمد بن عبد الملك الزيات ، تحقيق د. جميل سعيد ، القاهرة 1949 .
ديوان المرقشين (المرقش الأكبر : عمرو بن سعد . المرقش الأصغر : عمرو بن حرملة) تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت 1998 .
ديوان مزرد بن ضرار ، رواية ابن السكيت ، شرح ثعلب ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، بغداد 1962 .
ديوان مسكين الدارمي ، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وعبدالله الجبوري ، بغداد 1970 .
ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1957 .
ديوان المعاني للعسكري أبي هلال (1-2) ، نشر القدسي ، القاهرة 1352 .
ديوان معن بن أوس ، صنعة د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، بغداد 1977 .
ديوان النابغة الجعدي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1964 .
ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1977 ، جمع ماريا نلينو ؛ وجمع وشرح محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس 1976 .
ديوان النابغة الشيباني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1932 .
ديوان الهذليين (شرح أشعار الهذليين) (1-3) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومراجعة محمود محمد شاكر ، القاهرة .
ديوان الوأواء (أبو الفرج الدمشقي) ، تحقيق د. سامي الدهان ، ط1 ، 1950 ، ط2 ، دار صادر ، بيروت 1993 .
ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق ف . غابريلي ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت 1969 .
ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت 1998 .

ديوان وضاح اليمن ، جمعه وقدم له وشرحه د . محمد خير البقاعي ، دار صادر ، بيروت 1996 .
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ، القاهرة 1356 .
الذخائر والتحف المنسوب للقاضي الرشيد ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة د. صلاح الدين المنجد ، الكويت 1959 .
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (1–8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، 1975 .
الذهب المسبوك في مواعظ الملوك للحميدي ، طبعة الرياض .
ذيل الروضتين لأبي شامة (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) ، القاهرة 1947 .
الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (1 ، 4–6 ، 8) تحقيق د. محمد بنشريفة و د. إحسان عباس ، بيروت 1964–1965، 1973 .
ربيع الأبرار للزمخشري (1–4) ، تحقيق د. سليم النعيمي ، بغداد 1976–1982 ؛ ومخطوطة برنستن رقم : 3535 .
رحلة التجاني ، تقديم حسن حسين عبد الوهاب ، تونس 1958 .
رحلة النهروالي (المسمى الفوائد السنية في الرحلة المدنية) ، مخطوطة ولي الدين رقم : 2440 .
رسالة الطيف لبهاء الدين الأربلي ، تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد 1968 .
رسالة في علم الكتابة للتوحيدي (ضمن رسائل أبي حيان التوحيدي) ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، دمشق .
الرسالة الموضحة للحاتمي ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت 1965 .
رسائل ابن أبي الدنيا (مجموعة رسائل) ، الطبعة الأولى ، مصر 1935 .
رسائل ابن حزم الأندلسي (1–4) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1982 .
رسائل أبي العلاء (جـ : 1) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1982 .
رسائل بديع الزمان الهمذاني (كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان) ، تحقيق الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي ، بيروت 1890 .
رسائل البلغاء ، جمع وتحقيق محمد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، القاهرة 1946 .
رسائل التوحيدي ، تأليف إبراهيم الكيلاني ، دار طلاس ، دمشق 1985 .
رسائل الجاحظ (1–4) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1964–1979 .
رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، جمع وتحقيق د. يونس السامرائي ، بغداد 1971 .
رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي (شرح مقصورة حازم) (1–2) ، مصر 1344 .
الروض الأنف للإمام عبد الرحمن السهيلي (1–7) ، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري الصنهاجي ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، 1975 .
روضة العقلاء لابن حبّان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1977 .

روضة القضاة للسمناني (4 أجزاء في مجلدين) ، تحقيق صلاح الدين الناهي ، بغداد 1970 ؛ مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .

رونق التحبير في السياسة والتدبير (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم : 1182) .

الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (1–2) ، ط2 ، القاهرة 1953 .

الريحان والريعان لابن خيرة الأندلسي (جـ : 1) ، نسخة الفاتح رقم : 3909 .

الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر الأنباري ، تحقيق د. حاتم الضامن ، (1–2) مؤسسة الرسالة ، بيروت 1992 .

الزهد لابن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، حيدر أباد الدكن .

الزهد للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق محمد جلال شرف ، بيروت 1981 .

زهر الآداب لأبي إسحاق الحصري (1–2) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1969 .

زهر الأكم في الأمثال والحكم (1–3) ، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1981 .

الزهرة لابن داود الأصفهاني الظاهري (1–2) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1975 ، عمان 1985 .

سراج الملوك للطرطوشي ، الاسكندرية 1289 ؛ وطبعة دار صادر ، بيروت 1995 .

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري ، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1964 .

سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت ، تحقيق محمد مصطفى هدارة ، القاهرة 1957 .

سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي ، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ، سلسلة نفائس المخطوطات التونسية .

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي ، (اختصار ابن منظور) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1980 .

السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري ، بعناية مجتبى مينوي ، فيسبادن 1957–1958 .

سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري (1–2) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 .

سنن ابن ماجة ، انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

سنن أبي داود (1–2) ، باعتناء الشيخ أحمد سعد علي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة 1952 .

سنن الترمذي ، انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح (1–5) ، بيروت 1983 .

سنن الدارمي (1–2) ، بعناية محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية .

السنن الكبرى للبيهقي (1–10) ، حيدر أباد الدكن 1344–1355 .

سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي (1–8) ، القاهرة .

سير أعلام النبلاء للذهبي (1–25) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1981–1988 .

سيرة ابن طولون للبلوي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق 1358 .
سيرة ابن هشام (1–4) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، القاهرة 1955 .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، مصر 1331 .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، اعتناء أحمد عبيد ، القاهرة .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ، القاهرة .
الشافي في شرح أصول الكافي لابن المظفر (1–3) ، ط2 ، النجف 1969 .
شذرات الذهب لابن العماد (1–8) ، القاهرة 1350–1351 .
شذرات من كتب مفقودة ، جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 .
شرح أمالي القالي ، انظر : السمط .
شرح البسامة (شرح قصيدة ابن عبدون) ، القاهرة 1340 .
شرح ديوان جرير ، تحقيق إسماعيل الصاوي ، مصر 1935 .
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب ، دار الكتب المصرية ، 1944 .
شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر .
شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د. إحسان عباس ، الكويت 1962 .
شرح خطبة عائشة لابن الأنباري ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد .
شرح السبع الطوال لابن الأنباري ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1963 .
شرح شواهد الكشاف لمحب الدين الحموي ، مصر 1281 .
شرح شواهد المغني للسيوطي ، مصر 1322 .
شرح القصائد التسع لأحمد بن محمد النحاس (1–2) ، تحقيق أحمد خطاب ، بغداد 1973 .
شرح ما يقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، القاهرة 1963 ؛ (القسم الأول) تحقيق د. السيد محمد يوسف ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1975 .
شرح مقامات الحريري للشريشي (1–5) ، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1969–1976 .
شرح مقصورة حازم ، انظر : رفع الحجب المستورة .
شرح نقائض جرير والفرزدق (1–2) ، تحقيق بيفان ، ليدن 1905–1908 .
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1–20) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1959–1963 .
شروح سقط الزند (1–5) ، دار الكتب المصرية ، 1945–1948 .
الشريشي ، شرح مقامات الحريري (1–5) ، للشريشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .
شعب الإيمان للبيهقي (1–9) ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1990 .
شعر أشجع السلمي ، جمع د . خليل حسون ، دارة المسيرة ، بيروت ، 1981 .
شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، دمشق 1982 ؛ جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي ، بغداد 1968 .

شعر أبي زبيد الطائي ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1967 .
شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
شعر الأسدي (اسماعيل بن عمار) .
شعر الببغا ، تحقيق د. سعود عبد الجبار ، جامعة قطر ، 1983 .
شعر ثابت قطنة ، جمع وتحقيق ماجد السامرائي ، بغداد 1968 .
شعر الأحوص بن محمد الأنصاري ، جمع وتحقيق د . إبراهيم السامرائي ، مطبعة النعمان ، النجف 1969 .
شعر الحادرة الذبياني ، إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1973 .
شعر الحارث بن خالد المخزومي ، جمع د. يحيى الجبوري ، بغداد 1972 .
شعر الحسين بن مطير ، جمع د . حسين عطوان ؛ وبعناية د . محسن غياض ، بغداد .
شعر خُفاف بن ندبة السّلمي ، جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1967 .
شعر دريد بن الصمة الجشمي ، جمع وتحقيق وشرح د. محمد خير البقاعي ؛ تقديم د. شاكر الفحام ، دار قتيبة ، دمشق 1981 .
شعر ربيعة الرقي ، مجمع د . يوسف بكار .
شعر ربيعة بن مقروم بن ضبّة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، حزيران 1968 .
شعر الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم ، دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبا الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .
شعر الزبعرى ، جمع د . يحيى الجبوري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
شعر زياد الأعجم ، جمع وتحقيق يوسف حسين بكار ، دار المسيرة ، بيروت 1983 .
شعر سعيد بن حميد ، جمع يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، 1971 .
شعر السليك بن السلكة ، جمع حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد ، مطبعة العاني ، بغداد .
شعر طريح ، جمع د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .
شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، جمع وتحقيق د . سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد 1971 .
شعر عبد الصمد بن المعذل ، تحقيق زهير غازي زاهد ، بغداد 1970 .
شعر عبدالله بن الزبير الأسدي ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد 1974 .
شعر عبدالله بن معاوية ، جمع عبد الحميد الراضي ، بغداد 1976 .
شعر العتابي (العتابي : حياته وما تبقى من شعره) ، جمع د. ناصر حلاوي ، مجلة المربد 2–3 ، السنة الثانية ، ص 369–436 .
شعر عروة بن حزام ، جمع د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب بغداد ، 1961 .
شعر علي بن جبلة (الملقب بالعكوَّك) ، جمع د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، 1972 .

شعر عمر بن لجأ التميمي ، جمع د. يحيى الجبوري ، بغداد 1976 .
شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1974 .
شعر عمرو بن شأس الأسدي ، تحقيق د . يحيى الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف 1976 .
شعر الكميت بن زيد الأسدي (1-2) ، جمع د. داود سلّوم ، بغداد 1969 .
شعر المتوكل الليثي ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس ، بغداد 1971 .
شعر مالك ومتمم ، جمع ابتسام مرهون الصّفار ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1968 .
شعر مروان بن أبي حفصة ، جمع قحطان رشيد التميمي ، النجف 1972 .
شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1981 .
شعر الناشيء الأكبر ، صنعة هلال ناجي ، مجلة المورد ، المجلد 11 ، بغداد 1982 .
شعر النامي ، جمع وتحقيق صبيح رديف ، بغداد 1970 .
شعر نصيب بن رباح ، جمع د. داود سلّوم ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1967 .
شعر النعمان بن بشر ، حققه وقدم له د . يحيى الجبوري ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968 .
شعر النمر بن تولب ، صنعه نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد .
شعر هدبة بن الخشرم العذري ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، 1976 .
الشعر والشعراء لابن قتيبة (1-2) ، دار الثقافة ، بيروت 1969 ؛ وتحقيق دي غويا ، ليدن 1902 .
شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مكتبة الأقصى ، عمان 1979 .
شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة حاتم صالح الضامن ، دار التربية ، بغداد 1973 .
شعر يزيد بن مفرغ الحميري ، تحقيق شارل بلا ؛ وبتحقيق د . داود سلّوم ؛ وبتحقيق د . عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1995 .
شعر اليزيديين ، جمع د . محسن غياض ، بغداد 1972 .
شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت 1984 .
شعراء أمويون ، نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل 1976 .
شعراء عباسيون لفون غرونباوم ، ترجمة محمد يوسف نجم ، بيروت 1959 .
شعراء عباسيون منسيون ، د . إبراهيم النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997 .
شعراء مقلون ، حاتم صالح الضامن ، عالم الكتب ، بيروت 1987 ؛ جمع د . نوري حمودي القيسي ، بغداد .
الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، القاهرة 1978 .
شمائل الرسول لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة 1967 .
الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1302 .
الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان ، نسخة الخزانة العامة بالرباط ، رقم : 729 .
الشيخان : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري ، **في أنساب الأشراف**، تحقيق إحسان صدقي العمد ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت 1989 .

الشوق والفراق لابن المرزبان ، تحقيق د . جليل العطية ، المطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1994 .
صبح الأعشى للقلقشندي (1–4) ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالقاهرة ، 1963 .
صحيح ابن حبان ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة 1952 .
صحيح البخاري (1–9) ، القاهرة 1958 .
صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الألباني (1–6) ، المكتب الإسلامي ، 1982 .
صحيح مسلم (1–2) ، القاهرة 1290 .
الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، دمشق 1964 .
صفة الصفوة لابن الجوزي (1–4) ، حيدر أباد الدكن 1355 .
صوان الحكمة (المنسوب لأبي سليمان المنطقي) انظر : منتخب صوان الحكمة .
ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الألباني (1–6) ، المكتب الإسلامي ، (دمشق – بيروت) .
طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، نشر الأب لويس شيخو ، بيروت 1912 .
طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1956 .
طبقات الصوفية للسلمي ، تحقيق نور الدين شريبة ، القاهرة 1953 .
طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (1–2) ، تحقيق وشرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، 1972 .
الطبقات الكبرى لابن سعد (1–8) ، دار صادر ، بيروت 1957–1958 .
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1973 .
طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق الصيرفي والأبياري ، القاهرة 1962 .
عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ، تأليف د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان 1988 .
العبر في خبر من غبر للذهبي (1–6) ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد وآخرين ، الكويت 1960/1966 .
العثمانية للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1955 .
عرائس المجالس للثعالبي ، القاهرة 1954 .
العزلة لأبي سليمان الخطابي ، القاهرة 1352 .
العطاء الجزيل للبلوي ، مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم : 6148 .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين المكي ، تحقيق فؤاد سيد ومحمود محمد الطناحي ، القاهرة 1959–1969 .
العقد الفريد لابن عبد ربه (1–7) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، القاهرة 1962 .
العققة والبررة لأبي عبيدة ، معمر بن مثنى ، ضمن نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مصر 1954 .

عقلاء المجانين للنيسابوري ، تحقيق محمد بحر العلوم ، النجف 1968 .
العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي (1—2) ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، المكتبة العلمية ، لاهور ، باكستان 1979 .
العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني (1—2) ، القاهرة 1907 .
عنوان الأريب للنيفر (1—2) ، تونس 1351 .
عهد أردشير ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1967 .
عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، تحقيق د. عبد العزيز المانع ، الرياض .
عين الأدب والسياسة لابن هذيل ، مصر 1302 ؛ ودار الكتب العلمية ، بيروت 1981 .
العيني ، انظر : المقاصد النحوية .
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (1—2) ، القاهرة 1352 .
عيون الأخبار لابن قتيبة (1—4) ، طبعة دار الكتب المصرية .
عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ، رقم : 1377 .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (1—2) ، تحقيق أوغست ميللر ، المطبعة الوهبية ، القاهرة 1299 .
العيون والحدائق لمؤلف مجهول — من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ، نشره دي غويه ، بريل 1871 (مصورة مكتبة المثنى ببغداد) .
غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، ط بيروت .
غرر السير للثعالبي ، تحقيق مجتبى مينوي ، مكتبة الأسدي ، طهران 1963 .
غريب الحديث للخطابي (1—3) ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي (منشورات جامعة أم القرى ، 1983) .
الغنية ، فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق د. ماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1982 .
الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة ، تحقيق ش. أنبروس استوري ، ليدن 1915 .
الفاضل للمبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1956 .
الفاضل للوشاء (1—2) ، طبعة بغداد .
الفائق في غريب الحديث للزمخشري (1—3) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1945-1947 .
فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ، القاهرة 1959 .
فتوح البلدان للبلاذري ، تحقيق صلاح الدين المنجد .
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، نشره يوسف توما البستاني ، القاهرة 1927 ؛ طبعة دار صادر ودار بيروت 1960 .
الفرج بعد الشدة للتنوخي (1—5) ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت 1978 .
فرحة الأديب للغندجاني ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، دمشق 1981 .
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ، تحقيق د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت 1971 .

الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة لابن الصباغ المغربي ، الطبعة الثانية ، النجف .
فقر الحكماء ونوادر العلماء (نشر ضمن كتاب رسائل فلسفية على أنه لمؤلف مجهول ، ومؤلفه حسب نسخة برنستن رقم : 723 هو عمر بن ظفر السراجي) تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، بيروت 1980 .
فقه اللغة وخصائص العربية للثعالبي ، بيروت 1858 .
الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم ، تحقيق فلوجل (طبعة مصورة) بيروت 1964 ؛ تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971 .
فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبي (1–5) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1973 .
الفوائد لابن قيم الجوزية ، تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت 1981 .
الفوائد السنية ، انظر : رحلة النهروالي .
قطب السرور للرقيق ، تحقيق أحمد الجندي ، دمشق 1969 .
قوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي ، دراسة وتحقيق د . رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1979 .
قيس بن ذريح ووضاح اليمن للأصبهاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1950 .
الكافي (الأصول) للكليني ، طهران 1381 .
الكامل للمبرد (1–4) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، القاهرة ، 1956 ؛ وتحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 .
الكامل في التاريخ لابن الأثير (1–13) ، دار صادر ، بيروت 1965–1967 .
كتاب الآداب لجعفر ابن شمس الخلافة ، القاهرة 1931 .
كتاب بغداد لابن أبي طاهر طيفور ، القاهرة 1949 .
كتاب الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي وعبد الحميد النعماني ومحمد عثمان الماليكانوى ، ناسك 1960 .
كتاب الخراج لأبي يوسف ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت 1985 .
كتاب الخيل لأبي عبيدة ، حيدر أباد الدكن 1358 .
كتاب سيبويه (1–2) ، طبعة بولاق .
كتاب صفين (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، ط2 ، 1382 .
كتاب العصا لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. حسن عباس ، الاسكندرية 1977 .
كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (1–8) ، حيدر أباد الدكن 1968–1975 .
كتاب النوادر للقالي ، القاهرة 1926 .
كتاب الأمثال لأبي فيد السدوسي حققه وقدم له د . رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة 1971 .
كتاب المعمرين من العرب لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 .
كتاب النقائض ، نقائض جرير والفرزدق (1–3) تحقيق المستشرق بيفان ، ليدن 1907 .

كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني (1–2) ، ط2 ، باعتناء أحمد الفلوس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1979 .

الكلم الروحانية لأبي الفرج ابن هندو ، تصحيح وطباعة مصطفى الدمشقي ، مصر 1900 .

كليلة ودمنة لابن المقفع ، دار الشروق ، بيروت 1981 .

كنايات الأدباء للجرجاني ، مصر 1908 .

كنز العمال لابن قاضي خان الهندي (1–16) ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب 1969–1977 .

اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (1–2) القاهرة 1352 .

اللباب (شرح الشهاب) ، تصنيف أبو الوفا مصطفى المراغي ، القاهرة 1970 .

لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1935 .

لسان العرب لابن منظور (1–15) ، دار صادر ، بيروت 1955–1956 .

لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء للثعالبي ، تحقيق قاسم السامرائي ، ليدن 1978 .

لطائف اللطف (وهو لطائف الظرفاء) للثعالبي ، تحقيق عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت 1980 .

لطائف المعارف للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وحسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1960 .

لطف التدبير للخطيب الاسكافي ، تحقيق أحمد عبد الباقي ، القاهرة 1964 .

لقاح الخواطر وجلاء البصائر لعبد الله بن يحيى بن عبدالله (مخطوطة كيمبردج رقم : 139) .

اللمع في التصوف للسراج ، تحقيق نيكولسون ، ليدن 1914 .

مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ، بغداد 1968 .

مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، الخانجي ، القاهرة 1954 .

مجالس ثعلب (1–2) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1960 .

المجتنى لابن دريد ، حيدر أباد الدكن ، 1362 .

مجلة Studia Islamica (1978) (مقالة للدكتورة وداد القاضي حول «عهد الإمام علي لمالك الأشتر») .

مجلة الدراسات ، الجامعة الأردنية ، 1988 .

مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ، طبعة لاهور .

مجمع الأمثال للميداني (1–2) ، مصر 1310 ؛ وبتحقيق د. جان عبدالله توما ، (1–4) ، دار صادر ، بيروت 2002 .

مجمع الذاكرة (1–4) ، تحقيق د. إبراهيم النجار ، الجامعة التونسية 1987–1990 .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (1–10) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

مجموعة المعاني ، طبعة الجوائب 1301 .

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، جمع د. محمد حميد الله ، دار الإرشاد ، بيروت 1969 .

مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) (1–2) ، دار صعب ودار التعارف ، بيروت ، (صورة عن الطبعة الأولى 1376) .

المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ، القاهرة 1324 .
المحاسن والمساوىء للبيهقي ، دار صادر ، بيروت 1960 .
محاضرات الأبرار لابن عربي (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1968 .
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني (1–4 في مجلدين) ، دار الحياة ، بيروت .
المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، تأليف السري بن أحمد الرفاء ، (1–3) ، تحقيق مصباح غلاونجي ، (جـ 4) ، تحقيق ماجد حسن الذهبي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1986 .
المحبر لابن حبيب ، حيدر أباد الدكن 1361 .
المحمدون من الشعراء للقفطي ، تحقيق حسن معمري ، الرياض 1970 .
مختار الحكم للمبشر بن فاتك ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، مدريد 1958 .
المختار من رسائل الصابي ، تحقيق الأمير شكيب أرسلان ، بعبدا ، لبنان 1898 .
المختار من شعر بشار ، بعناية محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة 1934 .
مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس لابن الكازروني ، تحقيق د. مصطفى جواد ، بغداد 1970 .
مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (1–32) ، لمحققين متعددين ، دمشق 1984–1988 .
مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الكويت 1969 .
مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (جـ : 8 في جزءين) حيدر أباد الدكن 1951–1952 .
مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1955 .
مروج الذهب للمسعودي (1–7) ، تحقيق شارل بيلا ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1965–1979 ؛ (1–9) ، تحقيق باربيه دي مينار ، باريس 1861–1873 .
المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1–2) لجلال الدين السيوطي شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ، علي البجاوي . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (جـ : 11) (تراجم شعراء المغرب والأندلس) .
المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق 1946 .
المستدرك للحاكم (1–4) ، القاهرة 1335 .
المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي (1–2) ، مصر 1277 .
المستقصى في الأمثال للزمخشري (1–2) ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت 1977 .
مسند الإمام أحمد بن حنبل (1–6) ، دار صادر والمكتب الإسلامي ، بيروت 1969 .
مسند الشهاب للقضاعي (1–2) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، بيروت 1985 .
مصارع العشاق للسراج (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1958 .
المصباح المضيء في سيرة المستضيء لابن الجوزي (1–2) ، تحقيق ناجية عبدالله إبراهيم ، بغداد 1976–1977 .
مصنف ابن أبي شيبة ، نشره عبد الخالق خان ، حيدر أباد الدكن 1966 .

مصنف عبد الرزاق (1–11) ، باعتناء حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1970–1972 .

المصون للعسكري ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، الكويت 1960 .

مطالع البدور في منازل السرور للغزولي (1–2) ، القاهرة 1299 .

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (1–4) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1947 .

معجم الأدباء لياقوت الحموي (1–7) ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 .

المعجم الأوسط للحافظ الطبراني ، تحقيق محمود الطحان ، ط1 مكتبة المعارف ، الرياض 1985 .

معجم البلدان لياقوت الحموي (1–7) ، دار صادر ، بيروت 1993 .

معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1960 ؛ تحقيق كرنكو ، القاهرة 1354 .

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (1–4) لأبي عبيد البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السقّا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1945 .

المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، العراق 1984 .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (1–7) ، لفنسنك وآخرين ، ليدن 1936–1969 .

المعارف لابن قتيبة ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة 1960 .

المعرفة والتاريخ للفسوي (1–3) ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد 1974–1976 .

المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 .

المغازي للواقدي (1–3) ، تحقيق مارسدن جونز ، لندن 1966 .

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي.

المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة .

المفضليات ، شرح ابن الأنباري ، تحقيق كارلوس يعقوب ليال ، بيروت 1920 .

مفيد العلوم للخوارزمي ، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، بيروت 1980 .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1949 .

المقاصد الحسنة للسخاوي ، تصحيح عبدالله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف ، مصر 1956 .

المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزانة الأدب للبغدادي) ، طبعة بولاق .

المقفى (1–8) ، لتقي الدين المقريزي ، تحقيق د . محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1991 .

مقامات بديع الزمان ، قدم لها وشرحها الشيخ محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957 .

المقدمات الممهدات لابن رشد (1–2) ، القاهرة 1325 .

مكارم الأخلاق للطبرسي ، مصر 1303 .

المكافأة وحسن العقبى لابن الداية ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1940 .

الملاحن لابن دريد ، تصحيح أبو إسحق إبراهيم أطفيش الجزائري ، القاهرة 1347 .

ملامح يونانية في الأدب العربي ، تأليف د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1977 .

الملل والنحل للشهرستاني (1–2) ، تحقيق محمد فتح الله بدران ، القاهرة .

الممتع للنهشلي ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983 .

مناقب أبي حنيفة للكردري ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1981 .

مناقب الشافعي للبيهقي (1–2) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1970 .

مناقب المزيدية لابن البقاء ، تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان .

مناهج الفكر للوطواط (جـ 1 ، 2) منشورات معهد تاريخ العلوم ، فرانكفورت 1990 .

المنتحل في تراجم الشعراء للثعالبي ، المطبعة التجارية ، الإسكندرية 1903 .

منتخب صوان الحكمة المنسوب لأبي سليمان المنطقي (نشر بعنوان صوان الحكمة) ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، طهران 1974 .

منتهى الطلب من أشعار العرب (1–9) ، تأليف محمد بن ميمون ، تحقيق د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت 1999 .

المنتظم لابن الجوزي ، طبعة بيروت .

المنمق لابن حبيب البغدادي ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، حيدر أباد الدكن 1964 .

المنهج المسلوك في أخلاق الملوك لعبد الرحمن بن عبدالله (نسخة ليدن) ؛ وتحقيق علي عبدالله الموسى ، عمان 1987 .

الموازنة للآمدي (1–2) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1965/1961 .

المؤتلف والمختلف للآمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1961 ؛ تصحيح وتعليق كرنكو ، دار الجيل ، بيروت 1991 .

الموسوعة الاسلامية (بالانجليزية) مادة Kihana .

الموشى لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ، تحقيق رودولف برونو ، ليدن 1886 ؛ تحقيق مصطفى كمال ، القاهرة 1953 .

الموشح للمرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1965 .

الموفقيات (الأخبار الموفقيات) للزبير بن بكار ، تحقيق د . سامي العاني ، بغداد 1972 .

ميزان الاعتدال للذهبي (1–4) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1963 .

الميسر والقداح لابن قتيبة ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1342 .

نثر الدر للآبي (1–7) تحقيق محمد علي قرنة وآخرين ، القاهرة 1990 ؛ (7) ، تحقيق د. عثمان بو غانمي التونسي ، الدار التونسية للنشر ، 1983 .

نثر النظم وحل العقد للثعالبي ، المطبعة الأدبية ، مصر 1317 .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (1–16) ، طبعة دار الكتب المصرية .

نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري (1–2) ، صححه خورشيد أحمد فاروق ، ط. حيدر أباد الدكن 1976 .

نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء للملك الأفضل العباس بن علي ، (نسخة مكتبة محمد بن عبد الرحمن العبيكان بالرياض) .

نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1959 .

نسب قريش للمصعب الزبيري ، تحقيق إ . ليفي بروفنسال ، مصر 1953 .

نشوار المحاضرة للتنوخي (1–8) ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت .

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد (1–2) ، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن ، عمان 1982 .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (1–8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968 .

نكت الهميان في نكت العميان للصفدي ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة 1911 .

النمر والثعلب لسهل بن هارون ، تحقيق وتقديم وترجمة إلى الفرنسية عبد القادر المهيري ، تونس 1973 .

نهاية الأرب للنويري (1–22) ، طبعة دار الكتب المصرية .

نهج البلاغة من كلام الإمام علي ، تحقيق د. صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1967 .

نوادر أبي زيد في اللغة ، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ، بيروت 1981 .

نور القبس للمرزباني ، اختصار أبي المحاسن اليغموري ، تحقيق رودولف زلهايم ، فيسبادن 1964 .

الهاشميات للكميت ، شرح أبي رياش ، ليدن 1904 .

الهدايا والتحف للخالديين ، انظر : التحف والهدايا .

الهفوات النادرة للصابي ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق 1967 .

الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (1–18 + 22) ، لمحققين مختلفين ، شتوتفات 1993 .

الوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر ، القاهرة 1963 .

الورقة لابن الجراح ، تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج ، مصر 1953 .

الوزراء للصابي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1958 .

الوزراء والكتّاب للجهشياري ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة 1938 .

الوزير المغربي : الشاعر الناثر الثائر ، تأليف د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان 1990 .

وفيات الأعيان لابن خلكان (1–8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1969/1973 .

يتيمة الدهر للثعالبي (1–4) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1375/1377 .

الفهرس

بعونه تعالى

تمّ طبع كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني

يوم الرابع والعشرين من شهر نيسان (ابريل)

سنة 2002م ، الموافق إلى يوم

الحادي عشر من شهر صفر

سنة 1423هـ

ولله الحمد .